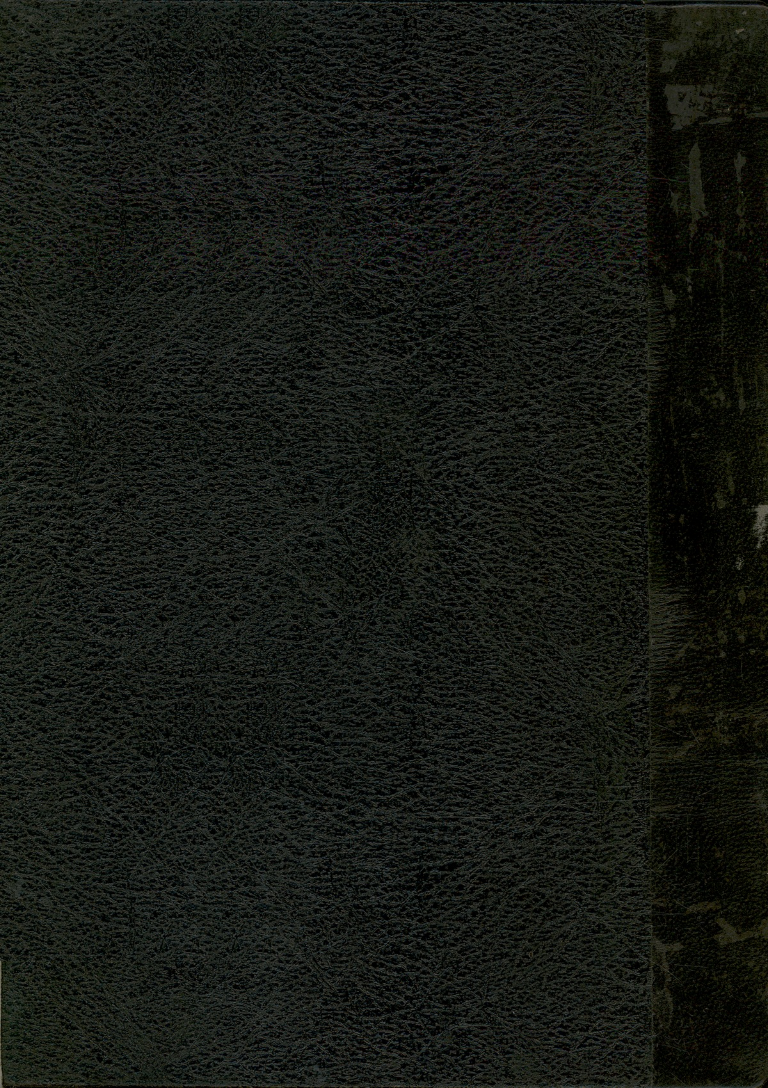


السنة الثانية عشرة
يناير ١٩٧٦

الطليعة

طريق للناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

□ سؤال التاريخ:
من الذى أحرق القاهرة فى ١٩٥٢ ؟

□ « حق ارتفاق »
الثورة الفلسطينية على الارض العربية

فهرس الطليعة لعام ١٩٧٥

هموم المواطن "عبد التواب"

□ آخر مقال لمصطفى موسى

الوقت البترولى ... صراع بين أمريكا والعرب

○ خطاب مفتوح من مالك زراعى صغير

○ الثورة الفلسطينية والثورة الكوبية

ثقافة ٧٥

ملحق الادب والفن



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الاول — السنة الثانية عشرة — يناير ١٩٧٦

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك]

كلمة من « الطليعة »

المواطن العادى فى مصر ..

ما هى همومه ، ومشاكله اليومية ، وكيف يسعى الى حلها ؟ .. ثم .. ما هى الرؤية التى تحكم هذا الحل ؟

مثلا : ما هى مجموعة الاراء والافكار السياسية والاجتماعية التى يرى من خلالها هذه المشاكل . وما هو حكمه على حركة واسلوب مؤسسات الدولة السياسية والتنفيذية والتشريعية ؟

ثم .. هل هناك ارتباط بين موقفه من قضايا السياسة الداخلية ، وبين موقفه من قضايا السياسة العربية والدولية ؟

وما هى القوى الحاسمة فى اعطاء فكره صورته النهائية . مثلا .. ما هو دور وسائل الاعلام .. ؟

كل هذه الاسئلة كانت قد بدأت تشغل أسرة تحرير الطليعة ومن خلال المناقشات اقترح رئيس التحرير أن تهتم الطليعة ــ مع بداية عام ١٩٧٦ ــ بالذهاب الى المواطن العادى لتتعرف على همومه ومواقفه الاجتماعية والفكرية . وهكذا ، بدأ عدد يناير ١٩٧٦ بتقديم « **هموم المواطن عبد التواب** » .

ومع عدد أول ينـاير ، أيضا تبدأ « **الطليعة** » **عامها الثانى عشر** . هى ، بالطبع ، فترة قصيرة فى حساب الزمن ، حاولت فيها الطليعة أن تسير على خط عريض يستلهم أفكار الاشتراكية العلمية . وعلى هذا الطريق ، فتحت الطليعة صفحاتها لكل فكر ، وطنى وقومى تقدمى ، وفى سياسة النشر التى اتبعتها ، طرحت قضية جوهرية لترد بها ــ عمليا ــ على كل الدعاوى التى ذهبت الى أن الفكر الاشتراكى يضيق بالرأى المعارض ويخاف المناقشة الحرة . ذلك أن القضية فى صميمها هى كما يلى :

ان الاشتراكية العلمية اذ تملك أقوى المناهج فى البحث عن الحقيقة لا يجوز أن تخشى الرأى المعارض ، فهى كفيلة بأن تنتصر فى حلبة الحوار الحر والموضوعى .

وفى سياسة النشر التى سارت عليها الطليعة كانت تحركها دائما فكرة أن الاشتراكية العلمية ــ برؤيتها الثورية والعصرية هى التى تستطيع أن توصل وتثبت التزام المواطن العربى نحو قضايا المصير فى الوطن العربى كله .

الى أى حد نجحت الطليعة فى تحقيق أهدافها ؟

ربما كانت اجابة هذا السؤال هى ــ أولا ــ من حق القراء والاصدقاء فى مصر وفى كل أنحاء الوطن العربى .

لكن ، كل ما تستطيع الطليعة أن تقوله لقرائها وأصدقائها وهى تعاهدهم على الالتزام بخط النضال من أجل التحرر والتقدم على جميع الجبهات .

ــ ان أسرة الطليعة تهنئكم بمناسبتين :

ــ عيد الاضحى المبارك

ــ ومقدم العام الجديد . ■



« حق ارتفاق »
الثورة الفلسطينية
على الأرض العربية

بالمقياس العالمى لثورات التحرر الوطنى ،ليست عادية ، هذه الثورة الفلسطينية المعاصرة ، التى تستقبل اليوم ، عامها الثانى عشر .

ولا تكتسب الثورة الفلسطينية ، طابعها الغير عادى ، من مجرد تفجرها ، بكم بشرى متواضع من الشباب الفتحوى الفدائى ، حين كانت حركة التحرر الوطنى العربية فى عام ١٩٦٥ قد بدأت رحلة التراجع تحت ضغط موجات الجزر القاسية ، والتى بلغت قمتها بالهزيمة الشاملة المروعة التى انزلتها اسرائيل بالامة العربية فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ..

ولا تتخطى الثورة الفلسطينية ، الطابع العادى لحركات التحرر الوطنى ، من كونها استطاعت وهى ما برحت جنينا يحبو فى عامه الثانى ، ان تجسد ، بخطها السياسى الفلسطينى - القومى - المعادى للعنصرية ونشاطها المسلح الثورى ، ارادة الصمود والمقاومة فى اعماق الجماهير العربية من الخليج الى المحيط ، فى الوقت الذى كانت اقوى جيوش « دول المواجهة » قد انهارت وتشتت منذ اليوم الاول لحرب الايام الستة ، وذلك بفعل تفاهة ان لم يكن خيانة قياداتها البيروقراطية ، قبل أن تصطدم بالعدو الاسرائيلى اصطداما قتاليا مباشرا ..

ولا تحتل الثورة الفلسطينية موقعها غير العادى فى التاريخ ، على اساس قدرتها على جمع شتات شعب مشرد طريد فى كل أنحاء الارض ، تنسحق « أقليته الصغيرة » التى بقيت بالوطن المغتصب تحت أقدام حكم عسكرى عنصرى .. أو على أساس عملية الاستنبات الانسانى الفذة ، « لروحية المواطن الفلسطينى الثائر » من « جسد لاجىء المخيمات الميت الحى » ..

ربما كان فى اجتماع هذه « الظواهر الثلاث » ـ فى وقت واحد ـ داخل الكيان العضوى للثورة الفلسطينية ، ما يحفز المرء الى الاقرار بالطابع غير العادى للحدث التاريخى .

لكنا ، رغم تقديرنا لاهمية هذه الظواهر الثلاث ، لا نعتمد عليها فى تحديد النوعية الخاصة والجديدة للثورة الفلسطينية ،بالقياس الى التاريخ العام لحركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

صحيح انه لم تتواجد « ثورة تحررية » فى احدى القارات الثلاث ، تميزت ـ كالثورة الفلسطينية ـ باجتماع هذه الظواهر الثلاث معا ، الا انه حدث ، بقدر او بآخر ، ان تبلورت هذه الثورة او تلك عن احدى الظواهر الثلاث او اثنتين منها على الاكثر .

ولعل هذا ما يجعلنا نثق بصحة المبدأ التاريخى الذى يؤكد على أن الثورات لا تكرر بعضها بعضا ، او أن احداها نسخة كربونية من اخرى . الامر الذى يتوجب .وما على أبناء كل ثورة أن يستوعبوا حصيلة الخبرات الثورية والوقوف على العام والمشترك بين جميع الثورات وذلك دون أن يجمدوا طاقاتهم او يقيدوا ابداعهم عن مواجهة مشاكل الواقع الخاص المتميز لثورتهم ، باستراتيجيات وتكتيكات جديدة ومتعددة .

فالثورة الفلسطينية تشترك مع الثورة الكوبية فى ظاهرة تفجير العمل الثورى بكم بشرى صغير ، خلال موجة الجزر التى اصابت الحركة الوطنية فى القارة الامريكية .

والثورة الفلسطينية تقترب من بعض خصائص الثورة الفيتنامية فيما يتعلق بالظاهرة الثانية ، حيث جسدت بخطها السياسى القتالى الثورى ، وحدة الصمود والمقاومة ضد الاستعمار القديم والامبريالية الامريكية فى جنوب شرقى آسيا ، فى الوقت الذى انهارت فيه ، أو جمدت الى حد « التفرج » ـ فى غالبية الاحيان ـ دول المواجهة فى حوض شرقى المحيط الهادى .

والثورة الفلسطينية تماثل ، من بعض الوجوه ، الثورة الجزائرية فى خصوص الظاهرة الثالثة . ذلك ان الثورة الجزائرية كان عليها أن تجمع الشتات الجزائرى فى خارج الوطن المحتل ، وان تجرى عملية الاستنبات الانسانى لروحية الوطن الجزائرى الثورى من جسد مسحوق معنويا وماديا ، ولكن داخل الجزائر نفسها ، حيث ظلت غالبية الشعب متشبثة بأرضها .

من هنا نتحفظ الى حد ما ، عندما ننسب الحالة غير العادية « الى الثورة الفلسطينية » على أساس هذه الظواهر الثلاث ، رغم تجمعها فى وقت واحد .

ونركز على أن الثورة الفلسطينية تكتسب طابعها غير العادى ، بل والفريد فى تاريخ حركات التحرر الوطنى من ظاهرتين متميزتين لم يسبق لأى ثورة التعامل معهما

الاولى ، هى انفجار الثورة ، ونمو قواها السياسية والعسكرية ، واستمرارها لمدة تزيد على الثمانية اعوام خارج أرض الوطن . وذلك قبل أن تتمكن من الاتصال المنظم والتفاعل السياسى والقتالى مع شعب الداخل .

الثانية ، هى مواجهتها لعدو استعمارى استيطانى لا يستند فحسب الى الامبريالية العالمية ، ولكن الى حركة عنصرية عالمية ، هى الحركة الصهيونية ، التى لا تستهدف الاستعمار الاستيطانى للوطن فقط ، بل الى احلال مجموعات بشرية عرقية ، محل شعب الوطن الاصيل ، بعد ابادة بعضه وتشريد البعض الاخر .

في خضم الواقع العربي ــ الفلسطيني بظروفه المعقدة ، وفي مواجهة هاتين الظاهرتين الفريدتين ، انطلقت الثورة الى ارض مجهولة وعرة تتصدى لمهمات غير عادية ، وبالتالي لم يكن أمامها من خيار الا أن تكون ، فوق عدم العادية كثورة ، قوة غير عادية في الفكر والممارسة الثورية ، تتحدى كل المسلمات الثورية تقريبا ، وتبتكر وتبدع في أساليبها وتنظيماتها وتكتيكاتها ، والا انهارت وتحطمت ، كما انهارت وتحطمت المحاولات السابقة على الرغم مما حفلت به من بطولات .

ولقد وعت الثورة الفلسطينية ، هـذه الحقيقة الموضوعية ، بشكل عفوي في البداية . وذلك منذ أطلقت رصاصتها الاولى في الفاتح من يناير ١٩٦٥ . وفقدت أول شهيد لها « **أحمد موسى** » عندما عاد من أول عملية فدائية في داخل اسرائيل ، بطعنة في الظهر من العسكرية الملكية الاردنية العربية !

بيد أن الوعي العفوي بهذه الحقيقة ، راح يرتقي مع التجارب العديدة والمتلاحقة ، الى وعي عقلاني وثوري . ليس فقط خلال عمليات العبور الدامية الى الارض المحتلة . بل وعند العودة من الارض المحتلة الى الارض العربية المحررة ذات النظم العدائية بالذات .. وليس من خلال الجهد الشاق المبذول من اجل تسليح وتموين المقاتلين فحسب ، وانما في أعماق السجون والمعتقلات العربية التي كان يلقى في ظلمتها بعشرات من قادة الثورة وجنودها بتهمة « أنهم « فدائيون ضد اسرائيل » ... وليس من فرض القيود على تحركات الفدائيين وجماهير الشعب الفلسطيني في الوطن العربي ، وانما من اشعال نيران المذابح ، تحت اسم حماية أمن الدولة وسلطانها ، حيث تجز خلالها رقاب المئات من الفلسطينيين وثوارهم ، كما حدث في الاردن عام ١٩٧٠ وفي لبنان عام ١٩٧١ . وتكرر بعد ذلك في ١٩٧٣ ثم في عام ١٩٧٥ .

واستطاعت الثورة ، من خلال تعلمها بتواضع من خبرات الثورات التي سبقتها وعاصرتها ، ومن خلال الاستفادة من أخطائها ، وبتفهمها لطبيعتها غير العادية ومهمتها غير العادية ، أن تحافظ على وجودها وأن تنمو وتحصن مواقعها في الوطن العربي ، من حول « **مركز جغرافي استراتيجي** » . وأن تتصدى **بقتال هجومي سياسي وعسكري للعدو** ، من أمام في الوقت الذي تتصدى فيه **بقتال سياسي هجومي وعسكري دفاعي** لمحاولات الحصار والابادة التي تشنها القوى الانعزالية والمساومة في العالم العربي .

وكيفت تنظيماتها وحركتها على الحياة اليومية مع هذه المخاطر المزدوجة ، دون أن تشل ضراوة القتال على جبهة ، فاعلياتها على القتال في الجبهة الاخرى .

وحين ربطت ــ بوعي ــ مصيرها بمصير حركة التحرر العربي ، رفضت أن تذوب في بعض روافدها مهما كانت الاغراءات شديدة وبراقة . وظلت تشدد في اطار الحركة ، على استقلالها الذاتي وحريتها في الحركة . وتجنبت بذلك الصراعات الجانبية القائمة بين فصائل حركة التحرر العربي . وتحولت الى قطب جاذب للوحدة والتجمع العربي الشعبي .

وفي تحركها ، لم تكتف بالعلاقات « الفوقية » مع النظم العربية التي تراوحت بين العداء والصداقة والتحالف ، وانما عمقت اتصالها بالحركة الجماهيرية وخاصة قطاعاتها التقدمية والمستقبلية .

ورفضت التقوقع داخل المنطقة ، وانطلقت تتفاعل مع جميع حركات التحرر في العالم والقوى الاشتراكية والديمقراطية في جميع القارات ، دون ما عقد أو حساسيات .

وتطهرت من النوازع العنصرية والتعصب الديني . ومدت بشجاعة جسورها الى الاسرائيليين المعادين للصهيونية والامبريالية داخل وخارج اسرائيل .

ولم تتعفف ـ باسم الثورية الشكلية ـ عن مد يدها « **بغصن الزيتون** » والتحاور مع الشرعية الدولية ممثلة في الامم المتحدة واجهزتها المختلفة . في الوقت الذي تشهر بيدها الاخرى سلاح مقاومة الصهيونية والاستعمار دون هوادة .

وهكذا تمكنت الثورة الفلسطينية من ان تحقق على مستوى الجبهة ضد العدو ، مكاسب سياسية وعسكرية تمثلت في الاعتراف بها كعضو مراقب في الامم المتحدة . في نفس الوقت الذي كان تقتحم فيه ـ وما تزال ـ حزام الامن الاسرائيلي وتصل بقبضتها الموجعة الى الصهيونية في تل ابيب والقدس ويافا .

ويبدو من المفارقات المذهلة أنه في الوقت الذي تسجل فيه الثورة الفلسطينية على عدوها انتصارات سياسية وعسكرية على مستوى الوطن المحتل والساحة الدولية معا ، تحاول القوى العربية الانعزالية والمساومة في الوطن العربي عامة وفي لبنان خاصة ، بدعم مباشر من الامبريالية الامريكية واسرائيل ، أن تجهض هذه الانتصارات . وأن تحول بين الثورة وبين قطف الثمرة الاولى التي انضجها الكفاح والتضحيات غير المحدودة .

والحرب الاهلية في لبنان فوق أنها تعبير دامي عن الصراعات السياسية والاجتماعية في الساحة اللبنانية فانها تستهدف في المقام الاول ، أنهاك الثورة الفلسطينية وتبديد طاقاتها وتصفية « **مركزها الجغرافي الاستراتيجي المؤقت** » في لبنان ، وقد باتت على عتبة تحقيق هدفها المرحلي الاول : اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على الضفة الغربية لنهر الاردن وغزة ومنطقة الحولة .

ازاء هذا « **الموقف الشاذ** » من بعض قوى الامة العربية تجاه « ثورتنا الفلسطينية » ، فاننا نطرح بالحاح قضية ما نسميه « **حق ارتفاق** » الثورة الفلسطينية على كل أرض الوطن العربي ، وخاصة أرض المواجهة المباشرة مع العدو .

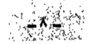
ان القانون المدني العادي يعطي لكل مالك عقار محاصر داخل ارض معينة ، لا يمكن الوصول اليه دون المرور بهذه الارض ، حق ارتفاق يمنح له بمقتضاه طريقا للمرور بأمان وحرية .

وتجد هذه القاعدة القانونية تجسيدا لها في تاريخ الثورات . بمعنى انه في حالة كل ثورة داخل منطقة معينة ، فان هذه الثورة تمتلك بالضرورة حق ارتفاق على اراضي دول هذه المنطقة للتواجد والمرور منها الى اهدافها من خلال طرق آمنة وحرة دون قيود .

الثورة الفيتنامية كان لها ، حق ارتفاق وتواجد شرعي ، في كل من أراضي كمبوديا ولاوس .

الثورة الجزائرية ، كان لها حق ارتفاق وتواجد شرعي ، في كل من أراضي تونس والمغرب .

وهكذا فليس بدعة ان يكون للثورة الفلسطينية اليوم ، وهي على وشك انجاز هدفها المرحلي ـ حق ارتفاق وتواجد شرعي في كل الوطن العربي بلا استثناء وعلى وجه الخصوص في أراضي كل دول المواجهة : مصر ، سوريا ، لبنان ، الاردن .



وبدون الاقـــرار بهذا الحق للثـــورة الفلسطينية يصـبح بلا معنـى ذلك القرار الاجماعى الذى صدر عن مؤتمر قمة الرباطباعتبار منظمة التحرير هى الممثل الشرعى والوحيد للثورة الفلسطينية .

ان هذا القرار يجب أن يلقى الاحترام الفعلى والملموس من الدول العربية قبل أن تطالب العالم باحترامه .

وينبـع هـذا الحـق المشروع للثـــورة الفلسطينية ، من كونها التجسيد الحقيقى لشعب عربى **أولا** . ولانها **ثانيا** ، تحملت ـ ومازال ـ فى سبيل الامة العربية أفدح التضحيات ، فى مواجهة العدو الصهيونى الذى لا يقف خطره عند حدود فلسطين بل يتجاوز ذلك الى الامة العربية بأسرها . ولانها ، **ثالثا** ، حمت بوجودها فى لبنان وتصديها القتالى لاسرائيـل ، الجنـوب اللبنانى من أن تلتهمه الصهيونية كمـا خططت فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ . ولانها ، **رابعا** ، ما برحت الجبهة السـاخنة ـ سياسيا ـ وعسكريا ـ ضد العدو دون ما انقطاع .

من هنا يستلزم الامر ، دون ما ابطاء ، أن ينعقد مؤتمر قمة عربى يتقرر من خـلاله وضع حق ارتفاق الثورة الفلسطينيـة وتواجدها الشرعى الامن فى كل الاراضى العربية ، موضع التنفيذ العام والشامل . وذلك فى اطار الجامعة العربية . ذلك أن الطريق الى فلسطين يمر بأراضى لبنـان والاردن وسوريا ومصر .

واذا احتج بأن هذا الطلب يمثل سابقة لا نظير لها فى التاريخ العربى . فـاننا نتساءل :

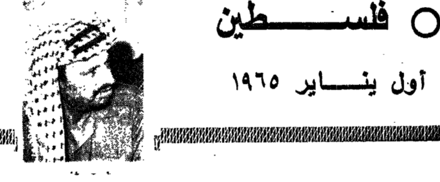
● ألم يكن احتلال الصهيونية لفلسطين واقامتها لاسرائيل على الرغم من كل الدول العربية ومسئولياتها القومية ، سابقة لا مثيل لها فى التاريخ ؟

● اليس فـى اســـتمرار الثـــورة الفلسطينيـة ، بتضـحياتها الجسيمـة واللامحدودة وفى ظروف شديدة التعقيد ، وحصولها ـ لحساب كل الامة العربية ـ على جميع هذه الانتصارات السياسية ، ما يمثل سابقة غير مطروقة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ؟

الحق أن السابقة التى ليس لها شبيه من قريب أو بعيد ، فى تاريخ الوطن العربى بل وفى تاريخ أى أمة فى العالم ، أن ثورة وطنيـة تحررية ، قد حوصرت فى وطنها وقيدت حركتها كما حوصرت وقيدت الثورة الفلسطينية . وسقط من شهدائها برصاص بعض أشقائها أضعاف أضعاف ما فقدت من شهداء برصاص اعدائها . حتـى ليمكن القول أن وضع الثورة الفلسطينية الدامى فى وطنها ، قد صك على لسان مقاتلها قول مأثور ، لكنه مخجل الى حد المهانة : « اللهم احمنى من بعض قومى أما اعدائى فانى كفيل بهم » ! ■

لطفي الخولي





فلسطين

أول يناير ١٩٦٥

فى أول يناير ١٩٦٥ انطلقت الثورة الفلسطينية ، بقوة « **فتح** » البشرية المتواضعة ، ولكنها كانت تملك ارادة الشعب الفلسطينى وتصميمه على خوض النضال من اجل استعادة حقه فى الوجود ، واسترداد أرضه التى سلبت منه وأبعد عنها بحراب الاستعمار والصهيونية .

واخذت الثورة الفلسطينية تشق طريقها الى الامام ، حاملة على اكتافها كل الاعباء التى اثقلت كاهل الشعب المضطهد فوق الارض المحتلة ، والمشرد خارج وطنه . بل وكاهل الامة العربية كلها .

ومن ١٩٦٥ الى ١٩٦٧ عاشت الثورة الفلسطينية اياما شاقة وعصيبه . فهى مواجهة بعدو عنصرى شرس ، وبرجعية عربية لاتسمح لها بأن تمارس نضالها من الاردن حيث كانت قواعدها الاولى. ولقد كان اول شهدائها احمد موسى الذى قتلته السلطة الاردنية وهو عائد من أول عملية فدائية داخل الارض المحتلة .

وبعد نكسة ١٩٦٧ ، بدا ضعف الرجعية الاردنية ، فتمكنت المقاومة من أن تفرض وجودها العلنى وشهدت هذه المرحلة **معركة الكرامة** ، والتى كانت اول عمل نضالى — له وزنه الاستراتيجى — يعيد الثقة الى كل القوى المناضلة داخل حركة التحرر الوطنى العربية وتركت اسرائيل لاول مرة فى أرض المعركة **دبابات وقتلى** . وكانت معركة الكرامة بمثابة اعلان ثورى بأن المقاومة الفلسطينية قد أرست قواعدها ، ورسخت وجودها ، وأنمت قواها .

ولكن الثورة الفلسطينية ، كانت تعيش وتنمو وتكبر وسط حقل الغام ، زرعه العدو والحكام من اهل الدار . فقد بيت النظام الاردنى نيته على ضرب المقاومة التى بدا خطرها الثورى . فكانت احداث الاردن الدامية والتى بلغت ذروتها فى سبتمبر ١٩٧٠ . حيث كانت المذبحة ، التى راح ضحيتها الالاف من القتلى وانحسر مد الثورة وتراجع مؤقتا لكنها اكدت استمرار وجودها . واتجهت بقواعدها الى **جبل الشيخ** بثلوجه وشعابه الوعرة ، وحيث كانت قد اقامت بحد سلاحها قواعدها فى لبنان منذ ١٩٦٨ (*)

لقد خرجت المقاومة من «أيلول الاسود» اكثر نضجا ونموا كما وكيفا ، رغم فداحة الخسائر التى منيت بها ..

واستمرت الثورة الفلسطينية ، تؤكد بالفعل والفداء ، انها قادرة على دفع وتطوير استمرارية القتال ، العسكرى والسياسى ، مع العدو . كان رجالها يقطعون الجليل ليصلوا الى جنين ونابلس ، ويعبرون الصحراء ليصلوا الى العقبة ، وكانت عمليات كبريات شمونة، ومعالوت ، ونهاريا .. ووصلوا الى تل أبيب والقدس ، مؤكدين بهذا الوصول ان المقاومة الفلسطينية قد نمت قواها الذاتية وقدراتها لتصل الى اهداف استراتيجية كان يظن استحالة الوصول اليها .

وجاءت الحرب الرابعة — اكتوبر ١٩٧٣، — حيث وجهت ضربة قوية لراس العدو . وخلال هذه الحرب اكدت الثورة الفلسطينية بمشاركتها الفعالة ، انها أصبحت مؤهلة لممارسة دورها كحركة تحرير وطنى استوى عودها ، واصبح لها وجودها الخاص المتميز داخل حركة التحرر الوطنى العربية .

ولقد افادت حرب اكتوبر ١٩٧٣ الثورة الفلسطينية ، وساعدتها على تطوير مؤسستها العسكرية ، والتي بدأت تأخذ شيئا فشيئا وضع « جيش تحرير حقيقى » كما وأن مؤسستها السياسية — منظمة التحرير — نضجت قواها ، وبلورت هويتها كحركة تحرر وطنى ، كما تمكنت من طرح نفسها كقوة من قوى حركة التحرير العالمية ، معلنة انها تنوى اقامة مجتمع فلسطينى تقدمى . وبذلك حددت الثورة الفلسطينية جماهيرها العربية والعالمية ، وكان قمة نضجها باعلانها شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية » التي تضم الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين واليهود معا بحقوق وواجبات متساوية .

وأكدت الثورة الفلسطينية ، على مواصلة مسيرتها نحو هدفها الاستراتيجى، بعد قرار وقف اطلاق النار فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ — وذلك باعلانها ، أنها ستتابع الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيونى من أجل تحرير الوطن وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره بنفسه وعلى أرضه .

وتمكنت الثورة الفلسطينية — ان تعلن عن وجودها وكيانها الدولى ، فكان اعتراف ١٠٥ دولة فى الامم المتحدة بها كممثلة للشعب الفلسطينى ومندوبة عنها فى الساحة الدولية .

واذ اصبحت الثورة الفلسطينية كيانا معترفا به دوليا ، فانها تمكنت من ان تفرض ارادتها ، مؤكدة حقها فى الوجود، فكانت مقررات الجمعية العامة للامم المتحدة اخيرا ، والتى نصت على : **أولا** : دعوة منظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطينى للاشتراك فى جميع الجهود والمناقشات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الاوسط التى تعقد فى اطار المنظمة الدولية ، وذلك على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى .

ثانيا : موافقة الامم المتحدة على تشكيل لجنة من اعضائها للبحث والتوصية بوضع برنامج يضمن للشعب الفلسطينى الحصول على وطن مستقل وممارسة حقوقه الثابتة : **ثالثا** : ادانت الجمعية العامة الصهيونية بوصفها شكلا من اشكال التمييز العنصرى والعنصرية .

وبذلك تأكد الوجود المنتصر للثورة الفلسطينية ، وللحق العربى . والذى تحقق عبر كفاح طويل مرير ، من ابرز حلقاته ، معركة الكرامة والصمود فى وجه « ايلول الاسود الدامى » ، وحرب اكتوبر ، واستمرار الكفاح الفلسطينى المسلح .

ومع نمو ونضج الثورة الفلسطينية ، وتحولها الى قوة فاعلة مؤثرة داخل حركة التحرر العربية الوطنية والديمقراطية ، — يزداد التآمر عليها — والعمل المشترك من قبل الامبريالية وخاصة الولايات المتحدة واسرائيل والرجعيات الانعزالية المحلية لتصفية الثورة الفلسطينية ، ولنزعها من الارض العربية .

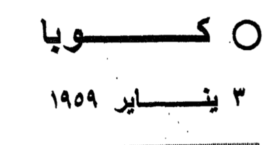
ان نزيف الدم الذى يسيل فى لبنـان اليوم ، ليس الا محاولة ضمن المحاولات المسـتمرة لتطـويق وتصـفية الثـورة الفلسطينية . ان الثورة الفلسطينية وهى تخطو بثبات مقتربـة من نهايات مراحل حاسمة من مراحل نضالها الطويل المرير — من أجـل اقـامة دولة فلسطينيـة ديمقراطية تقدمية على كل شبر يتحرر من أرضها — تزداد الاخطار المحيطـة بهـا والملتفة من حولهـا ، وتتكاتف كل قـوى الظلام والرجعية والاستعمار ، مكثفـة جهودها ، مهـاجمة من الداخـل ، ومن الخارج . والى جانب النزيف اللبنانى ، وتحرك العدو الداخلى ، تحرك العـدو مهاجما من الارض والجو ، محاولا قسـم ظهر المقاومة والثورة الفلسطينية .

ان مايحـدث اليوم لحصـار الثورة الفلسطينية ، ولمحاولة ضربها ضربـات قاتلة ، ليس الا تعبيرا عن فزع العدو من نمو هذه الثورة ، واستواء عودها ، وعلو قامتها . عربيا ودوليـا ، داخـل حركة التحرر الوطنى العربية كثورة مستقلة لها وجودها الخاص ولها ارتباطها بالخـط العام للثورة العربيـة ، وداخـل حركة التحرر العـالمية المعـادية للاسـتعمار والرجعية والعنصرية .

لقـد أصـبح ، من حقـائق عصرنا الاسـاسية ، ان الثـورة التى بـدأت حياتها بوجود بشرى متواضع ، وبعمليات تكتيكية محدودة للغاية . قد أصـبحت الان ، حركة تحرر وطنى لها كل مقومات حركات التحرير ، معترف بها دوليـا ، كحـركة وطنيـة معـادية للامبرياليـة والاستعمار الصهيونى الاستيطانى .

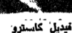
ان الثورة الفلسطينية — وهى تسير الى امام ، بخطى ثابتة ، وتتلقى بصمود فى نفس الوقت الضربات من اعدائهـا — فانها تستنهض كل قوى وفصائل حركة الوطن العربية والعـالمية — لتقف الى جانبها بكل قوة وعـزم — لتنتصر ارادة الشعب الفلسطينى الذى مازال يقـاوم منذ ايام الغزو الصهيونى الامبريالى حتى الان ، واكد حيويته ، وفرض وجـوده باعلانه لثورته المستقلة فى الفـاتح من يناير ١٩٦٥ .

« الطليعـــة »



○ كـــوبا

٣ ينـــاير ١٩٥٩



فيدل كاسترو

فى ٣ يناير ١٩٥٩ دخلت قوات الزعيـم الثورى الامريكى اللاتينى « **تشى جيفارا** » ، هافانا عاصمة كوبا ، واحتلت حصن «كابانيا» ، ودخلتها ايضا قوات الزعيم الكوبى الثورى « **كاميلو سـيينفويجوس** » ، واحتلت حصن «كولومبيا» . وفى ٨ يناير دخل **فيدل كاسترو** القائد الاعلى للثورة ، هافانا ، بطوابيره المسلحة ورجاله الملتحين ، وتولى سلطات رئيس الوزراء فى اول حكومة للثورة الكوبية .

كان ذلك حدثا بالغ الاهمية فى تاريخ نضال التحرر الوطنى للشعوب ، بعـد الحـرب العالمية الثانية ، لم تنبع اهميته من مجرد النجاح فى اقامة سلطة ثورية جديدة ، فى ذلك البلد الصغير — مع قيمة واهمية ذلك الانجاز بكل تاكيد — وانما نبعث من واقع ان

انتصار الثورة الكوبية ، كان كذلك عبوراً انتقالاً تاريخياً للثورة الاشتراكية العلمية الى نصف الكرة الغربي .

وكان لهذا الانتصار مغزى آخر ، هو النجاح في اقامة حكم ديمقراطي شعبي على بعد عشرات الاميال من الولايات المتحدة الامريكية ، القوة القائدة للامبريالية العالمية ومن هذه الناحية . كانت الثورة الكوبية بمثابة ضوء كاشف آخر ، للمدى الذي تستطيع ان تبلغه في قوتها ومنعتها ، ثورة التحرر الوطني ضد الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد ، اذا سارت حقا في طريق الديموقراطية الشعبية والانحياز الحاسم للملايين ضد قاهريها ومستغليها .

يقول فيدل كاسترو ، عندما كانت كوبا تتأهب في ابريل ١٩٦١ لملاقاة الغزو الذي دبرته الولايات المتحدة ضدها والذي مني بالهزيمة الساحقة : « لن يصفح الامبرياليون قط عن تواجدنا ههنا ، على بعد خطوتين منهم . انهم لن يصفحوا قط عن الكرامة والطاقة الثورية اللتين ابداهما الشعب الكوبي . انهم لن يصفحوا قط عنا لاننا صنعنا ، تحت عيونهم واذانهم ، ثورة اشتراكية ، سوف ندافع عنها بهذه البنادق » .

وكانت هذه الثورة ايضا بمثابة ضوء كاشف كذلك للقدرات العسكرية والسياسية الرادعة التي اصبح يمتلكها المعسكر الاشتراكي العالمي ، في مواجهة ابتزاز وغطرسة القوة الامريكية ضد الشعوب الصغيرة وبهذا الصدد قال « تشي جيفارا » في اجتماع عام في كوبا في يوليو ١٩٦٠ : « ان كوبا محمية بقذائف اكبر دولة في العالم » [الاتحاد السوفيتي] .

ولقد اعادت الثورة الكوبية ، امريكا اللاتينية ، تلك « القارة المنسية » – على حد تعبير تشي جيفارا – الى دائرة الاهتمام العالمي ، بعد ان فشلت الثورتان المناهضتان للاستعمار في القرن التاسع عشر ، في وضع امريكا اللاتينية في الصف الاول من دائرة الاهتمام العالمي ، والتاريخ العالمي .

لقد كاد **سيمون بوليفار** ، ومن بعده **جوزيه مارتي** ان ينجحا في تحقيق ذلك الهدف لانهما نجحا في هز وزعزعة الاوضاع في امريكا بأسرها ، في كفاحهما لتحقيق استقلال امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية ، وتحريرهما من الخضوع لسيطرة اوربا او الولايات المتحدة ، ولكنهما اخفقا في نهاية الامر . اخفق **بوليفار** لانه لم يعرف كيف يطبق سياسة ديناميكية اجتماعية ، على مستوى اهدافه السياسية . واخفق **مارتي** ، لانه حاول من جانبه ان يجابه القوة العاتية ، لامبريالية راسخة الاسس ، وأعوزته الوسائل ، وقتل ، وفصل الاستعماريون راسه عن جسده .

اما فيدل كاسترو فقد عرف بالضبط ، كيف يكيف مع أوضاع كوبا وامريكا اللاتينية ، ايديولوجية حديثة تواصل العمل التحريري لبوليفار ومارتي . ولم يستعير قطمخططات ايديولوجية ، وسوسيولوجية من تجارب مختلفة ، تاريخيا ، وانما انجز بصورة ابداعية ، طليعية ، وتلقائية معا ، ثورة ، كانت الاضافة الكيفية الثالثة بعد الثورتين الروسية ، والصينية ، في معالجتها الابداعية لواقع امريكي – لاتيني ، يختلف عن الواقع الاوربي او الاسيوي .

فلقد استفاد كاسترو من تجربة بوليفار ، ومارتي ، واستوعب جيدا ماركس وانجلز ولينين .

ولقد قدمت الثورة الكوبية بدورها اضافة جديدة الى النظرية الثورية ، واثرتها وأغنتها ، فقد اثبتت من واقع تطورها تلك الحقيقة وهي انه اذا اصبح احد الاحزاب الشيوعية ، كالحزب الاشتراكي الشعبي في كوبا ، غير قادر على التعبير عن المتطلبات التاريخية الضرورية التي يحتمها الصراع الطبقي ، وبمعنى ادق ، اذا تخلف عن القيام بدور طليعة الشعب ، فان الصراع الطبقي لا يتوقف باي حال من الاحوال ، وانما يخلق لنفسه اداة جديدة تكون تعبيرا تاريخيا جديدا عن الطليعة ، واداة جديدة لتحقيق مهماتها ، وهو ما تجسد في حركة ٢٦ يوليو التي تزعمها كاسترو ، وبدأ من خلالها كفاحه المسلح .

هكذا اثبتت الثورة الكوبية حقيقة علمية اكيدة ، وهى ان هناك تشابكا جدليا محتما حقا بين مهمة معينة هى مهمة الطليعة فى التاريخ ، وبين شكل تنظيمى معين لابد ان تؤول اليه الحركات الثورية الشعبية الاصيلة الا وهو شكل الحزب الماركسى ، وهو الشكل الذى آل اليه تطور حركة الكفاح المسلح التى بداها كاسترو ، والذى تمثل أخيرا فى الحزب الشيوعى الكوبى الراهن .

وبالنسبة لامريكا اللاتينية ، حطمت الثورة الكوبية أيضا الاسطورة التى كانت قائمة حينذاك ، والتى تقول **بأن الثورة فى أمريكا اللاتينية لا يمكن أن تقوم ضد الجيش المحترف.** وبهذا الصدد قال **جيفارا** « لقد انفضحت هذه الاكذوبة فى كوبا . فلا يمكن ان يعطى درس أوضح من درسها عن امكانية مقاتلة القوات النظامية ، بقوات تتألف من الفلاحين والعمال والمثقفين . هذه تجربة حيوية من أجل النضال ضد ديكتاتوريات اخرى » .لقد صفى فيدل الجيش المحترف التابع للامبريالية ، كيما يواصل الثورة ، وكل ما قام به من دعاية وتنظيم ، ونشاط سياسى من مونكادا حتى هافانا ، لم يستهدف طوال هذه السنوات الست من النضال ، سوى تصفية الجيش المحترف التـــابع ، من اجل القيام بثورة حقيقية .

ولقد كان كاسترو كقائد للثورة الكوبية يملك فى الواقع ، رؤيا حديثة عن الحزب الذى يحتاج اليه مجتمع ينتسب الى قطاع المستعمرات الجديدة ، وتسوده اغلبية برجوازية صغيرة ، ويسعى الى استقلاله فى عصر الاشتراكية ، وفى مواجهة حكم ديكتاتورى ارهابى ، وقد نجح كاسترو ورفاقه فى خلق **حزبه الجديد** ، **من جيش الثوار** الذين قاتلوا فى سييرا مايسترا الذى كان بمثابة القلب فى تكوين الحزب الكوبى الراهن الذى ضم بالاضافة الى حركة ٢٦ يوليو ، حزب التوجيه الثورى ، والجزب الاشتراكى الشعبى .

وكانت الثورة الكوبية ايضا ، هى المرة الاولى فى التاريخ التى يعترف الشيوعيون ويؤيدون فيها بصورة مباشرة ، ثورة ظافرة نظمتها حركة غير شيوعية بل ويعملون تحت لواء زعيمها ، وهو الموقف الذى اتخذه الحزب الاشتراكى الشعبى الذى اتخذت قيادته قرارها فى ١١ يناير ١٩٥٩ بالدفاع عن ثورة كاسترو ومساعدتها فى تحقيق وحـدة كل القـوى الثورية .

كذلك يمكن للثورة الكوبية ان تعتبر نفسها بحق ، الثورة الاولى ضد الاستعمار الجديد . فقد ورثت وضعا اقتصاديا مهزوزا بعمق من جراء الاضطرابات الناجمة عن الفعاليات المالية المشبوهة للنظام الاستعمارى الجديد . فقد أثرت البرجوازية الكوبية فى السـنوات الاخيرة من حكم باتيستا على حساب الشعب، بفضل تجارة السكر واستيراد السلع المصنوعة فى الولايات المتحدة . وفى نهاية حكم باتيستا كان احتياطى النقد مستنفد عمليا ، والتبعية حيال الولايات المتحدة تبعية تامة ، وكانت البطالة التامة او الجزئية تشمل بصورة دائمة حوالى ٢٥ فى المائة من قوة العمل . وكان الامريكيون يتحكمون فى مليون و ٢٠٠ الف هكتار من الاراضى ، كما كانت الجماعات المالية الامريكية تتحكم فى الطاقة الكهربائية ، والوقود ، وصناعة الحليب ، وكل الائتمان المصرفى تقريبا . باختصار ، كانت كوبا ظاهرة ملموسة من ظواهر الاستعمار الجديد خاصة .

لكن الثورة الكوبية ، نجحت فى تصفية نفوذ وسيطرة الاستعمار الجـديد والبرجـوازية المحلية ، وفى اكتوبر ١٩٦٠ ، اتخذت الخطوة الحاسمة ، على طريق التحول الاشتراكى ، عندما اقدمت على تاميم المشروعات الاجنبية والكوبية التابعة للراسمالية غير المنتجة ، وتأميم جميع المشروعات الراسمالية والمصارف أيضا . وذلك بعد أن كان كاسترو قد وقع فى ١٧ مايو ١٩٥٩ قانون الاصلاح الزراعى الذى حدد الحد الاعلى للملكية بثلاثين كاباليريا [٤٠٠ هكتار] ، ووزع الارض على الفلاحين المستقرين ، فى حين انتقلت كل البقية الباقية من الملكيات الكبيرة [اكثر من ٤٠٠ هكتار] الى الدولة [وهى ٤٠ فى المائة من الاراضى] وفى اكتوبر ١٩٦٣ صدر قانون ثان ، قام بتصفية ملكية الاراضى الى الان وكفلت الدولة الضمان الاجتماعى لجميـع العاملين ، والرعاية الصحية المجانية المناسبة ، والحق فى التعليم . ونجحت فى القضــاء على الامية فى زمن قياسى بتجربة فريدة ، استلفتت أنظار العالم بنجاحها ومبادراتها . وقضت وقضت تماما على البطالة . واستطاعت

بعد ذلك ان تحقق معدلات تنمية ، ومعدلات انتاج لم يسبق لها مثيل في تاريخ البلاد ، وليس أدل على مدى التقدم الذى أحرزته هذه الثورة فى معيشة الطبقات الكادحة من أنه فى خلال خمس سنوات سوف يصبح استهلاك الفرد الكوبى من البروتين الحيوانى معادلا لاستهلاك مثيله فى الدول المتقدمة .

وبعد كل شيء ، فقد حققت الثورة الكوبية كل انجازاتها ، خلال صراع ضارى ، ضد أعنف حصار اقتصادى فرضته الامبريالية الامريكية عليها ، وربما أعنف حصار اقتصادى فرض على الاطلاق ضد بلد صغير فى العالم ، ونجحت الثورة فى كسر نطاق هذا الحصار من حولها .

كما نجحت هذه الثورة وقيادتها لشجاعة فى التصدى لخطر حرب تشنها عليها الولايات المتحدة الامريكية . وارتفعت هذه الثورة ، فى لحظة مكثفة من تاريخها ، الى مستوى مواجهة الموت والفناء دفاعا عن مبادئها .

فهل كان لهذا الارتقاء قيمتــه ومغــزاه بالنسبة للشعوب الاخرى المناضلة من اجل التحرر فى العالم ؟ . لقد اثبت خروج الثورة الكوبية الظافر من ازمة الكاريبى سة ١٩٦١، التى وقف العالم خلالها على شفا الحرب النووية ، والتى تعد أخطر أزمة سياسية عسكرية منذ الحرب العالمية الثانية ، اثبت للشعوب ثلاث حقائق بارزة لا يرقى اليها الشك :

١ ـــ انه فى امكان بلد صغير ان يقوم بالثورة الاشتراكية على افضل وجه فى أى جزء من العالم .

٢ ـــ انه فى امكان المعسكر الاشتراكى أن يدعم ثورة تجرى حتى فى خــارج قاعــدته الجغرافية المشتركة والمتصلة .

٣ ـــ ان الامبريالية عاجزة عن سحق أية ثورة تسير فى طريق ديموقــراطى شعبى حقيقى .

وبعد لقد قدمت الثورة الكوبية تأييدها ومساندتها المادية والمعنوية لكل المناضلين من اجل التحرر الوطنى والاشتراكية لا فى امريكا اللاتينية وحدها ، بل فى كل ارجاء العالم ، وقامت بمبادرتها البارزة لتوحيد نضال العالم الثالث والحركة الاشتراكية العالمية عبر مؤتمر القارات الثلاث فى هافانا ١٩٦٥ ، الذى تجمع فيه تيارا الثورة العالمية المعاصرة ثورة التحرر الوطنى ، والثــورة الاشتراكية ، وعبر غيره من مؤتمرات التضامن والمساندة لكل نضال ثورى معاصر .

على انه بعد كل ذلك ، يقف وراء نجاحات الثورة الكوبية فى صمودها ، ونجاحها فــى تحقيق اهدافها مبدأ استراتيجى اساسى هو ان هذه الثورة عرفت كيف توحد نفسها مع الاصدقاء الحقيقيين ضد الاعداء الحقيقيين . لقد رفض فيدل كاسترو منذ البداية مطلب الولايات المتحدة بقطع علاقاته مع الاتحــاد السوفيتى كثمن لامكانية التفاوض معها . وكان موقفه حاسما بهذا الصدد . قال فى ٩ اكتوبر ١٩٦٠ : « لماذا نتخلى عن اصدقائنا كى نكون تحت رحمة اعدائنا ؟ واى نوع من الاصدقاء هم هؤلاء الذين يزعمون انه لايمكن للمرء ان يكون صديقا مع كائنا من كان سواهم ؟ .. ليس فى نيتنا مطلقا ان ندير ظهورنا لاولئك الذين أيدونا بكل امــانة ، والذين أبدوا لنا صداقتهم لدى كل عدوان يانكى ، لذلك البلد الذى استمر فى أرسال البترول لمصانعنا من مسافة آلاف الكيلو مترات ، والذى عبرت سفنه البحار كى تحمل البضائع الينا ، هذا البلد الذى ساعدنا بكل سخاء خلال هذه السنوات الصعبة رغما عن المسافات ، هذا البلد الذى حذر الامبرياليين بكل حزم من أن العدوان علينا يمكن ان يشعل حربا عالمية » .

تحية لهذه الثورة ، بدروسها وبطولتها ، تحية لمنار الحرية والديمقراطية والاشتراكية فى نصف الكرة الغربى ، فى عيدها السابع عشر . ■

« الطليعــة »

همـــــوم

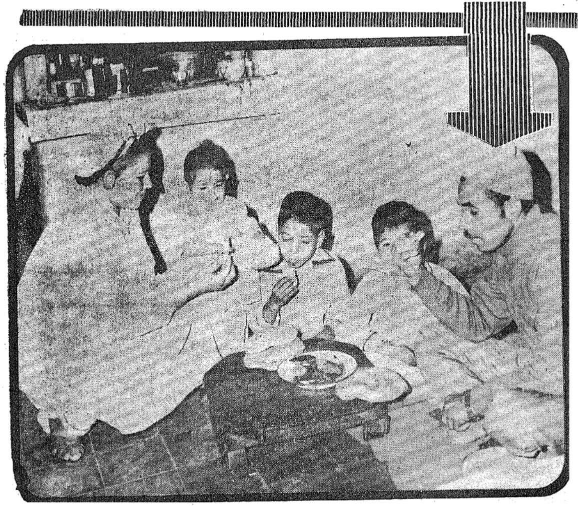
المــواطن « عبدالتواب » !

مع هذا العدد ، تبدأ « الطليعة » ، دراسة عن هموم المواطن عبد التواب ، ضمن دراسات ميدانية لقطاع رئيسى من قطاعـــات الشـــعب المصرى : « مواطن الحـــد الادنى للاجر » و « عبد التواب » ـ هنا ـ نموذج أو عينة ضمن هذا القطاع .

ما هو موقع « عبد التواب » فى حياة المجتمع المصرى : اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا ؟ مـــا هى رؤية مـــواطن الحـــد الادنى للاجـــر : « عبد التواب » ـ فى حالتنا هذه ـ ، لمشاكل مجتمعه ولالامه وآماله وطموحه ؟ ما هى انطباعاته اليومية لكل ما يصادفه فى الحياة منذ أن يستيقظ حتى ينـــام ؟

عبد التواب أمين أبو بكر ، مواطن يتقاضى الحد الادنى الرسمى للاجر فى مصر . وليس لديه دخل آخر . وهو يعيش فى المدينة (القاهرة) ، دون أى علاقات اقتصادية أخرى تذكر .. بالريف . نال حظه المحدود من التعليم (الابتدائية) وعمل وتزوج وانجب أولادا ثلاثة .

« عبد التواب » ـ هنا باختصار ـ ليس حالة خاصة ، وانما هو نموذج دقيق لملايين من المواطنين الذين يتقاضون الحد الادنى للاجر .



أسرة عبد التواب ، وملايين امثالها ٠٠ماذا بعد اقتطاع ٢٨ الف مليون جنيه من قوتها اليومى ، ثمنا للعدوان الاسرائيلى- الامريكى المتكرر ٠٠٠ ؟

٠٠ ولمـــاذا تقدم « الطليعة » ـــ فى هذا العدد- « حالة المواطن عبد التواب » كنموذج « لحـــالة مواطن الحد الادنى للاجر » ؟

لقد حرصت « الطليعة » دائمـــا ، على طرح أفـــكارها وتصوراتها عن الواقع المصرى وحلول مشاكله ، من أرض الواقع الحى نفسه ، ايمـــانا منها بأن المشاكل يجب أن نطرح على أرض الواقع. و « عبد التواب » ، يدخل بالضرورة فى احدى الشرائح المكونة للطبقة العـــاملة احدى قـــوى التحالف الوطنى ، ودراسة حالته ، مسألة يجب أن تشغل كل ممثلى قوى التقدم ،وذلك حرصا على حل مشاكل كل قوة فى اطار مصالحها جميعا وفى الاولوية مصالح قوى الغالبية من الشعب .

ولقد امتلات صفحات جرائدنا وصحفنا المصرية، فى الاونة الاخيرة ، بكثير من الكتابات حول الحلول المقترحة لمشاكل شعبنا . كانت بعض هذه الكتابات جادة وواقعية وحريصـــة على مصالح الشـــعب الحقيقية . لـــكن بعضها الاخر ، كان ينطلق من « عالم » آخر غير عالم « عبد التواب » .

أمـــام كل مصرى مهتم بالقضايا الحقيقية التى تواجه أوسع الطبقات الشعبية .

وأمام كل من يشارك فى تخطيط المجتمع المصرى اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ٠٠ الخ ، ويهمه تطور هذا المجتمع وتقدمه .

٠٠ أمامهم جميعا ، نقـــدم دراســـتنا عن هموم المواطن عبد التواب : مواطن الحد الادنى للاجر .

■ الطليعة : ماهو صافى مرتبك ؟

عبد التواب : بالنسبة لى ، انا اخذت اجازة مرضية طويلة لانى عملت عملية فى العمود الفقرى فى الفقرات القطنية فأخذت فترة طويلة بالنسبة لعمليتى فلم يطبق على هذا القرار ضمن الامراض المزمنة فيكون الصافى بتاعى فى حدود عشرة جنيهات وتسعين قرشا تقريبا بالنسبة لخصم ٣٠ فى المائة علشان الاجازة المرضية فى هذا الوقت اللى عايشين فيه .

■ **الطليعة : ما هو الاجر الذى بدأت به فى الشركة ؟**

عبد التواب : ابتديت باجر سبعة جنيهات ونصف

■ **الطليعة : هل استفدت من الاصلاح الوظيفى؟**

عبد التواب : الاصلاح الوظيفى لم يطبق على .

■ **الطليعة : هل لك موارد أخرى غير المرتب ؟**

عبد التواب : لا .

■ **الطليعة : ما هى المشاكل الاساسية التى تواجهك ؟**

عبد التواب : بالنسبة للمشاكل الاساسية التى تواجهنى كثيرة أولا الاجور غير كافية فى الوقت الحالى اللى احنا فيه . كيلو اللحم الان ارتفع الى ١٤٠ قرشا . والشهر فيه اربع اسابيع لو فكرت انى أجيب نصف كيلو لحم بسبعين قرش كل اسبوع ء مى ٧ بتمانية وعشرين يعنى ٢٨٠ قرش من الصافى ..٩٠ر١٠ جنيه يتفضل مبلغ بسيط ، لو نظرت انا لجهة انى ساكن فى مساكن المرازيق فى التبين عند شركة الحديد والصلب بأركب مواصلات بأربعة جنيه ونصف شهريا .. وبأسكن فيها .

■ **الطليعة : كم ايجار مسكنك ؟**

■ **عبد التواب : ساكن فى المساكن الشعبية** بـ ٥ر١٢٢ قرش ، وده سكن شعبى اقتصادى .

■ **الطليعة : كم تبعد عن مكان عملك ؟**
عبد التواب : تبعد حوالى ٣٥ كيلو .

■ **الطليعة : كم من الوقت تستغرقه لكى تصل الى شغلك ؟**

عبد التواب أمين أبو بكر

السن : ٣٤ سنة

المهنة : عامل بشركة الدلتا لحليج الاقطان

المؤهل : الابتدائية

الحالة الاجتماعية : متزوج وله ٣ اولاد

المرتب : ١٦ جنيه و ٤٥٠ مليما .

عبد التواب : استغرق ساعة ونصف لو كانت المواصلات سهلة وسليمة . واذا لم تكن تاخذ ساعتين وثلاثة . فى بعض الاوقات المترو بيكون عطلان الواحد بيقعد ثلاث ساعات على ما يتصلح المترو .

يعنى لازم اقوم قبل ميعادى بساعتين ونصفة يعنى فى حدود ستة صباحا لازم اكون خارج البيت .

■ **الطليعة : ومتى تعود الى البيت ؟**

عبد التواب : اخرج من الشغل الساعة اثنين ونصف واعود الساعة خمسة او خمسة ونصف .

■ **الطليعة ، تعود الى حديثك عن المشاكل .**

عبد التواب : بانسبة لى لما باقبض اجرتى أول الشهر فكل واحد منا يحب ياخذ لبيته فواكه ؟ برتقال أو جوافة أو تفاح من الحاجات الموجودة فى السوق . وأنا لما باروح مابيكونش معى ولا تعريفة . يعنى اليوم العادى أحسن من اليوم اللى

أنا باقبض فيه . ليه ؟ لان أنا بأكون مستلف من زملائى فى الشغل فباضطر انى أديهم فلوسهم وأسددهم . وبعدين أروح البيت يسألونى قبضت ؟ أقول لهم لسه . وأنا فى نفس الوقت آكون قبضت فعلا يوم ٢٤ أو ٢٥ ٠ لكن أقولهم لسه ! ليه ؟ على أساس ان اللى سددتهم النهاردة حانتظر يومين ثلاثة وأرجع استلف منهم تانى وأقول للبيت انى قبضت. فى نفس الوقت الفواكه مابتخشش البيت . يعنى مثلا البرتقال البلدى والتفاح البلدى . البرتقال البلدى أبو خمسة صاغ مايدخلش البيت ٠ التفاح البلدى المصرى ابو ثمانية وسبعه صاع مايدخلش البيت . ولا اى فواكه فى هذا الوقت اللى الواحد يتمنى يكون العيال مبسوطين ومتعشيين ولا عايز فواكه ولا غيره . لما الولد بيقولى يابابا هات لنا مثلا برتقال أو جوافة أو تفاح العيل يقعد يوم واثنين وثلاثه وسنة وأقول له حاضر . أنا عندى عيل سنه ٨ سنوات لما أقول له حاضر ٠ كلمة حاضر دى أقولها له كثير . أصبح دلوقتى بيقوللى : ماتقوليش حاضر ، ياتقول حاجيب او تقول مش جايب ! لانى بأوعده مرة واثنين وثلاثة .

فى نفس الوقت العامل الصغير اللى هو عايز فى هذه الايام يحبيكسى اولاده او علشان يحب يجيب لهم التزاماتهم بيروح لواحد تاجر التاجر ده علشان يضمن حقه بالكامل وماحدش يقدر يتلاعب معاه مايتعاملش مع العامل الصغير بكمبيالة .يقول لك يلجأ لان يتعامل مع العامل الصغير بايصال امانة ٠ فى حين انها لا امانه ولا حاجه دى حتة قماش بضاعة فياخذ اما ايصال أمانه أو شيك . وطبعا ده بدون رصيد ، والعامل الصغير طبعا ماعندوش رصيد . فالشيك ده حيدخله السجن فيلزم ان الواحد يكتب ايصال امانه وبرضه بيدخل السجن لكن بسبب الظروف القهرية اللى الانسان بيشوفها بيضطر انه يكتب ايصال أمانة . وبيسدد ايصال الامانة ازاى ؟ اذا كان بيدى له كل شهر حاجة مابيقدرش يحدد على ايصال الامانة ويكتب أى حاجة فيفضل يكتب هو ان كان مسجل فى دفتر عنده بأن فلان ده سدد لى مبلغ آد كده ٠ لكن مابينزلش على ايصال الامانة .

■ **الطليعة : هل يضيف على المبلغ الاصلى أى مبلغ ؛ بمعنى اذا انت اشتريت منه قماش بخمسة جنيهات هل يكتب الايصال بخمسة جنيه ؟**

عبد التواب : لا . اذا كتب عليه ايصال أمانة اذا كنت واخد بعشرة جنيه ممكن يكتب بخمسة وعشرين . وممكن يكتب على بثلاثين ٠ وفى الظروف اللى هو مضطر لها علشان يؤدى واجب الاولاد فلازم يكتب ايصال أمانة .

■ **الطليعة : هل لك أولاد فى مدارس ؟**

عبد التواب : عندى ولد فى المدرسة ، وعندى ولد عنده ست سنوات الا عشرين يوم فلم يدخل السنة دى .

■ **الطليعة :** انت تقبض عمليا عشرة جنيه وتسعماتة مليم ، تصرف منهم جنيها وريال سكن وحوالى أربعة جنيهات مواصلات ، ومجموعها خمسة جنيهات وعشرين قرشا . . هل تدخن ؟

عبد التواب : نعم باشرب سجاير .

■ **الطليعة : بكم ؟**

عبد التواب : اذا كان بالى رايق حاشرب خمس سجاير فى اليوم أو ثلاث سجاير . لكن اذا كان فيه هموم فى نفسى باشرب علبة كبيرة .

الطليعة : هل تتعاطى أى مكيفات ؟

عبد التواب : لا ٠.

■ **الطليعة : يتبقى لك حوالى أربعة أو خمسة جنيهات كيف تتصرف فيهم ؟**

عبد التواب : الاربعة أو الخمسة جنيه اللى أنا بأخذهم بادى الاولاد فى البيت يجيبوا خضار بقدر المستطاع من غير لحمة . . أو بطاطس ويقلوها والعيش .

■ **الطليعة : ما هى وجبات الفطار والغداء والعشاء ؟**

عبد التواب : بالنسبة للثلاث وجبات أنا عن نفسى شخصيا بآكل وجبة واحدة ٠ لقمة صغيرة أفطر عيها الصبح علشان آخذ كباية الشاى ، وبعدين لما أروح البيت الساعة خمسة آكل وجبة ولا أتعشى . ده بالنسبة لى شخصيا . لكن بالنسبة للاولاد كانوا الاول يجيبوا بقرش صاغ فول وكان ممكن يكفيهم ٠ النهاردة ده لوراح جاب بثلاثة صاغ فول أو أربعة صاغ وعليهم بقرشين عيش يدوب يكفيهم بالعافية . بالنسبة للغداء اذا كانوا جايبين بطاطس ومحمرينها وعليها بثلاثة أربعة صاغ عيش . والاسرة خمسة أفراد بنجيب أقل حاجة

بخمسة صاغ عيش . بالنسبة للعشاء كذلك اذا كان فيه جبنة . فأقل وجبة لا تتكلف أقل من خمسة عشر أو عشرين قرشا . أضطر أنا علشان أغطى العجز ابيع من أثاث البيت وانى اكفى الاولاد باللى هم عايزينه .

ولما بيخش موسم — زى موسم المدارس ده — لما أحب أجيب حاجة وما أعرفش أجيب لهم ، أضطر آخذ كنبة من البيت أبيعها ، أضطر آخذ كرسى من البيت وأبيعه ، أضطر اذا كان فى ودن مراتى حاجة أو فى ايدها حاجة ، آخذها وأبيعها علشان أجيب لهم اللى هم عايزينه .

■ الطليعة : ما هى مصاريف الولد فى المدرسة؟

عبد التواب : مصاريف الولد بالنسبة للمدرسة أنا مش قادر بالنسبة للعبء اللى أنا فيه . وديت الولد عند جدته فى البلد علشان آنا مش قادر وهى تتولى رعايته وأنا باروح أشوفه كل شهر مرة .

■ الطليعة : بالنسبة لمسألة الكنب ، اذا خلص ماذا تعمل ؟

عبد التواب : اما التجىء زى ماقلت انى آخذ من واحد تاجر على ايصال أمانة .. ايصال الامانة ده لو حصل خلاف بينى وبينه يقدر يشتكى بايصال الامانة بالمبلغ . فيعتبر ايصال الامانة فى هذا الوقت كأنى بأبدد الامانة فى نفس الوقت أنا مش مبدد ولا حاجة . ده أنا بأدفع بينى وبينه . يعنى أكون شريف بينى وبينه وفى نفس الوقت أمام القانون أكون أنا مبدد للامانة .

■ الطليعة : من سنتين هل كان دخلك يكفيك ؟

عبد التواب : من سنتين كان أحسن من النهاردة شويه . انما المرتب مابيكفيش . انا آخذت قرض من بنك ناصر كسلفة المدارس . وبعدين أنا اللى كنت فى الشركة قايم على صرف الاستمارات وأنا اللى كنت مفوض بأدى للموظف المختص ، اسمه الله أعلم أظن عبد الرحمن ، وبيراجع الاستمارات لقى مدة خدمتى ١٦ سنة وبعدين لقى المرتب ١٦ جنيه و ٤٥ قرش ، قام قال لى مين اللى صحح الاستمارات دى ده ماينفعش الكلام ده . قلت له ليه ؟ . قال ازاى ١٦ سنة خدمة وازاى بياخذ ١٦ جنيه مرتب . هو بياخذ كل سنة تعريفة . الكلام ده ماينفعش . قلت له والله ده اللى الواحد شايفه أنا باكلمك على انه فعلا ١٦ جنيه على ١٦ سنة خدمة . المهم كان مصمم يرفض الاستمارات . فى نفس الوقت معايا فى الاستمارات كمان زميل الخدمة بتاعته ٣٧ سنة ومرتبه ١٧ جنيه وأربعمائة وخمسين مليم . رفضت الاستمارات فى هذه المرة . وحاولت بكل الامكان لغاية ماجه الاصلاح الوظيفى وقلت له حيتصلح ، أخذها .

من سنتين ماكنتش عملت العملية ، ولم يكن يخصم منى المبلغ اللى بيتخصم منى مرضى فكنت أقدر أعيش شوية عن الوقت اللى عايش فيه دلوقت .

■ الطليعة : كم مجموع سلفياتك من البنوك ؟

عبد التواب : مجموع سلفياتى من البنوك عندنا بنك مصر اللى هو بتاع بورسعيد سابقا فى العتبة بيأخذ منى مائة وخمسة وعشرين قرشا سلفة . وبعدين بنك ناصر بياخذ منى قسط سلفة مائة وخمسة وعشرين قرشا .

■ الطليعة : غير البنوك هل هناك أحد استلفت منه ؟

عبد التواب : لسه الاشخاص المدنيين كتير . مستلف منهم .

■ الطليعة : هل هناك محلات مثل صيدناوى؟

عبد التواب : للاسف احنا عندنا شركة ، فلو انها بتدى استمارة من الاستمارات لاى شركة من شركات القطاع العام يعنى لو انها بتدى العامل ، كان العامل الصغير لا يلجأ لاى تاجر فى الخارج علشان يأخذ منه بالفايظ « الربا » أو بايصال أمانة .

■ الطليعة : هناك عمال تبيع الاستمارات ؟

عبد التواب : فيه عامل ممكن يبيع الاستمارة لما لا يكون عنده أولاد . لكن اللى عنده أولاد مايقدرش يأخذ الاستمارة بـ ١٢ أو بـ ١٥ جنيه ويقدر يبيعها .

■ الطليعة : هل لا يوجد نظام الاستمارات فى شركتكم ؟

عبد التواب ، لا مافيش .

■ الطليعة : لكى تعيش وتوفى مطالبك دون أن تستلف ، كم تحتاج ؟

عبد التواب : علشان أعيش ولا استلف من أحد وامشى مضبوط وامشى على المتوسط ، بـ ٣٠ جنيه . ده أقل حاجة علشان العامل يقدر يعيش مضبوط .

اللهم صلى على سيدنا محمد .

بالنسبة للحاجة الثانية ، أنا عندى ولد وديته للدكتور قبل المدرسة ما تفتح بشهرين ثلاثة مباشرة والدكتور قرر له عملية ولازم يعمل العملية .

العملية دى راح تتكلف عشرين أو خمسة وعشرين جنيه • طيب مامعييش من العشرين جنيه أو الخمسة وعشرين جنيه تعريفة . لو كان فيه نظام بالنسبة لاسر العاملين كان ممكن الواحد عملها وخلاها قسط من ضمن الاقساط ولا خلاشى العيل يعانى مثل هذه المعاناة • وأكثر من دكتور قرر انه لازم يعمل عملية الزايدة •

■ **الطليعة : عندكم نظام علاج فى الشركة ؟**

عبد التواب : ماعندناشى نظام علاج أبناء العاملين بالنسبة للأسرة مافيش أنا بأتعالج على حساب الشركة •

■ **الطليعة : بالنسبة لتموين الشهر ماذا تفعل ؟**

عبد التواب : بالنسبة لتموين الشهر ما أقدرش أجيب تموين الشهر علشان أنا مافيش عندى فايض أقدر أجيب به تموين الشهر . زى ما قلت أستلف من ده النهاردة واستلف من ده بكرة •

■ **الطليعة : ماذا تعمل مع البقال فى التموين ؟**

عبد التواب : أنا معى بقال كويس وبيتعامل معايا •• انسان بيقدر الظروف بيدى التموين على حسب رغبة الواحد .

■ **الطليعة : المواد الإساسية التموينية مثل الصابون والزيت والشاى والسكر ، كم تكلفك ؟**

عبد التواب : علشان أنا استعمل صابون أقل حاجه عشر حتت صابون من أبو خمسة صاغ ١٠ اذا كان أعرف أجيب من الجمعية او من البقال اللى بأجيب منه لان أنا ماعنديش وقت أجيب من الجمعية زى ما قلت أنا أخرج الساعة ٦ صباحا وأرجع البيت الساعة ٥ مساء • يكون الوقت على البطاقة انتهى ولا ألحقش اصرف من الجمعية• الجأ الى أن أجيب من السوق السودا . وبالشكل ده بدل ما أجيب من الجمعيه بخمسة قروش أجيبها بستة صاغ • وصابون الوجه على قدر المستطاع ثلاثة قطع فى الشهر •

بالنسبة للزيت دى مادة تموينية أساسية •بالنسبة للعامل الفقير اذا كان هو بياخد على التموين بتاعه ٢ كيلو حيضطر يشترى عليهم ثلاثة كيلو . ماهى مادة أساسية بدل السمن • السمن البلدى العامل الفقير مابيشوفهاشى الا اذا كان السمن الهولندى العادى ده .

■ **الطليعة : بتأكل لحمة كام يوم فى الشهر ؟**

عبد التواب : اذا قلت ان الشهر ده ماشفتهاش خالص ، ماتصدقشى • لما يكون فى الجمعية لحمة بـ ٦٨ قرش • لحمة الجمعية أم ٦٨ قرش دى مابطولهاشى لانى باخرج من شغلى وماليش معرفة فى الجمعية علشان يمشولى فى الجمعية أو آخد .

■ **الطليعة : هل تستطيع زوجتك أن تشترى من الجمعية ؟**

عبد التواب : مراتى ماتقدرشى ده انت لو شفت الجمعيـــة فيهـا طابور بيبهـدل الواحـــد ــ ماهو الحالة متوسطة . لكنى ابدا الواحد مايخلى الست بتاعته تقف وتشترى • لان اللى بيقف فى الجمعية بتوع السوق السودا • انما علشان توقف واحدة مايكونش لها دعوة بكده ما تعرفش تجيب• ولو وقفت يوم بحاله مش حاتعرف تجيب وتروح متبهدلة .

■ **الطليعة : كيف ستستقبل العيد ؟**

عبد التواب : بالنسبة لاستقبال العيد أنا كرب أسرة بأحاول بقدر المستطاع بأقضى بالهدوم اللى عـــلى اللى فى الشـــغل أو اللى لابســـها دلوقت ولا أحاول أن أجيب غيرها جديد لانى أفضل بدلا من أن أجيب لنفسى أجيب للعيال •

■ **الطليعة : كيف تحل مشكلات العيد ؟**

عبد التواب : بتبقى مشكلة العيد هى مشكلة كبيرة . وفى نفس الوقت اخليها صغيرة . بدلا من أن أحاول أن أعطى للعيل مثلا خمسين قرش يابنى خذ ربع جنيه كل واحد ، اتصرف فيه زى ماتتصرف والجأ للستوالدتى بالرغم من أن معاشها بسيط وأجيب للاولاد اللحمة بتاعتهم •

■ **الطليعة : هل تحضر لك حاجات من البلد ؟**

عبد التواب : والدتى بتاخذ معاش ٩ جنيه • بالنسبة لانها فى الارياف بتحاول بقدر مستطاعها أن تعيش بيهم . ولولا هى بتسندنى وبى اخ فى الجيش بيشوف الاولاد وبيكسيهم أنا ماكنتش أعرف أعيش ابدا •

يعنى فيه تعاون بين والدتى وأخويا اللى فى الجيش علشان يساعدنى •

■ **الطليعة : مشكلة علاج ابنك . هل لم تفكر فى أن تعالجه فى مستشفى أميرى ؟**

عبد التواب : وديته للمستشفى المستعصية فى حلوان . وقررت انى أعمل له العملية فيها • الولد قعد فى المستشفى ثلاث أيام • لقيت النظام فى المستشفى فيه استهتــار وأنا حطيت فى نفسى ان الولد لو عمل العملية فى المستشفى دى الولد مش حينفع • أولا الشبابيك بتاعتها مكسرة ويتدخل هوا واحنا فى فصل الشتاء • واللى بيعمل عملية

وأنا جربت عمليات كثيرة الزلاق غضروفي ودواسير ولوز . وكل واحد بيخرج من عملية بيكون حريص من البرد • لكن مستشفى المستعصية شبابيكها وأبوابها غير سليمة • وفى نفس الوقت العناية مش كاملة • فسحبت الولد بعد ثلاث أيام .

■ **الطليعة : مشكلتك التى ذكرتها هى نقص المرتب ، والمواصلات ، وعدم اعطاء الشركة استمارات لكم ، وعدم وجود نظام علاج لاسر العاملين ، هل هناك مشكلات أخرى ؟**

عبد التواب : فيه مشكلات كثيرة • الواحد لما ابنه يتوفى فى نفس هذا الوقت بيعمل فى شركة ، المفروض يكون فيه صندوق زمالة فى الشركة لانه يتعامل مع العامل الفقيرويديله بما يغطى المصاريف فى الحالات دى •

بالنسبة لبعض شركات أخرى بتصرف لجميع العمال بدل طبيعة عمل واضافى وحوافز ومكافآت لكن احنا فى شركة لا تصرف أى مليم غير المرتب اللى العامل بياخده . شركة زى شركة الحديد والصلب فيها العامل اللى بياخذ ١٢ جنيه مرتب بياخذ بدل طبيعة واضافى •

■ **الطليعة : لانه يشتغل ساعات اضافية ؟**

عبد التواب : ما احنا عايزين نشتغل ساعات اضافية • واحنا قادرين لكن مفيش • انا اطالب أن انتقل لاى شركة ولو كنت حتى رايح اكسر حجارة .

■ **الطليعة : هل حاولت أن تنقل ؟**

عبد التواب : قدمت عدة طلبات لشركة الحديد والصلب ومصنع حلوان للغزل والنسيج . وكل هذه الشركات لا تقبل •

■ **الطليعة : ما هى طبيعة عملك ؟**

عبد التواب : أنا معين على ساعى لكن أنا أعمل كاتب وده من سنة ١٩٦٧ •

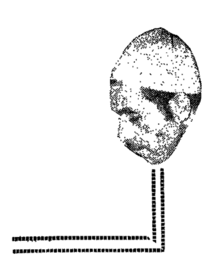
■ **الطليعة : هل معك الابتدائية ؟**

عبد التواب : أخذت الابتدائية عام ٥٢ ـ ٥٣ ، قبل ما اتوظف واتوظفت بها فعلا .

■ **الطليعة : هل استفدت من الاصلاح الوظيفى؟**

عبد التواب : الاصلاح الوظيفى للاسف لم يفيدنى بأى شىء • ولم ينفذ عندنا حتى الان ولكن اللى الاصلاح الوظيفى افاده اعلم به .

■ **الطليعة : افاد كثير من زملائك ؟**



عبد التواب : أفاد بعض الزملاء ومن نفس مستواىا لم يفد الا عامل عنده ٣٧ سنة خدمة وسنه مقارب لـ ٥٧ سنة •

■ **الطليعة : هل تقعد على القهوة ؟**

عبد التواب : أنا بطلت قعاد القهوة اطلاقا الا لمصلحتى الشخصية . لو حبيت أن أزود أجرى واشتغل فى قهوة بعد الظهر

■ **الطليعة : هل عملت فعلا أم ترغب فى ذلك؟**

عبد التواب : باشتغل فعلا لكن من نهار ماعملت العملية مش قادر أشتغل • قبل العملية كنت بأجيب جنيه فى اليوم من القهوة •

■ **الطليعة : هل تفكر فى طريقة الان لتحسين اجرك كما كنت تعمل فى القهوة قبل ذلك ؟**

عبد التواب : العامل اللى بيشتغل فى القهوة بيعانى كثير من الالام بالنسبة لجريه رايح جاى بالطلبات . فده عايز صحة كاملة للواحد • لكن انا صحتى دلوقت لا تساعدنى انى أشتغل فى القهوة .

■ **الطليعة : هل تحاول تحسين أجرك بعمل آخر؟**

عبد التواب : لو فى امكانى ممكن •

■ **الطليعة : عندما كنت تعمل فى القهوة ، قسم لنا يوم عملك ؟**

عبد التواب : أنا اشتغلت فى قهوة فى السيدة زينب • كنت باروح الشغل الصبح فى الشركة وبالليل من الساعة ثمانيةمساء لغاية الساعة ٦٫٣٠ صباحا . الراجل صاحب القهوة كان يعرف بانى باشتغل . كان يخلينى ارجع افطر مع بيتى وأرجع من بيتى على الشغل وكنت أخرج من الشغل على البيت الساعة ثلاثة • أنام للساعة سبعة وأخرج



أبناء عبد التواب : لماذا يكون البرتقال حلما بعيدا ؟

الساعة سبعة علشان أروح القهوة الساعة ٨ لغاية النهار مايطلع لما رحت حاليا حلوان كنت باشتغل قبل ما أعمل العملية .

■ **الطليعة : هل فكرت فى الهجرة ؟**

عبد التواب : بالنسبة للهجرة أنا لـو امكننى اهاجر . لكن للاسف لم تتاح لى فرصة للهجرة. كانت اتيحت لى الفرصة مرة واحدة بس كان عندنا رئيس مجلس ادارة المرحوم عبد الفتاح هاشم . قدمت له طلب اجازة سنة بدون مرتب فرفض وقال لى لا . وقال لى استقيل وسافر . فلم أستطيع السفر خوفا من الا اوفق هناك وأعود بدون عمل، فلم أسـافر .

■ **الطليعة : كيف تقضى وقتك عندما ترجع البيت؟**

عبد التواب : اوصل الساعة ٥ البيت .. على بال ماآكل لقمة أنا والاولاد اذا جه أخويا تعد معايا شوية واذا جه حد قعد معايا شوية .

■ **الطليعة : هل تقرأ جرائد ؟**

عبد التواب : آه . . اقرأ الاخبار باشتريها لطول المسافة بتـاعتى . لوماشتريش السندوتش لازم اشترى الجرنال . وأفضل اقرأ فيه لغاية ما آجى هنا يكون خلص نصه .

■ **الطليعة : لماذا جريدة الاخبار ؟**

عبد التـواب : انـا اقـرأ الجـرنال من سنة ٥١ ، وانا كنت متعلق بيه . وكنت أقرأ جريدة اسمها المصرى زمان وكنت لسه صغير ، وبافكر ابطلها دلوقت لكن كيفها عندى أكثر من السجاير .

■ **الطليعة : ما رأيك فى الجرائد ؟**

عبد التواب : الجرايد دى ثقافة عمالية للعامل الصغير وبتدى وعى كامل لكل انسان .

■ **الطليعة : هل تشعر أن الجرنال يعبر عما فى نفسك ؟**

عبد التواب : بالنسبة للجرنال فيه كثير حالات الواحد بيقرأها بتعبر عن نفسية الواحد . زى مشكلة حصلت لواحد . والمشكلة دى بيكون هو برىء منها فعلا ومع ذلك يحطوه انه مجرم . فى الحقيقة يعلم الله ولا هو مجرم ولا حاجة . يعنى اذا كان مثلا واحد اتهم بانه مبددفىمال زى ايصال أمانة زى ماقلت بيعتبره القانون مجرم مبدد . طيب لما هو مبدد ماهو كان بدد فى الشركة اللى بيشتغل فيها فى شيك بألف جنيه أو بشيك بمائتين جنيه أو بأى حاجة من الشركة من الحاجات اللى تبدد صحيح يروح يبددها .

■ **الطليعة : يمعنى انك ترى فى ذلك مواعظ ؟**

عبد التواب : مواعظ كثيرة .

■ **الطليعة : ما الذى تقرأه فى الجرنال أولا ؟**

عبد التواب : أول ما باقرأ الصبح بطبيعة الحال

العناوين الكبيرة لى الاول وبعدين اتصفحه وبعدين الحته اللى لى الغرض فيها اقرأها .

■ الطليعة : هل عندك كهرباء فى البيت ؟

عبد التواب : أنا فى الحقيقة دخلت العداد من سبع ثمان شهور • لكن العداد اللى أنا قدمت عليه ما بيعدش ، فقدمت عدة شكاوى علشان ييجى يشيل العداد ودفعت ٣٥ قرش ايجار العداد فى سبع شهور لكن لغاية دلوقت لم يتغير العداد •

■ الطليعة : عندك راديو ؟

عبد التواب : كان عنـــدى راديو ولما دخلت المستشفى فى الاشهر الاخيرة بعته •

■ الطليعة : كهرباء او ترانزستور ؟

عبد التواب : سانيو وبعته لما دخلت المستشفى

■ الطليعة : هل تشاهد التليفزيون ؟

عبد التواب : اذا كان باتفرج عند واحد جارى والاولاد بيشوفوه عند جارى .

■ الطليعة : هل تفضـل الجمعيه او بقـال التموين ؟

عبد التواب : أنا بافضل بقال التموين لانى أنا بقال التموين بيدينى كل متطلباتى بدون ما يبقـى حامى على . لكن الجمعية اذا لم يكن لى معرفة بيها مابعرفش أجيب منها حاجة • ومن ناحية الاسعار البقال التعاونى بيبيع بأسعار مضبوطة بالمليم • بقل التموين ما بيقدرشى ياخذ فيها زيادة بالنسبة للجمعية بتدى أسعار مضبوطة •

■ الطليعة : هل الفرق بين البقال والجمعية ان بقال التموين يعطيك شكك ؟

عبد التواب : لا مش لانه بيشككلى . لا لانه ماعندوش الزحام ولا بهدلة وعارف اذا كان ده تاجر سوق سودة واللا عامل عايز ياخد المواد التموينية دى لبيته . لكن فى الجمعية ممكن فى الجمعية يمشى بتاع السوق السودة ولا يمشى العامل الصغير •

■ الطليعة : هل عندك نوتة عند البقال ؟

عبد التواب : ماباستعملهاش لانى لو جريت نوتة حاأجر أكثر من مقدرتى •

■ الطليعة : زملاءك عندهم نوت ؟

عبد التواب : الله أعلم •. وممكن فيه بقال يدى نوته وفيه بقال لايعطى . اى بقال لا يعطى للعامل الصغير الا بايصال أمانة أو مقدم

■ الطليعة :ماهو الخضار الذىتاكله فى البيت؟

عبد التواب : انا فى يوم الجمعةكنتقاعد واعطيت للاولاد ٣٠ قرش علشان يحضروا بهم خضار • فرفضوا وقالوا روح هات انت علشان تشوف الوضع وتشوف السوق شكله ايه . بالطبع رحت السوق بأسأل البطاطس بكام •. ما أقدرش اقول بسلة لانى ما أقدرشى أجيبها • قال لى البطاطس بتسعة صاغ رحت جايب كيلو ونصف بطاطس بـ ١٣٫٥ قرش الكيلو ونصف مش بيكفوا الاولاد • لكن أنا با اقتصد علشان أبين للست بأنى أنا وفرت . لما جبت بتلاتاشر ونصف بطاطس جبت كمان كيلـو طماطم بسبعة صاغ . رحت أجيب بصل لقيت بصل اخضر لا يؤكل • ماينفعشى انه يتمعل على الخضار• لقيت الكيلو بسبعة صاغ اختصرت وجبت نصف كيلو بثلاثة ونصف بقى ٢٤ قرش • فى هذا الوقت جبت فلفل اسود وكمون وملح بشلن يبقى ٢٩ قرش . وجبت بقرش صاغ جرجير وبصل أخضر يبقى ثلاثين قرش .جيت للسمن الهولاندى وماأقدرش أجيب كيلو أو اثنين أو ثلاثة جبت بشلن •• بقى ٣٥ قرش • وعيش بـ ٧ صاغ بقى ٤٢ وربع كيلو سكر بـ ٥ر٦ يبقى ٥ر٤٦ قرش . وجارى استلفت منه باكو شاى لغاية ما أجيب التموين بتاعى . فى نفس الوقت لو أنا جبت باكو شاى كمان بـ ٥ر٦ كانوا يبقوا ٥٣ قرش • بعد ما كنت حاأديهم تلاتين قرش اصبحت المصاريف ٥٣ بدون لحمة أو كرشة•

■ الطليعة : وهل كان الاكل كفاية ؟

عبد التواب : عملنـاه على أســاس أن يقضى الوجبتين الغداء والعشاء

■ الطليعة : هل هناك خضار غير البطاطس تأكله ؟

عبد التواب : ما اقــدرش اجيب حاجة غبـر البطاطس أو الفاصوليا لانها المتداولة بسعر رخيص فى السوق •

■ الطليعة : أصناف الخضر الاخرى كالطماطم مثلا هل تستخدمها فى الخضار بس ؟

عبد التواب : بالنسبة للطماطم تستخدم فى كل طبيخ لانه طالما الحاجة بدون لحمة فالطماطم بتبقى دمعه وتكثر شوية . لكن الطماطم مجنونة .بترتفع لاسعار ١٥ وعشرين قرش • لكن احنا مابنجيبهاش لما بترتفع أسعارها احنا بنجيبها لما بيبقى تمنها سبعة وثمانية صاغ • وبنجيب نصف كيلو . لكن لما بترتفع نستعمل الفلفل الاحمر .

■ الطليعة : هل تستخدم اى صنف آخر من الخضار يعطى طعم للاكل او اى شىء آخر بدلا من اللحمة ؟

عبد التواب : المواسير كان زمان بيديها الجزار ببلاش على اللحمة . لما كان كيلو اللحمة بستين قرش كان بيدى الواحد عليها ماسورة ببلاش . أصبحت الان الماسورة بتتباع بالكيلو بعشرين وبتلاتين قرش .

■ الطليعة : بكم كيلو الكرشة ؟

عبد التواب : وصل الى ستين صاغ والمصارين بعشرين قرش الكيلو .

■ الطليعة : هل تستخدم « الكرشة » فى طبخ الخضار بدل اللحمة ؟

عبد التواب : الواحد كان بيستعمل اللحمة بتاعة الرأس فى الخضار ، كنا بنجيبها بخمسين قرش أصبح سعرها جنيه ، وجنيه وعشرة صاغ .

■ الطليعة : أريد أن اسالك سؤالا بالنسبة لصافى مرتبك ؟

عبد التواب : صافى المرتب بتاعى شامل غلاء المعيشة ، يبقى الصافى ١٠٫٩٠٠ جنيهات داخل عليها غلاء المعيشة .

■ الطليعة : هل ترى علاجا لهذه العملية بزيادة الاجور أو تخفيض الاسعار ؟

عبد التواب : هو زيادة الاجور واجب بالنسبة للى احنا فيه وتخفيض الاسعار يجب أن تثبت على الوضع اللى احنا فيه لان كل مدى هى بتزيد . ويتزداد شىء فشىء .. هو بيقولوا الدقيق مازاد شىء . هو مازاد شىء بالنسبة للحكومة لكن احنا الواحد لما بيجى يجيب من البقال ، انا جبت فى العيد الكيلو باتناشر قرش ، هم بيتولوا يعنى الحكومة ، بستة أو بستة ونصف . دى مش ماشية بره خالص .. علشان الواحد يجيب دقيق ويخبزه فى بيته الكيلو يقطع مبلغ ، وردة بتطلع منه ، وكده يقطع الكيلو بأكثر من ١٥ قرش .

■ الطليعة : يعنى انت لا تخبز فى البيت ؟

عبد التواب : ابدا لانى جربته قبل كده ومابتساعدش معايا .

■ الطليعة : هل تاتى بخبز من البلد ؟

عبد التواب : احيانا باجيب عيش من البلد لانى لو ماجبتش عيش من البلد ما اعرفش اعيش

■ الطليعة : هل تاتى بجبن من البلد ؟

عبد التواب : والدتى بعض اوقات بتخبزلى نصف أردب وتجيبه لى ، أختى تخبز لى نصف أردب بعض أوقات وتجيبه لى ، الست بتاعتى لان أمها متوفية اختها تخبزلها نصف أردب وتجيبه لها ، ولولا كده مانعرفش نعيش .. وكل دى مش أساسية يعنى دى فى السنة مرتين أو ثلاثة ، انما بتساعد كتير خالص .

■ الطليعة : هل انت عضو فى النقابة ام لا ؟

عبد التواب : احنا كنا تابعين لنقابة العاملين فى مؤسسة الغزل والنسيج وحليج الاقطان ، ولان النقابة دى مابتفيدناش بحاجة لانها بتحصل منا مائة مليم كل شهر ، ولكن للاسف مابنشفش منها حاجة خالص ، وأغلبية العاملين انسحبوا منها ماعدا السواقين لان السواقين محتاجين لها علشان تجديد الرخصة كل سنة ، انما العاملين مابتفيدهومش .

■ الطليعة : انت لا تدفع اشتراكك فى النقابة :

عبد التواب : انسحبت منها لان أنا شفت انها لا تفيد ، وهى مالهاش مركز رئيسى فى الشركة علشان الواحد يقدر يقدم لها مشاكله فيها علشان تحل مشاكله ، والنقابات فى الشركات الاخرى بتدى معونات للعاملين ، وبتدى علاج لاسر العاملين من مرتبهم برضه .

■ الطليعة : لكن انت عضو فى الاتحاد الاشتراكى ؟

عبد التواب : عضو عامل فى الاتحاد الاشتراكى

■ الطليعة : هل تعرف أسم رئيس نقابتكم العامة ؟

عبد التواب : رئيس النقابة العامة هو أحمد غريب .

■ الطليعة : هل اتصل بكم احد اعضاء النقابة العامة عندما طلبتم الانسحاب من النقابة ؟

عبد التواب احنا قدمنا طلب الانسحاب من النقابة لرئيس الاستحقاقات فى الشركة ، ولم يحضر أحد ليسألنا انسحبنا ليه ..

■ الطليعة : يعنى انه لا توجد لديكم لجنة نقابية فى الشركة ؟

عبد التواب : لا مافيش لجنة نقابية فى الشركة كمركز رئيسى مافيهش نقابة ، لان احنا كنا منضمين للنقابة العامة

■ الطليعة : بالنسبة للاتحاد الاشتراكى ؟

عبد التواب : بالنسبة للاتحاد الاشتراكى انا عضو عامل فيه حاليا ، وفى الفترة الاخيرة عضو

منتخب ، والاتحاد الاشتراكى ساهم كثير فى معركة أكتوبر وادى مجهوده الكبير لاسر الشهداء والتبرعات ، ولزيارة الجرحى ، وللى كانوا مفقودين ولم يكن أحد من أهلهم يعرف عنهم شىء، فالاتحاد الاشتراكى كان يقوم بنفسه بأنه يبحث عن الاسماء هذه فى السجلات العسكرية وفى الامانة العامة لتطمين الاهالى على أبنائهم وما اذا كانوا أحياء أو استشهدوا .

■ **الطليعة : هل تعرف من هو رئيس اتحاد العمال فى مصر ؟**

عبد التواب : رئيس الاتحاد العمالى فى مصر هو الدكتور احمد غريب ووزير العمل هو عبد اللطيف بلطية .

■ **الطليعة : طيب أنت ماذا تقرأ ؟**

عبد التواب : الاخبار ، وبالليل فى المصحف كثير وكنت حافظه وللاسف ، للمشاكل نسيته .

■ **الطليعة : وهل تقرأ كتبا أخرى ؟**

عبد التواب : كتب قليلة . مافيش الفكر بتاع الانسان ، اللى يساعده على أن يقرأ .

يعنى قريت محمد رسول الله للدكتور هيكل ، وقرات عثمان بن عفان وعمر الفاروق .

■ **الطليعة : ما هو رأيك فى المنابر ؟**

عبد التواب : بالنسبة للمنابر اللى هى موجودة حاليا ، والله لسه لغاية دلوقت الواحد معرفش موضوعها ايه ، وبالنسبة للمجالس المحلية لسه الواحد ماعرفش وضعها ايه بالضبط .

■ **الطليعة : وما هو رأيك فى مجلس الشعب ؟**

عبد التواب : مجلس الشعب هو المفروض انه يعبر عن كل مشكلة لاى عامل صغير ، لكن هو لايعبر فلا .نملا مابيوصلنيش علشان يعرف ،انا باعرف الشخص ولكن بعد ما انتخبه ما أعرفش عنهم أى حاجة خالص

■ **الطليعة : المفروض ان خمسين فى المائة منهم عمال وفلاحين هل تعرف ذلك ؟**

عبد التواب : مسألة الخمسين فى المائة عمال وفلاحين والخمسين فى المائة فئات دى بالنسبة لمجلس الشعب لا تطبق ، لان اللى قادر يعمل دعاية وقادر يلف بعربيات هو اللى يفوز ، ومش ممكن العامل الحقيقى يقدر يرشح نفسه .

■ **الطليعة : يعنى أنت اذا أردت ترشيح نفسك لمجلس الشعب هل تستطيع ذلك ؟**

عبد التواب : مااقدرش ارشح نفسى لان مافيش فى أمكانى ان أصرف خمسين قرش لده أو لده ..

■ **الطليعة : أنت تسكن فى المساكن الشعبية . هل هناك شكل من أشكال تنظيم التعاون فى المساكن الشعبية ، تعاون فى حل بعض المشاكل ؟**

عبد التواب : فى الحقيقة بالنسبة لعندنا فى التبين الاستاذ هاشم أبو بكر المحامى ، وهو عندنا فى شركة الدلتا لحليج الاقطان وهو من ابناء التبين، كل واحد له مشكلة بالنسبة للحى اللى هو فيه بيحلها .

■ **الطليعة : انما لا توجد جمعية أى يحل المشاكل حلا فرديا ؟**

عبد التواب : حل فردى هو بيحلها بناء على مجهوده ، وأن كان فيه مشكلة بيحلها مع مصالحة الناس مع بعضها .

■ **الطليعة : والمنابر التى يتحدثون عنها هذه ؟**

عبد التواب : أنا لسه لغاية دلوقت لم أفهم عنها شىء .

■ **الطليعة : هل تعرف احدا من الذين تحدثوا عن المنابر هؤلاء ، وماأسمهم .**

عبد التواب : والله أنا بالنسبة لى الدكتور محمود أبو وافية أحيانا بيجادل من أجل الشعب وبيتكلم الحقيقة .

■ **الطليعة : هل أنت مستعد ان تدخل منبر ابو وافيه ؟**

عبد التواب : لا .

■ **الطليعة : والمنابر الاخرى ؟**

عبد التواب : بالنسبة لهم فيه بعضهم بيقول مشاكل الشعب ويعنى . لما يظهر أربعه أو خمسة رؤساء مجلس الشعب . وأنا فى بلدى ماشفتش لغاية دلوقت حاجة . مبنى حجر أساس وحده صحية بقاله خمس أو ست سنين لغاية النهاردة المفروض فى مجلس الشعب أن يقول العضو فيه : ليه لغاية دلوقت لم يتم البناء .

■ **الطليعة : لو طلع منبر يقول انه يريد حل مشاكل الناس ، هل انت مستعد تنضم اليه ؟**

عبد التواب : مستعد أنضم ليه لكن مافيش الامكانيات . ماحدش رايح يسمع لى كلام . لو أنا قلت أنا عايز أحل ماحدش رايح يسمع لى كلام .

■ **الطليعة : ما هو رأيك فى سياسة الحكومة ؟**

عبد التواب : بالنسبة للحكومة هى فى هذا الوقت بتتكلم كلام لحل المشاكل كتير لكن الواحد لا يرى حل . والمهم مش فى الكلام .. المهم فى التنفيذ .

■ **الطليعة : طيب هل رأيت أن التنفيذ جيد ؟**

عبد التواب : بالنسبة لاقرب حاجة . مشكلة المواصلات خط البساتين وحى المعادى وحى حلوان ومنطقة مصر القديمة .. امبارح كانت المواصلة معطلة

■ **الطليعة : ما رأيك فى حالة العمال الان ؟**

عبد التواب : الحالة بسيطه . امبارح المواصلات اتعطلت الصبحية من التبين لغاية عملى مالقيتش مواصلات فاضطريت المصاريف اللى رايح اصرفها للبيت اضطريت آخذ انا وواحد تاكسى قطع جنيه وربع لغاية التحرير ، وماحدش عرف العمال دول عملوا اضراب علشان ايه . وماحدش عرف بيه ، لكن علشان احنا فى المنطقة عرفنا سبب التأخير .

■ **الطليعة :** هل العمال هم الذين قاموا بالاضراب

عبد التواب : عمال الجراج بتوع البساتين .

■ **الطليعة : ما رأيك فى العلاقة بين رئيس العمل وبين العامل فى المكان الذى تعمل فيه ؟**

عبد التواب : فيه مسئولين لا يعرفون مصالح العامل الفقير ولو الحكومة بتعرف مصالح العامل الفقير كانت تقول لرئيس العمل أنت ليه لا تنفذ قرار العمل اللى هو كاتبه لى .

الطليعة : ماهى الحكومة بالنسبة لك .

عبد التواب : هى المتصرفة حتى الرسول صلى الله عليه وسلم بيقول « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » فرئيس الجمهورية مسئول عنى ،ورئيس العمل مسئول عنى ، وأنا مسئول عن بيتى ، يعنى أنا فى عملى مسئول من رئيس مجلس الادارة ، بتاعى ، وابنى فى بيتى مسئول منى أنا ، ورئيس العمل بتاعى مسئول من رئيسه . وكله مسلسل

■ **الطليعة : اذا كان بعض المسئولين لايحلون مشاكل العامل الفقير ، فماذا يحلون ؟**

عبد التواب : والله الواحد بيشوف الوزير النهاردة بيجى ويتعين جديد ويقعد ثلاث أربع أشهر ويطلع ويجىء واحد غيره ، ويباخذ معاش وزير ويطلع ، والثانى كذلك ، وبعدين الوضع ايه ماهو لو انا عاقبت الوزير اللى هو ما حلش ده ماهو لازم أعاقبه ، طيب ماهو ممكن يعمل لبيته شوية ، وبعدين يروح .. وآجى أعاقب العامل الصغير على أى عمل صغير .

■ **الطليعة : عاوز تقول الفقير مالهوش ضهر؟**

عبد التواب : نعم .

■ **الطليعة : يعنى لو انت موظف كبير كنت اخذت حقك ؟**

عبد التواب : لو أنا حاسس انى مسنود حاجة بسيطه ، لاخذت حقى ، ولقيت ناس لا بتعرف تقرأ ولا تكتب ، ومسنودة وواخدة حقها وواخدة أعمال كتابية ، وعلى درجات فئة سابعة وفئة ثامنة .

■ **الطليعة : ما هو رأيك فى اسرائيل والحلول الموجودة الان ؟**

عبد التواب : بالنسبة لاسرائيل دى صحيح انها دولة صهيونية ، واحنا بنحارب على حقنا وعلى أرضنا وبنواجهها ، وده مالهوش دخل بأن أنا أعانى من الفقر أو أى شىء ، لكن لازم أؤدى واجبى لوطنى لانها أرضى لى مقدسة .وان شاء الله أكون بأموت، بحيث ان اودى واجبى لوطنى ، ولا امنع ابنى أو أخويا انه يؤدى واجبه المقدس للارض .

■ **الطليعة : طيب وما رأيك فى الفلسطينيين ؟**

عبد التواب : بالنسبة للفلسطينيين ربنا قال فى كتابه العزيز « **الاعراب أشد كفرا ونفاقا** » . يعنى أنا يامصرى بأضيع ابنى ،وبأضيع أموالى ،وبأضيع كل اللى أنا عملته ده ، وبعدين الفلسطينى بيتهم مصر بالخيانة ، ده وضع غلط وغير سليم .

هو بيعتبر الحل الجزئى كأنه خيانة ،طيب ماانا باحاول كثير ، وبقالى كذا سنة ، من سنة ٤٨ لغاية النهاردة بأحاول أحل مشكلة فلسطين ، لكن مافيش فايدة ، وضحيت بأولادى ، وضحيت بشبابى ، وضحيت بفلوسى مافيش فايدة .

■ **الطليعة : يعنى انت مع الحل الجزئى ؟**

عبد التواب : نعم مع الحل الجزئى .

وبالنسبة لسوريا مصر ماعملتش فيها حاجة بسيطة ، مصر عملت لها سد الفرات ، وعملت معاها الوحدة . مصر اللى كانت متعاونة مع الاتحاد السوفيتى ،ومصر تعاونت بأموالها ،وبعدين بالانضمام للوحدة عملوا مع بعض ، يعنى واجب ان احنا كمصريين ان احنا كنا أخذنا درس من حكاية الوحدة ، لما عملناها فى الاول ولا كناش رجعنا وعملناها تانى

■ **الطليعة : يعنى انت ضد الوحدة العربية ؟**

عبد التواب : آه أنا ضد الوحدة العربية ، واجب الوحدة العربية لو فيه اتحاد مضبوط سليم ، لو فيه مشكلة بسيطة مش واجب ان أنا أقولها بالصورة

دى وانما بشكل آخر يعنى يامصر حدث كذا كذا كذا وتتحل المشكلة . وممكن مصر تقول لسوريا حصل كذا . كذا . كذا ، انما ده الواحد شايف الوضع فى لبنان ، هل لبنان مش دولة عربيـة دلوقت ؟ دولة عربية ، لكن الواحد يسمع ان سوريا هى بتشن المذابح فيها ، والوضع اللى احنا شايفينه وبالنسبة لحرب ٦٧ مصر كانت سليمة بدون حرب ٦٧ ، لكن السبب فيها سوريا وقالت يامصر تعالى آحسن اسرائيل حاشدة جيش وعاملة وعاملة وعاملة .. وحصلت النكسة فى عام ٦٧ ، اذن مصر ماكانش عندها ذنب ، مصر هى اللى ضحت بشبابها عام ٦٧ ، مايصحش عليهم ان الاسرائيليين ينسحبوا من جزء صغير ، فيستكثروا ده علينا علشان نزود دخلنا بالنسبة للبترول اللى هم اخذوه، ده كان مصلحة لينا

■ **الطليعة : لو تريدتحرير باقىسيناماذا تفعل ؟**

عبد التواب : طيب هم عايزين ايه من محطة الانذار وعاملينها ليه ، ماهو عارفين ان أنا لو تقدمت شبر حيكون فاهمين ان أنا تقدمت .

■ **الطليعة : ولكنانتتؤيد التسوية الجزئيةعلى اى اساس ؟**

عبد التواب : أنا باويد التسوية الجزئية علـى أساس انها تصلح من الوضع .

■ **الطليعة : لكن أنت مصمم على تحرير كل سينا .**

عبد التواب : مصمم على تحرير كل شبر من أرض مصر حتى ولو الواحد مات . ده تحرير أى جزء بيصلح من الحالة الاقتصادية

■ **الطليعة : هل سمعت عن شىء اسمه سياسة الانفتـــاح ؟**

عبد التواب : بالنسبة لسياسة الانفتاح بنتكلم عليها كثير ، واتكلم عنها ممدوح سالم بالنسبة للانفتاح . عن طريق ان الواحد يعمل مشروع أو يبنيه والدولة تساعده فيه ، ولكن الواحد بيسمع من جرايد تانى ان الدولة اللىتقدمت وما ندهاش شىء أى شىء .. وواحد تانى صاحب أعمال مثلا تقدم ومافيش أى شىء ..

■ **الطليعة : أنتمع القطاعالعام او مع القطاع الخاص ؟**

عبد التواب : بالنسبة للقطاع العام ، هو بيحفظ كيان العامل وما حدش بيقدر يطرده .

■ **الطليعة : يعنى لو جاءوا الى الشركة التى تعملفيها ليملكوها لاصحابها القدامى ، ما هورايك ؟**

عبد التواب : لا مش ده .. أنا اشتغلت فى سنة ٥٦ فى شركة المنتجات والتعبئة المصرية بتاعيلة الجزار فى الحوامدية ، وهـى شركة اسكنـدرية للحلويات ، دلوقت اشتغلت فيها سنتين كان اى وقت لما يحبوا يفصلوا عامل ، بيفصلوا العامل .

وهو القطاع الخاص اجره دلوقت احسن من اجر القطاع العام ، ومع ذلك انا مستعد اشتغل باقل علشان انا لو توفيت أسيب مستقبل لاولادى .

■ **الطليعة : ماذا ترى أيضا عنالقطاع الخاص والقطاع العام ؟**

عبد التواب : بالنسبة للقطاع الخاص والقطاع العام .. القطاع العام متاح له الفرصة انه يكون فيه كل حاجة مطلوبة للانسان ، يعنى كل حاجة ممكن تكون موجودة فى القطاع العام ، ومش ممكن تجدها فى القطاع الخاص ..

■ **الطليعة : اخيرا ما هورايكبالنسبةللبوليس ؟**

عبد التواب : والله البوليس هو خير للمواطن الصغير ، والمواطن الكبير .

■ **الطليعة : وهل يقوم بدوره فعلا ؟**

عبد التواب : والله الوضع اللى انا شايفه دلوقت شايف .. فيه امناء الشرطة اللى معمولين جداد .. انا عن نفسى لم احتك باحد منهم

■ **الطليعة : بالنسبه لموضوع الاسعار مرة اخرى ما هو بالضبط اكثر جزء بتشمى منه فى الاسعار ؟**

عبد التواب : مافيش حتـــه فـــى الجمهـــورية مابتشتكيش من الاسعار .

■ **الطليعة : ما هى البضاعة التى سعرها منخفض ؟**

عبد التواب : والله يعنى كل الحاجة الواحد بيجيبها ، والواحد ما بيجيبس الا الحاجات اللى على قده ، اللى هو يقدر يجيبها . زى الطماطم زى الخضار .

■ **الطليعة : يعنى لو الحكومة سالتك وقالت لك نخفض لك سعر تلات بضائع اختار ثلاث بضائع تخفض سعرها . فما هى الثلاث ؟**

عبد التواب : الثلاث حاجات اللى انا اختارهم ما يكفوش ..

■ **الطليعة : طيب اختار ثلاث اهم حاجات بالترتيب ؟**

عبد التواب : أول حاجة بالنسبة لحاجات الاكل اللحمة المفروض تخفض بنسبة ٥٠ فى المائة دى أقل نسبة .. علشان العامل الصغير يقدر يأكل بالنسبة لاسعار السكر .. كان بـ ١٦ قرش ارتفع لخمسة وعشرين قرش ، لكن للاسف بخمسة

وعشرين قرش ، وبيجى من السوق السوداء بثلاثين قرش ، فالمفروض يخفض الى ما كان عليه اى ١٦ قرش زى ما كان فى الاول .

■ **الطليعة : أى اللحم ، ثم السكر ، ثم ماذا ؟**

عبد التواب : وبعدين الشاى دى مادة اساسية غذائية لكل عامل فقير .. عنده ما يأكلش ولكن يشرب شاى .

كمية مواد التموين اللى بنجيبها ما بتكفيش العامل الصغير والمفروض تزيد .

■ **الطليعة : طيب والخضار ؟**

عبد التواب : بالنسبة للخضار كان كيلو الطماطم بقرش صاغ ، وبتعريفة ، النهاردة بيرتفع الى عشرين وثلاثين قرش ، فالمفروض نثبت السعر على اقل نسبة ، ٤٠ مليم الكيلو .

■ **الطليعة : انت تؤيد ان الحكومة تتحكم فى التجارة ويقضى على التجار الجشعين ، وعلى السوق السوداء ؟**

عبد التواب : مش ممكن لان الحكومة لو بتنفذ ، كان كل اللى بمسكوه بيبيع بأزيد من التسعيرة يديلوه جزاءه مضبوط . كان ممكن ، انما الواحد منهم لو وصل اى جهة ومعاه قرش ، بيطلع منهـا وكأنه لم يفعل شىء .

■ **الطليعة : طيب ما هو الحل .. أن الحكومة هى التى تمسك التجارة ؟**

عبد التواب : انا مش حا اقدر أقول لك بأنى انا ممكن اضرب عن شراء الحاجات .. لان مش ممكن واحد يقدر يضرب عن الحاجه دى .. ده فى سنة ٦٦ ،٦٧ كنا بنجيب كيلو السمك سردين وكان بيأكل الاولاد بسبعة صاغ ، النهاردة غير موجود خالص فى السوق ، طيب الكميات دى راحت فين ، ماهو البحر كما هو لم ينقص ، والبحر كبير بالنسبة للسمك فى الجمعية صحيح ، السمك فى الجمعية كبير ومجمد ، لكن ما بنعرفش نجيبه .

■ **الطليعة : ما هو رأيك فى امريكا ؟**

عبد التواب : بالنسبة لامريكا دولة غنية جدا ، وكانت بتمد المدارس فى السابق بالاغذية والجبن والسمن ..

■ **الطليعة : ولكنها تعطى لاسرائيل ايضا .**

عبد التواب : بالنسبة لاسرائيل الواحد كمان ما يقدرش يمانع اذا كان انا ما اقدرش ان امنع عن مصر اذا كانت تدى لسوريا ، فمقدرش امنع امريكا انها تدى لاسرائيل .

واسرائيل جزء من امريكا .

■ **الطليعة : ما رأيك فى اسرائيل ؟**

عبد التواب : بالطبع عدوتنا ، وأمريكا ماهى عدوتنا ، واحنا فى نفس الوقت احنا لم نحـارب فى ٦٧ ، ٧٣ اسرائيل ، احنا حاربنا امريكا فى نفس الوقت .

■ **الطليعة : طيب كيف تريد ان عدوك يساعدك**

عبد التواب : والله بالنسبة لها هى راح تستفيد واحنا مش حنستفيد بس .

■ **الطليعة : هى ماذا ستستفيد ؟**

عبد التواب : هى راح تستفيد بأنها لو فتحت مشاريع هنا ، هى راح تستفيد لانهـا مش راح تساعدنا بلاش ، المشروع بتاعها حيكسب وهى حتستفيد واحنا حنستفيد .

■ **الطليعة : ما رأيك فى الاتحاد السوفيتى ؟**

عبد التواب : بالنسبة للاتحاد السوفيتى الواحد عن اللى سمعه أخيرا ، فى الجرايد بأن الاتحـاد السوفيتى سبب النكسة ، وسبب ده كله بالنسبة لوقف اطلاق النار ، بالنسبة لعدم مده لنـا بالسلاح ..

■ **الطليعة : ونحن حاربنا بأى سلاح ؟**

عبد التواب : الواحد مش عارف الحقيقـة ، بيقولوا السلاح اللى كان عندنا ده كان سلاح قديم ولم يكفى والجزائر جابت لنا ، واحنا ما كانت عندنا حاجـة .

■ **الطليعة : من اى مكان ؟**

عبد التواب : من الاتحاد السوفيتى ، والمفروض ان الاتحاد السوفيتى كان ادانا احنا على طول .

■ **الطليعة : يعنى السلاح الذى حاربنا به كان من اى مكان ؟**

عبد التواب : كان سلاح سوفيتى ، وانتصرنا به ، بالنسبة للصواريخ سام ٣ ، وسام ٦ دى اسلحة سوفيتية .

■ **الطليعة : طيب وما رأيك فى المشاريع التى عملها لنا الاتحاد السوفيتى ، السد العالى ، والحديد والصلب ، ومجمع الالومنيوم ، والترسانة البحرية وهذه الحاجات ؟**

عبد التواب : المشاريع اللى اتبنت .. اللى بناها الاتحاد السوفيتى ، عندنا الحديد والصلب بيصرف على ٣٦ الف عامل تقريبا أو اربعين الف عامل . بالنسبه للمصانع الحربية ، فيها كذا الف عامل .. وهو عامل مشاريع كويسه قوى عندنا فى البلد وما ننكرش ده .

■ **الطليعة : طيب وبماذا تفسر ذلك ؟**

عبد التواب : أفسر ده بأن الصداقة السوفيتية كانت قائمة بين مصر وبين الاتحاد السوفيتى ، ولم يكونوا يبخلوا عن مصر بحاجة خالص وكانوا بيدونا كل ما نطلبه من مصانع ومن آلات وعدد للمصانع ، وهى اللى انشأت الحديد والصلب ، والمصنع الحربى فى حلوان ، وشركة النصر لصناعة المطروقات ، كل دى لا ينكر انها مصانع سوفيتية .

■ **الطليعة : والان ؟**

عبد التواب : لسه دلوقت ما عرفناش امريكا حتصنع ايه .

■ **الطليعة :** طيب دلوقت بالنسبة للاتحاد السوفيتى .

عبد التواب : بالنسبة للاتحاد السوفيتى دلوقت مشكلة مع الحكومة ، هو اللى بيعرف فيها .

■ **الطليعة ، لماذا ساءت العلاقات ،ماراْيك لماذا كان الاتحاد السوفيتى يعطيك من قبل ، والان لا يعطيك ؟**

عبد التواب : اللى اعرفه بالنسبة لاساءة العلاقات هى مشكلة الحرب فى الشرق الاوسط .

■ **الطليعة : هل لو اسرائيل انسحبت من كل الاراضى المصرية .. وظلت ترفض ان تعطى للفلسطينيين حقهم كيف تتعامل معها اى تركت لك سيناء ومشيت ، لكن غير راضيه ان تعطى للفلسطينيين حقهم كما انها تواصل احتلال اراضى سوريا .. ماذا يبقى موقفك انت كمصرى وكعربى ؟**

عبد التواب : يبقى موقفى انا كمصرى وكعربى واجب على أن لا أتنازل عن المعركة ، طالما انها لم تنسحب من الجولان فى سوريا وطالما ان الشعب الفلسطينى ما اخدش حقه لغاية الان حتى ولو كان فلسطين وسوريا لم يتعاونوا معنا فواجب علينا كعرب لازم نفضل معاهم لاخر لحظة .

■ **الطليعة : انت لما كنت عضو فى الاتحاد الاشتراكى من كان الامين العام للاتحاد الاشتراكى**

عبد التواب : دلوقت حاليا المهندس سيد مرعى .

■ **الطليعة : طيب ومن هو الامين الذى كان قبل ذلك ؟**

عبد التواب : الامين اللى كان قبل كده برضه كان حافظ بدوى .

■ **الطليعة : الرئيس انور السادات كان رئيس الاتحاد الاشتراكى قبل ذلك ؟**

عبد التواب : كان الرئيس انور السادات امين الاتحاد الاشتراكى ، وكان الله يرحمه الرئيس جمال عبد الناصر ايضا .

■ **الطليعة : ما هو رأيك فى الرئيس جمال عبد الناصر .**

عبد التواب : الرئيس جمال عبد الناصر كان .. هو حاليا الله يرحمه .

عبد التواب : والله انا ـ قرات فى الاخبار ، وهى بتهاجم عبد الناصر ، لكن فى الفترة الاخيرة فى الاخبار جاء ان جمال عبد الناصر كان مظلوم فى الوقت اللى الحاشية اللى وراه هى المسئولة وهو ما عملش حاجة .

■ **الطليعة : هل تحب أن تقول شيئا آخر ؟**

عبد التواب : أملى ، واتعشم ان اى رئيس مجلس ادارة فى منطقة حلوان يقبلنى انتقل عنده علشان اكون قريب لسكنى بس .

■ **الطليعة : هل لك مطالب اخرى ؟**

عبد التواب : مطالبنا هى زيادة الاجور وتخفيض الاسعار .

■ **الطليعة : يعنى مطالبك تتلخص فى ثلاث حاجات .**

عبد التواب : الحاجه الاولى ان انتل فى منطقة قريبه من عملى ، لانى ما اقدرش اسكن جنب عملى علشان ما اقدرش ادفع خلو ، اما بالنسبه للسكن اللى باسكن فيه دلوقت سكن رخيص .. والعيب فى وسائل المواصلات .

الطليعة : وانت ما رأيك فى مشكلة السكن كيف تحل ؟

عبد التواب : مالهاش حل ..

الطليعة ، نهائى ..«

عبد التواب : لا .

■ **الطليعه : ولا أن الدولة تبنى بيوت للناس وتسكن وتمنع استغلال اصحاب المساكن ؟**

عبد التواب : الدولهبتبنىكتير ، لكن المصفه اللى بتبنى فيها جنب القاهرة ، والمصالح بتاعتها فى وسط القاهرة فده مش حل .. الحل ان جميع المؤسسات والشركات توزع فى جهة الجبال علشان تخف الضغط بالنسبة لمصر شويه وعلشان تخف مشكلة المواصلات .

■ **الطليعة : يعنى انت من رأيك ان نوزع المصانع بعيدا عن بعضها .**

عبد التواب : طبعا لان المواصلات الان .. كثيرة، لكن ساعة الخروج من العمل الاشارات بتوقف المواصلات بالساعة والاثنين والثلاثة ، فأصبحت الناس ما بتلاقيش المواصلات ، لكن لما يكون الطريق بعيد مسافته واسسمة كل المواصسلات حتمشى بارتياح .

■ **الطليعة : لو شقة مثل التى انت ساكن فيها الان بـ ١٢٠ قرش ، احد الرأسماليين بناها فى بيته ، فبكم يسكنها لك ؟**

عبد التواب : اقل حاجة ٥ جنيه .

■ **الطليعة : وكم ياخد منك خلو ؟**

عبد التواب : وياخد منى خلو مائة جنيه .

■ **الطليعة : فى نفس المنطقة .. ؟**

عبد التواب : فى نفس المنطقة ، انا عن نفسى فأتمنى لو اجد ... الخلو يتم تحريمه .. ويجب اللى ياخذ خلو يقبض عليه ، لكن انا عن نفسى اذا كان عندى سرير أو دولاب أو كنبه مستعد أبيعها ، واجد سكن جنب الشغل بتاعى ، علشان ما اتعبش فى المواصلات .

■ **الطليعة : يعنى الدولة لما تبنى بتسكن ارخص من القطاع الخاص ، طيب انت اليس من رايك ان هذا يجعلنا نطلب من الدولة ان تبنى اكثر ؟**

عبد التواب : المفروض انها تبنى اكثر ، لكن المفروض تبنى المصانع جنب المنطقة اللى فيها عمال بحيث يخف ضغط المواصلات وتخف المشاكل عن المنطقة السكانية فى القاهرة ■

تعليقــــات

○ هـــذا هــو التحـــدى ..
فكيــف تكــون الاســـتجابة ؟

السـيد يسـن

لا يستمد الموضوع الذى نشرتـه « **الطليعة** » فى هذا العدد بعنوان « **هموم المواطن عبد التواب** » أهميته من البيانات والآراء والحقائق التى وردت فيه ، فهذه على أى حال بيانات تتعلق بحالة وحيدة مفردة ، ومن أصعب الامور التعميم على اساسها . ولكن اهمية هذه « الحالة » أنها تشير الى مشكلة اساسية لم تلق حقها من عناية المخطط الاقتصادى والباحث الاجتماعى على السواء . **ونعنى بذلك على وجه التحديد، جماهير المواطنين ذوى الدخل المحدود ، الذين يذكرون ـ حين يذكرون ـ بشكل تعميمى مجرد ، فيه تسطيح الاحكام العامة، وليس فيه حرارة الواقع ولا نبض تفاصيل الحياة اليومية .**

لقد قامت فلسفة التنمية فى كثير من بلاد العالم **الثالث** ـ ومن بينها مصر ـ **على** أساس بذل الجهود العلمية المخططة للارتفاع بمستوى معيشة الجماهير العريضة. **فالى أى مدى نجحت هذه الجهود ؟ وهل حققت برامج التنمية حقا أهدافها المعلنة ؟**

لو حاولنا أن نلقى نظرة مقارنة على حصاد ما أطلق عليه عالميا عقد التنمية » ويعنى به عقد الستينيات ، يمكن القول أن الفشل كان نصيب كثير من برامج التنمية فى البلاد النامية . ولا يمكن فى الواقع أن نقبل ـ ببساطة ـ ما يحاول بعض قادة هذه البلاد تقديمه من تفسيرات لهذا الفشل ، برده أساسا الى تدخل العوامل الخارجية، الراجع الى ممارسة الدول الكبرى نفوذها على الدول الصغرى . فالحقيقة ـ لو شئنا أن نتحرى الدقة والموضوعيه ـ ان العوامل الداخلية كان لها الاثر البارز فى هذا الفشل . ونعنى بالعوامل الداخليه على وجه التحديد ، أن نوعية الطبقات الحاكمة واتجاهاتها السياسيه وتطلعاتها الطبقيه ، قد ادت الى أن تصوغ هذه الطبقات برامج التنميه بما يخدم ـ فى المقام الاول ـ مصالحها الاجتماعيه . وأخطر من ذلك يمكن أن نثبت ـ بالدراسة العلميه ـ ان النصيب الاكبر من عائد التنمية قد استأثرت به هذه الطبقات الحاكمة ، والطبقات المتحالفة معها والتى تنتمى فى أغلبها الى الطبقات الوسطى وخصوصا فى شرائحها العليا .

وتبقى بعد ذلك كله المشكلة الحقيقية التى قامت جهود التنمية من أجلها ، باقية كما هى لا تزال ، ونعنى مشكلة الجماهير العريضة من محدودى الدخل ، ما زالت تتطلع الى الحلول الجذرية الاصيلة .

لقد قلنا ـ فى صدر هذا التعليق الوجيز ـ أن مشكلة هذه الجماهير لم تلق من المخطط الاقتصادى ولا الباحث الاجتماعى ما تستحقه من اهتمام . فماذا نعنى بذلك على وجه التحديد ؟

لقد كان ينبغى على المخطط الاقتصادى ـ بناء على دراسات علمية شاملة ـ أن يضع أولويات الاستثمار فى الخطط الاقتصاديه للمشاريع التى من شان اقامتها حل مشاكل الجماهير العريضه من ناحيه ، وتحقيق عائد مجز من ناحيه أخرى يدفع بالاقتصاد القومى الى الامام . وعلى سبيل المثال ، فان مخططا اقتصاديا ملتزما بمشاكل الجماهير العريضة ، لم يكن ليتخذ ابدا قرارا بانشاء مصانع لسيارات الركوب « الملاكى » لكى تنعم بها طبقات نادره محدودة العدد، ولكنه كان يمكن أن يتخذ قرارا بانشاء مصانع أتوبيسات لحل مشاكل الجماهير العريضه التى تشقى كل يوم لكى تصل الى مقار أعمالها . ومن ناحية أخرى ، فان المخطط الاقتصادى الملتزم بحل مشاكل الجماهير ، كان يستطيع فى كل جانب من جوانب الخطط الاقتصادية ، أن يرعى هذه المصالح ويضعها فى مقدمة سلم الاسبقيات .

ولا يتعلق الامر فقط بمجالات التخطيط الاقتصادى والاستثمار . بل ان الامر تزداد أهميته فى مجال التوزيع ، ونعنى توزيع السلع والخدمات . هنا ايضا يستطيع المخطط الاقتصادى ان يضع سياسات واجبه التنفيذ تكفل للمستهلك الفقير المحدود الدخل أن يحصل على السلع الضروريه له بالاسعار المحدده . وفى نفس الوقت تمنع الطبقات القادرة من الاستئثار ـ بحكم ما تمتلكه من قوة اقتصاديه ونفوذ ـ بهذه السلع . ولكننا نجد للاسف أن المستهلك الصغير يترك فى الساحة لكى يتصارع مع من هم أقوى منه مالا ونفوذا ، بغير حماية كافيه .

ونفس المسالة مثارة بالنسبة للخدمات . هل استطاع المخطط الاقتصادى والاجتماعى ، أن يضمن لهذه الجماهير العريضة حقها فى الانتفاع بالخدمات المختلفة صحية وتعليمية وترفيهية بالمستوى اللائق بالانسان فى عصرنا هذا ، أم أن هذه الخدمات اصبحت أيضا ـ فى مستوياتها الرفيعة ـ حكرا على الطبقات القادرة ؟

وماذا عن دور الباحث الاجتماعى فى هذا المجال ؟ ان البحث الاجتماعى الملتزم يستطيع أن يلقى الاضواء على مشكلات الجماهير العريضة . لو تبنى قضاياها ، ولو استطاع أن ينزل الى الواقع الحى لهذه الجماهير لكى يكشف عن مختلف ضروب

الاستغلال الذى تتعرض له . ومن هنا يمكن القول ان عشرات البحوث الاجتماعية التى ينفق عليها آلاف الجنيهات ، والتى تجرى بطريقة عشوائية غير منظمة ، كان يمكن لو وجهت عنايتها الى هذه الجماهير أن تسهم فى بلورة رأى عام قوى يضغط لحل مشاكلها الملحة والعاجلة .

غير أننا نجد أنه فى الوقت الذى ترتفع فيه صيحات عديد من الطوائف مطالبة بامتيازات لها ، فى صورة رفع المرتبات ، وزيادة بدلات طبيعة العمل ، أو بدلات التمثيل ـ وقد تكون بعض هذه المطالب مشروعة وتقتنع السلطات المسئولة بمطالب هذه الطوائف الاعلى صوتا والاكثر قدرة على الضغط ، لا نجد أصواتا بنفس القوة تتبنى قضية « المواطن البسيط » أو « المواطن الفقير » .

وهذه القضية لا يمكن أن تثار بشكل تجريدى ، وانما ينبغى أن تثار بشكل واقعى ، بطريقة مشابهة للطريقة التى اتبعتها « الطليعة » ، وقد يكون بشكل أكثر عمقا وتفصيلا ودقة . ان **السؤال المطروح هو ببساطة : كيف يستطيع مواطن مصرى أن يعيش بدخل شهرى لا يزيد على ١٢ جنيها ؟**

لا يمكن الاجابة على هذا السؤال الا من خلال زحمة من التفاصيل التى تحاول ان تتعقب الحياة اليومية لهذا المواطن . ولو حاولنا أن نستكشف بعض جوانبها ، لادركنا عددا من الحقائق التى قد تخفى على القارىء لاول وهلة . نتبين ـ على سبيل المثال من الحالة المعروضة ـ استحالة أن يعيش هذا المواطن بهذا الدخل ، بالرغم من الاجر المتواضع الذى يدفعه لايجار الشقة « ١٢٢٫٥ قرش » لقد حاول هذا المواطن أن يحل مشكلته عن طريقين : **الاول** أن يعمل عملا بعد الظهر . « عمل لفترة فى قهوة ووصل أجره اليومى الى جنيه » ومعنى ذلك أن دخله ارتفع من ١٢ جنيه الى ٤٢ جنيه . **الثانى** : أنه ترك أحد أبنائه عند أمه فى البلد تتولى رعايته ، ويذهب كل شهر لزيارته .

بالنسبة للحل الاول ، فهو حل أصبح فى الواقع شائعا لدى الملايين من ذوى الدخل المحدود ، الذين لا يمكن لهم ان يعتمدوا على أجورهم ومرتباتهم « الصباحية » ، فكان لابد لهم أن يعملوا فى المساء أعمالا اضافية . **ومن الواضح أن تأثير هذا الحل على الانتاج سلبى الى حد كبير** . فالعامل أو الموظف الذى يعمل بعد الظهر ثمان ساعات او عشر ساعات مقتطعة من ساعات راحته ، لنا أن نتخيل معدل انتاجيته فى ساعات العمل الرسمى فى فترة الصباح . وليس هذا الحل الذى تلجأ اليه اعداد كبيرة من المواطنين الشرفاء ذوى الدخل المحدود ، هو الحل الاوحد ، **فهناك حلول أخرى تتمثل فى ممارسة صور الانحراف المختلفة ، من رشوة واختلاس وسرقات وغيرها ، تبدو فى كثير من الاحيان ، وكأنها المنقذ الوحيد أمام فئات وطبقات طحنتها الحاجة من ناحية ، وأثارت سخطها من ناحية أخرى مظاهر الثراء الفاحش لدى طبقات طفيلية غير منتجة .**

اما الحل الثانى الذى يتمثل فى استعانة بعض العاملين فى الحضر من ذوى الاصول الريفية ، بأهاليهم ، فهو ليس حلا على المستوى الجماهيرى ، بقدر ما يتمثل فى حالات فردية تعتمد على ظروف خاصة .

وخلاصة ما نريد أن نركز عليه ، أننا فى حاجة الى سياسة اقتصادية وسياسة واجتماعية جديدة ، تضع مصالح الجماهير العريضة فى اعتبارها وعلى اساس أن لها الاولوية فى سلم الاسبقيات . لابد من وضع الضمانات الكافية التى تسمح لهذه الجماهير أن تعمل وتنتج ، وتحصل على حقها المشروع من ناتج العمل القومى .

ولكن هذا يقتضى فى الواقع سياسة جريئة لا تخشى من وضع حد واضح لنمو الطبقات الطفيلية فى المجتمع ، التى تمارس بسلوكها الاستهلاكى الفج . وبتطلعاتها الطبقية النهمة ، آثارا بالغة الضرر على اتجاهات الجماهير العريضة المنتجة . هذا هو التحدى الحقيقى ، ترى كيف يمكن أن تكون الاستجابة ! ■

○ ولست ياعبد التواب أفقر المصريين !

د. رفعت السعيد

.. قد تسرى فى بدن القارىء قشعريرة وهو يقرأ حوارنا مع « عبد التواب » ، المواطن ، العامل ، الذى خدم الدولة ستة عشر عاما كاملة ولم يزل يخدمها ..

.. ولقد يشعر الانسان بمدى البؤس والمعاناة التى يعيشها هذا المواطن العامل ..

لكن الحقيقة تبقى اكثر مرارة .

فعبد التواب لم يزل برغم كل ما يعانيه فى وضع أفضل من عدة ملايين من أبناء مصر

تلك هى القضية ..

أو بالدقة تلك هى الكارثة ..

فثمة ملايين لم تزل تتطلع الى عمل مستقر كعبد التواب ، وتنظر الى وضعه « هذا » كأمل صعب التحقيق وصعب المنال

فكيف اذن يعيش هؤلاء ؟

ذلك هو السؤال الذى يتعين عليه أن يؤرق ضمير كل مصرى .. ان احصاءات البنك الدولى تقول أن متوسط دخل الفرد فى مصر فى عام ١٩٧٥ هو ٢٥٠ دولارا فى العام ، أى حوالى عشرة جنيهات فى الشهر ونحن جميعا نعلم انه رقم مبالغ فيه

هذا هو الدخل المتوسط ، فاذا حسبنا حجم الدخول الحقيقية لكبار أثرياء مصر لاصحاب العمارات الشاهقة التى تصارع كى ترتفع أقصى من الارتفاعات المسموح بها لها ولاصحاب الدخول الطفيلية والسيارات الفارهة ، وكبار الموظفين .. الخ لعرفنا أن الدخل الحقيقى للفقراء الحقيقيين فى مصر يقل كثيرا عن عشرة جنيهات فى الشهر ..

واذا علمنا أن عدة ملايين من أبناء ريف مصر ومدنها يعانون من بطالة مقنعة تعنى عملا غير منتظما ، ومن ثم دخول أقل حجما وأقل انتظاما بحيث تصبح « الجنيهات العشر » المنتظمة أملا وحلما صعب المنال .

وباختصار فاننا اذا ما تابعنا أحوال الالاف من الاسر الاكثر عددا ; والاكثر أعباء ، والاقل دخلا لوجدنا أن « عبد التواب » بكل ما يعانيه أفضل من ملايين غيره لم يزل مفروضا عليها أن تعيش بدخول تقل كثيرا عن دخل عبد التواب ..

تلك حقيقة غريبة تدفعنا جميعا الى التأمل ، وتدين كل انسان يقرأ كلمات « عبد التواب » ليمر عليها مرور الكرام ، أوليكتفى بالدهشة أو بالالم أو حتى بالغضب ..

كيف يمكن لعبد التواب أن يعيش حياة انسانية « وهؤلاء الذين يعيشون فى مستوى أدنى منه بكثير كيف يرتقون هم أيضا الى مستوى الانسان ؟

ذلك هو السؤال ؟

وهذا هو التحدى ؟

والتحدى مطروح أمام الجميع بغير تمييز ..

أمام هؤلاء الذين يزدادون تخمة وثراء ويتشدقون بالوطنية والانسانية والتغيير والتقدم ، اليهم هذا التحدى . كيف يمكن لعبد التواب أن يجد الخبز ؟

الى هؤلاء الذين يتحدثون فى السياسة ،ويصوغون الشعارات ، ويكتبون المقالات عن سيول « الذهب » التى ستنهمر مع المزيد من اتاحة الفرص أمام « الرأسمالية » ، والمزيد من الثراء أمام الراسماليين » .

الى الذين يريدون المزيد من الثراء لانفسهم ، والمزيد من الاستيراد بدون تحويل عملة ، والمزيد من القطاع الخاص والمزيد من النشاط الطفيلى فى الاقتصاد ، اليهم جميعا يأتى هذا التحدى الصاعق . كيف أذن فى ظل ؟ « ثرائكم » ، وفى ظل « نموذجكم » كا يستطيع الانسان المصرى العامل أن يطعم اطفاله ؟

الى هؤلاء الذين يتغنون بالنموذج الرأسمالى ويسبون القطاع العام ، ويرفضون الحديث عن « العدالة » باعتبار ان ما تحقق منها يكفى ويزيد ، وأن المزيد من « العدالة » يعنى « التطرف » ، والتطرف غير محمود العواقب .

الى هؤلاء جميعا يقدم عبد التواب هذا التحدى .. ما أنا ذا أعمل لمدة ستة عشر عاما ، وسوف أظل أعمل أيضا . فهل من حقى أن أجد الخبز .

لكن التحدى يظل موجها للكافة ، وحتى لهؤلاء الشرفاء من أبناء هذا الوطن ، لهؤلاء الذين يؤمنون - على الاقل - بأن من حق الانسان العامل أن يجد الخبز لنفسه ولاولاده .

هذا هو الحال .. فماذا أنتم فاعلون ؟ . ■

حد أدنى للأجر ومحنة فى الوعى الاجتماعى

د. مراد وهبة

حالة المواطن «عبد التواب» ليست مجرد حالة ذاتية ، وانما هى أيضا حالة موضوعية .

فعبد التواب ينتمى الى الطبقة العاملة بكل ما تنطوى عليه هذه الطبقة من تناقضات اجتماعية وثقافية .

فهى طبقة تعايش مرحلة التحرر الوطنى ذات الارهاصات التقدمية ، والارهاصات تعنى أن ثمة مقاومة تمارسها القوى الرجعية لعرقلة انفجار الوعى الاجتماعى .

الطبقة العاملة اذن بين شقي الرحي.

وعبد التواب نموذج لهذا البين بين .

انه يقيم فى مسكن شعبى اقتصـادىايجاره الشهرى ٥ر١٢٢ قرشا . والفضل فى هذا المسكن وهذا الايجار مردود الىثورة ٢٣ يوليو فى محاولتها توفير أساسيات الحياة للقوى الشعبية المطحونة .

ومع ذلك ، فثمة أساسيات عديدة لـمتتحقق بعد . فهو يعانى ما تعانيه قوى الشعب المطحونة من أزمة مـواصلات وارتفاع الاسـعار ، وفقـدان الرعـاية الصحية ، هذا بالاضافة الى الاستدانة .

فهو لكى يصل الى عمله يستغرق وقتايعدده بساعتين أو ثلاث ذهابا، ومثلها ايابا ، ويصرف حوالى اربعة جنيهات علىالمواصلات ، فى حين أن مرتبه الصافى عشرة جنيهات وتسعمائة مليم .

ثم هو لا يقوى على شراء اللحم اذ يصل الكيلو منه الى ١٤٠ قرشا ، ولا على شراء الفاكهة ولا على شراء الملبس لاولاده ، ولاالقدرة على معالجة ابنه ، حين يقع فريسة المرض .

والنتيجة ، تراكم الديون ونفاذ المرتبلحظة تسلمه .

ومع ذلك فهو يدمن قراءة « الاخبار » ،وهي جريدة لا تعبر في اتجاهها الغالب عن آمال وتطلعات ثورة يوليو والمفارقة هنـا أنه يقول عن الجرائد « انها بتدى وعى كامل » .

وقيمة الاتحاد الاشتراكي ، في رأيه ،تكمن فيما يقدمه من خدمات اجتماعية . يقول « الاتحاد الاشتراكى أدى مجهـودهالكبير لاسر الشهداء والتبرعات ولزيارة الجرحى » .

وكان ينبغي ان يعى أن الاتحـادالاشتراكي منظمة سياسية ، غايتها تفجير الوعي السياسي لدى القوى الشعبية صاحبةالمصلحة في التطور الاجتماعي بحيث تقف سدا مانعا أمام القوى الرجعية ، والراغبةفي عودة الحياة السياسية الى ما قبل ثورة ٢٣ يوليو .

وتصوره كذلك لعلاج ازماته الاقتصادية ،لا يرقى الى مستوى وضعه الطبقى .

فتصوره ما زال يدور على حلول جزئية ،وليس على حل شامل لما ينبغى أن تقوم به الحكومة .

وتصوره لعلاقات مصر مع الدول الكبرىيخلو من المضمون الاجتماعى . وحيـن تتوالى أسئلة « الطليعة » فى هذا المجاليقول « الواحد مش عارف الحقيقة » .

وهي عبـارة ترمز الي محنـة الوعيالاجتماعي لدي الطبقة العاملة . وهي محنة مردودة في المقام الاول الي وسائل الاعلام .

ومحنة وسائل الاعلام تعنى فـى ذاتالوقت محنة اللغة . فلم تعد اللغة العربية بقادرة على تحقيق وظيفتها الاجتماعية ، اىلم تعد الالفاظ قادرة على كشف حقيقة الواقع الاجتماعى ، وبالتالى لم تعد الالفاظمعبرة عن الحقيقة .

ولغة المواطن « عبد التواب » نموذج علىفقدان الصلة بين اللفظ والحقيقة .

انه يقول :

« أنا لما باروح البيت ما بيكونش معى ولاتعريفة ، لان انا باكون مستلفـمن زملائى فى الشغل فباضطر اننى أديهـم فلـوسهموأسددهم ، وبعدين أروح البيت يسألونى ، قبضت ؟ أقول لهم لسه ، وأنا فى نفس الوقتأكون قبضت » .

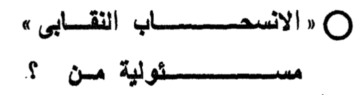
وتكتمل المحنة حين يقول :

« لما الواد بيقولى هات لنا مثلا برتقالاو جوافة ، أو تفاح ، العيل يقعد يوم واثنين وتلاتة وسنة ، وأقول له حاضر . أنا عندىعيل سنه ٨ سنوات، لما اقول له حاضر كلمة حاضر دى أقولها له كتير . أصبح دلوقتىبيقوللى : ما تقولش حاضر ! » .

ومعنى هذه العبارات أن عبد التواب يستخدم ألفاظا ليست مطابقة للواقع .. يستخدمها وهو يعلم أنها زائفة .

ومع الوقت يفطن أبناؤه الى هذا الزيف .

وعدم المطابقة تعنى انقساما فى الشخصية ، انقساما بين الظاهر والباطن . وهذا الانقسام بدوره يرمز الى **التصدع الاجتماعي** : وهو تصدع يمتنع معه تحقيق الوحدة الوطنية المنشودة . فالوحدة تعنى التطابق ، ولا تعنى اللاتطابق ، تعنى الانسجام ، ولا تعنى الانشقاق ، تعنى انفصال الجيل الجديد عن الجيل القديم بحيث ينشأ الجيل الجديد بلا قيادة وبلا توجيه . وتنشأ حالة « **الاغتراب** » عند كل من الجيلين . وعلامة **الاغتراب الاحساس بالهجرة . وعبد التواب يرحب بالهجرة حين يقدر على تحقيقها .** ■



« الانسحاب النقابى » مسئولية من ؟

عبد المنعم الغزالى

عندما وجهت **الطليعة سؤالها الى المواطن عبد التواب : عن النقابة العمالية** : اجاب بقوله ان أغلبية العاملين انسحبوا منها ، وسبب الانسحاب هو انها « **لاتفيد** » وليس لها « **مركز فى الشركة يقدم له العمال مشاكلهم** ! . **وأن العمال تقدموا** « **بطلبات الانسحاب الى رئيس الاستحقاقات** » و « **لم يحضر أحد لمناقشتهم** ! .

ونظرة المواطن **عبد التواب : وزملاؤه** الذين انسحبوا من النقابة العامة للغزل **والنسيج — ليست مجرد تعبير عن سخط** محدود على موقف النقابة العامة للغزل والنسيج ، من العاملين بهذه الشركة — انما هو تعبير عن رأى عمالى عام ، أصبح فاقدا للثقة فى التنظيم النقابى ، الذى لم يقدم للقاعدة العريضة شيئا مما هو ملتزم به . سواء دفاعا عن حقوق العاملين أو تقديم خدمات اليهم فى حياتهم اليومية .

والتنظيم النقابى العمالى المصرى ، وبصفة خاصة منذ عام ١٩٦٤ واعادة بنائه وفق القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ ، يوجه اليه النقد على أساس أنه تنظيم دفترى ، لا يعيش حياة العاملين ومشاكلهم ، قياداته بعيدة كل البعد عن هموم انسان الحد الادنى للاجر .
هذا الحد الذى لم يرتفع خلال أربعة عشر عاما ارتفاعا يذكر « من خمسة وعشرون قرشا الى ثلاثين قرشا » ، بينما ارتفعت أسعار ضروريات الحياة بمعدلات تراوحت بين ٢٥٠ و ٣٥٠ فى المائة وأكثر من ذلك .

فقيادة التنظيم النقابي المصري ـ غائبة اليوم ولسنين طويلة ـ عن حياة أعضائها عن همومهم ، عن مشاكلهم ، عن حقوقهم وحرياتهم ومصالحهم المقررة قانونا ـ والتي لم تقرر بعد قانونا . هي غائبة عن النضال النقابي العمالي من أجل تحسين ظروف عملهم ورفع أجورهم ومستوى معيشتهم ، والعناية بهم اجتماعيا وصحيا وثقافيا .

ليس لدى قيادة التنظيم النقابي ، أى تصور مطروح لصياغة المطالب العادلة للعاملين . فبينما يتصور مواطن الحد الادنى للاجر ـ المواطن عبد التواب ـ أن الحد الادنى يجب أن يصل الى مائة قرش يوميا لمواجهة أعباء الحياة الثقيلة ، وموجات الغلاء الهائلة ، مع تثبيت الاسعار ووقف ارتفاعها الجنوني ، فان قيادة التنظيم النقابي لاهية خلف مكاتبها ، لم تقدم أى صياغة مطلبية لتحسين لقمة عيش العاملين ، الذين يرون أن التنظيم النقابي العمالي ـ هو المؤسسة الحامية لهم ، المدافعة عنهم ، المناضلة من أجل رفع مستواهم كبشر ، يعيشون فى الثلث الاخير من القرن العشرين . هذا هو التنظيم النقابي ومهمته وأهدافه كما يتصوره مواطن الحد الادنى للاجر فى مصر . ولقد كان كذلك منذ نشأته فى بداية هذا القرن مؤسسة نضالية ، قادت جماهير العمال من أجل : أجر أفضل : وساعات عمل أقل ، وشروط عمل أحسن ومسكن تدخله الشمس والهواء ، وأبناء يذهبون الى المدارس .

وإذ أصيب هؤلاء العاملون بيأس من القيادة العمالية الحالية ، فقد آثروا الانسحاب ، من المؤسسة التى بنوها جيلا اثر جيل منذ ١٨٩٩ ـ بداية ظهور أول حركة عمالية نضالية منظمة ـ بتضحيات هائلة بالغة ، من سجون ومعتقلات وجوع وتشريد واستشهاد .

وموقف الانسحاب هذا ، هو موقف ضعف ، وفقدان للوعي الاجتماعي والطبقي ، فالتنظيم النقابي ، مؤسسة شادها العمال بنضالهم المرير حتى اعترف بها القانون ـ القانون ٨٥ لسنة ١٩٤٢ ـ وطوروها وجودا وبناء وتشريعا ، حتى اجراءات يوليو ١٩٦٢ . فكان الاجدر بهم أن يبقوا فى مؤسستهم ليطهروها من دخلاء عليها ، ومن طفيليين وانتهازيين لا يعملون الا لذواتهم ، ولا يأبهون بالارادة العريضة لجماهير العاملين التى تبنى بقروشها نقاباتها لتدافع عنها وعن مصالحها .

وهذا الموقف الضعيف اللاواعي ليس مسئولية الذين انسحبوا وينسحبون من التنظيم النقابي وحدهم ، انما هو مسئولية تقصير من جانب التنظيم وقيادته ، فاهمال النضال من أجل المطالب والحقوق عامل مضعف للوعي . فالوعي بأهمية التنظيم النقابي انما يتأتى ، أول ما يتأتى ، من الحركة النضالية اليومية مع جماهير الناس ولهم . والى جانب اهمال النضال هذا تكون مسئولية اخرى للقيادة : تأتى من تقصيرها الواضح فى القيام بمهامها فى مجالات التوعية والتثقيف والتعليم والقضاء على الامية . وهى بدلا من ذلك كله فانها تقوم بنشر الفكر الاصلاحى والتواكلي : والذى يهدف الى جعل الطبقة العاملة ومؤسساتها الديمقراطية ملحقات هامشية : وتوابع للطبقة الراسمالية ومؤسساتها .

وليس أدل ـ على فقدان القيادة النقابية لروح المسئولية من موقفها السلبي من العاملين الذين تقدموا بطلبات الانسحاب من نقابتهم الى رئيس الاستحقاقات فى شركتهم ، كما يذكر المواطن عبد التواب . ومن بديهيات العمل النقابي ان موقفا كهذا لابد وأن يستفز القيادة النقابية ويحرك فيها حتى نخوة الدفاع عن استمرار التنظيم ، الذى تتربع على عرشه . والتنظيم النقابي فى العالم كله ـ وحتى فى مصر قبل تربع البيروقراطية النقابية المصرية على عرشه يعرف ما يسمى بالمنظم النقابي ، وهو مناضل نقابي ، يتحرك لكسب عضوية جديدة للنقابة ، أو حل مشكلة تتعلق بالبناء التنظيمي لها ، أو لمواجهة أى حركة مضادة تحاول اضعاف النقابة أو اختراق بنائها التنظيمي .

وليس أدل على انفصام القيادة النقابية عن قواعدها ، من أنها غير معروفة لجماهيرها ، وحتى اذا عرف اسم من بينها بحكم وجوده في أعلى رأس الهرم ، فان جماهير العاملين لا تعرفه على وجه الدقة واليقين ـ فهو أحمد غريب رئيس النقابة العامة وهو الدكتور أحمد غريب رئيس الاتحاد العام للعمال .

ان المواطن عبد التواب قد أثار من خلال اثارته لخصوصية من خصوصيات حياته قضية عامة ، هي واحدة من أهم قضايا الديمقراطية في بلادنا . وهي قضية التنظيم النقابي العمالي في مصر ، ومدى صلاحية وجوده كمعبر حقيقي عن ارادة الطبقة العاملة المصرية ـ عن حياتها وحقوقها وآمالها وتطلعاتها الى أجر أفضل وشروط عمل أحسن وأسرة سعيدة ووطن حر وانسان يعيش حياة الانسان . ■

○ أين المفر .. بين جشع القطاع الخاص وخلل القطاع العام ؟

حسين شعلان

من المفارقات ذات الدلالة ، واللافتة للانتباه ، الرأى الذى يبديه « عبد التواب » فى القطاع العام والقطاع الخاص .

فبينما هو يدرك ان القطاع العام « بيحفظ كيان العامل » ويضمن « مستقبل لاولادى » فانه يجيب ضمنا عندما يسأل مباشرة « انت مع القطاع العام أو مع القطاع الخاص ؟ » بأنه مع القطاع العام ، الا أنه رغم ذلك يفضل التعامل مع القطاع الخاص ، ويتصور صفات له غير واقعية . كأن يقول مثلا « ان متوسط الاجر فى القطاع الخاص أحسن من القطاع العام » .

ألم يكن يكفى كلام « عبد التواب » نفسه عن القطاع الخاص خلال معاملاته معه ، فى فقرات اخرى كثيرة من اجاباته ، ليكون رأيا آخر مغاير تماما ؟

● فهو يقول ـ مثلا ـ عن تاجر القطاع الخاص « ويكتب على ايصال أمانة . اذا كنت واخد بعشرة جنيه ممكن يكتب بخمسة وعشرين . وممكن كتب على ثلاثين » .

● وهو يقول أيضا عن البقال « بيقولوا الدقيق ما زاد شيء . هو مازاد شيء بالنسبة للحكومة . لكن احنا الواحد لما بييجى يجيب من البقال ، انا جبت فى العيد الكيلو بتناشر قرش . هم بيقولوا يعنى الحكومة ، بستة أو بستة ونصف . دى مش ماشيه بسره خالص » .

هذه هى خبرته بالقطاع الخاص ، الا أنه يصل الى فهم مناقض لمعطيات خبرته فيقول : « أنا معى بقال كويس وبيتعامل معايا . انسان بيقدر الظروف بيدى التموين على حسب رغبة الواحد » !

أليس غريبا أن يتصور « عبد التواب » أن عدم اعطائه مقررات التموين ميزه وصفه طيبه وانسانية فى البقال ■

من المفهوم ان يكون سبب عدم تسلمه حقه المقرر فى المواد التموينية ، لو انه لايملك ثمنها لكنه ينسى او لا يعى هنا ، ان البقال يبيع مقررات التموين الخاصة به ـ أى بعبد التواب ـ للغير ولعبد التواب نفسه بسعر مضاعف أو أكثر فيما بعد .. وبانقطاعى .

وتجربة عبد التواب فى التعامل مع مجال آخر لنشاط القطاع الخاص ، تقوده أيضا الى نفس الطريق : عدم القدرة على الوفاء بشروط ومتطلبات التعامل مع القطاع الخاص . فعندما تستوجب حالة ابنه عمل عملية لا يستطيع معالجة ابنه . فيقول « انا عندى ولد وديته للدكتور قبل المدرسة ماتفتح بشهرين ثلاثة مباشرة . والدكتور قرر له عملية ولازم يعمل العملية . العملية دى راح تتكلف عشرين أو خمسة وعشرين جنيه طيب انا ما معاييش من العشرين جنيه ولا تعريفة . لو كان فيه نظام بالنسبة لاسر العاملين ، كان ممكن الواحد عملها وخلاها قسط من ضمن الاقساط ولا أخلى العيل يعانى مثل هذه المعاناة » . وبعد ذلك تتحول حالة الطفل ـ لعدم العلاج ـ الى حالة مستعصية يحار معها عبد التواب واسرته وتصبح عبئا ضخما يضاف الى اعباء اخرى ضخمة وثقيلة للحياة .

من لا يملك لا ياكل وربما يموت بغير علاج . لابد وان تكون تلك هى النتيجة المدركة حتى بمجرد الاحساس الغامض لدى عبد التواب .

وعلى الرغم من ذلك كله فان عبد التواب لايجد مفرا من التعامل مع البقال المخالف للتسعيرة ، والدكتور الذى يطلب « عشرين او خمسة وعشرين جنيه » « فالجمعية » التى توفر له حاجاته بسعر أقل ، « اذا لم يكن لى معرفة بيها ما باعرفش اجيب منها حاجه » وفى « الجمعية بهدلة « لان اللى بيقف فى الجمعية بتوع السوق السوداء . انما علشان توقف واحدة مايكونش لها دعوة بكده ما تعرفش تجيب . ولو وقفت يوم بحاله مش حاتعرف تجيب وتروح متبهدلة » ثم يضيف « ممكن فى الجمعية يمشى بتاع السوق السوداء ولا يمشى العامل الصغير » والمستشفى التى توفر العلاج بالمجان « فيه استهتار وبما حطيت فى نفسى ان الولد لو عمل العملية فى المستشفى دى الولد مش حينفع . أولا الشبابيك بتاعتها مكسرة وبتدخل هوا واحنا فى فصل الشتاء .. وفى نفس الوقت العناية مش كاملة ، فسحبت الولد بعد ثلاث أيام » .

فى ظل آلام هذه الطاحونة : عدم قدرته على تلبية شروط التعامل مع القطاع الخاص واستغلاله ، وعد وفاء القطاع العام بتوفير خدماته « لعبد التواب » أو بمعنى أدق عدم وفائه بتوفير خدماته « لصاحب الحق » فى ظل هذا الالم يعيش مواطن الحد الادنى للاجر ، وحتى كل مواطنى الاجور المتوسطة . بل ويعرب « عبد التواب » عن يأسه من ايقاف نزيف استغلاله من البقال فيقول « مش ممكن لان الحكومة لو بتنفذ ، كان كل اللى يمسكوه بيبيع بأزيد من التسعيرة يدوله جزاءه مضبوط ، كان ممكن ، انما الواحد منهم لو وصل أى جهة ومعاه قرش ، بيطلع منها وكأنه لم يفعل شىء » .

وهكذا يجد المواطن ـ آخر الامر ـ ان أجهزة الرقابة على تنفيذ قائمة الاسعار التى حددتها الدولة حتى لاينهب المستهلك لاتحميه وانما تحمى بشكل أو بآخر المخالف للبيع بتسعيرة الدولة . وهكذا أيضا يجد المواطن ان القطاع العام ـ فى هذا المجال مثلا ـ لا يخدمه بقدر ما يخدم تاجر السوق السوداء .

وليست هذه بالطبع استنتاجات مبالغ فيها أو غير عامة ، فالشكاوى المماثلة لشكوى عبد التواب لا يخلو منها أى بيت محدود الدخل أو حتى متوسط الدخل .. فى مصر ..

من المسئول عن هذه الحالة ؟ لا شك أنه القطاع الخاص نفسه . بجشع البعض فيه لان هذا البعض يكرس امواله لاغراء البعض من الفاسدين فى ادارة القطاع العام . هذا البعض الفاسد الذى يتحمل ايضا المشاركة فى الوصول الى هذه الحالة من المتاعب اليومية لمعيشة المواطن العادى .

والغريب فى الامر ، ان هـذا البعض الفاسد فى القطاع الخاص ، هو الذى يصور الامر فى وضع مقلوب ، بنفوذه الواسع داخل مختلف أجهزة المجتمع ومنها بعض الكتابات فى أجهزة الاعلام • حيث يصور الامر على ان وجود القطاع العام هو فى حد ذاته مصدر كل المتاعب • ويقع بعض الكتاب فى « الفخ » ـ بحسن نية أو بسوء نية ـ ليملاوا الدنيا ضجيجا عن ضرورة تشجيع القطاع الخاص وتوسيع دائرة ملكيته وعمله • ويفوتهم بالمرة ـ وعن عمـد ـ الحديث عن تشجيع القطاع العام بضرورة تطهيره من الفاسدين فيه والبحث عن أفضل الوسائل لتوصيل خدماته غير المستغلة للمواطن العادى صاحب المصلحة فى قيام القطاع العام ووجوده •

وفى ظل عدم توعية المواطن العـادى بحقيقة الوضع وبمصلحته ، لنا ان نسأل لمن تشكل حـالة عبد التـواب بعموميتهـا ـ انطباعـاته ـ ارضـيـة واحتيـاطيا لحركة بناء وتنمية المجتمع المصرى وتقدمه ام احتياطى للحركة المضادة للبناء والتنمية والتقدم ؟ ■

○ انتـهى الـــدور « التـــاريخى » للفـــــول

فيليب جلاب

وضعتنا « الطليعة » فى مكاننا الصحيح عندما طلبت الينا أن « نعلق » على حــالة عبد التــواب ! • فنحن لسـنا أكثـر من « معلقين » على مثل هـذه الحالة • أى أننا من بين الذين اذا رأوا « منكرا » قوموه بالسـنتهم او اقـلامهم هذا أضعف الايمان ولكى لا يتجاوز سخطنا على انفسنا حدود الاحساس المرير بالذنب ، ونلجأ دائما الى بعض ما يريحنا أو يعزينا • اليست كل الامور نسبية فى هذا الكون « اليس الذين يقومون المنكر أو « حالة عبد التواب » بألسنتهم أو أقلامهم افضل قليلا من أولئك الذين ينظرون الى « كل عبد التواب » بوصفه ظاهرة طبيعية كالشروق والغروب لا يملك لها أحد تبديلا ؟

ثم ان التعليق على حالة عبد التواب يكلف صاحبه مشقة أى مشقة . فأنت تتحصن فى مكتبك بالقرب من « مدفأة » ـ على الاغلب ـ فى هذا البرد القارس • وقد تمد يدك من حين لآخر الى احدى ثمار البرتقال « السلعة المصرية الوحيدة التى لم يستطع أباطرة سوق الفاكهة أن يضاعفوا ثمنها هذا العام لاسباب خارجة عن ارادتهم » وتبدأ فـى قراءة « حالة عبد التواب » • وقبل ان تنتهى من قراءة صفحة واحدة تشعر فجأة أن السيد عبد التواب ضبطك متلبسا بارتكاب أمور يخجل من اتيانها كل مواطن يستحق هذا اللقب . فقبل عبد التواب كنت تظن كبقية الناس أن تناول البرتقال ليس حلما ولا أمنية لاحد . وأنت تعرفه بجميع أنواعه وأشكاله وأحجامه ، وتلح على أطفـالك بالاكثار منه حتى يزهدوه ويتقاذفوه كالكرة بأيديهم واقدامهم لكن بعد عبد التواب تغير الموقف تماما •

فقد ثبت أن أحمد عبد التواب وحسن عبد التواب وجرجس عبد التـواب « موظفون مصريون ـ نهاية عام ١٩٧٥ ملاحقون من أطفالهم طوال موسم الشتاء وكل شتاء بمطلب واحد هو أن يذوقوا هذا البرتقال • وأن عبد التواب يعد دائما بأنه سيفعل ولكنه لا يستطيع . وأنت لا ترضى بأن تكون موضع اتهام من هذا النوع وتبدأ فى الدفاع المستميت

عن نفسك حتى لو ادى دفاعك الى الوقوف ضد عبد التواب وأطفاله . وماذا اذا لم يأكل آل عبد التواب البرتقال ؟ ان ملايين السعداء فى العالم لا يأكلونه ولا يعرفونه رغم شتائهم المميت .

وما الذى سيحدث فى العالم اذا حل موسم « الجوافة » ثم انتهى دون أن تتسلل احدى ثمارها الى بيت عبد التواب ! واية قيمة غذائية أو حتى معنوية سيفتقدها الاطفال المحرومون من « الجوافة » ؟

(كان « سلامة موسى » فى أخريات أيامه يقول لقرائه مرة كل أسبوع ان حزمة جرجير » واحدة أفضل للجسم من كيلو جرام من التفاح الامريكى أو اللبنانى .

ويزعم عبد التواب أنه يقرأ نفس الصحيفة التى كان يكتب لها سلامة موسى هذه النصائح ، ومع ذلك لم يتعلم منها شيئا . ولم يلفت نظره فيما يبدو فى تلك الصحيفة سوى باب الجرائم والحوادث لمتابعة أمثاله من الذين يوقعون « ايصال أمانة » ولا يوفون بما عليهم .

لماذا لا ينظم السيد عبد التواب غذاءه وغذاء أبنائه بطريقة علمية ؟ وهل يعجز عن شراء حزمتين جرجير لكل طفل يوميا ؟

ليته يفعل ذلك فينعم الاطفال بفائدة غذائية محققة ، ونأكل نحن البرتقال بجوار المدفأة دون منغصات .

لكن عبد التواب لا ييأس ، ويلقى بقفازه » فى وجهك « مع أنه يدعى أنه لا يملك ثمن جلباب . فانه لايستطيع أن يملأ بطون أسرته بالخبز والفول ثلاث مرات يوميا . فقد انتهى « الدور « التاريخى » للفول ولم يعد سلعة شعبية حيث نستورد بعض حاجتنا منه من بريطانيا العظمى » . اما البطاطس كبديل للفول فتحتاج الى زيت ، والزيت .. كما تعرفون !

وهو يدعى أنه يتحايل على مواعيد الطعام بالنسبة لنفسه ، فيختصرها الى مرتين أو مرة ونصف فى اليوم ، ثم ينام .

والحقيقة أن الاتهام يوجه هذه المرة الى عبد التواب أو يرتد اليه بالاحرى .. ينام !

كيف ينام رجل مسئول عن اطعام أسرة من خمسة أفراد بهذه السهولة ؟ وهل ارهاق العمل والمواصلات يكفى حجة امام هذا التقصير « المعيب » ؟ لعله يظن أن العمل ستة عشر ساعة فى اليوم يكفى لكى يطبق عليه شعار من يعمل يأكل ومن لا يعمل لا يأكل » . لقد وقع السيد عبد التواب فى المحظور ، فهذا شعار مستورد . لانه من الممكن ان يعمل البعض ولا يأكلون وان يأكل البعض ولا يعملون . فالناس مختلفون ومطالبهم تختلف وظروفهم متباينة وجميعهم فى النهاية أبناء وطن واحد متعاطفون متساندون !

لقد أفسد علينا السيد عبد التواب متعة قراءة حالته الفريدة ، وأدخلنا فى متاهة يصعب الخروج منها . واذا كانت أحدث العقول الاليكترونية تعجز عن توزيع راتب سيادته الشهرى بين المسكن والمأكل والملبس والمواصلات فهل نحن بعقولنا العاجزة قادرون على ذلك ؟

ان كل ما تعلمناه من أوليات بعض العلوم يكاد يبدده « عبد التواب » وحالته . كنا نعرف مثلا أن الرأسماليين يحرصون على الا تقل معيشة العاملين عن حد الكفاف لكى ~~الا تقل معيشة العاملين عن حد الكفاف~~ لكى يستمروا فى الانتاج ويواصل الراسماليون جنى الثمار ومضاعفة رأس المال . لكن « عبد التواب » أثبت دون جهد يذكر أن هذه النظرية خاطئة من أساسها واذا كانت النظرية صحيحة يصبح من المؤكد أن « عبد التواب » غير عامل وان بلادنا لا تعرف شيئا عن الراسمالية

وكنا نعرف مثلا أن حيوانات الحقل تقوم بأعمال شاقة لكنها تأخذ قسطها المعقول من الطعام والراحة لكى تستطيع أن تعمل فى اليوم التالى .

واثبت عبد التواب دون جهد يذكر أن الانسان عندنا لا يمكن أن يصل فى أحيان كثيرة الى مستوى الحيوانات . والا ما الفرق بين الانسان والحيوان ؟!

لكن الصورة — على اى حال — ليست بهذه الكآبة التى تبدو بها للوهلة الاولى، ولا شك أن الامر يحتاج لشىء من الصبر والمثابرة . ولو صبر « عبد التواب »وثابر فسيلمس بنفسه تغيرا هائلا فى أحواله « ان الارسال التليفزيونى الملون سيبدأ بعد عام واحد بل قبل بعد سبعة أشهر فقط وأكدت لناذلك أحدى المذيعات التىينقص الارسال العادى الحالى من بعض مفاتنها ، وذكرت ان الجهاز الملون فى غاية التعقيد « عشرات الازرار » ويحتاج الى خبرة ودارية من الفنيين ومن أصحاب الاجهزة فى نفس الوقت .

لعل السيد عبد التواب يفكر — فيما هوابعد من الحاجات اليومية المباشرة .

وليثق بأن الذين يبذلون هذا الجهد الخارق لتوفير صورة ملونة حية تكون آخر ما يشهده قبل أن يستسلم للنوم ، لن يعجزوا عن حل مشاكل أبسط بكثير كالزيت والبطاطس أو حتى الفول والبرتقال .

المهم هو الا يكتفى بالنظر تحت اقدامه فليس اكثر مجلبة للفقر والقنوط من قصر النظر والانغلاق . ■

هل يقف سكان الحى الشعبى ضد انسان المخيم الفلسطينى ؟

خيرى عزيز

ربما يكون هذا الحوار فى حد ذاته : وبلا اى تعليق : ؟ اطلالة ! مباشرة على حياة جماهير الشعب : التى لا يوجد ما هو أشرف وأنبل من أن يضع المثقفون آذانهم على نبضها.

وقد لا نجاوز الحد اذا قلنا أن هذه الشهادة الواقعية عن آلام ومعاناة العمال من شعبنا، وعن الحياة اليومية،والمعيشية، وشئون الاقتصاد والسياسة الخ والتى أجراها كتاب سياسيون بأسئلة جافةمباشرة، هذه الشهادة تحدث فينا أحيانا ، ببعض تفاصيلها ولانها صورة صادقة عنحياة الشعب ، نفس الاثر الفنى العميق الذى تحدثه فينا تلك السمة الرائعة لفن « جوجول » : « الضحك من خلال الدموع » .

ولشد ما تبدو كلمة« هموم » المواطن ،التى وضعت عنوانا لهذه الدراسة ، تعبيرا مترفا ، وربما ودونمبالغة ، مدعاة لشعورساخر ما ، لانماشهدناه فى هذا الحوار، وبينثنايا السطور ، لميكن «هماما» لمواطنبأى حال ، وانما قبل كل شىء ، شهادة آلام ، وانسحاق ، وأحزان ، الشعب .

فالمعاناة والحرمان ، والبؤس الضارب أطنابه ، والتعاسة المستترة ، والافتقار لكل شىء : « للغذاء الكافى وللرعاية الصحية ،ولتعليم الاطفال » ، يسود هذه الصورة الاجتماعية . الاطفال ، الاب « ٤٠ فى المائة من الدخل أجر مواصلات للاب » وهو ما

يكلفت ملة حقى القراءة الريف » زائد ٥ر١ جنيه تدخين على الاقل ، أى ٦٠ فى المائة للاب ، غير الانفاق على الابناء » . أما المرأة ، الزوجة ، الام ، فلا تبدو حتى فى هذه الصورة ؟ كطيف ، له مطالب آدمية ، الامر الذى يعكس المعنى الحقيقى « لوجود » المرأة المصرية فى قاع طبقات شعبنا الكادحة ، فهى الاشد انسحاقا — على كل المستويات — داخل هذا المجتمع المنسحق . « فقدت زوجة مصرية حياتها مؤخرا ، نتيجة لضرب زوجها ، لسبب ظاهرى تافه : التأخر فى اعداد الطعام .

على أنه مع كل التعاطف الحقيقى مع رحلة الالم والمعاناة التى يقصها « المواطن عبد التواب » ، الا أنه لا توجد لدينا فى الحقيقة أى « عبادة » لكل اعترافاته باعتبارها وثيقة عمالية ، لان هذا المواطن ، وان كان يعكس ، بكل تأكيد ، وضعا معيشيا عماليا ، الا أن وعيه لم يصبح بعد وعيا عماليا سياسيا ثوريا : « ان أصعب شىء للطبقة العاملة ؟ هو اكتساب وعى ثورى على مستوى مهامها التاريخية » . فادراكه ، هو ادراك « تلقائى » لظروفه المعاشة ، وهو أضعف الايمان على أقل تقدير ، ورؤيته أسيرة نظرة « اقتصادية » بحته ، لم ترق الى المستوى السياسى . فعلى الرغم من أنه قارىء منتظم لصحيفة يومية كبرى « الاخبار » لما يزيد عن عشرين عاما ، بل ربما يكون بالتحديد لهذا السبب ، لم يستطع هذا المواطن ان يدرك الاسباب الجذرية العميقة وراء كل ما يعانيه من بؤس وآلام ، وهو يتصور المسألة فى مجرد اهمال وعدم اكتراث الجهاز الحكومى باصلاح حال العامل الفقير فحسب .

ولكن هل كان بوسعه حقا أن يدرك الاسباب الحقيقية وراء معاناته ، من خلال صحافة « ليلة القدر » ومدرسة الاثارة و « انقذوا نادية » ، والتفسير « الجنسى » للتاريخ ، ومذهب « تحضير الارواح » ، و « ظهور روح نفرتيتى فى لندن » ؟ وخال « توت عنخ آمون » فى مدريد .. الى آخر تلك النظريات « الهايفة » التى يروج لها عدد من كتاب دار « الاخبار » ؟

إن المشكلة التي تتعلق بوعي المواطن عبد التواب فى الحقيقة لا تتمثل في أنه لم يتلق توعية سياسية كافية ومعمقة فحسب من بعض صحف هذا البلد ، وانما فى أنه تلقى توجيها سياسيا سيئا في الكثير من الاحوال ، من قبل بعض كتاب وصحفيين ، لم يهمهم قط في يوم من الايام ، تبصير الملايين بالاسباب الجوهرية الكامنة وراء ما تعانيه من بؤس وتعاسة (٥)

فأمريكا عبد التواب مثلا هى « عدوتنا » كما قال بنفسه فى آخر الامر ، ولكن أمريكا التى عبر عنها بتلقائية وفورية أولا ، هى أمريكا الانسانية المحسنة : « دولة غنية جدا ، كانت تمد المدارس فى السابق بالاغذية والجبن والسمن » . كذلك فان موقفه تبريرى من دعمها لاسرائيل بالمعونات ، فهو لا يرى بامكانه ، أو حتى من واجبه ، أن يعارض دعمها لها فى استمرار عدوانها وفى احتلال أراضى الغير .

ان أمريكا الاكثر حضورا فى ذهنه ، هى أمريكا الجبن والسمن ، لا أمريكا — اسرائيل الحقيقية الجوهرية ، أمريكا الحروب العدوانية الدورية التى دبرتها ضد بلدنا كل فترة زمنية ؟ ، وانهكتنا اقتصاديا ، وانتزعت اللقمة من أفواه الملايين من أبناء شعبنا ، وفرضت عليها المسغبة والبؤس والجوع . تلك هى الصورة الحقيقية التى غابت عن وعى « المواطن » العمالي ، لانه لا يمكن بحال فى عصر النور والوعى ، أن يصبح المصدر الاساسى لافقار وتجويع الشعب المصرى ، بطلا للتمويل الغذائى ، أو فارسا من فرسان العطف والرحمة .

فهل نستطيع حقا ، ضميريا ووطنيا ، أن نعقد مقارنة بين كوارث الخراب القومى الشامل ، بين فقدان الخزينة المصرية لـ ٢٨ الف مليون جنيه « احصاء لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب » بسبب الحروب العدوانية الدورية التى شنها ضدنا تحالف اسرائيل — أمريكا ، واقتطعت من الزم ضروريات القوت اليومى للشعب المصرى ومن ثمن غذائه وملبسه وكسائه ، هل نستطيع حقا أن نعقد مقارنة بين ذلك الخراب الاستراتيجى ، وبين بضعة آلاف من صفائح جبن او سمن مهما كانت قيمتها الغذائية ؟

اننا نحترم تماما حرمان مواطننا ، وندركه حق ادراكه ، الا أننا نعلم يقينا أيضا أن عدم ادراك الاسباب الحقيقية من الجذور ، وعدم الغوص حتى الاعماق لمعرفة أسباب البؤس الذي تعاني منه الملايين ، لن يؤدى بهذا الشعب ، الى الانعتاق من غوائل الفقر والحرمان ، وانما سيدفع به الى بؤس أكثف ، وحرمان أشد ، طالما لم تتحدد بحسم كاف ، جبهة الاعداء الحقيقيين والاصدقاء الحقيقيين

ولكن قد يكون من أخطر أجزاء الحوار ، أيضا ذلك الجزء الخاص بموقف هذا المواطن ، من الفلسطينيين ، وسوريا ، والوحدة العربية ، ففيه تظهر بوضوح وأكثر من أى مكان آخر ، آثار الجريمة التى ارتكبت ولا تزال ترتكب لتخريب وعى الشعب المصرى ، وتضليله عن أعدائه الحقيقيين ، وايقاع الفرقة بينه وبين الشعوب العربية الشقيقة ، رفيقة الكفاح والسلاح والمصير الواحد .

فانسان الحد الادنى للاجر ، الذى أجرى معه الحوار ، يعلن بدون تردد أنه « ضد الوحدة العربية » ، وعن الفلسطينيين يقول « الاعراب أشد كفرا ونفاقا » .

هكذا ثبتت وتثبت في الادراك البريء لهذا المواطن ، معالم الجريمة التي ارتكبها ويرتكبها بعض أولئك القابضين على بعض وسائل الاعلام فى بلادنا ، الذين اعتادوا عند كل خلاف أو تباين في المصالح والرؤية بين أي بلد عربي أو آخر ، أن يصبوا الزيت على النار ، ويعمقوا الخلاف ، ويثيروا الشحناء والحزازات ، والفرقة والبغضاء ، ويصلوا الى حدود من الاسفاف لا يمكن تصورها ، فى دق الاسافين بين هذا البلد العربى أو ذاك ، وبين هذه الزعامة العربية أو تلك ، وبين هذا الحزب العربى أو ذاك ، تحقيقا كريها لذلك الهدف الغادر الذى يسعى اليه بكل وضوح الصهيونيون والمستعمرون فى هذه الايام : « دع العرب يكرهون العرب » ثم « دع العرب يمقتون وينبذون العرب » ثم فى النهاية « دع العرب يقتلون العرب » ، وهو المبدأ الصهيونى الاسمى اليوم .

من هنا نقول أن واجبات انسان الحد الادنى للاجر ، بصدد تلك النقاط العربية ، كان فى الواقع انعكاسا فوريا لنوع المناخ الدعائى السائد ، فهل يستطيع مصرى أيا كان اتجاهه أو وضعه الاجتماعى بما فيهم هذا المواطن نفسه ، أن يعتبر اشتراك الجيش السورى ، مع الجيش المصرى فى اكتوبر ١٩٧٣ ، هذا النتاج الايجابى المثمر للتوحد العربى ، هل يستطيع مصرى ، أن يعتبر اشتراك هذين الجيشين العربيين فى هجوم مفاجىء موحد على الجيش الاسرائيلى فى جبهتى الاراضى المحتلة ، عملا ضارا بمصر ، وبالاقتصاد المصرى ، وبالطبقات المصرية الكادحة ، وبمصالح شعبنا ؟

ان انسانا معاديا لمستقبل هذا البلد ، انسانا فقد أى منطق أو تفكير سليم هو وحده ، الذى يستطيع أن يجيب بالايجاب على ذلك السؤال .

ثم اذا كانت الوحدة العربية ضد مصالح شعبنا حقا ، وتطلبت بالتالى عداء هذا المواطن لها ، كما عبر على هذا النحو ، فاننا نريد منه ، أو بالاحرى ، انصافا وعدلا ، من أولئك الذين سمموا فكره تجاه بلادنا العربية الشقيقة ، أن يثبت أو يثبتوا لنا مثلا ، كيف أن عمل مئات الالاف من الفنيين والخبراء والعمال المصريين فى البلاد العربية البترولية وغيرها ، حيث يدرون من مدخراتهم ، دخلا اضافيا للبلاد ، يعادل ، بالمقياس الزراعى ، انتاج مئات الاف الافدنة جديدة ، من الافدنة المزروعة قطنا ، مثلا نريد منه ، ومنهم أن يثبتوا لنا كيف تضر هذه الاموال والمدخرات ، باقتصاد هذا البلد ، وبمصالح شعبه ؟

ونود أن نسأله ونسألهم أيضا ، كيف يمكن اذا ارتقى تطبيق مبدأ الوحدة العربية ، ليصبح تكاملا اقتصاديا عربيا ، يترتب عليه مثلا تكامل صناعات الحديد والصلب العربية ، فى شمال أفريقيا العربى ، فى مصر والجزائر والمغرب ، الغنية بهذا المعدن الاستراتيجى الثمين ، كيف يمكن أن يكون ذلك عاملا يدعونا نحن المصريين الى نبذ مبدأ الوحدة العربية ، فى عصر الوحدات الاقتصادية الكبيرة ؟ وكيف

يمكن أيضا ، آلا ترتب على تطبيق مبدأ التكامل الاقتصادى العربى ، مثلا ، قيام صناعة تكرير بترول ضخمة فى الاسكندرية ، تعتمد على البترول العربى ، وتعادل أضخم صناعة مثيلة لها فى أوربا الغربية ، وهو ما تؤكده عديد من المشروعات العربية ممكنة التحقيق فعلا ، كيف يمكن أن يعتبر قيام « روتردام » عربية فى الاسكندرية على هذا النحو ، بما يستتبعه ذلك من ازدهار صناعة بتروكيمائية عملاقة ، تستخدم مئات الالوف من العمال المصريين ، عملا ضارا بمصالح الشعب المصرى ، يجعله يقف على هذا النحو ، ضد الوحدة العربية ، ويأسف على ما أنجزه من خطوات سابقة فى هذا السبيل ؟

ان أشد الامور مدعاة للاسف بهذا الصدد ، هو أن تتم هذه المحاولات المتعجلة للتفرقة بين شعوب وبلدان الامة العربية ، ولفصم عرى التحالف بينها فى وقت لم تنته فيه معركة التحرير بعد ، فى وقت لا تزال فيه ٩٠ فى المائة من الاراضى العربية محتلة بقوات اسرائيل ، وفى وقت يحتاج فيه العرب أكثر من اى وقت مضى ، الى مزيد من الوحدة والتلاحم لتحرير باقى أرضهم المغتصبة .

أما الفلسطينيون الذين تلقوا من العدو الصهيونى الاستعمارى ، أعنف وأشد الضربات ، فقد شن عليهم مواطننا أيضا أشد هجماته ضراوة ، فهم فى رأيه « الاعراب الاشد كفرا ونفاقا » وهكذا حلت على الفلسطينيين لعنة الكفر أيضا ، وبعد أن حرمهم الاستعمار والصهاينة من وطنهم الارضى ، يأتى هذا الانسان المصرى - العربى بسذاجة وبساطة ليسلبهم حتى « ارثهم السماوى » !

ويتحدث المواطن « عبد التواب » عن التضحيات التى قدمت من من اجل القضية الفلسطينية فيقول « ضحيت بأولادى ، ضحيت بشبابى ، ضحيت بأموالى منذ ١٩٤٨ » وليس ثمة شك أن الشعب المصرى قدم تضحيات كبيرة ، وخاصة فى السنوات الاخيرة بعد يونيو ١٩٦٧ من أمواله وحياة شبابه وأبنائه . وليس ثمة شك أيضا فى أن لكل هذه التضحيات المصرية قيمتها الايجابية فى رصيد التضحيات العربية العامة من أجل مستقبل الامة الواحد . لكننا نريد أن نعرف على وجه التحديد ، من أجل من بالتحديد ، قدمت هذه التضحيات فى الاساس ؟ ولماذا قدمت ؟ وأين قدمت ؟

ألم تكن مصر التى تفترض زعامتها للامة العربية جمعاء ، هى المسئول الاكبر عن النكسة التى حاقت بالعرب فى يونيو ١٩٦٧ ؟ وألم تؤد هذه النكسة ليس فحسب الى ضياع باقى أراضى الشعب الفلسطينى التاريخية ، فى القدس والضفة الغربية للاردن وقطاع غزة ، ووقوعها تحت سيطرة اسرائيل ، وانما أدت أيضا ، الى ضياع مساحات واسعة من الاراضى المصرية نفسها فى شبه جزيرة سيناء كذلك ؟

وألم تكن التضحيات التى قدمت سواء فى ١٩٦٧ أو ١٩٧٣ ، على أرض مصر أساسا ولتحرير التراب المصرى المحتل نفسه قبل أى شىء آخر ؟

ان الحقيقة التى لا يمكن لاحد انكارها ، والتى ينبغى أن يضعها هذا المواطن فى اعتباره ، حتى لا يحتسب كل تضحيات مصر على قائمة الشعب الفلسطينى وحده ، هى أن مصر ضحت بحياة الالاف من شبابها فى قتال ، دار على أرض مصر نفسها ، وضحت بمليارات الجنيهات من الزم ضروريات قوت أبنائها ، لتمويل هذا القتال المصرى وللانفاق على القوات المسلحة المصرية ، وامدادها وتموينها ، ولبناء الاستحكامات المصرية ، وخطوط الدفاع المصرية ، واعادة تعمير المدن المصرية التى دمرها العدو الاسرائيلى .

ولذا فالاصح ان يقال احقاقا للحق أن مصر بعد ١٩٦٧ لم تبعثر أموالها على أحد ، وعلى الفلسطينيين بصفة خاصة وانما تلقت كغيرها من دول المواجهة

حصتها من معونة مالية عربية قررتها دول البترول سواء في مؤتمر الخرطوم أو غيره ، وذلك أسوة بالفلسطينيين أنفسهم سواء بسواء .

على هذا النحو ، لم يكن انسان المخيم الفلسطيني ، هو جابي التضحيات العربية أموالا ، كدستها خزائن الشهداء وهي غير موجودة أصلا ، وتركت لشعبنا الفاقة والحاجة والبؤس . بل كان الشعب الفلسطيني نفسه ، ضحية مرتين : ضحية وجوده في معبر استراتيجي هام بين مشرق الامة العربية ومغربها ، جعله الهدف الاستعماري المنشود ، لدق الاسفين ـ الدولة الصهيونية ، لعزل مشرق هذه الامة عن مغربها ، وضحية أخرى ، للضعف العربي العام ، الذي أدى في يونيو ١٩٦٧ الى ضياع كل أرضه ووطنه التاريخي ، وضياع اراض عربية جديدة على مذبح هزيمة يونيو « حزيران » .

أفليس الاجدر اذا كان هذا المواطن المصري ، جادا حقا في البحث عن سر بؤسه ومعاناته ، أن يبحث عنه بعيدا عن ذلك التبرير بفلسطين والفلسطينيين ، أفليس الاجدر أن يبحث عنه في قلب المسئولية المصرية عن الهزائم التي حاقت بهذا الوطن وما استتبعها من انفاق المليارات لمحو آثار هذه الهزائم ، ولتحرير التراب المصري ، وان يركز بحثه عنه أيضا في رحم المجتمع المصري نفسه ، وفي واقع المشاكل الاقتصادية التي يعانيها الاقتصاد المصري ، وتعثر عملية التنمية في مصر ، والعجز الشديد في ميزان المدفوعات ، وتزايد الديون الخارجية ، والتضخم ، وارتفاع الاسعار وتدني القيمة الحقيقية للاجور ، وسوء توزيع الثروة ، وانتعاش القطاعات الطفيلية في اعمال الوساطة والسمسرة والاستيراد والمقاولة والتوريد والتخزين والتهريب ، وسرعة تكوين ثروات مذهلة للقلة استغلالا لسياسة الانفتاح ، بدلا من القاء تبعة ذلك على كاهل شعب الابطال والمعاناة والاحرار والشهداء ؟

ولكن ، وبرغم ذلك ، ألا يعد انسان الحد الادنى للاجر في مصر ، بعد كل شيء ضحية بؤسه الاقتصادي في قاع المجتمع المصري ، مثلما يعد انسان المخيم الفلسطيني ضحية بؤسه الوطني في قاع المجتمع العربي ، وان كان هذان الاثنان اللذان يقبعان في القاع المظلم الرطب ، يحملان الى مستقبل هذه الامة ، رؤية اجتماعية قومية شاهقة ، أوليس حرمان الاول من الحياة الانسانية اللائقة ، وحرمان الثاني من ضمان حتى الحياة نفسها ، وجهان لالم واحد كبير ، هو الالم الشعبي العربي ، بين قوى تعاني الاضطهاد على الجبهة الاجتماعية ، وأخرى تعانيه على الجبهة القومية ، جبهة الارض المغتصبة والوطن السليب ، وافلا يقف كلاهما معا على نفس الجانب من المتراس ضحية لمؤامرات الصهيونية والامبريالية وأطماعهما وعدوانهما ؟

واذا كان المواطن « عبد التواب » ، انسان الحد الادنى للاجر في مصر ، وبرغم ما أعرب عنه سلفا من آراء ، قد أعلن في ختام حديثه بكل وضوح : « لن أتنازل عن المعركة طالما لم تنسحب اسرائيل من الجولان ، وطالما لم يأخذ الشعب الفلسطيني حقه ، حتى ولو كانت فلسطين وسوريا ـ في رأيه ـ لم تتعاونا معنا » ، فعلام يدل هذا بعد كل شيء ؟

افلا يدل بصورة مؤكدة على اصالة هذا الشعب ، واخلاصه ووفائه ، وحسه القومي السليم ، واصراره النضالي برغم كل معاناته ؟ أفلا يدل على أن جماهير شعبنا المصري ، لا يمكن ، وبرغم كل حملات التحريض والتأليب والتشويه ، أن تتنكر للمعاني التي عركتها جيدا من تاريخ البطولة الفلسطينية القريب ، وأنها لا يمكن أيضا بجرة قلم متآمر أو دساس ، أن تتنكر لكل معاني الفداء والتضحية والاستشهاد البطولي التي عرفتها جيدا ، والتي تتركز جميعا حول ذلك الاسم النبيل : « الفدائي الفلسطيني » ؟

سؤال التاريخ

من الذى أحرق القاهرة فى ١٩٥٢

فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ احترقت القاهرة ..
وكان ذلك الحريق بداية لتدهور كامل فى مصر . حاولت معه الرجعية ان تستعيد زمام المبادرة ، وان تعيد احكام قبضتها على مصر وعلى مقدراتها ومستقبلها ..
لكن حريق القاهرة لم يكن مجرد نهاية لانتفاضة شعبية عارمة . خاضت ولاول مرة فى تاريخ مصر الحديث اسلوب الكفاح الشعبى المسلح ضد الاستعمار ، وانما كان ايضا بداية لتطورات لاحقة غيرت وبشكل كامل مستقبل مصر .. كان بداية لثورة يوليو ..
ويمضى ربع قرن .. لكن السؤال لم يزل معلقا .. من الذى أحرق القاهرة ؟
هذه هى الاجابة التى يحاول الاجابة عليها « جمال الشرقاوى » فى كتابه الذى لم يزل تحت الطبع « حريق القاهرة ـ قرار اتهام جديد » .
وبعد أن يفرد الكاتب فصولا كاملة لتفنيد محاولات اتهام بعض القوى الوطنية باحراق القاهرة .. يقدم لنا فى هذا الفصل قرار اتهام جديد « ويحاول أن يجيب وبالوقائع .. على السؤال الذى لم يزل معلقا .. « من الذى أحرق القاهرة » ؟
وبترتيب خاص مع الناشر تقدم الطليعة « دائرة الثقافة الجديدة ـ القاهرة » لقرائها هذا الفصل

منذ اليوم الاول .. يوم ٢٦ يناير نفسه .. اشارت اصابع الاتهام الى الانجليز باعتبارهم مدبرى ومنفذى حريق القاهرة .

●

الاساس الاول لهذا الاتهام ، هو أن الانجليز كانوا اكثر القوى تضررا من الاوضاع التى سادت مصر فى السنتين السابقتين على يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

● **فالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، واتفاقيتى السودان ، جعل الوجود البريطانى فى البلدين غير** مشروع ، من الناحية القانونية ، ومن جانب الدوائر الرسمية متمثلة فى الحكومة والبرلمان والملك فى مصر .. والاحزاب السياسية فى السودان . وبذلك اصبحت قوات الاحتلال ، وكل مراكز القوى البريطانية فى مصر التى كانت منكرة من جانب القوى الوطنية والجماهير الشعبية ، منكرة ايضا على المستوى الرسمى ..

كما أصبح المركز الدولى لبريطانيا حرجا ..

● على ان الامر لم يتوقف على الرفض القانونى للاحتلال البريطانى ، ولكن تبع ذلك



اجراءات عملية كانت بالغة الاثر على الوجود الانجليزى فى مصر . فقد صحب الغاء المعاهدة الغاء الملحقات وأحكام الاتفاق الخاص بالاعفاءات والميزات التى تتمتع بها القوات البريطانية الموجودة فى مصر ، وترتب على ذلك الغاء جميع الاعفاءات المالية التى كانت ممنوحة للسلطات العسكرية البريطانية ، وتشمل الرسوم الجمركية على المهمات والاسلحة والعتاد ومواد التموين وما الى ذلك ، والرسوم المستحقة على السفن التى تمر بالمياه المصرية لخدمة القوات البريطانية ، وأجور النقل والاتصالات البرقية والتليفونية الخاصة بهذه القوات . وامتنعت الجمارك عن بذل التسهيلات الجمركية الاخرى الخاصة بأولوية المرور والشحن والتفريغ الا بعد استيفاء جميع الاجراءات القانونية المفروضة على جميع السفن الاجنبية . وامتنعت السكك الحديدية عن اداء اى خدمة للقوات البريطانية او نقل أى مهمات أو عتاد لها . وامتنعت الحكومة عامة عن آداء التسهيلات والخدمات التى كانت تؤديها للسلطات العسكرية البريطانية ، ومنها مواد التموين . ومنعت وصول

ضباط وأفراد القوات البريطانية الى داخل البلاد . وحرمت دخول البلاد على الرعايا البريطانيين المدنيين الذين كانوا يعملون فى خدمة القوات البريطانية ، القادمين من الخارج ، ما لم يكونوا حاملين لجوازات سفر معتمدة من السلطات القنصلية المصرية فى البلاد القادمين منها ، وانهت تصاريح الاقامة للبريطانيين الذين كانت اقامتهم فى البلاد لسبب الخدمة فى القوات العسكرية البريطانية او لصالحها ، والغت العمل بالتصاريح التى كانت ممنوحة من قبل بموجب المعاهدة للسلطات البريطانية أو لافرادها ومنعت هبوط الطائرات العسكرية البريطانية بالمطارات المصرية أو تزويدها بالبيانات الجوية الفنية أو بأى نوع من التسهيلات « ١ » ..

● وفى اليوم التالى لالغاء المعاهدة مباشرة «٩ اكتوبر ١٩٥١ » ، حمل اثنان من وزراء الحكومة هما عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية والعمل ، ووزير العربية بالنيابة ، وعثمان محرم وزير الاشغال معولين وقادا عملية هدم ثكنات قصر النيل وسط مظاهرة وطنية حماسية . وكانت هذه الثكنات التى بنيت بالطوب الاحمر ، على شاطىء النيل « المكان الذى يحتله هيلتون القاهرة حاليا » أحد رموز الاستعمار البريطانى فى مصر .. ففيها حوكم أحمد عرابى زعيم اول ثورة وطنية ضد الاستعمار والخديوية .. وفيها كان يعتقل المجاهدون من ثوار سنة ١٩١٩ .. ومن نوافذها كان جنود الاحتلال يطلقون النار على المظاهرات الوطنية .. فكان هدم هذه الثكنات ، ورغم ان الانجليز كانوا قد اخلوها منذ مدة عندما جلوا عن القاهرة وتمركزوا فى القنال السويس ، مظاهرة الهبت الشعور الوطنى ضد الانجليز ، وأظهرت الانجليز أن الحكومة عازمة على اتخاذ خطوات تحطم هيبة الاستعمار البريطانى وتشجع على مقاومته «٢» ..

● وبعد ايام قليلة .. اتخذ العمال المصريون موقفهم الرائع ، ضاربين المثل فى التضحية ونكران الذات . فامتنع عمال ومستخدمو السكك الحديدية عن نقل الجنود البريطانيين ومهماتهم ..

وعندما عززت بريطانيا قوات احتلالها ، بارسال ثلاث ناقلات جنود مشحونة ، وصلت ميناء بور سعيد يوم ١٣ اكتوبر تحمل ثلاثة آلاف جندى وضابط رفض عمال السكك الحديدية تزويد قطار نقل القوات الجديدة بالماء والوقود . كما امتنعوا عن اعداده للسير . ورفض سائق القاطرة ومساعده العمل فى القطار . ورفض سائقو وعمال القطارات الاخرى التى كانت مخصصة لنقل القوات البريطانية العمل فى تلك القطارات ، مما اضطر السلطات البريطانية الى نقل جنودها وضباطها وعائلاتهم الى المعسكرفى سيارات ولوريات الجيش البريطانى .. ورفض عمال القطارات أيضا نقل مهمات الجيش البريطانى ،فاضطر البريطانيون لنقلها بالسيارات واللوريات كذلك وامتنع عمال الشحن والتفريغ فى موانى القنال عن تفريغ حمولة البواخر البريطانية . وفى الايام القليلة التى أعقبت الغاء المعاهدة ظلت اكثر من ١٧ باخرة تهيم فى القنال دون أن تستطيع الاستقرار وانزال ما عليها من جنود وعتاد بعد أن أضرب العمال المصريون عن تفريغها . وخسر البريطانيون فى أسبوع واحد اكثر من مليونى جنيه نتيجة للمقاطعة التى واجههم بها عمال القنال «٣» ..

● وفى يوم ١٦ اكتوبر ١٩٥١ فتحت الحكومة مكاتب لتسجيل أسماء عمال معسكرات القنال الذين يرغبون فى تركها والالتحاق بأى عمل فى مصالح الحكومة المصرية . وكانت استجابة العمال المصريين مذهلة . ففى ايام قليلة كانت السجلات قد امتلأت بأسماء ٨١٠٧٣ عاملا هجروا العمل مع الانجليز .. كانوا هم كل العمال والمستخدمين العاملين فى المعسكرات البريطانية تقريبا ..

وقد أورد الدكتور محمد أنيس فى كتابه الوثائقى « حريق القاهرة » أن جهاز التقاط الاشارات بوزارة الداخلية المصرية التقط يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ اشارة من HQ الى Jogn: تتضمن تقريرا عن حالة العمل فى ذلك اليوم .. نصه

« نسبة الغائبين ١٠٠ فى المائة .. عدا كاتب واحد » ! « ٤ » .

ولما كان بين هؤلاء العمال من يؤدون كل

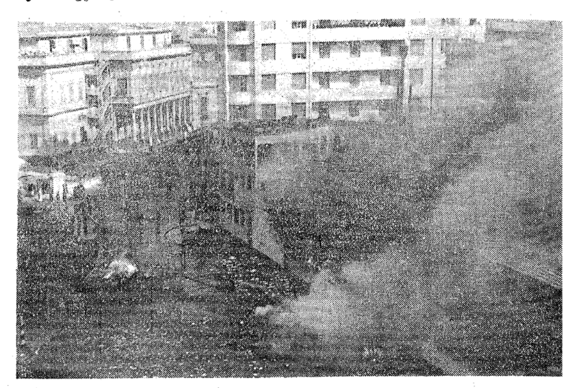
---

[١] عبد الرحمن الرافعى — مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ، ص ٤١ — ٤٢

[٢] عبد الفتاح حسن — ذكريات سياسية ، ص ٦٨

[٣] عبد الرحمن الرافعى — مقدمات الثورة ، ص ٤٢ — ٤٣

[٤] د. محمد انيس — « حريق القاهرة على ضوء وثائق تنشر لاول مرة » ، ص ١٢.



الخدمات اليومية والحيوية للانجليز .. « فقد كان بينهم كتبة ومخزنجية .. وسعاة وفـراشون وطباخون وسفرجية وعمال كى الملابس والحلاقة والمخابز .. وبنائين ونقاشين ومبيضين وسمكرية وســباكين .. وميكانيكيين وكهربائيين وبـرادين وخراطين وحدادين وعمال لحام بـالاوكسجين ولحام كاوتشوك وبرشمجية ونجارين وسروجية وعمال اسلحة .. وسائقى سيارات .. وترزية وخيمية وعمال أحذية .. وتومرجية .. وعمال طباعة .. وبحريين .. وعمال حاذقين فـى الصناعات الدقيقـة .. ومـلاحظين وعتـالين وترابيين وخفراء وجناينية .. « ٥ » .. فقـد صارت المعسكرات البريطانية فى حالة شلل تام .

وكان ترك عمال المعسكرات لاعمالهم بالذات هو أصعب عملية سلمية تمت فى مواجهة الانجليز . لانها حولت حياتهم فى منطقة القنال الى عذاب دائم .. بحيث أصبحت لا تطاق ولا تحتمل « ٦ ».

واكتملت عمليـة المقـاومة السـلبية فى تلك المرحلة بمنع التموين والامدادات المختلفة عن قوات الاحتلال . فأخذ المتعهدون والموردون الذين كانوا يمدون القوات البريطانية بمواد التموين يمتنعون عن توريد ما تعاقدوا عليه من قبل . وينقضون عقودهم مع هذه القوات ويلغونها ، رغم ما فى ذلك من خسائر مادية احتملوها من جراء هذا الالغاء ، واضطر الانجليز الى جلب ما يحتاجون اليه من الخارج مما كبدهم خسائر فادحة « ٧ » . وقـد التقط جهاز وزارة الداخلية المصرية اشارة يوم ١١ ديسمبر ١٩٥١ ، تصور ما كان يعانيه الانجليز فى تلك الفترة نتيجة للمقاطعة المصرية . فهى تتضمن أن ما يلزم أسبوعيا هو ٤٠ طنا من البصل و ٢٠ طنا من الخضر .. وطلب سلفة قدرها ٦٠٠ الف جنيه أن أمكن من تركيا أو من رأس مال الجهة المرسلة اليها هذه الاشارة «٨»

● ثم قررت الحكومة الاستغناء عن خدمات الموظفين الانجليز فى المصالح الحكومية «٩» كما

[٥]عن تقرير مصلحة العمل المصرية الصادر فى ٤ فبراير ١٩٥٢ ، والمنشور فى كتاب الدكتور محمد انيس
[٦] شهادة اللواء شريف العبـد . الملاحق
[٧] عبد الرحمن الرافعى ــ مقدمات الثورة ، ص ٤٦
[٨] الدكتور محمد انيس ــ حريق القاهرة ، ص ١٢
[٩] كان لبريطانيا حينئذ ٢٥ الف شخص ، بعضهم مدرسون والبعض الاخر فنيون والباقى رجال اعمال ..

قررت نقل المكتب الهندسى المصرى من لندن الى سويسرا . وكانت مهمة هذا المكتب استيراد ما يلزم الحكومة من معدات ولوازم كالقاطرات والسيارات والالات الحربية وجميع الادوات الحكومية مما كان يساعد فى زيادة ربط مصر بالصناعة البريطانية دون سواها « ١٠ » ..

كما قرر **عبد الفتاح حسن** وزير الحربية بالنيابة الاستغناء عن ١٩ خبيرا عسكريا بريطانيا كانوا يعملون بالجيش المصرى . وارسل اشارة عاجلة باستدعاء جميع مبعوثى وزارة الحربية من العسكريين والفنيين الذين يدرسون فى معاهد انجلترا . وتم احضارهم فعلا فى افواج متلاحقة بالطائرات « ١١ » .

ولم تلبث الحكومة أن أصدرت مرسوما بالاستيلاء على **نادى الجزيرة** « ١٤٦ فدانا » لتحويله الى ستاد رياضى وطنى . وكان نادى الجزيرة قد أنشىء مع بداية الاحتلال ونص عقد انشائه على ان الغرض منه هو « الترفيه عن جنود الاحتلال البريطانى فى مصر .. ولم يكن يمكن لمصرى دخوله .. وكان الانضمام اليه مشروطا بتزكية اثنين من الاعضاء الانجليز .. وكان السفير البريطانى فى القاهرة هو رئيس النادى . وقد نفذ المرسوم .. وحرم الانجليز من مكان الترفيه المفضل لديهم فى عاصمة مصر «١٢» .

● وتوجت **وزارة الوفد** نشاطها المعادى للانجليز فى نهاية سنة ١٩٥١ ، باصدار قرارها باستدعاء السفير المصرى فى لندن **عبد الفتاح عمرو** تمهيدا لقطع العلاقات الدبلوماسية نهائيا بين مصر وانجلترا . وتقديم مشروعين للبرلمان **أولهما** خاص بمعاقبة كل مصرى يتعاون مع السلطات العسكرية الاجنبية « أى البريطانيين » . **والاخر** بتعديل قانون حمل السلاح بحيث يصبح حمل السلاح لجميع المواطنين هو القاعدة ، والتحريم هو الاستثناء ..

● وفى يوم ١٤ **يناير** ١٩٥٢ أصدر مجلس الوزراء قرارا بالغاء جمعية « **اخوان الحرية** » التى انشأها الانجليز فى مصر لتنفيذ مخططاتهم « الخاصة » ، بعد أن قدم **عبد الفتاح حسن** وزير الشئون الاجتماعية تقريرا يتهم فيه هذه الجمعية **بحرق كنيسة السويس يوم ٤ يناير ١٩٥٢ . وكانت** هذه ضربة خطيرة الى نشاط المخابرات البريطانية فى مصر .. فى وقت كان يرسم لهذا النشاط دور أكبر فى محاولة تغيير الاوضاع المتردية بالنسبة لبريطانيا فى المنطقة .. «١٣»

هذه بعض معالم المقاومة السلبية التى اخذ يواجهها الانجليز فى القنال يوما بعد يوم .. وبصورة متلاحقة .. فى الفترة من ٨ **اكتوبر** ١٩٥١ حتى **يناير** ١٩٥٢ اى فى مدة لاتتجاوز ٧٠ يوما . لكن المقاومة السلبية لم تكن هى المقاومة الوحيدة للاحتلال الانجليزى لمصر . فقد كانت المقاومة المسلحة تتصاعد هى الاخرى . لتتحول فى هذه الفترة الوجيزة من عمليات فدائية محدودة ومتقطعة .. الى حرب تحرير منظمة ومتصلة ، تشارك فيها كل فئات الشعب واحزابه . . وتسهم فيها الحكومة وضباط الجيش . وتعكس مجموعة التقارير التى سجلتها مصلحة الرقابة المصرية ، عن نصوص الاذاعات الموجهة من « **باتريك سميث** » مندوب الاذاعة البريطانية فى القاهرة فى الفترة من ٢١ **ديسمبر** ١٩٥١ **الى** ١٩ **يناير** ١٩٥٢ .. تعكس مدى المخاطر التى كانت تعانى منها بريطانيا فى منطقة القنال ..

يقول باتريك سميث «١٤» : « طلبت الدوائر البريطانية من الجهات الرسمية اعلان حالة منع التجول ابتداء من غروب الشمس الى الفجر لحين صدور أوامر أخرى . وذلك فى المنطقة المحصورة بين بحيرة التمساح والترعة الحلوة ، حيث وقعت المصادمات بين القوات البريطانية والبوليس المصرى .

« وترى الدوائر البريطانية ضرورة هذا الاجراء نظرا لالقاء قنابل واطلاق رصاص القناصة وايقاع القوات البريطانية وعرباتها فى الكمائن .

« ويقول البلاغ الرسمى البريطانى فى هذه الليلة أن دورية بريطانية من المهندسين الملكيين فاجأت جماعة من المصريين يقومون بنزع احدى مواسير المياه من منطقة تكرير المياه فى السويس فى الليلة الماضية . كما أطلقت النيران ليلة امس على جماعة استكشاف من الكتيبة الرابعة والسابعة من فرقة رويال دارجون جاردز على بعد عشرة أميال غرب الاسماعيلية .»

[١٠] عبد الرحمن الرافعى — مقدمات الثورة ، ص ٧٣
[١١] عبد الفتاح حسن — ذكريات سياسية ص ٧٦ — ٧٧
[١٢] عبد الفتاح حسن — ذكريات سياسية ص ٦٤ — ٦٦
[١٣] شهادة عبد الفتاح حسن — الملاحق
[١٤] الدكتور محمد انيس — حريق القاهرة ، وثيقة رقم ١ ، ٦ ، ص ٥٧ — ٩٦

« ويعتبر اعلان حالة منع التجول تشددا من الجانب البريطانى ضد الارهابيين المصريين وكان هذا الاجراء منتظرا عقب القرار الذى أصدره مجلس الوزراء — المصرى — منذ أسبوع والذى اعلن فيه انه قد يرحب بالموافقة على قانون يبيح التسليح للمدنيين » « ٢١ ديسمبر ١٩٥١ » .

« فى منطقة القنال ، وفى جو يسوده التوتر يحتفل رجال القوات البريطانية وعائلاتهم بعيد الميلاد فى مخيمات عسكرية محاطة بالاسلاك الشائكة يقوم على حراستها حراس لا يغفلون خوفا من هجمات الارهابيين .. « ٢٢ ديسمبر ١٩٥١ » .

« لم تهدأ حدة الهجمات الارهابية التى شنت على القوات البريطانية ومنشآتها بمنطقة قنال السويس خلال الاسبوع . وفى الحقيقة ان الاحداث فى هذه المنطقة تبرز الملاحظة التى ابداها القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ليفتنانت جنرال ارسكين يوم الاثنين الماضى من آن الحالة تنساق الى حالة خطيرة جدا .. وقد رجا المصريين فى فترة هدوء ..

« وقد رد المصريون بعد بضعة ساعات على اقتراح الجنرال أرسكين بأن أوقع الارهابيون دورية من البونيس الحربى » البريطانى فى الاسماعيليه فى كمين . وتسببوا فى قتل ضابط وجرح ثلاثة جنود . وقد استمر خلال الاسبوع القاء القنابل واطلاق الرصاص من القناصة على القطارات الحربية والدوريات والمنشآت .. « ٢٢ ديسمبر ١٩٥١ » .

« يصرح البلاغ الحربى أن الحالة العامة فى منطقة القنال هادئة على العموم . وقد ألقيت قنبلة فى صباح اليوم المبكر على سيارة عسكرية خارج الاسماعيلية فأصيب السائق بجروح بسيطة من الزجاج المتطاير » ويضيف البلاغ أن القوات البريطانية استولت على كمية من المواد الشديدة الانفجار وجدت فى مراكب راسية فى خليج السويس .. وقد اضطرت القوات البريطانية الى ذلك نظرا لما تدل عليه التقارير التى لديها عن قيام أشخاص مجهولين بسرقة مواد مشابهة منها ، وأن ارواح وأملاك القوات البريطانية تتعرض بذلك للخطر .. « ٣١ ديسمبر ١٩٥١ » .

« بعد مطلع اليوم الاول من السنة الجديدة بدقائق اطلق الارهابيون النار على مراكز الحراس البريطانيين ، وعلى حاملة بنادق مدرعة أثناء قيامها بدوريتها بالاسماعيلية مستخدمين فى ذلك بنادق وأسلحة أتوماتيكية واستمر اطلاق النار لمدة ثلاث ساعات ..

« ويقول البلاغ الحربى البريطانى أن النار أطلقت على محطة تكرير المياه خارج السويس أثناء الليل . « ١ يناير ١٩٥٢ » .

« ذكر البلاغ الحربى البريطانى الاخير أن الموقف العام فى منطقة قنال السويس تغير تغيرا بسيطا وقد كان الهجوم الذى وقع على المنشآت العسكرية خلال الاربعة والعشرين ساعة الماضية ينحصر فى القنص على مستودع الادوات الكشافة بالتل الكبير ، وقد فاجأت الدوريات بعض المصريين وهم يقطعون اسلاك الاشارات بالقرب من الاسماعيلية ثلاث مرات أثناء الليل .. وكانت الدوائر الحربية البريطانية قد أبلغت قبل ذلك عن حوادث أرهابية أخرى وجهها المصريون الى العمال بمنطقة القنال كما أبلغت بأن اثنين من اليونانيين اللذين يعملان فى ورشة للجيش البريطانى بالقرب من الاسماعيلية قد اختفيا من ثلاثة ايام .. « ٣ يناير ١٩٥٢ »

« وقع اشتباك آخر بين الجنود البريطانيين والمصريين فى منطقة القنال . ويقول البلاغ الحربى البريطانى انه فى هذا الصباح الباكر أطلق المصريون الرصاص من أسلحة أوتوماتيكية صوب منطقة تكرير المياه وكشك اشارات السكة الحديدية خارج السويس .. ويقول بلاغ الليلة ان اطلاق النار ازداد شدة ، وأن القوات البريطانية استعملت مدفع الهاون ٢ بوصة ، ويضيف البلاغ أن اطلاق النار استمر فترات متقطعة طول اليوم ، وقد أصدرت القوات البريطانية بلاغا مفصلا لحوادث اليوم التى وقعت اثر اشتباك الامس فى نفس المنطقة والتى جرح فيها ضابطان بريطانيان جروحا بسيطة . ويتضح من البلاغات البريطانية أن هناك قوات تستخدم لتطهير منطقة تكرير المياه من القناصة المصريين فقد كانت هذه المنطقة مصدر قلق طيلة الاسابيع الماضية ..

« ونظرا لاستمرار اعمال القناصة اليوم استعملت دبابات السنتريون التابعة لفرقة الدبابات الملكية الرابعة .. وقد زاد رئيس لواء المشاة رقم ٣٩ فى عدد الفرقة التى تحرس منطقة تكرير المياه حتى بلغ عددها ٦٠ رجلا عصر اليوم . وعلى كل فقد استمرت أعمال القناصة المصريين حتى بعد أن اطلقت الدبابات البريطانية ثلاث طلقات على مصدر النار فاستخدم مدفع الهاون ٣ بوصة للرد .. وقد جرح ضابطان بريطانيان وأحد ضباط الصف وجندى وبذلك يكون مجموعة الجرحى منذ عصر أمس ستة ..

« وعلقت جريدة الاهرام المحايدة فى مقال رئيسى « ان بريطانيا اليوم لم تعد ذلك المارد المخيف ، فمظهر القوة الزائفة فى قنال السويس لا يرهب المصريين لان مثل بريطانيا العظمى كمثل

عملاق يترنح قبل النقطة الاخيرة » . « ٤ يناير ١٩٥٢ »

« تسير القوافل البريطانية وفق خطوط السير المقررة لها على الطريق الواصل بين التل الكبير والاسماعيلية وذلك بعد الهجمات التى شنها الارهابيون هناك امس ، وقد قسموا الى قوافل بطيئة واخرى سريعة ، كما عززت قوات الحراسة وتواصل السلطات الحربية البريطانية تفتيش جميع المواصلات المؤدية الى مدينة السويس . .

« وقد نشرت جرائد مصر اليوم ، كما كان متوقعا ، خبر الهجوم على القوافل البريطانية فى طريق السويس بخطوط واضحة . وتشير جريدة الحكومة المسائية « البلاغ » باغتباط الى ما عانته القوات البريطانية من هزيمة على يد رجال الكوماندوز الشجعان . . « ١٠ يناير ١٩٥٢ »

« قام أربعمائة رجل من الالاى الثانى من جنود المظلات فى فجر اليوم بتفتيش قريتين جنوب الطريق الممتد بين الاسماعيلية والتل الكبير . وتقع هاتان القريتان فى المنطقة التى شن منها الارهابيون هجماتهم يوم الاربعاء الماضى على القوافل البريطانية . فقتل ضابط وعسكرى بريطانيان . وقد عبر جنود المظلات البريطانيون يصحبهم بعض وحدات تأمين الميدان الترعة الحلوة التى تمتد على طول الطريق بواسطة قوارب الاقتحام وقاموا بحصار أهالى القريتين وفتش الرجال فقط ثم تولت بعض الوحدات تفتيش المنازل كلها تفتيشا كاملا بواسطة كاشفات الالغام فأسفر هذا التفتيش عن العثور على بعض القنابل اليدوية المضادة للدبابات وكمية من الذخيرة والجلجنايت كما عثر على بندقية بريطانية وكمية من النشرات العربية ضد بريطانيا . « ١١ يناير ١٩٥٢ »

« يصرح البلاغ البريطانى الاخير الصادر من منطقة قنال السويس بوقوع نشاط آخر للارهابيين ورد الجانب البريطانى على هذا النشاط . وقد أطلقت صباح اليوم النار على دورية استطلاع من كوينزاون كاميون هايلاندرز من جهات مختلفة أثناء وجودها فى موقع مكشوف فى جنوبى التل الكبير وقد أصيب جندى كان يحرك مدفع برن برصاصة فى راسه وتوفى وعندئذ أمسك ضابط دورية الكاميرون بالمدفع ولكن الرصاص أصابه ايضاوتوفى بعدالاخريثوان ،وقدعبرت الكتيبة الثالثة « الجرنادير جاردز » قناة الترعة الحلوة لتنقذ الداورية التى وقع تحت الاعيرة النارية وردوا على نيران الارهابيين بأسلحة أثقل منها الى أن تمكن الرجال السبعة الباقين من الدورية من الانسحاب الى موقع أمين . . « ١٤ يناير ١٩٥٢ »

« استخدم البريطانيون لاول مرة اليوم مدافع الميدان ضد الارهابيين فى منطقة القنال الذين قاموا فى الساعة الواحدة بعد الظهر بهجمات أخرى على القوات البريطانية التى كانت تقوم بحراسة موقع ترشيح المياه لمخزن التل الكبير الذى يقع على بعد حوالى أربعين ميلا شمال شرقى القاهرة على حافة الدلتا . ولما

فشلت البنادق ومدافع الماكينة البريطانية فى اسكات النيران المصرية أطلقت المدافع عشر طلقات من عيار ٢٥ رطلا عبر الترعة الحلوة والطريق الذى يمتد بمحاذاتها . . « وتستعمل القوافل البريطانية مؤقتا الطريق الذى يصل ما بين المخزن « أوردينانس » بالتل الكبير شرقا والاسماعيلية على قنال السويس . ويقع هذا الطريق على بعد خمسة أو ستة أميال شمالى الطريق الرئيسى بعيدا عن القرى التى يحتمى بها الارهابيون . وسيكون هذا الطريق القديم أقسى مسلكا لعربات الجيش البريطانى اذ ان هذا الطريق عبارة عن مسافات كبيرة من الرمل الصلب فيما عدا بعض أجزاء ممهدة . وسوف تستعمل القوافل البريطانية هذا الطريق الصحراوى الى ان يعلن أن الامن يسود مرة اخرى الطريق الرئيسى . . وصرحت الدوائر العسكرية البريطانية اليوم أن الهجمات التى وقعت خلال الايام الماضية تنبىء عن وصول وحدات جديدة من الكوماندوز الى منطقة القنال . وصرح متحدث بلسان القوات البريطانية ان بعض رجال الكوماندوز « الفدائيين » يأتون من الاعمال ما يدل على عظم ما تلقوه من تدريب فى فن الرماية . . وبين الشبان المصريين الذين حجزوا على اثر اصطدامات آخر الاسبوع عدد كبير من طلبة الجامعات بالقاهرة . . « ١٥ يناير ١٩٥٢

وجه السير رالف ستيفنسون السفير البريطانى فى مصر نظر المسئولين المصريين الى المقالات التى نشرتها اخيرا الجريدة الاسبوعية « الجمهور المصرى » المعادية لبريطانيا وذلك فى مذكرة رفعها أمس الى وزير الخارجية بالنيابة ونشرت اليوم . ففى ٣١ دسمبر « ١٩٥١ » نشرت هذه الجريدة مكافأة الف جنيه لرجل الكوماندوز الذى يقتل الجنرال أرسكين قائد القوات البريطانية فى مصر ، ومائة جنيه عن كل قائد بريطانى يقتل فى منطقة القنال . وقد بعث السفير بمذكرة الى الحكومة المصرية ليلفت نظرها الى خطورة هذه الاساءة التى اقترفها صاحب ومحرر هذه الجريدة والتى يعاقب عليها قانون العقوبات المصرى . ولم تذهب الحكومة ابعد من تأنيبها لصاحب الجريدة

ورئيس التحرير « ١٥ » . وفى نفس الوقت تواصل جريدة الجمهور المصرى هجومها العنيف ضد القوات البريطانية .. ولكن ليس هناك ما يدل على أن مكافأة قد طلبت بالرغم من أن ضابطا بريطانيا قد قتل بمنطقة القنال بعد نشر خبر هذه المكافأة الاول .. « ١٧ يناير ١٩٥٢ »

« أعلن البلاغ البريطانى الليلة أن النشـاط الارهابى فى منطقة القنال قد زاد لدرجة كبيرة هذا الصباح ، وذلك عندما وقعت ثلاث قوافل بريطانيه مختلفة فى كمائن فى نقط ثلاث مختلفه على طول الطريق بين التل الكبير والاسماعيلية .. وقتل جندى وضابط بريطانيان وجرح جندى آخر .

وقدر متحدث بريطانى عدد الفرق التى اشتركت فى عمليات اليوم بمئه وخمسين .. ووصف الهجمات المصرية بأنها تنم عن تحسن كبير فى خطط العمليات عما كانت عليه سابقا .. وقال ان الايام القلائل القادمة عما اذا كانت هجمات اليوم ستفتح مرحله جديدة من الهجوم المتزايد على القوات البريطانية ومنشآتها .. « ١٩ يناير ١٩٥٢ »

وأخذ تالصحافة البريطانيه تصور حالة اليأس التى وصلت اليها بريطانيا وقوا تاحتلالها فى مصر ..

فنشر مراسل صحيفة « التايمز » فى منطقة القنال مقالا فى عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ وصف فيه حالة المعسكرات البريطانية ، واعترف بفداحة الضربة التى اصابت القاعدة الانجليزية فى القنال حين أجمع العمال المصريون على الانسحاب منها ، وما أعقب هذا الانسحاب من اشاعة الفوضى والارتباك فيها ، واعترف بفشل المحاولات التى اتخذت لجلب العمال من الخارج ، وقال ان الاعمال الحيوية فى المعسكرات اصيبت بارتباك خطير ، وأصبح من المتعذر صيانة المقادير الهائلة من المعدات العسكرية .. واشار الى ان اعمال الفدائيين المصريين قد أقضت مضجع الجنود البريطانيين ، وان الحياة العادية اختفت فى المعسكرات على طول القنال ، كما ان كثيرا من المؤسسات التى قامت لضمان صلاحية القاعدة العسكرية والسهر على صحة الجنود ورفاهيتهم قد عطلت وانقلبت الامور فى منطقة القنال بالنسبة للجيش البريطانى رأسا على عقب ، فبدلا من أن يركز قواته فى الاحتفاظ بالقاعدة والنهوض بها من كافة الوجوه ، أصبح يركز جهوده فى حماية نفسه من هجمات الفدائيين والاحتفاظ بمواقعه وبلغ من شدة توتر اعصاب الجنود البريطانيين انهم « باتوا يتساءلون عن جدوى الاحتفاظ بقاعدة عسكرية فقد تقيمتها نتيجه الشعور الوطنى المعادى ، وعما اذا كان من الاوفق تجنب احتكاكات سياسية جديدة بالبدء فى انشاء قاعدة اخرى فى جهة تعرب حكومتها عن رغبتها فى الانضمام الى قيادة الشرق الاوسط . أو على الاقل فى منطقة لا يكون وجود القوات الانجليزيه فيها مدعاة للسخط والاستنكار » « ١٦ » .

واضطر أحد ممثلى الاستعمار البريطانى المخضرمين لان يدعو حكومة بلاده للاستغناء عن وجودها فى مصر .. فقد أعلن اللورد ستانسجيت رئيس وفد المفاوضات البريطانى فى المفاوضات بين مصر وانجلترا سنة ١٩٤٦ امام اسماعيل صدقى .. أعلن فى مجلس اللوردات : « أن القاعدة البريطانية فى منطقة القنال اصبحت لا تصلح عسكريا ، وأن الكرة الذى يحف بها يجعلها مهددة ، فلا معنى لبقائها » « ١٨ » .

وهكذا كانت بريطانيا أكثر القوى تضررا من تصاعد الحركة الوطنية المصرية ، التى كان يشجعها ويغذيها وجود وزارة الوفد فى الحكم . وكان كل يوم جديد تنمو فيه الحركة الوطنية ، وتبقى فيه وزارة النحاس فى الحكم يعنى تقليصا جديدا للنفوذ والوجود البريطانى بمصر .

وازاء ذلك ، لم يكن امام بريطانيا الا احد أمرين :

اما الانسحاب ، والجلاء عن مصر ، والرضوخ لارادة الشعب المصرى .

واما التشبث بالاستعمار ، والقاعدة العسكرية ، واستخدام كافة الوسائل لقهر الارادة الوطنية المصرية وفى مقدمتها القوة المسلحة .

واختارت بريطانيا ، فى ظل حكومة **تشرشل – ايدن** التى كانت قد جاءت للحكم ، ان تبقى فى مصر .. بالقوة ..

وعبر تالصحافة البريطانية نفسها عن هذا الاتجاه .. فكتبت مجلة « **نيوستيتسمان** » تقول : « ان أهم الاخبار التى وردت الينا من مصر

---

[١٥] قال لى ابو الخير نجيب رئيس تحرير « الجمهور المصرى » ان النيابة استدعته فعلا للتحقيق ، لكنه دفع بانه يحرض وسيظل يحرض على قتل الانجليز الذين يحتلون بلادنا بدون اى سند من الشرعية .. وان ما أقدم عليه هو من قبيل دفاع المصريين عن انفسهم وكرامتهم وارضهم .. ولم تملك النيابة اتخاذ اى اجراء ضده

[١٦] عبد الرحمن الرافعى — مقدمات الثورة ، ص ١١١.

[١٧] المصدر السابق ، ص ١١٠.

نبأ اباحة حمل السلاح للمواطنين هناك ، فمن هذا النبأ ، ومن الطريقة التي يسلكها الجنرال ارسكين في مصر ، يبدو واضحا أن خطر قيام حرب العصابات في مصر بات على الابواب . ويتبين من سياسة الحكومة البريطانية أنها تود انقاذ موقف بريطانيا بطريق القوة المسلحة .. » « ١٨ »

كيف نفذت بريطانيا خطة استخدام القـوة المسلحة في مواجهة الحركة الوطنية المصرية ؟

هذا سؤال مهم جدا لفهم دور بريطانيا في مؤامرة ٢٦ يناير .

فلقد كانت بريطانيا تعرف جيدا ظروف مصر تلك الايام ..

تعرف أن النحاس الغى المعاهدة رغم أنف الملك ، وان الملك وان اضطر للتصديق على مراسيم الالغاء تحت الضغط الشعبي ، فانه ينتهز كـل فرصة مواتية للتخلص من هذا المأزق .. بل ومن النحاس نفسه .. وواضح أن الملك والانجليز كانوا متفهمين في ذلك تماما .

وتعرف أن الجيش في يد الملك ورجاله ، وليس للنحاس أو حكومته أي سيطرة عليه . وانه لذلك لا يمكن أن يستخدم في معركة عسكرية مع قوات احتلالها . ومن ثم فان الحكومة الوفدية ستكون مجردة من أي قوة حقيقية في مواجهة هـذه القوات .

وتعرف ان الاحزاب السياسية القديمة ــ أحزاب الاقليات ــ وان كان نوابها وشيوخها قد ايدوا بالاجماع الغاء المعاهدة ، الا أنها لا تفتأ تعلن شكوكها في اجراء الحكومة ، بدعوى أنها أقدمت على الالغاء بدون استعداد كاف ، وان هذا يشكل دعوة انهزامية في الجبهة الداخلية في مصر .

وتعرف أن القوة الوحيدة المنظمة التي تسيطر عليها الحكومة هي قوات البوليس . وأن هذه القوات كانت قليلة العدد ، محدودة الكفـاءة ، هزيلة التسليح .

السند الفعلي للحكومة .. هو الشـارع . الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين والموظفين والحرفيين .. ومن شباب الطلبة .. خاصة طلبة الجامعات .. لكن انجلترا كانت تعرف جيدا أن الشارع السياسي المصري موزع على أحزاب عديدة وتنظيمات كثيرة .. من الحزب الوطنـي الى الاخـوان المسـلمين الى الشيـوعيين الى الاشتراكيين .. حتى الوفد . وكانت تعرف أن بين هؤلاء من الاختلافات والشكوك ما يسمح لها بثغرات كثيرة ، لابد من ان تجد بينها واحد تستطيع أن تنفذ منها .

واستفادت بريطانيا من ذلك كله في رسم خطتها .. لذلك ، لم تلجأ الى العمل العسكري المباشر والشامل .. أي احتلال القاهرة ، وتغيير الحكومة بالقوة . ربما خوفا من اتحاد كل القوى في مواجهتها ، وانضمام الجيش المصري للشعب ، خاصة بعد أن اتضحت الاتجاهات الوطنية فيه .. وربما أيضا لان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن لتوافق على ذلك ، بعد أن أصبحت تتدخل بصورة متزايدة في السياسة المصرية ، وتتحين الفرصة لتقليص النفوذ البريطاني لحسابها .. لا زيادته تحت سمعها وبصرها !

وانما اتبعت انجلترا أسلوب استخدام القوة « بالتقاطعي » . أي تنفيذ عمليات عسكريه محدودة ، لكن في غاية العنف . ويطبعها الاستفزاز المقصود دائما .

والهدف واضح : ان تظهر حكومة الوفد دائما بمظهر العاجز عن مواجهة القوات البريطانيه . مما يؤكد أنها اقدمت على عمل ليست في مستوى الدفاع عنه . مع اثارة المشاعر الوطنيه للجماهير بصورة متلاحقه ، ودفعها للاصطدام بالحكومة نفسها .. مما يعمق التناقضات في صفوف الجبهة الداخلية ، وتقديم مادة يومية لدعـاة الهزيمة من رجال الاحزاب الرجعيه ، واعطاء الملك مبررات التهجم والتهكم على الحكومة ، حتى تتهيأ له فرصة الاطاحة بها .

والمتأمل في نشاط وعمليات القوات البريطانية منذ بداية التوتر في أكتوبر ١٩٥١ حتى تنفيذ المؤامرة ، يتبين كيف كانت كل النشـاطات والعمليات البريطانية تسير في هذا الاتجاه .

ان البعض يظن أن عملية ٢٥ يناير فـي الاسماعيلية هي الجزء الاول من الخطة .. مع فرض أن هذا البعض أصلا مقتنع بذلك .. لانه حتى اليوم لا يزال الكثيرون في مصر يتصورون أن عملية ٢٥ يناير كانت رد فعل بريطاني لتزايد نشاط الفدائيين .. أي الانجليز ــ حتى في تلك المرحلة المتأخرة ــ كانوا يدافعون عن النفس .. وأن عملية ٢٥ يناير هي صورة من صور الدفاع عـن النفس .. فهي عملية مبررة .. ولذلك فهـي صدفة .. أو عملية مستقلة اضطر الانجليز اليها بعد أن وجدوا أن بقاءهم صار مستحيلا مع وجود الفدائيين ومن يحمونهم من جنود بلوكات النظام بالاسماعيلية .

هذا التصور ينسفه تماما سلوك الانجليز منذ البداية ..

فكل عملية اقدموا عليها – فيما عدا الرد على هجمات الفدائيين بشكل مباشر عندما كانوا يهاجموهم – كانت لا مبرر معقول لها . كما كانوا دائما هم الذين يبدأون بالعنف . .

ولنستعرض – مع « **عبد الرحمن الرافعى** » المؤرخ التسجيلى ، المعروف بتحفظه . . والذى برأ الانجليز ، من تدبير او تنفيذ حريق القاهرة . . مما يجعل تسجيله للاحداث فى تلك الفترة موضوعيا . . غير متحيز – لنستعرض معه عمليات القوات البريطانية خلال الفترة من اكتوبر ١٩٥١ الى يناير ١٩٥٢ :

● **يوم ١٦ اكتوبر** – وهو نفس يوم التصديق على الغاء المعاهدة . . ولم يكن بدأ أى كفاح مسلح ضد الانجليز بعد – قامت مظاهرات شعبية فى مدينة الاسماعيلية ابتهاجا بالغاء المعاهدة . وكانت مظاهرات سلمية .

فماذا فعل الانجليز ؟

قابلت قواتهم المظاهرات بالتحرش والاستفزاز . فسيرت فى شوارع المدينة سيارات مصفحة محملة بالجنود المسلحين بالبنادق والمدافع الرشاشة . وأطلقوا الرصاص على المتظاهرين ، فقتل ٧ من المواطنين المصريين وأصيب ٤٠ آخرون . . من بينهم بعض رجال البوليس المصريين الذين كانوا يحاولون السيطرة على الموقف . .

ثم احتلت القوات البريطانية « المدينة » مخالفة لنصوص المعاهدة » بدعوى المحافظة على الامن وحماية ارواح الرعايا البريطانيين . واستباحت لنفسها اقتحام مساكن الاهالى بدعوى تفتيشها ، كما اخذت فى تفتيش القطارات والسيارات الداخلة الى المدينة والخارجة منها «١٩ ».

● **وفى نفس اليوم – ١٦ اكتوبر – حدث نفس** الشىء فى مدينة **بور سعيد : فواجهت القوات البريطانية المظاهرات السلميه باطلاق النار جزافا . وسقط ٥ شهداء : مما اضطر اهالى المدينة الغاضبين الى مهاجمة مخازن البحرية البريطانية** « النيفى » واشعلوا فيها النار « ٢٠ » .

● وفى اليوم التالى – ١٧ **اكتوبر** احتل الانجليز مكاتب الجمارك ، والجوازات ، والحجر الصحى ، والحجر الزراعى فى الاسماعيليه وبور سعيد بعد أن اقتحموا ابوابها بالقوة ، واعتقلوا بعض الموظفين ، وجردوا الحراس من اسلحتهم . واستولوا على خط السكك الحديدية واكشاكها من نفيشة الى الاسماعيلية . واستولوا على مرافق الاسماعيلية كوابور المياه والكبارى « ٢١ » .

● وفى يوم ١٧ **اكتوبر ايضا** شنت قوة بريطانية هجوما مفاجئا على كوبرى الفردان الذى كان فى حوزة الجيش المصرى ، وكان يحرسه عدد قليل من الجنود المصريين ، فاستولت عليه بالقوة بعد ان قتلت جنديين مصريين وجرحت خمسة وأسرت ضابطا وأربعة وعشرين جنديا . وكان هذا الكوبرى هو الوسيلة البرية الوحيدة التى تربط مصر بسيناء عبر قناة السويس بواسطة خط سكة حديد . . وبذلك عزلت القوات البريطانية البلاد عن بعضها . . كما فصلت بين قوات الجيش المصرى الموجودة بسيناء وغزة والعريش من ناحية وبين قواعدها وخطوط امداداتها داخل الوادى «٢٢» .

وهذه العملية بالذات – وفى الوقت المبكر الذى نفذها فيه البريطانيون – أثارت الكثير من الانتقادات للحكومة الوفدية خاصة بين ضباط الجيش . فاصدر الضباط الاحرار منشورا يحملون فيه الحكومه مسئولية تمكين البريطانيين من عزل قوات الجيش فى الشرق والغرب . . لانها لم تتخذ الاحتياط اللازم ولم تدعم أو تنبه الى تدعيم حراسة الكوبرى . وكان ذلك بالتحديد هو ما يريده الانجليز من العملية . لانهم لم يكونوا يتصورون ان الجيش المصرى الذى على رأسه قيادة موالية لهم والذى يستمد كل تسليحه وذخائره من مخزنهم يمثل اى خطر عليهم . . وانما ارادوا تأليب الجيش على الحكومة . . واعطاء القيادات المعادية للكفاح الشعبى ذريعة للتنديد بالوزارة الوفدية .

● واحتلوا منطقة المعدية على بعد ميل شمال الاسماعيلية ، والقنطرة . . واستولوا على كل وسائل التعدية الى البر الشرقى للقناة . وفعلوا نفس الشىء بالسويس ، فاستولوا على المعدية الموجودة على ضفة القنال المقابلة لصحراء سيناء . . كما احتلوا جمرك السويس يوم ٢٠ اكتوبر ، ونصبوا المدافع الرشاشة على سطحه تهديدا للمدينة «٢٣» .

---

[١٩] عبد الرحمن الرافعى – مقدمات الثورة ، ص ٤٦
[٢٠] المصدر السابق – ص ٤٧
[٢١] المصدر السابق – ص ٤٧
[٢٢]،[٢٣] عبد الرحمن الرافعى – مقدمات الثورة ، ص ٤٩و٥٠

● وشيئا فشيئا اعتبر الانجليز منطقة القنال منطقة بريطانية .. تحكم عسكريا بواسطة الجيش البريطانى .

وتجاهلوا السلطات المصرية واخذوا يقبضون على الموظفين المصريين ، وبعض ضباط البوليس وضباط الجيش .. ويبعدونهم عن المنطقة بحجة انهم غير مرغوب فيهم .

واغتصبوا بعض مساكن الاهالى واسكنوا فيها جنودهم وضباطهم ..

وأخذت الداوريات الانجليزية المسلحة تجوب شوارع بور سعيدوالاسماعيلية والسويس تستفز مشاعر الجماهير ..

واحتلوا مداخل المدن ايضا .. وهددوا السيارات .. واخذوا يستولون على كل ما تحمله من مؤن ومواد غذائية .

واوقفوا المواصلات بين مدن القناة وبقية القطر .

واخذوا يجرون تفتيشا مهينا .. ارهابيا .. لكل من يدخل أو يخرج من المنطقة . وشملت هذه الاجراءات الغاشمة رجال القضاء والنيابة .. وكثيرا ماكان جنود الاحتلال يتعمدون اهانة القضاة امعانا فى الاستفزاز .

ومنعوا تسيير القطارات فى منطقة القنال فشلت حركة النقل اليها وداخلها ..

وعطلوا الاجراءات الصحية بسبب العقبات التى لقيها الموظفون الصحيون فى أداء واجباتهم ..

ومنعوا جنود خفر السواحل وسلاح الحدود من اداء مهمتهم فى حراسة النقط المعينين عليها على شواطىء وطرق منطقة القنال .. وامتنعوا عن دفع أى رسوم جمركية للسلطات المصرية .. وبلغت الرسوم المستحقة عليهم فى الفترة من ١٦ اكتوبر حتى آخر نوفمبر ١٩٥١ حوالى مليون ونصف مليون جنيه .. رفضوا دفعها لجمرك بورسعيد وحده ..

وعززوا وجودهم فى الشرقية أيضا - رغم مخالفة ذلك لنصوص المعاهدة - فدعموا معسكرهم فى التل الكبير ، واقاموا نقطا حربية أخرى بجانب ابى حماد وحول القرين والعباسة وغيرها .. وهددوا بمنع وصول مواد البترول والمازوت والبنزين من السويس الى بقية مدن القطر ج.. لكى يشلوا حركة البلاد تماما «٢٤» .

كل هذا حدث فى الشهر الاول من الغاء المعاهدة « ١٦ اكتوبر - ١٦ نوفمبر ١٩٥١ » ..

وكان الهدف منه اثبات - من جانب الانجليز - ان الغاء المعاهدة عمل عديم القيمة عمليا .. وان الاحتلال البريطانى لمنطقة القناة قائم . .بل ويمتد الى مناطق أوسع من المناطق السابقة على الالغاءوايضا .. انالحكومةالوفديةلاتملك - ليس فقط امكانية فرض قرارها على السلطات البريطانية فى القناة - وانما ولا حتى حماية سلطاتها المحلية من الاهدار والاهانة .. فضلا عن عجزها عن حماية رعاياها من سكان مدن القنال الثلاثة والشرقية ..

وكان أمل بريطانيا فى تلك المرحلة اشاعة اليأس فى نفوس المصريين .. وارغام الحكومة على العودة الى المفاوضات من جديد ..

وبذلك صحبت الاجراءات التعسفية التى اتبعتها فى تلك الفترة محاولات الوساطة ، سواء عن طريق الامريكان ، او نورى السعيد رئيس وزراء العراق الموالى للانجليز .. أو الملك سعود ملك السعودية ..

الا أن ما حدث فى مصر كان مخالفا لما توقعه الانجليز ، ومخيبا لاملهم . فقد التفت كل القوى الوطنية حول حكومة الوفد ». رغم اى انتقادات لمسلكها واجراءاتها ..

وانتظمت وتصاعدت حركة الكفاح المسلح .. وشاركت فيها كل الاحزاب الوطنية وكل العناصر النشطة .. وعدد كبير من الضباط الاحرار . على النحو الذى سبق ذكره ..

وارتفعت حرارة النضال السياسى فى البلاد فى مناخ الديمقراطية الذى أتاحته الحكومة للحركة الشعبية فتبلورت الحركة العمالية واتجهت لاقامة اتحادها العام .. واتسعت حركة أنصار السلام .. وظهرت اللجان الوطنية ولجان الكفاح المسلح فى كل مكان ..

ولعبت الصحافة الوطنية دورها فى تعبئة الشعور الوطنى ضد الاستعمار وجرائمه .. فازداد الشعب استبسالا فى مواجهة الارهاب البريطانى ..

هنا انتقلت بريطانيا بتخطيطها الى مرحلة جديدة ..

أركزت ضرباتها - العمدية - لتمريغ هيبة هذه الحكومة العنيدة فى التراب ..

واختارت أن تكون عملياتها المذلة - والقاسية فى نفس الوقت - موجهة الى الرمز الرسمى للدولة المصرية فى منطقة القنال .. والذى هو أيضا السلاح الوحيد فى يد الوزارة .. والذى يشرف

---

[٢٤] عبد الرحمن الرافعى - مقدمات الثورة ، ص ٥٠ - ٥٤

عليه أقوى وزرائها .. وسكرتير عام حزب الوفد .. فؤاد سراج الدين : البوليس ..

وبدأت العمليات الخاصة .. المركزة ضد البوليس ..

ان هذا لا يعنى أن البوليس لم يكن يدخل فى العمليات السابقة .. لا .. فكل معركة حدثت فى الشهر الاول لالغاء المعاهدة كان لرجال البوليس المصرى دور وكان يسقط منهم شهداء .. لكنهم كانوا يدخلون المعركة بالظروف .. اما لانهم فى الشارع يقومون بواجبهم فى حفظ الامن .. او لانهم تجاوبوا مع مواطنيهم العزل اثناء هجوم الانجليز عليهم .. فدافعوا عن أهلهم وقتلوا معهم ومثلهم ..

لكن فى هذه المرحلة كانوا هم على وجه التحديد هدف الاستفزازات البريطانية

● ففى يوم ١٧ نوفمبر قام الجنود البريطانيون باطلاق النار على رجال بلوكات النظام فى الاسماعيلية .. وهم فى سكناتهم . فأصيب اثنان منهم فى البداية بجروح خطيرة . الا ان زملاءهما ردوا باطلاق النار على البريطانيين دفاعا عن أنفسهم ..

ولم يعجب الانجليز هذا الصمود من جانب عساكر البوليس المصريين .. وكان ذلك فى حد ذاته داعيا لضرورة اتخاذ اجراءات انتقامية .. فاستنجدوا بقوات أكبر .. وحاصروا ثكنة بلوكات النظام وامطروها بوابل من الرصاص ..

وامعانا فى العدوان ، اشتركت بعض الدبابات والمصفحات البريطانية فى « المعركة » .. بينما حلقت الطائرات الحربية البريطانية على ارتفاع منخفض فوق الثكنة .. لتلقى الرعب فى قلوب العساكر ..

وفى ظهر اليوم التالى عاود الانجليز اطلاق النار على الثكنة مع محاولة اقتحامها .. لكن عساكر بلوكات النظام قاوموا .. فاحتل الانجليز مبنى الاسعاف المجاور ليسيطروا عليها .. وطردوا رجال الاسعاف .. وحالوا دون اسعاف جرحى المعركة ..

وقتل فى هذه العملية ثلاثة عشر مصريا بينهم ثمانية من رجال البوليس .. وجرح ثمانية عشر من رجال البوليس وخمسة عشر من المدنيين ..

بينما قتل من الانجليز ثمانية منهم خمسة ضباط وجاويش .. وجرح عدد اخر ٢٥ ..

● وفى ٣ ديسمبر وقع العدوان الثانى على البوليس المصرى ، فى مدينة السويس . كانت احدى سيارات البوليس تقل قوة من جنود بلوكات النظام تسير قرب مدخل المدينة آتية من الطريق الصحراوى .. فتعطلت ، مما اضطر الجنود للنزول ريثما يتم اصلاحها .. وفجأة أخذ الجنود البريطانيون الموجودون فى معسكر قريب يطلقون النار على القوة دون أى انذار .. بينما خرجت قافلة من السيارات المسلحة البريطانية مكونة من سبعين سيارة ووجهت نيرانها الى البوليس والمدنيين فى المدينة كلها ..

واستشهد فى هذه المعركة ٢٨ بينهم ٧ من رجال البوليس .. وجرح ٧٠ بينهم ١٣ من رجال البوليس ..

وقتل ٢٢ من البريطانيين وجرح ٤٠ آخرون «٢٦»

● وفى ١٧ ديسمبر هاجمت سيارة مصفحة بريطانية دار محافظة الاسماعيلية بدون انذار .. وبلا أى سبب .. واطلقت عليها نيران البنادق ومدافع الهاون .. فتهدم جزء من سور المبنى ، وأصيب حائط مكتب مأمور القسم .. وقد رد العساكر المصريون باطلاق النار .. وقتل فى هذه العملية جنديان مصريان .. وأربعة بريطانيون «٢٧»

وهكذا لم تفلح الخطة الثانية للانجليز ..

فالتركيز على قوات البوليس .. بتوجيه الضربات المقصودة .. أو باستغلال أى فرصة لاصطياد رجاله .. او حتى بأسر أعداد كبيرة منهم كما حدث على اثر احتلال التل الكبير .. عندما أسروا ٣٠٠ جندى وضابط على رأسهم ضابط كبير هو اللواء محمد عبد الرؤوف .. كل هذا لم يعد على الانجليز بالنتيجة التى تصوروها .

فلم يهرب عساكر البوليس المصريين .. وانما ازدادوا بسالة وتمسكا بمواقعهم وواجبهم . حتى أنهم كانوا يرفضون « الغيار » أى ترك القتال كل مدة لتل محلهم قوات جديدة « ٢٨ » بينما كان

---

[٢٥] عبد الرحمن الرافعى — مقدمات الثورة ، ص ٥٧

[٢٦] المصدر السابق ، ص ٦٠

[٢٧] المصدر السابق ، ص ٦٤

[٢٨] ذكر فؤاد سراج الدين فى تحقيق النائب العام ان وزارة الداخلية كانت تواجه مشكلة مع عساكر بلوكات النظام الذين يذهبون الى منطقة القنال ، لانهم كانوا يرفضون العودة وترك المعركة .. بينما زملاؤهم الاخرون يريدون الذهاب الى هناك . واكد نفس الشىء اللواء مصطفى رفعت واللواء شريف العبد فى شهادتيهما لى .

ضباط البوليس يتطوعون للخدمة فى منطقة القنال ولا يعـودون بعد انتهـاء المدة التى حددوهـا لتطوعهم !

وتلاحمت قوات البوليس مع جماهير الشعب .. لاول مرة فى تاريخ مصر كله .. بعد أن أصبح الجميع يواجهون عدوهم المشترك .. ويقاتلونه معا .. وينتصرون عليه معا .. ويستشهدون برصاصة معا .

وأصبح الشـباب الفـدائى .. ورجـال البوليس .. وضباط الجيش الاحرار .. شيئـا واحدا .

ورغم أى ملاحظات أو انتقادات أصبح لحكومة الوفد الفضل فى ذلك كله ..

واكتسبت ـ الحكومة ـ واكتسب وزير داخليتها قوة أعصاب فى مواجهة المخطط البريطانى لضرب الحكومة فى بوليسها .. وأصبح الصـمود .. والمواجهة .. والقتال حتى آخر طلقة شعارا مطبقا كل يوم .. قرره مجلس الوزراء .. ويأمر به وزير الداخلية .. ويستجيب له الرجال ببطولة نادرة !

وكان لابد لانجلترا العريقة فى الاستعمار .. ولجهاز مخابراتها العتيد فى التآمر .. ان يبحث عن حل آخر .. عن مخرج سريع ، ينقذ ماء وجه الامبراطورية العجوز الذى بدأ أنه أخذ يراق تحت أحذية عساكر البوليس المصريين الثقيلة !

وكانت موقعة الاسماعيلية فى ٢٥ ينـاير ١٩٥٢ ..

ماذا حدث فى الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير ؟

يقول البكباشى « اللواء فيما بعد » شريف العبد ضابط الاتصال المصرى مع القوات البريطانية :

« طلبنى الجنرال اكسهام الساعة الرابعة صباح يوم الجمعة ٢٥ يناير .. فتوجهت لمقابلته فى مبنى تابع لشركة القناة .. وكان بملابس الميدان وحوله ضباط اركان حربه .. وأخرج من جيب سترته خطابا تلاه على .. وكان نصه :

مقر القيادة البريطانية

الالاى الثالث مشاه

قوات الشرق الاوسط البرية ١٠

عهد الى أن أبلغكم بما يلى :

ان البوليس الاحتياطى المصرى بلـوكات النظام

فى الاسماعيلية أوى أشخاصا خارجين على القانون

يهاجمون القوات البريطانية ، وهذا المـوقف يشكل

تهديدا . ومن هنا فقد أمرت بابعاد كل البوليس الاحتياطى عن المنطقة . وللتأكد من تنفيذ هذا الامر فورا يجرى الان حصار ثكنات البوليس الرئيسية . وانى اطلب الى كل قوات البوليس النظامية والاحتياطية ان تتجمع فـورا بدون أسلحتها

أمام ثكناتها على أن يتقدم أكبر الضباط رتبة فى كل ثكنة الى المدخل لتلقى التعليمات فى الساعة

٦,١٥ صباحا . واذا لم يتم ذلك أو فى حالة اطلاق النار على قواتى فانى سأستخدم القوة المتاحة لى لتنفيذ أوامرى . وعليكم ابلاغ هذا الامر فورا الى كبار ضباط البوليس وكل القوة الموجودة ..

واستمر « البكباشى » شريف العبد يروى ما حدث :

« قلت للجنرال اكسهام ان هذا الامر لا يمكن تنفيذه ، اولا لاننى لست قائدا لهذه القوات ، وثانيا لاننى لو كنت قائدا لها واصدرت مثل هذا الامر اليها ، فانها لا يمكن أن تستجيب . علاوة على أننى لا يمكن أن أصدر مثل هذا الامر أيضا حتى لو كنت قائدا لها ..

« عندئذ اعطانى الجنرال اكسهام الانذار .. وحملنى مسئولية ونتائج رفض الانذار «٢٩» .

ثم يصف تطور الاحداث بعد ذلك :

« كان مبنى المحافظة قديما ، وكنت أسخر كلما أدخله من أنه كلما أدى لى جندى التحية العسكرية بقوة فان جزءا من بياض الحائط يسقط وكان المبنى يقع على شارع محمد على وهو الشارع الرئيسى فى الاسماعيلية ، وأمامه حديقة . وفى الحديقة التى لم تكن تبعد عن المبنى أكثر من ٣٠ أو ٤٠ مترا كان هناك أكثر من ٢٠ دبابة بريطانية متراصة بجـوار بعضـها البعض مسـتعدة للضرب بمدافعها .. بينما احتلت خمس دبابات اخـرى الشارع الموجود على يمين المحافظة وصـوبت مدافعها الى المبنى .. وفى الشارع الايسر كانت تقف خمس دبابات اخرى تصوب مدافعها الى مبنى المحافظة فى الجانب الاخر .. وعلى الطـريق الخلفى تكرر نفس الموقف .. وحول مبنى ثكنات بلوك النظام كان الحصار بنفس الطريقة وبنفس النوع من الدبابات .. ووجـدت ان الدبابات قد

[٢٩] راجع شهادة اللواء شريف العبد لى .

حطمت جميع أعمدة النور والتليفونات التى كانت مصنوعة من الخشب ..

ولم يكن أحد من كبار المسئولين بالمحافظة فى مبناها .. ولم يكن هناك غير عساكر البوليس وعدد من صغار الضباط .. بل ان بعض ضباط بلوكات النظام كانوا ينامون فى اللوكاندات لضيق التكنات وعدم وجود مكان مناسب بها .

وتوجهت الى منزل وكيل المحافظة وأطلعته على الانذار البريطانى معلمت منه أن عساكر البوليس فى المحافظة وبلوك النظام قد أخذوا سلاحهم وذخيرتهم المحدودة .. وانهم يحتمون وراء شبابيك المبنى المتهالك .. وانهم مصممون على القتال .

« وكانت الساعة قد وصلت ٦٫٣٠ صباحا .. واستطعنا عن طريق القيادة البريطانية تدبير اتصال تليفونى بين منزل وكيل المحافظة ومدير الامن العام بالقاهرة ، واستطعنا أن نوقظه من النوم وأبلغناه بالانذار البريطانى وانتظرنا الرد .. ولكن احد لم يرد علينا ..

« وفى الساعة السابعة صباحا بدأت المذبحة الاولى .. وسمعنا صوت أول طلقة مدفع أطلقتها الدبابات البريطانية .. ورد عليها رجال البوليس المصرى بوابل من الرصاص .. وانطلقت المدافع البريطانية بعد ذلك تدك مبنى المحافظة القديم »» .. كان دوى المدافع لا ينقطع بينما رجال البوليس المصرى الابطال يقاومون ببنادقهم هذه القوات الضخمة .. واستمر الضرب .. هنا جحيم وفى القاهرة لا أحد من المسئولين يحس ولا رد ولا حتى كف احد خاطره ان يستيقظ من النوم مبكرا بينما الدماء الطاهرة هنا تسيل على جدران مبنى المحافظة .. دماء ضباط وعساكر البوليس المصرى « ٣٠ »

« واستمر الضرب مدة ١٠ دقائق ثم عادت القوات البريطانية تطلب من قوة البوليس المصرى التسليم .. وأعطتهم مهلة ١٥ دقيقة للخروج الى حديقة المحافظة رافعين الايدى وبدون أسلحتهم ..

« وكانت المعركة غير متكافئة ونتيجتها معروفة مقدما .. فلم يكن من الممكن أن تهزم قوات البوليس المصرى المسلحة بالبنادق فقط الجيش البريطانى بدباباته ومدافعه .. ولكن الروح القوية .. روح الوطنية والفداء جعلت الحياة رخيصة ، وجعلت التضحية هى الواجب المقدس وجعلت قوات البوليس المصرى ترفض أن يتسلمهم الانجليز الا جثثا هامده . « ٣١ »

« ومرت المهلة المحددة ، ورفض رجال البوليس التسليم .. وعادت مدافع الدبابات البريطانية تدك مبنى المحافظة هذه المرة بقوة .. بينما قوات البوليس تطلق النار من بنادقها وتصيد كل جندى بريطانى يقف على مرمى نيرانها ..

« ولكن الذخيرة مع قوات البوليس المصرى كانت محدودة ونفذت بعد حوالى ساعة من بدء المعركة ..

« واتصل الضابط المسئول بالمحافظة بوكيل المحافظة بمنزله باللاسلكى واخبره ان ذخيرة القوات قد نفذت ، وأن عددا كبيرا من رجال البوليس قد قتل وجرح خلال المعركة غير المتكافئة ..

« وطلب منى وكيل المحافظة أن أتصل بالقيادة البريطانية لوقف اطلاق النار حيث أن ذخيرة القوة المحدودة بالمحافظة قد نفدت .. ورفعت سماعة التليفون لاتصل بالقيادة وكان هذا هو التليفون الوحيد الذى يعمل فى الاسماعيلية فى ذلك الوقت ..

« ووجدت معى على الخط اللواء أحمد رائف قائد قوات بلوك النظام وعرفنا منه أن المعركة مع بلوك النظام لم تبدأ .. وأن القيادة البريطانية قررت أن تركز هجومها أولا على المحافظة لان مبناها قديم والقوات الموجودة فيها قليلة .. عسى أن يؤدى هدم مبنى المحافظة وأسر قواتها الى اضعاف روح قوات بلوك النظام بحيث تستسلم للقوات البريطانية أو على تقاتل بروح معنوية ضعيفة ..

« وتحدثنا مع اللواء رائف الذى اقترح الاتصال بوزير الداخلية لابلاغه بما حدث وابلاغنا رأى الوزارة فيه .. ولكن فشلت جميع الجهود للاتصال بوزير الداخلية ..

« وبدأت المعركة مرة آخرى مع قوات بلوك النظام التى كان قد استطاع بعض أفرادها الدخول من مبنى الثكنات الى مبنى المحافظة .. بينما أخذت الدبابات تطلق نيران مدافعها على ثكنات

---

[٣٠] روى لى فؤاد سراج الدين انه عندما أمكنه الاتصال بالاسماعيلية كان على الطرف الاخر من الخط اليوزباشى مصطفى رفعت . وقد سأل وزير الداخلية الضابط عن الموقف فقال بحماس : حديد .. فعاد الوزير يسأل : وهل اذا قلت لكم قاوموا .. تستطيعون ؟ .. فأجاب الضابط : أؤمر يا افندم : فقال الوزير : ربنا معاكم .. شدوا حيلكم .. واضاف فؤاد سراج الدين : ووضعت سماعة التليفون .. وبكيت .. لاول مرة فى حياتى !

[٣١] صور اللواء مصطفى رفعت ، بطل معركة الاسماعيلية ، المعركة من الداخل .. راجع شهادته لى .

قوات بلوك النظام التى قاومت بشدة وقوة واستماتة أدهشت القيادة البريطانية .. وقد استطاعت قوات بلوك النظام ان تقتل حوالى ١٢ جنديا بريطانيا وهم يحاولون اقتحام الثكنات مستغلين الفجوات التى أحدثتها مدافع الدبابات فى حوائط الثكنات واسوارها .. وقد أثار ذلك القيادة البريطانية التى ــ رغم الاحتياطات الشديدة ــ لم تكن تتوقع من عدد من رجال البوليس المصرى المسلحين بالبنادق فقط أن يقاوموا قوات الامبراطورية البريطانية بمثل هذا العناد والاصرار والفداء ..

« وكانت الساعة قد بلغت حوالى التاسعة والنصف صباحا .. وعاودنا محاولة الاتصال بوزير الداخلية .. واستطعنا أن نتصل به ، وكان معنا فى الاتصال اللواء أحمد رائف قائد قوات بلوك النظام الذى دخل فى الخط واخبره وزير الداخلية أن اليوزباشى مصطفى رفعت من قوات البوليس المصرى قد أخبر البريجادير اكسهام والقوات البريطانية المحاصرة للمحافظة .. قال لهم مصطفى رفعت .. لن تتسلمونا الا جثثا هامدة .. وأن القوات الموجودة رغم الجرحى والقتلى والخسائر .. ورغم رفض القوات البريطانية السماح للاسعاف بالخروج من مبنى المحافظة وثكنات البوليس لنقل الجرحى للمستشفيات ، فهى مصممة على القتال ..

« وفى مبنى المحافظة المتهدم وفى فنائه كان مصطفى رفعت يقف ويصيح : لن تتسلمونا الا جثثا هامده .. لن تتسلمونا الا جثثا هامدة .. وانطلقت المدافع ودوى الرصاص مرة أخرى ..

« قاتل جنود البوليس الى آخر طلقة معهم .. حتى أن قواد العدو اعترفوا بأنهم لم يتوقعوا هذه المقاومة العنيدة .

واقتحمت الدبابات الاماكن المحاصرة .. واستسلم الاحياء من جنودنا بعد أن فقدوا خمسين شهيدا .. وأصيب منهم ثمانون .. وكان عددهم ٧٠٠ جندى مع ضباطهم برئاسة اللواء أحمد رائف ..

« واعترف الانجليز بأنهم خسروا ١٣ قتيلا و ١٢ جريحا .. وان كان يظن أن خسائرهم أكثر من هذا العدد » «٣٢» .

هذا تصوير لما حدث يوم ٢٥ يناير بالاسماعيلية .. وهو ما اصطلح على وصفه بمذبحة الاسماعيلية .. والتى تشير كل الظروف التى أحاطت بها الى أنها كانت عملية ذات طبيعة خاصة .. أريد بها تحقيق أهداف محددة .. تخدم بدورها مخططا محددا لضرب الحركة الوطنية المصرية .. وتثبيت دعائم الاستعمار البريطانى فى مصر .

● فهذه العملية هى العملية العسكرية الوحيدة من بين جميع العمليات التى نفذتها القوات البريطانية .. التى قرر مجلس الوزراء البريطانى الموافقة عليها والاعلان عن هذه الموافقة .. كما أعلن فى جميع صحف بعد ٢٥ يناير «٣٣» ... مما يؤكد الطابع السياسى للعملية .. وانها لم تكن مجرد عملية تقتضيها الضرورة العسكرية ..

ولم يكن القرار السياسى بالتصديق على هذه العملية لانها عملية كبيرة .. فمن قبل قامت القوات البريطانية بعملية كبيرة .. بل أكبر من هذه العملية بكل المقاييس .. هى عملية كفر عبده فى ٨ ديسمبر ١٩٥١ .. ففى تلك العملية كان على هذه القوات أن تزيل من الوجود نهائيا حيا سكنيا بأكمله .. به ١٥٦ منزلا ونحو ألفى نسمة .. ومع ذلك ، فلم يجتمع مجلس الوزراء البريطانى للموافقة على ازالة كفر عبده .. وحتى عندما استشعر السفير البريطانى فى القاهرة بشاعة ما ستقدم عليه القيادة البريطانية ، وتدخل يطلب من الجنرال ارسكين ارجاء تنفيذ انذاره الخاص بتحديد ساعة الصفر لتنفيذ الازالة .. حتى يمكن الوصول الى حل اقل خطورة مما طلبه .. اصر أرسكين على انذاره .. ورد على السفير البريطانى بأن ذلك تقتضيه الضرورة العسكرية البحتة .. ٣٤

ولم يكن القرار السياسى من مجلس الوزراء البريطانى بمذبحة الاسماعيلية كذلك بسبب ضخامة القوات التى تقوم بتنفيذها .. ففى « معركة » كفر عبده اشتركت قوات بريطانية تكاد تقترب فى الحجم من القوات التىكانت تواجه رميل فى الصحراء الغربية فقد حشدلها ــ اكثر عبده ! ــ أرسكين : ستة آلاف جندى و ٢٥٠ دبابه و ٥٠٠ مصفحة و ٥٠ سيارة اشارة .. وعدد من الطائرات أيضا ! .. بينما وقفت البوارج

---

[٣٢] مذكرات اللواء شريف العبد ــ اعداد احمد زين ــ « الاخبار » ، يناير ١٩٦٧

[٣٣] نشرت موافقة مجلس الوزراءالبريطانى على مذبحة الاسماعيلية جميع الصحف المصرية يوم ٢٦ يناير ٥٢ نقلا عن الصحف البريطانية .

[٣٤] عبد الرحمن الرافعى ، مقدمات الثورة ، ص ٦٧.

البريطانية تصوب مدافعها نحو السويس مستعدة للضرب !

● كانت موافقة مجلس وزراء الامبراطورية ـ التى لم تعرف الا بعد المذبحة ـ تشير اذن الى أن هذه العملية بالذات لها طابع خاص ..

يؤكد ذلك أيضا التمهيد الذى قامت به بريطانيا كلها ـ جيشا ، ورئيس وزراء ، وصحافة .. ومخابرات ـ لاتمام العملية ..

ولنقرأ ما كتبته أخبار اليوم حول التمهيد البريطانى للمذبحة ..

« علامات هامة »

، توقع المطلعون هدوءا نسبيا فى الموقف السياسى فى انتظار نتيجة مسعى الملك سعود وجاءت أنباء من أمريكا تبشر بقيام خلاف بين ترومان وتشرشل ، وتؤكد أن الولايات المتحدة لا تريد أن تتحمل حماقات الانجليز فى القنال .. وفجأة قتلت الراهبة انطونى ، وقام الانجليز بحملة دعاية واسعة مدعين أن المصريين هم الذين قتلوها ، واستطاعوا أن يثيروا الرأى العام الامريكى ضد مصر . وقيل أنهم بهذا قصدوا أن يؤثروا فى ترومان .. فانه سيتقدم للانتخابات فى نوفمبر المقبل .. وولاية نيويورك هى المرجحة فى الانتخابات ، وأقوى العناصر فيها هم اليهود والكاثوليك .. فاراد تشرشل ان يكسب اليهود بتصريحه لمصلحة اسرائيل ، وأرادت الدعاية البريطانية أن تستغل الكاثوليك باثارة مقتل الراهبة انطونى واذاعة الاكاذيب عن جريمة قتلها ..«٣٥» وشعر المطلعون بان هذا الضغط على ترومان مقصود به التمهيد لحركة عسكرية انجليزية فى القنال .. وفعلا تطورت الاحداث فى القنال بعد مقتل الراهبة انطونى ، وأريد استغلال مقتلها كقميص عثمان للتمهيد لارتكاب جرائم ضد المصريين فى القنال وفى الوقت نفسه ضربت فرنسا بشدة فى تونس ودقت نيويورك تايمز أجراس الخطر فى مقال افتتاحى وتحدثت عن خطورة الحالة فى مصر .. وعن كارثة توشك أن تقع ، وتحدثت عن سياسة « المزيد من القوة » وأحس السياسيون أن شيئا ما يطبخ ، وأنه يراد اتخاذ وسائل عنيفة ضد مصر وأن تشرشل مصمم على أن يرتدى ملابس الاستعمارى رقم واحد من جديد .. « مجزرة مدبرة »

« ولم تمض ساعات على كل هذا حتى وقعت جريمة الاسماعيلية أمس .. » « ٣٦ ».

● وماذا قالت القيادة البريطانية فى تبريرها للمذبحة ؟

قالوا أن ثكنات بلوك النظام ومبنى المحافظة على طريق تمر به القوات البريطانية « ٣٧» . وأنهم يريدون اخلاءهما أو هدمهما ، لتأمين طريق قواتهم .. !

هكذا .. وكأنهم اكتشفوا فجأة فجر ٢٥ يناير وجود هذه المبانى على الطريق .. أو كأن هذه المبانى ظهرت بصورة شيطانية فى طريقهم .. !

أما فى الانذار الرسمى فقالوا « أن البوليس الاحتياطى المصرى أوى أشخاصا خارجين على القانون » .. أى فدائيين ..

وكان هذا زعما سخيفا لان القيادة البريطانية كانت فى كل معركة مع المصريين .. تجد هذا « البوليس الاحتياطى المصرى » .. فقد كان رجال البوليس المصريين يقومون بواجبهم فى حماية مواطنيهم .. ومن بينهم ـ بل وفى مقدمتهم ـ أولئك الذين تطوعوا للموت دفاعا عن الوطن نفسه وهي بديهيات لا تغيب على الانجليز الذى كانوا خارجين منذ سنوات قليلة من حرب عالمية ثانية .. لاتزال قصص مقاومة الشعوب أثناءها للاحتلال الفاشى والنازى تملا صفحات الصحف والكتب .. ويحتل فيها ضامن البوليس الوطنى مع الشعب مكانا بارزا . دائما .

لكنها كانت قصة الذئب والحمل.. تعود من جديد .. على ضفاف قناة السويس !

وكان ما طلبه الانجليز مما يستحيل قبوله .. بل ومما لا يتصور أى انسان عاقل أن أحدا يمكن أن يقبله ..

فى عملية كفر عبده قالوا أنهم يريدون شق طريق مباشر بين معسكرهم شمالى مدينة السويس وبين وابور تكرير المياه .. وأنهم يطلبون اخلاء كفر عبده .. لازالته .. لانه يقع بين المعسكر ووابور تكرير المياه ..

---

[٣٥] الراهبة انطونى امريكية كانت موجودة بدير سان فانسان دى بول فى الاسماعيلية .. وقد قتلها الانجليز يوم ١٩ يناير ، واتهموا المصريين بقتلها .. وثارت الصحف الامريكية بسبب مقتلها .. لكن التحقيق اثبت انها قتلت بايدى الانجليز ورصاصهم ..

[٣٦] اخبار اليوم ـ انوار كشافة ، يناير ١٩٥٢ .

[٣٧] حسن دوح ـ « كفاح الشباب الجامعى على القناة » ، ص ١١١.

مطلب وحشى .. لكنه مفهوم .. وجائز !
أما أن يطلب الانجليز من بوليس البلد أن يذهب .. ويكف عن أداء واجبه .. وكيف ؟

يلقى سلاحه .. ويرفع آيديه ، يعقدها فوق الرؤوس المنحنية .. ويخـرج ليسير منكسرا بين صفين من الدبابات البريطانية .. ويعود الى وزير داخليته فى القاهرة ..

وأن يشير الجنرال اكسهام باصبعه موجهـا الحديث الى آحد ضباط البوليس المصريين ويقول لـه بصـلف .. واشمئزاز :انزع ذلـك الشىء الرث .. من هذا المكان .. مشيرا الى علم مصر المرفوع على مبنى المحافظة « ٣٨» ..

فهى مطالب معدة بعناية .. لكى ترفض .. ومهما كان ثمن الرفض .

ولم تكن القوات التى اعدها الانجليز لعملية محافظة الاسماعيلية بالشىء الطبيعى .. عشرات الدبابات .. والمصفحات .. ومدافع الميـدان الثقيلة .. وثمان فرق كاملة كما أعلنت القيادة البريطانية فى اليوم التالى .. لماذا كل هذا ؟

ومرة آخر نقول آن القوات والمعدات التى اشتركت فى « معركة » كفر عبده كانت كبيـرة جدا .. لكن المبرر كان موجودا .. فقد كانت المهمة الاساسية للقوات هى تهديم حى بأكمله .. وتسويته بالارض ..

أما مبنى المحافظة المتهالك .. وثكنة بلوكات النظام الاكثر قدما .. فكانت تكفيها دبابةواحدة.

وعساكر البوليس الذين لم يكن عددهم يزيد عن ٧٠٠ أو ٨٠٠ .. المسلح نصفهم ببنـادق « لى انفيلـد » العتيقـة .. والنصـف الاخـر بالعصى «٣٩» .. فما كانوا بحاجة الى ٨ فـرق بريطانية مدججة بكل أنواع الاسلحة .. !

ومن الواضح أن هـذا لـم يكن مـن قبيل « مظاهرات القوة » .. والا لاتخذت الامور مسارا غير الذى سـارت فيـه .. وانمـا كان المقصود ــ وهو ما حدث فعلا ــ القيام بمذبحة قاسية .. يفوق عدد الضحايا فيها أى عـدد سابق .. لتكون الاثارة أعنف ما تكون ومختلفة عن آى رد فعل حدث قبل ذلك !

● روى لى اللواء مصطفى رفعت انه اوقظ هو وزملاؤه فى الصـباح المبكـر ليسـمع الحصار مضروب على مبنى المحافظة فعلا ..

وقال له من أيقظه أنه هـو الاخـر فوجىء بالدبابات البريطانية تحيط بالمحافظة والثكنة ..
وتصورت ان مصطفى رفعت .. ومن ابلغـه .. معذوران . لانهما كانا نائمين فى أماكن لا تسمح لهما بالمعرفة المسبقة ..

لكن ماذا بالنسبة للبكباشى شريف العبد .. ضابط الاتصـال المصرى .. الذى كان مقر اقامته داخل المعسكرات البريطانية ؟

سألته : متى عرفت بالحصار ؟
آجاب «بعد أن آحاط بالمدينة والمحـافظة والثكنات »
وعدت آسأله : كيف ..وأنت قريب جدا منهم ؟
قال : لقد تكتموا بشكل كامل .. ولم يبد عليهم أنهم يعدون لاى شىء .. وعرفت فيما بعد أن الدبابات والمصفحات تحركت تحت جنح الظلام .. وتخفت فى الاشجار .. حتى تكون المفاجآة تامة بالنسبة لنا ..

مرة أخرى : لماذا كل هذا ؟
هل كان الانجليز يتصورون مثلا ، أن عساكر بلوكات النظام اذا علموا بالهجوم قبل وصوله بساعة .. كانوا سيستعدون بأكثر مما هـم مستعدين به ؟

أم كانوا يتوقعون أن يتحرك الجيش المصرى لقتالهم دفاعا عن اخوانه عساكر البوليس لا هذا ولا ذاك طبعا حطر ببال القيادة البريطانية شىء واحـد كـانت تريد تحقيقـه ان تصـيب المصريين بشـلل فى المـخ .. حتى ترتبـك صفوفهم .. فيكون موقفهم أكثر حرجا .. ولا يكون امامهم اى مجال للتفكير فى كيفية مواجهة الموقف.. !

● وأخيرا يأتى دور التوقيت فى خطـة المذبحة ــ المؤامرة .

لقد اختار الانجليز لعمليتهم صباح يـوم الجمعة . وهم يعرفون أنه يوم أجازة رسمية فى مصر . اذن فهناك احتمال عدم وجود ضباط مع العساكر . وبالفعل لم يكن بالثكنات وقت التفاف الدبابات البريطانية حول المبنيين أى ضابط . وأن الضباط قد التحموا بجنودهم فور علمهم بالموقف

[٣٨] راجع شهادة اللواء مصطفى رفعت لى .
[٣٩] راجع شهادة اللواء مصطفى رفعت لى .

بدافع من حماسهم الوطنى وتقديرهم للمسئولية ..

وهناك احتمال آخر .. أن لا يتمكن الجنود من الحصول على مسئول كبير يرجعون اليه .. وبالفعل تصور مذكرات شريف العبد كيف أنهم وجدوا صعوبات جمة في الاتصال بوزير الداخلية ـ خاصة بعد قطع الاسلاك وتحطيم أعمدة التليفونات ـ وكان الاتصال بعد أن احتدمت المعركة .. ولم يعد ثمة فائدة منه .. فيما يتعلق بهل تواجه قوات البوليس فى الاسماعيلية الجيش البريطانى أم لا .. لان المواجهة كانت قد حدثت ..

وعدا اختيار يوم الجمعة ..

يلاحظ المواعيد المبكرة جدا .. وهى المواعيد التى يعرف الانجليز ان المصريين يصعب عليهم ايقاظ مسئول كبير فيها .. وان اقدموا فأن ذلك عادة يحتاج لوقت غير قليل ..

ثم يلاحظ المهلة الصغيرة جدا بين تسليم الانذار .. وبدء تنفيذه « الرابعة .. والسادسة والربع » ..

فى عملية كفر عبده وجه ارسكين انذاره للمحافظ يوم ٥ ديسمبر .. وقال أنه سينفذ يوم ٧ ديسمبر .. أى بعد ٤٨ ساعة .. لكنه عمليا لم يهدم الحى الا يوم ٨ ديسمبر ..

لكن الانجليز هذه المرة لم يكونوا يريدون منح المصريين أى وقت . ففى عملية كفر عبده أتاح الوقت للمصريين فرصة لعقد مجلس الوزراء .. واتصالات متبادلة عديدة بين وزير الداخلية ومحافظ السويس واجتماعات لاعيان السويس ونوابها وانتهى الامر باخلاء الحى بقرار من السلطات المحلية وتراجع قوات بلوكات النظام عن المواجهة .. رغم قرار وزير الداخلية بعكس ذلك ..

اما اليوم .. يوم ٢٥ يناير فقد كان المطلوب هو توجيه الضربة .. بسرعة .. ودون اعطاء أى احتمال بالتراجع فرصة مهما كانت ضئيلة .. ولذلك كان الانذار .. والمهلة فيه . ليس أكثر من « برافان » لاخفاء النية المبيتة .. لتنفيذ المذبحة ـ المؤامرة ..

فقد كان اليوم التالى هو ٢٦ يناير ..

وكان كل شىء يجب أن يمضى بالكيفية التى رسم بها .. ويتم بالدقة .. يوم ٢٥ ..

حتى يتهيأ المسرح تماما .. للفصل التالى ..

● وتبقى ملاحظة ختامية تتعلق بسلوك الانجليز يوم ٢٥ يناير .. يوم المذبحة ، ويوم ٢٦ يناير .. يوم حريق القاهرة ..

قال لى اللواء شريف العبد ان الجنرال اكسهام قال له مساء ٢٥ يناير .. بعد اتمام المذبحة : ان هذه القوات ـ قوات البوليس المصرى ـ قاتلت ببسالة رغم ضعف تسليحها .. ولذلك فلها منا كل الاحترام .. وسوف نعاملها أفضل معاملة . ثم أضاف ـ اكسهام ـ أن هذه العملية سوف تغضب الرأى العام الانجليزى والرأى العام العالمى .. لان الاعتداء على رجل البوليس ليس بالامر الهين ..

ويلاحظ شريف العبد ملاحظة هامة .. هى :

ـ أن يوم ٢٥ يناير بدأ بتوتر شديد .. وانتهى بشعور واضح على الانجليز بالخزى والعار .. أما يوم ٢٦ ظهرا فقد اختلف الحال .. بدأ الانجليز يشعرون بالامان وأخذوا يجمعون عملاءهم .. والرعاع .. ويمرون فى مظاهرات صاخبة .. بين تصفيق العملاء .. ما الذى بدل حال الانجليز فى القنال بين عشية وضحاها ؟

بديهى أنهم لم يكونوا بحال من الاحوال يتوهمون أنهم انتصروا فى معركة ٢٥ يناير .. فعلى المستوى العسكرى كانت المعركة هزيمة بالنسبه لهم ، لان فقدهم ١٣ قتيلا ومثلهم جرحى ليس بالخسارة البسيطة نظرا لتسليحهم الثقيل .. ولتفوقهم العددى الكبير .. كما أن اصرار رجال البوليس على المقاومة حتى آخر طلقة كان صدمة عنيفة لها .. بينما صار موضع تقدير واعجاب الجميع فى مصر والعالم ..

كما كانت الجريمة الانجليزية بالفعل موضع استنكار الرأى العام العالمى والانجليزى نفسه وظهر ذلك فى كثير من تعليقات الصحف صباح اليوم التالى ..

اذا .. ما الذى غير مشاعر الانجليز ظهر يوم ٢٦ يناير ؟

قبل الاجابة .. لنستمع الى ملاحظة أخرى سجلها اللواء **مصطفى رفعت** .. قال : « مساء يوم ٢٥ يناير .. وصباح يوم ٢٦ يناير عاملنا الانجليز أحسن معاملة .. أكل ممتاز .. كل وسائل الراحه .. تكييف .. لكن ظهر يوم ٢٦ يناير حدث شىء عجيب : نقلونا الى معسكر صحراوى .. الحراسة مشددة .. الاكل ردىء .. باختصار كل شىء انقلب الى عكسه .. »

واضح أنهم فى اليوم الاول كانوا يعاملون أسراهم من رجال البوليس كأبطال .. فهل كف هؤلاء .. بعد ساعات فقط .. عن أن يستمروا أبطالا فى نظر الانجليز ..

أم أن شيئا ما كان قد تغير . فتغيرت معه نظرتهم للمسألة كلها ؟!

وطبعا حتى ظهر ٢٦ يناير لم تكن حكومة الوفد قد استقالت او اقيلت .. ولم يكن الجيش البريطانى احتل القاهرة .. ولم يكن تم القبض على الفدائيين .. واعلن استنكار عمليات الفدائيين ومقاومة رجال البوليس للانجليز فى القناة ..

كذلك المظاهرات التى كانت فى القاهرة لم تكن تندد بالحكومة المصرية .. أو تحمل وزير الداخلية مسئولية قتل عساكر البوليس فى الاسماعيلية .. وانما كانت مظاهرات معادية لبريطانيا .. وتطلب السلاح لتوسيع نطاق القتال ضد قواتها فى القنال ..

هل كان فى ذلك شىء يبهج الانجليز فى القنال .. ويدعوهم لتغيير معاملتهم لاسراهم ؟

لا نظن ..

اذن لابد أنه كان يتم شىء يعرفون انه لصالحهم .. بل ويعرفون — منذ وقت مبكر — نتائجه .. ولدى القيادة البريطانية فى منطقة القنال صورة محددة عنه ..

ولم يكن يحدث فى مصر فى ذلك الوقت من ظهر يوم ٢٦ يناير الا شىء واحد .. سينتهى .. وقد انتهى بالفعل .. لصالح الانجليز ..

كان هذا الشىء .. هو حريق القاهرة ..

المؤامرة التى نفذت المرحلة الاولى منها القوات البريطانية فى القنال .. وأوكل تنفيذ المرحلة الثانية منها لجهات أخرى ..

ووشت تصرفات الانجليز فى القنال — مبكرا — عن تواطئهم فيها !

— ٢ —

الوقود .. والكلاب !

مما تقدم وضح أن الانجليز كانوا أكثر القوى تضررا من التطورات السياسية التى تحدث فى مصر .. خاصة منذ الغاء معاهدة ١٩٣٦ ..

وبالتالى ، كان الانجليز هم أصحاب المصلحة الاولى فى قلب الاوضاع التى كانت قائمة .. وايجاد ظروف سياسية أفضل .. بالنسبة لهم ..

وتوالى الحوادث .. وسلوك الانجليز طيلة الفترة من ١٦ أكتوبر الى ٢٤ يناير ، يبين بجلاء انهم كانوا يدفعون الامور بكل قوة فى اتجاه التغيير .. لصالحهم ..

كما يظهر بدون أدنى ريب أن عملية ٢٥ يناير .. أو مذبحة الاسماعيلية .. كانت عملية خاصة جدا . مرسومة بحيث تترتب عليها نتائج معينة فى اليوم التالى .. تكون — بالتحديد — هى « الجو » الذى تتم فيه العملية الكبرى..

المؤامرة .. الحريق .. بأنسب وابسط الطرق.. وباحكم صور التدبير.. وأنجح فرص التخفى .. بل والحصول على كبش فداء جاهزة .. واحتمالات هائلة لالصاق الجريمة بالجماهير المصرية .. وبالاحزاب والهيئات الوطنية .. وبالحكومة الوفدية اللعينة » نفسها !

لكن .. كيف ؟

كيف ينفذ الانجليز عمليات حرق فى القاهرة ؟

من أين لهم الذين يتولون التنفيذ .. ؟

هل سينزل الجنود والضباط الانجليز .. ليحرقوا القاهرة

لا .. لا .. هذا غير معقول !

هكذا يقول البعض .. مستنكرين ان تكون بريطانيا هى التى دبرت ونفذت حريق القاهرة .. لانها لا تملك اجهزة تنفذ بها مثل هذه العملية ..

بينما الحقيقة غير ذلك ..

● فقد كان للانجليز فى مصر منظمة خطيرة اسمها « جماعة اخوان الحرية » .

ويقال ان هذه الجمعية انشأتها آنسة انجليزية اسمها مس « فرياستارك » سنة ١٩٣٢ .. وكانت هذه الانجليزية من المهتمات بشئون الشرق الاوسط .. وان الاهداف التى انشئت لها هى « نشر تفسيرات واضحة للديمقراطية .. وتشرح للناس اخطار الديكتاتورية ... وخاصة اخطار الشيوعية » .. وكانت الجمعية سنة ١٩٥٢ تحت رئاسة رونالد فاى « تضم أكثر من ستة آلاف عضو فى مصر » «٤٠» .

وتشير المعلومات التى تجمعت لدى أجهزة أمن الثورة بعد يوليو ١٩٥٢ أن هذه الجمعية تمركزت فى فترة ما قبل واثناء الحرب العالمية الثانية فى كلية آداب جامعة القاهرة .. ففى هذه الكلية كان يرأس قسم الادب الانجليزى مستشرق بريطانى اسمه البروفيسور « سكيف » .. وكان ذكيا ولماحا .. وواسع الصلات والصداقات .. هذا الاستاذ استطاع ان يجند عددا كبيرا جدا من طلاب قسمه لجمعية اخوان الحرية .. ثم دفع الانجليز بهم بعد تخرجهم الى كل المراكز التى استطاعوا دفعهم اليها .. وخاصة فى الشركات البريطانية أو الخاضعة للنفوذ البريطانى .. ومنحوهم امتيازات مادية وأدبية كثيرة .. تكفلت بضمان ولائهم للانجليز لفترة طويلة بعد ذلك ..

[٤٠] من رسالة المذيع البريطانى باتريك سميث ، « حريق القاهرة » — الدكتور محمد انيس ، ص ٨٨

وأصـبح من أعضاء الجمعيـة ـ مـع الزمن ـ الكثيرون من أصحاب المراكز الوسطى فى العديد مـن الشركـات والهيئـات الكبرى .. عنـدما كـان الانجلـيز أنفسـهم لا يزالـون يحتفظـون بمناصب الادارة العليا .. ثم عنـدما قل ثم انتهى تواجد الانجليز .. اصبح اعضاء الجمعية هم المتربعين على مقاعد الادارة العليا ..

ومن بين الشركات التى كانت تعتبر مراكز هامة وأساسية لجمعية اخوان الحرية ، شركة شـل للبترول «٤١» والمكتب الدولى لتوزيع الشـاى ، وهى الشركات التى لها فروع ووكلاء فى مدن وقرى القطر المترامية .. والتى تستلزم طبيعة عملها وجود شبكات توزيع .. تنتشر فى كل مكان .. وفى مراكز هذه الشركات كانت تدبر الخطط .. ويجد عملاء المخـابرات البريطانية العطاء دائما لكل تحركاتهم واتصـالاتهم .. ونشاطهم فى جمع المعلـومات .. وتجنيـد الانصار .. وبث عناصر الفتنة والتخريب عندما يقتضى الامر ..

كما كانت هذه الجمعية تعمل على استمالة الكتاب ، وتصطنع لهم المشروعات ذات الطابع الثقافى .. وتقدم لهم التسهيلات فى الطبـاعة والنشر .. لانها كانت تمتلك مطبعة فى شارع محمد على تعد فيها مطبوعاتها «٤٢» .

وكانت لهذه الجمعية نشرة دورية .. توزع بالمجان على الاعضاء والاصدقاء .. تحتوى مواد تجز باستمرار وتوثيق العلاقات بين مصر وانجلترا

وكان لهذه الجمعية رئيس انجليزى هو المستر «فاى» .. كما كان لهـا رئيس مسـلم هـو «الشيخ » الزواوى .. الذى أعده الانجليز ـ فيما يبدو ـ لمواجهة المرحوم الشيخ حسن البنا على رأس جماعة الاخوان المسلمين ..

وقد شنت الـ«جمهور المصرى » حملة واسعة على هذه الجمعية .. وكشفت دورها فى الفترة من مايو ١٩٥١ الى أن احترقت القاهرة ٤٣ .

واستطاعت الجريدة أن تنظم فى منتصف مايو ١٩٥١ عملية لضرب هذه الجمعية قادها فتحى الرملى المحرر بالجريدة .. الذى استطاع ان يدخل ثلاثة من الشبان فى « بيت السارى » الاثرى بالسيدة زينب ، والذى كان مقر هذه الجمعية .. وتمكن هؤلاء الشبان من الاستيلاء على ماكينات الكتابة والاحبار السرية التى كانت تستخدمها الجمعية .. وسجلات اعضاء الجمعية .. ثم أضرموا النار فى أثاثها ..

وعلى اثر هذه العملية فر « الشيخ » **الزواوى** من مصر نهائيا .. لترتب له بريطانيا فى مكان آخر .. حيث أصبح حاليا « مفتيا » فى احدى البلاد الاسيوية .. !

وتبين من سجلات الجمعية أنها تحتوى على ٥٠ ألف اسم .. من المصريين !

وقد احتفظ **أبو الخير نجيب** بهذه السجلات حتى قامت الثورة .. حيث قام **يوسف فكرى** المحرر بالجمهور المصرى بتسليمها لرجالها ..

وفى هذه الفترة ـ وبعد كشف جريدة الجمهور المصرى للجمعية ـ اجتمع اعضاء اللجنة المركزية المصريون لها .. وأعلنوا استنكارهم للجمعية .. وحلهم لها ..

لكن الجمعية استمرت .. فقد كان لايـزال امامها الكثير لتؤديه .. وأيضا لان المصريين فى قيادتها لم يكونوا الا « كمالة عدد » .. أما القيادة الحقيقية فكانت فى يد المخابرات البريطانية فى مصر .. ثم حدثت حادثة حريق كنيسة السويس يوم ٤ يناير ١٩٥٢ .. واثارت الحادثة مشـاعر المسيحيين .. حتى لقد انهالت البرقيات مـن الصعيد خاصة على ابراهيم فرج الوزير المسيحى فى حكومة الوفد تطالبه بالاستقالة فورا .. وتدعو المسيحيين لعدم التعاون مع الحكومة ورفض أى معونة منها لاصلاح الكنيسة .. وأمام نذر الفتنة الطائفية التى بدأت تشتد فى وقت عصيب جدا .. سافر عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية الى السويس .. وتحرى عن كيفية وقـوع الحادث ..

وقد اتضـح ان القـوات البريطانية هاجمت السويس فى ذلك اليوم ـ يوم ٤ يناير ـ وغطت بهجومها العملية التى قام بها احد عملاء المخابرات البريطانيه .. حرق كنيسة السويس ..

ثم قدم وزير الشئون تقريرا شفويا لمجلس الوزراء يوم ١١ يناير .. قال فيه أن « جماعة اخوان الحرية » العميلة للانجليز وراء حـادث الكنيسـة .. بغرض آثارة فتنة طائفية تلهى البلاد عن عدوها الحقيقى وهو الاسـتعمار البريطانى وقوات احتلاله ..

وقال الوزير للمجلس ان ما حدث فى السويس ليس الا « بروفـة » لمؤامرة كبرى يدبر لهـا

[٤١] شهادة توفيق عبده اسماعيل ـ الملاحـق .
[٤٢] راجع شهادة محمد فهمى عبداللطيف لى .
[٤٣] راجع « الجمهور المصرى » ـ ١٥ مايو ١٩٥١ ، وشهادة ابو الخيرنجيب لى .

الانجليز .. وطالب بحل جمعية اخوان الحرية رسميا . اغلاق نواديها فى أى مكان بمصر. وقد أصدر مجلس الوزراء قرارا بذلك فعلا فى نفس الجلسة «[٤٤]» .

وطبعا لم يتوقف نشاط « اخوان الحرية » .. خاصة عندما كان هذا النشاط ذا طابع تآمرى .. يجرى بالضرورة فى سرية تامة .. !

● وكانت مصر فى تلك الفترة .. وخاصة منطقة قنال السويس مركزا رئيسيا لنشاط المخابرات البريطانية المباشر [٤٥] .

وهذا جانب بسيط مما كان يظهر من هذا النشاط .. فى جريدة واحدة ..

نشرت جريدة « الجمهور المصرى » يوم ٢٩ يناير ١٩٥١ :

« اتصلت قيادة القوات البريطانية بفايد بضابط الاتصال الانجليزى بالقاهرة — ومقره بشارع ماريت باشا — وطلبت اليه الاسراع فى استئجار أكبر عدد من المنازل الخالية بالقاهرة فى الزمالك وجاردن سيتى .

« وقد استطاع ضابط الاتصال البريطانى ان يستأجر ١٢٠ شقة بالقاهرة حتى الان .

.. وقد لوحظ أنه فى أيام الخميس والسبت والاحد من كل أسبوع تصل الى القاهره احدى سيارات النقل الكبيرة التابعة للجيش البريطانى حاملة عددا من الجنود الانجليز يتراوح بين ٥٠ و ٦٠ ينزلون عادة بفندق الناسيونال بشارع سليمان باشا .. ورقم السيارة التى ينتقلون بها ٥١١ مصر وقائدها جاويش بريطانى .

« وقد صرح أحد المطلعين على بواطن الامور بأن هؤلاء الجنود لا يقيمون طويلا فى الفندق .. ولا يعودون الى معسكراتهم بفايد .. وانما يذهبون الى أماكن غير معروفة لاسباب أو مهام غير معروفة ايضا » .

وبتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥١ نشرت نفس الجريدة :

« الاسماعيلية — من **يوسف فكرى ومحمد الجيلاوى** — « لم تعهد منطقة القنال نشاطا للجاسوسية الانجليزية كالنشاط الذى يغمرها فى هذه الايام. فقد ضاعف قلم المخابرات البريطانية من عيونه وآذانه ، وبثهم فى كل مكان . وتقول تقارير المخابرات المصرية ان ٥٠ فى المائة من أعوان الانجليز وجواسيسهم يعملون الان فى مكاتب الشركات الانجليزية فى بورسعيد والسويس والقاهرة والاسكندرية وأكثرهم ممن عاشوا فى مصر مددا طويلة .

« وهؤلاء جميعا يكونون شبكة محبوكة الاطراف تمتد من السفارة البريطانية فى القاهرة حتى مدينة الاسماعيلية حيث يجلس الميجور « **كروك سكيف** » خلف مكتبه المعد لعميد الجواسيس .

« وهذه معلومات عن أهم ثلاث جواسيس بريطانيين :

« **سكيف** » :

● مستشرق يتكلم العربية كأحد أبناء الازهر ، كان يسكن فى حى الحسين ويسهر فى الفيشاوى .

● بدأ يعمل سنة ١٩٤٦ .

● انتقل الى الاسماعيلية فى نوفمبر ١٩٥٠ .

● أول مهمة أداها للقوات البريطانية فى القنال الارشاد عن ثلاثة عمال مصريين بتهمة بلشفة العمال ، كان البوليس السياسى المصرى يطاردهم وهم **أمام على أحمد ، وزكى ابراهيم حسيب ، وسعد عبد الله حسين** .

● منح لقب سير وأصبح رئيسا للمخابرات .

« **الجاسوس رقم ٢ : مينا حبيب خليل** ، مهمته : الارشاد عن حركات الكتائب ، وترجمة خطب الجمعة . عمله : المذيع الاول بمحطة فايد .

« الجاسوس رقم ٣ : **هديسون جراى** ، مهمته الاتصال بموظفى الشركات البريطانيه والبنوك والمؤسسات .. وجمع المعلومات منهم » .

ونشرت « الجمهور المصرى » كذلك بتاريخ ١٤ مايو ١٩٥١ فى شهر ديسمبر ١٩٥٠ اعلن الضابط البريطانى روبرت فوش جلاسبرو عن حاجته الى بعض الشبان المصريين للعمل بمكتب المخابرات البريطانية .

« وقد تقدم بعض الشبان بالفعل .

« ويجرى للشبان المتقدمين امتحان ، يتضمن أسئلة من نوع : كم لغة تعرف ! .. هل لك أقارب يقيمون بالخارج ؟ .. هل استخدمت فى حياتك مسدسا ؟ . ما ميولك السياسية ؟ .

كما يجرى لهم اختبار لقياس قوة الملاحظة ... » .

وقال لى اللواء **شريف العبد** ، وكان بصفته ضابط اتصال يقيم داخل المعسكرات البريطانية يحتك بالانجليز كثيرا من الداخل .. أنه كان يلاحظ أن بعض الاماكن يوجد بها مصريون . لكن الانجليز كانو يحرصون حرصا كاملا على الا أعرف شيئا عنها .. وألا أقترب منها .. وعندما

[٤٤] راجع شهادة عبد الفتاح حسن لى .
[٤٥] راجع شهادة كما رفعت لى .

كنت اقترب بالصدفة كانوا لا يتورعون عن وقفى !

● وعلى وجه التحديد .. كان الانجليز يعدون « خبراء تخريب » على درجة عالية من الكفاءة والقسوة .

ويذكر الفدائيون أنه كان يوجد فى « كسفريت » بمنطقة القنال معسكر خاص تحيطه اجراءات معينة تعزله عن العالم الخارجى عزلة تامة . وكان تابعا لقسم خاص من المخابرات البريطانية هو المعروف باسم Free zunce ineligence . وقد جمعت المخابرات فى هذا المعسكر خليطا غريبا من عتاة القتلة والمغامرين والمجرمين المحترفين ، أشد غرابة وابشع تكوينا من الفرقة الاجنبية ذات السمعة السيئة . وكان يجرى فى هذا المعسكر المعزول تدريب هذا العدد القليل من القتلة المختارين تدريبا عنيفا متصلا ، بدنيا وفنيا على كافة اعمال العنف والنسف والتخريب والتجسس ، كما كانوا يلقون مناهج سياسية خاصة ودروسا فى لغات ولهجات البلاد التى تدخل فى دائرة عملهم . وكان مما يسهل المهمة أن معظمهم ليس غريبا عن المنطقة . وقد بلغ من حرص المخابرات البريطانية على عزل هذه الفرق عن العالم الخارجى أن كان معسكرهم معدا مجهزا تجهيزا كاملا للاكتفاء الذاتى ، بما فى ذلك كافة وسائل تزجية الفراغ والترفيه .. حتى الجنسية !

وكان من المحظور تماما دخول هذا المعسكر ، كما كان المتعين على من فيه الاقامة الدائمة وعدم مغادرته الا للقيام بمهمة يكلف بها . وما كان نزلاء هذا المعسكر العجيب ليقبلوا تلك الحياة اللاانسانية الغريبة لولا أن أحكام الاعدام أو تأبيدات الليمانات أو انتقام المخابرات تنتظرهم فى خارجه «٤٦» .

كل هذا يؤكد أن الانجليز كانوا يملكون « القوات » اللازمة لتنفيذ عملية كبرى مثل حرق القاهرة .

الحجة الثانية التى يستبعد على أساسها البعض أن يكون هم الذين دبروا ونفذوا حريق القاهرة تتمثل فى السؤال التالى :

اذا كان الانجليز هم الذين فعلوها .. فقد كان من الضرورى أن يكون الحريق مقدمة لعملية أوسع .. تصفى الوضع القائم نهائيا .. بما يزيل كل العقبات من طريقهم ..

وليس متصورا أن تكون تلك العملية الا تحرك القوات البريطانية من القنال غربا .. واحتلال القاهرة .. وفرض شروطهم ٤٧ .

وقد فكر الانجليز كذلك فعلا !

واذا كانوا لم يستطيعوا التنفيذ .. فان ذلك لا يلغى وجود الخطة .. يقول أنتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الحين فى مذكراته :

« وقع اشتباك دام فى ٢٥ ديسمبر فى منطقة القناة بين قواتنا وبين مركزين للشرطة المصرية .. ولحقت بالمصريين خسائر فادحة فى الارواح .

« وقامت فى اليوم التالى مظاهرات عنيفة فى القاهرة .. واغتنمت الفرصة عصابات صغيرة من الرجال فانتشرت فى قلب المدينة وبدأت تشعل النار ببعض الابنية بصورة منظمة .. وقد أجمع شهود العيان أن العصابات كانت منظمة تمام التنظيم .

« وبينما كانت القاهرة تحترق ، بدأت الرسائل تصل الى وزارة الخارجية من سفارتنا هناك والى وزارة الحربية من القيادة العسكرية فى القناة .

« وكنا قد أعددنا خطة لتتدخل قواتنا عند الحاجة بمقتضاها فى القاهرة والاسكندرية لحماية الرعايا البريطان بما فى ضمنهم المالطيون ..

ومع ذلك فقد وصلتنا يوم السبت نفسه رسالة من القيادة البريطانية فى مصر تعرب عن القلق من المقاومة التى بدت فى القتال الاخير الذى نشب فى مركز الشرطة وظهرت شكوك خطيرة عما اذا كانت القوات المتوفرة فى منطقة القناة قادرة على أداء مهمتها أم لا ..

« وقد ترك الخوف من أن قواتنا ستأتى للقاهرة أثرا فى اليوم التالى ، عندما أقال الملك **النحاس باشا** فى ذلك اليوم .. » ٤٨ .

وكلام **ايدن** واضح .. لا يحتاج لأى تعليق !

وهو ينسف الحجة الثانية .. من الاساس !

●

أما الحجة الثالثة التى تستنكر حرق الانجليز للقاهرة .. لانه من غير المعقول أن يلجأ الانجليز — فى سبيل تحقيق أى أهداف سياسية — الى تدمير ممتلكاتهم .. وقتل مواطنيهم فيها .. كما حدث فى ايتدف كلوب وبنك باركليز !

أما هذه الحجة فمردود عليها بتاريخ الانجليز

[٤٦] سعد زهران — حركة التاريخ المصرى من الغاء المعاهدة الى حريق القاهرة — « الطليعة » يونيو ١٩٦٥ .

[٤٧] راجع شهادة حسن يوسف لى

[٤٨] مذكرات ايدن ، ص ٥٤ ، ٥٥

فى هـذه اللعبـة ... وارد فيه كلام كثير فى الشهادات المثبتة فى آخر الكتاب .

فضلا عن أن ما خسروه فى حريق القاهرة هو شىء تافه ومحدود جدا .. بالمقارنة بما قدروا ان يكسبوه لو أن المؤامرة نجحت .. وتوقف نزيف الدم البريطانى فى منطقة القنال بتوقف النشاط الفدائى .. وبعدم فقدهم كل مزايا وجـودهم واحتلالهم لمصر .. اذا ما أطيح بحكومة الوفد .. وأعيد النظر فى الغاء معاهدة ١٩٣٦ .. وعادت مصر تدور فى فلك الاستعمار البريطانى !

●

على ان هذا كله شىء .. واقامة الدليل على ان الانجليز هم الذين أحرقوا القاهرة بالفعل .. شىء آخر ..

هذا هو الكلام الجد !

وعلى الرغم من أنه من المسلمات أن المؤامرات التى تعدها وتشرف على تنفيذها أجهزة المخابرات الكبرى .. من العسير اثبات ادلة الاتهام فيها .. لان هذه الاجهزة تدرس خططها بعناية .. وتجتهد أكثر ما تجتهد فى ألا تترك أثرا وراءها ..

الا اننا سنورد قدرا من أدلة الاتهـام .. معقول .. ونبدأ بما هو شائع ..

● فقد ذكر فى المحكمة أثناء نظر قضية **أحمد حسين** أنه قبض على شخص مالطى والده يعمل بالسفارة البريطانية .. كان يتجول فى ميدان الحوادث شهادة **عبد الفتاح حسن** .

● وفى ٤ فبراير كتب **احسان عبد القدوس** فى روزاليوسف ، يقول :

« قد يصل المحققون الى تحديد المسئولية والمسئولين .. وقد لا يصلون الى شىء .. ولكن أى تحقيق عادل نزيه لا يمكن أن ينتهى الى تعميم المسئولية على الشعب المصرى كله أو القائها على عاتق الغوغاء كما تسميهم الصحف الانجليزية .

ثم يتحدث عن سلسلة الحوادث التى وقعت فى تلك الفترة ، فيقول :

« .. وكلها حوادث غريبة على مصر وعلى الثورة المصرية .. حادث كنيسة السويس وما أعقبه من محاولة اثارة الفتنة بين المسـلمين والاقباط . وحادث قتل الراهبة الامريكية ومحاولة اتخاذها سلاحا ضد مصر . ثم حوادث الاعتداءات المتكررة على البارات ودور السينما وأخيرا حوادث ٢٦ يناير .

« كل هذه الحوادث ، ووقوعها متعاقبة فـى فترات متقاربة ، والطريقة الواحـدة ــ تقريبا ــ التى ارتكبت بها ، لا تدع مجالا للشك فى أن مرتكبيها هم الانجليز واعوان الانجليز ، او على أكثر تقدير هم هؤلاء الذين كانوا يهمهم احباط الثورة المسلحة التى قامت فى وجه الانجليز ، والذين كانوا يخشـون ان تنقلب هـذه الثورة عليهم « يقصد الملك ! » .

« والذى يسـتمع الى اصـحاب السـعادة الوزراء السابقين وهم يروون قصة الاسـابيع الاخيرة من عهد حكومتهم يسمع عجبا مما لا يتأتى نشره فى هذه الظروف ... » .

● وفى ١٨ فبراير نشرت روزاليوسف مرة أخرى تحت هذه العناوين :

« الاصابع الانجليزية فى حوادث ٢٦ يناير » .

« موظفو الشركات الانجليزية يغادرون مكاتبهم قبل الحريق بثلاث ساعات » .

« بنك باركليز ينقل دفاتره قبل الحريق بيوم » .

« الانجليزى الذى اندس بين المتظاهرين » .

تحت هذه العناوين نشرت المجلة رسالة من مراسلها الخاص من باريس « والارجح أن حكاية الرسالة الخاصة من باريس هذه حيلة لجأت اليها المجلة لتنشر ما لديها من معلومات .. دون أن يكون فى ذلك حرج .. أو تدخل فى سير التحقيق الذى كانت تجريه النيابة .. قالت :

« اتهمت أكثر من صحيفة فرنسية السـفارة البريطانية فى القاهرة بتدبير حوادث ٢٦ يناير . وذكرت صحيفة « سو سوار » أن الوسائل المعروفة التى يلجأ اليها دائما قلم المخابرات البريطانية التضحية ببعض الارواح والممتلكات البريطانية فى سبيل الوصول الى هدف سياسى أهم يـوازى أضعاف الثمن الذى دفع فى سبيله .. كما حدث أن ضحت وزارة الخارجية البريطانية برأس غوردون باشا لتتخذ من رأسه حجة لاستعمار السودان ، وكما حدث عندما استغل حادث مقتل السردار لاملاء الشروط البريطانية على مصر ، وكان اهمها سـحب الجيوش البريطـانية من السودان وهو شرط لم يكن له علاقة مطلقا بقتل لاملاء الشروط البريطـانية من السـودان وهو شرط لم يكن له علاقة مطلقا بقتل السردار .

« واستشهدت الجريدةعلى تدبير الانجليز بـــ :

١ ــ صـدرت الاوامر الى موظفى الشركات البريطانية الكبرى ومن بينها شركة شل وشركة الصناعات الكيماوية بمغادرة مكاتبهم فى الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٦ يناير .. وقد انتقلت ابواب هذه الشركات فى الساعة العاشرة والربع تماما ..

٢ ــ أعلن بنك باركليز عن نقل جميع معاملاته الى فرع الموسكى .. وفتح أبوابه لعملائه فى اليوم التالى للحريق . ومعنى هذا أن جميع دفاتره ومستنداته ــ وهى اهم ماتحرص عليه البنوك ــ قد نقلت من فرع قصر النيل الى فرع الموسكى قبل

حوادث الحريق ربما بيوم كامل . ولو لم تنقل هذه المستندات لما استطاع البنك الاستمرار فى معاملاته ولكانت خسارته كبيرة ..

٣ ــ كان الترف كلوب يزدحم كل يوم ابتداء من الساعة ١٢ ظهرا بالاعضاء الذين اعتادوا تناول الخمور قبل الغداء ٤٠ ــ ٥٠ عضوا . ولكن يوم الحريق لم يكن فيه سوى ١٠ من عجائز الانجليز بالمعاش .. ويبدو أنهم لم يحذروا ..

٤ ــ يدير سينما ريفولى مديران أحدهما انجليزى · يوم الحريق لم يحضر المدير الانجليزى .. وترك رسالة لزميله بأن يقابله الساعة ١١ فى السينما .. وانتظر المدير المصرى فى الموعد المحدد .. لكن المدير الانجليزى لم يحضر ..

٥ ــ لو روجعت سجلات شبرد لاتضح أن اثنين انجليز حضرا قبل الحادث بيومين .. واختفيا يوم الحوادث ..

٦ ــ شاهد البعض مستر **ج . د جمال الدين الدن** مندسا بين المتظاهرين أثناء حريق كازينو أوبرا . ومستر **ج . د** انجليزى أسلم وتزوج مصرية ويتكلم العربية بطلاقة ويعتبر من أنشط رجال المخابرات البريطانية . وكان مستر **كلايتون** قد قدم تقريرا الى لندن يشتكى فيه من نشاطه .. ويصفه بأنه « نشاط أكبر مما نحتاج اليه » .. فسحبته لندن من القاهرة ثم أعيد بعد الغاء المعاهدة ··

٧ ــ الممتلكات البريطانية أقل الممتلكات خسارة فى الحرائق » ·

● **ذكر فؤاد سراج الدين** فى تحقيق النائب العام ان عبد الوهاب غنايم رئيس تحرير جريدة صوت الامه قدم له مذكرة تفيد المعلومات التى وردت بها ــ ان صحت ــ أن الانجليز كانوا يعلمون بحوادث ٢٦ يناير قبل وقوعها بعدة أيام ..

ونظرا لان النائب العام لم يثبت المذكرة فى اوراق التحقيق .. ولم يلخصها .. ولم يستدع عبد الوهاب غنايم لسماع أقواله بشأن ما جاء فيها .. فقد حاولت الحصول على هذه المذكرة .. أو فحواها .. من **فؤاد سراج الدين أو عبد الوهاب** غنايم .. ولكننى لم اعثر على المذكرة .. بينما محت السنين محتوياتها من ذاكرة من طلبتها منهما ..

فيما عدا ذلك ·· وفى حدود ما انكشف من أدلة ·· توجد بأوراق التحقيق التى أجرتها النيابة واقعتان على جانب كبير جدا من الاهمية ... لدلالتهما الواضحة على دور الانجليز فى أحداث ٢٦ يناير ١٩٥٢ ..

● الواقعة الاولى وجود كميات هائلة من البنزين فى أيدى منفذى الحرائق .. وبالذات عبوات البنزين فى صورة علب من أحجام مختلفة ..

وانتشار بنزين التنظيف المعبأ فى علب صغيرة .. الذى يسهل نقله .. وحمله .. والتحرك به .. بصورة واضحة ··

فذكرته تقارير المطافى فى معظم الاماكن التى اشتعلت فيها النيران ·

كما تحدث عنه كل رجال المطافى الذين أدلوا بأقوالهم فى تحقيق النيابة .. على النحو الذى أوردناه فى الباب الاول ..

من أين كل هذا البنزين .. وهذه العلب بالذات ؟

قرر الجميع أن شركة شل هى منتجة هذا البنزين .. وهذه العلب .. فكيف حصل المخربون عليها ؟

هل أخذوه عنوة من محطات البنزين المنتشرة فى المدينة .. أم من المحلات التى تبيعه .. أو تستعمله بأى طريقة ؟

من الثابت أنه رغم كل حوادث ذلك اليوم فان احدا لم يحتك بهذه المحطات على الاطلاق ٤٩ » .. كلها انجليزية وأمريكية ·.

ويذكر **محمد صبيح** أن ضابط البوليس الذى كان مكلفا بالحراسة فى وسط المدينة قال له أن احد لم يحتك بهذه المحطات على الاطلاق « ٤٩ » ..

كما لم يذكر احد ان البنزين انتزع بالقوة من أى محل أو متعهد توزيع فى ذلك اليوم ·· أو قبله ..

لذلك اتجه الشك لان تكون شركة شل هى الجهة التى قدمت المادة المشعلة الرئيسية التى استعملت ذلك اليوم .. بطريقة خاصة ..

وقد ساور هذا الشك المحقق الذى استمع الى أقوال رجال المطافى ــ أحمد فتحى مرسى ــ الامر الذى دفعه لان يرسل لشركة شل يستعلم عن ظروف توزيع بنزين التنظيف والكميات التى كانت موجودة منه بالشركة ..

وردت شل بخطاب يوم ١٣ فبراير ١٩٥٢ .. قالت فيه : « نتشرف بأن نؤيد لسعادتكم بهذا أنه لم يكن هناك أى مخزون من بنزين التنظيف المعبأ فى علب صغيرة بمحطات التموين فى شهر يناير ١٩٥٢ . وكان ذلك راجعا الى عدم وجود أى

[٤٩] محمد صبيح ــ ايام وايام ، ص ٤١٩ .

توريدات من هذا الصنف بمستودعنا بغمرة فى ذلك الشهر . والواقع أن مخزوننا من بنـزين التنظيف بغمرة نفد منذ ١٨ ديسمبر ١٩٥١ . وقد وزعنا جميع الكميات التى كانت موجودة منه على المتعهدين الذين يقومون عادة بالبيع بالقطاعى .

« وفى الوقت الذى كانت لدينا مقادير متوفرة من بنزين التنظيف لم يكن هناك ما يدل على ازدياد الطلب عليه بشكل غير عادى ، ولا علم لنا بأية محلات سجائر تشترى هذا الصنف فى صفائح ، اذ ان المبيعات التى تجر لمثل هؤلاء المستهلكين تكون على أساس الدفع نقدا .. » .

وكان مــن الطبيعى .. والضرورى .. ان تنفى شركة شل اى صلـة لهـا بالبنزين الذى احترقت به القاهرة .. فهى ليست شركة عادية ، ولكنها المركز الرئيسى لنشاط المخابرات البريطانية وجمعية اخوان الحرية حينئذ ..

لكن يلفت النظر فى رد شل العبارة التى تؤكد فيها :

« أن مخزوننا من بنزين التنظيف بغمرة نفد منذ ١٨ ديسمبر ١٩٥١ ..

« وقد وزعنا جميع الكميات التى كانت موجودة منه على المتعهدين الذين يقومون عادة بالبيع بالقطاعى .. »

فلماذا نفد هذا البنزين بالذات من مخازن الشركة .. يوم ١٨ ديسمبر .. ولماذا حرصت شل على توزيع « جميع الكميات » على المتعهدين ؟

طبعا هناك احتمال أن تكون كل البيـانات الواردة فى الخطاب كاذبة .. حتى لا تعطى الشركة للنيابة أى فرصة للبحث ..

لكن حتى مع افتراض أن الشركة قررت فى ردها واقع ما حدث فعلا .. فلماذا تخلصت من كل كميات البنزين المعبأ .. قبل الحوادث بسـتة أسابيع .. وكيف تبقى مخازن الشركة خالية من هذا النوع من البنزين كل هذه المدة .. ان لم يكن ذلك لتحقيق مخطط خطير ؟

ان رد شركة شل فى ذاته يثير شكوكا كثيرة .. ويمسك بها متلبسة بتوزيع بنزين حريق القاهرة .. فلا تفسير لتعبير « المتعهدين » الذين وزعت عليهم كل ما لديها من كميات الا أنهم المجرمون .. من عصابات الحريق .. الذين كانوا يتلقون مع البنزين .. التعليمات أيضا .. من شركة شل نفسها !

● وماذا عن الواقعة الثانية ..

صباح ٩ فبراير ١٩٥٢ ورد خطاب من مجهول خاص باسم حضرة صاحب المقام الرفيع **على ماهر باشا** – رئيس الوزراء .. نصه :

« بعد التحية ، أحيط رفعتكم علما بأنى أثناء تجوالى بسيارتى يوم ٢٦ يناير الماضى بالقرب من فندق شبرد وجدت سيارة بها سيدة متوسـطة القامة والعمر بجوارها رجل متوسط العمر قصير القامة قليلا يبدو عليهما أنهما أجنبيان ، ورأيت غلمانا مصريين يحومون حول هذه السيـارة ، وكانت السيدة والرجل يوزعان نقودا على هؤلاء الغلمان ، وكان البعض منهم راكبا دراجه والبعض على الاقدام ، الى أن أتت سيارة جيب ووقفت بجوار السيارة التى بها السيدة والرجل وأخذ أحد ركابها الخمسة رزمة أوراق مالية من السيده .. وانصرفت سيارة الجيب الى جهة شارع فؤاد الاول وتلتها السيارة الاخرى ، ثم انحرفت على شارع الملكة .. وقد تبعتها بسيارتى فوجدتها ذهبت الى ضاحيه مصر الجديدة ووقفت أمام المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد فنزلت السيدة منها وصعدت الى الدور العلوى بالفيلا ، وأن الرجل انصرف بالسيارة فتتبعته ، وفى أثناء الطريق حاولت أن أعرف رقم السيارة التى كان بها والسيدة المذكورة فوجدت أنه رقم هيئة سياسية ومطموس الرقم .. ولم اتمكن من قراءته للاسف .. ولكنه تابع سيره الى السفارة البريطانية .. ورجعت انا بسيارتى .

« وهــذه هى معلوماتى اردت ان ادلى بهـا لرفعتكم وارجو اعفائى من ذكر اسمى . ونحرون رفعتكم بمعرفة السلطة المختصة لتظهر الحقيقة جلية واضحة .

« ملحوظة : سيارة الجيب المذكورة اعلاه بعد أخذ النقود من السيدة التى بالسيارة الاخرى اندفعت بشارع فؤاد ورمت مواد ملتهبة على محلات شيكوريل والعروسة ..

ويبدو أن هذا الخطاب « المجهول » أخذ مأخذ

[٥٠] راجع شهادة المستشار احمدفتحى مرسى لى .

الجد .. ربما لان كاتبه «المجهول» كان شخصية لها احترامها لدى السلطات وخاصة رئيس الوزراء .. وربما لان ما جاء بالخطاب كان وقائع محددة .. ولها أهمية خاصة فى الكشف عن حقيقة ما حدث يوم ٢٦ يناير ..

المهم أن **على ماهر** أحال الخطاب على **مرتضى المراغى** وزير الداخلية .. وأن هذا بدوره أحاله على البوليس السياسى لتحرى حقيقة ما جاء فيه ..

واخذ البوليس السياسى الموضوع مأخذ الجد ايضا .. وفرض رقابة دقيقة على المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد بمصر الجديدة .. وعلى كل علاقات هذا المنزل ابتداء من يوم ١٠ فبراير ولمدة ٣٥ يوما ..

وفى ١٥ مارس ١٩٥٢ قدم اللواء محمد ابراهيم امام رئيس البوليس السياسى تقريرا بحصيلة المراقبة .

قال رئيس البوليس السياسى:

« ـ بمراقبة الشقة العليا بالمنزل ٤٣ ش سعيد شوهد شخص أجنبى وسيدة أجنبية وسيدة أخرى وفتاتان .

تبين أن اسم الشخص هو جيمس فوخت . وله سكن خاص برقم ٧ شارع مريت بمصر الجديدة . اعتاد الاقامة مع السيدة بروكسى صاحبة المنزل ٤٣ .

ـ فى ١٠ ـ ٢ تردد **جيمس فوخت على المنزل** ٧ شارع مريت ولم يبق بداخله سوى دقائق . كما تردد على المنزل ٤٣ سيدة اجنبية ومعها شخص أجنبى يقيمان بالمنزل رقم ١ شارع ابراهيم سكن السيدة مارى مسيرلى الايرانية ، كما ترددت **مس كاترين** وكان الجميع مجتمعين بالمنزل المراقب من الساعة ٧ ـ ٩ م .

ـ يوم ١١ ـ ٢ خرجت من المنزل الفتاتان الى المنزل رقم ٧ شارع مريت لمدة دقائق وبعد خروجهما قابلتهما السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر وركبنا وكانت تقودها سيدة أجنبية الى المنزل رقم ٥ وتحدثت مع ثلاثة شبان لبرهة وجيزة ثم اتجهت الى طريق السويس . تبين أن السيارة باسم **مارجورى كاميل جاش** وسكنها ٤ شارع السلطان سليم .

ـ الساعة ٩ر٣٠ م خرجت السيدة التى تقيم بالمنزل رقم ١٩ شارع ابراهيم ، **مس كاترين** ، وتوجهت لمنزلها . ويوم ١٢ ظهرا حضرت للمنزل السيارة رقم ١٤٤٥٢ ملاكى مصر يقودها سائق نوبى وصعد الى الشقة المراقبة ، وبعد ١٠ دقائق انصرفت السيارة وتوجهت الى المنزل رقم ٨ شارع دار الشفا بجاردن سيتى . هذه السيارة مقيدة باسم بعثة تصفية المخازن البريطانية .

ـ الساعة ١ر٣٠ حضرت السيارة رقم ٧٧٤٢ ملاكى مصر قيادة شخص أجنبى صعد الى الشقة المراقبة ونزل بعد ثلث ساعة وانصرف بالسيارة الى شارع عبد الخالق ثروت ، تركها ودخل المنزل رقم ٣ شارع عبد الحميد سعيد سكن شخص أرمنى يعمل بالجيش البريطانى ، ويتغيب مددا عن سكنه تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام . وتبين أن السيارة ٧٧٤٢ باسم **جرانتيينو كاروزالى** .

ـ بتاريخ ١٣ ـ ٢ حضرت السيارة ١٤٤٥٢ بالمنزل ٤٣ ش سعيد قيادة السائق النوبى ومعه شخص اجنبى مكث بالمنزل حوالى ساعة ونزل مع **جيمس فورخت** ، وانصرفوا .

ـ يوم ١٤ ـ ٢ **تردد جيمس فورخت ومدام بروكس** على المنزل رقم ٧ ش مريت .

ـ يوم ١٥ ـ ٢ حضرت السيارة ٧٧٤٢ يقودها نفس الشخص ومكث بالشقة المراقبة بشارع سعيد ثلث ساعة ، وخرج **جيمس وبروكسى** وعرج على بنك باركليز بمصر الجديدة ثم انصرفت السيارة للقاهرة .

ـ بتاريخ ٢٦ ـ ٢ حضر للمنزل المراقب موتوسيكل رقم ٢٨٢٧ مصر يقوده شخص مصرى دخل لحظة وعاد منصرفا بالموتوسيكل . الموتوسيكل لشركة مصر الجديدة .

ـ حضرت سيارة رقم ٣٦٩ ملاكى مصر فيات وركبت الفتاتان من المنزل المراقب . تبين أن السيارة باسم **عبد المقصود أحمد باشا** ..

ـ الساعة ٧ حضرت السيارة ١٣٤٤١ ملاكى اسكندرية بها شخصان أجنبيان فتح أحدهما باب المنزل رقم ٤٣ ش سعيد بمفتاح كان معه .ولم يكن بالمنزل أحد . تبين أن السيارة باسم **ماكس رولو** باسكندرية باعها الى **جرانتينو** ..

ـ يوم ٢٥ ـ ٢ حضرت السيارة ١٢٩٥٩ ملاكى مصر ، جيب مقفولة ومكتوب عليها الخطوط الجوية البلجيكية ، وبها ثلاثة رجال اجانب نزل احدهم وتكلم مع مدام **بروكس** ٥ دقائق وانصرفوا .

= يوم ٢٦ ـ ٢ عاد جيمس فورخت بعد غياب ١٠ أيام .

ـ سبق ان ذكرت ان السيارة ١١٤٥٢ ملاكى مصر ترددت على المنزل ٤٣ ش سعيد ثم توجهت الى المنزل رقم ٨ شارع دار الشفا بجاردن سيتى . وقد تبين من التحريات ان المنزل الاخير مؤجر للسفارة البريطانية وكانت تشغله بعض الادارات البريطانية . فالدور الاول كان به مكاتب جمعية اخوان الحرية بعد نقلها من بيت السنارى بالسيدة زينب ، وباقى الادوار بها مكاتب مخلفات الجيش . وقد ابتدأ اخلاء هذه العمارة يوم ١٧ ـ ٢ ـ ١٩٥٢ ونقلت الادارات الى المنزل رقم ١٠ ش الطلمبات ... ما عدا جمعية اخوان الحرية التى قيل أنها ألغيت ..... »

ثم أورد رئيس البوليس السياسى قائمة بأسماء ١٢ شخصا استدل عليهم من عملية المراقبة .. فى ملحق للتقرير يحتوى على معلومات عنهم :

« ١ ـ جيمس فورخت : بريطانى الجنسية يقال أنه موسيقى ولم يلاحظ أنه يمارس هذه المهنة . يقيم بشارع مريت باشا رقم ٧ بمصر الجديدة لكنه قليل التردد عليه . اعتاد الاقامة مع السيدة بروكسى فى المنزل رقم ٤٣ ش سعيد .

٢ ـ يسيدة بروكسى ، بريطانية .

٣ ـ مس كاترين : بريطانية .

٤ ـ السيدة مارى مسيرلى : ايرانية لها علاقة بالاخرين .

٥ ـ مارجورى كاميل جاش : بريطانية بشارع السلطان سليم . متزوجة من الفريد يوسف حاج بشركة النقل والهندسة للسيارات . موظفه بسويتش السفارة البريطانية تستعمل سيارة ستروين سوداء رقم ٧٠٥٩ . دائمة التردد على الاخرين وخاصة الاولى والثانية .

٦ ـ السيارة ١١٤٥٢ مصر : مقيدة باسم بعثة تصفية المخازن البريطانية بالشرق الاوسط . ترددت على المنزل ٤٣ ش سعيد .

٧ ـ جرانتينولى كابورالى : صاحب سيارات بشارع شريف باشا رقم ١٧ أ بمصر الجديدة . تردد مرات على سكان المنزل ٤٣ ش سعيد . يملك سيارات منها ٧٧٤٢ ملاكى مصر ورقم ١٣٤٤١ ملاكى اسكندرية ورقم ٢٣٧٤٣ مصر .

٨ ـ أ . اوهانيان : أرمنى . يعمل بالجيش البريطانى . تردد على جرانتينو عدة مرات .

٩ ـ السيارة ٢٣٧٨٠ مصر : مقيده باسم الفريد يوسف حاج بشركة النقل والهندسة زوج مدام الفريد حاج . تردد على المنزل ٣٤ ش سعيد .

١٠ ـ السيارة ١٦٦٤٣ مصر : باسم مستر سيدنى آرثر وليم المفتش بحكومة السودان . تردد عليه المنزل ٤٣ ش سعيد .

١١ ـ المستر تلوك : بريطانى . موظف بالسفارة البريطانية . تردد على المنزل ٤٣ ش سعيد .

١٢ ـ مستر فردريك هيوجل : بريطانى . موظف بشركة شل . تردد على المنزل ٤٣ ش سعيد . وترددوا عليه مرارا .

هذا ما كتبه اللواء محمد ابراهيم امام عن مراقبته للمنزل الذى جاء ذكره فى الخطاب المجهول الذى وصل الى رئيس الوزراء ..

ما الذى اراد رئيس البوليس السياسى من خلال تقريره وملحق هذا التقرير ؟ واضح انه استطاع ان يكتشف شبكة كاملة من شبكات المخابرات البريطانية فى مصر ..

وانه حدد افراد هذه الشبكة .. والقى الضوء على نشاط كل منهم .

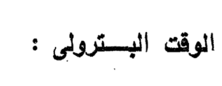
وانه رد هؤلاء الجواسيس الى مصادرهم .. ومراكز نشاطهم : السفارة البريطانية ، والجيش البريطانى ، وشركة النقل والهندسة ، وشركة شل .. وجمعية اخوان الحرية !

واكد رئيس البوليس السياسى بذلك صدق ملاحظة صاحب الخطاب .

لذلك فاننا نعتقد ان الواقعة التى ذكرت فى الخطاب المجهول .. والتى ايدتها معلومات البوليس السياسى عن اصحابها .. هى دليل ثابت يؤكد دور بريطانيا بوصفها مدبرة ومنفذة حريق القاهرة .. بواسطة مخابراتها فى مصر .. وجماعة اخوان الحرية التابعة لهذه المخابرات ..

لقد ضبطت بريطانيا .. متلبسة ! ■

المقال الاخير للمناضل مصطفى موسى



الوقت البترولى :

صراع بين أمريكا والعرب

مصطفى موسى

تفتح « الطليعة » صفحاتها باعزاز ، لنشر آخر مقال كتبه فقيد حركة التحرر العربى ، المناضل مصطفى موسى .

وهو يتناول ، بقدراته الفنية ووعيه السياسى معا ، قضية صراع الوقت بين أمريكا والعرب حول البترول .

ويطلق مصطفى موسى ، قبل وفاته بعام واحد ، صرخة التحذير ، ويدق أمام أمته العربية ، ناقوس الخطر .

فى كل ميدان .. ظل مصطفى موسى ، حتى آخر لحظة من حياته ، مقاتلا جسورا من أجل خير الشعب والوطن .

وكان هذا المقال ، الذى كتبه مصطفى موسى بالعربية ، قد نشر بالفرنسية فى بعض الصحف الباريسية والجزائرية . ولكن لم يتسنى نشره بالعربية ، الا اليوم .. بعد رحيله المفاجىء والفاجع .

ما هى طبيعة المواجهة التى نشهدها الان فى العالم ؟ وما هى معطياتها ؟ وما هو موقف العالم العربى ، وخاصة البلدان المنتجة للبترول ، ازاء هذه المواجهة ؟ وما هى النتيجة التى ستترتب عليها بالنسبة لحضارتنا ؟ ان المرء لا يسعه تجنب طرح أسئلة كثيرة كهذه ازاء تطور الازمة البترولية وآثارها .

ان الحقيقة الرئيسية التى يتميز بها عهدنا هى انقسام العالم الى تكتلات اقتصادية أو سياسية أو

عسكرية ، والى بلاد هامشية . وهذه الاخيرة تجد نفسها امام المأزق الصعب التالي : اما أن تندمج فى أحد هذه التكتلات ، أو أن تتعرض لـ « عملية تمزق » تحت التأثير المشترك لضغوط متناقضة . وهذا هو ما حدث لكوريا وفيتنام «١» وباكستان ، الخ ، التى لم تستطع لا أن تندمج ولا أن تحتفظ بوحدتها .

وثمة مخرج آخر لهذه البلدان يتمثل فى التجمع داخل مناطق اقتصادية قوية بدرجة تتيح لها الاحتفاظ بعلاقات مع التكتلات الاخرى القائمة مع الاحتفاظ بتوازنها الداخلى .

والبلدان العربية المنتجة للبترول تملك هذه الامكانية بالتحديد . ويساعد على ذلك عوامل كثيرة مختلفة ، فهى تحوز بمفردها على ٦٠ فى المائة من موارد الطاقة العالمية . وبالاسعار الجارية ، ستصل قيمة الانتاج البترولى العربى فى سنة ١٩٨٠ الى ٢٤٠ مليار دولار سنويا . ومن هذه الناحية ، تحوز البلدان العربية ، علاوة على ذلك ، على امكانيات بشرية تتيح لها التمتع بتأثير ملحوظ على تطور معطيات المنافسة الدولية على نحو ما ترتسم معالمها الان . واذا ما أخذنا معيار الطاقة كمقياس . فهذا لكونه هو الذى يحكم من ناحية ، ولسنوات عديدة تالية . مستقبل المدينة الحالية ، ولكونه هو الذى يشكل من ناحية أخرى ، مؤشرا جيدا على النشاط الصناعى .

منافسون مباشرون

الا اننا عندما نتحدث عن الطاقة . فما نعنيه بشكل رئيسى هو **البترول والغاز الطبيعى** . وعندما يدعو **الدكتور كيسنجر** الاوروبيين واليابانيين الى التنسيق مع الامريكيين حول مشاكل الطاقة ، فما يتحدث عنه هو البترول والغاز الطبيعى أيضا ، لان الطاقة البديلة ، مهما كان ما يقال عنها الان ، هى عملية بطيئة وباهظة التكاليف ، تطرح مشكلات اضافية لم تجد حلها بعد : **تلوث البيئة : الإشعاعات : الخ . ولهذا فسيظل استهلاك الطاقة العالمى : ولسنوات عديدة تالية على الاقل قائما على البترول والغاز الطبيعى .**

لقد كان استهلاك الطاقة العالمى ، فى سنة ١٩٧١ ، يساوى ٧ مليار طن من الكربون ، بينما لم يكن منذ عشر سنوات خلت ، فى سنة ١٩٦١ ، سوى ٤ مليار و ٢٠٠ مليون طن .

وكان معدل النمو السنوى المتوسط فى العقد السابق ٨ فى المائة . وكان موزعا بين مناطق الاستهلاك الكبرى التالية : الولايات المتحدة ، ٢٥٠٠ مليون طن ، الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية والصين الشعبية ٢٠٠٠ مليون طن ، اوروبا واليابان ، ٢٠٠٠ مليون طن ، العالم الثالث ، ٥٠٠ مليون طن .

وهكذا كان المتوسط السنوى للفرد ٦٠٠٠ كجم فى البلدان الصناعية و ٣٠٠ كجم فى بلدان العالم الثالث . أى ان النسبة كانت ١ الى ٢٠ .

ولما كان الاتحـــاد السوفيتى يتمتع بموارده الذاتية ولعدم أهمية تأثير العالم الثـالث ، فستنحصر دراستنا فى بحث المواقف الخاصة لمختلف البلدان الرأسمالية وعلاقاتها مع العالم العربى ، الذى يحوز على الجزء الاكبر من الطاقة المتوفرة فى العالم .

من هذه الناحية ، يقوم النزاع الرئيسى بين البلدان الراسمالية ، التى تعتمد على البترول العربى بدرجات متفاوتة . ان اوروبا واليبان اللتان تشكوان بشكل تقليدى من العجز ، كانتا تستوردان دائما ٥٠ فى المائة من احتياجاتهما ، بشكل رئيسى ، من الشرق الاوسط ومن شمال افريقيا . وكانت الولايات المتحدة تتمتع بالاكتفاء الذاتى حتى الان . ومن الـــ ٢٥٠٠ مليون طن التى تستهلكها ، تستورد ٢٠٠ مليون طن فقط . ولكنها تجد نفسها الان على عتبة « **عهـد استيراد** » . وتعتمد بشكل مطرد على الخارج لسد عجزها فى موارد الطاقة . وبالمعدل الحالى لنمو استهلاكها « ٨ فى المائة سنويا » فـان احتياطياتها من الغاز الطبيعى . الذى يشكل ، فى الواقع ، العنصر المهيمن فى هذا الاستهلاك « ٥٠ فى المائة » ، سوف تنفذ فى غضون ثمانية أعوام . وهكذا سيجد الاقتصاد الامريكى نفسه على حافة الانهيار . وبالتالى ، فالولايات المتحدة ، بدخولها سوق الطاقة كمستورد ، انما تصبح المنافس المباشر للاوروبيين واليابانيين .

---

[١] قبل انتصار حركة التحـــرر المسلحة فى فيتنام الجنوبية وطلب السلطة الوطنية التوحيد مع فيتنام الديمقراطية فى الشمال

أزمة الثقة

يجب اضافة تحليل للقيمة ، الى تحليل الحجم . فالواقع ان من البديهى أنه سيتعين دفع ثمن هذه الموارد البترولية المستوردة . وينتظر أن تسحب الولايات الاتحدة ، فى سنة ١٩٨٠ ، حوالى ١٢٠ مليار دولار لهذا الهدف،أى‌ما يساوى ضعف‌قيمة تجارتها الخارجية الان . واوروبا ، من ناحيتها ، سيتعين عليها سحب ١٠٠ مليار دولار لهذه الواردات .

والولايات المتحدة ، بسيطرتها على « كارتيل » البترول ، وبوقوفها فى مركز البائع ازاء اليابان واوروبا ، انما تقف حتى الان فى مركز مسيطر ازاءهما . و بالحقيقة معروفه ان السيطرة المالية الامريكية تعتمد ، بشكل رئيسى ، على القيمة البترولية الفائضة التى تنتجها الشركات الامريكية . واذا خسرت هذا الربح فستضعف سيطرتها المالية بشكل ملحوظ . فهل ستتمكن اذن من مواصلة هذه السيطرة ؟

هذا هو السؤال الرئيسى .

بديهى اننا لا نتصور أن أوروبا واليابان ستقفان بلا حراك ازاء تطور سوق البترول ، الذى يضغط عليه الاستيراد الامريكى بشكل متصل . ويقل شدن تصور كهذا اذا أخذنا بعين‌الاعتبار ان هذا التطور يجرى فى سياق يتميز بازمة الثقة التى تميز العلاقات الدولية . ومن المعروف أن هذه الازمة تعود الى أزمة الدولار والى تدهور النظام النقدى الدولى ، بسبب التزايد المطلق العنان لحجم الدولارات المتداولة فى العالم . فقد انفقت الولايات المتحدة ١١٠ مليار دولار فى فيتنام . وينبغى أن نضيف الى هذا الـ ٣٠ مليار دولار التى تشكل حجم الاستثمارات الامريكية فى أوروبا واحتياطيات الدولارات لدى البنوك الاوروبية التى اضطرت ، فى وقت من الاوقات ، الى تدعيم العملة الامريكية .

فما هو موقف العرب ازاء هذا التناقض بين الامريكيين وشركاءهم ؟ لقد رأينا أن الامريكيين ، بفضل الازمة البترولية الراهنة ، قد استغلوا الموقف لتعزيز الدولار . **ولكن ما الذى فعله العرب لتشديد هذا التناقض والفصل بين الشركاء ؟**

ان الاستراتيجية الامريكية تميل الى الحيلولة بأى ثمن ، وحتى بالسبل العسكرية ، دون تشكل مجال اقتصادى عربى ثابت يستطيع ، اذا دعا الامر ، اقامة علاقات مباشرة مع اليابان وأوروبا .

فالواقع ان علاقات كهذه ، ستدق ناقوس نهاية دور الوسيط‌الذى تلعبه‌الشركات‌البترولية‌الامريكية والنتيجة الطبيعية التى لا مفر منها لهذه الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والعسكرية هى مواصلة الولايات المتحدة السيطرة على كل بلد من البلدان العربية المنتجة للبترول بشكل منفصل .

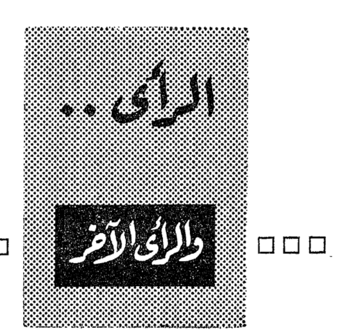
ان الوقت يلعب فى صالح الولايات المتحدة .

أما فيما يتعلق بالعرب فهم فى حالة ارتباك واضح . فمن ناحية ، سيتزايد انتاجهم البترولى بالضرورة . ولا يمكن للمرء ان يتصور أن الامر سيكون على خلاف ذلك ، الا اذا حدثت مواجهة بين المنتجين والمستهلكين . ولكنهم يدركون ، من ناحيه اخرى ، انهم لن يكسبوا شيئا من تراكم احتياطيات نقدية ، تفتقر الى أى مقابل فعلى .

خرافة غطاء الذهب

ان هذه الكتلة المتراكمة من الدولارات ، حتى مع استثمار جزء منها ، ستستمر فى التزايد ، مع ذلك . بفعل‌النمو الاكثر من متناسب‌للاحتياطيات النقدية بالقياس الى امكانيات الاستثمار . أما‌فيما يتعلق بالغطاء الذهبى لهذه الدولارات ، فهذه خرافة لا أكثر . فمن ناحية ، تشكل قيمة مجمل الانتاج العالمى من الذهب مليار دولار ، فى حين أن قيمة نتاج البترول العربى سوف تتجاوز الـ ٩٠٠ مليار . ومن ناحيةأخرى ، ماالذى سيفعله العرب بغطاء ذهبى لارصدتهم ؟

الحقيقة ان السلع هى وحدها التى تتمتع بالقيمة . فهل سيتمكن العرب من تطوير علاقات تجارية بينهم وبين أوروبا واليابان على أساس **المقاصة** : بترول مقابل تجهيزات وسلع أخرى ؟ وهل سيتسنى لهم الاسهام فى تطوير العالم الثالث وافريقيا ، خاصة ، لخلق صناعات هناك وبمساعدة هذه البلدان على حل مشكلات سوء التغذية والزراعة ، الخ ؟ اذا كانوا قد تخلفوا عن استيعاب حقائق معينة ، فلا ينبغى لهم ان ينسوا الان ان الوقت يلعب لصالح الولايات المتحدة ، وضدهم وضد اوروبا واليابان . وعسى ان يستوعبوا ذلك قبل فوات الاوان !



حول مستقبل الانسان فى هذا البلد ، وحول كيفية اقامة مجتمع عـادل ينتفى فيـه استغلال الانسان للانسان على أساس من استلهام القيـم الروحية المتأصلة بين جماهير الشـعب ، وحول بعض قضايا التطبيق فى السياسة ، والاقتصاد ،والسياسة الخارجية ، يدور الحـوار بين الراى والراى الاخر فى هذا العدد .

فالاستاذ **مصطفى بهجت بدوى** يستكمل حـوار اليسار مع **توفيق الحكيم** ، بحوار جرى من قبل بينه وبين **توفيق الحـكيم** ، ثم يكمله بتقييم لشكل ومضمون حوار اليسار مع الاديب الكبير .

أما الدكتور **محمد رضا محرم** فيناقش امكانيـة تحقيق العدل الاسلامى فى العصر الراهن ، ويبرز الجوهر الانسانى التقدمى ، الـكامن فى التفسـير الاصيل للاسلام .

ويتساءل **محمد قطينة** من السلط بالاردن ، عن المجتمعات العادلة التى يقصدها الدكتور **محمد أحمد خلف الله** فى مقاله عن « العدل الاسلامى هل يمكن ان يتحقق » « فى عدد نوفمبر ١٩٧٥ » ويطالب بضرورة التعريف بين الاسلام كنظام للحكم ،وبين أوضاع مرحلية هو غير مسئول عنها .

أما **فخرى لبيب** فيناقش الدكتور فؤاد مرسى فى مفهومه عن التنمية اللارأسمالية مستندا الى واقع التحليل الذى قدمه الدكتور **فؤاد مرسى** .

ويكتب **نبيـل الليثى** عن سياسة **الســادات** وسياسة أمريكا محاولا أن يقدم تصوره للجديد فى كلا السياستين وعلاقتهما بعضهما البعض .

اما**عبد الحليم محمد عبد الحليم** يكتب تحت عنوان حاسم : « دفاعا عن الديمقراطية »

وثمة رسـالة أخرى من مـالك صـغير بمركز البدارى محافظة اسيوط يحدد فيهـا مطلبا جديدا تماما « أريد أن أتحول من مالك الى مستأجر » .

وعن الشباب والتنظيم الشبابى يتحدث كل من محمد مصطفى بكرى وجمعه عبده قاسم .

وهناك أخيرا بريد الرأى والرأى الاخر .

تحيـة لحـوار اليســار مع الحـكيم

مصطفى بهجت بدوى

تعليقا على حوار اليسار مع توفيق الحـكيم ، يقدم الاستاذ مصطفى بهجت بدوى تقييما لهذا الحوار سواء من ناحية الاسلوب الذى دار به ، او المضامين التى تناولها ، أو ما توصل اليه أخيرا من نتائج تتعلق بتطور البـلاد الراهن والمقبل .

الحوار الذى نجحت مجلة «**الطليعة**» أيمـا نجاح فى اجرائه مع الاستاذ الكبير « **توفيـق الحكيم** » وشاركت فيه مجموعة « طليعيـة » محترمة تمثل اتجاهات متعددة لليسار المصرى، هو واحد من ابرز واخصب المعـالم والوثائق الفكرية والسياسية والثقافية لسـنة ١٩٧٥ . واقول ــ بغير جنوح الى المبالغة ــ انه لو كان ثمة « جوائز تقديرية » لما تردد أحد فى منـح هذا العمل الكبير الدائب المتصل بتشعبه وشموله قضايا شتى بعضها « مزمن » وبعضها الاخـر « ساخن » ، « جائزة العـام » كأحسن اداء وانجاز وعرض من الناحية الفـكرية والادبيـة والسياسية والمع « خبطة صحفية » متعددة المراحل !

تلك الجلسات الطويلة « المسـجلة » والتى تدفق فيها الحوار مع واحد ممن يعتبرون بحق من « ملوك الحوار » فى انتـاجه الادبى ، لم تكن عملية سهلة . ذلك شىء يدركه من يعرفون توفيق الحكيم الذى اذا كان قد اشتهر «بالبخل» ــ من باب الدعاية أو الدعابة ! ــ فهو بالفعل « ضنين » واكثر بخلا مهما حاصرته لحضـور اجتماع ، او حفل عام ولو كان لتكريمـه ، أو « للمثول » امام الميكرفون وآلات التصوير ، أو للحصول على حديث ، مما بالك بندوة ــ كتلك

□□□□□□□□

الندوة الجادة الممتعة تستغرق ساعات وساعات على مدى شهور طويلة ؟ ! ومن هنا كانت تلك الجلسات نجاحا فذا يستحق عليه الزميل الاستاذ لطفي الخولي واسرة الطليعة وفرسان الندوة اخلص التهنئة .

وتدليلا على هذا المعنى تحضرني تجربة شخصية قديمة مع الاستاذ توفيق الحكيم لاباس من روايتها .. ففتح « الملفات » يفتح الشهية!

ففي بداية ثورة ٢٣ يوليو فكر لفيف من الشباب « الثوريين » في اصدار مجلة نصف شهرية تحاول التعبير عن روح الثورة .وبالفعل اصدرناها باسم « **مجلة التحرير** » في ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ . وقبل أن نصدر عددها الثاني — وكان أمامنا اسبوعان للتفكير واعداد المواد — تذاكرنا فيمن يحسن أن نجرى معه حوارا عن الثورة . ودفعني الى اختيار « توفيق الحكيم » — كأولوية ممتازة — أنه بكتابه الاشهر « **عودة الروح** » تنبأ بالثورة، ثم أنه كرائد فكر وادب وثقافة في الجيل الذي سبقنا كانت وستبقى له دائما منزلة كبرى لدى جيلنا « الاحدث » نحوطه بحبنا واعجابنا وتقديرنا ، واخيرا فقد كنت أقرب الى الثقة في كونه لن يردني خائبا نظرا لصداقته الحميمة بأخي الاكبر . واتصلت به تلفونيا في مكتبه بدار الكتب — التي كان يتولى رئاستها ذلك الحين — راجيا أن أجرى معه الحوار ، فأعطاني موعدا بعد أيام . وظللت أعصر فكري واعد الاسئلة واحبرها — مع الاحلام ! — تحبيرا .ثم ذهبت اليه في الموعد المحدد .. وكانت المفاجأة! بعد التحية والسلام و « الوله » من جانبي شرعت القى اول الاسئلة فاذ به يبتسم ويسألني: ماذا تفعل ؟ قلت : ابدأ الحوار ! قال : تفضل ! وسلمني صفحات كتبها بخطه ووضع فيها الاسئلة « الموجهة اليه » وشفع كل سؤال بجوابه ! وبقدر ما سعدت بهذه « الثروة » التي وقعت في يدى بدوت « مرتبكا » أنني لم أبذل جهدا حقيقيا ، وان أكن قد حاولت فصدني برفق وقال « كفاية كده ! ولا تكن طماعا ! ». ولم يبق الا أن أنشر في العدد الثاني من المجلة « الحوار » الذي كتبه « توفيق الحكيم » من الفه الى يائه .. وكل ما « قدرت » عليه أن أكتب العنوان .. ومقدمة مناسبة !

هكذا كان « توفيق الحكيم » في أغلب الاحايين عزوفا ، يضع ضوابط عالمه الخاص — ولااقول « برجه العاجي » ! — ولا يحيد عن اسلوب حياته وتعامله مع المجتمع . فهو — كما يردد في كتاب سيرته « سجن العمر » — يعيش « سجين طبعه » ، وان كان في كتاباته ينفتح بفكره وقلمه على الناس ويحلق في المجتمع تحليقا او وبالاحرى يغوص في اعماقه !

على أن كل شيء قابل للتغيير ولو تغييرا نسبيا . وقد كان كتابه « عودة الوعي » باعثا من البواعث التي انبرى بها توفيق الحكيم و«حمى» للخروج من « صومعته » ليس بالضرورة لاسباب هجومية او دفاعية ، وانما لكونه وجد الموقف يدعوه — كفنان مفكر — الى ذلك .

ومن المصادفات — مادمت قد استسلمت للاستطرادات التي اعترف بميلي اليها ، والتي « تجتاح » بعض ما اكتب احيانا — انه كان من « نصيبي » أن أكون اول من تناول كتاب « عودة الوعي » في الصحافة المصرية بكلمة قصيرة هادئة في اغسطس سنة ٧٤ ، وكانت تذكر الحكيم بحديثه القديم معي في بداية الثورة ، وبمسائل أخرى عن علاقته بعبد الناصر ومواقف الرئيس الراحل منه .وانما أشير الى تلك المبادرة الخاطفة من جانبي لسبب وحيد ، هو أن اضمن في هذا المقال الرد البليغ حقا الحكيم فعلا الذي « اسرع » توفيق الحكيم بارساله الي .

وهذا نصه :

قرأت في عدد السبت الماضي ٣ أغسطس كلمة رقيقة بقلم « المقريزي » « عنوانها » توفيق الحكيم والثورة » ذكرتني بأول حديث لى معك عن ثورة يوليو ١٩٥٢ .

كنت أشغل يومئذ منصب مدير دار الكتب وكنت أنت مدير مجلة التحرير . كان ذلك في أواخر سبتمبر كما يقول المقريزي في كلمته . وهو لاشك أقوى مني ذاكرة . فالثورة اذن كانت في شهرها الثالث . وأنت شقيق صديق عمري المرحوم الدكتور حلمي بهجت بدوي الذي اعتبره دائما اكثر من شقيق .فكيف لا أمنحك الحديث الذي تريده وأصارحك بكل ما أعتقد .

ولقد ذكرتنى الكلمة المنشورة أيضا بما قلته لك فى ذلك اليوم من ان الامة فى حالة ولادة وأن الذى قام بتوليد الامة أهلها والجيش وهو نفر من الامة.. وقد قام بعمل الجراح لولادة متعثرة غير طبيعية فى شبه عملية قيصرية ، فتحوفيها بطن أمة لتوليد خلق جديد فى صورة طبقة جديدة باصدار قانون تحديد الملكية، طبقة سوف تكون ممثلة لمصر الغد .

كنت فى الحق مستبشرا بمستقبل مصر ملانى فرحا وتحمسا وأملا .

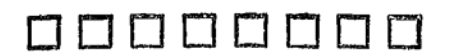
وذكرتنى الكلمة المنشورة كذلك بمواقف جمال عبد الناصر معى وقوله فى كل مناسبة « لقد تأثرنا وثرنا بكتابه عودة الروح » ولقد عاش ومات وما نقص تقديره لى شعرة واحدة . وكنت على الرغم من ندرة لقائى الشخصى به أشعر بما يكنه كل منا للاخر من المحبة والمودة . حتى يوم وفاته دمعت عينى التى جفت منها الدموع بجفاف رحيق العمر .

لذلك كله كانت دهشة الكلمة المنشورة لما جاء بكراسة لى بعنوان «عودة الوعى» تنقد الثورة وعبد الناصر وهى كراسة خاصة كتبتها لنفسى منذ عامين يوم مرور عشرين عاما على مولد الثورة التى تنبأت بها وتحمست لها . خطر لى فى ذلك اليوم أن أدون انطباعاتى الشخصية مستعرضا شريط ذكرياتى عنها منذ ميلادها الى عامها العشرين . وأردت الاحتفاظ بهذه الصفحات لنفسى غير قاصد بها النشر ، وجعلتها بين أوراقى الخاصة لمجرد الذكرى . ولكنها لم تلبث أن تسربت واستنسخت وانتقلت منها النسخ من يد الى يد منذ أكثر من عام . الى أن صدرت آخر الامر فى كتاب مطبوع فى بيروت ولم يدخل مصر . وليته يدخل الان ، ويظهر كما ظهرت فى مصر الان كتب فى نفس الموضوع فان ما يكتبه شيخ فى مثل سنى وتاريخى يجب أن يظهر ليتحمل هو وحده كل مسئوليته . فهذا الكتاب يقرأ خلسة فيما أظن . ومن قرأه يدهش لهكما دهش « المقريزى » . وهى دهشة صادقة لانها تعبر ولاشك عن شعور كل من تابع هذه المواقف وأطلع على مجرى هذه العواطف .

فاذا استبعدت كل تناقض فى تصرفاتى، وكل مصلحة ذاتية فى تحولاتى ، وكل انحراف وتشويه فى اخلاقى ، واستبقيت حسن الظن وأردت حقيقة الوضع ، فليس هناك الا أن ترجع الى طبيعتى ممثلة فى علاقتى بأقرب وأحب الناس الى نفسى : لا شك أنى أحب والدى وأعزه وأقدره حق قدره . ويوم وفاته بكيته وقمت على جنازته ودفنه بمشاعر ممتلئة الحزن والاسى . وكنت أعرف انه فى حياته كان يتصرف تصرفات مالية تثير فى نفوسنا القلق ، وما كان يستطلع رأيى فى شىء وأنا يومئذ من رجال القضاء ، فى حين كان هو نفسه ينتقد والده لنفس هذا المسلك . فقد كان هو قاضيا وكان أبوه مزارعا يبيع ويرهن فى اطيانه فاذا قيل له هل استشرت ابنك القاضى كان يجيب فى استهانة : « يعنى استشير العيال » ؟ ! ولقد ذكرت ذلك فى بعض كتبى .

وعلى الرغم من حبى لوالدى فما ان فتحت التركة التى تركها لنا من بعده ورأينا الخراب الذى حل بنا وأوقعنا فيه والديون التى اغرقنا فيها الى آذاننا حتى امتلات نفوسنا بالسخط ، وجعلنا نراجع ما جرنا اليه ، ونستذكر عيوبه ونفحص أفعاله ، ونحن نترحم عليه . وربما كانت له اعذاره من سوء رؤية او سوء ادارة أو سوء حظ أو نقص مهارة ولكن ذلك لم يمنعنا من السخط على سوء النتيجة وسوء المصير .

وقيل لنا وقتئذ لماذا لم تمنعوه أو على الاقل أن تنهوه . فكنا نجيب بأن التنبيه برفق حدث أحيانا . ولكن قلما نفع التنبيه أو أنتج سوى الغضب أو الامتعاض . ولو كان ينفع لنفع مع والدى القاضى فى التأثير على والده المزارع . ان الواقع الغالب فى بلادنا هو أن دور الورثة لايبدأ الا بعد فتح التركة وذهاب المورث فعلا أو حكما .



ولقد كتبت عن بعــض تصرفات والدى وعيوبه فى كتابى « سجن العمر » فغضب له بعض الاقرباء وثار عليه بعض الادباء ممن أعتادوا فى بلادنا تقديس الوالدين.

وكتب بالفعل صحفى من أعلام جـريدة الاخبار مقالا ذكر فيه شعوره بالاشمئزاز عند مطالعته ما فى هذا الكتاب من مساس بقدسية الاباء .

فلا عجب اذن أن يغضب او يعتب من يرى فى موقفى هذا من ثورة ساندتها ، وزعيم احببته ، تهجما او نيلا او تجريحا، فليس من السهل رؤية ذلك الطبع الذى يرفض الحــب المطلق ، الذى يعمى عن البحث والفحص والنظر ، هذا الطبع الذى مارس ذلك فى مجال الابوة الغريزية أفلا يمارسه فى حق الوطن والوطنية ؟

انى أعـــذر كل العــذر أولئك الذين يخالفوننى الراى والموقف والعاطفة ،وحتى أولئك الذين يستريبون ويظنون بى الظنون. فان المقبـــول بالفطــرة هو الحب المطلق والوفاء الكامل لمن تحب وتساند بالحــق وبالباطل وهــذا ما لم أفعله فى حيـــاتى وما لم أستطعه . . . وهو ما جعلنى غير قدير على الارتباط والخضوع لحـــزب من الاحزاب لانى لا استطيع بطبعى هـــذا أن أعطى تفويضا على بيـــاض بحـــب مطلق وبمساندة أبدية .

فأنا أحب وأناقش وأساند وأعارض . وأعتقد أن هنا تكاملا طبيعيا بين الشىء ونقيضه . وأن اليد اليمنى لابد لهـــا من اليد اليسرى فى جسم الانســـان كمـــا فى جسم الامة .ولذلك أسأل دائما عن حقوق اليسار الى جانب حقوق اليمين .

أما بعـــد .

فانى فى أى كتاب لى لا أوجه اتهاما ،ولا أقـــرر احــكاما ، وانما انا أراجع وأفحص ، وأطـــالب بالبحث الدائم عن الحقيقة ، لان أهم ما يشغلنى فى الحياة هو البحث والمحاسبة الدقيقة والمراجعة الطليقة لتصرفاتى وتصرفات الاخـــرين فى مجتمعنا ، وفى حياتنا الانسانية ، دون أن أسمح لنفسى باصدار الاحكام النهائية .

ولك منى التحية والمودة والاعزاز .

توفيق الحكيم

ولعله فى نفس هذا المنطلق الفكرى المتحرر والذاتى قال توفيق الحكيم فى جلسة الحــوار الثانية للطليعة ان « عبد العزيز باشا فهمى » ــ الذى كان يحبه ويقدره ــ هو من الاسباب التى ســـاعدت على تدمير الوحـــدة الوطنيـــة وتفتيتها بخروجه على حزب الوفد .

وبعد نشر خطاب توفيق الحكيم كان « الاخذ والرد » حول كتاب الحـــكيم « زادا » ملء الصحافة المصرية . حفل بالاثارة ، والمقـــالات الموضوعية ، والدراسات ، والكلمات المتزنة ، والعبارات المنصفة أو القاسية . وكان أســـوأ ما شاب بعض ردود الفعل غير الموضوعية تلك « المهاترات » ــ التى كان يتعين أن يتنزه عنها النشر ــ فى مواجهة الاثنين معـــا : جمـــال عبد الناصر وتوفيق الحكيم !

ولعله يكمن هنا ــ بمفهوم المخالفة ــ « بعـــد آخر » بالغ القيمة للتناول الموضوعى والعلمى لقضية « عودة الوعى » وما تفرع عنها بشمولية ملحوظة فى « حوار اليسار مع توفيق الحكيم » . . ذلك الذى تبنته ونشرته الطليعة .

وربما آن الاوان للدخـــول فى « التعليق » على منجزات جلسات الندوة ، وان كان يمكن أن اجتزىء بتحيتها ــ وهو ما فعلته ــ رغمان « الطليعة » لم تكن تتوخى ذلك بابقائهـــا الملف مفتوحا وبترحيبها بتعليقات القراء والاصدقاء !

لم تكن الندوات « محاكمة » لتوفيق الحكيم أو مساءلة ، ولا هى كانت كذلك بالنسبة لتجربة ثورة ٢٣ يوليو . لم يقصد بها ذلك بطبيعـــة الحال ولم تنح هذا المنحى . غير ان الحوار ، وهو يقوم بما يشبه عملية الفحص والتشخيص ووصف طرق العلاج ، لم تكن تنقصه الصراحة

والمكاشفة والتحليل ، والا لما كان ثمة مبرر له أو جدوى منه . نعم .. حفل الحوار بالتعرض لسلبيات المنهج والتجـربة ، ولكن « المستوى الرفيع » الذىسلكه — على احتدامه وشدته — لم يقع فىاخطاء وخفة وسوء التعريضوالتجريح والتشويه على الوجـه الذى قد نراه احيـانا فى بعض صحافتنا اليومية والاسبوعية والذى امتد اخيرا الى الافلام السينمائيـة والمسلسلات التلفزيونية ! كما أن حـوار الطليعـة تجنب « التبرير » حتى ولو بطريق غير مبـاشر لدى تناوله ما تناوله من الايجابيات . وبمعنى آخر كما قالت الطليعة واسرة ندوتها انه « سـاد اتفـاق عام على ضرورة اسـتبعاد الطريقة الحسابية الالية فى الجمع والطـرح عند تقييم الايجابيات والسلبيات . وان المنهج الاصح هو التقييم الجدلى .. بمعنى النظر الى ثورة يوليو كعملية أو حلقة من حلقات التـاريخ المصرى ، تترابط بالضرورة بتاريخ الحركة الوطنية وبحركة المجتمع المصرى فى مجموعه ».

والحق ان التعليق على تفـاصيل ما دار فى الندوات امر شبه مستحيل فضلا عن كونه غير مطلو ب. فقد اتسع الحوار ليصبح موسـوعة تشمل مصر والعرب والقوى الكبرى والمتغيرات الدولية ، وتناقش «معانى الاشياء » والنظريات والمسائل والمصاعب السياسية والاجتماعيـة والاقتصادية . وكان من« الطـرافة » انك فى الوقت الذى يلوح لك ان« المشاركين » متفقون فى الراى كل الاتفاق ، لا تلبث بعد فترة الا وتتصور انهميكادون يكونون مختلفين كلالاختلاف .. وهكذا « دواليك » ! لكنك فى النهـاية كنت تؤمن ان تلك هى مقتضيات « البحث عنالحقيقة .. والشىء الامثل .. والعلاج » وان «المحصلة» تتجمع آخر الامر . ولعـل أهم الخيوط التى نظمت حوار النـدوة وهـو يبحث « الحرية والاشتراكية والوحدة » ،ويتحدثعن «الليبرالية» المصرية ، وعما يمثله ويريده اليمين الرجعى ، وعن المحاذير التى تتعرض لها ثورة يوليـو ، وعن نتائج حرباكتوبر ودخول الثرواتالبترولية كأحد المتغيرات الرئيسية والمؤثرة على خريطـة الصراع السياسى والاجتماعى فى المنطقة ، وعن « وضعية » القوى الامبرياليـة والصهيونيـة وموقفنا من امريكا واسرائيل — اقـول ان اهم الخيوط التى ربطت النـدوة فى هـذه الشئون وغيرها هى « النظرة المستقبلية » اى الوقوف على أرض الحاضر وعبرة الماضى لاستشـفاف آفاق المستقبل كارتباط عضـوى ومصيرى به لا مفر منه ، وفى عالم اليوم . من الميسور — بعض المعايير — الاجابة على السؤال : ماذا كان ؟ ولكن العسير طبعا والمنشود قطعاالاجابة على السؤال الاخر : وما بعـد ؟! .. ثم باية حسابات وأعمال ، ومتى وكيف ؟

ومن المؤكد اننى استمتعت بقـراءة حوار المشاركين وافصـاحهم عن آرائهم ونظـرياتهم وافكارهم ومقارعات الحجج بالحجج كما استمتع غيرى منالقراء مهما كانت درجة اتفاقناواختلافنا معها .. فذلك حق وجزاء العمل الجاد المخلص. ولكن — مرة اخرى — يشق على ان أرجع حتى لما استوقفنى من الحوار واصحـابه أكثر مـا استوقفنى .. فلكم فعـل ، ولا أريد ان أخص أحدا او أشخاصا وان اتابعهم بالتعليق ، كمـا لا أرى ان اتتبع قضية بعينها أو قضايا . غاية الامر اننى بدأت قراءة الحوار وأنا مؤمن بجوهر وضرورة التطبيق الاشتراكى لبـلد نام كمصر ، وانتهيت منه وأنا اكثر ايمانا .

يبقى اذن ان نتأمل قليلا فى الحصيلة النهائية لحوار اليسار الذى امتد على مدار تسعجلسات، والذى انتهى الى « مشروع برنامج للعمـل الفكرى والسياسىوالاجتماعى فى مصر » «مجرد تصور ماينبغى ان يكون عليه العمل .. » كما استخلصه وعرضه فى الجلسة الختامية الزميل الاستاذ لطفى الخولى .. ثم « بيان الندوة » .

أولا — من ناحية الشكل بل الموضـوع ، ففى تصورى أنه بعد هذه المناقشات التىتعمقت فى صميم حياتنا ومشاكلنا وتجربتنا ومستقبلنا مايمكن أن تنتهى الندوة التى شـارك فيها من شارك من اليسـار المصرى ، دون أن تعـرض تصورها لما يحسن ان نشكل به حياتنا فىسبيل التقدم وتحقيق أهداف النهوضبالمجتمع المصرى، أن يترك الامر لقراء الندوة يستخلصون منـه ما يشاءون .. لا يصادر عليه والقصـور أو مشروع البرنامج ، فهم سـيرون فيـه ايضـا مايشاءون .. لا يصادر عليه التصـور او يلخص اعضاء الندوة ما انتهوا اليه . صحيح أن مجموعة « اخرى » من اليسار المصرى — فمجموعةالندوة ليست طبعا«كل» اليسار المصرى — قد تجتمع وتتناقش هى الاخـرى وتخـرج بتصـوراتها التى قد تتشـابه او تختلف بعض الشىء مع التصورات التىاعلنتها ندوة الطليعة، ولكن ذاك لا يحظر ذلك .. وما كان عطاء ربك محظورا ! وصحيح ايضا أن مجموعة الطليعـة لم تجتمع لتقيممنبرا أو تنظم حزبا .. ولكنماذا يمكن انننتظر من نخبة من المفكرينالسياسيين

□□□□□□□□

الا أن يعلنوا آراءهم ويطرحوها — بعد تلك الجلسات المضنية — للتأمل على الاقل او لتكون نواةلتشكيل منبر أو لتحديد وتوضيح وتأكيد اتجاه وطنى تقدمى قائم ! واقول .. ليت المنابر التى « تسربع » أو بادر من بادر باعلانها كانت قد سلكت نفس السبيل . ومن هنا ، فمع تقديرى البالغ للاستاذ الكبير توفيق الحكيم — رائد ندوة الطليعة — ومع احترامى لاصراره على « حرية الفكرية الفردية » وعدم وضع لافتات فوق رأسه أن تجمده ، فاننى لا أوافقه على ان تصور وضع سياسى واقتصادى للمستقبل — أو بعبارة اخرى انتهاج خطة للعمل السياسى — هو من قبيل « الغيبيات » ، والا كنا نلغى بديهيات ومسلمات فى العمل السياسى المنظم والذى يملك من المرونة ما يطوع له حسن المواجهة وتعديل التكنيك . وان كان « الحكيم » قد شارك فى النهاية فى وضع بيان الندوة .

ثانيا — بلغ احكام البرنامج أو التصور المطروح حدا رفيعا من النضوج السياسى الفكرى — فى رأيى — وفى الامال الواسعة ايضا . ولكنى أركز على ما عقب به الزميل الاستاذ خالد محيى الدين على البرنامج فىقوله « البرنامج المقدم جيد . ولكن يجب ان يدخلفى الاعتبار الاهتمام بتقديم حلول عملية لما هو مطروح من قضايا ومشاكل آتية » .

ثالثا — مما يتصل بما تقدم بل يتعداه هو السؤال التقليدى الصعب : كيف يوضع هذا التصور موضع التطبيق ، بل كيف يطبق ما هو اقل منه طموحا ؟! لعل الاجابة التقليدية والمنطقية ايضا هى : بالعمل السياسى والنضال الجماهيرى ! وتلك هى القضية من الفها الى يائها .. اى ابتداء من محو الامية الى خطة التنمية الى التحرر الوطنى الكامل الخ. واذا دخلنا فى التفاصيل الموجعة فاننى أشير فقط الى ان مصر — واعنى اداة الحكم — تملك مواثيق وبرامج مازالت قائمة الى الان .. منها الميثاق الوطنى وبيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى وورقة اكتوبر .. كلها تدعو الى التطبيق الاشتراكى والى الديموقراطية السياسية والديموقراطية الاجتماعية والى اشياء باهرة حقا كان يكفى لو نفذنا — فى تبتل — ثلثيها لبلغنا شاوا كبيرا . ولكن مرت السنوات تلو الاخرى بغير ان نحققبعض ما نريد . قد يكون صراعنا مع اسرائيل والصهيونية والامبريالية يعوق مسيرتنا كما يقال عادة . غير انه من المؤكد أن جديتنا فى التطبيق . لو حدثت . كانت تدعم صراعنا ضد هذه القوى المعادية . هنا تكمن خطورة سلبيات التجربة . هنا يتمزق المرء الما لان « القدوة الحسنة » على مختلف المستويات كانت شبه معدومة . هنا يصمت المرء او يهز رأسه أسفا — وموافقة الى حد ما — على تعبير يردده البعض عن « دعاة الاشتراكية » بوصفهم انهم كانوا « الاشتراكيين الاثرياء » !

على ان الخطورة الحقيقية فى هذا كله هو استغلال سلبيات التجربة « للردة » او لخداع الناس باوهام « خيرات » الراسمالية والانفتاح الاقتصادى الحر « وشبعنا اشتراكية » فتدفع الجماهير المغلوبة على امرها الثمن مرتين ! ويثرى من يثرى من الطفيليين فوق جثة الاشتراكية المظلومة .. وناهيك عن اساليب الارهاب والقهر وانعدام الحرية السياسية وكل تلك الافات التى « برع » فيها حفنة من الناس — فى غفلة من الزمن أو فى غفلة من الحكام — والصقت بالاشتراكية ، مع أن الاشتراكية الحقة — التى هى الكفاية والعدل وصيانة حقوق وحريات الجماهير — هى ضد تلك الاساليب على خط مستقيم .

ولست ازعم أن هذا غاب عن حوار الندوة التى لم أرد الدخول فى تفصيلاتها . ولكن الحديث متصل وذو شجون .. والسؤال « كيف ؟ » محير وملح وباعث « للتناقض » احيانا .. فمعذرة :

نقول عادة لمن ينشد « العصا السحرية » أو يلتمس « نزول المعجزات » ان « الشعب » يملك تلك العصا السحريةوهو صانع المعجزات. وهذا حق ..وامامنا نماذج عظيمة من اوروبا الى الصين بدأت من تحت الصفر . ولكن لابد ابتداء من « التربية » الحقيقية لكى « يولد » الشعب بحق ويعطى ..

هل « سرحت » وخرجت عن الموضوع ؟ ربما كانت هذه غلبة « طبيعة الشاعر » فى وجدانى .. فمعذرة مرة أخرى !

الطريق امامنا طويل وشاق ولاشك ، ولكن لاشك ايضا فى أن امثال « ندوة حوار اليسار مع توفيق الحكيم » تساعد على اضائته والاسراع به وتذليله .. فتحية لها واملا فى بلوغ الاهداف بمصرنا العزيزة التى ظلمناها طويلا وظلمنا انفسنا . □

اجابات متعددة على سؤال :

العـــدل الاســـلامى
هـــل يمـــكن أن يتحقـــق ؟

فى عدد نوفمبر ١٩٧٥ ، كتب المفكر الاسلامى د. محمد احمد خلف الله ، يعالج هذا الموضـوع ، ويبحث سبل التوصـل الى تحقيق العدالة فى المجتمع الاسلامى المعاصر .
وفى هذا العدد يعالج نفس الموضوع ، ويناقش افكار الدكتور خلف الله ، كل من الدكتور محمد رضا محرم المدرس بكلية هندسة الازهر — بالقاهرة ، ومحمد قطينه من السلط بالاردن .

○ خـبرات العصر ..
وتحقيـــق العـــدل الاســـلامى

د. محمد رضا محرم

فى عدد نوفمبر ١٩٧٥ ، نشرت مجلة « **الطليعة** » دراسة قيمة للمفكر الاسلامى العصرى « **الدكتور محمد احمد خلف الله** » . تحت عنـوان « **العدل الاسلامى ... هل يمكن أن يتحقق ؟** » ، وقد رصد الدكتور عللا أربعة أصابت المجتمع أو المجتمعات الاسلامية ، وحالت ، ولا تزال تحول ، دون تحقيق العدل الاسلامى الذى حدد القرآن معالمه . وهذه العلل الاربعة هى :

[١] قدم المعايير التى تجرى بها الموازنة بين الحق وبين الباطل ، وعجز هذه المعايير عن أن تحق حقا ، او تبطل باطلا ، أو تقيم عدلا فى مجتمع معاصر .

[٢] فوضى واضطراب هذه المعايير ، وشدة الاختلاف فى تقريرها بين القـدامى من فقهـاء المسلمين ، الذين لا نزال ننقل عنهم ، وخاصة فيما يتصل بعلاقة الناس بعضهم ببعض ، وبالموقف من كل ما تمارس به الحياة فى ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع .

[٣] عجز المعاصرين من رجال الدين المسلمين عن مسايرة الحياة الحديثة ، ووضـــع المعايير الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التى تمارس الحياة على أساس منها .

[٤] أما العلة الرابعة فتتعلق بالقائمين على شئون العدل ، ليحقوا الحق ، ويبطلوا الباطل ، من رجال الفكر بصفة عامة ، ورجال الدين بصـفة خاصة ، والذين يحرص الكثيرون منهم على ارضاء ذوى النفوذ والسلطان ، يقولون لهم ما يرضيهم ، ويفعلون من أجلهم كل ما يحقق رغباتهم حتى ولو لم تكن هذه الرغبات عادلة .

□□□□□□□□

ملاحظتان أوليتان !

قبل أن نقوم العلل الاربعة التى رصدها **الدكتور خلف الله** فى مقاله ، وقبل ان ننطلق منها باحثين عن مصادر جديدة ، لمعايير عصرية جديدة ، تصنعها خبرات العصر الجديد الذى نعيش فيه ، وصولا الى العدل الاسلامى الذى نحلم به ، لابد من تسجيل ملاحظتين أساسيتين وأوليتين . هاتان الملاحظتان تتعلقان بمناهج الحوار وضوابط الجدل وآداب المداولة الفكرية بين المتحدثين باسم الاسلام . وقد حرضنى على تسجيل هاتين الملاحظتين جمل أو فقرات تضمنها مقال **الدكتور خلف الله** ، وقد ورد البعض منها مستخفيا أو على استحياء ، بينما ورد البعض الاخر فى جراة ظاهرة تحمد للكاتب .

أما ما تصورته قد ورد على استحياء فهو قول كاتب مقال « **العدل الاسلامى ... هل يمكن أن يتحقق ؟** » فى معرض حديثه عن العلة الاولى التى تحول دون تحقيق العدل فى المجتمعات الاسلامية :

« ونحن لن نخشى هذا الموقف مادام هدفنا هو احقاق الحق ، واقامة العدل ، وبنـــاء المجتمـع الاسلامى على أساس من كل ما ينفع الناس ويمكث فى الارض » .

والذى أعقب قوله :

« ومن الغريب أن المسلمين اليوم لا يعنيهم أمر من هذه الامور ، بقدر ما يعنيهم الاستمساك بهذا القديم لانه التراث الصالح لكل زمان ولكل مكان . ويكون استمساكهم أشد عندما يكون المعيار القديم نصا من النصوص ، او حكما لاحد الصحابة او التابعين ، او قاعدة فقهية توصل اليها فقيه من الفقهاء أو مشرع من المشرعين . **انهم عند ذلك يتهموك فى عقلك أو فى دينك ان أنت أخذت بيدهم الى حيث المتغيرات وطالبتهم بالبدائل !** .

وقد آلمنى ان نقدم مفكر اسلامى متمكن، ومشهود له **كالدكتور خلف الله** ، للافكار التى يعرضها ، والتى قد لا تروق لبعض من يختلفون معه ، عن جهل أو عن تبصر ، بكلام قد يحمل على الظن بانه يدافع عن تدينه وعن اسلامه ، بل ويؤكدهما ، تحسبا لبعض حملات الغوغائية الفكرية المتسربلة بلباس الدين . وهو الامر الذى أوشك أن يكون ظاهرة أو عادة ثقافية] فى كتابات المفكرين الاسلاميين ذوى الرؤى العصرية ، والذين يدعون الى مواجهة النقل بالعقل ، ويجاهدون فى ســـبيل أن يعيش المسلمون واقع عصرهم فى اطار من القيم الاصيلة التى جاء بها الدين الاسلامى . وهو الامر الذى يجب أن يتجاوزه هؤلاء المفكرون الاسلاميون ، وأن يتعودوا ممارسة التفكير والكتابة فى غير حرج أو تخوف ، فالدين علاقة بين العبد وبين ربه ، والاسلام لا وصاية فيه من أحدهم على تدين الاخرين ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يغضب من أسامة بن زيد اذ قتل مشركا أسيرا نطق الشهادة ، ظنا منه ان الاسير يستنقذ نفسه من القتل ليس الا ، ويقول له موبخا : « هلا شققت عن قلبه لتعرف ان كان قالها أم لا ؟ ! » ، حتى أن أسامة ود لو انه اسلم بعد هذه الواقعة لتغفر له .

ولعله من الطريف هنا ، أن نذكر أن **المرحوم الاستاذ سيد قطب** ، وهو من نعرفه جميعا ، انتماء ، ومنهجا ، وغاية ، عندما قدم كتابه « **معركة الاسلام والرأسمالية** » ، والذى قال فى سطوره الاولى :

« هذا الوضع الاجتماعى السىء الذى تعانيـه الجماهير فى مصر ... غير قابل للبقاء والاستمرار ... هذه حقيقة يجب أن تكون معروفة للجميع ، كى يمكن السير بعد ذلك على هداها فى الطريق الصحيح » .

قد قال فى الصفحة الثانية من الكتاب ، وربما لنفس الاسباب التى اوردتها من قبل :

« **فليقل من شاء كيف شاء ، من الطغاة المستغلين ، ومن رجال الدين المحترفين ، ومن الكتاب المرتزقين ، والصحفيين المأجورين : ان الدعاة الى اصـلاح هذا الواقع الاجتماعى السىء ، شيوعيون ، أو خارجون عن القانون ، أو خطـــرون على الامن والنظام ، أو دعاة هدم وفـوضى ، وليحاربوهـم بكل الوسائل الجهنمية ، التى يملكها الطغاة فى كل زمان ومكان ، ليزجوا بهم فى المعتقلات والسجون ، وليعطلوا لهم الصحف والاقلام ، وليحاربوهم فى ارزاقهم وقواتهم ، وليسدلوا الستار على حياتهم وذكراهم** » .

ولكن المرحوم الاستاذ **سيد قطب** ، حزم أمره ، وتوكل على الله ، وقال فى عام ١٩٤٩ ، عن هذا كله :

« **انه عبث .. عبث ضائع ... عبث ضـد طبائع الاشياء** » .

اما الملاحظة الثانية فتتعلق بما اورده الدكتور خلف الله صراحة ، وهو يتحدث عن العلة الرابعة التى تعوق تحقيق العدل الاسلامى ، من أن الكثيرين من رجال الفكر بصفة عامة ، ورجال الدين بصفة خاصة ، « يحرصون على ارضـــــاء ذى النفوذ والسلطان ، يقولون له ما يرضيه ، ويفعلون من أجله كل ما يحقق رغباته حتى ولو لم تكن عادلة » . وهذا الذى أورده الدكتور خلف الله يعبر عن

حقيقة علمية أكدتها الخبرة الانسانية ، فى جميع المجتمعات المعروفة ، وليس فى المجتمعات الاسلامية فقط . فكل فكر ، سواء كان سماوى المصدر أو انسانى الصياغة ، له جنوده الذين يدافعون عنه ، وله فى نفس الوقت المرتزقة الذين ينتفعون من ورائه والذين يتاجرون فيه بتحريف كلمه عن مواضعه . ومن هنا فاننى اطلب من **الاخرين** ان لا يزعجهم او يغضبهم ما اورده الدكتور خلف الله فى هذا الخصوص . أما من يكابر فيعرض عن هذا المطلب الحضارى فاننى اضرب له مثلا ما فعله الملك فؤاد الاول فى عام ١٩٢٥م ، وموقفه من الاسلام ومن العدل غير خاف على احد ، حين فاجاه الشيخ على عبد الرازق بكتابه « الاسلام واصول الحكم » فى العشرينيات ، وفى وقت كان يجهز نفسه فيه ليرث الخلافة التى سقطت فى تركيا . فقد جرد القصر حملة دينية ضد الشيخ على عبد الرازق ، جرى فيها خلط كبير بين الدين وبين الاعيب السياسة ، وانتهت باخراج الشيخ على من زمرة العلماء ، وتجريده من جميع مناصبه . وارسل الشيخ محمد ابو الفضل شيخ الازهر وقتئذ برقية عاجلة الى القصر الملكى يقول فيها :

« صاحب السعادة كبير الامناء بالنيابة ، الاسكندرية ....

أرجو ان ترفعوا الى السدة العلية الملكية ، عنى ، وعن هيئة كبار العلماء ، وسائر العلماء ، فروض الشكر وواجبات الحمد والثناء على ان حفظ الدين فى عهد جلالة مولانا الملك **من عبث العابثين والحاد الملحدين** ، وحفظت كرامة العلم والعلماء . واننا جميعا نبتهل الى الله ونضرع اليه أن يديم جلالة مولانا الملك مؤيدا للدين ، ورافعا لشأن الاسلام والمسلمين،وان يحرس بعين عنايته حضرة صاحب السمو الملكى الامير فاروق ، ولى عهد الدولة المصرية ، انه سميع مجيب . »

وبعد مضى نصف قرن على هذه الوقائع ، اظن أنه لم يبق ناصعا غير موقف الشيخ على عبد الرازق، **الذى عاد الازهر الشريف فصحح موقفه منه وأعاد اليه مؤهله العلمى ، ورد اليه شرف الانتساب الى زمرة العلماء** ، وكذلك موقف الذين أيدوا حرية التفكير سواء وقفوا فكريا الى جوار الشيخ على عبد الرازق او لم يقفوا الى جواره . اما قضية الخلافة التى اقتتل البعض فى سبيلها منذ خمسين عاما ، والتى جرح البعض تدين البعض الاخر بسببها وقتئذ ، فلست أظنها تشغل الان حيزا ذا بال فى العقل الاسلامى أو فى الفكر الاسلامى المعاصر .

الانتقال من التشخيص الى التطبيب :

اقتصرت دراسة الدكتور خلف الله على استعراض وحصر العناصر السلبية التى تعوق حركة التقدم فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع المسلم ، او بعبارة اكثر دقة ، فى المجتمع الذى تنتسب اغلبية سكانه الى الاسلام . وقد اصاب الدكتور الهدف ، ووصف الداء ، ورصد العلل ، واحسن التشخيص ، غير اننى آخذ عليه ما آخذه على كثيرين من المفكرين الاسلاميين ممن يشغلهم تتبع السلبيات فى حياة المسلمين عن استكشاف مسالك الايجابيات التى قد ترقى بهم الى مراتب حضارية أرقى ، أو اخلاقية أعلى ، أو دينية أنقى ، والذين يستنفذون الجهد كل الجهد فى تشخيص الادواء وتنقطع بهم الحيل عن تحديد أو تقديم الدواء ، فينتهون فى خواتيم دراساتهم الى مجموعة من النواهى واللاءات لزجر المسلمين عن اتيان ما تم رصده من موبقات ، أو ينتهون الى مجموعة أخرى من النصائح أو الاوامر الهلامية التى لا تحدد طريقا ، ولا ترسم منهاجا ، ولا تقدم خطة يتبعها المجتمع المسلم لينتقل خطوة اخرى او خطوات أخريات الى الامام ... وهكذا يظل مثلنا نحن المسلمين كمثل المنبت ، لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى !!

ولعل نزعة التسجيل الفوتوغرافى لسلبيات مجتمعات المسلمين ، والحساسية المفرطة نحو هذه السلبيات ، والاكتفاء برصدها ، والتخويف منها ، أوضح ما تكون فى الجانب الاخلاقى من القيم الاسلامية المعاصرة ، الى حد ان الداعين الى قيم الاسلام أصبح شغلهم الشاغل صرف المسلمين ـ بالترغيب او بالترهيب ـ عن اتيان النواهى التى نهى الاسلام عنها ، خاصة ما يتعلق منها بالكبائر التى حددها الاسلام وسماها وقدر عقوباتها كالزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس التى حرم الله بغير الحق ، حتى بدا الامر وكأن مجرد اجتناب هذه الموبقات هو الفضيلة والرقى والخلاص من صور التخلف الاجتماعى والثقافى والسياسى والحضارى التى تصارع المجتمع المسلم وتصرعه . وينسى هؤلاء الدعاة أو يتناسون أن الكثيرين من أهل الشرق ومن أهل الغرب على حد سواء ، قد قطعوا فى سبيل صلاح دنياهم وبناء مجتمعاتهم المعاصرة اضعاف ما قطعنا من أشواط ، وحققوا لانفسهم أضعاف ما حققناه لانفسنا [بل ما ضيعناه على أنفسنا] ، رغم أن ما تأتيه مجتمعاتنا من الفواحش ـ ما ظهر منها وما بطن ـ قد لا يقاس بما تمارسه تلك المجتمعات فى حيواتها اليومية

والطبيعية . وانا وان كنت مع هؤلاء الدعاة فــى ضروره التطهر الخلقى واهميته ، ووفق للرويه الاسلامية ، الا اننى اتصور أن الطريق الى تحقيق هذا لا يتاتى عن طريق الرصـد المريض لسلوك المسلم ، او التأنيب الساذج له على هذا السلوك ، **وانما يتأتى بتنشيط الجانب الايجابى والفعال فى حلق الانسان المسلم** ، ليكون انسانا متحضرا يلتزم الجدية فى القول وفى العمل ، ويحترم النظام فى التفكير وفى الممارسة ، ويعشق التعاون فى أوقات الرخاء وفى أوقات الشدة ، ويأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين . ولست اظن كل هذا أو جتى بعضه يمكن تحقيقه ما لم نجتهد لاصلاح الاطار المجتمعى الخارجى الذى يتحرك فيه هذا الانسان المنتسب الى الاسلام بطريقة عصرية ، لنساعده على الالتفات الى وتبنـى الاوامر التى أوجبها عليه الاسلام ، وألزمه أن يكون بمقتضاها عضوا ايجابيا صالحا فى المجتمع المسلم ، والتى ألزمه القرآن بها قبل أن يبصره بالنواهى ، **حيث لم يرد فى القرآن نهى عن منكر الا واقترن به بل وسبقه أمر بمعروف .**

* ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [١٠٤ آل عمران]

* يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر [١١٤ آل عمران] .

* يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة . [٧١ التوبة] .

* قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به [٣٦ الرعد] .

* ماآتاكم به الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا [٧ الحشر]

والامر بالمعروف من وجهة نظر الاسلام ، حتى وان كان أخلاقى المنطلق ، تطهرى النزعه ، الا أن القصد الحق من ورائه ليس صـلاح الذات المسلمة فقط ، اذ أنه يستهدف فيما يستهدف صلاح المجتمع المسلم ايضا ، بل انه ليتسع الى ما وراء ذلك ليشمل تحقيق صلاح الكون الذى يعمره الانسان خليفة الله فى أرض الله . ومن هنا فاننى أتصور أن الاجتهاد لتحديث المجتمـع الـذى يعيش فيه المسلمون وعصرنته ـ اذا صحت التسمية ـ يدخل فى نطاق الامر الاسلامى بالمعروف ، وقد يكون هو الخطوة أو الخطوات الاولى فى رحلة الالف ميل التى يسعى فيها الاسلام ـ كما تسعى البشرية جمعاء ـ لتحقيق العدل فى ارض الله .

□□□□□□□□

العصر الذى نعيش فيه :

شئنا ام أبينا ، اعترفنا بذلك او أنكرناه ، فنحن عيال على ثقافة وحضارة الغرب . واقصد بالغرب ذلك النطاق المتقدم من القطاع الشمالى فى العالم ، والذى يضم أمريكا الشماليه واغلب القاره الاوربية بما فيها الروسيا ، والذى قد يتسع ليشمل اليابان الواقعة فى اقصى الشرق ولكنها نعيش حياه عربية خالصة . ونحن نعيش هذه الثقافات او الحضارات ـ خاصة فى مدننا وفى القطاعات المتقدمة نسبيا من ريفنا ـ بل وندمنها كحقيقه واقعه ومجسدة فيزيائيا ، رغم ان البعض منا قد يكابر ويلوى المنطق ليدفع عن نفسه هذا الشىء الذى يتصوره اتهاما . **وبعبارة اخرى فاننا نعشق هذه الحضاره الغربية بالهوى ، وان كان الكثيرون منا يطردونها باللسان .** وسيادة ثقافات وابداعات الشمال هذه فى حياتنا تبنى على حقيقتين ، حضـاريه وتـاريخية . اما الحقيقة الحضاريه فمفادها ان الحضاره القوية ـ فى مرحله تاريخيه ما ـ تفرض نفسها وتفرض ثقافتها على الذين يحتكون بها او يتعاملون معها . أما الحقيقه التاريخيه فيقررها ان النقله الاولى لمصر على طريق المعاصرة قد تمت فى بدايات القرن التاسع عشر ـ فى اعقاب الحمله الفرنسيه ـ بالاحتكاك مع الحضارة الاوربية . وفى الاثار الفكرية التى خلفها [الشيخ] رفاعه رافع الطهطاوى ، كما فى الاثار المادية التى أنجزتها البعثات العلمية التى أوفدها محمد على وعادت لبناء مصر الحديثة ، خير دليل على ذلك . وفى النصف الاول من القرن العشرين ، لم يكن فى مقدور [الشيخ] الدكتور طه حسين أن يترك بصـماته على العقليـة الفـكرية المصرية ، وخاصه فى مجال الدراسات الاسلامية التـاريخية ، التى قدم فيها كتبه عن « الفتنـة الكبرى » ، و « على هامش السيرة » ، و « حديث الاربعاء » ، خاصه فى الجزء الثانى من الكتاب الاخير ، ما لم تتفاعل ثقافته الاسلامية البحتة مع الثقافات المعاصرة التى امدته بأدوات للبحث ومناهج للتفكير لم تكن لتتيسر له فى اطار الثقافة المنغلقة التى عاشها فى مصر قبل سفره الى فرنسا .

أما الذين يتحصنون وراء كتب التراث ومتاريسه ، وينغلقون عن تيارات أخرى تتلاطم فى العالم الذى ينتسبون اليه او فى المجتمع الذى يعيشون فيه، فانهم يقعون فى محظورين . اما المحظور الاول ففيه تجاوز لروح العصر الذى يستحيل ان يتواجد فيه أى « **جيتو فكرى** » بالرغم من ثورة المواصلات المنتشية بين اطرافه بل والمعربدة بين أقاصيه ،

والذى يصنع التقدم فيه والتحضر تنوع بل وعالمية المجهودات الانسانية . اما المحظور الثانى ففيه تجاوز لروح الاسلام الذى يدعو الى التبصر والى التعقل ، والذى قال رسوله للمسلمين من أتباعه « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . ومرة أخرى نلجأ الى الاستاذ سيد قطب فى هذا الخصوص ، وهو حسبما تراءى لى ، رجل ظلمه المتحمسون له اذ اساءوا فهمه ، كما ظلمه الذين خالفوه اذ تطاولوا عليه ، رغم أنه من أنجح مفكرى الاسلام الذين زاوجوا بين خبرات العصر وبين قيم الاسلام الاصيلة ، فنجده يقول فى كتابه « معركة الاسلام والرأسمالية » :

« كذلك يخلط الكثيرون بين الشريعة الاسلامية فى ذاتها ، وبين النشأة التاريخية للفقه الاسلامى ، فيحسبون ان معنى استيحاء القوانين من الشريعة ، هو الوقوف عند الاحكام الفقهية التى وردت فيها - وهى بطبيعة الحال لا تكفى لمواجهة حاجات المجتمع كلها - على توالى الزمان » .

ثم يفخر بأنه قدم كتابيه « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » و « السلام العالمى فى الاسلام » ، وهما من أعظم وأعمق ما قدم فى هذه المجالات ، فيقول : « لم أجد أننى بحاجة الى الرجوع الى شىء من كتب الحواشى ، لان الينابيع الاصيلة فى الاسلام ، فى الكتاب والسنة والسيرة والتاريخ ، كانت كافية لى لاخراج هذين البحثين ولاخراج سواهما مما سيجىء » .

أما عن عدم كفاية الطمطمة ، والدروشة ، والتعمم ، والقراءة فى كتب الفقه والسنة ، أو حفظ المتون والحواشى والشروح ، أو اتقان التراتيل الدينية ودلائل الخيرات [كذا كما ذكر فى كتابه وبنفس الالفاظ التى استخدمها] لمواجهة أمور الدنيا ، ومتطلبات الحياة ، فانه يقول :

« فواقع الاسلام التاريخى ، كأصوله النظرية ، لا يعترف الا بالكفاية الخاصة ، فى العمل الخاص ، **ولكل وجهة هو موليها** » .

وهذا العصر الذى نعيش فيه تميزه مجموعة من الملامح الاساسية ، ويبدو أن التحديد المسبق لهذه الملامح من الضرورة بمكان ، ذلك أنه على ضوئها قد يتحدد دورنا ، أو بالتحديد دور الفكر الاسلامى حين نسعى أو حين يسعى هذا الفكر لتحقيق العدل الاسلامى . وفى شىء من الايجاز يمكن توصيف الخصائص أو الملامح المميزة لهذا العصر الذى نعيشه فيما يلى :

[١] انه عصر ثورة المواصلات والاتصالات ، وبالتالى فان أى مكان فى العالم المتسع لم يعد بمنأى عن التيارات الثقافية او السياسية أو الاجتماعية التى تنبعث من أقصى الاماكن موقعا بالنسبة اليه . وبالتبعية فان أيا من الانماط الفكرية السائدة فى مجتمع ما لا يستطيع - اذا ما توفرت الرغبة فى استمراره حيا - أن يتقوقع داخل صدفات الذاتية الضيقة ولا يتفاعل بل ويتذاوب مع التيارات الفعالة من الفكر الانسانى المعاصر . أكثر من هذا فان الرفض العصبى أو الادعاء بعدم الاعتراف بفكر ما ، تحت أية دعوى من الدعاوى الشكلية المتخلفة والمعروفة ، لن يحول بين هذا الفكر وبين اكتساب مواقع له الى جوار الفكر الرافض ، فتعدد الافكار وتباينها قد يكون واحدا من سمات عصر القلق هذا الذى نعيشه ، وفوق هذا فان التجربة تثبت ان اكثر الافكار تعرضا للمنع او للحجر هى اكثرها استهواء للناس بل قد تكون اكثرها استحقاقا للتواجد فى دنيا المستقبل .

[٢] انه عصر تدقيق التخصصات ، وتدقيق التخصصات هذا هو النتيجة الحتمية للاتساع الرهيب لمجالات العلوم ولمجالات الفكر الانسانى . فقد مضى زمن الحكيم الذى كان يجيد التطبيب ، ويتقن التفلسف ، ويرتزق بالادب ، ويقرض الشعر ، ويمارس رواية السير ، ويجتهد فى تحصيل الفقه ، ويعلم الناس دينهم ، وقد يؤلف فى الرياضيات وفى الفلك ايضا . وجاء عصرنا هذا الذى اصبح الطبيب فيه اطباء ، والفيلسوف فلاسفة ، والحكيم عشرات من المتخصصين فى علوم الانسان وعلوم الاجتماع ، بل وحتى الفقيه أصبح هو الاخر متخصصا ، فقد يتقن السيرة دون الفقه ، وقد يجيد علوم الحديث دون علوم الكلام ، وقد يتعمق فى معارف التفسير دون معارف العقائد . ومن هنا فان هذا العصر لم يعد عصر العالم أو الاديب أو المفكر او الفقيه الفذ المتفرد ، بل أصبح عصر العمل بروح الفريق وبمنطق التكامل لدى الجماعة . وأصبح اتقان الانسان لتخصصه وتعمقه فيه لا يعطيه ولا يرتب له حق الانفراد باتخاذ القرار أو البت فى قضية ما ، فهذه القضية مهما كانت بساطتها وصغرها أشمل وأوسع من تخصصه ومن معارفه .

[٣] ثم ان عصرنا هذا ، هو بغير شك ، عصر الحياة المعقدة ، عصر التداخل النسيجى الطابع بين المعارف المختلفة وبين أنماط السلوك المتعددة ، فقضية ما ، كقضية الرعاية الصحية والخدمات العلاجية مثلا ، قد تبدو فى ظاهرها من اختصاصات رجال الطب ورجال التمريض ، ولكنها فى الحقيقة تعبير عن تفاعلات معقدة بين معاملات متعددة ، ينتسب بعضها الى القضور فى التعليم ، وينتمى

□□□□□□□□

بعضها الاخر الى قصر النظر السياسى ، وقد يفرز بعضها الثالث تخلف اجتماعى يضرب بجذوره فى أعماق الناس ، أما البعض الرابع من هذه العوامل فقد يكون نتيجة الضمور الاقتصادى الذى يعانى منه المجتمع ، بينما يأتى الاداء الطبى أو التمريضى فى المؤخرة . ومن هنا فان الاقرار بصلاحية اختيار ما ، يجب على المجتمع ان يتبناه لمواجهه مشاكله أو للخروج من الضائقات التى تلم به ،لم يعد يصح أن يكون حكرا لفرد معين مهما بلغ علمه ، او لنوعيه من الناس معينة مهما بلغ تقديرنا لعلمها او لجدية ممارستها . وفى وضوح اكثر اقول ان دور المتفقهين فى الدين [ولا أقول رجال الدين لان الاسلام لا يعرف توكيل الناس وظائفا باسمه] لم يعد هو التنقيب عن حلول قديمه وبسيطة لمشكلات جديدة ومعقدة ، ولم يعد هو تجريح اجتهادات علماء الدنيا المحدثين ورفضها تحت دعوى أن شر الامور محدثاتها ، وأن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار . بل ان دور هؤلاء المتفقهين فى الدين يجب ان يدور حول المفاضلة بين البدائل التى يقدمها العلم الحديث ، لتزكيه انسبها لمصلحه المجتمع ، واكثرها تواؤما مع روح الاسلام ، واشدها اقترابا من مقتضيات العدل الاسلامى .

[٤] ومن أوضح ملامح عصرنا هذا ، انه عصر صراعات عنيفة ، وهذه الصراعات قد تكون صراعات سياسية ، او صراعات اجتماعية ، او صراعات اقتصادية ، وهى قبل كل هذا وفوق كل هذا صراعات ايديولوجية . ومثل هذه الصراعات تجرى على مستويات ثلاثة ، أولها كونى يتصارع فيه الشرق والغرب ولا يسلم العالم الثالث من جاذبية هذا الصراع ، وثانيها اقليمى كذلك الذى يجرى بين الغرب الاوربى وبين الغرب الامريكى او ذلك الذى يجرى بين الدول الصناعية وبين الدول المنتجه للمواد الخام ، أما ثالثها فمحلى وهو فى الغالب اجتماعى الطابع والاهداف . ومستويات الصراع الثلاثة المذكورة ليست منعزلة تماما عن بعضها البعض ، فالاتصال بين كل منها وبين الاخرين قائم ، كما أن التأثير متبادل ، والاحابيل والالاعيب السياسية متدفقة ومتدافعة فيما بين هذه المستويات . وهذا الشىء الذى ابتدعته دبلوماسية العصر ، وأسمته « الوفاق » ، ليس يعنى تجميد الصراع — خاصة على المستوى الكونى — ولكنه يعنى فقط تهذيب الصراع ، وهو الشىء الذى يجب ان لا يخدعنا نحن المنتسبين الى الدول الفقيرة الصغيرة ، فننسى أو نتناسى تجاربنا المريرة مع القوى الرأسمالية أو شبه الرأسمالية والتى لم تكن لتقبل هذا الوفاق الا خضوعا لمقتضيات عصر فقدت فيه الكثير من رونقها ، والكثير من عتوها ، والكثير من ضراوتها ، ولكنها لا تزال تسعى لنفس الاهداف بمعدلات أقل شراهة ، وبأساليب أكثر التواء .

وفى خضم هذه الصراعات العاتية ، يجب على المسلم أن يتبصر لقدمه موقعها ، وان يبصر لدينه مكانه الصحيح ومكانته . فليست مهمه الدين الاسلامى ان يحمل سيف واحد من الفرقاء ليؤدب له الفريق الاخر ، كما انه لا يليق به ان يمارس العداء — بحركته — ضد هذا الفريق بناء على همس الاخرين أو وسوساتهم ، أو تحت تأثير دعاوى أو أدعاءات تخصهم هم وليست تخص الاسلام او تخص المسلمين . وبالطبع فاننى لست اطلب للاسلام دورا سلبيا فى هذا الصراع ، ولست أقترح عليه دور المتفرج يقوم به ، فهذا شىء لا يليق بدين ايجابى هو دين حياة يومية ، ثم انه دور لا رضاه المسلم المحب لدينه والمتفهم له من جهة ثانية . ويبقى أمام المسلم الحقيقى — والحامل لدعوة الاسلام الحقة ، والمكلف برسالته — أن يكتشف وان يدعم وان يطرق المناهج والمسالك التى تؤدى الى تعزيز الكرامه الانسانيه ، والتى تفضى الى رفع البلاء أو القهر عن بنى الانسان ، والتى تنتهى الى تحقيق العدالة بين البشر جميعا .

[٥] اما ابرز ملامح هذا العصر بغير منازع ، فانها تتجسد فى كونه عصر مواجهة المشكلات الاجتماعية بالاساليب وبالمناهج الاشتراكية ، خاصة فى الدول النامية والدول الفقيرة ، حيث فشلت الانماط الراسماليه فشلا ذريعا فى مواجهة الواقع السىء لهذه المجتمعات وأعلنت افلاسها . وقد جاء مسلك الرأسمالية أمرا طبيعيا فى هذه الدول الناميه التى لا تملك مصادرا للتراكم الرأسمالى فى صوره مستعمرات تنهب كولونيونيا او توابع تستنزف امبرياليا ، والتى لم يكن امامها من سبيل لاحداث هذا التراكم الا بالاعتماد على النفس أولا ، ثم على القروض غير المشروطة التى تقدمها الدول او الكيانات المناصرة لحركات التحرير ثانيا .

وبالمشاهدة المجردة ، وبالتقويم الاحصائى ، يثبت ان الاشتراكيه — بصورها المعتدلة او المتطرفة — تكسب مواقعا جديدة تتسع يوما بعد يوم . وهذا يؤكد أمرين أساسيين ، أما أولهما فهو أن مطلب العدل الاجتماعى الذى تلتزم الاشتراكية بتحقيقه مطلب ملح وحيوى لدى الانسان المعاصر ، اما ثانيهما فهو الولاية المستقبلية للافكار وللمناهج الاشتراكية — أيا كانت مسمياتها — على مجمل الواقع الاجتماعى وعلى المسار التاريخى للانسانية فى الحقبة أو فى الاحقاب القادمة .

تحقيق العدل ليس دعوة اخلاقية مجردة ، وليس ترقية للذوات الانسانية ، أو تطهيرا لها دون اعتبار لظروف المجتمع وايقاعات السلوك فيه . وقد فطن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى هذه الحقيقة حين جمد حد السرقه فى عام الرمادة ، وحين أعفى غلمانا لابن حاطب بن ابى بلتعة من الحد رغم قرارهم بالسرقة ، اذ تبين له أن مولاهم يجوعهم، فيضطرهم الى السرقة لسد الرمق ، بل ويذهب رضى الله عنه الى أبعد من ذلك فيفرض على بن حاطب صاحب الغلمان الذين سرقوا أن يعوض المزنى صاحب الناقة التى سرقت بثمانمائة رغم ان الاخير قدر ثمنها أربعمائة فقط .

ومن هنا يتأكد أن الطريق الحق الى تحقيق العدل هو المواجهة الحازمة والاصلاح الجذرى للواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه الانســـان . واصلاح الواقع الاجتماعى هذا لا يتأتى الا بمواجهة المشكلة الاجتماعية فى صورها المعقدة المعاصرة .

وعند ارادة تحقيق العدل الاسلامى فى المجتمع المعاصر فان الاسلام مدعو الى الخوض فى هذا المجال ، والى أبعد الاماد ، فى غير تردد وفى غير تهيب . **وعدة المسلم فى جهاده لمواجهه المشكلة الاجتماعيه وتحقيق العدل فى مجتمع المسلمين ، أن يتدرع بروح الاسلام كما قررته المصادر الفكريه الاساسيه للاسلام وكما تجسد فى فترات الزهو التى حكم فيها الاسلام حقيقة ، ثم أن يهاجم بخبرات العصر وبابداعات المحدثين التى تأكد مضاؤها وثبت نجاحها .**

وروح الاسلام الاصيل الذى أعنيه ، هو ذلك الروح الذى جعل أبابكر الصديق ، الخليفة الاول، يرفض أن تقف الحكومة محايدة أو متفرجة بين القوى وبين الضعيف ، أو بين المستغل وبين من يستغلونه ، فيخطب فى الناس اذ تولى الخلافة ويقول :

« الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه » . وهو الروح نفسه الذى جعل الخليفة الثانى ، رضى الله عنه ، يشاطر الولاة الذين يشتبه فيهم أموالهم ، وهو اجتهاد يتوافق مع مبدأ « **المصالح المرسلة** » حيث يرى ولى الامر فى اجتهاده هذا صلاح الولاة ومصلحة الجماعة ، وهو الذى جعله يتمنى ــ بعد أن عوجل بطعنة أبى لؤلؤة التى استشهد بسببها ــ لو يمتد به العمر :

« لياخذ فضول أموال الاغنيـاء فيردهـا على الفقراء » .

ثم انه الروح الذى دفع عليا بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، أن يخطب الناس خطبته الاولى عقب الولاية فيؤكد أن فضل الهجرة أو النصرة يؤجر عليه المسلم ويثاب عليه من الله فى الاخرة ، وليس من بيت المال ، ويقول :

« فأنتم عباد الله ، والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، ولا فضل فيه لاحد على أحد ، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء » .

واخيرا ، فانه الروح الذى جعل الاستاذ سيدقطب يفهم التكافل الاجتماعى فى الاسلام ، فى ضوء مبدأ « **سد الذرائع** » الذى يتحسب المسلمون بمقتضاه للمضار والاخطار التى قد تعصف بالبلد المسلم ، فيقرر فى كتابه « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » أن :

« كل أهل بلد مسئولون مسئولية مباشرة عــن يتلفه الجوع ، مسئوليه جنائية يؤدون فيها الديه، بوصفهم قتلة لذلك الذى اتلفه الجوع وهو بينهــم مقيم ، ومما يؤيد هذا المبدأ حق الجائع او العطشان أن يقاتل من فى يده الطعام والماء حين يخشى على نفسه التلف ، فاذا قتله فلا دية عليه ولا عقاب » .

أما خبرات العصر فى مجـــال تحقيــق العدل الاجتماعى ، فانها اجتهادات انسانية وعلمية مطروحة للجميع للاخذ منها ، أو للاخذ بها . وليس يمنع فئة ــ مسلمة أو غير مسلمة ــ أن تأخذ فــى امور اصلاح الدنيا وصلاح المجتمعات ، عن فئة تختلف معها فى الجنس ، أو فى الدين ، أو فى العقيدة ، لان هذا ان كان واردا لامتنع على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ان يأخذ بفكرة سلمان الفـارس لحفر خندق حول المدينة [وهى خبرة مجوسية صرفة] لصد الغزوة المشركة التى عرفت بهذا الاسم ، ولامتنع على عمر رضى الله عنه أن ينظم الدواوين ، والاعطيات ، وأعمال الولايات ، وفقا لخبرات مستوردة !! . **ولو سلكنا فى عصرنا هذا مسلكا نصد انفسنا به عن الاستفادة من هذه الخبرات لكنا كمن قال فيهم الله تبارك وتعالى فى سورة المائدة « ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا » ، مع فارق أساسى وهو أن بغضنا لهؤلاء القوم لا يمنع وصول عدلنا اليهم ، ولكنه يؤدى الى ظلمنا لانفسنا وقومنا اذ نمتنع عن الاخذ باجتهاداتهم العصرية لقهر صور الظلم المعاصرة التى نعانى منها أشد العناء كما تعانى البشرية جمعاء .**

□□□□□□□□

وخبرات العصر فى مجـال تحقيق العدل الاجتماعى ، وفى شىء غير قليل من التبسيط ، تدور فى مدارين أساسـيين ، أما أولهما ففيـه ترفض الانسانية أن يكون الاستغلال والكنز والترف فى جـانب من المجتمـع ، وأن يكون القهـر والحاجة والحرمان فى الجانب الاخر ، أما ثانيهما ففيه تقام موازنة أو يدار صراع بين الملكية الفردية وبين صالح المجتمع ومصلحة الجماعة ككل .

وفى أحكام الاسلام الاساسـية ، وفى مبـدأى « المصالح المرسلة » و « سد الذرائع » ، اللذين غالى بعض الفقهاء كالطوفى فى الاخذ بأولهما ، حتى قدموا المصلحة على النص فى معاملات الناس، ادانة شديدة لحبس المال لدى القلة ليكون دولة بينهم ، ومقت أشـد للترف ، حتى ولو كان المال المحبوس أو المنفق مصدره حلال ، وجرت تنميته بطرق حلال ، مادام ذلك يؤدى الى خلل أو الى تباغض اجتمـاعى قد يفضى الى تدمير المجتمـع وتهلكة الجماعة . والوصول الى وضع كهذا يرتب للدولة كما يقول الاستاذ سيد قطب فى كتابه «معركة الاسلام والرأسمالية » :

« أن تنزع من الملكيات ، وأن تأخذ من الثروات بنسب معينة ــ كلما تجده ضروريا لتعديل أوضاع المجتمع او لمواجهة نفقات اضافية ضرورية لحماية المجتمع » . بل انه يذهب الى انه :

« فى يد الدولة أن تنزع المـلـكيات والثروات جميعا ، وتعيد توزيعها على أساس جديد ، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الاسس التى يعترف بها الاسلام ، ونمت بالوسائل التى يبررها ، لان دفع الضرر عن المجتمع كله ، أو اتقاء الاضرار المتوقعة لهذا المجتمع أولى بالرعاية من حقـوق الافراد » .

أما حدود الترف أو الحرمان المخل بأمن الجماعة واستقرار المجتمـع ، فيرى فـى كتابه « العـدالة الاجتماعية فى الاسلام » أن تقريرها متروك لمنطق البيئة ، ولمستوى المعيشة فى الزمان والمكان موضع التحديد ، ويعلق على حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم سمى فيه ابلا تفضل على حاجة صاحبها ورغم ذلك لا يحمل المنقطع عليها « ابل الشياطين » ، فيقول :

« واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رآها ابلا للشياطين ، ولا حاجة بأصحابها الى ركوبها ، بينما المنقطعون لا يجدون ما يركبون ، فنحن نجدها سيارات فخمة تروح وتغدو للتافه الصغير من الامور ، وألوف لا يجدون أجرة الترام، ومئات لا يجدون حتى أرجلهم للمشى بها ، فهى مقطوعة ذهبت بها الافات » .

أما « الملكية الخاصة » فهى حق أصيل ومقرر فى الاسلام ، غير أن هذه الملكية غير مطلقه ، فهى تنبع أساسا عن استخلاف من الله للناس فى مال الله ، ويستوجب هذا الاستخلاف أن تنشـا هذه الملكية من أصل صحيح للتملك ، وبوسائل صحيحة يعترف بها الاسلام . وأن تجرى تنميتها بطرق وأساليب مشروعة يقرها الاسلام . **فالاسلام يعد العمل هو السبب الوحيد للملكية والكسب ، ويرى أن رأس المال فى حد ذاته ليس سببا من أسباب الكسب الصحيح** ، ولذا لا يقر تنمية المال بالربا او بالمقامرة او بالغش او بالاحتكار او بالاسـتقطاع الظالم من أجور العمال التى تبلغ نصف الربح ، كما يرى بعض فقهاء المسلمين . وفوق هذا فان الاسلام يشترط الرشد فى انفاق المال وفى تداوله فى المجتمع لمصلحة الجماعة . فاذا اختل شرط من هذه الشروط الثلاثة الاساسية ، سقطت الحصانة الممنوحة للملكية الفردية ، وكان على الدولة كما أوضحنا سابقا أن تتدخل لمصادرة الاموال أو نزع الملكيات أو اعادة توزيع الثروات على اسس جديدة وعادلة . أى أن حرمة « الملكية الخاصة » فى الاسلام تترتب على توظيف هذه الملكية لمصلحة الجماعة ، فاذا ما خرجت هذه الملكية على مصلحة الجماعة وحصرت جهدها فى مصالحها الانانية ، واذا ألمت بالمجتمع وبالجماعة أمور أو ظروف يضاعف من خطورتها انطلاق هذه الملكية الخاصة ، كان تقييدها بل والغاؤها سـبيلا مشروعـا . هـذا وللاستاذ سيد قطب تعليق طريف على الفهم الخاطىء لموقف الاسلام من مشكلة الملكية الخاصة يقول فيه :

« وهكذا نجد أن مشكلة « الملكية الفردية » لا تقوم الا فى أذهان الذين لا يعرفون الاسلام ، أو الذين يعرفونه ثم يكتمون ما أنزل الله ، ويهتفون بضمانة الملكية الفردية على حد : ولا تقربوا الصلاة ... »

وأخيرا ، فماذا يمنعنا ان كان هذا هو اسلامنا ، وكانت هذه هى بعض خبرات العصر ، أن نتبـع اسلامنا ، وأن نستفيد من خبرات العصر ؟ ! ... اذا كان الجهل هو ما يمنعنا فلنقهره بالعلم ، واذا كان هو الاحسـاس بالدنو الفكرى فلنتجـاوزه بالاصالة وبالثقة فى النفس ، واذا كان هو الجمود الذى الم بفكر المسلمين فلنوقـدها ثورة عصرية تجدد فكر المسلمين .... الا هل بلغت ؟ ..... اللهم فاشهد ■



أى مجتمعـــات عـــادلة يقصـــدها الدكتـور خلـف الله ؟

محمد قطينه

فى ردى على مقال الدكتور المسلم : محمد أحمد خلف الله الذى ورد فى مجله « الطليعة » عدد نوفمبر لعام ١٩٧٥ . والذى كان تحت عنوان « العدل الاسلامى هل يمكن أن يتحقق ؟ » .

فى هذا المقال وردت بعض الامور والقضايا دعتنى لكتابة كلمتى هذه . واود ان أشير الى أن هدفى هو الحق وغايتى هى اظهاره نقيا جليا واضحا بعد ان ألبس ثوبا ليس ثوبه .

والغريب أن يصدر هذا الكلام عن رجل عالم بالدين فقيه بأحكامه ، فكان بذلك « خياطا » دخيلا على جسد شريف .

واليكم البيان

يقول د . محمد فى تفسيره لظاهرة عصرية بالغ فى تضخيمها « ... ان المجتمعات الاخرى التى تدين بدين الاسلام ، أو التى لا تدين بدين ما ، قد مضت فى حياتها العامه والخاصة على اساس من هذا العدل القرآنى اكثر مما يمضى المسلمون انفسهم وانهم يعدلون فى كافة المجالات اكثر مما يعدل المسلمون المعاصرون .. » .

هنا لا أريد ان ادخل فى قضايا جانبية ، وفى امور عرضية ــ بالنسبة لمجال ردنا ــ بقدر ما أريد ان تكون الحقيقة ضالتنا والموضوعية وسيلتنا . والحقيقة التى اريد ان اقول ، هى أن الظاهرة سالفة الذكر مبالغ فيها وفى عظم شأنها ، وكذلك كانت الاحكام تعميمية غير ذاتية ، الامر الذى جعلنى أقول أن هذه الظاهرة مبالغ فيها سيما فى عصر الازمات وفى زمن الظلمين السياسى والاجتماعى .

فمثلا اى المجتمعات يقصد د . محمد هل هى مجتمعات النظم الاجتماعية « الاشتراكية » ؟ أم المجتمعات الليبرالية « الرأسمالية » ؟ واذا كانت الراسمالية هى المقصودة فاى شكل هو المعنى : هل هى رأسمالية فرنسا أم بريطانيا أم فرانكو أم البرتغال أو هولندا ؟ واذا كانت مجتمعات التفتح الاشتراكية هى المقصودة فأى شكل هو المعنى أيضا ؟ : هل هى اشتراكية ماو أم فيدل كاسترو أم اشتراكية الكرملين .. ؟ واذا كانت لا هذه ولا تلك المقصودتين ، ترى من هى هذه المجتمعات التى يعنيها الدكتور محمد والتى وصفها بأنها تعدل اكثر مما يعدل المسلمون المعاصرون ؟ هل هى مجتمعات سياحة الفضاء ؟ ام مجتمعات الجوع والفقــر والفاقة والحرمان فى آسيا وافريقيــا وامريكــا اللاتينية ؟ أم المقصود العدل الذى كان قائما فى فيتنام ولاوس وكمبوديا ؟ أو لعله العدل الذى كان صرحه قائما ولا زال فى افريقيا السوداء : فى انجولا وموزمبيق وأفريقيا الجنوبية .. ؟!

وحتى على افتراض أن العدل الذى نراه أو نســـمع عنـــه هو « عدل » قائم على اساس من هذا العدل القرآنى . ففى هذا الكلام ــ اذا لم تكن .. هناك حاجة فى نفس يعقوب ــ شهادة على أن الاسلام بقرآنه الخالد قد أعطى البشرية الاسس الثابتة والقاعدة الراسخة لتحقيق العدل علــى اطلاقه فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة .

وهذا من جهة ، ومن جهة اخرى كأن الدكتور محمد فى بحثه عن علية هذه الظاهرة وسببيتها ، ذكر من الاسباب ما أوافقه عليها ، وذكر ايضا من المسببات ما لم أوافقه عليها . فمثلا يذكر أن من الاسباب ما يكمن فى المعايير القديمة واستمساك المسلمين بها ، دون ما اعتبـــار بالمتغيـــرات والمستجدات ، وكذلك فى فعل الزمن فعلته فى تلك المعايير .

وهذا صحيح فيما يرجع ويتعلق باستمساك المسلمين بالاحكام السلفية وكذا فى اجترار الماضى وترديده واقفال باب الاجتهاد واعتبار كل من طرقه ملحدا فاسقا زائغا عن طريق الحـق وجـادة الصواب . لكن ليست العلة فى ان تلك المعايير التى يرمى من خلالها الاسلام الى اقامة النموذج الامثل للعدالة الحقة فى عالم الادميين هى الفاسدة

□□□□□□□□

وهى غير الصالحة ، ففى مثل هذا القول تجن على الاسلام . فهل فى معيار « اعدلوا هو أقرب للتقوى .. » و « أقيموا الوزن بالقسط » و « أعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .. » فساد ورجعية ؟! ان العلة ليست فى هذه المعايير بل فى تنحية الاسلام واغتيال منهج الله وشرعه . فشرع الله ودينه القيم لم يعد ليطبق الا فى المساجد وفى الجلسات الصوفية وبصفة شكلية لا تتعدى التسابيح والاذكار ، أما الاسلام – كمنهج حركى جاد قادر على استيعاب المتغيرات والبدائل تحت شمولية مبادئه وصلاحيتها لكل الازمنة واختلاف الامكنة – لم يطبق والسف لم يطبق . فأين شرع الله وأحكامه ، فى السياسة ، فى الاقتصاد ، فى التربية ، فى الثقافة ، فى علاقة الحاكم بالمحكوم ،فى علاقةالمواطن بنفسه بأبنائه ، بأسرته ، بوطنه .

ان كل هذه المقدمات تقودنا الى ان نجهر بالحقيقة التالية ونصرخ بها غير عابئين الا به – سبحانه وتعالى – وهى : أن الاسلام براء وغير مسئول عن أوضاع مرحلية فاسدة لم يخلقها ولم تنبثق عنه . وعندها نقول : لقد تخطى **الزمن الحاضر** مضمون هذه الاية ومضمون غيرها » ، والسبب أن الاسلام قد حنط ولم يعد يحكم .. ولم تتح له الفرصة ليحكم رغم قدرته على اسعاد حاضر البشرية وفرش طريقها بالامل .

أن التفريق بين الاسلام كنظام يحكم وبين أوضاع مرحلية غير مسئول عنها هو تفريق منطقى ويتفق مع العدل ، وكذلك حرى بالدكتور محمد وغيره أن يفهموا ذلك ، لئلا يقودهم هذا الخلط الى الدعوة لتغيير بعض المعايير والى اعتبار بعض الايات انما تتلى تعبدا ليس غير .

لانه بنفس المنطق القائم على العدل نقول : كيف نحمل الاسلام جريره ما جنته غيره من النظم والتجارب ؟ وكيف نعتبره مسئولا عن اوضاع ما اقرها قط ؟

ألا ترون معى أن الاسلام براء من هذه الاوضاع مهما حاولوا أن يصفوها بأنها أوضاع اسلامية ؟ ■

تنمية لارأسمالية .. أم رأسمالية دولة ؟

يسجل فخرى لبيب الجيولوجى بالهيئةالعامة سمساحةالجيولوجية رأيامعارضاالمقال الدكتورفؤادمرسى«المنشور بالطليعة نوفمبر ١٩٧٥» مؤكدا افتقاد نظرته للتطبيق المصرى للتطور اللارأسمالى لركنين أساسيين .. وأن غياب هذين الركنين يضع «فكرة» الدكتور فؤاد مرسى أمام بعض التساؤلات

فخرى لبيب

جاء فى مقال الدكتور فؤاد مرسى ؟ فى عدد الطليعة – نوفمبر ١٩٧٥ ، عن التنمية اللارأسمالية : –

« أولا » أنها التطور المستقل الذى يصفى التبعية للرأسمالية العالمية دون ان يلغى وجود البلد المستقل فى اطار السوق العالمية عالميا ، وفى اطار النظام الرأسمالى محليا .

« ثانيا » ان من يقوم بها يرفض نظريا وعمليا المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية المحلية . « ثالثا » انه يشترط فى السلطة السياسية للدولة ان تكون فى أيدى تحالف طبقى يضم الطبقات والقوى الاجتماعية ذات المصلحة فى التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى . تلعب فيه الطبقة العاملة « بالضرورة » دورا اساسيا

اما قيادته فغالبا ماتذهب — بصفة انتقالية — الى ايدى اقرب الطبقات الى الطبقة العاملة وهى البورجوازية الصغيرة .

اى ان نظرية التطور اللارأسمالى تستلزم سلطة سياسية مشكلة من تحالف طبقى تقوده البورجوازية الصغيرة بصفة انتقالية وتلعب فيه الطبقة العاملة دورا اساسيا ويرفض هذا الحلف نظريا وعمليا المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية المحلية . وفى ذات الوقت يتم كل ذلك فى اطار السوق الرأسمالية العالمية عالميا ، وفى اطار النظام الرأسمالى محليا .

ويبدو الامر على هذا النحو غريبا بعض الشىء أو كثيره اذ يفهم فى تلك النظرية اننا بصدد قيادة انتقالية للبورجوازية الصغيرة ، اى قيادة مرحلية . يتحول فيها دور الطبقة العاملة من دور أساسى ، الى الدور الاساسى . وذلك لان الطبقة العاملة . وقت قيام الحلف ، لم تكن قوية بالقدر الذى يؤهلها للقيادة ، ثم يتنامى دورها الى مرتبة القيادة . كل ذلك تحت اشراف بورجوازية صغيرة « من نوع جديد » ترفض نظريا وعمليا المفهوم الرأسمالى للتنمية. وتفسح الطريق امام الطبقة العاملة لتكمل المسيرة « لبناء الاشتراكية العلمية » . وكل ذلك ايضا فى احضان الرأسمالية العالمية ، وفى اطار النظام الرأسمالى المحلى !!

واذا كان هذا التنظيم يثير الحيرة والبلبلة ، فلنتابع التطبيق . لعله يزيل هذا الخلط فى الفهم

يقول الدكتور فؤاد مرسى : —

— ساد نوع من المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية وبخاصة فى سنوات المد الثورى وانتعاش الحركة الوطنية فى أعقاب ثورة ١٩١٩ وبخاصة عقب الحركة الوطنية فى عام ١٩٤٦ . عندئذ ساد بقدر أو بآخر مفهوم شبه رأسمالى للتنمية الاقتصادية .. **ولذلك قامت ثورة يوليو لتعلن — عمليا — فشل هذا المفهوم.**

— ولهذا أعلنت ثورة يوليو **منذ بداية الستينات** وبعد تجربة حافلة فى تجريب المفهوم الرأسمالى ان التقدم مستحيل فى ظل هذا المفهوم ، **وبدات من ثم تجربة اخرى** فى ظل المفهوم اللارأسمالى للتنمية الاقتصادية .

— وعندئذ فقط تم التخلى **ومن واقع التجربة وحدها** — عن المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية .

— المفهوم اللارأسمالى للتنمية لم تعرفه — ولو بشكل قاصر تماما — الا لمدة أربع سنوات فحسب بعدها لم يطبق على الاطلاق « **منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٥** ».

— الخطة الخمسية الاولى ، الفترة المتميزة فى تاريخنا الاقتصادى ، بغض النظر عما انطوت عليه من اخطاء اقتصادية . وتنصب تلك الاخطاء « التى يغض النظر عنها » على : —

١ — نمط التنمية ٢ — استراتيجيتها ٣ — مانجم عنها من تبديد لكثير من الموارد القومية المحدودة ٤ — البداية الرأسمالية للخطة ٥ — الادارة الرأسمالية للقطاع العام

— **تعثر المفهوم اللارأسمالى لانه افتقد منذ البداية ، أهم مقوماته جميعا وهو وجود السلطة السياسية للدولة بأيدى تحالف طبقى تلعب فيه الطبقة العاملة دورا حاسما** ، وبالتالى ضمان فرض الرقابة الشعبية الصارمة على عملية التنمية الاقتصادية **حتى لاتتحول** فى النهاية الى مناسبة تاريخية نادرة لنمو البورجوازية المحلية وتحويلها الى طبقة رجعية جديدة .

وقد جاء فى مناسبة سابقة قول الدكتور : أنه فى الاخطاء التى صاحبت الخطة « الاوضاع السلبية للجماهير نتيجة السياسة المعادية للديمقراطية » .. **وان تلك الاخطاء جميعا قد ساعدت على « تبديد جزء كبير من الفائض الاقتصادى المتولد فى القطاع العام وتحويله الى ثروات خاصة لافراد الطبقة الجديدة »**

— تم تراجع النظام منذ عام ١٩٦٥ عن **المفهوم اللارأسمالى للتنمية ، عن أسلوب التنمية المخططة .** تحت ضغط رهيب من الاستعمار الجديد « وبخاصة من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير » ، والرجعية الجديدة « وبخاصة البورجوازية الصاعدة » . وعندئذ تركت التنمية الاقتصادية فى مهب الريح ... **وفى الاثناء نمت الرأسمالية المحلية. وتكونت رأسمالية كبيرة ، تفرض اسلوبا رأسماليا للتنمية تلتقى فيه مع الرأسمالية العالمية .**

يقول التطبيق : —

ان ثورة ٢٣ يوليو قامت لتعلن عمليا — فشل مفهوم التنمية الرأسمالية وشبه الرأسمالية السائد قبلها . وأنها ظلت منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦١ تمر بتجربة حافلة من تجريب المفهوم الرأسمالى ، حتى وجدت أن التقدم فى ظله مستحيل ، فبدأت تجربة المفهوم اللارأسمالى

منذ عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٥ ، وهى فترة التنمية المخططة ، والتى تميزت باخطاء فى النمط والهدف والبداية وخلال التجربة مما ادى الىتبديد الكثير من المواردالقوميةالمحدودة. كل ذلك فى ظل افتقاد لسلطة التحالف ، ادى الى افتقاد الرقابة الشعبية ، مع سلبية الجماهير نتيجة السياسة المعادية للديمقراطية ، مما جعل التجربة مناسبة تاريخية نادرة لنمو البورجوازية المحلية وتحويلها الى طبقة رجعية جديدة ، كان ضغطها الرهيب مع الاستعمار الجديد سببا فى تراجع النظام منذ عام ١٩٦٥ عن المفهوم اللارأسمالى للتنمية ، اسلوب التنمية المخططة ، وباستمرار التراجع تكونت رأسمالية كبيرة تفرض اسلوبا رأسماليا للتنمية تلتقى فيه مع الرأسمالية العالمية .

ونفهم من ذلك طبقا لنظرية الدكتور فؤاد مرسى عما يسمى بالمفهوم اللارأسمالى ان : —

١ — ثورة ٢٣ يوليو قد افتقدت الرفض النظرى لاسلوب التنمية الرأسمالى . وكلمة نظرى هنا هامة جدا ، لانى اعتقد ان الدكتور يقصد بها الرفض الواعى . فهو يحدد انها قامت لتعلن فشل مفهوم التنمية الرأسمالية « عمليا » . وحتى هذا الرفض العملى ، ماذا كان مآله ؟ اننا نلاحظ أن الثورة استمرت لمدة تسع سنوات فى تجارب حافلة تطبيقا للمفهوم الرأسمالى ، لماذا ؟ هل لتؤكد لنفسها استحالة السير قدما بهذا المفهوم ، وهى التى قامت لتعلن فشله عمليا ، طبقا لمقولة الدكتور ؟

ثم تبدأ الثورة فى عام ١٩٦١ فى تجربة المفهوم اللارأسمالى ، وكلمة تجربة هنا ايضا لها دلالتها ، انها تعنى ايضا عدم الوعى بما هى مقدمة عليه ، فالتجربة معرضة للنجاح أو الفشل ، والتجربة محاولة بديلة « اما راحت واما جت » .

وهنا ايضا يفتقد الجانب النظرى أو الفكرى عند تجربته مفهوم التنمية اللارأسمالية كما انه كا نمفتقدا عند رفض المفهوم الرأسمالى وشبه الرأسمالى .

ولذا لم يكن غريبا عند تشخيص التجربة ان تتميز بالاخطاء « من وجهة نظر الدكتور » . فانها بدأت بداية رأسمالية ، وسادت الادارة الرأسمالية خلالها القطاع العام ، القطاع القائد للتنمية ، وانتهت بمناسبة تاريخية نادرة لنمو البورجوازية المحلية ». وكأنها بالفعل كانت مخططة للنمو الرأسمالى « وبذا تنتفى عنها الاخطاء التى يأخذها عليها الدكتور » . وليست بفترة تنمية مخططة ، بمفهوم التنمية اللارأسمالى طبقا لنظرية الدكتور .

وعلى اى الاحوال فان افتقاد الثورة للموقف النظرى فى مفهوم التنمية اللارأسمالية كذلك افتقادها للموقف العملى « ١٩ سنة تطبيق مفهوم رأسمالى — ٤ سنوات تطبيق مفهوم لارأسمالى نتج عنه تبديد الكثير من الموارد القومية المحدودة ونمو البورجوازية المحلية ، رغم أنه تنمية ومخطط لعكس ماحقق » ، قد افتقدت نظرية الدكتور فؤاد مرسى . ركنا هاما من أركانها الثلاث الاساسية عند التطبيق .

٢ — ثورة ٢٣ يوليو وهى تطبق المفهوم اللارأسمالى ، لم تضع فى اعتبارها اهم مقومات ذلك المفهوم جميعا . وهو وجود السلطة السياسية للدولة بأيدى تحالف طبقى تلعب فيه الطبقة العاملة دورا حاسما . وقد نبه الدكتور الى هذه النقطة فقال « وهنا يجب ان نقول أنه كان من الطبيعى ان يتعثر هذا المفهوم اللارأسمالى للتنمية الاقتصادية » .

يقول الدكتور فؤاد مرسى فى تحديده لنظريته عن التنمية اللارأسمالية ، انه : —

« **يشترط** ان تكون السلطة السياسية للدولة فى ايدى تحالف طبقى يضم الطبقات والقوى الاجتماعية ذات المصلحة فى التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى وهو تحالف **لايقوده بالضرورة الطبقة العاملة ، ولكنها يجببالضرورة ان تلعب فيه دورا اساسيا** »

وفى اطار هذا الشرط ، فان افتقاده يعنى افتقاد العمود الفقرى الذى تقوم عليه التنمية اللارأسمالية ، حيث انه كما يقول عنه الدكتور فؤاد مرسى : —

« **ضمان** » فرض الرقابة الشعبية الصارمة على عملية التنمية الاقتصادية ، **حتى لا تتحول** فى النهاية الى مناسبة تاريخية نادرة لنمو البورجوازية المحلية وتحويلها الى طبقة رجعية جديدة » .

ان هذا البند فى نظرية الدكتور ، وبهذا الحسم الواضح بذكرنا بقصة الضابط التركى، الذى سؤل لماذا لم يطلق مدافعه على العدو ،

فقال هنا لك عشرة أسباب . ولما سئول . ماهى ؟ قال :ـ برتجى سبب يوك نخيرة « اى ان السبب الاول هو عدم وجود نخيره »، فقيل له لاداعى لذكر التسعة الباقية ، حيث انه بافتقاد الذخيرة لم تعد هنا لك مدفعية مهما كانت بقية الاسباب . وعلى ذلك فان كان هنالك، يوك تحالف يجب بالضرورة ان تلعب فيه الطبقة العاملة دورا اساسيا ، فقد اصبح هنالك ايضا بالضرورة يوك مفهوم لارأسمالى للتنمية .

غير أن الدكتور ـ كما نلاحظ .. لايأخذ بهذه القاعدة التركية ، بل يأخذ بقاعدة اكثر تساهلا . فان افتقاد هذا الشرط الاساسى والذى يمكن ان يؤدى غيابه ـ طبقا لنظرية الدكتور ـ الى عكس الهدف تماما ، قد ادى فى التطبيق الى وجود المفهوم اللارأسمالى . ولكن بطريقة متعثرة .

وعند هذا الحد تكون نظرية الدكتور قد افتقدت فى التطبيق ركنا أساسيا ثانيا كان يشكل ـ طبقا لعرضه ـ شرطا مانعا .

٣ ـ يقول الدكتور فى تقديمه لاسس نظريته عن المفهوم اللارأسمالى للتنمية ويتحقق هذا التقدم بصفة مبدئية من خلال طريق التطور المستقل الذى يصفى التبعية للرأسمالية العالمية ، **دون أن يلغى وجود البلد المستقل فى اطار السوق الرأسمالية العالمية عالميا ، وفى اطار النظام الرأسمالى محليا** » .

احقاقا للحق فا نهذا الركن « الذى تحته خطوط » فى نظرية الدكتور كان متحققا .

وبهذا يمكن القول .. طبقا لما كشف عنه التطبيق .. ان نظرية الدكتور فؤاد مرسى هى التى تعثرت بفقدها ركنين أساسيين من اركانها هما ١ ـ مسالة الرفض النظرى والعملى للمفهوم الراسمالى للتنمية . ٢ ـ مسالة الحلف ودور الطبقة العاملة . ولقد تقبل الدكتور هذا التعثر أو التعارض ـ بين النظرية والتطبيق ـ بصدر رحب . واتخذ أيسر السبل ، فأسقط عن نظريته الركنين هذين المعوقين .واكتفى من كل نظرياته وتطبيقاته بفكرة واحدة ، هى ان المفهوم اللارأسمالى للتنمية هو أسلوب التنمية المخططة. أصبحت النظرية الجديدة ـ وهى هنا النظرية رقم ٢ فى نفس المقال ـ اكثر وضوحا وتحديدا، بما يضعها بالفعل فى نطاق « ماقل ودل » .

ويؤكد هذا الاستباط الذى انتهينا اليه ، ماجاء بعد ذلك فى الجزء الثانى من نفس المقالة:

« وكلفت الدولة اعداد خطة انتقالية مدتها سنة ونصف السنة ، من يوليو ١٩٧٤ الى ديسمبر ١٩٧٥ . على ان تكون مقدمة لخطة خمسية كاملة تبدأ من يناير ١٩٧٦ وتنتهى فى ديسمبر ١٩٨٠ . **وكان هذا الحدث فى حد ذاته بحيث يدعو للتفاؤل . فها هى الدولة تزمع العودة من جديد لاسلوب التخطيط والتنمية المخططة ، وهى فى نظرنا الاسلوب الوحيد لتنمية القوى المنتجة فى بلادنا** » .

وبهذا نرى الدكتور قد بدأ يتفاءل من جديد اذ هنا لك عودة الى التخطيط والتنمية المخططة اى عودة طبقا لنظريته المبسطة الى المفهوم اللارأسمالى فى التنمية . وهكذا أعتبر الدكتور مجرد هذا الاعلان بشرى بموسم لارأسمالى جديد .

والحقيقة انه لامانع من الاستفادة من خبرات الشعوب الاخرى والنظريات المختلفة التى توصلت اليها الشعوب خلال ممارستها لنضالها التقدمى . على ان يراعى ـ وهذا شرط لايقبل الاهتزاز ـ الواقع المحلى وسماته الخاصة . وحقائقه الموضوعية المتميزة . اما ان نعلن ان هذه النظرية أو تلك قد انطبقت على واقعنا . ثم نبدأ فى البحث عن اى شىء نبرر به هذا القسر ، فذلك كمن يضع العربة امام الحصان . البداية هى ان نعرف واقعنا جيدا ثم جيدا ثم جيدا ، ومن ذلك المنطلق ومستفيدين بكل خبرات الشعوب المناضلة ، نفسر واقعنا ، ومن ذلك التفسير وتطبيقاته الصائبة ستوجد لنا فى مصر نظرية خاصة ، نظرية لمصر ، ولكنها تكون قد ابتدات من منطلقها السليم .

ومحاولة الدكتور تطبيق نظرية الطريق اللارأسمالى على الواقع المصرى قد خانها التوفيق . ولهذا أسباب قوية : ـ

« أولها » أن ثورة ٢٣ يوليو لم يخطر ببالها على الاطلاق ، لاتصريحا ولاتلميحا ، قضية المفهوم اللارأسمالى ، لانها بصفتها واحدة من حلقات الثورة الوطنية كانت تسعى لتحقيق مافشل الاسلاف من عرابيين ووطنيين ووفديين فى تحقيقه « كما ينبغى » . كانت تسعى

لتحقيق السيادة القومية ، السيادة على أرض الوطن ، وتحرير السوق المحلى من قبضة القوى الاستعمارية .

« ثانيها » انها كانت تستهدف بناء راسماليا يحقق مصالح قطاع من البورجوازية الوطنيــة المصرية كان يعــانى من القهر الاستعمــارى وشريكه المصرى المتعاون معه . ذلك القهر الذى كان يحد من انطلاق ذلك القطاع ويضيق عليه الخناق داخل سوقه المصرية .

« ثالثها — انه فى كل ما اتخذته ثورة ٢٣ يوليو من اجراءات ، ليس هنالك من شبهــة مفهوم لارأسمالى تتهم بها ، ولاشبهــة خطوات اشتراكية تؤخذ عليها . ولقد قال عبد الناصر . ان التأميم لايعنى الاشتراكية . وهى قولة حق، وكلمة مسئولة امام التاريخ

« رابعـا — ان الطبقة التى افسحت الثورة المجال امامها ، كانت طبقة ضعيفة القــدرات الاقتصادية . طبقة لاتملك الجراة على المخاطرة بمدخراتها فى مشروعات آجــلة الربح . ومن هنا وبوعى حقيقى « نظرى وعملى » بمصالح تلك الطبقة وحجمها الحقيقى داخــل الاقتصاد القومى ، أقدمت ثورة ٢٣ يوليو على اتخــاذ عدد من الاجراءات الهامة منها على سبيل المثال:

١ — الاصلاحات الزراعية المتتالية ، والتى كانت تحقق توسيع رقعــه الســوق المصرى الداخلى ، برفع القدرة الشرائية عند قطــاع من المواطنين ، الذين كانوا حتى الامــس غير قادرين ، وبــدا يمكن لهم ان يدخلوا مجــال الاستهلاك ، كما انهم يشكلون قــوة سياسية مساندة ومدعمة للنظام .

٢ — رفع يد الاجنبى وشركــائه من كبــار الرأسماليين الرجعيين المصريين ، عن الاقتصاد المصرى والسوق المصرية ، وبــذا امكن للدولة أن تضع تحت يدهــا أهم مصــادر التمويــل « اما بالادخار او بالعائد » فى بنوك وشركات تأمين وشركات أجنبية أو مختلطة .

٣ — أجمت قطــاعا هــاما من الرأسمالية المصرية الكبيرة ، مصرفية وصناعية وتجــارية وبذا احكمت السلطة قبضــتها على عصــب الاقتصاد القومى حينذاك ، فغدا فى وســعها تخطط لما تريد —

٤ — اطلقت على تلك الخطوات الوطنية ، مسميات اشتراكية ، رغــم قولة عبد الناصر فيما بعد ، ان التأميم لايعنى الاشتراكية .

٥ — أوجدت علاقات اقتصادية مع المعسكر الاشتراكى ، توفر لها مصدر تمويل وخــبرة خارجية ، بعد احجام الغرب عن ذلك .

٦ — اتخذت من الحركة الجماهيرية موقفا مزدوجا ، أحد شقيه العنف ، والشــق الاخر تحقيق بعض من مطالبها العاجلة ، وذلك حتى تلزمها نطاقا محددا ، وحتى لا « تتطــاول » لاكثر مما ينبغى .

« خامسها » اما وقد امتلكت الدولة وسائل التمويل الداخلى ، وامنت تمويلها الخارجى ، واحكمت قبضــتها على العصــب الاســاسى للاقتصاد ، اطمأنت الى سوقها . فانها بدأت تخطط للتنمية ، التنمية الرأسمالية ، ولم يكن ذلك بدعة ، فكما ان للاشتراكية اكثر من طريق ينتهى الى تحقيقها طبقا لظروف كل بلد ، فانه أيضا للرأسمالية — وخاصة فى ظل انحسار النفوذ الاستعمارى بعد الحرب العالمية الثانية — اكثر من طريق ينتهى الى تحقيقهما طبقا لظروف كل بلد . وهنا تبدت طليعية قــادة ٢٣ يوليو بالنسبة لهذه الطبقة ، وقــدرتهم على رؤيــة مصالحها لمدى بعيد . لقد وضعت الثورة يدها على الطريق الذى يؤدى الى تحقيق ذلك النمو الرأسمالى — الذى تحتاجه الطبقــة — تحت مظلة الدولة وبرعايتها ، مع وضــع بعــض الضــوابط على حــركة الطبقــة ، حتى لاتفلت الامور ، فتستفز الجماهير المروضة بشعارات الاشتراكية .

ان الطريق الذى وضــعت ثورة ٢٣ يوليو يدها عليه هو طريق رأسمالية الدولة من خلال قطاع الدولة ، وباسلوب الرأسمالية الموجهــة من قبل الدولة « وهى فى ذات الوقت الطليعة السياسية للطبقــة » الاكــثر ادراكا بالظروف العالمية والمحلية . والاكثر قدرة على تطــويع تلك الظروف لصــالح الطبقة التى تمثلهــا . ويمكن تلخيص سمات ذلك الطريق على النحو التــالى : —

١ — ان قطاع الدولة ، والذى أصبح يمثل العصب الرئيسى للاقتصــاد المصرى ، هــو

القطاع القادر على التصدى للبناء الاقتصادى الضخم ، واللازم لاقامة اقتصاد وطنى يدعم الاستقلال السياسى ، تلعب فيه الدولة دور الرأسمالى القائد .

٢ ــ ان قطاع الدولة ، وبضمان الدولة ، وبماله من امكانيات ، يمكنه ان يتصدى للمشروعات التى تحتاج الى رأسمال كبير ، يمكنه أن يتحمل المخاطرة ، يمكنه ان يتحمل الربح الاجل ، اى يمكنه ان يعوض البورجوازية الوطنية « القطاع الخاص » عن كل نواقصها .

٣ ــ ان يوكل قطاع الدولة الى القطاع الخاص بالاعمال التى لاتحتمل الخسارة ، والتى يكون ربحها محسوبا ومضمونا مسبقا .

٤ ــ أن انجاز ذلك يحتاج ترتيب اولويات ووضع اشكال مختلفة من التخطيط . كجزء من التحكم فى هذه التنمية الرأسمالية الموجهة.

٥ ــ ان تستبعد الجماهير عن المشاركة والاشراف على هذه العملية ، فان الرقابة الشعبية ، تبدو فى ذلك الحين « كمن يدس انفه فيما لايعنيه » .

وفى ظل تلك الاوضاع ، انطلق القطاع الخاص ــ وخاصة شريحته العليا ــ برضع اللبن والعسل من الف الف ثدى وثدى فى قطاع الدولة . وادرك بعض بيروقراطى قطاع الدولة « بحس طبقى مرهف » أهميتهم الخاصة للقطاع الخاص . ان توقيعهم يمكن ان يفتح مغاليق الابواب أمام القطاع الخاص ، ويمكن ان يفضل واحدا منهم عن الاخر لاسبب الكفاءة ولكن بسبب العمولة الاكبر . والتى يحملها القطاع الخاص لقطاع الدولة عند تقديره للعائد عليه من أية عملية وتفشت ظواهر كالرشوة والاختلاس والسرقة والنهب والسلب ، بصورة لم يسبق لها مثيل ، كل يحاول ان ينال شيئا مما تحت يديه . فمال الدولة سائب ــ بلارقيب أو حسيب ــ والمال السائب يعلم الحرام . وأصبح لصوص قطاع الدولة اشد هولا من قطاع الطرق .

وهكذا تجمعت طبقة جديدة ، من داخل القطاع العام وخارجه . طبقة لاتبالى بشىء من اجل الاثراء الفاحش ، وباسرع الطرق واسهلها وانضم اليها طابور كبار تجار المخدرات والسوق السوداء ، واصحاب دور المتعة والدعارة وبيوت القمار ، واصحاب الاقلام المأجورة والضمائر التى استبيحت اعراضها لكل من يدفع الثمن. وارتدى الجميع طيلسانات ارجوانية ، طرزوا حواشيها بشعارات الاشتراكية ، المنسوجة من خيوط البلاتين والذهب والفضة ، كل حسب قدرته .

وانتهزت تلك الطبقة ما يمر به الوطن من محن ، وكانت مساهمتها كمساهمة الذئب فى رعى القطيع ، فنهشت بكل السبل « فالغاية فى عرفها تبرر الوسيلة » كل ماتناله انيابها المسمومة ، حتى القوت الضرورى لحياة هذا الشعب . وعندما سمنت وتضخمت . تمزقت ارديتها الزائفة ، فغدت عارية من كل ستار . وفى سرعة فائقة بحثت عن غطاء جديد ، غطاء يتلائم وما وصلت اليه . فهرعت تتصالح مع القوى القديمة . مع الطبقات الرجعية المصرية التى ازاحتها ثورة ٢٣ يوليو يوم جاءت ، وقوى الرأسمالية العالمية التى طردتها ثورة ٢٣ يوليو لتستخلص السوق المحلى المصرى . واصبح الضحية المطلوب تقديمها عربونا لهذه الصداقة ــ من الناحية الداخلية ــ هو قطاع الدولة باعتباره الشكل الذى قام على انقاض تلك القوى القديمة ، وعلى حساب مصالحها ، وباعتبار ان الطبقة الجديدة تريد الانطلاق فى نهمها وجشعها بلا حدود ولا قيود . ان قطاع الدولة يمثل بالنسبة لها طفولة ولت . ووصاية كانت تفرض عليها التوجيه أحيانا ، وتلزمها بعض الحدود احيانا أخرى .واصبح من رضع اللبن والشهد من قطاع الدولة فى ظل التنمية المخططة وغير المخططة ، هم أشد من يهاجمونه فى ضراوة ويسعون لامتلاكه جاهزا ومعدا « فقد تعودوا الربح السهل الوفير » او فى اضعف الحدود ان يوضع تحت وصايتهم هم ، بعد ان كان عليهم وصيا .

لايمكن ان تكون النتيجة الا محصلة مقدمات، ولا يمكن ان يلد الفيل ذئابا ، فالوليد يرث صفات أسلافه . والمحصلة والوليد طبقة رأسمالية جديدة ، طبقة لم ترمصر فى اى عصر من العصور ثراء كثرائها . ولايمكن ان يكون ذلك الانتاج تنمية رأسمالية ، تنمية رأسمالية مخططة أم غير مخططة .

سياسة السادات :
وسياسة أمريكا

نبيل الليثى

يقدم الكاتب الشاب الليثى فى هذا المقال تفسيره امريكا تجاه الشرق الاوسط بعد هزيمتها فى فيتنام ، ولموقف الرئيس السادات تجاهها ، خلال بحثها عما اسماه الكاتب « بصيغة جديدة » لسياستها فى الشرق الاوسط .

تأتى زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة هذه الايام عقب سلسلة من المحاولات المكثفة من اجل فض الاشتباك بين مصر وامريكا، ثم خلق جو من التفاهم والتقارب بين البلدين .

والمراقب المحايد — والمتشائم — لما يجرى الان بين البلدين وبهذه السرعة لابد ان يرى — ويحسن نيه — أن مايحدث الان هو نوع من « الخداع » المتبادل ومن التزييف « لحقائق التاريخ » .

ذلك أن التجارب المستمرة مع أمريكا قد ولدت لدى المرء — وربما رسبت فى اعماقه — احساسا شبه مطلق بأن أمريكا ضد مصر وضد العرب ، ضد السلام وضد الاستقلال .

والحقيقة هنا .. ان امريكا ليست ضد احد ولكنها أيضا ليست مع احد ، امريكا بالضبط مع مصالحها وهى بالتالى ضد كل من يعادى مصالحها .

وأمريكا بذلك لم تأت بجديد ولا بغريب ، فكل شعوب الدنيا عبر التاريخ تسير على هذا المبدأ ، ولعل الجديد — الى حد ما — فيما تفعله امريكا اليوم هو ذلك الاسلوب الذى تتبعه وصولا الى تحقيق اهدافها ومصالحها ، ان « تفرض » على الاخرين بالقوة العسكرية وبالقوة وحدها ماتريد ، فذلك ماحاولت امريكا أن تفعله عبر حوالى ٣٠ سنة مضت ، وذلك ما اثبتت الحروب والتجارب فشله .

ولعل آخر — وأخطر — ما اصطدمت به سياسة أمريكا الخاطئة هذه هى « حروب » فيتنام التى استمرت سنوات طويلة انتهت فى النهاية بهزيمة امريكا وبسقوط الالاف من ابنائها والبلايين من دولاراتها ثم — وهذا هو الاهم — سقوط هيبة امريكا وسمعتها وهزيمة « النظرية الامريكية » بفرض ارادتها على الاخرين بالقوة .

المهم ، ان ماحدث فى جنوب شرق آسيا كان بالنسبة لامريكا تجربة مريرة أو هو على اقرب وابسط تشبيه ، هو « صفعة » كبرى على جبين العملاق الامريكى نبهته مالم تكن قد افاقته من أوهام القوة المطلقة .

أمريكا اذن — وبعد ذلك كله — لابد ان تكون قد خرجت بنتائج ودروس كثيرة سوف تتحول بعد ذلك بالتأكيد الى خطوط عريضة وأسلوب ومنهج فى التعامل مع الاخرين :

١ — ان تكش امريكا وتنكمش داخل حدود نفسها ، وذلك أمر مازال بعيد الاحتمال بحكم قوة أمريكا الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

٢ — ان تتجه امريكا الى تصعيد وتكثيف التدخل العسكرى السافر من اجل تكسير ارادة الشعوب ، وهو اتجاه قد يجد صدى لدى بعض المؤسسات الحاكمة — المؤسسات العسكرية — ولكنه بالتأكيد لم يعد يجد الاستجابة الكافية من بقية القطاعات الامريكية .

٣ — ان تتجه امريكا الى « خلق » سياسة خارجية جديدة أكثر ذكاء وأكثر مرونة من اجل الوصول الى نفس الاهداف ، ان تحقق امريكا مصالحها لدى الاخرين عن طريق استخدام

الحد الادنى من القوة والحد الاقصى من تلاقى الاهداف والمصالح المشتركة بينها والاخرين .

تلك — فى رأيى — هى سياسة امريكا الجديدة ، وهى معادلة د. كيسنجر التى يروجها هنا وهناك .

تأتى بعد ذلك الى مصر — السادات ، ومشكلة الشرق الاوسط ، ورأيى هنا ، ان الرئيس السادات قد استوعب جيدا « صدمة أمريكا — من بعد هزيمة فيتنام — وادرك تماما» ان امريكا اليوم تبحث عن « صيغة » جديدة فى التعامل مع الاخرين . رأيى ان السادات يريد أن « يطرق على الحديد الساخن » ، ان يساهم بدوره — وبأكبر دور ممكن — فى اعادة « تشكيل » السياسة الامريكية الخارجية ، أن « يستثمر » هذا المناخ وهذا الاتجاه الجديد لدى أمريكا ، ان يؤكده ويجسده بما يحقق مصالحه ومصالح شعبه وأمته .

ومرة أخرى .

فانا اعتقد ان مصر — السادات اليوم انما « تراهن » بنجاح اسلوبها الجديد فى التعامل مباشرة مع أمريكا — متناسية كل الخلاف والرواسب الماضية — بقدرتها أو بقدرة السادات شخصيا على اقناع امريكا بالمضى قدما فى الاسلوب والاتجاه الجديد .

هذا .. ومن ناحية اخرى فانا اعتقد ان امريكا انما « تراهن » بنجاح أو فشل خطتها وسياستها الجديدة على مدى نجاحها أو فشلها فى حل مشكلة الشرق الاوسط .

تلك فى رأيى — هى سياسة السادات تجاه أمريكا ، وتلك هى سياسة أمريكا تجاه الشرق .

هذا ورحلة السادات الى امريكا سوف « تحسم » هذا الاتجاه الجديد ، اما بتأكيده أو بنسفه .

دفاعا عن الديمقراطية

عن الاطار السياسى والاجتماعى الذى يدور فى ظله الحوار حول « المنابر » يتحدث عبد العليم محمد عبد العليم اخصائى التنظيم والادارة بمحافظة المنيا ، ويدعو الى صياغة ديموقراطية ، تقوم — فى رأيه — على حق القوى الشعبية فى التعبير عن نفسها فى منابر تتحول بعد ذلك الى احزاب ، وسوف تواصل « الطليعة » فى الاعداد القادمة نشر مختلف الاراء والتعليقات حول قضية المنابر .

عبد العليم محمد عبد العليم

أثارت قضية الرأى الاخر أو الرأى المعارض جدلا كثيرا فى الاونة الاخيرة . وقد انزعج البعض ، وتوجسوا خيفة من النتائج التى يمكن أن تترتب على ذلك على الرغم من القصور الذى شاب طرح الموضوع ، والغموض الذى أحاط به ، وعدم تحديد الاسس والمنهج الذى ينبغى أن يقوم عليه ما اصطلح على تسميته « بالمنابر » باعتبارها تجسيدا لحرية الرأى والفكر . ونحن لا نشارك هؤلاء البعض انزعاجهم ، ولا نرى خطورة من استمرار النقاش والحوار حول هذه القضية . فقد كانت حصيلة النقاش نتيجتان ذاتا دلالة نوجزها فى الاتى :

١ — رغبة معظم الاتجاهات الفكرية والسياسية يمينا ووسطا ويسارا فى الممارسة السياسية الديموقراطية والتعبير عن اهدافها وطموحتها الخاصة بعد فترة حرمان طويل من هذه الممارسة .

٢ — قصور صيغة التحالف بشكلها الراهن وهو الاتحاد الاشتراكى ومؤسساته فى التعبير عن فكر القوى السياسية المنضمة تحت لوائه ، والتى من المفترض انه تعبير عنها وتجسيد لفكرها ومصالحها مجتمعة .

ونرى أنه لا ينبغي مناقشة قضية المنابر بمعزل عن قضية الديموقراطية . كما أنه لا ينبغي مناقشة الاثنين معا بمعزل عما حدث قبل ذلك خلال عشرين عاما أو ما هو حادث الان على الصعيد الوطني والاجتماعي ، حتى نصل الى فهم مبسط وواضح لماهية الديموقراطية والمنهج الصحيح لطرحها .

فصيغة التحالف « تحالف قوى الشعب العاملة » التي رأت ثورة ٢٣ يوليو أنها كفيلة بانجاز المهام الوطنية والاجتماعية المطروحة في الساحة المصرية في هذه الفترة ، تفتقد الى جوانب هامة وحيوية من جوانب التحالف ما كان ينبغي اسقاطها . والا فسوف يصبح التحالف تعبيرا عن مصالح وديكتاتورية الطبقة الحاكمة في شكل مقنع ، وصيغة جديدة ، لا هي بالحزب الواحد ، ولا هي بالتحالف المقصود .

ذلك أن التحالف :

أولا : بمدلول اللفظ ، فقط ، تجمع مؤقت . وفي لغة السياسة وقوف كافة القوى الوطنية والاجتماعية على أرضية مشتركة لمواجهة عدو مشترك يتهددها جميعا ولا تستطع قوة بمفردها أن تواجه ذلك العدو . وهو — تاريخيا — مرحلة تناقض مصالح كافة القوى الوطنية مع الخطر الذي يتهددها

ثانيا : يكون الدخول في التحالف على أساس برنامج سياسي يمثل الحد الادنى لما يمكن أن تتفق عليه هذه القوى الوطنية مجتمعة : برنامج محدد القسمات والملامح ، يناقش ويتم اقراره من جانبها ، وتترجمه الى أساليب وخطط عمل مشترك .

ثالثا : لا تفقد القوى الوطنية الداخلة في التحالف هويتها الاجتماعية المتميزة أو شكلها الحزبي التنظيمي ، بل هي تدخل التحالف متميزة حزبيا واجتماعيا وكذلك بممثليها وكوادرها الحزبيين الذين يحملون تصورها ورؤاها الفكرية ويقومون داخل التحالف بتكريس الاتفاق والالتقاء حول القضية محور التحالف وهي المسألة الوطنية ومواجهة الامبريالية والاختلاف ، فيما عدا ذلك من القضايا الاجتماعية .

رابعا : لا يكون التحالف بغرض تذويب الشخصية الاجتماعية والمصالح الطبقية المتميزة وأيضا ليس أبديا وانما موقوتا بالمرحلة التاريخية التي أملته وفرضته .

ونظرة موضوعية الى صيغة التحالف — كما طرحتها ثورة ٢٣ يوليو — بدءا من هيئة التحرير ، ومرورا بالاتحاد القومي ، والاتحاد الاشتراكي الاول ، وانتهاءا بالشكل الحالي للاتحاد الاشتراكي ، تدلنا الى أي مدى يفتقد التحالف الى الجوانب السابق الاشارة اليها وذلك لاسباب منها :

١ — سبق طرح قضية التحالف التحالف تجريد كافه القوى السياسية من أحزابها وتنظيماتها السياسية ، وذلك بتجريد كافة القوى السياسية من أحزابها وتنظيماتها السياسية ، وذلك باصدار قانون الغاء الاحزاب السياسية وكافة التجمعات ذات الطابع السياسي في عام ١٩٥٤ . ولم تكتف الثورة بالالغاء وانما أعقبته باجراءات اتسمت في أحيان كثيرة بطابع العنف وذلك عند مواجهتها للاخوان المسلمين ١٩٥٤ والشيوعيين ١٩٥٩ .

٢ — أصبح التحالف — بهذا الشكل وفي ذلك المناخ — تكريسا لفكر ومصالح البورجوازية وانفردت بالسلطة تحت دعوى التحالف الذي يعكس مصالحها بالاساس ويقوم بمحاولة استرضاء القوى الشعبية باجراءات اقتصادية مع استمرار حرمانها من المشاركة السياسية الا بالشكل والشروط المفروضة مسبقا .

٣ — لم يكن للتحالف برنامج سياسي واضح ومحدد يعكس آمال وتطلعات القوى السياسية التي هو تعبير عنها وتجسيد لمصالحها . وانما كان برنامجه انعكاسا لمصالح وفكر البورجوازية وتصورها لحلول المشاكل التي تعترض مسيرة الشعب المصري على صعيد الصراع ضد الاستعمار والصهيونية من جانب ، ومعالجة نموها الرأسمالي المتعثر من جانب آخر .

٤ — ترتب على قصور صيغة التحالف وعدم اكتمال مقوماته مصادرة الممارسة الديموقراطية وحرمان الجماهير من ممارسة حقوقها في التعبير والتجمع والتظاهر والاعتصام السلميين وكافة الحريات العامة .

وأصبح الخلاف في المصالح والرأي والفكر من المحظورات التي تقع تحت طائلة القانون وتخل بواجب الولاء المقدس للسلطة .

وحتى لا يتبادر الى ذهن القارىء أننا من هؤلاء الذين عادوا الى مصر بعد غيبة طويلة قضوها في أحضان وكالة المخابرات المركزية في بيروت وباريس وسويسرا ومختلف عواصم الغرب وشنوا على النظام الوطني في مصر أكاذيبا يندى لها جبين من استحق أن يكون مصريا ، عادوا

يلطمون الخدود ويشقون الجيوب حزنا كاذبا على مصر وشعبها · ينعون مصر وهى قلب نابض لن يتوقف ، أقصى ما يحلمون به لمصر و أعظم مايتفتق عنه حبهم لها أن يروها عروسا فى حضن الامبريالية العالمية ، ويرون مستقبلها مشرقا فقط فى اللحاق بجهابذة الاحتكارات العالمية ·

لسنا من هؤلاء ، أيها القارىء العزيز ، فلا نقول ان حصاد هذه الفترة كان مواتا . فثمة منجزات ليس باستطاعة أى منصف انكارها : فمحاولة تحديث الاقتصاد المصرى باقامة قاعدة صناعية تمثل أساسا تكنيكيا قويا لاقتصادنا ، وقوانين تمصير الاقتصاد ، ونقل ملكية مرافق هامة لايدى وطنية ·· الخ كل ذلك كان من حصاد هذه الفترة · وأيضا لسنا مدافعين عن ديموقراطية ما قبل ١٩٥٢ التى تعبر بصدق عن كبار الملاك والرأسماليين والاحتكاريين وتنكر الحق على الطبقات الشعبية فى التنظيم والتجمع . لكن ، نريد أن نقول أن ما حدث فى مصر من تحولات اجتماعية ووطنية لم تشارك فيه الجماهير العريضة ، وانما حدث من واقع تفكير وتصور ومصالح البورجوازية فقط ·

واستمر الحال على ذلك فترة طويلة . ويأتى الخامس الدامى من يونيو ١٩٦٧ ليكشف جوانب الازمة التى عاشتها مصر . فيد واحدة بمفردها ، أن تصفق وكذلك قوة بمفردها لا تستطيع مجابهة خطر الامبريالية الذى يتهدد الجميع خاصة اذا كانت هذه القوة حكم عليها التاريخ بالضعف والتردد تعيش مرحلة ما بين المطرقة والسندان ،

وتكون محصلة ذلك ، أن تمنى مصر بهزيمة شديدة الوطأة كشفت جوانب القصور والخلل فى البنــاء الاجتمــاعى والديمقراطى فيها .

وبوسعنا ، الان ، ان نجمل نتائج ازمة الممارسة الديموقراطية على مسيرة الكفاح الوطنى ضد الصهيونية والامبريالية فى الاتى :

أولا : كانت ادارة الصراع من جانب واحد هو البورجوازية ، فرضت تصورها للصراع وأبعاده وتكتيك واستراتيجية مواجهته على كافة القوى الاجتماعية الوطنية فى مصر ، على الرغم من قصور هذا التصور ، وعدم قدرة أساليبه على مجاراة الوعى الوطنى فى الداخل ، وعزلة استراتيجيته عن تجارب الشعوب المناضلة ضد الامبريالية والعنصرية فى القرن العشرين وتستره وراء قناعات جغرافية وتاريخية غير حقيقية .

ثانيا ، حرمان قوى وطنية شديدة الصلابة من شرف الكفاح ضد الامبريالية ، الامر الذى أفقد مسيرة الكفاح الوطنى عناصر حرة وأفكارا ومفاهيم كانت بالقطع سوف تثريه وتدفعه قدما الى الامام · ولعل التاريخ يكفينا مشقة التدليل على صدق ما نقول ، فقد كان الفلاحون والعمال بطلائعهم الواعية فى مقدمة الصفوف المناضلة ضد الاستعمار ولا يعنى ذلك توقف عطائهم ، فقد دفعوا الكثير ولكن دونما مشاركة سياسية فى التصور والتخطيط لاستراتيجية المواجهة ،

من هذا المنطلق ، ينبغى النظر الى قضية المنابر والديمقــراطية ، كانعكاس لازمــة الممــارسة الديمقراطية فى مصر على مسيرة الكفاح الوطنى · ويكون طرح القضية من أجل تصحيح مسار النضال الوطنى ، واعطائه جرعات قوية من رحيق القــوى الوطنية الدءوبة التى أعطت فى ظروف شديدة الوطأة وعلى استعداد دائم ومتجدد للتضحية .

وبعبارة شديدة الوضوح : ان كنا جادين فى طرح قضية الديموقراطية ، فهى تعنى – أول ما تعنى – أن تكون المنابر فترة انتقالية الى الاحزاب السياسية بمضمونها الحقيقى وهو حق كافة القوى الوطنية والشعبية فى التجمع والتنظيم فى أحزاب سياسية تحمل أراؤها الفكرية .

باختصار تكون المنابر فترة يستكشف فيها الطريق والهدف نحو ديموقراطية حقيقية ،

نقول ذلك ، ونعلم أن الكثيرين سوف ترتفع اصواتهم معارضين الاحزاب والديمـوقراطية بحجج واهية تاريخيا وعلميا تعكس عداءهم لها ، وتفتقد المنطق السليم ، والحجــة الصحيحة ، وكلام كثير سوف يقولونه عن فساد احزاب ، وعمالتها للاستعمار ، ولكن السؤال الذى سوف نلقيه عليهم ، ونطلب منهم اجابة : هو أى هذه احزاب كان فاسدا ؟ وأيها كان عميلا ؟ وأى الطبقات كانت هذه الاحزاب تعكس مصالحها ؟

ألم تكن هى احــزاب الاقلية مثــل الاحــرار الدستوريين وحزب الشعب ؟

ألم تكن تعبيرا عن مصالح كبار الملاك وكبار الرأسماليين وكبار رجال الصناعة والتجارة فى مصر

ألم تكن هذه الاحزاب هى الثالوث الحزبى الذى شكل معظم حكومات الاقليات المــوالية للقصر

□□□□□□□□

والاستعمار والمعادية للقوى الوطنية والشعبية فى مصر ؟

الاجابة لا تحتاج تفصيل .

ولعله ليس غائبا عن ذهن القارىء أن الديموقراطية التى عملت فىاطارها هذه الاحزاب كانت ديموقراطية البورجوازية ، ولم تكن فقد كانت تعكس بصدق مصالح كبار شعبيته وبالتالى فقد كانت تعكس بصدق مصالح كبار الرأسماليين وكبار الملاك ونكران الحق فى التجمع والتنظيم الحزبى العلنى على الطبقات الشعبية .

وبالرغم من أنها كانت ديموقراطيتهم الا أنهم انهكوا شروطها ، ومن حزب هو القمة بين أحزابهم تنظيما وجماهيرية وتعبيرا عن مصالح أكبر قطاعات البورجوازية وهو الوفد عقب تسلمه الحكم عام ١٩٢٤ فقد افتتح أولى صفحاته تجميد نشاط الحزب الاشتراكى فى مصر ومصادرة ممتلكاته ومكاتبه ومطاردة اعضائه وقيادته . ولكن بالرغم من حظر نشاط التنظيمات اليسارية الموالية للقوى الشعبية رسميا ، الا أنها لعبت فى الخفاء دورا بارزا عميق التأثير فى الحركة الوطنية والاجتماعية فى مصر خلال هذه الفترة . واضافت اليها ابعادا جديدة ، ومفاهيم متقدمة ما كان من الممكن ان تعرفها الحركة الوطنية ، لو لم يقدر للاشتراكيين . أن يكونوا فصيلا هاما من فصائل الحركة الوطنية ، رغم ارادة البورجوازية . فمفاهيم كالصراع الاجتماعى ، والنضال الطبقى ، والنضال المسلح ضد الاستعمار ، والارتباط بين الهدف الوطنى والهدف الاجتماعى ، وكذلك بين الرجعية والاستعمار ، والمنهج العلمى لرؤية القضايا الاجتماعية ، لعبت دورا هاما فى انضاج الحركة الوطنية ودفعها قدما فى مضمار تطورها التاريخى نحو انجاز مهامها على الصعيد الوطنى والاجتماعى

وبالرغم من ذلك أيضا لا يستطيع أى كاتب منصف ان يغفل دور الوفد فى تنشيط الحركة الوطنية الشعبية ، وتعميق مفهوم الحريات العامة ، وتخريج عدد كبير من القيادات والكوادر التى كانت مهيأة لاتمام أكثر عمقا بجماهير الشعب بالذات فى فترة الانفصال بين قمة الوفدوقاعدته « الطليعة الوفدية » ، وهى فترة تسلل كبار الملاك لقيادة الوفد الا انه ، ايضا وبحكم طبيعته الطبقية وتمثيله لاوسع قطاعات البورجوازية ساهم فى تجميد حركة الجماهير العريضة المنضمة تحت لوائه فى اطار ليبرالى محافظ ، والحيلولة دون تفجير طاقة الجماهير حفاظا على مصالح البورجوازية وترتيبا على ما تقدم فان الديمقراطية التى نحن مدافعون عنها الان تعنى فى تصورنا :

أن تكون المنابر فترة تسبق منح الحق فى التجمع والتنظيم الحزبى لكافة الطبقات الوطنية والشعبية ، يتم خلالها تطهير الطريق من الالغام التى تنفجر دوما فى وجه الديمقراطية : وهى الغاء العمل نهائيا بالقوانين الاستثنائية ، وقوانين الطوارىء ، واتاحة حقوق التعبير عن الرأى والفكر ، واطلاق كافة الحريات العامة ، والحريات من عقالها .

واخيرا – وليس آخرا – فالديمقراطية الحقيقية ترتبط بالواقع الاجتماعى ،والاقتصادى ، ولم تعد بالقطع تعنى الوقوف عند سطح الاحداث على المستوى السياسى فقط ، وانما تتعداه لتصبح حق الاغلبية صاحبة المصلحة فى تطوير وتغيير واقعها الاجتماعى ، ولم تعد ديموقراطية الهايدبارك تشغل الاذهان كثيرا فى الربع الاخير من القرن العشرين .

تلك ، عزيزى القارىء ، محاولة متواضعة لرسم صورة لديموقراطية حقيقية ، ولسنا من قدامى الحزبيين ، وهى فى النهاية وجهة نظر قد تكون صائبة ، فلنا أجران وقد تكون مخطئة فلنا أجر واحد .

خطاب مفتوح من مالك زراعى صغير

أريد أن أتحول من « مـــالك » الى « مستأجر » !

نصار عبد الله نصار

هندما عرضت على مجلس الشعب ، فى ٢٣ يونيو الماضى ، القوانين المعدلة لقوانين الاصلاح الزراعى [أساسا القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢] ، حددت « الطليعة » وجهة نظرها فى هذه التعديلات ، وعارضتها ، ثم نشرت ايضا رسائل لعدد من قرائها يعارضونها . وكان آخر ما نشرته « الطليعة » خطاب مفتوح من مستأجر صغير « عدد نوفمبر ١٩٧٥ » .

أما الخطاب المفتوح الذى ننشره على صفحات هذا العدد فهو يعبر عن « وجهة النظر الاخرى » . أو « الرأى الاخر » الذى يعتقد ان قوانين الاصلاح الزراعى قد أضرت بمصالح صغار الملاك بينما استفاد منها المستأجرون . ولما كانت « الطليعة » تدافع عن مصالح صغار الملاك وصغار المستاجرين معا ، وترى ان التناقض بينهم وهمى ولايمكن أن يكون تناقضا أساسيا ، فانها اذ تنشر رأى المواطن نصار عبد الله نصار المالك الصغير ، تناقشه وتعلق عليه ــ فى الوقت نفسه ــ بما يشرح ويؤكد مواقفها المعلنة من التعديلات التى ادخلت على قانون الاصلاح الزراعى . واننا نأمل أن يقتنع المالك الصغير بأن « الطليعة » انما تقف على الارضية الحقيقية ، أرضية الدفاع عن مصالح أوسع جماهير الفلاحين : ملاكا ومستأجرين .

ليسمح لى القارىء ان اقفز ابتداء الى نتيجة عملية حقا . . قبل الخوض فى مقدماتها النظرية ولتسمح لى مجلة **الطليعة** ان اسجل على صفحاتها أننى باعتبارى واحدا من صغار الملاك « بمركز البدارى محافظة أسيوط » والذين حرموا من فرصة الاستثمار المباشر لاراضيهم الزراعية فى ظل التطبيقات الحالية لقوانين الاصلاح الزراعى ولقوانين الايجارات بالذات ، اعلن أنى على أتم الاستعداد للتنازل عن ملكية كل ما أملك من الاراضى الزراعية الى المستأجرين فى مقابل ان يقوموا هم بتأجيرها الى . وبتعبير آخر ، فاننى ــ باعتبارى طرفا فى العلاقة الايجارية ــ على استعداد لان اتبادل واياهم مراكزنا القانونية فى العلاقة الايجارية فأتحول الى مستأجر ويتحولون هم الى ملاك . . وسوف أكون شاكرا ومقدرا لهم هذا الكرم الحقيقى . . بل اننى اتعهد بأن ادفع اليهم التعويضات المناسبة مقابل تواضعهم وقبولهم لان يتحولوا الى سادة ملاك . كما أتعهد أيضا بأن أسدد اليهم الايجار بالكامل فى مواعيده المقررة طبقا لقانون الايجارات الجديد الذى أقره **مجلس الشعب** . وأعاهدهم ــ باعتبار ما سيكون أى باعتبارهم من الملاك . ان أعمل جاهدا على اسكات صوت كل من تسول له نفسه بأن يدافع عن حقوقى ــ باعتبارى من المستأجرين ــ داخل **مجلس الشعب** او خارج **مجلس الشعب** أو فى أى مكان كان ، واخص بالذكر صوت هذا المدافع التقدمى الكلاسيكي ، صوت الاستاذ **أبو سيف يوسف** ، عضو مجلس الشعب ومدير تحرير الطليعة .

وليعلم قراء الطليعة ــ وكتابها ايضا ــ اننى لا أسجل هذه التعهدات من قبيل السخرية او المناورة ، فأننى أعنيها حقا ، وسوف انتظر من يطالبنى بتنفيذها ممن يعنيهم الامر ، وان كنت أعلم ان هذا النوع من الانتظار من جانبى ليس الا نوعا من السذاجة المفرطة ، فالذى لا شك فيه أنها سوف تكون صفقة خاسرة تماما للمستأجر الحالي حتى لو أصبح ايجار الفدان الواحد خمسين او ستين مثل الضريبة ، لاسبعة امثالها فقط . والتدليل على ذلك لا يستلزم ، من جانبى ، سوى ذكر حقيقة حسابية بسيطة يعرفها حق المعرفة كل المشتغلين

[*] أحد الملاك الصغار ــ مركز البدارى ــ أسيوط .

بالزراعة أو الذين تربطهم بها صلة ميدانية حقيقية لا أولئك الذين يستمدون بياناتهم واحصائياتهم من النشرات الرسمية التى تفتقر اشد الافتقار الى الدقة ومطابقة الواقع .

فعلى الرغم من تسليمنا بارتفاع متوسط تكلفة زراعة الفدان نتيجة ارتفاع متوسط أجر اليد العاملة وارتفاع اسعار التقاوى والاسمدة والمبيدات .. الخ فان العائد الصافى للفدان الواحد يبلغ فى المتوسط رغم ذلك كله نحو « ٢٥٠ جنيه » مائتين وخمسين جنيها نتيجة ارتفاع اسعار الحاصلات الزراعية بمعدل يتجاوز ارتفاع اسعار التكلفة الانتاجية ، فى حين أن صافى ايجار الفدان الواحد بعد سداد الاموال الاميرية يبلغ فى المتوسط نحو ٨٪ من هذه القيمة اذ انه يبلغ عادة نحو « ٢٠ جنيه» عشرين جنيها لن تزدادزيادة ذات بال نتيجة تطبيق قانون الايجارات الجديد. فالواقع ان هذا القانون الجديد لم يتضمن اية زيادات فى معدل الايجارات الزراعية بالقياس الى الضريبة — على خلاف ما تصوره او حاول ان يصوره الكثيرون — فمازال الحد الاعلى للايجار في ظله معادلا لسبعة أمثال الضريبة وكل ما فى الامر أن الضريبة الحالية أصبحت هى اساس التقدير لا تلك الضريبة التى كان معمولا بها فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، تاريخ صدور قانون الاصلاح الزراعى .

واننى لا اصف هذا التعديل الجديد بأنه تعديل عادل . لكنه على الاقل أكثر منطقية واقرب الى العدالة ، رغم أنه لن يترتب عليه زيادة تذكر لصافى ايجار الفدان الواحد . ذلك أن فرق الضريبتين يبلغ فى المتوسط بالنسبة لمعظم الحالات ، نحو ثمانين قرشا ، اى أن صافى الزيادة التى سوف يحصل عليها المالك سوف تكون مبلغا لا يتجاوز خمسة جنيهات سنويا بأى حال من الاحوال . ومن هنا يتبين ان الفرق ما يزال شاسعا بين ما يحصل عليه المالك وما يحصل عليه المستأجر من عائد الاراضى الزراعية . ومن ثم فان قانون الايجارات الجديد مايزال عاجزا كل العجز عن تحقيق الحد الادنى من العدالة فى توزيع ناتج الارض بين المالك والمستأجر.

والواقع ان غياب عدالة التوزيع ليست هى كل مساوىء قانون الايجارات الجديد فما يزال هذا القانون متضمنا لكل المساوىء التى تضمنتها قوانين الاصلاح الزراعى فيما يتعلق بالايجارات ، والتى يمكن أن نشير باختصار الى بعض جوانبها المتمثلة فيما يلى :

أولا : ان قوانين الاصلاح الزراعى تبسط نوعا من الحماية على المستأجر، بوجه عام ، وفى مقابل المالك بوجه عام دون أن تفرق من جانبها بين حجم المالك وحجم المستأجر . أى انها تساوى فى المعاملة بين حالات كبار المستأجرين من صغار الملاك وحالات صغار المستأجرين من كبار الملاك وهى تفرقة لها أهميتها العملية من وجهة النظر الاشتراكية الخالصة .

ثانيا : ان قوانين الاصلاح الزراعى بوضعها حدا أعلى للقيمة الايجارية ، وبعدم اجازة طرد المستأجر من العين المؤجرة قد أتاحت الفرصة لتولد بعض الدخول الطفيلية ومن أهم مظاهرها :

- « خلو الرجل » الذى يحصل عليه المستأجر مقابل تحويل سند الايجار الى شخص آخر ، والذى بلغ فى السنوات الاخيرة مبالغ خيالية نتيجة الندرة النسبية للرقعة الزراعية مع تزايد عدد السكان وتزايد الدخل النقدى للفرد .
- تفشى ظاهرة الايجار من الباطن — وعلى الرغم من أن هذه القوانين لا تجيز الايجار من الباطن الا أنها تهيىء الفرصة لقيامه دون أن تقدم أية ضمانات حقيقية لتلافى حدوثه من الناحية العملية .

ومما يجدر ذكره فى هذا المجال ان ايجار الفدان الواحد من الباطن قد تراوح فى العام الماضى من « ٨٠ — ١٠٠» منثمانين الىمائةجنيه خلال محصول البرسيم فقط أى أن اجمالى ايجاره من الباطن فى العام الواحد قد تراوح من ١٦٠ جنيها الى ٢٠٠ جنيه أى ما يزيد على خمسين مثل الضريبة ، ولا أعتقد أن هذه الظاهرة قاصرة على مركز البدارى محافظة أسيوط دون غيره من مراكز القطر . واغلب الظن ان هذهالارقام ليست غريبة على سمع السيد « **عبد الله محمد عبد الله** » ذلك الفلاح المغالط من مركز الفشن محافظة بنى سويف الذى نشرت له **مجلة الطليعة** رسالة الى رئيس تحريرها يهاجم فيها **مجلس الشعب** لانه أقر قانونا يزيد من ايجار الفدان الواحد بمقدار خمسة جنيهات كاملة وبذلك يقل العائد الصافى للمستأجر فيصبح ٢٤٥ جنيها بدلا من ٢٥٠ لصالح المالك الذى سوف يزداد عائده زيادة فاحشة اذ سيصبح خمسة وعشرين جنيها بدلا من عشرين جنيها .

وعلى الرغم من ذلك فقد برزت تلك الاصوات التى تتجاهل هذه الاعتبارات وتعترض على قانون الايجارات الجديد على أساس أنه قانون مجحف بالمستأجر .

وربما كان بعض هذه الاصوات نابعا من حسن النية لكن هذا المنبع قد ترتب فى بعض الحالات على الايمان ببعض المنطلقات المذهبية الجامدة

التى ربما كان اغلبهـا مسـتمدا من فلسـفة ومانيفستات القرن التاسع عشر .

ولقد أوقعهم هذا الايمان فى بعض المزالق التى نشير منها الى ما يلى :

اولا : وقع بعض هؤلاء المعترضين فى غلط وربما مغالطة مقصودة من الناحية المحاسبية ، حينما قاموا بتقدير اسعار تكلفة الانتاج على أساس سعر السوق • بينما قاموا بتقدير اسعار الحاصلات طبقا للاسعار الرسمية •

ثانيا : ان هؤلاء المعترضين باغفالهم للحقائق التى سبق ان أشرت اليها، ولغيرها، قد تناقضوا مع أنفسهم ، ففى الوقت الذى تصوروا فيه انهم يدافعون عن مصالح الكادحين كانوا يدافعون من الناحية العملية عن أصحاب الدخول الطفيلية ومصالح كبار المستأجرين الذين هم فى الواقع ابرز المستفيدين من قوانين الايجارات المعمول بهما حاليا .

ثالثا : مع التسليم جدلا بأن بعض المعترضين يمقتون الملكيه الخاصة بشكل مطلق وان هذا المقت راسخ فى وجدانهم بحكم تكوينهم التاريخى والثقافى ، فاننا نذكرهم بأن المستأجر فى ظل قوانين الاصلاح الزراعى ، انما هو مالك حقيقى « مقنع بقناع المستأجر » يتمتع فى الواقع بكل ما يتيحه حق الملكية الاصلى من حقوق فرعية وعليهم أن يتوجهوا اليه بكل ما فى أعماقهم من مقت وكراهية حتى يكونوا صادقين مع أنفسهم ■

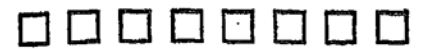
تعليق

نود فى البداية أن نصحح للسيد نصار عبد الله نصار بأنه لم يحرم كاملا من فرصة الاستثمار المباشر لارضه الزراعية ، وانما حرم من هذه الفرصة بصورة جزئية ، لان قوانين الاصلاح الزراعى لعام ١٩٥٢ قد منحته ــ بصفته مالكا ــ حق تجنيب المستأجرين فى نصف المساحة التى كانوا يستأجرونها وحق استغلال النصف الثانى مباشرة بمعرفته .

والنقطة الثانية : هى أن سيادته حدد متوسط العائد الصافى للفدان بمبلغ ٢٥٠ جنيها سنويا ، ولا نعلم من أين وصل الى ذلك أو استند الى أية أرقام أو معلومات • وهل هذا العائد الصافى لا يتفاوت تفاوتا كبيرا حسب نوع المحاصيل المنزرعة ــ تقليدية أم غير تقليدية ــ وحسب جودة الارض . وظروف الرى أو الصرف • وكنا نود أن يستند الى الارقام التى تدعم وجهة نظره كى يمكن مناقشتها . ثم بماذا يفسر سيادته هروب الفلاحين ، سواء من الملاك أو المستأجرين من زراعة محصول القطن ، مما ترتب عليه تسجيل ١٨٠ الف محضر مخالفة دورة فى موسم سنة ١٩٧٣ ؟ أليس هذا هروبا من الخسائر المحققة ــ أو العائد الضئيل للغاية ــ الذى يعود عليهم من زراعته؟

ثم نود أن نوضح بأن هناك أراضى تفوق غلة الفدان فيها الرقم الذى أورده سيادته ــ وهو ٢٥٠ جنيها • ولكن هذه الاراضى منزرعة بمحاصيل غير تقليدية كبساتين الفاكهة الجيدة الانتاج وبعض زراعات الخضر والزهور ومشروعات الانتاج الحيوانى ــ التى يتلاعب أصحابها فى مقررات العلائق ويبيعونها ــ أو جزء منها ــ فى السوق السوداء وأصحاب التأمينات الوهمية على الماشية والمتهربين من تسليم مواشيهم بالاسعار الجبرية .

ويذكر سيادته أن « **الطليعة** » طوال تاريخها ، قد طالبت بضرورة فرض ضريبة على الاستغلال الزراعى ، وأيدت فرض ضريبة على الحدائق « ٢٠ جنيها ضريبة على فدان الحدائق المثمرة » حين عرض القانون على مجلس الشعب ــ والذى لم يوافق عليه المجلس كما هو معروف ــ بل أن **الطليعة** طالبت بمد هذه الضريبة بحيث تشمل •



بالاضافة للحدائق كافة الاراضى التى يستغلها أصحابها مباشرة ، نظرا لان هذا الشكل من الاستغلال يحقق عائدا أعلى بكثير من الايجار ، وذلك لتحقيق العدالة فى توزيع العبء بين الطبقات الاجتماعية فى الريف. **والسيد نصار** يرى يوميا بحكم معايشته الميدانية – مدى النمو الذى تحققه الرأسمالية فى الريف منذ تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى. وأظن أنه – اذا كان متتبعا **للطليعة** ، لاحظ انها نبهت الى ظاهرة نمو الرأسمالية الريفية عقب تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى . وطالبت بضرورة تحملها لاعبائها فى التنمية وفى اقتصاد الحرب لانها الطبقة الوحيدة المستثناة من الضرائب التى تتناسب مع حقيقة دخلها .

وبالتالى – فالمستأجر أو المالك الصغير لا يحقق هذا العائد الذى أورده **السيد نصار** من زراعته للمحاصيل التقليدية والمفروض زراعتها من الدولة كالقطن والقمح بحكم الدورة . واذا فرض وقام المستأجر بزراعة حدائق أو زهور ، فلا تخضع هذه الزراعات لقانون الايجار بسبعة أمثال الضريبة وانما يحق للمالك زيادة الايجار – دون تحديد – كما يعلم السيد نصار .

وعندما نتناول عدالة التوزيع ، سوف نرى أن فقراء الفلاحين من ملاك صغار أو مستأجرين صغار هم الذين يتعرضون – أكثر من غيرهم من الملاك والمستأجرين المتوسطين أو الكبار – لتدهور مستوى معيشتهم بل أنهم يحتاجون – فى بعض الاحيان – الى العمل كأجراء فى أراضى أغنياء ومتوسطى الفلاحين . والسيد نصار بحكم معايشته للواقع – يعلم جيدا كيف يعيش هؤلاء الناس – حفاة ، عراة ، اميين تفتك بهم الامراض المتوطنة البلهارسيا والانكلستوما والانيميا التى لا نرجو للسيد نصار أن يصاب بها .

والسيد نصار – كمالك صغير – يعرض فى بداية كلامه أن يتبادل المواقع مع مستأجرى أرضه .. ونود أن نسأله هل سيقوم – فى حالة اتمام هذا التبادل – بزراعة أرضه بنفسه كما يفعل المستأجر الصغير ام سيقوم بزراعتها على الذمة بالاسلوب الرأسمالى أى بالاعتماد على العمالة المأجورة ؟ فرق رئيسى بين الحالتين: لان الارض فى الحالة الاولى تمثل مورد الرزق الاساسى للمستأجر الصغير وعائدها لا يكاد يسد احتياجاته الاساسية من الغذاء والكساء له ولاسرته . أما فى الحالة الثانية – المقترحة – فستكون هذه الارض أما مصدر ربح اضافى لسيادته أو أن تباع هذه الارض كما يحدث فى الاغلب للرأسمالية الزراعية القادرة على الشراء بأثمان فلكية . ولو تصورنا تعميم هذا الوضع على مستوى القطر فسوف يقوم الملاك الغائبون بطرد صغار المستأجرين وبيع هذه الاراضى للرأسمالية الزراعية كى تزداد ثراء ويزداد هؤلاء فقرا . وقد سبق وأن أبدت **الطليعة** رأيها فى الملكية الغائبة – أى الملكيات المستأجرة التى لا يعمل أصحابها بالزراعة ويعتمدون فى رزقهم أساسا على موارد أخرى مختلفة – موظفين أو تجار ومهنيين .. الخ – هذا الشكل من الملكية يعتبر متخلفا . والشكل الافضل أن تنقل هذه الملكية – بالبيع – لصغار المستأجرين – وليس لكبارهم – بضوابط من جانب الدولة تراعى مصالح المستأجرين الصغار وكذا الملاك .

واذا كان السيد نصار لا يرى فى قوانين الاصلاح الزراعى الا المساوىء **فالطليعة** لا تشاطره وجهة نظره . فهو لم يعرض وجهة نظره فى اشكال الاستغلال التى كانت تسود الريف المصرى قبل ثورة يوليو ٥٢ . وهل يرى سيادته أن تستمر سيطرة الاقطاع والملكية الكبيرة على مقدرات ملايين الفلاحين الفقراء أم لا ؟ وهل كانت هذه القوانين ضرورية لانهاء سلطة هذه الطبقات ام ان هناك طريقا آخر ؟ وهل يترك فقراء الفلاحين من المستأجرين تحت رحمة ملاك الارض دون حماية أو تنظيم للعلاقات بحيث يرفع عن هذه الملايين نير البؤس الذى تعرضت له آلاف السنين.

ونحن، مع السيد نصار ، فى ضرورة التفرقة بين المستأجر الصغير – والمستأجر الكبير ولا يمكن أن نساوى فى المعاملة بينهم . ولذلك طالبت الطليعة باعادة النظر فى الحد الاعلى للملكية الزراعية فى اتجاه التخفيض، كما طالبت بأن لا يعطى حق

الايجار لمن يملك أو يستأجر او يملك ويستأجر معا خمسة افدنة فاكثر . وتؤجر الاراضى التى يستأجرها حاليا كبار المستأجرين الى صغارهم .

كما أننا ، أيضا ، نتفق مع السيد نصار فيما يتعلق بالدخول الطفيلية ومظاهرها كما اوردها سيادته والطليعة ضد هذه المظاهر ، وضد ممارستها ، ولابد من تلافى الثغرات الموجودة فى قوانين الاصلاح الزراعى التى تؤدى الى هذه المظاهر .

ولكن سيادته قصر هذه المظاهر على المستأجرين فقط . ونظن أن سيادته يعلم تماما - بحكم معايشته الميدانية للمشاكل - ان كثيرا من الملاك الذين لايؤجرون اراضيهم هم أساتذة فنون التحايل على قوانين الاصلاح الزراعى ، وهم الذين يؤجرون اراضيهم - بالزرعة - حتى وصل ايجار فدان البرسيم الى ١٠٠ جنيها ، كما يذكر سيادته . وهم الذين كانوا يتبعون نظام الزراعة بالمشاركة وقت أن كانت ممنوعة قانونا . والملاحظ أنه لم يذكر هؤلاء من قريب أو بعيد . كما يعلم دون شك أن هذه الفئة - الرأسمالية الريفية - هى أكثر الفئات تهربا من تسليم محاصيلها المحتكر شراءها من الدولة وأنها اكثر الفئات تعاملا فى السوق السوداء بالاضافة الى أنها أكثر الفئات مماطلة فى سداد مديونيتها للجمعيات التعاونية وبنك التسليف الزراعى وان صغار الفلاحين من ملاك ومستأجرين هم أكثر الفئات تعرضا للتلاعب والغبن من الاجهزة المختلفة فى الريف وذلك بحكم سيطرة متوسطى وأغنياء الفلاحين على مجالس ادارات الجمعيات التعاونية وتشابك علاقاتهم مع الاجهزة .

وفى النهاية فان موقف **الطليعة** بالنسبة لمشاكل الريف المصرى تحكمه زاوية أساسية هى الدفاع عن مصالح الملايين الفقيرة من عمال زراعيين وعمال تراحيل وصغار ملاك ومستأجرين ضد كافة مظاهر الاستغلال التى يتعرضون لها . كما أنها تطالب بعدالة توزيع الاعباء بالنسبة للطبقات الاجتماعية المختلفة فى الريف . ومن هنا ، كانت معارضتها للتعديلات الاخيرة لقوانين الاصلاح الزراعى التى تزيد الاعباء على صغار المستأجرين ، والتى تعطى للملاك الفرصة فى طرد المستأجر عن طريق الغاء دور لجان فض المنازعات - التى هى اكثر معايشة للواقع الريفى والتى تكفل للفلاح الفقير أسلوبا عمليا أيسر فى الدفاع عن حقوقه . كما أن الطليعة ضد اعادة نظام الايجار بالمشاركة الذى يساوى بين من يبذل الجهد والعرق فى الحقل وبين من يقف موقف المحصل لعرق وجهد الغير .

وهذا الموقف ليس مبنيا على مقت الملكية الخاصة بشكل مطلق بحكم التكوين التاريخى والثقافى لكتاب **الطليعة** - كما تتطلب حلولا تتمشى مع سياسة تنمية النظرة العلمية لمشاكل الريف المصرى التى يذكر السيد نصار - وانما مبنى على اساس اقتصادية تعود فائدتها على أوسع الجماهير . كما ان الطليعة ليست ضد الرأسمالية الوطنية طالما أن هذه الطبقة تقوم بدورها فى خطة التنمية ، وتتحمل الاعباء التى تتناسب مع وزنها الاقتصادى . ولكن الطليعة ضد الرأسمالية الطفيلية والمضاربة فى المدينة والريف وضد أية سياسة اقتصادية تزيد الاثرياء ثراء والفقراء فقرا .

أما فيما يتعلق باشارة صاحب الرسالة الى الزميل أبو سيف يوسف، مدير تحرير الطليعة وعضو مجلس الشعب، بوصفه أنه «تقدمى كلاسيكى» . فان هذا الوصف يبدو أنه يحتمل - فى هذا السياق - معنى النقد أو اللوم .

فاذا كان هذا راجعا الى أنه ناقش التعديلات التى أدخلت على قانون الاصلاح الزراعى « من زاوية الفكر » الجامد » أو «العقائدى » أو «الكلاسيكى » فاننا نستطيع أن نتعرف على ما قاله بالدقة محتكمين الى المضبطة الخامسة والستين للجلسة المعقودة صباح يوم الاثنين ٢٣ - ٦ - ٧٥ .

ويمكن تلخيص وجهة نظر **الزميل أبو سيف يوسف** وفقا لما جاء فى المضبطة : كما يلى :

١ - ان قانون الاصلاح الزراعى الذى صدر فى ١٩٥٢ لم يكن - وليس - قانونا اشتراكيا ، بل هو قانون ذو طبيعة ديموقراطية . والهدف من اصداره ومن اصدار القوانين المكملة له هو تحرير الفلاح من سيطرة وسطوة الاقطاع .

□□□□□□□□

٢ ـ ان التعديلات المراد ادخالها على قانون الاصلاح الزراعى « القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ » وانما تمس مصالح الملايين من **صغار المستأجرين** لا سيما ، وأن هذه الشريحة الواسعة من أبناء الريف تواجه بالفعل ظروفا قاسية . وعلى سبيل المثال :

● هناك فى الريف سوق سوداء لايجارات الاراضى الزراعية . وأن تأجير الارض بسبعة أمثال الضريبة وفقا لنص القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ غير وارد من الناحية العملية . والتنافس على تأجير الاراضى قد رفع ايجار الفدان الى أربعة أو خمسة أضعاف الايجار الرسمى . ومن هنا ، فان رفع ايجار الارض مرة أخرى سيترتب عليه المزيد من الاعباء على المستأجر الصغير .

● ان حالة الغالبية من صغار المستأجرين لا تقل سوءا ـ ان لم تزد فى بعض الاحيان ـ عن عمال الزراعة . لان الفلاح المؤجر للارض يعمل فيها مع أفراد عائلته ، هؤلاء الافراد الذين يعملون ثم لايتقاضون أجرا يوميا عن عملهم .

● ان تبرير ادخال تعديلات فى القانون لصالح الملاك وعلى حساب المستأجرين بحجة ان جميع أسعار الحاصلات الزراعية قد ارتفعت ، فانه لابد من ملاحظة أن عاملا أساسيا من عوامل رفع أسعار الحاصلات راجع الى ارتفاع تكاليف الانتاج ، وهى التكاليف التى تثقل المستأجر الصغير .

● واذا قيل ـ تبريرا للتعديلات التى ادخلت على القانون ـ بأنه قد حدثت زيادة فى انتاجية الارض نتيجة المشروعات التى قامت بها الدولة على الرى والصرف ، فان الانفاق الذى تقدمه الدولة هو أحد عناصر الانتاج . أما العنصر الاخر والحاسم فى الانتاج فهو **العمل** الذى يقوم به المستأجر .

● ان التعديلات الجديدة اذ تعود الى التسليم بجواز المزارعة ـ وهو ماحرمه القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ هى رجعة الى الوراء تتضمن غبنا شديدا للمستأجر . لانه فى نظام المزارعة يحصل المالك من صافى **عمل** المستأجر **وجهده** على ربح وأجر لا يستحقهما .

● واذا قيل بعد ذلك أن من بين الملاك أرامل وأيتام ليست لهم موارد غير أرضهم ـ وأن هذا سبب من أسباب التعديلات التى أدخلت على قانون الاصلاح الزراعى ـ فان هذه حالات يجب أن تكون موضع عناية بطبيعة الحال ويمكن وضع حلول تضمن حقوق الارملة والقاصر ولكن هذا ليس مبررا لهذه التعديلات التى تمس الملايين من صغار الزراع .

● أشار المتكلم الى أن دواعى الوحدة الوطنية فى بلد يخوض حربا عنيفة تتطلب التحذير من بعض الاثار التى قد تترتب على تعديل قانون الاصلاح الزراعى . ومن هذه الاثار :

١ ـ اشتداد الصراعات بين المستأجرين والملاك .

٢ ـ التوسع فى اخلاء الارض من مستأجريها ، الامر الذى يفاقم من مشكلة البطالة فى الريف .

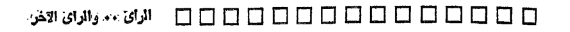
٣ ـ زيادة الهجرة من الريف الى المدينة بكل ما تطرحه من مشاكل واضرار .

ومما تقدم ، يتضح أن معارضة الزميل أبو سيف يوسف لتعديل قوانين الاصلاح الزراعى ليست مجرد طرح لفكر « تقدمى كلاسيكى » . وانما هى تأخذ فى الاعتبار ـ أولا وقبل كل شىء ـ مصالح صغار الفلاحين فى مصر ، هؤلاء الذين أشار اليهم الرئيس **أنور السادات** بقوله «ان جانبا كبيرا من فلاحينا على الرغم من المجهودات التى بذلت فى سنوات الثورة ، لا يزال يعانى من البطالة ، وانخفاض مستوى الدخل والامية وسوء التغذية والصحة والقلق على الحاضر والمستقبل » .

فالكلام الذى قاله أبو سيف يوسف عند نظر تعديل القانون يدور ـ فى مجمله ـ حول محورين أساسيين :

الاول : هو أن هذه القضية تمس الملايين من صغار المستأجرين وهم المنتجون بعملهم وكدهم .

الثانى : هو أن **حق العمل** فى مجتمع يضع لنفسه أهدافا تقدمية يجب أن يتقدم ـ بالضرورة ـ على **حق التملك** .



أســئلة مطــروحة على أمين الشــباب

محمد مصطفى بكرى

حول القصور الذى تعانى منه منظمة الشباب ، فى عملها وفى مناهجهـا ســواء النظـرية أو التطبيقية بين الشــباب يتحدث محمد مصطفى بكرى مقرر لجنة التثقيف بمنظمة الشباب ببندر قنا

أعلن الرئيس محمد أنــور الســادات منظمــة الشباب الاشتراكى فى ٢٤ يوليو ١٩٧٣ وبعد الاعلان عقد المؤتمر التأسيسى القيــادى الاول للمنظمة وقد كنت احد اعضائه ومن النقاط التى ناقشها المؤتمر اسم المنظمة . وقد كان حينئذ « **منظمة الشباب الاشتراكى الناصرى** »وقد اجمع المؤتمر على أن يظل اسم المنظمة كما هو بكلمة الناصرى . ولكن قيادة المنظمة حينئذ رفضت أن تربط كلمة الناصرى باسم المنظمة ، وتحدت القيادة أعضاء المؤتمر وصار اسم المنظمة منظمة الشباب الاشتراكى العربى . وكان هذا أول مسمار دق فى نعش المنظمة بتحدى القيادة لاعضاء المؤتمر ومع ايمانى العميق بمنظمة الشباب الا انى أقول انها أصبحت هزيلة بالفعل فى حركتها وفى قياداتها المعينة .

أما بالنسبة لحركتها كتنظيم سياسى . فــان المنظمة قد عجزت تماما عن أداء دورها كتنظيم سياسى ، بدليل انكل مايلقن للدارسين بمعاهدها هو عبارة عن محاضرات تنظيمية بعيدة كل البعد عن السياسة ولا ادرى لماذا الغيت المحاضرات الخاصة بالاشتراكية والديمقراطية والتنمية . الخ » مما كان يدرس للاعضــاء عام ١٩٧٢ . وبالتالى ، فان منظمة الشباب اصبحت بعيدة كل البعد عن خطها الفكرى ـ وبالتالى أصبح معظم الشباب فى دوامة كبيرة لا يعرف مع من يتدارس مستقبله ومشكلات بلاده . أما بالنسبة لقيادات المنظمة فكما قلت انها معينة مما يتنافى مع روح الديموقراطية وليت التعيين يحقق هدفا . ان معظم قياداته تخرج بطريقة عشوائية فأمين المحافظة يعين اقاربه وزملاءه أمناء للاقسام أو المراكز حتى ينتفعوا بمكافاة بدل التفرغ والتى تصل الى عشرة جنيهات شهريا . وبالتالى ، فأن عمل هؤلاء يكون مظهريا أكثر منه عمليا .

وهنا تظهر الحلقة المفقودة بين الشباب وقياداته . ويبدأ الصراع ، وتتفتت الوحدات الاساسية للمنظمة ، مجمــوعة تقف لتــواجه الصراع ، ومجموعة تذهب الى حالها رغبه فى البعد عن المشاكل . ان لجنة التنظيم بالمنظمة تقول : ان المنظمة تملك عدد كذاالف من الجماهير الشباب اعضاء بها . والحقيقة هى عكس ذلك . ان المكتوب على الورق شىء والواقع شىء آخر ـ انهيار كبير فى العضوية ـ معظم من ينضمون الى المنظمة رغبة فى كسب المزيد من الرحلات على حسابها ـ توجد قيادات ولكن لا توجد عضوية بالقدر الملموس لاى تنظيم سياسى ـ ثم أعلــن الدكتور **رفعت المحجوب** أخيرا عن قيام تنظيــم شباب أكتوبر . ترى ما علاقته بمنظمة الشباب وهل هو أيضا تنظيم سياسى . للاسف التنظيمات كثيرة ، والكلام أكثر . ولكن العمل لا وجود له . ترى ما هو الحل ؟ هل ستظل منظمة الشباب على هذا الحال وبالتالى ستفقد أعظم هدف لها وهو مد التنظيم السياسى القائد الاتحاد الاشتراكى بكوادر سياسية شابة ؟ ترى هل ستظل منظمة الشباب لعبة القيادة تغير وتبدل كما تشاء ؟ هل سيظل شباب مصر هكذا حيارى : وعيهم مشتت وافكارهم تجد الكبت ام ماذا سؤال أو اســئلة اطرحهــا على : **الدكتور عبد الحميد حسن** أمين الشباب .

□□□□□□□□

التنظـــيم الســـياسى للشـــباب الى أيـن ؟ !

جمعة عبده قاسم

□ ان قيام تنظيم للشباب فى مصر — يتمكن من تعبئة قوى الشباب العريضة — لتمارس دورها فى بناء المجتمع ، من اهم القضايا المطروحة على الثورة المصرية . وحول هذه القضية الحيوية يكتب جمعه عبده قاسم بأمانة التنظيم بمنظمة الشباب.

الحديث عن الشباب يعنى الحديث عن أكثر من ٥٠ فى المائة من البشر فى مصر . وهم القوة المحركة لاى شعب . وهم الدم المتدفق دائما فى شرايين اى امة . ولم يتحمل شباب اى امة من أجل أمته ما تحمله شباب مصر وعلى الاخص هذا الجيل . ويكفيه فخرا انه خاض من أجل استقلالها وحريتها ثلاث جولات رهيبة مع كل القـوى الامبريالية التى حاولت وتحاول دائما أن تنال من استقلاله وحريته . ودفع بحياة الكثرين من خيرته ثمنا لذلك . ورغم هذا العطاء فانه حتى الان لم يعط الفرصة لكى يشارك بفكره وحركته ، فى صناعة مستقبل هذا الوطن . رغم انه صاحبه .

والمتتبع للدور السياسى لحركة الشباب المصرى خلال السنوات العشر الاخيرة لا يملك الا أن يضع الكثير من علامات الاستفهام حول ايجابية هذا الدور وآثاره ، خاصة عندما يجد أن التنظيم السياسى الوحيد الذى كان مقررا له ان يوحد حركة الشباب ويعبر عنها ويعبئها . تم ضربه واجهاضه خلال تلك السنوات العشر أكثر من ثلاث مرات ولم يعط الفرصة المستقرة التى يمكن فيها أن يثبت تواجده وفعاليته .

ولان هذا التنظيم يعاد — تفريغه — للمرة الرابعة د ه الايام . فان الحديث عن خلفية السنوات العشر ولو بالقدر اليسير يكون هاما وواجبا .

و ضعين فى الاعتبار مجموعة من الحقائق الاساسية تعترض محاولتنا عندما نتعرض للدور السياسى على وجه الخصوص . للشباب المصرى منهـا :

— انه لايمكن بأى حال فصل الممارسـة السياسية للشباب واسلوبها عـن الممـارسة السياسية للقوى الشعبية فى مصر ككل .

٢ — انه لا يمكن عزل ما يدور داخل التنظيم الشبابى عما يحدث داخل التنظيم الام وهو الاتحاد الاشتراكى العربى .

٣ — بالرغم من أن الشباب يمثل شريحة واسعة من كافة القوى الاجتماعية داخل المجتمع ، الا انه لايمكن ايضا تغافل دور كل قوة وآثرها على هذه الحركة ومدى موائمة أو اختلاف مصالحها مع ما يمثله الشباب وما يريده .

٤ — واقع المجتمع المصرى بكل مـا فيه من تخلف . وهو يعكس أثره بالتأكيد على حركة شبابه .

على انه يجب علينا قبل ان نتعرض لماضى هذا التنظيم السياسى أن نلقى نظرة سريعة على الماضى القريب . من بدايته لنسأل انفسنا سؤالا حيويا وهاما :

هل كان يوجد بالفعل تنظيم سياسى للشباب فى مصر ؟ ومتى ولد ؟

ما هى سلبيات هذا المولود — وكيف تم مواجهتها ؟

ثم ماذا يحدث الان ؟

لقد بقى الشباب المصرى قبل الثورة وقتا طويلا يبحث لنفسه عن دور متكامل فى حركة المجتمع كله . الا ان الوضع الحزبى الذى كان قائما — وقت ذلك — استطاع أن يعزل غالبيته عن تلك الحركة واستطاعت القوى الاجتماعية التى كانت تتصارع

على السلطة فى ذلك الوقت أن تستقطب بالفعل بعض شرائحه ، فارتبط بها ، رغم تناقض مصالحه الاساسيه معها . ثم جرفته الشعارات الجوفاء التى كانت ترددها تلك الاحزاب المتنافرة والتى لم تكن تعبر ـ فى اكثرها تقدميه الا عن مصالح طبقيه ضيقة . بل واستطاع البعض الاخر أن يحول عددا من الشباب المنتمى اليه الى اداة ارهاب وقمع له . ولم تكن حركات رفض الشباب الا انعكاسا لهذا كله . وبالتالى فلم تكن صدفه أن يكون قادة ثورة ٢٣ يوليو ـ التى كانت لحظة قيامها كحدث مجرد قمه لرفض الاوضاع القائمة ، وفرض ارادة التغيير ـ هم طليعة هذا الشباب . وبالتالى ، أيضا ، لم تكن صدفة أن يكون شباب الجامعات هم أول من خرج لمساندة الثورة وتأيدها لحظة اندلاع شرارتها الاولى .

وحاولت الثورة ان تجد تنظيما للشباب يكون بديلا عن تلك الاشكال الحزبية التى اثبتت عجزها عن قيادة العمل الوطنى وعدم فهمها لطبيعة المتغيرات الثورية التى تحدث فى مصر والتى تهدف فى الاساس الى تعميق سلطة الجماهير . وكانت الصيغة التنظيمية التى قدمتها القيادة الثورية لحركة الشباب فى تلك الفترة تذوب داخل التنظيمات السياسية القائمة سواء فى هيئة التحرير او الاتحاد القومى .

وفى تلك السنوات خاضت الثورة المصرية ثلاث معارك . كان الشباب عامل الحسم الاول والاساسى فيها .

١ ـ معركة النضال الوطنى ضد العدوان الثلاثى .

٢ ـ معركة النضال من أجل التنمية الاقتصادية والقيام بالثورة التعاونية فى الريف المصرى .

٣ ـ معركة النضال القومى لتحرير مصر والعالم العربى من كل أشكال السيطرة الاستعمارية .

وعلى الجبهات الثلاث أعطى شباب مصر دما وعرقا وكفاحا يسجله التاريخ باعزاز وفخر .

ثم جاءت سنة ١٩٦١ لتدخل مصر مع كل جماهيرها مرحلة التحول الاشتراكى . وفى هذه المرحلة بالذات عاش الشباب المصرى مجموعة من المتغيرات الجذرية .

١ ـ وضوح الايديولوجية العامة للمجتمع المصرى وتبلور فكر الثورة .

٢ ـ تحديد مسار العمل الوطنى من أجل تحقيق الاشتراكية وتحقيق مجتمع الكفاية والعدل .

وقد كان طبيعيا أن توجه انجازات هذه المرحلة كلها الى الجماهير والجماهير ليست تعبيرا هلاميا بلا معنى أو مضمون . انما هى طبقات ، وقوى اجتماعية لها مصالح محددة ، وملامح واضحة ، وبالتالى فان الشباب هم قوة الدفع لهذه الجماهير بحكم المستقبل والمصير . وهم شريحة من كل الطبقات وارتباطهم بتلك الانجازات أقوى الارتباطات وأشدها وذلك :

● لانهم ، بحكم التاريخ ، هم أصحاب المستقبل وقادته . قوة الحاضر الذى يحتاج الى فكر ثورى يهديه ويرشده ويدفعه للامام دائما .

● انهم ، بحكم طبيعتهم ، الاقدر على المشاركة الثورية الفعالة ، فى مجتمع يمر بمرحلة الثورة الوطنية لانهم اكثر قوى المجتمع طموحا وايمانا بالثورة .

● وانه اذا كانت كل الانجازات العظيمة من صنع الشباب ، واذا كانت كل الاحداث الكبيرة فى تاريخنا تمثل التطبيق الثورى الحى ، فان لكل تطبيق اصوله الفكرية واساسه النظرى . وكان فكر ثورة ٢٣ يوليو هو التجربة الثورية الخصبة والغنية ، وكان الشباب هو قوة الدفع والحركة لهذا الفكر والضمان لاستمراره .

ثم تعاظم دور الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة فى الثورة ـ واصبحت قضية بناء هذا الجيل من أهم قضايا المجتمع وأخطرها . وتم تكوين الاتحاد الاشتراكى العربى بعد ذلك ، قال **جمال عبد الناصر :**

« ان المهمة الاساسية التى يجب أن نضعها نصب أعيننا فى المرحلة القادمة هى ان نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية .ولسنا نستطيع القول بأن جيلنا قد ادى واجبه الا اذا كنا نستطيع قبل كل المنجزات وبعدها ان نطمئن على استمرارها والا فان ماحققناه مهدد بأن يتحول مهما كانت الاسباب وروعتها الى ثورة لمعت ثم انطفأت ، الى بداية تندمت ثم توقفت . ان الامل الحقيقى فى استمرار النضال ويتأكد باستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم استعداد لقيادة وحمل الامانة مواصلة التقدم بها ، اكثر وعيا من جيل سبق . اكثر صلابة من جيل سبق . أكثر طموحا من جيل سبق » .

وكانت هذه الكلمات تعبيرا عن أهمية بناء هذا الجيل وعن قضية الاشتراكية وضمانات استمرارها وتجسيدا واقعيا لامال الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة فى هذه الثورة .

وكان التصور الطبيعى أن تكون هناك أداة تنظيمية للشباب تقوم بهذه المهمة . وتم من خلال الاتحاد الاشتراكى تكوين الادارة المركزية للشباب لتقوم بالدراسات التى تضع هذا التصور موضع التنفيذ .

وقد انتهى دور هذه الادارة بعد أن كانت قد أعدت مجموعة من الرواد . وبعد أن وضعت

تورا لتلك الاداة التنظيميـة والتى حـاولت أن تكامل فيه كل مقومات التنظيم السياسى بـدأ بالعضوية القاعدية الواسعة والنشطة وما يلزمها من كوادر ، ثم النظرية الثورية التى يؤمن بها الاعضاء . فلائحته التنظيمية التى تحدد مستوياته العضوية والعلاقة بينها .».

وفى يوليو ١٩٦٦ اعلن **جمال عبد الناصر** قيام منظمة الشباب الاشتراكى العربى ودخلت الحركة الشبابية فى مصر بهذا الاعلان مرحلة تاريخية تحقق فيها لاول مرة طوال تاريخها ماظلت تفتقده على امتداد كفاحها الطويل .. وهـو الاداة التنظيمية الواحدة التى تجمع حركتها وتعبئها وتعبر عنها . وقد تم التأكيد على انيشملهذا التنظيم كافة القوى الاجتماعية وأن يكون حجم تواجدها فيه متناسبا مع تواجدها فى المجتمع .

وخلال الفترة من يوليو ١٩٦٦ وما سبقها من اعداد حتى يونية ١٩٦٧ م استطاعت المنظمة ان تحقق شكلا من التواجد داخل المجتمع لايمكن انكاره خاصة وانه لم يكن قد مضى عليها اكثر من سنة . فقد وصلت عضويتها العـاملة الى ٢٣٠ر٢٢٠عضوا مرتبطا بهم اكثر منمليون صديق سياسى ، مستهدف منحهم العضوية — وشملت هذه العضوية بـالفعل كافـة القـوى والشرائـح الاجتماعية . فكان منهم ٤٤٧٧٥ عمال و٣٣٨٠٩ فلاحين و٢٠١٧ طبيب و٤٤٨٨٥ طالب ثانوى — ١٨٦٢٩ طالب جامعى ٧١٥ اخصائى اجتماعى — ٤٤٧ رجل قـانون — ١٠٠ صـحفى — ٧٨٣٢ اساتذة ومدرسين — ٤٠٥٣ مشرف زراعى — ٤٦٥٤ مهندس .

ولما كان أسلوب منح العضوية لا يتم الا بعـد فترة عمل بالوحدة الاساسية لاتقـل عن سـتة أشهر ، وكذلك أجازة دورة الاعداد السياسى التى كانت تتم فى المعاهد الاشتراكية فمعنىذلك، انه كان قد تم تدريب هذا العدد فى المرحلة الاولى . كذلك تم اعداد ١٥١٣٥ قيادة على مستوى المراكز والاقسام و٢٨٤٩ قيادة على مستوى المحافظات . كما تم فى هذه المرحلة اقامة بعض الدراسات والدورات السياسية المتخصصة كان منها دورات مبعوثين وعائدين اجتازها ٨٢٢ دارس .

— دورات أعضاء هيئة التدريس والمعيـدين اجتازها ١٣٦٢ دارسا .

— دورات للمشرفين الزراعيين بالجمعيـات التعاونية اجتازها ١٣١٧ دارسا .

— دورة لشباب الجزائر كان بها ١٧٨ دارس .

— وقد تحرك هذا العدد من داخل٧٠٥٩ وحدة أساسية تم اعلانها لتشمل معظم مواقع التواجد السكانى والانتاجى فى مصر . واستطاع الشباب خلال هذه السنة أن يحقق وفورات فى مشاريع العمل التى قام بها تجاوزت ١٢ مليون جنيه.

ومن هنا ،نستطيع أن نقول أنه قد تحقق خلال هذه المرحلة :

١ — وحدة الحركة الشبابية من الفـلاحين والعمال والطلاب والمثقفين لاول مرة فىالتاريخ المصرى فكرا وتنظيما .

٢ — تأكيد أسلوب فى التربية السياسية ينطلق من نظرة أساسها أن التكوين الفكرى مـدخله الممارسة العلمية والعملية والسلوك اليــومى بين الجماهير .

٣ — تقديم مفهوم جديد للعمل السياسىباعتباره عملا منتجا وجهدا مبذولا من اجل زيادة الانتاج ملتزما فى الاساس بنضال الجماهيروتطلعاتها فى هذه المرحلة التى تجمدت بالفعل سنة ١٩٦٧ .

وبالرغم من ان المنظمةانطلقت فيها وهى تضعامام اعينها أن المهمة الرئيسية للعمل مع الشبابالذى مازاليعانىمن السلبيةوالفراغ هىأعداده بمايمكنه من خدمة مجتمعه وابراز قيادته وبالتالى يصبح المقياس الذى يمكن ان يقاس به نجاحالمنظمة هو قدرتها على تحويل اهتمامات الشباب ، وتمكينهم من توجيه طاقاتهم الى العمل فى تطوير المجتمع وحماية ثورته واكتشاف القيادات وتنمية قدراتها . نقول : وبالرغم من ان هذه الفترة كانت بالفعل اخصب فترات العملالسياسىللشباب المصرى،الا ان مجموعة من السلبيات عاشت فى هذهالفترة ويرجع بعضها الى اخطاء فردية والبعض الاخـر الى عدم وجود خبرة تنظيمية سابقة فى المجتمع المصرى ، ويرجع البعض الاخر الى قلة فى عدد الكوادر التى تتناسب مع حجم العضوية . فهناك من أساء فهمالعمل السياسى فاعتقد انه يمكن أن يتم بواسطة اعمال تتعلق بأختصاص اجهزة الامن والقضاء . وهناك من أساء فهمالمعنى الحقيقى لعضويةالتنظيمفاعتقدانه اعلى مرتبة منهمأو منثم بدأ يتعالى عليهم فانفصل عنهم وانفصلوا عنه . وهناك البعض الذى لم يستطع أن يتخلص من قيم المجتمع القديم فاعتقد انه يستطيع انيحقق آمالا ومصالح شخصية مستقبلا فى عضوية التنظيم ، وهناك من تسببت تصرفاته الفردية ، فى خلق حساسيات مع مؤسسات المجتمع الاخرى .

ومن هذه السلبيات أيضا تغلب الناحية الفكرية عند البعض ، واعتقادهم أن العمل السياسى ترف فكرى . وتقريرا لواقع فان كثيرا من القيادات ، بما فى ذلك المستوى المركزى ، قد استغرقتها التكليفات الطارئة والاعمال المكتبية والمشـاكل الادارية المتراكمة . فاقتصرت المتابعةفىكثير من الاحيان على المتابعة المكتبية وماصاحب ذلك من عدم الدقة فى تقييم الحركة ومحاصرة اخطائها —

كما ان بعض المستويات فى بعض المواقع اكتسبت قدرتها على الحركة من خلال ارتباطها ببعض مراكز القوى وحسبت ان شرعية حركتها لا تأتى من انتماء قواعد لها بقدر ما تأتى من التصاقها هى بتلك المراكز ، الا ان كل هذه الاخطاء والسلبيات ، كان يمكن أن تصاحب أى تنظيم سياسى عند نشأته ،

لكن عناصر الثورة المضادة ، وعلى رأسها الرجعية المتسللة الى كثير من المواقع ، اخذت من هذه الاخطاء زاد عمرها ، فى محاولات مستميته لضرب حركة الشباب ، والتصدى الضارى لكل ماتمثله من خطر عليها وعلى مصالحها ، مستخدمة فى ذلك اساليب التهويل والتجسيم والتعميم والتشويه ، متجاهلة عن عمد أن الخطأ دائما هو جزء من التجربة .. ولقد نجحت بالفعل .

واذا كانت نكسة ١٩٦٧ قد هزت مصر كلها فقد كان الشباب بلاشك اكثر شرائح المجتمع تعثرا ذلك لانه اعتبر تلك الهزيمة هزيمة لثورته وجيله كله . وبرغم خروجه فى وقفة رائعة يوم ١٠،٩ يونيه الا انه عاد يطالب بالتصحيح والحساب وتمثلت قمة هذه المطالبة فى أحداث فبراير ١٩٦٨ .

وبقى التنظيم السياسى للشباب مجمدا حتى أعيد سنة ١٩٦٩ وفى سنة ١٩٧١ . لكن كان من آثار اجهاض محاولته الاولى أن تأثر بالسلب عدد كبير من الشباب ، وانعكس ذلك على تلك المرحلة حيث لم يتجاوز حجم العضوية العاملة ٩٣٢١٥ عضوا خلالها .

وبعد ثورة التصحيح فى مايو ١٩٧١ احس الرئيس السادات ، مرة اخرى ، بأهمية اعداد الجيل الجديد . وتم اعادة بناء التنظيم الشبابى مرة ثالثة وقال السادات يومها ، كلمته الكبيرة : ان الشباب هو نصف الحاضر وكل المستقبل . وحاولت المنظمة أن تعيد بناء نفسها . لكن ، كان لا يمكن أن تفصل نفسها عن واقع المجتمع المصرى كله . واهتزت فى هذه المرحلة أشياء كثيرة .. تخبطت فى تحديد نظريتها . لم تعط قضية الكادر أهميتها الواجبة ، فتميزت عضويتها بالتسيب وعدم الانتماء .. وأصبح يمكن أن نقول أن الربع مليون عضو بداخلها منهم ٥٠ فى المائة عضوية ورقية : وفى الوقت الذى كانت تبذل فيه مجهودات خارقة فى محاولة لاحداث التوازن داخلها كانت تكلف المنظمة بعض التكاليف التى ضربت كل هذه الجهود فى العمق . فمثلا ، فى الوقت الذى بدأ فيه الشباب يتعلم فى المعاهد الاشتراكية أن العداء بين قوى التحرر العالمى وفيها مصر . مع الامبريالية العالمية عداء يتعلق فى الاساس برفض القوى الامبريالية السماح للدول المتخلفة ان تبنى نفسها ، حتى تضمن استمرارها ووجودها ـ اذن هو صراع وجود فى هذا الوقت يكلف الشباب بان يخرج لاستقبال نيكسون والترحيب به عندما زار مصر .

واستطاعت بعض القوى أن تحاصر المنظمة باحساسها الدائم بعدم الاستقرار بحيث تفرغها من أى مضمون ايجابى لها . ففقد كثير من شباب مصر ثقته فيها

ولما تفككت الحركة ، بدات تؤثر فيها المواقف الشخصية ، وتحدد مسارها وانعكس ذلك على علاقة مستويات التنظيم بعضها ببعض . وضعف دور المستوى المركزى وكان ذلك طبيعيا نظرا للضعف العام الذى اصاب التنظيم ككل . وحتى داخل هذا المستوى نفسه لم تكن العلاقات التنظيمية واضحة مما ترتب عليه احداث خلل فى دورة اتخاذ القرار والمستوى الذى يتخذه .

وكان نتاجا طبيعيا ايضا ـ لكل ذلك ـ ان يعاد بناء التنظيم للمرة الرابعة خلال أقل من عشر سنوات ـ على أن يفتح عضويته لكل شباب مصر وعلى ان يبنى بالانتخاب من القاعدة الى القمة ولا احد يمكن أن يعترض على ذلك . ولكن قبل ان ننتمى نحن الشباب الى اى تنظيم فأن هناك مجموعة من الحقائق اثبتتها تجربة السنوات الماضيه لا يمكن أن تغيب عنا ومنها :

١ ـ اننا مازلنا وبالرغم من مرور ثلاثة وعشرين عاما على الثورة نعيش مجتمعا لم يتخلص من تناقضات الماضى ورواسبه ، وما زالت تحكم بعض جوانبه كثير من القيم المتخلفة من المجتمع الطبقى . وما زالت قوى الرجعية وقوى الثورة المضادة تحاول ، بكل ما تملك ، أن تعيد الاوضاع الى ما كانت عليه قبل الثورة . انه مجتمع التحول الذى يعيش فيه الجديد والقديم فى صراع من أجل البقاء . ولقد استطاعت المنظمة ـ خلال مرحلتها الاولى ـ أن تعبر ـ رغم كل السلبيات ـ عن قيم المجتمع الاشتراكى وضرورة التمكين للثورة من ان تستقر وترسخ وتحمل بجذورها الى أعماق حياتنا .

٢ ـ ليس هناك طريق مسدود امام الثورة . لان الثورة هى مصلحة كل الشعب . وحمايتها هى القانون الاول لهذا المجتمع .

٣ ـ ان الممارسة الديمقراطية هى الوسيلة لاكتشاف كل الطرق . وبالتالى ، فان سلامة الممارسة الديموقراطية هى نفسها سلامة الثورة .

٤ ـ ان العمل الثورى يحتاج الى الثوريين والسبق اليه هو من حق القادرين عليه أينما كانوا بغير ادعاء من أحد فى فضل يتوهمه أو يوهم الجماهير به .

٥ ـ ان مقياس الاخلاص الثورى هو الاداء المسئول للواجب وليس هو التظاهر بالسلطة .

٦ ــ ان العمل الثورى ليس له ان يخشى الخطأ . فان الخطأ والصواب معا هما جناحا التجربة . وانما الذى يخشاه العمل الثورى ويجب أن يخشاه الانحراف .

٧ ــ ان العمل السياسى ليس هو وسيلة حركية لكسب الجماهير عن طريق تضليلها . لكنه هو عمل علمى واع ومخطط يحسب بالارقام والاحصاءات لا بالالفاظ والشعارات .وان الشباب عليه أن يثبت ذلك .

٨ ــ انه فى غيبة وحدة الحركة الشبابية . فان كل ما تقدم لا يمكن النظر اليه أكثر من كونه نوعا من الاحلام والامانى .. ووعيا بتلك الحقائق كلها لابد أن تكون نظرتنا الى أى تطوير يمكن ان يتم ولقد صدر قرار السيد رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى باعادة بناء التنظيم الشبابى .

ــ وأول ما يجب أن نشير اليه أن القرار صدر بنفس صيغة مشروع القرار الذى قدم للجنة الشباب بالمؤتمر القومى لاقراره . ورفضته اللجنة وأوصت بقرار آخر لم يؤخذ به .بل ان القرار صدر وأضيفت اليه تعديلات أخرى عن مشروعه تزيد من اتساع الهوة بينه وبين مقترح لجنة الشباب .

ــ ان القرار صدر وهو مغفل تماما لوجود تنظيم للشباب فى مصر له عشر سنوات من التجربة والخبرة .

ــ ان القرار ارتكز على قاعدتين اساسيتين : وهما فتح باب العضوية لكل الشباب من سن ١٤ ــ ٣٠ سنة ، ويمنح العضوية بمجرد تقديمه طلبا بذلك .وبناء جزء من الهياكل القيادية بالانتخاب المباشر ، وضم ممثلى الشباب بالاتحاد الاشتراكى الى مستوياتهم المقابلة . وهنايثور الجدل . ومن حقنا ان نقول كلمتنا ، رغم يقيننا المسبق بأنه اذا كانت كلمة المؤتمر القومى ــ أعلى السلطات ــ لم تسمع . فما جدوى ما نقول ؟

أولا ــ من ناحية جماهيرية التنظيم . لا أحد يعترض مطلقا على المبدأ ولكن اعتراضنا على الاسلوب . لقد كان هدف توسيع قاعدة التنظيم هدفا دائما وملحا خلال كل مراحل منظمة الشباب . ولكن كان مطلوبا قاعدة نشطة متحركة مشاركة فعالة وبالتالى كانت هناك مجموعة من الضوابط تحكم تحقيق هذا الهدف . بحيث لا يمكن أن تكون رغبة العضو للانضمام الى التنظيم كافية لمنحة العضوية . انما يجب أن يثبت الولاء لمبادئه ، واستعداده للمشاركة فى تحقيق برنامجه .

وهذا لا يمكن أن يتحقق بدون فترة اعداد واختبار . كما أنه فى التنظيمات الجماهيرية لابد من توافر قدر مناسب من العناصر القيادية التى تستطيع تحريك هذه العضوية ، والعناصر القيادية التى تستطيع تحريك هذه العضوية ، فى حاجة الى تدريب دائم ومستمر . ولعل من أهم أسباب ضعف المنظمة خلال مراحلها المختلفة هو تهاونها فى شروط العضوية مما ترتب عليه كم ضخم . لكنه متسيب وغير مترابط تنظيميا .

ان هذا الاسلوب سوف يمكننا بالفعل من جمع عدد ضخم جدا من استمارات العضوية . وسوف يرتفع رقم عضوية التنظيم الى الملايين لكن .هل هذا فقط هو المطلوب فى غيبة البرنامج .والكوادر والنظرية ؟

ثم تأتى بعد ذلك قضية البناء الديمقراطى للمستويات القيادية . وأيضا من يطلع على خط المنظمة خلال السنوات الاخيرة . يجد هذا الهدف هو اول اهدافها . لكننا كنا دائما نصطدم بالسؤال هل المطلوب ، ديمقراطية حقيقية . ام ديمقراطية شكلية ؟

ولقد كنا دائما نريد الاولى ونصر عليها . لكن هذه الديمقراطية لا يمكن أن تحقق ، وأن تفرز عناصر جيدة بالفعل الا فى حالة وجود عضوية واعية ومتحركة وواسعة ومن أجلها كان الهدف الاول والمستمر هو توسيع قاعدة العضوية وتنشيطها .

المهم .. ما نريد أن نقوله ان ما حدث للتنظيم الشبابى تم فى غيبة كاملة من كافة شرائح الشباب وبالتالى ، جاء منفصلا عنه . غير معبر عن أهدافه وآماله ، عاجزا عن استيعاب حركته .. خاليا من كل ما قد يغرى الشباب بالانتماء له . ■

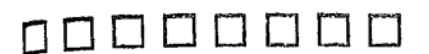


حوار مع مقال « وموقفنا نحن أيضـا »

نشرت « **الطليعة** » فى عدد نوفمبر ١٩٧٥ ، مقالا فى باب الرأى والرأى الاخر للسيد **شوقى عبـد الحميـد يحيى** بعنوان « **وموقفنا نحن أيضا** » وقد وصل الى بريد الرأى والرأى الاخر مجموعة من الرسائل تناقش باستفاضة آراء الكاتب .

● فكتب **محمد محمد حلمى** الطالب بقسم التاريخ فى جامعة القاهرة يقول : « لا أتفق مع السيد ــ المهاجم ــ فى التضحية بالعامل السوفيتى فى العلاقات الدولية بينما العامل الاستعمارى لا يزال موجودا فى الساحة يتكون ويتشكل ويهدد الشعوب وعلى سبيل المثال تحكمه فى الطاقة وتهديده بالغزو العسكرى ، ولاستحالة الغـزو لاعتبارات فنية وسياسية وثورة الشعوب ،ولوجود العامل السوفيتى وقيامه ــ على الاقل ــ بدور الرادع ، لنفذ الاستـعمار تهديده ، ان الظروف الدولية غير مواتية للاستعمار وان لم تنفيه ، وهذا هو ما يخدع البعض ، ثم اننا حتى ولو تعاملنا بالمعايير التجارية والسطحية ، يبدو أننا نخسر كثيرا حين يبدو لـى اننا نضحى كليـة بالتـأييد السوفيتى فى الوقت الذى لم نكسب فيه بعد جزءا من التأييد الامـريكى .. ولازالت امريكا عند مبادئها الاساسية التى تقوم على استراتيجيتها التى لم تتغير فهى مثلا لاتزال ترفض الاعتــراف بمنظمـة التحــرير الفلسطينية .

● ويكتب المهندس **أحمد دمـرداش حسين** ، قائلا : « **وجه الاستاذ شوقى** » الى اليسار المصرى أكثر التهم ابتذالا ، وله العذر فالذين دفعوه الى هـذا عاجزين عن التطور ، حتى فى اسـاليبهم الباطلة ، فقد رمى « شوقى » اليسار بتهمة التبعية للاتحاد السـوفيتى ، وهى تهمـة ظلت الـدوائر الامبريالية والرجعية ، ترددها بلا كلل سنين طوال حتى صارت ذكرى يعود اليها مفكرو الاختلاق كلما أعوزتهم الحاجة . وحسب منطق « **شوقى** » فان كل القوى اليسارية فى العـالم تابعة للاتحـاد السـوفيتى ابتداء من الحزب الشيوعى الصينى حتى الحزب الشيوعى الايطالى وانتهاء بتحالف الحزب الشيـوعى الفـرنسى والحـزب الاشتراكى بقيادة ميتران » وتستمر الرسالة فى حوارها مع « الاستاذ شوقى » فتقول « كان من الممكن أن يغفـر للاستاذ خلطه وتسطيحه للامور ، لو أن الذى دفعه الى الهجوم على الاتحاد السوفيتى هو حساسيته الوطنية ، ولكنه للاسف فضح نفسه عندما أخذ يتغنى بأمريكا ، وكتب انها مدت يدها الى الطلائع الثورية سنة ١٩٥٢ ، ولكن هذه الطلائع رفضت التعامل معها بلا سبب اللهم



الا العند والتطاول !! وغاب عن « شوقى » أو لعله لم يسمع عن حلف بغداد ومشروع ايزنهاور ووزير خارجيته يدعى « فوستر دالاس » وسياسة العصا الغليظة » .

وتستمر الرسالة فى مناقشة « الاستاذ شوقى » فيقول كاتبها : « اما موضوع السلاح فسوف أضرب « لشوقى » مثلا يتناسب مع عقليته . ظل النظام الاردنى صديقا وفيا لامريكا منذ قيامه حتى وقتنا هذا ، فما الذى يملكه النظام الاردنى ـ اليوم ـ من القوة العسكرية ، حفنة من طائرات « ستارفيتر » والتى تتساقط كالذباب فى المانيا الاتحادية ، ويطلق عليها هناك : « النعوش الطائرة » وحينما طالب النظام بصفقة « هوك » لتشكيل شبكة دفاع جوى فى نهاية القرن العشرين وهو من دول المواجهة ماطل الكونجرس واخيرا تكرم وسمح « بدون تنفيذ » بشروط وقيود تجعلها صواريخ للزينة والعرض » .

● ومن كلية الاداب ـ بجامعة حلب ، يكتب ناجى الحمد وهو يقول فى رسالته : « لا أكتب رسالتى هذه مستوحيا عن حزب البعث العربى الاشتراكى السورى ، ولا عن اليساريين ، لاننى فى الحقيقة لست بعثيا ولست شيوعيا ، ولا أمت بأى صلة الى حزب أو منظمة ، وانما أكتب ذلك بصفتى مواطنا عربيا ، يدلى بآرائه فيما يعرض أمامه على الساحة العربية » .

وتقول الرسالة « يقول الاخ شوقى « ان مبادىء اليسار لا تقوم على أسس واقعية ولا تأخذ فى اعتبارها الواقع العملى ، وان كانت تذهب فى رسم الصور والخيالات الى حد لا تنفذ منه قيد خردله « قول لا يمت الى الواقع بصلة ، فمن يرسم المبادىء ويضع الخطط لبناء مستقبل أمة ، منطلقا من المصلحة العامة ـ مصلحة الشعب بأكمله ـ وليست مصلحة فئة محدودة طفيلية رأسمالية واضعا نصب عينيه أمل الجماهير العربية والكادحة » فى الوحدة والحرية والاشتراكية ، يهتم برسم الصور والخيالات ، الى حد لا ينفذ منه قيد خردلة ، كل ذلك لانه لم ينطلق من منطلق نفعى خاص وانما من منطلق شعبى عام وشامل » .

ويقول كاتب الرسالة أن : « دفاع اليساريين عن الاتحاد السوفيتى ، هو بالحقيقة دفاع عن الصديق الذى وقف ويقف الى جانب الشعب العربى لنيل حقوقه ، رغم حدوث بعض الاختلافات فى الرأى معه ، وهذه حقيقة عامة ، لا يستطيع انكارها الا من اراد المزايدة على القضايا العربية ، وعميت بصيرته .

وسرد الاخ لطفى الخولى لموقف الاتحاد السوفيتى من القضايا العربية فى عدد أكتوبر ١٩٧٥ يعطى الصورة الواضحة لما اراد الاخ شوقى أن يتجاهله ، ويتعامى عنه كالنعامة اذا ما شعرت بالخطر يحدق بها .ولكن تعامى الاخ شوقى ومساواته أمريكا بالاتحاد السوفيتى ، اذهلنى جدا ، فهل يفكر احد ان امريكا وهى التى تمد اسرائيل ـ كما يقول الرئيس السادات ـ من رغيف الخبز الى طائرة الفانتوم ، وهى التى لها المصلحة الكبرى فى بقاء اسرائيل ، لتظل اسفينا فى قلب الوطن العربى تهدد بها الحركات الثوريه العربيه ، ولتأمين مصالحها الاستعمارية فى السيطرة على ثروات الوطن العربى وخيراته ، ولا سيما البترول العربى » .

وتستمر الرسالة قائلة : « وارى نفسى هنا مجبرا على القول ، لماذا يتخذ الاخ شوقى من أمريكا صنما له ، ويحاول أن يدافع عنها بشتى التبريرات والسبل التى لا مسوغ لها ، رغم أن تاريخ أمريكا حافل فى المنطقة العربية بكل أنواع الاستغلال والاستعمار والسلب والسيطرة على مقدرات الامة العربية ، وهذه حقائق ساطعة كضوء الشمس الذى لا يمكن لدخان التنور أن يحجبها . وأريد هنا ان أسأل الاخ شوقى ، لماذا هددت أمريكا مصر فى عام ١٩٥٥ باتخاذ التدابير التالية : ـ

« ـ ايقاف كل المساعدات الامريكية لمصر .
« ـ ايقاف كل التجارة .
« ـ قطع العلاقات الدبلوماسية .

« ـ محاصرة مصر ومنع أى سفينة تحمل سلاحا من الوصول اليها » .
« كل ذلك لمجرد انه تناهى الى سمعها أن مصر تنوى عقد صفقة سلاح مع تشيكوسلوفاكيا وليس مع الاتحاد السوفييتى، فلماذا ذلك ؟ لان أمريكا وجدت فى هذه الصفقة خيبة لكل آمالها وتحطيما لقالب الاحلاف الامريكية وانماطها » .

رسالة من طالب فلسطينى

كتب مروان أنور الريحاوى الطالب الفلسطينى بكلية الحقوق جامعة القاهرة الرسالة التالية .

« يشن بعض الرجعيين فى مصر هجوما شنيعا على الشعب الفلسطينى وثورته المسلحة ، حيث يحملون الفلسطينيين مسؤولية الاوضاع الاقتصادية فى مصر ، كما يطالبون بأن تنفض مصر يدها عن قضية فلسطين والتقوقع عن العرب .

« ولكن نسى هؤلاء أو تناسوا ، أن قضية فلسطين هى قضية مصر ، وقضية العرب جميعا ، حيث أن العدو لا يريد فلسطين وحدها بل يريدها من النيل الى الفرات . وأن قيام دولة اسرائيل فى قلب الوطن العربى هو خطر ضد مصر فى الاساس ، لانها قاعدة للامبريالية والاستعمار لمواجهة مصر قلعة النضال والصمود العربى . هذه حقيقة تاريخية كثيرا ما أكدها المرحوم **جمال عبد الناصر ورفيق دربه فى النضال الرئيس انور السادات** . واكدها أيضا كثير من التقدميين والوطنيين أمثال « **الاخ لطفى الخولى والاخ خالد محيى الدين** وغيرهم من التقدميين فى مصر العروبة .

« ان مصر ضحت من أجل الامة العربية ، ضحت فى فلسطين وفى الجزائر وفى اليمن وساندت بكل الوسائل الانظمة التقدمية فى الوطن العربى ، ولا أحد ينكر هذا فمن ينكر هذا فان العروبة منه براء ، ومن ينكر هذا فقد كفر كما قال الاخ **ياسر عرفات** .

وفى النهاية أهيب بكل الاقلام الشريفة وبكل الاصوات الوطنية الشجاعة أن تذكر هذه الحقيقة وأن تتصدى لهذه الاقلام والاصوات الرجعية حتى تفوت على الرجعيين فرصة نشر سمومهم ، وافكارهم الرجعية البالية بين صفوف اخواننا المصريين » .

خطاب الى « الطليعة »

لا تبددوا صفحات « الطليعة »

دمشق فى ٢٣ ـ ١١ ـ ١٩٧٥ .
عزيزتى الطليعة

لست فى حاجة لتكرار ما قاله ويقوله الزملاء القراء كل يوم من عشاق الطليعة والتى اصبحت حاجة ملحة تنتظرها بفارغ الصبر كل شهر .

وكنت أكتفى بالتزود من ينبوع الثقافة هذا مطلعا على الاراء والاراء الاخرى المضادة والتى حرصت الطليعة أن تكون كلاها على مستوى رفيع من الفكر .

ولكن استغربت وسط هذه الاراء نغمة نشاذ فى مقال للسيد شوقى عبد الحميد يحيى استهلكت للاسف ثلاث صفحات ونصف من صفحات مجلتنا الغالية . لم أستغرب هجومه على الاتحاد السوفييتى فقد أصبحت « مسودة » وقتنا هذا ولكن أدهشتنى

المعلومات الجديدة التى جاء بها السيد شوقى وهى اننا كحكـ[illegible]ـة الحكومة مصرية معتدية على أمريكا وأن أمريكا المسكينة المغلوبة على أمرها تحملت اهاناتنا بصدر رحب وها هى مرة أخرى تفتح معنا الحوار من أجل السلام فى المنطقة [illegible]بها .

يبدأ السيد شوقى باتهام اليساريين بالدفاع المستميت عن ا[illegible] ظل الإتحاد السوفييتى دفاعا مستميتا وأريد هنا أن أذكره بالحكمة القائلة « من بينه من زجـ[illegible] أ[illegible]ـاج فلا يرمى الناس بالحجارة » فالسيد شوقى نفسه ـ بالرغم من عبارته [illegible] الاخيرة والتى حاول فيها أن ينفى تهمة الدفاع عن أمريكا عن نفسه والتى جاءت كنغمة شـ[illegible]ـاذة وغريبة وسط مقاله ـ فالسيد شوقى نفسه يدافع عن أمريكا دفاعا لن يستطيع أى أمريكى أ[illegible]ـن يقول مثله عن بلاده .

يقول السيد شوقى أن أمريكا كانت تسير معنا « عادى جدا » منذ البداية وبصراحة لا أستطيع أن أدرك منطق السيد شوقى تماما وأود أن أطرح عليه بعض الاسئلة :

هل يعتقد أن دعم أمريكا المستمر والمتزايد والغير محدود لاسرائيل شىء عادى جدا بالنسبة لنا ؟

هل يعتقد أن القنابل الامريكية التى حصدت جنودنا الابطال فى ٦ اكتوبر شىء عادى جدا بالنسبة لنا ؟

هل يعتقد أن الجرائم التى ارتكبتها اسرائيل من اغتيال عمال مصنع أبو زعبل وأطفال بحر البقر بفضل مساندة أمريكا المستمرة لها شىء عادى جدا بالنسبة لنا ؟

هل يعتقد السيد شوقى رفض أمريكا وجود الكيان الفلسطينى وانكارها لمنظمة التحرير وتجاهلها مشكلة الشعب الفلسطينى المشرد تحت الخيام شىء عادى جدا بالنسبة لنا

أم أن السيد شوقى يرى أنه لا داعى بالاهتمام بمشكلة الفلسطينيين ولنتجاهلهم نحن أيضا ؟

وبالنسبة للاتحاد السوفييتى والذى تباكى السيد شوقى على استعماره لنا خلال « السنوات العجاف كما هى الموضة أيضا فى هذه الايام فأود أن اسأله سؤالا واحدا حول ماسماه بالاستعمار العسكرى يعنى الخبراء الروس .

اى استعمار مضحك هذا الذى أمكن التخلص منه فى ظرف ساعات قلائل اثر اعلان قرار الرئيس السادات بترحيل الخبراء الروس الى بلادهم وتم ذلك دون اطلاق رصاصة واحدة ؟

غريب جدا فان معلوماتى المحدودة عن الاستعمار العسكرى أنه يفرض وجوده بقوة السلاح فلماذا يحافظ على ذلك الاسلوب الاستعمار الروسى !!

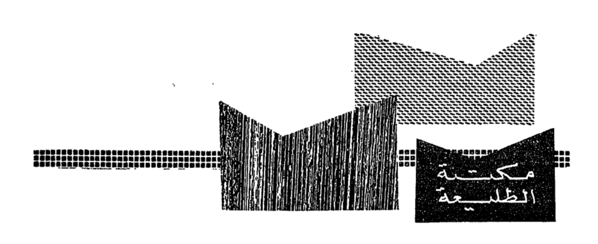
هل يعتقد السيد شوقى انه أسلوب جديد فى الاستعمار ؟

لن أتعرض بالتفصيل لمقال السيد شوقى وأود أن أترك هذا لمن هو أكثر خبرة منى وان كنت اشك ان اى مفكر كبير سوف يشغل نفسه بالرد على هذا المقال .

وأتأسف مرة أخرى على الثلاث صفحات ونصف والتى كان من الممكن أن نستفيد بها بشىء ذى قيمة .

واخيرا سلامى وتحياتى لاسرة الطليعة بالاستمرار فى نضالهم الشريف من أجل حياة أفضل ■

وليد أحمد نيازى عباس
طالب مصرى بجامعة دمشق
علوم جيولوجيا ـ السنة التحضيرية



لكى نربح المستقبل
« المشروع العربى للتنمية »

تأليف : المهندس سيد مرعى

عرض : حسين طلعت

الناشر : دار المعارف

القاهرة ١٩٧٥

يطرح المهندس **سيد مرعى** فى المقدمة سؤاله : ماذا يجرى فى عالمنا ؟ ماذا يجرى اليوم وبعد ربع قرن من اليوم ؟ ويشير الى تعدد الاجابات ، الا أن نوع الاجابة التى يمكن أن نتلقاها تختلف حسب موقع ورؤية الطرف الذى نسأله . لقد أصبحنا نعيش فى عالمين وليس عالم واحد ، عالم الفقراء والجائعين والمتخلفين وهم الغالبية الكبرى وعالم الاغنياء والمتقدمين والشبعانين وهم الاقلية البسيطة . على أن احدى الاجابات التى تطرحها هذه الدراسة هى اننا نستطيع ان ننقذ عالما كله بعشرة فى المائة من تكاليف أمريكا فى حرب فيتنام أو بواحد فى المائة من تكاليف الحرب العالمية الثانية .

ويتناول المهندس سيد مرعى فى الفصل الاول للكتاب حدود المشكلة ـ فالقرن العشرين دارت فى ربعه الاول الحرب العالمية الاولى بآثارها المدمرة على العالم ، وشهد ربعه الثانى أشد الفترات وحشية فى تاريخ الجنس البشرى من انفجار الازمة الاقتصادية العالمية الى ظهور الفاشية ، الى الحرب العالمية الثانية . والربع الثالث يعتبر أكثر الفترات نجاحا على امتداد التاريخ البشرى وازداد خلاله الانتاج العالمى ٣ أمثال ما كان عليه وامتد النمو والتقدم الى مناطق جديدة فى العالم . أما ربع القرن الاخير فهو من ناحية يرث امانيات هائلة للتقدم بفضل التطورات فى العلم والتكنولوجيا ، ومن ناحية أخرى يرث التضخم الذى يزداد سنويا بمعدل ١٧ فى المائة فى المتوسط ، ويعيش فى مطلعه ٤٠ فى المائة من سكان العالم ـ ٨٠٠ مليون نسمة ـ فى الدول النامية على هامش الحياة .

فى البلدان المتقدمة بدأت تنتشر نظرية جديدة تحت شعار « دعهم يجوعون » يتزعمها الدكتور « جاريت هارون » أستاذعلم الاحياء بجامعة كليفورنيا الامريكية سماها أخلاقيات قارب النجاة ». ويفسر نظريته بان بلاد العالم الغنية تعيش الان داخل قارب نجاة مزدحم ، أما باقى العالم فهو يغرب فى بحر من الجوع . ولو سمح أصحاب قارب النجاة للاخرين بالتشبث بالقارب والصعود اليه فان القارب سوف يغرق فى النهاية بكل من فيه . وغدت هذه النظرية الجديدة موضع تأييد من عدد متزايد من المتخصصين والسياسيين داخل الولايات المتحدة .

والفصل الثانى يتعرض لنقاط البداية فى مشاكل الدول النامية ويحددها أساسا فى الفقر والجوع والبطالة وتدهور مستوى المعيشة وأزمة النقد العالمى واختلال موازين المدفوعات والتضخم . وهى مشاكل تعود أساسا الى أنعدام العدالة فى توزيع التنمية الاقتصادية بين دول العالم وفى توزيع الانتاج العالمى والفوائض الاقتصادية . ولقد حاول البعض أن يلقى تبعة الازمة على بلاد العالم الثالث التى تحاول وضع حد لاستغلال الدول المتقدمة كثرواتها الطبيعية وبشكل خاص على البلاد المصدرة للبترول محاولتها تصحيح أسعار البترول . والحقيقة عكس ذلك تماما اذ تشير تقارير البنك الدولى الى أن الارتفاع فى الاسعار الدوليه هى السنوات الخمس السابقة على سنة ١٩٧٣ - أى السنوات السابقة على ارتفاع أسعار البترول - بلغ ١٠ فى المائة سنويا ، مقابل معدل أقل من ١ فى المائة سنويا فى الفترة السابقة على عام ١٩٦٨ . والخطير فى الامر أن هذه المجتمعات المتقدمة قد حققت تقدمها ورفاهيتها على حساب المجتمعات المتخلفة وهى لا تزال تفكر بالطريقة نفسها .

وليس بالضرورة أن تكون الدول النامية أولا فقيرة ، بل على العكس فان بعضها من الدول واسعة الثراء ولكنها لا تمتلك الجهاز الادارى المتقدم ولا المستوى التكنولوجى الراقى فى الانتاج وذلك لان هذه الدول استمر خضوعها للنير الاستعمارى فترة طويلة ، وتأخرت فى اكتشاف واستثمار مواردها ، وافتقارها للتخطيط والتنظيم الادارى السليم والهياكل السياسية المتقدمة ، ورؤوس الاموال الكافية ، بالاضافة الى سوء توزيع الثروة فى داخلها وتركز هذه الثروة فى يد القلة . والامثلة على ذلك كثيرة .

وعلى الرغم من الزيادة الكلية التى تحققت فى الانتاج الغذائى الا أن الزيادة المتوقعة على طلب الغذاء فى الدول النامية يقدر بمعدل ستوى ٣ر٦ فى المائة مما يؤدى الى زيادة حجم الطلب فى نفس المدة بمقدار ٧٠ فى المائة . وبالتالى نجد أن الانتاج الزراعى عليه أن يوفر خلال هذه الفترة انتاجا متزايدا من المنتجات التالية بمتوسط سنوى يبلغ ٢٣٠ مليون طن من الحبوب - ٤٠ مليون طن من السكر - ١١٠ مليون طن من الخضر - ٩٠ مليون طن من الفاكهة - ٦٠ مليون طن من اللحم - ١٤٠ مليون طن من اللبن . ولا يدخل فى هذه التقديرات ما يلزم للانتاج الحيوانى .

وتشير الدراسات الى أن الاستثمارات التى خصصت لتنمية قطاع الزراعة فى الدول النامية تتراوح بين ٥ فى المائة ، ٣٩ فى المائة من المجموع الكلى لمشروعات التنمية وهى صورة غير مواتية مما يفرض دعم هذا الانتاج برأس مال كاف . كما أن عمليات استصلاح الاراضى والتوسع فى المساحات المروية كان دون المطلوب ، ونلاحظ نقص استهلاك الاسمدة باقليم الشرق الاوسط خلال الفترة من ٦١ - ٦٢ الى ٧٢ - ٧٣ .

ويعرض المهندس **سيد مرعى** فى الفصل الثالث ابعاد مشكلة التنمية وحتمية مواجهتها . ويشير الى أنه كان من الممكن زيادة انتاج الدول المتقدمة بدرجة اكثر مما تم بالنسبة للمواد الغذائية لولا أن الولايات المتحدة تركت اكثر من ٥٠ مليون هكتار من الاراضى الزراعية دون استغلال حتى ينخفض فائض المواد الغذائية المتاحة بالاسواق العالمية . وتشير بيانات **منظمة الاغذية والزراعة** الى زيادة معدل الغذاء العالمى بنسبة ٣٠ فى المائة خلال الفترة من ٥٦ - ٦٧ ، وان معدل الزيادة ينخفض فى الدول النامية عنه فى الدول المتقدمة . كما أن نصيب الفرد من الغذاء قد هبط بصورة حادة فى أواخر الستينات . وان ثلثى سكان العالم يشكون من سوء التغذية فى مناطق تشمل كل آسيا ما عدا اليابان ، وكل افريقيا ما عدا طرفها الجنوبى ، وكل أمريكا الوسطى ، ومناطق شاسعة فى أمريكا الجنوبية . وبعد أن يشرح المؤلف الشروط الاساسية اللازمة لحل مشكلات الانتاج الزراعى ، ويؤكد على ضرورة ربطها بمشكلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية يحدد انه لا يمكن الاعتماد على رأس المال فى الزراعة التقليدية بوضعها الحالى . لان عناصر تمويلها محدودة والادوات التى تعتمد عليها بدائية . كما ان انخفاض انتاجية العمال الزراعيين ، وضعف الموارد المالية وصغر حجم الملكيات الزراعية تجعل من هذه الملكيات « وحدات » « للكفاف » بمعنى أن انتاجها يخصص أساسا لاستهلاك العاملين بها ومواشيهم ولا يدخل من هذا الانتاج الى الاسواق سوى نسبة تتراوح ما بين ١٠ - ٢٥ فى المائة . ومع أن الارض هى العامل الاساسى فى انتاج الغذاء والكساء الا أن أهميتها آخذه فى التناقص بالنسب

للزراعة الحديثة التى تعتمد فى التوسع فى الاستثمار وتطبيق التكنولوجيا والادارة الحديثة وهو ما تفتقر اليه البلاد النامية .

وتنحصر مصادر التمويل ، أما فى الدول الرأسمالية المتقدمة أو الدول الاشتراكية المتقدمة أو المستثمرون من الدول الغنية والمنتجة للبترول والمدخرات المحلية . ومن المتوقع عدم زيادة الاستثمارات سواء من جانب الدول الرأسمالية أو الاشتراكية المتقدمة خلال السنوات المقبلة على الاقل . أما المصدران الثالث والرابع فيتطلبان توفير المناخ الاقتصادى اللازم . ويلاحظ بالنسبة لكثير من الدول النامية أن هناك احجاما عن زيادة الضرائب على الدخول العالية . كما يلاحظ ايضا انسياب أموال ضخمة من بعض الدول النامية فى اتجاهات لا تعود على التنمية فيها بأية فائدة ، مثل الاموال التى تتجه الى بنوك الدول المتقدمة التى حققت درجات كافية من التقدم والرخاء. ولابد من توفير جانب من التمويل الذاتى عن طريق فرض ضرائب على الدخول العالية .

ومن الممكن ان تتحقق زيادة الاستثمارات الاجنبية فى الدول النامية بوسائل منها أن تقرر الدولة المعنية - على المستوى السياسى - رغبتها فى فتح أبواب الاستثمار لرأس المال الاجنبى سواء اكان شركات أم افراد - مع اعادة النظر فى القواعد والقوانين البيروقراطية السائدة وتوفير الضمانات الفعالة للاستثمارات الاجنبية ضد



الكتاب : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية

المؤلف ، د. عبد الخالق لاشين

الناشر : دار العودة بيروت ومكتبة مدبولى القاهرة

الثمن : جنيهان

● ثمة حياة ثرية شديدة الثراء بحيث يأتى كل بحث فيها بجديد ، هكذا كانت حياة **سعد زغلول** ، وهكذا تأتى دراسة **د. عبد الخالق لاشين** عنه . تقرأ فتشعر ان الباحث يمنحك معرفة جديدة ومتكاملة لمصر كلها ، فى تلك الحقبة

ولقد تخصص **د. لاشين** فى دراسة **سعد زغلول** اعد عنه رسالة الماجستير ثم اعد عنه ايضا رسالة الدكتوراه .وفى هذا الكتاب الجديد يقدم لنا سعد زغلول ١٩١٤ - ١٩٢٧ . اى انه يناقش فترة من اخصب فترات تاريخ مصر الحديث ، فترة ما قبل الثورة ثم الثورة ذاتها ثم مابعد الثورة ، وذلك من خلال الزعيم المهيمن على مفاتيح الحركة الوطنية ، وهذا كله يقدم لنا عبر بحث علمى يعتمد على دراسة متأنية لمختلف الوثائق الاساسية لهذه المرحلة .

الكتاب : الاخلاق والسياسة

المؤلف : أ. تينا رنكو

المترجم : شوقى جلال

الثمن : خمسون قرشا

● لقد نجح **ميكيافللى** فى اثبات وهم كبير وهو أن الاخلاق والسياسة على طرفى نقيض . ومنذ ذلك الحين والمفكرون والساسة البرجوازيون يكادون يجمعون على ذلك .

لكن للماركسية رأى مخالف تماما .. « فالغاية لا تبرر الوسيلة » والعمل الثورى الشعبى الاصيل يصاحبه دائما نهوض قوى من الحماس الاخلاقى . ويرى الماركسيون ان النهج النفعى الخالص لحل مهام اجتماعية سياسية محددة والذى يغفل المعايير الاخلاقية هو نهج فاسد وغير ملائم وقصير النظر سياسيا ..

وفى بحث علمى فلسفى - سوسيولوجى - سيكولوجى ممتع ومبسط يحاول المؤلف ان يقدم لنا دراسة جديدة تماما كفيلة بأن تثرى الادبيات الماركسية المعاصرة ..

ولابد من الاشادة بالجهد الرائع للمترجم الذى قدم لنا عملا هاما بالفعل

المخاطر غير التجارية خاصة المصادرة والتسأميم ومنع تحويل العملة والتضخم .

والفصل الرابع يتناول مشاكل البلدان النامية المصدرة للبترول . ويحدد ان اقتصادها يتميز بتراكم رؤوس الاموال بالنسبة الى فرص الاستثمار المتاحة ، وارتفاع متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى . وتواجه هذه البلاد ثلاث مشاكل اقتصادية رئيسية . الاولى : ضرورة تحقيق تنمية فى مختلف المجالات . والثانية : منع انخفاض اسعار البترول والعمل على رفعها بمستوى ارتفاع أسعار المواد الاخرى وخاصة السلع المصنعة . والثالثة : ضرورة استثمار الفوائض البترولية والمحافظة عليها .

ويتناول المهندس **سيد مرعى** تطور مشكلة البترول فيحدد ان الثروة البترولية فى البلدان النامية ومنها البلدان العربية اصبحت فريسة لاحتكارات عالمية للبترول تتحكم فى الاسعار والانتاج . وساندت الحكومات شركاتها الاحتكارية بشكل سافر فى هذه السياسة ـ تصريح وزير الخزانة الامريكى سنة ٧٢ من انه على الولايات المتحدة ان تكون أكثر صلابة فى معاملة البلاد المصدرة للبترول وان تفهم حكومات هذه البلاد انها لا تتفاوض مع شركات بل مع الولايات المتحدة . فى الخمسينات خفضت الشركات سعر البترول مرتين ثم جمدت بعد ذلك الاسعار لمدة ١٠ سنوات ، بينما استمرت اسعار المواد الاخرى وخاصة المصنعة فى الارتفاع . وادى ذلك الى انشاء « منظمة الدول المصدرة للبترول ـ اوبك » سنة ١٩٦٠ للدفاع عن مصالح هذه الدول والعمل على تثبيت أسعار البترول ثم رفعها . وجاءت حرب أكتوبر سنة ٧٣ لتغير مجرى الامور . فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ انتزعت الدول أعضاء «الاوبك» المبادرة ـ لاول مرة ـ فى الانفراد بتحديد أسعار البترول . وكانت حرب أكتوبر مناسبة مواتية لرفع أسعار البترول فى مواجهة ارتفاع أسعار المنتجات الصناعية ـ لقد كان متوسط سعر البرميل ٥ر١ دولار . ولم يتجاوز ٣ دولار حتى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، زيد قيمته الى ٦ دولار ثم الى أكثر من ١١ دولارا للبرميل فى ديسمبر سنة ٧٣ . وبلغ دخل دول الاوبك سنة ٧٤ نتيجة لهذه الزيادة فى الاسعار ١١٢ مليار دولار مقابل ٧ر٢٢ مليارا سنة ١٩٧٣ . وتكون لديها فائض بلغ ٦٠ مليار دولار سنة ١٩٧٤ ـ وحققت السعودية سنة ٧٤ عائدا قدره ٩ر٢٨ مليار دولار ، بينما حققت ايران فى السنة ذاتها عائدا قدره ٩ر٢٠ مليار دولار . وبلغ متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى سنة ١٩٧٤ ١٣ ألف دولار فى الكويت ، ١٤ ألف دولار فى قطر ، ٢٤ ألف دولار فى أبو ظبى وتقدر عوائد صادرات البترول خلال السنوات الخمس القادمة بحوالى ٦٠٠ مليار دولار ومن المتوقع ان يبلغ الفائض المالى لدول « الاوبك » سنة ١٩٨٠ ما بين ٢٥٠ مليار ، ٣٢٥ مليار دولار .

وقد أدت زيادة قيمة واردات الدول الرئيسية المستوردة للبترول الى زيادة مديونياتها وزيادة العجز فى موازين مدفوعاتها مما أدى الى زيادة التضخم بمعدلات ٢٤ فى المائة فى اليابان ، ١٦ فى المائة فى فرنسا وبلجيكا ، ١٨ فى المائة فى المملكة المتحدة ، ٢٥ فى المائة فى ايطاليا . هذا الى جانب زيادة معاناة الدول النامية المستهلكة للبترول بحيث بلغت التكاليف الاضافية التى تحملتها هذه الدول ١٠ مليار دولار لعام ١٩٧٤ . ويلاحظ أن الدول المصدرة للبترول قد اعطت الدول النامية خصومات فى الاسعار وساعدتها فى تمويل مشاريع التنمية فيها بشروط سهلة . كما تقرر من حيث المبدأ انشاء صندوق للتنمية فى اطار منظمة « الاوبك » .

ويشير المؤلف الى بروز اتجاه يرمى الى القاء سبب الازمة على الدول المصدرة للبترول . وتهدف الدول الصناعية التى تتبنى هذا الاتجاه الى محاولة تخفيض أسعار البترول مع رفض تخفيض المنتجات الاولية الاخرى والسلع المصنعة . كما تحاول هذه الدول من جانب آخر العمل على اخضاع الفوائض المالية للبلدان المصدرة للبترول لنوع من الرقابة الدولية يحرمها حرية استثمارها أو التصرف فيها . وقد برز هذا الاتجاه الخطير فى مناقشات لجنة العشرين المكلفة باصلاح النظام النقدى الدولى .

وأقامت الدول الصناعية المستوردة للبترول تكتلا جديدا « وكالة الطاقة الدولية » وذلك فى مواجهة منظمة الاوبك ، ويضم التكتل الولايات المتحدة الامريكية ودول السوق الاوروبية المشتركة ـ باستثناء فرنسا ـ وكندا واليابان وسويسرا وأسبانيا واستراليا ونيوزلندا والنرويج كمراقب . ويهدف التكتل الجديد الى خلق فائض مصطنع من انتاج البترول بفرض تخفيض أسعاره وضرب وحدة منظمة الاوبك ، ومواجهة خطر أى حظر بترولى فى المستقبل بتكوين احتياطى بترولى للطوارىء لمد أية دولة من أعضاء التكتل باحتياجاتها من البترول فى حالة تعرضها لاى حظر . وقد اتفقت الدول الصناعية الكبرى على تكوين صندوق برأسمال قدره ٢٥٠ مليار دولار لمساعدة الدول الاعضاء فى حالة تعرضها لاى أزمة مالية . كما هددت الولايات المتحدة باستخدام القوة ـ ضد الدول العربية المنتجة للبترول ـ فى حالة وجود أى اختناق حقيقى

للاقتصاديات الغربية من قبل الدول النامية – على حد تعبيرها –

والفصل الخامس يتناول مشاكل الدول المتقدمة والتى يعتبرها المهندس **سيد مرعى** مشاكل « حضارية » اذ تختلف عن مشاكل الدول النامية حجما ونوعا . فمشاكل التضخم والبطالة فى الولايات المتحدة تخطت حدود الخطر . ويقدر عدد العمال العاطلين بها فى حدود ٧ر٥ مليون عامل اى بنسبة ٧ر١ فى المائة وهى أعلا نسبة منذ ١٣ عاما . ظاهرة أخرى ، انخفاض أرباح الشركات وتقدر بنسبة ١٦ فى المائة فى الشركات الكيماوية – بالاضافة الى ظاهرة ارتفاع أسعار السلع الاستهلاكية بمعدل ١٢ر٢ فى المائة سنة ١٩٧٤ وهو أكبر معدل للارتفاع منذ سنة ١٩٤٨ . وتبلغ نسبة الهبوط فى الدخل الصناعى ٦ر٥ فى المائة لعام ٧٤ . وهى أكبر نسبة منذ خمسة عشر عاما . وتشير التوقعات الاقتصادية الى ازدياد سوء الوقف فى الولايات المتحدة وزيادة نسبة التضخم فى عامى ٧٦ ، ٧٧

كما يتزايد الضغط والارهاق على موارد المواطن الامريكى اذ ارتفعت الضرائب خلال ثلاثين عاما حوالى تسع مرات – من ٤٨ مليار دولار أى ٢٦ فى المائة من الدخل القومى سنة ١٩٤٤ الى ٤٢٣ر٢ مليار دولار أى ٣٧ فى المائة من الدخل القومى عام ٧٤ . وانخفض الناتج القومى بنسبة ٧ر٥ فى المائة فى الربع الاخير من عام ٧٤ وهو أكبر انخفاض منذ الحرب العالمية الثانية .

وفى **القسم الثانى** من الكتاب يتناول المهندس **سيد مرعى** احتمالات الحل أو كيفية مواجهة مشكلة التنمية ، ويقرر أن مؤتمر الاغذية العالمى حاول أن يعالج مشكلات الدول النامية على امتداد ما يقرب من عام كامل فى لجانه التحضيرية وفى مؤتمره العام الذى عقد فى روما سنة ٧٤ . وخلال ذلك كله تأكدت حقيقة بارزة ، **وهى أن الدول** النامية يجب أن تمسك بنفسها بناحية أمورها فيما **يتعلق بحل مشكلاتها** . والدول المتقدمة ، وهى تسعى لحل مشاكلها ، لا تعطى الدول النامية اهتماما كافيا ، بل انها كثيرا ما تؤدى الى تعقيد هذه المشكلات لتحاول حل مشاكلها الخاصة .

من هنا يطرح المهندس **سيد مرعى** فكرة تكوين « **صندوق تنمية الدول النامية** » ليقوم بالدور الذى قام به « **مشروع مارشال** » الامريكى بالنسبة لدول غرب أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية ، والذى يرى فيه المهندس **سيد مرعى** أنه أمام هذه الدول من عثرتها وأدى الى حركة واسعة من التشييد والتعمير .

فالدول المصدرة للبترول تحت ضغط محاولة الدول المتقدمة تحملها مسئولية ما يعانيه العالم من اضطرابات اقتصادية ، وما تعانيه الدول النامية من زيادة فى عجز ميزان مدفوعاتها قد قدمت جزءا من فائض دخولها الى الدول النامية والى المؤسسات الدولية . كما دخل جزء كبير من هذا الفائض الى الدول المتقدمة فى صورة أنواع مختلفة من الاستثمارات سواء عن طريق شراء الشركات والبنوك كليا أو جزئيا ، أو فى صورة ايداعات فى البنوك أو شراء منشئات سكنية أو عقارية . وبلغت المساعدات التى قدمتها دول « الاوبك » الى البلاد النامية من يناير حتى سبتمبر سنة ١٩٧٤ ما يتجاوز ٨ر٥ مليار دولار ، بالاضافة الى مليار دولار اقرضتها **البنك الدولى للانشاء والتعمير** ، ٣ر٦ مليار دولار لصندوق **النقد الدولى** ليستخدمها فى اطار ما يعرف بالتسهيلات الائتمانية البترولية

ويلاحظ ، أن هذه القروض والمساعدات قد قدمت بشكل مبعثر لا يسمح بتجسيدها . وتمت اما عن طريق الاتفاقات الثنائية أو عن طريق المؤسسات الدولية التى لا تتمتع البلاد النامية فيها بقوة تصويتية تسمح لها بالتحكم فى توزيع هذه المساعدات وفقا لمعايير تنال فى ظلها البلاد الاكثر حاجة نصيبها من المساعدات والقروض . وعلى سبيل المثال : فقد استفادت ايطاليا من الجزء الاعظم من هذه التسهيلات البترولية .

وهذه الاعتبارات ، توجب أن تقوم الدول المصدرة للبترول بتقديم القروض والمساعدات للدول النامية فى اطار صندوق خاص للتنمية . الامر الذى سيحقق منافع كبيرة للدول التى سوف تستفيد من أرصدته وكذا الدول التى ستسهم فى تكوين هذه الارصدة . فالدول المتقدمة تحتاج الى توسيع حيز الاسواق أمام منتجاتها ، خاصة بعد أن اتضح عجز الدول النامية والفقيرة عن زيادة مشترياتها لعدم توافر العملات الصعبة القابلة للتمويل لديها .

والخطوط العريضة التى يمكن أن ينشأ فى ظلها هذا الصندوق يمكن تلخيصها فيما يلى ، –

أولا : المعاونة فى تقديم ما يلزم من معونة للدول النامية لاحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية بها وفى سبيل ذلك يقدم المنح أو القروض ، ويمد الدول بالخبرة الفنية والعلمية اللازمة .

ثانيا : يتمتع الصندوق بالشخصية القانونية الدولية .

ثالثا : يتبع الصندوق نشاطا ماليا واداريا تضعه الدول الاعضاء .

رابعا : تشترك الدول المتقدمة والدول الغنية فى توفير التمويل اللازم لتحقيق أهداف الصندوق . وتكوين نسبة الاسهام فى رأس المال اما مرتبطة بالدخل القومى أو بنسبة صادرات الدولة المساهمة ، بحيث يتدرج رأس مال الصندوق والارتفاع . ويمكن اقتراح البدء برأسمال قدره ٣ مليار دولار يتدرج يصل خلال ١٠ سنوات .

خامسا : لضمان سداد القروض يقوم الصندوق باقراض أمواله للدول النامية من خلال مجموعة من البنوك تكون مسئولة عن تحصيل أقساط هذه القروض وفوائدها وسدادها للصندوق . ويمكن أن تتكون هذه المجموعة من عدد من البنوك العالمية الرئيسية يتم اختيارها فى مناطق مختلفة تمثل الدول النامية والمتقدمة . هذابالاضافة الى البنك الدولى اما مباشرة أو عن طريق جهاز متفرع منه أو مرتبط به .

وأهم واجبات مجموعة البنوك هذه تغطية الناحية الاستشارية والتخطيطية للمشروعات ودراستها بصورة دقيقة ومفصلة . مع ضرورة انشاء لجنة استشارية على أعلا مستوى من الخبراء والفنيين للاطمئنان الى دقة الدراسات .

سادسا : منح القروض بشروط ميسرة وفائدة منخفضة وتقسم الى قروض سهلة لتنفيذ المشروعات الانتاجية العاجلة وقروض تجارية للمشروعات طويلة الاجل . كما يمكن للصندوق أن يمنح الاعانات لبعض الدول .

هذا ويمكن تصور انشاء الصندوق عن طريق مشاورات أولية تجرى بين عدد محدود من الحكومات المهمة المهتمة بهذا المشروع ، ثم تدعى الدول النامية [مجموعة الـ ٧٧] الى مؤتمر عام لمناقشة المشروع واصدار القرار . ويمكن للصندوق أن يجد تمويلا كافيا من دول « الاوبك » . ويدير الصندوق مجلس ادارة من ممثلى الدول المساهمة فى رأس ماله وعدد من الدول المستفيدة منه على أساس اقليمى يتفق عليه . وللمجلس الحق فى طلب زيادة رأسمال الصندوق ، وله حق الاقتراض أو الحصول على الائتمان اللازم لزيادة موارده وقبول الودائع طويلة ومتوسطة الاجل ، كما له حق اصدار السندات فى الاسواق العالمية .

ويتبع مجلس الادارة جهازان رئيسيان : **الاول** لجنة استشارية فنية لدراسة المشروعات المطلوبة للتنمية **والثانى** جهاز تنفيذى يتولى كافة الاعمال الفنية والمالية والادارية المتعلقة بأعمال الصندوق .

ان حتمية الاتجاه نحو تنمية الدول النامية أصبحت حقيقة أكدتها المؤتمرات العالمية الاخيرة ـ مؤتمر السكان العالمى ومؤتمر الغذاء العالمى ـ ومن هنا تظهر الاهمية الكبرى لانشاء هذا الصندوق مهما كانت العقبات التى تثار فى طريقه .

التعليق

لاشك أن المهندس **سيد مرعى** رئيس مجلس الشعب ، قد قدم فى مؤلفه عرض غاية فى الاهمية لمشاكل البلدان النامية وأوضح بما لا يدع مجالا للشك بأنه لم يعد أمام شعوب هذه البلاد سوى أحد اختيارين أما للتنمية الجادة التى تمكن هذه الشعوب من الخروج من أزمتها واما استمرار التدهور والوصول الى نقطة اللاعودة . والبوادر تنبىء عن اخطار واهمة ، فالمجاعة التى أصابت مناطق واسعة من أفريقيا نتيجة الجفاف خلال العامين الماضيين قد تسببت فى موت الملايين وأصابت الثروة القومية لهذه البلدان فى الصميم .

وقد حمل المهندس سيد مرعى « الدول المتقدمة » مسئولية تخلف البلاد النامية نتيجة لظاهرة الاستعمار الذى كان يشمل معظم ما يسمى اليوم بالعالم الثالث . واعتقادنا أن هذه الدول المتقدمة هى الدول الراسمالية المتقدمة . وهى وليست « كل » الدول المتقدمة . لان موقف الدول الاشتراكية المتقدمة كان على النقيض من ذلك . فقد سارت على سياسة اقتصادية جوهرها المساعدة الاشتراكية وبالدرجة الاولى الاتحاد السوفيتى يختط سياسة اقتصادية جوهرها المساعدة الحقيقية للدول النامية . ولسنا فى حاجة الى ذكر المشروعات الصناعية والزراعية أقيمت فى العديد من الدول النامية ومنها مصر والتى أدت دورا هاما فى تطوير الاقتصاد القومى لتساعدها على التخلص من التبعية الاستعمارية .

ومن الناحية الاخرى يتناول المهندس **سيد مرعى** مسئولية الدول النامية تجاه قضايا التنمية بها . ويؤكد أن هذه الدول عليها أن تمسك بنفسها بناحية أمورها لحل مشكلاتها ، وهذادون شك شرط أساسى لنجاح سياسة التنمية .

وهنا يطرح التساؤل : اى طريق للتنمية ؟ اذا كان هذا الطريق يعنى ـ كما حدد المهندس **سيد مرعى** ـ رفع مستوى معيشة شعوب هذه البلدان والخروج بها من دائرة المجاعة وكفالة نظام عادل

للاجور وفرض ضرائب على الدخول العالية واحداث التقدم المتكامل فى مجال الصناعة والزراعة بمعدلات تتزايد سنويا بثبات ، والقضاء على كل مظاهر التخلف ، أى باختصار تنمية شاملة ، فلا شك أن طريق التنمية الرأسمالية عاجز تماما عن احداث هذه التغييرات . ولابد لاحداث التنمية الشاملة من تدخل السلطة الوطنية فى البلد المعنى لحشد كافة الموارد البشرية والمادية والمعنوية لتنفيذ مخططات اقتصادية تطور الانتاج والاستهلاك لصالح الملايين الفقيرة . وبداهة أن أية سلطة رأسمالية لا يهمها فى كثير أو قليل تحقيق مثل هذه النهضة الشاملة لمصلحة شعبها لان العامل الوحيد الذى يحركها هو الربح السريع ليس الا . ويحضرنا موقف الرأسمالية الكبيرة فى مصر [قبل وبعد ١٩٥٢] ورفضها المساهمة فى التنمية ، الامر الذى حدد للزعيم الراحل جمال عبد الناصر مسار سياسته الاقتصادية فى ضرورة تصفية مواقع هذه الطبقة اقتصاديا واصدار القوانين الثورية عام ١٩٦١ حتى يمكن توفير المدخرات اللازمة للبدء فى الخطة الخمسية الاولى ولولا هذه السياسة ما توافر لمصر من المقومات الاقتصادية ما مكنها من السيطرة على مواردها وصناعاتها الرئيسية الامر الذى ظهرت نتائجه فيما بعد فى انجاز اكتوبر المجيد .

ويحدد المهندس سيد مرعى فى كتابه ان الدول النامية تفتقر الى رؤوس الاموال والخبرة التكنولوجية والنظام الادارى المحكم التى هى ضرورات لا غنى عنها فى احداث التنمية . ويضيف انه يمكن زيادة الاستثمارات الاجنبية فى الدول النامية بأن تقرر الدولة المعنية على المستوى السياسى فتح أبواب الاستثمار لرأس المال الاجنبى مع اعادة النظر فى القواعد والقوانين البيروقراطية وتوفير الضمانات ضد المخاطر غير التجارية خاصة المصادرة والتأميم ومنع تحويل العملة والتضخم .

وهنا يطرح التساؤل التالى : ما هى الاولويات فى خطة التنمية ؟ وهل يسمح لرأس المال الاجنبى — وهل يقبل — فى المساهمة بالدرجة الاولى فى مشروعات صناعية وزراعية استراتيجية تقام لمصلحة استقلال الاقتصاد القومى بما يحقق الاكتفاء الذاتى ، أم مشروعات خدمات وترفيه تستنزف الاقتصاد القومى عن طريق زيادة الاستهلاك الترفى للطبقات الثرية . ان ما نراه اليوم من تدفق وتكدس سلع الاستهلاك الترفى المستوردة فى السوق المحلية واختفاء السلع الاساسية اللازمة للانتاج والاقوات والعلاج هو تطبيق خاطىء لمفهوم الانفتاح الاقتصادى بل دعوة صريحة للرأسمالية الطفيلية لزيادة نشاطها فى مجال التهريب والمضاربة وتكديس الارباح دون أدنى رقابة من جانب الدولة .

واذا نحن أعطينا الضمانات ضد المخاطر غير التجارية لا تكون بذلك قد سلبنا الدولة حقا رئيسيا من حقوق السيادة على مقدرات اقتصادها وتناقضنا مع « ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية » الذى أقرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها التاسعة والعشرين والذى من أبرز نصوصه حق كل دولة فى تأميم الممتلكات الاجنبية ، أو مصادرتها ، او نقل ملكياتها مقابل تعويض مناسب يقدر وفقا لقوانين الدولة ، وطبقا لظروف اتخاذ الاجراء ، وكل نزاع حول التعويض يحكمه قوانين الدولة وتفصل فيه محاكمها .

فى الفصل الخامس يضيف المهندس سيد مرعى مشاكل الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة بأنها مشاكل « حضارية » ويركز على مشكلتين أساسيتين : البطالة والتضخم — ونحن نسمح لانفسنا أن نختلف مع المهندس سيد مرعى فى هذا الوصف — انها ليست مشاكل حضارية بأية حال . انها بالتحديد مشاكل نظام « الرأسمالية الاحتكارية » التى فشلت فى التغلب على تناقضاتها الداخلية المزمنة . فليس من الحضارة فى شىء ان يطرد الملايين من أعمالهم فى أكثر مناطق العالم تقدما من الناحية الصناعية والتكنولوجية وتمنع زراعة عشرات الملايين من الهكتارات بالحاصلات الغذائية — وبتعويض من البنوك لاصحاب هذه الاراضى — بينما يموت الملايين جوعا فى مناطق مختلفة من العالم ويعانى الملايين من سكان البلاد المتقدمة ذاتها — الفقر — يقدر عدد الفقراء فى الولايات المتحدة ٣٠ مليون شخص ويدفع المواطن العادى فى الولايات المتحدة ٣٧ فى المائة من دخله فى صورة ضرائب يذهب معظمها الى جيوب أصحاب الملايين من تجار أسلحة الموت والدمار الشامل . لقد تخطى العالم الرأسمالى المتقدم مرحلة التناوب بين أزمات الانكماش وأزمات التضخم وأصبح يواجه الان — ولاول مرة — ما يسمى « بالكساد التضخمى » والتى رأى بعض الاقتصاديين الغربيين أنها أزمة فى بنيان النظام الرأسمالى ذاته وليست أزمة فى اسلوب أدائه الاقتصادى .

فى الفصل السادس يتعرض المهندس سيد مرعى لاحتياج الدول النامية الى البرامج والمشروعات الواسعة ويقدم تجربة مشروع مارشال باعتبارها تجربة عالمية فريدة كان لها تأثيرها المباشر فى احداث التنمية فى كثير من الدول التى واجهت ظروفا بالغة القسوة بعد الحرب العالمية الثانية .. وكان حالها أسوأ بكثير مما تواجهه معظم الدول النامية فى الوقت الحاضر .

وهنا أيضا نختلف مع المهندس سيد مرعى فى تقييمه مشروع مارشال من حيث اهدافه واثاره على دول غرب أوروبا .

لقد نشبت الحربان العالميتان الاولى والثانية ، بسبب الصراعات الحادة بين الكتل الرأسمالية الكبرى على اعادة تقسيم الاسواق فى العالم ، أى ان النظام الامبريالى هو المسئول الاول عن قيامها . وأسفرت الحرب العالمية الثانية عن نتائج مفجعة بالنسبة للنظام الرأسمالى العالمى ، اذ اصيبت مراكزه الاساسية فى غرب أوروبا بضربات قاتلة ، واصبح عاجزا عن تجديد نفسه بنفسه .

من هنا ، كان امام الاحتكارية الامريكية الخيار بين أمرين : اما ترك رأسمالية دول غرب اوروبا لنهايتها المحتومة وفى ذلك خطر داهم على النظام الرأسمالى العالمى ككل بما فيه — وعلى رأسه — الولايات المتحدة ذاتها ، واما التدخل لانقاذه لمنع الانهيار ووقف زحف الحركة الاشتراكية فى ذلك الوقت ، ولهذا كان مشروع مارشال . ولم يقت الرأسمالية الاحتكارية الامريكية ان تقدم هذه المساعدات فى اطار السيطرة شبه المطلقة للرأسمال الامريكى على اقتصاديات دول غرب اوروبا الرأسمالية . وبالاضافة فان نظرة الولايات المتحدة الامريكية تواجه البلدان النامية بموقف أكثر سفورا . فمشروع « التحالف من أجل التقدم » الذى قدمته الولايات المتحدة تحت شعار النهوض بمستوى اقتصاد بلدان أمريكا اللاتينية حقق فشلا ذريعا حتى بأعتراف أصحابه . ولم ينقذ هذا المشروع اقتصاد هذه البلاد بل على العكس فقد صدر اليها أزمة الاقتصاد الامريكى نفسه ، فتفاقمت ظاهرة التضخم ، وازداد انخفاض مستوى معيشة الشعوب وازدادت الطبقات الثرية ثراء . وعمت مظاهر الرشوة والفساد وانتفعت فئات المتآمرين العسكريين الذين قادوا الانقلابات للمحافظة على النفوذ الامريكى فى بلادهم وفى النهاية سقط اقتصاد بلدان أمريكا اللاتينية ، أكثر فأكثر ، فى قبضة الاحتكارات الامريكية .

ويتناول الفصل السابع والاخير المشروع العربى للتنمية . وهو فى جوهره يعتبر أساسا صالحا للمناقشة — فلا شك ان الدول المصدره للبترول ملتزمة أدبيا بتقديم العون الاقتصادى الى الدول النامية . وهى قد قدمت فعلا بعض المساعدات اليها . ولكنها ، كما يسجل المهندس **سيد مرعى** مبعثرة أو عن طريق مؤسسات دولية ليس للدول النامية فيها صوت مسموع مما ادى فى بعض الاحيان ، الى اعطاء هذه المساعدات الى دول صناعية متقدمة كأيطاليا بدلا من الدول النامية الاحوج بالمساعدة .

العريضة المقترحة

— هل ومن الضرورى ان يكون الصندوق متمتعا بالشخصية القانونية الدولية ؟ وهل منظمة الاوبك على سبيل المثال تتمتع بهذه الشخصية .

— من المفروض ان تشترك الدول الصناعية المتقدمة مع الدول الغنية فى توفير التمويل اللازم للمشروع ولكن ماذا لو احجمت كل أو بعض الدول المتقدمة عن الاشتراك فيه ؟ هل يعيق هذا تكوينه ؟ والاجابة من ناحيتنا النفى لانه من الارجح ان تحجم بعض أو معظم الدول الصناعية المتقدمة عن الاشتراك فيه .

— لماذا يلجأ الصندوق الى اقراض أمواله من خلال مجموعة من البنوك العالمية والبنك العربى لتكون مسئولة عن تحصيل اقساط وفوائد هذه القروض ؟ نعتقد ان هذا الوضع سوف يؤدى الى نقل سلطة هذا الصندوق الى البنوك التى يتحكم فيها رأس المال الاحتكارى الامبريالى وسوف تتحول هذه المساعدات الى سلاح فى يد الدول الامبريالية تستطيع من خلالها ان تفرض وصايتها على اقتصاد الدول النامية المقترضة وتشكل حاجزا منيعا بين الدول المقرضة والدول المقترضة .

أما بالنسبة لدول البنوك فى القيام بالنواحى الاستشارية والتخطيطية للمشروعات وكذا الدراسات المتصلة والدقيقة لها ، فنعتقد ان بيوت الخبرة العالمية تستطيع القيام بهذا الدور على الوجه الاكمل بالاضافة الى تكوين اللجنة الاستشارية عالية المستوى التى يقترحها المهندس **سيد مرعى** فى مشروعه .

واخيرا ، فأن سياسة الاستثمار الحالية لفوائض البترول العربى يجب أن يعاد النظر فيها على ضوء تحقيق منافع حقيقية لاصحابها ولبقية الشعوب العربية التى هى فى مسيس الحاجة الى التنمية . ومن غير المعقول ان تتجه هذه الفوائض لكى تستثمر فى بنوك أو مؤسسات تخضع — بدرجة او بأخرى — لسيطرة الدوائر الامبريالية كى تعيد استخدامها لفائدتها وتجرى عليها التخفيضات او تطالب بالرقابة عليها أو تهدد بتجميدها أو تستنزفها فى صفقات ضخمة للاسلحة .

وبعد فان مجموع هذه الملاحظات لا يغير من حقيقة اننا أمام كتاب هام ودراسة جادة تطرح معتمدة على الارقام قضية حالة وملحة ، هى قضية التنمية ، التى هى قضية الحاضر والمستقبل معا .



● **جمهورية مصر العربية**

أبو رديس : ماذا كسبنا وماذا خسرت اسرائيل ؟

فى اول سبتمبر الماضى وقعت الحكومتان المصرية والاسرائيلية اتفاقية الفصل الثانى ، بين القوات وفى أول ديسمبر الماضى أيضا اسلمت الحكومة المصرية رسميا آبار البترول الـ ١٥٨ المسماة حقول ابورديس فى سيناء .. وبين التوقيع على اتفاق الفصل ، واسلام حقول ابورديس كان هناك تصوران داخل الحكومة المصرية حول استرداد هذه الحقول .. فبينما رأى اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ان استرداد الحقول ليس له قيمة اقتصادية ، بقدر ما له من بعد سياسى قوى ، أوضح الدكتور احمد هلال وزير البترول والتعدين المصرى ان للحقول قيمتها الاقتصادية الاساسية . وان اعتماد مصر على بترول العربية السعودية والكويت والعراق وربما ليبيا لا يغنى عن اهمية اعتمادنا على انفسنا .

وعلى الجانب الاخر ، فى اسرائيل ، وقفت الحكومة الاسرائيلية تدافع عن موقفها بشأن التخلى عن حقول أبو ردبس . ولم يتفق اقطابها على شىء قدر اتفاقهم على المقولة التالية « ان حقول ابورديس لبست لها ، لاقيمة سياسية ، ولا قيمة اقتصادية ، وان اسرائيل مستفيدة من التخلى عن هذه الحقول تحت كل الفروض . فعلاوةعلى انها سهلت الوصول الى الفصل الثانى للقوات الذى يعد من وجهة نظرها مكسبا قويا سياسيا واقتصاديا فى التعامل مع الولايات المتحدة الامريكية ، فان هذا التخلى عن ابورديس، سيمكن الاسرائيليين — حسبما تزعم هى — من بناء خط دفاعى جديد تقدر تكاليفه بمليارى ليرة اسرائيلية ،سيمكنها من الدفاع عن باقى الاراضى المحتلة ، وستمول الولايات المتحدة هذا الخط بحوالى ٥٠٠ مليون دولار بما فيها محطات الانذار المجانية . وتدعى الحكومة الاسرائيلية ان هذا الخط الدفاعى الجديد يعتبر تدعيما للخط القديم الذى يقوم امام الممرات على امتداد ١٩٥ كيلومتر ، وسوف يمتد الخط الجديد شمالا بصورة موازية للبحر الابيض المتوسط ثم يمتد بالطول الى ممر الجدى ، ثم أم محصار ، فجبل راحة، حتى ابورديس ، فخليج السويس . وترى الحكومة الاسرائيلية كذلك انه رغم ان حقول ابورديس ستكون خارج حدود هذا الخط ، الا انه سيمكن حمايتها بشكل أقوى مما مضى ، خاصة وان المصريين لم يحصلوا الا على حق المرور فى ممر ضيق اليها . وتؤكد الحكومة الاسرائيلية انها لم تكن لتتخلى عن هذا الممر ، الا بعد ان وافق الكونجرس فى اوائل اكتوبر الماضى على كل البنود التفصيلية المتصلة باتفاقية الفصل الثانية .

ورغم كل هذه التبريرات فمازال الرأى العام الاسرائيلى غير مقتنع بالانسحاب فى هذه الحقول ، وهناك عدد من الرسميين داخل الحكومة ، يرفضون ، رأى رابين السابق الاشارة اليه منهم اقرب المقربين اليه .. **عاموس عيران** مستشاره السياسى ، ومدير مكتبه ، وأحد أقطاب الهستدروت القدامى . اذ يرى عاموس عيران ان عودة ابورديس كارثة، وكارثة حقيقية . هذا بينما يرى « **شمعون بيرز** » ان عودة أبورديس لها بعض المزايا ، منها المساهمة فى انجاح زيارته لاوروبا والولايات المتحدة ، وهى الزيارة التى يحرص دائما على وصفها بانها كانت اكثر من ناجحة . الا ان بيريز يحتفظ ببعض الشىء بشأن عودة الحقول ويتذرع فى ذلك ببعض الدعاوى التى تتعلق بالامن والاوضاع العسكرية وذلك خوفا من فقد مركزه داخل مجموعة رافى الرافضة لاتفاقية الفصل الثانى بين القوات تلك المجموعة التى يتزعمها موشى ديان ، هذا بالاضافة الى خوف بيريز من هجمات الجنرال شارون الذى يطمع فى تولى منصب وزير الدفاع بدلا منه والذى تسانده كتلة « **ليكود** » التى أوضح زعيمها **مناحم بيجن** فى تعليقه على اتفاقية الفصل الثانية . ومفاوضات جنيف الاجرائية فى جريدة معاريف تحت عنوان خداع صانعى الخرافات أوضح ان ما يفعله كيسنجر صانع الخرافات الاول فى المنطقة ، هو ما فعله فى جنوب شرق آسيا . وان الشيوعيين هم المستفيدون الوحيدون من هذا السلام الخرافى . وربما يحصل كيسنجر هذا العام على جائزة نوبل للمرة الثانية نتيجة لتحقيق خرافة السلام فى الشرق الاوسط ، ولكن أين السيد رابين من هذه الخرافات التى يجازف فيها بمصير اسرائيل .. اين مقولته فى الكنيست .. بأننا لن نترك ابورديس ، الا اذا اعلنت مصر انهاء حالة الحرب ؟ هل باع رابين نفسه لخرافات كيسنجر ؟ ».

ويتساءل المعلقين السياسيين عن عديد من اسباب هذه الضجة على حقول ابورديس ، وعما اذا كانت تساوى حقا كل هذا ؟ ويرى بعضهم بان ابورديس . فى حد ذاتها . ليست لها هذه القيمة البترولية : فهى مجموعة حقول تنقسم الى قسمين ، احدهما وهو الشمالى ويخضع للشركة العامة للبترول ، واحتكارات موبيل أويل الامريكية ، والقسم الجنوبى وتسيطر عليه الشركة الشرقية المصرية ، وشركة اينى الايطالية .. والقسم الاول يضم حقول سدر [٢٠٠٠ برميل يوميا] واحتياطية ١ مليون برميل ، ومطارمة [١٥٠٠ برميل يوميا] واحتياطه ١٠ مليون برميل ، وعسل وانتاجه يكاد ينعدم ، اما الحقول الجنوبية .. جنوب مدينة السويس على الشاطىء الشرقى للخليج فهى ، نيران ، واحتياطيه ٥ر١ مليون برميل ، وبلاعيم البرى ،واحتياطيه ١٠٠ مليون برميل ، ورودیس واحتياطه ١٠ مليون وبلاعيم البحرى ، واحتياطيه ٢٠٠ مليون برميل ، وبالتالى ، فانه حسب تقرير معهد البترول الامريكى ، لم يبق الكثير ، الا أن القليل الباقى دار حوله نزاع — قبل تسلم مصر للحقول —

● فلســــطين ●	● ابـــو ظبى ●	● انجولا الشعبية ●	● البرتغـــال ●
لماذا وصـف مندوب اسرائيل المجتمع الدولى بالخداع والنفـاق ؟	مواقف عـربية .. وموقف اوربى موحد!	التدخل الامريكى من خلف ستار « القلق »	اليســار يعيد ترتيب صفوفه رغم محاولات الحصـــار اليمينى

صــار بين شركـة الاسرائيليـة نتيفى نيفت وشركتى « موبيل اويل وامكو الامريكيتين [بان اميريكان سابقـا] من ناحية وبين شركة اينى الايطالية من ناحية اخرى حـول تسلم الخبراء الامريكيين للحقول الشمالية والجنوبية كلها . الا أن الشركة الايطالية اينى رفعت دعوى ضـد الحكومـة المصرية ،على اساس ملكيتها للحقول الجنوبية التى ترغب فيها الشركات الاميريكية منذ فترة طويلة ، ليس لاهميتهـا البترولية عن الحقول الشمالية فحسب ، بل ايضا حتى تعلق خليج السويس على الشركات الاميريكية فقط .

وعلى اية حال فقد حلت الحكومة المصرية مشـاكلها مع الشركة الايطالية بان يسلمت للشركة الايطالية جزءا من الحصة المصرية فى الحقول الجنوبية ، وحلت الشركة الاميريكية بعض مشاكلها مع الشركة الاسرائيلية ، بوعـد امريكى بالسـعى لمرور البترول على ناقلات آميريكية ، الى مصافى اشــدود وحيفا ، مع تشغيل خط انابيب ايلات ـ اشدود عن طريق عسقلان وقد تسلم الخبراء الامريكيون والايطاليون الحقـول بالفعل تمهيدا لتسليمها للمصريين .. □

ديسستان والعلاقات الثنائية والمتوسطية ومحـور أوروبا .. العرب .. أفريقيا

فى العاشر من ديسمبر المـاضى زار الرئيس الفـــرنسى فاليرى جيسكار ديســتان مصر لفترة استمرت خمسـة أيام صحبه فيها وفد من وزراء الخارجية والصناعة والتجـارة الخارجية ، وفى هذه الزيارة أجرى الرئيس الفـرنسى مع الرئيس السـادات مباحثات مطولة حول ازمة الشرق الاوسط ، والحوار العربى الاوروبى والاوضاع الدولية وخاصة السياسة المنتظرة لمنطقة البحر المتوسط ، والازمة اللبنانية ،ومحاولات التعاون المشترك اقتصاديا وسياسيا وثقافيا .

ولقد أولت العديد من الدوائر السياسية والاعلامية اهتماما كبيرا بتلك الزيارة نظرا لما يعلق عليها من آمال واهـــداف خاصة وانها اول زيارة لمصر يقوم بها رئيس فرنسى .

فمصر تهدف من وراء التعاون مع فرنسا الى الوصول الى قدر كبير من تفهم وتأييد الحق العربى فى مشـــكلة الشرق الاوسط ، ودعم أسس الحوار العربى الاوروبى ومســاندة فرنسا للحوار العربى الافريقى نظرا لما لفرنسا من علاقات وطيدة مع الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية ضمن اطـار مجموعة الفرانكوفون والسعى لاقامة تعـاون اقتصـــادى أوروبى . عربى . افريقى . كما تهدف مصر الى الحصول على السلاح الفرنسى بعد موافقة فرنسا على رفع الحظـر الفرنسى على بيع الاسلحة للمنطقة ، بالاضافة الى انجـاز قدر من التعاون الاقتصادى بين مصر وفرنسا والاستفادة من التكنولوجيا الفرنسية فى عمليات التنمية فى مصر .

وتهدف فرنسا هى الاخرى الى زيادة دورها فى المنطقـة سواء سياسيا أو اقتصاديا او ثقافيا بما يتناسب مع الاتجاه الفرنسى لخلق قوة أوروبية مستقلة عن القوتين الاعظم تلعب دورا هاما فى الحياة السياسـية الدولية ، ولهـذا السبب تعطى فرنسا لمنطقة البحر المتوسط اهمية بارزة فى هـذه السياسة بالدعوة الى خلق ما يسمى بالسياسة المتوسـطية بان يصبح البحر المتوسط بحيرة متوسطية خالية من الاساطيل الاجنبية بما يمكن فرنسا من القيام بدور اساسى فى المنطقة، ولعل هذا ما يفسر اسباب اسراع الرئيس ديستان الى لقاء الملك خوان كارلوس فى محاولة لضم اسبانيـا للسياسـة الفرنسية لان ذلك يمكن ان يعطى دفعة جديدة لسياسة فرنسا فى البحر المتوسط . وتأمل فرنسا فى أشراك مصر فى هذه السياسة باعتبارها مدخلا الى العالم العربى ، والى القارة الافريقية ، كما تأمل ايضا دعم مصر للحوار العربى الاوروبى الذى يمكن ان يضمن انسياب الاموال العربية ، أو مايسمى بالبترو دولارات مرة اخرى الى الاقتصـــاد الاوروبى بمـــا يحقق له الانتعـــاش ، ويخفف من عجـز موازين المدفوعات الاوروبية ، الامر الذى يمكن أن يساهم فى تحقيق استقلالية أوروبا عن النفوذ الامريكى الذى تعانى منه .

ولقد استطاعت الزيارة التى قام بها الرئيس ديستان تحقيق قدر ملحوظ من الانجازات بالنسبة للاهـداف التى يسـعى اليها كلا الطرفين ويمكن حصرها فى التالى :

١ ـ فبالنسبة لازمة الشرق الاوسط ، حرص الرئيـس ديستان على توضيح اعتقاد فرنسا بان ثمة حاجة ملحة لايجاد تسوية شاملة للازمة ، واستعداد فرنسا لان تساهم مساهمة مباشرة فى السعى لايجاد سـلام دائم ، والاشتراك مـع دول أوروبية اخرى فى تقديم ضمانات دولية لاى سلام دائم يتم التوصل اليه .

كما تضمن البيان المشترك الذى صدر عقب الزيارة اتفـاق الرئيسين على ضرورة تســوية نزاع الشرق الاوسط على اساس الجلاء الكامل عن الاراضى العربيـة المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وحق جميع دول المنطقة فى العيش فى سـلام ، وحق الشعب الفلسطينى فى أن يكون له وطن مستقل ولذلك يمكن القول ان الزيارة اسفرت عن مزيد من التقارب تجاه الطرف العربى فى صراع الشرق الاوسط ، وبالاخص تجـاه الفلسطينيين بعد موافقة فرنسا مؤخرا على فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى باريس .

٢ ـ وبالنسبة للتعاون المشترك فقد تم الاتفـاق على التعاون فى مجالات متعددة مثل المواصلات والطاقة النووية، ونص البيان المشترك على اتفـاق الطـرفين على تشـجيع المؤسسات الفرنسية للاستفادة الكاملة من التسهيلات الممنوحة وفقا لاتفاقية الحماية المتبادلة للاستثمار .

٣ ـ وبالنسبة لموضوع التسليح ، وافقت فرنسـا على

المشاركة فى تطوير صناعة الاسلحة الدفاعيــة فى مصر ، الامر الذى اثار استياء الاوســاط السياســية الاسرائيلية والدوائر الاعلامية الموالية لاسرائيل ، وهذا ما دفع الرئيس ديستان الى التصريح بان المقصود ليس اقامة مصانع حربية فى مصر ، وانما المقصود هــو تقديم المساعدة الفنيــة والتكنولوجية ، كما اكد على انه ليس هناك تناقض بين ارادة السلام فى مصر ، وبين اقامة صناعة عسكرية اذ انه من الطبيعى فى جميع انحاء العــالم ان تنظم كل دولة شــئون امنها القومى .

٤ — وبالنسبة لموضوع الحوار العربى الاوروبى ، فقد أبدى الجانبان ارتياحهما للتقدم الذى أحرزه الحوار حتى الان ، وعبرا عن رغبتهما فى التطوير الفعلى والسريع لهذا الحوار اطارا لتعزيز روابط التعاون بين أوروبا الغــربية والعــالم العربى ، وانه عامل للاستقرار السياسى والتقدم الاقتصادى.

٥ — وبالنسبة للسياسة المتوســطية ، اعلن الرئيس السادات تأييده لفكرة ان يكون البحر المتوسط بحيرة للسلام ، وتحويله الى بحر تشرف عليه الدول المطلة عليه ، كما صرح بأن التسهيلات البحرية الممنوحة للاسطول الســوفيتى والتى جاءت للاعراب عن عرفان مصر للاتحــاد السوفيتى لا تعنى دولــة أخــرى لتحقيق تقديم تسهيلات للامريكيين او الى أى التوازن فى المنطقة .

كما حرص الرئيس الفرنسى على ربط الحــوار العــربى الاوروبى بتدعيم روابط التضامن على مستوى البحر المتوسط الذى طالب بتوسيع منطلقه ، كما اضطلعت هذه المنطقــة من العالم بمسئولياتها المصيرية بصورة اكثر شمولا .



● **فلسطين**

لماذا وصف مندوب اسرائيل المجتمع الدولى بالخداع والنفاق ؟

كانت الدورة الثلاثين للامم المتحدة ، كارثــة سياســية بالنسبة لاسرائيل بسبب القرارات التى اتخــذت فيها والتى تنسف الاساس المعنوى لتلك الدولة وترسى أساس الاعتراف بالحق الفلسطينى ، فعلاوة على الاعتراف بمنظمة التحــرير الفلسطينية ممثلا للشعب الفلسطينى واعطائها صفة المراقب ، فى الدورة الماضية اتخــذ فى الدورة الحاليــة قرار بادانة الصهيونية كحركة عنصرية ، تلاه قرار آخر من مجلس الامن اتخذ بضغط من سوريا فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٥ ، بالموافقة على مد بقاء قوات الطوارىء فى الجولان ، بشرط عودة المجلس للانعقاد فى ١٢ يناير لمناقشة مشكلة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية ، ثم صدر قرار اخطر بمبادرة من مصر ، عندما دعا مجلس الامن منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة العدوان الاسرائيلى على لبنان وذلك فى ٤ ديسمبر ١٩٧٥ . كمــا صدر ايضا قرار بانشاء لجنــة معينة بممارســة الشــعب الفلسطينى لحقوقه .

وكان القرار الخاص بدعوة منظمة التحرير للاشتراك فى جميع الجهود والمؤتمرات التى تعقد بشــأن الشرق الاوسط تحت اشراف الامم المتحدة على قدم المســاواة مع ســائر الاطراف ، سببا فى حالة هياج انتابت حكام اسرائيل .

وفى ١٦ ديسمبر ١٩٧٥ اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة عدة قرارات : الاول يطالب فالدهايم بتقــرير حول مســألة السيادة الدائمة على مصــادر الثروات القوميــة فى الارض العربية المحتلة ، والتأثيرات الاقتصادية على البلاد العربية نتيجة للعدوان الاسرائيلى المتكرر واستمرار احتلال الارض . والقرار الثانى يدين اسرائيل لضمها أجزاء من الارض المحتلة ، واقامة مستعمرات استيطانية عليها ونقل سكان اجانب اليها وتدمير ومصادرة الاملاك العربية فى الارض المحتلة . ويؤكد القرار الثالث ان معاهدة جنيف لحماية المدنيين فى زمن الحرب تنطبق على الاراضى العربية المحتلة بما فيها القدس . ويدين القرار الرابع كافة الاجراءات التى اتخذتها سلطات اسرائيل لتغيير الحرم الابراهيمى . ويدعو القرار الخامس اللجنــة التابعة للامم المتحدة الى مواصلة جهــودها لحصر عمليات التدمير فى القنيطرة .

وقد عارضت الولايات المتحدة جميع هذه القرارات ، اما البلاد الاشتراكية فقد ايدتها جميعا ، وبالنسبة لدول السوق المشتركة ، فقد عارضت اغلبيتها هــذه القرارات . كذلك فعلت الدول الخاضعة للنفوذ الامريكى .

ويرى المراقبون ان الدورة الثلاثين كانت انتصارا ساحقا للحق الفلسطينى ولمنظمة التحرير بصفة خاصة . وقد اعلن هيرتزوج مندوب اسرائيل ان هذه الدورة أقرت مجموعة من القرارات المناهضة لاسرائيل تكفى لملء سلال المهملات هــنا وفى الخارج وأشار الى الوفود قائلا ، لم ار فى حيــاتى تجمعا مثل هذا التجمع يضم مثل هذا النفاق والضلال وازدواج الوجه والتحيز والتحريف والتمييز .

وصرح مندوب الولايات المتحدة بان هذه الدورة كانت بمثابة خيبة عميقة ، وانذار للولايات المتحدة ، وان القاعة كانت مسرحا لاعمال كريهة من وجهة النظر الامريكية .

وبالمثل هاجمت الصحف الاسرائيلية والامريكية قرارات هذه الدورة ، وطالب بعضها بمقاطعة الهيئة الدولية . ونشطت الولايات المتحدة لوقف هذا الاتجاه العالمى المعادى لاسرائيل ، والذى فرض مثل هذه القرارات .

وبعث هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة بنائبه الفريد اثرتون فى جولة فى العواصم العربيــة ، لتفسير اسباب استخدام الولايات المتحدة للفيتو فى مناقشة مجلس الامن للغارة الاسرائيلية على لبنــان ولدعوة القــادة العرب للالتزام بموقف معتدل عند مناقشة المجلس لمشــكلة الشرق الاوسط فى ١٢ يناير الحالى ، وليخبرهم بان التطــرف من جانبهم قد يضطر الولايات المتحدة لاستخدام الفيتو ضد اى قرارات تقدم ولذلك لا يجب ان يطالبوا اسرائيل بالتفاوض مع منظمة التحرير .

وعلى الجانب العربى ، نوهت القوى التقدمية بالانجازات التى تحققت فى هذه الدورة والتى تمثل مرحلة جــديدة فى العمل الدبلوماسى . واعلن مندوب منظمة التحرير فى الامم المتحدة ان اجتماعات مجلس الامن فى ١٢ يناير ستكون حدثا هاما بالنسبة للمنظمة لان المناقشة ستكون على اساس جميع قرارات الامم المتحدة الخاصة بفلسطين . وقال ان هذا يعنى اعترافا من اهم اجهزة الامم المتحدة بقرار الجمعية العامــة الصادر فى العام الماضى ، وقرارها فى العام الحالى اللذين يعترفان بالحق الوطنى للشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره واستقلاله فى وطنه . واعرب عن تقديره وامتنانه للمبادرة المصرية التى مكنت المنظمة من ان تجعل مجلس الامن يستمع الى صوت الشعب الفلسطينى وهو يوضح قضيته لاول مرة .

واكد مندوب فلسطين أن شــعبه لن يرضخ للمخططــات الصهيونية وسوف يواصل نضاله المسلح حتى يمارس حقه فى تقرير المصير والاستقلال الوطنى فى وطنه فلسطين . واضاف انه لن يفاجأ ولم يحزن للهجوم العنيف الذى شنه المنــدوب الامريكى ضد شعب فلسطين ، ذلك ان الحكومة الامريكية قد اتخذت موقفا معاديا للفلسطينيين كما أعلن ياسر عرفات ان دعوة منظمة التحرير لحضور اجتماعات مجلس الامن ولمناقشة

عدوان اسرائيل على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وعلى القرى اللبنانية ، ودعوة المنظمة للمشاركة فى مناقشات المجلس حول قضية الشرق الاوسط فى ١٢ يناير ١٩٧٦ ، يعكس ادراكا لاهمية الدور الذى تقوم به منظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة لمصير المنطقة ككل .

وقالت وكالة رويتر أن القرار الذى اتخذه مجلس الامن بدعوة منظمة التحرير الى الاشتراك فى مناقشة الشرق الاوسط ، قد ادى الى احداث بلبلة فى الاوساط الحاكمة الاسرائيلية . فقد اعلن آلون ان اسرائيل قد تشارك فى المناقشة ، فى حين اكد رابين انها ستقاطعها . كما شكلت مجموعة من الشخصيات الاسرائيلية برئاسة جنرال الاحتياط مانى بيليد ، لجنة للعمل من أجل السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين بهدف اقناع الحكومة الاسرائيلية بالموافقة على حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره واقامة دولة جنبا الى جنب مع اسرائيل . ودعت لجنة اخرى تضم ١٧٠ من اليهود والعرب فى اسرائيل ، الحكومة الى تعيين ممثلين لها للاجتماع مع منظمة التحرير للوصول الى « الطريق المؤدى للسلام » فى الشرق الاوسط . واصدرت هذه اللجنة اعلانا فى جريدة ها آرتس تدعو فيه لاجتماع بين الاسرائيليين ومنظمة التحرير برئاسة ياسر عرفات . وتقول رويتر ان كثيرا من وزراء اسرائيل يؤيدون اصدار بيان من الحكومة يعبر عن استعدادها للمفاوضات مع منظمة التحرير اذا تخلت عن هجماتها الفدائية واعترفت بها . كما قالت رويتر ان انتخاب توفيق زياد الشاعر العربى والنائب الشيوعى فى البرلمان رئيسا لبلدية الناصرة والانتصار الكاسح للجبهة الديمقراطية « زاد من مصاعب اسرائيل الداخلية فى وقت تعيد فيه الحكومة النظر فى سياستها تجاه العرب فى الاراضى المحتلة . واثار هذا الانتصار الجارف الحديث بين اليمينيين وشكوكا واسعة النطاق فى قدرة نصف مليون عربى اسرائيلى على الصمود امام النفوذ السياسى لمنظمة التحرير الفلسطينية » .

واعلنت التايم الامريكية ان الغارة على لبنان كانت سياسيا ، كارثة بالنسبة لاسرائيل واثارت موجة احتجاجات دولية ، واعطت منظمة التحرير دفعة دبلوماسية قوية . وجاء السماح لمنظمة التحرير بحضور مناقشات مجلس الامن ليجعل اسرائيل تقاطعها مما جعلها اكثر عزلة من اى وقت مضى . وتضيف المجلة « ان الانتصار الفلسطينى وفشل الولايات المتحدة فى الحيلولة دون تحقيقه تسبب فى شعور الاسرائيليين بالمرارة وخيبة الامل ، كما انهم انقسموا على انفسهم » . كذلك فان أهارون ياريف رئيس المخابرات السابق وصف الغارة بانها هزيمة ذاتية وقال يجب ان اعترف بأنها كانت غلطة . واضافت ها آرتس بان الغارة زادت من الحملات المناهضة لاسرائيل فى العالم .

كذلك قالت الاوبزرفر البريطانية ان قرار مجلس الامن عبر بقاء قوات الطوارىء فى الجولان ضربة مزدوجة للثقة الاسرائيلية ، فقد اعترف القرار لاول مرة بحق المنظمة فى التحدث باسم الفلسطينيين فى الاجتماعات الدولية القادمة المتعلقة بالشرق الاوسط ، كما اكد القرار قلق اسرائيل المتعلق بتغيير الرئيس فورد لمواقفه السياسية تجاه الاعتراف بالمنظمة . وتضيف الصحيفة ان المتشددين والواقعيين فى اسرائيل يقبلان بالحاجة الى وجود دولة فلسطينية والجدل الحالى يدور حول التوقيت والحدود وفوق كل ذلك حول من هم الفلسطينيين الذين يجب التفاوض معهم . وتقول الاوبزرفر ان سياسة فتح الباب للتحدث مع المنظمة بموجب شروط معينة يؤيدها على الاقل خمسة وزراء ، بالاضافة الى ثلاثة من اصحاب النفوذ هم ياريف وابا ايبان وحاييم هيرتزوج . كما طالب معهد بركنجر للابحاث اسرائيل بالانسحاب والاعتراف بحق الفلسطينيين فى تقرير المصير . وقال التقرير الذى اعده المعهد انه لا يمكن تحقيق تسوية ما لم تقبل اسرائيل مبدأ حق تقرير المصير للفلسطينيين وايجاد بعض الوسائل التى يمكن قبولها لتنفيذ هذا المبدأ .

ومن جانب آخر تواصل منظمة التحرير ، عملية تطوير القرارات التى اتخذت فى هذه الدورة ، فقد طلبت منظمة التحرير من الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، العمل على تخصيص عام ١٩٧٧ عاما عالميا لادانة الصهيونية كحركة عنصرية . ويجرى حاليا الاعداد بالتعاون بين الجامعة والمنظمة ، لاقامة ندوة عربية بالقاهرة لادانة الصهيونية فى اطار العمل العربى لفضح الدعايات الاسرائيلية .

ومع ان وثيقة سوندرز الامريكية أبرزت بعض الحقوق الفلسطينية التى كانت تنفيها أمريكا منذ وقت طويل ، فضلا عن صدورها من عضو فى حكومة فورد ، الا انها غير كافية فى وقت يعترف فيه العالم اجمع ، حتى فرنسا والمانيا الاتحادية وبريطانيا ، بالحق الفلسطينى . اذ تصر الولايات المتحدة على الدفاع من مطامع اسرائيل حتى آخر لحظة . لكن ماذا ستفعل ازاء هذا الاجماع الدولى ؟ الارجح انها ستبادر بمحاولة اخرى للاعتراف بالحق الفلسطينى على مراحل ، بما يخدم اهداف اسرائيل وهى اهدافها .

وقد دعا الجنرال يهوشافاط هركابى الرئيس السابق للمخابرات الاسرائيلية والخبير الاول فى الشئون العربية اسرائيل الى ان تقبل قيام دولة فلسطينية بينها وبين الاردن . وقال ان اسرائيل يجب أن تتباحث مع اية منظمة فلسطينية بما فى ذلك منظمة التحرير الفلسطينية بشرط ان تعترف هذه المنظمة بحق اسرائيل فى الوجود .

كما بعثت مجموعة تضم ٢٢ شخصية من الشخصيات البارزة فى أمريكا برسالة لفورد يحثونه على اجراء محادثات استطلاعية مع منظمة التحرير الفلسطينية لوضع اسس اشتراك الفلسطينيين كطرف رئيسى فى اى مفاوضات لاقرار السلام الشرق الاوسط . وقالت الرسالة ان البعد الفلسطينى للنزاع العربى الاسرائيلى هو قلب الصراع . □



● لبنان

مخطط المذابح .. مستمر

شن الرئيس اللبنانى سليمان فرنجية حملة اتهامات رسمية ضد المقاومة الفلسطينية ، واتهمها بالانحياز الى أحد طرفى الصراع فى لبنان . وكانت اتهاماته التى أذيعت من اذاعة لبنان فى الواقع مفاجأة للمراقبين والرأى العام العربى .

وقد دفع ذلك رئيس الوزراء رشيد كرامى الى الرد على اتهامات رئيس الجمهورية بعد اربع ساعات من اذاعتها ببيان آخر اكد فيه انضباط المقاومة الفلسطينية ، وتعاونها فى وقف القتال الدائر فى لبنان ، واكد رشيد كرامى ان الازمة لبنانية بحتة ، وان الصراع الجارى حاليا هو بين اللبنانيين انفسهم ، وانه يجب حل الصراع اللبنانى أولا قبل الحديث عن اى تجاوزات للمقاومة الفلسطينية .

وكان الرئيس اللبنانى سليمان فرنجية قد شن هجوما مماثلا فى الاسبوع السابق على اليسار اللبنانى واتهمه بالسعى الى قلب نظام الحكم ، ومساواته لليسار بالصهيونية .

وقد شن كمال جنبلاط رئيس الحزب الاشتراكى التقدمى ممثل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بدوره هجوما عنيفا على رئيس الجمهورية ردا على اتهاماته لليسار .
وقال جنبلاط : ان تشبيه سليمان فرنجية اليسار بالصهيونية ،

قد برهن على عدم كفاية تكوينه ، واتهم جنبلاط الرئيس فرنجية بالخروج عن حياده المفروض والمتعلق باختصاصاته كرئيس للدولة .

وقد انتقد « ابوایاد » ممثل منظمة فتح موقف الرئيس اللبناني فرنجية . وقال : ان الرئيس فرنجية هو الذي افقد لبنان سيادته وهو الى حد كبير مسئول عن الاحداث الدائرة فى البلاد وهو يعلم تماما ان المقاومة الفلسطينية تحترم جميع تعهداتها تجاه لبنان .

وأشار أبواياد الى مساندة بعض الحكومات العربيةلرجال الكتائب ، وان ما يقرب من الف من المرتزقة الجانبيحاربون الكتائب ، وان ما يقرب من الف من المرتزقة الاجانبيحاربون الى جانب رجال الكتائب . وتساءل قائلا : كيف تعتقد بعض الحكومات العربية ان رجال الكتائب يحمون الاسلام من الشيوعية .

وكانت مصر قد اصدرت فى الثانى من ديسمبر قبل وقوع التطورات الاخيرة بيانا اعلنت فيه موقفها من الصراع القائم فى لبنان على اساس أن مصر تقف ضد تقسيم لبنان وترى فى المطالبة به خيانة ، وكذلك الفصل بين الصراع القائم فى الساحة اللبنانية وبين المقاومة ، ورفض أى محاولة لاقحام الوجود الفلسطينى فى هذا الصراع القائم وأوضحت مصر انها تعتبر تدويل الصراع فى لبنان خيانة .

وقد لقى البيان المصرىترحيبا شديدا فى الاوساط الوطنية والشارع اللبنانى .

وقد جاء هذا التصعيد الاساسى للازمة فى اعقابالتصعيد العسكرى الذى شهدته الساحة اللبنانية فى اوآئل الشهر الماضى ، والذى تمثل فى المذبحة الرهيبة التى قامت بها الميليشيا التابعة لحزب الكتائب اليمينى فى السادس منشهر ديسمبر ، عندما انتشر المسلحون الكتائبيون فى معظم مناطق وشوارع بيروت ، واخذوا يخطفون المارة ويقتلونهم فورا ، وذلك انتقاما لمصرع أربعة من زملائهم . وذهب ضحيسة هذه المذبحة نحو مائتى شخص .

وقد وقعت هذه المذبحة فىالوقت الذى كانفيه بيير الجميل زعيم حزب الكتائب وعدد من قادة حزبه فى الطريق الىدمشق فى زيارة مفاجئة .

وقد ردت القوات التابعة للاحزاب الوطنية والتقدمية والشباب اللبنانى بهجوم شامل على قوات الكتائب فىالاماكن التى يسيطرون عليها ، وانزلت بها خسائر فادحة وقامت بتطهير بعض الاماكن التىتسيطر عليها وأجبرتها على الفرار ، وفرضت عليها الحصار فى الاماكن الاخرى ، لولا ماحدث بعد ذلك من تدخل قوات الجيش اللبنانى — الذى وصفته مصادر الاحزاب الوطنية والتقدمية بانه محاولة مفضوحة ، لتسهيل مرور النجدات لقوات الكتائب التى أصبحت تعانى من جراء الحصار ، ولمحاولة انقاذها من الهزيمة التى منيت بها .

وقد حاول ممثل الكتائب فى لجنة التنسيق التنصل من المذبحة سالفة الذكر وذلك عن طريق الصاقها بعناصر غير منضبطة من أعضاء الكتائب ، ووصفها بانها عناصرمتمردة على القرار السياسى لحزب الكتائب ، باحترام وقف قرار اطلاق النار .

والجدير بالذكر ان هذه المذابحالرهيبة لم تتوقف عند ذلك الحادث ، فقد تكررت نفس هذه المذبحة وهجوم مئات من رجال الكتائب المسلحين على منطقة الحدث فى ضواحى بيروت ، وحتى الغوارنة فى بلدة انطلياس ، حيث قاموا بنسف المنازل وقتل المواطنين الابرياء واختطاف العشراتمن الاهالى ودفعهم الى الهجرة خارج هذه المناطق .

وكانت آخر هذه المذابح ، مذبحة « سبنيه » . عندما قام مئات المسلحين التابعين للكتائب وحزب الوطنيين الاحرار الذى يتزعمه كميل شمعون وزير الداخليةواحد زعماء الطائفة المارونية بتطويق بلدة سبنيه فى الخامس عشر من ديسمبر ١٩٧٥ واحراق المنازل وقتل الاهالى واختطاف العشرات وتشريد أهالى البلدة . وقد اشارت الصحف اللبنانية الى اشتراك تنظيمات اخرى الى جانب الكتائب والاحرار فىهذه المجازر الجماعية مثل تنظيم حراس الارزة والتنظيم التابع للرابطة المارونية ، وهى تنظيمات مسلحة تابعة لعناصر معروفة فى السلطة .

وقد استنكرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية موقف السلطة المتواطىء مع القوى الانعزالية ، واكدت انها لن تقف مكتوفة الايدى ازاء مخطط تصفية بعض المواقع الوطنية فى جبل لبنان ومختلف المناطق اللبنانية . وكذلك حيال الدور الذى يلعبه الجيش كأداة لحماية القوى الانعزاليةوهجماتها على المواطنين الامنين ، وجددت الحركة الوطنية مطالبتها بسحب الجيش ومنع زجه فى الصراع الداخلى تحت كل الظروف .

وقد وصف صائب سلام رئيس الوزراء الاسبق مذبحة « سبنيه » بانها أشبه بما كانت تقوم به عصاباتالهاجاناه وشتيرن والارجون الصهيونية فى فلسطين لتهجير السكان العرب ، وان هذه المذابح ربما كانت مخططا مدروسا بقصد التهجير وفرض التقسيم البشرى والجغرافى .

كذلك لم تخف بعض الاوساط السياسية مخاوفها من ان تتكرر عمليات التهجير هذه فى اكثر من منطقة تنفيذا لخطة مدروسة .

ويرى المراقبون ان هذه المذابح وارتفاع موجة العنف وتجدد القتال فى معظم انحاء بيروت وزغرتا وطرابلس وزحلة وامتداد القتال الى مناطق جديدة . قد اسقطت الدعوة الى المصالحة الوطنية التى كان قد دعا اليها كل من الرئيس فرنجية والرئيس كرامى فى خطابيهما فى اواخر نوفمبر الماضى ، بناء على اقتراح المبعوث الفرنسى لحل الازمة اللبنانية .

وكانت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية قد أصدرت بيانا فى التاسع عشر من ديسمبر ١٩٧٥ حددت فيه موقفها من موضوع المصالحة الوطنية ، وذلك على اساس رفض التسويات العشائرية ، وتمسكها ببرنامج الاصلاح السياسى الذى طرحته من قبل ، من اجل حل ديمقراطى للازمة اللبنانية . ولاسيما الغاء الطائفية فى التمثيل النيابى واجهزة الدولة والقضاء والجيش ، وتعديل قانون الانتخاب ، الذى يؤمن تمثيل الاتجاهات السياسية الاساسية والقوى الاجتماعية الفعالة ، ويساعد على تجاوز الانقسام الطائفى وترسيخ الولاء للوطن والشعب بعيدا عن الولاءاتالعشائرية ، ثم تعديل الدستور لتوفير التوازن المطلوب بين السلطاتوفق أسس النظام الديمقراطى البرلمانى .

وأكد البيان على عروبة لبنان والتضامن مع الثورة الفلسطينية ، والتضامن المتبادل بين الحركة الوطنية وسائر القوى الوطنية العربية فى اطار معركة المصير العربى الواضح .. كما أكد ان موقف الاحزاب الوطنية والتقدمية من رئيس الحكومة رشيد كرامى رهن بموافقة من مطالب الاصلاح السياسى الديمقراطى التى تطرحها . ويبدو من الواضح ان رشيد كرامى لا يخفىشعوره باليأس أمام تدهور الوضع المستمر فى لبنان ، وانه أصبح عاجزا عن اتخاذ أى موقف ، وقد اعلنت المصادر الوثيقة الصلة برئيس الحكومة ، ان رشيد كرامى بات مقتنعا بأن هناك جهات معينة لا ترغب فى عودة الهدوء الى اللبنان .

ويرى المراقبون ان الخلاف بين رئيس الجمهورية سليمان فرنجية وبين رئيس الوزراء رشيد كرامى يعكس الخلافداخل الوزارة اللبنانية حول تفسير طبيعة الازمة وطريق العلاج للخروج من الازمة .

ومن هنا يعتبر المراقبون ان حملات الرئيسين اللبنانى سليمان فرنجية على اليسار اللبنانى والمقاومة الفلسطينية ، تعد مؤشرات لاحداث خطيرة فى المستقبل ، خاصة وان الرئيس فرنجية قد تجاهل تماما حقيقة الازمة اللبنانية .

وكانت صحيفة الدستور اللبنانية قد هاجمت فى عددها بتاريخ ١٩٧٥/١٢/١٥ طونى فرنجية نجل رئيس الجمهورية ونائب زغرتا بشأن التصريح الذى أدلى به واعلن فيه : «انه يوجد بالفعل تقسيم من حيث الامر الواقع فى لبنان وانه اذا حدث تقسيم فان مصير الدولة المارونية التى سيتم انشاؤها سيعتمد على الموقف العربى الذى ستتخذه حيالها الدول العربية » . واكدت الصحيفة ان تصريح طونى فرنجية قد تم تسجيله وانه نشر حرفيا .

والجدير بالذكر ان اذاعة مونت كارلو الفرنسية ، كانت قد اذاعت فى أولى نشراتها فى الخامس عشر من ديسمبر ١٩٧٥ نفس هذا التصريح الذى كان قد أدلى به طونى فرنجية .

وقد نفى طونى فرنجية بعد ذلك انه ادلى بهذا التصريح .

ومن ناحية اخرى تتزايد فى الفترة الاخيرة الحملة على رئيس الجمهورية سليمان فرنجية ووزير الداخلية كميل شمعون وتتزايد مطالبتهما بالاستقالة .

فقد طالب كمال جنبلاط رئيس الحزب الاشتراكى التقدمى باستقالة رئيس الجمهورية ووزير الداخلية كشرط أساسى لتحقيق المصالحة الوطنية ولاعادة جو الهدوء ، والسلام الى لبنان .

وقال جنبلاط : فى أى بلد من بلدان العالم اذا كان هناك أى مأخذ قانونى على رئيس الجمهورية ، أو اذا كان عنده ميليشيا مسلحة كما هو الحال عندنا فانه يستقيل فورا . وهذه أقل واجبات المسئولين ، كذلك بالنسبة الى وزير الداخلية ، حتى يجىء رجال للحكم ليستلهم اية علاقة وليسوا طرفا فى النزاع العسكرى » .

كذلك أعلن صائب سلام : « ان رؤساء هذه العصابات التى تقوم بالاعمال الوحشية من تقتيل وتشنيع ومجازر لا تقتصر على الاسماء المعروفة من شباب منظمة الوطنيين الاحرار والكتائب وحراس الارزة وغيرهم ، بل ان الذى يرأس هذه العصابات بالذات هو رئيس الدولة ووزير الداخلية » .

ويرى معظم المراقبين ان الازمة فى لبنان تتجه الى مزيد من التعقيد ، وانه لا يوجد هناك فى الافق ما يشير الى انفراج قريب ، وان اصوات المدافع والقنابل ودخان الحرائق قد أصبحت تعوق الرؤية امام المراقبين على الاقل فى الوقت الحاضر . □

○

● العراق ـ الكويت

سيطرة عراقية تامة على البترول وسيطرة كويتية ضخمة

حققت كل من العراق والكويت فى الشهر الماضى خطوة هامة على طريق تأميم البترول العربى ، وتحقيق السيطرة على الموارد البترولية ، بما يخدم مصالح البلاد العربية فى استعادة ثرواتها الوطنية ، ووضع حد لعمليات النهب الامبريالية .

وكانت العراق قد اقدمت فى الثامن من ديسمبر الماضى على تأميم الحصص المتبقية فى « شركة نفط البصرة المحدودة » المملوكة للشركات الاحتكارية الاستعمارية . وتبلغ مجموع أسهم الشركة المؤممة ٥٧ فى المائة ، موزعة حسب النسب الاتية ـ ٢٢,٧٥ فى المائة تملكها « شركة برتش بتروليوم » البريطانية ، و ٢٣,٧٥ فى المائة تملكها « شركة البترول الفرنسية » ، و ٩,٥ تملكها شركة شل البريطانية » .

ويتضمن قانون تاميم شركة نفط البصرة المحدودة ، احالة ملكية جميع الحقوق والاموال والموجودات المتعلقة بعمليات الشركة بما فيها الميناء والمرافق والمنشات الانتاجية والتصديرية وغيرها من المنشات والمواد والوثائق والمعلومات الى الدولة .

وتلتزم الحكومة العراقية بدفع تعويضات مقابل الاموال والحقوق والموجودات التى آلت اليها ، عن طريق احتساب قيمة هذه الاموال والحقوق والموجودات طبقا لقيمتها الدفترية الصافية .

وطبقا لقانون التأميم ، سوف يخصم من قيمة التعويض ، المبالغ المستحقة للوفاء للضرائب والدفعات التكميلية والرسوم والاجور والطلبات ، وكذلك المبالغ الاخرى التى تستحقها الحكومة أو مؤسساتها .

وتعتبر حكومة العراق بموجب هذا القانون غير مسئولة عن التزامات وديون شركة نفط البصرة ، أو ما يتعلق بتسويق البترول من الحصص المتبقية .. والجدير بالذكر أن حق الامتياز للشركة المؤممة ، كانت مدته ٥٧ عاما ، كما كان من المقرر أن ينتهى فى عام ٢٠١٣ .

ويعد قرارالحكومة العراقية بتاميم شركة البترول الاستعمارية استكمالا لسياسة القيادة السياسية العراقية التى بدأتها فى يونيو عام ١٩٧٢ ،بتحرير نحو ٨٠فى المائة من الثروة البترولية من قبضة الشركات الاحتكارية الاستعمارية .

وبهذه الخطوة يكون العراق قد استكمل سيادته الكاملة على ثرواته النفطية ، ووضعها فى خدمة أغراض التنمية الاقتصادية الاجتماعية .

هذا وقد أعلنت الحكومة العراقية انها سوف تضمن لفرنسا امدادها بالبترول بعد تاميم عمليات الشركة المذكورة ، وذلك امتدادا لسياسة العراق التى تهدف الى كسب تأييد فرنسا للقضايا العربية وتقديرا من العراق لعلاقات الصداقة والتعاون العراقية الفرنسية ، والعربية الفرنسية بوجه عام .

ومن ناحية أخرى كانت حكومة الكويت قد وقعت فى أول شهر ديسمبر الماضى اتفاقا بالتراضى مع ممثلى شركة «جولف أويل » الامريكية ، وشركة « بريتش بتروليوم البريطانية » ، تنقل بمقتضاه أنصبة الشركتين المذكورتين بما فى ذلك حقوق الامتياز والعمليات والمرافق والموجودات فى الكويت ،الى حكومة دولة الكويت ، وذلك اعتبارا من ٥ مارس سنة ١٩٧٥ .

وينص الاتفاق على أن تدفع الحكومة الكويتية الى الشركتين مبلغ خمسون مليونا وخمسمائة الف دولار ، وتضاف الى هذا المبلغ فائدة عن الفترة من ٥ مارس سنة ١٩٧٥ الى تاريخ الدفع .

والجدير بالذكر أن الحكومة الكويتية كانت قد وضعت أيديها على الشركتين المذكورتين وانهاء امتيازهما الفعلى منذ ٥ مارس ١٩٧٥ ، وقد وافقت الشركتين على التخلى عن امتيازاتهما بالتراضى .

وبهذا الاتفاق تكون حكومة الكويت قد حققت السيطرة على الجزء الاكبر من ثروة البلاد النفطية ، باستثناء امتياز « شركة الزيت الامريكية » الذى يشمل المنطقة المحايدة والمياه الاقليمية التابعة لها ، والذى وقع فى عام ١٩٤٨ ، ومن المقرر ان ينتهى عام ٢٠٠٩ .

ويأتى قرار حكومة الكويتبالاستيلاء على الشركتين الامريكية والبريطانية ، استجابة لمطالب الحركة الوطنية فى الكويت ، والتى تطالب بتأميم ثروات البلاد النفطية التى تستولى عليها الشركات الاستعمارية .

ويعتبر المراقبون ان قيام كل من العراق والكويت بتأميم البترول بالرغم من اختلاف منهج كل منهما فى استعادة ثرواته الوطنية من أيدى الاحتكارات الاستعمارية ، يعد بمثابة خطوة هامة على طريق تأميم البترول العربى ، كما يعزز امكانية بلدان الخليج العربى الاخرى فيما لو أرادت استعادة ثرواتها النفطية .

ويعد اجراء حكومة العراق على وجه الخصوص وفى هذا

الوقت بالذات ،ضربة موجهة للمحاولات الامبريالية وبخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، لاحداث شقاق داخل مجموعة دول الاوبك والبلدان النامية ، حول مشاكل الطاقة ، وذلك بهدف عرقلة تحقيق الاهداف التى تسعى اليها البلدان النامية ۰

واذ تصر الولايات المتحدة على تخفيض أسعار النفط ، وضمان الحصول على البترول ، فان البلدان النامية ومن بينها دول الاوبك « المصدرة للبترول » تسعى الى تحقيق استقلالها الاقتصادى وسيطرتها على ثرواتها الوطنية والقضاء على الهوة التى تفصل بينها وبين البلدان الصناعية المتقدمة ، وذلك عن طريق ربط مشاكل الطاقة ضمن المواد الاولية ، بمشاكل التنمية ، والمطالبة برفع أسعار المواد الاولية وربطها باسعار المواد المصنعة التى تصدرها البلدان الرأسمالية الصناعية المتقدمة ، وكذلك تغيير النظام الاقتصادية والنقدى الدولى الحالى الذى ينطوى على الاجحاف بالدول النامية ■



● **أبو ظبى**

مواقـف عربيـة ۰۰
وموقف أوروبى موحد !

فى الفترة من ٢٢ الى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٥ انعقد فى ابو ظبى اللقاء الثالث فى جولات الحوار العربى الاوربى وقد بلغ عدد المشتركين فى هذه الجولة ٥٠٠ مشترك وخبير يمثلون ٢٢ وفدا فى اطار لجنتين عامتين **لجنة تنسيق** ، **لجنة صياغة** ۰

وقد افتتح **السيد كريم عمران تريم** سفير دولة الامارات العربية بالقاهرة الحوار ، باعتبار ان دولة الامارات هى التى تتولى رئاسة مجلس الجامعة العربية فى هذه الدورة ، وقد اكد على الجانب السياسى فى الحوار واشار الى [ان موقف دول المجموعة الاوربية فى الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الحالية من قضية فلسطين وقرار ادانة الصهيونية كحركة عنصرية ، قد سببا خيبة امل حقيقية لنا ۰۰۰ » وأكد نفس وجهة النظر **محمود رياض** الامين الاول لجامعة الدول العربية اذ قال انه كان طبيعيا ان تتوقع الدول العربية دعم الدول الاوربية التسع للمطلب العربى الخاص باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية مع الاطراف المعنية فى الجهود والمحادثات والمؤتمرات التى تجرى فى اطار الامم المتحدة ، فلا يعقل ان يبنى سلام عادل قابل للبقاء فى الشرق الاوسط دون ان يشترك فى الجهود المبذولة لتحقيقه ، ممثلو شعب تشكل حقوقه حجر الزاوية فى حل قضية الشرق الاوسط ذاتها ، وهذا المطلب لم يلق ما كان جديرا به من دعم وتاييد المجموعة الاوروبية » ۰۰۰ وفى المقابل رد السيد **سيزار ريجا** ممثل ايطاليا ورئيس الجانب الاوروبى ، بحكم ان ايطاليا تتولى رئاسة مجلس السوق هذه الدورة ۰۰ قائلا انه اذا كان للحوار العربى الاوربى طموح سياسى ، فان غرضه اقتصادى وان يتعدى ذلك على الاقل هذه المرة » ۰

وقد طالبت الدول العربية فى اللجنة الزراعية بتدارك الفجوة الغذائية وطالبت بوضع خطة كاملة للتكامل الاوربى العربى لتنفيذ مشاريع رفع معدلات التنمية الزراعية ، وطالبت الدول العربية بمعاملة أفضل للمنتجات الزراعية العربية فى اوربا ، وتشكيل لجنة مشتركة لتنظيم الافادة من التكنولوجيا الزراعية ، والاطلاع على الابحاث المشتركة فى هذا الشأن ۰۰۰ وانتقد الوفد العربى التسهيلات التى أعطيت لاسرائيل كدولة زراعية فى مايو الماضى ۰ باعتبارها عضو فى السوق ۰

وفى لجنة الهياكل الاساسية : ناقش الطرفان المواصلات السلكية واللاسلكيه وشبكة الطرق ، وربط قرار اللجنة بين السلام العادل فى المنطقة والوصول الى تكامل فى الخطوط الاساسية هذا بينما رأت **لجنة التعاون العلمى والتكنولوجيا** : ضرورة تبنى سياسة علمية لانقاذ الطاقة الفنية البشرية العربية ، وضرورة دعم المؤسسات العلمية العربية ، وانشاء المعاهد ومراكز الابحاث الجديدة ، **وفى لجنة التصنيع** ، رؤى ضرورة الاهتمام بالصناعات الكيماوية والبتروكيماوية ، أما **لجنة التعاون المالى** : فقد ركزت على أهمية تدريب الكوادر المالية والنقدية العربية فى البنوك الاوربية ، وحماية التوظيفات المالية العربية فى أوربا من أخطار تدهور أسعار العملات الاوربية ، والتأميم او اى خطر سياسى بالمقابل للمال الاوربى فى المنطقة العربية ۰

واهتمت لجنة الحضارة والثقافة : بضرورة التبادل الثقافى فى مختلف المجالات ۰۰۰ وفى **لجنة الشئون الاجتماعية والعمل** : اهتم الجانب العربى برعاية العمال العرب فى أوربا ، واقامة قواعد عامة للاجور والتأمين الاجتماعى ۰ أسوة بعمال السوق الاوربية المشتركة ۰۰۰ ولكن أوربا الغربية أعتذرت بأن لديها مشاكل عمالية قوية ، وليس لديها الوقت لحل مشاكل العمال العرب ۰

وفى البيان الصحفى الختامى ، ربط الجانب العربى بين تطور الحوار ، وادخال البعد السياسى وقد اكد على ضرورة اجتماع اللجنة العامة ذات البعد السياسى فى اقرب فرصة ۰ وقد اشار ايضا الى احتمال انعقاد الجولة الرابعة فى مارس القادم ۰

ويرى المراقبون العرب والاوربيون ان هنالك عديدا من الانتقادات يمكن ان توجه الى الجولة الثالثة للحوار هى انه بينما كانت هنالك وحدة فى الترتيب فى المطالب الاقتصادية الاوربية ، اختلفت المطالب الاقتصادية العربية نتيجة لاختلاف الانظمة والمصالح ودرجات التطور الاجتماعى والاقتصادى بكل دولة ، بل ودرجة التقارب مع القوى الدولية العظمى ، فبينما ترتبط دول الخليج بالولايات المتحدة أكثر نجد ان دول البحر المتوسط كانت أكثر ارتباطا بفرنسا ، وبينما كانت دول الخليج فيما عدا العراق ۰۰ تؤيد فكرة الاستثمار فى اوربا ، ايدت دول البحر المتوسط فكرة الاستثمار الاوربى فى المنطقة العربية ۰ المهم ان الدول العربية نقلت الى ساحة المؤتمر خلافاتها الاقتصادية وتخلفها ، الذى يتمثل فى ضيق السوق ، وضعف شبكة الاتصال ، والابنية التحتية ، وعدم وجود تكنولوجيا كافية ۰ ■

● **الصحراء الغربية**

« برلمان » الصحراء يحل نفسه
وينضـم للبـوليزار يـو

فى ٣ ديسمبر الماضى ، تم تكوين المجلس الوطنى المؤقت للشعب الصحراوى ، وذلك بعد ان قررت الجمعية العامة تسمى [الجماعة] لهذا الشعب والتى كانت اسبانيا قد كونتها بوعد منها بأن تجعلها سلطة وطنية لاستقلال شعب الصحراء الغربية ، حل نفسها وانضمام اعضائها الى الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب « البوليزاريو » باعتبارها الممثل الوحيد لشعب الصحراء وادانة مشروع الاتفاق الثلاثى بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا وحرب الابادة ضد الشعب الصحراوى ۰

وقد اكدت الجمعية المنحلة انها لا تعترف لنفسها بحق تقرير مصير الشعب الصحراوى ، لانه لم ينتخبها بشكل ديمقراطى ، وابرزت ان السبيل الوحيد لاستشارة الشعب الصحراوى تكمن فى السماح له بتقرير مصيره بنفسه من أجل

استقلاله بعيدا عن كل ضغط وعن اى وجود لاية قوة اجنبية · وقد وقع على البيان الصادر بهذا الشأن ٦٧ من اعضاء الجمعية العامة ، منهم ٣ اعضاء من البرلمان الاسبانى ، كما وقعه ٦٠ من اعيان القبائل ·

وارسل المجلس المؤقت برقية الى السيد محمود رياض امين عام الجامعة العربية قال فيها : « ان عملية الغزو المغربى لتراب بلدنا تندرج ضمن مخطط استعمارى توسعى ، ثم وضعه بالتواطؤ بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا ، وتستهدف فرض وصاية اجنبية على شعبنا المكافح ومنعه من ممارسة حقه فى تقرير مصيره بنفسه ، وانكار مطالبه العادلة ومطامحه المشروعة فى الحريه والتقدم والحيلولة دون انجاز المهام الثورية لحركة شعبنا الوطنية التى تلتقى مع المسيرة التحررية لامتنا العربية ·

« ومن الواضح ان مثل هذا الغزو الاستعمارى من قبل بلد عربى شقيق لبلد عربى آخر ، يعرض الامة العربية وقضايانا القومية لاوخم العواقب واخطر النتائج ، اذ انه لا يختلف فى اهدافه عن العدوان الذى وقع على فلسطين وعلى الارض العربية المحتلة » ·

وقد علقت وكالة الأنباء الفرنسية فى ٨ ديسمبر على حل الجمعية العامة وتكوين المجلس الوطنى المؤقت بقولها « ان حفنة من الرمال ادخلت فى دواليب الاتفاق الثلاثى المبرم بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا ، وذلك بالتحاق اغلبية اعضاء « الجماعة » [برلمان] الصحراء الغربية الى جبهة البوليزاريو التى تطالب بالاستقلال · ان هذا الاتفاق الذى اذيع نصه اخيرا فى مدريد يؤكد « ان رأى الشعب الصحراوى المعبر عنه بواسطة « الجماعة سيكون محترما » · ان اغلبية اعضاء البرلمان الصحراوى الذين اجتمعوا فى المنطقة الواقعة بين ايدى الفدائيين قد قرروا حل الجماعة ، واعلنوا أن جبهة البوليزاريو هى السلطة الشرعية الوحيدة للشعب الصحراوى ، وشكلوا تحت قيادتها مجلسا قوميا مؤقتا فى اطار حل يراعى الوحدة الوطنية وبعيدا عن كل تدخل اجنبى · ان هذا النجاح الذى احرزه انصار استقلال الصحراء يعتبر اول رد سياسى على اتفاقية مدريد » ·

وقد اكد الرئيس الجزائرى هوارى بومدين فى حديث لصحيفة « لوماتنيه » الفرنسية ان هذا الاتفاق قد ابرم احتقارا لكل شرعية وانتهاكا لقرارات الامم المتحدة ولقرار محكمة العدل الدولية ، وللرغبة الشعبية للسكا المعنيين · وهو لا يحل شيئا · ذلك انه فاسد من اساسه ، لانه ابرم بين ثلاثة بلدان لتقرر مصير اقليم لا ينتمى اليها · ما الذى تطالب به الجزائر فى هذه المشكلة ؟ · تطبيق قرارات الامم المتحدة واحترام قرارات محكمة العدل الدولية وحق الشعوب فى تقرير مصيرها · فلماذا يخافون اذن من الاختيار الذى يمكن ان يقوم به الشعب الصحراوى » ؟

« ان هذه المشكلة لا يمكن فصلها عن الاطار العام · انها تتجاوز حدود المنطقة لتقع فى اطار لعبة دولية اوسع مدى · ان الوضع الراهن يسم بتراجع واضح للامبريالية من الجنوب الشرقى الاسيوى ، ومحاولاتها لدعم او استعادة موقعها غرب هذه المنطقة والامتداد جنوبا حتى أنجولا · انها تحاول اقامة نوع من خط المقاومة يكون سدا حاميا لمصالحها · اننا لم نكن ابدا سببا فى اى توتر ولسنا سببا للتوتر الحالى · لقد بذلنا كل جهدنا للتعايش سلميا مع كل البلاد وفى المحل الاول بلدان المنطقة · لكن شعبنا لن يخضع للابتزاز ولا للعدوان · ليس للجزائر اى نوايا عدوانية تجاه المغرب · ليس هناك سبب لذلك · اما فيما يتعلق بالصحراء الغربية ، فهى ليست ارضا مغربية ولا موريتانية » ·

وقد اكد محمد الشريف مساعديه مسئول التوجيه بحزب جبهة التحرير الجزائرية ان موقف الجزائر من مساندة مطلب شعب الصحراء فى تقرير مصيره ، دون تدخل اجنبى ، ينطلق من :

☐ قرارات الملك الحسن والرئيسين بومدين وولد داده فى نواديبو فى سبتمبر ١٩٧٠ ، وفى اغادير فى يوليو ١٩٧٣ ، حول تصفية الاستعمار من الصحراء وتطبيق مبدأ تقرير المصير فى اطار يضمن لسكان الصحراء التعبير عن ارادتهم بحرية وصدق طبقا لقرارات الامم المتحدة فى هذا الشأن ·

☐ قرارات منظمة الوحدة الافريقية بالاعتراف بالحدود الموروثة غداة الاستقلال ، ضمانا للاستقرار وتجنبا للمشاكل والخلافات التى قد يفتعلها الاستعمار الجديد · كما اكدت المنظمه فى عدة قرارات مبدأ تقرير المصير لشعب الصحراء الغربية ·

☐ قرارات الهيئات الدولية ، فقد قررت الامم المتحدة اكثر من مرة حق الشعب الصحراوى فى تقرير مصيره ، كذلك فعل مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز ·

واكد مساعدية ان الاتفاق مع اسبانيا تم مقابل تنازلات على حساب الشعب الصحراوى منها : تنازلات لاسبانيا وللشركات متعددة الجنسيات فى مجال استغلال الفوسفات، وتقديم قواعد عسكرية للامبريالية سوف تستعملها الامبريالية يوما ضد البلاد العربية كما استخدمت قواعد جزر آزور البرتغالية ايام حرب اكتوبر ، وحقوق الصيد لاسبانيا فى منطقة غنية بالاسماك ، وتجميد المطالبة بمدينتى سبته ومليلة التى هى مغربية لا شك فى ذلك ·

واوضح مساعدية ان الرأى الاستشارى لمحكمة العدل الدولية قد تم اجتزاؤه وتحريفه ، بحيث ابرزوا فيه ما يلى : « كانت لاقليم الساقية الحمراء ووادى الذهب روابط قانونية مع المغرب ، وان هذه الروابط روابط ولاء وبيعه بين سكان الاقليمين وملوك المغرب » ، فى حين ان النص الحقيقى يقول انه كانت هناك روابط ولاء قانونية بين سلطات المغرب وبين البعض من القبائل التى كانت تعيش فى الصحراء وانه لم يثبت لها طبقا للوثائق المتوفرة لديها وجود أية علاقة سياده بين اقليم الصحراء الغربية من جهة وبين كل من المملكة المغربية والمجموعة الموريتانية من جهة اخرى » كما اكدت المحكمة « انها لم تلاحظ وجود علاقات قانونية من شانها ان تعدل تطبيق لائحة الجمعية العامة للامم المتحدة حول تصفية الاستعمار وخاصة تطبيق مبدأ تقرير المصير وتمكين سكان الصحراء من التعبير عن ارادتهم بكل حرية » ونفس الرأى ابداه الحاكم بونى الذى عينته المغرب ليمثلها فى المحكمة ·

كذلك اكد مساعدية ثلاث حقائق : الاولى البيعة ليست سندا ، لانها شخصية تعطى للحاكم الذى تتم مبايعته ولا تورث ، والثانية ان هذه العلاقة قد انقطعت بالاستعمار الاسبانى فى الوقت الذى استقل فيه المغرب ولم يرفع السلاح للدفاع عن الصحراء ، والثالثة ان حمل اهل الصحراء للسلاح قد صنع تاريخا حاضرا لايمكن تجاهله ويمثل واقعا سياسيا لا يمكن التغاضى عنه ·

والواقع ان القتال قد اندلع على نطاق واسع فى جبهتين ، جبهة بين سكان الصحراء وقوات المغرب التى يسرت لها القوات الاسبانية الدخول ، وجبهة بين سكان الصحراء والقوات الموريتانية · اما فى الامم المتحدة فقد اتخذت عدة قرارات تؤيد حق السكان الصحراويين فى تقرير مصيرهم · لكن لا تبدو فى الافق حتى الان نذر الاستجابة لهذا الحق · ☐

● أنجولا الشعبية

التدخل الامريكى من خلف ستار «القلق»

رفض الرئيس الانجولى أوجستينو نيتو ، الدعوة لاجراء مفاوضات مع « فنلا » و « يونيتا » المعاديتين ، وشبهها بدعوة اجراء مفاوضات بين افريقيا والنظام العنصرى

في الجنوب • وكان كاكومبامركيس احد قادة «يونيتا» قد أعلن ان حركته «على استعداد للدخول في مفاوضات مع حكومة الحركة الشعبية» • ويرى المراقبون أن دعوة «يونيتا» هذه قد ارتبطت بواقع حالة «الاخفاق العسكري» التي منيت بها حركتي «فنلا» و «يونيتا» أمام قوات الجيش والميليشيا لجمهورية انجولا الشعبية ، التي دعمت مراكزها وشنت عدة هجمات على معاقل فنلا ويونيتا • كما ارتبطت بظهور اتجاه لدى دوائر أمريكية في الكونجرس تحبذ «حث سافيمبي «زعيم يونيتا» الى العمل على تشكيل حكومة ائتلافية مع الحركة الشعبية» وتأخذ هذه الدوائر في اعتبارها أن هولدن «زعيم فنلا» سيرفض ذلك•

وقد ظهر هذا الاتجاه خلال مناقشات اعتراض مجلس الشيوخ على التدخل الامريكي في أنجولا ، وقرار مجلس الشيوخ الامريكي بضرورة استئذانه قبل اقدام حكومة الرئيس فورد على اتخاذ أجراء بتدخل جديد في أنجولا • مما دفع الرئيس فورد الى وصف هذا القرار بانه لا يحقق المصالح القومية الامريكية ولا يطمئن حلفاء أمريكا في الخارج •

ومن المعروف أن «التورط الامريكي في أنجولا» ـ كما وصفه بعض المتحدثين في مجلس الشيوخ ومجلة نيوزويك ـ قد صاحبته حملة سياسية ضد الاتحاد السوفيتي وكوبا شنها الرئيس فورد وكيسنجر سواء داخل أمريكا أو خارجها أو أثناء الاجتماع الاخير لحلف الاطلنطي • كما يلاحظ أن هذا «التورط الامريكي» قد اتخذ شكلا اكثرسفورا خلف ستار الهجوم المفاجيء والملفت للانتباه الذي شنته أمريكا ضد التمييز العنصري في جنوب افريقيا • ومما هو جدير بالذكر أن حكومة جنوب أفريقيا قد أعلنت رسميا على لسان وزير دفاعها بارسال قوات الاحتياطي التابعة لها للاشتراك في القتال الى جانب «فنلا» و «يونيتا» ، ثم عادت جنوب افريقيا لتعلن انسحابها من المشاركة في القتال والاكتفاء بتمركز قواتها على حدود أنجولا ـ ناميبيا، بعد ان اتضح أن «جهودها وحدها غير كافية» وبعد أن أحرج تدخلها دولا افريقية كانت تزمع تبادل العلاقات الدبلوماسية معها «مثل ساحل العاج» ، وكذلك بعد أن أدى هذا التدخل الى اعتراف حكومات افريقية «نيجيريا وتنزانيا والسودان .. الخ» بحكومة الحركة الشعبية «كحكومة شرعية وحيدة» • وكانت هذه الحكومات تاخذ ـ مع غيرها من دول القارة ـ موقف الحياد ازاء الصراع داخل أنجولا والعمل على ايجاد تفاهم بين الاطراف المحلية المتنازعة • كما اعلن وزير دفاع جنوب افريقيا مؤخرا أن بلاده ليست مستعدة لان تتحمل وحدها «مسئولية الدفاع عن مصالح الغرب» ، وذلك في أعقاب قرار مجلس الشيوخ الامريكي •

وقد عارض الكونجرس «التورط الامريكي» خوفا من التدرج الى الالتزام بصورة متزايدة في الصراع لتجد أمريكا نفسها في حالة «فيتنام افريقية» • فقد اتضح ـ كما نشرت نيوزويك في عدد ٢٢ ديسمبر ـ أن المخابرات المركزية الامريكية قد قدمت ، بموافقة الرئيس فورد ، أسلحة قيمتها ٥٠ مليون دولار لدعم قوات «فنلا» و «يونيتا» • كما قدمت الحكومة الامريكية طائرات استطلاع يقودها امريكيون انطلقت من قواعد في زائير • وتقول النيوزويك ان صحفيا بريطانيا زار انجولا مؤخرا ، قد اعلن انه التقى بمرتزق أمريكي أخبره بأن ١٥ امريكيا آخرين يقومون بتدريب المتمردين في احد المعسكرات بالادغال • وفي كاليفورنيا نشرت عدة صحف اعلانات تعرض فيها أعمالا للمتطوعين للعمل في انجولا مقابل ١٢٠٠ دولار في الشهر • وفي نيويورك أعلن «مجلس المساواة بين الاجناس» انه علم أن بعض الزنوج الامريكيين العاملين في البوليس قد رحلوا الى انجولا •

وداخل الكونجرس ، أعلن السناتور ديككلارك أن المشكلة في انجولا محصورة بين ثلاث قوى اجتماعية في البلاد ، وليست على النحو الذي تصوره حكومة الرئيس فورد • وجدير بالذكر هنا أن «حكومة المنفى» التي شكلتها «فنلا» و «يونيتا» قد أعلنت برنامجها وأهم ماجاء فيه : اعادة تنظيم مؤسسات الدولة على نحو يحدد شروط استثمار الاموال واستغلال الاراضي وتنشيط الصناعة • ومعروف ان النظام الحالي في أنجولا قد أمم الصناعات الاجنبية ، واقام النشاط الزراعي على اساس نظامي مزارع الدولة والمزارع التعاونية وقيام قطاع عام يتولى الانشطة الاقتصادية الاساسية والغالبة في البلاد ، وتقول النيوزويك نفسها انه قد لوحظ مشاركة الاهالي بحماس في هجوم قوات حكومة انجولا على معاقل «فنلا» و «يونيتا» •

ولم يتضح حتى الان ، هل سينعقد مؤتمر القمة الافريقي الطاريء ، في النصف الاول من يناير ١٩٧٦ ام لا ، رغم موافقة ٣٤ دولة افريقية في منظمة الوحدة ، ٤٦ دولة ، على ذلك • ومعروف أن الصومال كانت قد بادرت الى الدعوة لعقد هذا المؤتمر ، رغم انها قد اعترفت بحكومة أنجولا الشعبية ، الا أنها تهدف الى اتخاذ موقف افريقي موحد يوقف نزيف الدم الانجولي •

اما في مجال العلاقات الانجولية البرتغالية ، فقد صرح لوبو دي ناسيمينتو رئيس وزراء أنجولا الشعبية ، بأن البرتغال «لم تتخذ حتى الان موقفا صحيحا ووديا» من حكومته • ثم أضاف «اننا نقيم علاقات مع المنظمات التقدمية البرتغالية ، الا انه من الضروري ان تتجسد هذه العلاقات الجيدة على الموقف الحكومي» •

ويعتقد المراقبون أن «حالة القلق» التي تعرب عنهـا الحكومة الامريكية بين وقت واخر ، وتلح عليها في دعاياتها السياسية ، توحي بأن أمريكا لن تكتفي بهذه الجولة التي لم ترضيها نتائجها على الاطلاق ■

O

● البرتغــال

اليســار يعيــد ترتيب صفوفه رغم محاولات الحصار اليميني

تشير التطورات السياسية التي شهدتها البرتغال مؤخرا الى أن اليمين قد شدد من ضرباته للقوى اليسارية بعد احباطه انتفاضة العسكريين اليساريين التي جاءت في أعقاب عزل الجنرال «اوتيلودي كارفاليو» من منصبه كقائد لمنطقة لشبونة العسكرية •

وجدير بالذكر أن شخصية «كارفاليو» كانت قد لعبت دورا كبيرا في الماضي القريب في مساعدة الحزبين الاشتراكي والديموقراطي الشعبي ، والقوى اليمنية الاخرى علـى الاطاحة بحكومة «فاسكو جونسالفيش» اليسارية ومهدت الطريق لتشكيل حكومة «ازيفيدو» التي تقلص فيها التمثيل اليساري الى عضو شيوعي واحد وسيطر عليها الليبراليون اليمينيون •

وعلى الرغم من أن عزل «كارفاليو» وتعيين «لورنسو» الموالي للحكومة اليمنية مكانه هو الذي فجرت التحـرك العسكري ، الا انه من ناحية اخرى ليس السبب الرئيسي في تفجر ذلك التحرك • فمنذ فترة غير قصيرة ، كانت القواعد العسكرية تشهد تحركا واسعا لمجموعات العسكريين الثوريين استنكارا للانحراف المتزايد لحكومة «ازيفيد» ونحو المواقع اليمينية وتعبيرا عن تخوفهم من أن يكون هذا السلوك للحكومة تمهيدا عمليا للاستيلاء اليميني الرجعي

على السلطة والاجهاض الكامل لحركة ابريل سنة ١٩٧٤ الثورية .

ولقد بدأ التمرد عندما انقض المظليون اليساريون فى بداية ديسمبر ١٩٧٥ على حكومة الاميرال ازيفيدو واحتلوا ٤ قواعد عسكرية جوية وطالبوا الرئيس جوميش بتطهير القيادة العليا للسلاح الجوى واستبدال حكومة ازيفيدو اليمنية بحكومة يسارية واعادة الجنرال كارفاليو الى منصبه .

وازاء هذا التحرك اليسارى ، قامت الحكومة بارسال الطائرات والدبابات وقوات الكوماندوز التى تمكنت من ايقاف حركة التمرد ، واستولت فى الوقت نفسه على محطات الاذاعة والتليفزيون التى كان قد سيطر عليها الجنود اليساريون ، وفرضت الحكومة الاحكام العرفية على منطقة لشبونة لتشن من جديد حملة تطهير واسعة النطاق فى صفوف القوات المسلحة كان ضمن حصيلتها اعتقال ٦٠ ضابطا يساريا من قادة التمرد .

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد بل اتجه الضباط اليمينيون الذين نجحوا فى افشال التمرد الى بحث امكانية استمرار مشاركة الحزب الشيوعى فى الحكومة الائتلافية .

فمن الواضح لدى المعلقين السياسيين أن هناك محاولة واضحة لابتزاز الحزب الشيوعى فى البرتغال فأما أن يقبل المشاركة « الاسمية » فى الحكومة والكف عن المشاركة فى قرارات المجلس العسكرى الحاكم وعن ممارسة ضغوطه وتحريك المعارضة الجماهيرية ، أو يخرج نهائيا من الحكومة الائتلافية .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى أن موقف الاحزاب اليسارية فى البرتغال قد تميز منذ صدور قرار اعفاء الجنرال «دى كارفاليو » من مسئولية قيادة منطقة لشبونة العسكرية بالحيطة والتحفظ الشديد ، فلم تلجأ الى تحريك الشارع لتطويق حكومة الاميرال «ازيفيدو » والتحرك لنصرة المظليين المتمردين والجنرالات الذين استقالوا أو اقيلوا . ويرى المراقبون أن موقفهم هذا كان يحكمه عاملين :

الاول : الخوف من السقوط فى شرك نصبه لهم النظام ، فلو تحرك اليسار على الفور تضامنا مع درعه العسكرى، لاعطى فرصة ذهبية للراغبين فى تصفيته لضرب جناحى اليسار ، المدنى والعسكرى فى آن واحد .

الثانى : اعطاء الاولوية لضرورة تجنب مواجهة دامية فى هذه المرحلة خوفا من ردة يمينية فاشية .

ولكن على ضوء التدابير التى يتخذها الضباط اليمينيون المسيطرون ضد كافة الفصائل اليسارية بما فيها الحزب الشيوعى ، لابد وان تتجه الفصائل اليسارية الى اعادة النظر فى موقفها من الاحداث الاخيرة ، خاصة بعد أن لقيت حركة التمرد اليسارية تجاوبا فى بعض الدول الغربية كفرنسا وايطاليا ، وظهرت المطالبة باقامة نقابة للعسكريين كالنقابات العمالية والمهنية الاخرى للدفاع عن مصالحهم وحقوقهم . ويرى المراقبون السياسيون أن هذه التحركات لها علاقة وثيقة بالمجموعات الثورية فى الجيش البرتغالى وكلها تستهدف فى نهاية المطاف محاولة السيطرة على الحكم من خلال تحالف القوة العسكرية والعمالية فى البلاد الا أنه من الواضح أيضا أن الولايات المتحدة الامريكية لا تستطيع أن تقف مكتوفة اليدين اذا ما ظهرت أو توفرت فى أى فترة امكانية سيطرة الحزب الشيوعى أو سيطرة تحالف أعرض لقوى اليسار البرتغالى بزعامته على الحكم فى البرتغال . وهذا ما يلوح به هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية فان المخابرات الامريكية التى «دفعت ٨ مليون دولار لخلخلة نظام الليندى » فى شيلى ، مستعدة لدفع اضعاف ذلك المبلغ لمنع النفوذ الشيوعى من اقامة مكان لقدمه فى غرب أوربا ، وعلى شاطىء المحيط الاطلنطى .

ومن هنا يرى المراقبون أن هذا التحول النسبى فى ميزان القوى لصالح اليمين ، من شأنه تصعيد حدة الصراع السياسى ، لان القوى الرجعية قد تندفع بعد هذه الجولة لتحقيق المزيد من المكاسب على صعيد السيطرة على مراكز السلطة ، لان المعارضة اليسارية من القوة بحيث انها قادرة على المقاومة الفعالة لهذا الانحراف التدريجى ■



● باريس

لامواجهة ولا تعاون فى حوار الشمال والجنوب

عندما اعلن السيدان مكنز وزير خارجية كندا وجيريرو وزير خارجية فنزويلا البيان الختامى لمؤتمر حوار الشمال - والجنوب يوم ١٩ - ١٢ الماضى باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية .. والعربية أيضا .. وذلك بصفتهما رئيسى المؤتمر .. لم يجد المعلقون السياسيون جديدا فى ذلك سوى أن اللجنة الرئاسية ستجتمع فى يناير الحالى .. فقد كان الكثيرين يتوقعون أن ينتهى المؤتمر بلا شىء على الاطلاق بل بالفشل الذريع .. الا أن البعض يرى أن ما يحتويه البيان الختامى للمؤتمر الذى عقد يوم ١٦ - ١٢ بقاعة كليبر بوسط باريس .. يغير معنى اللاشىء أيضا فرغم أن البيان حدد الهيئات الدولية التى لها حق الاشتراك فى اللجان التى أقرها المؤتمر « وهى لجنة الطاقة - لجنة التنمية - لجنة التمويل - لجنة المواد الاولية » الا أن تحفظ فى أن تكون هذه الهيئات الدولية أو الحكومية مشتركة فى صورة مراقبين فقط .. ولم يزد البيان الا فى الدعوة لعقد جولة أخرى من الحوار فى أقرب فرصة ممكنة .

ويعتبر هذا المؤتمر هو الاول من نوعه وقد عقد بناء على اقتراح سعودى من أحمد زكى اليمانى وزير البترول السعودى بعد حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ وتطبيق سياسة الحظر البترولى وقد نقله الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان الى الرئيس الامريكى فورد فى اجتماع جزيرة المارتنيك فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٤. وذلك بدلا من فك المواجهة بين الدول المصدرة للبترول ، والمستهلكة ، ورأى ديستان أن يكون شعار المؤتمر هو «التعاون بدلا من المواجهة » .. ويرى المراقبون أن كيسنجر الذى كان قد اقترح المواجهة فى أوائل عام ١٩٧٤ بدعوته لبناء وكالة الطاقة الدولية .. رأى الا يتم التعاون الا بناء على الشروط الامريكية ، وذلك قبل اجتماع المارتنيك ، فى محاضرة القاها بجامعة شيكاجو ، وحدد فيها سياسة الولايات المتحدة، اذا قام الحوار ، وملخصها ان يتم أولا تنظيم الشمال أى الدول المستهلكة ، وثانيا ألا يفتح الحوار الا مع الدول المصدرة للنفط فقط .

ولذا فقد عارض فى اجتماع باريس التحضيرى الاول فى ابريل الماضى فكرة توسيع دائرة الحوار ، وأعلن النائب الاقتصادى له توماس اندرز أن الولايات المتحدة وراء فشل هذا الاجتماع ، وعندما عقد الاجتماع التحضيرى الثانى فى أكتوبر الماضى بباريس أيضا ، ساهم كيسنجر فى عدم وصول المؤتمر الى نتيجة ، حتى لا يفوت على نفسه فرصة عرض برنامجه لتطوير النظام الاقتصادى الدولى فى الدورة الطارئة السابعة للجمعية العامة .. ورغم كل جهود كيسنجر ، فقد توصل المؤتمر التحضيرى لتحديد شكلى لعدد الاعضاء بـ ٢٧ عضوا ولعدد اللجان بأربعة .

وقد تصور المعلقون السياسيون أن هذه اللجان ستنقل مشاريعها الى حيز التنفيذ ، وخاصة لجنة الطاقة التى كان متصورا أن تطالب فيها دول العالم الثالث بربط أسعار النفط،

بعوامل التضخم وتقلبات الاسعار الدولية ، ومحاولة ايجاد قاعدة جديدة ستعامل الدولى ، ولكن قاعدة الذهب ، ووضع حد ادنى لاسعار النفط ٠٠ وأيضا لجنة المواد الاولية التى كانت ستناقش تأثير ارتفاع أسعار النفط والتضخم ، على أسعار المواد الاولية الاخرى ، خاصة بعد قرار الاوبك فى سبتمبر برفع الاسعار ١٠ فى المائة مما حمل الدول المصدرة للمواد غير النفطية ، بما يقرب من ١٫٦٨ بليون دولار ، فوق أعبائها التى وصلت عام ١٩٧٥ الى ١٢ بليون دولار ٠٠ أما فيما يتعلق بلجنتى التنمية والتمويل فقد كان مفروضا أن تنتقل مناقشات مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية ، ومفاوضات اتفاقية التوينة « الجات » ومناقشات اللجنة الاقتصادية للامم المتحدة ، ونتائج الدورة السبعة الطارئة ، الى المؤتمر من أجل الحصول على تخفيض جمركى على السلع المستوردة للدول النامية ، بل والحصول على أسعار أكثر استقرارا بالنسبة لهذه السلعوخاصةالسلعالتكنولوجية والفنية، وأن تقدم العديد من التسهيلات بالنسبة لاحتياجات الدول غير البتروليةالناميةمن الرأسمال اللازموالمقدر بـ ٣٧ بليوندولار عام ١٩٧٦ ٠٠ كان المفروض أن يتم كل هذا ، والا يستغرق المؤتمر وقته فى المناقشات الشكلية والخطب الكلامية ، وقد اقترحت الجزائر العمل الفورى والتعاون الفعلى ولكن يبدو أن المجتمعين كانوا غير راغبين فى التعاون ٠

وقد توقع ذلك الرئيس ديستان منذ افتتاحه للمؤتمر ،وأشار الى انه لا يمكن أن يتم أى تعاون دون وجود الدول الاشتراكية، وبصفة خاصة الاتحاد السوفيتى ٠ كما ان خلق نظام اقتصادى جديد يتجاهل المجموعة الاشتراكية يعتبر خطأ كذلك فان فرض نظام اقتصادى بالقوة يعتبر خطأ أكبر ٠

وأوضح الرئيس ديستان انه اذا أردنا أن نحقق تعاون فعلى فيجب أولا أن يقوم توازن فى التجارة والصناعة والدخل والسيولة النقدية والتمويل بين دول العالم الثالث والعالم المتقدم ٠٠ وبينما كان هذا هو موقف فرنسا الداعية لانقاذ الحوار ٠٠ نجد جيمس كالاهان وزير خارجية بريطانيا يندد بالدول الـ ٢٧ التى حضرت المؤتمر ، وبالتحديد بالدول الستة الكبرى لانها تحاول منع بريطانيا من التعاون فى هذا المؤتمر ، والدليل على ذلك فى رأى بريطانيا موقف دول السوق المشتركة فى اجتماع باربارينى بروما قبل افتتاح المؤتمر بأيام ، والذى عارض منح بريطانيا مقعدا مستقلا ، خارج تمثيل السوق فى حوار الشمال ـ الجنوب ٠ ولذا فان بريطانيا لم تبد حرصها على التعاون ٠٠ كما انها أيضا لا تحرص على المواجهة ، فلها بترولها فى الشمال ، وهى تتوقع أن يصبح انتاجها ، هو ثانى انتاج فى العالم الرأسمالى بعد الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ ٠٠

ولم يكن كيسنجر بقادر على المواجهة ، فهو كما يرى المحللون السياسيون سيدخل معركة انتخابية فى العام القادم وهو بحاجة لكل نصر دعائى له ٠٠ الا أن البرنامج الذى طرحه كيسنجر يثبت أيضا انه غير قادر على التعاون ٠ ففى عشرين صفحة ، حاول كيسنجر أن يشرح سياسته الجديدة وأهم ماجاء فيها هو ضرورة وجود برنامج تنسيقى وفهرسته للاسعار، مع وجود اتحادات جديدة تجمع الدول المصدرة والمستهلكة ليس بشكل دولى بل بشكل نوعى ٠٠ وأشار الى أن الولايات المتحدة بصدد تكوين مثل هذا النوع الجديد بين مستهلكى ومصدرى البوكسيت ، والنحاس ٠

أما فيما يتعلق بمشكلة الطعام بالنسبة للبلدان النامية فانه ستساهم الولايات المتحدة بـ ٦ مليون طن عام ١٩٧٦ على أن تشترك أيضا الدول البترولية بأموالها فى أجهزة الامم المتحدة للتنمية ، وأوضح كيسنجر من ناحية أخرى انه سيبذل جهوده ليتفق مع الدول البترولية على أسعار « حد أعلى » مستقرة كما دعا بشكل دعائى الى أن يجتمع خبراء الدول النامية فى اجتماع البنك الدولى فى جامايكا لبحث المسائل المالية الاخرى بتفصيل أكبر !!

ويرى المراقبون أن كيسنجر يحاول بهذا كسب الوقت لمواجهة معركته الداخلية مع القوى التى تندد بسياسة التعاون ، وتطالب بالمواجهة ، خاصة ان فورد نفسه ،وضع كيسنجر فى مأزق الموافقة على سياسة التعاون ثم هاهو اليوم يطالب بالمواجهة ٠٠ ولذا رأى البعض أن سياسة اللامواجهة ، واللاتعاون ، هى التعبير الفعلى عن موسم الشلل السياسى الاميريكى ،أو بتعبير آخر موسم الانتخابات ■



● الولايات المتحدة الامريكية

ماذا قدمت بكين لفورد غير أسماء الطيارين ؟

ترجع اهمية رحلة الرئيس الامريكى جيرالد فورد الى كل من الصين واندونيسيا والفلبين خلال الفترة من ١ ـ ٧ ديسمبر الماضى ، الى كونها تأتىوسط مجموعة منالتطورات المحلية والدولية تؤثر على تحركات الرئيس الامريكى ٠ ولعل أبرز هذه التطورات بداية السنة الانتخابية الامريكية ، وأفول النفوذ الامريكى فى جنوب شرقى آسيا ، وتبلور سياسة الانفراج الدولى بين الولاياتالمتحدة والاتحاد السوفيتىخاصة بعد انعقاد مؤتمر الامن والتعاون الاوروبى فى هلسنكى ٠

وكان واضحا لدى الرئيس الامريكى قبل بدء الزيارة ـ نتيجة زيارة كيسنجر للصين فى اكتوبر الماضى ـ أن التطور الخاص بالانفراج هو الامر الذى يشغل بال القيادة الصينية، وان انتشار الحركات الثورية فى جنوب شرق آسيا هو ما يشغل بال القيادات فى اندونيسيا والفلبين .ولذلك فقد حرص فورد على أن يحدد موقفه بوضوح من هذه المسائل فى تصريح له قبل بدء الرحلة حيث اعلن انه يسافر الى الصين الشعبية « هذه الامة الكبيرة التى انعزلت عنها الولايات المتحدة ، نتيجة لحذر متبادل ، زهاء ربع قرن » واستطرد فورد « ولسوف نداقع عن وجهة نظرنا كما فعلنا من قبل ولكننا سوف نسعى وفقا لما تمليه الفعالية الامريكية الى زيادة التفاهم بين البلدين » ولكن فورد لم ينس أيضا أن يقرر « أن الابقاء على التفوق العسكرى الامريكى لايزال يمثل افضل ضمان لاقرار السلام فى العالم » !!

وكما توقع الامريكيون فقد اعرب تنج هيساو بنيج نائب رئيس الوزراء الصينى فى حفل استقبال فورد فى رأيه بان واشنطن وموسكو يهددان العالم بخطر صراع عالمى جديد، وان مركز هذا الصراع من الناحية الاستراتيجية هو أوروبا، ثم القى الجانب الاكبر من المسئولية على عاتق الاتحاد السوفيتى ٠ وأوضح بينج « ان الجهود النظرية التى تبذل من أجل الوفاق تعجز عن اخفاء الواقع الرهيب ، المتمثل فى خطر الحرب الذى يتفاقم يوما بعد يوم »

وكان رد فورد على نائب رئيس الوزراء الصينى « ان الولايات المتحدة ستعمل من أجل تحقيق سلاملا تشوبهأوهام» « ان الوضع الحالى يتطلب القوة واليقظة والصلابة ،ولكننا

نواصل أيضا جهودنا من أجل خلق عالم يسوده السلام ونحن باقون على اصرارنا على مقاومة كل ما من شأنه أن يهدد استقلال الاخرين ورفاهيتهم » [!] . ثم عاد فورد وأكد فى ٤ ديسمبر « أن البلدين قد تقاربا منذ أربع سنوات بسبب وحدة المفاهيم والمصالح المشتركة على الصعيد الدولى ومن ذلك على حد قوله « اتفاقنا على عدم السعى لفرض أى نوع من السيطرة ، والمعارضة التامة لجهود بعض الدول من أجل فرض سيطرتها على جزء من العالم » [!] .

ولم يفت كيسنجر ان يستثمر الموقف الصينى وان يطرح امكانية تلاقى وجهتى نظر الصين والولايات المتحدة فى المستقبل . فقد اشار كيسنجر عقب المباحثات مع ماوتسى تونج وتنج هيساو بينج الى وجهات النظر « المتشددة » التى تتبناها الصين فى استنكارها لسياسة الوفاق والتى تؤدى الى حتمية الحرب فقال « نحن لا نقتنع بذلك تماما مثل الصين، ولكن اذا ماتبينت صحة التفسير الصينى للامور، واذا ما حدث توسيع عسكرى فانى اعتقد ان الولايات المتحدة ستنظر الى هذه المسألة بطريقة مطابقة تقريبا لطريقة الصين، ولنترك المستقبل يحدد التقدير السليم فى هذا الصدد » .

ويرى المراقبون انه لم يحدث تطور جوهرى فى المشاكل الرئيسية المعلقة بين البلدين وفى مقدمتها مشكلة تايوان واعادة العلاقات الطبيعية بينهما ، ومشكلة كوريا . فيما يتعلق بالموضوعين الاولين فان كيسنجر أوضح ان حلهما يتطلب بعض الوقت . وأكد الطرفان على ان بيان شنغهاى [الصادر عقب زيارة نيكسون فى فبراير ١٩٧٢] هو وثيقة ذات مغزى تاريخى ، « وهو لا يزال يحتفظ بقيمته كما تدل الوقائع على ذلك » .

ومن المعروف ان بيان شنغهاى اكدت فيه الولايات المتحدة على ان تايوان جزء لا يتجزأ من الصين وان الهدف النهائى هو انسحاب جميع القوات والمنشآت التابعة للولايات المتحدة فى تايوان . اما فيما يتعلق بمسألة كوريا فقد ذكر كيسنجر بأن وجهات نظر البلدين ليست متماسكة ولكن هناك « فهم متبادل » لها .

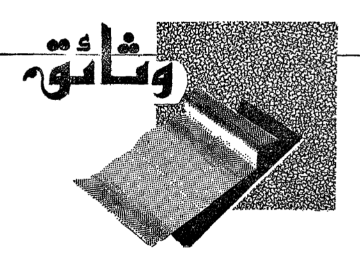
ونتيجة هذه العلاقات الجوهرية فلم يصدر بيان مشترك عن الزيارة . وقد حاول كيسنجر ان يبرر ذلك بأنه «لم نشأ ان نضيع وقتا ثمينا فى اعداد مثل هذا البيان » وان هناك نتائج ايجابية للزيارة تتمثل فى وجود « وجهات نظر متوازية» فيما يتعلق بانجولا وبناء أوروبا والعلاقات بين أوروبا والولايات المتحدة . ويرى بعض المراقبين ان النتيجة الايجابية الوحيدة التى حصل عليها فورد من الزيارة هى حصوله على اسماء سبعة طيارين امريكيين كانوا قد اسقطوا فى المياه الصينية بواسطة الفيتناميين الشماليين [!] .

- وخلال اليومين التاليين لانتهاء زيارة فورد لبكين ، قام الرئيس الامريكى بزيارة جاكارتا ومانيلا حيث اجرى مباحثات مع الرئيس الاندونيسى سوهارتو والرئيس الفلبينى فيردناند ماركوس . وبالرغم من ان البيان الامريكى الاندونيسى المشترك قد ركز على العلاقات الثنائية بين البلدين ، والذى تضمن « اجراء مشاورات مستمرة بينهما على مستوى وزراء الخارجية » و « طمأنة القادة الاندونيسيين على ان الولايات المتحدة ستقدم معونة كبيرة لتشجيع التنمية الاقتصادية فى اندونيسيا » . فان النقطة الرئيسية التى كانت موضع الاهتمام هى الدور الامريكى فى جنوب شرق آسيا فى مرحلة ما بعد انتصار الثورة الفيتنامية . فقد ذكر سوهارتو خلال حفل العشاء « انه لا يزال يشعر بالقلق ازاء احتمال تزايد القتال الذى يسانده الشيوعيون فى المنطقة » ورد فورد بأنه يؤكد الضمانات التى سبق ان التزم بها امام الرئيس سوهارتو بأن الولايات المتحدة سوف تستمر فى الوفاء بالتزاماتها تجاه جنوب شرق آسيا رغم ما حدث فى كمبوديا وفيتنام « وليست هناك فى العالم منطقة تعادل اهميتها منطقة جنوب شرق آسيا بالنسبة لنا » .

وفى الفلبين كان محور المباحثات هو مستقبل القواعد العسكرية الامريكية فى الفلبين والمتمثلة فى قاعدة سوبيك باى البحرية على خليج مانيلا وقاعدة كلارك فيلد الجوية على بعد ٨٠ كيلومترا شمال مانيلا . وتعد سوبيك باى احدى المحطات الرئيسية للاسطول السابع الامريكى ، كما لعبت قاعدة كلارك فيلد التى تمثل القيادة العامة للفرقة الثالثة عشرة الجوية الامريكية دورا هاما خلال حرب فيتنام . وقد تضمن البيان المشترك اقرار الطرفين بالاسراع فى اجراء مفاوضات حول هذه القواعد . وانه من حق الفلبين تولى الدفاع الذاتى عن نفسها تمشيا مع قرار الرئيس ماركوس بعدم التصريح بدخول قوات أجنبية الى الفلبين للدفاع عن البلاد الا فى حالة الضرورة القصوى . واشار البيان الى ان معاهدة الدفاع الامريكية الفلبينية فى عام ١٩٥١ ليست موجهة الى اى دولة اذ انها لم تستخدم الا لتعزيز الدفاع عن البلدين وعن الامن فى منطقة المحيط الهادى والمساهمة فى الحفاظ على السلام العالمى [!!]

- وقد وصف فورد قبل سفره التحالف بين واشنطن ومانيلا بانه اتفاق امن بين حليفين ناضلا سويا [!] وقال الرئيس ماركوس ان الضمان الذى قدمه الرئيس الامريكى بان الولايات المتحدة لن تنسحب من المحيط الهندى ، ومن ثم انها لن تتخلى عن آسيا وعن حلفائها « قد كان تشجيعا لدول آسيا » [!] .

وقد قيم الرئيس الامريكى النتائج التى توصل اليها من رحلته الاسيوية فى ٨ ديسمبر « بان بقاء القوة الامريكية أمر لا غنى عنه لحفظ الاستقرار فى المحيط الهادى » و «ان المشاركة مع اليابان ووضع العلاقات مع الصين فى وضعها الطبيعى بالاضافة الى الحفاظ على القوة الامريكية هى العناصر الاساسية لعقيدة جديدة للسلام فى هذه المنطقة»[!]



كيف يفكر الاشتراكيون في أمريكا اللاتينية

في هذا الفصل من فصول الوثيقة التي توالي « الطليعة » نشرها تحت عنوان : « كيف يفكر الاشتراكيون في امريكا اللاتينية » ، تطرح الوثيقة قضية الاستراتيجية والتكاتيك المتعلقين بالحركة الوطنية والثورية في بلدان امريكا اللاتينية .

اما الاستراتيجية ، فهي بناء الاشتراكية — لكن هذا الهدف الذي لا يزال بعيدا يمر بالضرورة — اولا وقبل كل شيء — من خلال كفاح وطني وثوري ضد الامبريالية ، وضد سيطرة الشركات الاحتكارية العملاقة وتسلط الاقطاعيين من ملاك الغرب او الابعاديات الشاسعة .

غير ان وحدة الهدف [الوصول الى مجتمع اشتراكي] لا تعني — بالضرورة — ان كل الطرق الى الاشتراكية متشابهة او متطابقة . وانما تتعدد وتختلف ومن هنا، فان التاكتيك لابد ان يختلف بالضرورة ايضا — من بلد الى آخر ، وفقا لظروف كل بلد على حدة .

وفي المعارك ضد الاستعمار تطرح باستمرار قضية اشاعة الديموقراطية . وكلا الكفاحين : الوطني والديموقراطي يتطلبان اوسع حشد ممكن لاصحاب المصلحة في تحقيق التقدم . وبالفعل هناك جهة واسعة تضم القوى الاجتماعية التي تنخرط في الكفاح واذا كان العمال والفلاحون وعمال الزراعة يدخلون في نطاق القوى الاساسية والضاربة في معارك الحرية والاستقلال فانه تدخل ايضا قوى الحرفيين وصغار اصحاب الاعمال ، بل ان من الخطأ ايضا ان تحرم الحركة الوطنية من الدور الذي يمكن ان تلعبه بعض قطاعات البورجوازية [الراسمالية] في النضال المعادي للامبريالية ، فهذه القطاعات — كما تقول الوثيقة — تمثل جزءا لا يمكن الاستغناء عنه في هذه المعركة المعقدة وذات الجوانب المتشعبة وذلك الكفاح المعقد والعسير وذي الاشكال المتنوعة » .



الاوضاع الحالية والتاريخية فى أمريكا اللاتينية تحسم القول بأن المعركة العظيمة التى تواجه شعوبها ستكون المعركة الثانية والنهائية فى سبيل الاستقلال .

ولكن استقلال أمريكا اللاتينية يجب الا يفهم الان على أنه مجرد استمرار للاهداف التى الهمت الابطال والشعوب فى بداية القرن التاسع عشر — تلك الاهداف التى كان مصيرها الواضح الاحباط . ذلك اننا فى لحظة تاريخية خطا فيها جزء كبير من البشرية نحو بناء الاشتراكية . ويسير الاتحاد السوفييتى قدما نحو تحقيق المجتمع الشيوعى . وفى نفس الوقت تواجه الرأسمالية — كنظام، أزمة اجتماعية واقتصادية عميقة ، تحاول حيالها الامبريالية — وهى التى تمت ادانتها وحصارها — أن تعوق عالم المستعمرات والعالم التابع الذى يفلت منها بتقديم أساليب من الاستعمار الجديد للسيطرة تساهم فى تخفيف أو تأجيل أزمة النظام الامبريالى .

ولن يجد فلاحو وعمال أمريكا اللاتينية والعمال الاخرون حلا كاملا لمشاكل البطالة والبؤس والاجور المنخفضة والجهل والتعطش الى الارض وعدم المساواة الاجتماعية بمجرد القضاء على الاستغلال الاجنبى لبلادهم . وسوف يبدأ الحل الحقيقى لهذه المشاكل بالقضاء على استغلال جميع كبار الملاك والبورجوازية، هذا الاستغلال الذى تشتد حدته عندما تجد هذه البلدان أن عليها أن تنافس — فى ظل ظروف غير مواتية — الشركات الامبريالية التى تكاد أن تكون كونية والتى تفرض سيطرتها على السوق العالمية .

وبينما أعطى كل من الاتحاد السوفيتى وكوبا . وهما مجرد تجربتين مختلفتين فى الامتداد والموقع — المثل للتطور الاقتصادى التقدمي رغم الاعتداءات الخارجية والحصار ومحاولات الابقاء على التخلف التكنولوجى الذى حاولوا منذ نصف قرن تقريبا أن يخنقوا به الاشتراكية الوليدة ، وهى نفس الوسائل التى يستخدمونها حاليا للوقوف فى وجه كوبا الثورية ، فانه ليست هناك حالة واحدة من التطور الاقتصادى والاجتماعى الناجح فى بلاد آسيا أو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية بين تلك البلاد التى حاولت تحقيق هذا التطور من خلال الطرق التقليدية للتطور الرأسمالى .

وليس فى استطاعة التطور الاقتصادى تحقيق السرعة التى تحتاج اليها بلادنا لايجاد حلول لمشاكلها الخطيرة من التخلف والبطالة والبؤس والامية ، بدون المشاركة الحاسمة لقوى الشعب ولقوى العمال وعمال الزراعة والفئات الوسطى فى الريف والمدينة . ولن تصل شعوبنا — وهذا مايبينه مثال كوبا — الى هذه الدرجة غير العادية من التعبئة الا من خلال التعبيرات العميقة التى تثبت — فى الواقع العملى — لعمال الريف والمدينة وللمثقفين والمهنيين — أن الثورة ثورتهم .

ونحن نعتبر أن الاشتراكية هى النظام الاوحد القادر على ضمان تطوير أمريكا اللاتينية بالسرعة التى تحتاج اليها بلادنا. ولقد أثبتت كوبا للشعوب الشقيقة أنه يمكن — فى أيامنا هذه — أن تبنى الاشتراكية فى ظل الظروف القائمة فى القارة الامريكية ، وأنها تستطيع ان تعرض انجازاتها المظفرة ، ان الاشتراكية هى هدفنا الذى لا نحيد عنه ، ومع هذا فنحن ندرك أن الاشتراكية سوف لاتصبح برنامجا مباشرا لجميع بلدان أمريكا اللاتينية الا من خلال مرحلة من الصراعات العنيفة والتعبيرات الجذرية، ومن التجارب المباشرة للعمال، ومن الكفاح الايديويولوجى الدائب والعنيد لجميع من يتطلعون الى اقامة الاشتراكية بهدف هزيمة الاراجيف الايديولوجية والبلبلة الفكرية التى زرعتها الامبريالية ، وحكومات الاقلية بين فئات من قوى شعوب أمريكا اللاتينية من خلال سيطرتها على أجهزة الاعلام والثقافة الجماهيرية .

وفى نفس الوقت يتضح أن شعوب أمريكا اللاتينية لن تتمكن من تحقيق تقدم حقيقى بدون اسقاط الممثلين السياسيين للطبقات والفئات التى تتحالف مع الامبريالية . كذلك لن تتمكن من احداث تغييرات اقتصادية واجتماعية جوهرية فى بلادنا — فضلا عن السير فى طريق تحقيق الاشتراكية — بدون انزال الهزيمة بالقهر الذى تمارسه امبريالية الولايات المتحدة فى كل بلد من بلادنا ، وبدون التخلص من سيطرة الشركات ذات الجنسيات المتعددة .

وترتبط معركة تحقيق الديمقراطية للجماهير والكفاح فى سبيل اجراء التغييرات الهيكلية ومن أجل الانتقال الى الاشتراكية ، ارتباطا وثيقا بالكفاح ضد الاحتكارات وضد الامبريالية التى تدعم وتساند الطغمة المالية وحكوماتها فضلا عن أنها تفرض سيطرتها على ثرواتنا .

وبما أن امبريالية الولايات المتحدة هى العدو الرئيسى والمشترك، بأن استراتيجيته وتاكتيك الثورة فى أمريكا اللاتينية — بالنسبة لنا نحن الذين نعى أن تلك الثورة تهدف فى النهاية الى اقامة الاشتراكية —

انما يتم تطبيقها من خلال معاداة الامبريالية

لهذا فنحن نقيم المواقف السياسية للقوى الاخرى فى أمريكا اللاتينية أساسا من خلال مواقفها حيال هذا العدو . ودون الفض من أهمية الكفاح من أجل الحقوق الديمقراطية واقامة أنظمة جديدة داخل بلادنا ، فاننا نحن المجتمعين هنا — على استعداد لمساندة وتأييد مواقف حكومات بلاد أمريكا اللاتينية التى يمكن أن تتخذ مواقف الى جانب المحافظة على مواردنا، ومساندة الجهود التى تبذل فى سبيل وضع نهاية لادعاءات الشركات ذات القوميات المتعددة التى تستهدف الحفاظ على سيطرتها على اقتصاديات بلادنا وزيادة هذه السيطرة .

ومن الصحيح أن اجراءات الدفاع عن الاقتصاد القومى لا تكون دائما مصحوبة بسياسة معادية للامبريالية عداء أصيلا، وفى بعض الاحوال فان التيار القومى الذى تعبر عنه البورجوازية بالتحديد هى التى — لايطمح الى تحويل الاقتصاد القومى ، كما أنه لا يأتى بالحكومة التى تحقق هذا الطموح وتضعه موضع التنفيذ فى مواضع تقدمية بالنسبة للمشاكل الاساسية المثارة فى أيامنا هذه وانما يمكن أن تتحول القومية الى مواقف معادية للامبريالية وثورية بقدر ما تساهم القوى الشعبية مساهمة حاسمة فى الصراع ، وبقدر تفاهم التناقضات التى تقوم بين الحكومات القومية والامبريالية .

وهناك بلاد يرتبط فيها الدفاع عن مصادر الثروة القومية والتصميم على استعادة الاقتصاد من الشركات المتعدده الجنسية، ارتباطا فعليا ببرامج التحول الاجتماعى. وكلما ذهبت الحكومات الى مدى أبعد فى تأميم الثروة التى تفرض الامبريالية سيطرتها عليها وكلما طبقت هذه الحكومات برنامجا شعبيا لتطوير الاقتصاد القومى، وذلك مثل مايحدث فى بيرو — أصبح من الممكن للشيوعيين — كما يفعل هؤلاء هناك — أن يمنحوا أقصى التأييد لهذه الاجراءات . فكون أن لدى الشيوعيين مفهوما للتطور الاجتماعى يختلف من ذلك الذى يوجه هذه البرامج ، لا يؤدى الى اضعاف تأييدهم لمواقف تلك الحكومات ، كما أن ذلك لن يكون حائلا دون مواجهة مشاكل المستقبل معا .

ان الكفاح ضد الامبريالية الذى سوف يرسى دعائم الاستقلال النهائى لامريكا اللاتينية يجبر ويحتاج الى مشاركة أوسع الفئات الاجتماعية ، ويقع عبء الدور القيادى فى هذا الكفاح على عاتق الطبقة العاملة ، ويقف عمال الزراعة الى جانبهم كحلفاء طبيعيين : تلك هى الطبقات الاجتماعية التى تتطلع الى أحداث أعمق التحولات .

ورغم أن التطور الرأسمالى فى بلاد أمريكا اللاتينية قد تم فى ظل سيطرة الامبريالية والتبعية لها ، الا أنه أوجد

تعديلات هامة فى التركيب الاجتماعى للبلاد المختلفة .

ويبدو نمو الطبقة العاملة فى الريف والحضر واضحا كل الوضوح ، فعدد العمال الاجراء يتعدى حاليا الخمسين مليونا ويمثل أكثر من ستين بالمائة من التعداد المنتج اقتصاديا فى القارة ، وما يقرب من نصف هؤلاء العاملين بالاجراء يتكون من العمال الزراعيين . كذلك تغير تركيب الطبقة العاملة وتزايد تركيزها فى المصانع الكبيرة . وجميع هذه الظواهر تنعكس على تزايد دور البروليتاريا كقوة انتاجية واجتماعية سياسية أساسية .

وفى نفس الوقت، تقوم الطبقة العاملة بتحسين تنظيمها وتهيىء نفسها لتكون القوة الاجتماعية القادرة على تحديد الصورة السياسية فى البلدان المختلفة فى أمريكا اللاتينية، كما نتجه البروليتاريا الى أن تصبح العامل الاساسى فى توحيد الفئات الاجتماعية الديمقراطية والمعادية للامبريالية .

ان الكفاح لتحقيق التحرير الوطنى والاستقلال الاقتصادى الوطنى التام يرتبط بالكفاح الطبقى الحاد ضد الاستغلال الرأسمالى وأساسا ضد الاحتكارات والابعديات المحلية والاجنبية . فتحت نير راس المال تتزايد وطأة استغلال الطبقة العاملة والاجور التى تقتصر على سد الرمق ونسود فى أماكن كثيرة من أمريكا اللاتينية . أما الجزء من الدخل القومى الذى يصل الى الطبقة العاملة يتناقص باستمرار ، كما يتناقص الاجر الفعلى نتيجة التضخم واستمرار تزايد تكاليف المعيشة .

وتعين الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية الزاخرة بالاعمال النضالية والبطولية للطبقة العاملة ، بوضوح أن هذه الطبقة تجسد أيضا أصلب مبادىء التضامن مع كفاح الشعوب الاخرى ضد الامبريالية وفى سبيل انتصار ثورة التحرير الوطنية من أجل الديمقراطية والاشتراكية .

لقد ساعد التطور الرأسمالى كذلك على نمو جيش الاحتياط الاجتماعى المكون من ملايين العاطلين والفلاحين المعدمين الذين يهاجرون من المناطق الريفية ويهيمون فى مراكز الحضر الكبرى فى القارة .

ويكون العمال الزراعيون وأنصاف البروليتاريا والفلاحون المعدمون وصغار الملاك والمزارعون الذين يستغلون الارض لمصلحة الملاك مقابل جزء من المحصول وجميع الفئات التى أصابها الفقر فى ريفنا هؤلاء جميعا يكونون احتياطيا بشريا ذا قوة تتوافق مصلحته مع تغيير نظام ملكية الارض ومع التغيير العميق فى الحياة السياسية والاقتصادية فى بلادنا . فالاستغلال والبؤس اللذين يعيش فى ظلهما كل هؤلاء يدفعان بهم الى مواجهات طبقية متعددة تكون جزءا من الكفاح التحريرى .

ان عدم كفاية الاقتصاد الزراعى والعقبات الموضوعة فى وجه التطور الصناعى تمنع امتصاص العمل الجديد الناتج عن حركة الجماهير من سكان الريف الى المدن . وهذا يحدد نمو قطاعات اجتماعية لا تقوم بأعمال ثابتة ولا تجد منازل للسكنى ، وتفتقر الى أسباب الحياة . هذه القطاعات تحيا حياة البلادة فى الاحياء البائسة فى المدن الكبيرة ، مما يجعل هذه الاحياء تتزايد زيادة تخرج عن نطاق السيطرة فى بلاد كثيرة .
ان المأساة الاجتماعية لهذه الشعوب، هؤلاء الذين يعيشون فى العزب والكفور والقرى البائسة والجحور .
تكون واحدا من المظاهر الصارخة للظلم والاستغلال والقهر التى تتسم بها الرأسمالية .

ويمكن — بتوجيه تقوم الطبقة العاملة — أن تستنقذ قطاعات هامة من هذه الجماهير من براثن التأثير المضلل الذى يمارسه أصحاب النفوذ من العناصر البورجوازية الصغيرة ومن العناصر الرجعية . كما أنه يمكن تنظيم — هذه القطاعات ليس بهدف المطالبة بحلول لمشاكلها العاجلة فحسب ، بل كذلك بهدف اشراكها فى الكفاح الثورى ضد الامبريالية .

ولقد خلق التركيب الاقتصادى لامريكا اللاتينية فئات وسطى عريضة لا يقتصر تكوينها على الحرفيين وأصحاب الاعمال الصغار ، وانما تضم كذلك عناصر تأتى من قطاع الخدمات الذى تتزايد أهميته فى اقتصاديات القارة. ان عدم الاستقرار الاجتماعى عامل من العوامل التى تجر هذه الفئات الى الاشتراك فى النشاط السياسى بنفس الطريقة التى يعمل بها الطلبة والمثقفون والفنيون [التقنيون] ... الخ ، وفى بعض الحالات ينضمون الى الطليعة الشيوعية والحركات الديمقراطية والمعادية للامبريالية ، وفى حالات أخرى يكونون مجموعات تكون راديكالية البورجوازية الصغيرة النموذجية احدى سماتها الجلية الواضحة . كما يكونون كذلك مجموعات رجعية تتسلل اليها وكالات المخابرات المركزية وتستخدمها حكومات الاستبداد كفرق صدامها . لقد لعبت هذه الفئات فى شيلى دورا هاما فى خدمة الانقلاب الفاشى . وهذه الحقائق جميعا تؤكد الحاجة الى الكفاح العنيد لكسب الفئات الوسطى الى مواقع البروليتاريا ، واضعين فى الاعتبار الدور الديناميكى الذى يدعون الى القيام به فى جميع أرجاء أمريكا اللاتينية .

والمثال الذى تضربه حكومات أمريكا اللاتينية التى تقاوم الان الامبريالية وتحاول تنفيذ برنامج لانقاذ بلادها ، يوضح أن الكفاح من أجل حركة تحرير أمريكا اللاتينية المعادية للامبريالية يمكن أن يعتمد على قوى اجتماعية وعناصر أخرى تقف — بسبب تناقضها مع الامبريالية — موقف الحليف ، ولا يمكن للقوى التقدمية الا أن تعمل حسابها .

لقد خلقت العملية الاقتصادية التى جرت فى بلاد أمريكا اللاتينية وصفا أصبحت فيه المستويات الاعلى لبورجوازية هذه البلاد ترتبط وتعتمد فى نموها الذاتى وازدهارها على الامبريالية للدرجة التى جعلتها فى الحقيقة جزءا من عملية السيطرة الامبريالية فى بلاد هذه البورجوازيات . وهذا ما حدث فى كوبا بالنسبة لبورجوازية الاستيراد والسكر . وهو ما يحدث اليوم بالنسبة لجزء كبير من برجوازية المكسيك والارجنتين وكولومبيا والبرازيل ، التى تقاسم مواقع احتكارية مرتبطة بسيطرة هذه الاقتصاديات عن طريق شركات امبريالية وهذه البورجوازات التى رمت علم القومية عن التبعية وتعارض الحركة المعادية للامبريالية . وحتى فى الحالات التى تنشأ فيها خلافات أو تحدث صدامات بين هذه البورجوازيات الاحتكارية وبين شركائها من الامبريالية ، تدفع المصالح الطبقية لهذه البورجوازيات الاحتكارية الى محاولة حل هذه الخلافات وتصفيتها بطريقة ودية
وفى نفس الوقت تعارض هذه البورجوازيات جهود الحكومات التى تحاول قطع الروابط بالسيطرة الاجنبية التى تخنق بلادها . ان بعض قطاعات هذه البورجوازية تنضم الى كبار ملاك الارض المرتبطين بها اقتصاديا . وذلك بهدف تكوين أوليجاركية محلية تقف الى جانب الامبريالية وضد مصالح الطبقة العاملة والفلاحين والطبقات الوسطى والفئات الاخرى من البورجوازية التى ترتبط مصالحها بتنمية السوق الداخلية وبالتقدم الوطنى .

على أن هذه الحقيقة التاريخية لا تعنى أنه لا توجد قطاعات من بورجوازية أمريكا اللاتينية تتخذ مواقف — نظرا لتناقض مصالحها مع مصالح الامبريالية — تتفق ومواقف البروليتاريا والفلاحين والطبقات الاخرى غير الرأسمالية فى معاركها ضد الامبريالية بهدف تحقيق الاستقلال الاقتصادى واستكمال السيادة الوطنية . هذه القطاعات من البورجوازية يمكن . تبعا لذلك ، أن تلعب دورا فى العمل الموحد الديمقراطى والمعادى للامبريالية بجوار القوى الشعبية . وتولى الاحزاب الشيوعية ، وجميع من يحاربون الامبريالية ويعملون من أجل التقدم الاجتماعى فى أمريكا اللاتينية ، أهمية عظمى لهذا الاحتمال، واضعين فى اعتبارهم

انه يمثل عنصراً موجوداً بدرجات متفاوتة من القوة والاهمية فى البلدان المختلفة . ومع هذا فهويكون جزءا لا يمكن الاستغناء عنه فى هذه المعركة المعقدة وذات الجوانب المتشعبة وذلك الكفاح الممتد والعسير وذى الاشكال المتنوعة .

ومن الخطأ كذلك تجاهل الحدود التى تذهب اليها تلك القطاعات من البورجوازية فى مشاركتها فى العمل ضد الامبريالية والتردد الذى يصيبها أثناء هذه المشاركة. ففى أمريكا اللاتينية فقدت البورجوازية — منذ وقت بعيد — امكانية أن يكون لها الدور القيادى الذى يخص البروليتاريا فهى لا تستطيع الاستمرار فى المعركة الجديدة من أجل الاستقلال الى آخر الشوط — فاندماج القوى والمنظمات التى تمثل تلك القطاعات من البورجوازية مع الجبهة الواسعة المعادية للامبريالية وفى الكفاح المناهض لحكم الاقليات فى غاية الاهمية ، ولكنه لن يتم ابدا على حساب التحالف الاساسى بين العمال والفلاحين الفئات الوسطى ، ولا على حسابه الاستقلال الطبقى للبروليتاريا ولصالح المساومات المتبادلة .

وفى الاعوام الماضية حدثت تغييرات أيديولوجية وسياسية واجتماعية بين قوى ذات أهمية ، كانت فى الماضى أدوات فى خدمة الاوليجاركية والامبريالية وأضحت الان عنصرا من عناصر التقدم بل من عناصر الاحتياطى الثورى ويمكن ادراك هذه التغيرات داخل بعض القوات المسلحة فى أمريكا اللاتينية ، فالحركة ذات المصدر والمضمون الثورى التى تقودها خلايا هامة من أعلى رتب القوات المسلحة فى بيرو والتى تأخذ طريقها الى الظهور ، والحركة التى اسسها قادة الحرس الوطنى والتى يشتد عودها حاليا فى بناما ، هما دليل واضح على تفاقم الازمة العامة التى يمر بها نظام القهر الامبريالى وعلى تعاظم ونمو الوعى الوطنى .

وتتزايد الصعاب التى تواجه الامبريالية فى اقناع الشعب أن الكبت الداخلى اية علاقة بحماية السيادة الوطنية والحفاظ على وحدة التراب الوطنى ، وأنه لا توجد علاقة لهذا الكبت بالاحتفاظ بامتيازات أقلية محظوظة من المواطنين والاجانب . ولن يكون من السهل على الولايات المتحدة أو منظمة الامن الامريكية OAS أن ترسل قوات من أمريكا اللاتينية كما فعلت منذ أقل من عشر سنوات خلال التدخل العدوانى الذى قامت به امبريالية الولايات المتحدة ضد جمهورية الدومنيكان ، وهو العدوان الذى رفضه ببطولة القطاع الدستورى فى جيش الدومنيكان .

أن العملية التى تتم داخل القوات المسلحة عملية معقدة ، فالامبريالية تزيد بكل الطرق من نشاطها داخل القوات المسلحة بهدف استخدام العناصر الرجعية ، وبهدف خلق انطباع زائف بين الضباط الذين يجيئون من اصول شعبية بأن بامكانهم أن يتحولوا بسرعة الى بورجوازية وذلك فى محاولة لافسادهم وفى مقابل تطور الكفاح الشعبى ، تشجع الامبريالية الانقلابات العسكرية لاقامة دكتاتوريات رجعية أو فاشية . ولكن فى هذه العملية ، بابعادها القوات المسلحة من الثكنات وتحويلها الى المشاركة فى الحياة المدنية، وبتلويث اياديها بدم مواطنيها العمال والفلاحين ، وبتحويل أولئك الذين تدربوا على حمل السلاح للدفاع عن أرض الوطن الى ادوات تعذيب ، يفاقم الامبرياليون من الصراع الايديولوجى داخل القوات المسلحة . فهؤلاء الضباط الذين يحسون أن الطغمة المالية الذين يمسكون بزمام السلطة السياسية يخونون المبادىء الوطنية التى وصفها الكثيرون منهم ، يدركون أن المنطق والحق لا يقفان الى جانب أولئك الذين كان هؤلاء الضباط قد وقعوا الى جانب الدفاع عن امتيازاتهم

وبعد أن يكون رجال الجيوش فى أمريكا اللاتينية قد شربوا سم العداء للشيوعية من خلال الدورات التثقيفية التى يتلقونها فى الثكنات تدفع حقائق الحياة قطاعات متزايدة منهم الى اكتشاف الاكاذيب التى كانت قد أحاطت بهم ، والى افلاس سياسة العداء للشيوعية نظريا وفى التطبيق .

أما المسيحيون ، وخاصة الكاثوليك ، والطبقات السفلى من رجال الدين وحتى بعض ممثلى الفئات العليا من الكهنوت فتتزايد مشاركتهم العملية فى كفاح الشعوب من أجل مطالبها وفى سبيل التقدم الوطنى والاجتماعى . وتشجعهم على هذا الموقف فكرة أن الكنيسة تقف الى جانب الشعب ، مثل ما يحدث فى البرازيل وبلاد أخرى ، وأن الكنيسة ترفض كذلك الالتزام بمواقف الرجعية والامبريالية ويفرض المتحدثون بلسان الكنيسة فى الكلام ضد الازهاب الفاشى وتأييدا للحقوق الديمقراطية والتقدم الاجتماعى .

وتؤدى حركات الناس العاديين والقسس الذين يستشعرون مشاكل العمال وقضايا أوطانهم دورا هاما ، كما يتعلم هؤلاء من خلال تجاربهم الشخصية الحاجة الى الوحدة فى العمل ضد الاعداء المشتركين . وفى بعض الاحيان يتحولون الى ماديين ، مثل كاميللوتوريز الذى ضرب مثلا رائعا من البطولة وسقط فى عملية من عمليات حرب العصابات ووقف موقفاً صريحاً ضد العداء للشيوعية وكان داعية لا يهدأ الى وحدة الشعب .

ان تعاظم كفاح الشعب قد فرض ان توجد — بشكل عام — ثلاثة تيارات داخل المسيحيين فى أمريكا اللاتينية : التيار المحافظ والتيار الاصلاحى والتيار الطليعى . ويمثل التياران الاصلاحى والطليعى الاغلبية الساحقة ، وفى جميع البلدان يمكن ويجب العمل معهم . ان الحواريين المؤمنين وبين الماركسيين ييسر السير فى اتجاه وحدة العمل فى الكفاح من أجل اجراء التغييرات المضادة للامبريالية ولحظر الفاشية ، ويضع الاساس لتحالف ثابت يؤدى الى بناء مجتمع جديد .

وفى سياق المعارك التى تخوضها شعوب أمريكا اللاتينية يكتسب الدفاع من المؤسسات الدستورية وحقوق الشعب أهمية خاصة فالتحرير الوطنى التام الذى يتضمن انزال الهزيمة بحكومات الاستبداد وازاحتها من مواقع السلطة ، يرتبط برباط لا ينفصم بالعمل لتحقيق ديمقراطية صحيحة .

لقد دافعت القوى التقدمية ، ومن بينها الشيوعيون ، دائما عن اية امكانيات ديمقراطية وبرعايته وتمكنوا فى بعض البلاد من أن يصلوا بالشعب — لفترات طويلة — الى البرلمان على الرغم من الخداع والعنف الرجعى ، . وهو الامر الذى سمح باستخدام ذلك المنبر الى جانب الاعمال التى تمارس خارج البرلمان . ان التجربة التى تمت فى شيلى والتى جاءت بأحزاب الوحدة الوطنية الى الحكم من خلال الانتخابات تبين أن الاشكال الديمقراطية يمكن تطويرها بواسطة الطبقة العاملة والشعب ، وهى تؤكد فى نفس الوقت افتقار الامبريالية وحكومات الاستبداد العام الى احترام الارادة الديمقراطية للشعوب .

ولقد كان القضاء على الحقوق الديمقراطية للطبقة العاملة وللشعوب ، واستخدام الجنود ضد الحركة العمالية ، واقامة حكومات الاستبداد الوحشية ، أمما لاغنى عنها للتكتيك الذى اتبعته الامبريالية وحكومات الاستبداد فى أمريكا اللاتينية فى صراعها من أجل الحفاظ على سيطرتها على القارة .

وفى الاعوام القليلة الماضية أدى نمو ادراك العمال والفلاحين ، واتجاه الفئات الوسطى الى الراديكالية ، وتزايد انضمام القطاعات المسيحية الى اليسار، وتعاظم رفض العناصر العسكرية فى بعض البلدان الاستمرار فى القيام باضطهاد وقهر اخوتهم فى الوطن ، أدى كل ذلك الى تعميق أزمة السيطرة الامبريالية فى أمريكا اللاتينية ، وهى الازمة التى بدأت مع الثورة الكوبية . ومع استمرار

هذه الازمة يتزايد كفاح الشعوب فى كل صوره ، ولهذا تلجأ الامبريالية ومفكروها ومن يضعون أنفسهم فى خدمتهم — دون التخلى عن الوسائل المقنعة كلما سمحت الفرصة لهم باستخدامها — الى اللجوء الى وسائل متزايدة فى الحدة واقامة حكومات تصل فى وحشيتها الى مستوى تلك الحكومة التى أقاموها فى شيلى . وتقدم امبريالية الولايات المتحدة ؛ وهى التى تساعد تلك الانظمة — اجهزة القمع لتقوم بالتدريب على القيام بأبشع القطاعات .

وتؤكد الضربة الاجرامية التى وجهت الى شيلى الاهمية العظمى لجمع الشمل وضم الصفوف من أجل الدفاع عن الديمقراطية وللوقوف فى وجه تهديدات الفاشية فى أمريكا اللاتينية من أجل الوحدة وفى سبيل الكفاح المعادى للامبريالية .

ولقد كانت العلاقة بين المعركة فى سبيل الاشتراكية وفى سبيل المطالب الديمقراطية قائمة وواضحة منذ الايام الاول عندما طرح ماركس وانجلز نظريتهما عن مشاركة الحركة الشيوعية الاوربية البدائية فى ثورتى عامى ١٨٤٨ و١٨٥١ من أجل مقرطة وتحرير أوربا . ولقد طور لينين بعبقريته نظرية هذه العلاقة الحميمة والتى أكد عليها فيما بعد فى المؤتمر السابع للدولية الشيوعية .

ونطمح — نحن فى أمريكا اللاتينية — الى اقامة ديمقراطية حقيقية لشعوبنا : ديمقراطية ترتكز على قوة الطبقة العاملة والشعب — وعلى الحرية الكاملة فى القضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج الاساسية ، أى ديمقراطية اشتراكية . ومع ذلك فلسنا ولا يمكن أن نكون فى موقف يسوى ولا يفرق بين المواقف الديمقراطية النسبية حتى لو لم تكن تستجيب للديمقراطية الحقيقية التى نتطلع الى تحققها .

ولسوف نضم نحن الشيوعيين جهودنا الى جهود جميع الديمقراطيين وجميع أولئك الذين يقفون فى وجه وحشية الفاشية مثل فاشيات بينوشيه وبانزير وسوموزا وستروسنر ولوجيرود والطغمة الرجعية البرازيلية ودفاليير وبورد ابيرى وفى نفس الوقت نعارض الموقف الذى يقول ان الدفاع عن الديمقراطية البورجوازية ضد خطر الفاشية لابد أن يؤدى الى التخلى عن التقدم الاجتماعى والى قبول وضع غير عادل .

ان وحدة النضال من أجل الديمقراطية ترتبط جدليا بالهيكل الاوسع للوحدة الثورية ضد الامبريالية . ويفرض الطريق الى التحولات الثورية فى أمريكا اللاتينية صراعا مشتركا ودؤبا ، صراعة ينمو فيه كجزء من نفس العملية — الصراع ضد الفاشية ومن أجل الدفاع عن الديمقراطية والكفاح ضد الامبريالية وحكومات الاستبداد والمشاركة الفعالة للشعب فى حماية حياته السياسية .

٧ ترتبط المعارك الجارية والمستمرة من أجل تحقيق آمال الجماهير الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ارتباطا وثيقا بالجهود المبذولة فى سبيل تحقيق التحرر الوطنى والاجتماعى . ويبقى الشيوعيون على صلة بالجماهير فى الحركة النقابية ، يتفهمون مشاكلهم الملحة ويساهمون فى صياغة مطالبها ويضفون على معاركها محتوى طبقيا حقيقيا .

وتساعد الوحدة النقابية ، عندما تمارس وتفهم على أنها توسيع للمعارك التى تضم جميع قوى الحركة النقابية ، وكما أثبت ذلك الكثير من التجارب — تساعد على ضم جيوش المقاتلين الجدد من العمال وغيرهم الذين يأتون من فئات اجتماعية متباينة الى هذا الكفاح من أجل التقدم الاجتماعى .

والحركة النقابية جزء اساسى من قوى الكفاح فى سبيل التحرر الوطنى والاجتماعى لبلادنا . ولا يمكن ان توجد ديمقراطية دون احترام حقوق الطبقة العاملة . فالحرية النقابيه وحرية الاحزاب والديمقراطية النقابية واستقلال الحركة النقابية جزء من مصالح القوى الديمقراطية والمعادية للامبريالية . وبناء حركة نقابية قوية ومنظمة ومتحدة ، ابتداء من المصانع وانتهاء بأعلى المستويات ، واجب حيوى .

ووحدة العمل شرط ضرورى لتعزيز وحدة الحركة النقابية ، ويتم تحقيقها بالجهد المشترك الذى يقوم به جميع من يهمهم الدور الطبقى والتاريخى الذى تقوم به الطبقة العاملة ، والقضاء على الانقسام ذو اهمية فائقة ليس فقط بالنسبة للطبقة العاملة بل لكل الحركة الديمقراطية والتقدمية ، وهى تقتضى القضاء على سياسة العداء للشيوعية .

والكفاح لاقامة اصلاح زراعى ديمقراطى ،يرتبط فى غالبية بلادنا ارتباطا وثيقا بالكفاح من أجل التحرر الوطنى والاجتماعى ، هو واجب الحركة الديمقراطية والثورية بأكملها ، وهو أحد العناصر الاساسية فى الحلف العمالى الفلاحى .

ويهدف الاصلاح الزراعى الديمقراطى اساسا الى : القضاء على الملكيات الخاصة الكبيرة ، وعلى الاشكال شبه الاقطاعية للاستغلال ، ومنح الارض مجانا لمن يفلحونها ، وتحقيق أشكال متقدمة من الانتاج تسمح — فى نفس الوقت الذى نضم فيه جماهير زاخرة من الفلاحين الى الاقتصاد — بنمو سوق داخلية لا غنى عنها للتصنيع الذى يمكن أن يساهم فى التنمية الاقتصادية المستقلة ولكن ثبت علميا أن برامج الحكومات البورجوازية لتغيير بنية وتركيب ملكية الاراضى عن طريق بيع الارض للفلاحين بالاجل أو عن طريق استصلاح الاراضى الفاصلة لا يحل المشكلة الزراعية . وانما بالعكس سيحيلها الى عملية تدر الربح على البورجوازية التى تملك الاراضى والاحتكارات الامبريالية وتحولها الى مناورات لاحباط العمل النضالى فى سبيل اقامة اصلاح زراعى حقيقى .

ويرتبط الدفاع عن التقاليد الثقافية والوطنية التى تتخذ منها الامبريالية موقف الهجوم والتشويه بممارسة الضغوط الايديولوجية ، يرتبط هذا الدفاع بعلاقة متبادلة بالكفاح العام فى سبيل التحرر .

وتخضع الثقافة الرسمية لمصالح

الاقليات الرجعية المرتبطة تماما بالنماذج التى أقامتها امبريالية الولايات المتحدة ويزداد الامر سوءا فى ظل الانظمة الفاشية مثل تلك القائمة فى شيلى حيث الهدف هو القضاء على كل مظاهر ثقافة الشعب التقدمية .

ويستلزم تحقيق المطالب الديمقراطية فى مجال الثقافة توسيع امكانيات التدريس ومقرطة عملية التربية وتيسير الحصول على العلم ، وكذلك تحقيق آمال المشتغلين بالثقافة والعلم والتربية والفن .

وترتبط مصالح غالبية المثقفين باجراء تغييرات ديمقراطية وثورية عميقة بهدف فتح الطريق الى مجتمع جديد لا تكون فيه التربية والثقافة وقفا على الاقلية وانما تصبحان حقا لجميع الشعب .

ولا بد أن يقدم العاملون فى حقل الثقافة بواجبهم المشترك والمنظم كجزء من التيار الاعظم لكفاح أمريكا اللاتينية من أجل التحرر الكامل ، يوجههم فى ذلك وعيهم بواجبهم حيال الشعوب . وهذا هو الطريق الاوحد الى الاستقلال الروحى والازدهار الثقافى لشعوبنا وبلادنا .

وتكون الحركات التى تعبر عن التضامن المتبادل وتنظمه فى مواجهة العدو المشترك وتدعم العون السياسى والعملى لجميع من يقفون فى وجه الامبريالية فى العالم أجمع ، جزءا أساسا من المعركة الناشبة ضد الامبريالية ومن أجل التقدم الاجتماعى للشعوب فى القارة .

ملحمة كلكامش

تأليف الدكتور طه باقر

من منشورات وزارة الاعلام
في الجمهـــورية العــراقية

يطلب من دار الكتــاب العراقى
١٤ شــارع طلعــت حــرب

يناير ١٩٧٦



ملحق الأدب و الفن

جمهور ٧٥ ٠٠٠ ماذا رأى ؟

السينما . لكن : الصورة ليست سوداء تماما

المسرح : هل بدأ خط الهبوط فى التوقف ؟

التليفزيون : فصل القنوات .. وعجائب التنظيمات والقطاع الخاص أيضا !

اتحاد الكتاب : المناقشة مستمرة

- قانون الاتحاد : واستراتيجية الحصار الثقافى
- .. حتى نضع العربة بعد الحصان
- مؤتمر للادباء .. وتعميق للحوار
- تعليق : هذا السيل من الاتهامات والشتائم . ماذا يعنى ؟

الأدب والفن فى شهر :

- ادب : « اللاز » : رواية الانسان ـ فى الثورة
- فن تشكيلى : على مركب اليوم المطير
- مسرح : بماذا وسوس الشيطان لمصطفى محمود وحسن عبد السلام ؟

جمهور ١٩٧٥

مــــاذا رأى ٠٠ ؟

٠٠ وانتهى عام ١٩٧٥ ، وكان من الطبيعى أن نحاول هنا تقييم ملامح من ثقافة هذا العام : أى جديد قدم ؟ وعلى أى نحو يختلف حصـــاد هذا العام عما قبله ؟ ٠٠ هل هناك اختلاف حقيقى ٠٠ وكيف يبدو ؟

نبدأ ــ فى هذا العدد ــ نشر تقييم لثلاثة أوجه من هــذا الحصــاد :

السينما ، المسرح ، التليفزيون ٠ ان هذا ما « شاهده » الجمهــور فى ١٩٧٥ ٠ ٠

وفى أعداد تالية نتعرض لما « قــرأ » هذا الجمهور ٠٠ .

... لكن الصورة ليست سوداء تماما

كمال رمزى

لا بأس .. فالصورة ليست سوداء تماما ، ذلك أن عام ١٩٧٥ شهد ثمانية أفلام جادة ، تحاول أن تقول كلمة شريفة وسط طوفان الافلام المنحطة التى انقسمت قسمين اساسيين : الاول يتجه اتجاها استعراضيا ، والثانى يتجه اتجاها كوميديا .. وقبل التعرض للاتجاهين الاساسيين ، بما فيهما من سوقية وغلاظة ذوق وفجاجة وفقر خيال ، فلنتوقف عند الافلام الثمانية ، بترتيب أهميتها .

جاء فيلم « **الهارب** » بمثابة بروفة آخيرة للفيلم الاكثر وعيا واكتمالا « **على من نطلق الرصاص** » ، الذى يعد أفضل أفلام ٧٥ بلا منازع .. ويبدو أن كلا من « رأفت الميهى » ، كاتب سيناريو الفيلمين ، و « كمال الشيخ » ، مخرج الفيلمين ايضا ، قد تخلصا من الكثير من أخطائهما فى الفيلم الاول .. ولعل أفدح هذه الاخطاء ، بالنسبة لكاتب السيناريو ، فى « الهارب » ذلك التميع الذى عالج شخصية رئيس التحرير الوصولى ، المتواطىء مع العناصر المستغلة فى المجتمع ، اللص ، منعدم الضمير ، الذى فوجئنا بالفيلم يعطف عليه عطفا شديدا ، وينظر اليه كرجل له كبرياء ، وضمير يستيقظ أخيرا ، ويدفعه للانتحار . خوفا من فضيحة متخيلة فى ذهنه ، بل ويقدم كاتب السيناريو على منح هذه الشخصية الشريرة مونولوجا مؤثرا ، يتغنى فيه بكفاح الايام الخوالى ، ويبرر فيه اضطراره ، بعد العذاب والحرمان ، لان يصبح أحد شركاء اللصوص ، بعد أن كان يقف فى المواقع المضادة لهم .. وقد أدى المونولوج ، الذى مثله « كمال الشناوى » على نحو مؤثر ، الى بث مشاعر الرحمة والشفقة فى قلب الجمهور الذى يشاهد لعدة دقائق رجلا تائبا نادما ، يتضور ألما وعذابا وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة .

تجنب « الميهى » فى « على من نطلق الرصاص » تلك الاحاسيس المضللة ، ونظر الى شخصية رئيس مجلس الادارة الوغد ، اللص ، نظرة جادة ، تليق بهذا النموذج المقاتل الشرس ، الذى يخوض المعركة من أجل مصالحه . ضد الشرفاء ، حتى وهو يكاد يلفظ أنفاسه على فراش الموت ، الامر الذى أدى الى تفجير الوعى فى عقل الجمهور الذى تنبه الى مدى خطورته واجرامه .

واذا كان بطل « الهارب » ، شابا بلا هوية ، لا انتماءات له ، ولا نعلم حتى مهنته ، يجد نفسه فجأة ، وبحكم المصادفة ، مقبوضا عليه ومطاردا ، يحاول الخروج من أرض الوطن ، وتنتهى حياته قتيلا على أرض المطار ، مما دفع أكثر من ناقد الى طرح السؤال القاسى التالى : هارب من ماذا ؟ والى أين ؟ .. فان « على من نطلق الرصاص » يجيب على هذه التساؤلات ، بل ويحدد تفاصيل الامور ، منذ البداية ، تحديدا واضحا وحاسما . ففى احدى مؤسسات البناء الكبيرة ، يتواطأ رئيس



كمال الشيخ

مجلس الادارة مع اللصوص الكبار داخل المؤسسة ، لتقديم أحد المهندسين الشبان كذبيحة يحملونها وزر انهيار احدى العمارات السكنية التى قامت المؤسسة ببنائها .. وداخل السجن ، قبل نظر القضية ، يلقى المهندس مصرعه بالسم الذى يدس له فى الطعام . وفى مشهد قوى ، قام بأدائه الممثل الموهوب «مجدى وهبه» ، يدرك ، بينما السم يمزق أحشاءه ، أنه كان عليه أن يقاتل منذ البداية ، وأن اللصوص الكبار ، كان من المستحيل عليهم ، أن يتركوا له فرصة الدفاع عن نفسه .. وهو الادراك الذى يفجر فى أعماق صديقه « محمود ياسين » فكرة تصفية الحساب مع رئيس مجلس الادارة .. ولكن الفيلم يتنبه الى عبث الاسلوب الفردى فى الصراع الاجتماعى . فطلقات « محمود ياسين » ، صاحب النزعة اليسارية ، وان كانت تصيب رئيس مجلس الادارة ، الا أنها لا تقتله ، وعندما يحاول الهرب تصدمه عربة ، فينقل الاثنان فى عربة اسعاف واحدة الى المستشفى .. ولان رئيس مجلس الادارة يعلم أن الشاب يملك من المعلومات ما يستطيع أن يفتح ملف العمارة المنهارة ، وأن يعيد التحقيق فى ظروف وفاة زميله ، فانه يبدو خائفا ، متوترا ، مرتعدا ، ويبدوكمالو كان يتحرك ، أو يرتب أمرا ما .. وعندما نعلم أن الشاب الشريف ، ذا النزعة اليسارية ، قد فارق الحياة ، نشعر ، بل نكاد نوقن أنه مات قتيلا على يد أتباع رئيس مجلس الادارة .

والفيلم بهذا الوعى ، وبهذه النظرة الجادة للتناقضات ، وبموقفه الواضح والحاسم الى جانب الشرفاء ، يعد ، بلا شك ، أفضل أفلام ٧٥ .. ومن الناحية الحرفية ، يتقدم مخرجنا الكبير « كمال الشيخ » خطوات جديدة للامام ، خاصة اذا ما قارناه بفيلم « الهارب » فبينما تجد المخرج اندفع فى « الهارب » وراء اغراء توتر المطاردات البوليسية ، وقدم مع مصوره « عبد العزيز فهمى » مشاهد مسرفة فى جمالها ومتخمة بالتزويق والالوان للمواقف الغرامية بين الهارب وحبيبته ، وأوقع المتفرج فى بعض الارتباك وهو يتابع المشاهد التخيلية التى تدور فى ذهن رئيس التحرير ، بينما نجد مشاهد العودة الى الماضى فى « على من نطلق الرصاص » تتم بنعومة وبقدر كبير من السلاسة ، وهى تزيد معرفتنا بطبيعة العلاقات المتداخلة بين الابطال ، فضلا عن كونها تضيف جديدا لاحداث الفيلم وتؤثر فى مساره ، وينجح المخرج فى ضبط ايقاع الفيلم وتماسكه ، وهو أمر صعب بالنسبة لسيناريو يعتمد على « الفلاش باك » ، الى جانب تطور الاحداث على نحو سريع ومتلاحق .. ويحسب للفيلم أخيرا تقديمه لذلك الوجه الجديد الذى تنبىء صاحبته « فردوس عبد الحميد » ، بصدق احساسها ودقة أدائها ، بمستقبل لا شك فيه .

أما فيلم «الكداب» ، من اخراج «صلاح أبو سيف» ، على الرغم من أنه أفضل كثيرا من « حمام الملاطيلى » ، الا أنه لم يصل الى المستوى الرفيع الذى حققه فناننا الكبير فى « الفتوة » و « بداية ونهاية » .. ويبدأ الفيلم بداية قوية عندما يقدم الصحفى « محمود حمدى » على فضح التلاعب الاجرامى الذى يتم فى شركة انتاج أقمشة شعبية ، تقوم بتوريد انتاجها الى تجار القطاع الخاص ، الذين يقومون بدورهم بنزع أختام القطاع العام واعادة صباغة القماش ليطرح فى السوق بأثمان مرتفعة .

وقضية الفيلم ، كما ترى ، على قدر كبير من الاهمية والخطورة .. ويتقدم « أبو سيف » بفيلمه خطوات أخرى فى القضية ، فرئيس مجلس الادارة الشرس ، القاتل ، شأنه شأن زميله فى « على من نطلق الرصاص » ، يقبل التحدى وينزل المعركة ويهدد الجريدة برفع قضيه تشهير ان لم تنشر تكذيبا لما جاء فى مقالة الصحفى من معلومات ، وهو ينجح فى ابتزاز العاملين الذين ادليا بمعلوماتهما للصحفى ويجبرهما على التراجع والانكار ... **وهنا ، وبعد هذه البداية القوية يتشعب الفيلم ويهرب ببطله الصحفى الى احدى الحارات الشعبية ، حيث تصبح القضية، بكل خطورتها، مجرد مغامرة سينمائية مفتعلة.** يقوم بهما

الصحفى المتخفى فى دور « صبى قهوة » ، بحثا عن العاملين الذين تراجعا فى أقوالهما .. وفى الحارة تطالعنا نفس الانماط التى تطالعنا فى حارات الافلام ، المعلم ، صاحب القهوة ، الذى يتعاطى المخدرات ، ويطجن فى الكلام ، والعجلاتى ، مدمن الكحول ، الذى يعشق بائعة البليلة ، الجذابة جنسيا عشقا شديدا .. وابلة الحارة .. ويغدق الفيلم على أهل الحارة كافة الصفات الاخلاقية الحميدة التى جرت العادة على أن تقوم بلصقها بالطبقات الشعبية ، الرجولة ، الصدق ، الوفاء ، التضحية ، الشجاعة الوفاء .. ويكاد بطلنا ، الصحفى المتخفى ، أن يقع فى غرام بائعة البليلة ، وهو المتعلم المثقف ، بينما هى لا تملك الا جسدا جميلا ، ويقول مؤلف القصة أن « بطله لم يحبها ، ولكنه أحب ما فيها من صدق » ! ؟

وبعد أن تضيع ساعة من الفيلم بلا فائدة، فى حارة بنيت بطريقة مضطربة، حيث تظهر اشجار الاستديو واضحة وراء الواح الخيش المرسومة ، يعود « أبو سيف » للقضية الاصلية فنشاهد رئيس مجلس الادارة يتآمر لقتل الصحفى بافتعال حادث سيارة .. لكن السيارة تدهم أحد العاملين ، فيقرر الاخر ان يعترف بكل شىء .

لا بأس، ان « الكداب » لم يحقق ما كنا نرجوه منه ، فلم يتوغل فى المشكلة الخطيرة التى تعرض لها ، وهرب الى حارة وهمية أكثر من ساعة ، وبدا ، « محمود ياسين » مسرورا بدوره كصبى قهوة ، وأوجدت الصدفة شقة خطيبته طالبة كلية الطب فوق القهوة مباشرة ، الا أنه يبقى للفيلم ذلك التصور الصحيح لقوة ونفوذ وصلابة رئيس مجلس الادارة اللص ، ويحسب له كشفه عن عالم السينما المنحط ، فى مشاهد أبرزت لنا احدى نوعيات المخرجين الجهلة ، السوقيين ، الذين ساهموا فى تقديم عشرات الافلام التافهة التى هاجمتنا هذا العام .

وفى مجال ذكر الافلام الجادة ، لابد وأن نذكر هنا الفيلم الشجاع « زائر الفجر » .. أول فيلم يتعرض لقضية حق السلطة فى مطاردة الابرياء وقهرهم . وهو الفيلم الذى اضطهد كثيرا من الرقابة ، ومات مخرجه الشاب قبل أن يعرض على الناس . وبالرغم من مقص الرقيب الذى لعب فى الكثير من مشاهد الفيلم ، الا أنه ظل محتفظا بجرأة ربطه بين مظاهر الفساد المتعددة ، وردها جميعا الى طبيعة المجتمع الطبقى ، الذى يتطلب سلطة قمع ظالمة ، تمارس الارهاب ضد العناصر الشريفة .. ويلجأ الفيلم الى الشكل البوليسى ، يبدأ بالتحقيق فى وفاة الصحفية « نادية الشريف » . وعلى الرغم من أن تقرير الطبيب الشرعى يقول بأن وفاتها جاءت نتيجة هبوط حاد فى القلب ، الا أننا ندرك بأن



صلاح أبو سيف

العديد من الجهات والاطراف قد ساهموا بجدية فى قتلها ، قتلها « زائر الفجر » الذى كانت تتوقع وصوله بين لحظة وأخرى ، والذى تسلل الى شقتها ليفتش كتبها وأسرارها .. قتلها زوجها الطبيب الذى خانها وارتبط بأهداب السلطة وتسلق وأصبح أحد وجوه الطبقة الجديدة . قتلتها « نانا » مديرة بيت الدعارة التى تحتمى بلواء له نفوذه الكبير ، نحس بوجوده ونعلم أن اسمه « رأفت بيه » ولكننا لا نراه ، قتلها خوف جيرانها الذى سيطر عليهم كغول له انياب ومخالب .. ان « نادية الشريف » ، فى النهاية ، ضحية هؤلاء جميعا .. هم الذين ساهموا فى هزيمة ٦٧ التى لا نزال ندفع ثمنها كما يتنبه وكيل النيابة الشاب .. ان « **زائر الفجر » سيذكر دائما على أنه علامة على طريق الفيلم السياسى ، الذى بدأت ملامحه تتضح وتقوى ، خاصة فى عام ٧٥ .**

أما « المومياء » ، تحفة « شادى عبد السلام » واحدى الاعمال الجميلة فى تاريخ السينما المصرية ، التى نالت ما تستحقه من اعجاب النقاد وتحيتهم ، فانها تثير مشكلة الجمهور الذى فسد ذوقه ، وتعود على سينما المخدرات ، والذى لا يمكن أن نلقى اللوم عليه ، ولكن نوزعه بين وزارة الثقافة التى يجب أن تتدخل بشكل أو آخر لمنع طوفان الافلام المبتذلة ، التى يقابل



كمال الشناوى



محمود ياسين

الجمهور ابتذالها وعرى بطلاتها و[illegible] بالصراخ والعويل .. كذلك تقع على الصحافة الفنية ، التى لا تهتم الا بالطرائف وأخبار النجوم ، عبء ترشيد الجمهور وتوجيهه لمقاطعة الافلام التى تودى بوعيه وانسانيته .. ولم نسمع بعد بما قامت به المجالس القومية فى هذا المجال ، ولا أدرى اذا كان الاهتمام بمستقبل الجمهور والسينما عموما يقع على عاتق اللجان التى تعد مصر لسنة ٢٠٠٠ ام لا !

عموما ، لم يستطع الجمهور أن يتحمل المومياء ، كذلك لم يستطع ان يتحمل فيلم « الظلال فى الجانب الآخر » من اخراج « غالب شعث » ، الذى أعتقد أن عرضه بعد الانتهاء من صناعته بعدة سنوات اضر به ضررا شديدا ، فالفيلم يتعرض لحياة مجموعة من الشباب قبل هزيمة يونيو ٦٧ . وليس معنى هذا ان « الظلال » فيلم مناسبة ، يفقد قيمته بتراجع الوقائع التى يرتبط بها زمنيا ، ولكن المناخ النفسى الذى كان مهيئا لاستقبال الفيلم بعد ٦٧ ، قد تغير ، واصبح يتطلب ، مع التطورات والتناقضات الجديدة ، شيئا مختلفا عن « الظلال » .. فمثلا شخصية « عمر » الشاب الفلسطينى ، الذى يعبر بتطور نظرته الى القضية الفلسطينية ، من قضية لاجئين الى قضية ثوار عن قطاع من الشباب الفلسطينى فجرت النكسة فى أعماقه الايمان بالسلاح والعنف كطريق لاسترداد الحقوق .. هذه الشخصية كانت جديدة بالنسبة للجمهور بعد الهزيمة مباشرة ، وكانت ، بعودتها الى خطوط النار المواجهة للعدو ، تعكس آخر مراحل القضية الفلسطينية .. هذه القضية التى يواجه رجالها عام ٧٥ تحديات وتناقضات واوضاع جديدة ، تتطلب بالضرورة شخصا غير « عمر » يعبر عنها ، او على الاقل ، أن يقوم « عمر » نفسه بطرح وجهة نظره الان ، بعد الظروف الجديدة التى اجتاحت المنطقة .

وربما كان الفيلم ، من الناحية الفنية ، مترهلا الى حد ما ، يعانى ايقاعه من الاضطراب ، لكن ثمة ايجابيتين كبيرتين ، أولهما لم يستغلها المخرج كما يجب ، وهى خاصة بشخصية « محمود » الذى قام بتمثيلها « محمود ياسين » فهى شخصية جديدة فى السينما المصرية ، لم يتنبه المخرج لما تشتمل عليه من قوة ، ومن قسوة ، ومن ذكاء يجعلها تتنبه الى الرخاوة والضعف والاستسلام الذى تعانيه بقية الشخصيات السائدة ، المستنيمة ، التى مهدت بتخاذلها للنكسة .. ان المخرج لم يستطع ان يحب بطله او يحترمه او حتى يتبين فيه مواطن عظمته . انه ليس شريرا ، وليس ضائعا فاقد الهدف والاتجاه ، ولكنه لا يستطيع ان يعيش او يتلاءم مع مجموعة الاقزام التى تحيط به ، وبالتالى فهو يكاد يدمرهم جميعا بلا شفقة او تردد . لم يستطع المخرج او لم يشأ ان ينظر الى ما يحمله بطله من طاقة وامكانيات ، وكبله بنظرة اخلاقية تدينه لانه فض غشاء بكارة « روز » ورفض أن تجهض نفسها وعبث بحبيبة زميله فى العوامة ، وسخر من مقدسات الاخرين الوهمية ، وأقام من نفسه الها يقتحم ويهاجم ويصارع ويأخذ . لكن المخرج ، على نحو تلقائى ، يبدو أنه لم يستطع أن يتحكم فى اعجابه الدفين ببطله ، فقدمه فى لقطات كبيرة ومشاهد طويلة تشى باحترام لا يستطيع ان يكبح جماحه .

اما ايجابية الفيلم الثانية فتكمن فى مستوى التمثيل الرفيع الذى قام به طاقم الممثلين ، الى الدرجة التى تمكنك من القول بأن « محمود ياسين » لم يصل الى المستوى الذى حققه هنا فى افلامه اللاحقة ، وما أكثرها ، وينطبق نفس الكلام على « نجلاء فتحى » أما الممثل الموهوب « احمد مرعى » ذلك الوجه المعبر ، الذى لم نشاهده الا فى دوره الاخاذ فى « المومياء » لا أدرى لماذا لم يأخذ ، حتى الان ، فرصة تليق بامكانياته وكفاءته .

وفى مقابل مشاكل المرأة الوهمية ، وقضايا المنحرفات والخائنات والمومسات والتائبات ، التى قدمتها السينما المصرية هذا العام فى أفلام « نساء ضائعات » و « يارب توبة » « وصابرين » « والمطلقات » يأتى ، فليم « أريد حلا » . الذى كتبته « حسن شاه » وأخرجه

« سعيد مرزوق » فيناقش على نحو جاد :مشاكل المرأةوحقوقها : ويحاول ان يبرز ظروف القمع التى تعيش فى ظلها .

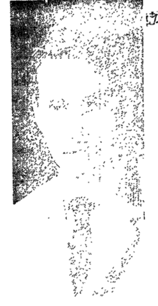
ويقدم « فريد شوقى » أكثر فنانينا شعبية ، فيلما طيبا « ومضى قطار العمر » من اخراج « عاطف سالم » الذى قدم من قبل « جعلونى مجرما » و « احنا « التلامذة » و « أم العروسة » **وبداية ، يبدو « فريد شوقى » ظاهرة ملفتة للنظر فى السينما المصرية ،** ذلك أنه بملامحه الشعبية وادائه التلقائى ووضعه الاجتماعى الذى يظهر به فى أفلامه يحطم المواصفات التقليدية للنجم ، فهو غالبا ما يطالعنا كعامل فقير ، او صياد أجير ، أو فلاح هارب من جوع الريف ، وهو لايجيد الاناقة او ركوب العربات الفارهة أو العيش كسيد فى فيللا فخمة ، فهو ليس أحمد سالم او أنور وجدى او كمال الشناوى أو أحمد رمزى فيما بعد .. **وهو قد بث شعبيته على ارتباطه بالدفاع عن قيم انسانية فى مجملها** ، فغالبا ، على الرغم من انزلاقه فى طريق الشر ، تحتل الاسرة مكانا مقدسا فى حياته ، يضحى بمستقبله وسعادته فى سبيلها .. وهو دائما ، على الرغم من الظلام الذى يعيش فيه ، يتطلع للنور والشرف والطهارة .. وهو غالبا ما يكون ضحية لمجتمع ظالم ، أو أحد الاغنياء الاشرار او عصابة خارجة عن القانون ، أى أنه يمثل بوضعه الاجتماعى المقهور ما يسمى بجمهور « الترسو » الذى يعشقه .. **لكن السينما المصرية الحذرة ، تعمدت دائما أن تفرغ عقله من الوعى الذى يستطيع به أن يفهم طبيعة القوى الاجتماعية التى تستغله** ، وبالتالى يستحيل عليه أن يدرك الطريق الجماعى لمواجهتها وصراعها ، واكتفت بأن تمنحه قوة بدنيـة رهيبة ،يستطيع بها أن يصفى حسابه ، وان ينقذ لجمهور « الترسو » الذى يرى فى انتصار بطله عزاء مريحا .. لكن الامر يختلف فى « ومضى قطار العمر » فهو هنا مهزوم فى البداية ، ولانه لم يفهم ولم يع طبيعة القوى التى تستغله يهزم فى النهاية ايضا .

يبدأ الفيلم ببطلنا وهو يعمل كخادم وحارس فى فيلا أحد الباشوات ، وهو أب لاسرة جائعة مكونة من أم وزوجة وثلاثة أطفال .. وأمنيته أن يعمل على احدى سفن الصيد . وبالفعل يقدم طلبا للالتحاق . لكنه يسقط فى الكشف الطبى لانه مصاب بالبلهارسيا .. ويقدم ابن الثرى المدلل على قتل أحد أصدقائه فى معركة من أجل فتاة . وهنا يعرض الباشا على بطلنا أن يقدم نفسه للنيابة على أنه القاتل . ويقنعه بأن الحكم لن يتجاوز سنتين او ثلاثة .. وانه سيدفع له شهريا نفس المبلغ الذى كان سيقبضه من العمل فى سفينة الصيد .. وبعد تردد وبدافع من العوز والجهل يقبل العرض وفى المحكمة يفاجأ بأن الحكم هو الاشغال الشاقة المؤبدة .

ويسير الفيلم فى اتجاهه الميلودرامى بلا رحمة ، يغتصب ابن الثرى زوجة السجين التى تنتحر ، وسرعان ما تموت الام وأحد الاطفال .. وبينما ينتقل الابن الثانى الى فيلا الثرى ليصبح تابعا لابن الاسرة المدلل ، تنتقل الابنة للخدمة فى البيوت حيث تصبح مع الايام محترفة دعارة .. وبعد سنوات طويلة يخرج بطلنا من السجن ، كهلا مرتعش الاصابع . ينجح فى معرفة ما حل على أسرته من كوارث . وفى مشهد قاسيتقابل مع ابنته التى تعتقد أنه أحد طلاب المتعة ، ويصحبها معه الى حجرته ويتركها ليذهب الى فيلا ابن الثرى الجديدة بهدف احضار ابنه .. وعندما يتقابل وجها لوجه مع المتسبب فى نكبة حياته لا يتمالك نفسه ويهجم عليه لخنقه . لكن ابنه الذى لا يعرفه ، والذى جعل من نفسه تابعا تافها لولى نعمته ، سرعان ما يردى والده بعدة طلقات نارية !

والميلو دراما هنا . **كما ترى ، قد تخلصت من النظرة الاخلاقية للامور ، ولم ترد الكوارث الى قدر غاشم ، ولم تقم الصدفة فيها بدور البطولة .. والاهم ، ان الطبيعة لم تتقدم من الظالم ..**

وبالنسبة لفريد شوقى فانه ، فى هذه المرة ، لم يستخدم قوته البدنية الموهومة ، ولم يغضب الجمهور ، ذلك أنه ادرك ، من خلال الفيلم ، ان المسألة أكبر من أن تعالج معالجة فردية .



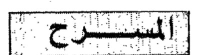
شادى عبد السلام

هذه هي الافلام الثمانية الهامة التي عرضت خلال عام ١٩٧٥ اما بقيه الافلام . التي يتسم معظمها بالانحطاط الشديد ، فانها تنقسم ، عموما ، الى قسمين اساسيين . احدهما يتجه اتجاها استعراضيا ، والثاني يتجه اتجاها كوميديا .. وليس معنى هذا أنها افلام استعراضية وكوميدية بحق ، تخضع للمواصفات الفنية للنوعين ، ذلك أن التقسيمة هنا مهذبة تماما .. فالاستعراضات في الافلام ليست سوى « نمر » من الكباريهات .. وحتى اذا كان الفيلم مأخوذا عن مسرحية « مروحة الليدى وندرمير » للكاتب الانجليزى اوسكار وايلد ، فان الاحداث تتبدل لتقوم بطلة الفيلم المطلقة بالعمل في ملهى ليلى ، الامر الذي يستوجب تقديم مجموعة رقصات بائسة ، تعرض أكبر كمية ممكنة من لحم البطلة .. وعموما ، فان رقص الممثلة وغناءها أصبح سمة سائدة بعد أن قامت سعاد حسنى بدور « زوزو » في فيلم « خللى بالك » الشهير ، وطالعتنا هذا العام « نادية لطفى » وهي ترقص ، ضمن تابلوهات سوقية ، في « بديعة مصابني » لحسن الامام .. كذلك طالعتنا « سهير المرشدى » تغنى احدى اغاني الكباريهات القديمة « أحمد يا شربتلى » في فيلم « ياربتونه » الذي اعتمد على مسرحية « أولاد الفقراء » وهي من أردأ ماكتب « يوسف وهبي » أما « نجلاء فتحي » فقد اكتفت بأن تحرك شفتيها فقط في فيلم « حب أحلى من الحب » حيث نستمع الى صوت مطربة أخرى .

أما بالنسبة للكوميديا ، فاذا حاولت ان تصنف أفلامها هذا العام تحت أي نوع من انواع الكوميديا : شخصيات ، اجتماعية ، فارس ... فانك ستفشل تماما ، ذلك انها نوع شاذ .. فهي ، بداية ، لا تثير الضحك بقدر ما تثير الضيق ، فهي كوميديا رذلة ان صح التعبير على قدر كبير من غلظة الذوق والفجاجة وفقر الخيال ، تلجأ الى الجنس بشكل سوقى ومبتذل .. ففي فيلم « بنت اسمها محمود » يطالعك « محمد رضا » وهو يرفض أن تدخل ابنته الجامعة ، ولكنها تدعى أنها أصبحت فتى بعد أن أجرت عملية جراحيه . ولك أن تتخيل المواقف الجنسية المترتبة على هذا الموقف المفتعل .

ويقوم « محمد عوض » ببطولة أربعة افلام ، وتقترن الكوميديا في ذهنه هو وصانعي افلامه بالبلاهة وفتح الفم على مصراعيه واصدار اصوات غريبة وتلعيب حواجب .. وفي نفس الحدود [illegible] يقف « محمد رضا » أيضا هو وصانعي افلامه ، الجرى وراء الفتيات الصغيرات ، تهشيم حروف الكلام ، تلعيب الكرش .

لا بأس .. فالصورة ليست سوداء تماما .. فثمه ثمانية افلام ترتقى الى مستوى المناقشة ، وبعضها يعد اضافة جادة للسينما المصرية . اما بقية الـ « ٢٧ » فيلما فمن الامور الطبية أن النسيان سرعان ما بدأ يطويهم .. فانت بلاشك قد سقط من ذهنك اسماء افلام مثل « دعونا نحب » و « أكل عاوز يحب » و « مين يقدر على عزيزة » !



• جمهور ٧٥ — ماذا رأى ؟ •

هل بدأ خط الهبوط في التوقف ؟

أحمد عبد الحميد

على غير العادة في كل عام ، اقبل عام ٧٥ ومعظم مسارح « هيئة المسرح » مغلقة .. أو بتعبير أدق ، أربعة من مسارح الدراما الخمس مغلقة . وحتى المسرح الخامس — والوحيد — المضيء ، لا يعرض مسرحية جديدة ، وانما مسرحية « كلام فارغ » انتاج اغسطس

١٩٧٤ . ونحن نعرف أن المسرح المصرى منذ العشرينات ، بل منذ قيام « الفرقة القومية المصرية » ـ المسرح القومى الان ـ عام ١٩٣٥ .. وموسمه الجديد يبدأ ـ عادة ـ فى النصف الثانى من اكتوبر من كل عام .. ولو تأخر بعض الوقت، فهو لا يتعدى الاسبوع الاول من نوفمبر . وعادة يأتى شهر يناير .. والمسارح كلها تشع بالاضواء وتنبض بالحياة والحركة .

ولكن لاول مرة فى تاريخ المسرح المصرى ، يأتى ينساير ومعظم المسارح مغلقة ، وهذه الظاهرة الجديدة ، ان دلت على شىء . فانما تدل على أن «الازمة المسرحية » اشتدت اكثر واكثر ، وأصبحت تهدد مسرح الدولة ، لا بالغلق شهرين أو ثلاثة فى بداية الموسم .. وانما ، وربما، لمدد أطول ، وتوقفات متتالية أكثر من مرة فى العام . وهذا بالفعل ما تعرض له « مسرح الدولة » مرة ثانية فى شهر « رمضان المعظم » ـ سبتمبر ٧٥ ـ حيث يحلو السهر ، ويتضاعف الاقبال ويشتد ويصل دائما الى « الذروة » .. اذ اضطرت نفس المسارح الاربعة الى غلق أبوابها والتوقف عن العمل .

وهذا دليل جديد على فشل « سياسة الارتجال » وخطورتها المفزعة على الحركة المسرحية لكى تستمر ولا أقول لكى تزدهر .

ودليل جديد على أن « طوق النجاة » لتخليص حركتنا المسرحية من سلبيات الماضى والحاضر، ولتحقيق أحلام « مصر المستقبل » هو التخطيط العلمى السليم ، أما سياسة «الارتجال» التى تحكم العمل فى هيئة المسرح فلن تقودنا الا الى مزيد من الخسارة . مزيد من الطاقات المعطلة ، مزيد من التدهور .. الى غلق كل مسارح الهيئة بلا استثناء ، لا أربعة منها فقط .

بعد التوقف الاضطرارى بسبب الارتجال ، بدأ الانتاج المسرحى فى الظهور المسرحية تلو الاخرى وانتهى الموسم الشتوى الاول من عام ٧٥ (يناير ـ فبراير ـ مارس ـ ابريل ـ مايو) على ظاهرة أشد غرابة من الاولى .

● **المسرح القومى** : لم يقدم الا مسرحية واحدة هى « النسر الاحمر » .

● **فرقة الطليعة** : لم تقدم الا مسرحية واحدة هى « دون كيشوت » .

● **المسرح الحديث** : قدم مسرحيتين هما « نرجس » (اعداد) ، و « الزفاف » (تأليف) . كما انتج مسرحية ثالثة هى « ايزيس » لحساب رحلة باريس ، وبميزانيةخاصة، ولم تعرض بالقاهرة على الاطلاق .

وكانت ظاهرة فريدة ـ مثل سابقتها ـ لم تحدث من قبل ونرجو الا تحدث من بعد . فالموسم الشتوى عادة هو موسم الابداع والانتاج ، وهو الذى يتسم انتاجه المسرحى بالجودة والعمق . وأخلد النصوص ، وأبقى العروض فى الذاكرة المصرية ، هى تلك التى قدمت فى المواسم الشتوية وكانت ثمرة مباشرة لها . وفى الغالب الاعم كانت شهورالصيف لا تشهد أكثر من « الاعادات » لمسرحيات كوميدية خفيفة .

وكما كان « غلق المسارح » ظاهرة تدق نواقيس الخطر ، فان تقديم مسرحية واحدة ـ فى غياب 'الاقبال الجماهيرى ـ أيضا ظاهرة تدق نواقيس الخطر . ولم يعرف المسرح المصرى عبر تاريخه كله مثل هذا الضمور وهذا الانكماش «الكمى» من قبل . ففى العشرينات كانت فرقة **يوسف وهبى وعزيز عيد وفاطمة رشدى وسيد درويش ونجيب الريحانى وعلى الكسار** .. تقدم « كل اسبوع رواية » .

وفى النصف الاول من الستينات كان مسرح الدولة يقدم فى العام تسعين مسرحية ، منها ستون مسرحية جديدة . وكان المسرح القومى ـ اقدم وأقيم بيت مسرحى عندنا ـ والذى تميز انتاجه منذ عام ٥٦ ولمدة عشر سنوات على الاقل ـ ببلوغه درجة عالية من الفن الرفيع واثارته لقضايا اجتماعية وفكرية وسياسية بالغة الاهميةوشديدة الالتصاق بهموم الجماهير واهتماماتها الاتية والمستقبلية.. أقول .. **كانت معدلات انتاج المسرح القومى ثمانية عشر مسرحية منها سبع مسرحيات جديدة .. يشهدها ـ جميعها ـ الموسم الشتوى .** ومن ثم فان تقلص انتاج فرق « مسرح الدولة » ، الى مسرحية واحدة او اثنين خلال الموسم الشتوى، موسم الخصوبة الادبية والفنية فى مصر ، لابد وأن يثير الدهشة ، بل والفزع . وهو يعنى ان الانتاج المسرحى عندنا، يتم « حسب التساهيل » وأنه ليس انتاجا مخططا ومبرمجا .

الامر الذى أدى الى « توقفات » أخرى اثناء العام بسبب اضطرار الفرق الى انهاء مواسمها الشتوية قبل الاوان . فالقومى أنهى موسمه فى منتصف ابريل ، والطليعة انهى موسمه بعد ثلاثة شهور فحسب (فى ٢٣ — ٣ — ٧٥) ، والمسرح الحديث أنهى موسمه فى مايو (رغم أنه المسرح الوحيد المكيف بالقاهرة) وبالرغم من أن عرضه الثانى — مسرحية الزفاف — لم تعرض أكثر من ثمانية عشر ليلة فقط .. وبحجة اجراء اصلاحات بالمسرح !

وجاءت شهور الصيف .. وهيئة المسرح غائبة عن القاهرة .. مسرح الجمهورية المسكيف مغلق للتحسينات ، المسرح العائم مؤجر للقطاع الخاص ، مسرح على الكسار الصيفى مغلق لادخال تعديلات عليه .. الباقى مسارح شتوية لا تصلح للصيف .. والمسرح القومى يعرض بعض مسرحياته القديمة بالاسكندرية ، وفرقة الطليعة أنتجت ثلاث مسرحيات هزلية سقيمة ومبتذلة مما سبق تقديمه وهى « سلك مقطوع ، قاتل الزوجة » ، «المصيدة» . عرضت ببورسعيد ورأس البر .. وفشلت فنيا وجماهيريا بشكل مؤسف ومزرى . والمسرح الحديث قدم فى نهاية الصيف — فى رمضان — مسرحية « يا انا ياهو » . وبعد توقف أكثر من عام قدم « المسرح الغنائى » فى نهاية الموسم الشتوى وبداية الموسم الصيفى أوبريت « البيانولا » لكنه الاوبريت — تعرض لتوقفات بدأت بخلاف بين المخرج « كرم مطاوع » وبطل الاوبريت « محرم فؤاد ، وانتهت بحرق ديكورات وملابس الاوبريت مع الحريق المروع الذى شهده « مسرح ٧٥ » والتهمت فيه النيران ثلاث مسارح هى البالون ، والسيرك ، والسامر .

وانتهى الموسم الصيفى — كسابقه الشتوى — بنشاط مسرحى هزيل وانتاج كمى ضئيل .

وكانت المفاجأة فى الحقيقة فى نهاية عام ٧٥ ، وبالتحديد فى نوفمبر وديسمبر منه . حيث بدأ الموسم الشتوى الجديد .. والذى يحسب عادة مع بقية الموسم الشتوى الذى يمتد حتى مايو من العام التالى .. لكنه على كل حال شهد « ميلاد » موسم قوى .. وانتاج غزير .. يذكرنا بالسنوات الخوالى .. سنوات الرواج والازدهار . فقد قدمت الفرق الثلاث ،

● **القومى** : قدم « **فيدرا** » **لراسين** ، و « **باحلم يا مصر** » **لنعمان عاشور وانتهى من اعداد مسرحيتين أخرتين هما** . « **بداية ونهاية** » (**اعداد جديد لرواية نجيب محفوظ**) و «**الميت والحى**» **لسعد مكاوى** .. لا تجد حاليا مسرحا خاليا تعرض عليها وسوف تعرض الاولى منها فى يناير الحالى بالاسكندرية .

● **الطليعة : قدم من المسرح العالمى « طائر البحر » لتشيكوف**

● **الحديث : قدم من المسرح المحلى « الشيطان يسكن بيتنا » لمصطفى محمود .**

بعد استعراض حجم الانتاج والنشاط — لمسرح الدولة — عام ٧٥، نترك «الكم» الى « الكيف » ما يمثله النتاج المسرحى من قيمة أدبية وفنية ، من قيمة فكرية واجتماعية . وحتى لا نختلف كثيرا يجدر ان أشير الى « المنهج » الذى أطبقه فى تقييم مسرح ٧٥ . **فى رأيى أن الموسم المسرحى القومى هو الذى تتوافر فيه ثلاث خصائص:**

● **مسرحيات مؤلفة** — محليا بالطبع — ترتفع فيها القيم الثلاث الواجب توافرها فى أى نص مسرحى جيد .. القيم الفكرية والوجدانية والجمالية . مسرحيات — بالضرورة — تعبر عن الوجدان العام وقضايا الجماهير الاساسية بقوة وصدق . مسرحيات تلقى اقبالا جماهيريا عريضا .. يمكن أن تعيش أكثر من موسم .. أى تصبح من ريبورتوار المسارح ومن رصيد الحركة المسرحية .. مثال مسرحيات : **القضية**، **سكة السلامة** ، **الفرافير** ، **حلاق بغداد**، **عيلة الدوغرى** ، **السلطان الحائر** . **مأساة الحلاج** . بقدر توافر مثل هذه النصوص فى الانتاج المسرحى السنوى بقدر ما تكون أهمية . فضلا عن ضرورة تقديم مسرحيات « الريبورتوار » بالفعل كل عام .

● **مسرحيات عالمية مترجمة** .. كلاسيكية او حديثة او طليعية .. يراعى عند تقديمها الدقة وأمانة الترجمة . الكشف عما فى النص من قيم انسانية ، وابراز أهم السمات التى تتجسد فى النص كتعبير عن مذهب أو اتجاه فنى مسرحى بعينه ، ثم تقديم النص فى عرض جيد يضيف اليه ولا ينتقص منه . وبالتأكيد فاذا لمست المسرحية المترجمة . اللحظة التاريخية التى يعيشها جمهور المسرح .. فان هذا أفضل .

● **عدد أكبر من الليالى المسرحية** : عدد أكبر من المسرحيات المنتجة . عدد اكبر من الرواد بالقاهرة وخارج



نعمان عاشور

القاهرة .. وهــذه الخصيصة والحرص عليهـــا ، ليس مرده فحسب توفيـــر مزيد من فرص العمل والابداع أمـــام كتـــاب وفنـــانى المسرح ، وليس هدفه زيادة الايرادات بزيادة الـــرواد لتقليل « الخسارة المالية » التى تحققها فرق هيئة المسرح (والتى تبلغ ٩٣٪) ، وانمـــا لتأكيد الوظيفـــة الاجتمـــاعية للفـــن المسرحى . فالمسرح جمهـــور ، وبقدر زيادة عـــدد المستفيدين بالخدمات المسرحية التى تقدمها مسارح الدولة بقدر نجاح هذه المســـارح فى توسيع رقعـــة المشاهدين والاتصـــال بهـــم . وبقدر ما يكون هنـــاك اقبال جماهيرى على « المسرح الجاد » بقـــدر مـــا يكون على طـــريق الازدهار المسرحى المنشود .

وبعد ذلك ، أو على ضـــوء ذلك .. يستطيع أى عاشـــق للمسرح ان يقيم **مسرحيات العام ولن تختلف التقديرات كثيرا**

واذا كـــــان الاجمـــــاع منعقدا ــ فى العام الماضى ــ على أن مسرح ٧٤ قدم لنا موسما هزيلا ، ليس به نص واحد جيد أو عرض واحد متوهج . فان مسرح ٧٥ على الاقل يبدأ فيه « منحنى الهبوط » المسرحى ، يكف عن الهبوط ، ان لم نقل انه بدأ الصعود .

صحيح ليس هناك نص واحد مؤلف ، جيد أو قابل للحياة سنوات طويلة ، لكنهـــا علـــى الاقـــل نصـــوص متوســـطة القيمة .. « النسر الاحمر » لعبد الرحمن الشرقاوى ، و « بـــاحلم يا مصر » لنعمـــان عاشـــور ، و « الزفاف » لمنصـــور مكاوى ، و « الشيطـــان يسكن بيتنـــا » لمصطفى محمود ، و « البيانولا » لمحمود دياب . وهى أيضـــا نصوص تناقش من قريب او بعيد بعض القضـــايا الاســـاسية للامه .. ولا تتجاهلها . وهذا بالتأكيد مطلوب حتى لا يحدث انفصام بين المجتمع ومسرحه . قد تختلف مع رؤية المـــؤلف السياسية .. فالاختلاف أمـــر وارد ومقبول . لكن على الاقل تصبح هناك رؤية سياسية أو اجتماعية أو فلسفية للكاتب تتفق أو تختلف معها . كذلك كانت مسرحية « نرجس »» المعدة عـــن أصل أجنبى ، بذكاء وبـــراعة ، تلمس أيضا مثل هذه القضايا .

وبالنســـبة للمسرحيـــات العالمية ، فقد تضـــمن العـــام المسرحـــى منهـــا ثـــلاثا .. احداها « **دون كيشوت** » لمســـت أهم قضايا الانسان المعاصر .. وأزمـــاته الثـــلاث .. أزمـــة الديمقراطية ، أزمـــة العـــدالة الاجتماعية ، أزمة السلام الذى تغتاله الحروب الصغيرة أو الشامله .. وثانيها كان من الـــكلاسيكية الحديثة مأساة « **فيدرا** » لجون راسين . من اخراج الفرنسى جان بيير، ديكور الفرنسى ايف تافرنييه، اضاءة الفرنسى برنارد بورديه . وقد أعـــادت « فيدرا » للمسرح المصرى كرامته الفنية ، وشموخه السابق ، كما أعادت للفـــرقة جمهورها المحب للمسرح الجاد ، العاشق للفن الرفيـــع . وكانت المسرحية الثـــالثة لتشيـــكوف العظيم . وأهمية العروض الثلاث اننا منذ سنوات كنا قد جنحنـــا الى الاعـــداد والاقتبـــاس والتمصير ، ولم نعـــد نقـــدم المترجمات فى أصولها الدقيقة ، بأمانة وباهتمام .. وهذا مـــا لمسناه فى هذا الموسم .

ورغم سعادتنا بذلك ، فـــان مسارح الدولة لم تـــزل دون المستوى المنشود كما وكيفـــا . فالمسرح القومى ــ على سبيل المثال . كان فى النصف الاول من الستينيات يقـــدم ــ منفـــردا ــ مواسم أوفر عددا وأرفع قيمة ومستوى ممـــا قدمته مسارح الدراما مجتمعة فى عام ٧٥ مثلا موسم ٦٣ ــ ٦٤ قدم :

● **من المترجمات :** الخـــال فانيا لتشيكوف ، تاجر البندقية لشكسبير ، مشهد مـــن الجسر لارثر ميللر ، بيت ممن زجـــاج لجان كوكتو ، الشيخ متلـــوف لموليير .

● **ومن المؤلفات المصرية :** حلاق بغداد لالفريد فرج ، كوبرى النـــاموس .. والســـبنسة والمحـــروسة « اعادة » لســـعد وهبة ، الخبر لصلاح حافظ ، الطعام لكل فم .. والســـلطان الحـــائر « اعـــادة » لتوفيـــق الحكيم ، الفـــرافير ليوسف

ادريس ، رحلة خارج السور لرشاد رشدى ، عيلة الدوغرى والناس اللى فوق [اعادة] لنعمان عاشور ، التضيية « اعادة » للطفى الخولى .. وبداية ونهاية .. اعداد عن رواية نجيب محفوظ « اعادة » .. أى أنه قدم ثمانية عشر مسرحية منها تسع مسرحيات جديدة .. ومنها اثنى عشر مسرحية مؤلفة .. والباقى من المسرح العالمى .

وتستطيع معظم مسرحيات ذلك الموسم وما قبله .. أن يعاد عرضها اليوم وبنجاح أكبر مما تلقاه العروض الجديدة . أى انها أطول عمرا لانها أكثر أصالة وأكثر صدقا مما نشاهده حاليا . وهذا ما نفتقده ، وما ننشده .

● ● ●

وعلى الشاطىء الاخر لمسرح الدولة .. تنتشر فرق الاقاليم المسرحية ، صحيح انها « فرق هواة » ، أعضاؤها غير مؤهلين علميا للممارسة المسرحية ، وصحيح أنهم غير متفرغين للعمل المسرحى ، يمارسونه فى أوقات الفراغ ولا يتقاضون عنه مرتبات أو مكافآت ، وصحيح أنهم - بسبب عدم التفرغ والميزانيات الشحيحة وقلة الانتاج وعدم مساندة سلطات الحكم المحلى لنشر انتاجهم وتقديمه فى مختلف مدن وقرى المحافظة . لا يعملون بانتظام وطوال العام ، وانما يقدمون عروضهم بين الحين والحين ،مع هذا كله فهى فرق تمثل « الدولة » ، أو هى جزء أصيل من مسرح الدولة .. لانها تخضع من حيث التخطيط والاشراف والتمويل لوزارة الثقافة . فهى تابعة لادارة من أهم اداراتها وهى « الثقافة الجماهيرية » وبها جهاز مختص بمسارح الاقاليم .. يمدها بالنصوص ، وبالمخرجين ، وبالفنيين . وببعض الامكانيات المادية والمالية اليسيرة . كما تضع لها البرامج ، وتحدد لها الاهداف ، وتقيم فيما بينها « مسابقات » سنوية . ولقد قدمت هذه الفرق فى عام ٧٥ نحو سبعين عرضا مسرحيا جديدا ، وأحيت - خارج القاهرة - نحو ألف ليلة مسرحية .

ومن العروض الجديدة السبعين ، تم اختيار خمس وعشرين مسرحية فى تصفيات أجريت في أربع مدن هى الاسماعيلية ومرسى مطروح والزقازيق وقنا .. ومنها سوف تختار « لجنة التحكيم » خمسة عشر مسرحية لتعرض بالقاهرة فى نهائى المسابقة .. أى فى مهرجان فرق الاقاليم السادس .

وهناك بعض الملاحظات الاساسية على عروض فرق الاقاليم . فرغم كثرة عدد المسرحيات قياسا الى الماضى ، فان القليل جدا هو الجيد .. وفى الغالب الاعم فان المستوى الفنى ضعيف . وبسبب « أزمة النصوص » التى يعانيها المسرح المصرى عامة وفرق الاقاليم خاصة .. فيندر أن تجد نصا جديدا يقدم لاول مرة .. وباستثناء نص واحد هو « أيوه كده يا بلد » الذى قدمته فرقة « سوهاج » فان كل النصوص سبق أن قدمتها اما مسارح القاهرة ، أو مسارح الثقافة الجماهيرية .. فى الاعوام السابقة . والملاحظة الثالثة **أن بعض العروض ، أو بالاحرى بعض الفرق ، كانت نسخا مقلدة أو مكررة من فرق القاهرة فجاءت عروضها صورا مهزوزة مشوهة للحركة المسرحية الام** . بل جاء بعضها وبالاخص « العودة الى طلخا » صورة مهزوزة ومشوهة لارخص العروض التجارية الهزلية المرفوضة . فى نفس الوقت كانت هناك اجتهادات عديدة لتقديم تفسير جديد ومعالجة جديدة لمسرحيات سبق تقديمها واخراجها عشرات المرات .. مثل اخراج عباس أحمد لمسرحية « النديم فى هوجة الزعيم » « فرقة قصر بور سعيد » ، واخراج رافت الدويرى لمسرحية « آه يا ليل ياقمر .. « فرقة الاسماعيلية» واخراج ناجى كامل لمسرحية أدهم الشرقاوى « فرقة أسيوط » ، واخراج محمد سالم لمسرحية « رأس العش » « فرقة بور سعيد المسرحية » .. ومثل تجربتى نبيل يحيى فى مدينة « اطسا » بالفيوم ، وقرية « دنشواى » بالمنوفية ، وتجربة عبد العزيز مخيون فى قرية « زكى أفندى » بالبحيرة .. والتجارب الثلاث تبحث عن مسرح فلاحى أصيل وبسيط ومتوهج .. كذلك تجارب « فلاحين المنصورة » فى كسر قوقعة العروض المغلقة فى مسرح ثابت .. والانتشار - بلا امكانيات - فى قرى الاقليم .

● ● ●

بعد مسرح الدولة بجناحيه .. الفرق المركزية ، وفرق الاقاليم .. يبقى لنا من المثلث المسرحى ثالث اضلاعه .. وهو المسرح التجارى .. أو فرق القطاع الخاص . **ولقد قدم المسرح التجارى ثلاثة عشر عرضا جديدا - على غير عادته - أى أنه زاد من حجم نشاطه . كما أعاد تقديم مسرحيتين من ريبورتواره** . المسرحيات الجديدة هى : أولاد على بمبة - يحيا الوفد - انهم يقتلون الحمير - ياما كان فى

نفسى - فندق الثلاث ورقات - شاهد ما شفش حاجة - اللعب ع المكشوف انتهى الدرس ياغبى - حب ورشوة ودلع - ياحلوة مسا تعلعبيش بالكبريت - ياعالم نفسى اتسجن - ليه .. ليه - من اجل حفنة نساء . كما أعاد تقديم مسرحيتى : كباريه « المتحدين » . وفندق الاشغال الشاقة « الثلاثى » ، كما استمرت فرقة الهنديدى فى تقديم مسرحية « لوليتا » التى بدأت بها موسمها الشتوى فى نوفمبر ١٩٧٤ .

وللاسف فان هذا الكم الوفير من الانتاج لم يثر الانتباه ولم يضف أى جديد لسماته أو لمستواه .. اللهم الا عرضين فقط .. « يحيا الوفد » و« شاهد ما شفش حاجة » . وقبل الحديث عنهما ، يجدر الاشارة الى ظاهرة تحويل المسرح الى كباريه » التى سادت وتسود مسرحنا التجارى .

فخلف ستار ، أو تحت شعار « المسرح المتكامل » ، اتجه القطاع الخاص الى تطعيم عروضه بأجواء وخصائص وفنون « الملاهى الليلية » .. أو الكباريهات .. الراقصات الفاتنات شبه العاريات ، الاغانى العاطفية الخليعة ، التورية والجناس اللفظى فى الحوار ، مشاهد الاغراء والاثارة والقبلات .. ولا بأس فى النهاية من « الموعظة الحسنة » .. تأتى فى « المشهد الختامى » على شكل مونولوج خطابى يدعو للاخلاق والفضيلة ، ويحذر من السقوط والرذيلة .. فاذا أضفنا الى هذا أنها جميعا عروض هزلية ، تعتمد على القدرات والمهارات الفردية الخاصة لنجوم الاضحاك ، وعلى حشد المشاهد والمواقف بكل أساليب وحرفية الهزل ، تحت شعار أن الترويح والترفيه والاضحاك وظيفة « جليلة » وهدف « عظيم » للمسرح التجارى . . ولا ينبغى أن نطالب منه أكثر من هذا أقول بالشعارين .. أو بعروض الكباريه والاضحاك .. استطاع مسرح القطاع الخاص أن يجتذب الجمهور العريض . وفى غياب المسرح الرفيع يزدهر عادة .. النقيض .. المسرح الهزلى الرخيص والماجن .

ونعود الى مسرحيتى « يحيا الوفد » و « شاهد ما شفش حاجة » .. الاولى لانها مسرحية ٧٥ بلا جدال .. لا من حيث قيمتها الفنية والفكرية ، فهى من هذه الناحية من أضعف مسرحيات فرقة تحية كاريوكا ومؤلفها ومخرجها فايز حلاوة .. ولكن لانها فجرت « قنبلة صوت » بالغة العنف عالية الدوى .. بسبب موضوعها الذى هاجمت فيه بعنف وسفور دول الكتلة الشرقية الشيوعية والاتحاد السوفيتى على وجه التحديد .. ثم ما اكتنف ذلك من هجوم وهجوم مضاد .. من النقاد ومؤلف المسرحية ، ثم وقف المسرحية والتجاء الفرقة الى القضاء الذى أفرج عنها بدون كفالة .. استنادا الى مبدأ قانونى هام بل ودستورى أيضا .. وهو « حرية التعبير » خاصة وأنه لم تجد ظروف مغايرة للظروف التى أجازت فيها الرقابة على المصنفات - وزارة الثقافة - هذا العرض عند اعداده .. ولم يكن الهجوم على السوفييت هو كل شىء .. فقد تضمنت المسرحية دعوة سافرة على لسان بطل المسرحية - فايز حلاوة - أن يجعلنا الله « من أهل اليمين والدولار والاسترلينى !

أما مسرحية « شاهد ما شفش حاجة » فهى - فى رأيى - أفضل مسرحية قدمها المسرح التجارى عام ٧٥ لسببين :

● أنها قدمت عرضا نظيفا وجيدا .. فنيا وفكريا .. شكلا ومضمونا .

● وأن المسرحية تعرضت لموضوع خطير هو ضغط أجهزة التحقيق البوليسية على الفرد للاعتراف .. حتى ولو كان بريئا فى حقيقة أمره من الجرائم التى اعترف بها . فالفرد فى مواجهة السلطة « أرنب » جبان ومذعور .. وفضلا عن ذلك عالجته بشكل فنى غير مباشر كما تعرضت فى مشهد من أفضل المشاهد الانتقادية التى قدمها المسرح المصرى عامة وهو « مشهد المحاكمة » الى نقد الكثير من المسالب الاجتماعية والسياسية ببراعة وذكاء وجراة مذهلة .. فهى تؤكد المشكلة بنفيها تماما وادعاء النقيض للهروب من القهر .

هذا استعراض سريع لمسرح ٧٥ .. هو بالتأكيد اقل هزالا وضعفا من مسرح ٧٤ . لكنه بالتأكيد ايضا ليس هو المسرح المأمول والمنشود .. لا بالنسبة لما نطمح اليه مستقبلا فحسب ، بل حتى بالنسبة لما بلغناه من قبل فى سنوات الرواج فى الستينات .

وعلى كل حال .. فان نهاية عام ٧٥ تبشر بالامل .. الذى نتمنى ان ينبت ويزهر فى عام ٧٦ .

التليفزيون

● جمهور ٧٥ — ماذا رأى ؟ ●

فصل القنوات وعجائب التنظيمات .. والقطاع الخاص أيضا !

ماجدة موريس

■ **مع بداية عام ١٩٧٥ والتصريحات ، والتنظيمات الاذاعية والتليفزيونية تنهال علينا ..**

فيض من التصريحات يعدنا بتحسين واصلاح كل شيء .. الخدمة الاخبارية أولا حتى لا نكون في واد ، وما يجرى في هذا العالم في واد آخر ، ثم الخدمات الاعلامية والثقافية والترفيهية حتى يرتفع مستوى ما يقدمه جهاز التليفزيون الى مستوى المسئولية عن اعلام ، وتثقيف وتعليم شعب مكافح أمامه طريق طويل الى التقدم ..

وكان البحث عن حل « لازمة التليفزيون » و « لتغيير وجه الشاشة » كالبحث عن سراب ، الى أن أعلن الحل المنشود . وهو **فصل القنوات** ليخرج عن تنافسهما المستوى المطلوب للبرامج ، وبالفعل صدرت التنظيمات بفصل القناتين ، وتقسيم العاملين بالجهاز عليهما .. ولكن قرار الفصل نفسه كان يحمل في داخله مقومات فشله .. فلقد خرجت القناة الثانية « ٩ » الى الحياة مجرد كيان على الورق ، دون وجود حقيقى .. وذلك بأن عين لادارتها مديرا يعمل خارج مصر ، وقد حضر أياما وقت التنظيمات ، ثم سافر الى عمله ، ولم يعد ثانيا « ولعله أدرك أنه تقسيم ظالم من اللحظة الاولى » كما عين لادارة تمثيلياتها مخرج جاء من العراق ليجد اوضاعا فقد الاتصال بها لسنوات ، بالاضافة الى ان اهم عوامل الندية والمنافسة غير موجودة بالنسبة للقناة « ٩ » وهو عامل الانتشار ، فعدد كبير من أقاليم مصر لا يراها مثل منطقة القناة باكملها ، ومعظم الوجه القبلى .. ومن هنا تحمل العاملون بها عبء مولود عاجز ، مجرد تابع باهت الملامح للقناة الاولى .. اختصت في البداية بعرض الاعمال الدرامية القديمة فقط ، بينما أنتجت الاولى أعمالا جديدة .. ولم يكن هناك اية مقارنة بين ما قدمته القناتان من برامج في بداية انفصالهما .

وبرغم النقد ، والمطالبات المستمرة باعطاء القناة « ٩ » امكانيات الندية والتنافس مع القناة «٥» فان شيئا لم يتغير ، الى أن تغير وزير الاعلام ، ومدير عام البرامج ، وجاءت قيادات جديدة ليبدو أن نظام القناتين قد تراجع .. ولكن ببطء ودون اعلان ، « يتولى الوزير يوسف السباعى وزارة الاعلام ، ويتولى حسن عبد المنعم رئاسة اتحاد الاذاعة والتليفزيون ، ويتولى عبد الرحيم سرور رئاسة التليفزيون » . وبعد اجتماعات واجتماعات ، صدرت تنظيمات جديدة في نهاية شهر نوفمبر المنصرم لتدل على أن ما تم الاعلان عنه ، وهو فصل القنوات لتحقيق التكامل والتنافس قد تم الغاؤه سرا عن طريق التنظيمات الجديده التى تعيد توزيع المناصب على المسئولين فى القناتين ، وعلى من لم يتولوا مناصب عند عملية الانفصال ، وليبدو واضحا أن التنظيمات جاءت لترضى كل الناس .. والا فما معنى أن يتولى مسئولية البرامج اليومية فى التليفزيون ٢٩ مراقبا ومراقبة ؟ وما معنى استحداث مناصب جديده وتفتيت وحدات نوعية الى مراقبات صغيرة مثل مراقبة التمثيليات الفيديو التى عين مراقبها نور الدمرداش مديرا عاما لهما ، وقسم عملها الى ٦ مراقبات لها ٦ مراقبون .. ولكن هذا قد يبدو منطقيا لان كلا منهم يختص بنوعية من التمثيليات بالقياس الى تقسيم مراقبة المنوعات بالتليفزيون حيث عاد مراقبها

محمد سالم ليصبح مديرا عاما لها ، ومعه خمسة مراقبين جدد . يختص أحدهم بانتاج ما يسمى بالمنوعات الخفيفة ،، والثانى بالبرامج الاستعراضية ، وبالتالى فان علينا أن ندرك أن هناك منوعات خفيفة ، ومنوعات ثقيلة ، ومنوعات استعراضية ، وأن الاولى والثانية منوعات لا استعراضية **وبالتالى فان التليفزيون مع استحداثه لمناصب جديدة ، استحدث أيضا مفاهيم جديدة للفن ! .**

وبالنسبة للبرامج التعليمية ، فان حجمها ضئيل ، وعدد ساعاتها محدود جدا .. ولكن التنظيم الجديد أوجد لها ثلاثة مراقبين : اثنين للبرامج التعليمية . وثالثا لمحو الاميه والطريف أن برامج محو الامية هذه لم توجد فى التليفزيون بعد !

● ● ●

ومن عجائب التنظيمات التليفزيونية عام ١٩٧٥ أيضا هذه التوصيفات الجديدة للمناصب - ونحن نستخدم تعبير تنظيمات عام ١٩٧٥ بحكم تعودنا على تغير تنظيمات التليفزيون من عام لاخر ، ومن تنظيم لتنظيم فى نفس العام أحيانا - ونقصد بها ثلاث مراقبات مستحدثة هى : مراقبة القضايا العامة ، ومراقبة السلوك الاجتماعى ، ومراقبة البرامج الطارئة - ويبدو أن التليفزيون يرى القضايا العامة منفصلة عن القضايا الاخرى فى المجتمع ، ويرى أيضا أن « السلوك الاجتماعى » ليست له علاقة بالقضايا العامة وأن الاثنين لا يمتان بصلة للبرامج السياسية أو الثقافية أو غيرها وبالتالى فان المشكلة الحقيقية قد تنشأ بسبب مراقبة جديدة مفروض أن يكون عملها فصل أعمال المراقبات عن بعضها ، وارشاد كل منها الى ما يقع فى دائرة اختصاصه ، وايضا تقسيم **العمل بين المناصب المتعددة لعمل** واحد مثل مراقبى مكتبات الافلام، والمنوعات ..

فاذا انتقلنا الى قطاع الانتاج السينمائى بالتليفزيون فسنجده قد قسم هو الاخر الى ثلاثة عشرة مراقبة ، منها مراقبة للافلام الاستعراضية ، وأخرى للافلام الموسيقية ، وثالثة لافلام البيئة ، ورابعة لافلام الحضارة .. ولن نلوم التليفزيون بعد ذلك اذا انشغل بتفسير معنى هذه التنظيمات ، وبصراعاته الداخلية ، فالتنظيمات الجديده تضيف لهذه الصراعات قوة وحيوية .. وبعد كل هذا فليس فى وسعنا أن نسأل عن مصير القناة الثانية .. ولماذا لم تدرس تجربة فصل القنوات ويجرى تقييمها ومعرفة عوامل الفشل وعوامل القوة ؟ ولماذا يعاملها التليفزيون كلحظة ضعف سريعة لا يجب تذكرها ؟ أننا كمشاهدين للتليفزيون لنا آراؤنا فى تجربة قدمت من أجل الجمهور ، وليس من اجل اجراء تغييرات وتعيينات فى الجهاز ومع ذلك فان التليفزيون لم يسأل نفسه عن هؤلاء المشاهدين الذين يفاجأون بالتصريحات والتنظيمات وكأنهم ليسوا طرفا فيما يحدث ، وما عليهم الا قراءة ما يقدم ومشاهدة الاعمال .. بلا اتصال حقيقى بين الجهاز والمشاهد .. **ومن هنا فان التليفزيون يسلك فى علاقته بجماهيره سلوك شركات القطاع العام .. يقدم ما يجود به بلا اهتمام بتحسين انتاجه أو تطويره ، أو عمل دراسات لمعرفة ما تحتاجه تلك الجماهير احتياجا حقيقيا ، من هنا فان انقطاع الارسال أو سوءه لا يزعج التليفزيون حتى لو أزعج الجماهير والهب شكواها ، وانقطاع البرنامج فى منتصفها أو تغييرها ببرامج أخرى بلا اعلان عنها اشياء عادية يجب أن يتقبلها المشاهد كما يتقبل منه الاهمال التام ، او القصور فى** تقديم الخدمات الاعلامية .. **وعلى سبيل المثال فقد ترك التليفزيون أهم قضايا المجتمع المصرى عام ١٩٧٥ تدور وتملا الافق ووقف يتفرج عليها .. بلا مشاركة . بلا مساعدة الناس فى تفهم ما يدور من خلال عرض أمين وجاد لتلك القضايا ومناقشتها على نطاق واسع .. حدث هذا أثناء مناقشات قضايا الديمقراطية . واعادة تنظيم الإتحاد الاشتراكى . والمنابر ، وقيام منظمة الطلائع وتعثر منظمة الشباب . وانتخابات المجالس المحلية ، وانتخابات اتحادات الطلاب وقضايا مجلس الشعب والقوانين التى وافق عليها ، وظواهر العنف الغريبة على المجتمع المصرى المتمثلة فى موجات من الجرائم .. أين كان التليفزيون من كل هذه القضايا الحقيقية ، هل يعتبر نفسه جهازا لم ترفع الرقابة عنه بعد ، أم أن رقابته الذاتية اصبحت عنصرا كامنا تجاه كل القضايا الحيوية ؟**

وهى ليست كل القضايا فهناك أخرى كثيرة مثل قضية الامية التى تحتاج لجهد قومى موسع بدلا من الصرخات المبعثرة .. وقضايا الثقافة المصرية فى الاقاليم .. أن التليفزيون أيضا لم يتابع او يسجل تجربة واحدة من تجارب الثقافة الجماهيرية المسرحية ، فى أقاليم مصر وقراها وهو بالاضافة لهذا يترفع عن تسجيل المسرحيات الفائزة بجوائز المهرجانات المسرحية السنوية والتى تقدم عن الفن والفكر والمواهب ما لا تقدمه فرق العاصمة ، وهو يتعامل مع المسرح بمنطق القطاع الخاص وليس بمنطق جهاز الخدمة الجماهيرية فيسجل المسرحيات التى ينتجها لحسابه ، أو التى تتم من خلالها المجاملات والصفقات ، ومن هنا فهو الى جانب تجاهله لمسرح الثقافة

الجماهيرية ، وفرق الهواة الجادة التى تقدم عروضها على مسارح المراكز الثقافية الاجنبية ، يتجاهل أيضا أعمال مسرح الدولة الرسمى وآخر الامثلة على ذلك مسرحية « وياحلم يا مصر » لنعمان عاشور ..

• • •

ومن الغريب أنه فى الوقت الذى يعتبر فيه التليفزيون أحدث جهاز اعلامى وثقافى فى المجتمع المصرى ، فانه اكثر الاجهزة شيخوخة فكرية وجمودا جعلته جهازا هلاميا لا تستطيع ان تحدد ملاحمه أو مبادئه ، أو تتذكر له مواقف ايجابية مدعمة بالحملات والبرامج المكثفة الجادة تجاه أى شىء .. فانعدام التخطيط ، والرؤية الواسعة الافق هى امور تكاد تكون مقدسة فيما يقدمه .. حتى بالنسبة لافضل ما قدمه التليفزيون عام ٧٥ .. وهى ستة برامج ، بدأت فى يناير ١٩٧٥ ، وبعضها اختفى ، وكلها تنتمى الى برامج القناة « ٥ » وهى : لو كنت المسئول ، دعوة للفكر ، لقاء الجماهير ، الناس والتليفزيون ، شخصيات مصرية ثم نادى السينما .. فى البرنامج الاول والثانى محاولة جادة لمناقشة احتياجات الحياة اليومية من خلال حوار مباشر بين المسئولين والجماهير ، وأن اختص البرنامج الثانى بقضايا الشباب المهنية والعامة .. وفى البرنامج الثالث لقاءات فردية مع الجماهير « اعادة لعلى الناصية الاذاعية » ، وبرغم اعجابنا بتلك البرامج وحيويتها التى لا تخطئها عين بالنسبة للتليفزيون بحيث تحسب لصالح امكانياته وتضيف لبرامجه قيمة ، برغم كل هذا يبدو اللقاء مع الجماهير فكرة غير أصيلة لدى التليفزيون فهو لا يفتأ ينقص من فتراتهذااللقاء مثلما حدث مع برنامج « لو كنت المسئول » .. ومثلما حدث أيضا مع برنامج « الناس والتليفزيون » الذى استطاع ان يشد الانتباه فى حلقاته الاولى ، ولكن نقد التليفزيون فى عرينه أمر فوق احتماله ومن هنا توقف البرنامج ، وبالتأكيد ارتاح التليفزيون من معرفة رأى جماهيره فيما يقدمه على الفور !

اما البرنامج الخامس .. شخصيات مصرية .. فقد بدأ متألقا وجيدا فى لحظة ميلاده الاولى مع حلقاته عن الاديب يحيى حقى،ومن خلال جهد المعد والمقدم والاهتمام بالمعلومات وبنوعيات الضيوف وباطار التقديم نجحت الحلقتان الاولى والثانية ، ولكن العمل الجاد الذى بداه البرنامج لم يتم وتوقف بعد حلقات متعثرة وأخرى تغير فيها ليلائم مناسبات سياسية .. ثم صمت ليفسح المجال لبرنامج له نفس الفكرة والفرق بينهما لا تحتمله مقارنة هو برنامج « مشوار » الذى قدمه سمير صبرى طوال شهر رمضان مع يوسف وهبى والذى لو اعطيت امكانياته للبرنامج الاول لاصبح أعظم البرامج فى تاريخ التليفزيون .. دون مبالغة .

بقى البرنامج الاخير وهو « نادى السينما » ، وهو الوحيد الذى استمر حتى الان بلا هزات ، وبلا استقرار ، كامل ايضا ، فأحيانا تحذف المناقشة فى بدايته ويحرم المشاهد من معلومات عن المدرسة او الاتجاه الذى ينتمى اليه الفيلم ، واحيانا يهبط مستوى من يناقش الفيلم ولكن الحصيلة على مدى عام مشرفة للتليفزيون فهى لا تنفى عنه تهمة الثقافة التى يقدمها هذا البرنامج ، ومع ذلك يقابل بهجمات بين الحين والحين من اناس تثقلهم اى نسمة جادة .

• • •

لو تأملنا البرامج السابقة ، والاعمال الاخرى الجيدة والطموحة التى قدمها لنا التليفزيون عام ١٩٧٥ لوجدناها اعمالا فردية متناثرة ، مرهونة بارادات فردية ولا تشكل خطا او اتجاها عاما ..

فعلى مدار العام لم نر ما يمكن ان يسمى منوعات الا سهرة واحدة قدمها التليفزيون بمناسبة الاحتفالات بافتتاح قناة السويس وهى سهرة بلغت مستوى عاليا من الفن .

وعلى مدار عام كامل ايضا افلتت من حصار الاعمال الدرامية المسلسلة ثلاثة أعمال قدمت فى وقت واحد ، ومواعيد متقاربة على خريطة شهر رمضان ، وكانت تلك الاعمال السبب الرئيسى فى المديح الذى انهال على التليفزيون فى هذا الشهر الذى تعتبر برامجه قمة « الابداع » للعاملين فى الجهاز .

كان العمل الاول : حلقات « ايام المرح » للمخرج محمد فاضل والسيناريست عاصم توفيق ، والممثل مدبولى .. وبرغم ما أثبتته تلك الحلقات فانه سيمضى وقت آخر قبل ان يفهم السادة المخرجون ان الفكر والفن لا يتناقضان مع ذوق المشاهد المصرى البسيط لفسينما والتليفزيون .. ففى « أيام المرح » ستخلص المؤلفوالمخرج قيمة مصرية أصيلة قيمة الانسان المحب للحياة والناس ، والواعى بنفسه وبحياته وبموقعه من المجتمع ، والقابل للتطور مع احتفاظه بقيمة ومبادئه وأصالته .. وينمو الصراع بين « غزولى » الذى يجسد تلك الصفات وبين آخرين ينتمون لكل نقائص الانسان والمجتمع المتخلف من سرقة ، واثراء غير مشروع وفساد متعدد الوجوه ، وعندما تتكالف تلك القوى لتفسد « غزولى » يفيق فى قمة المحنة ليستعيد زمام حياته .

وفى الحلقات الثانية : جاسوس على الطريق : يقدم لنا

المخرج ابراهيم الشقنقيرى من خلال تكنيك جيد جدا قضية جاسوسية على مصر نكتشف من خلالها عيوبنا كأفراد لا يكفون عن الثرثرة فى كل شىء وبلا أى مبرر سوى قتل الوقت ، او الشهامة المضحكة عندما نتطوع بالاجابة عما نعرف وما لا نعرف ولا شك ان العمل كان يفتقد قوة التأثير الدرامى المطلوبة بسبب نزوعه الى المثالية حيث يظهر المصريون وكأنه من المستحيل سقوط احدهم فى شبكة جاسوسية وهو ما لا يحدث فى الواقع ! .

وكان العمل الثالث هو : ملك اليانصيب وهى حلقات لم تأخذ ما تستحقه من متابعة واهتمام برغم اهمية ما تطرحه ، فبرغم المبلغات نجح المؤلف محمد عبد الرحمن والمخرج حمادة عبد الوهاب فى تقديم عمل جيد فكريا وفنيا ، فمن خلال عملية واحدة هى بيع أوراق اليانصيب استطاع الاثنان تقديم عالمها السفلى الذى يبدأ ببائعى اليانصيب ، وقمة هذا العالم الامثلة فى المليونير وسيدة المجتمع اللذان يصدران الاوراق لصالح مشروعاتهما « الخيرية » وبين العالمين السفلى والعلوى سلسلة من العلاقات المتباينة ، والمآسى والفضائح والاستغلال نجح العمل فى ربطها ببعضها ، وتقديمها فى قالب محكم برغم اتساع نسيج الحدث كما نجحا ايضا فى تقديم نموذج مشرف لمواطن ملتزم بخدمة قضايا بلده ومجتمعه بلا تشنج من خلال شخصية الصحفى « مجدى وهبة » الذى يغتاله المليونير ملك اليانصيب وهو فى طريقه لكشف الحقيقة . .

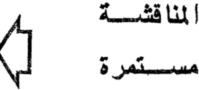
والى جانب تلك الاعمال الدرامية الطويلة برزت مجموعة سهرات مثل : زوج وزوجة ، حياتى والثمن ، البيانو ، المقابلة السامية ، هذا الحب . .

ومن الظواهر الجديدة فى التليفزيون عام ١٩٧٥ ايضا دخول القطاع الخاص الى سوق القطاع العام ، وتقديمه لبعض الاعمال الجيدة مثل حلقات « ايام المرح » وسهرة « زوج وزوجة » وربما كان هذا النظام هو المنقذ لبعض المخرجين الذين لا يستطيعون التوفيق بين العمل الجيد ونظافة اليد فى بلادهم الا من خلال الانتاج الخاص حيث يحصلون منه على اجور توازى جهدهم . . ولا تعطلهم حيث ان تسجيل الاعمال التابعة للقطاع الخاص يستغرق نصف او ربع الوقت الذى تستغرقه اعمال التليفزيون نفسها نتيجة لارهاق العاملين بالاستديوهات من العمل المستمر ، وظهورهم امام الكاميرا كوسيلة لزيادة دخولهم حيث لا يستطيعون صرف مكافآت او حوافز . . وبرغم الشكاوى المستمرة من تلك الاوضاع ووضوح حلولها . فان الحلول لم توضع . . وانما نفذت بطريقة فردية عندما طمح المخرج محمد البشير الى تسجيل مسلسلة له فى نفس الوقت الذى يستغرقه تصوير عمال القطاع الخاص ووافق رئيس التليفزيون على صرف حوافز للعاملين بناء على هذا الانجاز . . وليس من المفروض أن تكون الطموحات الفردية للافراد هى سبيلهم الى تقديم العمل الجيد او الحصول على حقوقهم لان العمل التليفزيونى عمل جماعى لا تترك أموره معلقة على الطموحات الفردية ، ولكن هذا ما يحدث برغم مئات اللقاءات والاجتماعات ومحاولات الاصلاح . . وهو ما يحدث الان فى قضية خطيرة اخرى ، **وهى قضية ذلك السطو على التليفزيون المصرى لحساب بعض المنتجين العرب الذين ينتجون الان فى ستديوهات دول الخليج والاردن المسلسلات التليفزيونية الملونة ، التى يكتبها ويخرجها ويمثلها مصريون ومع ذلك لا تحمل الجنسية المصرية . ولا يحصل منها التليفزيون المصرى على حقوقه المشروعة** ، ذلك أن السادة المسئولين فيه تغافلوا عن حقيقة هامة هى ان الارسال الملون يغطى معظم العالم العربى الان ، ويبدأ يوميا فى مصر بعد عام واحد وهو وقت ليس طويلا للحد الذى يجعل التفكير فى الانتاج التليفزيونى الدرامى الملون مفتقدا للان فى مصر ، ومن هنا فان ما يحدث على أرض الخليج ستظهر اثاره فورا عندما يفقد التليفزيون المصرى سوقه وامواله ومكانته الطبيعية فى عملية تخريبية . . دفعت مئات العاملين به من مخرجين ومؤلفين وفنانين ومنتجين الى كتابة وثيقة جماعية مطالبين المسئولين بأن يبدأ التليفزيون المصرى فى انتاج الاعمال الملونة خاصة وان معداتها موجودة فى مصر لم تستخدم ، وان انتاجها لا يشكل خسارة مادية لامكانية عرضها على الشاشة غير الملونة ، ومنبهين الى آثار هذا التخريب على الاقتصاد القومى المصرى ، وعلى سمعة الفن المصرى . وعلى كفاءة الاداء فى التليفزيون المصرى !

وهناك قضايا اخرى تمس التليفزيون عام ١٩٧٥ منها قضية المذيعات التى تخرج منه لتعمل فى الخارج ويتزايد عددها ، **وقضية المذيعات المبعدة التى لم تدان وصدرت قرارات بعودتها ولكنها لم تعد لاسباب لا يفصح عنها أحد بصراحة « برغم تعهد وزير الاعلام السابق د . كمال أبو المجد بعودتهم »** .

وقضايا اخرى كثيرة تجعل الحديث عن التليفزيون مثيرا لمشاعر الاسى والاحباط لانه اكثر الاجهزة مقدرة على التغيير فى بلادنا وهو اقلها تأثيرا بالفعل ! ■





تواصل « الطليعة » مناقشاتها حول قانون اتحاد الكتاب ، فتنشر فى هذا العدد آراء ثلاثة مما يمكن تسميته بالجيل الجديد من الكتاب : اولهم يكتب النقد ، والثانى والثالث يكتبان القصة القصيرة ولعل من حق هذا الجيل ان يقول رأيه بوضوح دون مواربة ، فعليه ـ قبل غيره ـ يقع عبء مواصلة النضال ..

قانون الاتحاد :
واستراتيجية الحصار الثقافى

رضا الطويل

حين يحدد قانون انشاء اتحاد الكتاب ، ان من اهدافه : ضمان حرية التعبير الملتزم بالوطنية المصرية ، والقومية العربية ، والقيم الدينية والانسانية ، والعمل على تأكيد الانتماء العربى ، والمشاركة فى نشر الجيد من التراث العربى ، وايضاح دور الرواد العرب فى بناء الحضارة الاسلامية . والعمل على تنشئة اجيال من الكتاب تنطلق من قاعدة التراث القومى والاصالة العربية ، وتتفاعل مع تقدم العصر ومنجزاته .

ثم سرعان ما يتناقض ويؤكد أنه لا يجوز للعضو المجادلة فى الامور السياسية أو الدينية بما يتعارض مع النظام العام او الاداب « فاروق عبد القادر : الطليعة ـ نوفمبر ١٩٧٥ ، ملاحظات حول القانون » .

لنا ان نتساءل اذن عن مفاهيم هذه المصطلحات الجميلة التى يؤكدها ، وهى مصطلحات شديدة القرب من قلب كل مخلص للانسانية ، والوطنية ، والثقافة .

فعقب انتصار اكتوبر ، وما سكتت الدافع ، حتى بدأت الدعوة الى استراتيجية ثقافية جديدة ، تشغل حيزا غير محدود من اهتمام المجلات الثقافية ، كضرورة لمواكبة المتغيرات ، على الصعد الدولى .

ومن المنطقى ، أن تنطلق دعوة ذات صبغة انسانية نبيلة ، من واقع ارادة التطور الاجتماعى ، — وفى سبيل اعادة بناء الانسان وتغيير المجتمع — فى اطار خطة جادة ، ترتكز على العلم متسلحة بالفكر ، سعيا وراء الرقى الثقافى والحضارى .

الا أن الدعوة لاستراتيجية ثقافية ، طرحت لاعتبارات تستثير الريبة ، وتثير الشك ، فى مدى جديتها ، بل هى من الوضوح بحيث لا تستثير هذه الريبة أو ذلك الشك .

ولما كانت معالم هذه الاستراتيجية تتحدد وفقا للضرورة التى فرضتها ، فأى ضرورة هذه اذن ؟ وما هى الصلة التى تربطها بأكتوبر الشعبى العظيم ؟

أما عن الضرورة ، فلقد قدمت الكتابات العديدة ، الاجابة المحدده والوافية ، وأما عن صلتها بأكتوبر ، فان الاجابة على هذا السؤال ، غامت فى ضباب التكهنات والشبهات والنوازع . طرحت الدعوة لاستراتيجية ثقافية ، كضرورة لمتغيرات الدولية ، التى يجب وضعها فى الاعتبار عند التخطيط لثقافة تلك المنطقة . « فلم يعد مقبولا أن تتغير كل الاستراتيجية **السياسية والاقتصادية والاجتماعية** فضلا عن الاستراتيجية العسكرية ، وتظل بعض القطاعات الكبيرة فى الامة العربية تتعامل على الصعيد الفكرى والثقافى **بأساليب الماضى ومصطلحاته** ، دون وعى عميق بطبيعة المناخ الروحى الذى يسود الان جو المنطقة العربية . وأقصد بالماضى العشرين عاما التى سبقت اكتوبر العظيم « عبد العزيز الدسوقى : الثقافة ، العدد ١٣ ، اكتوبر ٧٤ » .

ولا مجال للاجتهاد ، حول المقصود بالمتغيرات فى المجال السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، فالمتغيرات ملموسة واقعيا على المستوى الوطنى « فيما يحدث الان من عمليات الانفتاح الاقتصادى والسياسى » « المرجع السابق » وما صاحبه من مغيرات اجتماعية .

● ● ●

ان ثقافة لها مثل هذا الطموح الوضيع ، فى تمهيد طريق التسلل أمام الرأسمالية المتمرة ، وفى تدعيم خطواتها . هى ثقافة تجهيل ، لا ثقافة تنوير ، ذلك لانها مسلوبة القدرة فى الاعلان عن نفسها بوضوح ، كنقيض للافكار القومية والوطنية والتحررية ، المتنامية خلال الاعوام العشرين المنصرمة ، والمفترى عليها ، ومن ثم ، تتبدى حاجتها الماسة للتعامل من وراء موانع مزيفة ، للانقضاض على هذا الماضى ، والاجهاز عليه ، انها كثقافة محرومة من نعمة التعرف على الحقيقة والتعريف بها الى بعد المرور على الظاهرة التى يطلق عليها « بدعة او مهنة بتسمية الاشياء بغير اسمائها » « د . رضا محرم ، الطليعة ، مايو ٧٥ » ، وما التمحك المستمر بلفظى الاشتراكية والاشتراكى الا انعكاسا لمأزقها الفكرى الذى وجد مخططوها أنفسهم فيه . فكأى ثقافة تعترض التطور الطبيعى للتاريخ ، لابد لهم من نشر الخرافات على أنها حقائق وترويج الاوهام على حساب الحقيقية » « الرأى نعم . الجهل لا . روز ايوسف ، ٢٧ — ١٠ — ٧٥ » .

ان استراتيجية ثقافية تتبنى مثل هذه الاهداف ، لابد لها من البداية أن تتنازل عن مسئوليتها فى تنمية المعرفة الانسانية . مهما تباكت على الانسانية : ومهما ادعت من انسانية .

وها نحن نشهد من جديد ، عودة غير مبرورة لثعلب أمير الشعراء ذى الوجهين . الذى مشى ذات يوم يهدى ويسب الماكرينا . فانها لمشكة حقا مواجهة عشرين عاما من الوعى ، وليس من الاجراءات فقط ، كما أن مواجهة المستقبل . لا تقل رهبة أو صعوبة . ان التصدى لتدفق نهر الوعى فى مجرى الاشتراكية ، معضلة تواجه مروجى هذه الثقافة الازعومة ، انهم يبدأون وينتون بمعاداة الماركسية ، متوهمين أماثا متخيلا . ويحاولون من خلف هذا المانع ان يصوبوا سهامهم للخلف وفى الامام : للماضى وباتجاه المستقبل . دون تفرقة بين الشيوعيين وغيرهم من عناصر اليسار ، فالامر سيان ، ما دام يخص كل من يختلف معهم .

ولكن . بأى صيغة تضع الاستراتيجية الثقافة المستحدثة ، تكتيكاتها أمام الماركسية ؟ .

ان طريق الحقيقة الموصد يفتح أبواب المناورة **وحتى تقى نفسها مغبة الخذلان الفكرى . تحاول ان تنقل بحركتها المتصارعة من دائرة الافكار . الى دائرة الاشخاص ، وهكذا تتحول المسألة من المجابهة من شيوعية الى شيوعيين** ، من مشكلة ثقافة الى مشكلة طائفة محدودة من المثقفين والكتاب والمنتفعين المتكسبين من تجارة المبادىء ، والشعارات ، وانه لسبيل سهل ، ومسلك هين . ان تغلق باب العقل لتفتح ابواب الاسفاف والتعسف ، فمن السهولة القول بأن أهم المعوقات التى تحول دون ازدهار الوعى الثقافى الجدى الذى يحقق التحول الفكرى والثقافى النهائى هو « — أ بعض الذين افادوا من مراكز القوى الثقافية التى اختفت بحركة التصحيح وسيادة القانون وهؤلاء **لا خوف منهم لانهم لا يمثلون عقيدة ولا فكرا** » و « ب — بعض الذين نضجوا واحتلوا مراكز قيادية فى ظلال المؤسسات التى انهارت بفضل حركة التصحيح وهؤلاء تكونوا وازدهروا فى ظل فترة ثورية **كانت لها ضرورتها وطبيعتها السياسية والاجتماعية المختلفة** ، وكونوا

عاداتهم المعرفية والثقافية فى هذا المناخ وتحديث رؤيتهم الثقافية باطار نفلك المرحلة السابقة » وهؤلاء أيضا لا خوف منهم . و « ج — **بعض أصحاب الانتماءات المعينة من قرامطة الفكر وزنادقة الثقافة ، وهؤلاء هم أخطر الفئات وأكثرها** ضررا للتحول الثقافى ، فقد غيرت معركة اكتوبر الخالدة المناخ النفسى الذى كانوا يعملون فيه **ويلائم** دعوتهم ، فظهروا امام القوى الاجنبية التى **يتمنون** الفها بمظهر الضعف والتفاهة وعدم الفاعلية . وهؤلاء هم الذين يصطنعون المعارك الجانبية على طريق قطاع الطرق . **ويحاولون تأريث الصراع الطبقى** وتفجير الاحقـــاد بين المواطنين » و « شرائح متعددة من المثقفين من مختلف التيارات الذين يتركون أنفسهم يندفعون بالقصور الذاتى ، يجترون مصطلحات الماضى اجترارا لكسلهم العقلى وعدم وعيهم بالتحول الذى حدث **وهؤلاء لا خطورة منهم لانهم** بعد فترة **سيرددون المصطلحات** الجديدة » « النصوص الاربعة السابقةعن : عبد العزيز الدسوقى ، الثقافة ، اكتوبر ٧٤ » .

ان الحقل الثقافى الذى لا يعرف غير المتطفلين المتكسبين والجهلة من الكتاب أصحاب المصالح الشخصية سرعان ما سيتلقف النواةفترسخ جذور النخلة ، ولا يبقى من هؤلاء الكتاب غير قرامطة الفكر من الشيوعيين قطاع الطريق الثقافى ، أصحاب العقيدة ، وادانة هؤلاء مسألة ايسر من الاحتكام للعقل او للمنهج العلمى والموضوعية وهى السبيل الوحيد الممكن لعزل الفكر الاشتراكى ومنعه من التغلغل فى الواقع .

ان كل جناية الشيوعيين هى أنهم يحاولون تأريث الصراع الطبقى ، والغريب أن **كتاب اليمين الذين يندون** بما يسمونه الاستيراد الفكرى ، ما اسرعهم **حين يستوردون** أفكارهم لشجب **فكرة الصراع الطبقى من الخارج** .. « ان الصراع الطبقى يعود الى مجموعة من ردود الفعل النفسية أصلها الحقد » كانتقام من مظالم متراكمة وكتنفيس عن أحقاد مكبوتة . ومن الطريف أنهم يقدمون أحيانا حلولا كالملح والنوادر فمما يشكو العامل اليوم وهو الذى يحظى بمسكن وملبس لم يكن يحلم به رمسيس الثانى ، وهو الذى تجاوز راتبه السنوى كنوز قارون الاسطورية التى لا تتعدى مائتى جنيه عدا .

ولسنا هنا بسبيل تفنيد هذه الادعاءات المجافية لروح المعرفة والعلم .

ولقد كان من المستحيل على هذه الاستراتيجية ، مواصلة مسيرتها دون أن تشير الى استنادها الى عقيدة ما ، ولقد اهتدى مخططوها ومصمموا تكتيكها الى العقيدة الاسلامية . يرفعون راياتها السامية فى وجه الملاحدة الكفار ، وهنا يثبتون أنهم أكثر التزاما بالماركسية من الماركسيين أنفسهم ، وأكثر التزاما بالنصوص من الماركسية الارثوذكسية ، أنهم يخيرون الماركسى بين أن يكون شيوعيا أو مسلما ، **وتأخذهم الغيرة على الدين الحنيف اذا ادعى احد انه مسلم وماركسى** ، ولكن .. هذا الحرص على الدين ليس الا حيلة من الحيل ، التى يلجأ اليها ثعلب أمير الشعراء الحصيف ، ليس الا ستارا يخفون به عورتهم ، وافلاسهم الفكرى ، فاذا كانت استراتيجيتهم الثقافية بعثت كضرورة لتمهيد الطريق للرأسمالية المكشرة عن أنيابها ، فان طلاء الذهب الذى يحاولون به تغطية هذه الانياب ، لن يمنعها أن تقطر دما ، أو أن تكون أنيابا . **أنهم ومن البداية ليسوا أكثر تدينا من الماركسيين** ، « **ويكفى للرد على هؤلاء ان نذكر بديهية صغيرة يعرفها كل من درس الاقتصاد ، وهى أن الرأسمالية لا يمكن أن تقوم وتأخذ صورتها الواسعة التى هى عليها اليوم بغير الربا والاحتكار ، والاسلام قد حرمهما كليها قبل نشوء الرأسمالية بأكثر من الف عام** » « محمد قطب : شبهات حول الاسلام » ، ولنسأل الى أى مدى سوف يرفعون رايات الاسلام ويلتزمون بالعقيدة الدينية ، فالعقيدة الاسلامية جوهريا لا تعبر عن واقعهم وعن طموحهم اللاانسانى ، وليس ببعيد عن الذهن وصمهم لجماعة أهل الكهف الدينية « اخبار اليوم ٣١ — ٥ — ٧٥ » بالنعوت التى اختصوا بها الشيوعيين : الخيانة وعدم الوطنية ونشر المبادىء الهدامة .

انهم يجتهدون فى ضم الاسلام الى صفوفهم ، ويسيؤهم ان يتم تأصيل المبادىء الاسلامية فى دائرة أرحب وأصدق ايمانا من دوائرهم ، ولو بالشبهة ، **ان المسالة تبدو كما لو كانت ليست تمسكا بالاسلام وانما تجنيدا للاسلام** ، ان كل مجادلة فى الامور الدينية من موقع فكرى آخر مرفوضة من المبدأ ، حتى لو كان هذا الموقع الفكرى لا يختلف جوهريا معهم .

• • •

تتقدم الاستراتيجية الثقافية المواكبة للمتغيرات الاجتماعية بعد اكتوبر ، باهداف قمينة بأى ثقافة جادة وأصيلة ، كالتأكيد على الانتماء العربى والارتباط بالواقع والارتبـــاط بالتراث والتمسك بالوطنية المصرية والقومية العربية والقيم الدينية .

ولكن هذه الاهداف السامية ، ليست غير واجهة جميلة تعمل خلفها المعاول لهدم القيم والافكـــار الانسانية النبيلة .

ان الارتبـــاط بالتـــاريخ القـــومى والاتصال بالتراث ، كما يفكر مخططو هذه الاستراتيجية يكفل حد الامان والابتعاد عن التيارات الفكرية كوقاية من الافكار الثورية ، أو الافكار المستوردة كما يسمونها ، و « الثقافة فى بلادنا لن يثريها ويحدد معالمها وهويتها الحضارية الاعتماد على التيارات الفكرية المستوردة ... بل يثريها ويحدد معالمها وهويتها هذا المنطلق الذى

انطلق منه المثقفون العرب ونحن عرب وأعني الارتباط بالعقيدة والتراث والمفاهيم الفكرية الاصيلة » « عبد العزيز الدسوقي : » الثقافة ، فبراير ٧٥ » وبذلك « يمكن ان نأمل أن يخرج من مدارسنا كل يوم من يستطيع ان يرد على ماركس « عبد العزيز الدسوقي ، الثقافة ، يونيو ٧٥ »

وكما كانت هذه الاستراتيجية حريصة على تجنب الاتصال بالقيم الدينية عن طريق التفتح العقلي ، فانها حريصة ايضا على اغلاق نوافذ العقل عند الاتصال بالتراث ، ان استقراء التراث بالعقل المعاصر أمر مرفوض « لجأ بعض الدارسين وأصحاب الاغراض والاهواء الى تأويل أفكارنا وأصول حضارتنا لتخدم أغراضهم وأفكارهم . وبذلك تمكنوا من تشويه كثير من تلك الاصول الحضارية في القديم والحديث وعلينا ان نعود من جديد الى تلك الاصول الفكرية والحضارية لنعيش معها فترة طويلة » « على الدالى ، الثقافة ، نوفمبر ١٩٧٤ » .

ولابد لارادة التطور الحضارى من الاتصال بالتراث ، ولكن هذا الاتصال ، لابد أن يكون غير مشروط ، انه اتصال على قدر هائل من التفتح ، ومن السماحة العقلية . ومن البصيرة العلمية . أما أن تكون ارادة التطور مرتبطة بمنظور ضيق ، أما أن تخضع ارادة التطور لتفتح عقلى محدود ، يقف بها عند مستوى مفاهيم غابرة القدم ،فكأننا بهذا نحصر المعرفة المعاصرة ونحاصرها بأسوار الحضارة القديمة . وعفا الله عن المعاصرة ، وعن التراث ، وعن الفكر . وعن الاصالة .

ان النية العلمية غير متوفرة فى العودة الى التراث . **ومخططو هذه الاستراتيجية فى سعيهم للتراث ، لا يسعون للانطلاق الحضارى ، فقضايا الثقافة وقضية الاصالة لا تحتل حيزا من فكرهم ، الا باعتبارها قيودا تحد من الانطلاق الفكرى . وهى نية تقف بهم فى النهاية عند حدود الجمود وعدم التفاعل بين القديم والحديث . بين التراث والفكر العالمى . وهم بمنهجهم غير العلمى .. لن يستطيعوا خدمة التراث أو خدمة الادب او خدمة الفكر .**

ان مجافاة العقل ، لن تمنعهم من الاتصال بالتراث فقط .. ، وانما تدفعهم أيضا لبناء تصورات غير حقيقية للظواهر الادبية المعاصرة « الشيوعيون ينكرون فكرة القومية ولهذا فانهم فى غزوهم الفكرى للامة العربية ، عرفوا أن أهم مقومات القومية العربية هى القرآن أولا ثم الشعر .. أما القرآن فقد أنكروه بانكار وجود الله . وأما الشعر ، فقد حاولوا الاستيلاء عليه بأن يسروا سبيله لكل طارق . فما على الطارق الا أن يضع كلمة فى سطر وكلمتين مع بعض فى السطر الثانى وأربع كلمات مع علامتى استفهام وتعجب فى السطر الثالث ويصبح هذا شعرا يدعوا الى دعوة حمراء «مصطفى محمود . الماركسية والاسلام » .

• • •

منطقيا ، ان استراتيجية بلا فكر ، ليس أمامها بعد تكتيك تعقيم الفكر . الا مقاومة الفكر بارهاب المفكرين ، ان الاحلام الفاشستية تراود خاطر كتاب اليمين ، فاطلاق حرية التفكير أمر على جانب كبير من الخطورة ، ان ما يعكر صفوهم . ويؤرقهم فى مضاجعهم انه بالرغم من كل القذف الذى انهال به على اليسار ، فاليسار مازال يتنفس ، كما أنه من غير المنتظر أن يزول ، انه موجود وسيوجد . كما انهم يقدرون مغبة النزال الديمقراطى للحوار العقلى ، فلليسار رؤيته الواضحة . كما أن القاعدة الايديولوجية التى ينطلق منها قاعدة راسخة ، والاصطدام بالرأس منها ليس له من نتيجة غير تهشيم الرأس . **ولهذا فانهم يجاهدون ويصطرعون لاحتلال الساحة الثقافية ، لا عن طريق الحرية الفكرية ، ولكن بمسخ هذه الحرية** ، بعد اليسار ومحاصرته ، ولن يثنيهم عن عزمهم احترام للعقل أو للجدل العقلى ، انهم لا يقبلون من البداية وضعا يضعهم واليسار وجها لوجه . وضعا يسمح للعقل بحسم المشكلة الثقافية . **أنهم يطالبون بحماية الثقافة ، ويقصدون حماية انفسهم . ولهم فى هذا منطقهم الخاص بهم وحدهم ، ولما كانت وزارة الثقافة تجد غضاضة فى تقديم هذه الحماية لهم وحدهم . فانهم يطالبون بأن تنتقل مسئولية الثقافة من وزارة الثقافة الى وزارة** الداخلية ، ويحاولون قدر الطاقة استعداء السلطة واثارتها ، وكثيرا ما يقولون « لو قنع الماركسيون بأن يكونوا رجال فكر لهان الامر ، **لا لان صراع الافكار لا خطر منه** بل لانه صراع آدمى ، تنتصر فيه الحجة الناهضة ، وليس صراعا بهيميا تحسمه القوة المادية البكماء . لكنهم يريدون أن يكونوا رجال فكر ورجال شىء آخر ، تهتم به اكبر اهتمام وزارة الداخلية . ومن حق وزارة الداخلية أن تهتم » « عبد العزيز الدسوقى : الثقافة ، ديسمبر ٧٤ » ، ولكنهم قبل هذا يصرون على حرمان اليسار من حرية التعبير . **فى نفس الوقت الذى ينادون فيه بحرية الرأى . وكاستراتيجية تجهيل لها صياغتها ، فان الحرية التى ينادون بها للكاتب** هى **حرية « أن يفكر كما يشاء ، ولكنه ليس حرا أن يكتب كما يشاء** لان لهذه الدولة انتماء لا يتزعزع لعروبتها ولعقيدتها فمن شاء ان يكتب فليكتب فى اطار هذا **الانتماء** » « صالح جودت ، الزهور ، فبراير ٧٥ » على الكاتب اذن ان يتوقف عن الكتابة متمتعا بحريته الفكرية اذا أراد . انهم يضعون الشروط ويضعون مفاهيمها ويحكمون منطق الادانة لامنطق الحقيقة .

لكن ، يبدو أن هذا لا يكفيهم ليعيد الامان المفقود الى نفوسهم ، ومن واقع تطلعاتهم المناهضة للامل الانسانى يريدون التوصل لصيغة شرعية للارهاب الفكرى ، تسلط سيفها على رقاب المختلفين معهم

من عبد الله الكتاب ، « ليتنا نضع فى قوانينا الجنائية مادة تفرض عقوبة السجن على من يشوهون تراثنا الادبى والفكرى والروحى او يسيئون اليه ويشككون فى قيمته ويحرضون الناس على كراهيته » « الحسانى عبد الله ، الثقافة مارس ٧٥ « وأستكمالا لهذه الصيغة الشرعية للارهاب لابد « ان تنشأ محاكم التصحيح لتسهم فى تطهير الحياة الفكرية والثقافية واعادة الحياة الطبيعية الى تلك الساحة المقدسة لتعيد للفكر حرمته وللثقافة نقاءها وطهرها « صالح جودت الهلال ، يونيو ٧٥ » .

ان التمنيات الفاشستية كامنة فى الروح ، وقبضة الارهاب تحاول التوصل الى تكتيك عملى للانفراد بالرأى . ان النية مبيتة . « ان هذه الفئة الخطرة هى التى تحتاج الى أن يتصدى لها كل المثقفين والمفكرين الوطنيين الشرفاء حتى يقفوا تلك الموجة الموجهة الضارة التى يشيعونها الان فى الصحف والمجلات التى **لاتزال واقعة فى أسرهم »** « صالح جودت ، الهلال ، اغسطس ٧٤ » لقد اعلنت النية فى القمع ، ولكن من المهارة ارجاء استخدام العنف ، فقد يفيد اللين ، ان استراتيجية محاصرة الفكر فى التطبيق العملى تظهر العين الحمراء ، فى الوقت الذى تقبل فيه ان يتم لها ما تصبو اليه عن طريق آخر عن طريق استئناس الكتاب وترويضهم ، وقد تتعدد الاسباب والقتل واحد .

ان الكاتب المرغوب ، هو كاتب بلا موقف من قضايا عصره ومجتمعه ، انه كاتب بلا مخالب مستكين مسالم وسلبى . ان ميزة الكاتب الدالة على خلقه المتين « ان يرفض اشد الرفض الانغلاق على مذهب ويؤمن بضرورة الانفتاح على كل المذاهب والاتجاهات » « عبد العزيز الدسوقى الثقافة ، نوفمبر ٧٤ » . انه كاتب بلا قضية . وعلى الكاتب ان يكون وطنيا بأن يبتعد عن السياسة ، وان يكون مصريا فيرتفع فوق الطبقات جميعا ، وان يكون عربيا بالمحافظة والجمود العقلى ، وان يكون واعيا بالواقع بعدم الالتزام بعقيدة او الاستنارة بايديولوجية وان يكون متدينا فيقبل الملكية الخاصة لوسائل الانتاج فاذا حسنت نيته وتطهرت اخلاقه .. فالمغريات مكفولة : المعاونة فى نشر مؤلفاته .. رعاية حقوقه .. والدفاع عنها .. مساعدته على نشر انتاجه وترويجه .. التعريف بانتاجه فى الداخل والخارج والا .. فان السيف يعرف طريق الرقبة !

وفى النهاية اليس لنا ان نستنتج ان هذا القانون ليس سوى الصيغة العملية لاستئناس المفكرين وحصار الفكر ؟

○

.. حتى نضع العربة بعد الحصان !

محمود عبد الوهاب

اتفق الصديق عز الدين نجيب مع الاستاذ الدكتور عبد المنعم تليمة على دعوة الكتاب الى دخول الاتحاد على أساس أن الواقع الثقافى الراهن لابد أن يفرز اتحادا بهذه الملامح وعلى أساس أن الموقف الصحيح ليس هو المقاطعة رغم ما يبدو فيها من تشدد بل هو الانضمام والعمل على التواجد الحقيقى بداخله بقصد تطويره ومحاولة تعديل بنوده وعلى أساس ان دخول الاتحاد هو الاختيار الوحيد المطروح اذ لا بديل له الا المزيد من العزلة للكتاب التقدميين والمزيد من الاستئثار بمواقع العمل الثقافى للكتاب الرسميين .

ولاننى احترم واقدر الدوافع التى املت عليهما هذا الموقف لذا ارجو ان يسمحالى بهذه الملاحظات :

اولا : — هل كان ما يطمح اليه الكتاب يناضلون من اجله هو اتحاد للكتاب ام كان الهدف هو انشاء نقابة ؟ والمسألة فى تقديرى ليست ما تموله اللافتة اذ ان الامر يختلف جوهريا فى الحالتين :

فى حالة اتحاد الكتاب كان الطموح الى تجمع يؤدى الى جانب المهمات التقليدية لاى تجمع من حماية اعضائه ورعايتهم وتنمية قدراتهم مهمة اخرى جليلة هى ان يكون الصوت المعبر عن رأى الكتاب المصريين فى قضايا الوطن المصيرية .. الصوت الذى يلهم الجماهير قيم الصمود حين يرزح الظلام وقيم الاستبسال واليقين بالنصر حين يحتدم الصراع مع العدو وهو الصوت الذى ينبه ويحذر صاحب السلطان حين يعتزم اتخاذ قرارات قد تكون لها فائدة آنية لكنها تضر الاجيال القادمة وتنتقص من حقها المشروع فى مستقبل ينعم بالاكتفاء والامن والحرية .

وهو حين يمارس هذا الدور لا يزعم لنفسه وصاية ولا ينتحل مكانه فوقية اذ ان ما لصوته

من قوة يستمدها من صدقه وحبه العميق لمصر وولده الدائم لتاريخها العاطفى المصرى .

اعرف ان هذا التصور يعكس طموحا مثاليا وقد يصبح هدفا للكفاح من اجلــه فى المدى الطويل بعد وضوح الهـدف والسـعى اليــه بخطوات متدرجه شىء والالتفاف حوله بديلا له ينحل ملامحه شىء آخر .

اذ أن المطروح امامنا هو الانضمام الى نقابة لا تتعامل مع الكتاب باعتبارهم ضمير الامــة والصوت المعبر عن خبرة الماضى وآمال المستقبل ولكن باعتبارهم هولاء المواطنين الذين يرتزقون من مهنة الكتابه ويخافون ان يغضبوا المسئولين عن هذا المصدر المضمون للارتزاق فيحاذروا ان يتجادلوا فى الامــور السياســيه او الدينيــه ويجاهدون لاقرارالوضع الراهن باعتبارهالسلام المنشود ويؤكدون انهم يحققون اهــدافهم ذات الصياغة الانشائيه عن طريق الكلمة حرصا منهم على تمييز انفسهم عن بعض الكتاب المشاغبين الذين يكتبون بطلقات الرصاص، **باختصار هى نقابه تضم الذين يمتهنون الكتابة بالمعنى المزدوج للكلمة .**

ثانيا : فاذا انتقلنا الى النقطة التى تقول نعم نعترف معك بكل ما قلت ولكنها ارض حقيقيــة نمــارس من فوقهــا دورنا فى تطوير الاتحــاد وتعديل بنوده بفضل مانملك من اغلبية . عن هذه النقطة اقول **ان بنود الاتحاد تقدم لسلطات وزارة الثقافة كل الضمانات لاجهاض هـــذا التحول المزعوم والاعتراض على رئيس المجلس المنتخب واعضاء المجلس ويكفى ان يتهم الرئيس بانه غير محمود السيرة مثلا . هذا بالاضافة الى ان ما نتصوره لانفسنا من اغلبية وهم كبير**

ثالثا : وكيف نتصور اننا نستطيع ان نشكل ثقلا ما بتجمعنا داخل الاتحاد ونحن فى حالة غياب كامل خارجه .. كيف نأمل فى تواجد حقيقى فى مجلس ادارته ونحن محــاصرون ومعــزولون ومحرومون من مخاطبة قرائنا .. كيف نفكر فى الانضمام الى نقابة للكتاب ونحن لم نعد كتابا اذ الكاتب هو من يكتب ويقرأه جمهوره **المشكلة فى تقديرى ليست ان نكون داخل الاتحــاد او خارجه .. المشكلة الان ان نكون فقط وتصوير المسالة ان الانضــمام هو الاختيــار الوحيــد المطروح ليس صحيحا لان الاختيار الوحيــد المطروح هو التجمع لاصدار الكتب والدوريات بالجهود الذاتية ودعوة الكتــاب فى المحافظات الى اشهار الجمعيات الثقافية والعمل ضــمن اطارات شرعيه لمد الجسور الى القارىءوالوعى بضرورة واهمية العمل الثقــافى لبنــاء عقــل القارىء واضاءة وعيه واكسابه الحســاسيه الجماليه التى ننــاى به عــن الردىء والغث والمتهافت ــ الاختيار الوحيد المطــروح هــو استعادة القراء حــول الكتاب التقــدميين بحيث يمكنهم ان يكونوا ــ بحق ــ الصوت المعبر عن جماهير المثقفين ..** الاختيار الوحيد ان يكــون الكتــاب . . اذ فى كينونتهم فى افئدة قرائهم الضمان الوحيد لان يكون لهم حضورهم المؤثر والفعال والذى يجعل لهم صوتا مسموعا سواء كانوا داخل الاتحاد او خارجه اما ان يكونوا فى المنفى ومع ذلك تشغلهم ــ الى حد الانقســام ــ اجراءات الترشيح والانتخاب وآمال التغيير المزعوم على ارض الوطن فهو فى رأيى ــ وا [illegible] المعذرة ــ ليس الا وضعاللعربة قبل الحصان .

○

مؤتمر للادبـاء .. وتعميـق للحــوار

قاسم مسعد عليوة

قبل أن نتعرض لملاحظاتنا حول القانون نلاحظ أن الدعوة الى هذا الاتحاد قد مرت منذ رفع لوائهــا أثنــاء انعقــاد مؤتمر الادباء الشــبان بالزقازيق عام ١٩٦٩ بالاطوار التالية :

١ ــ **طور الوأد المباشر** غير واضح الاسباب برغم تشكيل اللجنة التحضيرية ــ المنبثقة عن ذات المؤتمر ــ والمنوط بها دعوة كافة الادباء للاسهام الفعلى فى تكوين الاتحاد المنشود .

٢ ــ النص الصريح الوارد ببرنامج العمل الوطنى المقدم من رئيس الجمهورية الى المؤتمر القومى العام الثانى فى دور انعقاده الاول بتاريخ ٢٣ ــ ٧ ــ ١٩٧١ . وان رأى انه «من المناسب» أن يتبنى الاتحاد الاشتراكى فكرة انشائه .

٣ ــ **تبنى لجنة الادباء الشبان التابعة لامانة الدعوة والفكر والشئون الدينيــة بــالاتحاد**

الاشتراكي العربي للمشروع والدعوة له ـ في منظور خاص ـ في مختلف المحافظات في فترة زمنية بعينها ٧٢ ـ ١٩٧٣ وبالتحديد ابان انشاء لجان الادباء الشبان بالمحافظات وقد صدرت من قبل الاتحاد الاشتراكي نشرات رسمية بهذا الخصوص .

٤ ـ **الاحتدام الذي** وصل الى حد السفور بين أصحاب القضية الحقيقيين وبين بيروقراطيي الثقافة ومن يعيش على فتات موائدهم الذين راحوا يضعون العراقيل اثر العراقيل امام مطالب الادباء والكتاب المشروعة .

٥ ـ **طور المناقشات الموضوعية المتصاعدة التي** تدور في معظم اللقاءات الادبية والمهرجانات الفنية ، والتوصيات التي تخرج في عقبها داعية لاتخاذ الخطوات العملية لانشاء هذا الاتحاد مع التركيز فيه على وجوب التمثيل الديمقراطي لكافة الادباء والكتاب ، ولعل آخرها التوصية الصادرة عن المهرجان الادبي الذي عقد ببور سعيد يوم ١٩ ـ ١٢ ـ ١٩٧٤ م .

لكن نتيجة للعوامل التي لا يجهلها أحد من المهتمين بشئون الثقافة والادب في مصرنا ، ولعل أبرزها سوءا أن سادة محافلنا الثقافية وسدنتها يرون في ميداننا الثقافي اقطاعية وانتكن مترامية الاطراف الا أن هذا لا يمنع من تسييجها بكل ما يمكنهم الوصول اليه من أسلاك شائكة حتى لا يتسلل اليها هؤلاء الماكرون ـ صغار السن أحيانا ـ بشعاراتهم التي تزلزل الارض تحت أعتى أساطينهم رسوخا بدعواها الى ضرورة الارتباط ارتباطا حقيقيا بالوطن وقضايا الحرية والتقدم .

أقول أنه نتيجة لتلك العوامل ـ وما ذكرنا هو بعضها فقط ـ اتجهت الاراء اتجاهين مميزين :

١ ـ اتجاه يرى وجوب الاخذ بالاساليب الديموقراطية في التشكيل والتمثيل جغرافيا وفكريا .

٢ ـ اتجاه آخر مضاد يرى ـ بحكم مواقع الداعين له ـ في الاتجاه الاول خطرا مباشرا لا أقل من تفاديه ، وما دامت المعارضة وحدها لا تجدي فلا أقل من مناوأته بمشروع آخر مضاد .

ومن هنا كان الاختلاف بين التصورين ، ومن ثم الدعوتين ، فالاتجاه الاول يدعو الى انشاء « اتحاد وطني ديموقراطي مستقل للكتاب والادباء » ، والثاني يدعو الى ما يمكن تسميته ـ بحكم مواقع الداعين له ـ باتحاد الادباء والكتاب الرسميين « لهم الوصاية من قبل ومن بعد ! » .

وهنا يجدر بنا التنويه الى أن الاتجاه الثاني ظهر في اعقاب تنامي الدعوة للاتجاه الاول « مع عدم اغفال تطوره تطورا مطردا من الشكل العام الذي كان عليه ـ مؤتمر ١٩٦٩ ـ الى الشكل المتكامل الذي وصل اليه الان » بقصد « احتواء » السلطة للمشروع . وسواء عندها بالطبع اكان هذا الاحتواء عن طريق ربطه بالاتحاد الاشتراكي أو بوزارة الثقافة .

ولقد وصل احتدام الصراع بين الاتجاهين الى درجة الاستعانة بكل الوسائل للحيلولة بين أصحاب القضية الحقيقيين من الادباء وبين دعوتهم ، ولو بتقييد الحريات ، ولعل ما عرف بقضية بور سعيد يعد أوفى دليل على هذا . فكل ما ارتكب فيها من جرم هو مجرد الدعوة الى انشاء اتحاد ديموقراطي مستقل للادباء والكتاب « ! »

ثم ها هو الصراع يشتد احتداما فيصل الى المشهد ـ الذروة ولا نقول المشهد الختامي بذلك التمرير الاحادي الجهة « **من قبل وزارة الثقافة** » لقانون ابتدعه سدنتها ابتداعا وانه لمن الطبيعي ان يصبح هذا القانون مرتبطا ارتباطا وثيقا بمصالح من قاموا بصياغته ويعطي لوصايتهم سندا شرعيا . « مواد ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٧١ ، ٧٣ » .

ولقد كان من جراء ظهور هذا القانون « بصياغته وطرحه غير الديموقراطيين » أن حدث بين التقدميين من الادباء والكتاب « ومعظمهم الان تقدميون » ما يمكن تسميته مجازا بالشرخ .

فأعداد منهم أعلنت موافقتها على الانضمام وأعداد رفضت .

والرافضون يعتمدون في رفضهم للقانون على لا ديموقراطية الاعداد والطرح « وهو أمر يقره معهم المنضمون » وأنه ارتكازا على مواقف مبدئية واعتمادا على عديد من نصوص القانون المقيدة للادباء أنفسهم وللربط السافر بين الاتحاد والسلطة فان الرفض يعد من وجهة نظرهم أمرا واجبا .

أما المنضمون فيعتمدون في انضمامهم على أن حركة الادباء والكتاب أنفسهم هي المقياس وأن لا شيء ثابت ثباتا مطلقا ، وأن الاقرار من قبل السلطة « والمشرع » بحق الادباء والكتاب في أن يمارسوا نشاطاتهم من خلال تنظيم ديموقراطي لا يعد منحة أو رشوة لهم ولكنه على النقيض تماما فهو ثمرة نضال طويل ومرير من الادباء والكتاب أنفسهم .

وأن مرد عيوب القانون الحالي ـ على جسامتها ـ هو العلاقات السائدة الان . ولذا فان ترك الساحة في ميدان خطير كميدان الثقافة خلوا للرجعيين ومحترفي التملق والارتزاق يؤدي الى رسوخ الاوضاع السائدة وربما الى الرجوع بها القهقرى وهذا أمر لا يوافق عليه أي كاتب تقدمي .

ولقد وصل الامر الى حد التلاحي بل والتحريم .. وكان من نتيجة هذا أن تردد عدد من الادباء والكتاب في اتخاذ رأي حيال هذه المسألة .. أينضمون أم يرفضون ؟ .. **وأخذ كل من هؤلاء** يعيد الحساب في ذهنه ليحسم الامر ، وهذه في رأيي هي ثمرة الاختلاف بين أصحاب المنهجين ،

وهى ثمرة على اية حال مستساغة المذاق ليصبح اتخاذ الرأى والقرار عن اقتناع وترو ، والا يكون للاندفاع او العماء اى دخل لاسيما ان الموقف لا يحتمل الاحد امرين : **اما معاوضد • وحتى القول** بترك الامر على ما هو عليه من شاء فليدخل ومن شاء فليرفض ينقصه الكثير من ادراك طبيعة الموقف فالكم العددى أمر مطلوب سواء لمن ارتضوا الدخول أو لمن يرفضون •

وما دام أحد من الكتاب والادباء لا يستطيع انكار مبدأ وجوب فتح باب الاتحاد «سواء الموجود حاليا أو المنشود » لكافة التيارات والاتجاهات الفكرية فانه من ثم يعنى أن لا حجر على الرجعيين واليمينيين من الدخول فى اى من الاتحادين ، وان الحركة داخل الاتحاد هى المقياس •

ولقد اتيحت لى فرصة التحاور مع عدد لا بأس به من هؤلاء وأولئك واستطيع القول بأننى لمست مدى اتساع الهوة بين الفريقين •

● لذا أرى أن **الدعوة لعقد مؤتمر عام يضم كل** الادباء والكتاب من كافة التيارات والاتجاهات لمناقشة هذا القانون تعد مطلبا حيويا وواجبا فى هذه المرحلة •. على أن **تتخذ الخطوات الاجرائية** لوضع توصيات هذا المؤتمر موضع التنفيذ الفورى ، سواء استقر رأى المؤتمرين على ابدال القانون أو تعديله أو حتى اقراره •• فالمهم اذ ذاك أن الرأى الاخير انبثق عن أصحاب القضية أنفسهم وبالطريق الديموقراطى •

● كما أرى ان يستمر ـ الى جانب الدعوة الى عقد مؤتمر عام للادباء ـ **تعميق وتوسيع دائرة** **الحوار الدائر** على صفحات « الطليعة » حول هذا القانون المتعسف الى أن تتم بلورة وجهات النظر حول مواده وبنوده فى اقتراحات محددة توطئة للتقدم بها لمجلس الشعب فى دورته الجديدة أو الى حين انعقاد المؤتمر العام أيهما اسبق •

● وفى هذا المجال ـ مجال بلورة الاراء من خلال الحوار ـ أرى بوجوب حذف الفقرات « ب » ، « جـ » ، « د » والعبارة الاولى من الفقرة « ح » من المادة « ٦ » وكذا حذف نص المادة « ٢٩ » والفقرة الاولى من المادة « ٣٠ » ونص المادة « ٥٥ » ونص المادة « ٧٣ » •

كما أرى ضرورة النص بدلا من المادة « ٢ » على « تشكيل الاتحاد تشكيلا قاعديا يعتمد اساسا على وحدات المحافظات » أى مراعاة التشكيل الجغرافى •

وكذلك النص على علاقة أعضاء الاتحاد بوصفه « نقابة » مع النقابات الاخرى •

كما أرى ضرورة تفصيل حقوق الاعضاء والا يقتصر الامر على هذا الادغام الوارد فى الفقرة « ز » وباقى فقرات المادة « ٢ » • وكذا تعديل الفقرة الثانية من المادة « ٣٠ » فيما يتعلق بعدد الاعضاء الذين لهم حق الطعن « المائة عضو » ، وفى التصديق على الامضاءات الموقع بها على الطعن من « الجهة المختصة » • وكذا تعديل النص فى الفقرة الثالثة من نفس المادة ليصبح : « وتفصل محكمة القضاء الادارى فى الطعن على وجه الاستعجال فى « جلسة علنية » بدلا من « جلسة غير علنية » • ■



هذا السيل من الاتهمات والشتائم ••• ماذا يعنى ؟

اعتدت دائما ـ ومثلى كثيرون ـ الا أعير مايكتبه عبد العزيز الدسوقى أى اهتمام ، ان هى الا حفنة من الشتائم والاكاذيب والاستعداء والملق الرخيص ، وكنت أقول لنفسى : هذا رجل يحاول أن يرد بعض الفضل لاصحاب الفضل • ويبرر ما حبى به من جاه ومال • هكذا سكت عما كتبه مرة ومرة « كان آخرها ما نشره بمجلة « الثقافة » فى اكتوبر الماضى » ، **لكن الامر هذه المرة لم يعد يحتمل السكوت** • فى عدد ديسمبر من مجلته تلك ، وتحت عنوان « سوء الفهم وسوء الخلق » نشر الدسوقى تعليقا حول مقالى فى

عدد نوفمبر من « الطليعة » أهال فيه على رأس الطليعة ورأسى كل ما فى قاموسه من شتائم ، ثم استعدى ميثاق الشرف الصحفى والمجلس الاعلى للصحافة ، ولم ينس ان يلوح بأننا المسئولون عن الهزيمة النكراء فى ٦٧ ، واننا ـ بالتالى ـ نعمل على الرجوع الى ما قبل أكتوبر العظيم !

واذا تجاوزنا الاتهامات والشتائم ـ وهى معظم ما كتب الدسوقى ـ **فسنجده يثير نقطتين :**

الاولى : ماذكرته خاصا بتشكيل اللجنة المؤقتة :وخروجها على قانون تشكيلها من حيث انها لا تضم المستشار القانونى الذى نص عليه هذا القانون :

يقول الدسوقى :

« ان الطليعة تكذب على لسان محررها ... وهذا كذب واضح من كاتب الطليعة ، لا ادرى لماذا ، وانما أتقدم به لمجلس الصحافة الاعلى ليقول له ايها الكذاب تحرى الصدق فى كتابتك .. » .

وانني أؤكد أن ماذكرته صحيح كل الصحة، وما أعرفه على وجه اليقين هو ان القرار الوزارى بتشكيل اللجنة صدر دون أن تضم هذا المستشار ، ودارت بعد صدوره اتصالات بمجلس الدولة كى يعين **مندوبا** معين واحدا ثم استبدل بآخر لعله هو الذى يذكر الدسوقى اسمه .

وانني أتحدى الدسوقى ـ وأنا أعرف من هو فى وزارة الثقافة ـ أن ينشر فى مجلته تلك صورة القرار الوزارى بتشكيل اللجنة ومن بين اعضائها السيد المستشار ، ساعتها يتحدد بوضوح قاطع :أينا الكاذب والملفق .

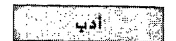
الثانية : ماذكرته خاصا بالمادة التى تمنع الاعضاء من المجادلة فى الامور السياسية أو الدينية « بما يتعارض مع النظام العام والاداب» . يقول الدسوقى :« لكن كاتب الطليعة لم يفهم الفقرة الخاصة بأدب المجادلات ، وتصور أن المادة تمنع الجدل فى الامور الدينية والوطنية « من أين جاء الدسوقى بهذه الكلمة وهى لم ترد فى نص القانون ولا فيما كتبته ؟ »والسياسة فراح يتحذلق ويقول : .... ، ولو أدرك كاتب الطليعة ان المنع منصب على المجادلة التى تخرج على نظام الدولة العام الذى يحميه القانون ، ويمنع الخروج عليه ، وكذلك الاداب العامة ، لا مطلق المنع ، لاراح نفسه .... » .

وواضح أن الدسوقى يثير الغبار كى يروغ من اجابة السؤال الذى طرحته فى نهاية مناقشتى هذه الفقرة : من أذن سيجادل لهؤلاء الكتاب ؟ ومن سيحدد لهم خطوط النظام العام والاداب فلا يتجادلون الا داخلها؟ان قلت انها السلطة لانتهيت الى مابدأت أنا به:ان هذا القانون يعطى السلطة ـ ممثلة فى وزارة الثقافة ـ التسيد على الاتحاد واعضائه ، وهـذا جوهر مناقشتى .

● بعد هذا .. فان الاستعداء لا يخيفنى ،والتلويح بقميص عثمان لا يرهبنى ، أما القول بأننا الذين أوصلنا الجميع الى الهزيمة النكراء فيثير عندى الاحتقار والسخرية : فمن كان يعمل فى الشؤون العامة لهؤلاء الذين أوصلونا للهزيمة ـ حقيقة لا مجازا ـ ومن كان يكتب لهم البيانات ويفيد منهم ؟

هل من احد ينصح الدسوقى بأن يخرج الخشبة من عينيه..قبل ان ينظر القذى فى عيون الاخرين؟.

فاروق عبد القادر



« الـــــلاز »

روايــة الانســـان – فى – الثـــورة

القرية الجزائرية الصغيرة كما تركها الرومان : نتأمل الجمال فى كآبـــة ، وتتطاول الظلال كلما انحنت الشمس وهنا واجهادا ، الماضى – مثل كل ماضى – يتراجع الى الخلف ، ونحن – مثل كل حاضر – نتقدم الى الامام ، الشهداء قد أصبحوا ذكريات بعيدة وبطاقات منح كل ثلاثة اشهر ، وصوت « اللاز » يهدد فى جنبات القرية الساكنة : « ما يبقى فى الوادى غير حجارة » اى : لا يصح غير الصحيح – هيا اذن نتحسس الجرح : شىء عشناه ، وشىء سمعناه ، وشىء نتخيله ..

وتبدأ رواية من أهم انجازات الرواية العربية المعاصرة الطاهر وطـــار : اللاز ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٥ • وحين توضع بين نماذج الادب الجزائرى المكتوب بالعربية تكتسب اهمية مضاعفة ، فلم أعرف بين نمـــاذجه مثل هذا العمل : شمول رؤية واحكام بناء ، وقدرة على تحديد ملامح الشخصيات ، وسيطرة على حركـــة الزمن داخل العمل ، ولغة طيعة تتلون بالشخصيات ، وتنقل الينا شيئا مـــن رائحة الحياة فى قـــرية جـــزائرية صغيرة ..

ليس هذا فقط ما أكد عندى أهمية رواية **الطاهر وطار ، لكننى احسست أيضا أنها من تلك الاعمال النادرة التى تجسد الام شعب بأكمله ، آلامه التى حتمت قيام الثـــورة ، والامـــه فـــى الثــــورة• وترصد – بدقة ورهافة كيف يصـــنع الانسان الثورة فتصنعه بدورها فى جدل لايتوقف ، وشخصيات مثل قدور وحمو وبعطوش ورمضان– دع الان شخصيتى اللاز وزيدان – تبقى ممتلئة بالحياة والحضور ، وقادرة – مع ذلك – على أن تكون نماذج لهؤلاء الذين حتموا قيام الثورة ، وكانوا وقـــودها ، وارتبطت مصـــائرهم بتقـــدمها عبـــر النجـــاح والاخفاق•**

البطل الحقيقى هنا هو الثورة ، كانت الحياة تمضى مثل مرآة صقلية وان كانت مليئة بالخدوش •• والوجود الاستعمارى لايستشعره أحـــد الا كما يستشعـــر مريض داء مزمنـــا ، لولا ازماتـــه من حين لاخر ، لتوهم – بل لاعتقد – سلامته » • ثم انفجرت احشاء الشعب بالثورة ، سقطت المرآة فتناثرت شظايا ، ومع تقدمها راحت تفرض وجـــودها وايقاعها الخاص ، وتحطم معالم الحياة العادية شيئا بعد شىء ، بين حمو – الحمامجى المسحوق تحت وطأة حياة تستنزفه بلا زمحة ولا أمل فى المستقبل – وصديقه قدور – الذى فتح ابوه دكانا فى القرية فأقام بها يشترى ويبيع سيدور الحوار ، فى نهايته يقول حمو : « فات الحال •• اما واما •• الشامى شامى والبغدادى بغدادى • الذبح من جهـــة والرصاص مـــن جهـــة » ، فأيهما تختار ؟ ، عرف كل اجابة السؤال ، وان جاء من طريق : « ساد بينهما صمت طويل كانا اثناءه يفكران فى الجبرية ، حمو يرى ان الوضع الذى أصبح عليه الناس من فقر وبؤس وعرى وجهل ومرض وظلم وجور يجبرهم على العمل من أجل التخلص منه • وهذا العمل ليس سوى الثورة ، ليس سوى التمرد علـــى الاسياد .. على كل شىء .. بينما قدور يرى أن الحرب نعم يوما بعد يوم ، وفرنسا يقوى تكالبها يوما بعد يوم ، ولا أحد يستطيع ان يظل محايدا ، يواصل عمله فى الدكان او فى غيره دون أن ينجو من تهمة التعاون مع احد الطرفين » •• ويحذر الفلاح وحرص التاجر الصغير اجرى حساباته » • رغم انه لافائدة من الالتحاق بالثورة ، فان الالتحاق بفرنسا فيه خسارة ، هذان رجلان من غمار الجزائريين ، اولهمـــا لاشىء يربطـــه بالماضى ، لاشىء لديه يخسره ، وثانيهما لا شىء يدفعه نحو المستقبل ، فليس بينهما مشترك سوى الحاضر ، يحاول الفقراء صنعه بالثورة ، ويبقى الذين يملكون شيئا يتفرجون أو يحاولون هدم الحاضر وعرقلته ، فى كلمة واحدة ، اولهمـــا غاطس ، وثانيهما متردد. •

غير أن الثورة تغير الانسان ، وبقدر عمقها يكون عمق التغير ، وحين يرى قدور صديقه حمو ، الفقير البائس يخرج من جيبه الملايين ، بينما عائلته تتضور جوعا ، ولباســـه رث ممـــزق كالعادة ، وعمله الشاق كما هو لا يزال فما اسهل الاقتناع بان « هذا العمل الذى يقوم به حمو وزيدان وكل الفقراء – وحتى هو أخيرا – عمل جاد وعظيم ، لابد أن يغير الاوضاع فعلا » ومادام ثمة من يناضل ، فلابد أن يكون ثمة من يخون ، احد هؤلاء بعطوش ، ابن عم قدور • كان راعيا للعجول ، ثم التحق جنديا فى صفوف الفرنســيين « حركى وكشف امر الشبكة التى تتولى تهريب الجنود الجزائريين للحاق بالثوار فى الجبل ، وتقاضى ثمن خيانته رتبة ومزيدا من التقرب للضابط الفرنسى •

اقرأ فـــرانز فـــانون : الثـــانى الأرتينيكى ، الذى عمل طبيبا عقليـــا بالجزائر ، وحين اندلعت ثورتها ولم يكن لاحد أن يتفرج ، انضم لصفوفها ، وكتب عن ملحمة بطولتها أروع ما كتب • اقرأ ما كتب فانون فى نهاية « معـــذبى

الارض » حول تلك الحالات التى أوردها للجلادين وضحايا التعذيب ، وسترى كيف أن هذا الاستعمار- من حيث هو نفى منظم للاخر ، من حيث هو قـــرار صارم بانكار كل صفة انسانية على الاخر - يحمل الشعب المستعمر - بفتح الميم - على أن يطرح على نفسه دائما هذا السؤال : « من انا فى الواقع؟ •• وتنفتح أمامه مختلف الدروب ، وفى كل الحالات التى قدمها فانون - والتى دمرت فيها الشخصيات تدميرا كاملا - كان الحادث الذى أطلق المـرض - بتعبير فانون - هو ءفى الدرجة الاولى ذلك الجو الدامى الذى لا يرحم ، هو تلك الاعمال التى لا تعرف الروح الانسانية والتى أصبحت عامة شاملة ، هو هذا الشعور الدائم الذى لا يبرح نفوس الناس بأنهم يشهدون قيام الساعة » فانون معذبو الارض ، الترجمة العربية ، ص ٢٤١ •

هكذا •• حين يقوم راعى العجول بعطوش باغتصاب خالته وامراة عمه ثم قدور الذى لجأ للجبل بعد اكتشاف الشبكة - امام عيني زوجها ، وعيون الضابط والجنود ، فانما هومن ضحايا هذا الجو الدامى ، يهرب منه الى الخمر والجنون والدم ، لكنه يجد خـلاصة الحقيقى ذات ليلة : قتل الضـابط «استطاع مع مجموعة من الجنـود الجزائريين أن يدمروا الثكنة ويقتلوا معظم رجالها : « ارتفعت الزغاريد من كل منزل ، واشتعلت أنوار صـومعة المسجد ، التى اصبحت لا تنار الا من عيد لعيد، وارتفع الاذان فى غير وقته ، وظل يتردد زمنا طويلا •• حتى بدات المعركة تهدأ » •

لقد نحطمت الحياة العادية تماما ، ولم يعد هناك خلاص لفرد الا انيلقى بنفسه فى الاتون•

حتى اللاز •• هـذا اللقيط الشريد المتمرد ، الاشكال المطروح على القرية من ثلاثة وعشرين عاما ، فى مواجهة ازدراء القرية له تحول لطاقة عـدوان يخشى الجميع باسها ، لم يسلم أحد من يده ولسانه ، حين قامت الثورة استبشر الناس بالخلاص منه ، لكنه عرف كيف يتدبر أمره ويسخر منالجميع ، بادر الى مصادقة جنود الثكنة وصار يتردد عليها الى أن اقتحم مكتب الضابط نفسه ولم يعد يغادره ، لكن أحدا لا يستطيع أن يقيم عليه دليل الخيانة •• « فقد كان دائما يشهد فى صالح من يستشهده ، ويقدم الماء والتبغ لكل من يطلبه •• فى حين أن الخونة الحقيقيين هم الذين يقـومون بتعذيب اخوانهم » ••

ويوما التقى اللاز بـزيدان - شقيق حمو والذى كانهذا يصفه بأنه ضائع ، املكتـــه السيـــاسة - فســـأله عن « الفلاقة » هل يعرفهم ؟ •

وذلك كانت كلمة جزائرية تعنى قطاع الطرق ، اطلقها الفرنسيون على رجال المقاومة تنفيرا للجزائريين منهم ، ويرد مفدى زكريا - أحد شعراء الثورة :هذى دمانا الغالية دفاقة - وللجهاد أرواحنا مشـتاقة - ووفى الجبـال اعـلامنا خفاقة- جيش التحرير احنا مـاناس فلاقة • انظر قانون سـوسيولوجيـة ثورة ، الترجمة العربية ، ص ١٧٤ ، ولان زيدان كـان يعرق الغـلاقة حـق المعرفة ، فقد انعقدت الصلات بينهم وبين اللاز • وأصبـح مسئـولا عن تجنيـد الجزائريين العاملين فى صفوف الجيش الفرنسى ، وتحريضهم على اللحاق بالثوار فى الجبل ، ليس هذا فقط ما عرفه اللاز من زيدان، فقد ألقى هذا اليه مفاجاة عمره ، هويته الضائعة ، ان اللاز ليس لقيطا ، لكنه ابن زيدان نفسه ، ثمرة حب اندلع فى غمار ماساة «انه ابنى•• ابن جميع الناس•• ابن ذلك الزمن •• ابن ماضينا كله »، لهـذا يقـول لـه زيدان : « كنت دائما اعلق عليكآمالا كبيرة، وكنت أثق انك لن تخون أبدا، لانك لا تطمع فى شيىء ولا تخشى ضياع شيىء ، يجب آن نغير الحياة ياللاز يـاابنى - نحن أشـــقياء كالكلاب ••• » •

وحين يكتشف بعطوش عن الشبكةيساق اللاز الى التعذيب ، وهو ممدد على طاولة التعذيب ، المسامير تدمى جسـده ، والسياط تلهب ظهره ، والملح يحشـو جراحه الناغرة، كان اللاز القديم قد مات ، لقد بلغ نهاية النهاية، وما سيبقى عنه بعد ذلك سيكون لازا جديدا •يقول عنـه الضـابط الفـرنسى فـى خواطره : « حتىهذا الاسمليس لهمعنى واحـد •• فى القـديم كان يطلق عـلى الجزء الادنى من العملة النقدية ، والان يطلق على العدد المفرد فـى أوراق اللعب •• المعنى المجازى للاز هـو البطل ، فى غير لغة قومه ، أما عندهم فانه اللقيط ، أو كل أعور يتشاءم منه •• آه أيها القذر ، انك لا تمثل شيئا ، لا تمثل غير هذا الشعب اللقيط ، غير هذه القضية المفتعلة التى انفلتت من دبر التاريخ •• » •

هذا الشعب اللقيط يمد يديه ليلتقط ابنه الذى منه خرج ، يـرتب الجنـود الجزائريون فى الثكنة خطة ، ويهربون باللاز بعد أن يخوضوا عدة معارك مع رجال الحرس، وحين يصلون الجبل يلتقى اللاز بصدر أبيه العريض ، وحين توضع بين يديه بندقية ،يلتقىبحقيقته ووجوده ، طاهرا ، نقياء محررا •

لكننا لم نتعرف بعد الى زيدان ، الشخصيـــة الرئيسيـة فى الـــرواية وأكثرها امتلاء بالحياة والحضور، انه يتقدم الينا أولافيكلمات آخيه حموعنه انه ضائع ، املكته السياسة ،ثم فى خواطر الضابط الفرنسى : « تدرب فى صفوفنا - وتثقف فىمدارسنا ، وسبقتنا اليه موسكو •• » ، وفصلا بعد فصل تتكامل شخصيته امامنا ، بماضيه وفكره ورأيه فى الحياة والثورة والرفـاق، جزائرى امى فقير خرج الى العـالم الواسع ، وفى فرنسا تعلم اللغة والثقافة والحب ، رأى وجه الحق فآمن به ، وحالت الحرب بينه وبين اكمال تعليمه بموسكو فرجع الى الجزائر فى أوائل الاربعينات ، منذ رجـع وهو عضو فى الحزب الشيوعى الجزائرى •

ولابد ان نفتح قوسا هنا حول هذا الحزب وموقفه من الثورة ، فبدون هذا القوس لن نفهم موقف زيدان وماساته كبطل تراجيدى ، من المعروف أن ظروفا كثيرة قادت الحزب الشيوعى الفرنسى لان يتخذ موقف المعارضة للثورة الجزائرية حين اندلعت فى نوفمبر ١٩٥٤ ، وحذا الحـزب الجـزائرى حـذو الحزب « الام » ، فـأدان الثـورة واعتبرها عملا من أعمال الارهاب ، دون ان يناقش مضمون هـذا الارهـاب وسياقه • وقد اوضحت جبهة التحرير هذا الموقف اكثر من مرة : « ان القيادة الشيوعية البيروقراطية قد عجزت عن تحليل الموقف الثورى تحليلا صحيحا، ولهذا السبب فقد شجبت الارهـاب ، واصدرت الاوامر - منذ الاشهر الاولى للثورة- للمناضلين الشيوعيين فـى منطقة اوراس الذين قدموا مدينة الجزائر لطلب التوجيهات ، اصدرتاليهم الاوامر بعدم حمل السلاح » « الياس مرقص الحزب الشيوعى الفرنسى وقضية الجزائر ص ٨٦ » •

لكن زيدان رأى الامـر عـلى نحو آخر، نستطيع أن نجمله مـن مونولوجاته المتناثرة على طولالجزء الثانى من الرواية: لاول مرة فى التاريخ يطرح موضوع تكوين جبهة من افراد لا من أحزاب ، هذا يعنى تكوين حزب جديد ، واذا كانت الخلافات والتصدعات داخل الحركة الوطنية تـدعو بعض أعضائها الى تكوين هذا الحزب ، فانه ليس من الضرورى أن يطلب من الاحزاب الاخرى حل نفسها••• والموقف المبدئى لكل حزب عقائدى ألا يحل نفسه ، وفى مثل هذه الظروف لابد من أسس واضحة وشروط ، ابسطها وضع ميثاق عمل وطنى يساهم فى تحريره ••

طيب • اذا كان هذا هو المـوقف المبدئى، فماذا فعل زيدان عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى حين اندلعت الثورة ؟ انه يجيب بوضوح : « التحقت بالثورة لم استشر أحدا ، لا الحزب ولا غيره ، أوجبت الظروف المحيطة بىذلك ففعلت ، واذا ما سئلت هل انسلخت من

حزبى فسأجيب فورا بالنفى ، واذا ما طلب منى ذلك فساظل اسأل عــن الدوافع • لن أنسلخ ، ولن أدفــع الاشتراك ، ولن اسعى لتكوين خـلايا جديدة ، وساظل أكافح من أجل الاستقلال الوطنى•• »•

هكذا •• قرر زيدان أن يرجىء كل نشاط حزبى ، لكنه لا ينكر انتماءه ، ولا يستنكر موقف حزبه ، ولا ينسلخ عنه • قال له الشيخ مسئول الولاية: لو كنت شيوعيا عاديا لامرت بذبحك ، وارسل يطلب رأى القيادة فى الخارج •• وهاقد جاء الرد، والقى على زيدان عبء الاختيار : اما اعلان الانسلاخ واما الذبح ، ولم يكن زيدان وحده ، كان معه رفـاق خمسـة • اربعـة فـرنسيون وأسبانى ، وكان الاختيار نفسه مطروحا عليهم •• بالاضافة لاعتناقهم الاسلام !

أمهلهم الشيخ وقتا يتخذون قرارهم ، **وكان القرار واضحا لا غموض فيه : انه الموت ، وعليهم ان يختاروا أحد وجهيه : اما الموت الجسدى او الموت الحزبى والنضالى** • تناقش الرفاق ، طــوفت مناقشاتهم حول فرانسوا مورياك وبطلته تبريز دى كيرو •• البورجوازية التى أسلمها الملل لان تسمم زوجها وتتخلى عن ابنتها ثم تضيع فى اقبية باريس وهمنجواى فى « لمـن تدق الاجراس » •• ألم يبالغ فى القاء تبعة الهزيمة على الشعب الاسبانى وحلفائه التقدميين؟ •• وها هم أخيرا: لم ينضموا لصفوف الثورة باسم احزابهم ، لكنهم يعاملون كما لو كانوا ممثلين لها ، ومن ثم •• ليس لهم سوى اختيار واحد: الموت فى صورته الجسدية ، « الموت . الموت دون تحقيق شيىء يذكر، سمكة لفظها فيضان نهر فتخبطت وتخبطت واستسلمت • الشيوعى والشمعة لا دور لهما الا الذوبان والانتهاء، الذوبان ، هكذا • حظنـا سيىء يا اللاز ، يوم وقعت فى قبضة مدى افصل عنقك ،لن تتطور ، خلقت مادة خام وستظل كذلـك •• ادركت الثـورة وادركتك ، ادركتها عمـلا وأدركتـك روحا ، ولما حان أوان اقتحامها لراسك ، لفكرك ، ها هو الجسر يقطع بينـك وبينها • هـا هى النهاية تحـل : الموت ••» •

امر الشيخ ان يحضر اللاز لتنفيذ الحكم فى أبيه •• «ظل اللاز يقـف مشدوها لا يصدق عينيه ، وعنـدما انفجرت الدماء من قفا أبيه صاح فى رعب : ما يبقى فى الوادى غير حجاره ، ثم ارتخت كل عضلاته ، ودارت بـه الارض، ومد يديه يحاول التشبث بشيىء ما •• ثم هوى •• »•

اكتملت دورة الزمن فى رواية الطاهر وطار فالتقى طرفاها : بعطوش أصبح قائدا بعد زيدان ، قدور استشهد وهو يحاول عبور الحدود باللاز ، الثورة انتصرت وخرج الفرنسيون ، ورجع حمو يبحث عن عمل يعول أسرته ، واللاز افضل الجميع لانه لا يزال يعيش الثورة فى ثياب عسكرية رثة يطوف جنبات القرية بصوت هادر : ما يبقى فى الوادى غير حجاره •

يقول الطاهر وطار فى تقديم روايته«انه كان لابد من مصافية الحساب مع الماضى • كان لابد من التعرية حتى الجذور. فهذا وحده ما يمنح الكاتب شرعية الكتابة عن الحاضر. وقد فعل • استطاع ان يقدم لنا صورة للانتفاضة التى شملت جسد الجزائر كلها ، بما فيها من اضواء وظلال . نجاح واخفاق • لم يقع فى أسر رومانتيكية ساذجة ، او رغبة فى تزييف الماضى بالغائه ثم خلقه من جديد: لكنه وضع يديه على كل جراح الماضى بامل تجاوزها • فاجتمعت فى عمله حرارة الرؤية وجسارة الفكر•

قبل ان يتقدم زيدان للذبح ، تخايلت لعينيه صورة جزائر المستقبل يوحى الكاتب بان احداث روايته وقعت فى ١٩٥٦ : «هـذه النطفـة، هـذا الجنين ، يجب ان يرث كل الخلايا البيض والصفر وحتى السود، ويجب ان يرضع اللبن الطبيعى ، لبن امه ، لا اللبن الاصطناعى ، وان يحبو وينهض ويسقط ويمشى على أرضية طبيعية عادية غير مفروشة وغير مكنوسة •

لانه سيولد بدون قابلة •

ولانه سينشا بدون مربية ••• وسيظل طيلة سنواته طفلا صغيرا ، سيظل بلا منطق زمنا طويلا ، من يدرى اى عذاب سيلحقه قبل ان يكتسب المنطق ••! »

فهل اكتسبت ثورة الجزائر المنطق، عبـر سـنوات التضـحية والدم والعذاب ؟ ■

فاروق عبد القادر

□ □ □



على مركـــب اليـــوم المطــير

قرب نهاية عام رمادى اللون ، لم يشهد حدثا متوهجا فى الحياة الفنية كمعرض فردى او جماعى ، هبط فجاة الى ذلك الزائر الغريب • وعلى امتداد مسطحات هائلة من قماش اسود غطت جدران قاعة الاتحاد الاشتراكى باجنحتها العديدة ، توهجت المئات من لوحاته ذات الالوان الفسفورية ، كنوافذ مضيئـة فى عمارة تنتصب عبر سماء مظلمة نوافذ تشى بعالم ممتلىء بالفرح والحلم •

ذلك هو معرض الفنان النمسـاوى « هندر تفاسر » ، الذى جاء الى القاهرة فى اواخر نوفمبر ، من اوسع الابواب، ضمن رحلة الى القارات الخمس ، يمر خلالها بخمسة وثلاثين مدينة ، وكانت القاهرة هى العاصمة الثانية ــ بعد باريس ــ التى يقام فيها ذلك المعرض القارى ، الذى تغزو به النمسا العالم،

بتقديم شخصى من الدكتور كرايسكى مستشار النمسا ، وافتتحه السيد رئيس الوزراء ، كتأكيد على استمرارسياسة الانفتاح • على المستوى الثقافى ايضا •

ومن الظلم ان نستعرض عالم «هندر تفاسر » فى تعليق سريع كهذا ، فهـــو ليس فنانا عاديا ، بل انه بالفعل صوت خاص فى حركة الفن المعاصر ،وان لـم يصل الى مستوى العبقرية ، الا انــه يملك رؤية شبه متكاملة للفن والحياة، يحاول التعبير عنها بكل الوسائل بالرسم ، والكتابة ، والتصميم المعمارى بهذا سنكتفى بالقاء بعض الاضـــواء السريعة على حياته وعالمه •

● ● ●

« هندر تفاسر » هو الاسم المستعار للفنان ، انتحله منة ١٩٤٩ بدلا عن اسمه الاصلى « فريدريش شتوفاسر » ••وهو من أسرة يهودية قتل من افرادها خمسة وستون شخصا فى معسكرات النازية بالدول الشرقية بعد ان ابعدوا اليها ولد فى فيينا سنة ١٩٢٨ • لم يستطع ان يدرس الفن دراسة اكاديمية لتمرده المبكر • ففى اكاديمية الفنـون بفيينا لم يمكث سنة ١٩٤٨ اكثر من ثلاثة اشهر• وفى مدرسة الفنون الجميلة بباريس لم يمض غير يوم واحد • الا ان تمرده الاهم كان يتخذ غالبا طابعا تظاهريا استعراضيا اكثر منه فنيا ••

ففى الوقت الذى يبدو فيه الانسان محورا اساسيا فى اعماله ، لانجد فـى هذا الانسان اى تمرد او احتجاج ، بل نجده غالبا فى انسجام كامل مع الطبيعة، ببراءة او سذاجة طفل ، مبتهجا او مندهشا او حالما ، او غارقا فى حــزن رومانسى شفيف • بينما نجد الفنان فى افتتاح معارضه يلجأ الى اقصى درجات التمرد والاستفزاز ، الى درجة ان يخلع كل ملابسه ليبقى بين المدعوين كما ولدته امه ، او يلطخ لوحاته وسقـف القاعة وانوارها بالالـــوان السوداء والحمراء ، احتجاجا على •• على زحف « الخط المستقيم » على المبانى الحديثة، وخلوها من الخطوط اللولبية ، مما يجعل الحياة جافة عقيمة !

وفى الوقت الذى يؤكد فيه عبث كل العقائد والتعاليم والمناهج السياسيـــة المختلفة ، نجده يعلن عن رغبته فى أن يسبق زمنه فى الحياة ويعيش للنـاس ويرسم لهم فردوسا يمكن لكل فرد ان يقتنيه ، وهو لايحتاج الا لمن يمد يده ليستمتع به •• بينما هو يعرف جيـدا انه لن يكون بمقدور « كل فرد » ابدا أن يقتنى اعماله بمئات وآلاف الاوراق المالية انما هى فئة محدودة بمقدورها ذلك • وفى الوقت الذى يحنج فيه ـ حتـى التعرية الجسدية الكاملة ـ على زحف الخطوط المستقيمة على المبانى وابــادة الاشجار ، لانجده يرفع صوت احتجاج خافت على ابادة البشر والشعوب ، على ايد لاتختلف كثيرا عن الايدى التى ابادت خمسة وستين فردا من اقاربه بل نجده يقوم بزيارة اسرائيل عام ١٩٧٤ فى يخته الخاص المسمى «مركب اليوم المطير » •• « وذلك منشور فى كتالوج » معرضه باللغة العربية » •

● ● ●

فى اعمال وتصريحات هندر نفاسر دعوة صريحة للحياة وسط الطبيعة وكراهية للنظام والعقل ، الذى يرمز اليهما بالخط المستقيم • اما رمزه الفنى البديل عن القيم التى يمثلها الخـط المستقيم فهو اللولب او الحلزون •• ومنذ عام ١٩٥٣ حتى الان كان اللولب هو العنصر الاساسى فى تكويناته •

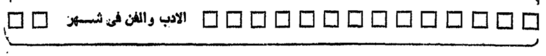
لكننا فى الحقيقة نقف امام تلك الاعمال فى حيرة : ان الخط الحلزونى الذى لا يكف عن الدوران يوحى بالانطـــواء والمتاهة •• مثل « لابرنت » لامخرج منه ، حيث البداية هى النهاية فيه ، الا اننا نجد فى هذه الاعمال مهرجانا من الالوان المتالقة البهيجة ، او كما ارادها الفنان نفسه « فردوسا » • وقد نجد لهذا نفسيرا ، لو اردنا ، بـــان الفردوس ممكن التحقيق رغم المتاهة الابدية ، او بكلمات اخرى ، عش الحياة أو اللحظة وتشبع بكل اشراقها دون ان تسأل : من اين ؟ •• والى اين ؟ **انه فنان يكره الاسئلة ، ويكره المنهج العقلى اجمالا ، لكنه فى هروبه منــه يقع فى المتاهة ، وبدلا من ان يبحث له عن مخرج منها • يستسلم لنوع من المتعة المجنحة بالخيال الشعرى والحلم الوردى بحياة جميلة ، وأن تسللت اليها احيانا بعض الاحزان العاطفية كفشل فى الحب أو وحدة فى مدينة كبيرة او موت صديق • لكن الامطار التى لاتكف عن الهطول فى لوحاته تغسل المشاعر كما تغسل الطبيعة ، وتعيـــد الاشراق الى كل شىء •**

ان الاقبال الكبير فى اوربا علـى اعمال هندر تفاسر يعكس الازمـــة الحضارية التى تعانيها اوربا والغرب•• لقد فشل العقل والنظام الصارم فـى المجتمع الرأسمالى فى ان يحقق للبشر الخلاص من ثقل الحياة المادية المقيمة ، لهذا اخذوا يرفضون العقل ويهفون الى اطلاق مشاعر الانسان على سجيتها ، والى الغرق فى الطبيعة وفى الحلـــم والاسطورة والى جو الشرق ••• وكـل هذا تحققه لوحات هندر نفاسر الى حد بعيد • ان امتلاء لوحاته بالقباب الشرقية الحلزونية والمبانى ذات النوافذ الواسعة المستطيلة التى نشف عما وراءها من عالم غامض • ليس مجرد عناصر تشكيلية طريفة •، ان جو السحـــر والاسطورة والشعر يسرى فى تلـك اللوحات ، مما يستهوى الانسان فـى الغرب • ذلـك الـذى جفت ينـابيع الخيال فى عالمه ، وامتلات حياتـه بالعقول الالكترونية والعمل المضنى طول اليـوم واجهـزة الراحة التكنــولوجية والحسابات الجارية فى المصارف •

ان احد الشعارات التى اطلقها هندر تفاسر ـ وكثيرا مايطلق الشعارات هى : « **حقك فى النافذة •• واجبك نحو الشجرة** » •• كدعوة للعودة الـى الطبيعة والانطلاق من اى قيد • وقد حاول ان يترجم هذا الشعار عمليا بان قام بتصميم العديد من المنـــازل وسط الغابات او داخل التلال المكسوة بالخضرة ، اخترع تصميماتها الهندسية الغـــربية او اقتبســـها من الطـــرز التقليدية المعمـارية فى الشرق • مثـــل اليابان والمغرب العربى • حيث يمكن ان نستخدم كوحدات معيشية قـــائمة بذاتها تعتمد على مصادر الطبيعة مباشرة كالاضاءة والتهوية والمياه وخلافه ، كما قدم بعض البرامج التليفزيونية يدعو فيها الناس الى الحياة فى الســريف وزخرفة بيوتهم بانفسهم وفتح النوافذ بها وزرع الاشجار حولها • كل هذا لاشك مما ساعد على جعل هندر تفاسر شخصية اجتماعية عامة ، وعلى لفت الانظار الى لوحاته وترويجها ••

وقـد اسـتفاد هنـدر تفـاسر من الامكـانيات المادية العصرية فى تنفيذ اللوحات على مستوى واسع الى اقصى مدى • فاغلب اعماله منفذة فى مئات النسخ بوسائل الطبع على الشــاشة الحريرية والحفر ، بالوان غاية فى الكثرة والبذخ وحتى وصل عدد الوان بعضها الى ٢٥ لونا » مما ساعد على انتشارها وضاعف امكانية اقتنائها ، كذلك استفاد من صناعة النسيج المرسم « الجوبلان » حيث اعيد تنفيذ عدد كبير من اعماله بهذه الوسيلة الباهظة التكاليف ، والتى يتزايد الاقبال عليها رغـم ذلـك •

ان انتاج هندر تفاسر بمثابة الوسادة الحريرية اللدنة ، او الكرسى الوثيـر الذى تحدث عنه « ماتيس » ، الذى يستلقى عليه الانسان الاوربى بعد عناء



يوم عمل طويل ، يفوض فيه مستسلما لجاذبية غامضةتعوضه عن شيءمايفتقده ولم تعد وسائل الراحة نستطيعتحقيقه، ولم يعد التليفزيون قادرا علىاشباعه•

وهو فى الوقت نفسه سلعة رأسمالية مضمونة ، اصبح لها سوقها الخاص ووسائل ترويجها ومستهليكيهاالقادرين• وهذا مايفسر سر التجمد الذى اصاب تطور الفنان ـ عبر سنوات طويلة ـ على تكنيك لايكاد يتغير ، على اعتبار ان هذا الاسلوب وهذا العالم يشبعان احتياج المستهلك الاوروبى • وفىتغييره لهذا العالم وذلك الاسلوب مخاطرةغير مامونة قد تنتهى بفقده لذلك المستهلك•

واصدق تعبير عن الاثر الذى تتركه اعمال هندرتفاسر ، نجده فى تلك الكلمات التى كتبها الدكتور كرايسكى مستشار النمسا ، فى تقديمهللمعرض:

« •••• والواقع ان هذه التحفة الرائعة فى غرفة مكتبى تعتبر الشيء الخلاق بكل ماتحمله هذه الكلمة منمعنى •واذا ماصدق القول بان عملى يعتبر مهمة صعبة ـ وهو بلاشك كذلك • اذ ان اعدائى فى المجال السياسى انفسهم يقرون بذلك ـ واذا كانوا يدعون اننى اقوم بتأديته بطريقة سيئة ، فانهمن العدل ان اذكر فضل هندر تفاسر فى تاديتى لعملى • اذان الغبطة والراحة والخيال هى عناصر الحياة الخلاقة » ••

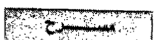
●●●

لقد كانمجيء هذا المعرض الىالقاهرة حدثا هاما •• تكمن اهميته ليس فى مجرد التعرف على عالم واسلوب فنان معاصر تتبناه دولة اوروبية وتصدره الى العالم الخارجى ، لاغراض لاتخلو من دوافع سياسية ، بل كذلك فى انه يتيح لنا فرصة التعرف على مسار حركة الفن الحديث ، المنعكسة عنحركة المجتمعات الراسمالية الفنية ••• ولعلنا نخرج منه بشيء ما ••• فبينما نحن فى بلادنا الشرقية المتخلفة نلهث للحاق بالقيم المنهارة فى تلك المجتمعات فكريا وفنيا ـ ونحاول تقليدها بشكل طفولى ، تحاول تلك المجتمعات ان تتجه الى مالدينا من قيم روحية لاتنضب

لكن هذا المعرض فى الوقت نفسه يمثل منطقة جذب خطرة ـ كدوامة بحرية ـ لانصاف الموهوبين والمقلدين وشباب الفنانين ، الذين يمكن ان يجدوا فى اسلوب هذا الفنان « السهل الممتنع» اغراء سهلا بمحاكاته ■

عزالدين نجيب

□□□



بماذا وسوس الشيطان لمصطفى محمود وحسن عبدالسلام ؟

البيت ؟ فى عصرنا هذا [والبيت هو الوطن] هو ذلك المحبط الذى تعيث فيه فسادا ، نساء متهتكات ومجموعات من الشواذ والمنحلين ، انه ذلك البناء الفاسد المتداعى ، الذى يفر منه نفر غير قليل كالشيخ ابراهيم الطنطاوى [عارف بالله وقطب من الاقطاب] لينقطع فى الصحراء ، لا يلقى فيها سوى تلامذته ومريديه وطالبى التبرك به •• وفى هذا المحيط تختلط قيم العلم والتحضر والوعى السياسى ، بمعانى الالحاد والتفسخ والبغاء •

او لعل البيت ؟ هو هذه الصحراء نفسها ، التى انقطع فيها ولها الشيخ ابراهيم •• فهو ذلك القفر الموحش ، الذى لا يجد المرء فيه سوى خيمة حقيرة ، ومصباح شحيح الضوء ، ومياه آسنة •• هناك حيث تختلط القيم الروحية وزهد العباد ، باتساخ الخرقة ومحدودية التفكير •

وبغض النظر ، عن جلافة كل من التصورين ، ومجافاة كليهما للمنطق والصواب ، وامتلائه بالمغالطة والقسر وسواء اكان الشيخ ابراهيم الطنطاوى « محمد السبع »: هاربا من ضلال الواقع ، أو غائبا فى فلوات العجز •• فها هو الشيطان يسعى الى جنته : فنانة من هاته النسوة خالصات العذار [الفنانة سونيا ـ ليلى طاهر] ، سبق أن تعرفها الشيخ فى اعلانات المتعة ، التى تحتل كامل مساحة البيت [الوطن] لدى تردده لاستلام مقرراته التموينية ! •• وها هى المرأة [الشيطان] ـ وأن تعللت لدخول الجنة بتعطل سيارتها مصادفة ، او بمجيئها طلبا للبركة وطمعا

فى التوبة ــ تسفر عن خبيئتها ، وانها انها تصدت غواية هذا القطب [رب البيت] ، الذى لم يكد غبار المصلى يفارق جبهته بعد ، والمؤمن مصاب ! .

وتندرج الغواية .. من المداعبة الفجة والعري المسف ، الى ما يجب أن يكون عليه سلوك قطب واصل كالشيخ ابراهيم ، وهنا تفوته المرأة [الشيطان] رجاجة وعقلا ! .. أن العصر قد تغير ، وليس له ــ وهو العارف ــ أن يأخذ الناس بالشدة ، ولكن خطوة خطوة . والله سبحانه وتعالى لم يحرم عبادة المتع ، والا لما خلقها وأوجدها .. فلا جناح على الشيخ ان هو تعاطى من شهوات البطن أو الجنس . وهو لن يتمكن ، وقد انقطع ما بينه وبين الناس ، أن يسهم فى صلاح أمورهم ، وليس يبرر اعتزاله أن الناس يعيشون فى ماخور .. فعليه ــ والغاية تبرر الواسطة ــ أن يلبس كما يلبسون ، ويشرب مما يشربون . ثم هو ــ قبل ذلك وبعده ــ قد عرف اللذة حق معرفتها ، من خلال قبلاته واحضانه ــ تسرا واستجابة ــ هو والمرأة [الشيطان] .

وهكذا ، لا يسدل الستار على الفصل الاول ، الا وقد أبرم الشيخ ابراهيم طنطاوى عقدا مع الشيطان [الفنانة سونيا] ، يشغل بمقتضاه وظيفة المستشار الروحى لفرقتها الاستعراضية ، مع حريته فى التصرف فى مليون جنيه [حصيلة آثام الفنانة الشهيرة] ، مستهدفا من ذلك نشر الدعوة ــ طبعا ــ ومحاربة الشيطان . وعلى الله قصد السبيل .

ومع بداية الفصل الثانى ، يتكفل ربع زجاجة من شراب اللوز مع بلاغة [المسيو طنطاوى] وطراوة الفنانة سونيا ، بالفتك بتلامذة الشيخ ومريديه واحتاقا للحق ، فانهم ــ وهم السالكون الطريق ــ كانوا لقمة سائغة .. يفتح الستار عنهم وقد جاءوا لزيارة شيخهم ، بعد غياب استغرق العام . فاذا الدنيا غير الدنيا ، والحال غير الحال ، وسرعان ما تتبخر دهشتهم ــ مما أصاب سيدهم ــ أمام مظاهر الترف ومهد المتعة ! .. فاذا هم فى عتيقتهم ، أسوأ من أهل الماخور وسكانه ، وأكثر اغراضا وشهوانية . أما الشيخ عيسى [المعارض الوحيد] ، فقد أخذ العهد عن شيخه .. فكيف له أن يخون العهد ، حتى وان كان الشيخ غير الشيخ ؟! ، انه تابعه وذيله ولو الى النار .

لقد وسوس الشيطان للشيخ ابراهيم الطنطاوى ، أن الغاية تبرر الوسيلة ، وأن عرى الراقصات وتهتك الشواذ ، يمكن أن يكون طريقا عريضا لنشر الدعوة ، وبابا واسعا الى رحمة الله . ومحنة الشيخ وخطيئته ، تكمن أساسا ، فى تدينه وقبوله العمل بمنطق الماخور .. وبينما كان عليه أن يرفض ويتعالى ، فانه اختار أن يدور فى طاحونة العجز والتبرير . وهاهو ذات الشيطان ، يوسوس للمؤلف مصطفى محمود وللمخرج حسن عبد السلام ، ما سبق أن وسوسه للشيخ ، ماذا لهما ــ على الغارب ــ حبل التشوش والاختلاط . ولم لا ، والشيخ مصطفى محمود ، قطب مكين وشيخ من السالكين !!

ومن ثم ، يفتح ستار الفصل الثالث والاخير ، عن استعراض للعرى الفاضح والاسفاف العارى ، يخدش أكثر المشاعر تبلدا وابتذالا . وفى قلب كل ذلك ، يقوم [المسيو طنطاوى] بالاشراف الشرعى على الاستعراض الراقص لفرقة الفنانة سونيا [استعراض الحب والحرب] ! . وبحماس شديد ، يبدأ القطب ورجل الله ــ عمله الجديد ، بتسوير خشبة المسرح [الكباريه] بمجموعة من اللافتات : تقتضى بمنع القبلات والاحضان ، وحظر تعاطى [البيرة والنبيذ والويسكى والبراندى والزبيب والعرقى] »» .. ان على راقص وراقصات الاستعراض والقائمين على الماخور ، أن يستمتعوا ما شاءوا بالعرى والتيتك ، شريطة أن نفصل بينهما مسافة شبرين ، .. و [مسيو طنطاوى] ، لم يحرم الخمر على اختلافها ، وما كان له أن يفعل ، ولكنه حرم من الخمر أصنافا بعينها ، فما لم يرد به ذكر فى شريعة مولانا الشيخ [من شمبانيا وخلافه] ، فلمن شاء أن يشرب منه ما شاء حلالا خالصا !!

وما يكاد يتم الاعداد لاستعراض [الحب والحرب] الا وقد قطع الشيخ طنطاوى شوطا طويلا فى دنيا الكباريه: لقد اقترف ما أمكنه ، وتعاطى ما واتاه ، وقد شغل تلامذته ومريدوه ، فى مماطلة الشواذ ، وتسريب وتعاطي الافيون وكافه توائم الممنوعات والمحظورات .

ولت الامر انتهى ، عند حد أن الله قد امتحن الشيخ وابتلاه ، فلم يصمد ، وهو القطب الواصل ، وانما سقط وتروى ، حتى بز جميع أقران السوء ، وفاق كل فاعلى الاثم . لكن ، هل كان للرحمة ، أن تجد سبيلا لقلب الدكتور مصطفى ؟ .

ففى الدقائق العشرة الاخيرة ، يلعب النار [فى عب الشيخ] وتحت تأثير نوبة صدق مع النفس ، ضخمتها المداومة على السكر ــ يتطوع أحد أبناء الافاعى [مصمم الرقصات] ويحبط مولانا علما بالمؤامرة !! .. لقد استبدلت علب [الملبس] المعدة للاحتفال ببدء الاستعراض ، بصناديق الذخيرة الحية » .. والمدافع والاسلحة الهيكلية ، التى ستصاحب الممثلين فى العرض ، استبدلت بمثيلاتها الحقيقية ! .. وطيخ طاخ ، تنطلق على خشبة المسرح [مسرح الجمهورية] شعارات العداء للعلم الحديث [المسنورد طبعا] ولحضارة العصر [المنفسخة بالضرورة!!] وللصراع الطبقى [اياه] .. مع خلط كل ذلك بدعاوى الوطنية والسلم الاجتماعى . وهنا ــ وبعد طول مماحكة ــ يسفر شيطان الدكتور مصطفى عن وجهه القبيح ، فاذا هو ــ وكالعهد بالشياطين ــ ناظور من نواظير التجهيل والوصولية ، وواحدا من خصيان الرجعية ومحاكم التفتيش .

وبعد ، فان شبحية النص كانت كفيلة باطلاق يد المخرج [حسن عبد السلام ، غير أن يده ظلت مغلولة طوال العرض ، ولم تسعفه نعويذة المسرح التجارى ، رغم كثرة التوابل والمشهيات . وبذلك اختفى وجه المخرج تماما ، خلف شلل الحركة على المسرح ، واستاتيكية الاضاءة ، ونقليدية الديكورات وسوقية موسيقى [الواحدة ونص] التى وضعها الدكتور محمد عبد الوهاب وكان الله فى عون الممثلين .. خاصة محمد السبع ــ فقد أعيتهم الحيلة أن يكونوا فى مستوى سرعة وخفة فساتين ليلى طاهر .

وما أكثر ما وسوس ويوسوس شيطان الدكتور مصطفى . ☐

محمد صالح

الفهرس التحليلى
لعـــام ١٩٧٥

اعـــداد
أبو السعود ابراهيم
قسم المعلومات ــ جريدة الأهرام

(ا)

آبارتيد

ابراهيم حموده

ابراهيم يونس

أبو سيف يوسف

الاتحاد الاشتراكى العربى

الاتحاد الدولى للنقابات الحرة

— الحركة النقابية المصرية ترفضه . (الرأى والرأى الاخر : عبد المنعم الغزالى) اغسطس : ١٠٧ — ١٠٨

— جورج مينى واتحاده العمالى الامريكى (محمد جمال امام) ديسمبر : ١٣٦ — ١٣٩

الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب

انظر : الاتحاد العام للعمال العرب

الاتحاد السوفيتى

— الاتحاد السوفيتى بين صواريخ العبور وصاجات تحية كاريوكا (الرأى والرأى الاخر : خيرى عزيز) مايو : ٨٣ — ٩٠

— الاتحاد السوفيتى ، ثورة اكتوبر الاشتراكية ٧ نوفمبر ١٩١٧ (الطليعة) نوفمبر : ٢٢ — ٢٣

— الاتحاد السوفيتى .. هل هو دولة استعمارية ! (خيرى عزيز) يناير : ١٢٦ — ١٣٢

— تعليق ، عندما تحتفل الشعوب بذكرى انتصارها على الفاشية (تقارير الشهر : وديع أمين) مايو : ١٥٠ ، ١٥١

الاتحاد السوفيتى — علاقات اقتصادية / الولايات المتحدة

— موسكو ترفض المعاهدة التجارية بعد أن رفض الكونجرس جميع التحذيرات (تقارير الشهر) فبراير : ١٣٨ ، ١٣٩

الاتحاد السوفيتى — علاقات خارجية / مصر

— الاتحاد السوفيتى مصريا وعربيا . يناير : ١١٤ ، ١١٥

— حجازى يقدم روايته عن قصة السوفييت مع مصر . (محمد عوده ، فيليب جلاب ، سعد كامل) . يونيو : ١١٨ — ١٢٦

— عزيز صدقى يقدم روايته عن قصة السوفييت مع مصر يوليو : ٤٢ — ٤٩

— ليكن الحوار على أرض الواقع . ردا على رسالة أحمد حسين . (الرأى والرأى الاخر : أبو سيف يوسف) فبراير : ٩٧ — ١٠٧

— موقف اليسار المصرى من قضيتين ، الموقف مع امريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتى . (لطفى الخولى) . اكتوبر ٢٢ — ٣١

— نواب العشرينات والثلاثينات يطالبون باقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتى (فؤاد المرسى خاطر) يناير : ٢٣ — ١٢٦

الاتحاد السوفيتى والعالم العربى

— الاتحاد السوفيتى وحركة التحرر الوطنى العربية . (رفعت السعيد) يناير : ١١٩ — ١٢٣

الاتحاد العام للعمال العرب

— بيان مشترك بين الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب والاتحاد العالمى للنقابات (تقرير الشهر) فبراير : ١٣٦ ، ١٣٧

— حول شرعية المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال . (الرأى والرأى الاخر : عبد المنعم الغزالى) . يوليو : ١١٥ — ١١٧

الاتحاد العام للكتاب المصريين

الاتحاد القومى

— يوم الشعب ، الاتحاد القومى المعبر عن ارادته . (مصطفى أمين أكتوبر : ١٣٠ ، ١٣١

اثيوبيا — اريتريا

— قبل أن تدق الثانية عشرة فى اثيوبيا واريتريا معا . (تقارير الشهر : حسين شعلان) . مارس : ١٣٠

اثيوبيا — نظام الحكم

— اثيوبيا .. الخروج .. (تقارير الشهر) فبراير : ١٣٥ ، ١٣٦

احتفالات قومية

— ٦ اكتوبر (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠١

احلاف عسكرية

انظر أيضا : قواعد عسكرية

— تعقيب على ما نشر فى اخبار وأخبار اليوم حول اليد الخفية والغزو الروسى الاحلاف العسكرية . مارس : ١١٧ — ١٢١

احمد أبو الفتح

— رد عليه .. الساقطون دون ضجيج . (الرأى والرأى الاخر : فيليب جلاب) . فبراير : ٨٦ — ٨٩

— رد آخر عليه حول سيطرة الشيوعيين على الصحافة . (الرأى والرأى الاخر : خيرى عزيز) . فبراير : ٨٩ — ٩٣

— من أحد جحافل أنصاف المتعلمين الى أحمد أبو الفتح (الرأى والرأى الاخر : عبد المنعم محمد بدوى) . مايو : ٩٥ — ٩٧

— نقرأ أبو الفتح ونحترم فرغلى باشا (الرأى والرأى الاخر : فيليب جلاب) مايو : ٩٤ ، ٩٥

— اليمين اتجاهاته ومخططاته (محمد حلمى ياسين) . يوليو : ٢٣ — ٢٦

احمد اسماعيل على

— مصر تفقد جنديا باسلا يناير : ١٤٧

احمد بدران

ـــ اما ماركس .. واما الله والوطن (الرأى والرأى الاخر) يناير : ٤٤ ، ٤٥

احمد بهاء الدين

ـــ كلمة تحية توجهها الطليعة اليه . ابريل : ٩

أحمد حسين

ـــ رد على رسالة أحمد حسين أؤيدك أيها الفارس المخضرم (الرأى والرأى الاخر : محمد رضا محرم) فبراير : ٩٤ ـــ ٩٧

ـــ رسالة الى الطليعة من أحمد حسين (الرأى والرأى الآخر) يناير : ٣٦ ـــ ٤٢

ـــ ليكن الحوار على أرض الواقع .. ردا على رسالة أحمد حسين ((الرأى والرأى الاخر : أبوسيف يوسف) فبراير : ٩٧ ـــ ١٠٧

احمد حمروش

ـــ شهادة مصرية عسكريون لكن ديمقراطيون أغسطس : ١١٦ ـــ ١٢٥

ـــ وجهة نظر فى أزمة مارس ١٩٥٤ ، سنوات الصدام الاخير قصة ثورة ٢٣ يوليو . مايو : ٥٥ ـــ ٦٤

احمد الخواجه

ـــ مذكرة الدفاع عن شهدى عطية . يناير : ٩٤ ـــ ٩٩

احمد دمرداش حسين

ـــ الى الطليعة والنذيرة (الرأى والرأى الاخر) . سبتمبر : ١٠٤ ـــ ١٠٥

ـــ من الحكيم .. الى الحكيم . نوفمبر : ٤٤ ، ٤٥

أحمد الرشيدى

ـــ هذا الفنان وعالمه . فبراير : ١٧٢ ، ١٧٣

احمد الشيخ

ـــ ادعاءات المواطن سخم سخام رع . ابريل : ١٧٤ ـــ ١٧٨

احمد صادق سعد

ـــ حول النمط الاسيوى للانتاج .. مصر الهلينه . ابريل : ٦٩ ـــ ٨٣

ـــ حول النمط الاسيوى للانتاج ، مصر الهلينة . نوفمبر : ٥٧ ـــ ٦٨

أحمد عباس صالح

ـــ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . مارس : ٤٨ ـــ ٧٠

ـــ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، ملف تجربه ثورة ٢٣ يوليو . ابريل : ٣٠ ـــ ٤٨

ـــ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، ثورة يوليو التقييم الجدلى لا الحسابى . يونية : ٥٠ ـــ ٧٧

ـــ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، بحثا عن الطريق المصرى للاشتراكية . يوليو : ٨٤ ـــ ١٠٤

ـــ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، الديمقراطية لبرالية أم شعبية . أغسطس : ٥٨ ـــ ٨١

ـــ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، مصر المستقبل فى الزمان والمكان . سبتمبر : ٣٠ ـــ ٥٧

أحمد عبد الرحمن الجمال

ـــ ليس بالمعاول وحدها يقيم تاريخ الامم . (الرأى والرأى الاخر) اغسطس : ٩٥ ـــ ٩٨

أحمد عبد المعطى حجازى

ـــ ٣ قصائد من باريس ، تعارف ، بطالة وثلج يونيو : ١٦٦ ، ١٦٧

أحمد عثمان

ـــ محمد مندور : أوديسيوس النقد الادبى . مايو : ١٦٧ ـــ ١٧٠

احمد العريان

ـــ الدراسات الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى للعلوم الهندسية والتكنولوجيا . ابريل : ١٩٨ ـــ ٢٠٦

أحمد عز الدين

ـــ تعليقات حول أزمة الثقافة المصرية ، جذور واضحة للفكر المثالى . يناير : ١٩٠ ـــ ١٩٣ .

ـــ عفت سكون النار ، الرؤية ذات البعد الواحد فبراير : ١٦٧ ، ١٦٨

ـــ المرأة فى شعر السياب ، خمسة صور وثلاثة وجوه . مايو : ١٧١ ـــ ١٧٦

ـــ الوضعية المنطقية فى الادب والفن ، وجه آخر للمثالية الذاتية . مارس : ١٥٣ ـــ ١٥٦

أحمد عنتر مصطفى

ـــ رسالة أخرى الى توفيق الحكيم والوعى الثقافى .. متى يعود (الرأى والرأى الآخر) . أكتوبر : ١٢٣ ـــ ١٢٦

ـــ مقاتل يتحدث عن هؤلاء الرجال العظام ووتودهم الطائرة (الرأى والرأى الاخر) يونيو : ١٠٦ ـــ ١٠٩

أحمد فتحى ندا

ـــ أقول ما أعتقد أنه الحق (الرأى والرأى الاخر) . سبتمبر : ١٠٥ ـــ ١٠٧

أحمد ياسين

أخبار وأخبار اليوم ، مؤسسة

ادارة محلية

الأدب والفن ، ملحق

أدب عربى

أدب عربى — شعر

أدب عربى — قصص

أدب عربى — قصة قصيرة

أدب مقارن — مسرحيات

أدب المقاومة الفلسطينية

أدبـــاء

الأراضى الزراعية

الأردن — علاقات خارجية/سوريا

الأرهاب — اسرائيل

ازمة الشرق الأوسط

ازمة الشرق الأوسط/والاتحاد السوفيتى

أزمة الشرق الأوسط/والولايات المتحدة

أزمة الشرق الأوسط/وايطاليا

أزمة الطـاقة

اسبانيا

الاستثمار الأموال

الاشتراكية / مصر

الاشتراكية / يوجوسلافيا

الاصلاح الزراعى

اعلام

اغتيالات سياسية / السعودية

الافتتاحية

انظر : الموضوعات التى تعالجها تحت رؤوسها مباشرة وتحت اسم كاتبها .

اقتصاد

اقتصاد مصرى

انظر : استثمار الاموال ، ضرائب ، قطاع خاص ، قطاع عام ، مصر — أحوال اقتصادية

السيد سعد ماضى

السيد شعراوى

السيد محمد على حسنين

السيد يس

الفاروق عبد العزيز

أم كلثوم

البحث العلمي

البحرين

البرتغال

بريجنيف ، ليونيد

بريطانيا — علاقات خارجية / مصر

بشير الديك

بطرس بطرس غالي

بنجلاديش

بنوك

بور توفيق

بوير جريف ، أرنو دي

بولجانين : نيقولاي أ .

بومدين ، هوارى

— نص كلمة فى مؤتمر القمة الاول للدول المصدرة للبترول الجزائر ، مارس ١٩٧٥ . يونيو : ١٥٢ — ١٦٢

بيرس ، سان جون

— سان جون بيرس ، عن الانسان والطبيعة (نادية كامل) ديسمبر : ١٨٤ — ١٨٧

بيرسون ، لايل

— حوار حول السينما المصرية والسينما الافريقية (الفاروق عبد العزيز) فبراير : ١٧٦ — ١٧٨

بيروت ، جريدة لبنانية

— اليسار المصرى يهاجم اتفاقية المعمورة ، مجلة الطليعة القاهرية تنشر افتتاحية ليست بقلم لطفى الخولى . ديسمبر : ٩٢ — ٩٥

البيروقراطية

— البيروقراطية والانفتاح على العـالم (الرأى والرأى والاخر : السيد سعد ماضى) اكتوبر : ١٢٢ — ١٢٣

[ت]

التجسس

انظر : جاسوسية

التخطيط

— الخطة بين المعارضين والمؤيدين (تقارير الشهر) . فبراير : ١٢٧ — ١٣٠

تركيـا

— الانتخـابات الجزئية مؤشر للانتخابات العامة القـادمة (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٤ ، ١٠٥

تركيا — علاقات خارجية / الولايات المتحدة

— الادارة التركية للقواعد الامريكية (تقارير الشهر) . أكتوبر : ١٣٩ ، ١٤٠

تعـليم

— مع نظم التعليم فى كوريا الديمقراطية (حسين شعلان) ابريل : ١٠٧ ، ١٠٨

— المجرمين داخل المجر ، دراسة ميدانية لتجربة اشتراكية معاصرة (لطفى الخولى ، خيرى عزيز وحلمى ياسين) سبتمبر : ٥٨ — ٨٥

— مكتب التنسيق المصرى وطوفان الاستثناءات (محمـد رضا ابو حديد) أغسطس : ٥١ — ٥٧

تفرقة عنصرية

— لا للحوار مع النظم العنصرية فى جنوب افريقيا (تقارير الشهر) مايو : ١٥١

تكنولوجيا

— البحث العلمى والتكنولوجيا فى المجتمع المصرى (عمر الفاروق عثمان) . ابريل : ١٨٦ — ١٩٤

— الدراسات الانسانية فى الفيلم الجامعى والعالى للعلوم الهندسية والتكنولوجيا (أحمد العريان) . ابريل : ١٩٨ — ٢٠٩

— مصر الان حتى سنة ٢٠٠٠ (تقارير الشهر : صلاح جلال) فبراير : ١٤٠ — ١٤٢

— المضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية (حسين كمال الدين) ابريل : ١٩٥ — ١٩٧

— نظرة اسلامية الى التكنولوجيا (محمد عزيز الامبابى) أغسطس : ٢٠٣ — ٢٠٦

تليفزيون

— التليفزيون المصرى : حصاد ١٥ عاما . يوليو : ١٧٦ — ١٧٨

تمييز عنصرى

انظر : تفرقة عنصرية .

تنظيم نسائى

— دور التنظيم النسائى فى مجال رعاية المرأة العاملة . (الرأى والرأى الاخر : زينب وزير مرسى) سبتمبر : ١١٦

تنمية اقتصادية

— التنمية الاقتصادية والاستثمارات الاجنبية (فؤاد مرسى) فبراير : ١٢ — ٢٠

— الاستثمارات فى مصر ، المشاكل والحلول (فؤاد مرسى) فبراير : ٢٠ — ٢٧

— ٣ مجالات للاستثمارات العربية (عبد الرازق حسن) فبراير : ٣٣ — ٣٧

— رأس المال من أجل الانسان العربى (عبدالرازق حسن) فبراير : ٢٨ — ٣٢

— الطريق الاقتصـادى المسـدود أمام العـالم الثالث (محمـود عبد المنعم مرتضى) أغسطس : ١٥٩ — ١٦٢

— كيف تصبح الدولة أكثر تخلفـا (الرأى والرأى الاخر : ممدوح حسن لطفى) نوفمبر : ٨٤ ، ٨٥

— مفهوم التنمية الاقتصادية واتجاهاتها (فؤاد مرسى) نوفمبر : ٢٦ — ٤١

— النفط والتنمية . نوفمبر : ١٢٨ — ١٣٠

توفيق الحكيم

[ث]

ثقافة

ثقافة عمالية

ثورة ١٩١٩

ثورة ٢٣ يوليو

[ج]

جابر عصفور

جاسوسية

جامعات

الجامعة الأهلية

جائزة الدولة التقديرية التشجيعية

جريجوار حداد ، المطران

الجزائر

جمال العطيفى

جمال الغيطانى

جمال حمدان

جمال عبد الناصر

انظر أيضا : ثورة ٢٣ يوليو ، الناصرية

[د]

الدقهلية محافظة

دوكلو ، جاك

دولانس ، ستان

دير سبيجلى ، مجلة

ديستان ، فاليرى جيسكار

الديمقراطية

[ذ]

الذهب

الراسمالية

رامبوييه ، لقاء

الراى والراى الآخر

انظر : موضوعات هذا الباب تحت رؤوس موضوعاتها وتحت اسم كاتبها .

الرجعيـة

رضا الطويل

رفعت السعيد

فؤاد زكريا

فؤاد مرسى

فؤاد مطر

فيتنام الجنوبية

فيصل بن عبد العزيز

فيليب جلاب

[ق]

قبرص

كمبوديا

كوبا

كوريا الديمقراطية

كونهال ، الفارو

الكويت

كيسنجر ، هنرى

[ل]

لبنان

لطفى الخولى

لطيفة الزيات

لويس عوض

الليبرالية

ليلى الجبالى

[م]

ماجدة موريس

الماركسية

ماهر سامى

متولى حسين الجندى

المثقفون

مجدى فرج

مجدى نصيف

— رد على رسالة أحمد حسين ، اؤيدك ايها الفارس المخضرم [الرأى والرأى الاخر] فبراير : ٩٤ — ٩٧

— مكتب التنسيق وطوفان الاستثناءات . اغسطس : ٥١ — ٥٧

محمد سلماوى

— شباب يتحدث عن تجربة الثورة بين جيلين [الرأى والرأى الاخر] يونيو : ١٠٤ — ١٠٦

محمد سليمه

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . يناير : ١٤ — ٣٧، فبراير : ٣٨ — ٦٢

محمد سيد أحمد

— تعقيب على ما كتب من دراسات حول المنابر فى الاتحاد الاشتراكى يوليو : ٣٦ — ٣٩

— الرؤية من القاهرة [الافتتاحية : لطفى الخولى] سبتمبر : ٦ — ١١

— عرض نقدى لكتابه : بعد أن تسكت المدافع [السيد ياسين] يوليو : ١٣٤ ، ١٣٥

— فى مواجهة فك الاشتباك الفكرى . سبتمبر : ١٥ — ١٨

— قاهرة النيوزويك وقاهرة العرب [الافتتاحية : لطفى الخولى] سبتمبر : ٥ — ١٢

— محاولة لاستطلاع مستقبل ازمة الشرق الاوسط فى كتاب جديد ماذا تعنى التسوية ابريل : ٢٤ — ٢٩

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم عن مصر المستقبل وثورة ٢٣ يوليو والطريق المصرى للاشتراكية والديمقراطية يناير : ١٤ — ٣٧ ، نوفمبر : ٣٨ — ٦٢ ، مارس : ٤٨ — ٧٠ ، ابريل : ٣٠ — ٤٧ ، مايو : ١٠٢ — ١١٩ ، يونيو : ٥٠ — ٧٧ ، يوليو : ٨٤ — ١٠٤ ، اغسطس : ٥٨ — ٨١ ، سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

محمد سيد توفيق

— هذا الفنان وعالمه .. المثال محمد سيد توفيق . مارس : ١٦٠ ، ١٦١

محمد شعلان

— المرأة والثورة . ابريل : ١٨٢ — ١٨٤

محمد شفيق

— الالتزام وصدق التعبير فى معرض عز الدين نجيب . يناير : ١٨٠ — ١٨٢

— محمد هجرس عالم لا يعرف الهدوء والسكينة . ديسمبر : ١٨٠ — ١٨٤

محمد عامر

— الاتحاد الاشتراكى والاحزاب (الرأى والرأى الاخر) اكتوبر : ١٢٠ — ١٢٢

محمد عثمان

— جمعية المسرح .. هل هى حل لازمة المسرح المصرى ؟ سبتمبر : ١٧٩ — ١٨٣

محمد عزيز الامبابى

— نظرة اسلامية الى التكنولوجيا . اغسطس : ٢٠٣ — ٢٠٦

محمد عفيفى مطر

— قصيدة ١٩٦٨ . مايو : ١٨٣ — ١٨٧

محمد عودة

— د. حجازى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر . يونيو : ١١٨ — ١٢٦

— د. عزيز صدقى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر يوليو : ٤٢ — ٤٩

محمد مندور

— أوديسيوس النقد الادبى (أحمد عثمان) مايو : ١٦٧ — ١٧٠

— التراث النقدى (جابر عصفور) يونيو : ١٦٨ — ١٧٣

— مرحلتان فى فكرة وانتاجه (عبد المنعم تليمة) . مايو : ١٦٤ — ١٦٧

محمد هجرس

— عالم لا يعرف الهدوء والسكينة (محمد شفيق) . ديسمبر : ١٨٠ — ١٨٤

محمود أبو وافية

— المنبر الديمقراطى الاشتراكى ، حوار معه . ديسمبر : ٣٢ — ٤٩

محمود عبد المنعم مرتضى

— الطريق الاقتصادى المسدود أمام العالم الثالث . (تقارير الشهر) . اغسطس : ١٥٩ — ١٦٢

محمود عبد الوهاب

— عن حالة أبو سيف يوسف وعماء الالوان . سبتمبر : ١٠٠ ، ١٠١

محمود القاضى

— استجواب الحديد أسئلة لم تزل قائمة (الرأى والرأى الاخر : عادل حسين) يوليو : ٦٨ — ٧٥

محو الأميـــة

المدعى العام الاشتراكى

مراد وهبــه

المـــرأة

المسرح العالمى

المسرح العربى

مصر — أحوال اقتصادية

مصر — تاريخ

مصر — جبهة القتال / اتفاق الفصل الثانى بين القوات

مصر — علاقات اقتصادية / الولايات المتحدة

مصر — علاقات خارجية / الاتحاد السوفيتى

مصر — علاقات خارجية / ايطاليا

مصر — علاقات خارجية / بريطانيا

مصر — علاقات خارجية / فرنسا

مصر — علاقات خارجية / الولايات المتحدة

مصر — المستقبل

مصر — الوزارة

مصطفى أمين

مصطفى بهجت بدوى

مصطفى درويش

مصطفى سامى

مصطفى كامل مراد

مصطفى موسى

مصطفى النحاس

المقاومة الفلسطينية

ملحق الأدب والفن

• انظر : موضوعات الملحق تحت رؤوس موضوعاتها وأسماء كاتبيها .

ناهض نايف حتر

نيوين تى بينه

نجيب محفوظ

نظمى لوقا

نعمان عاشور

نقابات عمالية

نيجـيريا

نيوزويك ، مجلة

(هـ)

هال : جاسى

الهنـــد

هوارى بومدين

أنظر : بومدين ، هوارى

يوجوسلافيا

ـــ تجارب اشتراكية ، معالم على الطريق (أبو سيف يوسف) يناير : ١٣٩ ـــ ١٤٦

يوسف الحجاجى

ـــ الواقع الايديولوجى لليمين المصرى ديسمبر : ٢٠٧ ـــ ٢٠٩

يوسف السباعى

ـــ بيان حول مجلة الكاتب المصرية يناير : ٧٣ ـــ ٧٥

ـــ رد على وزير الثقافة من أسرة تحرير الكاتب يناير : ٧٥ ـــ ٨١

يوسف صـــديق

ـــ يوسف صديق فارسا مصريا أصيلا مايو : ٦٥ ـــ ٦٧

اليـــونان

ـــ بدء الحوار الساخن بعد شهر عسل قصير (تقارير الشهر : حسن فؤاد) يناير : ١٥٧ ـــ ١٦٠

ـــ قصة قيام وسقوط الحـــكم الفاشى ، مقاومة الحـــكم الفاشى: شهادات واقعية الانقلاب أحد مقومات العدوان الاسرائيلى عام ٦٧ (عبد المنعم الغزالى) أكتوبر : ٧٩ ـــ ٩٧


مطابع الأهرام التجارية
القاهرة



الثمن ١٥ قرشا

السنة الثانية عشرة
فبراير ١٩٧٦

عدد خاص



«ريما» .. وعاداتها اللبنانية القديمة

• همـوم • لبنان : من واقـع
الست دفتر يوميات
أم محمد أبو عمار

الحكومة .. والديون – التنمية – المليونيرات

دراسة ميدانية
الاتحاد السوفيتي : ١٩٧٦

ماذا بعد «شو إن لاي» ؟

هموم المواطن عبد التواب [مناقشات مفتوحة]

▲ ملحق الأدب والفن



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الثاني — السنة الثانية عشرة — فبراير ١٩٧٦

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك]

كلمة من « الطليعة »

فى الشهور الماضية ، حاولت — ولاتزال — بعض الكتابات والاصوات والمناقشات ، أن تعيد طرح بعض القضايا التى كنا نظن أنها قد استقرت وحسمت فى مسلمات مفاهيم العمل الوطنى والاجتماعى .

ومن ابرز هذه القضايا مصر .. مجتمع من ؟ التنمية فيه لمن ؟ من الذى تحمل — ولايزال — تضحيات العمل الوطنى لتحرير الارض ؟ الانفتاح : بضوابط أم بدون ضوابط ؟ تسهيلات الجمارك والاستيراد لاى سلع ؟ .. الخ

واختلفت وجهات النظر .. وزعمت كل منها انها تستنبط رؤيتها من أرض الواقع واحتياجاته . فهل من سبيل ان ينطق الواقع — بلحمه ودمه وبكل الصدق وبشكل مباشر — بما فى جوفه ؟

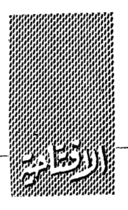
كان هذا هو السؤال . والواقع ملىء بالنماذج التى تمثل كل منها شرائح اجتماعية كاملة .

هدفنا أن يطرح الواقع نفسه بحقائقه . من أجل أن يدور النقاش — بمسئولية وطنية — حول البحث عن حل مشاكل الواقع وفى حدود ما هو متاح لوطننا وامكانياته . بلا مزايدة أو نقصان . كيف نحل ؟ هذا هو المطلوب .

فى العدد الماضى قدمنا « عبد التواب » فى حجم طبيعى لحياته وتفاصيلها ورؤيته لكل ما يحيط به . وفى هذا العدد نقدم « أم محمد » . ولعلك تسأل : ثم من ؟

ونجيب — عزيزى القارىء — ولماذا لاتقترح أنت وتكتب لنا خواطرك ؟

« الطليعة »



« ريمــا »
وعاداتهــا اللبنانيــة القديمــة

يستطيع أى مراقب — ومهما كان قصر نظره — لحركة الاحـداث فى المنطقــة ، بصراعها العربى الاسرائيلــى وجحيمهــا المستعر فى لبنان ، ان يرصد — بسهولة — التلازم الزمنى والسياسى بين اربعــة وقائــع محــددة . وذلك على مدى الايــام الماضية من شهر يناير ١٩٦٧ .

الواقعة الاولى ، تتحدد فى الاجتــماع السرى الذى عقد بين الملك حسين الاردنى وبين اسحاق رابين رئيس وزراء اسرائيل. وكشفت عنه بعض الصحف الاسرائيليــة والامريكية . وأدى الى قيــام الحــكومة الاسرائيلية بفرض رقابة على الصحف فيما يتعلق بجمع الانباء عن الاتصالات والمباحثات التى تجريها الحكومة الاسرائيلية مع الدول الاجنبية والصديقة .

الواقعة الثانية ، تتحدد فى التصعيــد العسكرى المفاجىء الذى اقدمت عليــه ميلشيا القوى الانعزاليه فى لبنــان ، بدعــم من بعض وحدات الجيش اللبنانى وقيادته العسكرية الطائفية ، وبغــطاء من رئيس الجمهوريه «**فرنجية**» ومؤتمر القمة المارونى الذى انعقد بالقصر الجمهورى وضم « **بيير الجميل** » زعيم حزب الكتائب الفــاشى ، « **وكميل شمعون** » وزير الداخلية ورئيــس حزب الاحرار الوطنيين وقائد ميلشيا النمور الإرهابية ، « **والاباتى شربل القسيس** » رئيس رابطه الرهابنــة المــارونيين وقائد ميلشيا « حراس الارز » . واستهدف هذا التصعيد محاصرة المخيمات الفلسطينية بتل الزعتر وجسر الباشا وضبية . وذلك بهدف التجويع والابادة . واســتفزاز الثــورة الفلسطينية للدحول بقواتها فى الــصراع الدموى الطائفى الاجتماعى الذى فجــرته الكتائب فى لبنان منذ ابريل ١٩٧٥ ، للدفاع عن ابناء شعبها . وبالتالى استنزاف قواها

الواقعه الثالثة ، خاصة بانعقاد مجلس الامن فى جلسات غير عادية وبحضور منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة افضل السبل نحو ايجاد حل سلمى عادل للصراع العربى الاسرائيلى ، تشارك فيه المنظمة كممثــل وحيد وشرعى للشعب الفلسطينى ويضمن تجسيد حقوقه الوطنية المشروعة فى دولة ديمقراطية مستقلة .. الامر الــذى اضطر اسرائيل الى مقاطعة المناقشات والتغيب عن حضور اجتماعات المجلس .

الواقعة الرابعة ، تتعلق بقيام كميــل شمعون ، فى حركة مسرحية ، بتوجيــه صرخة نجــدة — محســـوبة — الــى مجلس الامن وأوربا الغربيــة والولايــات المتحدة الامريكية [هو نفسه كان رئيســـ الجمهورية لبنان فى ١٩٥٨ عندما استجابت

امريكا لطلبه وانزلت قوات من اسطولهـا السادس في بيروت] وذلك للتدخل ضـد ما زعمه من غزو فلسطيني وسوري للبنان، في احدى الصياغات. أو حماية للمسيحيين من الهجوم الاسلامي في صياغة أخرى .

● ● ●

لكي تأخذ هذه الوقائع الاربع ، الحديثة العهد ، ابعادها الكاملة ، يتوجب ان نضعها في اطار الحقائق الموضوعية التالية :

أولا : قيام الاردن واسرائيل منذ ما يزيد على ثلاث سنوات [بعد مذبحة ايلول الاسود في الاردن ١٩٧٠ وهجرة الثوره الى لبنان] بتدريب وتسليح ميليشيات الكتائب والنمور وحراس الارز وجيش التحرير الزغرتاوي الذي يقوده « طـوني فـرنجية ابن رئيس الجمهورية .

وقد تم خلال هذه السنوات الثلاث وفي خلال الحرب الاهلية المعاصرة ــ على نحو خاص ــ ضبط ومصادرة اسلحة اسرائيليه واردنية لدى الكتائب وغيرها من القـوى الانعزالية فضلا عن عدد من رجال المخابرات الاردنية في القيادة العسكرية للملشيات .

واكثر من هذا ، فقد توصل التحقيق الواسع النطاق الذي قام به جهاز امن الثورة الفلسطينية في عملية الكوماندوز الاسرائيلية التي تمت في ١٩٧٢ ، وكان حصادها مصرع ثلاثه من قاده المقاومة [كمال ناصر وكمال عدوان وابويوسف النجار وزوجته] في بيوتهم في قلب بيروت ، على بعد امتار من ثكنة عسكرية لبنانية ، الى قيام عـدد من افراد هذه الميليشيات وقادتها بالاشـتراك في اعداد وتنفيذ العملية وتغطية هـروب الكوماندوز الاسرائيليين .

وقد واجه **ابوعمار** الرئيس فرنجية ــ حينذاك ــ بنتائج التحقيق كاملة ، بالاسماء والوقائع والادلة القاطعة . وابدى الرئيس اسفه . ووعده بمعاقبة «المجرمين» داخليا و « في السر » حتى لا تنفجـر الفضيحـة الموقف . واستجاب ابو عمار ، بالم مسئول الى رجاء الرئيس وذلك حرصا على هدوء لبنان ، واستقرار التعايش بين ابناء شعبه بمختلف طوائفه . باعتبار ان هذا الامر ، يمثل في حد ذاته ، مصلحة أمنية رئيسية للثورة الفلسطينية . وحتى هذه اللحظة لم يف الرئيس فرنجية بوعده . على العكس انضم بقـوته السياسـية والعسـكرية والعشائرية الى ميلشيات الكتائب والنمور وحراس الارز في اشـعال نيران الحـرب الاهلية المعاصرة ضد كل من القوى الوطنية اللبنانية [مسيحيين ومسلمين] والثـورة الفلسطينية .

ثانيا : استخدام ميليشيا القوى الانعزالية في لبنان لاعداد كبيرة من المرتزقة المسلحين الاجانب الذين تجندهم اجهزة المخـابرات الامريكية والاسرائيلية وغيرها في المنطقة من جنود وضـبـاط مغـامرين بلجيـكيين وفرنسيين وأمريكيين ومن جنوب افريقيا .

وهو نفس الاسلوب الذي تتبعه اسرائيل في حروبها العدوانية ضد العرب عامـة والفلسطينيين خاصة .

وكانت جريدة « **الموند الفرنسية** » قد اماطت اللثام عن هذه الحقيقة . وادرجت في مقالات « **ايـرك رولو** » ، مراسلهـا الخاص الى بيروت ، عـددا من الاسـماء المعروفة في بورصة المرتزقة . مما عرضه شخصيا لعدوان من الكتائب ، كاد يودي بحياته هو وزوجته .

ثم جاء التليفزيون الفـرنسي ، ليـؤكد بالصوت والصورة في فيلم صور عن الاحداث قبل ثلاثة أشهر ، هذه الحقيقة من خـلال ظهور عدد من المرتزقة المعروفين في أوربا يشـاركون في القتال الى جانب ميلشـيا القوى الانعزالية .

ولعل هذه الحقيقة ، هي التي تفسر ، ذلك الحجم الكبير للقوات الانعزالية القادرة على القتـال واسـتخدام أعقـد الاسلحة الحديثـة واكثرها تطـورا على المستوى الخفيف والثقيل معا . وهو حجم يفـوق الطاقة السياسية والبشرية والمادية للاحزاب والقوى الانعـزالية ، خمسـة وعشرين ضعفا على الاقل .

ثالثا : الثـابت من تصريحـات قـادة القوى الانعزالية منذ تفجير السعير ، فى ابريل ١٩٧٥ ، أن هناك هدفين رئيسيين وراء هذا المخطط الدموى .

الاول : محاولة اجهاض التخمر الاجتماعى السياسى فى لبنان الذى افرز قوى سياسية تقدمية ووطنية [مسيحية ومسلمـة على السواء] أصبحت تستقطب غالبية الجماهير من اجل تجاوز المجتمع الطائفى ــ الاقطاعى ــ العشائرى ــ الطفيلى ، الى مجتمع علمانى رأسمالى ليبرالى مستنير ومنتـج يوفر لقمـة العيش والديمقراطيـة لقواه العاملة ومثقفيه وكوادره التكنقراطيـة . ويلتحم التحاما عضويا مـع حركة التحرر العربى عامة وحركة التحـرر الفلسطينى خاصة .

والقوى الانعزالية المتخلفة تعادى هذا الاتجاه الطبيعى للتطور والمعتدل الى اقصى حد وتتهمه « بالشيوعية والالحاد » ! ..

الثانى : متابعة مخطط النظام الاردنى ، المدعم امريكيا واسرائيليـا ، فى محـاولة لتصفية الثورة الفلسطينية ، ماديا وبشريا وسياسيا . وذلك باردنة لبنان . وتـكرار مذابح أيلول الاسود . وخاصـة بعـد أن تمكنت الثورة الفلسطينية من ان تفرض ، بقوة وذكاء ، وجودها وحقوقها المشروعـة على العالم كله . وتصبح ــ موضوعيا ــ مفتاح « السلام العادل » فى أكثر المناطق سخونة والتهابا وتأثيرا على علاقات القوى العالمية الحديثة فى مناخ الانفراج الدولى والتعايش السلمى وهذا المناخ الذى كبل ، القوى الاستعمارية والعدوانية ، بقيـود تحول بينها وبين سهولة ممارسة لاساليبها التقليدية « **فى الغزو من الخارج** » [كما حدث فى لبنان عام ١٩٥٨] . ومن هنـا فهى تدفـع الى الحـركة قوى انعزالية مسلحة « مغامرة » فى المنطقـة ، لتقوم بعملية « **الغزو من الداخل** » .

والامر الملفت للنظر ان « البطل اللبنانى » فى كل من حالتى « الغزو من الخارج » عام ١٩٥٨ و « الغزو من الداخل » عام ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ ، واحد . وهو كميل شمعون . فى المرة الاولى كان يحتل القصر الجمهورى رئيسا .. وفى المرة الثانية يحتـل القصر الجمهورى فى « بعبدا » وزيرا للداخلية .

ولم يحدث من قبل فى تاريخ لبنان أو على لبنان أن يمارس « وزير الداخلية » مهام منصبه من القصر الجمهورى وجنبا الى جنب مع رئيس الجمهورية الرسمى ، لا من وزارة الداخلية .

ولكن « شمعون » اعطى هذه الفرصـة والصلاحيات بأعتبـار انه هو « العقـل المحلى » للمذبحة . فى حين أن الاخـرين مجرد « قباضايات » .

رابعا : ان اشعال النار فى لبنـان عمدا ، يأتى بعد أول انتصار نسبى يحققه العرب ضد اسرائيل والامبريالية فى تاريخ الصراع العسكرى السياسى . وهو الذى جاء فى حرب اكتوبر وليد عوامل عديدة ذاتيه وموضوعية ، كان فى مقدمتها التوصل الى صياغة فعالة لحد ادنى من وحدة العمـل العربى : عسكريا وسياسيا وبتروليا .

وقد اسـتفاد الانعزاليون من منـاخ الانقسامات الذى راح يفتت من « وحدة العمل العربى » ، نتيجة الخلاف حول طرق استثمار نتائج حرب اكتوبر واسـلوب « التعامل الجديد » مع الولايات المتحـدة والموقف من مؤتمر جنيف .

ومن المؤكد ان الانعزاليين وحلفائهم من الامبرياليين والصهيونيين والرجعيين العرب من امثال الملك حسين ، وقد راهنوا على ان هذه الخلافات سوف تشل القوى العربية وخاصة مصر وسوريا والعراق عن الاتفاق على عمل موحد ازاء « المخطط الدموى » الذى يجرى تجربته فى لبنان من أجل بلقنة الوطن العربى ، وتفريغ روح وايجـابية حرب اكتوبر .

● ● ●

ان تقييم الوثائق الاربع الحديثة العهد فى ضوء هذه الخلفية من حقائق المـوقف التاريخية ، يقودنا الى مفاتيح رئيسية لرؤية وتحليل ما يجرى امام اعيننا اليوم ، فى لبنان .

ونستطيع ان نحدد هذه المفاتيح على النحو التالي :

- اذا كانت القيادة الظاهرة لعملية الغزو الدموى من الداخل التي تقوم بها القوى الانعزالية فى لبنان ، تستقر فى قصر « بعبدا » ببيروت . فان مراكز « القيادة الخفية » تكمن فى عمان وتل ابيب وواشنطن .

- اكد سير المعارك فى الشهور الاولى من الحرب ان حسابات الانعزاليين اللبنانيين الخاصة بقدرتهم على حصار وضرب القوى الوطنية والتقدمية ، قبل ان تتعاظم طاقاتها الشعبية فى المجتمع ، غير واقعية وصحيحة . وان العكس هو الصحيح فقد اثبتت القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية انها غدت مركز الثقل فى المجتمع اللبناني وصاحبة التأثير الاساسي على اتجاهه ومصيره والتصدى بالردع القوى : ماديا ومعنويا للهجوم الارهابي . ومن هنا سارعت قوى الخارج الاستعمارية والصهيونية والرجعية — فى فترات وقف اطلاق النار التي كانت توافق عليها القوى الانعزالية تكتيكيا — الى مدها ببواخر السلاح والجنود المرتزقة .

- فى مواجهة برنامج الطائفية المتعصبة المعادية لعروبة لبنان وديمقراطيته وتقدمه اجتماعيا وسياسيا الذى ظلت تطرحه بصياغات بالية اثارت استهجان كل « **برتولي** » مبعوث البابا « **دكسوف دى مورفيل** » مبعوث الرئيس الفرنسى ، قدمت القوى الوطنية والتقدمية برنامجا مفصلا للاصلاح والامن والسلام الاجتماعي والسياسي يقوم على العلمانية والديموقراطية والتطور الاقتصادى والاجتماعي ، تبلور من حوله غالبية الشعب بجميع طوائفه المسيحية والاسلامية على اختلاف المواقف الاجتماعية والفكرية ، ابتداء من الشيخ حسن خالد مفتى لبنان حتى السياسي الماروني المستنير ريمون اده . وبالتالى انحصر الانعزاليون — سياسيا واجتماعيا — فى دائرة ضيقة وخانقة .

- حرصت الثورة الفلسطينية ، وهى على وعى من اهداف الانعزاليين ضدها ، على الالتزام منذ البداية بموقف الدفاع عن النفس . وان لا تجرفها الاستفزازات لكى تحل محل القوى الوطنية فى الصراع من ناحية ، او تسمح لها باهدار طاقاتها على ارض لبنان العربية ، من ناحية اخرى ، المجندة ضد الاحتلال الاسرائيلي فى معارك ولكنها فى نفس الوقت حرصت على فضح مخطط الانعزاليين والوقوف سياسيا ، الى جانب القوى الوطنية والتقدمية .

- حين اوشك مخطط اشعال نيران الحرب الاهلية بلبنان على الفشل والتردى فى الهوة التى حفرها الانعزاليون ، وذلك نتيجة لاخفاقهم فى حصار وتصفية القوى الوطنية من ناحية ، والثورة الفلسطينية من ناحية اخرى عززت قوى الانعزاليين بامدادات جديدة من السلاح والمرتزقة وصدرت الاوامر لهم ولقطاعات من الجيش اللبناني بتوجيه هجوم مباشر ومكثف ضد الثورة الفلسطينية ومحاصرة مخيمات الفلسطينيين وحرقهم أحياء .

والمثير للانتباه أن هذا التصعيد المفاجيء توافق زمنيا مع اكتساب الثورة لانتصاراتها الاخيرة فى الميدان الدولى واقتحامها لعرين الشرعية الدولية فى مجلس الامن .

ومن هنا كان الهجوم الوحشى على الفلسطينيين فى لبنان هو الوجه الاخر للغياب الاسرائيلي عن مناقشات مجلس الامن . بتعبير آخر كان حصار المخيمات والفتك بالفلسطينيين فى مخيم ضبيه الصغير هو الحضور الاسرائيلي فى لبنان الذى يعوض الغياب عن مجلس الامن .

وكان القصد من هذا النوع من الحضور البربرى الدامى ، اثبات عدم امكانية الحل الذى تطرحه منظمة التحرير للصراع العربى الاسرائيلي من خلال اقامة دولة علمانية ديمقراطية تتعايش فيها جميع الاجناس والديانات دون ما تعصب او عنصرية .

غير أن هذا « الاثبات » حطم ذاته بذاته حينما انكشف أن ما ذبحه الانعزاليــون ، باسم الصليب الذى يتسترون وراءه ، من فلسطينيين فى مخيم ضبيه ، كانوا مسيحيين.

● ● ●

كان طبيعيا أن ترد الثورة الفلسطينيــة بالتحالف مع القوى الوطنية والتقدمية هذا الهجوم الذى استهدف وجودها وفاعليتهـــا بضربات موجعة .

وخابت مرة أخرى حسابات الانعزاليين وحلفائهم من الاســتعماريين والصهاينـــة والرجعيين .

فالثورة ، أقوى من أن تضرب . وأقدر على رد الصاع صاعين .

وتهديد أمن الثورة الفلسطينية ، هو فى جوهره وبحـــكم ما تمثـله من ثقل وتأثير ايجابى فى واقعها القومى ، تهديد لامن الوطن العربى كله .

ومن هنا ، ســقطت فى ذات اللحظة كل الحواجز والخلافات بين البلدان العربية وخاصة مصر وسوريا ، وتوحدت مواقفهما العملية لمساندة الثورة الفلسطينية ودعمها.

وتعثر المخطط الانعزالى من جــديد . واضطر للموافقة على الاتفاقية السادسة والعشرين لوقف اطلاق النار من خلال بيان صادر عن قصر « بعبدا » الجمهورى .

● ● ●

هل هذه الاتفاقية هى بدايـــة النــهاية للمخطط الدامى الذى استهلك عشرة اشهر من حياة لبنان والثورة الفلسطينية والوطن العربى ؟.

ارجح الاحتمالات ان الجواب بالنفى .

لماذا ؟ .

الاسباب عديده . ولكن يمكن حصرها فى أمرين :

الاول ، ان حصيله تجارب وقف اطـــلاق النار المتعددة على مـــدى الشهور العشرة الماضيه ، تؤكد ان الانعزاليين ما يلبثون بعد مدة راحة والتقاط الانفاس وتجميع مزيد من السلاح والمرتزقه ، ان يعودوا الى اشعال النار .

الثانى ، ان اهداف المخطط الذى نخطط لها باءت بالفشل لم يتحقق منـــها شىء . فعلى المستوى المحلى ظلت القوى الوطنيه محتفظة بقدراتها بل ان طاقاتها قد تضاعفت .وعلى مستوى الثوره الفلسطينيه لم ينحسر لها عود بل اكدت فاعلياتها ومسئولياتها ،كلمة وفعلا . وعلى المستوى العربى ، لم يمتــد الحريق الدامى الى خـــارج لبنان ويتحول الصراع العربى الاسرائيلى الى صراع عربى ــ عربى .

بيد انه يبقى مع ذلك هناك سلاح اساسى فى يد حركة التحرر العربى ، قادر على ردع المخطط واخماد حــركته . ونعنى به اعاده بناء حلف اكتوبر من جديد بين مصر وسوريا والثـــوره الفلسطينية فى اطـــار تضامن عربى رشيد . يتعامل تعاملا واعيا مع الواقع الحى بنقاط ضعفه ونقاط قوته وبمجالات الخلاف ومجالات الاتفاق . وذلك وصولا الى تكوين « **ضمان قومى** » ضــد مخاطر الاستعمار والصهيونية والانعزاليين من ناحية وادارة حوار عقلانى مسئول يعالج نقاط الضعف ومجالات الخلاف بروح الفريق الواحد والمصلحة المشتركة من ناحية أخرى

والا .. فان عجلة المخطط سوف تدور بخرابها ..

ودمارها من جـــــديد .. وفى القـــريب .. وتعود ربما الى عاداتها القديمة ...

ولكن بمخاطر أفدح .

لطفى الخولى

أحداث لبنان

من دفتر يوميات أبو عمار



جثة شاب من الوطنيين قتله رصاص القوى الانعزالية فى احدى معارك بيروت .

تقديم

خاص من قيادة الثورة الفلسطينية ، تنشر « الطليعة » بعض اوراق من دفتر ابو عمار القائد العام لقوات الثورة « عن الاحداث الدامية التى فجرتها فى لبنان القوى الانعزالية الكتائبية « ببير الجميل » والاحرار « كميل شمعون » والرهبانية المارونيين « الاباتى شربل القسيس » ، وجيش التحرير الزغرتاوى « طونى فرنجية » ضد الشعب اللبنانى وقواه الوطنيه من مسيحيين ومسلمين من جانب ، وضد الوجود الفلسطينى وثورته من جانب آخر .

وكانت القوى الانعزالية بدعم مباشر من اسرائيل والاستعمار والقوى الرجعيه فى العالم العربى قد اخذت منذ أوائل يناير الماضى تضاعف من هجماتها البربريه ضد مخيمات الفلسطينيين وتحاصرها بهدف التجويع والابادة . يعاونها فى ذلك بعض وحدات الجيش اللبنانى البريةوالجويه . متمردة على اوامر رشيد كرامى رئيس الحكومة ووزير الدفاع .

والاوراق التى ننشرها فى هذا العدد مجموعة من الرسائل السياسيه التى يوجهها القائد العام للثورة الفلسطينيه الى جميع الكوادر العسكريه والسياسية ومسئولى مكاتب الثورة في الوطن العربى والعالم يشرح فيها تطور الاحداث ويضمنها تحليله العام ومطالب الثورة ، فى الفترة من ٥ الى ٢٢ يناير ١٩٧٦ .

و « الطليعة » حين تنشر هذه الاوراق من دفتر ابو عمار ، ترمى الى التأكيد على ضرورة اعتبار هذه الرسائل ليست خاصة بكوادر الثورة الفلسطينية وحسب . وانما هى تخاطب بحكم أن الثورة الفلسطينية وأمن ووحدة لبنان قضيه عربية واحدة – كل القوى الوطنية العربية وتضعها امام مسئولياتها التاريخية فى التحرك السريع – ماديا وسياسيا – للدفاع عن الثورةالفلسطينية والشعب اللبنانى ، وشل أيدى الانعزالية الملطخة بالدماء ووحل الخيانة .



من أبو عمار الى الجميــع

بيروت : ٥ — ١ — ١٩٧٦

منــذ عشرة أيام ومنــاطق الدكوانه وجسر الباشا وتل الزعتر وغيرها من المناطق الشرقية من بيروت محاصرة من القوة الانعزالية ، حيث منعت هذه القوة الانعزالية التموين والادوية من الوصول الى هذه المناطق ، وكذلك حجز خمسة شاحنات تحمل مثل هذه المواد .

وتضم هذه المناطق المحاصرة حوالى سبعين ألف نسمة منها «١٦» ألف فلسطيني والباقى من اللبنانيين . وذلك بخلاف المناطق الشرقية الاخرى التى تضم حوالى ربع مليون نسمة من اللبنانيين .

وقد قامت الحركة الوطنية وقيادة الثورة طوال هذه المدة باتصالات مستمرة مع جميع المسئولين والطرف الاخر ، من اجل حل هذا الموضوع ، والسماح بمرور هذه المواد الغذائية والطبية . شــملت رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وقــائد الجيش والامــن والدرك والبطريك خريش والمفتى حسن خالد والامام الصدر ولجنة التنسيق . كما تم الاتصال ايضا مــن خــلال بعض الاطــراف بهــذه القيادات . الانعزالية ، ولكن دون جدوى . مما يضع علامات اتهام واضحة وعلامات استفهام على نوايا هذه الاطراف العدوانية الفاشية الغير انسانية التى تستهدف تجويع المواطنين اللبنانيين والفلسطينيين فى هذه المنــاطق المحاصرة .

ويقع على العالم العربى وعلى الضــمير وجميع المسئولين مسئوليات محددة فى هذا الاطار . كما أنها تكشف عن نوع القرارات الخطيرة التى استهدفتها القيادة المارونية فى اجتماعها الاخير بالنسبة لهــذه الامــاكن والتجمعات فى تلك المناطق . وتكشف أيضا عن طبيعة التصعيد العسكرى الجارى الان ونواياه وأهدافه ، وبدء سياسة جديدة فى مسلسل المؤامرة .

يعلم المسئولون العرب عندكم بهذا الموضوع فــورا وجميــع وكالات الانبــــاء والصحف لكشف المؤامرة الدنيئة الجديدة ضد المواطنين العزل : لبنانيين وفلسطينيين .



من أبو عمار الى الجميــع

بيروت : ٦ — ١ — ١٩٧٦

اليوم ، فجر الساعة الثالثة والنصــف ، أقدمت القوى الانعزالية على مصادرة شاحنات الطحين ، كان القصر الجمهورى قد وافق على **تحويلها الى المنــاطق المحاصرة فى الدكوانه** وجسر الباشا وتل الزعتر ، وبذلك أصبحت الشاحنات المصادرة سبعة .....

وقد اتصلت السلطات السورية السياسية والعسكرية صباح هــذا اليــوم بــالقصر الجمهورى ، والسلطات اللبنانية ، وبالرغم من وعودهم التى أعطوها للاخوة السوريين الا أن الحصار لا يزال مستمرا ، وبقرار من القيادات الانعزالية والرسمية . أيضا .

يطلب اليكم التحرك السريع سيــاسيا واعلاميا رسميا وشعبيا أمام هذه المؤامرة البربرية لتجويع أبناء شــعبنا اللبنــانى والفلسطينى البالغ عددهم فى هذه المناطق المحاصرة حوالى سبعين الفا منهم «١٦» الف فلسطينى « ٥٤ » الف لبنانى .



من أبو عمار الى الجميــع

بيروت : ٦ — ١ — ١٩٧٦

بسبب الالاف من اللبنانيين والفلسطينيين الذين تتحمل الحركة والثورة اطعامهم ، وبسبب نفاذ معظم المواد التموينية من الاسواق ، يطلب اليكم تسويق اكبر ما يمكن جمعه من المواد التموينية : تبرعات رسمية أو شعبية الى دمشق أو بيروت فورا وبدون تأخير بخصوص خطورة الوضع . أكرر ضرورة الاهتمام بهذا الامر الخطير .

٤ من أبو عمار الى الجميع

ننتظر منكم التحرك السريع لارسال مواد تموينية وطبية ومساعدات مادية سريعة جدا .

كثيرا من المواد التموينية والطبية قد نفذت من الاسواق . ونحن مقبلون على اوضاع خطيرة

بيروت : ٧ — ١ — ١٩٧٦

تحركوا على الصعيد الرسمى والشعبى لتأمين هذه المتطلبات . المسئوليات تضاعفت لبنانيا وفلسطينيا . اكرر عليكم بضرورة التحرك الفورى . وبانتظار وصول هذه المعونات الى دمشق و بيروت بأسرع ما يمكن .

٥ من أبو عمار الى الجميع

منذ يومين بدات بعض القوات من الجيش بالتدخل ضد مواقعنا ، سواء فى الحركة الوطنية او المقاومة الفلسطينية وبالذات ضد منطقةتل الزعتر — كركبة — راس الدكوانة — جسر الباشا .

وبدلا من أن تتدخل هذه القوات لفك الحصار المضروب منذ اكثر من أسبوعين ، على تل الزعتر — كركبة — رأس الدكوانة — جسر الباشا ، التى يوجد بها ٧٠ ألف نسمة من السكان منهم ١٦ ألف فلسطينى و ٥٤ الف لبنانى اذا به يتدخل مع القوى الانعزالية للهجوم على هذه الاماكن ، وخاصة

بيروت : ٩ — ١ — ١٩٧٦

مخيم تل الزعتر الذى يتعرض منذ يومين لابشع هجوم من القوى الانعزالية وهذه القوات من الجيش اللبنانى تساندهم مدرعات ومدفعية ثقيلة .

ان هذه الجريمة التى تشارك فيها قوات من الجيش بعملية التقتيل المتعمدة ، بعد عملية المجاعة المخطط لها ، تدل على ابعاد المؤامرة الحالية التى نعيشها فى لبنان .

يطلب اليكم اعلام الجهات الرسمية والجماهيرية والاعلامية بهذا المخطط الذى بدأ مع هذه الجولة .

وثورة حتى النصر ،،،،،،،

٦ من أبو عمار الى الجميع

لليوم الرابع على التوالى ومخيم ضبية يقف صامدا شامخا أمام الحصار العسكرى الذى يتعرض له من قبل القوى الانعزالية وقوات الجيش فى منطقة يسوع الملك ومار يوسف وذوق مصلح وثكنة صربيا ، وقصف شديد بمعدل « ٥ » قذائف فى الدقيقة . طلب الانعزاليون من قائد الجيش فى المنطقة من المخيم التسليم وتسليم الاسلحة ، رفض ثوارنا الابطال هذه الشروط ، وقالوا : الموت أو النصر .

الحصار التموينى والعسكرى لايزال على المنطقة الشرقية بما فيها مخيم تل الزعتر وجسر الباشا ، وفى هذه المنطقة لبنانيين وفلسطينيين لا يزالون محاصرين منذ أكثر من اسبوعين بالاضافة للهجوم الغادر الوحشى الذى يشترك فيه الجيش « قالوا فى قيادة الجيش انها قوات غير منضبطة » مع القوى الانعزالية .. والقصف مستمر ومكثف . وتقدم من اكثر من

بيروت : ١٣ — ١ — ١٩٧٦

اتجاه على مخيم تل الزعتر وجسر الباشا وحى كوكبة اللبنانى .

الجيش بدأ التدخل السافر والعلنى ،ولكنه غير رسمى ، وبجانب القوى الانعزالية وفى جميع المناطق . المؤامرات بدأت تتكشف والانعزاليين يخططون بدعم سافر من اسرائيل والمخابرات الامريكيةلجريمةالتقسيم. ارسلوا ماتستطيعون ارساله من مؤمن وأدوات طبية ومعونات مالية . المعركة شرسة .

تمكنت القوى الوطنية من محاصرة الدامور وزغرتا ، وطلبت عدم فك الحصار عنها ، الا بعد فك الحصار عن المنطقة الشرقية ومخيم ضبية .

تحركوا اعلاميا وجماهيريا . وبلغوا المسئولين عندكم بكل هذه الاعمال الاجرامية المشبوهة .. نحن هنا ندافع حتى لانكون هناك اسرائيل اخرى فى منطقتنا العربية . ولات ساعة ندم ياعرب .



من أبو عمار الى الجميـــع

تمكنت مساء اليوم الساعة ١٧.٠٠ ملالات « سيارات مصفحة » ودبابات الجيش من الدخول الى مخيم صبية بعد معركة دامت خمسة أيام متوالية ، دفع فيها الجيش قواته لمساعدة القوى الانعزالية مع كثافة نيران عالية من القذائف والرشاشات من قوى الجيش من ملالات ودبابات ومدفعية من منطقة ماريوسف ويسوع الملك وذوق مصلح وثكنة صربا . وقد تمكن الجيش بملالاته من الدخول الى المخيم الصغير الذى يضم « ٢٠٠-٢٥٠ عائلة » كلهم من المسيحيين ٠٠. الخسائر ٤٧ شهيدا وجريحا .

وهكذا تتكشف المؤامرة أولا بأول ، ونحن نضع العرب جميعا أمام مسئولياتهم القومية ويكفى أن يراجع البيان الذى أصدرتهالقمة المارونية برئاسة فرنجية ، والذى ذكر فى بداية البيان مايلى :

« ان الطائفة المارونية تعتبر أن النـزاع الحالى انما هو نزاع بين اللبنانيين خاصة المسيحيين منهم وبين الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين » .. وقطعا هذا يفسر أن هذا الهجوم الغادر على هذا المخيم المسيحى الصغير والمتواجد بجوار جوية فى منطقة منعزلة تبعد حوالى عشرين كيلو مترا عن بيروت ، ومحاصر بهذه القوى الانعزالية من كل مكان .

الوضع يزداد خطورة والجيش بدأ يقاتل بجوار القوى الانعزالية ، سافر وعلنيا . وان كان غير رسمى ، وتدعى قيادة الجيش أن هذه عناصر فى الجيش غير منضبطة .

تتكشف أبعاد المؤامرة التى تقف الثورة الفلسطينية متحملة المسئولية الرئيسية ومعها الحركة الوطنية اللبنانية ، تواجه هذه المؤامرة وحدها .

قواتنا وجماهيرنا صامدة فى مواجهة الهجمة . وقد تمكنت القوى الوطنية اللبنانية من عزل زحلة وزغرتا والدامور أمام عزل المنطقة الشرقية .

بيروت : ١٣ — ١ — ١٩٧٦



من أبو عمار الى الجميـــع

لازالت المعارك الشرسة تدور فى معظم ضواحى بيروت وقد تمكنت القوى الوطنيه من طرد القوى الانعزالية من منطقة باب ادريس كلها . وكذلك تمكنت القوى الوطنية المشتركة من الاطباق على مدينة الدامور . وهذ صدرت الاوامر الى الجيش اللبنانى بالتدخل فورا . وارسلت تعزيرات عسكريه مدرعة ومحمولة جوا وقاطرة بحرية لحمايه المدينة من السقوط بيد القوى الوطنية . ولا يزال القتال يدور حولها وقد طلب أهالى المدينة وساطة الاخ كمال جنبلاط لوقف القتال فى المدينة وحولها . وفى نفس الوقت تدور معارك طاحنة فى منطقه الكورة . فى الشمال ، من جراء هجوم القوى الانعزالية من زغرتا عليها لفك الحصار عن زغرتا الذى قامت به القوى الوطنية فى الشمال « منطقة الكورة البطالة هى منطقة معظم سكانها من اخواننا المسيحيين اللبنانيين الارثوذكس » . وهذا يثبت بطلان كذبتهم الكبرى انها معارك طائفية .

الموقف الساعة ٢.٠٠ صباحا ، يزداد خطورة والجيش نزل سافرا وواضحا فى جميع المناطق فى الشمال وفى الدامور وفى بيروت وفى البقاع وزحلة . ويقف الجيش اللبنانى فى جميع هذه المناطق بجانب القوى الانعزالية « وان كانت قيادة الجيش تقول ان هذه عناصر غير منضبطة من الجيش هى التى تقوم بالقتال مع هذه القوى الانعزالية » . بالنسبه لعملية مخيم ضبيه ، لا تزيد عن أنها عملية الغرض منها الاعلام الخارجى للتأثير على « المناقشات » الجاريه بمجلس الامن ، باعتبار هذا المخيم فلسطينى . وعلى ذلك يدخل الفلسطينيون فى الصراع مباشرة ، وطبعا هذه وغيرها لا ولن تؤثر على موقفنا القوى عسكريا داخليا والقوى سياسيا خارجيا . ونحن لا ننتظر من مجلس الامن ان يحرر لنا أرضنا ، وان كنا مع أى تحرك يمكن أن يفيد قضيتنا وشعبنا فى أى مكان .

وانها لثورة حتى النصــــــــر ،،،،

بيروت : ١٥ — ١ — ١٩٧٦



من أبو عمار الى الجميـع

بيروت : ١٦ — ١ — ١٩٧٦

صدر عن مؤتمر عرمون للقيادات الاسلامية المنعقد ببيروت اليـوم البيان التالى :

ان التطورات الاخيرة والخطيره والاحداث الدامية الناتجة عن التصعيد العسكرى المتعمد من عناصر من الجيش اللبنانى ومساعدتها مما ادى الى احكام الحصار التموينى والعسكرى على مخيم تل الزعتر ثم اقتحام مخيم الضبى ومانتج عن ذلك من قتل وتشريد للابرياء . ونظرا لان هذا الامر يؤدى الى تفاقم الاوضاع بالشكل الذى وصلت اليه الامور فى منطقة الدامور وبالنظر الى امكان حصول مضاعفات من جراء ذلك على الصعيد الوطنى والعربى ، فان القيادات الاسلامية التى تمكنت مـن الحضور يوم الجمعة فى دار صاحب السماحه مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد فى عرمون ، وتدارست الاوضاع المترديه فى البلاد على ضوء المعطيات المبينة اعلاه ، ورات ان السبيل الوحيد للتخفيف من حالة التـوتر الرهيبة ، التى تسود البلاد حاليا وفك الحصار التموينى والعسكرى عن تل الزعتر والدامور واخلاء مخيم الضبى من المعتدين ، بايقاف القتال وانسحاب المسلحين بغية التوصل الى حل سياسى ممكن .

هذا وقد ابلغ دولة الرئيس كرامى رئيس الحكومة هذا الحل الى قائد الجيش تلفونيا ليجرى اتصالاته مع المعنيين من اجل تسوية الوضع على هذا الاساس، الا ان المجتمعين بالرغم من هذا الموقف الايجابى الصريح فدفوجئوا بمكالمة تليفونية بعد قليل من قائد الجيش تحدث فيها مع الرئيس كرامى ومفادها انه اعطى الامر لسلاح الطيران بالتدخل وطلب اليه الرئيس كرامى عدم الاقدام على مثل هذا الامر الذى يزيد الموقف تعقيدا ، سيما وان المجتمعين قد توصلوا الى مقترحات عمليه كفيلة بالخروج من المأزق ، ولكن على الرغم من ذلك قـامت الطائرات الحربية بشن غاراتها على منطقة عرمون القريبة من منزل سماحة مفتـى الجمهوريه حيث يعقد الاجتماع . الامر الذى حدى برئيس الوزراء ووزير الدفاع ان اتصل بقائد الجيش مجددا طالبا اليه اعطاء الاوامر للطائرات بالانسحاب فورا ، الا ان الطائرات الحربية استمرت تقصف بعنف مناطق مختلفة فى عرمون وغيرها لمدة طويلة .

وان القيادات الاسلامية المجتمعة اليوم ، انطلاقا من التطورات الخطيرة المشار اليها والتزاما منها بمسئولياتها التاريخية الكبرى ازاء الوطن والمواطنين قررت مايلى :

اولا ، ان عدم التزام الجيش بآوامر دولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع فـى الامتناع عن استعمال سلاح الطيران وعدم تدخل الجيش فى النزاع القائم ، يعتبر تمردا خطيرا من الجيش على القيادة السياسية المسئولة مما لا يمكن السكوت عنه ويدعو الى الاستنكار الشديد . كما يوجب العمل السريع لوضع حد حاكم ونهائى له حتى لا يقع الجيش فى مكان المجتمعون يحذرون باستمرار من الوقوع فيه من شر الانقسام والتفكك .

ثانيا : ان المجتمعين يدعون المسئولين فى الجيش بجميع عناصره والذين يهمهم وحـدة الجيش كمـا يهمهم وحده وطنهم وسلامتـه واستقلاله ، ان يبذلوا كل مافى وسعهم لاحباط مخطط انحراف الجيش كما حصـل اليـوم ، وقبله ، هذا المخطط الذى يهدف الى زج الجيش فى صراعات جانبية تفتته وتشل قوته .

ثالثا : ان المجتمعين يحرصون على اتخاذ جميع التدابير لمنع الاعتداء على الوطـن والمواطنين ولصيانة المقاومة الفلسطينيـة ، مؤكدين ان الاشقاء العرب جميعا سيكونون الى جانب جميع القوى المؤمنة بحقها وبعـدالة قضيتها وبوحدة هذا الوطن وشعبه .

رابعا : ان المجتمعين الدين يدعون ابناءهم واخوانهم الى مزيد من اليقظه والحذر يعلنون انهم لازالوا يعالجون الاوضاع بالمواقف التى تحفظ لبنان ووحدته ، مقدرين كل المساعى التى تبذلها الدول الشعبية ، الا أنهم مع ذلك يحذرون الجميع ان نوايا السـوء مازالت تدور علـى مختلف المستويات لطعن عروبة لبنان ووحدته وتفكيك كيانه ، مما يستدعى من اللبنـانيين والعرب التسلح بأقصى درجات الوعى تمهيدا لتحرك واع ومسئول

ان المجتمعين اليوم يرون انفسهم امام اكبر درجات المسئولية لذلك هم يدعون الجميـع ليكونوا فى مستواها .



من أبو عمار الى الجميع

أصدرت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية التعميم التالى حول الوضع فى لبنان وهذا نصه : ـ

بعد أن تمكنت قواتنا وقوات الحركة الوطنية من احتلال الدامور مساء ١٥ـ١ـ١٩٧٦ واحرقت بيت الكتائب والاحرار فى المدينة وذلك ردا على ماقامت به القوى الانعزالية من احتلال لمخيم الضبى والتنكيل بسكانه، وردا على الحصار التموينى والعسكرى المضروب من قبل هذه القوات على مخيم تل الزعتر وجسر الباشا والمناطق الشرقية . وعلى أثر هذا الانتصار للقوات المشتركة الوطنية صدرت أوامر من

بيروت : ١٦ ـ ١ ـ ١٩٧٦

رئيس أركان الجيش اللبنانى « سعيد نصر الله » الى قوات الجيش بالتدخل وقد بدأت قواته المتواجدة فى الناعمة وتل الناعمة وحاجز الدامور والسعديات بالتدخل السافر والعلنى وحرك بعض قواته الى مكان المعركه . وفى الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق ، ظهر اليوم ، قامت طائرات الجيش اللبنانى بقصف تجمعات القوى الوطنية ، وكذلك الدامور وبلدة حارة الناعمة والناعمة والمثلث المسيطر عليها من قبل القوات المشتركة الوطنية ولا يزال القصف مستمرا حتى صدور هذا التعميم . الوضع خطير ومتفجر .



من أبو عمار الى الجميع

يتلخص الموقف اليوم فيما يلى :

١ ـ حاولت قوات عسكرية تابعة للجيش اللبنانى كانت متجهة من «شكا» الى «زغرتا» مهاجمة القوات المشتركة فى منطقة « زغرتا » واشتبكت معها القوات ودمرت احدى الملالات والسيارات المصفحة ثم عادت الملالات من حيث أتت .

٢ ـ جرت معركة عنيفة فى الساعة الثانية عشرة من ظهر أمس بين القوات الوطنية وبعض قوات الجيش اللبنانى المتمركزة فى مثلث زغرتا » .

٣ ـ تمكنت القوات الوطنية من الاستيلاء على ست ملالات بطواقمها وتم تدمير ملالة .

٤ ـ لا زالت مدفعية الجيش الميدانية تقوم بقصف بلدة « الدامور » والناعمة وحارة الناعمة قصفا مستمرا منذ الساعة الثالثة من مساء اليوم وذلك بعد أن تمكنت قواتنا من رد الهجوم المعاكس الذى قام به الجيش اللبنانى على الجهة الجنوبية للدامور .

وكان الناطق العسكرى الفلسطينى قد صرح بأن دخول القوات المشتركة صباح أمس ١٦ ـ ١ ـ ١٩٧٦ للدامور جاء ردا على الجريمة

بيروت : ١٧ ـ ١ ـ ١٩٧٦

الغادرة واللا أخلاقية التى نفذتها القوات الانعزالية مدعمة بقوات من الجيش على مخيم «ضبية» الفلسطينى الصغير والمعزول والذى يبعد حوالى ٢٥ كيلو مترا شمال بيروت وفيه ٢٥٠ عائلة فلسطينية مسيحية ، وكذلك ردا على حصار مخيمى تل الزعتر وجسر الباشا والمنطقة الشرقية من بيروت منذ أكثر من أسبوع ، الامر الذى صعد الموقف بشكل خطير .

وذكر الناطق العسكرى فى تصريح آخر بأن قوات الجيش اللبنانى تدعمها الطائرات المقاتلة والعامودية والاليات قد تدخلت صباح وظهر أمس فى منطقة الدامور لنجدة الانعزاليين والقيام بمحاولة هجوم معاكس لاسترداد بلدة الدامور، وعند قيام الطائرات العسكرية اللبنانية بقصف مواقعنا تصدت لها المقاومات الارضية، وأسقطت طائرة مقاتلة من طراز ميراج شوهدت وهى تهوى محترقة. وعقب ذلك بقليل حاولت طائرة هليوكبتر تابعة لمغاوير الجيش اللبنانى انزال جنود فى الدامور فتصدت لها المدافع المضادة للطائرات واسقطتها فوق مشارف الدامور. وقد علم فيما بعد أن «كميل شمعون » الذى يتزعم حزب الاحرار ويعمل كوزير للداخلية فى لبنان هو الذى طلب من غرفة عمليات الجيش اللبنانى

وتدخلت قوات الجيش البرية والبحرية وطائراته العسكرية بعد أن أصبح شمعون محاصرا فى قصره فى « السعديات ».

ان اشتراك الطيران اللبنانى بقصف القوات المشتركة فى الدامور مضافا الى اشتراك المدفعية يؤكد تدخل الجيش بشكل سافر، كما يفسر التصريحات التى صدرت عن «شمعون» وعن حزب الكتائب والتى تنفى دخول وتطهير الدامور . أن هذه التصريحات كانت مراهنة خاسره على تدخل الجيش بكل اسلحته فى محاولة لدخول الدامور من جديد وتدخله الى جانب القوات الانعزالية وتواطئه فى المؤامره المديرة ضد الثورة الفلسطينية والقوى الوطنيه اللبنانية . تأكيدا على ذلك قامت طائرات الجيش اللبنانى صباح أمس بقصف منطقة عرمون وتحديد الجزء الذى يقع فيه منزل سماحه مفتى لبنان الشيخ حسن خالد ، وذلك أثناء اجتماع قمة عرمون الذى حضره سماحة الامام موسى الصدر وشيخ العقل محمد أبو شقرة ورشيد كرامى رئيس الوزراء وصائب سلام وعبد الله اليافى وكمال جنبلاط وعدد من الشخصيات الوطنية اللبنانية .

وظهر أمس قامت قيادة الجيش اللبنانى باجراء تصعيد مشبوه حيث أقدمت على اغلاق مطار بيروت وأعلنت فرض الرقابه على الصحف وبرقيات وكالات الانباء وذلك لعزل لبنان عن العالم والانفراد بنشر تفاصيل الاحداث من وجهة نظر واحدة . وهذا الاجراء التصعيدى بمثابة تعبير عن نية الجيش فى تهيئة الاجواء لاعلان حالة الطوارىء فى البلاد، الامر الذى يمكن اعتباره مخالفة دستورية صارخة تؤدى الى مضاعفات خطيرة .

وقد علم من مصادر موثوقة أن كميل شمعون قائد عصابات « النمور » الفاشية والمحاصر الان بالسعديات لا يزال على اتصال مستمر بقيادة الجيش يدعوها لتشديد هجماتها على منطقة الدامور والقرى المجاورة لانقاذ موقفه المتردى أمام ضغط القوات المشتركة واحكام قبضتها على المناطق المحرره والمحاصرة .

وفى بيروت قامت مجموعات من القوات المشتركة بتحقيق انتصارات جديدة فى الحى التجارى وساحة الشهداء . وحالت دون وصول أى امدادات للقوات الانعزالية المحاصرة شمالا وحول المناطق الاخرى . وقامت مجموعة من القوات المشتركة بقصف جونيه ومينائها بالصواريخ الثقيلة وذلك ردا على القصف الشديد الذى تتعرض له منطقة الكرنتينا . وقامت القوات المشتركة وقواتنا ليلة أمس الاول بقصف أهدن بالصواريخ والمدفعية كما تابعت قصف زغرتا بالمدفعية والصواريخ .

وفى منطقة زحلة والبقاع واصلت القوات المشتركه تقدمها وانتصاراتها ضد قوات الانعزالية ومن يناصرها من قوات الجيش اللبنانى .

هذا وقد صرح مصدر مسئول فى الثورة الفلسطينية بما يلى:

« حين احتلت القوات الانعزالية مخيم ضبية ، شاركت معها قوى من الجيش فى الحصار والدعم والامداد ثم عندما جرى الاحتلال لم يتدخل الجيش مطلقا لصالح « المواطنين » الابرياء والان يقوم الجيش فى الدامور بدفع ثقل كل قوانه حتى درجه القصف بالطيران.

ان هذا يؤكد مدى تورط الجيش فى القتال ويثبت ان هذا التورط حاصل منذ بدايه الاحداث على صعيد الدعم والامداد ، وأنه تورط حتى درجة التدخل المباشر بكافة الاسلحة » .

هذا وتفيد احر التقارير حتى هذه اللحظة الساعة الثامنة مساء أمس بأن الموقف العسكرى للقوى الوطنية والتقدمية جيد تماما بينما تشير التقارير أن رؤساء العصابات الانعزالية قد فقدوا أعصابهم وأصبحوا يتصرفون بشكل هستيرى مما يثبت أن زمام المبادرة قد فلت من أيديهم نتيجة الخسائر والهزائم التى لحقت بهم .

١٢ من أبو عمار الى الجميع

بيروت : ١٨ — ١ — ١٩٧٦

يتحدد الموقف السياسى الراهن على النحو التالى:

شهد النهار نشاطا ملحوظا للسفراء العرب فى بيروت حيث اجتمعوا بالتوالى مع كل من رشيد كرامى، فرنجية ، جمبلاط وقد تم الاتفاق على:—

أولا:

١ — وقف اطلاق النار ،

المحاصرة ٠

٢ ـ فك الحصار عن جميع المناطق المحاصرة.
٣ ـ تأمين جميع الطرق الى بيروت ومنها .

ثانيا :

جرى اتصال من قبل الجيش والسلطة معنا وطلبوا وقف اطلاق النار تمهيدا لاخراج الجيش من اللعبة . وتعهد الجيش بفتح الطرق فى تل الزعتر ومنها واعادة الاوضاع الى ما كانت عليه سابقا فى مخيم الضبى.

ثالثا: وافقنا مع الاخوة فى الحركة الوطنية على وقف اطلاق النار بشروط قمة عرمون٠ طلبت منا المحافظة على حياة شمعون المحاصر بقصره بالسعديات ووعدنا بذلك واصدرنا تعليمات الى قيادة منطقة القتال هناك لتامين حياته . أرسلنا طائرة هليوكبتر بها اثنين من ضبط الجيش واثنين من المقاومة لنقل شمعون الى القصر الجمهورى .

رابعا:

يوجد خلافات كبيرة حول موضوع اشتراك الجيش بين كل من كرامى وفرنجية وشمعون.

كرامى: يتهم الجيش بعدم الانضباط للقيادة السياسية ٠

شمعون: يتهم الجيش بالخيانة لانه لم يستطع فك الحصار عن السعديات واستعادة الدامور والجيه .

فرنجية يرسل خطابا الى الجيش يحييه فيه لانضباطه . وهذا بهدف الظهور أنه ليس له علاقة باشتراك الجيش فى القتال وقصف الطيران والاحداث الاخيرة اجلت زيارة فرنجية لسوريا لاجل غير مسمى .

أما الموقف العسكرى فهو كما يلى :

أولا : استمرت أمس الاشتباكات فى كافة مناطق القتال وكان أشدها على جبهة السعديات الجيه ، الدامور ، الناعمه تابعت القوى الوطنيه تطبيق الحصار على السعديات ورد المحاولات التى قم بها الجيش والقوى الانعزالية لاستعادة هذه المناطق وشهدت منطقة خلده معركة عنيفة تم خلالها تدمير عدد كبير من آليات الجيش المدرعة والملالات التى حاولت التدخل فى الاشتباكات ومهاجمة الناعمة والدامور وقد تمت السيطرة على تسع ملالات بعناصرها حيث وقعت فى يد القوى الوطنية فى معركة خلده .

ثانيا ، فى الشمال استمر القتال وتمكنت القوى الوطنية من تحقيق نجاحات جيدة هناك .

ثالثا: حاول الجيش والقوى الانعزالية رفع معنوياتهم بادعاء انتصارات وهمية ادعوا أنهم حققوها بمنطقة زحلة.

الوضع فى جميع المناطق ٠ جيد وفى صالح القوى الوطنيه والقوى الانعزاليه حتى الان لم تلتزم بموقف اطلاق النار بشكل كامل ٠ وقد يتجدد القتال من جديد بشكل أعنف وأكثر شمولا.

١٣ من أبو عمار الى الجميع

بيروت : ١٩ ـ ١ ـ ١٩٧٦

دخلت قوات الكتائب والاحرار معززة بخمسة وعشرين آلية ومصفحة للجيش اللبنانى وسرية مغاوير « صاعقة » معظم منطقة السلخ وهى منطقة للكادحين ، وجميع سكانها من الاكواخ التنك الصفيح ويسكنها عمال فقراء لبنانيين وسوريين وأكراد .

وبعد قتل دام ٤٨ ساعة تقدمت الاليات الى هذه الاماكن وحدث انزال بحرى تسانده بعض الزوارق المسلحة المجهولة لهذه المنطقة الصغيرة الفقيره ، واضرمت النيران فى جميع الاكواخ التى وصل اليها الغادرون المجرمون .

وهكذا يشارك الجيش أو بعض وحداته ، التى تدعى القيادة ان الوحدات متمردة تتحرك بغير أوامر قيادتها مع هذه الفئة الانعزالية المجرمة ٠

لا تزال حتى الان أماكن تقاتل فيها القوات المشتركة داخل المسلخ بشجاعة واقدام رائعين.

أخذت القوى الانعزالية النساء والاطفال رهائن عندهم ممن تبقى على قيد الحياة فى الاماكن التى احتلوها فى المسلخ .

ما هى حجة الجيش فى عدم الدفاع عن هذه المنطقة اللبنانية ، فى الوقت الذى يقاتل فيه ضد القوى الوطنية فى الدامور والجيه والناعمة؟!



من أبو عمار الى الجميـــع

يمكن اجمال الموقف العسكرى اليوم على النحو التالى:

لم يلتزم الطرف الانعزالى بوقف اطلاق النار الذى اتفق عليه مع السلطة والجيش . وقام بهجوم اشترك فيه الجيش بجميع أسلحته بجانب القوى الانعزالية على محور الكرنتينا- المسلخ ، وكان عــدد المهــاجمين يــزيد على ٤٠٠٠ مقاتل .

وقد تمكنت القوى الوطنية من الصمود وصد الهجمات طيلة امس وقد قامت القوى الوطنية بهجوم معاكس من محور المسلخ ، وتمكنت من السيطرة على مواقع جديدة وحتى صباح اليوم استمرت فى الاحتفاظ بجميع مدافعها التى تمت السيطرة عليها.

احرز الجيش والقوى الانعـزالية بعض النجاح فى الكرنتينا ، والقتال مازال مستمرا وبضراوة فى باقى مناطق بيروت .

استمر القتال على كافه المحـاور بالمدفعية ومختلف الاسلحة استمرت عمليات القصف على الشياح وبرج البراجنة.

فى منطقة الدامور نسيطر قواتنا على الموقف وتستمر فى محاصره السعديات ..فــى الشمال الموقف جيد وفى صالح القــوى الوطنيـــة ... فى البقــاع قــامت القـــوى الانعزالية يسدنها الجيش بالتعـرض للقـوى الوطنية، وقامت القوى الوطنية بالرد عليها وقصف مواقع الاسلحه والمدفعية وقد تم احراز السيطرة على بعض المواقع للطرف الاخر.

١٥ من أبو عمار الى الجميـــع

عقد أمس اجتماع قمة اسلامى حضره كل من الشيخ حسن خالد - والامام موسى الصدر وصائب سلام وعبد الله اليافى وكمال جنبلاط ورشيد كرامى . وتم تــدارس الاوضــاع وتطوراتها واتفق على خطوات لمواجهه التصعيد الذى يقوم به الطرف الانعزالى . كما نشط السياسيون اللبنانيون والنواب لايجاد حــل لموضوع الاستقالة واقناع الرئيس كرامى بسحبها ومعالجة الفراغ الــذى أحدثته استقالة رئيس

بيروت : ١٩ - ١ - ١٩٧٦

على ضوء تصاعد الاحداث عسكريــا وسياسيا، فى نفس الوقت الذى تعرض فيه القضية الفلسطينية فى مجلس الامن، وماتحققه من صعود بيانى للانتصارات فان هذا التصعيد ليس الا جــزءا من المؤامــرة الامبرياليـــة والصهيونية التى تستهدف المنطقة عمـوما، والشعب الفلسطينى خصوصا .

أما الموقف السياسى فيتحدد فى أن استقالة الرئيس كرامى أمس وبشكل مفاجىء يضع الاوضاع السياسيه على الطريق المعقد .

فقد جاءت الاستقالة نتيجه قناعته بان جميع الابواب قد اغلقت فى وجهه للوصول الىنتيجه ايجابية ، أما اصرار رئيس الجمهوريه ووزير داخليتــه علــى التصــــعيد واشراك الجيــش فى القتال الى جانب القوى الانعزاليه وعدم الالتزام بوقف اطلاق النار والقناعه التى وصل اليها رشيد كرامى ان هناك مخطط يجرى تنفيذه طبقا لخطه موضوعه تهدف الى ضرب الثورة الفلسطينيه وتصفيه وجودها فى لبنان وضرب الحركه الوحيدة ومحو مكتسباتها . وفى حالة الفشل فى تحقيق هذا الهدف، العمل على تقسيم لبنان.

أوقف السفراء العرب فى بيروت نشاطهم الذى قاموا به بعد أن تاكد لهم وبالدليل عدم التزام الانعزاليين بوقف اطــلاق النــار وبعد اصرار رئيس الجمهــورية على الاســتمرار فى خطه .

بيروت : ٢٠ - ١ - ١٩٧٦

الحكومة فى مثل هذه الظروف، ومن المحتمل أن يعقد مجلس النواب جلسه لمناقشه الاوضاع كما عقد امس اجتماع للاحزاب والقوى الوطنيه وقد تم بحث ومناقشة الاوضــاع وتطــوراتها والاسباب التى أدت الى اســتقالة رئيس الحكومه والاحتمالات المتوقعه بعد الاستقالة والتى منها -

اولا- تشكيل حكومة عسكريه ووضع البلاد بيد الجيش .

ثانيا ــ التفكير بالبت بموضوع الاستقالة من قبل رئيس الجمهورية وبذلك تبقى الاوضاع على ما هى عليه ، وتبقى بيد الجيش دون أن يكون هناك ضوابط تشريعية لتصرفاته أو الالتزام بالمؤسسات السياسية .

ثالثا : احتمال رفض رئيس الجمهورية الاستقالة .

وقد وضع لكل احتمال خطط مراجعة .

هذا من الناحية السياسية. أما من الناحية العسكرية فانه يمكن تحديد الموقف الراهن فى النقاط التالية:

اولا ــ استمرت الاشتباكات أمس فى كافة المناطق وفى الشمال تمكنت القوى الوطنية من السيطرة على عدد كبير من المناطق التى كانت فى يد الانعزاليين والان تقوم القوى الوطنية بالتصدى لقوات الجيش التى تجمعت فى مطار القليعات ، وقد استمر تضييق الحصار على زغرتا وقامت القوى الوطنية والعشائر فى منطقة الحرمل وبعلبك فى السيطرة على باقى المناطق وحققت نجاحات .

ثانيا ــ فى منطقة زحلة استمرت الاشتباكات وتمكنت القوى الوطنية من اسقاط عدد من المواقع والسيطرة عليها.

ثالثا ــ فى بيروت تمكنت القوى الوطنية من اغلاق منطقة الفنادق وتحقيق نجاحات والاتجاه نحو البحر من المنطقة الرابعة للكتائب وقد استطاعت القوى الانعزالية يدعمها الجيش والاليات من تحقيق بعض النجاح فى منطقة المسلخ ، كما استمر القصف المدفعى فى جميع أنحاء بيروت والضواحى.

رابعا ــ فى منطقة الدامور تمكنت القوى الوطنية من صد الهجمات التى قام بها الجيش على المنطقة وتمكنت أيضا من السيطرة على مواقع جديده وأحكم الحصار على السعديات والانتدور المعارك على مسافات قريبة من قصر شمعون .

خامسا ــ الاوضاع فى كافة المناطق جيدة وفى صالح القوى الوطنية والمعنويات عالية .

١٦ من أبو عمار الى الجميع

بيروت : ٢١ ــ ١ ــ ١٩٧٦م

استمر امس نشاط السياسيين اللبنانيين فى محاولة مشتركة لايجاد حل لموضوع استقالة رئيس الوزراء وكذلك للبحث عن نقاط مشتركة لحل الازمة السياسية فى البلاد الا ان جميع هذه الجهود لم تحقق شيئا بعد . ومن جهة اخرى كشف كميل شمعون عن حقيقة النوايا الخفية بدعوته الامم المتحدة للتدخل لوضع حد للصراع فى لبنان . فهذه الدعوة تسقط القناع عن الوجه الذى كان يسعى لتمزيق لبنان بتقسيمه وهذه ايضا تضع التصعيد الاخير للاحداث على محورى التحرك الامبريالى والصهيونى فى المنطقة فهو اولا يهدف للاساءة للقضية الفلسطينية اثناء عرضها فى مجلس الامن . وهو من الجهة الاخرى يطرح موضوع التقسيم لخلق الغطاء المطلوب لبقاء الكيان الاسرائيلى جسما غريبا فى قلب الوطن العربى وخطورة هذا التصريح انه ، وللمرة الاولى ، يوضح وبشكل سافر ان ابعاد ما يجرى فى لبنان يتجاوز حدود لبنان الجغرافية . وهذا ما توضحه الحملات الدعائية الاسرائيلية المتصاعدة لخلق مبرر للتدخلات الاجنبية . هذا وقد قام امس وفد من الاحزاب والقوى الوطنية على رأسه كمال جنبلاط بزيارة الى سوريا حيث اجتمع مع الرئيس حافظ الاسد . وتم تدارس الاوضاع اللبنانية ومضاعفاتها ، وافضل السبل لحلها . كما قدم الوفد صورة واضحة عن الاوضاع فى لبنان . هذا وسيصل اليوم وزير الخارجية السورية ورئيس الاركان لاستكمال المشاورات المتعلقة بالوساطة السورية والجهود المبذولة لحل الازمة .

ومن الناحية العسكرية ، استمرت امس الاشتباكات فى كافة المناطق حيث تمكنت القوى الوطنية من السيطرة المطلقة على الدامور والجية والناعمة ، وقد فرسكان السعديات عن طريق البحر .

بيروت : استمرت الاشتباكات فى كافة المحاور . واستخدمت المدفعية والرشاشات بكثافة .

فى الشمال : تمكنت القوى الوطنية من السيطرة على مواقع جديدة وتشديد الحصار على زغرتا .

فى البقاع : استمرت الاشتباكات وتمت السيطرة على عدة مواقع عسكرية هامة كانت تتعرض للقوى الوطنية ومازالت الاشتباكات مستمرة فى كافة المناطق .



من أبو عمار الى الجميـــع

بيروت : ٢١ — ١ — ١٩٧٦

يتلخص الموقف اليوم على النحو التالى :

زحلة : تقوم القوات المشتركة الان بتضييق نطاق الحصار على مدينة زحلة وتجرى فى مداخلها معركة ، تستهدف القوى الوطنيـــة المشتركة من خلالها السيطرة على المدينـــة وتطهيرها من قوات الانعزاليين .

زغرتا : تتعرض زغرتا الان ، وهى اقـــوى موقع للانعزاليين فى شمال لبنان ، الى ما تعرضت له الدامور قبل يومين من حصـــار شديد ومركز وتشهد مداخل البلدة حاليا قتالا شديدا يهدف القضـــاء عـــلى ماتبقى مـــن الانعزاليين فيها . وتشير كل الدلائل على ان معنوياتهم محطمة .

بيروت : احكمت القوات الوطنية المشتركة سيطرتها على منطقة الفنادق والمنطقة القتالية الرابعة وبصورة كاملة ولم تبق أمام القـــوى الانعزالية المحاصرة الانفى فندق «الهوليدى ان » الا التسليم او الموت بعد ان عزلت تماما عن المنطقة الشرقية خاصة بعد مواصلة القوات المشتركة الى ابى داود . ومن جهة ثانية تامت القوات الوطنية المشتركة بعدد مـــن عمليات الاقتحام على منطقة عين الرمانة حيث دمرت مركز القوى الانعزالية فيها وطهـــرت بعض الجيوب . وعلى محور البريد تكبدت قوات الانعزاليين حوالى ٢٠ اصابة .

كما ان الكثير من عناصر وضباط الجيش اللبنانى يواصلون الالتحاق بالقوات الوطنيـــة المشتركة بالاضافة الى ان آخرين منهم يستسلمون لهذه القوات .

شتورا : فرضت القوات المشتركة سيطرتها التامة على مدينة شتورا فى البقاع صباح اليوم بعد ان حسمت لصالحهـــا بمعركة عنيفة خاضتها ضد القوات الانعزالية بالاشـــتراك الفعلى لوحدات من الجيش اللبنانى التى دفعت للمنطقـــة .

البقاع : رحبت جماهير بلدة جديتا بالقـــوى الوطنية التى حررت بلدة جديتا من القوى الانعزالية المجرمة ، مؤكدة التزامها بالبرنامج الوطنى الذى طرحته الاحزاب والقوى الوطنيـــة والتقدمية والتحامها بقوات الثورة الفلسطينية واستنكارها لمؤامرة الانعزاليين الطائفيين عملاء الامبريالية والصهيونية .

وثورة حتى النصر . .

١٨ من أبو عمار الى الجميـــع

بيـــروت : ٢٢ — ١ — ١٩٧٦

على اثر تصاعد القتال فى مختلف المناطق وفى مختلف المحاور . ومع تصاعد الدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربى . ونتيجة لردود الفعل التى برزت فى الاجواء الدولية وحيث أن عقد مؤتمر القمة محتاج الى وقت طويل من اجل الاعداد . . ونتيجة لكل ذلك وبناء على طلب الجهات السياسية فى لبنان تم التحرك السورى المتابعة ما كان قد بدأ به منذ بدء الاحداث من أجل وضع حد للازمة والاسباب التى ادت اليها . وما زال الوفد السورى يجرى الاتصال مع مختلف الاطراف بغية الوصول الى حل مشترك . وقد حققت هذه الاتصالات بعض النجاح . الا أن الاطراف الانعزالية باصرارها على عمليات تهجير المدنيين فى بلدتى الجيه والدامور بهدف تنفيذ التقسيم البشرى على الارض ، وتمهيدا للمحاولات التى يسعون اليها من اجل الوصول الى التقسيم الجغرافى ، فان القوى الوطنية وهى تعى مقاصد الطـــرف الانعزالى وما يرمى اليه ، تعمل على افشال هذا الهدف ، فقد قامت بالعمل على عودة المواطنين فى هذه المناطق الى بيوتهم وتقديم ما يحتاجون اليه من خدمات فى مختلف المجالات . وقد تم بالفعل تسليم تلك المناطق الى لجان شعبية تشرف عليها .

ان هـــذه التصرفات لاكبر دليـــل على نبل الهدف وسلامة المقصد وحرص القوى الوطنية والثورة الفلسطينية عـــلى تـــوفير الامـــن والاستقرار لكافة المواطنين . ومن الواضح أن

هناك اطرافا انعزالية تحاول نسف المحاولات الخيره الرامية الى اعادة الامن والاستقرار الى لبنان الشقيق ، وتصر على تنفيد مخططاتها المرتبطة بمخططات الامبريالية والصهيونية .

هذا على الصعيد السياسى .

أما على الصعيد العسكرى ، فقد استمرت الاشتباكات فى كافة المناطق وقد تمكنت القوى الوطنية من انجاز ما يلى :

فى بيروت : تمت السيطرة على المنطقة الكتائبية الرابعة وهى تندفع باتجاه البحر من أجل احكام السيطره على المنطقة . وكانت الاشتباكات والقصف المدفعى والرشاشات قد استمرت طوال نهار أمس فى كافة مناطق بيروت وضواحيها .

فى الشمال : استمرت القوات الوطنية فى تحقيق انتصارات حيث سيطرت على مواقع جديدة كما شددت الحصار على مدينة زغرتا .

فى بعلبك والهرمل : قامت القوى الوطنية هناك بالسيطرة على المواقع العسكرية فى المنطقة . وقد تم صباح هذا اليوم اسقاط ثكنة الدرك فى بعلبك وموقع القاع .

فى البقاع والقطاع الشرقى : تمت السيطرة وبعد اشتباكات عنيفه على المواقع التالية :

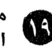
١ ــ المصنع والاليات الموجودة .
٢ ــ بيادر العدس .
٣ ــ السلطان يعقوب .
٤ ــ كفر زيد .
٥ ــ كامد اللوز .
٦ ــ خبة روحا .
٧ ــ المكسى عن طريق باب البيدر .
٨ ــ ما يسمى تل الزعتر .
٩ ــ توينة على طريق زحلة الجبل الخلفى .
١٠ ــ تل القرعون .
١١ ــ سوق الخان .
١٢ ــ كوكبة .

وجميع هذه المواقع عسكرية . وكذلك تمت السيطره على مدينة شتورا وحوصر مطار رياق وتم عزله . وكذلك تم عزل قياده لواء حبلة . كما قطعت طريق زحله الجبل ــ زحلة شتورا . وتم حصار مدينة زحلة . وخلال هذه العمليات دمرت وأحرقت دبابات وملالات بمن فيها كما تم الاستيلاء على عدد آخر منها . وقد قامت العناصر الوطنية فى الجيش بالاشتراك مع القوى الوطنية فى هذه العمليات .

يدور الان قتال فى ظهر البيدر والمديرج على طريق بيروت الجبل .

المعنويات جيدة فى كافة المناطق .

وثورة حتى النصر .



من أبو عمار الى الخميع

بيروت : ٢٣ ــ ١ ــ ١٩٧٦

تم امس توقيع اتفاق حول تسليم مدينة السعديات والسماح للمدنيين الذين يرغبون مغادرة المدينة ، باشراف القوى الوطنية فى المنطقة وبهذا اصبحت المدينة تحت سيطرة القوى الوطنية وأصبحت الطريق بين الجنوب وبيروت سالكة .

وقع الاتفاق عن الانعزاليين « دانى شمعون » وعن القوى الوطنية الملازم ــ مأمون المسئول العسكرى لمخيم الضبى . وكثفت الجهود أمس من أجل الوصول الى حل . وعقد اجتماع ثلاثى ضم عن المقاومة الاخوة ــ أبو أياد ، زهير محسن ، ابو الوليد . وعن لبنان رئيس الاركان اللبنانى وقيادات عسكرية اخرى من الجيش اللبنانى . وقد حضر الاجتماع من الاخوة السوريين ــ عبد الحليم خدام واللواء حكمت الشهابى واللواء ناجى جميل . وقد صدر عن الاجتماع البيان التالى :

اولا : يوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٢٠٠٠ مساء يوم ٢٢ ــ ١ ــ ١٩٧٦ .

ثانيا : تستمر اللجنة العليا فى حالة انعقاد دائم لوضع الترتيبات اللازمة لازالة المظاهر المسلحة فى كافة المناطق اللبنانية واعادة الحياة الطبيعية الى البلاد .

ثالثا : تصدر اللجنة بيانات تباعا عن القرارات والاجراءات التى يتم انجازها . وتدعو اللجنة كافة الاطراف للتقيد بهذا القرار والالتزام به ».

وكان قبل ذلك قد صدر بيان عن القصر الجمهورى يعلن موافقة الدولة اللبنانية على :

ا ـ تشكيل لجنة عليا عسكرية لبنانية سورية فلسطينية مهمتها وضع ترتيبات وقف اطلاق النار واعادة الحياة الطبيعية والاشراف على التنفيذ ».

ب ـ يشكل عدد من لجان الاشراف الفرعية منبثقة عن اللجنة العليا لمراقبة ومتابعة التنفيذ فى مختلف المناطق والمواقع ».

ج ـ تعيين اللجنة العليا موعد سريان مفعول وقف اطلاق النار واعلان ترتيبات وقف القتال ومراحل تنفيذه ».

وقد عقد اجتماع ضم الوفد السورى وقيادات الثورة الفلسطينية وقادة الاحزاب والقوى الوطنية فى لبنان وقد وافق المجتمعون على الخطوات التى تم التوصل اليها واعلنوا التزامهم بها ».

ومن جهة اخرى عقد اجتماع ضم الوفد السورى وقمة عرمون ، حيث اعلن التزام قمة عرمون بالاتفاق ».

وإننا اذ نؤكد حرص الثورة الفلسطينية منذ بدء القتال على الرغبة الصادقة للسعى الى هدوء لبنان واستقراره ، ومن خلال ايماننا المطلق بأن افتعال هذه الاحداث واستمرارها انما يخدم بشكل مباشر وغير مباشر مخططات الامبريالية الامريكية والصهيونية فى سعيها الى اغراق حركة المقاومة بمعارك جانبية بهدف اضعافها وسرقة الانجازات التى تحققها الثورة فوق أرض فلسطين وفى المجالات الدولية ، تمهيدا لتصفيتها وضرب حركة التحرر العربية . ومن خلال وعينا للقضاء على مخططات العدو ولحرصنا على لبنان ، شعبا وارضا ، كنا فى وضع الدفاع عن النفس والسعى الجاد لاقناع الجميع بحقيقة ما يجرى بهدف وضع حد لهذا النزيف الدامى ، الا أن الذين خططوا لهذه المؤامرة ، والذين كانوا اداة التنفيذ ، فهموا حرص الثورة على لبنان والابتعاد عن المعارك الجانبية ضعفا ، واستمروا فى تصعيد عملياتهم حتى خيل اليهم أنهم يستطيعون أن ينتزعوا شعبنا من مخيماته ليقذفوا به فى الضياع . أمام ذلك كله كان لابد من أن نخوض القتال بعنف بجانب القوى الوطنية ضد هذه الادوات الاستعمارية . ولئن تم الوصول اليوم الى هذا الاتفاق . فما ذلك الا نتيجة لتلك التضحيات التى قدمها شعبنا متلاحما مع القوى الوطنية اللبنانية فى التصدى لهذه المؤامرة واسقاطها . واننا وقد اعلنا التزامنا بوقف القتال الا اننا ندرك أن هذه العملية يمكن ان تكون خدعة من اجل التقاط الانفاس . ولذلك فنحن يجب ان نبقى يقظين وحذرين وبشكل دائم ، ولمعاودة القتال اذا لم يكن هناك التزام من الطرف الاخر ».

هذا وكان القتال قد استمر فى مختلف المناطق واستطاع ثوارنا اسقاط مدينة السعديات فى الجنوب وتحقيق نجاحات كبيرة فى بيروت وكذلك فى الشمال .

وفى البقاع تمكنت القوى الوطنية من اسقاط مواقع كثيرة للجيش بالتعاون مع العناصر الوطنية فى الجيش اللبنانى .

لهذا فاننا لا نستطيع أن نقول ان المعارك قد انتهت . ولا يكفى ابدا ان نكون غير راغبين بالقتال حتى لا يكون هناك قتال . وان هذه المسألة تحكمها ارادات جميع الاطراف .

وانها لثورة حتى النصر .

٥ كلمات للطليعة

□ يوم النضال ضد الاستعمار

٢١ فبراير ١٩٤٦

٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم من أيام النضال المصرى الوطنى الديمقراطى بعد الحرب العالمية الثانية . هو اليوم الذى قدم الى نضال الشعب المصرى قيادة ثورية جديدة تقدمت صفوف النضال من اجل التحرر الوطنى والتحرر الاجتماعى ، قيادة شابة ادانت سياسة المهادنة مع المستعمر البريطانى والمواقف المتهالكة على اعقاب الرجعية والسراى .

وما كان ٢١ فبراير يوما عارضا ، أو حدثا تلقائيا عفويا ، انما كان نتاج اعداد واع من قبل قيادة الشباب الجديدة ، التى وحدها النضال ضد المستعمر البريطانى . فمنذ صيف ١٩٤٥ تشكل أول تنظيم جبهوى على نطاق حركة الطلبة ، ضم ممثليهم فى الاحزاب والجماعات السياسية والثقافية والروابط الطلابية . وتشكلت اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة . وحددت هذه اللجنة أن محاور الكفاح الوطنى الرئيسية هى :

أولا : ان الكفاح من أجل الاستقلال الوطنى ، ليس كفاحا موجها فقط ضد الاحتلال العسكرى ، ولكنه موجه كذلك ضد السيطرة الاستعمارية الاقتصادية والسياسية والثقافية . **ثانيا :** ضرورة النضال فى نفس الوقت ضد عملاء الاستعمار وكبار الماليين المرتبطين بالاحتكارات الاجنبية . **ثالثا :** أنه لابد من تكوين جبهة وطنية عريضة تكافح من أجل الحاق الهزيمة بالنظام الاستعمارى . **رابعا :** أن النضال من أجل الحرية والديمقراطية لا يمكن فصله عن النضال من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية .

ولما كانت أحزاب الاقلية الحاكمة حينئذ قد أعلنت فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ أنها تود الدخول فى مفاوضات مع بريطانيا لاعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ ، وردت الحكومة البريطانية فى ٢٠ يناير ١٩٤٦ على الحكومة المصرية محددة أن هدف المفاوضات يجب أن يكون استمرار الارتباط بين مصر وبريطانيا ، وادخال مصر فى نظام خاص للدفاع المشترك ، والابقاء على قاعدة عسكرية فى مصر والسودان . تقدمت

القيادة الشابة الجديدة الصفوف للنضال ضد السياسة الاستعمارية الجديدة ، ورفعت شعارات « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » و « الجلاء بالدماء » .

ودعت القيادة الجديدة الى مؤتمر ٩ فبراير ، والذى عقد فى حرم جامعة فؤاد [القاهرة] ، وأعلن قراراته :

وقف المفاوضات الدائرة .

ـ الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ الخاصتين بالسودان .

ـ جلاء القوات البريطانية فورا .

واثر المؤتمر سارت مظاهرة كبيرة لرفع القرارات الى المسئولين . وعندما توسطت المظاهرة كوبرى عباس، فتح الكوبرى، وبدأ هجوم البوليس ، وكانت مذبحة كوبرى عباس .

واثر المذبحة ، تفجر بركان المقاومة الشعبية فى كل مكان .. فى ١٠ فبراير استشهد ثلاثة فى الاسكندرية وثلاثة فى الزقازيق وواحد فى المنصورة ، وفى القاهرة استشهد الطالب السودانى محمد على محمد .

وفى القاهرة تفجرت المظاهرات ضد السراى ووزارة النقراشى : وحطمت الزينات الملكية التى كانت معدة للاحتفال بعيد الميلاد الملكى . وانتزعت صورة الملك وحرقت ، وهتفت الجامعة ـ بسقوط الملكيه وحياة الجمهورية .

وفى ١١ فبراير ـ وكانت الحكومة قد أعلنت اغلاق الجامعة ـ اتجه الشباب الى الشعب وقاد المظاهرات الصاخبة ضد السراى ، وهكذا ارتبط النضال من أجل جلاء قوات الاحتلال بالنضال المباشر ضد السراى والرجعية المحلية .

وفى ١٢ فبراير خرجت جامعة الاسكندرية لتلتقى بعمال كرموز ، واستشهد طالب صغير . وانتشرت المظاهرات فى كل المدن الكبيرة حتى اضطرت وزارة النقراشى المسئولة عن مذبحة كوبرى عباس أن تقدم استقالتها . تاركة الحكم لاسماعيل صدقى باشا رئيس اتحاد الصناعات و « جزار » الشعب فى ١٩٣٠ .

وكان على القيادة الجديدة أن تواجه التطور الجديد ، بتنظيم حقيقى يعبىء الجماهير فى نضالها ضد الهجوم الرجعى . فقررت اللجنه التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة الدعوة الى انتخاب لجان وطنيه . وفى ١٧ فبراير شهد واحد من مدرجات كلية الطب اعلان تشكيل اللجنة الوطنية للطلبة ، والتى أعلنت ميثاقها والذى أعلن :

« ـ الجلاء التام برا وبحرا وجوا عن كل شبر من أراضى وادى النيل .

« دولية القضية المصرية .

ـ التحرر من العبودية الاقتصادية .

ووجهت اللجنة الوطنية للطلبة نداء الى العمال ليشكلوا اللجان الوطنية فى المناطق والاحياء العمالية وفى النقابات . فتكون العديد من اللجان الوطنية للعمال فى القاهرة والاسكندرية .

ولم تنم اللجنة الوطنية للطلبة ، وعقدت اجتماعات استمرت حتى صباح ١٨ فبراير . وتم اتصالها بالاسكندرية ، وبنقابات عمال الترام والمطابع وبعمال شبرا الخيمة ، وبمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى وباللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات عمال القطر المصرى .

وفى ١٨ ، ١٩ فبراير أعلن تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة . وبذلك ولدت قيادة جديدة فى النضال الوطنى ، وأصدرت فى نهاية أول اجتماع لها القرار التالى :

« قررت نقابات عمال القطر المصرى ، وطلبة الجامعات المصرية والازهر والمعاهد العليا والمدارس الخصوصية والثانوية أن يكون :

« يوم الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم اضراب عام لجميع هيئات الشعب وطوائفه

« يوم استئناف للحركة الوطنية المقدسة التى تشترك فيها عناصر الشعب المصرى متكتلة حول حقها فى الاستقلال التام والحرية الشاملة .

وجـــاء يوم ٢١ فبـــراير فـكان يوما مشهودا . وتدفقت المظاهرات الى قلـب القاهرة من كل صوب . وفى مؤتمر ميدان الاوبرا أعلن ممثلو الهيئات والقوى المختلفة فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة قرارات المؤتمر التى اكدت على :

ضرورة قطع المفاوضات باعتبارها طريق المساومة والمهادنة ، والتمسك بالجلاء التـام عن وادى النيل ، والغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ ، وضرورة عرض قضية المطالبة بجلاء قوات الاحتلال البريطانى عن مصر والسودان على مجلس الامن .

وفى ميدان قصر النيل وتحت عجلات السيارت البريطانية المصفحة ، وبرصاص جنود الاحتلال من داخل ثكنـات الجيش البريطانى سقط الشهداء والجـرحى . واستشهد محمد فؤاد أحمد ، ومحمد فهمى أبو النصر ، ومحمد حسن سيد العاصى ، وامـام محمد سليمان وكمال محمد سرور وأحد سيد أبو العزم وأنس أبو ضيف عبد الرحمن وحسين حسن عبد الباقى ويوسف زكى ومصطفى عبد الدايم وحسب اللـه رمضان . واتخذت المظاهرات من قمصان الشهداء المعطرة بدمائهم اعلاما تسيـر تحتها ، وهاجمت ثكنات قصر النيـل ، وعمارة الطيران البريطانى ، والجراجات العسكرية الانجليزية .

ولم يقتصر الاضراب العام والمظاهرات على القاهرة فى هذا اليوم ، ولكنها عمت الاقاليم — فى الاسماعيلية وسمنود والمحلة الكبرى وطنطـا ودكرنس والزقازيق وبور سعيد ومنيا القمح وزفتـى وقـويسنا والسنبلاوين والمنصورة .

لقد كان ميلاد اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ، هو ميلاد أول جبهة وطنية بعد الحرب العالمية الثانية . وقد اختلفت طبيعة هذه الجبهة عن طبيعة الجبهة القومية التى تكونت فى ١٩٣٦ ، والتى كانت بالاساس جبهة الاحزاب التقليدية المصرية ، كما أنها كانت البناء التنظيمى للتحالف بين حزب الوفد — حـــزب البورجـوازية الوطنيـة المصرية — مع أحزاب الاقلية ، وقـد كان نتاجها تكوين وفد المفاوضات الذى وقـع معاهدة ١٩٣٦ . ان جبهة ١٩٤٦ كانت تمثل تحالف القوى الشعبية — العمال والمثقفين والبـــورجوازية الصـــغيرة الوطنيـــة الديمقراطية ضد حلف الاستعمار والسراى والاقطاعى وكبار الماليين ، وأعلنت أنها ضد المفاوضات وضد التهاون مع المسـتعمر وطالبت بالغاء معاهدة ١٩٣٦ .

وقد ضمت اللجنة ، فى بداية تكوينها ، عناصر من كل الاحزاب السياسية تقريبا — ولكن قياتها كانت للقوى والعنـــاصر الوطنية واليسارية . كان هنـــاك ممثـــون للاخوان وللمستقلين وللجنة التنفيذية العليا للطلبة [حزب الوفد] وممثلون لجماعات اليسارية الماركسية « دار الابحاث العلمية ، جماعة الفجر الجديد ، جماعة أم درمان ، دار نشر الثقافة ، والمنظمات المـاركسية المختلفة ، ورابطة الطلبة المصريين » ونقابيين مستقلين ووفديين ومـاركسيين .

وبعد نجاح يوم ٢١ فبراير ، بفضل وحدة القوى الوطنية ، دقت الرجعية ودوائـر السـفارة البريطانية والسراى أسافينها داخل اللجنة . وبدأت الانشقاقات — فخرج ممثلو الاخوان والحزب الاشتراكى « مصر الفتاة » وبعض العناصر المستقلة ، وشكلوا باتفاق مع صدقى باشا ماعرف باللجنة القومية . لقد تمكنت الرجعية بذلك أن تحدث شرخا خطيرا فى أول جبهة وطنية تصدت لقيـــادة النضال الوطنى الديمقراطى بعد الحـرب العالمية الثانية .

وقد انعكس هذا الانقسام على يوم ٤ مارس الذى حددته اللجنة كيوم للحـداد الوطنى العام على شـــهداء ٢١ فبراير . وخاصة فى القاهرة . وقد كان يـــوما مشهودا فى الاسكندرية اتحدت فيه اراده العمال والطلبة وكل الشعب ، وذلك حيث لم يكن للانقسام داخل اللجنة تاثيره الذى كان فى القاهرة . كما أن انقسام اليســار الماركسى المصرى حينئذ ، وحدة هذا الانقسام قد اضعف قدرات العمل الموحد ، واثـر بالسلب على كل الجهود التى بذلت والتى كان يمكن أن تبـذل لتـاخذ الجبهـة الجديدة — اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وضعها كقوة سياسية تمكنت خلال ٧٢ سـاعة

من أن تحشد يوم ٢١ فبراير حوالى ٢٥٠ الف متظاهر ، وان تنظم حركة مقاومة جماهيرية لقوات الاحتلال وللاحزاب الاقلية والسراى الحاكمة .

وقد امتد أثر ٢١ فبراير الى المنطقة العربية ، مؤثرا فى حركة التحرر الوطنى العربية . فشهد السودان فى ١٢ مارس ١٩٤٦ مظاهرات ضخمة قام بها الطلبة والعمال السودانيون فى الخرطوم وام درمان شاركة الشعب المصرى فى كفاحه . وفى العراق كان لاحداث فبراير ومارس صدى عميقا : فتظاهر الطلاب والعمال ، واشتد عنف الاستعماريين مع المظاهرات فكانت مذبحة كاروباغى بكركوك التى استشهد فيها عدد كبير من العمال .

وان ارتبط يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ - بنضال مماثل فى الهند فى نفس اليوم ، حيث تظاهر سلاح طيران الهند والبحارة فى بومباى ، واشترك معهم الطلبة ضد قوات الاستعمار البريطانى وسقط ٢٥٠ شهيدا وخمسمائة جريح ، فان اتحاد الطلبة العالمى اعتبر يوم ٢١ فبراير يوما عالميا للنضال ضد الاستعمار .

ان ٢١ فبراير كان بداية لمعارك عديدة خاضها الشعب المصرى فى هذه الفترة ، على صخرتها باءت كل المفاوضات بين الرجعية والمستعمر بالفشل . ففشلت اتفاقية صدقى - بيفن ، المعروفة باتفاقية الدفاع المشترك ، ومفاوضات خشبه كامبل . وبفضل النضال المباشر يوم ٢١ فبراير ضد ثكنات الاحتلال فى المدن والهجوم عليها واشعال النار فيها ، تحقق الجلاء عن المدن ، الجلاء عن القلعة فى ٤ يوليو ١٩٤٦ ، وعن مطارى حلوان ووادى النطرون فى اكتوبر وديسمبر ١٩٤٦ ، والجلاء عن القاهرة والاسكندرية فى مارس ١٩٤٧ ، وتركيز الانجليز لكل قواتهم فى منطقة القنال .

ان ٢١ فبراير ١٩٤٦ كان بداية ثورية هامة فى حياة الثورة المصرية ، وظل قوة مؤثرة على مسارها ، وبفضله ، ارتفع شعار الجلاء العسكرى والاقتصادى والسياسى ، وزرع على أرضية الثورة شعار الثورة الاجتماعية ، وان الاستقلال الحقيقى ليس راية وبرلمانا فقط ، وأن التحرر من الاستعمار يعنى فى نفس الوقت التحرر من الباشوات الاقطاعيين وكبار الماليين والسراى .

لذلك فان صدقى باشا عندما وقف فى مجلس الشيوخ فى ١٥ يوليو ١٩٤٦ ليقدم لهم قانون مكافحة الشيوعية ، قدم امثلة من شعارات وأهداف القوى الجديدة ، هذه القوى التى اشتركت فى صنع ٢١ فبراير وما تلاه من أيام نضالية - ومن هذه الامثلة قولهم :

- « ان جموع الامة عاقدة العزم على تغيير الاوضاع الاجتماعية » .

- « ان القوانين فى معظمها لمصلحة الراسماليين » .

- « الناس سواسية كأسنان المشط ، وان فى هجرة الرسول الى المدينة معنى الثورة على الجوع والفقر » .

- « يجب على الطبقات الشعبية أن تقوم اليوم بالدور الرئيسى فى الحركات الوطنية لان الطبقات الحاكمة الحالية تتعاون مع الاستعمار » .

- « ان سوء توزيع الثروة القومية يتطلب اعادة توزيع الارض ، ومنحها للفلاحين فى شكل ملكيات صغيرة ، وانشاء نظام تعاونى » .

- « ان الشرق يتحرر ، لا بالمهادنة والاستجداء ، ولكن بالعنف والثورة ، وفى مصر ثورة تأخذ نيرانها فى ازدياد كل يوم ، بل كل ساعة » .

وبذلك تمكن صدقى باشا امام مجلس الشيوخ - وكتلته من الاقطاعيين وكبار الملاك - [ان يحصل منهم على مباركتهم للاجراءات التى اتخذها عندما القى القبض على مئات من الشباب والعمال والمثقفين ليلة ١١ يوليو ١٩٤٦ ، وعندما الغى عددا كبيرا من الصحف والمجلات واغلق عددا كبيرا الجماعات والروابط التى اشتركت فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ وفى الجنة الوطنية للعمال والطلبة .

سيظل ٢١ فبراير يوما خالدا من أيام مصر المناضلة ، يوما من أيام النضال من أجل مصر حرة مستقلة ديمقراطية .

وستظل دماء الشهداء تملأ حياتنا بعطر النضال من أجل حياة أفضل لشعبنا . حياة لا تعرف استغلال الانسان لاخيه الانسان .

□ مصطفى كامل

١٠ فبراير ١٩٠٨

« بلادى بلادى ، لك حبى وفؤادى ، لك حياتى ووجودى ، لك دمى ونفسى ، لك عقلى ولسانى ، لك لبى وجنانى ، فانت انت الحياه ، ولا حياة الا بك يا مصر .. » .

.. وفى هذه الايام كانت مصر تعانى وكانت قيود الاحتلال تلتف حول عنقها ، وبقايا انتكاسة الثورة العربية تثبط العزائم ، وعملاء الاحتلال يبذلون جهدهم تكريس وجوده ، وظلال « دنشواى » تخيم على النفوس فتكسوها بالكآبة والرهبة معا . فى هذه الاثناء اعتلى الشاب النحيل، العنيد ، المعتل الصحة ، المتقد حماسا ووطنية خشبة مسرح زيزينيا بالاسكندرية ليفجر سخط الجماهير وليلهب حماسها وليعلمها كيف يكون الحب الحقيقى للوطن

وكم عانى مصطفى كامل فى بداية الامر وهو يقف وحيدا ، داعيا قومه لجهاد ضد الاحتلال .. ولعل كلماته الى محمد فريد صديقه وشريك كفاحه توضح لنا حقيقة المرارة التى كان يشعر بها :

« سأسافر الى برلين بالرغم من شدة كدرى من عدم وجود ارادة مشتركة بين من يريدون أو يدعون خدمة الوطن ، وعدم وجود خطة ثابتة يجرى الكل عليها .. وما على الامتثال لارادة الخالق جل شأنه الذى كأنه أراد أن أكون الوحيد فى خطتى ، الفرد المطالب بالاستقلال » .

لكن احضان مصر الدافئة لم تلبث أن تبعث فى دعوته الروح الدافئة وتلتف حول الزعيم الشاب جماهير شعب مصر تردد شعاراته .

« لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا » .

« سأبقى حتى الممات حاملا لواء الاستقلال ، اذ أجد حياتى فى هذه العقيدة، وبغير هذه الشعلة الوطنية لا أستطيع الحياة ، ولو انتقل فؤادى من الشمال الى اليمين ، أو تحولت الاهرام عن مكانها المكين ، لما تغير لى مبدأ ، ولا تحول لى اعتقاد ، بل تبقى الوطنية رائدى ونبراسى ويبقى الوطن كعبتى ، ومجده غاية آمالى » .

ولقد رفض الزعيم الشاب كل تهاون مع الاحتلال ، ورفض معه كل المبررات التى ساقها الرجعيون الانتهازيون تهاونهم مع الانجليز وقدم نموذجا جديدا للعمل الوطنى المصرى تميز بالنقاء المباشرة ورفض اى شكل من اشكال التهاون .

مصطفى كامل يقابل ، فى علم ١٩٠٦ ، كامبل بانرمان رئيس وزراء بريطانيا وكان مصطفى كامل فى الثانية والثلاثين من عمره .. ويؤكد الشاب المصرى المتحمس للاستعمارى العجوز أن شعب مصر يكره الوزارة التى نصبها الاستعمار لحكمه ، ويرد بانرمان : « هل تقبل تكوين وزارة بمعرفتك » « لكن مصطفى كامل يرد على الفور ، « ان وطنيتى تفرض على رفض كل مركز فى الحكومة طالما ظل الاحتلال فى البلاد » .

ومصطفى كامل .. وفى هذا الوقت المبكر ، وفى تلك الظروف البالغة الصعوبة لم يكتف بالنداءات الوطنية ولا بالمطالبة بالاستقلال التام . لكنه اهتم بتطوير مصر وبالدفاع عن حقوق كادحيها ..

فهو يتحدث عن التعليم قائلا : « نقول لامة خذى من العلم أوفر قسط ، وتسلحى

بأسلحته أسلاك وادى النيل من ثورة ، ويردى الى الفقير حقه ونصيبه العذب . ما فائدة الاموال التى تجمع والخزينة التى تملأ بالذهب الوهاج ، اذا كانت الاسوار قائمة بين الفقراء والعلم .. » .

وهو يطالب بالديمقراطية فهو يطلب « اقامة الدستور مقام الظلم والاعتساف » ويؤكد انه « لا يرضى بحكومة الرجل الفرد سواء كان مصريا أو أجنبيا » ..

وعن الفلاح ، يقول مصطفى كامل .« الفلاح الذى قضى القرون من السنين وهو معتقد انه ملك للحاكم ومتاع لا ارادة له ، بأسمى عمل نقوم به هو انهاض ذلك الفلاح العزيز واعلاء مكانته فهو ممثل النشاط المصرى ومصدر كل خير ونعيم ، فليحيى عصر ينطق فيه التاريخ بأن الفلاح ألقى أثقال القرون الماضية وصار رجلا حرا ، بفضل أبناء وطنه المتعلمين المجاهدين فى سبيل حريته .. وسعادته » .

ويقول .. « ان الفقراء هم قوة الامة وساعدها العامل وهم الذين يحملون الاغنياء على أكتافهم ، فان أخلوا بهم اسقطوهم الى أسفل سافلين » .

هكذا يكون مصطفى كامل معلما للوطنية الصحيحة .. الاستقلال التام ، الديمقراطية ، حقوق الكادحين والفقراء .. ترتبط معا فى معركة واحدة » .

والرحلة بين ١٤ أغسطس ١٨٧٤ و ١٠ فبراير ١٩٠٨ قصيرة للغاية . لمحة فى حياة الشعب ، لكنها لمحة من الوجدان التألق والاخلاص المتفانى للوطن ..

حياة قصية ، بالغة الثراء ، كانت كافية تماما لانهاض شعب بأسره ..

ويموت الشاب مصطفى كامل تاركا مصر كلها وهى تردد كلماته « نموت .. وتحيا مصر » .. ■

□ ارساء حجر الأساس للجامعة المصرية

٧ فبراير ١٩٢٨

.. ولم يكن ارساء حجر الاساس بداية لمعركة تأسيس أول جامعة مصرية ، وأول جامعة عصرية فى افريقيا والشرق الاوسط فحسب ، لكنه كان تتويجا لمعركة ضارية خاضتها مصر كلها طوال اثنين وعشرين عاما سابقة على هذا التاريخ كى تستطيع أن ترسى حجر الاساس لها .

ففى مواجهة سياسة دنلوب الاستعمارى الانجليزى الذى صمم على أن يحصر أفق مصر كلها فى الكتاتيب ، وفى معرفة القراءة والكتابة ، والذى قاوم أى تطوير للتعليم العصرى أو أية فكرة لانشاء الجامعة .. مدركا ماذا يعنى تأسيس الجامعة بالنسبة لمستقبل العلاقة المصرية ـ البريطانية .

وفى مواجهة التيار المحافظ الذى كان يرى أن مصر لم تصبح بعد قادرة على استيعاب فكرة الجامعة والتعليم الجامعى .

وفى مجابهة هؤلاء الذين اعتبروا التعليم الجامعى العصرى تحد لتفرد التعليم الدينى بالمناخ الفكرى المصرى ..

فى مواجهة ذلك كله ، وتطلعا نحو آفاق العلم العصرى الرحبة خاض المصريون معركة تأسيس الجامعة منذ وقت مبكر .. ليؤسسوا أول جامعة فى كل افريقيا وكل الشرق الاوسط والبلاد العربية ..

وفى ٢٢ اكتوبر ١٩٠٦ اجتمع عدد من الاعيان والمثقفين المصريين فى منزل سعد زغلول ليصدروا الى الامة المصرية بيانا يقول :

« فى هذه السنة هب فى الرأى العام تيار من نفسه لتحقيق هذه الامنية ، لان الامة

انتهت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيهـا ناقصـة ودائرتـه تقـف وتنتهى بالطالب قبل بلوغ الغاية .. وان من وراء الحدود التى انحصر فيها، معارف سامية ، وحقائق عالية ، وقضايا جليلة ، ومشكلات غامضة تشتاق النفـوس الى حلهـا ، واختراعات جديدة ، وتجارب بـديعة ، واختبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماء فى اوربا ولا يصل الينا منها الا صداها الضعيف . فمنها مـا يختص بالوجود ، وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية ، وما يبحث فيه عن لغة الانسان، وعن الاداب والفلسـفة والشرائع والتربية وكل ما يهم ماضى الانسان وحاضره ومستقبله .. وابلغ من ذلك أنه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية فى الاداب والفلسفة والعلوم . ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عاد الاوربيون الذين بحثوا عنهم وعرفوهم ووفوهم حقهم من الاجلال والاحترام .

ان جميع الذين يشعرون منـا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب ان يتقدم التعليم فى بلادنا خطوة نحو الامام . وان أمتنا لا يمكنها أن تعد فى صف الامم الراقية لمجرد ان يعرف اغلب افرادهـا القراءة والكتابة . او أن يعلم بعضهم شـيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة ، بل يلزم أكثر من ذلك : يلزم ان شباننا الذين يجدون فى أوقاتهم سعة، ومن نفوسهم استعدادا يصـعدون بعقـولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الامم .. » .

واستجابت مصر كلها لهذا النداء ..

وبذلت الكثير .. الكثير من الجهد والمال والنضال طوال اثنين وعشرين عاما حتى أمكن ارساء حجر الاساس لمبنى الجامعة العتيدة [**جامعة القاهرة**] ..

ولم تخيب الجامعة امل مصر فيها ..

فكما اسستها مصر خلال معركة ضارية ضد الاحتلال ، ظلت الجامعة دوما حصنا للمعارك الوطنية المناهضة للاستعمار ..

وكما اسستها مصر عبر نضال عنيف ضد الفكر المجافظ والتقليدى والرجعى فقد اصبحت الجامعـة قلعـة للدفاع عن الديمقراطية والبيرالية والفكر الحـر .. وخاضت فى هذا السبيل معارك مشهورة هى علامات بارزة فى تاريخ الوطن كله ..

وهكذا ، فان الجامعة لم تكن مجرد منارة للعلم والبحث والاصـالة بل كانت ايضـا — وبحق — وبفضل نضال رجالها أساتذة وطلابا احد مواطن التفجير للوعى الوطنى والنضال الوطنى ..

وعلى مدى تاريخها ظلت الجامعة وستظل تؤدى هذا الدور .

تحية اجلال واحترام للجامعة العتيدة .. تحية لتاريخها المجيد وتراث نضالها البـاهر

تحية للاجيال المتعاقبة من شبابها الذين كانوا وعلى الدوام طليعة المناضلين من أجل حرية مصر وحرية الرأى والكلمة والفكر فى ربوعها .

□ تأميم البنك الأهلى وبنك مصر

١١ فـــــبراير ١٩٦٠

انقضى ستة عشر عاما منذ اتخذت الثورة بقيادة جمال عبد الناصر قرارها المفاجىء بتأميم كل من البنك الاهلى المصرى الذى كان يقوم بوظيفة البنك المركزى عندئذ وبنك مصر وهو البنك التجارى الاول فى ذلك الحين .

وتتداعى الى الذاكرة مجموعة الظروف التى حملت الثورة على اتخاذ هذا القرار ،

والتى دفعتها بعد ذلك بقليل الى الاقدام على التأميمات الكبرى فى يوليو ١٩٦١ وما بعده

فقد كانت المشكلة الملحة التى واجهت ثورة يوليو منذ بدايتها هى مشكلة التنمية الاقتصادية وعلى الرغم من ان الثورة القت بزمام هذه التنمية الى رأس المال الخاص ، الاجنبى والمحلى ، ومنحتهما مزايا هائلة من اجل تشجيعها على الاستثمار ، الا ان رأس المال الاجنبى احجم عن مصر تماما ، اللهم الا استثمارات قليلة فى مجال البترول . اما رأس المال المحلى فقد اتبع منذ البداية اسلوبا واضحا هو حبس امواله فى داخله والالتجاء الى التمويل الذاتى .

وفيما بعد العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ تم تمصير اغلب المشروعات الاستعمارية وتكوين المؤسسة الاقتصادية ، فكان ظهور هذا القطاع نقطة تحول فى عملية التنمية الاقتصادية . لقد تكون القطاع العام عندئذ من خلال المعركة الوطنية المسلحة ضد الاستعمار ،وقام على اساس النضال من اجل التحرر الوطنى ، وعلى انقاض المشروعات والمصالح الاستعمارية ، غير ان بعض هذه المصالح انتقل للرأسماليين المصريين . وادى تمصير وكالات الاستيراد الى نشأة فئة راسمالية اثرت كثيرا . وكل ذلك احدث نموا ملحوظا فى الرأسمالية المحلية .

ولقد حاولت الرأسمالية المحلية الكبيرة عندئذ ان تحول اصلا دون تأميم المشروعات الاستعمارية ، وبالتالى دون قيام القطاع العام . كانت تفضل ان تشترى هذه المشروعات . فلما عجزت ، انقضت على القطاع العام تحاول تصفيته . وطرحت عندئذ فكرتها عن ضرورة بيع المشروعات العامة الناجحة وقصر القطاع العام على المشروعات الفاشلة او غير المجزية وعلى اية حال ، فلقد اتجهت الرأسمالية الكبيرة لسحب الاموال من القطاع العام بشتى الطرق ،من عقود استيراد وتوريد ومقاولات ، مضاعفة الضغط لمنع التمويل عن مشروعات التنمية الاقتصادية .

وهكذا عاشت الرأسمالية الكبيرة فيما بعد هزيمة العدوان الثلاثى ـ عصرها الذهبى فى مصر . انهمكت فى عملية جنى الارباح من وراء كل انجاز وطنى حققته الثورة . وظهر التناقض جليا بين حاجة البلاد للتنمية الاقتصادية الملحة وبين رغبة الرأسمالية الكبيرة فى تحويل المنجزات الوطنية الى ارباح .

وفرضت الرأسمالية الكبيرة حصارا محكما حول القطاع العام . حبست اموالها عنه ، وراحت تستنزف كل ما يمكن من امواله هو . حولت التجارة الخارجية الى بالوعة تبتلع ثروات البلاد وتعمل بالتهريب والمضاربة على العملة حتى اضطرت الدولة فى عام ١٩٦٢ الى تخفيض الجنيه المصرى .

واستمرت تجنى الارباح وتكون الاموال ، وتحبس هذا كله عن التنمية الاقتصادية الوطنية وبرعت عندئذ فى ابتكار الاساليب لاخفاء مدخراتها ، سواء فى صورة احتياطيات ومخصصات الشركات او الارباح المتجمدة وغير الموزعة ، والتى كانت تتحول فيما بعد الى رأسمال اضافى .٠ وكانت تستحوذ ايضا على مدخرات اجبارية تتمثل فيما كانت تقتطعه من موظفيها وعمالها من ادخار وزعته على صناديق عديدة او قيدته ضمن اصول الشركات .

فى هذه الظروف ، التى تجمعت فيها كل قوى الثورة المضادة ، احجم الاستعمار القديم عن التمويل ، وتسلل الاستعمار الجديد لتخريب القطاع العام ، وزحفت الاحتكارات الباقية على القطاع العام ،واشتد عود بقايا كبار الملاك فى الريف . وكانت المحصلة النهائية لهذا كله هى حرمان الدولة من الموارد واجبارها على التعويل على وسائل التمويل ذات الطابع التضخمى

فى هذه الظروف ، برزت الرأسمالية الكبيرة ، بالذات التى لم تكن تقبل القطاع العام الا بوصفه ضرورة لتنفيذ المشروعات الهامة التى لا تدر ربحا كبيرا ، وبأمل ان

ترث القطاع العام فى السيطرة على كل مشروع ناجح . فلما بدا واضحا اصرار الدولة على وجود القطاع العام وتدعيمه كقاعدة للتنمية الاقتصادية وأداة للتوجيه ، اتخذت الرأسمالية الكبيرة موقفا سلبيا ، بل وجهت جهودها للاستفادة الذاتية من عملية التنمية ، لتحقيق ثروات طائلة فى اقصر وقت عن طريق استنزاف رءوس الاموال من القطاع العام وتجميع اكبر قدر ممكن من الموارد الموجودة تحت يدى الدولة .

عندئذ برزت بالذات مسألة التمويل الذاتى للمشروعات الخاصة . اشتد اقبال الرأسمالية على اسلوب التمويل الذاتى ، طريق عدم توزيع الارباح المتزايدة باضطراد وتحويلها الى احتياطيات ذاتية ، داخل مشروعاتها الاصلية . ومن ثم فهى قد جمعت شكل أو بآخر عن مشروعات التنمية التى تطرحها الدولة .

هنالك اصدرت الثورة فى يناير ١٩٥٩ قانونا بتحديد الارباح ، يلزم الشركات بشراء سندات الدولة ويحدد الارباح التى توزع سنويا بأمل تعبئة احتياطيات الشركات لاغراض التنمية . فقد حظر القانون توزيع ارباح للمساهمين تزيد على ١٠ فى المائة مما سبق توزيعه من العام السابق ، واجبر الشركات على استثمار جزء من صافى ارباحها يمثل ٥ فى المائة من المبلغ المدفوع للمساهمين فى صورة سندات للدولة .

على هذا القانون ، ردت الرأسمالية الكبيرة باعلان الحرب فى البورصة فازدادت حدة المضاربة فى البورصة ، وتعرضت اسعار الاسهم لتقلبات عنيفة ومصطنعة ، حتى ان قيمة اسهم بعض الشركات ارتفعت بنسبة تتراوح بين ١٣ فى المائة و ٤٠ فى المائة فى العشرة ايام الاولى من شهر يناير ١٩٥٩ . وتراوح الارتفاع بين ٦٠ فى المائة و ١٨٠ فى المائة من قيمة اسهم تلك الشركات عما كانت عليه فى العام السابق . واضطرت الحكومة تحت الضغط ان ترفع نسبة الزيادة المسموح بها من الارباح الموزعة من ١٠ فى المائة الى ٢٠ فى المائة .

هكذا يمكن القول بان موقف الرأسمالية الكبيرة كان يتلخص فى مقاومة جهود التنمية الاقتصادية التى تبذلها الثورة . وفى هذا الصدد ، تبرز حالة كل من **البنك الاهلى وبنك مصر** .

فالبنك الاهلى الذى كانت تسيطر عليه المصالح الاجنبية حتى العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ ، كان مع ذلك يتولى اعمال البنك المركزى . ومع ذلك ، فلقد ظلت سياسته هى احراج الحكومة بالامتناع عن اقراضها . وفى عام ١٩٥٥ ، الزمته الحكومة بان يضع تحت تصرفها ما فى حوزته من عملات اجنبية لكنه انتهز فرصة العدوان الثلاثى فامتنع عن تمويل محصول القطن . وظل على الدوام يرفض مطالب الحكومة بتوجيه الودائع نحو التنمية المحلية مفضلا توظيفها فى سوق لندن . لذلك اممت الحكومة فى عام ١٩٥٦ مجموعة المصالح الاجنبية فيه ، ثم دخوله وظائف البنك المركزى . لكنه بقى على الرغم من ذلك شركة خاصة ، تسيطر بحكم وظائفها المركزية على الجهاز المصرفى ، مع بعض وحداته قد صارت بالتأميم مشروعات خاصة مملوكة بالكامل للدولة . ولقد ولقد ظل يتمتع بامتياز اصدار البنكنوت ، وهو امتياز يحقق له ارباحا كبيرة ، من غير مجهود من جانبه .

اما بنك مصر ، فقد فرضت عليه الحكومة ان يتعاون معها . كان ذلك فى عام ١٩٥٥ وبفضل هذا التعاون ، تحول البنك الى مؤسسة رأسمالية ضخمة ، تستحوذ على ودائع تقرب من ١٠٠ مليون جنيه ، تستخدمها فى استثماراتها الصناعية ومن تحويل كبار الرأسماليين فى تنمية قطاع الاعمال الذى يسيطرون عليه ــ مما كان يتيح ثقله من كبار المساهمين امثال احمد عبود ان يحصلوا على ارباح عالية ترفع من قيمة اسهم بنك مصر فى السوق ، ومن ثم تضاعف لهم ثرواتهم الاسمية .

ومع ذلك ، عندما حاولت الحكومة تعبئة المدخرات الموجودة فى البنوك ، حاولت التخفيف من سيطرة بنك مصر على شركاته الصناعية بحيث يتجه لمعاونة الدولة فى

مشروعات التنمية ، لم يستجب البنك لمحاولة الحكومة التى تضمنتها قانون النقد والائتمان واضطرت الحكومة ان ترضخ لتجاهل البنك

لكن ثبت عندئذ ان تعاون الدولة مع البنك قد ساعده على مضاعفة ارباحه فيما بين عامى ١٩٥٢ و ١٩٦٠ فضاعف البنك من عونه لشركاته التى ظلت فى اطار الصناعة الخفيفة . واصبح البنك يسيطر على ٢٠ فى المائة من الانتاج الصناعى . واصبحت اصوله ثلث اصول البنـوك التجـارية واصبحت ودائعه اكثر من ٤٠ فى المائة من مجموع ودائعها .

وفى ١١ فبراير من عام ١٩٦٠ ـ اعلنت الثورة تاميم كل من البنك الاهلى وبنك مصر وذلك قبل شهور من البدء فى تنفيذ الخطة الخمسية الاولى بأمل السيطرة على الجهاز المصرفى بوصفه اكبر اجهزة التمويل .وكان القرار بالنسبة لبنك مصر بعيـد الدلالة والاهمية . فلقد كان أول اجراء بالتـأميم يصيب الراسمالية الكبيرة المصرية . وبذلك اشار الى الطريق الوحيد الذى كان يجب ان تتخذه الثورة من اجل تنمية الاقتصاد القومى .

☐ وحـدة مصر وسـوريا

٢٢ فـــبراير ١٩٥٨

فى ٢٢ فبراير الحالى ، تحـل الذكرى الثامنة عشرة لقيام أول وحدة عربيـة فى التاريخ الحديث : الوحدة المصرية السورية فى دولة الجمهورية العربية المتحدة عـام ١٩٥٨ ، التى استمرت حتى ٢٨ سـبتمبر ١٩٦١ .

وبرغم أن الذكرى الثامنة عشرة ، تاتى هذا العام ، فى ظل ظروف عربية صعبـة ودقيقة ـــ سواء على المسـتوى العربى العام او على مستوى العـلاقات المصرية السورية نفسها ـــ الا انه ربما بسبب هذه الظروف الدقيقة ذاتها ، تصبح مسالة تأمل التجربة التاريخية الاولى وتعمقها ضرورة وطنية وقومية . ويصبح التأكيد على المعانى التقدمية لقضية الوحدة العربية ، مسالة تتعلق بضمانات المستقبل العربى وحمايته .

لقـد كانت وحـدة مصر وسـوريا « الجمهورية العربية المتحدة » ، انجـازا قوميا وتقدميا ضخما . ففى أعقاب الهزيمة السياسية لاهداف العدوان الثـلاثى على مصر « اكتوبر ١٩٥٦ » وفشـل مشروع ايزنهاور « لملا الفراغ » « ١٩٥٧ » ، كانت حركة التحرر الوطنى العربية تفـور على امتداد الوطن العربى كله . وعلى ارضيتها تمت الوحدة ومن اهم ابعـادها العـداء للاستعمار والارتباط بقضية التقدم فى اطار وطنى قومى عام .

وقتها ، احتلت حركة التحـرر الوطنى العربية ، مواقع الهجوم والمبادرة ، اضطرت القوى الرجعية فى المنطقة ان تلزم مواقع الدفاع الى حد انها حاولت ان تقيم وحـدة زائفة بين بعض مواقعها ، سرعان ما دكتها طلائع الشعب العـراقى بثـورة تمـوز « يوليو » ١٩٥٨ . صحيح أن ثورة العراق كانت نتاجا موضوعيا لتهالك النظام الرجعى فيه ـــ وقتها ـــ ولنمو قوة الحركة الوطنية الثورية فيه الا انه صحيح ايضـا ، ان المناخ الوطنى الثورى العام الذى هيأته وحدة مصر وسوريا على المستوى القومى ، قد لعب دورا بارزا وخـاصة فى توفـير الظروف القومية لحماية ثورة تموز « يوليو » فى العراق . فى ذلك الوقت ، وامام هذه التطورات ، جن جنون القوى الاستعمارية

والرجعية ، انعكس فى تصرفات يائسة ومغامرة بانزال القوات الامريكية والبريطانية فى لبنان والاردن .

لذلك كله ، حاربت القوى الامبريالية والرجعية وحدة مصر وسوريا . وسعت تبحث عن الثغرات التى تنفذ منها لضربها. ومع القرارات التقدمية فى يوليو ١٩٦١ فى دولة الوحدة ، قرارات التأميم ، لم يطق الاستعمار ولا الرجعية صبرا . وتمكنا من ضرب الوحدة — من الداخل — أى بانفصال سبتمبر ١٩٦١ .

ولكن . هل وقع الانفصال نتيجة لعداء الاستعمار والرجعية للوحدة .. فقط ؟ تجيب التجربة نفسها ، بلا .. فقد عانت الوحدة — منذ قيامها . اخطاء سياسية خطيرة ، اعترفت بها قيادة الوحدة نفسها فى « خطاب النقد الذاتى » الشهير للرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** ، فى أعقاب قيام الانفصال وفى العديد من أحاديثه وتصريحاته بعد ذلك .

لقد سهلت ثغرات قيام الوحدة وتطورها، الطريق الى ضربها . ففى خلال الوحدة ، انتهجت سياسة ادت الى تفتيت وحدة القوى الوطنية والديمقراطية والثورية ، برفع لواء العداء ضد بعض فصائلها التى أيدت الوحدة وأعلنت تحفظاتها حول أسلوب قيامها وتطورها . وقد تركزت هذه التحفظات حول قضية غياب الديمقراطية وعدم مراعاة الخصائص القطرية لكل من سوريا ومصر بمعنى تغليب أسلوب « الدمج » على أسلوب « التدرج نحو الوحدة » . ومن اهم هذه التحفظات أيضا اسلوب مهادنة الرجعيات المحلية والقومية، فى ظل تصور غير حقيقى بأن المعركة ليست ضد الرجعية والاستعمار وانما ضد بعض فصائل التقدم وخاصة فصيل الاشتراكية العلمية ، الذى نبه — فى ذلك الوقت — الى أهمية تجاوز « السلبيات » و« الاخطاء » ولكن صوته خفت وراء اسوار السجون والمعتقلات . كما فقدت حركة التحرر الوطنى العربية — للاسف ابناء من خيرة وابر ابنائها : وعندئذ طفت على السطح العناصر الانتهازية والرجعية التى افرختها ظروف غياب الديمقراطية .

ثم وقع الانفصال — كما كان مقدرا له ان يقع — على يد بعض اولئك الذين ركبوا موجة الوحدة « بلا مبادىء » أو « بلا ضوابط مبدئية » .

واليوم ونحن نحيى ذكرى قيام أول وحدة تاريخية فى العالم العربى ، نقول برغم الاخطاء التى شابتها أن الهدف : الوحدة العربية ذات المضمون الوطنى التقدمى ، مازال مطروحا . وربما كان الموقف الذى اتخذته الدول العربية وشعوبها خلال حرب اكتوبر المجيدة ، تعبيرا عن شعور قومى جارف يبحث عن « صياغة » تجسيد الوعى القومى بوحدة المصير ، بوحدة الماضى والارض والتاريخ والمصالح الاقتصادية ، وفى مواجهة العدو الامبريالى الصهيونى المشترك .

تحية لذكرى وحدة مصر وسوريا ...

... وتحية لدرس ينبغى الا ننساه ...

هموم الست «أم محمد»

الحوار الذى تجريه « الطليعة » مع الست أم محمد هو تجربة أخرى تختلف فى أكثر من زاوية كما سيلمس القراء — عن الحوار الذى أجرته « الطليعة » فى عدد يناير مع المواطن عبد التواب .

هنا ، نجد أنفسنا أمام احدى المواطنات التى تعيش ، منذ عشرين عاما ، فى القاهرة ولكنها لا تزال تحتفظ — فى الاساس — بقلب العاملة الزراعية وفكرها وتمسكها ببعض تقاليد الريف .

لكن القضية المحورية التى يطرحها الحوار تظل مع ذلك — هى موقفها وردود أفعالها فى الدائرة المركزية التى تتحرك فيها ولا تستطيع ان تخرج منها : دائرة أولادها وبناتها الثمانية وكيف تعولهم . فهى وان كانت عاملة موسمية الا انها لا تستفيد من قانون الحد الادنى للاجور . والواقع انه خارج هذه الدائرة « المصمتة » يتعذر أن تبدى أم محمد أى اهتمام بأى قضية سياسية أو اجتماعية أو بأى مشكلة من المشاكل التى يمكن أن تشغل أى قارىء لاى جريدة يومية . . .





□ **الطليعة : ما هو عمل زوجك ؟**
■ **أم محمد** : بيشتغل مكوجى فى محل فى المطرية .. عامل باليومية .
□ **الطليعة : اسمه ؟**
■ **أم محمد** : بيومى عبد الباقى .
□ **الطليعة : انت من اى بلد ؟**
■ **أم محمد** : من الفلاحين .. بلدنا منيا القمح . وأنا من عزبة شلشمون .
□ **الطليعة** : هل تقرئين وتكتبين
■ **أم محمد** : بسيط . من الكتاب فى البلد .
□ **الطليعة : متى حضرت للقاهرة من البلد ؟**
■ **أم محمد** : من عشرين سنة .
□ **الطليعة : لماذا جئتم للقاهرة ؟**
■ **أم محمد** : الراجل بتاعى كان هنا بيشتغل راح خطبنى وجابنى من البلد على هنا .. ومصر بقى هى أم الدنيا .
□ **الطليعة : هو من بلدك ؟**
■ **أم محمد** : آه من بلدنا .
□ **الطليعة : قريبك ؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : كان عنده أرض ؟**
■ **أم محمد** : لا ملهوش أرض .
□ **الطليعة : كان عندك كم سنة عند زواجك؟**
■ **أم محمد** : ١٤ سنة . أهلى هم اللى كانوا عارفينه وهم اللى خطبوه لى . وافقوا . وأنا ما أعرفش حاجه وأنا وافقت على اللى عايزينه .
□ **الطليعة : وكم كان عمره ؟**
■ **أم محمد** : هو ساعتها كان بتاع ٤٠ سنة .
□ **الطليعة : فرق السن كان كبير ؟**
■ **أم محمد** : أنا ما أعرفشى .
□ **الطليعة** : هل كنت تعرفين سنه
■ **أم محمد** : ما اعرفشى . الفلاحين بيفرحوا باللى شغال فى مصر .
□ **الطليعة : عندك أطفال ؟**
■ **أم محمد** : عندى ٨ أكبرهم اسمه محمد . عنده ١٦ سنة ، وأصغرهم عنده ٣ شهور .
□ **الطليعة : فى مدارس ؟**
■ **أم محمد** : عندى محمد فى ثالثة اعدادى . وهنيه فى خامسة ابتدائى . وواحدة فى ثالثة ابتدائى . وواحدة فى ثانية . وعندى فى أولى ابتدائى .
□ **الطليعة** : كم مرتبك يا أم محمد ؟
■ **أم محمد** : خمسة جنيه الا ريال .
□ **الطليعة : وما هو دخل زوجك ؟**
■ **أم محمد** : بتاع ٤٥ قرش كل يوم . بيدينى يوم ريال ويوم ٢٥ قرش . علشان أصرف على البيت والعيال .

الاسم : نجية محمد البحر [أم محمد]
السن : ٣٧ سنة
المهنة : تمورجية فى معهد القلب بامبابة
المرتب الشهرى : ٤٧٥ قرشا
الحالة الاجتماعية : متزوجة ولها ٨ أولاد [الزوج عامل كواء]

□ **الطليعة : والباقى ؟**
■ **أم محمد** : بياكل بيه ، وبيشرب شاى وسجاير ، لانه طول النهار بره .
□ **الطليعه : وأين تسكنون ؟**
■ **أم محمد** : فى المطرية .
□ **الطليعة : كم ايجار السكن ؟**
■ **أم محمد** : بادفع اثنين جنيه الا ربع ، فى أودة واحدة بننام فيها كلنا أنا والعيلين الكبار وأبوهم فوق السرير . والعيال الباقية تحت السرير .
□ **الطليعة : الحجرة وحدها . أم جزء من شقة مشتركة ؟**
■ **أم محمد** : لا سكن مشترك . معانا واحدة بعيالها فى أودة . وست كبيرة فى أودة ثالثة . يعنى ثلاث عيلات .
□ **الطليعة : مرتبك خمسة جنيه الا ريال ، وتدفعى اثنين الا ربع للسكن . يتبقى ثلاثة جنيهات . ويدفع زوجك كل يوم ريال . يكون عندك حوالى ٩ جنيهات فى الشهر . كيف تتصرفين فيها ؟**
■ **أم محمد** : باروح أجيب بقى بخمستاشر قرش عيش رجوع من البايت . كل ٣ بقرش صاغ . وبعدين نجيب اى حاجة فى السوق .. لما يكون فيه ملوخية .. خبيزة بثمن معقول
□ **الطليعه** : عندما لا يكون موسم خبيزة أو ملوخية . ماهو الخضار الذى تشترونه ؟
■ **أم محمد** : أهو بقى أختهم تجيب لهم كيلو ونص بطاطس نعمله نى فى نى .
□ **الطليعة : بماذا تطبخون ؟**
■ **أم محمد** : بنطبخ بالميه . وبأجيب تموين الزيت ، تقللى البنت بيه .

□ **الطليعة : والسمن ؟**
■ **أم محمد :** لا ما فيش سمن .
□ **الطليعة : ولا لحمة ؟**
■ **أم محمد :** ولا لحمة .
□ **الطليعة : كم مرة تاكلون لحم ؟**
■ **أم محمد :** لمـا نعوز بقى اجيب لحمة . اروح بقى المدبح اجيب لهم شوية حاجات زى كرشة زى حاجات من تقاطيع .
□ **الطليعة : كم مرة فى الشهر ؟**
■ **أم محمد :** مرة كل شهر .
□ **الطليعة : كم تكلفك ؟**
■ **أم محمد :** بتاع خمسة واربعين قرش . اكوام بقى .. الكوم بتاع ١٢ قرش .
□ **الطليعة : كم وزنه ؟**
■ **أم محمد :** بتاع يعنى نص كيلو كده . كل واحد له حتة يعنى . ارخص حاجة . وهو الحمد لله .
□ **الطليعة : اعطينا امثلة**
■ **أم محمد :** نجيب خبيزة .. شوية ملوخية .
□ **الطليعة : فى الصباح مثلا .. ماذا تاكلون ؟**
■ **أم محمد :** فى الفطار اخت الاولاد الكبـيرة بتفطرهم اى حاجة . يعنى بقرشين فول . وتعمل لهم سندويتشات وهم رايحين المدرسـة . وكل واحد تديه تعريفه معاه وهو ماشى . وبعـدين الضهرية بقى حبة طبيخ من السوق وتطبخهم . زى حبة ملوخية . حبة خبيزة . بطاطس لما تكون رخيصة . يعنى بتتصرف اختهم معاهم .
□ **الطليعة : والعشاء ؟**
■ **أم محمد :** بالليل اكون بقى جيت من الشغل جايبة لهم معايا شوية طبيخ وشوية عيش برضه .. وبتمشى الحكاية .
□ **الطليعة : كم يتكلف الطبيخ فى اليوم ؟**
■ **أم محمد :** بيتكلف بقى بتاع ثمانية صاغ .. اقله يعنى
□ **الطليعة : والفاكهة ؟**
■ **أم محمد :** لا مابناكلشى فاكهة .
□ **الطليعة : ولا برتقال ؟**
■ **أم محمد :** ولا برتقال . لكن انا بقى لما ربنـا بيسهل لى واحد يديلى برتقالتين بأجيبهم للعيال .
□ **الطليعة : آخر مرة الاولاد اكلوا برتقال : متى؟**
■ **أم محمد :** آخر مرة كان واحد عيان عندنا ، مدينى كيس .
□ **الطليعة : لا .. آخر مرة اشتريتم انتم فيهـا برتقــال ؟**
■ **أم محمد :** لا ما اشترتوش فى الموسم ده .
□ **الطليعة : كم ساعة تعملين فى المستشـفى كل يـوم ؟**
■ **أم محمد :** من سبعة ونص لثلاثة . ده يـوم عادى . وثانى يوم من سبعة ونص لسبعة ونص بالليل . يعنى يوم ٨ ساعات ويوم ١٢ ساعة . يـوم ويـوم .
□ **الطليعة :** وهل تأخذين اجر اضافى ؟
■ **أم محمد :** لا ماباخدش اجر اضافى .
□ **الطليعة : متى تخــرجين من البيت ومـتى تعودين ؟**
■ **أم محمد :** اخرج الساعة خمسة ، وارجـع ستة ونص . ويوم ثانى اخرج الساعة خمسة ، وارجع الساعة ١٠ بالليل .
□ **الطليعة : كم ساعة يعمل زوجك ؟**
■ **أم محمد :** بيطلع بقى من ثمانية الصبح يرجع لنا ثمانية بالليل .
□ **الطليعة : كم تدفعين فى المواصلات ؟**
■ **أم محمد :** ثلاثة صاغ رايح ، وثلاثة صاغ جاى
□ **الطليعة : معنى هذا أنك تعملين بحوالى ١٦ قرش فى اليوم ، وتدفعين منهم ٦ صاغ مواصلات**
■ **أم محمد :** آه . وفيه ناس بقى تمورجيـات بيأجرونا الواحدة تمسح القسم بعشرة صـاغ .. كتر خيرهم .
□ **الطليعة : مرتبك ٥ جنيه الا ريـال ، هل لك دخل آخـر من مـكافأة أو بقشيـش من نزلاء المستشفى أو أى دخل آخر ؟**
■ **أم محمد :** لا . بس لما تاجـرنى تمورجيـة اشتغل وتدينى ١٠ صاغ فى اليوم .
□ **الطليعة : لمـاذا لم تدخـل ابنتك الكـبيرة المدرسة ؟**
■ **أم محمد :** قعدت فى المدرسة لغـاية سـنة سادسة ابتدائى . وبعدين مالقينـاش معـانا فلوس نصـورها ولا نجيـب لهـا استمارات ولا فلوس لطلباتها . قعدت فى البيت .
□ **الطليعة : ولماذا لم تمتحن القبول ؟**
■ **أم محمد :** قلة الفلوس .
□ **الطليعة : ما الذى كان مطلوبا ؟**
■ **أم محمد :** صور واستمارات .
□ **الطليعة : كم كان ثمن الاستمارات والصور ؟**
■ **أم محمد :** الاسـتمارات بتـاع ٣٥ قرش ، والصور نفس الحكاية ٣٥ قرش . مـاكانوش موجودين قمت قعدتها . وبعدين ابتديت بقى مع محمد . لما لقيت ان مفيش فلوس ، أبوه قـاله مشيت فى وشـك مشـيت . وان مامشـتش انا حاشغلك فى دكان . انـا قلت بقى لا . انا اللى حاشتغل عشـان بدى أعـلم ولادى . اشتغلت عشان خاطر محمد .
□ **الطليعة : لماذا لم تقترضى ٧٠ قرشـا حتى تكمل البنت تعليمها ؟**

■ أم محمد : ما قدرتش استلف . بعت نحاسى وسريرى وكل حاجة فى الاودة . كنت كل ماالاقى نفسى معذورة أبيع فى الحاجة لحد مــا عدش عندى حاجة . اضطريت . مفيش حــاجة غير سرير كده خشب ، حتت كدة ،وكنبة بينام عليها محمد ابنى وطبلية .

□ **الطليعة : وهل تريد البنت الان تكملة تعليمها؟**

■ أم محمد : آه عايزة . بس ازاى .

□ **الطليعة : وماذا تعمل هى الان ؟**

■ أم محمد : قاعدة تعمل لاخواتها ، تغسل لهم ، وتطبخ لهم ، وتلف الولد الصغير .

□ **الطليعة : هى أكبرهم ؟**

■ أم محمد : أيوه سنها ١٦ سنة .

□ **الطليعة : لو ذهبت المدرسة من يخدم الاولاد فى البيت ؟**

■ أم محمد : بتقول يا ماما خليكى أنتى واشتغل انا واكمل منزلى .

□ **الطليعة : ولماذا أم تعمل ؟**

■ أم محمد : لا انا خايفة على البنت .

□ **الطليعة : لماذا تخافين ؟**

■ أم محمد : خايفة على البنت .. البنت كبيرة وكويسة .

□ **الطليعة : هناك بنات كثيرات تعملن ؟**

■ أم محمد : معلهش . بس انا اضطريت ان انا اتعب نفسى واشتغل عشان ماتطلعش بنتى .

□ **الطليعة : ولماذا تخافين من أن تعمل ؟**

■ أم محمد : يعنى باسمع ناس يتكلموا كثير ..

□ **الطليعة : ماذا تريد البنت أن تعمل ؟**

■ أم محمد : عايزة تشتغل فى مصنع .

□ **الطليعة : وانت مم تخافين عليها ؟**

■ أم محمد : دول بنات .

□ **الطليعة : تخافين من مــاذا .. أن يضــحك عليها الرجال مثلا ؟**

■ أم محمد : آه .

□ **الطليعة : كم كان عمرك عندما عملت ؟**

■ أم محمد : ٣٠ ســنة .

□ **الطليعة : ولماذا لم يضحك عليك الرجال ؟**

■ أم محمد : انا واحدة ست . انما هى بقىعيلة

□ **الطليعة : انت عملتى بعد الزواج . هل وافق زوجك ؟**

■ أم محمد : آه . ماعندوش . نعمل ايه .

□ **الطليعة : وقبل الجواز هل كنت تعملين ؟**

■ أم محمد : كنت فى الفلاحين . نطلــع نجنى قطن . شغل زى كده .

□ **الطليعة : ماهى مهنة والدك**

■ أم محمد : فــــلاح .

□ **الطليعة : موجود ؟**

■ أم محمد : لا ميت .

□ **الطليعة : كيف تدبرين مطالب الاولاد الــذين فى المدرسة . كشاكيل وكراريس ؟**

■ أم محمد : بادبر لهم . يعنى فيــه حكيمــات « تقصد اكثر من دكتورة » عايزين شوية غسيل أو حاجات أروح عندهم وابقى محرصة على جنيه فى جيبى . اللى بيطلب كشــكول أو حــــاجة باجيب لهم .

□ **الطليعة : للمدرسة مطالب أخرى كمجموعــة دراسية . كيف تدبرينها ؟**

■ أم محمد : انا باروح لهم .. للولاد .. واقولهم مامعييش فلوس واقول لهم على الوضــع اللى معــايا .

□ **الطليعة : عندما يتعب ولد منهم اين تعالجينه؟**

■ أم محمد : المجموعة بتاعتهاللى تابعهللمدرسة او اروح به أى مستشفى . أو اجيبــه معــايا للمستشفى اللى انا فيها .

□ **الطليعة : هل فى البيت كهرباء ؟**

■ أم محمد : محمد بيذاكر على لمبــة جــاز لان مافيش فى البيت كهرباء . على لمبة وبيقعد على الطبلية فى الاودة .

□ **الطليعة : وكيف تدبرين ملابس الاولاد ؟**

■ أم محمد : فيه عندنا بقى سوق اسمه سوق الخميس . فيه هدوم قديمة باجيب لهم من هناك

□ **الطليعة : كم تكلفك ؟**

■ أم محمد : الجلابية ريال .. باتنين وعشرين قرش .

□ **الطليعة : والاحذية والشرابات ؟**

■ أم محمد : من نفس السوق برضه .

□ **الطليعة : كم يكلفك محمد فى الشهر ؟**

■ أم محمد : محمد يكلفنى بتاع ستين قرش .

□ **الطليعة : وهل يأخذ مصروف ؟**

■ أم محمد : بياخد ثلاثة تعريفة .

□ **الطليعة : كم تمورجية لها نفس وضعك فى معهد القلب ؟**

■ أم محمد : فيه كتير . بس انا اقدم واحــدة فيهم من سنة ٧٠ الدكتور حسونة « مدير المعهد » كتب لى طلب ومضى عليه ، وبعــدين بعتــه . ردوا وقالوا احنا دلوقتى بنعين أسر الشهداء . ولما يجى أول تعيين تانى يبقى ليكى الاولوية .

□ **الطليعة : وماوضعك بالضبط ؟**

■ أم محمد : عاملة موسمية .

□ **الطليعه : مامعنى موسمية ؟**

■ أم محمد : يعنى ظهورات .

□ **الطليعة : معناها ايه يعنى ؟**

■ أم محمد : يعنى شغالة باليومية .

□ **الطليعة : ولماذا لم تعملى فى مكان آخر يدفع ١٢ جنيه الاجر القانونى ؟**

■ **أم محمد** : مافيش حتة باتناشر جنيه .

□ **الطليعة : لماذا قبلتى بخمسة جنيه وانت تعرفين أن أقل تعيين هو بـ ١٢ جنيه ؟**

■ **أم محمد** : قبلت لانى متعشمة انهم حا يثبتونى .

□ **الطليعة : هل ذهبت الى مكان آخر للعمل ؟**

■ **أم محمد** : رحت بس أنا با أبص عشان يبقى لاولادى مستقبل . عشان يبقى لى معاش . ماهيتى تبقى كويسة نقدر ناكل ونشرب . آدى.

□ **الطليعة : هل هناك عمل آخر تودين ان تعمليه لو لم تعملى فى المستشفى ؟**

■ **أم محمد** : الشغل فى البيوت .. بس دي مالهاش مستقبل .

□ **الطليعة : هل عملت قبل هذا فى البيوت ؟**

■ **أم محمد** : لا .

□ **الطليعة : هل عندكم راديو أو تليفزيون ؟**

■ **أم محمد** : لا معندناش راديو ولاتليفزيون

□ **الطليعة : هل تسمعين راديو أو تشاهدين تليفزيون عند الجيران .**

■ **أم محمد** : لما الجيران يعلوا الراديو اسمعه . انما التليفزيون لا .

□ **الطليعة : لك ولزوجك ٢٠ سنة فى القاهرة هل ذهبتم مرة الى السينما ؟**

■ **أم محمد** : لا . ولامرة .

□ **الطليعة : والاولاد ؟**

■ **أم محمد** : لا. محمد ساعات بيطلب يروح السينما . أقول له ياخويا مامعيش فلوس . بيروح بقى عند الجيران يشوف التليفزيون .

□ **الطليعة : هل يعرف زوجك القراءة والكتابة؟**

■ **أم محمد** : لا .

□ **الطليعة : هل يدخل بيتكم اى جرنال ؟**

■ **أم محمد** : لا مفيش . الا اذا محمد بقى مثلا يشوف حاجة يقول ياماما انا عايز جرنال . اقوله يا حبيبى أنت مصروفك ثلاثة تعريفة وخد تعريفة عليهم وهات جرنال .

□ **الطليعة : وكم مرة يشترى محمد الجرنال ؟**

■ **أم محمد** : يجى مرتين فى الشهر كده .

□ **الطليعة : أى جرنال يقرأه ؟**

■ **أم محمد** : جرنال « الاهرام » بيحبه .

□ **الطليعة : ما الذى يقرؤه فى الجرنال ؟**

■ **أم محمد** : أى حاجة يعوزها .

□ **الطليعة : أخبار الرياضة مثلا ؟**

■ **أم محمد** : آه . ولما بيروح عند الجيران بقى بيشوف التليفزيون لاى حاجة يعوزها زى البرامج التعليمية والجارة بتاعتنا كويسة .

□ **الطليعة : هل تفضلين سماع اغنية معينة تعرفينها ؟**

■ **أم محمد** : ست الحبايب ياحبيبة ».

□ **الطليعة : من تغنيها يا أم محمد ؟**

■ **أم محمد** : ما اعرفشى بتاعة مين والنبى .

□ **الطليعة : هل تسمعين عن يوسف وهبى ؟**

■ **أم محمد** : لا .

□ **الطليعة ! هل تسمعين عن عبد الحليم حافظ؟**

■ **أم محمد** : اسمع عبد الحليم فى الاذاعة .

□ **الطليعة : من هو عبد الحليم حافظ ؟**

■ **أم محمد** : بيغنى فى الاذاعة .

□ **الطليعة : هل تسمعين عن توفيق الحكيم ؟**

■ **أم محمد** : لا .

□ **الطليعة : هل تسمعين عن مصطفى أمين ؟**

■ **أم محمد** : لا .

□ **الطليعة : نجيب محفوظ ؟**

■ **أم محمد** : لا . ما اسمعشى لا .

□ **الطليعة : أم محمد . رأيك أن الحياة فى البلد .. فى الارياف .. أحسن أو هنا فى القاهرة أحسن ؟**

■ **أم محمد** : لا . هنا أحسن ميت مرة ..

□ **الطليعة : لماذا أحسن ؟**

■ **أم محمد** : عشان لقيت لى شغلة . وعيالى هنا

□ **الطليعة : أنت لك ٦ سنوات عاملة موسمية. هل هناك احد غيرك جاء بعدك وتم تعيينه ؟ .**

■ **أم محمد** : جم هنا بتوع الشهداء متعينين .

□ **الطليعه : وغيرهم .. هل تعين أحد كان له واسطة مثلا ؟**

■ **أم محمد** : لا لسه . وبعدين بقى جه أعلان فى الجرنال . طلب للدكتور حسونة « مدير المعهد » الناس القدام وبعتنى . رحت امتحنت فى معهد الابحاث . وبعدين جه لى طلب من الوزارة . رحت لواحد اسمه الاستاذ عبد المنعم اداني ورقة كتبتها وبعدين رحت بعدها سألت قالوا ياستى اسألى فى خامس دور . رحت لخامس دور قال لى انتى جبتى مجموع شوية . اللى مجموعهم اكبر حناخدهم وبعدين أنتى بعدين

□ **الطليعة : فى أى شىء تم امتحانك ؟**

■ **أم محمد** : امـــــلا .

□ **الطليعة : التومرجية المعينة تدفع كل يوم ١٠ قروش لتاجيرك أم هذا يحدث فى بعض الايام ؟**

■ **أم محمد** : كل يوم على طول .. يعنى كده بالتقريب .

□ **الطليعة : يعنى ٣ جنيه فى الشهر ؟**

■ **أم محمد** : مرة ١٠ صاغ لى ومرة لغيرى . هى بتدفع لان ماهيتها حلوة . ماهيتها بتاعة ١٨ جنيه عشرين جنيه .

□ **الطليعة : أم محمد . ماهو عملك بالضبط فى المعهد ؟**

■ **أم محمد** : باشتغل فى الافاقة ، يعني المريضة تطلع يبعتولى اجيب خرطوم ميه سخنة . نعمل لهم قرب نمسحها ننضفها وبعـــدين انزلهم تحت يتعقموا . اجيب لهم الاكل من فوق بعد العمليات .. كله ..

□ **الطليعة : متى تنتهى كل يـــوم من عمـــل المستشفى وعمل البيت ؟**

■ **أم محمد** : الساعة ١١ بالليـل . واصــحى خمسة الصبح .

□ **الطليعة : هـــل تشـــترى تمـوين الشـــهر دفعة واحدة ؟**

■ **أم محمد** : لا . انا بأجيب بس للنـــاس اللى عايزين سكر أو شاى . وآخد فلوس اجيب كل حاجة واخللي فى البيت ١٠ كيلو رز وشوية زيت

□ **الطليعة : جيرانك يشترون التموين منك ؟**

■ **أم محمد** : أيوه .

□ **الطليعة : هـــل تحتفظين ببعـــض الشـــاى والسكر ؟**

■ **أم محمد** : بخللى شاى بسيط . لان ما حدش بيشرب شاى غير الراجل بس . لما يطلب كباية شاى نعمل له كباية ولو محمد طلب شاى أعمل له مع ابوه . وهو مش متعلق بالشاى .

□ **الطليعة : والطفل الصغير الايحتاج لسكر ؟**

■ **أم محمد** : فيه عشان الولد الصغير . بنحجز له كيلو الا ربع .

□ **الطليعة : هل تشترى لبن للولد الصغير ؟**

■ **أم محمد** : لا .

□ **الطليعة : هل ترضعينه ؟**

■ **أم محمد** : لما با اروح .

□ **الطليعة : وطول النهار مدة الساعات التى تكونين فيها خار جالبيت ؟**

■ **أم محمد** : يرضع كراوية بس

□ **الطليعة : عندما وضعت طفلك الاخير ، هل أخذت اجازة ؟**

■ **أم محمد** : ١٠ ايام .. انخصمت على .

□ **الطليعة : اليس لك اجازات ؟**

■ **أم محمد** : لا . اليوم اللى اغيبه بينخصم على. انا والدة بنتين فى الشغل وانا باشتغل . كنت نبطشية ــ سهرانة .. ولدت الساعة ٣ .

□ **الطليعة : ومن ساعدك فى الولادة ؟**

■ **أم محمد** : أنا ولدت لوحدى .

□ **الطليعة : والمرة الثانية ؟**

■ **أم محمد** : والمرة الثانية ولدت برضه لوحدى

□ **الطليعة : هل اشتريت للمولود ملابس ؟**

■ **أم محمد** : لا ما اشتريتش . الناس جــابولى هدوم . المرضة اديتنى حتتين .

□ **الطليعة : فى المواسم والاعياد ، هل يعطيكم الدكاترة الكبار اى مساعدات ؟**

■ **أم محمد** : لا مافيش غير المــدير .. ربنــا يخليه .. بيدينا جنيه .

□ **الطليعة : هل تأخذين مكافآت ؟**

■ **أم محمد** : لا .

□ **الطليعة : هل تشترين فى العيــد ملابــس للاولاد ؟**

■ **أم محمد** : لا مابجبش هدوم لهم

□ **الطليعة : هل اشتريتم لحمةفى عيد الاضحى؟**

■ **أم محمد** : انا جبت شوية فاصوليا وطبختهم بشوية رز . وزى ماقلت لكم رحت جبت شوية حاجات من المدبح ومشيت الحكاية .

□ **الطليعة : وفى عيد الفطر هل عملتم كعك ؟**

■ **أم محمد** : لا . مــابنعملش . الدنيــا غــلا وزادت الايام دى .

□ **الطليعة : لو ارادت الحكومة ان تخفض سعر ثلاثة أشياء ، ماهي أهم ثلاثة أشياء فى رأيــك تريدين من الحكومة تخفيضها ؟**

■ **أم محمد** : القماش والجاز والزيت .

□ **الطليعة : كم يكون سعر اللحمة مناسب لك؟**

■ **أم محمد** : بتــاع ٦٠ قرش . اكثر من كــده مش ممكن .

□ **الطليعة : فى رايك ما هـــو أغلى شىء فى السوق ؟**

■ **أم محمد** : اغلى حاجة اللحمـــــة والقمـــاش والزيت .

□ **الطليعة : وماهو أرخص شىء فى السوق ؟**

■ **أم محمد** : مافيش حاجة رخيصة .

□ **الطليعة : لو طلبت شىء من الحكومة ، مــاذا تطلبين ؟**

■ **أم محمد** : اطلب يشغلونى .. يعينونى .

□ **الطليعة : بنفس المرتب ؟**

■ **أم محمد** : لا باتناشر جنيه .

□ **الطليعة : ولماذا ١٢ جنيه ؟**

■ **أم محمد** : باسمع الناس اللى متعينة بتقول **١٢ جنيه** .

□ **الطليعة : هل لكم نقابة ؟**

■ **أم محمد** : لا ما سمعتش .

□ **الطليعة : هل لك زملاء أعضاء فى نقابة ؟**

■ **أم محمد** : زملاتى زى مين ؟ لا .. مااعرفش النقابة دى ايه .

□ **الطليعة : هل تسمعين عن شــارع اســمه شارع الشوار بى ؟**

■ **أم محمد** : لا .

□ **الطليعة : الدكتورة عندما تشترى فستان ، تتصورى بكم تشتريه ؟**

■ **أم محمد** : بيقولوا بتلاته جنيه .

□ **الطليعة : هل هناك أغلى من ذلك ؟**

■ **أم محمد** : ما اعرفشى .. فيه اغلى من كده

□ **الطليعة : الم تسمعى عن شارع الشواربى والبضائع المستوردة ؟**
■ **أم محمد** : ما اعرفشى غير العتبة بس اللى با اركب منها . والمطرية اللى ساكنة فيها . وامبابة اللى با اشتغل فيها . وخلاص .
□ **الطليعة : هل تعرفين شارع سليمان باشا؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : أو شارع قصر النيل ؟**
■ **أم محمد** : لا ما اعرفهوش .
□ **الطليعة : والاولاد ؟**
■ **أم محمد** : ولادى بأخاف عليهم واقول لهم ماتروحوش أى حتة عشان العربيات .
□ **الطليعة : هل تسمعين عن الانفتاح الاقتصادى؟**
■ **أم محمد** : لا . ما اعرفهوش .
□ **الطليعة : هل تسمعين عن المنابر ؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : هل تسمعين عن الاتحاد الاشتراكى؟**
■ **أم محمد** : با أسمع عنه .
□ **الطليعة : ماذا تسمعين عنه ؟**
■ **أم محمد** : بتوع الاتحاد الاشتراكى هم بيقوموا ويجيبوا الحق للناس
□ **الطلعية : ولماذا لم تذهبى اليه ؟**
■ **أم محمد** : مش عارفاه خالص .. ولا سكته فين ..
□ **الطليعة : اليس فى حيكم أو فى المعهد اتحاد اشتراكى ؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : هل تعرفين من هو رئيس الاتحاد الاشتراكى ؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : الاتحاد الاشتراكى يتبع أى جهة ؟**
■ **أم محمد** : تبع الجيزة .
□ **الطليعة : ومصر كلها . اليس بها اتحاد اشتراكى ؟**
■ **أم محمد** : انا باسمع عنه والناس قالوا تروحى هناك عشان ليكى حق انهم يشغلوكى . انا اللى ماروحتش علشان مش عارفة سكته .
□ **الطليعة : ولماذا لم تذهبى ؟**
■ **أم محمد** : ماروحتش بقى . ماروحتش .
□ **الطليعة : هل تعرفين اسم رئيس الوزراء ؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : هل تعرفين اسم أى رئيس وزراء قبل ذلك ؟**
■ **أم محمد** : فيه رئيس الوزارة وفيه الوزير وكل حاجة
□ **الطليعة : هل تعرفين اسم وزير الصحة .**

■ **أم محمد** : لا ما اعرفشى اسمه . مثلاً وديت الطلب ورحت اسأل عليه قالوا لى فى الحجاز . وزير الصحة .. لما يجيى من الحجاز ابقى تعالى له .
□ **الطليعة : هل تسمعين عن مجلس الشعب ؟**
■ **أم محمد** : اسمع عن مجلس الشعب . كان عندنا واحد فى مجلس الشعب مريض فى المستشفى اسمه عصام الدين كان فى الافاقة .
□ **الطليعة : ما اسم عضو مجلس الشعب عن حى المطرية الذى تسكنين فيه ؟**
■ **أم محمد** : ما اعرفشى والنبى .
□ **الطليعة : بماذا كان عضو مجلس الشعب مريضا بالمستشفى ؟**
■ **أم محمد** : كان عنده القلب .
□ **الطليعة: وهل اهممتم به كبقية المرضى أم أكثر ؟**
■ **أم محمد** : هم بيهتموا فى المستشفى بالعيانين قوى .
□ **الطليعة : هل تسمعين عن المدينة الحرة ؟**
■ **أم محمد** : لا . ما اعرفشى .
□ **الطليفعة : هل تسمعين عن روسيا ؟**
■ **أم محمد** : أيوه أسمع .
□ **الطليعة : ماذا تسمعين عنها ؟**
■ **أم محمد** : اسمع أن روسيا زى مثلاالسعودية فلوسهم كتير . والناس بتروح تشتغل هناك حريم ورجال .. وفى لبنان وفى الكويت .
□ **الطليعة : ولماذا لم تذهبى للعمل هناك ؟**
■ **أم محمد** : ماروحتش عشان ولادى .
□ **الطلعية : هل فكر زوجك فى السفر ؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : هل تسمعين عن مسالة الوحدة مع الدول العربية كسوريا أو ليبيا ؟**
□ **أم محمد** : لا ماسمعتش .
□ **الطليعة : ما رايك فى أن تتوحد البلاد العربية اليس هذا افضل ؟**
■ **أم محمد** : لا . لا.لا . احنا كده احسن
□ **الطليعة : احسن كيف ؟**
■ **أم محمد** : يعنى بلدنا كويسة وفيها الخير كثير .
□ **الطليعة : ولماذا لا ياتى الخير ؟**
■ **أم محمد** : أنا با أفكر ان ربنا يدينا كلنا . طبعا انا طلعت لقيت اهلى فقرا وطلعت لقيت نفسى كده . فراضية بحكم الله .
□ **الطليعة : وهل يرضى الله أن يظل الفقير فقيرا والغنى غنيا ؟**
■ **أم محمد** : آهو اللى بيتعلم بيسعد أهله .
■ **الطليعة : هل تسمعين عن الاشتراكية ؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : هل تسمعين عن الاستعمار ؟**

■ أم محمد : آه اسمع .
□ الطليعة : ماذا تسمعين عنه ؟
■ أم محمد : اهو بااسمع عن الاستعماروخلاص
□ الطليعة : وهل نكون معه أو ضده ؟
■ أم محمد : لا مااعرفشى .
□ الطليعة : هل تسمعين عن فلسطين ؟
■ أم محمد : اسمع .
□ الطليعة : ماذا تسمعين ؟
■ أم محمد : آهو الناس بتتكلم .. بيقولوا وحشين .
□ الطليعة : ليه ؟
■ أم محمد : بيقولوا غدارين .
□ الطليعة : ماذا فعلوا مثلاحتى يكونوا غدارين؟
■ أم محمد : اللى بيروحوا هناك بيرجعوا يقولوا
□ الطليعة : يذهبوا الى فلسطين ؟
■ أم محمد : آه ناس كتير بتروح .
□ الطليعة : تذهب الى فلسطين ؟
■ أم محمد : آه .
■ الطليعة : يسافرون من مصر الى فلسطين ؟
■ أم محمد : آه بيسافروا .
□ الطليعة : هل تسمعين عن اسرائيل ؟
■ أم محمد : آه .
□ الطليعة : ماذا عملت اسرائيل ؟
■ أم محمد : آهم قايمين على بعضيهم .
□ الطليعة : هل تعرفين أن الاسرائيليين أخذوا أرض الفلسطينيين ؟
■ أم محمد : اسمع عنهم .
□ الطليعة : ماذا تسمعين ؟
■ أم محمد : سمعت ان الفلسطينيين قايمين على لبنان والاتنين قايمين على بعضيهم .
□ الطليعة : والفلسطينيون والاسرائيليون ؟ هل تسمعين عن ان بينهم مشاكل ؟
■ أم محمد : لا ما سمعتش .
□ الطليعة : هل تسمعين عن المصريين والاسرائيليين ؟
■ أم محمد : لا.
□ الطليعة : هل تسمعين عن السوريين والاسرائيليين ؟
■ أم محمد : لا ماسمعتش
□ الطليعة : هل سمعت عن حرب اكتوبر ؟
■ أم محمد : ما اعرفش .
□ الطليعة : عندما قامت الحرب منذ سنتين ، الم تسمعى بها ؟
■ أم محمد : سمعت (*)
□ الطليعة : ألم تسمعى أن الجيش المصرى انتصر ؟
■ أم محمد : انتصر (*) . آه (*) النبى يحميه (*)

□ الطليعة : ماذا عمل الجيش المصرى فى الحرب ؟
■ أم محمد : انتصرنا .
□ الطليعة : انتصرنا على من ؟
■ أم محمد : انتصرنا على بتوع فلسطين . وانتصرنا على بتوع العريش .
□ الطليعة : هل تعرفين ان الاسرائيلين مازالو يحتلون أراضى لنا ؟
■ أم محمد : العريش .
□ العريش : وكيف نطردهم فى رايك ؟
■ أم محمد : امر ربنا . قدرة ربنا تطلعهم .
■ الطليعة : والجيش ؟
■ أم محمد : والجيش ربنا يخللى لنا الجيش واللى فيه .
□ الطليعة : هل تسمعين عن امريكا ؟
■ أم محمد : اسمع .
□ الطليعة : ماذا تسمعين عنها ؟
■ أم محمد : بااسمع عن امريكا وخلاص .
□ الطليعة : هناك ناس يقولون ان امريكا سوف تبعث لنا حاجات كلها خير . هل رأيك ان هذا ممكن ؟
■ أم محمد : ربنا بقى هو القوى وفوقكل حاجة. والله ده بتاع ربنا .
□ الطليعة : وماذا يقول الناس عن امريكا ؟
■ أم محمد : اصل انا بقى لماناس بتكلموا ماليش دعوة بيهم . وبس اشوف شغلى .
□ الطليعة : وبعد العشاء فى البيت ، عندما تتكلمون مع بعض .. فى اى شىء تتكلمون ؟
■ أم محمد : ابدا . ذاكر يا ابنى واشوف مذاكرة محمد واخواته .
□ الطليعة : يذهب كثير من المصريين للعمل فى الدول العربية . أليس هذا مفيدا ؟
■ أم محمد : لا مش كويسبالنسبة لنا .. عيب.
□ الطليعة : لماذا عيب ؟
■ أم محمد : آه .. عيب لمانروح بلاد تانية نشتغل فيها وبعدين با اسمع ان الحريم هناك بيشغلوهم .
□ الطليعة : هل انت توافقين على أن تستمرى فقيره ؟
■ أم محمد : لا فقيرة وبعدين ربنا يخللينا غناى احسن . وربنا يخللى الاولاد ويطلعوا كويسين (*)
□ الطليعة : وكيف تتصلح امورك ؟ هل عندما يكبر أولادك أم أنه ممكن ان تتصلح قبل ذلك ؟
■ أم محمد : عند ربنا بقى . آهو لما احناالناس الفقراء نتكلم مع بعض نقول ربنا يصلح حالتنا وربنا يبعث لنا ابن الحلال اللى يثبتنا مثلا (*) والعمال الموسميين يتثبتوا كلهم (*)

□ **الطليعة : هل تعتقدين أن هناك من هو افقر منــك ؟**
■ **م محمد** : لا . مافيش اقل منى .
□ **الطليعة : هل فى الحى الذى تسكنين فيه ، يوجد من هو افقر منكم ؟**
■ **أم محمد** : لا كلهم مبسوطين .
□ **الطليعة : ازاى ؟**
■ **أم محمد** : اللى جوزها بيشتغل فىالحكومة . واللى جوزها بيشتغل وبياخد ١٨ جنيه . يعنى كلهم حلوين وكويسين .
□ **الطليعة : فى رأيك كم يبلغ أكبر مرتبفىالبلد؟**
■ **أم محمد** : بتاع ٥٥ جنيه أو ٥٠ جنيه .
□ **الطليعة : وأغنى شخص فى مصر كلهــا . كم يملك ؟**
■ **أم محمد** : فيه ناس مبسوطين .
□ **الطليعة : كم يعنى ؟**
■ **أم محمد** ، بيجى الف جنيه يعنى .
□ **الطليعة : كم يبلغ ثمن السيارة ؟**
■ **أم محمد** : بتاع ١٠٠٠ جنيه . أغلى عربية .
□ **الطليعة : عندما يكبر ابنك ويعمل . ماالعمل الذى تتمنينه له ؟**
■ **أم محمد** : يطلع ضابط . يطلع مهنــدس . عشـان يحن علينا ويصرف علينا أنا واخواته
□ **الطليعة : كم عدد اخوتك ؟**
■ **أم محمد** : أختين وأخ .
□ **الطليعة : هل كان عندكم أرض ؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : ولا شخص من أقاربكم ؟**
■ **أم محمد** : قرايبى عندهم . أخوالى . الواحد عنده فدان
□ **الطليعة : وماذا تفعل أمك فى البلد ؟**
■ **أم محمد** : قاعدة مع أخوها .
□ **الطليعة : ووالدك ألم يكن عنده أرض ؟**
■ **أم محمد** : لاماكانشى عنده .
□ **الطليعة : ألم يأخذ من الاصــــلاح الزراعى أرض ؟**
■ **أم محمد** : لا . بعدها باين الاصـلاح فـرق أرض . ما أعرفشى قبل ماأبويا يموت واللا بعده.
□ **الطليعة : لكى تأكلين وتلبسين بشكل معقول انت وأولادك كم تتصورين يكون دخلك ؟**
■ **أم محمد** : والله أنا راضية بقليــله . يعنى مادام اتعين بالتناشر جنيه على اللى بيدهــولى الراجل حانعيش كويس .
□ **الطليعة : قبل أن تعملين هل كانت حياتكم أفضل ؟**
■ **أم محمد** : كانت الدنيــا رخيصة كان رطـل اللحمة باتناشر قرش . وعشرة صاغ الجملى .

□ **الطليعة : وبعد أن عملت.الا تتحسن ظروفك؟**
■ **أم محمد** : لا . انما آهى الحكاية كلهــا زى بعضها . بس انا عشان عيالى كل ده يهون على ومحمد بيقول لى ياماما لمــا آخــد الاعــدادية أساعدك واشتغل واتطوع فى الجيشبالاعدادية ونبقى ناس كويسين .
□ **الطليعة : لو عندك مشكلة فى المعهد يــا أم محمد ، هل من السهل أن تدخلى على المدير وتقولى له عنها لكى يحلها ؟**
■ **أم محمد** : لا بأخاف .
□ **الطليعة : لماذا تخافين ؟**
■ **أم محمد** : اخاف لاحسن يخصــموا منى ، ان دخلت مثلا وقلت على حاجة أخاف أنضر .
□ **الطليعة : هل يمكن ان يطردوك فى أى وقت ؟**
■ **أم محمد** : آه .
□ **الطليعة : أليس لك أى حقوق ؟**
■ **أم محمد : لا .**
□ **الطليعة : نهائى ؟**
■ **أم محمد** : لا .
□ **الطليعة : يســتطيع ان يقــول لك مــع السلامة ؟**
■ **أم محمد** : بس الحقيقة ان الدكتور حسونة المدير كويس قوى .
□ **الطليعة : ماذا تطلبين من الحكومة ؟**
■ **أم محمد** : يعنى يخفضوا الاسعار عشان نقدر نعيش .
□ الطليعة : **وغير ذلك ؟**
■ **أم محمد** : مش عاوزة اكثر من كده .
□ **الطليعة : ألا تريدين أن تتثبتى فى العمل ؟**
■ **أم محمد** : وعايزة أتثبت عشان ولادى .
□ **الطليعة : هل توجد جمعيةاستهلاكية قريبة من بيتكم ؟**
■ **أم محمد** : لا . مافيش .
□ **الطليعة : من أين تشترين حاجتك ؟**
■ **أم محمد** : من عند الخضروانية والسوق .
□ **الطليعة** : أم محمد ، **هل تســمعين عــن القطاع العام والقطاع الخاص ؟**
■ **ام محمد** : اللى بيشترى منه الناس .
□ **الطليعة : ايهما القطاعالعام وأيهما القطاع الخاص ؟**
■ **أم محمد** : ده شرا ، وده شرا . ده حكومة وده لا .
□ **الطليعة : أيهما الحكومة العام أو الخاص ؟**
■ **أم محمد : القطاع العام .**
□ **الطليعة : والقطاع الخاص ؟**
■ **أم محمد** : أهالى مش حكومة .
□ **الطليعة : وأيهما أفضل فى رأيك ؟**

■ أم محمد : الحكومة
□ الطليعة : ليه ؟
■ ام محمد : عشان عمالها . يعنى هى الحكومة يتطلع لهم فلوس لما حد يتوفى ، الاولاد بيطلع لهم فلوس . معاش .
□ الطليعة : تفضلين أن يكون « الشرا » قطاع عام ام قطاع خاص ؟؟
■ أم محمد : لا . حكومة .
□ الطليعة : وعندما تشترين حاجاتك . . . تشترينها من القطاع العام أم من القطاع الخاص؟
■ أم محمد : لا من القطاع اللى تبع الاهالى .
□ الطليعة : لماذا اذا كان الثانى احسن فى رأيك ؟
■ ام محمد : عشان مافيش عندنا جمعية . والجمعية البعيدة فيها طابور زحمة موت . والبنت ما بتعرفشى تسيب اخواتها
□ الطليعة : أم محمد هل سمعت عن عام المراه ؟
■ أم محمد : عم مين ؟ .
□ الطليعة : كان هناك كلام السنة دى عن حقوق المراه . يريدون عمل قانون أحوال شخصيه لتحديد مسألة الطلاق حتى لا يتصرف فيها الرجال كما يريدون . هل تسمعين عن هذا القانون ؟
■ أم محمد : لا ما سمعتش
□ الطليعة : وما رأيك اذا صدر مثل هذا القانون ؟
■ أم محمد : يبقى أصلح .
□ الطليعة : هل تعتقدين ان المرأة مظلومة فى مصر ؟
■ أم محمد : الست فى مصر راجلها لما يكون مثلا بيطلع للخارج يشتغل بره ، يسيبها هى وعيالها وهو بره .
□ الطليعة : هل تسمعين عن وزارة فى مصر اسمها وزارة الشئون الاجتماعية وانها تعد هذا القانون ؟
■ أم محمد : لا .
□ الطليعة : هل تعرفين أن فى مصر وزيرة . وحدة ست ؟
■ أم محمد : ست « لا ما سمعتش .
□ الطليعة : ألم تسمعين اطلاقا ان فى مصر وزيرة .
■ أم محمد : لا . . كان فيه وزير فى الوزارة
□ الطليعة : هل من الاحسن ان يصدر قانون حماية المرأة ؟
■ أم محمد : آه أصلح
□ الطليعة : هل يتمشى هذا القانون مع الاسلام ؟ أم ضد الاسلام ؟
■ أم محمد : ليه ما يمشيش مع الاسلام ؟ يمشى ونص .

□ الطليعة : هل تصلين يا أم محمد ؟
■ أم محمد : بأصلى الوقت اللى يكون عندى فضا فيه . مثلا الصبح أصليه . وبالليل لما أخلص شغل .
□ الطليعة : انت تعرفين ان حالتك بسيطة . فلماذا تخلفين ٨ أولاد ؟
■ ام محمد : والله انا جبتهم بقى . لما بقيت آخد الحبوب كنت بأهبط . وبعدين الناس تقول مثلا فيه غذا . لازم تتغذى وبتاع . التخمة اللى با اخدها الضهر فى المستشفى با اخدها لولادى .
□ الطليعة : ولهذا لا تأخذين حبوب ؟ .
■ ام محمد : اه . لما بقيت آخدهم بقيت ما اقدرشى اطلع السلالم . هبطت .
□ الطليعة : ولهذا السبب اصبح عندك ٨ اولاد ؟
■ أم محمد : آه .
□ الطليعة : لو كنت تتغذى كنت كم تخلفين ؟
■ أم محمد : ثلاثة . العدد الكتير مش كويس . وبعدين عندنا ابوهم بيقول لهم رزق .
□ الطليعة : ابوهم يريد أطفالا كثيرين ؟
■ أم محمد : لا مش كده . بيقولك انتى حاتمونى نفسك مثلا .
□ الطليعة : ام محمد . هناك ناس يهاجمون الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . ما رأيك أنت؟
■ ام محمد : كان كويس . الله يرحمه .
□ الطليعه : فى اى شىء كان كويس ؟
■ أم محمد : من ناحية العيشة متهاودة . كانت العيشه ارخص شوية .
□ الطليعة : هل تسمعين عن الاصلاح الزراعى ؟
■ أم محمد : آه .
□ الطليعة : ماذا تعرفين عن الاصلاح الزراعى ؟
■ ام محمد : كانت الارض وسية وكل واحد يشتغل فيها . وبعدين قالوا الاصلاح الزراعى اللى معاه فدان او فدانين حا يبقوا ملكه وبعدين يسدد منهم .
□ الطليعة : وهل هذا احسن ؟
■ أم محمد : آه . ده كويس .
□ الطليعة : هل الحالة ايام الوسية كانت افضل أم الوقت الحالى ؟
■ أم محمد : ايامها شكل تانى . كانت الناس بتاكل عيش كتير . كان الناس بتشتغل وتلاقى فلوس معاها وتلاقى عيشها .
□ الطليعة : هل تعرفين من هو رئيسنا الحالى لكل مصر ؟

■ أم محمد : طبعا . . الرئيس السادات . . الله يخليه .

□ **الطليعة : ما رأيك فيه ؟**

■ أم محمد : كويس عمـل حاجات كتير فى البلد . وعمل النصر .

□ **الطليعة : ما رأيك ان هناك ناس تطالب بالغاء القطاع العام بتاع الحكومة ؟**

■ أم محمد : لا . ده غلط .

□ **الطليعة : لماذا غلط ؟؟**

■ أم محمد : الغلط انه الموظف يبقى مالوش مستقبل ولا لولاده مستقبل .

□ **الطليعة : فى رأيك هم يهاجمون القطـاع العام ليه ؟**

■ أم محمد : يبقى الغلط من عندهم .

□ **الطليعة : هل تزورين اخوتك فى البلد ؟ اوهم يزورونك ؟**

■ أم محمد : لا . مفيش فلوس . اللى اصرفوا لهم اولى به العيال .

□ **الطليعة : اى محافظة انت تبعها ياامحمد؟**

■ أم محمد : الشرقية .

□ **الطليعة : هل لك اقارب بنات فى الجامعة؟**

■ أم محمد : باسمع . بس ما اعرفهومش .

□ **الطليعة : مارأيك فى دخول البنات الجامعة؟**

■ أم محمد : بس الجامعة مصاريفها كتير . لو اهلها مبسوطين ليه لا .

□ **الطليعة : وهـل توافقين ان تعمـل بنت الجامعة بعد ان تتخرج ؟**

■ أم محمد : كويس . مش معاها شهادة .

□ **الطليعة : هناك من يقول ان البنت تقعد فى البيت ؟ ما رأيك ؟**

■ أم محمد : الرجالة بتقول . طيب لمايتجوزها الراجل وتبقى فقيرة يستعبدها .

□ **الطليعة : واذا كان الرجل مبسوط . تقعد فى البيت ؟ .**

■ أم محمد : يبقى غلط . . على الاقل تساعده على المعاش . . الدنيا بقت غلا .

□ **الطليعة : طيب يا ست ام محمد هل عندك اقوال تانيه ؟**

■ أم محمد : لا . سلامتك .

□ **الطليعة : نشكرك كثيرا يا أم محمد**

■ أم محمد : الشكر لله .



الـــــوعى المســـــلوب !

د. لطيفة الزيات

وضع أم محمد أم الاولاد الثمانية ومواطنه ما دون المستوى الادنى للاجور وضعا مدقعا ، يجعل من **قدرتها على البقاء والابقاء على النوع** معجزة تدق على الفهم ، وبطولة تستحق الاشادة وجريمة نتحمل وزرها مشتركين ، وسبه تزرى بنظامنـا الاقتصادى والاجتماعى وتعريه وتفضحه كنظام قلة تعيش على عرق ودم ولحم الكثرة .

وأم محمد ليست أفقر الفقراء .

ووضع ام محمد ام الاولاد الثمانية ليس وضعا اقتصاديا مدقعا فحسب ، بل هو وضع قلسق ومدمر ، يضعها دائما وابدا على حافة العدم ، ويهددها دائما وابدا بالسقوط فى العدم **حيث تنعدم تماما قدرتها على البقاء ، وعلى الابقاء على النوع . فأم محمد عاملة باليومية** ، اى عاملة موسمية او عاملة ظهورات ، ومن ثم من الممكن أن تطرد من عملها دون سابق انذار بلا أسباب وبلا مسببات ، دون مكافأة او معاش ، وعلى أم محمد كل الواجبات تجاه المجتمع الذى تغسل بلاطه القذر وملابسه القذرة ، وتعقم القرب القذرة لمرضاه ، وما من حق واحد لها تجاه هذا المجتمع .

واليوم يحمل فوق المعاناة والكفاف ، انعدام الامان والخوف من العدم . والغد ؟ ما الذى يحمله الغد لام محمد والملايين من عمال اليومية فى ظل نظام اقتصادى مصاب بالاختناق ؟؟

وما الذى يخططه اعداء القطاع العام وسادة الاستغلال الرأسمالى الحر للملايين من عمـال

اليومية بحجة القضاء على العمالة الزائدة وضرورة التقشف وربط الاحزمة على البطون .. الخاوية !

يعز على الا تعرفى يا أم محمد ، وأدين لك بالاعتذار لانك لا تعرفين . وان لم أعفيك من مسئولية عدم المعرفة . حكم الاعدام يصدر الان عليك ولا تعرفين ، يصدر لانك وأمثالك لا تعرفين .

ووضع أم محمد الاقتصادى كمواطنة تتقاضى ما هو دون المستوى الادنى للاجر ، ووضعها كعاملة يومية يهدد دخلها غيبة عنصر الاستمرار وضع قد يجعلها نموذجا أو عينة عفوية لشريحة من شرائح المجتمع .

غير ان مستوى وعى أم محمد الهابط الى حد يثير الجزع يشكك الانسان فى صلاحيتها كنموذج لهذه الشريحة . ولا يزيل هذا التشكك حقيقة انها امرأة ، وان المرأة عادة أقل وعيا من الرجل ، بحكم وضعها الاجتماعى المنعزل ، ولا أنها من أصل ريفى ولو أنها لم تزاول العمل خارج المنزل الا لفترة ست سنوات .

ولماكنا لانملك الدليل العلمى الذى نقبل او نفرض بمقتضاه مدى وعى ام محمد كنموذج للشريحة الاجتماعية التى تنتمى اليها ، أفضل التعامل معها كحالة فرديه . كام محمد الزوجه والام ، وعاملة اليومية بمعهد القلب ، واترك التعليق على الجوانب الاقتصاديه لغيرى من المعلقين . واختار التركيز على جانب واحد من جوانب التشويه التى أنزلها المجتمع بهذه السيدة البطلة والشهيدة معا والتى ساهمت بلا وعى فى استكماله .

ان الانطباع الذى يخرج به الانسان هو أن هذه السيدة محصنة ضد المعرفة ، وضد التعلم من التجربة وهى الخاصية التى يتميز بها الانسان عن غيره من المخلوقات وهى محصنة ضد المعرفة الا فى حدود الحفاظ على البقاء والحفاظ على النوع ، حيث تنصرف كل قدراتها العقلية والنفسية بل والجسدية فى مجرى واحد ، هو مجرى التقاط الرزق للاولاد . العمل بمعدل عشر ساعات يوميا فى معهد القلب ، غسيل الملابس فى بيوت الطبيبات ، التجارة ببعض مواد التموين جمع ما يتيسر من بقايا الطعام من المستشفى . والسعى الدائب نحو التثبيت فى وظيفة بالحد الادنى للاجر . وما بين هذا كله وعمل البيت تعمل ام محمد بمعدل ١٥ ساعة فى اليوم او من الثامنه صباحا الى الحادية عشره مساء كما تقول . وليس هذا بالامر الفريد ، ولكن الغريب حقا أن هذه السيدة لا تلتقط شيئا خلال هذا الوقت الذى تقضى

معظمه فى العالم الخارجى بين الناس . وكأن أجهزة الاستقبال عندها شبهمعطلة ،وان استقبلت فاستقبالا مشوها او استقبالا لا يلبث ان يمحى وكأن لم يكن . ومن هنا تبدو هذه السيدة محصنة ضد المعرفة وضد الوعى .

وهى لا تعرف أن مصر كانت ومازالت فى حرب مع اسرائيل ولم تسمع بحرب اكتوبر وبالتالى بحرب ١٩٦٧ وقد انتصرنا فى حرب ١٩٧٣ وفقا لها على بتوع فلسطين ولعلها الوحيدة فى العالم التى انعمت على الفلسطينيين **بوطن** ، واذ كان فى عرفها وطن غدارين . وهى تستند فيما تعتبره معلومات فى هذا الصدد على المصريين العائدين من العمل فى فلسطين . وروسيا بالنسبة اليها بلد غنية يذهب الناس للعمل فيها كما يذهبون الى السعودية والكويت ، أما أمريكا فلاتعرف عنها أم محمد شيئا . وهى لم تسمع عن الاشتراكية ، وسمعت عن الاستعمار وان لم تدرك ماهيته ، وهل تقف معه أو ضده . وهى تقف ضد الوحدة العربية ، وان تهربت من ابداء الاسباب متعللة بأن «بلدنا كده كويسة وفيها الخير كثير والخير ابعد ما يكون عن أم محمد ، والسبب الحقيقى لمعارضتها للوحدة العربية يأتى حين

تتحدث عن عمل المصريين فى الدول العربية :

ـ عيب لما نروح بلاد ثانية نشتغل فيها .. وبعدين بأسمع ان الحريم هناك بيشنلوهم فكل ما علق فى ذهن أم محمد عن الوحدة العربية هو الخوف من امتهان عروض البنات والنساء المصريات وهو خوف يرتبط بخوف خاص تعانيه تجاه بنتها الشابة التى تمنعها من العمل خوفا من أن «يضحك عليها الرجال » .

وربما كانت معرفة أم محمد المتصلة بمصالحها الاقتصادية المباشرة افضل بقليل ، وان لم تبرؤ بدورها من التشويه ، فهى تقف مع القطاع العام ضد القطاع الخاص لانه يؤمن مستقبل موظفيه وتفضل الشراء من القطاع العام وان لم تملك ذلك . فالجمعية الاستهلاكيه بعيدة ومزدحمة دائما وبنتها المشغولة برعاية الاطفال لا تملك الوقت اللازم للوقوف فى طابور الجمعية . وهى تدافع عن جمال عبد الناصر لان المعيشة فى ظل حكمه كانت «متهاودة »وام محمد تعرف الاصلاح الزراعى تعريفا علميا دقيقا وتعتبره خطوة عظيمة ، غير ان الامور لا تلبث أن تختلط عليها ، فحقيقة الغلاء فى الوقت الحالى تمسح على ما عداها من حقائق ومن ثم تصبح الاحوال ايام

« الوسية او الاقطاع افضل مما هى عليه الان ».

وافق أم محمد الاقتصادى افق محصور الى حد يعز على التصديق . ولعل هذا الافق يعلق ابلغ تعليق على حالتها الاقتصادية وعلى طموحها المحدود بحدود ١٢ جنيه وعلى استكانتها العجيبة لوضعها الاقتصادى فأقصى مرتب فى البلد وفقا لام محمد هو خمسين أو خمسة وخمسين جنيه ، واغلى فستان ثمنه ثلاثة جنيهات وأغنى فرد يملك ألف جنيه واغلى سيارة بألف جنيه والتمرجية التى تتقاضى ١٨ او ٢٠ جنيها وزوج الجارة الذى يتقاضى نفس الراتب يشكلان بالنسبة لام محمد قمة ما بعدها قمة .

[فى أى كوكب تعيشين يا أم محمد ؟ أم لعلنا نحن الذين نعيش فى كوكب آخر غير ... كوكبكم] .

وأم محمد لا تتعلم من التجربة ولا تنقل خبرتها من حيز الفكر الى حيز التنفيذ . فموقفها واضح وصريح بالنسبة لعمل المرأة ، فهى تذهب الى ضرورة عمل المرأة سواء أكان الزوج فقيرا أم غنيا ، وعلى المرأة أن تعمل حتى لا تستعبد من جانب الزوج وحتى تساهم فى رفع دخل الاسرة فى ظل الغلاء المستحكم . وأم محمد تتكلم هنا عن علم وعن دراية ومن واقع خبرة وتجربة وقد خرجت الى العمل فى لحظة فاصلة ، لحظة حصل ابنها الاكبر محمد على شهادة قبول الاعدادى ، وخيره الاب بين الخروج من البيت وبين الالتحاق بعمل يدر عليه الرزق . وخرجت أم محمد للعمل لتتيح لمحمد فرصة التعليم الاعدادى . وترتب على خروج أم محمد للعمل فرص التعليم لا لمحمد فحسب بل لاربعة آخرين من اخوته البنت والصبية ، أو لكل اخوته الذين فى سن التعليم .

وأم محمد وهذا هو رأيها فى عمل المرأة وهذه هى حصيلة خبرتها ، تأبى أن تعمل ابنتها الكبرى « ١٦ سنة فى مصنع من المصانع متعللة بأنها عيلة يخشى عليها من الرجـال » . علما بأن أم محمد ذاتها عملت جنبا الى جنب مع رجال فى الحقول فى القرية وعمرها ١٤ سنة .

ولم تهب أم محمد لمساعدة نفس الابنة حين واجهت قبل أن يواجه محمد موقفا مصيريا فى مرحلة من مراحل دراستها . وكان الموقف أدق وأحد وأقل تكلفة بكثير من موقف محمد . فقد كان من المفروض أن تحصل الابنة على شهادة قبول الاعدادية ولم تحصل عليها . وكانت الابنة تقف على مشارف الامتحان ، ولم تدخله . لان الاسرة لم تستطيع توفير سبعين قرشا ثمن استمارات الشهادة والصور اللازمة لدخول الامتحان . وكل الحجج التى تسوقها أم محمد لتدلل على استحالة توفير هذا المبلغ حجج غير مقنعة . اذا استطاعت الاسرة أن توفر لمحمد بعد اخته الكبرى نفس المبلغ ، وقبل أن تقوم أم محمد بالعمل .

والسبب الحقيقى هو أن أم محمد **العائلة الحقيقية للاسرة** تعقد الامل على **الابن لا الابنة** فى انقاذ الأسرة من وضعها الاقتصادى ، وتحلم به ضابطا أو مهندسا ، يحن على الاسرة ويصرف عليها ، ولكى يتحقق هذا الحلم لابد وأن تعمل الام وأن تبقى الابنة الكبرى فى البيت لخدمة الاولاد . وام محمد المقهورة **كعاملة** والمقبورة **كامرأة** لا تتعلم قط من خبرتها وهى **العائلة الحقيقية** للاسرة . وتستحيل الى **قاهرة** تقهر ابنتها .

« أتريدين ابنتك حقا زوجة مستعبده من زوجها يا أم محمد ؟ أم أنت لا تدركين التناقض بين قولك وفعلك ؟ » .

والبنت تتطلع للعمل فى مصنع لتعول أسرتها بدلا من أمها ولتبنى ايضا مستقبلها . فهى الاخرى تتطلع لان يكون لها بيتا وأن تشترى مستلزمات هذا البيت بعرق جبينها . ولكن يبدو أن هذه الحقيقة تغيب عن الام تماما . فلو وصل الاولاد لسن المدارس او سن الاستغناء عن الرعاية الكاملة لاستطاعت الام والابنة أن تعملا فى ذات الوقت ولتحسن مستوى الاسرة عموما ولزال بعض القهر عن الابنة ولاستطاعت أن تبنى مستقبلها ، ولكن الطفل الثامن لام محمد عمره ثمانى شهور ، وأم محمد لا تنتوى التوقف عن الانجاب .

ومرة أخرى تتحصن أم محمد ضد المعرفة ويتدخل العامل الاقتصادى ليجعلنا ندور فى دائرة مغلقة ومفجعة ، بحيث تغيب المعالم ولا نعد نعرف من القاهر ومن المقهور وبحيث نصل الى نتيجة لا فرار منها : أن القهر لابد أن يؤدى الى مزيد من القهر . فام محمد تفضل قصر الانجاب على ثلاث أولاد وهذه هى خلاصة خبرتها ولكنها تقرر أنها لا تملك ولن تملك التوقف عن الانجاب لان حبوب منع الحمل تحتاج الى تغذية ، وهى لا تملك وسائل التغذية . وحبوب منع الحمل تصيب أم محمد بوهن يكاد يعيقها عن العمل ومن ثم فهى لا تملك أن تتوقف عن الانجاب . وغير وارد بالطبع أن يستخدم الزوج عامل اليومية المقهور بدوره وسائل منع الحمل ، فهذا فى مصر كفر ، ثم أن هذه رفاهة لا اعتقد أن هذه الاسرة تملكها . وهذا الاب بالذات الذى يمنح أسرته نصف دخله اليومى البالغ ٤٥ قرشا وياكل ويدخن بالنصف الثانى ، يشجع انجاب الاطفال ويدعى أن لكل طفل رزقه ، وان لم يوضح للابنة الكبرى التى تنفرد وحيدة برعاية الاطفال واطعامهم من أين تأتى بهذا الرزق . وعلى هذه الابنة ان تحصى حبات الفول المدمس التى

تشتريها بقرشين حبة بحبة لتوزعها بالعدل والاستطان على ثماني أفواه أو على سبع أفواه أن استبعدنا الطفل الرضيع الذى يرضع الكراوية بدلا من اللبن .

ودائرة القهر التى لا يفلت منها أحد من أفراد الاسرة هى التى تساهم فى سلب وعى أم محمد وهى التى تحيلها الى كائن يزرى بكل وسائل الاعلام والرعاية والمعرفة ، الصحيح منها والمضلل . فالوضع الاقتصادى يقصر أم محمد على الاستغراق كلية فى عمل مضنى يستوعبها ويصرفها عن السعى الى المعرفة ومسئولية المجتمع فى هبوط وعى أم محمد مسئولية جسيمة غير أنه من المستحيل اعفاء أم محمد من المسئولية فى هذا الصدد فالكثير من أشباه أم محمد يعون أكثر مما تعى ويقابلون الحصار الاقتصادى المفروض عليهم من المجتمع بالرفض وبالوعى والرغبة فى التغيير .

ومفتاح شخصية أم محمد يتضح من بعض العبارات التى تكررها . فكلمة « معرفش » تكاد تسبق وتلحق بكل جملة تقولها . ويتوقف الانسان طويلا أمام هذه الكلمة متسائلا عن الدافع الذى يحركها ، أهو الجهل أم التجاهل ، أهو الخوف أم ايثار السلامة ، أم هى جميعها . ويتوقف الانسان طويلا ويتساءل الى أى مدى أحال المجتمع هذه المرأة التى تعمل فى اليوم متوسط ١٤ ساعة الى كائن محصن ضد المعرفة والاستفادة من الخبرة . والى كائن لا يعرف سوى ما يحفظ على ذاته البقاء وعلى نوع البقاء . والى أى مدى ساهمت هذه السيدة ذاتها فى مساعدة المجتمع فى تحويلها الى مثل هذا الكائن . وتتضح الصورة أكثر وأم محمد تقول :

– أصل أنا بقى لما الناس يتكلموا ماليش دعوة بيهم . أشوف شغلى وبس . وبهذا الانعزال الذى تفرضه أم محمد على نفسها تكمل الحصار الذى فرضه عليها المجتمع وتعدم بيدها فرصتها فى ان تسمع ، أن تتعلم ، أن تعى وضعها فى المجتمع وأن تغير هذا الوضع وبيدها تقفل أم محمد الثغرة الوحيدة التى تبقت لها للافلات من الحصار ، وتعدم الفرصة الاخيرة للخلاص .

ولا يعد يهم فى شىء سواء وعت أم محمد أو لم تع اى حقوق لها على الاطلاق فلن يكون لها ثمة حقوق وستسقط عنها كل الحقوق ما ظل هذا الجسم المنعزل الذى يقفل الباب على ذاته ويكمل بيديه دائرة الحصار المفروضة عليه من المجتمع .

الأمل فى مستقبل أفضل ومأساة الحلول الفردية

نعمان عاشور

اذا كانت هموم « **المواطن عبد التواب** قد كشفت عن أبرز القضايا وأعقد المشاكل فى حياة واحد من ابناء الطبقة العاملة ..ولن اقول .. الكادحة أو المطحونة أو المسحوقة أو المهضومة .. فهذه كلها صفات لفظية يسهل علينا دائما استعمالها وترديدها هى وما قد يرادفها من عشرات الصفات التى يتميز بحشدها قاموسنا العربى الفصيح .. أعود فأقول .. بعد ان طالت الجملة .. انه اذا كانت هموم « المواطن عبد التواب » فى عدد الطليعة الماضى قد كشفت عن الكثير مما ليس بخاف أو مجهول أو مستتر علينا نحن الذين نعيش بكل قلوبنا وعقولنا وجوارحنا مع « ابناء القاع » وفى فرن السعير الاجتماعى الذى ينصهرون داخله .. فان هموم « الست أم محمد » تجىء هى الاخرى

لتسجل وجها من وجوه السفود الحار الذي يتقلبون من حوله ويكتوون باتونه ، وكأنهم بقايا من عجينة طعمية تحترق داخل بوتقة خالية من الزيت .. والتشبيه مقصود ومتعمد لان الزيت النـــادر هـو ما يفرى حياتهم ويلسع حلوقهم ويكوى اكبادهم ..

لكن ماذا يمكن ان نعلق به على هموم أم محمد أكثر مما قالته هي بنفسها عن نفسها ؟

كانت مشكلة المشاكل فى حياة **عبد التواب** هى **المواصلات** التى يضيع فيها أكثر من ربع مرتبه وأكثر من ثلث وقتـه أو عمره .. بينما مشكلة المشاكل فى حياة **الست أم محمد** هى ضمان الاستقرار والاستمرار فى العمل وتواصل الرزق ليوم آت لا ريب فيه .. يوم يعجز الزوج أو يموت وينفض عنهـا الاولاد واحـدا بعـد واحد وتتصل الحياة فاذا هى تواجه مصير الوحدة وانقطاع الرزق ومواجهه العدم فى مستقبل مجهول .. أنها امرأة تعيش على هامش الهـامش فى الحـاضر وكل املها معلق بخيط ضـعيف تبنى عليه مسـتقبلا غامضا .. وهى فى سبيل ذلك .. لا تحفل بما تعانى أو تتحمل من حياة عائلية معدومة تقريبا .. وحياة عملية مهنية حقيرة وحياة اجتماعية خاويه وخاليه من أبسط المقومات الضرورية الواجبة لاقل انسان ..

لكن تعالوا لنتحرى حاضر الست ام محمد وكيف تعيشه ؟! أنها تخدم الجميـع .. زوجه واولادها واسيادها الرؤساء فـى العمـل وزميـلاتها فـى الشـغل .. أنهـا تعيش تحمل الحياة بكاملها وكأنها الثور المشهور الذى يرفع الكرة الارضية على قرنيه .. ففوق اكتافها يقع العبء الاساسى للعائلة بأكملها .. وبين يديها يتركز الحمل الثقيل لابشع ما يحتاجه رؤساؤها وزملاؤها فى المستشفى أو المعهد .. ومن داخل احشائها تخصها الطبيعة بان تحمل للحياة ما تنسله من نسل .. وياله من نسل !! وتفعل كل ذلك بلا عون من أحد ولا مساعدة من مخلوق حتى حين يجيئها المخاض .. تنسل بلا وضع .. ومع ذلك فهى راضية مطمئنة قانعة مستسلمة .. لا تطلب لنفسها غير آمان لغد .. ويا ليته كان لنفسها فقط ..

وما هـذا الغـد !!! انه الغـد المحـدود بالحصول على نعمة التثبيت فى العمل .. وأى عمل !!

لكن مهلا .. مهلا .. أخشى ان استطرد فتجتذبنى العبارات اللغوية الطنانة .. وهى عبارات قاتلة تضيع بألفاظها ومعانيها فى معظم الكتابات لتطمس أوضح الحقـائق الموضوعية التى يمكن ان تكشف عن أرهب الاوضاع .

تعالوا معى اذن لنحلل قصة **أم محمد** من واقع ردودها الصارخة الجلية ..

فلاحة معدمة لم تتجاوز الرابعة عشرة تتزوج على رغبة والديها من مكوجـى قاهرى .. والسبب ان « **الفلاحين بيفرحوا باللى شغال فى مصر** » .. ولا عليك بصغر سنها ولا بأجبار أهلها لها ولا برقة حالهم وحالها .. ولكن لماذا يفرح الفلاحون بزواج بناتهم من أهل مصر !؟ أهو التمـايز الحضارى وقضية الهجرة من الريف الى المدينة ؟! ظاهرة ما يسمونه المركزية ؟ أهو ضمان الرزق المتصل فى المدينـة ؟ ! لـكن زوجها مكوجيا وليس موظفا ثابتا .. ولعل هذا هـو أس المشكلـة التى تكون جــوهر مخاوفها بعد طول العمر معه .. ومن ثم نواجه المشكلة الاضخم .. كثرة الخلفة .. فهى قد انجبت ثمانية اولاد وبنات .. ولم تجد معها المقاومات بالحبوب المـانعة للنسل .. أو المحددة له ؟! ثم تجىء قضية السكن .. كلهم فى غرفة واحدة .. وكأننا لازلنـا كما كـانت انجلترا أيـام **شــارلز ديكنز** .. فى أواخر القرن السابع عشر ؟!

وليس هذا هو الاطار الذى تعيش فيه أم محمد وحدها .. أنه الاطار العام لملايين من سكان المدن فى كافة أحيائنا الشعبية . ومن هذه الناحية تجىء الصورة صادقة لانها غير قاصرة على هموم أم محمد وحدها .. ولكنها تعم لتشمل القاعدة التى يقوم عليها بناء حياتنا الاجتماعية بأكملها .. وبغير البدء من هذا المنطلق يتعثر أى تطور اجتماعى ننشده لخلق مجتمع مصرى سليم ... وليس منا من لا ينادى أو يتوق الى ذلك .. لان هذه هى السياسة الرسمية للدولة ذاتها وتلخصها السياسات المعلنة الدائبة عن ..

١ ـ تقريب البعد بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة بالقضاء على الازدحام السكانى فى المدن ..

٢ ـ ضمان العمل الثابت والاجر المتصل لكل مواطن ..

٣ ـ تحديد النسل ..

٤ ـ توفير المسكن الملائم لكل انسان ..

٥ ـ تعميم مظلة التأمين الاجتماعى على جميع المواطنين ..

وتلكم هى هموم أم محمد ذاتها .. فى خطوطها العريضة ومن سطورها الاولى ......

بعدها ننتقل الى بقية الهموم ...

لعل أبرز الهموم فى حياة أم محمد بعد ذلك هى العيش ومتطلباته الضرورية اليومية .. مشكلة القوت .. فالخبز كعصب اساسى تاكله من المرجوع « البايت » لانه ارخص . والخضار بالماء وبدون سمن .. « وحوايج » اللحمة مرة واحدة شهريا .. ولا فاكهة ولا هم يحزنون .. لكن الاكتشاف المثير الذى نشترك فيه أم محمد مع بطلنا السابق الاخ عبد التواب هو .. البطاطس .. انها « العموس المشترك » لانها تغنى عن اللحمة وتغنى عن الخضار وتغنى عن السمن .. وتكفى الجميع شر التخمة من اللحمة ...

القوت اذن .. هو الهم الثانى من هموم أم محمد وملايين غيرها أسعد منها حالا وأوفر منها رزقا .. ولا نقول حظا .. واذا كان حله مستحيلا بالوفرة .. فالتخفيف من أزمته مستطاع بالاسعار المحددة كما تقول هى نفسها . لكن هل يكفى السعر المحدد وحده لضمان ان تأكل أم محمد وعائلتها اللحم لاكثر من مرة فى الشهر وتستغنى عن حوائجه !؟ او ان ترى الفاكهة يوما أو بعض يوم ؟! العلم عند علام الغيوب ..

وتكون القضية التالية فى هموم أم محمد .. كتب الله لها العافية وحماها من كل سوء .. قضية العمل .. زوجها يشتغل ١٢ ساعة ولا يعود للبيت .. وهى تشتغل ساعات غير محدودة .. مسألة الراحة اذن مستبعدة .. لكن الاهم من الراحة .. ان كل هذه الساعات الطويلة المتصلة المتعاقبة من العمل حصيلتها الاولى والاخيرة .. ضمان القوت الضرورى .. وبالتالى حرمان البنت الكبيرة من التعليم لانها تكمل ساعات عملها وعمل زوجها فى البيت ..

وهذا ينقلنا الى نقطة بارزة .. أم محمدتخشى ان تسمح لبنتها بالتعليم أو العمل حتى لا تفسد .. وهذا وهم اخلاقى تقليدى لتبرير الضرورة الاقتصادية الفعلية لحتمية وجود البنت الكبرى كطرف ثالث رئيسى للحفاظ على كيان أو قوت الاسرة طالما أنها وزوجها طوال الوقت خارج المنزل .. فكأن عمل الزوج والزوجة هو الذى يجنى على البنت الكبرى .

أما بالنسبة لعدم وجود الكهرباء أو امكانية شراء ملابس جديدة أو القدرة على العلاج فى حالة المرض فبديهيات مترتبة على الوضع الاقتصادى .. لكن النقطة الهامة فى موضوع العمل ويشترك فيها أم **محمد** مع **الاخ عبد التواب** .. فهى أنها تتقاضى أجرا يقل عن الاجر المحدد رسميا وقانونيا كأى حد لاى مواطن عامل .. ولذلك نراها تسارع وتقول بالنسبة لاضطرارها الى قبول هذا الاجر .. « قبلت لانى متعشمة انهم حيثبتونى » ونتيجة لذلك « علشان يبقى لى معاش وماهيتى تبقى كويسة نقدر نأكل ونشرب .. آدى .. » وكلمة « **آدى** » هذه تلخص كل شىء .. لان هذه هى الحكاية !»

وطبيعى الا نتوقع من **أم محمد** ان تقرأ الجرائد وأن يكون عندها راديو وتليفزيون .. أو يكون لها أى علم أو معرفة بالفنانين والمغنين والوزراء والعظماء وقضية فلسطين .. وروسيا وأمريكا .. والانفتاح .. الخ .. الخ .. فاذا كان الحديث عن القطاعين .. العام والخاص .. فهى لن تأخذ الا الجانب الذى يريحها .. اعنى ينيلها حاجتها من الضرورات بغير وساطة أو شفاعة ..

غير أن الطريف المثير فى هموم **أم محمد** وما يجعلها تختلف كثيرا عن سابقها **الاخ عبد التواب** .. انها تعيش فى حدود عالمها الخاص تجهل جهلا تاما كل ما يحيط بها خارج نطاق حياتها العملية اليومية ومدارها .. رغبتها ان يثبتوها فى العمل .. بدلا من المياومة .. وهذا مايدفعها للدفاع عن **القطاع العام** .. ففى رأيها ان المطالبة بالغائه « غلط » .. والسبب « ان الموظف يبقى مالوش مستقبل ولا لاولاده مستقبل » ..

على هذا الاساس .. وناهيكم عن أى نظرة سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية .. فان كل ما يشغل **أم محمد** أو يعنيها « **الامل فى المستقبل** » .. وهو أمل قاصر وعاجز ومحدود بحدود تثبيتها فى الخدمة .. وملايين من الناس فى طبقة **أم محمد** أو فى خارج طبقتها بين الطوائف والطبقات الاخرى .. يعيشون عادة فى مثل هذه الحدود الضيقة التى لاتربطهم بأبعد من الامل الذاتى الفردى فى مستقبل أفضل واضمن لهم ولاولادهم من بعدهم ..

لكن كيف يتحقق مثل هذا الامل !!

أنه مربوط بطبيعة أوضاعهم الفردية الذاتية وحدها .. طالما ان ليس هناك أدنى ارتباط جماعى .. كوجود هيئة او تنظيم أو نقابة أو حزب أو كيان من أى نوع .. يدفعهم الى محاولة تحقيق ذلك على صورة أوسع نطاقا وأقوى أثرا من طيبة رئيس العمل وادعى الى الامل من وعود القابضين على الزمام أو رضا وتسامح المهيمنين على الشغل نفسه .. ولذلك وفى غياب أى تجمع من هذا النوع .. يتردى **الاخ عبد التواب** والالاف المؤلفة غيره .. كما يمكن ان تتردى **أم محمد** حتى ولو كانت تقرأ وتسمع وتشاهد .. وآلاف الآلاف غيرها .. يترددين جميعا فى كل ما يمكن ان ينشر أو يكتب أو يذاع أو يقال من أكاذيب مثيرة وخدع ملفقه ودعايات مغرضة زائفة ساذجة .. عن القطاع العام .. بل وعن الديموقراطية والاشتراكية وأى مذهب من المذاهب المطروحة على ارض الواقع .

الحـــــــكومة و ..

○ الـــديون
○ التنميـــة
○ المليونيرات

عـــادل حســـين

في « الحقيقـة من كثرة اسـتعمال كلمة الانفتاح فانني استثقلها» [١] .
هذا التصريح أعلنه رئيس مجلس الوزراء ، ونحن معه تمـاما ٠ ولكننا لا نستثقل فقط هذه الكلمة ، اننـا نمقتها ، واستمرار هـذه السياسة لن يؤدى الا الى مضاعفة المصائب التى تهدد اقتصـادنا ومصيرنا الوطنى .

والحديث عن المصائب لـم يعد ـ بالمناسبة ـ كلاما متطرفا أو غير مسئول ، فكافة الوزراء المسئولين لا يصفون أوضاعنا الاقتصادية بكلمات تقل عن «الكارثة» أو «الانهيار» ، بـل ان د . أحمد أبو اسماعيل وزير المالية سجل فى تقرير رسمى أنه «لولا لطف الله بهذا البلد الامين لحلت به فى صيف هذا العام أى ١٩٧٥ أسوأ كارثة تعرضت له فى تاريخه» [٢]

ولكن ما هى مسئولية من تولوا ادارة الحكم طوال السنوات الثلاث الماضية عن هذا التدهور السريع؟ ليس من حق هؤلاء المسئولين أن يتذرعوا بالمشاكل المزمنة للاقتصاد المصرى كالاختلال بين حجم السكان والموارد ، فهـذه مشكلة صاحبتنا وستصاحبنا كدولة نامية ، ولن تحل جذريا الا فى المدى الطويل مع تنمية مستقلة متوازنة وبمعدلات مرتفعة . ان هذا النوع من المشاكل المزمنة يفسر المستوى التقليدى من متاعبنا، ولكنه لا يفسر انهيارات وكوارث السنين الاخيرة ٠ دعونا أيضا من تراكم أعباء الدفاع الوطنى والخسائر المرتبطة بحالة الحرب التى عشناها . لقد قدرت هذه الاعباء والخسائر منذ يونيو ١٩٦٧ حتى أكتوبر ١٩٧٥ بمبلغ ١٤١ر١٦ مليون جنيه ، ولا شك أن هـذا مبلغـا مهـولا أثـر علـى قـدراتنا الاقتصـــادية ، وقـــد كـــان هـــذا أحـــد النتائج التى حققتها اسرائيل ، والولايات المتحدة التى خططت معها لعدوان ١٩٦٧ ، فليس مطلوبا فقط أن تحتل الارض ، ولكن أيضا استنزاف القوى لاجبارنا على الخضوع، وقد كان علينا أن نحتمل هذا العبء ونقاتل ، لتحرير الوطن ، وللحفاظ على اسـتقلال الارادة ، فى مقدمة الشعوب الغربية

ورغما عن أنف القوى الامبريالية ؛ اذ بدون هذا الاستقلال لن تتحقق تنمية شاملة حقيقية ، لن يتحقق تكامل أو توحيد عربي .. على أية حال ، نحن ندرك تماما جسامة الاثر الاقتصادي للحرب ، ولكننا نطلب من الحكومة أن تستبعد هذا العامل أيضا ونحن نناقش تدهور الحال خلال السنوات الاخيرة ، فهذا العامل سبق أن تعايشنا معه سنوات ، وهو مسئول بالقطع عن قدر معلوم من المتاعب منذ ١٩٦٧ ولكننا - مرة اخرى - لانتكلم - عن مشاكلنا الاقتصادية التقليدية ، اننا نبحث عن أسباب التدهور الطارىء منذ ١٩٧٣ . **ما الذى جد؟** اننا نقول أن السياسة الاقتصادية ، والتى أسميت بالانفتاح الاقتصادى ، هى الوافد الجديد الى أوضاعنا المنهكة فطرحتنا أرضا، ومن هنا فاننا نوجه الاتهام الى هذه السياسة ، ولم يعد ممكنا ألا نطالب بتعديلها تعديلا جذريا بعد ان اصبحت الحقائق واضحة صارخة. ولا ينبغى أن يقال هنا أن الحكومة الحالية غير مسئولة الا ابتداء من ابريل ١٩٧٥ ، فالحكومات عندنا لا تمثل احزابا وسياسات متباينة ، والتعثر الذى واجهته الحكومة الحالية هو نفس الفشل الذى كان سيقابله **د. عبد العزيز حجازى** لو أنه احتفظ بمنصبه ، وهو نفس التعثر الذى ستواجهه حكومة السيد **ممدوح سالم** فى عام ١٩٧٦ طالما بقيت السياسة العامة واحدة ، والسياسة اذا كانت خاطئة ، فان« شطارة » أى تشكيل وزارى لن تغير من النتائج كثيرا .

ومع ذلك .. ماذا أنجزت هذه الحكومة خلال عام ١٩٧٥ فى مواجهة التحديات ؟ هل قدمت الحكومة وقائع وبرامج محددة تثبت أننا وضعنا أقدامنا على الطريق الطويل لاصلاح الحال ، وأن العام القادم سيكون -بالتالى- أسعد حظا من الاعوام الكبيسة السابقة؟ للاجابة على هذا السؤال سنستعرض جوانب الانهيار الاساسية .

العجز القومى يتفاقم :

● سنبدأ بالعجز القومى: معروف أن ميزان التعامل مع العالم الخارجى لم يكن فى صالح مصر منذ فترة ، ولكن هذه الظاهرة طبيعية فى الدول النامية التى تحتاج الى واردات استثمارية تفوق قدرتها على التصدير، وهى ظاهرة محكومة مادامت هذه الثغرة فى تعاملنا مع العالم الخارجى فى نطاق ضيق، ومادامت الواردات التى نقترض لاستيرادها واردات استثمارية ، ومادمنا سنحسن استخدام هذه الواردات فيزداد انتاجنا الصناعى والزراعى ، وتزداد بالتالى كمية صادراتنا ونسدد ما علينا . وقد كان العجز فى العمليات الجارية بميزان المدفوعات يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ مليون جنيه فى النصف الثانى من الستينات ، فارتفع الى ٥٠٠ أو ٦٠٠ مليون جنيه فى السنوات الثلاث الاولى من السبعينات ، ثم قفز الى ما يقرب من الالف مليون جنيه فى عام ١٩٧٤ ويتوقع ان يبلغ ١٤٠٤ مليون جنيه عام ١٩٧٥ . وليت الامر يتوقف عند تزايد حجم العجز ، فمكوناته لا تقل ازعاجا ، فنحن لم يقتصر عجزنا على الواردات الاستثمارية ، فقيمة صادراتنا لم تعد كافية لدفع قيمة وارداتنا من السلع الاستهلاكية والوسيطة، بل ان قيمة صادراتنا الزراعية والصناعية «حوالى ٥١٢ مليون جنيه عام ١٩٧٥ » أصبحت لا تكفى لاستيراد احتياجاتنا الاستهلاكية وحدها، وبالتالى تزايدت الديون للاستيراد من الخارج ، ولم تزد حصيلتنا من النقد الاجنبى لسداد الالتزامات التى ترتبت على هذه القروض والتسهيلات الائتمانية . واذا كانت القروض تستخدم فى كثير من الاحيان لاستيراد سلع استهلاكية وسلع وسيطة، فان السلع الاستهلاكية كما نعلم تؤكل أو تلبس وينتهى أمرها ، والسلع الوسيطة تدخل فى منتجات تستهلك أيضا داخل مصر ، ولا تصدر الى أسواق الغرب لتمدنا بعملات حرة ، فكيف نسدد القرض حين يأتى موعد السداد ؟ اننا نضطر الى السعى للحصول على قروض جديدة من أجل سداد خدمة ديون الاعوام الماضية، ثم نسعى الى قروض اضافية لاستيراد الحاجات الجارية المتجددة .

وهكذا تراكمت الالتزامات السنوية الواجبة السداد حتى صار متوقعا أن تكون قد زادت عن ١٢٣٥ مليون جنيه عام ١٩٧٥ ، وبالتالى يصل مجمل العجز القومى الى حوالى ١٤٠٤ مليون « ميزان مدفوعات زائد ١٢٣٥ مليونا خدمات دين تساوى ٢٦٣٩ مليون جنيه » ويمكننا أن نتصور كيف أن هذا العجز الكبير قد يلجئنا الى قبول شروط مجحفة، وكيف نضطر الى قبول تسهيلات مصرفية قصيرة الاجل [٧٠٠ مليون جنيه عام ١٩٧٥ وصل سعر فائدتها الى ١٨ر٥ فى المائة سنويا] .ويمكننا أيضا أن نتصور نقاط الاختناقات حين تتكشف التزاماتنا المختلفة فى تاريخ متقارب ، فيتكالب « الدائنة » والموردون ، ونعجز عن تدبير المطلوب وينكشف موقفنا ، ولعل مثل هذا الموقف هو الذى استحق من وزير المالية وصف « أسوأ كارثة » .

والان .. ماذا فعلت الحكومة فى ظل سياسة

الانفتاح الاقتصادى من أجل مواجهة هذه الكارثة؟
يقــول د. أحمـــد أبـــو اســـماعيل أن الحكومة « خفضت رقم التسهيلات الائتمـانية قصيرة الاجل التى حصلت عليها الحكومة فى عام ١٩٧٤ أى أيام د. حجازى] وقدرها ٩٤٥ مليون جنيه الى نحو ٧٠٠ مليون جنيه فى عام ١٩٧٥ » ولا شك أنه انجاز ، ولكن هل « توضح هـذه الصورة ـكما يقول وزير المالية ـ مدى الجهد الذى وقع على الحكومة فى تصحيح المسـار الاقتصادى ، وأن النتائج التى جاءت ، وكذلك تلك التى ستتحقق انما هى نتيجة لجهد الحكومـة الحاضرة ونشـاطها » ؟ ان السيد الوزير يقول أنه « نتيجة لتعديل المسار الاقتصادى خلال فترة تولى الحكومة زمام الامور سيقل حجم القروض القصيرة ذاتها عن ذى قبل » فأى مسار هذا الذى تعدل وأفضى الى هذه النتائج ؟ ان الازمة كانت فعلا مزعجة « فعندما تولت هذه الوزارة الحكم كانت هناك تسهيلات مصرفية متأخرة بلغ رقمها ٤٤ مليون جنيه .. أما التسهيلات للموردين فقد كانت قيمة المتأخر منها فى ٢٧ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ مبلغ ٣ر١١ مليون جنيه ، وكانت قيمة التأخير تسعة شهور . ولكن كل هذا قد تم سداده خلال العام الحالى ، كما تم سداد ما استحق بعد ذلك من أقساط لهذه التسهيلات . وبلغ مقدار ما سددناه خلال الفترة من ١٨ـ٤ـ١٩٧٥ حتـى ٣١ـ١٠ـ١٩٧٥ مبلـغ ٣ر٩٠ مليون جنيه ، ويستحق علينا حتى آخر ديسمبر مبلغ ١ر٣٩ مليون جنيه . وقد راعينا تدبير المبالغ اللازمة لسداد هذه المستحقات ، كما راعينا تدبير المبالغ اللازمة لسداد التسهيلات المصرفية التى ستستحق حتى آخر ديسمبر ١٩٧٥ فى مواعيد استحقاقها» .

ولكن ما هو فضل الحكومة فى كل هذا ؟ اذا كان البيان المالى يقول أن الرئيس السادات قد استطاع كقيادة سياسية واعية أن يعمل بالتعاون مع أشقائنا العرب ومع الدول الغربية ودولة ايران الصديقة .. « فحصلنا على قروض طويلة الاجل ، كلها أعطت فترة سماح لا تقل عن خمس سنوات ، وكان سعر الفائدة بالنسبة لبعض هذه القروض ٢ فى المائة وأغلبها يتراوح ما بين ٣ فى المائة و٥ فى المائة ، أما مدة التقسيط فقد تراوحت ما بين خمس أعوام وثلاثين عاما» .. ان« حصولنا على هذه القروض كما يقول بيان الوزير ـ هو الذى ادى الى انخفاض قيمة التسـهيلات المصرفيـة التـى استخدمناها فى عام ١٩٧٥ انخفاضا ملحوظا » . ان هذا النوع من المواجهة لمشكلة العجز هو اسعاف مؤقت، وهو يأتى مـن خـارج الجهـاز التنفيذى ـعلى يد الرئيس السادات ، بل ويأتى من خارج مصر كلها. وكما يقول تقرير لجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب فانه « حتى لو امكن تدبير هذه الموارد الاجنبية هذا العام فانه يلزم أيضا تدبير مثل هذه المبالغ أو أقل قليلا عام ١٩٧٦ » . واذا ظل التدبير فى يد الخارج ، فأنه تدبير غير مضمون ، خاصة اذا كان بعض من فى الخارج قد يسعده أن تلهث مصر قبل أن قدم لها ما يحفظ أودها ولا يرد عافيتها . وكيف لا، وهذا يمكنه من فرض الشروط بحجة الاطمئنان على مصير القروض التى قدمها الى اقتصاد «منهك»«[٣] لقد قدمت الكويت ٥٠٠ مليون دولار والسعودية ٦٠٠ مليون دولار يونيو ١٩٧٥ وأمريكـا ٣٥٠ مليون دولار يونيو وأغسطس ١٩٧٥ وبـــلاد أخرى وصفت بأنها عربية وصديقة ٥٥٠ مليون دولار « أغسطس واكتـوبر ١٩٧٥ » [٤] . وقد عرضت اتفاقية القرض الكويتى والسعودى على مجلس الشعب ، ولكن الاتفاقية الامريكية لم تعرض حتى الان ، ونحن نطالب باعلان شروط هـذه الاتفاقية، لاننا بصراحة لا نطمئن الى نـوايا الولايات المتحدة وشروطها .

على أى حال ، اذا كان هذا هو الاسلوب الوحيد الذى مكن الحكومة من التخفيف من كارثة العجز القومى فى مواجهة الالتزامات الخارجية، فان هذا أسلوب لا فضل للحكومة فيه . اننا نسأل الجهاز التنفيذى عما أنجز فى مجال مسئوليته : ماذا حقق من اجل تعظيم القدرة الذاتية للاقتصاد المصرى فى مواجهة العالم الخارجى وفى مواجهة العجز ؟ اننا نزعم أن سياسة الانفتاح الاقتصادى كمـا تفهمها وتمارسها الحكومة لم تحقق شيئا فى هـذا الاتجاه .

انفتــاح على الغـرب فقــط

■ ففى مواجهة العالم الخارجى ، مفهوم أن الحرص على تنوع وتعدد العلاقات الدولية، يدعم مركزنا التفاوضى ويكفل حرية أوسع فى المناورة، ومفهوم بالتالى أن نسعى الى تحقيق هذا بشرط أن يظل المبدأ الحاكم هو تحقيق أفضل النتـائج للاقتصاد الوطنى من تعاملاته مع العـالم الخارجى، وقد قيل لنا أن سياسة الانفتاح تهدف الى هذا ، لان فترة « الانغلاق » قصرت علاقاتنا على مجموعة الدول الاشتراكية وأصيب اقتصادنا من جراء ذلك بخسائر جسيمة .
ودون استطراد طويل فان من الواجب أن نسجل

أن علاقاتنا الاقتصادية مع المجموعة الاشتراكية كانت ايجابية فى نتائجها، وهى التى دعمت تنميتنا المستقلة، وصمودنا الاقتصادى بفضل المشروعات الصناعية والانتاجية العملاقة. لا يعنى هذا أنها كانت علاقات خالية من المشاكل ، فكل علاقة دولية واقتصادية لها مشاكلها ، أحيانا كان السعر غير مناسب ، وأحيانا أخرى كانت التكنولوجيا المستوردة من هذه الدول متخلفة الى حد ما عن آخر المستحدثات العالمية. ولكن من قال أن هذا النوع من المشاكل لا نقابله فى علاقاتنا مع الاحتكارات الغربية ؟ كذلك لا ينبغى ان ننسى أننا حين قبلنا فى بعض الاحيان عروضا غير مرضية تماما، لم يكن ذلك بسبب ضغط من الدول الاشتراكية ، أو بسبب قرار تعسفى من القيادة المصرية بألا تتعامل الا مع هذه الدول ، وانما كان السبب فى معظم الحالات أنه لم تكن هناك امكانيات بديلة متاحة ، لم يكن الخيار بين تكنولوجيا ممتازة ، وتكنولوجيا متوسطة فاخترنا التكنولوجيا المتوسطة، كان الخيار فى كثير من الاحيان هو بين تكنولوجيا متوسطة أو لا شىء ، فكان لابد أن نقبل التكنولوجيا الاقل من ممتازة، لاننا لابد أن ننمى اقتصادنا وصناعتنا رغم أنف المصالح الامبريالية التى حولت خنقنا .. ومع ذلك فان منتجات الدول الاشتراكية لم تكن فى أغلب الاحوال أقل من المستوى العالمى. وسيظل السد العالى ومجمع الحديد والصلب ومجمع الالومنيوم ثلاث علامات هامة وخالدة فى طريق نهضتنا .

هذه كلمة حق كان لابد أن تقال ، ولكن اذا قيل لنا أن الظروف العالمية الحالية أصبحت تتيح امكانيات أكبر للتعامل مع الكتل الدولية المختلفة لصالح التنمية الوطنية، فليس هناك وطنى يختلف مع ضرورة استثمار مثل هذه الامكانية .ولكن هل هذا هو فعلا توجه سياسة الانفتاح الاقتصادى التى تنفذها الحكومة الحالية ؟ لقد لاحظ تقرير الخطة الانتقالية أيام حكومة د . عبد العزيز حجازى أن أجهزة الوزارات المختلفة لا تبحث عن مستلزماتها الخارجية الا فى الاسواق الغربية ، وأوضح التقرير أن هذا الاتجاه لا يتفق مع مفاهيم الانفتاح ولا مع المصالح الوطنية والاقتصادية التى تهدف الى اقامة علاقات مع كافة القوى والاسواق الدولية. ولكن فى ظل هذه الحكومة لم يعد مفهوم الانفتاح الخاطىء سائدا فقط فى المستويات الادارة والتنفيذية الادنى ؟ ولكنه يكاد أن يكون سياسة رسمية تدرس على مستوى مجلس الوزراء.

لقد استن د. أحمد أبو اسماعيل سنة حميدة حين قدم بيانه المالى والاقتصادى بمقدمة طويلة يعرض فيها صورة عامة للاوضاع الاقتصادية العالمية، والسنة حميدة لاننا بالفعل لا نستطيع أن نناقش أوضاعنا وامكانيات تحركنا بمعزل عن أوضاع واحتمالات العالم المحيط بنا «فالاقتصاد المصرى اقتصاد مفتوح ، يتأثر بالاوضاع الاقتصادية العالمية ويؤثر فيها ويتفاعل مع المتغيرات الاقتصادية العالمية». هذا عظيم .. **ولكن ما هو مفهوم العالم عند د . أبو اسماعيل ؟** ان العالم عنده هو فقط الدول الغربية! اذا تحدث عن موجات التضخم فهو يتحدث عن الغرب ، اذا تحدث عن معدلات التنمية فانه يتابع ما حدث فى هذه الدول ، اذا تحدث عن أسعار الفائدة فانه لا يشير الا الى بنوك وتعاملات الدول الغربية، ونفس الشىء اذا تناول التجارة الدولية ، وللامانة .. أشار فى ختام عرضه الى تحركات أموال مجموعة الدول المصدرة للبترول ، ولكن أيضا فى نطاق الاقتصاديات الغربية .

أن هذا المفهوم خطأ جغرافى بطبيعة الحال،لان العالم أوسع من دائرة الدول الغربية، ولكن هذا المفهوم أكثر خطأ من الناحية السياسية والاقتصادية، وهو يمثل ردة كاملة عن المفهوم الصحيح والعصرى للاوضاع والعلاقات الاقتصادية الدولية . أفى أيام الحرب الباردة تؤكد مصر ارادتها المستقلة وتعترف وتتعامل مع كل الاطراف ، وحين يبدأ الانفراج الدولى ، وتضطر حتى الولايات المتحدة الى الاعتراف بالاتحاد السوفيتى والصين الشعبية كحقائق أساسية فى الواقع السياسى والاقتصادى الدولى ؟ يتجاهل وزير المالية المصرى أن مجموعة الدول الاشتراكية تدخل فى اهتمام مصر عند رسم سياستها المالية والاقتصادية؟ بل ان وزير المالية يتجاهل أوضاع الدول النامية -بعد أن أخذت تتبلور كقوة ضغط عالمية - وكأن تطوراتها ومتابعتها لا تؤثر فى مشاكلنا وتصوراتنا !

ان هذا العرض الضار للاوضاع الاقتصادية والعالمية ، كان المدخل الطبيعى لتعريفه لدعائم

الانفتاح الاقتصادى ، فالدعامة الاولى عنـــده لتـأكيد التعـاون مع الدول الغربية فى مجـــال التكنولوجيا وتطبيق الاساليب الحديثة فى الانتـاج والادارة ، فهذه الدول بما تملكه من خبرات فنية وادارية تجمعت لديها عبر عشرات السنين من التقدم العلمى والصناعى تعتبر المصـدر الطبيعى للمعرفة الفنية والادارية التى يمكن الاعتماد عليها الى أقصى الحدود » . لماذا الدول الغربية وحدها يا دكتور تعتبر المصدر الطبيعى للتكنولوجيا؟! لقد سمعنا عن رحلة فضاء أمريكية سوفيتية مشتركة ، وأعتقد أن هذا خبر صحيح !

والان ما هو أثر هذه السياسة الانفتاحية التى تنتهجهـــا الحـكومة الحالية على كارثة العجز القومى، وخاصة فى مجال عبء المديونية الخارجية؟

١ ــ سأبدأ هنا بالعودة الى الدكتور أحمد أبو اسماعيل شخصيا حين كان رئيسا للجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب «٥» . ان الدكتور لم يشهد أحد بأنه كان متعاطفا أو متحيزا للتعامل مع الدول الاشتراكية . بالعكس أنه يغالى عادة فى تصوير أنها متخلفة تكنولوجيا فى كل المجالات على النحو الذى جاء فى بيانه الاخير . وقد فعل نفس الشئ فى تقريره عام ١٩٧٤ ، ولكنه رغم هذا قال «لقد بدا من دراسة لجنة الخطة والموازنة للظروف التمويلية لبعض شركات القطاع العام أن أغلب التمويل الاجنبى يرد من دول الاتفاقات وشروطها الاساسية هى السداد على ١٠ سنوات فى المتوسط مقابل ٧ سنوات للدول الغربية . كما أن أسـعار دول الاتفاقيات تزيد عن أسعار دول العملات الحرة بنسبة تصل الى ٣٠ فى المائة وقد يزيد من هذا فرق الجودة فيصل السعر حقيقة الى حوالى ٤٠ فى المائة » وفى الحقيقة لا أعتقد أن فارق السعر والجودة يصل الى مثل هذه النسبة بأى حال . خاصة وأن الدول الاشتراكية لا تـدفع عمولات تزيد التكلفة ولا ادرى بالمناسبة ان كانت هـذه ميزة أو عيبا ! المهم رغـــم كـــل هـــذا التحيز قـــال الدكتـور « ان مثـــلا مبسـطا لحقيقـة شروط الاقتراض من دول الاتفاقات يظهر النتـائج التـــالية ، بفـرض أن القـــرض يبلغ ١٠٠ مليون جنيه عملات حرة أى يقابله ١٤٠ جنيه اتفاقات على أساس قوله بأن فـرق السـعر والجودة ٤٠ فى المائة

«ومعنى ما تقدم ـ كما يقول د . أحمد أبو اسماعيل ــ أن دول الاتفاقات أكثر يسرا لمصر من العالم الغربى ، وهذا ما أدى الى الاعتمـاد عليهـا » .

٢ ــ ونحن نضيف الى حقيقة أن قروض الدول الاشتراكية ذات شروط أسهل ، وعبء أخف ــ من حيث الكم ــ على ميزان المدفوعات ، اننا نضيف أن امكانية السداد الفعلية أيسر، فالدول الاشتراكية تقبل سداد قروضها بسلع نصدرها ، وأسواق هذه الدول تتسع لزيادة صادراتنا الصناعية اليهـا فعلا ، وبالتالى فان أعباء خدمة الدين قبل الدول الاشتراكية، مقـدور عليهـا مـن النـاحية الاقتصاديه . أما الدول الغربية فان قدرتنا على زيادة صادراتنا الصناعية اليها أقل من محدودة، وستظل قدرتنا التصديرية اليها منحصرة فـى المحاصيل الزراعية التقليدية التى لا نملك زيادتها زيادة كبيرة فمن أين لنا بالعملات الحرة التى تكفى لسداد العجز فى التعامل معها؟

٣ ــ هناك حقيقة ثالثة هى ان قروضنا مع الدول الاشتراكية هى قروض يمكن ـ من حيث المبدأ ـ التفاوض على جدولتها ، كما نحاول حاليا ، لانها قروض مع دول ، وبالتالى تخضع لاعتبـارات سياسية الى جانب الاعتبارات الاقتصادية ، ولكن قروض الدول الغربية قروض وتسهيلات مـع مؤسسات مالية وصناعية خاصة لا تتفاهم فى معاملاتها الا وفق مصالحها الاقتصادية البحتة.

٤ ــ قد يقال هنا ولكننا نستطيع أن نتعامل فى الغرب أيضا مع الدول ، فالحكومة الامريكية أو اليابانية ــ مثلا ــ يمكن أن تقدم قروضا سهلة تمكننا من مواجهة أعباء المديونية الثقيلة قبل المؤسسات الخاصة التى لاترحم « وهذا ما قدمته » فعلا السياسة العليا فى مصر من خلال اتصالاتها الدولية على نحو ما أوردنا . وهذا صحيح ، وليس هناك من ينكر أهمية ادخال الحكومات الغربية للحد من طغيان وحوش السوق علينا، ولكن ستظل هناك مشكلة القروض السهلة تنتظر الحل ، اذ ما دامت قدرتنـا محدودة ــ كمـا أوضحنا ــ على زيادة حصيلتنا من النقد الحر، سنواجه عند موعد سداد القروض السهلة بأننا عاجزون مرة أخرى . ولذا ينبغى أن نحدد من حجم المديونية مع الغرب لانها ستدخلنا فى حلقة مفرغة مزعجة ، ووسيلة ناجعة لتحقيق ذلك أن نواصل تطـوير علاقاتنا الاقتصـادية مـع المجمـــوعة الاشتراكية ، فى الوقت الذى نسعى فيه ــ فى حدود الممكن والمفيد ــ الى اقامة علاقات مع الكتل والاسواق الاخرى . وهذا الاسلوب مفيد أيضا، فى السياسة والدبلوماسية الاقتصادية، فلا شك أن قدرة الدول الغربية على الضغط علينا ، وعلى فرض شروط تؤثر فى استقلال قراراتنا ستكون أقل جدا ، اذا أدركت أن أقدارنا لا تتوقف على رأيها ونجدتها وحدها .

الا أن الحكومة لا تسير فى هذا الاتجاه فى ،

سياستها المعلنة والمنفذة ، ومن هذا الجانب فانها مسئولة عن استمرار الانهيار فى ميزان المدفوعات الذى بدأ وستتحل مع سياسة الانفتاح على الغرب وحده ، لقد فوجىء الرأى العام وأعضاء مجلس الشعب حين أعلن **د. زكى شافعى** وزير الاقتصاد أن الدين الخارجى المستحق بلغ فى ٣٠ ـ ٩ ـ ١٩٧٥ وفقا للتفاصيل الموجودة لدى البنك المركزى ٢٧١٧٫٨ مليون جنيه مصرى بالعملات الحرة والباقى ٤٤٩٫٢ مليون جنيه بالعملات الحسابية « أى مع الدول الاشتراكية . لقد كان الناس يتصورون أن العبء الاكبر من الديون قد ورثناه من فترة «الانغلاق»!

نصل الان الى قضية القضايا فى تنظيم القدرة الذاتية للاقتصاد المصرى على مواجهة العجز، لقد كان تقرير لجنة الخطة والموازنة محقا حين أثبت «أن هذا الموقف لايرجع الى التوسع فى الاستيراد فقط ، وانما يرجع أيضا الى الاختلال فى التوازن العام وفى التوازنات الجزئية فى الدولة ، وخاصة الاختلال بين الانتاج والاستهلاك ، وبين الاستثمار والادخار ، وبين الاستثمار والعائد منه ، وبين أجر المشتغل وانتاجيته ، وكذلك بين امكانات التصدير واحتياجات الاستيراد» . ولن ينصلح حالنا ونقول أننا بدأنا المسيرة الصحيحة الا اذا قضينا على هذه الاختلالات ضمن تنمية مخططة جادة . ونحن نزعم أن الحكومة لم تفعل شيئا فى هذا الاتجاه أيضا، وكيف تفعل ، والامر يحتاج مجموعة مترابطة من الاجراءات السياسية والاقتصادية والاجتماعية تتعارض كلها مع مفاهيم الانفتاح؟

.. وفشل فى التنمية

● ان هذا ينقلنا الى التنمية التى تحققت خلال عام ١٩٧٠ . ان خطة عام ١٩٧٥ هى الخطة الانتقالية أو خطة العبور ـ وقد قيل أيامها انها تهدف الى تهيئة الاقتصاد القومى للانطلاق فى خطط منتظمة .فهل تهيأنا فعلا لهذا الانطلاق؟وهل تحققت الاستثمارات المهولة «١١٩١ مليون جنيه» ومعدلات النمو غير المسبوقة التى استهدفت ؟ لقد كشفت تقارير المتابعة ما يشبه المعجزة،فقد تقرر خفض حجم الاستثمار الى ٨٩٠ مليون جنيه ، ثم جاء فى البيان المالى والاقتصادى أن الاستخدامات الاستثمارية بعد ثلاثة أرباع العام « أى من أول يناير حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٧٥» لم تتجاوز ٢٨٧٫٣ مليون جنيه أى بنسبة ٣٦ فى المائة فقط من المستهدف لعام ١٩٧٥ بعد خفضه .. ورغم انخفاض هذا المعدل فقد سبق أن أوضحت وزارة التخطيط فى تقريرها عن متابعة النصف الاول من خطة ١٩٧٥ أن هذا المعدل لا يعكس بدوره حجم المنفذ فعلا من الاستثمارات العينية، وأن الارقام التى توردها جهات التنفيذ المختلفة عن أحجام الاستثمارات تعكس فى جزء كبير منها ارتفاعا فى التكلفة، وقد أورد تقرير التخطيط أنه يخشى أن يتحول الامر الى مجرد تنفيذ مالى يؤدى الى ارتفاع أسعار التشييد والبناء دون أن يتحقق المستهدف من استثمار حقيقى ملموس يعطى النتائج والثمار المنشودة.. ولكن أين المعجزة التى تحدثنا عنها ؟ ان المعجزة هى أن هذه الخطة التى لم تحقق أهدافها فى الاستثمار العينى أو حتى فى الانفاق المالى ، ستؤدى ـ حسب تقارير جهات التنفيذ والوزارات المختلفة ـ الى الوصول برقم الانتاج المحلى لعام ١٩٧٥ الى ٨٤٩٢ مليون جنيه بدلا من ٧٩١٥٫٦ مليون جنيه كما كان مستهدفا .. أى كانت خطة « العبور » تهدف الى زيادة الانتاج بنسبة ١٢٫٦ فى المائة وحين لم تتحقق الاستثمارات المطلوبة سيزيد الانتاج بنسبة ٢٠٫٧ فى المائة !

كيف لا نشك بعد هذا فى صحة الارقام التى تقدم الينا؟ صحيح أن الارقام محسوبة بالاسعار الجارية ، ولكن حتى لو حسبنا هذا المعدل حسب أسعار ١٩٧٤ سنجد أن فى الامر مبالغة لا شك فيها، ولا نعتقد ن المعدل الحقيقى سيتجاوز كثيرا معدل الزياد السكانية كما حدث فى عامى ١٩٧٣، و ١٩٧٤ . ومن المهم أن نذكر هنا بأن تقرير المتابعة لوزارة التخطيط قد أشر أيضا الى نقص الاهمية النسبية فى الانتاج القومى للقطاعات السلعية لصالح قطاعات التوزيع والخدمات . وهذا أمر يفاقم مشاكل التضخم ومشاكل العجز الخارجى. بل ونشير ايضا الى أن جهد الحكومة خلال عام ١٩٧٥ قد قصر كذلك عن تحقيق المستهدف فى مجال الصادرات ، فقد كان مستهدف أن تبلغ حصيلة صادرات السلع والخدمات ٩٤٣٫٦ مليون جنيه ، ولكن يتوقع الا تتجاوز الحصيلة الفعلية أكثر من ٧٧٢٫١ مليون جنيه ، بنقص يساوى ١٧١٫٥ مليون جنيه ، وقد أضيف الى هذا خلل آخر فى موازين الخطة المستهدفة، حيث زادت أرقام الاستهلاك عما كان مستهدفا ، فزادت الواردات ، وبلغ العجز العينى فى ميزان المدفوعات ١٢٤٧ مليون جنيه ، وكان قد قيل لنا أيام اعلان خطة العبور أنه سيهبط الى ١١٤١ مليونا .

عن كل هذا نحاسب الحكومة . وهى لم تقدم تفسيرا، واكتفت بأن أعلنت هذا الفشل فى براءة شديدة ، مع أن عوامل الفشل فى العام الماضى هى نفس العوامل التى تترصدنا فى هذا العام . وكافة التوازنات المختله التى اشار اليها تقرير لجنة

الخطة والموازنة بقيت كما هى ؟ اذ كيف يتحقق التوازن مثلا بين الانتاج والاستهلاك وسياسة الانفتاح « التجارى » تمنع أى محاولة لضبط معدلات الاستهلاك !

التناقضات الطبقية تتسع

● أما عن توزيع الثروة والدخل القومى، فان سياسة الانفتاح ، التى أكدتها الحكومة الحالية ، أدت الى تفاقم التناقضات الطبقية ، الى درجة لم نألفها فى مصر، فى أى مرحلة سابقة . هذا كلام نقوله بلا أى مبالغة. لنبدأ مثلا بقصة الـ ٥٠٠ أو ٦٠٠ مليونير . « وقد نشر هـذا الـرقم فـى الفينانشيال تايمز والتايم والنوفيل اوبزرفاتر كما يقـول عبـد السلام الزيات هـذا الرقم ناخذه كمسلمة لانه يتفق مع كافة المؤشرات التى نراها حولنا، وقد أعلن بعض رجال الاقتصاد والاعمال المصريين أن الرقم لا يمثل أى مبالغة، والحكومة ـ وعلى رأسها السيد ممدوح سالم ـ لم تعارض ولم تستنكر ، بل أصبح الرقم مستخدما على لسان المسئولين التنفيذيين أنفسهم فى الحوار السياسى داخل مجلس الشعب . من حقنا اذن أن نتعامل مع رقم الـ ٥٠٠ مليونير كمسلمة وسنتغاضى عن رقـم الـ ٥٠٠٠ الذى نشرته لوموند » وعندئذ سيصبح من واجبنا أن نتساءل ـ كما تسـائل كاتب أكثر اعتدالا منا جدا ـ «كيف استطــاع خمســمائة مواطن أن يصبحوا مليونيرات وسط شـعب يأكل معظمه المش بالدود، وتفتك به الامراض، وتهدد أعصابه نقلة الطريق ، ويشرد آلافه لنـدرة المساكن ، يرتعد مئات الالوف أبنائه فى البرد الشديد لاختفاء الكستور ، ويحلم مئات الالوف بكيلو من اللحم يسعدون به أولادهم فى الاعياد والمناسبات ؟ » ٥ . الا أن كاتب هذه الكلمات « د . ابراهيم عبده » يتناول هؤلاء الخمسمائة كما لو كانوا مجرد أتباع لمراكز القوى التى انهارت منذ ما يقرب من خمس سنوات ، ولا شك أن بعضهم فعلا قد بدأ وظهر فى ذلك الزمان، ولكن لا شك أيضا أن معدل التضخم فى هذا الورم الخبيث قد تزايد جدا فى السنوات الاخيرة، بحيث أصبح المرض واضحا جدا، وأصبحت الالام فى جسد المجتمع كله غير خافية .

ان بعض التأمل فى دلالة هذا الرقم تكشف لنا كيف أننا أصبحنا فعلا فى حال لم تشهده مصر من قبل . ان كلمة مليونير تعنى الرجل الذى يملك ثروة «وليس دخلا» تزيد قيمتها عن مليون جنيه . فاذا تصورنا أن متوسط ما يملكه الفرد الواحد من هؤلاء الخمسمائة هو مليونان من الجنيهات « وهـو فرض متواضع جدا لان بعضـهم كما نسمع يملك عشرات الملايين» أصبح مجمـوع الثروة التى يستحوذ عليها هؤلاء ١٠٠٠ مليون جنيـه ، واذا تصورنا أيضا أنه توجد الى جـوار هؤلاء الخمسمائة ـ بالضرورة ـ شريحة أخرى مـن أنصاف المليونيرات ، وفرضنا فرضـا جزافيا ، ولكن منطقيا ، أن عددهم ١٠٠٠ وثروة الواحد منم فى المتوسط ٥٠٠ ألف جنيه فقط صار حجم ثروة هذه الشريحة الاخرى ٥٠٠ مليون جنيه ، وأمكننا بالتالى أن نقول أن ١٥٠٠ أسرة تملك الان ما يناهز ١٥٠٠ مليون جنيه .. ان الـ ١٥٠٠ أسرة لا تمثل ٥ر فى المائة « نصف فى المائة » انما أقل من ٠٥ .ر فى المائة !

ثم هل تعلم حجم الثروات التى استولت عليهـا الدولة فى ظل ثورة ٢٣ يوليو منذ الاصـلاح الزراعى الاول الى تأميمـات الستينات الى الحراسات؟ لقد أعد **د . حسين الغمرى** فـى رسالته للدكتوراة محاولة مستفيضة لحصر كميه هـذه الثروة التى نقلت ملكيتها مـن أصـحابها الاقطاعيين والرأسماليين «ومعروف أن جزءا غير قليل من هذه الثروة لم يكن فى حوزة مليونيرات أو أشـباه مليونيرات » وكانت نتيجةهـذا الحصر للثروات المصادرة هى [٦] :الاصـلاح الـزراعى ٢٠٣ر٨ مليون جنيه زائد نقل ملكية أدوات الانتاج للقطاع العام ١٧٣ر٦ مليون جنيه زائد نقل ملكية بعض العقارات للقطاع العام ٥١ر٥ مليون جنيه زائد الحراسة المصادرة ٢٥ مليون جنيه ومجموع كل هذا ٤٥٣ر٩ مليون جنيه فقط لاغير ! وقد أوضح الدكتور الغمرى « أن هذه التقديرات تمثل الحد الادنى الا أنها عى درجة كافية من الضخامة لايضاح مدى عمق التغير الاقتصادى الذى أحدثته القوانين الاشتراكية سواء فى مراكز الثروة فى المجتمع المصرى ، أو فى توزيع الدخل القومى بين مختلف طبقات الشعب » . ولكننا مع ذلك لن نأخذ بتقديرات هذه الدراسة المتواضعة والتى نمثل الحد الادنى ، فهناك تقدير آخر كان الرئيس الراحـل جمال عبدالناصر قد أعلنه عام ١٩٦٤ « ولعله كان يبالغ لتبرير اجراءات التأميم » هذا التقدير يقول أن الثروات المؤممة تبلغ قيمتها ١٠٠٠ مليون جنيه وقد عقب على هذا بأنه لا يتصور، ولا يظن أن احدا يتصور أن المجتمع كان يمكن أن يحتمل ذلك «٧» .

والان .. ماذا فعلت الحكومة ، وماذا تنوى أن تفعل فى مواجهة هذا التمركز المتنامى للثروة فـى يد حفنة صغيرة ، والذى يخلق تناقضا طبقيا حادا ؟ ان طبقة المليونيرات الجدد لا تستثمر فى الانتاج ، ومع ذلك فكلما تحدثت الحكومة عن الاختلال بين الاستهلاك والانتـاج اتجهت الى الاجور وأشارت الى ارتفاع معدل الزيادة فيها،

ولم تشر بكلمة الى دخول هؤلاء المليونيرات ومن يحيط بهم . أيها السادة ان متوسط أجر المشتغل زاد على المستوى القومى بنسبة ٥ر٦ فى المائة وفى نفس العام «١٩٧٥» كان معدل التضخم ٢٠ فى المائة أى ان القيمة الحقيقية لمتوسط الاجر قد انخفضت ! أيها السادة ان الحديث عن رفع معدل الادخار القومى هراء ما لم تتجه السياسة الاقتصادية الى أصحاب هذه الثروات ومنعت تبديدها وتبديد دخلها فى الاستهلاك الترفى السفيه . الحديث عن التنمية والتخطيط أمر لا معنى له فى ظل مفاهيم الانفتاح التى تجعل للمليونيرات اليد العليا فى تحديد القرارات الاساسية . ان السياسة الحازمة، والرشيدة من وجهة نظر المصالح القومية العليا، فى مواجهة هؤلاء المليونيرات مسألة لا تمليه فقط الاعتبارات الاجتماعية، ولكن أيضا الاعتبارات الوطنية والاقتصادية والتنموية.

ولكن الحكومة بعيدة تماما عن هذا المنطق ، بل ان سياستها ودعايتها توطد الانقسام الطبقى الحاد ، وترسخ قدمه . لقد كتب صحفى بريطانى ان مسئولا مصريا كبيرا قال فى معرض الدفاع عن سياسة الانفتاح الاقتصادى انك تستطيع أن تشاهد الان عربات «رولزرويس» فى القاهرة وهو أمر لم يكن ممكنا ان يحدث فى مصر خلال العشرين سنة الماضية . الان أصبح للمصرى ــ كما يقول هذا المسئول ــ شراء سيارة رولزرويس مادام يملك المال اللازم .. يا لها من بشرى للشعب المصرى ! وهل يحق لنا بعد هذا ان نطلب معونات من الاخرين من أجل اقتصادنا الذى أرهقته الحروب وأوردته الدمار؟! لقد اضاف الصحفى البريطانى بعد هذه الفقرة عن العربات الرولزرويس « هو غير اشتراكى من قريب أو بعيد » أن الحد الادنى للاجر فى مصر ٤٥ قرشا وهو يمكن المواطن تقريبا شراء كيلو سكر!

ولقد كان بوسعنا أن نقول ان هذا الكاتب الاجنبى مغرض ، ولم يحدث أن مسئولا مصريا قال له ذلك، لولا أن التصرفات العملية والتصريحات المخلية لا تختلف ابدا عن هذا المضمون ، الا تتوالى تيسيرات استيراد سيارات الركوب الخاصة الفارهة رغم أن شوارع القاهرة لا تحتمل من الناحية العملية هذه الكميات المتدفقة ؟ ان القاهرة خلال عام ١٩٧٥ « حتى اكتوبر » ٧٩٠٤ سيارة ، أى أن معدل الزيادة خلال هذه السنة كان حوالى ١٥ فى المائة [8] ويقال أن اسرة مصرية واحدة استوردت لحسابها الخاص ١٧ سيارة[9] «كم يبلغ دخل هذه الاسرة ؟! » وما لنا نذهب بعيدا

وقد زاد عدد السيارات المخصصة للوزراء خلال السنوات الاخيرة ، واستبدلت ايضا بسيارات افخم ، وكذلك الحال مع رؤساء المؤسسات والشركات حيث اختفت سيارات نصر وحلت محلها البيجو والمرسيدس !

وقد تساءلت بحق لجنة الرد على بيان الحكومة «ايعاون فى حل مشكلة المواصلات مثلا مزيد من تشجيع استيراد سيارات الركوب الخاصة تزدحم بها طرقات ضيقة فى بلد اكتظ بالسكان وتشغل حيزا فى الطريق لا يتناسب مع عدد الاشخاص الذين تنقلهم ، بينما يقف العشرات من المواطنين امام محطات الركوب فى انتظار وسيلة لنقلهم الى مقار أعمالهم؟ أم يكون الحل على النقيض فى تشجيع استيراد سيارات نقل الركاب العامة التى يمكن ان تتسع للمئات وتشغل ــ على أساس حساب الفرد ــ حيزا أقل من الطريق وحتى لا تضاف الى مشكلة وسائل النقل مشكلة انشاء الطرق التى تستوعبها. لقد أثار هذا التساؤل عند اللجنة ما قدمه المسئولون من بيانات امام لجنة النقل والمواصلات من أن القاهرة يسير فيها مائة ألف سيارة بين خاصة واجرة تحمل مائتى ألف مواطن بينما يسير فيها عدد ١٢٠٠ اتوبيس لحمل ثلاثة ملايين مواطن » . وقد استخلص من هذا أحد اعضاء مجلس الشعب «١٠» نتيجة طريفة : فقد أصبح ما يخص الفرد من أصحاب السيارات الخاصة والاجرة من الطريق حوالى ثلاثة امتار مربعة، وما يخص الفرد من مستعملى السيارات العامة حوالى سنتيمتر واحد مربع!.

هذه السياسة الاقتصادية تقودنا الى مادا ؟ انها تقودنا بالقطع الى مصر قبل عشرين عاما، وهذا الكلام ليس من عندى فان قائله وزير مسئول ، ولكنه لا يصرح بهذا على سبيل الاستنكار كما فعل امثالنا ، ولكنه يقوله على سبيل الاستبشار واشاعة «البهجة» ان السيد **زكريا توفيق** وزير التجارة يقول مترحما ان « القاهرة قبل ٢٠ عاما كانت زاخرة بكل شىء، مدينة الذوق والموضات وملتقى الطبقات الراقية، أريدها مدينة مزدهرة اسواقها مليئة بكل ما هو موجود فى عواصم العالم المتحضرة » ! ولن نعلق نحن على تصريح الوزير هذا الى جريدة الاخبار، لن نقول له ان البلاد المتحضرة التى يتحدث عنها، لا يوجد فيها ايضا ملايين من العمال والفلاحين على حافة الجوع وان أمامنا طريقا طويلا من التنمية قبل أن يحق لنا التمتع بأنماط الاستهلاك التى وصلوا اليها ، ولن نسأل الوزير عن قصة الطبقات الراقية التى يتحدث عنها. اننا سنقول فقط أنه حتى **ابراهيم الوردانى** استنفر ليكتب فى الجمهورية

« أية قاهرة تلك التى كانت موجودة ويريد صديقى الوزير أن يعود بها الينا ؟! » .

زيـادة معـدلات الانحـراف

● حديثنا بعد هذا عن الفساد الذى استشرى وفاح ، وأصبح حديث العالم العربى والخارجى ، الذى نطلب أن ندخل معه فى أعمال مشتركة، ماذا فعلت الحكومة الحالية فى هذا المجال ؟ لقد أعلن السيد رئيس مجلس الوزراء فىبيان حكومته أمام مجلس الشعب أن الحكومة ستلتزم «بمواصلة» اتخاذ الاجراءات لمكافحة التسيب والانحراف، وضرب أمثله بالمضاربة والمغامرة والتهريب والاتجار فى السوق السوداء والتلاعب فى اقوات الجماهير والتهرب من الضرائب وتكوين ثروات لا تقوم على الجهد المشروع وتبنى على الفساد . ونحن نسأل بمنتهى الجدية عن المقصود بكلمة « مواصلة» . هل يعنى هذا أن الحكومة قد اتخذت بالفعل خلال توليها المسئولية عام ١٩٧٥ اجراءات مشددة ضد كل هذه الانواع من التسيب والانحراف التى عددها البيان دون أن يلحظ الشعب شيئا من هذا ؟ ثم ان الغريب فى الامر هو ان رئيس مجلس الوزراء ينفى علم الحكومة بأى واقعة فساد او استغلال نفوذ حتى فى الامور التى لا تخفى على أى مواطن بسيط فهو يقول مثلا : « فى الحقيقة لم يصل الى علمى آية واقعة تفيد استغلال أى مسئول فى موقعه للاستفادة من المجمعات الاستهلاكية » . ونفس الشىء بالنسبة للعمولات : لقد أصبحت العمولات مثار الشكوى والتهكم من كل المستثمرين الاجانب والعرب وكل الصحفيين والمراسلين الاجانب بل أنها ايضا حديث الشارع فى مصر ، ومع ذلك فان السيد ممدوح سالم يقول : « اما بالنسبة للعمولات وما قيل عنها ، فأود أن أقول ان الحكومة ليست لديها أية معلومات عن أن شخصا تقاضى عمولة ، ولم يتخذ اجراء ضده ، ثم يضيف « واذا كان لدى الصحف أو لدى من نشروا عن موضوع الـ ... ٢٠٠ مليون جنيه عمولات أى دليل فيمكنهم تقديم هذا الدليل » . هل يعقل مثل هذا الكلام ؟! ان الحكومة اذا كانت فعلا لا تعلم فانها مصيبة . واذا كانت تعلم فأن المصيبة اعظم ، وللاسف فاننا فى الحالة الثانية ، اى أن المصيبة اعظم ! فتقارير الاجهزة الرقابية مليئة بالوقائع وقد أكد هذا السيد **عبد السلام الزيات** فى كلمته أمام مجلس الشعب «١٢» وقد كان الزيات فى قمة المسئولية ويعلم بالتالى عم يتحدث . ثم أن السيد رئيس مجلس الوزراء يطلب من الصحافة اثبات ماذا ؟ أليس الاولى أن يطلب هذا الطلب من د. زكىشافعى «وزيرالاقتصاد» ؟ لقد نشرت الصحافة هذا الخبر عن الـ ... ٢٠٠ مليون جنيه عمولات نقلا عن الدكتور زكى شافعى ولم يصدر الوزير تكذيبا لهذا التصريح .

أن شائعات خطيرة تجتاح الراى العام وتمس نزاهة الحكم ، والحكومة لا تبادر بتوضيح ما عندها . فماذا يعنى هذا؟ لقد اثار د . **محمود القاضى** «١٣» مثلا احدى هذه الشائعات حين طالب الحكومة بأن تقدم للمجلس بيانا عن مكاتب التوكيلات والاستشارات ، وقال أن « هناك مكاتب استشارات ولكن تلك المكاتب لا علاقة لها بالاستشارات وانما هو تنظيم لعمليات الوكالة ولا اعرف ما هو الذكاء والنبوغ الذى ظهر فجأة على بعض صغار السن من العباقرة والاصهار ، انني اطالب الحكومة أن تقدم الى المجلس بيانا باسماء أصحاب هذه المكاتب الذين ظهرت عبقريتهم مبكرة فى مكاتب التوكيلات أو الاستشارات وان يتضمن البيان المذكور عدد وحجم العمليات التى قام بها هؤلاء الاشخاص وشركاتهم الجديدة منذ ١٩٦٧ حتى اليوم ، وذلك حتى نكون على بينة من الامر وحتى تقطع الالسنة التى قد تتطاول على أناس شرفاء ، ويجب أن يتضمن البيان ايضا حجم العمليات التى قامت بها هذه المكاتب مع الحكومة او القطاع العام » .. ولقد وعدت الحكومة بعد الحاح من محمود القاضى بتقديم البيان المطلوب ولا شك انه سيكون حدثا هاماء ولكن الحكومة طلبت مهلة لاعداده مع ان المفروض أن تكون قد بادرت منذ زمن باعداده ودراسته بل واتخذت اجراءات اذا كان الامر يتطلب فالقضية موضع حديث عام قبل أن نثار فى مجلس الشعب .

لقد أصبح امرا عاديا ان يقال اخطر الكلام امام كبار المسئولين ، ووجها لوجه .. ومع ذلك لا يستفز واحد منهم ويرد أو يغضب أو يكذب : عضو فى مجلس الشعب « عباس المصرى » يقول فى جلسة علنية رسمية أو هناك ١٠ أو ١٥ آسرة مصرية تقيم فى أوروبا والولايات المتحدة تتحكم فى تجارتنا الخارجية «فلا نستطيع أن نعقد صفقة واحدة فى الخارج الا اذا وقع عليها نفر من هؤلاء وهم بعيدون تماما عما نقوله ونفرضه من ضرائب » .. ثم يضيف العضو الى هذا الكلام الذى لو صح لكان أمرا فى غاية الخطورة « ان بعض هذه الاسماء لها نسب جديد فى مصر» .. واذا كان صحيحا كل هذا او بعضه ، فأنه محق تماما اذا خلص الى أنه « لا يمكن ان تكون هناك خطة او موازنة حقيقية بينما السرقات تحدث علنا والملايين مبعثرة هنا وهناك وموائد القمار فىفرنسا يخسر عليها البعض عشرين الفا من الجنيهات كل ليلة».. ماذا كان رد الوزراء الحاضرين؟ الصمت .. لا تعليق!

ان المطالبة بمحاربة الفساد الذى ينهب اموال الشعب ويبددها ، هو الامر الذى يملكه امثالنا ،

اما الحكومة فليس دورها أن تطالب ؟ وليس من حقها أن تصمت ، وليس من حقها اذا تكمت ان تقول انها لا تعلم ، واذا تحركت فان حربها للفساد لابد أن تزيد عن الحرب بالتصريحات والتحذيرات .. ما هو مصير قانون الكسب غير المشروع ؟ ونحن نفضل الاسم الشعبى لهذا القانون : من أين لك هذا؟ لان هذا الاسم ادق تعبيرا عن مقصدنا،وهو افصاح عن سؤال يطرق رؤوسنا فعلا كل يوم عشرات المرات اثناء تحركنا فى المجتمع . ما هو مصير هذا القانون الذى صدر ولم يطبق ، ثم عدل بعد تردد شديد ، وصدر فى طبعة جديدة قيل أنها تنتظر اللائحة التنفيذية، ثم صدرت اللائحة وقيل انه سيطبق ابتداء من أول نوفمبر ولكننا لم نسمع بعد عن أى نتيجة . سيقال ان الاجهزة المنفذة قليلة العدد والحيلة، ونحن نوافق .. ولكننا نزعم ان تطبيق توجيهات الرئيس السادات فى أن تبدأ العملية بمراجعة اقرارات كبار المسئولين فى الدولة يحل هذا المشكلة ، فمهما كان عدد القائمين على تنفيذ القانون محدودا فانه سيكفى لمراجعة هذه الاقرارات . والتعب سيكتفى – فى المرحلة الاولى – بالاطمئنان الى نزاهة أصحاب المسئوليات الكبرى ، ففى هذا وحده صلاح نصف الخراب . فهل نفذت الحكومة هذا التوجيه منذ نوفمبر حتى الان؟ واذا كانت قد فعلت ، هذا كانت النتيجة؟ هل ثبت فعلا أنه لا يوجد مسئول واحد تحيط به الشبهة ؟ نرجو أن يكون الامر كذلك . ولكن ينبغى أن يعلن هذا ، ويا ليت هذه الاقرارات تعلن أيضا حتى نطمئن ، اذ أن صدور حكم شامل بالبراءة سيبدو صعب التصديق . دعونا من اثبات مصدر الملكية، فقد يثبت الجميع أن مصدر ما يملكون شريف وحلال ، والاجهزة المراجعة قد لا تملك صلاحيات البحث والتحرى . ولكن هل يمكن أن يثبت من بحث الاقرارات ان كل المسئولين، وكل الوزراء السابقين والحاليين، لم يتجاوز الدخل السنوى لاى منهم ١٠ آلاف جنيه ؟ ان اى مواطن يستطيع فورا أن يشير بأصبعه الى عدد من كبار المسئولين الحاليين او السابقين الذين يزيد الدخل السنوى لكل منهم عن هذا المبلغ الهزيل بلا أى حاجة الى تحريات . ولابد أن الاقرارات قد أثبتت ذلك ، ولابد أنه ثبت – وفقا لذلك – انهم كانوا متهربين من آداء الضرائب ، اذ لم يحدث ان أقر ممول واحد فى الدولة المصرية بأن دخله وصل او تجاوز مستوى الـ ١٠ آلاف جنيه حتى يتجنب تصاعد ضريبة الايراد العام التى تستولى على ٩٥ فى المائة فى شرائح الدخل العليا . هل تشددت الحكومة فى محاسبة كبار المسئولين الذى ثبت من اقراراتهم انهم تهربوا من الضرائب ؟ ان هذا هو أضعف الايمان ونحن نرضى به ، وهو يكفى فى أى دولة متحضرة الى اقصاء المسئول المتهرب عن منصبه بعد استيفاء حق الدولة والشعب منه .

بالله افعلوا اى شيء! لان استمرار الاشاعات والاخبار عن التسيب فى المستويات العليا ، قد نشر الانحلال فى المستويات الادنى. هذا امر طبيعى لايحتاج الى دليل.بل ان الملاحقة لهذا الانحلال – فى المستويات التى تخضع تقليدا لهذه الملاحقة بدأت تتقاعس فبينما نشهد بأعيننا تزايد معدلات التسيب والانحراف نجد أن ما وصل الى النيابة الادارية وتناولته بالتحقيق لم يتجاوز عدده٥٩ حالة ، فى مجال جرائم التزوير فى عام ١٩٧٤ .. وكان الرقم المقابل عام ١٩٧٣ يساوى ٢٦١ اى نقص عدد التحقيقات بنسبة ٧٧ فى المائة فهل صحيح ان التزوير نقص ولم يزد.. واذا نقص فهل نقص بهذه النسبة ؟ ان نقص عدد الملاحقات والتحقيقات قد امتد الى كافة المجالات ففى جرائم الاختلاس انخفض العدد الى ٣٢٨ عام ١٩٧٤ وكان ٤١٢ عام ١٩٧٣ اى أن النقص بنسبة ٢٠ فى المائة ، وفى مجال الرشوة كانت الارقام فى نفس العامين ٥٥ و ٦٤ بنقص ٢٠ فى المائة.وفى جريمة السرقة هبط الرقم فى عام ١٩٧٤ الى ٢٨١ حالة وكان ٣٨٢ عام ١٩٧٣ بنقص ٢٧ فى المائة وفى الاهمال صار الرقم ١٥١ وحان ٢٥٠ بنقص ٤٠ فى المائة.. وحتى فى المخالفات التى نلمسها باليد . فهل هناك شك فى ان مخالفات السيارات التابعة للحكومة والقطاع العام قد تزايدت وتزايد استخدام هذه السيارات لغير أغراض العمل؟ هل هناك شك فى هذا ؟ ان التحقيقات التى أجرتها النيابة الاداريه هبطت الى ٧١٠٣ تحقيقا عام ١٩٧٤ وكانت ١١٠٠٣ عام ١٩٧٣ أى بنقص ٦٤ فى المائة «١٤» .

كيف يعقل هذا الكلام ؟ الجرائم والانحرافات تزداد وعدد الجناة أو المتهمين الذين يواجهون بالمساءلة يقل ؟! طبعا .. ليس من حق الحكومة الحالية أن تقول أن هذا هو حال عام ١٩٧٤، فاننى اتحدى أن تكون أرقام ١٩٧٥ التى لم تعلن بعد أقل دلالة عن استمرار نفس الاتجاه .

● وبعد....

لقد اثبت **د. محمود القاضى** فى تقرير لجنة الخطة والموازنة انه معارض لمشروعى الخطة والموازنة المقدمين من الحكومة، وحين شرح

الحيثيات الموضوعية لهذا الرفض فى اجتماع المجلس ، علق السيد رئيس مجلس الوزراء بأن الدكتور القاضى قرر « ان الخطة لن تؤدى الى تنمية الاقتصاد القومى بل ستؤدى الى تنمية ثروات بعض الافراد على حساب غالبية الشعب . » وانني اعتبر هذا القول موجها فى الحقيقة الى الحكومه واقرر أن هذه الحكومة حكومة وطنية» «ان الحكومة لا تخطط لفئة معينة وانما تخطط للقاعدة الشعبية الكبيرة والجماهير الكادحة وهى تمثل اكثر من ٨٠ فى المائة من سكان مصر ، اننا نخطط للاتجاه العام ولا نخطط ابدا لفئات على حساب باقى أفراد الشعب ».

ان هذا التعليق يعتبر ردا أيضا على ما جاء فى هذا المقال ، رغم أننا كنا بصدد عام ١٩٧٥ واجلنا حديثا عن خطة عام ١٩٧٦ الى مقال قادم .

ولكن لا شك أننا نعلن منذ الان أننا نتفق تماما مع الدكتور محمود القاضى ، وسياسة هذا العام وخطته ، ستكون كسياسة العام الماضى وتؤدى الى تنمية ثروات بعض الافراد على حساب غالبية الشعب ، ومن ناحية آن هذا الكلام موجه الى الحكومة . فانه بالقطع موجه اليها . ويعلم الله اننا نقول هذا وعيننا على أرضنا التى لازالت محتلة، وعلى محاولات الاحتواء التى تدبرها القوى الامبريالية لاجهاض دورنا التحررى القيادى . اننا نقول هذا الكلام وبكل الصراحة، لاننا ندرك اهمية الوحدة الوطنية فى مواجهة التحديات ، ولكن الوحدة الوطنية ومصالح الطبقات الكادحة لن تتحقق الا بسياسات محددة واجراءات عملية، والوحدة الوطنية لن تتدعم أبدا اذا استمرت السيادة لهذا الانفتاح والـ ٥٠٠ مليونير .

المصادر

١ــ ممدوح سالم : مناقشات بيان الحكومة مضبطة مجلس الشعب جلسة ٩ نوفمبر ١٩٧٥ الصباحية .

٢ ــ د . أحمد أبو اسماعيل : البيان المالى والاقتصادى عن مشروع الموازنة العامة للسنة المالية ١٩٧٦ ــ ص ١٠

٣ ــ انظر مقال عادل حسين ــ الطليعة ــ عدد اكتوبر ١٩٧٥ .

٤ ــ البيان المالى مرجع سابق راجع الجدول ص ٢٨

٥ــ التقرير العام للجنة الخطة والموازنة عن السياسة المالية لمشروع الموازنة العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٤ ــ ص ٢٠

٥ ــ د . ابراهيم عبده : الاخبار ٢١ ديسمبر ١٩٧٥ .

٦ــ حسين ابراهيم الغمرى : دراسة الطلب وتقدير الاستهلاك خلال خطة التنمية والتحول الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة رسالة مقدمة للحصول على الدكتوراه تجارة عين شمس ١٩٦٦ ص ١٦١ .

٧ ــ خطاب جمال عبد الناصر ٧ التحول العظيم ــ دار المعارف ــ ص ٥٦

٨ ــ الاهرام ٣ يناير ١٩٧٦ :

٩ ــ عباس المصرى : مناقشات الخطة والموازنة ــ مضبطة جلسة ٢٩ ديسمبر الصباحية

١٠ ــ د . صفوت محى الدين : مناقشة بيان الحكومة مضبطة جلسة ٨ نوفمبر المسائية

١١ ــ مناقشة بيان الحكومة ــ المضبطة السابقة .

١٢ــ عبد السلام الزيات : مناقشة الخطة والموازنة ــ مضبطة جلسة ٢٨ ديسمبر الصباحية

١٣ــ د. محمود القاضى ــ مناقشة الخطة والموازنة ــ مضبطة جلسة ٢٧ ديسمبر ١٩٧٥ الصباحية

١٤ ــ التقرير السنوى للنيابة الادارية عن عام ١٩٧٤ ــ الاهرام ٢٤ ديسمبر .



الهجوم على أنجولا

الى الهجوم على لبنــان ٠٠ وبالعكس

تسنعيد خيــال

نشرت جريدة الاهرام فى ٩ يناير تصريح وزير الخارجية الامريكية لمراسل صحيفــة بديعوت أحرونوت الاسرائيلية. قال دكتور هنرى كيسنجر :

«ان وقوف الحكومة الامريكية مكتوفة الايدى ازاء الصراع الدائر فى أنجولا قد يؤدى الى نتائج خطيرة للغاية بـالنسبة لاسرائيل . وأوضح كيسنجر أن الاتحـاد السوفيتى سيمارس ضغوطا على واشنطون للحصول على تنازلات فى الشرق الاوسط فى حالة ما اذا استمر العجز الامريكى بشأن اتخاذ «موقف حازم فى أنجولا» • وقــال بالنسبة لمناقشات مجلس الامن القادمة حول أزمة الشرق الاوسط أن الذى سيدور يوم ١٢ يناير ليست سوى مباراة لكرة القدم للدور الثــانى« ربما الاصـح مـن الدرجــة الثانية ــ الكاتب » حيث أن المهم حقا بالنسبة للشرق الاوسط هو ما يدور حاليا فــى أنجولا » .

هذا التصريح يكشف المواقف ويضع الحقائق عارية لمن يريد الصدق . ويبطل دعايات كثيرة تملا الساحة العربية لربطها بعجلة أمريكا.

وهذا التصريح الهام لا يحتاج لتحليل وانما نوضحه بشيء من التفصيل ، فنطرح الاسئلة ونأخذ الاجابات عليها من نص التصريح •

س : من أية زاوية فى الشرق الاوسط نظر كيسنجر لما يدور فى أنجولا ؟

جـ: فقط من زاوية مصلحة اسرائيل •

س : ما نتائج فشل السياسة الامريكية فى أنجولا؟

جـ : نتائج خطيرة للغاية بالنسبة لاسرائيل .

س : ولمصلحة من اذن تكون؟

جـ : هى لمصلحة العرب طبعا .

س : لماذا؟ لان الاتحاد السوفيتى فى هذه الحالة سيمارس ضغوطا على واشنطون للحصول على تنازلات فى الشرق الاوسط •

س: أيهما أهم بالنسبة لقضية الشرق الاوسط . مناقشات مجلس الامن فى ١٢ يناير أم ما يدور فى أنجولا؟

جـ : مناقشات مجلس الامن لعب كورة من الدرجة الثانية والمهم حقا هو ما يدور فى أنجولا.

س : وما الذى تفرضه المصلحة الوطنية على العرب بالنسبة لانجولا ؟

جـ: تفرض إنجاح الموقف السوفيتى بدعمه وتأييده ، ليس خدمة فقط لتحرير أنجولا وانما خدمة لقضية التحرير العربية •

ان الاتحاد السوفيتى واسرة الدول الاشتراكية

تدعم الجبهة الشعبية لتحرير أنجولا لانها هى التى تحملت القسط الاكبر فى محاربة الاستعمار البرتغالى وهى الان تخوض حرب التحريرضد غزو قوات جنوب افريقيا وتدخل القوى الامبريالية فى صف الحركتين العميلتين .. الاتحاد الوطنى ٠ والجبهة القومية

ان حكومة الجبهة الشعبية رفضت بحزم الاستقلال الشكلى مثلما فعلت الثورة المصرية الرائدة عندما رفضت أن يكون الاستقلال نشيدا وعلما فقط وناضلت لتحقيق الاستقلال الاقتصادى والثقافى أيضا . وفى هذا النضال الذى تقف ضده وعلى الدوام كافة القوى الامبريالية لا بديل عن الاعتماد على الاتحاد السوفيتى وسائر دول الاسرة الاشتراكية . هذا هو قانون عصرنا . ان عزل القوى الوطنية عن الكتلة الاشتراكية لا يخدم الا الاستعمار والرجعية. والا فمن أين تحصل حركات التحرر على السلاح الذى تقاتل به جيوش الاستعمار وأعوانه وكيف يتم تدريبها لاستيعابه . ومن أين تأتيها المساعدات الاقتصادية والعلمية والثقافية بالاضافة الى التأييد السياسى الفعال ؟

ان التستر وراء شعار عدم التدخل ٠ وارفعوا أيديكم .. لا يخفى حقيقة المواقف وبهذه المناسبة ليس صحيحا أن الحركة الشعبية فى أنجولا تقاتل من أجل الشيوعية . هذا افتراء الاستعمار العالمى وقد اتهمت به ثورة يوليو من قبل ٠ كذلك فاننا لا يجب أن ننسى الحصار الذى فرضه الاستعمار والصهيونية لقفل افريقيا فى وجه مصر، وكيف أن مصر كسرت هذا الحصار . كسرته بتضامنها مع حركات التحرر الافريقية وكان النجاح كبيرا حتى أن هذه الحركات كانت تنظر للقاهرة على أنها العاصمة الافريقية الكبرى للتحرر .

بين كفاح العرب وكفاح الشعب الانجولى صلة قوية نابعة من التأثير المتبادل بين حركات التحرر والتقدم فى العالم فى مواجهة الاستعمار والرجعية المرتبطة مصالحها به . وان غياب هذا الفهم يقود الى رؤية للمواقف والاحداث على أنها متفرقات بلا رابط ومتتابعات الواحد تلو الاخر بغير جامع . واخطار هذا المنهج فى التفكير كثيرة. منها غياب النظرة المستقبلية الشاملة ، وانعدام القدرة على الامساك بعناصر الموضوع ، بعوامل القوة والضعف وتطويعها جميعا لخدمة الهدف .

وحول قضية الشرق الاوسط يقال أن أمريكا ستحل القضية. وقيل ان أوراق اللعبة فى يدها٠. وأخذ اليمين الرجعى كلام البوليتيكا على أنه كلام فى الاستراتيجية . وتناسى أن هزيمة اسرائيل وحماتها ليست لعبة أوراق بل معركة امتدت عشرات السنين واقتضت من العرب الالوف من الشهداء والتضحيات والصراع ممتد والرئيس السادات هو القائل ايضا أنه صراع أجيال ٠

أحقا عباد الله أن أمريكا ستحل القضية للعرب ؟

لا يجوز استخلاص الجواب من مجرد الاقوال فما أكثر الوعود التى لا تتحقق. علينا اذن أن ننظر فى المواقف والافعال ، والاسئلة كثيرة ٠

● لماذا قاطعت الولايات المتحدة هيئة اليونسكو وأوقفت تمويلها بعد وقف عضوية اسرائيلبها نتيجة عدوانها المستمر على تراث الشعب الفلسطينى فى الاراضى المحتلة ؟

● لماذا دعت لمقاطعة منظمة العمل الدولية لقبولها اتحاد عمال فلسطين عضوا بها ؟

● لماذا استخدمت الفيتو الذى منع صدور قرار مجلس الامن بأدانة اسرائيل بعد غارتها بالطائرات علىمخيماتاللاجئينفىلبنان ؟

● لماذا نشطت مستخدمة الوعد والوعيد لمنع تعديل قرارى مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ وتهدد باستخدام الفيتو لكى لا ينص على الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، وعلى الجلاء عن جميع الاراضى المحتلة

● لماذا تتعقب الدول التى صوتت فى الجمعية العامة لهيئة الامم باعتبار الصهيونية دعوة عنصرية

وقد نشرت الاهرام يوم ١٠ـ١ نقلا عن صحيفة نيويورك تايمز أن هنرى كيسنجر قرر تخفيض المساعدة الامريكية فى المجالين الاقتصادى والانسانى لبعض الدول وذلك للاعراب عن استياء الحكومة الامريكية من تصويت هذه الدول على قرارات أصدرتها الجمعية العامة ..» ٠

● لماذا أسرعت بعقد اتفاق مع اسبانيا لتضمن الكوبرى الجوى لاسرائيل فىحالة الحرب بعدأن منعت حكومة الثورة فى البرتغال ذلك ؟

وعلى أثر الاتفاق مع اسبانيا صرح وزير الدفاع الامريكى أن الامدادات ستصل جوا الى اسرائيل اذا تجدد القتال فى ظرف ٢٤ ساعة أو ٤٨ ساعة. ٠ لست أذكر.

● لماذا تحول اسرائيل الى ترسانة لاحدث الاسلحة بمليارات الدولارات بعد عقد اتفاقية سيناء ؟

هذا ما أوحت به متابعة الموقف . ولعل القارىء يتذكر أمورا أخرى . ودلالة كل هذا واضحة . ان أمريكا لاتعمل على حل القضية لصالح العرب . وأنها لم تغير موقفها من اسرائيل .

والمهم طبعا هو الموقف الاستراتيجى. أما المواقف التكتيكية فهى طبعا فى خدمة الاستراتيجية ٠ ومادامت الاستراتيجية الامريكية باقية على حالها من دعم اسرائيل وضمان الغلبة لها على العرب ، فان تفسير تكتيكاتها بما يتناقض مع هذه الاستراتيجية هو اسراف فى السذاجة (*) يؤكد هذا الاستخلاص أنه وأثناء زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة أعلن د .كيسنجر أن

أمريكا لن تبيع لمصر السلاح الا بعد توقيع التسوية النهائية مع اسرائيل وكذلك أعلن أنها لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وعلى ضوء هذا يتعين النظر لسياسة الخطوة خطوة كما فهمتها وأرادتها السياسة الاسرائيلية . وهى قد أرادتها تنفيذا أمريكيا لما سبق أن أعلنته جولدا مائير قبل حرب أكتوبر ولا يزال يتردد على ألسنة القادة الاسرائيليين، وهو أن اسرائيل مستعدة للتفاوض مع العرب بدون شروط مسبقة ، ومع كل دولة على حدة ، مع رفض التسوية من الخارج . بدون شروط مسبقة معناها لا تسليم بالحقوق الوطنية الفلسطينية ولا وعد بالجلاء عن جميع الاراضى المحتلة. ومع كل دولة على حدة معناها تفادى مواجهة العرب متضامنين فى كتلة واحدة . واما رفض التسوية من الخارج فمعناها رفض تدخل مجلس الامن أو الكتلة الاشتراكية فى فرض تسوية عادلة.

وحقيقة ما أعلنته اسرائيل هو شروط اسرائيلية، وهى بالقطع الشروط المسبقة، التى سلمت بها سياسة كيسنجر . الا أن سياسة الخطوة خطوة طبقت لتكون فى الواقع الصياغة الحديثة لسياسة فرق تسد. لقد مضى أكثر من سنتين فى ظل هذه السياسة وحين نرصد ما تم خلال هذه المدة نجد أن هذه السياسة تمكنت من تجريد العرب من أقوى أسلحتهم :

١ ـ اقامت منظمة الدول المستهلكة للبترول واصبح لدى هذه الدول مخزونا منه يكفى لمدة سنة. وبالتالى فهذه الدول المساندة لاسرائيل لن تكون تحت ضغط سلاح البترول لو نشبت حرب فى الشرق الاوسط فهى باعتراف الجميع ان تستمر سنة.

والنتيجة أن سلاح البترول خرج من المعركة .

اما الارصدة الضخمة التى يملكها عرب البترول فهى موجودة فى هذه البلاد المستهلكة سواء فى شكل ودائع أو استثمارات . العرب اذن هم الذين فى المصيدة .

٢ ـ وحدة العمل العربى هى الان فى خبر كان. نشأت خلافات ملتهبة بين كل من مصر وسوريا وليبيا ومنظمة التحرير وخلافات مع الجزائر والعراق . وكذلك خلافات بين الجزائر والمغرب بسبب قضية الصحراء وخلافات بين دول الخليج بسبب حرب التحرير فى عمان .

٣ ـ وعن المؤسسات العسكرية العربية فانها تتبع السياسة . والتفرق حاصل . أين وحدة العمل العسكرى بين مصر وسوريا .. وأين القيادة المشتركة؟ وأين التنسيق والتخطيط مع منظمة تحرير فلسطين ؟

أضف الى هذا جو الاسترخاء العام وأثره على معنويات المقاتلين .

٤ ـ ويلحق بما سبق ضعف العلاقات مع الاتحاد السوفييتى والكتلة الاشتراكية

نستطيع القول اذن، أن سياسة الخطوة الكيسنجرية وان أدت الى مكاسب تكتيكية باتفاقات الفصل بين القوات على الجبهة المصرية والسورية ، الا أنها أوصلت لخسارة استراتيجية نستفيد منها اسرائيل والامبريالية .

لقد وصلت سياسة الخطوة خطوة الى نهايتها على كل حال . لكن الدكتور كيسنجر لف لفة أخرى . فبدلا من التركيز على عقد مؤتمر جنيف اقترح عقد اجتماع غير رسمى تمهيدا لعقد مؤتمر جنيف . وبادر الاتحاد السوفيتى برفض هذا الاقتراح باعتباره تحايلا وقطعا لطريق جنيف وبالتالى هروبا من التسوية العادلة . لكن لماذا هذا التسويف ؟ الظاهر أن المخطط المعادى لم يكتمل ويحتاج لبعض الوقت . يؤيد ذلك ما يجرى فى لبنان . ان الصراع بين اليمين واليسار ، بين الاغنياء والفقراء له أسبابه فى المجتمع اللبنانى ذاته . لكن أن يستغل هذا الصراع لاغراق العرب بعيدا عن المعركة الاصلية، معركة التحرير . فهذه مسألة أخرى . كذلك أن يستغل هذا الصراع لتوجيه الضربة القاضية للمقاومة الفلسطينية ، فترفع قوى اليمين الضالعة مع الاستعمار شعار حرب التحرير ضد المقاومة ، فهذا ما لا يمكن التسليم به أو السكوت عليه .

ان المقاومة الفلسطينية هى القوه العربية الوحيدة التى تعاظمت وحققت نجاحا كبيرا فى الرأى العام العالمى وعلى الصعيد الدولى . والمسلم به أن حقوق شعب فلسطين هى جوهر أية تسوية عادلة فى الشرق الاوسط . فاذا ضربت هذه القوة الفلسطينية فذلك يحقق خسارة مؤكدة للجانب العربى فى صراعه مع الصهيونية المتمركزة فى اسرائيل وحماتها . ومن هنا كانت خطورة ما يجرى فى لبنان . ان الشعار الذى يجب أن يرفع بشراحة وحسم هو : ارفعوا أيديكم عن المقاومه فى لبنان . كل الدعم والتأييد العربى للمقاومة .

وختاما لابد من العودة الى الاسلحة العربية المجربة فى حرب اكتوبر . لابد من تحقيق الوحدة العربية. وحدة العمل فى مواجهة الامبريالية والصهيونية. ولابد من بناء القوة العسكرية المشتركة وبخاصة على الجبهتين المصرية والسورية ، ولابد من الالتفات للجبهة الاردنية والسعودية ، مع تحديد دور كل الجيوش العربية فى المشرق والمغرب ، القادرة على الاسهام فى المعركة، ثم لابد من رأب الصدع فى العلاقات الاستراتيجية بين الاتحاد السوفييتى ومصر وغيرها من الدول العربية . بهذا وحده يكون الضغط على الاعداء، ويمكن الوصول الى ما يريده العرب ان سلما وان حربا .

□□ النظام الاقتصادى العالمى الجديد

قضايا النزاع العاجلة

د. اسماعيل صبرى عبدالله

نشأة فكرة النظام الاقتصادى العالمى الجديد وما دار بشأنها من اجتماعات دولية والاطار الاقتصادى والسياسى الذى يحيط بها ، كل هذا عرضناه فى مقال سابق «١» . وفى هذا المقال نحاول استعراض اهم القضايا موضوع النزاع حاليا بين الدول المتقدمة صناعيا وبين دول العالم الثالث . ولابد فى بداية الحديث من الاشارة الى أن الفترة ما بين الدورتين الخاصتين للجمعية العامة للامم المتحدة « ابريل ومايو ١٩٧٤ – سبتمبر ١٩٧٥ » شهدت عددا ضخما من الندوات والحلقات الدراسية والنقاشات عالجت جميعا العلاقات بين « الشمال والجنوب » وخاض عدد منها الى ما وراء الظواهر التى تشكو منها الدول النامية ليحال اسبابها فى الهيكل الحالى للاقتصاد الرأسمالى العالمى وفى استراتيجيات التنمية التى اتبعت فى ربع القرن الفائت فى معظم بلدان العالم الثالث . كذلك نظمت دراسات علمية استغرق كل منها عدة شهور من عمل فريق كبير من الباحثين المرموقين ، وظهرت نتائجها تباعا وان كان بعضها مازال فى مرحلة الإعداد للنشر . واخيرا تقدمت هيئات غير حكومية بعدد من المقترحات الهامة الجديرة بالتأمل والدرس .

أما الندوات والحلقات فأهمها فى تقديرنا :

١ – « **ندوة عن النظام الاقتصادى الدولى الجديد** » دعت اليها الحكومة الهولندية وانعقدت فى لاهاى من ٢٢ الى ٢٤ مايو ١٩٧٥ وقد شارك فيها عدد كبير من المسئولين الحكوميين والخبراء .

٢ – « **حلقة عن العلاقات بين الشمال والجنوب** » التى نظمها المعهد الاطلسى للشئون الدولية بباريس فى ١٣ يونية ١٩٧٥ . وقد ضمت عددا كبيرا من رجال الاعمال ومن الخبراء .

٣ – « **ملتقى الجزائر حول النظام الاقتصادى الدولى الجديد** » الذى نظمه المركز الدولى للتنمية بالاشتراك مع حكومة الجزائر فى الفترة من ٢٤،

---

(١) - الطليعة عدد نوفمبر ١٩٧٥

الى ٢٨ يونية ١٩٧٥ حضره حوالى أربعين خبيرا من العالم الثالث ومن الدول المتقدمة .

٤ ـ « **ندوة المنظمات غير الحكومية** » التى نظمتها الجمعية الدولية للتنمية باسم مجموعة المنظمات غير الحكومية المعترف بها لدى الامم المتحده والتى انعقدت اثناء انعقاد الجمعية العامة فى دورتها الخاصة السابقة ، بمبنى المنظمة الدولية بنيويورك فيما بين ٢ ، ١٢ سبتمبر ١٩٧٥ .

واهم الدراسات العلمية الجماعية التى اجريت فى هذا الشأن هى :

١ ـ « **تقرير مشروع داج همرشولد ١٩٧٥** » فقد خصصت مؤسسة داج همرشولد عملها فى العام الماضى كله لدراسةأوضاع الاقتصاد العالمى دراسة تحليلية ، تبدا بضرورة تغيير أوضاع الاقتصاد العالمى كلها ، ثم تعرض استراتيجيات التنمية البديلة ثم تعالج العلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وتنتهى بدراسة تطوير الامم المتحدة وهيئاتها المختلفة لخدمة التغيير المنشود . وقد قام بالدراسة فريق دولى من ١٨ خبيرا وانتهز الفريق فرصة ندوة لاهاى وملتقى الجزائر ليستشير عددا كبيرا من الشخصيات التى شاركت فيهما وفى مسودة التقرير . كما استشار الفريق عددا كبيرا من الخبراء خلال مراحل اعداد المشروع . ثم صدرت الدراسة قبل دورة الامم المتحدة الخاصة تحت عنوان « وماذا بعد ؟ » .

٢ ـ « **مراجعة النظام الدولى** » وهى دراسة نظمها « **نادى روما** » تحت قيادة الاقتصادى الهولندى **يان تنبرجين** « جائزه نوبل » وتولاها فريق من ٢٢ خبيرا من مختلف انحاء العالم . واتبع الفريق أسلوب موافاة بضع عشرات من الشخصيات ومراكز البحث فى عدد كبير من البلدان بمسودات العمل أولا بأول طالبا منهم التعليق عليها . وقدم الفريق تقريرا اوليا قبل انعقاد الدورة الخاصة للامم المتحدة ، وهو الان بصدد اعداد التقرير النهائى الذى ينتظر ان يظهر فى مطلع الصيف المقبل .

واخيرا فان أهم ما قدم من اقتراحات من هيئات غير حكومية هو الوثيقة التى أعدها فريق عمل خاص فى مدينة مكسيكو فى أغسطس ١٩٧٥ وصدرت باسم « **منتدى العالم الثالث** » وهو هيئة تم تأسيسها فى يناير ١٩٧٥ وتضم عددا من أبرز المشتغلين بالتنمية فى بلدان العالم الثالث وتستهدف تزويد تلك البلدان بفكر جديد وأصيل فى معالجة قضايا التنمية فى اطار الاستقلال الوطنى واحترام التقاليد الحضارية العريقة وتذويب الفوارق بين الطبقات .

ولعل هذا السرد السريع لمظاهر النشاط الفكرى الذى خلقه الدعوة الى نظام اقتصادى عالمى جديد يعطى تصورا لاهمية القضية وجديتها وصفتها الحالية التى تجعل منها موضع الاهتمام والدراسة والبحث والنقاش فى الدول المتقدمة وليس فقط فى عدد من الدول النامية التى تلعب دورا قياديا فى حركه العالم الثالث او فى حركه عدم الانحياز . لقد كان الموقف التقليدى للدول الراسماليه الكبرى وفى مقدمتها الولايات المتحده والمانيا الغربيه ان العلاقات الاقتصاديه الدولية تحكمها قوانين السوق العالمية . وهى قوانين طبيعيه تؤدى فى النهاية الى ما فيه خير للجميع وان تدخل فيها لابد ان يقضى الى اضرار اقتصادية . وان ما تشكو منه الدول النامية مرده قصور جهدها الاقتصادى عن تحقيق أهدافها الاجتماعيه وبالتالى كان الموقف التقليدى للدول المتقدمة منذ انعقاد « مؤتمر الامم المتحده للتجارة والتنمية » لاول مرة فى جنيف فى يوليو ١٩٦٤ هو رفض اى محاولة للتدخل من أجل تنظيم الاسواق العالمية . ولكن اوضاع الاقتصاد العالمى فى مكوناته الثلاث التى اشرنا اليه فى المقال السابق ، والتغير القوى شهدته علاقات القوى

بين العالم الثالث والدول الرأسمالية حمل بعض هده الدول على تعديل موقفها وقبول مبدا اعادة النظرة الشامله « وهذا هو موقف السويد » او تفهم مشروعية مطالب الدول النامية « **موقف** هولندا مؤخرا » أو على الاقل قبول مبدأ الحوار مع الدول النامية بديلا عن المواجهة « موقف فرنسا » . أما الولايات المتحدة فان الرأى فيها ينقسم داخليا بين من يرون فى الكساد الحالى ظاهره دورية سيتم استيعابها تدريجيا ويسترد الاقتصاد الامريكى « وتبعا له الاقتصاد الراسمالى العالمى كله » نموه وانطلاقته ابتداء من ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ويرتبون على ذلك أن اى تنازل أمام مطالب الدول النامية من شأنه ان يعطل السير الطبيعى لامور الاقتصاد . وبين من يرون فى ذلك الكساد ظاهرة هيكلية يمكن ان تمتد لسنوات طويلة عبر تقلبات محدودة فى المؤشرات الاقتصادية ، وان احد عناصر تلك الازمة يكمن فى نوعية العلاقات بين الشمال والجنوب التى قامت حتى الان على افتراض استمرار التوسع الصناعى فى

الدول الراسمالية اعتمادا على امداد غير محدود من المواد الاولية والطاقة تقدمه الدول النامية بأسعار رخيصة ومقاومة الكساد بالزيادة المستمرة فى الاستهلاك المادى على نحو ينطوى على تبديد هائل لموارد طبيعيه غير متجدده . وهذا الفريق يرى بالطبع ضرورة الحوار مع دول العالم الثالث ، وقد اجتذب اليه مؤخرا تأييدا من هنرى كيسنجر مما أدى الى تغير موقف الولايات المتحدة من مؤتمر باريس الذى دعا اليه الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان وقبول عدم اقتصاره على مناقشة مشكلة الطاقة وحدها ـ هذا ومازالت الدنيا الغربية قلعة الفكر المحافظ فى هذا الميدان .

فاذا التفتنا نحو العالم الثالث فاننا نشهد أيضا عددا من المواقف يتفاوت بين « الشدة » و « الاعتدال » ففى اقصى اليساريدعو بعض مثقفى العالم الثالث الى انفصال دولة عن النظام الاقتصادى العالمى . ويقوم تحليلهم على أن هذا النظام فى جوهره نظام راسمالى يعمل بانتظام على اثراء « القلب » Centre « اى الدول الراسمالية الكبيرة وبصفة خاصة الولايات المتحدة » وافقار « التخوم » Periphery « بقيه دول العالم » وعلى ذلك فلن يتخلص العالم الثالث من الاستغلال الا بتصفية الراسمالية العالمية تماما . ولما كان هذا الهدف مازال بعيدا ،فليس امام أى دولة نامية من سبيل لصون استقلالها ودفع الاستغلال عن شعبها الا الانفصال عن النظام العالمى ، أى حصر مبادلاتها الخارجيه فى أدنى الحدود . ويشير بعض هؤلاء الكتاب الى التجربه التاريخية للاتحاد السوفيتى حتى عشيه الحرب العالمية الثانية ، والى تجربة الصين منذ بداية الستينيات . ويلاحظ على هذا الراى ان العزلة الاقتصادية فرضت فرضا على الاتحاد السوفيتى وكان هدفه دائما كسر هذا الحصار وتشجيع المبادلات الخارجية . أما الصين فنعتقد ان لاوضاعها الداخلية دورا أساسيا فى انطوائها على نفسها ، وان كانت قد أخذت أخيرا تخرج عن عزلتها . وعلى أية حال فكلا الدولتين فى حجم قارة كبيرة يمكن نظريا ان تكتفى نفسها بنفسها . أما الغالبية العظمى للدول النامية فانها لا تملك أسباب الاكتفاء الذاتى . ومن ناحيه اخرى فان تقدم سبل النقل والاتصال بين الشعوب وتشابك المصالح على مستويات مختلفة يشكل اتجاها موضوعيا نحو دعم المبادلات الدولية وليس نحو تصفيتها . وبذلك تصبح القضية الواردة هى كيف يمكن ان تتم هذه المبادلات على نحو يحد باستمرار من استغلال الدول القوية للدول الضعيفة . وهناك على الطرف الاخر اتجاه يتبناه عدد محدود من المثقفين من أبناء العالم الثالث الذين بهرتهم الحضارة الغربية ووقعوا ضحية الظاهرة التى تسمى فى علم النفس « الاغتراب » Alienation فنفضوا أيديهم عن مستقبل شعوبهم أو حتى فروا بجلدهم الى حيث الرخاء المادى ، وهم يرون فيما تعانيه شعوبهم الدليل على عجزها أو فساد حكومتها أو افتقارها الى القيادات التنفيذية الكفؤة .. الخ .

وبين هذين الرأيين تجمع غالبية المفكرين والمسئولين فى العالم الثالث على ضرورة العمل على تغيير الاوضاع الحالية للعلاقات الاقتصادية الدولية لرفع الاستغلال الواقع على دول العالم الثالث . وداخل هذا الاجماع فريق يركز الضوء كله على سلبيات العلاقات الدولية ليخفى مسئولية حكومات دول العالم الثالث . وفريق آخر يرى على العكس **ان النظام الاقتصادى العالمى الحالى ثمره تاريخية لعملية واحدة هى تطور النظام الراسمالى العالمى التى ولدت التقدم من ناحية والتخلف من ناحيه أخرى . وبالتالى فان تطوير النظام الاقتصادى العالمى لن يتم الا بعمليه مزدوجة : علاقات دولية اكثر تكافؤا من ناحية ، واستراتيجيات تنمية جديدة فى العالم الثالث من ناحيه اخرى** . وحتى اذا كان الهدف الاخير هو تصفية النظام الراسمالى العالمى ، فان النضال من اجل هذا الهدف الثورى ، لا يجوز بحال أن يجعلنا نغفل كل الاجراءات الاصلاحية التى من شأنها فى المدى القصير والمتوسط أن ترفع من مستوى جماهير العالم الثالث .

وبعد رسم هذه الصورة السريعة للاطار الفكرى الذى تدور داخله المناقشات والمفاوضات حول النظام الاقتصادى العالمى الجديد ، يمكن أن ننظر فى القضايا موضوع النزاع حاليا .

«١» التجارة الدولية

ان أول ما يلفت النظر هو **ضآلة نصيب العالم الثالث من اجمالى الصادرات العالمية** ، بل وتناقص هذا النصيب فى السنوات الاخيرة . فقد كانت صادرات العالم الثالث الاجمالية الى بقية العالم فى سنة ١٩٦٠ تمثل ٢١,٤ فى المائة من اجمالى صادرات العالم ، ثم هبطت بالتدريج حتى وصلت الى ١٨,١ فى المائة فقط فى سنة ١٩٧٣ « قبل رفع اسعار البترول » . لقد كان تحرك الدول النامية منذ اعلان القاهرة سنة ١٩٦٢ يتم تحت شعار « التجارة بدل المعونة » فالفهم السائد فى ذلك

الحين هو أن مشكلة التنمية تحكمها فى المحل الاول الموارد المتاحة من العملات الاجنبيـة . وكان المصدر الاول الذى تعلقت به الدول النامية فى الخمسينات هو المعونات . ثم بدات فى الستينات بالعمل على الحصول على نصيب أكبر من التجارة الدولية ليكون مورد العملات الاجنبية الاساسى عندها هو ثمن صادراتها . والرقمان المذكوران أعلاه يعلنان على الملا اخفاق هذه الجهود . حتى اذا تركنا النسب جانبا ونظرنا الى الارقام المطلقة وجدنا ان قيمة صادرات دول العالم الثالث قد ارتفعت من ٢٧٫٥ الف مليون دولار فى سنة ١٩٦٠ الى ١٠٢٫٥ مليون دولار سنة ١٩٧٣ . ولكن اذا اخذنا فى الاعتبار معدل التضخم خلال هذه الفترة ، وليكن مقياسـه سـعر الـذهب بالدولار لتغيـرت الصـورة . فقـد ارتفـع سـعر الذهب بين هذين التاريخين بما يقارب ٣٠٠ فى المائة ومعنـى ذلك ان قيمة صـادرات العالم الثالث فى ١٩٧٣ بالاسعار الثابتـة لا تتجـاوز ٣٤٫٥ الف مليون دولار ، اى بزيادة قدرها سبعة الاف مليون على مدى ثلاثة عشر عاما .. واخيرا اذا أخذنا فى الحسبان ارتفاع اسعر المعدات والسلع المستوردة من الدول الصناعية بنسبة أعلى من ارتفاع اسعار صادرات العالم الثالث من المواد الاولية ، يتضح مدى التدهور الحقيقى الذى يعبر عنه بصورة تقريبية انخفاض النسبة المئوية لنصيب الدول النامية من صادرات العالم . والنتيجـة الطبيعية لهذا الوضع هو **العجز المستمر ، بل والمتزايد فى ميزان مدفوعات الدول النامية جميعا** باستثناء عدد محدود للغاية يتكون اسـاسا من الدول الغنية بالبترول ، مع قلة فى عدد السكان .

ومرجع هذه الاوضاع فى الاساس الى أن **المواد الاولية** تشكل الجزء الاساسى من صادرات العالم الثالث ، بالدقة ٧٥٫٤ فى المائة من اجمـالى صادرات تلك الدول فى سنه ١٩٧٢ . ولذلك كانت قضية المواد الاولية فى رأس قائمة القضـايا العاجلة التى تثيرها الدول النامية . وبناء على ما قرره مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز فى دورته الرابعة بالجزائر انعقد « **مؤتمر الدول النامية للمواد الاولية** » فى مدينة داكار فى فبـراير ١٩٧٥ . وقد اتضح من المناقشات أن القضية لها عدة جوانب .

■ فأسعار المواد الاولية بصفة عامة منخفضة وغير عادلة ولا تساير حركة الارتفاع فى أسعار المعدات للسلع الصناعية التى تستوردها الدول النامية من الدول الصناعية .

■ الفرق الشاسع بين السعر الذى تحصل عليه الدولة المصدرة للمواد الاولية والسعر الذى تباع به نفس المادة للمستهلك النهائى فى الدول الصناعية ، حيث لا يتجاوز الاول فى معظم الاحوال ١٠ فى المائة من الثانى . وهذا لا يرجع فقط الى الربح الناتج عن تصنيع المواد الاولية فى الدول الصناعية ، ولكن يذهب جزء كبير منه لخدمات النقل والتأمين والتسويق التى تتولاها جميعا شركات أجنبية ، بل ويذهب جزء منه الى خزائن الدول الصناعية فى شكل ضرائب « اظهر مثال على ذلك الضرائب الكبيرة المفروضة على المنتجات البترولية » .

■ التقلب الشديد فى اسعار المواد الاولية ، الذى كثيرا ما ينعكس فى شكل انخفاض مفاجىء فى حصيلة الدول المصدرة من العملات الاجنبية . وهكذا يصبح من المتعذر على تلك الدول ضمان انتظام تمويل خطط التنمية . بل قد يضع عددا منها فى حالة عجز عن شراء مستلزمات الحياة اليومية من غذاء او وقود أو نحو ذلك .

وقد انتهى **مؤتمر داكار** الى عدد كبير من التوصيات أهمها ما يلى :

– حق كل دولة فى تحديد الانتاج من مواردها الطبيعية ، لتفادى اغراق السوق .

– ضرورة العمل على تصنيع المواد الاولية محليا لزيادة القيمة المضافة .

– العمل على تحقيق سعر عادل لكل مادة أولية .

– اقامة « اتحادات منتجين » لكل مادة اولية أو مجموعة متقاربة من المواد الاولية على غرار منظمة الدول المصدرة للبترول « أوبيك » .

– تكوين مخزون احتياطى من كل مادة أولية لتقليل التقلبات فى الاسعار عن طريق التخزين عند انخفاض السعر عن حد معين ، والبيع من المخزون اذا تجاوز السعر فى ارتفاعه حدا آخر . اذ أن العبرة هى بانتظام الموارد من العملات الاجنبية ، وليست بالاستفادة العابرة من نزوة مضاربة ترفع الاسعار الى مستوى لابد أن يليه انهيار .

ومن ناحية أخرى اعدت السكرتارية العامة **لمؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنميه برنامجا متكاملا** لتثبيت اسعار عشر سلع أساسية . وقد قررت **الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها**

الخاصة السابقة فيما يتعلق بالمواد الاولية والتجارة تكليف السكرتير العام لمؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية باعداد الاقتراحات والاجراءات التنفيذية ليفصل فيها المؤتمر فى دورته الرابعة « نيروبى - مايو ١٩٧٦ » والتى ينبغى أن تشكل برنامجا متكاملا يحقق الاهداف التالية :

■ تكوين مخزون دولى من المواد الاولية لتفادى تقلبات الاسعار ولضمان سعر مجز وعادل للمواد الاولية ، والتدبيرات المالية اللازمة لذلك .

■ تشجيع العقود متوسطة الاجل وطويلة الاجل من المصدرين والمستوردين كوسيلة لتفادى التقلبات .

■ وضع ترتيبات مالية « للتمويل التعويضى » للدول التى يتأثر اقتصادها بانهيار سعر بعض صادراتها الاساسية .

■ تشجيع الدول النامية على تصنيع المواد الاولية والحصول على نصيب اكبر من عمليات النقل والتسويق والتوزيع .

■ وضع الاشكال العملية للربط بين أسعار المواد الاولية واسعار المنتجات الصناعية .
Indexation

■ وسائل دعم التجارة مع الدول الاشتراكية .

■ توضيح أثر هذه الاجراءات على الدول النامية التى لا تملك ثروات طبيعية واقتراح وسائل تعويضها عن اى اثر ضار يلحق بها .

وتعد توصيات الجمعية العامة - رغم العمومية فى صياغتها التى تجعلها أشبه باعلان مبادىء منها ببرنامج عمل - خطوة هامة أخذت بالتراضى العام . وكان معنى هذا التراضى ان الدول الرأسمالية قد قبلت مبدأ المناقشة فى هذا الموضوع بعد ان تمسكت طويلا بفكرة احترام قوانين السوق . وقد كانت تلك حجة واهية فالسوق العالمية للمواد الاولية تسيطر عليها من ناحية الطلب شركات عالمية متعددة الجنسية محدودة العدد ، تملك كمية ضخمة من البيانات والتوقعات الاقتصادية وتنسق فيما بينها • فى حين ان جانب العرض يدخل السوق متفرقا ، كل دولة فيه تلح عليها مشكلات الصناعة ، ولا تملك فى اغلب الاحوال اى دراسة عن توقعات المستقبل ولا تستطيع بمفردها ان تؤثر فى السوق . ولذلك كان من المنطقى ان ينظم المصدرون انفسهم فى مواجهة تنظيمات المستوردين كما هى الحال منذ عشرات السنين داخل اقتصاد كل دولة رأسمالية . فالمنافسة الحرة كما تصورها مؤسسو الاقتصاد السياسى منذ حوالى قرنين من الزمان قد افسحت المجال منذ أمد بعيد للمنافسة الاحتكارية التى شرح الاقتصاديون آلياتها بالتفصيل منذ الثلاثينات من القرن الحالى .

وثمة وجه آخر لمشكلة التجارة الخارجية للدول النامية وهو **تصدير المنتجات الصناعية** . وكانت الشكوى التقليدية للدول النامية هى ان الدول المتقدمة تقيم حواجز جمركية او كمية امم المنتجات الصناعية التى تصدرها الدول الناميه . ولكن موقف الدول الصناعيه فى هذا الشأن بدأ يتغير ، واخذت ترفع كثيرا من الحواجز ، بل وتشجع على قيام صناعات معينة فى العالم الثالث . وسنعود الى هذا الموضوع عند الحديث عن مشكلة التصنيع . وكانت الوسيلة الفنية لذلك هى ما سمى « **بنظم التفضيل العامة** » التى تلتزم بمقتضاها الدول المتقدمة بتخفيض الجمارك على وارداتها من بعض او كل الدول النامية ، مع احتفاظها بحق فرض حدا على الواردات . وأكمل صوره لها « اتفاق لوميه » الذى عقدته دول السوق الاوروبية المشتركة سنة ١٩٧٤ مع عدد كبير من الدول النامية ، والذى يسرى مفعوله لمدة عشر سنوات .

ولابد ان نضيف هنا ما لم تشر اليه مطالب مجموعة « السبعه والسبعين » فى حدود التجارة الدوليه . ففى وسع بلدان العالم الثالث ان تضغط وارداتها من الدول الصناعية لو كان بوسع حكوماتها ان تقرر سياسيا التخلى عن النمط الغربى فى الاستهلاك الذى تعمل الشعوب النامية كلها على فرضه ، وأن تحارب اجتماعيا « حمى الاستهلاك » « واللهث وراء « السلع المستورده » . واذا تمكنت بالتالى من مراجعة استراتيجيه التنمية فيها بحيث تقلل من الاعتماد على استيراد التكنولوجيا الغربية « المتطوره » حيث لا ضرورة لها ولما تستتبعه من معدات انتاج وسلع بسيطة باهظة التكلفة . ذلك ان التنمية ، بما فيها التصنيع ، لا تعنى بالضروره محاكاة الغرب فى كل شىء ، بل ربما كان نجاح التنمية على العكس **يتوقف على اختيار استراتيجية اخرى تزيد من** الاعتماد على النفس وتقلل من الاعتماد على الخارج وتخلص البلاد النامية من كابوس العجز المتزايد فى ميزان المدفوعات والسعى غير العقلانى وراء « العملة الصعبة » .

٢ - نقل الموارد ومشكلة المديونية :

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، اخذت الدول النامية التى حصلت على استقلالها تباعا تطالب

الدول المتقدمة بمعونات مالية من أجل التنمية . ومـ فتئت الدول المتقدمة تؤكد رغبتها فى مد يد العون المالى والفنى . كما نشأت داخل اسرة الامم المتحدة وخارجها هيئات كثيرة باسم المساعدة على التنمية والتعاون الاقتصادى والفنى . وبعد ثلاثين عاما شهدت مولد برنامج الامم المتحدة للتنمية . واقرار الجمعية العامة لعقد تنمية اول انتهى مع بداية السبعينات ثم لاستراتيجية تنمية تغطى عقد السبعينات الى جانب المئت من اتفاقيات التعاون الثنائية . تبدو الحصيلةبخيبة للامال . وثمة سوء فهم اساسى فى جذر تلك المشكلة . ففى نظر عدد كبير من الدول النامية تستند المطالبة بالحصول على موارد أجنبية من أجل التنمية الىفكرة استردادا وعلى الاقل تعويض جزء مما أخذته الدول الراسمالية من بلدان العالم فى فترة سيطرتها الاستثمارية عليها . وقد كان **الميثاق الوطنى** فى مصر أول الوثائق التى عبرت فى العالم الثالث عن هذا المعنى حين قال « بل أن شعبنا فى ادراكه لعبرة التاريخ يرى أن الدول ذات الماضى الاستعمارى ملزمة اكثر من غيرها بأن تقدم للدول المتطلعة الى النمو بعض ما نزحته من ثروتها الوطنية أيام كانت هذه الثروة نهبا مباحا للطامعين .. ان تقديم المساعدات واجب اختيارى على الدول المتقدمة . وهو اقرب ما يكون الى الضريبة الواجبة السداد على الدول ذات الماضى الاستعمارى ، تعوض به الذين استغلتهم عن طول استغلالها لهم . ولكن الدول الراسمالية الكبرى ترفض هذا المنطق ، وتعلن انها تقبل تقديم المساعدات باسم التضامن الانسانى فقط ، أى **كنوع من الاحسان الدولى** . وربما كان الجديد فى هذا الصدد تفهم بعض اجزاء الراى العام الغربى للخطر الذى تمثله الهوة المتزايدة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ، من خطر على رخاء الدول الغنية ذاتها بل وعلى السلام العالمى . وما لم يستقر فى ذهن جميع الاطراف ان نقل موارد حقيقية من الدول الغنية الى الدول الفقيرة أمر جوهرى لتقدم الاقتصاد العالمى وصيانة السلام والامن ، فان الحديث حول مساعدات التنمية سيظل نوعا من « حوار الصم » .

ومهما يكن من أمر فان الدول النامية تأخذ على النظام الحالى للمساعدات المآخذ التالية :

■ عدم وفاء الدول المتقدمة بما قررته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتخصيص ٧ر. فى المائة من الناتج السنوى الاجمالى لكل منها لمساعدات التنمية كحل وسط بين مطالبة الدول النامية بنسبة ١ فى المائة ورفض الدول المتقدمة الالتزام بأية نسبة . بل أن ما حدث بالفعل هو تناقص مستمر فى نسبة المساعدات الى الناتج القومى الاجمالى حتى وصلت الى حوالى ٣ر. فى المائة . واذا اخذنا على سبيل المثال اغنى الدول الراسمالية الكبرى وهى الولايات المتحده الامريكية . نجد ان نسبة المعونات الرسمية الى الناتج القومى الاجمالى هبطت من ٥٣ر فى المائة فى ١٩٦٠ الى ٤٩ر. فى المائة فى ١٩٦٥ ثم الى ٢١ر فى المائة فى ١٩٧٤ . وبالارقام المطلقة نجد رقم المساعدات الامريكية الرسمية كان ٣٤٧٤ مليون دولار فى ١٩٦٥ . ٣٤٤٥ مليون دولار فى ١٩٧٣ . فان اخذنا بدور التضخم فى الحسبان اتضح مدى التناقص . وفى دراسة قامت بها هيئة أمريكية خاصة هى « مجلس التنمية فيما وراء البحار » ثبت انه عند توزيع مساعدات التنمية الرسمية على عدد سكان الولايات المتحدة واحتسابها كجزء من الانفاق الشخصى فانها تمثل ٣ فى المائة من هذا الانفاق وتأتى فى الترتيب التصاعدى بعد ما ينفقه الامريكى المتوسط على الجنائز واجراءات الدفن « ٧ر٢ فى المائة » وقبل ما ينفقه على ادوات التجميل « ٥ر٤ فى المائة » فى حين يذهب ٥ر٢١ فى المائة من الانفاق الى المشروعات الكحولية . وقد شن الغرب حملة على دول الاوبك زاعما انها لا تقدم مساعدات كافية لتنمية بلدان العالم الثالث الاخرى . وللرد على ذلك يكفى ان نذكر أن ما تعهدت تلك الدول بتقديمه من مساعدات فى عام ١٩٧٤ قد بلغ ٨ر٢ فى المائه من اجمالى ناتجها القومى و ١ر١٢ فى المائة من ايرادات البترول . وكانت هاتان النسبتان على التوالى ٨ر١٥ فى المائة ١ر١٩ فى المائة فى الكويت ، ٤ر١٣ فى المائة ، ١ر١٥فى المائة فىالعربية السعودية ، ١. فى المائة ٦ر١١ فى المائة فى الامارات العربية المتحدة . ولم تهبط الى أقل من ١ فى المائة الا فى نيجيريا فحسب .

■ الجزء الاكبر من مساعدات التنمية تقدم على أساس اتفاقيات ثنائية بين الدولة التى تقدمها والدولة التى تتلقاها ، وهى فى حالات كثيرة محكومة باعتبارات سياسية ، حيث تميز الدول البلدان النامية الواقعة تحت نفوذها أو التى تسير فى فلكها . وخير مثال على ذلك ان ٥ر٣٠ فى المائة من اجمالى المساعدات الرسمية الامريكية خلال السنوات الخمس المنتهية فى آخر ١٩٧٣ قد ذهب الى ست دول على وجه التحديد : فيتنام الجنوبية كامبوديا ، اسرائيل ، اندونيسيا والفلبين . وهى قارئة تغنى عن كل تعليق . وقد لاحظ المراقبون أن فرنسا وهولندا والبرتغال كانت تحسب ضمن نسبة المساعدات التى تقدمها للتنمية ماتنفقه فى مستعمراتها . ولاستكمال الصورة لابد من

الاشارة أن أرقام المساعدات الكبيرة التى تتلقاها بعض الدول تتضمن كميات من الاسلحة بحيث تتكامل مع اتفاقيات « تعاون عسكرى » تغطى تكاليفها من بنود أخرى « كقروض بنك الاستيراد والتصدير الامريكى لتمويل مشتريات اسرائيل من اسلحة » .

■ وحتى فى الحالات التى ليس للمساعدات هذا الطابع السياسى الواضح ، تكون مساعدات التنمية الرسمية مقيدة بشرط صريح أو ضمنى هو الشراء من البلد الذى يمنحها . وهكذا فكل معونة ثنائية تتضمن اختيار نوع معين من التكنولوجيا ومواصفات معينة للمعدات بغض النظر عن كونها الافضل عالميا أو الانسب لظروف البلد ، الذى يتلقى المساعدة بل ان أتاحة تمويل أجنبى ولو جزئى يلعب فى احيان كثيرة دورا حاسما فى اختيار مشروعات التنمية ، حيث جرت بعض الدول النامية على اعطاء أولوية للمشروعات التى يتوافر لها تمويل أجنبى . **ويعنى ذلك أن أولويات التنمية لا تتحدد وطنيا فى ضوء الاحتياجات الحقيقية للتنمية المستقلة ، وانما تتحدد خارجيا بما تمنحه هذه الدولة أو تلك من تمويل بما لابد أن يؤدى الى تشويه التنمية واحتلالها ونثرها وعدم وفائها بتطلعات الجماهير .**

■ تنطوى المساعدات عادة على نسبة معينة تعد منحة غير مطلوب سدادها ، ولكن الجزء الاساسى منها يأخذ شكل قروض بشروط تتفاوت من حيث الاعتدال أو القسوة واذا اضفنا اليها القروض التى تتاح للدول النامية من مصادر غير حكومية تصطحب فى العادة بشروط اقسى من شروط القروض الحكومية لا ندهش حين تصل المديونية الخارجية للدول النامية الى الرقم الفلكى ١٢٠ الف بليون دولار ، وحين ثبت ان خدمة الدين ستبلغ سنويا أكثر من نصف ماتحصل عليه الدول النامية من مساعدات رسمية .

■ تثير الاستثمارات الاجنبية الخاصة قضية الشركات متعددة الجنسية وما تتسم به من شراهة فى الربح ، واهدار للمصالح الوطنية للدول التى تستثمر فيها وافساد واسع للمسئولين وتورط فى السياسة الداخلية لتلك الدول .

وربما كان افضل طرح لقضية نقل الموارد الحقيقية الى الدول النامية هو ماتضمنته « **مقترحات منتدى العالم الثالث بشأن النظام الاقتصادى العالمى الجديد** » فهو يحتوى على عدد من الافكار الجديدة والجريئة

ـ وأول اقتراح هنا هو ما يسمى ادخال « **عنصر الالية فى نقل الموارد** » **والمقصود منه توفير** موارد للتنمية متجددة ولا تتوقف فى كل سنة على قرار اختيارى من الدولة المانحة بحيث تستطيع الدول النامية ان تبنى خططها على تنبؤات معقولة فيما يتعلق بحجم المساعدات الخارجية . وهذه الالية تعنى فى الواقع انشاء نوع من الضرائب الدولية على الانتاج او الاستهلاك . وأول صورها وابسطها فرض اتاوة على استغلال الموارد الطبيعية التى تعد ملكا للبشرية فى مجموعها مثل موارد اعالى البحار « خارج حدود المياه الأقليمية » وموارد قاع المحيطات والموارد التى تستمد من الفضاء الخارجى . يلى ذلك فرض ضريبة ولو بسعر بسيط على انتاج الاسلحة وعلى الانشطة الانتاجية التى تؤدى الى تلوث البيئة فيما وراء حدود الدولة التى تمارس فيها ، وكذلك ضريبة على استهلاك الموارد الطبيعة غير المتجددة مثل البترول والمعادن ..... الخ .

والاقتراح الثانى يؤكد على ضرورة أن يكون توزيع الموارد على الدول النامية اساسا **بيد هيئات دوليه وان تتحول المساعدات الثنائية تدريجيا الى تلك الهيئات** . وذلك بشرط أساسى هو ان تكون ادارة تلك الهيئات ديموقراطية ، بمعنى أن يكون لمجموعة دول العالم الثالث الاغلبية فى سلطات اتخاذ القرارات بها .

ـ والاقتراح الثالث هو **دعوة مؤتمر دولى يضم أهم الدول الدائنة وأهم الدول المدينة** لمناقشة مشكلة المديونية الخارجية لوضع سياسة عامة لمعالجة هذه المشكلة تتضمن اطالة اجل السداد وتخفيض أسعار الفائدة ، بل الغاء جزء معين من تلك المديونية ، كل ذلك بالنظر للظروف الشاذة والشروط القاسية التى احاطت ببعض تلك القروض .

ـ والاقتراح الرابع هو الاتفاق على « **مجموعة قواعد سلوك** » **تحكم العلاقات بين الدول النامية والشركات متعددة الجنسية** ، وتنظم الاطار العام لعمليه استثمار رؤوس الاموال الاجنبية على النحو الذى يكفل الحقوق المشروعة للمستثمر ويحمى استقلال البلاد الناميه وحقها فى تشكيل مستقبلها الاقتصادى ، بارادتها الحره . ولابد أن يعقب ذلك اعادة النظر فى العقود الحالية التى تشذ عن القواعد المقترحة وتضر بمصالح الدول النامية .

ـ واخيرا تؤكد وثيقة « منتدى العالم الثالث » على أن **نقل الموارد يجب أن يكون فى خدمة التنمية وليس لتمويل بيع الاسلحة او السلع الاستهلاكية** ،

وان يتم وفقا للاولويات التى تحددها خطط التنمية القومية • وتدعو الدول النامية الى رفض المساعدات التى ليس من شأنها ان تخدم فى المدى الطويل اهداف التنمية الحقيقية •

وقد اثرت مقترحات «منتدى العالم الثالث» بعض الشيء فى مناقشات الدورة الخاصة السابعة للجمعية العامة للامم المتحدة . فقد اخذت بفكرة المؤتمر الدولى الخاص بالمديونية الخارجية ، وبضرورة أن يكون حجم المساعدات الخارجية المتاحة غير معرض لتقلبات سنوية حادة، واكدت على فكرة الاعتماد على الهيئات الدولية كقنوات رئيسية لتوزيع تلك الموارد مع الدعوة الى تطوير اوضاع البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، ولكنها تمسكت من ناحية اخرى بمطالبة الدول المتقدمة باحترام نسبة ٧ر. فى المائة من الناتج القومى الاجمالى التى يجب تخصيصها لمعونات التنمية . كما أنها قبلت اقتراح كيسنجر بانشاء صندوق خاص للتنمية يمول من مبيعات الذهب المملوك لصندوق النقد الدولى ومن مساهمات اختيارية من الدول المختلفة ومن الملاحظ أن وراء هذا الاقتراح فكرة ان الدول المصدرة للبترول ستكون المشترى الاساسى للذهب والمساهم الرئيسى فى الصندوق المقترح . ومن ثم فان توصيات الجمعية العامة فى موضوع مساعدات التنميه تبدو أدنى من المستوى الذى وصلت اليه توصياتها فيما يتعلق بالتجارة الدولية من حيث التحديد والقابلية للتنفيذ .

٣ ـ النظام النقدى الدولى

تأخذ الدول النامية على النظام النقدى العالمى كما اقامته اتفاقية بريتون وورز غداة الحرب العالمية الثانية أنه لا يفى باحتياجاتها . **فصندوق النقد الدولى يقصر اهتمامه على الاقراض لمواجهة العجز الطارىء فى ميزان المدفوعات** بغرض حماية العملات الوطنية للدول الاعضاء من الازمات المفاجئة وسعيا وراء تثبيت اسعار الصرف وتعميم قابلية العملات للتحويل الى عملات اخرى ، وتفاديا لاستخدام تخفيض قيمة العملة أو قيود التحويل كوسيلة فى المنافسة التجارية كما كانت عليه الحال غداة الكساد الاعظم « ١٦١٦ ـ ١٩٣٤ » . وهذا كله يمكن أن ينطبق على الدول المتقدمة . **اما الدول النامية ، فان العجز فى ميزان مدفوعاتها ليس**

ظاهرة طارئة :

بل هو أمر هيكلى لا يمكن استيعابه الا بعد سنوات طويلة . ومهما تحسن الدولة النامية ادارة نظامها النقدى وتعاملها الخارجى فلابد ان تعانى قدرا من العجز فى ميزان المدفوعات . وذلك لان هذه الدول كانت فى ظل السيطرة الاستعمارية تصدر مواد أولية وتستورد سلعا استهلاكية يحقق ميزانها التجارى فائضا يستخدم فى سداد أرباح رأس المال الاجنبى المستثمر فيها ، وحين تبدأ بعد الاستقلال عملية التنمية ، تحتاج الدولة الى استيراد معدات ومستلزمات انتاج ، اى يضاف الى وارداتها باب جديد هام لم يكن له وجود يذكر من قبل . ولا شك أنه يتعين على الدولة لمواجهة ذلك أن تضغط وارداتها الاستهلاكية الى الحد الادنى . ولكن يبقى بعد ذلك ان الحجم المطلق لوارداتها لابد ان يزيد أثناء مراحل التنمية الاولى . وفى الوقت ذاته تتسم الصادرات فى تلك المراحل بقدر كبير من الجمود . ولا تبدأ فى الزيادة الا بعد اقامة وتشغيل عدد كبير من مشروعات التنمية التى تحقق فائضا للتصدير أو تحل محل بعض الواردات . ومن ثم فان الدول النامية لا تستطيع تصفية العجز فى ميزان المدفوعات على نحو سريع الا اذا اوقفت التنمية بكل ما يعنيه ذلك من تدهور فى مستوى المعيشة فيها . وصندوق النقد الدولى يقنع بتقديم حلول قصيرة الاجل لمشكلة هى فى أفضل الصور متوسطة الاجل ، وفى اغلبها طويلة الاجل لكل هذا كان الطلب الاساسى للدول النامية هو ان يأخذ **صندوق النقد فى الاعتبار احتياجات التنمية ويخصص جزءا من موارده لقروض متوسطة الاجل او طويلة الاجل للدول النامية** • حقا ان البنك الدولى للتعمير والتنمية « وليس للانشاء والتعمير كما جرت العادة على تسميته لدينا » يمنح قروضا متوسطة وطويلة الاجل للتنمية ، ولكن قروض البنك تذهب لمشروعات محددة ، وتدخل فى اطار التمويل الخارجى للاستثمار ، ولا تساعد بشكل مباشر على مواجهة عجز ميزان المدفوعات . ولهذا تطالب الدول النامية بوجود نوع من الرابطة بين نشاط الصندوق والبنك . وقد تكونت بالفعل فى ١٩٧٤ لجنة مشتركة بين المؤسستين يطلق عليها اسم **لجنة التنميه** ، ولكنها لا تعدو ان تكون لجنة استشارية تصوغ توصيات تعرض على مجلس محافظى كل منهما . وهكذا تظهر المشكلة الاساسية وهى طريقة اتخاذ القرارات فى الصندوق والبنك . فالتصويت فيهما يتم على أساس حصة كل دولة فى رأس المال ، والولايات المتحدة الامريكية وحدها تملك ٤ر٢١ فى المائه ، ٦٦ر٢٢ فى المائة من القوة التصويتيه فى الصندوق والبنك على التوالى . فاذا اضفنا اليها بريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا واليابان تجمعت قوة تصويتية فى الصندوق تبلغ ٣١ر٤٤ فى المائة وفى البنك ٣٧ر٤٤ فى المائة ، أى تملك فرض أى

قرار . ولذلك لا عجب فى ان هذه الدول الخمس تجتمع من وقت لاخر لتحسم مشكلات النظام النقدى العالمى بعيدا عن بقية دول العالم التى يحكم هذا النظام معاملاتها الخارجية . وآخر اجتماع من هذا النوع هو الذى عقدفى « رامبوييه » بجوار باريس فى خريف ١٩٧٥ .

والواقع ان مشكلة النظام النقدى أعمق من هذا . فقد اعتمد فى الاساس على ما يسمى « **قاعدة الصرف بالدولار** » اى أن الدولار حل عمليا بعد الحرب العالمية الثانية محل الذهب كاحتياطى للعملات الوطنية . وكان هذا الوضع يعبر عن واقع الاقتصاد العالمى فى ذلك الوقت . فالولايات المتحدة كان قد تجمع لديها أربعة اخماس الذهب النقدى فى العالم «٢٤٫٥ الف مليون دولار» ومكنها ذلك من تثبيت سعر الذهب بالدولار على أساس الاوقية من الذهب الخالص بسعر ٣٥ دولارا ، مع حق كل حامل دولار ورقى فى أن يطلب تحويله الى ذهب . وكان الدولار مطلوبا عالميا نتيجة للوضع الاستثنائى الذى كانت تحتله الولايات المتحدة فى التجارة الدولية حيث كانت صادراتها فى ١٩٤٨ تمثل ٢٣٫٦ فى المائة من اجمالى الصادرات العالمية . ولكن امريكا استفادت من هذا الوضع فى المحافظة على معدلات نمو اقتصادى مرتفعة لعدة سنوات مع تصدير التضخم الى المتعاملين معها . فمن المعروف ان الدول الرأسمالية سارت طوال الثلاثين عاما الماضية على أسلوب واحد فى مقاومة التقلبات العنيفة الملازمة لطبيعة الاقتصاد الرأسمالى . فكلما ظهرت بوادر الكساد اتخذت الحكومة عدة اجراءات لتنشيط الاقتصاد القومى من بينها زيادة الانفاق الحكومى بما يسمى « التمويل بالعجز » اى طبع كميات اضافية من النقود . وبعد فترة لابد أن تظهر بوادر التضخم غير المحكوم فتلجا الحكومة الى اجراءات مضادة من بينها تخفيض الانفاق الحكومى . ونظرا لان الدولار كان يستخدم على نطاق واسع كاحتياطى للعملات الاخرى . فان جزءا هاما من كميات النقود الاضافية التى تصدرها الحكومة الامريكية كان يجد طريقه الى خزائن البنوك المركزية فى الدول الاخرى . وهذا بدوره يؤدى الى نتيجتين : الاولى استمرار الازدهار فى الاقتصاد الامريكى لفترة اطول دون ان تظهر عوامل تضخمية خطيرة . والثانية هى ان الدول التى يزيد احتياطيها من الدولارات يزيد النقد المتداول فيها ويظهر التضخم . ولما استردت أوروبا الغربية واليابان وضعها الاقتصادى ، اخذت تتخلص من احتياطى الدولارات بتحويله الى ذهب ، مما هبط برصيد الذهب فى الولايات المتحدة الى أقل من ١٠ مليون دولار فى ١٩٧١ . وساعد على ضعف مركز الدولار تراجع نصيب امريكا من الصادرات الدولية حيث هبط الى ١٣٫٦ فى المائة فى ١٩٧٣ . وهكذا اضطرت واشنطون الى تخفيض الدولار مرتين ثم الى وقف تحويله الى ذهب منذ ١٩٧١ . وأخيرا حملت حلفاءها على الاتجاه نحو استبعاد الذهب تدريجيا من النظام النقدى . ولما لم يكن ثمة عملة اخرى قوية نستطيع أن تحل محل الدولار ، اختل نظام بريتون وودز من أساسه وانطلق التضخم من عقاله ، ولم يفلح الكساد وانتشار البطالة بمعدلات لم يشهدها العالم الراسمالى منذ الثلاثينيات فى تصفية الاتجاه التضخمى وتثبيت العملات . وبالطبع تتحمل الدول النامية آثار هذا التضخم دون ان يكون لها اى سلطان على النظام النقدى العالمى . فاسعار واردانها تتزايد بشكل منتظم يفوق عادة ارتفاع أسعار صادرانها . ويكفى ان نشير الى ان التضخم قد ابتلع بالفعل حوالى ٣٥ فى المائه من الزيادة فى سعر البترول التى فرضتها دول الأوبيك . يضاف الى ذلك ان التضخم يقتحم اقتصاديات الدول النامية . ويتغلغل فيها بكل ما يترتب عليه من آثار اقتصادية « اهمها تعذر التخطيط والحسابات الاقتصادية السليمة » واجتماعية « اهمها الزيادة الكبيرة فى دخول رجال الاعمال وتدهور القوة الشرائية لمحدودى الدخل » .

ولهذا فان الحل الجذرى الذى يجب أن تتبناه الدول النامية هو الذى ذهب اليه « منتدى العالم الثالث » فى مقترحاته من اجل نظام اقتصادى عالمى جديد » . وحجر الزاوية فى هذا الحل هو ضرورة **خلق عملة دولية جديدة** . وقد اقرت الدول الراسمالية الكبرى صورة لهذه العملة تتمثل فيما يسمى « حقوق السحب الخاصة » التى يشرف عليها صندوق النقد الدولى « وتسمى احيانا الذهب الورقى » ويقدر سعرها كما لو كانت كل وحدة منها تتكون من اجزاء معينة من اربع عشرة عملة من عملات الدول الصناعية المتقدمة . ولكن هذه الصورة معيبة من حيث ان اصدار حقوق السحب الخاصة لحساب اى دولة محكوم بنسبة من حصتها فى صندوق النقد الدولى ، كما أنها تعتمد فى النهاية على عملات مجموعة محددة من الدول . ولم يعد الذهب صالحا ليلعب دور العملة الدولية الذى لعبه طوال قرون ماضية نظرا لان معدل زيادة انتاجه اقل بكثير من معدل نمو التجارة الدولية « مما يعنى ان استخدامه يؤدى الى انكماش حجم التجارة الدولية » ، ونظرا لان انتاجه يكاد يكون مركزا فى دولتين « الاتحاد السوفيتى وجمهورية جنوب افريقيا » . مما من شأنه أن يعطى لهما وضعا استثنائيا فى الاقتصاد العالمى . ويؤكد « منتدى العالم الثالث » على أن اصدار نقود عمل من أعمال السيادة ، ولذلك فليس

من المقبول أن تفرض دولة او مجموعة من الدول عملة معينة كعملة دولية . وانما يترتب على التسليم بفكرة العملة الدولية أن يكون حق اصدارها بيد الجماعة الدولية كلها . ومؤدى هذا انشاء **بنك مركزى دولى** يكون له حق اصدار هذه النقود . ويجب أن يكون ضمان العملة الدولية هو الطاقات الانتاجية الحالية والمستقبلة للدول الاعضاء . وكما أممت الدول الرأسمالية البنوك المركزية أو أخضعتها لسلطة الحكومة بحيث تدير السلطة السياسية أمور النقد والائتمان ولا تتركها لحملة أسهم البنك المركزى ، كذلك يجب أن تقوم ادارة البنك المركزى الدولى على أساس المساواة فى الاصوات بين الدول الاعضاء وبعض النظر عن نصيب كل منها فى رأسماله . وأخيرا فان البنك المركزى فى كل الدول الرأسمالية يشرف على الجهاز المصرفى فى مجموعة بما فيه بنوك الاستثمار التى تقرض لاجل متوسط أو طويل . ولذلك فان البنك المركزى الدولى يجب أن يوجه نظام الائتمان الدولى فى مجموعه « بما فى ذلك البنك الدولى وغيره من المؤسسات المالية الدولية » بحيث يمكنه ان يجعل حجم الائتمان المتاح على مختلف الآجال يفى باغراض تنشيط التجارة الدولية وأغراض التنمية فى نفس الوقت . والمعتقد أن مثل هذا النظام الديموقراطى من شأنه أن يزيل مخاوف الدول الاشتراكية التى ظلت حتى الان بمنأى عن صندوق النقد الدولى ولا دور لها فى ادارة النظام النقدى العالمى رغم تزايد نصيبها فى التجارة الدولية . وانضمام تلك الدول الى البنك المركزى الدولى تحقق له صفة العالمية ويساعد على الحد من الرأسمالية الكبرى ويمكن بالطبع اعادة تنظيم صندوق النقد الدولى على الاسس المشار اليها ليصبح البنك المركزى الدولى المنشود أن كلا من الصندوق والبنك الدوليين يقترضان مبالغ كبيرة من دول البترول ، ولكنهما يرفضان زيادة حصصها فى رأس مال اى منهما . وعلى تلك الدول بالتضامن مع بقية الدول النامية أن تضغط فى سبيل هذا التطوير الذى بدونه لا يمكن ان يستقر نظام نقدى عالمى ، بل نظام التضخم يلتهم فوائض البترول عاما بعد عام . ونفس الشىء ينطبق على كل مجموعة من الدول تنجح فى زيادة أسعار المواد الاولية التى تصدرها .

٤ ـ الغـذاء :

لقد أوضحت أعمال مؤتمر الغذاء العالمى الذى انعقد فى ١٩٧٤ أن « آليات السوق العالمية » لا تتضمن تزويد البلاد النامية باحتياجاتها من المواد الغذائية بشكل منتظم وبسعر مناسب . والواقع أن مشكلة الغذاء معقدة ومتعددة الجوانب .

فهناك أولا : **قضية الكميات المتاحة من الحبوب الغذائية فى الاجلين القصير والمتوسط** . والمعروف ان الفائض القليل للتصدير من تلك الحبوب يتركز فى عدد محدود من الدول المتقدمة . وهذه الدول تتدخل للحد من الانتاج فى حالات كثيرة . كما انها تعمل على مقاومة أى انخفاض كبير فى الاسعار عن طريق تكوين مخزون من الحبوب يتم تصريفه عند ارتفاع الاسعار . وهذه السياسة تمليها ضرورة تحقيق قدر من التكافؤ بين دخول رجال الاعمال المشتغلين بالزراعة وزملائهم المشتغلين بالصناعة ، والا هجرت رؤوس الاموال الانتاج الزراعى . وعلى أية حال فالنتيجة هى ان الدول المصدرة للقمح بالذات تعمل على تحديد الانتاج ورفع الاسعار ـ مع أنها أقامت الدنيا وأقعدتها حين حاولت الدول المصدرة للبترول تطبيق نفس السياسة . ويظهرأن الحدمن استخدام السيارات أو تخفيض التدفئة درجة حرارة واحدة أو درجتين يبدو لاهل الغرب أفدح من أن يحتمل . أما موت عشرات الالوف من الاطفال والكبار جوعا فى بلدان العالم الثالث فانه فى نظرهم أهون شأنا .

ومن ناحية أخرى ، **تمثل أسعار الحبوب المرتفعة عبئا ثقيلا على ميزان المدفوعات فى معظم البلدان النامية** ، حيث يتعين عليها أن تدفع بالعملة الصعبة . بل ان عددا من هذه الدول لا يتمكن عمليا من استيراد كل ما يلزمه لسكانه من حبوب مما يؤدى أحيانا الى حدوث مجاعات ، ويؤدى دائما الى استمرار سوء التغذية المزمن . هذا فى الوقت الذى يعتبر فيه الاخصائيون أن تحويل البروتين النباتى الى بروتين حيوانى فى الدول المتقدمة « انتاج اللحوم والدجاج بشكل مكثف » يمثل تبديدا خطرا لموارد البشرية من البروتين النباتى فى حين يزيد استهلاك البروتين الحيوانى فى الدول المتقدمة بكثير عن الاحتياجات الفسيولوجية للانسان .

ومن ناحية ثالثة ، هناك دائما **خطر الكوارث الطبيعية** « الاعاصير ، الجفاف ، الفيضانات ... الخ » التى يمكن أن تصيب المحصولات الغذائية فى بعض مناطق العالم والتى يتعين أن يكون هناك مخزون دولى لمواجهتها .

أما فى المدى الطويل ، فان **الحل الاساسى لمشكلة الغذاء العالمى يرتكز على الاستغلال الكامل والرشيد لامكانيات الزراعة وصيد الاسماك فى الدول النامية ذاتها** . وهذا بدوره يقتضى عدة أمور من أهمها تعديل الهيكل الاقتصادى والاجتماعى فى الريف لتعبئة الطاقات الخلاقة للفلاحين ، العناية بالبحوث الخاصة بتطوير

الزراعة والرى ، وتوفير الاستثمارات اللازمة وبصفة خاصة المدخلات الصناعية من اسمدة وآلات وما الى ذلك .

والامر الذى يجب أن تسلط عليه الاضواء هو **أن مشكلة الغذاء تمثل وسيلة ضغط خطيرة على الدول النامية** . وكما قال وزير خارجية دولة كبرى أصبح القمح سلعة سياسية تستخدم لفرض الارادة وضرب الاستقلال . ولذلك فان توفير الغذاء يجب أن يكون فى رأس أولويات التنمية فى دول العالم الثالث منفردة ومجتمعة لمواجهة نقطة الضعف الاساسية فى موقفها من الدول المتقدمة .

وقد تبنت الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الخاصة السابعة مجموعة من التوصيات بشأن مشكلة الغذاء . وتبدأ هذه التوصيات بتأكيد أن حل المشكلة يرتكز أساسا على الزيادة السريعة فى انتاج الغذاء فى الدول النامية . وفى هذا السبيل توصى الجمعية العامة الدول النامية بالعناية بتطوير الزراعة وصيد الاسماك ، وتدعو الدول المتقدمة والهيئات الدولية للمعاونة فى تحديد المناطق التى يمكن أن تستجيب بسرعة للتنمية الزراعية ، كما تبين ضرورة اجراء الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التى تحقق للريف تنمية متكاملة ، وتطالب بدعم مركز البحوث الزراعية الدولية والوطنية . وتدعو الدول المتقدمة لتوفير الاسمدة بأسعار مناسبة . وتؤكد على اهمية العناية بتقليل الفاقد من المحصول بعد الحصاد واخيرا تبنى الاقتراح الذى صدر عن مؤتمر الغذاء العالمى بانشاء « صندوق دولى للتنمية الزراعية » . أما فى المدى القصير فقد ركزت التوصيات على ضرورة زيادة معونات الغذاء وبروز دور الهيئات الدولية فى تقريرها ، وأهمية العمل على استقرار الاسعار وفقا للبرنامج الذى وضعته هيئة الاغذية والزراعة للتصرف فى فائض المحصولات . واخيرا تكوين احتياطى عالمى من الحبوب لا يقل حجمه عن ٣٠ مليون طن من القمح والارز ويحتفظ به فى دول ومناطق مختلفة فى العالم المتقدم والعالم الثالث على اساس خطة تخزين استراتيجية .

لقد استخدمت بعض الدول المتقدمة ، وعلى رأسها أمريكا ، فائض الحاصلات الزراعية لديها على نحو يضمن استمرار الاسعار المرتفعة ، ويمكنها فى الوقت نفسه من التأثير فى سياسات الدول النامية بالمنح والمنع . وعانت دول كثيرة من هذا المنع ، مثل مصر حين رفضت واشنطون فى آخر ١٩٦٤ تجديد اتفاقية فائض المحصولات « وفقا لما يسمى فى أمريكا القانون ٤٨٠ » ، ثم رفضت بيع القمح لمصر ولو نقدا حتى ترغم القاهرة على تعديل سياستها العربية والخارجية ، أما الدول التى استفادت من المنح لمدد طويلة فانها تعودت على المساعدات الخارجية فى حل مشكلة الغذاء ، مما حملها على عدم الاهتمام بالتنمية الزراعية اهتماما كافيا . كما أن مقابل فائض الحاصلات التى توردها امريكا يودع بالعملات المحلية فى البنوك المحلية ، وللحكومة الامريكية حق التصرف المطلق فى جزء منه ، وحق التصرف فى الباقى بالاتفاق مع الحكومة الامريكية . وهذا يتيح للولايات المتحدة وأجهزتها المختلفة « ومنها وكالة المخابرات المركزية » موارد محلية يمكن ان تؤثر من خلالها فى بعض الانشطة الاقتصادية او الاجتماعية أو الثقافية أو فى موقف بعض الاحزاب والشخصيات .

٥ـ التصنيع :

لقد قاومت الدول الرأسمالية طويلا نشأة الصناعة الحديثة فى دول العالم الثالث . بل ان السيطرة الاستعمارية كانت تصطحب عادة بتصفية الصناعات التقليدية ، لان هدفها الاول كان فتح أسواق المستعمرات امام منتجات الدول الاستعمارية . وفى حالة مصر بالذات عمل الاستعمار بشكل منظم على القضاء على محاولات التصنيع التى بدأت فى عهد محمد على ولم تكن متأخرة عن بداية التصنيع فى الغرب الا بعشرين او ثلاثين سنة فحسب . وهكذا تطور النظام الرأسمالى العالمى على أساس نوع من «**التقسيم الدولى للعمل**» تتركز فيه الصناعة فى يد عدد محدود من الدول ، وتبقى بقية الشعوب منتجة فقط للمواد الاولية . ولهذا ارتبطت فكرة التنمية فى العالم الثالث بجهود التصنيع، فلا تنمية الا ببناء صناعة حديثة . وطوال الثلاثين عاما الماضية ، لم تنجح كل تلك الجهود الا فى الوصول بنصيب الدول النامية من الانتاج الصناعى العالمى الى ٧ فى المائة فقط . وحين انعقد «المؤتمر العام الثانى لمنظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية » يونيدو فى ليما عاصمة بيرو « ١٢ ــ ١٦ مارس ١٩٧٥ » وحصلت فيه الدول النامية على اقرار هدف ارتفاع نصيبها من الانتاج الصناعى فى عام ٢٠٠٠ الى ٢٥ فى المائة ، كانت علامات الشك أو السخرية ترتسم على وجوه كثير من مندوبى الدول المتقدمة ، الذين رأوا فى القرار تعبيرا عن أمل كاذب .

ومهما يكن من أمر فان «اعلان ليما» قد عبر عن تصور حكومات العالم حاليا لمشكلة التصنيع وما تثيره من قضايا وما يعتقد المسئولون فيها أن تكون عليه أهدافها. ويمكن أن تلخص وجهة

نظرها على النحو التالى « ان قصور النتائج التى حققتها حركة التصنيع فى العالم الثالث لا يرجع الى قصور فى الجهد الذى بذلته ، وانما يرجع فى الاساس الى أن العمل على المستوى الدولى سواء عن طريق الاتفاقيات الثنائية أم عن طريق الهيئات الدولية كان أدنى بكثير مما هو مطلوب لتحقيق تصنيع سريع. **فالدول الرأسمالية ظلت لسنوات طويلة ترفض تقديم مساعدات لانشاء مصانع ، أو لا تشجع الا بعض الصناعات الخفيفة ، بل ان الاستثمار المباشر قد تركز أساسا فى الصناعة الاستخراجية وبصفة خاصة البترول** . وتحليل استثمارات الولايات المتحدة أكبر مستثمر عالمى يوضح ذلك تماما. فقد بلغ اجمالى تلك الاستثمارات فى ١٩٧٠ اكثر قليلا من ٧٨ الف مليون دولار، ذهب منها الى العالم الثالث ٢١٫٤ ألف مليون، أى بنسبة ٢٧ فى المائة فقط . أما الباقى فقد استقر فى كندا واوروبا الغربية واليابان . وقد استثمر فى البترول وحده ٣٩ فى المائة من اجمالى الاستثمار الامريكى فى العالم الثالث ، وكان نصيب استخراج المعادن ١١ فى المائة . أما الصناعات الاخرى فكان نصيبها ٢٦ فى المائة. وقد تحقق الاستثمار فيها فى الستينات بالذات وفى عدد محدود من الدول فى مقدمتها المكسيك ، البرازيل ، الاجنتين ، كوريا الجنوبية وتايوان ، وهى تتميز فى العادة بتوافر مواد أولية وثروات طبيعية، وأيدى عاملة ماهرة ورخيصة كما تحكمها نظم سياسية ترضى عنها واشنطون وحلفاؤها الغربيون . بغض النظر عن رأى شعوب تلك البلدان فى حكامها ومهما تكن درجة اهدارها لحقوق الانسان.

وأخطر من ذلك هو أن الصناعات التى اقيمت فى ذلك العدد من الدول النامية وحققت نتائج مالية طيبة وزيادة فى الناتج القومى الاجمالى مما جعل بعض الكتاب يصف تلك الدول بأنها تشكل« الطبقة الوسطى » بين الدول الغنية وبقية دول العالم الثالث ، **لم تخلق حركة تنمية شاملة تغطى الاقتصاد القومى كله ويشيع عائدها على المجتمع فى مجموعه** ، بل ادت الى « **أزدواجية الاقتصاد**» أى الى نشأة قطاع حديث ينمو بسرعة ويزيد ارتباطا باقتصاديات الدول الرأسمالية المتقدمة ويضم نسبة متواضعة من السكان « ما فيهم العمال » جنبا الى جنب مع قطاع تقليدى يسيطر عليه الركود ويضم غالبية السكان ولم يتساقط شىء من الثراء المتراكم فى القطاع الاول على فقراء القطاع الثانى. بل أن هذا النوع من التصنيع قد أدى عمليا الى زيادة مزعجة فى الفروق بين الطبقات . لكن المكسيك مثلا ، وهى أقرب بلدان تلك المجموعة الى الديمقراطية حققت معدل نمو عال «حوالى ٧ فى المائة» طوال خمسة عشر عاما كان اجمالى نصيب الخمس الذى يحصل على أعلى الدخول من اجمالى الدخل القومى فى أوائل الستينات عشرة أمثال ما يحصل عليه الخمس من أصحاب ادنى الدخول . وفى سنة ١٩٦٩ ارتفع الرقم الى ١٦ مثلا.. ! وفى البرازيل بلغ نصيب الخمس من الذين يحصلون على أعلى الدخول ٦١٫٥ فى المائة من اجمالى الدخل القومى «مقابل ٢٠ فى المائة فى الولايات المتحدة فى حين لم يزد نصيب الخمسين اللذين يحصل افرادهم على أدنى الدخول عن ١٠ فى المائة فقط . وبينما ارتفع متوسط دخل الفرد الى ٣٩٠ دولارا فى السنة كان خمس السكان يقل متوسط دخل الفرد منهم عن ٧٥ دولارا ».

● ويرتبط هذا الوضع باختيار **استراتيجية معينة للتصنيع لا تستهدف الوفاء باحتياجات الجماهير الاساسية ولا بالاستخدام الاكمل للقوى العاملة المتاحة** فتحت شعار استراتيجية «**انتاج بدائل للواردات**» يجرى انتاج سلع كمالية او ترفيه ، ولا سيما السلع المعمرة كالسيارات والثلاجات وما اليها » تواجه طلب الطبقات الغنية والميسورة . وتحت شعار **زيادة الصادرات** يجرى انتاج نفس السلع بقصد التصدير لنفس الفئات فى بلدان العالم الثالث الاخرى أو فى بعض الحالات الى أسواق الدول المتقدمة بسعر أرخص. وهذا النوع من الصناعات يحتاج الى معدات باهظة التكاليف تستوعب استثمارات ضخمة ، كما أنه وثيق الصلة بالتطور التكنولوجى السريع ولو فى التفاصيل التى يراد منها اغراء المستهلك مثل تغيير طراز السيارة . وهكذا عن طريق الحاجة المتزايدة الى الاستثمار الاجنبى والتكنولوجيا المستوردة تزيد تبعية الاقتصاد القومى للرأسمالية العالمية عن طريق الشركات متعددة الجنسية.

● **أما هيئات التمويل الدولية فقد سارت على نفس النمط** . بل انها أهملت الصناعة اهمالا يكاد يكون كاملا تحت شعار ان الصناعة يجب أن تعتمد على الاستثمار الاجنبى الخاص . ورغم التعديل الذى طرأ على سياسة اهم تلك الهيئات ، وهو البنك الدولى ، منذ أن تولى رئاسته ماكنمارا، فان اجمالى قروض البنك وهيئة التنمية الدولية التابعة له فى السنوات الثلاث الاخيرة قد بلغ ١٣٫٦١٧ مليون دولار ، لم تنل الصناعة منها الا ١٫٢٧٦ مليون أى بنسبة ٩ فى المائة فقط .

● شكت الدول النامية طويلا من **صعوبة نفاذ منتجاتها الصناعية الى أسواق الدول المتقدمة**، وكما سبق أن ذكرنا، أخذت هذه الاخيرة فى تقديم اعفاءات جمركية لعدد من صادرات مجموعة من الدول النامية . وما زال أثر كل ذلك غير محسوس • والجديد فى هذا المجال هو أن بعض المسئولين فى السوق الاوروبية المشتركة يطرح اليوم حلا لمطلب التصنيع فى الدول النامية يسمى «**اعادة توزيع الصناعات**» وبمقتضى هذا الحل تتخلى الدول المتقدمة تدريجيا عن بعض الصناعات لتشتغل بها الدول النامية . وقد نشأت هذه الفكرة قبل الكساد الاقتصادى الاخير تحت تأثير عاملين : تلوث البيئة فى المناطق الصناعية فى الدول المتقدمة بشكل أصبح يهدد الحياة ولا يمكن مقاومته الا بتكلفة باهظة ، وفى حالات كثيرة يكون الاضرار بالبيئة الطبيعية من نوع لا يمكن معالجته

مثل القضاء على الغابات والمساحات الخضراء ومن ناحية أخرى ظهر فى تلك الدول الحاجة الى استيراد ايدى عاملة رخيصة تقبل القيام بالاعمال الشاقة او القذرة حتى قارب عدد هؤلاء العمال فى اوربا عشرة ملايين• وأثار وجود هؤلاء العمال مشكلات اجتماعية خطيرة بدأت تحدث انعكاسات سياسية. ومن ثم اتجه تفكير بعض التنكوقراطيين الى تفضيل نقل بعض الصناعات الى البلاد النامية. وبالطبع يأتى فى رأس القائمة الصناعات الملوثة للبيئة والتى تحتاج الى عمالة كثيفة والحل المقترح مازال يلقى معارضة داخل الدول المتقدمة بحجة اثاره المحتملة على البطالة وعلى أجور العمال وعلى صغار رجال الصناعة• أما من وجهة نظر الدول النامية فالقضية أخطر. هل المقصود ان تتحول الى « ورشة » لانتاج سلع يستهلكها الاغنياء فى الخارج وما أثر ذلك على تشويه التنمية فى الداخل وصرفها عن اهدافها القومية؟

وقد تضمن اعلان ليما المشار اليه بعض النقاط الهامة فيما يتعلق بالتصنيع . فالدول النامية ذاتها مدعوة لان تضع خططا قومية طويلة المدى للتصنيع ، متكاملة ومتسقة بدل اختيار المشروعات الصناعية فرادى وعلى أساس ربحية كل منها فقط . وهذه الخطط يجب ان تراعى شمول التنمية ، وبالتالى العلاقة بين الصناعة وبقية قطاعات الاقتصاد القومى وبصفة خاصة الزراعة • ولابد أن يرتكز التصنيع الى قاعدة من الصناعات الاساسية مثل الصلب والصناعات المعدنية الاساسية والبتروكيماويات وكذلك الصناعات الوسيطة مثل الصناعات الهندسية والكهربائية. ولابد ان يتم كل ذلك عن طريق اشراف الدولة بدعم القطاع العام وتوجيه القطاع الخاص والرقابة على الاستثمار الاجنبى. واخيرا لابد أن يكون هدف التصنيع رفع مستوى معيشة الجماهير، وان يجرى توزيع عائده توزيعا عادلا بين أفراد المجتمع .

أما الدول المتقدمة فهى مطالبة بزيادة الجهد فى تمويل التصنيع من ناحية ، وبالتوسع فى التسهيلات الجمركية من ناحية أخرى • كما دعا الاعلان الى مناقشة جادة لفكرة «اعادة توزيع الصناعات »

ومع ذلك فقضية التصنيع هى القلب من استراتيجية اى تنمية . وعند المناقشة التحليلية لاستراتيجيات التنمية البديلة يمكن أن تظهر حلول أخرى تذهب الى أبعد مما تضمنه اعلان ليما .

٦ ــ نقل التكنولوجيا :

من المسلم به أن الدول النامية فى نضالها من أجل التقدم لابد أن تحل قضايا تكنولوجية كثيرة. والوسيلة التى تبدو سهلة لاول وهلة هى الحصول على تكنولوجيا « جاهزة » من الدول المتقدمة بدل انفاق الجهد والمال والوقت فى البحث عن حلول مبتكرة • والحق أن التقدم العلمى والتكنولوجى فى الغرب قد بهر الناس فى العالم الثالث حتى أصبح التسليم بان الصورة الوحيدة للتحديث قضية تكاد لا تتحمل الجدل ، وأصبح السباق الى نقل نتائجه الشاغل الاول . ومع ذلك فان نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة يثير قضايا بالغة الاهمية منها: امكان الحصول على التكنولوجيا، وتكلفة نقل التكنولوجيا ، ومدى ملاءمة التكنولوجيا المستوردة للواقع المحلى .

فهناك أولا **مجموعة هامة من الاكتشافات العلمية والتكنولوجيا ، هى فى العادة احدث ماوصل اليه الانسان ، تحاط بسرية كاملة باسم الضرورات العسكرية أو غير ذلك من الاسباب،** والذى يحرم منها أساسا هو العالم الثالث ، لان الدول الاشتراكية المتقدمة قد وصلت الى مرحلة يمكنها فيها التوصل الى نفس الاكتشافات ولو بعد فترة من الزمن . ومن ناحية أخرى يعطى نظام **براءات الاختراع** ومايفرضه من ضرورة الحصول على ترخيص بالاستخدام حماية لبعض الاساليب التكنولوجية لمدد طويلة تتجاوز بكثير بتعويض الشركة صاحبة الاقتراع عن تكلفة البحث ومايمكن أن تحصل عليه عن طريقة من أرباح . وفى حالات

كثيرة تبيع الشركات متعددة الجنسية ترخيص استخدام الاقتراع بثمن باهظ لا علاقة له بتكلفة الانتــــاج ، حتـى لو امكن التمييز بين تكلفـة الاختراع فى ذاته وتكلفة انتاج المعدات التـى صنعت بمقتضاه .

ومن ناحية ثانية **لا توجد سوق عاليـة للمعرفة التكنولوجية** يتحدد فيها سعر عالمى أو أسعار متعددة يمكن المفاضلة بينها. فتلك المعرفة تتجسد فى معظم الاحوال فى شكل معدات انتاج أو سلع منتجة ويتعذر غالبا تحديد قيمتها الحقيقيـة. وبمعنى آخر لا يوجد أى نوع من المنافسة فى تلك السوق. وحالة الادوية شهيرة فى هذا الصدد ، حيث تحصل شركات الادوية العالمية على أرباح ضخمة من احتكار « تركيب » الدواء تصل أحيانا الى أكثر من نصف ثمن البيع ، ثم تحصل على نسبة من ثمن مبيعات الشركات التى تحصل على ترخيص بانتـــاج نفس الـدواء . وفى قمة تلك الظاهرة لا يباع فى الواقع أى سر تكنولوجى وانما مجرد الاسم التجارى حيث أن التركيب معروف ولا يحميه أى قانون . وتلك هى حـالة الصـابون والمنظفات وأخيرا هناك « المعرفة التكنولوجية » Know how غـير المتجســدة فى أى سلعة وانما تتعلق ببنـاء مصـنع أو تركيب معـدات أو ادارة مشروع ... الخ وتحتـل المبـالغ التى تدفعها الـدول النـامية ثمنـا للتكنولوجيا نسبة غيـر بسيطـة مـن ناتجها الاجمالى وفى دراسة قامت بها سكرتارية مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية عن أسبانيا وهى بلد أوربى، ثبت انها تدفع ثمنا لتراخيص تصنيع ولخـدمات تكنـولوجية أى بعـد اسـتبعاد التكنولوجيا المجسدة فى معدات أو سلع ٢ فى المائة من ناتجها المحلى الاجمالى . وتصطحب عقود بيع التكنولوجيا بشروط تعسفية كثيرة مثل عدم الترخيص بتصدير المنتجات أو البيع لبلد بسعر يختلف عن سعر البيع لبلد آخـر ، أو بيـع نفس الترخيص أكثر من مرة فى نفس البلد ، أو التعاقد لاجل يـزيد عـن أجـل الحمـاية القانونية... .الخ

وأخيرا فان **التكنولوجيا المستوردة كثيرا مالا تكون ملائمة للواقع المحلى** . فليس كل ما هو متقدم فنيا أفضل اقتصاديا واجتماعيا. وبصفة عامة تتميز التكنولوجيا المتقدمة فى الغرب بالتوسع فى استخدام الالات والتوفير فى الايدى العاملة . وهى بهذا تتناقض مع الوضع فى معظم الدول النامية حيث يتســم رأس المال بالندرة ، وتنتشر البطالة مما كان من شأنه أن يجعل من مصلحة تلك الدول تفضيل تكنولوجيا أبسط قليلة التكلفـة الرأسمالية تسمح باستيعاب اعداد كثيرة مـن العمال . يضاف الى ذلك ان التكنولوجيا الغربية نشأت فى بيئة جغرافية معتدلة وفـى اطـار تقدم اقتصادى شامل وللوفاء باحتياجات مستهلك مرتفع الدخل ، كلها شروط لا تتوافـر عـامة فـى الدول النامية . وعلى أية حال فاختيار تكنولوجيا معينة يستتبع شراء معدات معينة حتى ولو كانت تلك المعدات تقتضى درجة من المهارة غير متوافرة محليا ولا يمكن بالتالى أن تعمل بكفاءة كاملة، وحتى لو كان انتاجها أغلى من أن يشتريه السواد الاعظم من المستهلكين . والحقيقة هى أن العلم عالمى بطبيعته أما التكنولوجيا فوليدة المجتمـع الذى أفرزها . والتكنولوجيا الغربية تكونت فى عصر سيطرة الغرب على موارد العالم ، ولذلك فهى فى العادة مبددة للموارد النادرة مثل الطاقة كما انها نمت تحت عامل تعظيم الربح وحده وبغض النظر عن الاثار الجانبية مما أضر بالبيئة ضررا بالغا .

ولكن أخطر مافى ظاهرة الاعتماد على نقل التكنولوجيا هو انها **تقضى على التكنـولوجيا التقليدية** دون أن تثبت عدم صلاحيتها . وفى مصر مثلا أدى تركيز الاهتمام على صناعة النسيج الحديثة الى تدهور صناعة النسيج التقليدية رغـم اقبال الاجانب الشديد على منتجات هذه الاخيرة مما يثبت ان لها سوقا فى الخارج ، فضلا عن الامكانيات المتصورة لتطويرها وجعلها أقدر على الوفاء ببعض احتياجات السـوق المحليـة ومع العلم بان تكلفة هذا التطوير تكون عادة بسيطة .

وفى النهاية يؤدى هذا الاعتماد **الى قتل روح الابداع والابتكار لدى شعوب ـ العالم** ويمهد لابشع صور التقسيم الدولى للعمل : مجموعة محدودة من الدول تتميز بالقدرة على انتـاج التكنولوجيا من ناحية ، وبقية البشرية من ناحية أخرى لا تستطيع فى أفضل الصور الا أن تطوع نفسها لتكنولوجيا غريبة عنها ... تقسيم ذو طبيعة عنصرية واضحة .

ويرتبط بنقل التكنولوجيا موضـوع « **نزيف العقول** » او هجرة الكوادر العلمية والفنية من دول العالم الثالث الى الدول المتقدمة فاهمال البحث العلمى والتكنولوجى يحرم تلك الكوادر من الدور الذى كان يمكن أن تلعبه فى تطوير بـلادها ويدفعها ـ بالاضافة الى العوامل المادية ـ الى الهجرة . وفى الطرف الاخر تسـتقطب الدول

المتقدمة خبرة العقول من أبناء العالم الثالث لتستخدمهم في انتاج تكنولوجيا تبيعها للعالم الثالث . وبهذا تقدم الدول النامية للدول المتقدمة « مساعدة فنية » دون أدنى تكلفة.

ومطالب الدول النامية في هذا الشأن تتمثل في اتاحة التكنولوجيا لها بدون مقابل أو بمقابل أسمى ومساعدتها في تطويع التكنولوجيا المستوردة لظروفها الخاصة وفي تطوير التكنولوجيا المحلية . وثمة مطلب بوضع « قواعد سلوك دولية » تحكم العلاقة بين الشركات متعددة الجنسية والدول النامية فيما يتعلق بعقود نقل التكنولوجيا . ويذهب البعض الى أن تتحمل حكومات الدول المتقدمة ثمن التراخيص .

ويظل حجر الزاوية هنا هو **اهتمام الدول النامية بالبحث العلمي والتكنولوجي واستفادتها الكاملة من الطاقة الذهنية المتاحة لها من أبنائها ..** ان كل خطة تنمية قومية يجب أن تتضمن سياسة قومية للبحث العلمي والتكنولوجي . ثم لابد من تعاون الدول النامية ذاتها في هذا المجال ، وتنظيم تبادل البيانات والمعلومات عن شروط عقود نقل التكنولوجيا وعن نتائج البحث العلمي والتكنولوجي .

٧ ـ المنظمات الدولية:

ترى الدول النامية أن الهيكل الحالي للمنظمات الدولية الذي تأسس منذ ثلاثين عاما لا يتفق وحقائق عالم اليوم . لقد نشأ نظام الامم المتحدة في وقت لم تكن فيه معظم شعوب العالم الثالث دولا مستقلة ، بل كانت مجرد مستعمرات . ولذلك فانها لم تمارس حقها المشروع في تشكيل نظام يفترض فيه أنه يمثل المجموعة الدولية كلها . ومن ناحية أخرى تغيرت علاقات القوى على المستوى الدولي لصالح العالم الثالث . ومن ناحية ثالثة أثبتت التجربة أن نشاط الهيئات الدولية التي يضمها نظام الامم المتحدة أو التي ترتبط بها ليست على الدرجة المرجوة من الكفاءة سواء في دورها الاستشاري أم في نشاطها العملي . وأخيرا فان معظم المنظمات الدولية ليست الا مجرد منابر لتسجيل الاراء أو تبادلها دون الوصول الى قرارات ملزمة أو حتى توفير الجو الصالح لمفاوضات جادة تفضي الى اتفاقات محددة يجرى تنفيذها في آمد زمني معلوم . والواقع ان مجلس الامن يكاد يكون الهيئة الوحيدة التي تملك قانونا حق اصدار القرارات الملزمة بشرط عدم اعتراض احدى الدول الخمس الكبرى ، وان كانت تنقصه عادة القدرة الفعلية على تنفيذ قراراته . أما في مجال التنمية فنشاط الهيئات الدولية متفرق ويتداخل ولا يخضع لاى تنسيق او اشراف موحد ويحس الجميع بضرورة تطوير الامم المتحدة . وقد شكل كورت فالدهايم لجنة لهذا الغرض من خمسة وعشرين خبيرا ، قدمت عددا من المقترحات التفصيلية أهمها انشاء وظيفة مدير عام للتنمية يكون الرجل الثاني بين موظفي الامم المتحدة بعد السكرتير العام ، ويشترط فيه أن يكون من أبناء العالم الثالث اذا كان السكرتير العام من احدى الدول المتقدمة . وقد أحالت الجمعية العامة للامم المتحدة هذا التقرير على لجنة من كل أعضاء الامم المتحدة لدراسته .

وقد تقدم « **منتدى العالم الثالث** » باقتراحات تتعلق بمبادىء اعادة التنظيم أكثر مما تخوض في التفاصيل . وهذه المبادىء هي :

١ ـ **العالمية:** والمقصود بها ضمان عضوية كل الدول في كل المنظمات الدولية تحت مظلة الامم المتحدة مع توزيع مقار تلك المنظمات توزيعا مناسبا بين مختلف قارات العالم . فكل تلك المنظمات باستثناء برنامج الامم المتحدة للبيئة ومقره نيروبي قد اختارت مقرها في مدن العالم المتقدم ، حتى تلك التي مهمتها الوحيدة التنمية. فالمقر الرئيسي لبرنامج الامم المتحدة للتنمية هو ... نيويورك .

٢ ـ **الديمقراطية** : والمقصود بها المشاركة الفعلية لكل الاعضاء في اتخاذ القرارات ولهذا المبدأ أهمية خاصة في المنظمات المالية التي تقرر المساعدات والقروض الخاصة بالتنمية حيث لا يملك العالم الثالث القوة التصويتية التي تتناسب مع عدد دوله أو عدد سكانه . وهي بالطبع تتنافى مع الوضع الخاص الذي تتمتع به الدول الخمس الكبرى في مجلس الامن والمتمثل في العضوية الدائمة وحتى وقف أي قرار .

٣ ـ **اللامركزية:** والمقصود منها أن تعود المنظمات الدولية لدورها الاصلي وهو جمع البيانات والقيام بالدراسات وتقديم المشورة ، وأن ينتقل العمل التنفيذي كله وفي كل المجالات الى مستوى اللجان الاقتصادية الاقليمية بعد دعمها وتوسيع مسئوليتها . فهذه اللجان في كل قارة أقدر على تحقيق التعاون بين الدول ذات الظروف المتماثلة وعلى استخدام الخبرة المتوافرة في كل اقليم .

٤ ـ **السلطة الاقتصادية الدولية:** والمراد بذلك أن يضم تنظيم الامم المتحدة هيئة تشرف على

الاقتصاد العالمى فى مجموعه وتوجه كلّ المنظمات الاقتصادية والمشتغلة بالتنمية ويمكن أن يعــاد تنظيم المجلس الاقتصادى والاجتماعى لــلامم المتحدة ويعطى السلطات الكافية فى هذا الصدد ليصبح المقابل الاقتصادى لمجلس الامن . لقد ولدت الامم المتحدة غداة حرب عالمية طاحنة ولذلك كانت القضية الاساسية التى شغلت مؤسسيها فى قضية الامن الدولى، أى منع الحرب . والان وقد أدى توازن القوى الدولى والخوف من الاثــار المدمرة للاسلحة النووية الى التقليل من احتمالات حرب عالمية جديدة ، أصبح الخطر الاساسى الذى يواجه العالم هو اختلال الاوضاع الاقتصادية والمواجهة بين الكثرة الفقيرة والاقلية الغنية. وفى هذا ما يبرر العناية الخاصة بمجلس ذى مــكانة متميزة يختص بهذه الامور .

وقد أوصى « منتدى العالم الثــالث » بضرورة **تخفيض التكاليف الادارية** للمنظمات الدولية عن طريق الحد من عدد الموظفين فى المقار الرئيسية لتلك المنظمات . لاسيما وأن تلك المقار تمنع فى مدن العالم المتقدم حيث يفرض ارتفاع تكاليف المعيشة أجورا بالغة الارتفاع . ونقل بعض تلك المقار الى بلدان العالم الثالث حيث تنخفض تكاليف المعيشة والاعتماد المتزايد على الخبرة المحلية والاقليمية التى تقبل أجورا أقل من تلك التى يقتضيها الخبراء من الدول المتقدمة ، أمور من شأنها حفظ الانفاق . وتخفيض التكاليف الثابتة والجارية لعمل المنظمات الدولية من شأنه وضع حد لعملية الابتزاز التى تمارسها الولايات المتحدة ازاء المنظمات الدولية بالتهديد بوقف التمويل الامريكى عن المنظمة التى تخرج عن الخط الذى ترسمه واشنطون .

تلك أهم قضايا النزاع المطروحة بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث . وسيشهد عام ١٩٧٦ سلسلة هامة من المؤتمرات والاجتماعات الدولية والمفاوضات حول تلك القضايا . وقد ثبت أن الدول المتقدمة لديها هيئات بحث ودراسة وتنبؤ بالمستقبل واعداد مقترحات على مستوى كبير من الكفاءة . فالدول الرأسمالية تشترك ، كبيرها وصغيرها ، فى«منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية » OECO التى مقرها باريس ، والتى حلت محل المنظمة التى كانت تضم الدول المستفيدة من مشروع مارشال ثم انضم اليها اليابان واســتراليا ونيــوزيلندا وآيرلندا . . الخ . وهى ليست منظمة اقليمية للتكامل الاقتصادى مثل السوق الاوروبية، ولا تصدر عادة قرارات ملزمة للاعضاء . والدول الاشتراكية المتقدمة تستفيد من الدراسات التى تجريها لها منظمة التكامل الاقتصادى الخاصة بها : مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة « أو ما يسمى الكوميكون » أما الدول النامية فلا تملك الا الاجتمــاعات السيــــاسية والاقتصـــادية لمجموعة « السبع والسبعين ». وفيما وراء ذلك تدخل تلك المفاوضات الدولية متفرقة، وينقصها جميعا القدر الضرورى من البيانات الاحصـــائية والدراسات التحليلية، والتنبؤات المتعلقة بمستقبل الاقتصاد العالمى فى مجموعه وفى مكونــاته الاساسية وانشطتــه المختلفــة واقتراح الحلــول التفصيلية. ومن ثم فان الدول النامية فى أمس الحاجة للاخذ بما سبق اقتراحه فــى بعض مؤتمراتها من تشكيل « **أمانة عامة للتنمية** » تؤدى لها نفس النوع من الخدمات الذى تؤديه الاجهزة الفنية الممتازة التى تضمها«منظمة التعــاون الاقتصادى والتنمية » للدول المتقدمة. وبمثل هذه الدراسات الجادة تستطيع دول العالم الثالث أن تدفع ما يتهمها به عادة أمثــال كيســـنجر ، أو مونيهان «مندوب آمريكا فى الامم المتحدة من آن ما تقدمه لا يعدو أن يكون « موضوعات انشاء بليغة» وليس حلولا قابلة للتنفيذ مستندة الى الدراسة الشاملة ومدعمة بالحجج والبيانات

الاتحـاد السـوفيتى : ١٩٧٦

دراسـة ميدانيـة



بدعوة من اتحـاد الصحفيين فى الاتحاد السوفيتى سـافر وفد من الطليعة ليقوم بدراسـة ميدانية عن الاتحاد السوفيتى فى ١٩٧٦ . وقد ضم الوفد: **لطفى الخولى ـ ابوسيف يوسف ـ عبد المنعم الغـزالى ـ د. مراد وهبة .**

وتكتسب هذه الدعـوة أهميـة خاصة ولذلك :

● من واقع ان الزيارة قد تمت والاتحاد السوفيتى يستعد شـعبا وحزبا وحكومة لعقـد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى . فهذا المؤتمر الذى سوف ينعقد فى أواخر فبراير الحالى هو أعلى سلطة حزبية تناقش انجازات الخطة التاسـعة وتقر اتجاهات الخطة الخمسية العاشرة (١٩٧٦ ـ ١٩٨٠) كما ترسم الخط السياسى الذى سوف يلتزم به كل من الحزب والدولة على الصـعيدين الداخلى والخارجى .

● ثم تكتسب هذه الدعوة أهميتها ـ أيضا ـ من واقع أن العـلاقات المصرية السوفيتية كانت قد شـابتها منذ فتـرة صـعوبات وتعقيدات خطرة ، وذلك على الرغم من هـذه الحقيقـة وهى أن هذه العلاقات كانت ـ فى وقت من الاوقات ـ نموذجا للعلاقات الصحية التى ينبغى أن تقوم بين الدولة الاشتراكية الكبرى وبين مصر كبرى الدول العربية والقوة المؤثرة بوزنها ـ فى منطقة الشرق الاوسط ـ فى معارك النضال الوطنى التحريرى والتقدم الاجتماعى .

فى هـذا الاطـار تمـت زيارة وفد « الطليعة » الى الاتحاد السوفيتى . وقد اهتم اتحاد الصحفيين السوفيت بمساعدة الوفد على اجراء وتنظيم اللقاءات التى عبر الوفد عن رغبته فى اجرائها . وهكذا تمت ـ مثلا ـ لقاءات :

اشترك فى اعداد الدراسة :

لطفى الخولى
أبو سيف يوسف
عبد المنعم الغزالى
د. مراد وهبه

— مع المسئولين في صحيفتى البرافدا والازفستيا .
— ومع لجنة الخطة « الجوسبلان » .
— ومع نائب رئيس الجريدة الاقتصادية
— ومع معهد افريقيا ومعهد الشرق الاقصى
— ومع نائب وزير السينما
— كما تمت لقاءات مع مفكرين وفلاسفة وصحفيين .

وفى جمهورية بيلوروسيا أجرى الوفد مناقشة فى اتحاد الصحفيين ودرس الاوضاع فى مصنع جودينا الذى استخدمت عرباته الضخمة فى بناء السد العالى . كما زار عددا من المتاحف والاماكن كانت مسرحا للحرب العالمية الثانية ، خاصة قرية خاتين ومدينة برست على الحدود السوفيتية البولندية .

وقد حرص الوفد على أن يتعرف على عدد من القضايا الاساسية التى تساعد على تحديد الوزن الخاص الذى يحتله الاتحاد السوفيتى فى عالم اليوم .

— فما هى عناصر القوة التى تحققت لهذا البلد بعد تنفيذ الخطة التاسعة (١٩٧١ — ١٩٧٥) وما هى المشاكل والصعوبات .

— ما هى مؤشرات الخطة العاشرة (١٩٧٦ — ١٩٨٠) وما هو مستقبل المنافسة بين الاتحاد السوفيتى وبين الولايات المتحدة .

— ما هى صورة العلاقات الدولية للاتحاد السوفيتى ، خاصة علاقاته مع مصر .

وفى محاولة للبحث عن اجابات ، ومن خلال حوار بناء مع الرفاق السوفييت ، وبفضل الجهد الذى بذله اتحاد الصحفيين السوفييت ، ومرافقو الوفد ، تقدم « الطليعة » هذه الدراسة الميدانية لتضم — بدورها — الى الدراسات التى نشرت من قبل — للتعرف على تجارب الدول الاشتراكية .

○ ○ الانطباعـــات الأولى والمبـــاشرة

بعد عودتنا من رحلة دامت أسبوعين في الاتحاد السوفييتي ، جلسنا نحن الاربعة ، أعضاء وفد **الطليعة** ، ضيوف اتحـاد الصحفيين في الاتحاد السوفييتي لنناقش خطة كتابة « ملف الزيارة » .

كان كل واحد منا ، يريد ـ بالطبع ـ أن يختار النقاط التى ركز عليها انتباهه . ولكن **لطفى الخولى** يقترح أن نشترك جميعا في كتابة جزء محدد تحت عنوان :

الانطباعات الاولى والمباشرة للزيارة

قد تبدو هذه المهمة ـ لاول وهلة ـ سهلة .. لكن الامر لم يكن بهذه السهولة .

ذلك أن زوايا الرؤية تتعدد ، وان كانت لا تتناقض ولا تتصادم . ولكن كيف تصاغ الرؤى ، والانطباعات ، والمشاهد العادية ، والمؤثرة ، لتعطى الصورة ـ في النهاية ـ نبضها الحى ؟

فى محاولة لحل هذه المشكلة ، افترضنا أن مصورا سينمائيا يحمل معه « الكاميرا » ويريد أن يدلى بوجهة نظره عن طريق الصورة ...

فمن أين يبدأ ؟

هل يبدأ ـ مثلا ـ بلقاء مع الطبيعة والجو ، برسم صورة موسكو في ردائها الشتوى الابيض واللانهائى ، وتحت غلالة ناصعة من الثلوج التى تعلو هامات البيوت والابراج . وهل تتـوقف الكاميرا ـ في هذه الحالة ـ عند قباب الكرملين الذهبية المتألقة ، ونجومها الحمراء المتـوهجة ، وأسواره العالية • أم أن المصور سوف ينتظر حتى يأتى الصباح ليرابط في الساحة الحمراء • وهناك يتم تعامله مع الناس والكنائس الاثرية والمتاحف ؟

هنا ، فى الواقع قد يجد مثل هذا المصور نفسه أمام اختيارات كثيرة . يستطيع أن يبدأ بتوجيه الكاميرا نحو هذا الشاب الذى يتأبط ذراع فتاته وهى فى ثياب العرس البيضاء . يذهب العروسان ومعهما باقة من الورد ليضعاها على قبر الجندى المجهول . ولا يستبعد أن يتجها ـ بعد ذلك ـ الى الطوابير التى لا تنتهى ، والتى لم تزل تتجه منذ عام ١٩٢٤ لزيارة ضريح **لينين** ، بانى ومؤسس أول دولة اشتراكية .

هنا يلفت النظر ، أن الناس فى أفـراحهم ورحلاتهم فى ربوع الاتحاد السوفييتى ، لا يفوتهم أن يحجوا الى قبور الشهداء والى النصب العديدة التى أقيمت لتخلد البطولات ، والى الساحات والمعسكرات التى أبيد فيها الالوف من الاطفال والنساء والشباب والشيوخ على يد السفاحين النازيين . فهل هو مظهر من مظاهر وفاء أناس كانوا فى الاصل ـ والى زمن قريب ـ شعوبا من الفلاحين ؟ انه كل هذا ، وأكثر من هذا . لقد أصبح الموقف من الحرب العالمية الثانية ـ وكل حرب ـ « مؤسسة » فى الوجدان السوفييتى ـ ان صح هذا التعبير . وأصبح التزاما وعهدا بأن لا يسمح لمعتد أو لمجنون بأن يغرق هذه البلاد مرة أخرى فى الدم والخراب . وأن يقتل ـ كما قتل منها ـ فى الحرب العالمية الثانية عشرين مليونا من الانفس ، ويدمر ١٧٠٠ مدينة ، و ٧٠ الف قرية .

هى اذن وصية الموتى الا تكون حرب . ووصية الموتى كما يقول السوفييت :

« هى التزام يقع على عاتقنا .. أن نبذل كل ما فى وسعنا لصيانة السلام » .

ومن هذين العروسين ، تقوم الكاميرا بنقلة مفاجئة ، من الميدان الاحمر بموسكو الى قرية اقصى الغرب على الحدود السوفييتية البولندية . عند **خاتين** فى جمهورية بيلوروسيا ثم الى مدينة بريست فى موقع هذه القرية « لقد محاها الغزاة النازيون واحرقوا أهلها جميعا بعد أن جمعوهم فى معسكر واحد » .. ننزل من السيارات ، ونقطع الطريق الى النصب التذكارى لمن ماتوا ، ونسير فى جو شديد البرودة : ـ ١٦ تحت الصفر أو اكثر .

وعلى الرغم من ذلك لا تشعر بالرجفة تجتاح كيانك كله الا عندما تقترب من هذا التمثال الهائل الذى نحت من الجرانيت الاسود . فلاح عجوز يحمل بين يديه جثة حفيده الذى قتل فى المذبحة الجماعية . وعلى وجه الفلاح ارتسم أكثر من انفعال هائل من الغضب واللوعة والرغبة فى الثأر العاجل .

نطوف بالنصب ، ويدعونا مرافقانا **أناتولى** ، **وبتروفتش** الى أن نسير الى مكان قريب ، الى مطعم اقيم فى ظل النصب .

ان النقلة المفاجئة ـ هنا ايضا ـ لا تتم الا فى السينما ـ فهنا ، فى المطعم ، عدد من السياح السوفييت جاءوا للزيارة . ثم تعرف أن فى

الاتحاد السوفييتي حركة هائلة من السياحة الداخلية .

لكن هذه الحركة بحجمها الهائل ، وعلى نطاق بلد تبلغ مساحته سدس الكرة الارضية ، وسكانه بقومياتهم المتعددة أكثر من ٢٥٢ مليونا هى - فى مضمونها أيضا - حركة ثقافية بالمعنى الكامل . فى كل مكان متحف عام أو متخصص . والمسرح بما يعرض عليه من فنون الباليه والفنون الشعبية هو قبلة الجماهير السوفييتية . ولكنه كما نعلم هو قبلة وفود سياحية لا تنقطع من مرسا والولايات المتحدة وغيرهما من البلاد الاوربية . هنا سنطلب من المصور ان يتوقف . فربما اردت أن تتردد على دور السينما أو تذهب لتشترى كتابا او اسطوانة موسيقية . وسوف تكتشف أن أرخص ما يشتريه المواطن السوفييتى هو المواد الثقافية .فهو يشترى جريدته الصباحيةويدفع ٢ - ٣ - كابيك وفى تذكرة السينما يدفع من ٢٥ - ٣٥ كابيك « الروبل : ١٠٠ كابيك » أى ما يوازى من ١٢ - ١٧ مليما - هذا فى الحفلات النهارية . أو يدفع من ٣٥ - ٥٠ كابيك فى الحفلات المسائية . ولاحظ أنه يدفع أكثر من هذا ثمنا لتذكرة للمسرح « ٣ روبل تقريبا » أو تذكرة لدخول السيرك « ١ - ٢ روبل » .

عند هذه النقطة ، قد يحاول الزائر أن يتعرف على حركة المواطن السوفييتى اليومية فى مدينة مثل موسكو .

فعندما يتوجه الى عمله فى الصباح فانه سوف يستقل مترو الانفاق ، الذى يعد بما وضع فيه من رخام متعدد الالوان وثريات كهربائية من معالم المدينة الجديرة بالزيارة . هنا سوف يدفع المواطن - أجرة انتقال - مبلغ ٥ كابيك « ٢,٥ مليم » . فاذا استقل الاوتوبيس دفع نفس المبلغ . وفى الترام يدفع ٣ كابيك وفى الترولى ٤ كابيك . فاذا استقل سيارة أجرة دفع ١٠ كابيك عن كل كيلو متر .

وقد يذهب هذا المواطن ليبتاع طعامه . وسوف يدفع ١٣ كابيك ثمنا لرغيف العيش الابيض و١٥ كابيك اذا أراد أن يأكل الخبز الاسمر الذى يقبلون عليه اقبالا شديدا ، ربما لانه الذ مذاقا أو أغنى فى قيمته الغذائية . وسوف يشترى لحما ليدفع ٢ روبل فى الكيلو الواحد .

لكن المواطن السوفييتى سيقول لك ان الدولة لا تلتزم بتقديم كل سلع الاستهلاك بثمن تكلفتها أو بأقل من ثمن التكلفة . وهو محق فى ذلك فانه يشترى ٢٠ سيجارة بمبلغ يتراوح بين ٤٠ - ٦٠ كابيك ، أى أكثر من ثمن التكلفة . ويدفع مبلغا يفوق ثمن التكلفة بكثير اذا اشترى مشروبا كحوليا . هنا تجيب الدولة بأنها عن طريق تحديد هذه الاسعار العالية انما تهدف الى الحد من استهلاك الدخان والخمور . الهدف يدخل فى السياسة الصحية التى تنطلق من مبدأ الوقاية خير من العلاج .

بعد الغذاء ، يأتى بالطبع الكساء . وهنا نجد أن عناصره مرتفعة نسبيا . فالمواطن السوفييتى يدفع فى المتوسط ٢٠ روبل ثمنا للحذاء . و٨٠ روبل ثمنا لبدلة جاهزة « مستوردة » . وربما دفع ٥٠ روبل ثمنا لمعطف يلبسه فى الشتاء .

ترى هل هى اثمان فوق طاقة المواطن السوفييتى ؟

يبدو أن الامر ليس كذلك تماما . فان سياسة الدولة فى مجال الاسكان توفر له ارخص سكن فى العالم . فهو يدفع فى شقته ٢ أو ٣ او ٤ غرف ايجارا شهريا يتراوح بين ٤ - ٥ فى المائة من ميزانية الاسرة ولا يتجاوز بحال من الاحوال ١٣ روبل ، يدخل فيها استخدام الكهرباء والماء الساخن والتدفئة . وبشكل عام هو يرى أن الدولة تتحكم فى تحديد الاسعار ، وتمنع بتاتا - أن تباع سلعة استهلاكية دون أن يسجل عليها السعر المحدد . وعندما يذهب الزائر الى مجمعات « الجوم » الضخمة لبيع جميع السلع الاستهلاكية فسوف تشهد زحاما هائلا يعطيه الانطباع بأن المواطنين السوفييت يشترون لاخر مرة . لكن الامر بالطبع - ليس كذلك - وهذه الظاهرة يفسرها ارتفاع القدرة الشرائية للروبل باستمرار وارتفاع الحد الادنى والمتوسط العام للاجور والمرتبات .

فاذا كنت من زوار موسكو فسوف تقيم بلا شك فى أحد فنادقها وهناك عدد كبير من فنادق الدرجة الاولى منها مثلا فندق « راسيا » الذى يضم ٦٠٠٠ غرفة . هنا قد يلاحظ نزيل الفنادق ان مستوى الخدمة - احيانا - ليس على ما يرام . وقد حمل وفد «الطليعة» هذه الملاحظة فى لقائه مع لجنة الخطة . فقال الرفيق كونوف نائب رئيس اللجنة يشرح هذه الظاهرة :

هناك ، بالفعل ، تخلف ملموس فى بعض مجالات الخدمات . وهو يفسر بأن التركيز التقليدى على اعلاء شأن عمال الصناعات الثقيلة قد أدى الى أن يتقاضى هؤلاء العمال أعلى الاجور والامتيازات . فى حين أن العاملين فى مجال الخدمات كانوا يتقاضون أجورا ضعيفة . لكن آن لهذا الوضع أن يتغير ليتم الارتفاع بمستوى الخدمات .

فاذا شعر زائر الاتحاد السوفييتى - بعد ذلك - أنه لا يستطيع أن يمضى الى ما لا نهاية فى سرد مشاهداته وانطباعاته :

- عن البنايات العالية التى تقتحم الارض الفضاء وتلد بسرعة كبيرة أحياء ضخمة ومدنا بأكملها لم توجد .

وعن موسكو بقامتها الفارهة ونظافتها وأناقتها .

وعن الجيل الجديد من الفتيات بقاماتهن الرشيقة ..

وعن الرياضة البدنية التى تحولت بساحاتها فى كل مكان ، بعد أن تحولت الى مؤسسة لاوسع قاعدة شعبية تلد عددا كبيرا من البطولات العالمية .

وعن دور النشر التى يبلغ تعدادها ٢٣٠ دارا ، والتى تصدر ما يقرب من ٨٠ الف كتاب وكتيب .

وعن المتاجر الواسعة فى شارع كالينين والتى تبيع كل شيىء والتى تذكرك بالمحلات التجارية الضخمة فى بعض عواصم الغرب .

نقول اذا توقف الزائر عند هذا الحد ، فقد نطلب من حامل الكاميرا أن يستعد لكى يلخص كل المشاهدات والانطباعات فى فيلم وثائقى . وسنختار بطلا لهذا الفيلم الرفيق فيكتور بتروفيتش مدير دار النشر لاتحاد الصحفيين بجمهورية بيلو روسيا .

ان فيكتور بتروفتش ٥٤ سنة - متزوج - وزوجته مدرسة - وابنته ناتاشا ٢٤ سنة مهندسة كيمائية - وابنه بافل ١٥ سنة ، تلميذ بالمدرسة الثانوية .

على طريقة « الفلاش باك » سوف يحكى فيكتور بتروفيتش قصة حياته .

عاش طفولة تعسة للغاية . فقد والديه فى الحرب الاهلية . وضع فى احد بيوت الاطفال الايتام .. كان فى البيت ٨٠٠ طفل يعملون بأيديهم فى ورش الخراطة والنجارة والميكانيكا .

فى ١٩٤١ هاجم النازيون الاتحاد السوفييتى . تقرر نقل الاطفال بالقطار الى مكان آخر . ضرب النازيون القطار بالقنابل . بقى من الاطفال على قيد الحياة ٧٥ طفلا .

انتقل مع رفاقه الاطفال الى مدينة أوفا فى الاورال . فى الرابعة عشرة من عمره دخل مدرسة اعدادية للطيران . وفى ١٩٤٤ بدأ الاشتراك فى الجبهة كجندى على مدفع رشاش ثم كطيار مقاتل . قام بغارتين على خطوط الاعداء .

فى الغارة الثانية ضربت طائرته . أصيب بشظية فى حنجرته . التقطه الانصار ونقلوه الى المستشفى . فقد القدرة على الكلام . عولج والتحق بمدرسة ثانوية . انضم الى الكومسومول .

التحق بجامعة منيسك وتخرج فى كلية الصحافة عام ١٩٥٣ .

التحق بعد ذلك بالمعهد التكنيكى للجرارات والماكينات « دراسة مسائية » . تخرج فى المعهد عام ١٩٦٤ . وعمل نائب رئيس تحرير لاحدى الصحف .

التحق بالمدرسة الحزبية . وبدأ يدرس فن تصميم الالات . وحصل على درجة مرشح . يكتب الان كتابا عن تطور التصميم . وحلمه أن يصدر كتابه وأن يقرأه العلماء المتخصصون وأن يعترفوا به .

هذا هو جيل فيكتور بتروفتش . وهو الجيل الذى يلخص تضحيات الشعب السوفييتى ونضاله وانتصاراته واقتحامه لدروب غير مسبوقة . كما يلخص استقراره ، وحبه للمعرفة والعلم ، وتمسكه بعقيدة الدفاع عن السلم .

فأين تقف بلاده .. الاتحاد السوفييتى فى مطلع عام ١٩٧٦ ؟

○ ○ الصورة بين مؤتمرين .. وبين خطتين

عندما يجتمع المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى ليناقش ويقر المشروع المقدم من اللجنة المركزية عن الاتجاهات الاساسية لخطة تنمية الاقتصاد الوطنى للسنوات الخمس القادمة « ١٩٧٦ - ١٩٨٠ » - وهى الخطة الخمسية العاشرة - فان أقساما هامة من الرأى العام العالمى على اتجاهاته السياسية والاجتماعية وتناقضها - سوف تركز على دراسة التقارير المقدمة للمؤتمر ، لتتعرف على المواقع التى انتقلت اليها هذه الدولة الاشتراكية الكبرى ، وعلى العناصر التى تتكون منها قواه الذاتية فى جانبها الاقتصادى والاجتماعى . ذلك أنه قد بات معروفا ، أنه انطلاقا من أرضية اقتصادية واجتماعية معينة ، يتحدد وضع الاتحاد السوفييتى ، وتتحدد سياسته الخارجية ، وعلاقاته الدولية .

ولقد قدم مشروع اللجنة المركزية ، المشار اليه ، كشف حساب عما تم انجازه خلال الخطة الخمسية التاسعة ١٩٧١ - ١٩٧٥ والتى أقرها المؤتمر الرابع والعشرين ، وعن النواقص التى شابت التنفيذ . وبدراسة هذا المشروع وبدراسة الاحصاءات التى نشرت على مدى السنوات الخمس الماضية ، تبدو الملامح العامة لصورة الاتحاد السوفييتى فيما يلى :

فى مجال الصناعة :

ـ اذا كان الاتحاد السوفييتى قد أنتج ٧٤٠.٠٠٠ر٠ مليون ك . و من الطاقة الكهربائية عام ١٩٧٠ ، فقد انتج ٠٠٠ر٣٦ر١ مليون ك . فى عام ١٩٧٥ .

وتستهدف الخطة المقبلة أن تكون الكمية المنتجة ٣٤٠.٠٠٠ر١ مليون ك.و ٣٨٠.٠٠٠ر١مليون ك . فى عام ١٩٨٠ .

ـ واذا كان الاتحاد السوفييتى قد أنتج ٣٥٣ مليون طن من البترول عام١٩٧٠ ، فقد أنتج ٤٩٠ مليون طن فى عام١٩٧٥ أى فى السنةالخامسة للخطة التاسعة .

وتستهدف الخطة العاشرة أن يصلا نتـاج البترول الى ٦٢٠ ـ ٦٤٠ مليون طن فى عام ١٩٨٠ .

ـ واذا كان الاتحاد السوفييتى قد أنتج ١١٦ مليون طن من الصلب فى عام ١٩٧٠ ، فقد أنتج اكثر من ١٤٢ مليون طن فى عام ١٩٧٥ .

وتستهدف الخطة الخمسية أيضا أن يرتفع انتاج الصلب الى ١٦٠ ـ ١٧٠ مليون طن فى ١٩٨٠ .

ـ واذا كان الاتحاد السوفييتى قد أنتج من الاسمنت ٩٥ مليون طن فى عام ١٩٧٠ ، فقد كان الانتاج ١٢٢ مليون طن فى ١٩٧٥ .

وترمى الخطة الخمسية المقبلة الى أن تنتج ما بين ١٤٣ ـ ١٤٦ مليون طن من الاسمنت .

ان هذه الارقام تلقى الضوء على قـاعدة الصناعات الثقيلة التى يقف عليها الاتحـاد السوفييتى اليوم .

وبدراسة هذه الارقام وغيرها من فـروع الصناعة الاخرى يمكن استخلاص عدد مـن النتائج ، من بينها مثلا :

١ ـ أن الاتحاد السوفيتى يعتبر ـ على أساس حجم انتاجه الصناعى ـ الدولة الصناعية الاولى فى أوربا ، والدولة الثانية ـ فى العالم ـ بعد الولايات المتحدة الامريكية .

٢ ـ غير أن المسافة التى تفصل بين البلدين لم نزل تضيق باضطراد . ففى عام ١٩٧٤ كانت نسبة الناتج الصناعى السوفييتى ٨٠ فى المائة من الناتج الصناعى للولايات المتحدة .

٣ ـ وعلى الرغم من ذلك ، فان الاتحـاد السوفييتى قد تخطى الانتاج الامريكى فى أكثر من صناعة . وعلى سبيل المثال : أصبح الاتحـاد السوفييتى يحتل المكانة الاولى ـ فى العالم ـ فى انتاج ما يلى:

البترول ـ الفحم ـ خام الحـديد سبائك الحديد ـ الصلب ـ فحم الكوك ـ الاسـمنت ـ الاسمدة الكيماوية ـ الجـرارات الزراعيـة ـ القـاطرات الكهـربائية وقـاطرات الديـزل ـ المنسوجات الصوفيه ـ الاحذية الجلدية .

واذا وضعنا جانبا ـ ولو مؤقتا ـ ما حققته خطه التنمية التاسعة فى مختلف فروع الاقتصاد القومى ، وما حققته فى الجانب الاجتماعى ، فان السؤال الذى يطرح بالضرورة هو : **كيف أمكن للاتحاد السوفييتى أن يبنى هذه القاعدة مـن الصناعات الثقيلة فى فترة زمنية قياسية لا تتجاوز نصف القرن ؟**

الاتجاهات الرئيسية للخطـة الخمسـية العاشرة ٧٦ ـ ١٩٨٠

حـدد الحـزب الشـيوعى للاتحاد السوفيتى فى مشروع الخطة الخمسية العاشرة المقدم الى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب عددا من المهام الاساسية لتنمية الاقتصـاد الوطـنى فى الاتحاد السوفيتى ، وهى المهام التى تحكم خطـة التنميـة الاقتصادية العاشرة للسـنوات ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ . وفيـما يلى ملخص للاتجاهات الرئيسية التى تحكم الخطة .

المهمة الاولى :

ضمان النمو المطرد ، والعمـل على اسـتكمال بنية الانتـاج الاجتماعى . والمزيد من السرعة فى تطوير الفروع التى يتعين أن تستوعب منجزات التقدم العلمى والتكنولوجى .

ـ زيادة منتجات الزراعة ومنتجات الصناعة المخصصة للاستهلاك العام .

ـ توسيع مجال خدمة السكان

ـ زيادة عائد التوظيفات المالية

ـ تقصير مواعيد تشييد المشاريع

ـ تحسين نوعية البناء وتقليل كلفته

ـ اقامة مؤسسات انتاجية جديدة ، واعادة تعميم المؤسسات العـاملة ، اعادة تجهـيز المؤسسات بالمعـدات التكنولوجية الحديثة .

هذا فضلا عن ان السلطة السوفيتية الوليدة قد تسلمت بعد ثورة اكتوبر ١٩١٧ اقتصادا متخلفا في الاساس ثم جاءت الحرب العالمية الاولى فخربته ، ثم زادت في تخريبه حروب التدخل والحرب الاهلية ، وطحنته الاوبئة والمجاعة .

يكفي أن نعرف – مثلا – أنه في عام ١٩٢٠ – وعقب سنوات الاهلية والتدخل الاجنبي كان انتاج خام الحديد ١ر٠٥ مليون طن أي ٣ في المائة من انتاج عام ١٩١٣ . وبلغ انتاج الصلب ٢ر٥ مليون طن أي ٥ في المائة من انتاج عام ١٩١٣ . أما المواصلات فكانت مخربة تماما . وكانت الصناعة – في مجموعها – تفتقر الى الخامات والطاقة الكهربائية .

وما أن بدأ يسترد الاتحاد السوفييتي أنفاسه في الثلاثينات ، وبدأ يتطور كدولة صناعية ، حتى تعرض للغزوة النازية البربرية ، فكانت أبعاد التخريب والدمار التي لحقت بالاقتصاد السوفييتي هي من البشاعة بحيث ان جمهورية – مثل بيلوروسيا – قد خرب اقتصادها كله تقريبا فنقلت صناعاتها الى ألمانيا الهتلرية . ودمرت ثلاثة أرباع بيوتها . وعندما تحررت هذه الجمهورية عام ١٩٤٤ ، كان مستوى الانتاج الزراعي والصناعي فيها أقل من عام ١٩١٣ . وذلك وفقا لما ذكره لنا عضو لجنة التخطيط للجمهورية في اللقاء الذي تم مع **أركادي تولسك** رئيس تحرير جريدة **زفزدا** .

فاذا تقدمنا لنجيب على السؤال الذي طرحناه ، أمكن أن نرصد عددا من العوامل أو الشروط الرئيسية التي جعلت من الاتحاد السوفييتي الدولة الصناعية الثانية في العالم . وبالطبع ، سوف يأتي في مقدمة هذه الشروط : انتصار ثورة أكتوبر بقيادة الحزب الشيوعي ، واقامة سلطة العمال والفلاحين ، وتصفية نظام القيصرية الاوتوقراطي ثم تصفية النظام البورجوازي .

لقد كان كل هذا المقدمة التي لا بديل عنها ، لكنها – مع ذلك – لم تكن كل شيء ، ولا تفسر كل شيء .

● هنا ، يأتي العامل الثاني في انهاض الاقتصاد السوفييتي : وهو السياسة الصائبة التي طبقها الحزب بقيادة **لينين** . والتي حددت أن الاقتصاد هو الحلقة الرئيسية التي يجب الامساك بها . فلم يعد يكفي – كما أوضح **لينين** – أن يكون الانسان ثوريا ، أو نصيرا للاشتراكية ، أو شيوعيا بشكل عام » ، ولكن لابد من أن يصوغ الحزب سياسته على أساس أن **الاقتصاد هو المجال الرئيسي والحاسم للنضال من أجل الاشتراكية** .

وفي ذلك ، طالب لينين بأن تتحول مؤتمرات الحزب واجتماعاته الموسعة الكونفرنس الى :

« **أجهزة تحقق انجازاتنا الاقتصادية . أجهزة يمكن أن نتعلم فيها عملية التنمية الاقتصادية** » .

هكذا ، حدد الحزب – بعد الثورة – ثلاث مهام أساسية هي :

١ – تصفية التخلف الموروث في الصناعة والزراعة .

٢ – وضع سياسة سليمة لبناء الاقتصاد الاشتراكي .

٣ – احباط أهداف الحصار الرأسمالي الخانق أو ما سمي « بالحجر الصحي » الذي

– تحسين نوعية المنتجات وتنويعها .

– التوسع في انتاج انواع جديدة من المصنوعات تنسجم مع المتطلبات العصرية .

المهمة الثانية :

تنفيذ سلسلة متكاملة من التدابير لمواصلة العمل على زيادة رخاء الشعب ، وضمان تلبية حاجاته المادية والروحية وتحسين ظروف السكن .

وهذا يعني :

– زيادة الدخول الفعلية للفرد الواحد من السكان بنسبة تتراوح بين ٢٠–٢٢٪

– تلبية طلب السكان في الشراء عن طريق زيادة انتاج بضائع الاستهلاك العام ، وتحسين نوعيتها ، وتوسيع تشكيلتها .

– تطوير مجال الخدمات .

– التأكيد ، أكثر فأكثر ، على دور الحوافز في تحديد اجور العمال . وربط دخل كل عامل بمدى مساهمته العملية الشخصية ، وضمان مساهمة العمل الجماعي في تطوير الانتاج الاجتماعي ، وزيادة مردودة .

– الاستمرار في تحسين ظروف العمل ، ومحتواه ، ورفع مؤهلات العاملين ومهاراتهم المهنية .

– رفع مستوى السكان التعليمي والثقافي .

– مواصلة تقريب مستويات وظروف حياة سكان المدينة والريف ، والقضاء باضطراد على الفوارق الاجتماعية الاقتصادية والثقافية المعاشة بين المدينة والقرية على اساس الاسراع بتصنيع الانتاج الزراعي وتحسين الخدمات الثقافية في الريف .

المهمة الثالثة :

ضمان زيادة عائد الانتاج الاجتماعي وتكثيفه بكل السبل ، واحكام نظام التوفير في الاقتصاد الوطني .

ويتم هذا :

– بتركيز انتباه خاص على زيادة انتاجية العمل وهو الشرط الحاسم لاستمرار نمو الانتاج والنهوض برخاء الشعب .

– تحقيق الزيادات التالية عن طريق زيادة انتاجية العمل :

٩٠٪ من زيادة الانتاج الصناعي وكل زيادة منتجات الزراعة وأعمال البناء والتركيب .

٩٥٪ من زيادة حجم النقل بالسكك الحديدية .

– زيادة عائد استخدام الايدي العاملة . ويتطلب هذا التوسع في ادخال المكننة والاتمتة على العمليات الانتاجية في كل فروع الاقتصاد الوطني . وهنا توجه اهتمام خاص الى مكننة الاعمال الثانوية ، وتقليل العمل

فرض على الدولة السوفيتية، حتى لا تقع البلاد ـ مرة أخرى ـ فى براثن التبعية الاقتصادية لدول الغرب الامبريالية .

وكان لينين قد لخص السياسة الاقتصادية للبلاد فى خطين :

اولا : فى الانتقال من الاقتصاد القائم على الانتاج السلعى الصغير الى اقتصاد اشتراكى .

ثانيا : فى الاكتفاء الذاتى ـ تحت وطـأة الحصار الرأسمالى ـ فى الالات والمعادن والمعدات والمواد الخام .. الخ .

وعلى أساس هذين الخطين ، مضى لينين ليحدد :

ان الاولوية المطلقة يجب أن تكون لتصنيع البلاد .. لاقامة القاعدة المادية والتكنيكية ، الامر الذى يتحقق بانتاج وسائل الانتاج .. وفى ذلك كان يقول :

« اننا ما لم ننقذ الصناعة الثقيلة ، وما لم نرد اعتبارها ، فلن نتمكن من بناء أية صناعة عـلى الاطلاق ، وبدون صناعة سوف ننحدر الى مستوى البلد التابع » .

ثم أخذ يحذر من الاعداء المتربصين فى الدول الرأسمالية المتقدمة مشيرا الى أن :

« أولئك الذين يملكون تجهيزات ومعدات أعظم سوف تكون لهم اليد العليا » ..

ومن ثم :

« يتحتم علينا ـ كما قال ـ أن نستوعب التكنيك الحديث ، والا فسوف يتم سحقنا » .

ولقد طبقت الدولة الناشئة خطة البنـاء الاشتراكى بحـزم . فشرعت تدعـم سلطتها فى مواجهة حلف الطبقات المستغلة وتعزز التحالف بين العمال والفلاحين ، وتعتمد على جماهير العمال وتدعوهم الى بناء القاعدة المالية والتكنيكية للاقتصاد الصناعة الثقيلة . واهتمت بجـذب الفلاحين الى الاشتراكية من خلال التعاونيات ، وأطلقت ثورة ثقافية لمحو الامية وتأمين فرص التعليم على أوسع نطاق .

وربما يلفت النظر هنا أن لينين هنا أو « الحـالم فى الكرملين » ـ على الرغم من كل ظروف التدهور الاقتصادى الذى شهدته البلاد غداة انتصـار الثورة ـ استطاع أن يضع هدفا طموحا للـدولة الاشتراكية ألا وهو :

« اللحاق بالبلدان الاخرى بسرعة أكبر .. »

ولكن هذا لم يكن حلما . فبفضل التخطيط العلمى ، وبفضل انجاز المهام والاهداف الرئيسية لكل خطة من خطـط التنميـة الاقتصـادية والاجتماعية ، استطاع الاتحاد السـوفييتى أن يتخطى الصعوبات الرئيسية ، وأن يقيم الاقتصاد على قواعد راسخة لتنطلق التنمية بـوتيرة متسارعة .

وعندما زرنا المبنى الهائل الذى يتم فيه وضع خطط التنمية « الجوسبلان » وجلسنا الى الرفيق كوتوف نائب رئيس لجنة الدولة للتخطيط ، والى مساعديه ، لنتعرف على صورة الاتحاد السوفييتى اقتصاديا واجتماعيا بعد عام ١٩٧٦ ، أى بين المؤتمرين الرابع والعشرين والخامس والعشرين ، اخبرنا بأن البلاد ستحتفل فى عام ١٩٧٨ بمرور خمسين عاما على وضع أول خطة خمسية

اليدوى فى الصناعة الى اقصى حد ممكن

ـ زيادة الانتاج فى المؤسسات مـع بقاء نفس العدد من العاملين أو تخفيضة

ـ ترشيد استخدام عمل العاملين فى المجالات غير الانتاجية .

ـ تحسين تنظيم العمل فى جميـع حلقات الانتاج والادارة . وأن تؤخـذ بعين الاعتبار متطلبات التنظيم العلمى للعمل عند تصميم المؤسسات الجـديدة أو عند اعادة تصميم المؤسسات العاملة

ـ الاسراع بوضع حدود مقبولة تكنيكيا لكمية الانتاج

ـ تحسين تأهيل الكوادر الفنية ، وتحسين مؤهلاتها ، وتغيير اختصاصاتها وفقا لمتطلبات التقدم التكنولوجى .

ـ استخدام اسـاليب أسرع لبناء المساكن ومؤسسات الثقافة خاصـة فى مناطق سيبيريا والشرق الاقصى .

ـ زيادة القدرات الانتاجية عن طريق اعادة تجهيز المؤسسـات بالمعـدات التكنيكية وتجديد وتحديث التجهيزات . بهدف انتاج بضائع ممتازة بنفقات أقل وفى آجال أقصر .

ـ تقليل فترات توقف الماكينات وزيادة انتاجية عملها .

ـ استخدام المعدات الزراعية بفاعلية أكبر وضمان عملها بلا انقطاع طيـلة الفترة المحددة لخدمتها .

ـ تشغيل ماكينـات البنـاء وآلاته تشغيلا أكمل وزيادة انتاجها

ـ زيادة فعالية اسـتخدام الموارد المادية . وتقليل كمية المواد التى يتطلبها المصنوع بكل السبل عن طريق التوسع فى تطبيق التصميمات المتقدمة . تقليل نسبة ما يستخدم من المواد الخام .

ـ احكام معدلات استخدام الوقود والطـاقة ، ومكافحة مظاهر التبـذير والتقصير الاقتصـادى بحيث يمكن أن يتوفر ـ خلال السنوات الخمس القادمة ـ من ٥ ـ ٦٪ فى كميات الاسـمنت ، ومن ٥ ـ ٧٪ من مواد البناء ، ومن ١٢ ـ ١٤٪ من الاخشاب . وتخفيض نفقات وقود الافران والمراجل بنسـبة ٣ـ٤٪ ، والطاقة الكهربائية والحرارية بنسبة ٥٪ ، والبنزين والديزل المستخدم فى سيارات النقل بنسبة ٨٪ .

ـ تقليل تكلفة المنتجات فى الصناعة بنسبة ٤ـ٥٪ ، وفى صناعة الماكينات بنسبة ٩ـ١٠٪ ... الى غير ذلك من وســائل الوفر فى استخدام المعادن الحديدية ... الخ .

المهمة الرابعة :

الاسراع بمعدلات التقدم العـلمى التكنولوجى بصفته الشرط الحاسم لزيادة فعالية الانتاج وتكثيف الانتاج الاجتماعى ويتم هـذا :

ـ بتوثيق صلة العلم بالانتاج والاسراع

للتنمية أول اكتوبر ١٩٢٨ ـ أول اكتوبر ١٩٣٢ .

وبالطبع ، فقد كان لكل خطة ظروفها الداخلية والخارجية . وجرى وضع كل خطة تحت شعار معين رئيسى ، وعلى ضوء أهداف محددة . لكن هذه الخطط جميعها ، من الاولى حتى العاشرة عكست السمات الاساسية والثابتة للاقتصاد الاشتراكي في كافة مراحل البناء الاشتراكي . هذه السمات هي :

ـ التطور المخطط للاقتصاد تحت قيادة تخطيط مركزية .

ـ تحقيق معدلات عالية من النمو .

ـ الاستجابة للاحتياجات المتزايدة للسكان لان هدف الانتاج الاجتماعي كما حدد لينين يظل ـ دائما ـ الرفاهية الكاملة والنمو الحر والشامل لكل عضو من أعضاء المجتمع .

ـ تدعيم القدرة الصناعية والدفاعيـة للبـلاد

واذا جاز لنا أن نتوقف عند بعض المعالم البارزة فى الطريق ، فانه يمكن القول أن المؤتمر الثاني والعشرين حدد هدفا لشعوب الاتحـاد السوفيتي لكى تشرع ـ بعد أن ارست قواعد البناء الاشتراكي ـ في بناء مرحلة من الاشتراكية أعلى مما سبق ، هى المرحلة التى تذكر فـى الادبيات السوفيتية تحت اسم « مرحلة بنـاء القاعدة المادية والتكنيكية للشيوعية » .

وفي المؤتمر ـ الرابع والعشرين ، اكتملت معالم خطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وضـعت موضع التطبيق العملى هدفا لهاشعار :

اللحاق بأكثر الدول الرأسمالية تطورا والتفوق عليها .

مرة أخرى ، لابد وأن يطرح هنا السـؤال التالى :

أكانت هذه مجرد أحلام يقظة أم كان هدفا واقعيا ومشروعا ؟

يجيب الرفيق كوتوف نائب رئيس لجنة الخطة

● اذا كانت المقارنة بين أول خطة وبين الخطة التاسعة أو العاشرة تثبت أن هناك تقدما ، فأن قضية اللحاق بأكثر الدول الرأسمالية تطورا هى عملية محسوبة من جميع جوانبها :

ـ فاذا اعتبرنا عام ١٩٢٨ ، سنة الاساس ، فانه فى تلك السنة كانت الاصول الثابتة ٨٠٠ مليون روبل . وفى ١٩٧٥ تضاعف هذا الرقم بمقدار ٣٠ مرة .

فى ١٩٢٨ كان عدد العمال والموظفين العاملين فى جميع فروع الانتاج القومى ١١ مليونا . وفى ١٩٧٥ أصبح يعمل فى الاقتصاد القومى ١١٥ مليونا من العمال والمزارعين التعاونيين وهـم يشكلون القوى الرئيسية المنتجة فى المجتمـع السوفيتى .

● هناك الان ٢٢ مليونا من الفنيـين والخبراء يعملون فى الانتاج اى أكثر ٤٤ مرة مما كان فى ١٩٢٨

● وهناك الان أكثر من مليون و ٢٠٠ الف عامل علمى من العلماء والباحثين العلميين الخ .. فى الاقتصاد أى أكثر ٦٠ مرة مما كان فى ١٩٢٨ .

فاذا تركنا عام ١٩٢٨ لنعقد مقارنات أخرى سريعة ، فسوف نجد :

بتطـبيق نتائج الابحــاث العلمية فى الاقتصاد الوطنى .

ـ اتباع سياسة تكنيكية موحدة فى تجهيز الانتاج بالمعدات التكنيكية المتقدمة

ـ مواصلة الانتقـال من صـــنع واستخدام ماكينات منفردة وعمليـات تكنولوجية منفردة الى تصميم وانتـاج نظام او انظمة متكاملة شديدة الفعالية من الماكينــات والالات والعمـــليات التكنولوجية التى تضمن مكننـة واتمتة كل عمليات الانتاج ولا سيما العمليات الثانوية وعمليات النقل والخزن .

ـ يجب أن تتفوق الماكينات والمعدات والالات المصنوعة على خـيرة المنجزات الوطنية والعالمية بمواصـفاتها التكنيكية الاقتصادية بالنسبة لوحدة الانتاج .

ـ تطوير النشـــاط الابداعى لدى العاملين والمجددين ، وتشـجيع حركة المخترعين والعاملين علىتحسين أساليب الانتاج ، ورفع مستوى عمل الجمعيات العلمية التكنيكية .

المهمة الخامسة :

احكام ادارة الاقتصاد الوطنى بهدف الاستفادة ـ على خير وجـه ـ من ميزات وامكانيات الاقتصاد الاشتراكى. ويتم هذا بفضل عدد من الاجراءات من بينها :

ـ التوسع فى استخدام تنبـؤات التقدم العـلمى التكنيكى والعمــليات الاقتصادية الاجتماعية فى اثناء وضـع الخطط الاقتصادية .

ـ تحسين تنظيم واساليب اعـداد خطط التنمية الاقتصادية ، وتقصــير مواعيد وضعها .

ـ اعلاء دور المؤسسة المستهلكة فى صياغة خطط الانتاج . وذلك باستخدام نظام للطلبات والاتفاقيات الاقتصـادية على نطاق واسـع .

ـ زيادة فعالية التمويل الذاتىوزيادة المالية والقروض فى استثمار الموارد الانتاجية على وجه حكيم ، وتقليل كلفة المنتجات ، وزيادة الربحية ، وفى تجنب النفقات والفاقد غير الانتـاجى وزيادة واردات الدولة .

ـ التوسع فى استخدام قروضالبنوك لاعادة تعميم المؤسسات العاملة واعادة تجهيزها بالمعدات التكنيكية .

ـ احكام البنية التنظيمية للادارة .

ـ مواصلة تحسين اعداد الكوادر الاقتصادية وزيادة مؤهلاتها .

ـ تشديد مسئولية القادة الاقتصاديين عن اداء الواجبات التى كلفتهم الدولة بها .

ـ اتباع طرق صـارمة للتوفير فى النفقات على الادارة .

ان من بين كل الف من العاملين يوجد ٧٥١ اتموا تعليمهم الثانوى ، او التعليم العالى المكتمل او الناقص هذا فى ١٩٧٥ . وكان الرقم ١٢٣ عام ١٩٣٩ .

● وان عدد العاملين فى أعمال ذهنية قد ارتفع من ٣ مليون عام ١٩٢٦ الى ٣٤ مليون عام ١٩٧٤ ، من بينهم مليون و ٢٠٠ ألف مشتغل بالبحث العلمى وهو ربع العدد العالمى و ٤ر٣ مليون مهندس اى ثلاثة أضعاف عدد المهندسين فى الولايات المتحدة الامريكية . وهناك ٧ر٢ مليون معلم فى مدارس التعليم العام و ٨٠٠ ألف طبيب . وهنا يحتل الاتحاد السوفييتى المكانة الاولى فى عدد الاطباء بالنسبة لكل عشرة آلاف نسمة .

هذا عن المقارنات التى تدلل على الخطوات التى قطعها الاتحاد السوفييتى . منذ قيامه

غير أن هذا المنهج ، لا يكفى فى حد ذاته ، وانما لابد من التركيز على بعض مؤشرات الخطة الخمسية التاسعة التى انتهت بنهاية عام ١٩٧٥ .

ـ فقد اعتمد لانجاز هذه الخطة مبلغ ٥٠٠٫٠٠٠ مليون روبل لتطوير جميع فروع الاقتصاد الوطنى ورفع مستوى معيشة السكان . ويزيد هذا المبلغ بمقدار ٤٠ فى المائة عما اعتمد للخطة الخمسية الثامنة ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ .

ـ وقد تضاعف الانتاج الصناعى بمقدار مرة ونصف . وزادت انتاجية العمل فى الصناعة بنسبة ٣٤ فى المائة وفى الزراعة بنسبة ٢٢ فى المائة «المتوسط السنوى» وفى البناء ٢٩ فى المائة واذا كنا قد أشرنا من قبل ـ الى بعض مؤشرات الصناعات الثقيلة ، فيمكن القول بأن الاتجاه الاساسى فى الصناعة هو الى انشاء المصانع الكبرى والمجمعات الهائلة والوحدات الصناعية ذات الانتاج القياسى ومن الامثلة على ذلك **مصنع توليانى** للسيارات الذى تم بناؤه فى فترة قصيرة . وهذا المصنع الضخم ينتج الان ٦٥٠ الف سيارة من سيارات الركوب هذا العام .

وفى عام ١٩٧٤ بدأ تشغيل أكبر فرن لصهر الحديد سعته ٥ آلاف متر مكعب ، تم بناؤه فى عامين . وهذه الوحدة تصب من الحديد ما كانت تنتجه جميع افران الصهر فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٣٠ .

ـ ازداد الدخل القومى المستخدم للاستهلاك والتراكم بنسبة ٢٨ فى المائة . وتوفر حوالى أربعة أخماس زيادة الدخل القومى عن طريق زيادة انتاجية العمل الاجتماعى .

ـ وزادت منتجات صناعة الماكينات ٧ر١ مرة ، ومن بينها وسائل التكنيك الحسابى التى زادت ٤ مرات ، ومعدات ووسائل الاتمتة التى زادت ٨ر١ مرة ، والسيارات ٨ر١ مرة .

ـ تدعمت بكيفية جوهرية متانة قاعدة الوقود والطاقة ، فازداد انتاج الطاقة الكهربائية ، واستخراج البترول والغاز والفحم وقطعت الطاقة الذرية خطوات واسعة .

ـ وزاد انتاج سلع الاستهلاك بنسبة ٣٧ فى المائة وزاد انتاج السلع المخصصة للاغراض الثقافية والشئون المنزلية بنسبة ٦٠ فى المائة وتوسعت تشكيلة البضائع وتحسنت نوعيتها . وزاد حجم انتاج المواد الاستهلاكية فى الصناعة بنسبة ٤٤ ـ ٤٨ فى المائة .

ـ تطوير اشكال اشتراك العاملين فى ادارة الانتاج .

المهمة السادسة :

اعداد وتنفيذ الاجراءات الخاصة بصيانة البيئة الطبيعية واستثمار الموارد الطبيعية وتجديدها .

المهمة السابعة :

تطوير وتعميق التعاون الشامل باضطراد مع البلدان الاشتراكية والتمهيد لرسوخ نظام الاشتراكية العالمى . وتوسيع الصلات الاقتصادية والعلمية والتكنيكية مع البلدان النامية والدول الرأسمالية المتقدمة فى الوجهة الصناعية .

● ● ●

على ضوء هذه المهام السبع حددت خطة التنمية اتجاهات تطوير فروع الاقتصاد الوطنى ورفع مستوى حياة الشعب ، وتوزيع القوى الانتاجية ، وتنمية اقتصاد كل جمهورية منجمهوريات الاتحاد السوفيتى ، وتطوير العلاقات الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتى

ولما كان الحيز لا يسمح بأن نعيد هنا نشر النص الكامل لمشروع الخطة الخمسية العاشرة ، فاننا سنكتفى بايراد امثلة على المؤشرات التى تضمنتها الخطة مترجمة الى ارقام .

اولا ـ فى تطوير الصناعة :

ـ تطوير وسائل الانتاج بنسبة ٣٨ ـ ٤٢٪ وسلع الاستهلاك بنسبة ٣٠ ـ ٣٢٪ .

ـ زيادة انتاجية العمل فى الصناعة بنسبة ٣٠ ـ ٣٤٪ .

ـ احكام بنية الصناعة بتوجيه اهتمام خاص الى تطوير صناعة الماكينات والصناعات الكيماوية وصناعة كيمياء النفط والطاقة الكهربائية بحيث تحقق زيادة محسوسة بالنسبة لمجمل حجم الانتاج .

ففى الطاقة الكهربائية تتجه الخطة الخمسية العاشرة الى ضمان انتاج ١٣٤٠ ـ ١٣٨٠ مليار كيلووات ساعة من الطاقة الكهربائية فى سنة ١٩٨٠ .

وفى صناعة النفط : تستهدف الخطة انتاج من ٦٢٠ ـ ٦٤٠ مليون طن عام ١٩٨٠ . وزيادة انتاجية العمل فى صناعة تكرير النفط بنسبة ٣٩ ـ ٤١٪ . واستخراج من ٤٠٠ الى ٤٣٥ مليار متر مكعب من الغاز . وتشغيل حوالى ٣٥ الف كيلومتر من انابيب الغاز .

وفى صناعة الفحم زيادة انتاجه ليبلغ ٧٩٠ ـ ٨١٠ مليون طن فى ١٩٨٠ .

وفى صناعة المعادن الحديدية ضمان انتاج الفولاذ بمقدار ١٦٠ ـ ١٧٠ مليون طن عام ١٩٨٠ .

— وتطورت جميع وسائل النقل ، وتم تشغيل خطوط حديدية يبلغ مجموع طولها ٦ر٣ الف كيلومتر . وتمت كهربة ٨ر٤ الف كيلومتر من الطرق الحديدية . وبدأ مد الطريق الحديدي العام **بايكال آمور** ٣٠٠٠ كيلومتر وتم مد حوالى ٥٨ الف كيلومتر من الانابيب ، وبناء الف كيلومتر من طرق السيارات المرصوفة بالاسفلت .

هذه بعض مؤشرات عن المنجزات فى الحقل الاقتصادى ، فماذا حققت الخطة التاسعة على الجانب الاجتماعى ؟

— لقد تحسنت ظروف السكن بالنسبة لاقسام واسعة من السكان بسبب التوسع الهائل فى اعمال البناء ، فبنيت مساكن فى مساحة مجموعها ٥٤٤ مليون متر مربع أى ٩ ملايين شقة . وتحسنت نوعية الشقق ووسائل الراحة المتاحة فيها . كما تحسنت ظروف السكن لـ ٦٠ مليون شخص .

وتحققت زيادة كبيرة فى الاجور مع ثبات مستوى أسعار التجزئة وأصبحت الاسرة المتوسطة التى تتكون من أربعة افراد تشترى حاليا من السلع بما هو أكثر من ٦٠٠ روبل عما كانت تشتريه منذ ٥ سنوات . هنا لابد أن نضيف ان سلعا كثيرة واساسية لم تزد اسعارها منذ الثلاثينات .

— لقد تم رفع الحد الادنى لاجور العمال ومرتبات الموظفين بنسبة تتراوح بين ٣٠ — ٣٥ فى المائة بحيث لا يقل عن ٧٠ روبل فى الشهر . لكن المتوسط الشهرى للاجور والمرتبات يزيد عن ذلك كثيرا . ففى خلال السنوات الاربع ٧١ — ١٩٧٤ زاد متوسط الاجر الشهرى للعمال والموظفين من ١٢٢ روبل الى ١٤٠ روبل . فاذا اضفنا الى ذلك قيمة ما يخص كل فرد من السكان من المخصصات الاجتماعية للاستهلاك الخدمات المختلفة ، الطبية الخ .. الخ فان متوسط الاجر المدفوع يرتفع فى خلال تلك الفترة من ١٦٤ روبل الى ١٩٠ روبل على أساس أنه فى عام ١٩٧٤ خص كل فرد من الخدمات الاجتماعية ما قيمته ٣٢٩ روبل فى مقابل ١٨٢ فى عام ١٩٦٥ . وعموما فقد استفاد من التدابير الخاصة برفع الاجور اكثر من ٧٥ مليون شخص .

— تم رفع الحد الادنى لمعاشات التقاعد للعمال والموظفين والفلاحين التعاونيين ، وتحسنت معاشات معوقى الحرب والاسر التى فقدت عائلها واقرت تخفيضات لاسر شهداء الحرب الوطنية الكبرى .

— وزاد عدد الايام المدفوعة الاجر للام للعناية بالطفل المريض . ورفعت حدود النفقات المقررة للطعام فى المستشفيات وفى المعاهد المهنية المتوسطة وفى دور العجزة والمقعدين . وتقررت مساعدات نقدية للاسر التى تعول عددا كبيرا من الاطفال . وزيدت المنح الدراسية لطلبة المعاهد العليا والمتوسطة المتخصصة . وبفضل زيادة المعاشات والمساعدات والمنح ، زادت دخول حوالى ٤٠ مليون شخص .

— على أن ما حدث فى مجال التعليم يعد أحد المعالم الرئيسية والحاسمة فى التطور الاجتماعى للاتحاد السوفييتى . ففى عام ١٩٧٥ ، وهو العام الاخير من الخطة الخمسية التاسعة سوف يتم الانتقال فى جميع انحاء البلاد الى التعليم الثانوى

وفى صناعة الاسمدة المعدنية أن يصل الانتاج فى عام ١٩٨٠ الى ١٤٣ مليون طن .

وفى صناعة الماكينات زيادة انتاج صناعاتها ومعالجة المعادن خلال السنوات الخمس ٥ر١ — ٦ر١ مرة .

انتاج المفاعلات الذرية بقوة لا تقل عن مليون كيلووات لاستخدامها فى المحطات الكهربائية الذرية .

وفى صناعة الالات والادوات زيادة انتاج آلات قطع المعادن وماكينات الحدادة والكبس ٥ر١ — ٦ر١ مرة .

الاسراع بتطوير وانتاج المعدات الاوتوماتيكية ذات الانظمة الالكترونية المصغرة للادارة والمراقبة الحسابية المبرمجة . وتنظيم انتاج اجهزة التحكم الاوتوماتيكية ذات الادارة المبرمجة والتى تقوم بمكننة واتمتة الاعمال اليدوية الشاقة والرتيبة انتاجا مسلسلا .

وفى صناعة السيارات ضمان انتاج ١ر٢ — ٢ر٢ مليون سيارة فى سنة ١٩٨٠ . من ذلك ٨٠٠ — ٨٢٥ الف سيارة شحن . وزيادة انتاج الاوتوبيسات للنقل العام . وتطوير انتاج السيارات القلابات وقوافل السيارات القلابات حمولة ٧٥ و١٢٠ طنا واكثر لصناعة استخراج المعادن . ورفع المستوى التكنيكى للسيارات ومؤشرات الجودة وحسن الاستعمال الى حد بعيد .

وتستهدف الخطة أن يصل انتاج الجرارات فى ١٩٨٠ الى ٥٨٠ — ٦٠٠ الف جرار مجموع قوتها ٥٥ مليون حصان وانتاج ١٢٥ الف حاصدة دراسة .

ايصال انتاج الاسمنت فى عام ١٩٨٠ الى ١٤٣ — ١٤٦ مليون طن .

زيادة انتاجية العمل فى صناعة مواد البناء بنسبة ٢٤ — ٢٦٪ .

— زيادة انتاج الخشب والورق والسيليلوز بنسبة ٢٢ — ٢٥٪ .

— زيادة انتاج الاثاث للاستعمال المنزلى ٤ر١ — ٥ر١ مرة . والاهتمام الخاص بتوزيع اشكال الاثاث وتحسين نوعيته ومتانته وجماليته .

وفى الصناعات الخفيفة زيادة انتاج المصنوعات بنسبة ٢٦ — ٢٨٪ . وسوف يصل انتاج الاقمشة فى ١٩٨٠ الى ٥ر١٢ — ١ر١٣ مليار متر مربع . ومصنوعات التريكو الى ١٨٠٠ — ١٩٠٠ مليون قطعة . وزيادة انتاج السلع الرياضية والسياحية واقمشة الستائر .

ويتطلب تحقيق ذلك أن تزيد انتاجية العمل فى الصناعة الخفيفة بنسبة ٢٣ — ٢٥٪ .

الشامل «من ١٠ ـ ١١ سنة» أى ليصبح الزاميا وذلك تنفيذا لتوجيهات المؤتمر الرابع والعشرين للحزب وهذا الاجراء لا غنى عنه ـ فى الواقع بالنسبة للمجتمع الاشتراكى فى ظروف التطور العاصف للثورة العلمية والتكنولوجية هنا سوف يتم تدريس مقررات جديدة تماما ، وفى أغلب الاحيان سوف تحل الشاشة محل السبورة فى الفصل ، وتستخدم وسائل الايضاح البصرية والسينما والتليفزيون على نطاق واسع ، وتعمم معامل اللغات .

ـ وفى خلال السنوات الاربع الاولى من خطة ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ تم بناء مبانى مدرسية جديدة تستوعب ٥ر٦ مليون تلميذ . وتم تدريب أكثر من نصف مليون مدرس تدريبا رفيعا . وزادت مخصصات الدولة لمدارس التعليم العام فبلغت ١٠ آلاف مليون روبل عام ١٩٧٤ مقابل ٥ر٤٠٠ مليون روبل عام ١٩٧١ وحصلت مدارس الريف على ما يقرب من ١٤٨ مليون روبل من وسائل الايضاح والمعدات . . .

فاذا حللنا ـ بعد ذلك ـ معالم الصورة ، فسوف نجد ان ما تحقق يرجع الى أن تنفيذ الخطة التاسعة قد تم على أساس محورين رئيسيين

المحور الاول : أساسه الفكرى ان الاشتراكية هى فى نهاية الامر العمل الخلاق لاوسع الجماهير . فاذا كان الامر كذلك فان الهدف الاسمى لاى خطة تنمية « اقتصادية اجتماعية » يجب ان يكون اشباع الاحتياجات المادية والثقافية للشعب . من هنا ، حدد المؤتمر الرابع والعشرون ان الخطة التاسعة يجب أن تحقق ارتفاعا كبيرا فى المستوى المادى والثقافى للشعب على أساس من النمو المتسارع والشامل للقوى الانتاجية .

المحور الثانى : أساسه الفكرى ضرورة الربط العضوى بين منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية وبين المزايا الفريدة التى يتيحها النظام الاشتراكى .

ثم نتوقف قليلا ، عند هذا المحور الثانى . لانه لا يمثل المفتاح الرئيسى فى تنفيذ خطة ٧١ ـ ١٩٧٥ فحسب ، بل سيكون ـ منذ الان ـ مفتاح الخطة العاشرة ايضا « ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ » . وسيكون مجال العلم والتكنولوجيا هو مجال المنافسة الحقيقية بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى .

ترى أى النظامين سيستفيد من منجزات هذه الثورة ليثبت تفوقه على الاخر ؟

ان السوفييت يقطعون بأنهم ـ خاصة فى ظروف الانفراج الدولى ـ سيكسبون أيضا هذه الجولة . ويقولون أن الماركسية قد طرحت هذه القضية على نحو صائب منذ ان أثبت **كارل ماركس** ـ وكان أول من فعل ذلك ـ دور العلم فى تطوير انتاجية العمل ، وعندما كشف عن الاتجاه الحتمى لتحول العلم الى قوة انتاجية مباشرة . وعلى هذا الدرب سار **لينين** ، ووضع فى ذلك صياغات محددة منها قوله أن الاشتراكية لا يمكن تصورها « بدون الهندسة المؤسسة على آخر ما اكتشفه العلم الحديث » . وكان يرى أن التقدم العلمى

زيادة انتاج البضائع للاغراض الثقافية والشئون المنزلية ١ر٦ مرة . أى زيادة انتاج الاجهزة الالكترونية والاجهزة الكهربائية المنزلية وأجهزة التليفزيون الملونة والثلاجات وأجهزة الراديو والبيك آب من الدرجة الممتازة والات التصوير ومطابخ الغاز الممتازة وماكينات الغسيل والكى الاوتوماتيكية ومختلف أجهزة الاضاءة وأدوات المائدة من النوع الممتاز ولوازم السيارات وكل المصنوعات التى تسهل الاعمال المنزلية .

زيادة انتاج العمل فى صناعة الاغذية بنسبة ٢٤ ـ ٢٦٪ وفى صناعة اللحوم والالبان بنسبة ١٧ ـ ١٩٪ . وفى صناعة الاسماك بنسبة ١٦ ـ ١٧٪ . وزيادة انتاج منتجات الطحين والدقيق بنسبة ٢١ ـ ٢٣٪ .

زيادة انتاج العمل فى الصناعة الطبية بنسبة ٣٦ ـ ٣٨٪ . وضمان اعداد آلات وأجهزة الكترونية أوتوماتيكية ومستحضرات طبية لفحص السكان فحصا طبيا شاملا . وزيادة مكننة العمل فى المستشفيات .

ثانيا : فى تطوير الزراعة :

تتمثل المهمة الاساسية فى تطوير الزراعة فى ضمان نمو وثبات اكثر للانتاج الزراعى . وزيادة فعالية الفلاحة وتربية الماشية لسد حاجات السكان الى المواد الغذائية وحاجات الصناعة الى الخامات بكيفية أكمل . وايجاد الاحتياجات اللازمة للدولة من المنتجات الزراعية ولذلك تهدف الخطة الخمسية [٧٦ ـ ٨٠] الى زيادة المتوسط السنوى لحجم انتاج منتجات الزراعة بنسبة ١٤ ـ ١٧٪ . قياسا الى السنوات الخمس السابقة .

والمهمة الاولى فى الفلاحة . هى زيادة انتاج الحبوب بكل السبل ليصل المتوسط السنوى لمجمل جنى الحبوب الى ٢١٥ ـ ٢٢٠ مليون طن . وضمان انتاج مالايقل عن ٩ ملايين طن من القطن الخام عام ١٩٨٠ .

رفع المتوسط السنوى لانتاج البنجر [السكرى] الى ٩٥ ـ ٩٨ مليون طن

زيادة انتاج الخضروات وتنويعها وتحسين نوعيتها وزيادة انتاج الفواكه والكروم والشاى .

الوصول بالمستوى السنوى لانتاج اللحوم الى ١٥ ـ ٦ر١٥ مليون طن [بوزن الذبح] وانتاج الالبان الى ٩٤ ـ ٩٦ مليون طن والبيض الى ٥٨ ـ ٦١ مليار بيضة .

الانتقال التدريجى الى تصنيع عمليات انتاج تربية الماشية والدواجن .

والتكنولوجى . وزيادة انتاجية العمل هما عاملان حاسمان فى بناء المجتمع الاشتراكى .

لكن السوفييت يضيفون ، الى ذلك ، أن الاشتراكية ـ كنظام اجتماعى ـ هى النظام الوحيد الذى يوفر ـ على أفضل وجه ـ المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية لتطبيق مكتشفات العلم والتكنولوجيا . وذلك بسبب أن النظام الاشتراكى يقضى على فوضى الانتاج ، وعلى التناقضات المستعصية داخل بنية النظام الرأسمالى . هذا من ناحية ، ولان تطبيقات العلم والتكنولوجيا فى المجتمع الاشتراكى تسخر فى الاساس ، بل وترتبط ارتباطا عضويا بتحسين مستوى معيشة الشعب العامل فى مجموعه . والامر على العكس من ذلك فى « البلدان الرأسمالية المتقدمة حيث تحجب براءات هذا الاختراع أو ذاك بسبب المنافسة بين الشركات الكبرى ، أو حيث توجه التكنولوجيا فى مصانع السلاح لزيادة ارباح أصحاب الاحتكارات ، أو حيث تتسبب الزيادة الهائلة فى انتاجية العمل فى فصل وتشريد الالاف والملايين من العمال » .

وانطلاقا من هذا ، اتجهت الخطة التاسعة الى اعتبار أن وضع منجزات العلم والتكنولوجيا يشكل المهمة الاولى من بين جميع المهام المباشرة .

وكان هذا يعنى عند تنفيذ الخطة :

١ ـ احداث تغييرات جذرية فى اساليب العمل بما يمكن من الاستخدام الشامل للانتمته « الاوتوموشون » هذا النظام الذى هو تعبير عن الثورة فى الانتاج ويؤدى الى رفع انتاجية العمل بكيفية هائلة .

٢ ـ اعادة تصميم المؤسسات العاملة . وكمثال تم فى بيولوروسيا ، خلال الخطة التاسعة احلال ٤٠ فى المائة من الماكينات الجديدة محل القديمة فى مختلف المؤسسات .

٣ ـ انشاء مؤسسات ضخمة ، ومجمعات صناعية جبارة يلعب فيها البحث العلمى وتطبيق المكتشفات العلمية والتكنولوجية الدور الاساسى . بحيث تتكامل فى هذه المراكز الصناعية الكبرى حلقات الجهد العلمى مع حلقات التنمية ، ويندمج الاثنان فى دورة واحدة هى « البحث ـ التنمية ـ التنفيذ » . وهذه السياسة تتجسد فى المؤسسات الكبرى مثل مجمع الاستخراج والتعدين فى ناريلسك ، ومصنع الماكينات الثقيلة فى الاورال ، ومصنع السيارات فى مدينتى ليخاتشوف وجوركى ومجمع الكيمياء فى نوفوموسكوفسك ومجمع الغزل فى منيسك عاصمة بيلوروسيا .. الخ .

٤ ـ يتطلب التقدم العلمى والتكنيكى تحسين مستوى التخطيط وطرق ادارة الانتاج . وهكذا طرح المؤتمر الرابع والعشرين فى الخطة التاسعة مهمة تحسين الاعداد المستمر للكوادر المسئولة عن تنظيم الانتاج ، وممارسة الادارة . والتنظيم العلمى للعمل ، والمناهج الجديدة فى التخطيط واستخدام الطرائق الاقتصادية والادارية والرياضيه ، والاجهزه الحاسبة والحديثة .

واذا كنا قد أشرنا ، من قبل ، الى تنفيذ نظام التعليم الثانوى الشامل ، فان هذا يعد الاستجابة المنطقية لتطبيق منجزات العلم والتكنولوجيا فى

ضمان زيادة انتاج اللحوم وخاصة لحم البقر ولحم الطيور .

مواصلة استصلاح الاراضى بمقاييس كبيرة . وضع ٤ ملايين هكتار من الاراضى المروية موضع الاستثمار . وتجفيف ٤ر٧ ملايين هكتار من الاراضى . ورى ٦ر٣٧ مليون هكتار من المراعى فى المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية والجبلية

مواصلة التدابير بشأن تشديد مكننة الانتاج الزراعى . ومواصلة اعادة تجهيز الزراعة بالمعدات الحديثة على قاعدة التكنيك الجديد .

ايصال استهلاك الكهرباء فى الريف عام ١٩٨٠ الى ١٣٠ مليار كيلووات ساعة .

يقدم للزراعة خلال السنوات الخمس القادمة ١٩٠٠ الف جرار و١٣٥٠ الف سيارة شحن و٥٣٨ الف حاصدة دارسة و١٥٨٠ الف مقطور للجرارات .

تجديد الرصيد الخشبى للغابات على مساحة ١٠ ـ ١١ مليون هكتار . التشجير لحماية المزروعات على مساحة ٤ر١ مليون هكتار . ورعاية الغابات على مساحة ٢٣٠ هكتار . مع ضمان استمرار تحسين صيانة الغابات من الحرائق وحمايتها من الحشرات الضارة والامراض .

ثالثا : تطوير وسائل النقل والمواصلات :

تحدد الخطة طائفة كبيرة من الاجراءات لسد حاجات الاقتصاد الوطنى والسكان الى النقل بشكل اكثر كمالا .. وفى الوقت المناسب . والاسراع بايصال الحمولات وتنقل الركاب على اساس زيادة قدرات نظام النقل زيادة جوهرية وتحسين نوعية عمله . وتحسين صلات النقل بين المناطق الاقتصادية فى البلاد .

وعلى سبيل المثال : تستهدف الخطة توسيع استخدام الوسائل الاوتوماتيكية فى النقل واستخدام وسائل وانظمة التحكم البعيد فى ادارة النقل والعمليات التكنولوجية . كما تستهدف تهذيب أسلوب خدمة الركاب فى جميع وسائل النقل .

وعلى سبيل المثال : ايضا تستهدف الخطة رصف ٨ر٢ الف كيلو متر من الطرق الموازية فى الاتجاهات الاكثر ازدحاما من شبكة الطرق الحديدية . وكهربة ٥ر٢ الف كيلومتر وتجهيز ١٦ ـ ١٧ الف كيلومتر من السكك الحديدية بنظام التحكم الاوتوماتيكى على أساس التنسيق المركزى . ووضع ٣ آلاف كيلومتر من الخطوط الحديدية الجديدة حيز العمل . ومواصلة تشييد الطريق الرئيسى للسكة الحديد بايكال آمور .

مكننة أعمال الشحن والتفريغ فى النقل بالسكة الحديد مكننة مجمعة تصل الى

جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية . ذلك أن الثورة العلمية والتكنولوجية انما تؤثر بالضرورة على محتوى التعليم ،وعلى العملية التعليمية برمتها ، وعلى سياسة اعداد الكوادر ، كما تفرض التحسين المستمر فى نظام تجميع المعلومات ودراستها .

٥ ـ ولم تكتف الخطة الخمسية التاسعة التى أقرها المؤتمر الرابع والعشرون بوضع الاجراءات التى تضمن ادماج الثورة العلمية والتكنولوجية فى الانتاج الاجتماعى ، بل لقد وضع الحزب طائفة من الاجراءات التى تتعلق برفع دور الحوافز فى جميع مراكز الانتاج والخدمات بحيث أصبح من مصلحة العامل كفرد ، ومن مصلحة العمال والمديرين كمؤسسة أن يسعوا من تلقاء ذاتهم الى ادخال احدث اساليب التكتيك والحرص على موضع الابحاث العلمية المنتهية موضع التطبيق .

ولا يمكن أن ننهى كلامنا عن استخدام الثورة العلمية والتكنولوجية فى تحقيق التقدم الاقتصادى الاجتماعى بدون أن نشير الى الجهود التى تبذل اليوم فى الاتحاد السوفييتى من أجل توسيع دائرة الاهتمام بقضايا الاقتصاد القومى وادارته على جميع المستويات . فعندما زرنا «**الجريدة الاقتصادية**» . مجلة أسبوعية تطبع ٩٠٠ ألف نسخة » ، حدثنا الرفيق فيليبوف نائب رئيس التحرير ، فاشار الى أن الاهتمام بنشر **الوعى الاقتصادى** هو تقليد راسخ من أيام **لينين** الذى انشأ هذه المجلة بمرسوم صدر عام ١٩١٨ . وهذه المجلة توجه الى المديرين والاقتصاديين والزراعيين وموظفى الحزب . وأن ٤٠ فى المائة من المشتركين فيها يعملون فى الصناعة ، و ٥٠ فى المائة يعملون فى الزراعة . كما يشترك بها عدد كبير من العلماء . وبالاضافة ، الى أن هذه المجلة تعالج جميع أوجه الاقتصاد القومى ، وتنقد أعمال الوزارات ، وتفتح أبوابها لمناقشات واسعة مع القراء « نشرت فيها رسالة من قارىء يستفسر عن وضع القطاع العام فى مصر » نقول : بالاضافة الى هذا كله ، فان هيئة تحريرها تقوم بعمل أساسى على النطاق القومى يتمثل فى ادارة نظام للتعليم الاقتصادى ، متعاونة فى ذلك مع الحزب الشيوعى . وينخرط فى هذا النظام ٣٧ مليونا من المواطنين . وهذا النوع من التعليم يتميز

١ ـ بانه ذو طابع جماهيرى ، يشمل العامل كما يشمل الوزير .

٢ ـ وانه تعليم اجبارى .

٣ ـ وأن هدفه دفع العمال والفنيين الى المشاركة فى ادارة وفى تفهم مشاكل الاقتصاد وقضايا الادارة الحديثة . وفى هذا يقول فيليبوف : **ان العامل لا يستطيع أن يشترك فى الادارة اذا لم يتوفر لديه الحد الادنى من المعرفة الاقتصادية .**

فاذا لخصنا ـ بعد ذلك ـ ما سبق كله ، أمكن القول ، بان المواقع المتقدمة التى خطا اليها المجتمع السوفييتى عشية المؤتمر الخامس والعشرين ، قد أصبحت واقعا بفضل الانطلاق من المبادىء التالية :

نسبة ٩٣٪ ورفع مستوى مكننة اعمال الترميم الجارى لخطوط السكة الحديد بدرجة كبيرة .

بناء واعادة تعمير ٦٢ ـ ٦٥ الف كيلومتر من طرق السيارات المعبدة بالاسفلت خلال السنوات الخمس القادمة

رابعا : فى تطوير البناء الاساسى:

المهمة الاولى فى تطوير البناء الاساسى هى زيادة مردود الاستثمارات المالية . وضمان استمرار نمو الارصدة الاساسية وتحسين نوعيتها . والاسراع بتشغيل واتقان الطاقات الانتاجية الجديدة فى جميع فروع الاقتصاد الوطنى .

وهذا يتحقق باتخاذ عدد من الاجراءات منها :

ـ توجيه الاستثمارات المالية ـ قبل كل شىء ـ الى بناء المشاريع التى تكفل الاسراع بالتقدم العلمى التكنيكى .. والى اعادة تجهيز المؤسسات العاملة بالمعدات التكنيكية واعادة تصميمها .

ـ ضمان تقصير مواعيد بناء المؤسسات والمشاريع بشكل جوهرى عن طريق تركيز الاستثمارات المالية والموارد المادية والعملية ورفع مستوى تصنيع الانتاج البنائى واحكام تنظيمه .

ـ تحسين قضية التصميم والمحاسبة وزيادة مسئولية هيئات التخطيط والتصميم والهيئات العلمية عن المستوى التكنيكى والاقتصادي للمشروعات التى توضع موضع التنفيذ .

تحسين نوعية البناء .. رفع مستوى التجهيز فى المرافق العامة عند بناء الاماكن الماهولة .. ولا سيما فى الاماكن الريفية والاحياء السكنية والمراكز الاجتماعية فى المدن .

ـ الادخار [الاقتصاد] عند استخدام الارض لبناء الاماكن الماهولة والمؤسسات الانتاجية وغيرها من المشاريع

ـ زيادة انتاجية العمل فى البناء بنسبة ٢٩ ـ ٣٢٪ .

خامسا : تطوير العلم :

المهمة الاساسية للعلم السوفيتى هى مواصلة توسيع وتعميق الابحاث فى قوانين الطبيعة والمجتمع . وزيادة مساهمة العلم فى حل المشاكل الراهنة لبناء القاعدة التكنيكية للشيوعية ..والاسراع بالتقدم العلمى التكنيكى : وزيادة فعالية الانتاج . وزيادة رخاء الشعب ورفع مستواه الثقافى .

وهذا يتحقق بفضل :

ـ ضمان استمرار تطوير الابحاث العلمية النظرية والتطبيقية فى مجال العلوم الاجتماعية والطبيعية والتكنيكية

– الاقتصاد هو الحلقة الرئيسية ... « **الاقتصاد هو سياستنا الرئيسية** » كما يقولون هناك .

– الانتاج الاجتماعي يستهدف في الاساس رفع المستوى المادي والثقافي للشعب بثبات وبكيفية مضطردة .

– يجب أن يدار الاقتصاد وفق خطط خمسية . وكل خطة يحكمها شعار رئيسي محدد .

– يجب أن تراعي عند وضع الخطة امكانية التنفيذ وتطابقها مع احتياجات المجتمع ومع قدراته الذاتية في كل مرحلة من مراحل تطوره .

– المهمة الرئيسية هي بناء المؤسسات والمجمعات الضخمة الجديدة واعادة تصميم القديم منها ، وتحديث الادارة ، ووضع سياسة للحوافز والاسعار والاقتراض ... كل ذلك بما يستجيب لمتطلبات ثورة العصر العلمية والتكنولوجية .

النواقص ... النقد والنقـــــد الذاتي

واذا كان مشروع اللجنة المركزية المقدم الى المؤتمر الخامس والعشرين عن الاتجاهات الاساسية لتنمية الاقتصاد والوطن في السنوات الخمس المقبلة ، قد حدد أنه قد تم **انجاز المهام الاقتصادية الاجتماعية الاساسية** للخطة السابقة ، فانه التزاما من اللجنة المركزية بمبدأ النقد والنقد الذاتي ، كان لابد وأن تتوقف عند أوجه النقص والقصور . فعلى الرغم من

« نجاح تنفيذ المهمات الاساسية للخطة الخمسية التاسعة لم تنفذ واجبات الخطة تنفيذا كاملا فيما يخص بعض المؤشرات الاقتصادية وانتاج بعض أنواع السلع . وكان من الممكن أن تكون المنجزات في البناء الاقتصادي والثقافي أكبر لو استخدمت امكانياتنا على نحو اكبر وأزيلت النواقص بحزم أكبر » .

أما أهم النواقص فتكمن فيما يلي :

١ – ان كثيرا من الوزارات والمصالح والمؤسسات والمزارع التعاونية والحكومية لا تولي الانتباه المطلوب الى مسائل تكثيف الانتاج وزيادة مردوده ، ولا تهتم – على نحو مرض – بزيادة انتاجية العمل ، وبعائد الاستثمارات ، وبتوفير الموارد المادية والمالية . وتتراخى في القضاء على التبذير .

٢ – ان هذه الوزارات والمصالح ... الخ لا تتخذ التدابير اللازمة لتشغيل المشاريع الانتاجية في المواعيد المقررة . ولا تهتم الاهتمام الكافي بعملية زيادة طاقات المؤسسات العاملة عن طريق اعادة تصميمها وتجهيزها بالمعدات التكنيكية العصرية واستخدام التكنولوجيا المتقدمة .

٣ – ومن بين أوجه القصور الكبيرة ما يلاحظ من تشتيت التوظيفات المالية على مشاريع عديدة . ومن المعروف أن النواقص في وضع تصميم هذا المشروع أو ذاك واستطالة مدد البناء تؤدي الى ارتفاع تكلفة كثير من المشاريع المبينة .

تركيز انتباه العلماء على مواصلة تطوير الدراسات التي تكشف عن طرق وامكانيات جديدة لوضع القوى الانتاجية في البلاد ولخلق تكنيك وتكنولوجيا المستقبل .

– احكام تنظيم جهد العاملين العلميين وزيادة مردودة .

– تقوية القاعدة المادية للمنظمات العلمية ومنظمات التخطيط والتصميم بتجهيزها بالالات والمعدات والمواد ووسائل التكنيك الحسابي والتنظيمي .

تقوية العلاقة بين العلوم الاجتماعية والطبيعية والتكنيكية [ثم يفصل مشروع الخطة الحديث عن المهام المطلوبة في مجالي العلوم الاجتماعية والطبيعية] .

سادسا : رفع مستوى حياة الشعب ويتم هذا بفضل :

– تحسين ظروف العمل الاجتماعية والاقتصادية والانتاجية .. وتقوية الجانب الخلاق في العمل .. وتقليل الجهد البدني اليدوي الشاق .

– زيادة دخول السكان .. واستكمال طلبات السكان من بضائع الاستهلاك العام .

– تنفيذ بناء المساكن على نطاق واسع ، وتحسين نوعية البيوت .

– توسيع اشكال الخدمات المرتبطة بتسهيل العمل المنزلي وزيادة حجم هذه الخدمات ، وتحسين راحة المواطنين السوفيت ..

– زيادة متوسط اجرة العمال والموظفين بنسبة ١٦ – ١٨٪ لتصل – مع نهاية السنوات الخمس – الى مبلغ لا يقل عن ١٧٠ روبلا في الشهر [الحد الادنى هو ٧٠ روبلا] وذلك على اساس نمو الانتاج وانتاجية العمل .

– زيادة دخول الفلاحين التعاونيين بنسبة متوسطها ٢٤ – ٢٧٪ .

– الانتهاء من التدابير الخاصة برفع الحد الادنى للاجور .. مع زيادة المرتبات والمعاشات للعاملين من الفئات المتوسطة الاجور والمشتغلين في الفروع غير الانتاجية من الاقتصاد الوطني .

– بدء مرحلة جديدة لرفع الحد الادنى لاجور ومرتبات ومعاشات العمال والموظفين .

– تطبيق الاجازة المدفوعة الاجر جزئيا للنساء العاملات عند رعاية الطفل حتى بلوغه السنة الواحدة من العمر .

– توفير امكانيات أوسع للنساء ذوات الاطفال ليعملن يوم عمل قصير أو أسبوع عمل غير تام .. وكذلك العمل في البيت .

٤ ـ ان ازالة النواقص فى تنظيم وأساليب التخطيط والتمويل لا تزال تجرى ببطء .

٥ ـ فى بعض فروع الانتاج ، يلاحظ هبوط فى مستوى المعالجات العملية التكنيكية . وتظل بعض الابحاث العلمية المنتهية بعيدة عن التطبيق فى الانتاج زمنا طويلا .

٦ ـ لا يزال المستوى التكنيكى ومستوى « التشطيب » فى بعض أنواع المنتجات واطئا .

وربما كان من الافضل عند الحديث عن النواقص ـ بعد ذلك ـ أن نأخذ مثلا ملموسا مجسدا فى مشكلة بعينها ، هى مشكلة الزراعه فى الاتحاد السوفييتى .

الزراعة : الواقع الراهن والافـاق

عندما سافرنا الى الاتحاد السوفييتى ، كنا نحمل فى أذهاننا بقايا ما أذاعته وكالات الانباء الغربية فى البلدان الامبريالية عن رداءة محصول الحبوب لهذا العام فى الاتحاد السوفيتى ، و « الصعوبات » التى سوف تواجه الحكومة والشعب . وتنبأت هذه الوكالات بخفض مقررات الخبز لكل فرد . ثم مضت الصحافة الغربية ، تعلق على الانباء التى صنعتها لتعود الى موضوعها المفضل ، ألا وهو محاولة اثبات أن الاشتراكية كنظام قد فشلت فشلا ذريعا فى مجال تنمية الزراعة . وهنا يتطوع بعض المعلقين لشرح أسباب « هذا الفشل » مركزين على الزعم القائل بأنه راجع الى نفور « الفلاح الروسى » الذى هو « فردانى بطبيعته » من نظام المزارع الجماعية .

وكنا نعرف بالطبع ـ كيف تصوغ وكالات الانباء الغربية أخبارها ، وما هى الحيل التى تلجأ اليها لاقناع القراء بوجهة نظرها . وفى مقدمة هذه الحيل : الانطلاق من واقعة جزئية صحيحة وصياغتها فى وجهة نظر متكاملة ومتحيزة ، بحيث تحدث الاثر المطلوب . وعلى الرغم من معرفتنا بهذا « التكتيك » الاعلامى ، الا أن لم نملك .

ـ عندما لقينا بعض الاصدقاء المصريين هناك ـ الا أن نثير القضية . فأجاب الصديق مقاطعا :

ليست هناك أزمة . وأضاف بل ان النقد الذى يوجه الى شعوب الاتحاد السوفيتى هى انها تسرف بصنع أنواع لا حصر لها ـ بعضها غير اقتصادى ـ من الخبز . وقدر أن هناك ما يزيد على مائة نوع منها .

على أننا لم نكتف باجابة الصديق المصرى ، وأثرنا الموضوع فى لقائنا مع **فيكتور فيليبوف** نائب رئيس تحرير « الجريدة الاقتصادية » . فسألنا الرفيق بدوره وهو يضحك :

ـ ربما رأيتم بعض الناس يسقطون من الجوع فى الشارع ؟ وأضاف يقول : بالفعل ، ان استهلاك الخبز ينخفض فى الاتحاد السوفيتى . ولكن اذا كان لذلك تفسير فهو أن الدولة ليست عاجزة عن توفيره بالكميات المطلوبة ، وانما لان المواطنين السوفييت قد بدأوا ـ خلال السنوات الخمس الماضية ـ يغيرون فى أنماطهم الغذائية تغييرا محسوسا . فلقد زاد استهلاك اللحم بنسبة ٧ كيلو جرام للفرد الواحد ، وزاد استهلاك السمك بنسبة

ـ بناء دور حضانة ورياض أطفال تستوعب ٥ر٢ ـ ٨ر٢ مليون مقعد .

ـ توفير الظروف لتقليل الوقت المصروف على تدبير الاعمال المنزلية عن طريق تطوير الخدمات المعاشية والتغذية العامة وزيادة انتاج المصنوعات من الاطعمة الجاهزة وشبه الجاهزة وبيعها للسكان .

ـ رفع الحد الادنى من معاشات التقاعد المعروفة للعمال والموظفين والفلاحين التعاونيين .

ـ توسيع التسهيلات لضمان التقاعد للامهات العديدات الاطفال .

ضمان ثبات أسعار التجزئة التى تحددها الدولة للسلع التموينية وغير التموينية الاساسية .

زيادة تداول البضائع المعدة للبيع بالتجزئة فى متاجر الدولة والجمعيات التعاونية بنسبة ٢٧ ـ ٢٩٪ .

ـ تحسين تركيب غذاء المواطنين السوفيت عن طريق زيادة استهلاك المواد الاكثر قيمة من الوجهة الغذائية أى اللحوم والالبان والخضروات والفواكه

توسيع وتجويد تشكيلة البضائع وتجويد نوعيتها .. وزيادة انتاج وتصريف البضائع الجديدة العصرية التى تحظى باقبال شديد من السكان .

تقوية واحكام الصلات الاقتصادية بين الصناعة والتجارة انطلاقا من أن طلبات التجارة يجب أن تكون اساسا لتعيين حجم انتاج بضائع الاستهلاك العام وتشكيلتها وزيادة مسئولية مؤسسات الصناعة والتجارة من تنفيذ الاتفاقيات .

بناء مساكن بمساحة مجموعها ٥٤٥ ـ ٥٥٠ مليون متر مربع .

ـ الوصول بمجموع عدد الاسرة فى المستشفيات فى سنة ١٩٨٠ الى حوالى ٣ر٣ مليون سرير .

ـ تطوير وتحسين التعليم الثانوى الشامل . ورفع مستوى العمل التعليمى التربوى فى المدرسة الثانوية .

ـ بناء مدارس جديدة للتعليم العام تستوعب مالايقل عن ٧ ملايين تلميذ .. بمافى ذلك حوالى ٥ر٤ مليون مقعد فى الريف .

ـ اعداد حوالى ١١ مليون عامل ماهر فى نظام التعليم المهنى الفنى .

ـ انشاء مدارس مهنية فنية تستوعب ١ر١ ـ ٢ر١ مليون مقعد دراسى وكذلك العدد اللازم من مساكن الطلبة .

ـ اعداد ٦ر٩ مليون اختصاصى من ذوى التعليم العالى والثانوى المتخصصين

٢ ك . ج وتمت هذه الزيادة على حساب استهلاك الخبز والبطاطس .

ثم أضاف ، لا يمكن أن تعالج مشكلة انتاج الحبوب فى الاتحاد السوفييتى معالجة نزيهة الا ببحث الجوانب الموضوعية والذاتية المتعلقة بالمشاكل والصعوبات التى تواجه الزراعة فى البلاد . لا يمكن — مثلا — أن تعالج بعيدا عن الظروف المناخية المميزة للاتحاد السوفيتى . وعلى سبيل المثال : فان الجفاف الذى حدث هذا العام عام «١٩٧٥» لم يحدث مثله من ١٠٠ سنة . ومع ذلك ، فقد زاد انتاج الحبوب فى السنوات الخمس الماضية بنسبة ٣٠ فى المائة . وتطرق فيليبوف الى الدعايات الغربية عن هذا الموضوع فقال :

نعم ، نحن نشترى كميات من الحبوب من الولايات المتحدة . ولكن معظمها يخصص لتغذيه الماشية والحيوانات . والامريكان يعرفون هذا ، ويعلمون كثيرا عن الظروف المناخية والطبيعية المحيطة بالزراعة السوفييتية لكنهم يسقطونها عامدين متعمدين . أنهم يغفلون — مثلا — أن ٧ فى المائةفقط منمساحةالاتحاد السوفيتىتصلحلزراعه الحبوب فى حين أن أمريكا لا تعرف هده المشكله .

وكان لابد وأن نواصل التعرف على أبعاد المشكلة الزراعية فى الاتحاد السوفييتى . وكان السؤال هل هناك متاعب حقيقية فى مجال الزراعة والاجابة : نعم هنك بلا شك متاعب وصعوبات . ولكن ما هى العناصر الحقيقية للمشكلة .

هناك فى الواقع مجموعتان من الاسباب الكامنة وراء مشكلة الحبوب .

١ — هناك الظروف الموضوعية .
٢ — وهناك الظروف الذاتية .

بالنسبة للمجموعة الاولى من الظروف اذا أخذنا مثالا محددا ما حدث عام ١٩٧٥ . وهو عم الظروف المناخية المتناهية السوء ، فسوف نجد :

١ — لم تنزل الامطار من ابريل الى يونيو على المساحات الشاسعة فى اوكرانيا وشمال القوقاز حيث توجد أخصب الاراضى . وحدث ذلك ايضا فى المنطقة الوسطى الجنوبية للاراضى السوداء وغير السوداء فى جنوب الفولجا . ولما كان الثلج قد سقط فى الشتاء بمعدلات قليلة ، فقد واجهت الزراعة نقصا فى احتياطى الماء . وبالاضافة ، فان مناطق كازخستان وسيبيريا الغربية قد واجهت جفافا شديدا خلال شهرى يونيو ويوليو .

ترتب على ذلك نقص فى المحصول ، ترتب عليه بالضرورة نقص شديد فى أعلاف الماشية .

٢ — ان أكثر من ٨٠ فى المائة من أراضى الاتحاد السوفيتى تسقط عليها أمطار تقل عن ٤٠٠ ملليمتر فى العام . وهذه الكمية قليلة للغاية ولا تفى باحتياجات الزراعة فى حين أن الولايات المتحدة الامريكية لا تعرف هذا الظرف الطبيعى .

هذا عن الظروف الموضوعية . ولكن ماذا عن الظروف الذاتية التى تتسبب فى المشكلة ؟

يمكن فى الواقع اجمالها فيما يلى :

١ — أن ظروف التطور التاريخى للاتحاد السوفيتى « وفى مقدمتها متطلبات حماية الثورة فى مواجهة حصار راسمالى خانق » قد حتمت أن تعطى الصناعه أولوية مطلقة لبناء قاعدة صناعية قوية . بحيث يمكن القول بان المزايا التى حصلت عليها الزراعة من النظام الاشتراكى كانت أقل بكثير من تلك فازت بها الصناعة .

٢ — تخلف أساليب الفلاحه ونظم ادارة المزارع بحيث انها أصبحت لا تواكب التقدم العصرى الهائل الذى حدث فى تكنيك الزراعة ومناهج ادارة المشروعات الزراعية .

والى هنا . يطرح سؤال ضرورى .

ولكن هل معنى هذا أن يستسلم الاتحاد السوفييتى الى قدره فى مجال الزراعة

والاجابة بالنفى .

فمنذ عام ١٩٦٥ ، وضع الحزب الشيوعى والحكومة الاساس لسياسة زراعية طويلة المدى ، تحت شعار :

التركيز . والتخصص ، والتحديث .

وتم تطبيق هذا الشعار :

أولا : بتخصيص استثمارات ضخمة للزراعة . فاذا كانت الخطه الخمسية الثامنة « ٦٥ — ٧٠ » قد خصصت استثمارات للزراعة مقدارها ٨٢٫٠٠٠ مليون روبل . فان الخطه التاسعة « ٧١ — ٧٥ » قد ارتفعت بهذا المبلغ الى ١٣١٫٠٠٠ مليون روبل . أما الخطه العاشرة « ٧٦ — ٨٠ » التى سيناقشها المؤتمر فى شهر فبراير الحالى فانها قد خصصت استثمارات مقدارها ١٧١٫٧٠٠ مليون روبل .

ولكن ، هل نجحت سياسة زيادة الاستثمار فى الزراعه ؟

نجيب الارقام بالايجاب : فقد زاد ناتج الزراعة فى الخطه الثامنة بنسبة ٢١ فى المائة وفى الخطة التاسعة بنسبة ١٣ فى المائة ، وتستهدف الخطة العاشرة أن تحقق زيادة فى الانتاج الزراعى تتراوح بين ١٤ — ١٧ فى المائة .

ثانيا : ان جانبا هاما من هذه الاستثمارات يوجه الى تطوير وتنظيم أعمال الرى والصرف بالكيفية التى لا تجعل الزراعة تحت رحمة العوامل الجوية ، خاصة فيما يتعلق بكميات الامطار المتاحة .

ثالثا : يجرى منذ مدة اعادة بناء جميع مصانع الجرارات والالات الزراعية - على أسس حديثة وتوجيه المصانع الى انتاج اجيال جديدة من الالات الزراعية المختلفة ، أحدث ، وأعلى انتاجا ، وأكفأ عند الاستجابة للمتطلبات العصرية . بل ان بعضها قد أعيد تصنيعه ليواجه خصوصية الزراعة السوفيتية وعلى سبيل المثال ، من المعروف أن ٦٠ فى المائة من الاراضى المحرومة فى الاتحاد السوفيتى تدخل فى نطاق ما يعرف باسم « **منطقة الزراعة الخطرة** » ومصدر الخطر فيها هو أن العوامل الجوية - وخاصة الجفاف - يحتم أن تنتهى الاعمال الموسمية فيها فى وقت قصير جدا . من هنا تصنع جرارات جديدة تتميز بسرعات مرتفعة وقدرات كبيرة .

هذا الاهتمام الخاص بانتاج آلات زراعية جديدة وحديثة عبر عنه **ليونيد بريجنيف** بقوله :

« **اننا بحاجة الى المعدات التكنيكيه الجديدة والحديثة التى تلبى متطلبات الانتاج المتخصص وتسمح بادخال الطرق التكنولوجية المتقدمة . ويجب من الان ، التفكير فى ماكينات الغد ، وفى ميكنه المستقبل التى تعتمد على العمليات الجديده من حيث المبدأ وعلى الانواع الجديدة للطاقة والمواد** » .

رابعا : توجيه الصناعة الكيمائية الى انتاج السماد بكميات أكبر وبنوعية أفضل . فمن المعروف أن كمية السماد التى توضع فى مساحة هكتار من الارض فى الاتحاد السوفييتى هى أقل مرتين أو ثلاث مرات عن الكمية المتاحه للمساحة المقابلة فى الولايات المتحدة الامريكية . على أن هذا الفرق يتضاءل من عام الى عام وليس بعيدا ان يلحق الاتحاد السوفييتى بالمعدلات الامريكية .

ولكن .. هل الاهداف الطموحه التى تضعها السياسه الزراعية مجرد تمنيات أم أن تنفيذها يدخل حيز الامكان ؟

الجواب : هى أهداف واقعية ، بالنظر الى عناصر السياسه الزراعيه المطبقه الان فى الاتحاد السوفييتى ، وبالنظر الى النهوض العام والثابت للاقتصاد السوفييتى فى مجموعه . والمسألة هى مسألة وقت ، وذلك ايا كانت رداءة المحصول فى هذا العام أو ذاك . ومن قبل ، أشرنا الى أن ناتج الزراعة يزيد فى المتوسط من خطة خمسية الى أخرى .

واذا كان للعوامل الذاتية التى أشرنا اليها أثرها السلبى على تطور الزراعة . فهل يدخل فيها هذا العامل الذاتى الذى تركز عليه الدعايات الرأسمالية : « رفض الفلاح الروسى بدافع من فرديته أن يتجاوب مع الزراعة الجماعية .. ؟

ربما لا تجدى هنا تقديم اجابات ايديولوجية . وانما يحسن الاكتفاء بالوقائع .

● فاذا كان الاتهام يتحدث عن عجز الاشتراكية - كنظام - عن النهوض بالانتاج الزراعى فان الرد بسيط : وهو أن هناك بلدانا اشتراكية فى شرق أوربا تزدهر فيها الزراعة أيما ازدهار . هل نذكر بلغاريا .. مثلا ؟ الخ .

● واذا كان الاتهام يوجه الى الفلاح السوفييتى . فهنا أيضا يطرح السؤال : كيف يمكن أن نفسر هذه الظاهرة وهو أن الاتحاد السوفييتى أصبح الدولة الاولى المنتجة للقطن فى العالم ؟ ولماذا تعد معدلات انتاج القطن - هناك - من بين أعلى المعدلات فى العالم ؟ وأخيرا لماذا يرتفع المتوسط السنوى للانتاج الزراعى من عام الى عام ؟

ثم تبقى فى المشكلة الزراعية كلمات قليلة :

انهم هناك لا يخفون النواقص والمتاعب المختلفة الموجودة فى هذا القطاع . ولكن ليس هناك استسلام لها .

ثم تبقى بعد ذلك حقيقة لا يمكن التعميه عليها بأى نوع من أنواع الدعايات المضادة وهى أن توقع حدوث « مجاعة » ، أو أزمة فى الخبز ، هو أمر غير وارد بتاتا . هو غير وارد فى الغد - بالطبع - لكن أكثر من هذا انه - على أى حال - ليس واردا اليوم .

الصورة فى مرآة الخطة العاشرة ٧٦ - ١٩٨٠

اذا كانت الخطة التاسعة قد دخلت تاريخ المجتمع السوفييتى بانجازاتها ونواقصها ، فماذا عن الخطة العاشره ؟

لقد طرح وفد **الطليعة** على الرفاق المسئولين فى لجنة الخطه طائفة من الاسئلة أو القضايا منها :

- ما هى ملامح الصورة فى مرآة الخطة العاشرة ؟
- وما هى العلاقة بين الخطة العاشرة وبين الانجازات التى تحققت فى مجال الانفراج الدولى ؟
- وهل يؤثر التضخم المستفحل فى البلاد الرأسمالية على تنفيذ الخطة ؟
- ثم ماذا عن قضية السباق فى مجال التكنولوجيا بين الاتحاد السوفييتى وبين أمريكا .
- وآفاق التعاون على النطاق الدولى بين الاتحاد السوفييتى وبين الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث والدول الرأسمالية ؟

وعلى مدار ثلاث ساعات ، تولى الرفيق **كوتوف** الاجابة عن الاستفسارات المقدمة .

قال كوتوف :
ان الخطة العاشرة ، وكل خطة اقتصادية اجتماعية هي عمل جاد ودؤوب يجب أن يقوم على أسس علمية . من هنا لابد أن نأخذ في الاعتبار عند وضع الخطة:

ـ الامكانيات التكنيكية للتقدم العلمي
ـ المستوى الذى حققه اقتصادنا القومي منذ أن خضع للتخطيط .
ـ تقسيم العمل الدولي بين البلدان وهو أمر قد بدأ ـ منذ فترة ـ يؤثر تأثيرا مباشرا على تخطيطنا .

ان الخطة العاشرة ـ سيجرى ـ أو قد بدأ تنفيذها منذ مطلع العام الحالي تحت شعار أساسي هو : الفعالية والنوعية .

ونعتقد أن الظروف ، الان ، هي أكثر ملاءمة مما كانت . وهنا ، فان الانفراج الدولي « وعلى سبيل المثال مؤتمر الامن الاوروبي وما تمخض عنه من نتائج » كل هذا يمهد لتعاون افضل في مجالي التجارة والتعاون العلمي بين مختلف البلدان ، بغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية .

واذا درسنا التوجيهات الرئيسية للخطة العاشرة فسنجد أننا أمام رقمين هامين لهما دلالة بعيدة .

فمن ناحية تستهدف الخطة أن يزيد الدخل القومي بنسبة ٨ في المائة أو أكثر . ومن ناحية تستهدف ان يزيد حجم التجارة مع البلدان الاخرى بنسبة ٣٠ ـ ٣٥ في المائة ، وهذه النسبة بين الدخل القومي والتجارة الخارجية هي ظاهرة تحدث لاول مرة في تاريخ الاتحاد السوفيتي ليس هذا لان الاتحاد السوفييتي كان يقيم سورا حديديا ، أو يمتنع عن اقامة علاقات تجارية متكافئة مع دول العالم ، كلا ، بل لان الغرب الراسمالي فرض من الحصار الاقتصادي لفترات طويلة ، وبأساليب متعددة على الاتحاد السوفييتي ان هذه الزيادة في حجم التجارة الخارجية في الاقتصاد السوفيتي قد تجسدت :

١ ـ في تنسيق الخطط مع بلدان مجلس التعاون الاقتصادي أو ما يسمى في الصحافة الغربية « بالكوميكون » .
٢ ـ وفي توقيع اتفاقيات طويلة الاجل مع البلدان النامية
٣ ـ وفي توقيع عدد متزايد من الاتفاقات مع البلدان الرأسمالية المتقدمة .

لكن لابد من الانتباه الى أن زيادة حجم التجارة الخارجية للاتحاد السوفييتي لا تعني مجرد تنشيط أو تنمية لعمليات تجارية بقدر ما هي تطوير للتعاون في مجالات الصناعة والبحث العلمي . وهذه النقطة تخص ـ بالذات ـ البلدان النامية حيث يتعاون الاتحاد السوفييتي معها في اقامة عدد كبير من المشروعات الخاصة بتنمية الطاقة ، واقامة صناعات أساسية ، واعداد الكوادر الفنية . اما بالنسبة للبلدان الصناعية المتقدمة فهناك بيننا وبينها ما يسمي بتجارة البيع والشراء المتبادلين لبراءات الاختراع .

أهداف طموحة .. ومشاكل موضوعية

اذا رجعنا الى التوجيهات الاساسية للخطة العاشرة «١» فسوف نرى أن انجازها انما يتطلب التغلب على طائفة من المشكلات .

هنا تساءل كوتوف : ولكن ما هي أهم مشاكلنا ، وكيف السبيل الى حلها ؟
وأجاب :
ـ المشكلة الاولى هي المحافظة على السلم . وهي اهم مشكلة منذ عام ١٩١٧ ، عندما اصدر لينين مرسوم السلام الشهير . فمن المؤلم ان نوظف اموالنا في الدفاع ولكن لابد مما ليس منه بد . فليس كل شيء في يدنا . لكننا نعرف الجهود التي تبذلها الحكومة للحفاظ على السلم . ونحن نأمل ان يصان السلم في السنوات الخمس القادمة لمصلحة اقتصادنا .
هذه هي المشكلة الاولى .

المشكلة الثانية : تتعلق بنوعية الاقتصاد السوفييتي ذاته . ويمكن القول بأنه اقتصاد معقد اذ يشمل ـ مثلا ـ ٣٠٠ فرع من أفرع الصناعة ، بالاضافة الى وجود سوق داخلية ضخمة . واذا نظرنا الى الظروف التاريخية لنشأة الاتحاد السوفييتي وتطور اقتصاده ، لرأينا ان الاتحاد السوفييتي لا يعتمد في تنمية اقتصاده على العلاقات الخارجية لانه كان قد اتجه منذ البداية الى الاكتفاء الذاتي . والواقع انه لا ينقصنا شيء ذو بال . ويمكن أن يقال أن كل شيء ينتج في بلادنا وان ما ينقصنا هو الموز والقهوة والكاكاو والاناناس والفستق وبعض أنواع من الفاكهة التي تنمو في المناطق المدارية !

وعلى الرغم من خاصية الاكتفاء الذاتي ، يهتم الاتحاد السوفييتي كل الاهتمام بالعلاقات الخارجية . وهو اهتمام تفرضه اليوم ثورة العصر

(١) راجع ملخصها المنشور مع هذا الملف

العلمية والتكنولوجية فهذه الثورة قد مكنت الانسان من أن يزيد عدد المنتجات بطريقة خرافية . لكن هذا الانتاج يفترض ، او يتطلب اقامة مشروعات صناعية كبرى . هنا قد تتطلب الظروف أن تنتج كميات محدوده من السلع . ولكن فى هذه الحالة ما هى جدوى ان نقيم مصانع ومجمعات هائلة لانتاج كل انواع المواد والسلع والتجهيزات لا لابد اذن ، من ان ناخذ فى الاعتبار قضية التقسيم الدولى للعمل . اى لابد من التعاون مع البلدان الاخرى ويتم هذا من خلال التجارة الخارجية .

ولقد أصبح تبادل المنتجات وبراءات الاختراع أمرا ممكنا . بل هو قد أصبح — فى الواقع — ضرورة لان الانفراج الدولى يسمح بهذا .

المشكلة الثالثة : هى اننا حققنا فى المجال الاقتصادى تقدما كبيرا لا من حيث الكم فحسب ، بل من حيث الكيف او النوعية . ولذلك فان المشكلة التى نطرحها على الدوام ونحن ننفذ الخطة العاشرة — هى كيف نستخدم على افضل وجه الامكانيات التى نملكها لنحقق شعار الخطة **« زيادة انتاجية العمل وتحسين نوعيته »**

المشكلة الرابعة : هى أن الانتاج الكبير يخلق — بدوره — مسائل اخرى . اذ يصبح من الصعوبة أكثر فاكثر ، ادارة هذا الاقتصاد وتخطيطه . ولهذا فان جزءا كبيرا من الاهتمام لا يوجه الى تطوير الاقتصاد فحسب بل — فى الاساس — الى تطوير وتحديث ادارته ورفع كفاءة التخطيط . هذا عن المشاكل .

ولكن ماذا عن المبادىء التى تحكم تنفيذ الخطة العاشرة لا يمكن القول بان :

١ — **المبدأ الاول** : يتمثل فى تطوير الافرع التقليدية للاقتصاد ومع نفس الوقت ، الاسراع بتطوير محطات الطاقة النووية . وهذا التطوير يفرضه واقع ان مصادر الطاقة فى بلدنا الشاسعة تحتم علينا نقل البترول — مثلا — الى مسافات تمتد مئات والاف الكيلومترات . هنا نهتم بانشاء محطات الطاقة النووية فى الاماكن التى تقل فيها مصادر الفحم والبترول . .

٢ — **المبدأ الثانى** : يتمثل فى البحث المنظم عن منابع البترول ، والغاز مع الاهتمام بالبحث عن مكامن الفحم . هنا ، ايضا لابد من تطوير المحطات المائية لتوليد الكهرباء .

٣ — **المبدأ الثالث** : هو أننا نحاول عند تنفيذ الخطة ان نقلل من استهلاك الغاز والكهرباء ونحاول — فى الوقت نفسه — ان ننتج نفس الكمية من الطاقة بتكاليف أقل . ومما يقال عن هذا يقال ايضا عن ترشيد استخدام المواد والاقتصاد فيها ومكافحة التبذير .

وهنا يضيف الرفيق **كوتوف** :

— الا ان الشيء الذى ينبغى الا ننساه هو أن الخطة العاشرة تركز — اولا وأخيرا على الجانب المعنوى للحياة . انها تهتم كما تبين التوجيهات بشخصية العامل وتطويرها ، لا كمنتج فحسب بل كانسان وهى تهتم بتوفير الغذاء والكساء ، ولكنها تهتم — فى الوقت نفسه — بمتطلبات تطوره الثقافيه والروحية . لان هدفنا ليس هو المستوى المادى ، وانما اطلاق مواهب وملكات الفرد ليكون العمل متعة ، وليكون جوهره الابداع . « واذا كان هذا الفرد قد ولد ليكون رافائيل فلسوف يكون كذلك » .

قضـية التنافس مع الولايات المتحـدة

وعند الاجابة على السؤال المتعلق بافاق المنافسة بين الاتحاد السوفيتى وبين الولايات المتحدة ، وقدرة النظام الاشتراكى على أن يقطع — فى وقت سريع — المسافة التى تفصل بين البلدين ، حدد الرفيق **كوتوف** :

١ — فى امريكا لديهم علم متطور جدا ، ويجب أن نستفيد من ذلك .

٢ — يجب ان ناخذ بعين الاعتبار انهم — هناك — بدأوا فى تصنيع بلادهم فى وقت مبكر .

٣ — انهم لم يصابوا بالخسائر المروعة التى سببتها الحروب للاتحاد السوفييتى .

٤ — ولابد ان نعترف بأن لديهم ، فى أمريكا ، عدد من المشروعات على درجه من التجهيز والكفاءة أفضل مما فى الاتحاد السوفييتى . ولابد من وقت ليلحق الاتحاد السوفييتى بهم فى هذه المجالات المحددة .

٥ — لكن يجب أن نضيف أن المشروعات الجديدة التى نبنيها ليست اسوأ مما فى أمريكا . « امثلة : صناعه بناء الالات — الالات النووية الالكترونيات — وسائل التحكم الذاتى المختلفة الخ . . والدليل على ذلك : ما حدث عند التحليق المشترك لسفينتى الفضاء السوفيتية والامريكية . لقد ذهبت الدعايات الامريكية الى حد ايهام الشعب الامريكى بأن السوفييت سيفشلون فى التحليق ، وتوقعت بعض الصحف — عندهم — ان يهلك رواد الفضاء السوفييت فى محاولتهم .

الا ان هذا التحليق المشترك سوف يساعدنا فى الحكم على المستقبل .

ويؤكد السوفييت ـ في كل ما يقولون ويكتبون انهم سيكسبون الجولة بقدر ما تنجح البشرية فى كسب قضية السلم واستبعاد خطر الحرب النووية المدمرة .

من هنا ، يثبت أن السياسة الداخلية .. سياسة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لها امتدادات خارجية ، لها دروب أخرى ووسائل تؤمنها وتحميها .. وهذا يفسر الكلمة الاولى التى سمعناها فى لجنة الخطة ، عندما قال كوتوف : ان المشكلة الاولى هي الحفاظ على السلم .. هى أهم مشكلة منذ عام ١٩١٧ ..

وربما يكون قد حان الوقت لنلقى نظرة سريعة على اتجاهات السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى فى مرحلة الانفراج الدولى .

○ ○ اتجاهات السياسة الخارجية

لم تكن صدفة أن المؤتمر الرابع والعشرين الذى أقر الخطة التاسعة هو نفس المؤتمر الذى بدأ ما يعرف باسم « هجوم السلام » . ففى ذلك المؤتمر أعلن الاتحاد السوفيتى السلام فى ١٩٧١ . ومنذ ذلك الوقت والعالم يشهد تطورات عميقة فى مجال حل المشاكل السياسية التى يعيشها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وهى تصفية بؤرة الحرب الساخنة فى جنوب شرق آسيا ـ الاعتراف النهائى بالتغيرات الاقليمية فى أوروبا ، والتى حدثت كنتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية ـ ودخول الدولتين الالمانيتين هيئة الامم المتحدة ـ الاتجاه بثبات نحو الانفراج الدولى . وفى هذا تم عقد مؤتمر الامن الاوروبى وتوقيع ٣٥ دولة أوربية من بينها الولايات المتحدة وكندا على بيانه الختامى ، وعقد عدد من الاتفاقيات لنزع السلاح والحد من انتاجه ، وحدوث تحسينات جذرية فى علاقات الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية مع بلدان غرب اوروبا هكذا بدأت عملية التهدئة لحدة الصراعات الدولية تكسب مواقع جديدة . وبدأ التخلص تدريجيا من الحرب الباردة وآثارها ، وأصبح الاتجاه الى حل المشاكل الدولية بالمفاوضات هو الاتجاه السائد .

ولقد كان انعقاد مؤتمر الامن الاوروبى وما وصل اليه من نتائج ، ونمو العلاقات السياسية والتجارية بين الغرب الرأسمالى والمانيا الاتحادية وفرنسا وبريطانيا ، وبين الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية وبين فرنسا والمانيا ، ثم نمو العلاقات بصفة مع الولايات المتحدة . كان ذلك كله خطوات هامة وأساسية على طريق تنفيذ برنامج السلام ، الذى تحددت نقاطه الرئيسية فى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب كما يلى :

أولا : القضاء على بؤرتى الحرب فى جنوب شرق آسيا وفى الشرق الاوسط ، والمساعدة فى تحقيق التسوية السياسية فى هاتين المنطقتين على أساس احترام الحقوق الشرعية للدول والشعوب التى تعرضت للعدوان .

ـ الردع الفورى الحازم لكل عمل من أعمال العدوان والتعسف الدولى . ويجب لاجل هذا الاستفادة بشكل تام من امكانيات الامم المتحدة أيضا .

ـ ان الامتناع عن استخدام القوة وعن التهديد باستخدامها لحل المسائل المتنازع يجب أن يصبح قانونا للحياة الدولية . ان الاتحاد السوفييتى يعرض من جهته على البلدان التى تشاطره هذا الموقف عقد معاهدات بهذا الشأن ثنائية أو اقليمية .

ثانيا : الانطلاق من الاعتراف النهائى بالتغيرات الاقليمية التى حدثت فى أوروبا نتيجة للحرب العالمية الثانية . تحقيق انعطاف جذرى نحو الانفراج والسلام فى هذه القارة . ضمان عقد المؤتمر الاوروبى العام ونجاحه .

ـ بذل كل شيء لضمان الامن الجماعي فى أوروبا . واننا لنؤكد ما أبدته البلدان المشتركة فى معاهدة وارسو الدفاعية من استعداد لالغاء هذه المعاهدة وحلف شمال الاطلنطى فى آن واحد و ـ كخطوة أولى ـ تصفية منظمتيهما العسكريتين .

ثالثا : عقد معاهدات لحظر الاسلحة النووية والكيمائية والبكتريولوجية .

ـ العمل لوقف تجارب السلاح النووى فى كل مكان قبل الجميع ، بما فى ذلك التجارب تحت الارض .

ـ الاسهام فى انشاء مناطق لا ذرية فى أنحاء مختلفة من العالم .

ـ الدعوة الى نزع السلاح النووى لجميع الدول التى تملكه ، وتدعو الى عقد مؤتمر لهذا الغرض للدول النوويه الخمس : الاتحاد السوفييتى والولايات المتحده وجمهورية الصين الشعبية وفرنسا وبريطانيا .

رابعا : تنشيط النضال من أجل وقف سباق التسلح بجميع أنواعه واننا نحبذ عقد مؤتمر عالمى لبحث مسائل نزع السلاح بكل ابعادها .

ـ اننا نؤيد تصفية القواعد العسكرية الاجنبية . ونؤيد تخفيض القوات المسلحة والاسلحة فى المناطق التى تعتبر فيها المواجهة الحربية خطرة بشكل خاص وقبل كل شىء فى اوروبا الوسطى .

ـ نرى من المفيد وضع تدابير تقلل من احتمال نشوب الحوادث الحربيه بالمصادفة او تدبيرها عن عمد وتحولها الى أزمات دولية ، الى حرب .

ـ ان الاتحاد السوفييتى مستعد للاتفاق على تخفيض النفقات العسكرية وفى الدرجة الاولى نفقات الدول الكبرى .

خامسا : يجب ان تنفذ كليا قرارات منظمة الامم المتحدة الخاصه بتصفية ما تبقى من الانظمه الاستعمارية . وينبغى للجميع أن يدينوا وقاطعوا مظاهر التعصب والتفرقة العنصرية .

سادسا : ان الاتحاد السوفييتى مستعد لتعميق علاقات التعاون المتبادل النفع فى كل الميادين مع الدول التى تطمع بدورها فى ذلك . وبلادنا مستعدة للاشتراك ، مع غيرها من الدول الاخرى المعنية ، فى حل قضايا صيانه البيئه الطبيعية واستثمار موارد الطاقة وغيرها من الموارد الطبيعية وتطوير وسائل النقل والمواصلات ودرء وتصفية أخطر الامراض واوسعها انتشارا ودراسة غزو الفضاء الكونى والمحيط العالمى » .

وتجىء هذه النقاط الست « لبرنامج السلام » تعبيرا عن المبادىء الايديولوجية التى تحكم السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى ، منذ قيامه كأول دولة اشتراكية . وهى مبادىء :

ـ التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة المختلفة .

ـ والتضامن مع حركة الطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطنى .

ـ الدفاع الايجابى والحازم عن السلم العالمى وتصفية بؤر الحرب .

ـ التعاون الدولى من أجل الاستفادة بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية وبهدف استبعاد خطر نشوب حرب نووية تهدد الجنس البشرى .

ويمكن القول بأن هذه السياسة قد حققت ـ من الناحية الموضوعية ـ نجاحات هامة ، زاد من أهميتها أنها تطرح فى ظروف دولية مواتية الى حد كبير . فى مقدمتها :

١ ـ تدعم قوة المعسكر الاشتراكى المادية والادبية .

٢ ـ استفحال الازمة العامة للنظام الرأسمالى العالمى .

٣ ـ المواقع المتقدمة التى انتقل اليها النضال الوطنى التحريرى المعادى للامبريالية .

٤ ـ التصفية المضطردة لبؤر الحرب والعدوان .

أولا : قوة المعسكر الاشتراكى . من المعروف أنه بعد هزيمة الفاشية انهار الحصار الرأسمالى المفروض على الاتحاد السوفييتى ، وقامت مجموعة من الدول الاشتراكية على رقعة من الارض كانت تحكمها لامبريالية وتحتلها قوى الغزو الفاشى . وأصبحت مساحة هذه الرقعة ٢٦ فى المائة من مجموع مسحة الكرة الارضية ، ويعيش عليها ٣٥ فى المائة من سكان العالم وتنتج ٤٠ فى المائة من الانتاج الصناعى العالمى . ووفق أهداف الخطة الخمسية السوفييتية التى تبدأ عام ١٩٧٦ فان الاتحاد السوفييتى سيلحق بالولايات المتحدة عام ١٩٨٠ .

ويحكم العلاقة بين الاتحاد السوفييتى ومجموعة البلدان الاشتراكيه مبدأ هام وهو : **ان البناء الناجح للاشتراكيه لا يمكن أن يتحقق الا بالربط الصحيح بين ما هو عام فى التطور الاجتماعى وبين ما هو خاص بكل أمة** . فالقوانين العامة لبناء الاشتراكية لا يمكن أن تؤتى فعلها وآثرها الا اذا أخذت بعين الاعتبار الظروف التاريخية المحددة والخصائص القومية المميزة لكل بلد . وبالربط الجدلى بين هذين العملين ـ العام والخاص ـ يمكن للعلاقات بين الدول الاشتراكية أن تتطور تطورا صحيحا .. وهكذا يتجه الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكيه المشتركة فى مجلس «**التعاون الاقتصادى المتبادل**» الى التركيز على أفضل استخدام للتقسيم الاشتراكى للعمل ـ على أساس تعميق التخصص والتعاون فى الانتاج وربط الخطط الاقتصادية فيما بينها ربطا وثيقا . **أى الدخول فى مرحلة التكامل الاقتصادى للدول الاشتراكية** . ويعتبر برنامج التكامل الاقتصادى هذا نموذجا للربط بين المصالح القومية لكل بلد على حدة والمصالح الدولية للمجموعة الاشتراكية ككل . ولقد تم التخطيط لعلاقات التعاون الاقتصادى للعشرين سنة القادمة . ودخلت الخطة

الخمسية العاشرة كجزء من هذه الخطة العشرينية . كل ذلك لمواجهة التحديات الاقتصادية الكبيرة ، ولتطوير التكنولوجيا الحديثة ، ولايجاد أفضل الطرق وأرشدها لحل المشاكل الاساسية الملحة – مثل مشكلة الوقود والمواد الخام وغيرها .

وبينما تحتدم الازمة المعاصرة في العالم الراسمالي – والممتدة من ١٩٧٠ حتى اليوم ، فان الصورة تختلف تماما في الاتحاد السوفييتي والبلاد الاشتراكية . فاقتصاد البلاد الاشتراكية لم يتعثر بسبب الازمة ، بل تميز بالتنمية المطردة في الانتاج ، وبانعدام البطالة والتضخم وبالتقدم السريع في التجهيزات الجماعية .. الخ .

واذا كانت بلدان المعسكر الرأسمالي قد اضطرت اليوم الى التعايش السلمي والى التعاون الاقتصادي مع بلدان الاشتراكية – بعد ان كانت تسعى لحصارها وحصارها – فان ذلك يرجع بالاساس الى تدعيم قوة بلاد الاشتراكية في جميع المجالات ولمكانتها المتعاظمة في العالم ، بما في ذلك مكانتها الاقتصادية .

وهكذا فان العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلاد الاشتراكية والرأسمالية تمثل عنصرا من اهم العناصر في عملية الانفراج الدولي والتعايش السلمي .

ان التعاون الاقتصادي والتجاري بين البلاد الاشتراكية والرأسمالية يحقق .

● المساهمة في اقامة سلام دائم وضمان التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، ويوجد الظروف الملائمة لخفض سباق التسلح – هذا في المجال السياسي .

● وفي المجال الاقتصادي يسمح للبلاد الاشتراكية بالاستفادة اكثر بمزايا التقسيم العالمي للعمل .

● وفي المجال الاجتماعي، يتفق مع مصالح عمال البلاد الاشتراكية الحيوية وعمال البلدان الاخرى – فهو يساعد البلاد الاشتراكية على تنمية الانتاج لرفع مستوى الشعوب ، كما أنه يساعد الرأسمالية على خلق امكانيات جديدة للعمل .

ثانيا : الازمة العامة للنظام الرأسمالي والتراجع التاريخي للامبريالية :

يواجه العالم الرأسمالي – كما هو معروف – أزمة اقتصادية حادة وعميقة ، تجد التعبير عنها في تأزم استراتيجية الامبريالية وسياستها الخارجية .

وحتى الولايات المتحدة نفسها – أغنى وأقوى بلاد العالم الرأسمالي ، وقائدة المعسكر الامبريالي – لم يعد في مقدورها التخلص من الازمة الاقتصادية الجديدة منذ أكثر من خمس سنوات . هذه الازمة التي أصابت النظام النقدي والمالي للرأسمالية ، فاصبح التضخم والبطالة ظواهر دائمة في حياة البلدان الرأسمالية .

ففي خلال أزمة ١٩٦٩ – ١٩٧١ – هبط الانتاج الصناعي للولايات المتحدة بنسبة ٤ في المائة واستمر على ذلك لفترة طويلة . وفي النصف الاول من ١٩٧٥ هبط بنسبة تتراوح بين ١١ ، ١٢٫٠ في المائة بالمقارنة مع النصف الاول لـ ١٩٧٤ .

كما ان نفس الشيء يحدث ببريطانيا التي هبط انتاجها الصناعي بنسبة ٤ في المائة في النصف الاول من ١٩٧٤ وبنسبة ٣ في المائة في النصف الاول من ١٩٧٥ . وفي ايطاليا التي لم تعان من الهبوط في ١٩٧١ – ١٩٧٦ هبط الانتاج الصناعي فيها بنسبة ١٢ في المائة في النصف الاول من ١٩٧٥ . وفي اليابان – ولاول مرة منذ سنوات الحرب – هبط انتاجها الصناعي في النصف الاول من ١٩٧٥ بنسبة ٢ في المائة وفي المانيا الغربية هبط بنسبة تتراوح بين ٥ ، ٦ في المائة .

وكما يحدث دائما خلال الازمات فقد اصاب هذا الهبوط في الاساس صناعة انتاج الالات – ففي الربع الاول من ١٩٧٥ عملت صناعة الالات بـ ٦٨ في المائة من قدرتها الانتاجية – وهو أقل مستوى وصلت اليه منذ الحرب .

والازمة الاقتصادية المعاصرة – تؤكد أن أكثر البلاد تعرضا للازمات هي الاكثر قوة في مجال التكنولوجيا ، الامر الذي يؤكد على ازدياد حدة التناقض بين القوى المنتجة الحديثة مع الشكل الرأسمالي للملكية والادارة والاقتصاد .

ففي ظل امتلاك الرأسمالية الاحتكارية للتكنولوجيا الجديدة، وتحكمها فيها وسيطرتها عليها – اصبحت التكنولوجيا – في ظل الرأسمالية – عامل منافسة للعامل وعامل افقار له وزيادة حدة استغلاله . حتى لقد وصلت أرقام التوفير من العمل والبطالة الى حدود لا يمكن مقارنتها الا بارقام أزمة الثلاثينيات . وفي الولايات المتحدة الان ، أكثر من تسعة ملايين عاطل .

ان شمول الازمة الاقتصادية للنظام الرأسمالي كله ، ادخل في دائرتها ، المانيا الغربية واليابان، وهما بلدان كان يبدو انهما خارج دائرتها . وكانتا تزهوان بأن اقتصادهما متين ، ويتمتع بوضع استثنائي . وهكذا ، لم يعد في استطاعة بعض البلدان الرأسمالية الكبيرة أن تناور باستخدام أسواق بلدان رأسمالية أخرى لم يكن اقتصادها

متأثرا بالازمة . وقد زاد ذلك من عمق وحدة الصراع على الاسواق العالمية . من هنا ، فانه لا عمليات التكامل الاقتصادي بين البلدان الراسمالية ـ مثل السوق الاوروبية المشتركة ـ ولا حتى المصالح الطبقية للراسمالية العالمية في صراعها ضد الاشتراكية في قدرتها أن تزيل ما بين الدول الامبريالية من تناقضات . وتشكلت داخل معسكر الراسمالية العالمي مراكز تنافس امبريالي اساسيه هي أمريكا وأوروبا الغربية واليابان ـ يتزايد الصراع الاقتصادي والسياسي بينها حدة وعنفا . وأرقام عجز الميزان التجاري الامريكي الهائلة تعكس هذا الصراع بوضوح . وكذلك الحرب التجاريه والاقتصادية بين هذه الدول من أجل السيطرة على الاسواق القائمه وللوصول الى اسواق جديدة . ثم المضاربات الضخمة والتي تلعب فيها الشركات المتعددة الجنسيات دورا أساسيا . على أن هذا الصراع الشرس بين الدول الامبريالية لم يتحول الى صراع مسلح لان ميزان القوى العالمية ليس في صالح هذا الصراع اذ هي تضع في أعتبارها تناقضها الاساسي مع الاشتراكية ان الوضـع الشـديد التأزم للراسمالية وازدياد حـدة التنافس بين دولهـا ـ هـو الذي يدفع اليوم بالولايات المتحدة وببلدان غرب أوروبا واليابان ـ سواء أرضيت أم لم ترض الى دق سوق البلدان الاشتراكيه وبزحام لم يسبق له مثيل .

وهنا يكمن واحد من العوامل الاساسية التي أدت الى الانفراج الدولي، واحراز تقدم جديد في مجال التعايش السلمي ، وبالذات فيما يتعلق بتوسيع التعاون التجاري والاقتصادي والثقافي بين النظم الاجتماعية المختلفة . . .

ان انتشار التجارة ذات المنافع المتبادلة وزيادة طلبيات الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية تتيح للبلاد الغربية فرصة ايجاد أعمال جديدة وحماية مئات آلاف العمال من البطالة ، وعلى سبيل المثال ـ وكما اعترف مديرو أكبر بنوك الولايات المتحدة « بنك شيزمنهاتن » في أواخر عام ١٩٧٤ ـ فان طلبيات المعدات لصناعة السيارات على نهر الكاما في الاتحاد السوفييتي «والتي ارتفعت الى ٣٨٥ مليون دولار ، ووزعت على حوالي مائة من الشركات الامريكية » جنبت عددا كبيرا من الشركات الامريكية خفض الانتاج بل هي تزيد من عدد الاعمال فيها . وقد صرح **ليونارد وود** كوك رئيس النقابة الموحدة لعمال صناعة السيارات في الولايات المتحدة ، بأن التجارة مع الاتحاد السوفييتي تعود بنفع أكيد على عمال الولايات المتحدة . وهم يؤيدونها ؛ لان الامر يشمل مائة وستين الف وظيفة .

كما أنه يعمل في فرنسا ١٠ في المائة من مجموع اليد العاملة فا المشروعات الميكانيكية الاساسيه التي تنفذ طلبيات للسوفييت ، والاتفاقية الفرنسية ـ السوفييتية الاخيرة زودت الصناعة الفرنسية بطلبيات تصل قيمتها الى عشرة مليارات من الدولارات . ونفس الشيء بالنسبة لالمانيا الاتحادية ، وايطاليا ، وفنلندا وغيرها .

وبالاضافه الى ما تقدم فانه بسبب الازمة الحاده التي يعانيها النظـام الراسمالي ، فان الامبرياليه العالمية والامريكية خاصه اصبحت تنوء تحت وطأة النفقات الباهظة على اشعال الحروب المحدوده ، وعلى قواعدها العسكريه . وتحت ضغط هذا العامل اضطرت الراسمالية العالميه والامريكيه أن تقوم بتراجع تاريخي وان تقدم تنازلات سياسيه عديدة وهامه في كثير من المشكلات الدوليه والامثله : التنازل في القضية الفيتنامية ، وقبول التوقيع على اتفاقيات لمنع التفجيرات النوويه تحت الارض وفي الجو ، والحد من انتاج أسلحة الدمار الشامل . ولهذا كله فان الوثيقه الختامية الصادرة عن مؤتمر الامن والتعاون الاوروبي والتي وقعها في **هلسنكي** يوم اول أغسطس ١٩٧٥ والتي وقعه ٣٥ من رؤساء دول ووزارات البلاد الاوروبية والولايات المتحده وكندا جاءت خطوة الى الامام على طريق الانفراج الدولي .

ثالثـا

السياسه الخارجية السوفييتية وبـلاد التحـرر الوطـني

حققت حركة التحرر الوطني مزيدا من انتصاراتها على النظام الامبريالي العالمي ، وساند الاتحاد السوفيتي في سياسته الخارجية حركة النضال ضد الامبريالية ، بالدعم المادي والادبي ، وذلك في اطار وحدة الهدف بين الاشتراكية وحركة التحرر الوطني ، وهي وحده تفرضها ضرورات مواجهة العدو المشترك ـ الامبرياليه ـ ، كما تفرضها المصلحة المتبادلة بين الطرفين .

وهنا يوضع في المقام الاول من هذه الاحداث ، الانتصار الكبير الذي حققته بفضل نضالها شعوب الهند الصينية وهو انتصار أنزل هزيمة نكراء بسياسة الولايات المتحدة التي كانت تريد بسط سيطرتها الاستعمارية الجديدة على جنوب شرقي آسيا بواسطة حكومات عميلة . وكان الموقف السوفييتي المساند لكل القوى الثورية والتقدمية والوطنية ضمن عوامل النصر الرئيسية لشعوب الهند الصينية .

ولقد ادى هذا النصر الى احداث تغييرات جذرية فى توازن القوى فى منطقة كانت من اكثر مناطق العالم التهابا بخطر الحرب . تكفى الاشارة الى ان حلف جنوب شرقى اسيا ــ وهو من اكثر الاحلاف الاستعمارية عدوانية ، والذى انشأته الولايات المتحدة منذ ٢١ عاما فى اوج الحرب الباردة ــ هذا الحلف قد تم حله باقتراح من الفيلبين وتايلاند . من اجل التواؤم مع الظروف والحقائق الجديدة فى المنطقة .

وفى افريقيا ، انهارت آخر امبراطورية استعمارية كبيرة باستقلال المستعمرات البرتغالية السابقة فى غينيا بيساو جزر الرأس الاخضر وموزمبيق وانجولا . وفى اثيوبيا انتصرت ثورة معادية للاقطاع . وفى جنوب افريقيا تزداد المقاومة المسلحة . والنضالات السياسية ضد النظم العنصرية . وتشهد داهومى تغيرات ثورية معادية للامبريالية وعملائها .

وفى الشرق الاوسط ، تزداد عزلة اسرائيل دوليا بالرغم من المساندة الامريكية ، وحققت قضية الشعب الفلسطينى انتصارا واضحا عندما منحت صفة المراقب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الامم المتحدة وعندما دعيت للمشاركة فى اجتماعات مجلس الامن .. وعندما اخذت مكانها فى منظمة العمل الدولية .

وفى امريكا اللاتينية ، تضطر الامبريالية الامريكية الى تراجعات جديدة ، ولقد كان قرار منظمة الدول الامريكية برفع الحصار المفروض على كوبا دليلا جديدا على فشل سياسة الولايات المتحدة . كما أن الاجراء الجديد الذى اتخذته ٢٥ دولة من دول أمريكا اللاتينية بمافيها كوبا بانشاء منظمة اقتصادية لاتينية امريكية جديدة يمثل تعبيرا جديدا عن معارضة سياسة الولايات المتحدة . وتتعاظم المعارضة فى كل بلاد أمريكا اللاتينية لقانون التجارة الامريكى الذى يضع قيودا واجراءات تفرقة مجحفة تتعارض مع حرية هذه الدول فى ممارستها لسيادتها .

ان علاقات القوى فى امريكا اللاتينية ــ برغم انقلاب شيلى وبعض الانقلابات الاخرى المماثلة ــ لا تتطور لصالح الامبريالية الامريكية . انها تتطور لصالح حركة التحرر الوطنى ، والاشتراكية ، والتعايش السلمى .

فاذا حاولنا أن نستنتج القوانين التى تحكم انتصارات الحركة الوطنية المعادية للامبريالية والاستعمار ، امكن القول أن فى مقدمة هذه القوانين هو أن انتصاراتها تتوطد ويتسع نطاقها كلما امكن احباط المحاولات التى تبذلها القوى العدوانية فى البلاد الامبريالية لشن حرب عالمية جديدة . هنا ايضا تكتسب سياسة السلم السوفيتية مضمونا ايجابيا لمصلحة هذه الحركة .

وربما كان من أهم التغييرات الحاسمة فى الفترة الاخيرة ، معارضة بلاد العالم الثالث لنظم العلاقات الاقتصادية والسياسية مع البلاد الرأسمالية وتتجه معظم هذه البلاد التى عانت طويلا من النهب الاستعمارى الى وضع حد له ، والى أن تتولى ــ بنفسها ــ زمام السيطرة على مواردها الطبيعية . وأن تفرض نظاما جديدا فى العلاقات السياسية والاقتصادية مع البلاد الرأسمالية . يضمن لها حقوقها ويسمح لها أن تبنى اقتصادها بارادتها ووفق مصلحة شعوبها .

ومع تقدم سياسة التعايش السلمى والانفراج والامن الدوليين والتغيرات الجديدة فى علاقات القوى على الصعيد الدولى ، على حساب الامبريالية تحقق الدول النامية نجاحات فى مجالات دعم استقلالها الاقتصادى ، وتحقيق المساواة فى مجال التقسيم الدولى للعمل بسيطرتها على مواردها الطبيعية . وهى فى ذلك تجد المساعدة الجدية من قبل الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية . وهى مساعدات تمكنها من اقامة قاعدة صناعية حديثة على أسس من التكنولوجيا الحديثة ، ان ٩٠ فى المائة من المعونات السوفيتية المقدمة لـ ٥٠ دولة من الدول النامية مقدمة لتحسين الانتاج وتطويره ومنها على الاقل ٧٥ فى المائة تذهب للصناعة وتوليد الطاقة . ولقد ساعد الاتحاد السوفييتى على اقامة ٩٠٠ مشروع فى هذه البلدان ، بدأ نصفها تقريبا فى العمل والانتاج بالفعل ، ومن بينها محطات لتوليد الكهرباء ومجمعات تعدينيه ومشروعات لانتاج الماكينات ، وتكرير البترول ، وعلى سبيل المثال مجمع انتاج الصلب فى الهند بطاقه ١٫٠ مليون طن سنويا ، ومجمع الحديد والصلب فى حلوان « مصر بطاقة ١٫٥ مليون طن سنويا .

ان الاتحاد السوفييتى ، يرى أن انتصار « برنامج السلام » الذى قدمه فى مؤتمره الرابع والعشرين يرتبط بالتصفية الكاملة لبقايا النظم الاستعمارية ، والادانة الكاملة للنظم العنصرية ومقاطعتها ، ويرى أن سياسة التعايش السلمى بين النظم الاجتماعية المختلفة لا تتعارض بل تتطابق مع حق الشعوب المقهورة لاستخدام كل الوسائل الممكنة والمتاحة بما فيها القوة المسلحة فى النضال من اجل التحرر الوطنى ، وحق هذه الشعوب فى الحصول على كل دعم خارجى يساعدها فى نضالها العادل .

رابعا : تضع السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى قضية الاثار التى تمخضت عن ثورة العلم والتكنولوجيا موضع الاهتمام المتزايد ،

لقد أصبحت هذه الثورة عاملا رئيسيا ضمن العوامل المؤثرة فى متغيرات عالم اليوم . وهى ظاهرة اجتماعية تتحدد أبعادها فى اطار النظام الاجتماعى والنظام السياسى والاقتصادى الذى يحتويها .

ففى البلدان الرأسمالية المتطورة ـ أدت هذه الثورة الى : ١ ـ زيادة حدة التفاوت فى مستويات التطور بين هذه البلدان ذاتها . ٢ ـ تفاقم مشكلة البطالة وذلك لان الاحتكارات تعمل على خفض نفقات الانتاج بخفض الانفاق على ثورة العمل . ولذلك يزداد الصراع الطبقى احتداما فى بلدان الرأسمالية المتطورة بشكل لم يسبق له مثيل . ٣ ـ استخدام الاحتكارات الرأسمالية لهذه الثورة فى سباق التسلح قبل استخدامها فى الانتاج المدنى .

كل هذا الاستخدام السلبى لثورة العلم والتكنولوجيا يمكن البلد الاشتراكى من تفاديها بحكم نظامه الاقتصادى الاجتماعى . ولكن ، فى الوقت نفسه ، فان هذه الثورة قد باتت تفرض على البشرية قضية من أهم القضايا التى واجهها الجنس البشرى . هى قضية حماية البيئة من التلوث . وهو الامر الذى يحتم على كل الدول ان تدخل فورا فى مفاوضات واتفاقات للحد من التجارب الذرية . وفى هذا المجال تتحرك الدبلوماسية السوفيتية لتعقد المزيد من المعاهدات والوقائع والاتفاقات مع دول الغرب الصناعية . ولا شك ان كل خطوة فى هذا السبيل تعنى ـ ان آجلا او عاجلا ـ مزيدا من التفاهم ومزيدا من انحصار أسباب التوتر الدولى .

ولايمكن ان نختم الحديث عن اتجاهات السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى دون وقفة عند العلاقات المصرية السوفيتية .

○ ○ العـــلاقات المصريـــة الســـوفيتية

يستقطب واقع ومستقبل العلاقات المصرية السوفيتية اهتماما كبيرا فى موسكو .

ولا يتغافل هذا الاهتمام حقيقة ان اختلاف الطبيعة الاجتماعية ـ السياسية لكل من البلدين ، لابد وان يتولد معه بين آن وآخر تباين فى بعض المواقف وفى مناهج واساليب الرؤية والتحليل لعدد من المشاكل .

لكنه ـ فى نفس الوقت ـ يضع هذه الحقيقة الجزئية فى اطار حقيقة كلية ، وهى أن ثمة مصالح ستراتيجية اساسية توحد بين اختيارات الاتحاد السوفيتى كدولة اشتراكية وبين اختيارات مصر كدولة من دول التحرر الوطنى .

وتتحدد هذه الاختيارات فى :

١ ـ تصفية الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والتفرقة العنصرية فى العالم .

٢ ـ مساندة حركة التحرر العربى التى تحتل مصر مركز الثقل فيها فى ردع العدوان الاسرائيلى وتحرير جميع الاراضى العربية المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ وتجسيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى وطن مستقل .

٣ ـ دعم الاستقلال السياسى والاقتصادى لمصر وتنمية قدراتها الاقتصادية والدفاعية باعتبار أن هذا يمثل ضمانا رئيسيا لتحقيق اهداف الشعب المصرى والشعوب العربية الطامحة للوحدة من جانب . واستقرارا للامن والسلام فى منطقة الشرق الاوسط التى ترتبط ـ استراتيجيا ـ بأمن الاتحاد السوفيتى والسلام العالمى من جانب آخر .

ويرى السوفيت انه يمكن ، فى اطار الالتزام بالاختيارات الاستراتيجية المشتركة لهذه الحقيقة الكلية . علاج كل القضايا والمشاكل التى تعترض من وقت لاخر الصداقة المصرية السوفيتية . مهما كانت درجة صعوباتها .

ولا ينكر السوفيت انه لابد من خلال العمل ، وبسبب تنوع المناهج والاساليب وتفاوت حجم الالتزامات الدولية . وضغط الاحداث ، أن يصاحب الاختلافات وقوع بعض الاخطاء التى تغلف الصداقة بالسحب والضباب .

بيد أنه اذا كانت الصداقة هى بطبيعتها بين طرفين وليست من طرف واحد . فانه ليس من العدل ان يلقى بكل الاخطاء على طرف دون طرف . او ان يسمح باستغلالها لتقويض بناء الصداقة .

ويعتقد السوفيت أن هناك قوى عديدة فى مقدمتها الامبريالية والصهيونية واعداء الاستقلال السياسى والاقتصادى والتطور الاجتماعى لمصر ، لا تكف لحظة عن محاولة تخريب هذه الصداقة . وذلك باعتبارها تمثل نموذجا جديدا فى العلاقات الدولية بين العالم الاشتراكى والعالم الثالث ، افرز ايجابيات عديدة على كل المستويات الدولية والاقليمية والمحلية ، وخلق ظروفا موضوعية فى العالم لتكرره . وبالتالى قدم اسهاما كبيرا فى درء خطر الحرب العالمية وفى تهيئة الاجواء لفرض سياسة الانفراج الدولى والتعايش السلمى على القوى الاستعمارية والرأسمالية .

ويخلص السوفيت الى التأكيد على اربعة نقاط :

اولا : ان الموقف من الصداقة مع مصر مبدئى فى السياسة السوفيتية على أساس المعاداة للامبريالية وللصهيونية والتخلف الاقتصادى والاجتماعى . دون ما تأثر بأيه عوامل ذاتية او شخصية .

ثانيا : ان مسئولية دعم الصداقة وحمايتها من الهجمات وتضحيتها هى مسئولية مشتركة بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، فى الحاضر والمستقبل .

ثالثا : ان الصداقة المصرية السوفيتية ، لا تحول بين أى طرف فيها وبين انشاء وتكوين صداقات اخرى مع جميع دول العالم بما فى ذلك الولايات المتحدة او اوربا الغربية .

وذلك فى اطار سياسة التعايش السلمى التى تشكل بديلا عن سياسة الحرب والعدوان . ولا تصبح فى نفس الوقت قيودا على حركة تطهير العالم من الاستعمار والاستغلال الاحتكارى .

رابعا : ان الاتحاد السوفيتى يفتح ابوابه لمصر دون ما حدود . لمناقشة كل ما هناك من خلافات او أخطاء فى التعامل المشترك فى اطار الاختيارات الاستراتيجية الثلاث المشتركة التى تقوم على اساسها الصداقة .

هذا عن الاطار النظرى العام للمفهوم السوفيتى للصداقة مع مصر .

ولكن ماذا عن الواقع الراهن للصداقة وما يشوبها من خلافات ؟

طرحنا هذا السؤال للنقاش خلال اتصالاتنا بهيئات الحزب ومعاهد البحث والصحافة ، وفى الخلفية ما تحدده السلطات المصرية المسئولة من نقاط ثلاث رئيسية للخلاف :

اولا : عدم توافر الثقة الكافية فى العلاقات وخاصة بعد ١٥ مايو ١٩٧١ وتصفية ما اصطلح على تسميته بمراكز القوى فى مصر .

ثانيا : عدم تقرير الاتحاد السوفيتى للصعوبات الاقتصادية التى تعانيها مصر نتيجة حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ على نحو يدفعه الى اعادة النظر فى الديون وجدولتها بشكل يريح الاقتصاد المصرى المنهك

ثانيا : عدم تقدير الاتحاد السوفيتى للصعوبات مصر عن خسائرها العسكرية فى حرب ١٩٧٣ ، فى الوقت الذى عوضت فيه الولايات المتحدة الأمريكية اسرائيل اضعاف ما خسرته . وذلك بالاضافة الى التأخير فى توريد قطع الغيار اللازمة ، الذى يصل فى بعض الاحيان الى درجة الامتناع .

وتتحدد وجهة نظر السوفيت فيما يتعلق بهذه النقاط الثلاث على النحو التالى :

اولا : الثقة من جانبنا — كانت ولاتزال — متوافرة فى مصر باعتبارها حجر الزاوية فى حركة التحرر العربى وفى منطقة الشرق الاوسط .

والتغيير فى الشخصيات الحكمه لا يؤثر على هذه الثقة الموضوعية . طالما أن مصر تسير على نهج ثورة يوليو المعادى للامبريالية و تحقق الاجتماعى والاقتصادى . ومن هنا فان ما حدث فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، لا يعدو ان يكون امرا داخليا بحتا لا علاقة للسوفيت به من قريب أو بعيد . وهم يعتبرون الرئيس السادات ابنا لثورة يوليو ورفيق كفاح للرئيس الراحل عبد الناصر . بل واكثر من ذلك فان أى تغيير فى نظام الحكم الراهن فى مصر فى ضوء علاقات القوى السائده ليس فى صالح استمرار ثوره يوليو وتقدمها ولا فى صالح الرئيس السادات والصداقه المصرية السوفيتية معا .

وهم يعتقدون ان هذا التصور المصرى عن « قصية الثقة » ناتج عن تأثير الحملة الصحفية الغربية التى ركزت — طبق خطة موضوعة — فى زرع الانطباع بأن السوفيت يميلون الى الشخصيات التى خسرت فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، ويتحفظون على من كسب فى هذه المعركة المصرية الداخلية على السلطة .

هذه حمله مضلله وانطباع لا ظل له من الحقيقة . ذلك أن الاتحاد السوفيتى اذا اقام علاقاته مع الدول وحركات التحرر على مجرد العلاقات الشخصية ، فانه يتنكر أول ما يتنكر لمبادئه ومنهاجه الموضوعى فى الحركة طبقا للنظرية الماركسية اللينينية .

ثانيا : يؤكد السوفيت انهم يقدرون تماما ظروف مصر الاقتصادية الصعبة . وهم على استعداد للمشاركة بكل اخلاص ، ليس فقط فى تخليص مصر من هذه الصعاب بل وعلى استمرار الاسهام فى تطوير الاقتصاد المصرى وتنميته لصالح رفاهية وتقدم الشعب .

ولكن الذى يجرحهم ويثير اعتراضهم أن تتهمهم — على حد تعبير خبير سياسى اقتصادى سوفيتى — بعض الدوائر المسئولة فى السلطة وفى الصحافة بأن « الديون السوفيتية » هى سبب البلاء والمصاعب الاقتصادية فى مصر .

وهذا تجنى على الواقع . فالديون السوفيتية ليست مقابل أرباح من مشروعات سوفيتية استغلالية فى مصر . ولكنها مقابل تنمية اقتصادية لصالح مصر مثل بناء السد العالى ومجمع الحديد والصلب والالمونيوم وترسانة البحرية الخ .. ومقابل السلاح الذى دعم القدرات الدفاعية للجيش المصرى فى مواجهة العدوان الاسرائيلى .

ويضيف السوفيت أن القسط الرسمى السنوى المستحق لهذه الديون لا يزيد عما قيمته مائة مليون . ولقد أبدينا تجاوبا مع ظروف مصر وقبلنا تخفيضه . ولكن حتى اذا ظل على ما هو عليه ، فكيف نحمله كل المسئوليه لمتاعب مصر الاقتصادية الحالية فى حين أن الارقام المصرية الرسمية للميزانية تثبت أن هناك عجزا هذا العام يفوق ٢٤٠٠ مليون جنيه .

من ناحية المبدأ يعلن السوفيت عدم معارضتهم لاجراء تسوية مريحه لمصر بشأن الديون . وبرز الخلاف فى هذه النقطه عندما طالبت مصر فى البدايه بفترة سماح لمدة عدة سنوات تتوقف فيها عن سداد الاقساط . ولكن هذا الخلاف وجد حلا عندما اقتنع وزير الماليه المصرى د . **احمد أبو اسماعيل** – خلال المناقشات المصريه السوفيتية الاخيرة حول الديون – بعدم صلاحيه فترة السماح ، سواء بالنسبة للاقتصاد المصرى او للعلاقات الاقتصادية والتجارية المستمرة بين البلدين . وانفتح بذلك الطريق نحو حل مشترك لهذه القضية . وتقدمت مصر باقتراحات معينة فى هذا المجال . ولكن على أساس شخصى من وزير المالية ، وما أن يتم تحول هذه المقترحات من الطابع الشخصى الى الطابع الرسمى حتى تعود المباحثات من جديد بين البلدين من أجل تسوية هذه القضية .

ويضرب السوفيت مثلا على استمرار رغبتهم فى استمرار التعاون مع مصر بروح ايجابية من عقد الاتفاق التجارى لعام ١٩٦٧ بين البلدين متخطين كل العقبات التى كانت قائمة .

ثالثا : يركز السوفيت هنا على ما يعتبرونه قضيه رئيسيه . وهو ان مدهم بالسلاح وقطع غياره الى اى بلد ، ليس مسألة تجارية ، فى المقام الاول ، وذلك على أساس أنهم ليسوا من « تجار السلاح » . وانما هو مسألة سياسية وموقف من مواقف التأييد للبلد الوطنى او حركة التحرر الوطنى للدفاع عن نفسها ضد عدوان الاستعمار والقوى العنصريه . وان هذا كان دائما هو الذى يحكم توريد السلاح السوفيتى الى مصر وغيرها من البلاد العربية .

ويقول السوفيت ، انهم فوجئوا – فى مسألة السلاح – باتهامهم تارة بأنهم تجار سلاح يهمهم الثمن المادى أو السياسى ممن يمدونه به . وهذا – فى نظرهم – امتهان لنظامهم الاشتراكى ومحاولة لوضعهم مع تجار الاسلحة من الدول الاستعمارية فى موقف واحد .

وتارة اخرى جرى التنديد بالسلاح السوفيتى وعدم كفاءته أو قدرته على منازلة السلاح الامريكى والغربى عموما . وهذا أيضا اتهام ظالم . صحيح ان الرئيس السادات اتخذ اجراءات ضد من كانوا يثيرون هذه الحملة المغرضة . ليس فقط بالنسبة لنا بل ايضا بالنسبة لمعنويات القوات المسلحة المصريه .. وصحيح أن الرئيس السادات بعد أول يوم من حرب أكتوبر ١٩٧٣ أعلن أن القوات المصرية الباسلة اقتحمت خط بارليف بشجاعتها وبالسلاح السوفيتى .. الا ان الغمز فى السلاح السوفيتى والاتحاد السوفيتى استمر فى الصحافة المصرية بدرجات ونغمات مختلفة .

هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فان السوفيت مقتنعون بأن قدرة مصر العسكرية هى الضمان الاساسى ضد العدوان الاسرائيلى والعنصر الرئيسى لفرص السلام العادل فى المنطقة عن طريق حل شامل للقضية من خلال مؤتمر جنيف . وبالتالى فالسلاح فى رأيهم – مرتبط اساسا بهذه القضية السياسية .

وصحيح ان هنـاك تطابقـا فـى الرؤيـة الاستراتيجية للحل بين الموقفين المصرى والسوفيتى ، يعتمد على جلاء الاسرائيليين الكامل من الاراضى العربية المحتلة فى ١٩٦٧ ، وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى بما فى ذلك اقامة وطنهم المستقل ، وضمان أمن وحرية جميع شعوب المنطقة بلا استثناء .. الا أنه ما تزال هناك بالفعل خلافات حول طبيعة ربط الخطوات الجزئية التى تتحقق من خلال سياسة الخطـوة خطوة الامريكية بمجمل الحل الشامل أو التنسيق المتفق فيما يتعلق بالاعداد لمؤتمر جنيف وتوجيهه لتحقيق الاستراتيجية ذات الاهداف الثلاثة المشتركة .

ويرى السوفيت ان التنسيق فى هذا المجال غير كاف . بل يكاد يكون مفتقدا . وأن ما يتم فى هذا الاطار لا يعدو أن يكون « اخطارا » من مصر للسوفيت بما تم بالفعل من خطوات .

وفى تقدير السوفيت – الذى لا يعارض فى الجوهر اية مكاسب جزئية تحصل عليها مصر وتكون مرتبطة بالحل الشامل – ان هذا الوضع يخلق نوعا من الضباب الذى يفسد الرؤية المشتركة للحركة فى الاتجاه المنشود . ويساعد الصائدين فى الماء العكر بين مصر والاتحاد السوفيتى على النشاط . ولا يتيح الظروف المناسبة للبحث الجدى عن احتياجات مصر الدفاعية من السلاح .

وفى رأيهم أن حق هذه القضية بما يطمئن مصر يمكن أن يتم دون ما عراقيل من خلال حوار سياسى

مشترك يعد جيدا من أجل التنسيق العام للخطوات التكنيكية والاستراتيجية نحو السلام العادل .

كان طبيعيا ، بعد التعرف بصراحة على آراء السوفيت فيما يشوب الصداقة من خلافات طبقا للتصور المصرى ، أن نتساءل عن كيفية العلاج ؟

وفى اجابة السوفيت على هذا السؤال ، تم التركيز على النقاط التالية : ..

● ضرورة تهيئة المناخ الصحى للصداقة . وذلك بوقف بعض الحملات الصحفية غير المسئولة المعادية للسوفيت والتى تستخدمها أجهزة الاعلام الاستعمارية والصهيونية للتأثير على الشعب السوفيتى فى موقفه من العلاقات مع مصر ويسبب للحزب السوفيتى والحكومة مصاعب ومشاكل عديدة .

● الاعداد لحوار سياسى شامل ومسئول يبدأ من القواعد الاساسية للعلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية الخ ويتصاعد الى مستوى الوزراء ، وخاصة وزيرى الخارجية ، فالقيادة فى كل من البلدين .

● تنشيط قناتى الاتصال الرئيسيتين بين البلدين وهما السفارة المصرية فى موسكو والسفارة السوفيتية فى القاهرة .

● بذل الجهد من كل من الجانبين لكى يزداد معرفة بالجانب الاخر بطريق مباشر وعلى جميع المستويات . ونبذ أسلوب أن يسمع المصريون عن السوفيت ومواقفهم من الغير لا أن يسمعوا منهم رأسا . أو يسمع السوفيت عن المصريين ومواقفهم من طرف ثالث لا منهم مباشرة .

○ ○ الحيــاة الثقــافية ، ولقــاء المثقفــين

اما مجال الحياة الثقافية فهو على غرار المجالات الاخرى .. خصب وعميق وجماهيرى . فالكتب الجديدة تغمر المكتبات ، واقتناؤها أمر شائع ، وقراءتها تتم فى أى مكان .. فى البيت .. فى المترو .. على السلم الكهربائى المؤدى الى محطة المترو .. فى الاتوبيس .. أى أن الشعب السوفييتى « مدمن » قراءة ، وهذا الادمان من فعل الثورة الروسية .

واخترنا من الحياة الثقافية جانبين احدهما عميق وهو الفلسفة والاخر ممتع وهو السينما . ذهبنا الى كلية الفلسفة بجامعة موسكو ، وهى كلية تقع فى الطابق العاشر من مبنى حديث يقع خلف الجامعة ويسمى « الكليات الانسانية » . وكانت الكلية يومها تعج بالمناقشات الفلسفية فى قاعتها الرئيسية فانتحينا جانبا بأساتذة ثلاثة هم : ملفيل وكوزنتسوف وبجمولف . أجرينا حوارا مع ملفيل وكوزنتسوف فى الكلية ، أما بجمولف فقد آثر دعوتنا الى منزله .

اثرنا فى بداية حديثنا مع ملفيل وكوزنتسوف قضية التعايش السلمى ومدى تأثيرها على القضايا الفلسفية فى الماركسية اللينينية . فمن المعروف والشائع أن الغرب يزعم ان ما يسمونه « بالوفاق » ان هو الا انهاء لقضية الصراع الايديولوجى وبداية لطرح قضية التنافس التكنولوجى . ومن شأن هذا الزعم أن يحدث تغييرا فى الرؤية الفلسفية للاتحاد السوفييتى .

ودهش كل من ملفيل وكوزنتسوف من هذا الزعم وذلك لسببين :

السبب الاول ان السياسة ليس لها تأثير مباشر على الفلسفة ، لانها تستند على العلم .

والسبب الثانى أن فكرة التعايش السلمى ليست طارئة على الفكر السوفييتى ، وانما هى من بين الافكار الاساسية التى دعا اليها لينين .

الطليعة : ولكن أليس من المسلم به فى قوانين الجدل ان التراكمات الكمية التى تكونت عبر الثورة البلشفية كفيلة بتحقيق نقلة كيفية يلزم منها اعادة النظر فى بعض المبادىء .

ملفيل : هذا اللزوم ليس متعلقا بتغيير المبادىء وانما بالتركيز على الجوانب الكيفية للحياة ، أى بتحقيق حق الانسان فى أن نضمن له الحياة فى ارقى صورها .

الطليعة : الا يستلزم ذلك ثورة ثقافية ؟

ملفيل : الثورة الثقافية ، عندنا ، لا تعنى ابادة التراث ، ذلك ان فى كل تراث بذورا تقدمية ينبغى الحفاظ عليها . وبذورا متخلفة ينبغى العمل على استئصالها . وبذلك نحافظ على التراث مع تطويره . ونحن هنا فى بداية الثورة قد تسلمنا تركة مثقلة بالاخطاء والانحرافات التى من شأنها أن تعرقل التطور الاجتماعى ، فى مقدمتها « الامية » فعملنا على ازالتها وقد تحقق ذلك بالفعل فليس فى الاتحاد السوفييتى أمى

واحد . فالتعليم الابتدائي الزامي مائة في المائة، والتعليم الثانوي في طريقه الى أن يكون كذلك ابتداء من هذا العام . ولم يقف الامر عند تجسيد حق التعليم لكل فرد ، وانما تجاوزه الى تجسيد حق العمل لكل فرد . وهذه مسألة ثورية في حد ذاتها . وليس أدل على ذلك من أن دول المعسكر الرأسمالي لا تحقق حق العمل لكل فرد .

الطليعة : يعني ذلك انه ليس ثمة مبرر للتساؤل عن مدى تغيير المبادىء الماركسية في ضوء سياسة « التعايش السلمي » .

كوزنتسوف : لا أرى أي مبرر لذلك ، بل على الضد من ذلك فان سياسة التعايش السلمي تؤكد سلامة المبادىء الاساسية . وأنتم تعلمـون أن الماركسية عبارة عن المادية الجدلية والمـادية التاريخية . المادية الجدلية هي نظرة كونية تشتمل على تحليل عملية المعرفة الانسانية ، والوعي ، والطبقة . والمادية التاريخية تقوم بتحليل العلاقة بين التعايش السلمي والصراع الطبقي فتنتهي الى أن التعايش السلمي لا يلغي الصراع الطبقي ، ولا أدل على ذلك من تصاعد الصراع الايديولوجي بعد تجسيد سياسة التعايش السلمي . وما حدث في مؤتمر هلسنكي في نوفمبر ١٩٧٤ يؤكد هـذه الظاهرة ، ظاهرة تصاعد الصراع الايديولوجي .

ويحاول بعض المفكرين البورجوازيين اليـوم تزييف الماركسية وذلك بالعمل الدائب على عزل المادية التاريخية عن المادية الجدلية لان هـذا البعض يعلم تماما أن المادية التاريخية تفقد قيمتها اذا تم انكار المادية الجدلية ، ذلك أن معرفة العلاقة بين الانسان والطبيعة ، وهي معرفة تقدمها لنا المادية الجدلية ، هي معرفة أساسية وتمهيدية للكشف عن قوانين التطور الاجتماعي الذي هو من مهمة المادية التاريخية . ومعنى ذلك أن ثمة علاقة عضوية بين المادية الجدلية والمادية التاريخية . وسارتر يأتي في مقدمة الفلاسفة الغربيين الذين يعملون على ازالة هذه العلاقة العضوية وذلك باستبعاد المادية الجدلية والاكتفاء بـالمادية التاريخية . وقد أصدرت أخيرا كتابا عن سارتر أفند فيه مزاعمه . ولست أنا وحدي الذي أقوم بهذه المهمة . فعلى سبيل المثال لا الحصر صدر كتاب بقلم ملفيل ونارسكي وبجمولوف عن تاريخ الفلسفة البورجوازية المعاصرة . وقـد كرس بجمولوف لوحده ثلاث مؤلفات عـن الفلسـفة البورجوازية المعاصرة .

ومن هنا آثر وفد الطليعة ان يجرى حوارا مع بجمولوف لالقاء مزيد من الضوء على الاتجاهات الفلسفية المعاصرة في الاتحاد السوفييتي .

الطليعة : نرغب في اعطائنا نبذة عن حياتك قبل دراستك الفلسفية وبعدها .

بجمولوف : ولدت في موسكو في أغسطس عام ١٩٢٧ . والدي مهندس مدني يؤمن بالشيوعية ويناضل من أجلها وهو يعيش في موسكو الان ويبلغ من العمر ثمانية وسبعين عاما أما أنا فقد التحقت بمدرسة الطيران وكان عمري ستة عشر عاما وتخرجت في عام ١٩٤٥ والتحقت بالجيش السوفيتي كطيار حربي وأعفيت من الخـدمة العسكرية في عام ١٩٥٠ ، بسبب المرض .

الطليعـة : لاشك ان خدمتك فـي الجيش السوفييتي كان لها انعكاسات نفسية واجتماعية وسياسية ، فما هي يا ترى هذه الانعكاسات ؟

بجمولوف : أوثر السلم على الحرب . صحيح أن الحرب تزيد من قوة الانسان ولكنها تفقده الاصدقاء .

الطليعة : بأي معنى تزيد الحرب من قـوة الانسان ؟

بجمولوف : بمعنى تعاظم الوعي بقضـايا الانسان ، وتقوية الثقة بالنفس . فانتم تعرفون أن أعداءنا كانوا كثيرين وانتصارنا عليهم لاشك يعد عملا عظيما . ولكن على الجانب الاخر فان التطور الاجتماعي في بلادنا قد توقف الى حد ما أثناء الحرب ، وحين انتهت الحرب كان أمامنا جهدا شاقا لتطوير بلادنا .. وأنا أذكر أن السنة الاولى بعد الحرب ، أي عام ١٩٤٦ ، كانت سنة عصيبة ، ولكننا مع ذلك استطعنا التقدم في خطى ثابتة .

الطليعة : وما رأيك في الجيل الحالي من الشباب السوفيتي

بجمولوف : أكثر استرخاء ، وأكثر حـرية ، وأكثر ثقافة ولديهم فراغ يؤهلهم لممارسة الرياضة . وأنا شخصيا لي ولدان وهما يجيدان الالعاب الرياضية ، وهذا مفيد وصحي .

الطليعة: اذا جازت المقارنة بين جيلك والجيل الحالي هل يمكن القول بأن الاحساس بالمسئولية اشد لديكم من هذا الجيل ؟

بجمولف : لا .. فالاحساس بالمسئولية الان اعظم ومع ذلك فالتعميم خطر . أن ابني الاكبر أعظم احساسا بالمسئولية من ابني الاصغر .

الطليعة : وعن اهتماماتك الفلسفية ماذا كانت في البداية ، وما هي عليه الان ؟

بجمولف : بعد اعفائي من الخدمة العسكرية عام ١٩٥٠ التحقت في نفس العام بكلية الفلسفة في جامعة موسكو ، وعينت معيدا بنفس الكلية ، وفي عام

١٩٥٨ حصلت على الدرجة الاولى للدكتوراه برسالة عنوانها « نظرية التطور الخلاق » وفى عام ١٩٦٢ حصلت على الدرجة الثانية للدكتوراه برسالة عنوانها « فكرة تطور الفلسفة البورجوازية فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

الطليعة : وما الذى دفعك الى الالتحاق بكلية الفلسفة ؟

بجمولف : أنتم تعلمون اننا نتعلم الفلسفة فى المدارس الحزبية . وكان أستاذى فى الفلسفة ممتازا وجدابا . هذا بالاضافة الى ما حس به من متعة خاصة فى دراسة التاريخ فقررت ادماج التاريخ فى الفلسفة وتخصصت فى « تاريخ الفلسفة » ولكن برؤية ماركسيه فاصدرت فى عام ١٩٦٤ الفلسفة البورجوازيه الانجلو امريكية « وفى عام ١٩٦٩ الفلسفة البورجوازية الالمانية بعد عام ١٨٦٥ « وفى عام ١٩٧٢ الفلسفة البورجوازية الانجليزية » ومى عام ١٩٧٤ « الفلسفة البورجوازية فى امريكا فى القرن العشرين » وفى عام ١٩٧٢ اسهمت مع ملفيل ونارسكى فى تأليف كتاب عن الفلسفة البورجوازية المعاصرة » .

الطليعة : واضح من عناوين مؤلفاتك التداخل بين الفلسفة والمجتمع .

بجمولف : « نعم ، لانى أدرس الفلسفة فى اطار الظروف الاجتماعية ، والتحويدت الاجتماعية . فحين أكتب عن الفلسفة اليونانية القديمة اربط بينها وبين النظام العبودى ، وحين أكتب عن فلسفة العصور الوسطى أطرحها فى اطار النظام الاقطاعى ، وحين أفكر فى الفلسفات العربية المعاصرة يتجه ذهنى الى النظام البورجوازى .

الطليعة : نرغب فى القاء الضوء على الفلسفات الغربية المعاصرة فى اطار النظام البورجوازى .

بجمولف : فى نهاية القرن التاسع عشر ظهرت ثلاثة تيارات فلسفية : الوضعية من كونت الى ماخ ، والوضعية المنطقية عند شليك ، والفلسفة اللغوية عند آير ، وهى تذهب الى ان الفلسفة الوحيدة هى التى تدرس اللغة العلمية ومن ثم مهى ترفض الانشغال بقضايا المجتمع لان اللغة التى تنسخ منها قوانين المجتمع ليست لغة علمية . وبالتالى فان العالم من حيث هو عالم ينبغى عليه أن يقف محايدا ازاء قضايا المجتمع . وفى رأيى أن موقف الفلسفة اللغوية موقف ايديولوجى . انها تزعم استحالة دراسة المجتمع دراسة علمية ومن ثم لا تطرح العلم كموجه للمجتمع وانه تأخذ بالايمان . وهكذا تفصل الفلسفة البورجوازية المعاصرة بين العلم والايمان ، وتدعو الى اللاعقلانية . ولهذا فان اللاعقلانية واردة فى الفكر البورجوازى المعاصر ، عند نيتشه وبرجسون ، وفى فلسفة الحياة عند زمل ودلتاى . . وهؤلاء جميعا عبروا ، فى دعوتهم الى اللاعقلانية ، عن تناقضات الرأسمالية المعاصرة ، وعن أن هذه التناقضات أساسية فى الوجود الانسانى ، وليست أساسية فقط بالنسبة للرأسمالية ، ولذلك ليس ثمة مبرر فى ازالة هذه التناقضات .

وواكب هذا التيار اللاعقلانى تيار دينى متمثل فى الفلسفة التوماوية الجديدة بزعامة الفيلسوف الفرنسى الراحل جاك مارتيان . وفى الوجودية اللاهوتية المتمثلة لدى بولتمان . وقد انتشر هذان التياران فى الستينات أما فى السبعينات فثمة تيار وضعى جديد وتيار ماركسى فى المانيا الغربية وفى بريطانيا تقوم فلسفة العلم ليس على أساس وضعى ، ولكن على أساس دراسة تطور العلم ، ومفاهيم العلم .

وحين كنت فى أكسفورد منذ خمس سنوات سئلت عن رأيى فى الفلسفة اللغوية وكان رأيى انها فلسفة سطحية وتخلو من الرؤية الكونية . ولهذا فان الفلسفة البورجوازية المعاصرة تعانى أزمة .

الطليعة : ولكن هل يعيب اية فلسفة ان نكون فى حالة « ازمة » ؟

بجمولف : ثمة نوعان من الازمة :

آزمة تطور

وأزمة انهيار

أزمة الانهيار تلازم التيارات الثلاثة الفلسفية المعاصرة فى المجتمعات البورجوازية .

أما أزمة التطور فتلازم الماركسية المعاصرة .

الطليعة : وما هى أزمة الماركسية ؟

بجمولف : الاجابة عن هذا السؤال :

هل الفلسفة فلسفة العلم أم فلسفة الانسان ؟

وفى رأيى أن الفلسفة هى العلم الموحد . وثمة عقبة ازاء تحقيق هذه الغاية . وهى تعدد التخصصات مع انفصالها .

الطليعة : ولكن هل ثمة امل فى تجاوز هذه العقبة ؟

بجمولف : مجاوزتها مردود الى امكان تأسيس فلسفة عظيمة تنشد الوحدة المعرفية ، وهذا بدوره مردود الى ظهور فيلسوف موسوعى عظيم .

الطليعة : وأين امكان ظهور هذا الفيلسوف ؟

بجمولف : ليس فى الغرب على الاطلاق ، وليس من بين الماركسيين المقيمين فى الغرب على التخصيص .

● ● ●

وفى مجال السينما التقيت بنائب وزير الثقافة بوريس بافليونك وكان حديثا شائقا دار حول اهمية المضمون الاجتماعى للعلم ، وأهمية مواكبة هذا المضمون

الاجتماعي للتطور الاجتماعي ، بمعنى أن المسألة ليست مجرد تكرار للتطبيق الاشتراكي وانما هي تحليل نقدي لوافع الحياة السوفييتية المعصرة بلا رتوش ومع ذلك لم يخل الحديث من ذكر الحرب العالمية الثانية ، فهي ذكرى عزيزة وغالية على الشعب السوفييتي . فقد قتل عشرون مليونا . ونائب الوزير هذا قد ولد في جمهورية روسيا البيضاء حيث كان يقتل واحد من كل أربعة أفراد . وهو يرى انه بسبب هذه الحرب فان الشعب السوفييتي يتمسك بسياسة التعايش السلمي وكثير من الافلام يصور نضال هذا الشعب ضد النازية والفاشية . وهو ليس مجرد تصوير تاريخي لان الفاشية ما زالت خطرا يهدد البشرية جمعاء فثمة قوى ودول تريد أن تفرض نفسها على الشعوب المحبة للسلام .

وثمة أفلام تنشغل بطرح قضية « **الوعي الشيوعي** » وذلك من خلال التعرض لسلوك الانسان في الحياة اليومية ولمسئولية هذا الانسان تجاه كل الشعب .

ويذكر نائب الوزير مثالا على ذلك فيلم « المكافأة » والبطل فيه هو عامل بناء . ومن المعروف لدينا أن المكافأة تمنح للعمال حين ينجزون الخطة الموضوعة ولكن في هذا الفيلم يرفض ثمانية عشرة بناء ان يتسلموا المكافأة . وسرعان ما اجتمعت لجنة الحزب للعمال لدراسة هذا الرفض فاذا بها تفهم أن سبب الرفض هو أن الخطة المنجزة ليست هي الخطة الحقيقية وانما هي خطة مصطنعة هي أقل من الخطة الحقيقية . وكان هذا في نظر العمال محض كذب . ولو أنهم قد أنجزوا الخطة الحقيقية لكان نصيبهم عشرة أضعاف النصيب المقترح . وهذا هو الجانب الاقتصادي من المشكلة ، أما الجانب الاخلاقي فهو أن رئيس هذه المجموعة الرافضة انما يمثل انسان المجتمع الجديد أما مدير المصنع فهو يمثل انسانا نحن لم نعد في حاجة اليه . وكان التصويت في جانب اعادة المكافأة الممنوحة . ولكن لوحظ إثناء مناقشة القضية أن واحدا فقط لم يكن مهتما وآخر أن يذهب الى البناء . وأن آخرا كان تابعا للاغلبية وثالث وهو ابن أحد كبار المسئولين تشاجر مع أبيه في المنزل . وآخرون ذهبوا سرا ليقبضوا المكافأة . وهكذا يعرض الفيلم نماذج من الحياة اليومية بطريقة موضوعية .

ويستطرد نائب الوزير قائلا : ان هذا الفيلم قد لاقى نجاحا هائلا داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه . ونحن نغتبط لذلك ، لا لان مثل هذه الافلام تدر أرباحا هائلة ولكن لانها وسيلة لتفجير الوعي الاجتماعي . ونحن في امكاننا صناعة افلام عن الجنس والجريمة وهي أكثر ربحا ولكننا مع ذلك نحجم عن انتاجها .

الطليعة : ولكن أليس ثمة صلة بين الثورة الاجتماعية والثورة الجنسية فلماذا تكتفون بصنع أفلام مضمونها الثورة الاجتماعية ؟

نائب الوزير : ان الثورة الجنسية تستطيع أن تدمر سريرا بأكمله ولكنها لا تستطيع أن تدمر المجتمع الرأسمالي .

الطليعة : اذا لم يكن الربح هو المقياس المعبر عن نجاح الفيلم فما هو مقياس النجاح عندئذ؟ .

نائب الوزير : المقياس هو حضور الجمهور ، فالفيلم الذي يحضره مليونان يعني اعفاء المخرج من الاخراج مرة أخرى . ذلك لان الفيلم الواحد يحضره ما لا يقل عن ثمانين مليونا . وقد أجرينا احصاء عن نسبة الحضور فوجدنا أن ٤ر٥ بليون شخصا يترددون على السينما .

وهنا يكرر نائب الوزير الرقم ويضغط عليه لانه قد يظن ان هذه مبالغة . ولكن اذا عرفنا أن تعداد الاتحاد السوفيتي ٢٥٣ مليون فمعنى ذلك ان الفرد الواحد يتردد ثماني عشرة مرة في العام . ثم اننا نتسلم نقدا لافلامنا من الجمهور . وهذا النقد يساعد على معرفة حقيقة كل فيلم وموقعه من رضا الجمهور ولكننا مع ذلك لسنا تابعين للجمهور بل نحن قادة له .

أما عن أفلام الاطفال ففي كل عام ينتج الاتحاد السوفييتي ثلاثين فيلما .

وبالاضافة الى ذلك فثمة انتاج مشترك لبعض في انتاج فيلم مشترك اسمه « أوزارا » وهو انتجناه بالتعاون مع فنلندا . وهو مخصص لمعالجة قضية « **تلوث البيئة** » واذكر كذلك فيلما اسمه « الثقة » اسمه « الثقة » انتجناه بالتعاون مع فنلندا . وهو يحكي قصة استقلال فنلندا ويدعو الى ضرورة استمساك كل بلد في التنمية . لان هذا الاستقلال حق كل شعب .

وأذكر كذلك فيلما مشتركا مع شركة « فوكس » الامريكية .

الطليعة : الا ترى أنه من الصعب وجود أفكار مشتركة في الانتاج المشترك وخاصة مع شركات امريكية وذلك الاختلاف الايديولوجي .

نائب الوزير : نحن نقبل التعاون مع أمريكا اذا قبلوا الماركسية . والافكار الانسانية هي في صميم الماركسية فاذا قبل الامريكان هذه الافكار فنحن نقبل التعاون . ولهذا فنحن نرفض التعاون معهم في مجال انتاج الافلام التي تدعو الى القسوة والى الحرب .



ربما لا نجاوز الصواب ، اذا قلنا أن باب الرأى والرأى الاخر – فى هذا العدد – يمكن أن يسمى بدون ادعاء :

« باب المعارك الفكرية المحتدمة »

فالاستاذ فتحى رضوان يفتتح هذا الباب بوجهة نظر فى « أحداث لبنان » وهى وجهة نظر خاصة نحترمها وان كنا نختلف معها .

بعد ذلك ندخل فى طائفة اخرى من القضايا النزالية والجادة ، أثارتها كتابات د. محمد خلف الله ، خاصة مقاله عن « العدل الاسلامى وهل يمكن أن يتحقق » . هنا نجد أكثر من وجهة نظر معارضة للدكتور خلف الله ، حملتها « الطليعة » اليه وقام بالتعليق عليها .

أما القسم الثالث والاخير ، فى هذا الباب ، فيحاول ان يستجيب لردود الفعل الواسعة بين عدد كبير من أصدقاء « الطليعة » وقرائها الذين بادروا الى مراسلة « الطليعة » عقب اطلاعهم على الحوار الذى أجرته فى عدد يناير الماضى مع المواطن عبد التواب . هنا أيضا تتعدد الاراء وزوايا الرؤية ، ولكن من منطلق الوطنية وحب مصر والحرص على النهوض بشعبها العامل .

ليدفع العرب مع اللبنانيين الثمن

فتحى رضوان

يتابع الرأى العام العربى باهتمام وقلق شديدين ، تطورات أحداث الازمة اللبنانية ، خوفا على « الوطن اللبنانى » وحرصا على « لبنان العربى » وفى هذا المقال ، يعرض الاستاذ فتحى رضوان ، الشخصية البارزة فى الحركة الوطنية المصرية ، من وجهة نظره الخاصة ، رؤيته للازمة اللبنانية .

ما يحدث الان فى لبنان ، حدث مثله فى الماضى البعيد نوعا ، وربما اشترك فى احداث الماضى ، اجداد الذين يشتركون فى احداث اليوم بنفس الاسماء أو الالقاب . فالذابح ، لاكثر من سبب ، ليست بالشىء الجديد أو الغريب ، فى لبنان وسوريا . ولقد كان فى وسع العرب ، أن يمنعوا تجدد هذه المآسى ، التى بلغ من سحقها وجلوها من اى منطق ، الا منطق الذبح والقتل ، والتخريب والتدمير ، والمبالغة فى العنف ، والتجديد فيه ، والاستعانة باحدث الاسلحة واقواها ، فى ارتكاب فواجعه ومآسيه . ولكن العرب ، فى اعقاب استقلالهم المزائف ، واستقلالهم الحقيقى ، غلبتهم عقلية الاستعمار ، فاطمانوا اليها ، واستمرارها وعاشوا فى ظلها ، مؤملين أن تصلح فى عهد الاستقلال ، وفى مهب رياح الحياة الدولية ، بصراعها الجديد ، ومبادئها الكاسحة ، وقواها المتزايدة ، واسلحتها المادية والمعنوية الرهيبة . وعلى الرغم من ان نذر تداعى البناء الورقى الذى اقيم فى نواح عديدة من الشرق العربى ، ودلائل ان الفواجع تنتظر العرب ، ان لم يسقطوا بشجاعة وصراحة ، اسلوب المداراة واغماض العين عن الحقائق ، وادخال الامل الكاذب ، فى امور ، لاتدعو الا الى التشاؤم المطلق ، واليأس المطبق .

اقام العرب ، فيما اقاموا بناء الجامعة العربية ، وادركوا المرة بعد المرة ، ثم ادركوا على طول سنين الكوارث والازمات والهزائم ، ان الجامعة بعجزها وتصورها ، تسىء الى العرب ولا تخدمهم ، تكشف عيوبهم ولاتسترها ، تفضح خلافاتهم ونزاعاتهم ولاترأبها ، وتهتك ستر اقوالهم الضخمة ، والبعيدة عن العمل والتنفيذ ، ولا تخرج بهم من نطاق الوعود والقرارات والخطط الوهمية والمنظمات التى لاوجود لها الا بالاسم ، من سوق عربية مشتركة ، وتعاون اقتصادى ، الى آخر الاسماء والمسميات .

ولما حارب العرب ، حربهم الفلسطينية الاولى ، فى سنة ١٩٤٨ ، جعلوا **الملك عبد الله** رحمه الله قائدا عاما وهم يعلمون ان الملك عبد الله لايملك من أمر جيشه قليلا ولاكثيرا ، وأن قائد الجيش الفعلى والرسمى والمعلن والمعروف هو **جلوب** ، الجنرال البريطانى ، الذى يأتمر بأمر بلاده ، التى منحت الصهيونية **وعد بلفور** ، فى ٢ من نوفمبر ١٩١٧ ، والتى واظبت بعد ذلك وثابرت على تأييد وخلق وحماية ودعم اسرائيل ، بكل وسيلة متاحة فى الظاهر ، وبكل الوسائل السرية والخفية والمتوارية من وراء ظهر العالم المتمدين كله .

ولو سألت زعماء العرب آنذاك لماذا فعلتم هذا، لقالوا لك : أغرب ما يقال من رؤساء دول لنداريه . « يداري الانسان خصمه » فيسلمه مفتاح خزانته . ويسلطه على نفسه وعياله ، أية مدارة هذه ، وفى ذمة أية سياسة ومنطق تجوز ؟ !

وقد اثمرت هذه العقلية الغربية والمريضة نظام لبنان . وعلى اساس المداراة ، قبل العرب جميعا بان يقوم نظام شاذ ، لامثيل له فى الشرق والغرب . قوامه تاكيد وتكريس « بلغة هذه الايام » العداوات الطائفية ، والاعتراف بها قاعدة لدولته ، والحرص على تقويتها ، حتى جبت الدستور الرسمي المعلن للبنان ، والشبيه بالدساتير التى قبلتها الامم ، فى الشرق والغرب ، فى ظل الديمقراطية السياسية ، وظل الديموقراطية الاجتماعية .

وفى ظل الدستور المنسوخ ، اصبح للموارنة نصيب معين « ضخم » وللسنين نصيب والشيعة نصيب ، والارثوذكس نصيب ، والارمن نصيب . وقد كان جائزا ان نرتضى هذه التركيبة فى اعقاب خروج الاحتلال الفرنسي ، وجلاء قواته عن سوريا ولبنان ، تهدئة للمخاوف ، ومسايرة للاعتبارات السيئة بعد فترة طويلة من الحراب السياسي ، فى نهاية الحكم العثماني ، وفترة الحكم الفرنسي ، ولكن كان لابد ان يبذل جهد مستمر ودءوب ، لفسخ هذا التنظيم ، لا لان ماجرى فى لبنان كان مصالحة طائفية ، اذ لو كان كذلك لتبلنا هذه المصالحة ، لان المصالحة بين المتوجين ، تثمر مع الزمن ، اطمئنانا ، يجعل الطائفية تخجل وتتدارى ، وتخف ، وتدع للقومية سبيل الظهور والسيادة . ولكن الذى حدث ، هو الامر الطبيعى ، لان اللبنانيين ، ارتضوا مذهبا من الحكم ، قوامه اننا فى الواقع اعداء ، ولكن وضعنا الزمن فى زورق واحد ، فلابد ان نحتمل بعضنا بعضا حتى يستطيع أحدنا ان يخلص من صاحبه ، بصورة او باخرى . وعاشت الطوائف ، كل منها باسلوبها ، ونظرتها الى الحياة والى الامور ، فأصبح هناك لبنانيون ينتمون الى الغرب لا لمذهبه السياسي ، ولا لحضارته المفضلة ، بل لانه فى أية صورة ، هو الحامى ، والمعين . واصبح هناك لبنانيون ينتمون اما الى العرب ، والعربية ، واما الى الاسلام ، واما الى الشرق الاوروبى . وفتحت امام اللاعبين بالنار ، ومؤرثى نار الفتنة ، واصحاب المطامع ، فى الشرق العربى كله ، أبواب ، لا ليصلوا منها الى جعل « التركيبة » الصامدة بفضل « الصمغ » ، لابفضل اكتساب قوة ، من التلاصق والالتحام المصطنع . ذلك لان التركيبة قصد بها منذ البداية ، ان تمنع هذا التلاصق والالتحام ، وتحويل البناء المتنافر ، الى بناء متناسق .

لقد حاربت المذاهب الدينية فى اضرابات القرن الثامن عشر ، والقرن التاسع عشر حتى آخره تقريبا ، لينتزع من سلطان تركيا فرمانات تبيح لها حماية المسيحيين التابعين لها فى سوريا ولبنان الذى اطلق عليها اسم واحد « الليفانت » ففى سنة ١٨٤٠ حصلت فرنسا على فرمان حماية الكاثوليك فى المشرق العربى ، وحماية مؤسساته الدينية من كنائس واديرة ومعاهد لاهوتية ، ومراكز للتبشير ، وفى سنة ١٩٤٢ حصلت روسيا القيصرية على فرمان مماثل يمنحها حق حماية الارثوذكس وكنائسهم واديرتهم ومعاهدهم ، ولم يفت الولايات المتحدة ، ان تساهم بخط فى هذه المأدبة ، فاقامت لها كنيسة بروتستانتية ، وقد احتدم النزاع الدينى فى الظاهر ، والسياسى فى الواقع ، حينما غزا محمد على سوريا ولبنان ، وزادت مخاوف الدول الاستعمارية ، حينما قررت حكومة مصر ، المساواة بين جميع المواطنين فى سوريا ، بغض النظر عن اديانهم ومذاهبهم : فلا تمييز للمسلمين اصحاب الاكثرية ، على المسيحيين التى تكون منهم الاقلية . وفزع المسلمون وقالوا لابراهيم باشا قائد الحملة المصرية . لقد اطمعت فينا المسيحيين الذين كانوا لايجراون على ركوب الخيل فى تنقلاتهم ، فاصبحوا يركبونها كما يركبها المسلمون . فلم يعبأ « ابراهيم » بصراخهم ، وقال اركبوا انتم الجمال ، ماداموا قد ركبوا الخيل » . واصبح المسيحى قادرا على ان يجر المسلم الى المحكمة ويقاضيه ويستصدر حكما ضده ، ولم يكن شىء من ذلك ممكنا فى اخريات العهد التركى .

هذه المساواة التى كانت جديرة بان ترضى الغرب ، والذين جاءوا يحمون المسيحين ، ومؤسساتهم ومعاهدهم ، مسلاتهم رعبا ، لان المبرر الوحيد ، لتدخلهم ، وادعائهم وجود مايدعو الى حمايتهم ، تهاوى وسقط ، وضاعت بذلك السياسة التى أرسى قواعدها الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، اثناء الحملات الصليبية على المشرق العربى فى القرن الحادى عشر والثانى عشر . ولذلك سقطت حكومة محمدعلى فى الشام ، ودبرت المذابح توطئه لطردها منها ،

لانه وضع يده على موضع الداء ، وعالجه بحسم وشجاعة .. فبقيت الامور على ماهى عليه .

وجاءت مشكلة **الوجود الاسرائيلى** ، لتدعم هذا البناء الورقى ، . فلبنان لايريد ان تدخل أرضه قوات عربية ، حرصا على استقلاله ، ولايريد ان يكون له جيش خاص به من ماله ، ولايريد ان يكون له جيش تموله وتسلحه الجامعة العربية ، ولايريد انيكون مع العرب ،الا كمايكون الجار اللطيف ، مع جار ثقيل شرس ، يريد ان يريحه الله منه **ولكن كيف** ؟ هذا ماعجز عنه التفكير اللبنانى ولم يهتد اليه . وزادت قوات ومنظمات المؤمنين بان لبنان قوامه طائفى ، ولابد له ان يبقى طائفيا ، **لحماية من** ؟ الدين برىء ، فالمسيحية لم تكسب من ذلك شيئا ، اكثر مما تكسبه أية اقلية مسيحية فى العالم العربى كله. فكنائس المسيحيين واديرتهم ومعاهدهم وادقانهم وكل نشاطهم الدينى والمذهبى فى جميع العالم العربى ، مكفول ولامساس به ، وكلما استقرت الامور فى هذا العالم زاد هذا النشاط واتسع، بلا قيود ولا حدود .

وجاءت المقاومة الفلسطينية ، لتزيد الأمر ضغثا على ابالة . فالفدائيون لا يخرجون لهجماتهم الا من لبنان وحده ، فشرق الاردن منقذ المقاومة من ان تباشر نشاطها من حدوده ، وسوريا فعلت الشيء نفسه ، وبقى لبنان لتسلط عليه اسرائيل بين الحين والحين ، مدافعها وطائراتها ، وحملاتها التأديبية ، ويتكرر هذا ، حتى أصبح العرب فى شخص لبنان ، فريسة ، لاحول لها ولاقوة ، تتلقى الضربات والركلات . والصفعات ، صاغره ، والعرب جميعا ، لايحاولون ان يفرضوا على لبنان ، حلا ، يتفق مع كرامة لبنان كدولة ، ومع كرامة العرب كافة. والجرح مالم يندمل يتقيح ، والبناء ، مالم ترأب صدوعه ، ينهار ، وقد حدث بالفعل ذلك . وربّ ضارة نافعة .

فقد قرأت اخيرا لصحفى لبنانى ، رجاء ان تتولى دولة عربية أو دول عربية ، ان تعالج الموقف اللبنانى المخجل والمزرى الى جانب كونه موقفا محزنا وداميا ، معالجة ، **لاترضىفيه اللبنانيون** .

وهذا هو الحل الوحيد ، فاذا كان اللبنانيون قد عجزوا بطوائفهم جميعا على ان يثوبوا الى رشدهم ، وان يعرفوا الطريق السليم ، وان ينقضوا بناءه الورقى المنهار فعلا ، ليقيموا على أنقاضه ، بناء حقيقيا من الطوب والحديد المسلح، على اساس من القواعد التى تعارف عليها الناس حتى فى البلاد التى هددت جنسياتها وتنوعت لغاتها ، بشجاعة وصراحة دون خوفاو توجس، فعلى العرب ، ان يواجهوا مرة امورهم بالحسم اللائق والشجاعة اللازمة .

المعاملات .. بين الشرع والقانون

د. محمد أحمد خلف الله

ان خروج المعاملات من نطاق الشرع الى نطاق القانون قد حقق لها الوانا من الحرية والانطلاق لم يكن لها بهم عهد من قبل .

لقد حقق لها هذا الخروج ، التجول فى مناطق لم تكن تعرفها الشريعة ، ولم يكن قد التفت اليها المشرعون القدامى من حيث أنها لم تكن قد برزت الى الوجود من قبل ، ولم يكن الناس يومذاك يعرفون ما يمكن فيها من منافع او مضار تحيط بالناس . وذلك من امثال ميادين الفضاء والاجواء ، وميادين البحار ، وميادين تلوث البيئة ، وما اشبه .

وحقق لها هذا الخروج أن تصبح مرنة فيما كانت فيه جامدة من قبل . فقد أصبحت مرنة فى كل ما يخص النقود والبنوك ، وفى كل ما يجلب الاموال من عروض التجارية ، ومن انواع التسلية والترف

□□□□□□□□

وهذا النوع من المرونة هو الذى أشار عليها رجال الدين من حيث انهم رأوا فى ذلك خروجا عن نطاق الشرع الشريف . ولم يسأل هؤلاء أنفسهم عن الضرورات التى تبيح المحظورات ، وعن الخروج بالشريعة من الجمود والحركة الى ما ينفع الناس ويحقق الصالح العام .

وارتباط التشريع فى المعاملات بالمصلحة العامة أمر قدره المفكرون المسلمون من قبل حق قدره ، ولهم فى ذلك أقوال وآراء لابد من طرحها امام بعد القارىء وبصيرته .

ونبدأ من هؤلاء بأولئك الذين نظروا الى هذه القضية منجانبها الاجتماعى — أى منذلك الجانب الذى يتصور علاقة اكيدة بين التحركات الاجتماعية والصيغ التشريعية التى تضبط هذه التحركات وتوجهها الى ما فيه خير المجتمع .

ومن هؤلاء الفيلسوف الاجتماعى **ابن خلدون** الذى رصد فى مقدمته هذه الظاهرة الاجتماعية — ظاهرة تحرك المجتمعات ووقوع العديد من التغييرات نتيجة لهذه الحركة .

يقول فى مقدمته : ان احوال الامم وعوائدهم ونحلهم لاتدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر . انما هو اختلاف على الايام والازمنة ، وانتقال من حال الى حال .

وكما يكون ذلك فى الاشخاص والاوقات والامصار فكذلك يقع فى الافاق والاقطار والازمنة والدول . سنة الله التى قد خلت فى عباده .

ومن هؤلاء ايضا **ابن قيم الجوزيه** الذى ذهب فى كتابه أعلام الموقعين الى أن الاحكام والفتاوى تتغير وتختلف بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعوائد .

*
* *
*

والمسلمون جميعا يعرفون فى يقين أن الخليفة الثانى من الخلفاء الراشدين وهو **عمر بن الخطاب** قد عطل النص القرآنى الخاص بالمؤلفة قلوبهم حين رأى ان الابقاء عليه ليس فيه مصلحة للمسلمين وانه ضار بأموالهم .

لقد كانت المصلحة فى ذلك يوم أن كان المسلمون فى قلة من عددهم ويحتاجون الى من يعاونه ولو بالتزام الصمت وعدم نشر قالة السوء فيهم . أما بعد أن قوى المسلمون وانتشر الاسلام وأصبح قادرا بنفسه على استقطاب الناس فان صرف الاموال للمؤلفة قلوبهم يكون فى غير مصالح الاسلام والمسلمين .

*
* *
*

وكان **أبو يوسف** صاحب **أبى حنيفة** ، وقاضى القضاة فى عصره ، يرى رأيا دقيقا وسليما ونحتاج اليه فى ايامنا هذه .

كان يرى ان الشرع الشريف قد أبقى على الكثير من الاعراف التى كان معمولا بها ، والعادات التى كان الناس قد اعتادوها فى معاملاتهم ، وأقرها . وهذا الابقاء وهذا الاقرار لا يمكن أن يظل على حاله حتى يتحرك المجتمع وتتغير الاعراف والعادات .

لقد كان **الامام مالك** رضى الله عنه يتخذ من عرف أهل المدينة أساسا لفتاواه وتشريعاته .

ولقد دون **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه الدواوين فى بلاد فارس وبلاد الروم ، وجاء الفقهاء من بعد فاقروا الكثير من الاعراف والعادات فى البلدان التى فتحها المسلمون ، واتخذوا منها أساسا لفتاواهم وتشريعاتهم .

وهذا كله انما يعنى ان الكثير من النظم الفارسية والقوانين الرومانيــة قد دخلت فى التشريعات الاسلامية وأصبحت جزءا منها .

ان الدفاع عن هذه التشريعات انما هو دفاع عن أعراف وعادات قد محاها الزمن وجاء بغيرها ، واصبح الناس يمارسون حياتهم على اساس مما تتحقق به مصلحتهم — على أساس من النظم التى ما صيغت الا من أجل ان تدفع عنهم ضررا أو تجلب لهم منفعة .

*
* *
*

ولعل النصوص التالية الواردة فى المجلد التاسع من مجلة المنار ص ٧٤٥ وما بعدها ، والمنقولة عن رسالة للطوفى الامام **الحنبلى** ، أن تكون كافية فى توضيح الامر .

باب أصول الفقه .

أدلة الشرع وتقديم المصلحة فى المعاملات على النص .

أعلم ان ادلة الشرع تسعة عشر بابا .

وهذه الادلة التسعة عشر أقواها النص والاجماع ثم هما اما أن يوافقا رعاية المصلحة او يخالفاها فان وافقاها فبها ونعمت . .

وان خالفاها وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما لا بطريق الافتئات عليهما . . .

من المحال ان يراعى الله عز وجل مصلحة خلقه فى مبدأهم ، ومعادهم ، ومعاشهم ، ثم يهمل مصلحتهم فى الاحكام الشرعية اذ هى أهم فكانت بالمراعاة أولى . . .

ولانها أيضا من مصلحة معاشهم لانها صيانة أموالهم ودمائهم وأعراضهم ، ولا معاش لهم بدونها ، فوجب القول بأنه راعاها لهم .

واذا ثبت رعايته اياها لم يجز اهمالها بوجه من الوجوه

ويمضى الطوفى فى استعراضه الى ان يخلص من الامور التى تخص العبادات ، ثم يقول فى ص ٧٦٧ من المجلد التاسع من مجلة المنار ما يلى : —

هذا تفصيل القول فى احكام العبادات ..

اما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها مصلحة الناس ...

فالمصلحة وباقى ادلة الشرع اما أن يتفقا أو يختلفا ...

فان اتفقا فبها ونعمت ...

وان اختلفا ، فان أمكن الجمع بينهما بوجه ما جمع ...

وان تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار — وهو خاص فى نفى الضرر المستلزم لرعاية المصلحة .

ان المصلحة هى المقصودة من سياسة المكلفين باثبات الاحكام .

وانما اعتبرنا المصلحة فى المعاملات ونحوها دون العبادات ، لأن العبادات حق الشارع خاص به — ولا يمكن معرفة حقه كما ، وكيفا ، وزمانا ، ومكانا ، الا من جهته .

بخلاف حقوق المكلفين فان أحكامها سياسة شرعية وضعت لمصالحهم . وكانت هى المعتبرة وعلى تحصيلها المعول .

ولا يقال : ان الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته .

لاننا نقول : قد قررنا ان المصلحة من ادلة الشرع ، وهى أقواها ، وأخصها ، فلنقدمها فى تحصيل المصالح ..

ثم ان هذا انما يقال فى العبادات التى تخفى مصالحهما عن مجارى العقول والعادات ....

أما مصلحة سياسة المكلفين فى حقوقهم فهى معلومة لهم بحكم العادة والعقل ، فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا أنا أحلنا فى تحصيلها على رعايتها .

كما ان النصوص لما كانت لا تفى بالاحكام علمنا أنا أحلنا بتمامها على القياس ، وهو الحاق المسكوت عنه بالمنصوص عليه بجامع بينهما .

والله عز وجل أعلم بالصواب □

خاتم النبيين

مناقشة لمقال : الثوابت والمتغيرات فى الأديان

د. عبد العظيم المطعنى *

نشر الدكتور محمد احمد خلف الله مقالا فى مجلة الطليعة فى عددها الصادر فى أول ديسمبر من العام الماضى . تحت عنوان : الثوابت والمتغيرات فى الاديان . وقد خلط الكاتب فى مقاله هذا حقا بباطل واستباح لنفسه حق الاجتهاد فى اكبر اصل من أصول الشريعة ، وتوصل الى نتائج هى ابعد ما تكون عن الصواب مستخدما فى ذلك منهجا فى البحث والاستدلال يدعو الى الدهشة ، والاستغراب وكان من ابرز ما توصل اليه الكاتب : الغاء نظام النبوة . بطلان وظيفة علماء الشريعة :

يبدأ الكاتب مقاله بأن الاديان فيها الثابت وفيها المتغير . فالثوابت هى المتعلقة **بالابدى الخالد** . ومن المتغيرات التى هى محل خلاف فى الرأى هو:

[*] أستاذ بكلية اللغة العربية — جامعة الازهر .

□□□□□□□□

ما يصدر عن الله من احكام دينية تتعلق بالبشر . ويتساءل : فهل تأخذ هذه الاحكام حكم من صدرت عنه فتكون **أبدية خالدة** . ام تأخذ حكم من صدرت اليه ، وهو الانسان — فينالها التغيير **ولايحق لها الخلود بحال** ؟! . ويقول : ان كلا الرايين له انصار وليس مذهب الكاتب ان ينصر فريقا على فريق . وانما مهمته هى النظر من جديد فى القرآن الكريم ليصل الى رأى قاطع فى المسألة .

● الغاء نظام النبوة

يقرر الكاتب ان نظام النبوة كان بغيضا الى البشرية التى كانت تتطلع الى الخلاص منه من عهد يوسف عليه السلام . ولكن الله لم يستجب لتطلعات البشرية فى ذلك العهد ، لانهم لم يكونوا ذوى حضارة تؤهلهم لقيادة أنفسهم . ووصف الله تطلعات البشرية بالضلال وانها اسراف فى الارتياب . واستدل على ذلك بقوله تعالى : « **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا ، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب** » .

فلما جاء عهد محمد عليه السلام ، وبلغت البشرية سن الرشد ، واصبحت ذات حضارة تؤهلهم لقيادة أنفسهم ، رفع الله وصاية السماء على الارض وانهى نظام النبوة . يقول الكاتب بالحرف : « **فى زمن محمد عليه السلام وصلت البشرية الى درجة ، من النضج الحضارى سمح لها بأن تترك لنفسها وتتولى شئونها على اساس من قدرتها** » .

ويقول بعد ذلك بالحرف : « **وهكذا رفع العليم الحكيم وصاية السماء عن أهل الارض . وأنهى نظام النبوة . — أنهاه الى غير رجعة** » ؟!

ويستدل على هذا بقوله تعالى : « **ما كان** محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » فختم النبوة بمحمد عليه السلام معناه عند الكاتب : **بطلان نظام النبوات** الى الابد .. ويعلق على هذه الاية ، فيقول بالحرف :

« ان هذا الذى تعده هذه الاية — يعنى الاية المتقدمة فى شأن يوسف عليه السلام — من باب الضلال والاسراف فى الارتياب — هو الذى جعله القرآن الكريم الحقيقة الدينية الكبرى فى زمن محمد عليه السلام »

يقصد ان آية يوسف وصفت تطلعات البشرية الى انهاء نظام النبوة بانه اسراف وضلال . وآية محمد جعلت ذلك الاسراف والضلال هو الحقيقة الدينية الكبرى حيث انهت نظام النبوة ؟!

● ابطال وظيفة علماء الشريعة

ثم يقول الكاتب : « والوصول بنا الى هذه القضية — يعنى ابطال نظام النبوة — يطرح علينا سؤالا هاما هو : وماشأن العلماء الذين يذهبون الى أنهم ورثة الانبياء ؟ ! ثم يجيب على هذا السؤال فيقول :

« **ان الذى أنهى نظام النبوة لابد ان يكون له موقف من أى نظام دينى آخر يجعل لرجال الدين سلطة او وصاية على البشرية** » .

« **واذا كان الله قد أنهى النظام الاصيل وهو** نظام النبوة فمن باب أولى أن ينهى النظام المتفرع عنه » .

« موقف القرآن الكريم هو الموقف الرافض لهذه السلطات . يعارض القرآن هذه السلطة الدينية التى يدعيها رجال الدين لانفسهم ويراها من قبيل الممارسة لحقوق الله دون اذن من الله » .

ومذهب الكاتب ان الاحكام الدينية الصادرة عن الله فى شأن البشر ليس لها حق الخلود بل لابد من التغيير حسب المصلحة . ومادام الله قد أنهى نظام النبوات . وابطل دور رجال الدين فان التغيير المنتظر لايرجى من السماء ولا ممن يدعون أنهم ورثة الانبياء **وانما حق التغيير فيه لمن يدرك المصلحة الجماعية الاجتماعية من بنى الانسان** ؟!!

وقد ظهر لك أيها القارىء الكريم أن هذا المقال قد اشتمل على كثير من المغالطات

● فقد استقر عند العلماء أن ختم النبوات بمحمد عليه السلام معناه ان ماجاء به الاسلام صالح لقيادة الانسانية فى كل زمان ومكان . وان رسالة القرآن عامة خالدة يجب العمل بها الى يوم الدين والى هذا اشار القرآن الكريم : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وليس معنى ختم النبوات هو ابطالها كما ادعى الكاتب .

● ان الله يقرن طاعته بطاعة الرسول ويرشدنا ان نرجع الى الشريعة فى اصولها الثابتة عندما ينشأ بيننا خلاف فيقول سبحانه : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » ويقول « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا »

● ويرى القرآن الكريم مبدأ اجماع الامة النافذ فى كل خلاف ينشأ حول امور مستحدثة ليس للشرع فيها نص صريح . فعلى علماء الشريعة ان يجتهدوا فى التوصل الى حكم شرعى لكل مستحدث بالرجوع الى مقاصد الشرع

الكبرى من القرآن والسنة الصحيحة . فاذا اجمعت الامة على رأى بعد الدرس والبحث أصبح ذلك الرأى الزاما لايجوز الخروج عنه . والى هذا تشير الاية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا »

وعلى هذا قام العمل من ساعة أن فارق الرسول الحياة . وساس الخلفاء الراشدون الامة على هدى من الايمان والوحى والرسول يقول : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . عضوا عليها بالنواجز »

● اما دور العلماء فلازم ونقصد بالعلماء هنا من وقفوا انفسهم على دراسة الشريعةواخلصوا فى الدعوة اليها ولم يكن هدفهم الا مرضاة الله فى السر والعلن . واذا كان القرآن يأمرنا بأن نأخذ راى المتخصص فى كل أمر . فهؤلاء هم المتخصصون فى هذا المجال والله يقول : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » واذا قصر العلماء فى رسالتهم فان الله سيحاسبهم على ذلك التقصير .

● ان الاية التى استشهد بها على ان البشرية كانت تبغض نظام النبوة من عهد يوسف عليه السلام . هذه الاية نزلت فى حق بنى اسرائيل الذين تآمروا على الرسل وقتلوهم . فهل البشرية كلها محصورة فى بنى اسرائيل ، ومن عداهم ليسوا بشرا !؟

ان مقال : **الثوابت والمتغيرات فى الاديان** ان كان الباعث عليه **حسن النية** فاننا نرجو من سيادة الدكتور خلف الله ان يراجع نفسه فيه لانه ينكر أصلا أساسيا من اصول الشريعة. واذا صح ماذهب اليه — وليس هو بصحيح — فليعز المؤمنون انفسهم . فقد ولى عهد الاديان.

ملاحظات حول المشروع الجديد لقانون النقابات

أبو الفتوح السيد عياد *

يعرض على مجلس الشعب الان مشروعا جديدا لقانون النقابات العمالية . وتهتم الحركة العمالية بمناقشة مثل هذا القانون ، واضعة فى اعتبارها أن هدفا اساسيا لحركة ونضال الطبقة العاملة فى الفترة الماضية كان هو انتزاع حرية واستقلال العمل النقابى ، وذلك حتى يمكن خلق نقابات عمالية تعبر فعلا عن المصالح الاقتصادية والفئوية للعمال من ناحية وان تعكس مواقف الطبقة العاملة السياسية من ناحية أخرى . ان الفترة الماضية فى الحياة النقابية شهدتتدهورا خطيرا فى دور النقابات العمالية ، والتىتحولت تدريجيا الى أجهزة وادارات ابعد ماتكون عن التعبير عن العمال فعلا ، بل لقد اصبحت الحقيقة ادوات تقف فى مواجهة حركة الطبقة العاملة ، وهو ماتكشف عنه الاحداث فى كافة المواقع العمالية ، ولكن ما الذى ادى الى ذلك ؟

اولا — كانت سيطرة الاتحاد الاشتراكى وتدخلاته فى الانتخابات عاملا اساسيا فاشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى لعضوية النقابيين حولت النقابات الى اشكال تابعة للاتحاد الاشتراكى وغيرمعبرة اطلاقا عن جماهير العمال، وحتى الان بعد اقرار العضوية الجماعية لم يتغير الامر كثيرا حيث ان العضوية الجماعية ليست اختيارية الا شكلا وحيث ان شرط موافقة

[*] عضو مجلس ادارة اللجنة النقابية للعاملين بالشركة العربية للشحن والتفريغ بميناء الاسكندرية .

« الجمعية العمومية » كلّ العمال على انقسام نقابتهم للاتحاد الاشتراكي غير موجود ، وبالتالي فان القمم النقابية المختارة وبالكيفية التي سوف تناقشها هي التي في اطار المناقشة تصارع بالاعلان عن ولائها بعيدا عن تاثير القاعدة .

ثانيا — تدخل الاجهزة في اجراءات الانتخابات والتاثير على العمال واستدعاء قادتهم ومباركة عناصر معينه ، هذا الى جانب دور مكاتب الامن وحقها في الشطب في الانتخابات بالاضافة الى سلطاتها الادارية الواسعة التي تتيح لها امكانية تتبع معارضيها بالفصل والرفت ... الخ .

وعلى ضوء هذه المعرقلات فما نظرنا الى هذا القانون الجديد ؟ وكيف يندفع العمل النقابي للامام ؟؟ اننا لو نظرنا الى الشكل التنظيمي للنقابات الذي يطرحه القانون الجديد في المواد ٣ ، ٩ ، ٨ ، ١٦ ، فاننا نجد انه وسع عدد المستويات النقابية عن الجمعية العمومية باختيار مؤتمر المندوبين ثم اللجنة النقابية ، ثم المجلس المركزي ، ثم المجلس التنفيذي للنقابة العامة ، وهكذا . اى انه اضاف مستوى مؤتمر المندوبين ومستويات المجالس المركزية التي لم تكن موجودة من قبلُ . وهذا يعني اولا سلب الجمعية العمومية حقها الطبيعي في اختيار قيادات الحركة النقابية بشكل مباشر ويتيح فرصة للتدخلات وللتكتكة المتكررة على حقوق العمال ، وهذا في الحقيقة استمرار لخط قانون ٦٢ لسنة ٦٤ ، والباب الرابع في قانون ٩١ سنة ١٩٥٩ ركز كل الصلاحيات في يد النقابة العامة ، وجعل اللجان النقابية مجرد تابع لها وبالتالي ابعد تاثير القاعدة العريضة في انتخابات القيادات بشكل مباشر الامر الذي لم يكن موجودا قبل ذلك في قانون سنة ١٩٤٢ وقد يقال ان النقابات العامة تعني وحدة الحركة العمالية ولكن تخفيض عدد النقابات العامة من ٦٤ الى ٢٧ ثم الى ١٦ جعل انه من السهل التحكم والسيطرة من قبل الاجهزة على مثل هذا العدد الصغير ، وابعد تاثير القاعدة العمالية العريضة عن سياسات نقاباتها كما انتخفيض عدد أعضاء اللجنة النقابية من ٢١ الى ١١ عكس نفس الامر وهو محاولة تقليص عدد القيادات العماليةووضع عدد كبير من المستويات النقابية بين القاعدة العمالية والقيادات النقابية ليسهل التاثير والسيطرة عليهم .

اما بالنسبة لشروط العضوية « مادة ٢٨ فنجد انها تحرم من العضوية كلا من الصبية أقل من ١٥ سنة وكذلك العاطلين وكذلك كل من وقععليه عقوبة تاديبية أو جنائية ، ويتضح من هذهالشروط التي لا تقل تعسفا عن ماسبقها حيث تحرم الاف الصبية ، من يعملون في القطاع العام والخاص من حقهم في وجودهم في نقابات وكذلك جماهير غفيرة من العمال العاطلين والذين هم كذلك ، اما لعدم توافر العمل أو لانهم قاوموا اشكال مختلفة من الظلم الواقع عليهم بطرق شاذة كالاعتداء على المديرين او محاولات التخريب ، ولكنهم اساسا عمالا يمتهنونمهنةمحددة يعيشون منها ويجب ان ينضموا لنقاباتهم حتى يحصلون على حقوقهم .

اما الفقرة المتعلقة بمنع من وقعت عليهعقوبة من عضوية النقابات فهذا يعني :

اولا — منعكل العمال الشرفاء والذيناضطهدوا واعتقلوا وكما هو واضح فان هذه الفقرة موجودة لتمنع من يسمونهم في اجهزة الامن « المشاغبين » أي العناصر العمالية الفنية حقا.

ثم ما هي شروط الترشيح انها اقسى واشد ويكفي ان نسردها لنرى مدى اجحافها ففي المادة ٢٩ يتطلب الترشيح للنقابة التالي اولا :

اجادة القراءة والكتابة « كما هو معروف فانه نسبة الامية في مصر ٧٠٪ وهي وسط العمال وبالذات الزراعيين الذين تصل نسبة الامية بينهم الى ٩٠٪ !! »

ثانيا — سن الرشد « رغم اننا نعرف ان العناصر الشابة قد تحمل من الكفاءة والنقاء ما هو كاف وعلىالعموم ليس هو الحكم ،

ثالثا — على الاقل يكون عضوا بالنقابة مدة سنة « لماذا ؟ هل حتى يتضح اذا كان العنصر مشاغب ام لا ؟ »

رابعا — لعضوية مجلس مركزي النقابةالعامة شرط عضوية دوره كاملة للمستوى الادنى الدورة في هذا القانون ٤ سنوات » وهكذا بالنسبة لكل مستوى اعلى . اى انه من الناحية الفعلية لايتاح دخول النقابة لاى عناصر جديدة وتقبل النقابات على سارقيها ، وبعد هذا فهل هذه شروط عضوية وترشيح لنقابة مستقلة ام شروط عضوية لاحد الاجهزة ؟ هل هذه شروط عضوية لجهاز في خدمة العمال ام لاعاقة فعلية لتطور حركة الطبقة العاملة ؟

ثم هل اكتفى القانون بذلك ؟ لقد تمادى الى ابعد من هذا وبالذات في تحديد اختصاصات المستويات المختلفة فمثلا نرى ان للاتحاد العام حق وضع لائحة نموذجية للجان النقابية وللنقابة العامة « مواد ٤١ ، ٤٢ » « رغم ان من شروط العمل النقابي التي نص عليها ميثاق حقوق الانسان ، والذى وقعته مصر ، حق العمال الكامل في وضع اللوائح الداخلية والخاصة بهم، ولا وبأنه القانون « يكمل ذلك ، بل انه يتمادى ،

فيوجب على النقــابات التزامات ـــ حتى قبـلَ وضع اللوائح النموذجية ومنها على سبيل المثال تخصيص ٧٠٪ من اشتراكات اللجان النقابيـــة لصالح النقابة العامة و٣٠٪ فقط للجان النقابية وهذا يؤكد ما اشرنا اليه سابقا من سلب اللجان النقابية اى حرية للحركة .

كما ان هذا القانون اعطى لهذا الاتحاد العام المنتخب بالطريقة الســابقة اى المختــار « على الفرازة كما نقول » حق رفض طلب العضــوية ووقف هذه العضوية وحق حل المستويات النقابية الادنى اذا ما سارت على اى طريق غير الطريق الذى يرسمه لها ، رغم ان هذا يجب ان يكــون حق الجمعية العمومية وحدها فى سحب الثقة ويضيف هذا القــانون الى كل هــذا الركام من الافــكار الرجعيــة رفــض تكوين اية اشــكال روابط ـــ جمعيات ـــ صناديق زمــالة .. الـخ خارج اطار النقابات رغم ان هذه القيــود على العمل النقابى ، ان الحقيقة واضــحة كالشمس وهى ان هذا القانون مهمته مصادرة كافة الحقوق العمالية فى العمل النقابى المســتقل ورفــض المطالب العمالية وتكوين قيادات عمالية من ماركة موافقون وهى نفسها ماركة : المهللين والمطبلين وسارقى اشتراكات العمال .

واخيرا فاننا يجب ان نتذكر بداية الحديث ، وهو ان سعى حركة الطبقة العاملة كان وسيظل بغرض الحصول على استقلال نقابتهم الكامــل والنضال من اجل هذه الحقوق .

أولا ـــ حق العمال فى كافة الحريات مــثل الاضراب والاعتصام والتظاهر السلمى وحقهافى التجمع وعقد المؤتمرات .

ثانيا ـــ حق العمال فى تكوين نقاباتهم المستقلة ووضع لوائحها الخاصة والانضمام اليها من كافة العمال فى المهنة المحددة دون اية قيود .

ثالثا ـــ اعطاء معظم الصلاحيات والامكانيات للجان النقابية والتى تقرر من خــلال جمعيتهــا العمومية والانضام الى النقابة العامة من عدمه .

رابعا ـــ اعطاء حق الترشــيح لكل اعضــاء النقابة دون استثناء وترك القاعدة تختار بشكل سرى مباشر .

ان حرية الكلمة وشرفهــا والتى تتمثـلَ فى مجلتكم العزيزة جعلتنى اتقدم بهذا راجيــا نشره فى اول عدد يصدر ولكم منى ومن الطبقة العاملة اسمى ايات التحية والاحترام .

رســالة من المواطن عبد التــواب

عندما قرأ المواطن عبد التواب ما كتبه فى العدد المــاضى الزميل خيرى عزيز ، بدا له أن بعض أقواله ربمــا قد اسيىء فهمها أو تأويلها ومن هنــا الرسالة التى ننشرها للمواطن عبد التواب تعقيبا منه على ما جاء فى تعليق خيرى عزيز .

بناء على التعليق المحرر بقلمكم يااستاذخيرى عزيز، بعنوان« هلْ يقفْ ساكن الحى الشعبى ضد انسان المخيم الفلسطينى». أنت سيادتكم تتهمنى بأنى أقف ضده ، ولكن أنا لا أقف ضده ، بل اننى قلت أننى أقفبجواره حتى آخر نقطة فى دمى ، وذلك لانه واجب مقدس على كل مصرى .

عزيزى المحرر، أنا قلت «الاعراب أشدكفــرا ونفــاقا » لاسـباب بسيطــة ان الفلسطينيين يقومون بهجمات فظيعة والفاظقبيحة لا يجب أن تلفظ من هؤلاء الذين امتدت لهم الايدى المصرية بكل مـ تملك منمال وشباب وتضحيات . فنتبع قول الله تعالى فى كتابه العزيز « ولا تكونوا كالذيننسوا الله ، فأنساهم أنفسهم ، أولئك حزب الشيطان، ألا ان حزب الشيطان هــمالخاسرون ». فان الفلسطينيين الذين قدمنا لهم يد الاحسان كان يجب عليهم أن يقدموالمصر الشكر ، الفلسطينيون الذيناستشهد من أجلقضيتهمزعيمنا الرئيسالمرحوم جمال عبد الناصر وظل يكافح من أجلهم حتى آخر

□□□□□□□□

نفس فى حياته ؟ ننظر الى المرة الاخيرة التى خطف فيها الفلسطينيون الوزراء العرب الابرياء، والذين قدموا من أجل قضيتهم أيضا المساعدة بكل ما يملكون من مال وشباب ، لان العرب جميعا وقفوا من أجل هذه القضية ووقفوا مع شباب مصر فى عام ١٩٧٣ فى السادس من أكتوبر ، وقد وحد الله كلمتهم وقد تم النصر العزيز. فأنا أقول مرة ثانية وأردد قول الله تعالى «قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » .قولوا آمنا ، فنحن نقف بجانبهم وبجانب كل عربى حتى يسلم ويؤمن بالله ، هذا عن الفلسطينيين .

أما عن الوحدة العربية ، فأنا قلت أننى أؤيد الوحدة العربية على أساس ان تكون وحدة تتفق عليها أحسن من السابق ، اذا حصل اختلاف على أى أساس ، فيجب أن يدرس بدقة وبأدب ، غير هذا الاسلوب الذى نتعامل به اليوم !

أما عن قولك عن الجبن والزبد والغذاء الذى كانت تقدمه أمريكا عونا لنا فهذا ياعزيزى المحرر ليس معناه أننى رغبت من أجل هذا ، فأنا ذكرت فى كلامى أننا نحارب أمريكا وليس اسرائيل ، والمعنى الاصح هو اننى قلت عن الحل الجزئى لانه من مصلحتنا وليس من مصلحة اسرائيل ، أما اذا كان الاخوة الفلسطينيون وحزب البعث السورى يتهموننا بالخيانة ،وبالالفاظ التى لا يجب ان تقال لشعب مصر وشبابه الذى فعل الكثير من التضحيات من أجلهم ، وأثر ذلك على معيشتنا نحن العاملين ذوى الدخل المحدود من عمال مصر، أما لو تم هذا الانسحاب من مرتفعات الجولان والاراضى العربية فلن تكون هذه خيانة، فان البترول تحصل عليه مصر من سيناء . فهل هذا لا يزيد ميزانية الحرب لنشترى بها السلاح لكى نقف به جبهة واحدة أمام العدو الصهيونى ؟

اننا نريد نحن شعب مصر ، الصغير قبل الكبير، العامل قبل الوزير، أن تقف سوريا بجوار مصر، وأن تحل مشكلة فلسطين والمقاومة ولبنان ، ولا يتدخل العدو الصهيونى امامنا ، ويقف ويقول لو تدخلت سوريا أو أى بلد عربى، سنتدخل نحن ، أولا هذا قول العدو الصهيونى، فأرجو منك ياعزيزى المحرر أن تكتب بقلمك الى جميع الاخوة العرب للوقوف بجانب لبنان العربية ، والمقاومة لوقف سفك دماء الابرياء من اخوتنا العرب فى فلسطين ولبنان .

واذ أشكر سيادتكم على التعليق على حديثى معكم وعلى وقوفك بجوار الاخ الفلسطينى ، فانى اشكر سيادتك أيضا على توجيهك للمسئولين من اجل زيادة الثقافة العمالية ، فانه توجد ثقافة عمالية مثلا ،ولكن الذى يستفيد من هذه الثقافة العمالية الذى له وساطة فى العمل ، ونحن ليس لنا الا الله سبحانه ، وقد قال اتقوا الله يعلمكم الله .

واخيرا لك تحياتى، والى كل مسئول صحفى لقى منكرا فأزاله بقلمه ، وذلك أضعف الايمان.

جعلك الله ذخرا للوطن .

عبد التواب امين ابو بكر



برغم اختلاف وجهات نظرنا، حول بعض ما جاء برسالتك ، وخاصة حول تصورك لمواقف الشعب الفلسطينى، وقيادته ومناضليه ، والذى أعتقد أن سببه ، ربما يرجع الى عدم اكتمال المعلومات السليمة لديك عما يجرى فى الساحة العربية ، وعلى الرغم من أنك أيضا - فى هذه الرسالة - ترى اشقاءنا الفلسطينين بغير الصورة الحقيقية التى هم عليها، الا أننى أشكرك على اهتمامك بتوضيح موقفك من القضايا التى أثرتها فى تعليقى على الحوار الذى اجرته معك الطليعة فى العدد الماضى ، وخاصة موقفك من قضية الشعب الفلسطينى ، وقضية الوحدة العربية .

ودون الدخول فى تفصيلات قد تثير خلافا هنا او هناك ، فانه لا يسع أى مخلص ، الا أن يقدر الموقف الذى أعربت عنه بعد كل شىء ، فى بداية خطابك ، والذى يتمثل فى وقوفك كوطنى مصرى ، الى جانب الشعب الفلسطينى وقضية تحرير أراضيه ـ « حتى آخر نقطة فى دمى » حسب التعبير الذى ذكرته بنفسك ، ويتمثل ايضا فى تأييدك للوحدة العربية وتحقيقها على أساس ديموقراطى سليم لمصلحة الشعوب العربية جميعا . وفى هذه الحالة ، أعتقد أن موقفك من هاتين النقطتين اللتين تناولتهما فى تعليقى ، قد اصبح واضحا عما كان عليه فى « الحوار » . وأعتقد أن هناك تقاربا هاما بيننا الان حول المواقف الاساسية والجوهرية . وهذا هو المهم .

خيرى عزيز

مأساة .. وملهاة

سهام هاشم

قديما قسم فلاسفة اليونان النصوص المسرحية قسمين : احدهما اطلقوا عليه اسم « المأساة » والاخر اسموه بـ « الملهاة » وذكروا فى كتاباتهم ان قمة الاعمال المسرحية هى تلك التى تجمع بين المأساة والملهاة معا . اى تلك التى تستدر دموع المتفرج وتجعله يضحك فى الوقت نفسه .

ولا ادرى لماذا تذكرت هذا التقسيم وانا اقرأ الحوار الذى اجرته « **الطليعة** » مع المواطن **عبد التواب الذى أسمته « بمواطن الحد الادنى للاجر لقد كانت قمة المأساة فى حالة عبد التواب انه على الرغم من انه يتقاضى الحد الادنى للاجور فى الدولة الا انه فى وضع يحسده عليه الكثيرون من جماهير شعبنا .. بل وربما نرى هؤلاء فى نموذج عبد التواب مواطنا من ؟ الواصلين ! و ؟ المميزين ! ولم لا ؟** فهو على الرغم من حالته التى شرحها يتمتع اولا بمسكن باجر معقول بينما هم لا يجدون هذا المسكن مأوى لهم ولعيالهم . ثم هو ينتظر اجرا ثابتا فى اول كل شهر وهم يعيشون على « فيض الكريم » والا فبالله عليكم ما هو اجر بائعى تلك « البضائع الهزيلة » من امشاط ودبابيس .. هؤلاء الذين تزخر بهم شوارعنا .. وما هو اجر العجزة وذوى العاهات والمطلقات والارامل الذين ليس لهم عمل ولا مورد ؟ اننى اسأل كل انسان على درجة من الوعى : هل فعلا يعتبر المواطن عبد التواب ومن هم على شاكلته عينة « ممثلة » بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة ـ لطبقات قاع المجتمع المصرى ؟؟ هل يمكن أن نكون على شجاعة كافية ونعترف بأن ملايين فى هذا المجتمع يراود الواحد منهم حلم أن يمسك بيديه شهريا مبلغا قدره عشرة جنيهات بأكملها ؟؟ اننى اناشدكم ايها القراء الا تذرفوا دمعة واحدة على المواطن عبد التواب ، فهو انسان « منعم » ولكنه « جاحد » لا يحمد الله . ثم ماذا يقصد بكلماته ضده « هل يقصد مثلا ان همومه أصبحت فوق ما يتحمل . فلينتظر اذن ليلة القدر التى تلوح له بها كل يوم صحيفته الغراء « الاخبار » التى يدمنها كما يبدو . اليس المواطن عبد التواب مصداقا لما يقال فى الادمان من أن المدمن لا يستطيع فكاكا مما ادمن عليه رغم أنه يدرك تماما ضرره عليه ؟ ولكن فى حالة عبد التواب هو لا يدرك انه قد اصبح مدمنا لمعسول الكلام لدرجة أنه يدفع يوميا من دخله الهزيل قرشين كاملين لكى يقرأ ما ينزل السكينة على قلبه ويعينه على ازدراد غضباته هو وأمثاله .

ولعل المواطن عبد التواب قد قرأ اخيرا عن الدعوة الى الغاء الدعم على بعض السلع الاساسية . وهنا فان عليه ـ فى ظل سياسة « الاقتصاد الحر » ان يفتح عقله ويدرك انه ليس المقصود قط بالغاء هذا الدعم . ولكن ربما المقصود هم اولئك المليونيرات الذين عثر عليهم اخيرا فى قلب المجتمع المصرى والذين تحدثت عنهم احدى الصحف الفرنسية وهى صحيفة « **اللوموند** » كدليل على أن الاشتراكية قد افرزت فى مصر مليونيرات لم يكونوا موجودين قبل التطبيق الاشتراكى اللعين . فليتحد اذن عبد

التواب وامثاله ويتجاوبوا مع قرار الغاء الدعم ؟ وليدركوا انه انما اتخذ اساسا لضرب عصفورين بحجر : اولا تعقب الاثرياء والطفيليين وتضييق الخناق عليهم « بحرمانهم من هذا الدعم » وثانيا : توفير بضعة ملايين من الجنيهات لخزينة الدولة . على العموم ، انني انصحك يا عبد التواب الا تأخذ الدنيا بهذه الجدية وتجعل الهموم تطمنك اذهب يا أخي ، الى أحد المسارح لكي تضحك من قلبك على احدى روائعنا المسرحية ولتكن مثلا رائعة « دلعني يا زغلول » وما عليك الا أن تستغني عن جنيه ونصف فقط ولا داعي بالطبع لاصطحب زوجتك فما خلقت هذه لقضاء مثل هذه الاوقات ولا لارتياد هذه الاماكن وانما يكفيها أن تجد لها مكانا بين جمهرة الواقفين هناك أمام واجهة احد محال المستورد لكي تمتع ناظريها بمثل هذه المنوعات ، ولا بأس من أن تنصحها أن تسرع في هذا قبل أن تقترح بعض الاقلام اصدار قانون جديد يقضي بتحصيل ضريبة ممن يقف للفرجة أمام واجهات مثل هذه المحال .

وكما ناشدت القراء الا يذرفوا الدمع على حالة عبد التواب فانني اناشد القارىء الا يخطىء فيأخذ الاراء السياسية التي عبر عنهاعبد التواب مأخذ الضحك او الهزل وذلك احتراما لجلال الحقيقة الذي ما بعده جلال وهي : الا يعد المواطن عبد التواب نموذجا للمواطن ضحية أجهزة اعلامنا وبخاصة الصحف ؟

والا فلماذا يسخر القارىء من عبد التواب حينما يجيب عند سؤاله عن رأيه في امريكا ـ « أمريكا دولة غنية جدا ، وكانت بتمد المدارس في السابق بالاغذية والجبن والسمن » .

ترى هل هذه الاجابة تعتبر مفاجأة ؟ والا فالام كانت بعض صحفنا اليومية تهدف حينما امسكت تماما عن نشر مثال واحد في الاونة الاخيرة يتناول تاريخ امريكا الدامي في المنطقة ؟ هل أشارت هذه الصحف وبصفة خاصة صحيفة عبد التواب المفضلة ـ الى اصرار أمريكا الذي بلغ مداه حينما اعلنت انها لن تفرض أي حظر على تسليح اسرائيل ، بل أن الولايات المتحدة أكدت على لسان مسئوليها وصحفها « أنها ستمنح اسرائيل كميات ضخمة من أحدث الاسلحة المتطوره وبخاصة المقاتلات الحديثة « ف ـ ١٦ »والصواريخ البعيدة المدى » «١» مما يخل بتوازن القوى في المنطقة كما أنه لا يخدم قط جهود السلام ولا يدل قط على اية نوايا من جانب أمريكا الى اقرار سلام عادل ودائم في المنطقة . فهل قرأ عبد التواب تحليلا او تعليقا في صحفنا على ما اعلنته امريكا ؟ هل قرأ عبد التواب تعليقا واحدا في صحفنا يدين أمريكا بصدد ما يجرى في لبنان ؟ الم تضلل صحفناعبدالتواب كل يوم مرات ومرات حينما حدثته عن أن تغييرات جذرية في سياسة امريكا ازاء حركة التحرر العربية ، في الوقت الذي تعلن فيه أمريكا انها لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية الا اذا اعترفت المنظمة باسرائيل كدولة ؟ من اين ياتي الوعي للمواطن البسيط وهو يتجرع كل يوم السم الزعاف مذابا له في كلمات معسولة في محاولة لتصوير امريكا في صورة « الام الرءوم » التي ستنقذ الشعوب من المجاعات وتكف عن القاء فائض الاغذية لديها في المحيط وتبعث به الى ما تسميه بالشعوب المتخلفة ؟

ثم لماذا نسخر من عبد التواب حينما يعرب عن سخطه على العرب وعلى الفلسطينيين وعن كفره بالوحدة العربية ؟ الم يقرأ عبد التواب لمدة شهر ويزيد ـ مقالات عدد من صحفيينا الافاضل التي صدعت في صحيفته المحببة ، تلك المقالات التي كانت تتبارى في تجريح سوريا الشقيقه الى حد بلغ غاية في الهبوط وصل الى حد معايرة وزير الخارجية السورى حتى باسمه « ٢ »وهل يمكن ان يدرك عبد التواب ـ ولا ذنب له في ذلك بالطبع ـ ان ما رددته صحفنا هو غاية ما تأمل فيه امريكا واسرائيل وهو ان يعمق الصدع بين مصر وسوريا حتى لا تقوم للعرب قائمه قط ؟ لقد قالوا له ـ من بين ما قالوا ـ ان السبب في افقار مصر هو تلك الحروب المتعاقبة التي لم يكن لمصر فيها ناقة ولا جمل ، وكان عليه أن يصدق ايضا . وهل كان يمكن لعبد التواب ان يقف بين الصحف اليوميه الثلاث لكي يعثر على مقال يبصره بحقيقة القضية بين العرب واسرائيل واعني به مقال للدكتور جمال حمدان قال فيه : « واليوم ونحن على منعطف حرج بين محاولات السلام واحتمالات الحرب ، فاننا لم نكن احوج الى وحدة الصف والموقف مما نحن الان . ان العرب مدعوون هنا والان الى كلمة سواء ، ويكاد الموقف نفسه ان يصرخ فيه « يا عرب العالم اتحدوا فليس لديكم ما تفقدونه سوى اسرائيلكم » «٣» فهل كان يمكن لعبد التواب ان يعثر على هذه القطرة وسط « محيط الضلال » الذي ظل يهدر « بأمواج المن » على القضية الفلسطينية ؟ وهل كان ينتظر المتحاورون من مجلة الطليعة ان يدرك عبد التواب ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي ليس صراعا من أجل فلسطين بالمعنى الضيق للكلمة ولا هو حتى صراع بسبب «اقتطاع للجسد العربي » «٤» وانما هو وبالدرجة الاولى صراع من أجل البقاء . من أجل بقاء مصر نفسها قبل أية دولة عربية أخرى .

وعندما يمضي الحوار مع عبد التواب بسؤاله عن رأيه في الاتحاد السوفيتي فهنا نجده مدركا الى حد ما للمسئول عن تضليله في هذا الصدد فيقول « بالنسبة للاتحادالسوفيتي الواحد عن اللي

سمعه أخيرا فى الجرايد بأن الاتحاد السوفيتى سيب النكسة وسبب ده كله بالنسبة لوقف اطلاق النار ، بالنسبة لعدم مده بالسلاح » . ولكن عندما تستمر الطليعة فى طرح الاسئلة فعندئذ لا يرى امامه الا استخدام عقلة فيؤكد ان السلاح الذى حاربنا به « كان سلاح سوفيتى وانتصرنا به . بالنسبة لصواريخ سام ٣ وسام ٦ دى اسلحة سوفيتية » ويبدو أن الحقيقة فى هذا الصدد كنت انصع من أن ينجح فى طمسها اى تضليل او مغالطة من جانب بعض الصحف اليومية ، وامام جلاء الحقيقة لم يستطع عبد التواب ان يلغى عقله .

فاذا ما انتقلنا الى فصل جديد من هذه المأساة او الملهاة فاننا نجد اجابات - لا نستطيع وضعها - بشأن القطاع العام والخاص لكى يتأكد من جديد انه نموذج للمواطن الذى استغلت الصحف أسوأ استغلال معرفته للقراءة والكتابة ونجده حائرا تماما ازاء من هو المسئول الحقيقى عن بؤسه وشقائه وليس همومه كما اسمتها الطليعة تأدبا أو تحرجا فهنا نراه يدلى بعبارات متضاربة فيما بينها ، فهو يعترف بأن القطاع العام » بيحفظ كيان العامل وماحدش بيقدر يطرده » وهو فى هذه الاجابة يعبر عن تشبثه بذلك المكسب لانه يدرك تماما ان القطاع العام من هذه الزاوية كان احد معالم الطريق من اجل تأمين حياته وغيره من العمال ، ولكنه رغم ذلك نراه يتجه الى التعامل مع القطاع الخاص بعد ان خيب القطاع العام امله فى سد احتياجاته فهو يفشل وامرأته فى الحصول على شئ من الجمعية لانه لا يملك رشوة العاملين فيها . وهو بالطبع لا يتنبه الى من هو المتآمر الحقيقى على مصالحه ، اى الى بعض النفوس الضعيفة من العاملين فى القطاع العام لكى يشوه الصورة بأكملها ولا يعرف ان بعض زبانية القطاع الخاص « هم انفسهم الذين عملوا وشوهوا القطاع العام ، وذلك لكى تنبرى الاصوات - ذات النغمة الاعلى فى صحفنا واجهزة اعلامنا - لتدلك على فساد القطاع العام وتدعو الى بيعه بالمزاد فقد تجاوزت جرائمه الافاق .

ولكن مهلا ايها السادة فالمأساة لم تنته بعد ولا الملهاة قد بلغت خاتمتها فاننى - على الرغم من استفحال حالة تشويه الوعى عن طريق بعض الصحف فهو يرى أن يقول له الا أننى - مع ذلك - أجد قادما يركض هناك يريد - وباصرار - أن يقول شيئا لعبد التواب :

« لا عليك يا عبد التواب » وتذكر انك ستتساوى حتما مع غيرك فى القرابيـ بعد المامات »

همـــوم المـــواطن « عبد التـــواب »
ومناقشات اللجنة المركزية ومجلس الشعب

فايـز عقـل

ناقش المواطن عبد التواب ، فى حواره مع مجلة الطليعة عددا من القضايا اهمها - السكن والمواصلات - الاسعار - التنظيمات السياسية والنقابية - هى نفس القضايا التى دارت حولها المناقشات فى مجلس الشعب واللجنة المركزية . حاولت اسرة تحرير الطليعة فى حوارها مع عبد التواب توزيع ميزانيته وحاول اعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية مع الوزراء توزيع موازنة الدولة . ونفس المشاكل ونفس الهموم .

ولكن هل استطاعت اللجنة المركزية ومجلس الشعب ايجاد الحلول لمشاكل الملايين من ابناء الشعب المصرى من الذين يشاركون عبد التواب حياته ومصيره ؟

للاجابة على ذلك ، يجب أن نلقى نظرة على رؤية ممثلى الشعب لمشاكل عبد التواب .

فبينما يشكو من عدم وجود سكن بجوار عمله ليرحمه من عناء المواصلات والساعات الطوال التى يقضيها فى الذهاب والعودة وتواجهه مشكلة الخلو وعدم تحمل ميزانيته ٥ جنيهات شهريا قيمة الايجار ، نجد فى مجلس الشعب واللجنة المركزية اصواتا ترتفع بزيادة التيسير للرأسمالى الغربى والاجنبى لتملك العقارات وشراء ارض مصر حتى حدثت المضاربات والسمسرة ، وادى هذا - بالتالى - الى الارتفاع الجنونى فى ثمن الارض . وانعكس ذلك على القيمة الايجارية والمبالغ الخيالية فى الخلوات ، كما انعكس على

الاثراء الفاحش على حساب الفقراء فى مقابل ضعف اعتمادات القطاع العام للاسكان الحكومى . وتفاقمت مشكلة السكن أمام امثال عبد التواب والمخطط الاقتصادى لم يضع أمامه هذه المشكلة بالنسبة للعمال . فليس من المعقول أن نبنى مصنع فى التبين او حلوان او فى ضاحية أخرى وتقام المساكن فى وسط القاهرة . ففى نظر عبد التواب ان تكون مساكن العمل بجوار المصنع وأن تبنى المستعمرات الصناعية بكامل منشآتها بما فى ذلك المدارس وأجهزة المرافق والخدمات حتى نستطيع أن نواجه مشكلتى المواصلات والتكدس داخل المدن .

وإذا كان الملايين من أبناء الشعب المصرى يعانون من ازمة المواصلات فالحل فى زيادة عدد الاتوبيسات . وإذا امكن بناء مصنع لانتاج سيارات الاتوبيس ، فهذا بالطبع – افضل من استيرادها ، حيث نواجه – بعد سنوات قليلة بمشكلة قطع الغيار ثم استهلاك الاتوبيس نفسه والعودة إلى الازمة من جديد . فالحل ، اذن ، ليس فى انتاج السيارات الملاكى ، أو تخفيض الجمارك على المستورد منها ، وتسهيل استيرادها بأحدث الموديلات . لان عبد التواب – وأمثاله – لن يستطيعوا شراء سيارات الملاكى بدخله البالغ ١٠ جنيه و ٩٠٠ مليم ، وذلك مهما منح من تسهيلات .

هنا تختلف رؤية هؤلاء عن القاعدة العريضة لابناء الشعب المصرى . ولذلك ، لم تحقق المناقشات التى دارت حول الخطة والموازنة أى حل للمشكلة الاولى لعبد التواب . فالحل الصحيح فى نظر الشعب هو باقامة التصنيع والصناعات الثقيلة ، وزيادة حجم الاستثمار بقروض ذات تيسيرات افضل وليس بفتح الباب على مصراعيه للرأسمال الاجنبى دون ضوابط .

والمشكلة الثانية .. ارتفاع الاسعار

فالقيمة الشرائية للجنيه قد انخفضت عما كانت عليه منذ سنتين . هكذا يقول عبد التواب « من سنتين كان الحال أحسن ، وارتفاع أسعار كل شيء واضح بالرغم من أن عبد التواب لا يعرف الا اسعار الاصناف التى يستعملها . يعرف جيدا أسعار البطاطس والطماطم وحجم رغيف العيش ولونه والسكر ، ويسمع عن اسعار اللحمة التى لم يأكلها منذ شهر . وعلاج ابنه ارتفع سعره ايضا ... كلها مشاكل تواجه مواطن الحد الادنى للأجر ... ولكن ..

هل الحل هو فتح السوق المصرى على مصراعيه للشركات الاجنبية والسلع المستوردة ؟

هل الحل فى الانفتاح الاقتصادى واضعاف القطاع العام ؟

هل حل مشكلة الاسعار فى ترك السلع لسوق العرض والطلب « واحداث مزيد من المضاربات والاحتكار والكسب الطفيلى على حساب الملايين الفقيرة من ابناء الشعب المصرى .. ؟

بهذا لا تحل المشكلة بل فى تدعيم القطاع العام وتجديد آلاته لتحسين الانتاج وخفض التكلفة . بمشاركة العمال فى وضع خطة الانتاج وتحسين الادارة » . أى باعادة تنظيمه وتلافى السلبيات والعيوب التى أدت الى سرقته واستنزافه وتحميله ما لا يطاق بالعمالة الزائدة . وليس باضعاف القطاع العام لصالح القطاع الخاص . لان القطاع العام فقط هو الذى يستطيع ان يفى باحتياجات عبد التواب . لان ليس المطلوب حاليا الملابس النيلون والسوتيانات أو السيارات الفاخرة وأجهزة التكييف .. قبل جرارات الحرث وماكينات الرى والدراس حتى يمكن تطبيق الميكنة الزراعية . غلة الفدان وتوسيع الرقعة الزراعية ليصبح كيلو البسلة فى متناول عبد التواب .

ومن غريب الصدف ان يشكو عبد التواب من ارتفاع سعر الزيت والسكر والدقيق ثم يطالب مجلس الشعب برفع الدعم عن هذه السلع . أليس من خيبة الامل لدى عبد التواب بفشله فى علاج ابنه مقابل ٢٥ جنيها ويعالج الفنانون وأغنياء ومليونيرات مصر على حساب العمال والفلاحين المنتجين ؟ ان المطالبة برفع الدعم عن هذه السلع يدل على ان المطالبين بعيدين عن الحياة المعيشية للطبقات الفقيرة ، وحتى الذين خرجوا من صفوف الطبقات الفقيرة انفصلوا عنها .

ألم تكن شكوى عبد التواب خير رد على هؤلاء ودرسا لهم ، أن ينزلوا الى صفوف الشعب لمناقشته ، وان يبحثوا عن الـ ٥٠٠ مليونير ؟

ثم .. أين مشاريع التصنيع لبناء الاقتصاد المصرى فى ظل الانفتاح ؟ أليس ما تقدم به الرأسمال الاجنبى حتى الان مشاريع تجارية ومضاربة فى العقارات ؟ ان كل ما تقدم به الرأسمال الاجنبى لا يحل مشكلة عبد التواب وأمثاله .

لذلك كله ، كان يجب مناقشة خطة التنمية على مستوى قطاعات الشعب المختلفة ليفهم كل عامل دوره المحدد فى خطة التنمية كى يؤديه ، ويدرك الارقام الحقيقية لكى يعلم ما قدمه القطاع العام للدعم العسكرى فى معركة الامة العربية ضد العدو الامبريالى ، وحجم ديون مصر المطلوب سدادها ، وما قدمته الدول العربية ، ويعلم الارقام الحقيقية للدعم الغربى ، ويكشف أوهام وتضليل بعض اجهزة الاعلام ثم ليسأل الشعب الجريدة التى يقرأها عبد التواب أين البلايين التى كتبت على صفحاتها .

وفي اطار ذلك سيناقش القضية الفلسطينية وما قدمه الاتحاد السوفيتى لمصر . وتنكشف حملة العداء والكراهية للاتحاد السوفييتى التى قادتها جريدة الأخبار بالذات بعيدا عن الحوار الموضوعى حتى فقد عبد التواب الوعى السياسى بقوله « الواحد مش عارف الحقيقة فين » .

ولهذا لم يشعر عبد التواب بدور الاتحاد الاشتراكى الا فى مجال الخدمة الاجتماعية ، ولم يحس بدوره فى شرح القضايا السياسية والاقتصادية وتفجير الوعى السياسى لدى المواطن .. انه يأمل فى تنظيم سياسى يحس بمشاكله ، وهو مستعد لينضم لمنبر يحل مشاكل الناس . اليس هذا كاف لطرح شكل وطبيعة المنابر على المستوى الشعبى حتى ينضم عبد التواب للمنبر الذى يواجه مشاكله ويعمل على حلها « انه - بتلقائية - يختلف مع رأى **الامين الاول** وورقة الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي حول شكل وطبيعة المنابر . عبد التواب يريد أن ينضم الى منبر وليس للجنة المركزية فقط . يريد منابر ثابتة ترعى مصالحه وليست آراء تطرح فى الاجتماعات ، ثم يمضى كل الى طريقه . وهو يريد حكومة تعمل فعلا على حل المشاكل حتى لا يقول « بالنسبة للحكومة هى فى هذا الوقت بتتكلم كلام لحل المشاكل كتير .. لكن الواحد لا يرى حل .. المهم مش فى الكلام المهم فى التنفيذ » .

ولهذا فالمناقشات الدائرة هى فى واد والشعب فى واد آخر . وأصبح من المطلوب منبرا يعبر من خلاله امثال عبد التواب الحقيقيين فى مواجهة منابر الطبقات الاخرى التى وجدت الفرصة لتنادى بالانفتاح على مصراعيه ، والاقتصاد الحر .

وحتى النقابة التى كان يأمل أن تقف بجانبه ، وتناضل معه من أجل تحسين ظروفه الاقتصادية لم تشعر به وبما يعانيه . لان القيادات النقابية تربعت على القمة وفقدت الارتباط والاتصال بالقاعدة ولم تبد أية حركة فى مواجهة الانسحاب الجماعى نتيجة فى ضعفها تجاه مسئولياتها .

والظاهر ان القيادات النقابية تشعر بهذه العزلة لانها تعمل جاهدة على استصدار قانون يتيح لها البقاء والاستمرار ولو بشكل غير شرعى ويقطع الطريق امام القيادات النقابية الجديدة . والقانون فى مجلس الشعب والقاعدة العمالية تنتظر الرأى والبت فيه بسرعة حتى لا يتم تمييع الانتخابات واعطاء هذه القيادات فرصة اخرى للبقاء غير الشرعى . هل سيصدر القانون من أجل الذين يتجولون فى أوربا وامريكا وجميع دول العالم على حساب العمال .. ويصرفون ببذخ فى الزيارات والولائم من اشتراكات امثال عبد التواب ، فى حين أن أولاده لا يجدون البرتقال ولم يأكلوا اللحم ؟ ان الجواب لا زال فى مجلس الشعب .

فى النهاية نرى أن المناقشات التى دارت فى اللجنة المركزية ومجلس الشعب لم تحل مشكلة مواطن الحد الادنى للاجر . ■

لا تلوموا « عبد التواب »

فهو محاصر بين ظلم الواقع وتزييف الوعى

د. عبد الباسط عبد المعطى

ليس بغريب على « الطليعة » ان تفتتح عام ١٩٧٦ بهذا الحوار الواقعى الذى جعلت عنوانه « هموم المواطن عبد التواب » وهو حوار نأمل ان يكون افتتاحية لسلسلة تعرض الواقع الاجتماعى وتغوص فى اعماقه وتحلله ، خاصة واقع القطاع الاكبر من العمال والفلاحين ، الذين هم حقا وواقعيا اكثر قطاعات المجتمع المصرى انتاجا ، وحرمانا ومعاناة !! ؟ ويبعث أهمية مثل هذا الحوار الذي تم مع حالة واحدة ، انها حالة تعد ظاهرة ، وان الحوار يعد خطوة - نود ان تتلوها خطوات - على مسار تصحيح الوعى الاجتماعى للمواطن المصرى وبالمواطن المصرى .

ومع التسليم التام بأن عرض الواقع ، وكشف جنباته هام فى احساس المواطن بمشكلاته وادراك واقعه ، على اعتبار ان هذا الاحساس اولى الخطوات صوب الوعى ، الا أن هذا وحده لا يكفى ، لان الذى يساوى الاحساس فى الاهمية هو تفسير المشكلات ، وتحديد أسبابها الحقيقية دون تزييف ، واستبصار آفاق العلاج ، وتوضيح الظروف الموضوعية التى تقارب بين الوعى

الخاص والعام او تباعد بينهما ؟ فضلا عن اساليب وصور تزييف كل منهما . او هما معا .

وبكل التقدير لكل التعليقات التى تلت الحوار الا انه يمكن ان نلاحظ عليها بعض الملاحظات التى نحصرها فى ملاحظتين اساسيتين :

اولا : تتمثل الملاحظة **الاولى** فى توجيه سهام اللوم للمواطن « عبد التواب » على عدم وعيه ببعض القضايا الاجتماعية والسياسية .

ثانيا ، وتتركز **الملاحظة** الثانية فى أن معظم التعليقات اهتمت بتحليل بيانات الحوار ، مع اختصار التفسير الذى تراوح فى بعض التعليقات بين الوضوح ، والتلميح ، والمواربة حينا . هذا فضلا عن عدم اهتمام اى محاولة بجميع العوامل المفسرة معا لكى تتضح بعض ابعاد الواقع الاجتماعى التى احاطت لا بالمواطن « عبد التواب » وحده ولكن بقطاع عريض عريض من المواطنين .

ولكى ندلل على هاتين الملاحظتين يمكن الاشارة الى ما يلى :

١ ـ تكاد لا تخلو معظم التعليقات من توجيه اللوم الى المواطن « عبد التواب » بل واتهامه على عدم وعيه فى بعض الاحيان ، « **فالدكتور مراد وهبة** فعلا يقول : « كان ينبغى ان يعى « عبد التواب » ان الاتحاد الاشتراكى منظمه سياسية غايتها تفجير الوعى السياسى .. الخ » كما يوضح نفس تعليقه ان تصور « عبد التواب » لعلاج ازمته الاقتصادية لا يرقى الى مستوى وضعه الطبقى ، وان لغته ليست مطابقة للواقع . ومثل هذا اللوم من جانب « **د . مراد وهبة** » غير منصف ، لانه ما ذنب هذا المواطن اذا كان الاتحاد الاشتراكى لا يقوم بدوره السياسى ، وان معظم نشاطاته تتركز فى العاصمة مركزة على الشعارات والخطب ، وتفضيل دور رجل العلاقات العامة فى مقابلة الزوار والمسئولين والاغراق فى شكليات ومسميات وعبارات تحتاج فى فهمها الى حملة الليسانس والبكالوريوس وما ذنب « عبد التواب » اذا كان هو عاملا كتابيا ، يستمد وعيه من جريدة « الاخبار » فقبل أن تلوموا «عبدالتواب» . لوموا هذه الجريدة ، وادرسوا مضامينها ، وعلى ماذا تركز وبماذا تهتم ؟ وكيف تزيف وعى المواطنين ، الاميين والمتعلمين على السواء ؟ واذا وقفنا امام تعليق « **الاستاذ حسين شعلان** » فسوف نجده يوضح ان فهم « عبد التواب » للقطاع الخاص مناقض لمعطيات خبرته . مع أن هذا الفهم ليس فهم « عبد التواب » وحده ، بل هو فهم شائع لدى اعداد غير قليلة وقعت أسيرة لتزييف وسائل الاعلام من جانب والازدواج والتناقض فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية من جانب ثان ، ودور بعض الطبقات صاحبة المصلحة فى بقاء القطاع الخاص وتدليله على حساب القطاع العام من جانب ثالث . واما الاستاذ « **خيرى عزيز** » فقد عاب عليه ان يسم هذا المواطن بعدم الجدية ، لموقفه من قضية فلسطين وقضية الوحدة العربية ، ونسى التعليق أن هذا ليس موقف « عبد التواب » وحده بل هو موقف آخرين أكثر منه تعليما وثقافة وفرصة . ففى مؤتمر أخير للسكان فى العالم العربى ، عقد بالاسكندرية ، بمجرد ان اثيرت قضية ضرورة وجود استراتيجية عربية للسكان وللتنمية ، هب بعض الاخوة العرب ـ كما هو فى وثائق المؤتمر وتسجيلاته ـ وكذلك احد الاساتذة المصريين المهاجرين الى امريكا ، والرافضين المشاركة فى تنمية مجتمعاتنا ، هبوا لكى يعلنوا ويروجوا لان الحل العربى حل خيالى وغير واقعى . فلماذا اذن لوم « عبد التواب » وهو بين واقع ظالم ووسائل اعلامية ـ كالاخبار ـ تصر على تزييف وعى المواطنين ، ولماذا لا نلوم هؤلاء ، وما هى نواياهم ومصالحهم ؟ واذا كان « **الاستاذ الغزالى** » قد وصف قضية الانسحاب النقابى بالضعف ، فاننى اتصور انه نوع من النضال السلبى وان كان ليس كافيا ـ الذى فرضته الظروف والاوضاع على « عبد التواب » واخوانه باعتباره ممكنا وحيدا ، كما أن المسئولية لا تقع على العمال وحدهم ، بل على القادة النقابيين ، الذين يعدون مثالا على نوعية معينة لها انتماءاتها ومصالحها ، وهو أمر يطرح تساؤلا حول كيفية وصول هؤلاء الى مثل هذا الموقع .

٢ ـ **واما عن الملاحظة الخاصة بالتفسير** ، فيمكن القول ان معظم التفسيرات تدور حول بعدين هما : البعد الطبقى والمصالح الطبقية ، وبعد وسائل الاعلام . على أن هذين البعدين لم يجتمعا فى كل التعليقات ، باستثناءات محدودة . ولذلك فمحاولة جمع هذه العوامل معا يمكن ان يعطى عمقا ووضوحا للتفسير . والامر الذى يجدر ذكره ان اكثر محاولات التفسير وضوحا ، هى محاولة التعليق الاول ، حيث حدد التفسير بالعوامل الداخلية الطبقية ، ورسم آفاق العلاج فى اعادة النظر فى التنمية الاجتماعية الاقتصادية فى مجتمعنا ، مع ضرورة اعادة النظر فى سياسة البحث العلمى الاجتماعى ، سواء على مستوى الجامعات ، أو على مستوى مراكز البحث العلمى ، وهى سياسة يجب أن تصاغ بما يخدم اهداف التنمية ووسائلها ، علميا وايديولوجيا .

واذا كان التعليق الراهن لا يزعم أنه قدم جديدا بشأن التفسير ، فانه حاول ان يجمع ابعاد التفسير

ويشخصها ، وهى أبعاد تنحصر بالضرورة فى تناقضات الواقع الاجتماعى ، وتزييف وعى الانسان المصرى ، وهذا ما يمكن توضيحه من خلال مايلى :

اولا : تناقضات التحول والتغيير :

من الامور المسلم بها ان التناقض أمر طبيعى فى الواقع ، يمكن ان يصاحب اى تغيير ، وهذا النوع من التناقض يمكن علاجه وحله .. اما التناقض الاخطر فهو التناقض المصنوع والمقصود والذى نتج فى مجتمعنا عما يلى :

١ ـ تذبذب الايديولوجية الرسمية وتأرجحها بين الاقتصاد الحر والموجه والاشتراكى والرأسمالى وما الى ذلك الامر الذى نتج عنه ازدواج وتناقض فى التحول ، وايضا تناقض فى الوعى .

٢ ـ عدم وضوح الايديولوجية فى بعض الفترات ، والتناقض بين المعلن منها والممارس ، وبين الاساليب المستخدمة فى العلاج والتى تراوحت بين الثورية والاصلاح والعشوائيه الامر الذى نتج عنه :

١ ـ اتاحة الفرصة لطبقات المستغلة لكى تغير من أسلوبها وتكتيكها فى الصراع ، ومواريه وسائلها ، وحسم الصراع فى اتجاه مصالحها الامر الذى نتج عنه تسللها الى القطاع العام ، لاستيعابها من جانب والتشكيك فيه من جانب آخر . وصوغ قوانين معينة او على اقل تقدير التأثير فى صدورها ، وتطبيقها ، بما يخدم مصالح هذه الطبقات ، بما فى ذلك بعض قوانين الزراعة والعمل وما الى ذلك . والسيطره على بعض الاجهزة الرسمية السياسية والاعلامية بقصد توجيهها بما يخدم مصالح هذه الطبقات .

٢ ـ فقدان الثقة من قبل جموع الشعب فى هذه الايديولوجية الامر الذى ساعد على دعم المصالح الفردية والوعى الخاص الجزئى ، بل ساعد فى بعض الاحيان على وجود مشاعر عدائية ضد هذه الايديولوجية ، والامثلة على ذلك موقف الكثيرين من قضية القطاع العام والتنظيم السياسى ، حيث يقف هؤلاء من هذه القضايا موقف الرفض .

٣ ـ انه ترتب على عشوائية القرار الايديولوجى وجود خلل فى التطبيق ساهم فى التشكيك فى الاشتراكية واتاح الفرصة لان تجنى الطبقات المستغلة ثمارها .

ثانيا : تزييف الوعى الاجتماعى المواطن ، والذى وان كان قد ترتب فى جانب منه على ماسبق الا انه يأخذ صورا كثيرة منها :

١ ـ الايعاذ للمواطنين بأن أسباب مشكلاتهم لا يمكن حلها لان الامكانيات غير متاحة .

٢ ـ تفسير المشكلات بأسباب اخرى غير أسبابها الحقيقية كأن يوحى لهم مثلا :

« أ » بأن هذه المشكلات امر طبيعى يجب أن يقبل .

« ب » او ان سبب هذه المشكلات يرجع اليهم نتيجة لاهمالهم وكسلهم وما الى ذلك . فكثير من المسئولين فى حقل الزراعة ارجعوا انخفاض انتاج محصول القطن الى اهمال الفلاح .

« ج » او أن اسباب المشكلات خارج عن ارادة المجتمع ، نتيجة لقوى خارجية .

٣ ـ الاهتمام بالتبرير لكثير من التصرفات والمواقف .

٤ ـ تدعيم بعض القيم السلبية ، والافكار المعادية للتحول الاشتراكى ، كما هو الحال فى بعض الجرائد اليومية .

٥ ـ اغفال المشكلات الاساسية والتركيز على المشكلات الجزئية والانية والوقتية . كما هو الحال فى الاهتمام بسير نجوم السينما والكرة ، واهمال قضايا أكثر حيوية واهمية بالنسبة للقطاعات العريضة

وأما عن الاجهزة التى تدعم هذا التزييف المقصود فمنها أولا وبالدرجة الاولى وسائل الاعلام التى تركز على القيم السلبية والفردية والانتهازية والكسب السريع غير المشروع ، والجنس ، واحلام اليقظة ، وعدم عرض الواقع وتحليله . فمعظم وسائل الاعلام ـ ان لم تكن جميعها ـ تركز على البطل الفرد وليس الجماعة البطل ، وتركز على الاستسهال **وليس على قيمة العمل المنتج** . ومن هذه الاجهزة أيضا بعض الاجهزة التعليمية التى ينتشر فيها التعليم الخاص ويسيطر حتى كادت قبضته أن تتم بانشاء الجامعة الاهلية . ومن هذه الاجهزة ايضا التنظيم السياسى وقيادته ونوعية هذه القيادة وانتماءاتها ومصالحها .

ثالثا : محنة الديمقراطية : التى عانى منها المجتمع المصرى فى العقدين الاخيرين ، والتى تمثلت بعض مظاهرها فى تركز السلطان ، وازدواج الادوار والامثلة على ذلك كثيرة منها الحجر على الراى بطرق كثيرة ، وتجمع السلطات فى يد اشخاص بعينهم . فبعض قيادات الاتحاد الاشتراكى مثلا لا تزال تقود بعض الاعمال التنفيذية الامر الذى يقلل من فرص النقد والرقابة لان المسئول فى كلا الموقعين شخص واحد . كما هو الحال فى أمانة الشباب ورئاسة المجلس الاعلى للشباب والرياضة الان .

□□□□□□□□

وايجازا للقول يعد واقع « عبد التواب » نتاجا للظروف الموضوعية الاقتصادية والاجتماعية والطبقية ـ ويعد وعيه نتاجا طبيعيا لواقع متناقض ، يسير فيه تزييف المواطن سيرا عمديا مقصودا . وعلاج كل هذا لا يتأتى الا من وقفة متأنية ، تعيد صوغ التنمية صوغا علميا وايديولوجيا منسقا يحدد على نحو قاطع التنمية لمن ؟ والتنمية كيف ؟ وهذا واجب على كل قطاعات المجتمع وقواه العاملة المتحالفة . ■

همـــــوم « عبد التـــواب »

أضـعف أشـكال القهــر الذى نعيشــة

انتصار المصرى *

اذا كان البعض يتصور ان هموم عبد التواب ستهز الضمائر المدفونهفهم بهذا واهمون. فالهموم التى طرحت ارى انها اخف وطأة من القهر الذى يعيش فيه الغالبية العظمى من ابناء مصر . ولهذا نرفض كلمة الهموم هذه لانها كلمة رقيقة ومهذبة، ولا تنطبق مع حقيقة ما طرحه عبد التواب من مشاكل . فهو صورة صادقة للقهر والانسحاق الذى يعيش فيه المواطن فى وطنه المستقل .

واذا كان عبدالتواب يمثل الشريحة الدنيالطبقة العاملة فهناك الشرائح الادنى منه . فعبد التواب يقرأ الجريدة اليومية ويشرب السجائر وينام فى حجرة واولاده فى اخرى .

اذن فهو عامل مرفه جدا اذا قيس بباقى الشرائح الادنى منه من تلك الطبقة والمتمثلة فى عمـال التراحيل وعمال الزراعة والذين يعملون فى الحرف الرديئة الموجودة فى مجتمعنا مثل ماسحى الاحذية ـ الباعة الجائلين ... وغيرهم واذا كانت تلك صورة انسان المدينة فى بالنا بانسان القرية المصرية المطحونة والتى حكم عليها ان تكون المعطاءة دائما ولا تاخذ شيئا حتى اولادها الحاصلين على شهادات تخطفهم المدينة .

وتعيش هى فى ظلام وحـرمان دائـم من ابسط مطالب الحياة الضرورية . فالخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية الموجودة بها شكل بلا مضمون .

وتلك قضية اخرى تحتاج الى وقت آخر للنقاش ، فالصورة قائمة فى القرية المصرية .وسأذكر جزءا من الصورة التى اراها فى مجال عملى . فالاطفال الصغار يحضرون الى المدرسة وهم حفاة الاقدام ولا يسترهم الا جلباب رخيص جدا يرتديه الطفل طوال العام . عدا الامراض المزمنـة والوجـوه الصفراء . فهل يستطيع هذا الطفل ان يستوعب دروسه .

هذا جزء من صورة مصر فى الربع الاخير من القرن العشرين وبعد اكثر من عشرين عاما على الثورة المصرية التى كان من اهم مبادئها اقامة العدالة الاجتماعية وتذويب الفوارق بين الطبقات

ومع تلك الحقيقة المرة الواضحة والتى يعرفها جميع المسئولين الكبار المتربعين على قمة الجهاز الشعبى والتنفيذى الا أنهم يكتفون بالتصريحات على صفحات الجرائد وعقد المؤتمرات والاحاديث التليفزيونية . وكأن تلك التصريحات ستحل مشاكل الكادحين . ارى انهم يستخفون بقولنا . رغم ان الواقع الذى نعيشه لا يحتاج الى كلام وتصريحات واجتماعات وغيرها من لجان واشكال على الورق فقط . اننا فى حاجة الى عمل ولن يتحقق هذا الامن خلال تخطيط شامل لكل مجالات الحياة فى مجتمعنا ولا يقتصر التخطيط على طبقة معينة أو فترة زمنية محدودة بل يجب ان نضع فى الاعتبار مستقبل مصر. مصر القاعدة العريضة من العمال والفلاحين وليست مصر الافندية والسادة الكبار. ان المشكلة التى نعيشها ويعيشها **عبد التواب هى : من نحن ؟** هل نحن مجتمع الميثاق وبرنامج العمل الوطنى ؟ ام مجتمع رأسمالى متخلف ؟

أو ماذا ؟

والى اى شكل اقتصادى ننتمى ؟ بهذا نستطيع

---

* مدرسة ابتدائى ـ محافظة الدقهلية

ان نحدد أنفسنا ولكن الظواهر تدل على اننا مجتمع الشواربى والمناطق الحرة ، مجتمع الاستيراد للملابس الجاهزة والاجهزة المكيفة للافندية . أما مشاكل **عبد التواب** وهمومه فليذهب بها الى الجحيم هو وأمثاله. أن عبد التواب هو ضحية هذا المجتمع مجتمع الرشوة والسرقة . المجتمع الذى لانعرف له لونا .

ان حكاية **عبد التواب** ليست لمجرد النشر ولكن هى جرس يجب ان ننتبه اليه جيدا . لان هناك من هم أشد معاناة وألما .

لان ما يعيشه **عبد التواب** يتنافى مع مبدأ العدالة الاجتماعية التى نادى بها الدين الاسلامى والاديان السماوية ولنا فى حياة الرسول **وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز** قدوة لرفض الدين الاسلامى للظلم الاجتماعى .

الاصـــــلاح الوظيـــــفى وأحـــــلام الطبقـــة الكادحـــة !

سـعد ماضى *

قرأت باعجاب شديد « هموم المواطن عبد التواب »، وتعليقات الاساتذة: السيد يس ، د .رفعت السعيد ، د .مراد وهبة ، عبد المنعم الغزالى حسين شعلان، فيليب جلاب ، خيرى عزيز .

واننى لا أختلف مع التعليقات ، ولكن انطلاقا من هذا « السبق الصحفى الجرىء » أطرح ما يأتى :

اولا : تحت عنوان « ولست ياعبد التواب افقر المصريين» كتب د .رفعت السعيد « واذا علمنا آن عدة ملايين من ابناء ريف مصر ومدنها يعانون من بطالة مقنعة تعنى عملا غير منتظم، ومن ثم دخول أقل حجما واقل انتظاما بحيث تصبح « الجنيهات العشر» المنتظمة أملا وحلما صعب المنال » .

فمن هؤلاء الملايين، يعمل جزء لا بأس به من ناحيه التعداد فى شركات الحليج -ومنهم شركتنا شقيقه شركة الدلتا التى يعمل بها عبد التواب ، ويعانون من عدم تطبيق القانون حتى ولو كان القانون صريحا ! - وعلى سبيل المثال - بالنسبة لشركتنا لم يصرف لهم غلاء المعيشة حتى كتابة هذه السطور، طبقا لمنشور وزارة المالية رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٥ . المتضمن « احقيه العاملين المعينين على غير فئة وظيفية لاعانة غلاء المعيشة، علمابان العاملين الموسميين، والمؤقتين ، واليوميه يستحقون اعانة غلاء المعيشة المقررة بقرار السيد - رئيس الجمهورية رقم ٣١٠ لسنة ١٩٧٥ .

وعلى الرغم من أن الشركه العربية لحليج الاقطان -الشقيقة الثالثة « للوادى - الدلتا » قامت بالصرف- فعلا- فى النصف الاخير من العام الماضى ، الا آن شركتنا لم تقم بالصرف حتى الان! . ولى سؤال فى هذا الصدد : **هل هذا فى** صالح الانتاج ؟.. أم العكس ؟

ملحوظة : هؤلاء العمال فى أثناء تعيينهم - فى كل مرة - مطلوب منهم مسوغات التعيين الاتية: صحيفة جنائية بـ ٤٥ قرش صورة بطاقة عائلية كانت أم شخصية بـ ٢٠ قرش. مستخرج رسمى « للميلاد » اذا لم تكن موجودة بـ ٥٠ قرش . شهادة صحية بـ ١٠٠ قرش . طلب للعمل ١٢٫٥ قرشا تمغة للعقد ١٢٫٥ قرشا . المجموع : ٢٤٠ قرشا . هذه هى الرسوم المطلوبة، ولست مبالغا فيها .

ثانيا: سألت «**الطليعة**» عبد التواب : هل استفدت من الاصلاح الوظيفى؟

- «**عبد التواب**»: الاصلاح الوظيفى للاسف لم يفدنى باى شىء ، ولم ينفذ عندنا حتى الان ولكن اللى الاصلاح افاده أعلم به .

كنا نعرف بأن الاصلاح الوظيفى لم يطبق حتى الان فى معظم المصالح ، والشركات على صغار العاملين. ولكن كبار الموظفين طبق عليهم فور صدوره -أى المركزية - وبالنسبة لشركتنا ، نما الى علمنا بأنهم بعد الانتهاء منه اكتشفوا بعض الاخطاء فى التطبيق ، ومازال البحث جاريا

* عضو اللجنة النقابية لمحالج شركة الوادى بدمنهور .

على ـ الصواب ـ كما نما الى علمنا ايضا : أنه يوجد ثلاثة من ابطال المركزية ــ تشاجروا على الفئة الاولى . ومن بين هؤلاء ابطال مغوار انتخبته الطبقة الكادحة ـ للاسف ـ لكى يمثلها فى مجلس الادارة، ويطالب بحقها ـ المشروع ـ وهى مازالت تعانى من الحرمان ، وعدم تطبيق الاصلاح الوظيفى عليها . بل الاكثر من ذلك ـ حرمت من الامل فيه ، واعتبرته حلما لن يتحقق ـ « ويتشاجر الكبار ويقع فيها الصغار » .

واذا كنا نعرف أن معظم أعضاء مجلس الادارة المنتخبين ، لا يمثلون العمال تمثيلا حقيقيا، فاين مجلس الشعب من الاصلاح الوظيفى؟

قرأت فى الايام الاولى، من هذا العام أن السيد ـ أحمد دياب عضو مجلس الشعب قدم مشروعى قانون بتعديل أحكام تصحيح أوضاع العاملين . المشروع الاول اطلاق الترقيات لعمال الخدمات المعاونة حتى الفئة الخامسة ، والمشروع الثانى يقضى بعدم تجميد المرتبات للعاملين الذين لم يستفيدوا من قانون تصحيح أوضاع العاملين ، وهم قدامى العاملين .

وقد تضمنت المادة الاولى من المشروع المقترح جعل الفئة الخامسة أعلى فئة وظيفية لهم مع تعديل المدد الواردة بالجدول السادس لكى تصبح : ١٢ سنة للفئة التاسعة بدلا من ١٤ ، ١٩ سنة للفئة الثامنة بدلا من ٢٤ سنة ، ٢٥ سنة للفئة السابعة بدلا من ٣٢ سنة ، ٢٩ سنة للفئة السادسة بدلا من ٣٤ سنة للفئة الخامسة بدلا من ٠ وتعليقنا على هذا أن مثل هذا التعديل لا يفيد.

وبناء عليه ، فان عمال وزارة الزراعة لم يطبق عليهم الاصلاح الوظيفى ، وعمال الاصلاح الزراعى أيضا ، وعمال التليفونات كذلك .. كل هؤلاء العمال وغيرهم لم يستفيدوا من الاصلاح الوظيفى!

بقى أن نسأل : الاصلاح الوظيفى لمن ؟٠ اين الذين يتحدثون ليل نهار عن« تحالف قوى الشعب العامل » فى«منابرهم » الجديدة ؟!٠ ماذا فعلوا لنا فى مجلس الشعب لكى نمنحهم ثقتنا فى المنابر ؟■

همـــوم « عبد التـواب » هى همـــوم مصر

جهاد أحمد أبو العطا *

لعلها المرة الاولى التى أكتب فيها الى « طليعتنا الواعدية » فلقد فكرت مرات أن أكتب لكم بعد فتحكم بباب « الرأى .. والرأى الاخر » وايضا بعد انتهاء الحوار مع توفيق الحكيم . ولكن قضية او «هموم المواطن عبد التواب » كما نقلتها الطليعة أثارت فى نفسى أسئلة عديدة عن الحكومة ، مجلس الشعب ، التنظيم السياسى ، والقضاء أيضا٠ فلقد لمس هذا المواطن البسيط العظيم مشاكل مصر فى حواره التلقائى مع الطليعة ، أيضا أثارنى تعليق الاخوة السادة : السيد يس د . رفعت السعيد ، عبد المنعم الغزالى ، د . مراد وهبة ، وحسين شعلان فكتبت لكم معبرا عن رأيى فى « حالة المواطن عبد التواب » .

أبدأ من قرب نهاية الحديث ، حيث استلفت نظرى مدى تمسك عبد التواب بالقطاع العام ورفضه لاستبدال عمله بعمل فى القطاع الخاص لانه يرى وبتعبيره البسيط «بالنسبة للقطاع العام هـو بيحفظ كيان العامل وما حدش بيقدر يطرده » .. « أنا مستعد اشتغل بأقل علشان انا لو توفيت أسيب مستقبل لاولادى » . أيضا هو يرى أن « القطاع العام يتاح له الفرصة أن يكون فيه كل حاجة مطلوبة للانسان ». ان قول عبد التواب هذا فى القطاع العام يقف بحسم واصرار ضد من يريدون وأده للرجوع للعهد السعيد ، عهد سيطرة جبابر الراسماليين الذين لا يتورعون عن «حرق أموالهم » ماداموا لا يؤذون الناس ! كما عبر أحد الدعاة المرتدين منذ وقت صحيح أن فى القطاع العام الكثير من السلبيات . والنواقص ولكن هذه العيوب لابد وأن تتواجد فى فترات التحول الاقتصادى ، أيضا الاختناقات فى توزيع السلع الاستهلاكية والتى لمسها عبد التواب فى حديثه عن الجمعيات التعاونية٠. صحيح أنه لا يستفيد من الجمعيات التعاونية ولكنه يرى أنها الى جانب البقال التموينى تمنع الاستغلال ومع تسرب الطفيليين لاداراتها فأعملوا المحسوبية فى علاقاتهم

* كلية الطب ــ جامعة القاهرة

بالمستهلكين لدرجة لم تمكن عبد التواب من الانتفاع بمزية الجمعية التعاونية .

نقطة أيضا : استلفتت نظرى فى كلام عبد التواب هى : تعليم ولده الاكبر .. «مصاريف الولد . انا مش قادر بالنسبة للعبء اللى انا فيه .. الخ .»

وهنا ، يثير عبد التواب قضية مجانية التعليم : فمع الاصوات التى سادت ومازالت بالتعليم الخاص » بمصروفات حتى المراحل العليا نجد أن مصروفات التعليم عبء على أسرة عبد التواب ! . ومفهوم ان المطلوب من الدولة.. مجانية حقيقية لابناء طبقة عبد التواب الذين يعيشون على الكفاف أو يكادون .

أيضا ، فى قضية المواصلات ، عندما طلب منه ان يلخص مشاكل العمال ، ضرب مثلا حيا لما حدث فى اليوم السابق للحديث : « الحالة بسيطة .. امبارح المواصلات اتعطلت الصبحية. وفى موضع آخر : « بأركب مواصلات بأربعة جنيه ونصف شهريا » .

وهو فى هذين الموضعين، يعبر بصدق وبساطة عن متاعب المواطن- اى مواطن .. فبرغم أن المواطن ملتزم بمواعيد وبواجبه فى دفع ثمن ركوبه للمواصلات . فهو لا يجد من الدولة حلا لتناقص المركبات او لخبطة مواعيدها الدرجة التى تجعل عاملا يعمل لمدة ١٠ ساعات يوميا ويقضى اربع ساعات اخرى للوصول لعمله ، الامر الذى لا يتيح له الالتحاق بعمل اضافى الا لوضحى بوقت النوم أيضا « كما حدث قبل العملية الجراحية الم يفكر المسئولون فى اهمية عامل المواصلات لافراد الشعب ولسير العمل وللاقتصاد القومى؟ لماذا لا يتم ربط المساكن الشعبية للعمال بطريقة حازمة بتجمعات المصانع والمجمعات العمالية سؤال طرقه عبد التواب ببساطة وبالحاح ايضا .

فى سؤال للطليعة . عن انواع الخضار التى يأكلها عبد التواب .. أثر هذا المواطن **مشكلة ارتفاع أسعار الخضار** بطريقة فشل معها أن يثبت لزوجته انه موفر ومقتصد. يذكرنى حديثه هذا بموضوع كانت الطليعة قد نشرته منذ مدة طويلة لعلها سنين عن مملكة سوق الخضار وكيف يتم رفع سعر الطماطم مثلا من قرشين الى عشرين قرشا مع عدم استفادة المنبع الاصلى الفلاح من هذه الزيادة التى تذهب الى جيوب او بالاصح بطون ملوك سوق الخضار وتباعيهم ومن يجرى فى ذيولهم وكيف ان الطليعة الحت لضرورة تدخل الدولة أكثر فى هذه التجارة التى أثرى من ورائها الكثيرون .. ولكن كمعظم الصيحات التى تصدر من بين الجماهير ..

صدرت ولم يهتم احد بها واستمر ارتفاع الاسعار كما يحلو لجلادى الخضار والذين يطلق عليهم تادبا تجار الجملة !

نقطة رابعة أثارت مشاعر الاسى فى نفسى الى حد كبير، فعندما سألته الطليعة عن الفاكهه التى ياكلها روى لهم كيف أنه يخدع ابناءه الذين يسألونه يوميا عن هده المادة التى يرونها معروضة فى الاسواق ولا يتذوقونها. حتى أن طفله الصغير اكتشف ان والده يخدعه « بكلمة حاضر او بالاصح يكذب عليه .. فاشار اليه أن لا يقول له حاضر . ترى هل لنا أن نسأل عن موقف هذا الاب المسكين الذى يسمع مثل هذه العبارة التى تكشفه أمام ابنائه .

عن التأمين ضد الحاجة والعجز والشيخوخة.. ان عبد التواب يعلن انه قبل العملية التى لم تعترف الدولة بها. وحملته تكاليفها بصفة شهرية كان يعمل ولكن الان لا يستطيع هنا نسأل أين دور الدولة ، ولا أقول أين دور النقابة لانها كما أشار عبد التواب ولدت « عرجاء ليس لها مميزات أو.. اللهم الا جمع الاشتراكات اول كل شهر .

وعن رأيه فى أمور سياسية عامة ، عن : امريكا فهو يراها فى السمن والجبن والدقيق وهو ايضا له راى لا يسر فى الوحدة العربية لان «الاعراب أشد كفرا ونفاقا» يعنى آنا يا مصرى باضيع ابنى وباضيع اموالى وباضيع كل اللى انا عملته ..

أيضا يرى أن أمريكا صديقة تماما كما يرى أن الاتحاد السوفيتى ـ كما تقول الجرايد ـ سبب النكسة وسبب وقف اطلاق النار بسبب عدم مده لنا بالاسلحة وهده قضية هامة جدا تندرج تحت عنوان **امانه الصحافة.** وان بعض القائمين على أجهزة الاعلام فى مصر وخصوصا من عادوا اليها محملين بأطنان من الضغائن والحقد والكراهية لمن وقفوا ضد خيانتهم وضد أساليبهم المعوجة فى تقييم الامور . هؤلاء يتولون الان مهمة تكريه العرب فى العرب او بث روح الكراهية بين العرب وبعضهم . وبعد ذلك فليقتل العرب بعضهم .. ولتصفق اسرائيل السؤال الان : هل من المصلحة الاستراتيجية أو حتى التكتيكية اظهار تناقضات جوهرية بين العرب وفلسطين بوجه خاص وبين العرب « مصر » بوجه خاص ؟ ان اجابة هذا السؤال قد يتبعها سؤال : من السبب فى نكبة فلسطين؟! أليسوا هم تحالف الرجعية الرأسمالية التى تاجرت بابناء العرب سنة ١٩٤٨ والامبريالية العالمية بزعامة امريكا وبريطانيا ـ والقادة الفاسدون للعرب فى ذلك الوقت الذين كانوا يجلسون فوق أجهزة الاعلام

□□□□□□□□

ينفخون فيهم ويبثون فيهم روح الكرامة والشجاعة والعظمة والغيرة على الوطن!! أين كان هؤلاء عندما كان شعب مصر يعيش أعظم سنوات صراعه داخليا وخارجيا ضد الامبريالية العالمية والصهيونية؟! أين كان دعاة الاستسلام والهزيمة سؤال يلح على. أثاره فى نفسى حديث عبد التواب وخصوصا عندما يكتشف أن: «..يبقى موقفى أنا كمصرى وكعربى واجب على أن لا أتنازل عن المعركة، طالما الشعب الفلسطينى ما أخدش حقه لغاية الان حتى ولو كان فلسطين وسوريا لم يتعاونوا معنا فواجب علينا كعرب لازم نفضل معاهم لاخر لحظة».

ثم تأتى اهم نقطة فى «هموم عبد التواب» وهو نظرته للحكومه فهى من المفروض ان تكون كما يعبر « هى المتصرفة حتى الرسول «ص» بيقول كلكم راع وكل مسئول عن رعيته » .. ولكنه لا يثق تماما فى الجهود المبذولة فى مكافحة الغلاء والضرب على ايدى تجار أقوات الشعب عندما يقول ردا على سؤال هل تؤيد ان الحكومة تتحكم فى التجارة وتقضى على التجار الجشعين والسوق السوداء؟ مش ممكن لان الحكومة لو بتنفذ كان كل اللى بيمسكوه بيبيع أزيد من التسعيرة يعطونه جزاؤه مضبوط .. كان ممكن انما الواحد منهم لو وصل أى جهة ومعاه قرش بيطلع منها وكأنه لم يفعل شىء » بل أن نقطة الثقة بين الفرد وحكومته تعتمد أول ما تعتمد على قدرة الاقناع التى تحاولها الحكومة فى مخاطبتها للفرد وقوة التصديق عند الافراد والتى تقابل قوة اقناع الحكومة

وعندما تعجز قوة الاقناع عدم التنفيذ وانعدام الحزم وخصوصا فيما يختص بأقوات الشعب تقل قدرة التصديق لدى الافراد، وهذا ما حدث بالضبط لملايين عبد التواب فى مصر .. ومن ظواهرها البسيطة .. قضايا التهريب الكبرى

غبور وشركاه قضايا المخدرات الكبرى مهرب يعرض رشوة مليون جنيه على الضابط الذى قبض عليه متلبسا ثم يخرج بعد ذلك بأسبوع بكفالة ١٠٠ جنيه - تجار الشوارب واغراق الاسواق بالسلع الكمالية - دعم المواد التموينية والذى يذهب معظمه لبطون المحتكرين - ما يثار فى مجلس الشعب الان عن تضاعف اعداد المليونيرات فى مصر مائة مرة منذ سنة ١٩٥٢، وحتى الان بينما تتعثر خطط التنمية التى من المفروض انها لصالح رفع مستوى معيشة ملايين عبد التواب وليس لزيادة عدد المليونيرات فى مصر !

والخلاصة لقد برزت فى متاعب عبد التواب عدة قضايا هامة وشديدة الالحاح الخصها فى نقاط :

● تثبيت الاسعار ثم الاسراع بتخفيضها.
● حل مشكلة المواصلات من ناحيتى الوقت والاجر. المقابل المادى أكثر من ٤٠ فى المائة من مرتب عبد التواب
● ربط الاسكان الشعبى العمالى بالتجمعات الصناعية والعمالية.
● دور وسائل الاعلام وامانة الصحافة.
● الحد الادنى للاجور
● التامين الصحى على العاملين وأسرهم.
● مراقبة الحكومة للتجارة والاشراف المباشر على نواحى فيها تمس حياة الجماهير « الخضار مثلا اللحوم وبدائلها ».
● مزيد من الثقة بين الفرد وحكومته.
● مجانية تعليم حقيقية.

حقا ان هموم عبد التواب هى هموم مصر.. صحيح أن معظمها ننتج بطريقة أو بأخرى عن حالة الحرب التى تعيشها مصر بوحى من عروبتها منذ ٢٨ سنة ولكن يساهم فيها بطريقة مباشرة أفواه القطط السمان التى تبتلع بشراهه ونهم ارزاق وحقوق ملايين عبد التواب ».

الأخ «عبد التواب» المصرى حالة تستحق الدراسة

محمد نصر يسن *

أسجل لمجلة الطليعة هذا السبق الصحفى الملتزم البعيد عن الاثارة ودغدغة حواس الجماهير [ليلة القدر] التى ستهبط عليهم وعن السعد والغنى المنتظر « بس شوية صبر يا جماعة وحتبقى الاشيا معدن ».

والموضوع المطروح الان ليس هو البدء على الحالة التى وصل اليها هذا المواطن بل محاولة ايجاد الحلول الجذرية لها، والحالة تتلخص فى الاتى :

١ - تخريب فى افكاره وثقافته.

* الادارة العامة للرى - قنا

٢ ــ تخريب اجتماعى فى منزله وطبقته .
٣ ــ اهــــدار لطـــاقته الانتـــــاجية .
٤ ــ حالة اللامبالاه التى وصل اليها هو وبعض زملائه فى الشركة .

اى باختصار أصاب الاخ **عبد التواب المصرى** [وهو هنا يمثل شريحة كبيرة من القوى العمالية حالة من الاغتراب الاجتماعى] يتمثل فــى عــدم الاهتمام بمصالحه وعدم وصول المسئولين عنه ــ نقابة ــ اتحاد اشتراكى الى مواقع عمله ، وحالة من الاغتراب النفسى نتيجة عدم الرعاية الاجتماعية ادت الى انغلاقه على نفسه وعدم تجاوبه مع زملائه لايجاد صيغةيمكنهم بها النهوضبمستوى الخدمات التى تؤديها النقابة أو المفروض ان تؤديها لهم واكتفائه بالانسحاب منها .

ولنتناول كل نقطة على حدة :

١ ــ من الحــوار الذى جرى مــع عبد التــواب المصرى والخاص بموضوع اطلاعاته وثقافته يتضح لنا ضعف ثقافته [اقصد الثقافة التى تنير للانسان طريقه نحو التقدم والثقافة التى تجيب على الاسئلة الملحة للانسان اجابات علمية واضحة بعيدة عن الحلول الغيبية والتواكلية ، هو لم يقرأ سوى كتابين وعمره ٣٤ سنة وقراءتهاليومية هيجريدة الاخبار ، وهى جريدةفى غنى عنالتعريف للخطالذى تنتهجه.

٢ ــ ولا شك ان انعدام الثقافة الاشتراكية لدى الاخ عبد التواب كان لها اثرها على حياته مما أدى الى : فمن خلال استقراء حديثه يتردد فى تحديد اين تكمن مصلحته هل هو مع القطاع العام ام مع القطاع الخاص ويكاد يكون الفارق بينهما لديه بسيطا ، وفى حالة شرائه للمقـــررات التموينيــة لا يدرى ان كان البقال ينفعه او يضره .

وفى حالة مرض ابنــه بالزائده الدودية وهى حالهمرضية بسيطهلا يجد تفسيرا لتخريبالمستشفى من حيث ان ليس بها زجاجوان الخدمة بها فىغايه السوء ..

ولم يفطن ان الدكتور الذى سيجرى لابنه العملية فى المستشفى هو ، هو الذى كان سيجرى العملية لابنه فى العيادة ، والفارق المبلغ الذى سيدفعه وهو ليس قادرا عليه . ولم يحتج **الاخ عبد التواب** بل سكت على ذلك واكتفى بأن انسحب هو وابنه من المستشفى كما سبق ان انسحب من النقابة .

وهناك ناقوس خطر آخر .

واننى اسأل الاخ عبد التواب انه لم يقرأ فــى جريدته المفضلة عن ثمن تذكرة للدخول الى احدى الكباريهات لقضاء ليلة رأس السنة أظن ان اقلّ تذكرة هى لكبر من صافى مرتبه طوال شهر كامل مع مراعاة ان من يملك ثمن قضاء ليلة رأس السنة فى احد الملاهى او الكباريهات لابد وان يكون عنده على الاقل خدم وحشم وهم بلا شك احسن حالا من الاخ عبد التواب .

٣ ــ اهدار لطاقته الانتاجية ..

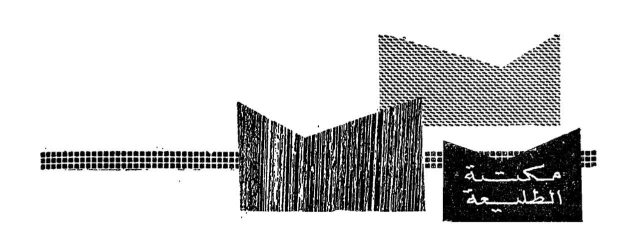
ويتضح ذلك من حواره ــ **الطليعة :** عندما كنت تعملفىالقهوةقسملنا يوم عملك .. **عبد التواب** ــ انا اشتغلت فى قهوة فى السيدة زينب كنت بروح الشغل الصبح فى الشركة وبالليل من الساعة ٨ لغاية ٦ر٣٠ صباحا ... الخ ما جاء فى حواره مع الطليعة .

وهنا يثور سؤال لابد منه كيف يمكن انتشال الاخ عبد التواب هو ورفاقه من حالته هذه [السلبية] الى حالة من [الايجابية] والتفاعل والتاثير والتأثر.

وهنا ايضا يبرز دور المثقفين الثوريين وضرورة ايجاد او خلق حالة من التخصيب السياسى لابد منها بينهم وبين العمال والفــلاحين ، مــع توفير خلفية سياسية تقدمية يستوجب بالضرورة ايجـاد صحف خاصة بالعمال والفلاحين تتبنى قضاياهم ومشاكلهم ووجود خط فكرى واضح مع تثقيف اشتراكى مستمر .

ومع ضرورة اجراء مراجعة دقيقة جدا لتعريف العامل والفلاح « محاولة رتق الثغرات فى هذين التعريفين والتى تسلل منها على اكتاف العمال والفلاحين كثيرا من الادعياء ورجال كل المواقف والظروف .

مع ضرورة خلق المناخ السياسى السليم لدور النقابات العماليه وافساح المجال لامانه العمال فى الاتحاد الاشتراكىالعربى لاداء دورها السياسى على الوجه الامثل . مع ضرورة ايجاد شىء من التنسيق بين رؤساء الاتحـادات النقـابية وامين العمالفىالامانة العامةللاتحاد الاشتراكى واعضاء مجلس الشعب من العمال الحقيقيين [ان وجدوا] لايجاد شكل عمل موحد يهدف الى مناقشة مشاكل العمال واوضاعهم الحقيقية ومحاولة النهــوض والانتشال من الحياة الصعبة وحل مشاكل العمال وتغيير واقعهم هذا الى واقــع جــديد مع تقــريب الفوارق فى الاجور واعادة توزيع الخدمات من سكن الخ وملاحظة انه لا سلام اجتماعى وحال عبد التواب هكذا .



شيوعيون وناصريون

تأليف : فتحي عبد الفتاح
عرض وتقديم : د. رفعت السعيد
الناشر : روز اليوسف
القاهرة ١٩٧٥
الثمن : ٥٠ قرشا

بعيدا عن المهاترات واستغلال الجراح القديمة او اصطناعها يقدم لنا **فتحى عبد الفتاح** ليس فقط نموذجا جديدا فى الكتابة السياسية وانما ايضا ـ وهذا هو الاهم ـ نموذجا فريدا فى الموقف السياسى .

ذلك النموذج الفريد ليس مجرد درس فى الموقف الذى يتعين على السياسى ان يتخذه ، وهو يسمو بموقفه « الموضوعى » و « العام » فوق ما هو « ذاتى » و « خاص » . وهو يتعالى فوق مشاعره الخاصة ويفرض عليها ان تنهج معه نهجا موضوعيا من الصديق الذى تتحدد ملامح صداقته على اساس من منهج موضوعى ايضا .

ذلك النموذج ليس مجرد درس لكنه ـ ايضا ـ لطمة لهؤلاء المتاجرين بجراح مصطنعة ، والمدعين لبطولات زائفة يحاولون ان يستخدموها اليوم

سبيلا لشنق الحقيقة ذاتها ولتزييف تاريخ فترة بأكملها .

فالناصرية ليست مجرد سجون وارهاب وتعذيب ، الناصرية ليست شواذا ولا انسانيين من أمثال اسماعيل همت وحسن منير وحسن المصيلحى ، لكنها وبرغم ادراكنا ان هذا هو احد جوانبها ، تضم جوانب أخرى ايجابية استطاعت أن تحقق لمصر طفرة فى اتجاه طموحها نحو مجتمع أفضل .

والناصرية التى يقدمها لنا **فتحى عبد الفتاح** فى كتابه ذو الصياغات الرقيقة التى نقطر دما ، لكنها تقطره فى رقة بالغة وفى حساسية سياسية مرهفة ، الناصرية التى يقدمها لنا هى صورة شاملة لتقدم فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لكنه وبنفس الرقة يحدد - وفى الاطار العام للصورة الشاملة - ملامح الخطأ فى انتهاك انسانية الخصوم السياسيين .

والكتاب فوق انه وثيقة سياسية هامة ، الا انه يندرج ايضا بأسلوبه المتميز فى اطار الأعمال الادبية ..

وبرغم تقديرنا لجهد المؤلف وموضوعيته فاننا نحذر من ان يتخذ الكتاب معيارا وحيدا للانتهاكات التى ارتكبت ضد الشيوعيين فلم تكن المأساة التى صورها **فتحى عبد الفتاح** سوى لفحات هينة من تيار عنيف بالغ القسوة عاشه نزلاء سجن أبو زعبل الرهيب ..

كذلك فاننا نحذر من بعض التقييمات السياسية التى ساقها المؤلف - من جانب واحد - وخاصة فيما يتعلق بمواقف المنظمات المختلفة والتى أخطأ المؤلف عندما نسب الى احداها بأنها عقدت مؤتمرا فى سجن الواحات قرر حل المنظمة . وهو أمر يعرف الجميع انه غير صحيح ..

وبرغم هذه الملاحظات فان الكتاب يبقى جهدا قيما ، يستحق التقدير ، ويبقى وثيقة ادانة ليس فقط لهؤلاء الذين كانوا حيوانات شرسة ضد الخصوم السياسيين للنظام او مجرد مخالب لها . وانما أيضا وثيقة ادانة لهؤلاء المهاترين والمتاجرين بجراح الماضى والتى لم يصبهم منها الا ما هو اخف من وخز الابر .. ■



الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦

يقدم الاستاذ **عادل حسن غنيم** فى هذا الكتاب دراسة أكاديمية جاده تشتمل على رؤية متكاملة للحياة السياسية والحركة الوطنية فى فلسطين خلال الفترة من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦ ، متضمنة دراسة تحليلية للاحزاب السياسية والجمعيات الاسلامية والمسيحية واللجان التنفيذية العربية والمؤتمرات السياسية وايضا دراسة الثورات والانتفاضات التى نشبت فى تلك الفترة .

والكتاب جهد جاد يستحق التقدير .

المؤلف : عادل حسن غنيم

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثمن : ١١٠ قرشا .

التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث (١٨٨٢ - ١٩٢٢)

فى معالجة جادة لموضوع التحديث فى الفكر السياسى والاجتماعى فى مصر ، ومن خلال تحليل علمى دقيق وموضوعى لافكار العديد من المفكرين الاشتراكيين والتقدميين والعلمانيين الذين يمكن اعتبارهم وبحق منارات ملهمة فى الفكر المصرى .. يقدم لنا **الدكتور على الدين هلال** المدرس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية كتابه الجديد ..

ومع الدراسة المتعة يقدم لنا مجموعة نادرة من كتابات بعض هؤلاء المفكرين لعلها خير دليل على نضجهم وعلى تقدميتهم .

المؤلف : د . على الدين هلال

الناشر : معهد البحوث والدراسات العربية .

الثمن : لم يذكر .



فبـــرأير
١٩٧٦

■ جمهورية مصر العربية

مســتقبل الاقتصـــاد المصـــرى بـــين ثــــلاث اتجــــــاهات

لم يكن هناك خلاف بين اغلب اعضاء مجلس الشعب الذين اشتركوا فى مناقشة مشروع الخطة والموازنة المالية لعام ١٩٧٦ – على ان المشروع المقدم من الحكومة قد استعرض بقدر كبير من الصراحة والمكاشفة – الصعوبات القائمة فى عجز التمويل ، وعجز ميزان المدفوعات القائم والصعوبات والتعقيدات التى تعترض الاقتصاد المصرى فى الفترة الراهنة ٠

وعلى ضوء عناصر المشروع المقدم من الحكومة والتقرير المقدم من لجنة الخطة والموازنة المقدم للمجلس ،لم تكن مفاجأة لاعضاء مجلس الشعب ان يعلن وزير التخطيط امام المجلس :

« ان الادخار المحلى يكاد يصل الى درجه الصفر ، وان الارقام الواردة عن التمويل الخارجى الكبير لا مثيل لهـا تقريبا الا فى قليل من البلاد ، وان عجزا كبيرا قدره ١٨٠٠ مليون جنيه بالنسبة لدخل يبلغ اربعة آلاف مليون جنيه او يزيد قليلا لا اسميه عجزا ، وانما اسميه انهيارا لميزان المدفوعات » ٠

لقد سيطرت هذه الظلال الثقيلة على اجواء المناقشة وفرضت الى جانب المحاولة الجادة التى بذلتها رئاسة الجلسات ، ان تحدد اطار النقاش فى القضايا العامة ، وان تترك التفاصيل والمشكلات الجانبية وذات الطابع المحلى الى مكانها الطبيعى فى المجالس الشعبية ، وبذلك هبط عدد المشتركين فى المناقشة الى اكثر قليلا من نصف الذين كانوا يعتلون المنصة فى السنوات السابقة ٠

وفى مواجهة المشروع المقدم والبيانات التى قدمها الوزراء، تبلورت ثلاثة اتجاهات اساسية :

الاتجاه الاول : اتجاه متكامل يرمى الى تأكيد مركزية التخطيط ، وزيادة دعم القطاع العام ، باعتباره يقود خطط التنمية والاعتماد اساسا فى التنمية على تعبئة الموارد الداخلية ٠٠ ومن هذا المنطلق يطالب بالابقاء على الدعم السلعى وزيادة الضرائب على شرائح الدخول العالية وتعقب الدخول الطفيلية ، والتصدى للتهريب والعمولات ، ووسائل الاثراء الغير مشروع ، ووضع قيود على الاستهلاك الترفى٠

الاتجاه الثانى : ويقف فى الناحية الاخرى ويدعو الى تحرير الاقتصاد تحريرا كاملا ، والسير به نحو الاقتصاد الحر – وذلك بمنح فرص واسعة امام الاستثمارات الخاصة وتحديد مجالات نشاط القطاع العام ، ويدعو الى تحويل السوق الموازية الى سـوق للكامبيير ، وتخفيف الضرائب على الشرائح العليا تشجيعا للاستثمار والغاء الدعم السلعى كله او اغلبه (حتى رغيف العيش قيل انه يستخدم غذاء للطيور والماشية) ٠

الاتجاه الثالث : اتجاه وسط بين الاتجاهين السابقين – فهو يدعو لافساح المجال للقطاع العام ، دون اهمال دور القطاع الخاص بل ودعم هذا الدور ، واعادة النظر فى سياسة دعم السلع الغذائية فى ضوء دراسة متانية ،والموازنة بين السلع وبعضها حتى لا يتسرب الدعم الى غير مستحقيه ، واعادة النظر فى الضرائب على اساس العدالة الاجتماعية مع التركيز على عدم اخلال السياسة الضريبية بالتشجيع على الاستثمار ٠

بالنسبة للاتجاه الاول : يمكن لنا القول ان كلمات الدكتور محمود القاضى ومحمد عبد السلام الزيات واحمد مجاهد واحمد طه وقبارى عبد الله قد تكاملت مع بعضها وحددت فى مجموعها اطار نظرة شاملة للموقف الاقتصادى واسلوب علاجه على النحو التالى :

١ – التخطيط الملزم ضرورة ملحة من اجل حسن توجيه الموارد المحدودة وتحقيق اكثر عائد منها – وعدم الزامية الخطة يجعل رقابتها مستحيلة بالنسبة للشــعب وتسـود الارتجالية فى المشروعات والوحدات الانتاجيه ٠

٢ – ان الخطه لم توضح على الاطلاق الوسائل والادوات التى تحقق الاهداف المرجوة منها مما يعيد للاذهان ماسمى بخطة العبور ١٩٧٤ – ١٩٧٥ ٠٠ وما صحبها من دعاية هائلة وما صور من انها ستمهد الطريق الى اقتصاد ثابت ومتين ، ولم تتمخض فى النهاية عن شىء يذكر اللهمّ الا مزيد مـن التضخـم ، والمزيد من الديون المتمثلة فى الحصول على قروض طويلة الاجل ، لسداد قروض قصيرة الاجل ، وانتهى الامر بهذه الخطة الى تعثر كامل بعد شهور قليلة من بدايتها وطويت صفحاتها وانتهى الحديث عنها ٠

وعلى ذلك وبسبب الظروف المعقدة التى نواجهها فانه من الصعب ان نضع خطة هذا العام – وانه كان يكفى بعض التوجيهات والمؤشرات على ان نعود فى بداية عام ١٩٧٧ وتكون الامور قد وضحت الى الخطة الشاملة والى التخطيط الملزم الذى يتناسب مع ظروف مصر واحتياجاتها ٠

٣ – ان اخطر ما اظهره مشروع الخطة – هو امتنـــاع الرأسمالية المحلية المتمثلة فى القطاع الخاص عن الاسهام فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية على الرغم من التسهيلات الكبيرة التى اعطتها الحكومة لهذا القطاع لكى يقوم بدوره فى خطط التنمية ٠

■ ج ٠ ع ٠ م
مستقبل الاقتصاد المصـــرى بين ثـــلاث اتجاهات

■ الصحراء الغربية
المصـــفحات ٠ ٠ هـــل تغنى عن بطاقة الاستفتاء ؟

■ اسرائيل
هل يســتجيب رابين لاعتبـــارات الواقع ؟

■ انجولا
انتصارات وانهيارات وقلـــق امريـــكى على الشرق الاوسط

اقد بلغ نصيب القطاع الخاص فى استثمارات الخطة التى يبلغ مجملها ١٣٥٠ مليون جنيه هو ١٢٠ مليون من الجنيهات فقط ، اى حوالى ٩ ٪ منها ٧٢ مليون ستوجه للاسكان ، اى ان حوالى ٦٠ ٪ من استثمارات القطاع الخاص موجهة الى الاسكان فى حين ان الظواهر تدل على تراكم رؤوس الاموال لدى البعض وزيادتها بارقام فلكية لدى البعض الاخر ٠

طبقا لاحصاء الجهاز المركزى للاسعار عن توزيع الدخل القومى ، نجد ٥ ٪ من جملة السكان يحصلون على ٢٣ ٪ من الدخل القومى ٠٠ واصبح الحديث عن الخمسمائة او ستمائة مليونير مصرى امرا عاديا ٠

وفى ظل الاختناق الذى يعانيه الاقتصاد المصرى نجد الرأسمالية المحلية مشغولة بتكديس الثروات والاثراء الفاحش من عمليات المضاربة على اسعار العقارات والاراضى وتقسيمات اراضى البناء وعمليات الاستيراد والتصدير والتهريب والاتجار فى السوق السوداء فى العلف والكسب ومواد التموين والاتجار فى اقوات الشعب ومستلزمات الانتاج ٠ وهذه العمليات تضر براس المال الشريف وتضغط على نشاط الحرفيين وصغار التجار ٠ وعلى كل نشاط مشروع يجرى فى هذا الوطن ، وتزيد من اسباب التضخم ، وارتفاع الاسعار التى تطحن الجماهير العريضة ٠

ولم توضح الحكومة فى بيانها كيف تمنع ما يسمى بالعمولات والتسيب والانحراف الذى قدرته بعض الصحف بمبلغ الفى مليون جنيه خلال العشر سنوات الاخيرة ٠ ٠

وطالب الدكتور محمود القاضى باعلان اسماء المكاتب التى تقوم بعمليات التوريدات او الاستيراد او التصدير والتى يديرها او يشترك فى ادارتها او يعمل فيها بعض الشباب من ابناء او اصهار بعض القيادات التنفيذية والسياسية ، وقيادات القطاع العام ، وتوضيح حجم عملياتها منذ ١٩٦٧ حتى الان ٠

٤ ـ معارضة اتجاه الخطة لاعتبار ان العجز الموجود لدينا ـ لا يمكن علاجه بالوسائل التقليدية اى بزيادة المدخرات ـ وانه لابد لعلاج هذا العجز من الحصول على التمويل غير المكلف من الاخوة العرب ـ فمع اهمية تحمل الاشقاء العرب لنصيبهم من تكاليف المعركة وبصورة فعالة وعادلة ، لكن لا يمكن ان نترك الشعب فى وهم ان الحل سياتى من الخارج ـ فالحل ينبع من الداخل اولا وقبل كل شىء ـ والتنمية لابد وان تبدا من داخل مصر اولا عن طريق حتمية مشاركة راس المال المصرى فى اعباء التنمية الوطنية ، وان الاستثمارات والقروض وغيرها اضافة ، وليست الاصل ٠٠ وذلك تفاديا ان تخضع الخطة للاولويات التى يتطلبها تمويل خارجى يصل الى ٧٠ ٪ من اجمالى الاستثمارات ٠

٥ ـ لم تستثمر الحكومة القروض المقدمة لنا من دول الاتفاقيات ، وهى قروض لا تقدم نقدا ، وانما تقدم فى صورة آلات ومستلزمات انتاج لاقامة المشروعات وتشييد المصانع ، وهى قروض لا تستخدم فى تجارة الشنطة او استيراد السلع الاستهلاكية ٠

٦ ـ تعتمد الخطة فى تنفيذها او تنفيذ استثماراتها على الموارد الخارجية اصلا واساسا ، حيث لا يصل حجم الادخار المحلى الى اكثر من ١٤ ٪ من اجمالى الاستثمارات ٠٠ وهذه مخاطرة غير مضمونة النتائج ٠

فسياسة الانفتاح لم تحقق حتى الان نتائج ملموسة ٠ فحتى اخر اغسطس ٧٥ وافقت هيئة الاستثمار على ٢٤٤ مشروعا بلغ راسمالها الاجمالى ٣١٦ مليون جنيه منها ١٨٠ مليون بالعملات الاجنبية ـ ولم يتجاوز عدد المشروعات الاستثمارية التى بدا انتاجها فعلا ١٧ مشروعا راسمالها الاجمالى ثلاثة ملايين جنيه منها مليونان بالعملة الصعبة ، وهناك وعود بمبالغ ومشروعات اقرت ولم يبدا التنفيذ بعد وتعادل قيمتها ٩٠ مليون جنيه ٠

واعلن وزير المالية فى بيانه امام المجلس ، انه بسبب اضطراب النظام النقدى العالمى ، فان قدرة دول الغرب على تقديم رؤوس الاموال الى الدول النامية حتى مع توافر النية الصادقة فى ذلك اصبحت محدودة الى درجة كبيرة ٠

٧ ـ لابد وان يتم استخدام الراسمال العربى والاجنبى فى ضوء تكافوء الفرص ، بين القطاع العام وهذه المشروعات الاستثمارية الجديدة ولا يجوز باى حال ان نعطى كل المميزات للمشروعات التى تقام براس المال العربى او الاجنبى تحت شعار الانفتاح الاقتصادى ، ثم نترك القطاع العام مقيدا بقيود الروتين يواجه هذه المشروعات ٠

٨ ـ الضرورة الملحة لرفع السعر الحدى للضريبة بحيث تستطيع ان تستوعب هذه الزيادة الفاحشة فى بعض الدخول وتؤدى لزيادة الادخار المحلى ـ وهى سياسة لا يمكن ان تتعارض مع الانفتاح بل هى تخدمه وتشيع الاستقرار فى الحياة الاجتماعية ٠

وطبقا لاخر بيان لوزير المالية فان عدد الممولين الملزمين بتقديم الاقرار الضريبى عن ١٩٧٣ كانوا ٧٨٩٨٠٣ ـ لم يقدم منهم اقراره الضريبى سوى ٢٤٣٠٠٨ اى ٣٠ ٪ فقط من الممولين ٠ ولم يتقدم احد باقرار يتضمن انه يحصل على اكثر من خمسة آلاف من الجنيهات او حوالى هذا المبلغ ٠

٩ ـ معارضة الاتجاه الذى بدا فى مشروع الخطة من ضرورة اعادة النظر فى الدعم الذى يقدم لبعض السلع

بحجة ان هذا الدعم لا يصل الى جماهير الشعب والمطالبة بابقاء هذا الدعم وتفريزه مع احكام الرقابه ووسائلها لكى يصل الدعم للشعب فعلا .

١٠ ـ المطالبة بدعم السوق الموازية ووضع الضوابط لضمان استيراد السلع الضرورية ، والغاء سياسة الاستيراد بدون تحويل عملة المعمول به حاليا ـ والتى كشفت عن عمليات تهريب رسمى ، وامتصاص لمدخرات المصريين فى الخارج ، دون اية فائدة للاقتصاد المصرى وهى السياسة المسئولة الى حد كبير عن العجز الذى تم فى ميزان المدفوعات .

١١ ـ وقف التمويل بالعجز عن طريق الاصدار النقدى ـ حيث تجاوزت الحكومة حق اصدار اذون على الخزانة بأكثر من ثلاثمائة مليون جنيه وهو سبب اساسى فى التضخم والغلاء وارتفاع الاسعار بنسبة ٢٣ ٪ فى المدة من منتصف عام ٧٣ حتى منتصف عام ١٩٧٤ ـ وهى زيادة تعادل الزيادة التى تحققت فى الاسعار خلال السنوات السبع السابقة منذ ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ .

وعلى الجانب الاخر من الخطة كان تبلور الاتجاه الثانى الذى كان الاستاذ **مصطفى كامل مراد** ابرز واوضح المعبرين عنه ، ويشكل جزئى السادة **عبد الرؤوف شبانة ومحمود ابو وافية واحمد يونس** . واهم النقاط فى كلامهم :

١ ـ اعطت الحكومة فكرة سليمة عن العجز فى ميزان المدفوعات والالتزامات الواجب سدادها ولكن لم تضع سياسة اقتصادية متكاملة ولم تحدد كيفية تدبير هذه المبالغ .

٢ ـ يجب ان يوزع المبلغ المطلوب للخطة على الدول العربية حسب فوائض البترول ـ ولابد من تحرك حكومى للحصول على ٥٠ سنتا عن كل برميل .. فالقضية الفلسطينية عزيزة علينا ولكنها قضية عربية وليست مصرية ـ ان فلسطين وطن عربى وليست جزءا من مصر ويجب ان يتحمل العرب نصيبهم فى المعركة بعد ان فقدت الاسرة المصرية المكونة من خمسة اشخاص خلال السنوات الماضية الفين من الجنيهات من دخلها المقدر بثلاثة آلاف جنيه اى دفعت ثلثى دخلها للمعركة .

٣ ـ عملية الانفتاح الاقتصادى لم تؤد الى تدفق الاستثمارات والموارد الاجنبية فى شكل نقد او فى شكل آلات او خامات ، ولم ترد الا كمية صغيرة من الموارد ، ولكى يكون هناك انفتاح حقيقى او تتحول مصر الى سوق لراس المال ، لابد من الاجراءات التالية :

أ ـ تحريك سوق الاوراق المالية بحيث ترتبط بسوق الاوراق المالية فى العالم ، ويجب ان توجه المشروعات والشركات لعرض اسهمها وسنداتها فى سوق الاوراق المالية .

والاجنبى لن يأتى بأمواله الا فى حالة واحدة عندما يستطيع وهو فى بلده ، ان يبيع هذا المال او يشترى بالتليستار ، عندما يشعر انه يستطيع ان يسهم فى شركة وان اسهمها موجودة فى بورصة الاوراق المالية التى تدخل فى شبكة التلستار وتتصل ببورصات العالم .

ب ـ اصدار قانون النقد الاجنبى الذى يعتبر حجر الزاوية فى الانفتاح الاقتصادى ، ولن يتحقق الانفتاح بدون صدوره .

جـ ـ اشتراط الا يعاد تصدير راس المال الا بعد خمس سنوات ، اجراء بيروقراطى لا علاقة له بأصول المال والاقتصاد .

د ـ يجب ان تكون استمارات المستثمر العربى بسعر السوق الموازية ، حتى لا يكون هناك سعرين واحد فى السياحة وواحد فى المعاملات التجارية التقليدية وسداد الديون .

هـ ـ اسلوب الادارة لا يمكن ان يساعد على تحقيق الانفتاح ، فالبنك الدولى رغم تعطفه معنا ، ورغبته فى انشاء فرع له فى مصر وبرئاسة مصرى ليقرض القطاع الخاص ، الا ان انشاء هذا الفرع قد تعثر ولم يتم .

٤ ـ الاستيراد بدون تحويل عملة معناه الحصول على مدخرات المصريين بالخارج ، وشراء بضاعة بها وادخالها الى مصر على ان يكون الدفع لهم بالجنيه المصرى على اساس السعر الحر العالمى اى بمبلغ ٧٠ او ٧٥ قرشا للدولار ، وليس بسعر ٦٠ قرشا .

وهذا لا يمنع من الابقاء على السوق الموازية التى لا يمكن ان تكون سوقا بوضعها الراهن ـ لان اسعارها غير حقيقية وثابتة .

٥ ـ ضرورة ان تكف الحكومة عن الدعم الذى تقدمه لبعض السلع ، وان تزيد المرتبات والاجور لان هذا الدعم يضيع فى غير موضعه .

٦ ـ ان كل ما يقال عن تثبيت الاسعار هو كلام للاستهلاك المحلى ، وهو مرفوض ـ لان الاسعار فى تصاعد ، وان كنا نحاول ان نجعل التصاعد فى الاسعار فى اطار المعدل المعقول حتى لا يصل الارتفاع الى نسبة ٣٠ ٪ ، وليكن ٧ او ٨ ٪ حتى يقبله الناس .

٧ ـ اسلوب الحكومة فى الادارة واسلوب القطاع العام فى الاستثمار ، لايمكن ان يمتص الاموال ويجيد تشغيلها لانتاج سلع وخدمات لسوق بطريقة اقتصادية .

وعلى الحكومة ان تقصر استثماراتها المحدودة على المشروعات الضخمة كمشروعات الصلب والالومنيوم والموانى والمطارات والسكك الحديدية والصرف والرى ، اما المشروعات الصغيرة فيمكن للحكومة ان تسهم فيها بجزء ، وتلقى بعبء الجزء الاكبر على القطاع العائلى ومدخراته .

٨ ـ الغاء المؤسسات ـ فقد انتهى بيروقراطيه المؤسسات ، وخلق بيروقراطية الوزراء ، ويجب تحويل المجالس العليا الى شركات قابضة ترفع يد الوزراء عن القطاعات .

٩ ـ نحن فى حاجة الى الف شركة للقطاع الخاص وقد تم انشاء ستة عشر شركة فى قطاع القطن ، وسيبدأ طرح اسهمها فى السوق .

١٠ ترك مرفق النقل للقطاع الخاص لادارته بنفسه ، او بالاشتراك مع القطاع العام .

١١ ـ الحد من التزايد الرهيب فى اعداد الطلاب وخصوصا فى الكليات العملية الذى ادى الى تدهور مستوى الخريجين تدهورا كبيرا .

١٢ ـ اعادة النظر فى نظام الضرائب مع تحمل القادرين عبء ضريبى اكبر بشرط الا يؤدى هذا العبء الى العزوف عن الانتاج . ورفض ان تكون الشريحة العليا ٩٥ ٪ والوقوف بالحد الاعلى للضريبة عند ٩٠ ٪ .

وبين هذين الاتجاهين الاساسيين برز **اتجاه ثالث** ـ عبر عنه باستفاضة الدكتور **جمال العطيفى** وكيل المجلس وتميزت كلمته بالمناقشة الهادئة والموضوعية للاراء المطروحة ، وللمشكلات الملحة التى يواجهها الاقتصاد الى جانب تحذيره المستمر من الاخطار المحدقة بالسلام الاجتماعى بسبب الاتجاهات الساعية لالغاء الدعم وتخفيض الضرائب عن الدخول الكبيرة ـ وعدم مراعاة مشاعر الغالبية الساحقة من المواطنين محدودى الدخل باتخاذ قرارات تراعى فقط مصالح قلة من المواطنين القادرين . وجاء فى كلمته :

١ ـ يجب أن توجه الصيغة التى توصل الى ضمان الزامية الخطة مع المحافظة على مرونتها وذلك بوضع ضابط مهم واحد هو عدم الاخلال بالاولويات التى قررها مجلس الشعب فى اعتماد الخطة ٠

٢ ـ التمويل بالعجز سوف يستمر ولكن علينا ان نبدا بوقف هذا النزيف فى الاقتصاد القومى ، وان نحاول الحد منه ـ وعلينا ان نحول هذا التمويل بالعجز لكى يصبح تنمية بالعجز ثم تصبح هذه التنمية تنمية حقيقية من موارد حقيقية فى مرحلة لاحقة ٠

٣ ـ لابد من وضع حد قاطع للتمويل بالعجز فى الحدود القائمة ولا نعطى تفويضا للحكومة بتجاوزها ، ولا يجوز للحكومة ان تتجاوز هذه الحدود الا فيما يتناسب مع زيادة الانتاج ، والا ادى الامر الى وقوع كارثة ٠

٤ ـ لقد ضمنت الدولة لرأس المال الخاص عدم المصادرة او التاميم وعدم اخضاعه للحراسة ، وكانت الحجة التى تساق عندئذ ان الضرائب هى التى ستتكفل بوضع حد للنمو الراسمالى ، والان ترتفع الاصوات غير مكتفية بذلك بل تطالب مزيدا من الاعفاءات بينما ينوء محدودى الدخل من وطاة ارتفاع تكاليف المعيشة ٠

اذا كنا نريد السلام الاجتماعى حقا ـ فان هذا السلام ليس معناه ان يتوجه اهتمامنا مثلا الى التخفيف من الضرائب على شرائح الدخول العليا ، بينما لا يقابل ذلك رفع للحد الادنى للاعفاءات المقررة للدخول الصغيرة ـ والا فماذا بقى من هدف تقليل الفوارق بين الطبقات ؟ ٠

٥ ـ دعم رغيف العيش قضية سياسية ، وليست اقتصادية ومسألة لا تحتمل المناقشة ٠

والدولة لابد وان تكفل لكل مواطن الحد الادنى المقبول من المعيشة ، وهنا يكمن الخطر على السلام الاجتماعى عندما يختل التوازن ـ كيف نتوقع ان تحتفظ بالسيارة التى تركبها وبالمسكن الانيق ، والسيجار ، بينما الملايين لا يستطيعون مواجهة الحد الادنى للمعيشة ٠

٦ ـ ان التعمير فى منطقة القناة كان من بين الاسباب التى ادت الى ارتفاع الاسعار نتيجة ارتفاع اجور الحرفيين ، وزيادة التكلفة لان ذلك تم مرة واحدة ولكن يحسن الا تتم اقامة المشروعات خلال سنوات ، الا ان يتم التركيز على منطقة واحدة ويجب ان يكون هناك نمو متوازن فى المجتمع كله ٠

٧ ـ الظروف الصعبة التى نمر بها ، وفى الوقت الذى تعانى فيه الجماهير التى لا تستطيع ان تملك تليفزيون ملون او غير ملون وفى الوقت الذى يطالب فيه رئيس لجنة التعليم ببناء مدرسة واحدة جديدة ، يصبح اعتماد مليونين من الجنيهات لادخال التليفزيون الملون امر غير جائز ، ويجب ان يوجه مثل هذا المبلغ لانشاء ابنية للمدارس التى يتكدس فيها الصغار ٠

٨ ـ بالنسبة للسوق الموازية والاستيراد بدون تحويل عملة ، القضية هى السلع التى نستوردها ، فيجب ان يكون الاستيراد لمستلزمات الانتاج ، بما يفيد التنمية ، وليس للسلع الكمالية والترفية ٠

ويجب ان تكون الافضلية للسوق الموازية مع منحها مزايا نظام الاستيراد ، بدون تحويل عملة حيث يمكن التحكم فى هذه السوق والاشراف عليها ٠

وفى نهاية المناقشات اعلن الاستاذ احمد فؤاد رئيس لجنة الخطة والموازنة تقريرا تكميليا تضمن النقاط التالية :

١ ـ مسألة التفويضات التى تمنح للحكومة ـ تم الاتفاق مع الحكومة على الاكتفاء بالتفويض الممنوح لرئيس الجمهورية فى التصديق على الاتفاقات الخاصة بالتسليح والاعتمادات اللازمة للقوات المسلحة ٠

٢ ـ حظر النقل من باب الى باب من ابواب الموازنة العامة دون اذن من المجلس ٠

٣ ـ حذف المادة التى تجيز للحكومة الاقتراض من المنظمات الدولية مثل البنك الدولى للانشاءات والتعمير ، ومن وكالة التنمية الدولية التابعة للبنك فى حدود مبلغ ٣٠٠ مليون دولار وذلك بسعر الفائدة التى يتفق عليها ٠

٤ ـ رفعت الحكومة سعر الفائدة بشكل عام ١ ٪

٥ ـ بالنسبة لدعم بعض السلع يتعين عدم المساس برغيف العيش ولو من باب الدراسة ، مع دراسة بقية السلع المدعوة بما يضمن وصولها الى اصحاب المصلحة وليس الى جيوب بعض التجار ٠

٦ ـ وضع قيد على التمويل بالعجز ، بحيث يتم فى حدود معينة لا تتجاوز ما تم اتخاذه خلال عام ١٩٧٥ ٠

٧ ـ طلبت الحكومة اتاحة الفرصة امامها لدراسة السوق الموازية والاستيراد بدون تحويل عملة «والبورصة» «والكامبيو» حتى يمكن الوصول بعد الدراسة الى قرارات سليمة ٠

٨ ـ وعدت الحكومة بان تتقدم فى القريب العاجل بمشروع قانون يحل محل القوانين التى صدرت منذ عام ١٩٣٩ بشأن الضرائب ■

« عـــم ياســين »



فى العمل حبان : حب الاتقان له وحب الزملاء وتقديرهم ٠

بهما عاش زميلنا ياسين محمد محمد ، عاملا صغيرا ظل ينمو مع تطور « مطبعة الاهرام » حتى اصبح احد رؤسائها .. احب عمله واخلص له ودرب على يديه عشرات من عمال الطباعة المهرة الشبان من العاملين فى مؤسسة الاهرام فأحبه زملاؤه عمال ومحررون ، وانتخبوه ممثلالهم فى مجلس ادارة « مؤسسة الاهرام » . بالحب زاملوه وبالتقدير والوفاء شيعوا « عم ياسين » فى الشهر الماضى « يناير » ٠

واذ تنعى الطليعة « عم ياسين » ، فانها تحيى فى زملائنا من عمال « مؤسسة الاهرام» كل قيمة عمل شاركوه فى غرسها ٠

الطليعـــة

■ الصحراء الغربية

المصـــفحات ..
هـل تغنى عن بطـاقات الاســتفتاء ؟

الحجم والكم والضخامة اعتبارات تحتل مكان الصدارة فى العقل العربى . تلك حقيقةادركتها القوى التى لاتريد التسليم بحق الشعب الصحراوى فى تقرير مصير وطنه وارضه « الصحراء الغربية » . فألحت على القول بأن سكان الصحراء عشرات متناثرة لايزيدون فى مجموعهم عن ٦٠ الف نسمة مع التساهل . وكان لهذا صداه عند البعض فهزوا اكتافهم قائلين هل لستين الف أن يكونوا دولة . بل ان الرئيس بورقيبة كان من بين القائلين بأهمية العدد .

وحول هذه المقولة أكد حداد محمد وحمدى محمود من لجنة العلاقات الخارجية بالجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب « **البوليزاريو** » فى حوارهما مع الطليعة ، خلال زيارتهما لها فى الشهر الماضى ، عدة حقائق :

■ ان هذا الادعاء لا يختلف كثيرا عما زعمته أسبانيا من قبل — والاستعمار عموما — عندما ادعوا أنهم يحتلون أرضا خالية لا اصحاب لها ، وليس فيها سكان ، مما يجعلها ملكية مباحة بمجرد وضع اليد عليها .

■ انه حتى فى حدود هذا الزعم الكاذب — وهو بالفعل كذلك — فان بلدنا كثيرا استحقت الاستقلال بمثل هذا العدد من السكان او دونه . واعترف بها المجتمع الدولى ودخلت منظماته ، ولها صوت مثلها مثل الصين الشعبية ، من تلك البلدان . فيجى وسان تومى وسيشل [عددها ٩٠ ستستقل فى يونيو القادم] وقطر وغينيا بيساو وجامبيا والكويت وبناما وابو ظبى وسنغافورة ، الخ .

■ ان الاعتراف بالمبادىء وتطبيقها لا يتوقف على حجم « الحالة » التى ستطبق عليها المبادىء . بل على توافر شروط «تمايزها كحالة ذات كيان قائم بذاته » . والشعب الصحراوى برهن على قدرته على التصدى بقوة السلاح للاستعمار الاسبانى — ومن ورائه حلف الاطلنطى — منذ ١٩٧٣ بصفة خاصة ، علما بأنه لم يكف يوما واحدا عن المقاومة . والزمه الانسحاب ، ومن ثم فله كل الحق فى تقرير مصيره خاصة وان له خواصه العريقة واللغوية والحضارية والاقتصادية التى تجعل منه كيانا قائما بذاته متمايزا عمن حوله ، وبصفة خاصة عن المغاربة ، فهؤلاء أقرب للجزائريين والتونسيين ، وهو اقرب لسكان المشرق العربى خاصة الجزيرة العربية .

■ وواقع الامر ان عدد سكان الصحراء نحو ٧٥٠ الف يزيد عليهم نحو ٢٥٠ الف يعيشون فى الجزائر والمغرب وموريتانيا .وعملية تزييف الاحصائيات بدأت فى الخمسينات مع الاسبان . وصحب ذلك خطة لاجلاء السكان من أراضيهم وحملتهم على الهجرة للدول المجاورة خاصة بعد الانتفاضة الكبرى فى ١٩٥٨ والتى « أوشكت على طرد الاستعمار نهائيا » .(*)

كذلك استغل المناوئون لحق الشعب الصحراوى فى تقرير مصيره قلة المعلومات لدى الرأى العام عن المنطقة وفى هذا تقدم صحيفة [الصحراء الحرة] التى تصدرها « البوليزاريو » تحت شعار « أرضنا لنا لا قواعد فيها . ثرواتنا لنا لا اقتسام فيها » ، بعض معلومات للتوضيح ، منها :

● ان هذه المنطقة من الوطن العربى تقع بين خطى ٢٦ و ٣٢ على ساحل الاطلسى بامتداد يزيد عن ١٥٠٠ كم ، يحدها شمالا المغرب والجزائر من الشمال الشرقى وموريتانيا من الجنوب والجنوب الشرقى ومن الغرب المحيط الاطلسى .

● وهى منطقة استراتيجية تتحكم فى جزر كاناريا — المستعمرة الاسبانية (وقد بدأ فيها ، كما يقول حداد ، نضال تحررى له روابطه بالبوليزاريو) ومنها يمكن مقاومة حركات الشعوب فى غرب وشمال افريقيا .

وجزر كاناريا بها أنظمة أمريكية معقدة للاتصالات اللاسلكية والتجسس والرادار واطلاق الصواريخ والغواصات ، وهى ترتبط بالقاعدة الامريكية فى روتا فى اسبانيا عن طريق قاعدة القنيطرة فى المغرب والتى يوجد بها فنيون امريكيون ومعدات امريكية رغم تكذيب المغرب .

● الثروات : اكتشف الفوسفات فى ١٩٥٨ ، ويبلغ الانتاج السنوى ١٠ ملايين طن . ومنجم بوكر وحده يحوى ١٧٠٠ مليون وتمتد المناجم على مساحة ١٢٠٠ كم .

وتشترك فى الاستغلال شركة كروب الالمانية وبنك روتشيلد الفرنسى ومؤسسة ابنى الايطالية وشركة روكفلر الامريكية . كذلك توجد كميات كبيرة من خام الحديد واليورانيوم والغاز الطبيعى والثروات البحرية الهائلة .

● يتكون المجتمع فى الساقية الحمراء ووادى الذهب من تركيبات قبلية كانت تعيش فى آمن وسلام فيما بينها (نشأت طبقة عاملة وليدة فى مناجم الفوسفات ليس لها حق اقامة النقابات) .ولم تكن القوافل والجيوش التى تأتى من دكار وتندوف وكرطن ومراكش تستطيع المرور من هذه المنطقة الا اذا كانت مسالمة لوحدة القبائل ورفضهم لاى تدخل مهما كان .

والواقع ان القبائل اساسا عربية استقرت فى المنطقة من أيام الفتح الاسلامى ، لان مناخها شبيها بما خلفته وراءها فى الجزيرة العربية . وامتزجت بالقبائل البربرية الموجودة فى المنطقة . ونشأ ما يعرف بعنصر « **البيضان** » وهو شبه بسكان موريتانيا ، ويتحدث اللغة « **الحسانية** ». وهى أساس العربية مع مزيج من البربرية وجزء من المفردات الزنجية والاسبانية . وهم شديدو التمسك باسلامهم وبعروبتهم .

يقول « **الهادى بشير** » وهو ايضا من القسم الخارجى للبوليزاريو :

« نحن عرب ، ايماننا راسخ بالقومية العربية ، وبوحدة المغرب العربي ، على اساس من الاختيار الحر الديمقراطي، وليس الضم والاخضاع والقضاء على الشخصية المستقلة لاى دولة من دوله .

وحول موضوع الوحدة تضيف مذكرة البوليزاريو للدورة الثلاثين للامم المتحدة :

« طبعا نحن واعون بان مصلحة البلدان الصغيرة [وحتى الاخرى] تقتضى خلق كيانات اكبر . نحن واعون بالمصلحة العليا للامة العربية بان تتوحد . ولافريقيا بان تعالج محاولات بلقنتها بخلق تجمعات جهوية ان لم تكن وحدتها القارية .

نحن ننادى بكل امانينا بتحقيق المغرب العربى نحو وحدة اشمل فى القريب العاجل ، ونود ان نساهم فى هذه الوحدة كاى أحد آخر .

ولكن هل تملك المجموعة الدولية حق فرض طرق ووسائل هذه الوحدة ؟ ولم تجاه شعب واحد دون غيره ؟ انه مجال سيادة يمارس فيه كل شعب حقه فى الاختيار وفى القرار، ان الطريق الوحيد للوصول لهذا الهدف هو التشاور بين الشعوب .

الشعب الصحراوى سيسهل بدوره هذه الوحدة الضرورية ما أمكنه ذلك . ولكن انتظارا لذلك يريد ان يؤكد حقه فى الوجود فى ممارسة حقوق ضحى بالكثير من اجل انتزاعها، انه مصمم على بناء دولة على أسس ديمقراطية مستقاة من التقاليد العربية والافريقية » .

أما عن تاريخ المنطقة ونضالها فيضيف حداد محمد قوله انه :

ومنذ ان رست الاساطيل الاستعمارية على الشاطىء الصحراوى فى ١٨٨٤ ، لم يحاول الاسبان التوغل فى الداخل واكتفوا باقامة مراكز تجارية على الساحل وحاميات لتأمين مستعمراتهم فى جزر كناريا [تبعد ١١٠ كم] وغيرها وتأمين طرق مواصلاتهم . ولم يحاولوا اخضاع القبائل ، بل دخلوا معها فى مبادلات سلمية . ومع ذلك لم يستكن أهل الصحراء ورفضوا الوجود الاسبانى على الدوام، حتى فى المناطق الواقعة على الشواطىء ، بل وشاركوا فى تكوين قوى النضال المسلح فى البلاد المجاورة : فى موريتانيا والجزائر بل والمغرب .

وقد كونت القبائل مجلسا اعلى يسمى « آيت اربعين » للفصل والنظر فى كل القضايا والخلافات ، وقد تولى المجلس دوما الدفاع عن كرامة الشعب وحقوق الاقليات .

● ● ●

اتخذت المقاومة طابعا سلميا فى الاساس حتى ١٩٦٧ ، حيث اعتمدت على تعبئة الجماهير وتكوين خلايا تحت قيادة حركة تحرير الصحراء . وفى ١٩٧٠ قامت انتفاضة العيون يوم ١٧ يونيو ، لدحر محاولة جعل الصحراء ولاية اسبانية . ورد المستعمر بالرصاص حيث سقط عشرات الضحايا ، واعتقل المئات وتعرضوا لتعذيب وحشى . وقتل بعضهم ، ولم يعرف شىء حتى الان عن كثيرين خاصة بطل النضال للاستقلال « محمد بصير » . وادانت الامم المتحدة هذه المجزرة . وادرك سكان الصحراء ان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد امامهم . وزاد العنف الاسبانى من اصرار قوى التحرر . وفى ١٠ مايو ١٩٧٣ تشكلت الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب تتويجا لنضال شعب الصحراء . وبعد ١٠ ايام [٢٠ مايو] قامت بأول عمل عسكرى ضد معسكر اسبانى [الخانقة] ، وسميت الثورة « بثورة ٢٠ مايو » . وتوالت العمليات العسكرية ، ورد المستعمر بالانتقام من المدنيين العزل . فزاد من عزلته، والتفت الجماهير حول الجبهة ، واملها فى الخلاص من عسف المحتل . وادى ذلك بدوره لزيادة العمل ضد الاسبان ومن ثم زيادة خسائرهم ، الامر الذى اثر على الرأى العام الاسبانى نفسه .

وتلاحم العمل السياسى فى مظاهرات شعبية مستمرة رغم القمع والاعتقال ، مع العمل العسكرى . فقد دعمت الجبهة منذ البدء جناحيها العسكرى والسياسى . وتركزت العمليات العسكرية على المناطق الحساسة مثل مناطق الفوسفات [تم نسف ١٠٠ كم من الخط الناقل للفوسفات ، واشتركت فيها المنظمات الجماهيرية والطلابية والنسائية .

ويقول حداد : أدركت اسبانيا أن القوة لا تجدى ، فلجأت للمناورة واقامت حزبا سياسيا عميلا ، المضحك انها اسمته « الحزب التقدمى الثورى الصحراوى » . ونسيت كلمات اخرى مثل « الاشتراكى والطليعى » ، يضم اساسا عددا من الطلاب واشباه الكتاب ويطالب بالاستقلال الداخلى . لكن « القاعدة الجماهيرية » رفضت هذا المخطط ورفضت اعتماد هذا الحزب . فأقامت اسبانيا حزبا جديدا هو « الاتحاد الوطنى الصحراوى » لتحقيق نفس الاهداف ، وأصر الشعب على الاستقلال الكامل واعرب بثلاث مظاهرات صاخبة عن عدم اعترافه بهذا الحزب اثناء زيارة لجنة تقصى الحقائق فى مايو ١٩٧٥ للمنطقة، والتى أكدت ان « البوليزاريو » هى الممثل الوحيد لشعب الصحراء . وعلى نفس المنوال شكل المغرب ما اسماه « حركة الرجال الزرق لتحرير الصحراء » ، برئاسة رجل الشرطة « بشير فيلك » ، وكلمة « الرجال الزرق » تتضمن تحقيرا للون سكان الصحراء وعنصرية واضحة . وهذا ليس غريبا على المملكة المغربية — فكما تقول مذكرة البوليزاريو للامم المتحدة — فان السلطان محمد بن عبد الله — من جدود الملك الحسن — أكد فى معاهدة مع ملك اسبانيا فى ١٧٦٧ ان الصحراويين « مجموعات متوحشة ومفترسة » . واعترف بان « سيادته لا تمتد » الى مناطقهم .

ومع ان اسبانيا اكدت فى آخر ١٩٧٤ ، عزمها على تنظيم استفتاء لتقرير المصير فى النصف الاول من ١٩٧٥ ، الا انها عقدت صفقة فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٥ [اتفاقية مدريد] مع المغرب وموريتانيا لتسليمهما الصحراء مقابل استمرار اشراكها — هى وشركائها الامبرياليين — فى استغلال ثرواتها . وعقدت اتفاقية مدريد ، وتقضى بالجلاء قبل فبراير ١٩٧٦ ، واقامة ادارة ثنائية . وتعاونت قواتها فى ادخال القوات المغربية رغم المقاومة الضارية لسكان الصحراء ، بل واشتركت معهم فى البطش بهم ووفرت فرنسا السلاح اللازم للمغرب فى هذا التوسع .

وقد نصت الاتفاقية الثلاثية على تنظيم استشارة لشعب الصحراء عن طريق الجماعة [برلمان الصحراء] والذى كانت اسبانيا قد شكلته ابان سيطرتها . لكن اعضاء الجماعة قرروا فى وثيقة نشرت فى ٦ ديسمبر ١٩٧٥ ، حل الجماعة لافساد محاولة استغلالها فى اضفاء طابع شرعى على ما تم ، ووقع على هذه الوثيقة ٦٧ عضوا من الجماعة ، منهم ٣،

اعضاء في الكورتس [البرلمان الاسباني] واكثر من ٦٠ من شيوخ القبائل وصادق عليها الاعضاء الباقين الذين لم يستطيعوا الوصول لمناطق المحررة .

وتقرر تكوين مجلس وطني صحراوي مؤقت لقيادة النضال ضم ٤١ عضوا ، اعلن ان السلطة الشرعية هي « البوليزاريو » المعترف بها من الامم المتحدة كممثل وحيد وشرعي للشعب الصحراوي طبقا لتقرير لجنة تقصي الحقائق. وجاء في البيان الذي اصدره اعضاء الجماعه عند حلها انهم يجددون مساندتهم غير المشروطة « للبوليزاريو » ويؤكدون مواصلة الكفاح حتى الاستقلال الكامل مع المحافظة على وحدة التراب الصحراوي . وتكمن اهمية تكوين المجلس الوطني في :

- انه تتويج للوحدة الوطنية بانضمام كل القوى ، واهمها الجماعة ، للبوليزاريو .
- انه تجسيد لممارسة الشعب الصحراوي لسلطته الوطنية على ارضه الوطنية ، وتصميم الشعب على تنظيم شئونه كدولة ذات سيادة داخليا وخارجيا وبالفعل فقد توالت بعثات الجبهة للدول الاجنبية ، وفي رسالتها لقادة دول الوحدة الافريقية ، تؤكد استرجاع السيادة القومية في شكلها العسكري [جيش التحرير الشعبي والمليشيا الشعبية] والمدني [السلطات السياسية والادارية وغيرها من المصالح الحيوية بالرغم من ان المستعمر ينسحب دون ان يترك شيئا وبالرغم من الحصار الذي يحاول فرضه بعض من المجاورين التوسعيين فرضه علينا » .

وقد اكدت « **لومانتيه** » في ٤ ديسمبر ١٩٧٥ في تحقيق بعنوان « اذا كان الصحراويون يريدون ان يكونوا رعايا الحسن الثاني فلماذا جاءت المصفحات الى سمارا » .« ان البوليزاريو برهنت في الميدان على انها ناجحة في تسيير وادارة المناطق وكذلك دلت على قدرة في التنظيم العسكري .. ان سكان تلك المناطق يرفضون بشكل واضح ان تصير مغربية .. وكل الرجال الذين يتجاوز عمرهم الخامسة عشر مسلحون ويساهمون في المقاومة المسلحة . وهذه العناصر لا تكون تجمعات متفرقة مكونة بارتجال اثر موقف حماسي ديماجوجي بل هي وحدات صغيرة منظمة ومجهزة » .

وتقول « **ليبراسيون** » الفرنسية « ان هؤلاء الصحراويون من الرجال والنساء الذين صلبت عودهم الصحراء مستعدون لخوض كفاح طويل في ظروف صعبة ، وذلك انهم يعيشون في اوضاع مأساوية فآبار الماء مسمومة أو مغطاة بالرمل أما الماشية والجمال التي تشكل وسائل الحياة فقد قضي عليها » وتضيف الصحيفة ان الصحراويين اقاموا في المناطق المحررة مثل محبس وتيفارتي والقلته ادارة شعبية بمجالسها ومسئوليها تشرف على جميع الشئون من مدارس ومستشفيات وتنظيم اداري » .

ورغم المصاعب التي تواجهها البوليزاريو ، الا ان قدرتها على الاستمرار مؤكدة بحكم تمرسها في العمل السياسي الى حد كانت انها نشطت في العمل في صفوف الجيش الاسباني وتجنيد بعض افراد منه ، وحسن قيادة الجبهة للمنظمات الجماهيرية مثل : اتحاد النساء ، اتحاد العمال ، وقدرة افرادها العسكرية كمحاربين جبليين والتفاف السكان حولها [أكد مراسل لوموند في العيون ان المغاربة لايجدون لهم سندا ولا مؤيدا في العاصمة او في المدن الاخرى وان غالبية السكان هربوا الى الصحراء ، وانضم الشباب الى البوليزاريو] .

ويؤكد البوليزاريو أن الفوسفات والحديد واحتمالات البترول التي ظهرت بوادرها ، هي السبب في اصرار المغرب وموريتانيا وتواطؤ اسبانيا معهما — على انكار حق تقرير المصير الذي كانت قد أكدته اجتماعات الحسن وبومدين وولد دادة في مؤتمرين لهم ، وأخذت الجمعية العامة تؤكده المرة تلو الاخرى منذ اقرارها له في ١٩٦٦ .

وتنفي البوليزاريو فكرة أن الصحراويين مغاربة ، وتؤكد في المذكرة التي قدمتها للامم المتحدة في دورتها الثلاثين في سبتمبر ١٩٧٥ : ان كون سكان الصحراء مسلمين وعربا ليس معناه أن يكونوا مغاربة . ومرور بعض القوافل كسحابة صيف بحثا عن الذهب ، لا يخلق حالة من التبعية . انه من غير الصحيح أن الصحراء قد احتلت في يوم من الايام من قبل المغرب .

ومن خلال اللقاءات مع ممثلي البوليزاريو ، والتقارير الواردة من الصحراء يمكن القول بأنه :

على الرغم من استخدام القوات المغربية للنابالم ، وعلى الرغم من اسراع فرنسا بتسليم كميات هائلة من الاسلحة للجيش المغربي ليستخدمها في معركته ضد شعب الصحراء ، ورغم فتح موريتانيا لجبهة قتال ثانية ضد الثوار لتخفيف ضغطهم على قوات المغرب ، رغم كل هذا فالبوليزاريو تواصل عملها العسكري بفاعلية أكبر وتستقطب كل الفئات الاجتماعية للسكان يساعدها على ذلك انها تركز على قضية التحرير بما يجعل استتباب الامر للمغرب يمر عبر إبادة شعب الصحراء بأكمله ، وتلك مسألة غير ممكنة ، لن يسمح بها سكان الصحراء أنفسهم ولا المجتمع الدولي الذي يتزايد تعاطفه معهم ولا الجزائر التي أكد الرئيس بومدين انها لن تسمح بخنقهم .

وحول ما اذا كان أعضاء البوليزاريو « عملاء » للجزائر كما تقول الصحف المغربية ، يقول مراسل « لومانتيه » ان كرامة واعتداد الصحراويين بأنفسهم تستبعد أي امكانية لهذا ثم هل تستطيع الجزائر أن تجند كعملاء لها شعبا بأكمله ، خاصة رؤساء القبائل في حين تنهج الجزائر خطا اشتراكيا وحول مطامع الجزائر في طريق الاطلنطي لتصدير حديد تندوف عبر الصحراء ، اتضح أن هذا الحديد سينقل عبر خط أقيم الى وهران لاستخدامه داخليا ، وهو ليس في حاجة لممر للخارج . ولا تخفي الجزائر انها بجانب وقوفها بجوار مبدأ حق شعب الصحراء في تقرير مصيرها ، فانها تخشى على أمنها الذي يهدده وجود قوات ترتبط بالاستعمار على حدودها.

وفي هذه النقطة الاخيرة تبرز قصة أن **الملك خوان كارلوس** عندما جاء ، قد تردد ازاء غضب الجزائر على اتفاقية مدريد — وذلك خوفا على مصالحه الاقتصادية معها خاصة حاجته لغازها الطبيعي — لكن الولايات المتحدة ضغطت عليه ليسلم للمغرب ، ذلك أن علاقات هذه الدولة وثيقة بالولايات المتحدة — الامر الذي أكدته احزاب المعارضة في المغرب . بل مصادر امريكية في الكونجرس — بل ان قاعدة القنيطرة تربط بين قاعدة التجسس الامريكي في جزر كناريا وبين القاعدة العسكرية الامريكية في روتا بأسبانيا .

ولقد ثبت أن البرازيل قامت بتعليمات من الولايات المتحدة ، بنقل قوات موريتانيا للصحراء لفتح جبهة ثانية ضد الثوار .

■ اسرائيل •

هل يستجيب رابين لاعتبارات الواقع ؟

كان للقرار الذى اصدره مجلس الامن فى نوممبر الماضى، بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك فى مناقشات مجلس الامن الخاصة بالشرق الاوسط ، مغزى سياسى جديد، اضافه المجتمع الدولى فى اعترافه بالحق الفلسطينى ،الى قراره السابق باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصرى • فقد كان القرار الاخير ادانة أيضا لفلسفة الكيان الاسرائيلى ذاته القائم على اساس تمييز اليهود وحقهم فى العودة الى أرض اسرائيل ووضع لهذه الفلسفة موضع الرفض•

ولقد احدث قرار دعوة المنظمة للاشتراك فى مناقشات مجلس الامن ردود فعل عنيفة فى المجتمع الدولى ، فقد عارضت الولايات المتحدة القرار ، وبعث الرئيس فورد برسالة الى اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل يطمئنه فيها الى أن موقف امريكا من منظمة التحرير الفلسطينية لم يتغير، بينما طالب فى الوقت نفسه اسرائيل بأن تبدى قدرا اكبر من التعاون فى مجال تسوية المشكلة •

وقد ذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » ان ما اعلنته اسرائيل من اتجاه الى عدم الاشتراك فى اية مناقشات يجريها مجلس الامن ، وتنضم اليها منظمة التحرير الفلسطينية ، قرار يفتقر الى بعد النظر ويتعارض مع المصالح الاسرائيلية فى المدى البعيد ، واضافت ان هذا الموقف من جانب اسرائيل ، قد يؤدى الى ازدياد مكانة المنظمة ،وان استمرار تجاهل اسرائيل لها سوف يؤدى الى اطلاق حرية الفصائل المتطرفة وبالتالى الاقدام على تصرفات « غير مسئولة » . وعلى الجانب الاخر ، وقفت دول أوروبا الغربية من القرار موقفا بين التردد والامتناع ، وذلك يعنى ان الحوار العربى الاوروبى يحتاج الى جهود مكثفة لتأييد المجموعة الأوروبية للقضايا العربية ، وكان لهذا الموقف صداه اثناء جلسات الحوار العربى الاوروبى الاخيرة ، اذ وجهت المجموعة العربية اللوم الجماعى لسلبية بعض الدول الاوروبية تجاه الحق الفلسطينى ، واعلنت على لسان ممثلها السفير « تريم عمران » ، احجام بعض دول المجموعة الاوروبية وتردد البعض الاخر فى تغيير موقفها السلبى من شعب فلسطين العربى ، وكان لهذا التصريح اثره فى الدول الاوروبية التسع حتى اعلن رئيسها ـ الذى وقف يدافع عن المجموعة الاوروبية ـ ان الامور السياسية يمكن ان تجىء ضمن التعاون الاقتصادى واللقاءات المتعددة اما الدول الشيوعية فقد ساندت القرار ووقفت بجانب الحق الفلسطينى مؤيدة له كفاحه من اجل تقرير المصير •

ولصدور قرار مجلس الامن ، وقع انقسام حاد بين قادة اسرائيل ، فقد رأى اسحق رابين رئيس الوزراء انه يجب اتخاذ موقف العنف والتشدد ،وهو يعتقد انه يرفض الإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، والتفاوض معها ، أو حتى الجلوس معها فى مكان واحد ، فان اسرائيل يمكنها أن تنفى عن المنظمة صفة الشرعية التى تريدها لتحقيق اهدافها، وان اسرائيل بتشددها هذا ستؤدى الى أن تفقد المنظمة ما تتمتع به حالياً من دفعة ديبلوماسية وسياسية ، ليعود التركيز مرة اخرى على النزاع بين اسرائيل والدول العربية المحيطة بها • وثمة زعماء آخرون بينهم **ايجال آلون** يشكون فى امكان نجاح هذه الاستراتيجية ، ويشعرون ان هذه السياسة تضفى على اسرائيل صورة العناد والسلبية أمام الرأى العام العالمى • وقد أوضح استطلاع للرأى العام اجرته صحيفة « ها آرتس » أن ٤٣٪ من الاسرائيليين يعتقدون أنه ينبغى على اسرائيل الاعتراف بكيان فلسطينى قومى وذلك اذا اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بحق اسرائيل فى التواجد ودعا حزب « مولد » [أحد الاحزاب الصغيرة التى نشأت مؤخرا] خلال مؤتمر صحفى عقد فى تل ابيب ـ الحكومة الى أن تعلن انها تعترف بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره الى جانب دولة اسرائيل • وطالب حزب « الاحرار المستقلين » باعطاء الفلسطينيين حقهم فى تقرير المصير ، واصدر مؤتمر الحزب قرارا يطالب فيه بالاعتراف بالكيان الفلسطينى • وفى اجتماع عقده حزب العمل الحاكم فى ديسمبر الماضى اعلن ايجال آلون وزير خارجية اسرائيل انه يتعين على اسرائيل ان تعيد تقييم سياستها الرسمية التى تقضى بعدم اشتراكها فى اجتماعات مجلس الامن • هذا وقد قدم ٥ من وزراء اسرائيل اقتراحا يقضى بأن تبدو اسرائيل اكثر مرونة تجاه المنظمة •• وامام تفاقم حدة الخلاف بين اعضاء الوزارة ، هدد اسحق رابين رئيس الوزراء بالاستقالة لاول مرة ، الامر الذى يوشك ان يؤدى فى نظر بعض المراقبين الى سقوط الحكومة عند أول منعطف سياسى منذ تشكيلها ، وقد اعربت صحيفة « معاريف » عن اعتقادها بأن مركز رابين فى خطر ، وان عدة أسماء قد ترددت فى حزب العمل كخلفاء له مثل آلون وبيريز ، ومن المعروف ان اسحق رابين أول رئيس حكومة فى اسرائيل لم يعتمد على قاعدة سياسية واسعة وانما ساعدته الظروف التى سادت بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ فى الوصول الى منصب رئاسة الحكومة بعد سقوط حكومة مائير اثر اتهامها بالتقصير فقد فاز رابين بهذا المنصب بفضل « الحمائم » داخل حزب العمل ، هؤلاء الذين رغبوا فى مبادرة اسرائيلية نشيطة وعدم العودة الى حالة الجمود واخطاء الماضى ، وتوقع اعضاء حزب العمل ان انتخاب رابين ، سوف يؤدى الى احداث اصلاح فى طرق عمل الحكومة وتغيير ايجابى فى سياستها خاصة فى السياسة الخارجية ، وكان افتراضهم ان هذا الشخص الذى لا يتمتع بقاعدة سياسية مستقلة ، سوف يبنى هذه القاعدة باعماله وقيادته ، وان من كان رئيسا لاركان الجيش ويتمتع ببعد النظر سيكون أيضا صاحب رؤيا بعيدة النظر هى ايضا الا أن أمل هؤلاء قد خاب ، وخير برهان على ذلك استقالة « **آرى الياف** » سكرتير حزب العمل ، وانصاره الذين وقفوا الى جانب رابين اثناء انتخابه ، كذلك فان اعضاء حزب « المابام » الذين أيدوا اسحق رابين ايضا لا يخفون استياءهم ـ هذه الايام ـ من سياسته ، ويبدو أن رابين يحاول ان يبنى لنفسه داخل الحكومة والحزب شخصية مستقلة ومركزا قويا ، الا انه حتى هذا اليوم لم ينجح فى خلق نقطة ارتكاز حقيقية لنفسه داخل الحزب • وعلى أية حال فسيظل المحك الاساسى لنجاح رابين أو فشله هو قدرته على مواجهة متغيرات ما بعد حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ،وبعبارة اخرى هل يستطيع رابين أن ينتقل باسرائيل الى عالم جديد لم تدركه ـ وهو عالم الواقع ـ أم لا ؟ □

■ انجولا الشعبية

انتصارات .. وانهيارات وقلق أمريكى على الشرق الاوسط

شهدت « مشكلة أنجولا » تطورات هامة داخلية وافريقية ودولية . فقد أفادت آخر الانباء ، حتى كتابة هذا التقرير ، ان **كوناس سافيمبى** زعيم « يونتا » وجه نداء الى **الولايات المتحدة الامريكية** ، طالب فيه « بمساعدات عسكرية أمريكية وبمساندة سياسية على وجه السرعة » . وذلك بعد أن حققت قوات **حكومة انجولا الشعبية** ، انتصارات عسكرية وصفتها مصادر **حكومة جنوب افريقيا** بأنها « تهدد بتدمير المواقع الدفاعية للجبهة الوطنية — فعلا — [**روبرتوهولدن**] ، تدميرا كاملا فقد أسقطت قوات الحكومة بلدة كتجو [فى الجبهة الوسطى] وبلدة وينج [مقر قيادة الجبهة الوطنية] ثم اتجهت الى فنجانى التى يقع بها المطار الذى تصل عن طريقه « معظم امدادات الغرب » . وقد وصفت **المصادر الامريكية** الوضع العسكرى لـ « فنلا » بأنه « متهار بالفعل » .

وقد ترددت أنباء تفيد باتجاه قوات الحكومة للهجوم على مدينة لوسو لفتح الطريق نحو جنوب انجولا حيث تتمركز قوات « يونيتا » مع قوات المرتزقة وقوات جنوب افريقيا .

وكان القتال قد اشتد بشكل واضح قبيل انعقاد المؤتمر الطارىء للقمة الافريقى الذى لم يتوصل الا الى بيان يقول « بعد دراسة متأنية لمشكلة انجولا فى الفترة من ١٠ الى ١٣ يناير ، قرر رؤساء الدول والحكومات ارجاء القمة ومطالبة مؤتمر القمة الثانى عشر بمواصلة متابعة المشكلة الانجولية عن كثب » . وكان الاجتماع التحضيرى للمؤتمر [على مستوى وزراء الخارجية] لم يتوصل الى اتفاق فأحال الامر الى مؤتمر القمة الذى بدا واضحا فيه منذ البداية انشقاق سريع بين ٢٢ دولة تؤيد مشروع نيجيريا [بالاعتراف بالحركة الشعبية كحكومة شرعية لانجولا المستقلة وتقديم المساعدات لها ضد تدخل قوات جنوب افريقيا والتنديد بالمساعدات التى تقدم الى « فنلا » و « يونيتا »] . وعلى الطرف الاخر أيدت ٢٢دولة مشروع **السنغال** « بالتنديد بتدخل قوات جنوب افريقيا وكل الاطراف الاجنبية الاخرى ، وضرورة وضع حد للامدادات التى ترد للبلاد وسحب جميع القوات الاجنبية ووقف اطلاق النار وحث الفئات المتنازعة على الاشتراك فى حكومة وحدة وطنية » وكان كل من هولدن [فنلا] وسافيمبى [يونيتا] قد حضرا المؤتمر ولم يحضره **أوجستينو** نتو رئيس جمهورية أنجولا الشعبية . وفى **أول جلسات** المؤتمر تلقى عيدى أمين [رئيس المؤتمر] رسالة **من أحمد سيكوتورى** [غينيا] يطالبه فيها بالتنحى عن رئاسة **منظمة** الوحدة لانه « أساء الى الرئاسة وذلك بتوجيه **المنظمة** فى اتجاه خاطىء » . وقد رفض عيدى أمين هذه **الإتهامات** .

• وطول الشهر الماضى ، أبدت **الولايات المتحدة** على لسان المسئولين والصحافة ، قلقها البالغ ازاء تطورات **انجولا** فى غير صالح « فنلا » و « **يونيتا** » ، وهاجم **المسئولون** الامريكيون المساعدات التى تقدمها **الاتحاد السوفيتى** وكوبا الى انجولا . وكانت حكومة **كوبا** قد أعلنت أن المساعدات التى قدمتها لانجولا « قدمت بناء على طلب من **الحكومة الشرعية** بعد تدخل قوات جنوب افريقيا » . ووصف **فيدل** كاسترو الحرب « ضد الحكومة الشرعية فى انجولا » بأنها « من أقذر الحروب التى شنتها الامبريالية حتى الان » .

ومن الجدير بالذكر أن **الجزائر** قد أعلنت بأنه « لا مجال لايجاد **أى** شبه بين المساعدات الدولية المتعددة الاشكال **التى تقدمها** بلدان تقدمية عدة **بما** فيها الاتحاد السوفيتى ، وبين التدخل المجرم الذى تقوم به مجموعات عنصرية **مأجورة** » وأعلنت حكومة **نيجيريا** بأنها « ترفض المنطق الخبيث الذى يساوى بين وجود المستشارين الكوبيين فى أنجولا من جهة وبين القوات النظامية التابعة لجنوب افريقيا ومجموعات المرتزقة من جهة أخرى » . أما **تانزانيا** فقد تساءلت على لسان رئيسها **جوليوس نيريرى** « نحن لا ندرى لماذا تظهر الولايات المتحدة كل هذا القلق تجاه انجولا . أن أنجولا لا تحارب فى سبيل الشيوعية ولكن فى سبيل تحرير وطنها . ومعروف أن كل الاسلحة التى فى أيدى حركات التحرير الوطنى لم تستطع الحصول عليها الا من الاتحاد السوفيتى . فمن الطبيعى اذن تكون الاسلحة لدى انجولا وغيرها من الدول الافريقية المستقلة أسلحة سوفيتية ، حيث أن أمريكا تفعل العكس وتحارب افريقيا بأسلحتها . وأن أى محاولة للمساواة بين الاتحاد السوفيتى وكوبا وبين قوات جنوب افريقيا والمرتزقة محاولة عديمة الجدوى » .

ومن الجدير بالذكر أن صحيفة « **يديعوت احرونوت** » الاسرائيلية قد أجابت على جانب من تساؤل تانزانيا ، حيث يقول محررها فى واشنطن ، **أن أمريكا** اذا لم تتخذ موقفا حاسما فى أنجولا ، فقد يسىء ذلك الى **اسرائيل** . فان الاتحاد السوفيتى سيعتبر **ذلك** بادرة للضغط للحصول على تنازلات فى كل مكان . وسيشجع ذلك العرب على دفع اسرائيل وأمريكا الى الحائط فى الشرق الاوسط » . ونقلت الصحيفة تصريحا **لهنرى كيسنجر** وزير الخارجية الامريكية يقول فيه « أن مايجرى فى مجلس الامن بصدد منظمة التحرير الفلسطينية ، هو مسألة ثانوية اذا ما قورنت بالاخطار التى تواجه اسرائيل كنتيجة للتطورات فى أنجولا » . ووصف كيسنجر مناقشات مجلس الامن بأنها « مباراة فى كرة القدم من الدرجة الثانية . وما هو مهم فعلا بالنسبة الى الشرق الاوسط هو ما يجرى فى أنجولا »

ومعروف أن بريطانيا وفرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية «توافق موافقة تامة على السياسية الامريكية تجاه انجولا» وتبدى « تفهما جيدا للمنطق الامريكى » . وتقول اليونايتدبرس انترناشيونال الامريكية « ومن المفارقات الغريبة ان نفس الصحف الفرنسية التى كانت فى الماضى تهاجم التدخل الامريكى فى فيتنام ، هى التى تبدى قلقها الان من عدم تدخل الولايات المتحدة بشكل حاسم فى أنجولا »

وفى منتصف الشهر الماضى ، سافر كيسنجر الى موسكو للتباحث حول مسألة « الاسلحة الاستراتيجية » . وأوضحت الصحف الامريكية « أن مشكلة أنجولا سوف تناقش أيضا » .

وقد قرر مجلس النواب الامريكى ارجاء الاقتراع النهائى على امداد المنظمات المعادية لحكومة انجولا الشعبية .. بالاسلحة والاموال ، لحين عودة هنرى كيسنجر من موسكو . وكان المجلس قد أجرى تعديلا فى الميزانية يحظر « تقديم المعونة » لهذه المنظمات ، التى اتضح أن المخابرات المركزية الامريكية قد قدمت منها — بموافقة الرئيس فورد — لـ « فنلا » و « يونيتا » من **طريق زائير** .

■ ايطاليــا

كيف يرد الغرب على تساؤل الزعيم الشيوعي ؟

في السادس من يناير الماضي قدم « الدو مورو » رئيس الحكومة الائتلافية في ايطاليا استقالة حكومته بعد أن سحب الحزب الاشتراكي دعمه لهذه الحكومة . التي تعتبر الحكومة السابعة والثلاثين منذ سقوط الحكم الفاشي في ايطاليا سنة ١٩٤٣ .

ولا تعد استقالة هذه الحكومة أمرا مفاجئا ، فمنذ أن كلف الرئيس الايطالي « جيوفاني ليوني » ألدو مورو بتشكيل الحكومة في نوفمبر ١٩٧٤ والتي ضمت تحالف الحزب المسيحي الديمقراطي مع الحزب الجمهوري ، والحزب الاشتراكي ، بعد أزمة وزارية استمرت ٥١ يوما . والتكهنات في ايطاليا تدور حول سؤال واحد وهو : كم من الوقت ستستمر هذه الحكومة ؟

وبالقرار الذي اتخذه الحزب الاشتراكي ، تكون ايطاليا قد دخلت ازمة سياسية جديدة ، بالاضافة الى تصاعد الازمات الاقتصادية والاجتماعية بشكل يهدد استقرار الامن في البلاد ، سواء من ناحية العجز في ميزان المدفوعات ، أو من ناحية انتشار البطالة بدرجة لم تشهدها ايطاليا او أي دولة أوروبية أخرى من قبل .

وتكمن حقيقة الازمة السياسية الجديدة التي تعيشها ايطاليا في الصراعات الحزبية بين كافة الاحزاب وداخل كل حزب . فالحزب الديمقراطي المسيحي الذي عرف طوال حكمه للبلاد على مدى ٣٠ سنة بأنه « حزب الأمة الواحد » يبدو في حالة متدهورة من الانهاك والتشكك بعد فشله في قيادة البلاد وهزيمته امام الحزب الشيوعي في الانتخابات الاقليمية الاخيرة . كما ان الاحزاب الاخرى من الاشتراكي الايطالي الى الاشتراكي الديمقراطي مرورا بالحركة الاجتماعية الايطالية « اليمين الوطني أو الفاشي » هي بالطبع غير متجانسة ، هذا في الوقت الذي ما يزال الحزب الشيوعي يحقق فيه انجازات سياسية وتنظيمية هامة وذلك بفضل استراتيجيته المرنة التي تتجاوب بصدق مع الواقع الايطالي .

كما تكمن حقيقة هذه الازمة أيضا في عدم فعالية الاستراتيجية التي قامت على اساسها حكومة الدو مورو ، وهي الاستراتيجية التي ابتدعها الغرب — بضغوط امريكية — للحيلولة دون وصول الشيوعيين الى الحكم ، والتي تسمى باستراتيجية « تحالف يسار الوسط » أي تحالف الكنيسة ، واليمين الوطني ، مع اليسار غير الشيوعي ، وذلك لفشل برامجها الاصلاحية ، أمام تدهور الموقف الاقتصادي والاجتماعي .

ولذلك كله ، يمكن القول ان ايطاليا سوف تشهد أزمة وزارية طويلة وصعبة ، ويزيد من صعوبتها اختلاف مواقف الاحزاب حول اسلوب حل الازمة .

فالحزب الاشتراكي الذي اتهم حكومة الدو مورو بتجاهل سياسته في كيفية انعاش الاقتصاد الايطالي ، يرى أن حل الازمة الحالية يمكن أن يكون اما بالتعجيل باجراء الانتخابات البرلمانية ، او بتشكيل حكومة طوارىء بمشاركة الشيوعيين الى ان يتم اجراء الانتخابات في موعدها المحدد في ربيع ١٩٧٧ . ويهدف الاشتراكيون بذلك الى أن تكون مشاركة الحزب الشيوعي قد تمت من جانبهم ، وعن طريقهم ، للحيلولة دون تحقيق ما يسمى « بالمساومة التاريخية » التي يمكن أن تتم بتحالف الحزب المسيحي الديمقراطي مع الحزب الشيوعي تحت ضغط الظروف الاقتصادية .

أما الحزب المسيحي الديمقراطي ، فلا يرضى عن اجراء انتخابات برلمانية مبكرة نظرا للظروف التي يمر بها الحزب ، ويفضل — حاليا — اتخاذ خطوات ايجابية تجاه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية . كما أنه لا يستطيع أن يغامر باشراك الشيوعيين في الحكم نظرا للمعارضة الشديدة من جانب الفاتيكان ، ولتحفظ الولايات المتحدة بل ومعارضتها صراحة في اشراك الشيوعيين على أي وضع في الحكم ، واستخدام كل السياسات المتاحة التي تهدف الى منع تحقق مثل هذه المشاركة . ولقد عبر كيسنجر عن ذلك صراحة في مؤتمر حلف الاطلنطي في بروكسل مؤخرا ،وفي مؤتمر الطاقة حيث هدد بانسحاب القوات الامريكية من أوروبا في حالة دخول الشيوعيين الى حلف الاطلنطي .

ويعارض الحزب الشيوعي هو الاخر مسألة التعجيل بالانتخابات ، نظرا لعدم استعداده لهذه العملية ،وللرغبة في الاستفادة من نتائج الانتخابات الاقليمية الاخيرة التي فاز فيها بأغلبية سبع اقاليم من مجموع خمسة عشر اقليما ، كما ان الحزب يعارض المشاركة الشكلية في الحكم في الوقت الحاضر ، لان الشيوعيين لا يريدون استباق التطورات لانهم يعرفون سلفا دقة الموضوع وحساسيته ، ويعرفون أيضا أن أمر اشتراكهم في الحكم يضع ايطاليا على مفترق طرق خطير من التحديات . ولذلك لم تتردد صحيفة « الاونيتا » الشيوعية في ابداء تحفظها حول مطالبة الاشتراكيين المنسحبين من التحالف بتشكيل « حكومة طوارىء » تتكون من قاعدة برلمانية صلبة لا تستثني الشيوعيين ، وطالبت الصحيفة باعطاء تفسيرات واضحة لمعنى دعوتهم الخاصة باشراك الشيوعيين في الحكم .

وامام المعارضة الضخمة من جانب الكنيسة والولايات المتحدة ، لمشاركة الشيوعيين في الحكم ، على الرغم من خطورة الاوضاع في ايطاليا [حيث أن امكانية اقامة تحالف جديد من يسار الوسط لم تعد متاحة نظرا لموقف الحزب الاشتراكي من ناحية ولضعف ذلك التحالف الذي يتكون من ٣١٠ صوتا من أصل ٦٣٠ صوتا من ناحية اخرى ، فان مقولة « انريكو برلينجر » سكرتير عام الحزب الشيوعي في توصيف الازمة ستكون ذات اهمية بالغة عند بحث رئيس الجمهورية للازمة الوزارية الطويلة التي ستعيشها ايطاليا ، فلقد تساءل برلينجر قائلا : « ايهما افضل للغرب — لامريكا وأوروبا الغربية — ايطاليا اليوم [بدون شيوعيين] المنهارة اقتصاديا وسياسيا ، ام ايطاليا المستقبل [مع الشيوعيين] وفيها ضمانات الامن والاستقرار في الاقتصاد والسياسة .

○

■ امريكا اللاتينية

هل هي بوادر مخاض جديد ؟

على الرغم من الظواهر السلبية التي وقعت مؤخرا في أمريكا اللاتينية مثل الانقلاب الفاشي في شيلي ضد حكومة الرئيس سلفادور الليندي ، وبعض ظواهر القمع الاخرى ، الا ان المراقبين يرون أن امريكا اللاتينية ربما تدخل في

الاونة الراهنة — حقبة جديدة فى تطـورها التاريخى بحيث أصبحت الظروف فى هذه القارة أكثر مواتاه لتعبئة قطاعات عريضـة من الجماهير وتوحيدها فى جبهات معادية للفاشية والامبريالية .

فمن ناحية يبدو أن مكانة **كوبا** تتزايد على أرض القـارة ، وعلى المستوى الدولى كما يتهاوى الحصار الامبريالى حولها أكثر فأكثر ، وهو الامر الذى اتضح من اتسـاع نطاق روابط السياسة الخارجية لهافانا . كذلك يتطور العمل الثورى الذى يتميز بملامحه الخاصة فى عدد من الدول الاخرى مثل **بيرو** ، **وبنما** ، وهناك عـدد آخر من الدول مثل **فنزويلا وكوستاريكا وهندوراس** تتخذ مواقع أكثر ديمقراطية ، وأكثر تقدمية ، على الدوام ، ومن ناحية أخرى فان عددا آخر من حكومات دول امريكا اللاتينية ينحو بصورة متزايدة نحو اتباع سياسات مستقلة فى علاقاتها الخارجية .

وفى بلد **كاكوادور** مثلا يزداد نشاط الحركة الجماهيرية من أجل زيادة الاجور وتخفيض الاسعار ، وخاصة المظـاهرات الطلابية ، وبسبب عجز النظام عن مجابهة المطالب الحيـوية للجماهير ، فانه يتخبط ، وتزداد الانقسامات فى صفوفه ، وقد حدث مؤخرا أول صدع كبير داخل قيادة الجيش . كمـا جابه الرئيس الحاكم محاولة انقلاب فاشلة قام بها قادة الجيش من أجل اجراء تغييرات فى الحكومة ، وتحت ضغط الحركة الشعبية ، الذى انعكس داخل صفوف القوات المسلحة احيل الى التقاعد الجنرال جوستافو فاسـكويز المعروف بعـدائه للشيوعية وبمكارثيته .

وفى **شيلى** تستحكم العزلة الدوليـة حول نظام بينوشـيه ، وازدادت الازمة الاقتصادية حدة ، وارتفعت الاسعار برغم زيادة المساعدات الامريكية ، ولم تزد أزمة النظام فـى مواجهة قوى اليسار فحسب ، وانما فى مواجهة الكنيسـة أيضا التى تحاول بالتعاون مع الحزب الديمقراطى المسيحى ايجاد صيغة لتعديل نظام بينوشيه الفاشى فى اتجاه أكثر ليبرالية .

وفى **الارجنتين** يزداد حكم ايزابيلا بيرون ضعفا ، فى الوقت الذى يزداد فيه نمو الحركات اليسارية سياسيا وعسكريا . كما تزداد أيضـا معارضة عودة العسـكريين الرجعيين الى الحكم . بينما تجابه الحركة البيرونية مخاطر الانهيار الفعلى ، بسبب الصراع المستمر بين قياداتها العاجزة عن مواكبة تيار التغيير الذى يجتاح القارة تلبية لمطالب الجماهير العمالية المتطلعة الى تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية عميقة .

ومن ناحية أخرى يبرز الاتجاه فى عدد من دول أمريـكا اللاتينية ، نحو دعم دور الدولة فى الحياة الاقتصادية ، وأبرز مثل عليها تأميم البترول كاملا فى **فنزويلا** الذى سوف يمنح الدولة كل حقوق التنقيب عن البترول وانتاجه ونقله وتخزينه فضلا عن قيامها بعمليات تكرير البترول ، وتسويته وتصديره مما سيساعد هذا البلد على الوفاء باحتياجات التنمية ومجابهة مشكلة الفقر .

وفى **اوروجواى** ، يدل استمرار عمليات القمع على ضعف النظام ، حيث اتخذت الصعوبات الاقتصادية أبعاد الكارثة ، من ناحية زيادة العجز فى الميزان التجارى ، وزيادة الدين الاجنبى الى حوالى ألف مليون دولار ، فضـلا عن الارتفـاع الشامل للاسعار ، وتزايد البطالة والهجرة بسبب الركود فى الصناعة والزراعة ، الامر الذى يشكل تهديدا خطيرا لمصالح صغار ومتوسطى رجال الاعمال ، كذلك عانى قطـاع تربية الماشية من خسـائر فادحة نتيجة لخفض الصادرات بسبب الازمة الاقتصادية فى العالم الراسمالى ، والعزلة الدولية للديكتاتورية ، وقد قـام المؤتمر القومى لعمـال اوروجواى [المحظور رسميا] ويقوم بتنظيم اعمال المقاومة للديكتاتورية التى تجابه سخطا متزايدا من الطلبة واساتذة الجـامعات ومن الطبقة المتوسـطة فى المدن والريف . كمـا فشـلت الديكتاتورية فى جر أى حزب من الاحزاب السـياسيه الى جانبها ، فقد حرمها الفلاحون من تأييدهم ، فى الوقت الذى تلقى فيه الادانة من جانب عديد من رجال الكنيسه الكاثوليكية والبروتستانتية ، وتزداد داخل الجيش معارضة استخدامه « كأداة مسلحة فى يد الاقلية » .



■ فنزويلا

تأميـــم كامـل للبتـــرول

أعلن الرئيـس الفنزويلى **شارلز أندروز بيريز** فى اليـوم الاول من العام الحالى تاميم صناعة البترول . وبمقتضى هذا الاعلان ستخضع اكثر من ٣٠ شركة اجنبية لسيطرة الدولة تحت اشراف شركة بترول فنزويلا الوطنية ، وستدفع الحكومة ما يقرب من بليون دولار كتعويضات لهذه الشركات .

ويمكن القول ان قرار التأميم كان وراءه مجموعتين من الدوافع : **الاولى** تتعلق برغبة فنزويلا فى امتلاك ثروتهـا القومية لتوجيهها نحو الوفاء باحتياجات التنمية والقضاء على مشكلة الفقر ، والثانية ، تربط بالاتجاه العام بين دول الاوبك والدول المنتجة للمواد الخام وتحديها للدول المستهلكة الصناعية من أجل التوصل الى حل عادل لمشاكل المواد الخام على وجه العموم .

وبنظرة سريعة على ارقام التصدير والاستهلاك وحجم العمالة المتعلقة بصناعة البترول يمكن توضيح مدى الفـائدة التى ستعود على الاقتصاد الفنزويلى من عملية التـاميم ، حيث تصدر فنزويلا الان اكثر من ٢ بليـون برميل يوميـا الى جانب انتاج ١٠٠ الف برميل توجه للاستهلاك المحلى ، وهناك أكثر من ٣٠ الف عامل منتشرون فى مصانع البترول . ونظرا لهذا الحجم الكبير للانتاج فان مبيعات البترول أصبحت تمثل ٨٥٪ من التبادل الخارجى وحققت فى العام الماضى حوالى ٩ مليار دولار .

وتهدف فنزويلا الى استغلال هذه الثروة القوميـة على النحو الذى يحقق لها الاستقرار الداخلى ، فهنـاك برنامج ضخم للتنميـة حيث تبنى الحـكومة مصـانع كثيرة للصلب والبتروكيماويات ، وتهتم بتحسين وسائل النقل ، واصـلاح الطرق وهناك مشاريع للاهتمام بالصحـة ، والتعليم وليس فقط المقصود هو تطـوير وسـائل الانتـاج وانما تحقيق الاستقرار السياسى أيضا حيث كانت ولاتزال مشكلة الفقـر هى العنصر الرئيسى وراء عدم استقرار الانظمة السياسية فى أمريكا اللاتينية على وجه العمـوم . وهكذا يعتقد الرئيـس الفنزويلى ان المخرج من الازمات الاجتماعية والتـأخر عن ركب الحضارة انما يتمثل فى الحصول على مصادر التمـويل النقدية بصفة مستمرة . وهكذا هو ما يحققـه عنصر التأميم بصفة أساسية .

على ان الدوافع لم تكن فقط محلية وانما كان لها بعدها الدولى . وحيـث تعد فنزويلا من الأطراف القوية داخـل مجموعة دول العالم الثالث المنتجة للمواد الاولية وداخـل منظمة الاوبك أيضا ، فانها تلعب دورا فى ترجيح كفـة الدول المنتجة للبترول امام الدول الصناعية . وتعتقد فنزويلا ان الدول المستهلكة للبترول هى التى تحظى بنصيب الاسـد من أرباحه حتى الان ، بالرغم من التحول الكبير الذى حدث فى عام ١٩٧٤ ، اثر مضاعفة اسعار البترول لصالح الدول

المصدرة . وامام محاولات الشركات الاحتكارية المستندة الى تأييد الدول الغربية والولايات المتحدة تطويق تحركات دول البترول ، فان التأميم يعد عنصرا هاما للحفاظ على الثروة القومية وابعادها عن سياسات الاحتكار العالمية ، وقد أشار الى هذا الرئيس الفنزويلى بقوله ان دول امريكا اللاتينية هى التى سمحت للدول الخارجية بالتلاعب فى مصير ثروتها القومية لافتقادها الى الوحدة وسيطرة الاحساس الفردى عليها ..

واذا كانت فنزويلا قد نجحت فى انهاء السيطرة الاجنبية على ثروتها الاساسية والتى دامت ٦١ عاما ، فانها الان تواجه بمشكلتين اساسيتين هما كيفية مباشرة صناعة البترول وتطويرها ، وكيفية تصريف البترول الفنزويلى فى السوق العالمى . وبالنسبة للمشكلة الاولى ، تتطلب صناعة البترول الوقوف على أحدث وسائل التكنولوجيا فى هذا المجال ، وذلك لان عملية تصدير البترول المكرر بكميات كبيرة هى عملية أكثر تعقيدا من تصديره على هيئة الخام . وعنصر التكنولوجيا يبدو ملحا على ضوء الاهتمام باستخراج البترول من القار الذى يوجد بكميات وفيرة فى فنزويلا ، واذا ما تم ذلك فان المراقبين يتوقعون أن تصبح فنزويلا أغنى من السعودية .

ولكن الرئيس الفنزويلى اكد على أن الحكومة ستقوم بتزويد الشركات بالخبرة الفنية المستوردة من الخارج فى حالة احتياجها لها . وهذا يوضح ان السياسة الفنزويلية على وعى بخطورة المشكلة ولكنها ستتجه الى حلها بأسلوب تدريجى .

واما معضلة التسويق فانها مثارة بسبب تزايد الفائض البترولى فى السوق العالمى الان ، ولان الشركات العاملة فى فنزويلا ربما تحجم عن القيام بجهد التسويق لان عنصر الربح يخضع للقواعد التى تضعها الدولة وليس للسوق العالمى .

وقد أعلن المسئولون الفنزويليون ان وفودا رسمية ستتجه الى الدول المستهلكة الكبرى لتسهيل عملية تسويق البترول الفنزويلى ، كما أنهم يعتقدون أن دول الاوبك ستقف الى جانبهم وستعاونهم على تفادى عقبات التسويق . □

○

■ شيلى

لمن تدق الاجراس ؟

أخيرا وبعد اكثر من عامين من الانقلاب الدموى الذى قاده الجنرال بينوشيه على حكومة الرئيس الليندى الديموقراطية، بدأت الدوائر الاوروبية فى التعبير عن ضيقها تجاه الحكم الفاشى فى شيلى . ولم يكن السبب الوحيد فى ذلك ، ما اثارته الطبيبة البريطانية « شيلاكاسيدى » من شعور بالتعاطف مع المسجونين السياسيين فى سانتياجو ، عند تعرضها للتعذيب بعد ان قامت بمعالجة أحد قادة قواد منظمة « آلمير » اليسارية ، ولكن يضاف الى ذلك ما يعانيه النظام الشيلى من ازمات مستحكمة ، جعلت العثور على بديل سريع له أمرا ضروريا .

فقد استحكمت العزلة الدولية حول نظام بينوشيه ، خاصة بعد الانتقادات المتوالية التى تعرض لها من اللجنة الدولية لحقوق الانسان التابعة للامم المتحدة ، والصليب الاحمر الدولى ، وتجمع الكنائس الكاثوليكية الشيلية ، وعلى رأسها الكاردينال رول سيلفا الذى أعلن ان ضحايا النظام بلغوا ١٥ الفا [وهو ما يقارب عدد القتلى فى الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة] وان عدد المعتقلين فى السجون الشيلية قد تجاوز ٩٥ الف معتقل منذ سبتمبر ١٩٧٣ .

ويرى المراقبون السياسيون ، ان انتهاء التمرد لا يعنى النظام الشيلى يواجه مجموعة من الازمات الحادة ، أولها الازمة الاقتصادية التى تعانى منها البلاد ، فقد تجاوز معدل التضخم ٣٧٥٪ فى عام ١٩٧٥ عنه فى عام ١٩٧٤ ، فى الوقت الذى تعانى خمس القوة العاملة الشيلية من البطالة . وقد انعكس التضخم على الارتفاع المتزايد لاسعار السلع الاساسية . اذ ارتفع سعر الخبز بنسبة ٥ر١٣٪ ، واللبن ٣ر١١٪ ، والسكر ٦ر٢٦٪ ، والمواصلات ٩ر٩٪ . وقد تم ذلك على الرغم من تصاعد المساعدات المالية التى تقدمها للنظام كل من الولايات المتحدة والاجهزة المالية الدولية التى تلعب أمريكا دورا رئيسيا فيها ، وهى المساعدات التى ارتفعت من ٢٩٠ مليون جنيه استرلينيا عام ١٩٧٤ الى ٥٥٠ مليون جنيه استرلينى عام ١٩٧٥ قدم منها البنك الدولى ٢ر٢٦ مليون وصندوق النقد الدولى ١١٠ مليون جنيه ، والباقى من الولايات المتحدة .

وبالاضافة الى ازمة النظام مع القوى اليسارية فى شيلى ، فقد تصاعدت اخيرا حملة الانتقادات التى تشنها الكنائس الكاثوليكية عليه ، خاصة بعد اعتقاله لثمانية من الرهبان فى نوفمبر الماضى . ويحاول قادة الكنيسة الشيلية الان بالتعاون مع الحزب الديموقراطى المسيحى الشيلى وعلى رأسه ادوار دوفرى ان يجدوا صيغة لتعديل نظام بينوشيه فى اتجاه أكثر ليبرالية .

ولكن الصعوبة التى يعانيها التحالف المسيحى تكمن فى محاولة اللعب على التناقضات داخل زمرة الجنرالات الحاكمة ، على أساس استغلال الانقسام الذى تعانى منه حاليا .

فقد تقدم ١٠ من كبار جنرالات شيلى انذارا الى الجنرال بينوشيه فى أواخر ديسمبر ١٩٧٥ طالبوه فيه بالاستقالة واتباع سياسة اصلاح اقتصادية . وقد تضمن هذا الانذار جملة من الانتقادات بسبب فشل النظام فى مواجهة الازمة الاقتصادية ، وتزايد العزلة الدولية لشيلى ، مطالبة الجنرالات المتمردين بان يكون شهر مارس حدا أقصى للاصلاح .

ويرى المراقبون ان القوة الحقيقية وراء الانذار هو الجنرال جوستاف ليج ، قائد السلاح الجوى الشيلى ، والمعروف بأنه أحد الاركان الاربعة للنظام والعقل المدبر وراء الانقلاب العسكرى على سلفادور الليندى . وتروج الدوائر الغربية الان للجنرال « ليج » وتصفه بانه « يعتبر العضو الاكثر شعبية بين رجال الانقلاب الاربعة » . وانه يوافق على أن « يتيح عددا من السياسات الليبرالية التى تشمل اطلاق سراح اغلبية المسجونين السياسيين » . وانه يخطط « لعودة تدريجية الى نظام سياسى أكثر ديموقراطية » وذلك على حد تعبير صحيفة « الصنداى تايمز البريطانية » .

وعلى الرغم من حالة العزلة التى يعانيها بينوشيه حاليا على المستوى الداخلى والخارجى ، فيبدو أن رصانة الاساس يقوم على الدعم شبه المطلق من جانب الولايات المتحدة ، وعلى جهاز « الدنيا » [البوليس السياسى السرى الشيلى] والذى أصبح الان يشكل جيشا كاملا ، والذى وصفته شيلا كاسيدى بانه « نظام للقسوة والرعب المنظم والاعتقال والتعذيب » .

فلمن تدق الاجراس فى شيلى الان ؟ هل لانقلاب جديد يتزعمه الجنرال ليج يبيض واجهة النظام الخارجية مع بعض الاصلاحات الداخلية المحدودة ؟ أم ان التحالف المسيحى سوف ينجح فى نوع من المشاركة بحيث يتصدر النظام ، بينما يقف العسكريون خلف الستار كقوة حقيقية مانعة لمشاركة القوى

اليسارية التى تمت ازاحتها بالعنف المسلح ؟ أم ان بينوشيه سوف ينجح فى رهانه على الولايات المتحدة وجهاز الدنـا القمص ؟ أم أن الشعب الشيلى سوف يكون له اختياره الخاص الذى لا تستطيع الدوائر الغربية ، او وكالة المخابرات المركزية الامريكية ان تتنبه اليه ؟ ☐



■ الارجنتين

كيف يوقفون رياح اليسار ؟

ربما بدا واضحا الان ، ان الارجنتين فى وضع لا تحسد عليه من حيث الازمات الداخلية ، فالادارة المركزية ضعيفة ، والمشاكل تتفاقم يوما بعد يوم دون ان يتصدى لها أحد ، والتوتر هو الصفة السائدة حاليا فى البلاد ، خاصة بعد التمرد الذى اعلنه فى منتصف ديسمبر ١٩٧٥ ضباط سلاح الطيران بقيادة الجنرال « **جيزوس كابلين** » الذى طالبوا فيه بعزل قائد سلاح الطيران الجنرال « **هكتور لويس فوتاريو** » وتعيين الجنرال « **جورجى فيسديلا** » قائد الجيش رئيسا للجمهورية ، معلنين عدم اعترافهم بسلطة الحكومة الحالية.

وقد قام المتمردون بالاستيلاء على قاعدتين جويتين ،الاولى فى ضواحى بوينس ايرس وتعتبر من اهم القواعد الجوية فى الارجنتين ، والثانية هى قاعدة ايرو بارك فى قلب العاصمة ، بالاضافة الى المطار الدولى ، واربع قواعد جوية اخرى استولوا عليها فى اليوم التالى لتحركهم ، كما استولوا على محطة اذاعة راديو **بلجرانو** التى تتيح لهم اذاعة اهدافهم فى كل البلاد ،وبدوا مسيطرين تماما على مواقعهم. الا أنهم ارغموا — فى النهاية — على الاستسلام بعد أن أمرت السيدة ايزابيلا بيرون بقصف مقر المتمردين طوال ٣ ساعات ، وانتهى التمرد على صورة غير الصورة التى كان ينتهى عليها عادة اى تحرك مماثل ، فقد اعلنت رئاسة الجمهورية أن ضباط الطيران المتمردين قد عادوا الى مزاولة واجباتهم كالمعتاد ، وان قائد السلاح الجوى يشترك فى مفاوضات مع قادة التمرد لانهم لايزالون عند موقفهم الاصلى من حيث تنحية الرئيسة ايزابيلا بيرون ..

وتشير التطورات السياسية الى ان تحليق طائرات تابعة للسلاح الجوى فوق مقر الحكومة فى حركة عصيان تطالب بإقالة ايزابيلا بيرون — بينما كان كبار الضباط فى القوات المسلحة يصعدون حملتهم ضدها — هو أوضح دليل على ما انتهى اليه حكم « ايزابيلا بيرون » . كذلك فان تمسك الجنرال فيديلا قائد الجيش — على الرغم من أنه يرفض مطالب العسكريين المتمردين فى الاستيلاء على الحكم بأسم القوات المسلحة — من الاعلان صراحة عن أنه على ايزابيلا ان تذهب حقنا للدماء ، من أجل حل هذه الازمة ، انما يدل على أن الجيش أصبح هو الهيئة العليا فى البلاد ، والجنرال فيديلا هو الحاكم الفعلى والرئيسة فى وضع تعجز فيه عن الحكم بالفعل .

ويرى المراقبون السياسيون فى امريكا اللاتينية ، أن خروج ايزابيلا قوية من هذه التجربة مع زمرة عسكرية رجعية تريد الاطاحة بها ، لان خروجها الان من هذه الازمة الدقيقة ، لم يكن خروج المنتصر من الحلبة ، اذ لم تكن هى — كرئيسة — نقطة استقطاب لمعارضى حركة التمرد العسكرى بقدر ما كان الخوف من عودة العسكريين الى السلطة بل ورفض عودتهم هو الذى استقطب هؤلاء الذين تحركوا لمقاومة المتمردين ووضع حد لمحاولتهم الانقلابية .

وتشير المصادر السياسية فى الارجنتين الى ان حكم الرئيسة بيرون يضعف باضطراد منذ توليها الرئاسة خلفا لزوجها خوان بيرون ، فالتناقضات الاجتماعية تزداد احتداما فى البلاد ، كما تزداد الحركات اليسارية الثورية نموا سياسيا وعسكريا وهى التى كان ازدياد قوتها قد دفع العسكريين من قبل الى قبول عودة بيرون من المنفى .

ومن الواضح ان الفترة التى انقضت منذ تولى المدنيين الحكم فى بيونس ايرس لم تسخر لتوطيد اسس الحياة الديمقراطية فى البلاد ، ولتحقيق اهداف جماهير الحركة البيرونية فى اقامة عدالة اجتماعية ، وبناء اقتصاد وطنى قوى ، على أسس سليمة والشىء الوحيد الذى تحقق هو انهيار الحركة البيرونية حيث قصت عليها التناقضات الداخلية، والصراعات المستمرة بين قياداتها العاجزة عن مواكبة تيار التغيير الذى اجتاح القارة اللاتينية ، وبين جماهيرها العمالية المطالبة والمتطلعة الى تحقيق ثورة فعلية .

ومما لاشك فيه ان ايزابيلا فشلت فيما فشل فيه زوجها، ولم تعد سياسة ارضاء القوى العاملة المنظمة ، البيرونية الولاء ، وارضاء مصالح البرجوازية الحاكمة فى نفس الوقت، ذات مفعول ، ولم تؤد الا الى المزيد من استعداء اليمين الذى يرى أن الحكم البيرونى يرضخ لابتزاز القوى العاملة ،بينما يتزايد سخط تعداد الطبقات الكادحة أيضا التى تتحمل اعباء السياسة الاصلاحية المنشغلة بترقيع النظام هنا وهناك ، كل هذا مع ازدياد حدة الازمات الاقتصادية التى فشل الحكم فى علاجها حتى الان ..

وكانت المصادر الارجنتينية قد ذكرت بان فيديلا ابلغ ضباط الجيش انه يأمل فى حل الازمة بسلام ، الا انه أوضح ان القوات المسلحة ستستولى على الحكم اذا مابدا ان لا سبيل سوى هذا الحل .

والجدير بالذكر انه فى حالة استقالة الرئيسة ، فان المفروض ان يخلفها فى الرئاسة رئيس مجلس الشيوخ « **ايطالو لودر** » وذلك بموجب الدستور ، وهو يحظى بتأييد من القوات المسلحة بلا تحفظ ولكن هل سيتحقق له ذلك ؟ أى هل تستقيل ايزابيلا ؟ أم سيقوم العسكريون بالاطاحة بها بانقلاب عسكرى ؟

وتشير الدوائر السياسية هناك الى أن الصراع دائر الان بين اتجاهين : —

الاول : اتجاه يمينى متطرف يقول بأن لاسبيل سوى انقلاب عسكرى وحكم دكتاتورى لانقاذ النظام القائم من الرياح الثورية ، وهذا يعنى دعوة الى مجزرة ضد مئات الالوف من السكان .

اما الاتجاه الاخر ، وهو اتجاه الجناح البيرونى الليبرالى فانه يعترض على فعالية الدكتاتورية العسكرية ويسعى الى ترميم الحركة البيرونية ويعترف بهزال قيادة ايزابيلا ولايمانع فى التخلص منها .

وتبدو الارجنتين مقبلة على مرحلة من الاضطرابات لا يستبعد المراقبون فيها ان يبدو الحل العسكرى هو صاحب النصيب الاوفر من النجاح فى هذا الصراع الدائر ، فالحل العسكرى له انصاره ، بل انه مطروح من الولايات المتحدة الامريكية التى تعتبر ان الحركات اليسارية التى تخوض كفاحا مسلحا ضد الوضع القائم ، هى من القوة السياسية والعسكرية بحيث أصبح من الضرورى فى ظل نظام حكم فشل فشلا ذريعا حتى فى احتوائها ، توجيه ضربة قوية ضدها ، وهى ضربة ، لا تستطيعها سوى ديكتاتورية عسكرية فاشية كالتى قامت فى شيلى . ☐



من الصين

ماذا بعد شواين لاى ؟

يرى اغلب المراقبين السياسيين أن وفاة الزعيم الصينى الكبير شوابن لاى رئيس وزراء الصين الشعبية ، لن تؤدى الى انقطاع فى استمرار الخط السياسى الراهن لجمهورية الصين الشعبية ، لان واضع هذا الخط ، ومحدداستراتيجية الصين ، بصورة رئيسية هو الرئيس ماوتسى تونج وقد كان شواين لاى — مع كبار الزعماء الصينيين الاخرين — مشاركا بالطبع ، فى تحديد هذه الاستراتيجية ، بيد أن كان بصورة اكبر منفذا مخلصا للاهداف التى اكتملت معالمها لدى الرئيس ماو ، وان كان شواين لاى يضفى على عملية التنفيذ ذاتها لمساته ، التى تنم عن مقدرة ضخمة على التنظيم والدبلوماسية .

ولعل أبرز سمة فى تاريخ شواين لاى السياسى ، هى استمراريته ، خلال كافة مراحل الثورة الصينية ، فقد تولى رئاسة وزراء الصين منذ انشاء جمهورية الصين الشعبية سنة ١٩٤٩ وحتى وفاته فى ٨ يناير ١٩٧٦ ، وبدا فى النهاية وخاصة بعد اختفاء ليوشاوشى رئيس الجمهورية السابق [١٩٦٨] ولين بياو وزير الدفاع السابق [١٩٧١] ويحسب التعبير الذى استعاره أغلب المراقبين السياسيين ، بدا فى النهاية وكأنه « الكوكب التوأم » للرئيس ماو ومستشاره الاثير ، ورفيق كفاحه المقرب ، فقدوقف شواين لاى دوما مع الرئيس ماوتسى تونج خلال فترة الحرب الاهلية ، والحرب ضد اليابان ، والصراع ضد ما يسمى « بالمجموعة المعادية للحزب » التى تزعمها المارشال بنج ته هواى وزير الدفاع الاسبق ، وقائد المتطوعين الصينيين فى الحرب الكورية ، كما وقف مع ماو خلال مرحلة « القفزة الكبرى الى الامام » ، و « الثورة الثقافية » ، والصراع ضد اتجاه ليوشاوشى ، وفى الخلاف العقائدى مع الاتحاد السوفيتى ، واخيرا ضد لين بياو وزير الدفاع السابق ، وقد عاش حياة شخصية — ذلك طبقا لما يذكره الذين تعرضوا لسيرة حياته بالدراسة والبحث طابعها التضحية وانكار الذات والعمل من أجل تحرر الشعب الصينى .

ولد شواين لاى سنة ١٨٩٨ لاسرة ارستقراطية ، توفت أمه وهو فى عامه الاول ، وكانت من أوائل الصينيات اللاتى تلقين ثقافة حديثة ، فعنى به والده ، وكان اديبا يتمتع بثقافة واسعة ، الحقه باحدى مدارس الارساليات فى شمال الصين حيث تزعم الطلبة فى مدرسة تانكى الثانوية بتيين تسين ،

وكانت فترة دراسته الاولى فى جو الفوران والتراجع ، الذى صاحب الثورة على أسرة مانشو سنة ١٩١١ قضى سنة ونصف فى اليابان درس فيها فى جامعة واسيدا ، دخل السجن وهو فى جامعة تانكى بالصين ، واعتقل ، مرة أخرى ، لاشتراكه فى حركة ٤ مايو ١٩١٩ . رحل الى فرنسا سنة ١٩٢٠ ، ودرس فى باريس وعمل فى أحد المناجم ، وشارك فى انشاء فرع للحزب الشيوعى الصينى فى باريس واوروبا وقبل ان يعود الى بلاده فى ١٩٢٤ ، استكمل دراساته فى انجلترا والمانيا ، كما زار الاتحاد السوفيتى فى ١٩٢٣ ، وزاد تعرفه على الماركسية فى موسكو ، وعاد الى الصين ، وعينه الزعيم الوطنى الصينى صن يات صن ، سكرتيرا الاكاديمية وامبو العسكرية ، ثم اختير رئيسا للقسم السياسى بهذه الاكاديمية [من ١٩٢٤ الى ١٩٢٦] والتى كان يتولى ادارتها حينذاك شيانج كاى تشيك ، وقد تولى شواين لاى خلال ذلك سكرتارية الحزب الشيوعى الصينى فى اقليم كوانتونج سنة ١٩٢٤ وأصبح عضوا باللجنة الموكزية للحزب منذ ١٩٢٦ .

وكان قد تزوج سنة ١٩٢٥ من معاونته المخلصة ورفيقة كفاحه دنج ينج تشاو ، بيما كان شبح الملاحقة والموت يطاردانه ، وانجبمنها ولدا توفى صغيرا ، وفى ٢١ مارس ١٩٢٧ ، عندما أصبح مسئولا عن الشئون العسكرية ، أعلن بنفسه ثورة العمال فى شنغهاى سنة ١٩٢٧ ولكن شيانج كاى تشيك اغرق الشيوعيين فى بحر من الدم ، وطالب برأس شواين لاى الا انه استمر فى الكفاح السرى داخل شنغهاى حتى ١٩٣١ وأفلت مرات من الموت باعجوبة ، وبعد فشل انتفاضة عسكرية جديدة فى نانشانج ، انضم فى سبتمبر ١٩٣١ الى القاعدة الشيوعية فى كيانجسى ، التى تشكلت فى صورة « جمهورية سوفيتية » برئاسة ماوتسى تونج ، وأصبح شواين لاى القوميسير السياسى للجيش الاحمر الصينى فى كيانجسى من ١٩٣١ الى ١٩٣٤ ، واشترك مع ماوتسى تونج فى الدفاع من هذه القاعدة ضد الهجمات المتكررة لقوات حكومة تشيانج كاى تشيك ، وكان يقود مجموعة جيش بأكمله ، وفى اكتوبر ١٩٣٤ ، تلاشت جمهورية كيانجسى ، وبدأت المسيرة الكبرى [١٩٣٤ — ١٩٣٦] الى كهوف يينان فى شمال الصين ، وتعاون شواين لاى ، خلالها ونفذ بصورة مخلصة ، الخط الذى حدده ماوتسى تونج الذى أصبح حينذاك ، رئيسا للحزب الشيوعى الصينى ، وقد برز شواين لاى فى ذلك الوقت باعتباره ، الوجه الدولى البارز للثورة الصينية ، وقد وقع

عليه الاختيار مرات عديدة لتمثيل حزبه فى اجتماعات الكومنترن « الدولية الشيوعية » فى موسكو .

وقد أثبت شوأين لاى منذ عام ١٩٣٧ قدراته الكبيرة على المفاوضة ، عندما نجح فى مفاوضاته مع حزب الكومنت نج

من أجل خلق الجبهة الوطنية ضد اليابان مع كاى شيك ، وعاد لقيادة مجموعة جيش ضد اليابان ،

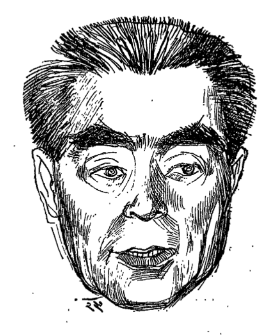
وفى تلك الفترة من عام ١٩٢٧ ، ساعد الكاتب الامريكى **ادجارسنو** وكان يقيم حينذاك فى بكين ، زوجة شواين لاى على الهرب من القوات اليابانية بعد أن حاصرت بكين ، وبعد أن تخفتهى فى زى فلاحة ادعى ادجارسنو انها ملحقة بخدمته ، ومكنها من اجتياز الحصار اليابانى ، والوصل عن طريق النهر الى تينتسين حيث انضمت الى القوات التى حررت الصين فيما بعد وهى حاليا عضو فى اللجنة المركزية للحزب .

وخلال الحرب العالمية الثانية ، كان شواين لاى أيضا هو الذى تولى مرارا المفاوضات مع الكومنتانج ، حتى نوفمبر ١٩٤٦ ، وهو الشهر الذى بدأ فيه استئناف الحرب الاهلية ، وعندما سقطت بكين فى أيدى الثورة ، تولى هو رئاسة الوزارة فى اكتوبر ١٩٤٩ ، وحتى وفاته فى ١٩٧٦ ، فى أطول مدة ربما يكون قضاها رئيس وزراء فى الحكم فى العصر الحديث .

وفى عام ١٩٥٤ تولى رئاسة وفد بلاده فى مؤتمر جنيف بشأن الهند الصينية . وفى عام ١٩٥٥ ، كان مع نهرو ، وعبد الناصر ، نجوم مؤتمر باندونج الافروآسيوى . وفى يوليو - أغسطس ١٩٥٩ فى لوشان ، كان أحد الزعماء الذين دافعوا صراحة عن ماوتسى تونج ، فى مواجهة الهجوم الذى تعرض له من قبل « المجموعة المعادية للحزب التى تزعمها المارشال **بنج ته هواى** . وفى عام ١٩٦١ ، كان سفره من موسكو قبل انتهاء المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، ايذانا بانتقال الخلاف المتنائدى الصينى - السوفيتى الى المجال العلنى .

وقد ظهرت من جديد ، قدراته الكبرى فى التوفيق بين مختلف الاطراف ، وتحقيق وحدة الصفوف ، عندما تفاوض ابان الاحداث المضطربة التى شهدتها الثورة الثقافية [١٩٦٦ - ١٩٦٨] مع الحرس الاحمر ، والقادة العسكريين ، وقد تدخل أكثر من مرة خلال تلك الاحداث للجم بعض المواقف التى تجاوزت الحد . وقد حافظ شواين لاى بمواقفه خلال الثورة الثقافية على صورة الصين أمام العالم الخارجى ، وعلى انتاجها حتى لا يتأثر بعد حد معين ، وعلى عناصر وكوادر فى الصين لا يمكن تعويضها مهما كان الامر ، وفى مقدمتها علماء الصواريخ والذرة وغيرها من فروع التكنولوجيا المتقدمة ، وحمايتهم من التجاوزات التى كان يمكن أن تحدث فى خضم حركة سياسية كبرى ، واسعة النطاق ، وبصورة لم يسبق لها مثيل ، كالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، ولعل مثل هذه المواقف وغيرها هى التى حدت ببعض الدوائر الصحفية الغربية لان تعتبر شواين لاى من أبرز زعماء بكين الذين أضفوا مظهرا حضاريا على الشيوعية الصينية » .

وليس ثمة شك أيضا فى أن شواين لاى ، لعب دورا مع الرئيس ماوتسى تونج ، فى وضع وتطبيق ما يسمى بسياسة



شواين لاى

استغلال التناقضات بين الدولتين الاعظم وبين [العالم الثانى] أى أوربا واليابان وسياسة تحسين العلاقات مع اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية ، التى وجدت تعبيرا أوليا عنها فى الزيارة التى قام بها الرئيس الامريكى السابق ريتشاردنيكسون لبكين فى فبراير عام ١٩٧٢ ، وفى زيارات الزعماء الغربيين للصين ، التى أعقبت ذلك ، كما يرى عديد من المعلقين السياسيين ان شواين لاى ونتيجة لكفاءته الخاصة ، هو الذى رتب فى الواقع علاقات الصين الدولية التى ادت فى النهاية الى دخول الامم المتحدة .

ومما يذكر أن شواين لاى ، كان من نواب رئيس الحرب الذين تم انتخابهم فى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الصينى الذى عقد فى أغسطس ١٩٧٣ . واذا كان المرض قد ألم به منذ يونيو ١٩٧٤ ، حيث أقام بالمستشفى طول الوقت تقريبا ، الا أنه أعيد انتخابه مرة أخرى ، رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٧٥ .

وربما كان « التقرير عن أعمال الحكومة » الذى قدمه شواين لاى الى الدورة ، الاولى للمجلس الوطنى الرابع لنواب الشعب فى ١٣ يناير ١٩٧٥ ، هو آخر وثيقة سياسية هامة قدمها شواين لاى قبل وفاته ، وربما كان يقدم فيها أيضا كشفا حسابيا أخيرا من بعض الانجازات التى شارك فى تحقيقها ، حيث قال : انه « لم تمض عشرون عاما وأكثر ، حتى استطاع شعبنا تحت قيادة لجنة الحزب المركزية ، برئاسة الرئيس ماو ، أن يحول بلادنا من دولة فقيرة متخلفة

الى دولة اشتراكية ذات ازدهار أولى » . وأوضح أن ذلك قد تم عن طريق الاستمرار فى تنفيذ مبدأ اعتبار الزراعة كأساس ، والصناعة كعامل قيادى » ووضع خطة الاقتصاد الوطنى حسب الترتيب التالى : « الزراعة ، فالصناعة الخفيفة ، فالصناعة الثقيلة » .

وقال فى نفس التقرير [فى يناير ١٩٧٥] : « لقد تجاوزنا الخطة الخمسية الثالثة ، وفى عام ١٩٧٥ سننجز بظفر الخطة الخمسية الرابعة . فى حقل الزراعة ، حققت بلادنا الحصاد الوفير فى السنوات الثلاث عشرة المتتالية ، ويقدر أن يزداد اجمالى قيمة الانتاج الزراعى لعام ١٩٧٤ بنسبة ٥١ فى المائة عن عام ١٩٦٤ . وهذا هو خير دليل على تفوق نظام الكومونة الشعبية . مع أن عدد السكان فى بلادنا قد ازداد ٦٠٪ منذ التحرير ، الا ان انتاج الحبوب الغذائية ازداد بنسبة ١٤٠٪ والقطن بنسبة ٤٧٠٪ ، واستطعنا فى بلد كالصين يبلغ عدد سكانه حوالى ثمانمائة مليون نسمة أن نضمن لابناء شعبنا حاجاتهم الاساسية من الغذاء والكساء . ويقدر أن يزداد اجمالى قيمة الانتاج الصناعى لعام ١٩٧٤ بنسبة ١٩٠ فى المائة بالقياس الى عام ١٩٦٤ . كما سجلت المنتجات الرئيسية زيادة كبيرة ، فازداد انتاج الصلب [فى نفس الفترة] بنسبة ١٢٠٪ والفحم ٩١٪ ، والبترول ٦٥٠٪ ، والطاقة الكهربائية ٢٠٠٪ والاسمدة الكيماوية ٣٣٠٪ ، والجرارات ٥٢٠٪ وغزل القطن ٨٥٪ ، والالياف الكيماوية ٣٣٠٪ . وخلال العشر سنوات الماضية ، وبالاعتماد على القوة الذاتية ، انجزنا ١١٠٠ من المشاريع الكبيرة والمتوسطة الحجم ، وأجرينا بنجاح تجربة القنبلة الهيدروجينية ، وأطلقنا القمر الصناعى ، وعلى عكس الاضطراب الاقتصادى ، والتضخم المالى فى العالم الرأسمالى ، فان الصين تحافظ على التوازن بين ايراداتها ومدفوعاتها ، وليست عليها أية ديون ، لا داخلية ولا خارجية ، والاسعار فيها مستقرة ، ومعيشة شعبها تتحسن تدريجيا ، وبناؤها الاشتراكى يشهد ازدهارا ونموا مطردين » .

وقد ذكرت وكالة أنباء الصين الجديدة ، فى البيان الذى اذاعته بمناسبة وفاة الزعيم الصينى « أن شواين لاى كان أحد ثوار البروليتاريا العظام ، ومناضلا ثوريا مخلصا ، وزعيما عظيما ، كان موضع تقدير الحزب والدولة » . وقالت : « ان وفاة شواين لاى المناضل العظيم الذى ناضل من أجل شعب الصين ، نعتبر خسارة جسيمة للحزب والجيش والشعب فى بلادنا ، وكذلك خسارة لقضية الثورة وبناء الاشتراكية فى الصين ، ولقضية النضال الدولى ضد الامبريالية والاستعمار والسيطرة ، وكذلك بالنسبة للحركة الشيوعية الدولية » . ووجه البيان نداء الى الحزب والجيش والشعب بأن يتخذوا جميعا ، شواين لاى نموذجا لهم » . وطالب « بالعمل على جعل الصين دولة اشتراكية عصرية ، تتمكن من احراز النصر لقضية الشيوعية » .

وفى الاتحاد السوفيتى ، ذكرت وكالة تاس فى ٩ يناير الماضى ان مجلس الوزراء السوفيتى قدم تعازيه فى وفاة شواين لاى رئيس وزراء الصين ، كما بعثت الحكومة السوفيتية ببرقية الى مجلس الدولة بجمهورية الصين الشعبية ، طالبت فيها تبليغ أسرة شواين لاى تعاطف الحكومة السوفيتية معها ومواساتها لها » . كما بعثت مختلف الدول الاشتراكية ببرقيات عزاء الى مجلس الدولة فى الصين الشعبية . ووصف قادة فيتنام الشمالية رئيس وزراء الصين الراحل فى برقية العزاء التى بعثوا بها ، بأنه « مناضل شيوعى فذ » ، كان « صديقا حميما وعظيما للشعب الفيتنامى الذى يدرك بعمق فداحة مصابه فيه » . أما صحيفة « لونيتا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى الايطالى فقالت « ان صفاته الدبلوماسية النادرة ، قد أحبطت مخططات الامبريالية التى استهدفت عزل حكومة بكين . ان قليلا من رجال السياسة يمكنهم أن يعتزوا بمثل شواين لاى ، بما حققوه من نتائج كبيرة خلال حياتهم السياسية » .

وقد بعثت جمهورية مصر العربية ، بوفد رسمى الى بكين للتعزية ضم الدكتور **حافظ غانم** نائب رئيس الوزراء ، ووزير التعليم العالى ، والدكتور **جمال العطيفى** وكيل مجلس الشعب والفريق **حسن الماهى** كبير الياوران ، وبعث الرئيس **أنور السادات** ببرقية تعزية الى شوتيه رئيس اللجنة الدائمة للمجلس الوطنى لنواب الشعب فى الصين الشعبية قال فيها « ان وفاة السيد شواين لاى رئيس وزراء الصين الشعبية تعد خسارة فادحة فى دنيا السياسة ، فقد خسرت الصين بفقده زعيما بارعا من خيرة زعماء العصر ، وسوف يخلد التاريخ ذكراه كزعيم فذ ورجل دولة من الطراز الاول ، ولن ننسى ومعنا شعوب العالم المتطلعة الى الحرية ، مواقفه المؤيدة لقضايا الامن والسلام ، جهوده المتواصلة من أجل التعايش السلمى ، وانى لعلى يقين بأن أسس الصداقة والتعاون التى أرسى قواعدها الزعيم الراحل بين بلدينا ، سوف تزداد مع الايام توثقا ونموا لما فيه خير شعبينا الصديقين ومصلحتهما المشتركة ولدعم السلام القائم على العدل » . كذلك بعث السيد **ممدوح سالم** رئيس الوزراء برسالة تعزية الى الزعيم ماوتسى تونج . كما بعث مختلف قادة الثورات العربية ببرقيات تعازيهم فى وفاة الزعيم الصينى ، وجاء فى برقية الرئيس الجزائرى **هوارى بومدين** فى ٩ يناير الماضى « اننا اذ نشاطر شعب الصين حزنه العميق ، وننحنى اكبارا لهذا الرجل العظيم الذى يتشرف به تاريخ بلاده ، فاننا لحريصون على أن نشيد بذلك الرجل الذى كان صديقا ورفيق نضال لم يدخر جهدا من أجل تأييد الثورة الجزائرية » ، أما **ياسر عرفات** قائد الثورة الفلسطينية فقد اعرب باسم « الشعب الفلسطينى » فى برقية العزاء التى بعث بها الى الرئيس ماوتسى تونج ، والى الحزب الشيوعى الصينى عن « خالص عزائه فى وفاة الزعيم المناضل شواين لاى الصديق المخلص للشعب الفلسطينى » وقال ياسر عرفات « ان الرفيق شواين لاى كان زعيما فذا نظرا للعمل الذى أنجزه لصالح أمته ووطنه ، ولصالح النضال من أجل التحرير فى كافة انحاء العالم . وسيظل اسمه خالدا ليس فى تاريخ نضال الشعب الصينى فحسب ، بل وايضا فى تاريخ النضال العالمى . »

من هو كنج هسياو بنج ! ؟

ويرجح أغلب المراقبين السياسيين أن **تنج هسياوبنج** [٧٢ عاما] ، النائب الاول لرئيس الوزراء ، والذى كان يمارس عمليا مهام رئيس الوزراء ، ابان مرض شواين لاى ،

هو الذى سيقع عليه الاختيار لتولى رئاسة الوزارة فى الصين ومن المقرر طبقا للمادة ١٧ من الدستور الصينى ، أن تقوم اللجنة المركزية للحزب بترشيح رئيس الوزراء الجديد .

والواقع انه بعد اختيار تنج هسياو بنج نائبا أول لرئيس الوزراء من قبل ، تراجعت فرص **لى شيين نيين** [٧١ عاما] وهو أيضا نائب لرئيس الوزراء ، فى أن يخلف شواين لاى فى منصب رئيس الوزراء . وقد عمل لى شيين نيين طيلة ربع القرن الاخير ، نائبا لشواين لاى فى المجال الداخلى ، وتولى الاشراف العام على شئون المال والاقتصاد والتجارة فى الصين ، فاذا حدث وتولى تنج هسياو ينج رئاسة الوزارة خلفا لشواين لاى كما هو مرجح ، فان تنج سيتولى بحكم خبراته فى هذا المضمار تصريف الشئون الخارجية ، والداخلية بالطبع وسوف يعاونه لى شيين نيين ، فى الاطلاع بالشئون الداخلية والاقتصادية بصفة خاصة بالاضافة الى القادة الصينيين الاخرين بالطبع . ومن هنا فانه من غير المحتمل أن تطرأ تغيرات ملموسة فى السياسة الصينية بعد وفاة شواين لاى لان مقدرات السياسة الخارجية ، والتنمية الاقتصادية سوف تستمر فى أيدى اثنين من نواب شواين لاى القديرين ، ومن أصدقائه ، يشبهانه فى نظرته للامور ، بل وحتى فى قدرته على تصريفها ، ويتمتع كل منهما بخبرة عميقة فى مجاله وبمرونة ، وقدرة على الادارة البارعة .

كذلك فاذا كانت الصين قد شهدت فى الاونة الاخيرة ، وخاصة خلال المؤتمر الوطنى العاشر للحزب الشيوعى [أغسطس ١٩٧٣] صعودا سريعا لمجموعة القادة الشباب من شنغهاى ، خصوصا **وانج هونج وين** الذى أصبح نائبا لرئيس الحزب مباشرة [وعمره ٣٨ عاما] **وتشانج شون شياو** الذى اصبح أمينا عاما لهيئة رئاسة الحزب ، **وياو وين يوان** الذى اصبح عضوا بهيئة رئاسة الحزب [علما بأن ٦٠٪ من سكان الصين أى ٥٠٠ مليون نسمة فيها من الشباب] الا انه لا يمكن فى نفس الوقت الدفع بهذه القيادات الشابة الى تولى مقاليد الصين فورا بعد وفاة شواين لاى ذلك انها تحتاج الى اكتمال التجربة والخبرة التى لا يمكن تحقيقها الا من خلال ممارسة فعلية أطول مدى للسلطة التنفيذية فى هذا البلد الكبير .

ومن هنا ، فان تعيين تنج هسياوبنج ، أصغر القادة المسنين وأكثرهم نشاطا ، سيكون فى الواقع مرحلة انتقالية أو حلقة وصل أو ربط بين القيادات المسنة ، والقيادات الشابة فى الصين ، طبقا لنظرية الرئيس ماو عن ضرورة تحقيق الاندماج الثورى الثلاثى بين المسنين ، والكهول ، والشباب ، والارجح أن تكون الفترة التى سيتولى فيها تنج هسياوبنج رئاسة الحكومة الصينية ، هى فترة الاعداد الحقيقى للقيادات الشابة ، لتولى مقاليد حكم الصين المستقبل

على انه اذا كان تنج هسياوبنج ، سوف يمثل على هذا النحو ، وبحكم خبرته الطويلة ونفوذه بين الجيل القديم فى الحزب ، مركز ثقل يتسم بالخبرة والتجربة يوازن قدرات الدفع الشابة ، التى يمثلها عنصرا شنغهاى وهما **وانج هونج وين وتشانج شون شياو** بصفة خاصة ، الا انه سوف يمثل أيضا ، عنصر توازن ، وتجريب وخبرة من ناحية اخرى ، مع الدور السياسى العسكرى القيادى الذى يمارسه على جيش التحرير **لى ده شنج** ، الذى يعد رجلا صغير السن نسبيا بالنسبة الى المهام الكبرى التى يضطلع بها .

فمن هو أذن ، تنج هسياو ينج ؟

انه أحد كبار المناضلين القدامى فى الحزب منذ أيام الحرب الاهلية ، وربما يعتبر أبرز قائد فى الصين من الـ ٥٠٠ مناضل حزبى الذين يقودون الصين اليوم ، والذين بقوا على قيد الحياة حتى الان من المجزرة التى دبرها تشيانج كاى تشيك لمناضلى الحزب الشيوعى الصينى سنة ١٩٢٧ ، والذين كان عددهم حينذاك ٥٠ ألف مناضل حزبى ، لم يبق منهم بعد المجزرة سوى ١٠ الاف ، مات أغلبهم الساحق ، حسبما أوضح الرئيس ماوتسى تونج فى حديث له عام ١٩٦٠ مع الكاتب الامريكى ادجار سنو .

انتخب تنج هسياوبنج فى الاسبوع الثانى من يناير ١٩٧٥ نائبا لرئيس الحزب الشيوعى الصينى وعضوا باللجنة الدائمة للمكتب السياسى ، وهو يبلغ من العمر حاليا ٧٢ عاما . اختفى من على مسرح الاحداث حوالى سبع سنوات بعد الثورة الثقافية ، ولم يعاود الظهور على هذا المسرح سوى فى أبريل ١٩٧٣ وقد أصبح منذ مرض شواين لاى ، منذ عامين ، الشخصية التى يلتقى بها الضيوف الاجانب البارزون فى اكثر الاحيان ، ويشير خبراء الشئون الصينية الى أن شخصيته أخاذة وتتسم بحيوية آرائه ، ووضوح منطقه ، واقتداره فى تناوله لادق المسائل وأكثرها حساسية ، وانه اذا كان رجل حكم وخبير ملفات ، الا أنه كان أيضا من المناضلين المحنكين فى صفوف حرب العصابات فضلا عن مقدرته الهائلة على الجدل .

سافر الى فرنسا عام ١٩٢٠ ، وكان عمره يقل عن سبعة عشر عاما ، مع عدد من مواطنيه المتطلعين الى التعرف على العالم الصناعى الحديث ، وعلى التراث الثورى فى أوروبا وعاش هناك أربعة أعوام على الاجر الذى يناله كعامل . واشترك فى مختلف حركات الاحتجاج الطلابية ، وفى نشاط فرع باريس فى رابطة الشباب الاشتراكى الصينى . وانضم الى الحزب الشيوعى الصينى فى ١٩٢٤ ، ثم عاد الى الصين فى ١٩٢٦ بعد فترة اقامة قصير فى موسكو .

وقد اقام تنج هسياوبنج فى نهاية العشرينات ، فى ادغال كيانجسى ، ثم تولى قيادة أحد الجيوش أيام جمهورية كيانجسى واشترك بالطبع فى « المسيرة الكبرى » ، وأصبح القوميسير السياسى للوحدات العسكرية التى كانت تزداد أهمية وقوة وفعالية أيام حرب ضد اليابان والحرب الاهلية .

ويحظى تنج هسياوبنج بالاعجاب فى جيش التحرير الصينى لانه هو الذى تولى قيادة الجيش الثانى مع مارشال ليوبوتشنج [عضو المكتب السياسى اليوم] وهو الجيش الذى قام بتحرير جزء كبير من جنوب غربى الصين [بما فيها اقاليم يونان ، وكويتشو ، وستشوان] من سيطرة شيانج كاى شيك ،

وهذه الانتصارات تفسر المكانة التي يتمتع بها تنج هسياوبنج في صفوف الشعب والجيش .

انتخب في ١٩٤٥ عضوا في اللجنة المركزية للحزب ، وبدأ يلعب دورا قياديا فعالا في عدة ميادين ، وفي يناير ١٩٤٩ شارك في معركة هوى هاى الشهيرة التي هزمت فيها قوات تشيانج كاى شيك ، وفي ابريل ١٩٤٩ ، كان على رأس الذين اجتازوا نهر يانجتسى ، ونظموا شئون الادارة الثورية الجديدة في المناطق الواسعة التي حررها الجيش الاحمر الصيني ، في جنوب الصين وغربها .

وفي عام ١٩٥٤ ، اختير نائبا لرئيس الوزراء ، وكان يعتبر الى جانب شواين لاى ، وليوتشاوتشى حينذاك ، أحد المسئولين الاوائل عن السياسة الحكومية .

وفي ١٩٥٦ ، غدا تنج هسياوبنج نجما حزبيا متألقا ، وأصبح بعد المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي ، أحد كبار المسئولين عن توجيه سياسة الصين في الداخل ، وأيضا المسئول الاول عن علاقات الحزب الشيوعي الصيني مع الاحزاب الشيوعية الاخرى في العالم ، وقد حضر بصفته هذه ، المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي في ١٩٥٦ ، ثم اجتماعي الاحزاب الشيوعية في ١٩٥٧ و١٩٦٠ ، كما تولى بنفس الصفة أيضا رئاسة الوفد الحزبي الصيني الذي زار موسكو عام ١٩٦٣ وأجرى آخر مفاوضات مرحلة « ما قبل القطيعة » مع المسئولين الحزبيين السوفييت ، والواقع أن قلم تنج هسياوبنج هو الذي غذى من الناحية الصينية ، الجانب الوثائقي للصراع الصيني – السوفيتي ، فهو الذي كتب مجموعة النصوص التي صدرت في بكين بعنوان « حول خروشوف وشيوعيته الزائفة » . وكان تنج هسياوبنج يجتمع مطولا مع الرئيس ماوتسى تونج ، ويتداول معه الامور الحزبية النظرية ، قبل أن ينكب على كتابة تلك النصوص .

وعندما هبت رياح الثورة الثقافية في ١٩٦٦ ، كان تنج هسياوبنج يتولى منصب سكرتير عام اللجنة المركزية للحزب ، وعلى الرغم من انه لم يهاجم بالاسم في الصحف الرسمية أثناء الثورة الثقافية ، الا انه تردد انه قدم في ٢٣ اكتوبر ١٩٦٦ نقدا ذاتيا علنيا لنفسه . وقد اختفى من مسرح الحياة العامة ، بعد ذلك سبع سنوات حتى عاود الظهور مرة أخرى في ابريل ١٩٧٣ . ويقال انه وافق على العمل بين القواعد و « الجماهير الواسعة » ، في احدى المزارع ، قد تكون في منغوليا الداخلية أو غيرها ، لاعادة التثقيف والتربية بروح وعمل هذه الجماهير .

ومن الواضح ، حسبما يؤكد عديد من خبراء الشئون الصينية ، أن تنج هسياوبنج ، لم يعمل قط ضد الرئيس ماوتسى تونج أو ضد شواين لاى ولم يؤيد قرارات رئيس الجمهورية السابق ، ليوتشاوتشى ، الذي كان يسعى في صيف ١٩٦٦ الحاسم الى عقد اجتماع للجنة المركزية ، من أجل حصار ماو في الاقلية .

ويقال أيضا أنه ربما كان من الممكن اعادة تنج هسياوبنج الى مسرح الاحداث في وقت مبكر عن ذلك ، لو لم يسع لين بياو الى عزل وابعاد اهم القادة الذين عارضوا لسياسته .

على أنه مما لا شك فيه أن العلاقات الرفاقية الراسخة ، التي توطدت على نحو استثنائي ، بين الرئيس ماو ، وتنج هسياوبنج ، خلال مختلف مراحل كفاح الثورة الصينية ، والثقة الكبيرة التي كان الرئيس ماو يوليها اياه ، كل تلك كانت من العوامل الايجابية في تكوين الرصيد الراهن لهذا السياسي الصيني الكبير . واذا كان ماو وشواين لاى ، قد دفعا به مرة أخرى ، الى مركز الصدارة في القيادة السياسية للبلاد ، فان ذلك يرجع دون شك – حسبما يؤكد خبراء الشئون الصينية – الى شخصيته ، وذكائه وخبرته ، فقد كان من هذه الناحية واحدا من أفضل القادة الصينيين – في نظر العديد من المراقبين – ان لم يكن الوحيد بهذه الصفات ، والواقع انه اصبح مرة أخرى لا يمكن الاستغناء عنه ، فهو يعرف الحزب الشيوعي الصيني اكثر من اى شخص آخر ، ولذلك أهميته الان بعد أن تم الالتزام بصورة أدق بذلك المبدأ الماركسي الذي وضعه الرئيس ماو « للحزب هو الذي يوجه البنادق » ، والذي وجد انعكاسا له مؤخرا في تخفيض عدد العسكريين في هيئات الحزب القيادية من حوالي ٤٥٪ الى حوالي ٣٣٪ كذلك فان تنج هسياوبنج ، يشبه شواين لاى ، ويختلف عن كل القادة الصينيين الاخرين تقريبا ، في انه يعرف العالم الخارجي معرفة أوسع وأدق كذلك فقد تم تعيينه في اواخر يناير ١٩٧٥ ، رئيسا لهيئة ركان الجيش ايضا ، وهو منصب كان شاغرا منذ سبتمبر ١٩٧١ بسبب اختفاء « هوانج يونج شينج » الذي اتهم بالاشتراك في محاولة لين بياو الانقلابية ضد الرئيس ماوتسى تونج .

وعلى أية حال ، فان الذي يخفف من وقع اختفاء شواين لاى من على المسرح السياسي الصيني ، هو انه بالامكان على النحو الذي اشرنا اليه ، تعيين بديل له يستطيع على اى حال أن يواصل المسيرة في ظل وجود الرئيس ماو . فاذا استطاع تنج هسياوبنج أن يواصل الحكم لعدة سنوات في ظل وجود ماو ، فان ذلك سوف يسهل الى حد كبير تنظيم مسألة خلافة ماو ، وسوف يوطد أقدام « الخلف الثوري » قبل رحيل ماو نفسه ، أما اذا غاب الرئيس مبكرا ، أو على نحو مفاجىء ، فقد تكون المهمة أشق على من يتولون زمام الامور ، لانه لم يتم تعيين أو ترشيح خليفة واحد لماو . فاذا كان قد تم بدلا من ذلك انشاء قيادة جماعية ، تضم العناصر المحنكة المجربة ، والعناصر الفتية الشابة ، في بوتقة « الاندماج الثوري » بين أجيال الصين الثلاثة ، لذا فالمعتقد بصورة عامة ، أن مسألة الخلافة سوف تحل في الصين على هذا النحو : بعد شواين لاى ، تنج هسياوبنج ، وبعد ماوتسى تونج ، قيادة جماعية .

خيري عزيز



كيف يفكر الاشتراكيون في أمريكا اللاتينية ؟

هذه هى الحلقة الاخيرة من الوثائق التى كانت « الطليعة » قد بدأت نشرها تحت عنوان « كيف يفكر الاشتراكيون فى امريكا اللاتينية » . وقد وقع هذه الوثيقة ٢٤ من الاحزاب الثورية فى هذه القارة : الاحزاب العمالية والشيوعية والاشتراكية . وكانت جريدة « جرانما » الكوبية قد نشرت نصها كاملا فى عددها الاسبوعى الذى تنشره باللغة الانجليزية فى ١٩٧٥/٦/٦ .



من سمات الكفاح الثورى فى امريكا اللاتينية انه معركة معقدة وصعبة ، تجد فيها كل القوى التى تعارض الامبريالية الامريكية مكانا لها ، ويحتم استخدام اكثر اشكال واساليب الكفاح تنوعا فى الحركة الثورية فى امريكا اللاتينية ، بعد تطويع هذه الاشكال وتحديد لحظة استخدام كل منها ،واخضاع ذلك للاوضاع المختلفة القائمة فى كل بلد على حدة • ان نجوء القوى المعادية للامبريالية الى كل الامكانيات القانونية المتاحة لها ، والى حماية حق الشعوب فى اتخاذ القرارات بالطرق الديمقراطية بالنسبة للتغيرات التى تصبو اليها ، مبدا ثابت من مبادىء كفاحنا •

والثوريون لايبدأون باستخدام العنف، ولكن من حق جميع الشعوب والقوى الثورية ومن واجبها ان تكون على اهبة الاستعداد للرد على العنف المضاد للثورة بالعنف الثورى ، وان تفتح الطريق بكل الوسائل امام معارك الشعوب بما فيها الكفاح المسلح لتحقيق الارادة الحرة للغالبية •

وتلعب الاحزاب الشيوعية التى تمد جذورها الى اعمق مصالح الطبقة العاملة دورا بارزا وتاريخيا ، وتقع على عاتقها مسئولية غير عادية فى هذا الكفاح ، وهى تستطيع ، كقوى تسير على هدى النظرية الماركسية اللينينية ،ولانها الوحيدة القادرة على وضع منهج ملائم فى الاوضاع المعاصرة المعقدة ، ان تقوم بهذا الدور فى تحالف القوى الثورية• الا ان هذا الدور لا يضمن القيام به مجرد فعالية وتاثير القوى الاجتماعية التى يمثلها هؤلاء وصحة النظرية التى يسيرون على هديها • ولكنه يتوقف على مدى ما يصبحون اكثر المقاتلين ثباتا من اجل التحرر الوطنى والاجتماعى ويتخذون مواقع طليعية اصيلة • فى الصراع من خلال العمل ، موضحين للشعوب برامجهم للعمل ومواقفهم التكتيكية والاستراتيجية التى تهدف الى وحدة جميع القوى المناهضة للامبريالية وانجاز التغييرات الثورية النهائية •

ولنا الحق نحن الشيوعيين أن نتوقع الاهتمام المتبادل لمواقفنا السياسية والايديولوجية من اولئك الذين يعملون معنا فى معارك الكفاح المشترك رغم الخلافات التى توجد بين البرامج المباشرة والامال النهائية لكلا الطرفين •

ولقادة الحركات المختلفة ، سواء كانوا من داخل حكومات امريكا اللاتينية او خارجها ، الذين يسعون الى حرية شعوبهم ، كل الحق ان يحددوا ان اهدافهم غير شيوعية • وسوف يحدد التاريخ من كان على صواب فى اختيار طريق تطور امريكا اللاتينية — اما نحن فلا يساورنا اى شك فى حكم التاريخ•

وهناك فارق بين ان يكون الشخص غير شيوعى وبين ان يكون معاديا للشيوعية ،الحالة الثانية معناها فقدان الرؤية التاريخية مما يجعل صاحبها يسير فى طريق اسوا القوى المتخلفة ويقوده حتما الى الفشل • فمعاداة الشيوعية موقف رجعى • وهى مركز الايديولوجيات المعادية للثورة فى عصرنا الحاضر • ويمكننا ان نكن الاحترام لغير الشيوعيين ، ولكننا لا نستطيع ابدا السكوت على اولئك الذين يضعون انفسهم فى زمرة المعادين للشيوعية ، وكذلك ليس فى مقدورنا ان نقف مكتوفى الايدى حيال اولئك الذين يتخذون عن وعى مواقف معادية للشيوعية •

واذا كانت الوحدة ضد الامبريالية ضرورية ، فوحدة قوى اليسار داخل تلك الوحدة اكثر ضرورة •

ان اثر الافكار الاشتراكية ، كنتيجة لانتصارات الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى فى اوربا وآسيا ، وللثقة التى يمنحها التقدم الاقتصادى والسياسى والاجتماعى الذى يحدث فى كوبا ، وللتقدم الذى احرزته النظرية الماركسية اللينينية كنظرية وحيدة تقدم الحل لمشاكل المجتمع المعاصر ، وللوجود النشيط الذى تمارسه الاحزاب الشيوعية، كل ذلك يسمح بأن يوجد فى امريكا اللاتينية — خارج هيكل تلك الاحزاب وخارج المنظمات الاشتراكية القديمة — يسار بدرجات متفاوتة تطلق بعض منظماته على نفسها صفة الماركسية اللينينية وتعلن الاشتراكية هدفا لكفاحها •

وعندما تحدد الاحزاب الشيوعية ما تختلف معه من المفاهيم الاستراتيجية او المواقف التكتيكية لتلك القوى ، تاخذ فى اعتبارها ما تهدف اليه بعض هذه الحركات فى حركتها هو هزيمة القهر الامبريالى والتقدم الى مواقع اشتراكية اصيلة•

ولا تسكت الاحزاب الشيوعية عن معارضة هذه الاتجاهات ولكنها تميز بين المواقف الخاطئة وبين المواقف المغامرة التى تدينها • ولا يمكن تصور العداء للشيوعية او اليسار المعادى للسوفيت• والشيوعيون — بهذا المعيار — يبذلون قصارى جهدهم لعزل اولئك الذين يتخذون هذه المواقف •

ولابد ان يبدأ الجدل بين قوى اليسار من مواقف الوحدة ، ولا بد أن يخدم هذا الجدل الوحدة على اساس المبادىء والهدف المشترك والتكتيك الملائم للظروف والاوضاع التى يمارس فيها الكفاح المشترك •

ولثقتنا فى مواقفنا ،فاننا على استعداد لاجراء الحوار اللازم بطرق تضمن الاحترام المتبادل ، بما يتيح للجماهير العاملة ان تميز طبيعة القضايا المثارة على حقيقتها • ولا يتعارض هذا مع تحليل كل موقف يثور حوله الجدل على حدة تحليلا صريحا ومتكاملا • ولابد ان نعمل على تقوية وحدة العمل بين اليسار• وعندما نطرح — نحن شيوعيى امريكا اللاتينية — هذا النداء للمناقشة فاننا نعلن استعدادنا للقضاء على جميع نواحى سوء الفهم بهدف التقدم نحو وحدة العمل •

ورغم ان الاحزاب الشيوعية يملؤها الفخر اذ تعتبر نفسها ممثلة الاشتراكية الاصيلة فى امريكا اللاتينية ، فهى على استعداد للمشاركة فى الكفاح مع جميع من يقاتلون بجدية فى سبيل اهداف متشابهة فى الوقت الحاضر •• وتتطلب الامكانيات التى تتفتح امام ثورة امريكا اللاتينية فى هذه المرحلة من نضالنا واقتراب المواجهات العظيمة والحاسمة مع العدو الامبريالى وحكومات الاستبداد التى تؤيدها ، تتطلب جهودا ضخمة للوصول الى الوحدة المنشودة والفهم المتبادل بين جميع اطراف القوى المعادية للامبريالية •

وعندما تعقد الاحزاب الشيوعية العزم على المساهمة بكل جهودها فى تطوير العمل الثورى فى امريكا اللاتينية فهى لاتدخر وسعا فى توصيل تاثيرها السياسى وافكارها الماركسية اللينينية الى الجماهير خاصة الطبقة العاملة ومنظماتها النقابية وهيئات عمال الزراعة والمؤسسات الزراعية والمجموعات الاخرى وفى تصعيد العمل الايديولوجى مع الفئات الوسطى فى المدينة والريف وفى نشر الماركسية اللينينية بين الطلبة والحرفيين والمثقفين والفنيين حتى تصبح هذه الفلسفة، بذلك قوة جماهيرية قادرة على التاثير فى السياسة التى ينتهجها كل بلد من بلادنا •

أن الكفاح العنيد لاثراء الفكر بين المناضلين ، ولنشر الثقافة الماركسية اللينينية النظرية والعملية ، وللوقوف فى وجه الانحرافات الاصلاحية او ما يسمى بالانحرافات اليسارية ، كل هذا

يكون عنصرا اساسيا لتقوية صفوف الشيوعيين ولسوف ينبح الاثراء الايديولوجي المتعاظم والنقد المستمر للحلقية والعقائدية والانحلال الليبرالي ، سوف يتيح ذلك للاحزاب الشيوعية ان نجاحا اكبر في كفاحها العقائدي الايديولوجي ضد الامبريالية وحكومات الاستبداد .

وفي اوقات متباينة من الكفاح ضد الامبريالية قد تقع فئات اجتماعية متعددة فريسة مواقف او تتأثر بمفاهيم اصلاحية مساومة او طائفية ضيقة . والصراع الدائب ضد كل من العاملين المؤثرين سوف يمهد لدعم وحدة العمل على اساس متين ، مما يؤكد اكثر واكثر الدور المستقل والطبقي للبروليتاريا الثورية .

وفي هذه المناسبة من التقييم ، تحيي الاحزاب الشيوعية في امريكا اللاتينية آلاف المناضلين الشيوعيين الذين سقطوا تحت اعلامنا خلال العقود الاخيرة في كل ركن من اركان امريكا اللاتينية دفاعا عن استقلال بلادهم وفي سبيل تحقيق الاشتراكية . اننا نحيي جميع المقاتلين الشيوعيين السجناء ، اولئك الذين يعانون الاضطهاد والتعذيب ونخص بالذكر الرفيق لويس كورفالان وانطونيو مايوانا ، وجيسم بيريز ، ونحن نطالب باطلاق سراحهم كما اننا نحيي الثوريين والوطنيين ـ من غير اعضاء احزابنا ـ الذين يقاسون اهوال السجن والتعذيب ، ونجدد تحيتنا لاولئك الذين سقطوا في ساحة الكفاح المشترك من اجل التحرر الوطني .

ان القهر الوحشي الذي يقع على الوطنيين والقوى التقدمية ، وخاصة الحزب الشيوعي البرازيلي والنازية لمواقفهم الثابتة ضد النظام الفاشستي يوضح الحاجة الى مواصلة التضامن بين امريكا اللاتينية والكفاح الديمقراطي والمعادي للامبريالية الذي يمارسه الشعب في البرازيل ، وتوسيع هذا التضامن .

كما اننا نعبر عن تضامننا مع المقاومة النشيطة التي يبديها عمال وشعب بوليفيا ضد ما يعانون من الدكتاتورية ، ومع الوطنيين الذين يواجهون القهر والسجن في باراجواي ، ومع شعب هايتي الذي يقاسي اهوال الدكتاتورية الرجعية ، ومع القوى التقدمية في الارجنتين التي تعاني من تحريض مجموعات القتلة الفاشست الذين تضمهم منظمة «Triple «A» ومع اولئك الذين يواجهون اضطهاد الفاشية في اورجواي ، ومع وطنيي بورتوريكو الذين يقوم النظام الاستعماري باضطهادهم وسجنهم ، ومع جميع الذين يعانون السجن والتعذيب على أيدي الحكومات الدكتاتورية وغير الديمقراطية في اماكن اخرى من امريكا . كذلك نعبر عن تأييدنا لشعب جواتيمالا وحزب العمل الجواتيمالي ، مقدرين الشجاعة والعزم اللذين يخوضان بهما معارك التحرر الوطني والاجتماعي في مواجهة نظام دموي غادر ، ومع الثوار والديمقراطيين في نيكاراجوا الذين يقاسون جميع الوان الاضطهاد على يد الذين يتعاونون مع الرجعية في جواتيمالا ويدسون انفهم بطريقة استفزازية في الشئون الداخلية لبلاد المنطقة .

اننا نسجل تضامننا الخاص مع « لوليتا ليبرون » الوطنية وهي أكبر المعمرات في بورتوريكو اللاتي يقضين حياتهن حاليا في السجن . انها رمز لجميع اولئك الذين يقاسون وطأة السجن بسبب آرائهم .

ونحن ، اذ ننادي بالوحدة والتضامن في سبيل الكفاح المشترك ضد الامبريالية ، ذلك الكفاح الذي يرتكز على اساس ثابت من الاممية الطبقية ، فاننا ، نحن الشيوعيين في امريكا اللاتينية ، نكرر تأكيدنا على ان كل حزب ـ مهتديا بالنظرية الماركسية اللينينية وآخذا في الاعتبار الاوضاع القومية القائمة ـ عليه ان يرسم سياسته .

٩

ادى الوضع التاريخي الذي نمارس فيه كفاحنا الحالي الى كسر حلقات الاستعمار والاستعمار الجديد والى فتح الطريق

اما التطور الوطني والتقدم الاجتماعي في بلادنا . وهذا الوضع يختلف كثيرا عما كان عليه منذ مائة وخمسين عاما ابان معركة اياكوشو .

اننا نشن معركتنا الجديدة للتحرر في وقت ترى فيه الدول التي وصلت الى الاشتراكية ،في تطور الشعوب الاقتصادي وقوتها الخلقية ، وفي القدرة على عزل اقتصادياتها عن التضخم والبطالة التي تهز الرأسمالية ، ترى في ذلك كل يوم دليلا على قوة النظام الاشتراكي بينما تعصف بالرأسمالية ازمة عامة تتفاقم باستمرار .

ويرتبط كفاحنا في امريكا اللاتينية بكفاح شعوب الهند الصينية التي تحتاج الى المساعدة الملحة في مجهودها لاستعادة بناء بلادها ، كما يرتبط بكفاح شعب كوريا من اجل طرد قوات الولايات المتحدة من الجنوب الذي تقوم الامبريالية بقهره ، ومن اجل الوحدة السلمية لبلادهم .

ويكون الكفاح في امريكا اللاتينية مع وجود كوبا التي تنتمي الى المعسكر الاشتراكي ، جزءا من التيار التحريري الذي يعطي اولئك الذين قرروا وضع حد لوجود اسرائيل الصهيونية كراس حربة للامبريالية في الشرق الاوسط ، وفي سبيل الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وشعوب غينيا بيساو وموزمبيق وانجولا التي تقوم بازالة الاستعمار من التاريخ ، واولئك الذين يكافحون ضد العنصرية في جنوب افريقيا واولئك في الجزائر والكونغو او الصومال وغينيا واليمن الجنوبية الذين يقومون باجراء تحويلات في صالح الاشتراكية .

وفي الساحة الدولية لايزال التناقض الاساسي في الوقت الحاضر ـ وهو التناقض القائم بين الاشتراكية الصاعدة والامبريالية الافلة ـ قائما . وفي الكفاح ضد الامبريالية هناك ثلاثة تيارات رئيسية تتقاسم الساحة : النظام الاشتراكي العالمي ، والطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطني . ويقف عاليا ومشرفا دور الاتحاد السوفيتي في نمو الاشتراكية المتعاظم .

ومنذ ثمانية وخمسين عاما تأسست تحت قيادة لينين وحزبه البلشفي اول دولة اشتراكية ظافرة ، توقع ممثلو الامبريالية والرجعية العالمية بأن الهزيمة السريعة ستكون نصيبها . وبعد عدة عشرات من السنين وعندما بدأت هذه الدولة تحرز بجهود عمالها وفلاحيها الخارقة وخلال خطط السنوات الخمس ، القوة الاقتصادية التي عجزت عن احرازها الرأسمالية ، وكل الامبرياليون الى النازي مهمة تحطيم الاشتراكية . ولقد اجتاز الاتحاد السوفيتي بنجاح الاختبار وتغلب ببطولة شعوبه على جميع الهجمات التي شنت ضده وهو الآن يعبر تعبيرا رائعا عن الاشتراكية التي تسير نحو المثل الشيوعية التي كانت تبدو منذ قليل صعبة التحقق او مستحيلة .

ولقد قام الاتحاد السوفيتي وحزبه الشيوعي بواجبات الاممية البروليتارية الى جانب الانتصارات التي احرزها في الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تزيد من رفاهية وسعادة شعوب الاتحاد السوفيتي التي لم تقتصر مهامها على حماية الانسانية من النازية التي كلفتها عشرين مليونا من ابنائها وبناتها كما حملتها خسائر اقتصادية ضخمة ، بل مكن صمودها شعوب اوربا وآسيا التي قررت السير في الطريق الاشتراكي ، من القيام بالتحولات الثورية دون ان تتمكن الامبريالية من وقف مسيرتها .

ولقد كان وجود الدولة الاشتراكية الاولى ، هنا في امريكا اللاتينية نفسها ـ كما اعلن الرفيق فيدل كاسترو ـ والسياسة الحازمة التي اتبعها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ،بجانب

تضامنه وعونه المباشر الذى ساند بـه مـواقف كوبا الايديولوجيه والسياسية الثابتة . هو الذى مكن كوبا التى كانت على استعداد للفناء فى سبيل تحقيـق استقلالها الوطنى وبناء الاشتراكية ، من ان بصمد فىمواجهةالتهديدات المسعورة التى قامت بها امبريالية الولايات المتحدة التى كان يقال انها قوة خارقة .

وفى هذا الاجتماع للاحزاب الشيوعية فى امريكا اللاتينية والكاريبى ، يعلن ممثلو هذه الاحزاب مرة اخـرى عن مشاعر الاحترام والثقة والتقدير التى يكنونها نحو بلاد لينين ونحو الحزب الذى بناه البلاشفة .

وتشكل قوة الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى ، وهى القوة التى ستكون اكثر تأثيرا عندما تتخلص الحركة الشيوعية العالمية من انقساماتها بالنسبة لامريكا اللاتينية كجزء من التجمع الهائل المكون من العالم الذى ترك وراء الاستعمار والاستعمار الجديد ويتحرك نحو التطور ، تكون قوة الاتحاد السوفيتى ضمانا متينا فى وجه العصابات التى يجابهها والمعركة غير المتكافئة التى يخوضها فى سـبيل التحرر الكامل .

تؤيد الاحزاب الشيوعية فى امريـكا اللاتينية ، وهى تعى ضرورة تعزيز الحركة الشيوعية الدولية كخط دفاع اول لجميع القوى الاشتراكية والمعادية للامبرياليه والثورية ، عقد مؤتمر للاحزاب الشيوعية وهى تضم امكانياتها الى امكانيات جميع الشيوعيين فى العالم لايجاد الاوضـاع التى تجعل هذا المؤتمر مساهمة ايجابية فى تقوية الحركة العمالية والشيوعية العالمية .

ويؤكد التعاون المتنامى بين البـلاد النامية والمتخلفة ، وبناء مجموعة ٧٧ « دولة » فى الجزائر ، وكذلك قوة حركة البلاد غير المنحازة ، يؤكد ذلك كله نمو الوعى السياسى فى تلك المنطقة من العالم التى تكون ثلاث قارات . ان برامـج الدفاع عن اقتصاديات تلك البلاد التى تدعمها حركة بلاد عدم الانحياز ، وهى البرامج التىوضعت فى مؤتمر جورجتاون وتجسدت فى المؤتمر التاريخى الرابع فى الجزائر ، هذه البرامج مكنت الدورة الخاصة السادسة للامم المتحدة من تكوين منبر نوقش فيه بعمق حق بلادنا فى التحكم فىثرواتها .وهكذا اتضح الشمول الذى تواجه به شعوب العالم كلـه الامبريالية . وتأكد ان كفاح امريكـا اللاتينية جزء من صراع سياسىواقتصادى باتساع العالم كله .

وتضم حركة البلاد غير المنحازة بلادا عقدت العزم على بناء الاشتراكية مع بلاد مازال فيها نظام شبه اقطاعى ، وبرغم ان هذه البـلاد لا تتفق جميعها فـى المواقف التى تتخذها فانها تتحد لمواجهة العدو الواحد وهو الامبريالية ولمواجهة الحـاجة لضـم جهـودها لتهـزم غرور الامبريالية واعتداءاتها .

ومن الاهميه بمكان لكفاح امريكـا اللاتينية وجميع البلدان المتخلفة والنامية ان نعى انها لا تقف وحدها ، وان تقدر قيمة القوى التى يمكن ويجب ان تعتمد عليها . ولقد ساهم الرفيق فيدل كاسترو السكرتير الاول لحزب الشيوعيين فـى كوبا مساهمة تاريخية فى كفاح بلدان عدم الانحياز فى الجزائر عندما بين لها الحاجة الملحة والعاجلة الى فهم دور الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى كحلفاء طبيعيين لا يمكن الاستغناء عنهم للذين يكافحون فى سبيل حريتهم ، كما فضح النظرية الخاطئة التى تقـول بوجود « استعمارين » تلك النظرية التى تخدم الاهداف الانقسامية التى تسعى اليها دائما الامبريالية الوحيدة الحقيقية . ويكون هذا الوضع للحركة الثوريةالعالمية مساهمة اخرى للثورة الكوبية ضـد الاشكال الجديدة للايديولوجية الرجعية.

وعندما تكافح الطبقة العاملة والفئات الشعبية الاخرى فى البلاد الرأسمالية المتطورة فى سبيل مصالحها ومن اجل السلام ، وعندما تحاول القوى المتقدمة فى تلك الدول احداث تغييرات تؤدى الى ضرب نفوذ الاحتكارات ، فهى توجه ضرباتها الى الامبريالية . وتكون الطبقة العاملة ، والاعداء الداخليون الاخرون لرأس المال الكبيـر ـ بجانب البـلاد الاشتراكية وحركة التحرير الوطنى ، جزءا اساسيا من الحلف الكبير الذى تحتاج اليه مواجهة الامبريالية وهزيمتها هزيمة نهائية .

وداخل هذا الهيكل من التضامنالدولى تطرح الوحدة اللازمة لجميع الشـعوب وقوى التحرر فى امريكا اللاتينية وعلى نطاق القارة ، نفسها بقوة اكبر . وهذا هو السبب الذى يجعلنا نهتم باثارة مشاكل الحدود المفتعلة بين بعض البلدان التى تثيرها العناصر الشوفينية واجهزة الجاسوسية الامبريالية التى تحـرض على اثارة الحروب الاهلية لحل المشاكل التى يجب ان تشارك الشعوب فى حلها حلا سلميا دون تدخل من الامبريالية .

وتعنى هذه الوحدة ضد الامبريالية ، اولا وقبل اى شىء ، وحدة العمل ، الوحدة فى تعبئة الجماهير العريضـة وضم الفئات والقوى التى مازالت تقف بعيدة عن الكفاح رغم انها تعانى مـن الاستغلال والبؤس ، الوحدة فى سبيل الجمع بين اشكال متعددة وواقعية مـن الكفاح ، وحدة العمل بجراة وبطـرق مبتكرة بحيث يرتبط الثبات على المبدأ بالشمول اللازم حتى لا نفقد قوة واحدة من القوى التى يمكن ان تنضم الينا .

وللشباب والنساء مكان بارز فى تلك الوحدة التى لايمكن ان تؤجل والكفاح ضد الامبريالية وفى سبيل الاستقلال الوطنى التام هو بالنسبة لملايين الشباب فى امريكا اللاتينية واجب مقدس وحق مقدس . انه قضية خلفاء ابطال معارك التاريخ الظـافرة . والتحرر الوطنـى والاجتماعى هوالطريق الوحيد الى القضاء على الامية والتخلف وسوء التغـذية والبطالة والبغاء والتمييز وانعدام الامن، ولبدء حياة جديدة لتلك الحياة التى تملا شباب كوبا بالابتهاج وتجعلهم يتحملون مسئولياتهم .

وتمارس النساء فى امريكا اللاتينية كفاحا مزدوجا ، فهن يشاركن فى الكفاح الشامل كجزء من الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الثوريين الى جانب اخوتهـن الرجال كما يقمن بممارسة كفاحهن الخاص بهن فى سبيل الحصول على حقوقهن فى المساواة الحقيقية والعمل والحصـول على الثقافة التى يطمحن اليها ، كل ذلك فى مواجهة الوضع الكئيب الذى يتميـز بقتل النساء والرجـال على السـواء والجوع والفقر لابنائهن .

انه صراع يشنه كل بلد فى امريكا اللاتينية كذلك خارج حدود تلك البلدان، فكل نصر يتحقق هو ملك للجميع ، وكل هزيمة تقع على اى بلد تهزنا جميعا .

وهؤلاء الذين تمنوا ان يثيروا مخاوف الوطنيين فى امريكا اللاتينية مما حدث فى شيلىيشهدون باعينهم فشلالفاشيست فى شيلى . فالالاف الذين ماتوا فى شيلى مع الليندى والسجن الذى يعانيه آلاف آخرون فى الزنازين التى يشاركهم فيها القائد الشيوعى كورفالان والشخصيات السياسية الاخرى من امثال جمنانز بتر وباوتسـتافان شـوين وبدرو فيليب ـراميريز وانيبال بالى وفرناندرنلوز وليوبولدولونا ، لم يخدم هذه الزمرة الحاكمة فى تهدئة الشعب فى شيلى . وبالعكس فقد زاد الموقف الامين الذى وقفه الشعب فى مواجهة هذه الاعمال الغاشمة من قوته . وكما احرزت كوبا نصرها سوف تحرز شيلى نصرها كذلك وسوف يحطم الشعب فى شيلى الفاشية .

ولقد بدأت واشنطن و « منظمة الامم الامريكية » .

التابعة لها عملية عزل كوبا منذ اثنتى عشرة عاما ، وفى عـام ١٩٦٤ احرزت نصرا مؤقتا ومخجلا فى نفس الوقت عندما فرضت الحصار على الجزيرة التى كانت قد عقدت العزم على ممارسة حريتهـا وفرض سيادتها .

ولقد اتاح الصمود الثورى للشعب فى كوبا ان ينزل اول هزيمة عسكرية

بامبريالية الولايات المتحدة فى القارة فى بلايا جيرون ، وان يرفع راسه الى ان جاء الوقت الذى اوجدت فيه التغيرات المستمدة من انتصارات كوبا ومن كفاح شعوب امريكا اللاتينية التى ساهموا فيها، الظروف التى واكب فيها سقوط سمعة منظمة الامن الامريكية ، هزيمة مخططات واشنطون . وبدلا من منظمة الامن الامريكية المتعفنة ، تحتاج امريكا اللاتينية الى المنبر الخاص بقارتها الذى سيمكنها من تنظيم الدفاع عن مصالحها المشتركة والكفاح فى سبيل تصفية اتفاقية العون المتبادل الامريكية التى لا ينطبق اسمها عليها فهى اداة عسكرية خلقتها امبريالية الولايات المتحدة لتغذية سياسة « الحرب الباردة » تحولت الى عصا غليظة ضد استقلال شعوب امريكا اللاتينية .

وفى هذا التحول حيث تمثل النكسة التى اصابت شيلى حافزا لشن معارك جديدة واكثر عمقا ، هناك دم الالف الامريكيين اللاتينيين الذين ماتوا على الجبال وفى المدن . فى معارك حرب العصابات وفى معارك المدن وفى الاضرابات ومظاهرات الشعوب . وهناك دم الشيوعيين والمناضلين من تيارات واتجاهات اخرى تتجسد اليوم فى هذا الارجنتينى العظيم والكوبى والامريكى اللاتينى ذى الابعاد العالمية :

ارنستو جيفارا :

ان هذا الدم يعزز وحدتنا ويحفزنا الى العمل ، وعلينا أن نشحذ استراتيجيتنا وتكتيكنا باستمرار ، اختصار الطريق الى قدر امريكا اللاتينية . وخلال هذا الطريق تعبر الاحزاب الشيوعية فى امريكا اللاتينية والكاريبى عن استعدادها الثابت لخوض المعركة فى سبيل التكامل الاقتصادى والوحدة السياسية لبلادنا ، وهذه الاحزاب مدعوة الى تكوين مجتمع عظيم كان بالامس القريب حلما من احلام الاستقلال التى نراود آباءنا واصبح اليوم شرطا للبناء والتطور ، وهو مؤهل ، نظرا لضخامة موارده الطبيعية ونشاط شعوبه والخبرة التى يملكها ابناؤه ، لاحتلال مركز مرموق فى عالم الغد . ولا يستطيع القيام بهذا الدور التاريخى العظيم سوى الشيوعيين .

لقد اوضحت لنا الذكرى الخمسون بعد المائة لمعركة اياكوشو ما يبقى علينا ان ننجزه ، ولقد آن الاوان أن نحث من المسيرة حتى نصل الى الاستقلال الثانى والحقيقى والثابت الذى سوف يفتح الطريق — بعد تحقيق الحرية — نحو آفاق التحول الاجتماعى العظيمة التى تمثل لغالبية رجال ونساء امريكتنا املا جديدا ،

فالى الامام من اجل استكمال التحرر الوطنى والاستقلال لبلادنا والديمقراطية ورخاء الشعوب ، والسلام العالمى والاشتراكية

« انتهت الوثائق »



ملحــق الأديب والفن

جمهـــور ٧٥ .. مـاذا قـرأ ؟

الادب : هل هى بداية حقبة جديدة ؟

اتحـاد الكتاب .. مناقشـات وتعقيب

قصيدة من المغرب : أخـــانـا الــذى فى القلب

الأدب والفـــن فى شـــهر :

- عمـدة النـاصرة الشـاعر الثــائر
- سـينما : ليسـت المجـاعة قدرا .. لـكنه الاستغلال .
- فن تشكيلى : زكريا الزينى .. هل آن للغريب أن يعود ؟
- مسرح : مشـاهد مسرحية فى ليـل لندن
- رواية : الغـربة والضحك فى « الخماسين »

جمهور ٧٥ .. ماذا قرأ

الأدب

هل هى بداية حقبة جديدة ؟

انيا لا ننتوى هنا ان نتحدث عن «أدب ١٩٧٥» مثلما يتحدث الاقتصادى فى نهاية السنة المالية بحساب الارباح والخسائرفالادب والفن بوجه عام لايحسبان ولا يقيمان بانتهاء السنوات او بداياتها . ولكننا نظن ان هذا العام ، قد تجمعت فيه مجموعه محددة من الظواهر اللافتة للنظر ، سنتحدث عنها حالا ، تجعل من هذا العام بداية لحقبة جديدة للادب المصرى : مثلما قد يكون نفس العام نقطة التحول الى حقبة جديدة من تاريخ تطور المجتمع المصرى ككل : سياسيا واجتماعيا واقتصاديا : ومن تاريخ تطور ثقافته القومية بالتالى .

لا تزعجنا حالة التوقف او التجمد او « الوخم » ـ أو حتى النكوص والارتداد فى بعض الجوانب ـ التى ترين فى الظاهر على الاجزاء الاكثر « بروزا » من حياتنا الادبية أمام عيوننا اذ نتلفت عاما الى الوراء . ما الذى يزعج من فزاعات طير حركت اطرافها ريح شاذة تثار لكى توقف مؤقتا تيار التاريخ ؟ انتاجها الردىء المتخلف وتظاهرها احيانا بأنها المدافعة عن التراث العظيم الذى تسىء استخدامه وفهمه ، او بالتحديد « الرحيق » او بالاعتناء النقدى بنكرات الكتابة ومجاهيل الادب أو بالموضوعية فى الاهتمام بأشباهها او بـ « الظواهر » الجديدة .. أقول ان كل هذه الشعوذات المؤقته الناتئه فوق تضاريس حياتنا الادبية كرؤوس الدمى القديمة المهشمة ، يصعب حقا ان تكون مصدرا للازعاج . وانى لارجو ان تحاول الاجهزه المسؤوله عن توزيع اعمالها الادبيه أن تنشر الارقام الحقيقيه ـ بطريقه معتمدة ـ لتوزيع ما ينشرونه من كتب النظم الردىء والروايات ومجموعات القصص والكتب « النقدية » .

هناك طبعا ما يزعج .. منعا لاصحاب المواهب الحقيقية والاحترام الصادق للنفس والحقيقة وللجمال من الحصول على فرصتهم العادلة ـ حتى فى التساوى مع الشطار والنصاح والوجهاء وصبيانهم .. الخ .. الخ .. وتعطيلا بالتالى مسيرة تطور ادبنا القومى وثقافتنا القوميه تطورا لا يمكن ان يتحقق الا على ضوء العقل النقدى الواعى والمعرفة الصحيحة والاحساس الاصيل بحقيقتنا بكل جوانبها ومثلها العليا .

وهناك « ظرف » معين ، لابد من الاشارة اليه هنا ، بسبب تأثيره الخطير ومشاركته فى عملية «التعطيل» تلك . لقد تضافر « تأميم » أجهزة النشر والتوزيع او تمليكها لجهات رسمية مع محدودية سوق الكتاب الادبى المصرى [محدودية بحكم الامية السائدة من جهة ، وبحكم المنافسة القوية من وسائل

الاتصال الجماهيرية من جهة اخرى ، ومن جهه ثالثة ، بحكم الحواجز العقلية والشعورية التى تقيمها منتجات « الثقافة » الهابطة . والتجارية ؛ المستأثرة بحماية ورقابة وسائل الاتصال الجماهيرية نفسها] تضافرا مع « التضخم » الاقتصادى والارتفاع الفاحش فى اسعار الضروريات والكماليات [واكثر الحماسيات ثانويه — نظرا لكل الظروف السابقة — هى بالطبع كتب الادب الجادة والجميلة] .. أقول ان كل هذه العوامل تضافرت لكى تجعل مسألة اعتماد الكتاب او مجموعة الكتاب الاصلاء المبدعين على انفسهم او على مؤسسات النشر الخاصة لنشر كتبهم مغامرة او تضحية مكلفة بحاجة الى اخلاص من نوع خاص .

ويقودنا هذا الظرف بالضرورة الى الظواهر المحددة التى تجمعت ملامحها فى العام المنتهى : والتى تدفعنا الى الظن بأهمية خاصة لهذا العام فى علاقته بالاعوام القادمة .

● **اولى هذه الظواهر هى بداية تحول الكثيرين من كتاب « القصة القصيرة » الشبان الى** الرواية ، باحثين فيها عن اشكال وقوالب ومضامين ونماذج من البشر والعلاقات جديدة « حقيقيا » كلها ، يؤكدون فيها عثورهم على أساليبهم التعبيرية الخاصة وطرق استخدامهم المتميزة للغة وللقوالب والتراكيب والاساليب ، التى تؤكد انهم تمكنوا دون معونة من أحد غالبا [سوى الاهتداء بأعمال ابداعية ونقدية محددة] من حل مشاكل فنيه » كثيرة قديمة ، وتؤكد أيضا انهم يطرحون مشاكلهم الفنية الخاصة



نعمان عاشور



الفريد فرج

الجديدة التى يجب أن يعثروا على حلها أو أن يتركوها لحقبة لاحقة .

اننى أشير هنا الى روايات : « **نجمة اغسطس** » **لصنع الله** ابراهيم و « **الطوق والاسورة** » **ليحيى الطاهر عبد الله** ، « **الزينى بركات** و « **الزوينى** » **لجمال الغيطانى** ، « **الخماسين** » **لغالب هلسا** و « **صدمة طائر** غريب **لكمال القلش** . ونلاحظ هنا أن « الرواية » كنوع أدبى ، وبالصورة التى تظهر بها فى روايات بعينها ظهرت هذا العام ، وان كانت قد كتبت أو بدأ التفكير فى « تجربتها » منذ سنوات ماضية قد تعود الى أواخر الستينات ، أقول ان الرواية كنوع أدبى ، وبالصورة التى ظهرت بها فى تلك الروايات لم تفقد خاصية هامة من خصائصها — رغم كل جوانب « **التجديد** » فى الاشكال والقوالب والنماذج والبشرية والعلاقات واساليب التعبير وطرق استخدام اللغة وهى خاصية القدرة على تجميع عدد كبير من جزئيات حياة الجماعة الانسانيه [**كتلة وافرادا** متمايزين] بجانبيها الحسى والمعنوى ، واستخدامها كمادة خام تتحول الى كيان فنى ، او « واقع » جديد متسام ومصفى وخاضع للوعى النابع من ارادة الكاتب وموهبته [**قدرته على** البناء والتشكيل والنسج] ومشبع برؤية الكاتب الى « الحقيقة » التى استمد منها مادته الخام من اجل تجسيد المثل الاعلى الذهنى الجمالى الخاص الذى يطمح الكاتب الى تحقيقه فى عمله . وستكون لنا عودة الى هذه الروايات الست بالتحديد ، والى جذورها او جذور « الحساسية الجديدة » التى تعبر عنها من أعمال مصرية وعربية « **غالبا** » والى اسباب هذا الازدهار الطيب للنوع الروائى .

● **الظاهره الثانيه هى تراجع مكانه الدراما المسرحيه عن مركز الصداره الذى احتلته فى حركه الابداع الادبى فى مصر حتى اوائل السبعينات : وتقدم « الرواية » لا القصة القصيرة** ولا الشعر ، لكى تحتل مركز الصدارة . [ولنلاحظ ايضا أن الدراما السينمائية ، ذات الطابع « الواقعى التقليدى » تتقدم — راجع ملحق الادب والفن — الطليعة — العدد السابق] فلم يشهد عام ١٩٧٥ من الانتاج الدرامى البارز سوى « برج المدابغ » لنعمان عاشور و « رسائل قاضى اشبيليه » لالفريد فرج — ونشرت فى مايو الماضى فى مجلة البلاغ البيروتية و

« رسول من قرية تميرة » لمحمود دياب .

ان ازدهار الدراما المسرحية يحتاج الى شروط كثيرة ، اولها واكثرها اهمية هو سيادة موجة من التحرك الاجتماعي الحر الى الامام والتحرر الفكرى المصاحب له بالضرورة [من أثينا الفلاسفة العقليين والثورة الاجتماعية ، الى انجلترا بيكون ونيوتن واندثار الاقطاع ، الى باريس الموسوعيين وازدهار البورجوازيه ، الى المانيا هيجل وتلامذته والتحرك الديمقراطى بعد بسمارك، الى بطرسبرج وما بعد ثورة ١٩٠٥ ، الى المانيا ثانية فى ظل جمهورية فيمار ، الى لندن وباريس و « مسرح نيويورك » فى الستينات الماضية المشتعلة بثورات الشباب هذا اذا شئنا مثالا سريعا مستمدا من تاريخ الدراما المسرحية الغربية] .

ولم يكن صمت كتابنا الدراميين الكبار « باستثناء نعمان عاشور ، الكاتب المتخصص فى ازمة البورجوازية الصغيرة ، والفريد فرج الذى وجد فى التاريخ والتراث وما يحتويان من قيم انسانيه عامه وثابتة ملاذه الروحى ومحمود دياب الوحيد الذى يجمع بين القدرة على تاليف قصته الدرامية وبين تحقيق قامة الرؤية وتجاوز الدعوة الى البشارة ، وبين القدرة على اكتشاف قوالبه الدرامية الخاصة الجديدة تجسيدا لمثله الاعلى الجمالى الخاص وليس انبهارا او تقليدا لنموذج جاهز سابق «كما لم يكن تراجع مستوى انتاجهم او هجرتهم الى الخارج سوى بداية ازمة الدراما المسرحية المصرية .

فقد كان من الممكن أن تحل محلهم ، او تقف الى جانبهم ، موجة من الجيل الجديد من الكتاب المسرحيين لو ان الظروف الموضوعية كانت تفرض ازدهار الدراما المسرحية .. ولكن هذا الجيل يتحول الى الرواية ، لا الى هذه الدراما المسرحية التى يعرفون انها لن تعتلى منصة المسرح ، فتظل ناقصة التحقق كعمل فنى لا يكتمل الا على تلك المنصة ، مثلما حدث لمسرحيات نعمان عاشور والفريد فرج ومحمود دياب بأحكام رقابية أو بالاعيب أجهزة القراءة والادارة فى هيئة المسرح .

● **الظاهرة الثالثة هى الضعف البادى على حركة القصة القصيرة .** لقد بدأت طلائع « الحساسيةالجديده » فى هذا النوع الادبى بالذات ، الى جانب نوع آخر ، هو القصيدة الغنائية التى سنتحدث عنها حالا . هناك بطبع قصص قصيرة ممتازة واصيلة التجديد «اى أصيلة التعبير عما هو جديد فى الحياة العامة والباطنه لجماعتنا الانسانية » تنشرها بعض المنابر القليلةالتى استبقت لنفسها القدرة على التذوق والحكم السليم أو التقدير « الحر » وغير المتحيز الا للصدق الفنى والجمال . ولكن هذه القصص المتفرقة لا تشكل موجة من التاليف القصصى مثل تلك التى شهدتها الستينات « والتى كانت ـ رغم تزامنها مع ازدهار الدراما المسرحية وانغلاق النوع الروائى على اسماء مؤلفيه الكبيرة التقليدية ـ كأنها الارهاص بمقدم الظروف الاجتماعيه والسياسية التى ستولد الحساسية الجديدة حيث يتركز ازدهارها فى الرواية وبتراجع الدراما المسرحية الى الوراء » .

لقد « امتنع » يوسف ادريس وادوارد الخراط ويوسف الشارونى عن انتاج القصة القصيرة ، ولا أقول انهم«كفوا » عنها بعد ـ فربما تكون هى التى امتنعت عليهم . وباستثناء مجموعة فاروق منيب « عابرو سبيل » لا نسمع صوتا متميزا للجيل الاوسط من كتاب القصة القصيرة ، ورغم استمرار أسماء بارزة من جيل الستينات واوائل السبعينات : يحيى الطاهر عبد الله وابراهيم اصلان ومحمد المنسى قنديل وغيرهم فى الكتابة وتحايلهم على النشر ، فان « حجم » انتاجهم مجتمعين ، وتكرارهم للحلول المحدودة التى سبق لهم اكتشافها لمشاكل نوعهم الادبى الفنية القديمة ، واخشى أن اضيف عجزهم عن تجاوز المشاكل الفنية الجديدة التى طرحها انتاجهم السابق .. كل هذه عوامل تشترك ـ ذاتيا ـ فى تحديد افق القصة القصيرة المصرية .

ولكن القصة القصيرة تحتاج ـ موضوعيا ـ الى حياة اجتماعية وفكرية ذات معالم واضحة وعلى قدر من الاستقرار ، حتى يمكن « اجتزاء » شريحة مستقلة منها ، تعبق بطعم وبرائحة الكل الذى أخذت منه وتصبح بذرة له ونافذة لاكتشافه معا ، وتصلح مادة خاما لتجسيد المثل الاعلى الذهني للاديب الفنان . وتحتاج القصة القصيرة أيضا ، لا الى الكتاب فى المقام الأول ، بل الى الصحيفة والمجلة .. ولكنهما تحتاج الى الصحيفة والمجلة اللتين تنشرانها لانها جيدة ، لا بحكم الوضع المتميز لكاتبها ، او

لاحتياج المنبر الذى ينشرها الى ملء مساحة معينة بمادة مسلية من نوع مختلف .

● **والظاهرة الرابعة هى انحسار « الشعر » انحسارا فادحا حقا** . ومن المحقق ان الشعر بالذات - بعد الدراما المسرحية أو الى جانبها - قد واجه عملية « تطويق » قاسية باستيلاء ارباع الموهوبين من النظامن وأصحابهم على منابر النشر . وهم الذين نصبوا انفسهم مدافعين عن « تقاليد » الشعر العربى وتراثه ، وهم أبعد ما يكونون عن قيمه الجمالية والفنية الحقيقية « هل هناك اى مجال للمقارنة بين اى واحد من هؤلاء وبين اصغر من اختار لهم أبو تمام أو الاصفهانى أو البارودى أو ادونيس ؟ ! ». ولكننا لا نظن ان هذا التطويق وحده هو السبب - ولا حتى الدوافع التى أدت الى عملية التطويق ذاتها ، القديمه التقليدية او الجديده الطارئة . ثمة شيء « خطأ » فى العلاقة بين الشاعر المعاصر الحقيقى وبين الناس ، ربما كان راجعا الى نظام التعليم او الى التطور المستمر نحو « التجزئة » والتسطح فى التكوين العقلى والثقافى لطبقتنا المتوسطة « المتعلمه » يقابل هذا التطور تباعد مستمر بين طبقات الشعب الامية وشبه الامية وبين الصورة الرسمية للثقافة القومية ، الامر الذى يساعد او يغذى ميلا فطريا لدى « الشاعر » الى القاعدة ايضا والدخول فى دائرة عالمه الخاص . اكان الارهاص بذلك قبل اربعة اعوام، عندما اكتشف صلاح عبد الصبور « شجر الليل » فاشتبك معه فى صراع لم يخلص منه بعد ، وعندما وقف أحمد عبد المعطى حجازى - قبل ثلاثة



يوسف ادريس



يوسف الشارونى

اعوام - عند ذكرى بطله الضائع لكى يكتب « مرثية للعمر الجميل » ؟ كان حجازى يرثى عمر الشباب الذى انقضى مع وهم جميل لجيل بأكمله ، كان يرى تباشير « لؤلؤة العدل » والكرامه والوعى والحرية الحقيقية فى متناوله ، فأعلن الشاعر - لما ضاع البطل وانجلى الوهم - أن قد آن له أن يعود لقيثارته ، مواصلا ملحمته وعبوره . ولم نحصل منه ولا من صلاح عبد الصبور بعدها سوى على قصائد معدودة . وفى عام ١٩٧٤ لم نحصل الا على ديوانين لشاعر واحد ، هو محمد عفيفى مطر : رسوم على قشرة الليل ، شهادة البكاء فى زمن الضحك . ولكننا فى عام ١٩٧٥ كله لم نحصل على « شعر » سوى ديوان « الشاب ! » امل دنقل : « العهد الاتى » . ابين رثاء الاحلام الضائعة - فى العدل والشباب - من العهد المولى وبين المدخل المؤدى الى العهد المقبل.يقف الشعر المصرى اذن ؟

الى اين يؤدى بنا مدخل امل دنقل ؟فالسطر الاخير فى الديوان يدعونا جميعا الى دخول عهده الاتى : فادخلوها بسلام آمنين !

سندخل عالما كاملا : منذ لحظة تكوينه الاول ، الى الخاتمة التى تتضمن « رؤيا »القيامة بعد الفناء النهائى . فى هذا العالم يستحيل العدل والعقل والحرية والامن والحب ، ولا يستطيع الانسان - خالقه - انيفلت منه ولا من العبث الذى يسوده اومن تساوى كل الاشياء فيه وضرورة فقدان الوعى عمدا حتى يمكن نسيان المأساة،والبحث عمن يبيد الاجيال القادمة حتى نجنبها مصيرا مظلما . ومع هذا فان الشاعر يدعونا الى دخول عالمه هذا « آمنين » . ولكنه مع هذا أيضا لا يقول ان هذا هو العالم الوحيد الممكن : فلمحات اليقين وسط الشكوك والسخرية، ولمحات المقاومة وسط الاستسلام الكامل والمعنى وسط العبث المطلق والشعور الحقيقى وسط البلادة المطبقة .. كلها تؤكد ان «العهد الاتى » يستحق المغامرة من أجله،خاصة اذا قرأنا «المدخل» مرة اخرى بعد ان ننتهى من قراءة الخاتمة . فالمدخل يؤكد ان الثائر على القهر موجود أبدا طالما ظل القهر قائما .. وأن العكس ايضا صحيح .

ولكن المشكلة الحقيقية هى أن امل نفسه لم يضف جديدا الى فنه وعالمه الشعريين منذ ديوانه الاول : « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » قبل سبعة أعوام . لقد ازداد بالتأكيد قدرة على تكثيف

صورة بتركيز سطوره واستثمار قدرته على تحقيق العلاقة بين المعنى المجرد والايقاع الداخلى وبين الموسيقى الخارجية « بما فيها القوافى احيانا » باقتدار . وربما يكون قد ازداد قدرة على استيعاب الشكل او القالب لخدمة الرؤية ، حيث أصبح التصميم العام للديوان ، والتصميم الخاص لكل قصيدة جزءا جوهريا من الرؤية العامة أو الجزئية، وحيث تتصاعد الرؤية العامة وتزداد اكتمالا مع كل قصيدة . ولكن لا اضافة حقيقية فى الرؤية ولا فى البناء . ولكن علينا — بعد هذا الحكم — أن نتساءل : اذا كان أمل هو فى الحق أقرب شعراء جيلنا الى وجداننا واكثرهم قربا من الناس — ربما لبساطته ومباشرته وحمله « هموم هذه الدنيا » ... فهل كان يمكن ان يضيف الى فنه الشعرى جديدا اذا لم نكن نحن — [illegible] — قد اضفنا جديدا الى الحياة القائمة ؟!.

ان الاجابة على هذا السؤال هى التى يمكن أن تحدد الاسباب الغائرة لازمة الشعر والدراما المسرحية والقصة القصيرة وللازدهار الذى ننتظره لادب الرواية فى السنوات القادمة . ذلك أن الرواية ، بمحافظتها على قدرتها على تجميع عدد كبير من جزئيات حياة الجماعة الانسانية التى تكتب عنها ولها ، ماتزال هى النوع الادبى القادر على تحقيق مطالب ثلاثة فى وقت واحد : اعادة ترتيب جزئيات عالم الحقيقة المبعثرة المفككة على أسس واعية ومن الممكن الامساك بها ، وخلق عالم « مواز » لعالم الحقيقة ومختلف عنه يتيح لعقل الانسان ووجدانه أن يعثر فيه وقتما يشاء على منطق ما يستند اليه، وتحقيق ذلك الترتيب لعالم الحقيقة وذلك الخلق للعالم الموازى والمختلف فى عزلة ، وعلى انفراد ... اننا بحاجة الى أن نخلو قليلا لانفسنا لكى نعيد ترتيب اجزاء العالم المفكك ، ولكى تصوغ عالما نموذجيا يمكن القياس عليه ، أو المقارنة به ، أو استخلاص بعض المنطق من قانونه . والادب الروائى وحده الان ، لا الشعر ولا الدراما المسرحية ولا القصة القصيرة ، هو ما يفى بالاحتياجات الثلاث مجتمعة .

لنلق اذن نظرة شاملة على الروايات الست : هل هناك ما يجمع حقا بينها الا الارتحال الى امكنه وازمنة بعيدة اومختلفة ، بحثا عن يقين ضائع او استقرار مفقود او منطق لعالم تسوده الفوضى ، سمة اساسية من سماتها جميعا . يرتحل صنع الله ابراهيم فى « نجمة اغسطس » فى المكان الى اسوان بناء السد العالى ، والى النوبة تحت أقدام أبى سمبل أثناء « انقاذه » ويرتحل فى الزمان عبر ذاكرته الى الوراء ، فى السجن ، والى الامام فى لحظته القائمة ، ويتجول بين البشر المختلفين : من مثقفى القاهرة ، بدوافعهم العملية والعاطفية المتضاربة ، الى عمال البناء وسائقى الالات الجبارة الى نماذج من الرجال والنساء الغرباء « السوفيت » الى بحارة صندل فى البحيرة الصناعية الجديدة وركابه ، الى مهندسى الاثار المصريين والاوروبيين ... لكى يكشف على الدوام غربته الثابتة واستحالة التواصل فى عالم « يشتغل » فقط دون وعى ، مع أنه جاء فى البداية حاملا اسئلته عن « بناء الحاضر » علّه يستعيد يقينا مفقودا ، لكى يكتشف أن مجرد « الشغل » فى ظل « الخوف » من نتيجة هذا « الشغل » ذاته ومغزاه ليس الا تأكيدا لاغتراب الانسان عن نتيجة عمله بالذات .

ويرتحل جمال الغيطانى فى « الزينى بركات » الى قاهرة القرن الخامس عشر ، فيقيم عالما كاملا باطاره التاريخى من « البصاصين » الجواسيس ، ومن العلماء والباحثين عن الرزق المغامرين ، ثم يرتحل فى رواية « الزويل » الى جبال البحر الاحمر الجنوبية المصرية لكى يجد البيئة الملائمة لخلق شعب خرافى « يمكن الوجود » من البصاصين الجواسيس المتعصبين ، يتسللون — ويأتى هو من خلالهم — الى عالم القاهرة المعاصرة ، فيتجول معهم بين رجال ونساء عاديين ، يدمرون انفسهم بالعجز عن التواصل ، حتى يتم دمارهم على ايدى قوة « الزويل » البصاصين الخرافية .

ويرتحل يحيى الطاهر فى « الطوق والاسورة » الى قرية مصرية فى جنوب الصعيد ، قبل الخمسينات وفى أوائلها ، الى عالم الاطفال المقهورين والكبار الحكماء القساة ، حيث يبدو « الوضع اللاانسانى » قدرا خارجيا مفروضا يتساوى أمامه الجميع ، اطفالهم والكبار ، وحيث لا ينتظر الجميع سوى الحزن والموت والجنون ، أمام احكام اجتماعية واخلاقية خانقة .

ويرتحل كمال القلش فى « هدمة طائر غريب » الى بيروت وتركيا ، ومنها الى كل أوروبا الوسطى والجنوبية ، حاملا معه

مرارته وهزيمته في الحب والحياة ، يلتقي بكل انسان مرة واحدة فحسب ، يفرح مؤقتا ويستحلب المرارة طويلا ، ويلتقي بالاصدقاء فيثرثرون كثيرا ولا يقولون شيئا ، ويعود الى مدينته « القاهرة » في النهاية مثلما خرج منها : بالمرارة والهزيمة وشيء من القدرة على تحملها كجزء أصيل من حياة فوجيء هو بأنها لم تكن عذراء طاهرة كما كان يتوهم .

أما غالب هلسا في « الخماسين » فانه لم يغادر القاهرة ابدا سوى الى الاسكندرية . ولكنها مدينة المغتربين الذين اختار كل منهم منفاه الخاص داخلها ، او الذين استمرأوا الظروف التي فرضت عليهم المنفى . انهم مرتحلون على الدوام الى عوالمهم الخاصة ، منافيهم ، حيث يعتزلون كل ما هو خارج ذواتهم « بالكبرياء او الحزن او الفن او المخدرات » ويتجول هو بين عالمه الخاص او منفاه ، وبين عوالمهم او منافيهم دون امل في « الاستيطان » ابدا . فلابد أن يتجسد الوطن في انسان آخر قادر على احتوائك ، ويقبل أيضا ان يحتوى داخلك . وهذا هو المستحيل لمن اختار المنفى « حالة » استيطان دائمة سواء كان منفاه مكانيا او بالوجدان .

نستطيع ان نتبين القيمة الوجدانية لظاهرة الارتحال المكاني والزماني — وهي الظاهرة



صلاح عبد الصبور



احمد عبد المعطي حجازي

التي تنعكس بقوة على جماليات الروايات الست وابنيتها — اذا تذكرنا كل ما في روايتي نجيب محفوظ الصادرتين هذا العام « قلب الليل ، حضرة المحترم » من ثبات الامكنة والازمنة ، ونمطية الشخصيات ودلالاتها الاجتماعية المسبقة والمحدودة « حتى رغم التضمين الرمزي للمعاني العامة » لاساطير : « الانسان — الرب — المذكر — الاب ، الانسان — الام الخالقة — موت الام والطرد من الفردوس — في بداية « قلب الليل » الجزء الفاتن الوحيد من الرواية » .

لابد ان يكون الانعكاس الاول لهذا الارتحال الدائم في المكان والزمان هو « التفكك » الظاهري للبناء . لم تعد هناك تلك القصة ذات الخط الواحد او الخيوط المجدولة بمنطق يبدأ مكتملا عند السطر الاول . ان التفكك الظاهري للعالم حقيقة قائمة لابد ان تنعكس على المثل الاعلى الذهني والجمالي الذي يجسده الكاتب . ولكن لابد ايضا من اعادة تركيبه اعتمادا على « ذهن » القارىء وقدرته المكتسبة من الحياة الجديدة نفسها على اعادة تركيب أجزاء عالم الحقيقة « وهي المتراكبة أصلا رغم تفككها الظاهري » من أجل استخلاص التجربة الشاملة ومعانيها الكلية .

والبناء لا يتفكك ميكانيكيا الى مجرد اجزاء « متشابهة » فليس هكذا يتفكك عالم الحقيقة . هناك الجزء الحسي الذي يمكن أن يستوعبه الوصف او السرد او حتى الحوار . وهناك الجزء الانطباعي المتجسد « انفعالا » شعوريا خالصا حتى وان تكون من خلال مراقبة مشهد طبيعي او منظر لشارع مزدحم تجتاحه رياح مترية . وهناك الجزء الخيالي « المعتمد على خيال الراوي ، لا على اوهامه » حيث تدور المناجيات الذاتية او تجري تيارات الوعي او المونولوجات الداخلية لكي تكشف ما يدور داخل عقل الشخصية الفنية فيما يتعلق بالاحداث « الظاهرة او المستترة » لا فيما يتعلق بمجرد المناظر .

ولعل هذا أن يكون السبب في الحضور القوي لـ « المؤلف » في كل مرة ، قد يكون حاضرا كمؤرخ

او باحث « الزيني بركات » وقد يكون حاضرا كمشارك في الكشف عن الحقيقة وفي المعاناة من وطأة التجربة « الزويل » او كمصور يرسم لوحة هائلة يبتدعها ابتداعا ويضع توقيعه في صورة رسم دقيق لذاته بعد ان يستمد ابتداعه من تفاعله الشخصي مع حياة الجماعة الانسانية الحقيقية « الطوق والاسورة » وقد يكون حاضرا ببساطة بوصفه كاتبا لذكرياته الشخصية وتجاربه وتأملاته الباطنية ويومياته ومسجلا لما يدور في ذهنه « نجمة اغسطس ، صدمة طائر غريب ، الخماسين » .

كما ان السبب نفسه هو ما يدفع الى تلك « التلقائية » الخالية من الاحساس بالتدبير المسبق لايجاد العالم الذي تتضمنه كل من الروايات الست . انه عالم جاء الى الوجود طبقا لقوانين خاصة بالوجود نفسه ، ثم تخلقت في داخله قوانين حركته الجديدة .. وحتى في روايتي جمال الغيطاني ، حيث يبدو نوع من التعمد القاصد الى الارتحال في الزمان والمكان ، نكتشف - وقد وصلنا الى هذا العالم - ان لا ، عالم « في الحقيقة » سواء - بالنسبة لما وصفنا انه بالفعل ، ثم نعود لنكتشف انه عالم يتحرك وفقا لقوانين « عادية » تماما بالنسبة لتكوينه الخاص .. فهو ليس عالما « وهميا » لا علاقة له بالحقائق التاريخية والبشرية ، انما هو عالم « خيالي » مجسد ، تجسيد لمثل اعلى ذهني وجمالي قام في عقل الفنان ووجدانه مستندا الى



جمال الغيطاني

تجربته الخصبة في الحياة اليومية وفي التاريخ والثقافة . ولا يمكن لبديل هذا العالم - هذا المثل الاعلى - ان يوجد الا اعتمادا على « الفعل » الذي تبذله وتقوم به القوى المعارضة له، والقائمة أيضا في داخله .

ولما كان عالما تلقائي الوجود ، مستقلا بقوانينه كأنه ظاهرة مختلفة ، فانه يشعر ، دائما بانه « قائم هناك » ، تبعده عنا اللغة المستخدمة للتعبير عنه في تراكيبها وايقاعاتها الخاصة . وهي نفسها - اللغة - التي تفتح الطريق الى ادراك قوانينه حتى « ندخله » . نشعر ان علينا ان نتحرك اليه ، ان نبذل جهدا خاصا للخروج من مألوفنا - عالمنا الحقيقي المألوف ، بما فيه أدبنا التقليدي الذي تبدو اعماله كامتدادات ناشئة من اضطراب عالم الحقيقة نفسه المهوش غير المنطقي ، حتى نتمكن من دخوله .. نتحرك في المستقبل ، ويزداد العالم المألوف ، الماضي ، بعدا . فنحصل على النموذج الذي يمكن ان نقيس عليه وان نقارن به عالمنا المألوف الاخذ في التوازي .. وهو النموذج الذي يمكن ايضا ان نستمد بعض المنطق من قانونه النابع من ارادة

الابداع الخلاقة والقدرة على الفهم .

ولا اعتقد ان الاكتشاف الكامل لملامح « قوانين !! » هذا النموذج ، هذه الحساسية الجديدة ، التي تعبر عنها ما نطمح ان نكون حركة « روائية » كبيرة ومتصلة ، لا نعتقد هذا الاكتشاف ممكنا ، مالم تتكون « طبقة » اخرى على الاقل من الاعمال الروائية الجديدة ، وهو ما نتوقعه في الاعوام القادمة « وهناك بالفعل - على ما اعلم - روايات منتهية او على وشك الانتهاء - عند ادوارد الخراط ومحمد البساطي وابراهيم اصلان وغيرهم » ان الطبقة التي تكونها الروايات الست - ليست هي الطبقة الاولى ، او على الاقل ان لها جذورا قوية وقديمة ولابد من اعادة اكتشافها في الادب المصري : هناك روايات خيوط العنكبوت وابراهيم الكاتب وابراهيم الثاني للمازني ، ويوميات نائب في الارياف توفيق الحكيم ، وصح النوم ودماء وطين ليحيى حقي ، والجبل والغبي لفتحي غانم ، والسمان والخريف والشحاذ والمرايا لنجيب محفوظ ، واحزان نوح ودم ابن يعقوب لشوقي عبد الحكيم ، وفساد الامكنة لصبري موسى وايام الانسان السبعة لعبد الحكيم قاسم والخوف لعبد الفتاح الجمل ، والأسوار لمحمد جبريل وغيرها .. ويستطيع الادب العربي المعاصر ان يمدنا بامثلة كثيرة قوية ، ربما كان بعضها اكثر اثرا وفعالية .. ورغم هذا فان « طبقة » اخرى ، جديدة ، ستكون هي الحاسمة في استقرار هذه التربة ، وخصوبتها الدائمة لحقيقة قادمة كاملة . ■

اتحـــاد الكتـــاب

مناقشات..وتعقيب

توالى [الطليعة] عرض مختلف الآراء التى وصلتها بالبريد حول موضـــوع اتحـــاد الكـــتاب ، وتختتـــم الموضـــوع بتعقيب منهـــا .

(   ) .. بـدلا مـن الاســـــــتنزاف

مبدئيا نحن ضد ما يدعى « اتحاد الكتاب المصريين » الذى تمخضت عنه وزارة الثقافة اخيرا . لماذا ؟ أولا لان وزارة الثقافة جهاز تنفيذى من أجهزة الدولة وليست مؤسسة تمثيلية لكتاب مصر وبذا يسقط حقها فى انشاء اية اشكال تمثيلية من اى درجة او نوع للكتاب والمثقفين ناهيكم عن « اتحاد الكتاب المصريين » وهو أعلى هذه الاشكال جميعا . ثانيا ، وهذه بديهية ، ان هناك كتابا مصريين منتشرون فى ربوع مصر وهم ـ لسوء الحظ ـ احياء يرزقون يكتبون ويناضلون تحت أقسى الشروط ليعبروا عن أرقى وأعم ما يعتمل فى وجدان شعبهم وهم بهذه الكيفية الجماهير الشرعية الوحيدة التى تنبثق عنها اية أشكال تمثيلية للكتاب والمثقفين .

ومع ذلك فليس هدفنا الدخول فى « ايتة مناقشات « لقانون » ذلك « الاتحاد » الذى لا يمثلنا ولكننا نرى وجوب مناقشة زملائنا الكتاب ـ البعض الذى تحاورنا معه والبعض الذى كتب ـ المعبرين عن وجهة النظر المتبنية لذلك « الاتحاد » ، نرى وجوب الرد على المعطيات والاسس النظرية لذلك التبنى وكذا رصد الميل العام الكامن وراء هذا الموقف والذى يحكمه فى الاساس . وسنناقش هذا كله فى حدود مبدأ واحد لا يمكن طمسه أو تمييعه وهو **حرية الكتاب المطلقة فى اختيار مؤسساتهم التمثيلية أو النقابية .** اننا اذن مع القبول المطلق لاية مؤسسات تمثيلية تقيمها جماهير الكتاب وترفض بحزم وتقاوم دون هوادة أية مؤسسات ليست لها هذه الصفة الشرعية التى لاينبغـى التنـــازل عنهـا تحت اى شرط من الشروط وفى اية لحظة من اللحظات .

فنحن نرى ـ وان مع الامر الواقع الشاذ والمتمثل عمليا فيما يدعى « اتحاد الكتـــاب المصريين » ـ أن العودة لمناقشة الاســاس الصحيح الذى يجب ان يقوم عليه « اتحادنا » المنشود هى أولى الخطوات على طريق وضع الامور المتـردية الان فى نصـــابها الصحيح لصالح جماهير الكتاب والمثقفين وحقهم المطلق فى صوغ مؤسساتهم التمثيلية باختيـــارهم المطلق .

ان الميل العام لما ساقه زملاؤنا الكتاب فى معطيات تبنيهم « للاتحاد » يعكس بجلاء ـ رغم

التلاوين والتباينات الثانوية ـ روح التسليم بالامر الواقع ومنطق البدء منه بل والتصاعد فيه ـ وباللجسارة ـ لحد تهديد من يرفضون «الاتحاد» « بالانعزال والفشل » ، كل هذا يتم وسط حملة ترويج بلغت مبلغا شاذا وأيضا باسم المبدئية والديمقراطية والتقدمية . فبعد أن يسجل هذا الفريق شجبه القاطع للطابع اللاديمقراطي لانشاء الاتحاد و « أسلوب طرحه ـ أوفرضه ـعلىالحركةالادبية ، الذى تجاهل رأى جمهور الكتاب وهم اصحابه الحقيقيون » وبعد أن يتباكى على الفتور والتفكك و «الضعف رالتمزق» الذين يسودون حركه الكتاب الديمقراطيين . اذا بهذا الفريق يطلع علينا بتخريجات عجيبة فى مسألة دخول الاتحاد تحت سيل كثيف من التنظير عن « الوحدة من خلال التنوع والتمايز والتعدد » وعن « ان الكتاب الديمقراطيين والثوريين هم المدافعون الحقيقيون عن الديمقراطية فى اداره شئون البلاد الثقافية والعلمية والفنية » .

وأجد القول أن « الاتحـــاد الوزارى » هو « اتحاد لكافة الاتجاهات » يمكن ان تلتقى فيه « حول برنامج ثقافى عام فى اطار اسس وطنية وديمقراطية وقومية ، برنامج ثقافى يخدم شعب مصر ويساعده على النهوض والارتقاء والانتصار على أعدائه » وكذا الكلام عن « أن قانون الاتحاد وان لم يكن من اعداد الكتاب أنفسهم الا أنه من ناحيه أخرى ـ ثمرة لنضالهم ، ثم أنه كغيره من القوانين نعمل بها وفى ذات الوقت نعمل على تغييرها » **بل أن الدعوة اللالتحاق بالاتحاد ـ عند صاحب كثير من الآراء السابقة وهو السيد الدكتور نفسه ـ تصل الى مرتبة « العمل النضالى ! .**

فما الذى تحلم به وزاره الثقافه اكثر من ذلك !! أى « وحدة من خلال التنوع » تلك ! من أين تستمد شرعيتها لا من الأمر الواقع ام من التطور الطبيعى لحركة الكتاب والمثقفين ونضالاتهم بنجاحاتها واخفاقاتها لكن دائما فى سياقها الديمقراطى الذى لا تراجع فيه ؟ من أية موازين للقوى فى الساحة الثقافية الان تخرج هذه الصـــيغة ؟ من الأتجــاه الذى تم تسييده فعلا فى كل ثنايا قانون الاتحاد اللاديمقـــراطى ام من الاتجـــاه الذى تم تغييبه وقمعه وانتهكت حرياته الأســـاسية حتى النخاع ؟ . **أليس من الخرق ـ يا سياده الدكتور ـ استصراخ الكتاب الديمقراطيين والثوريين ان يكونوا المدافعين الحقيقيين عن الديمقراطية بينما تصادر فى ذلك الاتحاد ـ الذى تسمى دخوله « عملا نضاليا » ـ كل حقوق الكاتب الديمقراطية ؟ ولماذا يتعين على الكتاب الديمقراطيين والثوريين الدفاع عن «ديمقراطية» خصومهم ؟ أليس الاصح ان يستميتوا فى الدفاع الحقيقـــي عن « ديمقراطيتهـــم » و « جمعياتهم » و « اتحادهم » . ثم ما هذه القدرة الخارقة علىتوليد الاضداد الزائفة « فالاتحاد ـ كما يقولالسيد الدكتور ـ وان لم يكن من اعداد الكتاب أنفسهم الا انه من ناحية اخرى ثمرة لنضالهم » . فهل ناضل الكتاب والمثقفون من أجل تمكين وزارة الثقافة من اعداد قانونالاتحاد نيابة عنهم ، من أجل النفى الصريح لحرية التعبير ومن أجل أعطاء وزير الثقافة حق الاعتراض على انتخاب رئيس الاتحاد ومجلس الادارةومن أجل اعطاء وزارة الثقافة حقتمثيل موظفيها فى اللجان المختلفه للاتحاد ومن أجل انفراد وزير الثقافة بحق تعيين لجنة القيـد .**

التى تناشدها سيادتكم ـ عنداختيرها لاعضاء الاتحاد أن تتجنب « التحكم والتحيز » لان فى هذا « مايودى بهذه التجربه » . ومع كل مايفقأ العيون فى هذا « الاتحاد » وقانونه الا ان هـــذا الاتجاه يصر على التسليم الكامل وغير المشروط ملقيا بكل أسلحته أمام الامر الواقع ومختارا هذا النهج فى مقابل نهج الوقوف بصلابة فى وجه مخطط تصفيه حركه الكتاب والمثقفين الديمقراطيين والتصدى العملى لسائر مراحل هذا المخطط الذى كشر عن أنيابه . واذا كان هناك من يمسك بخيوط المخطط من اولها لاخرها فيضع القانون ويمرره فى غيبة شرعية الكتاب فكيف يمضى هذا الفهم لذلك المخرج الا وهو « أن هذا القانون كغيره من القوانين نعمل بهـــا ونعمل فى ذات الوقت على تغييرها » . ان هذا الاتحاد اللاديمقراطى اساسا والمعادى لبسط حقوق الكتاب يصير بقدرة قادر لدى السيد الدكتور « اتحادا لكافة الاتجاهات » بل « ويرسم برنامجا ثقافيا عاما فى اطار أسس وطنيـــة وديمقراطية وقوميـــه » بل « ويخـــدم شعب مصر ويساعدهعلى النهوض والارتقاءوالانتصار على اعدائه » ـ سيادة الدكتور ـ كيف يساعد على تحرير التراب الوطنى المغتصب قيام مثل ذلك الاتحاد الذى يحرم « المجادله فى الأمور السياسية » ! وكيف يرسم هذا الاتحاد برنامجا ثقافيا ذا اسس وطنية وديمقراطية وقومية وهو الاتحاد الذى يرسم قانونه برنامجا محبوكا للعصف بكافة المطـــالب الديمقراطية للـــكتاب المصريين ؟

انهاسيمياء جديدة ـ لا نفهمها نحن البسطاء . نهل يريدنا ـ السيد الدكتور ـ أن نضرب نحن كتاب مصر المثل السياسى لبقية الجماهير على الاستخذاء والتذيل ؟

والا فليقل لنا الدكتور كيف « **تنهض ـ هذه**

السينما الجديدة ـ بالشعب المصرى وتساعده فى الانتصار على أعدائه » .

وموقفنا نحن ـ ادباء دمياط ـ يتلخص فى الالتفاف بكل حزم حول مبدأ النضال من أجل الحقوق الديمقراطية لكل الكتاب المصريين والذى يلخصه شعار «اتحاد ديمقراطى مستقل» مسترشدين فى ذلك بخبرة الكتاب النضاليه المشتركة ومعتمدين فى الاساس على نصرة ودعم جماهير الكتاب والمثقفين الديمقراطيين الذين يشتد عودهم وتتنامى قوتهم فى كل أرجاء بلادنا والذين يرفضون بشدة أية مؤسسات تمثيلية لا تنبثق منهم .

من هذا ومما سبق نضع تصورنا لما يجب عمله الان وبدلا من الاستنزاف وحتى لا نكرس بتقاعسنا الامر الواقع .. **اننا ندعو مؤتمر عام لكافة الكتاب من كل الاتجاهات والقوى** ـ وهى دعوة ليست جديدة علينا فقد سبق ودعونا لهـا منذ سنتين ثم تكالبت عليها العديد من الظروف من محاولات وزارة الثقافة والاتحاد الاشتراكى لاحتواء هذا المطلب الديمقراطى وتفريغه من محتواه الشرعى ، تلك المحـاولات التى بلغت ذروتها فى انشاء « الاتحاد » الراهن .. انما تحاول الدعوة لمؤتمر عام على شكل جمعية عمومية يحدد كل موقفه ورؤيته من القضايا الاساسية المتعلقة بقيام أية أشكال تمثيلية للكتاب ، **ونرى ان تقوم جهة أدبية مستقلة بالاعداد للمؤتمر ورعاية وتنظيم عمله** « كجمعية ادبية مثلا أو جمعية ثقافية أو مجلة فكرية أو أدبية أو ما شابه » . فاننا بتهيئتنا الظروف أمام مؤتمر عام لكل الكتاب على شكل جمعية عمومية شرعية انما نهيىء الشروط الصحيحة التى لا بديل لها لتوليد « اتحادنا » ديمقراطيا ومستقلا ومعبرا عنا أصح تعبير . ففى هذا المؤتمر فقط تكتسب أية أطروحات شرعيتها وقيمتها كتعبير عن التنوع والتمايز فى قلب الوحدة الشرعية الوحيدة وهى الجمعية العمومية لكتاب مصر . وهناك فقط تكون مسألة الاتحاد وغيرها من قضايانا الحيوية فى مأمن من المهازل والفبركة وكافة صـنوف المصادرة والاهدار ، وحتى لا يصمنا التـاريخ بعار الخضوع للامر الواقع المهين . ■

السيد النماس

من ادباء دميـاط

○ .. الموجـب والسـالب والعـــزف المنفـــــرد

● تباينت مواقف الرفض ، وردود الفعل ازاء القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٥ الخاص بانشاء نقابة « اتحاد الكتاب » ، وقضية الذين تقدموا بطلبات التحاق بهـذا الاتحـاد ، وانحصرت المسألة فى نقطتين :

ـ هل القانون الذى صدر فى غيبة الحوار الموضوعى ، وغيبة الشرعية الفعلية لجمهرة الأدباء والكتاب ، وحقهم فى طرح قضيتهم ديموقراطيا ، وقانونيا خطوة الى الامام أم أنه حصار مقنع ، ومغلف بالعسل السام؟؟

ـ وهل الذين تقدموا بطلبات التحاق بهذا الاتحاد من الكتاب والادبـاء الوطنيـين الديموقراطيين ارتكبوا «حماقة » تصل الى درجة «الخطيئة» حين تقدموا بطلباتهم هذه ؟؟

فى اعتقادى أن القانون الذى صدر ، وفى التوقيت الذى صدر فيه ملىء بـالثغرات ، والفجوات ، بل ان رائحة التآمر تفوح من الفقرات الخاصة بحرية التعبير ، وابداء الرأى المعارض على المستوى السياسى ، والفنى أو غيرهما ، أى أنه يصادر حرية الرأى المعارض مسبقا ، وبهذا فانه يجهض بذرة الفن الواعى الملتزم أساسا بالموقف الانسانى بجميع أبعاده . وبرغم هذا ففى يقينى أن هذا القانون لم يظهر الى النور

جزافا ، بل سبقته مراحل نضالية طويلة تراوحت بين مكابدة القمع ، والاضطهاد ، والاعتقال . الى التصفية الجسدية . الى النفى والموت على كل من يخالف «القالب» أو يكسر « ابـرة الاسطـوانة » ، وهكذا لحقت « اللعنة ـ الادانة» بكل من تمرد على « البطانة»، واحتج على«اسطواناتهـا» الى أن أرغمت هذه المراحل النضالية لجميع الكتـاب والادبـاء الوطنيين الديموقراطيين« السلطة الثقافية» باعلان هذا القانون. ومن ثم فانه ـ بسيئاته وسلبياته ـ قد اعترف بحق الادباء والكتاب فى«تنظيم علنى» يكفل لهم حقوقهم الادبية ، والدستورية، والانسانية ، والمهنية .

وكلنا نعرف كم مرة سيق فيها الادباء والكتاب الوطنيون الديموقراطيون الى غيابة الجب بعد تلفيق القضايا السياسية لهم .

وبناء على هذافان «الفعل » الذى قامت به « السلطة الثقافية» الرسمية، وهو اعلان هـذا القانون، يعد انتصاراً فى رأيى لنضـال الكتـاب والادبـاء الوطنيين فتكوين « اتحاد وطنى ديمقراطى مستقل » قد نال حق « العلنية » ، وبالتالى فانه قد نال حق «الشرعية » ، وعليهم بعد ذلك عبر علاقات جدلية فى الصراع الانسانى ـ أن ينتزعوا«حلمهم » من رحم « الكمون» لتصير له قوة « الفعل » والتجسيد .

انه لا ينبغى للرافضة اليساريين أن يجلسوا على المقاهى ليلعنوا القانون رقم ٦٥ ، أو يلغوه بالقول ويضعوا بديلا له ليس له قوة قانون الفعل الانسانى، أو يعدلوا بنوده وفقـراته بالقول «الخالص » ، بل انه ينبغى عليهم أن «يزاحموا» الاجنحة الاخرى فى الوقوف على«رقعة جغرافية» تتسم بالشرعية، والعلنية التى تكفل عدم الخلط ، وعدم المسخ بالنسبة لموقف الادباء والكتاب الوطنيين الديموقراطيين المعارض.

ان مزاحمة الاجنحة الادبية اليمينية ، وتعرية موقفها ، وكشف أوراقها والتضييق عليها فى عدم الانفراد وحدها«بالفعل الادبى » عمل نضالى لجمهرة الادباء من الرافضة اليساريين .. والا فان ترك « الملعب » لهذه الاجنحة الادبية اليمينية» ستتيح لها الانفراد «بالفعل الادبى» ، وهذه هى ذروة المأساة.. اذ أن الوضع يصبح على هذه الشاكلة : الرافضة اليساريون من الادباء يكتفون« بالقول » أو الثرثرة، وقد يتورط بعضهم فى لعبة « المهاترة استنزافا » لفريق منهم . وليس لفريق من الجناح الاخر بينما الاجنحة الادبية اليمينية تمارس « الفعل » .. وكم ذا بمصر من المضحكات . »

وقد يقول قائل من الرافضة اليساريين :

ـ اننا نمارس « الفعل الادبى» خارج الاطار الرسمى!

لكننى أقول لهم :

ـ أن ممارسة«الفعل الادبى » عن طريق اجتهاد فردى ، أو اجتهادات فردية تصل به فى النهاية الى باب مغلق

ـ ان الاجنحة الادبية اليمينية تتشدق دائما بأن الرافضة اليساريين قلة ، يمكن تهشيمها بسيف من الخشب !!

انهم يطمعون فينا لاننا نعزف عزفا منفردا!!
وبهذا العزف المنفرد فاننا نختار « الطرف السالب » لاننا نمارس « الفعل الادبى » فى « اللا ـعلن » ، و « اللاسر». ان شكل الممارسة « للفعل الادبى » لدينا شىء يشبه البوح ، والافضاء، فرادى أو جماعات، فاذا ارتفعت درجة حرارتنا كان البوح متصاعد الايقاع ، واذا انخفضت درجة حرارتنا كان الافضاء شاحب الايقاع.. فى نفس الوقت الذى تستولى فيه الاجنحة اليمينية ـ غصبا ـ على الشكل العلنى التنظيمى لمواقع ممارسة الفعل الادبى ..

اننا باختيارنا« للطرف السالب » نمنحهم حرية الحركة ، وفرصة أن نغيب عن مزاحمتهم ، وتضييق الخناق عليهم ، وذلك أقصى ما يتمنونه ..

أما الذين يقولون بأننا حين نرفض الانضمام ، ونعلن عن« اتحاد وطنى ديموقراطى مستقل للادباء والكتاب » لنسقط القانون رقم ٦٥ «للسلطة الثقافية الرسمية » فاننا ـفى هذه الحالة ـ نساعد الاجنحة الادبية اليمينية على أن تضرب لنا عصفورين بحجر واحد:

ـ أن نتيح لها فرصة الانفراد بتنظيم علنى للادباء والكتاب له حصانته القانونية والشرعية لمن ينتمى الى أجنحتهم ،

ـ ثم نتيح لهذه الاجنحة فرصة ضرب حصار على حركتنا « الشرعية » و «القانونية» والا فكيف نقول ـ منطقيا ـ انه في الامكان اقامة اتحادين للكتاب والادباء في آن واحد ؟!

هذه واحدة .

والاخرى ..

اننا ـ اقصد الرافضة اليساريين من الادباء ، والذين تقدموا منهم بطلبات التحاق امام موقفين: اما أن نمارس « الفعل الادبي» داخل الاتحاد في ضوء رؤيتنا ، ومنهجنا ، وبذلك ننتزع مطلبا، ومكسبا نضاليا، واما نخفق في ذلك ، ونعلن اخفاقنا بعد تعرية مواقف الاضطهاد والقمع التي نتعرض لها داخل الاتحاد من قبل « السلطة الثقافية» الرسمية ويحق لنا في هذه الحالة أن« نعلن » عن تصورنا لاتحاد اخر يكفل لنا الحماية، والحصانة .

وللتقدم في الحوار أكثر ، ونسأل :

ـ ماذا يضيرنا لو قام بعضنا بتقديم طلبات الالتحاق وظل البعض الاخر على موقف **الرافض ؟ وهل يعوق«الموقف الموجب » لمن قام منا بتقديم طلبات التحاق الطرف الاخر** عن ممارسة « **الفعل الادبي » من الخارج ؟**

ان أبسط القوانين الانسانية تقول بانه لا يمكن انتزاع حق ما بمجرد القول ، او«الفعل الكامن في الحلم » لان الحركة ـ بجدلياتها وديالكتيكها المعقد ـ هي الفيصل في المسألة .

وهكذا فان المسالة ينبغي أن تحسم على هذا النحو :

ـ أيهما ينتزع حق الرافضة : «الفعل المتحرك » أم « الفعل الثابت » ؟! ان طرح السؤال بهذه الكيفية يحمل الاجابة المانعة الجامعة، والقول الفصل . ■

محمد يوسف

عن ادباء المنصورة

○ سيناريو صغير .. لما حدث

● أطلت الزوبعة عندما أمسك محمود دياب بمحبر الصوت ، واعلن ان هناك تخطيطا مسبقا يستهدف الخروج بمجلس للاتحاد من مجموعة معينة من الاعضاء ذات تيار خاص ، وذلك عن طريق تجميع كل اصوات الموتى والمرضى والمرتجفة، وتحرير توكيلاتبها مصحوبةبالقائمه المباركة ، وقد استطاع محمود دياب أن يحصر هذه التوكيلات فيما يقرب من خمسين توكيلا ، وباضافة أصوات حاملي التوكيلات اليها أيضا يمكن أن يتضاعف الرقم فيقترب من المائة صوت . وبالطبع سيكون لهذا تأثيره في نتيجة الانتخاب ، خاصة أن مجموع الاصوات التي تتمتع بحق الادلاء بأصواتها لا يتجاوز المائتين الا قليلا .

وقبل أن يترك محمود دياب المنصة طالب الاعضاء وكل الشرفاء الوقوف بصلابة ضد عملية فرض هذه التوكيلات ، وأن يصرف النظر عنها .

● طلب عبد المنعم الصاوى الكلمة ، ولقد حاول مخلصا أن يزيح الشوائب من فوق كاهل هذه المناسبة المضيئة، ويلقيها بعيدا، وان يوفر لعملية الانتخاب أهم مقوماتها من نزاهة وصدق وامانة ، مسترشدا بالمستشار القانونى عضو اللجنة فى مدى شرعية التوكيلات غير الموثقة فارتفعت على الفور السنة اللهب الكاذب فى كل الاركان فى محاولة للحيلولة بين عبد المنعم الصاوى وبين الاستمرار فى التعبير عن رأيه . الى أن وصل الامر أن يتهم عبد العزيز الدسوقى عبد المنعم الصاوى أنه غير صالح لعضوية اتحاد الكتاب قانونا بحجة أنه نقيب الصحفيين ، والقانون لا يجيز الجمع بين عضوية نقابتين مختلفتين ولم يشأ عبد المنعم الصاوى ـ وكان محقا ـ أن يجارى الدكتور عبد العزيز الدسوقى **فى هذا اللغو .**

وكان من الطبيعي ـ بعد هذا ـ أن يسمع الدكتور عبد العزيز الدسوقى من يعلق

ساخرا : لماذا وافقت الآن على قبوله عضوا ما دمت كنت ترى أن هذا لا يجوز قانونا .

● رأى الدكتور مهدى علام – للخروج من هذه الازمة – أن يستفتى الحاضرين على الاخذ بالتوكيلات المقدمة أو صرف النظر عنها ، لكنه لم يتمكن من حصر السواعد المشرعة فى الحالين ، أو ربما هيىء له أن السواعد التى تلوح بالموافقة على الاخذ بهذه التوكيلات أكثر قليلا من تلك التى تعارض . وكان على وشك أن يعلن أن الجمعية التأسيسية وافقت بالاغلبية على الاخذ بهذه التوكيلات لولا أن تقدم أحد الاعضاء وعرض على الحاضرين بأمانة وصدق قصة توكيل يحمله . اذ استدعاه أحدهم وأسر اليه : « أن الكاتب الكبير « ..... » قد وكلك نيابة عنه ، وأنك بالطبع قد قبلت التوكيل ، وهذا توقيعه ، وذاك توقيعك ولكى تكون على مستوى الثقة فهذه هى القائمة « وأعطاه القائمة المباركة » التى يود الكاتب الكبير ان يختارها .

ما أن انهى العضو هذه الحقيقة على الملا حتى انعكست الاية ، وأصبح الجميع فى جانب واحد ، الا قلة كانت تعلن رأيها على استحياء او تنسحب للخارج للحظة حتى لا تمر بهذه المواجهة وأعين الرقباء غير بعيدة تتابع فى امعان .

واحس اليمين رغم أغلبيته أنه قلة وهو الكثير وان مجرد التصويت بالرفض على شرعية التوكيلات يمكن أن يمتد فيصبح رفضا على شرعية وجوده أيضا فتقاربت الرءوس وظهرت المخاوف فى الاحداق . وأصبحت كلمة الرفض « لا » تتوالى على كل الالسنة فكنت تسمعها ممن لا تتوقعها منهم . ونسمعتها عالية رغم المصالح والارتباطات من كثيرين وكنت أحب أن أسمعها من آخرين لهم عندنا شىء من التقدير لا يزال .

أما كلمة « نعم » التى كانت تطل من حين لحين على استحياء فكانت ناعمة خافتة ، مهيضة كالسقوط . نكراء كالاثم .

● أراد يحيى حقى أن يتكلم .. وقبل أن يقترب من المنصة ويمد يده اليمنى لمكبر الصوت فوجىء بمن يحول بينه وبين ذلك فى عصبية بالغة . وبعد تدافع وتجاذب صمت الجميع ليسمعوه ، وحاول أن يتملص من الموقف كله : لكنه .. فيما يبدو قد راجع فى ذهنه ما حدث من تدافع وتخاصم بين الجانبين بسببه فاعلن – طلبا للسلامة وحتى لا يستثمر موقفه – تأييده للاخذ بالتوكيلات .

ورغم ما لكلمة يحيى حقى من قدر فان اللجنة اخذا بالاغلبية – أعلنت عدم الاخذ بالتوكيلات ، وحتى تتيح لاصحابها امكانية الحضور بأنفسهم أعلنت تأجيل اجتماع الجمعية التأسيسية لاتحاد الكتاب لاختيار مجلس الاتحاد الى يوم الاثنين ٢٦ من الشهر الحالى .

هذا مجرد سيناريو صغير .. بلا تعليق ! ■

الداخلى طه

○ وهـــــذا رأى كاتـــــب

ممن رفضتهم لجنة القيد !

كان ولا يزال انشاء اتحاد الكتاب فى مصر، يمثل ضرورة ملحة، وعند صدور القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٥ الخاص بانشاء اتحاد الكتاب اختلفت الاراء حول العديد من نصوص هذا القانون – وقد كان رأيى هو التقدم للانضمام لهذا الاتحاد لاسباب ارى انها لازالت وجيهة ومقنعة، وملأت الاستمارة الخاصة بذلك ، وقمت بسداد الرسوم المطلوبة ووقعت اقرارا بالموافقة على نظام ولائحة الاتحاد التى لم تصدر بعد . كل ذلك كان اسهاما منى فى العمل على انجاح هذا الوليد ، الذى ولد ضعيفا وفى ظروف لا تتسم إطلاقا بالديمقراطية فقد تم احالة القانون الى مجلس الشعب قبل عرضه على الكتاب ومناقشته على نطاق واسع بمعرفة الجمعيات الادبية والكتاب انفسهم .

ويرى كاتب هذه السطور ان تقديم طلبه الى لجنة القيد المؤقتة التى شكلت بقرار من السيد – وزير الثقافة للبت فيه ، فيه اهانة لشخصه وكتاباته فقد نشر احدهم سبابا ضده فى مجلة تصدرها وزارة الثقافة عندما تصدى لنقد بعض القصص التى نشرت بها فى برنامج اذاعى ، وانا اود هنا ان اوضح اننى برغم تقدمى للانضمام الى الاتحاد ، والتقدم بالطلب الى اللجنة المؤقتة التى أعلن عنها، فانى أرفض ان انضم الى اية جمعية أدبية او جماعة تجمع بينى وبين عضوين من اعضاء هذه اللجنة ، ولكن عندما يتعلق الامر باتحاد للكتاب ، فالامر مختلف، فالاتحاد وهو بمثابة نقابة يجب أن تتسع لجميع الكتاب ، صغارهم قبل كبارهم ، بل يجب أن يفتح أبوابه لكتاب الاقاليم المجهولين .

قبل غيرهم ، ولا اعتراض لى على قبول كتاب رجعيين او يمنيين او معروفين بعدائهم الشديد لكل تقدم ، فاية نقابة تعمل لتحقيق اهداف متنوعة، تتحقق وفقا لظروف موضوعية تتعلق بواقعنا السياسى والفكرى . وعلينا أن نحقق هذه الاهداف على ضوء اعتبارات متعددة ومتشابكة. فلتكن قرارات هذا الاتحاد معبرة عن محصلة حقيقية لواقع ثقافى متخلف، يعرف المخلصون قدر تعفنه ، ولتخضع الاقلية لراى الاغلبية، على أن يتم اتخاذ القرارات علانية دون تسلط او ارهاب .

أود أن أقول انني لست حاقدا على احد ممن قبلت عضويتهم واتاحت لهم القيام بواجبهم الانتخابى ، بينما لم تبت فى طلبى وطلبات كثيرين غيرى ، وفوتت عليهم فرصة اداء واجبهم .

وعندما تنشر هذه الكلمة يكون القضاء قد قال كلمته وليست المسالة هنا كسب قضية او خسارتها ، ولكن المسالة هى رفض محاوله للتسلط من لجنه القيد لهذا فانني ارى ، انه اذا كانت اللجنة الموقرة اهملت فى القيام بواجبها ، ولم تعد القواعد التى تحكم عملها فليس من واجبى أن اتخلف عن الدفاع عن مبدا قبل أن يصبح التسلط سياسة وهدفا داخل اروقة الاتحاد ودهاليزه . وكل من سمع ما دار فى الجمعية العمومية التى دعت الى عقدها هذه اللجنة قد تأكد لديه أن هناك امورا كانت تدبر من منطلق مواقف شخصية لعضوين من اعضاء هذه اللجنة والمتحزبين لهم ، ولهذا فانني اؤمن بأنه يجب الاصرار على قيام هذا الاتحاد بكل الطرق والسبل الديمقراطية والدفاع عنه والحفاظ عليه حتى تدب فيه الحياة، وحتى تكون قراراته سليمه واقرب الى المعقوليه فى ظل ظروف شائكة لا نجهلها، اما لجنة القيد المؤقتة، التى فوتت على وعلى غيرى فرصة القيام بواجبهم الانتخابى فخلافى معها سوف يحسمه القضاء وبعده يظل لكل منا رايه ولكل مناحى الدفاع عنه ،فاذاكانت هذه اللجنة ترى انني لست بكاتب فقراء مجلة المجلة القاهرية وجاليرى ٦٨ ، والكاتب والثقافة العراقية والاقلام والفكر المعاصر البيروتية والبيان الكويتيه بالاضافة الى مجلة صباح الخير ومستمعى البرنامج الثانى ربما يكون لهم راى آخر يختلف مع رأى هذه اللجنة ، ولهذا فانا اقرر هنا دون ادعاء انني لو كنت قد تقدمت بطلب للأسهام فى انشاء اتحاد للكتاب فى اى بلد له ظروف مثل ظروفنا او حتى اسوأ منها فلن تجرؤ لجنة على التعنت فى البت فى هذا الطلب مثلما فعلت هذه اللجنة الموقرة فلتكن هذه المسالة الشخصية لا تهم سواى ، ولكن جانبها الموضوعى هو محل النقاش ، وهو ما دفع الكثيرين لمناقشة القضية والكتابة فيها، وهو دليل على يقظة الكتاب فى مصر واصرارهم رغم كل ظروف القهر على ارساء قواعد سوف تثبت الايام صحتها .

جميل عطيه ابراهيم

تعقيب

حين طرحت « الطليعة » قضية اتحاد الكتاب للمناقشة « بدءا من عدد نوفمبر الماضى » . **فانما كانت حريصة على أن تؤكد :**

● **أن اقامة اتحاد ديمقراطى مستقل للكتاب ، كان دائما هدفا من أهداف نضالهم** ، وأن صدور مثل هذا القانون يمثل ــ رغم كل الملاحظات والتحفظات ــ اعترافا بهذا الحق ، وخطوة على الطريق نحو تحقيقه .

● **أن « الطليعة » طرحت الموضوع للمناقشة بين الكتاب انفسهم** ، أصحاب الحق الاول ، ايمانا بأن الثقافة انما يصنعها المثقفون ــ منتجين ومستهلكين ــ ، ولا تصنعها الاجهزة الرسمية ، وعلى هذا فقد فتحت « الطليعة » صفحاتها لاراء الكتاب ، ايا ما كانت هذه الاراء ، وأيا ما كانت المواقع التى ينطلق منها أصحابها .

● ووضح من المناقشة أن ثمة رأيين محددين : يدعو الاول الى الانضمام لهذا الاتحاد ؟ والعمل على تطويره من داخله ، أما الثانى فلا يرى فى الاتحاد سوى محاولة من جانب السلطة - ممثلة فى وزارة الثقافة وأجهزتها - لاحتواء الكتاب ، ووضع القيود على حركتهم الحرة .

ويرى القارىء بين صفحات هذا العدد رسالتين تمثلان هذين الرأيين تمثيلا واضحا .

● اوضحت المناقشة أن ثمة اجماعا بين اصحاب الآراء - المؤيد منها والمعارض - على أن هذا القانون بحالته تلك لا يعبر عن طموحات الكتاب ويقصر عن تلبية احتياجاتهم المادية والفكرية . وتركزت الملاحظات حول :

- ان القانون يعطى وزارة الثقافة والمسئولين فيها نوعا من التسيد على مجلس الاتحاد المقترح ، وجمعيته التأسيسية على السواء .

- ان كثيرا من مواده تحيل الى احكام قيمة غير محددة ، مما يفتح الباب واسعا أمام استغلال هذه المواد للاقتصاء من تود هذه الاجهزة اقصاءهم .

- انه يكاد يخلو تماما من الاشارة الى ضرورة « حماية » الكتاب أعضاء الاتحاد ، على نحو ما نجد فى كافة قوانين النقابات المهنية ، الحريصة على ان توفر الامن والحماية لاعضائها .

- أنه لا يضع الحدود الواضحة للعلاقة بين هذه « النقابة » المقترحة ، وغيرها من النقابات التى قد ينتمى اليها الاعضاء ، كما أنه لا يحدد من هو « الكاتب » بوضوح .. « حتى لا يحدث مثل ما حدث حين استبعدت لجنة « القيد » طلبات عدد من الاعضاء . وقيل فى تبرير هذا الاستبعاد أنهم « كتاب سياسة » وليسوا أدباء ! .

● وتداعت الاحداث على نحو ما هو معروف ، وبين الرسائل المنشورة فى هذا العدد اشارات اليه . وكان واضحا - من خلال عملية « التوكيلات » التى يحملها بعض الاعضاء ، والتى تناقض قوانين النقابات المهنية من ناحية ، وتخرج على نص القانون نفسه ، من الناحية الاخرى « لان المادة التى « تجيز » مثل هذه التوكيلات ملغاة من مشروع وزارة الثقافة كما اجازه مجلس الشعب » ، كان واضحا ان بعض الرسميين يحاولون ان يدفعوا برجالهم الى مجلس الاتحاد ، ويدفعوا الجمعية التأسيسية للسير فى الاتجاه الذى يريدون .

وخلال المناقشات التى دارت أشار بعض هؤلاء الرسميين الى الذين « يحدثون الشغب » ، وتوعد بالعمل على « قمعهم » ! ورغم هذا فقد جاءت الاغلبية فى صف رفض هذه التوكيلات ، فلم يجد المسئولون بدا من انهاء الاجتماع على عجل ، وتحديد موعد آخر لاجراء الانتخابات . وتمثل « الطليعة » للطبع قبل أن تجرى هذه الانتخابات الجديدة .

● وعلى مستوى آخر ، فقد رفع بعض الكتاب - ممن رفضت لجنة القيد قبول طلباتهم - قضية يطلبون فيها الحكم ببطلان الاجراءات ، رفضها القضاء المستعجل لعدم الاختصاص ، وأجلت الدائرة الاستئنافية التى أعادت نظرها الحكم فيها . وايا ماكانت النتيجة ، فان ما حدث يوم الانتخابات ، يؤكد - أول ما يؤكد - قدرة الكتاب على أن ياخذوا القرار ويقفوا الى جانبه فى وضوح وشجاعة ..

● وحين يصدر هذا العدد من « الطليعة » ستكون الانتخابات قد أجريت ، وستكون جولة من الجولات قد انتهت ، لتبدأ جولة جديدة من النضال كى يصبح هذا الاتحاد كيانا واقعا ، قادرا على الدفاع عن مصالح الكتاب ، وحقهم فى الامن والقدرة على التعبير .

فلنعمل من أجل هذا الهدف : أن يصبح اتحادا ديموقراطيا ومستقلا لكتاب مصر .

« الطليعـــة »



أخانا الذى فى القلب

شعر :
أيت وارهام بلحاج أحمد

« الكاتب والمناضل المغربى عمر بن جلون .. اغتالته القوى الرجعية فى عز الظهيرة .. فاعاد الأذهان اختطاف واغتيال المهدى بن بركة .. اليهما معا هذه القصيدة .. » .



فى العام الخامس والستين
كانت قطرات الندم
كانت أمواج « السين » بريد الهم
تبيض به عين الخامس والستين
يا احباب
خطو بالباب
يسترق السمع لنبضى
ودماؤكم آتية من عينى الى عينى
يازمان الخنجر والمخفر
أخرج منك . شراعى وأبحر . . . .
تلقانى : نبراس القلب ومسموت الليل
تلقانى : شجرا فى الغد ازدهر

يازمن الخنجر والمخفر
فى دورات الخصب أسافر
محجوب عنك انا
فالتمسنى فى الصوت

أصوات

* متى نبلغ البرقانا يامهدى هذا القلب
يخرج عن أبعاد الخطف ؟

* أيا أيها الفادى ، أتلجم حائط الايام الكالبة ؟ !

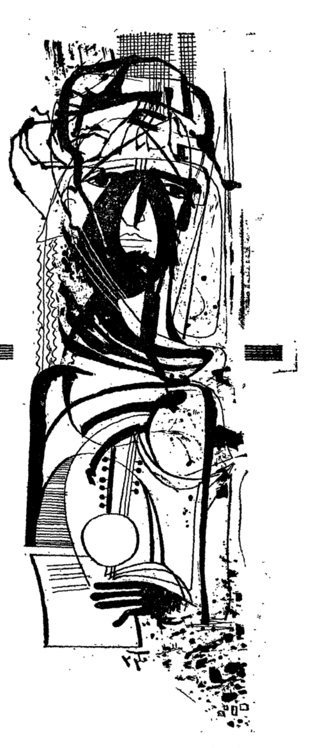
* فيك ندخل وردة للريح .. عمامة للريف

هاتف

[مبارك زرعكم ،ووجهكم فى القلب]

★ ★

فى العام الخامس والسبعين
تأتى قطرات الدم
تعصرنى عظما . . عظما
اتحول نايا للرمل
اتعمد فى نهر الوصل ووصل النهر
يلتقم الصوت كلامى تحت الماء
أصعد من أعمدة الجوع الوطنى
تأتى قطرات الدم
يازمان الخنجر والمخفر ،
هل تنفخ فى الطين هيولى الغم «
فى الكلمات أراك
فى الردهات أراك



فى الخبز اراك
من انت » ؟

دمقليس ؟!
اتخرج من شمع المتحفة بالسيف «؟! »
تصرف عمرا ممنوعا بالعدل عن الصرف «؟!»
ياقطـرات الـدم دقى
دقى الارض المحدودة بالخنجر والمخفر

شمس الخفقات ابتدأت فى القلب
والاحباب الغادون انبجسـوا :
نهـــرا
مطـــرا
شجرا
عمرا .
يامصروفا ممنوعا بالعدل عن الصرفة
الليلة يدخلنى البيت وادخل فى البيت
ينبت .. أطفالى .. كالطوق
تنبت فى الدفتر احلام الرسم
ـ بابا ! هذى شـجرة
ـ . . . . . .
وأنا . . وأنا ، هذى شـجرة
[تغدو الاشياء . الناس . الكون . بعينى شجرة]

★ ★

فى الخامس والستين
كانت قطرات الدم
كان الفادى اكبر .. اكبر .. اكبر
فى الخامس. والسبعين
كانت قطرات الـدم
كان الفادى أطهـر
أطهـر
أطهـر
كانت صلوات الناس ـ الارض :
أخانا الذى فى القلب
أخانا الذى فى القلب

مراكش ـ ١٩٧٥/١٢/٢٣

عمـــدة الناصرة الشـــاعر الثائر أو هـــل تنـــدلع الشـــرارة فى الجليـــل ؟

توفيق زياد

صبحى النجـار

« يا طغمة الحكام زيدينى
هل لاضطهادك من مزيد .. ؟؟
القى القيود على القيود
سوداء ، باردة الحديد
سيعود شعبى فى ضيـاء الشمس ..

من خلف الحدود »

كاتب هذه الابيات المتقدة قد أصبح منذ يوم الجمعية ٢٦ ديسمبر الماضى عمدة أكبر مدينة عربية فى الجليل . انه الشاعر الثائر توفيق زياد ، عضـو الكنيست « البرلمان الاسرائيلى » عن حـزب راكاح الشيوعى « الجنـاح الغربى » ، ورئيس قائمة « الجبهـة الديمقراطية » فى انتخـابات بلدة الناصرة .

وصل توفيق زياد الى موقعه الجديد بعد انتخابات مثيرة . حبس حكام اسرائيل انفاسهم أثناءها ، واستخدموا كل ما لديهم من اساليب الضغط والتهديد ليحولوا دون وقوع الناصرة ، مدينة المسيح التى تعد أكبر تجمع عربى فى اسرائيل « نحو ٤٥ الف نسمة » ، فى أيدى القوميين العرب الذين انتسبوا الى الجناط العربى من الحزب الشيوعى ـ راكاح ـ لانه المنبر الوحيد المتاح لعرب فلسطين كى يكشفوا ويننددوا بالاضطهاد الصهيونى المدبر والمتعمد ضد أصحاب الارض ، عرب فلسطين .

كانت مدينة الناصرة ـ حتى عامين مضيا تدار بواسطة **سيف الدين الزغبى** وهو أحد الشخصيات العربية من الموالين لحزب العمل الاسرائيلى الحاكم . وكان ممثلو حزب راكاح ، الذين يمثلون التيار العربى القومى دائمـا فـى جبهـة المعارضة . ومنذ عامين تنحى الزغبى لعدم استطاعته معالجة مشاكل المدينة بسبب مضايقات سلطات تل أبيب المتعمدة للحد من توسع وتطور أكبر تجمع عربى فى عاصمة الجليل .

والبوم ، يمثل انتقال الحكم الى ايدى القوميين تحولا اتضحت بعض معالمه فى المخاوف التى ابداها حكام تل أبيب أثناء معركة الانتخابات ، فأخذ الوزراء الاسرائيليون يترددون على النـاصرة ، يمارسون ضغوطهم ويدلون بالتصريحات فى محاولة للتأثير على الناخبين « نحو ٢٠ الف » لصالح المرشحين الموالين للاحزاب الصهيونية . فـذكر وزيـر الداخلية **يوسف بورج** أن « مدينة الناصرة فى حاجة ماسة الى التوسع » وأعلن ـ وسط المعركة الانتخابية ـ أن حكومة تل أبيب « ستمنح » بلـدية الناصرة أربعة آلاف دونم « نحو ألف فدان » .

ومن أساليب الضغط والتخويف ادلاء بعض المسؤولين بما يفيد أن حكومة تل أبيب ستنظر بعين الخطورة الى ارتقاء مرشح « متطرف » الى منصب رئيس بلدية الناصرة !

ولكن عرب الناصرة عرفوا طريقهم ، ولم يبالوا بتحذيرات او وعود وجاءت نتائج الانتخابات تعلن فوزا ساحقا لمرشحى الجبهة الديموقراطية وعلى رأسهم توفيق زياد .

وبعد ان أعلنت نتيجة الانتخابات أخذ حكام اسرائيل يحللونها ، ويدرسون اسبابها ، والوقوف على اكثر المناطق إكتظاظا بالسكان العرب واشدها خطورة ، لالتصاقها مباشرة بالاراضي اللبنانية التى تقيم الثورة الفلسطينية بعض قواعدها عليها ، فهل فى هذا ما يشير الى اصابع اسرائيل الخفية والظاهرة فى الازمة اللبنانية الدامية ، .

توجه مندوب اذاعة تل أبيب الى شخصيتين بارزتين من اهالى الجليل ليستطلع رايهما فى نتائج انتخابات بلدية الناصرة . فقال بطرس دله المدرس بمدرسة كفر ياسيف الثانوية ان فوز « القائمة الديمقراطية » ــ القائمة التى يراسها توفيق زياد » ، بنحو ٧٠ فى المائة من أصوات الناخبين ، جاء مفاجأة حتى لزعماء القائمة الذين توقعوا الحصول على ما أقصاه ٥٠ فى المائة فقط من الاصوات . واشار بطرس دله الى اضطرار العرب فى فلسطين الى الانتماء الحزبى الشيوعى رغما عنهم فقال : « ليس جميع الذين صوتوا لصالح راكاح ، فعلوا ذلك من خلال ايمان بالإيديولوجية الشيوعية ، فهنالك من هم بعيدون عن الشيوعية ، ومع ذلك صوتوا لصالح « الجبهة الديمقراطية ، لانهم رأوا هذا التصويت سيكون بمثابة مظاهرة ضد سياسة الحكومة » .

واستطرد بطرس دله يقول ان ما حدث في الناصرة يعكس وجهة نظر عرب فلسطين ــ بصفة عامة ــ ازاء حكومة اسرائيل ، وهو لا يشكل تعبيرا قوميا فحسب بل ويؤكد امكان معارضة سياسة حكومة اسرائيل تجاه العرب بطريقة برلمانية .

أما الدكتور بطرس ابو منه ــ أستاذ التاريخ في معهد الهندسة التطبيقية بحيفا ــ فاعلن أنه لم يفاجأ بنتائج انتخابات بلدية الناصرة ، لانه يعتبر هذه النتيجة ثمرة « لنضال الاجيال » ، لان الفئات التى أدت الى انتصار « الجبهة الديمقراطية » هى فئات الاكاديميين الذين يمثلون جيل الشباب ومعظمهم دون سن الاربعين . وأكد الدكتور منه ما ذكره مدرس مدرسة كفر ياسيف الثانوية بأن الناخبين لم يؤيدوا « الجبهة الديمقراطية » لان كلهم مؤمنون بالمبادىء الشيوعية فقال : « أعرف كثيرين منهم ليسوا أعضاء فى حزب راكاح ، وعزا الدكتور بطرس منه انتصار « الجبهة الديمقراطية » الى تقصير حزب العمل الاسرائيلى الحاكم فى كسب ثقة المواطنين

اما عن انعكاسات هذا الانتصار على سائر القرى العربية فى الجليل والمثلث العربى ، فقد أشار الدكتور منه الى صعود الشباب العرب الى مواقع السلطة البلدية حتى قبل انتخابات الناصرة كما حدث فى قرى باقة العربية والطيبة وغيرهما فى الجليل ، حيث صعد جيل من المثقفين العرب الى مراكز السلطة هناك . ويعتبر الدكتور منه أن المفاجأة التى حدثت تكمن فى استطاعة حزب راكاح » وممثلته على صعيد المجالس القروية هى الجبهة الديمقراطية » الوصول الى هؤلاء الشبان المثقفين وفشل حزب العمل الاسرائيلى فى ذلك رغم امكانياته المادية والبشرية .

● ونعود الان الى رئيس بلدية الناصرة الجديد الشاعر الثائر توفيق زياد ، « ٤٨ عاما » ، فقد ثارت ضده ضجة واسعة من جانب العنصريين الصهاينة بسبب أشعاره ، حتى طالب بعض أعضاء الكنيست اليمنيين برفع الحصانة البرلمانية عنه بحجة أنه يدعو فى أشعاره الى تمرد الاهالى العرب على السلطة الاسرائيلية .

ويعد توفيق زياد : بحق ، شاعر الثورة الفلسطينية الى جانب محمود درويش وسميح القاسم ، وحين وقع العدوان الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ ، كتب زياد :

يا شعب مصر ومصر قبر غزاتها ..
حييت من شعب أبي مقدم
حشدوا جحافلهم ، وعد لـه حربهم
فصمدت لم تجبن ولم تتحطم

وقد ذاق توفيق زياد نفسه صنوف التعذيب والمطاردة فكتب هذه الابيات من سجن « الدامون » الذى أفردته سلطات تل أبيب لرجال المقاومة الفلسطينيين :
وقبل ذلك ، فى عام ١٩٥٨ ، كان نزيل سجن الرملة ، وهناك كتب هذه الابيات :

أتذكر .. انى أتذكر

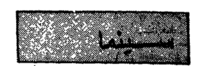
لما كان فم احشاء الظلمة نسمر

فى الزنزانة .. فى « الدامون » الاغبر

نتنهد لما نسمع قصة حب
نتوعد عند حكاية سلب
ونهلل عند تمرد شعب ..
يتحرر

وبصقت ملء عيونها
حقدى على عيش العبيد
يا طغمة المسخ الجبان
يضيج ـ موتور الوعيد
لا تحسبى زرد الحديد
ينال من همم الاسود

وفي أول حديث له ، اظهر توفيق زياد مرونة سياسية من أجل بناء الناصرة وازدهارها ومن أجل رعاية جيل عربى جديد فى الجليل العربى . فقال في أول حديث له لاذاعة تل أبيب : انني أرجو من وزير الداخلية ان يبر بوعده فيعطي مدينة الناصرة الاربعة آلاف دونم التى وعد بها لتوسيع مساحتها . وقال توفيق زياد أن بلدية الناصرة برئاسته ، حصلت قائمته على ١١ مقعدا من مجموع ١٨ ، ستضع نصب عينيها انشاء المصانع وبناء المدارس ونوادى الشباب لتعهد جيل الغد . ■



بمناسبة مرور ثلاثين عاما على عرض فيلم « السوق السوداء »

ليست المجاعة قدرا ..
لكنه الاستغلال

> اضطربت الحالة المعاشية للسواد الاعظم من الناس خاصة فى توزيع الخبز . ولم يحن الاسبوع الاخير من شهر يناير ١٩٤٢ حتى شح هذا الغذاء الاساسى للشعب ، واستعاض عنه الموسرون بالبطاطس والمكرونة .. وصار الناس فى بعض احياء القاهرة يهجمون على المخابز ويتخطفون الرغيف من حامليه فى الشوارع»
>
> عبدالرحمن الرافعى : اعقاب الثورة المصرية الجزء الثالث .

فى هذه الفترة ، خلال دوامة الحرب العالمية الثانية ، كان كامل التلمسانى يكتب سيناريو فيلمه الكبير « السوق السوداء » . .لم يكن يكتبه بالشكل التقليدى المتعارف : على اليمين تتابع المشاهد ، وعلى اليسار حوار الشخصيات .. ولكنه كان يرسم ، وبدقة ، اسكتشات تفصيلية لكل لقطة من لقطات الفيلم . ولم يكن دافعه فى هذا دافعا جماليا فحسب ، بل فكريا فى المحل الاول .

جاء التلمسانى الى عالم السينما بعد أن زاول فن الرسم فترة ، وبعد أن انغمس فى النشاط السياسى فترة اخرى ، فهو قد بدأ حياته الفنية باقامة عدة معارض قدم فيها لوحات يعبر من خلال أذرع شخصياتها المبتورة ووجوهها المرهقة والوانها القاتمة عما يحسه ازاء عناء الجماهير وعذابها .. لكنه اكتشف ان الجماهير ابعد ما تكون عن لوحاته ، وان فنه الذى قصد به مهاجمة المتسببين فى ارهاق الجماهير قد اشترأها علية القوم ، زوار المعارض ، وانها أصبحت تزين جدران صالوناتهم .

من هنا بدأ التلمسانى يفكر فى وسيلة اخرى للتعبير .. ووجدها فى الكلمة . وفى عام ١٩٤٠ بدأ مع مجموعة من المثقفين اليساريين اصدار مجلة التطور . .وكان معه فى المجلة « جورج جنين » و « انور كامل » و « رمسيس يونان » وفى الاعداد القليلة التى صدرت من هذه المجلة الرائدة ، الهامة ، توالت مقالات التلمسانى التي هاجم فيها نظرية « الفن للفن » ، والافلام السائدة فى هذه الفترة . واعتقد انه أول من استخدم تعبير « سينما المخدرات » ، التى تحمل للناس التخاذل والهموم الفريدية والموت ، وطالب بفن جديد « يظهر للجماهير قوتها ويكشف لها عن أعدائها » .

ويبدو أن التلمسانى وجد ان الكلمة أيضا لا تحقق طموحه فى الاتصال الواسع والوثيق بالجماهير ، خاصة فى شعب ترتفع فيه نسبة الامية ارتفاعا كبيرا .. لذلك بدأ يتجه للسينما حيث عمل موظفا بستوديو مصر عام ١٩٤٢ . وفى عام ١٩٤٣ قدم مشروع فيلم « السوق السوداء » الى « اندريه فينو » مدير انتاج « ستوديو مصر » ، الفرنسى الاصل ، الذي اعجب بمصرية الفيلم وجديته .. وحاول التلمسانى فى فيلمه ان يستعين بخبرته الجمالية فى الفنون التشكيلية ، وان يستفيد من وعيه الاجتماعى الذى اكتسبه من خلال اشتراكه فى النشاط السياسى للمجموعات اليسارية التي عمل معها .. لذلك جاء الفيلم ، وان كان لم يحظ — لعديد من الاسباب ، بما يستحق من نجاح وتقدير — ، نموذجا رفيعا للفيلم

الواقعى من جهة ، والفيلم السياسى من جهة اخرى . وبالتالى يصبح من حقه علينا الان ، بعد عرضه بثلاثين عاما ، ان ندرسه ونتأمله .. فهو فى النهاية ، نتاج احد فرسان يسار الاربعينات ، فضلا عن كونه يصلح تماما .. لايامنا هذه .

من « العزيمة » الى « السوق السوداء » من واقعية الشكل الى واقعية المضمون .

ان الرأى القائل بأن «العزيمة» ، اخراج « كمال سليم » ، عام ١٩٣٩ ، على الرغم من المصالحة الطبقية التى حدثت فى النهاية ، والتى تظهر فيها الباشا يقلب ابيض طاهر ، ووجه ملائكى ، وعقل عادل مستنير ، ليعيد لكل ذى حق حقه ، هو اول فيلم واقعى ، لم يجانب الحقيقة .. ذلك ان الواقعية فى الفن ، مثلها مثل بقية الإتجاهات والمدارس الفنية ، غالبا ما تبدأ شكلية ، بدائية ، وسطحية . فيكفى ، فى البداية ، وكما فى « العزيمة » ان تتحرر الكاميرا من اغلال الصالونات والمراقص والقصور والحدائق وغرف النوم ، لتنزل الى الحارة بنماذجها الشعبية ، ومؤثراتها الصوتية ، وملابس وحوار شخصياتها ، لتصبح مقدمة ضرورية ، تنتظر من يأتى ليكمل المشوار وينفذ بنظرته الى ما وراء هذا السطح الصادق فيرى ويرصد العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية التى تربط هذه الشخصيات ببعضها من جهة ، وما يربطها ببقية الطبقات من جهة اخرى . وهو الامر الذى حققه « كامل التلمسانى » فى « السوق السوداء » .

يدور فيلم « السوق السوداء » فى حارة قريبة من حارة « العزيمة » ، وكل منهما بنيت فى « ستوديو مصر ». لكن الحارة هنا ليست ديكورات لمنازل كئيبة ، بعضها آيل للسقوط ، وليست بائع البطاطا والفول والاطفال الحفاة والمجذوب .. ولكنها الصراع بين من يملكون ومن لايملكون ، هى التناقض بين الاغنياء والفقراء .. هى الوعى الذى يحاول ان يحلل الامور والجهل الذى يساعد على طمس كل الحقائق .. من هنا اصبحت الواقعية لا تقتصر على السطح ، ولكنها تنفذ منه الى ما يدور وراء هذا السطح من صراع وتناقضات .

الشخصيات : ارتباط السلوك بالمصالح .

لم يقسم « التلمسانى » ابطال فيلمه تلك التقسيمة الاخلاقية فى السينما المصرية ، اخيار واشرار ، ولم يقف موقف التملق الخطير من سكان الحارة ، فلم يغدق عليهم صفات الشهامة والصدق والتضحية والوفاء وحب الاخرين والرجولة ، الى بقية المواصفات التى تدفع الفنان محدود الوعى الى الرضى عن نفسه ، معتقدا انه اعاد الاعتبار للفئات المقهورة .. ان « التلمسانى » لا يتملق ، ولا يدين . ولكنه يقسم ابطاله تقسيمة اجتماعية . فهذا مستغل وذلك مستغل .. ولا يعنى هذا انه رسم خطوطا حادة ونهائية لكل شخصية من شخصياته ، فما أكثر المقهورين الذين يقفون بحكم وعيهم المتخلف فى مواقع مناقضة لمصالحهم . لقد اهتم التلمسانى بالبناء الداخلى لابطاله ، من ناحية احلامها ومشاعرها واخلاقياتها ، كما اهتم بوضعها الاجتماعى ، لكنه لم يقف وراءها ليدفعها لتصرفاتها دفعا ، بل ترك افعالها تتوالى مستقلة ، كمحصلة التفاعل عالمها الداخلى مع عالمها الخارجى ، فى اتجاه مصالحها ، او ما تراه مصالحها .. من هنا تبدو شخصيات « السوق السوداء » بالغة الصدق والثراء ، تتدفق بالحيوية ، وتتطور على طول الفيلم .

أبو محمود : من النزاهة الى الجشع .

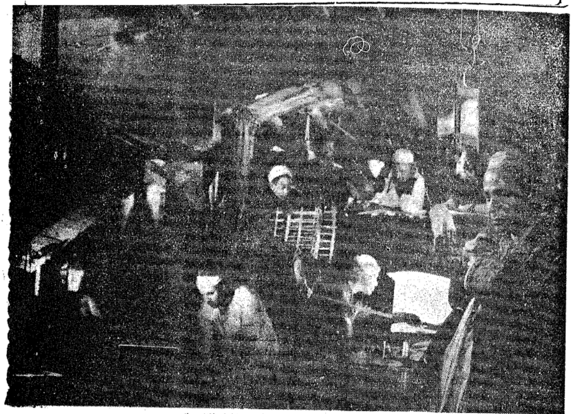
فى البداية يطالعنا « ابو محمود » ، صاحب المخبز ، ورعا ، طيبا ، وديعا ، يحنو على طفلة صغيرة ويشفق على العبيط الذى يضطهده بعض عمال المخبز .. وهو ، شأنه شأن ابطال « السوق السوداء » ، له جروحه واحلامه ومباهجه . فمن خلال تسلسل المشاهد ، وبفضل عبارات متناثرة ، نعرف أنه كان له ابن ، اختطفته يد المنون وهو فى شرخ الشباب ، الامر الذى ترك فى نفسه بصمة من الرحمة ، غالبا ما تجدها فيمن عانى من امثال هذه الكوارث . وهو يحلم دائما بان تتزوج ابنته الوحيدة «نجيه » ، التى حظيت منه بحب مضاعف ، من رجل يحبها بقدر ما يحبها هو .. وأمنيته الخاصة ، التى يذكرها ، التى يذكرها اكثر من مرة ، بشكل شاعرى رقيق ، ان يزور بيت رسول الله .. اما مباهجه فتتحدد فى علاقته الطيبة ، الدافئة ، مع سكان الحارة .

هذا هو عالم « ابو محمود » الداخلى .. لكن هذا العالم يبدأ فى الاضطراب والتغير مع تطورات العالم الخارجى . ان الحرب سرعان ما تندلع . وبعد مقاومة يوافق ان يشترى البضائع مع صديقه « سيد البقال » لتخزينها ثم بيعها عندما تشح فى السوق .. وفى أكثر من موقف يبدو كما لو كان سيتراجع عن طريق السوق السوداء . ذلك ان قيمه الاخلاقية ، ومشاعره ، وعالمه الداخلى عموما ، تقف عقبة ، فى البداية ، دون اندماجه فى المشروع الدموى .. وفى مشهد بديع ، داخل مخزن اكتظت به صناديق البضائع ، يغلفها ظلام كئيب ، يتأمل الصناديق ، على ضوء لمبة جاز مرتعش وخافت ، ينعكس على وجهه وكفيه ، كما لو كان آتيا من اعماقه ، يقول مرعوبا أن الصناديق تشبه صناديق الموتى . وانه يحس بنفسه داخل كل صندوق ... وفى مشهد آخر ، بينما هو عائد بعد منتصف الليل من أحد الملاهى الليلية مخمورا ، يفاجأ بموكب دينى ، ينشد اذكارا عن حبيب الله ، فتذهب الخمر من رأسه وتستيقظ أمنيته القديمة بزيارة بيت الرسول . وفى لقطة كبيرة ، يرسم على وجه الممثل الخلاق « زكى رستم » ، المتصبب عرقا ، المذهول ، المتألم ، معنى التناقض بين ما يتمناه وما يفعله .

لكن بمرور الايام ، ونمو وتراكم وازدياد ثروته ، تتشيأ مشاعره وتتبدل امانيه وتتحول أحلامه ، لتواكب وتتسق وتساير مصالحه الجديدة .. وبالتدريج ، تكتسب تصرفاته سمات غير انسانية ، تبدأ بغلظة تشى بها كلماته ونظراته ، لتنتهى بوحشية لاتكاد يحدها حدود .. فهو يفسخ خطوبة ابنته ، ويزداد تكالبا على جمع المال ، وينزعج من مجرد احتمال انتهاء الحرب ، ويتزوج بامرأة اخرى ، ويضرب بقدمه بطن صديقته الحلاق لانه عارض الشراء بأعلى من السعر القانونى .. باختصار ، يصبح غولا خطيرا ، يلغ فى أرزاق الناس بلا رحمة ، ويطلب المزيد .

حامد : حامل الوعى .

كذلك يقدم « التلمسانى » شخصية الموظف الصغير ، المتهور ، الذى يرتبط مصيره بمصير مئات الفقراء من ابناء الحارة وهو فى هذا يذكرك ببطل « العزيمة » . ولكن بينما استحوذت مشكلة بطل « العزيمة » الخاصة على



لقطة من فيلم « السوق السوداء » اخراج كامل التلمسانى

اهتمامه كلية فاتجه الى حلها حلا فرديا، تجد ان حامد ، بطل « السوق السوداء » ، جاء أرحب أفقا وأعمق وعيا ، ذلك انه أدرك ان المجاعة ليست قدرا ، ولكنها من صنـــــع عشرات المستغلين ، وان ضحيتها ليس فردا او أفرادا ، ولكن ملايين الفقراء ، وبالتالى فان المشكلة ليست فردية ، ولكنها جماعية .. كذلك أدرك أن الناس لن يحركهم الفقر ، ولكن يحركهم الوعى بأوضاعهم .. وعلى هذا ، يصبح حاملا للافكار ، وداعية للعدل ، ومحرضا للناس .. وقد أختار التلمسانى شابا جديدا للاضطلاع بهذا الدور ، كان يعمل موظفا بستوديو مصر ، اصبحت بعض مواصفاته فى هذا الفيلم مثـل الجدية والكبرياء والنزاهة ملازمة له فى عشرات الافلام التى مثلها بعد ذلك ، وان كانت نسبة الوعى قد خبت كثيرا وانطفأت أحيانا ... انه « عماد حمدى » .

فى المشاهد الاولى يطالعنا «حامد» ، الذى يسكن حجرة فوق السطح ، يبدو مريضا ، والى جانبه تجلس نجية التى تسللت من شقتها لتقضى معــــه عدة لحظات .. وشأنه شأن ابطال «السوق السوداء » جميعا ، له عالمه الخاص المتفرد ، له احلامه وجروحه ومباهجه ، فهو يتمنى أن يتزوج « نجية » ، وان ينجب طفلا يسميه « بندق » ، وان يكبر الطفل ويصبح رجلا ، ومثـــل «البندق» يصعب كسره .. لكن حلمه الانســانى الاخضر لا يتحقق ، ذلك ان احداث الوطن تقتحم حياته ، كما تقتحم حياة سكان الحـــارة جميعــا .. وهنــــا يحسب للتلمسانى ، مرة اخرى ، نظرته الجدلية التى تربط بين عالم الشخصية الخاص وعالمها الخارجى . فهنــا ، فى حارة التلمسانى ، لاشىء يتم للفرد ، مهمـــا كان خاصا ، بمعزل عن البيئة المحيطة به .. فمع دوامة ارتفـــاع الاسعار ، وتقهقر قيمة الموظف الحكومى التى كانت تثير الاعجاب من قبل ، ومع بروز نجم الرجل « الكسيب » ، الذى يجمع المال بأحط الوسائل ، مثل الاتجار فى «السوق السوداء» والعمل فى الجيش الانجليزى ، يبدأ حلم حامد فى الانهيار . ذلك انه كموظف صغير ، لم يعد يرضى طمــــوح والد العروس الشره ، الذى انغمس فى السوق السوداء ، واصبح يحلم لابنته بزوج « كسيب » وتتطـــور العلاقة بين « حامد و « ابو مجهود » نبعد الاحترام المتبادل والاعجاب - والمحبة - تأتى مرحلة الفتـــور ، واللامبالاة .. ومع تضـــارب مصالحهمـــا ، تأتى مرحلة الضـــيق والنفور ، لتصل فى مشـــهد عاصف ، عندما يحض «حامد» سكان الحارة على مقاطعة تجار «السوق السوداء» والتبليغ عنهم ، الى حد نزع خاتم الزواج من اصبع « نجية » والقائه فى وجـــه « حامد » .

والى جانب حلم « حامد » ، يوجد فى عالمه الداخلى ، العديد من المشاعر الطيبة والافكار البناءة ، تجعله احـــد مصادر الوعى فى الحارة . وهى أفكار تمت بالضرورة الى افكار «التلمسانى» نفسه .. ويحسب للفيلم انه لم يقدم افكاره عن المستغلين والمستغلين على نحو مجرد ، ولكنه يقدمها مرتبطة اشـــد الارتباط بنسيج الفيلم واحداثه ، وهى تاتى منطقية تماما على لسان «حامد» . ذلك انه كطرف فى الصراع ، وواحد ممن يقع عليهم عبء الظلم ، عندما يتحدث عن أكثر القضايا عمومية ، فانما يتحدث عن أكثر القضايا خصوصية فى نفس الوقت . ففى أحد المواقف بينه وبين نجية ، بعد ان بدأت العلاقات تتدهور

بينه وبين والدها ، تحدثه ، واهمة ، عن الاثاث « المذهب » الذى سيشتريه لها والدها ، والستائر الفخمة التى ستغطى الابواب والشبابيك ، يجيبها قـــائلا « المفش المدهب اللى أبوكى هايجيبوا جمع تمنه من قروش وملاليم سكان الحارة الغــلابة ، من سرقة شقاهم وعرقهم » .. ثم يتحدث عـــن « التجار الجشعين ، أبعد الناس عن اى أخلاق او انسانية او دين او قانون .. دى مش حكاية ابوكى وسيد البقال وحامد ونجية والجواز وبندق .. دى مسألة التجار اللى خانوا أهل بلدهم اللى ائتمنوهم على حياتهم واستغلوهم أشنع استغلال .. التجارة السودة فى السوق السوده » .

ومع توالى الاحداث يزداد وعى حامد ، فهو يقترح على الناس ، فى البداية ، التبليغ عن تجار السوق السوداء ، ويقوم هو بنفسه بالتبليغ عن « سيد البقال » و « أبو محمود » .. لكن البوليس ، كالعادة ، يأتى متأخرا ، ذلك ان « سيد البقال » واعوانه ، يتمكنون من نقـــل البضاعة الى مخزن آخر ، وبالتالى يدرك ان على الناس ان يقوموا بدور أكبر من مجرد التبليغ ، خاصة وانه يبدو مؤمنا تماما بقدرة الجماهير وقوتها ، ففى اثناء احدى الغارات ، وبينما « نجية » مرعوبة بين يديه ، يتحدث عن الشعب حديثـــا عذبا وعاشقا ، اعتقد أننا لم نتعوده فى السينما المصرية ؛ يقول « الناس دول مش ممكن يجرى لهم حاجة . شعب عجيب تحدى المرض والكوارث والجهل والمرض ولا انتهاش ومش ممكن هاينتهى . عارفه مين هم اللى هاينتهـــوا ؟ سيد البقال وامثاله وحسونة الجزار وغيرهم ، اللى بيستغلوا الاهالى المســاكين .. البلد ما انضرتش من القنابل والغارات قد ما انضرت من جشع تجار السوق السوداء . ناس بيبيعوا ويشتروا فى دم اخوتهم ودموع اهاليهم ويحطمـــوا الغير علشان هما يسعدوا » .

ومع ازديـاد جشـــع التجـــار ، ومع ازدياد التناقض بينهم وبين الفقراء ، ومع ازدياد التناقض بينهم وبين الفقراء ، ومع ازدياد وعى الاهالى ، يقتحم حامد مع مئات الرجال مخزن البضائع ليشتركو جميعا فى معركة وحشية مع اتبـــاع « سيد البقال » و « ابو محمود » .. وربما نأخذ على « التلمسانى » ذلك الحل الذى يتسم ببعض الفوضوية ، والذى يرى ان الناس تستطيع — بلا تنظيم — ان تصفى حسابها مع قاهريها .. لكن هذا المأخذ يبدو ضعيفـــا اذا وضعنا فى الاعتبار الظروف الرقابيـــة الحساسة التى اخرج الفيلم فى ظلها ، وقد ندهش من كيفية مرور مشهد اقتحام الجمهور لمخزن البضائع من تحت أنف الرقابة التى تحرم « بث روح التمرد كوسيلة للمطالبة بالحقوق » .

الحلاق والعبيط وسيد البقال . أهمية الشخصيات الثانوية .

حقا .. ان التلمسانى قسم أبطاله تقسيمة اجتماعية ، لكنه لم يتوقف عند حدود الابعاد الاجتماعية . ذلك أنه تعمد أن يكون لكل شخصية ملامحها الخاصة وقسماتها المتفردة . وهو بهـــذا حمى نفسه من الوقوع فى أسر الانماط ، وجعل للشخصيات الثانوية قـــدرا كبيرا من الاهمية ، فهو يرسم شخصية « الحلاق » مثلا بنفس الدقة التى رسم بها « حامد » و « ابو محمود » ، فالحلاق هنا له عالمه الداخلى الرحب ، له احـــلامه واحزانه ومباهجه ، وهو ، على الرغم من ضعفه الجســـمانى ، وانهيـــاره الاقتصادى ، وميله للمسالمة ، على قدر كبير من التماسك .. وفى اللحظـــات الحاسمة يأخذ موقفا شجاعا من قاهريه .. ويتمثل حلم الحـــلاق ، الذى قام بدوره الكوميـــديان كمـــال المصرى « شرفنطح » ، فى ابنته الصغيرة أنتى يتمنى ان تكمل تعليمها وتصبح طبيبة .. وهو يصبح ، بما يحفظـــه من ملاحم شعبية ، أحد ينابيع الوعى فى الحارة ، فحديثه الدائم عن بطولة عنترة المقاتل الشجاع ، المقتحم .. وحديثه عن « ابى زيد الهلالى » ، رافض الظلم والطغيان يفجر عند الناس ، درجة من الوعى ، ودرجات من الايمان بضرورة مواجهـــة الاستغلال ، ولو بالعنف .

كذلك لم تقف شخصية العبيط عنـــد حدود الابله التقليدية ، فهو هنا يحلم ويحب ويتألم ، والاهم ان وعيه يزداد على طول الفيلم ، وتتعدد مصـــادره من « حامد » افندى تارة ، والحلاق تارة أخرى .. ومن خلال شخصيته يؤكد التلمسانى ، مرة اخرى ، على قيمة العلم .. فعندما يحاول التبليغ عـــن البضاعة المخبأة فى المخـــزن ، يقلب أوراق دفتر التليفونات ، وينظـــر الى الارقام ، وتنظر معه الكاميرا . ولكنهما — هو والكاميرا — يريان الارقام باهتة ، مختلطة ، متداخلة ، الغاز لا يمكن حلها ، ويرتسم على وجه الممثل الكبير ، فى لقطة كبيرة ، كل علامات الحزن والاحباط .. وفى المرة التالية ، يستعين بابنة الحلاق ، التى نالت قدرا من التعليم ، لتبحث عن الرقم المطلوب .

اما « سيد البقال » ، احد عتـــاة « السوق السوداء » ، فهو منذ البداية يبدو شرها وطماعا ودنيئـــا ، وتزداد خصائصه وحشـــيته مع ازدياد ماله وتراكمه ، وهو ايضا له حلمه الخاص ، الذى يفجره فى اعماق « ابو محمود » : ان يصبح غنيا ، وأن يسكن فى عمارة كبيرة بها مصعد ، وان ينهل من الملذات بلا توقف . وفى ركن من قلبه يتمنى أن يتزوج « نجية » ، التى لا ينالها أبدا .. وهو يتمتع بصلابة شديدة ، خاصـــة عندما يدافع عن مصالحه ، وهو يراهن بروحه عندما يدخل اكثر من معركة دامية بذراعيه .. واعتقد أن دور « ســـيد البقال » الذى قام به « عبد الفتـــاح القصرى » هو أفضل ادواره ، ذلك انه استطاع بعشرات التفاصيل الصغيرة ، مثل نظرة عينيـــه الجشـــعة ، وسحب لنفس الســـيجارة بشبق ، ان يعكس ما تنطوى عليه روح هذه الشخصية من اجرام يزداد كلمـــا ازدادت مكاسبه الحرام .. وهو فى النهاية يدخل معركة شرسة ضد الناس ، ويلقى مصرعه بين الصناديق والاجولة والبراميل مفضـــلا الموت عن الانسحاب والهرب .. لقـــد استطاع « التلمسانى » من خلال هذه الشخصية العاتية ان يبرز ، وبشـــكل واقعى صحيح ، مدى وحشية تجـــار السوق السوداء .. وبالتالى يؤكد جدية وخطورة المعركة التى لابد وأن نخوض ضدهم .

الحوار .. والاغانى .. فن بيرم التونسى

من الصعب ان نتخيل أحدا ، غير بيرم التونسى ، يقـــوم بكتابة حـــوار « السوق السوداء » وأغانيه . ذلك ان التعبـــير عن الروح الشـــعبية ، والصياغة المختزلة ، القوية ، الشاعرية . وتفهم واستيعاب قضية الفيلم ، أمور تدخل فى اهتمام ومقدرة بيرم التونسى ..

ومن الناحية الدرامية ، يأتى حديث كل شخصية ، متلائما مع ابعادها الاجتماعية والنفسية والاخلاقية ، فضلا عن القوة الايحائية للحوار عموما ، فمثلا فى بداية الفيلم ، يتحدث الحلاق عن الحلم الذى رآه « الظاهر بيبرس » وتســـاقط فيه « ثعبانا كبيرا شفط مياه النيل كلها » ! وفى احد المواقف يتحدث « ابو محمود » الى زوجته عن الغلاء المتصاعد بسبب الحرب ، وسرعان ما يتقلص وجهـــه

وينزعج عندما تجيبه زوجته الطيبة بأن الظروف الصعبة ستنتهي والحرب ستتوقف وان « البلد زرعها مايبقى للركب » .

وتقوم الاغنية هنا بدور تعبيري هام ، فهي تكتسب قيمة اجتماعية ودلالة طبقية واضحة .. فعندما يعود « ابو محمود » و « سيد البقال » من احد الكباريهات ، بعد منتصف الليل ، بصحبة بعض العاهرات ، يغنون واحدة من اغاني المواخير التي انتشرت خلال الحرب العالمية الثانية ، والتي يقول مطلعها « هيلا هوب ، هيلا هوب .. يللا بينا ع الكلوب » .. ويضمن التونسي هذه الاغنية كلمات يعبر بها عن موقف اثرياء الحرب – ابو محمود وسيد البقال – من الحارة البائسة ، فيرددان « من هنا هو ، من هنا هو .. احنا اللى جمعنا الملايين من هنا هو » .

وتأتي الاغنية ، في مواقف اخرى ، كتعليق ساخر على احد الابطال ، فعندما يفسخ « ابو محمود » خطبة ابنته ، يغني الفران ، الذراع الايمن لتاجري « السوق السوداء » ، اغنية « اه عليل يا نمر حنة » ، الاقرب الى المونولوج المرح ، والتي تعمد ملحنها « عبدالحليم نويرة » ان يجعل ايقاعها الساخر اقرب الى ايقاع النائحات :

عليل وتزكوه غبييه
ولا طال م الدنيا نايبه
الله يجازي نسايبه
قفلوا بيته .. وخدوها منه
قالوا له دي هي الدنيا .. ويايه تجيب
لك نابوليا
المهر مايجبش فاصوليا
وأدينى باحسب وبافكر .. وتروق
يا دمي وتتعكر
والشاي زاخر والسكر .. تقلوا علينا
آه .. آه .. آه .

اسلوب الاخراج .

اهتم « كامل التلمساني » اهتماما جادا بكافة تفاصيل اللغة السينمائية لذلك جاء « السوق السوداء » بالغ العطاء ، تتسم كل لقطة بقوة التكوين الى جانب سخاء التفاصيل ، وهي تفاصيل لا تأتي مجانية ، لمجرد التزويق ولاسباب جمالية ، ولكنها تكتسب مغزى ومعنى ، تعمق المضمون الفكرى للفيلم .. ففى أحد أركان الحارة الفقيرة ، تلمح أفيش فيلم « حياة الظلام » .. وعندما تقف نجية الى يمين والدها الجالس على كرسي الحلاقة ، تشكو له ارتفاع اسعار الاقمشة وجنون التجار ، تظهر على الجانب الايسر من الكادر « عروسة حلاوة » ، بائسة ، ضعيفة ، توحي بمستقبل « نجية » التى ستصبح احلامها العوبة فى يد والدها .

ويستفيد « التلمساني » من الاسود والابيض ، الظل والنور ، استفادة درامية كبيرة . فمشاهد الاتفاقات الدموية التي يعقدها « ابو محمود » مع « سيد البقال » تتم فى جو معتم ، اقرب الى المقابر ، ويوحي بالدسائس والمؤامرات .. وعندما تغرق الشاشة فى الظلام ، لعدة ثوان ، بعد غارة جوية ، يفتتح « التلمساني » مشهده التالي بضياء النهار الشديد يغمر الحارة ، بينما طابور مدرسة اطفال ، فى مقدمتهم ابنه الحلاق ، يسير مغنيا ذلك النشيد الدافىء « بلادى بلادى لداكى دمى » .

ويستخدم «التلمساني» شريط الصوت استخداما دراميا موفقا .. فعندما يتحدث الجميع ، فى دكان الحلاق ، بأمانيهم ، عن استحالة اندلاع الحرب ، يرتفع شخير « سيد البقال » النائم ، أو المتظاهر بالنوم ، كتعليق ساخر تؤكده الايام ، على خطل أمانيهم ..

وفى موقف آخر ، يعرض « ابو محمود » على «حامد» أن يترك وظيفته ويشترك معه فى تنظيم تجارته السوداء ، يأتى صوت « سيد البقال » ، من خارج الكادر ، وهو يغني أغنيته المفضلة « يا ريتك تطاوعني » .

وتعبر الاكسسوارات عن حالة الشخصية ، من الناحية الاجتماعية والاخلاقية .. ان الكاميرا تكشف لنا ، وهى تمر بسرعة على أثاث الشقة الجديدة التى اقامها « ابو محمود » لزوجته الجديدة عن غلظة الذوق وفساده ، فالاثاث الكثيف ، الغالي ، المتضارب الجنسيات ، ايطالي وفرنسي وعربي وهندي ، يليق بأحد اثرياء الحرب ، يتعلق بأهداب الارستقراطية .

واخيرا يذكر للمصور القدير ، مرهف الحس ، احمد خورشيد ، تصويره الاخاذ لتعبيرات الوجوه فى اللقطات الكبيرة ، واختياره الموفق لزوايا التصوير ، واقتصاده فى حركة الكاميرا ، خاصة فى مشاهد الحارة التي بدت بعمق مجالها ، وحيوية حركة الممثلين والكومبارس داخلها ، كما لو كانت حارة حقيقية ، تتدفق بالحياة ، والصراعات ، والتناقضات ، فى فيلم من اشرف الافلام التى قدمتها السينما المصرية ، واكثرها وعيا ورقيا . □

كمال رمزى

فن تشكيلي

زكريا الزيني ..
هل آن للغريب أن يعود ؟

هذا الفنان قادر على أن يشدك بشيء لا تستطيع معرفته أو مقاومته ، وكلما أوشكت أن تمسك به أفلت منك مراوغا ، وتتركه وانت ممتلىء بالدهشة والحيرة والاسئلة ، انه من نوع الفنانين الشعراء .

هناك موسيقى خفية غامضة تأسر القلب وان لم تشبع العقل ، وهو كذلك من نوع الفنانين الذاتيين ، الذين يدورون فى دائرة خاصة من همومهم ومكوناتهم ومخزونهم النفسى ، يغرفون منها بمنتهى

الصدق والبراءة اعمالا فنية مصفاة من الادعاء والضجيج ، لا تبغي احداث ثورة او ريادة اتجاه ، لكنها قد تفتح امامك – ولو على استحياء – آفاقا جديدة مجهولة ، وتتركك تكمل عملية الاكتشاف

بنفسه ، جاعلا من خياله واحاسيسه دليلا لبلوغ الكشف او الرؤيا • ولشدة صدقه تحس كانه يرسم لنفسه فقط ، حتى ان معظم اعماله تلخصها عدة رموز وتكوينات شديدة التقارب •

فلو تتبعنا الرحلة الفنية التى قطعها الفنان « زكريا الزينى » عبر خمسة عشر عاما ، كما مثلهامعرضه الاخير الشامل فى المركز الثقافى السوفيتى بالقاهـرة والاسكندرية فى ديسمبر ويناير الماضيين، سوف نحس انه يسير فى خط مستقيم ، ليست فيه انعطافات حادة او تعرجات أو قفزات ، بايقاع اقرب الى البطء ، سواء فى الرؤى التشكيلية او الموضوعية

لكن هذه الاستقامة الرتيبة ليست دليل جمود ، بل لعلها دليل اصالة ، دليـلا على هيمنة العوامل الذاتية فى الفنان ، من دوافع نفسية ورواسب فكريةوموهبة منفردة بالطبع ، على رؤيته ، اكثر من هيمنة العوامل الخارجية المكتسبة مـن الدراسة والمعايشة لحركة العصر • وان كنا نجد ان حركة العصر والواقع تفرض نفسهاعليه بالحاح وتطرح عليه ـ وعلينا بالتالى ـ عديدا من الاسئلة ، انعكست بوضوح فى مجمل اعماله ، وظلت مجرد اسئلة حائرة ومحيرة فى عيون ابطال لوحاته ، او فى مستطيلات غليظـة تحاصرهم بداخلها وهم عاجزون عـن الاجابة •

ان زكريا الزينى الذى ولد وتربى فى احد احياء القاهرة الشعبية العريقـة (السيدة زينب) شأنه شان عبد الهادى الجزار وحامد ندا ، يحمل فى وجدانه كل تراث هذه البيئة ، المفعم بعبق الجو الدينى بما فيه من طقس ورمز واسطورة، وبما فيه ايضا من صخب وازدحام وبؤس واستسلام لقوى غيبية • وكما كانت هذه العوامل مجتمعة هى المحرك لكل ابداعات الجزار وندا ـ وأن تفرقت بهما السبل فى النهاية ـ فقد كانت كذلك هى الخلفية النفسية والاسطورية التى انطلقت منها ابداعات « الزينى » فى معظم مراحلـه الفنية •

بدأ الزينىحياته الفنية بمشروعتخرجه فى كلية الفنون الجميلة سنة ١٩٦٠ عن « الزار » ، ولم يكن ذلك اختيارا بقدر ما كان خضوعا لدوى الطبول البدائية التى تدق فى المنزل الذى يعيش فيه ، حيث كانت تقام حفلات الزار مرة كـل اسبوع على الاقل • لم يكن وقتها قـد اكتسب النضج الكافى لتكوين رؤية واعية عن الزار ، ترجعه الى جذورهالسيكولوجية والاجتماعية ، فجاء تعبيره عنه اقرب الى التسجيل ، وان استطاع ان يضفى عليه روحا من السحر ، ويطلق من وسط دخانه ورقصاته المحمومة حريقا مـن الرغبات المكبوتة المتاججة ، فكان عملية التصوير التى قام بها كانت معادلا لـمـا تفعله النسوة فى حلبة الرقص الهستيرى، وهن يحاولن طرد او ارضاء الارواح « والاسياد » التى تسكن بداخلهن ، اعنى انه كان يرسم متقمصا للحالة اكثر منه معبرا عنها •

وحين سافر الى ايطاليا فى بعثـتـه الدراسية سنة ١٩٦٢ واجهته اوربا دفعة واحدة بصدمة لنـا أن نتصـور مداها بالنسبة لابن السيدة زينب اسير الزار والمولد وربيب الحوارى الضيقة والبيوت المتساندة المحتمية فى بعضها البعض • لم يكن هناك مكان لكل ذلك ، بل لم يكن للانسان نفسه مكان فى الفن •• كانت تلك الفترة هى ذروة الخط الصـاعد لاتجاهات الاثارة البصرية ، قبل انكساره بعدها باعوام قليلة • وكان امام طريقين: اما ان يخلع جلبابه البلدى ويرتدى قبعة الخواجة ويتشقلب محاولا تقليد ذلك النمط السائد حتى يصبح « عصريا » ولا يبدو فى صورة الساذج الوافد من ريف العالم الثالث ـ وهذا ما يفعله غالبيـة المبعوثين من فقراء الموهبة ـ واما ان يصمت مشدوها زائغ البصر يرسم مـا يضعونه امامه ، كمبرر للحصول على الدبلوم ، حتى تنتهى سنوات بعثته ، فيضع نفسه فوق اول باخرة متجهة الى مصر •• وعندئذ فقط يتنفس الصعداء !

لكن الزينى لم يسلك ايا من هـذين الطريقين ، بل سلك كمصرى حقيقى : ذلك الكائن المتحضر ، الذى يبدو تحضره فى قدرته على الاستيعاب والتكيف ، وتطويع الظواهر الجديدة لتلائم خصائصه العريقة ، بعبارة أخرى : قدرته على تمصير الظواهر ، وجعلها كموجات فى تيار نهره تخصبه بمزيد من الطمى بدلا من ان يكون هو موجة تافهة فى انهار الاخرين •

هكذا هضم الزينى بسرعة تحويرات « مارينو مارينى » و « كامبيللى » الايطاليين فى الشكل والتكوين واللون، واستطاع ان يكيفها مع مخزونه مـن الذكريات والاشكال المصرية الصميمة • كانت تحويرات كامبيللى ـ على سبيل المثال ـ فى المشخصات توحى بطابع شرقى ما ، قد يرجع هذا الى الاشكال المتماثلة كالعرائس ، او الى التتابع الرتيب للوحدات المتجاورة بشكل منتظم شبه زخرفى ، او الى الالوان الشاحبة الضبابية كوشاح غامض على المساحات والاشكال • ولعل ذلك كان استلهاما من الطابع الشرقى الذى تسلل الى الكنائس الاوربية بعد الفتوح الاسلامية ••

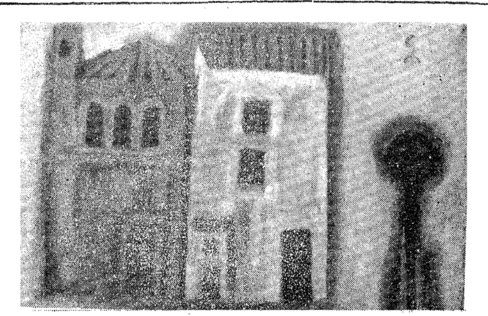
وجد الزينى ان كل تلك العناصر متوفرة بسخاء فى البيئة المصرية الشعبية وفى التراث الفنى الاسلامى والقبطى : عرائس المولد •• الزخارف الاسلاميةعلى خشب الابواب والمشربيات •• عرائس اسوار المساجد والقلاع •• الرســوم القبطية والفلكلورية على النسيج والنوافذ والجدران •• ان هذه العناصر جميعـا تشترك فى خاصية اساسية هى الوحدات المنتظمة المتتابعة ، التى تكون ايقاعا رتيبا لا نهائى •• يناسب تماما ايقاع الحياة فى مصر والشرق بعامة • لهـذا راح الزينى يحللها ويحور فيها ويوظفها فى تكوينات اتخذت فى البداية طابعـا ميل الى التجريد مع الاحتفاظ بالمشخص الانسانى كعنصر تشكيلى ليس الا ، وان احتفظت بمذاق مصرى مميز تسـتطيع التقاطه من بين مئات اللوحات •

لكن ذلك لم يشبع تلك الرغبةالتعبيرية الكامنة فى نفسه ، وهو يواجه وحيـدا غريبا ، ذلك العالم الاوربى المتناقض معه فى كل شىء • كانت طبول الزار تناديه، وصخب الموالد وبيوت السيدة وزحام الناس بحرارة عواطفهم تلاحقه حتى فى الاحلام • وقد حملت اعمال تلك الفترة طابع الغربة والحنين لكل ذلك • حتى حين رسم مناظر للبيوت الايطالية ، بدت اما بيوتا اقرب الى الطابع المصرى ، واما بيوتا مغلقة موحشة كئيبة ، وشخص وحيد يقف خارجها ، غريبا فى مواجهة ابوابها ونوافذها الموصدة ••

من ذلك الوقت اصبح للزينى مزاجا اقرب الى الانطواء والتامل الحزين • لقد تلاشى الزحام من لوحاته ، وصار الانسان فيها وحيدا معزولا بل مسجونا فى مستطيلات لونية او اطارات صارمة• ان اقسى انواع الوحدة فى تلك التى يشعر بها الانسان وهو وسط الزحام والحياة تضج من حوله ولا مكان له فيها•

هنا يبرز سؤال محير : كيف استطاع الزينى ان يستوعب بسرعة ويسرانجازات الابداع التشكيلى فى اوربا ويوظفهابنجاح لتخدم رؤيته الفنية الخاصة ، فى حين عجز نفسيا عن استيعاب المجتمعالاوربى حضاريا ؟ •• كيف اجتزا نفسه عن ذلك المجتمع وظل ينظر اليه من الخارج مغتربا عنه ؟ •. ان السؤال ينبع من داخل لوحاته وليس من خارجها • وفى ظنى ان هذا الاجتزاء يرجع الى خاصية ذاتية فى الفنان ، الى مدى الديناميكية الفاعلة بداخله ، والى تكوينه الاصلى المحكوم بمؤثرات بيئية شديدة القسوة••

ومن الغريب ان عودته الى الوطن فى اواخر عام ١٩٦٦ لم تستطع ان تذيب احساسه بالوحدة • لقد صار يعمد الى تحديد المساحاتالتى يحبس فيها اشخاصه بفرشاة سوداء سميكة ، اوالى بترادرع نسائه العاريات رغم تفجرهن بالخصوبة،



أو الى تكبيل اجساد اشخاصه بلمسات فرشاة عريضة عنيفة تطمس اطرافهم وملامحهم ·· وليس من السهل أن نفهم : **هل هذا العجز ·· هذا الانفصام ·· هذا البتر ··هذا السجن ··تنبع من احساس فاحش الضراوة بالقهر ، لا طاقة له على مواجهته ومقاومته ؟ ·· ام هي تعبير عن موقف فكرى مما يدور حوله ؟ ·· ان معظم اللوحات التي تحمل هذا التعبير قد رسمها الزينى بعد عام ١٩٦٧ مباشرة ، فهل كانت انعكاسا لاحساسه بالهزيمة ، احساسه بالانسان المصرى الذى اصيب بالشلل وسلبت منه الارادة؟ ·· أم كانت تعبيرا عن نظرته للانسان بشكل مطلق ، حيث تتحكم فيه وتسيره قوى مجهولة ؟ ··**

ربما نجد فى تلك اللوحات ما يتوافق مع كل ذلك ·· لقد امتلأت أعماله بالاطارات المتراصة وبداخل كل منها شخص مسجون ، بل اننى اذكر لوحة له باسم « مجتمع مغلق » رسمها سنة ١٩٧٠ تجمع اثنى عشر شخصا مستلقين فى مستطيلات مرصوصة ومتساوية تذكرك بالتوابيت او بحجرة المومياوات ، وقد جمعهم من الخارج اطار سميك قاتم ، وكأنه يريد ان يقول : هذا هو المجتمع الذى وجدته بعد اغتراب سنوات طويلة، وهذا هو الانسان فيه · ولم يكن عرضا ان يعود فى نفس العام الى رسم الزار، ولكن من منظور مختلف عما رسمه به سنة ٦٢ ·· لقد احتل معظم مساحة اللوحة جسم المرأة التى تملكها الاسياد ، فى مستطيل ابيض صارم ، مكبوتة حتى الشلل ، وليس حتى الرقص او الجنون، ومن حولها الرموز السحرية تتلوى كألسنة الدخان · ولم يكن عرضا كذلك ان يعود الى رسم المولد ، وبالتحديد الى لعبة النيشان (فى لوحة : فتح عينك تأكل ملبن) ·· لكن الهدف امام البنادق هذه المرة ليس نقطا ودوائر ملونة ،لكنه المرأة نفسها صاحبة اللعبة ·· بكل انوثتها وتفجرها ··**ان المفارقة واضحة: فان يكبل الانسان او يسجن قهرا امر مفهوم ومنطقى فى ظل ظروف معينة ، اما أن يسلم نفسه بنفسه الى حتفه ، فى لعبة عبثية ، فهى ذروة التهكم المأساوى ، يقابل القول بأن « من لم يمت بالسيف مات بغيره ! » ·· ولعل هذا يكشف لنا عن المدخل الصحيح لعالم الزينى ، انه ليس عالما تحكمه اسس موضوعية ، بل هو عالم تهيمن عليه رؤية شديدة الذاتية ، وان كانت تشى باسقاطات فكرية وسياسية ـ ربما بلا وعى ـ هنا وهناك ·**

لقد ظل الزينى مغتربا بعد ان عاد الى مصر منذ عشر سنوات ·· ان كل محاولاته لان ينتمى الى الجماعة تبوء بالفشل ! بعدت المسافة بينه وبين عالمه القديم ، وان كان لا يزال يعيش فى اعماقه بكل زخمه وتناقضاته ·· بل بعدت المسافة بينه وبين عالمه الجديد الخاص ·· وليس هناك ابلغ من تلك اللوحة التى صور فيها مأساته الشخصية · اذ أصبح اطار اللوحة هو نفسه اطارا لنافذة زجاجية كبيرة ذات ضلفتين ، مغلقة من الداخل بمزلاج حديدى خشن ، وقد قسمت الضلفتان بعوارض خشبية الى ستة عشر مربعا زجاجيا ، يمثل ثلاثة من الاربعة السفلية منها وجه الفنان ووجهى طفلتيه ، وهم ينظرون عبر زجاج النافذة الموصدة الى داخل البيت ، وليس وراءهم غير الظلام وقمر صغير شاحب ، وبرودة تستشعرها رجفة على الوجوه الثلاثة المنتظرة على امل ان يفتح لهم انسان ما ·

هذه (**اللوحة ـ القصيدة**) من آخر انتاجه **تعكس أن شعوره الحقيقى بالوحدة والغربة وافتقاد الامان ليست امورا ميتافيزيقية ، بل هى هموم اجتماعية وانسانية لها مبرراتها، ويؤكد ذلك انه لم يكف عن البحث عن الدفء والامان والنظام وروح الجماعة ، انه الغريب الذى يلوب حول داره القديمة حاملا كل حنينه وذكرياته ، رغم ادراكه انها لم تعد غير اطلال** ·· ان الحزن الذى يخيم على عالمه لم ينجح فى ان يطفىء توهج روحه وفرشاته ، بل على العكس ، لقد اذكاه وانضجه وارهفه ·· ان الحزن النبيل عاطفة رفاقية تدفع صاحبها الى الاحساس بالاخرين ومشاركتهم ، بقدر ما ان السعادة الفردية عاطفة انانية تجعل صاحبها كيانا محدودا مكتفيا بذاته، ولعل هذا يفسر ان الحزن العظيم كان دائما من اهم دوافع الابداع لدى الفنانين والادباء ·

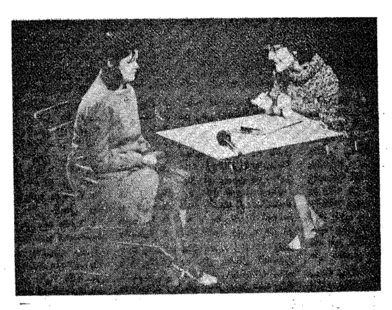
ان زكريا الزينى الذى بدأ حياته الفنية بالبحث فى الدوافع الغيبية والاجتماعية والنفسية المحركة للجماعة ـ فى دراساته عن الزار ـ يسعى الان ، بعد انقطاع واغتراب طويلين ـ الى الانتماء للجماعة، بحس شديد الحذر والتردد والرهافة ، لكنه بما يملكه من موهبة خصبة ، ومن صدق شديد مع النفس ، ومن معايشة واعية للواقع والعصر ، مؤهل لان يعطى انضج ثماره التى اعتقد انه لم يعطها بعد ، وان يكون دعامة قوية لجماعة التعبيريين الواقعيين فى الفن المصرى المعاصر ■

عز الدين نجيب



مسرح

مشاهد مسرحية في ليل لندن

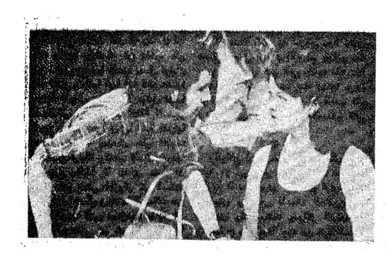


ظهر مسرح الحافة أو الفرينج [Fringe Theatre في بريطانيا في أواخر الستينات وقد سمى بمسرح الحافة لان معظم عروضه يتسم بطابع تجريبي ، يجعلها مختلفة عن العروض التجارية من ناحية ، والعروض الضخمة التي تعتمد على اسماء كبار كتاب المسرح من الناحية الاخرى . وكان طبيعيا ان تهتم بعض فرقه بالقضايا السياسية ، ثم تخصص بعضها في تقديم عروض سياسية فقط ، تلك الفرق هي التي تكون جماع ما نسميه بالمسرح السياسي البريطاني . والواقع ان غالبية تلك الفرق التي التزمت بتقديم مسرح سياسي يلتزم اعضاؤها بفكر تقدمي ، وهم بالتالي يجربون امكانية تقديم فن مسرحي يعاون الطبقات العاملة والكادحة في نضالاتها .

هذه الفرق يمكن تقسيمها الى نوعين : فرق متنقلة تقدم عروضها في كافة انحاء البلاد سواء على مسارح تجريبية او وسط تجمعات شعبية واخرى تحصر نفسها داخل منطقة جغرافية محددة فتتناول مشكلاتها ولا تقدم عروضا خارجها الا فيما ندر . لكن السؤال الذي يثيره النوعان هو قدر الفن المسرحي في عروض كتلك وقدر التحريض السياسي وهل يتم احدهما على حساب الاخر . والواقع ان الاجابة ليست بالامر الهين ، فالعرض الذي يحقق التوازن بين هذين العاملين ويبقى في النهاية فنا عظيما بحاجة الى فنان ومناضل كبير معا [بريخت على سبيل المثال] وقد يكون من الاجحاف ان نطبق مثل هذا المعيار على حركة مازالت تتلمس الخطى ، الا اننا اذا نظرنا اليها من حيث هي ارهاص بعمل جماعي يمكن ان يكون بتجاربه الكثيرة المتعددة الخلاص الحقيقي للفن المسرحي من اسار البرجوازية ، هكذا يمكن ان نفهم هذه التجارب ونستفيد منها .

ولكي نختبر السؤال الذي طرحناه عن قدر الفن المسرحي وقدر التحريض السياسي والى اى مدى يتم احدهما على حساب الاخر في عروض المسرح السياسي البريطاني سنتناول بالعرض مسرحيتين لفرقتين مختلفتين يتناولان نفس الموضوع وهو اوضاع النساء العاملات في بريطانيا ، الاولى تقدمها فرقة تدعى [٨٤ : ٧] اشارة لان ٨٤٪ من ثروة بريطانيا تمتلكها نسبة ٧٪ فقط من تعداد السكان والثانية لفرقة اخرى تدعى « مسرح العمال المتنقل »

والمسرحية التي سنتقدمها ٨٤ : ٧ اسمها « امرأة ستكرة وتعرض على مسرح « شستو » بلندن وهو مسرح حديث مجهز بامكانيات ضخمة ويتسع لعدد كبير من المتفرجين ملحق به مكتبة مسرحية وقاعات اطلاع ،



بنى منذ عدة سنوات ليكون مقرا للمسرح القومى البريطانىللشباب • ويكتسب مكان العرض دلالة خاصة لفرق كتلك لاتلقى ترحيبا من جانب الجهسات الرسسمية المشرفة على الفنون، والنقاد التقليديين، الا ان عروض تك الفرقة بالذات تكاد تكون الوحيدة من نوعها التى لقيت تقديرا من جانب اجهزة الاعلام والنقاد التقليديين لمستواها الفنى ، مما مكنها اخيرا من النجاح فى الحصول عـلى

مسرح كهذا المسرح . لكن هذا لايعنى توقف الفرقة من الانتقال بعروضـهـا وتقديمها وسط التجمعات العمالية ، نجون ماجراث كاتب مسرحيسة « امراة نكرة » ومخرجها واحد الاعضـــاء المؤسسين لفرقة ٨٤ : ٧ يقول « الكثير من عروضنا لم تجىء الى لندن قط فقد

اخذنا تلك العروض الى اماكن ينـدر فيها المسرح ، فتحدينا ذلك الاحساس العميق وغير المفهوم بأن المسرح جسزء من ممتلكات الطبقة الوسطى ، لقسد حاولنا دائما تقديم نوع مختلف من المسرح، مسرح عن الطبقة العاملة ، لها وفى صفها ورغم تقديرنا الشديد للفرصة التى اتاحت نا تقديم احد عروضنا على هذا المسرح الكبير ، نؤكد ان هذا لايعنى اى تغير فى سياستنا » .

والعرض نفسه كوميديا موسيقية تصور حياة زوجة أحد العمال ، امرأة فى منتصف العمر ، يذهب زوجها الى مصنعه واولادها الى المدرسة وتبقى وحيدة ، فتقرر ان الوقت قد حان بعد ان كبر اولادها وقلت مسئولياتهسا ان تحقق حلما طالما راودها ، وهو ان تحقق ذاتها من خلال العمل ، هى التى عاشت حتى وقتذاك امرأة نكرة او « لاشىء » كما تقول كلمات الاغنية التى يفتتح بها العرض : « بطلتنا ام عادية ... جاك زوجها العادى ... ابنساؤها فال وستيف ... وهى تبذل اقصى مافى وسعها ... الا انها لاشىء ... ورغم ان اى شىء به شىء ... الا انهـا لاشىء ... امرأة متوسطة العمر ... ام من الطبقة العاملة ... ورغم ان اى شىء به شىء ... الا انها لاشىء » وحينما يعود زوجها من العمل تقرر ان تناقشه فى خروجها للعمل لكنه يرفض الفكرة التى تعنى انه غير قادر عـلى تحمل اعباء اسرته رغم انه بالفعل يعطى زوجته القليل ، وينفق اكثر من هذا القليل على الشراب والفتيات ، وحينما تواجهه زوجته بانه انانى تأبى عليه كرامته الزائفة ان يدعها تعمل لتكسب وتحقق ذاتها بعدما استغلهـا

طيلة الاعوام الماضية تنشب بينهمـا معركة تطلب منه فيها ان يترك المنزل ، الا انه يخبرها بانه خارج لان لديه موعدا مع فتاة ، عائد لامحالة فذلك بيته وليس بيتها ، ويخرج الزوج لموعده مع احدى زميلات ابنته فى المدرسـة التى كانت قد اخبرته ان والديهما سيقضيان الليلة خارج المنزل ويمكنه ان يبيت معها ، ويصل احد اقاربها فجأة فيكتشفهما معا فى الفراش وتحدث فضيحة تعرفها البلدة كلها فيضطر جاك الى الهرب .

والان ورغم الفضيحة تحس مسز ارنولد بالسعادة فهى التى طلبت مـن زوجها ان يغادرها وهاهو قد غادر . فتذهب فى اليوم التالى الى احد مكاتب العمل لتطلب عملا فيضعها المسئول على قائمة انتظار طويلة ويخبرها ان فرص العمل لامرأة مثلها ضئيلة ، فهى ليست

صغيرة او جميلة حتى يمكن الحاقهـا كبائعة فى احد المحلات كما ان المصانع فى هذه الايام تستغنى عن العمـال ؟ ووعد بأن يحاول الحاقها بعمل ما ولكن هذا يقتضى انتظارا طويلا • وحينمـا تسأله كيف تعيش هى واولادها هـذه

الفترة ينصحها بالبحث عن مؤسسـة خيرية تتصدق عليها باعانة وعندما تبدأ البحث عن اعانة يقولـون لهـا لم لا تعملين ؟ .. الفرص متاحة امام الجميع ومازلت صغيرة ، حينئذ تبـدأ اغنية ثانية فالاغانى فى هذا العـرض هى المعلق على الاحداث . تقول الاغنية « لو كنت تلبسين الميني ولك رصـيد

فى البنك ... فان حياتك لن تتعدد اذا ما تركك زوجك ، لانه سيترك لك مبلغا كافيا فى هذا الرصيد » فيرد الكورس: « الا انها لاشىء ... امرأة متوسـطة العمر من الطبقة العاملة ... ورغم ان اى شىء به شىء ... الا انها لاشىء » فيعود المغنى « فاذا ما كنت لاشىء ... دولابـك نظيف الا انه خـال .... ستتعلمين حقيقة العالم وانت تناضلين للحصول على تصنيفك .. فى الايام الخوالى ، كان المتسببون فى التعاسة ... صاحب الضيعة والمدير ورجل الدين .. يتركون فتات الموائد .. لكنهم الان يقولون اننا فى مجتمع كفاية وعدل ! .. » .

عندئذ تقرر مسز ارنولد الذهاب الى مكتب الحكومة للمعونة الاجتماعيـة فتفاجأ بعدوانية المسئولة التى تقول لها ان آلاف الافاقين والكسالى لايريدون اداء اى عمل ، ويفضلون حياة البطالة والكسل ، لذا فستتحرى عنها قبل ان تقدم لها اى معونة لتتأكد من احوال معيشتها ، كما انها سترسل من يفتش

بيتها ليرى مستواها المعيشى وما تمتلكه حينئذ تنفجر مسز ارنولد غاضبة للمهانة التى تلقاها فهى تود ان تعمل لا ان تتسول ، لذا فهى تلجأ الى طلب المعونة يدفعها تصور مثالى بانه من المفترض ان تساعدها جهة ما على اجتياز هذه

الازمة ، حينئذ تبدأ اغنيـة اخـرى تحـاول ان تشرح لمسـز ارنـولد ما يحدث : « عالم المعونة الاجتماعية عالم الاكاذيب وانصاف الحقائق ، كلمة المساعدة اداة للتحكم ، فلا تندهشى اذا ما خدعتك اليد التى تتصورين انهـا

مستطعمك فنحن فى الارض التى يبت قاضيها الغنى فى احتياجات الفقير » .

أخيرا تبدو مشكلة مسز اونولد على وشك الحل فمكتب العمل يرسل لها خطابا بمكتبها بمقتضاه ان تذهب الى مصنع لتعمل وحينما تذهب مسز ارنولد لمقابلة المدير يسألها عما إذا كانت عضوا فى نقابة العمال فتجيب كلا فيقول لهما ستضعك فى فترة اختبار لثلاثة اشهر تتقاضين خلالها أجرا رمزيا فاذا انهيتها واقتنعنا بكفاءتك سنعمل على تثبيتك توافق مسز ارنولد وتذهب لاستلام عملها فتقف على ماكينة لا تقتضى منها الا الضغط على بعض الازرار كل ثلاث دقائق وحينما تسأل زميلاتها العاملات عن نوعية التدريب التى ستؤديها طالما ان العمل لا يقتضى اى تدريب تخبرها زميلاتها بأنها وقعت فريسة للجشع الرأسمالى فالمدير يأتى بعاملات يعطيهن اجرا رمزيا بحجة أنهن غير مدربات ثم يستغنى عنهن بعد الثلاثة الاشهر ليأتى باخريات متحايلا على قوانين العمل التى تخول صاحب العمل استخدام عمال غير مدربين بأجور منخفضة لمدة ثلاثة اشهر .

يبدأ سؤال ملح يطرأ على تفكير مسز ارنولد « ما الذى تعنيه كلمة نظام رأسمالى وما هى طبيعة هذا النظام » وتبدأ رحلتها للبحث عن اجابة فتتوجه بالسؤال اولا الى صاحب المصنع الذى تحضر رقم تليفونه من الدليل وتطلبه فلا تجده ، ولا تجد من زوجته غير رطانة لاتفهم منها شيئا ، فتطلب رئيس تحرير « الديلى اكسبريس » فتجيبها سكرتيرته . فتقول لها مسز ارنولد انها طيلة عشرين عاما تقرأ فى جريدتهم عن الخراب الذى تلحقه اضرابات العمال بالاقتصاد لذا فهى تأمل ان تجد لديهم إجابة على سؤالها البسيط عن النظام الراسمالى وطبيعته ، ثقتها من ان مسز ارنولد عميلة للمخابرات، ثقتها من ان مسز ارنولد عميلة للمخابرات السوفيتية الا ان بريطانيا ستظل دائما بلد الحرية ولا يمكن ان تقوم للشيوعية فيها قائمة ، هنا تبدأ مسز ارنولد فى ادراك خطئها بالتوجه بسؤالها الى اولئك الناس فتطلب من ابنها ان يدعو مدرسه الذى سمعت انه مرشح حزب العمال عن دائرتهم الا أن اجابة المدرس لا تقنعها فتتوجه الى مندوب المصنع النقابى الذى تكتشف تخاذله ووقوفه فى صف المديرين . فالان فقط ومن خلال كل تلك الاحاديث مع أناس مختلفين ومن خلال الاغانى الساخرة التى تعلق طيلة العرض على كل اجابة من الاجابات بدأت مسز ارنولد وبدأ المتفرج المفترض انه عامل بسيط فى التعرف على النظام الراسمالى وطبيعته . وتنتهى المسرحية بعودة زوج مسز ارنولد الذى يعتذر عن غيابه ويقول ها قد عدت اليكم يا أحبائى مرة اخرى فتذكره مسز ارنولد بأنه لم يتركهم بناء على رغبته بل هى التى طلبت منه هذا ورغم انه لو كان قد عاد ليلتها فربما لم تكن لتقوى على رفضه الا انها الان ترفضه وهى واعية تماما للاسباب التى ترفضه من أجلها .

[●]

والواقع أن عرضا كهذا لا يمكن الحكم عليه الا فى اطار الهدف الذى تضعه الفرقة لنفسها وهو « تقديم ترفيه جيد موسيقى ومسرحى للعمال العاديين فى النوادى والصالات ومراكز الترفيه والمسارح . فالفرقة جزء من حركة العمال وهى تؤمن بأن الترفيه الذى يقدم للطبقة العاملة من خلال التليفزيون والراديو والافلام انما هو ترفيه ساذج رجعى ومهين للذكاء ، لذا فالفرقة تأخذ على عاتقها مهمة تقديم عروض تعادل تلك العروض من حيث قيمتها الترفيهية وتختلف عنها فى المضمون » .

وفى هذا الاطار قد قدمت فرقة ٨٤ : ٧ طيلة ساعتين ونصف على مسرح شو عرضا مسليا مليئا بالفكاهة وموسيقى الروك التى يقبل عليها البريطانيون بشدة تناولت من خلاله مشاكل الحياة اليومية التى يقابلها العمال محاولة ربط الكثير من الجزئيات الملموسة فى اطار اشمل بهدف تمكين المشاهدين من فهم أفضل لواقعهم يستطيعون به البدء فى تغيير هذا الواقع .

[●]

اما العرض الاخر الذى تقدمه فرقة مسرح العمال المتنقل واسمه « عام المرأة العالمى » وقد اتيحت لى رؤية العرض فى أحد مدارس عطلة نهاية الاسبوع لمقاطعة سارى وهو مجموعة من الاسكتشات التى لا تستغرق أكثر من نصف ساعة بهدف اثارة موضوع ما فى أذهان المتفرجين ثم اجراء مناقشة طويلة بعد العرض ــ قد تمتد الى أكثر من ساعتين ــ للقضايا التى طرحت فى العرض ورأى المشاهدين فيها . والعرض مجموعة من الاسكتشات التى تتناول قوانين العمل الخاصة بالمرأة كل اسكتش يتحدث عن أحد القوانين فيقدمها أحد الممثلين بنفس الطريقة التى تقدم بها مذيعة التليفزيون برنامج « للكياسيدتى » والاسكتش عادة لا يستغرق اكثر من ٥ دقائق تؤديه فتاتان فى دور عاملتين والممثل الذى يقدم قوانين العمل واحيانا ممثل آخر يمثل دور المدير الذى يظهر فى بعض الاسكتشات ولا يظهر فى البعض الاخر . والعرض يبدأ بالممثل الذى يقدم لنا القوانين المختلفة مرتديا قبعة عالية ويبدو فى هيئة مقدمى البرامج الترفيهية بالتليفزيون . يمسك بالميكروفون بشكل مبالغ فيه ويقول : سيداتى سادتى مساء الخير يسعدنا أن نقدم لكم فى هذا المساء من عام ٧٥ « عام المرأة العالمى » بعد أن قدمنا لكم « عام فليزرع كل فرد شجرة » عام ٧٣ « وعام تنظيم الاسرة » عام ٧٤ . فنسمع تصفيقا حادا على طريقة البرامج التليفزيونية عن طريق أجهزة الصوت ويكمل المذيع : عام باكمله تناقش فيه قضايا المرأة وتمحص كما لم يحدث من قبل ، ولكن قبل أن اريكم ما يحتويه هذا العام من خبايا تلك ياسيدتى فلتصفقى معى للرجل الذى جعل كل الاعوام عاما له .. رجل هو العالمية نفسها .. المدير يسمع نفس التصفيق مرة أخرى ويتجه المذيع الى المدير ويقول له : هل تسمح لنا بكلمة برئيعة معك ياسيدى فيرد المدير وهو على عجل شديد « الربح » . وهنا يجب ان نلاحظ أن الكاريكاتير يلعب دورا كبيرا فى اسكتشات من هذا النوع فالمدير يبدو لنا فى شكل كاريكاتورى مرتديا عوينات عليها علامة الاسترلينى رمزا للمال كما انه يرتدى قبعة عالية كتلك التى يرتديها العم سام وبذلة سهر سموكنج وهو حينما يقول كلمة الربح ، يخرج من وراء ظهره قطعة ديكور ضخمة على شكل كيس نقود مكتوب عليها الربح ويرفعهما أمام المتفرجين . وحينما يبدأ المذيع فى عرض بضاعته يخرج هو أيضا من خلف ظهره قطعة متوسطة من الكرتون على شكل كيس نقود مكتوب عليها قانون عدم التمييز بين الجنسين وحينما تسأله العاملتان هل يتناول هذا القانون حتما كالمعاش « فيجيب بلا فتسألانه عن التامين الاجتماعى ؟ فيجيب لا . الحضانة ؟ اجازات الوضع ؟ لا . لا . ولكن احدى العاملتين تقول للاخرى : علة افضل من لا شىء فلنأخذه وحينما تأخذان كيس النقود رمز القانون يخرج هو كيسا ضخما جدا ، يبدو كيس العاملتين بجانبه شديد الضالة ، مكتوب عليه « قانون تشريعات العمل لحماية أصحاب العمل » ويقول لهن اذا ما اردتن المساواة الحقيقية عليكن أن تقدمن بعض التنازلات . هنا يضحك المشاهدون وينتهى الاسكتش بعد أن اوضح للمشاهدين كيف أن أحد القوانين

يلغي القانون الاخر تماما وتبدأ الفرقة في محاولة الاشارة الى أسباب هذا الاستغلال وكيفية القضاء عليه فمثلا وبعد انتهاء اسكتش عدم المساواة فى الاجور بين العمال والعاملات وفي اثناء تحضير الفرقة للاسكتش الاخر تتقدم احدى عضوات الفرقة لتبين للمشاهدين ان السبب في هذا الاستغلال انما يعود الى طبيعة المجتمع الراسمالي وان تلك التفرقة لا تتم فى المجتمعات الاشتراكية فتقول : « كانت النساء اللائى يعملن فى مزارع الزيتون بالبرتغال يتقاضين أجورا منخفضة للغاية ولم يكن لهن اى حق

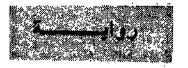
في تقرير قوانين العمل ، وفى ٢٥ ابريل عام ١٩٧٤ تم القضاء على النظام الفاشستى فى البرتغال واحتل الفلاحون المعدمون المزارع الواسعة فأصبحت للنساء حقوق متكافئة كاعضاء فى التعاونيات التي تدير المزارع . والان يتلقى الجميع أجورا متساوية نظير عمل ٨ ساعات . لقد قالت احدى النساء البرتغاليات : لقد أصبحنا نغني ونحن نعمل لاول مرة .

الان وبعد أن تحدثنا عن العرضين نستطيع أن نلاحظ أن احدهما يمكن أن نطلق عليه كلمة مسرحية بينما لا يمكن أن نسمى العرض الثانى هكذا ، فالاختلاف بين العرضين شيء طبيعي لان هدفى الفرقتين مختلفان ، ففرقة ٨٤ : ٧ تعد نفسها فرقة مسرحية بالدرجة الاولى ،

يضنيها تقديم فن ترفيهى جيد غير رجعى للعمال وهى فى اطار هذا الهدف تسعى دائما الي استخدام تكنيكات مسرحية حديثة تسعى الى تطويرها وتجريب امكانياتها المختلفة فالفن المسرحى والاستفادة من تراثه والاضافة الى هذا التراث من الاشياء التي تهم فرقة كفرقة ٤٨ : ٧ الى جانب اهتمامها بالحركة العمالية . أما فرقة مسرح العمال المتنقل فما يعنيها فى المقام الاول هو التواجد وسط العمال والتاثير فيهم ، فالعرض تتحدد أهميته بالقدر الذى يمهد به للمناقشة التى تحدث فيما بعد ، وهل هذا يذكرنا بالكثير من التجارب العينية لمسرحه بعض القضايا التي يراد الترويج لها بين الجماهير كالتناقض بين مصالح

الامبريالية والشعوب مثلا الا انه فى الصين كما فى بعض بلدان جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية تكون هذه العروض جزءا من العمل الحزبى على عكس ما يحدث فى بريطانيا حيث لا تنتمى اى من تلك الفرق الى اى تنظيم سياسى ما عدا فرقة واحدة تتبع الاممية الرابعة . لذا سيظل الكثير فى اعمال فرق كفرقة «مسرح العمال المتنقل » محل الكثير فى التساؤلات حول قيمتها الفنية والسياسية على السواء ، فهى تزعم أن الشكل الفنى لا يعنيها كثيرا طالما أنها تؤثر فى العمال الا أن التاثير فى وسط العمال لا يمكن ان يؤتى نتائجه دون أن تتبع تلك الفرق احزابا أو تنظيمات ما ، تكون الفرقة المسرحية فيها جزءا من نشاط حلقاتها التثقيفية ولكن يبقى فى النهاية أن تلك الفرق يجب أن ينظر اليها كظاهرة مبهجة، يمكن ان تتخلق عنها اشكال فنية أرقى كما يمكن الاستفادة منها فى العمل التنظيمى على طريق نضال الطبقة العاملة من اجل تحقيق ثورتها ☐

منى أنيس



الغـربة والضـحك فى « الخماسـين »

تجنبا لاعطاء حكم نقدي متعسف عن اجتهادات روائي « كغالب هلسا » في كل من روايتيه « الضحك والخماسين » سوف نلجأ لاختيار اعتراف ضمني كتبه في الصفحات الاخيرة من روايته الاولي « الضحك » عن انقطاع علاقته بالاخرين خاصة « الزميلة نادية » الحب ، واللغز والمعنى والمرأة والمجهول ، والتي شكلت النسق الفنائي لحياته : بحيث اقامت وثيقة « الموضوع الروائي » ووحدته في كلا العملين ، بين ذاتيته والعالم الخارجي : في زمنية تاريخيه محددة ، تصل ما بين ماض ومستقبل محددين وغير محددين في نفس الوقت :

« مع مضي الوقت اخذت تلك العلاقة فى التحلل ، اخذت تتحول الي مقاطع صغيرة ، قلقة حتي أصبحت مستحيلة الفهم ، غير قابلة لان تخضع لاى معني من كثرة التفكير فى تلك العلاقة ومن محاولاتي التي لا تنتهي لوضعها ضمن نظام ما فقدت صلابتها وتماسكها وأصبحت كمستقبل كثير الاحتمالات ، انسحب ذلك على كل شيء فى حياتى الاضداث ، والقيم ، والافكار اخذت تتفجر وتتحول الى الاف الاجزاء التى لم يعد بامكانها ان تؤلف معنى » .

● ان ارتكازنا على هذا المقطع ربما يصبح بداية الخيط الذى قد يوصلنا الى نسيج ومكونات الرؤية الابداعية وايضا العقائدية التى تكمن تحت الحرفيات الفنية والاسلوبية .

● فثمة تميز فى تجربة البناء الفنى عند « غالب هلسا » أيا كان الاتفاق او الاختلاف حول حصادها النهائى هذا التمييز يتعلق بقصد خلق او اعطاء نظرة طازجة ، ومندهشة وعدائية ايضا للوعية الحياة ، والاحداث ، والشخصيات ، ومكونات البيئة المصرية ، التى تحرك وعاش وسطها ، باحساس متورم بالمنفى والاغتراب ، وفقدان الاطمئنان ، بأن كل ما يقوله أو يفعله مرصود .. ومصحح ومعروف ، ومن ثمة فهو دائما في شباك الرعب والقهر المختبيء والمنذر بالخطر ابدا ، على هذا الاساس يصبح الاسلوب البنائي المجزء والمهشم والمتاكل والموحي بمغالاة متعمدة باظهار الواقع ومفاصله تتخلع امام عينيه وعينينا ، لكى ينتظم بطريقة اخرى ، ليس مجرد خانة شكلية » بل الاحرى انه متاصل فى المضمون » . فهو الشكل المحدد لمضمون محدد .

● ولكن ثمة ملاحظة رئيسية برزت اكثر وضوحا فى رواية « الخماسين » وهى أن كل شيء في حياة الكاتب وكل تجربة وعاطفة فردية يمر بها مهما كانت ذاتية حاول أن يعطيها طابعا تاريخيا غير انه وقع فى تناقض الوهم بأن حضوره وتواجده فى شكل عين « كاميرا سينمائية » حضورا مطلقا خارج الزمن ، وترتب على ذلك أن الحياة والمواقف التي

صورها والتبويبات التى تحدد طبيعتها وتطورها ، اصابها التشويه ، ولكن ندرك اهمية هذا التناقض ستقضى الخطوط الاجمالية لاختياراته وتضميناته للاحداث والشخصيات والاماكن المألوفة وغير المألوفة •

ففى اللحظة التى ودع فيها الفتاة التى تحاول ان تتبدى كفتاة عصرية « ليلى » وغيبها الزحام فى الترولى ، دخل الغروب ، وثقل الهواء الخماسينى المترب ، ولحها مضغوطة بفظاظة وسط اجساد ثقيلة ، على الفور احس بالقهر وولج عالمه العصابى ، عالم التطير والفزع ، فى نفس اللحظة ، بدا يستعد تفصيلات علاقته بها ، اوصله ذلك ليقين « اننا نتباعد مع كل خطوة كقطبيين تنافرين » •

على هذا المنوال من النهج القصصى والذى يعتمد فن التواقت المتأثر « بجويس » ودوس باسوس ، يغرقنا « غالب هلسا » فى محاولة ايهامنا بانه يستعيد رؤية حياته فى لحظة توتر ، وتوهج محمومة على كل المستويات النفسية والاجتماعية والسياسية ينحت مستوياتها من مادة وفى جو الخماسين الاصفر المترب الذى يغلف القاهرة بغلالة كابية من الفزع والاحباط •

● ومن المزج الماهر للحاضر بتفصيلاته البصرية والماضى المستعاد تتوالى الصور فى شكل اقرب لليوميات الذاتية ، نغمتها الاساسية صوت كاتب يبحث عن اسرار « عالم الاشكال الفنية ، والصراع المميت لوضع الوقائع فى كلمات • كلمات تموت على الفور ان لم تلمس وترا داخليا ، غير اننا فى اللحظة نفسها نسمع صوتا اشد الحاحا تجسده الحسية الانطباعية التى غالى فيها الكاتب فى رصد علاقاته بنماذج المراة ، بدءا من « ليلى الطالبة » ، « حتى » ليزا الامريكية المنهومة بالمتعة والفرجة والعبث ، واخيرا « المراة » الاخرى » التى من زمن أو عصر مضى ، وعصر لم يات بعد ، المطلقة الام والعاهرة ، هذا الصوت يهمس باسى « اننى اضيع فى حياتى ، وادوى لنفسى خلال ساعات طويلة من الارق حكايتى الخاصة » •

غير ان هذه الحكاية الشديدة الخصوصية والتى تقترب من حد الاعترافات المباشرة بكل صدقها وقسوتها تتبدى للقارىء مراوغة ونسبية وشديدة العمومية ، لانها جزء نابض من حياة جيل عربى ، ولد فى اتون تمزقات اخطر مراحل ازمة النضال الوطنى والقومى المتواصل ضد عداء وقهر الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية والتخلف من أواخر الخمسينات وحتى الان •

● ولعلها شجاعة وحشيمة رغم صدقها محاولة الكاتب تلخيص هذا الانطباع فى روايته الاولى « الضحك » [illegible] « نامية والزملاء » وبداية المطاردة حتى فى المنفى ، « والان وقد انتهى كل شىء ، حيث نزعنا الغلالة الزرقاء فراينا وجه عصرنا ، كم هو مليء بالجروح التى ترشح بالصديد هذا العصر الذى خدعنا واغتصبنا ، وبعد ان ضاجعنا محولا ايانا الى معتوهين ربغايا •• الان هل كان ذلك ذنبنا » •

● ان الرواية والبطل فى « الضحك » ، برغم استعماله النداء وضمير المخاطب ، واختلاط الشخصيات قد تحول الى شخص واحد مختصر بهويته الاردنية ، والمنفى لاسباب سياسية فى القاهرة وصاحب الاهتمامات الفكرية والفنية ، يمزق فى رواية « الخماسين » بقايا القناع ليتحدث مباشرة للقارىء عن ندوب وعقم وانهيارات عالمه الفكرى والفنى ، وخبرات حياته فى تجمعات المثقفين الثوريين فى الدهاليز المجهولة لعوالم التنظيمات السرية وارتعاشات التوتر والقلق لحياة فنانى ومثقفى « الاتيليه » ومقهى ريش ربقية المقاهى التى تضم شتات المتمردين والمستقبلين •

غير ان الاستدعاء الدائم والابدى لوزارة الداخلية وفظاظة معاملة رجال مباحث أمن الدولة المرعبة والمستمرة ضد تواجده وسلوكه وحركة الحياة ، لتشعره بالاحباط والعبث ، وتكاد توصله لعالم كابوسى مظلم وجنونى فلحظة عبوره مبنى وزارة الداخلية الكئيب المعتم ، حيث ترقبه فى صمت اصفر عيون المخبرين ، تحمل نذيرا خفيا يدفعه الى الشعور بالاجهاد وانحلال الركبتين ، على الفور ، تداعى لحظات الرعب ، عندما اعتقل وحمل الى سجن عمان المركزى ، فسجون الوطن العربى متشابهة لان أسلوب العدو الطبقى ضد حلم المستقبل فى التقدم واحد هنا ، وهناك •

● هذا البعد المأساوى المتعلق بقدر اعمى يحكم عملية الصراع الطبقى فيجعل القوة البوليسية هى المتحكمة فى مدى حركة المثقف ، ويلون تبعات الدورة المغلقة لحياة الكاتب فى العمل ، والحب ، وممارسة الحياة ككل لاسيما هذا الموقف المثير للغرابة والاشمئزاز بينه وبين ضابط المباحث عندما اقترب منه وتحسس كتفيه وهو يلهث ، وعرض عليه ما لا تصفه كلمات ، هذا البعد الماساوى يمنح الكاتب قدرات شاعرية واصيلة لكى يكتب بعبارات ممتلئة اروع فصول رواية « الخماسين » عن صعود وأفول نجم بسيونى ، فى خمسة حركات ، هى تنويعات للحن واحد يخاطب قاع وعصب سيادة الخسة وخسيس الافعال •

١ — مرثية ٢ — يوم فى حياة بسيونى • ٣ — شهادات تصف كيف انتهى ذلك اليوم نهايته الفاجعة • ٤ — الطفلة تتحدث امام ضابط البوليس • ٥ — بعض الاحداث التى يصعب تفسيرها •

ان بسيونى المخبر القديم يرى الان فى شوارع القاهرة غائب النظرة ذلك الذى كانت عيناه ، « الجسادمان الزجاجيتان — تنفذان الى مكنونات الصدور ، تكشفها وتسجلها فى ملفات الادانة الدائمة بملفات وزارة الداخلية » •

لقد بدات علاقته بالاجانب منذ الطفولة الفقيرة ، وذلك عندما بدا يتكسب من تيادة الجنود البريطانيين الى مواخير شارع كلوت بك ، ولانه كغيره ، من ابناء الفقراء عاش فى حجرة واحدة مع ابويه واخوته فقد شاهد امه تغتصب وتئن متعة وألما واورثه هذا حقدا على ابيه • باختصار ، تدرجت حياة بسيونى فى كل مراحل العوالم السرية المتمردة تمردا فرديا اجراميا على السلطة لذلك كان خامة صالحة لان يصبح كلبا حارسا ومتلصصا على كل من يهددها من الثوريين ، وعمل اخيرا فى مكتب وكالة المانيا الشرقية حيث يعمل الكاتب ، وكانت خاتمة حياته حادثة دنيئة عندما تعرى امام فتاة صغيرة ، هى ابنة مدير الوكالة ، ويوم قبض عليه رأته امرأة لا يتذكرها ، كانت تزغرد لانه يوما ما ربما عثرها فى التجسس والايقاع بابنها ••

وقفنا حتى الان عند أبرز تفاصيل اختيارات الكاتب لكى تقترب من مدى القناعة النظرية التى تبرر تفتيت عالمه الروائى وعقم حياته رغم انه عاشها حتى النخاع فى السياسة والواقع الاجتماعى القلق الذى تعيشه القاهرة بعد تأميم القنال وحتى النكسة الغاشمة فى ١٩٦٧ •

غير ان اختياراته رغم أنها قامت فى المدى الوهمى بين الواقع واعادة خلقه فى رواية تحجب كثيرا من تفاصيل ايقاع الجدلية فى البناء بين عمق وحساسية الذات ، وموضوعية الواقع التاريخى والاجتماعى الذى صوره •

ان الفردية البرجسية التى تغتال نفسها فى النهاية أوقعت حركة الرواية فى سكونية باردة ، رغم اسقاطاته الحسية خاصة فى الهروب للجنس والخمر راجنون ، بحيث اعترف فى النهاية وامام دعوة المراة العربية التى التقى بها فى جو الاسكندرية المثير لشبق الجنس ، اعترف ، انه لم يعد يصلح ، وأن باطل الاباطيل الكل باطل ، وانه يعود من حيث جاء المنفى ، المغترب ، الباحث عن مادة واقعية تتراكم احداثها ، غير انها فاقدة للسياق والمنطق ، ربما لانه ، غالب هلسا ، لم يتقص جوهر ازمة جيله ، وهى أن الطليعة الثقافية الممزقة ليست هى فى النهاية ، العامل الحاسم فى عبور ازمة وطنه وشعبه الذى يعيش ويناضل يوميا ويصمد للعدوان والقهر الذى لم تتلخ منهما معظم النظم العربية بعد • ■

عبد الرحمن ابو عوف

يمكنكم اقتناء

كتاب

فن التصوير عند العرب

وكتاب

بدائع الخط العربي

وغيرهما من الكتب الأدبية والثقافية

من الجناح العراقي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالقاهرة

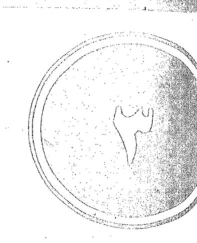
للمدة من ٢٦ يناير إلى ٦ فبراير

بأرض المعارض بالجزيرة



الثمن ١٥ قرشا

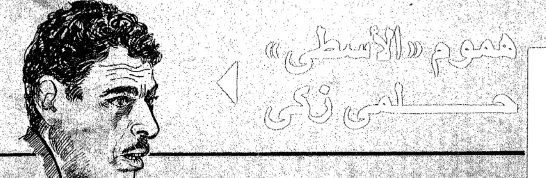
السنة الثانية عشر
مارس ١٩٧٦



الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

ديمقراطية المنتجين .. لا ديمقراطية الطفيليين



عبد الناصر .. والطريق الوعر

المسكن خدمة .. لا سلعة

أنجولا : حرب الجبهات الثلاث

لبنان : وثائق اسرائيلية عن المؤامرة

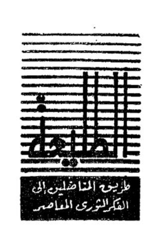
اليمن : الخروج من عنق الزجاجة

أمريكا : مؤتمرات اسلامية

العراق : مشروع البرنامج الجديد للحزب الشيوعى «وثائق»

كلاب وخنازير

ملحق الأدب والفن



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك فى تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الثالث ـ السنة الثانية عشرة ـ مارس ١٩٧٦

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم صح [الطليعه] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادمع حياتى ثمنا لحقكفى الدفاع عن رأيك]

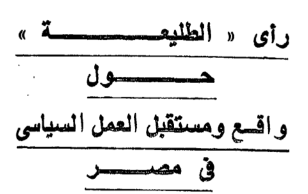
كلمة من « الطليعة »

فى لجنة مستقبل العمل السياسى ألقى لطفى الخولى كلمةباسم اسرة مجلة «الطليعة» تعبر فيها عن تصوراتها تجاه تاريخ ومستقبل العمل السياسى فى مصر ، وتقدم « الطليعة » النص الكامل لهذه الكلمة ..

.. وفى هذا العدد تنتقل الطليعة بقرائها الى داخل انجولا لتقدم صورة من أعماق الصراع الذى يشد انظار الانسانية كلها .. وقد اوفدت « الطليعة » محررها المسئول عن الشئون الافريقية فى زيارة خاصة الى « لواندا » حيث يكتب من هناك تحليلا كاملا عن الاوضاع هناك ..

.. واذا كانت الصدامات الدامية فى لبنان قد اثارت مشاعر الجميع فان الطليعة تقدم فى هذا العدد وثائق اسرائيلية بالغة الخطر تضع النقاط فوق الحروف .. وتوضح حقيقة من الذى يريد تقسيم لبنان ، ومن هو صاحب مشروع الدولة المارونية .. انها اسرائيل وليس احدا غيرها .





تفسح ((الافتتاحية)) مكانها ــ فى هذا العدد ــ لنشر النص الكامل للخطاب الذى القاه ((لطفى الخولى))باسم ((الطليعة)) امام لجنة مستقبل العمل السياسى فى مصر » وذلك مساء الثلاثاء العاشر من فبراير ١٩٧٦ .

وكان مجلس تحرير الطليعة قدعقد جلسة خاصة فى التاسع من فبراير ١٩٧٦ ، ناقش خلالها مشروع الخطاب وانتهى الى اقراره بالاجماع

ديمقراطية المنتجين .. لا ديمقراطية الطفيليين

السيد الرئيس
السادة الزملاء والزميلات .

فى الخطاب الافتتاحي للجنتنا لفت السيد رئيس اللجنة انتباهنا الى انه قد روعى فى التشكيل ان يضم شريحة تمثل مختلف طوائف الشعب .

واذا جاز لنا ان نترجم هذه العبارة ـ ديمقراطيا ـ كان علينا ان نبذل الجهد خلال عملنا لكى نرقى بالمناقشات من مستوى الانطباعات والاراء الذاتية الى مستوى عرض وتحديد أراء وافكار مختلف القوى الاجتماعية والتيارات السياسية فى مجتمعنا . وذلك على نحو يحقق لنا فى النهاية وضوحا فى الرؤية الواقعية النقدية للماضى والحاضر ، وشمولا فى النظرة الى قضية الديمقراطية فى مجتمعنا المعاصر ، الامر الذى يجنبنا الغرق فى دردشات عابرة جزئية من ناحية ويحصننا من ناحية أخرى ضد اغراءات تصفية الحسابات الشخصية ومحاكمة الماضى غير المجدية . أو تفصيل أوعية وتنظيمات ، ذات سمات ديمقراطية شكلية ، على مقاس هذا الشخص أو ذاك وذلك تحت لافتات الحرية والديمقراطية .

ولعلى لا أكون متطفلا على نظام العمل فى اللجنة اذا اقترحت على الرئاسة والامانة ان تنظما على قدر الامكان نوعين متميزين من المتحدثين .

أولا : المتحدثون بصفاتهم الشخصية ، والذين يدلون بآرائهم عن علم أو خبرة .

ثانيا : المتحدثون بصفات تمثيلية ، مفوضين بالتحديد عن قوى واتجاهات منظمة مثل النقابات العمالية والمهنية واتحادات الطلبة والغرف التجارية واتحاد الصناعيين والتعاونيين والكتاب الخ .

وعلى هذا الاساس أرجو ياسيدى الرئيس أن تسمح لى بأن أتحدث اليوم باسم الهيئة التى انتسب اليها - فكرا وعملا - وهى أسرة مجلة الطليعة ، التى ناقشت وأقرت ما أتشرف بعرضه الليلة على الزملاء اعضاء اللجنة .

وبادىء ذى بدء لا نظن ان اللجنة بما تتحمله من مسئولية تاريخية ، سوف تنفق وقتها وتصرف جهدها فى مناقشة ما لم يعد موضع خلاف بين كل البشر وكل المذاهب الفكريه وكل التيارات السياسية ، بشأن الديمقراطية ، فى كل العصور وفى كل المجتمعات . وذلك منذ اجتمع اليونان القدماء فى أول ممارسة للديمقراطيه المباشرة حتى اجتماع لجنتنا فى هذه الساعة من ليلتنا هذه فى الربع الاخير من القرن العشرين . والذى نقصده بهذا الذى لم يعد موضع خلاف . هو المعنى العام المجرد للديمقراطيـة وضرورته الحيـوية بالنسبة لكل مجتمع . والذى يتحدد فى انه نظام الحكم الذى يقوم بارادة الشعب الحرة من أجل تحقيق مصالح الشعب وحمايته على أساس من المساواة فى الحقوق والواجبات .

أو على حد تعبير الفيلسوف البريطانى الراحل « **هارولد لاسكى** » : انها عبارة عن اطار حكومة يتوافر فيها عاملان :

أولهما : اعطاء الناس فى المجتمع الفرصـة لصنع هذه الحكومة التى يعيشون فى ظلها .

ثانيهما : ان القوانين التى تصدر عن هـذه الحكومة سوف تحكم الجميع بدرجات متساوية

ولكن الخلاف يبدأ ويحتدم بين الناس والمذاهب الفكرية والتيارات السياسية عند الهبوط بهذا المعنى المجرد الى أرض الواقع فى مجتمع معين وفى عصر محدد . وما يتصل بذلك من صياغات وأساليب . باختصار عند التصدى بالاجابة عن سؤال :

● كيف تكون الممارسة الديمقراطية فى مجتمع محدد العصر والسمات الخاصة ، ديمقراطيـة فعلا ؟

على الرغم من عدم الخلاف على المعنى المجرد ، فان الاجابات تباينت واختلفت الى حد التناقض الحاد بين النظم الاجتماعية بعضها وبعض ، وبين مرحلة ومرحلة أخرى من التاريخ الانسانى . بل وحتى بين ابناء مجتمع واحد وعصر واحد وفلسفة واحدة .

ان الاجابات الديمقراطية فى المجتمع الاسلامى اختلفت وتباينت بين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان وهارون الرشيد .

واجابات واشنطون ولنكولن تناقضت مع اجابات جونسون ونيكسون فى أمريكا .

واجابات ، روبسبير غير اجابات نابليون غير اجابات ديجول فى المجتمع الفرنسى .

واجابات ، وبسير غير اجابات نابليون غير اجابات خروشوف وبريجنيف فى المجتمع السوفيتى . بل ان اجابات السوفييت مختلفة عن اجابات الصين الشعبية عن اجابات بلدان أوربا الاشتراكية رغم انتسابها جميعا الى الماركسية اللينينية .

وهذه الاجابات كلها تختلف مع الاجابات البريطانية التى تعاقبت منذ ثورتها الدستورية عام ١٢١٥ .

والاجابات ايضا عديدة ومتباينة فى مجتمعنا المصرى ، منذ ابراهم بك ومراد بك حتى محمد على حتى ثورة ١٩ فثورة يوليو ١٩٥٢ .

واذا ركزنا اهتمامنا على ما اصبح يسمى بالديمقراطية الحديثة التى تخلقت اول ما تخلقت فى احضان الطبقة الرأسمالية فى أوروبا ، ثم واجهت العديد من المحن والتجارب والثورات ، فاننا نستطيع أن نحدد ثلاث مسارات تاريخية أساسية للديمقراطية .

الاول : مسار الديمقراطية الرأسمالية التى بدأت بالثورة الدستورية البرلمانية فى انجلترا عام ١٢١٥ ، فثورة الاستقلال الامريكية عام ١٧٦٣ ، ثم الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

الثانى : مسار الديمقراطية الاشتراكية التى بدأت بالثورة السوفيتية عام ١٩١٧ .

الثالث، مسار ديمقراطية بلاد التحرر الوطنى التى بدأت بصورتها التقليدية شبه الرأسمالية شبه الاقطاعية بالثورة المصرية عام ١٩١٩ ، ثم بصورتها الجديدة القلقة ذات الطابع الوطنى التقدمى بالثورة المصرية ايضا عام ١٩٥٢ . وتنتمى اليها غالبية بلدان العالم الثالث اليوم .

وما تزال هذه المسارات التاريخية النوعية الثلاث ، هى التى تحكم حركة الديمقراطية ومضمونها وأساليب ممارستها فى عالمنا المعاصر بدرجة أو بأخرى .

والسؤال المركزى هنا ، هو ما الذى يحدد نوعية التجربة الديمقراطية — واقعا ومستقبلا — فى هذا البلد او ذاك :
ليست الارادة والنيات والرغبات الشخصية .. الخ

الجواب ، أمران جوهريان .

الاول : هو التاريخ الديمقراطى لشعب هذا البلد ومدى ما يختزنه فى وجدانه وتقاليده من رصيد كفاحى من أجل الديمقراطية وقدرته على مواصلة دفع هذا التاريخ الى الحركة الدائبة المتقدمة رغم كل مايصادفه من عقبات ونكسات.

الثانى : هو الواقع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى لهذا البلد ودرجة تطوره وطبيعة علاقات القوى بين طبقاته المختلفة والاهداف والتحديات الحاضرة والمستقبلة لشعب هذا البلد ككل .

لنضع مصرنا اليوم فى مواجهة هذا السؤال المركزى ... ماذا يكون الجواب ؟

جواب التاريخ يقطع بأن للشعب المصرى تاريخه الكفاحى الديمقراطى الذى لم ينقطع ابدا .

لقد شرعت الديمقراطية تطرق أبواب مجتمعنا ، طرقا بدائيا ، ولكنه جماهيرى الارادة فى اواخر القرن الثامن عشر . وبالتحديد عام ١٧٩٥ عندما قاد التجار بزعامة كبيرهم « **احمد المحروقى** » والمثقفون الوطنيون الدين كان يمثلهم العلماء المسلمون الاحرار بزعامة **عمر مكرم والسادات والشرقاوى** ، جموع العاملين والحرفيين والمواطنين فى القاهرة ، طيلة ثلاثة أيام بلياليها ، ضدالسلطة الطاغية الحاكمة وقتذاك ابراهيم بك ومراد بك . مطالبين بعدل الحكام والغاء الضرائب الجائرة وتأمين الناس على أرواحهم وأقواتهم وممتلكاتهم . واستطاعوا فى النهاية ان يرغموا الحاكمين على ان يتعهدوا فى وثيقة مكتوبة للشعب بأن « **يتوبوا عن المظالم ويرجعوا الى الحق ، وأن يكفوا اتباعهم عن امتداد أيديهم الى اموال الناس وان يسيروا فى الناس سيرة حسنة** » .

وهنا يتوجب علينا ان نلاحظ ثلاث قوى رئيسية هى التجار والمثقفون والوطنيون والقاعدة العامة الشعبية ، تالفت ، رغم اختلاف وتعدد مصالح كل منها عن الاخرى حول قضية الديمقراطية .

والواقع ان هذه الوثيقة المصرية تماثل اهميتها — فى مجال تاريخ العالم الثالث — أهمية الماجناكارتا الانجليزية وحقوق الانسان للثورتين الامريكية والفرنسية ، فى اوربا وأمريكا .

فهى جميعا تقرر حق المواطن فى حرية العمل والحياة والتملك دون ما سخرة أو غصب . ولقد انتزع شعبنا هذه الوثيقة الديمقراطية بحركته الثورية بعد ٦ سنوات فقط من قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

ونمضى مع حركة التاريخ العالمى للديمقراطية الحديثة الذى يسجل ان مصر كانت فى اواسط القرن التاسع عشر ، **الدولة الرابعة فى العالم** كله بجانب بريطانيا وفرنسا وأمريكا ذات برلمان منتخب ، يمثل نواة السلطة التشريعية للشعب ونعنى به « **مجلس شورى النواب** » .. الذى أجبر الشعب الخديوى اسماعيل على انشائه من ٧٢ عضوا منتخبا عن المديريات والمحافظات فى عام ١٨٦٦ .

ونصل مع التاريخ الى ثورة ١٩١٩ واحرازها لنصرها التاريخى الجزئى ، باعلان الاستقلال السياسى ، وصدور دستور ١٩٢٣ الذى نظم السلطه وعلاقة الدولة بالشعب على نفس الاسلوب الذى انتهجته الديمقراطية الرأسمالية فى اوربا، بما فى ذلك تعدد الاحزاب .

ولقد كانت أحزاب كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة الطفيلية أساسا هى التى ضاقت بممارسة الشعب لحقوقه الواردة بدستور ٢٣ وباحزابه الوطنية وخاصة حزب **الوفد** . فاقدمت بالتآمر مع الاستعمار والقصر على ايقاف الدستور حينا كما حدث فى عام ١٩٢٨ . عندما فرض **محمد محمود** «بحكم اليد الحديدية» على البلاد لصالح كبار الملاك الزراعيين ، أو الغائه كما فعل **اسماعيل صدقى** فى عام ١٩٣٠ لصالح الرأسمالية الكبيرة .

وهكذا تعلم الشعب من خلال حركة المد والجزر لنضاله الوطنى الديمقراطى ، أن الديمقراطية وان كانت تعنى ـ ضمن ما تعنى ـ تعدد الاحزاب ، الا أنها فى الممارسة يمكن أيضا أن تتحول الى دكتاتورية فى اطار تعدد الاحزاب . وان العبرة ليس بلافتة الديمقراطية ولكن بمضمونها وضماناتها للمصالح الاجتماعية التى توظف السلطة والاحزاب فى خدمتها .

وحتى عندما اعيد دستور ١٩٢٣ تحت الضغط الشعبى فى ١٩٣٤ ، عمد القصر والاستعمار وأحزاب كبار الملاك والرأسمالية الطفيلية الى اهدار نصوصه عند التطبيق اهدارا تاما مع احكام القبضة الدكتاتورية عن طريق الاحكام العرفية .

ونستطيع أن نمضى فى تعقب التاريخ النضالى للشعب المصرى منذ بداية الحرب العالمية الثانية حتى حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ .. بيد أن المجال لا يتسع . ولهذا فاننا نقفز قفزة سريعة الى ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وفى التاريخ الديمقراطى للشعب المصرى من خلال ثورة يوليو يجب أن نفرق ، بموضوعية وأمانة ، بين الجانب الايجابى منها وبين الجانب السلبى . ولا نحاول أن نطمس أيا منهما لحساب الاخر . والا اخطأنا الحساب فيما يتعلق بمسارنا نحو المستقبل .

بالنسبة للجانب الايجابى ، فهو يمثل فى جوهره ، نقلة نوعية جديدة فى تاريخ ديمقراطية بلاد التحرر الوطنى الوليدة الاستقلال والتى تعانى التخلف الاقتصادى والاجتماعى الشديدين . وعكست بالتالى سمات خاصة بديمقراطية هذه البلاد تختلف ـ بحكم اختلاف ظروفها ـ عن كل من سمات الديمقراطية الرأسمالية أو سمات الديمقراطية الاشتراكية .

ويتركز هذا الجانب الايجابى فى اسقاط سيطرة كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة عن السلطة والحكم وتحرير القوى الشعبية العاملة فى المدينة والقرية ، من قبضتهما ودفعها ـ من خلال الاصلاح الزراعى وتأميم الرأسمالية الكبيرة وتقرير نسبة الـ ٥٠ فى المائة للفلاحين والعمال من مقاعد المجالس التشريعية والمحلية والتنظيمية السياسية ـ الى معترك الممارسة الديمقراطية الفعلية بصورة نسبية ومتزايدة لاول مرة فى تاريخ مصر . وذلك فى اطار صياغة سياسية اجتماعية لتحالف القوى العاملة من فلاحين وعمال ومثقفين وجنود ورأسمالية وطنية . هذا علاوة على تنظيم الصحافة أيضا باعتبارها منابر للرأى العام على نحو يحد من نفوذ كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة . واقرار كامل الحقوق السياسية للمرأة ومجانية التعليم .. الخ .

ولكن هذا الجانب الايجابى لا يمكن أن يخفى الجانب السلبى فى التجربة والذى تمثل أساسا فى فشل كل تنظيم سياسى للتحالف سواء فى شكل هيئة التحرير أو الاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى . وذلك لعدة أسباب أهمها أن التحالف ظل مجرد عملية تجميع كمى ، وجسما ضخما مترهلا ولكن دون عمود فقرى يمكنه من الحركة . ومفتقدا للحياة الديمقراطية الداخلية ولقنوات اتصال حقيقية مع الجماهير الشعبية وذيلا للسلطة التنفيذية تحكمه وتسيره زعامات بيروقراطية لا تنبع من نضالها مع الجماهير . وانما تتقلد مناصبها القيادية بقرارات تعيين ادارية .

وامام قدرة البيروقراطية على التكيف مع الواقع الجديد استطاعت أن تمتص مع الزمن ثورية النظام وتسجنه داخل حدود مكتبية ضيقة نمت معها ظواهر الحكم الفردى واستسهال القرارات الادارية العلوية فى العمل وتسيير شئون المجتمع والدولة ، بدلا من حشد واع للجماهير واطلاق طاقاتها المبدعة وادارة الحوار الديمقراطى بين قواها المختلفة فى الصحف والمنابر والمنظمات الوطنية . . كما تضاعفت هيمنة اجهزة الامن والقمع وانتهاكها لحقوق وحريات المواطنين من مختلف الاتجاهات دون ما رادع سياسى . وقد جاءت هزيمة ١٩٦٧ ، فى بعض جوانبها ، انعكاسا طبيعيا لهذا الجانب السلبى أساسا فى التجربة .

وتواكب حركة التاريخ فى بلادنا لنرى انه بعد حسم الصراع على السلطة فى مايو ١٩٧١ لصالح الرئيس السادات . طرح الرئيس مجموعة من المبادىء من اجل الديمقراطية والحرية وسيادة القانون ودولة المؤسسات واغلاق المعتقلات ورفع الرقابة عن الصحف . وطرح التجربة الديمقراطية كلها للحوار المفتوح . الامر الذى يجب أن يتم من خلال التمييز بين الجانب الايجابى والجانب السلبى من تجربة ثورة ١٩٥٢ الديمقراطية .

الى أين يقودنا هذا الاستعراض السريع للتاريخ الديمقراطى للشعب المصرى ؟

يقودنا نحو ثلاثة محاور رئيسية لا يجوز أن تغفلها لجنتنا وهى تتصدى لواقع ومستقبل الديمقراطية فى بلادنا .

المحور الاول :

ان تاريخ الشعب المصرى وحضارته وتضحياته فى سبيل الحكم الديمقراطى ، تاريخ عريق . وبالتالى فانه من السذاجة بل وامتهان لهذا الشعب أن يتحدث البعض عن عدم قدرته أو أهليته على ممارسة الديمقراطية ممارسة كاملة والتمييز بين الحر والزائف من صياغاتها واشكالها . ومن هنا فلا يجب أن تكون هناك خشية من طرح كل الاراء والافكار والاتجاهات عن الديمقراطية للحوار والمناقشة دون ما قيود .

المحور الثانى :

ان التاريخ المصرى عرف ومارس الديمقراطية بمفهومها الرأسمالى التقليدى التى نقلها عن الغرب بعد ثورة ١٩١٩ ، واصطدم خلال الممارسة بتحول هذه الديمقراطية بفعل تحالف أحزاب كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة مع القصر والاستعمار الى دكتاتورية اليد الحديدية . ولكن التاريخ المصرى عرف ومارس أيضا ، بل لعله كان بثورته فى ١٩٥٢ ، المبلور للخطوة الاولى فى مسار ديمقراطية التحرر الوطنى ، التى تتفق وظروف مجتمعه ، المغايرة لكل من ظروف المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية معا . ولكنه بقدر ما كسب من وجهها الايجابى بقدر ما عانى من وجهها السلبى

المحور الثالث :

ان مصر ما بعد ١٥ مايو ١٩٧١ و ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ليست منعزلة عن التاريخ المصرى أو منفصلة عن ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولكنها امتداد طبيعى لهذا كله . ولما كانت حركة التاريخ الصحيحة هى دائما التقدم الى الامام وليس الردة الى الخلف ، فان الحركة الصحيحة للديمقراطية فى مصر المعاصرة ، وهى تتسلح بكل ايجابيات تاريخها وثوراتها ، مستفيدة من دروس المحن والتجارب ، هى فى التقدم بشجاعة الى كشف وتشخيص وعلاج السلبيات . والعمل على توسيع وتعميق التجربة الديمقراطية بأبعادها الاجتماعية والسياسية ، المتقدمة والعصرية معا .

لتغدو الديمقراطية فى الشكل والمضمون هى ديمقراطية المنتجين .. ديمقراطية صناع الحياة المادية والمعنوية فى وادينا . لا ديمقراطية الهامشيين الطفيليين .

هذا هو الجواب التاريخى على سؤال ما الذى يحدد ويحكم نوعية التجربة الديمقراطية فى مصر .

والان ماذا عن الجواب الواقعى .

والجواب الواقعى هو بالدقة المعطيات الواقعية للمجتمع المصرى الراهن فى ١٩٧٦ .

لماذا المعطيات الواقعية ؟

لانها هى التى تقدم لنا المضمون الحقيقى للحم ودم الجسد الديمقراطى وأعضائه وطبيعة حركته . وبدون ذلك تظل الديمقراطية لافتة جميلة معلقة فى الفراغ ذات نغمة رنانة تدخل فى باب الطرب السياسى الذى نسمعه ونقرأه كثيرا فى هذه الايام ، وتبتعد عن العمل السياسى المؤثر والمنتج حسنا ....

لنقرأ خطوط واقعنا الاجتماعى كما نعيشه .

١ – لعل **الخط الاول** والبارز فى واقعنا هو انه على الرغم من انجازات حرب أكتوبر ١٩٧٣ فان جزءا من ترابنا الوطنى مازال مع اجزاء من أراضى عربية أخرى تحت الاحتلال الاسرائيلى ، ومعنى هذا أن القضية الوطنية لتحرير الارض ، بأبعادها القومية ما تزال تحتل المركز الاول فى جدول الاولويات .

وبالتالى تملك القوة التاثيرية الكبرى على بقية قضايانا السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما تتطلبه من حشد عسكرى وجماهيرى وتجنيد لجميع الطاقات والامكانات وتوزيع الاعباء توزيعا عادلا على جميع الطبقات .

٢ – **الخط الثانى** ، هو ما نواجهه من صعوبات اقتصادية حادة بسبب تراكم آثار هزيمة ١٩٦٧ بجميع أبعادها وما استلزمته سنوات الاعداد السبع لحرب أكتوبر ١٩٧٣ من تضحيات وانهاك للاقتصاد والانتاج والخدمات على نحو لم يسبق له مثيل . تقفز بالعجز فى الميزان التجارى لعام ١٩٧٥ الى أكثر من ٢٤٠٠ مليون جنيه .

الخط الثالث : عدم توافر رأس المال اللازم لتغطية الاستثمارات الاساسية لخطة التنمية الخمسية ١٩٧٦ – ١٩٨٠ . وهى الخطة التى تعتبر فى حكم الضرورة القصوى ، لمواصلة مسيرة

التنمية التى قطع عليها الطريق منذ ١٩٦٥ .. وتعويض سنوات الاستنزاف الرهيبة ودفع دماء الحياة الى شرايين الانتاج ووسائلها الرئيسية التى كادت تجف .

٤ ـ **الخط الرابع** ، ازدياد الخلل وعدم التوازن فى الوضع الاجتماعى ، الامر الذى يهدد سلمية التطور . وذلك نتيجة فقدان العدالة فى توزيع الدخل القومى . ومن مظاهر ذلك ما تكشف عنه الاحصاءات الرسمية من أن هناك ٢٠٠٠ عائلة فى بلادنا يزيد دخل الواحدة منها سنويا على ٣٥ ألف جنيه . فى حين أن هناك حوالى أربعة ملايين عائلة ما برح دخل الواحدة منها فى حدود مائة جنيه سنويا .

فضلا عن أنه على الرغم من أن الحد الادنى من الاجر قد ارتفع خلال السنوات الخمس الماضية مرتين من ٥ر٧ جنيهات الى ٩ جنيهات ثم الى ١٢ جنيها فان الفرق بينه وبين الحد الاعلى للاجر مازال شاسعا . اذ يبلغ أكثر من ٣٤ ضعفا . وهو فرق لا نجد مثيلا له حتى فى البلدان الراسمالية .

٥ ـ **الخط الخامس** ، أنه مع انجازات ٦ أكتوبر تبلورت ظاهرتان أساسيتان ومتناقضتان ، فى مجتمعنا .

الاولى : هى أن القطاع العام والجندى المؤهل ابن الفلاحين والعمال والراسمالية الوطنية الذى نال تعليمه الجامعى فى اطار مجانية التعليم ، كانا عنصرين رئيسيين فى حركة العبور المسلحة المقاتلة .

الثانية : تكون طبقة من الرأسماليين الطفيليين غير المنتجين مستغلة مصاعب هزيمة ١٩٦٧ والسنوات السبع العجاف ، ومحاولة اخضاع سياسة الانفتاح الاقتصادى لصالحها فى الاثراء الفاحش عن طريق عمولات الاستيراد والتصدير والمضاربات التجارية والعقارية والاتجار باقوات الشعب واحتياجاته الضرورية فى السوق السوداء . وتطلعها نحو تكوين نتوء سياسى مؤثر على مسيرة المجتمع وتطوره ، مستترة تحت رايات الديمقراطية والحرية وسيادة القانون التى ترفعها الجماهير بمختلف طبقاتها الوطنية .

٦ ـ **الخط السادس** ، تعثر سياسة الانفتاح الاقتصادى فى تحقيق اهدافها القومية لخدمة قضية الانتاج ورفع مستوى الجماهير الشعبية . وتقوقعها فى حدود تجارية بحتة وضيقة . الامر الذى أصاب بالضرر ، ليس فقط القطاع العام ، بحكم أنه القيادة الاساسية للاقتصاد الوطنى ، بل وايضا القطاع الخاص للراسمالية الوطنية المنتجة .

٧ ـ **الخط السابع** ، استمرار ضغط القوى البيروقراطية على حركة الحياة ومؤسساتها المختلفة . وشل كل امكانية للمبادرات الفردية والجماعية فى التصدى للمشاكل واستنبات الحلول الفعالة والمبتكرة لها . مع استمرار النقص والتدنى فى مستوى الكفاية الانتاجية والادارية على مختلف المستويات وتجاهل التعلم من تجارب الغير والاستفادة الحية من ثورة العلم والتكنولوجيا فى الغرب والشرق على السواء . ونمو الشعور الاجتماعى بعدم المبالاة والاحساس بالمسئولية والتغرب عن الواقع ، فى محاولة للقفز على المساهمة فى حل مجمل المشكلة الوطنية الاجتماعية الى حل المشاكل الفردية . ويظهر ذلك بوضوح فى صعود الخط البيانى لهجرة العقول والفنيين من العلماء والعمال واصحاب المهن المختلفة ، وخاصة من الشباب ، الى الخارج .

٨ ـ **الخط الثامن** ، عدم نجاح الاتحاد الاشتراكى فى أن يكون التنظيم السياسى القادر على اشراك القوى الوطنية فى اتخاذ القرارات السياسية والتنفيذية والتشريعية ومراقبة تنفيذها .

٩ ـ **الخط التاسع** ، انه على الرغم من اقرار حرية الصحافة واطلاق حرية التعبير فان معظم وسائل الاعلام من صحافة واذاعة او تليفزيون ، ما تزال محتكرة ـ نسبيا ـ لصوت واحد من أصوات التحالف وان تعددت نغماته . وذلك نتيجة للتكوين الاجتماعى السياسى الخاص لمعظم قياداتها .

واذا فتحت صدرها لاصوات أخرى ، فانما لصوت الرأسمالية الطفيلية وذلك دون بقية الاصوات الاخرى للفلاحين والعمال ولغالبية المثقفين الوطنيين على اختلاف اتجاهاتهم وللرأسمالية الوطنية المستنيرة .

فى اطار هذه الصورة « التاريخية ـ الواقعية » لمجتمعنا ، وليس خارجها ، علينا أن نبحث عن الصياغة الصحيحة ـ شكلا ومضمونا ـ للديموقراطية فى مصر .

كيف ؟

بأن نمارس خلافاتنا ومعاركنا السياسية التى لا مفر منها بحكم تعدد قوانا الاجتماعية ومنابعنا الفكرية ، على أرض الواقع والحقيقة ، لا على سحاب الوهم والتصورات الذهنية المجردة .

مرة أخرى : كيف ؟

هنا ننادى بضرورة أن نكف جميعا عن اثارة المعارك الوهمية فيما بيننا ، التى تستنفد الجهد والطاقة والوقت فيما لا طائل من ورائه ، وتغلف الحياة الاجتماعية والسياسية بضباب كثيف يمنع كل قوة من رؤية القوى الاخرى على حقيقتها ، وعلى ما هو عام ومشترك بينها جميعا وعلى ما هو خاص ومتميز منها .

مرة ثالثة : كيف ؟

بأن نحدد من خلال حوار عقلانى ورحب ، نتعلم فيه بعضنا عن بعض بتواضع ، حسم الاختيارات الاساسية لمسيرة المجتمع المصرى الراهن على مدى السنوات الاربع والعشرين القادمة من القرن العشرين .

وفى اعتقادى أن هذه الاختيارات تتلخص فيما يلى :

الاختيار الاول : اى نظام اجتماعى نريده لمصر الراهنة ويأتى فى حدود الامكانيات المتاحة بحكم ظروفها المادية والمعنوية : هل هو النظام الرأسمالى أم النظام الاشتراكى ؟

ليس من شك فى أن الشعب بثورة يوليو ١٩٥٢ وخاصة منذ عام ١٩٦٢ — وبعد تجربة عشر سنوات — تأكد بأنه من غير الممكن بناء مصر بناء عصريا ومتطورا اقتصاديا واجتماعيا بالطريق الرأسمالى التقليدى .

فهو فضلا عن بطئه وشروره ، يستلزم أن تكون هناك قدرة من تراكم رأسمالى كبير فى يد طبقة جسور ومغامرة للتصدى لمشروعات ضخمة نسبيا ، وخاصة فى مجال الصناعة . هذه الطبقة، بالحد الادنى من القدرة المالية والروح الجسور المغامرة ، لم توجد وليست قائمة اليوم فى مصر .

وبالتالى كان لا مفر — ولا يزال هذا حتميا بحكم الواقع — من تدخل الدولة كرأسمالى قادر على ان يوفر رأس المال بالحجم المطلوب لعملية التنمية القومية . وتدخل الدولة لم يعد اسلوبا اشتراكيا فحسب ، بل هو أيضا اسلوب رأسمالى عصرى تستخدمه امريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الرأسمالية فى جميع المجالات . بتعبير آخر أن تدخل الدولة أصبح أمرا ضروريا وشائعا مع تعقد الحياة وتطورها . حتى قيل ان الدولة الحديثة اليوم بلغ تدخلها حد اقتحام غرفة النوم بين الزوجين بنظام تحديد النسل .

معنى هذا أن ما حدث فى مصر ظل بمجمله فى اطار رأسمالية الدولة . لم يبن مجتمعا اشتراكيا قط . ولكنه تخطى مرحلة فحسب من مراحل الرأسمالية وحاول ان يمضى فى طريق لا رأسمالى .

اليوم .. ما هو المطلوب ؟ هل المطلوب بناء نظام اشتراكى فورا ؟ . تطبيق الاشتراكية ؟

نحن الاشتراكيون المصريون نجيب بوضوح : لا .. ليس النظام الاشتراكى والتطبيق الاشتراكى مطلبا مطروحا من قبلنا لا اليوم ، ولا فى المستقبل المنظور .

نحن لا نخفى أننا نؤمن بأن الحل الصحيح للمشاكل والقضايا المصرية هو فى بناء نظام اشتراكى . ولكنا نرى ذلك على المدى الطويل لا فى المدى القريب . ذلك أن الاشتراكية العلمية السليمة تستلزم أول ما تستلزم بناء قاعدة مادية واجتماعية وثقافية متقدمة ومتطورة ليأتى البناء الاشتراكى بعد ذلك نتاجا طبيعيا لها ومتسقا مع المدى الذى وصل اليه التطور الاجتماعى والاقتصادى . والقفز على ذلك هو مغامرة فاشلة لا يرتكبها الاشتراكيون .

اذن أى نظام اجتماعى نختار ؟

نحن نختار نظاما يتخطى مزالق الرأسمالية التقليدية التى تنكرها اليوم وتتحاشاها اعرق النظم الرأسمالية المعاصرة فى أمريكا واوروبا الغربية ... نظاما يقوم على أساس حشد مركز الى أقصى درجة ممكنة لقوى الانتاج ووسائله الرئيسية من خلال خطة تنمية وطنية شاملة يقودها قطاع عام كفء ومتحرر من البيروقراطية مملوك للدولة وذلك مع ضمان حرية الحركة والاستثمار للقطاع الخاص والرأسمالية الوطنية المنتجة .

ومعنى هذا أن النظام المطلوب هو النظام المتطهر من فوضى وهمجية النظام الرأسمالى التقليدى . ومن هذه الوجهة وبحكم مشاركة القوى الشعبية فى ادارته ورقابته ، يكون وطنيا متقدما . ومن حيث أن القوانين الاقتصادية والاجتماعية التى تحكمه هى فى الاساس قوانين رأسمالية فهو اذن يجب ان يكون نظام كل قوى المنتجين ، بما فى ذلك الرأسماليين المستنيرين لا الطفيليين .

الاختيار الثانى : ما هو النظام الاقتصادى لمصر؟ أو بالاحرى ماهى قواعده الاساسية ؟

فى تقديرنا ان هناك قواعد كثيرة يمكن أن نحددها فى هـذا المجـال لكن نكتفى بنقطتين أساسيتين :

أولا : ثمـة ثلاثة انـواع من الملكية الملكية العامة لوسائل الانتاج الرئيسية من خلال القطاع العام . الملكية التعاونية وخاصة فى مجال الزراعة والتجارة والصناعات الحرفية . الملكية الخاصة فى مجال الزراعة والعقارات والصناعات الخفيفة والسياحة والفنادق .

والملكية العامة بقطاعها العام هنا ، هى القوة القومية الضرورية للحفاظ علـى الاستقلال الاقتصادى دعامة الاستقلال السياسى . وتنبع ضرورتها اليوم من كونها اصبحت فى كل بلد معاصر بما فى ذلك عدد كبيرمن الدول الراسمالية وخاصة فى بلاد الشمال الاوروبى ، العمود الفقرى للجسم الاقتصادى . وضمان الامن وقوة الدفع للقطاع الخاص نفسه والاساس الجاذب حتى للقروض ورؤوس الاموال الاجنبية .

والاحصاءات العالمية تؤكد أن القطاع العام يتزايد حجمه اليوم ليس فقط فى بلاد الشمـال الاوروبى ولكن فى بريطانيا وفرنسا والمانيـا ايضا .

وبنظرة مقارنة بين حجم القطاع العام فى مصر مع حجم القطاع العام فى بلاد عربية بترولية تنهج نهجا رأسماليا مثل السعودية والكويت مثلا ، نجد أن حجمه أقل فى مصر عن مثيله فى هذه البلاد .

ثانيا : ليس هناك أحد ضد سياسة الانفتاح . ولكن السؤال المثار هو الانفتاح لصالح من ؟

لا أعتقد ان أحدا فى هذه اللجنة يوافق على أن يكون الانفتاح لصالح فئة محدودة من الراسماليين الطفيليين الذين يكونون ثروات فاحشة لا عن طريق اسهامهم فى اضافة مزيد الى ثروة الوطن العامة. ولكن على العكس عن طريق النحت والابتلاع من الثروة الوطنية .

ويبقى الانفتاح بعد ذلك ضرورة من حيث أنه لم يعد فى استطاعة دولة صغيرة أن تعيش وتطور نفسها بالقدر والسرعة اللازمة ، وهى منغلقة على ذاتها .

ان الانفتاح على العالم من شأنه ان يزيد من القدرات والطاقات الانتاجية فى المجتمع ويحققه بثمار التكنولوجيا الحديثة المتطورة وخبراتها فى كفاية الانتاج . لكن المشكلة هى أن الدولـة الصغيرة تواجه بالانفتاح فى نفس الوقت مخاطر وقوعها بحكم صغر حجم اقتصادها تحت هيمنة القوى الاقتصادية الكبيرة . وحل هذه المشكلة هو كما عبر الرئيس السادات فى خطابه أمام رجال الاعمال الامريكيين فى شيكاغو خلال زيـارته لامريكا فى مراعاة أمرين أساسيين :

١ ــ المحافظة على الاستقلال الاقتصادى لمصر .

٢ ــ قبول رأس المال الاجنبى فى اطار خطة التنمية القومية ، وليس خارجها .

الاختيار الثالث : أى نظام سياسى نريده لمصر؟ لا اعتقد ان هناك خلافا حول :

١ ــ المحافظة على الاستقلال السـياسى والاقتصادى لمصر .

٢ ــ التمسك بموقف عدم الانحياز بيـن المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى .

٣ ــ الانتماء المصيرى للوطن العربى والرؤية القومية لمستقبل مصر فى اطار التفاعل السياسى والاقتصـادى والحضـارى مع العالم العربى لا خارجه .

٤ ــ تحديد علاقاتنا الدولية مع جميع الدول على أساس استقلالنا الوطنى وعدائنا للامبريالية والاستعمار والصهيونية والعدوان .

٥ ــ بناء النظام السياسى الداخلى على أساس برلمانى ديمقراطى جمهورى يحقق لجميع القوى الوطنية المنتجـة ايا كانت اتجـاهاتها الفكرية والسياسية المشاركة فى اتخاذ القرارات ورقابة تنفيذها .

وذلك من خلال أدوات وقنوات تنظيمية من صنع الشعب وصياغته .

الاختيار الرابع : الموقف من الدين ، فى التجربة الاجتماعية والعمل السياسى .

لقد آن لنا أن نحسم بوضوح هذه القضية التى أثارت وما تزال معارك لا جدوى من ورائها الا تبادل الاتهامات غير المحددة حول النوايا والسرائر وعلاقة الانسان بربه .

ونحن الاشتراكيون المصريون نقرر أن الحقيقة الاساسية فى بلادنا هى أن شعبنا ، شعب مؤمن متدين .

والشعب هو صانع الحياة وقائد التطـور ، وبالتالى فلا يمكن تصور الحياة والتطور خارج اطار الدين والايمان فى بلادنا .

وأكثر من ذلك فان منهج الفكر الاشتراكى يرى ان ايمان الجماهير وتدينها يعطى القيم والافكار الدينية قوة مادية ، يستحيل بدون احترامها، التحرك خطوة نحو مجتمع أفضل .

والاشتراكى الذى يتجاهل هذه الحقيقة الموضوعية ، يتنكر أول ما يتنكر ، للاشتراكية كعلم لتغيير المجتمع وتطويره .

كذلك فان الذى يسمح لنفسه باستغلال الدين ستارا للاستبداد وقوة معادية لمصالح العاملين المنتجين ، يتنكر أول ما يتنكر لكل الشرائع السماوية وقيمها .

الاختيار الخامس : بعد الاختيارات الاربعة السابقة كيف تكون ديموقراطية هذا المجتمع وبتعبير اكثر دقة الديموقراطية لمن بالتحديد فى ضوء هذه الاختيارات ؟

فى مفهومنا ان الديموقراطية المنشودة هى التى تتوجه - بقواعدها وصياغاتها التنظيمية والسياسية - لخدمة كل القوى الوطنية المنتجة على اختلاف طبقاتها الاجتماعية واتجاهاتها الفكرية والسياسية . من الرأسمالية الوطنية حتى الاشتراكيين .

ومن هنا فهى ديموقراطية كل الشعب ، لا يستثنى منها غير تلك الفئات المحدودة العالة على المجتمع من الرأسماليين الطفيليين .

لماذا نستثنى هذه الفئة ؟

حتى لا يتكرر من جديد فى مجتمع السبعينيات والثمانينيات ما حدث فى الثلاثينيات والاربعينيات ، حينما استغلت القوى الطفيلية من كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة ، الديموقراطية الرأسمالية لتخنق دستورها وضماناتها وتحولها الى حكم اليد الحديدية لمحمد محمود ودكتاتورية اسماعيل صدقى ، تحت لافتات زائفة من الحرية .

واذا كان المثل يقول ان العاقل من اتعظ بغيره، فاننا نقول هنا ان الاكثر تعقلا هو من اتعظ بما جرى له فى الأمس القريب .

الاختيار السادس : ما هو الطابع الاساسى والمميز للديموقراطية الواجبة فى مجتمعنا المعاصر ؟

هل هو طابع التعدد فى التنظيمات أم طابع الانفراد بتنظيم واحد ؟

هل هو طابع القوى السياسية المنفصلة بعضها عن بعض ام طابع التحالف الوطنى ؟

اننا بحكم تحليلنا لدروس التجربة الماضية ، وبحكم التحديات المصيرية الكلية التى يواجهها مجتمعنا بكل قواه دون ما تمييز ، والممثلة فى الاحتلال الاسرائيلى وفى الصعوبات الاقتصادية وقضايا التنمية القومية ، نرى ان اسلم صياغة للاطار العام للحركة الديموقراطيه اليوم هو فى التحالف الوطنى بركيزته من العمال والفلاحين مع تعدد التنظيمات سواء على شكل منابر داخل الاتحاد الاشتراكى ، أو على شكل أحزاب تتجمع اختياريا من حول برنامج وطنى عام يحدد المصالح القومية المشتركة للتحالف ، مع المحافظة على الاستقلالية الفكرية والتنظيمية والسياسية لكل منبر أو حزب فى الدفاع عن المصالح المتميزة للقوى الاجتماعية التى يمثلها .

لماذا ؟

لانه بحكم الواقع لا توجد بعد فى مجتمعنا طبقة بمفردها أو اتجاه سياسى بمفرده يملك القدرة على التصدى للقضايا القومية المشتركة وحلها حلا جذريا . لا مفر - اذن - لامتلاك القدرة وتكثيف الجهد واختصار الوقت ، من حد ادنى من العمل السياسى المشترك بين كل القوى والتيارات الوطنية المنتجة فى بلادنا .

وهنا يهمنا بصفة خاصة ان نركز على نقطة مهمة :

اذا كنا فى قضية الديموقراطية نرفض ونحذر من فصل الشكل عن المضمون فيجب - وفقا لتجربتنا الخاصة - أن نحذر من رفض الديموقراطيه تحت شعارات حماية مكاسب العمال والفلاحين .

ففى عام ١٩٥٤ قيل ان الطبقة العاملة رفضت الديموقراطية ورفعت شعار تسقط الديموقراطيه . ونحن نعلم ان هذا لم يكن صحيحا على الاطلاق ، ولم يكن يمثل رأى ملايين العمال الذين هم جزء لا يتجزأ من الشعب . بل هم أحرص الناس بحكم مصالحهم اليومية والدائمة على توسيع الحريات النقابية والسياسية ، لانه فقط فى ظل هذه الحريات يدافعون عن مكاسبهم ويضاعفونها . ان شعار تسقط الديموقراطية الذى رفع عام ١٩٥٤ كان من عمل قيادات قيل أنها عمالية ، ولكنها فى الواقع لم تكن تمثل الا نفسها ، وكانت تدافع عن مراكزها ومصالحها الشخصية ومواقعها وعن كراسيها التى يمكن أن تفقدها فى ظل ديموقراطية حقيقية .

ولقد تكررت مثل هذه الظاهرة فى بعض المناسبات الاخرى ، كان آخرها لجنة الاستماع التى عقدت لاستطلاع الرأى حول تطوير الاتحاد الاشتراكى فى صيف سنة ١٩٧٤ .

ففى ذلك الوقت ارتفعت بعض الاصوات تعارض توسيع الديموقراطية واقامة الاحزاب أو المنابر بحجة الدفاع عن مكاسب العمال والفلاحين . واخشى اننا سنجد انفسنا مرة اخرى أمام مثل هذه الظاهرة الخطرة ، التى تظهر الطبقة العاملة باعتبارها الطبقة الوحيدة المعارضة للديموقراطية . والطبقة العاملة بريئة من هذا الاتهام .

كيف يمكن مثلا ان تكون الحريات السياسية هى مطلب الفلاحين والمثقفين والموظفين والتجار والحرفيين والمهنيين والراسمالية الوطنية ، ولا تكون مطلب العمال ؟

كيف يمكن مثلا أن تكون حرية الصحافة موجهة ضد مصالح الطبقة العاملة اذا كان من حق الطبقة العاملة وممثليها وتنظيماتها السياسية والنقابية أن تصدر الصحف ؟

كيف يمكن مثلا أن تكون حريات الفكر والتنظيم السياسى والاجتماع الخ .. موجهة ضد العمال والفلاحين ، اذا كان الدستور والقوانين تقدم ضمانات حقيقية لممارسة هذه الحريات لجميع المواطنين بما فى ذلك العمال والفلاحون ؟

ان أى دعاوى من هذا القبيل هى دعاوى غريبة عن العمال ، جوهرا وفكرا . ولا تعكس مصالحهم الحقيقية بقدر ما تعكس حرص عدد محدود من الافراد على بسط سيطرتهم المكتبية على مقدرات التنظيمات النقابية واستقلالها ، لمصالح شخصية نفعيه . انهم هؤلاء الذين يحولون اليوم دون صدور قانون النقابات وفق ارادة القاعدة النقابية ، ويسوفون فى اجراء الانتخابات ويعمدون الى مصادرة الحريات النقابية .

وعلينا أن نراجع تاريخنا وتجاربنا التى لا تختلف عن تاريخ وتجارب جميع المجتمعات . وتقول لنا التجارب أن كل تضييق على الحريات الديموقراطية الاساسية ، لابد وأن يصحبه اعتداء على الحقوق النقابية والاجتماعية للشعب العامل فى مجموعه . والعكس صحيح على خط مستقيم .

انذ نفهم الـ ٥٠ فى المائة على انها حق أساسى يحميه الدستور وأن هذا الحق لا يمكن أن يتأكد باعتباره مشاركة حقيقية من جانب العمال والفلاحين فى ادارة شئون البلاد ، الا اذا تطور النظام الديموقراطى واتسعت حقوق الشعب الديموقراطية ، والا ظل هذا الحق شكليا الى حد كبير كما هو الحال الان .

السيد الرئيس
السادة الزملاء والزميلات

فى ضوء هذه الخطوط الرئيسية للتصور العام لواقع ومستقبل الديموقراطية فى مصر ، أسمح لنفسى بأن أتقدم للجنة بمشروعين أرجو ، بعد المناقشة ، طرحهما للاقتراع . **الاول** خاص بجدول لاعمال اللجنة . **والثانى** خاص بلائحة تنظيمية لعمل اللجنة .

المشروع الذى اقترحه لجدول الاعمال يتضمن ست نقاط .

النقطة الاولى : تحديد الاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المصرى بعد ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

النقطة الثانية : علاقة الاختيارات بقضية استمرار أو عدم استمرار التحالف الوطنى .

وهنا يجب ان نفرق بين التحالف الوطنى والاتحاد الاشتراكى . فالتحالف الوطنى هو تحالف اجتماعى بين تيارات وطبقات اجتماعية وسياسية . أما الاتحاد الاشتراكى فهو مجرد احدى الصياغات لهذا التحالف . بمعنى انه يمكن أن نقول أن السلطة التشريعية مثلا فى بلد معين يمكن أن تصاغ بشكل مجلس واحد أو أن تصاغ بشكل مجلسين . وعندما نقول مثلا الدولة المصرية ، فانه يمكن أن تصاغ الدولة المصرية بصياغات مختلفة كالنظام الملكى او النظام الجمهورى : النظام الجمهورى الرئاسى أو النظام الجمهورى البرلمانى . واذن لا يجب الخلط بين نظرية وحالة التحالف التى تستلزمها ظروفنا الاجتماعية للوحدة الوطنية فى مواجهة التحديات الكلية ، وبين الشكل الذى يمكن أن يصاغ فيه هذا التحالف فى اوعية سياسية متعددة .

النقطة الثالثة : الموقف من الاتحاد الاشتراكى باعتباره احد الصياغات التنظيمية للتحالف الوطنى . وهل هناك صياغات آخرى ممكنة وبديلة وأكثر تقدما .

٤ ـ مستقبل الاتحاد الاشتراكى ،

أولا : كوعاء للمنابر .

ثانيا : اسلوب قيام المنابر وكيفية تنظيمها وممارستها لنشاطها وموقفها من التحالف الوطنى .

٥ ـ مستقبل الاتحاد الاشتراكى :

أولا : أمام قيام أحزاب

ثانيا : اسلوب قيام الاحزاب وممارستها لنشاطها وموقفها من التحالف الوطنى .

٦ ـ الضمانات السياسية والاجتماعية والتشريعية لممارسة الديموقراطية فى المجتمع بأبنيته المختلفة .

اما مشروع اللائحة فهو ايضا من ست نقاط :

١ ـ تحدد أمانة اللجنه طبيعة كل مشارك فى المناقشات

أ ـ راى خبرة أو علم شخصى .

ب ـ راى تمثيلى عن جهة محددة .

٢ ـ تخصيص عدد من جلسات اللجنة بكامل اعضائها لمناقشة الاطار العام للديموقراطية ومفهومها ، وصولا الى اقرار جدول أعمال يوجه مسار المناقشات .

٣ ـ تخصيص عدد آخر من جلسات اللجنة بكامل اعضائها للاستماع والمناقشة مع ممثلى الجماعات والهيئات والاتحادات والشخصيات الفكرية والسياسية ومؤسسى المنابر الذين يتقدمون الى الامانة العامة لذلك .

٤ ـ تكوين لجنة فرعية ممثلة لمختلف التيارات بعد هذه الجلسات العامة ، لتقديم ورقة عمل تكون أساسا لنقاش اللجنة حول البند الاول « الاختيارات » والبند الثانى « علاقة الاختيارات بالتحالف الوطنى » من جدول الاعمال المقترح .

٥ ـ بعد أن تحسم اللجنة العامة الموقف من البندين الاول والثانى من جدول الاعمال ، تبدأ فى مناقشة بقية البنود من خلال لجان متخصصة ، تقدم بعد ذلك نتائج بحثها الى اللجنة العامة للنقاش واقرار التوصيات .

٦ ـ تصدر توصيات اللجنة العامة وكذلك اللجان الفرعية والمتخصصة على اساس مبدأ الاغلبية والاقلية . على الا يغفل عند الاعلان تحديد آراء الاقليه .

السيد الرئيس

السادة الزملاء والزميلات

اذ اشارف ختام حمتى العامة اذكر ان اديبنا الروائى الكبير نجيب محفوظ صور فى قصته «ثرثرة على النيل» موقفا لبطلها «رجب» كان يقود فيه سيرته للدرهه مع عدد من رفاقه وصديقاته من الشباب الماجن الذى يعيش عالة على المجتمع ، فاذا به يصدم رجلا كان عائدا الى بيته من عمله . وحدث هرج ومرج داخل السيارة وارتفع صوت نسائى يطالب رجب بالتوقف لاسعاف الرجل المصاب المضرج على الارض فى دمائه . لكن اصوات اخرى تعالت تطالب رجب بعدم التوقف ومواصلة السير لاستكمال السهرة فى العوامة . بيد ان رجب صرخ بأعلى صوته أنه ديموقراطى وأنه لذلك يطرح على التصويت توقفه لاسعاف المصاب أو استمراره فى السير نحو العوامة . وجاءت نتيجة التصويت الحر فى عربة رجب الى جانب ترك الرجل المصاب لمصيره ومواصلة السير الى العوامة .

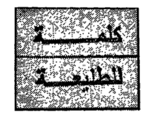
بالشكل المجرد ، كان رجب ديموقراطيا .

وبالمضمون الواقعى ، كان رجب قاتلا .

عن يقين أعلم أننا سوف نختلف فى كثير او قليل فى شأن الديموقراطية وصياغاتها الفكرية والسياسية .

ولكن عن يقين ايضا اعلم اننا جميعا نرفض ديموقراطية رجب .

أشكر لكم سعة الصدر وحسن الاستماع .



عبد الناصر

والطريق الوعر

تتعرض سيرة الزعيم الراحل **جمال عبد الناصر** لمحاولات محمومة ترمى الى الافتراء عليه وتشويه كل المعانى التى جسدها كفاحه كقائد وطنى مستنير انحاز دائما الى وطنه وشعبه .

وليس من الصعوبة بمكان أن يتعرف الانسان على مصدر هذه المحاولات ، وعلى المحرك الرئيسى لها . يكفى مثلا ان تشير بعض الصحف الى انه قد جرت ثلاث محاولات من قبل المخابرات الامريكيه لاغتيال **الزعيم الراحل** ، حتى تنتفض بعض الصحف الاخرى لتنفى التهمة عن اجهزة المخابرات الاجنبية الامبريالية فى محاولة لتبييض صفحتها فى هذا المجال . هنا يتساءل الانسان ويتعجب : وما الدافع الذى يحدو بالبعض الى أن يكون امريكيا اكثر من الامريكيين انفسهم ؟ ما الدافع الذى يدفع أى مصرى — مثلا — لان يبدى ضيقه أو جزعه من التحقيقات التى يجريها الكونجرس الامريكى فى بعض تجاوزات المخابرات الامريكيه ، هذا الاخطبوط الرهيب الذى استطاع — عن طريق أكثر من أربعين الفا من عملائه المنتشرين فى جميع انحاء العالم وبميزانية تزيد على الاربعة الاف مليون دولار أن ينظم اعمال القتل والخطف والاغتيال والتخريب والانقلابات ضد النظم الوطنية والاشتراكية .. الخ ؟

الامر البديهى الاول أن هذا الجهاز انما يخدم أهداف السياسية الامبريالية للدولة التى يتبعها .

والامر البديهى الثانى ، هو أن هذا الجهاز لا يمكن أن يضع فى قائمة اعداء السياسة الامبريالية من يقبلون تنفيذ اهداف هذه السياسة فى أوطانهم وعلى حساب شعوبهم . والعكس صحيح . فقد كان وزير خارجية امريكا الاسبق **جون فوستر دالاس** ، بطل سياسة حافة الهاوية ، ومهندس الحرب الباردة ،

يكن كل العداء والحقد لكل زعماء بلدان العالم الثالث الذين اعلنوا سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى بين المعسكرين . كان دالاس يقول : انها سياسة غير اخلاقية . لكننا نعلم ان هذه السياسة « غير الاخلاقية » كانت تعنى ببساطة رفض الخضوع للتبعية الامريكية .

ففى مصر ــ مثلا ــ كانت قيادة ثورة يوليو فى أيامها الاولى ــ تعقد آمالا كبيرة على المساعدات التى يمكن ان تقدمها الولايات المتحده الامريكية لتصنيع البلاد . وفى سبيل ذلك اصدر القانون الذى يوفر ضمانات كثيرة للاستثمارات الاجنبية . لكن نقطة الصدام بين الوطنية المصرية وبين السياسة الامريكية هى أن الاخيرة كانت تريد أن تكتفى مصر بمظهر الاستقلال دون جوهره .

وعلى سبيل المثال أيضا !!

كانت مصر ، قبل تأميم القناة ، قد طلبت من البنك الدولى للانشاء والتنمية أن يمول مشروع السد العالى فاشترط البنك ان يتولى بنفسه الرقابة على برنامج الاستثمارات المحلية . ثم طالب بتخفيض المساحة المنزرعة قطنا . ثم اشترط على مصر الا تبحث عن قرض عند مصدر آخر . وقد وافق النظام ــ بادىء الامر ــ على هذه الشروط . ولكن البنك لم يكتف بهذا ! ومضى يطالب بضغط برنامج التصنيع . ولكن ، لما كان عبد الناصر يؤمن بعمق بأن بناء قاعدة الصناعة الثقيلة فى مصر هى أساس التنمية ، اى رفع مستوى المعيشة ، فقد رفض هذا المطلب ، كما رفض بعد ذلك كل طلب امريكى بتحديد عدد القوات المسلحة أو بحق الامريكان فى التفتيش على القوات المسلحة .

وعندما رفض عبد الناصر مطلب البنك الدولى كان قد اختار الطريق الصعب بل اكثر الطرق صعوبة . وان كان الطريق الوطنى ــ بحق ــ فى

الوقت نفسه .. هنا اتجه **عبد الناصر** الى تأميم شركة قناة السويس .. وكان يعلم انها مملوكة لاحتكار دولى عالمى ماكان من الممكن ان يسكت على هذا وما كان من الممكن ان تقبله على أى وضع الرأسمالية العالمية ممثلة فى احتكاراتها القوية هنا جاء العدوان الثلاثى الذى استهدف اسقاط النظام واسقاط عبد الناصر . هنا نرى ان **عبد الناصر** كان عليه ان يختار أحد طريقين :-

فأما التفاهم والاستسلام لمطالب الاحتكارات الدولية الامبريالية .

- وأما الصدام معها .

الطريق الاول ترحب به الاحتكارات العملاقة التى تربح مئات والوف الملايين من الدولارات ، والتى أبدت وتبدى استعدادها لرشوة كل من يستجيب لمطالبها او يعمل لمصالحها .

الطريق الثانى وهو الطريق الوعر والخطر ، الا انه يظل مع ذلك - طريق استرداد الثروة الوطنية ، وعلى حساب المنفعة الشخصية .

وكان **عبد الناصر** - برفضه الطريق الاول - يعلم تمام العلم انه انما يعرض نفسه لنقمة الدول الامبريالية واحتكاراتها وشركاتها واجهزة مخابراتها

لكن **عبد الناصر** واصل طريقه الوعر بعد تأميم القناة .

- فعلى طريق الوحدة العربية كان **عبد الناصر** يعلم ان قوى الغرب الاستعمارى والرجعية العربية لا ترحب بأية خطوة وحدوية تستهدف طرد النفوذ الاجنبى واسترداد الثروات القومية . وكانت قوى الاستعمار والرجعية مستعدة بالارهاب تارة وبالترغيب وبالرشوة تارة اخرى ان تصد **عبد الناصر** عن طريق التضامن مع الحركة الوطنية العربية . لكن **عبد الناصر** تحمل مخاطر الارهاب ورفض الاغراء والترغيب .

- وعلى طريق التنمية المستقلة واسترداد الثروة القومية قام **عبد الناصر** بتأميم الاحتكارات الاجنبية عام ١٩٦١ . وكانت هذه الاحتكارات مستعدة لان تدفع الملايين للحاكم حتى تواصل عملها فى نهب الشعب وافقار البلاد . ولكن **عبد الناصر** فضل الطريق الصعب وآثر ان يخوض المعركة معها الى النهاية .

- وعلى طريق صد خطر التوسع الاسرائيلى كانت اسرائيل على استعداد لان تجعل من **عبد الناصر** اغنى أغنياء العالم بلا استثناء ولكن بشرط واحد : هو أن يغلق على نفسه حدود مصر . وأن يبتعد عن مشكلة فلسطين وعن كل قضية عربية من قضايا المصير . . لكن **عبد الناصر** رفض هذا الطريق الامن لشخصه ، وفضل ان يخوض النضال القاسى والمرير فى سبيل مصر وفى سبيل الوطن العربى

- وعندما تعرض الكونغو للغزو الاجنبى الاستعمارى وتعرض الزعيم الوطنى الكونغولى باتريس لومومبا للذبح . وقف عبد الناصر الى جانب استقلال الكونغو ووحدته بينما تآمرت الدول الامبريالية - ومن ورائها الاحتكارات - لتفصل عن الكونغو اقليم كاتنجا بثرواته الهائلة وخاصة من اليورانيوم . وما كان أغنى **عبد الناصر** لو وقف موقفا سلبيا . ولكن منا كان « اغناه » لو سلك طريق التفاهم مع احتكارات اليورانيوم . الا ان عبد الناصر سلك الطريق الشاق ، اى الطريق الصحيح ، والمستقيم .

وعندما نستعرض هذه المواقف السابقة - وهى جزء من كل - سوف

نضع ايدينا على المنهج العلمى السليم لتقييم القادة والزعماء الوطنيين ؟ ولتنفيذ كل الاكاذيب الاجنبية والمشبوهة التى توجه لطعن الوجدان القومى وبث البلبلة والانهزامية فى نفوس الاجيال الشابة ان هذا المنهج يقول :

ان من اعطى حياته لتحقيق استقلال وطنه ، والدفاع عن حقها فى ثرواتها القومية ، وسيادتها على ارضها ،

وان من كافح لبينى صناعة قومية مستقلة عن الخضوع للاجنبى

وان من انحاز بعاطفته وعمله نحو الفقراء من العمال والفلاحين

وان من دعم وساند الشعوب العربية الشقيقة بالمال والسلاح والكلمة لتحرر نفسها

وان من ساند نضال كل الشعوب المقهورة .

ان من يقف هذه المواقف لا يمكن بحال ان تشوب استقامته الوطنية ونزاهته شائبة . لا يمكن بحال أن يسير فى طريق العمالة وتقاضى « الاتعاب » واكتناز الدولارات . ذلك ان طريق الكفاح لا يمكن بحال أن يكون هو طريق الرشوة والدولارات .

وبعد . . . .

فان القراء يذكرون أن **الطليعة** كانت فى عدد نوفمبر ١٩٧٥ قد نشرت افتتاحية بقلم **رئيس التحرير** تحت عنوان **الغزو من الداخل** وفى هذا المقال حذرت الطليعة من ان الاعداء الصهاينة والامبرياليين يعملون على نقل المعركة الى صفوف الدول والشعوب العربية . وان خططهم وأساليبهم تتعدد وتختلف من بلد الى آخر : هى فى لبنان غيرها فى المغرب العربى ، وهى فى الخليج غيرها فى مصر . لكن يظل « الغزو الاجنبى » من الداخل هو ما يركز عليه الاعداء فى هذه الايام .

وعندما ننظر الى محاولات هدم **عبد الناصر** واغلاق صفحة يوليو نهائيا بما يثير البلبلة واليأس ويخلخل القيم ويضعف الحس الوطنى ويقسم الصفوف عند ذلك نقول ان هذه ايضا محاولة من محاولات الغزو من الداخل ، يجب ان تعرى وأن تفضح . وليس ذلك بمستحيل لان القائمين بها قد عرتهم الحركة الوطنية وفضحتهم فى كل مجال

« **الطليعة** »

ב. ג. הציע ב־1954 מדינה נוצרית

חליפת מכתבים בן־גוריון,

أحـــداث لبنـــان

الداميــة [١٩٧٥]



تنشر الطليعة ، فيما يلى ، مجموعة من الوثائق الاسرائيلية على درجة كبيرة من الاهميــة . ذلك انها تغمر بالضوء الكاشف ((ظلمة التآمر)) التى تفجرت عام ١٩٧٥ ، بالدم والدمـــار فى لبنـــان ، ضد شعبه ووحــدته الوطنيــة وضــد الشــعب الفلسطينى والوطن العربى جميعا .

والوثائق عبارة عن ثلاث رسائل تبادلها القادة الاسرائيليــون بن جــوريون ومــوشى شـــاريت والياهوساسون ، فى فبراير ومــارس ١٩٥٤ ، بشأن تنفيذ مخطط صهيونى لتمزيق لبنان ، واقامة دولة مارونية متحالفة مع اسرائيل .

ودلالة هذه الوثائق ، التى ننقلهــا حرفيــا عن نصوصها العبرية المنشورة بجريدة دافار الاسرائيلية الصادرة فى ٢٩ اكتوبر ١٩٧١ ، أنهـــا تؤكد ان المخطط الذى كان بن جوريون يضغط لتنفيذه قبــل واحد وعشرين عاما ، قــد جرى تنفيــذه بصــورة دقيقة فى لبنان عام ١٩٧٥ .

واذا كان المخطط لم ينجــح اليوم نتيجــة وعى ووحدة القوى الوطنية اللبنانية مسيحية ومسلمــة

לפעול למען הקמת
ארוניטית בלבנון
זרת וששון בעד ונגד התכנית

ואשינגטון
מאת דב אפל

המען הנכון לסברקי־תנחומים של כשלונה של ארה"ב למנוע את גירושה של סודמווה מארגון האומות המאוחדות הוא: מוסקוה, קרמל, פודגורני, ולא ואשינגטון, הבית הלבן, ניקסון. אין חלקנ בין הרשעים הגופים להציג שא־לת חם. האומנם הספילה ארה"ב את כל האמצעים הגלויים והסמו־יים העומדים לרשותה, כדי להב־טיח להצעותיה. רוב קולות בהצ־בעה בעצרת, או שמא עשתה רק

الرسائل المتبادلة بين

بن جـــوريون وشـــاريت

وســــاســـون [١٩٥٤]



على السواء ، وتلاحمها مع الثورة الفلسطينيةخاصة وحركة التحرر العربى عــامة ، فليــس معنى ذلك ان اسرائيل قد تخلت عنه . وانما يبدو من المؤكد، حسب ماتوضحه الوثائق بجلاء ، ان هـــذا المخطط محور رئيسى من محاور الاستراتيجية الصهيونية .

ولعل فى ((الأمساك باليد الاسرائيلية متربصة)) بتخريب لبنان واغراقه فى بحر من الدماء : على هذا النحو ، مايدفع باشقـــائنا من الموارنـــة العرب فى لبنان ، خارج وداخــل احزاب الكتائبوالاحــرار وحراس الارز ، الى اعادة التفكير العميق فيما صور لهم من جانب قيادات انعزالية من أوهام وتصورات عن مشاريع التقسيم واستقلال لبنان وطرد ((الغرباء الفلسطينيين)) .

من القبر ، مازال بن جوريون وموشى شـــاريت قادرين على تخطيط الحركة الصهيونية الانعزالية فى وطننا العربى .

والان .. لنقرأ الوثائق :

[١] رسالة بن جوريون الى موشى شاريت

سدية بوكر ٢٧ – ٢ – ١٩٥٤

بعد أن تنحيت عن الحكومة ،قررت فى قرارة نفسى الا اتدخل ولا ابدى رأيا فى شئون سياسية جارية . اذ يبدولى انه لا ينبغى لى ان افعل شيئا من شأنه ان يثقل على الحكومة بأى قدر ومن اية جهة فلولا انكم دعوتمونى انتم الثلاثة (١) لما ذهبت الى اى مكان لابدى رأيا فى مايجرى وفى ماينبغى ان يعمل . وبما اننى دعيت من جانبكم فقد وجدت انه من واجبى ان استجيب لرغبتكم ، وخاصة لرغبتك انت كرئيس الحكومة – ولذلك أسمح لنفسى بالعودة الى موضوع لايروقك وان اركز عليه مجددا . الا وهو موضوع لبنان .»

بدون ما صلة بالاحداث الجارية « كان فى تلك الاثناء قد عين محمد نجيب من جديد رئيسا للدولة ، وهذه خطوة حكيمة لامثيل لها من جانب ناصر او جماعته – صحيفة دافار » فانه من الواضح ان لبنان هى اضعف حلقة فى سلسلة الجامعة العربية . فالاقليات الاخرى فى الدول العربية هى من المسلمين ، فيما عدا الاقباط . لكن مصر هى الدولة الاشد تماسكا ورسوخا بين الدول العربية . والاغلبية العظمى كتلة متراصة ، مكونة من جلدة عرقية واحدة ، وموحدة فى الدين واللغة ، والاقلية المسيحية لاتمس بسلامة الدولة والامة . وهذا الوضع لاينطبق على المسيحيين فى لبنان ، فانهم اغلبية فى لبنان التاريخى ولهذه الاغلبية تقاليد وحضارة تختلف كلية عن تقاليد وحضارة باقى بلاد الجامعة العربية . وحتى داخل الحدود الواسعة « وخطأ فرنسا الاكبر انها جعلت للبنان حدودا واسعة » فان المسلمين ليسوا احرارا فى اعمالهم ، حتى لو كانوا اغلبية « ولا ادرى ان كانوا اغلبية » بسبب انقسام المسيحيين . وانشاء دولة مسيحية هنا هو شىء طبيعى له جذور تاريخية، وسيلقى تأييد قوى كبيرة فى العالم المسيحى سواء الكاثوليكى او البروتستانتى . وهذا الامر لا يكاد يكون فى حيز الامكان فى الايام الهادئة، أولا – لغياب المبادرة والجرأة من جانب المسيحيين ، ولكن فى وقت البلبلة والاضطراب والثورة او الحرب الاهلية يتغير الوضع ، فيقول الضعيف أنا بطل . ومن الجائز « معروف انه مامن شىء مؤكد فى السياسة » ان هذه الساعة هى الساعة المواتية للعمل على اقامة دولة مسيحية بجوارنا . فبدون مبادرتنا ومساعدتنا الفعالة لن يتم الامر . ويبدو لى ان هذه هى المهمة الرئيسية الان . او على الاقل احدى المهام الرئيسية لسياستنا الخارجية . ويجب بذل الامكانات والوقت والجهد والعمل بجميع السبل التى من شأنها ان تؤدى الى تغيير جذرى فى لبنان .

ويجب تجنيد ساسون (من أجل الدولة المارونية فاننى مستعد لاستخدام « ال »] وسائر خبراء الشئون العربية المتوفرين لدينا . واذا تطلب الامر مالا ، فيجب ان لانبخل بالدولارات حتى لو جازفنا بالمال مجازفة ، فانه يجب

---

[١] تقرر صحيفة دافار الاسرائيلية التى نشرت الوثائق ان المقصود بالثلاثة هم لافون وشاريت وساسون .

التركيز على هذا الموضوع بكل قوانا ولعله من المجدى هنا استدعاء روبين « شيلوح » الى هنا ، فهذه فرصة تاريخية لايمكن اغتفار تبديدها ،والامر هنا ايضا لاينطوى على اى تحرش« بفتوات »العالم ، ولسنا فى حاجة بالمرة الى عمل اى شيء «لحساب الغير » ، ولكن فى رايى يجب عمل كل شيء بسرعة وبأقصى الاندفاع .

والامر لايتحقق ابدا بدون اجتزاء حدود لبنان ، ولكن اذا عثر على الاشخاص والمهاجرين فى لبنان ليتطوعوا لاقامة دولة مارونية ، فانهم ليسوا فى حاجة الى حدود موسعة وجمهور اسلامى كبير ، ولن يكون هذا حجر عثرة .

لا ادرى ما اذا كان لنا اشخاص فى لبنان ، لكن هناك شتى انواع السبل، اذا كان فى النية القيام بهذه المحاولة المطروحة .

المخلص
« د. بن جوريون »

[٢] رسالة موشى شاريت الى بن جوريون

القدس : ١٨ — ٣ — ١٩٥٤.

الى حضرة
السيد دافيد بن جوريون
سديه بوكر

ألتمس عفوك الف مرة على تأخر ردى على رسالتك الخاصة بلبنان . صحيح اننى قدمت على التوردى السلبى على الفكرة التى طرحتها فى حديثنا بمنزلك فى تل ابيب ، ولكن على اثر الحديث قلت لنفسى انه ينبغى دراسة الموضوع ، فعهدت الى قسم الابحاث بوزارتى ليضع دراسة اساسية خاصة بالمحاولات التى بذلت فى السابق من أجل ان تضفى على لبنان صفة جمهورية مسيحية وبالاحتمالات الماثلة الان لحركة تنشأ — اذا نشأت — لاحراز هذا الهدف .

للاسف ابطأ الباحثون فى مهمتهم، ويبدو انهم منكبون عليها بمزيد من الجدية ، ولكن فى نفس الوقت مرت ايام كثيرة . وبالرغم من ان مشاغلى تعلو الى مافوق رأسى ولا نهاية ولاحدود للمضايقات والتعقيدات التى تغرقنى.

وهذا لاينحصر بأى حال فى الشئون الخارجية ، فاننى ابذل الجهد لكى اشرح لك رأيى بشيء من التفصيل ،وسأفعل هذا استنادا الى معلومات أحتفظ بها منذ ايام سابقة ، ولست واثقا فيما اذا كانت تنطبق تماما على الوضع كما هو الان — وهذا ما سأعرفه طبعا من الدراسة الاساسية . وعلى اى حال ، ونظرا لضيق الوقت فانه لم يعد لدى متسع لدراسة معطيات ، وللاستئناس برأى أحد ، بل اكتب طبقا للذاكرة فقط .

لامعنى لاثارة حركة من الخارج :

قبل كل شيء يتوجب على ان احدد افتراضا جذريا اتبعه دائما ، وهو انه اذا كان هناك احيانا سبب ومصلحة لعنصر خارجى فى ان يتدخل فى الشئون الداخلية لاى بلد لتأييد حركة سياسية تتآمر من داخله سعيا وراء

هدف ، فانه من قبيل الصدفة فقط ان تبدى هذه الحركة اى نشـاط ذاتى ينطوى على احتمال لتصـعيدها او اكسابها نجاحا بواسطة تشجيع ودعم من الخارج . لاجدوى ولافـائدة فى محاولة اثارة حركة من الخارج اذا لم يكن لهذه الحركة وجود فى الداخل . من الممكن تعزيز روح حيـة اذا كانت تنبض من تلقاء نفسها ، وليـس من الممكن بعث الروح فى جسد لاتبـدو عليه دلائل الحياة .

وبقدر ما أعلم ، لاتوجد فى لبنـان الان حركة تنوى تحويل البلد الى دولة مسيحية ، تكون السلطة الحاسمة فيها بأيدى الطائفة المارونية . هذا هـو الانطباع الواضـح منذ عدة سنين . ومن الجائز ان يكون قد انطلق ذات مرة شعار كهذا فى قضاء لبنان ، ومن الجائز ايضـا ان يكـون فى لبنـان اشخاص رفعوا هذا الشـعار ، لكن حتى فى هذه الحالة فان الامـور لم تصل الى درجة الحركة الجادة ، ولم تجعل الموضوع عملية دائبة ومنظمة . ولكن على مر الزمن سكتت حتى هذه الاصوات ، ونزل هـذا الشـعار عن المسرح العام وساد وضع من شيوع الصمت وحدث شلل تام فى التفـكير وجمود فى مجال العمـل . وكل من يتقدم اليوم ليثير من الخارج ، النزعة، الى لبنان مسيحى كموضوع سياسـة عملية ، يكون كمن يغمـد خنجرا فى الريـح .»

ولا عجب فى الامر ، فان تحـويل لبنان الى دولة مسيحية هو واحد من المستحيلات اذا كان المقصود جهـدا مدبرا وموجها لهذا الغرض . وانـا اتحفظ فى قولى « جهدا مدبرا » لاننى لا استبعد احتمال تحقق الامر على اثر سلسـلة من الهـزات تمر بالشرق الاوسط تحزم الامور ، وتلقى بالانماط السائدة الى بوتقة الصهر لتخرج منها قوالب جديدة . اما فى لبنان الحالى، كما هو مصاغ فى مساحته وتركيبـه السكانى وعلاقـاته الدوليـة ، فانه لايتصور اية مبادرة جادة فى هـذا الاتجـاه .

ان سكان لبنان المسيحيين ليسـوا أغلبية ولا هم يشكلون حتى مجموعـة متماسكة داخل نفسها ، لا من ناحية دينية ، ولا من ناحيـة سياسـية . فالاقلية الارثوذكسية التى فى لبنـان تنحو نحو اخواتها اللاتى فى سوريا ، فهى فضلا عن انها غير مستعدة لتقديس اسم الرب فى حرب من اجل ان يكون لبنان مسيحيا — اى لبنان اصغر فى حجمه الحالى ومنفصلا عن الجـامعة العربية — فان هناك أساسا للافتراض بأن فكرة اتحاد لبنان مع سوريا لاتثير لدى هذه المجموعة انتفاضة نفسية . بالعكس ، انها تعتقد انه فى اطـار دولة موحدة ، ترتفـع أسـهم الاقلية الارثوذكسـية اللبنـانية ، وأسـهم الطائفة الارثوذكسية فى الشرق عامة، وذلك لسببين بسيطين يتعلقان بالاوضاع السـكانية : فالارثوذكـس الذين فى سوريا أكثر عددا من اخوانهم الذين فى لبنان ، بينما الارثوذكس الذين فى سوريا ولبنان معا يفوقون المـارونيين عـددا .

أما عن المارونيين فان اغلبهم يؤيد منذ عـدة سـنين نفس الاشـخاص العاملين من اعضاء الزعامة السياسية فى طائفتهم الذين تخلوا عن حلم اعادة المسيحية الى لبنان . ووجهـوا كل همهم الى خلـق ائتـلاف مسـيحى اسلامى داخل لبنان . ولقـد ادرك هؤلاء الزعمـاء بأنه لا امـل فى ان يعيش لبنان المارونى فى سلام . وان مصلحة هذه الطائفة تستدعى قبـول أهون الشرور . وهذا معناه: مشاركة المسلمين فى الحكم ودخول لبنان الى جامعة الدول العربية على أمل وعلى افتراض ان تردع هذه التسوية مسلمى لبنان عن حنين الاتحاد مع سوريا ، وتنمى فيهم نوازع الاستقلال اللبنانى.»

الموارنيون سيعتبرون ذلك مبادرة وخيمة العواقب !

لذلك ، فان الاغلبية العظمى من ابناء الطائفة المارونية المنقادة فى هذا الاتجاه ستعتبر كل محاولة لرفع راية الانزواء والتعاظم المارونى ، مؤامرة خطيرة على مركز الطائفة كلها ومساسا بأمنها وبكيانها . وستبدو مثل هذه المبادرة فى نظرها وخيمة العواقب . اذ انها ستمزق دفعة واحدة نسيج المشاركة المسيحية / الاسلامية فى اطار لبنان الحالى الذى نسج بعمل دؤوب ، ومن خلال بذل تضحيات غالية على مر جيل من السنين ، ومن شأنها ايضا ان تلقى بمسلمى لبنان فى أحضان سوريا،وان توقع فى نهاية الامر البلاء التاريخي بلبنان بضمه الى سوريا وطمس شخصيته نهائيا داخل الدولةالاسلامية الكبرى .

قد تقول ان هذه الاعتراضات على المشروع لاتليق بجوهره ، اذ انه يقوم على سلخ تلك المناطق التى يرجح سكانها كفة الميزان لصالح الاسلام وضد المسيحية ، أى منطقة صور ومنطقة البقاع ومدينة طرابلس . لكن من يضمن أن هذه المناطق ستتخلى بسهولة عن انتمائها الى لبنان وعن صلتها السياسية والاقتصادية ببيروت؟ ومن يضمن ان تتخلى الجامعة العربية بدورها عن المكانة التى لها الان ،بفضل امتداد لبنان على الساحل الشرقى للبحر المتوسط . وذلك بعد أن فقدت مركزها فى الزاوية الشرقية من هذا الساحل بعد ضم اللاذقية الى تركيا . وكذلك بعد ان فقدت الجزء الجنوبى من الساحل بعد قيام اسرائيل ؟ ومن يضمن أن تظل الحرب الدامية التى لابد وأن تنشب نتيجة لمثل هذه المحاولة داخل حدود لبنان فلا تجر سوريا فورا الى هذه المعركة؟ ومن يضمنان تظلالدول الغربيةواقفة تتفرج من بعيد على محاولة ثورية كهذه وتؤجل تدخلها الى الساعة التى تستطيع فيها أن تهنىء بالنتائج وتعتمد قيام لبنان المسيحى ؟ ومن يضمن ان لا تخطر كل هذه الاعتبارات ببال الطائفة المارونية مسبقا فلا تردعها المغامرة الخطيرة ردعا تاما ؟

بالاضافة الى هذه الاعتبارات السياسية الخطيرة المتراكمة لنبذ الفكرة ، تعمل فى نفس الاتجاه عوامل اقتصادية حاسمة ايضا . فنحن لسنا بصدد بحث مشكلة من مشاكل عام ١٩٢٠ أو ١٩٢١ على اثر اعلان « جورو » عن قيام لبنان الاكبر ، بل نحن .بصدد بحث مشكلة بعد انقضاء ثلاثين سنة واكثر . اذ ان لبنان الجبل قد اندمج فى هذه الاثناء بالشقة الساحلية فى صور وصيدا ، وبسهل بعلبك ، وبمدينة طرابلس ، ليصبح وحدة عضوية واحدة . كل اجزائه متصلة ومتشابكة من الناحيتين الاقتصادية والتجارية . فلبنان الجبل لم يكن منطقة تعول نفسها خلال السنين التى قبل الحرب العالمية الاولى . وأذكر ان « روبين » يشير فى كتابه « سوريا كوحدة اقتصادية » الى ان لبنان كان عشية الحرب العالمية يحصل على عشرين مليون فرنك فى السنة كمساعدات صدقة وتحويلات عملة من الاقارب . بينما كان السكان اليهود فى فلسطين ينالون من كل يهود العالم ما مجموعه عشرة ملايين فرنك فى السنة من صناديق المساعدة الصهيونية ومؤسسات الصدقة المختلفة ومساعدات الاقارب .

وما من شك فى ان ضم المناطق الثلاث ، وكذلك مدينة بيروت ، الى دولة لبنان هو الذى جعل اقتصادهامتوازنا . واعادة الوضع الى سابق عهده لايعنى مجرد اجراء عمليةجراحية ، بل عملية تكسير اعضاء لايستطيع لبنان تحملها . واعودفاقول ان التحول بفضل اغتناء فجائى شيء ، وعرض الموضوع امام العالمعن تعمد ونتيجة لخطة مدروسة مسبقا ، شيء آخر تماما . ولا أتصور هيئة جادة تشارك فى هذه الخطةالتى تهدد لبنان بانتحار اقتصادى ، حتىولو لهذا السبب وحده .

غليان لا وجود له :

بعد كل هذه الامور، فانني لا اعارض فقط ، بل كنت اوافق حتما على تقديم مساعدة فعالة لاى غليان يحدث بين الطائفة المارونية بهدف انفصالها ،حتى ولو كان هذا الغليان يتم بدون أى أمل في احراز الهدف . كنت سأجد في هذا الغليان في حد ذاته فائدة ، وكنت سأجد خيرا في زلزلة الاستقرار الذي كان مرتبطا به ، وفي المتاعب التي كان سيثيرها في وجه الجامعة العربية ، وفي تحويل الاذهان عن العقدة الاسرائيلية / العربية ، وفي مجرد اشعال جذوة مطالب الاستقلال لدى المسيحيين . لكن ماذا أفعل اذا كان هذا الغليان لا وجود له كما سبق وذكرت في بداية كلامي . وفي مثل هذه الحالة اخشى ان اية محاولة من جانبنا لاثارة المسألة ستؤخذ على انها دليل على الاستخفاف والسطحية ، بل وقد يكون اسوا من ذلك ان تؤخذ على انها مساومة عنترية على سلامة وكيان الاخرين واستعداد للتضحية بمصالحهم الاساسية من أجل كسب ميزة مساومة مؤقتة لاسرائيل . أضف الى ذلك انه اذا لم يحتفظ بالموضوع طي الكتمان وافتضح أمره — وهذه مجازفة لايجوز بأي حال تجاهلها في أوضاع الشرق الاوسط — فانه لايمكن تقدير الضرر الذي يصيبنا تجاه الدول العربية والدول الغربية العظمى في آن واحد. وهو ضرر لن يعوضنا عنه حتى نجاح الخطة .

واخيرا اشير الى ان الانقلاب الاخير في سوريا ليس الاول من نوعه ويفترض ان لايكون الاخير . انه مجرد حلقة جديدة في سلسلة طويلة من الهزات والتغييرات التي تدل على ضعف الهيكل الحكومي ، وهذا وضع ينطبق على جميع الانظمة . ولو كان هناك أمل في ايجاد حركة انفصال مارونية ، فان الازمات التي تفجرت في سوريا حتى الان بهذا التتابع السريع، كان يجب ان تنمي وتشجع مثل هذه الحركة منذ زمن بعيد . فاذا لم تتطور الامور في هذا الاتجاه حتى الان ، فانه يشك كثيرا في ان يحدث مثل هذا التطور من الان فصاعدا . وعلى أي حال لا ارى في الانقلاب الاخير اساسا كافيا لنا لاعتماد سياسة التدخل والعمل المباشر في لبنان ، وتبديد مبالغ كبيرة من المال ليست متوفرة لدينا ، وتعريض انفسنا من خلال ذلك لكل تلك العثرات التي اشرت اليها .

آسف ان كنت قد اثقلت عليك في اطالة التحليل . لكنني اردت ان اعرض أمامك طريقة رؤيتي للمشكلة بأقصى قدر ممكن من الكمال .

« موشيه شاريت »

[٣] رسالة ا. ساسون الى موشي شاريت

روما : ٢٥ — ٣ — ١٩٥٤

الى رئيس الوزارة ووزير الخارجية — القدس :
من : ا . ساسون — روما

قرأت بامعان الرسالتين المتبادلتين بين السيد د . بن جوريون وبينك بشأن « مشروع دولة مسيحية / مارونية في لبنان » واستأذنكم في ابداء بعض الملاحظات لاكمال الصورة وتوضيح الامور :

١ — من الصعب الاعتراض على افتراضك القائل انه لامعنى ولامصلحة في اثارة حركة من الخارج ، اذا لم تكن هذه الحركة قائمة في الداخل . وصحيح انه لايمكن بعث الروح في جسد لايبدي علامة على الحياة ، لكن الوضع في لبنان أبعد من ان يكون على هذا النحو في نظري .. اننا نجانب

الحقيقة اذا حددنا بشكل قاطع بان جميع المارونيين بما فيهم اهالى بكركى « مقر الزعامة الروحية ورئاسة الكنيسة المارونية ـ المحرر » سلموا بالوضع القائم من صميم قلوبهم . فلو كان الامر كذلك فلماذا لانزال نرى معارضة مارونية شديدة لكل مشروع عراقى او سورى لايتحدث عن الوحدة العربية او اتحاد فدرالى عربى وحسب ، بل عن شيء أكثر تواضعا : عن مجرد مزيد من التقارب بين البلاد العربية ؟

٢ ـ لن نساير الحقيقة اذا قلنا ان جميع الزعماء المارونيين تخلوا عن احلام اعادة لبنان المسيحى الى سابق عهده ، وادركوا ان مصلحة طائفتهم تستدعى اختيار « اهون الشرين » ، ومعناه مشاركة مع المسلمين ودخول الجامعة العربية ، ونحن نسمع حتى يومنا هذا مطالبة مارونية بالخروج من الجامعة العربية . ونشهد حتى يومنا هذا هجمات مارونية على اولئك الذين يفكرون فى امكان قيام اتحاد اقتصادى مع سوريا ، ولا نزال نقرأ حتى الان على صفحات الصحف المارونية تحذيرات للرئيس المارونى لئلا يتمادى فى المشاركة مع المسلمين .

٣ ـ اتبع العاملون ، من بين الساسة المارونيين ، سياسة اختيار اهون الشرور ... بعد أن هجرهم اصدقاؤهم الفرنسيون والصهاينة وكذلك البريطانيون... ان حقيقة بحث هؤلاء العاملين عن طريق للاتصال بالولايات المتحدة الان بواسطة عقد اتفاقات عسكرية واقتصادية منفردة ، تدل على انهم لايؤمنون بأن دخولهم الجامعة العربية يضمن لهم سيادة وحرية واستقلال لبنان زمنا طويلا .

٤ ـ ...ان افتراضك بأن التسوية القائمة على مشاركة المسلمين ودخول لبنان الى الجامعة العربية سيردعان مسلمى لبنان عن حنين الاتحاد مع سوريا ... حتى لو اعتبرناه سليما، فانه ليس فى مصلحة المارونيين بل فى مصلحة مسلمى لبنان...فهو لاينطوى على ضمان بان لايكون رئيس لبنان مستقبلا الا مسيحيا مارونيا ، ولاينطوى على ضمان بعدم ادخال تعديل او تغيير فى قانون الانتخابات الحالى الذى يحابى المارونيين ويمكنهم من الاحتفاظ بكراسى الحكم .

٥ ـ صحيح انه لايوجد غليان **ظاهر للعين** بين الطائفة المارونية . ولو كان له وجود ، لوجدنا فيه خيرا، ورأينا المنفعة فى خلخلة الاستقرار التى تواكبه ، وفى المتاعب التى سيحدثها هذا الغليان للجامعة العربية الخ . ولكن فى رايى ليس من الصعب خلق الغليان المطلوب لوجود أسس لاثارته ...صحيح ان الارض تميد تحت اقدام المارونيين ، الا ان هذه الحقيقة كان يجب ان تفتح عيون كل مارونى لاحداث الغليان المطلوب .

٦ ـ لكن اذا سألتنى ، اهناك فرصة لمثل هذا الغليان اذا حدث وسار على ماينبغى ، لبلوغ الهدف ؟ ارد عليك بلا تردد ردا سلبيا .

فاولا ـ لا اجد لدينا الاشخاص المناسبين والمؤهلين والقادرين على الانصراف كلية الى هذا العمل . ان مشاغل وزارة خارجيتنا خلال الست سنين الاخيرة زادت الى مافوق الراس ولم تتمكن وزارتى من تأهيل اشخاص للعمل فى المجال العربى .

ثانيا ـ منذ قيام الدولة قطعنا كل الصلات التى كانت لنا مع العالم العربى بصفة عامة ومع لبنان بصفة خاصة . وليس من السهل علينا تجديد ذلك فى وقت قصير .

ثالثا ـ لا اجد مبالغ المال الكبيرة اللازمة لمثل هذا العمل ، وهى أموال ستلقى فى ساحة المقامرة ، بينما تمر دولتنا بأزمة اقتصادية حادة ، وتعد كل قرش وتحدد له مكانه الضرورى والمهم .

رابعا – أشك فيما اذا كان المارونيون انفسهم سيكونون مستعدين للاخلاص لمثل هذا الموضوع حتى النهاية ، اذ انه لايجوز وضع الثقة حتى فى كتائب بيير الجميل ، فاللبناني الماروني ليس برجل نضال ولا برجل التضحية ، فهو يتحمس بسرعة ويبرد بسرعة ، انه بطل فى الكلام وضعيف فى ساعديه .

٧ – بالطبع لن يظل الموضوع طي الكتمان بل سيفتضح ، لكننى لا اقدر أنه سيسبب لنا في الظروف الراهنة ضررا كبيرا تجاه الدول العربية ،فهذه الدول تنسب الينا ألوانا من الخطط الخيالية والنوايا الغريبة والانشطة الهدامة .ثم ،لماذا يحق لها ان تتعرض لنا ولايحق لنا ذلك ؟ لماذا يحق لها ان تتحدث في اجتماعاتها وفى المساجد وعلى صفحات الجرائد وفوق كل منبر عام او سياسى عن رغبتها في مهاجمتنا وتجويعنا والقائنا فى البحر ، ويحرم علينا أن نقوم بأى عمل من شأنه أن يخلخل استقرارها ويحبط خطط وحدتها ويعرضها امام العالم على أنها دول متنازعة تحاول الواحدة ابتلاع جارتها؟ ومع ذلك فاننى اقرك تماما فيما يتعلق بالضرر الذى قد يقع علينا ، اذا افتضح الامر ، من ناحية الدول الغربية العظمى ، رغم انها هى ذاتها تفعل ذلك فى عدة اماكن ..

آسف ان كنت قد اثقلت عليك في الافاضة بالكلام . لكننى اردت ان اسهم بقسطى المتواضع لتوضيح الامور واكمال الصورة .

مع تحيات
« الياهو ساسون »

O

كتب « صبحى النجار » الخبير فى الشئون الاسرائيلية ومن كبار المترجمين العرب من العبرية .. يقول :

فى حوالى عام ١٩٥٤، كان العالم العربى مشدودا الى قضاياه وأزماته الداخلية، عندما كانت مصر – بعد عامين من قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ – تبدأ فى تنظيم أعمال الفدائيين المسلحة فى منطقة قناة السويس لاجبار بريطانيا على قبول الجلاء والانسحاب . وعندما كان خلفاء الملك عبد الله فى الاردن يعملون على ترتيب صفوفهم فى الداخل ، بعد اغتيال عبد الله سنة ١٩٥٠ ، وعندما كانت الانقلابات تتوالى فى سوريا من انقلاب حسنى الزعيم ، الى أديب الشيشكلى ، الى سامى الحناوى ...

فى حوالى هذا الوقت بالذات كان ثلاثة من القادة الاسرائيليين الكبار هم **دافيد بن جوريون، وموشى شاريت ، والياهو ساسون** ، يتبادلون الرسائل فيما بينهم للتخطيط لمرحلة تالية من المواجهة العربية الاسرائيلية بعد قيام دولة اسرائيل ١٩٤٨ .

وقد تحدد فى هذه المسائل التى نشرتها صحيفة « دافار » الاسرائيلية بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٧١ ، وخاصة فى رسالة « بن جوريون الى شاريت » الاهمية الكبرى التى تنطوى عليها بالنسبة لاسرائيل ، عملية تقسيم لبنان ، وأهمية اقامة دولة مارونية فى لبنان ، بالنسبة للحفاظ على مستقبل الدولة الصهيونية ، والعمل على ابقاء العالم العربى فى حالة من الانقسام والتمزق .

وأهم درس يتعين علينا أن نتدبره نحن العرب من قراءة هذه « الرسائل – الوثائق » ، هو ادراك مدى المتابعة التفصيلية المتعمقة من جانب القيادات الاسرائيلية لحقائق الاوضاع الداخلية فى العالم العربى ، ومنذ ذلك الوقت المبكر . ويظهر ذلك بوضوح فى الخطابات الثلاثة عامة ، وفى رسالة موشى شاريت الى بن جوريون فى مارس ١٩٥٤

خاصة ، حيث تبرز فيها بوضوح متابعته التفصيلية لما يسمى بقضية الاقلبات داخل الدول العربية .

فالبانوراما العربية واضحة تماما ، منذ ذلك الوقت وحتى قبله بكثير أمام مخططى التآمر الصهيونى ضد الشعب الفلسطينى والوحدة العربية . وقد أعربوا عن ذلك صراحة فى رسائلهم .

« فلبنان - كما قال بن جوريون - هى أضعف حلقة فى سلسلة الجامعة العربية » و « مصر هى الدولة الاشد تماسكا ورسوخا » « فالاغلبية العظمى - من شعبها - كتلة متراصة مكونة من جلدة عرقية واحدة ، وموحدة فى الدين واللغة » .

كذلك فقد أسفر القادة الاسرائيليون وخاصة بن جوريون عن ادراك كذلك للسبل والملابسات الكفيلة بتحقيق المخطط الصهيونى ، وبصورة تمثل استشراقا يتطابق مع السبيل الذى سار فيه بوضوح ، مخطط القوى الانعزالية الرجعية الطائفية فى لبنان عام ١٩٧٥ . اذ يقول بن جوريون عن مخطط اقامة « دولة مارونية فى لبنان » ان «هذا أمر لا يكاد يكون فى حيز الامكان فى الايام الهادئة ، لغياب المبادرة والجرأة .... الخ » « لكن فى وقت البلبلة والاضطراب والثورة أو الحرب الاهلية يتغير الوضع .

ومن ناحية أخرى فاذا كان بن جوريون قد تعجل اقامة دولة مارونية فى ١٩٥٤ : « هذه الساعة هى الساعة المواتية للعمل على اقامة دولة مسيحية بجوارنا » فان موشى شاريت ، والياهو ساسون ، قد كشفا عن الصعوبات ونقص الوسائل والامكانات التى تحول دون تنفيذ هذا المخطط فى ذلك الوقت .

ولكن من الواضح تماما ومن خلال دراسة مخطط القوى الانعزالية الطائفية فى لبنان فى ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، ان مرور ما يزيد عن عشرين عاما على تبادل هذه الرسائل كان فرصة كافية حقا لاسرائيل ، لتوفير كافة السبل والوسائل التى كانت تعوزها وخاصة الاموال ، لتنفيذ هذا المخطط فى الخمسينات علما بأن هذا المخطط لم يعد يعنى اسرائيل وحدها ، بقدر ما اصبح يعنى ايضا مصالح امبريالية كبرى على رأسها مصالح الامبريالية الامريكية لوقف حركة التحرر والتقدم والوحدة العربية .

كذلك فاذا كان بن جوريون قد أعلن فى رسالته الى شاريت فى فبراير ١٩٥٤ « من اجل الدولة المارونية فاننى مستعد لاستخدام « الّ » » ، فان ذلك يكشف عن توفر الاوكار الاسرائيلية أو العميلة لاسرائيل فى داخل لبنان ، وغيرها من الدول العربية منذ ذلك الوقت بالطبع ، وقبله بكثير كذلك . والمرجح انه يقصد بهذه الشفرة ، احدى الشخصيات او وحدات الجاسوسية الخاصة المدربة للعمل داخل البلاد العربية ، لاسيما وانه ينصح باستدعاء روبين شيلوح مدير مدرسة الجاسوسية حينذاك ومستشار المهام الخاصة « الجاسوسية » بالخارجية الاسرائيلية ، والذى أطلق اسمه بعد وفاته فى ١٩٥٩ على المعهد الذى تخصص فى تخريج الجواسيس المؤهلين للعمل فى الدول العربية ، وهو « معهد شيلوح » .

وتقدم هذه الرسائل - الوثائق أيضا أدلة من التاريخ ، على حقيقة القوى التى تساند وتغذى المؤامرة الانعزالية الاستعمارية الصهيونية ، ضد وحدة لبنان . فعن اقامة الدولة المارونية فى لبنان يقول بن جوريون : « بدون مبادرتنا ومساعدتنا الفعالة لن يتم الامر » وأن هذه المهمة هى « احدى المهام الرئيسية لسياستنا الخارجية » ، بينما يؤكد موشى شاريت ضرورة تحقيق ذلك الهدف « لتحويل الاذهان عن العقدة الاسرائيلية « العربية » فى حين يشير الياهو ساسون الى أنه « ليس من الصعب ، خلق الغليان المطلوب ، لوجود أسس لاثارته » .ويكتسب ذكر اسم **بيير الجميل** زعيم الكتائب اللبنانية ، بالذات مغزاه الكامل بهذا الصدد ، وهو ما أشارت اليه رسالة الياهو ساسون .

على أنه اذا كانت اسرائيل قد خططت منذ ١٩٥٤ لمحاولة تقسيم لبنان واقامة دولة مارونية هناك ، فى الوقت الذى لم يكن فيه العامل الفلسطينى الثورى - قد ظهر بعد على أرض لبنان ، فالامر المؤكد انه أصبح لديها الف سبب وسبب لان السير بهذا المخطط - المؤامرة قدما الى الامام ، بعد أن أصبح لبنان ، مركز القوى الضاربة للثورة الفلسطينية ، ومقر قيادتها الراهن . فضلا عن نمو وتصاعد القوى الوطنية اللبنانية ذاتها باتجاهاتها العربية التقدمية .

ذلك أن تدعيم اسرائيل للقوى الكتائبية الانعزالية الرجعية ومدها بالمال والسلاح ، انما يحقق لها عدة أهداف ، جملة واحدة :

١ - قيام الكتائب اللبنانية وحلفائها بذبح المقاومة الفلسطينية والاجهاز عليها ان أمكن ، أو ضعضعة قواها ، وجرها الى معارك داخلية

تستنزف قواها ؟ وتصرفها عن القتال ضد اسرائيل ، أو توجيه عملياتها الى الاراضى المحتلة ».

٢ ـ دفع قوى الكتائب اليمينية لمحاولة ذبح أو ضعضعة قوى التجمع الوطنى ـ التقدمى فى لبنان ، للحيلولة دون اقامة محور قوى للقوى الوطنية التقدمية فى لبنان يتألف من تحالف قوى الثورة الفلسطينية ـ وقوى الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية ، وهو المحور الذى يتصدى بشجاعة للمخططات الصهيونية والامبريالية ضد الامة العربية .

٣ ـ العمل على تفتيت واضعاف المنطقة المحيطة بالارض العربية الفلسطينية المحتلة « أى بالدائرة الصهيونية » عن طريق الحروب الطائفية ، واقامة الدول الطائفية فيها اذا أمكن ، الامر الذى يؤمن مصالح اسرائيل ومشاريعها العدوانية .

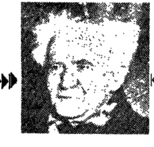
٤ ـ نقل الصراع الطائفى ، بآثاره الوبيلة الى داخل واحدة من أهم الدول العربية المجابهة مباشرة لاسرائيل فى المشرق العربى وهى سوريا ، لمحاولة تمزيقها هى أيضا من الداخل ، واضعافها فى معركة المواجهة العامة مع اسرائيل من أجل تحرير الجولان وسائر الاراضى العربية المحتلة وذلك تمهيدا لنقل عدوى هذا الصراع الطائفى الى الدول العربية الاخرى ، الاكثر تحصنا ضده .

٥ ـ تهديم المنبر الاعلامى العربى فى لبنان الذى تقدم عبره مساهمات واضحة فى كشف المخطط الامبريالى ـ الصهيونى ضد وحدة البلاد العربية وتحررها وتقدمها .

وبعد كل ذلك فان القادة الاسرائيليين يكفوننا هنا أيضا مؤونة تتبع واكتشاف الاهداف التى يخططون لتحقيقها فى العالم العربى ، لانهم يتحدثون عن ذلك بوضوح فى هذه الرسائل ـ الوثائق على لسان الياهو ساسون مستشار الحكومة الاسرائيلية للشئون العربية ، الذى يتساءل محنقا :

« لماذا يحرم علينا ، أن نقوم بأى عمل من شأنه أن يخلخل استقرار « الدول العربية » ، ويحبط خطط وحدتها ، ويعرضها أمام العالم على أنها دول متنازعة ، تحاول الواحدة ، ابتلاع جارتها ؟ » .

[شخصيات الرسائل « الوثائق » في سطور]

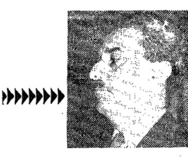


دافيد بن جوريون

ولد عام ١٨٨٦ فى بلدة بلونسك ببولندة . هاجر الى فلسطين عام ١٩٠٦ ، درس الحقوق فى جامعة استانبول . كان فى فترة الانتداب البريطانى على فلسطين رئيسا لادارة الوكالة اليهودية . وعند قيام دولة اسرائيل ، كان أول رئيس وزارة لها ، وكان يحتفظ دائما

بوزارة الدفاع لنفسه الى جانب رئاسة الوزارة . عرف بالعناد والسطوة ، ولذلك احتكر السلطة لنفسه منذ قيام الدولة فى عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦١ فيما عدا فترة قصيرة تبلغ حوالى العام فى ١٩٥٤ والشهر الاول من عام ١٩٥٥ .ثم اعتزل السياسة وقبع فى مسكن على الطراز السويدى فى مستعمرة سديه بوكر ومعناها [حقل راعى البقر] ليكتب مذكراته . وعلى اثر هزيمة اسرائيل فى حرب اكتوبر ، اصيب بشلل ، وما لبث ان قضى فى نوفمبر ١٩٧٣ . كان يدعى جرين ، ولكنه حول اسم الاسرة الى اسم عبرى ، واختار اسم بن جوريون .

موشى شاريت



اسمه الاصلى موشى شرتوك ، ثم غير اسم الاسرة الى اسم عبرى وهو شاريت « اى الخادم » . ولد عام ١٨٩٦ فى روسيا . وهاجر الى فلسطين عام ١٩٠٦ ، تخرج من المدرسة الثانوية « هرتسليا » بتل أبيب ثم من كلية الضباط فى استانبول ، ثم كلية الاقتصاد فى لندن ، كان عضوا فى سكرتارية حزب ماباى ، ورئيسا للجنة الصحافة فى الحزب وعضوا فى مركز الحزب . كان رئيسا للادارة السياسية بالوكالة اليهودية فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين ، وعند اقامة دولة اسرائيل ، عين وزيرا للخارجية ، وظل يشغل هذا المنصب طيلة أيام حياته السياسية حتى مات عام ١٩٦٠ ، وعندما اعتزل بن جوريون الحكم عام ١٩٥٤ ، عين هو رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية . كان — فى الاطار الصهيونى — أكثر اعتدالا من بن جوريون ، وكثيرا ما دبت بينهما الخلافات ، لكن بن جوريون كان يجند الاغلبية من زعماء ماباى الى صفه ليرجح كفته ضد آراء شاريت .

روبين شيلوح

اسمه الاصلى زسلين ، ثم تسمى باسم عبرى فاختار شيلوح . ولد عام ١٩٠٩ فى القدس ، تخرج من الجامعة العبرية بالقدس ، ثم من كلية المعلمين . كان عضوا فى القسم السياسى بوزارة الخارجية بعد قيام دولة اسرائيل ، ثم عمل مستشارا للمهام الخاصة « اى

أعمال الجاسوسية » بوزارة الخارجية الاسرائيلية وكان عضوا فى وفد اسرائيل فى محادثات الهدنة مع الاردن . ثم عين وزيرا مفوضا لاسرائيل فى واشنطن . مات عام ١٩٥٩ .

ونظرا لضلوعه فى أعمال التجسس أنشىء فى اسرائيل معهد جاسوسية لاعداد جواسيس للعمل فى الدول العربية يعرف باسمه « معهد شيلوح » يدرب فيه الجواسيس على اللهجات العربية ، والعادات والتقاليد العربية ، كل حسب أجواء البلد العربى الذى اختير للعمل فيه . ومعظم المنتدبين لاعمال الجاسوسية هذه يجندون فى العادة من يهود الدول العربية الذين هاجروا الى اسرائيل .



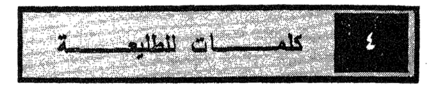
بنحاس لافون

اسمه الاصلى لوبينكر ، ولد عام ١٩٠٤ فى جاليتسيا بروسيا . هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٩ ، وتخرج من جامعة لفوف ، وكان عضوا فى سكرتارية حزب الماباى ، ثم عين وزيرا للزراعة ، ثم سكرتيرا للهستدروت . وفى عام ١٩٥٤ عندما اعتزل بن جوريون عين وزيرا للدفاع . وفى اثناء تلك الفترة وضعت ونفذت عملية التجسس الاسرائيلية فى مصر ، والتى عرفت فيما بعد بفضيحة لافون ، أو العملية الفاشلة . بعد ذلك عاد سكرتيرا للهستدروت ، ولكن بن جوريون لاحقه وطالب محاكمته ، بحجة انه المسئول عن العملية الفاشلة . مات فى النصف الاخير من يناير ١٩٧١ بعد أن احتجب عن النشاط العام منذ ١٩٦١ .



الياهو ساسون

ولد عام ١٩٠٢ فى دمشق ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٧ . كان مسئولا عن القسم العربى بالوكالة اليهودية أثناء حكم الانتداب البريطانى على فلسطين . وعند قيام دولة اسرائيل عين وزيرا مفوضا فى تركيا . وكان عضوا فى الوفد الاسرائيلى لمحادثات الهدنة مع الاردن ومصر ، ثم عين سفيرا لاسرائيل فى روما . ويعد مستشارا للحكومة الاسرائيلية فى الشئون العربية . ويركز جهوده اليوم للقيام بمحادثات جس نبض لدى ما يسمى الوجهاء العرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة فى محاولة لتكوين قيادة فلسطينية طيعة ومساومة بديلا عن القيادة الثورية ومنظمة تحرير فلسطين . ■





احمد عرابى

○ مولد أحمد عرابى
٣١ مارس ١٨٤١

« **ان عرابى** هو قطعة من ذلك الطمى الاسمر الذى يحمله النيل . انه فلاح ، فلاح حقيقى وليس مجرد زعيم للفلاحين »

هكذا كتب « **بلنت** » يصف احمد عرابى

وعرابى ابن فلاح « شيخ بلد » دخل الجيش جنديا وترقى صعودا حتى رتبة القائمقام « اكره الظلم والظالمين » هكذا اكد عرابى فى اكثر من خطاب ، وهكذا خاض المعركة ضد الظلم ، فى البداية ضد ظلم كبار الضباط من الشراكسة والاتراك .

ثم رويدا رويدا تتحول ثورة « رجال العسكرية » ضد الظلم فى القوات المسلحة الى ثورة كل مصر ضد الظلم الذى تعانى منه الامة المصرية »

وعندما تجمعت سحب الثورة كان عرابى واضحا .. وكان برنامجه اوضح . فقد اكد بمطالبه انه ضد التدخل الاجنبى ـ ضد الاقطاع ـ ضد الرق ـ ضد استغلال كبار الملاك للفلاح الفقير ـ ضد تسلط الخديوى على مقررات الوطن .. لكنه كان واضحا ايضا فى محاولته لاستجماع كل القوى التى يمكنها ان تقف معه حول برنامج الحد الادنى « ضد التدخل الاجنبى .ضد خيانة الخديوى»

وهكذا تشكلت فى مصر ، اول صورة للجبهة الوطنية .. ضمت ممثلى مختلف القوى والفئات الاجتماعية ، ورجال الدين من المسلمين والمسيحيين والذين اجتمعوا فى صورة « جمعية عمومية » تقرر الخطوات المطلوب اتخاذها وتعلن خلع الخديوى الخائن ...

وعرابى ... ذلك الزعيم الذى استجمع معه ـ ومن اجل قضية مصر كلها لم يغفل وفى هذا الوقت المبكر ـ اهمية تأييد الرأى العام العالمى لثورته وبالتحديد تأييد قوى « حزب الفعله « اى العمال » فى كل من فرنسا وانجلترا ووصل الأمر الى حد ان تنشر صحيفة « الجوانب » الناطقة بلسان الباب العالى قائلة « ان عرابى قد نجس صفوف عساكره بالاشتراكيين الفرنساويين الذين دبروا مكائدهم الابليسية فى باريس واقاموا فيها الكوميون »

... وبالجيش المحدود العدد والتسليح، وبجموع الفقراء من الفلاحين جابه عرابى جيوش الامبراطورية التى لا تغيب عنهـا الشمس ، وجابه معها مؤامرات كل اوربا والباب العالى .. وواجه ، ايضا خيـانة اليمين والاقطاع المصرى ...

.. ويخوض الزعيم المعركة حتى نهايتها الاليمة ، ويجابه المحاكمة بشجاعة ، ويجابه المنفى بثبات ويعود الى الوطن رافع الرأس

لكن اكبر الضربات التى تحملها الرجل كانت تنكر فريق من الوطنيين المخلصين له وهجومهم عليه وتشددهم فى الحملة ضده ، ويموت الزعيم البطل ، الفلاح الجندى ، الذى علم الفلاحين المصريين ان يقولوا وبالسلاح «لا» وان يقولوها ضد تحالف الانجليز والسلطان والخديوى والاقطاع معا..

ويطوى التاريخ كل اسماء المتراجعين والانهزاميين والخـونة الاقطاعيين الذين باعوا ارض وطنهم واماني شعبهم مقابل حفنة من ذهب .. ويبقى مثل شعبى يقول فى رنين يملؤه الاسى « الولس هزم عرابى»

الثورة الوطنية الكبرى
مـــــــــارس ١٩١٩


سعد زغلول

فى الثالث من مارس ١٩١٩ كتب سعد زغلول باشا وزملاؤه عريضة عنيفة اللهجة الى السلطان أحمد فؤاد ، اعتبرها الانجليز تهديدا لسلطان ولوه عرش البلاد فى ظل حمايتهم . فأبرق السير ملن شيتهام الى حكومته موضحا أن الامر أصبح جد خطير ولابد من نفى سعد الى جزيرة مالطه .

وفى السادس من مارس ١٩١٩ ، استدعى الجنرال وطسن القائد العام للقوات البريطانية فى مصر سعدا وبعض صحبه من أعضاء الوفد ، وقرا عليهم انذارا بأن أى عمل ، من قبلهم ، ستكون عاقبته وخيمة . وحذرهم من وضع مسألة الحماية موضع المناقشة ، وطلب الا يقيموا العقبات أمام مسيرة الحكومة المصرية تحت الحماية ، وذلك بأى سعى لمنع تشكيل وزارة جديدة . وهددهم بأنهم ان أقدموا على مخالفة ذلك فسيعاملون بكل شدة بموجب الاحكام العرفية التى مازالت قائمة .

كان هذا الانذار هو بداية اشعال نار الثورة . وكان الجميع يحسون بنيرانها وهى تتحرك تحت الرماد . فلم تنقض الاساعات قليلة على توجيه هذا الانذار الى سعد وصحبه ، حتى كانت اجابتهم على الانذار برقية من سعد الى رئيس وزراء بريطانيا ـ تعلن أن الوفد يطلب الاستقلال التام ويرى الحماية غير مشروعة ولا يتأخر عن اداء واجبه مهما كلفه ذلك .

وان هو الا يوم وبعض يوم ، حتى اعتقلت سلطات الاحتلال البريطانى فى ٨ مارس سعدا وبعض أعضاء الوفد : اسماعيل صدقى باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا وكان النفى الاول ـ الى مالطة .

وفى ٩ مارس انطلقت الشرارة الاولى ـ للثورة الوطنية المصرية . فكانت أول مظاهرة من طلبة الحقوق والمهندسخانة والزراعة والطب والتجارة العليا . واعتقلت المظاهرة كلها ، وسيقت الى سجن المحافظة يحف بها طلاب المدارس الثانوية والمتوسطة وطلاب مدرسة القضاء الشرعى .

وفى نفس اليوم ، ثارت مدينة زفتى الصغيرة طلبة المدرسة الثانية وأهاليها ـ وتألفت لجنة للثورة ، وأعلنت اللجنة الاستقلال ، ورفعت العلم الوطنى مكان العلم البريطانى ، وأقامت نظام حكم ثورى خاص بها ، عرف باسم « **جمهورية زفتى** » .

وجاءت أيام مارس التاليه : حيث عمت الثورة كل البلاد ، وشملت كل المدن ، وانتقلت الى القرى ، وتشكلت لجان للثورة فى كل مركز واقليم ومدينة وقرية . كل فئات الشعب وطبقاته دخلت الميدان ، الطلبه ، النجار ، العمال ، والفلاحون ، رجال الدين ، الباشوات والبكوات ، رجال الجيش والبوليس ، والنساء .

وكان وقود الثورة وعمودها الفقرى ، الطلبة وتلاميذ المدارس ، والطبقة العاملة التى أعلنت أهم قطاعاتها الاضراب العام ـ خاصة فى قطاع المرافق وأقاموا المتاريس فى الشوارع وردوا على العنف الاستعمارى ، والفلاحين ، الذين هبوا مسلحين فى مواجهة جيش الاحتلال . وهكذا تحركت بنادق الفلاحين فى مواجهة بنادق ومدافع قوات الاحتلال . قطعوا خطوط السكك الحديدية وطرق المواصلات وأسلاك البرق والتليفون ، وهاجموا القطارات البريطانية المسلحة ، ودارت بينهم وبين قوات الاحتلال

معارك عديدة . واشتركت المرأة فى أحداث الثورة ، ورفعت حجابها وتحدت حراب المستعمرين .

ولم تأبه قوى الشعب المصرى ، وقد اعلنت ثورتها - بانذار القائد العام البريطانى لها : جناب قائد عموم القوات فى القطر المصرى يلفت الجمهور الى انه لما كانت البلاد لاتزال تحت الاحكام العرفية ، فلا يجوز القيام بأى اجتماع عمومى او اية مظاهرة ، وكل شخص يخالف هذا الامر يحاكم بصفة مستعجلة » .

وتحدى الشعب كل وسائل وأساليب القمع البربرية التى استخدمتها قوات الاحتلال ، وقدم العشرات والمئات من الشهداء ، واستقبل أحكام الاعدام بصدور رحبة ، ورفع بجدارة راية المطالبة - بالاستقلال التام ، وبأن تكون مصر للمصريين .

واتخذت الثورة فى مسارها ، وتطورأحداثها ، طريق النضال لا ضد قوات الاحتلال ، ولكن كذلك ضد عملاء الاحتلال ، من أبناء الطبقات الارستقراطية ومن رجال السلطان ، والى جانب المطالبة بالاستقلال والدستور ، كانت المطالب الاجتماعية والاقتصادية للطبقات الشعبية . فتقدمت الطبقة العاملة بمطالبها الخاصة . استمر اضراب عمال الترام من أجل مطالبهم من بداية الثورة حتى شهر مايو ١٩١٩ ، لم يستمع الفلاحون الى نصح بعض البكوات والباشوات بأن يتخلوا عن عنفهم . وهكذا بينما تحققت الوحدة الوطنية خلال أحداث الثورة ، فقد كان هناك تمايز بين قواها الاجتماعية وارتبط النضال الوطنى والدستورى بالنضال الاجتماعى .

وتحققت خلال أحداث الثورة وحدة الامة ، وباءت محاولات الاستعمار البريطانى باحداث فرقة دينيه بالفشل وسارت كل المظاهرات تحت راية تحمل شعار الهلال والصليب ، وعلى منبر الازهر ، كان احد خطباء الثورة القمص سرجيوس يرد على المستعمرين كيدهم بقوله : « ان الدين لله والوطن للجميع » .

اتحدت الامة المصرية كلها : يمينها ويسارها ، ملاك الارض فيها والفلاحون ، البورجوازية والعمال ، أوساط الناس وصغارهم الاغنياء والكادحون اللهم الا قلة من كبار الملاك وصغار النفوس الذين ارتبطت مصلحتهم ارتباطا كليا بالمستعمر . اتحدت كل القوى ، هؤلاء الذين يريدون من الثورة تحالفا مع بريطانيا ، ودستورا يحتفظ بالسلطان ، وهؤلاء الذين يريدون استقلالا تاما عن بريطانيا وجلاء شاملا لقوات الاحتلال عن « وادى النيل » مصر وسودانه وهؤلاء الذين يريدون استقلالا تاما فى كل المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية ، ويريدون تأميم المرافق الرئيسية بما فيها قناة السويس واصلاحا زراعيا ضد الاقطاع والسراى ، وحرية للعمال والكادحين . . وهو ما عبروا عنه - بعد ذلك - فى اضرابات يوليو ١٩١٩ ، وفى النصف الاول من ١٩٢٠ وفى برنامج الحزب الاشتراكى المصرى فى ١٩٢١ .

لكن هذه الوحدة الوطنية التى صنعتها أحداث ثورة ١٩١٩ - سرعان ما خرج عليها قطاع من كبار الملاك اضافوا اقليه الى الاقلية التى شكلت ما اسماه سعد زغلول فى رسالته الى السلطان أحمد فؤاد فى الثالث من مارس ١٩١٩ ، حزب الاستعمار .

لقد هال هذه الاقلية اندفاع الشعب الثورى - بلا حدود - فى مواجهة قوات الاحتلال البريطانى ، وجرأة طبقات هذا الشعب العاملة والفقيرة على أن ترفع مطالبها الخاصة وتعتبرها جزءا من المطالب الوطنية العامة لا يمكن فصلها عنها ، وجرأة طبقات هذا الشعب على أن ترفع « السلاح » - سلاحها - ضد سلاح الحكومة الاستعمارية . هالها ذلك كله ، فخرجت مسرعة من معسكر الثورة ، مهرولة الى معسكر السفارة البريطانية والى عتبات السلطان احمد فؤاد .

وهكذا ، لم يكن الانقسام الاول فى القوى التى قادت ثورة ١٩١٩ الا انعكاسا لخشية هذا القطاع العلوى من الارستقراطية المصرية من تحرك قاعدة الشعب العريضة ، واستيلائها على منابر الثورة ومتاريسها .

لقد كانت أحداث الثورة فى مارس ١٩١٩ ، هى التى علمت الشعب المصرى درسا هاما فى أن ينظم نفسه ، وانه بدون تنظيمات خاصة به سيقاتل من مواقع ضعف ، سلطة استعمارية فى يدها جهاز حكومى واجهزة عديدة جيدة التنظيم . فكانت لجان الثورة فى العاصمتين وفى المدن والاقاليم ، هى لجان حزب الوفد المصرى ، حزب الثورة الوطنية . وكانت نقابات العمال وتنظيماتهم الخاصة ، وتجمعاتهم الاشتراكية - والى جانب ذلك كانت نقابات المثقفين وجمعياتهم .

ولقد علمت احداث الثوره فى مارس ١٩١٩ الشعب المصرى درسا هاما ، هو انه بالوحدة الوطنية ، وحدة كل الطبقات الاجتماعية صاحب المصلحة الرئيسية فى

الاستقلال هى الشرط الرئيسى لمواجهة قوى المستعمر وحلفائه المحليين السراى والشرائح العليا من الاقطاعيين والماليين ، وان وحده الامة ، مسلميها ومسيحييها ، هى شرط ضرورى لافساد سعى المستعمر ، وعناصر الرجعية لتمزيق صف الامة على اساس طائفى ، ولهزيمة شعار المستعمر « فرق تسد » . وهو درس مازالت ذكراه ضرورية فى يومنا - ونحن نواجه سياسة الامبرياليه والصهيونية المعاصرة ، ومحاولاتهم لاثارة الفتن الطائفية والخلافات الدينيه وان ما يحدث فى لبنان اليوم يستوجب على كل القوى الوطنية والتقدمية أن تستعيد درس ثورة ١٩١٩ فى هذا المجال .

درس آخر هام - قدمته احداث مارس ١٩١٩ . فان الشعب المصرى - وهو الذى صنع بيديه ثورته : حين اقام متاريسه ، وحمل اسلحته ، وقدم شهداءه ، هذا الشعب هو الذى صد هجمه الاستعماريين وعملائهم على الثورة ، عندما اوحوا بانها من صنع خارجى ، وعندما زعموا انها ما يمكن أن تكون قوية هكذا الا بالاعتماد على قوى خارجية : الترك والمانيا ، والبلشفيك . لقد رفض الشعب مثل هذا الافك ، ومنذ اللحظة الاولى ، واعتبره عملا قصد به الاساءة الى حركة الشعب ، وبث الفرقة بين صفوف طبقاته وقواه الاجتماعيه المتحدة : فهذه الدعاية الخبيثة وجهت ضد ثورة ١٩١٩ ، كما وجهت - فيما بعد - ضد كل نضال ثورى خاصه الشعب منذ ثورة ١٩١٩ . ولقد ساهم عدد من الباشوات الذين هجروا معسكر ثورة ١٩١٩ فى بث هذه الدعايات ، واستمروا - منذ ذلك الوقت - يقومون بها ومعهم ابواقهم فى كل مرحلة من مراحل نضالنا الوطنى الديموقراطى .

ستظل احداث مارس ١٩١٩ - مختزنة فى وجدان الشعب المصرى : قمة من قمم امجاده النضالية من اجل الحرية الكاملة للوطن ولمصلحة الشعب ، من اجل الديموقراطية والتقدم الاجتماعى .

تحية لذكرى ثورة ١٩١٩ ، وتحية لكل شهيد هتف وهو يواجه بصدره حراب المحتلين الاجانب : **الاستقلال التام أو الموت الزؤام .** ■



عبد المنعم رياض

○ استشهاد بطل

٨ مارس ١٩٦٩

مع أول ضوء من اضواء فجر الثامن من مارس ١٩٦٩ ، فتحت المدفعية المصرية نيرانها ، بكل اعيرتها المختلفة على مواقع العدو وتحصيناته - خط بارليف - واعلن هدير المدفعية المصرية بداية تحول القوات المصرية من مرحلة الصمود والردع الى مرحلة حرب الاستنزاف .

وفى صباح التاسع من مارس ١٩٦٩ ، وصل **عبد المنعم رياض** الى مقر قيادة الجيش الثانى بالاسماعيلية لزيارة الضباط والجنود ، ليناقش معهم الدروس المستفادة من معركة اليوم السابق . وعلى ارض الواقع اصدر قراراته لحل مشاكل المقاتلين ، ولتوجيه القتال . واصر - يومها - على ضرورة زيارة المواقع الامامية . عارض الضباط ، فالمواقع الامامية لا يفصلها عن العدو سوى عرض القناة ، وهى داخل مرمى بنادقه . ولكن **عبد المنعم رياض** الذى كان قائدا مقاتلا ، رفض معارضة ضباطه . وفى تمام الساعة الثالثة والنصف كان فى الموقع « ٦ » بالاسماعيلية . وفجأة هدرت المدافع وبدأ قتال رهيب . وعلى حافة الخندق انفجرت قنبلة ، واصيب الشهيد اصابة قاتلة .

وحمل الشعب فى اليوم التالى جثمان **عبد المنعم رياض** ، وامام جثمانه سار **جمال عبد الناصر** فعبد المنعم رياض كان يمثل فى الحياة المصرية والعربية بعد نكسة ١٩٦٧ اصرار المقاتل العربى على استمرار النضال ليسترد بالقوة ما أخذ بالقوة .

ومع الخطوات الحزينة ، وهتافات الجماهير ، كانت كلمات النشيد الوطنى .. تؤكد الاصرار على الاستمرار فى معركة التحرير ..

بلادى .. بلادى .. لك حبى وفؤادى .

لقد كان استشهاد **عبد المنعم رياض** خسارة كبيرة لجيش مصر ليس هذا فحسب لا بل كان خسارة للعسكرية العربية ايضا . فهو القائد الذى قال عنه الخبراء العسكريون عندما كان قائدا للجبهة الاردنية فى ١٩٦٧ انه :

« لو توفرت لعقليته العسكرية وقتها المعدات والقوات لغيروجه التاريخ العربى فى تلك المعارك » . والذى اطلق عليه الخبراء والعسكريون السوفيت : « الجنرال الذهبى » .

كان استشهاد **عبد المنعم رياض** — هو بداية اعلان القيادة العسكرية المصرية ، تخليها عن الاساليب التقليدية فى مواجهة عدو يمارس الحرب دون التزام حر فى بكلاسيكيات التكتيك العسكرى .

وكان عبد المنعم رياض هو القائل قبل استشهاده : « **اذا حاربنا حرب جنرالات المكاتب فى القاهرة فالهزيمة محققة ، مكان الجنرالات الصحيح وسط جنودهم ، واقرب الى المقدمة منه الى المؤخرة** » .

هذا هو الايمان الجديد الذى غرسه **عبد المنعم رياض** فى القيادات التى حملت على كتفها عبء مسح عار هزيمة ١٩٦٧ : « **القائد لابد ان يكون مندفعا بالحد الكافى الى الامام بحيث يمكن ان يشم رائحة المعركة** » .

وبهذا الايمان استمرت حرب الاستنزاف ، واستمر الاعداد لمعركة قادمة ، يخوضها انسان حركة التحرر الوطن العربية ، ضد العدو العنصرى الاستعمارى الذى يحتل ارضه ويدوس على كل مقدساته ويستنزف خيراته .

ان عبد المنعم رياض مازال حيا فى معركة التحرير التى لم تنته ، ولم تزل مستمرة من اجل تحقيق ما قاله هذا القائد الشهيد بعد الهزيمة :

« **لن نستطيع ان نحفظ شرف هذا البلد بغير معركة ، عندما اقول شرف البلد ، فلا أعنى التجريد هنا ، وانما اعنى شرف كل فرد ، شرف كل رجل وكل امرأة** » . ■

تأسيس الجامعة العربية ٢٢ مارس ١٩٤٥

يعكس تاريخ نشأة جامعة الدول العربية فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ ، حقيقة الظروف والاوضاع التى كان عليها العالم العربى فى ذلك الوقت . فمن ناحية ، كانت هناك السيطرة الاستعمارية المباشرة وشبه المباشرة على العالم العربى ، ولم تكن هناك غير سبع من الدول العربية التى تتمتع بالاستقلال الشكلى . ومن ناحية أخرى ، كان هناك انطلاق حركة التحرر الوطنى فى مصر وبلدان المشرق العربى ، هذه الحركة التى كانت تعبر عن نفسها فى الكفاح ضد الاستعمار البريطانى والفرنسى من اجل الحرية والاستقلال السياسى والاقتصادى . وقد كانت هذه الحركة بمضمونها الجديد تمارس الضغط على الانظمة والعروش القائمة من اجل مزيد من التقارب والتضامن العربى باعتبارها عاملا هاما لتدعيم الكفاح العربى ضد العدو المشترك الاستعمار والصهيونية .

وقد اضطرت بريطانيا تحت ضغط الحركة الوطنية العربية الصاعدة الى تغيير موقفها من المعارضة الصريحة والمباشرة لفكرة الوحدة العربية ، واعلنت أنها لا تمانع فى قيام شكل تنظيمى يعبر عن طموح العرب الى الوحدة ، والتقارب بين العرب .. وكان الهدف من وراء هذا التراجع البريطانى استيعاب الحركة الوطنية العربية بما يضمن

بقاء البلدان العربية بمواردها الاقتصاديةلتكون فى دائرة نفوذها ، وبعيدا عن نفوذ الامبريالية الجديدة« أمريكا » التى أخذت تدعم مواقعها ومصالحها فى الوطن العربى .

ونستطيع أن نميز فى حياة الجامعة فترات مختلفة . وعلى سبيل المثال لقد عكست الجامعة خلال الفترة من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٢ بعض جوانب الصراع بين القوى الموالية للاستعمار البريطانى والقوى الموالية للاستعمار الامريكى الجديد ، وتقلص النفوذ البريطانى داخل الجامعة .

وشهدت الفترة منذ عام ١٩٥٢ – حتى اليوم – انتصار حركات التحرر الوطنى وقيام الانظمة الوطنية فى عدد كبير من البلاد العربية . واندلاع الثورات التحررية المسلحة فى أماكن مختلفة ضد القوى الرجعية الموالية للامبريالية والاستعمار الجديد حتى لقد بلغ عدد البلدان العربية المستقلة الاعضاء فى الجامعة عشرين بلدا . وقد أدى كل ذلك الى تغيير صورة الوطن العربى ، كما أثر بدوره على حياة الجامعة ، وزاد من فاعليتها فى مواجهة القوى الرجعية والامبريالية وافشال مخططاتها والحد من نشاطاتها العدوانية .

ان النظرة الموضوعية لا تستطيع أن تتغاضى عن جهد ودور الجامعة فى تحقيق كثير من الانجازات خلال فترة حياتها . . مثل مساندة كفاح واستقلال بلدان المغرب العربى ، وفى حل كثير من المنـزعات والخلافات بين البلدان العربية ، وتحقيق التعاون بين البلدان العربية ، فى بعض المجالات الاقتصادية والثقافية كما تبدو أهمية الدور الذى تلعبه الجامعة اليوم ، فى كونها اطارا لتجميع البلدان العربية حول فكرة الوحدة العربية ، حتى أصبحت قضية الوحدة العربية اليوم مطلبا أساسيا فى برامج الاحزاب الوطنية والتقدمية فى كافة ارجاء العالم العربى ، كما نجحت الجامعة فى أن تفرض وجودها كمنظمة اقليمية عربية فى المجتمع الدولى تضطلع بعبء الدفاع عن القضايا العربية فى المجالات الدولية .

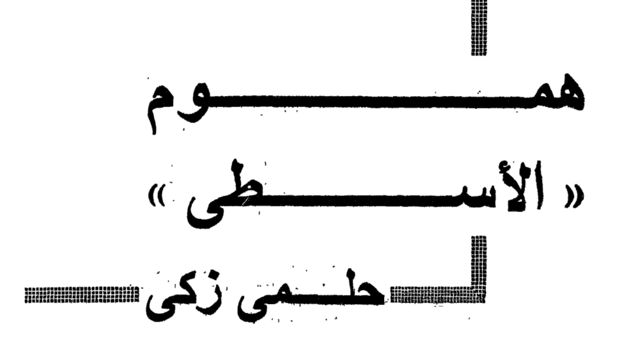
أما عن سلبيات الجامعة فهى تبدو كأوضح ما تكون – فى المنازعات والخلافات الذاتية بين الدول الاعضاء ، كما تتمثل أيضا فى فشل الجامعة فى حل كثير من القضايا الكبرى : مثل تحقيق العمل العسكرى العربى الموحد ، وتوحيد السياسات المختلفة للدول الاعضاء تجاه القضية الفلسطينية ، واقامة السوق العربية المشتركة ، وقضية الاستثمارات العربية وانتقال رؤوس الاموال العربية فى داخل الوطن العربى الخ .

ان كل هذه السلبيات ليس سببها الجامعة بقدر ما هى نتيجة للتناقضات والخلافات العربية ، وتباين الاتجاهات وتعارض السياسات الاقتصادية والاجتماعية للدول الاعضاء داخل الجامعة هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فان بعض اوجه العجز والقصور الذى تعانى منه الجامعة ، انما يكمن ايضا فى ميثاقها الملىء بالثغرات والمنافذ لمن يرغب فى الهروب وعدم الالتزام ، كالاحتماء وراء المادة السابعة التى تشترط : « **أن ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة فى الجامعة ، وما يقرره المجلس بالاكثرية يكون ملزما لمن يقبله وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقا لنظمها الاساسية** »

هذا وترتفع الاصوات فى عدد من الدول العربية المتحررة وبين المفكرين العرب بل وايضا من داخل الامانة العامة للجامعة – تطالب بضرورة تعديل ميثاق الجامعة وتطوير أجهزتها ، وذلك من أجل تدعيم الجامعة وزيادة فاعليتها ، وتنمية وتطوير التعاون بين الدول العربية ، وان لا يقتصر هذا التعاون على التنسيق بين الدول كأفراد ، بل أن يتجاوزها الى نطاق العمل العربى الموحد المخطط بما يكفل المواجهة الحازمة التى تواجه الامة العربية ، ومواجهة احتياجات ومتطلبات التقدم العربى .

ان هذه المطالب انما تعكس رأى الشعوب العربية فى المهام المطروحة على الجامعة العربية ، على هذه المنظمة التى يحرص الرأى العام العربى على أن تتوافر لها كل وسائل القوة والفعالية ، لتكون احدى الادوات الرئيسية فى التقريب بين الشعوب والدول العربية ، وفى دفع قضية الوحدة العربية الى الامام .



تقدم « الطليعة » في هذا العدد دراسة لشريحة واسعة بين شرائح المجتمع ، هي شريحة فقراء المدن الذين يبدأون — منذ الصغر — رحلة مضنية وشديدة التعقيد .

ان هؤلاء الفقراء لا يبدأون الحياة كأعضاء في أسر عمالية ، أو كعمال في المصانع ، وان كان بعضهم قد يسعده الحظ فينتهي الى الدخول في صفوف العمال . ولكن عندما يصلون يكونون قد حملوا معهم مزيجا عجيبا من قيم مسيطرة وفكريات مختلفة للبورجوازية والبورجوازية الصغيرة .

وحول هذا النموذج جاءت دراسة وتعليقات :

— الاستاذ مصطفى بهجت بدوي .
— فيليب جلاب .
— د. مراد وهبة .
— د. جمال مجدي حسنين .



الاسم : حلمى زكى السيد

السن : ٣٨ سنة فى شهر مايو القادم

العمل : حاليا سباك فى شركة ايديال ومن قبل مكوجى من ٢ فبراير ١٩٤٧

الطليعة : لماذا تتذكر تاريخ ٢ فبراير بالتحديد ؟

حلمي : لانى هى بداية الكفاح مع الحياة أو مع الزمن

الطليعة : هل انت متزوج ؟

حلمي : ايوه ، وزوجتى يتيمة الابوين علشان نكافح معايا كما كافحت انا وانا صغير .. وانا اخترتها يتيمة الابوين بالذات علشان تكافح معايا زى ماكافحت انا وانا صغير .. كان ابوهـا محامى وامها .. طبعا هى شافت مرحلة من المراحل اللى انا عشت فيها .. علشان نكون موفقين فى حياتنا ..

الطليعة : هل لديك اولاد ؟

حلمي : عندى شريف ١٢ سنة فى سنة سادسة ابتدائى وطارق ماشى فى ٨ سنين وعماد خمس سنوات ثلاثة أولاد

الطليعة : اين تسكن ؟

حلمي : مساكن الشركة فى شبرا فى حجرة واحدة خمس افراد بمنافعها والايجار جنيه ، الشركة اديتها لى رأفة بحالتى المادية .. وكنت ساكن الاول فى مصر الجديدة فى حجرة من شقة شرك وكنت بادفع ٤ جنيه ايجار من مرتبى اللى كان ٩ جنيه فلم اكن استطيع أن اوازن مع مصاريف الحياة .. ودلوقت بادفع جنيه واحد فى السكن خلاف النور والمياه يعنى يوصل كله فى حدود ٢ جنيه

الطليعة : والمرتب ؟

حلمي : الاساسى ١٨ ، لكن الصافى ١٠ بيتخصم ـ سلفية بنك وسلفية صندوق زمالة . وفاضل على حوالى من ٢٦ لـ ٣٠ جنيه لانى كنت مستلف حوالى ٥٠ جنيه سنة ٧٣ لان كان عندى ولد اصيب بشلل اطفال وكلفنى ١٥٠ جنيه مما اضطرنى للاقتراض من الاخرين ومن الشركة ودين صندوق الزمالة لوحده ستة وعشرين جنيه وقسطته نظرا لحالتى الماديه وضعف مرتبى بيخصموا ٥٪ منه لانى كنت تقدمت بشكوى للمسئولين فبحثوا حالتى فوافقوا على خصم ٥٪ من صندوق الزمالة ومن البنك .. بيخصم ٢ جنيه تقريبا

الطليعة : ماهو عنوان منزلك ؟

حلمي : مساكن ايديال شرق السكة الحديد بلوك ٩ مدخل ٣ شقة عشرين

الطليعة . حدثنا عن حياتك

حلمي : حياتى فيها شىء من العذاب لانى طلعت صغير وجدت أبويا متزوج وامى متزوجة وكل واحد منهم عايش فى وادى

الطليعة : ماهو عمل والدك

حلمي : أبويا بيشتغل طباخ لحد الان

الطليعة : ووالدتك

حلمي : والدتى متزوجة غير ابويا ولا تشتغل وحياتى كانت انى عايز اعيش زى باقى الناس اللى عايشين دون انحراف لان كان امامى طريقين .. طريق الاستقامة وطريق الانحراف

الطليعة : كم كان سنك فى هذا الوقت ؟

حلمي : فى الوقت ده تقريبا ساعة ما اشتغلت مكوجى كان عندى حوالى ٨ سنوات لانى مواليد ١٩٣٨ .

الطليعة : فى هذا الوقت هل كنت عايش مع والدك ام مع والدتك ؟

حلمي : والله الحياة غير مستقرة لانى لما كنت اقعد مع ابويا ابويا كان يقلق منى ولما اروح عند أمى كانت بتكرشنى برضه وتقوللى روح لابوك .. فكنت بانام لوحدى .. أحيانا فى الشارع أمام المحل اللى باشتغل فيه

الطليعة : كنت بتشتغل ايه ؟

حلمي : كنت باشتغل مكوجى فى محل عمى فى كوبرى القبة ٧ شارع علام وكنت بافضل انام فى المحل بين اربع جدران لانى ما استحملتش عذاب مراة ابويا وذل جوز أمى

الطليعة : وهل كان يسمح لك صاحب المحل ؟

حلمي : كان بيسمح لى لانه عمى اخو ابويا

الطليعة : كم كان اجرك ؟

حلمي : كنت باخد تعريفة فى اليوم سنة ٤٧ .. ولما كنت الف على البيوت بالمكوى فكان يجينى بقشيش ومن البقشيش كنت استطيع ان اعيش

الطليعة : كم كان البقشيش اليومى ؟

حلمي : كان لايقل عن ربع جنيه أو ثلاثين قرش لان الحالة كانت سخية وكان الناس بتعطف على .

الطليعة : وكان عمك بعطيك تعريفه ؟

حلمي : آه .. وكان بيعاملنى بقسوه لان مراته كانت اخت مراة أبويا فلما كنت الجأ لاى صدر حنون ما كنتش الاقى فكنت افضل النوم بين اربع جدران علشان اعيش بدلا من ان انحرف

الطليعة : متى دخلت المدرسة ؟

حلمى : رحت الكتاب سنة ٤٦ ويناير سنة ٤٧ فى كوبرى القبة وانا من مواليد القـاهرة ـ الزيتون الشرقيـة فى ١٩٣٨/٥/٢٠ وبعدين فضلت عند عمى لغاية سنة ٦٠ وانا فى هذا العذاب وشفت اللى مايشوفوش اى انسان فى الدنيا وربنا دايما كان جنب منى فالحمد لله ربنا وفقنى انى عرفت السيدة الجليلة بثينة غراب وعرفت محمد محمد سليمان العقاد فمدوا لى يد العون .

الطليعة : كيف ؟

حلمى : محتاج فلوس يدونى .. محتاج هدوم يدونى .

الطليعة : على اساس ايه ؟

حلمى : على اساس انى حالتى تعبانة ومافيش حـد من أهلى واقف جنب منى على اساس كانوا يسألونى فين اهلك وأقول لهم ... وبعد سنة ٦٠ تركت عمى

الطليعة : هل كنت تـؤدى لهم خدمـة مقابل هذه المساعدة ؟

حلمى : ابدا ماكنتـش أقدم لهم اى خدمة لان صبى المكوجى كان لازم يروح يوم الاثنين يكوى عندهم .. ويقولوا لى تعالى اكوى جـزء من المكوى فى البيت على اساس تـستفيد علشان اقدر اعيش

الطليعة : كم كانوا يعطونك ؟

حلمى : كانوا بيدونى عشرة صاغ فى اليوم .

الطليعة : كنت بتكوى طول يوم الاثنين ؟

حلمى : لا كنت اقعد ساعتين عندهم وساعتين تانى عند الفريق محمد ابراهيم وكان بيدينى برضه عشرة صـاغ وعـند اللواء عبد الحميد نعمت الله فكنت باعمل فى اليوم ده ثلاثين قرش .. ومنهم كنت اشترى لحم علشان اغذى نفسى لانى كنت عايش على الجبنة القديمة .. بدل ما امد ايدى لاهلى اللى كانوا عايشـين مبسوطين . لدرجة ان سنة ٤٨ اثنـاء الحرب حضرنها فى حمامات القبة وحرب ٥٦ برضـه كنت بانام فى المحل .. وبعـد كده جم اهلى ينعرفوا بى قلت لهم لا .. كنتم فين وأنـا فى العذاب ده .

الطليعة : كنت بقيت حاجة

حلمى : كانت اجرتى سنة ٦٠ وصلت ١٥ قرش فى اليوم لانى بقيت اجتهد واتعلمت الصنعـة

الطليعة : هل كانوا يطلبون منك مساعدة ؟

حلمى : آه أبويا كان بيطلب منى انى اساعده فكنت اقول له مبين اساعدك وانا تعبـان فمـا فيش عندى مساعدة فكان يمنع عنى الانفاق . ولما كان عمى يرفض انى انام فى المحل كنت اجيب حصيرة امام باب المحل وأنام .. لكن اللى كان بيساعدنى ويديبى الامل فى الحياة السيدة الجليلة السيدة بثينة الغراب اللى كانت سكرتيرة رئيس مجلس ادارة شركة ايديال وبعدين لما سبت عمى سنة ٦٠ بدات الف فى المحلات .. دور فى مصر الجديدة واحيانا فى العجوزة فى محلات المكوى لما وصـل مرتبى ٢٥ قرش فى اليوم وكان فى المدة دى اهلى بداوا يحـاربونى امى بدات تدور على .. أبويا يدور على فحيت قلت لهم فى يوم مـا هـو فيه مثل بيقـول « فى الفرح ناسينى والحـزن داعيينى » فكنت اقوله لهم فاتركونى فى حـالى علشـان اقدر اشوف مصيرى وكان ابويا بقول لى انت مش راح تنفع فى حياتك وكنت اقول له ابـدا اللى معاد ربنا لابد من ان يكون جنب منه .

وبعد كده رجعت مرة ثانية علشان استقر فى وطنى كوبرى القبة اللى عشت فيه باتفس ايامى واحلى ايامى .

الطليعة : تردد دائما عبارة « بمعنى اصح لا » ماممعناها ؟

حلمى : معناها التعبير عن نفسـيتى أو على ماعشت عرفنها من طريقة كلامى من النـاس الكويسين ومع ترددى على بعض الناس الكرام

الطليعة : لماذا تتصور ان اهلك ضدك ليه بهذا الشكل ؟

حلمى : اهلى كانوا ضدى ليه ؟ اقول لسيادتك ابويا لما اتجوز والام اتجوزت غير الاب فكل واحد مشغول فى وادى آخر فكل همهم ان يشوفوا حياتهم كل واحـد لنفسـه واللى متجـوزه . فما كانوش متنبهين لى او بمعنى اصح كل واحد منهم متجوز ومخلف ..

الطليعة : هل عندك اخوه اشقاء

حلمى : لا .. عندى من أبويا بس أو من امى بس ..

الطليعة : كـم ؟

حلمى : فيه حاليا لى أخ طيار ولى أخ مهندس فى المصانع الحربية ولى أخت مدرسة

الطليعة : لماذا أخذوا فرصتهم وانت لا ؟

حلمى : أخذوا فرصتهم لان امهم لم تتركهم زى ماتركتنى انا .. وابوهم لم يتركهم زيى

الطليعة : هل كنت طفل مشاغب ؟

حلمي : كنت منطوي على نفسي وكنت دايما بعيد ولم اكن اجد استقرار وكنت ابحث عن الاستقرار في بيت أبويا فلا اجد وكذلك في بيت امي ولكن لقيت استقراري في عيشتي لوحدي .. اغسل هدومي بايدي وآكل بنفسي ..

الطليعة : وعلاقتك باخواتك ؟

حلمي : علاقتي بيهم علاقة اخ لاخيه هم ناس متعلمين وانا كراجل لم آخذ قسط من التعليم كأي علاقة شخص آخر انا ابصر لاخواتي ليه

الطليعة : هل طلبت منهم مساعدة ؟

حلمي : طلبت ورفضوا

الطليعة : لماذا .. ؟

حلمي : انت راجل بتشتغل وكنا بنتعلم في هذا الوقت .. اطلب من ابوك طبعا ابويا راح يديني منين أو حيعمل ازاي ماهو كمان عنده جيش عيال وبعد كده ابويا اتجوز تاني غير أمي والثانية يعني فيه اثنين على ذمته الان . . . فأصبحت الرعاية أقل من الاول .. وبعدين أنا جيت اتجوز .. وهو بيشتغل طباخ وبقالي سنتين لم أراه ..

الطليعة : هل قدم لك طعاما ؟

حلمي : ابدا لاني حسب ماشفت ان الطباخين اكلهم حرام لانهم بيسرقوا من الخضار .. فكنت افضل آكل بعرق جبيني علشان اعيش حلال .. لان الذرية الصالحة من الحياة الصالحة

الطليعة : انت بتتكلم بلغة عربية فصحى أين تعلمتها ؟

حلمي : اتعلمت من الحياة في شهرين اثنين وجبت اللغة في عملي مع الناس والحياة وسألوني لماجيت اشتغل في الشركة في ٦٤/٥/١ بتقرأ وتكتب قلت لهم أيوه قال لي معاك شهادة ايه قلت لهم ماميعيش شهادة وان علم الحياة اكثر من علم الكتب ممكن الانسان بيعرف يقرأ ويكتب لكنه لايدرك الحياة لكن الحياة مدرسة وطالما الانسان عايش بيتعلم .. وبناء عليه شغلوني وبعدين اتجوزت في ٦٣/١٢/٥ وكان سني ٢٦ سنة .

الطليعة : كيف تعرفت بزوجتك ؟

حلمي : أنا كنت بادخل اكوي في مؤسسات رعاية الاحداث في العجوزة وفي كوبري القبة وكنت باشتغل صنايعي وباخد ٢٥ قرش في اليوم فأنا طلبت من واحدة اخصائية اسمها نبيلة الزمر قلت لها أنا عايز اتجوز فقالت لي فيه انسانة هنا أبوها محامي وتوفي بالسرطان فممكن تعيش ومدت الينا يد العون وساعدتني وقالت لي عمها وكيل نيابة فهل الحال دة يرضي .. فقلت لها خدوهم فقراء يغنيكم الله من فضله وعلى هذا الاساس تزوجت .. وهي رفضيت وكان سنها حوالي ١٦ سنة وكانت موجودة كضيفة لان في رعاية الاحداث الضيوف وحدهم والمتشردين لوحدهم فنظرا لان عمها وكيل نيابة فأدخلها هذا المكان حفظا لها .

وبعدين سألوني حتفتح بيتك ازاي .. قلت لهم أنا باخد ٢٥ قرش .. وفي الحالة دي امتنعت عن أكل اللحم . امتنعت عن ان اسكن في حجرة ورجعت تاني للمحل اللي كنت باشتغل فيه علشان أوفر وبقيت اغسل هدومي علشان اوفر لحياتي .. وفي خلال سنة وفرت ٣٠ جنيه وكنت اشتغل من الساعة ستة الصبح لغاية ١٢ بالليل وبعد المحل ماينتهي اشتغل في محل تاني لغاية الصبح . وكنت بآخد على الحتة تعريفة فكنت أعمل بخمستاشر قرش أو ريال او ثلاثين قرش زائد اليومية بتاعتي ٢٥ قرش وماكنتش انام غير ساعة واخدة حتى على الكرسي علشان اكون حياتي ..

طلبت بعد كده من ابويا اني اتجوز علشان يساعدني قال لي لسه عايز تتجوز خذ واحدة من اهلك وانا اعطيك لكن جواز القرايب زي مابيقولوا عقارب . ورفض يساعدني .. ووفقني الله واستلفت من الناس على الثلاثين جنيه لانه كان مطلوب مني ادفع مهر خمسين جنيه فاقترضت وساعدوني الناس علشان اقدر أقف على رجلي واخذت حجرة باثنين جنيه ونصف والحمد لله ربنا كرمني .

ولما كانت زوجتي حامل في أول مولود قابلت مدام بثينة الغراب وقلت لها شوفي لي شغله وكانت ماهيتي في الايام دي ٢٧ قرش في اليوم فقالت لي اشغلك ايه قلت لها شغليني حتى ولو خدام في بيت بس ارتاح من المكوى لان رجلي انكسرت وانا صغير ولم اجد من يقف بجواري وكان عندي ٣ أشهر زي ماقالوا لي قبل كده والمكوى مع الانسان كل ما يتقدم في السن مش حيقدر من الوقفة .. فراحت اتكلمت لي في شركة ايديال فطلبوني علشان اشتغل وشغلوني مساعد سباك بمرتب تسعة جنيه في الشهر من التسعة جنيه استطعت مع عملي في المكوى خلال فترة بعد الظهر قدرت أعيش . وباشتغل برضه في المكوى لغاية دلوقت ولولا عملي في المكوى لما استطعت اعيش بهذا المبلغ ..

الطليعة : كم تكسب من المكوى ؟

حلمى : المكوى بتطلع لى فى حدود ٨ جنيه لانى باكوى فى الاسبوع ثلاث ايام وثلاث ايام اعطيهم راحة لجسمى علشان ارتاح .

الطليعة : يبقى دخلك كله كام فى الشهر ؟

حلمى : حوالى من الشركة صافى عشرة جنيه ومن المكوى حوالى ٦ .

الطليعة : اين تدربت على عملك كسباك ؟

حلمى : انا اخذت تدريب عملى لاننى عملت فى المدينة السكنية بتاعت العمال . فمع احتكاكى بالعمل وبزملائى تعلمت .

الطليعة : هل تعمل كسباك مساء ؟

حلمى : لا بأعمل مكوجى بعد الظهر .

الطليعة : احسب لنا كيف تتصرف فى دخلك ؟

حلمى : أولا انا بجيب اللحمة أربع مرات فى الشهر . بجيب الكيلو ١٣٠ قرش ، وبيكلف بالسمن حوالى ٢ جنيه . ده اللحمة فقط .

الطليعة : ٢ فى ٤ يساوى ٨ .

حلمى : بعد كده ، بشرب سجاير بـ ٢٥ قرش فى اليوم . بشرب علبه من الهموم اللى عندى ، لاننى باستمرار عندى هموم ، قلق على مستقبلى او مستقبل أولادى ، فالسيجارة هى السند الوحيد . وانا باشتكي منها فى بعض الاحيان ..

الطليعة : يعنى ٧٫٥٠ ج للسجاير و٨ ج يبقى ١٥٫٥٠ ج والمواصلات ؟

حلمى : المواصلات عندى لما بأشتغل بعد الظهر فى المكوة فبركب منها لانى بأشتغل ٣ ايام أذهب للمكان اللى انا رايح له وباخذ من نفس الاجر واركب منه وباقى الايام عندى العجلة بتاعت الشركة بأستعملها فى تنقلاتى فى ظروف عملى وظروفى الشخصية ، لذلك الشركة صرفت لى العجلة علشان انتقل بدل ما ادفع المواصلات أو أمشى على رجلى . انا عندى ولد بقى فى السنة السادسة السنة ده ، دفع للمدرس ٢ جنيه لانه فى مدرسة حكومة وعلشان كده بجيب له مدرس خصوصى

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : علشان نقويه ، هو فى السنة النهائية ده سنة القبول .. فلازم اقف بجواره علشان اللى شفته انا لايراه هو ، ولا يطلع زى ما أنا طلعت واتعذبت .

الطليعة : فى موضوع الاكل انت بتقول بتجيب اربع ايام لحمة بـ ٨ ج و٧٫٥٠ ج سجاير ، الكل : ١٥٫٥٠ ج طيب باقى الايام ، غير ايام اللحمة ..

حلمى : انا بأستمرار عندى مخزون فى البيت لحالات الوقت اللى زى ده ، طبعا لما أصرف ١٥ ج لحمة وسجاير فقط يبقى معناه انا مش أعيش طبعا حياتى النفسية تعبانه صحيح ، لاننى لاعندى مقدره ولا احد يرضي يسلفنى ، ففى الحالة ده بأعمل ايه .. لما القى اولادى عايزين احرم نفسى انا شخصيا من السجاير أو من طقة افطار مثلا .. ممكن أمشيها بأى حاجة فى اليوم .. على اساس يكون الاولاد كويسين . وبعدين انا مضطر ان أعمل اكثر من اللازم . ده غير مصروف الاولاد مثلا ..

الطليعة : اذن مرتبك لا يكفى !

حلمى : صحيح لايكفى ..

الطليعة : بتعمل ايه ؟ ..

حلمى : معناه اننى عايش فى عذاب برضك .. كده لايكفى .. هل أسرق ؟ مثلا .. لا .. فأعمل مثلا يوم يكون عندى فلوس أجيب اللحمة مفيش عندى فلوس فبقول الاسبوع ده بلاش اللحمة .

الطليعة : ماذا تأكل اذن ؟

حلمى : نأكل سمك أو فول بالطماطم ، اى حاجة مثلا ، شوية عدس ، شوية كشرى ، احسن مما استلف من الناس ..

الطليعة : هذا الاكل كافى للاولاد مثلا ؟

حلمى : نعم يكفى لهم ..

الطليعة : معنى ذلك انك لاتطبخ ٤ مرات فى الشهر لحمة

حلمى : يعنى انا لما آجى أجيب سمك مثلا .. تبقى نفس التكاليف .. لما نحسبها اليوم السمك مرتفع ، الحياة مرتفعة ولولا عملى انا فى البيوت بعد الظهر لا أستطيع انى أمشى .

الطليعة : اللحم تأكلوه فى يوم واحد ؟

حلمى : لا على يومين .

الطليعة : قل لنا تكاليف طعامكم فى يوم كامل غذاء وافطار وعشاء . ؟

حلمى : عايز اقول لسيادتك حاجة .. لما افطر مثلا الولاد بيحضروا فول أو بيض ويفطروا به بيضه أو ثلاثة لهما — انا بأكل بقرش فول وبفطر — وامهم بتفطر مع الولاد ، لاننى طوال اليوم خارج المنزل . أنا شخصيا بتغدى بره . المكان اللى اذهب اليه اتغدى فيه برضك .. الشركة بتعطى لى أجر بدل غداء ، غير المرتب ،

فى حدود ١٥٠ قرش فى الشهر أو ٢ جنيه على حسب الايام اللى بشتغلها .. ده زيادة ..

الطليعة : اذا دخلك : ١٧,٥ ج

حلمى : مش بيعتبروا ثابتين .. اشتغلت أخذ ، لا اشتغل ، مش حأخذ حاجة .. فأجيب بالاثنين جنيه سمنة او ارز واخليهم فى البيت .. يبقى فيه مخزون عندى فى البيت .. الفطار بيكلف لى ١٥ قرش بالنسبة لى ولاولادى اقل فطار هذا .. مش عيشة طبعا الحقيقة .. لو حبيت اعيش عيالى العيشة اللازمة .. يبقى مش حشرب سجاير ، مش حياكلوا لحمة كل اسبوع مثلا ، بدل كل اسبوع ، يبقى كل شهر مرة .. فى هذه الحالة اولادى لم يتغذوا ..

الطليعة : الاولاد بيشربوا لبن ؟

حلمى : لا ..

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : لا يحبون اللبن ..

الطليعة : لماذا ؟ ..

حلمى : اخذوا على اللبن البرانى .. يعنى أمهم ليست كانت بترضعهم .. كانوا بيشربوا من اللبن البرانى .. ده من حسن حظى انهم لايشربون اللبن ..

الطليعة : اكلة الغداء كم تكليفها ؟

حلمى : لا أعرف بالنسبة اننى غير موجود بالبيت واتغذى بره .. اما العشاء فهو من الطبيخ اللى بيتعمل الظهر فبيتعشوا منه .. يعنى ممكن طبخة بتكفى يوم او اثنين .. يوم نطبخ ويوم لا ..

الطليعة : هل تكلفك المدارس شىء ؟

حلمى : طبعا عندى شريف وطارق فى المدارس اليوم الذى لايكلفونى خالص مش أقل عن ٦ أو ٧ جنيه فى الشهر . مثلا احذية ، ملابس ، انا بحرم نفسى من ملابس شخصية أو داخلية علشان الاولاد ..

الطليعة : أمهم بتضحى نفس التضحية ؟

حلمى : نفس التضحية بس لما بتعطى قرش لهم بتاخد بالها من هذا القرش .. احيانا تبقى العكس .. يمكن أمهم بقت ضدى .. لماذا .. لانه لايوجد اتفاق بينى وبينها حاليا . . علشان هى عايزة تسيطر على المنزل أو على .. انا رجل تربيت فى الحياة . .مش عايز أحد ، يكون نفسه عالى على .. يعنى مثلا لا نعمل لحمة ولا نطبخ ده .. الخ .. طبعا من نفسيتى احب ان اكون مستقل بالذات .. يعنى معى قرش اجيب حاجة للولاد .. لاعندى يبقى خلاص .. المهم ان اعرف كل دخلى .. وبقول لها : اللى انتى عايزاه خديه .. اكثر من كده ليس لكى شىء .. اللى انتى عايزاه موجود هنا .. سواء جبت أو مجبتش لاننى يوم الجمعة بطلع أعمل بره . احيانا بروح آكل بره يوم الجمعة . وبعد انتهاء عملى يوم الجمعة لو لقيت اى عمل آخر ساعمل برضك ..

الطليعة : وهى لاتعمل ؟

حلمى : لا ..

الطليعة : هل تعرف القراءة والكتابة ؟

حلمى : هى عارفة نعم .. لم تدخل اى مدرسة لان لما توفى ابوها ما أهتمتش .. تعمل « تريكو » ممكن ، تعطى ابر . . أنا بخليها تعطى ابر لوجه الله بدون اى شىء .. بدون أجر .. ليه .. لان لما كان ابنى عيان واصيب بشلل الاطفال قلت لها اعطى الابر ثوابا علشان خاطر الولد ..

الطليعة : لكن المراة تشارك الرجل فى الحياة ؟

حلمى : المراة فى اى وسط ؟ انا كوسط فقير عن نفسى انا عيب عندى ان المراة تشتغل .. على حسب ما تعودت .. ده نفسيتى أنا ..

الطليعة : لكن هناك ناس فقراء أو متوسطين وزوجاتهم تعمل .

حلمى : صحيح .. لكن أنا نشأت على اننى اعيش فى كرامة على انها تتفرغ لاولادها كمان .. لتربيتهم جميعا ..

الطليعة : بعد ما كبر الاولاد هل انت ضد انها تشتغل ؟

حلمى : أيوه .. ضد ليه بقى : علشان كل ما الاولاد بيكبروا ، كل ما بيكبر جهدى وتكبر مشاكلهم .. فلو اشتغلت مش حتعطى القسط الكافى لاولادها وكل ده انا بعمله علشان الاولاد ..

الطليعة : تكلم بصراحة فى هذا الموضوع هل انت ضد انها تشتغل خوفا من انها لا تهتم بالاولاد ام لان الشغل عيب ؟

حلمى : لا الشغل غير عيب للسيدة طالما بتشتغل بشرفها لكن انا عايزها تتخصص للقسط اللى بتعمل فيه لاولادها علشان يبقى الولد ينشأ نشأة سليمة ...

الطليعة : واذا كان ممكن تربية الولد تربية كويسة وممكن تشتغل ، تقديرك أيه ؟

حلمى : لا يمكن ان يوفق الام وانا كل همى اولادى .. اولادى .. لاننى انا بعيش من اجل

اولادى .. مش اكثر من هذا .. انا اصيبت الاسبوع الماضى بمرض خطير جـدا اللى هـو النزلة الشعبية حاده جدا ، كنت أشرب شوية ماء وارجعهم . فجمعت اولادى حول منى وانا ابكى وقلت لهم ليس لكم غير ربنا وانا . لو انا توفيت اليوم من الذى سيقف بجانبكم ؟ لا أخ ولا أب كل انسان فى وادى ...

الطليعة : هل زارك طبيب اثناء مرضك ؟

حلمى : أيوه .. جبت دكتور على حسابى الخاص .. دكتور الشركة لم يحضر اللا ثانى يوم .. بعد ما حضر الدكتور كان معى جنيـه واحد .. دكتور طلب الكشف ٢ جنيه .. كان نى الحالة ده احد الزملاء جالس بجوارى .. ذهب يحضر لى العلاج ودفع روشيتة الحكيم .. زملائى من مكتب البريد .. أمام منى .. كأصدقاء .. دفع لى المبلغ وقال عندما تقبض ممكن اخذه منك . فى هذه الحالة كانت زوجة ابى جالسة وليست تحركت ، وعندما انصرفوا جميعا ماعدا هى قلت لها : انني مش جايبه معاكى فلوس . قالت لى ، من اين ؟ قلت : ما هى الكلمة ده اللى انا كنت بأسمعها وانا صغير .

الطليعة : انت أمام ظروفك المادية الصعبة وواضح ان زوجتك بتعرف تعمل « تريكو » وتعطى حقن كمان وخياطـه .. لماذا ولا تريد لهـا ان تعمل ؟ .

حلمى : انا عايزها تعطى القسط الاكبر من وقتها لاولادها ورعاية اولادها ومنزلها ورعايتى انا شخصيا ..

الطليعة : يمكنها ان تعمل فى فترة ذهـاب الاولاد للمدرسة

حلمى : لا .. الاولاد بيخرجوا الصبح الساعة ١١ صباحا .

الطليعة : هل طلبت هى ان تعمل ؟

حلمى : هى طلبت .. انا رفضت .. قلت لها لا انا عندى اولادى اهم من كل شىء .. انا عايز ان ابنى يحضر ويلقى أمـه فى البيت ، جلابيته نظيفه ، ملابسه نظيف ، أكله موجـود جاهز ..

الطليعة : ما رأيك فى حرية المراة وحقها فى العمل ؟

حلمى : حقها فى العمل ممكن .. لان الحياة اصبحت صعبة .. فى ارتفاع الاسعار .. الحياة عايزه ان كل انسان يتعاون مع انسان آخر .. لكن انا افضل ان اتعب وابذل مجهود علشان اولادى .. انا مشفتش ايام كويسه .. احاول ان اضغط على نفسى وعلى زوجتى علشان خاطر الاولاد .. لان يعرفوا كيف كنت بقاسى فى الحياة هذا هو السبب اللى جعلنى اكتب قصة حياتى علشانهم .

الطليعة : ما رأيك فى حقوق الزوجة والمراة فى مصر ؟

حلمى : لم تأخذ حقوقها بعد .. حتى الان .. لاننا اعطينا للمراة حقوقها متأخرا .

الطليعة : مين احنا ؟

حلمى : الشعب المصرى او الحكومة المصرية . بمعنى اصح .. لان فى الاول كنا فى عهد كنا لا نؤمن بعمل المراة ..

الطليعة : فى عهد أيه ؟

حلمى : ايام الملك يعنى .. كان فى هذه الايام عيب لو اشتغلت المراة ، لكن مع تطور الحياة والزمن اصبحت المراة حاليا تأخذ حقوقها ... علشان بتقف بجوار الرجل او تعيش هى الاخرى . وليست تبقى عبء على المجتمع .

الطليعة : واضح جدا ان هذا الكلام ده كله تقوله حسب ما تسمعه وتقرأه .. لماذا لا تنفذه ؟

حلمى : انا قلت لسيادتك لماذا لم انفذه بعد . اننى محتاج ان انفذه لكن امامى عقبه .. هل لو نفذت .. هل اولادى حياخذوا قسـط الرعاية المطلوبه .. لا .. هذا اعتقادى ...

الطليعة : هل حاولت ؟

حلمى : لا لكن مع تجاربى فى الحياة .. كل اهتمامى بركزه على أولادى ..

الطليعة : هل تغير على زوجتك ؟ بصراحة .

حلمى : طبعا .. لازم ...

الطليعة : لماذا ؟ وهل هذا هو السبب فى عدم موافقتك على عملها ؟

حلمى : عايز اقول لحضرتك شىء .. الراجل مننا طالما كان شريف وهو صغير ومعملش شىء غير كويس .

الطليعة : يعنى ايه ما عملش حاجات مش كويسه ؟

حلمى : يعنى لم يزن ولم يمشى فى الحرام .

الطليعة : انت لم تعرف سيده قبل زوجتك ؟

حلمى : عرفت واحدة كانت بتعمل فى بيت .. بحكم اننى كنت مكوجى معرفتى كلها كانت على الشغالات فى المنازل .. الحقيقة حبيت بنت زمان اسمها « سامية » لكن لم اوفق فى جوازى منها .

لماذا .. لانني كنت شغال في هذه الفترة عند واجد في الطائفي .. قال لها لو تزوجتي هـذا المكوجي واحضر ابوها وقال له اذا سنتك تجوزت هذا المكوجي انا بقطع عيشك من العزبة اللي عندي .. طبعا ابوها نظير هذا الالحاح ده كله رفض .. في هذه الحالة اصبت بصدمة ..

الطليعة : كان سنك كام ؟

حلمي : كان حوالي ٢٢ سنة .. لان كان هذا الحادث سنه ١٩٥٩ وفي سـنة ١٩٥٨ طلبت للجيش .. رحت للجيش بس لم امين لان كان عندي « فلات فوت » في رجلي من وقفه المكوه وكان الفريق محمد ابراهيم رئيس هيئة اركان الحرب في هذه الفتره كنت باعمل عنده فقال لهم : ده المكوجي بتاعي لازم يطلع لان عنده كذا وكذا في رجله .. انا محتاج اليه .. فطلعوني . عندما لم اوفق في الجوازه ده .. صبرت لحـد ما قبلت زوجتي الحالية .. لانني اخترنها بعد عدة مشاورات ..

الطليعة : الم تعمل زوجتك ابدا ؟

حلمي : اشتغلت في البدايه وانا عايز اقول لك حاجة .. انا كنت ناوي ان هي تشتغل وقت فراغها لانها في الوقت ده كان عندها عيل واحد ولكن لما بقى عندها ثلاثة اصبحت مش هاتدي واحد زي لما تدي اثنين .. او زي ما تدي اتنين تدي ثلاثة .. فقلت لها لا .. انت اصبح عندك اولاد .. فانا كل همي ايه .. اولادي فانا عايز رعاية اولادي وبعدين انا .. ادي اولادك عشان يطلعوا ناشئين نشأة كويسة في وسـط ابوهم وأمهم .. ما يشعروش ان انت غبيتي عنهم لان انا غبت عن امي فكانت امي بتعاملني معاملة قاسية .. فانا عايز اولادي مش عايز اكثر ..

الطليعة : احكي لنا يوم في حياتك .. تخرج الصبح الساعة كام .. وحتى ترجع البيت ..

حلمي : نجيب يوم الاربع .

الطليعة : اي يوم

حلمي : انا باطلع اي يوم في الايام دي بانزل من بيتنا الساعة سته ونصف الصبح . انا عملي تحت .. يعني شغلي تحت سكني مباشرة فبانزل افتح وباخلص شغلي لاني كراجل سباك ماسك حضور وانصراف فباعتبر رئيس المكتب ده وبعدين باجي بتنتهي مواعيد عملي الساعة الثانية والنصف

الطليعة : هل انت من طائفة العمال او من طائفة الموظفين ؟

حلمي : من طائفة العمال .

الطليعة هل بتعتبر نفسك عامل . ؟

حلمي : ايوه .. كل انسان في الحياة عامل

الطليعة : يعني ايه عامل .. ايه الفرق بينه وبين الموظف ؟ .

حلمي : العامل اللي هو عامل .. صنايعي . يعني مثلا مهنته كذا بياخد .. لكن الموظف اتعلم وبقى موظف وبقى رئيس مكتب وكده ياخد مرصته

الطليعة : هل هو الذي يجلس على مكتب ؟

حلمي : بيقعد على مكتب ايوه .. لكن العامل ممكن بيعمل اي حاجة علشان اكل عيشه .

الطليعه : طيب وانت هل تجلس على مكتب

حلمي : لا . .

الطليعه : كيف اذن ماسك حضور وانصراف ؟

حلمي : ماسك الحضور والانصراف في فترة الصبح دن المكتب مش هو عملي لكن انا ماسكه مؤقتا .. لان مافيش من يخل محلي .. سكن بازاول مهنه السباكه الصبح .. وبعـد الظهر بازاول مهنه المكوه علشان اقدر اعيش وبعدما انتهي من شغلي الساعه ٣٫٣ باطلع اكوي في البيوت .. هنا في يوم .. وهنا يوم علشان اقدر اشتغل يوم وادي لنفسي يوم راحة تاني ... علشان اقدر اعيش . واخلص حوالي الساعة التاسعة مساء وبارجع البيت الساعة عشرة .

الطليعة : ماذا تعمل بعد ان تعود ؟

حلمي : باتعشى

الطليعة : مع الاولاد ؟ .

حلمي : لا لان الاولاد بيكونوا ناموا .. اتعشوا وناموا .. وهي بتكون اتعشت مع اولادها .. ؛ بتكون نامت طبعا ولما بارجع باخبط وهي بتفتحلي .. فبنخش هي تنام وانا باتعشى وانام .

الطليعة : الا تجلسون مع بعض

حلمي : لا .. قليل .. يمكن يوم الاثنين بنقعد مع بعض .

الطليعة : لماذا يوم الاتنين ؟

حلمي : علشان ده يوم راحتي .

الطليعة : بتتكلموا في ايه ؟ .

حلمي : بنتكلم في الحياة يعني آجي اقول لها تعالى .. انا معايا فلوس اد كده .. او صرفنا . او دخلي قد كده في الشهر .. يعني مثلا ما انا جايز ربنا يرزقني في اليومين اللي انا باشتغل فيهم يجيني مثلا دخل مفاجيء باقول لها .. انا دخلي مثلا معايا قد كده وصرفنا قد كده .. فلازم تخلي بالك وتدي اولادك راحة وتبصي لي انا من ناحية ثانية .

الطليعة : الا تتكلموا فى مسائل عامة ؟

حلمى : بخصوص .

الطليعة : أى شىء .. اخبار سمعتها .. مثلا ؟

حلمى : لا انا بقى يمكن الوقت الماضى بتاعى باحب اقرا الجرايد باستمرار .

الطليعة : أى جرائد

حلمى : ايوه لان انا غاوى لان انا من صغرى بقى يمكن نسيت اقول لحضرتك انا كنت احـد اعضاء الاخوان المسلمين وانا صغير .. ايام حسن الهضيبى ..

الطليعة : كان سنك كام ؟

حلمى : برضه وانا كنت باشتغل فى المكوه برضه كان عندى ٨ سنين .

الطليعة : وكيف تعرفت بالاخوان المسلمين ؟

حلمى : كنت باصلى الوقت بوقته .. كنا بنروح الجوامع .. فكنا بنحارب مثلا .. البلد مثلا كانت عايشه فى غلاء فى فساد وفى .. وفى .. وفى . نقوم نعمل حاجة .

الطليعة : سنة كام ؟

حلمى : انا فاكر فى سنة ١٩٤٧ لان انا يمكن انا قلت لسيادتك انه فى سنة ١٩٤٨ حضرت حرب فلسطين .

الطليعه : حضرتها ازاى .. ؟

حلمى . حضرتها وشفت الفوانيس .. وهم كانوا بيضربوا وانا كنت فى كوبرى القبة برضه . ما شتركتش فيها ولكن شفت ايه الضرب .. فسألت قالوا دى حرب فلسطين .. بيحاربوا علشان فلسطين وتاخد حقوقهما وفيه الملك واسلحة فاسدة وكده .. فكنت انا فى الايام دى اطالب الحكومة ان تعطى الشعب الفلسطينى حقه او تدى الجيش حقه وكل واحد ياخذ حقه . فدى برضه كانت .

الطليعة : اتعـرفت بيهم ازاى .. ودخلت معاهم ازاى . ؟

حلمى : اتعرفت بيهم كان عندى زبون ... فكان يقولى مثلا انت بتروح تصلى الفجر ..

الطليعة : كان اسمه ايه ؟

حلمى : اسمه حسين حموده .

الطليعة : كان موظف ولا عامل ؟

حلمى : كان ضـابط فى الجيش .. فتعـالى مادام بتصلى الفجر .. انت صغير ... ويمكن تاخذ او تشيل المنشورات دى ويقول الدين ويعنى المراة تكون متحشمه وماتلبسشى الملابس دى كده . فلما قامت الثورة بقى وقبض على الاخـوان المسلمين وكده فطبعا امتنعت يمكن انا شاركت فى كذا حاجه .. اتقبض على مرة وانا معايا منشورات ورحت قسم الزيتون .

الطليعة : متى ؟

حلمى : سنة ١٩٥٧ .. قبل ما اخش الجيش فى سنة ١٩٥٨ .. قلت لهم ابدا انا مجرد ان انا طفل صغير وعندى حب الاستطلاع لانى باقرا الجرايد .. ماكنتش لسه كملت العشرين لان انا باحب اقرا الجرايد باشوف ايه السياسة فى البلد باعرف لان انا ما تعلمتش فكان الجرنال بيعلمنى .. او المجلات بتعلمنى القرايه .. فطبعا لصغر سنى وكده ماقدروش يمسكوا على حاجة

الطليعة : والمنشورات التى ضبطوها معك ؟

حلمى : لما مسكوها قالوا لى بتوديها فين قلت لهم لا .. انا رايح اديها لواحد بتاع ترمس .. منشورات الاخـوان المسـلمين قلت لهم انا ما اعرفشى .. قالوا دى منشـورات الاخـوان المسلمين قلت انا باخد الورق ده واعطيه لواحد بتاع ترمس علشان اجيب فلوس واشترى سجاير واعيش .. قالوالى يعنى ما تعرفش قلت لهم لا .. تنكرت طبعا .. وبعدين طبعا طلعت بدون اى حاجة .. كان فى الوقت ده لى واحد فى قسم الزيتون .. كان لى واحد ضابط معرفة اسمه احمد عبد الله دسوقى .. برضه احد الزبائن بتوعى .. قال لهم لا . المكوجى بتاعى مايعملش حاجة زى كده .. انا واثق منه كويس ولايمكن

الطليعة : هل ضربوك

حلمى : لا ماضربونيش لانه تدخل فى الوقت اللازم .. لانهم عرضونى عليه كضابط مباحث قال لهم ازاى المكوجى بتاعى مايعملش حاجة زى كده ولايمكن ولازم يروح البيت عندى لان انا عندى مكوه ولازم يروح البيت . فدى برضه انا باعتز بيها .

الطليعة : قلت وبعد كده قطعت علاقتك مع الاخوان . كيف ؟

حلمى : قطعت علاقتى بعـد كده لان زادت همومى وزادت مشاكلى بقى ..

الطليعة : ولكن ما رايك فى كلامهم ؟

حلمى : فى الايام دى .. اولا هو كان فى الايام دى الوضع كان غير الايام اللى احنا فيها . البلد كان فيها انحلال .. ماكانش فيه نظام مستمر ماكانش فيه استقرار فى البلد .. لما تبقى سيادتك فى ظرف يومين اثنين اتغيرت الوزارة بتاعة احمد نجيب الهلالى فى ظرف ٢٤ ساعة .. ماكانش فيه استقرار .

الطليعة : ما رايك فى دعوة الاخوان المسلمين .. هل كان ممكن تجيب نتيجة ؟

حلمي : والله .. لو كانوا على حق كان ممكن تجيب نتيجة .

الطليعة : هل هم مش على حق ؟

حلمي : كان فيه جزء على حق ولذلك فان الثورة فين بعد ما عرفنا بعد كده .. ما كانوا من ضمن الاخوان .. الثورة .. انور السادات ما هو كان من الاخوان المسلمين عبد الناصر كان من الاخوان المسلمين .. كان كل دول من الاخوان .

الطليعة : انت متأكد ؟

حلمي : ايوه على حسب ما قرأت .. على حسب ما كنت باقرأ وما قرأت فى مذكرات الثورة .

الطليعة : اين قرأتها ؟

حلمي : كنت باقراها احيانا فى الاخبار .. يعنى كنت باحب اقرأ الحاجات دى .

الطليعة : لكن مين اللى كان على حق ومين اللى كان على باطل ؟

حلمي : اللى هى على حق الثورة .. لانها كانت بتعمل لمصلحة الشعب .

الطليعة : يعنى انت عندما الثورة اصطدمت بالاخوان اخذت جانب الثورة ...

حلمي : اخدت جانب الثورة لانى لقيتها عايزة تعمل معاش للعامل تقف جنب منه تعمل له تأمين وادخار .. كان الاول العامل بيشتغل فى اى مصلحة حكومية او فى اى شركة .. كان بعد نهاية خدمته بياخد مكافأة فكان بيضيعها . وكان بيضيع معاها .. اصبحت الثورة عملت تأمينات اجتماعية .. عملت ادخار .. عملت معاشات أمنت على حياة العامل بعد كده .. كنت لازم آخد جانب الثورة لانها على حق .

الطليعة : ما هى الثورة ؟

حلمي : الثورة اللى هى احنا الشعب ....

الطليعة : ما هى ؟ هذا كلام عام .. حددلى ماذا تقصده بالثورة ؟

حلمي : اللى باقصده بالثورة انها تكون ثورة على الظلم والطغيان ..

الطليعة : وهل حدث هذا ؟

حلمي : ايوه حصلت لان الاول كان فيه فساد وظلم

الطليعة : متى ؟

حلمي : فى ١٩٥٢

الطليعة : يعنى انت بتعتبر ثوره ١٩٥٢ ثورة على الظلم والفساد .. طيب رايك ايه بعد عشرين سنه .

حلمي : رايى .. انه بعد ما مسك السيد انور السادات يعنى رجع الثوره الى اصلها الحقيقى .. الاول انحرفت الثوره عن مسارها .

الطليعة : انحرفت كيف ؟

حلمي : مافيش واحد بس يدعى انه اللى قايم بالثورة وانه هو .. وهو .. فلما جه انور السادات مسك بعد وفاه عبد الناصر .. صحح الاوضاع .. جاب اوضاع العامل على حقه لان العامل ما كان بيطلب حقه .. او كان اى انسان يقول رايه فى الوقت ده كان ايه مصيره ؛ لما كنت انا اقول لا الوضع ده مش عاجبنى كانوا بيجيبوه ويسجنوه وماحدش يعرف طريقه .. ليه .. لانهم ما كانوش عايزين فى الوقت ده كل واحد يقول ايه اللى يكشف عليهم .. لما جه انور السادات اعطى العامل حريه راى اولا وقال كل واحد يقول اللى عايز يقوله .. انا ما بعترضشى يمكن انا آخد من الكلام ده باستفيد منه شخصيا فقام انور السادات اعطى كل واحد حقه .. طبعا من حق الانسان انه يشجعه او يقف جنب منه .

الطليعة : قبل كده كانت الثورة فيها انحرافات

حلمي : ايوه كان فيه انحرافات .

الطليعة : كلها انحرافات

حلمي : لا ما كانتشى كلها .. هو كان فيه منحرفين من الثوره .. يعنى كان عبد الناصر عايز يصحح الانحرافات .. ما كانشى بيقدر .

الطليعه : انت بتحبه ؟

حلمي : شوف انا حبيت جمال عبد الناصر وكرهته .. حبيته لما كان كويس .. لما كان بيعطى كل واحد حقه او كان بينصف الانسان .. وماحبتوش ليه ؟ لما بدا يسمع ومايشوفشى على الطبيعه .. كان الاول بيشوف على الطبيعه ويحل مشاكل الناس .. بعد كده مابقاش يشوف مشاكلهم .. واحد ييجى يقول له فلان ده عمل . مش يجيب مثلا ويقول ليه ده عمل ده .. لا هاتوه وحطوه فى السجن .. حطوه فى المعتقل .. طيب ما تجيبه وتحقق معاه .. لكن جه انور السادات عمل ازاى قال لك لا .. انت بتقول ده وحش .. نجيب الوحش ده ونشوف ده وحش ليه .. مايمكن مظلوم .. ولذلك كان فى عهد عبد الناصر كانت المعتقلات مليانه بدون وجه حق .. فطبعا لما جه انور السادات مابقاش فيه معتقلات بقى فيه كل واحد ممكن يقول رايه فى

الشارع مش خايف .. أيوه قلت انلى فى قلبى وماحدش هايسجنى فده رأيى فى الثورة وفى الوضع القائم والحقيقة ان عبد الناصر عمل مش معملشى ..

الطليعة : عمل ايه

حلمى : عمل مصانع .. بنى مدارس .. ما كانشى فيـــه مدارس كثير .. أمم الشركات ماخلاش فيه احتكارات .. لكن بعد كده ..

الطليعة .. يعنى ايه احتكارات ..

حلمى : صاحب شركة مثلا .. انا باشتغل فى الشركه دى بييجى فى اى وقت يستغنى عنى مثلا يقول لى بره .. مالكش عندى حجة لاجه عبد الناصر وقال ماتطردش العامل .. تطرده ليه ؟ عايز تطرده ادى له حقه فيه سبب فيه اللجنة النقابية هى اللى تدى له حقه .. لان انت لما ماترميه فى الشارع معناه فيه مجتمع ضايع .. انا مش عايز مجتمع ضايع .. فده كان رأيى فيه .. لكن بعد كده اتغير رايى فى عبدالناصر .. ليه .. لما انحرف عن خط سيره لو كان مشى عبد الناصر فى الخط السير المضبوط الى رسمه لنفسه كان بقى كويس . جه صحح محمد انور السادات الاوضاع دى .. صححها ازاى بدأ كل واحد يدى له حقه ويعمل برضه المصانع وبجى البلد .. كان عبـــد النـــاصر صوته من دماغه ما كانش بيسمع كلام حد لكن جه انور السادات تعـــالى يا فـــلان انت زعلان ليه .. لا تعـــالى ما تزعلشى . وتعالى يافلان انت زعلان آه . حقك على ووفق ولم . فبناء عليه تجمعنا وانتصرنـــا فى حرب رمضان .. انتصرنا ليه لاننا وحدنـــا الكلمة مابقاش فيه خلاف .

الطليعة : انتصرنا على مين ؟

حلمى : انتصرنا على اسرائيل وعلى امريكا وانتصرنا على قوى الظلم كلها .. اللى هى كانت اساسا .. وبدأ العالم يحترمنا لانه شعر ان لنا حق بنطالب بيه .. كان الاول فاهم ان احنا مالناش حق انور السادات اعطى كل واحد حقه واظهر للعالم بأجمعه حقه .. وقف معـــانا العالم ووقف معانا الاخوان لان احنا كنا اسرة مترابطة ماحدش قدر يخش بيننا .. لما تكـــون الاسرة مفككة ممكن كل انسان يستغل التفككه .. فوفقنا والحمد لله وانتصرنا فى حرب العاشر من رمضان ..

الطليعة : انت ايه رأيك فى الوضع الحالى .

حلمى : من ناحية ؟

الطليعة : انت قلت لنا على الجانب الحسن فقط وقلت عن الجانب الحسن والجانب السيىء فى عهد عبد الناصر والان ماهو الجانب الذى لايعجبك والذى تريد من الرئيس ان يصححه ؟

حلمى : انا عايز حاجة واحدة الرئيس يصححها عايز من الرئيس مزيد من حقوق العمال .

الطليعة : كيف ؟

حلمى : زى الارباح بياخذها العامل .. فى ساعات اضافية ممكن بياخذها العامل ..

الطليعة : هذه موجودة حاليا ؟

حلمى : موجودة حاليا

الطليعة : ماهى الحقوق التى تريدها ؟

حلمى : الحقوق اللى هو بعد كده ان لايفصلوا عامل بعد كده مثلا ..

الطليعة : انت بتقول ان هذا تحقق فى وقت عبد الناصر ..

حلمى : كان فى وقت عبد الناصر صحيح بس اللى روده مين ؟ وأمن على حياة العامل اكتر مين ؟ انور السادات .. فى طلبات الحكومة حاليا انها ترحص الحاجة مثلا ، لان الحاجة فى غلاء مستمر .. منين اقدر اجيب كيلو لحمه بـ ١٣٠ قـــرش اولادى ؟ اجيب نصـــف كيلو بدل مـــن العيل حياكل حتتين حياكل حتة واحدة .. اصبح برصكلم يتغذى بعد .. انا بطالب ان الحكـومة تعمل على ترحيص المعيشة .. بدل مايكـون كيلو اللحمة بـ ١٣٠ قرش او بـ ١٥٠ قرش ..

الطليعة : ماهى الحاجات الاساسية التى ترى ضرورة تخفيض سعرها ؟

حلمى : اولا اللحمة .. والسمك .. يبحثوا عدم توافره فى الاسواق مثلا .. دول اهم حجة .. السمن ممكن يوفروها .. الصابون يكون متوفر .. والزيت .. القماش مثلا . اجيب للعيل بيجاما واحدة مش قادر اجيب اثنين .. لان المتر بـ ٣٥ قرش او ٤٠ قرش .. علشان اقف اجيب المتر فى الجمعية بـ ١٦ قرش لااقدر لماذا لـم اقدر ؟ لان فى ناس آخرين بيحضروا بالسيارات ويدخلوا الجمعيات فى الحال بسهوله ويأخذوا حاجاتهـــم وينصرفوا غيره لا يأخـــد شىء . انا بطالب بأن الحكومة تنزل القماش .. بسعر يكون فى متناول الجميع . لان زى الكبير مابيعيش ، لازم الصغير يعيش .. لان كده لااقدر اعيش ..

الطليعة : ما رأيك فى سياسة الانفتاح ؟

حلمى : سياسة الانفتاح ، صحيح لم ادرســـها بعد لكن لو استمرت سياسة الانفتاح لايوجد فـــى

عقد فى المصانع .. يعنى واحد حضر ليضيع فلوسه .. نعطى له المشاريع ليعمله ، بدل مافيه عمال عاطلين ، ممكن لما يفتتح مصنع ، حيستوعب عمال للعمل .. اصبح بقى لايوجد مجتمع فقير عندنا .. ولذلك استفيد .. ازاى .. يستغل المصنع فيه ١٠ او ١٥ عامل لا يوجد عطلة .. يد عاطلة .. بس ...

الطليعة : طبعا بتسمع عن القطاع العام والقطاع الخاص ؟

حلمى : ايوه .. انا شغال فى القطاع العام ..

الطليعة : ماهو تصورك للقطاع العام والقطاع الخاص ؟

حلمى : القطاع العام العامل بيشتغل مثلا ٧ ساعات خاصة به ، القطاع الخاص بيعمل من الساعة ٨ صباحا حتى الساعة ١١ ليلا ..

الطليعة : والاحسن فى رأيك ؟

حلمى : القطاع العام طبعا ..

الطليعة : ولماذا ..

حلمى : القطاع العام طبعا .. القطاع العام له ساعات عمل محدده .. وفيه طبيب .. وفيه علاج .. فيه تأمين على حياته .. انا عند خروجى على المعاش مثلا وانا فى القطاع العام القى معاش لاولادى اصرف منه .. فى القطاع الخاص لايوجد هذا .. المفروض معاشات للقطاع الخاص ايضا . مصنع قطاع خاص فيه ٣ او ٤ عمال . المفروض ان يؤمن على هؤلاء العمال .. زى ما بتأمن شركات القطاع العام علشان ده يأخذ حقه وده يأخذ حقه أيضا .. فى القطاع الخاص صاحب المصنع او الشركة يطردنى واصبح فى الشارع .. مش كل العاملين فى القطاع الخاص مأمنين عليهم حتى الان ...

الطليعة : هل ترى اجبار القطاع الخاص على التأمين على عماله ؟

حلمى : عندما نعمل قطاع خاص .. العامل بيشتغل .. الحكومة بعد كده حتدخل تقول لصاحب المصنع ده انتوا شغلتوا العمال دول اعملهم تأمين . لازم الحكومة تلزمهم .. زى ما هى عاملة فى الشركات عندها ...

الطليعة : هل قرأت فى الجرائد ان هناك ناس بتطلب بيع القطاع العام .. ؟

حلمى : غلط بيع القطاع العام ..

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : لو باع القطاع العام لمن يباع ؟ حيباع للذين كانوا أصلا ماسكين هذه الشركات فى الاول .. الشركات الاحتكارية الاول .. يبقى العامل لايمكن يأخذ حقه اذا .. افضل ان القطاع العام يكون فى يد الحكومة المصرية علشان العامل يضمن يأخذ حقه .. لان لما باشتغل فى بلدى او مع حكومتى بآخذ حقى .. انما اذا حضر شخص من الخارج .. لازم ان القطاع لايباع ابدا والا لاداعى ان يكون موجود قطاع عام ..

الطليعة : يعنى ايه لاداعى .. لاداعى للثورة يعنى ؟

حلمى : مع احترامى لسيادتك . لاداعى للقطاع العام ازاى : لو بعت الشركة دى لواحد وكان العمال بيشتكوا برضك ، اخليها واشجع العمال واعطى لهم امكانيات للعمل .. وده حق العامل .. يبقى غصب عنى لازم احافظ عليه ... لان لو اشتغلت فى قطاع خاص حاتعب ... لازم احافظ على القطاع العام بتاعى او الشركة بتاعتى علشان اقدر اعيش واولادى يعيشوا ..

الطليعة : انت عندما تشترى هل تشترى من القطاع الخاص او القطاع العام ؟

حلمى : لو سهل لى الشراء من القطاع العام باشترى . لكن لا يسهلى الشراء فى القطاع العام

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : حاقول لسيادتك لاننا احنا كطبقة فقيرة لانقدر نوصل الى حاجاتنا الا من القطاع العام .. زى المحلات الخاصة للاقمشة حضرت لاولادى قماش كستور هذا العام .. دخت لحين ما لقيت واشتريت .. وجبت بالوسايط علشان اشترى قماش لاولادى .. من القطاع العام وكذلك جبت لامهم من القماش المستورد ابو ٣٠ قرش المتر علشان تلبس مافيش طبعا ده كان يفرق علشان اجيب لاولادى لازم استلف .. علشان اجيب قماش بـ ١٥ جنيه لاولادى لازم استلف فالمفروض لازم تكون فيه رقابة على المحلات بتاعت القماش مش علشان الغنى يعيش والفقير ما يعيشى .. الغنى عايش .. الفقير مش عايش .. ليه الفقير مش عايش .. مش قادر ياخذ من ابو ١٦ قرش فباضطر انى اجيب من الغالى لو حدت من الغالى يبقى يأخذ جزء من ماهيتى .. فمعناها يا أسرق يا اسيب عيالى عريانين فباضطر انى اكلم اى انسان .. اى عامل من المحلات دى من فضلك انا عايز « بون » بقد كده مثلا باجيب له فلوس ..

الطليعة : بتعطيه كام مثلا ؟

حلمى : والله على حسب ما يطلب

الطليعة : يعنى فى المتوسط ؟

حلمى : جنيه على الاقل .. باخذ جنيه علشان اضمن ان يجينى « البون » وبعد كده اضمن ان

يجيبلى القماش بتاعى .. بتبص تلاقى الطقة الجنية من دول .. العربية واقفة يروح فاتح له الباب فلان بيدفع ويخش على مدير المحل من دول .. طلبات سيادتك قد ايه .. قد كده .. واتحملت فى العربية ومشى .. القطاع الخاص فيه متوفر صحيح بس انا ماعنديش الامكانيات ان انا اجيب

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : السعر مرتفع ما هو ده بـ ١٦ فى القطاع العام فى القطاع الخاص بـ ٢٨ و ٤٠ وهو نفس القماش .

الطليعة : السبب ايه ؟

حلمى : لان القطاع الخاص بياخذ حصته فلازم عايز يستفيد .. فلازم يبيع غالى لان الحياة غالية .. علشان الحياة غالية لازم يعيش فيبيع غالى

الطليعة : لكن هناك تسعيرة

حـلمى : لو انت اخذته بالتسعيرة مش هايبيع لك لان الحكومة رفعت الرقابة الادارية مرة انا قرات فى الجورنال .. جابوا القماش بتاع التسعيرة لاموه .. قماش ما ينفعش .. ما اقدرش اجيب لابنى البسه وبعد يوم تتقطع منه واجيب له بيجامه تانى .. انا ادفع قرش زيادة احسن واجيب له سليم

الطليعة : انت عندك بطاقة تموين على القطاع العام او القطاع الخاص

حلمى : لا هى البطاقة التموينية عموما بتجيب منها بالقطاع العام او القطاع الخاص لان القطاع العام او الخاص ما بيصرفش .. اغلبية تعاملى مع القطاع الخاص .

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : لانه ماعنديش وقت علشان اروح القطاع العام ....

الطليعة : وهل تشترى من القطاع الخاص بالسعر الرسمى ؟

حلمى : لا غالى ..

الطليعة : حتى المواد التموينية؟

حلمى : المواد التموينية بدل ما باجيب ٥ كيلو ارز باجيب ٢ كيلو ..

الطليعة : والباقى ..

حلمى : ما عنديش .. على حسب احتياجاتى حسب الفلوس .. انا لى ٥ كيلو فى الشهر وباوفر ثمن الـ ٥ كيلو رز دول باجيب من القطاع العام ماهو القطاع الخاص لو جبته باجيب الكيلو بـ ٨ صاغ انا الرز فى القطاع العام بـ ٥ صاغ .. من بره باجيبه بـ ٨ علشان اولادى .. علشان غذاء الاولاد لما اجى اجيبه من القطاع الخاص .. بدلا من ان اجيب كيلو كل يوم لان انا لا استطيع ان اجيب ٥ كيلو مرة واحدة .

الطليعة : يعنى بتستهلك ٥ كيلو فقط فى الشهر؟

حلمى : انا باستهلك اكتر من ٥ كيلو فى الشهر

الطليعة : والشاى والزيت .

حلمى : ده انا باجيبهم من البطاقة التموينيـــة بيكلفنى التموين ١٥٠ قرش .

الطليعة : وتأخذ حقك كامل . . ؟

حلمى : ايوه لان ده تموين .. باخذ حقى كامل ده مافيهوش لعب .. باخده على دفعتين

الطليعة : تسمع عن حاجة اســـمها شـــارع الشواربى ؟

حلمى : اسمع عنه بس ما بروحهوش

الطليعة : بتسمع عنه ايه ؟

حلمى : باســـمع عنـــه انهم بيبيعوا حاجات مستوردة وانا مابتعاملش معهم لانه ماعنديش مقدرة للحاجات الغالية — اللى يتعامل فيه الناس الاغنياء

الطليعة : ورأيك هل يستمر شارع الشواربى؟

حلمى : والله يستمر ، ومايستمرش .. يستمر للى عنده فلوس .. وما يستمرش للى ماعندهوش

الطليعة : اللى ماعندهوش .. مابيروحشى .

حلمى : لا فيه .. لانه بيروح حب استطلاع يستطلع بيشـــوف الناس بتشترى ازاى وبتلبس ازاى فيتحسر على نفسه .. هل انا لو معايا حق الفلوس دى ماهو انا ممكن البس وابقى زى اللى بيلبس لكن انا ماعنديش .. فالانسان يعنى لو الحكومة تيجى على شارع زى كده وتقوله زى ما بتبيع للغنى بيع للفقير يبقى ممكن يلتزم لكن الحكومة ليه بتسيب لان مفيش رقابة .

الطليعة : من يملك شارع الشواربى ؟

حلمى : يملكه الشعب برضه ..

الطليعة : ازاى اذا كان الشعب لا يشترى منـه

حلمى : اصلا المحلات دى بتاعت مين بتاعت القطاع الخاص لانه اصلا انا مارختش شارع الشواربى ولكن انا باسمع بيه فى الجرايد صحيح .. تلاجة جاية فى الحتة الفلانية بتتباع بالعملة الصعبة

الطليعة : هل عندك وقت فراغ ؟

حلمى : عندى وقت فراغ يوم الاثنيـن ويوم الخميس باقضيهم مع اولادى فى البيت .

الطليعة : بعد الظهر ؟

حلمى : ايوه عندى تليفزيون

الطليعة: بتقضيهم ازاى ؟

حلمى : باقضيهم .. باقعـــد اتفرج عـــلى التليفزيون مثلا ..

الطليعة : عندك تليفزيون؟

حلمي : ايوه عندي تليفزيون

الطليعة : حصلت عليه ازاي ؟

حلمي : بالقسط .. عملت جمعية علشان اولادي كانوا بينزلوا عند الناس كانوا بيطردوهم .. دي تقفل في وشه الباب.. ودي كذا.. فأنا منعا لذلة نفس اولادي وطبعا عزت على نفسي ان اولادي ينذلوا وانا موجود ففضلت ان اعمل جمعية واجيب لهم التليفزيون .. اوفر لهم سبل الراحة اللي انا بأتمناها ..

الطليعة : ما الذي يعجبك في برامج التليفزيون؟

حلمي: بيعجبني فيه .. البرامج الاخبارية لاني باحب البرامج الاخبارية اكثر من كل شيء لان انا كمتتبع للاخبار واحوال البلاد والبلد بتاعتنا احب النشرة .. احداث الـ ٢٤ ساعة .. لو فيه فيلم من الافلام القديمة ..

الطليعة : الا تحب الافلام الجديدة ؟

حلمي : مش كلها لان اصلها .. بيعجبني الافلام زي افلام محمد عبد الوهاب بتاعت زمان « دموع الحب » « الوردة البيضا » رصاصة في القلب .. الافلام بتاعة السيدة ام كلثوم لان يمكن انا كنت باخش الافلام دي .

الطليعة : ما رأيك عموما في التليفزيون ؟

حلمي : التليفزيون كويس بس المفروض يعمل برامج ثقافية للاطفال ويمنع الافلام اللي بتجيب مناظر خليعة علشان ما تلفش اخلاق الطفل من دول .. المفروض تعطى له افلام دينية .. المفروض تعطى له افلام ثقافية علشان توعيه وتعرفه البلد عايشه ازاي .. او البلد ماشية ازاي .. بدل ما نجيب افلام فيها صور خليعة ونجيب مثلا افلام تخلي العيل بدلا من ان ينشأ نشأة سليمة يمشي على نشأة انحراف ... ده رأيي .

الطليعة : بتسمع الاذاعة ؟

حلمي : انا باسمع الاذاعة ايوه عندي الحمد لله اثنين راديو ..

الطليعة : اثنين راديو ؟

حلمي : ايوه حصلت عليهم كهدايا من الزباين اللي باشتغل عندهم

الطليعة : بتسمع ايه من الاذاعة ؟

حلمي : باسمع القرآن .. والاغاني القديمة والنشرة الاخبارية باحب اسمع الاغاني القديمة قوي .. قوي خصوصا اغاني الاستاذ محمد عبد الوهاب لان بلاقي فيها الروح لنفسي .. وخصوصا اغانيه القديمة لانها كلها حزينة فانا بأميل للاغاني الحزينة .. الاستاذ فريد الاطرش مثلا اغانيه حزينة .. السيدة أم كلثوم لها اغاني حزينة باحب اسمع الاغاني الحزينة دي لاني باشعر باني لما باسمعها كاني عايش في الايام اللي انا مازلت باعيش فيها لحد الان ..

الطليعة : ما رأيك في المطربين الجداد .. عبد الحليم حافظ مثلا ؟

حلمي : لا .. لا .. لا اسمع الا من السيدة ام كلثوم وفريد الاطرش ومحمد عبد الوهاب .. لان بالنسبة للاستاذ محمد عبد الوهاب او السيدة ام كلثوم كل اغانيهم وانا صغير كنت باسمع الاغاني دي .

الطليعة : هل بتقرأ جرايد ؟

حلمي : ايوه

الطليعة : اي جرايد ؟

حلمي : بقرا الاخبار والاهرام .. لازم كل يوم اقرا الجرايد

الطليعة : بتشتريهم ؟

حلمي : باشتري « الاخبار » بصفة مستمرة والاهرام باقراها عن طريق مكتب البريد الموجود جنب مني ...

الطليعة : لماذا الاخبار ؟

حلمي : لان الاخبار حبي له انه بيجيب مواضيع تعودت اني اقراها من صغري من زمان من ايام « المصري » .

الطليعة : كنت بتقراه ؟

حلمي : آه كان الراجل بتاع الجرايد بيحدفه لي من تحت باب المحل

وانا اتعلمت القراءة والكتابة عن طريق الصحف والمجلات ..

الطليعة : ما هي اهم الموضوعات التي تحبها في الاخبار ؟

حلمي : بتعجبني برنامج اخبار الناس ،بيعجبني الفكرة اللي بيكتبها الاستاذ علي امين كويسة..

الطليعة : بتعجبك ؟

حلمي : آه بتعجبني قوي الحقيقة .. وياريت الواحد يشوف في الاهرام حاجة زي كده .. بعدين بتعجبني المقالات التي تكتب في الاهرام انها تكون عن السياسة وعن البلد لان بتنور للناس طريقهم وبيشوفوا البلد ماشيه ازاي

الطليعة : مين من الكتاب بتحب تقرا لهم فى الجرايد ؟

حلمى : انا احب اقرا فى الجرايد قوى قوى للاستاذ مصطفى أمين .. باحب اقراله قـوى قوى لان باسلوبه فى مقالاته كويس .. دى حاجة فى الاخبار باحب اقرا اى مقاله له خصوصا مقالاته بتاعت يوم السبت احب اقراها وبعدين حاليا بدأت اتابع مقالات محمد ابو الفتح اللى كان من زمان ورجع برضه باحب اقراله بعنى انا لسه قريت له مقاله امبارح كان بيتكلم عن المنابر وعن اليسار ..

الطليعة : يعنى ايه اليسـار . . ؟

حلمى : اولا اليسار على حسب ماانا فى ذهنى او فى تفكيرى انهم بيعتبروه قيام حزب شيوعى .. طيب وماله لما يكون فيه حزب شيوعى ..

الطليعة : يعنى ايه شيوعى ؟

حلمى : الشيوعية .. يعنى الشيوعى ده عايز ايه عايز ان كل واحد ياخد حقه مش عيز تكون هناك طبقة غنية وطبقة فقيرة عايز يبقى الكل مستوى واحد . طيب ماياريت مادام يبقى كله مستوى واحد مايبقاش فيه غنى او فقير ..مافيش حد هايحتقر الثانى مايقولش حد انا غنى وده فقير .. وماله مش عيب طالما انا باخد حقى كفقير باشعر ان فيه مساواة .. وماله ..

الطليعة : من ايضا تحب ان تقرأ له ؟

حلمى : فى الاخبار ؟

الطليعة : فى كل الجرايد ؟

حلمى : الاستاذ توفيق الحكيم .. برضه بيكتب مقالات كويسة ..

الطليعة : وفى المجلات ؟

حلمى : لا انا لا إتابع المجلات كتير .. غير آخر ساعة بصفة غير منتظمة لانه ماعنديش وقت الحقيقة .

الطليعة : لمن تقرأ فيها ؟

حلمى: برضه هو الاستاذ مصطفى أمين لو كتب فيها واللى مابيعجبنيش أسلوبه فى الكتابة او لا استريح له نفسيا الاخ موسى صبرى.

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : لانه هو معاك معاك.. عليك عليك على رأى المثل يعنى أيام كان بيكتب وكان بيقول .. لما مات عبد الناصر الله يرحمه طلع فيه الـ ..طيب ما كنتش ليه بتقول كده ايامه . مابيعجبنيش : لانه هو ماعندهوش مبدأ وتفكيره على حسب ما اعتقد غير سليم .. المفروض بتقول الحق بتقوله على طول ولو على رقبة الانسان .

الطليعة : مين كمان بتحب تقرا له ؟

حلمى : مافيش اكثر .. الاستاذ توفيق الحكيم أنا باقول لسيدتك بيعجبنى جدا ..

الطليعة : مين لا تحب تقرأ له غير موسى صبرى ؟

حلمى : هو أى انسان منافق أو مابيكتبش الكلام اللى بيعجبنى ، مابحبش أقرا له .

الطليعة : كيف تعرف انه منافق أو غير منافق ؟

حلمى : بيبان .. يعنى مثلا أى مقالة غير عجبانى او الاقيهـا متحيزة للحكومة او غير الحكومة مابرضاش أقراها .. لكن لما ألاقى مقالة فيها الحق وواخده خط سليم .

الطليعة : مين رئيس الحكومة .

حلمى : طبعا الرئيس محمد أنور السادات .. لا هو رئيس الجمهورية .. رئيس الحكومة السيد ممدوح سالم .

الطليعة : ومين الوزير الذى تتبعه مؤسستك ؟

حلمى : عيسى شاهين .. ده وزير الصناعة .. احنا بنخضع كقطاع عام الى وزارة الصناعة مباشرة فيعتبر هـو على المثل البلدى بتاعنـا — الاسطى ..

الطليعة : هناك وزيرة اظن فى الوزارة ؟

حلمى : ايوه عائشة راتب وزيرة الشئون الاجتماعية .

الطليعة : ما رأيك فى تعيين وزيرة ؟

حلمى : وماله كويسة .. لان أنا شايف كان قبل منها حكمت أبو زيد .. كانت وزيرة الشئون الاجتماعية .. لان منصب كويس فى الشئون الاجتماعية بتدرس حالة الفقير وبتعطى له حقه .. ويا ريت يعطوا لها امكانياتها وهى تؤدى رسالتها وتتم رسالتها .. مش عيب أبدا ان المرأة تاخد وضع وبعدين تؤدى رسالتها وتدى للفقير حقه .. مش جايز لو مسك راجل ما يقدرش يقوم بالمهمة .

الطليعة : هل سمعت عن قانون لحقوق المرأة .. وتقييد حق الطلاق ؟

حلمى : آه طيب ياريت

الطليعة : لكن هناك ناس بتقول الدين يمنع ؟

حلمى : أنا عايز اقول لسيادتك على حاجة الدين أولا مباح .. وبعدين ..

الطليعة : ايه هو المباح

حلمى : الشرع محلل لنا احنا أربعة .. الدين الاسلامى محلل أربعة .. أنا بأطالب ان الحكومة تصدر هذا القرار وهذا القانون ليه .. علشان تحدد أنا واحد من الناس من المجتمع .. لو ما كانش أبويا اتجوز مثلا اثنين بلاش أمى .. يعنى واحدة ثانية غير أمى .. يا ريت الحكومة تعمل هذا القانون وما تعملش طلاق لان لما بيحصل طلاق فى الاسرة مين اللى بينضر فى الاسرة نتيجة الطلاق .. الاولاد .. بيكون ايه مصير الاولاد .. التشريد وبيكون اصبح فيه مجتمع ضايع فياريت الحكومة تعمل قانون وتحد من الطلاق وبتحد من كل ده علشان نضمن قيام أسر سليمة فى البلد يا ريت لان أنا واحد من الناس عانيت من كثرة الطلاق والزواج ..

الطليعة : هل لك أصدقاء ؟

حلمى : لا ..

الطليعة : أليس لك أصدقاء مطلقا

حلمى : ما ليش أصدقاء ..

الطليعة : ولا من الجيران ؟

حلمى : لا الجيران سلام عليكم .. ياجارى انت فى حالك وأنا فى حالى

الطليعة : ألا تتحدث مع أحد فى مشاكل البلد ؟

حلمى : ما بحبش اتدخل لان الاختصار عبادة أنا يكفى انى باجيب الجرايد .. بجيب الاخبار بصفة مستمرة وبأقراه .. عندى التليفزيون باطلع على الاخبار فبنمى موهبتى بنفسى .

الطليعة : هل تقرأ كتب ؟

حلمى : لو اتيحت لى .. مش كل الكتب .. قليل

الطليعة : مثل .. ؟

حلمى : لو لقيت مجلة زى روز اليوسف .. لانى لا أستطيع أن أشتريها فاقعد اتسلى فيها مجرد انى باخد فكرة .. لكن قرايتى باستمرار للجرايد .

الطليعة : هل تعتبر نفسك عامل ؟

حلمى : ايوه

الطليعة : هل انت عضو فى نقابة ؟

حلمى : أيوه عضو فى نقابة الشركة .

الطليعة : هل طلبت العضوية أم ضموك اليها ؟

حلمى : لا .. هو أنا طلبت أولا العضوية فقالى لى أن ده من حقك .. ان أنت تنضم كعضو لان انت فى مكان علشان النقابة دى بتعطى حقوق الناس .

الطليعة : وهل فعلا بتعطيك حقوقك وهل عندك ملاحظات عليها ؟

حلمى : آه .. لا ما هو أنا الحقيقة ما شفتش ما حصليش أى حاجة علشان أقدر آخذ حقى .. انا لما جه لابنى حالة شلل اطفال فالنقابة ساعدتنى بخمسة جنيه النقابة .. بتاخد كل شهر اشتراك عشرة قروش .

الطليعة : نقابة ايه ؟

حلمى : نقابة الصناعات الهندسية والمعدنية

الطليعة : مين رئيسها ؟

حلمى : فى شركة ايديال بتاعتنا احنا مدام نعيمة

الطليعة : مين رئيس النقابة العامة ؟

حلمى : ما عنديش فكرة .

الطليعة : من رئيس اتحاد نقابات العمال .. ؟

حلمى : اللى هو وزير القوى العاملة .. عبد اللطيف بلطية .

الطليعة : طيب ما رأيك فى اتحاد العمال » وهل فيه حاجات انت لك ملاحظات على النقابة ؟

حلمى : هو انا ماليش صلة بالنقابة حاليا

الطليعة : اليست هناك اجتماعات

حلمى : لا .. هم لما بيعملوا اجتماعات بيعملوها على مستوى الكبار .. مبيعملوش على مستوى الصغيرين . بيعملوها على مستوى الكبار بس .. بيتقدم له مثلا مشكلة .. وواحد عنده حالة وفاة .. يساعده . أكثر من كده لا

الطليعة : ألم تطلب شيئا من النقابة ؟

حلمى : لا النقابة بتتدخل فى حاجة واحدة لما العامل بيتفصل . باطلب من النقابة انها تتدخل .. أيه أسباب فصل العامل مش جايز العامل مظلوم .

الطليعة : وهل بيحدث فصل ؟

حلمى : بيحصل فصل منين .. للاسف منا احنا كعمال .. بيعمل غياب .. طالما عمل غياب فيتفصل . لا أنا بأطالب أن العامل يكون ماشى سليم وهو مش هاينفصل طالما ماشى سليم هايتفصل ليه

الطليعة : هل اشتركت فى الانتخابات وهل عندكم عمال اعضاء منتجين فى مجلس الادارة .

حلمى : ما اشتركتش فيها .

الطليعة : ليه

حلمى : لان مأباعتقدش فيها باشترك فى اللجنة النقابيه بس ..

الطليعة : ليه ما بتعتقدش فيها ؟

حلمى : لانه بينتخب عضو مجلس ادارة بعدين باجى اطلب منه حاجة بعد كده .. احنا انتخبناك كعضو مجلس ادارة وأنا لى طلب مثلا عايز آخش لرئيس مجلس الادارة .. ما بيدخلنيش .

الطليعة : الا تعقد اجتماعات ليطلبوا رأيكم ؟

حلمى : لا .. من النادر .. قليل لان دول داخل المصنع انا كصيانة خارجية مش داخل المصنع فيبقى قليل .

الطليعة : ما رأيك فى الاتحاد الاشتراكى . وفى قضية المنابر دلوقت .

حلمى : الاتحاد الاشتراكى المفروض ان يكون منابر بداخله ما يكونش هو القائم بالسلطة بذاته أنا باقول رايى بصراحة وعلى أتم الاستعداد أن أواجه أى مشكلة . المفروض يكون فى الاتحاد الاشتراكى فيه منابر بدل من اللى كنا بنسميها الاحزاب . علشان باجى انا مثلا اقول رايى فى البلد .. فيه بعض الاوضاع مش عجبانى .. الاول لما كنت اجى أقول الوضع ده مش عاجبنى المفروض انهم يتيحوا فرصة للواحد علشان يتكلم .. تعالى انت ايه اللى مش عاجبك أو ايه وجهة نظرك .. فالمفروض فى الاتحاد الاشتراكى انه يكون فيه حرية رأى انا عايز حرية رأى .. ما كانش فيه حرية رأى . لو كان كل انسان بيقول حرية رأيه كانوا يقولوا له تعالى انت بتقول ده ليه .. خلاص شيلوه وحطوه .. يعنى أنا شفت ما فيش داعى ..

الطليعة : اذن أنت مع المنابر ؟

حلمى : أيوه مع المنابر على أساس ..

الطليعة : انها تكون احزاب ؟

حلمى : احزاب تدى الواحد حقه ..

الطليعة : المنابر تتكون من مين يعنى ؟

حلمى : المنابر المفروض تكون للناس الشرفاء اللى هى بتدور على مصلحة البلد .. اللى هى دارسة الحياة

الطليعة : يعنى رأيك مثلا يكون للعمال منبر .. للناس الاغنياء منبر .

حلمى : لا هو الاغنياء ما يكونش لهم منبر لحاجة واحدة ليه لان هم أغنياء يبقى معناها نسمع كلمتهم يبقى احنا ما عملناش حاجة احنا عايزين الرأى العامل .. القوى العاملة الناس اللى حاسة بمشاكل الشعب .. اللى هى عايشة فى الحياة .. لما يكون له منبر يبقى هايتكلم مش هايتكلم باسمه هو هايتكلم باسم الناس دى ..

الطليعة : هل انت عضو فى الاتحاد الاشتراكى ؟

حلمى : لا .. بكل أسف لانه كان له سلبيات لو كنت هاقول رأيى اذا دخلت الاتحاد الاشتراكى هل هايسمعوا رأيى ؟ بكل أسف لا ..

الطليعة : هل حاولت ؟

حلمى : لا لم أحاول .. من قرايتى فى الجرايد كنت باشوف .. ما أنا شفت ناس فى الاتحاد الاشتراكى قالوا رأيهم كان ايه مصيرهم .. التشريد بكل أسف

الطليعة : مين رئيس الاتحاد الاشتراكى ؟

حلمى : رفعت المحجوب

الطليعة : الم تحاول الاتصال به وتقول له رأيك ؟

حلمى : لا لانى مش هاقدر أوصل لـه .. المفروض انهم يفتحوا الابواب المفروض كرئيس للاتحاد الاشتراكى يكون بابه مفتوح يرحب بأى انسان .. السكرتير أو المسئول ده عايز يدخل له .. آه يدخل له

الطليعة : وما رأيك فى مجلس الشعب ؟

حلمى : مادخلتهوش

الطليعة : لكن رأيك فيه ايه ؟

حلمى : مجلس الشعب .. احنا بننتخب مجلس الشعب .. ولو ان انا لا انتخبه .. يمكن لحد النهاردة ماليش تذكرة انتخاب .

الطليعة : اذن انت مقصر

حلمى : لا مش مقصر .. ليه لان أنا نهار لما أشعر ان أنا ها عرف آخد حقى صحيح أشترك وأخش أقول ادونى مثلا ..

الطليعة : لكن هذه سلبية

حلمى : لا أنا عايز أقول لسيادتك لو أنا فى حى مثلا زى حى شبرا وعرفت ان المرشح ده ممكن ها يجيب لى حقى كنت هانتخبه لكن عندما يدخل مجلس الشعب تيجى تقابله ما تقدرش توصل له .

الطليعة : الم تسمع عن المناقشات اللى بتجرى فى مجلس الشعب ؟

حلمي : لا ما بتتحليش الفرصة الا تقبل لان عملى باستمرار ، ولكن عن طريق قراية الجرايد .

الطليعة : ما رايك فى الكلام الذى يقول ان مصر والبلاد العربية يحصل بينهم وحدة ؟

حلمي : ياريت .

الطليعة ، لماذا ؟

حلمي : لانه اذا توحدت البلاد العربية فنبقى ضد العدو اللى هو اسرائيل ومن وراء اسرائيل ليه لان احنا لما بنكون حزمة واحدة ما حدش ها يقدر يخش لكن لما بنكون مفككين ممكن أى حد يستغل

الطليعة : وهذا ايضا ؟

حلمي : آه يعنى ياريت .. الوحدة العربية .. فنبقى المصالح كلها مشتركة .. ممكن العامل يسيب البلد دى ويروح البلد دى ويحس انه فى بلده .. بيزود دخله .. ممكن البحار نستغلها يبقى فيه جيش واحد .. عدونا لو حب يستغل يبقى الكل واقف صف واحد

الطليعة : هل تقبل ان تعمل فى البلاد العربية ؟

حلمي : والله لو اتيحت لى الفرصة لكن عموما أفضل بلدى أحسن

الطليعة : أى بلد تفضل ان تعمل فيها ؟

حلمي : أفضل انى اشتغل اما فى لبنان أو فى سوريا .. أو الكويت

الطليعة : لماذا لبنان ؟

حلمي : لبنان .. أولا بلد تجارة كراجل مكوجى ممكن اشتغل ممكن أكسب .. سوريا نفس النظام والكويت

الطليعة : الكويت علشان البترول يعنى .

حلمي : البترول ده معيشتهم أصله .. واحنا لو بصينا للكويت .. أصل دخلها ايه من البترول .. احنا دخلنا ايه .. من الزراعة والتصدير والقطاع العام والصناعة وحاجات زى كده فسوريا نفس النظام بتاعنا لبنان بلد تجارية فيها تجارة لكن فى كلا الحالتين أفضل انى اشتغل فى بلدى لان بلدى أرخص من أى بلد من دول ..

الطليعة : ما رايك فى سياسة البلاد العربية ؟

حلمي ، أحسن بلد عجبانى .. السعودية لان السعودية وقفت جنب العرب ووقفت بالبترول وساندتنا واديتنا فلوس . الرئيس الجزائرى .. هوارى بومدين كويس مش بطال

الطليعة : الان فيه مشكله بينهم وبين المغرب .

حلمي : آه دى علشان الصحراء ..

الطليعة : انت رأيك ايه .

حلمي : الاستعمار لازم يعمل فتنة طائفية علشان يوقع .. الاستعمار مصلحته ان الامة العربية تقع فى بعضها علشان يستغل هذه الثغرات لكن أنا رأيى ان الجزائر والمغرب وموريتانيا اللى هى الطرف التالت يوحدوا نفسهم ويصفوا خلافاتهم علشان م يخشش حد غريب من بره .

الطليعة : وما رأيك فى أحداث لبنان ؟

حلمي : أحداث لبنان بكل أسف .. أنا قلبى بينزف دم .. علشان لبنان ويمكن أنا كنت كل يوم بابكى لان احنا أخوة عرب ليه نضرب نفسنا بنفسنا بدل ما نركز جهدنا على عدونا المشترك اسرائيل .. نضرب بعضنا .. لا .. مش هو ده أبدا . عيز من لبنان حاجة واحدة أنا يمكن باتابع أخبارها فى التليفزيون وفى النشرة كنت بأبكى لان أنا عايز من لبنان بدل من أن الاخوة تضرب بعضها لا نضرب اسرائيل .. نحرر أرضنا ونحافظ على أولادنا ونحافظ على ثرواتنا لان دى كلها ثروات ضاعت فى لبنان .

الطليعة : ما رأيك فى الفلسطينيين ؟

حلمي : والله أنا عيز اقول لسيادتك على حاجة اذا أردنا للبنان أن تعيش عيشة كويسه وترجع كما كانت الاول يتنسالوا اتنين .. فرنجية .. وكميل شمعون ده فى رأيى أنا .. لان سبب هده الاحداث كميل شمعون . كميل شمعون سنة ٥٨ كان رئيس الجمهورية مين اللى طلب الاسطول الامريكانى كميل شمعون . مين اللى شاله .. القوة العربية وفؤاد شهاب اللى كان رئيس الجمهورية فى لبنان فانا بطلب ان لبنان بمسكها اتنين بمسكوها وهى تبقى كويسة .. كمال جنبلاط ورشيد كرامى بكده ممكن نوحد الصفوف .. مافيش فرق بين المسيحى والمسلم كلنا أخوة ..

الطليعة : لكن دول اثنين مسلمين ؟

حلمي : ما هو ياريت يعملوا قانون عندهم ويبقى واحد رئيس جمهورية وواحد رئيس حكومة .. لان الفلسطينيين تعبانين .. الفلسطينيين تشردوا من ديارهم زى أنا لما تشردت فالمفروض انهم ياخدوا حقوقهم .. ازاى .. المفروض الامة العربية تقف مع الفلسطينيين دول وتمدهم بالسلاح تمدهم بالفلوس وهم يحرروا بقية أرضهم .

الطليعة : اذن أنت رأيك ان الفلسطينيين من حقهم انهم يكونوا فى لبنان .

حلمى : وفى كل البلاد العربية ونقف جنب منهم .. بس هم كمان يحسنوا المعاملة دى .. ما يكونش فيه ضغائن بينهم وبين بعض مايدوش فرصة ولازم يوحدوا أنفسهم .

الطليعة : كيف ؟

حلمى : يعنى مايكونش فيه واحد وحش .. يعنى كلهم يعملوا لصالح الشعب الفلسطينى مش كل واحد عايش فى وادى .

الطليعة : ما رأيك فى ياسر عرفات ؟

حلمى : ياسر عرفات كويس .. قيادته كويسة بس ياريت يستطيع .. بلاش تكون فيه الجبهة الشعبية .. يبقى كله من تحت منظمة « فتح » .. يبقى كله أب واحد للاسرة دى ممثلة فى ياسر عرفات .. كده بنمنع الشبهات وياخذوا حقهم الفلسطينيين .

الطليعة : هناك ناس بتتهم الفلسطينيين انهم السبب فيما تعانيه مصر .. وتعانيه الدول العربية ؟

حلمى : صحيح هم السبب .. ليه . لان مصر أول دولة فى العالم العربى فتحت أبوابها للفلسطينيين .. فطبعا كانت كل خيرات مصر رايحه ليهم .. رايحه للفلسطينيين بتدخلهم الجامعات بتشغلهم بتدى لهم من ثرواتها .. بص الشعب بتاعنا لقى نفسه تعبان .. يقول لك ما الفلسطينيين يروحوا يعيشوا فى بلادهم ..

الطليعة : وهل هذا صحيح ؟

حلمى : أيوه .

الطليعة : هل صحيح ان الفلسطينيين هم السبب .. والا اسرائيل كانت ممكن تضربنا حتى من غير الفلسطينيين ؟

حلمى : لا اسرائيل هى السبب فى الاساس فى الاول .. أساس المشكلة الفلسطينية هى اسرائيل يعنى لو ماكانتش اسرائيل ماكانش فيه شعب فلسطينى مشرد دلوقت .. ليه الفلسطينى يئن .. لان ارضه راحت .. حقه راح .

الطليعة : عندما نؤيد الفلسطينيين .. هل هذا تأييد للفلسطينيين والا أيضا من أجل مصالحنا .. ؟

حلمى : لا ده احنا لما بنؤيد الفلسطينيين ده علشان مصلحتنا احنا كمان .. ممكن لما نؤيد الفلسطينيين ياخدوا ارضهم لما ياخدوا أرضهم يبقى وفروا لنا هنا وهم اقاموا فى بلدهم .. وفى حالتهم يبقى عاشوا عيشة مستقلة .. زى ما يكون طفل وكبر .. فده مش عيب ان احنا نمتنع .. ولا يجب ان احنا نمتنع عن مساعدة الفلسطينيين مهما كان بس يجب هم كمان يشعروا ان احنا بنساعدهم ويقفوا جنب مننا بدل من أن يقفوا يهاجمونا ..

الطليعة : وهل هاجمونا ؟

حلمى : هم هاجمونا فى بعض الاحيان فى بعض الاحيان .. فى الاتفاقية الثانية بتاعت سيناء .

الطليعة : وانت ما رأيك فيها ؟

حلمى : أنا رأيى فيها كويسه لان احنا اخدنا قطعة أرض ماكناش واخدينها فاللى ييجى بالسلام أهلا .. لان أنا لما أحرب ماهو بيموت أولاد .. بيبقى عندى ضياع .. يبقى عندى ناس متشردين

الطليعة ، ما رأيك فى القضية الفلسطينية والاسرائيلية وكيف تحل ؟

حلمى : بالحل السلمى ممكن .

الطليعة : كيف ؟

حلمى : لو احنا .. أولا اسرائيل حقيقة أصبحت حقيقة واقعية .. لا يمكن الانسان ينكرها لان لما الواحد بيكون عنده عيل صغير بيكبر بيبقى عنده عشرين سنة .

الطليعة : كيف توفق بين اسرائيل حقيقة وبين مطلبك بعودة الفلسطينيين ؟

حلمى : الفلسطينيين لهم أرض مثلا .. ياخدوا أرضهم والفلسطينيين ياخدوا أرضهم ويعيشوا فى سلام

الطليعة : لكن الارض اللى واخداها اسرائيل أرض فلسطينية ؟

حلمى : لا فيه اراضى للفلسطينيين عندنا .. ما هو غزة بتاعت فلسطين .. الضفة الغربية بتاعة الفلسطينيين .

الطليعة : اذن انت رايك تبقى دولة اسرائيل ؟

حلمى : تقوم دولة فلسطينية على أساس نبقى عايشين فى سلام مسيحى ومسلم كله واحد علشان اسرائيل كبرت خلاص ما بقيتش صغيرة .. هاتموتها .

الطليعة : واذا رفضت اسرائيل ؟

حلمى : يبقى ما فيش امامنا غير الحرب .. هى لا يمكن ها ترفض ..

الطليعة : اذا رفضت ؟

حلمى : يبقى ما فيش امامنا غير الحرب . وتوحيد انفسنا اولا واعطاء الشعب الفلسطينى حقه لان لو الشعب الفلسطينى خد حقه ممكن ننتصر على اسرائيل

الطليعة : ماذا يمنع .. الشعب الفلسطينى من ان يأخذ حقه ؟

حلمى : لان لسه ما استقرش نفسيا

الطليعة : كيف ؟

حلمى : ايوه بتيجى مصر تساعده .. تيجى دولة تانية تمنع عنه المساعدة .. عايز يعيش فى الاردن وجزء فى سوريا وجزء فى مصر .. لا طيب ما هو احنا ممكن نلم الاجزاء كلها ونحطها فى الارض دى بتاعتهم .. وكدهباخدحقه ..

الطليعة : ما رأيك فى موقف أمريكا وروسيا مننا ومن قضايانا ؟

حلمى : اولا كل دولة لها مصالح مصالح أمريكا ان البلاد العربية غنية بالبترول والمواد .. فامريكا عايزة تكون لها يد عايزة تصـدر بضـائعهـا فمن مصلحة امريكا أنه تكون فيه علاقة كويسة مع مصر . علشان تعيش علشان ماتقفشى مكتوفة اليدين .. ده من ناحية أمريكا موقفها من اسرائيل اسرائيل دى تعتبر مين ما هى أمريكا فأمريكا من مصلحتها وجود اسرائيل لان وجود اسرائيل هنا ضمان لوجود أمريكا هى أمريكا واسرائيل ايه .. واحد .. بعدين احنا كمان ..

الطليعة : هل أحنا عايزين أمريكا تبقى موجودة معنا ؟

حلمى : تكون موجودة معانا فى حالة واحدة فى السلم .. فى ظل السلام .. لا تستعبدنى

الطليعة : لكن أمريكا استعبدتنى قبل كده ؟

حلمى : أيوه مش طلبت أمريكا فى يوم من عبد الناصر انه يحدد السلاح بتاعه والجيش بتاعه طلبت منه .. انا فاكر .. رفض عبد الناصر التجأنا لروسيا .

الطليعة : وايه رأيك فى روسيا ؟

حلمى : روسيا كويسة .. بس بكل أسف ما تمشى الجميليعنى .. زى ما يكون واحد ساعد واحد وجه فى الاخر وعايز يتخلى عنه .. يعنى روسيا أعطتنا سلاح أعطتنا فلوس اعطتنا كل ده .. صحيح حاربنا بسلاح روسى .. حاربنا بارادة مصرية بشرف مصرى المفـروض ان احنا مديونين لروسيا علينا ديون لروسيا .. المفروض ان روسيا بدل لما تيجى تمسكنى من ايدى اللى بتوجعنى وتقول لى لازم تجيب ده دلوقت لا .. ممكن أنت تسدد الديون دى فى قد ايه فى قد كده .. طيب انا ممكن اوافق على سـبـسـداد الديون ..

الطليعة : لكن رايك ايه فى الناس اللى بتقول نقطع علاقتنا بروسيا

حلمى : لا .. لا يمكن .. اللى تكرهه النهارده تعوزه بكره .. ده المثل البلدى عندنا اللى تكرهه النهاردة تعوزه بكره فانا لو قفلت الباب على روسيا طيب ما هو انا ممكن استفيد من روسيا فى أى وقت تانى . ليه طيب ما هو أنا اعمل معاها صداقة برضه .. بس افهمها .. انت صديقى لكن ساعدنى اصبر على بلاش سنة اتنين واسدد لك

الطليعة : والدول الغربية .. فرنسا مثـلا

حلمى : ايوه عاجبنى فيها الرئيس الفرنسى فاليرى جاسكار ديستان .

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : لانه تفهم للحق العربى وتفهم وجود الشعب الفلسطينى .. لانه قال كل واحد ياخذ حقه .. طبعا ده كان راجل موقفه شجاع .. دى حاجة لا تنسى له ابدا . صحيح أنا ما تابعتش زيارته الا عن طريق التليفزيون لكن عن طريق كلامه فى الجرايد فرحت ان راجل مسن دول اوربا .. او الدول الغربية اللى كانت مؤيدة اسرائيل اصبحت تقول عايز سلاح .. خذ سلاح عايز خد بس دول يعيشوا انا اتبسطت منه لما اعترف بحق الفلسطينيين ماكنتش فرنسا بتعترف بحق فلسطين الاول

الطليعة : هل تسمع عن بلد اسمها انجولا ؟

حلمى : ايوه الحرب الانجولية

الطليعة : ما هى

حلمى : اللى هى اخذت استقلالها من البرتغال المفروض ماحدش يتدخل فأى دولة عايزة تتدخل تعطى لهم فلوس .. دول فقراء .. ما تخشش تحارب . انت لما بتحارب بتشجع على الدمار

الطليعة : فى أنجولا من يحارب من ؟

حلمى : الحرب قايمة بين الجبهة الماركسية « التحرير الشعبية » . والجبهة الوطنية لان ده هو أساس الاستعمار .. الاستعمار عايز يعمل خلافا مش عايز تبقى العالم متوحدة ابدا .. لانه اذا توحدت آمة مش لمصالح الاستعمار .. عايز يبقى فيه تفكك علشان يستغل ثرواته وخيره ..

الطليعة : من هى الدول التى تمثل الاستعمار ؟

حلمى : فيه استعمار قديم وفيه استعمار حديث ..

الطليعة : ايه القديم وايه الجديد ؟

حلمى : الاستعمار القديم كانت انجلترا .. فرنسا .. الولايات المتحدة ..

الطليعة : والاستعمار الجديد ؟

حلمى : أصبح البرتغال دلوقت على ما أعتقد والولايات المتحدة فى الخفاء بتعطى العالم دى بالخفاء .

الطليعة : ما رأيك فى الصين ؟

حلمى : الصين دولة محايدة كويسة برضه مش وحشه بتهتم بمصالح شعبها وبمصالح الاخرين .. يعنى لا ضد ده .. ولا ضد ده .. واقفة واخده خط اشتراكى سليم .

الطليعة ، طيب انت آمالك ايه فى المستقبل ؟

حلمى : من ناحيتى أنا والا من ناحية البلد ؟

الطليعة : من ناحيتك ومن ناحية البلد .

حلمى : أنا كل أمنيتى ان ربنا يطول فى عمرى واشوف اولادى كويسين وما يشوفوش اللى انا شفته فى حياتى أبدا .. ابدا ولا يذلش نفسهم حد ولا يذلوا نفسهم الا لله .. دى لاولادى .. وباتمنى من الله أن أموت وأولادى يكونوا مرتاحين أمنيتى لبلدى ان تكون فى احسن خير ورفاهية مايكونشى فيها عطلات .. يكون كل واحد مؤمن عليه .. كل واحد مؤمن على حياته ومستقبله .. مستقر نفسيا .. مستقر فى بيته

الطليعة : ما رأيك فى الاوضاع الاقتصادية ؟

حلمى : فيه فقر فى البلد ..

الطليعة : كثير أم قليل ؟

حلمى : كثير .

الطليعة : وما هى اسبابه ؟

حلمى : لا هو بيزداد .

الطليعة : كيف نقضى على الفقر ؟

حلمى مع التقدم بتاع الانفتاح .. نيجى ونفتح مصانع .. ونفتح مشاريع .

الطليعة : تقصد الانفتاح ؟

حلمى : آه لما بنيجى هنا مانلاقيش عطلة مانلاقيش ايدى عاطلة فى البلد .

الطليعة : والانفتاح على أساس احنا نكون قطاع عام والا قطاع خاص ؟

حلمى : قطاع خاص اولا نستغله اللى بيها نشغل العمال .. وبنمنع الفقر بالطريقة دى .. وبعدين اذا هذا الانفتاح مشى مضبوط واعطى كل واحد حقه خلاص يبقى أصبح مافيش فقرنا .. كل عامل اشتغل كل واحد أخذ حقه ..

الطليعة : وهل هذا ممكن .

حلمى : آه ممكن لو اتيحت له الفرصة .

الطليعة : اية فرصة ؟

حلمى : الفرصة مايبقاش فيه تعقيد روتينى ده واحد عايز يعمل انتفاع آه أدى له .. أدى أرض مش عايز يعمل عليها مشروع ادى له .. ماتقلوش لا دى وقف عليها كذا .. واستنى لما أروح لرئيس الجمهورية .. لانه هايبنى لى مصانع .. هايعمل مشاريع بدل ما أنا عندى ٥٠ عامل عاطل لا مش هايبقى .

الطليعة : الانفتاح يعنى بناء مصانع أو مجرد تجارة ؟

حلمى : لا المصانع أهم حاجة علشان أشغل القوى المعطله

الطليعة : هناك كلام يقال عن عملات وفساد ما رايك فيه ؟

حلمى : بيجمعوا ثروات ليه بياخدوا عمولات ليه .. بييجى يقول طيب أنا عايز أمشى نفسى .. ما هو عايز يعيش البضاعة متراكمة مافيش فلوس .. فبيقول أنا عايز أعيش باقول له تعالى نديها لك رخيصة شوية وخدها .. و ..

الطليعة : طيب ازاى البضاعة كده والناس مش لقياها فى السوق ؟

حلمى : البضاعة موجودة فى السوق بس مافيش فلوس علشان نشترى .

الطليعة : ماذا سمعت عن موضوع العمولات؟

حلمى : اللى أنا فاهمه انه كراجل كأى واحد فى شركة بيروح لاى صاحب مصنع .. أنا عايز .. أنا عندى حاجة عايز أبيعها مثلا .. أو عايز اشترى منك حاجة .. فتدينا مكسب فيها ايه دى العمولة دى على حسب تفكيرى تقول لى نديلك فى الميه كده ..

الطليعة : لا هناك عمولات يأخذها الموظفين مثلا مدير فى قطاع عام يتفق مع شركة ثانية أجنبية ياخذ منها بعض الانتاج مقابل عمولة ؟

حلمى : والله يمنعوا الحجات دى .. مايخلوش رئيس مجلس الادارة يتدخل وتبقى الحكومة تجيب .

الطليعة : كيف ؟ هل تقصد ان الحكومة التى تستورد ؟

حلمى ؛ أيوه يبقى رئيس مجلس الادارة متفرغ لعمله .. والحكومة دى شغلتها ..

الطليعة : هل سمعت عن وجود اغنياء ومليونيرات فى مصر ؟

حلمى : آه .. سمعت .. سمعت ان ناس غناى فى مصر .. الطبقة الغنية دى طيب ماهى من زمان .. مش من دلوقت .. واغتنت هذه الطبقة لان الواحد يتولد من دول يطلع يلاقى أبوه سايب له ارض وسايب له ده .. وده ده كله آثار التخلف والاستعمار عندنا ..

الطليعة : لكن هؤلاء الاغنياء هل زادوا أو قلوا ؟

حلمى : ماعنديش فكرة هم زادوا ولا قلوا لان طبعا مافيش تعامل فى الحقيقة ..

الطليعة : انت ما ملاحظتك ؟

حلمى : من معرفتى من الناس ان هم زادوا زادوا لان احنا برضه بنخليهم يزيدوا .. الحكومة بتخليهم يزيدوا ..

الطليعة : كيف ؟

حلمى : استوردى ياحكومة ، وماتخليش ده يسافر وياخذ أجازة ويجيب بضاعة ويبيعها الطاق اثنين .. ثلاثة .. فأصبح ربى ثروة على ثروته .. لما تيجى انت للفقير مننا مانقدرش .. أنا عايز أقول لسيادتك أنا عايز أجيب بلوفر .. باجيبه بالثمن الغالى ماعنديش فمقدرش .. باروح أجيبه من على الرصيف .. رخيص بيكون ملبوس باشتريه ما هو انا عايز اعيش برضه قده بيغننى من ايه بيجيبه رخيص ويبيعه غالى .

الطليعة : أين تسكن فى شبرا ؟

حلمى : فى شبرا فى أحمد حلمى بالضبط ..

الطليعة : المؤسسة العمالية هل بتستفيد منها ؟

حلمى : لما أقول لك أيوه .. أبقى كداب لانى لم اتعامل معها

الطليعة : بالنسبة للانفتاح انت بتؤيد الانفتاح على اساس ان يبنى مصانع جديدة فى البلد .. لكن الانفتاح لم يبنى مصانع .

حلمى : فيه تأخر فيه عقبات وقفت قدامه .. لو أعطوا له ..

الطليعة : ما سبب الغلاء الموجود فى مصر ؟

حلمى : سبب الغلاء لان احنا لما عشنا فى الحروب لازم نعيش فى الغلاء كنا عددنا صغير . أما احنا دلوقت كبرنا .. كثرنا .. كل مدى فيه ازدياد

الطليعة : ما الحل لمشكلة الغلاء ؟

حلمى : تحديد النسل قبل كل شىء

الطليعة : هل بتؤيد تحديد النسل ؟

حلمى : آه .. انا واحد من الناس عندى ٣ اولاد وانا متجوز من سنة ٦٣ لما بص الاقى ابويا عنده ٢١ عيل وانا الكبير ..

الطليعة : ما هو الحد الاقصى فى رأيك ؟

حلمى : ما يمكنشى اكثر من ثلاثة ابدا .. ولا يزيد عليهم لانه لما بيكون ثلاثة باقدر يكون فيه رعاية لهم .. غير لما اعطى رعاية لستة .. معايا خمسة جنيه ممكن أصرفهم على الثلاثة ما اقدرش اصرفهم على الستة ..

الطليعة : هناك ناس بتعتبر هذا ضد الايمان ؟

حلمى : بالعكس — ربنا سبحانه وتعالى ذكر فى الاية الكريمة « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فذكر المال الاول ما قالش البنون .. لما نذكر المال الاول نجد انه أساس كل شىء .. صحيح .

الطليعة : هل اجرك بكفيك ؟

حلمى : علشان يكفينى نسبيا يجب ألا يقل عن ٣٠ جنيه علشان أقدر أعيش ولا أشتغل بعد الظهر .. لو اخذت ٣٠ جنيه فى الشهر هاسكن بقد كام منهم بقد كده .. بلاش آكل كل يومين لحمة — أعيش على قدى ..

ما هو انا عايز اعيش مش عايز استلف مش عايز أنحرف .. ما هوكان ممكن فى الاول أنحرف وأنا صغير لانه كان قدامى طريقين .. طريق الانحراف وطريق الاستقامة . فأنا اخترت طريق الاستقامة لانه لاقيته صعب على اساس انى انشا بدون انحراف .

الطليعة : هل تذهب الى السينما ؟

حلمى : لا .. ما عنديش وقت لانى بافضل انى أرتاح ..

الطليعة : متى دخلت السينما لاخر مرة ؟

حلمى : من سنة ..

الطليعة : انت والاولاد ؟

حلمى : لا انا وواحد زميلى .. لان ما اقدرش آخذ ولادى لانى لو أخذت الثلاث أولاد وأمهم يبقى أربعة يبقى عايز لى على الاقل خالص اثنين جنيه .. دخلت فيلم الجبان والحب ..

الطليعة : هل اخترته بالصدفة ؟

حلمى : أيوه بالصدفة لانى كنت فى اليوم ده متضايق وكده ..

الطليعة : زوجتك وأولادك ألا يذهبون للسينما

حلمى : لا عندهم التليفزيون ..

الطليعة : والمسرح ؟
حلمى : لا ..
الطليعة : ليه

حلمى : ماعنديش فلوس لانى لو دخلت مسرح أو دخلت سينما يبقى معناه انى مش هاعيش يبقى لازم اشحت .. لازم اسرق .. طيب وليه أنا انحرف .. امشى فى الطـريق المسـتقيم . وبلاش أخش المسرح يكلفنى كام . جنيه ..
الطليعة : مارأيك فى الافلام ؟
حلمى : افلام الايام دى هابطة خليعة مليئة بالرقص كانت الافلام القديمة لهـا قصص .. موضوعية لها حياة يعنى انا شفت الفيلم الاخير بتاع محمد عبد الوهاب دموع الحب .. مراتى مارضيتش تسمعه .. أنا فضلت اسمعه .. ليه بيورى ازاى الانسان ممكن يعيش .. له قصة .
الطليعة : ما رأيك فى الشباب الان ؟
حلمى : أنا لايعجبنى شباب الايام دى خالص لانه أولا تبص تلاقيه مربى شعره مربى سوالف مش ده الشباب المصرى انا عايز الشاب المصرى يكون واقعى بس يخلص دراسته ويطلع يذاكر . يطلع يستغل وقته .. يشتغل فى أى مكان مش عيب .. انا عن نفسى لو أمسح بلاط واجيب فلوس مش عيب .. شباب الايام دى بيعتمد على أبوه وامه .. الشباب بتاعنا او جيلنا كان بيعتمد على نفسه وكان بيعيش
الطليعة : وما رأيك فى الشباب ده اللى حارب حرب اكتوبر ؟
حلمى : كويس .. الشباب اللى حارب فى اكتوبر هو ده الشباب الواعى لانه انا عايز اقول لسيادتك على حاجة .. انا واحد ضربنى .. ومتغاظ منه .. اتيحت لى الفرصة ان اضرب عدوى ده . لازم آكله . هى موتة ولا اثنين .. فلازم احارب . ليه علشان متضايق .
الطليعة : مين عدونا بالتحديد ؟
حلمى : عدونا بالتحديد هى اسرائيل وامريكا ومن وراء اسرائيل كما قال الرئيس .
الطليعة : مين فى رأيك اللى وراء اسرائيل
حلمى : أمريكا .. أمريكا الوحيدة .. اسرائيل بنت امريكا بتمدها بكل حاجة .

تعليقـــــات

« حلـــمى وأولاده »

شركة مطحونة فى الطـريق الصـخرى

مصطفى بهجت بدوى

قبل ان « نحمل هم » المواطن حلمى زكى على وجه التخصيص ربما كانت لى ملاحظات ابتدائية عامة على تلك السلسلة « العذبة » « المعذبة » بتشديد الذال الاخيرة وفتحها وكسرها معا !

أولا ــ ان « الهموم » التى تسجلها « الطليعة » والتى أحدثت صدى بعيدا فى الداخل والخارج ، و « صدمتنا » .. كأننا ــ ونحن نظن اننا نعرفها وندركها فى خيالنا ــ لا نعرفها حقيقة ولا ندركها . أو بالاحرى كأننا لم نكن نتصور أو لم نرد أن نتصور وجودها بمثل هذه الحدة والفداحة . . تلك الهموم « المستحيلة » ــ وان كانت صادقة وصريحة وواقعية جدا ــ ساعد على تعميقها و « تميزها » والاهتمام بها ــ الاهتمام « النظرى » ، على الاقل ــ أنها نشرت فى « الطليعة » بالذات . فلو انها

نشرت بجريدة يومية او مجلة اسبوعية لماكان لها مثل هذا « الحظ » من الذيوع والانتشار والاهتمام . هل معنى ذلك ان الطليعة أكثر ذيوعا وانتشارا ؟ بالطبع لا ، فما هي الا مجلة شهرية جادة محدودة الانتشار آخر الامر . وانما اكتسبت هذه السلسلة اهميتها من ان « الطليعة » ـ لاول مرة فيما اعتقد ـ تقدم مثل هذا اللون وتفرد له الصفحات وفي حوار طويل امين ذكي . أي أنها اضافت بعدا جديدا في مجال تحركها . و « ترجمت » ـ بطريقة صحفية عملية جريئة ـ عن « محور » الدراسات السياسية والاقتصادية والثقافية التي شغلت وتشغل نفسها بها .. والمحور هو « المواطن المصرى » كما هو . فلم يستطع أحد ـ ولفت النظر ملح يحاصره ـ أن يمر بها « مرور الكرام » او ان يهرب منها . بل ان « الشاهد » لم يستطع الا أن يبلغ « الغائب » !

ثانيا ـ ان الشرائح الثلاث المختارة والمقدمة حتى الان هي شرائح « قاهرية » ـ وان كانت « مقهورة » .. من قلب عاصمة مصر ، واذا كان لكل شريحة همومها والتي تشكل في النهاية تنوعا وتكاملا ، الا انها كلها عن « المدينة » .. وما اغربها وما أضناها مدينة وعاصمة ! واننى لاقترح شرائح أخرى من قلب الريف جنوبه وشماله . ولقد يقال ان « الست ام محمد » ليست الا « فلاحة » تعيش في القاهرة ، وان كرهت حياة الفلاحين او الرجوع اليها كماذكرت في اقوالها . ولكن للفلاحين في بلاد الفلاحين وعلى الطبيعة هموم أخرى مختلفة . الملف محتاج اذن الى مجتمع القرية والى مزيد من النوعيات .. لعل وعسى تسعى الى التغيير ، و « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ثالثا ـ اقوى ما في تسجيل وعرض الهموم هو « الهموم » نفسها فهي غنية عن اى تعليق يعرض معها ، ومهما كتب من كتب وحلل فلن « يرقى » الى مستواها . كان هذا رايى فيما يخص الحلقتين السابقتين وابلغته الى اسرة تحرير الطليعة . على انهم ـ فيما يبدو ـ لم يكتفوا بعدم الاتفاق معى عليه ، بل « ساقونى » وأوقعونى في « المحظور » !

والان ماذا عن هموم المواطن حلمى زكى ؟

أود تقسيم « التناول » الى شطرين . الشطر الاول عن شخصية حلمي وظروفه وآرائه . والشطر الثانى عن « الدروس المستفادة » .

شخصية حلمى زكى

اذا كانت الطليعة قد لاحظت كثرة استخدام حلمى زكى لعبارة « بمعنى أصح » فان ثمة عبارات أخرى « موضوعيه » متكررة في حديثه يمكن اعتبارها « مفتاح شخصيته » . وهي « تدى الفقير حقه » و « أولادى .. أولادى » و « وماله ..؟ » .

وحلمى زكى ـ بعد ـ في ظروفه الحالية وبالمقارنة بالحالتين السابقتين يمكن أن يعد ـ تجاوزا ـ مواطنا « عاديا » أحسن حالا من سابقيه ومن ملايين سواه . « مطحون » .. نعم ، ولكن في نهاية المطاف يستطيع بكفاحه المجهد أن ياكل اللحم مرتين في الاسبوع ، وأن يشاهد تلفزيونه الخاص ويستمع الى جهازى الراديو المملوكين له . ومسكين حلمى « المحسود » على التليفزيون !

غير أن « مشوار » حلمى الطويل اشبه بأبطال روايات الدراما ، وان كانت الحياة اشد دراما واحفل .

طفولة فاجعة حقا توفرت فيها كل عناصر المأساة . طريد مشرد بصورة أوجع من « اليتم » . اسمعه يقول عن نفسه وهو ابن ٨ سنوات « كنت باشتغل مكوجى في محل عمى . وكنت بأفضل انام في المحل بين أربع جدران لانى ما استحملتش عذاب مرات ابويا وذل جوز أمى » . ولقد كان يمكن لو كانت ظروفه العائلية مستقرة أن يصبح كأخواته غير الاشقاء طيارا او مهندسا او مدرسا ، ولكن « الجميع » تخلوا عنه حتى عمه الذى « آواه » في محله كمكوجى « بتعريفة » في اليوم كان يتخذ من عطفه كونه متزوجا من شقيقة زوجة أبيه . وكان يمكن لحلمى الصغير أن ينحرف ابتداء من « النشل » الى آخر « سلم » الكسب الحرام ، فالحياة ملأى بالمآسى ، و « اصلاحية الاحداث » هى الاخرى مكتظة ، جذبتهم اليها دوافع مماثلة لظروفه . ولكنه

بالبصيرة والحصافة آثر الاستقامة . وتلك ألمع اختياراته وأصعبها . هل لعبت « الاخوان المسلمون » دورا فى تأهيله لذلك وقد انخرط فى هوامشها مبكرا ؟ اذا كان هذا صحيحا ـ وهو الارجح سببا أو من بين الاسباب ـ فذلك مما يحمد للاخوان المسلمين . ولا يفوتنا الاشارة الى أن مغامراته « الطفولية » مع الاخوان و « أكاذيبه » التى « ألهم » بها للتهرب من الاعتقال كانت معقولة وطريفة، كما أن تعليله « القدرى » لفشل الاخوان فى قوله « والله لو كانوا على حق كان ممكن تجيب نتيجة » هو الاخر لايخلو من الطرافة ، ولعل القاسم المشترك الاعظم فى النماذج المعروضة السابقة ـ وربما التالية ـ هو ذلك « الوجدان الدينى » المتأصل فى ابناء الشعب ، والذى يذهب بددا بكل أسف بغير حسن استثماره وتطويره وترشيده وتنسيق التزاوج بينه وبين خير الدنيا والمجتمع والطاقة والعمل .. ولخير الاخرة !

لم يجد حلمى زكى إذن الصدر الحنون ، ولكنه شق طريقه بالظفر فى الصخر بين « الكتاب » ومحل المكوى والعمل فى البيوت والبقاشيش ليتعلم ويرتزق .. ولما « فاض الكيل » به وكبر واشتد عوده وبلغ من العمر ٢٦ سنة ، وتحمل « اهانات » أبيه الذى كان يقول له « انت مش راح تنفع فى حياتك » وكأنما ابوه قدم له اى شىء ينفعه فى حياته !! وجد ـ بالصدفة وبعقيدته فى أن « اللى معاه ربنا لابد من ان يكون جنب منه » ـ السيدة التى « يخدمها » والتى عطفت عليه « ومنحته » عملا كمساعد سباك فى شركة ايديال . يأكل بالشرف و « بالخدمة » من عرق جبينه .. ولم ينس فى أقواله أن يرد « الجميل » لابيه الطباخ فيذكر بمرارة « أن الطباخين اكلهم حرام لانهم يسرقوا من الخضار » ! .

« الفقر » هو العدو الالد للمواطن حلمى زكى ، وهو فى ذلك مواطن مصرى أصيل بل مواطن عالمى ! ولكنه لا يستسلم للفقر بل يحاربه ويواجهه بقدر استطاعته ، ولا يفتأ يطالب الناس والدولة « بان تدى الفقير حقه » . ويتزوج حلمى وينجب ثلاثة أولاد هم أمل حياته . لهم يعيش ويضحى ليمنحهم حياة أفضل ، ويخاف الموت لا حبا فى الحياة وانما حرصا على مستقبل أولاده . ولا يتخلى عن « الصنعة » القديمة اكتفاء بمرتبه من عمله بالشركة ، بل يواصل الليل بالنهار ليزيد دخله ويعلم ابناءه الى درجة « الدروس الخصوصية » مع زمن يحوى الفصل الواحد فيه أكثر من ٦٠ تلميذا .. الله وحده يعلم ماذا وكيف يستفيدون ويحصلون . على أنه « يسرف » فى « التحويط » على أولاده بدرجة قد يجافيها « العقل » . وتعليل ذلك عندى هو « عقدته » من كونه حرم من رعاية الام على الاخص . المواطن حلمى « عاقل » فى مسائل شتى منها ايمانه وعمله على « تنظيم النسل » والاقتصار على ثلاثة ابناء فقط على عكس « مكوجى » آخر هو زوج « الست أم محمد » الذى « أسرف » فى « الخلف » بثمانية أبناء ، وقتر على زوجته وبيته وأولاده فمنحهم من الـ٤٥ قرشا يوميته ـ وربما ما « خفى » كان أعظم ! ـ ٢٥ قرشا . غير أن حلمى و « بعناد » ملحوظ أبى أن تعمل زوجته رغم أنها تجيد « التريكو » . ليست الموانع رجعية ، أو على الاقل هو لا يمانع فى مبدأ اشتغال المرأة . ولكنه كما قدمت « مواطن عادى » له وعليه ، فهو ابن أفكاره وظروفه الخاصة . وأرى أن هذا المواطن الذى هزنى من الاعماق فى قوله عن زوجته « أنا باخليها تعطى ابر لوجه الله بدون اى شىء وبدون أجر لان لما كان ابنى عيان وأصيب بشلل الاطفال قلت لها اعطى الابر ثوابا علشان خاطر الولد » ، هو نفسه الذى أثار عجبى ـ ولا أقول سخطى ـ بمنعه زوجته من زيادة دخل الاسرة بشغل التريكو ، وبالمغالاة فى الانفراد بالعطاء ، فى حين أن المشاركة ممكنة وواجبة وان « النفس العالية » « ومحاولة السيطرة » مجرد أوهام وحساسيات مبالغ فيها نحو شريكة حياته التى يعترف أنها تضحى معه . وفى ظنى أنه سوف « يلين » مع الايام .

ومن الواضح ـ ودون حاجة الى شهادته فى هذا الخصوص ـ أن حلمى زكى « قارىء صحف » منتظم ، فالاعلام عن طريقها وعن الاذاعة والتليفزيون يصوغ افكاره والكثير من آرائه « السياسية » . واذا كنا معجبين به ومقدرين له هذه الاهتمامات التى روض نفسه عليها فان مسئولية تلك « المؤثرات » تتضاعف . صحيح أن المرء يكون آراءه الشخصية عادة بفكره هو ، ولكنه يتأثر بالمعلومات وبالايحاءات و « بالكلمة » التى لا تخفى أهميتها وخطورتها . والمواطن حلمى « قابل للتغيير » . واقرب الى أن يكون « طيبا » ومرنا فى آرائه السياسية . كم من مرة تستدرسل « الطليعة » فى مناقشته . دون

أن تفرض عليه رؤيا ـ فيسارع بالقول «وماله؟» أى « لا مانع » . ولن أدخل بطبيعة الحال في مناقشة ما أبداه في السياسة والاقتصاد والاجتماع .. هذه مسألة يطول شرحها «وكتر خيره » على أى حال . واذا كانت آراؤه تحوى « خلطا » كثيرا أو قليلا ، فمن ذلك الذى يرغم أنه حتى هؤلاء الذين خطوا بنصيب كبير من التعليم بل من الثقافة أيضا « تمضى آراؤهم مبرأة من « الخلط » ؟!

٧

بعض الدروس المستفادة

١ ـ حلمى زكى يدفع فى السكن « حجرة واحدة بمنافعها » جنيها واحدا ، لان الشركة رأفت بحاله وخصصت له هذه الحجرة فى مساكنها . ولنا أن نتصور لو كان يبحث « الان » عن مسكن ماذا كان يحدث له وماذا يبقى من مرتبه . ومن هنا فالتوسع فى بناء المساكن الشعبية وتولى الشركات تخصيص مساكن لعمالها عملية اكثر من ضرورية ، والامثلة التى صادفتنى فى هذا الموضوع هائلة وموجعة ليس هنا محل ذكرها .

٢ ـ من اشد أسباب الارتباك فى حياة حلمى زكى مرض ابنه بشلل الاطفال وما يتكبده من مصروفات العلاج ومن ديون . وما أحسبنى مغاليا لو تمنيت ان أمثال هذه الامراض المستعصية المكلفة فى أسرة العامل تتكفل بها شركته ، فلا طاقة لعامل فقير بها ، ولا أنتاج طيب الفاعلية من انسان مهموم مديون لأسباب خارجة عن ارادته .

٣ ـ ربما هو معذور أو غير معذور فى كونه يصرف على السجائر ٧٫٥٠ ج فى الشهر « من الهموم اللى عندى ، فالسيجارة هى السند الوحيد » .. اى أن نسبة عالية من دخله تذهب مع الريح . ونحن نعلم ونقدر أن « الكيف كيف » . غير أنه هنا يتحول الى جيب مثقوب مستنزف . . والامثلة العمالية ـ فى المكيفات المخربة ـ تفوق الحصر . ولعلنا لاحظنا أن حلمى زكى أبدى استعداده فى موضع آخر أن يكف عن التدخين ليوفر لابنائه . والدرس الذى يمكن أن نخرج به هو الا نستخف بالحملة على التدخين سواء للصحة أو للاقتصاد ، بل هى تستأهل العناية والتنظيم والتوعية والتصعيد . أقول هذا مع علمى اننى من المدخنين .. ولكن تلك قضية أخرى !

٤ ـ مرة ثالثة فى « الهموم » تتداول عبارات شراء هؤلاء الكادحين حاجياتهم عن غير الجمعيات الاستهلاكية ، وبأسعار أكثر ارتفاعا مما تبيع . ولعل قضية الجمعيات الاستهلاكية والغلاء وتكاليف المعيشة هى أكثر القضايا المثارة فى صحفنا ، فهى « صداع » الحكومة وهى أوجاع الجماهير . والمسألة التموينية « نسبية » تلحظ الفارق فى اجابات الشرائح الثلاث ، وان كانت ثمة أرضية مشتركة فى ضروريات الضروريات . على أن العبرة ـ مع التسليم بالمصاعب ـ هى فى كون الامر يتطلب الاكثار من الجمعيات الاستهلاكية مع توفير مزيد من الضمانات والرقابة . وليقرأ « فلاسفة الانفتاح الاستهلاكى » ولاقرأ كذلك .. فما أبرىء نفسى ـ هموم الكادحين لنفهم ولنؤمن بحتمية التنمية والكفاية والعدل .

٥ ـ قد يتهم من يشاء المواطن حلمى زكى بالسلبية ، فهو لا يشارك فى الانتخابات وهو يرى أن « الاقتصار عبادة » ولكن هل العيب فيه أم فى أن الحركة النقابية لدينا ضعيفة و « بيروقراطية » ومتخلفة ؟ لعلنا تابعنا فى مختلف الهموم كيف أن الدور النقابى أقرب لأن يكون رمزيا و « للشهرة » ! ولست أريد أن أحمل النقابات أكثر مما تطيق فى وضعها الحالى ، ولكن المنشود أن يفهم الجميع دورها وأن تضطلع به فى وعى وكفاءة .

وكثير كثير مما يمكن أن يقال .. وما أكثر الذى يقال !

● ● ●

بقيت « خاتمة » ذكرتنى بها هموم المواطن حلمى زكى المتمسك بأرض مصر يفضلها عن العمل فى الخارج ، والذى يرى قضية فلسطين من خلال نظرته الخاصة وتجربته ، اذ أن « الفلسطينيين تشردوا من ديارهم زى أنا لما تشردت ، فالمفروض انهم يـاخدوا حقوقهم .. المفروض الامة العربية تقف مع الفلسطينيين » ، والذى .. ، والذى .. ، والذى يخشى الموت حبا فى أولاده وقلقا على مصيرهم ..

فى سنة ١٩٥٥ كان « مواطن » آخر رفيق الحال اسمه « رضوان » يجيىء الى منزلنا

كل صباح ليعطى أبى ـ رحمه الله ـ « حقنة انسولين » . وفجأة انقطع خبر رضوان ..
وعلمت ـ والموت حق ـ أنه مات وانتقل الى رحمة الله ..

تاثرت جدا وامسكت بالقلم وكتبت هذه الابيات من الشعر :

ولى كان لم يك له
بالناس والكون صله
فما نعتته صحف
ولا وعته الاخيله
« رضوان » ولى وقضى
فى العالمين اجله
«رضوان» ؟ من هذا الذى
من شأنه أن تجهله ؟
من كان ؟ كان واحدا
من نكرات مهمله
الكادحين الصابرين
الدافعين العجلة
الملهمين قصصا
رائعة مجلجلة

تخلد .. لكن مثله
ينسى وتنسى المشكله
تنسى ؟ واين واقع
من خمسة وارملة ؟
معجزة حياتهم
معجزة مسؤوله
ونلتقى بمثلهم
ملء الشفاه حوقله
اوقد نقول : ما الذى
فى وسعنا ان نفعله ؟
فى وسعنا مجتمع
نخلقه لنا وله

وبعد سبعة اعوام « من تاريخه » جاءت القرارات الاشتراكية وجاء الميثاق ، فهل خلقنا هذا « المجتمع » ؟ !
حفظ الله المواطن حلمى زكى والمواطن عبد التواب أبو بكر والست ام محمد وامثالهم ، وهو المستعاذ الا « نؤشر » على همومهم بكلمة : « حفظ » ! . ■

قليل دائم .. خير من « قليل » منقطع !

فيليب جلاب

لايدرى أحد (حتى أصحاب الشأن) شيئا عن العدد الاجمالى لمن يمثلهم **حلمى زكى مساعد السباك** بشركة ايديال .

ولا نقصد بهؤلاء ، أولئك الذين يحصلون على دخل مساو أو متقارب مع دخله . لان الغالبية العظمى من المصريين يمكن أن يمثلها حلمى زكى من هذه الزاوية . بل أن الجزء الاكبر من هذه الغالبية قد يتطلع الى حلمى زكى بشىء غير قليل من « الحسد » بوصفه من ذوى الرواتب الثابتة (١٨ جنيه شهريا مرتب أساسى) وحيث يصبح المعيار (على غير المألوف فى المثل العربى) هو ((**قليل**)) دائم خير من ((**قليل**)) منقطع » !

اننا نعنى بمن يمثلهم حلمى زكى عشرات الالوف (وربما مئات الالوف) من الذين يصعب تصنيفهم تحت اسم العمال أو الفلاحين أو حتى الحرفيين بشكل خالص .

وهو نمط سائد فى المدينة والريف بسبب طبيعة ودرجة نمو مجتمعنا ، ويشكل بتكوينه الاجتماعى « والفكرى » والنفسى الخاص . جانبا لا يستهان به ممن نطلق عليهم بدون الدقة العلمية الواجبة اسم « العمال » .

وكما يؤدى الجهل والشعوذة المتوافران لدى بعض « الكتبة » المنتسبين لليمين ، الذين يسودون بعض صفحات صحفنا السيارة الى اطلاق كلمة « بروليتارى » (وأحيانا « بلوريتارى » !) على أى عامل أو مثقف يسارى أو ماركسى ، فقد ادى التكاسل الفكرى والسياسى لدى مثقفى اليسار الى اطلاق كلمة « عامل » على كل من يتقاضى أجرا (أو لا يتقاضى) بصرف النظر عن دوره فى عملية الانتاج !

وفى حدود ما نعرف ، ليس هناك حتى الان رقم محدد أو تقريبى لعدد الذين ينطبق عليهم تعريف « العامل » أو « الفلاح » أو « الحرفى » ، أو عدد الذين هم بين هذا وذاك من النمط الذى يعد حلمى زكى مساعد السباك « خير » ممثل له .

ولسنا فى حاجة لبيان أهمية الدراسة لتحديد مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية، التى بدونها يصبح العمل السياسى والبرامج السياسية ضربا من الهواية والرجم بالغيب !

● ● ●

نحن نزعم مثلا أن بعض التأمل فى تاريخ وظروف ومكونات المواطن حلمى زكى تدفع الى الاعتقاد بأن هذا القطاع العريض من الشعب المصرى هو المرتع الخصب لعمليات التضليل السياسى والفكرى التى يمارسها اقصى اليمين الرجعى فى مصر بشتى أساليب الاثارة .

وبصرف النظر عن بعض الفروق الفردية والذهنية بين المنتمين لهذا النمط ، فالطابع العام لاصحابه هو الاحساس بأن الاجتهاد الفردى الخاص و « رقة » قلوب بعض « المحسنين » هما حبل النجاة أو الفيصل بين مصير مظلم كالسجن وبين مستقبل « مشرق » كالراتب الشهرى ، أيا كان حجمه ، والغرفة التى تضم خمسة أفراد بجنيه واحد فى الشهر !

ومن الذى يمكن ان يزعم ان حلمى زكى يمكن ان يدرك ، أو يؤمن ، بأن الجهد الجماعى لفئة من الفئات (اى النقابة مثلا) يمكن أن يكون ذا فائدة له من اى نوع ، مادامت تجربته الاساسية ، والاولى فى الحياة ، هى العمل — كصبى مكوجى — من السادسة صباحا حتى منتصف الليل فى المحل ، ثم ابتداء من منتصف الليل حتى صباح اليوم التالى فى أماكن أخرى لكى يوفر ثلاثين جنيها خلال عام ليؤسس أسرة ؟ !

ان التضامن والتكافل الوحيد الذى يترسب فى وجدانه هو ما جاد به المحسنون باختلاف مراتبهم الاجتماعية ، سواء بمنحه عشرة قروش يوميا بعد استنزافه فى منازلهم ، أو « الانعام » عليه بما يريدون التخلص منه من ملابس قديمة.

ان مدرسة الاثارة والتبشير بالجنة الارضية الموهومة كانت تقدم ولا تزال لامثال المواطن حلمى زكى النموذج اليونانى الاشهر وهو «ارسطو طاليس أوناسيس» لكى يحذو كل الجائعين « النشطين » حذوه والطريق امامهم مفتوح !

وما الفرق بين حلمى زكى وأوناسيس ؟

فى « سيرة حياة » أوناسيس أنه اضطر ايضا القيام بأعمال الخدمة على ظهر السفن ، وانه عمل بضعة شهور طوال الليل والنهار لكى يوفر مبلغا محدودا يبدأ به تجارة الدخان المهرب ، وانتهى الى ما انتهى اليه . نفس القصة تقريبا ، لولا أن « أوناسيس » بحكم قوانين الاقتصاد والمجتمع الصارمة لا يتكرر أكثر من مرة أو مرات محدودة كل مائة عام !

● ● ●

ان الفئة التى ينتمى اليها المواطن حلمى زكى مساعد السباك تقدم « تيسيرات » متعددة لكل من يريد أن يخدع فئة من الناس لكى تتبنى نقيض مصالحها المشروعة وتتخلى طواعية عن الحد الادنى الانسانى لاهم ثمار عملها طوال أربعة وعشرين ساعة فى اليوم .

فبالرغم من كل ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية الحافلة بالحرمان والقسوة الا ان وعيها الاجتماعى والسياسى لايسير على وتيرة واحدة . وهم مع القطاع العام بحكم التجربة العملية . وقد يؤيدون نقيضه فى نفس الوقت لانهم لا يستندون الى وعى سياسى تجزيبى بأهمية القطاع العام .

وهم مع الثورة التى حققت لهم بعض المطالب الحيوية : كالتأمين والادخار والمعاش .. الخ لكنهم فى مواقف أخرى قد يؤيدون ما يمكن ان يؤدى الى نزع هذه الحقوق ببساطة .

انهم يمثلون بحكم تكوينهم ودورهم الهامشى فى الانتاج مرحلة بين اللاوعى والوعى . اليس من « حسن حظه » ان أطفاله « لا يحبون اللبن » ؟

ومع ذلك ، فهذه الفئة المظلومة ظلما بينا ليست مضمونة الولاء لمضلليها من ممثلى مدرسة الاثارة فى صفوف اليمين الرجعى .

ان حلمى زكى مساعد السباك بشركة ايديال يعجبه تماما « اسلوب مصطفى أمين » ويتابع دون ضيق « محمد » أبوالفتح ومع ذلك فهو لا يرى فى الشيوعية اى بأس !

أليست كما يقول : « الشيوعية يعنى كل واحد ياخد حقه. » ؟

اذن فأهم ما نذر له مصطفى أمين و « محمد » أبو الفتح نفسيهما تبدد فى الهواء ، ولم يبق منه سوى أن « أسلوب مصطفى أمين يعجبنى » أما أبو الفتح فيبدو انه مرفوض شكلا وموضوعا . وهى درجة من الوعى تشجع على مزيد من الامل بالنسبة لحلمى زكى ، ولكل المواطنين الذين أوقعتهم ظروفهم التعسة فى براثن الاثارة والدعاية المعادية لابسط حقوقهم الانسانية

غيبوبة الوعى

د. مراد وهبة

حلمى زكى عامل « مطحون » ، بدأ حياته بلا عون ولا سند . فهو منذ طفولته « مرفوض » من أبويه بسبب طلاق أحدهما من الاخر ، وزواج كل منهما ، ثم هو « محروم » من وسائل الحياة السوية . فهو بلا مأوى ، وبلا ضمان ، ينام فى المحل وأحيانا خارج المحل ، ويعيش ويقتات بقروش قليلة وتأتى الثورة فيعمل فى القطاع العام ويتزوج وينسل وهو يتحدث عن هذا القطاع العام باعجاب ولكن فى شىء من التحفظ ازاء ما تنطوى عليه من سلبيات وهو فى ابرازه للسلبيات لا ينشد سوى رفعها والغائها .

ومع ذلك ففكره مشدود الى الماضى وليس الى المستقبل لديه حنين الى الماضى ويتمثل هذا الحنين فى تذوقه لما يكتبه **مصطفى أمين وعلى أمين** .

وهو لا يتذوق غيرهما فى عالم الصحافة والغريب فى أمر هذا التذوق ان كتابات هذين الصحفيين اعلان صريح بحذف ثورة ٢٣ يوليو من قاموس الفكر السياسى المصرى . والمطالبة بعودة الحياة الى ما قبل ٢٣ بدعوى أن الثورة لم تكن الا خدعة ولم تنشد سوى تزييف الانسان المصرى .

ومما يزيد الامر غرابة أن حلمى زكى يقف فى صف الثورة وليس ضدها .

ونسأل :

منشأ هذه الغرابة ؟

منشأها مردود الى انفصام البناء التحتى لثورة ٢٣ عن البناء الفوقى ، فقد حدث تغيير فى الاساس المادى للمجتمع المصرى دون أن يواكبه تغيير فى البناء الفوقى ، ونقصد بالبناء الفوقى جملة القيم والمبادىء والمفاهيم المعبرة عن نظام اجتماعى معين .

والملاحظ على هذا البناء الفوقى الخاص بالثورة انه كان محكوما ، فى معظم فترات الثورة ، بقوى رجعية أو محافظة الامر الذى أدى الى احداث **ثغرة** هى من العمق بحيث أحدثت شرخا فى مسار التغير الاجتماعى ! وهذه الثغرة اسمها « **غيبوبة الوعى الاجتماعى** » .

وحلمى زكى نموذج نقى على هذه الغيبوبة ورمز صارخ على ضرورة تغيير البناء الفوقى اذا كان ثمة جدية فى مواصلة المسيرة الثورية . أما الوضع الحالى لهذا البناء ، المتمثل على وجه التخصيص فى بعض وسائل الثقافة والاعلام فهو مواكب لقوى التخلف ، أو ان شئت فقل **لقوى التتار** . □

ملاحظـــات على همـــوم حلمى زكى

د. جمال مجدى حسنين

« حلمى زكى » هو نموذج واضح للطبقة شبه البروليتارية المنتشرة فى جميع بلدان العالم الثالث ومنها مصر . وهى الطبقة التى تحتل المركز الثانى فى التركيب الطبقى للمجتمع المصرى المعاصر من حيث الحجم « بعد طبقة العاملين فى الزراعة » فتشكل أكثر من ٣٦ فى المائة من القوى العاملة فى مصر

ويمكننا من خلال تتبع حوار الطليعة معه ان نكتشف الملاحظات التالية :

الملاحظة الاولى : تمكن جزء ضئيل ومحظوظ من هذه الطبقة ومنه نمـوذج « حلمى زكى » أن يطور وضعه الاجتماعى فيصبح من عداد الطبقة البروليتارية ، من خلال تطور دور الدولة فى النشـاط الاقتصادى وظهور القطاع العام فى أوائل الستينات « بتعيينه فى شركة أيديال » . الا أن هذا الانتقال الطبقى تم مع **الاحتفاظ** بنمط العلاقات الاقتصادية والاجتماعية شـبه الاقطاعية ممثلا فى استمراره فى عملـه القديم « ككواء » ، وهـو عمـل شـبه بروليتارى ، الا أنه يدر عليه دخلا لا بأس به يدونه لا يمكن أن يفى بـحتياجاته المعيشية المتزايدة كما أن هذا الانتقال تم **بفضل** هذه العلاقات شبه الاقطاعية التى عن طريقها تعـرف ببعض أفـراد البـورجوازية البيروقراطية « فساعدوه على التوظف فى القطاع العام ، وبالتالى تمكن من الخلاص من طبقته السابقة .

ومن هنـا فهو نمـوذج لبروليتاريـا العالم الثالث التى تتداخل فيها خصائص الاصول شبه الاقطاعية القديمة مع الاشكال الجديدة للحضارة الصناعية ممثلة فى نظم رأسمالية الدولة . وهذا التداخل فى وضعه الاقتصادى والاجتماعى « دخله ومهنتـه ينتميان الى تكوينين اجتماعيين واقتصاديين مختلفين » ينعكس بوضوح فى المـوقف السياسى والفكرى « لحلمى زكى » . فهو بالنسبة للقضية الفلسطينية يقف موقفين متناقضين : فهو يذكر فى احدى فقـرات حديثه ما تردده بعض الصـحف مـن أن الفلسطينيين هم سبب المشكلة الاقتصادية التى تعيشهـ مصر ، ثم يذكر فى فقرة تالية أن اسرائيل هى العقبة الرئيسية فى طريق تطور مصر وليس الفلسطينيين . كما أن موقفه الفكرى من المرأة له جـانبان متناقضتان ايضا ، فهو يؤيد الدعوة لاصدار قانون جديد للأحوال الشخصية ، ويؤكد حق المرأة فى العمل الا أنه واقعا وفعلا يرفض خروج زوجته للعمل بحجة رعاية الاولاد ويكرر هذا المعنى على أساس أن رعاية الاطفال بالنسبة للمرأة أهم من العمل الانتاجى .

الملاحظة الثانية : على الرغم مـن أن الواقع الاقتصـادى والاجتماعى لشخصـية « حلمى زكى » لابد أن يدخله فى عداد الطبقة البروليتارية أو شبه البروليتارية ، الا أن تاثير البناء الفوقى للمجتمع ، وخاصة الصحف ووسائل الاعلام ، قد دفعته الى أن يتبنى فى أحيان كثيرة مواقف البورجوازية الصغيرة من الناحية الاجتماعية والثقافية بل والسياسية . فهو يؤكد على أنه من المتمتعين بشراء اللحم أسبوعيا ، وأنه ينفق على هذه المتعة حوالى نصف دخلـه الشهرى . ومع مناقشة الطليعة له عن امكانية شراء اللحم مع عدم كفاية مرتبه لذلك يرتبك ويؤكد على أن دخله لا يكفى

بالطبع ، وأنه فى أحيان كثيرة لايشترى اللحم . ثم نراه يقول بأنه يدخن علبة سجائر يوميا تكلفه خمسة وعشرين قرشا ـ مع شىء من المباهاة فى ذكر هذا القول ـ باعتبار أن السيجارة نوع من « المتعة البورجوازية » التى لا يقدر عليها الكثيرون . والى جانب ذلك ، نراه يؤكد فى أكثر من فقرة ـ فى حديثه ـ على أنه يمتلك مخزونا من الطعام فى المنزل بالاضافة الى قوله : « أفضل أدفع قرش زيدة أحسن ، وأجيب بضاعة غالية » . وما الى ذلك من عبارات تؤكد محاولة انتمائه لعالم البورجوازية المستقر فى مجموعة معينة من القيم السلوكية التى تقوم على تخزين المواد الغذائية رمزا للامتلاء وشراء السلع المرتفعة الثمن بصفتها قيمة بارزة للمظهر الاجتماعى فى مجتمع أغلبيته من المعدمين .

وفى نظرة « حلمى زكى » لشارع الشواربى ـ حول استمراره أو الغائه ـ يذهب الى القول « والله يستمر ومايستمرش .. يستمر للى عنده فلوس .. ومايستمرش للى ماعندهوش .. » .

وفى السؤال عما يفضله من الاغانى والافلام ، نراه يفضل الاغانى والافلام القديمة لعبد الوهاب وأم كلثوم خاصة الاغانى الحزينة ، وينادى بنشر الثقافة الدينية وتدعيمها .. فترجع به الذكريات الى أيام صباه حين نكتشف أنه كان ينتمى لجماعة الاخوان المسلمين برئاسة الهضيبى ويقوم بتوزيع منشوراتها !

هذه المواقف فى ترابطها وتسلسلها معا تؤكد لنا بوضوح صحة المفهوم الكلاسيكى لطبقة البورجوازية الصغيرة ، كطبقة تحاول الانتماء الى أوضاع اجتماعية أعلى منها فى السلم الاجتماعى عن طريق احتذاء قيم ومثل البورجوازية العليا فى شراء اللحم واستخدام السجائر والاحتفاظ بمخزون من الطعام والى آخر ذلك .

كما أن موقفه المائع من شارع الشواربى هو انعكاس مركز لنفسية البورجوازى الصغير فى محاولة التوسط فى الحلول والنظر الى الامور بعينين ، عين رفض وعين التطلع فى ذات الوقت !

ويصل وعيه البورجوازى الصغير الى درجة الشفافية ، برفضه لما هو قائم ومحاولته للرجوع الى الماضى فى شكل حبه واستمتاعه بالفن القديم ، وميله الدفين للحزن والتشاؤم الذى يصل الى القمة حينما يمرض فيجمع أولاده حوله باكيا « أنا لو توفيت اليوم من الذى سيقف بجانبكم ؟ لا أخ ولا أب .. كل انسان فى وادى » . وهذه لحظة مليئة بالوعى والاسى عن مدى غربة الانسان عاملا أو بورجوازيا صغيرا فى مجتمع بدأ أول خطواته نحو التصنيع الرأسمالى !

ويجىء نموذج العمل السياسى الوحيد الذى تبناه « حلمى زكى » صبيا وتعاطف معه رجلا ، الا وهو العمل مع جماعة الاخوان المسلمين ، تعبيرا مركزا عن أزمة البورجوازية الصغيرة فى العالم الثالث بصفة عامة والعالم العربى بصفة خاصة .

الملاحظة الثالثة : سيطرة العبارات المسرحية والانشائية على أسلوبه فى الحديث ، وتحديده للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية على أساس أخلاقى مثالى بحت . فهو يبدأ الحديث عن حياته بقوله « حياتى فيها شىء من العذاب » ! وحين يطلب منه تفسيرا لعبارة « بمعنى أصح » يذكر بأنه عرفها من « كلامه مع الناس الكويسيين وتردده على الناس الكرام ! وفى تحديده لطرق الحياة كان أمامه طريقين طريق الاستقامة .. وطريق الانحراف » وفى تبريره لعدم مساعدة أبيه له بالطعام يقول : « ان الطباخين أكلهم حرام لانهم بيسرقوا من الخضار! » . وفى تحديده للثورة « بأنها تكون ثورة على الظلم والطغيان ! وفى تحديده لعضوية المنابر السياسية يقول « المنابر .. المفروض تكون للناس الشرفاء » ! . وفى موقفه من روسيا

يقول « روسيا كويسه .. بس بكل أسف ماتمتش الجميل » ، ثم فى النهاية من تفضيله لباب « فكرة » الذى يكتبه على أمين والذى يتميز أساسا بالطابع الاخلاقى المثل فى الدعوة الى الحب ونبذ الحقد وما الى ذلك .

ونحن نجد أن غالبية هذه العبارات ، هى عبارات مطاطة واسعة تحتمل أكثر من تفسير وأكثر من معنى مثل من هم الناس الكويسين مثلا وما هو المعيار لتحديد هؤلاء الناس الكويسيين ، وكذلك مفهوم الناس الشرفاء . ومن هم الشرفاء ؟! وأيضا مفهوم الظلم ومفهوم الجميل ومفهوم الاستقامة .. الخ وكل هذه هى مفاهيم أخلاقية ليس لها معنى علمى محدد أو مضمون مادى معين . ولا يعنى كثرة استخدام هذه التعابير سوى أن المواطن « حلمى زكى » هو مواطن مخدوع الوعى تحت ستار هذه التعابير الرنانة ، وانه يرددها مثل ملايين آخرين يرددونها بدون أن يفقهوا منها شيئا ، بل ولا يمكن أن نستخرج منها شيئا وبالتالى فهى لن تتغير أو تغير شيئا لانها مفاهيم جوفاء ليست لها قوالب ملموسة ومادية محددة ، ومن هنا فهى ليست ذو قيمة لانها لا تمثل قيمة حقيقية حية .

الملاحظة الرابعة : غياب الوعى الاجتماعى عند « حلمى زكى » كنموذج للطبقة شبه البروليتارية ذات السمات البرجوازية الصغيرة تحت وطأة الاضطهاد والاستغلال الاسرى . فنحن نلاحظ ، من حديثه ، أن الظلم والاضطهاد ونوازع السخط والكراهية موجهة أساسا من « حلمى زكى » نحو اسرته وخاصه ابيه وأمه وعمه .

هذا فى الوقت الذى تتواجد فيه مشاعر الوفاء والعرفان الى عناصر من الطبقة البرجوازية المتوسطة والكبيرة ممثلة فى سكرتيرة شركة ايديال وفى بعض القيادات البيروقراطية التى عمل عندهم ككواء فساعدوه على زياده دخله المحدود وخدموه فى التخلص من واجب الخدمة العسكرية بادعاء أنه يعانى من الفلات فوت بل وبراوه عندما تعرض للاعتقال « فى حادثة توزيع المنشورات » ، حتى عينوه كعامل دائم ومثبت بأجر ومعاش وضمان اجتماعى فى القطاع العام . ودفعته هذه الظروف الفردية الى أن غطى شكل الاستغلال « الفردى » من قبل أسرته على جوهر الاستغلال « الاجتماعى » الواقع على طبقة « حلمى زكى » ككل ، وبالتالى منعه من اكتساب الوعى الطبقى الثورى ، نوجهه عداءه وحقده نحو طبقته ممثلة فى أسرته التى هجرته فى عهد الطفولة وجاءت تبحث عنه فى عهد الشباب . ويدفعه فقدان الوعى الطبقى فى النهاية الى تبنى وجهة نظر البرجوازية المصرية عن أسباب الغلاء فى المجتمع ، بقوله أن « مشكلة الغلاء هى مشكلة تحديد النسل » !.

الملاحظة الخامسة : لجأ « حلمى زكى » كنموذج للطبقات الدنيا من المجتمع ، الى ترديد الامثال والاقوال المأثورة والمنتشرة فى هذه الاوساط ، فنراه يذكر المثل القائل « فى الفرح ناسينى والحزن داعينى » « جوازالقرايب عقارب » كأسلحة لمواجهة تحديات أسرته التى أرادت أن تستغله بعد أن أصبح يعمل ويكسب ، وفى محاولة أبيه لفرض الزواج عليه من الاقارب .

الا أننا نلاحظ أنه ركز على ذكر أصل ومكانة زوجته الاجتماعية بصفتها ابنة محام وعمها وكيل نيابة على الرغم من عدم اهتمامه بفقرها وقوله : « خذوهم فقراء يغنيكم الله من فضله » ، وهذا التركيز من اثار تقاليد البرجوازية الصغيرة التى تركز على الاصل والمكانة الاجتماعية وتعتبره أهم من الثروة .

الملاحظة السادسة : أن « حلمى زكى » كنموذج للطبقة شبه البروليتارية لا يتقن حرفة محددة عن طريق الدراسة أو التدريب ، وانما هو تربى فى طفولته فى

محل عمه الكواء فعرف صنعته واستمرفيها ، ثم انتقل الى مهنة أخرى هى السباكة فى شركة قطاع عام ليضمن رزقه فـى الشيخوخة حين يعجـز عـن الـــوقوف للكوى » . الا أن هذه المهنة الجديدة لم تكن عن طريق الدراسة وانما عن طريق الخبرة العملية السطحية فى مساكن زمـلائه العمال .

وهذا هو حال غالبية الطبقة شـبه البروليتارية التى تغير من أعمالها من يوم الى آخر تبعا لمتطلباتها وظروف البيئـة المحيطة بها . فقد نجد اليوم أحد أفرادها بائعا متجولا ثم نراه فى يوم ثان مناديا للسيارات وفى يوم ثالث خادما فى المنازل وهكذا .

وهو نموذج يعمل بعدة أماكن وبعدة حرف حتى يضمن مستوى معقول من المعيشة يحاول من خلاله تعليم أولاده اذا تمكن لان العلم أو التعليم هو طريق الخلاص من تجربة الشقاء المستمر لهذه الطبقة .

. . . . .

الملاحظة السابعة : يتجلى بوضوح فى شخصية « حلمى زكى » الوعى الطبقـى بمشاكله الاقتصادية والاجتماعية ويتمثـل ذلك فى دفاعه عن نظام التأمينات والمعاشات وقوانين الفصل التعسفى وما الى ذلك .

اما بالنسبة لوعيه السياسى فهو مشوه تماما انعكاسا للتشويه المستمر فـى أجهزة الاعلام والصحف . ولذلك فهو يتخذ مواقف سياسية وفكرية متناقضة من قضايا هى فى الاساس واحدة ، غير مدرك للترابط بينه أو للوحدة التى تجمعها وذلك ليس راجعا الى ضعف فى تكوينه العقلى بقدر ما هو راجع الى التناقضات القائمة فى البناء الفوقى بصفة عامة والصحف « التى هى مصدر رئيسى لمعلوماته بصفة خاصة .

الا أنه وعلى الرغم من ذلك فهو يدرك ببصيرة نافذة الفرق بين الموقف الفكرى المحدد والواضح لكاتب مثـل « مصطفى أمين » أو « احمد أبو الفتح » والمـوقف اللامبدئى لكاتب مثل « موسى صبرى » .

الملاحظة الثامنة : أن المنهج السائد فى تفكير « حلمى زكى » هو المنهج البراجماتى والتفسير الميكافيلى القائم على أن « الغايه تبرر الوسيلة » . وانعكاس هذا المنهـج واضح فى موقفه من جماعة الاخـوان المسلمين ، فقد كان من المؤمنين بهم ، الا أنه ومع اعتقال الثورة لافراد الجماعة ابتعد عنهم لما تمليه عليه مصالحه من ذلك .

ويكون تعبيره الصارخ عن ميكافيليـة تفكيره فى التعليق على محاولات قطـع العلاقات مع روسيـا بـالمثل البلـدى القائل « اللى تكرهه النهاردة تعوزه بكره » ! فى الوقت الذى يكون تعبيره الصارخ عن روحه البراجمتية « أنا عن نفسى لو أمسح بلاط وأجيب فلوس مش عيب » ! .

وهكذا تكون شـخصية « حلمى زكى نموذجا بارزا لطبقة هامة وكبيرة من طبقات مجتمعنا ، وتلعب بوعى أو بدون وعى دورا خطيرا فى تكوين الرأى العام السائد فى الشارع ، وهى أردنا أو لم نرد قطعة حية لاسلوب العمل المتخلف « كواء أو سباك الذى ينعكس بدوره على دخله الضئيل « ١٦ » جنيـه شـهريا وعـلاقاته الاجتمـاعية المحدودة « لايوجد له اصـدقاء ومنقطع عن أسرته وجيرانه » وانفصاله عن التنظيمات النقابيـة أو السـياسـية وثقافتـه المحـدودة القائمة علـى قـراءة جريدة « الاخبار » ! ■

تحقيق

من داخل

أنجولا

حرب الجبهات الثلاث :

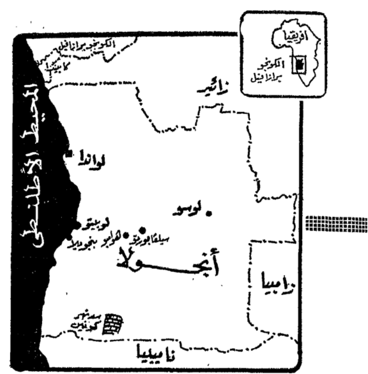
- الاستقلال
- الثورة
- الدولة

حسين شعلان

عندما قامت ثورة البرتغال ، كانت أنجولا ـ والمستعمرات البرتغالية ـ من أسباب قيام الثورة . وعندما استقلت انجولا ، اصبحت ارضها مركزا ساخنا للمواجهة بين حركة التحرر الوطنى الافريقيه وبين التحالف العالمى الاستعمارى العنصرى الرجعى . فشدت معاركها اهتمام العالم كله .

وقد أوفدت « **الطليعة** » ، محررها للشئون الافريقية : **حسين شعلان** ، الى أنجولا ، ليكتب من « أرض المواجهة الساخنة » عن واقع قضايا الحرب والسلام وبناء دولة الثورة الانجولية .

وعلى هذه الصفحات ، يتناول **حسين شعلان** أهم قضايا واقع انجولا الشعبية وتطوراته السريعة والمؤثرة فى مستقبل هذا الجزء الحيوى من القارة الافريقية ، من خلال رؤيته لهذا الواقع ومناقشاته مع بعض المسئولين عن الثورة فى انجولا .



بينما كنا ـ وفود ٦٧ دولة و٨١ منظمة وطنيـــة واقليمية دولية وصحفيون ـ نحمل حقائبنا الى داخل مطار **لواندا** عندالفجر بعد رحلة استمرت ١٨ ساعة مرهقة ، تذكرت تصريحا لجـــوزيف موبوتو رئيس جمهورية زائير عشية استقلال أنجولا ... قال فيه « اذا كسبت الحركة الشعبية المعركة واستقرت فى انجولا ، على أن أحـــزم حقائبى واستعد » .

وعندما كانت الوفود التى جاءت لتشارك فـــى المؤتمر الدولى الطارىء للتضامن مع شعب انجولا الذى نظمته منظمة التضامن الاسيوى الافـريقى تغادر المطار الى فندق « تروبيكو » الذى يضاهى فى فخامته فنادق الدرجة الاولى الدولية ،لم يمنع تاخر الليل شباب أنجولا من أن يتجمع فى مظاهرة ضخمة تشتعل بالحيوية ترحب بالوفود وتهتـف أمامها « الكفاح مستمر . والنصر أكيـد » .. الشعب هو الحركة الشعبية .. والحـــركة الشعبية هى الشعب » . وادركت لحظتها لماذا كان موبوتو يعنى بتصريحه هذا انه قد القى بكل ثقله مع غيره كثيرين ـــ كى يمنع شـــعب انجـــولا والحركة الشعبيه التى تقوده • من أن يحقق الامال التى خاض الكفاح الوطنى المسلح لمدة ١٥عاما من أجلها . وبقدر ما يعكس مغزى التصريح من عداء لشعب أنجولا تحت قيادة الحركة الشعبية ، بقدر ما يكشف ايضا عن الافاق التى تتنبأ بها جبهة القوى المعادية لانجولا الشعبية » لمسار حركة الاحداث فى هذه المنطقة بالغة الحيوية فى وسط وجنوب القارة الافريقية .

وحينما كنا نستعد لمغادرة لواندا بعد انتهاء اعمال مؤتمر التضامن الدولى الطارىء ، كانت الانباء تتردد عن تصريحات أخرى لموبوتو مغايرة بعض الشىء . فقد اعلن ان بلاده لن تسمح للجنود المرتزقة القادمين من أوروبا وامريكا من المرور الى داخل انجولا عبر أراضى زائير . وكانت الانباء القادمة عبر المحيط الاطلنطى من واشنطن تنقل تصريحات أخرى غريبة لهنرى كيسنجر وزيـــر خارجية أمريكا يقول فيها « ان عملية أنجولا ينبغى الا ينظر اليها الاخرون على أنها سابقة قابلة للتكرار » واعتبر المراقبون الافريقيون والدوليون أن تصريح كيسنجر تحذير يغطى اعترافا بالفشل الامريكى فى تغيير الاوضاع فى انجولا ، بعد أن ملات أمريكاالدنيا ضجيجا حول تطورات الاحداث داخل أنجولا وهددت فى بعض الاوقات بأن تضحى بعلاقات الانفراج الدولى ونتائجه ثمنا للحيلولة دون تمكين حكومة الحركة الشعبية من السيطرة على كل التراب الوطنى لانجولا . ولم يمر أكثر من أيام عشرة ، حتى أفادت الانباء بأن أوروبا الغربية سوف تعترف بحكومة الحركة الشعبية .

كيف قادت تطورات الاحداث فى انجولا ، الى ظهور هذه التصريحات التى تبدو متناقضة ، لكنها فى الحالة الاخيرة تعكس الواقع الفعلى لعلاقات القوى على الارض التى جذبت انتباه العالم كله باعتبارها البؤرة الوحيدة الساخنة فى العـــالم لمواجهة ملتهبة لهـــا بعـــدها المحلى والافريقى والدولى .

ولماذا حققت جمهورية أنجولا الشعبية بقيادة « الحركة الشعبية لتحرير أنجولا » مبـــلا » كل

« الحركة الشعبية لتحرير أنجولا » مبلا ، كل هذه الانتصارات المدوية ضد القوى المناوئة ومسانديها الدوليين ؟ وكيف ستواجه الموقف بعد هزيمة القوات المعادية وانسحابها الى الغابات تمهيدا — كما يقول سافيمبى — لشن حرب عصابات » ضدها ؟ ثم أخيرا : كيف ستتحول ثورة شعب أنجولا التى قادتها «مبلا » الى دولة ثورية وما هى أهدافها ووسائل تحقيقها ؟

لواندا « الثورة » آمنة :

بدلا من الاحساس بارهاق ساعات الطيران الطويلة ، لفنا خليط متداخل وكثيف من احاسيس الفضول المنسوج بروح المغامرة وعشرات من الاسئلة الاخرى عن الماضى القريب والحاضر سريع الحركة والنبض والمستقبل الذى كان مجرد كلمات على أوراق حركة التحرير الوطنية كتبها عشاق محبون للوطن والحرية والتقدم . وبرغم « شبه الظلام » الذى تعيشه لواندا فى هذه الساعات الاولى من الفجر ، كانت فتنة وجمال واناقة المدينة « العاصمة » وثرائها ، طاغية بحيث لا تخطئها أى عين حتى شبه نعسانة . وفى الصباح تؤكد المدينة انطباعاتك المباشرة والاولية . لواندا « المدينة » امتداد شكلى لمدن الغرب الاوروبى الانيقة الثرية . لكن لواندا « الثورة » شىء آخر غير اوروبى وغير غربى على الاطلاق . انها امتداد لحركة التحرر الوطنى الافريقية والمقاومة الافريقية التى قد تأخذ هذا التشكل او ذاك ، على نطاق القارة كلها ، ضد من نهبوا ثرواتها ويسعون اليوم الى مواصلة نهبهم بطرق أخرى ، وضد آخرين جدد يلهثون زحفا وغزوا ليرثوا غيرهم قدامى . وثراء لواندا انعكاس لحقيقة أساسية هى حجم ثروات وامكانيات أنجولا التى ظل الاستعمار البرتغالى طوال ٥٠٠ سنة وأقام احدى « جناته الخاصة » فى لواندا ، عندما لم يكن يخطر بخياله — ولو ليوم واحد — احتمال أن يرحل عن مستعمراته فى افريقيا .

ولفت أنظارنا منذ البداية كذلك ، بشكل يثير الدهشة ، أن لواندا « الثورة » مدينة هادئة ومستقرة وآمنة . لا يدفعك الى تذكر الحرب الملتهبة داخل بعض أراضى انجولا فى الجنوب ، سوى مشاهدة شبان أنجوليين فى عمر الزهور يحملون الرشاشات الاوتوماتيكية فى مجموعات تضم ٣ أو ٥ شبان يقومون بأعمال حراسة دورية على مسافات طويلة متباعدة — يبقون بمظهر جديتهم — وبسائر الاعمال السياسية الجماهيرية الاخرى — على يقظة شعبهم مشحوذة دائما ويترجمون شعارهم : « **الكفاح مستمر .. والنصر أكيد** » .

وترتجف تحت وطأة شعور داهم بالاشفاق والتعاطف مع ثوار أنجولا الشبان القادمين من أعماق الريف بكل تركة التخلف والفقر التى أورثها الاستعمار لهم . تشفق على طول ما عانوه بامتداد ١٥ عاما من دراما الكفاح المسلح ومماينتظرهم من مواجهات أخرى . بل تجد نفسك تكبت اشفاقا آخر وأنت تجيل البصر حول كل ما فى لواندا « المدينة » من اغراء مخيف ومقلق .

فهل يعكس هذا الهدوء والامان ، خصائص الموقف السياسى — العسكرى للصراع الملتهب فى أنجولا ؟ أم كان مجرد « مظهر » قصد به الايحاء بنتائج تطورات الحرب فى شكل غير مباشر ؟ وفى صياغة أخرى للتساؤل : وهل كانت مهمة « المؤتمر الدولى الطارىء للتضامن مع شعب أنجولا » ، هى مساندة وتأييد نظام سياسى ضعيف أو معزول فى الداخل يواجه مأزقا قد يطيح به ؟

الواقع أنه حتى وكالات الانباء والصحف الغربية ، لم تزعم مطلقا أن حكومة الحركة الشعبية ونظامها ضعيف أو معزول . وبالاضافة الى ذلك فان الواقع الراهن الذى رأيناه كشهود عيان ، يؤكد أنه نظام قوى ومستقر يحظى بالتأييد الشعبى .

لقد كانت وفود المؤتمر الذى حقق نجاحا سياسيا بارزا ، تمثل مواقع جغرافية وسياسية وفكرية متعددة . منهم من جاء من جزر تيمور فى أقصى الشرق ، ومن الولايات المتحدة فى أقصى الغرب ، ومن فنلندا وألمانيا الديمقراطية فى الشمال ، ومن ناميبيا وجنوب افريقيا ، جنبا الى جنب ممثلى فيتنام والهند والثورة الوطنية فى فلسطين وعمان ومن السودان والصومال ومصر وليبيا وغينيا ، ومن الاتحاد السوفيتى وايطاليا والبرتغال الى موزمبيق ونيجيريا .. الخ . يعبرون عن مواقف سياسية وفكرية متباينة ، لكن يجمعهم موقف واحد أكيد : ان نظام الحركة الشعبية هو النظام الشرعى الممثل لشعب أنجولا وطموحه ، ولابد من التضامن معه ومساندته .

ويصح أن نسأل : هل تعد لواندا « المدينة » مقياسا لواقع الحال الاجتماعى فى أنجولا ؟ فلنمد بصرنا وراء كردون لواندا .

ملامح المجتمع والاقتصاد والموقع :

لا يتسم المجتمع الانجولى بتصنيف اجتماعى بسيط . حيث فرض عليه — بعد استعماره — بناء اجتماعى مختلط ومتناقض . فقبل وصول المستعمرين كان المجتمع لا يزال يعيش مرحلة المشاعية ، وبمجيء الاستعمار تحول المجتمع — فى قفزة تاريخية — الى مجتمع طبقى . وأصبحنا نجد



● يقفون عند بعض المداخل ، تعبيرا عن يقظة شباب الثورة وجديته ●

الى جانب الملكية الجماعية للارض « رغم استغلالها على اساس فردى » العمل المأجور والنقود والطبقات . وقد انعكس اختلاط الاوضاع هذه على تفكير الناس وعاداتهم . فتواجدت الفلسفة الطبقية وسلوكها وعاداتها ، جنبا الى جنب مفاهيم المشاعية وايديولوجية المساواة وأساليبها فى الحياة .

على أن الاحتلال البرتغالى بدوره ، لم يكن بسيطا بل معقدا بوضعه ونتائجه . فبرتغال القرنين ١٥ و ١٦ ، كانت بلدا اقطاعيا لكن البورجوازية التجارية قد تواجدت فيه حيث لم تتم البرتغال ثورتها البورجوازية الا فى بداية القرن العشرين . ومنذ ذلك الوقت ، دخل الاسلوب الرأسمالى للانتاج الى انجولا من خلال سلطة المستعمرين ، وراحت القبلية ومؤسساتها تئن وتتفكك تحت وطأة أساليب الانتاج الجديدة . وخلقت الرأسمالية حقائق جديدة تواجدت جنبا الى جنب مع الحقائق القديمة . وكان هذا التأثير يتزايد فى المدن ويقل كلما ابتعدنا عنها .

وعلى الرغم من أن الزراعة تضم ٨٨٫٧ فى المائة من مجموع القوى العاملة فى البلاد ، الا أنه لا تشكل الا ٢٨ فى المائة من الدخل القومى « مما يوضح حجم تخلفها الرهيب » . أما الصناعة « الاطعمة المحفوظة اساسا والسكر والدخان فيعمل بها ٥٫٨ فى المائة من مجموع القوى العاملة وتشكل ١١ فى المائة من الدخل القومى و ٣٤ فى المائة من مجموع الصادرات « مما يوضح أهميتها النسبية وفعالية وزن العاملين فيها » . أما النقل والخدمات فتضم ٥٫٥ فى المائة من القوى العاملة .

وتوضح هذه الصورة مدى تخلف الحياة الاجتماعية ــ الاقتصادية فى البلاد . وبينما يعد متوسط الاجر فى انجولا « ١٠ دولار فى الشهر « اقل مستويات الاجر فى افريقيا كلها » نجد ان معدل فائض القيمة يحقق نسبة تزيد على ٨٠٠ فى المائة وخاصة فى شركات التعدين . وبينما يذهب ٧٤ فى المائة من الدخل القومى الى المستوطنين البرتغاليين «حوالى ٦٠٠ ألف » يبلغ نصيب الانجوليين « حوالى ٦ مليون » ٢٦ فى المائة فقط .

واذا كان البن هو المحصول الرئيسى للبلاد ، وتنتج الى جانبه السيسال والذرة والقطن والسكر والدخان ، فان ثروة أنجولا التعدينية تضعها فى الصفوف الاولى لاغنى بلاد القارة فى انتاج المعادن التى يعد الماس اهمها «مابين ٤ و ٥ فى المائة من الانتاج العالمى للماس » . والى جانب الماس نجد البترول وخاصة فى اقليم كابيندا الغنى به الى الحد الذى دفع بعض المراقبين الى تسمية الاقليم « الكويت الجديدة » ، ثم الحديد والنحاس والمنجنيز والفوسفات والذهب .

وكان الاقتصاد الانجولى موجها لتلبية احتياجات البرتغال وبعض البلاد الصناعية ، من المواد الخام ، وبخاصة دول السوق الاوروبية المشتركة والولايات المتحدة . ولهذا لم تكن أنجولا مجرد مستعمرة بالمعنى الكلاسيكى للكلمة يستغلها البرتغال الفاشستى حسبما كان معروفا ، ولكن ثروات البلاد الكبيرة ومستقبلها المؤمل ، جعلت من انجولا هدفا للمطامع الامبريالية الاوسع . ويجوز لنا أن نقول باختصار ، انه فى نفس الوقت الذى كانت تعد فيه أنجولا مستعمرة كلاسيكية للبرتغال

كانت أيضاً مستعمرة جديدة للقوى المالية الامريكية والاوروبية الضخمة .

على أن الموقع السياسى الجغرافى لانجولا يشكل أهمية بالغة سواء فى الحسابات الاستراتيجية لجبهة الامبريالية - العنصرية - الرجعية فى افريقيا ، أو فى استراتيجية الجبهة حركة التحرر الوطنى الافريقية المعادية للامبريالية ، والعنصرية والرجعية الافريقية . فهى - بموقعها - فى الجنوب الغربى لافريقيا ، كانت تمثل حلقة أساسية فى حائط التصدى لرياح الثورة القادمة من شمال القارة لتعصف بمواقع النظم العنصرية الاستعمارية فى الجنوب . وكانت - ايضا - سندا احتياطيا لمعاقل نظم موالية للغرب فى وسط القارة - خاصة فى زائير - مصدرا لارباحه وأرضا لاستثماراته . وبعد الاستقلال تحت قيادة الحركة الشعبية ، أصبحت حلقة ضاغطة فى سلسلة « الثورة الافريقية التقدمية » الممتدة من موزمبيق والصومال فى الشرق والكونجو الشعبية فى الوسط وغينيا وغينيا بيساو فى الشمال الغربى ثم انجولا فى الجنوب الغربى . وأصبحت تشكل هذه المواقع الثورية ، « سقفا من الصفيح الساخن » - اذا جاز لنا التعبير - لابد وأن تنبعث حرارته مؤثرة على الجنوب الامبريالى العنصرى المفاجأ بهذه التطورات السريعة المتلاحقة خلال سنوات تعد على أصابع اليد الواحدة . وانجولا : على الساحل الغربى لافريقيا المطل على المحيط الاطلنطى ، حلقة اتصال هامة بين حركة التحرر الافريقية وحركة التحرر فى أمريكا اللاتينية . وانجولا ، دوليا ستظل « جرحا افريقيا » لا يلتئم للنظام الاستعمارى كله ورمزا لفشل قواه الضاربة « أمريكا واوروبا الغربية » وعجزها عن ملاحقة التطورات على نحو لا يتفق مع هواها ، أفلت منها - فيها - زمام المبادرة لتجد نفسها اخيرا فى مواقف الدفاع ورد الفعل . فاضافت الى رصيد خسائرها فى فيتنام ثم كمبوديا ولاوس ، رصيدا جديدا يثقل كاهلها .

تفسر لنا هذه الاهمية الاقتصادية - السياسية لانجولا ، مسألة ان تكون آخر مستعمرة برتغالية تستقل فضلا عن ان انجولا ، ظلت لفترة شهور ما قبل الاستقلال » نوفمبر ١٩٧٥ » موقعا لاختبار علاقات القوى داخل البرتغال نفسها حينما كان يشتد الصراع بين اليمين واليسار البرتغالى . بل وحاول اليمين البرتغالى والدولى المؤيد له ، ان يجعل انجولا فى بعض الاحيان ، مدخلا خلفيا لضرب اليسار البرتغالى وتغيير ميزان علاقات القوى فى لشبونة .

لعبة « الكاوبوى » فى غير صالح « الكاوبوى » :

راهنت كل القوى الاجنبية والمحلية المعادية لاستقلال انجولا تحت قيادة الحركة الشعبية ، على الاطاحة بالحركة وخلعها من الحكومة الانتقالية المؤقتة التى تشكلت بمقتضى اتفاقية « الاستقلال » من ممثلين بعدد متساو لكل من الحركة الشعبية لتحرير انجولا « مبلا » والجبهة الوطنية لتحرير انجولا « فنلا » والاتحاد الوطنى لاستقلال انجولا الكامل « يونيتا » برئاسة الحاكم البرتغالى . وكان مفترضا ان تتولى هذه الحكومة المؤقتة السلطة بعد اعلان الاستقلال لتمهد لاجراء انتخابات عامة بعد ذلك .

فى ذلك الوقت تصرفت « فنلا » و « يونيتا » بشكل يماثل ذلك الذى تصوره روايات « الكاوبوى » الامريكية . حين يشحذ كل طرف فى الخصومة سلاحه ويضع يده عليه حتى تنطلق اشارة البدء فيكون الفوز للاسرع والادق فى التصويب . حشدت فنلا « قواتها التى قدمت بها من الشمال على الحدود مع زائير ، حيث مركز نشاطها ، فى لواندا العاصمة . وكذلك فعلت « يونيتا » بقواتها القادمة من الجنوب حيث مركز نشاطها وثقلها . اما « ميلا » فقد كانت تركز نشاطها فى الكفاح الوطنى المسلح فى أواسط البلاد للاحاطة بلواندا العاصمة التي شهدت بداية عملها المسلح وكانت مركز تواجد « بؤرها » الثورية وعملها السياسى السرى منذ البداية . وعلى العكس ، دفعت « مبلا » بالعديد من قواتها الى اطراف البلاد بشكل محسوب اتضح فيما بعد انها كانت تملك رؤية بالغة الصفاء والدقة ، للتنبؤ بتطورات الاحداث .

ولان « فنلا » و « يونيتا » ، كانتا تتعجلان النهاية ، يساعدهما فى ذلك تطورات البرتغال الداخلية - حيث استرجع اليمين أنفاسه - فقد ارتكبت قواتهما من الاستفزازات والحماقات ما أثارت ضدهما جماهير لواندا . كأن تطلق الرصاص على جماهير « مبلا » لارهابها ، أو تقوم بأعمال سطو واختطاف .. الخ أو باستعراض استفزازى للقوة .. الخ . وعلى المستوى السياسى ، كان كل قرار يعرض على الحكومة لا يرى النور لان التصويت الدائم : « فنلا » و « يونيتا » فى جانب و « ميلا » فى جانب ، اما رئيس الحكومة البرتغالى ففى جانب محايد . ففقدت الحكومة المؤقتة أى قيمة سياسية أمام شعب انجولا .

وظلت الاوضاع تتردى حتى انطلقت اشارة البدء . قد حدث ان اضرب عمال الموانى فى



● مجلات الحائط المنتشرة فى الشوارع : مظهر تلمسه كثيرا لاعمال التوعية الجماهيرية ●

لواندا مطالبين برفع اجورهم . واصدرت الحكومة المؤقتة باغلبية ٢ «فنلا ويونيتا» ضد صوت واحد « مبلا وامتناع الحاكم البرتغالى عن التصويت ، قانونا عسكريا يجبر العمال على العودة للعمل بنفس الاجر . وحولت « فنلا ويونيتا » الامر الى مواجهة عسكرية مع العمال وقوات « مبلا » التى حسمت الموقف بتنظيم مظاهرات التضامن مع العمال ، بدا معها ــ لضخامتها ــ خطر المستقبل امام قيادات « فنلا ويونيتا » الذين تركوا العاصمة الى مواقعهم القديمة ، وفشلت حتى قواتهما التى فجرت الحرب الاهلية داخل لواندا من السيطرة فانسحبت الى الشمال والجنوب فى ذلك الوقت كان شعار الحركة الشعبية « اننا لم نشن حرب التحرير الوطنية لكى نخسر السلام . اننا على استعداد للدفاع عما نعتقده فى صالح انجولا » .

بالقوة العسكرية الطائشة فقدت « فنلا ويونيتا » الحكومة ولواندا العاصمة الى الابد . وبالسياسة تحميها القوة العسكرية والجماهيرية ، أعلنت « مبلا » جمهورية انجولا الشعبية فى ١١ نوفمبر . وكانت بذلك هزيمة سياسية ماحقة للتحالف المعادى المتعدد الاطراف . وبقدر ماكان هذا الانتصار مدويا ، بقدر ماكان على حكومة الحركة الشعبية . ان تتوقع معركة ضاربة بنفس قدر هذا الانتصار الذى تحقق .

الحركة الشعبية تعى غرس « لومومبا »

منذ فترة التمهيد للاستقلال ، ثم بعد اعلانه كان هدف القوى المعادية « لانجولا الشعبية » هو جر الحركة الشعبية الى سلسلة من المعارك لا تنتهى الا بنهاية الحركة الشعبية نفسها . وجنبا الى جنب محاولة خلع الحركة الشعبية من الحكومة المؤقتة وتصفيتها ، جرت محاولة الانفصال باقليم كابندا فى شمال البلاد . وهو الاقليم الغنى بثروته البترولية والمعدنية الاخرى . الا أن هذا الاقليم بدوره ، كان مركزا سابقا للعمل السياسى للحركة الشعبية ولها فيه مواقع قوية فضلا عن انها كثفت تواجدها العسكرى فيه واقامت مراكز دفاعية قوية وثابتة . وتمكنت من السيطرة عليه وضرب اتجاه الانفصال فيه . ولم يكن أمام شركة « الجلف » الامريكية للبترول الا أن توقف عملياتها انهاكا لاقتصاديات البلاد ، تمتنع ــ بالتالى ــ عن دفع الرسوم المستحقة للحكومة ضغطا على الحركة الشعبية .

وقبل ان نصل لواندا ، كانت الولايات المتحدة ووكالات الانباء والصحف العربية ، قد أقامت الدنيا واقعدتها ، حول وجود جنود كوبيين ضمن صفوف قوات الحركة الشعبية العاملة فى جبهة الجنوب . وبرغم انه كان واضحا ان الهدف من هذا الضجيج الامريكى ــ الغربى ، هو تبرير كل اعمال المساندة والدعم والتورط المباشر فى القتال ضد الحركة الشعبية ، وتفرقة دول القارة بمنعها من اتخاذ موقف مساند الى جانب الحكومة الشرعية ، الا أن « القصة » كانت تشغل فضولنا لمعرفة ملابساتها .

ــ « نعم .. لقد طلبنا كحكومة شرعية لانجولا متطوعين من جمهورية كوبا ومساعدات فى شكل اسلحة من الاتحاد السوفيتى » .

كانت هذه هي اجابة المسئولين في حكومة انجولا الشعبية بدون لف او مواربة . كما ان حكومة كوبا كانت قد اعلنت رسميا قبل ان تصل بأيام عن استجابتها لطلب الحكومة الشرعية لانجولا بارسال جنود متطوعين .

— لماذا ؟

غداة اعلان الاستقلال ، أعلنت « فنلا ويونيتا » تشكيل حكومة في المنفى مناهضة للحكومة الشرعية . وكان ذلك اعلانا « للجهاز السياسى » الذى من المفترض ان يتولى بعد ذلك عسيه « الصراع المسلح » ضد موت « مبلا » .

وفى ١٩ نوفمبر « بعد ٨ ايام من اعلان الاستقلال » ، اعلن وزير دفاع حكومة جنوب افريقيا العنصرية ان بلاده ارسلت قوات نظامية الى حدود انجولا « لحماية مشروع توليد الكهرباء عند نهر كونين » ؛ وكان هذا يعنى — عمليا — التواجد داخل اراضى انجولا . ثم تعترف صحافة جنوب افريقيا « صحيفة جوهانزبرج صنداى تايمز « بأن جسرا جويا قد أقيم لنقل الجنود والمرتزقة الى انجولا للقتال فى صفوف قوات « يونيتا » و « فنلا » .

فى أواخر نوفمبر وأوائل ديسمبر ، قدمت المخابرات المركزية الامريكية — بموافقة الرئيس فورد — أسلحة قيمتها ٥٠ مليون دولار لدعم قوات « فنلا » و « يونيتا » . كما قدمت الحكومة الامريكية طائرات استطلاع يقودها أمريكيون تنطلق من قواعد فى زائير . « معلومات نشرتها مجلة نيوزويك الامريكية فى عدد ٢٢ ديسمبر ١٩٧٥ » وفى كاليفورنيا نشرت عدة صحف اعلانات تطلب فيها متطوعين للحرب فى انجولا . وفى الكونجرس الامريكى بدأ اعتراض النواب على ما أسموه « بالتورط » الامريكى فى أنجولا .

فى الشمال ، تقدم زائير جنودها لتشكل ٦٠ فى المائة من قوات « فنلا » المهاجمة ضد حكومة الحركة الشعبية . وفى الجنوب الشرقى تعلن حكومة زامبيا اغلاق الحدود واعلان حالة الطوارىء .

تشكيل جبهة « فليك » « جبهة لتحرير مقاطعة كابيندا » بتمويل وأسلحة فرنسية قدمتها المخابرات الفرنسية باشراف جاك فوكار « مسئول افريقيا فى الحكومة » ، للجبهة عن طريق زائير وجابون ، وتقديم جنود مرتزقة سبق لهم الاشتراك فى حرب الجزائر ، وارسال أسلحة الى حكومة جنوب افريقيا . ثم وجود عسكريين فرنسيين فى الجابون لتدريب جنود « فليك » .

كما أثبتت الاحداث فيما بعد ، وجود مرتزقة بريطانيين ومن ألمانيا الغربية ضمن صفوف القوى المعادية للحركة الشعبية ، وخاصة فى جبهة الجنوب .

باختصار ان وحدة مصالح قوى استعمارية متعددة ، لاستثماراتها المنفردة والمشتركة فى أنجولا والبلاد المجاورة ، فرضت وحدة حركة هذه القوى للتدخل المباشر وغير المباشر — عن طريق « فنلا » و « يونيتا » و « فليك » — ضد حكومة انجولا الشعبية .

حتى منظمة الوحدة الافريقية — ممثلة فى شخص رئيسها لدورتها الحالية : عيدى أمين — أعطى تصريحات فى أوائل نوفمبر تطالب بالتدخل المسلح فى انجولا لفرض ما سمى « بالمصالحة الوطنية » على حكومة الحركة الشعبية التى لم تكن تواجه حربا اهلية وانما غزوا خارجيا ، فرض عليها حربا نظامية شبه تقليدية .

كان الموقف السياسى العسكرى ، بالغ الوضوح . القوى المعادية تحضر لازاحة الحركة الشعبية . فلما فشلت قبل اعلان الاستقلال ، كانت أيضا — ضمن حساباتها — تعد « آلتها العسكرية » لفرض أمر واقع جديد من خلال احتمالات ثلاثة :

- اما التدخل لفرض انتصار عسكرى على الحركة الشعبية .
- أو شن حرب استنزاف تنهكها ثم تسقطها .
- أو « بلقنة » انجولا بخلق « بيافرا » او انفصال فى الشمال « كابيندا » لوضع ثرواتها الطبيعية داخل دائرة نفوذ الاستعمار الجديد ، وخلق دولتين عازلتين ، فى الشمال « لحماية زائير من التأثيرات المتوقعة تؤسسها « فنلا » ، وفى الجنوب « لحماية جنوب افريقيا من نفس التأثير » تؤسسها « يونيتا » .

وتحكى التجربة التاريخية ، أنه عندما واجهت حكومة لومومبا الشرعية أوضاعا مماثلة فى الكونجو غداة استقلاله فى عام ١٩٦٠ ، طلب لومومبا تدخل قوات افريقية . فأرسلت بعض الدول الافريقية — تحت علم الامم المتحدة — بعض القوات لمراقبة تطورات الاحداث دون ان تشارك فى حماية الحكومة الشرعية . وأمام وطأة التدخل البلجيكى — الامريكى وقتها ذبح باتريس لومومبا تحت سمع وبصر القوات الافريقيه التى وصلت — ايضا — بعد أن تروت دولها فى اجراء الحسابات وكادت « المذبحة » أن تسدل استارها على الفصل الاخير بضياع الكونجو المستقل .

اذا طلبت حكومة الحركة الشعبية — كما اوضح المسئولون فيها — قوات افريقيه من خلال منظمه الوحدة التى لم تكن قد اعترفت بها بعد ، كان معناه أن تجتمع دول المنظمه وتناقش وتختلف وتطالب الحركة الشعبية بالمصالحة الوطنية بينما تكون قوات جنوب افريقيا والمرتزقه و « فنلا »

و « يونيتا » قد أجهزت على الحركة الشعبية وذبحت قادتها ذبحا فى شوارع لواندا وبقية أنحاء أنجولا .

وكوبا ، هى أقرب دولة ثورية من أنجولا « على الجانب الاخر المواجه لانجولا من المحيط الاطلنطى » ، يمكن أن تمدها بجنود دربوا على الحرب النظامية تساند قوات الحركه الشعبية المدربة جيدا على حرب العصابات .

والاتحاد السوفيتى ، لم يرسل مساعداته العسكرية الى حكومة أنجولا الشرعية الا بعد ٣ شهور من تدخل القوى الاخرى ، وبعد ان أثبتت حكومة الحركة الشعبية قدرتها على الصمود وشرعيتها الشعبية .

وضاع زمام المبادرة تماما من أيدى أمريكا وجنوب افريقيا وبقية حلفاء الجبهة المعاديه للحركة الشعبية وجمهورية أنجولا الشعبية المستقلة .

أهـــــداف مســـتحيلة :

كان يثيرنا - اثناء وجودنا فى لــواندا - الاحساس بالثقة الكبيرة لدى حكومه الحركة الشعبية وبعض المسئولين القلائل الذين قابلناهم ، كان يثيرنا ، خوفا وقلقا ، لاننا كنا ندرك ضخامة المواجهه التى أعدتها القوى المعاديه فى ظل حملات سياسية محمومة شنتها كل من أمريكا وجنوب افريقيا وزائير . وزاد من هذا القلق ، ان منظمة الوحدة الافريقية ، كانت قد عجزت عن اتخاذ موقف لعديد مـن الاسـباب .. وكاد ظهر أنجولا « الافريقى » أن يكون عاريا . وعلى الرغم من أنباء الانتصارات التى كنا نتابعها ، وتحكى عن مواقع جديدة تسقط فى يد قوات الحركة الشعبية ، الا انه لم ينقل الينا خبر واحد حول صعوبة ما تواجه الحركة الشعبية كاتجاه قوات جنوب افريقيا و « يونيتا » فى الجنوب لقطع الجسور وتحطيم الكبارى ، حتى نظن أن « الرياح قد تسير فى اتجاه آخر » .. ثم نسمع من الانجوليين عن تفرق قوات للمرتزقة فى الجنوب وانتشارها ، دون معرفة حقيقة اتجاهها ومحاولة ضرباتها اليائسه التالية . ورغم تلك الانباء القليلة ، دعتنا الحركة الشعبية لحضور استعراض سياسى - عسكرى - جماهيرى صبيحة يوم ٤ فبراير احتفالا بذكرى مرور ١٥ عاما على بدء الكفاح الوطنى المسلح .

واضح أن الحركة الشعبية تمتلك رؤيه سياسية واضحة ينبغى أن يشهد المرء لها . فاذا ما تأمل المرء حقيقة الظروف المحيطة بهذا الصراع الدامى ، لاتضح له « استحالة » تحقيق الاهداف المحتملة للعدوان الخارجى وقواته .

فالقوى المحلية ، « فنلا » و يونيتا » ، التى راهنت عليها أمريكا وجنوب أفريقيا وأوروبا الغربية وزائير ، كانت لا تمثل قوى فعالة ومؤثرة بشكل كبير داخل أنجولا . فقيادة « فنلا » مثلا ظلت غارقة فى مظهريات العمل السياسى الاستعراضى طوال سنوات الكفاح المسلح تقريبا . وظل نفوذها محصورا فى اطار قبلى فى صفوف قبيلة باكونجو فى الشمال على الحدود مع زائير . وقد تأسست هذه الجبهة فى مارس ١٩٦٢ ، أى بعد عام كامل من بدء الكفاح المسلح . وقد هرب الكثيرون من أبناء هذه القبيلة الى أراضى الكونجو « زائير الان » ومعروف أن نسبة التعليم بين أفرادها محدودة للغاية . وقد ظل النشاط الاساسى للجبهة داخل الكونجو محصورا فى العمل السياسى حيث شكلت وقتها ما سمى بحكومة أنجولا فى المنفى . « نلاحظ هنا أن « فنلا » تسرع دائما عند بداية أى صراع ، بتشكيل حكومة فى المنفى . فعلت ذلك بعد تشكيلها مباشرة ، ثم بالاشتراك مع « يونيتا » بعد الاستقلال » . وقد تمكنت فى البداية من اقناع منظمة الوحدة الافريقية بأنها الجبهة الوحيدة العاملة فى أنجولا . الا أن ضعفها وعدم فعاليتها فى النضال المسلح ، بسبب طابعها القبلى من جهه وطبيعة قيادتها من جهة أخرى ، فتح الطريق لبروز الحركة الشعبية « مبلا » ودورها الفعال والتى اصبحت بعد ذلك القوة الرئيسية المعترف بها داخليا وخارجيا . وتستند « فنلا » الى قاعدة داخلية ضعيفة ، أفرادها أكثر ثراء واقل ثقافة ولهم ارتباطات كثيرة برءوس الاموال الاجنبيه فى المنطقة . ومـن المعروف عـن روبـرتو هولدن - زعيمها - أنه رجل أعمال كبير يعيش فى كينشاسا « عاصمة زائير » وهو صهر الرئيس موبوتو ، وشريك فى احدى شركات النقل الكبيرة فى كينشاسا ومساهم كبير فى البنك الوطنى الكونجولى . ويملك فندقا كبيرا ودارا للطباعة وثمان مزارع كما يعمل فى تجارة الماس . ومن ابرز مستشاريه السياسيين ، الامريكيان جون ماركهام .. ومولر « كان يعمل مستشارا لتشومبى من قبل » . ومن أبرز مستشاريه العسكريين دوركينز ، ومانهيرتز اللذان يعملان فى تدريب قوات « فنلا » فى معسكر كينكوسو داخل زائير .

اما « يونيتا » ، فقد تأسست عام ١٩٦٥ بانشقاق سافيمبى عن حكومة « هولدن » فى المنفى . وتستند الى قبيلة أوفيمبندو الكبيرة فى وسط وجنوب انجولا . وقد استطاع سافيمبى أن يقيم علاقات قوية مع البيض فى أنجولا . وحاول اتخاذ موقف وسط بين « فنلا » و « مبلا » فى اول الامر ، ولكن احتدام الصراع واستقطاب اطرافه ادى الى أن يسفر سافيمبى عن وجهه الحقيقى بالعمل مع هولدن رغم التناقضات الحادة بينهما . هولدن يتهم سافيمبى بأنه « شخص ذو طموح فردى مدمر » . وسافيمبى يتهم هولدن بأنه « قبلى اقليمى » . وبرغم مواقف سافيمبى الوطنية فى

بداية انشقاقه عن « فنلا » ؟ الا أن طموحه الشخصي المغامر قاده مباشرة الى التحالف مع جنوب افريقيا العنصرية . وكان في ذلك نهايته .

اما دعاة الانفصال في كابيندا أو في غيرها ، فقد فروا خارج البلاد بمجرد أن تسلموا ٥٠ مليونا من الدولارات عن طريق حكومة جنوب افريقيا كما فعل شابيندا الذى انفصل عن الحركة الشعبية قبل نحو عام من الاستقلال .

كانت هذه هي القوى المحلية — المغامرة — التى تدعمها جبهة القوى الخارجية المعادية لانجولا الشعبية . وقد كشفت الصحف الامريكية نفسها — عن أن قيادات « فنلا » و « يونيتا » كانت تتقاضى حصصا منتظمة من الدولارات الامريكية .

ومن هنا لم يكن المطروح أمام الحركة الشعبية قضية « مصالحة وطنية » وانما قضية غزو خارجي يتخذ من بعض القوى المحلية عملاء مباشرين لحسابه ويقفون جنبا الى جنب في خنادق الاستعماريين والعنصريين . كانت تواجه — بالتحديد حرب تحرير ثانية .

مع هؤلاء وقواتهم ، لم يكن مجديا أن تحقق اى دولارات ، أو أسلحة ، أو حتى المرتزقة ، او حتى قوات نظامية مباشرة من زائير أو جنوب افريقيا ، أى انتصارات سياسية — عسكرية .

على أن هذه الحقيقة لم تكن العامل الوحيد في فشل تحقيق الاهداف المحتملة الثلاثة لجبهة أمريكا — جنوب افريقيا — أوروبا الغربية — زائير المدعمة « لفنلا « يونيتا » .

● بالنسبة **لهدف فرض انتصار عسكرى** : فقد حاول الامريكيون فرض هذا الهدف في الهند الصينية وفشلوا . وكان لذلك الفشل تاثيره على العقلية الامريكية نفسها . كما ان الحكومة الامريكية تورطت في حرب انجولا . عشية انتخابات الرئاسة وتعقيدات الموقف داخل الكونجرس الذى كشف أعمال التورط الامريكي ورفض الاستمرار فيها بعدم موافقته على رصد مبلغ جديد « ٢٨ مليون دولار » لمساعدة «فنلا» و « يونيتا » . ولم يتمكن الرئيس فورد من أن يواصل حربا طويلة المدى تحت ضغوط كيسنجر — موبوتو — فورستر .فقد كان عليه أن يواجه عشية الانتخابات احتمالات مواجهة « فيتنام افريقية » .

● **بالنسبة لهدف حرب الاستنزاف** : كان مطلوبا أن يحافظ على جهد حربى مكثف — ولمدة طويلة — لشل الجمهورية الجديدة اقتصاديا وسياسيا . لكن البعد العالمي للمؤامرة الاستعمارية العنصرية الرجعية ، فرض بالتالى بعدا آسيا وافريقيا برز في شكل المساندة الكوبية والسوفيتية والمساعدات المادية التى قدمتها بعض الدول الافريقية التقدمية . وبدلا من الضغط على « لواندا » ، لتقديم تنازلات ، كان كل يوم يمر يدعم قوة وارادة الدولة الجديدة . لقد أثمرت فعالية المساعدات التى قدمت للدولة الجديدة ، لان نظامها الوطنى القائم كان قويا ومناضلا ومدربا .

اما هدف « **البلقنة** » و « **الانفصال** » : فمن الممكن القول بانه من الجائز ان يحيا لفترة محدودة للغاية « انفصالا . او اكثر . لكن لحساسية هذه القضية بالنسبة لدول القارة ، كان من المستحيل ان يستمر . فلا تكاد توجد دولة افريقية مستقلة من دول منظمة الوحدة ، الا وتعانى مشكلة « التقسيمات الاستعمارية »القديمة بانتزاع جزء منها أو باضافة جزء آخر لها . وهناك اتفاق عام بين دول القارة بعدم السماح لاثارة نعرات الانفصال أو التقسيم ، لان ذلك سوف يفتح « بابا » لا ينتهى أمام القارة كلها . ولهذا تسارع كل دول افريقيا الى الوقوف ضد اى محاولة انفصال تجرى على أرض اى دولة منها . فعلت ذلك في مواجهة « انفصال كاتنجا » في الكونجو . وفعلت ذلك في مواجهة « انفصال بيافرا » في نيجيريا .

ولذلك فقد كان مثل هذا الاحتمال — اذا وقع — حرى بان يدفع الدول الافريقية التى لم تكن قد اعترفت بعد بحكومة الحركة الشعبية بان تقف الى جانبها وتتحول المواجهة الى عموم القارة كلها .

وجبهة القوى الرجعية غير متماسكة

لفت أنظار جميع الوفود والحاضرين جلسة افتتاح المؤتمر الدولى الطارىء للتضامن مع شعب انجولا ، ذلك الوضوح السياسي النافذ لخطاب أجوستينو نيتو رئيس جمهورية انجولا الشعبية . فرغم وطأة وحدة الصراع المسلح الذى القت وراءه أمريكا — أوروبا الغربية — جنوب أفريقيا — زائير ، بثقل ضخم ، الا أنه يدرك في قطع « أن جبهة الرجعيين ضدنا ، غير متماسكة . وهذا شيء طبيعى » .

وقد رتب نيتو على هذه الحقيقة ، مهمة سياسية واقعية من الدرجة الاولى ، عالجتها الحركة الشعبية « مبلا » وادارتها بمهارة فائقة .

فبرغم كل « عنترية » و « ضجيج » الموقف الامريكى من الحرب، الا انه بحكم ظروف أمريكا الداخلية ، كان يعد من أضعف المواقف . ومن هنا ، فان اضعاف معاضدة اوروبا الغربية للموقف الامريكى ، وعزل موقف جنوب افريقيا عن الموقف الامريكى ، وكذلك عزل موقف زائير ، سوف يعرى الموقف الامريكى — باعتباره السند الرئيسى للجبهة المعادية — ويضعفه أكثر فأكثر . كما ان هذه النتيجة بدورها ، سوف تشل تماما حركة « يونيتا » و « فنلا » . وهذا ما حدث .

بالنسبة **لزائير** ، قذف نيتو « الكرة السياسية » في أرض حكومة زائير ، بقوله : « صحيح أن الحكم في زائير يخشى النظام الديموقراطى في

انجولا . ولكنه يعرف أن لزائير مصالح يمكن ان تحققها بالتعاون مع شعب انجولا وليس بالعمل ضده . ولكى يحدث هذا ، من الضرورى ان يتراجع الحكم فى زائير عن محاربة شعبنا ».

كانت قياده الحركة الشعبية ، وهى تلقى بهذا الخيط ، تدرك انها تملك أوراقا ضاغطه وقوية تسند موقفها هذا . فموقف النظام فى زائير ، ليس قويا بسبب مشكلات اقتصادية حادة من أهم مظاهرها أن الاراضى الزراعية أصبحت سلعة كاسدة لفساد المحاصيل وضعفها ونقص وسائل نقلها . ثم ان اسعار النحاس «من مصادر الدخل الاساسى لزائير » قد انهارت فانخفض السعر العالمى للطن من ٣ آلاف دولار الى الف دولار فقط . واتجهت بعض شركات زائير الى الافلاس . مما جعل فرنسا وبلجيكا توافقان – مؤخرا – على تأجيل سداد بعض ديون زائير . هذا فى نفس الوقت الذى يبعثر فيه زائير اموالا طائلة على شراء السيارات ومظاهر الترف ، واثراء المليونيرات على ثرائهم ، مما أضعف من الوضع الداخلى العام فى البلاد .

هذا من الناحية العامة ، اما من ناحية ماتملكه انجولا من أوراق ضغوط خاصة ، فتتعلق بمسألتين : **أولا** : سيطرة قوات الحركه الشعبيه وقتها على ثلث الخط الحديدى الى ميناء لوبيتو الذى كانت تسيطر عليه « يونيتا » ثم سقط فى ايدى الحركة الشعبية . ومن خلال هذا الخط ، كانت زائير تنقل ٩٠ فى المائة من نحاسها تقريبا عبر الاطلنطى . **ثانيا** : ان الوضع الداخلى الحرج فى زائير ، قد اقترن بعودة بروز الحركة الوطنية الكونجولية من انصار لومومبا فى الجزء الغربى الملاصق لحدود انجولا . وتتواجد بعض قيادات هده الحركة على اراضى أنجولا المستقلة . ومن ثم فان احتمالات فتح هذه الجبهة تصبح واردة .

وربما كان فى تصريح الرئيس موبوتو ، بعدم السماح للمرتزقة البيض بالمرور خلال اراضى زائير الى داخل أنجولا ، بعد تفكك وانهيار قوات صهره هولدن ، اول بادرة تلمح – فى الظاهر على الاقل – بالاستجابة .

أما **جنوب افريقيا** ، فقد صوب نيتو « كرته السياسية » نحوها ، بشكل دقيق حين اضاف الى جمبته عن زائير « أما الجيران الاخرون فعليهم أن يحترموا استقلال شعبنا وارادته » . والمح بعض قادة الحركة الشعبية – بعد ذلك – الى امكانية الا تتعرض قوات إنجولا الشعبية لمحطة الطاقة الكهربائية الضخمة على نهر كونين ، بنفس التاكتيك الذى مارسته جبهة « الفريليمو » عندما تولت السلطة فى موزمبيق بعد الاستقلال وتناولت مسألة سد كابورا – باسا .

فى ذلك المجال أيضا ، كانت الحركة الشعبية تنطلق من ارضية قوية . تملك فيها اوراقا ضاغطة . ففضلا عن مسألة محطة كونين ، فأنجولا هى المدخل الشمالى الممكن لعمل قوات «سوابو» من أجل استقلال ناميبيا الذى تحتله جنوب افريقيا ، وعن طريقها أيضا يمكن أن تضع قوات حزب المؤتمر لجنوب افريقيا شعارها حول الكفاح المسلح ضد النظام العنصرى موضع التطبيق .

على أن الظروف العامة التى كانت تحيط بالنظام العنصرى فى جنوب افريقيا ، لعبت دورا هاما . ففى الوقت الذى كان نظام فورستر قد حدد عام ١٩٧٥ باعتباره عام الوفاق مع الدول الافريقية المستقلة ، كان قد حقق بالفعل نجاحات على هذا الطريق بادارة الحوار والمحادثات مع بعض الدول الافريقية المستقلة ليبدأ فى احراز تقدم ملموس للخروج من عزلته الطويلة . الا ان غزوه لاراضى أنجولا . أسقط تحفظات كثيره من دول القارة التى كانت تتخذ موقف « محايدا » من الحركات السياسية الانجولية الثلاث . وحسم تدخل جنوب افريقيا ، اعتراف عدد من الدول الافريقيه بحكومة الحركة الشعبية ، فضلا عما احرقه هذا التدخل من « جسور » كانت على وشك أن تتم مع دول مستقلة راغبة .

ويمكن القول – دون مبالغة او تورط مع العواطف ، ان جنوب أفريقيا العنصريه ، قد وضعت بتدخلها فى أنجولا « بداية النهاية » لوجودها العنصرى الذى ظلت تحتفظ به وتدعمه لسنوات طويلة . لقد تعرض أراضى نظامها العنصرى فى الشمال ، واشتعلت هى بنفسها سطحا ضخما من «أرض المعادن» ستظل ملتهبة ولن تنطفىء الا على ايدى القوى الوطنيه حين تحكم « بريتوريا » . ولا يعنى هذا أنه سيحدث غدا . لكنه سيحدث فى القريب المنظور .

ولم يكن غريبا ، أن تعلن حكومة جنوب افريقيا عن سحب قواتها الى ما تسميه بحدودها فى ناميبيا ، وانها « تفكر جديا » فى مسألة محطة كونين على ضوء عدم تعرض قوات الحركة الشعبية لها .

وأما **أوروبا الغربية** . فقد أوضح لوبو دو نأسيامنتو رئيس وزراء انجولا الشعبيه وأحد قاده « مبلا » : « ان الغرب يسىء فهم حركتنا الى درجة بعيدة . اننا نرغب – بل وفى حاجة – الى وجود علاقات مع الغرب لتطوير بلادنا » . وفى هذا المجال أيضا ، كانت « مبلا » تعرف انها تملك فى يدها مصالح كثيرة لاوروبا الغربية . وليس من قبيل الصدفة ، ان عدة دول اوروبية خاصة دون السوق المشتركة ، قد أعلنت رسميا عن اتجاهها نحو الاعتراف بحكومة الحركة الشعبية .

حرب « عصابات مضادة »
.. هـــل هى ممكـــنة ؟

بعد سقوط معاقل « اليونيتا » فى الجنوب ، وحيث كانت معاقل « فنلا » قد سقطت من قبل فى الشمال ، اعلن جوناس سافيمبى ان الباقى من قواته سيلجأ الى الغابات لتعيد ترتيب صفوفها وتبدأ فى شن « حرب عصابات » ضد حكومة الحركة الشعبية .

وفضلا عما يحتويه كلام سافيمبى عن « غش فى البضاعة» لانه كبائع اللحم الذى يقدم للزبون جسم كلب فوقه رأس خروف ويبيعه على أنه خروف ، فانه يثير بذلك ــ اذا افترضنا جدية نواياه ــ مسألة ان تلجأ القوى المضادة للثورة فى بلد ما او منطقة ما الى ممارسة واستخدام اسلوب الحركات الوطنية والثورية حينما تدفعها ظروفها الموضوعية الى شن حرب عصابات ثورية ضد نظام ما . ومحاولة سافيمبى هذه سوف تكون المحاولة الثانية فى التاريخ المعاصر . كانت الاولى فى اليمن ولكنها فشلت رغم ان تطورات اخرى معروفة متعلقة بحسابات عدوان ١٩٦٧ ونتائجه ،ادت الى واقع لا يتلاءم مع حالة الفشل .

وبغض النظر ، عن الجانب الفكرى للمسألة من زاوية ان « حرب العصابات » هى ارقى صور العنف الثورى كواحده من خبرات الشعوب المناضلة .. ومضمون هذا العنف الثورى وغاياته وطبيعة كادره .. الخ ، الا انه يمكن ان يقال أن طموح سافيمبى يقوده الان الى مغامرة جديدة ربما تؤدى بحياته شخصيا ،لان الظروف لا تعينه على ذلك . فاذا كان ممكنا القيام بحرب عصابات فى ظل سلطة استعمارية لا تلقى بالها كثيرا الى اطراف البلاد فى الغابات حيث يهمها السيطرة على المدن الرئيسية ،فانه من الصعب تكرار الشىء مع سلطة وطنية هى نفسها نتاج انتصار اسلوب « حرب العصابات » وبالتالى ، فهى شديدة التدريب عليه ومعرفة فنونه وقواعده . ولا لدى قواته من المؤهلات السياسية والوطنية ما يمكنها من المثابرة الطويلة ، آخذين فى الاعتبار قوته المهزومة أصلا . كما أنه لا يحسب التغيرات الواردة التى ستحدث فى موقف جنوب افريقيا من جهة وموقف زامبيا من جهة أخرى وهما الدولتان الوحيدتان فى الجنوب المجاورتان لانجولا ويستطيع استخدام أراضيهما على الحدود . وهو أيضا لا يضع فى حساباته أنه حتى قبيلته لن تظل كتلة صماء لا تتفكك أمام السياسة الديمقراطية والتقدمية للحركة الشعبية من أجل تجاوز كل الاوضاع القبلية الباقية .هذه السياسة التى تصل الى حد تسليم برنامج الحركة الشعبية بأن : « المناطق التى تعيش فيها أقليات قومية فى مجموعات كبيرة متجانسة ، ولديها طابع متميز ، يمكن أن تحصل على استقلال ذاتى» . مع تسليم البرنامج أيضا بأن « كل أقلية قومية ، او عنصر ، سيكون له الحق فى استخدام لغته القوميه وخلق نظامه الخاص للكتابة وصيانة او استعادة تراثه الثقافى » .

فى الغالب ، ان تصريح سافيمبى كان موجها الى قواته المتبقية فى محاولة لرفع معنوياتها من جهة ، والى مدعميه ومموليه الخارجيين حتى يضمن استمرار تدفق الاموال .

دولة الثورة وحزبهــــــــا .

الثورة قضية تاريخية معقده لانها تتضمن عمليتين متلازمتين : هــدم النظــام السياسى الاقتصادى الاجتماعى القديم وبناء الحياة الجديدة من خلال اجهزة ومؤسسات ثوريه للدولة حين تستولى الثورة على السلطة لتقيم نظامها .

فهل الحركة الشعبيه مؤهله لهذه المهمه ؟ وما هى تصوراتها للحياة الجديدة ودولتها ؟

الواقع انه منذ تعميم الكفاح الوطنى المسلح الشامل فى عام ١٩٦٧ فى البلاد مرتبطا بالخط الاستراتيجى للحركة الشعبية بأن تشن الكفاح من داخل الوطن » لم يعد العمل المسلح مجرد تضحية او اغراق لارض الوطن بدم اغلى وأبر أبنائه . لكنه كان ايضا **مدرسة** . فالى جانب النشاط العسكرى لحرب العصابات ، كانت الحركة الشعبية تمارس عملية انجاز ٣ مهام اساسية تتطلب منها كل تركيز ، ففى الاراضى المحررة كان يجب ان تهتم بالزراعة والصــناعات اليــدويه الصغيره لتلبى حاجات استمرار العمل المسلح . وكذلك توفير أقصى قدر تستطيعه من العنايه الطبية لرعاية صحة المقاتلين وجرحاها . ثم تدريب الكوادر للقيام بمهام التعبئة والتنظيم ...

من خلال هذه النشاطات الرئيسية الثلاثة ، كونت الحركة الشعبية اجهزتها لادارة المناطق المحرره والعمل الانتاجى فيها . وأصبح لديها كادر لا يبدأ من نقطة الصفر عندما يتولى ادارة « دولة الثورة » .

لقد أفادت «فابلا» « الجهاز العسكرى للثورة » من تمرسها فى حرب التحرير الاولى « حرب العصابات » وحرب التحرير الثانية « الحــرب النظامية » ، واصبح فى مقدورها وفورا أن تقيم جيشا نظاميا يشكل درعا حاميا لانجولا الشعبية . ومعها جنبا الى جنب ــ هكذا يقول لوبو دو ناسيمنتو رئيس الوزراء ــ تصبح مهمة تحويل الحركة الشعبية الى حزب سياسى بالمعنى الحزبى ، مهمة رئيسية بالنسبة لانجولا .

وبشكل مؤقت ، بسبب ظروف حرب التحرير الثانية ، شكلت الحركة الشعبية مجلسا للثورة من اعضاء المكتب السياسى لـ « مبلا » وقادة أركان

الحرب و «القوميسيرين» السياسيين لكل جبهة عسكرية ، بالاضافة الى٣ اعضاءمن الحكومة و القوميسيرين » السياسيين للاقاليم . ويتراوح عددهم جميعا ما بين ٣٠ و ٤٠ شخص ومهمة المجلس أن يقوم - مؤقتا - بدور الجمعية الوطنية « البرلمان » ومن داخله تشكل مجلس محدود دائم يحل محل مجلس الثوره كلما استوجب الامر اتخاذ قرار هام وعاجل .

وأذكر هنا ، ان نيتو كان قد أعلن امام المؤتمر الدولى الطارىء للتضامن مع شعب انجولا ، انه بمجرد انتهاء الحرب ستجرى الانتخابات لتشكيل الجمعية الوطنية ، تأكيدا للطابع الديمقراطى لثورة انجولا ونظامها الجديد .

ومن غير المتصور ، أن تكون مهمة بناء مؤسسات الدولة الجديدة ،مهمة سهلة وبسيطة . ولكن المسئولين فى قيادة الحركة الشعبيه يحرون على توضيح ان للحركة خبراتها الاولية اللازمة فى هذا المجال ، اكتسبتها من خلال ادارتها للمناطق المحررة . وقد أوضح نيتو أن الخطوط العريضة لديمقراطية الدولة الجديده العلمانية ، هى «الديمقراطية الشعبية» وذلك «بأن يكون العاملون والطبقات الاجتماعية المستغله اكثر من غيرها والتى ناضلت لصالح الاستقلال وكانوا دافعا للثورة ، ممثلين داخل الاجهزة التى تتخذ القرار على رأس الدولة ، بعد أن نكون قد هيأنا الظروف التى تتيح للعمال والفلاحين ان يساهموا باكثر فعالية ممكنة فى قيادة البلاد » . وكذلك احترام استقلال المنظمات الديمقراطية الجماهيرية والمنظمات النقابية .

وفى المجال الاقتصادى أمام حالة عدم الاستقرار وهروب الكوادر الاوروبية . وتخريب بعض القطاعات الاقتصادية على ايدى اصحابها المستعمرين قبل مغادرتهم البلاد ، ثم ايقاف انتاج البترول من جانب الشركه الامريكية وتجميد امريكا لاموال انجولا لديها وعدم تسليمها معدات دفع ثمنها منذ مدة وفرضت امريكا الحظر عليها .. الخ ، طرح امام الحركة الشعبية ضرورة تحديد اولويات ، كانت التجارة اهمها بسبب حالة التفكك التام التى حدثت فيها ، فتولت الدولة السلع التجارية الاساسية ،وانشأت مراكز للتوزيع تابعه لها ، وتزمع الاسراع فى انشاء مجمعات «السوبر ماركت» بهدف التحكم - وفق خطة محددة - فى اختيار السلع التى يجب أن تستورد للقضاء على الفائض غير اللازم فى سلع أخرى » وبهدف خلق أنماط جديدة للاستهلاك . مع دعوه المؤسسات الخاصة للمشاركة ليس بهدف التوسع فى القطاع الخاص ولكن لتلبية ضرورة ملحة .

الخط العام للسياسة الاقتصادية ، هو خلق قطاع عام يسيطر على الجانب الرئيسى من اقتصاديات البلاد ، وترك القطاع الخاص الصغير للعمل فى اطار خطة الدولة للتنمية . وفى مجال الزراعة تحقيق اصلاح زراعى وفقا لمبدأ « الارض لمن يفلحها » وتحديد حد أقصى لملكية الاراضى الزراعية ، وتوزيع الاراضى المصادرة على الفلاحين المعدمين دون أى مقابل ،وتشكيل مزارع تعاونية لهم جنبا الى جنب مزارع الدولة .

أما مسألة التأميم ، فان الملاك البيض الذين كانوا يملكون النسبة الغالبة لمؤسسات النشاط الاقتصادى اعفوا الحركة الشعبية عن اتخاذ اى قرار بالنسبة لهذه المؤسسات بتأميمها ، نظرا لانهم تركوا وغادروا البلاد عشية الاستقلال فاصبحت ملكا للدولة بشكل اوتوماتيكى .

وعلى الصعيد الاجتماعى ، شرعت الحكومة الجديدة فى دراسة اسياسة الضرائبية بهدف اعادة توزيع الدخول لصالح الطبقات المحرومة . وكان اول قرار لها ، تخفيض مرتبات اعضاء الحكومة بنسبة ٥٠ فى المائة . وبرغم ان هذا القرار لم يكن له فعالية اقتصادية نذكر الا انه كان اجراء ذو صبغة سياسية فى الاساس . وبذلك أصبحت الفروق بين أقل المرتبات واعلاها - رسميا - ١ الى ٦ . يسير هذاالخطجنبا الى جنب التعليم المجانى لمرحلتى الابتدائى والثانوى ، وتعميم العلاج المجانى فى المستشفيات والعيادات .

وتعى قيادة الحركة الشعبية ، بيقظة ملفتة للنظر ، خطر بلورة طبقة اجتماعية جديده من حول وظائف الادارة . ولهذا حدثنا بعض المسئولين كثيرا عما اسموه «بداء الدول النامية» حين تتكون فيها طبقة بيروقراطية بورجوازيه جديدة ، حزبية او حكومية او على نطاق النشاط الخاص . وفى مواجهة هذا الخطر المحتمل ، عينوا المسئول السياسى للمنظمات الجماهيرية وزيرا للحكم المحلى ليواصل الاهتمام باللجان القاعدية من العمال والفلاحين باعتبارها جهاز الرقابة الجماهيرى على القيادات . ويقول دو ناسيمنتو رئيس الوزراء « ان ذلك لا يعنى عدم الثقة فى الزملاء المسئولين . ولكن من الضرورى أن يتفهم الجميع الصعوبات التى تمر بها البلاد . وفيما يتعلق بالمسئولين فان على كل واحد منهم يتعين عليه - مهما كان مركزه - ان يعلن عن ممتلكاته عندما يتسلم مهام منصبه وهذا أمر ليس بالعسير لانه لا يوجد شىء كبير . كما أنه على نفس المسئول ان يعلن عن ممتلكاتهعندما يترك منصبه . وذلك كله بشكل علنى أمام الجماهير . وبهذا نتفادى اعمال الرشوة والفساد منذ البداية » .

لقد تأسست فى افريقيا الجنوبية ، دولة جديدة اخرى ، أصبح انتصارها يمثل - بسبب كل التعقيدات التى احيطت بها - نقطة تحول تاريخية فى حياة حركة التحرر الوطنى الافريقية ككل .

ظـــواهر جـديدة فى اليـــمن

الخـــروج من عنــق الزجـــاجة

د. محمـــد على الشهاوى

يمكن القول ان الساحة اليمنية تعتبر اليــوم من اكثر الساحات العربية توترا بحركة الجــدل الاجتماعى ، والصراع الســياسى ، والتفــاعل الوطنى ، ومن اكثرها جيشانا بارهاصات ميلاد مجتمع حضارى جديد موحد .

فمع اندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر ووليدها المتفجر ثورة ١٤ اكتوبر ، سرت فى الجسم اليمنى كله رعشة وطنية واجتماعية عامة جارفة .

ولم تستطع كل جحافل الظلام التي احاطت به من كل جانب ان تطفيء شــعلة ثورة الشــعب اليمنى او أن تحجب عنه طريق المستقبل !

ورغم الردة التي حدثت في شــمــال اليمن بفعل انقـــلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الرجعي الذى قادته قوى الاقطاع والقبلية ، الا ان منارة الثورة ظلت تتوهج فى جنوبها ، كما ان حركة التحـــرر الوطنى اليمنية ظلت ترفع عاليا راية التحـــرر الوطني والتقدم الاجتماعى ، وظلت صــامدة فى ميدان الصراع السياسى .

على ان ردة ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ــ لم تكن كأى ردة سياسية حدثت لاى ثورة وطنيـــة ، كان ينتزع الجناح اليمينى ، او الوسطى علم الثورة من يد الجناح اليســـارى ، وانمــا كانت ردة بالمعنى التاريخي والاجتماعي الكامل للكلمـــة ، وكانت انتكاسة سياسية شاملة لثورة ٢٦ سبتمبر ، حيث وجدنا [ذات] القوى الاقطاعية القبليـــة التى من المفروض ان الثورة ــ موضوعيا وتاريخيـــا ــ قامت ضدها ، لاخراجها من مسرح الحيـــاة الاجتماعية والسياســـية في اليمن ، تنقض فى وحشية لا مثيل لها على السلطة ، وتقبض عليها بكلتا اليدين ، وتهيمن بذلك على مقاليد الامور ، من اعلى درجات المسئوليـــة الى ادناها . حتى بلغ سعار السلطة والخوف عليهـــا من قـــوى الجديد ، حد العمل على محاولة تدمير [بذرة] الجيش الوطني الحـــديث الذى اقامتـــه ثورة سبتمبر واعدته ودربته مصر الثورة ، واحتضنته

احتضانا كاملا ؟ ليصبح درع الجمهورية الفولاذي الذي تتحطم عليه ضربات الاعداء بعد رحيل جيشها الباسل من اليمن ، حيث قتل وبعثر وسرح واعتقل خيرة رجاله الذين حموا الثورة بالمهج والارواح بعد خروج الجيش المصري خصوصا ، وحطموا حصار السبعين يوما الذي ضرب على عاصمتها صنعاء مع نهاية ١٩٦٧ ومطلع ١٩٦٨ من قبل القوى الملكية وحلفائها في الخارج ، وركزوا دعائم النظام الجمهوري من جديد الذي بدا انه كان قد اصبح في مهب الريح ، بعد ان اخذت ايادي الملكيين [تدق ابواب صنعاء] — حسب تعبير محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان في هذا الوقت الذي كان رئيس اللجنة الثلاثية التي تشكلت بمقتضى اتفاق الخرطوم الذي ابرم في اغسطس ١٩٦٧ بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل ، لايجاد صيغة تصالح بين الجمهوريين والملكيين ، تلك اللجنة التي رفضها الوطنيون اليمنيون بحسم ، مؤثرين اختبار انفسهم في ساحات المواجهة — منفردين — مع الخصم الملكي — الرجعي — الاستعماري ، وهو الامتحان الذي فازوا فيه ، وخرجوا منه مكللين بغار النصر — رغم هيمنة السلطة الرجعية الحاكمة انذاك التي كانت باسم حقن الدماء تفضل التسوية السلمية المذلة — وهو النصر الذي اثلج له صدر عبد الناصر الذي قيمه تقييما عاليا — كما روى ذلك عنه اسماعيل خير الله وزير خارجية العراق الاسبق وعضو اللجنة الثلاثية حينئذ .

ومنذ فشلت محاولات [الغزو من الخارج] بدأت عملية [الغزو من الداخل] لتمزيق احشاء الثورة ، وتقطيع اوردتها ، وقتل روحها ، واسكات كل نبض حي فيها ، حيث حلت وشردت المقاومة الشعبية ، ابتداء من مارس ١٩٦٨ وحيث افرغ الجيش الحديث بالتدريج من العناصر الوطنية المتوهجة فيه ، ولاسيما بعد ذلك القتال الدموي المؤسف الذي نشب بين وحداته في ٢٣ — ٢٤ اغسطس ١٩٦٨ ، وبالذات بين فصيلي حركة القوميين العرب ، والبعث ، فيه ، والذي لم تكن القوى [الثالثة الضاحكة] والمستفيدة منه بعيدة عنه : قوى الاقطاع والقبلية ، التي لم تلبث ان دخلت المعترك وحسمته لصالحها ، ومن ثم مضت تصفية القوى الوطنية من كل موقع عمل ، وفي منع كل نشاط وطني ، أو تجمع سياسي أو نقابي ، كما مضت من الناحية الاخرى في تجميع كل قوى الرجعية والتخلف في جبهة طبقية وسياسية واحدة ، الى حد التحالف مع قوى الرجعية القديمة [الملكية] — باستثناء بيت حميد الدين — واشراكها — ولا سيما عناصرها الاقطاعية والسياسية البارزة — في جميع اجهزة الدولة ، وهو التحالف الذي طمع — بتحريض من الخارج — في بسط سلطانه على اليمن كلها ، حتى عدن ، ومن هنا شنت حرب خريف ١٩٧٢ على النظام الوطني في جنوب اليمن باسم [الوحدة اليمنية].

ولما فشلت هذه المحاولة انكفأ النظام الاقطاعي — القبلي على نفسه ، واستأثر كل اقطاعي بمقاطعته ، [واقطعت] الدولة كل شيخ بارز مقاطعة [عنية] تتبعه منطقة اخرى يتصرف فيها تصرف السلطان [في خالص ممتلكاته] ، وتحول الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية الى [وحدات قبلية شبه مستقلة] لا يصلها [بالدولة] الا رابط حلبها شهريا من خلال [الميزانيات] الضخمة المقررة لكل شيخ من مشايخ هذه المنطقة القبلية الذين يتمتعون بامتياز آخر ، هو امتياز اعفائهم عمليا من مسئولية دفع [الضرائب] المستحقة عليهم شرعا .

وهكذا حدثت — بعد [الردة الثورية] الشاملة — « ردة ادارية . » كاملة ، حتى عن [النظام المركزي] الذي اقامته سلطة الائمة القوية والفردية قبل الثورة ، ناهيك عن ان هذه [المقاطعات الاقطاعية المقفلة] و [الوحدات القبلية شبه المستقلة] اصبحت [جيوبا رجعية] تابعة للرجعية العربية في الخارج ، ومناطق مفتوحة [للنفوذ الاجنبي الاستعماري] الاخذ في التغلغل والاستفحال في البلاد ، واصبحت لا تدين بالولاء الا للقوى الخارجية [الممونة] اكثر من ادانتها بالولاء [لوطنها] الذي لم يعد له أي معنى مفهوم واضح ومحدد بسبب ذلك ومن جراء انتشار المفاهيم المختلفة والبدائية انتشار الوباء : مفاهيم الانتماء القبلي ، والاقليمي والطائفي ، والعرقي ، فوق انتشار روح [الفزع الطبقي] من نمو المفاهيم الثورية والحضارية الجديد مفاهيم الوطنية ، والديمقراطية ، والتقدمية ، والعدل الاجتماعي ، في صفوف الشعب ، مما زاد من ارتباط القوى المشيخية والاقطاعية بالقوى الخارجية الى حد التبعية .

القوى الجديدة .. تنتزع المبادرة :

ولم يكن أمام قوى التجديد والتطوير وقوى الثورة والتحرير من سبيل سوى الوقوف — كل فريق وفق اسلوبه وطريقته — في وجه هذا الوباء المنتشر ، والعمل على ايقاف هذه [الردة التاريخية] عند حد ، ومحاولة استعادة الزمام من جديد .

وكان الجيش الحديث المطعون والمستنزف والذي وضعته حركة ٥ نوفمبر الرجعية في الظلام ، وامتهنت كل تضحياته ، وطمست كل ادواره ، واذلت الوطنيين من افراده من ضمن هذه القوى الجديدة التي اخذت تعمل بقوة وفعالية للخروج من قبضة القوى الاقطاعية

القبلية ، وانتزاع زمام المبادرة من يدها .

وكان المقدم **ابراهيم الحمدى** احد ضباط هذا الجيش الحديث ، واحدا من ابرز قياداته الطامحة التى اخذت تعمل بدون كلل على استعادة هيبة المؤسسة العسكرية الجديدة ، واخراجها من حالة [الغياب السياسى] التى فرضت عليها بعد انقلاب ٥ نوفمبر الرجعى ، وجعلها فى حالة [حضور سياسى] وفى قلب دائرة الضوء .

ومنذ ١٩٧١ خصوصا ، وهو يعمل بداب ونشاط من أجل بلوغ هذه الغاية ، ويهيء نفسه للافلات من قبضة القوى الاقطاعية والقبلية ، والانقلاب عليها .

وكان الحمدى قد احتك — وتلك هى خلفيته المبكرة — بالعمل السياسى الحزبى احتكاكا مباشرا ، ولسمته من ثم حمى احتراف النشاط السياسى ، وبالذات منذ دخل لوقت قصير فى منتصف الستينات فى حركة القوميين العرب فى شمال اليمن . حقا لقد ضاق بقوالب وطقوس وقيود العمل الحزبى ،ولم يصطبر على التزاماته وأوامره ونواهيه ، فخرج على الحركة ، ولكنه انغمس منذ ذلك الحين فصاعدا فى العمل السياسى وفق مقاييسه التى توصل اليها .

وكان طموحه السياسى الواضح واحدا من العوامل التى جعلته يفكر فى ارتياد [الطريق الخاص] الذى سبق ان ارتاده من قبله كل من ملاه ذات الطموح من الضباط فى اليمن وفى المنطقة العربية عموما ، هذا الطريق الذى بدأ [بانقلاب الجيش] فى مصر بقيادة عبدالناصر ، والذى بدأت به تجربة [ثورة ٢٣ يوليو] الرائدة ، التى اخذت تحذو حذوها كل الثورات والانتفاضات التى قادتها الجيوش العربية فيما بعد .

وهكذا عزم على ان يستغل وجوده داخل المؤسسة العسكرية لبناء [قوة خاصة به] وتابعة له تبعية كاملة ، وهى القوة التى تمثلت فى [قوات الاحتياطى العام] التى بدأ فى تشكيلها بعد احداث اغسطس ١٩٦٨ ، لصيانة [الدولة] من مثل هذه الصراعات — كما طرح فيما بعد .

ولم يتنبه ممثلوا الاقطاع الى خطورته الا فيما بعد ، بعد أن اصبح نابا يصعب خلعه ، دون احداث آلام تصيب فك النظام بأجمعه . ولم تجد من ثم كل محاولات زحزحته من [مركز القوة] الذى كان قد خلقه لنفسه ، واحتله داخل الجيش ، كما لم يؤثر كثيرا نقله من موقع عسكرى الى اخر ، حيث ظلت خيوط اتصاله بقوات الاحتياطى العام قوية ومتينة .

فعندما اراد رئيس المجلس الجمهورى القاضى عبد الرحمن الاريانى ازاحته من [خندقه] هذا فى الاحتياطى العام الذى سلمت قيادته الى المقدم على ابو لحوم — احد الضباط الطامحين — وعينه بدلا عن ذلك نائبا للقائد العام المقدم محمد الاريانى ، بدأ من خلال اخيه المقدم عبد الله الحمدى فى تشكيل [قوات العمالقة] فى المنطقة الوسطى من الجمهورية ، بحجة مواجهة ما اسمى اعمال [التخريب] فيها التى كانت تقوم بها بعض العناصر المناوئة لشيوخ المنطقة .

وفى نفس الوقت الذى اصبحت له داخل الجيش قدم راسخة ، اراد ان يثبت قدمه الاخرى خارجه ، حيث مد نشاطه الى القطاع المدنى ، فأسس ما اسمى [**هيئة التطوير والتعاون الاهلى**] التى قامت بجهد كبير وغير مألوف فى شتى انحاء البلاد فى مضمار شق الطرقات وبناء المدارس والمستشفيات وحفر مياه الشرب ، وغير ذلك من المشاريع والمرافق الضرورية والهامة لحياة الناس .

مطالب « النقاط العشر » :

وعندما آنس فى نفسه القوة [للتدخل] بالرأى والتوجيه فى شئون الدولة ، وتكييف مسار الاحداث فيها ، فانه عمل من خلال [القيادة العامة للقوات المسلحة] على وضع مطالب اصلاحية ليبرالية ، عرفت [**بالنقاط العشر**] وهى النقاط التى قدمت الى المجلس الجمهورى فى ١٩٧١/٩/١٠ ، وتضمنت المطالبة بتشكيل حكومة جديدة من [العناصر المخلصة ذات الكفاية ، بدلا من الاخذ بسياسة التوزيع الطائفى] على أن تستمر [لمدة عامين كاملين ، حتى يمكنها ارساء اسس سليمة للوضعين المالى والادارى] كما اكدت على ضرورة تحديد الاختصاصات [والمسئوليات لكل المستويات فى الحكومة ،ووضع خطة اقتصادية ، لتغطية العجز المالى ، وخطة اخرى شاملة لبناء الدولة سياسيا واداريا واجتماعيا ، ومحاربة الوساطة والمحسوبية مهما كان نوعها ومصدرها ، ومنع الازدواج فى العمل] ودعت الى [ضرورة معادلة الدخل الفعلى لدولة للانفاق الفعلى ، ووضع ميزانية تبين المصروفات والايرادات والعجز المالى ، وانشاء جهاز رقابة لتعقب المهربين ، والاستعانة بالخبراء لوضع الخطط الاقتصادية والادارية فى مختلف المجالات] كما دعت الى تشكيل لجنة لتحديد مستلزمات القوات المسلحة وميزانيتها ، وتشكيل اخرى [لتطهير اجهزة الدولة من المرتشين والمتلاعبين ،وتطهير

القوات المسلحة وقوات الامن من العناصر التى ثبت فشلها او عدم نزهتها وولائها ...] .

اثارت هذه المطالب الاصلاحية الليبرالية اهتماما كبيرا فى البلاد وعلى اثر تقديم هذه المطالب تشكلت فى ١٩٧١/٩/١٨ حكومةمحسن العينى التى شغل فيها المقدم ابراهيم الحمدى لاول مرة منصب نائب رئيس الوزراء ، كما عين من جديد قائدا لقوات الاحتياطى العام — حصنه الحصين ، الذى يتهيأ منه للانقضاض على السلطة .

ولم تتحقق مطالب الجيش فى الاصلاح ، ولم يتحقق الاستقرار الحكومى ، والتهبت الصراعات داخل اجنحة السلطة التى اجمعت كلها — رغم ذلك — على عدم صلاحية الاريانى ومجلسه الجمهورى للاستمرار فى الحكم ، من حيث انه [ميع] الاوضاع ، وتركها فى حالة زئبقية مترجرجة فوضوية لا وجهة ثابتة محددة لهـا ترضى هذا الطرف أو ذاك من اطراف السلطة المتنافسة .

وهكذا جاءت حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ التى اطاحت بالاريانى ومجلسه ، واحلت محلهمجلسا للقيادة — بصفة مؤقتة — من مجموعة من الضباط بزعامة المقدم ابراهيم الحمدى الذىكان يشغل عند قيام الحركة منصب نائب القائد العام .

صراع الاجنحة الثلاثة :

ويذهاب الاريانى انفتح باب الصراع الى نهايته بين الاجنحة الثلاثة الحاكمة التى كان كل منها يعتبر نفسة صاحب الحركة الحقيقى ، وقطب الرحى فيها : جناح الشيخ **عبد الله بن حسين الاحمر** الاقطاعي القبلى الذى لم يكن يخفى ارتباطاته الخارجية الصريحة ، وجناح الشيخ **سنان ابو لحوم** صهر محسن العينى [جناح اقطاعى قبلى كذلك] الذى كان لمجرد الاستغلال والارتزاق — يتظاهر بالتعاطف مع حزب البعث فى العراق وانصاره فى اليمن ، وجناح المقدم **ابراهيم الحمدى** الذىكانت تتعاطف معه بعض القوىالوطنية فى الداخل ، منزاوية أن الجيش الحديث — ورغم كل الجهود المحمومة التى بذلت لطمس طابعه الوطنى ، وتحويله الى أداة قمع فى يد قوى التحالف الحاكمة ضد قوى التقدم المناضلة ، ورغم تلك الالغام القبلية ، واصابع النفوذ الاجنبى أو الرجعى الخارجى التى زرعت فى ثناياه — ظل بشكل عام قوة من قوى التجديد والتطوير فى المجتمع اليمنى الطامحة الى تجاوز التركيب القبلى — الاقطاعى المعقد والمعطل لحركة التقدم فيه .

وبينما كانت خطةكل من الجناحين الاقطاعيين القبليين المتنافسين [استخدام] الجناح العسكرى ضد الجناح الاخر منهما ، فان المقدم الحمدى عرف كيف يدخل فى اللعبة ، ويقلب ميزان الحساب لكل منهما ، حيث قبل باقامة [تحالف تكتيكى مؤقت] مع جناح الاحمر القوى ، لكسر الجناح الاضعف طبقيا ، والاذكى سياسيا ، والاكثر تغلغلا داخل الجيش ، وهو جناح سنان ابو لحوم حتى يتاح له بذلك تصفية المؤسسة العسكرية منه ومن نفوذه ، وحتى تصبح له اليد المطلقة فيه بدونما منافس أو منازع .

وهكذا بدأ فى يناير ١٩٧٥ بأقالة محسن العينى من رئاسة الحكومة ، اتبعها فى ابريل من ذات العام باقالته الفرسان الثلاثة على ودرهم ومحمد ابو لحوم من مناصبهم الحساسة فى الجيش والسلطة ، بعد ان فرض على الاخ الاكبر وزعيم التكتل المتمرس الذى أصبح من اغنياء البلاد ، وهو الشيخ سنان ابو لحوم الاقامة الجبرية فى قريته [نهم] .

وفى ذات الوقت بدأت سكينه تقترب من اصابع الجناح الاخطر والاكبر رجعية ، جناح الشيخ عبدالله الاحمر ، فشرع بقطع يدهاليمنى، من خلال اقالته للشيخ مجاهد ابو شوارب من منصب نائب القائد العام وعضوية مجلسالقيادة وغيرهما من المناصب العسكرية والادارية الهامة ، وبذلك فان الحمدى تمكن بضربة واحدة من انتزاع ريش [صقر المشايخ] المفترسالذى كان يخيل للكثير انه لا يستطيع احد مجرد الاقتراب منه ، او الوقوف امامه ! وهنا ثارت ثائرة الاحمر الذىاحس على الفور أن السكين أخذت تقترب الان من رقبته هو أيضا .

ولم يكن فى الامكان ان تصل الضربة الى [المعظم] نتيجة محاولات [التطويق] التى قام بها [الجيران] لوقف الصراع عند الحد الذى بلغه ، حفاظا على ما تبقى من [جناح الطائر] وخيفة السقوط النهائى لاهم ركيزة طبقية وسياسية يعتمدون عليها ويعتمد عليهـا الاستعمار فى مد نفوذه داخل البلاد .

ولكن [الهدنة] التى فرضت من الخارج لم تدم طويلا ، ففى شهر اكتوبر من نفس العام انفجر الصراع مجددا على اشده بين الاحمر والحمدى ، او بتعبير أدق بين المؤسسة الاقطاعية — القبلية العتيدة المتشبثة بالسلطة

وبين المؤسسة العسكرية الحديثة الطامحة الى انتزاعها منها .

فقد تكشف جليا ان قوى الاقطاع والقبلة بزعامة الاحمر استثمرت فترة « الهدنة » لجمع الاموال ، وتكتيل الانصار ، وحبك المخططات التآمرية للاطاحة بالحمدى الذى وجهت اليه التهمة بأنه أخذ يخرج على قواعد « الاسلام » فى سياسته ، وانه — فوق ذلك — اصبح متأثرا بالتيارات « الشيوعية » فى اليمن .

لم تكن عين الحمدى وعين القوى الوطنية اليمنية عموما غافلة عن تحركات واحابيل دسائس الاحمر وحلفائه ورغم أنه لم يقم — نظريا — بين المؤسسة العسكرية الحديثة واطراف الحركة الوطنية اى شكل سياسى من اشكال التحالف المفترضة والضرورية فى مواجهة جبهة قوى الثورة المضادة الاقطاعيه القبلية واسنادها فى الخارج ، الا ان كلا الفريقين وجدا نفسيهما — موضوعيا وعمليا — فى حاله مجابهة فعليا مع ذات الخصم الطبقى والسياسى الممثل لكل ظلام القرون الوسطى ، ولروح ومنطق الامامة بل والمجسد للنفوذ الاستعمارى والرجعى الاخذ فى التغلغل فى شمال اليمن ، ولذلك فان القوى الشعبية والعسكرية معا كانت بالمرصاد لتحركات ابن الاحمر التآمرية ، الداخلية والخارجية ، وكانت كلها على استعداد لمواجهة من خنادقها المقابلة ، رغم عدم انتظامها فى جبهة نضال وطنى موحدة ضده .

سد الثغرات :

وفى ١٦ اكتوبر اعلن رئيس مجلس القيادة فى مؤتمر عقد فى « الحيمتين » شمال غرب صنعاء عن وجود هذا المخطط التآمرى ، حيث قال : « ان هناك مؤامرات تحاك » وان اسبابها تعود الى اصحاب « الميزانيات الضخمة » ، والبطون « المنفوخة » والذين احترفوا التجارة بالانفس البشرية منذ قيام الثورة وخاضوا فى دماء الابرياء اصبحوا « منزعجين » لان « الشعب اليمنى ما بيدبحش بعضه البعض » و « منزعجين » لانهم « ما يقدروش يأكلوا باسم الشهداء وباسم اشلاء الابرياء » وأكد ان « مصاصى الدماء الذين ارتكزوا على اشلاء الشهداء ، وعلى دماء الابرياء لا يريدون الاستقرار ، ولا يريدون البناء » وان هؤلاء « الذين ما عرفوا الا جيوبهم » لو اعطيناهم « مئات الالوف نحن كويسين » واذا لم نعطهم فانهم يرجفون بالاشاعات ، فمنهم من « يقول شيوعيين » والذى يقول حكم عسكرى » ولكن حقيقة هؤلاء اصبحت مفضوحة امام الشعب ،

ولا سيما وقد « عرفناهم ١٣ سنة ، ايش تركوا للشعب » انهم لم يفعلوا أكثر من أنهم « بنو جيوبهم ، وبنو قصورهم » ولتغطية حقيقتهم الاستغلالية البشعة هذه فانهم يتمسحون ويتسترون برداء الاسلام ، ناسين ان « الاسلام جاء ليحارب الاصنام ويكسرها » وان « الاسلام جاء ليحارب الاستغلال » وان « الاسلام جاء ليقيم الحق والعدل على هذه الارض » ويعلن الحمدى فى خطابه الهام هذا الذى فجر به الصراع علنا مع رءوس الاقطاع والمشايخ « ان الشعب اليمنى اليوم قد شب عن الطوق ، ولم يعد قاصرا ، وليس بحاجة الى وصى ابدا » وان « شعبنا العظيم لن تلين له قناة امام الصعاب ، وأمام الاعداء ، وامام المتآمرين » . « جريدة الثورة الصنعائية ١٧ — ١٠ — ١٩٧٥ .

ولان تأييد المنطقة الزراعية من الجمهورية العربية اليمنية ، حيث الوعى الفلاحى ، الطبقى والسياسى ، متقدم نسبيا ، وحيث تتركز عمليا الحركة الوطنية اليمنية ، وحيث ان مساندة اى مواجهة حاسمة لقوى الاقطاع والقبلية كان مضمونا مائة فى المائة ، فان الحمدى لجأ الى سد الثغرة الاخرى التى يمكن أن تأتى منها الرياح عن طريق تحريك المشايخ الصغار وافراد القبائل « المتضررين » من كبار المشايخ ، وبصورة خاصة من الشيخ عبد الله بن حسين الاحمر رئيس قبيلة حاشد واكبر اقطاعى فى اليمن ، والذى مارس الهيمنة والتحكم فى الدولة خلال الفترة الماضية من خلال « مجلس الشورى ، الذى ترأسه ، والذى رغم انتهاء مدته لم يكن من السهل اعلان انتهائها رسميا ، او الاقدام على حله بقرار علوى .

وهكذا فانه عقد فى ٢١ — ١٠ — ١٩٧٥ مؤتمر قبلى فى مدينة « الروضة » القريبة من صنعاء أحسن أعداده واعداد قراراته التى تضمنت المطالبة « بانهاء مجلس الشورى وعدم استمراره وذلك لانه لم يعد بقاؤه يعبر عن ارادة الشعب وتطلعاته العادلة ، بل انه اصبح احد المعوقات الرئيسية لمسيرة التصحيح والبناء ، وذلك حتى يتم تهيئة الجو المناسب للشعب لانتخابات برلمانية ديمقراطية تعبر عن ارادة الشعب وتطلعاته وامالة » . اكثر من ذلك فان المؤتمرين الذين اعلنوا « تأييدهم الكامل للسياسة الحكيمة التى ينتهجها قائد مسيرة التصحيح الاخ المقدم ابراهيم الحمدى ، وذلك على المستوى الداخلى والخارجى » اعتبروا « انفسهم فى حالة اجتماع مستمر حتى تتحقق قرارات المؤتمر وتوصياته ، وبناء عليه فان المؤتمرين قد اقروا تشكيل لجنة دائمة ، لمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر » .

توجه المؤتمرون مباشرة الى مبنى القيادة العامة للجيش ، حيث كان ينتظرهم المقدم الحمدى الذى القى فيهم خطابا اكد فيه « ان رأى الشعب هو الصائب وهو الذى سينفذ » واننا « جنودكم ، جنود هذا الشعب سنسير فى طريق الشعب ، ولن ننحرف ، ولن نتردد فى ان نتخذ كل ما يخدم الشعب ، ونضع راى الشعب فوق رأينا ونقدمه قبل راينا » ونبه طبيعة الى هؤلاء الخصوم السياسيين من مشايخ الاقطاع الذين « يستغلون الاموال وينتهكون الاعراض ، ويخربون القوانين والانظمة ، ويرفضون ان يعملوا بالشريعة ، ثم يأتون ، واذا هم يتباكون على الاسلام » واذا هم يقولون : « انظروا العهد الشيوعى » .

شواهد مجتمع جديد :

وفى اليوم التالى مباشرة ، وسط مظاهرات عارمة ملات صنعاء منذ اليوم السابق اصدر رئيس مجلس القياده اعلانا دستوريا جديدا الغى به الاعلان الدستورى السابق الذى صدر فى ٢٢/١٠/١٩٧٤ ، واعتبر به « مجلس الشورى » منتهيا ، اعتبارا من ٢٢ اكتوبر ١٩٧٥ » على ان تجرى « انتخابات نيابية جديدة » فى الموعد الذى يحدده رئيس مجلس القيادة الذى اعتبر « رئيس الدولة والقائد العام للقوات المسلحة » والذى اوكلت اليه « اعمال السيادة وكافة الاختصاصات المقررة لرئيس الدولة ، طبقا للدستور » الدائم الذى سيظل « معمولا به خلال «المرحلة الانتقالية» [جريدة الثورة الصنعائية ٢٢و٢٣/١٠/١٩٧٥] .

ومنذ ٢١/١٠/١٩٧٥ والمظاهرات والمسيرات الشعبيه التى عمت مدن وانحاء الجمهورية لا تتوقف ، فضلا عن المؤتمرات المحلية ووفود التأييد التى تقاطرت الى صنعاء لاظهار مساندتها [الخطوات التصحيح] وللمطالبه بالمزيد منها ، ولم تتوقف هذه [الحركة الجماهيرية] المتصاعدة التى استمرت الى مطلع نوفمبر ١٩٧٥ ، والتى الحت على المضى فى عملية التصفية للقوى الاقطاعيه والمشيخيه الى النهايه ، والتى تخللتها هتافات معادية للاستعمار والرجعية العربية ، الا بعد ان صدر بيان رسمى يناشد الجماهير الحاشدة والمتقدة حماسا ووطنيه بالكف عن المظاهرات والمسيرات ؟ مؤكدا عزم السلطة على السير فى طريق التصحيح الذى يطالب به الشعب .

ولاول مرة تجد اليمن نفسها من صعدة فى اقصى الشمال الى عدن فى اقصى الجنوب ، على أهبة الاستعداد لمواجهة اى تحرك مضاد ضد عملية التصحيح ، ولاحباط اى محاولة تقوم بها القوى الاقطاعية — القبلية الرجعية ، لاستعادة فردوسها المفقود ، وعرشها السياسى المسلوب .

صحيح انه ليس هناك حتى الان تحالف سياسى [مبرم] او برنامج عمل وطنى محدد [ومكتوب] يجمع القوى الوطنية العسكرية والشعبية ، فى مواجهة جبهة قوى الرجعية والتخلف واسنادها فى الخارج التى تريد تجميد خطوات التصحيح ، والارتداد باليمن كلها الى الوراء ، الا ان الخطوات التى اتخذت حتى الان ضد الاجنحة الاقطاعية القبلية وعلى رأسها خطوة حول [مجلس الشورى] ، مجلس الطبقة الاقطاعية والقوى العشائرية ، تمثل نقاط لقاء موضوعية وسياسية بين الحركة الوطنية والمؤسسة العسكرية يمكن ان يقوم على اساسها تحالف حقيقى ومثمر بين الجانبين فى ضوء [برنامج حد ادنى مشترك] كما انه بالامكان بالمضى فى هذا الطريق التغلب نهائيا على اثار [الردة السياسية] التى منيت بها البلاد منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٥ ، وازاحة القوى الاقطاعية والعشائرية ، بل والكوميرادورية ، من المسرح ، واعاده صياغة بنية الدولة السياسية ، تمهيدا لايجاد مناخ وطنى عام يتيح احداث عملية تحول اقتصادى واجتماعى فى شمال اليمن ، يقترب به من ذلك التحول الثورى الذى جرى فى جنوبها ، وتقترب به اليمن كلها من نفسها ، ومن يوم تحقيق وحدتها الوطنية المنشودة ، وتحررها السياسى والاقتصادى الكامل ، وتقدمها الاجتماعى التام .

او ليست تلك ظواهر اجتماعية جديدة تبشر وتؤشر على طريق اليمن الخاص للخروج من [عنق الزجاجة] القبلى الاقطاعى ، او ليست تلك شاهد ميلاد مجتمع حضارى جديد موحد ، وعلامات المخاض ذاتها التى تسبق وتصاحب عادة صناعة الميلاد ؟ .

□ □ فى هذا العدد يواصل الاستاذ احمد صادق سعد تقديم فصل جديد من دراســته حول النمط الاسيوى للانتــاج والتى نشرت فصول ســابقة منها فى اعداد الطليعة ــ فبرايرومارس ١٩٧٤ وابريل ونوفمبر ١٩٧٥ .

حول النمــط الآسيوى للانتــاج

الصراع الطبقى فى مصر الهيلينيــة

احمد صادق سعد

■■ لقــد طــور العصر الهلينى الاقتصاد المصرى وانمى التـداول النقدى والتبادل الســلعى ، فأضاف جديدا للصراع الاجتماعى ، وان كان جانب منه لم يتغير مضــمونه أو جوهره تغيرا كبيرا لثبات النمــط الانتاجى الاساسى .

[١] اتجــــاهات الصـــــــراع الطبــقى

١ ــ الصراع فى الدوائر المالكة والحاكمة :

دار هذا الصراع على جبهتين : اما الاولى فبين سكان الاسكندرية أساسا وبين الحكم المركزى . والثانية بين اغريق الاسكندرية واليهود .

● ــ ونعزو مقــاومة سكان الاسكنــدرية ونضالاتهم الى أن نشاطهم كان فى أغلبه نشاطا سلعيا وفرديا ، وارتباطاتهم شديدة بــالخلفية اليونانية المبنية على تشغيل العبيد لــلانتاج التجارى . فكانت مصالحهم تصطدم بمــركزية الحكم فى مصر واعتماده على امتلاكه اخيرانها وبشرها . كما تعارضت تلك المصالح مــع الاحتكارات الحكومية فى مجالات التجــارة الداخلية والخارجية ، والصناعات الاســاسية والاعمال المصرفية . وفى الميدان الســياسى ، استهدف السكندريون باستمرار أن يكون لهم حكم ذاتى شبيه باستقلال المدن اليونانية فــى أوج ازدهارها . وهو مطلب رفضه البطالمة والاباطرة فترة طويلة جدا . واشتهر سكان الاسكنــدرية بالشغب والاضطراب والمواقف الرافضة العنيدة .

ففى ٢٠١ ق . م . تثور الاسكندرية ضــد مجموعة من المحاسيب قامت بانقلاب فى البلاط . وحوالى ١٧٠ ق.م. يتجدد التمرد ضد بطليموس السادس ، وتنشب المعارك الدموية بين حراس القصر والجمهور وفى١٦٦ ق.م. يقود احد النبلاء تمردا جديدا ثم يهرب من الاسكندرية ويجمع حوله ٤٫٠٠٠ جندى ثائر ويعسكر بهم فى طيبه حيث يهزمه الملك . وفى ٨٩ق . م . يطرد السكندريون بطليموس الحادى عشر ويقتلونه . وبعــد ذلك بسنتين يقطعون بطليموس الثانى عشر اربا بعــد اخراجه عنوة من قصره .

وتتجدد الاضطرابات السكندرية فى ظــل الرومان . فيصدر الوالى فى بداية القرن الاول الميلادى الاوامر المتكررة بمنع حمل الســلاح

وبالحملات التفتيشية فى المنازل . وتعود التمردات فى اعوام ٤١ ، ٦٦ ، ١٥٨ « حينما يقتل الوالى » . وفى عام ٢٦١ يولى سكان الاسكندرية الوالى الرومانى امبراطورا شهورا قليلة . وفى ٢٩٦ يعطون هذا المنصب الرفيع لاحد الضباط الرومان ، فيحاصر الامبراطور الثغر بنفسه ثمانية شهور ثم يستولى على المدينة ويخربها تخريبا ... وامتدت هذه الثورات والتمردات الى الحكم البيزنطى حيث ساعد الاسكندريون ثورة هرقل ضد الامبراطور فوقاس « ٦٠٢ ـ ٦١٠ م . » .

● ـ **ويعود الصراع بين الاغريق واليهود** الى ان الاثنتين كانتا تكونان الطائفتين التجاريتين المتنافستين الرئيسيتين فى الاسكندرية ومصر عامة . ولذلك نجد حركات اليهود فى مصر تتجه ضد الاغريق للقضاء على منافسيهم ، وتتجه ايضا ضد الحكم المركزى . غير أن الكثرة العددية اليهودية « مليون نسمة من بين ٨ ملايين من المصريين » ، ووجود نسبة كبيرة من الكادحين المقهورين فى صفوفهم « فلاحين وعمالا وعبيدا معتقين وصغار تجار الخ » اعطيا للتمردات اليهودية ضد الحكام طابعا أوسع من تمردات الاغريق ، وانتشارا مصريا فى بعض الاحيان «١» كما كانت بينهم فئة قوية من التجار والمقرضين بالربا عمل البطالمة والرومان على جذبها الى الاسكندرية تنفيذا لاهدافهم التجارية . فنجد بعضهم فى البلاط الملكى وفى الادارة العليا وقيادة الجيش . وقد منحوا أراضى واسعة ينتفعون بها .

ونلاحظ أن أغنياء اليهود قد تأغرقوا فى حين أن فقراءهم قد تمصروا ، وادخلوا فى ديانتهم بدعا تحمل الطابع المصرى . وان المسيحية دخلت مصر من خلال بعض طوائفهم .

وقد بدأت الصدامات بين يهود الاسكندرية واغريقها تقع فى ظل الحكم الرومانى ، حينما رأى أفراد الطبقة الحاكمة السابقة مركزهم يتدهور لصالح اليهود « عام ٣٨ » . ويبدو أن الطبقة الدنيا من اليهود هى التى كانت ضحية المذابح فى حين أن كبارهم تجنبوها باعلان ولائهم للحكومة « ٦٦ م . » .

ولكن تلك الاضطرابات بين الاثنيات المتنافسة أخذت طابعا جديدا عندما اندلعت الثورة اليهودية الكبرى « ١١٥ ـ ١١٧ م » التى احتلوا فيها برقة . وامتدت الثورة فى الريف المصرى من سوهاج وطيبة جنوبا الى اثريب «بنها» شمالا وبلوزيوم شرقا . وهزموا الرومان فى هرموبوليس «الاشمونين» «٢» . وحاول الرومان تجنيد الاهالى فى محاربة الثورة دون جدوى . ويبدو ـ على العكس ـ أن بعض معدمى المصريين من الفلاحين والهاربين من القانون فى المستنقعات الشمالية قد عضدوا الثورة «٣» . ولقد سحقت هذه الثورة فى نهاية الامر ، ولكن خطرها ظل يخيف الطبقة المالكة ، فاحتفل أفرادها بذكرى الانتصار عليها حتى عام ٢٠٢ م . وتجددت الاضطرابات فى القرن الخامس وتحولت الى مذابح وحرائق فى الاسكندرية ، فطرد اليهود منها . ولكن يبدو أنهم عادوا بعد ذلك بدليل وجودهم عند الفتح العربى «٤» .

ب ـ رجال الدين

كان بين الكهانة وبين السلطة تبادل منافع . فأولئك يجتهدون لكسب التاج الى جانبهم حتى يحتفظوا بامتيازاتهم وموارد معابدهم ، فضلا عن الاعتراف الرسمى بالطقوس التى يمارسونها . ويرى الحكام ضرورة ان يصبح السلطان الدينى ونفوذه على الشعب أداة روحية يكاملون بها سيطرتهم المادية القاهرة .

ولذلك رحبت الكهانة المصرية بالتحاق البطالمة بكوكبة الالهه الفرعونية القديمه وقام الملوك المقدونيون بتشييد المعابد الجديدة وتجميل القديمة منها وانشاء قبيلة كهنوتية خاصة بعبادتهم . واحتفظ رجال الدين الفرعونى بامتيازاتهم ، وبلغت المساحة التى تنتفع بها المعابد ثلث الاراضى الزراعية . كما كان لقراراتها قوة القانون فى الريف . وانتشر حق المعابد فى حماية من يلجأ اليها . واصبحت الكهانة سلطة هائلة فى الدولة فى أواخر الحكم البطلمى ، لان الملوك قدموا لها تنازلات كثيرة بعد الثورات الشعبية « عام ٨٠ ق . م . » . ووصلت هذه الامتيازات الى حد حق توريث الحيازات الزراعية لابناء الكهنة «٥» .

وكذلك نرى العبادات المحلية تعود بارزة مرة أخرى فى أواخر القرن الاول دلالة على ازدهار نفوذ الكهنة . وبعد الاعتراف بالمسيحية دينا رسميا للدولة الرومانية ، كان مركز مصر المتميز وسيلة قوية استعملها البطاركة الاقباط فى الضغط على الاباطرة «٦» . ونرى اثناسيوس يتمتع بحماية امبراطور الغرب فى وجه بيزنطة « عام ٣٤٠ م » . وفى القرن الخامس نجح كيرلس فى خلع نسطوريوس بفضل الهدايا التى وزعها على الشخصيات الكبرى بالبلاط البيزنطى . وبلغت قيمة هذه الهدايا مبالغ مهولة . وفى ظل ديسقورس كان للبطاركة عزب عديدة فى مصر كلها ، ويحتكر الرهبان تجارة الملح . وكان للاسقفيات رجال مسلحون وشرطة وممرضون ، كما كان الاساقفة يمارسون سلطة قضائية «٧» . وفى القرن السادس كانت للاديرة املاك واسعة لدرجة أن مناطق كاملة كانت موقوفة عليها . وهكذا بدا اكثر من مرة أن السلطة السياسية واثقة

من رجال الدين .

الا أن الكهانة المصرية كانت لها مصالح تدفعها الى الاستقلال النسبى عن العرش . وكان اتصالها الوثيق بالكادحين يجعلها تستقبل سخطهم ، خاصة وأن فى صفوفها عددا متزايدا من أبنائهم . وأخيرا ، فلبعضهم مستوى من الثقافة والتعليم والعلم يضعهم فى مكان الناقد للمساوىء . ولذلك نرى العديد من طوائفها يقاوم الحكم البطلمى فى أواخره . وازدادت المقاومة فى القرن الثالث اذ تلاقت المعارضة الشعبية فى حضن الكنيسة المصرية آخذة صورة الاستشهاد الدينى فى ظل دقلديانوس «٢٨٤ م . » . ولم يغير الاعتراف بالمسيحية رسميا كثيرا من موقف الكنيسة المصرية . فقد ظل تنظيمها مدة طويلة شبيها بالنظام الجمهورى حيث كان العباد ينتخبون الاساقفة ، ويجتمع هؤلاء لتصريف الامور الدينية . ووصل الصراع الى قمته فى مجمع خلقدونية حيث أصر ديسقورس على حق الكنيسة فى الحكم الذاتى . وثارت مصر عند نفيه ، فتمردت الاسكندرية وهزم سكانها الجنود البيزنطيين ، وشكلوا لجنة قومية من رجال الدين انتخبت تيموثاوس للمركز الاعلى « ٤٥٧ م » . وظلت المصادمات تتكرر بين مصر والامبراطور البيزنطى الى الفتح العربى اذ كان قد فرض على الاسكندرية البطريرك الملكانى قيرس « المقوقس » الذى جمع بين السلطتين الدينية والسياسية ، ونظم حملات الاضطهاد ضد البطريرك المنتخب بنيامين الذى اضطر الى الهرب . ولكنه استعاد كرسيه فى ظل عمرو بن العاص .

ومما زاد من صلابة المقاومة المسيحية المصرية للحكم البيزنطى أن الرهبنة تحولت الى حركة جماهيرية فى بداية القرن الرابع ، وأغلبيتها من الفلاحين بعد أن كانت فى البداية ظاهرة متناثرة ومقصورة على افراد قليلين . واشترك الرهبان فى النضالات الدينية والسياسية اشتراكا نشيطا فجذبوا اليها افراد الشعب لما كانوا يتمتعون به من هيبة معنوية كبيرة .

جـ ــ النضال الشعبى

اشتدت الحركة الفلاحية الثورية فى العصر الهلينى اشتدادا ملحوظا ، حتى أصبح التمرد مزمنا فى مصر منذ نهاية البطالمة « القرن الاول ق . م . » ويعود السبب الى أن انتشار الاقتصاد السلعى والتبادلات النقدية قد بدأ يهز النمط الاسيوى من أساسه وادخل المجتمع القروى فى أزمة زادتها الازمات الاقتصادية العامة حدة .

وووجه الفلاحون بمصير جديد ، وهو أن يصبحوا أقنانا مباشرين للنبالة المتغيبة فى المدن بعد أن كانوا تابعين للمشترك الاعلى ، الدولة . فحاولوا بشتى الطرق أن يسدوا هذا الطريق . وهنا تظهر بارزة القيمة الايجابية للمقاومة الاتية من المجتمع المشتركى ضد القوى التى تعمل على تفكيكه ، أعنى قوى الاحتلال الاجنبى والاستعباد الجديد « القنانة الاقطاعية » .

وفى بعض البرديات نتبين عزة نفس الفلاح المصرى ومحافظته على كرامته . واليك ما يقوله سكان احدى القرى « لحاميهم » . « سيدنا ناخوس ، نودكم أن تعلموا اننا لم نسلم أبدا أنفسنا لكم، لا فى أيام والدكم ولا فى أيامكم . وحيث اننا نقوم بما هو مطلوب منا ، فلا نحنى انفسنا أمام احد، ومما يدل دون شك على القوة الدفينة للحركة أن لغة الشعب فرضت نفسها ــ على صورة القبطية ــ فى هذا العصر ، بعد أن ظلت عصورا مفصولة تماما عن لغة الحكام .

● وقد استمرت الاشكال السلبية طابعا عاما للحركة الشعبية . واذ يبحث علماء الاثار فى البرديات عن مشاعر المصريين ازاء الاغريق ، فلا يجدون الا السباب تعبيرا لها « ٨ ». وفى ظل البطالمة هجرت أفواج من الفلاحين الارض لتلجأ الى حماية المعابد ، وقاوم صغار المنتجين والتجار جباة الرسوم الباهظة بالتهريب والعمل دون ترخيص والافلات من السخرة ، ولم يستطع مخبرو الحكومة ايقاف الموجة . وكذلك نقرأ تقارير الجباة الرومان التى يشكون فيها عجزهم عن تحصيل الضرائب فى القرى المهجورة من السكان . وفى ظل الامبراطور تيبيريوس « القرن الاول م . » يختفى الهاربون فى المستنقعات والاحراش لان روما الغت حق اللجوء الى المعابد . وكان سلاح الفرار فعالا بدليل أن الامبراطور فيليبوس الاول « منتصف القرن الثالث » اضطر الى ايقاف حربه ضد القوط لقلة الموارد الاتية له من الولايات الشرقية . وفى القرن السادس اشتهرت مصر بأنها بلد يصعب حكمه ، فشعبها لا يخضع للنظام ودائم الشكوى والمناقشة ، ويعتبر المصريون عارا أن يدفعوا ما عليهم من الضرائب من تلقاء انفسهم ، ويفتخرون بآثار السياط على ظهورهم . .

● ولكن الاشكال الايجابية اخذت تتصاعد بصورة ملحوظة . فالفلاحون يحرقون السجلات الحكومية التى تحفظ فيها صكوك الديون والملكية فى ظل البطالمة . ويندلع لهيب الحرب الاهلية فى

بداية القرن الثانى ق . م . ويتمركز الثوار فى منطقة طيبة حيث يخضعون لملك مستقل اسمه « هرماكيس » . ثم شمل التمرد البلاد كلها، وحاصر أنصاره مدنا كاملة أكثر من مرة . وفى ١٨٢ ق . م . تمكن الجيش البطلمى من سحق الثورة . وسحبت عربة الملك زعماء الثوار عرايا مقيدين حتى الحلبة التى قتلهم فيها بنفسه .

ورغم القمع البشع ، تكررت الثورات فترة بعد أخرى « عامى ١٤٠ ، ٨٨ ق . م » . كما استمرت تشتعل فى ظل الرومان « فى طيبة والبحيرات الشمالية عام ٢٩ ق . م . ، وعام ١١٥ م » . واشتهر شمال الدلتا بما سميت بحرب الزراع أو الحرب « البوكولية » « البشمورية » التى قاد أحد الكهنة فيها الرعاة والهاربين ، فاستطاع أن يستولى على الاسكندرية بعد أن ذبح حاميتها الرومانية . وصاحبت هذه الحركة الثورية مظاهرات العمال فى بعض المدن ، مطالبين بزيادة الاجور . ولم تسحق روما الثورة الا بالاستعانة بقوات اضافية جاءت بها من سوريا «٩» .

وانتشرت فى مصر بعد ذلك العصابات المكونة من الجنود المسرحين والرجال المعدمين ، والتى تجوب الريف وتتعيش من النهب وقطع الطرق .

وسبق الاشارة الى ثورة « أخيل » عام ٢٩٦ ، التى يعتبرها بعض المؤرخين أوسع الحركات الثورية انتشارا فى ظل الحكم الرومانى ، والتى تركزت أساسا فى المراكز التجارية .

وان كانت هذه الحركات الثورية قد حققت بعض المكاسب على شكل تنازلات مختلفة ، الا أنها فشلت جميعا فى تغيير النظام الاجتماعى والسياسى . ولا يعود هذا الى قلة التنظيم للحركة وطبيعتها التلقائية والمتقطعة فحسب ، بل الى كون الفلاحين يستهدفون بها أساسا العودة الى النظام المشاعى القديم . فأرادوا أن يقتلعوا الجذور التى ضربها الى حد ما الانتاج السلعى والتبادل النقدى فى الاقتصاد المصرى ، وان يتخطوا حتى النمط الاسيوى بما يقترن به من استبداد مركزى . وكانت هذه الاهداف مستحيلة التحقيق ، وشعر سكان مصر أنفسهم بهذه الاستحالة بدليل استقبالهم العرب كمنقذين من الحكم البيزنطى «١٠» . وقد أثبت التاريخ امكانية اعادة بناء النظام المشتركى للارض ولكن على أساس جديد ، ونقصد على أساس القوى الانتاجية المرتفعة التى توفرها الاشتراكية المعاصرة «١١» .

٢ ـ نظرة الى الانعكاسات الفكرية :

تتداخل عوامل جديدة فى تشكيل الاتجاهات الفكرية فى مصر الهلينية . واول هذه العوامل دون شك هو صعود اهمية الفردية والذاتية ، وهو أمر موازٍ لاتساع الانتاج السلعى الحضرى على حساب الاكتفاء الذاتى للمشترك القروى . وثانى تلك العوامل هو تأثير المدارس الاغريقية المختلفة التى وردت الى مصر من الخارج ، أى مع الغزو الاجنبى ، والتى تغلغلت عن طريق السلك الادارى الاغريقى والمتأغرق ،فأحدثتردود فعل « دفاعية » مضادة فى بعض الاحيان «١٢» . وقد ترتب على هذين العاملين ـ وغيرهما ـ أن برزت ظاهرة هامة ، وهى بدء نوع من الانفصام المتزايد بين الدين والسلطة السياسية . وهو أمر يختلف عما كان سائدا فى العهود الفرعونية . ففى ظل البطالمة ، كان الاله سرابيس هو الاله الحكومى والرسمى ، ولكن الشعب لم يدخل أصنامه فى المنازل . وكذلك لم تصبح عبادة الامبراطور الرومانى بعد ذلك عبادة شعبية. أما فى ظل بيزنطة ، فقد فصل الانقسام المذهبى بين الكنيسة المصرية والكنيسة المركزية فصلا عدائيا فى أغلب الاحوال .

ومن جهة أخرى ، فقد اتخذت الحركة الفكرية القريبة من الشعب أو المنبثقة منه ـ الاشكال الدينية فى أغلبية الاحوال . ويعود هذا الى التراث السابق الذى استمر قويا لانه مبنى على الخلفية الاسيوية الباقية . كما يعود أيضا الى التكوين الفلاحى الاساسى للحركة الاجتماعية . فالقالب الدينى للاتجاهات القومية والثورية كان يعمل على « خلع هالة القدسية التى تحيط بالظروف الاجتماعية القائمة ، مما يسهل مهاجمتها » « ١٣ » .

١ ـ فى المحيط الاغريقى

جلب الاغريق معهم فى هذا العصر الى مصر الاتجاهات الفكرية التى ظهرت فى اليونان . ومنها مدرسة أفلاطون « بداية القرن الرابع ق . م . » التى كانت ترى الخلاص فى العودة الى سيطرة الارستقراطية القديمة . ومنها أيضا مدرسة ابيقور « ٣٤١ ـ ٢٧١ ق . م .» المعبرة عن التشاؤم الاجتماعى ازاء سلطة المال المتزايدة وخنقها للحرية . ففى بداية القرن الثالث ق.م. لم يعد المفكرون الاغريق يرون ضرورة التضحية من أجل العدل والفضيلة والتقدم ، بل وجهوا تلاميذهم الى البحث عن الخلاص الفردى ، سواء

مى هذه الارض أو فى الحياة الاخرى « ١٤ » .

وبعد أن ضم البطالمة انفسهم الى مجموعة الالهة المصرية ، أقاموا عبادة جديدة هى عبادة « سرابيس » ، وهى صوره توفيقية بين الثالوث الالهى المصرى القديم « أوزيرس - ايزيس - حورس » وبين بعض السمات المتعلقة بالالهة الاغريقية . ولكن هذه العبادة المصطنعة لم تعش طويلا بعد الاحتلال الرومانى .

وفى القرن الثانى برزت فى الاسكندرية الفلسفة الغنوسطية « العرفان الروحى » ، وهى ايضا تجميع من النظم الاسطورية الاغريقية على المبادىء والمعتقدات اليهودية والمسيحية .

وخلاصة القول ان المدارس السكندرية لم تثمر الا قليلا من الفكر الاصيل المستقل والمتقدم ذى الشأن . وذلك تربتها الاجتماعية كانت الطفيلية الاغريقية فى مصر .

ب - الطابع القومى

جمع الحكم الاغريقى الرومانى بين صفتين كريهتين للمصريين : الاحتلال الاجنبى وتحطيم الحياة المشتركية . ولذلك اتسمت المقاومة بالطابع **القومى** البارز ، وهو أمر غريب بالمقارنة مع المجتمعات الاوروبية التى لم تعرف الا الاثنية القبلية قبل توحيد سوقها الداخلى . ويعود هنا الفرق الى كون مصر كانت تشكل وحدة اقتصادية بفضل الدور الخاص لدولتها المركزية ، وان كان مبنيا على تبعثر المشتركات القروية ، لا على وحدة السوق الرأسمالى .

● **وقد اتخذ الروح القومى شكلا وثنيا** فى أول الامر ، وردا للانتقائية الدينية المصطنعة والمفروضة من الخارج « عبادة سيرابيس » . وانتشرت فى القرن الثانى «اليوميات» الديموطيقية وهى نبوءة وثنية شعبية تنذر بالتمرد ضد الاسياد الاجانب «١٥» . وفى ظل الرومان ذاع نوع من الادب الوطنى سمى « بأعمال الشهداء الوثنيين » يهاجم الرومان تحت ستار العداء لليهود .

وعندما ظهرت المسيحية ، وجد فيها الملايين من المصريين المضطهدين تمجيدا للفقراء والبسطاء ، فشحذت نضاليتهم وذخرت لهم بسرعة تراثا من التضحية والفداء الجماهيرى . وجدير بالملاحظة ان احدى الاساطير تقول ان المتعصبين لسرابيس قتلوا مرقس الرسول اثناء احدى الحركات الثورية الشعبية ، وانه دفن فى كنيسة بوكوليا « بشمور » أى بين الرعاة والمعدمين الذين كونوا الاساس الجماهيرى للثورات المصرية بعد ذلك .

ورغم ان التأثير الوثنى ظل قويا فى العادات الشعبية والادب والفن بعد تلك الفتره ، غير ان الوثنية كلباس فكرى أصبحت ذا مضمون رجعى . فان كانت المدرسة الوثنية الفلسفية فى الاسكندرية - فى القرن الخامس - تعبر عن مقاومة قومية ايضا هيباثيا والافلاطونية الجديدة » ، الا انها فكر رجعى اقرب الى ما قد نطلق عليه الان بالجناح اليمينى للفكر القومى . ولعبت الكنيسة المصرية دورا تقدميا من الناحية الموضوعية التاريخية عندما حاربتها محاربة لا هوادة فيها .

● **وانتشرت الهرطقة** فترة كتعبير عن كراهية الحكم البيزنطى . ففى أوائل القرن الرابع ناصر الشعب آريوس القائل بآدمية المسيح . ولم يكد الاباطرة ينضمون لمذهبه حتى انقلبت مصر ضده عن بكرة أبيها «١٦» .

● **ولكن المقاومة الشعبية تبلورت حقا حول الكنيسة الارثوذوكسية** التى رفعت رايه النضال ضد ادعاء الامبراطور بحق التدخل فى الشئون الدينية ، ورفضت جميع المذاهب التى اعتنقها الجالسون على عرش بيزنطة . ويذكر القس سيفيريوس الاشمونى أن كل الاديرة رفضت قرارات مجمع خلقيدونية « ٤٠١ م » القائلة بازدواجية المسيح « لان جميع الرهبان فيها كانوا مصريين » . وظل الاباطرة يشنون حملات الاضطهاد الدينى الدموية على المصريين الى الفتح الاسلامى .

جـ - الرهبنة :

يقال ان بذور الرهبنة دخلت مصر مع الوحدات الهندية للجيش الفارسى عند غزوه فى القرن الرابع ق . م . ، وظهرت مجموعات من الرهبان المصريين من عباد سرابيس فى ظل الحكم الرومانى ، ثم بدأت تنتشر مشتركات النساك فى الصحراء فى بداية القرن الاول الميلادى . واشتهرت منها مشاعيات الزهاد اليهود المعروفين بالمتنطسين أو المعالجين The Rapeutes والتى انتشرت حول بحيرة مريوط . وكان افرادها يتخلون عن ممتلكاتهم ويمارسون نوعا خليطا من السحر والطب ، ويؤمنون بالخلاص على يد يسوع ، مع اتباعهم للعديد من التقاليد اليهودية « مثل الختان والتسبيت » . ومن المسيحيين الاوائل افراد تنسكوا ايضا وأسموا أنفسهم بالفقراء Ebionites باعتبار الفقر اعدادا لدخول مملكة السماء . والى هنا كانت الرهبنة هروبا من

المجتمع وأسلوبا فرديا نابعا من الاتجاهات السلبية للنضال والميزة للنمط الاسيوى . اذ كان يشكل « مشتركات مضادة » مصطنعة ومعزولة .
ولكن الرهبنة اتخــذت مضمونا جـــديدا ــ وايجابيا ــ عندما انقلبت الى حركه جماهيرية للفلاحين والمعدمين فى بداية القرن الرابع على الاغلب . وعندئذ أصبحت الدعوة الى الزهـد والتنسك الجماعى شكلا من أشكال الاحتجاج على رفاهية الطبقة الحاكمة وكسلها وتطفلها . وأضحى آلاف الرهبان جيشا يحارب بيزنطة فى جميع الميادين كما سبق ذكره . ويحتقر الرهبان الثقافة الاغريقية ويناصبون الدين البيزنطى الرسـمى العداء ، ويبنون حياة فكرية متكاملة على أساس اللغة الشعبية المتميزة وهى القبطية .

وان مختلف الفئات الاجتماعية ــ وخـاصة الفلاحين وجدت فى حياة الاديرة ونظمهـا مـا يقطع بشكل حاسم جميع الصلات مع النظام الاجتماعى السائد ، مما جعله عاريا من أى تجميل معنـــوى واكثر استحقاقا للكراهية والتدمير «١٧»

ولا شك ان حركة الاديرة القبطية كانت سلاحا فعالا ضد القهر البيزنطى ، وانزل بـالاحتلال الاجنبى ضربات شديدة ، وان لم تكن قاضية . وعلى كل حال ، فتاريخ هذه الحركة يبين لنا كيف يمكن أن يتحول تيار من التيارات الاسيوية السلبية الى نشاط متقدم وثورى .

د ــ التوحيد الارثوذوكسى :

يبدو أن بعض الاساقفة السكندريين الاوائل انتموا الى العائلات الارستقراطية نسبا او فكرا ، وانهم فسروا العهد الجديد تفسيرا يجعل من الاباطرة ظل الله على الارض . ولكن الرؤســـاء الدينيين للمسيحية فى الصعيد عارضوهم لانهم كانوا ينبعون من مجتمع متماسك ومتحد «١٨» .
وقد تغلب هذا التيار فى نهاية الامر باعتباره تيار التوحيد فى وجه المذاهب التعددية المختلفة التى اعتنقها الحكام والتى عكست الى حد ما نشاط الاغريق الاقتصادى وقوى التمزق الاجتمـاعى والسياسى التى يشكلونها .

واذا لم يكن من شأن هذه الدراسة الدخول فى الخلافات المذهبية لذلك العصر ، فلا ضير فى الملاحظة ان حركة الكنيسة الارثوذوكسية كانت تحمى حينئذ وحدة الوادى من الناحية العملية والفكرية معا فى نهاية الامر ، عندما رفضت الفصل بين لاهوت المسيح وناسوته . كما انها سارت على درب التراث المصرى المرتبط بالواقعية العملية عندما خاضت المعارك الفاصلة ضد بقايا الوثنية المليئة بالخزعبلات الاسطورية والرجعية .

وكذلك نرى فى وقوف المصريين فى وجـه السيطرة الروحية المركزية للاباطرة البيزنطيين استمرارا لتقاليد فكرية مصرية معينة ، وهى التى عارضت الالهة معاداة منها للقهر الفرعونى .
ونتذكر هنا بعض البرديات الرومانية التى سجل فيها البسطاء طلباتهم ، فيهددون الالهة بالانتقام منها اذا لم تستجب لدعواتهم «١٩» .

وختاما نود أن نبدى ملاحظتين فيما يتعلق بالفوارق بين التطور المصرى فى هـذا العصر والتطور الاوروبى الغربى : اما الاولى ،

فهى ان القوميات الاوروبية الغربيه قد ظهرت ثم ازدهرت مع النمو الاقتصادى الذى وقع فى عصر النهضة وبعده . اما القومية المصرية ، فقد اشتد عودها على العكس ــ بالنسـبة للعصر الهلينى ــ مع التدهور الاقتصادى والسياسى الذى وقع فى نهاية ذلك العصر .
ولقد كانت طليعة الحركة القومية الاوربية من البرجوازية الصاعدة وصاحبةزمامالمستقبل .ولكن طليعة الحركةالقومية المصرية.كانت من الفلاحين البرجوازية الصغيرة اى الطبقة التى يسد عليها التاريخ سبل المستقبل .

والملاحظةالثانية هى انظهور الاقطاع فى اوربا الغربية ارتبـط بتـكوين الدول فـوق القوميـة « شارلمان وخلفاؤه مثـلا » ،وبالهيـمنة الدينيـة المركزية لبابا روما على هذه الدول . اما بوادر الاقطاع فى مصر ، فقد صاحبها تأكيد الشخصية المصرية وانفصال كرسى الاسكندرية عن المركز الدينى البيزنطى .



فى هذا العدد تثير صفحات الرأى والرأى الاخر اكثر من قضية ملحة ..

« **الاسكان** » تلك القضية التى اثارت ولم تزل تثير كثيرا من النقاش والجدل يجرى تناولها من زاوية محددة « الاسكان هل هو خدمة ام سلعة ؟ » ويثير هذا السؤال استاذ للانشاءات فى كلية الهندسة، وخريج شاب ، وعامل يعيش فى المساكن الشعبية ..

« **الاحزاب** » وهل تنقذ مبدأ التحالف هى القضية الثانية التى تثيرها صفحات الرأى والرأى الاخر .. ويتناولها **د. محمد رضا محرم** .

« **المؤتمرات الاسلامية** » وهى الموضوع الذى ناقشه د. محمد احمد خلف الله فى عدد سابق فأثار الكثير من ردود الفعل ، ثلاثة ردود تنتقد د. خلف الله . وتعقيب منه عليها ..

« **هموم عبد التواب وأم محمد** » وقد كانت محلا لتعليقات عديدة . لم يكن امام « الطليعة » ازاء كثرتها الا اختيار بعض النماذج .. ربة بيت ، فنان مسرحى ، عامل شحن ، محام ، موظف ، عامل فنى .. يعلقون بأقلامهم على هموم عبد التواب وام محمد .. ولكل منهم وجهة نظر تستحق التأمل ..

« **شارع الشواربى** » هل هو ظاهرة ؟.. وماهى مسبباتها ؟ والاجابة لسهام هاشم ..

لم تزد ازمة الاسكان تثير الكثير من الجدل والنقاش ، لكن الجديد فى النقاش الراهن هو تصريحات وزير الاسكان فى مجلس الشعب ، والتى اثارت التساؤل المحورى فى القضية كلها هل السكن خدمة ام سلعة.

وعلى هذا السؤال يجيب الدكتور **ميلاد حنا** .. وحوله ايضا يكتب **محمد ناجى** . واجابة ثالثة تأتى من موقع الممارسة . . من هؤلاء الذين يعانون من نتائج التطبيقات الخاطئة فى سياسة الاسكان .. العامل **حمدى لطفى خربوش** يكتب عن مشكلات الاسكان فى منطقة عمالية . .

المسكن خدمة .. وليس سلعة

د. ميلاد حنا *

ترددت كثيرا فى أن أناقش **مشكلة الاسكان** نظرا لتعقد الموضوع وحدة أزمته ، حتى صار الضجيج عاليا ومرتفعا ينذر بتعقيدات شديدة. غير أن المعلومات التى كشف عنها بيان **وزير الاسكان** الذى القاه أمام مجلس الشعب فى ٧ فبراير ١٩٧٦ اكدت ان حجم المشكلة ضخم ورهيب وأن القضية متعددة الجوانب ومتشابكة بحيث لابد ان تتضافر جهود المفكرين والكتاب والفنيين لعلنا نصل الى نتيجة . ذلك ان الراى العام كان سعيدا عندما اسلم القيادة كلها ــ فى هذه المشكلة المزمنة ــ الى المهندس **عثمان احمد عثمان** ، الوزير الحالى ، عندما **تولى شئون وزارة الاسكان** عقب انتصار اكتوبر ٧٣ لكى نحرز نصرا فى ميدان التعمير كما احرزناه من مياه القنال « وذلك على حد قول بيان الوزير نفسه .

وقد تولى الوزير مهامه فى مناخ نجاحه الضخم فى عالم المقاولات ، ثم زودته الدولة بكل الصلاحيات والسلطات حين أعفته من كافة القوانين واللوائح « المعوقة » .

وفوق كل ذلك حصل على اغلب ما وصل مصر من معونات بالعملة الاجنبية ، وقروض من الدول العربية .

(*) أستاذ الانشاءات بهندسة عين شمس .

□□□□□□□□

ولقد صبر الرأى العام وقتا معقولا لكى يترجم هذه الامــوال الطائلة الى واقع ملموس يحـل للناس أزمتهم ، ويحقق للشباب الراغب فى بناء أسرة أمانيهم ، بل ويعوض الصابرين عن صبرهم خيـرا .

ولكن ، بعد أن مر أكثر من العامين — ودون **أن يدرس الجمهور التفاصيل الفنية والارقام** — يفاجأ الشباب بأن الازمة ازدادت تعقيدا . لقد كان الخلو يدفع فى السر بالمئات ، فصار المالك يطالب بالالوف وفى وضح النهار . وبعد أن كان الشاب أو الموظف أو العامل يحاول البحث عن المكان الملائم له قرب مكان عمله أو مدرسته أو ابويه لرعاية الاطفـال ، وليهرب من الضـغط اليومى فى علبة السردين (والتى يطلقون عليها كلمة الاتوبيس) ... وذلك قبل أن يتولى الوزير ... اصبح الان سعيدا بأن يدفع الخلو — ان وجد — فى سكن ... أى سكن ... فى أى منطقة ... فى أى دور أو طابق ... وفى أى جهة .. بحرية أو قبلية . لا يهم ... وبأى اتساع ... ثم فوق كل شىء بأى سعر أو أى ايجار ... ان كان له الى ذلك سبيل .

وفى نهاية المطاف ، وبعد أن مرت السنوات اذ **بالوزير** يعلن فى بيان عظيم أن لا حل لمشكلة المساكن فى حدود القرن العشرين .. !!

يقول البيـان ، بعد دراسـة مستفيضة ان **العجز قد بلغ من الناحية العددية عـام ١٩٧٣ نحو مليون وحدة سكنية** » .. فضلا عن اننـا « نواجه فوق كل ذلك الحـاجة الى **١٠٠ الف وحدة سكنية سنويا** لمواجهـة الزيادة الطبيعية فى عدد الاسر ولاحلال ما يؤول من الوحدات — القائمة للسقوط سنويا » .

ورغم كثرة الارقام التى هاجم بها البيـان العجز فى الوحدات التى بنيت قبل عهده ، فقد ذكر أن متوسط الوحدات التى بنيت من عام١٩٥٢ حتى ١٩٦٠ كان ٥٦ الف وحدة . ولكن من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٧٢ لم يبن الا نحو ٣٠ الف وحدة سنويا . ولكن البيان لم يوضح كم وحدة سكنية قد انشئت فى عهد وزارة الاسـكان والتشييد خلال عام ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ . مع انه يقسر أن الحكومة كانت كريمة مع الوزارة — باعتراف البيان ذاته — **فقد طفرت استثمارات الاسـكان فى خطة ١٩٧٥ — بخلاف اسكان منطقة القناة — الى ٨٠ مليون جنيه ، وهو ما يزيد عن ضعف متوسط ما كان يخصص لقطاع الاسكان من عام ٦٧ حتى ٧٣** » .

واذا كانت الاسـعار قد ارتفعت بنسـب لم يحددها البيـان ، وبفـرض انه أمكن للوزارة النشيطة والخبيرة ان تبنى ٤٠ الف وحدة سنويا بهذا المبلغ ، **فانه يمكن — بالتالى — التنبوء بأن المليون وحدة المطلوبة سوف تبنى فى نحو ٢٥ سنة أى مع مطلع القرن القادم باذن الله ..**

ولكن تبقى — بالاضافة — تراكمات الاحلال التى قدرها البيان بمائة ألف وحدة سكنية سنويا أى أننا سنترك لاولادنا عـام ٢٠٠٠ نحو مليونين ونصف وحدة كعجز يتعين عليهم أن يحصلوا عليه بطريقة ما ، حتى يحققوا الارقام التى بنى على أساسها البيان . واغلب الظن أن أبناء القرن القادم سيكتشفون طريقا آخر لحل مشاكلهم فى « **الحق الطبيعى لكل مواطن فى الحصول على سكن صحى مقابل أجر عادل ومناسب** » ..

عن المساكن الجاهزة

وحتى المساكن الجـاهزة ، والتى صـورتها الوزارة — من خلال جميع وسائل الاعلام — وما تتحمله الوزارة فى سبيل ذلك من مصروفات خرافية — بأنها مصباح علاء الدين الذى يحل المشكلة تماما فى أسرع وقت وبأقل تكلفة ... أقول لازالت هذه المصانع حبرا على ورق وعقودا وعرابين بين الخواجات والوزارة ثم صورا جميلة مأخوذة من نشرات الشركات للدعاية — وعلى أساس الخبرة التى حصلنا عليهـا اثناء بنـاء المصنع اليتيم المتواجد فى **التبين** — وليس على الورق — وان التعاقد مع المـانيا الشرقية كان عام ١٩٧٠ ، ولكن — الى الان — لم ينتج المصنع شيئا يسمى المساكن الجاهزة بعد ... ولذلك فاننا نشك فيما وعد به البيان من أن انتاج هذه المصانع سيبدأ فى أوائل عام ١٩٧٧ . فضلا عن أن هذه المصانع — وفق البيانات الابتدائية للبيان — سوف ينتج نحو ١٦ الف مسكن سنويا . وحتى هذا ، ايضا ، لايحل المشكلة طبقـا للارقـام المذكورة أعلاه . خصوصا ، وان هذه المصانع سوف تحتاج — بشكل عام ، ودون الدخول فى تفاصيل فنيـة — الى نفس المقررات من المواد البنائية : من الاسمنت والحديد والتشطيبات وخلافه ... ومن ثم فلن تكون هنـاك اضافة جديدة وكل ماهناك اننـا احللنـا طريقـة قـد تكـون ناجحـة فى اوربـا محـل طـريقة حرفية ورثناها من اجدادنـا بناة الاهـرام فانتى اضع شكوكا كثيرة حول اقتصاديات مشروع المساكن الجاهزة — اصلا — ومدى ملاءمته لبلادنا . **ولكن الامر المؤكد هو أن هذه المصانع لن تزيد من عدد الوحدات المتاحة سنويا ... وبذلك ليس**

لهـا دور فى حل المشكلة وسيكون لنا عود الى ذلك فى حينه .. !!

ولسنا فى هذه العجالة بصدد طرح المفاهيم وتحديد الحلول العاجلة او الاجلة فان ذلك يحتاج الى بحوث اخرى كثيرة . وانمـا أردت ــ فى هذه السطور ــ ان اوضح ــ ما هو واضـح للجميع ــ من أن وزارة الاسـكان والتشييد الحالية قد استلمت الحكم بأزمة اسكان معقولة ثم ملات الدنيا صياحا بأن اصبروا علينا سنة ، او ربما سنتين ، وسـيكون لكل منكم المسكن الصحى الملائم وبالاجرة الملائمة ... الا ان الذى حدث بالفعل كان هو الاتى :

١ ــ لا توجد ازمة للاثرياء . ويمكن لكل من يحمل فى جيبه آلاف الجنيهات أن يحصل على المسـكن الذى يريد دون صعوبة وكلما زادت الالاف كلما تحققت أمانيك فى يسر .

٢ ــ ظهرت طبقة جديدة من أثرياء الاراضى وملاك عمـارات التمليك وهى بحق جزء رئيسى من « القطط السمان » ينافس أبقـار شـارع الشواربى وملوكه . وهذه الطبقة مصدر متاعب سياسية للحكومة .

٣ ــ ارتفعت اسعار مواد البناء والعمالة ، وتضاعفت تكلفة انشاء المساكن مرات ومرات . ويبدو انها ستستمر فى الارتفاع الخيالى ، اذا استمرت نفس هذه السياسة .

٤ ــ امتنع على الطبقة المتوسطة ومحدودى الدخل الحصول على المسكن : اما لعدم وجود ما اتفق على تسـميته بخلو الرجل او فـروق الاسعار أو الديكور .... حتى وان امكن توفير ذلك فان الاجرة القانونية قد تضاعفت تقريبـا عما كانت عليه قبل عام ١٩٧٢ .

٥ ــ استخدمت كمية مواد البناء المتاحة (من الانتاج المحلى والمستورد) فى بناء المسـاكن للقادرين أساسا ، بينما كان من المحتم أن تكون هذه المواد للطبقات الشعبية والمحدودة الدخل .

٦ ــ ظهر للعيان ومن الممارسة اكذوبة أن القطاع الخاص **هو الوحيد** القـادر على حـل مشكلة الاسكان . واتضح أن الازمة قد تفاقمت وسيزداد تفاقمها ... اذ ان الطبقة الجديدة من الطفيليين والقادرين على الوقوف فى وجه القانون والتحايل عليه هم المسـيطرون على السـوق ويحكمونه تماما ، ويرغبون فى استمرار الازمة اذ هى الضمان لارباحهم الخرافيـة ولاستمرار تدفقها .

٧ ــ الطبقـة الشريفـة من الراسـماليين الوطنيين عاجزة عن الدخول فى الحلبة لارتفاع أسعار الارض ، وارتفاع تكلفة المبانى فعدة آلاف من الجنيهات لاتكفى الارض والبناء ولعدم حصولهم على العائد الكافى اذا سلكوا السبل الشريفة . ولذلك يفضلون شـهادات الاسـتثمار ٥٪ أو ٥ر٦٪ مع راحة البال عن الدخول فى صراعات مع السكان فى سـبل غير قانونيـة . ولكن الراسمـالى الطفيلى أتقـن لعبـة الهـروب مـن القانون بوقاحة ومع سبق الاصرار .

٨ ــ الطبقات الفقيرة وذات الاجور الضعيفة خرجت تماما من الحلبة وغير واردة أصلا فى فكر وزارة الاسكان الخاصة ولجأت هذه الطبقات الى القبور والاماكن المهجورة تسـكن العشش الصفيح والمناطق الشعبية للمبانى القـديمة ، تؤجر بالغرفة او بالنفر وتعيش العائلة فى غرفة واحـدة أو بالمشـاركة وبدون دورات للميـاه ومسـتوى معيشى غير انسـانى ... وكونوا لانفسهم (ملاكا « غلابة » ومستأجرين « أغلب » قوانين وشريعة خاصة بهم خارج كردون مجلس الشعب وهذه المناطق تزحف على المناطق الاخرى الاكثر رقيا وسيأتى الوقت القريب الذى سيدفع فيه خلو الرجل للمقبرة أو العشة ــ ان هـذه المجموعات البشرية الهـائلة مازالت قانعة فى مساكنها . ولكن ما هو موقف الوزارة اذا بدات تطالب ــ فى وقت ما ــ بحقها فى المسـكن اللائق .

٩ ــ أحسن البيان صنعا عندما اقتصر على مناقشة الاسكان الحضرى لنحـو ٥ر١٥ مليون نسمة .. وكأن سكان الريف وهم فوق العشرين مليونا بداهة لا يتبعون وزارة الاسكان والتعمير ... وحسنا فعلت الوزارة اذ لو ادخلت هؤلاء «المواطنين» فى الحسابات لوصل عدد الوحدات المطلوبة الى أضعاف التقديرات الحالية ولامكن بحسابات بسيطة ان نتعرف على هذا الواقع المر وهو أن مشاكل الاسكان الريفى لن تمـس أو تعالج الا فى منتصف القرن القـادم باذن الله تعـالى .

١٠ ــ كانت القنبلة التى بلور بهـا الوزير فلسفة ما أعلنه من **أن القـانون المدنى يجيـز للمؤجر حق انهـاء العقد اذا جـدت له حاجة شخصية للعين ... » ولكن البيان كان رحيما** انه يرى أن **العدالة تقتضى فى حالة تسـاوى المالك والمستأجر من حيث حاجة كل منهما الى السكن ، تفضيل الاول عن الثانى بالانتفاع بملكه الخـاص اذا كانت سـياسة الدولة تسـتهدف تشجيع القطاع الخاص فى بناء الاسكان** » ولست ادرى ما يقصده البيان من « سياسة الدولة » .. وهل عرض الامر على مجلس الوزراء أو حتى اطلع عليه المجلس قبل قراءة البيان على مجلس

□□□□□□□□

الشعب ! .. أم أن وزير الاسكان قد عبر عن قناعات ورؤى شخصية ؟

واعتقد ، أن العقدة فى موضوعنا كله تنبع من أن وزير الاسكان والتعمير ــ بوعى أو بغير وعى ــ **يرغب فى أن يرجع عجلة الزمن الى الوراء** . ففى تصوره أن المسكن سلعة اقتصادية تباع وتشترى بقصد الحصول على الربح الحلال او على اقصى ربح . وعبر عن ذلك صراحة بأن يرغب فى أن « **نبرهن مجلسا وحكومة ــ أننا فى تجاه نظرة جديدة لا يقع الغرم فيها كله على جانب والغنم على جانب ، بل تتوزع الاعباء بما يكفل العدالة والتكافل بين أطراف مشكلةالاسكان ملاكا ومستأجرين** » .

ومن هذا المنطلق ، بالذات ، تنبع فلسفة وزير الاسكان وفكرياته ــ شخصيا ــ ولكننى لا أعتقد انها موضع موافقة او رضى لا من رئيس **الوزراء او مجلس الوزراء اذ به عناصر تقدمية وقبل كل ذلك لاأعتقد انها موضع موافقة رئيس الجمهورية ــ وهو ثائر قديم ــ منحاز الى جماهير شعب مصر الفقيرة ولا يمكن أن يرضيه هذا الفكر وتلك السياسة ؟**

ان مشكلة الاسكان لابد أن ينظر اليها أساسا على انها خدمة تؤديها الدولة لجماهير الشعب مثلها مثل رغيف العيش ومجانية التعليم ووجود وسائل مواصلات وخدمة المستشفيات والعلاج ثم ان وزارة الاسكان ذاتها تقدم مياه الشرب ، وتدرس وتشرف على مشاريع المجارى والصرف الصحى ... وتشق الشوارع والطرق وتنيرها بغير مقابل .

اننى لا انكر ان كل هذه المشاريع والانشطة والخدمات تدرس بكل دقة وعناية فى جوانبها الاقتصادية المختلفة لايجاد توازن فىالاستثمارات طبقا لخطة موضوعة وليس من شك فى ان القطاع الخاص ورأس المال الوطنى الشريف لابد وأن يلعب دوره فى المساهمة فى حل مشكلة المساكن طبقا لمنهج سياسى واجتماعى مدروس . وهذا ما أرجو أن يكون موضع دراسة فى مرة قادمة ■

○ ملاحظات على سياسة الحكومة للاسكان

محمد ناجى *

تفاقمت أزمة الاسكان الى درجة خطيرة لابد أن تترك آثارها السلبية على مختلف الانشطة الانتاجية والسلوك الاجتماعى للمواطنين .

ويرجع ذلك الى طريقة المعالجة غير العلمية لهذه المشكلة مما أدى الى تفاقمها وانفجارها على هذا النحو الذى نحسه ونشاهده وخاصة فى المدن حيث تعانى حوالى مليون أسرة من حاجة فعلية الى المسكن « وذلك كما جاء فى بيان وزير الاسكان فى يوم ٧فبراير الماضى أمام مجلس الشعب تعبيرا عن سياسة الحكومة فيما يختص بالاسكان » .وتعيش هذه الاسر فى مآوى لا تصلح لسكنى الادميين ، سواء كانت عششا من الصفيح والخشب أو المآوى المؤقتة « عشر سنوات وما زالوا يطلقون عليها مؤقتة » من خيام مقامة فى الحدائق او مآوى المساجد والمقابر . وفى هذه الاخيرة يعيش حوالى نصف مليون مواطن اختل سلوكهم الاجتماعى ويظهر ذلك واضحا فى الاجيال الجديدة « مواليد المقابر » .

هذا ويشتد استفحال أزمة الاسكان ، بفضل ٣٠٠ ألف وحدة سكنية انقضى عمرها الافتراضى وحالتها سيئة لاتتوفر لها المقومات الحضرية أو

الصحية ويقتضى الحال احلالها بغيرها . وهى تمثل احياء برمتها تتطلب الازالة الكاملة ، مثل أحياء عشش الترجمان ، والمنيل القديم ، والمحمدى بالقاهرة ، والحضرة بالاسكندرية . فى هذه الاحياء التى لم تفعل لها الدولة شيئا سوى ان أقامت حول بعضها اسوارا حتى لا يراها السياح ، توجد ٣٠٠ الف أسرة مهددة بمصير سكان المقابر ، حيث أن المدن لم يعد فيها حدائق كى تقام عليها خيام ، كما أن هذه الخيام أصبح الحصول عليها مشكلة ويقتضى الامر دفع رشوة تقدر بحوالى خمسين جنيها للحصول على احداها .

هذا بالاضافة الى مائة ألف أسرة ناشئة سنويا من الشباب ولايجدون مأوى مناسبا .

هذا عن الحجم المعلن ، والعمق المشاهد للمشكلة فى المدن ، فضلا عن مشكلة الريف حيث تعيش ٤ مليون أسرة تضم ٢٠ مليون مواطن فى أكواخ من الطين توارثوها عن أجدادهم منذ ٧ آلاف سنة لم يتغير فيها شىء فى شكل أو نوعية المادة التى تبنى بها هذه الاكواخ .

يحدث هذا بحجة نقص مواد البناء . وعلى الرغم من أن هذه الذريعة هى التى تقال دائما ، ويتذرع بها عندما يذكر موضوع اسكان الغالبية، الا أنه يصبح لا وجود لها عندما تمنح تراخيص البناء للاسكان اللوكس « اسكان الفئات ذات القدرات المالية المرتفعة جدا » ،فعمارات الاسكان اللوكس وفوق اللوكس ما زالت ترتفع وبأعداد متزايدة حيث يصل ثمن الوحدة السكنية فى المتوسط الى ٢٥ ألف جنيه وقد يرتفع الى مائة الف جنيه . ومع ذلك ، فالطلب مرتفع عليها من أبناء الفئات الرأسمالية الطفيلية والبورجوازية العليا التى تمثل هذه المبالغ أرقاما هزيلة بالنسبة لما يتوافر لديها .

ان هذا الارتفاع فى أثمان الوحدات السكنية فائقة البذخ يغرى بالضرورة قطاعا من الرأسمالية المحلية والاجنبية بالاستثمار فى الاراضى التى تخصص لهذا الاسكان اللوكس وفوق اللوكس ، حيث نشطت حركة المضاربة فى الاراضى ووصل ثمن المتر الخالى من المبانى الى أكثر من الف جنيه ، أى أن القطعة التى مساحتها ألف متر قد يصل ثمنها الى أكثر من مليون جنيه .

ان هذه الصورة المتناقضة تؤدى من الناحية الاجتماعية الى زيادة الاحساس بالغربة عن المجتمع لدى الفئات الكادحة والمثقفين ذوى الدخل الضئيل الذى لا يفى بضرورات الحياة فى مجتمع أصبحت القيم المادية هى المعيار الذى له السيادة ، كما أنها تعمق الفوارق بين الطبقات مما يزيد حدة التناقضات زيادة خطيرة .

هل نترك الامر لالية السوق :

وفضلا عن هذا فانه من وجهة نظر اقتصادية تؤدى سياسة ترك أمر أراضى البناء لجهاز السوق - حيث يتحدد النشاط والسعر - الى سحب وامتصاص جهود استثمارية وادارية هى بطبيعة ظروف مجتمعنا محدودة وتوجيهها الى أنشطة غير مفيدة ولا تؤدى الى القضاء على الصورة المتناقضة التى اصبح رجل الشارع يفهمها حين يتساءل عن الصورة فيما اذا لو وجهت المليون جنيه ثمن قطعة الارض التى مساحتها الف متر الى انتاج مواد بناء من طوب واسمنت وبلاط وزجاج ؟

واذا كان موضوع الاسكان قد عولج منذ سنة ١٩٦٠ بأسلوب أدى الى تفاقم المشكلة الى هذه الدرجة ، حيث كانت الاستثمارات المخصصة للاسكان فى الخطة الخمسية من الضآلة بحيث انخفض معدل البناء الى ٢ر٥ وحدة سكنية لكل الف من السكان فى حين أن المعدل العالمى يصل الى ١٠ وحدات وفى بعض الدول الى ١٣ وحدة سكنية لكل ألف مواطن . نقول اذا كان هذا قد حدث فى ظل اقتصاد موجه فما بالنا لو ترك الامر لجهاز السوق ليحدد عدد الوحدات السكنية ومواصفاتها ، حيث يتوقف ذلك على نشاط وتأثير كل من القوى الاجتماعية والاقتصادية المتفاعلة والمتصارعة داخل السوق ، كما أن هذا التفاعل فى الوقت الحالى غير ممكن وهو افتراض نظرى اذ أن سوق الاسكان قد خرجت منها تماما فئات الكادحين والمثقفين ذوى المرتبات الضئيلة جدا ، واصبح رواد هذه السوق بالكامل « ملاكا » ومستأجرين « من الرأسمالية » الربوية بالذات» والبورجوازية العليا .

ان ترك أمر الاسكان ، منذ نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ لتفاعلات وصراعات السوق ، قد أخرج من هذه السوق اكثر من ٩٥ فى المائة من الشعب المصرى وجعل مليون وثلاثمائة الف أسرة فى الحضر فى هذا الوضع الاجتماعى الذى ترك قطاعات من المواطنين الى حد النوم فى المقابر .

ومرة اخرى ، حدث هذا فى ظل قناعة عامة باهمية التخطيط ورغم أن الدولة كانت تبنى ٣٠ الف وحدة سكنية فى السنة منذ سنة ١٩٦٠ فما بالنا لو تركنا الامر لتفاعلات وصراعات السوق فى

□□□□□□□□

الفترة المقبلة ؟ وهذه هى عقيدة وزير الاسكان كما عبر عنها فى بيانه الاخير أمام مجلس الشعب عندما تحدث عما يسميه « بالاسكان فوق المتوسط » لكن هذا الحديث عن الاسكان فوق المتوسط ان دل على شيء ، فعلى ان وزارة الاسكان لم تصل بعد الى فهم سليم لطبيعة ازمة الاسكان ،وبالتالى عجزها عن ايجاد الحلول المناسبة ، فالبيان وان كان قد عرض لحجم المشكلة الا أنه عندما تحدث عن الحلول قدم اتجاهات عامة ولكنه لم يقدم خططا مرحلية أو أرقاما موضوعية لمواجهة الازمة والقضاء عليها . وعلى سبيل المثال :

● يتحدث البيان عن اتجاه الوزير الى مواجهة كارثة الاسكان ولكنه لا يقول لنا متى سيتم ذلك ؟ هل بعد خمس سنوات مثلا ؟ أم بعد عشر سنوات او ٢٥ سنة ؟ لانعرف من البيان متى سيتم تدبير مليون وثلاثمائة الف وحدة سكنية بالاضافة الى مائة الف وحدة هى الزيادة الطبيعية السنوية فى عدد الاسر .

● ويتحدث البيان عن زيادة الاستثمارات التى خصصت للاسكان فى سنة ١٩٧٥ حيث بلغت ٨٠ مليون جنيه للقطاعين العام والخاص ، اى مايزيد عن ضعف ما كان يخصص للاسكان منذ سنة ١٩٦٦ . ولكن البيان يغفل ذكر النسبة التى اقتطعها التضخم فى أسعار مواد البناء والعمالة من هذه الـ ٨٠ مليون جنيه ، ويتغافل كذلك ذكر عدد وحدات الاسكان اللوكس مقارنة بعدد الوحدات الشعبية فى ذلك العام هل هى نسبة تعبر عن العدالة ؟

● وذكر البيان الاتجاه لانتاج طوب بديل للطوب الاحمر لمنع تجريف التربة الزراعية ولكن لا يذكر البيان المعبر عن سياسة الحكومة متى سيتم وقف هذا التخريب للتربة الزراعية ؟

● وركز البيان على ادخال الاساليب التكنولوجية الحديثة فى البناء ، وهذا اتجاه عام ولكن لم ينفذ منه غير الاتفاق على انشاء ٩ وحدات لانتاج المساكن سابقة التجهيز بطاقة سنوية ٢٠ الف وحدة سكنية للتسع وحدات مجتمعة ، وهذا لا يمكن أن يكون مؤشرا لحل أزمة سريعة التفاقم بسبب الاحتياج الفورى لمليون وثلاثمائة الف وحدة سكنية بالاضافة الى مائة الف وحدة تتزايد سنويا .

● وعندما تعرض البيان لاراضى البناء واعادة توزيع سكان الجمهورية لم يذكر الا اربع مدن جديدة هى مدن ١٠ رمضان والسادات والملك خالد والعبور ، وهى مدن لن يزيد عدد سكانها فى سنة ٢٠٠٠ عن ٢ مليون مواطن فى حين ان عدد سكان الجمهورية سيتضاعف ليصل الى حوالى ٧٠ مليون مواطن ، ولم يتعرض البيان لكيفية استيعاب الزيادة السكنية التى تقدر بأكثر من ٣٠ مليون مواطن ، لم يتعرض البيان الا للحديث عن سكن حوالى ٣ مليون مواطن من هذه الزيادة المؤكدة .

وترك هذا البيان الامور الهامة وأخذ يتحدث عن ٣٦ عمارة بالعباسية وكذا عمارة هناك وغيرها من المسائل التفصيلية التى لا تمس جوهر المشكلة وحجمها الحقيقى .

المالك والمستأجر :

وعندما تعرض الوزير للعلاقة بين المالك والمستأجر نعتقد أنه أخطأ التقدير ، ففى هذا الوقت حيث لايوجد اى عرض للاسكان بالنسبة للغالبية العظمى من المواطنين يجيء الوزير ليوحى باعطاء المالك حق طرد المستأجر فى حالة احتياج المالك للعين ، ولنا أن نتصور حجم الكارثة التى تهدد السلام الاجتماعى اذا حدث ذلك الان ، فقد يجوز أن يتم ذلك اذا كان عرض الاسكان أكبر بكثير من الطلب عليه فلا يكون هناك ضرر مادى واضح من جراء طرد المستاجر . أما طرده ليلحق باخوانه من ساكنى المقابر والخيام والحدائق والمساجد ،فهذا أمر غير مقبول على أى وضع .

ولا يقل عن ذلك خطورة رأى الوزير فى ترك أمر تحديد ايجار الوحدات السكنية فوق المتوسطة للمالك اذ أن ذلك سيشجع الرأسمالية المحلية والاجنبية على بناء هذا النوع من المساكن . وبحكم قوتها الاقتصادية ستعمل على سحب مواد البناء من خلال السوق السوداء التى سيزداد اتساعها . أما الزعم بأن هذا يحل مشكلة الاسكان السياحى « الشقق المفروشة » والاسكان الخاص بالرأسمالية والبرجوازية العليا « الشقق اللوكس وفوق اللوكس » يعد قضاء على اى امل لدى الاغلبية فى دخول سوق الاسكان ولو فى شكل الاسكان الاقتصادى ، الا أنه يؤدى — من ناحية اخرى — الى القضاء على القدرة الانتاجية للمواطنين بفعل ثلاث أزمات طاحنة « الغذاء — الاسكان — المواصلات » .

وهكذا تأتى خطوات المسئولين فى وزارة الاسكان قاصرة عن حل أزمة الاسكان ، اللهم الا فى الاتجاه الذى يزيدها تفاقما .

الحل يتطلب تغييرا كاملا فى المفاهيم :

ان حل أزمة الاسكان التى يشتد خطرها على كل أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع لايمكن أن يأتى الابعد تغيير شامل فى المفاهيم التى تعودنا عليها بالنسبة لطبيعة ونوعية المسكن وأراضى البناء وكذلك دور القطاع الخاص . وهذا بالطبع أمر يتعلق بفلسفة الحياة وطبيعة علاقات وتفاعلات القوى فى مجتمعنا . ولكن يمكننا مناقشة ذلك فى اطار فنى اقتصادى يتعلق بأزمة الاسكان الطاحنة التى نعايشها .

● **وبالنسبة لطبيعة ونوعية المسكن ينبغى أن يسقط المفهوم الطبقى الذى يفرق بين مسكن شعبى وبين آخر متوسط ومسكن فوق المتوسط ورابع لوكس وخامس فوق اللوكس .** وانما ينبغى أن ننظر الى المسكن على أساس علاقته بعدد أفراد الاسرة فى الاساس ، فالمسكن يجب ان يكون متناسبا فى المساحة مع عدد افراد الاسرة مراعيا لاحتياجاتهم لتربية الابناء وتعليمهم وتثقيفهم ، ومراعيا للضرورات الصحية والاجتماعية والعوامل النفسية لكل الاسر . وعلى ذلك ، فان المسكن الاقتصادى الذى تقوم الدولة بانشائه على المساحات الخضراء ، فى المناطق الشعبية المكتظة بالسكان مثل حى عين الصيرة الجديدة ومساكن قلعة الكبش التى تبنى الان فى تلال زينهم الخضراء بالقاهرة ، وهى مساكن ارضية مكونة من غرفة واحدة وتشترك مع عدد كبير من الغرف فى دورة مياه مجمعة ، هذه المساكن غير لائقة من الناحية الادمية لابسط الاحتياجات الانسانية . ولا يمكن فهم الحاجة التى تلجئنا الى هذا فى نفس الوقت الذى لا ينقطع فيه اقامة أبراج الاسكان فوق اللوكس . اننا يمكننا بعد دمج مواد البناء الكثيرة التى تبنى بها هذه الابراج فوق اللوكس مع مواد البناء التى تهدر فى اقامة أكواخ لا تليق بالادميين ، يمكننا بعد ذلك تقديم توليفة من المسكن مناسبة لظروف مجتمعنا والاحتياجات الحقيقية للاسرة .

كما يمكننا ، اذا منعنا منح تراخيص اقامة الابراج السكنية - مثل بريطانيا التى لا تبنى مبانى أكثر من ثلاثة ادوار الا للمكاتب - يمكننا بذلك توجيه القدرات الاستثمارية المحدودة التى تهدر فى هذا العدد القليل من وحدات الاسكان فائقة البذخ يمكننا توجيهها الى نوعية من الاسكان تكون مناسبة لكل المواطنين وهى المساكن التى تليق بالادميين وتوفر لهم الاحتياجات الطبيعية والاجتماعية .

● **كما أن أسلوب الدولة فى الاستيلاء على المساحات الخضراء لاقامة هذه الاكواخ انما يعكس خلل السياسة بالنسبة لاراضى البناء ، وهو ما لم يعط الوزير اجابة كافية عنه فى بيانه عن الاسكان .** فسياسة الدولة القائمة على عدم توفير أراضى فضاء بأطراف المدن ، أو المناطق المحيطة ومدها بالمرافق الكافية من مياه وانارة وصرف صحى وخدمات مناسبة قد اديا الى ضآلة المساحات المتوافرة للبناء داخل المدن . بل لقد زاد من حدة المضاربة على المساحات القليلة داخل المدن حتى ارتفع ثمن المتر فى المناطق الشعبية المكتظة الى مائة جنيه وفى المناطق اللوكس كالزمالك وجاردن سيتى الى اكثر من ألف جنيه .

ان اشتداد حدة المضاربة على اراضى البناء انما يعكس ، ويعبر من ناحية اخرى ، عن عدم وجود سياسة توجه الفائض الادخارى والربوى والجهد الاستثمارى « المتوافر لدى بعض الافراد فى صورة ملايين الجنيهات » الى أنشطة مفيدة للغالبية العظمى من الشعب مثل تصنيع مواد البناء .

ان حل مشكلة اراضى البناء لا يتأتى الا اذا أخذت الدولة على عاتقها مسئولية توفير أراضى البناء مثلها فى ذلك مثل الدول ذات النظرة الاجتماعية المتقدمة للانسان والتى ترى أن المسكن خدمة اجتماعية ينبغى عدم تعريضها للاستغلال الجشع لان المسكن حق من حقوق الانسان مثل الماء والهواء والغذاء ، ومن هذه الدول الدانمارك والنرويج وانجلترا حيث تقوم بتوفير أراضى البناء فى الضواحى ، وكذلك تقوم بانشاء مدن جديدة وتزودها بالمرافق والخدمات المناسبة ثم بعد ذلك لا يصبح لارض البناء ثمن فتخرج بذلك من مجال المضاربة وتقوم الدولة بتأجيرها بايجار رمزى الى من يشاء ويريد استثمارها فى بناء مسكن خاص له يموله من مدخراته الخاصة أو من خلال التعاون السكنى او بالاقتراض من مؤسسات التمويل العقارى . وبذلك يمكن للدولة أن توجه امكانياتها التمويلية المحدودة فى مجال الاسكان الى بناء المساكن للاسر ذات الاحتياج الفعلى لها وذلك بدلا من تبديد هذه القدرات التمويلية للمؤسسات العقارية فى بناء الابراج السكنية فوق اللوكس حيث تستفحل عمليات السمسرة والحصول على العمولات .

● **كما أن نظرة الدولة الى دور القطاع الخاص ، كما هو واضح من بيان وزير الاسكان ،**

□□□□□□□□

لا تضع فى الاعتبار الظروف الاقتصادية التى يمر بها مجتمعنا والتى تحيط به .

فالوزير ، يرى اننا يجب أن نطلق القطاع الخاص فى عمليات المقاولات وبناء المساكن ، وهذه بطبيعتها أنشطة وسيطة . لا يمكن أن تؤدى وظيفتها كأنشطة وسيطة الا اذاتوافرت العناصر التى تلعب هى دور الوسيط بينها . وفى حالة الاسكان فان احد عناصره هى مواد البناء، اما كل من المقاول والمالك انما يمثلون انشطة وسيطة . ولكن المسئول عن الاسكان لم ير دورا للقطاع الخاص الا فى توجيهه الى النشاط الوسيط فى المقاولات والتملك بغرض التأجير . وهذا نشاط وسيط يتحول بطبيعته الى نشاط مستغل للظروف فى حالة اختفاء أو نقص احد العناصر الاساسية وهى فى حالة مصر مواد البناء . لم يحدثنا الوزير عن كيفية توجيه نشاط هذا القطاع بحيث يكون نشاطا انتاجيا فى مجال مواد البناء وليس مجرد نشاط وسيط متحول الى نشاط مستغل للظروف .

فكل ما يراه الوزير بالنسبة لمواد البناء هو العمل على استيراد المزيد منها بحيث تكفى الاحتياجات المحلية والوزير ، فى هذا لا يرى طبيعة الظروف الاقتصادية الدولية المحيطة بمجتمعنا ، فنحن بلد محاصر اقتصاديا رغم امكانياتنا الضخمة من حيث الموقع والموضع وكذلك امكانياتنا الانسانية المنتشرة الان فى الوطن العربى .

وتقتضى ظروف هذا الحصار الاقتصادى ان نستفيد بكل ما يتوافر لدينا من قدرات استيرادية حتى لا يختل الهيكل الاقتصادى للمجتمع . ويعنى ذلك انه اذا توافرت لدينا امكانيات تصنيع شىء فلابد أن نصنعه ولا نستورده ونحن لدينا خبرات ضخمة فى تصنيع مواد البناء خصوصا الاسمنت والطوب والزجاج . ولا ينبغى تبديد قدراتنا الاستيرادية المحدودة فى استيراد هذه التى يتوافر لدينا قدرات انتاجها بتشجيع كل من القطاعين العام والخاص على ارتيادها وتقديم التمويل المحلى والخارجى الكافى .

ان النظرة المطلوبة للقضاء على أزمة الاسكان ومحاصرتها ينبغى أن تكون عميقة شاملة تضع فى اعتبارها الحالة الاجتماعية التى وصل اليها المواطن المصرى ، والظروف الاقتصادية المصرية والدولية المحيطة بمصر ، بحيث نخرج بخطط مرحلية محددة الهدف والحجم ومدعمة بالارقام الموضوعية وليست النقدية ، وبغير ذلك يكون البناء واه على غير أساس ، تعصف به أى ريح ضعيفة ■

○ مشكلات الاسكان والتموين فى منطقة عمالية

حمدى عبدالخالق خربوش *

استمحوا لى أن أقدم على صفحات « الطليعة » عرضا سريعا لبعض المشكلات التى تتعرض لها منطقة تضم أكبر القلاع الصناعية فى وطننا . والحقيقة أننى لن أتحدث عن كل المشكلات لكننى سأكتفى بمشكلتين أساسيتين هما الاسكان والتموين ..

اما عن الاسكان فان القصة تبدأ منذ ان قامت شركة الشمال العامة بانشاء ٢٠٣٠ وحدة سكنية فى منطقة التبين .

هذه التى نسكنها وبها عيوب فنية خطيرة والمساكن آيلة للسقوط ،وبعد أن انتهت الشركة من بناء هذه الوحدات السكنية أعلنت افلاسها قبل أن تسلم هذه المساكن للجهات المسئولة . والمفروض أن أى مبنى يقام لابد أن يسلم لصاحبه من قبل المقاول أو الجهة المشرفة عليه . الا ان الجهة التى تسلمت هذه المساكن لا تزال غير واضحة . فبينما يقول مسئول كبير بمجلس محلى حلوان والمعادى أن محافظة الجيزة بصفتها المشرفة لم تتسلم المبانى

(*) عامل بالافران العالية بشركة الحديد والصلب .

بعقد تسليم ابتدائى ، يصرح مسئول بشركة الحديد والصلب بأن مجموعة الشركات الصناعية التى يقيم عمالها الان ، فى هذه المساكن ، أرسلت مندوبها الى شركة الشمال وتسلم كل مندوب الوحدات المخصصة لشركته . وتقول أوراق رسمية أن مجمع الحديد والصلب استولى على بعض هذه المساكن لشغلها بالمواطنين الذين نزعت ملكيتهم لصالح هذه التوسعات للمجمع .. صدر القرار الجمهورى رقم ١٩٨٢ لسنة ١٩٦٩ بضم منطقة التبين بالكامل الى محافظة القاهرة . وفى نفس هذا العام ١٩٦٩ ، تسلمت شركة الحديد والصلب ٩٨٥ مسكنا بقيمة ايجارية ، محددة ، وظل القرار الجمهورى « مركونا » لمدة سنتين حتى يوم ٣٠-٥-١٩٧١ ، عندما عقد اول اجتماع فى مجلس حى حلوان والمعادى حضره مندوب مجلس مدينة الصف .. وكما جاء بمذكرة رئيس اسكان حلوان « أن الاجتماع انفض دون أى نتيجة » وبمجرد استقرار العمال فى المساكن ، بدأوا يشكون من المجارى ورشح المياه وتكرار حوادث الماس الكهربائى ، وذهبوا يشكو اهم الى كل مكان ، ولكن لم يحدث أى اجراء وقائى أو علاجى للمساكن بينما تستمر المهزلة وتحدث شروخ فى المبانى نفسها ، ونزلت معظم المساكن متر واثنين فى الارض . وسوف تتكرر للعلم مأساة حدثت فى عمارات بيومى وغيرها .

وفى ١٨-١-١٩٧٢ عقد اجتماع بمكتب مدير ادارة مبانى الاسكان بمحافظة القاهرة للتوصل الى حل وتعهدت شركة الشمال فى الاجتماع بصيانة بعض التلفيات والهبوط فى الارضيات واستكمال الادوات الصحية والكهربائية فى مدة ٦ شهور من تاريخ الاجتماع . وكما جاء بمذكرة رئيس اسكان حلوان أيضا ، فان الشركة لم تلتزم بذلك . ويمر عام آخر حتى يصدر المجلس الشعبى قراره رقم ٥٨ لسنة ١٩٧٣ . وعرض الموضوع على اللجنة وكتبت تقريرها وتضمن التقرير :

« وجود عيوب فى مجموعة المساكن بما يخالف شروط اقامتها وعدم استكمال تشطيبها » .

لكن رئيس حى حلوان ووزارة الاسكان ومحافظة القاهرة يرفضون عمل شىء بحجة الميزانية متحججين بقيمة الصيانة والاصلاحات التى ستتكلف ٣٠ الف جنيه .

وهنا يثار السؤال من المسئول عن الاشراف فى البناء أولا ؟ والاستلام ثانيا ؟

والاهم من ذلك ، ٢٠٣٠ أسرة أهم إن تعيش ويتم لهم ، ومن أجلهم ، اصلاحات بهذا المبلغ أم تضحى الدولة بهذا العدد من أبنائها العاملين محافظة على ميزانية المحافظة والاسكان ؟ ان الضحية هم نحن والظالم مجهول .

وبالرغم من هذه القيمة الايجارية المحددة للعاملين من محدودى الدخل بهذه المنطقة ٤٫٥٩٠ جنيهات للشقة نظام حجرتين ومدخل كالتى أنا بها وأمثالى من الزملاء .

انني أحمل ونحمل ضمير كل مسئول مسئولية كل ما يحدث بهذه المنطقة الهامة .

وهذا العدد الكبير من عمال مصر وما يحدث لهم ؟ فأين النقابات والجهات المسئولة . فى النهاية هذا صراخ ونداء الى السيد - رئيس الجمهورية وقيادات الدولة . وبعد ذلك فالشكوى لغير الله مذلة .

والحقيقة أن ما يحدث ، له انعكاسات على النواحى النفسية للعاملين وعلى زيادة الانتاج . ان التفرقة بين اثنين من العمال على آلة واحدة ومكان واحد فى العمل والمسكن لا تجوز . ومثال ذلك ما يحدث ويعانى منه سكان المرازيق من العاملين وما يستفيد به زملاؤهم بمدينة الصلب التى هى داخل نطاق المنطقة ولا تبعد أكثر من نصف كيلو متر فيها مساكن لوكس فاخرة ، وفيلل نظام حجرتين وثلاثة وست حجرات بالبركيه وجميع الامتيازات كذلك ثمن اضاءة الكهرباء مهما بلغت تتحملها الشركة هذا بايجار رمزى لا يتعدى الحد الادنى ١٨٠ قرشا وبأقصى ايجار وهو للفلل ثمانى جنيهات هذا وللعلم بفارق شىء آخر وهو أن سكان المرازيق سواء منهم ساكن الشركة أو المؤجرة لهم من الاسكان - بعيوبها المشار اليها - أقول أن قاطنى مدينة الصلب المشار اليها يتجاوز أجرهم اجر محدودى الدخل الذى يبدأ من ١٢ جنيه وحتى ثلاثين جنيها . وعلى الرغم من هذا يدفعون ايجارا رمزيا . ونعود الى ما ادفع مثلا وكما هو ثابت ببيان مرتبى ٤٫٥٩٠ جنيهات ايجار سكن ، فماذا يتبقى من مرتبى للصرف على أسرة مكونة من ٦ أفراد - الوالد والوالدة والاخ الاصغر والزوجة والابنة الصغيرة التى لها ميزانية أدوية وحدها .

انني أقترح حلا لمشكلة الايجار ، هى الاخرى ، أن تخصم الشركة قيمة ١٠ فى المائة نسبة من مرتب كل من يملك شقة تتولى هى ايجارها او تملكه وهذا سيكون فيه العدل بين النوعيتين من العاملين ، وسوف تنعكس آثار ذلك على هذا العدد الضخم من العاملين الذى يصل الى ١٠٫٠٠٠ يسكنون من قبل الشركة وبالتالى على الانتاج ومعنوياتهم .

والحقيقة ، ان هذا العدد الضخم من العاملين لا يشعر برعاية او اهتمام الدولة بهم . وهذه حقيقة فعلا وأنا أحدهم . وذلك بالرغم من أن الصناعات

□□□□□□□□

الثقيلة هى العمود الفقرى الاساسى للصناعات بأنواعها . ويتحمل ذلك نحن عمالها الذين يبلغ عددنا النصف تقريبا . لاننا متروكون بلا رعاية صحية فعلية . فمثلا توجد وحدة صحية بالمنطقة بمساكن التبين الشعبية وهى فرع من المستشفى العام بحلوان . بها امكانيات عظيمة جدا تكفى لاقامة مستشفى عام . ولا ابالغ اذا قلنا انها غير موجودة فى مستشفى حلوان نفسها ولكن العمالة اللازمة لتشغيلها غير موجودة وزاد من مشكلة الوحدة انها تركت لطبيب نقل بقرار وزير الصحة لثبوت انحرافات ضده وجارى التحقيق معه منذ مدة ولازلنا حتى الان نوجه نداءنا ، وشكرنا للسيد وزير الصحة على موقفه من الانحرافات . ونرجوا أن يجاب نداؤنا بسبب ما نعانى منه فى المنطقة من كثرة تفشى الامراض بسبب قذارة وعدم نظافة المساكن بسبب المجارى والاعمال الصحية ، هذا مع العلم أن بها مركز رعاية طفل عرفنا هذا فقط لانه لا يقوم بعمله . نطلب هذا فى حالة عدم جدوى تشغيله كمستشفى عام .

كذلك مشاكل التموين ، الجمعية الاستهلاكية بالمنطقة عليها كثرة الطلب وقلة السلع ، هذا الى جانب تعامل هذه الجمعية — وكما هو ملموس ومعروف لدى الجماهير بالمنطقة — مع الايدى الخفية للسوق السوداء التى تهبش من دم العامل الكادح . وهذا ينعكس على أمثالنا نحن محدودى الدخل الذين نلجأ الى البقال مضطرين . فهو يبيع بالاسعار مضاعفة . أما ادارة التموين بالمنطقة فدورها غير ملموس حقيقة . وكذلك باقى الخدمات وكل مكاتب السجلات المدنية بالدولة وغيرها من المصالح الحكومية انتشرت فيها الرشوة ؟ لماذا لقلة الدخل وارتفاع الاسعار والغلاء ، هل يمكن وضع حد لهذا وذاك ؟ أملنا كذلك أن يتم ذلك باهتمام المسئولين .

ونرجوا أن يدرك كل ساهر على مصلحة البلد وكل مصرى يعطى لمصر حقا بايمان واقتناع ان كل هذه المشاكل تنعكس آثارها على معنويات العامل وخاصة لان معظمها يتعلق بالناحية المادية . ونحن « محدودى الدخل » كما يشيرون الينا بهذه الصفة مما يؤثر على زيادة الانتاج .

• •

□ هل تنقذ الأحزاب مبدأ التحالف

هل تنقذ الاحزاب مبدأ التحالف ؟
على هذا السؤال يجيب د. محمد رضا محرم مقدما ملاحظات نقدية على النقاش الذى يجرى حول مستقبل العمل السياسى فى مصر وعلى بعض المنابر وبرامجها .

د. محمد رضا محرم

عند مناقشة قضية تطوير الاتحاد الاشتراكى فى عام ١٩٧٤ م ، خرجت بعض الاصوات بالمناقشة الى مجال آخر غريب طرحت فيه البديل للتنظيم القائم . وفى اصرار متحدى ، وفى تطاول يثير الشبهات استطاعت هذه الاصوات بالامكانيات الاعلامية التى توفرت لها أن تتحول بالجميع الى مناقشة قضية الاحزاب . . تكون أو لا تكون ؟ . . وكيف تكون ؟ . واستمرت الرياح مواتية لهذه المجموعة من الاصوات حتى أتيح لاصوات العمال والفلاحين والشباب — خاصة الجامعى — والكثير من المثقفين أن تعلو وأن تصل الى آذان الجماهير فتحولت الرياح

تدفع شراع التحالف وتزكيه لمتابعة الهيمنة على المسيرة السياسية فى مصر . غير أن أنصار بقاء التحالف كانت لهم شروط يتصورونها الضمان والضرورة لقيام تنظيم يقوم على مبدأ التحالف، وهـذه الشروط هى :

١ ــ أن يكون شعار التنظيم (يحكم ويخدم) وليس (يخدم ولا يحكم) كما جاء فى ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى، والا تحول هذا التنظيم الى جمعية اجتماعية تؤدى خدمات انسانية تحل بها مشاكل فردية .

٢ ــ رفض مبدأ العضوية الجماعية فى التنظيم
٣ ــ الفصل بين رئاسة الاتحاد الاشتراكى وبين رئاسة الجمهورية .
٤ ــ الالتزام بالانتخاب الحر أسلوبا وحيدا لبناء التنظيم حتى أعلى مستوياته ، ورفض التعيين أيا كانت صوره ودواعيه .

٥ ــ التحفظ تجاه الاقتراح الذى قدمته ورقة التطوير بتشكيل منابر للرأى الاخر داخل التنظيم ، وذلك لعدم وضوح الفكرة وهلاميتها فى رأى البعض ، أو للخوف من تشرذم التنظيم مستقبلا فى رأى البعض الاخر .

وتشكلت لجنة ثلاثية لتجميع الاراء المتعلقة بالموضوع للاخذ بالراجح منها ، ثم تشكلت لجنة أوسع للاشراف على اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى وحصرت اللجنة الاولى اتجاهات الحوار ، ولكن اللجنة الثانية لم تأخذ بأى من الاراء الجماهيرية التى أثيرت ، واخضعت أعمالها لحرفية ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى التى كان مفروضا أن يجرى تعديلها بعد المناقشات الخصبة التى دارت، والا بدت هذه المناقشات ــ كما بدت فعلا ــ كما لو كانت فصولا من مسرحية عبثية عن الديمقراطية . وقد تم تشكيل التنظيم السياسى للمرة الخامسة مع التوسع فى الأخذ بمبدأ التعيين حيث جرى ضم الكثيرين بالتعيين الى المؤتمر القومى اما على اعتبار أنهم من أصحاب الرأى واما باعتبارهم من اعضاء اللجنة التى أشرفت على الانتخابات وذلك بحجة تعويضهم عن الحرمان من حق الترشيح ، وهو الامر الذى كان يمكن تجنبه ــ لو خلصت النوايا ــ باسناد الاشراف على الانتخابات الى رجال القضاء وهى تجربة ناجحة مارسناها من قبل فى عام ١٩٧١م وبالطبع فان البعض من هؤلاء قد أمكنه الوصول الى المناصب القيادية فى التنظيم وشغلها . وبالاضافة الى ذلك فانه لم يتم الفصل بين منصبى رئيس التنظيم السياسى ورئيس الجمهورية . كما ان أعلى مستويات القيادة فى التنظيم ، وهـو **اللجنة التنفيذية العليا** ، لـم يتم تشكيله .

وهكذا عندما تجددت المناقشات حول قضية المنابر ، واحتدمت مرة أخرى بعد اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى ، كان صـوت هذا الاتحاد الاشتراكى أضعف الاصوات ، وأشـدها اثارة للاشفاق ، وذلك للاسباب التالية :

١ ــ ان هذا التنظيم وفقا لورقة التطوير التى قام على أساسها **(يخدم ولا يحكم)** ، وهو بذلك ليس بسلطة . ومادامت هذه صفته ، فهو عاجز عن أن يجد لنفسه موطنا بين السلطات الثلاث المتسيدة فى الدولة ، التنفيذية وتمثلها الحكومة ، والتشريعية ويمثلها مجلس الشعب ، ثم القضائية ويفترض أنه يترأسها المجلس الاعلى للقضاء .

٢ ــ غيـاب الرأس القيـادى للتنظيم ، أى اللجنة التنفيذية العليا ، والتزام بعض القيادات الحالية بالحيدة حيال المناقشات الجارية على اعتبار أن الواجب يفرض عليها أن تكون حكما بين السلطات أو بين الفرقاء المتحاورين. وهكذا نشأت معادلة صعبة غلبت فيها التزامات هـذه القيادات ان يبلغ الحوار مداه وان تبلغ الديمقراطية مداها التزاماتهم كقيادات تنظيمية تتصدر مسئوليتها بلورة آراء التنظيم وقياداته فكريا .

٣ ــ جاء مبدأ التعيين ــ أن صح أن نسميه مبدأ ــ بمجموعة من القيادات التى ليس لها ثقل سياسى أو اجتماعى أو شعبى لتحتكر الممارسة اليومية لاعمال التنظيم السياسى ، وأغلب هذه القيادات لا تملك صـلاحية الدفاع عن التنظيم الذى تتسيد العمل فيه . ولذلك فان التنظيم عادة مايؤخذ بجريرة دفاع هؤلاء عنه بوصفهم أصحاب مصالح شخصية فى الابقاء عليه ، بل وقد تكون مصالح ضيقة كما يقول الذين يشتدون عليهم أو يتخشنون فى توجيه الخطاب اليهم . فاذا أضفنا الى ذلك أن أغلب هؤلاء لا يقدمون على طرح مبادرات فكرية الى أن تاتيهم **توجيهات علوية** بما يجب قوله وبما يتحتم فعله أو تبنيه ، وهو الشىء لم يعد يحدث ــ على مايبدو ــ منذ قررت القيادة السياسية العليا فتح الباب على مصراعية للحوار وللنقاش ولابداء الراى ، فانهم ــ فى أفضل أحوالهم ــ لا يقدمون فى هـذا الصراع الفكرى المحتدم غير مقولات متناقضة يهدم المتأخر منها المتقدم ، وتثبت فيها صحة الشىء ونقيضه ، وتصبح فيها المقدمات وتفسد النتائج أو العكس . ومن هنا فانه يمكن القول بان ظهر التنظيم السياسى قد انكشف لطعن الطاعنين .

٤ — جميع المنابر التى أعلن عنها ، بكافة الالوان وجميع الازياء ، خرجت من تحت رداء التنظيم السياسي وبالتحديد من جراب لجنته المركزية . وهذه اللجنة المركزية تعتبر أعلى المستويات التنظيمية التى جرت اقامتها داخل الاتحاد الاشتراكى حتى هذه اللحظة . والبعض من المنابر المعلنة ، وان كانت تدعى غير ذلك ، تتناقض أهدافها وقيمها مع أهداف وقيم التحالف التى يتأسس عليها البناء التنظيمى للاتحاد الاشتراكى العربى . ومنها على سبيل المثال ذلك المنبر الذى يقف الى جوار أصحاب الشقق المفروشة ، أو ذلك المنبر الاخر الذى يلمز الاشتراكية وان كان « يلاغيها » ذرا للرماد فى العيون ، أو ذلك المنبر الثالث الذى يدعو الى « شلح » أو خلع القطاع العام من مجالات التجارة والزراعة مع التضييق عليه فى مجالات الصناعة ، ثم أخيرا وليس باخر ذلك المنبر الذى يومىء الى عدم أحقية قوى التحاف الاساسية من عمال وفلاحين فى النسب المخصصة لهم فى المجالس الشعبية . لقد فات على جميع الذين شاركوا فى هذه اللعبة من داخل اللجنة المركزية أمران أساسيان . أما أولهما فهو أن الاتحاد الاشتراكى الذى ينتسبون الى لجنته المركزية ليس غير البناء التنظيمى أو الهيكلى أو المظهرى لمجموعة من القيم والمبادىء سبق اعلانها والاتفاق عليها جماهيريا تحت اسم قيم ومبادىء التحالف ، وجرى تسجيلها فى وثائق الثورة وفى قانون النظام الاساسى للاتحاد الاشتراكى ، ومن هنا فان أى تعديل تنظيمى أو فكرى يجب أن يلتزم سياسيا بالاطار وبالوثائق المذكورة مالم يتم العدول عنها جماهيريا وباستفتاء شعبى . أما ثانى الامرين فهو أن قواعد اللعبة التنظيمية ، وفى مستوى تنظيمى عالى كاللجنة المركزية ، تتطلب بل وتفرض أن يفقد العضو فرديته حين يخرج الى الجماهير أو الى الشارع السياسى ، حيث يجب عليه أن يعبر عن رأى المستوى التنظيمى الذى ينتسب اليه وليس عن رأيه الخاص الذى يجد مجال التعبير عنه فى الاجتماعات التنظيمية حين المناقشة وقبل التوصل الى قرار ملزم فى شأن القضايا المطروحة ... ومن هنا فقد أظهرت حمى تشكيل المنابر — كما سماها البعض — الاتحاد الاشتراكى كتنظيم يفتقر الى الحدود الدنيا من كل من الانضباط التنظيمى والتناسق الفكرى .

والان ينتقل النقاش فى قضية المنابر ، الى مجال أوسع وأرحب يتعلق بمستقبل العمل السياسى فى مصر ، وهو أمر من المفروض أنه يعنى التنظيم السياسى الوحيد فى هذا البلد بالدرجة الاولى . ولكن الاتحاد الاشتراكى ، على مايبدو ، لا يزال عاجزا ومحاصرا وظهره الى الحائط ، ولايزال الحوار الذى يجرى خارجه أضعاف ما يجرى فى داخله . ولست أظننى متزيدا اذا قلت أنه غائب عن الشارع المصرى الملتهب بالاحتكاك الفكرى بين أنصار التحالف وبين أنصار عودة الاحزاب . وقد تكون هذه الظواهر السلبية المصاحبة لحركة الاتحاد الاشتراكى — أن كان يتحرك بصفته التنظيمية — هى مثار القلق عند أنصار التحالف الذين يرون تنظيمهم عاجزا عن الدفاع عن المبدأ الذى يقوم على أساسه حتى قبل أن يتشرذم تماما أو قبل أن تتكون المنابر فى داخله ، وهو الامر الذى ينذر بخطر كبير على مبدأ التحالف ذاته اذا ماتحولت هذه المنابر فى مرحلة قادمة ومنتظرة الى الاحزاب ، كما يتمنى وكما صرح أغلب قادة ومؤسسى المنابر المقترحة . ومن هنا فان أنصار التحالف يبدون على حق تماما حين يحاولون ، بل وحين يصرون ، على تكوين منبر خاص بهم ، يتحسبون به للتفتت أو التفجر الذى قد يتعرض له الاتحاد الاشتراكى العربى — وهو لابد متعرض له — عندما تنمو فى داخله هذه المنابر ويضيق جلده عن استيعابها ، وحتى تظهر خلف مبدأ التحالف وقتئذ قوة متمكنة تستطيع أن تنجو به من الطوفان المنتظر ، وتستطيع أن تتقدم به كأيدلولوجية حزبية تستقطب الكم الاكبر من الجماهير التى ترغب فى حل التناقضات الاجتماعية بطريقة سلمية ولمصلحة أكثر جماهير الشعب استحقاقا .

ان الغبار المثار حول مستقبل العمل السياسى فى مصر يثيره بصفة أساسية فريقان ، وكل فريق يضم عدة فصائل متمايزة . ومن الطريف أن الفصائل داخل الفريق الواحد قد تتناقض بل وتتعادى فكريا ، بل وقد تكون الفصيلة فى الفريق الاول أقرب الى بعض فصائل الفريق الثانى منها أى من فصائل الفريق الاول ، ورغم ذلك تأخذ الموقف المقابل فيما يتعلق بالشكل الذى تطرحه لممارسة الديمقراطية أو الحياة السياسية فى مصر .

ويرجع الخلاف ويرجع الخلط السائد الان الى ان القضية التى تشغل الجميع الان هى أسلوب الممارسة السياسية وليس جوهرها ، وكل قوة سياسية ممكنة أو محتملة تبحث لنفسها أولا عن الشكل التنظيمى الذى تتجسد فيه أو الذى تتحرك من خلاله لاثبات وجودها فى الحياة السياسية فى مصر . ولذلك فان الوقوف المتجاور الان وقوف مؤقت وغير مستهدف الاستمرارية ، كما

ان الترتيب النهائى بما قد يشمله من تحالفات او تكتلات أو جبهات، والذى تصنعه فى الاساس عناصر فكرية وايديولوجية ، لم يكن ليتم قبل ان تبدأ الممارسات ولاقبل أن يتبلور الشكل التنظيمى الذى تجرى فيه الممارسات .

والفريق الاول يتبنى الدعوة الى قيام الاحزاب، ويضم فصائل ثلاثا . اما الفصيل الاول فيجمع القلة التى ترى فى قيام الاحزاب تصفية حساب مع نظام ثورة ٢٣ يوليو الذى تحقد عليه ، وترى فى الاتحاد الاشتراكى العربى انجازا او جريرة **يمكن أن تؤاخذ بها الثورة أو أن تؤخذ بها .** وهذا الفصيل هو الذى يحاول ايهامنا بأنه مفوض السلطة لتوزيع الاراء وبعثرتها ، وهو الذى يدعو الى تكوين حزبين أو ثلاثة أحزاب فقط ، ويعلن اعجابه الساذج وغير المفلسف بديموقراطية انجلترا وباشتراكية السويد !! ، ثم انه الفصيل الذى يدعو الى حرمان بعض القوى الوطنية من حقوق الممارسة السياسية لا لسبب الا لان غريزته الرجعية تجعله يعشق بعض الالوان دون البعض الاخر وبعض المستويات الاجتماعية دون البعض الاخر . أما الفصيل الثانى فيضم القوى الليبرالية ، التىقد تختلف معها ولكنك بغير شك تحترمها ، والتى تتصور أنها قادرة على العطاء وعلى التقدم بالعمل السياسى فى مصر خطوات للامام . وهذه القوى مخلصة مع نفسها ، ولذلك فهى تدعو الى فتح الباب للممارسة السياسية على مصراعيه لجميع القوى السياسية دون حجر ودون تمييز . أما الفصيل الثالث فيتكون أساسا من بعض القوىاليسارية غير الناصرية، وبخاصة اليسار الماركسى والاشتراكيين والديموقراطيين ، وهؤلاء يطالبون باطلاق تكوين الاحزاب ، وان كانوا يطالبون فى الوقت ذاته بتكوين جبهة أحزاب وطنية كخطوة انتقالية نعبر بها من حالة التنظيم السياسى الشمولى التى نعيشها الان الى حالة الممارسة الحزبية ، وحتى نجنب أنفسنا المحاذير التى قد تترتب على النقلة المفاجئة فى أجواء الممارسات السياسية ، وهذا الاقتراح الذى يطرحه اليسار الماركسى بصفة اساسية اقتراح جذاب ومتقن فى حد ذاته ، ولكن تنفيذه فى هذه المرحلة الانتقالية صعب ان لم يكن مستحيلا . ففى مرحلة التكوين يكون التمايز ، والتفرد ، وبذل الجهد وتركيزه لاستقطاب الاتباع والانصار، هى الاهداف التى تسعى القوى السياسية والحزبية جاهدة لتحقيقها ، اما اقامة الجبهات أو التحالفات فيأتى بعد التكوين بل وبعد الاستقرار التنظيمى وبعد التمكن الجماهيرى وليس قبلهما .

أماالفريق الثانى فانه يضم المجموعات المناوئة لقيام الاحزاب والحريصة على بقاء التحالف بصورة أو بأخرى . والمجموعة الاولى من هذا الفريق تضم العناصر التى لا ترى فى التحالف غير ذلك المبنى الضخم الفخم الكائن على كورنيش النيل العظيم ، ولا ترى فيه غير المخصصات والبدلات وفرص التفرغ من الاعمال الجادة وما شابه ذلك . وهذه مجموعة ضررها اكثر من نفعها ، وليس يؤخذ بما تقوله فى الدفاع عن الاتحاد الاشتراكى وليس يأبه به . أكثر من هذا وكما أوضحت من قبل فان ضياع مبدأ التحالف وانهياره مؤكد اذا ما ابقى أمانة بين أيدى هذه الفئة . أما أغلبية هذا الفريق فانها تضم القوى السياسية الاساسية فى المجتمع من العمال والفلاحين ومن الشباب المثقفين الذين ينتمون الى ثورة ٢٣ يوليو بالفكر وبالمصلحة . وهذه القوى الاخيرة مدعوة الان ، وفى الحاح، الى اختيار مصيرى وصعب بين واحد من أمرين:

١ — اما القناعة بتنظيم ضعيف ، يستتر اليوم تحت مبدأ التحالف الذى قد يفرط فيه ، أو الذى قد يضيعه وقد يضيع معه المصالح السياسية والاجتماعية لهذه القوى فى الغد .

٢ — واما أن تنأى هذه القوى بمبدأ التحالف وبقيمه بعيدا عن هذا التنظيم الهش ، وتحزم أمرها ، وتعزم على خوض المعارك الحزبية المنتظرة فى مواجهة القوى السياسية الاخرى التى بدأت تتبلور داخل الحياة السياسية المصرية ، لتفرض وجوديها الفكرى والتنظيمى فى الشارع المصرى الذى يتوقع الكثيرون منه أن يؤيدها بغير حدود .

واذا اعتبرناأنالسلام الاجتماعىليس مسئولية فريق دون فريق، ولكنه مسئولية جميع الفرقاء بل ومصلحتهم فى آن واحد ، كما أن ساحة العمل السياسى فى مصر ظهرت فيها ، ولاتزال تظهر ، قوى سياسية متطلعة وذات مآرب ، تبحث عن أدوار أساسية لها الى جوار أنصار التحالف . واذا تذكر الجميع أن ما تحقق من سلام اجتماعى فى ظل تسيد مبدأ التحالف لم يكن مرجعه فقط الى ظهور مبدأ تأميم الصراعات الاجتماعية ، ولكنه يرجع ايضا الى أن سلطة الدولة قد انحازت خلال فترة ما الى جانب المبدأ ، فاننا نحصل على عدة مستخلصات تفرض على أنصار التحالف اعادة الحساب واعادة ترتيب الخطى .

واخيرا فانه يجب على الرافضين لعودة الاحزاب ، كما يجب على الذين يهدرون وقتنا فى محاولات اقناعنا بقبول تحديد مفتعل لعدد

□□□□□□□□

الاحزاب التى يسمح بقيامها ، أن يكفوا عن تذكيرنا بأحزاب مصر ما قبل الثورة ، وان يكفوا عن تخويفنا من احتمال تكرار مأساة لبنان ، وان يحترموا عقولهم وعقولنا ولا يذكرون متاعب ايطاليا تبريرا للمنع او للتحديد الذى يسعون وراءه . فمصر اليوم غير مصر التى كان شاغلها الاساسى الاستقلال السياسى بينما كانت المطالب الاجتماعية متوارية ومتأخرة ، ومصر الجمهورية غير مصر القصر الملكى والاستعمار الانجليزى بكل ما كانا يمثلانه من ضغوط ومن اغراءات على القوى السياسية والحزبية العاملة وقتئذ . كما ان مأساة لبنان هى النتيجة الطبيعية للطائفية السياسية التى لم تعرفها ولن تعرفها مصر ، والتى لا يعرفها بلد فى العالم غير لبنان.

أما متاعب ايطاليا فليست ثمرة وجود الاحزاب أو كثرتها ، ولكنها تعبير عن تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية خطيرة تحدث للمجتمع الايطالى الذى يتهيأ الان على ما يبدو للقبول بما اسماه البعض لخطورته « المساومة التاريخية » أو « الحل الوسط التاريخى » حيث يحتمل ان يقوم تحالف بين الحزبين الديموقراطى المسيحى والشيوعى ، وهو الامر الذى لن تقتصر آثاره — اذا حدث — على ايطاليا فقط ، بل ان هذه الاثار سوف تمتد الى العالم الغربى كله ... وربما كان التخوف من هذه الاثار المتوقعة على العالم الغربى وراء الضغوط الخارجية الرهيبة التى تتعرض لها الحياة السياسية الايطالية ، والتى تضاعف متاعب ايطاليا .

• •

اثارت الموضوعات الاسلامية التى كتبها الدكتور **محمد احمد خلف الله** الكثير من الجـدل . .

فقد وجه الدكتور خلف الله تساؤلا فى مقال سابق عن هوية واهداف المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى امريكا . .

وردا على هذا التساؤل يجيب د. محمد رشدان الامين العام لرابطة الطلاب المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا . . ومن جامعة انديانا بالولايات المتحدة يأتى رد آخر من ربيع حسن احمد ورد ثالث من د. سامى عبدالعزيز السيد وهو ايضا خريج من جامعة انديانا . .

ويعقب الدكتور خلف الله على ناقدى وجهة نظره تحت عنوان « ابتعدوا عن مواطن الشبهات » . .

لكن الدكتور خلف الله يفتتح جبهة جديدة فى محاوراته الاسلامية بموضوع جديد يثيره هذا العدد عن « ندوة الحوار الاسلامى المسيحى » . .

● ندوة الحوار الاسلامى المسيحى

د. محمد أحمد خلف الله

عقدت هذه الندوة فى مدينة طرابلس وبدعوة من الحكومة الليبية فى الفترة مابين الاول والسادس من فبراير عام ١٩٧٦ . وحضرها ما يزيد عن ثلاثمائة عضو ، من مدعوين من مختلف بلاد العالم يبلغ عددهم خمسمائة .

واتفق الطرفان الاسلامى والمسيحى على ألا يتجاوز عدد الباحثين الدارسين ، والمتحاورين ، ثلاثين عضوا ، كما اتفقا على أن يدرس كل موضوع من موضوعات الحوار باحثان ، أحدهما مسلم والثانى مسيحى .

وكانت الموضوعات محل البحث والدراسة أربعة ، وهى على التوالى :

١ — هل يمكن للدين أن يكون ايديولوجية للحياة ؟

٢ — الاسس المشتركة فى المعتقدات ، ومواطن اللقاء فى جميع ميادين الحياة .

٣ ــ العدل الاجتماعى ثمرة الايمان بالله .
٤ ــ كيف نعمل على ازالة الاحكام المسبقة الخاطئة ، وعلى ضعف الثقة ، التى لاتزال تعرف بيننا .

وجرى العمل على أن تلقى البحوث فى جلسات الصباح ، وتدور المناقشات فى جلسات المساء وقد أذن فى القليل النادر لبعض الاعضاء من غير المتحاورين فى المشاركة فى الجدل والحوار .

وكان على رأس الوفد الاسلامى وزير التربية والتعليم فى الدولة الليبية ، وعلى رأس الوفد المسيحى مندوب الفاتيكان ، وتناوب الرئيسان ادارة الجلسات ــ لكل واحد منهما يوم بكامله .

ومضى الحوار يشق طريقه فى قصد واعتدال الى أن انتهى الى مجموعة من التوصيات يلتقى عندها الطرفان ، ويرضى عنها الطرفان ــ الامر الذى حددته الفقرة التالية التى جاءت ختاما للتوصيات .

ان هذه القرارات والتوصيات قد تم الاتفاق عليها من خلال تفاهم الجانبين الاسلامى والمسيحى حول معنى الحوار ، وأهدافه ، وضوابطه .

لقد اتفقا على ان المقصود منه هو ، أن يتبادل المتحاورون من أهل الدينين المعلومات والافكار والحقائق التى تزيد من معرفة كل فريق بدين الفريق الاخر ، وتاريخه ، وحضارته ، وسائر أسره ــ توضيحا لما قد يكون بينهما من مواطن التلاقى أو الاختلاف بطريقة مخلصة وموضوعية يحتفظ فيها كل طرف بمعتقداته والتزاماته ومواقفه فى جو من الوداد والاحترام المتبادل .

وأهم التوصيات التى جاءت بصدد علاقة الدين بالمجتمع ، هى التالية :

التوصيات من ٥ ــ ١٠ ونصها على التوالى :

يؤكد الجانبان أن الايمان بالله يقتضى بالضرورة الوقوف مع الحق حيثما كان ، والانتصار للانسان ولكرامته ولرخائه ، وهما يهيبان بجميع القوى الخيرة فى العالم الى تجسيد هذا المعنى فى سلوك الافراد والجماعات والشعوب والدول ، حتى تقف ضد الظلم مهما كان شكله ، وتنتصر لكرامة الانسان ورخائه وحريته .

وانتصارا لكرامة الانسان يعلن الجانبان رفضهما واستنكارهما للتمييز العنصرى بجميع أبعاده وأشكاله ــ لان فى ذلك انتقاصا من قيمة الانسان الذى كرمه الله.

ولتحقيق الرخاء الانسانى يؤكد الجانبان حرصهما على التوصية بضرورة توحيد الجهود لوضع برامج التنمية فى خدمة البشرية من حيث التخطيط والتوزيع والمعاملات الدولية ــ لان وجود ملايين الجياع والعراة فى ارجاء المعمورة هو وصمة عار فى جبين الانسانية كلها . وفيه اساءة الى كل القيم الدينية .

يؤكد الجانبان وجوب حرية الاعتقاد الدينى ، واقامة الشعائر الدينية ، وحق الاسرة فى تنشئة أبنائها تنشئة دينية ، ويستنكران الاضطهاد الدينى فى كل صوره وأشكاله ، ويعتبران الانظمة والنظريات التى تضطهد المؤمنين أنظمة لا انسانية .

يؤكد الجانبان أن السلام من رسالة الدين ، ويتطلعان الى تحقيقه على أساس من الحق والعدل ، ويناشدان الدول التى تمتلك الاسلحة الفتاكة أن تكف عن انتاجها ، وأن توظف طاقاتها فى خدمة الاغراض السلمية لتحقيق خير الانسانية ورفاهيتها

ان الجانبين يعتقدان أن الدين تصور شامل للكون وللوجود . ويؤكدان ان العلم جزء منه ، وأن كل تقدم فى ميدان العلم يعطى براهين جديدة على عظمة الله الذى ابدع الكون فى أحسن تقويم [illegible] و العلم كل يوم دقتها واعجازها .

ان العلم يجب أن يبقى دائما فى خدمة الدين ، وملتزما بقيمه ومثله ، ومتوجها الى خدمة الانسانية ــ وبذلك يغدو عاصما من الالحاد والانحراف اللذين يفتكان بكثير من شباب العالم عندما يتصورون خطأ أن العلم يناقض الدين .

ان العلم حين يعزز الايمان يستطيع أن ينجح فى تصفية كثير من مشكلات الشباب.

□□□□□□□□

● ما وجه الغرابة فى اقامة هذه المؤتمرات

هذا المقال ـ رغم ان «الطليعة» تدين معظم افكاره ـ التى تصدر عن فكر متعصب ضيق الافق ، واختلاط يصل حد التسوية بين اطراف لاتمكن التسوية بينها ..

رغم هذا كله.. تنشره «الطليعة» نموذجا لمستوى من الفكر . . القائم للاسف بين « مثقفين » مصريين !

د. سامى عبدالعزيز السيد

لم يطرح الاستعمار القضية الاسلامية فى مواجهة القضية العربية انما العكس قد حدث عندما حرك لورنس المأبون بمعاونة الشريف حسين ونور الشعلان وعودة ابو تايه ما يسمى بالثورة العربية الكبرى للقتال ضد جيوش الدولة العثمانية ثم انه ليس هناك تناقض بين القضية الاسلامية والقضية العربية اما القول ان الاستعمار البريطانى اخذ يذيع بين ابناء الامة العربية انهم ليسوا جميعا ابناء العروبة وان منهم المستعربة والاشوريين .. الخ فان هذا القول الذى تردده حركة القوميين العرب فيه كثير من المغالطة وذلك ان الادلة تشير الى المصير المؤسف الذى وصلت اليه حركة القوميين العرب بتحولها الى جهاز ببغاء للماركسية يردد افكارهم ويقتبس منطقهم بل وترديهم فى هاوية الاقليمية فجريدتهم الحرية فى بيروت تزعم ان مواطننا فى صور تحسر على أيام الفينيقيين وهو افتراء لا وجود له الا فى مخيلة المحرر القومى فكرا ـ المتمرخس ثوبا وذلك انه يوجد تقارب بين العروبه والاسلام فعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عن العرب انهم اذا ذلوا ذل الاسلام وان الملك عبد العزيز بن سعود سمى دولته دون ان يجد فى نفسه حرجا ـ المملكة العربية السعودية ـ وذلك قبل ان يفطم ميشيل عفلق وقبل ان يتشكل حكام الجمهورية السورية والعراقية فى الارحام .

ان بعض الكتاب ذوى الاتجاهات التى لا تخفى على احد يصابون بالفالج عندما يتحدثون عن الاسلام ، ويفقدون كل علمية ، ويسقطون فى هاوية الافتراء الرخيص ـ راجع ما كتب عن الملك فيصل حين دعا الى ما اسموه الحلف الاسلامى وكذلك دعوة الميثاق المركس نصا وشرحا من دعوى الاسلام وذلك بمجلة منبر الاسلام والمجلات ذات الخط الفكرى اياه سواء كان يساريا او يمينيا والكاتب هنا وان حاول الالتصاف بالعلمية والموضوعية الا انه سقط فريسة للاستسهال الفكرى فمثلا يحدثنا عن مكان انعقاد المؤتمر ويستنتج من ذلك انه ليس يصح فى الاذهان ان يعقد مؤتمر اسلامى يعالج القضايا الاسلامية الكبرى فى بلد ليس للمسلمين فيه سلطان ولابد ان الكاتب لايعى ما يقول لانه فى حالة اغتراب فكرى .

١ ـ أين يقيم المسلمون فى امريكا مؤتمرا عاما من الجمعة ٢٩ ـ ٨ الى الاحد ١ ـ ٩ هل يقام فى مصر او الباكستان لكى تزداد نفقات الاقامة ثم يكون المؤتمر تحت رحمة رجال المباحث العامة ومباحث امن الدولة والمخابرات العامة والمخابرات العسكرية ثم يوجه المؤتمر من قبل العناصر المنحرفة من رجال الدين حاملى العمائم ونافخى البخور فى مواكب السلطان الذين يمثلون اسلام الفت والفراخ الرومى كما شبههم جمال عبد الناصر أو كما أسماهم الدكتور ابراهيم كليزى بالمجرمين المرتزقة

٢ ـ ما هو وجه الغرابة فى اقامة المؤتمر باحدى الجامعات الامريكية .

ثم يحاول الكاتب ان يثقفنا بأن أمريكا من وجهة النظر الدينية دار حرب او دار كفر ونقول له هل سمعت من احد ان امريكا دار للاسلام ثم ما وجه الغرابة فى اقامة مؤتمر اسلامى فى امريكا دار الحرب الم يعقد الرسول عليه الصلاة والسلام مؤتمرات فى مكة لضم بعض العناصر المعادية للاسلام فى عام الوفود مما ادى الى بيعة

(**) خريج جامعة انديانا بوليس ـ صيدلى فى اجزاخانة النصر بالتل الكبير.

العقبة الاولى والثانية للانصار بمكة التى هى من الناحية الفعلية العملية تعتبر دار حرب ثم يحاول الكاتب ان يثقفنا اكثر — مثل مكسيم رودنسون حين دعا المسلمين الى الاخذ بالربا اذا ارادوا التقدم الاقتصادى — فيقول ايعتبر ذلك مؤتمرا اسلاميا حقا . ويرى الكاتب ان الاتحاد السوفيتى يمكن ان يعتبر من حيث المكان افضل من الولايات المتحدة بسبب ان الاتحاد السوفيتى به اكثر من ٢٠ مليون من المسلمين — كان ذلك عددهم ايام القياصرة ولا يدرى احد سوى الله او الطبيعة كم اصبحوا الان — وان هؤلاء المسلمين يقتلون فى ولايات كانت فى يوم من الايام جزءا من الدولة الاسلامية ونرد عليه :

١ — نتحدى الكاتب ان يقبل الاتحاد السوفيتى عقد مثل هذا المؤتمر على ارضه لان الماركسية تنظر الى الدين على انه خرافة برجوازية ويحاول الاتحاد السوفيتى محوها من عقول رعاياه من عواجيز المسلمين وهو غير مستعد لتذكير هؤلاء العواجيز قبل موتهم باقامة مؤتمر اسلامى يدعو لاقامة الدولة الاسلامية .

٢ — ان الدعوة لاقامة الدولة الاسلامية نابعة من الولاء للدين وهو ما يتناقض مع التعاليم الماركسية التى ترفض أى ولاء ايا كان شكله الا للطبقة .

٣ — ثم ان الاتحاد السوفيتى من الناحية الفقهية يعتبر مسلموه من اهل الدجن — نظرا للامية الاسلامية المتفشية حتى بين المثقفين يسأل عن هذا المصطلح — وعليهم ان يهاجروا الى دار الاسلام وقد يخرج علينا مسلم متنطع قائلا ان الروس ينكرون وجود الله وان الامريكان اهل كتاب ويقرأ علينا قوله تعالى « **ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى** » ونرد عليه انهم من شواهد التاريخ الحديث والقديم وان الامريكان يفضلون هزيمه اى دولة اسلامية من اى وثنى او شيوعى ويخشون منازلة المجاهد الاسلامى او المسلم اليسارى — راجع تعريف المسلم اليسارى فى مقالة فتحى عثمان فى مجلة المسلم المعاصر — اكثر من العقائدى الماركسى . ولو كانت الدول الامبريالية جادة فى محاربة الماركسية لاتخذت الاسلام منهجا ولكنه الحقد الصليبى الذى يعمى القلب والبصر عن الاسلام حتى ولو كان الاسلام فيه انقاذ عنق الامبريالية من بين المطرقة والمنجل .

٤ — يرى الكاتب ان مسلمى الاتحاد السوفيتى يمارسون حياتهم على اساس التقاليد والعادات الاسلامية والواقع ان هذا افتراء وتضليل لايستحق حتى مداد القلم الذى نفنده به

٥ — لماذا لم يقترح الكاتب مثلا الصين الشعبية وبها مسلمون اكثر من الاتحاد السوفيتى او البانيا التى تعداد المسلمين بها ٩٥ فى المائة . هل يكون السبب فى ان هذا المؤتمر لا يصح عقده فى بكين او تيرانا لانحرافها عن تعاليم موسكو او ان اتجاه الكاتب احمر وليس اصفرا !!

واذا كان القوميون العرب يدافعون عن وجهة نظر حكام القاهرة اذا اجزلوا لهم العطاء ويسبونهم اذا امتنعوا اوتأخروا للظروف المصرفية فليس من حق أحد ان يقيم من نفسه وصيا على اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة الامريكية وكندا او اى حركة اسلامية تمول تمويلا ذاتيا مثل الاشعريين ايام النبى عليه الصلاة والسلام وهنا نرى أن هذه الحركة الاسلامية تحارب من كل القوى الفكرية حتى المنتسبة للاسلام ثم اذا كان الماركسيون العرب يهللون على كلمة مشوهة يصدرها حزب ركاح او ماتبزن الصهيونى ويبنون عليها قصورا فى الهواء اليس من حقنا ان نهلل لمؤتمر اسلامى يعقد حتى فى اسرائيل لنصرة الاسلام ثم أننا نقول مرحبا بمؤتمر يدعو لوحدة المسلمين تحت راية الامبريالية او الصهيونية او حتى راية الكرملين حتى لا يغضب منا الرفاق ويحدث لهم تشنج ويتقيأوا ما شربوه من الفودكا ثم انه رغم أنف الكاتب فان امريكا من الناحية الفقهية دار لأهل الذمة **اليهود — النصارى** لا تفرض دراسة مذهب البرجمالية لدارسى الدكتوراه مثلما يحدث عند فرض دراسة الفلسفة الماركسية اللينينية — التى عفا عليها الزمن — كدراسة تمهيدية لحملة الدكتوراه واسدى للكاتب نصيحة هى ان يقرأ قبل ان يعتنق ولايكون مثالا يحتذى به فى الامية الثقافية فيأخذ معلوماته من الجرائد ، ان ادعاء الكاتب ان المسلمين فى أمريكا يمارسون حياتهم بالاساليب الامريكية ونعرفه بأن الجماعات الاسلامية هناك تشترط الالتزام بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وان المعلمات الامريكيات يرتدين الزى الاسلامى — كما شبهتهم التقدمية امينة السعيد بانهم فى اكفان الموتى بل أن بعضهن يلبسن الحجاب وطوبى لمن آمن ولم يرَ . ويستطرد الكاتب بأنه من العجيب حقا ان يدعى للمناقشة فى المؤتمر جماعة من غير المسلمين ونحن لا نرى غرابة فى ذلك فهو وسيلة لعرض الاسلام على غير المسلمين ونقل المعركة الفكرية للاراضى الغير اسلامية ثم الم يخدم المستشرقون الاسلام عندما دأبوا على البحث والدراسة حتى أخرجوا لنا

المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى الشريف بينما أوقفت مصر والكويت العمل فى مشروع موسوعة الفقه الاسلامى .

ثم يحذرنا الكاتب بالقول ان المؤتمر يستثمر على أنه الوسيلةلمعرفة كل ما يتصل بهذه الحركات الاسلامية ونقول له أن نظره لم يتجاوز موضع قدميه فالواقع ان كاتبا يحترم عقله ويقدر قارئه كان ينبغى له أن يفكر فى هذا الكلام قبل ان يلقيه على عواهنه فان الامبريالية الامريكية تستطيع الحصول على أكثر ما تريد من المعلومات بأقل من نصف التكاليف اللازمة لاقامة هذا المؤتمر والواقع ان هذه المهمة تقوم بها على السواء المخابرات الامريكية CIA والروسية KGB للسيطرة على الحركات الاسلامية اما عن طريق الغزو الفكرى الذى يكاد يكون بينهم اتفاقا غربيا مشبوها فى الشكل والمضمون على تشويه الحركة الاسلامية . او استغلال ثروات الشعوب الاسلامية عن طريق تدبير انقلابات تدعى الثورية مطبوخة فى قصر لعبة الامم على حد قول العليم مايلزكوبلن والواقع ان احفاد البلاشفة ممثلى الامبريالية السوفيتية هم ورثة القياصرة من آل رومانوف والكنيسة البيزنطية فىموسكو فى الكيد للاسلام.

ثم يدخل بنا الكاتب فى متاهةغريبة يوردها صيغة حتمية بان حكم على قرارات المؤتمر بأنها ستؤكد الروابط بين الاسلام والراسمالية ويظهر انما دخلنا فى المهاترات ممن قال ان هناك روابط بين الاسلام والراسمالية ، يراجع فى دحض هذا الكلام كتابات محمد الغزالى والشهيد سيد قطب رغم اختلافنامعهمويقول الكاتب ان مما ينتهى اليه المؤتمر ان الاشتراكية تتعارض مع الاسلام وعلى جهلنا نستنتج من هذه الحتمية الاتجاه الفكرى للكاتب ان محاولة روجيه جارودى ومجلة يوزليوسف للربط بين الاسلام والاشتراكية قد فضحهم ورد عليهم مكسيم رودنسون اليهودى الماركسى التقدمى بأن على المسلمين اذا ما أرادوا الاشتراكية ان يطرحوا الاسلام جانبا ثم أن لنا ملاحظة ما هى الاشتراكية ، منذ عام ١٩٦١، ونحن نسمع كل يوم تفسيرا لهما فى مختلف الاتجاهات ، فمرة على انها اشتراكية عربية أو اسلامية أو علمية او كمافسرهابعض الرفاق فى مصر وخارجها بأنها راسمالية الدولة ، وان الشيوعيين فى مصر ، ان الاشتراكية لايبنيها الا الاشتراكيون الحقيقيون، والاشتراكى الحقيقى عندهم هو الشيوعى وبالذات الذى سجن عام ١٩٥٩ اى كان سبق له كفاح ضد الوحدة العربية

وتفسير ذلك حتى يعلم المخدوعون ان الذى حطم الوحدة اليتيمة للعرب فى القرن العشرين هم الشيوعيون فى العراق عندما قبضوا المعلوم من المخابرات البريطانية وكذلك الشيوعيون فى سوريا . ثم هناك اراء اسرائيلية تقول بأنه فى اىكيبتز اسرائيلى من الاشتراكية أكثر من عشر مرات مثلما توجد فى مصر وهذا يؤيد مقولة الماركسيين بأن قرارات ١٩٦١ الاشتراكية لا تمت للاشتراكية بصلة ثم من قال لكم أن المسلمين يريدون الماركسية أو الاشتراكية اننا عندما نعطى الفرصة لاقامة الاقتصاد الاسلامى ونعجز عن ذلك سنطلب منكم تقديم المساعدة ونحن نلقى القفاز فى وجه من يريد التحدى فى مناظرة على أى مستوى للمفاضلة بين الاقتصاد الاسلامى أو الرأسمالى أو الماركسى كأساس لحل مشكلة التنمية فى البلاد المتخلفة ثم يقول الكاتب ان أمريكا تنظر الى الدول التى تقيم نظمها الاقتصادية والاجتماعية على أساس دينى انها من الدول المتخلفة ولكن هذه النظرة مختلفة تماما عن واقع اسرائيل وكذلك ان الاتحاد السوفيتى سيأخذ نفس وجهة النظر الامريكية بوصف هذه الدول انها رجعية ومتعفنة ثم يرى الكاتب فى ختام مقاله مجالا لاستعراض العضلات بالاشارة الى مجهوداته العظيمة فى حقل التأليف الاسلامى ويقول بأن كل الموضوعات التى يدرسها المؤتمر قد درستمن قبل ولكنقول الامام على كرم الله وجهه لولا ان الكلام يعاد ولنفذ تأمل مثلا أسطورة أوديب عندما عالجها المفكرون بوجهة نظر مختلفة أخرجت لنا كثيرا من الروائع ثم اذا كان الكاتب يستنكر مؤتمرا اسلاميا يعقد فى امريكا فلماذا لم نسمع له حتى ولا همسة فضلا عن صوت لمؤتمرات عقدت لضرب وتشويه الاسلام أو مؤتمرات سارتر وعشيقته سيمون دى بوفوار وعشيقها كلود لانزمان أو حتى المؤتمر الصحفى الذى عقده اليهودى ابراهام لاتان او تصريحات الشيوعيين العرب عن الحوار مع الصهاينة واليهود التقدميين أو مؤتمر أغنياء اليهود الذى عقد فى القدس أو حتى رأينا له عنوانا لمقال عن المؤتمر القومى ٢٤ للحزب الشيوعى للولايات المتحدة على انه مؤتمر ماركسى او حتى اشتراكى على الطريقة الامريكية ثم الم يؤن الاوان انتستمر على قيادة امتنا الفكرية نفس الاقلام التى بشرت بالانجليز فى الاربعينات ثم فى الولايات المتحدة فى الخمسينات والروس فى الستينات ثم تعود فتسوقنا الى حظيرة الامريكان فى السبعينات أليست فى هذه الامة من أقلام تستطيع أن تكتب جديدا بدلا من اجترار الماضى ونصيحة لهم أن يمزقوا صحائفهم ويكسروا اقلامهم والا فان أمتهم

بعد أن طفح منها الكيل منهم ستطلق عليهم الرصاص خلف آذانهم تماما كما تفعل مع الحيوانات المسنة او المريضة واخيرا فيقول الكاتب فان الدولة التى تصلح لان تكون هذا النموذج وهذا السؤال قد وجه للدكتور سعيد رمضان فى جامعة هارفر وأجاب بان هذا النموذج هو السعودية والواقع أنه قد أخطأ فانه ما اتجاه ماركسى أو أمبريالى أو وثنى أو حتى منتسب للاسلام الا حارب هذا النموذج الاسلامى والمثال هذا على عجالة ضرب القوى الرجعية والامبريالية للانقلاب الاسلامى فى اليمن الذى دبره الاخوان المسلمون عام ١٩٤٨ والواقع أن هذا الانموذج هو مشكلة قد آثارتها القوى المعادية للاسلام من حيث أنه حلم او فكرة طوباوية لايمكن تحقيقها او السماح بقيام هزيل مشوه مثل قيام دولة الباكستان مما يترتب فى شعور المجاهد الاسلامى أن هذا الانموذج غير صالح للتطبيق والواقع أن دولة الاسلام هى حلم ملايين لاقامة الجنة فى السماء والارض من الامم المتعطشة للعدل الذى لها العذر فى التطلع الى حلم لولا أنه حفل بكل تفاصيله لم يصدق الناس أن بشرا مثلهم قد تمتعوا بمثل هذا الحكم ابتداء بحكومة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وانتهاء بسلاطين العثمان مرورا بأمراء بنى أمية وبنى العباس والدولة الفاطمية والذى لا يعجبه هذا الكلام يرد عليه موضوعيا اما اذا كان غزوافكريا غربيا كان ام ماركسيا ضيق الافق محدود التفكير فاننا سنورثه حقدا يفتك باحشائه حتى يلقى الله او يذهب الى الفناء .

المهم ان يسمح لنا بالنشر ولا داعى لاتباع المبدأ الذى لا يتبعه الا العاجزون يقتلهم الصمت أما قولك ما هى الدولة التى تقبل استيراد هذا الانموذج الاسلامى فانه لن توجد أى دولة تقبله حتى ولو السعودية لانه لا مصلحة للامبريالية السوفيتية أو الامريكية أو البرجوازية الرجعية العربية فى اقامة هانوى اسلامية تكون قاعدة للبحث المادى الحضارى والروحى للاسلام اسلام الثورة والنبوة .

أما اذا كنت لا يعنيك البحث عن هذه الدولة فاننا نخرجك من ملة الاسلام لقول النبى عليه الصلاة والسلام من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

وختاما اذا كان بعضهم قد ألف كتابا وعنوانه من غير ماركس أو المسيح فاننا سنقول بغير ماركس ولكن بمحمد عليه الصلاة والسلام . ■

مؤتمـــرات اســــلامية

د. محمود رشدان *

نشر د. محمد أحمد خلف الله مقالا بالعدد العاشر من الطليعة — اكتوبر ١٩٧٥ — بعنوان « مؤتمرات اسلامية على الطريقة الامريكية » .

ليس فى المقال من الامور الخبرية أو العلمية ما يستحق التعليق أو الذكر ، اذ بداه بما ينعق به غيره من أن كل الحركات التى تخالف اليسارية انما هى من صنع الانجليز والامريكان وهى شنشنة قديمة عرفناها من أخزم .

ثم حاول أن يبرهن أن القومية العربية هى حركة اسلامية فى الواقع، وهذه مغالطة صريحة يعلمها د. خلف الله قبل غيره ، فالقومية العربية فكرة سياسية لامثالية لها ، والاســلام فلسفة مثاليــة ومنهج حياة ودستور حكم ونظام اقتصاد واجتماع . وأريد هنا أن أوضح أمرا يبدو انه قد غاب عن ذهن المؤلف ، أو ربما اغفله متعمدا، وهو أن القومية العربية فكرة قد طرحها

(*) الامين العام لرابطة الطلاب المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا .

الاستعمار الغربي في أوائل هذا القرن رافعا شعار العلمانية لتفريق الامة الاسلامية وتضعيفها بعد أن أعيته الحيلة في ذلك . وقد نجح الى حد ، وما نراه الان من تفرق وانهزام وذل ما هو الا نتيجة لتبني هذه الفكرة المستوردة .. وحقا ان الكاتب يناقض نفسه بنفسه ففي حين يبدأ مقالته بأن الاستعمار يطرح القضية الاسلامية في مواجهة القضية العربية يعود ليؤكد في الصفحة [١٠٣] أن القرآن هو الذي حقق الوحدة الفكرية والتماسك الاجتماعي في الجزيرة العربية ، فليت شعري كيف يكون الاسلام داعيا للتفريق بين العرب في حين أنه ألف بين قلوبهم بعد تفرقة ووحدهم بعد تجزئة وجعل من المؤمنين أمة كانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ثم حاول أن يبرهن أن الاشتراكية من صور الاسلام وأن الراسمالية عدوة له ، ولو انصف نفسه وأنصف الناس لقال أن الاسلام بريء من الجذامين معا . وقد أوشك أن يقرر ذلك حين ذكر في صفحة (١٠٣) ان مجموعة دول العالم الثالث « لاتزال تتحسس طريقها بين الشرق [الشيوعي] والغرب [الراسمالي] » ولكن خانه التوفيق .

ثم صال وجال صولة « دون كيشوت » حين تعرض لمؤتمر « اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا » المنعقد في أول سبتمبر ١٩٧٥ في جامعة توليدو بمدينة توليدو أوهايو .

مهما اختلفنا مع د. خلف الله في الرأي ، فاننا دون شك نحترم الرأي ، ولو أنه أمعن في الخطأ في تبرير واقع أو الحكم على قضية قائمة ، أو في النظر في مجرى التاريخ ماضيه أو حاضره ، لما أهمنا ذلك ولا عاتبناه ، ولكن أن يتلقف الدكتور [الذي ألف خمسة عشر كتابا !] خبرا من جريدة وأن يبني حول الخبر صرحا من الخيالات والاوهام ، وأن يسمح لنفسه أن يصدر في « يقين » حكما على أمر كل ما يعرفه عنه لا يتجاوز عدة أسطر قرأها في صحيفة الاهرام .. وأن يؤول الخبر ويفسره على ما تشتهي نفسه ويزج به اليه خياله ... ثم أن يتهم فئة من خيار المسلمين — بإذن الله — انهم عملاء ، يخونون الله ويخونون الرسول ان يفعل الدكتور «المؤلف» كل ذلك فهذا مالا نتوقعه من مسلم يخاف الله ويعمل بتعاليم دينه ، وهو أيضا منكر وباطل لانسكت عليه .

أما الحقيقة التي كنا نود أن يتحراها د. خلف الله ، فهي من البساطة والوضوح بمكان ، ذلك أن جماعة من طلبة الجامعات والاساتذة المسلمين رأوا أن تكون لهم رابطة ليدفعوا عن الدين وأصحابه في البلاد الامريكية ما يلصقه به أعداؤهم — من يهود وصليبيين حاقدين — من أباطيل ، وأرادوا أن يظهروا هذا الدين على حقيقته خصوصا وان الغالبية العظمى من أساتذة العلوم الاسلامية في الجامعات الامريكية إما يهود وإما نصارى ، كما أرادوا أن تكون لهم هيئة تدافع عن عقيدتهم وتؤوي اليها كل مستضعف ممن ينتمي الى هذه العقيدة لتحميه من الغزو الفكري المادي ، وتحفظ عليه دينه وشخصيته ومثاليته وقيمه المعنوية والدينية ، وتثبت أسرته المسلمة على دينها حتى لا تنداح في هذا المجتمع الخضم ، وكيلا يفلت زمام الامر من الافراد فتجتاحهم المادية الامريكية بسبيلها دون سند ولا عقل يحصنه من فتنتها .

من اجل هذه الاغراض تكون اتحاد الطلبة المسلمين في امريكا الشمالية وكان ذلك عام ١٩٦٣ ، وأخذ الاتحاد ينمو سريعا ، وفي كل عام يعقد مؤتمرا عاما للاعضاء ، شأنه في ذلك شأن جميع الجمعيات المنظمة في سائر أنحاء العالم .

فالحقيقة الاولى اذن أيها الدكتور المؤلف أن هذا الاجتماع هو المؤتمر السنوي العام للاتحاد ، وهو الذي يتم فيه انتخاب الهيئة التنفيذية وتعرض فيه الميزانية وتناقش فيه أمور الاعضاء، وليس مؤتمرا أقيم **خصيصا** للبحث العلمي أو المثالي التجريدي أو غير ذلك .

ولكن هذا المؤتمر المنعقد بجامعة توليدو الامريكية في خيال د. خلف الله لابد وأن يكون تحت أشراف الجامعة بصورة من الصور ، والجامعة هذه دون شك عند الدكتور تحت رقابة المخابرات الامريكية ، فالمؤتمر اذن كله موعز به من المخابرات عن طريق جامعة توليدو ، والمؤتمرون كلهم عملاء أو فريسة للعملاء .... وهذا كله أمعن في الوهم من خيال الشعراء ، ولو تحرى د. خلف الله الامر من أي طالب أو أستاذ عاش في أمريكا بعض الوقت لعلم أن الجامعات هنا في غالبيتها مؤسسات غير حكومية ، وأنها — في غالبيتها أيضا — تؤجر مبانيها السكنية وقاعاتها العامة في فترة العطلات المدرسية الى من يشاء ، بل ان من الجامعات ما يحتوي على فندق في حرمها الجامعي يؤمه من يشاء من الخلق كأي فندق عادي . ونظرا لان مدة المؤتمر تستمر يومين كاملين ولضخامة عدد الحضور وتفاوت أحوالهم المادية ، فان ادارة الاتحاد تتفاوض مع مختلف الجامعات لتستأجر عددا من الغرف

يتسع للمشتركين وعددا من القاعات للاجتماعات ويدفع الاعضاء بطبيعة الحال كراء ما يشغلون من أماكن .

أما ما يدور فى هذه الاماكن من مناقشات وما يلقى فيها من محاضرات ، فذلك امر لاعلاقة له بالمكان ، ويمكن للدكتور المؤلف أن يتفضل بالحضور وأن يتحدث بما يشاء حيثما شاء ولن تتعرض له الجامعة بل لن تسأله عم يتحدث ، وتلك هى الحقيقة الثانية التى بنى عليها الدكتور المؤلف حكمه القاسى واتهامه الخطير لرواد فضلاء ، وكان أحرى به أن يتحقق قبل أن يتهم .

وذكر د. خلف الله ما يأتى « وقد يكون من المفيد لنا وللقارىء تلخيص الوصف الذى جادت علينا به الاهرام فى دقة وصدق لنستعين به فى تقييمنا لهذا المؤتمر ... » ثم أورد تحت هذا الوصف بضعة أمور ، لا نعرف هل هى من « جود » الاهرام أم من خيال المؤلف الخصيب ، اذ هى أمور مناقضة « للدقة » مجافية «للصدق» ولعمر الحق يا د. خلف الله ألم يكن قمينا بك أن تراجع برنامج المؤتمر قبل أن تحكم على الاهرام بالجود والدقة والصدق ؟ أم أن تلك طريقتك فى التفكير ومنهجك العلمى فى البحث والتحليل ، وفى « الكشف عن الكيفية التى جعلت من هذا المؤتمر الاسلامى مؤتمرا على الطريقة الامريكية » ؟؟؟

ليس صحيحا ايها الدكتور المؤلف أن سكرتارية المؤتمر « حرصت على تمثيل كافة الاتجاهات المؤيدة والمعارضة » ، اذ ان هذا المعنى كله لامدلول له فى المؤتمر السنوى لاتحاد الطلبة ، أية معارضة وأى تأييد تعنى ؟ انه اجتماع عام سنوى ومناسبة طيبة للاجتماع ببعض مفكرى المسلمين وأصحاب العقيدة الصحيحة يدعون من داخل البلاد وخارجها للتحدث الى هذه الطليعة من الشباب المؤمن الصادق فى جهاده وهذا أمر طبيعى يحدث فى كل الاجتماعات العامة المثيلة .

وليس صحيحا أبدا ما تنبأت به من أنه « سوف يشترك فى المناقشة بعض رجال الدين المسيحى » ، هذا افتئات عجيب وما كنا نحب للدكتور المؤلف ان يشتغل [بالتنجيم] فيرى ببطن الغيب أن النصارى سيشتركون فى المناقشة ، اذ لا مجال لمناقشة ولا لنصارى فى هذا المؤتمر .

ويستمر « المؤلف » فى تأليفه فيذكر أن من بين الدراسات التى سيتناولها المؤتمر « دراسة المجتمعات الانسانية المعاصرة — مسلمة وغير مسلمة — ... » لا يادكتور خلف الله ، لم يكن هذا فى برنامج المؤتمر سواء نشرته صحيفة الاهرام فى وصفها الذى جادت عليك به فى « صدق ودقة » أم كان من وحى خيالك العجيب

ثم يثنى د. خلف الله — على حد تعبيره — بالداعين الى المؤتمر ويصفهم بأنهم « من جماعة المستوطنين — اى من المسلمين الذين اتخذوا من امريكا وطنا ثانيا لهم — ومن المسلمين الذين يمارسون حياتهم اليومية بالاساليب الامريكية وليس بالاساليب الاسلامية »

شهد الله ورسوله انك لواهم الوهم كله ايها الدكتور المؤلف وانك ظالم لنفسك بظلمك للناس !! هل عرفت احدا من الداعين يا دكتور خلف الله !! لم يكن من العسير ان تستقصى بعض الحقائق قبل ان تزج بنفسك فيما لا علم لك به ، ذلك ان اعضاء الاتحاد من اساتذة وطلبة مازالو فى غالبيتهم الساحقة ينتمون الى بلادهم الاصلية من اندونيسيا الى المغرب العربى ، ويندر فيهم من ينتمى الى هذه الديار الامريكية ، بل ان كثيرا منهم يجد صعوبة هائلة فى البقاء فى امريكا لاستكمال دراسته او لمزاولة مهنة على سبيل التدريب المهنى بعد انتهاء الدراسة النظرية .

وحتى بفرض انهم مستوطنون فكيف يتسنى للدكتور المؤلف ان يحكم على اساليب ممارستهم لحياتهم اليومية وهو لم يتصل بهم قط ؟ الا فليهنأ الدكتور خلف الله اذ يعلم ان اعضاء اتحاد الطلبة أشد تمسكا بالاسلام وتعاليمه من غالبية الشعوب والافراد التى تؤمن بالقومية العربية والاشتراكية العلمية وغير العلمية ، وانهم يتحرون الحلال فى كل ما يطعمون ويتجنبون « الفائدة » المصرفية ما استطاعوا لاقتناعهم بأنها ربا محرم وان كانت مباحة فى امريكا وروسيا وفى البلدان المسلمة التى تسير فى فلك هاتين الدولتين الاستعماريتين ويحافظون على صلواتهم وصيامهم وكل ما امرهم الله به . حبذا لو حضر الينا د. خلف الله ليرانا على حقيقتنا وليس بخياله وفى اوهامه ، فمن يدرى .. لعله يؤثر الاقامة معنا حيث يجد قلوبا تعى الحق وتسمع القول فتتبع احسنه ، لا رياء ولا تملق ولا عمالة للمخابرات ، ورحم الله امرءا عرف الحق فوقف عند حدوده ، والسلام على من اتبع الهدى .



احقاقا للحق ..
هذا هو ردنا على الدكتور خلف الله

ربيع حسن أحمد *

السيد رئيس تحرير مجلة الطليعة

هذا رد على مقال نشر بعدد الطليعة الصادر فى اكتوبر ١٩٧٥ ، تناول موضوع مؤتمر «اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا الذى عقد بمدينة توليدو بالولايات المتحدة الامريكية .

وبوصفى عضوا فى الاتحاد المذكور وسبق لى ان شاركت فى كثير من نشاطاته ومن بينها هذا المؤتمر ، فقد أدهشنى كثيرا أن أقرأ فى المقالة المذكورة كثيرا مما يجافى الحقيقة ويستخف بالقارىء ويسىء الى اتحاد الطلبة المسلمين دون مبرر أو وجه حق .

يقرر الكاتب أنه يستحيل عقلا أن ينعقد مؤتمر اسلامى فى الولايات المتحدة لانها دار كفر على حد قوله وان تم عقد هذا المؤتمر فهو مطية للاستعمار الامريكى والمخابرات المركزية .

— ان اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا منظمة معروفة فى الجامعات الامريكية واعضاؤه من الطلاب العرب والمسلمين الوافدين الى امريكا ومن الاساتذة والعلماء المسلمين فى جامعاتها وكذلك من المسلمين المواطنين فى هذه البلاد ، وأمريكا تعج بالطلاب من مختلف أنحاء الدنيا ولهم منظمات يضيق حصرها كلها تعمل لنشر ثقافة وفكر الشعوب التى ينتمون اليها وهكذا الحال فى كل بلاد الغرب التى يؤمها الطلاب من مختلف أنحاء العالم الثالث وهذه مسألة قديمة وهذه المنظمات قد لعبت دورا رائدا فى تحرير البلاد المستعمرة وفى بلورة فكر الطليعة فى كثير من الاقطار وهذا ليس بمستغرب لان أغلب المبعوثين هم من خيرة الشباب فكرا وخلقا وعلما وليسوا عملاء للمخابرات الامريكية أو الانجليزية أو الروسية .

ان قيام المؤتمرات فى تلك البلدان مسألة عادية وفرصة تتيحها ظروف تلك البلاد وفلسفتها فى الحياة ، فالمؤتمرات تنعقد على المستويات الرسمية وغير الرسمية والمنابر قد افسحت فى أمريكا لكثير ممن يخالفون السياسة الامريكية وأجهزة الاعلام فى أمريكا قد نقلت خطب قادة العالم الثالث فى الامم المتحدة وسمحت بقيام مؤتمرات ضد الصهيونية ومؤتمرات لمساندة القضية الفلسطينية تحدث فيها ممثلو فتح وغيرهم ، ولو كان كل هؤلاء عملاء للمخابرات فعلى الدنيا السلام ولتسحب دولنا كل طلابها من الولايات المتحدة وكفى غوصا فى وحل المخابرات والامبريالية .

ب — اعتمد الكاتب اسلوبا اعتباطيا فى اتهاماته ولم يورد دليلا واحدا يكشف فيه دور المخابرات الامريكية ويفضح القائمين على اتحاد الطلبة المسلمين أو المتحدثين فى المؤتمر ، الم يكن جديرا به أن ينشر المعلومات ويساعد القراء على التعرف على الحقائق أم أن على القارىء أن يقبل على ما يقال من سباب دون تفكير ؟ .

أنا لا أشك أبدا فى أى من قادة اتحاد الطلبة المسلمين وأتحدى الكاتب أن يطعن فى أى واحد منهم أو فى المنظمة نفسها .

لقد تناول الكاتب كل المسلمين فى أمريكا الشمالية بالاتهام وقال أنهم يعيشون الاسلام على الطريقة الامريكية . كيف وصل الكاتب الى هذه النتيجة ؟ ولماذا يفترض أن الاسلام عاجز أن يعيش فى أمريكا او فى أى بقعة فى

(*) طالب دكتوراة فى الادارة العامة بجامعة انديانا باومنجتون — الولايات المتحدة الامريكية

الدنيـا ولمـاذا تعيش كل الافـكار والاتجاهات فى امريكا ولا يعقل أن تتمسك جماعة مسـلمة تمسكا تاما بدينها ؟ . ان الكاتب جاهل تماما بحياة المسلمين فى أمريكا الشمالية وما يبـذله المسلمون هنا للمحـافظة على دينهم وفى تربية أبنائهم تربية اسلامية صحيحة ويبدو أن الكاتب يجهـل ايضـا الدور الذى تقـوم به المنظمات الاسلامية العـالمية كالمجلس الاعلى للشـئون الاسلامية بجمهورية مصر العربية وجمعية الدعوة الاسـلامية بليبيا وغيرها لمسـاعدة المسلمين والمشـاركة فى نشـاطاتهم والمسـاهمة كقوة حضارية تقدم للعالم الغربى نموذجا اسـلاميا للحياة .

ان ما أورده الكاتب فى مسـألة دار الحرب ودار الكفر ليس لـه علاقـة بهـذا الموضـوع البتة وقد اختلط عليه الامر جدا. الدعوة للاسلام ليست مقيدة بالوطن الاسلامى فحسب فالاسلام قد انتشر فى طول الارض وعرضها بجهود أقليات اسلامية وطلائع مؤمنة حملت كلمـة الله الى أندونيسيا وسواحل أفريقيـا الغربية والشرقية والصين وروسيا وهلم جرا . وهذا قانون طبيعى فكل فكرة ثورية لابد انتبدأ فى مناخ لايلائمها وقوى لاتريدها أن تعيش فالشيوعية قد نمت وترعرعت فى أحضان الرأسـمالية فى بريطانيا والمـانيا وسويسرا وغيرها من دول أوربا .

تعرض الكاتب ــ دون مناسبة ــ للمقـارنة بين صلاحية أمريكا وروسيا لعقد مؤتمر اسلامى ولسبب ما ــ لا أعلم دوافعه ــ يرى أن روسيا أصلح من أمريكا وأنا أوافقـه فى تحليله واثق كذلك فى أن الطلبة المسـلمين فى روسـيا لن يتوانوا لحظة فى عقد مؤتمر اسلامى فى روسيا ان سمحت روسيا بذلك ، ولكن اليس مثل هذا التفكير امعانا فى الخيـال وضربا من اللجـاج والجدل دون هدف ؟ كيف يتصور أن يقوم مؤتمر للطلاب المسلمين فى بلد تعتبر الدين خرافة ورجعية وتدرس الالحاد فى مدارسها ؟ ان فى روسـيا ملايين المسلمين ولكن أين هم الان ؟ ماذا يشهد على وجودهم ؟ أين مساجدهم وأين مدارسهم وأين قانونهم وأين ثقافتهم ؟ أنا أعيش الان فى جامعـة امريكية يدرس فيها خمسـمائة طالب مسلم وقد تمكن الطلاب وهم أعضاء فى اتحـاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة أن يشـتروا بيتا فى قلب الجـامعة ويحولونه الى مسـجد للصلاة ، هل يسـتطيع الطلبة المسـلمون فى جامعة موسكو أن يفعلوا شيئا كهذا ؟ . ولابد من لفت النظر الى أن اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا لم يستقدم أعضاءه من خارج أمريكا لعقد هذا المؤتمر ، بل هم موجودون فى أمريكا بحكم دراستهم أو عملهم ، وليت الكاتب يستعمل حجته لدى الاتحاد السوفياتى لاقناعه باعطاء الحرية للمسلمين هنـاك بعقد مؤتمرات لهم يبحثون فيها شئونهم وأحوالهم .

ولقد افترض الكاتب فى ختام مقالته أن المؤتمر سينتهى الى ادانة الاشتراكية والوحدة العربية ، أين الدليل ؟ هل هناك قرار من المؤتمر بهـذا المعنى ؟ هل خصصت جلسة فى المؤتمر لهـذا الموضوع ؟ هذا كله تخرص وأمانى كان الواجب التحقق منها أولا ، كذلك أورد الكاتب أن جماعة من غير المسلمين قد دعيت للمؤتمر ، من هؤلاء النفر ؟ أين الدليل ؟

ان المؤتمر الذى عقـد بمدينة توليدو ليس هو الاول من نوعه ولم يعقد ليناقش فقط عملية التغير الاسلامى وانما هو نشاط سنوى لاتحاد الطلبة المسـلمين ينعقد فى مثل ذلك الوقت وغرضه الاول هو لقاء المسـلمين واعطائهم الفرصـة للمناقشة فى قضايا الاسـلام الفـكرية وواقع المسلمين ، والمؤتمر لا يخرج بقرارات فى هذه الموضوعات ولا يلزم أحدا بتنفيذ شىء ولا يطلب من حكومة أن تتبع ما يقال فيه . فلماذا كل هذا الهلع والاضطراب ؟

يرى الكاتب الدكتور محمـد خلف الله ان كل الموضوعات التى عرضت على المؤتمر سبق أن ناقشها المفكرون الاسلاميون وأنه هو شخصيا قد كتب وألف فيها ، ماذا يعـنى هـذا ؟ رفعت الاقلام وجفت الصحف .!!! . ويبدو مما ذكره فى مقاله أنه قد انتهى فى كتاباته الى ان الدولة قد ترك تنظيمها للناس وأن ما يسميه بالتنظيم الادارى لا يجب ربطه بالدين [ص١٠٣] يبدو من هذا أنه لا يعترف بوجود فكر سياسى اسلامى أو ايديولوجية اسـلامية تسـير الدولة وتقود الامة ، وأنا أختلف معه فى هذه المسألة مائة فى المائة ، وهذا يبرر حملته على الطلاب المسلمين فى أمريكا ومحاولته اليائسـة للنيل من المؤتمر ووصفه بالعمالة للمخابرات الامريكية . لقد كنت أعتقد أن تجارة الشعارات والاتهامات والقذف قد بارت منذ النكسة واتجـه القراء والكتاب وجهة فيها صـدق وجـد وخلق ، وجهة هدفها الحقيقة والتقويم ومخاطبة العقول .

واخيرا عفا الله عن الكاتب وهداه الى معرفة الحق وشكرا للقراء الكرام الذين ــ قبـل أن يصيبوا قوما بجهالة فيصبحوا على ما فعـلوا نادمين ــ لا أشـك أنهم سـيتبينون الحق من الباطـل .

□□□□□□□□

● ابتعـــدوا عن مـــواطن الشـــبهات

وكتب الدكتور محمد أحمد خلف الله معقبا :

كنت أود أن يبعث الى المجادلون فى أمر المقال بما انتهى اليه المؤتمر من دراسات وتوصيات لاقيم التعليق على أسـاس منها ـ ولكن ذلك لم يحدث .

وكنت أتمنى أن أجد فى عناصر جدلهم مايردنى عما ذهبت اليه من قول . ولكن ذلك لم يحدث .

من هنا اراني في حاجة الى بناء تعليقى هذا على القضايا التالية :

أولا : أسلم بان الدعوة الى الاسلام يجب ان تكون فى الامكنة التى يقيم فيهـا غير المسلمين . ولكن الشيء الذى يجب أن يدركه المجادلون أن الذى نتحدث عنه ليس دعوة الى الدين ، وانما هو مؤتمر يقرر النظم التى يجب أن ياخذ بها المسلمون .

والمؤتمر الذى هذا شانه يجب أن يكون فى بلد ، السلطة فيه للمسلمين . لان الذين يقررون النظم للمسلمين هم الذين سماهم القرآن الكريم بأولى الامر ، اى الذين يلون أمور المسلمين . وهؤلاء لابد من اقامتهم فى بلد اسلامى .

ثم ان تسمية أمريكا بدار الكفر هى التسمية الشرعية . فأى بلـد لا يكون السلطان فيه للمسلمين يسمى بدار الكفر أو دار الحرب . أما البلد الذى فيه السلطان للمســلمين فيسمى بدار الايمـان او دار العدل ، أى البلد الذى يسود فيه الايمان بالله واليوم الاخر ، ويتحقق فيه العدل ، ويقوم فيه المؤمنون بالعمل الصالح .

ثانيا : أن كون أمريكا ، البلد الذى يفتح أبوابه لجميع المؤتمرات حتى ولو كانت هذه المؤتمرات تعالج من القضايا ما هو ضد مصلحة امريكا ، لاعلاقة لـه بما نحـن بصدده من استبعاد أن يكون للمخابرات الامريكية اصبع فى هذا المؤتمر او ذاك .

ان كثرة المؤتمرات فى أمريكا انما تعنى كثرة المعلومات التى يمكن الوقوف عليها والتى تيسر للمخابرات الامريكية عملها ، والذى يجعلها تاخذ حذرها من الاعداء .

كثرة المؤتمرات تعنى كثرة المعلومات التى تنير السبيل أمام المخابرات . ومن هنا تيسر امريكا وتيسر المخابرات اقامة المؤتمرات على اختلاف ألوانها .

ثالثا : أنى أسلم بأن الذين كتبوا الى الطليعة من الذين لا علاقة لهم بالمخابرات الامريكية ، وأنهم من الذين لم تلههم الحياة الامريكية عن الله وعن اقامة الصلاة .. الخ .

ولكنى لا أسلم أبدا بأن كل تجمع مهما يكن شانه يخلو ممن له علاقة بالمخابرات الامريكية .

انما باع هذه المخابرات يمتد الى كل بقعة من بقاع هذه الارض ، ويمتد الى المؤسسات الامريكية ذاتها ، فكيف تخلو منه مؤسسة تعمل ضد أمريكا ؟ :

ثم ان المخابرات تكتفى بواحد أو اثنين فى المائة من كل تجمع يعمل معها أو ضدها وهؤلاء يكونون فى العادة أكثر النـاس تحمسا للعمل الوطنى وضد العمل الامريكى

حتى يكونوا محل الثقة وقـــادرين على استقطاب أكثر عدد ممكن من الناس ـ وبذلك يوحون بزخرف القول ويقع الطيبون فى الفخ من غير أن يشعروا .

رابعا وأخيرا : أتمنى من كل قلبى أن يعمل المسلمون المخلصون لدينهم ولوطنهم كل ما هو فى صالح الدين والوطن ، وأن يكونوا فى كل ما يعملون بعيدين عن مواطن الشبهات .

• •

((عبد التواب)) (ام محمـــد) على الرغم من انهما ليسا سوى مجرد نمـــاذج من مواطنين عاديين نرى آلافـــا منهم كل يوم ، الا أن معاناتهم تطرح أكثر من قضية وتثير اكثر من ســؤال من جانب اصدقاء الطليعة وقرائها .

واذا كانت صفحات الطليعـــة لاتسع لجميع الرسائل التى وصلت حـــول « عبـــد التـــواب » .. « وام محمد » الا أننا نقـــدم مع ذلك نماذج من كتاباتهم .

كريمة محمود ابراهيم ربــه بيت ، **عبـد العـزيز مخيون** فنان مسرحى ، **البدرى فرغلى** عـــامل شحن ، **عادل مرسى** من الاسكندرية **هاشم شطورى** محام ، **ابراهيم المصرى** عامل فنى من السويس ، **حسن جلال الســيد** بشركة النصر للاسمدة بالسويس . .

هى مجـــرد نماذج توضح كيف اســـتقبل القارىء تلك المحـــاولة الجديدة لرؤية الواقع المصرى ..

« هــــم » جـــديـــد لأم محمـــــد

كريمة محمود ابراهيم (*)

نجحت الطليعة ـ بحوارها مع أم محمد ـ فى ان تؤرقنى ليالى طوالا ، وان تجعل دفء الغطاء فى ليالى الشتاء الباردة .. وكأنه جحيم لا يطاق .. وان تجعل طعم اللحم فى فمى وكأنه لحم الميتة .. بل أحالت حياتى كلها ذنبا لا يغتفر ..

وبدون استطراد .. جاءتنى فكرة أحسست بالتأكيد ستعيد الى راحتى .. وهنائى .. فرأيت أن أطلب من مجلة « الطليعة » الموقرة أن تتفضل بتوصيل مبلغ من المال اتبرع به الى الست ام محمد ! لعلنى أعود ـ مرة أخرى ـ فأستمرىء الدفء تحت الاغطية العديدة .. وأتلذذ بمذاق اللحم كل يوم .

أنا أعلم ـ مقدما ـ أنكم ترفضون تلك الحلول .. وتحاربون هذا النمط من التفكير .. نمط ليلة القدر .. هذه التمثيلية التى تتقنها وتفبركها جريدة « الاخبار » بين الحين والحين .. دفاعا منها عن « الاشتراكية » ؟؟ وكأن الحل الاشتراكى لدى جريدة الاخبار هو اختيار من القدر يقع على بعض الفقراء والمعدمين ليحقق لهم بعض أمانيهم .. أما غيرهم من الملايين فعليهم الانتظار .. لفرج الله .. وفرج الاخبار وليلة قدرها !

ولكن ما حيلتى انا وامثالى .. ! لقد فجرت هموم أم محمد هموما كثيرة لدينا .. وليست لنا حيلة وسط مجتمع اتخذ لنفسه صيغة غريبة .. ذات شكل يغطى مضمونا يناقضه تماما .. فاننى وغيرى كثيرون نتساءل وما الحل ؟ علمنا هموم أم محمد ومثلها ملايين فى مصر ثم ماذا ؟ ثم بعد ؟؟ ولان الحل ليس بيدى وانما بيد الحكومـــة والمسئولين ، بيد النظام كله فى مصر وفى كل مكان بالعالم يضج بأنين أمثال ام محمد .. لهذا ...

(*) ربة بيت ـ مدينة نصر ـ القاهرة

□□□□□□□□

لهذا أعود من حيث بدأت فأرجو منكم توصيل مبلغ عشرين جنيها للست أم محمد تتصرف فيها كما تشاء .. بل وبمفهومها المحدود قد تشترى بها الدنيا كلها .

وأترك لخيالى العنان .. وأسرح .. كيف ستتصرف أم محمد فى هذا المبلغ ؟ على ما أعتقد ستبدأ بشراء كيلو لحم نظيف بـ ١٥٠ قرشا ثم تشترى ٢ كيلو برتقال بـ ١٥ قرش بواقع برتقالة واحدة لكل فرد فى أسرتها . أما اذا قررت أن تستر أقدام أولادها وبناتها بشراء أحذية بلاستونيل من باتا اى ٢ جنيه × ٨ = ١٦ جنيها وهى احذية شعبية بأقل الاسعار فى مصر، فانها تكون قد خرجت عن حدودها وبدأت فى الاسراف .. برغم أنها قد تستبعد أن تشترى لنفسها ولزوجها حذاء بدلا من الشبشب البالى الذى يساهم مع برد الشتاء القارص فى تجميد دماء قدميها .

أم هل ستفكر أم محمد فى شراء بطانية لاطفالها النائمين تحت السرير ؟

ام ستفكر فى شراء « تختة » يذاكر عليها محمد مهندس المستقبل ؟ أم تشترى جازا ؟ أم زيتا ؟ أم صابونا ؟ أم هل تغامر وتقرر شراء دجاجة من الجمعية ؟ فتخسر بذلك ثوبها الوحيد الذى بلا شك سيتمزق وسط طابور الجمعية من المحرومين .

أم ستتهور وتشترى سمنا ؟ أم تفسد أخلاقها وتقرر شراء جريدة أو مجلة أو كتاب لابنها محمد ؟

لعلنى أضيف الى همومك هما جديدا يا أم محمد .. عندما أحملك عبء التفكير والتدبير فى كيفية صرف هذا المبلغ . ولكن .. سامحينى فهذا المبلغ لن « يضلعنى » كثيرا فأنا من تلك الشريحة التى تسمى فى مجتمعنا الشريحة « الشبعانة » ولا اقول المتخمة والحمد لله .

ولكنى أصارحك القول عندما أفشى سرا .. اننى باعطائك هذا المبلغ أزيح عن نفسى ظلالا قاتمة جثمت على صدرى عند معرفتى بحالتك .. ولكى استريح انا .. ارجو ان تقبليه منى ! اى وبكل صراحة أعطيك بيد وآخذ منك باليد الاخرى .

هكذا ، وبكل بساطة ، أزيح ظلك عن خاطرى بعشرين جنيها ..

ثمن زهيد .. لعبء كبير جثم على روحى الهائمة .. وهذه فى الحقيقة فلسفة المحسنين .. القادرين المتفلسفين . ولعلك لا تعلمين — وهذا أكيد — أن مجتمعنا الان ملىء بهؤلاء — أى مجتمعك أنت — الفقيرة المعدم التى تعيش على الفول والبطاطس المسلوق بالماء وعلى الفتات فى أغلب الاحيان .. ملىء الان بالمليونيرات .. به خمسة آلاف مليونير . وما خفى كان اعظم .

أتعلمين معنى مليونير .. ؟ انه ذلك الرجل الذى يملك مليون جنيه أو أكثر أو بسبيله الى استكمالها .. آه نسيت يا أم محمد أنك لا تعرفين أرقاما فوق الالف .. اسمحى لى أن أضيف الى معلوماتك المعدومة .. معلومة صغيرة .. ان المليون هو ألف الالف .. أتتخيلين ؟ هنا فوق نفس الارض التى تعيشين عليها من يملك تلك الملايين .

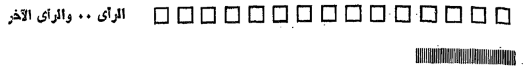
نفس الارض التى يفترشها أولادك فى المساء .. يتبختر عليها رجال يمضغون الذهب !!

لا تتعجبى يا أم محمد .. فأنت الارض التى أنبتت هؤلاء الرجال لا تتعجبى فأنت التى أخرجت احشاءك الجائعة وفرشتها تحت اقدامهم يدوسونها .. ويمشون عليها .. ويحصدون منها الذهب والاموال .. وانت راضية مستسلمة لقضاء الله وترددين « له فى ذلك حكم » !!

وهم راضون طبعا باستسلامك أنت وعبد التواب وغيركم او لعلك لا تعرفين حتى التعجب ! ! ■

ملحوظة :

●● ان رفضت الطليعة توصيل مبلغ العشرين جنيها لام محمد .. فسأقوم انا بالبحث عنها واعطائها اياه. سيقول البعض ان الحسنة يجب أن تكون فى الخفاء .. ولكنى لن أخفيها بل سأضيف اليها استعدادى التام لتغطية عجز الحكومة لتوفير الحد الادنى للاجور لام محمد بدفع ١٠ جنيهات شهريا لها حتى يتم تثبيتها فى العمل .



تعليـــق « للطليعة »

■■ بين هموم الست أم محمد وهموم السيدة كريمة

رسالة السيدة كريمة محمود ابراهيم تدل بلا شك على انها مواطنة ذات ضمير يقظ ، وعلى أنها مليئة بالنيات الطيبة والرغبة فى عمل شىء من أجل أم محمد ومن اجل غيرها ممن يعيشون فى ظروف بالغة القسوة . وقد قامت الطليعة بتحقيق رغبة السيدة كريمة بايصال المبلغ الى الست أم محمد . غير أننا نلاحظ ــ وهذا ما تنبهت اليه السيدة كريمة ــ أنها تحاول أن تحل مشكلة أم محمد بأن تحمل نفسها العبء كله ، وبطريقة فردية . وهذا الشعور الطيب ــ مع ذلك ــ لا يغير من هذه الحقيقة شيئا وهى أن قضية رفع مستوى معيشة الغالبية العظمى من الشعب هى قضية المجتمع لا قضية الرغبات الفردية . وهى قضية سياسية واقتصادية واجتماعية فى الاساس . وقضية بهذا الحجم ، وعلى هذا المستوى ، لا يمكن أن يحلها اجراء فردى ، ولا يمكن أن تترك لمجرد الدافع الذاتى ، هذا الدافع الذى قد يوجد وقد لا يوجد ، فضلا عن أن مواثيق الثورة ودستور البلاد ــ فى اطار الانتصار العالمى لمفهومات الاشتراكية والعدالة الاجتماعية ، قد جعل من قضية القضاء على التخلف والفقر والامية امورا واردة بل وممكنة ، اذا ما وضعت السياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السليمة ونفذت بالكيفية التى تخدم مصالح اوسع الجماهير .

محنـــة الـــوعى .. أم محنـــة التوعيـــة ؟

عبد العزيز مخيون *

لا يمكن أن يمر على المصريين فى صمت حديث الالام الذى فاض به المواطن عبد التواب امين أبو بكر على صفحات « الطليعة » .

لقد كان حديثا ثقيلا على النفس ، كل كلمة فيه وخزة لنا .. كنا نحاول أن نتخلص من قراءته خجلا أو هربا من مسئولية مواجهة هذا الواقع اللاانسانى .

ولاشك أننا جميعا قد سيطر علينا هذا الاحساس .

قالت « الطليعة » انها سوف تعرض على التوالى أمثال هذه الحالة وما شابهها ونقيضها من الحالات « الاخرى » .

ولكن ، أولا يجب أن نطرح على ملايين المواطنين حالات ــ ليس الحد الادنى للاجر ــ وانما « الحد الادنى للطعام » .. حالات أولئك الذين يعيشون على الكفاف فى جحور القرى والاحياء الشعبية ، الذين يعملون ولا يأكلون .

ولنحذر ــ على أية حال ــ أن تتحول « حالة عبد التواب » الى شريحة بحث ننظر اليها من خلف نظاراتنا المفضضة ولنحذر ... ان يتوه هذا البؤس تحت العناوين والمصطلحات والشعارات .. ولنحذر .. ان تستثمر « حالة عبد التواب » تحت أى شعار ، لانه يقلقنا ــ فى

(*) فنان مسرحى ــ مسرح الطليعة .

□□□□□□□□

الواقع ـ أن يكون وعى الجماهير « فى محنة » ؟ وأن يستدل على ذلك بطريقة التأمل الخاطف أو بواسطة البحث المكتبى النظرى فى أحسن الفروض ، أو « وأنت تتحصن فى مكتبك بالقرب من مدفأة ـ على الاغلب ـ فى هذا البرد القارس » . كما قال الاستاذ فيليب جلاب . لكن الممارسة العملية والاحتكاك المباشر بالناس يثبتان العكس تماما .

فحين تحاول انتصنع مع الناس نموذجا لحياة أفضل بصدق وحب وشرف سترى أنهم يستشعرون صدقك وحبك وشرفك . فالمصريون لا يضلون الشرف أبدا .. وستعرف أنهم على استعداد ان يقاتلوا معك من أجل هذا الحلم .. وهذه أمثلة فى مجتمعنا وهى واقعة فى حياتنا اليوم :

لقد رأينا قرية « المطاهرة البحرية » بالمنيا تتحدى الامية وتكسر سلاسل الجهل .. ورأينا قرى « الملاحية البحرية وسربو وأشمنت » ببنى سويف تتفانى فى الاستشهاد دفاعا عن الوطن وتتسامى بالالم واللوعة التى خلفتهما دماء الشهداء ... واطلقتم أنتم هذا ظاهرة « الثبات الواعى » .

وهذه قرية « زكى أفندى » مركز أبو حمص بمحافظة البحيرة تصارع التخلف ، وتقدم تجربة ثقافية واجتماعية من خلال اصرارهم على عرض مسرحية الصفقة لتوفيق الحكيم مطابقين واقعهم الحى على نص المسرحية لتخلق بين أيديهم مسرحية جديدة تفجر العديد من التساؤلات عن علاقة الفلاح بالمالك وعلاقة كل منهما بالارض ..

ورأيناهم يرفضون الفصل الثالث لصفقة توفيق الحكيم لانه لا يعبر عن صراعهم التاريخى من أجل الارض ، ويبحثون عن حل بديل من الواقع اليومى لقريتهم ، حتى تنتهى مسرحيتهم نهاية مقنعة لهم ، نهاية لا تصادر صراعهم على الارض .

رأينا ، فى تلك القرية ، هذا المواطن الذى أضناه الجوع ولفظه الحقل « السيد محمد القحف » عاملا زراعيا عبر عن مشكلة الجوع ـ نفس مشكلة عبد التواب اليوم ـ بقطعة مسرحية كاملة من تأليفه واخراجه وتمثيله . عرفنا كيف يعمل فى الارض ومن الذى يسرق عرقه فى الحقل .. وكيف يسرقه الموظفون الحكوميون من الخلف فى الوحدة المجمعة حيث يسلب حقه فى العيش الكريم تماما . وينهى الرجل درامته بسؤال من النار يواجه به جموع المتفرجين : « يعنى أعيش ازاى يا أسيادى وآكل منين أنا وعيالى ؟ »

حين أسوق هذه الامثلة ، وقرية زكى افندى ، كأمثلة على نضج الوعى الجماهيرى أشارككم الرأى الذى ورد فى عدد يناير سنة ١٩٧٦ : « ان حالة عبد التواب ليست حالة خاصة وانما هو نموذج دقيق لملايين من المواطنين الذين يتقاضون الحد الادنى للاجر » . و : « ان حالة عبد التواب ليست مجرد حالة ذاتية وانما هى أيضا حالة موضوعية » . وانها اطلالة مباشرة على حياة جماهير الشعب .. »

وكذلك قرية زكى افندى والمطاهرة البحرية وسربو وأشمنت وأشقاؤهم فى الاربعة آلاف قرية وابناؤهم فى الاحياء الشعبية فى المدن الكبرى والصغرى ، وفى الضواحى ، لا شك انهم من نفس هذا النوع المصرى ، ويتمتعون بهذه الصفات .

ومرة اخرى هذا عبد التواب قال لكم : انه لا يتوانى عن أن يقاتل الاستعمار وهو يقدم حياته وولده وأخاه لهذه المعركة .. وهو يعرف أن اسرائيل جزء من أمريكا ، ويعرف ان القطاع العام يحفظ كيان العامل ، ولا يخاف أن ينضم لمنبر شريف يحمل صوت الشعب ويتبنى مشاكله ويدافع عنها .. فهذا هو وعيه العميق الراسخ الذى يظهره شعبنا فى المواقف .. أما رأيه الاخر ، فهو يعبر بحق عن وعى عميق . فهو لا يظهر الا فى جلسات الثرثرة لانه وعى سطحى لوثته به بعض أجهزة الاعلام .

الوعى الراسخ عند عبد التواب هذا الجانب هو ما كان ينبغى أن تنظروا اليه . وهذه القرى ، والاحياء ، وهذه التجارب التى تتم فى قلب الناس هى التى ينبغى أن تحظى بعنايتكم واهتمامكم الحقيقى .

هذا هو الشعب يظهر على حقيقته ، ويلمع معدنه الاصيل فى المواقف والاحداث وفى العمل . لقد علمنا ذلك شعبنا على مر التاريخ القريب والبعيد . عندما تتوفر للجماهير وسائل التعبير تتمسك بها ، وتدافع عنها ، وتعرف كيف تعبر بابداع « ووعى » عن أزمتها ، لانها تعيها بأبعادها ، لانها تكتوى بنارها كل يوم .

وسؤال أخير يفرض نفسه فرضا : لو سلمنا بأن وعى عبد التواب « فى محنة » فأين كنا نحن ولماذا تركنا عبد التواب فريسة للتضليل .. لماذا تركنا وعيه يسلب منه ومنا ؟

حين يعمل المثقف المصرى اليوم مع الناس سوف يكتشف انه يرفع شعارات متخلفة عن طموح الجماهير ويتحتم عليه ان يسأل نفسه هذا السؤال الضرورى

هل نحن فى مقدمة الطابور أم نحن فى ذيله ؟؟

عن تسطيح الوعى

البدرى فرغلى محمد على *

دون الدخول فيما قالته « أم محمد » يجب أولا ان نعرف لماذا كانت « أم محمد » ؟

ان الوعي تضعه العوامل المحيطة بالانسان . ويعتبر الاعلام الاداة الرئيسية فى صنع وعي الانسان . السينما التى لم تدخلها قط والصحافة التى لم تقراها والاذاعة التى تسمع عنها !!

اذن من صانع وعيها ؟

من المعروف ان « أم محمد » هى من القوى « الهامشية » فى المجتمع ، وان كان حجمها يمثل نسبة ضخمة فى المجتمع المصرى . وقدعاشت طفولتها وصباها فى القرية ، تحيط بها العلاقات الاقطاعية والقبلية وبالتالى الافكار المتولدة من هذه العلاقات . اذن هذا هو المنبع الذى شربت منه. ودافعت عن هذه الافكار دون ان يحاول احد هزيمة هذه الافكار داخلها . وعندما انتقلت « أم محمد » الى القاهرة حاصرتها نفس الافكار ، ولكن بطريقة اخرى حيث عاشت ايامها الاولى فى انجاب وتربية الاطفال دون جديد . سوى تغيير حضارى زائف حولها .. وعندما كثرت الافواه التى تطلب الطعام اضطرت ان تخرج لتعمل حتى تسد جوعها . ولكن ليس هناك جديد ايضا لتقدم وعيها ، حيث انها تعمل طوال النهار حتى المساء فى عمل متواصل مع بيعها لقوة عملها الاضافية بعشرة قروش فى مسح اقسام « التومرجيات » ذوات الاجور المتقدمة عنها .

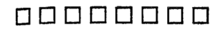
أما الرافد الملاصق ، لها والذى يمكن ان يقدم وعيها فهو زوجها الذى يعمل من الصباح حتى المساء . وهو بالتالى لن يقدم لها شيئا يذكر . حتى ابنها الذى يشترى الصحيفة فى الشهر مرتين ويرى تليفزيون الجيران هو الاخر لن يقدم شيئا .. لان هذه الاجهزة لن تقدم له شخصيا شيئا سوى « تسطيح وعيه » اذن « أم محمد » ليست ظاهرة شاذة داخل المجتمع بل هى اساس هذا المجتمع حيث تعيش الغالبية العظمى منه فى أمية ابجدية تنعكس بالضرورة على الامية السياسية . وهذا لا يعنى ان كل الاميين هم « أم محمد » ولكن الغالبية العظمى هم كذلك وحيث تسود قيم مجتمع ما قبل الراسمالية داخل السواد الاعظم من جماهير الشعب المصرى تصبح القوى المعادية للجماهير هى « المهيمنة » على عقول هذه الجماهير خصوصا فى الريف حيث نبتت « أم محمد » ويتحمل مسئولية هذا الوضع التوليفات السياسية التى عزلت أم محمد عن اى نشاط سياسى ونصبت نفسها متحدثا بالنيابة عن أم محمد وامثالها .

والحقيقة تتفاوت نسبة الوعى داخل جماهيرنا من « أم محمد » من قاع الوعى الى اكثر هذه الجماهير وعيا . ويظهر ذلك واضحا فى عمليات — تعبير عن الراى — فى هذه القطاعات المتقدمة ولكن ما مدى حجمها بمقياس حجم الجماهير كلها ؟؟

وقد « يمصمص شفتيه » مثقف وهو يبرأ ما تاكله « أم محمد » واولادها من « الكرشة »

على العموم ان « افكار » ام محمد ليست هى فى الحقيقة افكارها . وسوف تظهر افكار « امهات محمد » وآباء محمد اذا رفعت التنظيمات السياسية عنهم وصايتها ، وتركتهم يفرضون هم على أنفسهم وصايتهم . ■

(*) عامل شحن وتفريغ ببورسعيد .



فليكن القانون بطلنا الثالث بعد عبد التواب وأم محمد

عادل مرسى *

. بعيدا عما اصبح السمة البارزة فى اغلب ما تنشره صحافتنا اليوم والذى يصدق عليه تماما كاريكاتير نشرته مجلة صباح الخير منذ فترة عن أن صحفنا الثلاث واحدة لا تكذب .. وأخرى لا تقول الصدق .. وثالثة لا تقول شيئا .. بعيدا عن صحافة الاثارة والتشكيك والمتاهات التى لا تعيش الا واقع اصحابها بعيدة كل البعد عن واقع ومشاكل تلك الطبقات الكادحة المطحونة بغلاء لا يرحم ومعاناة يومية لمشاكل لا تنتهى وترقب بأسى وحسرة هذا الطوفان الذى يهدد بنا تلك الايام . ففى كل موقع تجد التسيب والانحرافات والرشاوى والعمولات وقطط سمان وقطط فراش ونهب واختلاس من المال العام بمبالغ تفوق بكثير الكثير عما فى خيال « **الست ام محمد** » فى علم الحساب والارقام . وعودة الى شريعة الغاب ، واندفاع طبقة من قاع المجتمع لتعلوه كاسحة فى طريقها كل شىء فى سبيل الاثراء السريع الحرام لايقف امامها تهديد ولا يخيفها وعيد فما أسهل كل شىء أمامها فهى دائما تعرف اين الطريق واين مسالكه وتملك المفاتيح .. ويقف القانون أمام كل هذا ساكنا مكتوف الايدى وكأنه هو الاخر قد لحقت به موجة الغلاء فأصابته الانيميا وانتابه الهزال انه القانون . ان حل الجزء الاكبر من مشكلتك يا اخ « **عبد التواب** » فى يد القانون . فالقانون وحده هو الذى يستطيع أن يسد تلك البالوعة الرهيبة التى تستنزف دماء الدولة بلا حساب . انه القانون يا أخت « **أم محمد** » الذى يستطيع بتر تلك الايدى التى تمتد الى دخلنا القومى بلا رقيب ليعود عائدها الحقيقى لك . للملايين لا لاصحاب الملايين . اعيدوا النظر فى قوانيننا وخاصة تلك التى تتعلق بالمال العام والانحراف به والمتاجرة بقوت الشعب . إن القوانين من صنع الانسان ووضعت لتنظيم العلاقات الاجتماعية له وبتغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية لابد من تغيير القوانين نفسها لتتلاءم مع المناخ الجديد حماية للانسان وصونا لممتلكاته .

ان القانون يعاقب من يقتل فردا بالاعدام فما بالكم بمن يميت الملايين الا يستحق الاعدام ؟ لماذا لا نغير القانون ؟ لقد سبقتنا الى ذلك دول أكثر منا تحضرا وأفضل منا تقدما وعلما . اننا نفخر بأننا هدمنا السجون واغلقنا المعتقلات . لماذا لا يعاد فتحها ؟ ان خارج السجون والمعتقلات اليوم من هم أخطر بكثير ـ وكثير جدا ـ على المجتمع عما كانوا به يوما .. !

بعيدا وبموضوعية حقيقية ، قدمت لنا « الطليعة » ـ كعهدنا بها دائما ـ شريحتين للمواطن العادى فى مصر ، نموذجين صادقين للقطاع العريض ، من واقعنا ليطرح الواقع نفسه بحقائقه ليدور النقاش بحثا عن حل ، وطالبتنا « الطليعة » أن نقترح من بعد « عبد التواب » و« أم محمد » .

وانا اقترح « القانون » نعم فليكن القانون هو بطلنا الثالث ..

(*) مواطن من الاسكندرية .

وهـــذه صـــــورة أخـــرى من عـالم عبد التواب وأم محمد

هاشم شطورى *

يعلن قطاع امتداد مريوط ببرج العرب من حاجته الى عمال زراعيين وقد تحدد لذلك جلسة ممارسة فى ٢٨ - ١ - ١٩٧٦ والشروط بادارة المشتريات فعلى من يرغب الحضور فى الزمان والمكان المحدد على ان يكون من حاملى البطاقة الضريبية . مع دفع تأمين قول قدره ١ فى المائة يزاد الى ٥ فى المائة فى حالة رسو العطاء .

اذا كانت « الطليعة » قد قدمت لنا المواطن عبد التواب والست أم محمد كنموذجين لشريحة واسعة فى مجتمعنا هبطت بها عوامل القهر الاجتماعى الى ادنى المستويات ، لنتحمل جميعا مسئولية انقاذها من الهوة السحيقة التى تردت فيها ، فانى اقدم هذا النموذج الاخر من ذلك العالم المقهور .. الذى تحول فيه الانسان الى سلعة رائجة فى تجارة جديدة للرقيق تسمى فى بلادنا **تجارة « توريد الانفار »** . هذا النموذج الذى يمثله عامل الزراعة أو عامل الترحيلة أو « النفر » - كما يسمونه - قد أصبح « بضاعة » يطلب من حاملى البطاقات الضريبية ان يتقدموا للتعاقد على توريدها .

فتعالوا ، نتعرف على هذا العامل الذى وقع فريسة فى أيدى فئة من التجار استباحت لنفسها الاتجار بعرق المواطنين وجهدهم ، واثرت ثراء فاحشا من ناتج عملهم ، ثم واستمرات هذه التجارة ، حتى دفعها الجشع الى تخريب الذمم ودفع الرشاوى من كل لون ..

وفى قضية واحدة ، معروفة بقضية « الجوالين » وقعت احداثها بقطاع مريوط التابع لمؤسسة استزراع الاراضى « الملغاة عام ١٩٦٨ » بلغت الاختلاسات فيها اكثر من نصف مليون جنيه . وظلت هذه القضية تتداول سنوات وملأت أوراقها غرفة كاملة بمقر نيابة الدخيلة - وحتى هذه اللحظة لم ينته التحقيق بعد ، وبالتالى لم تتحدد المسئولية ايضا .

هذه الفئة من تجار الرقيق انما تكتسب شرعيتها - بكل أسف - من أجهزة الدولة التى تتعامل معها فى شتى المرافق ، كما تتعامل مع أى تاجر أو مقاول يقدم لها مختلف السلع والمهمات . وكان الاجدر بأجهزة الحكم التى تردد دائما عزمها على منع استغلال الانسان للانسان أن تحرم هذه التجارة التى حرمتها المواثيق الدولية .. ناهيك عن مواثيقنا الثورية ، وفى ظل نظام ينطلق من الاشتراكية .

هذه الفئة المتضخمة من مقاولى الانفار « تجار الرقيق » تنتشر فى مجتمعنا بصورة لا يمكن أن يتخيلها اولئك الذين يتشدقون بالحرية والديمقراطية منفصلة عن الواقع ... ولو تصوروها لتوقفوا قليلا للاجابة على هذا السؤال : ما الحرية .. ولمن الديمقراطية ؟ ولو مد المتاجرون بالدين أبصارهم الى هذا الواقع لغيروا من تخصصهم فى هذه المرحلة .. ولجعلوه مقصورا على محاربة مصاصى الدماء .. بدلا من

(*) محام بالدقى .

□□□□□□□□

تخصصهم في محاربة المذاهب الاشتراكية والافكار التقدمية .

ان هؤلاء التجار من مقاولي الانفار ينتشرون في المدن والقرى والكفور والنجوع .. يتعقبون الفقراء والمحتاجين ممن لا يجدون قوت يومهم لينصبوا لهم الشباك حتى اذا أوقعوهم فيها انطلقوا بهم الى ذلك العالم المجهول الذي لا يصدقه الخيال ...

وفي عالم الفقر والحرمان ... يفتتحون محال للبقالة :

خبز .. فول .. عدس .. حلاوة .. جبنة .. سجاير .. معسل .. الخ . يعرضونها للبيع « بالكشك » لهؤلاء المحتاجين .. وعندما يصل الحساب الى حد لا يقدر الفرد على الوفاء به ... خمسة جنيهات مثلا .. وتحت ضغط صاحب المحل - الذي هو في ذات الوقت مقاول انفار ... وبشتى الوسائل التي منها التوقيع على ايصال أمانة .. كما رأينا في حالة المواطن عبد التواب - يقع كثيرون من الفقراء في مصيدة المقاول ، الذي يجمعهم كقطيع الاغنام ، لينطلق بهم الى مواقع العمل التي يكون قد تعاقد معها على « التوريد » ، حيث تبدأ عملية استنزافهم بطريقة منظمة .. يجني منها المقاول المال الوفير ، ثم ليدهب « الانفار - بعد ذلك - الى الجحيم .

لقد أصبح الانفار ملكا للمقاول دون منازع : فهم مدينون له ، وقد وقعوا ببصماتهم على ايصالات الامانة .. ولا خيار لهم الا بين أمرين : فأما الخضوع التام لسلطانهم الجديد .. او السجن !!

وفي موقع العمل ، تنصب لهم الخيام التي يأوون اليها .. من حر وبرد . ويتكدسون داخلها بالجملة . يفترشون الثرى أو الاجولة المستهلكة ، او بعض القش او التبن . كل عشرين او ثلاثين منهم في خيمة ، لا يفرقهم عن المواشي سوى الاحساس بالالم والضياع داخل ما يسمى « بالمعسكر » الذي يقوم المقاول فيه بدور المستبد الذي يخاطب هؤلاء الانفار بشعار « أطع ولو غلط » . وهكذا ، فان الخبز الذي يقدمه المقاول لابد ان يؤكل مهما كانت صفته وبالحساب المغموس .. كل ، شيء بالحساب . حتى سماع الراديو ، النفر يسمع بعشرة قروش شهريا .

وفي نهاية كل مدة يقبض المقاول أجور انفاره .. فيوزعها عليهم كما يلي

١ - خصم جزء من الاجر لا يقل عن النصف للتخالص بدينه .

٢ - خصم العمولة التي لا تقل عن عشرة قروش من الاجرة اليومية « نلاحظ هنا ان غالبية المقاولين لا يشترطون عمولة من الجهات المتعاقدة اكتفاء بالخصم من يومية العمال » .

٣ - خصم ثمن الاطعمة التي يقدمها المقاول وبالاسعار التي يحددها من جانبه فقط ... ومقابل سماع الراديو !!

ولابد ان تسفر تصفية الحساب عن عدم كفاية اجر العامل للوفاء بديونه للمقاول .. وعليه أن يحمد الله لانه يأكل ويشرب « ويسكن » ويسدد جزءا من الدين الذي عليه !!

ويعلم العامل المسكين ، أن بقاءه داخل أسوار المعسكر سوف يطول بلا نتيجة ، وانه لن يستطيع العودة الى أهله بشيء ناتج من كده ، يعوضهم عن فراقه ، ويدخل عليهم سعادة قلما عرفوها . فماذا يفعل من أجل تحقيق هذه الامنية ؟ انه يعمل تحت سياط المقاول من مطلع الشمس الى مغربها .. بلا مقابل ملموس . اذن ، سوف يبذل المزيد من الجهد ليحصل على أجر نقدي اضافي . فيلجأ الى العمل لدى الاهالي المجاورين للمعسكر ، وذلك بعد فراغه من يوم العمل الرسمي . وعندما يهبط - الظلام ويكون من حقه ان يستريح ، نراه يواصل العمل ... أي عمل ... عزيق بالفأس .. ادارة طنبور ... حمل اتربة او سباخ ... حصاد . أو جمع محاصيل أو حش برسيم ، أو تحميل سيارات بالخضر والفواكه ، وعلى الرغم من ذلك فهو يسعد لانه عاد مع مطلع الشمس وهو يتحسس الربع جنيه الذي قبضه فور الانتهاء من العمل ، واستطاع بكفاحه أن يستحوذ عليه ليبقيه مع غيره من أرباع الجنيهات .. ليفرح بها أهله عندما يعود الى البلد .

ولكن ، ويا للمأساة ! عندما تكون العودة الى الاهل قد أصبحت وشيكة تداعب خياله المكدود ، يكون العامل قد وقع فريسة للاجهاد والتعب والجوع والمرض ، فينزوي في ركن من الخيمة ... فاقد الحركة . وعندما يكتشف أحد زملائه أنه قد مات تسارع احدى عربات النقل التابعة للمقاول .. لتحمله الى اهله في البلد !!

ولكن .. هل تصدقون أن المقاول قد اصبح على هذه الدرجة من السذاجة حتى يتحمل تكاليف النقل ؟ لا .. فالواقع غير ذلك ... فعلى بعد خطوات من المعسكر .. اقام المقاول لعماله مقبرة صغيرة « قطاع خاص » .... !! . ■

« همـــوم أم محمـــد » بيـن الاصـــلاح والتبـــاكى والثـــورة

ابراهيم المصرى *

عندما استعرضت « الطليعة »تفاصيل حياة ام محمد فانها أخذت بذلك خطوة كان يجب أن تخطوها من زمن . لتقترب « الطليعة » بما تمثله من فكر لروح الشعب . وبدلا من أن تظل التنظيرات الفكرية بتركيباتها التى يصعب على غير المثقفين فهمها فى واد والجماهير التى تتحدث باسمهم فى واد . لقد احسنت الطليعة صنعا، وارجو أن تتابع خطاها فى الاقتراب من آلام الانسان المصرى وآماله بلغة مبسطة كى يعرف موقعه على الخريطة الاجتماعيه وليتخذ موقفا ايجابيا وفعالا . فالاشتراكية لا تمنح ولا تولد بقرارات بل ـ وكما نعلم ـ يتوقف صنعها على مدى وعى الجماهير صاحبة المصلحة وفاعليتها .

أن تعرف الجماهير اين هى من الصراع الاجتماعى من أعدائها ما هى أساليبهم ووسائلهم لسرقة اقواتها وتضليلها عن معرفة طريقها نحو مجتمع العدل والسلام وكذلك أن تعرف الجماهير من حلفاؤها الطبيعيون ومن اصدقاؤها كل ذلك واجب على الطلائع الوطنية المثقفة والمستنيرة باختلاف انتماءاتها .

وربما يغرق البعض فى لحظات من تعذيب الذات لاحساسهم بجرم المجتمع الذين هم بعض أفراده وتلقديرهم لمدى مسئوليته واحساسهم بالعار لوضع تلك الاسرة .

وقد لا يصدق البعض بوجود أمثال أم محمد ، فيزعم انها ربما تكون حالة شاذة لا تقبل التعميم . وقد يصيحون دهشة : محال ! ونحن نتكلم عن التليفزيون الملون تكون فى مصر أمثال أم محمد .. ربما تكون من كوكب آخر مثل تلك السيدة التى تقود أسرتها فى ظل دخل يصعب على الفهم كيفيه الاستمرار به .

وقد يسفر نقاش بعض المثقفين عن أن أم محمد وأمثالها بحاجة الى أن تمتد اليهم يد الاصلاح فى ظل التكافل الاجتماعى . وان تكون هناك مجموعة من الخطوات تتخذ لمواجهة أمثال تلك الحالات التى تنغص حالة الاستقرار لضمير المدينة مثل الحد من هجرة الريف الى المدينة أو تحديد النسل حتى لا يتسبب أولئك الوافدون الذين يتناسلون بلا ضابط فى تفاقم مشكلات المدينة التى تنوء بها .

وربما يتحامل البعض على ام محمد فيتهمها بالمسئولية عما هى فيه ويحملها تبعات وعيها المسلوب وذلك بعدم محاولتها للفهم وامتثالهالحالة الحصار المضروبة على عقلها واستكانتها للامر الواقع .

لا أنفى جزءا من المسئولية تتحمله ام محمد ، غير ان الامر اكبـر من ذلك بكثير .وان تلك الحالات المازوكية والسادية التى يعيشها البعض فكريا والرؤى المسطحة لعالمنا بعيدة تماما عن واقعنا المعاش . ذلك ان امثال امحمدفى مجتمعنا يشكلون ٦ مليون نسمة منهم ٣ مليون عمـال تراحيل يعيشون فى نفس ظروف ام محمد ان لم يكن أسوأ . وكثيرا ماسمعنا عن برامـج لحكومات مختلفة تعاقبت ، فى السنوات الماضية ، كلها ادعت اهتمامها بعمـال التراحيل ، ولـم يحدث شىء للان بالنسبة لهم . هذا فضلا عن عمال محالج الاقطان وعمال الخدمات وبعض الصناعات كلهم عمال . موسميون لايملك احد منهم حق ان يحلم بالغد ، ولايستطيع ان يضع لحيته هدفالانه لا يملك من أمرتلك الحياة شيئا . فهى دائما فى علم الغيب يلازمه فيها عدم الاحساس بالامان .

وفى ظـل تلك الظروف اللاانسانيـة ، عندما يعيشها الانسان وهو لايملك بصيصا من أملفى تغييرها ، فلا عجب ان اسلمت تلك الحياة الـى السلبية واللامبالاه . وماذا قدم له المجتمع كى يستثار اهتمامه فيعرف ما هى تنظيماته السياسيه وماهى قضاياه المصيرية او حياته الثقـــافية والفنيـة ان عدم الاحساس بالانتمـاء هو النتيجة الحتمية . وعندما يعيش ٦ مليون مصرى فى ظل تلك الظروف فالامر الذى لاشك فيه هو ان تركيبة يعيشها مجتمعنا لاينفع معها التباكى كما لن يصوبها الاصلاح الشكلى .

ان حلولا ثورية يجب أن تتخذ . وحتى يتحقق السلام الاجتماعى فلابد من اتباع سياسة مخططة للتنمية أولوياتها تصنيع الريف لان كهربة الريف

(*) عامل فنى بالسويس .

□□□□□□□□

ليست مجرد اثارة . ثم تعمل تلك التنمية على زيادة الانتاج وتثبيت الاسعار واعادة توزيع الدخل وان يصبح شعار « الانسان » هدف التنميـــة ووسيلتها » موضع التطبيق . بمعنى ، أن تكون هناك برامج لرفع مستوى الانسان المصرى معاشيا وتعليميا وروحيا وان لم تتخذ خطوات فعالة على هذا الطريق فان الخلل سوف يستفحل ولن تعدم الطبقات الكادحة من مثقفيها الذين سوف يردون لها وعيها المسلوب فمصر لم تعد بحاجة للمثقفين الذين ينقدون ويعلقون . ان مصر بحاجة الى المثقفين المقاتلين المناضلين .

«الســـت أم محمـــــد» نمـــوذج للانســـان المصرى البســيط

حسن جلال السيد *

يسعدنى أن ألبى رغبة فى نفسى قد تكون بعيدة فى زمنها وهى الكتابة الى الطليعة ، حينما نظهر هذه النماذج من مجتمعنا نرى الى أى مدى يلعب هؤلاء الذين يزيفون الواقع بغـرض التســلية وتسطيح المشاكل وسط مجتمع يحاول جاهدا أن يطل برأسه على الحياة ،وسط موجة استغلال الديمقراطية لصالح فئة المنتفعين ، ومحاولة خنق الافكار الجادة التى تعمل فى محاولة تغيير الظروف المعيشية الى واقع أفضل غير مرتبطة الا بحبها لهذا الوطن الذى نعيش فيه .

كانت البداية بعم عبد التواب ثم الست أم محمد .

وحينما سألتها الطليعة :

– « هناك ناس يقولون أن أمريكا سوف تبعث لنا حاجات كلها خير – هل رايك أن هذا ممكن ؟ » .

لم تتردد أم محمد أو تبتسم ويظهر عليها الفرح حينما سمعت عن الخير الذى سوف تبعثه أمريكا وبسرعة أجابت :

– « ربنا هو القوى وفوق كل حاجة – والله ده بتاع ربنا » .

رغم الفقر والحرمان والتلهف على ان يرسـل ربنا ابن الحلال الذى يثبتها فى عملها احســت بكرامتها تجاه هذا الخير .

وقد تكون الاجابة عفوية : الا أنها تؤكد نوعية الانسان المصرى البسيط الذى لا يبهره الخير الامريكى الذى سال له لعاب كثير من الاغنياء وروجوا له فى الصحف ووسائل الإعلام المختلفة .

وليست أم محمد نموذجا فرديا كما قالت د . **لطيفة الزيات** . ولكن كثيرات ، وكثيرات جدا يحلمن بوضع أم محمد !! لانها اتيحت لها الفرصة للعمل تمورجية ، بالاضافة الى زوجها عامل الكواء ..

وكثير من المعدمين فى الريف المصرى ممن يرحلون تاركين القرية للبحث عن عمل بالمدينة ، وبرفقتهم زوجاتهم واولادهم ، يعيشون أقل بكثير من **الست أم محمد** وزوجها واولادها ، ونصل الى اجابات الست **أم محمد** التى حكمت عليها بصورتها هذه طبيعة المجتمع التى تعيش فيه – افكار **ام محمد** وكل مالها وما تعرفه فى حدود مكان عملها فى معهد القلب بامبابة ، والعتبة التى تركب منها ، والمطرية مكان سكنها ، وكل ما تعرفه تسمعه ولا تسمع كل مايقال :

– **اصل انا بقى لما ناس يتكلموا مليش دعوة** بيهم وبس اشوف شغلى » .

ان مشاكل الست **أم محمد** وآمالها فى العيش بالحد الادنى من الاجر المحرومة منه ومشاكلها – فى محاولة اسعاد اولادها – طحنت كل رغبة لديها فى معرفة الاشياء الاخرى ، بالاضافة الى المحاصرة التى فرضها عليها المجتمع – وتحاول ام محمد جاهدة للخروج من هذا الحصـــــار فى احكامهـــا العفوية على القطاع العــــام او اسفها أنها لاتملك الشراء منه لقولها :

« ان مفيش عندنا جمعية والجمعية البعيدة فيها طابور زحمة والبت ما تعرفش تسيب اخوتها كذلك فى حكمها على العمل بالدول العربية .

أما احكامها على فلسطين والاستعمار ، فماذا نتوقع وسط التسطيح العام والابتعاد عن التثقيف الجاد الذى تخلو منه او تكاد أجهزة الاعلام ؟ ماذا نتوقع أن تكون اجابتها ؟

ان الست أم محمد – كاغلب المصريين فى الريف والمدينة والاحياء الشعبية – يعرفون نصف الحقائق او الحقائق مقلوبة – وفى غياب الوعى يحدث من هذا الشىء الكثير . ل

(*) شركة النصر للاسمدة بالسويس

((الشواربى)) شارع ام ظاهرة ومجابهته هل تكون باندفاعه وقتيه ، أم بملاحقة تتفهم هذه الظاهرة واسبابها وتسعى الى تلافى هذه الاسباب .
عن هذا الموضوع تكتب سهام هاشم ..

اطلالة على ظاهرة « الشواربى »

سهام هاشم *

لا استطيع أن أزعم أنه فى الامكان ، فى مثل هذه العجالة تحليل ما أسميته متعمدة « بظاهرة الشواربى » . فهى ظاهرة **أولا لانها تتسم بطابع الانتشار** اذ يوجد أكثر من شارع فى أنحاء العاصمة يضم متاجر على شاكلة محلات الشواربى . **وثانيا** : لان ظهور محلات الشواربى ، وما يشابهها وما تمثله هو **انعكاس لاوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية أشمل** ، بل يمكن القول أن هذه الاوضاع هى المسئولة عن افراز هذه الظاهرة .

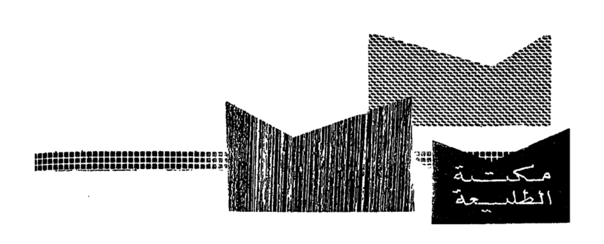
غير أن ما يمكن أن أسجله ـ ازاء هذه الظاهرة وبعد مرور ـ حوالى عشرين يوما على وقوع ذلك الحادث الذى استفز الرأى العام واستنفر العديد من الاقلام كان بعضها صادقا والبعض الاخر كتب « نزولا على رغبة الجماهير » أو مسايرة للزفة ، كما يقولون . وللاسف ، فاننى لم أجد فيما قرأت بشأن هذا الحادث ـ الذى كان بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير ـ محاولة للتحليل المتعمق لهذه الظاهرة التى يمكن أن تكون نقطة بدء لسلسلة من البحوث الاجتماعية والنفسية بوجه خاص . فمن الاقلام ما اكتفى بصب الغضب واللعنات على هؤلاء التجار وكأنهم أجسام غريبة أو مشوهة خارجة عن الجسد الأصلى للمجتمع بكل مكوناته . والبعض الاخر اكتفى بلوم الاجهزة المسئولة التى لم تفطن منذ البداية الى هذه الظاهرة لكى تتناولها بالعلاج «١» والبعض الثالث اخذه الحماس فاذا به يوجه اللوم للمواطنين ، بل وللشعب بأسره ، لانه المسئول عن نمو هذه الظاهرة وبدعوة لمقاطعة الشارع تماما «٢» . وكأن الشعب ـ بكل ما فيه من شرفاء وكاد حين وبؤساء ـ كان يتعامل مع هذا الشارع ولا هم له الا الشراء منه !

وعلى الرغم من أن ما تناولته هذه الاقلام يعبر عن بعض جوانب هذه الظاهرة ، الا انها لم تستطع أن تضع يدها على الاسباب الحقيقية لنشأتها وتفشيها بهذا الشكل الراهن . وفى رأيى ـ وهذا اجتهاد شخصى قد يكون صائبا أو خاطئا ـ أن السبب الاشمل لظاهرة الشواربى هو « فقدان » القدوة فى ماذا ؟ القدوة **فى القول الصادق وفى تسمية الاشياء بأسمائها** . والا اليس كل ما ضبط من مخالفات داخل الشواربى ومتاجره لا يخرج عن كونه لونا من الوان الكذب على المواطنين ؟ وتقديم بضائع وسلع بغير أسمائها الحقيقية ؟ الا تعتبر هذه المخالفات انعكاسا لتصرفات شريحة من المجتمع صغيرة تحصل على ٤٥ فى المائة من استهلاكه الكلى ، وتفرض بوضعها انماطا من الاستهلاك الترفى ، ومن التبذير ، وتعطى صورة خادعة عن المجتمع وغير صادقة عن مشاكله تفتقر الى الدقة والمصارحة ؟ أو ليس تهريب البضائع هو صورة من صور الاستيراد بدون تحويل عملة الذى صدرت القوانين لاباحته لكى يفسر هذه القوانين كل كما يحلو له ؟ وهل عرض بضائع مصرية ـ على انها أجنبية ومستوردة من العالم الغربى يخرج عن كونه مسايرة لموضة استغلال « الانفتاح » على العالم الغربى دون ما نظر الى ظروفنا كبلد نام ما زال جزء من ارضه محتلا ويتطلع الى ارساء قواعد الاشتراكية ؟؟ وهل عرض بضائع كمالية وسلع للاستهلاك الترفى يتجاوز كونه سبيلا الى انكار ما تعانيه غالبية طبقات المجتمع المصرى من فاقة وحرمان بل هو سبيل لانكار وجود هذه الطبقات أصلا ؟

اننى أرى وقد أكون مخطئة تشابها شديدا بين الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التى تحيط بنا كأنها حبات فى عقد واحد فلنتدبر هذا التشابه ، لان ادراك التشابه هو مفتاح الحل الاشمل .

وقديما قال **أفلاطون** فى احدى محاوراته « دلنى على من يدرك وجه الشبه بين الاشياء اتبعه كما اتبع الالهة » . ■

* محررة بوكالة انباء الشرق الاوسط
[١] مقال سعيد سنبل فى جريدة اخبار اليوم بتاريخ ١/١٤ وجهة نظر فى الاهرام بتاريخ ٢/١٢
[٢] الاهرام يوم ٢/١١ وجهة نظر بتوقيع صاروخ .



ملف عبد الناصر بين اليسار المصرى وتوفيق الحكيم

عرض وتعليق : د. رفعت السعيد

الناشر : دار القضايا — بيروت ١٩٧٦

الثمن : ١٥ ليرة لبنانية

عندما أصدر توفيق الحكيم كتابه « عودة الوعى » أثار به ضجة كبيرة فى الوجدان المصرى ، فالروح الانتقادية الحادة التى تميز بهـا تجاه «الناصرية » قد دفعت الكثيرين الى الدهشة ، فتوفيق الحكيم صاحب « عودة الروح وعصفور من الشرق » و « يوميات نائب فى الارياف » .. الخ كان فى نظر الكثيرين « الاب الروحى » للكثير من أبناء وقادة ثورة يوليو .. والتقط اليمين الخيط .

حاول اليمين المتخلف ، والعاجز عن ايجاد أى منهج فكرى مقبول او متسق ، ان يتوكـأ على عصا « الحكيم » مؤملا أن يكسب بهذا بعضا من الجماهيرية فى معركته الوحشية ضد ثورة يوليو وايجابياتها على وجه التحديد .

كذلك اتخذ بعض الناصريين هذا النقد الذى وجهه الحكيم لعبد الناصر ليتناسوا كل « توفيق الحكيم » ، كل تراثه وفكره وأثره فى الوجدان المصرى ، وانهالوا عليه .

وهكذا وجد « توفيق الحكيم » نفسه ، فى موقف الغريب . اليمين يحاول أن يجتذبه رغم أنفه الى ساحته ، وبعض الناصريين والتقدميين يحاولون أن يدفعوه دفعا — ورغم أنفه ايضا — بعيدا عن ساحاتهم لكن الرجل يغرس أقدامه الراسخة ويرفع عصاه التقليدية فى وجه الموقفين معا ...

اياهم انكلا منهماينسى « الحكيم » الحقيقى « الحكيم » الجوهر .

ويكتب الحكيم رسالة الى « لطفى الخولى » يورد فيها مقتبسات من أفكاره القديمة عن « الاشتراكية والتقدم » ، وعن وقفاته فى سبيل حرية شعبه .. مؤكدا وجوده فى الساحة التى ارادها بنفسه ، غير سامح لاحد أن يزحزحه منها .

وهكذا كان حوار اليسار مع توفيق الحكيم .

والحقيقة ان اى حوار فكرى ممتد مع مفكر كتوفيق الحكيم يكتسب أهمية خاصة ، وتزيد أهميته اذا ما جرى مع عشرة من مفكرى اليسار المصرى ، ثم تتصاعد هذه الاهمية اذا ماكان موضوع الحوار هو « ملف عبد الناصر » . اى تجربة ثورة يوليو . اى حياة مصر طوال أكثر من عشرين عاما من أهم وأخصب سنوات حياتها .



عمـــال الـــتراحيل

المؤلف : عطية الصيرفى

الناشر : دار الثقافة الجديدة

الثمن : ٣٥ قرشا

عامل نقل يكتب عن قطاع مهمل بقدر ما هو هام من عمال الزراعة . والكتاب دراسة جيدة تعتمد على ملامسة الواقع بأحساس مرهف لا يكتفى بمجرد الوعى الطبقى وانما يضيف اليه المعاناه الطبقية ايضا ..

والمؤلف يعلن على غلاف كتابه انه يهدف « وهو نفسه من العمال الذين انتزعوا المعرفة انتزاعا من مخالب المجتمع الاقطاعى المستعمر ، الى محاولة بعث وحدة الطبقة العاملة المصرية فى الصناعة والزراعة والخدمات باعتبار ان هذه الوحدة هى التى ستقضى على هموم عمال الريف والمدينة على السواء » .

ويجرى الحوار المنهجى عبر جلسات تسع تمتاز بالجهد الفكرى الخلاق والمتسق والمتكامل . فثورة يوليو كظاهرة توضع موضع الرؤية الموضوعية، والرؤية مؤهلة لان توشك أن تكون متكاملة : فالمتحاورون بجديتهم وبتاريخهم وبتعدد منطلقاتهم قادرون بالفعل على ذلك .

فالرؤية من الداخل من العمق تأتى من واحد ممن عاشوا عملية صناعة الثورة والاعداد لها والقيام بها .. فخالد محيى الدين يقدم وبموضوعية تامة رؤيته ..

والرؤية تأتى ايضا بمنظار السياسى والفيلسوف والاقتصادى والمفكر والاديب .

والرؤية تستجمع ايضا أكثر من نظرة ، نظرة الماركسيين المصريين ، ونظرة يسار الناصرية نفسها ، ونظرة الليبراليين .

ومن هنا ، توشك هذه الرؤية ان تكون اشمل الرؤى الموضوعية والمنهجية لثورة يوليو وقادتها
والكتاب يستجمع الى جانب الرسائل الاولى المتبادلة بين الحكيم ولطفى الخولى ، المحاضر الكاملة لجلسات الحوار التسع ثم البيان الصادر عن الندوة .

وهو بهذا ليس مجرد وثيقة تضم أفكار ومواقف **توفيق الحكيم . خالد محيى الدين . لطفى الخولى . د. فؤاد مرسى . أحمد عباس صالح . د . عبد العظيم أنيس . د . لطيفة الزيات . د . مراد وهبة . أبو سيف يوسف . محمد سيد أحمد حول موضوع بالغ الاهمية .**

لكنه ايضا وهذا هو المهم محاولة جادة لتأصيل البحث ومنهجيته فى مثل هذه القضايا الهامة .. انه تحذير من اية تسرع او تصيد او غوغائية فى الحكم على القادة الافراد ، أو الحكم على المواقف .

فبدون النقاش الموضوعى والمنهجى ، وبدون اعمال العقل الجماعى فى عملية التحليل والفهم ، فاننا سنكون عاجزين ليس فقط عن التوصل الى الحقيقة ، وانما ايضا عاجزين عن فهم الواقع ودراسة سلبياته بحثا عن مستقبل افضل . وتلك مسئولية كبيرة . ■



● **جمهورية مصر العربية**

اتجاهات حول مستقبل العمل السياسى

اعلن المهندس **سيد مرعى** رئيس مجلس الشعب ورئيس « لجنه مستقبل العمل السياسى فى مصر : » ان اللجنة سوف تنتهى من مناقشاتها واعداد توصياتها يوم ١٠ مارس. وتقدم تقريرا بنتائج اعمالها للرئيس **أنور السادات** :

وكان الرئيس أنور السادات قد اصدر فى شهر يناير الماضى ــ بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى العربى ــ قرارا بتشكيل لجنة من أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى، ومجلس الشعب ، وقيادات النقابات العمالية ، والمهنية ، وبعض الشخصيات من المشتغلين بالشؤون العامة ــ وذلك لدراسه قضية المنابر وتطوير الاتحاد الاشتراكى على ضوء ما جاء فى ورقة اكتوبر .

وفى أول اجتماع عقدته اللجنة ، دعاها رئيسها ، المهندس سيد مرعى الى فتح البحث حول كافة القضايا المتصلة بالشكل الديمقراطى الملائم لظروف البلاد ــ واقترح أن تتخذ اسما يتفق مع ذلك المعنى ــ فاطلقت اللجنة على نفسها اسم « لجنة مستقبل العمل السياسى فى مصر » .

وعلى الرغم من ان تشكيل اللجنة قد تم فى خضم مناقشات واسعة ــ حول قضية الديمقراطية ــ فى الصحافة والنقابات العمالية والمهنية ومستويات الاتحاد الاشتراكى ــ الا أن بعض من تحدث اتجه باصرار وثبات وتركيز مكثف على السلبيات فى محاولة لاثبات ان ثورة ٢٣ يوليو لم تكن سوى ردة الى الوراء . الا أن عددا آخر من الاعضاء حاول المساهمة بنظرة شاملة واقتراحات بناءة فى المناقشات الجارية .

أما أصحاب المنابر الذين اتاحت لهم اللجنة الفرصة لعرض أفكارهم فقد ركزوا كل كلماتهم على شرح برامج منابرهم ولم يعطوا اى انتباه للقضايا التنظيمية المطروحة ــ اتحاد اشتراكى أم احزاب ، منابر ثابتة ام منابر متحركة ،كيفية التشكل والعمل .

ويمكن استنادا الى ما نشر فى الصحف اليومية تحديد معالم اربعة اتجاهات رئيسية بين الذين اشتركوا فى المناقشة حتى الان .

الاتجاه الاول : اتجاه تصدره أمناء لجان المحافظات ومساعدوهم ، واعضاء من اللجنة المركزية ، ومعهم بعض القيادات المتربعة على المنظمات الجماهيرية فى مجالس الشباب ونقابات العمال .

وفى مواجهة الحملة الواسعة والمتصاعدة وبشكل خاص من القوى والعناصر المعادية للثورة ــ من أجل الاطاحة بالاتحاد الاشتراكى ، لم يستطع اصحاب هذا الاتجاه تقديم اقتراحات جديدة ، ولم يطوروا تفكيرهم. ولقد اكتفوا بالقول « ان الديمقراطية فى مصر فى أعلى مستوى بعد ثورة التصحيح ، ماذا يريدون اكثر من ذلك ــ ؟ والظروف الحالية لا تحتمل اجراء اى تطوير أكثر من ذلك ــ الشعب يرفض قيام الاحزاب ــ المنابر لابد من أن تكون متحركة ــ حذار من سياسة الخطوة خطوة [منابر متحركة ، فمنابر ثابتة فأحزاب ثم معارك حزبية ثم مصالح أجنبية او طائفية] .

وحرص كل متحدث منهم ان يعلن بانه يتحدث باسم الملايين من العمال او الفلاحين او الشباب دون مواجهة حقيقة من جانبهم للوضع الذى يعانيه الاتحاد الاشتراكى ودون اى جهد لتطوير صيغة التحالف .. مما جعل الكلمات الحماسية تبدو وكأنها دفاع عن النفس وعن المنصب .

وليس عجيبا بعد ذلك ان ترتفع الاصوات مطالبة بأن تكون المراكز القيادية فى التنظيمات بالانتخاب الحر وليس بالتعيين . .

الاتجاه الثانى : وتمثل فى ممثلى رجال الدين من مسلمين ومسيحيين ــ فالشيخ **عبد الرحمن بيصار** وكيل الازهر يتساءل فى كلمته عن ماهية التحالف ــ تحالف مع من وضد من ؟ ــ ويطالب باستخدام كلمه العدالة الاجتماعية بدلا من الاشتراكية باعتبارها من الاسماء المشبوهة . وهو مع الاحزاب ولكن بشرط ان يحددها القانون .

اما القمص **بولس باسيلى** فهو يرى فى المناقشات لتطوير التنظيم السياسى وتوسيع المناخ الديمقراطى وقت ضائع عبثا، واوضح انه اجهد نفسه فى البحث عن معنى كلمة منبر فى معاجم اللغة فلم يجدها ووجد ان كلمه احزاب معناها طوائف ، والطوائف هى التى تجمع لمحاربة الانبياء .

اتجاه ثالث : عبر عنه الاستاذ **مصطفى البرادعى** نقيب المحامين والدكتور **ابراهيم بدوى** نقيب الاطباء .

ويتلخص فى ان الاتحاد الاشتراكى نظام أوجدته الحكومة لها لتعاونها ، وأن كان الزاما ولا معارضة فيه ، وان الشعب يأبى ان تفرض عليه الوصاية وأن هناك جماهير غفيرة خارج الاتحاد الاشتراكى لم تدخله لعوامل عديدة ومن حق هؤلاء ممارسة حقهم السياسى فى تشكيل الاحزاب .

ويرى ان الحق فى تكوين الجمعيات السياسية أو الاحزاب أمر يتفق مع روح الدستور ونصوصه بشرط ان تكون ملتزمة بالمبادىء التى اقرها الدستور وهذا الاتجاه يرفض قيام احزاب على اساس دينى .

اتجاه رابع : تميز بانه يضم عددا من الشخصيات التى تحدثت امام اللجنة من منطلقات فكرية وسياسية مختلفة ــ الدكتور مصطفى خليل ــ الدكتور جمال العطيفى ــ عبدالمنعم الصاوى ــ لطفى الخولى ــ وبالرغم من هذا الاختلاف التزموا بخط عام فى ضرورة الانطلاق منه لتشخيص الوضع الراهن وضرورة البدء بتحديد الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية المطروحه وتسمية الاشياء باسمائها ، وفى ذلك

• الخليج العربى •	• الصـــــومال •	• الولايات المتحدة •	• الصين الشعبية •
تعـــاون اقتصادى وتنسيق سياسى .. وعقبـــات وتحـــديات	الاطفـــال ذريعـــة ومقديشيو الهــــدف	ابعــاد مويتيهـــان لاســتئناف ضربـــات القفـــاز الحــديدى	المغـــزى الحقيقى للمفاجاة لم يعرف بعد

قدموا ما يلى ، للخروج بالتنظيم السياسى وتضيبة الديمقراطية من المنعطف الراهن :

- التأكيد على تمسك الشعب بوحدته الوطنية .
- النشاط الاقتصادى موجه لصالح الشعب كله .
- القطاع العام لابد وان يمارس حقيسه كاملا فى ظل مساندة الدولة — ولا مكان للراسمالية الطفيلية .
- من سلبيات الاتحـــاد الاشتراكى انه لا يشترك فى صنع السياسات العامة او خطة التنمية ، واسلوبه الحالى ليس ديمقراطيا ، ولا يمثل الوزن الحقيقى لقوى الشعب .
- وايجاد الاحزاب والمنابر فى ظل الاتحاد الاشـــتراكى بوصفه القائم لا يجدى ولن يكون له فائدة .
- ضرورة الالتزام بنسبة ٥٠٪ للعمال والفلاحين .
- ضمان حرية الصحافة والنشر .
- ضرورة اعادة النظر فى تشكيل الوحدات الاساسية لتعكس رغبات الشعب واحترام رايها فى مختلف القضايا .
- لا يجوز تصعيد القيادات بالمحافظات واللجنة المركزية الا بالانتخاب ، واستبعاد التعيين تماما .
- تحويل : الاتحاد الاشتراكى من جهاز يحتكر العمل السياسى الى وعاء يتسع لجميع الاتجاهات .

وتحقيق هذه الاقتراحات يخلق المناخ الصالح لوضع قضية المنابر والاحزاب وضعها السليم .

واذا كان بعض اصحاب هذا الاتجـــاه الرابع لم يرفض بتاتا قضية الاحزاب ، من حيث المبدأ الا ان تركيزه اتجه فى الأساس الى البدء بحسم قضية الاختيارات الاجتماعيـــة والاقتصادية التى اعتبرها هذا البعض [مضمون الديموقراطية ولبها] وذلك قبل الانتقال الى مناقشة الصيغة أو الشـــكل ومل تكون :

صيغة الاتحاد الاشتراكى الحالية — أو الاتحاد الاشتراكى بالمنابر الثابتة التى يمكن ان تتطور الى احزاب — أو صيغة الجبهة التى تضم تحالفا من الأحزاب .

ويرى المراقبون انه بينما تشير الاتجاهات الرئيســـية فى داخل اللجنة ، وفى خارجها على مستوى القيادات السياسية الى ان صيغة المنابر هى التى يحتمل أن ترجح كفتها، بان الداعين الى صيغة « الاحزاب » من منطلق ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ يشنون فى الصحف وباصرار حملات ضارية وعصبية ومباشرة على كل ما حدث فى البلاد منذ قيام الثورة . ▢

• • •

مناقشات محتدمة بمجلس الشعب

على امتداد الاسابيع القليلة الماضية شهدت قاعة مجلس الشعب . مناقشات مثيرة ومحتدمة — كانت الحكومة، او احد وزرائها ، طرفا فيها احيانا ، وفى احيان اخرى كانت هذه المناقشات بين اعضاء المجلس انفسهم .

ولم تكن هذه المناقشات ســوى انعكاس لما يمـــوج به المجتمع المصرى من احاديث ومناقشات واراء متصارعة حول كافة قضايا البناء السياسى والديمقراطى والاقتصادى .

ومن الخطأ الفادح ان يحاول البعض تصوير هذه الحيوية — أو ردها فقط — الى قرب انتهاء دورة المجلس، واقتراب موعد الانتخابات لمجلس جديد ،ومحاولة البعض جــذب الاضواء تمهيدا لهذه المعركة الانتخابية القادمة .

ولعل ابرز ما فى هذه الفترة الحافلة اتجاهات ثلاث :

الاول : اتجاه الحكومة الى اســتخدام منبر المجـــلس واجتماعات لجانه لمخاطبة الراى العام المحلى والعالمى كما بدا ذلك فى قضايا الديون المدنية والعسكرية واعباء المعركة وضرورة ان تتحمل الدول العربية مسئوليتها . ثم التنبيه الى احداث لبنان الى التطورات السياسة فى المنطقة العربية ، وبشكل خاص الموقف من القضية الفلسطينية ، والمقـــاومة هذا الموقف الذى تحدد فى مناقشـــــات نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية مع اعضاء لجنتى الشئون الخارجية والعربية فى ستة نقاط اساسية تقوم على عدم التدخل باى صـــورة فى شئون الشعب الفلسطينى ، والتاكيد على اعتبار المنظمة الممثل الشرعى الوحيد لشعب فلسطين ، ورفض اية وصاية مهما كان مصدرها على المنظمة او على الشعب الفلسطينى، ورفض اخضاع اية تنظيمات فلسطينية لسيطرة اية دولة عربية ودعوة منظمة التحرير لتـــولى مسئوليتهـــا فى تحديد موقف حاسم .

اما **الاتجاه الثانى** : فهو انه الى جانب عرض المشكلات التى يعانيها الاقتصاد المصرى ، وبعض الحلول المقترحة على ضوء « سياسة مصارحة الشعب بالحقـــائق » عن طـــريق بيانات رئيس الوزراء امام المجلس . كشف النقاب علنا فى مجلس الشعب عن بعض ما تردد الحديث حـــوله وتركز — فى هذه الفترة — حول قطاع الاسكان والتعمـــير ، وبعض المخالفات والمظاهر السلبية التى يراها بعض الاعضاء فى هذا القطـــاع .

هذا الى جانب النقد الذى قدم فى المجلس لموقف المدعى العام الاشتراكى من معارضته لصدور بعض القوانين الهامة التى تحاول اللجنة التشريعية بالمجلس اعدادها وعرضهـــا على المجلس مثل قانون الغاء الحراسات ، وقانون المدعى العام الاشتراكى ، الذى يهدف الى جعله مسؤولا امام مجلس الشعب .

والاتجاه الثالث : يتمثل فى الاستجابة السريعة من جانب الحكومة لضغط اعضـــاء المجلس ومعـــارضتهم — فى بعض القضايا الحساسة كما بدا ذلك فى تراجع وزير الاســـكان والتعمير عما اعلنه فى بيانه من اتجاه البحث لاقرار حـــق المالك فى طرد المستاجر من شقته ، اذا كان المالك فى حاجة للشقة ليقيم بها او لاحد اولاده . كذلك المعارضـــة

الواسعة في صفوف أعضاء المجلس لتمليك الاراضي والعقارات لغير المصريين . واخيرا الاهتمام السريع باحالة ما يثيره اعضاء المجلس من وقائع خاصة بالانحرافات او الاسراف أو التسيب ، الى وزارة العدل للتحقيق فيها .

وكان **ممدوح سالم** رئيس الوزراء — قد اعلن أمام المجلس قبل خمسة اسابيع على مناقشة الموازنة العامة لعام ١٩٧٦ — بيانا هاما أكد فيه ان الحكومة قد بدأت اصلاح مسارنا الاقتصادى من حيث انتهى اليه قبل ٦ اكتوبر وهى نقطة الصفر — حيث مرت مصر فى فترة ما قبل نصر ٦ اكتوبر بظروف اقتصادية بالغة الصعوبة والتعقيد . وتتلخص هذه الظروف فى أن اعباء الدفاع القومى واعباء التنمية الضرورية ومواجهة حاجات الجماهير الملحة ، كانت ولا تزال تزيد كثيرا عن الموارد التى نستطيع التحكم فيها — مما أدى الى عجز فى ميزان معاملاتنا مع الخارج وصل الى ما يقرب من ١٨٠٠ مليون جنيه فى السنة الحالية .

وتضمن بيان رئيس الوزراء مجموعة من الاجراءات الاقتصادية الجديدة « بهدف تحقيق العدالة فى تحمل الاعباء وخفض الانفاق الحكومى » .

وأكد رئيس الوزراء على أن كل الانفاق الحكومى سيوجه لخدمة محدودى الدخل — فلن تبنى الحكومة أو القطاع العام مساكن يزيد حجم الشقة فيها عن حجرتين وصالة ، وان قوانين الضرائب الجديدة تعد بحيث تخفف العبء عن الطبقات غير القادرة ، وتطوير النظام الضريبى بحيث لا يتناول الا الفائض الاقتصادى ، مع اخضاع الدخول الطفيلية ومراجعة الاعفاءات . كما تقرر حظر شراء أو استيراد سيارات الركوب الكبيرة او الفاخرة للحكومة . وتثبيت اسعار السلع الاساسية المدرجة فى البطاقات التموينية ، وضمان وصولها بالتسعيرة الى المستهلك ، ووقف اية تعديلات فى الهياكل الوظيفية ، وخفض ميزانية الاحتفالات والاستقبالات وسفر الوفود للخارج ، بما يوفر ٣٠ مليون جنيه ليصل خفض الانفاق العام الى ما يقرب من مائة مليون جنيه . وان هذا يمكن — الى جانب ما اتخذ من خطوات هامة لزيادة الانتاج وحل المشكلات — ان يؤدى الى تحسن ملموس فى الموقف الاقتصادى .

وفى مناقشة بيان رئيس الوزراء ابدى اعضاء المجلس تأييدا للاتجاه العام فى خفض الانفاق ولكنهم طالبوا بضرورة وضع سياسة اقتصادية ونقدية ومالية متكاملة يمكن ان تضع سياسة الانفتاح موضع التنفيذ الفعلى ، وضرورة وضع خطة واضحة لتسديد الديون .

وطالب مصطفى كامل مراد بضغط الانفاق العسكرى فى حدود ١٠ ٪ مما يوفر حوالى ٥٠ مليون جنيه جديدة الى جانب ما قررت الحكومة خفضه من الانفاق العام ..

بينما دعا **عبد السلام الزيات** الى المزيد من الخفض فى الانفاق العام ليصل الى ١٠٪ من الميزانية العامة بدلا من ٤٪ كما قررت الحكومة . وتساءل عن اسباب ادراج مبلغ ٦٠٠ مليون جنيه للانشاء والتشييد ، مع أن كل شركات المقاولات فى مصر لا تستطيع أن تنفذ مشروعات سنويا باكثر من ٢٥٠ مليون جنيه .

وركز **محمود القاضى** فى كلمته على قطاع الاسكان والتشييد ودعا المجلس ان يفرض رقابة حكيمة على السلطات الواسعة التى منحها من قبل لوزير الاسكان ، موضحا أن ما يحدث فى قطاع الاسكان يعتبر نزيفا لاموال الدولة وللتدليل على ذلك اثار عدة نقاط .

● فى قطاع الاسكان هناك اكثر من ثلاثين مستشارا بعضهم يتقاضى مرتبا اكبر من مرتب نائب رئيس الجمهورية، ويوجد فى جهاز التعمير بالقناة الف وخمسمائة مشرف ، وعشرة وكلاء وزارات ■

● أحد الموردين من سيئى السمعة صرفت له وزارة الاسكان شيكا باكثر من ٧٠ الف جنيه لتوريد سيارات قبل توريدها ، ولم يورد السيارات وورد بدلا منها بضائع اخرى، واضاف د . القاضى :

ان ثمة المخالفات فى قطاع الاسكان تتمثل فيما اعلن عنه فى الصحف من الغاء المظاريف السرية للعطاءات ، وتكليف الشركات بالبناء ، ثم تقدر التكاليف بعد البناء مضافا اليها ١٠٪ من التكاليف .

● عقدت وزارة الاسكان صفقة اسمنت مع السعودية، وتقاضى فيها بعض المسئولين عمولات كبيرة .

● لا يجوز أن تبقى شركة المقاولين العرب شركة عائلية وهى شركة قطاع عام ،وان سبعة من اعضاء مجلس الادارة

معضلات شارع الشواربى

تصدى وزير سابق للتموين [د. فؤاد مرسى] منذ سنوات لشارع الشواربى ، ولكن شارع الشواربى قهره !

اتهم الوزير باعتناق فلسفة ضارة .. جامدة .. منغلقة ، ومستوردة معا ، تقوم على القوالب المصبوبة فى ترشيد الاقتصاد ، وضبط الاستهلاك .. وانتعش الشارع بعد خروج الوزير ، وأصبح الرمز الرائج لفضائل الانفتاح .

ولكن ثبت مؤخرا — بعد ان راح ضحية الشارع موظف كبير بالدولة — أن الانفتاح الشائع فى شارع الشواربى هو انفتاح من نوع عجيب . اغلب بضاعته مغشوشة .

واستشرى فى الشارع البلطجى والمهرب والقاتل . وبدلا من تجسيد « سيادة القانون » بعد أن أصبحت وجهة الدولة ، أصبح الشارع نموذجا ناطقا لامتهان القانون .

واحتار الكثيرون فى معنى الرموز العديدة العالقة بالشارع :هل كان الحادث المؤسف «مجرد حدث عارض؟ .. فى وقت تجاوزت فيه البضاعة المغشوشة .القمصان المستوردة من محلات «ماركس اند سبنسر» الصهيونية فى لندن .. واصبحت البضاعة المستوردة [الصحيحة أو المغشوشة] تهدد الانتاج الوطنى ، الى حد أن أصواتا قد ارتفعت لتستنكر طغيان السادة المسيطرين على « القطاع الخاص » .. بعد أن كادوا يصبحون هم بأشخاصهم « القطاع العام » .. بلا متسع لمنافس أو مزاحم أو مسائل ! .. بل ان البضاعة المغشوشة لم تعد وقفا على معروضات شارع الشواربى وحدها .. فقد تفشت لتقتحم مجال الاعلام .. مع الصاق التهم المغشوشة الى من قاوم فى الماضى هذا الانتشار المبتذل للغش والمغالطة فى شتى صوره .

وجاز لنا فى الختام أن نتساءل :ترى..ماذا سوف يسفر عنه التحقيق ؟ هل يمكن ردع شارع الشواربى؟ هل من انفتاح « نظيف » يستطيع كالقنبلة الذرية النظيفة أن يقضى على الحواجز فى وجه الانتعاش .. وحتى لا يكون الانتعاش فقط لرواد شارع الشواربى □

محمد سيد أحمد

الاحد عشر — من اقارب وزير الاسكان مما قد يتسبب فى ضياع الاموال العامة ..

● مطالبة رئيس الوزراء بتوضيح ما اذا كان وزير الاسكان يمتلك شركات فى الخارج أم لا ، ويحول ارباحها للداخل أم لا ، او ما هو حجم رأس ماله فى الخارج ؟

وفى الرد على التساؤلات التى أثارها د. محمود القاضى فى كلمته اعلن المهندس **عثمان احمد عثمان** النقاط التالية :

● ان شركة المقاولين العرب حولت ٥ ملايين جنيه من اجور العاملين بها فى الدول العربية كضرائب .

● ان شركة المقاولين العرب تحدت الخبراء السوفييت الذين رغبوا فى تأجيل السد سنتين وانتهت منه فى الموعد المحدد .

● كان راس مال الشركة يوم التأميم مليون جنيه ، واليوم بلغ ٢٠ مليون .

● لا يزيد عدد المستشارين فى الشركة على ٢٠ ليس فيهم واحد من اقرباء الوزير ، وكلهم خبراء .

● ليس فى نية الوزير ، اعداد قانون او تشريع بطرد المستأجر . وما قاله كان مجرد استفسارات ، تلقاها فوضعها تحت نظر المجلس .

● صفقة الاسمنت سيجرى التحقيق فيها بعيدا عن وزارة الاسكان لانها لا تصدر او تستورد ، وهذا ليس من اختصاصها .

واعلن رئيس الوزراء ، ان الحكومة تؤكد جديتها التامة فى الوصول الى حقيقة كل ما يطرح من موضوعات .

وقرر المجلس احالة رد وزير الاسكان والوقائع التى ذكرها **د . محمود القاضى** الى لجنة الاسكان بالمجلس للدراسة واعداد تقرير عنه الى المجلس فى موعد اقصاه ٢٠ مارس الحالى . ☐



● لبنان

تقدم نسبى مع تكريس الطائفية بدلا من الغائها

اعلن فى بيروت فى ١٤ فبراير الماضى ميثاق الاصلاح السياسى والاجتماعى فى لبنان ، وهو يتضمن المبادىء التى تم الاتفاق عليها فى دمشق بين الرئيس اللبنانى **سليمان فرنجية** والرئيس السورى **حافظ الاسد** . وقد جاء اعلان الميثاق بعد مرور ثلاثة اسابيع على وقف اطلاق النار بين القوى السياسية المتنازعة فى لبنان ، وبعد نجاح القوى الوطنية والتقدمية والمقاومة الفلسطينية فى توجيه ضربات شديدة وانزال خسائر فادحة بالقوى الرجعية الانعزالية ، ومن ثم اجبارها على احترام قرار وقف اطلاق النار .

ويقضى الميثاق الجديد بالمحافظة على التقليد الطائفى القديم ، والمعمول به منذ عام ١٩٤٣ ، بتوزيع رئاسة الدولة على الطائفة المسيحية المارونية ، ورئاسة الحكومة على المسلمين السنيين ، ورئاسة مجلس النواب على المسلمين الشيعيين .

وقد استحدث الميثاق الجديد عددا من المبادىء التى تنص على انتخاب رئيس الجمهورية بأكثرية ٥٥ فى المائة ، وانتخاب رئيس الحكومة من قبل مجلس النواب : وتوزيع عدد المقاعد النيابية مناصفة بين المسلمين والمسيحيين ، وتعديل قانون الانتخاب بما يضمن تمثيل أفضل للمواطنين ، وانشاء المحكمة الدستورية للنظر فى دستورية القوانين ، وازالة الطائفية فى الوظائف ، واعتماد مبدأ الكفاية مع المحافظة على المساواة فى وظائف الفئة الاولى ، وانشاء مجلس اعلى للتخطيط والتنمية ، وتحقيق عدالة اجتماعية شاملة ، وتعديل قانون الجنسية . كما اكد الميثاق على عروبة لبنان والالتزام باتفاق القاهرة فى نهاية عام ١٩٦٩ لتنظيم العلاقة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية .. وقد تناول التعديل صلاحية رئيس الجمهورية فى حل مجلس النواب ، وبذلك حق اختيار رئيس الحكومة اذ سلب منه هذا الحق .

وقد اثار اعلان الميثاق ردود فعل متباينة فى مختلف الاوساط الدينية والسياسية تراوحت بين التأييد والتحفظ والمعارضة . وتعتبر قضية تكريس التوزيع الطائفى التقليدى لمناصب رئاسة الدولة والحكومة والبرلمان فى مقدمة القضايا الخلافية . فقد هاجم **صائب سلام** رئيس الوزراء الاسبق الوثيقة باعتبارها تكريسا للتوزيع الطائفى ، وانها لا تؤدى الى وضع أساس لبنان الجديد ، وأن بناء لبنان الجديد لايمكن أن يتم على أيدى نفس الاشخاص الذين كانوا يشغلون المناصب الكبرى اثناء الكارثة .

وهاجم **ريمون اده** زعيم حزب الكتلة الوطنية ومن زعماء الطائفة المارونية الوثيقة وأعلن أنها تزوير للتاريخ ، واتهم **ريمون اده** الرئيس **سليمان فرنجية** بأنه المسئول الاول عن الحوادث الدامية التى شهدها لبنان وراح ضحيتها ما يزيد عن ١٣ الف قتيل و ٤٠ الف جريح . وقال ، ان خطة اسرائيل أدت الى الاقتتال بين فريق من اللبنانيين وبعض الفلسطينيين بدلا من ان تقوم هى بالهجوم ، وأن رئيس الجمهورية بدلا من ان يتخذ التدابير اللازمة لبنانيا وعربيا ودوليا ، ليحول دون تنفيذ المؤامرة انحاز الى فريق دون الاخر متخليا بذلك عن دوره فى المحافظة على اللبنانيين مسيحيين ومسلمين .

والمعروف أن «ريمون اده» على رأس حزب الكتلة الوطنية قد رفض منذ البداية الاشتراك فى المؤامرة التى دبرها ، ونفذها حزب الكتائب الذى يتزعمه **بيير الجميل وكميل شمعون** وزير الداخلية وزعيم حزب الوطنيين الاحرار وغيرهما من القوى المارونية الرجعية الانعزالية بالتنسيق مع القوى الخارجية ، ضد القوى الوطنية والتقدمية والمقاومة الفلسطينية فى لبنان .

وقد اعتبر الامام الشيعى **موسى الصدر** الذى يتزعم ما يسمى بحركة المحرومين الوثيقة انتصارا للوطن وللمواطنين ، وانها تلتزم بمطالب المحرومين والعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة ، كما أعلن **عاصم قنصوه** أمين منظمة حزب البعث العربى الاشتراكى : ان مجمل ما جاء فى الوثيقة كان بمثابة حصيلة لنضال شعبنا !

وفى نفس الوقت ، أبدت القوى الاساسية الدينية والسياسية تحفظها بشأن الوثيقة . فقد اعلن المجلس الاسلامى الاعلى الذى يرأسه مفتى لبنان تحفظاته على الوثيقة مؤكدا عدم استطاعته ابداء وجهة نظره حول اغلبية نقاط الاتفاق التى لا يزال مضمونها يفتقر الى الايضاح . واشار المجلس الى تحفظه بالذات على تكريس التوزيع الطائفى لمناصب رئاسة الدولة والحكومة والبرلمان .

كذلك قررت جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ارجاء اعلان رأيها فى الوثيقة حتى يتم دراستها وتحديد موقفها منها . وكانت مصادر الحركة الوطنية قد اعلنت من قبل انها متمسكة ببرنامج الاصلاح السياسى الذى تبنته جبهة الاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية من قبل . هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، يثير فريق من النواب بعض الملاحظات الهامة حول الوثيقة ، اذ يرون ان بعض نقاط الاصلاح في الوثيقة جاءت غامضة وتفتقر الى الوضوح والتحديد حتى لا تثير خلافات عند وضعها موضع التنفيذ ، وخاصة مايتعلق بانتخاب رئيس الوزراء من قبل البرلمان بالاغلبية النسبية مما يحتاج الى تعديل للدستور ، واختيار الوزراء بالاتفاق مع رئيس الجمهورية . وحول ما هى القضايا المصيرية التى يحتاج اقرارها الى اغلبية الثلثين . فضلا عن مطالبة البعض باعتماد النسبة نفسها فى اسقاط الحكومة فى المجلس . وكذلك ما يتعلق بتنفيذ اتفاق القاهرة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية ، والمدة المطلوبة لوضع الاتفاق موضع التنفيذ.

هذا ويقوم الوفد السورى الموجود فى لبنان بنشاط سياسى مكثف ، ويعقد سلسلة اجتماعات مع الفرقاء المتحفظين والمعارضين لتطويق ردود الفعل السلبية تجاه الوثيقة .وقد صرح رشيد كرامى بأن الاتجاه الان هو العمل على توسيع الحكومة الحالية بحيث تضم ممثلين لجميع الفرقاء المتنازعين، وتكون بمثابة خطوة لتحقيق المصالحة الوطنية حتى يمكن تنفيذ الاصلاحات السياسية والاجتماعية وفق ما جاء بالوثيقة الدستورية .. وكان كمال جنبلاط زعيم الحزب التقدمى الاشتراكى قد أعلن اخيرا انه يرفض المصالحة الوطنية والاشتراك فى الحكومة الموسعة .

ويرى معظم المراقبين ان الاعتراضات التى ظهرت عقب اعلان الوثيقة ، لا تعدو ان تكون مجرد تسجيل مواقف مبدئية ، وخاصة ما يتعلق منها بقضية التوزيع الطائفى لمناصب الدولة الرئيسية الثلاث ، كما يرى المراقبون من مجمل التطورات بعض القوى السياسية فى لبنان ترحب بالوثيقة وان لم تعتبرها نهاية المطاف .

وعلي الصعيد العسكري لاتزال تحدث هناك بعض حوادث اطلاق النار وعمليات الاختطاف والقتل المتفرقة التى تمارسها الاطراف اليمينية ، غير أن اتجاه الرأى العام يعتبرها مجرد حوادث فردية لا يجب ان تؤثر على الموقف الذى يتجه الان الى التحسن التدريجى فى كافة انحاء لبنان .

وتتولى اللجنة العسكرية العليا المشتركة ، التى تتكون من ممثلين لبنانيين وسوريين وفلسطينيين حاليا مهمة الاشراف على تنفيذ ومتابعة قرار وقف اطلاق النار والغاء كافة المظاهر المسلحة وحفظ واستتباب الامن فى لبنان .

وقد اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية فى الفترة الاخيرة عددا من القرارات للمساهمة فى تثبيت الاستقرار والامن والوحدة الوطنية وتدعيم العلاقة بين الاخوة اللبنانيين والفلسطينيين . □

○

● الخليج العربى

تعاون اقتصادى وتنسيق سياسي .. وعقبات وتحديات

تكشف العلاقات بين دول الخليج العربية عن وجود مظاهر عديدة للتعاون الاقتصادى والتنسيق السياسى بهدف تحقيق التكامل الاقتصادى المنشود بينها ، وتطويق التحركات التي تقدم بها بعض الدول الاجنبية المجاورة الرامية إلي تفتيت وحدتها السياسية .

ومن المؤشرات القوية على أوجه التعاون الاقتصادى ، افتتاح الكثير من البنوك المركزية التى تهدف تعزيز القوة المالية لدول الخليج العربية ، وايجاد وحدة حسابية مشتركة للتعامل المالي بين هذه الدول . كما يلاحظ انه بعد ان كان التركيز منصبا حول مشاريع التعليم والصحة ، اتجهت هذه الدول الي الاهتمام بمشاريع الملاحة ، حيث انشئت شركة الملاحة العربية برأسمال قدره ٥٠٠ مليون دينار كويتي . وتجرى مباحثات ايجابية بين الكويت والبحرين وقطر والامارات وعمان حول انشاء شبكة للخطوط الجوية . وتتجه الجهود الى اقامة شركات مختلطة للاستثمار ، والمشروعات الصناعية . والعلاقات الثنائية ليست بعيدة عن نفس الهدف حيث قدمت ابو ظبى مؤخرا وعلى سبيل المثال — قرضا للبحرين قدره ٢٠ مليون جنيه استرليني .

ولم تقتصر جهود هذه الدول على توفير امكانيات التعاون الاقتصادى ، بل اهتمت مؤخرا بتوحيد وسائل الاعلام بينها، وكان ابرز اوجه النشاط فى هذا المجال انشاء وكالة للانباء .

واما عن وسائل التنسيق السياسى فقد بدأت دول الخليج العربية بازالة مظاهر الخلافات السياسية التى من بينها انهاء الخلاف حول ترسيم واحة البوريمى بين المملكة العربية السعودية ودولة الامارات ، وأيضا تجميد الخلاف بين العراق والكويت حول مياه شط العرب . واذا كان حجم الزيارات الرسمية يؤخذ كمؤشر على استمرار الجهود نحو تحقيق التنسيق السياسي ، فان الملاحظ هو تزايد معدل هذه الزيارات وطرق موضوعات مصيرية بالنسبة لمستقبل الخليج فيها . ومن هذه الزيارات ، الزيارة التى قام بها الامير فهد ولى عهد المملكة العربية السعودية مؤخرا الي دولة الامارات للمساهمة فى ازالة العقبات امام توحيد الانظمة العسكرية للوحدات السياسية الداخلة فى دولة الامارات .

وقد ذكرت صحيفة السياسة الكويتية حتى كتابة هذا التقرير ان صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقية يتأهب للقيام بزيارة لكل من المملكة العربية السعودية ، والبحرين ودولة الامارات وقطر ، وذلك لدراسة مسالة أمن الخليج ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لدول هذه المنطقة .

وعلى الجانب الاخر فان بعض المراقبين يرى ان السياسة الايرانية تفرض عددا من العوائق امام وحدة دول الخليج العربية حيث ان الرؤية التقليدية الايرانية للسياسة فى المنطقة ، تتركز حول فرض الهيبة الايرانية ، وان تقبض ايران على مفتاح تحركات دول المنطقة جميعا وفى كافة المجالات .

ويذهب هؤلاء المعلقون الى ان ايران تنسق مخططاتها مع السياسة الامريكية فى المنطقة . فقد نشرت مجلة «تايم» الامريكية ، أن الولايات المتحدة وايران قد بحثتا بصورة جدية اقتراحا تقوم بموجبه الحكومتان الامريكية والايرانية ، بشراء احتياطى النفط للشركات الامريكية العاملة فى المنطقة العربية، على ان تتولى ايران ضمان مصالح المشاركة الجديدة عسكريا .

والى جانب الموقف الايرانى ، فان هناك من السلبيات ما يتعلق بالموقف الداخلى لهذه الدول حيث يؤثر التباين فى الهيكل الاساسى الاقتصادى او الاجتماعى لكل دولة على مواقفها ازاء القضايا المشتركة . ويثار بهذا الخصوص القرار الذى انفردت به الكويت بتخفيض سعر بعض انواع بترولها والذي ادى الى اثارة ضيق حكومة العراق ، وكاد ان يتسبب فى احداث ازمة سياسية بينهما . كما يشار

ايضا الى أن عبد المطلب الكاظمى وزير البترول الكويتى كان على وعى بخطورة هذه السلبيات عندما حذر من روح التنافس السائدة فى بعض المشاريع الاقتصادية بين هذه الدول وخاصة فى مجالات الغاز ، والبلاستيك ، والالمنيوم والاسمدة.

ويعتقد المراقبون ان دول الخليج العربية مطالبة بتجاوز هذه السلبيات سواء فى المجال الاقتصادى أو السياسى خاصة وانها متفقة على اهمية التنمية الاقتصادية ، وعلى وعى بالتحديات السياسية المحدقة بالمنطقة . ☐



● الصحراء المغربية

هل تنشب الحرب بين المغرب والجزائر ؟

اكدت صحيفة « يا » الاسبانية ان المغرب حشدت على الحدود مع الجزائر ٣٠٠ الف جندى مزودين بالسلاح ـ كذلك اوردت الانباء ان المغرب سحبت قواتها من المناطق الاقل اهمية ـ مثل ايتشيرا والمحبس وتيفاريتى وسمارا ـ لتحشدها فى المناطق الاهم من الصحراء فى منطقة بوكراع .

وكانت المغرب قد بدات ، منذ ١٣ فبراير الماضى ، فى تعزيز قواتها فى الصحراء أثر هجوم قوات جبهة البوليزاريو على قوات المغرب فى واحة المغلا حيث قتلت واسرت حاميتها البالغ عددها ٣٠٠ جندى .ولم ترد المغرب الاعتراف بالهزيمة امام قوات البوليزاريو فقالت ان الجزائر هى التى هاجمت وانها « استخدمت طائرات الميج والدبابات » وفى الهجوم على الحامية المغربية ، « انتقاما من معركة ٢٩ يناير التى استولت خلالها القوات المغربية على الواحة » . كما ذكرت وسائل اعلام المغرب ، مشيرة بذلك الى حادث تصدى القوات المغربية لقافلة التموين التى جاءت لنجدة سكان الصحراء بالغذاء والادوية من الجزائر .. وقد أصدر مجلس قيادة الثورة الجزائرى فى اجتماعه لرئاسة الرئيس هوارى بومدين بيانا جاء فيه ان القوات الجزائرية لا تعمل فى الصحراء ولا توجد لها أى وحدة فى المنطقة . وطالب البيان الرأى العام العالمى ، التحقق من ذلك على الطبيعة .

وقال البيان : ان القتال الذى جرى فى المغلا القريبة من الحدود الموريتانية يعنى شيئا واحدا فحسب ، وهو وجود شعب الصحراء وتصميمه على الدفاع عن ارضه ، كذلك اعلن متحدث باسم جبهة البوليزاريو ، ان قوات الجبهة قد استعادت المغلا بعد معركة استمرت ٣ ايام ، ونفى ان طائرات الميج والدبابات الجزائرية ساندت قوات الجبهة فى المعركة .

وقد ذهبت المغرب الى حد مطالبة الجزائر ـ اثر موقعة المغلا ـ باعلانها حربا صريحة او اختيار السلم المضمون دوليا . واعلنت الجزائر فى رسائلها للملوك والرؤساء العرب ، ان الوضع خطير وانه يهدد بحرب فى المنطقة ، وان جهود الوساطة لم تنجح فى حل الازمة ، مؤكدة ان حق تقرير المصير هو السبيل الوحيد لمواجهة المشكلة . وقد سافر محمود رياض أمين عام الجامعة العربية الى المنطقة للاطلاع على وجهة نظر كل من الجزائر وموريتانيا والمغرب حول الموضوع ، واجراء اتصالات مع جبهة البوليزاريو لمعرفة رايها فيه .

وقبل ذلك كان سكرتير منظمة الوحدة الافريقية قد بحث مع امين الجامعة العربية القيام بوساطة مشتركة بين المغرب والجزائر ، ولكن المغرب اعتذرت عن هذه الوساطة .كما بعث فالدهايم بمبعوث خاص من جانبه للمنطقة حيث اجتمع فى مدينة سمارا بالصحراء بأعضاء الجمعية الوطنية فى الصحراء ، واعضاء الجبهة ، واعيان المدينة . واعلنت مصادر الامم المتحدة ان المبعوث سيبحث تطبيق حق الشعب الصحراوى فى تقرير مصيره .

وقد تحركت غالبية الدول العربية فى محاولة للوساطة بين المغرب والجزائر . وايدت ليبيا موقف الجزائر . وسافر اليها الرئيس بومدين حيث أجرى محادثات مطولة مع العقيد القذافى ، واعلنت المصادر الليبية ان خطوات للعمل المشترك بين البلدين سوف يتم اتخاذها بصورة مضطردة . ☐



● الصومال

«الاطفال» ذريعة . . [ومقديشيو] الهدف

هل كان فى نية الغرب ، أن يقوم بتحرك فى شرق افريقيا، يحاول به اعادة التوازن الذى اختل لغير صالحه فى غرب القارة بتطورات احداث انجولا الشعبية ؟ . .

طرح المراقبون الافريقيون هذا التساؤل ، وهم يتابعون التحركات العسكرية الفرنسية والامريكية بالقرب من سواحل وحدود جمهورية الصومال الديمقراطية ، فقد وضعت القوات الفرنسية على طول الساحل الصومالى [جيبوتى] فى حالة تأهب كامل ، وارسلت فرنسا ألف جندى لتعزيز قواتها فى جيبوتى [٤ آلاف جندى] . واحتشدت القوات الامريكية بالقرب من الساحل الصومالى ، وصرح سفير الصومال فى باريس « بأن هناك هجوما واسع النطاق يجرى تدبيره ضد الصومال » . واذاعت وكالة انباء الصومال « ان القوات الفرنسية المعززة بالدبابات هاجمت احدى المدن على الحدود الصومالية التى تبعد ١٢ كيلومترا عن جيبوتى » .

وقد جرت هذه التطورات المثيرة والمفاجئة ، بمجرد ان قام ٤ من المسلحين تابعين « لجبهة تحرير ساحل الصومال » باختطاف أوتوبيس مدرسى يقل ٣١ طفلا فرنسيا بالقرب من جيبوتى ، حتى تقوم السلطات الفرنسية بالافراج عن عدد من زملائهم الوطنيين المعتقلين .

والواقع أن موقف حكومة الصومال الديمقراطية ، كان واضحا ازاء حادث الاختطاف وازاء مشكلة جيبوتى . فبالنسبة للحدث ، ادانت حكومة الصومال الواقعة كأسلوب لا توافق عليه فى العمل السياسى الوطنى ، خاصة وانه وقع على أطفال . ولكنها أكدت أن مثل هذه الاعمال لا يمكن فصلها ـ كرد فعل ـ عن أعمال النفى والارهاب التى تحدث ليل نهار وترتكبها قوات البوليس الفرنسية ضد الوطنيين فى جيبوتى . وجدير بالذكر ، أن سفير الصومال فى باريس ، كان قد أكد أن حكومته « ستبذل أقصى ما فى وسعها لضمان سلامة الاطفال واعادتهم » . كما عرض نائب القنصل الصومالى ، نفسه كرهينة بدلا من الاطفال حتى يتم اعادتهم. وبالنسبة للمشكلة ، فقد بعث الرئيس محمد سياد برى ،

رئيس جمهورية الصومال ، ببرقية الى الرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان يطالبه فيها بالاعتراف باستقلال الاقليم بدون أى ابطاء وسحب القوات الفرنسية حتى تسترد جيبوتى حياتها الطبيعية • وكان الرئيس سياد برى قد تمكن خلال مؤتمر كمبالا للقمة الافريقى [١٩٧٥] أن يقنع قادة أثيوبيا بأن تعلن الصومال واثيوبيا فى المؤتمر عن عدم مطالبتهما بالاقليم وبضرورة استقلاله • ومن المعروف أن خلافا كبيرا يدور بين البلدين حول هذه المشكلة •

ويعد اقليم جيبوتى ، الموقع الاخير للاستعمار الفرنسى فى افريقيا ، حيث يمثل موقعه على المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ، أهمية استراتيجية ضخمة ، ممـــا يدفع فرنسا بالتمسك به وتساندها أمريكا التى لها قاعدة عسكرية بالاقليم كما تؤيدها اسرائيل التى تتزود سفنها بالوقود والتموين من جيبوتى ، وتمثل لاستراتيجيتها فى الشرق الاوسط أهمية بالغة ، حيث أصبح لسفنها وجود دائم فى قاعدة جيبوتى • ومن المعروف أن المنطقة مابين تاجرا واوبوخ تضم أكبر قاعدة جوية فى افريقيا كلهـا ومزودة بمركز اتصالات ومحطات تصنت واستماع ومراقبة الاقمار الصناعية •

وكان على عارف ، زعيم حزب الاتحاد الوطنى من أجل الاستقلال ، ورئيس وزراء جيبوتى لمدة ١١ سنة ، الذى يسميه المراقبون الافريقيون والغربيون « بصديق فرنسا المخلص » ، قد ناقش مع الرئيس ديستان فى باريس — مؤخرا — مسألة استقلال الاقليم وكيفية وموعد الحصول عليه • وكان مسمير [رئيس وزراء فرنسا السابق] قد وصف عارف بأنه « غير معترف به من كل الشعب فى جيبوتى كرئيس مناسب للحكومة التى تحصل على الاستقلال » •

ومعروف أن ١٣ نائبا من حزب عارف [له ٤٠ مقعدا فى المجلس التشريعى هم كل مقاعد المجلس لان المعارضة كانت قد قاطعت الانتخابات التى جرت فى نوفمبر ١٩٧٣ واتهمته بتزييفها] •• هؤلاء النواب كانوا قد انسحبوا احتجاجا على اتجاه عارف الى اجراء استفتاء فى ١٩٧٧ تمهيدا للاستقلال فى ١٩٧٨ ، اذ يريد بعض هؤلاء فترة انتقالية أطول ، كما يرغب البعض الاخر فى ضرورة تحسين العلاقات مع اثيوبيا قبل الاستفتاء [فى اثيوبيا عدد من العفاريين] حتى يعودوا ويدلوا بأصواتهم ، وكان عارف قد عقد فى أغسطس الماضى اتفاقا فى أديس ابابا يمنع بمقتضاه تسلل العفاريين من حدود اثيوبيا الى جيبوتى ، مقابل تأييد اثيوبيا له • وتنظر الصومال الى استمرار وجود عارف ، على أنه يعنى استمرار بقاء القاعدة العسكرية حتى بعد الاستقلال ، وضمن أغراضها التصنت على ما يدور داخل الصومال •

وتنقسم الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال وتقرير المصير ، بين جبهة تحرير ساحل الصومال ، التى تؤمن بالكفاح المسلح وتعتقد أنها مستعدة للبدء فيـه وتؤمن بأن « الاستعمار لا يتراجع الا اذا وضعت السكين على رقبته » ولكنها لا ترفض أن تقوم فى نفس الوقت بالعمل السياسى والدبلوماسى • وفى الجانب الاخر ، تقف الرابطة الشعبية الافريقية من أجل الاستقلال ، وتؤمن بالعمل السياسى السلمى « وضرورة فضح الاستعمار الفرنسى أمام الرأى العام العالمى للضغط عليه » ، وقد تأسس هذا الحزب كنتيجة لاتحاد حزب الرابطة الافريقية ، وحزب العمل من أجل العدالة والتقدم فى فبراير ١٩٧٥ ، ويقول زعماء الحزب « اننا نريد الاستقلال مع فرنسا وليس ضدها » •

وجدير بالذكر أن جبهة تحرير ساحل الصومال ، قد — قامت فى وقت سابق — باختطاف السفير الفرنسى فى مقديشيو ، وطالبت فرنسا بالافراج عن الوطنيين المسجونين ، ودفع مبلغ ١٠٠ الف دولار كفدية فى شكل سبائك ذهب • وقد استجابت فرنسا وقتها لهذه المطالب ■

● الاحزاب الاشتراكية الاوربية

لماذا انقسم الاشتراكيون الى شمال وجنوب ؟

شهد النصف الثانى من شهر يناير الماضى اجتماعين هامين لاقطاب الاحزاب الاشتراكية فى أوروبا • أولهما فى الزينور بالدانمارك وحضره ١٨ حزبا اشتراكيا أوروبيا • والثانى فى باريس وحضره ممثلو خمسة أحزاب اشتراكية من دول جنوب أوروبا ، وهى فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال وبلجيكا • وكان واضحا أن السؤال المطروح امام اللقاءين يدور حول تكتيك الاحزاب الاشتراكية وحركتها فى اتجـاه السلطة السياسية ، وخاصـة فيما يتعلق بالتحـالف مع الاحزاب الشيوعية فى هذا السبيل •

وبات واضحا منذ اجتماع الزينور أن أوروبا قد انقسمت الى الاشتراكيين فى شمال أوروبا ، والاشتراكيين فى جنوبها • ويضم اشتراكيوا الشمال أحزاب المانيا الغربية وبريطانيا والسويد والنمسا وهولندا والدانمارك وهؤلاء أعلنوا بحسم بالغ « لا تعامل مع الشيوعيين » و « ليست هناك أى حاجة لاى نوع من التعـاون معهم » • وأوعـد هيلموث الزعيم الاشتراكى الالمانى محذرا بأن التعاون مع الشيوعيين سوف يسبب الضرر للاحزاب الاشتراكيين ويقوض «الوفاق» ويعرض حلف الاطلنطى للخطر !

أما اشتراكيوا الجنوب ، فقد كان موقفهم مختلفا • وحمل راية الاختلاف هذه فرانسوا ميتران زعيم الحزب الاشتراكى الفرنسى ، والذى يعلم أن تعـاونه مع الحزب الشيوعى الفرنسى قد مكنه من الحصول على نصف أصوات الناخبين فى انتخابات رئاسة الجمهورية الفرنسية ، ولذلك فقد كان طرحه الاساسى أمام مؤتمر الزينور هو ضرورة « اتحـاد كافة قوى اليسار » •

ورغم اعلان ميتران عزمه على الحيلولة دون قيام «أممية جديدة » ، فقد قام بتزعم مجموعة اشتراكى جنوب أوروبا فى اجتماعهم فى باريس فى ٢٤ ، ٢٥ يناير الماضى ، وبعد أسبوع واحد من اجتماع الزينور ، لبحث موضوعات أربع هى: وضع جنوب أوروبا فى السياسة الدولية ، والاشتراكية الاوروبية فى مواجهة الازمة الرأسمالية ، والدفاع عن الديموقراطية فى أوروبا بواسطة الاشتراكية ، وتنسيق العمل بين قوى اليسار الاوروبى المختلفة ، وكان واضحا أن الموضوع الاخير هو محور مناقشات قمة باريس •

وخـلال يومى الاجتماعات المتواصلة فى المبنى الجديد للجمعية الوطنية الفرنسية ، كان ظاهرا للمراقبين أن ميتران قد جمع القوى الاشتراكية التى ترى « أن الاشتراكية لا يمكنها أن تقوم على أسس معادية للشيوعية » • ولذلك تضمن تقرير اللجنة الرابعة [التنسيق بين قوى اليسار] أنه « ينبغى أن لا يقتصر مطلب الوحدة على تكتيك انتخابى • ففى الفترة الراهنة ، اذا كانت الاغلبية المطلقة للانتخابات تكفى للوصول الى الحكم فى دولة ديموقراطية فينبغى الاعتماد على الطبقات الاجتماعية التى تدعم البرنامج السياسى القائم على مقاطعة الرأسمالية كما يقترحها اليسار ، من أجل التمكن من ممارسة السلطة » •

وأرجع ميتران الخلاف مع الاشتراكيين فى الشمال الى طبيعة الظروف السياسية السائدة فى كل من شمال أوروبا وجنوبها • فالاشتراكيون فى جنوب أوروبا على عكس زملائهم فى الشمال ، لم يحصلوا على السلطة بعد فى بلادهم •

والتطور الاقتصادى أبطأ فى جنوب أوروبا ، والعمال والنقابات تلح من أجل احداث تغير راديكالى ، بحيث انهم لا يحتاجون لاصلاحية الشماليين . كما أن الاحزاب الشيوعية فى الجنوب من القوة بحيث لا يمكن تجاهلها بينما هى ضعيفة فى شمال اوروبا . وأيد **فيليب غدنزاليز** زعيم الحزب الاشتراكى الاسبانى ميتران فى موقفه معلنا أن الديموقراطية لا تتجزأ ، فديموقراطية نظام الحكم الاسبانى تقتضى عودة الحرية لجميع الاحزاب السياسية بلا استثناء بما فيها الحزب الشيوعى .

أما **اندريا سحاباباندريو** رئيس الوفد الاشتراكى اليونانى والذى حضر مؤتمر باريس كعضو مراقب ، فقد أرجع الخلاف بين الاشتراكيين فى الشمال واقرانهم فى الجنوب الى « الخلاف فى البنيات الرأسمالية » . ومن هنا وضع دول جنوب أوروبا فى اطار دول العالم الثالث التى تستثمر بواسطة قوة استعمارية مثل حلف الاطلنطى ، والشركات متعددة الجنسيات المرتبطة بالدول والبنيات العسكرية .

ويبدو للمراقبين أن نقطة الضعف الرئيسية فى أحزاب جنوب أوروبا الاشتراكية تكمن فى موقف الحزب الاشتراكى البرتغالى ، الذى تغيب عن اجتماع باريس بسبب زيارة زعيمه للولايات المتحدة الامريكية . ومن واشنطن بعث الى المؤتمر محذرا من « اغتصاب الشيوعيين للسلطة » ، ومعلنا أنه على الرغم من أن خطر قيام انقلاب شيوعى فى البرتغال قد ابتعد الا أن ذلك لا يعنى استبعاد هذا الاحتمال بصورة مطلقة .

ويرى المراقبون فى الولايات المتحدة ، أن كيسنجر قد ألقى بكل ثقله خلف **ماريو سواريز** ليمثل دور «حصان طروادة» داخل المجموعة الاشتراكية فى جنوب أوروبا . ويردد هؤلاء المراقبون ، فى واشنطن ، أن كيسنجر حذر سواريز من « سيطرة الشيوعيين والعمل معهم » . ووصف سواريز بأنه مثل « كيرنسكى » مشيرا الى رئيس الوزراء الروسى الذى أطاحت به الثورة البلشفية فى ١٩١٧ ، ورد عليه الاشتراكى البرتغالى : « أنا بالتأكيد لا أريد أن أكون كيرنسكى » وعلق كيسنجر قائلا : ولا تفعل « ما فعله كيرنسكى » !!

● **الهنـــد**

المشاكل قائمة رغم اصلاحات انديرا

حينما أعلن تشيما بنهاى بانيل زعيم حزب لوك باكشا أحد الاحزاب المشتركة فى الائتلاف الوزارى فى ولاية جوجارات الهندية « أنه فى ظل الموقف السياسى الراهن ، ومن أجل المصلحة الاكبر لولاية جوجارات ، فان الحزب قرر حل نفسه بعد استعراض الموقف السياسى كله وبصورة شاملة بعد هذا الاعلان أصبح الطريق ممهدا أمام حزب المؤتمر الهندى لفرض سيطرته على جميع ولايات الهند الـ ٢٢ بعد أن كانت انديرا غاندى قد حلت فى شهر يناير الماضى حكومة المعارضة فى ولاية تامل نادور ، ووضعت الولاية تحت الحكم المباشر للحكومة المركزية . ولم يبق بعدها فى ولايات الهند حكومة معارضة ، سوى حكومة ولاية جوجارات .

وبهذا الاجراء ، تكون انديرا غاندى قد بدأت فى وضع اللمسات الاخيرة للتحول الكبير فى النظام السياسى الهندى وأبرز سماته هو تحول الهند من دولة قائمة على النظام الليبرالى الغربى ، الى دولة يسيطر عليها حزب واحد ، هو حزب المؤتمر الهندى . وفى هذا السبيل كانت انديرا غاندى قد أعلنت مد حالة الطوارىء حتى آخر عام ١٩٧٦ كحد أدنى ، وذلك من أجل « مصلحة البلاد وتوحيد أسس التقدم فى الهند » وللاستجابة للاحتياجات الحالية للشعب ولمتطلبات المرحلة الراهنة » .

الا أن الامر كان مختلفا فى هذه المرة ، فبينما قوبل اعلان حالة الطوارىء فى يونيو ١٩٧٥ بموافقة ٣٣٦ صوتا مقابل ٥٩ فى البرلمان الهندى ، فان قرار الاستمرار فى حالة الطوارىء نتج عنه مقاطعة ١٠٠ نائب للبرلمان ، اعتراضا على موقف الحكومة ، التى تمكنت خلال الفترة الماضية من ترويض الصحافة التى اخذت شيئا فشيئا فى التحول نحو الاذعان للحكومة . وحتى القضاء الهندى الذى عرف باستقلاله التام عن السلطة ، قد فقد جانبا من هيبته بعد صدور القرار الذى يستثنى رئيسة الوزراء من المساءلة أمام المحاكم .

ويفسر بعض المراقبين قرارات الحكومة الهندية بانها محاولة ضرورية لحل الازمة الطاحنة التى تعانى منها الهند ، وعجز البرجوازية الهندية عن مواجهة تدهور حالة المجتمع الهندى الاجتماعية والاقتصادية ، مما اضطر انديرا غاندى للعمل من أجل تركيز السلطة حتى يتسنى — من وجهة نظرها — اتخاذ عدد من القرارات الحاسمة للخروج من هذا المأزق ، أبرزها فى هذه المرحلة طرح برنامج اصلاح زراعى جذرى ، والسيطرة على البنوك والاستعداد لخطوات أبعد فى اتجاه تأميم الاحتكارات الكبرى وهى القرارات التى أعطت الزعيمة الهندية شعبية جماهيرية بين قطاعات الشعب الهندى واضافت الى رصيدها الذى أحرزته بعد الحرب الهندية الباكستانية حتى أن بعض المراقبين قد أشاروا الى أنه ليس هناك أى مجال للشك فى انها لو أجرت الانتخابات العامة فى موعدها لحققت هى وأنصارها فوزا كاسحا ولسجلت انتصارا سياسيا ضخما آخر لاسيما وان الكثيرين من كبار خصومها ، ومن بينهم ٢٥ من أعضاء البرلمان ، لا يزالون معتقلين وغير قادرين على خوض المعركة الانتخابية .

وفى الوقت الذى نفت فيه انديرا غاندى ، أن حزب المؤتمر يخشى الانتخابات مستندة الى ان التقارير الواردة من الولايات تدل على أن فرص نجاح الحزب الحاكم فى الانتخابات القادمة طيبة « لان حالة الطوارىء لاقت ترحيبا ، وأيضا بسبب وفرة المحاصيل الزراعية » .

وعلى الرغم من ذلك كله ، فقد أصبح على انديرا ، أن تواجه هجمات اليمين واليسار أيضا . فقد نجم عن خطواتها الاخيرة ، أزمة دستورية أخذت فى التصاعد منذ الطعن فى دستورية وشرعية فوزها فى انتخابات عام ١٩٧١ ، وتم ادانتها باستغلال نفوذها فى حملتها الدعائية وصدور الحكم بحرمانها من تولى أى منصب هام لمدة ٦ سنوات . وحينئذ قامت أحزاب المعارضة بحملة عصيان مدنى لارغام انديرا على الاستقالة قبل نظر الاستئناف الذى قدمته . وكان رد فعلها هو اعلان الاحكام العرفية ، وحملة الاعتقالات التى شنتها على المعارضة ، وفرض الرقابة على الصحف بعد أقل من أسبوعين من صدور الحكم . وأخيرا مارست انديرا نفوذها فى البرلمان الهندى ، فوافق على مشروع قانون بتعديل قوانين الانتخاب بشكل يحقق تبرئتها . لكن ذلك كله تم فى حضور الاحزاب المؤيدة لها وفى غياب أحزاب المعارضة

ولم تكن انديرا غاندى تواجه مأزقها الدستورى فقط مع أحزاب المعارضة اليمينية التى رفعت شعارات « الشرعية » واستمرار « اللعبة الديمقراطية » ولكن كان عليها ايضا ان تواجه ازمة أخرى داخل صفوف حزب المؤتمر نفسه الذى أصبح يعانى من الانقسام بين القوى اليمينية التى ترغب فى أن تكون قرارات الحكومة داخل اطار قواعد « اللعبة » الديموقراطية البورجوازية وبين القوى الاكثر راديكالية

والمشكلة من قواعد الحزب .. وشبابه والمساندة لرئيسة الحكومة .

ولم يكن اليمين الهندى وحده فى المعارضة ، فقد عارضت الاحزاب اليسارية فيما عدا الحزب الشيوعي الهندى — هذه المعارضة اليسارية التى يمثلهـا الحزب الهندى الماركسى ويقال انه ثانى الاحزاب الهندية قـوة — فى نظر بعض المراقبين — بعد حزب المؤتمر والمعروف باتجاهه الصينى ، والحزب الاشتراكى الثـورى ، ومؤتمر كيرالا ، والجبهـة المتقدمة ، فهذه الاحزاب عارضت اجراءات الحكومة من منطلق أنه أيا كانت تقدمية قرارات الحكومة اقتصاديا واجتماعيا ، فانها لا تخلص المجتمع الهندى من فقره ، ومن مجاعاته . ومن ثم ، فان الواجهة الاشتراكية التى ترفعها الحكومة لا تزيد فى جوهرها من أن تكون خطوات اصلاحية تعطل حدة التناقضات المتزايدة ، داخل المجتمع الهندى ، والتى يمكنها أن تفرز وضعا ثوريا فى صالح قوى اليسار .

جوهر القضية الهندية اذن يرتبط بمدى قدرة انديرا غاندى على مواجهة مشاكل الهند الحقيقية المجسدة فى واقعهـا الاقتصادى والاجتماعى بحيث يتسع مفهومها للديمقراطيـة ليشمل قطاعات أوسع ومتزايدة من المجتمع الهندى بدلا من الاقتصار على توجيه بعض الضربات للاحتكارات الكبرى وكبار الملاك الهنود ، فهل تستطيع انديرا غاندى ذلك ؟



■ الفليبين

ثلاثة محاور اساسية لمؤتمر الدول النامية

انعقد فى العاصمة الفلبينية مانيلا ، فى الرابع من فبراير الماضى المؤتمر الوزارى الثالث لمجموعة دول السبع والسبعين ، وهى المجموعة التى تضم الدول النامية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ويجمع المراقبون على ان المؤتمر يمثل مرحلة هامة بالنسبة لجهود العالم الثالث للتخلص من مشاكل التخلف الاقتصادى وتعزيز قوته على التفاوض فى الحوار الدائر بينه وبين العالم الصناعى المتقدم .

وقد تبلور ذلك فى الميثاق الصادر عن المؤتمر والذى حدد الموقف الذى تعتزم الدول النامية اتخـاذه فى مؤتمر الامم المتحدة الرابع للتنمية والتجارة الذى سيعقد فى نيروبى فى شهر مايو القادم .

وقد ناقش المؤتمر الدراسات التى اعدتهـا مجمـوعات الخبراء حول المشاكل الاساسية التى تواجه الدول النامية ومنها اعباء القروض الاجنبية ، والعـلاقات التجـارية مع الدول الصناعية ، وكيفية نقل التكنولوجيا من هذه الدول ، والمسائل المتعلقة بالمنتجات الاساسية والمنتجات المصنعة .

ولكن الجديد فى مناقشات مجموعة السبع والسبعين هذه المرة — هو خروج الاعضاء من نطاق البحث النظـرى عن أوجه التحرك كما حدث فى الدورتين الخاصتين السـادسة والسابعة للامم المتحدة ، وانتقالهم الى مجـال العمـل مباشرة . ولهذا اكتفى المجتمعـون فى مانيلا باستعراض دراسات الخبراء حول المشاكل السالف ذكرها ، اتجهوا الى التركيز على ثلاثة محاور اساسية . أول هذه المحاور يتناول كيفية توفير وسائل الدعم المالى لدول العالم الثـالث ، وثانيها هو التوصل الى برنامج كامل للمنتجات الاولية بهدف تنظيم أسواق بيعها ، وثالثهـا يتعلق بامكانيات المشـاركة الفعالة فى الحوار بين الشمال والجنوب .

فاما عن وسائل الدعم المالى ، فقد كان الاهتمام منصبا حول انشاء صندوق للتمويل يمكن للدول المتقدمة الاشتراك فيه ومما يشجع دول العالم الثالث على تحسين هذه الوسائل ، البدايات المشجعة للتعاون المـالى مع دول الاوبك . فمن الجدير بالذكر ان هذه الدول وافقت فى اجتماعها بباريس فى يناير ١٩٧٦ على انشاء صندوق يقدم قروضا طويلة الاجل ومحررة من الفوائد لدول العالم الثالث . ويقدر المراقبون رأسمال هذا الصندوق بحوالى ٨٠٠ مليون دولار . وكانت جدولة اسعار المواد الاوليه ، بمعنى ربط هذه الاسعار باسعار المواد الصناعية ، ومعدلات التضخم فى العالم الرأسمالى ، من الموضوعات التى ثار حولها جدل كبير داخـل المؤتمر ، وذلك لارتباطها بقضية الحوار بين الشمال والجنوب الذى تتباين فيه وجهات نظر الاطراف الثلاثة المشتركة فيه : الدول المنتجة للبترول ، والدول النامية غير المنتجـة للبترول ، والدول الصناعية . ومن المعروف عند المراقبين انه بالرغم من اتفاق اطراف الحوار كما وضح من مؤتمـر باريس فى يناير الماضى على مواعيد الحوار والموضوعات التى تثـار فيه ، فان الخلاف لازال قائما حول كيفية جدولة اسـعار المواد الاولية بما فيها اسعار البترول .

وادراكا لهذه الحقيقة ، اهتم المجتمعون فى مانيـلا ، بالتأكيد على ضرورة اقامة نظام للتنسيق بين اعمـال الدول التسع عشرة التى تمثلهم فى مؤتمر باريس ، والدول الاعضاء فى مجموعة السبع والسبعين .

وتحرص دول العالم الثالث ، فى الفترة القادمة والى ان يحين عقد مؤتمر التجارة والتنمية الرابع للامم المتحدة فى مايو القادم ، على دفع دول الاوبك نحو تقوية موقفها الداخلى ، بحيث لا تترك الخلاف حول اسعار بعض المنتجات البترولية يؤثر على دعمها المالى لها ، ويبعدها عن الاستراتيجية التى يواجهون بها العالم الرأسمالى المتقدم . كما يتركز اهتمام هذه الدول على توفير اكبر قدر من الثقة للدول التسع عشرة الممثلة لهم فى هذه المواجهة . □



● الولايات المتحدة الامريكية

كيسنجر بين مطرقة الكونجرس وسندان الانتخابات

يؤكد المراقبون السياسيـون فى واشنطون ان مستقبل هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية اصبـح فى الاونة الاخيرة مهددا بصورة مباشرة وذلك كرئيس للدبلوماسيـة الامريكية ، وكصاحب مدرسة فى الدبلوماسية الدولية عرفت بالدبلوماسية المتحركة أو دبلوماسية الحـركة ، وذلك بعد فشله فى معالجة الكثير من الاوضاع التى استجدت على مسرح السياسة الدولية ، وبعد اهتزاز الثقة فى سياسـة من جانب الرأى العام الامريكى ...

ولقد عبر جان سوفانيارج وزير خارجية فرنسا عن هذا التدهور فى مكانة كيسنجر بصورة رمزية عند مصافحته لكيسنجر فى الاجتماع الدورى لوزراء خارجية ودفاع حلف الاطلنطى فى بروكسل . فقد اشار سوفانيارج الى أن مظاهر الشيخوخة بدأت تظهر مبكرا ، كما لاحظ كل الوزراء الاطلنطيين تلك الظاهرة فقد اكتشفوا ذلك التغيير الواضح فى أسلوب كيسنجر فى التعامل والتفكير فى الاونة الاخيرة.

وهذا « التغيير الجديد » يثير التساؤل ، ليس فقط حول اسباب هذا التدهور ، بل فى الاساس حول ما يمكن أن تؤول اليه السياسة الخارجية الامريكية فى الفترة القادمة، وخاصة سياسة الوفاق . فمنذ التعديل الاخير الذى أجراه الرئيس فورد فى حكومته ، والحديث لم ينقطع عن أفول نجم كيسنجر . ذلك لان كيسنجر قد فقد فى هذا التعديل منصبه كرئيس لمجلس الامن القومى ، وهذا يعنى على الاقل أنه لم يعد فى امكانه دخول مكتب فورد وقتما يشاء . كما أن تعيين دونالد رامسفيلد وزيرا للدفاع بدلا من جيمس شلزنجر المناوىء الاساسى لكيسنجر لم يحقق الانتصار الذى كان ينتظره كيسنجر . فخبراء السياسة الامريكية يعرفون الدور البارز الذى لعبه رامسفيلد داخل البيت الابيض ضد كيسنجر ، وخاصة بعد انفجار قضية التدخل الخارجى الذى مارسته المخابرات الامريكية . فقد تمكن رامسفيلد — بالتعاون مع « البرت كوى » أحد كبار الشيوخ [ومن أصدقاء فورد] من ربط اسم كيسنجر بعملية التدخل الامريكي فى شيلي . كما انه بعد احداث قبرص وانهيار أمريكا فى الهند الصينية نسبت تصريحات صحفية الى رامسفيلد قال فيها انه يجب على كيسنجر ان يرحل على الاقل من رئاسة مجلس الامن القومى . فقد كثرت الاتهامات التى توجه اليه . هذا بالاضافة الى ما تردد عن احتمال تعيين ريتشاردسون ،الذى عين وزيرا للتجارة فى التعديل الاخير ، وزيرا للخارجية بدلا من كيسنجر فى الفترة القادمة، خاصة وأن ريتشاردسون لم ينف هذا الاحتمال .

أما اليوم فان كيسنجر يواجه بأكثر من تحد ، الامر الذى اصبح يهدد امكانية استمراره فى رئاسة وزارة الخارجية . ولعل أهم التحديات التى تواجه كيسنجر التحدى من جانب الكونجرس ، والتحدى من جانب الحزب الجمهورى الذى ينتمى اليه الرئيس فورد .

فالتحدى من جانب الكونجرس ، اصبح واضحا وملموسا فى العديد من الحالات ، بعد تراكم الازمات التى تواجه السياسة الخارجية الامريكية . وقد اشار كيسنجر الى هذا فى الخطاب الذى القاه أمام ما يقرب من عشرة آلاف شخص فى جامعة ديوميليج ، حيث اتهم الكونجرس بالتعدى على اختصاصاته فى مجال السياسة الخارجية الامر الذى يعرض الثقة فى السياسة الامريكية للخطر . ولم يخف كيسنجر ،فى هذا الخطاب ، احساسه بالمرارة ، بل وبالتشاؤم المتزايد الناجم عن رفض الكونجرس السماح بمواصلة التدخل الامريكي فى انجولا .

فالكونجرس ينسب ذلك التداعى فى السياسة الخارجية الامريكية الى دبلوماسية كيسنجر ، حيث ان الفشل الامريكى لا يقتصر على ما حدث فى جنوب شرق آسيا بل تعداه الى ما يمكن ان يحدث فى أوروبا الغربية ذاتها . فالبرتغال تكاد تفلت من بين أيدى حلف الاطلنطى على الرغم من الانتصار المؤقت الذى أحرزه الرئيس كوستاجوميز على اليساريين ، وهناك احتمالات انتصار الاحزاب اليسارية فى ايطاليا وفرنسا فى الانتخابات البرلمانية القادمة ، هذا الى جانب التهديد الذى يواجه سياسة الوفاق سواء مع الصين أو الاتحاد السوفيتى . فالانفراج مع الكرملين بدأ يواجبه صعوبات نتيجة للخلاف الحاد القائم بين واشنطن وموسكو حول مباحثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية [سولت] وحول الوضع فى انجولا .

وهذا الخلاف بين الكونجرس وكيسنجر وضح مؤخرا فى جلسات مجلس النواب الاخيرة عند التحقيق فى التقرير السرى لنشاط المخابرات الامريكية . فقد عقد كيسنجر مؤتمرا صحفيا غداة نشر مجلة فيلج مويس التى تصدر فى نيويورك صفحات مختارة من التقرير الشهير للجنة التحقيق بمجلس النواب عن المخابرات الامريكية . فقد نفى كيسنجر انه يعتزم برغم الهجمات المستترة التى يتعرض لها ، التخلى عن منصبه كوزير للخارجية ، الا اذا تبين ان رحيله سيكون فى صالح سير السياسة الخارجية الامريكية . كما أشار بمرارة الى الاضرار التى لحقت بالسياسة الخارجية الامريكية من جراء هذا النوع من تسرب المعلومات الذى تكرر حدوثه .

اما التحدى الثانى الذى يواجهه كيسنجر فيأتى من جانب عدد كبير من عناصر الحزب الجمهورى الذى ينتمى اليه الرئيس فورد الذين يشيرون الى التأثير السلبى الناجم عن استمرار كيسنجر فى وزارة الخارجية على المعركة الانتخابية القادمة بالنسبة للرئيس فورد . فهذه العناصر ترى فى كيسنجر استمرارا لعهد فضيحة ووترجيت ، كما تعتبره مسئولا عن تدهور السياسة الخارجية الامريكية . وهذا كله من الممكن ان يؤثر على شعبية الرئيس فورد فى الانتخابات القادمة اذا ما استمر كيسنجر فى منصبه .

ويرى العديد من المراقبين ان نتائج التقديرات الاخيرة لمعهد جالوب التى اثبتت تفوق « رونالد ريجان » المرشح الجمهورى المناوىء للرئيس فورد ، تعتبر ضربة موجهة لآمال كيسنجر ولوزارة الخارجية على الاقل — حتى نهاية فترة رئاسة فورد فى ديسمبر ١٩٧٦ . فهذه التقديرات تعتبر كارثة مزدوجة لانها أولا تكشف من ضعف الرئيس فورد ومن امكانية عودة واحد من اكثر المخالفين للسياسة الخارجية الامريكية الحالية ، وثانيا لانها تعد بمثابة فجوة من عدم الثقة لا بازاء فورد فقط وانما بازاء كيسنجر ايضا وبكيفية مباشرة . □

● ● ●

أبعاد موينيهان لاستئناف ضربات القفاز الحريرى

اعلن فى الاسبوع الاول ، من شهر فبراير الماضى ؟ نبأ استقالة دانيال باتريك موينيهان رئيس وفد الولايات المتحدة الامريكية فى الامم المتحدة .

وتأتى هذه الاستقالة بعد سبعة اشهر قضاها المندوب الامريكى اثار فيها ازمتين سياسيتين الاولى عندما هاجم الرئيس الاوغندى عيدى امين ومنظمة الوحدة الافريقية ، والثانية حين واجه مشكلة مع الرى العام العالمى ، ووقف يعارض حق منظمة التحرير الفلسطينية فى حضور اجتماعات مجلس الامن باستخدامه حق الفيتو فى مناقشات المجلس الاخيرة عاجزا من تدعيمه باى حجة مقنعة تبرر هذا الاستخدام .

ويرى المراقبون السياسيون أن تعيين موينيهان كسفير للولايات المتحدة الامريكية فى الامم المتحدة اعطى انطباعا ظاهرا من اعتزام امريكا فى الا تتسبب اغلبية جديدة تتألف من دول العالم الثالث فى احراج السياسة الامريكية ، خاصة بعد ان

أصبح لهذه الاغلبية وزن يعتد به داخل الجمعية العامة للامم المتحدة .

ويرى عدد كبير من المراقبين السياسيين أن السبب الرئيسى فى ابعاد موينهان من منصبه فى الامم المتحدة هو انه افصح بصورة سافرة ، وكشف ، مخطط الولايات المتحدة فى تحطيم تكتل الدول حديثة الاستقلال والتى اصبح لها موقف مستقل من القضايا العالمية ودأبت لمدة طويلة على اتخاذ مواقف موحدة ضد سياسة الولايات المتحدة فى المحافل الدولية . بعد ان كانت للولايات كتلة تصويت آلية داخل المنظمة العالمية فى الاربعينات والخمسينات لتأييد سياسة واشنطن بصورة تكاد تكون ثابتة .

لقد هاجم موينيهان الامم المتحدة واعتبرها «مسرحا للغباء» وكان يرى ان الاساليب التى تنتهجها دول العالم الثالث ، داخل المنظمة ، من شأنها تدمير هذه الهيئة الدولية ،ولذلك فقد حرص على تحدى هذه الاغلبية من خلال طريقته الاستفزازية واسلوبه فى الحديث الذى لم يستطع فيه ان يتجاوز مرحلة الشتائم واظهار مواقف الاحتقار ، واعلانه صراحة « بان من يصوت ضد المصالح الامريكية سوف يعاد النظر فى المساعدات الامريكية التى تقدم الى بلاده » .

وتشير الاتجاهات السائدة داخل الامم المتحدة الى ان هذه الاساليب والتهديدات لم تأت بأى ثمار لسياسة الولايات المتحدة الخارجية بدليل فشل امريكا فى تعديل التصويت ازاء بعض المواضيع مثل قضية ادانة الصهيونية كحركة عنصرية وغيرها .

وترى الدوائر المطلعة أن موينيهان قد تلقى تقريرا سريا يوضح له أنه أصبح يسبب الضيق بالنسبة لسير الدبلوماسية الامريكية ، وانه . بأساليبه الاستفزازية — قد كشف النقاب عن وجه السياسة الخارجية الامريكية القبيح ،ولذلك كان عليه ان يقدم استقالته .

ومن الجدير بالذكر أن رحيل موينيهان من الامم المتحدة لا يثير أى شك حول تغير محتوى السياسة الامريكية تجاه الامم المتحدة وتجاه دول العالم الثالث بصفة خاصة لان ما سوف يتغير فهو اسلوب الدبلوماسية الامريكية فقط ، ولكن السياسة الخارجية التى كان يمثلها موينيهان علنا ، فسوف تظل كما هى ، وكما يقررها هنرى كيسنجر والرئيس فورد ، وسيحاول كيسنجر تعيين مندوب امريكى جديد يكون قادرا على تقديم الدبلوماسية الامريكية للعالم بصورة براقة وان يعرض سياسة القوة التى تنتهجها الولايات المتحدة بيدين داخل قفاز حريرى . ☐

● الصين الشعبية

المغزى الحقيقى للمفاجأة لم يعرف بعد .

كان تعيين هوا كوفنج وزير الامن الصينى ، رئيسا لوزارة الصين بالنيابة ، مفاجأة تامة لخبراء الشئون الصينية فى الشرق والغرب على السواء الذين كانوا قد توقعوا سيرا مع المنطق العادى للامور ، أن يتولى تنج هياو وينج النائب الاول لرئيس الوزراء الصينى ، منصب رئيس الوزراء بالنيابة بعد

باعمال رئيس الوزراء بالفعل منذ اشتداد المرض على شواين وفاة شواين لاى ، خاصة وقد كان تنج هيساو ينج يقسوم لاى .

كذلك فان الرئيس الامريكى جيرالد فورد ، لا يتذكر ، اذا كان قد التقى خلال زيارته للصين مؤخرا ، بهوا كوفنج هذا، بل انه متأكد من أن هوا كوفنج لم يكن بين الشخصيات التى اجتمع معها رسميا خلال زيارته للصين . ويقوم مستشاروه بالبحث عن اسمه فى قوائم المدعوين فى المراسم التى اشترك فيها الرئيس فورد .

والواقع ان هوا كوفنج الذى يبلغ من العمر ٥٦ عاما، يمثل بالاضافة الى منصبه كوزير للامن العام ، الترتيب السادس بين نواب رئيس الوزراء الذى يبلغ عددهم ١٢ نائبا لرئيس الوزراء ، كما انه عضو بالمكتب السياسى للحزب الشيوعى الصينى الذى يبلغ عدد اعضائه [٢١ عضوا] . ويشير خبراء الشئون الصينية الى أن شخصيته تتسم بالمرونة، وهو من اقليم هوان الذى ولد فيه الرئيس ماو ، وقد قضى هناك معظم حياته كمسئول حزبى اقليمى كبير . واصبح خبيرا فى الزراعة التى تعتبر العمود الفقرى للاقتصاد الصينى حتى الان . ومن الامور ذات المغزى ، انه انتقل الى بكين بعد محاولة لين بياو وزير الدفاع الصينى السابق، تدبير انقلاب ضد الرئيس ماو ١٩٧١ ، وذلك لان الرئيس ماوتسى تونج عمد فى تلك الفترة وكما يقول عدد من خبراء الشؤون الصينية — الى ان يستدعى الى العاصمة المسئولين الموثوق بهم . وجدير بالذكر انه حصل على عضوية المكتب السياسى فى ١٩٧٣ ، كما اصبح نائبا لرئيس الوزراء، ورئيسا لجهاز الامن الصينى فى ١٩٧٥ .

وكان هوا كوفنج قد اكتسب من قبل شهرة كمسؤول كفء فى الشؤون الزراعية ، ومنذ ٥ سنوات مضت ، اوكل اليه بعد نقله الى بكين ، الاشراف على كافة مزارع البلاد، حيث اهتم بتطوير الزراعة ، وصبغها بصبغة عطرية، كذلك يعتبر هوا كوفنج بالاضافة الى صغر سنه ، من العناصر الرئيسية المسؤولة عن التحضير للخطة الخمسية الجديدة .

وقد ازداد دوره فى الحياة العامة فى الشهور الاخيرة ؟ دون أن يتصور احد مع ذلك انه سيكون مرشحا لرئاسة وزارة الصين بالنيابة ، ففى سبتمبر الماضى تولى رئاسة وفد حكومى هام الى التبت ، كما تولى بعد ذلك بقليل رئاسة الاجتماعات الخاصة بالشؤون الزراعية والتى عقدت فى اقليم شانسى ، وبعد ذلك فى بكين ، حيث القى التقرير الرئيسى بهذا الصدد .

وهناك اتجاه بين عدد من خبراء الشؤون الصينية الى اعتبار تعيين هوا كوفنج رئيسا للوزراء بالنيابة ، ضربة لنفوذ تنج هيساو ينج ، واضعافا لمكانته ، وهم يدللون على ذلك بان حملة الملصقات التى بدأت مؤخرا فى جامعة بكين انما تستهدف شخص تنج هيساو وان لم تكن قد ذكرته بالاسم . ويدللون على رأيهم هذا بان الملصقات قد حملت على «الرجل الذى اعلن انه لايهم لون القط ، سواء كان ابيض أو أسود ، وانما المهم قدرته على اصطياد الفئران » . ومن المعروف أن تنج هيساو ينج هو قائل هذه العبارة فى اجتماع اللجنة المركزية لرابطة الشباب الشيوعى الصينى فى يوليو ١٩٦٢ .

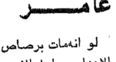
وقد اشار مؤخراً الان بيريفيت الوزير الفرنسى السابق ، ومؤلف كتاب « عندما تستيقظ الصين » ، وهو من أوسع الكتب انتشارا عن الصين ، الى أن تنج هياوبنج فقد جزءا من مكانته ، وكذلك العناصر المعتدلة التى لم يكف شواين لاى منذ نهايةعام ١٩٧٢ عن دفعها قدما الى الامام» . ويرى بيريفيت ان اختيار هوا كوفنج رئيسا للوزراء بصورة مؤقتة فى بكين ، يحمل على الاعتقاد بانه بعد وفاة شواين لاى :

« فان المنافسة الدائمة القائمة بين الجناح اليسارى ، والجناح اليمينى فى الحزب الشيوعى الصينى ، قد اسفرت عن انتصار الجناح اليسارى » . وذكر بيريفيت ردا على اسئلة وكالة الانباء الفرنسية ، تأييداً لهذا الافتراض : « اعلان دوائر فورموزا مؤخرا ، ان وفاة شواين لاى ستتيح لليسار أن ينتصر » .

الا أن صحيفة « لوموند » الفرنسية اشارت فى ١٤ فبراير ١٩٧٦ الى أن السوفييت يتحدثون عن هوا كوفنج « كحكم بين اليساريين والمعتدلين » ، وقالت الصحيفة انه اذا كانت وفاة شواين لاى ضربة للمعتدلين ، فان وفاة الرئيس ماو ، يمكن ان تضعف معسكر من اسمتهم « المتطرفين » .

ويرى بعض المعلقين الامريكيين ان تعيين هوا كوفنج قد يكون انتصارا لصديقه تنج هيا وينج ، وعلى نحو محدد يرى **مايكل أوكسينبرج** خبير الشؤون الصينية بجامعةمتشجان الامريكية انه : « حتى نعرف ما هو اكثر من المتاح لنا من المعلومات ، يمكن ان نتصور أن تنج بدلا من ان يشغل منصب رئيس الوزراء ، قرر ترقية هوا الى هذا المنصب ، لكى يركز على دعم مركزه هو بهدف ان يصبح زعيماللحزب، بعد وفاة ماو » . وهناك رأى اخر ايضا يقول : انتعيين هوا كوفنج فى منصب رئيس الوزراء بالنيابة ، انما هو أمر مؤقت حتى تنتهى المعركة بين من يسمون « بالمتطرفين» و « المعتدلين » ، ويقوم هذا الرأى على اساس أن الرئيس ماوتسى تونج قد أراد بتعيينه هوا ، أن يحولدون حدوث صراع حاد بين اتجاه تنج هيساو ينج من جانب ، وبين ممثلى الثورة الثقافية ممن يسمون « بالمتطرفين »من جانب آخر . وقد اشارت صحيفة« التايمز » و«الفينانشيال تايمز » البريطانيتان مؤخرا الى انه ربما يكون هو مرشح تسوية لفترة انتقالية » وقالت : « ان خسوف نجم تنج هياو ينج قد لا يكون الا خسوفا مؤقتا » .

وعلى أية حال ، فانه لا يمكن لمحلل جاد ، او لخبير مدقق فى الشؤون الصينية ان يحسم وبصورة مؤكدة طبقا — للمعلومات التى توفرت حتى كتابة هذا التقرير — أى هذه الافتراضات هو الاصح ، وايها يمثل الحقيقة فيما يتعلق بتلك التطورات على مستوى القمة التى تحدث داخل الحزب الشيوعى الصينى والحكومة الصينية ، ولذا يرى عدد كبير من خبراء الشؤون الصينية ان كشف المغزى الحقيقى وراء تعيين هوا كوفنج رئيس الوزراء الصينى بالنيابة بديلا منتنج هيساو ينج ، سوف يعتمد فى الحقيقة ، على ما سيكشف عنه الحزب والقيادة الصينية ، خلال الاسابيع وربما الشهور القادمة . □



واستشهد ابراهيم عامر

لو انهمات برصاص الاعداء .. لهان الامر .

لو ان القتلة كانوا صهاينة او كتائبيين لكان بامكاننا أن نبكى على أخ لنا وزميل هو **ابراهيم عامر** .

لكن الخطب أفدح . فالقتلة ، ذوى الضمائر الباردة ، أطلقوا رصاصاتهم وهم يرددون نفس الشعارات التى أفنى **ابراهيم عامر** حياته دفاعا عنها .

ابراهيم عامر .. الكاتب .. والمناضل والصحفى .. الذى عاش حياته دفاعا عن حق المواطن فى الحياة الحرة ، عن حق الكلمة الحرة فى أن تنطلق دون كبت ، وان تعيش دون خوف ، ابراهيم عامر الذى اهتم بمصير الفلاحين ثم مضى يساند ويدعم قضية الثوار الفلسطينيين، هو الذى جعلوه يدفع كل نسمات حياته ثمنا للمبادىء التى آمن بها ..

ولسنا نعتقد أن الامر بحاجة الى تعليق ولا حتى الى كلمات رثاء لضحايا حادث الاعتداء على جريدتى المحرر وبيروت ، فالرثاء يجب أن ينصب على رؤوسنا جميعا نحن العرب ، الذين سمحنا للرصاص والهمجية أن يكونا أساليبا للحوار بين الخصوم السياسيين حتى ولو كانوا ينتمون الى فصيل واحد .

ليس الامر بحاجة الى تعليق ، ولاالىرثاء . فالرثاء يستحقه أكثر هؤلاء الذين نصبوا المشنقة لخصومهم السياسيين متجاهلين أبسط المشاعر الانسانية ، وضرورات توحيد الصف ، ومقتضيات الواقع اللبنانى

الرثاء يستحقه أكثر هؤلاء الذين تعلقت باعناقهم تبعة الحادث .

ويمضى **ابراهيم عامر** مشرعا قلمه ، لكن ما خطه قلمه سيظل حيا رغم أنف قتلته ، سيبقى حيا ، دافق الحيوية ، فى كتبه فى كتاباته فى أفكاره .. أما القتلة فليس لهم ولن يكون لهم سوى العار .

« الطليعة »



فى ٢٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ اقرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى مشروع برنامج الحزب . وهذا المشروع الذى صدر بمقدمة قصيرة عن تاريخ الحزب وعن منطلقاته النظرية ومعالم سياسته الداخلية والخارجية منذ ان تأسس عام ١٩٣٤ ، تضمن خمس فقرات او فصول كبيرة تتحدث :

ـ فى الفصل الاول عن استكمال مهام الثورة الوطنية الديموقراطية بالسير فى طريق التطور اللارأسمالى .

ـ وفى الفصل الثانى عن الديموقراطية السياسية والجبهة الوطنية .

ـ وفى الفصل الثالث عن وسائل دعم الاستقلال الاقتصادى وبناء المقومات المادية للاشتراكية .

ـ وفى الفصل الرابع عن الثروة النفطية والمعدنية .

ـ وفى الفصل الخامس عن الثورة الزراعية فى الريف .

وربما كان السؤال الذى يطرح هنا ولماذا تنشر الطليعة مشروع البرنامج ؟

ربما كانت الاجابة السهلة والتقليدية ـ هنا ـ هى أن « الطليعة » قد درجت على نشر كثير من برامج الاحزاب والمنظمات الثورية والوطنية . نذكر على سبيل المثال . برامج حركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية عام ١٩٧٢ ، ووثائق الاحزاب الثورية العمالية والاشتراكية والشيوعية فى أمريكا اللاتينية (١٩٧٥ ـ ١٩٧٦) .

لكن هذه الاجابة لا تكفى . وانما هناك سببان آخران :

الاول : هو أن هذا المشروع بما اشتمل عليه من قضايا ومواقف وأهداف مستقبلية يعكس المواقع التى انتقلت اليها الحركة الثورية فى العراق ، وذلك منذ أن قام حزب البعث العربى الاشتراكى فى العراق بثورته القومية التقدمية التى عمق خلالها مجرى الثورة الوطنية وذلك بطائفة من المعارك والمواقف اهمها :

١ ـ اصدار الميثاق الوطنى واقامة الجبهة الوطنية والقومية والقومية التقدمية .

٢ ـ تاميم النفط والنجاح فى معركة تاميمه تحت شعار التنمية المستقلة والمخططة ووضعه فى خدمة المعركة ضد الامبريالية والصهيونية .

٣ ـ وضع الاساس لحل المشكلة القومية للافراد . وتصفية التمرد العميل فى الشمال .

٤ ـ مساندة دول المواجهة فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ فعلى هذا الطريق الذى لقى فيه حزب البعث اسناد ودعم ومشاركة الاحزاب والقوى المشاركة فى الجبهة انتقل الحزب الشيوعى فى العراق

مشـــــروع برنـــــامج
الحــزب الشـيوعى العــراقى

لا ليقدم مجموعة من الشعارات العامة بل ليقدم ــ وبالارقام ــ اجتهادات تقوم على دراســة الواقع العراقى الراهن، وهو الامر الذى ينعكس على وجــه الخصوص . فى الفصــول الثلاثة الاخيرة من مشروع البرنامج ، ومثل هذا النهج العلمى ، فى دراسة الواقع الوطنى من شانه أن يعزز ، أكثر فأكثر ، الوحـــدة والتلاحم بين القوى المكونة للجبهة .

وعند هذه النقطة نكون قد انتقلنا الى السبب الثانى . وهو أن هذا المشروع يعد . بالمواقفة التى حددها فى الفصل الثانى تحت عنوان :

« الديموقراطية السياسية والجبهة الوطنية » ..نقول أن هذا المشروع يعد تاكيدا مستمرا ، لم يتوقف ، على أهمية دعم الصف داخل الجبهة الوطنية والقومية التقدمية فى مرحلة تواجه فيها حركة الثـــورة العـــربية المخططات الامبريالية « لاعادة ترتيب المنطقة » وقد انتقلت من حيــز الاعداد الى حيز التنفيذ .

ففى ١٩٧٢ واوائـــل ١٩٧٣ ، كان لابد من كشف هذه المخططات . وفى هذا تحولت بعض وثائق حزب البعث فى العراق « المنطقة . ماذا ؟والى أين ؟ » « منشورات الثورة مارس ١٩٧٣ » وعندما دخلت هذه المخططات الى حيــز التنفيذكان واضحا أن أمضى أسلحة الامبرياليةوالرجعية واشدها فتكا هو سلاح « الغزو من الداخل » أوشق صفوف القوى الوطنية والتقدمية ، وفى هذا أيضا تحدث صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة فى الكتيب الذى صدر عام ١٩٧٥ تحت عنوان :

« نريد عراقا مستقلا متحررا اشتراكيا » .

وكان صدام حسين قد تحـــدث فى الاجتماع الموسع للجان الجبهة الوطنية والقومية التقدمية فى العراق فقال موجها الحديث الى اعضاء لجان الجبهة :

« التفريق بين القوى الوطنية اســلوب ليس غريبا عن الامبريالية فى عملها المضاد .. » الى أن قال :

« فكم مطلوب منكم » كم بالنوع وليس بالكم .كم بالنوع مطلوب منكم من الحصـــانة النفسية المبدئية والسياسية لكى تواجهوا عمليات التسلل المضاد وفق الصيغة التى أشرنا اليها » .

والواقـــع انه اذا كان هناك شـــعار من بين الشعارات الوطنية يحظى الان باهميـــة مطلقة فهو شعار وحدة القـــوى الوطنية والتقدمية ،وصيانة تحالفها ، وتعزيز سلامةجبهاتها المناضلة وفى هذا يستجيب المشروع المطروح لهذه المهمة، على الصعيدين الوطنى والقومى .

ثم لـــكل هذا ولغيره تكتسب هـــذه الوثيقة المنشورة أهميتها .

الفصل الاول

من أجل استكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بانتهاج طريق التطور اللارأسمالي صوب الاشتراكية

١ – افتتحت ثورة ١٤ تموز لعام ١٩٥٨ عهداً جديداً للثورة الوطنية الدمقراطة [في بلادنا وكانت انتصارا تاريخيا عظيما لشعبنا، حيث قوضت دعائم النظام السياسي – الاجتماعي القديم • وأسقطت السلطة الملكية الاقطاعية المرتبطة بالاستعمار • وحررت العراق من حلف بغداد وغيره من القيود السياسية والعسكرية • وأقامت لاول مرة جمهورية وطنية مستقلة • كما حققت العديد من الاهداف والمهمات الاساسية للثورة الوطنية الديمقراطية • وبرغم ما تعرضت له هذه الثورة من تعثر وانتكاس ، فقد واصل شعبنا نضاله من أجل استئناف مسيرة الثورة وحقق نجاحا كبيرا ، ولا سيما بعد ثورة ١٧ – ٣٠ تموز لعام ١٩٦٨ • وخلال هذه الفترة قطعت الثورة شوطا بعيدا على طريق استكمال مهمات ثورة الرابع عشر من تموز وتعميق محتواها الاجتماعي والسياسي • وبذلك دخلت الثورة الوطنية في طور متقدم جديد •

٢ – فقد قامت في البلاد سلطة وطنية تقدمية وتحقق بناء حلف ثوري ضم الاحزاب والقوى الوطنية والقومية التقدمية • وانتهج الحكم في السياسة الخارجية نهج الكفاح ضد الامبريالية والرجعية والصهيونية ، والعدوان الاسرائيلي • واستخدام النفط كسلاح في المعركة الوطنية والقومية ، ودعم حركة التحرر الوطني العربية المكافحة • كما دعم الحركات الوطنية الثورية في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية • وعزز علاقات التعاون السياسي والاقتصادي مع بلدان المنظومة الاشتراكية • وطور العلاقات مع الاتحاد السوفيتي تطويرا نوعيا ، بعقد معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين • وحقق الحكم انجازا ثوريا كبيرا على طريق الاستقلال الاقتصادي بتاميم القسم الاعظم من الثروة النفطية ، وبانشاء قطاع وطني مستقل لانتاج النفط ونقله وتسويقه • كما أنجز اقامة عدد من المشاريع والصناعات الهامة •

٣ – وقد طبق الحكم خطة أسفرت عن توسيع القطاع العام في ميادين عديدة ، واحتلاله مركزا قياديا في الاقتصاد الوطني ، وتعميق الاصلاح الزراعي • كما وشرع عددا من القوانين التقدمية لصالح العمال والموظفين والجماهير الشعبية • ووضع أساسا صالحا لحل المسألة القومية الكردية في العراق حلا سلميا ديمقراطيا ، على أساس الحكم الذاتي للشعب الكردي ضمن اطار الجمهورية العراقية ، وأعلن رفضه للتطور الرأسمالي •

٤ – وقد اعتبر شعبنا وكل قوى التقدم في العالم ، ان قيام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية هو أحد المنجزات الكبرى التي حققتها حركتنا الوطنية الثورية •

٥ – ان هذه الانجازات والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحققت خلال مسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية ، مكنت العراق من دخول طريق التطور اللارأسمالي •

٦ – ان شعبنا وحركتنا الثورية يواجهان في المرحلة الراهنة مهمة العمل على استكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بمواصلة وتعميق نهج التطور اللارأسمالي صوب الاشتراكية ، وان السير الناجح لهذه العملية التاريخية ، وتحقيق أهدافها النهائية يتطلب تحقيق المهام التالية :

أ – توطيد وتطوير النظام التقدمي القائم في جمهورية ديمقراطية ثورية تمثل ارادة الشعب ، تقود السلطة السياسية فيها حكومة ائتلافية تمثل تحالف الاحزاب والقوى الثورية المتحدة في الجبهة بحيث يضمن لكل طرف فيها الاضطلاع بدوره الفعال الذي يتناسب مع طاقاته الثورية ورسالته التاريخية • وتعزيز اعتماد السلطة السياسية على الجماهير الشعبية ، وتمكين الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة من ممارسة دورها الفعال في العملية الثورية ، وصيانة المكتسبات المحرزة وتعميقها ، وقمع قوى الردة ومؤامرات الاستعمار والرجعية وحماية الثورة من الانحراف وتطويرها على الدوام • وذلك بتعبئة الجماهير وتنظيمها ، واطلاق طاقاتها ومبادراتها الخلاقة ونشاطها السياسي •

– ترسيخ الجبهة الوطنية والقومية التقدمية وتوسيع قاعدتها الجماهيرية ، وتطوير دورها في الحياة السياسية •

– تعزيز وتطوير الحكم الذاتي للشعب الكردي •

– تعميق النهج التقدمي المعادي للامبريالية والراسمالية وتعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي للبلاد •

– تشديد الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والقوى الرجعية بتعزيز التضامن العربي الكفاحي ، ومواصلة دعم حركات التحرر العربية وفي مقدمتها حركة الشعب العربي الفلسطيني والنضال من أجل الوحدة العربية على أساس الديمقراطية والعداء للامبريالية •

– توطيد التحالف مع الاتحاد السوفيتي • وتوسيع روابط التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والتضامن الكفاحي مع البلدان الاشتراكية • وسائر فصائل الحركة الثورية العالمية •

– الاسهام الفعال في النضال الذي تخوضه البشرية من أجل درء خطر الحرب واقامة سلم ديمقراطي دائم •

– توطيد وتوسيع القطاع العام في جميع الميادين وتعزيز دوره في الاقتصاد الوطني ، ومضاعفة الاهتمام باقامة قاعدة صناعية كفوءة وزراعة متطورة ، ومواصلة تطبيق برنامج واسع من التحولات الاقتصادية – الاجتماعية العميقة لصالح الجماهير الشعبية •

– برمجة الاقتصاد الوطني على أساس الاخذ بمبادىء التخطيط العلمي الشامل والادارة المركزية للاقتصاد الوطني •

– انجاز الاصلاح الزراعي الجذري الشامل واشاعة التعاون في الزراعة •

– الارتفاع بمستوى حياة الشغيلة المادية والروحية باستمرار •

– انجاز الثورة الثقافية •

– تحرير المرأة ومساواتها في الحقوق مع الرجل في جميع الميادين •

القوى المحركة للثورة

٧ – ان الثورة في بلادنا جزء من الثورة العالمية التي تتكون فصائلها الاساسية من المنظومة الاشتراكية العالمية ، وحركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة ، وحركة التحرر الوطني المعادية للامبريالية •

٨ – وان القوى المحركة للثورة العراقية هي الطبقة العاملة والفلاحون والمثقفون التقدميون وسائر فئات البورجوازية الصغيرة في المدن ، والعناصر التقدمية من البورجوازية الوسطى • ويشكل حلف العمال والفلاحين وسائر الكادحين ، القوة الاساسية في هذا المعسكر •

٩ – ان الطبقة العاملة النامية في مجتمعنا ، تزداد عددا بفعل التطور الاقتصادي السريع الذي تشهده بلادنا وتملك تاريخا نضاليا حافلاً بالتضحيات •

١٠ – ولا تكمن أهمية الطبقة العاملة في وزنها العددي فقط بل ، وبالاساس ، في وزنها السياسي ومزاياها الثورية القيادية • فهي الطبقة الاكثر تقدما وثورية في مجتمعنا العراقي •

١١ – ان الاستغلال الطبقي الذي يتعرض له العمال وحرمانهم من ملكية وسائل الانتاج واعتمادهم على بيع قوة عملهم لكسب قوتهم يحررهم من الخوف والتردد في النضال • وهم أكثر الشغيلة تقبلاً للتطور الفكري ، والعلمي والتكنولوجي ، وللضبط والنظام ، بفضل ارتباطهم بأرقى وسائل الانتاج – الانتاج الكبير ، وتحشد اكثريتهم في عدة مدن ومواقع انتاجية وكل هذا يسهل تنظيمهم وتوحيدهم وتعبئتهم كقوة سياسية فعالة • وان ما يزيد في الوزن السياسي والاجتماعي للطبقة العاملة العراقية هو امتلاكها لنظرية علمية هي الماركسية – اللينينية ، ولحزبها السياسي الخاص وكونها جزءا من الطبقة العاملة العالمية التي احرزت الانتصارات الرائعة ، وبنت الاشتراكية في منظومة واسعة من الدول •

١٢ – ان الطبقة العاملة في بلادنا يهمها ، أكثر من أية قوة اجتماعية في معسكر الثورة ، انجاز مهمات الثورة

الوطنية الديمقراطية بانتهاج طريق التطور اللاراسمالي صوب الاشتراكية . ولذا فان دورها في هذه العملية الثورية يتطور باستمرار وتزداد خبرة ووعيا وتتقدم باضطراد الى الصف الاول لممارسة دورها القيادي ، في ظروف اغتناء محتوى الثورة الوطنية الديمقراطية بمضامين اجتماعية جديدة وارتباطها أوثق فأوثق بالثورة الاشتراكية .

١٣ ـ اما الفلاحون ، فهم أوسع القوى الاجتماعية عددا ، لكنهم لا يشكلون طبقة متجانسة اذ ينقسمون الى مراتب اجتماعية متباينة فقراء يعانون الاستغلال الطبقي ومتوسطون ، واغنياء ـ والاخيرون يستغلون الفقراء ويمثلون الجزء الاكبر من بورجوازية الريف . وتعاني الاغلبية الساحقة من الفلاحين من بقايا العلاقات الاقطاعية ومن العلاقات الرأسمالية ، ويهمها انجاز الاصلاح الزراعي الجذري كما يهمها التخلص من التخلف الذي يعاني منه الريف ، من البؤس والجهل والمرض ، وهي تعاني من الاستغلال من قبل المالكين والتجار والمرابين والوسطاء . ولذا فان الفلاحين عموما هم ايضا ، يهمهم انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية حتى نهايتها ويتطلع الفلاحون الكادحون الى الخلاص من الاستغلال الطبقي والى بناء الاشتراكية .

١٤ ان جماهير البورجوازية الصغيرة هي ، على الاغلب ، فئات كادحة من شغيلة اليد والفكر ، وتتحول اعداد واسعة منها باستمرار الى صفوف الطبقة العاملة ، في حين تنتقل اقلية صغيرة منها الى مصاف البورجوازية . وهي وان كانت غير متحررة من أيديولوجية الملكية الخاصة ، الامر الذي يطبع سلوكها السياسي بالقلق والتذبذب فانها موضوعيا وبوجه عام ، قوة ثورية وحليف للطبقة العاملة . ولا تزال كبيرة العدد نسبيا .

١٥ ـ وان الفئة المثقفة ، من شغيلة الفكر ، التي تنتمي غالبا الى البورجوازية الصغيرة تنمو عدديا باضطراد ، وهي تقدمية على العموم ، وتتطلع اقسام كبيرة منها الى افكار الاشتراكية العلمية وتتمتع بنفوذ فكري وسياسي مؤثر . وان انحياز هذه الفئة للطبقة العاملة وسائر الكادحين عامل هام لانجاز مهمات الثورة التي يستطيع في ظلها المثقفون التقدميون تحقيق مطامحهم ومثلهم العليا ، واطلاق طاقاتهم المبدعة .

١٦ ـ اما البورجوازية الوسطى فتضم فئات ذات مصلحة بتطور البلاد . غير انها بحكم كونها تستغل قوة عمل الكادحين وتخشى نهوض الحركة العمالية وانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية خوفا من الانتقال الى الاشتراكية ، فهي تتذبذب بين الثورة واعدائها ولا يمكن تحييدها من دون توطيد الحلف الثوري بين العمال والفلاحين وجماهير المثقفين والبورجوازية الصغيرة في المدن . وبهذا يمكن أن تساهم فئات منها بدور تقدمي في عملية البناء الاقتصادي في الوقت الذي تنحاز فئات أخرى منها الى صف أعداء الثورة .

القوى المعادية للثورة

١٧ ـ ان القوى المعادية للثورة هي : بقايا الاقطاعيين وكبار الملاك والبرجوازية الطفيلية من تجار ومرابين وارباب عقار وبورجوازية بيروقراطية في اجهزة الدولة تبتز اموال الشعب وتتمتع بالامتيازات على حساب الشغيلة .

١٨ ـ ان النهج الذي سار عليه الحكم الوطني التقدمي ، يثير ـ بسبب معاداته للامبريالية وانجازاته التقدمية ـ حقد الامبرياليين والرجعيين المحليين وكل قوى الردة في الداخل والخارج . ويستخدم اعداء الثورة في مؤامراتهم شتى الوسائل السياسية والاقتصادية والدعائية التي تستهدف شق الصف الوطني وتخريب الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ،واثارة المصاعب الاقتصادية ،والتغلغل الاقتصادي والفكري ودعم اسرائيل لمواصلة سياسة الاحتلال والعدوان وتعبئة الرجعية العربية وغيرها من القوى الرجعية في المنطقة ضد نهج العراق الثوري ، ومحاولة نسف التحالف والصداقة مع بلدان المنظومة الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي .

١٩ ـ ان التطور اللا راسمالي في بلادنا تجسد بقيام مرحلة اندمجت فيها مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بمهمات بناء المقدمات الضرورية لمرحلة الانتقال للاشتراكية عن طريق اتخاذ اجراءات مضادة للراسمال ، تقطع الطريق على تطور الراسمالية كتشكيلة اقتصادية ـ اجتماعية وان كانت تبقى على علاقات الانتاج الراسمالية ولا تمنع توسعها وبالاخص في الريف . وان طريق التطور هذا لا يعني بعد فترة الانتقال نحو الاشتراكية التي لها قوانينها العامة .

٢٠ ـ بيد ان خطر محاولات القوى الرجعية لارجاع العراق الى طريق التطور الراسمالي والتبعية للامبريالية ، لايزال قائما . وهو ما برهنت عليه تجربة اقطار اخرى . فالقوى الرجعية في المجتمع لاتزال تتمتع بنفوذ كبير وتسعى لعرقلة تطور الثورة . والراسمال الخاص لايزال ينمو في المدينة والريف . ويتمتع بنفوذ اقتصادي وفكري وسياسي في المجتمع وفي اجهزة الدولة . ويستمد القوى من القاعدة الواسعة للانتاج السلعي الصغير، ومن صلاته المتشعبة بالراسمال العالمي ودعم الاخير له ، ومن اعتماد البلاد على السوق الراسمالي العالمي . وهو يسعى للاثراء المفرط على حساب القطاع العام واستنزاف حيويته وافراغه من محتواه التقدمي. تمهيدا لتصفيته والعودة الى طريق التطور الراسمالي . كما تنمو فئة جديدة من البرجوازية في اطار القطاع العام من مقاولين ووسطاء وبيروقراطيين ، وهي خطر كامن عليه .

٢١ ـ ومن الجهة الاخرى تتوفر في قطرنا اليوم الشروط الموضوعية للحيلولة دون الارتداد الى الطريق الراسمالي للتطور والسبيل الوحيد لذلك هو الاستمرار في تطوير الثورة ودفعها الى امام دون توقف .

٢٢ ـ فلقد سارت بلادنا وتواصل سيرها في طريق التطور اللا راسمالي بفضل توفر الشروط الضرورية في مجتمعنا، وبفضل طابع عصرنا عصر الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية بمقياس عالمي، حيث يتحول النظام الاشتراكي العالمي الى القوة الحاسمة في تطور المجتمع البشري والمثل الذي تقتدي به الشعوب. كما يتزايد نفوذ افكار الاشتراكية العلمية وتأثيرها ليس فقط على الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة ، بل كذلك على قوى اجتماعية وسياسية جديدة ديمقراطية ثورية ، لم تقف في حدود النضال ضد الامبريالية والاقطاع فحسب ، بل ضد التطور الراسمالي ايضا ، وتتطلع اكثر فاكثر الى استنتاجات وافكار الاشتراكية العلمية ، وتقتنع باهميتها وفعاليتها في مجرى انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية واقامة المجتمع الخالي من استغلال الانسان للانسان .

٢٣ ـ ان المكانة المرموقة التي يحتلها الفكر الاشتراكي بين اوساط واسعة من السكان في العراق ، تلعب دورها كعامل موضوعي لصالح تقدم بلادنا في طريق التطور اللا راسمالي ، كما تلعب علاقات العراق السياسية والاقتصادية والثقافية مع دول المنظومة الاشتراكية دورا فعالا في مساعدة بلادنا على السير في طريق التطور اللا راسمالي والتخلص من الاعتماد على السوق الراسمالي العالمي، وبناء مقدمات الاشتراكية .

٢٤ ـ ان تطور الحركة الثورية في بلادنا وتجربة الحركة الثورية العالمية ، في الوقت الذي يؤكد ان ضرورة تحالف الاحزاب الثورية والطبقات والفئات الاجتماعية التقدمية لانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، يؤكدان ايضا امكانية استمرار هذا التحالف وتطوره لبناء الاشتراكية .

الفصل الثاني

الديمقراطية السياسية والجبهة الوطنية

١ ـ ان صيانة المكتسبات التقدمية التي حققها شعبنا وحركته الوطنية ومواصلة مسيرته الثورية وتطويرها تتطلب مشاركة الجماهير الشعبية مشاركة حقيقية وفعالة، في انجاز هذه المهمات ، وفي بناء المجتمع الجديد وتطويره .

٢ ـ ان الحزب الشيوعي العراقي يعمل من اجل توسيع وتعميق الديمقراطية للجماهير الشعبية ، من عمال وفلاحين ومثقفين تقدميين وسائر الفئات الاجتماعية ، ذات المصلحة في تطوير الثورة • وليس للقوى والعناصر الرجعية والعميلة المعادية للثورة والتقدم الاجتماعي • فالديمقراطية بنظر الشيوعيين تستهدف في المرحلة الراهنة ، تحقيق مشاركة الجماهير الشعبية ، مشاركة حقيقية وفعالة ، في تقرير الشئون العامة ، ومراقبة اجهزة الدولة ، وضمان تمتعها بحرياتها الديمقراطية ، وتأمين الحقوق القومية للشعب الكردي ، والحقوق الثقافية والادارية للاقليات القومية •

٣ ـ ان الديمقراطية لقوى الثورة هي سلاح فعال بيدها لردع القوى الرجعية والامبريالية ، واحباط دسائسها ونشاطاتها التخريبية • وان اشاعتها في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية تتطلب :

١ ـ اقامة اوضاع دستورية ديمقراطية طبيعية تؤمن :

ا ـ انهاء الاوضاع الاستثنائية ، والغاء كافة القوانين التي تقيد حريات الجماهير ، وتحارب العقائد الوطنية والثورية ، وتحريم الممارسات اللا شرعية ، كالاعتقال الكيفي والتعذيب الجسدي والنفسي ، وكل ما يتعارض مع الحريات الاساسية للمواطنين •

ب ـ ضمان الحرية للاحزاب الوطنية التقدمية في النشاط والعمل القانوني ، دون تقييد او مضايقة •

جـ ـ حرية الصحافة والنشر والتجمع والتظاهر لجماهير الشعب والاحزاب الوطنية • واحترام العقيدة السياسية وحرية الاديان والمذاهب ، وصيانة حرية الفكر وحقوق الانسان كافة •

د ـ ضمان حرية التنظيم النقابي والمهني والاجتماعي لجماهير الشعب ، من العمال والفلاحين والفئات الوطنية الاخرى وتامين حرية جماهير هذه المنظمات في انتخاب قياداتها واقامة وتوطيد التحالف الجبهوي في هذه الميادين من التنظيم والنشاط الجماهيري ، بما يضمن ويعزز النظام السياسي الديمقراطي •

٢ ـ انهاء فترة الانتقال واقامة المؤسسات الدستورية الديمقراطية في البلاد على اساس :

ا ـ وضع قانون ديمقراطي لانتخاب المجلس التاسيسي الوطني الذي يضع الدستور الدائم والمجلس التشريعي لمنطقة كودستان ذات الحكم الذاتي •

ب ـ انتخاب المجلس الوطني على اساس حق الانتخاب العام الحر والمباشر والمتساوي ، والاقتراع السري • ويكون له حق السيادة وينتخب رئيس الدولة ومجلس الوزراء والمحكمة العليا والمدعي العام •

جـ ـ اقامة مجالس شعبية للحكم المحلي في جميع الوحدات الادارية على اساس الانتخاب الديمقراطي وتمتعها بصلاحيات ادارة الشئون المحلية للسكان •

٣ ـ بناء اجهزة الدولة ومؤسساتها على اسس ديمقراطية تخدم التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التقدمية وذلك بـ :

ا ـ تطهيرها من العناصر الرجعية والمخربة المعادية للمسيرة الثورية •

ب ـ مكافحة البيروقراطية ، واستئصال مظاهر الفساد والرشوة والمحسوبية •

جـ ـ اعتماد معايير الوطنية والكفاءة في اشغال الوظائف العامة •

د ـ ممارسة الرقابة على اجهزة الدولة وتنظيمها بصورة فعالة •

٤ ـ استخلصت الاحزاب والقوى الثورية في بلادنا تجربة تاريخية ثمينة ، من خلال دراستها لمسيرة النضال الوطنية ، حيث توصلت الى ان جميع الانتصارات ، التي حققتها الحركة الوطنية ، كانت دوما مقترنة بقيام المحالفات الوطنية ، بينما تعرضت هذه الحركة وكل فصيلة من فصائلها ، الي الانتكاسات والخسائر جراء تفرقها واحترابها •

٥ ـ وقد اتخذت هذه الاحزاب والقوى ازاء هذه المسالة ، موقفا وطنيا يتسم بالوعي والشعور بالمسئولية •

٦ ـ لذلك كان انبثاق الجبهة الوطنية والقومية التقدمية انجازا تاريخيا كبيرا لحركتنا الثورية وتجسيدا حيا لتحالف الاحزاب والقوى السياسية التقدمية ، وشكلا متقدما من اشكال التحالف الطبقي بين الطبقات والفئات التقدمية في مجتمعنا ـ كضرورة موضوعية لانجاز مهام المرحلة الراهنة ومواصلة المسيرة الثورية لشعبنا •

٧ ـ ويملك هذا التحالف السياسي والطبقي امكانيات جدية لكي يتطور ويتعمق في مجرى العملية الثورية الجارية في البلاد •

٨ ـ ويخلق انبثاق الجبهة وتطبيق برنامجها الديمقراطي الثوري **ميثاق العمل الوطني** ـ ظرفا موضوعيا لتعبئة قوى شعبنا الوطنية وجماهيره الغفيرة ولتطوير نشاطها المبدع وانطلاق طاقاتها البناءة لانجاز المهام الثورية •

٩ ـ وان توطيد عمل الجبهة واتساعه وتعميقه وتعزيز الممارسات الديمقراطية فيه والاحترام المتبادل للاستقلال الايديولوجي والسياسي والتنظيمي لاطرافها ، واعتماد النقد البناء والنقد الذاتي بينها ، يمنح الجبهه مزيدا من الحيوية والقدرة النضالية ويساعدها على حل ما قد ينشأ من صعوبات اثناء تطبيق برنامجها وقيامها بنشاطاتها المختلفة •

١٠ ـ ان الوسيلة الفعالة لضمان نجاح الجبهة هي تحويلها الى حركة جماهيرية واسعة ، واقامة لجانها في جميع انحاء العراق وفي مختلف الميادين • وتعزيز دورها في مجال السلطة السياسية واجهزة الدولة ، وفي رسم السياسة العامة للبلاد في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتعبئة كل الطاقات الثورية لتطبيق برنامج الجبهة •

١١ ـ ان اعتماد هذا النهج يغني الجبهة ويفتح لها آفاقا واسعة لتطوير محتواها وتركيبها ، وتعميق برنامجها ، تمشيا مع تطور المسيرة الثورية في بلادنا ، ويعزز كونها تحالفا استراتيجيا لكل قوى شعبنا الثورية •

الفصل الثالث

في سبيل تعزيز الاستقلال الاقتصادي وبناء المقدمات المادية للاشتراكية

١ ـ ورث العراق اقتصادا شديد التخلف ، وحيد الجانب مشوه التركيب نتيجة السيطرة الاستعمارية الطويلة الامد والنهب الامبريالي لثرواته الوطنية ، وتبعيته للسوق الراسمالي العالمي وادائه لوظيفة متخلفة غير متكافئة في اطار التقسيم الدولي الراسمالي للعمل باعتباره بلدا مصدرا للنفط وبعض المواد الاولية ومستوردا للسلع المصنعة ونتيجة لسيادة العلاقات الانتاجية شبه الاقطاعية في الزراعة ، وتخلف القوى المنتجة المادية والبشريه •

٢ ـ وقد اتاحت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الفرصة لاول مرة لمعالجة بعض هذه الظاهرات السلبية • فانتهاج سياسة تحررية تستهدف تحقيق الاستقلال الاقتصادي ، وذلك بانتزاع الاراضي غير المستثمرة من الاحتكارات النفطية ، وفك ارتباط العراق بالكتلة الاسترلينية ، والمباشرة باقامة علاقات التعاون الاقتصادي مع البلدان الاشتراكية ، والتوجه نحو تصفية العلاقات شبه الاقطاعية ونحو التصنيع ، والاستناد الى القطاع العام في اقامة عدد من المشاريع الانتاجية والاخذ باسلوب البرمجة في السياسة الاقتصادية

٣ ـ وقد اقترنت الاجراءات المتخذة لتصفية العلاقات شبه الاقطاعية ودعم الصناعة الوطنية وحرية التجارة بتعزيز دور القطاع الخاص ونمو وتطور العلاقات الراسمالية بمعدلات سريعة •

٤ ـ ان القطاع العام الذي نشأ في العراق قبل ثورة تموز ١٩٥٨ ولا سيما في قطاعات الهياكل الارتكازية والطاقة والمصارف ومشاريع الري والمصافي وبعض المعامل اتسع بعد الثورة وشمل قطاعات جديدة • وقد ساعدت اجراءات التاميم عام ١٩٦٤ على توسيع قاعدة القطاع العام باستكمال سيطرته على القطاع المصرفي والتاميني وعدد من المشاريع الصناعية •

٥ ـ اما الان ، **فقد اصبح القطاع العام يشغل دورا قياديا في الاقتصاد الوطني** ولا سيما ، بعد تاميم القسم الاكبر من الثروة النفطية ، والتوسع في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية • ويشمل القطاع العام في الوقت الحاضر كل القطاع المصرفي والتاميني ، وحوالي ٩٤ ٪ من التجارة الخارجية ، و ٧٥ ٪ من صناعة استخراج النفط وحوالي ٩٥ ٪ من تجارة الجملة ، كما يمتلك جميع سكك الحديد ، والطرق ومرافق المواصلات ، والخطوط الجوية والموانيء والمصافي ، وجزءا هاما من النقل الداخلي ، وجميع مشاريع الماء

والكهرباء والسدود والخزانات ومشاريع الري والبزل ومخازن السلع والاجهزة والمعدات والمكائن والحبوب «السايلوات» وصناعة المعدات الزراعية ، وينتج القطاع العام وفقا للاحصاءات الرسمية ٦٨ ٪ من اجمالي الناتج المحلي .

٦ - ويقوم الى جانب القطاعين العام والخاص قطاع مختلط في الصناعة يلعب دورا ايجابيا في عملية التنمية ، كما نشأ في قطاع الزراعة قطاع تعاوني جديد مؤهل لان يلعب دورا متزايد الاهمية في الاقتصاد الوطني .

٧ - ويملك القطاع العام امكانيات للتوسع اللاحق نتيجة المباشرة بتنفيذ عدد كبير من المشاريع الصناعية والزراعية، والتوسع في الصناعة الاستخراجية وكذلك في مجالات النقل والمواصلات والمباني وانتاج الطاقة ومشاريع الماء وغيرها من الميادين الانتاجية والخدمية . وقد ساعد على ذلك توجه سياسة الاستيراد نحو السلع الانتاجية بنسبة ٧٨ ٪ على حساب السلع الاستهلاكية ، ووضع الاستيراد في خدمة خطط التنمية .

٨ - وقد ساهمت موارد النفط التي تزايدت بنسب عالية على هذا التوجه بهدف معالجة مظاهر التخلف ، وزيادة الدخل القومي وادخال بعض التعديلات على التركيب غير المتوازن للاقتصاد العراقي . كما ساهمت المنجزات التقدمية الهامة التي تحققت في ميدان التنمية في احداث تحولات اجتماعية مهمة في الوضع الطبقي ، ومن بينها تنامي الطبقة العاملة، فقد بلغ عدد العمال في القطاعات الاقتصادية المختلفة المسجلين في الاتحاد العام لنقابات العمال في العراق عام ١٩٧٤ اكثر من « ٦٠٠ » الف عامل يعمل حوالي ٤٨ ٪ منهم في القطاع العام واجهزة الدولة وحوالي ٥٢ ٪ منهم في القطاع الخاص بضمنهم « ٥٠ » الف عامل موسمي ، وهم موزعون في الميادين الاقتصادية التالية : حوالي ٢٠٠ الف عامل في الصناعة الاستخراجية والتحويلية وحوالي ٢١٢ الف عامل في الخدمات الانتاجية ، وغير الانتاجية و ٢٠٠ الف من العمال الموسميين والمؤقتين .

٩ - وبرغم ازدياد عدد العاملين ، فان التشغيل عموما ، لايزال واطئا . اذ لا تزال اعداد غفيرة من القادرين على العمل من غير الماهرين ومن النساء خارج النشاط الانتاجي . كما يستوعب جهاز الدولة المتضخم عددا كبيرا جدا من الموظفين ، اذ بلغ عدد منتسبيه اكثر من ٤٠٠ الف شخص ويستهلك مبالغ ضخمة من الدخل القومي تزيد على ٢٠٠ مليون دينار سنويا ، عدا القوات المسلحة .

١٠ - ان معالجة مظاهر التخلف في الاقتصاد العراقي ، وتحقيق التوازن في هيكله ، هي مسألة على درجة كبيرة من الاهمية اذ يتوقف عليها - من بين امور اخرى - معالجة السمة الاحادية في الاقتصاد الوطني . وهي السمة الناشئة عن الاعتماد ، بشكل رئيسي ، على الموارد المتأتية من استخراج وتصدير النفط الخام الذي لا يزال الممول الرئيسي لخطط التنمية، والمناهج الاستثمارية السنوية ، والميزانية الاعتيادية . كما انه المصدر الرئيسي للعملات الاجنبية . وتمويل مناهج الاستيراد ، وضمان التوازن في ميزان المدفوعات ، ودعم مركز العملة . ولاتزال صادرات العراق من غير النفط تشكل نسبة ضئيلة لا تتجاوز ١٠ ٪ بالاستناد الى احصائيات عام ١٩٧٣ .

١١ - وان استمرار هذا الوضع ،يحمل معه عواقب سلبية خطرة من ناحية استمرار اعتماد العراق على السوق الراسمالي العالمي ، وما يتركه من آثار سلبية على استقلالنا الاقتصادي فضلا عن الاحتمالات الخطرة التي قد تنشأ جراء انقطاع هذا المورد .

١٢ - ان حزبنا يساند الخطط الكفيلة، بانماء هذه الثروة ، كمورد مالي وكمادة اولية ويدعو الى توجيهها في الاساس نحو اقامة قاعدة صناعية كفوءة ،وزراعية متطورة ،الى جانب بناء الهياكل الارتكازية الضرورية والمرافق الانتاجية الاخرى بغية تأمين مصادر اضافية ثابتة ومتنوعة للتمويل الداخلي وانتاج السلع المعوضة عن السلع المستوردة . وبالتالي توفير الشروط الضرورية لتقليص الاعتماد على السوق الراسمالي العالمي وتوفير الضمانات الكافية لتوطيد وتعزيز استقلالنا الاقتصادي .

١٣ - ويلعب دورا كبيرا في مجال الاستثمار المنتج لموارد النفط خصوصا استكمال وتعديل الانماط الراهنة للصناعة . وذلك بالتوجه نحو الصناعة التحويلية ، التي لاتزال نسبة مساهمتها مع الزراعة في انتاج الدخل القومي في حدود ١٥ ٪ بالقياس الى ايرادات النفط لعام ١٩٧٤ .

١٤ - وفي اطار الوجهة التقدمية للحكم الوطني ، يمكن لخطة التنمية القومية القادمة للاعوام ١٩٧٦ - ١٩٨٠ ،والخطة بعيدة المدى بوجه خاص ان تلعب دورا اساسيا في تحقيق هذه الاهداف الكبرى، وفي تعديل الهيكل الراهن لاقتصادنا الوطني اذا ما جرى توجيه الموارد المادية والبشرية ، توجيها صحيحا في اطار خطة شاملة تستند الى مبادىء التخطيط العلمي والادارات المركزية الديمقراطية للاقتصاد الوطني .

١٥ - ان حزبنا ، اذ يدعم اية خطوة في هذا الاتجاه ، يرى ان تحقيق نهوض اقتصادي كبير في بلادنا ، وخلق الممهدات للانتقال الى الاشتراكية ، يتطلب العمل وفق المنطلقات والاسس التالية :

دور القطاع العام

١٦ - ١ توسيع وتعزيز قاعدة ونشاط القطاع العام باعتباره القائد والموجه لفروع الاقتصاد الوطني كافة . واعادة تنظيمه واجهزته على اسس التخصص والتكامل بين الفروع الاقتصادية المختلفة، وربحية مؤسساته ، ووضع العناصر المخلصة والكفوءة ، فنيا واداريا ، في مراكز المسئولية وضمان مساهمة العمال والمستخدمين في ادارته واقامة جهاز للرقابة والمتابعة فيه ، مع ضمان رقابة الشعب واجهزة الجبهة الوطنية والقومية التقدمية على نشاطه .

١٧ - استكمال تأميم التجارة الخارجية وهيمنة القطاع العام على تجارة الجملة ، وتوسعه المبرمج في تجارة المفرد ،وخاصة بالنسبة للسلع الاساسية التي ترتبط بمعيشة الشعب .

١٨ - تطوير القطاع العام في مجال المقاولات والتشييد وتجهيزه بالمعدات والكوادر الفنية الضرورية وضمان دوره القيادي المتنامي في تنفيذ مشاريع التنمية بصورة مباشرة الى جانب تطوير اعمال المتابعة والرقابة الفعالة على نشاط هذا القطاع .

١٩ - توسيع وتطوير القطاع المختلط وتعزيز الدور القيادي للقطاع العام فيه وتحسين مستوى كفاءته الانتاجية ودوره في الاقتصاد الوطني .

٢٠ - الافادة من القطاع الخاص بقيادة ورقابة القطاع العام ليلعب دورا كاملا للاخير في ميادين الانتاج والتوزيع والتنمية .

٢١ - توسيع وتطوير التعاونيات الاستهلاكية على نطاق جماهيري ودعمها من قبل القطاع العام ، باعتبارها اداة فعالة لتامين الحاجيات الضرورية للسكان وبنائها على اسس سليمة .

الصناعة

٢٢ - ٢ تطوير الصناعة وتنشيط دورها لتلعب الدور الحاسم في تغيير تركيب الاقتصاد الوطني والمساهمة بصورة اساسية في اعداد المقدمات المادية للاشتراكية وذلك بـ :

٢٣ - تدعيم الوجهة الرامية الى اقامة الصناعات الثقيلة والصناعات التحويلية الاساسية - ولا سيما الصناعات المعدنية والهندسية باعتبارها القاعدة التي يركن اليها في التطور الصناعي اللاحق ، وفي خلق زراعة مزدهرة ومتطورة من خلال امداد القطاع الزراعي بحاجته من المكائن والمعدات والاسمدة . والاسراع بتنفيذ البرامج الخاصة بانشاء مجمع الحديد والصلب والالمنيوم في البصرة، والمجمعات المعدنية الهندسية الاخرى - وتوسيع معمل المكائن والمعدات في الاسكندرية .

٢٤ - مراعاة التوزيع العقلاني في اقامة المؤسسات الصناعية في مختلف انحاء القطر على اساس الحاجة الى ايجاد توازن اقتصادي واجتماعي ، وفي ضوء توفير القوى العاملة والخامات والطاقة ووسائل المواصلات وتلبية حاجات السكان . وابداء اهتمام خاص بتطوير الصناعة في كردستان .

٢٥ - مضاعفة الاهتمام والجهد للمباشرة باقامة المجمع البتروكيماوي في البصرة ، وانجاز مشاريع الاسمدة والمحطات الحرارية الكبرى لتوليد الطاقة الكهربائية في الناصرية ، والهارثة ودوكان .

٢٦ - تخطيط الصناعة على اسس علمية تستهدف ، من بين امور اخرى ، توسيع الفروع الصناعية ذات الدورة الانتاجية المتكافئة ، وتصنيع الانتاج الزراعي .

٢٧ – اتخاذ تدابير اضافية للتعجيل ببناء وانجاز المشاريع الصناعية الانشائية – وخاصة مشاريع الاسمنت والطابوق ومعامل الابنية الجاهزة وذلك لتسهيل تنفيذ مشاريع التنمية ولسد الطلب المتزايد على منتجات هذه الصناعة ، ولمعالجة ازمة السكن المتفاقمة .

٢٨ – معالجة الانخفاض الشديد في وتيرة انجاز المشاريع الصناعية وخطط التنمية ، بوجه عام ، ومظاهر الاهدار والكلفة المالية جداً لاعمال الهندسة المدنية ، لرفع مستوى الاستثمار في القطاع الصناعي وتنميته بسرعة واضطراد .

٢٩ – الاهتمام بالصناعات الصغيرة والحرفية وتحسين ظروف عملها وتجميعها في تعاونيات ترعاها الدولة .

التخطيط

٣ – الالتزام بالتخطيط العلمي المركزي والشامل المتطور باستمرار لتعبئة وتوجيه وقيادة النشاط الاقتصادي والاجتماعي والاستخدام الكامل للموارد الاقتصادية باعتماد الدراسات العلمية الدقيقة والمسح الكامل لموارد البلاد المختلفة .

٣١ – تطوير اجهزة التخطيط بما ينسجم والمهمات الراهنة والمتطورة ورفع كفاءتها واختيار الكوادر الوطنية ذات الكفاءة العلمية .

٣٢ – تأمين التشغيل الكامل للقوى العاملة ، بالقضاء على البطالة بجميع صورها في المدينة والريف ، واعتماد هذا المنطلق في جميع خطط التنمية الخمسية والطويلة الامد .

٣٣ – تخطيط القوى العاملة واعداد المهارات والاختصاصات الفنية اللازمة لتنفيذ خطط التنمية .

٣٤ – انتاجية العمل

٣٤ – رفع انتاجية العمل ، بادخال منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية الضرورية ، في فروع الاقتصاد كافة .

٣٥ – تحسين الادارة الاقتصادية .

– الاهتمام بتطوير نظام الحوافز المادية وتشجيع المبادرات والابداع .

٣٦ – النقل

– توسيع وتحديث شبكة النقل بمختلف انواعها وتطوير هيمنة القطاع العام فيها ، وتحسين مستوى كفاءتها وضمان ربط مدن البلاد وقراها بعضها ببعض ، وربط القطر بالعالم الخارجي ، وتوسيع طاقة استيعاب الموانيء ومخازن السلع .

٣٧ – النظام المالي

٦ – الانطلاق من مبدأ وحدة ميزانية الدولة في وضع ميزانية موحدة ، ونظام محاسبي واحد .

٣٨ – تخفيض الضرائب غير المباشرة المتأتية من الرسوم الجمركية والكسبية، والغاء الضرائب التي تمس جماهير المواطنين من ذوي الدخول الواطئة ، وزيادة النسبة التصاعدية لضرائب الدخل والتركات ، والعقار .

٣٩ – تطبيق سياسة مصرفية تستهدف معالجة مظاهر التضخم النقدي ، ودعم مركز العملة وميزان المدفوعات ، وفتح فروع للمصارف الاختصاصية وخاصة المصرف الزراعي في المدن والارياف .

٤٠ العلاقات الاقتصادية الدولية

٧ – اقامة علاقات اقتصادية دولية متكافئة تضمن للعراق سيادته الكاملة واستقلاله الاقتصادي ، وصيانة نهجه التقدمي وحصوله على المنجزات والخبرة العلمية والتكنولوجية الحديثة ، واستخدام افضليات تقسيم العمل الدولي .

٤١ – تطوير سياسة التعاون والتنسيق والتكامل الاقتصادي بين البلدان العربية والسعي لتوسيع وتنشيط السوق العربية المشتركة لصالح شعوبها ووضع الاسس الاقتصادية للوحدة العربية .

٤٢ – تطوير سياسة التعاون المتبادل الى سياسة التنسيق الاقتصادي مع الاتحاد السوفيتي واقطار المنظومة الاشتراكية الاخرى والافادة من تجربتها ومنجزاتها العلمية والفنية ومساعداتها النزيهة ، وخبرتها في التخطيط ومن التقسيم الدولي الاشتراكي للعمل ومن السوق الاشتراكية العالمية ، من خلال مجلس التعاضد الاقتصادي باتجاه اقامة المشاريع الاقتصادية المشتركة في العراق وفي البلدان الاشتراكية وتحسين مستوى التبادل التجاري .

الفصل الرابع

الثورة النفطية والمعدنية

١ – شغلت مسألة النفط وتحريره من سيطرة الاحتكارات الامبريالية مكانا بارزا في نضال شعبنا طيلة العقود الخمسة الماضية .

٢ – وحقق هذا النضال انتصارات كبيرة من اجل التحرير الكامل للثروة النفطية في بلادنا . وكانت نقطة البدء في ذلك تشريع قانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ الذي استرجع ٩٩٫٥ ٪ من الاراضي التي كانت خاضعة لامتيازات الاحتكارات النفطية . والمباشرة باستثمار النفط وطنيا في حقل الرميلة الشمالي في نيسان ١٩٧٢ بمساعدة دول المنظومة الاشتراكية، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي . وتمت الخطوة الثورية الكبرى بتأميم شركة نفط العراق في ١ حزيران من نفس العام . وتأميم حصص الاحتكارات الامريكية والهولندية وحصة كولبنكيان عام ١٩٧٣ وبذلك تمت سيطرة الدولة على الجزء الاكبر من الثروة النفطية ٧٥ ٪ في مجال الاستخراج والتسويق . كما توسعت طاقة التصفية الى ٧ ملايين طن سنويا ووضعت الخطط لمضاعفة هذه الطاقة ، وبنيت نواة خاصة للاسطول الوطني للناقلات . وتحققت خطوات هامة لرفع الطاقة الانتاجية وتوسيع موانيء التصدير ومد انابيب نفط جديدة كما جرى التوجه نحو اقامة صناعة كيماوية وبتروكيماوية حديثتين .

٣ – ونتيجة لهذا اصبحت صناعة النفط تضم قطاعات ثلاثة :

– القطاع الوطني ويشمل حوالي ٧٥٪ من انتاج النفط الخام

– قطاع الامتيازات الذي لايزال تابعا للاحتكارات الفرنسية والبريطانية حوالي ٢٥ ٪ .

– قطاع عقود المقاولات للتنقيب والاستثمار طويل الامد ، مع فرنسا والبرازيل والهند ، والذي لم يصل مرحلة الانتاج والتصدير بعد .

٤ – ان الثروة النفطية تحتل موقعا اساسيا في اقتصادنا الوطني باعتبارها المصدر الاكبر لموارد البلاد المالية ، وهي مصدر الطاقة الاول بالنسبة للصناعة والاستهلاك ، ومادة خام للصناعات الكيماوية والبتروكيماوية والاسمدة .

٥ – ان حزبنا يهدف في سياسته النفطية الى تطوير نهج دمج صناعة النفط بالاقتصاد الوطني متعدد الفروع وخطط التنمية ، وانطلاقا من حقيقة ان النفط مصدر ناضب للطاقة والثروة ، وان انتاجه وتسويقه يجب ان يخدم مصالح الجيل الحالي والاجيال القادمة ، ومصلحة نضال الشعوب العربية من اجل تحررها وتقدمها الاجتماعي . ولتصفية الاحتكارات الامبريالية وسيطرتها .

٦ – ولتحقيق ذلك يعمل حزبنا في سبيل :

١ – استكمال السيطرة على ثرواتنا الوطنية من النفط والغاز الطبيعي بتأميم المصالح الاحتكارية المتبقية في شركة نفط البصرة ، وحصر الصناعة النفطية بجميع قطاعاتها وفروعها بالقطاع الوطني

٢ – تخطيط انتاج النفط الخام وتسويقه على اساس الاحتياطي الثابت وحاجة تطور الاقتصاد الوطني للموارد المالية الضرورية ، وتغطية حاجات السكان والصناعة للنفط الخام .

٣ – انجاز الخطط الرامية الى تطوير اعمال الاستكشاف والتنقيب في جميع انحاء العراق ، بغية التثبت من احتياط النفط والغاز الطبيعي وبرمجة الانتاج .

٤ – تحقيق برامج تطوير وتوسيع طاقة التكرير وانتاج المشتقات والاهتمام بزيادة تصديرها على حساب تصدير النفط الخام .

٥ – تطوير استثمار واستخدام الغاز الطبيعي كمصدر للطاقة في الصناعة واشاعة استخدامه في الاستهلاك عن طريق تخفيض سعره ومد شبكة واسعة من الانابيب لنقله في المدن .

٦ – التوسع في برامج تطوير الصناعات البتروكيماوية وصناعة الاسمدة والورق والمواد البلاستيكية .

٧ – الاستمرار بتطوير وتوسيع موانيء التصدير واسطول الناقلات الوطني ليشمل نقل النفط الخام والمشتقات والغاز السائل وزيادة طاقة انابيب النقل العامة والتي يجري بناؤها .

٨ – ايلاء اهتمام اكبر لمراكز ومعاهد الدراسات النفطية وتنظيم اساليب ادارة الصناعة النفطية وفق احدث التطورات العلمية وتزويد فروعها بالكوادر العليا

والوسطية والمتخصصة مهنيا والواعية سياسيا • وتزويد الادارات الصناعية باحدث المعدات والاجهزة الضرورية وارسال العاملين في القطاع النفطي من عمال ومهندسين واقتصاديين في بعثات تدريبية وعلمية •

٩ ـ تنسيق السياسة النفطية فيما يتعلق بانتاج النفط ونقله وتسويقه وتصنيعه بالتعاون مع البلدان العربية وبلدان منظمة الاوبك • وذلك من اجل الحصول على الاسعار العادلة لثرواتها النفطية ولانهاء سيطرة الاحتكارات الامبريالية على اقتصاد النفط العالمي ، وضمان معادل نقدي ثابت لمبيعات النفط، ومن اجل وضع النفط في خدمة المنتجين والمستهلكين ،في اطار نظام اقتصادي عادل للتبادل الدولي •

١٠ ـ تنسيق السياسة النفطية بين البلدان المتحررة المنتجة للنفط والاتحاد السوفيتي ، اكبر منتج للنفط في العالم• وذلك من اجل قيام سوق نفط عالمي جديد لمصلحة الشعوب وتحررها وتقدمها ، وخاصة البلدان النامية ،والدول الاشتراكية الصديقة •

١١ ـ المباشرة بتنفيذ الخطط الخاصة باستثمار الفوسفات ، بالنظر لاهميته الكبيرة ، في تطوير الانتاج ، وخاصة الاسمدة • وانجاز المرحلة الثانية من انتاج الكبريت وتصنيعه ، واستكمال الدراسات واعمال المسح للمواقع المعدنية في العراق للتثبت من خزينها وجدواها الاقتصادية واجراء الفحوصات لتحديد امكانات الاستفادة منها •

الفصل الخامس

الثـورة الزراعية والتنمية في الريف

١ ـ ان المسالة الزراعيةمسالة اساسية في الثورة الوطنية الديمقراطية ويتوقف على حلها ليس النهوض بمستوى حياة الفلاحين فقط ، بل تطور الثورة كلها والمساهمة في اعداد الممهدات للانتقال الى بناء الاشتراكية ، التي تحرر الفلاحين من جميع اشكال الاستغلال •

٣ ـ لقد كان من النتائج الهامة لتطبيق اصلاح زراعي جذري وشامل ، واشاعة التعاونيات في الزراعة ، والمزارع الجماعية ، ومزارع الدولة باعتبارها التنظيم الاقتصادي والاجتماعي الاكثر ملائمة لتعبئة الفلاحين في عملية التقدم الاجتماعي والتنمية الزراعية •

٢ ـ لقد كان من النتائج الهامةلتطبيق الاصلاح الزراعي وفق القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، ومن ثم تعميقه بالقانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ ، وانتزاع ٦٠ ٪ من الاراضي الزراعية من الاقطاعيين وكبار الملاك ووضعها تحت تصرف حوالي ٤٠٠ الف عائلة فلاحية عن طريق التوزيع والتاجير •

٤ ـ وقدجاء اصدار قانونتنظيم الملكية الزراعية في منطقة الحكم الذاتي رقم ٩٠ لعام ١٩٧٥ خطوة تقدمية جديدة لتصفية الملكيةالاقطاعية ونفوذ الاقطاعيين في المنطقة ، اذ حدد الحد الاعلى للملكية الزراعية بين ٤٠ ـ ٥٠٠ دونم •

٥ ـ ان قانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لعام ١٩٧٠ ، الذي يشكل خطوة جذرية اعمق بالنسبة لقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، حدد الحد الاعلى للملكية الزراعية بين ٤٠ ـ ٢٠٠٠ دونم ـ ١٠ ـ ٥٠٠ هكتار والحد الاعلى للتوزيع على الفلاحين بين ٤ ـ ٢٠٠ دونم ١ ـ ٥٠ هكتار تبعا لخصوبة التربة ووفرة المياه وطريقة السقي سيحا ، او ديما او بالواسطة ونوع الحاصلات المزروعة ، وقربها من مراكز التسويق• واوجب شأن القانون السابق ، اقامة جمعيات تعاونية في اراضي الاصلاح الزراعي الموزعة • وقامت في ظله مزارع جماعية •

٦ ـ ان ضرب مواقع الاقطاع وتصفية العلاقات شبه الاقطاعية في اراضيواسعة من جهة ، وعدم اشاعة التعاونيات الانتاجية ومزارع الدولة والمزارع الجماعية ، من جهة اخرى ، قد اوجد ويوجد ، تربة خصبة لتطور العلاقات الراسمالية في الريف ، عن طريق تأجير المكائن والمضخات والتسليف والتسويق، وتربية الحيوانات واستئجار « ضمان » الاراضي والبساتين ، والاستغلال المباشر لفقراء الريف ، وغيرها من الاساليب •

٧ ـ وتشير الاحصائياتالرسمية «حتى اواخر عام ١٩٧٤ » الى ان واقع الملكيه الزراعية هو كالاتي :

٨ ـ سبعة ملايين دونم من الاراضي الزراعية « وتشكل ٢٩٫٥ في المائة» من الاراضي المستغلة ، لاتزال في حوزة ٢٤ الف مالك ممن طبق بحقهم قانون الاصلاح الزراعي ، ويعمل في هذه الاراضي ١٥٠ الف عائلة فلاحية في ظل علاقات شبه اقطاعية « المزارعة على اساس المحاصصة » ، وراسمالية متخلفة وينتمون الى مرتبة فقراء الريف في الغالب •

٩ ـ وان ١٠٫٥ ٪ من الاراضي الزراعية هي ملكيات صغيرة تعود الى ١٤٥ الف فلاح ومالك صغير تتراوح ملكياتهم بين ٤ ـ ١٠٠ دونم ولا يشملهم قانون الاصلاح الزراعي •

١٠ ـ اما الاراضي التي استولى عليها الاصلاح الزراعي فقد تم التصرف بها كما يلي :

حوالي ثمانية ملايين دونم وزعت على حوالي ٢٠٠ الف عائلة فلاحية وحوالي سبعة ملايين دونم اجرت الى حوالي ٢٠٠ الف عائلة فلاحية • وهؤلاء في غالبيتهم من صغار ومتوسطي الفلاحين•

١١ ـ واقيم قطاع عام في الزراعة عن طريق انشاء المزارع الحكومية على ٤٠٠ الف دونم • واقيمت محطات حكومية للالات والمكائن الزراعية والمضخات تبلغ نسبتها ١٥ ٪ مقابل ٨٥ ٪ تعود للقطاع الخاص وفقا للاحصائيات الرسمية المعلنة حتى اوائل عام ١٩٧٥ •

ـ ولا تزال جمهرة الفلاحين من الفقراء والمتوسطين تعتمد في اكثر من نصف احتياجاتها ، على الراسماليين الطفيليين وبقايا الاقطاعيين والملاك واغنياء الفلاحين في تامين القروض والسلف والبذور • الامر الذي يجعلها تعاني الاستغلال الطبقي •

١٢ ـ ان التعاونيات التي قامت حتى الان ويبلغ عددها ١٣٨٠ تعاونية تضم ٢٠٠ الف عضو ، وتبلغ مساحة الارض التي تتصرف بها ١٣ مليون دونم ، هي في غالبيتها تعاونيات غير انتاجية ، وتصطدم بالملاك واعوانهم ، الذين يحاربونها وباغنياء الفلاحين ، ايضا ، الذين يسعون للسيطرة على قيادتها ، والحيلولة دون تعميقها وتحويلها الى تعاونيات انتاجية ، وتسخيرها لمصلحتهم•

١٤ ـ كما اقيمت في الريف مزارع جماعية يبلغ عددها ٧٤ مزرعة تضم ١٠٦٧٢ عضوا ويستثمرون ٥٦٠ الف دونم •

١٥ ـ ان الصراع الطبقي الجاري في الريف في الوقت الراهن يدور في ظل علاقات انتاج متعددة ومتناقضة • ففي الوقت الذي اخذت تنمو فيه العلاقات الراسمالية ، يتصاعد الصراع الطبقي بينالفلاحين الكادحين منجهة وبرجوازية الريف ، بفئاتها المختلفة ، من جهة اخرى • في حين ان بقايا العلاقات شبه الاقطاعية لا تزال تثير صراعا طبقيا بين مختلف مراتب الفلاحين ضد بقايا الاقطاعيين والملاكين الكبار •

١٦ ـ ان الاستغلال شبه الاقطاعي والراسمالي الربوي والتجاري معرقل للتطور واكثر ضررا بالفلاحين الكادحين• ومن هنا يجب قطع اية مساعدة من الدولة الى الفئات التي تمارس هذا النوع من الاستغلال تمهيدا لتصفيته •

١٧ انالبديل عنتصفية بقايا العلاقات شبه الاقطاعية والراسمال الربوي والتجاري في الريف ، ليس اطلاق العنان للتطور الراسمالي في الريف ، بل انجاح القطاعالزراعي العام والتعاوني وتطويرهما • وهذا يضمن الحيلولة دون تطور الزراعة تطورا راسماليا ، ويضع القاعدة للتحويل الاشتراكي للزراعة •

١٨ ـ ورغم انالقطاع العامفي الزراعة والمزارع الجماعية في الريف لا يشكلان، حتى الان سوى ٣ ٪ من المساحة المزروعة وان العلاقات التعاونية في الزراعة لا تزال في بدايتها غير ان نضال الفلاحين الكادحين ، مع كل القوى التقدمية في البلاد ، من اجل اقامة الزراعة على اساس التعاونيات الانتاجية ونشر مزارع الدولة وتطوير قانون الاصلاح الزراعي باتجاه تعميق التحولات التقدمية في الريف ، سيوسع القطاع العام ويوطد علاقات الانتاج التعاونية في الزراعة •

١٩ ـ ان انجاز الثورة الزراعية الديمقراطية وتهيئة مقدمات ومستلزمات التحول الاشتراكي في الريف يتطلب اعداد القوى الاجتماعية الكفيلة بالنهوض بهذه المهمات وهذا يعني ،تحقيق وتعزيز وحدة الفلاحين وتحالفهم مع الطبقة العاملة وسائر شغيلة المدن •

٢٠ ـ ويحتل اهمية خاصة في هذا التحالف ، العمال الزراعيون الدائميون في المشاريع الزراعية الحكومية والاهلية، الذين يزداد وزنهم مع تطور الميكنة والاساليب الحديثة في الزراعة وهم يجسدوناحدى الروابط الهامة ،الاجتماعية

والسياسية بين العمال والفلاحين ، بين المدينة والريف ·

٢١ ـ ولاتزال توجد فى الريف جمهرة واسعة من العوائل الفلاحية المعدمة يقدر عددها بربع مليون عائلة لا تملك الارض وادوات الانتاج · ولا يحصل من يملك قطعة ارض صغيرة على اسباب العيش منها ، وتضطر هذه الفئة فى الغالب للعمل لدى الاخرين فى الريف والمدينة فى اعمال موسمية · وتتعرض للبطالة الجزئية والكلية ·

٢٢ ـ ان الفئة الواسعة من صغار الفلاحين الذين كانوا يملكون قطع الارض الصغيرة ، او حصلوا عليها من الاصلاح الزراعى يعيشون عيشة الكفاف ،باغلبهم· ويعانون من استغلال بقايا الاقطاع والفئات البرجوازية التى تستحوذ على خيرة الاراضى الزراعية ، وعلى اغلب المكائن والمضخات والاموال اللازمة للتسليف الزراعى · وهى تعانى ايضا من تهديد ومضايقات بعض الاجهزة البيروقراطية، وتضطر اقسام واسعة منها لهجرة الزراعة بحثا عن العمل فى المدينة ·

٢٣ ـ ويعانى من هذه الظاهرة ايضا، الكثير من الفلاحين المتوسطين الذين يحصلون على دخلهم من عملهم مع افراد عوائلهم ، فى استثماراتهم الخاصة وعلى الجزء الاصغر من استغلال عمل الاخرين · وهم يطمحون لتحسين معيشتهم ماديا وثقافيا ، وتطوير استثماراتهم والخلاص من استغلال البرجوازية الريفية وبقايا الاقطاعيين ·

٢٤ ـ ان هذه الفئات الاجتماعية تشكل بتحالفها القاعدة الاساسية لانجاز الثورة الزراعية ·

٢٥ ـ ان النضال ضد بقايا الاقطاعيين والفئات البرجوازية الطفيلية ، يوحد جميع فئات الفلاحين الكادحين · ويخدم موضوعيا ، ايضا ، ذلك الاسر من الفلاحين الاغنياء ، التى يقدر عددها بسبعين الف اسرة ، وبعض اقسام المالكين الصغار الذين يسهمون فى عملية الانتاج الزراعى ·

٢٦ ـ بيد ان الفلاحين الاغنياء ، الذين يمارسون مختلف اشكال الاستغلال الطبقى على الفلاحين الكادحين والعمال الزراعيين، للحصول على الجزء الاكبر من دخلهم ويمارسون الفلاحة فى استثماراتهم ، يطمحون الى توسيع استغلالهم ،مستثمرين مركزهم الاقتصادى والمراكز التى يحتلونها فى المؤسسات الزراعية والمنظمات الفلاحية ·

٢٧ ـ ان تحقيق المهام التى يراها حزبنا ضرورية فى هذه المرحلة وتهيئة مقدمات التحول الاشتراكى فى الزراعة ، تتطلب استبعاد هذه الفئات عن مراكز التاثير على الفلاحين ، وعن مراكز القيادة فى التعاونيات والمنظمات الفلاحية · وهذا يوفر ضمانة لصيانة المسيرة التقدمية لنضال جماهير الفلاحين الكادحين ، وبالتالى صيانة مسيرة الثورة كلها من الانحرافات والانتكاس ·

٢٨ ـ ان دروس النضال الطويل الذى خاضه الفلاحون طوال عشرات السنين ، وتجاربهم منذ اعلان اول قانون للاصلاح الزراعى ، تؤكد ان خلاصهم من الحرمان والتخلف لا يتحقق الا من خلال نضالهم الثورى ، وبالتحالف مع الطبقة العاملة من اجل انجاز الثورة الزراعية الديمقراطية وتطويرها وذلك بتحقيق مايلى:

١ ـ تطوير قانون الاصلاح الزراعى رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ بما يضمن استرجاع الاراضى التى بقيت فى حوزة الملاك والتى تزيد على الحد الاعلى ، للتوزيع على الفلاحين بما فى ذلك البساتين ، واحترام ملكية الفلاحين على اختلاف مراتبهم ·

٢ ـ توزيع اراضى الاصلاح الزراعى على الفلاحين توزيعا جماعيا · والحيلولة دون تفتيت الوحدات الزراعية الاقتصادية الكبيرة ، والوقوف بوجه التحايل فى توزيع الاراضى على غير الفلاحين ، واسترداد ما وزع منها عليهم وتحديد حد اعلى للعائلة الفلاحية الواحدة ·

٣ ـ تطبيق قانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥ وتطويره لضمان تخفيض الحد الاعلى للملكية الزراعية فى منطقة الحكم الذاتي وشمول الاراضى المشابهة الواقعة فى المحافظات الشمالية خارج منطقة الحكم الذاتى ، واعتماد القانون رقم ١١٧ فى تصنيف الاراضى ، ومصادرة اراضى المالكين الموجودين خارج العراق ·

٤ ـ التوسع فى انشاء مزارع الدولة، ولا سيما فى المشاريع الاروائية الحديثة، وكذلك فى الاراضى الديمية والمستصلحة، وجعلها مصدرا اساسيا لتوفير المنتجات الزراعية ، ولتصبح ايضا وسيلة لارشاد الفلاحين الى الاساليب الحديثة فى الزراعة ومثلا يحتذى ، ونموذجا طليعيا لرفع مستوى الشغيلة · وثقافتهم · وضمان مساهمتهم فى ادارتها ، وجعلها رائدا للاشتراكية فى الريف ·

٥ ـ دعم التعاونيات الزراعية ،والعمل على تطويرها من جمعيات خدمات الى تعاونيات انتاجية ، ودعم وتشجيع الزراعة الجماعية للاستفادة من مزايا الانتاج الكبير ·

٦ ـ ضمان قيادة الجمعيات الفلاحية والتعاونيات والمزارع الجماعية من قبل الفلاحين الكادحين ·

٧ ـ ضمان حرية التنظيم الفلاحى بمختلف اشكاله وضمان حرية الانتخاب فى الجمعيات الفلاحية والتعاونيات الزراعية والحيلولة دون اشتراك اغنياء الفلاحين وغيرهم من برجوازية الريف فى قيادتها · وتحويل الريف الى ميدان واسع لنشاط الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ولتحقيق ميثاقها ·

٨ ـ ضمان حق المراة فى الانتماء الى مختلف المنظمات الفلاحية المهنية والانتاجيه وضمان حقها فى التعاقد مع الاصلاح الزراعى وحقها فى العمل فى التعاونيات الزراعية والمزارع الجماعية ومزارع الدولة ، وضمان اجر لها متساو مع اجر الرجل لقاء عمل متساو ·

٩ ـ اعفاء الفلاحين من اجرة الماء ١٠ ٪ فى الاراضى السيحية ، ومن حصة الادارة ٥ ٪ ومن ايجار الاراضى الخاضعة للاصلاح الزراعى واعفاء الفلاحين الفقراء من الديون والضرائب والرسوم المتراكمة ·

التنميـــة الزراعيـــة

٢٩ ـ ان تحقيق الثورة الزراعية ينبغى ان يقترن بالاستخدام الكامل للقوى البشرية المنتجة رجالا ونساء ،والاستفادة القصوى من الموارد المائية ، ورفع انتاجية العمل بادخال منجزات الثورة العلمية التكنولوجية ·

٣٠ ـ وبغية تحقيق تنمية شاملة وسريعة فى الزراعة يعمل حزبنا من اجل :

١ ـ اتخاذ التدابير للاسراع لتنفيذ المشاريع الزراعية ، مشاريع الرى والبزل الكبرى واستصلاح الاراضى لضمان الاستخدام العقلانى للثروة المائية وفق موازنة مائية علمية وحفظ المياه وصيانتها من التلوث ، ونشر المحطات الحكومية والتعاونية لضخ المياه ·

٢ ـ تشخيص الاراضى الصالحة للتكثيف الزراعى واعادة تنظيم شبكات الارواء وفق الاساليب العلمية الحديثة، ونشر المحطات الحكومية والتعاونية لضخ المياه ·

٣ ـ ضمان مكننة الزراعة عن طريق قيام الدولة بنشر محطات الالات والمكائن الزراعية ، وتوفير وسائل النقل الضرورية وورش التصليح الثابتة والمتحركة ·

٤ ـ كهربة الريف فى حقلى الانتاج والاستهلاك ·

٥ ـ تعميم استخدام الاسمدة والمخصبات والمبيدات الكيماوية ومكافحة الافات الزراعية والادغال ·

٦ ـ الاهتمام بالثروة الحيوانية والسمكية وتحسين اجناسها على اختلاف انواعها ، والاهتمام بالمراعى الطبيعية والاصطناعية وتوفير وتطوير الخدمات البيطرية ·

٧ ـ الاهتمام بصيانة الغابات وتطويرها وتوسيع مساحتها ·

٨ ـ انشاء المعاهد الزراعية والتعاونية وتنظيم الدورات الزراعية المختلفة ، والتوسع فى استخدام التطبيقات العلمية· وتدريب الفلاحين على الاساليب الحديثة فى الزراعة ، وتربية الماشية والصناعات الريفية ·

٩ ـ تحقيق الاكتفاء الذاتى من المحاصيل الزراعية الاساسية وذلك بالتوسع المدروس فى زراعة الحنطة والرز والذرة والقطن والبذور الزيتية والبنجر وقصب السكر ·

١٠ ـ تطوير زراعة التبغ فى كردستان ووضع حد عادل لتوزيع اراضى التبغ فيها بما يتفق ومصلحة الفلاح وتحسين انواع التبوغ وتطوير تصنيعها ومراعاة الدقة فى تصنيفها ·

١١ ـ الاهتمام بتصنيع المنتجات الزراعية النباتية والحيوانية وتشجيع التعاونيات الزراعية على اقامة المشروعات الصناعية الصغيرة التى تتولى تطوير الصناعات الريفية ·

١٢ ـ انشاء الجمعيات التعاونية والتسويقية لتنظيم تسويق المنتجات الزراعية باسعار تضمن مصلحة المنتج والمستهلك على السواء · وان تتولى توفير ما يحتاجه الفلاحون من سلع وتسليفهم ·

١٣ ـ تجميع الفلاحين في قرى حديثة قريبة من مزارعهم ، تتوفر فيها المساكن الصحية والخدمات الضرورية ، على ان توفر لكل عائلة فلاحية قطعة ارض ملحقة ببيتها من اجل انشاء بستان صغير خاص بها .

١٤ ـ تشجيع البدو على الاستيطان حول السدود والخزانات والابار الارتوازية في البراري في مجمعات تنشأ لهذا الغرض وبدعم من الدولة مزودة بالخدمات الضرورية ، وبالماء الصالح للشرب والمستلزمات الضرورية الاخرى.

١٥ ـ توسيع الاستفادة من تجارب البلدان الاشتراكية المتطورة في مجال بناء وتنظيم وتطوير الزراعة والمزارع والمزارع التعاونية الانتاجية والمزارع الحكومية النموذجية .

الفصل السادس

في سبيل ضمان حقوق العمال والشغيلة ورفع مستوى الجماهير المعيشي

١ ـ حققت الطبقة العاملة في بلادنا بنضالها ونضال كل القوى التقدمية مكاسب سياسية واقتصادية ونقابية تجسدت في قوانين وتشريعات ، منها قوانين العمل والتقاعد والضمان الاجتماعي غير ان القوانين والتشريعات التي صدرت حتى الآن رغم اهميتها لا تلغي الاستغلال الطبقي الرأسمالي ، فالاستغلال لا يزول الا في ظل الاشتراكية .

٢ ـ ان بلوغ هذا الهدف يستلزم قبل كل شيء النضال من اجل تعزيز وحدة الطبقة العاملة وسائر الشغيلة وتعزيز المكاسب التي حققتها ، وضمان حقوقها الديمقراطية وتحقيق مطالبها الحيوية الملحة. ولذا فان حزبنا يناضل في سبيل :

١ ـ وحدة الطبقة العاملة في الحركة النقابية.

٣ ـ ان وحدة الطبقة العاملة ضرورة موضوعية يمليها موقع الطبقة العاملة في عملية الانتاج الاجتماعي وما تتعرض له من الاستغلال الطبقي ، ولدورها الاساسي في التحولات الاجتماعية كما تمليها المصالح المنسجمة والاهداف الموحدة لجميع الشغيلة .

٤ ـ وان السبيل لتحقيق الوحدة الحقيقية للحركة العمالية النقابية هو تلاحم فصائل الحركة العمالية من مختلف الاتجاهات الوطنية على اسس ديمقراطية ، تضمن حرية منظماتها النقابية وانتخاب هيئاتها القيادية ، وممارسة نشاطها اليومي في رعاية شئون العمال والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم .

٥ ـ ان الحركة النقابية ، في المرحلة الراهنة من تطور بلادنا ، اداة لنضال العمال الطبقي ، ووسيلة فعالة للدفاع عن مصالحهم الحيوية وتحسين اوضاعهم المعيشية ، وظروف عملهم ، واداة هامة تحقق بواسطتها الطبقة العاملة دورها في زيادة الانتاج ورفع انتاجية العمل ، وتحقيق ربحية مؤسسات القطاع العام ، والرقابة على الانتاج ، في القطاعين العام والخاص ، والاسهام في التخطيط وتنفيذ مشاريع التنمية وانهاض الاقتصاد الوطني .

٦ ـ ان تعزيز حركتنا النقابية وعلاقاتها التضامنية مع الحركة العمالية العربية والعالمية ، يلعب دورا هاما في توطيد وحدتها وفي تأمين النجاح لنضال الجماهير العمالية لتحقيق اهدافها .

الحقوق الديمقراطية والنقابية

٧ ـ ضمان حرية التنظيم النقابي والحزبي للطبقة العاملة وسائر الشغيلة، دون تحديد او تقنين .

ب ـ ضمان الحريات الديمقراطية للعمال لتنظيم الاجتماعات والتظاهرات وحق الاضراب عن العمل وحرية النشر والصحافة العمالية .

جـ ـ اطلاق حرية العمال في تأسيس الجمعيات التعاونية الاستهلاكية .

د ـ زيادة عدد ممثلي العمال في مجالس الادارة ، وانتخابهم بحرية من قبل العمال مباشرة ، وضمان حقهم في المشاركة في ادارة المعامل وفي الرقابة على الادارة والانتاج والارباح .

هـ ـ ضمان حرية انتخاب العمال المساهمين في محاكم العمل او اللجان التي تؤلف لدراسة المشاكل والتشريعات العمالية .

و ـ تحريم الفصل الكيدي والتعسفي للعمال ، ومنع اهانتهم والاساءة الى كرامتهم ، وضمان حرية انتخاب العمال في لجان انهاء الخدمة .

ز ـ تنشيط مساهمة المرأة العاملة في العمل النقابي وافساح المجال لها للمساهمة في الهيئات القيادية فيه .

٣ ـ الحقوق الاقتصادية

٨ ـ أ ـ تحديد الحد الادنى لاجور العمال غير الماهرين ، بحيث يتناسب وتكاليف المعيشة ومستلزمات الحياة الحضارية على ان يعاد النظر فيه بعد كل زيادة تحصل في تكاليف المعيشة .

ب ـ زيادة اجور العمال بصورة عامة، على اساس الخدمة السنوية على ان لا تقل نسبتها عن ٥ ٪ من الاجور وعلى اساس نوعية العمل وانتاجيته .

جـ ـ ضمان حقوق العمال في الترفيع والعلاوات .

٩ ـ ٤ ـ الضمان الاجتماعي

أ ـ تطبيق صيغة « العمل حق وواجب » وتوفير العمل لكل من يطلبه ، وعند عدم توفره ، تدفع الدولة لطالب العمل الذي ليس له مورد للعيش ما يضمن عيشه .

ب ـ ضمان المعالجة المجانية لكافة العمال وعوائلهم ، وتوفير الاطباء ومستلزمات العناية الطبية ومجابهة الحوادث الطارئة في المعامل ، وضمان تمتع العمال باجازاتهم المرضية وتوفير اماكن الراحة والاستجمام ، لقضاء العطلة السنوية والاسبوعية فيها باسعار زهيدة ، والاهتمام بالطب الوقائي وتوفير جميع مستلزمات الوقاية من اصابات العمل .

جـ ـ ضمان حرية انتخاب العمال في لجان التفتيش ، وزيادة عدد العمال المشاركين فيها ، والزام اصحاب العمل بالقوانين والانظمة .

د ـ توفير المطاعم الصحية ، وضمان اشراف العمال عليها ، وتحسين الطعام وتوفيره بأسعار مناسبة .

هـ ـ تنفيذ قانون بناء المساكن الصحية والمريحة للعمال على حساب الدولة ، ومساهمة ارباب العمل والادارات في تكاليفها ، على ان لا يتجاوز ما يدفعه العامل كبدل ايجار عن ٧ ٪ من اجوره ، وتحريم اجلاء العمال عنها عند فصلهم أو بطالتهم او عجزهم ، وتوفير الماء والكهرباء والخدمات العامة ، ووسائل النقل للاحياء العمالية .

و ـ تطوير المستوى المهني ، والمؤهلات الفنية للعمال بفتح المدارس والمعاهد المهنية ، المتوسطة والعالية وتشجيع العمال بالحوافز ، المادية والمعنوية ، للاقبال على التعليم المهني ، وربط التعليم بالعمل .. وفتح الدورات التدريبية التي تعتبر فتراتها ضمن ساعات العمل وتيسير الدراسة المسائية والبعثات الدراسية للعمال .

ز ـ تطوير المستوى الثقافي للعمال ، بفتح المكتبات والنوادي الثقافية والرياضية والمنتزهات .

حـ ـ مكافحة الامية ، بفتح دورات مستمرة في جميع المعامل وتهيئة الكوادر المتخصصة لذلك .

٥ ـ الحقوق التشريعية

١٠ ـ أ ـ تعديل قانون العمل بحيث يتضمن :

١ ـ تحديد ساعات العمل بما لا يزيد عن ٤٢ ساعة اسبوعيا . وفي الاعمال التي تشكل خطرا على حياة العامل ، كالمناجم والمقالع والصناعات الكيماوية، وبالنسبة للمرأة الحامل بما لايزيد عن ٣٦ ساعة اسبوعيا .

٢ ـ نظام جديد للاجور ، يوحد الانظمة المختلفة في العراق ، ويضمن تناسبها طرديا مع امكانيات ومؤهلات العامل ، ومدة خدمته وانتاجيته كما ونوعا ، ومع الارقام القياسية لتكاليف المعيشة ومتطلبات الحياة الحضارية .

٣ ـ تحديد مدة العقود الجماعية ، مع ضمان حق العمال بطلب اعادة النظر في العقود ، كلما كان ذلك ضروريا .

٤ ـ منح علاوات خاصة لاطفال العمال لحد الطفل الخامس اسوة بالموظفين .

٥ ـ تسهيل عملية الاقراض والتسليف بالنسبة للعمال اسوة بالموظفين وبنفس الشروط .

١١ ـ ب ـ تعديل قانون التقاعد والضمان الاجتماعي بحيث :

١ ـ يشمل العمال جميعهم ، بما فيهم العمال الزراعيون وتطبيقه على جميع الذين تنطبق عليهم صفة العامل بغض النظر عن مدة الخدمة وعدد عمال المشروع الواحد .

٢ ـ يشمل هذا التعديل الجمهرة الواسعة من العمال الذين تركوا العمل

قبل صدور القانون بسبب العجز او الشيخوخة ٠

٣ ـ يضمن اشراف العمال عن طريق ممثليهم المنتخبين من قبلهم مباشرة على تصريف شئون التقاعد والضمان ٠

٤ ـ زيادة نسبة مساهمة الدولة واصحاب العمل فى تمويل مؤسسات التقاعد والضمان ٠ وتخفيض نسبة مساهمة العمال فيها ٠

٥ ـ زيادة الرواتب التقاعدية للعمال، بحيث لا تقل عن الحد الادنى المقرر للاجور ٠

٦ ـ تخفيض السن التقاعدية بالنسبة للاعمال الشاقة والخطرة والضارة بغض النظر عن مدة الخدمة ٠

٧ ـ اعادة النظر فى الشروط التى تقدر بموجبها درجة العجز ٠

٨ ـ اعطاء عائلة العامل المتوفى التى ليس لها مورد للعيش ، بغض النظر عن مدة خدمته ، راتبا تقاعديا لا يقل عن الحد الادنى المقرر للاجور ٠

جـ ـ الغاء قانون الواجبات بالنسبة للعمال ٠

١٢ ـ ان نضال حزبنا الشيوعي العراقى من اجل الارتفاع بمستوى معيشة العمال والفلاحين ٠٠ يهدف فى الوقت نفسه الى الارتفاع بمستوى حياة الشعب كله وذلك عن طريق تحقيق :

الضمان الاجتماعى والتامين الصحى

١٣ ـ الضمان الاجتماعى الشامل لجميع السكان فى مراحل الحياة كافة ، وخاصة للاطفال والشيوخ والعاجزين ٠

ـ تاميم الطب وتوفير العلاج المجانى لجميع ابناء الشعب وتوسيع صناعة الادوية وتوفير المؤسسات الصحية اللازمة المزودة بالملاكات والاجهزة الفنية والعمل على نشر الثقافة الصحية والاهتمام بالطب الوقائى وبالاخص التغذية الصحية والسكن الصحى ٠

توفير السكن

١٤ ـ توفير السكن الصحى للمواطنين وذلك عن طريق تولى الدولة والمؤسسة العامة للاسكان مسئولية ذلك ٠ ويتم هذا ، بصورة رئيسية ، باستملاك الاراضى الواسعة لبناء الوحدات السكنية وبناء المشاريع الاسكانية الواسعة والعمارات السكنية ومساعدة الجمعيات التعاونية والمؤسسات الصناعية والنقابية على بناء المساكن لمنتسبيها ، قرب محلات عملهم ٠ وعلى ان توفر لهذه المشاريع الاسكانية الخدمات العامة ٠ ومن اجل الاسراع فى انجاز هذه المهمة الضخمة يتوجب بناء العدد الكافى من معامل البيوت الجاهزة ٠

١٥ ـ تشريع قانون عادل للايجار يراعى بالاساس مصلحة المستأجرين وتخفيض بدلات الايجار للحد من استغلال اصحاب العقارات ولمنع التحايل على القانون والتعسف تجاه المستأجرين ويضمن اشراكهم فى تطبيقه ٠

١٦ ـ توفير المواد الاستهلاكية والخدمات العامة ٠

ـ توسيع وتطوير المؤسسات والمعامل المختصة بتوفير انتاج وبيع مواد الاستهلاك الجماهيرى بما يضمن وفرة وتناسب اسعارها مع مداخيل اوسع الجماهير ٠

١٧ ـ توفير الخدمات العامة كالنقل والمواصلات ومشاريع الماء والكهرباء والمشاريع البلدية والخدمات الاجتماعية على نطاق واسع خاصة فى الارياف والمدن المتاخرة والاحياء الشعبية ٠

١٨ ـ رعاية حقوق الموظفين

ـ تشريع قانون جديد موحد للخدمة المدنية يضمن حقوق جميع الموظفين ، ولا سيما صغارهم ، فى الترفيع والتقاعد واعتماد مقاييس الكفاءة والاخلاص فى ايكال المسئوليات فى دوائر الدولة كافة ٠

الفصل السابع

الثورة الثقافية والتعليم

١ ـ أن تحقيق مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ، فى الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، يرتبط بضرورة انجاز ثورة ثقافية شاملة ، تؤمن تلبية الحاجات الروحية وخلق حياة مثقفة نيرة لشعبنا ، ليسهم ، بابداع ، فى اغناء الثقافة القومية والعالمية ٠ ثقافة تؤمن بالانسان وبقيمته ، باعتباره اثمن كائن فى الوجود وبعمله الخلاق ٠ وتؤمن بحق الامم فى تقرير مصيرها ، ضد كل مظاهر الاضطهاد القومى ٠ وضد افكار الحرب العدوانية ومفاهيم القوى الرجعية والاستعمارية ٠ ومن اجل السلم فى العالم ٠ ثقافة تستهدف تجميل حياة الشعب وتعميق انسانيتها واغنائها ٠

٢ ـ ان اعتماد العلم فى جميع ميادين الحياة ونشر الوعى والثقافة العلمية بين المواطنين ومكافحة الخرافات والشعوذة ومكافحة الاتجاهات الثقافية والفكرية الرجعية والاستعمارية سلاح فكرى ومعنوى لتعبئة قوى الشعب ، لتحقيق اهدافه ٠

الادب والفن

٣ ـ ان الادب والفن يشكلان جزءا مهما من الايديولوجيا ٠ وان حزبنا حين يناضل فى سبيل تشجيع وتطوير الابداع الفنى للفنانين والكتاب فذلك لا يعنى مطلقا اننا نقر التعايش بين الايديولوجيات والثقافات المتناقضة : الاستعمارية والرجعية من جهة والديمقراطية الثورية والاشتراكية من الجهة الثانية ،باعتبارها ايديولوجيات طبقات متناحرة لا سبيل للتوفيق بين مصالحها ٠ اننا نعمل لشن نضال ايديولوجى مثابر ضد الايديولوجيا الاستعمارية الرجعية وفى سبيل نشر وتعميق الايديولوجيا الديمقراطية الثورية والاشتراكية فى كافة ميادينها ٠

٤ ـ ويجب ان يلعب الادب والفن التقدميان دورا هاما فى كفاح الشعب فى سبيل تحقيق اهدافه الثورية الوطنية والاجتماعية لذلك فان حزبنا يناضل من اجل :

١ ـ نشر وتعميق افكار التقدم والاشتراكية ، ومكافحة الايديولوجية البورجوازية الرجعية والافكار والتيارات والتقاليد المتخلفة المعرقلة للتقدم ، وجميع مظاهر الشوفينية والتعصب القومى ، والاتجاهات المعادية للشيوعية والتضامن الاممى ٠

٢ ـ رعاية الادب والفن التقدميين واحتضان الادباء والكتاب والفنانين الوطنيين وضمان حريتهم فى الابداع الفنى وحماية حقوقهم الادبية والفنية ٠

٣ ـ احياء وتطوير التراث الحضارى العريق لشعب وادى الرافدين والتراث الفنى الشعبى والفولكلورى للشعبين العربى والكردى والاقليات القومية ٠

٤ ـ رعاية الادب والفن السينمائى والتليفزيونى والاذاعى وتشجيع المسرح العراقى التقدمى وتطويره ٠

٥ ـ ضمان التفاعل المستمر مع الادب والفنون التقدمية فى الاقطار العربية وبلدان العالم كافة وتطوير التعاون الثقافى والفنى مع البلدان الاشتراكية ٠

التربية والتعليم

٥ ـ ان التعليم حاجة اساسية من حاجات الانسان المعاصر ويلعب دورا فائق الاهمية فى حياة البلاد السياسية والثقافية والاقتصادية ٠ ومن اجل توفيره لابناء الشعب كافة يناضل حزبنا فى سبيل :

١ ـ محو الامية وتحديد فترة زمنية لانجاز هذه المهمة واعتبار المساهمة فى ذلك واجبا وطنيا ، ومهمة اساسية من مهمات الدولة والمنظمات الاجتماعية والمهنية ٠

٢ ـ اشاعة التربية للمرحلة التى تسبق الدراسة الابتدائية بالتوسع فى فتح دور الحضانة ورياض الاطفال ٠

٣ ـ تطبيق مبدأ التعليم الالزامى للمرحلة الابتدائية بالنسبة للذكور والاناث على حد سواء واشاعة التعليم المختلط ٠

٤ ـ الانتقال التدريجى الى تعميم التعليم المتوسط والاعدادى وادخال التعليم البوليتكنيكى « الصنائع » فيه ٠

٥ ـ توجيه الاختصاص فى التعليم الجامعى بالاساس نحو الفروع الهندسية والتعليمية والطبية والزراعية والاقتصادية

٦ ـ ان تحقيق هذه المهام يتطلب الوسائل والمستلزمات التالية :

١ ـ زيادة الموارد المالية المخصصة للتعليم وفقا لنمو دخلنا القومى ٠

٢ ـ ادخال التغذية المدرسية فى الريف عامة ،وفى مناطق سكن الكادحين ،والتوسع فى اسكان واعاشة الطلبة فى الاقسام الداخلية وتخصيص نسبة كافية متصاعدة سنويا من مقاعد التعليم العالى لابناء العمال والفلاحين والجنود والمستخدمين ٠

٣ ـ استحداث مؤسسة كفوءة للمناهج والطرق والوسائل التعليمية والبحوث التربوية ٠ وازالة الفكر البرجوازى الرجعى من البرامج ، ولا سيما فى مجالات العلوم الانسانية ٠ ومواكبة

التطورات الجديدة في الطرق والوسائل التعليمية ٠

٤ ـ اعتماد مبدأ التخطيط للعملية التعليمية ، وتوزيع مؤسساتها على المحافظات وتنويع المناهج التعليمية ، وجعلها تنسجم مع الطبيعة الانتاجية لمناطق القطر المختلفة ٠

٥ ـ توسيع نشر معاهد المعلمين وتطويرها الى المستوى الجامعي وادخال الاختصاصات المختلفة فيها حسب متطلبات الاصلاح التعليمي وحاجة المناهج والمدارس وتوفير كافة مستلزمات تطوير قابليات المعلمين التربوية والعلمية ٠

٦ ـ تحقيق تكافؤ الفرص امام جميع الطلبة في القبول ، دون تمييز ، في المعاهد والكليات ٠

٧ ـ تقدير المعلم ورسالته في خلق جيل منتج ومشبع بالمفاهيم الوطنية والقومية التقدمية والانسانية وتسهيل عمله وتحسين ظروفه المعيشية وارساء العلاقات بينه وبين اجهزة التعليم الادارية على اسس ديمقراطية ٠

٨ ـ تعميق وعي المعلمين السياسي وشعورهم بمسئوليتهم الكبيرة في نشر العلم والمعرفة والثقافة التقدمية وتوفير المحفزات الاقتصادية والاجتماعية لهم ٠

٩ ـ توفير السكن المناسب والحوافز الوظيفية والمادية ، لمعلمي الارياف ، بشكل خاص ٠

١٠ ـ تطهير اجهزة التعليم من العناصر الرجعية المعادية للتحولات الاجتماعية التقدمية وميثاق العمل الوطني ووحدة القوى الثورية ٠

١١ ـ دعم نقابة المعلمين من اجل تطوير قابليات ونشاط المعلم الاجتماعي ، واشباعها بدورها البناء في عملية الاصلاح التربوي ٠

الفصل الثامن

تحرير المرأة

١ ـ ان تحرير المرأة العراقية ، ايا كانت الطبقة او المرتبة الاجتماعية التي تنتمي اليها ، هو احدى المهمات الاساسية التي تواجه الحركة الثورية في بلادنا ٠ اذ بدون انجاز هذه المهمة لايمكن للمجتمع ان يسير بحزم ، في طريق التقدم الاجتماعي والحضاري الشامل ، بسبب من تعطل طاقات المرأة ٠

٢ ـ وان اساس عبودية المرأة ، مثلما هو بالنسبة للرجل ، اساس اقتصادي مادي يرتبط بوجود الاستغلال الطبقي ٠ غير ان المرأة تتعرض في المجتمعات الطبقية الى عبودية الرجل الناشئة ، ليس فقط ، عن العلاقات الاستغلالية للنظام الاقتصادي ـ الاجتماعي ، بل وعن تبعيتها الاقتصادية للرجل ، وسيادة الافكار والتقاليد الرجعية ، التي تضع المرأة في مرتبة ادنى من الرجل ، وتحرمها من المساواة معه في العمل والاجور وجميع الحقوق السياسية والثقافية والاجتماعية ٠

٣ ـ ولذا فان تحرر المرأة تحررا كاملا ، مرهون بتحرر المجتمع من آخر اشكال الاستغلال الطبقي ، وتحرر الناس رجالا ونساء من عبودية الراسمال والعمل الاجير ٠ فلم تحصل المرأة على حقوقها الكاملة الا في المجتمعات الاشتراكية ٠

٤ ـ وان استبعاد المرأة لن يزول بمجرد تحررها اقتصاديا ، فالافكار الرجعية عميقة الجذور في المجتمع ٠ لذا فان الكفاح الفكري المثابر ضد هذه الافكار والتقاليد الرجعية واجب مقدس على جميع التقدميين ٠

٥ ـ ان مشاركة المرأة العراقية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصورة فعالة تتطلب تحريرها ومساواتها بالرجل ، وبالاخص تشغيل ملايين النساء في عملية الانتاج الاجتماعي ، وهو ما يحققه النضال المشترك لجماهير النساء والرجال من اجل :

١ ـ ضمان حق المرأة في العمل وفي الاجر المتساوي مع الرجل عند قيامها بعمل مساو ٠ وضمان حقها في الاستخدام في كافة الوظائف والمناصب الحكومية اسوة بالرجل ٠ والغاء التمييز الواقع ضد المرأة في العمل في المؤسسات الحكومية والخاصة ٠ وسن التشريعات القانونية لتحقيق ذلك ٠

٢ ـ تحرير المرأة الفلاحة من الكدح المضني من دون مقابل وضمان تمتعها بكافة الحقوق الاقتصادية في الارض وفي ثمرات عملها في الانتاج ٠

٣ ـ مساواة المرأة بالرجل امام القانون في كافة الحقوق المدنية والشخصية كالزواج والطلاق والارث ٠ وتحريم تعدد الزوجات ٠ واحترام حق المرأة في اختيار زوجها وفي حضانة اطفالها بعد الطلاق ، او في حالة وفاة زوجها ٠

٤ ـ حماية الامومة والطفولة والعناية بالحوامل والمرضعات وضمان تمتع المرأة بعطلة للولادة لاتقل عن ٩٠ يوما ، وبالضمانات الاجتماعية بعد تركها العمل ٠ ومنع فصل المرأة من العمل او الاستغناء عن خدمتها في فترتي الحمل والولادة ٠ وتوفير الخدمات الصحية المجانية للاطفال والامهات ، وبالاخص توفير دور الحضانة ورياض الاطفال ، والعناية بمؤسسات الاحداث والاصلاحيات ، وتوفير الحليب والمواد الغذائية الضرورية للاطفال مجانا ٠

٥ ـ ان تتوخى خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية تشغيل النساء القادرات على العمل في المدينة والريف ٠

٦ ـ الاحتفال رسميا بالثامن من آذار ـ يوم المرأة العالمي ٠

٧ ـ ضمان الفرص العملية لتمتع المرأة بكافة الحقوق السياسية وحرية التنظيم الاجتماعي الديمقراطي ودعم الحركة النسائية العراقية وتعزيز تضامنها مع الحركة النسائية الديمقراطية في البلدان العربية وفي سائر بلدان العالم واقامة اوثق الروابط معها ٠

الفصل التاسع

الشبيبة والطلبة

١ ـ كانت الشبيبة في الصفوف الاولى من انتفاضات شعبنا ونضالاته الثورية ، كقوة صدامية تجسد البسالة والفداء من اجل قضية الشعب وحرية الوطن ٠

٢ ـ ان المنجزات التي حققها شعبنا والتي اقترنت بوضع خطط للتنمية الاقتصادية والتحولات الاجتماعية التقدمية والامكانيات الكبيرة المتوفرة لتطور العراق اللاحق تستلزم ايلاء اهتمام خاص بقطاعات الشبيبة العمالية والفلاحية والطلبة من اجل تأمين المساواة في الفرص والاجور والمكافآت وتوفير امكانيات الدراسة والتدريب والتأهيل المهني وتأمين كل الفرص لتطوير كفاءاتهم ومواهبهم المبدعة وتوظيفها في عملية بناء المجتمع الجديد ٠

٣ ـ ان حزبنا يناضل :

١ ـ من اجل تنظيم الشبيبة تنظيما حرا ديمقراطيا وجماهيريا ، ليوحدوا نضالهم ويمارسوا ادارة شئونهم بانفسهم وليحققوا مطاليبهم الانية الملحة ويدافعوا عن مكتسباتهم ٠

٢ ـ وضد التقاليد البالية ، الاقطاعية والقبلية ، التي تستهين بعنصر الشباب وتستعبدهم وتقتل فيهم روح الطموح والثقة بالنفس ٠ ويعمل على حمايتهم من وافدة الافكار الاستعمارية الضارة والتيارات الفوضوية وتثقيفهم بروح التقاليد الثورية لشعبهم وامتهم وبما يوطد روح التآخي القومي بين الشبيبة العربية والكردية وشبيبة الاقليات القومية المتآخية والاعتزاز بامجادهم الحضارية والثورية ، بروح حب الشعب والاستعداد لخدمته دوما ، والتفاني في سبيل قضيته التحررية والتمسك بالمثل العليا التقدمية والثورية ومبادىء الحرية والديمقراطية والكفاح ضد الاستعمار والاستغلال والاضطهاد ، ومن اجل السلم والصداقة بين الشعوب والمستقبل الافضل للشباب ٠

٣ ـ من اجل تربية الشبيبة على حب العمل البناء لخير الوطن والشعب ، والاستفادة من طاقاتهم الحيوية بتنظيم حملات العمل الطوعي للبناء والانتاج وتثقيفهم وحماية الصحة العامة وحماية المراهقين من الانحراف ٠

٤ ـ من اجل اقامة مراكز التدريب والتأهيل المهني على نطاق واسع بالاخص للشبيبة العمالية والفلاحية ٠

٥ ـ من اجل ايجاد الوسائل الكفيلة بتطوير قابليات الشباب الفنية والادبية والعلمية والرياضية ٠ ومن اجل تمكين شبيبة الارياف والقرى من الافادة من الامكانيات والخدمات الاجتماعية المهيأة لشبيبة المدن ٠

٦ ـ من اجل تشجيع الشبيبة عموما على الانتظام في فرق سياحية شعبية تمكنهم من السياحة بكلفة زهيدة وقضاء العطلات في مخيمات في احضان الطبيعة ٠ وتبادل الزيارات بين شبيبة الريف والمدينة وبين مختلف المناطق والقوميات ٠

٧ ـ من اجل الاهتمام بالطلائع باعتبارهم شبيبة المستقبل ، وتشجيعهم على الانتظام في فرق واقامة نوادي ومؤسسات خاصة بهم ترعى شئونهم وتطور كفاءاتهم الفنية والرياضية وتسهم في تكوينهم التقدمي فكريا وثقافيا ٠

٤ ـ ان الطلبة يشكلون فئة حيوية من الشبيبة في المجتمع العراقي لعبت حركتها

على الدوام دورا هاما في كفاح شعبنا الوطني ، وهم معين يمد بلادنا بالخبراء والملاكات .

٥ – ان حزبنا يناضل من اجل تعزيز وتطوير تقاليد الحركة الطلابية الوطنية الديمقراطية والثورية والعناية بالطلاب والدراسة من اجل تهيئة ظروف دراسية افضل وذلك عن طريق تحقيق الديمقراطية الجامعية وتوفير مستلزمات النقاش والبحث العلمي ورفع مستوى الطلاب العلمي والثقافي وتوفير المختبرات وقاعات الدرس وتشجيع الكفاءات وتوفير اقسام داخلية مجانية ومطاعم مخفضة الاسعار، وضمان العمل للخريجين منهم .

٦ – والعمل على تشجيع الفعاليات الثقافية والرياضية والفنية باقامة مراكز رعاية الشباب والهوايات العلمية في كل مدينة وتشجيع جميع الشباب للانتساب اليها دون تمييز ، واقامة النوادي والمسارح والملاعب والمسابح ، وتوفير الظروف الملائمة لقيام جمعياتهم واتحاداتهم الطلابية باعتبارها منظمات ديمقراطية توجه نشاطهم وتقوده للدفاع عن حقوقهم ومكتسباتهم وتعكس اهدافهم الوطنية العامة .

الفصل العاشر

دور القوات المسلحة في العملية الثورية

١ – لعب الجيش العراقي الباسل دورا مشرفا في اسقاط النظام الملكي العميل ، حيث كانت قطعاته راس رمح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، المثال الرائع للتضامن بين الشعب والجيش في النضال الثوري الموحد ضد الامبريالية والرجعية .

٢ – واسهمت القوات المسلحة كذلك في التطويح بالنظام الدكتاتوري في ١٧ تموز ١٩٦٨ . ولعبت دورا مشرفا في حرب تشرين الاول « اكتوبر » ١٩٧٣ والقضاء على التمرد اليميني الرجعي في منطقة كردستان عام ١٩٧٥ .

٣ – ان تعزيز دور القوات المسلحة الوطنية في قيامها بواجبها الاساسي دفاعا عن الوطن وسيادته وحرمة اراضيه ، ومكتسبات الشعب الوطنية والاجتماعية وتطويرها والاضطلاع بدوره في معارك الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية يتطلب :

١ – رفع القدرات والكفاءات العسكرية والفنية ومستوى التسلح والتنظيم للقوات المسلحة .

٢ – تعميق وتطوير الوعي الوطني التقدمي بين صفوف القوات المسلحة وتثقيفها بواجب الدفاع عن الاستقلال الوطني والنظام التقدمي وباهداف ميثاق العمل الوطني ورفع يقظتها ازاء مؤامرات القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

٣ – تنقية القوات المسلحة من العناصر الرجعية المعادية للنهج الوطني التقدمي للسلطة ، واعتماد مقاييس القبول في هذه القوات على اساس الكفاءة والاخلاص والولاء للشعب والنظام التقدمي .

٤ – اسهام القوات المسلحة في عملية البناء الاقتصادي والاجتماعي .

٥ – تربية افراد القوات المسلحة تربية وطنية والحفاظ على كرامتهم الانسانية ، كمدافعين عن الوطن وحرية الشعب . وتعديل قانون العقوبات العسكرية بما يضمن ذلك .

٦ – مكافحة الامية بين صفوف القوات المسلحة ورفع مستوى افرادها الثقافي والفني والمهني وتحويل الجيش الى مدرسة سياسية وعسكرية للشبيبة تتعلم فيها فن القتال والدفاع عن الوطن والنضال ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية .

٧ – توفير الفرص امام ضباط الصف الاكفاء لتطوير كفاءاتهم العسكرية وامكانياتهم العلمية وتأهيلهم للترقية الى رتب عسكرية اعلى .

٨ – اقامة علاقات ديمقراطية بين ضباط القوات المسلحة وافرادها وبث روح الطاعة العسكرية الواعية والضبط الثوري الواعي والثقافة الوطنية .

٤ ان تحقيق التحولات الثورية وتعميقها وصيانتها من الانحرافات ومن مؤامرات القوى الرجعية تتطلب اعادة تثقيف شاملة وعميقة لاجهزة الشرطة والامن لصيانة الثورة وحماية منجزات الشعب الثورية وتصفية قوى الردة وبقايا شبكات التجسس الامبريالية .

٥ – ويتطلب تحقيق كل ذلك ، تنقية هذه الاجهزة من العناصر غير المؤمنة بالتحولات الثورية وبتحالف الاحزاب الوطنية ، ويتطلب كذلك الاختيار الصحيح لمنتسبي هذه الاجهزة ، وخاصة كادرها القيادي ، من بين العناصر المؤمنة بالتطور الديمقراطي والمستقبل الاشتراكي للعراق ، وتثقيفها باحترام الحياة الحزبية والحريات الديمقراطية لجماهير الشعب ودعم الجبهة الوطنية والقومية التقدمية .

الفصل الحادي عشر

القضية الكردية

١ – حدد حزبنا الشيوعي العراقي موقفه المبدئي من المسألة القومية الكردية ، على اساس المبدأ الماركسي – اللينيني ، الذي يقر لجميع الامم ، صغيرها وكبيرها حقها في تقرير مصيرها والتحرر من نير الاضطهاد القومي . وانطلاقا من ذلك دعم حزبنا ويدعم بثبات نضال الشعب الكردي العادل بجميع اشكاله .

٢ – وينظر حزبنا الى المشكلة الكردية في العراق كمشكلة قومية مضطهدة لها ، مثل ما للقومية العربية ، من حقوق قومية ،لذا فقد شجب الحروب العنصرية العدوانية ضد الشعب الكردي وناضل من اجل حل المشكلة حلا سلميا ديمقراطيا يؤمن حقوقه القومية العادلة .

٣ – واذ يناضل حزبنا بثبات ضد شوفينية الامة الكبرى ، المنبثقة من مصالح وايديولوجيات الطبقات الرجعية والمستغلة العربية ، فانه يناضل ، في ذات الوقت، ضد ميول ضيق الافق والتعصب القومي ، الذي تغذيه الطبقات الرجعية والمستغلة في المجتمع الكردي ، وضد جميع المساعي التي تبذلها القوى الاستعمارية والرجعية لتعقيد المشكلة الكردية ، عن طريق تغذية الاتجاهات الشوفينية والتعصب القومي واثارة وتاجيج النزاعات القومية واقتتال الاخوة ،ودعم مختلف الاتجاهات الخاطئة لدى الفئات الرجعية والمستغلة ، عربية كانت ام كردية ، المنافية لمصالح الجماهير الشعبية من العرب والاكراد والاقليات .

– ان النهج المعادي للديمقراطية ، المقترن بالشوفينية لدى الحكومات العراقية السابقة وجد انعكاسه في سياسة التمايز القومي العنصري تجاه الشعب الكردي والاقليات القومية في شتى ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وخلق تربة خصبة لامرار مؤامرات الاستعمار والرجعية ، الموجهة ضد استقلال العراق وتقدمه ووحدته .

٥ – وان تجربة الاحداث ، وخصوصا في الفترة التي اعقبت بيان آذار ١٩٧٠ ، اكدت ان الفئات الرجعية والمستغلة في الحركة القومية الكردية تنظر الى قضية الحقوق القومية للشعب الكردي من زاوية تأمين مصالحها الطبقية الاستغلالية ، وليس تأمين مصالح العمال والفلاحين وسائر الكادحين الاكراد .

٦ – ان الطريق السليم نحو حل ديمقراطي وطيد للمسألة الكردية يجب ان يستند الى جماهير الشعب الكردي نفسها ، والتعامل معها ، بوضع قضيتها بيدها ، على اساس متين من الديمقراطية السياسية والاجتماعية ومن تعاون القوى الوطنية والقومية التقدمية في كردستان ، والعراق كله .

٧ – ويرى حزبنا ان احدى مهماته الثابتة هي العمل على تعزيز التآخي والتضامن الكفاحي بين ابناء الشعبين العربي والكردي والاقليات القومية منطلقا في ذلك من مبادىء الاخوة الاممية بين شغيلة العراق على اختلاف قومياتهم وطوائفهم واديانهم ، واضعا في مقدمة الاعتبارات وحدة المصالح الطبقية والوطنية العليا للطبقة العاملة وسائر الشغيلة ووحدة كفاحها ومصلحة تطور العملية الثورية في العراق .

٨ – ان القضية الكردية في العراق جزء من قضية الديمقراطية وان حركة الشعب الكردي القومية التحررية انما هي جزء من الحركة الديمقراطية الثورية وحليف اساسي للبروليتاريا العراقية في النضال من اجل تحقيق اهدافها الاستراتيجية .

وان تعميق المسيرة الثورية للبلاد وتوطيد الحكم الوطني التقدمي يعتمدان ، الى درجة كبيرة ، على انجاز وتطوير الحكم الذاتي للمنطقة الكردية وتعزيز الظروف الموضوعية للتآخي القومي بين الشعبين العربي والكردي والاقليات القومية .

٩ – وانطلاقا من اقرار حق الشعب الكردي في تقرير مصيره ، فان حزبنا يدعم بثبات الطريق الذي اختاره هذا الشعب لنفسه في العراق ، طريق الاتحاد الاخوي والنضال مع شقيقه الشعب العربي ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية بجميع الوانها ، ويناضل بحزم ضد النزعة الانفصالية للاغوات الاقطاعيين والبرجوازيين الاكراد . ومن اجل توطيد

وتطوير الحكم الذاتي لكردستان العراق ضمن اطار الجمهورية العراقية الديمقراطية وتحرير كادحي بلادنا ، عربا واكرادا واقليات من نير الاستغلال الطبقي وسيرهم متكاتفين شطر بناء الاشتراكية ٠

١٠ - ان قانون الحكم الذاتي ، الذي صدر في آذار ١٩٧٤ سجل للشعب الكردي حقه المشروع في اقامة حكم ذاتي تدير شئونه سلطة تنفيذية منبثقة عن مجلس تشريعي منتخب في منطقه الحكم الذاتي ٠

- ومن اجل تطبيق الحكم الذاتي تطبيقا ناجحا ، وضمان ممارسة الشعب الكردي لحقوقه القومية ، وادارة شئونه بنفسه ، ومن اجل التغلب على التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ،يعمل حزبنا الشيوعي بالاستناد الى الجماهير الشعبية من اجل :

ا - تعزيز وتطوير الحكم الذاتي وتمكين اجهزته من ممارسة مهماتها ومسئولياتها٠

ب - تمثيل الشعب الكردي وفق نسبته الى مجموع السكان في هيئات السلطة التشريعية المركزية وتمثيله في السلطة التنفيذية ٠

جـ - ضمان حرية جماهير العمال والفلاحين والطلاب والمثقفين والنساء وسائر الفئات الشعبية لممارسة حقوقها وحرياتها النقابية والمهنية ولاقامة منظماتها الكردستانية وفروع المنظمات المركزية ٠

د - احترام المشاعر القومية للشعب الكردي والاقليات القومية والحفاظ على التركيب القومي للسكان في كردستان ٠

هـ - تطبيق القانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥ لتحديد الملكية الزراعية في منطقة الحكم الذاتي وتوفير المساعدات والمستلزمات المادية والتكنيكية ، لانهاض الزراعة وتشجيع التعاونيات وتطوير البستنة والتبوغ ٠

و - المباشرة باعداد وتنفيذ خطة تنمية خاصة بمنطقة الحكم الذاتي ، في اطار خطة التنمية العامة ، للتصنيع والتعمير وتطوير شبكة المواصلات والنقل وتطوير السياحة والاصطياف ، تستهدف النهوض بالمنطقة واللحاق بمستوى التطور العام في البلاد ٠

ز - بعث التراث الكردي والتقدمي ونشر الثقافة وتعميم اللغة الكردية كلغة للدراسة في مختلف المستويات الدراسية، وتوسيع شبكة المدارس والمعاهد الدراسية، وانشاء معاهد الابحاث العلمية وتطوير المجمع العلمي الكردي وجامعة السليمانية وانشاء جامعة جديدة في المنطقة ٠

ح - اقامة مؤسسات للاذاعة والتليفزيون تابعة لجهاز الحكم الذاتي ٠

ط - رعاية وتطوير الفنون المسرحية وسائر اشكال الفنون والتربية الرياضية٠

ى - معالجة مشكلة البطالة والسكن ورفع مستوى معيشة العمال والكادحين وايجاد حلول جذرية لمشاكل الجماهير المعاشية ٠

ك - ضمان تمتع الاقليات القومية ، من التركمان والكلدان والاثوريين بحقوقهم الادارية والثقافية وتطبيق القوانين التي تقر هذه الحقوق ٠

الفصل الثاني عشر

قضية الوحدة العربية

١ - ان نضال شعوب الامة العربية في سبيل الوحدة يتحول ، اكثر فاكثر الى حركة جماهيرية ، ويغتني بمضامين ديمقراطيه وتقدمية ٠ وتنعزل الشعارات والمفاهيم والتيارات التي كانت تفصل هدف الوحدة عن التحرر الناجز من الاستعمار وعن الديمقراطية والتقدم الاجتماعي ٠

٢ - وقد دعا حزبنا الشيوعي العراقي دائما الى تعزيز تضامن الشعوب العربيه للوصول الى وحدة قومية ديمقراطية ترتبط باهداف التحرر التام من الاستعمار والصهيونية ، وتصفية الطبقات الرجعية سياسيا واقتصاديا وفكريا ، وقيام انظمة ديمقراطية ثورية وبالتحالف مع قوى الاشتراكية والتحرر الوطني في العالم٠ وكان حزبنا يدعو باستمرار الى حسبان الواقع العربي الملموس بكل تعقيداته وتناقضاته ٠

٣ - ان نضال حزبنا لتحقيق الوحدة العربية يستند الى المنطلقات التالية :

١ - ان أعداء حركة التحرر والوحدة القومية العربية هم الامبريالية والصهيونية والقوى الرجعية في البلاد العربية ٠ ومن هنا فان التحرر من الاستعمار القديم والجديد - واقامة انظمة تحررية وطنية والسير في طريق تصفية مصالح الطبقات الرجعية هو نقطة البدء في الطريق نحو الوحدة ٠ لذلك يكتسب التضامن الكفاحي العربي ضد هذه القوى اهميته الخاصة ، ولا سيما اللقاء والتعاون بين جميع القوى الوطنية التقدمية داخل كل بلد عربي وعلى نطاق الوطن العربي كله ٠

٢ - لقد نشأت أوضاع خاصة في كل بلد عربي تشكل عوائق وتناقضات ينبغي السير لازالتها من خلال العملية الثورية ، التي تستهدف تصفية النفوذ الامبريالي والعلاقات الاقطاعية وسيطرة الرجعية المسئولة عن وجود واستمرار هذه التناقضات ، ومن خلال اقامة انظمه ديمقراطية ثورية وتوطيدها ٠

٣ - ان تحقيق الوحدة يستلزم النضال من اجل اقامة اسس الوحدة الاقتصادية والعسكرية والثقافية والسياسية بين الاقطار المتحررة والمباشرة في تحقيق الوحدة عبر اشكال انتقالية من الروابط الوحدوية والاتحادية الناضجة بين بلدين عربيين او اكثر ٠

٤ - لذلك فان الوحدة العربية الشاملة وفق المنطلقات السابقة - سواء اتخذت شكل دولة اتحادية أم موحدة - ستكون ذات مضمون وطني وديمقراطي معادي للامبريالية ٠ ان الطبقة العاملة ،والجماهير الكادحة الثورية الملتفة حولها ، هي بالدرجة الاساسية ذات المصلحة في تصفية العوائق والتناقضات التي تقف امام الوحدة ٠ والجديرة بقيادة معركة الوحدة نحو الانتصار الحاسم ٠

٥ - ان الوحدة العربية التي ينشدها حزبنا الشيوعي هي الوحدة التي تمثل أرادة ومصالح العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وسائر شغيلة اليد والفكر في البلاد العربية ، لذلك فانها مرتبطة بالضرورة بتطمين مصالح الجماهير الشعبية واطلاق حرياتها وحقوقها الديمقراطية لضمان مساهمتها مساهمة فعالة في الحياة السياسية وادارة الدولة والمجتمع٠

٦ - ان الحركة القومية العربية ذات المضمون الثوري المعادي للامبريالية تتنافى مع الاضطهاد القومي تجاه القوميات والاقليات التي تعيش في الاقطار العربية والتي ارتبطت مع الشعوب العربية بوشائج نضالية قوية ٠

٧ - ان الاتحاد العربي الذي يكون العراق الديمقراطي طرفا فيه يجب ان يضمن للشعب الكردي فرصا اوسع لممارسة حقوقه القومية وان هذا هو السبيل نحو تعزيز وترصين الاخوة النضالية العربية الكردية واقامتها على اسس راسخة ترتد عنها المناورات والدسائس الاستعمارية والرجعية ٠

الفصل الثالث عشر

قضية فلسطين

١ - خاض حزبنا ، نضالا فكريا وسياسيا مثابرا ضد الصهيونية بوصفها حركة عنصرية وربيبة للاستعمار العالمي ٠

٢ - لقد ظهرت الحركه الصهيونية في اواخر القرن الماضي برعاية وتشجيع الاحتكارات الامبريالية العالمية ، التي كانت تتنافس على وضع تلك الحركة العنصرية في خدمتها لشق وحدة الحركة العمالية والنضال الاجتماعي المشترك ٠

٣ - لقد تبنى الاستعمار العالمي فكرة « الوطن القومي اليهودي » لتطمين خططه واهدافه ٠ واستهدفت الامبريالية من وراء العمل على اقامة « الوطن القومي اليهودي » ، في فلسطين بالذات ،محاربه حركة التحرر الوطني العربية ، وتطمين وتثبيت المصالح الاستعمارية ، ولا سيما البترولية ، في هذا الجزء من العالم ، وخلق وادامة موقد للتوتر يهدد السلم والامن في المنطقة ، واقامة دولة خاضعة للاستعمار وقائمة على مساعداته الاقتصادية والعسكرية ٠ وقد وضعت الحركة الصهيونية نفسها في خدمة مختلف الدوائر الاستعمارية المتصارعة في آن واحد ، حتى انتهى بها الامر الى ان تصبح ، قبل كل شيء اداة بيد الاستعمار الاقوى - الامركي - بالرغم من استمرارية خدمتها للدول الاستعمارية الاخرى ٠

٤ - ان الاستعمار العالمي وربيبته الصهيونية هما المسئولان عن الحيلولة دون قيام دولة ديمقراطية موحدة مستقلة في فلسطين ، يتعايش فيها العرب واليهود وتصفية الانتداب البريطاني ، هما المسئولان عن حرمان الشعب العربي - الفلسطيني من اقامة دولته الوطنية المستقلة - فيما بعد - وفقا لقرارات الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ٠

٥ - ان اسرائيل تقوم على أسس شوفينية عنصرية توسعية تحت ستار

الدين ، ووفق مخطط استعماري واسع ، ومن خلال الاعتداء على الشعب العربي الفلسطيني وتشريده من دياره وحرمانه من حق تقرير مصيره بنفسه على ارض وطنه • ان خيانة الملوك والحكام الرجعيين العرب لم تسهل فقط قيام اسرائيل بل ساعدتها على تجاوز الحدود المرسومة لها من قبل هيئة الامم المتحدة ، واحتلال المزيد من الاراضي العربية ، وتحدي قرارات الهيئات الدولية ، وتزويدها بمئات الالوف من يهود البلدان العربية وبتجهيزهم بالتعاون مع الصهاينة • وما انفكت القوى والانظمة الرجعية حتى يومنا هذا ، تضعف طاقات البلاد العربية وقدرات جيوشها وتسهل بالتالي اعمال العدوان المتعاقبة التي تمارسها اسرائيل ضد البلاد العربية •

٦ ـ لقد برهنت اسرائيل منذ قيامها على كونها اداة استفزاز وعدوان في ايدي المستعمرين وخصوصا الامريكان • وعلى انها موقد توتر وحرب ، وامتداد للنظام الامبريالي العالمي • وان السياسات التوسعية العدوانية التي مارستها وخصوصا عدوانها في حزيران ١٩٦٧ واحتلالها لجميع فلسطين ولاراضي سورية ومصرية قد ادانتها امام الراي العام التقدمي العالمي وفضحت طبيعتها العنصرية العدوانية • ان النضال ضد عدوانية اسرائيل وضد مطامع الصهيونية جزء لا يتجزء من النضال ضد الامبريالية العالمية وبالاخص الامريكية ، التي جعلت من اسرائيل قاعدتها الامامية في الوطن العربي • ان النضال ضد الصهيونية هو نضال تحرري قومي عادل • رغم المحاولات التي بذلها ويبذلها المستعمرون والرجعيون العرب لدفع هذا النضال وجهة عنصرية تعصبية او دينية • كما تساهم في هذا النضال القوى التقدمية داخل اسرائيل نفسها •

٧ ـ ان اية دعوات وشعارات لفصل النضال ضد الصهيونية عن النضال ضد الاستعمار ـ وبخاصة الامريكي ـ ومواقفه في البلاد العربية ، وضد احتكاراته البترولية بوجه خاص ، ليست غير دعوات وشعارات مشبوهة تخدم اعداء الامة العربية • ان اسرائيل لم تجرؤ يوما ما على العدوان وعلى تحدي قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن لولا التشجيع والدعم والتحريض من جانب دول الاستعمار •

٨ ـ وان النضال الظافر ضد عدوان اسرائيل وضمان اقامة سلم عادل في المنطقة ، يستلزم بالاساس وحدة القوى التقدمية وكل القوى المعادية للامبريالية في البلدان العربية وتنسيق نضالاتها •

٩ ـ ان حزبنا الشيوعي العراقي يناضل من اجل عودة الشعب العربي الفلسطيني الى دياره ، وتمكينه من تقرير مصيره بنفسه على ارض وطنه بما في ذلك اقامة دولته الوطنية •

ويدعم حزبنا ، بكل الصور ، مختلف اشكال النضال والمقاومة الشعبية بما في ذلك الكفاح المسلح الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني ، وحركته الوطنية التحررية •

١٠ ـ وفي الظرف الراهن يكتسب النضال من اجل تحرير كامل الاراضي العربية المحتلة في عدوان حزيران ١٩٦٧ واقامة الدولة الوطنية الفلسطينية اهمية علمية ومباشرة ، تواجه الشعوب العربية كلها ، يتطلب تحقيقها تعبئة طاقات البلاد العربية في النضال ، بمختلف اشكاله السياسية والعسكرية والاقتصادية •

١٠ ـ لقد عانى الشعب العربي الفلسطيني محنا وويلات دامية وسوف يأتي اليوم الذي يسترد فيه كامل حقه المشروع في ارض وطنه • بفضل ارادته وارادة الجماهير الثورية في العالم العربي ، وبالاستناد الى دعم قوى الاشتراكية والتحرر في العالم ، وبالتحالف الثابت معها •

الفصل الرابع عشر

السياسة الخارجية

١ ـ ان السياسة الخارجية شأن السياسة الداخلية تعكس ارادة الشعب في تعزيز الاستقلال الوطني للبلاد والدفاع عن المصالح القومية ومناصرة قضية الحرية والسلم في العالم ، والوقوف في جبهة الشعوب المناضلة ضد الامبريالية العالمية •

٢ ـ ان النضال التحرري لشعبنا والشعوب العربية ، هو جزء عضوي من العملية الثورية ضد الامبريالية • وثمة جبهتان عالميتان : الجبهة الثورية العالمية التي تضم المنظومة الاشتراكية ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي ، وحركة الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية ، وحركة التحرر الوطني • وجبهة الاستعمار الذي تتزعمه الولايات المتحدة الامريكية • وانطلاقا من هذه النظرة يرفض حزبنا المفاهيم الخاطئة والخطرة التي تسعى الى التغطية على واقع انقسام العالم الى هاتين الجبهتين بالتبشير بمفاهيم « الدولتين العظميين » وتقسيم العالم الى دول غنية واخرى فقيرة ، والامبريالية الايديولوجية وغيرها من المفاهيم •

٣ ـ لذلك يناضل الحزب الشيوعي العراقي في سبيل :

١ ـ التضامن الوطيد مع جبهة الشعوب والقوى العالمية المناضلة ضد الامبريالية وتوطيد التحالف الاستراتيجي مع بلدان المنظومة الاشتراكية ، وتطوير معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي •

٢ ـ النضال ضد الامبريالية وسياساتها العدوانية وضد الاستعمار الجديد بمختلف اساليبه ومظاهره •

٣ ـ رفع اليقظة وعزيمة الكفاح ضد الدسائس والمؤامرات الاستعمارية التي تستهدف زرع الخصومة والريبة والتحريض على الحرب والفوضى وتفريق الصفوف واثارة الحساسية القومية تجاه الشعوب الاخرى وتغذية النعرات العنصرية والطائفية •

٤ ـ تعزيز التضامن في الكفاح مع الشعوب العربية الشقيقة والبلدان المتحررة ضد الاستعمار ومخططاته العدوانية وضد الصهيونية والرجعية في المنطقة •

٥ ـ المساهمة الفعلية وتقديم العون الضروري لنضال الشعب العربي في عمان وبلدان الخليج • واحباط مؤامرات الاستعمار واحلافه العدوانية الموجهة ضد بلدان الخليج العربي •

٦ ـ تنسيق جهود القوى والانظمة التقدمية في العالم العربي في النضال لتصفية النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي للامبريالية •

٧ ـ تعزيز روابط الصداقة والتحالف الثابت بين حركة التحرر الوطني العربية والاتحاد السوفيتي وسائر بلدان المنظومة الاشتراكية العالمية •

٨ ـ تدعيم تضامن البلدان المتحررة وحركات التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وتعزيز كفاحها ضد الاستعمار •

٩ ـ النضال ضد الانظمة العنصرية في افريقيا الجنوبية وروديسيا وغيرها •

١٠ ـ العمل مع كل الشعوب في سبيل وقف سباق التسلح ودرء وقوع حرب نووية مهلكة وتحريم استخدام اسلحة الابادة بالجملة والدفاع عن السلم العالمي •

١١ ـ الكفاح ضد القوى والكتل العسكرية والسياسية العدوانية ومن اجل تصفية النظام الاستعماري العالمي •

١٢ ـ انتهاج سياسة التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة وتوطيد الانفراج الدولي ومنع التدخل في الشئون الداخلية للدول الاخرى والحفاظ على السيادة الوطنية ••

مـــارس ١٩٧٦



ملحق الأدب و الفن

السينما المصرية وثورة يوليو
موروث الماضي .. وصورة الحاضر

قصة قصيرة

كلاب وخنازير



نعمان عاشور

الادب والفن فى شهر :

مـوروث المـاضى ..
وصـورة الحـاضر

الفاروق عبد العزيز

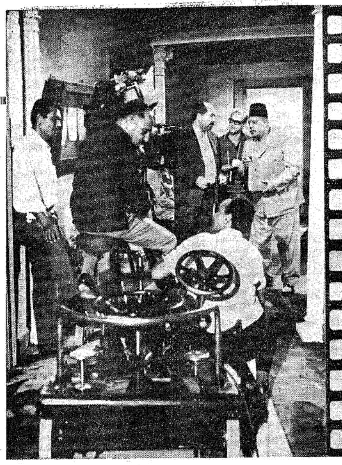
فى « محاولة للرؤية فى سنوات الامل والانكسار » استعرض الكاتب العلاقة بين السينما المصرية وثورة يوليو فى السنوات الاولى والوسطى ؛ اى ما بين ١٩٥٢ و ١٩٦١ .

وهو هنا يكمل ما بدأ فيتابع هذه العلاقة من ٦١ وشيئا فشيئا تتضح امامنا الصورة ، وتشير الدراسة كلها الى ما يمكن أن يكون السبيل لخروج السينما المصرية من أزمتها الراهنة .

● **الاشتراكية ـ السينما :**

فى عام ١٩٦١ صدرت القرارات الاشتراكية التى كان صدورها مؤشرا ببدء مرحلة جديدة للتحول نحو الإشتراكيه بقدر ماكان كشفا واضحا عن أنصع وجوه الثورة . لقد كانت القرارات حدثا خطيرا دفع **الظروف الموضوعية** والتاريخية الى منطقة جديدة وحاسمة معاً، بها بدأت الجماهير تشعر وتتأكد من ملكيتها للثورة التى امتد اثرها الان الى المدن النائية والقرى البعيدة . لقد انصرم الان من عمر الثورة تسعة أعوام خاضت خلالها معارك شرسة فى الداخل والخارج .. وفى الداخل كانت معارك الثورة ذات نوع خاص تجاه كثير من القضايا ومنها قضية الثقافة برمتها وشعر الجميع ان « **الحسم والهدى الى العمل المنتج السريع** » ـ الذى نادى به حسين صدقى قبل ثمانية أعوام ـ قد بات وشيكا بصدور القرارات التى شملت فيما شملت لتغيير وجه الحياة فى مصر ـ **عالم السينما** فى مصر.

وفى عام ١٩٦٢ صدر **ميثاق العمل الوطنى** الذى جاء شاملا



لنظرية العمل الجديدة بما يتلاءم ومرحلةالتحول نحو الاشتراكية. كان الميثاق — ولايزال — أهم مواثيق الثورة واكثرها وعيا بمتطلبات مرحلته . ولسنا هنا بصدد مناقشته اليوم ولكن نظرة واحدة الى مفهومه لخلق ثقافة وطنية ثورية قد تعيننا على تفهم المقدمات التى افضت الى نتائج السبعينات فى عالم السينما المصرية . ان القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم هو واحد من مبادىء الثورة الثابتة . ولان الثقافة فى أى مجتمع ترتبط ارتباطا وثيقا بالطبقة المغرزة لها ، وايضا لان الطبقة التى تملك هى التى تحكم تجىء الثقافة السائدة انعكاسا لمفاهيمها وعقائدها التى تفرضها على الجموع كالوجه « **الوطنى** » الوحيد لثقافة البلد . وكان حرص الثورة منذ البداية على تصفية الرأسماليات الكبيرة وبالتالى محو سيطرتها على الحكم ، **غير أن الثقافة — والسينما بوجه خاص جدا — ظلت رأسمالية التفكير** . فمن خلال مايربو على أربعمائة فيلم أنتجت فى الفترة من عام ١٩٥٥ حتى اوائل عام ١٩٦٣ لم نستطع تناول اكثر من عشرة أفلام تمثل الحد الادنى من الجدية والوطنية [وهما صفتان إخلاقيتنان] اما البقية الباقية فسواء كرست للتسلية المطلقة أم للاستغلال التجارى المحض أم لاشاعة قيم السهولة والتطلع الطبقى غير المشروع فقد كانت هذه البقية ممثلة تماما لثقافة رأسمالية . وكان هذا يعنى ببساطة أن « **الرأسمالية** » لم تكن قد أختفت تماما لكى تحل محلها طبقة وثقافة الاغلبية . وعندما أغلق الميثاق الباب نهائيا امام التقدم بالطريق الرأسمالى وقدم تصوره للطريق الاشتراكى « **بما يتيحه من فرص لحل الصراع الطبقى سلميا ، وبما يتيحه من امكانية تذويب الفوارق بين الطبقات** » ، ظل الباب مواربا فى ظل هذا التصور أمام تسرب الفكر الرأسمالى تحت شعارات مختلفة . وعندما طرحت **صيغة التحالف** مع انشاء التنظيم الثالث للثورة — الاتحاد الاشتراكى العربى — التى احتوت على ما سمى « **بالرأسمالية الوطنية** » الى جانب قوى العمال والفلاحين والمثقفين والجنود — عندئذ **اتسع** الباب اكثر . وبات قول الميثاق أن قيم المجتمع الجديد « **لابد لها أن تعكس نفسها فى ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس بالجمال فى حياة الانسان المصرى الحر** » شعارا رفعته نفس الفئات الممثلة للرأسمالية الوطنية — التى صارت تسمى فى السينما منذ يناير ١٩٦٣ « **بالقطاع الخاص** » — لتعكس نفسها فى ثقافة طبقية حرة فى أن تفعل ماتشاء

بعقل ووجدان الشعب وشهد النصف الثانى من ١٩٦٢ واوائل العام التالى مناقشات واسعة حول الميثاق الوطنى ووضعت لجنة الميثاق تفسيرا يتفق مع جوهر الميثاق كما يتفق اصلا مع الروح التوفيقية التى استطاعت ان تغلف الثورة بغشاء رقيق قوى ، احتوى فيما احتوى الجذور الطبقية — البورجوازية المتوسطة — لصانعى هذه الثورة . **وفيما يتعلق بالادب والفن جاء التقرير متفقا مع روح وحلول السنوات الاولى والاعوام الوسطى بقدر ما جاء هتافيا وعموميا : « وقد قام الادب والفن بدور هام وفعال ، فى هذه المرحلة الثورية ، من حشد القوى المعنوية ... وبرز هذا الدور فى أجلى صوره اثناء معركة بور سعيد . لقد اصبح الادب والفن وسيلة هامة للتعبير والاتصال بين الجماهير بعد أن انتهى عهد أدب التصور وفنها الى غير رجعة واصبح جمهور الادب والفن هو الشعب كله ... ان كل ذلك ليدعو الى تأكيد ما للادب والفن من فاعلية واثر بالغ ... وان هذا ليؤكد ، فى الوقت ذاته ، أهمية مايقوم به مجتمعنا من اتاحة الفرص وتهيئة السبل للمواهب الفنية والادبية ورعايتها وتشجيعها ، وصيانة الحرية التى تتيح لها فرص الابداع والابتكار ، فى حدود مسئولية ضميرهاامامهذا المجتمع الاشتراكى .. ان الثورة العلمية والثقافية هى سبيلنا الوحيد ... » وبقدر ما فى هذا التقرير من طوباوية وحسن نية بقدر مافيه من ايغال فى الابتعاد عن الواقع الموضوعي ساعة صدوره** . ان تجربة الاعوام العشرة فى « **التعاون** » مع موروث الماضى غائبة تماما كما ان ادراك طبيعة **ضمير القطاع الخاص** تظل غامضةتماما ايضا. **لقد كان الميثاق فرصة مواتية لثورة ثقافية شاملة وحقيقية تهز الجذور التى خبتت والشعارات التى صدأت** . ومع كل التغيير الذى جاءت به قرارات ٦١ الاشتراكية العظيمة **فان** الجذور الطبقية — الثقافية لم تحدث لها الهزة المطلوبة لتحول حقيقى نحو الاشتراكية . فى هذه الفترة التى ستمتد حتى عام ١٩٧١ سوف تثار اكبر القضايا واخطرها بالنسبة لمستقبل الاشتراكية — السينما فى مصر .

[●]

فى يناير عام ١٩٦٣ بدأت أولى ثمار القرارات الاشتراكية تظهر فى ميدان السينما بانشاء **القطاع العام** . وكان تراث تجربة السنوات الاولى والاعوام الوسطى غائبا عن اية دراسة منهجية كما اسلفت فولد المولود ناقصا ! فى هذا العام احس القطاع الخاص بخطر شديد من الوليد القادم المدعم — بالفعل — بالقرارات التى كانت تعنى المطالبة الفعلية بتغيير وجه الحياة — ومن ثم الثقافة — فى مصر . ووقف هذا القطاع يترقب حركة القطاع الاخر ويفكر فى التكتيك اللازم لمواجهته خاصة وأنه يستظل بظل الدولة. على انى سوف أؤجل الحديث عن الانهيار وأسبابه الى مابعد عرض ضرورى لتطورات العمل فى القطاع العام .

أدمجت المؤسسة المصرية العامة للسينما فى مؤسسة الاذاعة والتليفزيون ثم انشئت أربع شركات للانتاج المصرى وللانتاج العالمى المشترك وللاستديوهات وللتوزيع ودور العرض ، وبدأ أن ثمة خطة موضوعة لتطوير هذا الجهاز الخطير الذى طال اهماله . وكانت « **الخطة** » تقضى بانتاج افلام تجارية ! — نعم تجارية — أطلق عليها افلام « **حرف ب** » لتحقيق أرباح ثم افلام المستوى الرفيع **لتحقيق التقدم الاشتراكى!**

وهذه عينة من أفلام « حرف ب » : « **الرجل المجهول** » — « **الابن المفقود** » — « **زوج فى اجازة** » — « **هارب من الزواج** » — « **المراهقان** » — « **الرسالة** » — « **أيام ضائعة** » . **وخسرت المؤسسة من الافلام التجارية !**

وفى ظل التقلبات التى طرأت على المؤسسة حتى عام ١٩٦٨ استمرت نفس « **الخطط** » الخاسرة . ولكن أمكن ايضا **وتحت عنوان القطاع العام تقديم اهم افلام الستينات**. بالاشتراك مع آسيا انتج « **الناصر صلاح الدين** » « ١٩٦٣ » ليوسف **شاهين** الذى جاء فيلمه خاليا من عيوب الافلام الوطنية والتاريخية على السواء . وقد بلغ من ابهار الفيلم حدا جعل الناقد المرحوم **سعد الدين توفيق** يشيد به **دون ان يفقد تاثير هوليود « انه محطة جديدة . نقلة واسعة من افلام الصالونات الى الانتاج الضخم . فيلم كبير** مشرف يقف جنبا الى جنب **مع افلام هوليود** » **وفى هذه الفترة** قدمت خمس روايات هامة **لنجيب محفوظ — وان جاءت** الافلام مآس كاملة — : « **زقاق المدق** » « ١٩٦٣ » « **وبين القصرين** » « ١٩٦٤ » **اخراج** مخرج السينما الاستهلاكية اللامع **حسن الامام** « **والطريق** » « ١٩٦٤ » لزميله **حسام الدين مصطفى** « **والقاهرة ٣٠** »

لابو سيف ثم خـان الخليلى « ١٩٦٦ » لعاطف سالم ونمـا مايشبه اتجاها فى ذلك الوقت لترجمة الاعمـال الادبيـة الى اعمال سينمائية . ورغـم ان العلاقة العضـوية بين شـبه الاتجاه هذا وبين الثورة تـكاد ان تكون معدومة الا ان الفائدة منه تتمثل فى الاسهام فى خلـق جـو ثقـافى يمكن أن يصـيب المشتغلين بالسينما بداء القراءة والمطالعة ! وبالاضافة الىالافلام السابق ذكرها أنتج ــ عن اعمال ادبية ــ « البـاب المفتـوح » « ١٩٦٣ » عن قصة لطيفةالزيات واخراج بركات « ولاوقت للحب» فى نفس العام عن قصة يوسف ادريس واخراج صلاح أبو سيف « والجبل » « ١٩٦٥ » عن قصة فتحى غانم واخراج خليل شوقى « والمستحيل » « ١٩٦٥ » عن قصة مصطفى محمـود واخراج حسين كمـال « والحـرام » « ١٩٦٥ » عن قصـة يوسـف ادريس واخـراج بركات ... واستمر هذا الاتجاه قائمـا فى الاعوام التـالية . فقـد انتج « القضية ٦٨ » « ١٩٦٨ » عن مسرحية لطفى الخولى واخراج صلاح أبو سيف « والمتمردون » « ١٩٦٨ » عن قصة صلاح حافظ واخـراج توفيـق صـالح « والبوسطجى » « ١٩٦٨ » عن قصة يحيى حقى واخراج حسين كمال « والرجل الذى فقد ظله » « ١٩٦٨ » عن قصة فتحى غانم واخراج كمال الشيخ « وقنديل ام هاشم » « ١٩٦٨ » عن قصة يحيى حقى واخراج كمال عطيه « ويوميات نـائب فى الارياف » « ١٩٦٩ » عن روايـة الحكيم واخراج توفيق صالح « والسيد البلطى » « ١٩٦٩ » عن قصـة صالح مرسى واخراج توفيـق صالح ايضا « وحكاية من بلدنا » « ١٩٦٩ » عن قصة « المكامير » لمجيـد طوبيـا « وميرامار » «١٩٦٩» عن رواية نجيب محفوظ واخراج كمال الشيخ « وشىء من الخوف » « ١٩٦٩ » عن رواية ثروت أباظة واخراج حسين كمال ثـم « الارض » عن روايـة عبد الرحمن الشرقاوى واخراج يوسف شاهين فى عام ١٩٧٠ . لقد بدا الامر أشبـه بالاتجـاه وفى الحق ان وجـود القطـاع العام قد اسهم فى تطور هـذه الظاهرة بشكل أو بآخر . ثمـة شىء آخر ــ بالغ الاهمية ــ لابد من تسجيله فى صالح التجربة: ان الظهور الاول لمخرجين جدد جاء عن طريق هذا القطاع وهو أمر لم يكن ميسرا حـال مـع القطاع الخاص الذى يستهـدف الربح ويدفعه ذلك بالضرورة الى الاعتماد على الاسماء اللامعة . لقد شاع فى هذه الفترة شعور بأن « واجب » القطـاع العـام ــ ضمن واجبـاته الاخرى ــ يتمثل فى اتاحه الفرصة للشباب الذين درسوا السينمـا دراسة علمية بمصر أو بالخارج . وهكذا أتيحت الفرصة للكاتب الشـاعر الممثل المخضرم عبـد الرحمن الخميـسى أن يخـرج فلمـه « الجزاء » « ١٩٦٤ » ولحسين كمال « المستحيـل » ولجـلال الشرقاوى « أرملة وثلاث بنات » « ١٩٦٥ » ولخليـل شـوقى « الجبـل » « ١٩٦٥ » ولنـور الدمـرداش « ثمن الحريـة » « ١٩٦٤ » ثم سـيد عيسى « جفت الامطار » « ١٩٦٧ » . ولا شك فى ان هذا يدخل ضمن اطار « اتاحة الفرصـة امـام المواهب والكفاءات » ولاشك فى ان هذا سوف يسهم فيما بعد فى اتاحة الفرصـة امـام خريجى معهدى السينمـا والسناريو [الذى انشىء عـام ١٩٦٣] لتجديد الدم والفكر فى السينما المصرية .

بيد ان هناك مجموعـة من الظواهر التى انبثقت خلال هذه الاعـوام العشرة « ١٩٦٢ ــ ١٩٧٢ » ولاشك فى أن هـذه الاعوام كانت تحمـل العشرات من القضايا الفنيـة والثقافيـة الخطيرة التى جـاءت التجربة الاشتراكية لتدخل معهـا فى صراع جـدلى مأمول ان ينتهى بانتصار الاشتراكية . لقد حفلت هذه الاعوام المشحونة باحـداث جسام على مسـتوى الوطن : حـرب اليمن ونكسـه ٦٧ والمراجعة الشاملة منذ عام ٦٨ وسقوط الاجهزة « الخاصة » والسرية فى مايو ٧١ .. كمـا حفلت بظـواهر ثقـافية كثيرة غيبتها الاجهزة الرقابية . ولكن الحاصل النهائى لهـذه الفترة فى السينمـا يأتى من خـلال مناقشتنا لمجموعة من الظواهر والقضايا التى برزت خلالها

■ افلام الطبقة الجديدة

بينت فيما سـبق أن الثورة لم تحسم الامر فيمـا يتعلـق بموروث المـاضى السينمائى . وعلى حين حسـمت الامر فى مجتمع النصـف فى المـائة والملكيات الكبيرة الا ان صيغتها للتحالف قد سـمحت بوجـود الملكيات الصغيرة التى استثمرت اموالها فى السينما متعلقة بروح موروث الماضى تمامـا . ولكن الخطر المباشر لم يكن قادما من هذه الشريحة ولكنه كان قادما على وجه التحـديد من مصدر جديد ــ مرضى ــ لاتعانى منـه الا الدول المتجهة نحوالاشتراكية ويتمثل هذا المرض فى ظهـور البيروقراطيـة أو الادارة التى

تملك حق اصدار القرارات الاقتصادية وتتصرف في الفائض الاقتصادى باسم الدولة والمجتمع . « **ومن هنا تنشأ موضوعيا امكانية احتكار البيروقراطية للسلطة السياسية والاقتصادية وحصولها على امتيازات اقتصادية ، وعندئذ تتحول البيروقراطية الى طبقة بالمعنى الكلاسيكي بالرغم من عدم ملكيتها القانونية لوسائل الانتاج** » كما ان الغلبة فى « **المجتمعات النامية للفكر الرأسمالي وللقيم البورجوازية والتقليدية وايديولوجية الطبقة الجديدة فيها هى ايديولوجية بورجوازية نفعية** «١» وعندما بدأت قوى الطبقة الجديدة تتجمع فى سائر الادارات مدنية وعسكرية كان محتما خلق انماط التعبير الملازمة لها فى سائر الاجهزة الثقافية . **وفى السينما وجد مايمكن تسميته بافلام الطبقة الجديدة وهى افلام تكرس التطلعات الطبقية غير المشروعة — اى تلك التى تفرزها التطورات الحتمية لقوى الانتاج وعلاقاتها داخل اطار مجتمع اشتراكى** — وكانت هذه الافلام تقوم فى الواقع بأبشع المهام التخريبية ، داخل القطاع العام . وقد نتساءل فى البداية لم عاشت البيروقراطية وبقيت تعزز قيم الطبقة الجديدة وتقوم بمهمتها التخريبية بعد عشر سنوات من الثورة ؟ واعتقد أن هناك تحليلا للعوامل الخاصة التى شكلت الطابع الفريد للثورة المصرية .. وفى هذا التحليل تكمن الاجابة الحاسمة — فى اعتقادى — على هذا السؤال : « **لقد شكلت الظروف الموضوعية والذاتية لثورة ٢٣ يوليو ملامحها الرئيسية وصاغت اسلوبها وحددت الادوات والمؤسسات التى استخدمتها فى عملية التغيير الثورى للمجتمع . اذ بدأت بانفجار فى السلطة انتهى بنجاح القيادة الثورية فى الاستيلاء على سلطة الدولة دون الاعتماد على حزب سياسى وبغير كادر اشتراكى كاف ، وبلا ايديولوجية اشتراكية . تم انجاز هذه العملية الثورية سلميا ودون تحطيم جهاز الدولة القديم، اى دون تصفية البيروقراطية القائمة وهى فى الاساس بيروقراطية زراعية رجعية ومتخلفة . وقد حكم هذان العاملان أسلوب التغيير الثورى للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية فلم يكن هناك مفر من انتهاج أسلوب الاجراءات الادارية الثورية** Revolutionary Statism **التى تعتمد على الدولة كمؤسسة اجتماعية ، ومن ثم على البيروقراطية فى انجاز المهام الثورية « الاصلاح الزراعى ، والتأميم والتصنيع » ، وقد خلق هذا الوضع فى بداية الثورة تناقضا جوهريا لايزال حتى اليوم يحكم حركة الثورة المصرية، وهو التناقض بين جهاز الدولة الموروث بتركيبه الطبقى والايديولوجى البورجوازى الرجعى من ناحية ، والمتطلبات الموضوعية للثورة الوطنية والاجتماعية ، ومقتضيات التنمية الاقتصادية من ناحية اخرى** «٢».

لقد أخفق تكتيك الثورة فى معالجة هذا الوضع ، وهو تكتيك ارتكز على الالتفاف والتطهير والتطعيم بالكوادر العسكرية . **غير أن مثل هذا التكتيك غير الراديكالى لم يأت بنتيجة بعد عشر سنوات .** وهاهى ذى آثاره قد بدأت تفعل فعلها فى أهم وأخطر انجازات الثورة : الاشتراكية . **لقد ضاعف نجاح البيروقراطية من توسيع الهوة بين القول والفعل وبين الشعار والتطبيق . وفى السينما خلق انماطا جديدة من الابطال واشاع قيما جديدة منافية للاشتراكية ومضادة للثورة تحت شعار افلام القطاع العام .** وفى مقابل تكتيك الثورة فى قطاع السينما العام استخدمت الطبقة الجديدة تكتيكها الذى افادت فيه من الثغرات الواسعة بالفعل — فى الروح التوفيقية « الثورية » . واعتمد تكتيك هذه الطبقة على **الصلات القوية بالكوادر القديمة ممثلة موروث الماضى التى تسللت فى اروقة القطاع وغرفه الداخلية .** وكانت **الخطوة التالية** الافادة من « **سكون** » القطاع الخاص التكتيكى عند اعلان انشاء القطاع العام توجسا وتدبيرا لكيفية الاقتحام وجسا للنبض — على طريقة اكثر احكاما من السنوات الاولى — ... ومالبثت أن انشقت الارض عن جيش من المتعطلين يريدون عملا فى قطاع عام الجماهير « **والدولة مسؤولة عن توفير عمل لكل مواطن** » و«**نحن فى مجتمع اشتراكى والكل يجب**

---

(١) راجع مقال عادل غنيم « حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر » « الطليعة » — فبراير ١٩٦٨ .
(٢) المصدر السابق .

ان يعمل » والعبارات سليمة ولكن « لمن » ؟ هذه خطوة اتخذ القطاع العام على اثرها قرارا بتشغيل هذا الجيش . ولكى يمكن تشغيله فرض ممثلو الطبقة مفهوما عجيبا : ان المؤسسة كيان تجارى هدفه الربح ولابد من انتاج افلام تجارية تنافس القطاع الخاص وتقضي عليه !! افلام « حرف ب» — سقوط مروع . القطاع الخاص يندفع فى العمل مادام وجود الراسمالية « الوطنية » مشروعا بنص الميثاق ومادام قد اطمأن الى أن القطاع العام قد صار محطا للعنات ! ولان احدا ثوريا لم يقدم حلا — كان محتما منذ البداية — لمعادلة الفن — الثورة فقد ساد خلط مروع بين مفهومى الفن والتجارة . وفى هذه الفترة سادت مجموعة من التناقضات الاخرى مضافة الى الخلط بين الفن والتجارة : تناقض بين جعل الهدف الكم ام الكيف ، الخدمة ام الاستثمار . لقد دعم هذا كله الانفصال الواقع بين قنوات الثقافة المختلفة فى مصر فغدت السينما كائنا معزولا تستثمره الطبقة الجديدة فى حرية كاملة . لهذا لم تتحول السينما الى ان تكون جزءا من البنية الفكرية التى صاغتها الثورة ومرجع هذا — بالاضافة الى ماسبق ذكره — الى ان البناء الاساسى الذىكان يجب أن يغير من شكل العلاقات المادية والانتاجية — والثقافية بالتالى — لم يصل الى الاكتمال قط . لقد نجحت الطبقة الجديدة فى قطاع السينما من ان تحول دون تحول الافكار والشعارات الى صور للمارسة اليومية المرتبطة بدلالات محسوسة للمواطن العادى ، فظلت الانماط الاشتراكية فى الافلام القليلة التى اقتربت من الواقع ميكانيكية الحركة فاقدة للحياة فى هذا الواقع وهكذا الغى الصراع اليومى بين الفرد والواقع ... وهو الامر الذىكانيمكن انيؤدى الى رؤية موضوعية للواقع اكثر تركيز أو وضوحا . ومن خلال افلام الطبقة الجديدة أصبحت الاجابة مستحيلة على اسئلة مثل : كيف يمكن التوفيق بين لفح الممارسة اليومية للاجراءات الثورية فى تلك السنوات وبين النموذج الهوليوودى الذى تعبده الطبقة الجديدة وتطالب منأجله باعتمادات خرافية النجوم والبلاتوهات والمعدات الفخمة ورؤوس الاموال ؟ كيف يمكن عن طريق هذا النموذج خلق نقط تماس بين الثورة والواقع ؟ واخيرا كيف يمكن التوفق بين طرفى المعادلة : استاتيكية الموروث موروثالماضى والحاضر القريب ، وديناميكية الثورة فى أرض الواقع ؟

لقد خرجت الثورة من الطبقة الوسطى لصالح الجموع ولكن أبطال الطبقة الجديدة ، فى افلامها لم يكونوا من الجموع . وفى الحق ان الابطال اولاد الذوات قد غابوا من الشاشة ولكن الابطال الجدد كانوا تحقيقا لحلم الظهور بمظهر اولاد الذوات . فهم يحصلون على مايريدون دائما دون ان تلطخ اياديهم الناصعة — حتى لو كانوا فلاحين أو عمالا — بقع طين أو دماء .. ظل نموذج البطل شيئا خارج الواقع اليومى المعاش للجماهير . ولقد انمى هذا البطل نوعا من تصاعدية الحلم ودفع بالنزعات الاستهلاكية فى مجتمع لم يكد يبدأ خطه الاشتراكى من أعمق أعماق المشاهد . وكان كل هذا متفقا مع بطل الطبقة الجديدة التى راحت تستغل فائضها الاقتصادى فى سلع كمالية . بطل لاينتمى الى مجتمع عدد عماله وفلاحيه يبلغ ثلاثين مليونا ونسبة الامية فيه ترتفع الى ٧٥ ٪ ! وافلام القطاع العام تقول : بطلة هذا الفيلم خادمة يطاردها الرجال ... « هى والرجال » لحسن الامام ... بطلة هذا الفيلم فتاة فقيرة مكافحة تعمل فى الكباريهات.. « الثلاثة يحبونها » لمحمود ذو الفقار .. وبطلة هذا الفيلم فتاة تريد أن تصبح نجمة .. « صغيرة على الحب » لنيازى مصطفى .. وبطل هذا الفيلم مخرج سينمائى سكير ... « القبلة الاخيرة »لمحمود ذوالفقار ... وبطل هذا الفيلممحام يقضى ... « الخائنة » لكمال الشيخ ... وبطل هذا الفيلم شاب رياضى تتنافس على حبه ... « عندما نحب » .. بطلة هذا الفيلم صحيفة تحب عاطلا بالوراثة ... « الخروج من الجنة » لمحمود ذو الفقار [٣]

وقد صاحبت هذه التغيرات الفكرية تغييرات غريبة فى هيكل المؤسسة والقطاع برمته . فلم يكد يمضى عام على التعديل

[٣] لمزيد من أبطال « هذا الفيلم » راجع « قصة السينما فى مصر » — كتاب الهلال — بسعد الدين توفيق — العدد ٢٢١ — اغسطس ١٩٦٩ .

الخاص بهيكل المؤسسة حتى صدر تعديل آخر عام ١٩٦٤ يقضي باضافة شركة أخرى للانتاج المحلي مع فصل التوزيع عن شركة دور العرض في شركتين مستقلتين . وبعد مضى ثلاثة اعوام ادمجت شركة الانتاج المحلي مع شركة كوبرو للانتاج المشترك في شركةواحدة مع اعادة دمج التوزيع مع دور العرض ، ثم بعد ثلاثة أخرى أدمجت شركتي الانتاج والتوزيع في المؤسسة ولم يكد يمضي عام واحد حتى حلت نهاية القطاع العام السينمائي مع تحويل المؤسسة الى هيئة السينما .

لقد كان هذا امرا يستعصي على الفهم ولكنه يحمل في طياته ستارا لما كان يدور في الخفاء : استولى منتجو القطاع الخاص على ٢١١ الف جنيه من اموال المؤسسة [المفروض انها اموال الشعب] لحساب افلام على الورق لم تنتج . كما بلغ اجمالي ديون القطاع الخاص — المشكوك فيها — من المؤسسة ٧٧٣ الف جنيه . هذا بالاضافة الى انه وجد احد عشر شخصا مدينين للمؤسسة بمبلغ يصل الى ١٢٠ الف جنيه ومع ذلك لم تطالبهم المؤسسة بتسديدها واستمرت في التعامل معهم مانحة اياهم سلفيات جديدة وجدير بالذكر ان اجمالي ديون هذا القطاع بلغت خمسة ملايين جنيه .

■ العزلة والسينما القومية

عندما وقعت نكسة يونيو كان ستار العزلة قد صار كثيفا حول السينما بحيث بدت في وضع شديد التخلف . ولقد رأينا كيف ان الطبقة الجديدة الاخطبوطية الطابع قد اجهزت على أية امكانية لتثوير جهاز الدولة القديم . واكثر من ذلك نجحت هذه البيروقراطية في قتل كافة المبادرات التي سعت الى رفع العزلة عن السينما المصرية بتغذيتها باشكال ومضامين جديدة تعكس تجارب فنية لدى شعوب ومجتمعات اخرى . لقد توسلت الى ذلك بوسائل مختلفة منها **تدعيم البيروقراطية الرقابية** التي لم تتزحزح عن قانون الرقابةالقديم الا قليلا والتي مارست كل الضغوط لترسيخ هذه العزلة ، ومن هذه الوسائل ايضا الاصرار **على استيراد الفيلم الامريكي** اساسا — تكريسا للمعبودالقديم — الذى ظلت بنوءة التلسماني عالقة به لم تتغير وبلغ نسبة ماتستورده مصر منه — وقد بدات التحول الى الاشتراكية — مايربو على ٦٥ ٪ من مجموع ماتستورده من افلام والبقية هي افلام « متأمركة » لا اكثر وظلت الشركات الامريكية تتأرجح بين اعتبار مصر قمامة افلام هوليود وبين الخوف من الضغوط الرقابية ازاء أفضل ماتنتجه هوليود القديمة أو الجديدة . وحين أمكن لبيروقراطية الدولة أن تبتلع الثورة صار الحديث عن خلق سينما قومية عبثا لا غناء فيه . **وبينما نجحت ثورات أخرى حديثة الاستقلال كثورتي كوبا والجزائر في خلق سينماهما القومية المنبثقة عن ثقافة الشعب فشلت الثورة المصرية في تحقيق شيء من ذلك** . بل ان تجربة الثورة الكوبية او الجزائرية في هذا المجال لم تكن محل دراسة او حتى دراية من اى من مسؤولي السينما في مصر . لقد اقتحمت السينما الكوبية والجزائرية اسوار العزلة الى العالم الخارجي كما رفع عن كاهليهما ثقل العزلة التي يمكن ان تفرض عليهما في الداخل . ولكنها طبيعة الثورة المصرية هي التي فرضت الاختلاف عن طبيعة الثورتين العظمتين . غير اننا حتى لو افترضنا ان دراسة من هذا النوع قد قدمت فلاشك في ان بيروقراطية الطبقة الجديدةكانت ستبادر على الفور الى اعداد تكتيكاتها الخاصة لسحق هذه المحاولة .

ان المشكلات والقضايا المتعلقة بخلق سينما قومية قد طرحت جانبا لتحل محلها العزلة بدعوى حماية الفيلم المصري من المنافسة غير المتكافئة وبدعوى ان الجماهير تقبل على الافلام المصرية ! وكلا الزعمين يلغي امكانية التفكير في السينما القومية بقدر مايكرس العزلة في الداخل والخارج على السواء .

■ الماضي ونقد الحاضر

في هذا الاتجاه تطالعنا الحقيقة التالية : ان الاجراءات الاستثنائية وسيطرة الطبقة الجديدة وتفشي البيروقراطية ثم أسوار العزلة التي فرضت بالتالي بين القيادة الثورية وبين المثقفين .. ان هذا كله اسهم بشكل أو بآخر في غياب نقد الحاضر واللجوء — في الادب

---

[٤] راجع الاهرام ٢٣ نوفمبر ١٩٧١ — « ازمة السينما » — ابراهيم عمر م .

والفن — الى الرمز والعودة الى الماضى للبحث عن موضوعات فيه . كان فى هذا تعارض صريح مع مواثيق الثورة التى أكدت على ضرورة ممارسة النقد الذاتى البناء . ولكن الحقيقة أن ذلك لم يكن ممكنا تماما الا فى فترة المراجعة الشاملة بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ .

غير ان ثمه مؤشرات هامة تدلنا على أن أفلام « **الحاضر** » والثورة كانت موجودة قبل عام ٦٨ . ومع تجنب خلق علاقات بين الماضى التاريخى فى « **صلاح الدين** » ليوسف شاهين او فى « **زقاق المدق** » « **وبين القصرين** » من فترة ما قبل الثورة مع الحاضر فان عام ١٩٦٣ — أول اعوام القطاع العام — لم يخل من اشارة الى علاقة بين الماضى والحاضر فى قصة الدكتورة لطيفة الزيات « **الباب المفتوح** » اخراج بركات . اما عام ١٩٦٤ فقد شهد عرض « **الطريق** » عن قصة **نجيب محفوظ** ومن اخراج **حسام الدين مصطفى** وهو الأمر الذى أدى الى تجريد القصة من مدلولاتها الرمزية دون البحث عن الاب وارتباط ذلك بالبحث عن الذات وهو امر يمس صميم الحاضر . والواقع أن **نجيب محفوظ** كان أسبق الادباء فى تناول الحاضر والتعبير عن أزمته . فى عام ١٩٦٥ عرض « **الجبل** » عن قصة **فتحى غانم** ومن اخراج **خليل شسوقى** وكان الفيلم على مستوى فنى طيب يعالج الصراع بين القديم والجديد وتحجر التقاليد فى الصعيد فى الوقت الحاضر ويدين الفيلم هذا التحجر ويربط بينه وبين الصورة الكلية للمجتمع — على مستوى الرمز — فى اطار الصراع بين الاجيال .

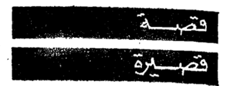
أما « **الحرام** » من اخراج بركات عن قصة **يوسف ادريس** فقد كان أهم أفلام هذا العام قاطبه من حيث معالجته للاوضاع السيئة التى يعيش فيها عمال التراحيل فى قرى مصر واقاليمها . لم يشب الفيلم من عيوب السينما التقليدية الا القليل وكان محاولة متقدمة فنيا وفكريا على صعيد نقد الحاضر . وفى نفس العام اخرج **يوسف شاهين** « **فجر يوم جديد** » الذى عالج فيه صور البورجوازية الباقية فى الحاضر وادان تفسخها ولاوعيها بما يجرى من تحولات فى المجتمع المصرى . . وعلى حين عاد **صلاح أبو سيف** بقصة **نجيب محفوظ** « **القاهرة الجديدة** » تحت اسم « **القاهرة ٣٠** » ليقدم افضل افلام عام ١٩٦٦ الا ان الماضى « الثلاثينات » كان هو الطريق هنا الى نقد الحاضر . صحيح أن أبو سيف ظل يتقدم بهذه القصة للرقابة منذ الاربعينات ولكن تجاوب الجماهير مع الفيلم — وخاصة نموذج محجوب عبد الدايم وادانتها له — قد جعل منه شيئا يشبه مايحدث فى الحاضر من انتهازية ووصولية وجبن واذلال على مستويات كان يدركها الجميع فى هذا الوقت . وعندما عرض « **ثورة اليمن** » « ١٩٦٦ » **لعاطف سالم** بدا الفرق بينه واضحا وبين « **جميلة** » « ١٩٥٨ » . وكلاهما من الافلام « **العربية** » . لقد جاء فيلما بالغ الضحالة لم يكشف عن اية أبعاد سياسية لحروب اليمن فضلا عن ترديه فى الدعائية الفجة . اما عام ١٩٦٧ عام النكسة — فقد شهد عرض « **الزوجة الثانية** » **لصلاح أبو سيف** وهو يعود الى الماضى الاقطاعى قبل الثورة ، كما شهد عرض « **جريمة فى الحى الهادىء** » **لحسام الدين مصطفى** الذى تناول فيه حادثة اغتيال اللورد موين فى القاهرة عام ١٩٤٤ ولكنه حول الموضوع السياسى الى مغامرة بوليسية خرقاء مثلما حول قصة **نجيب محفوظ** « **السمان والخريف** » من عمل ذى أبعاد اجتماعية — سياسية تمس الحاضر الى حكاية عيسى الدباغ كحكاية مألوفة خالية من أى دلالة . بيد ان أهم أفلام العام بل وأهم افلام هذه الفترة كان « **جفت الامطار** » **لسيد عيسى** — الذى قدم من قبل تجربتين فاشلتين — وهو من أفلام الفلاحين النادرة التى تناولت أوضاع الفلاحين فى القرى الجديدة بعد الثورة . ان صراع الفلاحين مع الارض الجديدة التى منحها لهم الاصلاح الزراعى وما لاقوه من ازمات بين الاحساس بالغربة عنها — بعد ترك أراضيهم الاصلية لجامعة المنصورة — وبين قسوة الحياة فى الارض الجديدة يمثل فى قمته تقديما **لابطال جدد فى مجتمع جديد . ولعله من أهم أفلام « الحاضر »** . يشاركه فى الاهمية فيلم « **القضية ٦٨** » اخراج **صلاح أبو سيف** عن مسرحية **لطفى الخولى** واهمية هذا الفيلم فى نقد الحاضر تتمثل فى كونه أول أفلام المراجعة الشاملة بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ . **لقد تناول الفيلم** بوضوح كاف **قضايا التنظيم السياسى وضرورة اعادة بنائه لواجهة تحديات المرحلة الجديدة** . وفى هذا العام الهام عرض فيلم **توفيق صالح** — الذى كان قد توقف منذ عام ١٩٦٢ — « **المتمردون** » عن قصة **صلاح حافظ** وفيه تناول توفيق صالح اخطر القضايا والمشكلات التى تعوق التطبيق الاشتراكى :

غياب الثورة عن الجماهير بعد تجمدها فى صورة شعارات استثمرتها البورجوازية البيروقراطية فغيبت دور التنظيم الشعبى . والفيلم يعرض هذه القضايا بوضوح ومباشرة — على طريقة برناردشو فى المسرح — مضحيا بجرعة الفن الضرورية لنجاح التوصيل . **غير أن نقد الحاضر يصل الى ذروته فى هذا الفيلم البالغ الاهمية** . وبينما يعود **كمال الشيخ** الى الماضى فى « **الرجل الذى فقد ظله** » ليصور مواطن الضعف فى الطبقة الوسطى **وتوفيق صالح فى « يوميات نائب فى الارياف » « ١٩٦٩ »** ليقدم التناقض القائم بين نص القانون وروح العدالة فى ظل مجتمع الماضى ، نجد **توفيق صالح** يعود من جديد الى **نقد الحاضر** فى رواية **صالح مرسى « السيد البلطى »** لينتقل بنا الى مجتمع فقير — مجتمع الصيادين — ليقدم صراعا يخوضه الفقراء دفاعا عن مصالحهم ضد تحالف ملاك المراكب . وانهمرت الافلام التى تنقد الحاضر — من مواقع مختلفة — فرأينا « **حكاية من بلدنا** » **لحلمى حليم** الذى كشف عن وقوع الفلاحين فى قبضة الاستغلال فى احدى القرى ثم « **الناس اللى جوه** » **لجلال الشرقاوى** الذى حاول فيه بالرمز أن يدين مجتمع الهزيمة ولكن دون تحليل كاف كما اخرج **كمال الشيخ « ميرامار »** عن **رواية نجيب محفوظ** الهامة ولكن بعد أن غفل عن محتوى الرواية الاصلى اما **حسين كمال** فقد أخرج « **شىء من الخوف** » الذى حاول فيه بالرمز أيضا دون تحليل أن يدين مجتمع الحاضر ادانة كاملة . فى عام ١٩٧٠ قدم **يوسف شاهين** فيلمه الهام « **الارض** » عن رواية **عبدالرحمن الشرقاوى** . ورغم أن الفيلم عودة الى الماضى فى الثلاثينات الا ان الاسقاط على الحاضر أمر وارد خاصة بعد ضياع « **الارض** » ووقوعها فى قبضة الاحتلال . **ولكنه اذا كان قد عاد الى الماضى ليستمد منه شيئا للحاضر ، فانه يلح فى الحاضر مباشرة فى فيلمه التالى « الاختيار » « ١٩٧١ »** الذى أكد فيه على الشيزو فرينيا التى اصابت المثقفين المصريين قبل يونيو ١٩٦٧ . وبقدر مايدين شاهين المثقفين بقدر مايوحى بامتلاءات الحاضر واكتظاظه بعوامل الفساد التى تستدعى مقاومة وثورة . وفى نهاية العام عاد **كمال الشيخ** مرة أخرى الى الماضى قبل الثورة فى « **شىء فى صدرى** » ليحدثنا عن ضمير الباشا « رواية احسان عبد القدوس » ! بينما توغل **حسين كمال** فى الحاضر من خلال أشد مناطقه تفجرا فى قصة **نجيب محفوظ « ثرثرة فوق النيل »** . ولكن حسين كمال يخفق فى أن ينقل العمل بصدق ربما لانه كان قد فقد قدرته على التذوق بعد أن غرق فى تيار التجارة ولكن الفيلم — حتى بشكله هذا — يمثل ولوجا الى قلب جوانب السلب فى مجتمع الحاضر لتعريتها وفضحها وكشف زيفها وعناصر الصدق فيها فى نفس الوقت .

فى عام ١٩٧٢ كان القطاع العام قد انتهى وتحولت الهيئة الى مصدر سلف وتمويل لافلام القطاع الخاص ...

لست هنا بصدد تقديم كشف حساب ولكن ينبغى أن اقرر هذه الحقيقة : **أن افلام نقد الحاضر والماضى كانت هى افضل افلام القطاع العام وكانت هى افضل افلام السينما المصرية** . لقد كانت امتدادا لافضل ما فى موروث السينما المصرية منذ كمال سليم والتلمسانى . ولنا ان نتصور لو كان القطاع العام السينمائى قد نجح فى القضاء على الطبقة الجديدة لكان ... ولكن ذلك لم يكن باستطاعته لان قائدة القطاع العام كانت هى الطبقة الجديدة نفسها ...

لقد نجحت هذه الطبقة فى أن تصادق على تعريف **مصطفى راشد** فى « **ثرثرة فوق النيل** » للاشتراكية .. « **ان الاشتراكية تعنى سيارة ملاكى لكل فرد من افراد الشعب** » « **للدراسةبقية** »



كلاب .. وخنازير

نعمان عاشور

هذه مادة لبعض الملامح العابرة التى تدتبدو مأخوذة من الواقع .. ولكنه الواقع الذى بداخله الكثير من الخيال .. وانكانت غير ذلك فى تقديرى .. لانها تستند الى حقيقة ان صاحبها موجود وحى لربماكان أسبق الى قراءتها منكم جميعا .. واعرف انه سيغضب .. ولكنه ايضاسيرضى ويبتسم لانه لايسمح للغضب بأن يشغله كثيرا ولا طويلا من اختراق ساعاتعمره على الصورة التى يجتازها به .. فى طلاقة واندفاع وما يمكن ان نسميهالطبيعة الصارخة فى أخذه للامور على علاتها .. مادامت تحقق اغراضه وتتفقمع رغباته واطماعه ..

وقد تعود الكتاببدائما انيمهدوا لاعمالهمالقصصية بالاعتذار التقليدى وهى انهما من نسج الخيال ولا عبرة بالاتفاق فىالاسم أو فىالمواصفات بين شخصياتها وأى كائن حى يصدق أن ينطبق عليهالمكتوب - وأنا أقول بغير الاعتذار للسيد عبد الموجود أننى حتى فى حالةالاسم لم أحاول أن أغيره الا فى حرفين اثنين فقط .. لاننى ادرك ان كل ماكتبمهما كتبتلنيضيره فىشىء .. وأستمحيه عذرا فى تقليب بعض الصفحات من حياتهالعامرة الغامرة .. الغنية بالوقائع والاحداث ..



والسيد عبد الموجود · ولا داعي لذكر الاباء والجدود شاب قد تخطى الخمسين، ولكنه لا يعترف بان عمره قد جاوز الخامسة والثلاثين ، ومظهره لا يدل على ذلك فهو في ريعان صباه بالفعل رغم انه يشغل وظيفة لا بأس بها · محال ان يتولاها طبقا لقواعد الكادر الادارى الا من شارف على الخمسين ، ومن مظاهر صغره في السن هذه الايام بالذات ·· انه يربي سوالفه ويطلق شعر راسه على اسلوب الخنافس وطبقا للموضة السائدة الشائعة كالشباب الجديد من ابناء الجيل الذي صعد بالفعل ، ولا احب ان استطرد في الحديث عنه بتهكم و سخرية ، فالرجل لا يعيش الا على احترام الناس له لاحترامه هو لهم ، لان الناس هم الذين يجب ان يحترموه ويبجلوه ، احتراما كاملا وتبجيلا تاما ، شاملا ·

والحق ان هذه كانت نقطة التركيز من يوم بدء حياته العامة ، بعد سنوات الشقاوة والضلال السنوات التي انتهت به الى الخروج من دون الحصول على شهادة ، في الوقت الذي سافر له ثلاثة اشقاء مبعوثين الى الخارج ، احدهم الان في مركز علمي جامعي كبير ، والاخر المهندس اصبح وكيلا لاحدى الوزارات ، والثالث رئيس مجلس ادارة مؤسسة عامة منتشرة الفروع ·· بينما شقيقته الاولى زوجة وزير ·

- « اى والله » ·· تصدق !! البت دى حظها كان دايما بمب » !! ومع ذلك فشقيقتها الاخرى ليست اقل منها ·· انها هي الاخرى زوجة لسفير ·· على ان الفضل كله يرجع للاستاذ عبد الموجود، انه لا يدعى ذلك طبعا وقد يدهش له ، ولكن اشقاؤه جميعا وعائلاتهم ، زوجات واولاد وبنات ، وشقيقتيه السعيدتين ضمنا ، والعائلة باسرها ، وكل من له صلة بها يعلمون ان الاستاذ عبد الموجود انه هو الذى جعل من الكل ماهم عليه وما هم فيه ·· وما يمكن ان ينتظرهم فيما سيجد من ايام سعيدة مجيدة مقبلة ·

نقطة هامة قبل ان ننطلق الى شيء آخر عن سيادته فهو اعزب ولم يتزوج ، ذلك ان رسالته في الحياة كانت منذ بدايتها ان يقوم بالاشراف على ما يسميه « تأهيل » البنتين » وزواج الثلاثة رجالة الاخرين ، وهو يجيب دائما كل من يسأله عن سر تضحيته هذه بنفسه ، بانه كان يستطيع ولا يزال يستطيع ان يتزوج بمن يشاء من النساء في اى مركز او مكان لكنه يفضل في وضعه الحالي ، ان يداوم على تحقيق رسالته العائلية ، والاشراف من بعيد على ازواج شقيقاته ، وزوجات اشقائه ··

ومن هنا تبدأ عظمة السيد عبدالموجود لانه في هذا الوضع الذى اختاره لنفسه ·· ولا تزعل يا اخ عبد الموجود من التشبيه القادم ، فانت في هذا الوضع الممتاز الفريد ، اشبه بالعنكبوت الذى يمسك بكافة الخيوط وكلها والحمد لله خيوط سهلة الجذب ·· سريعة التعقيد ·· في مقدورك انت وحدك يا استاذنا الكبير ان تلم شتاتها وتجمع اطرافها وتلفها او تلف بها فاذا بين اصابعك الجامعة بل الجامعات واكثر من وزارة ومؤسسة من بين عديد الوزارات والمؤسسات ، ولو فرض وانك اردت ان تنثر خيوطك من جديد ، لوصلت بك الى اوسع الحلقات، هناك حيث لزوج شقيقتك الوزير اوالسفير على حد ما زعمت بي عن اسرتك الكبيرة ·· شقيقة ·· ربما كان زوجها واسمح لى ان اصفه كما وصفته لى ·· كلب خنزير ولكنه يملك من المال ما لاتطيق حرمان نفسك منه ·

ولقد جاءت صفقتك الاخيرة عن طريقه وكانت على صورة سيارة جديدة ، هنأتك بها وانت تحييني عند الحلاق «نعيماء» ·· وانا اردد امام سرورك باعجابي بك ··

- اهودا الشغل التمام !!!

وما دمنا قد دخلنا الصالون وجلس الاخ عبد الموجود امام المراة ليحلق ذقنه، فليس انسب من ان اقدم لكم صورته او على الاقل ملامح وجهه فربما ولا شيء اصبح بعيدا او مستغربا في هذه الحياة ·· لربما لقيه احد منكم في اى معبر من معابر النشاط ، فاستطاع ان يستدل عليه من هذا الوصف · وبالتالي نال شرف معرفته وسعادة لقائه ، ناهيكم عن فخر التعامل معه ·

انت اذا تطلعت اليه مثلي من الجانب الظاهر بلمارة في الشارع وهو جالس يحلق ذقنه تراعك ان سوالفه سوداء فاحمة تطل على وجه داكن وقد لاتستطيع ان تتبين فيه اثار الجدرى الخفيف الا اذا اقتربت منه او وضعت يدك عنيه مع الاسطى سيد وهو « يدعك » له ذقنه قبل الحلاقة ، شعره ايضا فاحم ، تلمع خلال اطرافه بعض الشعيرات البيضاء الدقيقة التي تدعم ما يقرره الاستاذ عبد الموجود انه لم يتخط الخامسة والثلاثين · وعيونه ساهمة تحيطها جفون فاحمة نوعا وتبدو لاول وهلة خالية من اى بريق لكنه اذا رفع حاجبيه في استغراب ودهشة انطلقت من تحت رموشه ، اخطر نظرات ، نظرة الاحتقار والقسوة والكراهية التي يضمرها السيد عبد الموجود لكل انسان يحاول ان يخالفه او لا يستجيب لابسط رغباته خذ عندك مثلا ·· مادمت تتابعه معى وهو يحلق، الزبون الجالس على المقعد الاخر حين اخرج سيجارته وحاول ان يشعلها من ولاعة الاستاذ عبد الموجود قبل ان يعيدها صاحبنا الى جيبه ·· كيف نظر اليه !؟ وكيف اعطاه الولاعة !؟ ثم كيف اطفأ السيجارة كاملة ولم يدخنها !! ليشعر صاحبنا بانه كلب خنزير ·

وقد يبدو ذلك شيء بغير دلالة ، ولكنه اصل في شخصية الاستاذ فانت مادمت لا تحمل ولاعة ، وليس لديك كبريت فلا داعي لان تدخن او تطلب من الناس ان يشعلوا لك سجائرك وهذا المبدأ يطبقه على جميع الناس وعلى كل شيء ، فمن الممكن الاستغناء عن غير الموجود · ولا داعى لوجود ما يمكن الاستغناء عنه ·· هذه فلسفة السيد عبد الموجود ، وطبعا فلسفة لا تطبق الا فيما يخصك انت وحدك يا استاذ ··

- كده ولا ايه يا اخ عبد الموجود !!؟

يخيل الى انك تبتسم وانت تقرأ هذه السطور ·· وتهز راسك صامتا كمن يقول:

- طب كمل ·· اما نشوف حتوصل لحد فين !؟

وصدقني ياصاحبي انني عاجز عن الوصول الى شيء منك ففيك الكثير الذى استحال الوصول اليه ، مثلا هذه الثروة التي تقوم على جمعها ·· لاى هدف !! ولاى غاية ! فالثروة تجلب المكانة وتحقق السلطة وتكسب الشهرة ، وانت لامكانة! ولا سلطة ! ولا شهرة ! ولربما تكون مخفيا ذلك ليوم قريب او بعيد ·· مادمت لاتزال كما يحلو لك ان تكون في الخامسة والثلاثين من عمرك ·· تتستر على مستقبلك او تعيش وراء صورته مثلما اخفيت ماضيك ثم حاضرك وعشت وراء ماكنت وما انت اليوم ·· ولكن ! ما انت !؟ ومن انت !؟

رحم الله الوالد الكريم ·· كان في زمانه شيخ بلد في احدى المدن الريفية الصغيرة ، ومات بعد ان اجهز على ثروة العمدة واشترى نصف عقار المدينة لكنه اضاع هذه الثروة قبل ان ينتقل الى الدار الباقية وخلف لك علاقات وصلات وشقيقات لهن ازواج واشقاء لهم زوجات تزعم انه والله وحده يعلم مدى صدقك ·· انهم يملكون معظم الخيوط في اكبر البيوت ودعنا لا ندخل في التفاصيل او نحاول ان نمتحن مدى صدقها من كذبها، انما المهم ، الذى يهمك انت ياسيد عبد الموجود ويعلم الناس منك الخدمات الجليلة التي تؤديها لنفسك وتؤديها للناس ، في جميع المجالات والهيئات والجمعيات والتجمعات من اى نوع كان فانت تخرج من كل منها بصفقة كبرت او صغرت فهي صفقة ، اقربها الى معلوماتي عنك هذه المرسيدس التي وصلت اخيرا ثم مايعادل المائة الف جنيه مصري التي حولت على اسمك وكانت في الاوصل عملة صعبة ، وحولت بطريقة مباحة ولكنها غير متاحة ولا مستباحة الا لمن كان في مثل موقفك او على الاصح وضعك ام تراك تحب ان نقول مكانتك !!

فالحقيقة انك من ناحية المركز او المكانة انت كما تحب ان تفخر بذلك دائما ابدا، موظف صغير ذكره الا عند الذين يعرفون عنك شيئا او بعض شيء مثلى او مثل صديقنا الغلبان الاستاذ حمودة زميلك في المكتب · والرجل الذى تسخره لحمل اوراقك والتحدث احيانا باسمك وبالنسبة لكيانك فليس لك كيان عام ابعد من حدود امجاد العائلة وتشعباتها من النسايب والعدايل الذين كثيرا ما حدثتني عنهم ··

لكن لماذا تبتسم يا اخ عبد الموجود وانت تقرأ هذه العبارات !!! اتحسب ان خيوط حياتك وشخصيتك قد افلتت من يدى !؟ ·· ابدا فلتعلم انني لا اؤرخ لك او احلل شخصيتك ·· ولكن كل ما اروم ان احدد وجودك لان وجودك في حياتنا حتى الان ياسيد عبد الموجود هو خميرة البلاء ومحط الداء ومنطلق العناء فانت مواطن عادى لك كافة الحقوق التي كسبها في وطننا العزيز الغالي كل مواطن عادى ، غير انك ياصاحبي مواطن ممتاز ، وشر ما في مثل هذا المواطن ، ان يكون خفيا على قدر ما هو عادى ، ولا ضرورى للشرح والتحليل · واعفيك من سبابك العاجل وارحم نفسي منه فالحق



قولى قبل ان تصيبنى بلعنتك ، بميزتك الثانية وهى انك موظف بسيط وانسان مجهول .

وواحدة منهما تكفى لان تفتح لك كافة الابواب والمسالك مادمت تتمتع بما احاطتك به ظروف حياتك ومكونات شخصيتك من علاقات وصلات عن طريق الشقيقات وازواجهن .. والاشقاء وزوجاتهم .

كلب خنزير .. !!

وهو كذلك ياصاحبى .. انا كلب .. خنزير .. ولكن دعنى استطرد ولو قليلا فى التعرف على بعض جوانبك الاخرى ، مثلا ارائك السياسية ، وصلاتك الانثوية او ما يمكن ان نسميه حياتك الجنسية ، وكلاهما متمم للاخر ومن اقوم روابط العصر ومشاغله عند كل فرد حى مثلك يتمتع بكل ما تتمتع به من ثروة وفراغ .

فمن ناحية السياسة .. الله اعلم بما فى سريرتك ، ولكنك علنا وقولا وفعلا ايضا ، انك اشتراكى خالص ، وان تكن على طريقتك الخاصة ، وبمفهومك الذاتى .. اشتراكى ياعبد الموجود بك بمعنى الا مانع عندك فى ان تشترك او يشترك معك كل قادر على اتمام صفقاتك فينال ما قد يصل الى اكثر من النصف كنصيب تقدمه له بنفس الروح الاشتراكية المانية .. التى تدفعك الى مواساة الفراشين فى الوزارة ، والبوابين فى العمارة بهبات تصل احيانا الى اكثر من خمس جنيهات فى الشهر .

ومن ناحية الجنس .. فهو الشىء الذى قد يضنى غيرك ، ولكنه لا يتعبك ولا يضنيك ، بمعنى انك كرجل مازب ورجل غنى وصاحب اكثر من عمارة وتقطن شقة فاخرة وتقتنى شقة خاصة لا تقل فخامة تستطيع ان .. واسمح لى هنا ان اكتفى بآخر ما رويته لى عن التجمع النسائى الذى حدث ذات ليلة وجعلك تهرب ، من الشقتين لتنام فى الهيلتون تاركا اكثر من خمس نساء بينهن فتاة عذراء يتلهفن كمدا على الاستئثار بك ، وكما وصفت نفسك ساخرا « هارون الرشيدى » .. بالياء ياسيد عبد الموجود .. قد نطقتها بالياء عن غير قصد وكأن الخليفة الراحل المجيد صاحب التاريخ الذائع التليد .. ينتسب الى احدى انواع الارز .

او انه قد اختلط عليك لقبه .. مع احدى صفقات الارز الرشيدى التى ساهمت فى تصديرها قبلا !!!

ابتسم ماشاء لك الابتسام ، فقد كادت خيوطك بالفعل تفلت من يدى .. فمهما قلت عنك فسأعجز حتما عن تحديد ابعادك ، فانت هنا ، وهناك وفى كل مكان ، فى الصعيد وفى دمياط وفى رشيد ، فى الارز ، والبصل والخشب ، والحديد لا كيان لك .. ولا ثبات لك ، ولكنك موجود ياسيد عبد الموجود .

فمن اى جانب اخر استطيع ان امسكك ؟!

ان الشر الذى يصدر منك ، لا يمكن ان يشفع للخير الذى فيك .. اشعر انك بدات تهمل حديثى ، وليكن !! انا شخصيا خرجت عما كان يجب ان اكتبه ، ويقينى اننى لن استطيع ان اوفيك حقك ، والافضل ان ندرأ النفور والملال ، بواقعة صغيرة آخر ما حدث لك وعرفته منك ورويته لى انت بعضمة لسانك ، وكان جزائى فى النهاية لعنتك الدائمة فوصفتنى باننى .. كلب خنزير !!

انها واقعة الالفين جنيه التى كنت على وشك الحصول عليها ، والجود من الموجود ياسيد عبد الموجود ...

فقد وعدت الحاج المقاول الكبير بأن تساعده فى انجاز عطائه ولم يكن اقل عطاء مقدم ، ولكنه كان افضل العطاءات ، كما استطعت ان تقنع احد كبار العائلة من اصحاب المراكز .. وتمت الصفقة ورسا العطاء على الحاج السعيد فاذا بك تكتشف ان الحاج .. جزاه الله يستحق .. كان على صلة بمن هو اقدر على التنفيذ من قريبك المرموق .

واطلعك بصراحته وتقواه وعرفته على مجهود الاخر . وهو مجهود مباشر يفوق مجهودك الشفاهى بكثير ، يكفى ان صاحبنا الاخر اشترك فى وضع بنود العطاء ، او ربما كان من بين من قاموا بتوقيع العقد النهائى وباسمه الكامل وليس بالحرف الاول منه كما ذكرت لى وضاعت الالفين !!

ومرت الايام ! ودارت الايام ! فاكر ؟ فاكر !!

قلت لك وانت تروى لى الواقعة بكل تفاصيلها ، وكنت مغيظا محنقا رغم مرور الايام .. ان الحاج غفر الله له ، لم يخطىء .. لانه ماكان يمكن ان يظلم الاخر ، فصرخت فى وجهى باشمئزاز واحتقار .. كلب خنزير !!

ترى الى من كنت توجه سبابك ولعنتك ؟!

الى الذى وقع العقد على المبلغ !!

الى الحاج الذى نال الصفقة ودفع المبلغ !!!

الى نفسك بعد ان فقدت الصفقة وفقدت المبلغ !!!

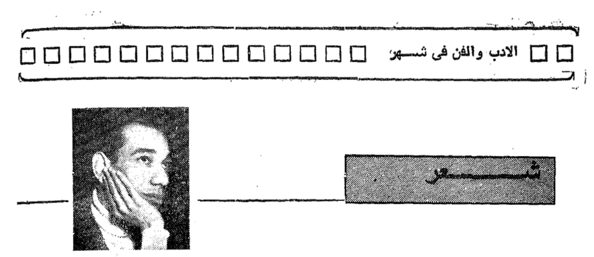
ام الى شخص الضعيف الغريب الذى لاصلة له بالصفقة ولا دخل له فى المبلغ ؟!

اقول لك الحقيقة .. ان هذه اللعنة .. لا يجب ان يستاثر بها احدنا دون الاخر ، فمنافسك والحاج .. وانت .. وانا معكم . كلنا كلاب وخنازير ..

ابتسم ياسيد عبد الموجود ..

ابتسم وهز راسك والعن ...

العنى معكم .. صفنى بما تحب ان تصف به الناس اجمعين ..



أمـل دنقل

العهـــــــد الآتى

نـــواة الرغبـــة فى تلمـــس الفعـــل

قد يبدو للبعض أن بطل [أمل دنقل] سوف يظل مصرا على أن يملا ،تقاطيع وجهه ، بتلك المفردات الخاصة التى أعطته ملامحه : منذ ديوانه الاول «البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » وحتى ديوانه الاخير « العهد الاتى » .

غير انني اعتقد أن بطله — على العكس من ذلك تماما — قد أخذ يخصب نفسه — فى بعض قصائد ديوانه الاخير — ببذور جديدة للتغيير .

حقيقة ، انه على الرغم من خصوصيته الشديدة ، لا يمتلك قوة بطل [درويش] تلك القوة التى تتفجر خارج نرجسية الذات ، وغزارتها ، وبطولتها الفريدة ، ولا يمتلك — أيضا — تلك الرغبـــة الجامحة ، التى تحول بطل [البياتى] الى فارس ، يسعى الى تغيير العالم ، كما أن همومه — أيضا — ليست هموم بطل [حجازى] . الذى يبحث عن ارض جديدة يزرع فيها بيرق الثـــورة العربية ، الذى يلفه حول جسده .

أيضا ، فان تمرده ليس تمرد بطل [سعدي يوســـف] ، الذى يرفض نصفه المتناثر بين شظايا الحياة اليومية ، ليضيف الى تماسك نصفه الاخر ، قوة جديدة .

ان بطل [أمل دنقل] ، منقسم على نفسه ، يعانى من جرح روحى غائر ، له عتاقة التاريخ وزيف الحاضر .. ، انه الصليب والمصلوب ، الرب والعبد ، القاتل والمقتول ، أن كينونته هى مشنقته .. اين اذن يمكن لنا أن نتلمس بذور التغيير ؟ وكيف يتأتى لنا — أيضا — أن نفسره ؟

ان هذا البطل الذى يبدو متأملا للعالم ، مهموما بواقعه الخاص ، مسحوقا تحت ضغوطه المستمرة ، عاجـــزا عن مواجهته أو تطهيره ، أو تغيير مساره ، تتبدى فيه — الان — نواة رغبة فى تلمس الفعل .. لعلها اكثر وضوحا فى قصيدته [الكعكة الحجرية] ، أو « سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس » ، حتى وان بدا أن هذا الفعل ، جنينيى ، خاب ماله من قرار .

لكن البحث عن تفسير لهذا التغيير المنتظر فى ملامحه ، ينبغى أن يتم داخل نسقه الشعرى ، وبين ظواهره الجمالية الخاصة ، لا فى دلالاته الفكرية العامة .

لقد تميز [أمل] منذ البدايـــة ، بقدرته على استحضار التاريخ . لكن همومه داخل ذلك التاريخ — على الرغم من التقاطه الجيد للاقنعة التاريخية من على رفوفة — تتبدى أساسا فى اللغة

ان [البياتى] — مثلا — يستحضر التاريخ ، استحضارا مكانيا وشخصيا معا ، فهو ينتقل بمفرداته بين [قرطبة] و [الحلاج] ، و « بحر الروم » و « سيف الدولة » — وهذا يجعل ارتباطه على العكس من [أمل] بظواهر الطبيعة قويـــا — لكن [درويش] يستحضر التاريخ ، استحضارا مكانيا فحسب ، انه يعطى صوره ولو كانت شمية ، بعدا مكانيا — [ورائحة البن جغرافيا] .. ولعل هذا ينطبق أيضا ، على [سعدى يوسف] — أنت لهم مكة الســـائح الاجنبى — وهذا يجعل ارتباطهمـــا بالارض — على العكس من [أمل] قويا ..

لكن لغة التاريخ ، هى سبيل [أمل] لاستحضاره ، انها اهتمامه الاول ، وهمه الاول معا .

غير أننا سوف نستخدم احدى قصائده كوحدة معيارية ، للتعامل مع الظواهر

الجمالية والفكرية المنبثقة من هـذا الاختيار ، داخل قصائد ديوانه الاخير .

● سفر التكوين ●

اذا كان [العهد الاتي] كعنوان، يضعنا قريبا من الانجيل ، فان قصيدة سفر التكوين ، تضعنا داخل صفحاته ، ان [أمل دنقل] لا يستعير عنوان قصيدته ولا عناوين مقاطعها الجزئيةمنه تحسب ، بل يستعير مناخها الكامل ، ومعالمها الطقسية ، بل وبعض مفرداتها اللغوية منه ، وهذه الاستعارة — المشروعة — تمنح القصيدة ، عتاقة التاريخ ، وحكمته ، وسلطانه الشرعى تتكون القصيدة منخمسة مقاطع ، يرتبها على التوالى فى خمسة اصحاحات،وهى على ذلك تشتمل على خمسدوائر [دائرة الل — دائرة الخلق — دائرة التجريب — دائرة الاكتشاف — دائرة التوحد].

[أولا] الموسيقى :

① التفعيلة :

أ — يستخدم فى الاصحاحات الاربعة الاولى بحر الرجز [مستفعلن — مستفعلن — مستفعلن] .

ب — يستخدم فى الاصحاح الخامس بحر السريع [مستعفلن — مستفعلن فعل] ..

فهو فى المقامين قد استخدم وزنا مفردا لا مركبا ، يحتوى على ثلاثتفاعيل وهذا البحر [الرجز] [الذى استخدم طويلا فى مرحلة جمود العقل العربى — بعد أن أغلق باب الاجتهاد — فى كتابه المتون — مثل ألفية ابن مالك —] يساعد طقس القصيدة التراثى . على الاحتفاظ بخصوصية مناخه ، خصوصا فى الثلاث اصحاحات الاولى ، غير أنه على العكس من ذلك ، يمثل عامل استقرار وجمود ، يكبل الدموةالمشحونة لتفجر الريح والدم فى الاصحاح الرابع.

② تدوير القصيدة :

استخدم [أمل] ما اصطلح على تسميته « القصيدة المدورة » ، أو الشكل العنقودي للقصيدة ، وهـذا الشكل — الذى انتشر كثيرا بين الاصوات الضعيفة هذه الايام — يضع حدودا واضحة بين الدوائر المتداخلة ، المختلفة الابعاد ، التى تتحرك فيها مفردات الشاعر . .. غير أنه على العكس من مناسبة هـذا الشكل لهذه القصيدة .. ، فانه فى قصائد أخرى [مثل صلاة] يؤدى الى انغلاق القصيدة وعدم قابليتها للتطعيم بموقف جديد ... — حتى انه يضطر الى تحطيم هذا الشكل ليفتح القصيدة المذكورة بالبيتين الاخيرين فيها وان كان فتح القصيدة على هذا النحو قد حول هذين البيتين الى ما يشبه الخاتمة ؛ الاضافية ، التزينية .

على أن تدوير القصيدة من جهة ، واستخدم هذا البحر من جهة ثانية قد أديا الى الاسراف فى استخدام النعوت [١٩ نعتا بالقصيدة ، وشيوع المضاف والمضاف اليه فيهما [٣٣ مضاف أو مضاف اليه] .

③ تطابق المقاطع المفصلية :

يتميز الاصحاح الثالث والرابع بهـذا التخطيط الهندسى الدقيق ، حيث تتطابق القوافى ، وتتماثل عدد التفاعيل فىبداية كل مقطع .

أيضا ، فسوف نجد أن مسافات هذه الاجزاء المعضلية من بدايات كل اصحاح ثابتة ، فهى تقع بعد عدد متساو من التفاعيل ، وعلى مسافة ايقاعية متساوية من نهاية الاصحاح .

لكن هذا التماسك فى البناء الهندسى للقصيدة ، ليس هو القاعدة فى بناء القصيدة داخل الديوان ، وانما هـو الاستثناء فيه !

سوف نلاحظ — مثلا — فى قصيدة « **سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس** » اننا يمكن أن نعيد ترتيب الاصحاحات دون اى اضرار ببناء القصيدة ، — فالاصحاح الثالث أو الرابع أو الخامس يمكن أن يستبدل أى منهم بالاخر ، بل اننا يمكن أن نسقط اصحاحا كاملا دون ان يتأثر بناء القصيدة — ولعلنا نجد قصائد اخرى مثل « سفر ألف دال » تخضع لنفس الظاهرة .

④ الاعتماد على الموسيقى الخارجية

يعطى استخدام هذه القافية النونية المركبة ايقاعا قويا فى نهايات الجمل وقصائد الديوان — بشكل عام — تتسم بارتفاع الموسيقى الخارجية وحدتها .

لقد شكلت الموسيقية الخارجية — والداخلية — [لامل] عامل اغراء بالتميز ، ولهذا اضرت بمفرداته اللغوية كثيرا ، لقد اضطرته — مثلا — الى استخدام بعض الاوصاف التكميلية لينهى بها جمله [قد تلاحظ فى استخدام العش والقشن [ص ٦ ، الصفحة الورقية ، (ص ٨٤) — ولعل ذلك أكثر وضوحا فى استسلامه لاغراء الطباق بين(أسلحة) و [أضرحة] — هى — حيث جعل نداءه ارفعوا الاسلحة ، كما لو كان صيحة عابثة .. فكلمة أضرحة لا تعنى الموات الذى أراد أنيواجهه بفعل الامر(ارفعوا)

ثانيا البناء بالصورة

ثمة ثلاث مستويات بنائية للصورة ، تبدو واضحة فىقصائد الديوان :الصورة الكلية — الصورة المركبة — الصورة الجزئية .

ان الصورة الكلية التى اشتمل عليها الاصحاح الاول ، قد نجحت من خلال صورها المركبة والجزئية ، فى أن تجسد لنا ما اراد هذا الاصحاح ان يقدمه . فالحياة آمنة (الشياه ترعى) ، وهادئة (الاوز يطفو فى بحيرة السقون) وملوله فى نفس الوقت (تنبض كالطاحونة البعيدة) .

قد لا يبدو أن هناك تفوقا خاصا فى رسم الصورة (وان اعتمدت على الصورة البصرية والسمعية معا) لكن — تقديرى — أن ما يجعل تقاطيع الصورة ممتلئة بهذه الواقعية والبساطة ، هو ذلك التجانس الكامل بين مستوياتها الثلاث . فعندما تهتز يد الشاعر فى التقاط صورهالجزئية مهما كان تفوقها الجمالى أو اللغوى — تتشكل فجوة غائرة فى الصوره المركبة وبالتالى الكلية .. ، وهذه الفجوة ترجع اساسا الى عدم التجانس أو التطابقبينالصورة الجزئية وبين المستويين الاخرين المشكلين للصورة الشعريةوليس الى فقرها الجمالى أو اللغوى .

ان الامثلة على ذلك كثيرة .. ، ان تعبير [قميص الفتنة] على الرغم من قوة دلالته التاريخية — يشكلنتوءا واضحا فى نسيج الصورة الكلية لهذا المقطع . لكن هذا ليس التفسير الوحيد لخلل الذى يلحق بالصورة الشعرية عند (أمل دنقل] فكثيرا ما يؤدى تغليف الصورة الحسية بتشبيه معنوى الى احداث نفس الاثر [وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف (ص ٣٩)] وهذه الحالة الاخيرة تلازم الشاعر فى الغالب عندما يلجأ — فى محاولاته القليلة — الى الاسقاط النفسى على الطبيعة من حوله .

(ثالثا) الاستخدام الرمزى :

استطاع (أمل) أن يؤكد على أصالة الشر وتأصله وعراقته باستخدام بعض الرموز الميثولوجية الواضحة . [الرجل المرأه — الشجرة] فى مقطع القصيدة الاولى . أيضا باستخدامه رمز [الحدقة الثابتة المدورة) — فالحدقة للنسر وهى مرتبطة بالقنص عند قدماء المصريين والرومان واليونانيين ، كذلك فان صفة

(المدورة) ترمز الى وضوح الشر وثباته عند قدماء المصريين أيضا .

لـكن (أمل) يقع أحيانا فى مواضع اخـرى من قصائــده فيما يمكن تسميته « الاستخدام المعكوس للرمز » كما فى بداية قصيدة سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس » عندما استخدم رمز يوسـف واخوته . ــ وفى قصيـدته الاخـيرة (حديث خاص مع ابن نوح عليه‌السلام)

(رابعا) اللغــة :

تظل العلاقة بين الصورة الشعريـة والرمز متوقفة على استخدام ذلك الكائن التاريخى المتسطور : اللغة . كمحـدد أساسى للعلاقة الجمالية بين‌صور القصيدة ورموزهـا .

واذا كانت هموم أمل واهتمامته‌الاولى فى اللغة ، لكنها كثيرا ما تجنى على تلك العلاقة بين صوره ورموزه .

ان استخدام كلمة (مشتبكة) ـــ فى نهاية الاصحاح الاول ـــ وهى ترجع على الغصون ، لا على الديكة لا تعطى معنى التداخل أو الكثافة وانما المشاجرة ، وبديلها اللغوى : متشابكة .

ولنفترض على نحو آخر ـــ أن [أمل] تعمد اختيارها ، ليعطى بذلك صـورة سمعية لاصطكاك الغصون ، تحت عصف الريح والحركة ، لكنه بذلك قـد أفسد الصورة الكلية التى حفرها على امتداد المقطع الاول كله لهدوء الحياة وسكونها. استخدام الكلمة على هذا النحوين اذا ، قد أدى الى خلل فى العلاقة بين الصورة والرمـز .

وسوف نجد ذلك أيضا . فى‌استخدام كلمة (يـذوب) بمعنيين : [يحـل] (ويتلاشى) فى سطر واحـد ، أو فى اسناد كلمة الشجن الى صحراء ، حيث لا تتسع كلمة ظل لتغطية هذه الصحراء النفسية التى صنعتها كلمة (شجن) .

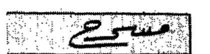
على أننا لابد وأن نؤكد ، تلك الملاحظة الاولية ، المتعلقـة بالاثر السـلبى ، لاستخدام هذه التفعيلة ، فيما يتعـلق بكثرة الالتجاء الى ملء الفواصل‌الموسيقية بالنعوت ، والمسند والمسند اليه ، وأثر ذلك ـــ من جهة ثانية ـــ على دقـــة استخدام اللغة ، وتحـديد العلاقة بين الصورة والرمز .

فاسناد كلمة (زنا) الى [نقود] فى البيت التالى : [.. الاغنياء الذين يصوغون من عرق الاجراء نقود زنا ..] يضع تناقضا حادا بين الصورة والرمز ، ان كلمتى [عرق] ، [اجراء] تمنحنا معنى محددا للاستغلال ، لكن اضافـة كلمة [زنا] تعتم هذا المعنى الاساسى والمقصود بذاته ، لتضىء من حوله معنى جنسيا أو أخلاقيا يحدث هذا التناقض ، وينحرف بالصورة وبالرمز معا عن‌ولايتهما المحـددة ..

سوف تبقى لدى ملاحظة متعلقة بتلك العمومية الشديدة ، التى تشيعها اللغة فى تقاطيع وجه بطل [أمل دنقل] وفى وجوه أعدائه أيضا [ابن آدم ـــ العدل الحب ـــ القاصرون .. كينونتى ـــ] .

لـكننى قصدت منذ البداية ، عندما تحدثت عن بذور التغيير ومن ملامحه ، ان هذه البذور مقبلة على تحطيم موسيقى القصيدة ـــ داخليا وخارجيا ـــ وعلى تجديد العلاقة بين رموزه وصوره .. ، وهى لهذا تأتى استجابة لحاجة جمالية جديدة فى قصائده ، وهى لهذا ـــ أيضا آتية لا ريب فيها □

أحمد عز الدين



الملــك معــــــــروف
المخلـص بين الأسـطورة والتاريخ

● لا شك ان الاهتمام الدؤوب لشوقى عبد الحكيم بالتراث الشعبى له دخل اساسى فى‌تميز تجاربه المسرحية وجديتها، بحيث اصبحت تشكل ملمحا خاصا فى مسرحنا . ومن هنا فان تقديم مسرح الطليعة اخيرا لمسرحية (الملك معروف) بعد اعادة صياغتها تحت اسم (مولد الملك معروف) امر يستوجب الاحتفاء والمناقشة الجادة ، خاصة ان الصياغة الاخيرة والعرض كما اخرجه سمير العصفورى يثيران فى رايى مسائل حيوية .

● الا ان دافعى الاساسى للتعليق على هذا العمل ، اننى وجدته منذ البداية يدخل بنا فى منطقة وعرة وغنية اجدنى مولعا بفهمها دائما .. وهى ما يمكن تسميته .. بمصر الاسطورة والتاريخ.. لنجده يوائم فى مكان من هذه المنطقـة بين رؤيا لها صفة الشمول المنسحب على التاريخ المصرى كله ، وبين احتضان فترة من التاريخ المعاصر .

● فحكاية الملك معـروف ـ ولهـا اساس شعبى ـ تضعنا منذ البداية امام عثرة المجموع الذى يلتف حول المخلص الفرد ويعلق عليه كل امل .. ليكشف لنا ذلك فى نفس الوقت عن ازمة الحرية الضاربة فى تاريخ هذا المجموع ، وهى علاقة لها دلائلها الكثيرة ، فمعروف هو فى الحقيقة اوزوريس مصر الفرعونية .. المعلم والمخلص ، وهو نفسه مسيح مصر القبطية .. الخلاص والفداء ، وهو نفسه حسين عاشوراء وهو فى نفس الوقت كل زعيم فى تاريخ هذا المجموع حين يلتف حوله كاشفا بالتشبث والقالية من عمق القهر وافتقاد المبادرة خلال سلسلة طويلة من معاناة الاضطهاد والسيطرة ، وهو الامر الذى ساعدت عليه منذ البداية خصائص الطبيعة فى لقائها بالتاريخ .

من هنا فبذرة المأساة كامنة فـى الواقع المصرى منذ القدم .. مأساة المخلص الذى يحمل العبء وحده وسط مجموع بلا مبادرة ـ سوى انتفاضات تأتى بغتة ـ ويكون النتاج الجدلى المحتوم ... هو التمزق للبطل او الصلب او التشويه واللعن ـ البديل المعاصر للصلب والتمزق ... وما اكثر الفرسان الان فى الساحة !

ـ وان كنا عند شوقى عبد الحكيم نجد ان النتاج المأساوى الذى اختاره لبطله هو العجز والعقم .

● الا ان الامر خلال كل الحلقات ـ تاريخا واسطورة ـ له وجهان نجدهما يلتقيان معا فى حكاية الملك معروف . فأسطورة اوزوريس فى صورتها الاصلية ومن خلال الممارسة السرية داخل المعابد، تقوم على مضمون تراجيدى .. فكرة الاله الممزق والذى يحمل منذ البداية التناقض داخله ـ خطيئة المعرفة .. هو آدم ايضا ! ـ اما الاسطورة وكما شاعت فى واقع الجماهير ، فتقوم على مضمون ملحمى .. فكرة اله الخير المنتصر ، حيث التناقض بينه وبين اله الشر ست . فالبطل التراجيدى يتحول فى الصورة المتداولة بين الجماهير الى بطل ملحمى ينتصر معه الخير فى النهاية . وكذلك نجد ان المضمون التراجيدى للمسيحية وهو الصلب ، يتخذ معنى ملحميا سكونيا وهو الفداء والخلاص حين يتلقفه الواقع .. حيث تجد معه الجماهير العزاء فى سباتها .

● اما عند شوقى عبد الحكيم فنحن ازاء الوجهين معا .. الوجه الملحمى للبطل لدى الجماهير ، حيث هو الامل والقدرة وبتسليم غيبى يصل الى مرتبة التقديس . والوجه الماساوى حيث يكتشف البطل عجزه وعقمه وسط شعائر التقديس .. وفى هذه المواجهة يسعى المؤلف لذى يمد ظلال الاسطورة بشمولها الى فترة فى الواقع المعاصر .

● هذا هو الاطار الاساسى كما فهمته فاثار انتباهى واعجابى ، غير ان الصياغة الاخيرة بتفاصيلها حملت الينا قدرا من الحيرة تغيم معها الرؤية فيما يخص العلاقة بين الاسطورة والتاريخ .

فالمؤشرات المعاصرة الاساسية فى العمل تؤكد انه يعنى فترة من تاريخنا (التاميم وزمن الحراسة والتعاونيات .. الخ) وهو بالتالى يعنى معروفا بعينه . غير اننا نجد هذه الفترة تتداخل مع فترات اخرى (على سبيل المثال وجود الشرائح الطفيلية بحجمها وموقعها الحالى) كما اننا لا نجد معروف المسرحية متطابقا مع تلك الفترة او مع البطل الذى يعنيه .

ومع حشد التفاصيل الذى يجرنا الى الحصر ويدفعنا جزء كبير منه الى منطقة منه بالتحديد تتأكد لدينا هذه الحيرة . ولا شك ان هذه الحيرة يمكن الا تساورنا ازاء النص الاصلى حيث يخلو من اى مؤشرات عصرية ، ويمكن ان نراه كتنويع على النغمة الاساسية فى الاساطير السابقة ، فى ظل روح الحدوتة والطبيعة الشعائرية لكتابات شوقى عبد الحكيم . الا ان الامر يختلف هنا ويدفع الى التحديد مادمنا اردنا الاشتباك مع تفاصيل الواقع .. وذلك بداية من معروف ..

فمعروف يبحث لشعبه عن العدل والتقدم ، ونبل مقصده واضح الا ان موقف العمل منه غير واضح . فاحدى الشخصيات تصفه بأنه « **رومانتيكى اهبل ، بريل**) ونبرة التهكم بهذا المعنى تتكرر وبالحاح يدعمها تصوير نتائه ونبله فى بعض المواقف بما يدخل فى دائرة السذاجة ، يتعارض ذلك فى نفس الوقت مع دلائل اخرى مثل طبيعة دعوته الى العقلانية ورفض الموروثات البالية ، واذا كانت دعوته مفهومة فماذا تعنى وسيلته الى ذلك بالتنازل عما يملك والعطاء من جانبه حتى لا يبقى له غير ثوبه ، كما ان معاناته المبهمة تدفع الى السؤال : من كان يصارع من اجل هدفه حتى ادركه الكلل ؟ وليس امامنا سوى زوجته ووزيره ولم يحملا غير الاحتجاج عليه بخيانته كزوج ثم الفرار الى ديار الملك العون . وبعد ذلك يكون السؤال : ما هو **مصدر عقمه بالتحديد ؟**

● **ان ثمة حلقة فى رايى بتواجدها كاملة تترابط كل العناصر وبغيرها لاتتسق الامور ، اعنى موقف المجموع وعلاقته الجدلية بموقف الملك معروف .** وبلورة هذه العلاقة يتسق فى النهاية ويكمن ما نراه منذ البداية من المجموع وحتى يقيم مقاما لمعروف وحلقة ذكر تاكيدا لغياب المبادرة الجماعية على التغيير ، ومن هنا تطل امكانية التفسير الحقيقى للعقم .

والعرض كما اخرجه سمير العصفورى بالصياغة الاخيرة ، يثير نقاطا هامة بما فى ذلك مواجهته لجانب التارجح المشار اليه من خلال ادوات العرض المسرحى .

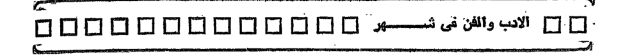
وابدا بهذه النقطة لاجد ان ثمة محاولة واضحة فى العرض كيمايكون التاريخ والاسطورة على امتدادهما ماثلين بما يعطى الغلبة لطابع الشمول على تفاصيل العصر . وكانت اهم الوسائل هى التركيز على المشاهد التى تربط بين حكاية معروف والارضية العريضة المشتركة للاسطورة، مثل ربطه بوضوح بين معروف واوزوريس فى اكثر من مشهد ، وربطه بين معروف والمسيح ، وكذلك بعض المشاهد الاخرى مثل مشهد استعراض وسائل الاغتيال المعروفة على امتداد التاريخ وهو المشهد الذى جسده فى الخلفية بين الزوجة والوزير وبتأثير يؤكد هذا القصد ، وكذلك من خلال وسائل اخرى مثل الخامات المستخدمة فى العرض وتنوعها الممثل للبيئة المصرية منذ القديم ، وكذلك من خلال الملابس بدءا من ملابس النسوة **الرويات ذات الطابع الفرعونى ، وايضا** توظيف الموتيفات الشعبية والماثورات فى هذا الصدد . غير ان تفاصيل العصر ظلت ماثلة وظل موقف المجموع داخلها معلقا ، ولست اعتقد ان الشرائح التى استعملت قدمت حلا حقيقيا لذلك .. وان اكدت احساس المخرج بالمشكلة .

والنقطة الثانية تثيرها مقدمة المخرج التى تسبق العرض والتى تشير الى ان التجربة محاولة على طريق خلق مسرح مصرى لحمة وسدى . وهذه القضية قد نوقشت كثيرا والتجارب معها قد رجحت شيئا اساسيا ، هو ان الجميع يلعبون لعبة المسرح بادوات واحدة مهما تنوع استخدامها .. ادوات اصبحت مشاعا بين العالم ولا مفر منها .. والفسحة الوحيدة للاصالة هى فى صبغ هذه الادوات بالصبغة المحلية او القومية من خلال التراث ومن خلال الطبيعة الخاصة بتاريخنا ومن خلال الملابسات الخاصة بواقعنا وغيرها .. وهو امر ينصب على الشكل وتفاصيل المحتوى ايضا واذا كان الامر بهذا المعنى وفى هذه الحدود فلا شك اننا امام اجتهاد لتاكيد صبغتنا الخاصة فى لعبة المسرح ، ولا شك ان هذا الاجتهاد ـ وهو ينطلق من النص اصلا فى صياغته الاخيرة ومن طموح خاص لدى المخرج ـ قد تم توظيفه بشكل اساسى لتوفير فرجة مسرحية نابضة ومتميزة ـ برغم الاطالة وبعض التحفظات ـ وفى هذا السبيل كانت ثمة محاولة واضحة لاعطاء الطابع الشعائرى المعهود فى مسرح شوقى عبد الحكيم ـ او ما بقى منه فى الصياغة الاخيرة ـ نبضا شعبيا حيا من خلال كل الاشكال الفنية الشعبية التى استخدمت فى التجربة بحذق يجمع بين روح التلقائية وبراعة الحرفية .

الا اننى اود ان اشير الى شىء هام ، ذلك انه من الممكن ان تكون السوقية المقصودة مطلوبة بالنسبة لبعض الشخصيات او المواقف وكذلك استخدام الفارس ، ولكن بغير الحساب تصبح عدوى ضارة تمس العمل شكلا ومضمونا وهى فى جانبها الضار لها صلة هنا بمسألة الاطالة التى تحتاج الى وقفة ايضا .

● وامام الطاقات الشابة التى تشى بمخزون كبير من الخصوبة اتوقف بالاعجاب .. امام الممثل الخلاق **فاروق يوسف** (الوزير) **وابراهيم عبد الرازق** باجتهاده المعذب فى ان يمسك بجوهر شخصية معروف المستعصى **ومحمود القلماوى** (الحكيم) **ومحمود الجندى** (المهرج) **ورؤوف مصطفى** (الملك العون) **وصبرى عبد المنعم** (الامير بدران) .. وكذلك الروايات ايضا الشعراء الثلاثة وان كان اداؤهم قد ساعد على اللبس الشديد فيما اذا كانوا ادعياء أم مثقفين حقيقيين لهم قوة الكشف ويبقى صوت **سهير طه** وحضورها العذب امرا يستحق التنويه .

يسرى الجندى



تعـليـق

أهــل الكهـــف ٧٤

وبعـــد الواقـــع
فى مسرح محمود دياب

تشكل مسرحية « أهل الكهف ١٩٧٤ » لمحمود دياب اكتمالا ناضجا وشجاعا فى رؤيته الفكرية والدرامية ، والتى يمكن تحديد مسارها فى تتابع أعماله القريبة : « باب الفتوح ، وثلاثية الرجل الطيب ، ورسول من قرية تميرة للاستفسار عن الحرب والسلام ، وكلها قد تعرض للعسف والرقابة والمنع فى ظروف السقوط الذى يعيشه مسرحنا الرسمى .

ونظرة اجمالية لاعمال محمود دياب تكشف عن وحدة موضوعه الدرامى ، بدلالته وقصده الاجتماعى :

سنجد من البداية فى مسرحيته الاولى [البيت القديم] زواجا مصطنعا يتم بين الارستقراطية المصرية المنهارة وابن الطبقة المتوسطة ــ المهندس ابن ساعى البريد ، هدف هــذا الــزواج هو أن تجـــدد الارستقراطية حياتها فى طبقة جديدة هى بطبيعة مصالحها بعيدة عن مصالح الجماهير الفقيرة ، حدث ذلك والشعارات الاشتراكية والحديث عن العدل الاجتماعى كان مرتفع الصوت ، فى حين كان دعاة الاشتراكية مطاردين ، ولان الكاتب غير رافض لهذه الشعارات وفى نفس الوقت يدرك بوعيه مدى ركود الواقع الاجتماعى وعدم تغييره الى الارقى والاكثر عدالة ، بحث عن اسلوب بسيط ومفهوم ، فمادام الانسان المصرى المقهور المستغل هو موضوعه فليصبح أيضا جمهـــوره ، لذلك كانت مسرحيته [الزوبعة] نوعا من النبوءة للانهيار الذى حدث فى ١٩٦٧ .

فثمة هدوء يسود القرية ، ولكنه هدوء على السطح ، فالشعارات وحدها لا يمكن أن تصنع هدوءا أبديا ، فما أن هبت زوبعة على القرية وشعر من دبروا الجريمة أن الحساب على وشك الوقوع بعودة [حسن أبو شامة] حتى انهارت الاقنعة وظهر القبح والجريمة والخسة الممثلة فى أصحاب السطوة والملاك .

ثم جاءت [صنيورة] فى [ليـالى الحصاد] [١٩٦٦] أملا يبدو فى متناول كل انسان فى القرية ، ولكنها فى حقيقة الامر تستعصى على أى انسان فيها ، فلا يملك أهل القرية الا أن يشـــوهوا صورتها ، وثمة شحنة رمزية غاية فى العمق بين الفتاة الجميلة اللعـــوب [صنيورة] وبين مراوغة وغموض ما طرح من حلول لاهل قريتنا عن المستقبل ان هذه المسرحية الفذة فى بنائها المتقن المعقد وتعدد مساراتها ، بين الواقع والوهم ، العينى والمتخيل ، لتلقى من بعيد نظرة حسية ونافذة لجوهر ازمة الفلاحين فى قرانا العديدة المظلمة حيث يلتقون فى [ليالى الحصاد] منهكين ، يمارسون التشخيص فتبرز على الفور ، مجتمعات وندوب واكذوبة الدورة الحياتية التى يعيشونها .

ذلك أن هدف التشخيص هنا هو الوهم ، وان صحة الوهم هى التى تضمن كمال التقليد ، وبذلك يحاول المسرح الوصول الى شفافية صافية ، وينحصر كماله فى تلاشيه نفيسه ، ويزول الحـــاجز بين الصالة والجمهور ، وينتصر الخيال فى تناسى أكاذيبه ، وتلك هى ببساطة غاية المسرح الواقعى ، التى اكتشفها [محمود دياب] لانه أدرك أن مضمون الدراما يتألف من صراعات الناس فيما بينهم ، وصراعاتهم من خلال ارتباطهـم بمختلف مؤسسات الدولة ، أدوات القهر فى مجتمع طبقى .

وفى نفس هذه المـــرحلة ، قالت مسرحيته ذات الفصل الواحد [الضيوف] وبطريقة زاعقة ، ان قيما ما تطرح من الزمالك وان تكن الاشتراكية نفسها حين تصل الى القرية تتحول الى مكاسب لبرجوازيتها

هذه الرؤية المستقبلية التى قرأت بعيون ضاربة الودع ملامح الكارثة والانهيار ، كان عليها أن تستعيد كفيرها توازنها وتستوعب تفاصيل الانهيارات التى تعاقبت نتيجة أخطاء تاريخية قاتلة معروفة لكل ذى بصيرة ثورية ، فأيا كانت تحديداتنا لازمة ثورتنا التى عشناها فالمســـئولية قائمة على الجميع ، لذلك كانت سمات مرحلته الجديدة بعد صمته وتجـــديده أدواته التعبيرية ، والتى بدأت سنة ١٩٧٠ بكتابة [ثلاثية الانسان الطيب] وحتى [أهل الكهف ١٩٧٤] طرحا ناضـــجا لبداية الحل الجذرى ، فالمسرح هنا يصبح أثار طاقة ونشـــاط ، والتزام وحرية ووجدان ، فثلاثية الانســـان الطيــب موضوعها القهر ، انها ثلاثة ألحان منوعة ومتناغمة تلتقى فى النهاية فى لحن القرار الذى يدعو بصراحة وتحريض للقيام بفعل ثورى جذرى ، فالرجل الطيب يظل فى حيرة من أمر هؤلاء [الغـــرباء اللذين لا يشربون القهوة] ، ويحملون بطاقات صفراء ، وينتهكون حرمة بيته بقسوة ويكتبون عنـه عديد الملاحظـــات ، ويتصرفون كما لو أن شيئا مدبرا سيحدث ،

دون اهتمام بالرجل ، وهم يتكاثرون ، لانه فقط يتكلم ولكنه يدرك فى النهاية ان لا حل الا فى حمل بندقيته واستدعاء ابنه للوقوف فى وجه الغرباء .

وفى [**الرجال لهم رؤوس**] تقتحم الحياة الراكدة لموظف سلبى هدية غريبة : صندوق به جثة بلا رأس ، ثم تصل الرأس بعد ذلك ، وفيها ملامحه نفسها ، لقد ظل عشرين عاما يرى الأخطاء ولا يتكلم ، وها هو الان متهم بلا قضية ، وأمام محكمة لايعرف قضاتها ، غير أنه يدرك أن عشرين سنة من اللامبالاة هى المسئولة من ذلك ويصيح « انى مسئول من القتيل ، وعن دعواه ضد من سفكوا دمه ، انى لاشعر شعورا عظيما بأن الايام المقبلة ستكون أياما قاسية ، ولكنها فى نفس الوقت ستكون أياما عظيمة ، الجثة تخصنا بلا ريب ، وقضيتها أيضا حتى نهايتها » .

وأخيرا نصل لحن القرار وهو الانتظار القلق الذى طال عشرين عاما ، فمن خلال انتظار عايدة للامل وفارس الاحلام ، فى [**اضبطوا الساعات**] يجسد الحوار وحركة الحدث وايحاء المشاهد ، رؤى زائلة لمجتمع مقبل ، معد للتحويل واعادة البناء ، وليس صورة ثابتة لعالم ثابت تدعم سلطة الوهم أسسه .

ان هذه المحاولة فى ثلاثية [الانسان الطيب] كشفت عن قصدها الواعى الصريح فى مساهمة [محمود دياب] فى ما يمكن تسميته [الدراما والثورة] فى مسرحية [**باب الفتوح**] ، فلم يعد هناك مجال للمواربة والافتعال فى الرموز انها تقدم تفسيرا لسقوط انتصارات [صلاح الدين] ، ففقراء المسلمين هم الذين صنعوا انتصاراته ، لكنها تحولت كلها الى مكاسب لطبقة قواد الجند والتجار ، فكان طبيعيا أن تسقط لانها لم تجد من يحميها ، ان السيف وحده لا يصنع انتصارات حقيقية للشعوب ، فلابد أن يسانده الفكر ليحقق العدالة الانسانية .

ان [محمود دياب] يستعيد هنا قدراته فى احكام البناء الدرامي — كما عودنا فى [الليالى الحصاد] ، فهو يعقد بشاعرية أصيلة زواجا شرعيا بين الواقع المعاصر والتاريخ ، دون أن يفقد موضوعه سخونة الواقع وصدقه ، فنحن لا نلتقى صلاح الدين ، ولكننا نشعر بتداجده طوال المسرحية وعلى ثلاثة مستويات مسرحية متوازية ومتقاطعة ، نجد أنفسنا فى جوهر قضية معاشة فى واقعنا العربى ، حيث أصبح مصيرنا السياسى خاضعا لنوعية جديدة من العسكرية ذات الوصاية على الاخرين تخطط وتحلم وتنتصر وتنهزم باسمهم وهم غائبون عن الصورة ، رغم **أنهم الضحية الاولى والاخيرة ، لهذه السياسات** .

ومناقشات الشباب هنا لقضية [صلاح الدين] تبدو وكأنها تدفع مختلف الدول التى تتنازع الدراما المصرية منذ مولدها الى أقصى حدودها .

وبعد [باب الفتوح] صار كل شىء واضحا شكلا ومضمونا [**ان رسول من قرية تميرة**] تربط بشكل حاسم بين المعركة الداخلية والمعركة الخارجية ، وتقول ان المعركة الخارجية لن يتحقق النصر فيها الا اذا استطاع الشعب أن يحقق انتصارا حاسما فى الداخل ، فمصالح البرجوازية المصرية هى فى الحقيقة ضد أى انتصار حقيقى فى المعركة الخارجية .

لقد أرسل أهل [تميرة] الكفر المجهول الذى لايربطه بالعالم غير [ترانزستور] ، وجرنال واحد يقرأه [أبو عارف] ورغم ذلك فهى كالة فى الكفور المصرية المعتمة الفقيرة ، أعطت بسخاء أبناءها للمعركة ، وعندما ، وقف اطلاق النار وفتحت الثغرة ، عاشت القلق الرهيب ، فهى لا تعرف ماذا يحدث فى العاصمة ، وأخيرا تقرر ارسال [أبو عارف] الى مقر الجرنال والى القيادة ليستفسر عن مسألة الحرب والسلام ، فتكون النتيجة الا يجد [**أبو عارف**] من يسأله بل يتحول هو الى موضوع مثير لتحقيق صحفى تكتبه احدى الصحفيات المدعيات .

انتساؤل [أهل تميره] قائم حتى الان ، غير انهم عرفوا الطريق عندما حملوا الفؤوس ضد أطماع [الحاج دسوقى] ثم [المجند] الشهيد فكرى] الذى اغتال أرضه وهو هناك ، يحارب .

ولقد عانت هذه المسرحية رغم عمق ووعى مضمونها ترهلا فى البناء ، ولم يكن [محمود دياب] موفقا فى المشاهد التى أبرزها بسخرية غالى فيها عندما وصل [أبو عارف] مقر الجرنال .

ولكن لان الواقع المصرى يقذف أبدا بمادة جديدة ويسمح للمادة القديمة أن تختفى عن الانظار ، ولان [محمود دياب] قد اختار قضيته وايقاع مسرحيته من جدل الأحداث الخارجية مباشرة أمام المشاهد ، والمشتملة على جميع سمات اللحظة القائمة أو على العديد منها ، فقد أبدع أخيرا ، [أهل الكهف ١٩٧٤] كتحذير واستغاثة لانقاذ الشعارات التقدمية التى عشنا نؤمن بها عشرين سنة .

انها مشاركة وجدانية فى البناء الخلاق لعالم لايزال فى طور التكوين مع اكتشاف ايقاعه الداخلى ، فحدث المسرحية له ايقاعه ونموه «ودلالته التى تضعنا فى قلب الاهتمام العام ، الذى يظلل حياتنا عندما بدأت ، تبعث [جثث طبقات متعفنة] وقوى استغلالية ، بدأت تطل برأسها فى حياتنا ، تحتل الجرائد ووسائل الاعلام ، ومراكز النشاط الاقتصادى تحت أقنعة غريبة وشعارات مستهلكة ، كانت أول من عبث وضحى بها .

لقد تحول قصر «ميم باشا » الى مخزن للتحف والتماثيل يحرسه عم حسان المصرى الطيب الذى كان يوما خادما لهذا القصر ، وفى عهدته تسعة تماثيل شمعية فى الحجم الطبيعى ، ولهذه التماثيل طبيعة غريبة ، فاذا دققت النظر فيها تدرك أنك كنت تعرف هذه الوجوه من صورها ، التى كانت تملأ صحفنا فى صفحاتها السياسية أو صفحات المجتمع ، وذلك فى مطلع الخمسينات ولان أمرا قد صدر باصلاح الكهرباء فى القصر وفتح النوافذ بعد عشرين عاما ، فقد دبت الحياة فى التماثيل ، وبدأت تتحرك ، لقد كان [حسان] يعيش دائما أزمة قريته [عزبة الحنيش] حيث المسائل تختلط هناك اختلاطا شديدا ، حتى ليستحيل أن تفرزها وتسميها ، كذلك كان يطارده كابوس غريب ، هو صاحب القصر ووراءه جمع من الناس وفى يده سكين كبير ، ويظل يجرى ويصرخ فى ظلام لا ترل فيه نجما فى السماء .

ولكن يبدو أن الكابوس .. اصبح حقيقة ، فما أسرع ما جاءت الاخبار عن انطلاق التماثيل هنا وهناك ، وهم الذين طالما قيل عنهم أنهم أصبحوا فى ذمة الماضى .. ان صوتهم يعلو على لسان الصحفى [كاف . كاف] المدافع عنهم قائلا [أيها السادة ، لسوف تعود أسماؤكم الى الصفحات الاولى ، كأبطال بعد أن لحقتكم الاهانة ، يحزنكم سنوات ، ستزول كلمات وتعود كلمات للظهور .. ستعلوا أصواتكم من جديد .. امنحونى ثقتكم واجعلونى .. لسانكم الناطق ، باسمكم جميعا ، ولكن أطلب منكم الكثير .. اننا نعيش عصر الثورات .. فلنعلنها ثورة .. لتعرف فى التاريخ [بثورة التماثيل وعلى الفور يتجمع الفقراء من الفلاحين والعمال وصعاليك المدينة ، يسخرون من عودة هؤلاء ، غير أن الامر أجل من السخرية ، فصوت [حسان] الواقف على الباب عاقدا العزم على عدم السماح لهم بالمرور الا على جثته يثير الاخرين ، حتى يصلوا الى الحل الصحيح ، ويرتفع الصوت المتعقل .. صوت المستقبل .

« ان التماثيل تنطلق الان فى كل

مكان ، لقد أطلت رؤوسهم من الجرائد وأصبحوا يشاركوننا حياتنا ، وان عددا منهم انطلقت فى بعض القـــرى والمدن الصغيرة ، فراحت تطارد الفلاحين ، وتشعل الحرائق فى المصانع والتاريخ يشهد بأنه عقب كل انتصار تحققـــه الجماهير ، تنطلق بعض التماثيل التى تشبه هؤلاء ، لتحاول ايقاف عجلة الزمن، لهذا ســأقف على تلك البوابة ، حتى لا أدع تمثالا واحدا يخرج الى شوارع المدينة لن اسمح لعشرين سنة مــن عمرنا أن تضيع هباء ، ويسدل الستار ببطء على جموع الناس ، تزحف على البوابة ، فهل تتحقق الرؤية ؟؟ .

ان هذه المسرحية فى النهاية تتمسك بحيوية المسرح بقدر ما تتمسك بانسانية الاشخاص ، غير ان الواقع الفانتـــازى الذى يخلق على هذه الشاكلة لايستطيع الا أن يلم بالواقع بصورة ناقصة مختصرة فان الاحداث الواقعية كانت هنا مجرد اشارات فقيرة الى العمليـــات الجارية داخل النفوس .

ولكن وبرغم كل ذلك فان اعمال محمود دياب تشكل سؤالا مطروحا عن مدى تشكيلها موقف أكثر ثورية للانسان المصرى اذا أتيح لها أن تصل الى كل الناس ، أصحاب القضية أولا وأخيرا . □

عبد الرحمن أبو عوف



بول روبســون

« يجب أن نواصــل النضــال حتى المــوت .. »

وتحت العــزلة الثلجيــة والاهمــال المتعمد ، نشرت الصحف الامريكية نبأ صغيرا عن وفاة المغـــنى الزنجى بول روبسون اثر اصابته بنوبة قلبية فى ٢٣ يناير الماضى . وتطفو الى السطح ذكريات المناضـــل الزنجى الذى ظـــل طـــوال الاربعينات والخمسينات رمزا للانسان المضطهد فى كل مكان ، وتحت اى نظام لا يحترم حرية الانسان .

ولد بول روبسون عام ١٨٩٨ لاب كان عبدا فى احدى مزارع القطن بكارولينا الشمالية وقـــد هرب والده وهـــو فى الخامسة عشرة من مالكه واتجه الى ولايات الشمال الحرة .. ولم تختلف طفولة روبسون عن غيره من أبناء الزنوج البائسين فعمل وهو فى سن مبكرة فى محل للبقالة والتحق بمدرسة لتعليم أطفال الزنوج أقامها أحد السود ، ولكن عصـــابة كوكلوكس كلان لم تلبث أن أحرقتها لان مديرها تحداهم وواصل التدريس خـــلال موسم جنى القطن التى يجند فيها الزنوج جميعا فى الولاية من سن الســـابعة الى السبعين تماما كما كان يحدث فى فترات العبودية .. وواصـــل روبسون دراسته فى مدرسة سومرفيل هاى سكول وفيها وجد قائمة من المحرمات التى كان عليه أن يلتزم بها اذا أراد أن يواصل دراسته [لا تفعل هذا ، لا تفعل ذاك ، لا ترد على رجل أبيض اعتداءه عليك لانك زنجى] وغير ذلك ، مما أشقى نفسيته ولكنه رغم ذلك كان ذكيا طموحا واظهر تفوقا فى دراسته وفى الرياضة ممـــا أثار عليه حقد البيض ثم نجـــح فى الحصول على شهادته الجامعية عام ١٩٢٣ من كلية روتجرز للحقوق التابعة لجامعة كولومبيا بنيويورك .

دخل بول روبسون عالم التمثيل والغناء بالمصادفة عام ١٩٢٤ ، ففى هذه السنة كان يوجين أونيل الكاتب المسرحى الامريكى قد الف مسرحيتين تتعرضان للعـــلاقات بين البيض والسود بروح ليبرالية ، وعرض عليه أن يلعب فيهما دور البطولة فقبل ومثل مسرحيتى [**جميع أطفال الرب لهم اجنحة**] [**والامبراطور جونز**] .. ولاول مرة يجد بول روبسون نفسه داخل دائرة الصراع بين المجتمع الابيض الذى يفرض قوانينه الجائرة ، وبين الانسان الزنجى الذى يناضل من أجل حقوقـــه الاجتماعية والمادية . وانطلقت فى الصحف الامريكية حملة محمومة عنيفة تهاجـــم المسرحيتين ، وأرسلت خطابات التهديد الى الممثلين ، والى مؤلف المسرحيـــة يوجين اونيل الذى هـــددته عصـــابة كوكلوكس كلان بخطف ابنه وقتله اذا تم تمثيل المسرحية ، ورغم التهديد والارهاب مثلت مسرحية أونيل ولاقت نجاحا كبيرا ... وفى اليوم التالى ، كتب ناقـــد صحيفـــة **أمريكان ميركورى** يقـــول : « رغم خبرته القليلة نسبيا ، وبقليل من التدريب أصبح بول روبسون من الممثلين القلائل الذين اقتنعت بصدق تمثيلهـــم طوال العشرين عاما الماضية أنه يحقق النجاح بطريقة تلقائية ، ويمثل بشـــكل طبيعى . أنه يتحرك على المسرح ببراعة ويستخدم صوته العريض وتعبيرات وجهه ويديه بطريقة موحية فريدة أشك انه يدرى كيف يفعل ذلك] .

وأثناء تمثيله برز واضحا تأثير صوته وغنائه فاقنعه أحد الموسيقيين الزنوج باقامة حفلات غنائية يؤدى فيها أغنيات دينية وشعبية زنجية تعبر عن توق الزنجى للحرية ، ويملأها الحزن والغضب والتمرد ، وقبل وغنى لاول مرة أغنياته التى أصبحت شهيرة بعد ذلك [اهبط للوادى ياموسى ــ أنا لا أشعر بأى تعبب ــ ابكى يا مارى

المزيزة ــ وداعا وداعا ــ أعلم أن الرب يضع يده على ــ احيانا أشعر أنى يتيم ــ لا أحد يعلم متاعبى] ونجح نجاحا غير متوقع كتب بعده الناقد الموسيقى لصحيفة **وورلد** يقول : [ان الذين استمعوا امس الى أول حفل موسيقى للاغنيات الزنجية ربمـــا هم شهود على نقطة تحـــول هامة ، فى تلك اللحظات التى تشهد ميلاد نجـم جديد . ان صوت بول روبسون لا يمكن وصفه ، انه صوت تدق فيه أجراس عميقة] . وقال ناقد صحيفة **نيويورك تايمز** [أن هذه الاغنيات احياء للروح الدينية والانسانية الشاملة التى تمس القلب . أن صوته يصور بصدق آلام وآمال الشعب الزنجى] .

وبعد أن تلقى عرضا بالسفر الى انجلترا لعرض مسرحية الامبراطورجونز، سافر فى سبتمبر ١٩٢٥ وحقق العرض نجاحا ، ثم مثل بعدها مسرحية « مشهد القارب » موسمين متتاليين وقد لقى من الانجليز وبصفة خاصة من جماهيرالعمال ترحيبا وتقديرا ومودة افتقدهما فى بلاده .. ثم قام بجولة فى أوروبا خلال عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٠ قدم فيها عدة حفلات غنائية فى فيينا ، وبودابست ، وبرلين، وبراغ ثم عاد الى لندن وقام بدور عطيل فى مسرحية شكسبير المعروفة وحقق فيها نجاحا ضخما حتى اعتبره الانجليز أفضل ممثل أدى هذا الدور المعقد ، وبدأ يوسع دائرة اغانيه ويغنى أغانى شعبية انجـليزية ومكسيكية وروســية والمانية ... **وأجمع النقاد فى العالم على أن بول روبسون قادر بصدق أدائه على تحريك مشاعر السامعين والمشـــاهدين مهمـــا تنوعت جنســيتهم وذلك للطابع الانسانى الذى يسود اغانيه ودعوتهـــا للعدالة والحرية المفقودة وتنديدها بالقهر ايا كانت جنسيته ..**

فى عام ١٩٢٤ كان المخرج الروسى **سيرجى ايزنشتاين** يفكر فى اخراج فيلم عن شخصية توسان لوفيرتيور محرر العبيـــد فى تاهيتى والملقب بنابوليون الاسود ، فدعا بول روبسون الى زيارة موسكو التى كانت شهرته قد سبقته اليها ، واستقبلته الجماهير لدى وصوله فى محطة موسكو مرحبة قائلة [بافيل روبسونا .. كراسيفو] ولكن الظروف لم تتح لهذا المشروع أن يتحقق وبعد أن انتهت أول زيارة له لموسكو قال « لاول مرة فى حياتى ذرعت شوارع الاتحـــاد السوفيتى وأنا ممتلىء بالكرامة » .

ثم عاد الى أمريكا فترة قصيرة مثل خلالها عدة أفلام منها « مشهد القارب ــ كنوز الملك سليمان ــ الرمال السوداء » الذى صورت عدة مشاهد منه فى مصر التى زارها بول روبسون فى فبراير ١٩٣٧ لهذا الغرض ... ومرة اخـرى عاد الى الاتحاد السوفيتى وأمضى به شهرين بين ديسمبر ١٩٣٦ ويناير ١٩٣٧ فى جولة غنية غنى أثناءها فى المسارح والمصانع والقـــرى ، وزار القوقاز وجمهوريات آســيا السوفيتية وشـــاهد المعجزة الاقتصادية والاجتماعية فى هذه المناطق وقال « **لقد وجدت هناك الحل الحقيقى لمشكلة الاقليات وهو حل بسيط للغاية ، أنه المساواة التامة بين الناس من جميع الاجناس ، وأدركت عنـــدئذ أن الناس لا يولدون متخلفين بســبب لونهم بل لان التخلف مفروض عليهـم بالقوة** » وقرر أن يسجل ابنـــه بولى الصغير فى أحـــد المدارس السوفيتية حيث أمضى بها سنتين .

بدأ شبح النازية العـــدوانى يتخطى الحدود ويطل على دول أوروبا واستولت الفاشية على الحكم فى ايطاليا ، وادرك بول روبسون أن الاضطهاد لم يعـــد مشكلة تخص أبناء جنسه وحدهم ووعى بأنها شرور ينبغى استئصالها من العالم كله فانخرط فى صفوف المناضلين من اجل قضية العدالة الانســـانية والمســـاواة وأصبح اسمه رمزا للداعين الى العدالة والحرية لكل الشعوب . فاشترك فى الاجتماعات التى عقدت بقاعـــة البرت هول بلندن لتشكيل اول كتيبة انجليزية تقاتل فى صفوف الجمهوريين فى أسبانيا وغنى من جديد الاغنيات التى عبرت عن عذابات بنى جنسه وتوقه للحرية والعدالة [**لقد تعبت من الحياة وأخاف الموت ــ يجب أن اقاتل حتى الموت ــ العجوز والنهر**] لقد أصبحت هذه الاغنيـــات التى يغنيها روبسون بصوت عميق وموح رموزا للعالم المضطهد كله وليس للجنس الزنجى وحده ، ولم يكتف بذلك بل زار برشلونة وغنى لجماهيرها ثم زار مدريد المحاصرة حيث سقطت قنبلة فوق الفندق الذى نزل فيه وبعدها قال « لقد كنت أعرف منذ شبابى المبكر أن حياتى لم تكن ملـــكى وحـــدى واننى انتمى الى المجتمع الانسانى » .

وفى نوفمبر ١٩٣٩ عاد الى امريكا بعد ١٢ عاما من الغـــربة والعيش فى بريطانيا ، وصادفت عودته أن ســـادت الولايات المتحـــدة موجـــة من الـــروح الجماعية بين الامريكيين احساسا بالخطر الداهم الذى تمثله النازية وتحت سياسة « النيـــوديل » التى ابتـــدعها الرئيس الامريكى فرانكلين روزفلت ، وانتشر احساس بالليبرالية بين دوائر الفـــكر والحكم العليا فخرجت بعض الكتابات التى تعادى القهر والاضطهاد ، وتتحدث عن المجتمع المفتوح بلا عقـــد من اى نوع .. وفى هـــذه الاثناء غنى بـــول روبسون أغنية الشاعر الامريكى **ايرل روبنسون** « أغنية العم سام » التى تغير اسمها الى « **أغنية الامريكيين** » ، والتى أعتبرت من أشهر الاغنيـــات فى تاريخ امريكا .. تقول الاغنية :

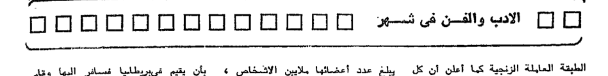
أن الرجل الابيض لايمكنه انيكون حرا
مادام أخوه الاسود عبـدا
ان بلادنا قوية وشـــابة
وان أعظم اغنياتها لم تغنى بعد .

سجلت الاغنية وانتشرت فى طـــول امريكا وعرضها بسرعة البرق وغناها الامريكيون جميعا وظل يقيم الحفلات وتذيع له الاذاعات الاســطوانات حتى أصبح من أشهر مغنى امريكا .

ولقد كان بول روبسون فى غنـــائه رمزا للشعب الزنجى ومطالبته بالحرية لذا كان من الضرورى ان تبـــذل كل المحاولات لاسكات صوته وتجميده حتى لايغنى ، ولتحطيم الرمز الذى يمثله . فبدأت السلطات بممارسة الضغط على الهيئات والجمعيات حتى لاتدعوه للغناء، واضطرت احدى الجمعيات ان تدعوه للغناء فى حديقة [واشنطون بارك] بالقرب من الجيتو الزنجى فى شيكاغو .. وتجمع فى الحديقة آلاف من البيض والسود الذين افترشوا النجيل الاخضر جنبا الى جنب يستمعون الى غناء بول روبسون وحشـــود البـــوليس تحيط بالحديقة ، وغنى روبسون :

وقال الرب لموسى
اهبط للوادى يا موسى
واذهب الى ارض مصر
ابلـــغ الفرعـــون
بأن يترك شعبى حرا

ثم الصقوا به تهمة الشيوعية وانه انضم للحزب الشيوعى الامريكى سرا مابين عامى ١٩٣٤ و ١٩٣٥ وانه أجريت له عملية غسيل مخ فى اثنـــاء زيارته للاتحاد السوفيتى ، وانه عاد بهدف العمل على قلب نظام الحكم فى امريكا وغير ذلك من تهم .. وقـــد مثل بول روبسون امام احدى لجان الكونجرس الامريكى التى تقوم بالتحقيق فى نشـــاط الامريكيين المتعاطفين مع الشيوعية ، والاتحاد السوفيتى ، وانكر روبســـون انه شيوعى وقال انه مجرد يســـارى يؤمن بالاشتراكية وانه آمن بها بين عامى ١٩٢٨ و ١٩٤٠ ، وفى لنـــدن وليس فى روسيا ، وأن فكره أقرب الى فكر حزب العمال البريطانى ، والى



الطبقة العاملة الزنجية كما أعلن أن كل ما فعله انما كان من اجل بنى جنسه الزنوج وقضيتهم لتحقيق الكرامة واحترام الذات للزنجى داخل المجتمع الامريكى .. وعندما سألته اللجنة لماذا لم يفكر فى الهجرة للاتحاد السوفيتى رد قائلا « ان والدى كان أحد العبيد وبنى جنسى ماتوا حتى يبنوا هذا الوطن واعتزم البقاء هنا مثلكم تماما » .. وفى النهاية سحبت منه وزارة الخارجية جواز سفره فى الفترة من عام ١٩٥٠ وحتى ١٩٥٨، ولكنه لم يعبأ بذلك .

وتكونت عام ١٩٥٧ فى بريطانيا « لجنة بول روبسون » ضمت ١٦ من أعضاء البرلمان وعددا من اساتذة الجامعات ومندوبى ١٢٠ نقابة وجمعية يبلغ عدد أعضائها ملايين الاشخاص ، عقدت هذه اللجنة العديد من المؤتمرات، وارسلت النداءات الى الحكومة الامريكية لكى تسمح للمغنى الزنجى بالسفر الى بريطانيا نظرا لان الجمهور البريطانى مشوق لان يراه فى دور عطيل مرة أخرى . وانتشرت المقالات التى تندد بالحصار والعزلة المفروضة على بول روبسون وتقول [انها المأساة الا يتمكن بول روبسون من اداء دور عطيل .. باسم شيكسبير دعوا هذا الافريقى المهذب ذا الصوت الذهبى يأتى الى لندن ليمثل دور عطيل فى رائعة شكسبير] . واتسع نطاق الحملة واشتد تأثيرها حتى والقت الحكومة الامريكية ازاء هذه الحملة ان تسمح له بأن يقيم فى بريطانيا فسافر اليها وقام بدور عطيل لاخر مرة وخلال هذه الفترة قام بعدة زيارات للاتحاد السوفيتى ثم اصيب بالمرض فعاد للولايات المتحدة عام ١٩٦٣ حيث اختار أن يعيش منطويا فى عزلة لايلتقى خلالها الا مع اهله وعدد قليل من اصدقائه المقربين الى أن مات فى ٢٣ يناير الماضى عن ٧٧ عاما .

لقد مات بول روبسون .. ولكن الرمز الذى كان تجسيدا له لم يمت معه ولن يموت، وتبقى اصداء أغنية بول روبسون الشهيرة هائمة « يجب أن أواصل النضال حتى الفظ الروح » .

محمد فرج



الكرنك :

بين الارهاب والثورة

قد يكون من بين النتائج الايجابية التى حققها فيلم « الكرنك » أنه يثير جدلا ساخنا فى الشارع القاهرى اليوم ، ويفتح امام مشاهديه مجال الخوض فى احاديث السياسة ، بعيدا عما كان معتادا أن توفره لنا افلام السينما المصرية التى تعرضت من قبل للسياسة بشكل أو بآخر ، والتى كانت دائما ، تركز اهتمامها — وبالتالى اهتمام جمهور مشاهديها — فى نوع من الوطنيين الافراد ، المناضلين من اجل تغيير النظام الملكى الاقطاعى قبل الثورة ، دون تحديد بالطبع لهويتهم السياسية أو الايديولوجية . وكان نضالهم ينتهى عادة، بقيام الثورة ، وانسحابهم من ميدان العمل النضالى ، ربما لكى يواجه أغلبهم مصيرا مختلفا تماما .. وهى الازمة التى عبر عنها ببراعة ، نجيب محفوظ فى روايته الهامة « الشحاذ » .

ولقد أصبح الامر مختلفا، فى مجموعة الافلام السياسية المصرية التى فرضت نفسها بقوة فى السنوات القليلة الماضية . فتحول اهتمام السينمائيين الى التركيز على قضايا الفساد السياسى والادارى ونهب القطاع العام ، واستغلال النفوذ وسيطرة اساليب الارهاب البوليسية .. الخ . وفى هذه الافلام كان كل ذلك يبدو مرتبطا ، بشكل ما ، بنكسة يونيو . وفى نفس الوقت ، كان هناك بطل ايجابى فردى من أبناء الطبقة المتوسطة ، يحمل أفكارا مثالية أو غامضة عن التغيير ، ويبشر بها كفرد ، ولكن دون جدوى فى النهاية ..

كان ذلك هو مصير «يوسف فتح الباب» الصحفى المتمرد فى « العصفور » ، و «نادية الشريف » بطلة «زائر الفجر» ، م

التى تجمعت كل ظروف القهر لكى تقتلها فى النهاية ، حتى لايصل ما كانت تبشر به ، ومصطفى حسين الثائر الفوضوى فى « على من نطلق الرصاص » .

وفى « الكرنك » ، هناك لاول مرة فى السينما المصرية ، حديث صريح عن وجود قوى سياسية أخرى ، تعتنق أفكارا مختلفة عن الفكر الواحد الذى تروج له أجهزة الاعلام عادة . وهكذا ، وبشكل غير مباشر ، يساعد « الكرنك » فى اسقاط الوهم الذى شاع خلال سنوات طويلة ، وهم الوحدة بلا تنوع سعيا وراء طمس عملية الصراع الاجتماعى ، بتجاهلها وانكارها أمام الجماهير ، وشن أعنف حملات البطش والتصفية الارهابية ضدها فى الخفاء ؟ .

ففى « الكرنك » ، نسمع لاول مرة من الشيوعيين والاخوان المسلمين والوفديين .. الخ ، ونعرف أنهم قد استمروا يمارسون نشاطهم بعد الثورة . ونرى كيف تجند السلطة فى مواجهتهم كل ادوات القهر والتنكيل . ولكن هذا لا يعنى ان قضية الكرنك هى قضية الصراع بين النظام الناصرى وبين القوى السياسية التى اختلفت معه من أقصى اليمين الى أقصى اليسار . الفيلم فقط يذكرنا بذلك ، رغم ان القضية التى يطرحها هى بالتأكيد مختلفة ، ورغم ان بطله يعتنق الاشتراكية العلمية فى النهاية ، ويلقى مصرعه بهراوات السلطة نتيجة لذلك ! .

وقضية « الكرنك » .. هى عند مخرجه الشاب « على بدرخان » ، قضية جيل الثورة وعلاقتهم بالثورة أو بالنظام الثورى « حلمى واسماعيل وزينب ، هم جيل الثورة ، ولكن حلمى هو الوحيد الايديولوجى من بينهم » [حوار حول الكرنك مع على بدرخان وممدوح الليثى — الجمهورية ١٩٧٦/١/١٥] .. بينما يرى ممدوح الليثى ، الذى كتب سيناريو وحوار الكرنك عن رواية نجيب محفوظ ، أن الفيلم فى النهاية « يؤرخ لرحلة ، بل لثلاث مراحل ، من النكسة الى التصحيح الى العبور .. وهو يقول أن الشعب رفض الظلم ، وسوف يرفض كل ظلم » .

[المصدر السابق]

وتبدو هذه الكلمات الضخمة عن التأريخ لمراحل ثلاث محددة ، تبدو متناقضة مع ما يقرره ممدوح الليثى نفسه فى نفس الحديث المنشور ، عندما يقول : « رواية الكرنك هى فى رأيى ضد كل أنواع القهر البدنى والنفسى التى يمكن ان يتعرض لها الانسان . وهى تعبر عن ذلك من خلال فترة محددة ومحدودة من تاريخ مصر . والفيلم مثل الرواية لا يتناول ثورة ٢٣ يوليو . هناك عبارة تقول أن الثورة يدبرها الدهماء وينفذها الشجعان ويكسبها الجبناء أو بالاحرى يستغلها بعض الجبناء ، والامر ليس قاصرا على ثورة يوليو » ! .

[المصدر نفسه]

وليس لدينا تعليق على هذا الكلام الان ، ولكننا سوف نناقشه بالطبع ، من خلال بحثنا فيما يطرحه « الكرنك » .. الرواية والفيلم .

« ● »

كتب نجيب محفوظ رواية « الكرنك » فى أواخر عام ١٩٧١ ، ولكنها لم تنشر سوى عام ١٩٧٤ . وهو فى « الكرنك » يحاول ان يعبر عن معاناة جيل الثورة فى علاقته بالثورة . وجيل الثورة هو الجيل الذى نشأ بعد قيام الثورة ، وشب فى احضانها ، وعندما بدأ يعى ، اعتنقها عن ايمان واقتناع .

ونجيب محفوظ يريد ان يقول ان سطوة الاجهزة الارهابية قد امتدت ، ليس فقط ضد معارضى الثورة وأولئك الذين اختلفوا معها ، ولكنها شملت أيضا جيل الثورة نفسه وأفقدته الثقة فيما يحدث حوله ، وخيرت ابناءه مابين الضياع الكامل ، أو الاستسلام للسلطة وقبولهم العمل كمرشدين وعيون على بعضهم البعض .

ودونما اهتمام كبير بوسائل الابداع الفنى الروائى ، يسوق نجيب محفوظ ملاحظاته بشكل أقرب الى التقريرية والتسجيل ، وكأنه يقدم شهادته ككاتب عاصر الفترة التى يكتب عنها من عمر الثورة ، واهتز ضميره بما شهده حوله ، من غياب لقواعد الديمقراطية التى آمن بها طوال عمره ، وهو ما أدى فيما بعد الى وقوع الكارثة فى ٥ يونيو ٦٧ — كما يريد نجيب محفوظ ان يؤكد فى روايته . ونجيب محفوظ يرى ان الديمقراطية الحقيقية هى تلك التى ترتكز على وجود معارضة منظمة وسيادة للقانون والقضاء . وهو فى روايته ، يسوق افكاره هذه فى أكثر من موضع ، وعلى لسان الاخرين ايضا : « **لم نصل الى مثل هذه الحال فى أى عهد من العهود . حسبنا ما كنا نستظل به من حماية للقانون . وحتى أعنف أيام الاستبداد لم تخل من صوت معارضة حر** » . ويتحدث اسماعيل الشيخ » الى الكاتب فى الرواية عن اتجاهه لدراسة تأريخ مصر الحديث فى اعقاب النكسة : « لا أخفى عنك انى اعجبت بقوة المعارضة وحربتها وبالدور الذى لعبه القضاء المصرى . لم يكن العهد شرا خالصا ، وكان به عناصر عسكرية جديرة بالاستمرار والنمو والازدهار ، وكان التنكر لها من أسباب نكستنا » .



سعاد حسنى

يختار نجيب محفوظ مقهى «الكرنك» ، مكانا يلتقى فيه بشخصيات روايته ، وهو مقهى ذو طابع خاص ، يجمع رواده بين شيوخ من أصحاب المعاشات وشبان طلبة ومثقفين . وتدير « الكرنك » صاحبته « قرنفلة » ، وهى امرأة « دانية الشيخوخة ولكنها محافظة على أثر جمال مندثر » . كانت راقصة عرفها الكاتب فى شبابه كأحد معاصريها .

ويقسم نجيب محفوظ روايته الى أربعة فصول يحمل كل فصل اسم شخصية من الشخصيات الاربعة التى يحكى الكاتب شهادتها : قرنفلة ، اسماعيل الشيخ ، زينب دياب ، خالد صفوان :

« قرنفلة » .. هى الشاهدة التى احتضنت الجميع فى المقهى ، وشهدت تطور الاحداث منذ البداية ، وارتبطت بحلمى حمادة روحا وجسدا ، وانعكس عليها مسار الاحداث حزنا وألما وسعادة وشقاء .. ولكن الامل لم يغادرها أبدا . نراها فى النهاية وهى تتأهب لتجربة حب جديد .

وفى فصلين مختلفين ، يقص اسماعيل الشيخ وزينب دياب ماوقع لهما ولزميلهما حلمى حمادة [الشهيد الغائب] .. ويقيم كل منهما الدور الذى لعبه أو الذى شاء آخرون ان يلعبه ؟ . أما « خالد صفوان » .. الجلاد ، فهو يغادر السجن بعد ثلاث سنوات على النكسة ، ويجلس على مقهى « الكرنك » شاحبا مريضا ، مبررا ما كان يرتكبه فى الماضى « كلنا

مجرمون .. كلنا ضحايا » . ثم يلخص تجربته فى الحياة ، من خلال كلماته الغامضة : «براءة فى القرية . وطنية فى المدينة . ثورة فى الظلام . كرسى يشع قوة غير محدودة . عين سحرية تعرى الحقائق . عضو حى يموت . جرثومة كامنة تدب فيها الحياة » . ثم يعلن عن كفره بالاستبداد والديكتاتورية والعنف الدموى ، ويدعو الى التقدم بالاعتماد على قيم الحرية والرأى العام واحترام الانسان واستخدام العلم والمنهج العلمى ! وهو مالانستطيع قبوله لتناقضه مع تكوينه الشخصى وموقفه الاجتماعى فى وقت واحد . والتبشير بالاراء التى يتبناها المؤلف نفسه على لسان الجلاد ، يقلل من قيمتها ، ويجعل من الجلاد خطأ ، دليلنا الوحيد لفهم الواقع ! .

وتنتهى الكرنك ، ونجيب محفوظ يبشر بجيل جديد يحمل النقاء والاصالة ويلعن الصفات السياسية جميعا ، ولكنه يحترم اليسارية والدين معا . وهو جيل لم يختبر بعد ، يمثله منير أحمد ، الطالب الشاب الذى تتأهب قرنفلة لمشته ، والذى يتمنى الكاتب — لو حدث ذلك — ان يمضى على صراط متوازن بلا أنانية من جهة والاستغلال من جهة أخرى ، ليتحقق للحب النقاء والبراءة ..

« ● »

ومن المؤكد ان مناقشة قضية الثورة والارهاب ومدى المسئولية التى تقع على رجال الحكم أو رجال السلطة الذين قاموا بهذا الارهاب ، بفرض الحيلولة دون امتداد سطوة الاجهزة مرة أخرى ، والتطلع الى المستقبل برؤية تنشد مصالح الجماهير العريضة ، لايمكن أن يتحقق ، بمعزل عن فهم الجوانب الاخرى السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى احاطت بذلك التجاوز والارهاب . ولن يؤدى ، سوى الى مزيد من التضليل ، القول بانه فى مقابل المكاسب الاجتماعية والاقتصادية التى حصل عليها الشعب، كان يسلب منه حقه فى التعبير عن رايه. وفى الفيلم ، تحصل أسرة زينب دياب على ماكينة خياطة ثم على شقة فى المساكن الشعبية ، بينما يحدث مايحدث من اعتقال لابنتهم والاعتداء عليها ! .. وما يمكن أن يقال هنا ، هو ان التحولات المحكومة التى حدثت ،كانت تتم بشكل فوقى ، بواسطة سلطة تريد أن تصنع التغيير ولكنها تخشاه . وتكون النتيجة أنها لاتستطيع تحقيقه ، لانها تخشى ان تشرك معها أصحاب المصلحة الحقيقية فى التغيير ، نتيجة لخشيتها على نفوذها وعلى نفوذ الطبقة التى تمثلها ، بالاضافة الى افتقادها الى أيديولوجية واضحة يتيسر لها قيادة الجماهير وتنظيمها . وهكذا كانت السلطة فى وقت ماتضرب الاخوان المسلمين والباشوات الاقطاعيين والشيوعيين .. هكذا دون ان تكون هناك تفرقة بين أعداء الطبقات الكادحة وبين طلائعها المناضلة — كما يتردد دائما ! .

واذا كان « الكرنك » .. الفيلم والرواية ، يعرضان لقضية تمدد الاجهزة ، وماانتج من جراء ذلك وراح ضحيته أبرياء ومن أبناء جيل الثورة أنفسهم ، فان السؤال هنا يصبح : **اى ارهاب ؟** .. هل كان الارهاب يمارس نتيجة لسيطرة عدد من « الاعوان الساديين » ، أو طبقا للقانون القدرى الذى يقول ان الثورة يدبرها الدهماء وينفذها الشجعان ويكسبها الجبناء — كما يردد ممدوح الليثى .. كاتب سيناريو الفيلم ومنتجه ، ويريدنا ان نصدقه ؟ .

ولا يجد المرء نفسه بحاجة الى القول، بانه فى مجتمع طبقى ، فان ارهاب السلطة لن يمكن فهمه موضوعيا الا باعتباره ارهابا طبقيا ، يمارس لتامين انفراد الطبقة الحاكمة [البورجوازية التى كبرت] بخيرات الوطن ، دون بقية الطبقات الشعبية العريضة .

وهنا ، فان أجهزة المخابرات أو المباحث ، وكل وسائلها الارهابية المخيفة .. التى يقدمها لنا الفيلم باسهاب واعتناء خاص ، ليست سوى الادوات المباشرة اللازمة لاتمام ذلك القمع الطبقى، وهنا.. لايصبح « خالد صفوان » مجرد موظف مخلص — كما يردد هو نفسه ، كذلك فانه لا يمكننا اعتباره شخصا مصابا بالسادية .. رغم احتمال اصابته بها وبكل أنواع الشذوذ الاخرى التى تختلف من هذا الشخص لذلك من بين أباطرة التعذيب ، الذين ليسوا فى النهاية سوى التعبير المتفجر والمباشر عن وجود النظام الطبقى المستغل ، ودفاعه الشرس عن وجوده .

وهذا الفهم النظرى لدور اجهزة القمع والارهاب فى المجتمع . ليس له وجود بالطبع فى الفيلم ، وليس فى نيتنا أن نطالب صانعى الفيلم « ممدوح الليثى — على بدرخان » بتبنى هذا المنهج فمن حقهما أن يتبنيا أى منهج يشاءان ولكن علينا ايضا ان نحدد منطلقاتنا المبدئية فى التعامل مع القضايا الشائكة التى يمكن ، ان يثيرها فيلم يتناول .. الثورة .. والارهاب .. ثم علينا بعد ذلك ان نسعى لتحليل ما يتناولاه فى فيلمهما .. ومن خلال الفيلم ذاته .

[●]

يبدأ نجيب محفوظ روايته من الفترة الزمنية التى تسبق وقوع النكسة بسنوات قليلة ، وهى فترة اواسط الستينات التى يطلق عليها البعض فترة التحول او البناء الاشتراكى ، ثم يستمر فى التسلسل الزمنى حتى وقوع النكسة ، وما يعبها حتى الافراج عن خالد صفوان بعد ثلاث سنوات من النكسة .

ويبدأ — الكرنك — الفيلم وينتهى بحرب اكتوبر عام ١٩٧٣ . وهو اقحام فى غير موضعه من الناحية الدرامية . وافتعال لامعنى له سوى الاستغلال التجارى والتملق . على حساب الرؤية الموضوعية للواقع والتاريخ . فى مقابل رؤية ساذجه تريد ان نقول ان هزيمة يونيو لم تكن الا نتيجة لغياب الحرية . وسيطرة الارهاب والقمع . وان انتصار اكتوبر كان نتيجة لعودة الحريات وسيادة القانون .. وبالاضافة الى مايعكسه هذا من ميكانيكية فى فهم احداث التاريخ ، فهو فى نفس الوقت تبين غير واع لنفس التفسير الذى قدمته السلطة المنهزمة عام ١٩٦٧ ، عندما اعلنت نهاية دولة المخابرات ، وقامت بعملية تصفية ضد بعض رجال السلطة .. دون ان يؤدى ذلك الى تغير شىء فى الواقع !

وما بين البداية والنهاية فى الفيلم نتابع .. من خلال « فلاش باك »يستمر طوال الفيلم ، ما يحدث لكل من اسماعيل الشيخ وزينب دياب وحلمى حمادة .. والثلاثة زملاء دراسة فى كلية الطب . اسماعيل وزينب من ابناء الفقراء الكادحين ، اما حلمى حمادة ، فهو احد ابناء الطبقة المتوسطة . ينتمى الثلاثة الى جيل الثورة ويؤمنون بها . وبينما يعى اسماعيل وزينب وضعهما الاقتصادى فى قاع المجتمع ، وهو مايجعلهما يدافعان بقوة عن انجازات الثورة ومنها مجانية التعليم — كما تفعل زينب ، ولا يجدان تفسيرا للانتقادات التى يوجهها الشيوخ من رواد المقهى للثورة ، سوى ان «الكبار بطبيعتهم رجعيين» — كما يقول اسماعيل ! .. يصل ادراك حلمى حمادة الى الوعى بالتناقضات المحيطة به ، دون ان يملك تفسيرا صحيحا لها .. فهو يكتفى بالسخرية من ارتفاع أسعار الكتب التى تشرح الاشتراكية، بينما ثمن الميثاق نفسه زهيدا .. ويقول انه لكى تفهم الاشتراكية ، يجب ان يكون والدك اقطاعيا !

وفى منظمة الشباب ، التى ينتمى اليها اسماعيل وزينب ، يقترح اسماعيل

توزيـع القمـاش الـذى يـكتبون عليـه الشعارات السياسـية ، على الفلاحين الذين لا يعرفون القراءة ولن يدركوا بالتالى معنى الشعارات . ويقول انهم يمكن ان يستفيدوا اكثر من القماش ولكن احد مسئولى المنظمة يمنعهم من الاستطـراد فى مناقشة هـذا الامر « مالكوش دعوة » ! ثم يفاجأ الاثنان باستدعائهما للتحقيق فى ذلك ، رغـم احتجاج زينب بان « كل مانقوم به من مجهود هو من منطلق ان لينا دعوة » !

ويقع الاعتقال الاول ، ويقف الثلاثة امام خالد صفوان مدير المخابرات بتهمه الانتماء للاخوان المسلمين . وعندما يفرج عنهم ، يبرر لهم خالد صفوان ماحدث بانها اجراءات ضرورية لحماية الثورة ، وان الخطأ له عذر أما التهاون فلا عذر له !

ويبدأ حلمى حمادة بعد ذلك ، فى البحث الجاد فى تاريخ مصر . ونـراه وهو يعطى لزينب واسماعيل كتـاب ، تطور الحركة الوطنية المصرية « لشهدى عطيه الشافعى ويقول انه يكشـف ان تاريخ مصر لم يبدأ يوم ٢٣ يوليـو . وبينما تدافع زينب بلا تحفظ عن الثورة يقول حلمى ان المشكلة ليست فيما اذا كانت ثوره ٢٣ يوليو تقدمية أم لا . ويرى ان المشكلة الحقيقية هى ان المشروعات الثورية يطبقها بورجوازيون بدلا من ان يتولى ذلك الثوريون الحقيقيون ويبـدو موقفه غامضا عندما نراه يبدى احتقاره للنظريات « التى تملا كتبا كثيرة » .. ويرى أن المهم هو التطبيق !

فى الرواية ، يقول اسماعيل الشيخ فى شهادته للكاتب .. ان حلمى حمادة كان شيوعيا مـنـذ البداية ، ولذلك فلقدفطن بادىء الامر الى حقيقة الاشتراكية التى يتحدثون عن تطبيقها فى مصر . وفى الفيلم . يبدو موقف حلمى حمادة غامضا . مشوشا . معظم الفيلم . حيث يتخبط من الحماسة المثاليـة الى العشوائية التى تفصل بين أهمية النظرية وتطبيقها . ولا يرى القضيـة فى ابعادها المختلفة. ولكنه يركز على أزمة غيـاب الكوادر . وفى الاجتماع الذى يعقده مع زملائه بمنزله فى احد مشاهد الفيلم ، يرد على زميله الـذى يصف البلد فيقول انها قد أصـبحت مثل صفيحة القمامة .. يجب حرقها فيصف افكاره بانها فاشية . ويدعو بحزم الى ضرورة نقد الثورة من داخلها وهو بذلك يبدو مختلفا عن حلمى حمادة فى رواية نجيب محفوظ ، الذى يقول لاسماعيل وزينب بعد خروجهم من الاعتقال فى المرة الثانية .. انى أعجب .. كيف انكما مازلتما تؤمنان بالثورة ؟ !

فحلمى فى الفيلم ليس شيوعيا منذ البداية ، ولكنه يطرح أفكارا وتساؤلات تختلف عما يطرحه الاخرون ، ولـكنه تدريجيا وبعد دخوله المعتقل اكثر من مرة ، يبـدأ فى اعتناق أفـكار أكثر وضوحا ، وان كان الفيلم لا يوضـح كيف حدث التحول بالضبط .

فى الاعتقال الثانى ، يواجه الثلاثة بتهمة الانتماء الى التنظيمات الشيوعية ويضيف السيناريست مشهدا له دلالاته عندما نرى خالد صفوان يستجوب مجموعة من عمال المحلة ، بسبب الاضراب الذى نظمو فى احد مصانع القطاع الخـاص هناك ، للمطالبة بالتساوى بعمـال القطاع العام . ويربط السيناريو بذكاء بين نشاط حلمى حمادة وبين اضراب المحلة ، ولكنه يسقط فى تبنى فكرة متخلفة ، عندما يجعل رئيس النقابة هو نفسه زعيم الاضراب . وهو مايتناقض مع الحقائق التى اصبحت تقال اليوم بكل وضوح ، عن فساد العمل النقـابى ، وانفصامه الكامل عـن تبنى المطـالب الحقيقية للعمال ، وخضوعه للجهـات الادارية .. الخ !

وفى المعتقل ، تتصاعد عمليـات التعذيب ، من جلد وصلب على الحوائط واطلاق للكلاب الوحشية .. الى الكى والتعذيب بالكهرباء .. حتى يصـل الامتهان الانسـانى الى ذروته ، فى مشهد اغتصاب زينب دياب فى مـكتب خالد صفوان وأمامه ، وهو المشـهد الذى يحقق اكبر صدمة للمشاهد والذى يحقق فيه على بدرخان مستوى جيـد فى الاخراج ، وان كان يعيبـه بطء الايقاع الى حد ما .

ويخرج الثلاثة من المعتقل هذه المرة ايضا ، ولكن بعد ان يكون الإنهـاك والتحطيم واليأس قد نالا مـن زينب واسماعيل ، فيقعان فى شراك السلطة بقبولهما العمل كمرشدين للتجسس على زملائهم بالجامعة وبمقهى الـكرنك . ويفقد الاثنان قدرتهما على الفعل . يفكران فى الهجرة ولكن الخوف يمنعهما حتى من مجرد التفكير معا بصـوت مسموع !

ويتحول حلمى حمادة الى العمل السرى ويبدأ فى عقد اجتماعات بمنزله ، لاعداد المنشورات . وتسارع زينب بكتابة تقرير عن احد الاجتماعات بمنزل حلمى ، وذلك لكى تحمى نفسها وتحمى حبيبها اسماعيل اذا ما اكتشفت الاجهزة عدم تبليغهما عما شاهداه . وتكون نتيجة ذلك ، ان يقبض على اسماعيل وحلمى معا !

وبينما نسمع عن موت حلمى حماده فى الرواية ، على لسان اسماعيل ، الذى يصف للكاتب فى فترة قصيرة كيف مات حلمى بين ايدى معذبيـه فى غرفة التحقيق ، يجعل الفيلم من مشهد موت حلمى ، مشهدا تراجيديا يتم فى ساحة المعتقل يوم الخامس من يونيو ٦٧ ، حيث يضربه الزبانيـة بالهراوات حتى الموت ، وهو مشهد قوى من ناحيـة التنفيذ ، استوحاه على بدرخان – كما يقول – من قصة مصرع شهيد الحركة الشيوعية المصرية ، شهدى عطيـه ، وان كان يعيب هذا المشهد ، افلات الايقاع من بين ايدى المونتير ، وفشله فى تحقيق التقطيع الملائم واستخدام الاحجام المختلفة للقطاعات والاطالة التى هبطت كثيرا بحرارة المشهد .

وباستخدام أسلوب القطع المتوازى ، يخرج المخرج بين لقطـات ضرب حلمى بالهراوات حتى الموت . وبين لقطات وثائقية تصور – عدوان الطائرات يوم ٥ يونيو . وهو أسلوب يعكس ميكانيكية فى الفهم ، ويؤدى الى التبسيط فى المعالجة الدرامية ، رغبة منه فى ان يقول ان هذا الارهاب هو الذى قاد الى نكسة ٥ يونيو ، وهو وان كان يمثل جزءا من الحقيقة ، الا أنه لا يقول الحقيقة كلها !

[●]

ويهتم « على بدرخان » اهتماما خاصا باستعراض التفاصيل الدقيقة لادوات التعذيب ، وينجح فى التحكم فى الايقاع الداخلى لمشاهد التحقيق ، يساعده فـى ذلـك الحوار الـسـاخن المتدفق الـذى يجىء على لسـان خالـد صفوان ، الذى قام بتجسيد شخصيته بتفوق لا يمكن انكاره ، كمال الشناوى الذى ينجح فى التحكم الجيد فى نبرات صوته ، وفى ايقاع حركته ، وطريقته فى نطق الكلمات ، وابداء الاشارات الخاصة من يده ، وتغليف وجهه ببرود من نوع خاص يمرر من خلاله انفعالاته المحكومة .

وفى الرواية ، يسجن خالد صفوان بعد النكسة ويخرج بعد ثلاث سنوات ليجلس على المقهى لكى يتفلسف ويبشر بالمستقبل – على النحو السابق وصفه ولكنه فى الفيلم ، لا يحاكم ويسجن الا بعد ١٥ مايو ١٩٧١ .. اى بعد أربعة اعوام وهو خطأ تاريخى ودرامى . ولكن الفيلم على نحو قوى ومقنع ، يقـوم بالجمع بين الجـلاد وضـحاياه فى المعتقل – وليس على المقهى – ويجعل الضحايا يحاكمون جلادهم ويدينوه . وهو تعديل يبدو أكثر اتساقا وموضوعية .

ولا يذهب اسماعيل الشيخ للانضمام الى صفوف الفدائيين ، كما ، يشير نجيب محفوظ فى روايته ، ولكنه يخرج من المعتقل فى المرة الثالثة ، يائسـا

متهارا ، وينسحب منهيا علاقته بزينب حتى يعود اليه الحماس والثقة فىالنهاية وعلى نحو مفتعل ، عند قيام حــرب اكتوبر ، فيلتقى بزينب مرة أخــرى .

● وكان يمكن ان تصبح مناقشات الكاتب طه الغريب السياسية والفكرية مع اصدقائه فى مقهى الكرنك ، اكثر وضوحا وحيوية ، وتكتسب بالتــالى اهميتها فى التعليق على الاحداث ، او التعرف على الجــوانب الانســانية لشخصيات المقهى ، بدلا من النمــاذج النمطية الباهتة التى حشدها السيناريو فى المقهى وشكلت عبئا على العمل الفنى نفسه ، فى مشاهد كثيرة . كذلك يهمل السيناريو عــلاقة حلمى حمادة بقرنفلة وهى العلاقة التىتصطبغ بدلالات رمزية فى الرواية ، نتيجة للرموز التى تحلق حول شخصية قرنفلة فى اكثر منموضع بينما تسقط هذه الدلالات تماما فىالفيلم . ولا يوضح لنا السيناريو سبب ثــورة حلمى عليها وهجره لها ، بينما يتركها حلمى نتيجةلفقده القدرة الجنسية ، او لفقده القدرة على السعادة » كما يجىء فى الرواية !

ولا يستفيد السيناريو من الامكانية التى يمكن أن يتيحها التصوير داخــل كلية الطب ، فلا يهتم بابراز مناقشات الطلبــة ، أو بعــلاقة أبطاله الثــلاثة بزملائهم فى الكلية .

وعلى العكس من رواية نجيبمحفوظ يبدو سيناريو ممدوح الليثى ، مترفقــا ببطليه اسماعيل الشيخ وزينب ديــاب ملتمسا لهما الاعذار . فلا يكادالمشاهد يحس بسقوطهما وقبولهما التجســس على زملائهما . ولا نرى اسماعيلالشيخ يكتب اى تقرير ، وتمتنع زينب ديــاب عن التبليغ عن طالب الطب الذى قال ان الطب وراثة كالمرض ، وهــــو ما يعرضها للحساب أمام خالد صفوان

وبينما تتحول زينب فى الرواية الى غانية تمنحجسدها لمنيطلبه ، وتستسلم ايضا لحسب الله بائع الدجاج الذى اراد ان يتزوجها فى البداية ورفضته فهى فى الفيلم لا تصل الى هذه الدرجة من السقوط .فينقذها زين العابدين مدير العلاقات العامة من الانتحار وهى فى قمة معاناتها ، بعد ان فقدت عــذريتها فىالمعتقل، وينالها فى سيارته عند سفح الهرم ، وهى تحت تأثير الخمر . وبعد اعتقال حلمى واسماعيل فى المــرة الثالثة ، تذهب الى مكتب خالد صفوان وتحاول ان تقتله بقاطعة الاوراق !

ويهتم السيناريو بابراز علاقة زينب بوالدها .. بائع لحمــة الرأس ، ووالدتها ، دون ان يفسر لنا سرتحمس والدها الى جانب ابنته ، على العكس من الام .

● ويضيف السيناريو واقعة لجوء زينب واسماعيل الى احد اعضاءمجلس الامة للاحتجاج على اعتقالهم اول مرة ولكن المشهد يتحول الى الافتعال والمبالغة عندما يثور العضو ويستنكر ان يكون من سلطة خالد صــفوان القبض على الناس ، ويهتف بحماس « كلنا مصريون .. وكلنا نحب بلدنا » .. ويقول لهم أنهاذا استدعى الامر ، فانهسوف يتقدم استجوابا فى المجلس .. من حقنا ان نستجوب اى شخص . خالد صفوان وزير .. رئيس وزراء » !

والفيلم — بذلك يخلق وهما بوجود تناقض بين اجهزة ومؤسسات الدولة . فى ذلك الوقت . على هذا المستوى . وهو مالا تؤكدهوثائق المرحلة .

ولكن الفيلم يتعمد المبالغة فى حماس عضو المجلس . لكى يصدم المشــاهد فى المشهد التالى ، عندما نرى نائب الشعب امام خالد صفوان بعد القبض عليه .

ولم يكن هناك معنى لمشهد المشاجرة فى الحارة بين دياب وحسب الله .. بائع الدجاج ، وهو مشهد طــويل نسبيا ، يخل بالايقاع العام للفيلم . كذلك يحشر السيناريو مشهدا تجــاريا مبتذلا آخر ، بقصد الاضحاك والاثارة وهو مشهد احتفال الطلبة بعد خروجهم من المعتقل ، فى مرسم زميلهم البدين الابله .. طالب الفنون التطبيقية !

والحاح النظرة التجارية عند ممدوح الليثى ، السيناريست والمنتج ، هى التى تدفعه الى حشد عدة مشاهداخرى بقصد الاضحاك ، وبالتالى جذبالمتفرج مهددا بذلك باختلال البناء فى فيلــم يناقش الارهاب والثورة !

ويتحمل مسئولية هــذه المبالغات ايضا ، المخرج على بدرخان ، الذى يبالغ كثيرا فى تصوير الشاعر المتشنج فى المقهى ، ثم يبالغ مرة اخرى الــى درجــة الملل فى تصــوير تخــاذله واستعطافه امام خالد صــفوان . بالاضافة الى الاطــالة ، والمبالغات التجارية فى مشهد احتســاء دياب « البوظة » ، أو فى المشهد الذىيذهب فيه موظف من محافظة القاهرة الــى منزل دياب ، ليخبرهم بالحصول على شقة بالمساكن الشعبية كانوا قدتقدموا بطلب للحصول عليها ، فيشده دياب الى الداخل ، ويهدده قائلا له انه يريد ابنته التى قبضوا عليها !

وكــان من المــكن التخفيف مــن الكاريكاتورية المبالغ فيهافى اداءالموظف الذى يجلس طوال الوقت بالمقهى ليحل الكلمات المتقاطعة ، وكذلك المبالغــة الشديدة فى اداء زين العابدين مــدير العلاقات العامة .

وبرغم ارتفاع الحوار فى مشــاهد عديدة الى مستوى من القوة يقترب به من الروح الصارمة للحوار ، فىرواية نجيبمحفوظ ، الا أنه يهبط فى مشاهد اخرى الى مستوى النكات اللفظية ،.. على هذا النحو .

خالد صفوان : ازيك يا بتاع المحلة؟
حلمى حمادة : أنا أهلاوى !

ومن أفضل مشاهد الفيلم واكثرها قوة ، المشهد الذى تستسلم فيه زينب لاسماعيل — بعد خروجها من المعتقل، لكى يكتشف اسماعيل أنها قد فقدت عذريتها ، ويدرك أن تضحيته داخــل المعتقل كانت خدعة كبرى . وفى هذا المشــهد ينجح على بدرخان تماما فى استخدام الاضــــاءة والمونتــــاج وفى استغلال امكانيات الديكور .

وعلى العكس من ذلك ، كان مشهد خروج الجماهير فى ٩ ، ١٠ يونيو ، مشهدا هزيلا لايتناسب مع أهمية الحدث التاريخى . ولا يستغرق تتابع الاحداث، من وقت وقوع الهزيمة حتى قيام حركة التصحيح فى مايو ٧١ ، ســـوى دقيقتين على الشاشة ، ومن خــلال الاكتفاء بالوســيلة التقليدية ، وهى استعراض عناوين صحف تلك الفترة .

ورغممرور ستسنوات على الانفصال الفعلى بينزينب واسماعيل — وهو ما لايكتشفه الاثنان فى الفيلم سوى بعــد مرور أربع سنوات ، عندما يخلعــان خاتمى الخطوبة : — الا أنهما يعودان مرة أخرى على ما يبدو ، الى حبهما ، فى النهاية ، وعلىنحو مفتعل تماما ، عندما تجمع بينهما حرب أكتوبر ، من خلال العمل فى مستشفى واحد ! .. وهى النهاية التى لاتختلف عن النهايات التلفيقية السعيدة التى تزخر بها أفلام السينما التجارية التقليدية .

وبينما تتفوق سعاد حسنى فى دور زينب دياب، وهو واحد من أهم ادوارها دون شك فى السنوات الاخيرة ، ويتفوق كمال الشناوى فى دور خالد صفوان ، وفريد شوقى فى دور دياب ، وعلى الشريف فى دور حسب الله .. يبدو أداء نور الشريف فى دور اسماعيل الشيخ ، جامدا مفتقرا الى الحيوية فى مشاهد عديدة ، ويفقد دور ترنفلة الكثير من أبعاده ، بسبب الامكانيات المحدودة للممثلة شويكار ، وعدم تمكنها من نطق جمل الحوار نطقا صحيحا . وتبدو تحية كاريوكا فى دور والدة زينب، عبئا على العمل بأكمله ! .. أما محمد صبحى ، فقد أدى دور حلمى حمادة بإجادة لاشك فيها، على الرغم من عدم ملاءمته تماما للدور بسبب مواصفاته الشكلية الخاصة

وعلى الرغم من كل مايمكننا أن ناخذه على الفيلم ، الا أنه يظل ، بنبل القضية التى يدافع عنها ، ونجاحه فى اثارة مشاعر مشاهديه ، وجذبهم الى التعاطف مع قضيته ، من خلال أسلوبه المتميز بالجدية بوجه عام ، يظل فيلما نرحب به ، ونتبناه ، ونقيمه باعتباره خطوة طيبة على طريق السينما السياسية فى مصر .

أمير العمرى

الأب الروحى

هذه الطريقة المخادعة فى طرح القضايا !

يروى « فرانسيس فورد كوبولا » — والعهدة على الراوى — أنه تردد كثيرا قبل أن يوافق على القيام باخراج الجزء الثانى من « الاب الروحى » ، وذلك أنه كان متخوفا أن يأتى الفيلم مجرد حلقة جديدة من حلقات « الاب الروحى » ، وليس عملا كبيرا قائما ومستقلا بذاته .. وبعد الموافقة رفض أن يبدأ العمل قبل أن ينتهى من اخراج فيلم « المحادثة » ، وهو الفيلم الذى يقول عنه والعهدة على القائل مرة أخرى — بأنه بدأ التفكير فيه ، بل كتابته ، منذ عام ١٩٦٨ .



فرانسيس فورد كوبولا

وفيلم « المحادثة » يتعرض لقضية على درجة كبيرة من الخطورة ، قضية التجسس والتصنت التى كانت قمتها فضيحة « ووترجيت » الشهيرة ، والتى اودت بالرئيس الامريكى « ريتشارد نيكسون » ، واجبرته على الاستقالة والتخلى عن الحكم .. ولعل وقفة قصيرة عند هذا الفيلم تجعلنا ندرك طرفا من الطريقة المخادعة التى تتبعها « هوليود » عندما تتعرض لقضية هامة ، فتطمس ملامحها ، وتتجاهل ابعادها ، وتغير اطرافها فتهرب بالتالى الجناة الحقيقيين وتقدم بدلا منهم مجرمين وهميين ، الامر الذى يؤدى بالضرورة الى القضاء على الدلالة السياسية لقضية .

يبدأ الفيلم بلقطة طويلة اخاذة تقترب فيها الكاميرا من أعلى لتكشف تفاصيل شارع يمتلىء بالناس ، بينما يقوم أحد المهرجين بتقديم العابه للجمهور ، ينهمك أحد الرجال ، داخل عربة تكتظ بآلات دقيقة ، فى التصنت على شاب وشابة ، يبدو انهما يعيشان قصة حب . ومن توالى المشاهد ندرك أن « هارى » المتصنت الموهوب [أكبر كفاءة على طول الساحل الشرقى] يحترف هذه المهنة لحساب من يشاء .. وهو يتصنت هنا لحساب زوج الشابة ، ويدرك أن الزوج يزمع تدبير عملية قتل لزوجته الخائنة وعشيقها ولسبب ما يبدو متعاطفا ومتخوفا على مصير العاشقين .. وينجح الفيلم ، وهو يطرح المسالة بهذه الطريقة فى طمس البعد السياسى للقضية ، فهو يستبدل الاحزاب ، والمؤسسات ،

والهيئات ، واللجان الانتخابية ، التى تتبع نظام التصنت على بعضها ، بذلك الفرد البائس « هارى » الذى برع فى مهنته ، والذى ستدور الدراما داخل نفسه القلقة المعذبة طوال الفيلم ، فهو يشعر بالذنب ، ويحاول أن يتدخل لانقاذ حياة العاشقين . وفى موعد لقائهما فى احد الفنادق يستأجر الحجرة المجاورة لهما ، ويفاجأ بصراخ اليم فيدرك أن الجريمة وقعت . وعلى طريقة هيتشكوك » يفاجئنا «كوبولا » بأن القتيل هو زوج الشابة وليس عشيقها! ولا يحاول الفيلم ان يحل هذا اللغز ، ولكنه يتغلغل فى أعماق بطله الحائر ، المأخوذ ، الذى يدرك أنه مراقب ، وان هناك من يتصنت عليه .. ويحاول فى مشهد عاصف أن يبحث ، بطريقة محمومة فى شقته، عن اجهزة التسجيل الصغيرة التى قد تكون مخبأة هنا أو هناك . وينتهى الفيلم « بهارى » ضائعا ، غارقا بين حطام شقته ، جالسا على كرسى مستسلما ، يعزف يائسا على « الساكسفون » .

هكذا تجد الفيلم قد ابتعد تماما عن أية تحليلات سياسية ، وتجاهل وظيفة أجهزة التصنت الحقيقية ، وقدم العملية كلها كما لو كانت هواية شريرة ، ينبغ فيها البعض فتتحول الى احتراف له أضراره الكثيرة .. لكن الفيلم ، وهذه هى خطورته ، يطمس ملامح التضية بلغة سينمائية راقية جدا ، فايقاع الفيلم المتدفق ، السريع ، يأتى مناسبا تماما لموضوع نصف بوليسى ، والديكورات تبدو متلائمة تماما مع الجو النفسى العام فمثلا معمل « هارى » المكتظ بالالات يحاط بشبكة من الاسلاك كما لو كان سجنا قاسيا . ولغة الحوار تبلغ حدا كبيرا من الشاعرية فالشابة تقول لصديقتها عندما يشاهدا كهلا شريدا نائما على اريكة « كلما رأيت عجوزا نصف ميت هكذا اتذكر أنه كان فى يوم ما طفلا محبوبا مدللا ، له أم وأب واقارب ». ويتضمن الفيلم عددا من المشاهد الايحائية القوية ، لعل أشدها تأثيرا ذلك المشهد المروع الذى تطفو فيه الدماء من التواليت لتلوث اقدام هارى .. لكن هذا البناء المتأنق — فى النهاية — يجب الاينسينا أنه يتم فى اطار اخفاء دلالات القضية الاصلية ، وتقديمها على أساس انها مجرد مشكلة خاصة برجل يتعذب ، ويكاد يحتقر ذاته ، ويبدو قلقا تعسا ، لانه وجد نفسه — فجأة — متواطئا فى عملية قتل ! .

وعموما فان الطريقة المخادعة فى علاج القضايا الخطيرة ، والتى برع فيها «كوبولا » ، ليست قاصرة على فيلم « **المحادثة** » ، ففى «الجزء الاول» من « الاب الروحى » — لعلك تذكره — يجعلنا نخرج من دار السينما ونحن نحس بالحب والاحترام تجاه « دون كورليون » العظيم ، عميد احدى اسرات « المافيا » القوية .. ذلك أن الفيلم يغدق عليه من السمات الساحرة ما يجعله قيمة كبيرة، فهو من الناحية الشخصية يجمع بين قوة البدن وقوة الروح ونفاذ البصيرة ودقة الاحكام واتساع الافق ، فضلا من استقامة خلقية متطهرة ، وهو يدخل معركة حياة أو موت ضد عناصر «المافيا» الاخرى ، الشريرة ، التى تحاول أن تفرض عليه تجارة المخدرات .. تستغرق تفاصيل هذه الحرب الفيلم بطوله ، الى الدرجة التى تكاد تقنعنا بالاعمل لاسرات « المافيا » سوى تصفية بعضها البعض ، وان التناقضات بينها تناقضات رئيسية والا علاقة لها بالنظام الامريكى نفسه ، عاما بأنه من الثابت انها مخلب من مخالب السلطة ، وان نفوذها أيضا يمتد ليشمل معظم مؤسسات النظام .



« آل باتشينو »
فارس المافيا الجديد

ويبدو أن « كوبولا » كان يدرك تماما النواقص التى يحفل بها فيلمه ، ولمح فى اكثر من حديث بأنه لا يمكن أن يقول اكثر مما قاله فى فيلم تنتجه احدى شركات « هوليود » .. ووعد بأن الاموال الكثيرة التى سيجمعها من « الاب الروحي » المحظوظ ، سيستخدمها فى انتاج أفلام جديرة بالاحترام . وأن الجزء الثانى من « الاب الروحى » ، وان كان من انتاج « بارامونت » ، الا انه سيكون أكثر جدية واكثر صراحة وجرأة فهل حقق « كوبولا » ما وعد به ؟

يخرج المتفرج من دار العرض ، بعد مشاهدة الفيلم ، مرتبكا أشد الارتباك، وسيتساءل حتما : هل ما رآه فيلم كبير حقا ؟ خاصة وانه يتضمن مشادة حامية بين الاب الروحى الجديد وعضو مجلس شيوخ تنتهى بأن يقول الاول للثانى أن كليهما يلعب نفس اللعبة ، كما يروي فى مشهد آخر شيئا عن سقوط «باتستا» **ديكتاتور كوبا ليلة رأس سنة ١٩٥٩،**

ويبدو انه يريد أن يفضح دور المؤسسات الامريكية التى نهبت كوبا فترات طويلة، ولا تزال تنهب ثروات العالم الثالث ، مثل « بان امريكان » الشهيرة ، ذات النفوذ الكبير ، « وشركة التليفــــون والتلغراف » التى وقفت وراء الانقلاب الشيلى الدامى عام ١٩٧٣ ، وشركــة السكر والفاكهة .. كذلك يبــدو الفيلم كما لو كان يكشف كيفية التحــايل على تحقيقات المباحث الفيدرالية وامكانية ان تظل عاجزة عن اداء مهامها .. **لكن المتفرج الاكثر شجاعة وحسما والمرتبك أيضا ، سيتساءل اذا ما كانت هذه الامور تجعل من الاب الروحى ج ٢ عملا انتقاديا هاما حقا ؟ ام انها مجرد مشاهد تلميحية متناثرة هنا وهناك ، في سدم مترهل ، متشعب الى درجة غير معقولة ، يسقط فى نفس التصورات الرومانسية المزيفة التى سقط فيها « الجزء الاول » !**

يبدأ الجزء الثانى من حيث ينتهى الجزء الاول : بحمام دم تقيمه اسرة «كورليونى» لتصفي حسابها مع جميع أعدائها .. وفي اول مشهد من الجزء الثانى تطالعنا ذراع « مايـــكل كوريونى » ، عميــــد الاسرة الجديد ، فى لقطـــة كبيرة ، يقترب منها وجه واحد من أهم الاتباع، ليطبع عليها قبلة ولاء . وهى بدايـــة موازية لبداية الجزء الاول ، وهى تتم فى مكتب الاب الجديد بينما احدى الحفلات الكبيرة تتم فى الخارج . ومن خــلال تسلسل المشاهد ندرك أن « مايكل » ورث عن والده معظم خصال الفروسية .. وعندما ياوي الى فراشه ، بعد انتهاء الحفل ، يفاجأ برصاص كثيف يخترق جدران حجرته الخشبية من رشاش غادر وهو موقف يذكرنا بمحاولة قتل والده فى الجزء الاول . ويبدأ «مايكل» فى البحث عن المجرمين ، ويدرك بحسه المدرب أن ثمة خيانة من أقرب الناس اليه ، وكعادة « كوبولا » ينثر هنا وهناك بعض الجمل التى تبلغ فى براعتها حد الحكمة ، مثل قول « مايكل » انى احتفظ بأصدقائى بالقرب منى ، ولكنى أجعل اعـــدائى اقرب » .. ويكتشف بطلنا ان محاولة قتله تمت بالتواطؤ بين أخيه المتخاذل، الذى شاهدنا طرفا من ضعفه النفسى فى الجزء الاول ، و «هايمن روث » ، العجوز المحنك ، عميد احدى اسرات المافيا القوية ، التى تتنازع مع اسرة « مايكل » من اجل مناطق النفوذ . وقد قام الممثل « **لي ستر اسبورج** » مدير « ستوديو الممثل » بهذا الدور على النحو ابرز فيه ما يتمتع به « روث » من قوة ارادة وصلابة وتماســك واصرار على الحياة .. وهنا لابد أن نشير الى ان « كوبولا » يلعب نفس اللعبة التى تمت فى الجزء الاول بخصوص اعتبار التناقض بين اسرات المافيا هو التناقض الرئيسى، ولا نكاد نرى من نشاطها الا محاولـــة تصفية بعضها البعض .

ويبدو أن الرغبة فى تقديم فيلم كبير قد جنحت « بكوبولا » الى تقديم الفصول التى لم يتعرض لها من الرواية عندما اخرج الجزء الاول من « الاب الروحى »، وهى خاصة بنشأة « كورليون » الاب فى صقلية وظروف هجرته الى امريكا والمراحل الاولى لدخوله عالم الاجرام ، وهى فصول وان كانت على قدر كبير من الاهمية ، الا انها ترتبط عضويـــا بالجزء الاول ، فى الوقت الذى تعطى احساسا بأنها دخيلة على الجزء الثانى وملصقة فيه لصقا .. وهو الامر الذى جعل من « الاب الروحى » ج٢ فيلما طويلا اكثر من كونه فيلما كبيرا .

أما عن بعض المشاهد الانتقاديـــة المتناثرة ، والتى بدا فيها « كوبولا » متهورا اكثر من كونه جريئا متفهما ، مثل المشهد الخاص بثورة كوبا ، والتى ذكر فيها اسماء المؤسسات الامريكيـــة المستغلة ، فيجب أن نتنبه الى تصوره العجيب للثورة نفسها ، ذلك انه لايقدم لنا الا شراذم متناثرة فى الشوارع تصفق وتصيح « فيدل .. فيدل » .. كذلك يحمل المشهد الخاص بالتحـــايل على تحقيقات المباحث الفيدرالية ، **فى بعد من** أبعاده ، **احتراما مبالغا فيه لذلك الجهاز الذى يبدو كما لو كان ضحية للديمقراطية التى تحمى المتهم مهما كـانت الظروف والملابسات .**

هكذا نجد أن فيلم « الاب الروحى » ج٢ ، لم يتجاوز طريقـــة « كوبولا » المخادعة فى علاج القضايا ، فهو هنـا « يفرطح » الامور ، ويتشعب بالمسائل، ويرتد الى الماضى ، وقدم عددا كبيرا جدا من الشخصيات ، حتى انه يشتت ذهن المتفرج ، ويجعله يشعر بالارتباك بعد مشاهدة العرض .. وقد يعتقد البعض أن سبب هذا الارتباك يكمن فى النصف ساعة أو الساعة التى حذفتها الشركة من الفيلم ، لكن الحقيقة ، فى اعتقادى ان الارتباك يكمن فى روح الفيلم ، وانه جزء من أسلوب المخرج الذى يتعمد — كعادته — طمس الدلالة السياســية والاجتماعية للقضايا التى يتعرض لها، عن طريق استدراج المتفرج الى مسارب جانبية تبعده تماما عن تبين حقيقة الامور ومغزاها . □

كمال رمزى



هـــذا الفنـــــان ..

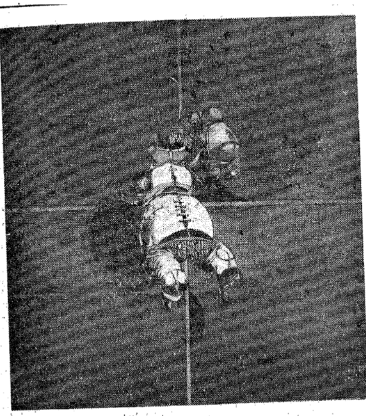
وانســـــانه الطـــائر !

ان قرننا العشرين بما شـــهده من اكتشافات وتغيرات واهــوال ، وما صاحب ذلك من سقوط قيم وبزوغ قيم — قد كان زلزالا لحركة الفن التشكيلي، فلم يبـــق فى مكانه ، ذلك الإبـداع الوقور المتجفى ، المفعم بالنبل والعذوبة المسونة ، وبكل ما يثرى الوجـــدان الانسانى ، بل تحول الى مهرج يلجأ الى اكثر الوسائل اثارة وجنونا بهدف استعادة الانتباه الذى انسحب عنه ، او الصمود فى سباق العصر اللا انسانى .. وكم راينا أعمالا « فنيـــة » تشيأ الانسان فيها حتى اصبح مجموعة من الالات والمحركات الكهربائية ، او ابتذلت عواطفه وغرائزه امام جمهور المعارض .. وكان هذا انعكاسا لازمة الحضارة الغربية المحشـــورة فى عنق الزجــاجة الرأسمالية .

ولكن بجانب هذا كانت هناك اتجاهات جادة فى مجال المهارة التكنيكية ، وقد صارت هذه المهارة المبهرة فى استخدام الخامات الغريبة والعناصر التشكيليه المجردة ، بديلا عن الوجود الانسانى — أو المضمون الانسانى — داخل العمل الفنى ، وهى وان كانت أعمالا فنية تقوم على قيمة جمالية أصيلة فى الفن التشكيلى — كفن بصرى يعتمد أساسا على حاسة اللمس وتلعب الخامة والشكل فيه الدور الرئيسى — الا أنها لا تبتعد فى جوهرها كثيرا عن أعمال الاثارة السابقة ، فهناك هدف مشترك بينهما وهو اجتذاب الابصار ، دون انشغال بقضايا أو مضامين انسانية ، أو حتى دون احتواء على الشحنة التعبيرية ، التى لايعد أى عمل فنى مكتملا بدونها مهما كانت عبقريته التكنيكية . وكانت هذه الاتجاهات تحتمى غالبا بشعار « الفن للفن » .. [وقد شاهدنا فى القاهرة فى يناير الماضى نماذج من هذه الاتجاهات فى معرض الفن الالمانى المعاصر ، ويمكن لمن يجب أن يرى المزيد ان يزور بينالى الاسكندرية القائم حاليا !]

اثار فى ذهنى هذه المسألة معرض جديد شهدته القاهرة فى فبراير الماضى للفنان الشاب « احمد نوار » بأتيليه القاهرة ، وهو فى أغلبه أعمال فى الحفر على الزنك . وقد وصل الفنان حديثا الى مصر بعد قضاء أربع سنوات فى أسبانيا فى بعثة دراسية ، ويعمل حاليا مدرسا بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة . وهذا المعرض يمثل أرقى ما وصل اليه نوار من مهارة تكنيكية فى فن الحفر ، تجاوز بها المستوى الذى تتلمذ عليه فى الخارج ، وأثار اهتمام النقاد والجمهور الاسبانى .

فهل ينضوى المعرض تحت أحد الاتجاهات التى أشرت اليها؟.. اتجاهات التشيؤ الالى أو الاثارة الرخيصة أو المهارة التكنيكية المفرغة من أى مضمون انسانى ؟.. أعتقد انه تجاوزها جميعا ، وقد كان يمكن أن يسقط فى أحضان الاخيرة منها ، بما فيها من مغريات تداعب رغبة الفنان التشكيلى الطموح دائما للتجريب ، والحفر خاصة يتضمن مزيدا من هذه المغريات ، كما أن موهبة نوار الحقيقية تكمن فى قدرته على البحث والتجريب ، وله فى الحفر انجازات هامة فى الوسائل التكنيكية المستخدمة . لكن الشىء الوحيد الذى انقذه من « الشكلية » البحتة هو احتواء كثير من اعماله على شحنة تعبيرية ما ، ووقوف بعضها على تخوم موقف فكرى . وشحنة التعبيرية مكثفة قلقة غامضة ، منطلقها هو انسان القرن العشرين — بشكل مطلق — باختناقه تحت ضغوط المدينة الحديثة وانتفاخه بعادم السيارات والمصانع واغترابه أو اقتلاعه من الارض التى يقف عليها وتحوله الى بالونات منتفخة تطير فى الفراغ . وهى كما نرى شحنة تنطلق من « حالة » مبهمة أو موقف تجريدى آحادى الجانب : وليس من رؤية جدلية « لهذا القرن العشرين وانسانه الطائر فى الفراغ !»



اللوحة اسمها الالم .. «حفر على الزنك »

كان نوار بمعرضه مكتظا بطموح ضخم : أن يكون شاهدا على هذا العصر ومعبرا عنه باللغة التشكيلية التى يجيدها ، من خلال ابر الحفر والواح الزنك والاحبار السوداء والملونة وهو طموح شجاع ومشروع ، بل ومطلوب بالنسبة لنا ، نحن قاطنى ارياف العالم ! .. وقد نختلف فكريا أو فلسفيا حول مفهومنا عن هذا العصر وعن أزمته وعن انسانه ، وحول الزاوية التى ينظر منها كل منا اليهم ، وهذا شىء حسن لانه دليل حيوية وخصوبة ... وعلى هذا فان اختلافى فى وجهة النظر « الفكرية » مع الفنان لايؤثر اطلاقا على نظرتى لاعماله ، كقطع متقنة وجميلة ... لكن ما يجب أن يتوفر لاى فنان يتعرض لقضية فكرية ، أن يعايش موضوعه معايشة صحيحة حتى يخرج العمل الفنى فى النهاية وكأنه تجربته الشخصية ، لا أن يعالجه من الخارج بمفهومات مسبقة أو جاهزة مهما كانت منطقيتها ... فى أعمال نوار أحسست أنه يتعامل مع انسان المدينة الرأسمالية تعاملا خارجيا بمفهوم تعميمى جاهز .. فهو الانسان المختنق اللاهث المغترب الممزق ال .. الـ ... لكن : من هو هذا الانسان؟ .. ما هويته ؟ .. ومن هو هذا الفنان الذى يصوره ؟ .. أهو فنان غربى .. احد ابناء تلك المدنية الرأسمالية المأزومة .. يحمل بداخله أعراضها ويتمرد عليها ؟ .. ام هو فنان شرقى جاء الى مدنية الغرب وبداخله مخزون من خبراته وتراثه : فكريا أو فنيا أو روحيا ؟ .. ان كلا منهما سوف يعالج نفس الموضوع « **بشكل** » مختلف تماما من الاخر ، حتى ولو اتفقنا فى الموقف الفكرى ، بل سوف يختلف حتى الفنان الشرقى فى مكان ما عنه فى مكان آخر ، فلن يكون العمل الفنى عن أزمة انسان القرن العشرين لفنان من الهند ، مثلا ، شبيها بعمل فنان مصر أو عراقى .

وهذا « الشكل » هو فى النهاية قيمة الفنان ، فهو بطاقته الشخصية .

فى معرض نوار لم استطع ان اقرأ بطاقته الشخصية ، أحسست انها مكتوبة بلغة لاتينية ، فلم أعرف ان كان فنانا غربيا أو شرقيا . لكنه بالتأكيد لا يوحى بانه فنان مصرى ، حتى فى اللوحات التى تخلو من الموضوع أو الانسان وتعتمد على البناء المحكم للعلاقات وعناصر تشكيلية أقرب الى الزخرفية ، لم أشعر أنه تأثر من قريب او بعيد بالمؤثرات الجمالية فى تراثنا أو بيئتنا المحلية . ورغم اختلافى مع الفنانين المصريين والعرب الذين يجعلون من بعض العناصر الزخرفية والخطية فى التراث الاسلامى والشعبى وغيرها مادة وحيدة للبحث التشكيلى وبناء عالم تجريدى منها ، الا أننى أشعر بانهم قريبون الى والى أى مواطن مصرى . أما نوار فأشعر أن المسافة بيننا شاسعة . وان كان ما يشدنى بقوة الى لوحاته هى المهارة التكنيكية البالغة النضج والرهافة ، فان شحنته التعبيرية لم تستطع أن تنفذ الى قلبى وظللت أتعامل مع عالمه بعقل بارد .

والخطر الذى يهدد هذا الفنان ، هو أن منطلقه الفكرى التجريدى ، يستتبع أداء تكنيكيا اقرب الى التجريد ، وهو أقصر الطرق الى « الشكلية » ، التى تصل حتما الى طريق مسدود مهما بلغت من مهارة واثارة ، وهو نفس المنطلق الفكرى والطريق المسدود الذى سار فيه كل من فنانينا الراحلين رمسيس يونان وفؤاد كامل وانتهى بدمارهما .

الا أن الخوف عليه من ذلك الخطر يتضاءل بالنظر الى حجم موهبته وايمانه — حتى الان — بأهمية أن يكون الفن تعبيرا عن موقفه انسانى .

وفى رأيى أن أنجح أعماله فى ذلك المعرض هى تلك المنفذة باللون الاسود فقط على الورق الابيض ، والتى تخلو الى حد كبير من الهندسية الباردة فى أعماله الاخرى ... ان الدراما فيها مكثفة الى درجة عالية ، وانتباعنا ينحصر فى الاشكال الادمية البيضاء التى تتخبط فى الفراغ الاسود العريض ، منتفخة ممزقة يائسة ، وقد خيطت بعض أجزائها ورقعت كأنها محشوة بأسمال ونفايات .

وأظن أن وجود الفنان خارج وطنه سنوات طويلة فى أسبانيا كان له تأثير أساسى فى رؤيته الفكرية والابداعية على السواء . الا ان موهبته أكبر من أن تخضع طويلا ذلك التأثير ، وأن معايشته الجديدة لانسان مصر ، ولمؤثراتها التشكيلية — الموروثة والمعاصرة — سوف تعجل باستقلاله من الرؤية الغربية وتعطيه هويته المميزة : كفنان مصرى أصيل ، مما يجعله كسبا حقيقيا للحركة التشكيلية المعاصرة .

عز الدين نجيب .

صــدر عـن وزارة الاعــلام العـــراقية

فن التصوير عند العرب

تأليف :

ريتشـــارد أتنغهاوزن

رئيس محافظي فن الشرق الادنى الجديد
في متحف فـرير للفن في واشـــنطن

ترجمة وتعليق :

ـ الدكتور عيسى سـليمان
ـ سـليم طـه التكريتي

الحضر – مدينــة الشــمس

تأليف :

ـ فـؤاد سـعد
ـ محمـد علـي مصطفى

تطلـب من دار الكتـاب العــراقي
شـارع طلعت حـرب – القـاهرة

السنة الثانية عشرة
ابريل ١٩٧٦

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

ماذا «حول» .. وماذا «بعد» انهاء معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية ؟

الجزائر الثورة .. «لا» الثورة المضادة



نقابة المعلمين .. وقضية الديمقراطية

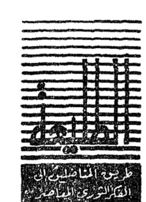
مستقبل العالم العربى فى عصر الانفراج الدولى

● تعليم الفلسفة فى م

● أزمة القيم فى الم

مسرح اليسار الجديد

▲ ملحق الادب الفن



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع أمسين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ – مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الرابع – السنة الثانية عشرة – ابريل ١٩٧٦

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تمنح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك]

كلمة من « الطليعة »

حدد مجلس التحرير اهتمامات ثلاث للطليعة فى عام ١٩٧٦ فى مجال العمل الوطنى المصرى أى الداخلى .

أولا : قضية تحرير الارض ، فى بعدها القومي كمهمة رئيسية امام حركة التحرر الوطنى العربية المعادية للاستعمار . ثانيا : قضية الديمقراطية فى اطار الحفاظ على مكتسبات وانجازات ثورة يوليو وتطورها مع تصحيح السلبيات التى شابت حركة العمل السياسى فيها . ثالثا : قضية التنمية في بعدها الاجتماعى عن طريق التعرف على جذور « هموم » المواطن المصرى مباشرة .

وفى اجتماعاته الشهرية ، تابع مجلس التحرير مباشرة خطة عمله فى التطبيق ، واضاف اليها — كأسلوب — اهمية مناقشة قضية القيم فى المجتمع المصرى ، التى بداها ملحق العلم والفلسفة — هذا العدد — فى ندوة مفتوحة يطرح ما جاء بها للنقاش العام ، ولا تطرح الطليعة قضية القيم ، فى اطار فلسفى مجرد ، وانما فى اطار اجتماعى يتصل بأخلاقيات العمل اليومي والعمل السياسى والعمل الاقتصادى .. الخ . وذلك بهدف تكريس القيم الجديدة لتطور المجتمعات ورقيها وبناء حضارتها .

أما ملحق الادب والفن فيبدأ سلسلة دراسات عن التجارب الادبية والفنية العالمية بدراسة عن مسرح اليسار الجديد فى امريكا .

« اسرة تحرير الطليعة »



مـــاذا « حـــول »
ومـــاذا « بعـــد »
انهـــاء معاهدة الصـــداقة المصرية الســوفيتية

جاء طلب الرئيس السادات الى مجلس الشعب فى الرابع عشر من شهر مارس ١٩٧٦ ، بانهاء العمل بمعاهدة الصداقةوالتعاون بين مصر والاتحـــاد السوفيتى واستجابةالهيئة التشريعية لهذا الطلب فىأربع وعشرين ساعة ، مفــاجاة من نوع خاص ، فى شأن علاقة من نوع خاص ،وسط ظروف محلية ودولية من نوع خاص.

وكما كان عقد المعاهدة فى مايو ١٩٧١،حدثا دبلوماسيا غير عـادى وظاهرة غير مسبوقة فى تاريخ العلاقات الدولية ، كذلككان الحال عند اقدام مصر على انهائها فى مارس ١٩٧٦ ، قبل نهاية أجلها التعاقدى.

واذا حاولنا أن نقترب أكثر من تحـــديدخصوصية هذه المفاجاة ، فاننـــا نميل الى استخدام عبارة « **مفاجاة اللامفاجاة** » .

بمعنى أن الانهـــاء المصرى للمعاهدة ،ظل ، مع تصاعد الخلاف بين الدولتين ، متوقعا « نظريا » . لكنه مستبعد «عمليا»عنـــد أرجح الاحتمالات . وبالتـــالى فان التلويح بالالغاء أعتبر ، دوما ، نوعـــا من الضغط السياسى . لا أكثر .

والواقع انه منذ قيام السادات في يوليو١٩٧٢ بانهـــاء مهمة الخبراء العســـكريين السوفيت ـــ وكان هذا أول ظاهرة مرئيةللخـــلاف بين البلدين وبلوغه حــد الازمة العنيفة منذ عام ١٩٦٧ ـــ وثمة ايحاءاتمصرية متعددة النغمات تكرر بثها فى شكل تساؤلات حول مستقبل المعاهدة ومصيرهاوصاحب ذلك مجموعة متلاحقة منالتكهنات والتوقعات فى العـــالم العربى والساحةالدولية ملأت أجـــواء ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، خاصة اثر اتمام الاتفاقية الثانية فى سيناء ،حول اتجاه القـــاهرة لانهاء المعـــاهدة من جانبها . بيد أن عام ١٩٧٥ انقضى دون أنيتحقق شىء من هذه التوقعات التى أخذت أصواتها تخفت حتى كادت تتلاشى .

وبدا ان الجهود الرسمية والشـــعبيةالتى نشطت فى كل من القاهرة وموسكو، تواكبها حركة الدول والشخصيات العالميةالصديقة ، كادت تفلح فىمحاصرة «الخلاف ـ الازمة» . وذلك فى محاولة لاعـــادةالمياه الى مجرى الصداقة بين البلدين . وكان من أهم المشـــاهد على ذلـــك ،مشهدان متميزان .

الاول ، فى موســـكو ، عنـــدما وقف« ليونيد بريجنيف » أمام المؤتمر الخامس والعشرين للحـــزب الشيوعى الســـوفيتىيؤكـــد على ضرورة العمل على تواصـــل العلاقات المصريةالسوفيتية لصالح البلدينوالعالم العربى معا ، على المدى الطويل، من خلال المعاهدة .

اما **المشهد الثانى** ، فقد كانت القاهرةمسرحه ، وذلك عنـــدما استقبل الرئيس السادات السفير السوفيتى فى القـــاهرة« بولياكوف » لاول مرة منذ ما يقرب من عـــام . وحرصت الصـــحف المصرية علىتسجيل هذا اللقاء فى صورة احتلت أربعة أعمدة من صفحاتها الاولى ، فى العاشر منمارس ، تدليلا على أهمية اللقاء .

وشـاع يومها ان « نسيم التحسن » قدبدأ يرطب مناخ الصداقة . ولـــكن اذا « بالمفاجاه » تتفجر فى خطاب الرئيس قبلانقضاء الشهر الثالث من عـــام ١٩٧٦ . وظهر أن « القشـــة » التى قصمت ظهرالمعاهدة ، كانت هندية. فقد صرح الرئيس أن الحكومة الهندية أبلغته اعتذارها عناجراء عمرة طائرات الميج المصرية بسبب اعتراض السوفييت .

اذا وضعنا هذه المفاجأة فى اطارحركةالاحداث التى مرت بها العلاقات المصرية السوفيتية فى الخمس سنوات الاخيرة ،وخاصة اثر انهاء مهمة الخبراء السوفييت، لتبين لنا بوضوح أن القاهرة ، بما درجتعلى اطلاقه من ايحاءات حـــول مستقبل

المذكرة الايضاحية المقدمة من وزارة الخارجية المصرية بشأن القرار الجمهورى الخاص بانهاء العمل بمعاهدة الصداقة والتعـــاون بين مصر والاتحاد السوفيتى

منذ امتدت جسور التعاون بين مصر والاتحاد السوفيتي ، ظلت مصر حريصة على تدعيم هـــذا التعـــاون وتنميته ، لصالح البلدين والشـــعبين ، وصالح معركة التحرير التى نخوضها ومعنا الامة العربية كلها . ، وكان هـــذا مبنيا على مبـــادىء ارتضاها المجتمع الدولى لتنظيم العلاقات بين الامم والشعوب ، بعيدا عن الاستغلال والسيطرة والتحكم .

ولتدعيم هذا الخط المبـدئى ، تلاقت ارادة البلدين على تقنين العلاقة بينهما فى وثيقة تحدد الخطوط الاساسية لها وتبين الحقوق والالتزامات المتبادلة لكل من الطرفين ، وبالفعل تم فى ٢٧ مايو ١٩٧١ توقيع معاهدة الصداقة والتعـــاون بين البلدين فى القاهرة .

وبالرجوع الى نصوص المعاهدة ، بل والمناقشات التى دارت قبـــل توقيعها ، يتبين بوضوح انها تقـــوم على دعـــائم أساسية يمكن وصفها بالمبادىء الحاكمة ، والجوهر الذى يضـــفى على الوثيقـــة مضمونها وسبب قيامها أصـــلا ، واول هذه الاسس كما نعلم هو أن يســـير التعامل بين الطرفين فى جميع الميادين فى اطار احترام السيادة وسلامة الاراضى وعدم التدخل فى الشـــئون الداخلية ، والمساواة فى الحقوق والمنفعة المتبادلة ، وكان طبيعيا اذن أن تتصدر النص على تلك المبادىء صلب المعاهدة ويوضع فى مادتها الاولى ، وقد أصبح مسلما أن استقلال أى دولة وحقهـــا فى ادارة شئونها الداخلية بعيدا عن أى تدخـــل خارجى مهما كان مصدره هو حجر الزاوية فى كيانها ووجودها نفسه ، وهو من الامور التى لا تستطيع أى حـــكومة ولا تملك ان تفرط فيها او تخل بها بأية صورة

ومن جهة أخرى ، كان من جـــوهر المعاهدة تعزيز القدرة الدفاعية لجمهورية مصر العربية بشتى السبل ، ســـواء بامداد الاتحاد السوفيتى لهـــا بالسلاح والعتاد ، أو بمعاونتها فى زيادةالكفاءة القتالية لقواتها المسلحة ، وذلك لتمكينها من ازالة آثار العدوان والتصـــدى لاى عدوان تتعرض له بوجه عام ، وهـــو ما نصت عليه المادة الثانية على النحـــو التالى : « وتعزيزا للقـــدرة الدفاعيـــة لجمهورية مصر العربيـــــة ، سيواصل الطرفان المتعـــاقدان الساميان تطـــوير التعاون فى المجال العسكرى علىأساس الاتفاقات المناسبة فيما بينهما ، ويشمل هذا التعاون بشكل خاص العـــون فى

المعاهدة ، كانت في واقع الامر ترسل اشارات محسوبة وذات معنى الى العواصم الدولية الكبرى وبالذات موسكو. وفي الوقت نفسه تمهد « الاجواء » لخطوة انهاء المعاهدة ، بحيث تحد من دائرة ردود فعلها، دون أن تنزع منها طابع «الصدمة».

وهذا أسلوب أصبح مميزا لتكنيك السادات في العمل السياسي ، اطلق هو نفسه عليه اسم « الصدمات الكهربائية ». استخدمه في المجالات المحلية والعربية والدولية على السواء أكثر من مرة . وذلك في تصفية ما اصطلح على تسميته بمراكز القوى في مصر عام ١٩٧١ ، وانهاء مهمة الخبراء السوفيت عام ١٩٧٢ ، وشن حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ — عسكريا — بالتعاون مع سوريا والثورة الفلسطينية و — بتروليا — بالتعاون مع السعودية وبلدان الخليج .

وهكذا يبدو اجراء انهاء العمل بالمعاهدة، انعكاسا لاسلوب السادات في التعامل السياسي « بالصدمات الكهربائية » تحقيقا لهدفين أساسيين من أهداف سياستنا : وهما الحد من الطبيعة الخاصة للعلاقات المصرية السوفيتية ، وترسيخ سياسة « التوازن في العلاقات الدولية لمصر » بين الاتحاد السوفيتي، وبين أمريكا التي لا تقوم بينها وبين مصر معاهدة صداقة . في الوقت الذي يرى أنها تملك ٩٩٪ من أوراق اللعبة في الشرق الاوسط .

● ● ●

ليس من شك في أن اجراء انهاء المعاهدة ، يكشف بجلاء عن فداحة الازمة التي تستحكم بالعلاقات المصرية السوفيتية. بل وفشل كل ما بذل من جهود على مختلف المستويات في سبيل علاج هذه الازمة وتخطيها موضوعيا وذاتيا على السواء .

تدريب أفراد القوات المسلحة لجمهورية مصر العربية ، وفي استيعابهم للعتاد وللاسلحة التي يتم توريدها الى جمهورية مصر العربية من أجل تقوية قدرتها على ازالة آثار العدوان ، وكذلك تقوية قدرتها على مواجهة العدوان عموما » .

ولسنا بحاجة الى الاشارة الى أهمية هذا النص ومركزيته وحيويته الفائقة بالنسبة للمعاهدة ولاتجاه ارادتنا الى عقدها ، ويكفي أن نقتطف من تقرير لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب المؤرخ ٩ يونيو ١٩٧١ ، الذى أوصت فيه اللجنة بالموافقة على هذه المعاهدة، اذ ورد في التقرير مايلي حرفيا « أن المعركة هي قوام هذه المعاهدة وعمادها، والدافع الاول والاخير لكل خطوة لنا في حاضر ايامنا ونحو مستقبلنا ، لتخليص الانسان المصري من آثار التخلف والاحتلال وكل صور التبعية » .

وكانت مصر من جانبها وفية للالتزامات التي تتحملها بمقتضى المعاهدة ، فعملت على تعميق الصلات وتنويعها بين الطرفين وهو ما يتضح من عدد الاتفاقيات والبروتوكول التي وقعها الطرفان بعد عقد المعاهدة ، وتعدد صور النشاط التي تنظمها ، ويكفي أن نذكر أن العام الذى وقعت فيه المعاهدة [عام ١٩٧١] شهد عقد ست اتفاقيات بين البلدين ، تحكم التعاون بينهما في المجالات التجارية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والاعلامية ، كما أن العام الماضي [عام ١٩٧٥] شهد توقيع عشر اتفاقيات وبروتوكولات تتعرض لمعظم جوانب التعامل والتبادل بين البلدين . ويكفي ايضا الاشارة الى معدل الزيارات التي قام بها وزراء ومسئولون مصريون للاتحاد السوفيتي والرسائل التي تبودلت في تلك الفترة على جميع المستويات .

ورغم هذا الموقف الثابت من جانبنا ، فان الحكومة السوفيتية اتخذت مواقف تعتبر اخلالا خطيرا بالمعاهدة المذكورة في نصوصها وروحها وبالذات في النصوص الجوهرية الحاكمة ، التي تدور حولها المعاهدة وجودا وعدما ، ويزيد من خطورة هذه المواقف أنه وضح أنها نابعة من قرارات سياسية اتخذتها القيادة السوفيتية ، وليست مجرد منهج مختلف في التعامل .

فقد لاحظنا في الفترة الاخيرة ظاهرة جديدة من المسئولين السوفيت ، تعتبر نكوصا منهم عن المادة الاولى للمعاهدة، وهي ظاهرة التعرض لامور هي من صميم الشئون الداخلية للشعب المصري . سواء باسلوب مباشر او أسلوب غير مباشر ، ولعل اقرب الامثلة على هذا المسلك السوفيتي هو ما ذكره الرفيق ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في تقريره أمام المؤتمر الخامس والعشرين في ٢٤ فبراير ١٩٧٦ عن « محاولات نسف الانجازات الاجتماعية والسياسية للثورة المصرية» ، ولم يكتف الزعيم السوفيتي بالتعرض لهذه المسائل التي تدخل في نطاق الشئون الداخلية لمصر ، بل انه تجاوز هذا الى مسايرة الخط الذى يروج مفاهيم خاطئة عن « الضغوط الشديدة التي تمارسها الرجعية الداخلية والخارجية » .

بل ان الامر لم يقف عند هذا الحد وانما الذى حدث هو أن هذا الخط الموج

وليس من شك — أيضا — في أن هذه الهوة التي تردت فيها العلاقات تثير أعمق مشاعر الاسف والانزعاج لدى كل وطني مخلص . وكل انسان يقدر ، بوعي وموضوعية ، الدور التاريخي لمصر في حركة التحرر العربي والعالم الثالث ، والدور التاريخي للاتحاد السوفيتي في مساندة ودعم قضايا الوطن العربي والعالم الثالث وتأمين السلام العالمي ضد العدوان الامبريالي .

لكن ليس بالاسف وحده ، نواجه هذه القضية التي لا تقف بأبعادها عند حدود مصر والاتحاد السوفيتي . بل تمتد الى الوطن العربي والعالم الثالث . وتتصل اتصالا وثيقا بالمسألة المركزية في الساحة الدولية ، وهي امكانية التعايش السلمي مع استمرار الصراع ضد الامبريالية والعدوان .

وتبرز مسئولياتنا — الوطنية والعربية والدولية — في العمل ، وسط ظروف بالغة التعقيد وفي مواجهة قوى وعوامل مختلفة تنشط بذكاء لافساد العلاقات بين بلدان العالم الثالث والبلدان الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي ، على وقف التدهور في العلاقات المصرية السوفيتية . وتنقيتها مما شابها من نواقص واخطاء ، والانطلاق بها — رغم انهاء المعاهدة — نحو طريق آمنة تكون فيها أكثر تفاعلا مع المتغيرات الدولية ، وأسرع في حركتها ومبادرتها من حركات ومبادرات القوى المضادة .

لقد كنا دائما نعمل بأمل ، أن تستعيد العلاقات حيويتها من خلال حوار مباشر وشامل بين البلدين ، كان موضع الحاحنا المستمر في القاهرة وموسكو على السواء ، في اطار استمرار معاهدة الصداقة والتعاون .

ومع ذلك ، فاننا نرى أن انهاء المعاهدة ، لا يجب أن يتحول الى قيد على حركتنا الواعية المستنيرة من أجل اعادة بناء الصداقة من جديد ، في ضوء معطيات

وجد صداه للاسف في بعض المكاتبات التي وجهها الزعماء السوفيت للقيادة المصرية في الاونة الاخيرة ، وهو مايكشف عن تجاهل السوفيت وعدم اكتراثهم بالالتزام الواقع على الطرفين في المعاهدة طبقا لحكم المادة الاولى ، والا لما استباحوا لانفسهم التعرض للاوضاع الداخلية لمصر على هذا النحو ، وهو تصرف لم تنزلق اليه مصر تحت اى ظرف من الظروف ، بل انها لم تتردد في الوقوف بحزم الى جانب الاتحاد السوفيتي في مختلف المحافل الدولية ضد الحملات المغرضة التي كانت تستهدف التعرض للشئون الداخلية للاتحاد السوفيتي نفسه .

وفات القادة السوفيت أن يدركوا أنهم اذا كانوا حقا صادقين في مساعدة مصر لحماية مكاسبها الثورية طبقا لنص المادة الثانية من المعاهدة ، فان السبيل الفعال لذلك ليس التشدق بهذه المكاسب أو التباكي عليها من جانب المسئولين السوفيت ، بل هو اتباع السبيل المرسوم في المعاهدة ، وهو تدعيم قدرة مصر على الدفاع عن شعبها وترابها ، والذود من مقدساتها ، ومساندتها للثورة الفلسطينية ، التي هي واحدة من ركائز العمل العربي القومي في هذه المرحلة ، فبغير استرجاع الارض والحفاظ على سلامة الاقليم وعلى كرامة جماهير الشعب ، لا يمكن ان تكتمل المكاسب الثورية او تترسخ ، طالما أن الشعب مهدد في سلامته ، والوطن كله مهدد في أمنه الاستراتيجي العسكري .

وليس سرا ان موقف الاتحاد السوفيتي من مسألة تدعيم قدرات مصر الدفاعية كان موقفا يترك الكثير للتمني طوال المدة التي تلت حرب ١٩٦٧ ، مع وضوح حاجة مصر والامة العربية كلها الى السلاح والعتاد بالحجم والنوع اللذين يمكنان القوات المصرية المسلحة من ردع العدوان والقضاء على آثاره ، وأوضحها احتلال ارض غالية من تراب مصر وسوريا وفلسطين . وقد ظل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يعاني من هذا الموقف ويحاول التأثير على القادة السوفيت لعلهم يتنبهون الى خطورة مسلكهم والى وجوب عدم التراخي في الاستجابة لطلباتنا في مجال الدفاع ، باعتبارها مسألة مصيرية تحكم حاضر الامة العربية ومستقبلها .

وظل الموقف السوفيتي في هذا الصدد يتأرجح بين التمنع والتردد ، رغم توقيع المعاهدة ، ورغم تدفق الاسلحة على اسرائيل بما يتجاوز حاجتها وهي تحتل ارضا عربية ، ثم بعد ايقاف اطلاق النار في الاسبوع الاخير من أكتوبر ١٩٧٣ بناء على مبادرة اشترك فيها الاتحاد السوفيتي أصبح الموقف السوفيتي واضحا في عدم الالتزام بحكم المادة الثامنة من المعاهدة ، اذ ان الاتحاد السوفيتي لم يكتف منذ ذلك الحين بعدم تعويض خسائرنا من السلاح والعتاد وعدم الموافقة على صفقات جديدة لتوريد السلاح ، وانما وصل الامر حد حجب قطع الغيار عن مصر ورفض اجراء الاصلاحات والعمرات اللازمة لطائراتنا ، بل رغبة في احكام الحصار على مصر تمادى الموقف السوفيتي في هذا الاتجاه ، لدرجة ان الجانب السوفيتي رفض أن تقوم الهند — وهي دولة غير منحازة صديقة — باداء هذه

البدايات القلقة لعصر الانفراج الدولى ،والدروس المستفادة من صعود وهبوط درجات الحرارة فى تاريخ العلاقات المصرية السوفيتية منذ صفقة الاسلحة الشهيرة، فى عام ١٩٥٥ .

هل هذا فى حيز الامكان اليوم ؟

نعم .. صعب وشاق . لكنه ممكن .وفوق أنه ممكن ، هو ضرورى .

وهنـاك تكمن المسئولية ذات الرؤية السياسية الواعية .

ان « المعاهدة » بين بلدين ، هى تعبير عما تكون قد وصلت اليه الصداقة بينهما من مستوى خاص ورفيع ، أو تجاوبا مشتركا فى مواجهة ظروف طارئة .

والمعاهدة المصرية السوفيتية كانت تعبيرا عن الامرين معا . وذلك عند عقدها فى ٢٩ مايو ١٩٧١ ، بعد أيام من تنحية ما أصطلح على تسميته بمراكز القوى فى ١٥ مايو ١٩٧١ والتى كانت تحسب ـ عالميا ـ بأنها منحازة للصداقة مع السوفيت . وكذلك بعد عشرات السنين من العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية التى بلغت مستويات عالية لم يسبق لها مثيل بين الاتحاد السوفيتى وبلد آخر من بلدان العالم الثالث .

بيد أن هذا كله لا يجعل « المعاهدة » شرطا لازما وضروريا لبناء الصداقة بين بلدين .

وفى اطار الصداقات مع السوفيت ،نذكر مثلا ان الصداقة السورية السوفيتية، لا تنظمها معاهدات . ونلحظ ان الصداقة المصرية السوفيتية ، نفسها ، لم تقنن فى معاهدة الا فى عام ١٩٧١ ، رغم انها بدأت تتبلور منذ عام ١٩٥٥ وبلغت أوجها فى الستينات مع السد العالى ومجمع الحديد والصلب واعادة بناء القوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ .

المهمة ، بالرغم من أن حكومة الهند قد ابلغتنا بأنها من جانبها على استعداد لتقديم العون لنا ، ولديها الكثير منه ، ثم دأب المسئولون السوفيت على تجاهل المطالبات المصرية المتعاقبة ، بل انهم امتنعوا عن الرد عليها أو مناقشتها .

وكان واضحا ان الاتحاد السوفيتى ـ لدهشة مصر وأسفها ـ يهدف الى حرمان مصر من أهم مقومات قوتها ، وجعل قواتها المسلحة مكشوفة أمام عدو لا يكف عن تكديس الاسلحة لديه ، لدرجة تفوق طاقته وتتجاوز حاجته .

وقد حرصت مصر على استنفاد كافة السبل لمراجعة الاتحاد السوفيتى وتنبيه قادته الى موقفهم هذا والعواقب الوخيمة التى لا بد أن تترتب عليه ، غير أنه كان واضحا أن المسألة لم تكن قضية سوء تفاهم أو خلاف يمكن حله وتجاوزه بالاخذ والرد ، وانما هى مسألة قرار سياسى ثابت اتخذه القادة السوفيت لاسباب لا نعلمها ولا نفهمها ، رغم مافى هذا من اخلال بالنص الصريح للمادة الثامنة من المعاهدة ، وخرق للروح التى قامت عليها المعاهدة أصلا .

وازاء هذا كله ، أصبح مؤكدا أن الاتحاد السوفيتى لا يريد للمعاهدة أية فعالية ، ويأبى ـ باختياره ـ أن يجعلها حقيقة واقعة تترجم فى واقع التعامل بين البلدين ، وتسهم فعلا فى تعميق التعاون والتبادل بين البلدين والشعبين، بحيث تصبح المعاهدة على أحسن الفروض شعارا خاليا من المضمون ، وحيث أن واجب الامانة والولاء لجماهير الشعب المصرى ، بل والمودة نحو الشعب السوفيتى ، كل هذا يقتضى أن تكون الشعارات المرفوعة مطابقة للحقيقة ، ومن ثم فلم يعد هناك مناص من النظر فى انهاء هذه المعاهدة ، تصحيحا للوضع .

واذا كان هذا الاجراء قد أصبح ضروريا حتى لا ينخدع الشعبان بوجود معاهدة افرغها الموقف السوفيتى من محتواها ، فان الاعتراف بهذا الواقع ووضع الامور فى اطارها الصحيح ، هو نابع من حرصنا على العلاقات بين البلدين فى المستقبل وعلى المدى الطويل ،وأكرم للشعبين السوفيتى والمصرى أن يتجها بنية خالصة الى تغيير هذا الواقع ، وتظل مصر مستعدة للتجاوب مع أى بادرة للانطلاق بالعلاقات بين البلدين نحو الآفاق التى تتفق مع المصالح المشتركة والمنفعة المتبادلة،وبذلك يستمر التعاون بين البلدين محكوما بالقواعد العامة التى تنظم حقوق وواجبات الدول طبقا لميثاق الامم المتحدة والقواعد العامة القانون الدولى .

وتتشرف وزارة الخارجية برفع الامر برجاء العرض على السيد رئيس الجمهورية للتفضل بالموافقة على انهاء المعاهدة المعقودة بين جمهورية مصر العربية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية عن الصداقة والتعاون ، الموقع عليها فى القاهرة فى السابع والعشرين من شهر مايو ١٩٧١ .

[اسماعيل فهمى]
نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية
امضاء

من هنـــا فاننا ، من موقع المسئوليةتجاه الوطن والاشتراكية معا ، نلزم أنفسنا بتجنيد كل الطاقة من أجل وصل ما انقطعبين مصر بوزنها العربى وبين الاتحـــاد السوفيتى بوزنه الدولى . وتطهير طريقالصداقة ،والذى لا بديل لاهميتهالتاريخية، بين البلدين ، مما تراكم فيـــه من صخورومطبات ومرارات .

وهذا الموقف يستلزم أول ما يستلزم ،التعامل مع الواقع بنظرة جدلية شاملة . لا تقفز على حقيقة الخلافات والمشاكل .ولا تتعـــامى عن آثار حرب اكتوبر وبروز الدور الامريكي النشيط فى الساحة كلهـــابصيغ وأشكال جديدة . ولا تتعلق بأوهام حلول سحرية سريعة . ولكنها فى نفس الوقت لا تتغافل عن رؤية العلاقة المصرية السوفيتية ، كجزء من كل أشمل ، هـــوالعـــلاقة بين حركة التحرر الوطنى وبين القوى الاشتراكية . ولا تتجاهل الاستفادةمن كل العـــوامل الايجـــابية التى تفرزها حركة الواقع الدائبة مهما كان وزنهـــا فىالتقدير الاولى ، صغيرا .

• • •

ماذا يقدم لنا الواقع بعد انهاء مصـــرللمعاهدة ؟

لعل أول مايقدمه لنا هذا الواقع هـــوتلك الحقيقة البسيطة المفعمة بدلالات لها وزنها فى فهم مجرى الاحداث واتجاهاتها.ونعنى بها أن « الرجل المصرى المسئول » الذى أنهى المعاهدة فى مارس ١٩٧٦ ،هو نفسه « الرجل المسئول » الذى شارك فى ابرام المعـــــاهدة فى مايو ١٩٧١ :الرئيس السادات .

والســـادات بمفهومه عن الســــلامالاجتماعى فى مصر والتوازن فى العلاقات الدولية ، يضـــع نفسه كمســئول موضع« رب العـــائلة » فى المجتمع ، وموضع « الحـــكم » بين الطبقـــات . يرفض« الماركسية » . وينظر الى كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية علىأنهما ــ بغض النظر عن طبيعة كل منهما ــ القوتان الاعظم فى العالم المعاصر .وبالتـــالى فانه يرى أن « أمـــان مصر ومصلحتها» هو فى اقامة علاقات متوازنةمع كل منهما . وأنه اذا كانت عـــلاقات مصر قد مالت على نحو متميز وخاص الىالاتحاد السوفيتى فى السنوات من ١٩٥٥ حتى ١٩٧٢ ، فقد كان ذلك ــ أساسا ــبسبب انحياز أمريكا الكامل نحو اسرائيل ضد مصر والعرب . أما وقد غيرت حرباكتوبر من موقف الانحياز الامريكى متجهة به نحو نقطة تعادل بين العرب واسرائيل،فان من « مصلحة مصر ــ كما عبر الرئيس فى خطابه الاخير فى ١٤ مارس ١٩٧٦ ــهو فى التجاوب مع هذا الموقف الامريكى. وهذا التجـــاوب يستلزم ــ بالضرورة ــتعديل فى ميزان العلاقات الدولية لمصر مع « القوتين الاعظم » .

كيف يكون التعديل بمفهوم السادات ؟

اذا كان قـــد رفض أن يبرم معـــاهدةصداقة خاصة مع أمريكا ، وكانت الانباء قد تواترت بذلك خـــلال زيارته للولاياتالمتحدة الامريكية ، فان المقابل لذلك منأجل تحقيق التوازن ، هو اذن فى انهاء معاهدةالصداقة الخاصة مع الاتحاد السوفيتى .

يضاف الى ذلك أن السادات ، حرصأكثر من مرة خلال عرضه لظروف عقـــد المعاهدة ، بأنه فوجىء بطلب مقدم بذلكمن السوفيت ، وأنه أحس ــ وقتهـــا ــ بأنه نوع من « اختبـــــار النـــوايا » التىكانت موضع شك الاتحاد السوفيتى بعد ١٥ مايو ١٩٧١ » . وأنه حتى يبدد هذاالشك ، وبأمل أن يستعيد الثقة المتبادلة بين القيادتين المصرية والسوفيتية قبل أنيبرم المعاهدة ، رغم أنه لم يكن يعتقد أن « وقتها مناســـبا » . وزاد بأن الظروفالصـــعبة كانت توجب التصرف على هذا النحو رغم ما قد ترسبـــه من انطباعاتتمس بالارادة الوطنية » . وكان السادات فى ذلك كله يتوجه الى القوى الاجتماعيةفى مصر بل وفى العـــالم العربى ، التى ظلت دائما على موقفها المعارض للمعاهدة

وعلى هذا يمكن القول أن انهاء المعاهدة، كان فى أحد وجوهه استجابة واقعية لارادة هذه القوى .

ما الذى نخرج به من هذا كله ؟

ان سياسة التوازن فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ، هى سياسة القوى الاجتماعية فى مصر والعالم العربى ، ذات الثقل الاكبر فى غالبية الانظمة العربية المعاصرة . وهى بحكم طبيعتها تخشى «العلاقة الخاصة» مع الاتحاد السوفيتى ، تحسبا لما قد يكون لذلك من آثار ايدلوجية وسياسية واجتماعية على نظمها .

ولكنها فى نفس الوقت — كما عبر عن ذلك السادات بصراحة — لا تمشى نحو القطيعة بأى حال ، وانما ترغب فى علاقات سياسية واقتصادية « دون معاهدة ذات وضع متميز » .

والواقع يعطينا ؟ أيضا ؟ حقيقة أخرى تتجسد فى أن كل من الطرفين المصرى والسوفيتى ، يتفقان — رغم تعارض الاسباب — على أن المعاهدة أصبحت مجمدة الفعالية فى النهاية .

وصفها الرئيس السادات « بأنها غدت مجرد قصاصة من ورق » مرجعا ذلك الى عدم قيام السوفيت بالوفاء بالتزامهم بتوريد السلاح وقطع الغيار الى مصر ، فضلا عن عدم تجاوبهم فى اعادة جدولة الديون .

مقال «لطفى الخولى» الذى نشر بالأهرام فى ١٩٧٦/٣/٣ بعنوان

صياغات بريجنيف الجديدة حول مصر وأزمة الشرق الأوسط

يجذب الانتباه فى خطاب « ليونيد بريجنيف » السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى فى مؤتمره الخامس والعشرين ، الذى انعقد بموسكو منذ الرابع والعشرين من شهر فبراير ، امران اساسيان :

■ **الاول** يتعلق بموقف سوفيتى محدد « جديد فى صياغته » بشأن ازمة الشرق الاوسط عامة والصراع العربى الاسرائيلى خاصة . وقد عبر «بريجنيف» عن هذا الموقف بقوله :

— اننا مستعدون للاشتراك . ايضا فى البحث عن حل لمسالة وقف سباق التسلح فى هذه المنطقة . ولكن بشرط ربطها ربطا وثيقا بالتسوية العامة فى الشرق الاوسط . ذلك ان حلها قبل تحقيق هذه التسوية يعنى وضع المعتدى عليه فى مستوى واحد —

■ **الثانى** : يتعلق بموقف سوفيتى محدد من العلاقات مع مصر ، ربما تكرر مرات من قبل ، ولكنه هذه المرة يأتى فى ظروف التأزم فى العلاقات بين البلدين بل وعلى الرغم منها ليحدد بصياغة جديدة ايضا ، « اطار وتوعية وأبعاد» العلاقات فى وضعها الراهن . وقد خصص بريجنيف لهذا الموقف فقرة خاصة على النحو التالى ، بعد استعراضه لمجمل العلاقات السوفيتية مع البلدان العربية .

— ولكن قوى معينة تبذل فى الاونة الاخيرة محاولات دائبة لتقويض العلاقات السوفيتية المصرية . اما فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتى فاننا نظل اوفياء للخط المبدئى فى تدعيمها . ويتجلى هذا الخط فى معاهدة الصداقة والتعاون المعقودة بين الاتحاد السوفيتى ومصر هذه المعاهدة التى نعتبرها اساسا للعلاقات طويلة الاجل . متفقا — ليس فقط مع مصالح بلدينا — بل ايضا مع مصالح العالم العربى كله —

أما السوفيت فقد أعلنوا من خلال بيان وكالة تاس الذى صدر فى ١٥ مارس ١٩٧٦ أن المعاهدة أصبحت « فى حالة من الشلل الفعلى » . وأرجعوا ذلك الى « السياسة غير الودية التى يتبعها رئيس جمهورية مصر منذ فترة طويلة تجاه الاتحاد السوفيتى » .

واذا كان اختلاف الاسباب لم يمنع من الاتفاق على تشخيص موحد « للحالة التى آلت اليها المعاهدة » . فانه كذلك لم يضع سدودا أو قيودا على حركة العلاقات المستقبلية بين البلدين .

فقرر السادات حرص مصر على استمرار علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى دون المعاهدة . واكد على ذلك بوضوح سيد مرعى رئيس مجلس الشعب . كما أشار اليه اسماعيل فهمى وزير الخارجية .

وفى نفس الوقت أعلن بيان تاس بأن « الاتحاد السوفيتى سيواصل تطبيق سياسته المبدئية الثابتة التى تستهدف تنمية العلاقات الودية مع جمهورية مصر العربية ومع الشعب المصرى .. » .

ما الذى نخرج به من هذا كله ؟

ان الجانبين ، رغم ما تعانيه الصلات بينهما من تمزق حريصان — بحكم المسئولية الوطنية والدولية — على أن لا يغدو انهاء المعاهدة ، انهاء للعلاقات . وهذه نقطة بداية . بعد كل ما خلفه اعصار الازمات من دمار لنسيج العلاقات التاريخية .

ويجدر بنا عند وضع هذين الامرين موضع التحليل ، ان نربطهما بالموقع والزمان ، اللذين طرحا فيه :

الموقع هو المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى . وهو مؤتمر يكتسب اهمية غير عادية بسبب العديد من العوامل .

فهو **اولا** : اول مؤتمر ينعقد بعد اول تقنين دولى لسياسة الانفراج والتعايش السلمى العالمى ، وهو التقنين الذى تم خلال لقاء موسكو بين بريجنيف ونيكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكة السابق فى مايو ١٩٧٢ وصدور وثيقة الامن والتعاون الاوروبى عن مؤتمر هلسنكى فى ١٩٧٥ ، وبالتالى فان هذا المؤتمر هو فى حقيقته « مؤتمر وضع خطوط واتجاهات السياسة السوفيتية الجديدة فى مرحلة الممارسة الحالية والمستقبلية للتعايش السمى » .

وهو **ثانيا** : المؤتمر الذى يناقش ويقر الخطة الخمسية العاشرة للاتحاد السوفيتى الذى تمكن من خلال ٤٥ سنة وحسب ، من الاقتصاد الاشتراكى المخطط ، ان ينتقل بالبلاد ، اقتصاديا وتكنولوجيا ، الى الدرجة العالمية الثانية بعد الولايات المتحدة ويرتفع بحجم انتاجه الصناعى بالنسبة للانتاج الصناعى الامريكى من حوالى ١٥٪ عام ١٩١٧ الى اكثر من ٨٠٪ عام ١٩٧٥ . ويحتل بالتالى مركز الدولة الصناعية الاولى فى اوروبا .

وهو **ثالثا** : اول مؤتمر ينعقد ، بعد ان تمكن السوفيت من التفوق على الولايات المتحدة — لاول مرة — فى انتاج البترول حيث بلغ فى ١٩٧٥ اكثر من ٤٩٠ مليون طن ، فى حين لم يصل الانتاج الامريكى الى اكثر من ٤٦٥ مليون طن . هذا فضلا من تسجيل تفوقه فى عدد آخر من المجالات كالفحم والحديد وفحم الكوك وسبائك الحديد والصلب والاسمنت والاسمدة الكيماوية والجرارات الزراعية والقاطرات الهربائية وقاطرات الديزل ... الخ .

وهو **رابعا** : المؤتمر الذى يستهدف التحول بالمجتمع والانسان من مرحلة الكم الى مرحلة الكيف . بمعنى ان يطور ويحسن من اسلوب الاداء والادارة وتنويع الانتاج ، اذكاء التنافس الى اقصى حد مع الولايات المتحدة فى مجال التكنولوجيا وسعادة الانسان ومؤدى هذا كله ان « الموقع الذى يتحدث منه بريجنيف هو اهم واخطر المواقع فى تاريخ السوفيت على الاطلاق ، بعد ثورة اكتوبر . ذلك انه يعطى المؤشرات الاساسية للسياسة السوفيتية حتى آخر القرن .

اما الزمان : فهو بدايات العصر الدولى الجديد ، الذ شقت فيه سياسة الانفراج والتعايش السلمى طريقها الصعب — وسط التوترات الدولية والاخطار النووية — بديلا عن سياسة الحب الباردة وحافة الهاوية .

والمفتاح الاساسى الذى يراه السوفيت لهذا العصر الجديد هو — « **الامتناع عن استخدام او التهديد بالاستخدام المسيء للقوة فى العلاقات الدولية** —

وهذا فى حد ذاته دليل على ما تتميزبه العلاقات المصرية السوفيتية « من امكانيات موضوعية ، على الصمود للهزاتمهما كان عنفها . والقدرة على تخطى الازمات الدورية التى تقع بين آن وآخربسبب حركة المد والجذر فى مسارالتطور الوطنى وعلاقات القوى العالمية ».

ولعله لم يكن من قبيل الصدف العابرةدون معنى فى التاريخ « أن أقوى وأعمق نموذج لعلاقات الصداقة بين بلد من بلادالعالم الثالث وبين بلد اشتراكى « هو نموذج العلاقات المصرية السوفيتية .كذلك فان اكثر النماذج عرضة للاعاصير والازمات الطاحنة بين بلد من بلاد العالمالثالث وبين بلد اشتراكى « هو أيضا نموذج العلاقات المصرية السوفيتية ».

والمثير للانتباه — تاريخيا — أن أيا منالنموذجين لم ينفذ الاخر » وبالتالى فالصداقة تعايشت دوما مع الازمات فىعلاقة جدلية . ولعل ذلك راجع الى طبيعة الاختلاف الفكرى والاجتماعىبين النظامين من ناحية ، والى الاهمية الموضوعية للنموذجين — الوحية والمتحديةمعا — فى معترك الصراع العالمى بجميع أبعاده .

• • •

ويفرز الواقع « ضمن ما يفرز ، انالصداقة المصرية الامريكية الحالية « لا يمكن بالحساب الموضوعى ، أن تكونبديلا للصداقة المصرية السوفيتية » وذلك

ويعتبر السوفييت انفسهم مسئولين اساسيين ضمن مسئولية الانسانية كلها من انجاح هذه السياسة التى يصفونها بأنها « الهجوم السلامى » الذى أعلنوه وراحوا يطبقونه ، فى وجه معارضات شديدة من اقصى اليمين واقصى اليسار على السواء ، فى المؤتمر الرابع والعشرين الذى انعقد بموسكو عام١٩٧١

ويؤكد فى نفس الوقت ان تنفيذالهجوم السلامى » يعنى الوقوف موقف المساندة والدعم المادى والسياسى ، لجميع حركات التحرير ، ويقدمون ثلاثة ادلة محددة لذلك ، هى مواقفهم من فيتنام ، والصراع العربى الاسرائيلي وانجولا .

وبالتالى فهم ، استراتيجيا وتاريخيا فى موقف موات ومؤثر على سير حركة الاحداث العالمية ، نحو السلام والتحرر معا .

فى اطار ، الموقع الخاص والزمان المتميز للمؤتمر الخامس والعشرين ، عمد « بريجنيف » الى هذه الصياغات الجديدة للموقف السوفيتى من ازمة الشرق الاوسط ومن ازمة العلاقات مع مصر .

ان الصياغة السوفيتية للشرقالاوسط ترفض بوضوح الخط الامريكى — الاسرائيلى الذى يدعو الى وقف سباق التسلح في المنطقة وامتناع السوفييت عن تسليح العرب كشرط للتسويةالسلمية وعلى العكس فان السوفييت يعتبرون « التسوية السلمية العادلة » هى الشرط الاساسى والمسبق لوقف سباق التسلح بالمنطقة .

ويحدد السوفييت مفهومهم للتسوية بانها تتضمن جلاء الاسرائيليين عن جميع الماضى العربية المحتلة ، وحق الشعب الفلسطينى من خلال منظمة التحرير فى تقرير مصيرة واقامة دولته المستقلة وضمان امن جميع دول المنطقة وحقها فى الوجود والتطور المستقلين .

ويعلن « بريجنيف » استعداد بلاده — كاحد رئيسى مؤتمر جنيف — للتعاون مع جميع الجهود الرامية الى تسوية النزاع فعلا . ويشجب كل محاولة لاتخاذ التسوية مادة للعب السياسي فى منطقة مشحونة بمخاطر التفجير والاشتعال ، او استغلال الاتفاقيات الجزئية لتأجيل الحل الشامل والعادل ».

والملاحظ ان بريجنيف ، اضاف جديدا ايضا فى هذا المجال حول نقطتين :

■ **النقطة الاولى** : خاصة بفتح الباب امام بريطانيا وفرنسا للقيام بدور مشترك مع كل من الاتحاد السوفيتى وامريكا من اجل الوصول الى الحل السلمى العادل . وذلك من طريق « الاشتراك فى ضمانات دولية لامن وحرمة حدود جميع بلدان الشرق الاوسط فى نطاق الامم المتحدة .

■ **النقطة الثانية** : انه عند تحديد بريجنيف لدول المواجهة العربية مع اسرائيل علاوة على الثورة الفلسطينية اضاف « العراق » الى كل من « مصر » و « سوريا » . وفى نفس الوقت اسقط من الحساب « الاردن » — و «لبنان» ».

لاسباب عديدة . فاستمرار الصراع العربي المصيري مع الصهيونية واسرائيل ، لا مفر من أن يفجر ، بصور ودرجات متعددة ، أزمات مصرية أمريكية أعمق وأخطر من الازمات المصرية السوفيتية . اللهم الا اذا تحولت أمريكا بالكامل عن الانحياز لاسرائيل وتحول الاتحاد السوفيتي بالكامل عن الانحياز للقضية العربية . وهذا مستحيل نظريا وعمليا ».

هذا عـلاوة على أن قواعد الانفراج الدولي التي تزداد رسوخا بحكم متطلبات حياة الربع الاخير من القرن العشرين — على الرغم من كل المحاولات المضادة — تستلزم التواجد الثنائي والفعال لكل من الاتحاد السوفيتي وامريكا — رغم الصراع بينهما — في كل قضية من قضايا الحرب والسلام في العالم مهما كان موقعها الجغرافي على خريطة العالم ».

● ● ●

واخيرا ، فان الواقع يكشف لنا ان الاتحاد السوفيتي قد استقر ، من خلال المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي الذي انعقد في موسكو في فبراير ١٩٧٦، على خط استراتيجي في علاقاته المستقبلية مع مصر . وذلك بعد مناقشة حزبية شاملة للعلاقات المتردية منذ عام ١٩٧٢ .

ولا نعتقد ان اقدام مصر على انهاء العمل بالمعاهدة ، رغم كل ماينتج عنه من ردود فعل آنية ، سوف يؤثر على المسار العام لهذا الخط الاستراتيجي الذي أصبح منطلقا أساسيا من منطلقات السياسية السوفيتية الخارجية .

اما الصياغة السوفيتية للعلاقات مع مصر ، فقد اتسمت بروح ايجابية ، اثارت بالفعل ملاحظة جميع المراقبين السياسيين » وكانت هذه الملاحظة موضوع تعليقات عديدة في الصحافة ووسائل الاعلام الغربية ».

وتنبع هذه الايجابية من ثلاثة محاور اساسية ركز عليها بريجنيف :

■ الاول : الهجوم على كل المحاولات ايا كان مصدرها ، التي ترمي الى افساد العلاقة بين البلدين التي تتسم بالطابع الطويل الاجل .

■ الثاني : تأكيد الحرص على استمرار قوة مصر وحيويتها من خلال دعم « الانجازات الاجتماعية والسياسية للثورة المصرية ضد محاولات اهدارها

■ الثالث : ان الصداقة السوفيتية — المصرية ، لاتقف باثارها عند حدود المصالح المشتركة بين البلدين فحسب — وانما هي تمتد الى صالح العالم العربي كله . وذلك بحكم ما تمثله مصر من وزن مؤثر في المنطقة ».

وفي اعتقادنا ان هذه الصياغات السوفيتية لقضايا الشرق الاوسط والعلاقات مع مصر ، تمهد الارض للقاء مشترك بين البلدين ، لحل ما بينهما من خلافات من ناحية ، ولدفع حركة النضال من اجل تصفية العدوان الاسرائيلي على الشعوب العربية عامة وعلى الشعب الفلسطيني خاصة ، من ناحية اخرى .

وفي الوقت الذي كان « بريجنيف » يلقي خطابه امام المؤتمر السوفيتي كان « السادات » يعلن خلال جولته العربية الاخيرة انتهاء سياسة الخطوة خطوة ، وضرورة انعقاد مؤتمر جنيف بجميع اطرافه بما في ذلك منظمة التحرير للتوصل الى حل سلمي عادل على اساس الاستراتيجية المصرية المتطابقة موضوعيا مع الاستراتيجية — السوفيتية . مؤكدا ان البديل الوحيد — في حالة الفشل — هو انفجار الموقف واستئناف تحرير الارض بالقوة المسلحة .

وهكذا فان معطيات الواقع الراهن ، تدفعنا الى الالحاح على ضرورة قيام حوار مسئول ومخطط جيدا ، يتخذ ثلاثة مسارات ، متفاعلة ، في وقت واحد ..

● حوار مصري — سوري — عراقي — فلسطيني لتحديد موقف مشترك — على الرغم من كل الخلافات — في مواجهة الوضع الراهن واحتمالاته المتعددة .

● حوار مصري — سوفيتي يستهدف معالجة ماتراكم من خلافات وسلبيات ايجابية الى مستوى فعال ومنفتح في عصر التعايش السلمي وقوانينه الدولية الجديدة

● حوار عربي — سوفيتي ، يجمع كل قوى المواجهة للتخطيط المشترك من اجل اساليب واهداف العمل السلامي العادل ببدائله المختلفة .

وبعـد ..

لنبدأ مسيرة جديدة مسئولة ، لاتتغافل دروس المسيرة السابقة ، لكنها في نفس الوقت لا تسجن حركتها في قيود السلبيات وتبدد طاقاتها في تبادل الاتهامات . ☐

وفى تقديرنا ، الذى نختلف فيه مع تقدير مذكرة وزارة الخارجية المصرية المرفقة بمشروع قانون انهاء العمل بالمعاهدة المقدم الى مجلس الشعب ، أن هذا الخط الاستراتيجى السوفيتى ، خط ايجابى فى توجهه الى علاج ازمات الصداقة المصرية السوفيتية بما يحقق مصالح البلدين ومصالح حركة التحرر الوطنى العربية معا .

[راجع نص مذكرة وزارة الخارجية ومقالنا بجريدة الاهرام فى ١٩٧٦/٣/٣ بعنوان صياغات بريجنيف الجديدة حول مصر وازمة الشرق الاوسط ، اللذين اعدنا نشرهما مع افتتاحية هذا العدد]

ويؤكد استنتاجنا ، فى هذا الصدد ، « بيان تاس » الذى صدر عقب انهاء العمل بالمعاهدة فى ١٥ مارس ١٩٧٦ ، وركز على أن الاتحاد السوفيتى سيواصل تطبيق سياسته المبدئية الثابتة التى تستهدف تنمية العلاقات الودية مع جمهورية مصر العربية .»

• • •

كيف نستطيع أن نتعامل مع ما ينبته الواقع من عوامل ايجابية ؟ وننمى من فعاليتها لمواجهة السلبيات المتراكمة ؟

نستطيع — فى المرحلة الراهنة — أن نوجز الاجابة على هذا السؤال فى أمرين :

الاول : التصدى لكل محاولة غير مسئولة لتعميق التمزق وشحن وجدان الشعوب والقيادات المسئولة بالمرارة التى تفقد الرؤية الموضوعية للواقع وحركته التاريخية .

الثانى : قيام كل من مصر والاتحاد السوفيتى ، بمبادرات سريعة من أجل وضع قناعاتهما المشتركة حول ضرورة استمرار العلاقات الودية بينهما ، موضع التنفيذ العملى .. وذلك من خلال حوار صريح وشامل ومباشر دون وساطات .

وفى كل الاحوال لا يجب أن نتجاهل حقيقة أن مصر ما زالت صاحبة الثقل الأساسى فى العالم العربى والعالم الثالث . وأن الاتحاد السوفيتى هو أكبر وأقدر قوة عالمية على دعم ومساندة حرية وتقدم العالم العربى والعالم الثالث .

من هذه الحقيقة بدأنا مسيرة الامس ، ومن هذه الحقيقة يتوجب أن نبدأ مسيرة اليوم فى ظروف جديدة مشحونة بالصعاب .

لطفى الخولى

٤ كلمـــات للطليعــة

الدستور الذى تمرد عليه صانعوه !

● ١٩ ابريل ١٩٢٣ ●

كانت ثورة ١٩١٩ توشــك ان تحقــق الثمار المتاحة ..

وكان « العدليون » أو « الوزاريون » ــ كمــا اســماهم البعض ــ قد حققوا انقساما فعليا فى صفوف الوفد ، محاولين التفاهم مع الانجليز على اساس استقلال تشوهه التحفظات الاربعة الشهيرة ..

ودعا هؤلاء « الوزاريون » لوضع صيغة مصر المستقلة فى اطار التحفظات ، وكان ان تشكلت لجنة الثلاثين لوضـــع دستور للبلاد .

وقد عارض سعد فى ان يترك لخصومه وحدهم حق وضع دستور البلاد . وطالب بجمعية تأسيسية منتخبة تضع الدستور ، ولما رفض طلبه أطلق تسميته الشهيرة على لجنة الدستور فأسماها « لجنة الاشقياء »

والحقيقة ، ان هؤلاء « الاشقياء » وبرغم ميلهم للتفــاهم مـــع الانجلــيز على نوع الاستقلال المحدود كانوا يتمسكون بوجهات نظر ليبرالية فى كثير من القضايا ، وكانوا يحاولون قدر الامكان الحد من نفوذ الملك، واعطاء ضمانات عــديدة فى الدســتور المقترح . لكنهم كانوا وفى نفس الوقت حريصين ــ وبقدر كبير من المبالغة والتزيد ــ على تقييد حركة «اليسار» . فما من نص فى الدستور يتحــدث عن حريـــة الراى او الصحافة او الفكر او الاجتماعات او التنظيم الا واضيفت اليه عبارة «فى حدود القانون» وقد حرصت اللجنـــة على ان تســـجل فى المذكرات التفســـيرية للمـــواد وهى جزء لايتجزأ من الدستور على ان المقصود بهذا التحفظ هم « البلاشـــفة » « والدعـــوات البلشفية » ..

وهكذا كانت « لجنة الثلاثين » تصوغ دستورا « وسطا » ، يعطيهم « كطبقة » حقوقا فى مواجهة « الملك » ، ويكفل لهم فى نفس الوقت الفرصة فى تكبيل حركة الطبقات الكادحة التى يتحـــدث اليســـار باسمها ..

وبعد ان اتمت اللجنة عملها ، انتهز « الملك » فرصة ازمة وزارية انتهت باستقالة وزارة عدلي على اثر فشله في المفاوضات ليدخل « سرا » عددا من التعديلات على مشروع الدستور تزيد من حقوقه ومن قدرته على التدخل في عديد من الامور .. لكن الامر مالبث ان اكتشف واثار ضجة انتهت بسحب هذه التعديلات

واجريت الانتخابات البرلمانية على اساس هذا الدستور واكتسح سعد زغلول ومرشحيه كل خصومه فحصل الوفد على ٩٠٪ من مقاعد البرلمان ، وتلقن الرجعيون الدرس وادركوا ان الدستور الذى صاغوه ليحميهم من تدخلات الملك ومن تحركات اليسار لن يحميهم من سطوة الاغلبية التى وضح أنها تلتف حول سعد وحول حزب الوفد ..

وايقن الرجعيون انه لاسبيل لهم الى الحكم الا بالانقلاب على الدستور .. وانه لاسبيل لوصولهم الى الحكم الا من خلال المزيد من التقرب والتفاهم مع الاحتلال والملك ..

وظل تاريخ مصر طوال العقود الثلاث التالية متركزا حول انقلابات متتالية ضد الدستور، ينظمها امثال زيور ومحمد محمود واسماعيل صدقى وغيرهم ممن ادعوا الحماس للدستور فى البداية ثم ما لبثوا ان انقلبو عليه منذ الوهلة الاولى وعندما اكتشفوا ان اعمال الدستور لايعنى سوى ان يحكم حزب الاغلبية ، وتتسلح القوى المعارضة للسراى والمعادية للاقطاع والاستعمار بما فيه من صياغات ديموقراطية وضعت عليها كثير من السدود والقيود ..

حفر قناة السويس

● ٨ ابريل ١٨٥٩ ●

ترجع بداية التفكير فى شق قناة تصل البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط الى عهد الفراعنة والى دخول العرب مصر ، ثم ظهرت الفكرة ، مرة أخرى ، عقب استيلاء الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ . ولكن فشل الحملة الفرنسية وجلائها عن مصر نتيجة كفاح الشعب المصرى ، حال دون تنفيذ هذا المشروع ..

ولقد اثار الغزو الاستعمارى الفرنسى لمصر اطماع بريطانيا بدورها فى مصر .. لقد ادركت مدى خطورة استيلاء منافستها فرنسا على الطريق المؤدى الى الهند وسائر مصالحها فى آسيا .. ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع بين الدولتين الاستعماريتين المتنافستين للاستيلاء على مصر .

وكانت «معاهدة لندن» بين الدول الاوربية الراسمالية وتركيا عام ١٩٣٨ ، التى منحت الاوربيين حرية التجارة داخل جميع الولايات العثمانية ، هى الباب الذى تسللت منه بريطانيا وفرنسا الى مصر ، حيث أخذ رجال المال والاعمال والسماسرة الاجانب ينتشرون فى الاسكندرية والدلتا ، لاجراء الدراسات والبحوث ولنهب ثروات البلاد البكر ، واستغلال حاجة مصر الشديدة الى التنمية والاصلاح الداخلى والاستفادة من الخبرة العلمية الاوربية .

وشهدت مصر فى عهد الوالى سعيد انفتاحا اقتصاديا على العالم الراسمالى الاوربى ، وتوسع سعيد فى منح الامتيازات الاستغلاليه الكبيرة والحصانات الدبلوماسية التى لا تراعى مصالح البلاد . وكان من اخطر هذه الامتيازات الاستغلالية من الناحية الاقتصادية والسياسية امتياز حفر قناة السويس الذى حصل عليه المهندس الفرنسى فرديناند دليسبس .

وكانت سياسة الدول الاستعمارية بتنفيذ مخطط واضح ، بهدف فى النهاية الى السيطرة على مصر ، وذلك عن طريق اغراق البلاد فى الديون العالية الفائدة . وعمدت بريطانيا الى تحويل البلاد الى مزرعة للقطن ، وتقديم القروض المالية لانفاقها فى شق الترع وانشاء المصارف ومشروعات النقل والمواصلات بما يخدم تنمية زراعة القطن ، والاستيلاء على الجزء الاكبر من المحصول واحتكار تجارته وتصريفه فى اسواق العالم .. كما لجأ حكام مصر الى الاستدانة من بنوك لندن وباريس للانفاق على ملاهيهم ومتعهم الشخصية وبناء القصور الفخمة وللانفاق ببذخ على حفلات افتتاح القناة . وقد بلغ قيمة ما انفقته مصر على حفر القناة ١٧ مليون جنيه ، فى حين بلغ مجموع تكاليف انشاء القناة بكاملها ١٨ مليون جنيه . ومات نتيجة السخرة فى اعمال حفر القناة ١٢٠٫٠٠٠ الف عامل من الفعلة والفلاحين المصريين .

وقد بلغ مجموع الديون الاجنبية المستحقة على مصر فى عهد الخديوى اسماعيل حوالى ٩٠ مليون جنيه ، وأدت الى افلاس الخزينة ماليا وتدخل قناصل الدول الاجنبية فى شئون مصر الداخلية . واضطر اسماعيل الى بيع حصة أسهم مصر فى القناة وهى ١٧٧٫٦٤٢ سهما من مجموع الاسهم وعددها ٤٠٠٫٠٠٠ سهم بما قيمته نحو ٤ ملايين جنيه ، وذلك لتسديد جزء من فوائد الديون المستحقة على مصر .

وقد اعتبر اقدام دزرائيلى رئيس الحكومة البريطانية فى ذلك الوقت ، على شراء اسهم مصر فى القناة بمعونة بنك روتشيلد الصهيونى فى لندن فى [٢٥ — ١١ — ١٨٧٥] نجاحا سياسيا كبيرا ، باعتباره جزءا من المخطط الاستعمارى لاخضاع مصر للسيطرة البريطانية . الامر الذى لم تستطع ان تخفيه صحيفة « التايمز » اللندنية المعبرة عن المصالح الاستعمارية ، التى كتبت فى اليوم التالى تقول : **« أن الجمهور فى هذا البلد سينظر الى هذا العمل الخطير الذى قامت به الحكومة الانجليزية من نواحيه السياسية لا التجارية . سيعده مظاهرة واكثر من مظاهرة ، سيعده اعلانا لنياتنا وشروعا فى العمل على تحقيقها . ان من المستحيل ان نفكر فى شراء أسهم قناة السويس منفصلا عن علاقة انجلترا المستقبلة بمصر . فاذا أدت القلاقل أو الاعتداء الخارجى أو فساد الادارة الداخلى الى انهيار الدولة العثمانية ماليا أو سياسيا ، نضطر الى أن نحتاط للمحافظة على سلامة ذلك الجزء من املاك السلطان الذى تربطنا به علاقة قوية » ، هكذا بصراحة .**

وفتح حفر قناة السويس الباب واسعا امام المصالح الاجنبية ، باعتبار ان القناة من أهم طرق المواصلات الحديثة بين الشرق والغرب . واخذت كل من بريطانيا وفرنسا تستبقان الى زيادة مصالحها الاقتصادية والسياسية فى مصر ، وكانت القناة حافزا لاطماع بريطانيا فى مصر . فقد ربطت القناة اجزاء الامبراطورية الاستعمارية البريطانية بعضها ببعض فى آسيا وافريقيا ، هذا الى جانب أهمية القناة من الناحية العسكرية والتجارية .

وكانت صفقة اسهم قناة السويس ، مقدمة للتدخل البريطانى الفعلى فى مصر ، ووضع الادارة والمالية المصرية تحت المراقبة الاوربية ضمانة للدائنين .

وقد لعبت شركة قناة السويس دورا رئيسيا فى الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ، فقد خدع دليسيبس أحمد عرابى ومنعه من تحصين القناة ، واكد له ان بريطانيا لن تستطيع ان تخرق حياد القناة ، ثم ترك السفن الحربية والجنود الانجليز يقتحمون القناة ويحطمون جيش عرابى . [وبمرور الزمن اصبحت شركة قناة السويس العالمية احتكارا دوليا عاما مقره الرئيسى فى باريس . وظل ايراد القناة يصب فى جيوب حملة الاسهم الاجانب . وفى مصر قد تحولت شركة قناة السويس الى دولة داخل الدولة ، بعيدا عن اشراف وسيادة الدولة المصرية ، وتحولت الى بؤرة لكثير من المؤامرات الاستعمارية ضد الحركة الوطنية المصرية ، وكانت مسألة « حماية » قناة السويس الذريعة الاساسية لبريطانيا لاستمرار احتلال مصر .»

ولكل هذه الأسباب ظل مطلب استعادة ملكية القناة للشعب المصري احد المطالب الرئيسية للحركة الوطنية في مصر . وكان قد بادر الى طرح شعار التأميم الحزب الاشتراكي القديم في اوائل العشرينات . لكن وضع هذا الشعار موضع التنفيذ اصبح ممكنا عندما عبأت ثورة يوليو ١٩٥٢ قواها وقامت في عام ١٩٥٦ بهجوم مباغت استولت به على القناة وردتها الى صاحبها الشرعي شعب مصر .

مذبحـــة « دير ياســـين »

● ٩ ابريل ١٩٤٨ ●

في الساعة الرابعة والربع قبيل فجر ٩ ابريل ١٩٤٨ ، وصلت قوة صـــهيونية تبلغ حوالي ٥٠٠ من المسلحين بالرشاشات والاسلحة الاوتوماتيكية والمتفجرات ، الى بعد ٤٠ مترا من قرية « دير ياســين » العربية بفلسطين، متسترة بالظلام السائد، وحاصرت القـــرية من جميع الجهـــات ، انتظارا لموعد الهجوم عليها ، الذي تحددت له الساعة الرابعة والنصف من فجر ذلك اليـــوم .

كانت « دير ياسين » قرية عربية تقع على تل يرتفع ٨٠٠ متر عن سطح البحر غربي القدس ، يبلغ عدد سكانها حوالي ٧٠٠ شخص ، وبسبب قربها من القدس فان اغلب شبابها ، كانوا يفضلون العمل كعمال في القدس ، مع انهم كانوا يعملون اصـــلا كمزارعين ، ولذا وقع على عاتق النساء بهذه القرية العناية بحقول الخضر وحدائق الفـــاكهة ، وحمل انتاجهن لبيعه في ســـوق يهودية قـــريبة . وقد ادى اتصالهم اليومي بجيرانهم من اليهود ، الى نمو التفاهم وعلاقات الود بين الطرفين ، وكان عدد كبير من اهل القرية يتحدثون العبرية .

وعندما بدأ الصراع العنيف بين اليهود والعرب في فلسطين ، اثر قرار الامـــم المتحدة بالتقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، كانت تحدو فلاحي دير ياسين الرغبة في مواصلة العيش في سلام مع جيرانهم من اليهود ، وحدث اتفاق بين العرب واليهود هناك بعدم الاعتداء ، لذا لم يتخذ اهـــل القرية اجراءات دفاعيـــة ذات بال ، في الوقت الذي لم يكن الصهيونيون يعتزمون قط ، الوفاء بتعهدهم نحو هؤلاء القرويين المسالمين ، وانمـــا اجتهدوا في اعطائهم احساسا زائف بالامن ، ومن ثم واصـــل الاهلون حيـــاتهم العـــادية دون خـــوف او تشكك .

كان الشباب من اهل القرية فجر ذلك اليوم ، قد خرجوا الى العمل كالمعتاد ، وبقي في القرية عدد من الرجال ، واغلبية من النســـاء والاطفال والعجائز ، كانوا ينامون في هدوء عندما أحاط بالقرية من كل جانب ، أولئك المسلحون من عصابة « الارجون » (المنظمة العسكرية الوطنية لاسرائيل) ، بقيادة جيورا (بن لشـــيون كوهين) ، وعصابة (محاربي اسرائيل) بقيادة يوعيد (ماشيحيا زليها نستكي) .

وبحلول ســـاعة الصفر ، في الرابعة والنصـــف صـــباحا ، انطلقت نيــــران الرشاشات الاوتوماتيكية صوب القرية ، وقاومت الحامية الصغيرة من الرجـــال العرب فيها ، على قلة عددها ، ببسالة منقطعـــة النظيـــر ، الا أن العصـــابات الصهيونية تمكنت من احتلالها بعد فتـــرة وجيـــزة .

ويرجع الجانب الاجرامي في عمليـــة دير ياســـين الى المذبحة التي حدثت بعد ان ســـقطت القـــرية في أيدي الصهيونيين ، بالفعل وفي وقت لم يقدم فيه سكانها العرب على اي عمـــل استفزازي ، كان يمكن ان يبرر المذبحـــة . وقد اعترف الـــكولونيل « مائير بائيل » ، في عدد ٤ ابريل ١٩٧٢ من صحيفة « يديعوت احرونوت » وهـــو الشاهد الوحيد للمذبحة من خارج صفوف عصابتي « الارجون » و « شتيرن » وكان حينذاك مقاتل شاب في « البالماخ » ، بان النية كانت مبيتة للقيام بهذه المذبحة « فقبل العملية ، اقترحت اعـــداد (من مقـــاتلي الارجون وشتيرن) القيـــام بمذبحة لسكان القرية » .

وقد تحقق ذلك بالفعل ».

« قام الصهيونيون بنسف المنازل على من فيهـا ، واقتحموا بعضها الآخر ، ويقول نفس شـاهد العيان من رجـال العـدو الاسرائيلي : « كان رجـال منظمتي الارجون وشتيرن ، يعدمون السـكان بلا تمييز ، رجالا ، ونساء ، وعجائز ، وأطفالا، يوقفونهم الى جـوار الحائط ، وفي أركان المنازل ويطلقون الرصاص عليهم جملـة ، وعلى الفور » ، وكل من حاول « الافلات ، قتلوه بنيران الاسلحة الاوتوماتيكية . أما الذين لم يستطيعوا أن يلوذوا بالفرار فقد قتلوا طعنا بالسونكي ، اذ لم يشعر رجال العصابات الصهيونية بأى رحمة أو شفقة على انسان أيا كان عمره أو جنسه .

وكقمة في القسوة، كان رجال العصابات الصهيونية يبقرون بطون النساء الحوامل ، ليعرفوا النتيجة ، بعد أن تراهنوا حول نوع الاطفال اللاتي يحملن . فقتـلوا ٣٥ امرأة حاملا ، و٥٠ من الامهـات مع أطفـالهن الرضع ، وحوالي ٦٠ صبية وفتاة وامرأة وبلغ عدد الضحايا ٢٥٠ قتيلا .

قتلوا جميع السكان تقريبـا ، والقوا الجثث في بئـر القرية ، وقتلوا أطفـال المدرسة الوحيدة في دير ياسين أمام عيني معلمتهم الموفدة من يافا الى دير ياسين ، ثم قتـلوها هي ، والقوا باجسـادهم في البئـر ، وكان على معظم الجثث وخاصة النساء آثار التعذيب الطويل قبل الموت .

وعندما تمكن بعض الاباء العرب ، من التسلل الى القرية ليلا أمـلا في محاولة انقـاذ أبنائهم ، وزوجـاتهم ، وبناتهم ،وقعوا في الاسر ، واقتيـد الاسرى من الرجال والنسـاء والاطفـال ، بملابسهم الملطخة بالدماء ، وأجسادهم التي تملؤها الاصـابات في « طابورا للاسرى » طاف شوارع القدس . وحملوا الاطفال والنساء في سيارة نقل الى بوابة مندليوم ، امـا الرجال فأخذوهم ، حسب اعتراف كولونيل « مائير بائيل » ، « الى احـد المحاجر بين جيفعات شاؤل ، ودير ياسين ، وهنـاك اعدموهم جميعا رميا بالرصاص » .

كانت مذبحة دير ياسين نقطة تحول في العلاقات بين اليهود والعرب في فلسطين، اعقبتها هجـرة عشرات ومئات الالاف من عرب فلسطين المسالمين العزل الى البلاد العربية وغيـرها ، وكان ذلك هو الغرض الاساسي الذى ابتغاه الارهابيون الصهاينة من وراء العملية وعلى رأسهم مناحيم بيجن الزعيم الحالي لجحل ، والذى كان يتولى حينذاك زعامـة منظمة « الارجون زفاي ليومي لاسرائيل » .

الا ان تلك المذبحـة لم تكن الوحيدة من نوعها ، فقد دبر الصهاينة عـدة مذابح مماثلة ، سجل بعضها ، ولم يسجل البعض الاخر ، بسبب ظروف الفوضى والاضطراب في تلك الايام . ففي اليوم الثاني ، لمذبحة دير ياسين ذبح السكان العشرة في ضيعة « نصر الدين » بالقرب من طبرية ، ودمرت منازلهم . وقد ذكـر اريبه بيشحافي في مقال كتب في « يديعوت احرونوت » في ١٤ ابريل ١٩٧٢ ان قوات الهاجاناو البالماخ قامت بعشرات من المذابح مثل دير ياسين. ذكر بيشحافي بعضا منها مثل مذبحة قرية « بلد الشيخ » التي قتل فيها ٦٠ شخصا أعزل في منازلهم ، ومذبحة قرية «سعسع» وقتـل فيها حوالي ٦٠ شخصا أغلبهم من النساء والاطفال . ومذبحة تمرد « اللد » التي صدرت الاوامر فيها باطلاق النار على أي شخص في الشـوارع ، حيث فتحت قوات الصهاينة نيرانها الكثيفة متنقلة من منزل الى آخـر ، وقتلت ٢٥٠ عربيـا ، ومذبحة قرية «الدوايمة» بالقرب من الخليل وقتل فيها ٢٠٠ شخص معظمهم من المسنين والنساء والاطفال .

كل تلك مذابح ضد الاهالي الفلسطينيين العزل ، حاولت الدوائر الصهيونية بعدها ان تبيض وجهها ، بادعاء الاستياء ، وذرف دمـوع التماسـيح على الضـحايا وخاصة بعد مذبحة دير ياسـين ، عندما أصدرت قيادة الهاجانا . في القدس بيانا عبرت فيه عن اسـتيائها ، وعندما فعلت الوكالة اليهودية نفس الشيء ، الى آخـر

مثل ذلك التوزيع الصهيوني المعتاد للادوار الا أن مردخاي كوخمان قائد قوات الارجون اعترف أمام لجنة الاستئناف اليهودية عام ١٩٥٢ « بأن الحملة (أي مذبحة دير ياسين) قد دبرت ونفذت بالاتفاق بيني — بصفتي قائد الارجون في القدس — وبين داود شالتائيل قائد قوات البالماخ والهاجانا ».. ولقد كانت تلك المذابح التي شبهها المؤرخ البريطاني الكبير أرنولد توينبي « بمذابح هتلر ضد اليهود » ، كانت في الواقع ، تنفيذا لخطط معتمدة ، ومحسوبة جيداً نفذتها منظمة « الارجون » ، ولكن بمعرفة الهاجانا ، والوكالة اليهودية في ذلك الوقت ، الامر الذي يكذب مزاعمهما ويثبت اجرامهما . □

مؤتمـــر بانــدونــج

● ١٨ ابريل ١٩٥٥ ●

في صباح الثامن عشر من ابريل ١٩٥٥، افتتح المؤتمر الاسيوي الافريقي ؟ والذي استمر انعقاده حتى الرابع والعشرين من نفس الشهر .

ولقد كان انعقاد هذا المؤتمر انجازا تاريخيا بالغ الاهمية ، حيث الاثر ..، لاول مرة في تاريخ نضال شعوب حركة التحرر الوطني ، يتحقق مثل هذا الالتقاء ليوحد نضال شعوبها في مرحلة انهيار النظام الامبريالي العالمي .. فتحت راية باندونج بدأت شعوب آسيا وافريقيا تخوض الصراع ضد الاستعمار موحدة لا مفرقة .

لقد كان نقطة تحول هامة في السياسة الدولية ، وفي منطق التعاون الدولي ،، وهكذا دخلت مجموعة « باندونج » هيئة الامم المتحدة قوة جديدة وروحا ناهضة ، وموقظا لآمال الشعوب المضطهدة والمستضعفة ، مغيرة بذلك توازن القوى داخل المنظمة العالمية لصالح النضال ضد الامبريالية والاستعمار القديم والحديث .

لقد ضم المؤتمر الاول وفودا من ٢٩ بلدا ممثلة لنصف سكان البشرية ، وضم المؤتمر قوى عديدة ومتباينة ، ملكيات وجمهوريات ، بلدان مستقلة تسعى لاستكمال استقلالها وتدعيمه ، وبلدان مرتبطة بأحلاف استعمارية وشبه مستعمرة .

ولقد تركزت قرارات المؤتمر الاول — على ضرورة التعاون الفعال في سبيل القضاء على الوضع الخطير للتوتر الدولي ، وابعاد شبح الحرب الذرية والهيدروجينية ، وخفض السلاح واستخدام الطاقة الذرية في الاغراض السلمية ، وطالبت جميع الدول بالعمل على تحقيق السلام العالمي والتعايش السلمي .

واعلن المؤتمر التأييد الكامل للمبادىء الاساسية لحقوق الانسان ومبدأ حق تقرير المصير للشعوب والامم .
وتضمنت قراراته اعلان ميثاق ضد الاستعمار القديم والحديث والاحلاف العسكرية الاستعمارية وادان المؤتمر سياسة التفرقة والتمييز العنصري في افريقيا ..

وكان قرار المؤتمر حول القضية الفلسطينية نقطة تحول في القضية الفلسطينية حيث أعلن المؤتمر تأييده الكامل لحقوق عرب فلسطين ، وضرورة تنفيذ قرارات الامم المتحدة حول تلك المشكلة ودعى الى حلها بالطرق السلمية .

لقد كان مؤتمر باندونج الاول في ١٩٥٥ هو انطلاقة عظيمة لشعوب آسيا وافريقيا على طريق النضال الطويل من اجل تخليص البشرية من الاستعمار القديم والحديث ومن كل الوان القهر والعبودية ..

وتصدى لقيادة هذا النضال قادة ميرزون عرفتهم حركة التحرر الوطني اعلاما قدمت حياتها من أجل قضية الحرية والسلام العالمي عبد الناصر ، ونهرو ، وسوكارنو ، فتحية لهم في ذكرى المؤتمر الاسيوي الافريقي الاول .. ■

رأى « الطليعة »

الجـــزائر « الثـــورة »
لا الثـــورة « المضـــادة »

فجأة ...

وبينما تشير كل الدلالات الى ان « مجتمع الجزائر الثورة » ، مقدم على تحولات اجتماعية اكثر عمقا فى حياة ومستقبل البلاد ، حيث يتم فى مجلس الثورة ، ومجلس الوزراء ، وجبهة التحرير ، والمنظمات الجماهيرية ، نقاش واسع لميثاق وطنى جديد يجسد ارادة استمرار الثورة .. ميثاق وطنى صهرته خبرات الماضى وطوعته آمال مستقبل « الجزائر الثوره » ليطرح بعد ذلك على استفتاء شعبى ، يتم بعده اعادة بناء مؤسسات « مجتمع الجزائر الثورة » على اساس ديمقراطى . فتجرى انتخاب جمعية وطنية « البرلمان » ورئيس الجمهورية وعقد مؤتمر جبهة التحرير لانتخاب قياداتها ..

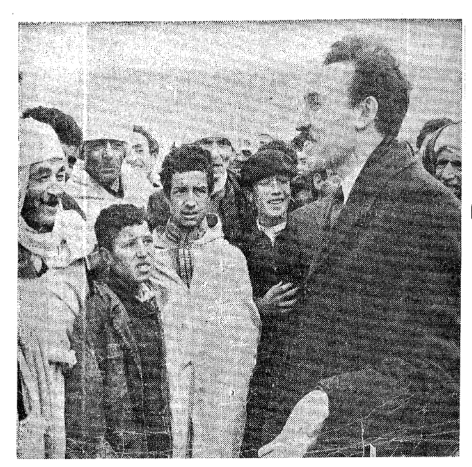
فجأة ...

وبينما قوى حركة التحرر الوطنى العربية ، تتابع فى اهتمام وقلق ، الهجمة الضارية التى تستهدف « الجزائر الثورة » بسبب ثقلها الثورى المؤثر فى منطقة المغرب العربى وافريقيا ، ودورها البارز فى المواجهة الحادة بين دول العالم الثالث المنتجة للمواد الخام وبين الدول الصناعية المتحكمة فى اسعار المواد الخام واستهلاكها ، ثم اخيرا بسبب مساندتها ودعمها لحق شعب الصحراء فى تقرير مصيره .

فجـــأة .. . خـــرج بعض المــاضى من « اكفانه » ظنا بأن رياح الهجوم على « الجزائر الثورة » يمكن ان ترد اليه بعض الانفاس او ان تعيد اليه حياة انتهت منذ عام ١٩٦٢ « بشهادة وفاة » شعبية .

ففى الشهر الماضى ، خرج فرحات عباس ويوسف بن خده وحسين الاحول وخير الدين ، ببيان وجهوه الى اعضاء مجلس الثورة والوزراء وعديد من السفارات ودور الصحف ، يبشرون فيه بالثورة المضادة تحت اسم « انتخاب جمعية وطنيه تأسيسية ودون اختيار مسبق للاشــتراكية » ومثلما دافع هؤلاء من قبل عن مصالح القوى الرجعية المنهارة ، يدعون اليوم الى التخلى عـن التقدم « بالجزائر الثورة » نحو افـاق الاشتراكية والنكوص بها الى مجتمع الملاك وجمع الثروات على حساب الشعب .

وظنت بقايا « مجموعة الخارج » كما كان يطلق عليها بين صفوف ثوار حملة السلاح فى جبهة التحرير ، ان دعوتها الجديده يمكن أن تعوضها عما فقدته طوال سنوات العمل



الوطنى والبناء الاجتماعى على امتداد ١٤ عاما من حياه « الجزائر التورة » وتشاء هذه البقايا ان تعمل بنفس « اسلوب القفز » الذى ميز كل تاريخها ، فكبيرهم فرحات عباس لم ينضم الى ثورة الكفاح الوطنى المسلح « الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ » الا فى ١٩٥٦ بعد أن دارت عجلة الثورة بضمانات عدم توقفها . وهم جميعا الذين حاولوا القفز على سلطة الجزائر المستقلة فى ١٩٦٢ ، كانوا يدافعون فقط عن مصالحهم الضيقة حين تشبثوا بمعارصه اى اجراءات تقدم عليها الثورة لتدعم كيانها وتعمق مجراها . يومها ظنوا - مخطئين - ان شعب « الجزائر الثورة » يمكن أن يقدم المليون شهيد من أعز واعى ابنائه ، ثمنا الاستقلال تنهب القلة مكاسبه وامتيازاته ، يومها ، ظنوا — مخطئين — ان وضعهم فى « الحكومة المؤقتة » يكفى لان يسلم الثوار سلاحهم بعد الاستقلال لهم ويسلمون معه دمهم ومستقبلهم وكل آمال شعبهم ، لتتفضل « مجموعة الخارج » وتحصد كل شىء . وعاشوا ، بعد أن لفظتهم صفوف الثوره ونجاوزتهم الاحداث ، يواصل بعضهم اهتماماته المالية والعقارية ويزيد من أرقام ارصدته ، ومما له مغزاه ، ويلقى الضوء على طبيعة تحركهم اليائس ان تقوم السلطات المغربية بمصادرة وتأميم كل ممتلكات الجزائريين ، باستثناء ممتلكات الشيخ خير الدين .

لكن « الجزائر الثورة » التى واصلت طريق تقدمها بقيادة بومدين ، سيواصل شعبها العظيم حماية ثورته ، كجزء لاينفصل عن حركة التحرر الوطنى العربيه ، ومسارها نحو تحولات أعمق للتقدم الاجتماعى . ولاشك ان المراس الطويل لقيادة بومدين الثورية التى صقلتها تجربه سنوات ثمانية من الكفاح المسلح وتجربة سنوات اخرى من العمل الوطنى التقدمى ، بالاضافه الى وحدة قوى الثورة والتقدم ، نقول لا شك أن هذه الحلقات الثلاث : الشعب - القيادة الثورية - وحدة القوى الثوريه ، هى جميعا ضمان مواصلة مسيره « الجزائر الثورة » وانجاز انتصارات جديدة على كل اعدائها من قوى الثورة المضادة التى حاولت أن تستكمل الهجوم الخارجى الضارى ضد « الجزائر الثورة » بهجوم من الداخل « للثورة المضادة » .

ان كل القوى الوطنية والتقدمية ، فى الوطن العربى كله ، تؤكد من جديد مساندتها التامة « للجزائر الثورة » وقيادتها الثورية ، لتظل قلعة صامدة من قلاع التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى . ■

همــوم الفــلاح

فتحى حمــــــادة

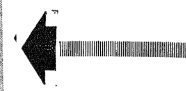
بهذه الحلقة تبدأ « الطليعة » فى تقـديم ممثلى الطبقات الرئيسية فى بلادنا ٠

وهى تبـدأ بتقديم حوارها مع المواطن الفـلاح فتحى حمادة ٠

وفتحى حمادة فلاح حقيقى لا يمكن الا ان ينطبق عليه كل تعريف علمى ودقيق للفلاح ٠ فهو اولا مالك صغير من هذه الشريحة التى تتقلص ملكيتها حتى تقف بها على البرزخ الذى يصل بين الفلاح الفقير وعامل الزراعة الاجير ٠

وهو مالك صغير ، ولـكنه فى الوقت نفسه ، يزرع الارض بيديه ، وينفق فيها من الجهد والوقت ما يوازى الجهد الذى يبذله عمال الزراعة ٠

وفى جميع الاحوال ، فان فتحى حمادة ينتمى الى هذه الشريحة العريضة والاساسية والواسعة من الفلاحين الحقيقيين الذين يملكون خمسة أفدنة فأقل والذين يكونون الغالبية الساحقة من المواطنين فى ريف مصر ٠



الاســـــم :

فتحى حمادة

الســـــن :

٤٦ ســـنة

البلـــــد :

قرية الضاهرية ـ البحيرة

الملكية والحيازة :

١٦ قيراطا ملكا
و١٠ قيراط بالايجار

عـدد الابنـــاء :

ستة ابناء

الطليعة : عرفنا بنفسك أولا ؟

فتحى حمادة : انا فتحي حمادة من الضاهرية مركز ايتاى البارود بحيرة ، عندى ستة اولاد ، وأنا وامهم نبقى ٨ ـ سنى ٤٦ سنة وسن البنت الكبيرة ١٧ سنة ، والابن الاصغر ٤ سنين .

الطليعة : يعنى ما حدش منهم اشتغل ؟

فتحى حمادة : لا مفيش .

الطليعة : والحيازة ؟

فتحى حمادة : الحيازة ١ فدان وقيراطين (*)

الطليعة : مالك ؟

فتحى حمادة : مالك ووريث .

الطليعة : ملكيتك انت اللى بتخصك شخصيا كام .

فتحى حمادة : شخصيا ١٦ قيراط والباقى بالايجار ١٠ قراريط من ابن عمى .

الطليعة : يعنى تستأجر ١٠ قراريط فوق الـ ١٦ يعنى ؟

فتحى حمادة : آه .

الطليعة : وبتأجرهم بكام ؟

فتحى حمادة : سعر ضريبة الحكومة طبعا الـ ١٠ قراريط الفدان على ٣١ ج يبقه الـ ١٠ قراريط حيبقوا زى ٥٠٠ر١٠ مليم جنيه .

الطليعة : وفى بلدكم ما كانش فيه توزيع ارض للاصلاح الزراعى ؟

فتحى حمادة : الكلام ده من سنين فاتت ، من زمان الكلام ده من حوالى سنة ١٩٧٠ (*)

الطليعة : وزعوا كام عندكم ؟

فتحى حمادة : وزعوا كمية كبيرة .

الطليعة : طيب انت ما اخذتش ليه ؟

فتحي حمادة : ما انا مش تبع الاصلاح الزراعى ، الاصلاح الزراعى فى حتة اسمها اسماعيل باشا ، واهل البلدة استلموها ، انما احنا بعيد عن الحتة دى .
الطليعة : يعنى ما حدش من البلد بتاعتكم اخذ أراضى ؟
فتحي حمادة : لا .
الطليعة : الارض دى بتزرعها ايه ؟
فتحي حمادة : الارض دى بنزرعها قطن وغلة وذرة والغلة اللى هية القمح .
الطليعة : ليه ، اشمعنى المحاصيل دى بس ؟
فتحي حمادة : مفيش عندنا ، الحتة بتاعتنا ما بتزرعش الا النوع ده ، على حسب الدورة بيقسموها نصفين ، النص ده قطن ، والنص ده يزرعوه قمح ، وبعدين شوية للبهيمة برسيم .
الطليعة : طيب لما تيجي آخر السنة وتحسب اللي انت أخذته من العملية دى كلها ، يطلع لك كام صافى ؟
فتحي حمادة : من القمح ، ولا من القطن ؟
الطليعة : من كله ؟
فتحي حمادة : والله اما نزرع لى ست قراريط غلة .
الطليعة : ونقسمه على السنة يبقى دخل الشهر كام .
فتحي حمادة : الدخل الشهرى من القيراط بتاع الارض ، قيراط الارض يجيب الغلة ، ويجيب القطن ، وشوية البرسيم بتأكلهم البهيمة .
الطليعة : أنت ملكك ١٦ قيراط وعشره قراريط بالايجار دول كلهم لما بتزرعهم قطن وغلة وذرة ، دول بيجيبوا لك ، لو فرضت انك أنت موظف ، بيدخلوا لك كام فى الشهر ، يعنى قسمهم ؟
فتحي حمادة : دالوقت الذرة بيأخذله ١ شهور ، يعنى ٦ قراريط ذرة يجيبوا لنا ٣ أرادب ذرة ، والـ ٦ قراريط غله بيجيبوا لنا زى ٣ او ٣ر٥ ، والقطن بقه آدى اول سنة جاب لى قنطار قطن الدودة اكلته .
الطليعة ، طيب ما احنا نحسب بالضبط لما يكون الذرة ٣ أردب بواقع الاردب متوسط ٥ جنيه يعنى ١٥ جنيه ، طيب و ٣ ــ ٣ر٥ أرادب قمح ، ومتوسط الاردب ٦ جنيه اى حوالى ١٨ جنيه قمح ، فيبقى ١٨ جنيه قمح و ١٥ جنيه ذرة ، والقطن آخر سنة كان فيه قنطار بس نتيجة الاصابة اللى حصلت ...
فتحي حمادة : قبل كدة بأحاسب على الفدان متوسط انتاج ٣ قناطير قطن .
الطليعة : يعنى الارض اللى او الحتة اللى انت بتزرعها بتصفى حوالى ٣ قناطير قطن ..
فتحي حمادة : أيوه متوسطها ٣ قناطير .
الطليعة : والقنطار تحاسب عليه بكام ؟

فتحي حمادة : القنطار كان بـ ٢٧ جنيه وفيه بـ ٢٦ جنيه .
الطليعة : متوسط الانتاج فى السنة يبقى فى حدود ٣ ، انما السنة اللى فاتت كان اقل نتيجة الاصابة .
فتحي حمادة : كان حوالى ١ر٥ قنطار .
الطليعة : ٣ فى ٢٧ يساوى ٨١ جنيه ، يبقى لو جمعنا الاجمالى العادى من غير سنة الاصابة لانها استثنائية ، هل الاصابة بتحصل كل سنة !
فتحي حمادة : فيه برضه .
الطليعة : احنا بمشى على اساس ان مفيش اصابة ، وبعدين نقدر هده الاصابة يبقى عندنا لو حسبنا الاجمالى ٨١ زائد ١٥ زائد ١٨ يبقوا كام ؟
فتحي حمادة : بس الـ ٨١ جنيه دول للفدان ، انا ما بزرعش فدان كل سنة .
الطليعة : ولكن انت عندك ٢٦ قيراط حيازة ؟
فتحي حمادة : انت حسبت الـ ٨١ جنيه ـ على اساس اننى ازرع الارض كلها قطن بس ، وده مش صحيح لا أنا ما بزرعش فدان قطن ده أنا بزرع ثلث أو نصف فدان ـ فالـ ٨١ جنيه دول مش كلهم ، يدخلوا لى كدخل وانما نصفهم او ثلثهم .
الطليعة : لوحسبنا الثلث ، نجد انه يبلغ حوالى ؟
فتحي حمادة : حوالى ٢٤ جنيه .
الطليعة : اجمالى دخلك يعنى ٥٧ جنيه فى السنة
فتحي حمادة : ٥٧ جنيه ثمن الذرة ، وثمن الغلة ، وثمن القطن .
الطليعه : احيانا بنقص لما يبقى فيه اصابة ؟
فتحي حمادة : طبعا .
الطليعة : يعنى ٥ جنيه دول يخصم منهم الايجار ايضا ؟
فتحي حمادة : الايجار ربنا بيقدرنا عليه ، يعنى عندنا بهيمة كانت بتولد ، النهارده يروح فى عملية الايجار .
الطليعة : أنت عندك بهيمة واحدة ؟
فتحي حمادة : آه جاموسة شرك .
الطليعة : فيه اموال حكومة ؟
فتحي حمادة : فيه اموال حكومة .
الطليعة : كام ؟
فتحي حمادة : الاوراق معايا .
الطليعة : من غير اوراق اذا أنت كنت عارف بالضبط ؟
فتحي حمادة : بالتقريب بتأخذ ١٠ جنيه و١٥ جنيه .
الطليعة : ١٠ جنيه على الفدان ؟
فتحي حمادة : آه .
الطليعة : يعنى على فدان القطن ١٠ جنيه ؟

فتحى حمادة : و١٥ جنيه غير بقيه الحيـازة اللى هية ما لهاش دعوة بالقطن بيجوا همه بالنسبة للقطن يعنى واحد مثلا عنده ١٨ قيراط فهم بييجوا ياخذوا كل سنة المال والدفاع عن القطن فقط لاغير ، وبيرحلوا بتاع المرحلة الشتوية ، يرحلوه لسنوات قادمة من هنا مشكلة ان يتجمع على فى كل سنة مبلغ وقدره كذا وكذا ، بييجى سنة من السنوات يبقى على مبلغ كبير ، وبيطلبوه منى يعنى بياخذوا على القطن بس ، ويتركوا العروة الشتوية ، ما بياخذوش عنها ، فى نفس الوقت بيبقى على بيرحلوها لسنوات بعد كده وييجى على وبعد السنوات دى ، بتتجمع على مبالغ كبيرة .

الطليعة : والقطن يكلفك كام ؟

فتحى حمادة : حوالى ١٢ ج فى المتوسط .

الطليعة ، وبعد كدة بتدفع للغلة كمان ؟

فتحى حمادة : لا للغلة لا ، ما أنا بادفع عن كله .

الطليعة : يعنى لو شلنا ١٢ جنيه من الـ ٥٧ جنيه يبقى الباقى ٤٥ جنيه ده كل اللى بييجى من الارض فى السنة ؟

فتحى حمادة : آه ٤٥ جنيه كل اللى بتيجى لى من الارض فى السنة .

الطليعة : يعنى دخلك السنوى يبقه ٤٥ جنيه صافى ؟

فتحى حمادة : آه .

الطليعة : انت قلت نقطة ان عندك جاموسة بتساهم او بنجيب دخل ، طيب بتجيب لك دخل حوالى كام مثلا ؟

فتحى حمادة : دى سنة تجيب وسنة لا ، ولولا اللبن بتاعها هيه دى اللى معيشانا ، يعنى حبة غموسها . يعنى عبارة عن سمنة وجبنه ، واذا يعنى عشرت تجيب لك عجل كل سنة . وبعض سنين بتفوت بالسنتين .

الطليعة : الجاموسة شرك ؟

فتحى حمادة : شرك ولى فيها أقل من النصف ، الثمن الاصلى بتاعها الاولانى ٤٦ جنيه ، ولما ببيع العجل يقوم يأخذ جزء من الـ ٤٦ جنيه لحد ما اخلص الـ ٤٦ .

يبقه لى النص فيها ، وهوه له النص فيها .

الطليعة : طيب عاوزين نحسب الدخل من الجاموسة فى الشهر .

فتحى حمادة : كل يوم بتاع بريزة .

الطليعة : يعنى ٣ جنيه فى الشهر ؟

فتحى حمادة : آه .

الطليعة : يعنى ٣٦ جنيه فى السنة ؟

فتحى حمادة : حوالى كده .

الطليعة : فيه حاجة ثانية غيرها ، ومفيش اى دخل آخر ؟

فتحى حمادة : خالص نهائى .

الطليعة : مش مربيين فراخ ولا مثلا حاجة فى البيت للبيع غير الاكل ؟

فتحى حمادة : حبة فراخ ، يعنى جوزين ثلاثة فراخ نربيهم .

الطليعة : بتجيب كام بيضة ؟

فتحى حمادة : بيض مفيش بيض ، العرسة بتصفيهم كلك . وعملية الفراخ دى كل موسم نذبح واحدة والابتاع ، آدى الموضوع كله .

الطليعة : يعنى الفراخ مش بتغنيك عن شراء اللحمة ؟

فتحى حمادة : الفراخ لما تبقى موجودة فى البيت تغنى ، مفيش فلوس نجيب لحمة منين ، مفيش نسكت .

الطليعة : يعنى كل شهر مثلا بتذبحوا واللا لا ؟

فتحى حمادة : من الموسم للموسم ، شوف كل موسم يعنى ٣ أشهر يعنى قول من الموسم اللى فات ، وكدهوه شوف بقه له كام شهر . عندنا الكيلو بيتباع بـ ٧ ريال ، نجيب منين ٧ ريال للكيلو اللحمة ، وكيلو لحمة يوكل ٨ أفراد منين .

الطليعة : يبقى الصافى ٨١ جنيه كله . فيه عندك أولاد فى المدارس ؟

فتحى حمادة : آه ، عندى سيد ، وعلى ، وآمال ، ودولت ، فى المدرسة .

الطليعة : البنت الكبيرة فى المدرسة ؟

فتحى حمادة : لا .

الطليعة : طيب ليه طلعتها ؟

فتحى حمادة : طلعت من سنة سادسة .

الطليعة : ماخلتهاش ليه تكمل ، انت مش عايزها تكمل واللا ايه ؟

فتحى حمادة : والله ، التكاليف ، ماعنديش تكاليف ان انا اقاوم عليهم .

الطليعة : فيه مدرسة فى البلد ؟

فتحى حمادة : آه اعدادية ، فيه ابتدائى واعدادى ، وانفتح ثانوى فى المدرسة .

الطليعة : البلد عندكم ، قرية واللا مركز ؟

فتحى حمادة : آه ، قرية .

الطليعة : فيه ثانوى ؟

فتحى حمادة : آه بس بالجهود الذاتية .

الطليعه : طيب الاولاد اللى فى المدرسة بيكلفوك كام ؟

فتحى حمادة : يكلفونى طبعا ، جم فى اول السنة قالوا كل عيل منهم ٢ جنيه .

الطليعة : همه ثلاثة دلوقت ؟

فتحى حمادة : أربعة فى المدرسة ، اثنين فى اعدادى ، وبنت فى رابعة ، والبنت الصغيرة فى اولى .

الطليعة : كل واحدة اثنين جنيه بتوع ايه ؟

فتحى حمادة : اللى همه مجلس الاباء .

الطليعة : التعليم مجانى دلوقت ، بيقه انت بتدفع ليه ؟

فتحى حمادة : بندفع طبعا الرسوم .

الطليعة : فيه ايصالات ؟

فتحى حمادة : ولا ايصالات ولا غيره .

الطليعة : طيب دفعتها ليه ؟

فتحى حمادة ، كده ، المدرسة بتدفع سنوى كده ، سنوى بتدفع من أول السنة لازم .

الطليعة : طيب بتدفع لهم اثنين جنيه ، هل فيه مصاريف ثانية غير كده ؟

فتحى حمادة : مصاريف ثانية غير كده ، كتب ، عاوز اقلام ، عاوز كراريس .

الطليعة : مفيش دروس خصوصية ؟

فتحى حمادة : فيه دروس خصـــوصـــية ، نحتار ، نجيبوها منين ؟ الاولاد بيقولوا يا آبه انا عاوز ، انا عاوز ، اجيب له منين ؟

الطليعة : بياخذ مصاريف الصبح ، وهوه رايح المدرسة ؟

فتحى حمادة : بيبقه عاوز صاغ منين أدى له ؟

الطليعة : طيب احنا بالحسبة اللى قلناها طلع ان تقريبا الشهر مصاريفك بيقه ٧ جنيه ، يمكن أقل شوية حوالى ٥ر٦ ـ ٧ جنيه ، تقدر تقسملنا ،تدى لنا صورة الـ ٧ جنيه دى بتصرفهم ازاى فى الشهر ؟

فتحى حمادة : دلـــوقت همــه فى ايدى الـ ٧ جنيه ؟ همه فين الـ ٧ جنيه ؟ دلوقت شوية الغلة فى البيت والحبة الذرة جم ، بنطحن منهم ، دلوقت دول فى الدار نعمل منهم عيش ، دلوقت فيه حبة لبن نغمس ،مفيش حاجة ،ماجبناش طبيخ ،نجيب منين ، مفيش قرش فى ايدى ، الـ ٧ جنيه منين ، اذا كانت الحكومة خدت دول هم ومبقاش ليه حاجة ، عندى متأخر من سنة ١٩٦٨، ، اقساط الحكومة تـالت مـن فـدان ينشـال عنـه المتاخرات جه عندى انا فــدان وقيراطين كانت المتاخرات والحكومة بتاخد القرشين اللى همه بتوع القطن ، ولبسه ماسددتش ، ييجى لى ٧ جنيه منين ؟

الطليعة : على اى حال هو واضح لينا دلوقت ان الاسرة مكونة من ٨ أفراد ، وصافى دخلها من الارض ومن البهيمة يقل عن ٧ جنيهات شهريا .

فتحى حمادة : ودلوقت لما يبقى فعلا حتى موجود ٧ جنيه وفى أول السنة والعيال عايزه بدل وعايزه كسوة ، العيل حيتكلف ، على الاقــل ٣ جنيه .

الطليعة : بتجيب للاولاد كسوة منين ؟

فتحى حمادة : والله عندنا سوق هناك اسمه سوق الثلاث بيبقه فيه بناطيل وفيه قمصان وفيه فنلات .

الطليعة : جديدة واللا قديمة ؟

فتحى حمادة : متوسطة ، البنطلون بتاع ١٥٠ صاغ .

الطليعة : فى الشتاء بتلبسهم ايه ؟

فتحى حمادة : هدوم عادة كده ، برضه بيلبسوا بلوفرات بتاع ، حاجات زى كده ؟

الطليعة : انت اللى بتزرع الارض بنفسك ، لوحدك ؟

فتحى حمادة : لوحدى فقط .

الطليعة : بتشتغل اد ايه تقريبا ؟

فتحى حمادة : طول ما انا فى الغيط بنشتغل ، نقلة سباخ ، مش عارف ايه .

الطليعة : بتقعد للساعة كام كل يوم ؟

فتحى حمادة : كل يوم نسرح الصبح ، نهار ما نتأخر فى البيت نسرح الساعة ثمانية ، ولو رجعت ارجع علشان اتغذى وأرجع ثانى .

الطليعة : هوه الغيط قريب ؟

فتحى حمادة : بتاع حوالى ٣ كيلو .

الطليعة : لو احتجت ايد ثانية تساعدك تعمل ايه ؟

فتحى حمادة : نشتغل طول الليل والنهار .

الطليعة : مفيش حل ثانى ؟

فتحى حمادة : مفيش حل ثانى ولو محتاج لايد ثانية تساعدنى نجيب لها منين ؟ وما نقدرش نشتغل بره لان عندى رجليه كلها بتـوجعنى ، وعندى مرض صدرى .

الطليعة : يعنى طول السنة ما بتشغلش معاك حد تانى ؟

فتحى حمادة : نهائى .

الطليعة : وما بتشتغلش عند حد نهائى ؟

فتحى حمادة : وما باشتغلش عند حد نهائى .

الطليعة : وده علشان صحتك ، واللا انت ما بتحبش تشتغل عند حد ؟

فتحى حمادة : صحتى تعبانة .

الطليعة : اذا كانت صحتك مش تعبانة كان ممكن .. ؟

فتحى حمادة : اذا كانت صحتى مش تعبانة برضه ممكن نقدر ، نقدر نروح فين نسيب بهيمتى ونروح فين .. ؟

الطليعة : يعنى انت زرعك والبهيمة بتاعتك محتاجة لك ؟

فتحى حمادة : محتاجة لى .

الطليعة : يعنى انت بالنسبة للدخل انت ما بتشتغلش عند حد ؟

فتحى حمادة : لا .

الطليعه : هل اولادك بينزلوا معاك يشتغلوا ؟

فتحى حمادة : فيه حتة عايزين نلفت نظر سيادتك لها ، المبلغ الاجمـالى قلنا ٨١ جنيه ، ده منه كمان بيطلع كمان حاجه ، السـلفيات بتاعة

الجمعية التعاونية الكيماوى وغيره ، فلما تحسب الدخل حتلاقى أقل من ٧ جنيه بكثير .
الطليعة : بلدكم تعدادها كثير ؟
فتحى حمادة : يعنى حوالى ٥ آلاف .
الطليعة : زمامها كام فدان ؟
فتحى حمادة : بيجى ألف فدان .
الطليعة : الغالبية بتاع الناس هناك تصنفهم ازاى ؟ الـ ٥ آلاف دول لما نصنفهم نقول منهم مثلا كام مالك كبير ، كام مالك صغير ، كام مستأجر ؟
فتحى حمادة : الملاك الصغيرة ، أكثر من الملاك الكبار ، يعنى بيجو ألفين صغيرين ، اللى فى البلد عندك جماعة سمك أكبر عيلة بيملكوا حوالى فوق الالف فدان ، عيلة الفقى كمان .
الطليعة : عندكم معدمين ، ونسبتهم اد ايه ؟
فتحى حمادة : كثير .
الطليعة : يعنى عامل زراعة اللى هوه لا حائز ولا مالك .
فتحى حمادة : دول كله تبع التحرير ، وسابوا البلد ، وقبل كده كانت السرقة فى البلد ، وسرقوا الذرة وكله .
الطليعة : طيب اللى مش قادر يشتغل وعاوز يجيب ناس يشتغلوا له .
فتحى حمادة : واحد مثلا عنده عشرة فدان ، وفيه بعض ناس فى البلد بيشتغلوا عمال زراعة .
الطليعة : دلوقت قلت ٥ آلاف نسمة فيها نقطة بوليس ؟
فتحى حمادة : لا .
الطليعة : فيها وحدة صحية ؟
فتحى حمادة : فيها .
الطليعة : فيها عمدة طبعا ؟
فتحى حمادة : فيها عمدتين ، عمدة لحصة البلد ، وعمدة للبلد ، بس العمدة اللى انحال على المعاش ، فيه نائب عنه .
الطليعة : ازاى البلد يبقه فيها عمدتين ؟
فتحى حمادة : البلد كبيرة ، واحد للمسيحيين ، والثانى للمسلمين .
الطليعة : البلد مقسومة ، يعنى حتة قاعد فيها المسلمين وحته قاعد فيها المسيحيين ؟
فتحى حمادة : لا ملخبطين على بعض .
الطليعة : لكن المسيحيين لهم عمدة ؟
فتحى حمادة : آه .
الطليعة : طيب الاغلبية ايه ؟
فتحى حمادة : الاغلبية مسلمين .
الطليعة : والمسيحيين أد ايه تقريبا ؟
فتحى حمادة : بيجوا ٥٠٠ واحد .
الطليعة : فيه جمعية تعاونية فى بلدكم ؟
فتحى حمادة : فيه .
الطليعة : الوحدة الصحية دى ملاحظتك عليها ايه ؟

فتحى حمادة : عندى عيل تعبان أول امبارح اللى هوه يوم السبت راح يكشف سابنا الدكتور واحنا رايحين نكشف بـ ٤ صاغ ، سابنا وكشف بجنيه وسابنا وراح يكشف كشف خصوصى . وبعدين هيه العملية حبة حبوب ، تعبان ببطنه حبة حبوب ،
الطليعة : كشف مخصوص ، يعنى سايب العيانين المتقيدين فى الوحدة ومشى ؟
فتحى حمادة : بيقول كان عندى اجتماع .
الطليعة : فيها كام دكتور الوحدة ؟
فتحى حمادة : دكتور واحد .
الطليعة : وفيها كام تومرجى ؟
فتحى حمادة : حوالى ١٢ ، وأكثر من كده من المسرحين .
الطليعة : وفيه رعاية طفل ؟
فتحى حمادة : فيه رعاية طفل .
الطليعة : فيه مدارس ؟
فتحى حمادة : آه اتنين اعدادى ، واتنين ابتدائى ، وثانوى فيها فصلين بالجهود الذاتية .
الطليعة : ودى مدارس حكومة واللا مدارس خاصة ؟
فتحى حمادة : والله اللى كانت خاصة تبع الحاج انصارى سمك دخلت حكومة ، اللى هيه اعدادى .
الطليعة : نخش بقه فى الجمعية التعاونية ، ايه رايك فى الجمعية التعاونية ونظامها بالصراحة كده ، ايه اللى ليها وايه اللى عليها . انتكرجل بتمثل فلاحين فقراء ، لك راى فى كده ، ايه المفيد وايه اللى مش مفيد ؟
فتحى حمادة : والله هيه مفيده طبعا على حسب معاونة البلد فى عملية الكيماوى ، وعملية المبيدات ، وهيه ماشية على كده . اما عملية الحسابات ما تعرفش تاخد حقك هنا ، تيجى تحاسب ماتعرفش تحاسب نقعد نشتكى وييجى واحد يقول لك حقك هنا ، ماتعرفش تأخذ حقك .
الطليعة : انتم عملتم انتخابات الجمعية امتى ؟
فتحى حمادة : من زمان .
الطليعة : مين اللى بيديرها ، مين مجلس الادارة ؟
فتحى حمادة : مجلس الادارة بيجى ٣ ــ ٤ .
الطليعة : من أى عائلة ؟
فتحى حمادة : دالوقت مجلس الادارة عندنا أحمد حسن حمادة ، وعندنا محمد ابراهيم حمادة ، برضه تبع مجلس الادارة ، وعندنا مجدى الحوطى .
الطليعة : فلاحين زيك ، وملكيتهم فى حدود كام يعنى ؟
فتحى حمادة : بتاع ٣ ــ ٤ فدادين .
الطليعة : رئيس الجمعية منتخب ؟

فتحي حمادة : اللى هوه سيد أبو شحاته .

الطليعة : ملكيته كام ؟

فتحي حمادة : هوه واخوته دخلت على ۳۰ فدان .

الطليعة : الجمعية دى علاقتها ايه بالبلد بعيلة الفقى وعيلة سمك ؟

فتحي حمادة : معاوناهم على هذا الطريق يعنى ماشيين على السماد وعلى الكيماوى والحكاية كلها ماشية كده .

الطليعة : معاملتك زى معاملتهم ؟

فتحي حمادة : طبعا هل الكبير زى الصغير ؟

الطليعة : انت مش بتأخذ حقك ؟

فتحي حمادة : فى الكيماوى بأخذ حقى ، وفى البذرة .

الطليعة : وفى الكسب ؟

فتحي حمادة : الكسب برضه أوقات اشهر نأخذها وأوقات بتيجى من بعيد لبعيد يأخدوها همه لمواشيهم وحالهم .

الطليعة : لكن لما انت بتأخذ حقك ، بتاخذه مظبوط فى الكيماوى ، واللا ناقص ؟

فتحي حمادة : بأخذه مظبوط .

الطليعة : طيب يبقى ايه الفرق بينك وبين الغنى ، انت بتأخذ حقك مظبوط وهوه بياخذه مظبوط واللا فيه زيادات ؟

فتحي حمادة : لا احنا ما قلناش حاجة ، بس احنا بنقول على الحقوق اللى هيه بتاعة المديونية دى ، نعقد نحاسب ما نعرفش احسن ؟

الطليعة : الغنى بيحاسب احسن ؟

فتحي حمادة : آه وعارف حسابه كويس ، يعنى بيروح يجيب من البنك حسابه وكل حاجة ، ويعرف يصرف ، ويعرف يقرا ، لكن أما مانعرفش نقرا ولا نعرف نحور وندور : نروح فين ؟

الطليعة : انت مشكلتك مع الجمعية هى مشكلة المحاسبة بس ؟

فتحي حمادة : المحاسبة .

الطليعة : مابتعرفش اللى لك ، واللى عليك والحساب متلخبط ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : طيب رايك ده يتصلح ازاى ، اللى هوه نظام المحاسبة ، يعنى ايه المطلوب علشان الجمعية دى تبقى كويسه ، علشان تضمن حقك ؟

فتحي حمادة : المطلوب ان نتحاسب ونعرف الحساب بس .

الطليعة : همه موظفين الحكومة ، مابيساعدوش فى الحتة دى ؟

فتحي حمادة : الموظفين لما تقول لهم يقعد يفتح لك الفيشة ، ويقول لك ماهوه ، رئيس الجمعية ماهو حاسب وفلان حاسب كلهم ماضيين عندك أهوه ، احنا ، ده كان عندنا من ۱۹٦۸ كان علينا ۸۰ جنيه على أنا متأخرات ، ومن ٦٨ لحد دلوقت بقينا فى ۷٥ ـ ۷٦ السنة اللى فاتت قال عليك ٥٦ جنيه متأخرات غير الجديد اللى هوه بتاع ۱۹۷٥ .

الطليعة : وانت ماتعرفش منين جت المتأخرات دى ؟

فتحي حمادة : مانعرفش خبر ، احنا كل سنة بندفع .

الطليعة : انت بتزرع القطن ، الجمعية بتجيب لك مبيدات وبتاع ؟

فتحي حمادة : الطيارة بترش .

الطليعة ، الطيارة بترش عندكم وبيحاسبوكم على الرش ، بيحاسبوك ازاى ؟

فتحي حمادة : الحساب آهوه ، اجمالى ثمن القطن ۲۷ جنيه و ٥۹٥ مليما . المديونية المستحقة عليه والتى تقرر خصمها من محصول القطن ۳۲ جنيه و ۲٥۱ مليما فيعنى فيه زيادة حوالى ٦ جنيهات دين على

الطليعة : يعنى بيحسب الرش وبيحسب البذرة ؟

فتحي حمادة : طبعا كله بيندفع : الكيماوى طبعا والرش والعمولات اللى همه عاملينها دى والخدمات .

الطليعة : طيب أنتم عندكم نقاوة يدوية واللا مفيش ؟

فتحي حمادة : فيه طبعا بييجى الخولى وراء الانفار ، بينزل ينقى فوق من الشهرين .

الطليعة : الانفار دى بتتحسب صح ، واللا بتتحسب غلط ؟

فتحي حمادة : اذا نزل ۸ يبقوا ۸ مفيش تلاعب وفيه مرور جيد من المشرفين .

الطليعة : يبقى بيعمل لك النقاوة اليدوية هوه ، وبيعمل لك الرش وبيديك السماد والحاجات دى واللازم كله ، فى النهاية طلع اللى عليك ۳۳ جنيه يعنى زرعة القطن مخسرة يبقى انت أيه مصلحتك انك تزرع قطن ؟

فتحي حمادة : الدورة حاكمة علينا ولو خالفت نروح فى داهية

الطليعة : انت لو خيروك من غير دورة تزرع قطن واللامتزرعش ؟

فتحي حمادة : نزرع قطن ، ولو منعوا القطن نزرع غير القطن

الطليعة : يعنى لو الحكومة قالت اللى عايز يزرع على مزاجه يزرع ، اللى عايز قطن يزرع قطن ، واللى عايز يزرع .. أى حاجة غيره يزرع ، تفضل انك تزرع أيه ؟

فتحي حمادة : نزرعه برضه الحبوب ، بس لو انزرع قطن برضه بيجيب دخل أكثر من القمح أو الذرة ، حتى لو كان على مديونية .. فالقطن بيغطيها أكثر من اى محصول ثانى

الطليعة : الجمعية التعاونية اللى انت بتشتكى من حساباتها محصلش فيها مشاكل اختلاسات ولا حاجة ؟

فتحى حمادة : اختلاسات فيها ، الحسابات فيها ، فلوس حاجة زى كده ، دى منهم لبعضهم ، الموظفين يغطوا علينا احنا مانعرفهاش ، بنسمعوا عنها .

الطليعة : طيب الفلاحين بقى فيه ناس بتعرف تسوى حساباتها فى الجمعية وناس ما بتعرفش تسوى حساباتها ، اللى بيسوى حساباته بيعمل ايه علشان يسلك اموره فى حسابات الجمعية ؟

فتحى حمادة : اللى يسلك اموره ده راجل شبعان بيروح يقعد وياهم ، ان ما تعدش وياهم يروح يقعد وياهم فى البيوت .

الطليعة : يعنى يدفع حاجة ، يسلك اموره

فتحى حمادة : المفهوم ..

الطليعة : دالوقت فى انتخابات الجمعية لو عملوا انتخابات ثانية ، حتنتخب نفس الناس دول والا غيرهم ؟

فتحى حمادة : طبعا حيبقى فيه انتخاب غيرهم ، ولو مشوا على الطبيعة دى برضه ، يعنى وكلنى وانا اوكلك .

الطليعة : طيب ازاى انت ممكن الجمعية دى تمشى مظبوط وحساباتها تمشى مظبوطة ، لو الفلاحين انتخبوك انت وأصبحت مدير الجمعية ، تمشى حساباتها ازاى ؟

فتحى حمادة : بالحق .

الطليعة : والحق مش موجود دلوقت ؟

فتحى حمادة : لا مش موجود .

الطليعة : طيب وتعمل الحق ازاى ؟

فتحى حمادة : نعمله زى ما ربنا يعمله .

الطليعة : يعنى مفيش حل ، افرض انتخبت أصدقاءك وبرضه عملوا نفس التصرف ، هل يعنى فيه طريقه نخلى الفلاحين يأخذوا حقوقهم ؟

فتحى حمادة : دلوقت مثلا وابور الحرث ، دلوقت انا مثلا عاوز اطلع ساعة واللا نصف ساعة فيه غيرى اقوى منى يروح يأخذ الاوتومبيل بهدف انه طالع قبل منى وتلاقى الاسم بتاعى راح وراء .

الطليعة : طيب الجمعية عندها الكنابيل ؟

فتحى حمادة : كومبيلين .

الطليعة : بتشغلهم بالساعة ؟

فتحى حمادة : آه الساعة بـ ٩٠ صاغ .

الطليعة : بتندفع فورى ، ولا بتتحسب على الحسابات ؟

فتحى حمادة : بتندفع فورى .

الطليعة : طيب مفيش حد فى البلد ثانى عنده ؟

فتحى حمادة : فيه .

الطليعة : بياجروها بكام ؟

فتحى حمادة : أزيد من كده .

الطليعة : يعنى انت مصلحتك انك تأجر من الجمعية ؟

فتحى حمادة : آه .

الطليعة : طيب هوه أزيد بكام ؟

فتحى حمادة ، فيه بياخد بالفدان ويعدى من الجنيه ، يعنى الفدان بياخد فوق من الساعين ، يعنى مثلا أنا دفعت ١٨٠ قرش على فدان ، للجمعية ، طبعا اللى حيروح يحرث حياخد ربع جنيه او نصف جنيه ، وان ما أخذش يبقى زعلان .

الطليعة : دلوقت مين عنده كنابيل فى البلد ؟

فتحى حمادة : عندنا عمدة الحصة عنده .

الطليعة : كام ؟

فتحى حمادة : عنده كومبيل .

الطليعة : ومين ثانى ؟

فتحى حمادة : وجمعية الحصة فيها كومبيل ؟ وده لهم ، وفيه جماعة الفقى عندهم برضه كومبيلين بيشتغلوا فى ارضهم .

« ودى عيلة تانية غير عيلة الفقى المشهورة »

الطليعة : حد آخر من العائلات المعتبره كبيرة عنده كومبيل ؟

فتحى حمادة : كبير زى مين يعنى .. زى عيلة سمك .. لا ماعندهمش .

الطليعة : بياخذوا من الجمعية ؟

فتحى حمادة : آه .

الطليعة : هل لهم الاولوية ؟

فتحى حمادة : طبعا الكبير كبير .

الطليعة : لو انت بقى عايز تمشى الحق فى الجمعية ، تعمل ايه ؟

فتحى حمادة : هو أنا لى سلطة عليهم .

الطليعة : لو انتخبوك ؟

فتحى حمادة : أنا ما نرضاش نخشها

الطليعة : ليه ؟

فتحى حمادة : ننعاص فيها ، لان اللى بيدخل منعاص

الطليعة : ما فيهاش حد كده يعنى مش منعاص ؟

فتحى حمادة : كلك .

الطليعة : طيب نرجع برضه للجمعية ؟ الانتخابات قربت بتاعة الجمعية ، مابداش كلام عن مين بيترشح ومين ؟

فتحى حمادة : لا ماسمعتش لسه .

الطليعة : لما الانتخابات حتتعمل كل البلد بتنقسم بين العائلات ؟

فتحى حمادة : بيحصل .

الطليعة : حصلت انتخابات بجد ، واللا بيعملوا تفريقة ؟

فتحى حمادة : حصل برضه بيعملوا عصبة انتخب فلان انتخب فلان

الطليعة : طيب وعيلة الفقى كانت بتؤيد مين ؟

فتحي حمادة : كل واحد له عصبة

الطليعة : ودخلوا عصبتهم ؟

فتحي حمادة : بس همه مالهمش حد فى مجلس الادارة .

الطليعة : ازاى بقى ، هل فيه ناس عملوا عصبة عليهم ؟

فتحي حمادة : يعنى مدخلوش نفسهم فى مجلس الادارة .

الطليعة : دخلوا الناس بتوعهم يعنى ؟

فتحي حمادة : فيه بعض ناس ، هوه بس عندنا أحمد حسن حمادة ، وعندنا محمد ابراهيم ، وعندنا السيد ابو شحاته وواحد اسمه مجدى ومحمد الزلوعة .

الطليعة : طيب المشرف بتاع الجمعية المهندس ده مقيم فى البلد ؟

فتحي حمادة : دول ياما خالص .

الطليعة : عندكم كام واحد ؟

فتحي حمادة : وعندنا ياما خالص السنة دى بالذات عندنا جم كمان اثنين مشرفين .

الطليعة : طيب دول مقيمين فى البلد ؟

فتحي حمادة : لا أغلبيتهم فى البلد وفيه اللى جنب البلد .

الطليعة : لكن قاعدين فى البلد ؟

فتحي حمادة : آه

الطليعة : طيب المشرف ده دوره ايه ؟ بيمشى المسائل كويس واللا ؟

فتحي حمادة : ماشى كويس

الطليعة : افرض انه هوه مش موجود ؟ حيحصل ايه ؟

فتحي حمادة : دلوقت الزراعة تبوظ .

الطليعة : محتاج له يعنى ؟

فتحي حمادة : محتاج له يمر على انا ، ابدا يمر عليه فى ايه ؟ وهوه قبل كده كان فيه مشرفين ، قبل كده ما كانش فيه مشرفين ، كان مشرف واحد مفيش غيره .

الطليعة : طيب بيقه فايدته ايه بقه ؟ يعنى ممكن البلد تستغنى عنه ؟ يعنى لو الحكومة قالت أنا عايزه المشرفين دول واخذتهم ، دلوقت الزراعة تبوظ واللا ايه ؟

فتحي حمادة : الزراعة حتبوظ ليه ، دلوقت كل واحد ماسك ارضه فى سنانه ، الارض حتبوظ ليه ؟ والكيماوى بيجى من الجمعية ، هوه واقف وراية بيقول لى ازرع ، أنا اللى بازرع .

الطليعة : طيب ايه فايدته ؟

فتحي حمادة : بيمر على زراعة القطن علشان نقاوة الدودة

الطليعة : طيب الموسم اللى مفيهوش دودة ؟

فتحي حمادة : ما يطلعش الغيط ابدا خالص بيجى من مطرحه على الجمعية يشرب قهوة وشاى ، وده اللى حاصل مفيش غير موسم القطن بس اللى همه الشهرين الثلاثة دول وغير كده مفيش .

الطليعة : عندكم فى البلد ماكينة طحين ؟

فتحي حمادة : الماكينة بعيدة عن البلد بساعة واحدة من كفر الزيات وتبعد عنا بزى ٢ كيلو .

الطليعة : بتتطحنوا الكيلة بكام ؟

فتحي حمادة : بـ ٣ صاغ وكمان صاغ علشان يخشنها .

الطليعة : محصلش مشاكل على الحسابات فى الجمعية ، الناس عملت شكاوى او تلغرافات للاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة : مفيش .

الطليعة : الناس يعنى بتقبل الوضع ؟

فتحي حمادة : لا مفيش .

الطليعة : فى الانتخابات الجاية ، ناوى ترشح نفسك ؟

فتحي حمادة : ما تنفعش للترشيح لان دلوقت تعبان ومش فاضى .

الطليعة : يعنى أعضاء مجلس الادارة دول بيسيبوا غيطهم ويروحوا الجمعية ؟

فتحي حمادة : بيروحوا

الطليعة : لازم يكون له عزوة يعنى ؟

فتحي حمادة : آه يقعد يزرع فى ارضه ودكهه يروح يقعد .

الطليعة : طيب هوه بيستفيد ايه من الحكاية دى ؟

فتحي حمادة : حتى لو ما استفدش حاجة يستفاد الكومبيل يحرث له ارضه الاول .

الطليعة : يعنى همه بيأخذوا النفسهم الاول ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : يعنى بتفيد ؟

فتحي حمادة : بتفيد آه .

الطليعة : لو تقفلوا الجمعية التعاونية اللى فى البلد ومشوا الناس اللى فيها ، ايه اللى يأثر على الزراعة فى البلد ؟

فتحي حمادة : نعوز كيماوى .

الطليعة : يعنى الجمعية لا تعنى بالنسبة لك غير كده ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : مابتشوفش الزرعة اللى أنت زارعها ؟ مش عاملين غيط ارشادى ، مفيش حاجة من دى ؟

فتحي حمادة : مفيش اى خدمات اللاكدة .

الطليعة ، بالنسبة للبهايم والطيور مبتعملش الجمعية اى حاجة بالنسبة لها ؟

فتحي حمادة : حتعمل ايه ، مفيش .

الطليعة : يعنى الجمعية لا تعنى الا الكيماوى والبذرة .

فتحي حمادة : مفيش اكثر من كده ، والمبيدات .

الطليعة : وعملية البطاطس ؟

فتحي حمادة : البطاطس دى من ٥ فدادين وطالع اللى اخذوا البطاطس التقاوى ، واقل من كده ما حدش اخذ .

الطليعة : فدان البطاطس بيطلع كام طن عندكم ؟

فتحي حمادة : ٨ و ١٠ طن والطن فيه بـ ٢٥ جنيه وفيه بـ ٣٠ جنيه ومصاريفه كثيره ، لان طبعا فيه سباخ بلدى وسوبر .

الطليعة : ما تعرفش مبنى الجمعية اتكلف كام ، وما قالوش لكم حنبنى مبنى جديد ؟

فتحي حمادة : قالوا حنبنى مبنى جمعية وخلاص انما ما نعرفش انه اتكلف مثلا ٥ ـ ٦ آلاف جنيه .

الطليعة : وافقتم على المبنى ده يتبنى انتم كناس ؟

فتحي حمادة : الجماعة الكبار همه يحددوا واحنا الصغيرين اللى مداسين فى ارجلين ، واحنا ايش نكون احنا حواليهم .

الطليعه : انت عارف ان الفلوس المبنى بها دى ارباحكم ؟

فتحي حماده : نعرف انها ....

الطليعة : طيب ليه ماخذوش رايكم فى انها تتبنى واللا ماتتبنيش ؟

فتحي حمادة ، اللى يتقدم مين الصغير ، واللا الكبير ؟

الطليعه : انتم كلكم ما هى دى جمعيتكم ؟

فتحي حمادة : الكلام ده اما تبقى عايزه رياطية انها ماتتبنيش ويوزعوا علينا ارباحها كان ماعلهش .

الطليعه : المبنى الكبير كان له لازمه ؟

فتحي حمادة : آهى كانت الجمعية ماشية فى البلد وكانوا بياجروا لها حتة بيدفعوا لها ايجار .

الطليعه : انت دخلت المبنى الجديد ده ؟

فتحي حمادة : آه دخلته مرتين .

الطليعة : طيب له لازمة والا المبنى القديم احسن ؟

فتحي حمادة : المبنى القديم كان قايم بالمهمة وبقه لنا كام سنة على كده .

الطليعة : انا شايف هنا فى الوصل بتاعك ان رسم اشتراك الاتحاد الاشتراكي ٩٤ قرش انا كنت اعرف انه في المدن بياخدوا ٢٤ قرش وهوه رسم الاتحاد الاشتراكي اجبارى ؟

فتحي حمادة : اجبارى ، خصم كده على طول ، كده من بابه .

الطليعة : هل سليم انهم ياخذوا منك من غير رأيك ؟

فتحي حمادة : طبعا لما نقعد نتكلم ونقول ان الحساب اتحاد اشتراكى كذا وكذا حاجة مفروضة .

الطليعة : نحن نعرف ان الاشتراكات فى المدن ٢٤ قرش فى السنة ، والفلاح يدفع ٩٤ ، يعنى الزيادة ٣ أضعاف ، انت بتدفع كام اشتراك للاتحاد الاشتراكي ؟

فتحي حمادة : انا ما أعرفش ازيد من كده ، واعرف من زمان ٢٤ قرش ، انما اللى بيخصموه هو كده ٩٤ قرش .

الطليعة : انت عضو فى الاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة : لا وبتقول لك هوه كده الحساب مانقدرش نتكلم .

الطليعة : طيب بيخصموا منك ليه الفلوس ما دام مش عضو ؟

فتحي حمادة : بأروح انتخب آه فى الاتحاد الاشتراكى .

الطليعة : مين الامين بتاع الاتحاد الاشتراكى فى البلد ؟

فتحى حمادة : الامين دلوقت اظن محمد الخضير لا محمد جمال

الطليعه : هل الاتحاد الاشتراكي فيه حاجات بتفيدك بيقولوا فى البلد فيه اتحاد اشتراكى ، بتستفيد منه انت ؟

فتحي حمادة : لا ماحدش استفاد بحاجة من الاتحاد الاشتراكى نهائى ، وانتخباهم برضه ولا فيش حاجه .

الطليعة : بيمتلك اد ايه امين الاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة : عنده جنينه حوالى ٣٠ فدان جنينه . هم كلهم بتوع الاتحاد عشرة ، اللى عنده ٢ فدانين واللى عنده اربعة واللى ..

الطليعة : طيب برضه الانتخابات تمت بتقسيمة بين العائلات واللا انتخابات ، انتخابات يعنى ؟

فتحي حمادة : انتخابات لكن كان فيه برضه عائلات مع بعض .

الطليعه : طيب العائلات الفنية زى سمك والفقى مارشحتش نفسها ليه ؟

فتحي حمادة : مش مهتمين بالحاجات دى ..

الطليعه : العشرة بتوع اللجنة دول فيهم كام واحد من الفلاحين الصغيرين وكام من العمال الزراعيين ؟

فتحي حمادة : فيهم محمد ابو الخير ده موظف ، وزى انا لا مفيش . ومفيش عمال زراعة .

الطليعة : انت عارف دلوقت انه فيه قانون طلع فى مجلس الشعب بيقول ان الانسان حر انه ينضم للاتحاد الاشتراكى او ما ينضمش للاتحاد الاشتراكى فعلى هذا الاساس مش اجبارى ان الانسان يبقى عضو ، فعلى هذا الاساس همه ليه

بيخصموا منك ؟

فتحي حمادة : انا مشترك تبع الاتحاد الاشتراكى ، وجم عملوا انتخاب للاتحاد الاشتراكى ، غصب عنى بانتخب وانا اللى بأعلم بنفسى ، وعارف الاسماء والرموز برضه .

الطليعة : بتختار الواحد على أساس ايه ؟

فتحي حمادة : انا لا عندى عيلة ولا غير عيلة ، كده بطبيعتها كده ، ده ينفع ، ماشى ، نعلم ، يمكن مفيش حد فيهم ينفع لكن بأعلم برضه .

الطليعة : لما بتقول انسان بينفع ، يعنى ايه ينفع ؟

فتحي حمادة : يعنى مثلا الانسان لو طلب منه ان يحل اشكال ينفع ، حاجة زى كده .

الطليعة : عملت ايه اللجنة للبلد من ساعة ما انتخبت ؟

فتحي حمادة : ولا حاجة ، نهائى خالص ..

الطليعة : اذا كان فيه مشاكل للحسابات فى الجمعية ، مابترحوش للاتحاد الاشتراكى وتقولوا له يا اتحاد اشتراكى روح حاسبب الجمعية وشوفها تصلح لنا حساباتها ؟

فتحي حمادة : أبدا ماحصلش .

الطليعة : بتوع الاتحاد الاشتراكى برضه بيفوتوا لهم ، بتوع الجمعية ، يعنى مثلا الكومبيل يروح لهم الاول .

فتحي حمادة : آه الناس اللى لها سيطرة ، معروف .

الطليعة : الناس دى ليه بترشح نفسها فى الاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة ، علشان نفسها .

الطليعة : يعنى مفيدة ؟

فتحي حمادة : مفيدة .

الطليعة : هل تعرف رئيس الاتحاد الاشتراكى فى مصر ، فى البلد كلها ؟

فتحي حمادة : ما أعرفش اسمه نهائى ..

الطليعة : بتروح تنتخب علشان تؤدى واجبك ، والا علشان خايف من الغرامة ؟

فتحي حمادة : لو مفيش غرامة ، مش رايح .

الطليعة : انت تسمع عن الامين الاول ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : تعرف حاجة اسمها لجنة تنفيذية ؟

فتحي حمادة : نسمع بس .

الطليعة : عملها ايه ؟

فتحي حمادة : مانعرفش عنها حاجة .

الطليعة : تعرف الامانة العامة ؟

فتحي حمادة : ما نسمعش عنها حاجة .

الطليعة : أمين الاتحاد الاشتراكى فى المحافظة ، بتاعتكم مين ؟

فتحي حمادة : برضه ما أعرفش .

الطليعة : أمين المركز ؟

فتحي حمادة : عندنا هناك السيد ابو راضى ..

الطليعة : مين أمين الفلاحين فى الاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة : موش عارف .

الطليعة : أمين المركز مالك واللا موظف ؟

فتحي حمادة : طبعا ملاك كبار .

الطليعة : عنده أد ايه ؟

فتحي حمادة : كثير .

الطليعة : طيب بتسمع ان فيه أمانة للفلاحين فى اللجنة التنفيذية ؟

فتحي حمادة : نسمع عنها .

الطليعة : ماحاولتوش تلجأوا لها او تتصلوا بها ، علشان تحل لكم مشاكلكم أو أى حاجة ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : ليه لا ؟

فتحي حمادة : ماحدش ورانا الطريق .

الطليعة : ماحدش بينزل منها ييجى لكم ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : مفيش أى مسئول كبير من الاتحاد الاشتراكى من المركز أو المحافظة جه ؟

فتحي حمادة : أبدا .

الطليعة : آخر حاجة سمعتها عن الاتحاد الاشتراكى ايه فى البلد ؟

فتحي حمادة : ماسمعتش حاجة خالص .

الطليعه : تسمع عن المنابر ؟

فتحي حمادة : أبدا .

الطليعة : انه فيه مناقشات دلوقت حوالين يعملوا احزاب واللا يعملوا منابر ، سمعت حاجة زى كده ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : انت عندكم مجلس الشعب ، مين نائبكم ؟

فتحي حمادة : مانعرفش برضه .

الطليعة : مجلس الامة يعنى ، مين العضو بتاعكم ؟

فتحي حمادة : كان عندنا الحاج عبد السلام الصيرفى ، وكان عندنا الحاج عبد السلام مغيب .

الطليعة : الحاج عبد السلام الصيرفى ده عنده ملك أد ايه ؟

فتحي حمادة : نعرف ان عنده ملك يعنى .

الطليعة : والحاج مغيب ؟

فتحي حمادة : برضه راجل جامد .

الطليعة : يعنى مفيش أعضاء مجلس الشعب عندكم ، عندهم ملكية بسيطة يعنى ٥ فدادين ؟

فتحي حمادة : لا مفيش ، كلهم كبار .

الطليعة : هل جاء الى البلد ؟

فتحي حمادة : مرة واحدة .

الطليعة : لما نجح ، والا قبل ما ينجح ؟

فتحى حمادة : لما نجح ، وقال اشكر البلد على الانتخاب .

الطليعة : قبل ما ينجح جه البلد كام مرة ؟

فتحى حمادة : مرتين .. ثلاثة .

الطليعة : جالك البيت ؟

فتحى حمادة : جه بيت بيت ، قومونى من النوم .

الطليعة : الموكب بتاعه كان فيه كام عربية ؟

فتحى حمادة : كثير .

الطليعة : تفتكر الواحد اللى بيرشح نفسه فى مجلس الشعب بيصرف أد ايه ؟

فتحى حمادة : يصرف كميات كبيرة ..

الطليعة : انت مش ناوى ترشح نفسك ؟

فتحى حمادة : أرشح نفسى هوه أنا من الجماعة اللى يرشحوا نفسهم لمجلس الامة .

الطليعة : ليه ما انت لك الحق ؟

فتحى حمادة : ما يجراش .

الطليعة : علشان ايه ؟

فتحى حمادة : انا راجل ضعيف نجيب مصاريف منين ، نبيع القيراطين اللى فاضلين ، والعيال تروح فين .

الطليعة : طيب هل البلد مالهاش مطالب مثلا كانت محتاجة حاجة ، طلبتها مثلا والعضو ده بتاع مجلس الشعب حققها ؟

فتحى حمادة : لا .

الطليعة : مفيش طريق أو مواصلات محتاجينها ؟

فتحى حمادة ، عندنا طريق بتاع ٤٠ كيلو مفيهش غير أوتوبيس واحد وعطلان .

الطليعة : يعنى انتم محتاجين أوتوبيسات ؟

فتحى حمادة : آه .

الطليعة : طيب وما طلبتوش كده من النائب بتاعكم ؟

فتحى حمادة : اللى حيطلب مين ، يطلب الجماعة اللى هم عارفين .

الطليعة : طيب هوه الطريق اللى طوله ٤٠ كيلو موصل بلدكم لفين بالظبط ؟

فتحى حمادة : من التوفيقية لحد بلدنا .

الطليعة ، طيب ياحاج .. نأتى الى العمدة .. اختاروه ازاى ؟

فتحى حمادة : ما انتخبش .

الطليعة : أمال العمدة اللى عندكم ايه ؟

فتحى حمادة : العمدة اللى عندنا أحمد الفقى ..

الطليعة : ده من عائلة الفقى ؟

فتحى حمادة : نعم .. ولكنها عائلة أخرى غير عائلة الفقى المعروفة .

الطليعة : واللى قبله ؟

فتحى حمادة : اللى قبله محمود افندى راضى ..

الطليعة : ده العمدة طبعا ــ اختاروه ازاى ؟

فتحى حمادة : ده كان شيخ بلد من زمان هو أحمد محمود طه طبعا كان العمدة السابق .

الطليعة : هو عنده كام فدان أحمد محمود طه ؟

فتحى حمادة : اكثر من ٣٠ فدان .

الطليعة : طيب مين اللى رشح نفسه ثانى ؟

فتحى حمادة : أحمد الفقى ..

الطليعة : عنده كام فدان الفقى ؟

فتحى حمادة : اكثر من ٣٠ فدان .

الطليعة : ايه اللى معطل الانتخابات ؟

فتحى حمادة : طبيعة الانتخابات كده .. ده من هنا وده من هنا .

الطليعة : هل مثلا فيه أحد تدخل من فوق ، ونيم الموضوع والا انت لم تعرف هذا ؟

فتحى حمادة : لم نعرف الحقيقة .

الطليعة : الاتحاد الاشتراكى ، لجنة فى البلد مرشح حد ثانى ، أو حاجة زى كده ؟

فتحى حمادة ، طبعا فيه .. طبعا .. ناس متجه لطه وناس آخرين للفقى .. وآل عسران ..

الطليعة : محمـــد عسران اللى بيعطى لهم بعض النفوذ ؟

فتحى حمادة : ده توفى محمد عسران ..

الطليعة : رغم انه متوفى ، برضك لهم نفوذ ؟

فتحى حمادة : ايوه طبعا .

الطليعة : فى موضوع مجلس الشعب عن الانتخابات ، الدستور بيقول لازم يكون نصف الاعضاء فى المجلس من العمال والفلاحين ، مين بينزل عندكم عن الفلاحين ، مين بيقول انا فلاح انتخبونى ، فيه فلاح وفيه فئات ، يعنى النائب بتاعكم عندما نزل للانتخابات ، فلاح أم فئات ؟

فتحى حمادة : مش فلاح أبدا ، ده كان لابس بدلته .. وعنده سيارة واحدة .

الطليعة : انت شخصيا معتبره فلاح ؟

فتحى حمادة : الفلاح هو اللى يزرع بنفسه ، لكن ده ببدلة .. وعارف انه عنده ملك ..

الطليعة ، هو مالك ، لكن هل هو فلاح ، بهذا المعنى فى رأيك انت ؟

فتحى حمادة : عندهم ملك بيزرعوه .

الطليعة : لكن اللى عنده ملك بيزرعه ، انت بتعتبره فلاح ؟

فتحى حمادة : طبعا لكن هو ناظر عليها ، مش ممكن يمسك حاجة بيده ، طبعا مهواش ملاحظ أطيان .

الطليعة : انت تعتبر اللى عنده ٥٠ فـدان فلاح ؟

فتحى حمادة : أمال يبقى ايه يابك ؟

الطليعة : ده مجرد سؤال يعنى .

فتحى حمادة : يعتبره انه فلاح طبعا .

الطليعة : لا فرق فى رأيك بين أبو ٥٠ فدان ؟ وأبو فدان واحد ، الكل فلاحين ؟

فتحي حمادة : طبعا اللى عنده فدان يبقى فلاح ، واللى عنده ٥٠ فدان فلاح برضك .

الطليعة : واللى عنده ١٠٠ فدان ؟

فتحي حمادة : ما هوه فلاح برضك ، مش بيقوم بالعمل ، بيزرع ، يبقى فلاح ، فلاح كبير .

الطليعة : مين رئيس مجلس القرية فى البلد عندكم ؟ هل تعرفه ؟

فتحي حمادة : أظن محمد حسين هو اللى رئيس القرية .

الطليعة : بيشتغل ايه ؟

فتحي حمادة : ده من الاسكندرية هذا الرجل .

الطليعة : ساكن فى البلد ؟

فتحي حمادة : لا ساكن فى الاسكندرية .

الطليعة : بيأتى كل يوم ويسافر ؟

فتحي حمادة : نعم .

الطليعة : يأتى الساعة كام ؟

فتحي حمادة : حوالى الساعة ٩ صباحا من قطر بحرى ، من الاسكندرية .

الطليعة : يغادر البلد الساعة كام ؟

فتحي حمادة : بعد الظهر .

الطليعة : الواسطة مافيهاش مواصلات داخلية طبعا .. بيركب ايه اذن ؟

فتحي حمادة : شخص ينتظره بموتوسيكل .

الطليعة : موتوسيكل حكومى والا خاص ؟

فتحي حمادة : لا أعرف ... أنا عارف ان مرة حضر من الاسكندرية وطبب وكان معانا الاستاذ سامى .

الطليعة : اللى كان بالموتوسيكل موظف فى المجلس ، والا من أهل البلد ؟

فتحي حمادة : ده كان تقريبا المواطن صبرى الشبشيرى رئيس القرية .

الطليعة : ده موظف ؟

فتحي حمادة : نعم ...

الطليعة : أصبح رئيس القرية ازاى ؟ رئيس مجلس القرية ازاى ؟

فتحي حمادة : لم أعرف أصبح رئيس مجلس القرية ازاى ده من الاسكندرية .

الطليعة : كنت تعرفوه من قبل هذا ؟

فتحي حمادة : لا ...

الطليعة : هو بيشتغل ايه هو ، يعنى رئيس القرية بيعمل ايه ؟

فتحي حمادة : أنا لم أذهب اليه من قبل ، لذلك اعرف انا لم اذهب اليه من قبل لذلك لا اعرف بالضبط

الطليعة : ايه اللى استفدتوه يعنى ؟

فتحي حمادة : ولا حاجة ... منذ عدة أيام طلبناه علشان يعاين جامع عندنا مغلوق علشان الابيار لازم تراجع وتتفحت من جديد ، لم يرض يصرف حاجة ..

الطليعة : انت لم تستفيد منه ، هل أحد استفاد منه ؟ وحل لهم أى مشكلة ؟

فتحي حمادة : لا اعرف .

الطليعة : لكن هل عمل بعض المشاريع فى البلد ، ونظف الشوارع ، يعنى لما حضر رئيس مجلس القرية ، كانت القرية زى ما هى ؟

فتحي حمادة : زى ما هى ، لم يحصل اى حاجة جديدة ، كل حاجة على طبيعتها ...

الطليعة : طيب فى القرية حاليا فيه كام مسئول : رئيس مجلس القرية ، والعمدة ، أو عمدتين ، وأمين الاتحاد الاشتراكى ، ورئيس المجلس المحلى ، ورئيس الجمعية التعاونية ؟

فتحي حمادة : أيوه .. صح .

الطليعة : دول كلهم بيعملوا ايه ؟ أعمالهم فى القرية ايه ؟

فتحي حمادة : ولا حاجة ..

الطليعة : أنا سؤالى اذا كان القرية فيها كل هؤلاء الناس ، هل أفادوا القرية أو لم يفيدوها ؟ القرية أو لم يفيدوها ؟

فتحي حمادة : لم يفيدوها بشىء ..

الطليعة : طيب فى تقديرك السبب هو ايه ؟ سبب عدم افادتهم للقرية ؟ المفروض متعينين علشان يفيدوا القرية مش كده ؟

فتحي حمادة : مش عارف ، الصراحة ...

الطليعة : الفلاحين لم يسألوا انفسهم لماذا لم يستفيدوا ؟

فتحي حمادة : لم يستفيدوا بأى شىء ، ماذا يستفيدون من رئيس مجلس القرية ؟

الطليعة : مش عايزين انتوا أى شىء كل شىء موجود ؟

فتحي حمادة : دلوقت مثلا النور فايت بجوارنا ولكن مش عارفين ندخل النور فى البيوت ، مفيش عشرة أمتار ..

الطليعة : ألم تحاولوا تسألوا المسئولين اللى هم رئيس مجلس القرية علشان يعملوا لكم هذه العملية ؟ .

فتحي حماد : حاولنا كثيرا وقال لنا لما يأتى المجول الجديد .

الطليعة : قدمت طلب للنور ؟

فتحي حمادة : لم اقدم طلب للنور ، لاننى لا عندى عزم للنور . ولكن فيه اغلبية الناس بيدخلوه بعداد ، واحيانا بدون عداد .

الطليعة : بالاتفاق مع بعضيهم ؟

فتحى حمادة : يوجد بعض الناس مركبة النور ، ويروح لهم ناس بعض الليالى فيه مرور .. قالوا لى ، هذا يعنى ، شيل السلك ..

الطليعة : طيب هل يأخذ هؤلاء شىء من الناس ؟

فتحى حمادة : لازم بيأخذوا حاجة ، أنا سمعت كده ، أمال ليه بيقول لهم شيلوا السلك ؟ ...

الطليعة : معظم البلد مدخلة النور ؟

فتحى حمادة : الاكثرية ..

الطليعة : بيكلف قد ايه دخول النور ؟

فتحى حمادة : بيكلف عندنا فى البيت من ١٠ الى ١٢ جنيه .

الطليعة : انت عندك أولاد بتذاكر يعنى ؟

فتحى حمادة : عندى عيل تعبان من أول رمضان تقريبا للان تعبان ، استلفت من كل واحد فلوس علشانه ..

الطليعة : تعبان ازاى يعنى ؟

فتحى حمادة : عنده « هيستريا » ..

الطليعة : يعنى ايه « هيستريا » ، يعنى ايه ؟

فتحى حمادة : مرض فى الاعصاب ...

الطليعة : من أين ؟

فتحى حمادة : ده جتله فجأة ، وهو عنده حوالى ١٤ سنة .

الطليعة : فيه وحدة صحية عندكم ؟

فتحى حمادة : لا .

الطليعة : الهيستريا ده جات فى البلد من قبل كده خالص ؟

فتحى حمادة : ده اول حالة لم اراها من قبل كده خالص .

الطليعة : بيعمل ايه بقى ؟

فتحى حمادة : كان بيتلقى فى الارض ، ساعتين أو ساعة ، لو أخذته معى فى الغيط أيام الاجازة يقع فى الارض ويغيب ساعة أو اثنين ..

الطليعة : الدكتور شخص ايه ؟

فتحى حمادة : الدكتور اسمه وديع مطر فى كفر الزيات كشف باطنى وقال انه سليم ١٠٠ فى المائة واعطى له دواء ، وروحنا مطمئنين ان كله سليم عنده .. بعد ما روحنا جت له الحالة ــ جاء خاله اللى هو الاستاذ ــ سامى وذهبنا الى دكتور آخر اسمه محمد مصطفى ، دكتور فى طنطا ، كشف عليه ، عمل له علاج برضك ، وقال فعلا عنده الدور ده ، ولكن لم يقدر يعالجه . ذهبنا الى دكتور ثالث اسمه أحمد مصليحى ، أعتقد ، كشف عليه وقال ده يأخذ جلسات ، لم أوافق بالجلسات ..

الطليعة : أنت لم ترضى بالجلسات لماذا ؟

فتحى حمادة : جلسات كهرباء لانه ده عيل لسه ، قال خليه يكشف أشعة ، وروحنا لواحد فى طنطا برضك اسمه عبود كشف عليه وطلعت الاشعة سليمة ..

الطليعة : كلفك قد ايه ده كله ؟

فتحى حمادة : حوالى ٨٥ جنيه .. سلف من العالم .

الطليعة : حاليا صحته عاملة ايه ؟

فتحى حمادة : ذهبنا لواحد اسمه سعيد قنديل .. فى الاسكندرية ، قال لم عندى هذا العلاج ، ذهبنا لواحد اسمه صلاح الدين منصور . فى محطة الرمل كان ابن عمى عنده الدور ده كان حيعالجه ــ ذهبنا اليه ــ كشفنا عنده ــ وذهبت الى السيدة زينب والحسين والمرسى أبو العباس بالاسكندرية ..

الطليعة : لماذا ؟

فتحى حمادة : لانه لخبط ، بعد ده كله .. قبل ما أذهب الى الاسكندرية ، وبعد ما ذهبنا عدة مشاوير فى طنطا وغرمنا اللى غرمناه ، اتلخبط فى الارض وقال عايز أزور السيدة زينب ، يا نور النبى الخ .. حاصلى يابا ، الوضوء يابا ... الخ .. فذهبنا نزور السيدة زينب ، والحسين وفى الصباح توكلنا على الله . ليلة مرواحنا للبيت فى المغرب لقيته يجرى وأخته بتجرى ورائه ، فكرته انه هربان ، ليه وسألته مالك تعالى ، قال لى انت بتشتم أختى ليه ؟ كان جاتله الحالة ... الاستاذ سامى قال لى تذهب للاسكندرية ، ونزور المرسى أبو العباس ، ونروح للدكتور سعيد هناك ــ فذهبنا هناك الى الدكتور صلاح الدين منصور ، وكشف عليه بـ ١٠٢ قرش ــ واشترينا علبة كبسولة له ..

الطليعة : بتخلص كل قد ايه ؟

فتحى حمادة : بتخلص حوالى فى آخر الاسبوع ، فيها ١٥ حبة ..

الطليعة : هل حاله تحسن ؟

فتحى حمادة : ما زال تعبان شوية يعنى ..

الطليعة : وهل أدخلته مدرسة أم لا ؟

فتحى حمادة : فى مدرسة آه ، هو الكبير ، بس بيجىء يقول يابا أنا جسمى ساخن جدا ، وساكت ويسيب المذاكرة ..

الطليعة : أنت رأيك ايه فى الاتحاد الاشتراكى .. هل بيقوم بمهمته بصراحة ؟ فى تقديرك يعنى .. أصلا معمول ليه ؟

فتحى حمادة : معمول طبعا علشان ينظم حاجات فى البلد .

الطليعة : ينظم ايه يعنى ؟

فتحى حمادة : حاجات زى مثلا الاشكالات .. عملية زى عملية الاصلاحات برضك ، والنور مثلا ..

الطليعة : هل بيقوم بهذه الحاجات ؟

فتحى حمادة : دلوقت بيقوم بس لسه عملية النور لم تتم بعد .. يعنى بعض الناس عايزة تدخل النور لكن بيقول لسه لما يحضر المحول ... ايه ده !!

الطليعة : هل بيعمل اجتماعات ، ويقول لكم حقوقكم ايه ، واجباتكم ايه ؟

فتحي حمادة : لم يعمل اى اجتماعات خالص ..

الطليعة : عندهم مكان جوه القرية ، لهم مقر يعني ؟

فتحي حمادة : بيجتمعوا فيه مع بعض في أي وقت وخلاص ...

الطليعة : دول ايه افندية ، ولا فلاحين ؟

فتحي حمادة : فلاحين ..

الطليعة : طيب ازاى فلاحين ، هل هم مبسوطين ؟

فتحي حمادة : ايوه ..

الطليعة : أنت عضو في الاتحاد الاشتراكى ، بتدفع قرشين صاغ ؟

فتحي حمادة : أيوه ـ بادفع ٩٥ قرش في السنة ..

الطليعة : لماذا ؟

فتحي حمادة : بتخصمه الجمعية .

الطليعة : انت عايز تستمر في الاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة : العملية ماشية بطبيعتها كده ..

الطليعة : لأ .. بيقولوا الان أن المسألة اختيارية مش اجبارية ، أنت بحريتك تشترك أو لا تشترك .

فتحي حمادة : ما أشتركش ماشى ..

الطليعة : لماذا بقى ؟

فتحي حمادة : ما دام الاتحاد لم يفعل لى أى شيء ما اشتركش .

الطليعة : امال كنت مشترك ليه ؟ .

فتحي حمادة : مضطر ان اشترك ، مع الشعب كله .. يعنى اشماعنه انا لم أشترك مثلا في البلد .. يمكن يعمل لى حاجة ، انا استفيد برضك مثل التانيين ..

الطليعة : لكن لم تستفيد قبل كده ؟

فتحي حمادة : لا .. خالص !

الطليعة : الاتحاد الاشتراكى قبل كده يوم ما قام زمان ، فاكره من حوالى عشرة سنين ؟

فتحي حمادة : لأ لم اتذكر ...

الطليعة : يعنى أنت بصراحة كده ، لا تعتبر الاتحاد الاشتراكى قايم بمهمته كويسة كده في القرية عندكم ؟

فتحي حمادة : لا .. والله ما يلزمنا في حاجة .. خالص .

الطليعة : لا حاليا ، ولا زمان ؟

فتحي حمادة : نهائيا بصراحة ، نسايبة ٢٤ قيراط كده على طول ..

الطليعة : ما حاولتوش تتكلموا مع أمين الاتحاد الاشتراكى بتاع القرية يعنى ؟

فتحي حمادة : لم يتكلم أحد ..

الطليعة : هل تعرف من هو رئيس الاتحاد الاشتراكى حاليا ؟

فتحي حمادة : لا .. لم اعرف اطلاقا ...

الطليعة : طيب يا حاج ، لو سألوك السنة الجاية تخصم ٩٥ قرش أو لا تخصم ـ ماذا تقول اذن ؟

فتحي حمادة : زى الناس كلهم طبعا ، ما اقدرش انا اطلع لوحدى ـ ٧ أو ٨ أفراد مع بعضهم معلش ، لكن انا لوحدى !

الطليعة : لو عملوا أحزاب ، أنت ايه رأيك في هذا ؟

فتحي حمادة : لا أحزاب ، مش عارفين الاحزاب احنا ...

الطليعة : أنت بتسمع عن حاجة اسمها المنابر ؟

فتحي حمادة : لا .. لم أسمع ..

الطليعة : طيب عن الديمقراطية ؟

فتحي حمادة : لا .. خالص ...

الطليعة : بتقرأ الجرائد ؟

فتحي حمادة : باقرا بسيط ...

الطليعة : ما فيش حد يقرأ لك مثلا ؟ أنت تسمع ..

فتحي حمادة : لا ...

الطليعة : عارف أخبار البلد ازاى طيب ؟

فتحي حمادة : كده هو ، بالناس اللى بيتكلموا قدامى .

الطليعة : يعنى تعرف أخبار مصر مثلا ..

فتحي حمادة : أخبار مصر هنا في البلد .. لم أعرفها ..

الطليعة : ماذا يهمك من الاخبار اذن ؟ أخبار الجمهورية كلها .. يعنى ماشية ازاى ، البلد مصر عاملة ايه الخ ...

فتحي حمادة : بنسمع ـ

الطليعة ، ازاى ؟

فتحي حمادة : برضك من العالم اللى بيسمعوا الراديو ، الاسعار حتزيد ، الضرائب حتزيد بعد السنة كده هو ..

الطليعة : بتسمعها فين اذن ؟

فتحي حمادة : الناس اللى جالسة في الغيط بيتكلموا مع بعض .

الطليعة : امته ، الساعة كام كده ؟

فتحي حمادة : في الظهرية .. وقت الغذاء يجلسوا الناس مع بعضهم ..

الطليعة : بيتكلموا في ايه بقى ؟

فتحي حمادة : بيتكلموا في الضرائب مثلا على أساس حتزيد ، طيب حتزيد ، يبقى معنى ذلك المحصول يسدد على كده ...

الطليعة : طيب بالليل هل بتجلسوا مع بعضكم ..

فتحى حمادة : لا بعد المغرب لا نخرج خالص ..

الطليعة : ولا تجلس على قهوة ؟

فتحى حماده : لا قهوة ، ولا عندنا قهاوى ..

الطليعة : طيب وقاعدة المصطبة بالليل ؟

فتحى حماده : انا تعبان لا اجلس فى الرطوبة .. ولا البرد ..

الطليعة : طيب عندك راديو ؟

فتحى حمادة ، لا .. لا عندى راديو ..

الطليعة : تليفزيون طيب ؟

فتحى حمادة : اذا كان ما عنديش راديو يبقى عندى تليفزيون منين بقى ..

الطليعة : ليه ؟

فتحى حمادة : طيب اجيب فلوس منين .. بالفلوس دى نعالج عيالى ..

الطليعة : اولادك لا يسمعوا الراديو ؟ .. مش بيطلبوا منك راديو أو تليفزيون ؟

فتحى حمادة : حتى لو عايزين راديو .. نجيب لهم منين ؟

الطليعة : بيقولوا فيه بالتقسيط ؟

فتحى حمادة : بالتقسيط ، حتى الراديو بعشرة جنيه على ثلاث شهور ، كل شهر ٣ جنيه ، اجيبه منين ده كله ؟

الطليعة : ذهبت الى السينما ؟

فتحى حمادة : السينما ؟ لم أذهب اليها ولا أعرفها خالص

الطليعة : بتروح الثقافة الجماهيرية ؟

فتحى حمادة : لا ثقافة جماهيرية ولا سينما ، خالص ..

الطليعة : وزارة الثقافة لم تحضر بالسيارات وتعرض افلام ؟

فتحى حمادة : كان زمان ، زمان حوالى سنة ٥٦ او قبل كده حتى ، نزلت سيارات فى البلد وعرضت أفلام كده ..

الطليعة : وتفت بعد كده ؟

فتحى حمادة : كنت رحت مرة واحدة فى الاسكندرية زمان قوى حوالى سنة ١٩٥٦

الطليعة : يعنى تعرف واحد مثلا اسمه يوسف وهبى ؟

فتحى حمادة : بنسمع على يوسف وهبى وخلاص ..

الطليعة : بتسمع عنه ايه ؟

فتحى حمادة : فى السينما طبعا ..

الطليعة : وام كلثوم .. بتسمع عنها ؟

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعة : فين ؟

فتحى حمادة : عند راديو الجيران مثلا ، او فى الغيط ..

الطليعة : لكن ما بيجيلاكش حاجة ان تروح تسمعها ، نفسك تروح تسمعها مثلا ؟

فتحى حمادة : نفسى نسمع ولكن لا اقدر اروح عند غيرى اسمع

الطليعة : ما تعرفش واحدة اسمها فاتن حمامة ؟

فتحى حمادة : لا ..

الطليعة : خالص ؟!

فتحى حمادة : لا ..

الطليعة : ولا نادية لطفى ؟

فتحى حمادة : ولا نادية لطفى ؟ ولا فلانة ..

الطليعة : ولا عبد الحليم حافظ ؟

فتحى حمادة : يعنى حنروح على الغيط علشان اسمع عبد الحليم حافظ وام كلثوم يعنى .. نجلس بقى زى الجماعة اللى .. !!

الطليعة : أنت لما يكون عندك وقت بالليل ، بتقول ان بعد المغرب بتدخل منزلك هنا بتعمل ايه ، بتقضى وقتك ازاى ؟!!

فتحى حمادة : نجلس مع أولادى وهم بيذاكروا ..

الطليعة : انت والجماعة ؟

فتحى حمادة : نعم .. أنا والجماعة ..

الطليعة : بتتكلموا فى ايه ؟

فتحى حمادة : بنتكلم فى مذاكرتهم بس .. لحد وقت النوم ..

الطليعة : هل بتلعب كوتشينة مثلا ؟

فتحى حمادة : لا .. عمرى ما لعبتها خالص ..

الطليعة : أمال وقت فراغك بتعمل فيه ايه ؟

فتحى حمادة : اى وقت فراغ ، اذا كان بجلس مع أولادى اثناء مذاكرتهم ، وثانى يوم أذهب الى الغيط لاشتغل .. يبقى اسرح ازاى !

الطليعة : بتذهب لغيطك الساعه كام صباحا ؟

فتحى حمادة : الساعة الثامنة صباحا أذهب الى الغيط ..

الطليعة لغاية المغرب ؟

فتحى حمادة : نعم لغاية المغرب ..

الطليعة : الظهر بتأكل ايه ؟ الصبح بتأكل ايه ؟

فتحى حمادة : بنأكل لبن وعيش ..

الطليعة : أنت والاولاد ، والا الاولاد لهم حاجة ثانية ؟

فتحى حمادة : لينا جميعا ، مفيش حاجة غير كده ..

الطليعة : والظهر بتأكل ايه طيب ؟

فتحى حمادة : الظهر ، اى حاجة .. جبنة وعيش ..

الطليعة : فى الغيط ده ؟

فتحى حمادة : فى الغيط أو فى البيت حسب الظروف ..

الطليعة : والاولاد برضك ؟

فتحى حمادة : نعم .. نفس الشيء ..

الطليعة : زائد بصل مثلا او فجلة ؟

فتحى حمادة : أيوه احيانا بصلة خضرة ..

الطليعة : والليل بتأكل ايه ؟

فتحى حمادة : نفس الحاجة ..

الطليعة : بتأكل لحمة ؟

فتحى حمادة : لا .. مفيش لحمة ..

الطليعة : ولا فى الاسبوع مثلا ؟

فتحى حمادة : ولا فى الاسبوع ، الا كل موسم حتة فرخة بتدخل البيت ..

الطليعة : لكن اللحمة ، اللحمة نفسها ؟

فتحى حمادة : لا ، احنا سبعة أفراد ، مفيش امكانيات ..

الطليعة : طيب والسمك ؟

فتحى حمادة : ولا سمك يدخل الدار عندنا ..

الطليعة : الفاكهة طيب ؟

فتحى حمادة : ولا الفاكهة أيضا ..

الطليعة : طيب آخر مرة جبت الفاكهة ده امتى ؟

فتحى حمادة : مفيش .. يمكن مرة العيل اخذ قرش صاغ وجاب به برتقال .. بس .. لكن نعطى بالدار ٣ أو ٤ كيلو فاكهة مفيش خالص .. اذا كان انا مديون لعيالى بـ ٨٥ جنيه لابنى علشان العلاج .. ازاى نعطى لحمة او فاكهة مثلا ..

الطليعة : العيش بتعملوه فى البيت طبعا ؟

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعة : أسمع يا حاج ، عايز اقول لك حاجة .. أنت عندك فى البلد العمدة والاتحاد الاشتراكى ، طالب منهم ايه يعنى علشان يصلحوا الاوضاع فى البلد ؟ يعنى من حقك ان الحكومة تخدمك أولا ؟

فتحى حمادة : من حقى طبعا ان الحكومة تخدمنى ..

الطليعة : طيب مادام من حقك لازم تعرفها طلباتك ..

فتحى حمادة : نروح نقول لهم ايه ؟

الطليعة : تقول لهم ايه بالضبط طلباتك

فتحى حمادة : حاقول لهم انا عايز لحمة ، عايز مصاريف .

الطليعة : لا مش كده .. أنت شايف الوضع فى البلد .. ومفروض مادام عملوا رئيس مجلس القرية ، وعملوا الاتحاد الاشتراكى وعملوا الجمعية التعاونية وغير كده .. علشان يصلحوا حالة البلد .. الحالة لم يتم اصلاحها زى ما بتقول انت .. فانت لازم تطلب من الحكومة حاجة يصلحوا بها البلد ، مش كده والا ايه ؟ ..

فتحى حمادة : ماشى ..

الطليعة : ايه اللى تقترحه على الحكومة .. تشور به على الحكومة ؟ للبلد كلها مثلا مش لك فقط ..

فتحى حمادة : البلد كلها عايزة اصلاحات ..

الطليعة : زى ايه ؟

فتحى حمادة : النور يتم فى البلد ، والضعيف يقوى زى حالتنا كده !

الطليعة : ازاى يعنى ؟

فتحى حمادة : دلوقت لما الواحد يبقى تعبان وعياله تعبانة يقوى منين ..

الطليعة : ده سؤالى لك ؟

فتحى حمادة : يقوى من عند الله ..

الطليعة : من عند الله طبعا ..

فتحى حمادة : هل أقول لاى حد اعطى لى مثلا ؟

الطليعة : انت مش طالب من الحكومه شيء ؟

فتحى حمادة : طالب من الله ، ومن الحكومة ، العون من عند الله ..

الطليعة : انا عارف ، لكن بعد الله .. الله له دعوات .. لكن الحكومة لها الطلبات ، انت بتدعى الله ان يصلح الحال ، وان يخللى الحكومة تبص للناس الصغيرة دى ، اللى هى تعبانة ، علشان الحكومة تعمل ايه ؟

فتحى حمادة : الحكومة تعدل ..

الطليعة : الحكومة بتقول لك عايزة اسعدك ، لكن مش عارفة أسعدك ازاى .. ايه اللى انت عايزه ..

فتحى حمادة : عايز تعاونها فى عمل لى بالبلد نعمل به ..

الطليعة : غير الزراعة ؟

فتحى حمادة : والزراعة ..

الطليعة : يعنى عايز .. شغله جنب الزراعة ؟

فتحى حمادة : ايوه كده ..

الطليعة : انت بتقول انك بتعمل من الصبح فى الغيط اذن حتلاقى وقت منين انت طول اليوم فى الغيط ؟

فتحى حمادة : حاشتغل بجانب شغل الغيط ، ممكن ..

الطليعة : انت مستعد لو لقيت شغلانة ثانية تشتغل برضك ؟

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعة : تشتغل ايه ؟

فتحى حمادة ، اى حاجة ، تساعدنى برضك ..

الطليعة : هل فيه واحد من أولادك يساعدك فى الغيط ؟

فتحى حمادة : معنديش عيل من العيال يساعدنى الا يوم الجمعة وهم فاضيين ..

الطليعة : مادام الحالة تعبانة ، لو سمحت لى السؤال يعنى ، احنا اخوان يعنى ، جبت ٦ عيال ليه ؟ انت ضد تحديد النسل .. ؟

فتحى حمادة : محددين دلوقتى ..

الطليعة : مين ؟

فتحى حمادة : احنا ..

الطليعة : بعد الستة ؟! .. انت بتعتبر تحديد النسل حرام ؟

فتحى حمادة : يعنى لو حددنا النسل مش يبقى حرام ؟

الطليعة : انا بأسالك ، ايه رأيك ، فى ناس بتقول حرام وناس بتقول حلال ؟

فتحى حمادة : حرام صحيح ، لان الله قال : لكم فى السماء .. الله سبحانه وتعالى .. قال تحددوا النسل ؟

الطليعة : يعنى أنت لم تحاول ؟

فتحى حمادة : لا .. لم احاول .

الطليعة : انا آسف .. الست بـرضك مش بتتعب ؟

فتحى حمادة : بيتعب الست ؟ الحبوب لـو اخذتها تتعب الست .. الحبوب بتاعت تحديد النسل ..

الطليعة : جربتوها فى البيت ؟

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعه : وبعدين وقفتوها ؟

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعة : انت اللى خليتها وقفت ، والا هى اللى وقفتها من نفسها ؟

فتحى حمادة : هى اللى وقفت بنفسها . .

الطليعة : عندك بس هذه الحالة ، والا فى البلد كلها ؟

فتحى حمادة : فى البلد برضك فيه بعض مثل هذه الحالات ..

الطليعة : كده ؟

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعة : القرية فيها دكتور ، والا وحـدة صحيه ، أو مركز لتحديد النسل اتصلوا بك ؟

فتحى حمادة : لا .. لم يصل ، ولا يتصل أحد ..

الطليعة : طيب فى مقر مكتوب عليه « رعاية الطفوله » .. احد حضر لك ؟

فتحى حمادة : لا ..

الطليعة : فيه مركز كبيـر اسـمه « المركز الاجتماعى » هل احد حضر لك من هذا المركز ؟

فتحى حمادة : لا ..

الطليعه . ذهبت انتخبت فى المجلس المحلى ؟ من شهرين كده ؟

فتحى حمادة : انتخبنا عن المركز وعـن المحافظة ؟ لكن يوجد اللى عارفينهم ، واللى مش عارفينهم ..

الطليعة : الانتخابات دى صحيح حـرة ؟ بصراحة .. أنت راجل حقانى وبتقول الحقيقة ؟

فتحى حمادة : يعنى احنا حننتخب مين ؟ واحد وخلاص ..

الطليعة : المرشحين دول جم لك ، وقالوا لك أى خدمة ؟

فتحى حمادة : لا .. بس كانوا بيقولوا فى البلد ..

الطليعة : كانوا بيعرضوا حاجة يعنـى .. خدمات ..

فتحى حمادة : لا .. مفيش ..

الطليعة : المرشحين للمجلس الشعبى مش بيعرضوا على الناس خدمات المرشـحين مش بيعرضوا فلوس .. بتاع .. بيصرفوا .. ؟

فتحى حمادة ، الـكبار . بتـوع المجالس ، هم اللى كانوا بيستفيدوا علشان مجلس الشعب لكن الصغار ..

الطليعة : الصغار لم يستفيدوا من حاجة ؟

فتحى حمادة : خالص ..

الطليعة : فى المجلس الجديد اللى انتخب ده، مين اللى فى المجلس المحلى ..

فتحى حمادة : فيه واحد اسمه طيب الشبشيرى عن المركز ، وعندنا السيد عبد الراضى عـن المركز ..

الطليعة : مين رئيس المجلس المحلى فى البلد ؟

فتحى حمادة : مش عارف والله ..

الطليعة : انتوا اخترتوهم ازاى طيب ؟

فتحى حمادة : بالرموز كده .. فلان وفلان .. وفلان ..

الطليعة : انت كنت عـارف الرمـوز ؟ حفظتهم .. ؟

فتحى حمادة : نعم كنت اعرفهم ..

الطليعة : طيب قل لى بقى .. انت انتخبت فى الاتحاد الاشتراكى وقلت لم ينفع ، والجمعيـه التعاونية وان حساباتها غلط ، ومجلس الشعب وقلت ان الحاج الصيرفى مر عليكم يوم مـا انتخبتوه وخلع ولم يحضرثانى ، والمجلس المحلى نفس الوضع حسب كلامك ؟ ايه اللى حتعمله فى الانتخابات المقبلة ؟

فتحى حمادة : زى ما ماشـيه البـلد ، لازم نمشى ..

الطليعة : يعنى ايه زى ما البلد ما ماشيه ؟

فتحى حمادة : يعنى انا فرد فيها حانعمل ايه ؟

الطليعة : انت بتقول فعلا ، زى ما البلد ماشيه ، لازم نمشي ده صح ، لكن ايه اللى بيخللى البلد تمشي ، وبالتالي أنت تمشي معها ؟
فتحي حمادة : الكبار فيها
الطليعة : الكبار مين بقى ؟
فتحي حمادة : الكبار زى العمدة ، الاتحـاد الاشتراكي ، الجماعة كلهم اللي ماسكين البلد وفيه برضك بعض العائلات ..
الطليعة : زى مين يعني ؟
فتحي حمادة : في العائلات الكبيرة ..
الطليعة : كام عائلة يعني ؟
فتحي حمادة : هم كتار
الطليعة : العائلات الكبيرة اللى هم مين بقى ؟ بتاعت زمان ؟
فتحي حمادة : عائلات جديدة ، وبعض الكبار بتاع زمان ..
الطليعة : عاوز تقول أهم اللى ممشيين البلد وبالتالي أنتم بتمشوا معاها ..
فتحي حمادة : أيوه - طبعا هم لما بيجوا بيجوا على الجماعة الكبار مش على الجماعة الصغار اللي زى حالتنا ..
الطليعة : انت بتسمع عن روسيا ؟
فتحي حمادة : بأسمع عن روسيا
الطليعة : هي ايه دى ، روسيا ؟
فتحي حمادة : انها دولة ..
الطليعة : دولة ايه ؟ معانا .. ضدنا . ؟
فتحي حمادة : دولة ضـدنا ، وكانت معانا نسمع كده ..
الطليعة : كانت معانا ؟
فتحي حمادة : بنسمع كده .. بس ..
الطليعة : لم تعرف ، ليه ؟
فتحي حمادة : انا سمعت انه في خطاب السيد الرئيس ، انه كان بعد ايقاف اطلاق النار ، بتعرف ان كان فيه سفينة تأتي لنا ، بعد المعركة حضرت ، بعد ٥ أيام .. بعد كده لم نعرف ..
الطليعة : طيب نصطلح معاها أو لا نصطلح ؟
فتحي حمادة : سيادة الرئيس بقى هو حر .. طبعا
الطليعة : بتسمع عن امريكا ؟
فتحي حمادة : نسمع عن أمريكا ، طبعا ..
الطليعة : بتسمع ايه عنها ؟
فتحي حمادة : ان الرئيس فورد حضر هنا ، قابل الرئيس ..
الطليعة : فورد والا واحد تاني ؟
فتحي حمادة : رئيس ثاني حضر من قبله ، هو الرئيس نيكسون ..
الطليعة : عمل ايه طيب ؟
فتحي حمادة : مش عارف ...

الطليعة : معانا برضك والا ضدنا ؟
فتحي حمادة : معانا ، كانت ضدنا زمان ..
الطليعة : وحاليا .. ؟
فتحي حمادة : حاليا بنسمع انها كويسـة معانا ..
الطليعة : طيب ليه ؟
فتحي حمادة : طبعا الرئيس له طبعا قوة ..
الطليعة : بتسمع عن فرنسا ؟
فتحي حمادة : بنسمع انها معانا حاليا ..
الطليعة : طيب ايه رأيك فى الجمـاعة الفلسطينيين دول ؟
فتحي حمادة : فلسطين بتاعت العرب ، لانها عربيه طبعا ..
الطليعة : بتاعت مين ؟
فتحي حمادة : مش هي دولة ؟
الطليعة : لا .. مش دولة لسه ، أظن .. مش فيه حاجة اسمها اسرائيل ؟
فتحي حمادة : فيه حاجة اسمها اسرائيـل طبعا ..
الطليعة : واخده ايه طيب ، اى ارض ؟
فتحي حمادة : طبعا اسرائيل محتلة جزء من سيناء ، وبعدين احنا اخذنا جزء من هذه الارض .
الطليعة : احنا اخذنا جزء .. ؟
فتحي حمادة : ايوه ..
الطليعة : طيب الفلسطينيين لم يأخذوا شيء ؟ من ارضهم ؟
فتحي حمادة : مش عارف ..
الطليعة : يعني انت رأيك ان نسـاعد الفلسطينيين والا نوقف المساعدة .
فتحي حمادة : احنا عايزين نساعد جميع الدول العربيه ، تبقى دولة متقدمة
الطليعة : انا بقول على الفلسطينيين ؟
فتحي حمادة : الفلسطينيين طبعا مادام هي دولة عربية لازم نساعدها ..
الطليعة : أصلا فيه ناس بتقول ان هم سبب متاعبنا ، هل ده صحيح في رأيك ؟
فتحي حمادة : لا أعرف ..
الطليعة : لكن انت مع مساعدة ثورة فلسطين ؟ عارف ياسر عرفات ؟
فتحي حمادة : بنسمع عنـه انـه رئيس فلسطين ..
الطليعة : رئيس فلسطين ، او رئيس الثورة الفلسطينية ؟
فتحي حمادة : حاجة زى كده .
الطليعة : هل الفلسطينيين لهم دولة حاليا ، أم لسه مافيش لهم دولة ؟
فتحي حمادة : لا اعرف ، اذا كان لهم دولة ..
الطليعة : انت رايك ، ان اسرائيل حتستمر ضدنا .

فتحى حمادة : عارف انها ضدنا ومستمرة ضدنا .

الطليعة : والحل ايه معاها ؟

فتحى حمادة : القوة ..

الطليعة : لوحدنا ، والا مع جميع الدول العربية :

فتحى حمادة : مع جميع الدول العربية ..

الطليعة : ازاى ؟ طيب ؟

فتحى حمادة : اذا كان ممكن نأخذ حقنا حاليا نأخذ

الطليعة : ازاى ؟

فتحى حمادة : بالقوة ..

الطليعة : قوة يعنى ايه ؟ الجيش يعنى ؟

فتحى حمادة : القوات المسلحة طبعا ، وقوة الله سبحانه وتعالى ..

الطليعة : مين بيساعد اسرائيل ؟

فتحى حمادة : طبعا الدول الاجنبية ..

الطليعة : زى مين ؟ اللى بيعطوا لها السلاح ..

فتحى حمادة : انا تايه عن فكرى بعض الدول اللى بتساعد اسرائيل ..

الطليعة : مفيش دول كبيرة ؟

فتحى حمادة : مش فاكر .. الدول ، دولة تايهة عن بالى ..

الطليعة : سمعت عن المعركة اللى كانت فى لبنان ؟

فتحى حمادة : سمعت عنها ..

الطليعة : كان فيه ايه طيب ؟

فتحى حمادة : كان هناك « الكتائب »

فتحى حمادة : « الكتائب » ضد مين ؟

فتحى حمادة : « الكتائب » ضد لبنان ..

الطليعة : ماذا حدث للفلسطينيين فى هذه الاحداث فى لبنان ..

فتحى حمادة : مش عارف .

الطليعة: طيب رايك ايه فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ؟

فتحى حماده : طبعا حررنا « سينا » وعدينا القنال، وربنا يوفق السيد الرئيس انشاء الله ..

الطليعة: طيب فيه ناس بتقول انه ممكن يكون فيه وحدة عربيه بين مصر والدول العربية .. انت ايه رأيك ؟

فتحى حمادة : طبعا العالم العربى كله احسن

الطليعة : لماذا ؟

فتحى حمادة : احسن ،لانها تصبح قوة ،احسن ما نكون لوحدنا برضك ..

الطليعة : عملنا وحدة مع دولة عربية قبل كده ؟

فتحى حمادة : مع سوريا زمان ، وبقينا لوحدنا تانى ، ثم رجعنا مع سوريا ثانى ، فاكر اناده .. ومع ليبيا ..

الطليعة : كده كويس ان احنا نكون متحدين مع هذه الدول كلها ؟

فتحى حمادة : يكون احسن ..

الطليعة : بتسمع عن البترول ؟

فتحى حمادة : أيوه طبعا ، البترول بس كان فيه اشكال قبل كده شال البترول ، وبعدين فيصل رجعه ثانى ..

الطليعة : اتشال ازاى ؟

فتحى حمادة : يعنى قطع البترول عنده ..

الطليعة : انت رأيك ان ده كان سياسة كويسة والا ايه ؟

فتحى حمادة : طبعا ، أجدع سياسة ..

الطليعة : فيه دول عربية غنية بالبترول ، تسمع عنها ؟

فتحى حمادة : لا .. لم أسمع عنهم ..

الطليعة : مفيش حد من بلدكم سافر ليبيا ؟ اشتغل هناك ؟

فتحى حمادة : عندنا بعض الناس فى ليبيا ، مبسوطين طبعا ..

الطليعة : وفى السعودية والكويت ؟

فتحى حمادة : فيه ناس فى السعودية برضك ..

الطليعة : مبسوطين هناك ؟

فتحى حمادة : فيه ناس مبسوطة ، فى السعودية .

الطليعة : بيشتغلوا ايه هناك ؟

فتحى حمادة : عندنا فى السعودية ، واحد اسمه الدكتور فتحى ، وفى ليبيا واحد اسمه الشيخ محمد حسن ، كان مدرس هناك ..

الطليعة : مفيش فلاحين سافروا ليبيا مثلا ؟

فتحى حمادة : من البلد عندنا لا .. لم يذهب احد ..

الطليعة : بتسمع عن الفلاحين اللى راحوا الى العراق ؟

فتحى حمادة : لا ..

الطليعة : انت بتحب تهاجر ، تشتغل بره ؟ فلاح .. العراقيين طالبين اظن فلاحين ؟

فتحى حمادة : لا ، لا اسيب الوطن

الطليعة : لماذا ؟

فتحى حمادة : وطنى غالى على ..

الطليعة : غالى عليك ، لكن انت فى حالة محتاج فيها للقرش ؟

فتحى حمادة : برضك الله موجود هناك ، لكن هنا احسن ده ، وطنى ، غالى على ..

الطليعة : طيب انا عارف ان الوطن غالى على كل حد ، لكن اللى سافروا دول مش الوطن غالى عليهم ؟

فتحي حمادة : الناس اللي بتسافر ده عندها قوة طبعا ..

الطليعة : قوة ايه ؟

فتحي حمادة : ناس عندها عزم ، وعندها فلوس .. عندها حاجات ممكن تروح هناك ..

الطليعة : عائلة الفقي لهم كام راس مواشي ؟

فتحي حمادة : كثير ، اذا كان الواحد منهم عنده ٣٠ فدان ..

الطليعة : انت ايه رأيك في قانون الـ ٥٠ فدان للشخص مش كثير ده .. ؟

فتحي حمادة : الـ ٥٠ كثير على الواحد لكن كويسين خالص ..

الطليعة : ده عدل والا لازم ينزل شوية .. علشان بقية الناس يعني ؟

فتحي حمادة : لا .. ده كويس كده .. حتى ٤٠ فدان كويس ..

الطليعة : طيب والباقي ؟

فتحي حمادة : يوزع .. أفدنة لكن لسم يكفي ..

الطليعة : نعمل ايه اذا كان بنتكاثر في المواليد والسكان ، والارض محدودة ، يعني رأيك ايه ؟ المشكلة ايه يعني ؟

فتحي حمادة : خليها على طبيعتها ..

الطليعة : يعني تستمر على هذه الحالة ، دون تحسن يعني ..

فتحي حمادة : اللي يعمله الله هو اللي يكون ..

الطليعة : لكن الله سبحانه وتعالى بيقول لازم تشتغلوا .. لازم تطالبوا برضسك ، على أساس تحسين الحالة .. انت عايز تعمل ايه يعني ، تحسن حالتك ازاي ، بتقول ان الحكومة تعطي لك عمل ، تفضل العمل او انها تعطي لك مثلا فدانين ..

فتحي حمادة : لما تعطي لي فدانين ، يبقى أحسن طبعا ..

الطليعة : يعني انت يهمك أنك تستمر في الزراعة ؟

فتحي حمادة : في الزراعة احسن ، ماشية ..

الطليعة : انت لا تفضل ان تهاجر الى المدينة وتشتغل عامل ..

فتحي حمادة : مش ممكن اشتغل عامل لانني مريض ..

الطليعة : لو لم تكن مريضا ، كنت فضلت أن تأتي الى القاهرة أو الاسكندرية تعمل هناك في السد العالي .. كنت ترضى ؟

فتحي حمادة : طبعا كنت أرضى ..

الطليعة : كنت حترضى لو كان عندك صحة ؟

فتحي حمادة : أيوه ، لازم الواحد يكون عنده مالية علشان يهاجر كمان ..

الطليعة : هل يوجد في البلد عندكم ناس عندهم اكثر من ٥٠ فدان المصرح بها من الحكومة ؟

فتحي حمادة : لا .. مفيش ..

الطليعة : عندكم مشكلة تجريف الارض ؟ اللي بيبيعوا التراب لمصانع الطوب الاحمر ؟ .

فتحي حمادة : مش عندنا احنا .. لكن بجوار البلد ..

الطليعة : بيبيعوا الفدان بكام ؟

فتحي حمادة : ٢٠ و ٢٨ و ١٥ جنيه ..

الطليعة : طيب الفدان بعد كده يجري لـه ايه ؟ .. بيحصل ايه في الارض بعد كده ؟

فتحي حمادة : الاتلاف ..

الطليعة : طيب الفلاح بينتج ايه اذن ؟

فتحي حمادة : يبيع بحوالي ١٠٠ جنيه ، أو ٢٠٠ جنيه يقدر برضك يجيب شوية سماد ، أو كيماوي كفاية ، ويقدر يعالج ..

الطليعة : يقدر يصلح الارض يعني ؟

فتحي حمادة : أيوه ..

الطليعة : بتبقى زي ما هي أو بتضعف بعد كده ؟ .

فتحي حمادة : سنة أو اتنين أو ثلاثة لحين ما تتصلح بعد كده ..

الطليعة : لكن كثير الحكاية ده شغالة في البلد ؟

فتحي حمادة : شغالة على طول ، فيه شركات بتأخذ على طول من البلد

الطليعة : بتأخذ من عندكم كثير ؟

فتحي حمادة : أيوه ..

الطليعة : هل أنت عارف لماذا الطمي لم يأت الى البلد ؟

فتحي حمادة : من أيام السد العالي .. السد حاش الميه خلاص ، كان من قبل بيحضر الطمي معاها ..

الطليعة : بهذه الطريقة السد كان كويس او وحش ؟

فتحي حمادة : كويس ، عندنا حاليا ، علشان المياه بتأتي لحد عندنا في البلد ..

الطليعة : زمان ما كانش فيه حاجة ؟

فتحي حمادة : مفيش ، أيام الصيف كنا بنبكي من قلة المياه ..

الطليعة : بتسمع عن وزارة الري ، عارف شغلها ايه ؟

فتحي حمادة : أيوه باسمع عنها ..

الطليعة : مين وزير الري طيب ؟

فتحي حمادة : اظن السيد مرعي ..

الطليعة : طيب ووزير الزراعة مين هو ؟

فتحي حمادة : تايه عن بالي كده ..

الطليعة : طيب رئيس الوزراء ؟

فتحي حمادة : السيد ممدوح سالم ..

الطليعة : عايز أقول لك حاجة يا حاج ، بيقولوا ان الاسعار بتغلى عندنا هنا فى مصر ، عندكم فى البلد برضك بتغلى ؟
فتحى حمادة : أيوه ، عندنا برضك ..
الطليعة : طيب غليت قد ايه يعنى ؟
فتحى حمادة : بعد ما كان كيلو اللحمة بـ ٥٠ صاغ ، اصبح بـ ١٤٠ قرش .
الطليعة : طيب لما كانت بخمسين قرش ، كنت بتشترى يعنى ؟
فتحى حمادة : كنت بشترى حاجة بسيطة يعنى .. ؟
الطليعة : دلوقتى ما بتشتريش يعنى ...
فتحى حمادة : لا ..
الطليعة : آخر مرة اشتريت لحمة كان امتى ؟
فتحى حمادة : مفيش ، يعنى من زمان ، يعنى مش فاكر السنين اللى فاتت
الطليعة : ايه اللى غالى برضك فى البلد غير اللحمة ؟ .
فتحى حمادة : الاقمشة غليت ، يعنى المتر بخمسين او ستين صاغ ...
الطليعة : ايه اللى غلى ثانى ؟
فتحى حمادة : كل حاجة غليت ثانى ، الدنيا غالية كلها ..
الطليعة : طيب ايه رأيك فى الشاى والسكر ؟
فتحى حمادة : الشاى والسكر عندى بالتموين ..
الطليعة : انت لك تموين طبعا ؟
فتحى حمادة : من قلة العزم ، تموينى فى المحل الان ..
الطليعة ، طيب انت بتجيب شاى منين ؟
فتحى حمادة : بنبطله ، عندى ٦ عيال لهم ٦ كيلو سكر واكثر من ١٦ تذكرة شاى ...
الطليعة : بحوالى كام ؟
فتحى حمادة : بتاع ٢ جنيه وكسر بادفعه كل شهر يعنى ..
الطليعة : بتأخذ حاجة من البقال ؟
فتحى حمادة : باخد من البقال من وقت أو آخر .. بالنصف ..
الطليعة : انت لا تطبخ فى البيت ؟
فتحى حمادة : اذا كان فيه بطاطس ..
الطليعة : كام مرة فى الجمعة .. يعنى ؟
فتحى حمادة : حتى العدس مش لاقيينه .. ما فيش فلوس ...
الطليعة : والفول طيب ؟
فتحى حمادة : الفول غالى برضك ، الكيلو بالشىء الفلانى ..
الطليعة : بتطبخ ازاى .. بتجيب بطاطس وطماطم ؟

فتحى حمادة : الطماطم غالية ، الكيلو بعشرة صاغ فى البلد عندنا ...
الطليعة : فى البلد بعشرة قروش ؟
فتحى حمادة : أيوه ! ...
الطليعة : طيب بتجيب ايه ثانى ؟ الطبخة ده بتكلفك ايه ؟
فتحى حمادة : الطبخة بتكلفنى كثير ...
الطليعة : كام كثير يعنى ؟
فتحى حمادة : يعنى مثلا ٢ كيلو بطاطس ، بتاع ٧ قروش ، وكيلو طماطم أيوه ... نجيب ده ازاى بقى ؟ تحمرهم بحبة زيت فقط ، لكن الطماطم لوحدها ما بنجبهاش طبعا ... يوم ما بناكل البطاطس ، العيال يقولوا ان احنا أكلنا لحمة ..
الطليعة : مفيش خضار فى البلد ، سبانخ ، غيره ؟
فتحى حمادة : احنا ما بنكلهاش ، الخضار ده طبيخ ، عايز اللحمة معاها ، مع الخضار كده يتاكل ، والا طبيخ كده بس لا يتاكل ..
الطليعة : انت بتطبخ ازاى على وابور جاز ؟
فتحى حمادة : على الحطب ...
معندكش وابور جاز ؟
فتحى حمادة : عندى ...
الطليعة : طيب ايه ؟
فتحى حمادة : عايز جاز مش كده برضك ، لتر الجاز بـ ٣ قروش ..
الطليعة : بتسمع على حاجة اسمها سياسة الانفتاح ؟
فتحى حمادة : لا ... خالص ...
الطليعة : ما سمعتش على ناس عايزين ييجوا ويعملوا شركات ومشروعات ؟
فتحى حمادة : بنسمع برضك على الناس اللى عايزين تعمل شركات برضك ...
الطليعة : طيب حصل والا ما حصلش ؟
فتحى حمادة : لم يحصل ...
الطليعة : بتسمع على حاجة اسمها شارع الشواربى فى مصر هنا ؟
فتحى حمادة : شارع الشواربى ، بنسمع ان فى مصر فيه شارع الشواربى . بنسمع كده بس ، لكن لا اعرف ايه اللى بيحصل هناك ...
الطليعة : قالوا ان حصلت فيها جريمة أخيرا .. مسكوا واحد وضربوه ...
فتحى حمادة : لم أسمع الصراحة ...
الطليعة : فيه ناس اختلفت على عبد الناصر ، بيقولوا انه كان راجل كويس ، وناس بيقولوا انه عمل حاجات وحشه ، ايه رأيك انت ؟
فتحى حمادة : السيد الراحل الرئيس عبد الناصر كان أجدع راجل ، اللى عمله كله سليم .. لحد ماتوفى .
الطليعة : من ناحية ايه « ازاى ... »

فتحي حمادة : طبعاً طرد الانجليز من عندنا ، وصلح البلد ..

الطليعة : ايه اللى انت شايفه فى البلد حاليا ..

فتحي حمادة : الثورة حاليا ، أطلقت الحرية طبعا ..

الطليعة : لكن انت فى حالة تعبانة ؟

فتحي حمادة : معلش الله يعدلها برضك ..

الطليعة : عايز انت ثورة يوليو تستمر اذن ؟

فتحي حمادة : تستمر على طول ان شاء الله ..

الطليعة : لو تعود الحالة زى ما كانت قبل الثورة ؟ أيام الاحزاب ايه رأيك ؟

فتحي حمادة : أيام الاحزاب كانت الحالة وحشة جدا .. من غير حساب لكن الان أحسن ٣٠ مرة عن الاول ..

كان فى الاول الناس لا تلبس .. مهما كان حاليا الناس بتلبس .. ودخلوا المدارس نظاف .. لكن الاول ماكانش فيه دراسة .. كان مدرسة واحدة فى البلد مفيش غيرها ..

الطليعة : تسمع عن حاجة اسمها القطط السمان ؟

فتحي حمادة : لا ..

الطليعة : تسمع عن ناس فى الايام ده بتاخد عمولات ، وكلام من ده ؟

فتحي حمادة : لا ، لم أسمع ..

الطليعة : أغنى ناس فى مصر عندهم قد ايه طيب ؟

فتحي حمادة : انا عارف ايه عن الناس اللى فى مصر .

الطليعة : أغني واحد مرتبه قد ايه طيب .. فى الشهر ؟

فتحي حمادة : فى مصر ؟ لم أعرف ..

الطليعة : طيب انت علشان حالتك تتحسن ، يلزمك دخل قد ايه فى شهر ، وتقول رضا ؟

فتحي حمادة : دلوقت لما يبقوا حتى فى الشهر ١٥ جنيه ، يبقى كويس ..

الطليعة : بالاولاد ؟

فتحي حمادة : أيوه ..

الطليعة : بجانب الارض ؟

فتحي حمادة : أيوه ..

الطليعة : يعنى الكل على بعضه ..

فتحي حمادة : أيوه يساعدنى ..

الطليعة : فيه واحد قال ان عبد الناصر أخذ ١٥ مليون جنيه لنفسه سمعت هذه الحكاية أنت ؟

فتحي حمادة : لا ..

الطليعة : تصدق ان عبد الناصر يأخذ هذا ، أنت ؟

فتحي حمادة : لا يا بيه ..

الطليعة : لماذا ؟ كان فى ايده كل حاجة ؟

فتحي حمادة : ده رئيس دولة يا بك .. لا يختلس .. لا يا بك .

الطليعة : طيب الملك كان رئيس دولة ، وكان بيختلس ..

فتحي حمادة : معلهش ..

الثورة جت .. الحالة أصبحت غير زمان حاليا ..

الطليعة : طيب انت جايب وابور الجاز ده ليه ؟

فتحي حمادة : من يوم ما اتجوزت ..

الطليعة : فى الجهاز يعنى ؟

فتحي حمادة : أيوه ..

الطليعة : لكن لا تستعمله ؟

فتحي حمادة : للشاى بس ..

الطليعة : اتزوجت امتى ؟

فتحي حمادة : من حوالى ١٨ سنة ..

الطليعة : لو سمحت لى .. اتزوجت ازاى ؟

فتحي حمادة : عرفتها فى البيت عندنا وطلبوا الزواج منى ..

الطليعة : ماكنتش شفتها من قبل ؟

فتحي حمادة : لا .. شفتها من قبل ..

الطليعة : شوفتها وعجبتك يعنى ؟

فتحي حمادة : أيوه ..

الطليعة : هى من نفس البلد ..

فتحي حمادة : أيوه من البلد ..

الطليعة : يعنى ايه يجوزك ؟

فتحي حمادة : الوالد طبعا ، انا قلت له عايز ده فهو حضرها لى ..

الطليعة : ايه رأيك فى الناس اللى بيتزوجوا اكثر من واحدة يعنى ؟

فتحي حمادة : اللى قادر على عيشته طبعا ، ممكن يتزوج اثنين ..

الطليعة : اذا كان معاك فلوس ، ترضى تتزوج اثنين ؟

فتحي حمادة : اعمل باثنين ايه ، وانا عندى فلوس علشان اثنين ، والاولاد دول يروحوا فين ؟

الطليعة : بتسمع عن قانون الاحوال الشخصية ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : رأيك ايه فى ان المراة عندنا تأخذ حقوقها ، بيقولوا ان المرأة هنا معندهاش حقوق .. بالنسبة للراجل فى البلد .. يعنى الست مظلومة فى البلد والا تبقى زى الراجل .

فتحي حمادة : طبعا زى الراجل ..

الطليعة : مش مظلومة ؟

فتحي حمادة : لا ..

الطليعة : لو طلع قانون مثلا يحدد من الطلاق .. يبقى أمام القاضى ، بدل ما الرجل يرمى بالطلاق كده على طول تفتكر ده يبقى سليم أو غير سليم ..

فتحى حمادة : مش سليم !

الطليعة : لماذا ؟

فتحى حمادة : يكون مع عيالى كده أحسن بدلا من الطلاق طبعا ..

الطليعة : أيوه .. لكن فيه ناس بترمى يمين الطلاق كده ..

فتحى حمادة : الناس دولت ، تسمح لى ... عقلهم مش تمام أبدا ...

الطليعة : لو طلع بقى قانون يقول ان يمنع هذا الرجل من انه يتصرف بهذا الشكل ، بهذه الطريقة ، بسهولة كده فى الطلاق ، القانون ده يبقى سليم .

فتحى حمادة : يبقى سليم .. أيوه ...

الطليعة : يمشى مع الدين ؟

فتحى حمادة : الناس يمكن تمشى مع الدين ..

الطليعة : لا .. القانون ده يمشى مع الدين ، والا يبقى ضد الدين ؟

فتحى حمادة : يبقى هذا حق طبعا ...

الطليعة : انت بتروح الجامع ؟

فتحى حمادة : أيوه .. باصلى .

الطليعة : فيه كام جامع عندكم فى البلد ؟

فتحى حمادة : ٣ أو أربعة .

الطليعة : كل جامع فيه واعظ ؟

فتحى حمادة : كل جامع فيه واعظ طبعا ... بيخطب لصلاة الجمعة ... بيخطب لصلاة المغرب .. لصلاة العصر ...

الطليعة : بيقول لكم ايه طيب ؟

فتحى حمادة : بيقول اللى عايز يقوله بقى ..

الطليعة : عندكم مسيحيين فى البلد ؟

فتحى حمادة : عدد بسيط ...

الطليعة : طيب ايه العلاقة مع بعضكم .. مسلمين ومسيحيين ؟

فتحى حمادة : كويسة ...

الطليعة : اولادك الستة .. ماحصلش لا سمح الله حالة وفاة بينهم ؟

فتحى حمادة : لا .. الحمد لله .. مفيش ..

الطليعة : طيب بتسمع عن حاجة اسمها القطاع العام والقطاع الخاص ؟

فتحى حمادة : باسمع لكن مش عارف عن القطاع الخاص والقطاع العام ..

الطليعة : الفرق بين الاثنين .

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعة : لماذا .. مش عندكم قطاع عام فى البلد ؟

فتحى حمادة : لا ...

الطليعة : حاجة ملك للدولة .. مصنع .. شركة .. جمعية استهلاكية ..

فتحى حمادة : لا ... مش عندنا ...

الطليعة : هل بجواركم مديرية التحرير ؟

فتحى حمادة : لا ... دى بعيدة ...

الطليعة : مسافة يعنى ؟

فتحى حمادة : أيوه مسافات بيننا ...

الطليعة : طيب فيه ناس من بلدكم راحوا يشتغلوا هناك ؟

فتحى حمادة : آه ... فى المديرية ..

الطليعة : لم يرجعوا ؟

فتحى حمادة : لا ... هناك ... كلهم ...

الطليعة : بتسمع ايه عن مديرية التحرير ؟

فتحى حمادة : بيشتغلوا هناك ...

الطليعة : يعنى مبسوطين ؟

فتحى حمادة : أيوه ... آخر انبساط .. بيجوا البلد عندنا لابسين عال العال ، مبسوطين هناك ...

الطليعة : تعرف ايه هى مديرية التحرير ؟

فتحى حمادة : لم اذهب اليها خالص ... مش عارفها ...

الطليعة : خرجت من بلدكم وزرت ايه وايه ؟

فتحى حمادة : خرجت من بلدنا زرنا هنا السيده أم هاشم ، وسيدنا الحسين رضى الله عنه ، وذهبت الاسكندرية مع ابنى وزرت جامع سيدنا المرسى أبو العباس ...

الطليعة : كام مرة ؟

فتحى حمادة : حضرت هنا حوالى ٣ مرات ...

الطليعة : والاسكندرية ؟

فتحى حمادة : برضك عدة مرات اختى متزوجة هناك !

الطليعة : متزوجة موظف يعنى ؟

فتحى حمادة : متزوجة ابن عمتى ... مساعد فى البحرية ...

الطليعة : لك اخوات ؟

فتحى حمادة : لا ... والدى الله يرحمه متوفى سنة ١٩٣٦ ، اللى ربانى سيدى .

الطليعة : لو جت لك فرصة ، وقابلت الرئيس السادات تطلب منه ايه ؟

فتحى حمادة : نطلب منه النصر ، عايزين نحتل اسرائيل .

الطليعة : ونعمل بها ايه لما نحتلها ؟

فتحى حمادة : ناخدها لينا زى ما هى واخدة منا .

الطليعة : ناخدها لينا ، والا نديها للفلسطينيين ؟

فتحي حمادة : ناخدها لينا لان طبعا تل ابيب دي تابعة لفلسطين .
الطليعة : طيب يبقى نديها لاهلها ؟
فتحي حمادة : ماهو فلسطين مادام تخش معانا يبقى هي أولى بها .
الطليعة : وتطلب منه ايه يبقى عشان الفلاحين؟
فتحي حمادة : ربنا يقويه .
الطليعة : ماهو آه لكن تطلب ايه منه عشان الفلاحين ؟
فتحي حمادة : الفلاحين ماهي ماشية عال وربنا فرجها وعال حايعمل لهم ايه أكتر من كده .
الطليعة : يبقى بلاش شكوى بقى ، انت بتقول ان الحالة مش كويسة لما تقابل الريس عايز ايه ؟
فتحي حمادة : اقوله عن المشكلة اللى هي حساب القطن والعيشة تعبانة .. اذا كان من سنة ٦٨ والمديونية اللى على بعد ما أمر القانون بشيلها عن فدان واحد الاقساط منشلتش على حساب حيازتي فدان وقيراطين ليه ما اتشالتش .
الطليعة : فدان وقراطين يبقى انت ماخضعتش للقانون . ما فكرتش تعمل زى ما بيعملوا .. وتمشي حالك .. ما فكرتش تعمل الحكاية دي ؟
فتحي حمادة : لا انا معنديش عزم للعمليات دي .
الطليعة : تسمع عن المسرح ؟
فتحي حمادة : نسمع بس .
الطليعة : ايه هو المسرح ؟
فتحي حمادة : ما نعرفش .
الطليعة : تسمع عن حاجة اسمها تليفزيون ملون ؟
فتحي حمادة : نسمع عن تليفزيون وبس .
الطليعة : لا تليفزيون ملون ؟
فتحي حمادة : ملون لا .
الطليعة : عندكوا تليفزيون فى البلد ؟
فتحي حمادة : عند بعض الناس ، واحد اسمه على فارس بنشوفه عندهم الواحد بيدفع خمسة صاغ عشان يشوف .
الطليعة : يعني الراجل شارى التليفزيون عشان يفرج عليه الزباين ؟
فتحي حمادة : آه .
الطليعة : بتطلب طلب والا خمسة صاغ وبس ؟
فتحي حمادة : وطلب وكل بلدنا والبلاد المجاورة تيجي تخش عنده عشان تشوف الكورة .
الطليعة : مفيش عندكم ساحة للولاد يلعبوا فيها رياضة ؟
فتحي حمادة : عندنا فى البلد ناس يقولوا أهلاوى وناس يقولوا زملكاوى .

الطليعة : تسمع عن واحد زمان اسمه سعد زغلول ؟
فتحي حمادة : آه كان رئيس وزارة .
الطليعة : ومصطفى كامل ؟
فتحي حمادة : ونسمع برضه عن مصطفى كامل .
الطليعة : وعن مين كمان ؟
فتحي حمادة : بنسمع عن محمد على .
الطليعة : وعرابى ؟
فتحي حمادة : ونسمع عن عرابى برضه .
الطليعة : ايه بقى ؟
فتحي حمادة : بنسمع عنهم بس انما يعنى .
الطليعة : ومصطفى النحاس سمعت عنه ؟
فتحي حمادة : مصطفى النحاس لا ماعرفش حاجة عنه .
الطليعة : اللى هو النحاس باشا ..
فتحي حمادة : آه .. النحاس باشا ده كان زعيم وكان رئيس وزارة .
الطليعة : ياترى رايك فيه ايه ؟
فتحي حمادة : ما نعرفش عنه حاجة .
الطليعة : لكن دلوقت لو جم قالوا لك نعمل اتحاد للناس اللى عندها أراضى ، مساحة صغيرة ، عشان نحمى مصالحهم ويقدموا مطالب للحكومة و .. و .. الخ توافق انك تشترك فيه ..
فتحي حمادة : آه اوافق .
الطليعة : توافق عشان يعمل ايه ؟
فتحي حمادة : يحسن الحالة ، اى طريقة تحسن الحالة ، يمشي عليها .
الطليعة : انت تفتكر انك لوحدك تقدر تحل مشاكلك ؟
فتحي حمادة : لوحدى انا ، يحلها ربنا .
الطليعة : ما هو طبعا ، لكن انت لوحدك تقدر والا لازم الكل يتعاون ؟
فتحي حمادة : طبعا الكل يتعاون مع بعض ، اذا كان فيه مثلا مشكلة تتحل مع بعضها تتحل مع بعضها ، انما احل مشكلتى ازاى .
الطليعة : تسمع عن كيسنجر ؟
فتحي حمادة : آه بتاع امريكا .
الطليعة : عمل ايه ؟
فتحي حمادة : جه مصر كتير ، عشان الصلح .
الطليعة : مع مين ؟
فتحي حمادة : مع الدول مع اسرائيل ، ومع هنا ، ونجح مرتين تلاتة .
الطليعة : ايه رايك فى الصلح ؟
فتحي حمادة : الصلح ده رأى الريس .
الطليعة ، لكن رايك انت ايه ؟
فتحي حمادة : رأيى آه مع الريس .
الطليعة : فى البلد مشروع بيربوا فراخ .

فتحى حمادة : بيربوا فراخ .
الطليعة : آه بتشتروا منه ؟
فتحى حمادة : لا دى حتى غالية كنت سامع ، ان الجوز فيها بجنيه حاجة زى كده ، الجوز باتنين جنيه .
الطليعة : طيب البيض بيجيبوه كل الناس والا بعض الناس ؟
فتحى حمادة : لا للناس كلها ، برضه اللى عنده عزم يجيب .
الطليعة : كله بسعر واحد ؟
فتحى حمادة : لا البيضة ما اعرفش بكام ، لانى مادام ماشترتش ما أعرفش .
الطليعة : البقال اللى انت بتشترى منه بتشترى منه ايه ؟
فتحى حمادة : باشترى منه كل حاجة برضه يعنى شاى .. جبنه .. الصابون .
الطليعة : بتشترى الصابونة بكام ؟
فتحى حمادة : هى برضه بخمسة صاغ .
الطليعة : مابتشتريش حلاوة مثلا ؟
فتحى حمادة : حلاوة ، الولاد بياكلوها حاف كده آهو .
الطليعة : طيب لو انت تطلب من الحكومة ترخص الحاجات ، اهم حاجة أنت عايزها ترخص ايه ؟
فتحى حمادة : عملية الحلاوة ، عملية الصابون ، القماش ، بس كفاية
الطليعة : بتشترى كام متر قماش ؟
فتحى حمادة :هو لو ربنا قدرنى اشترى مائة متر قماش ، انما بقى عشان مفيش فلوس باشترى قد عشرة خمستاشر متر للعيال لما ربنا بيرزق بجنيه أو نص جنيه اشترى .
الطليعة : لو اشتريت من السوق حاجة تشترى ايه ؟
فتحى حمادة : اشترى جلاليب للعيال
الطليعة : قديمة ، والا جديدة ؟
فتحى حمادة : وسط ، بتاعة خمسين ستين صاغ وحصيرة برضه .
الطليعة : انت وولادك قاعدين فى كام اوده ؟
فتحى حمادة : قاعدين فى أودتين مفروشين بحصيرة وبطانية ..
الطليعة ، فيه زريبه كمان ؟
فتحى حمادة : ايوه فيه
الطليعة : فيه عندك فى البيت دورة مياه ؟
فتحى حماده : آه
الطليعة : طيب وغير الحصيرة والبطانية ، عندك ايه ؟ فيه الحفة مثلا ؟
فتحى حمادة : لا فيه بطانية واحدة ..
الطليعة : انتم كلكم تتغطوا ببطانية واحدة
فتحى حمادة : آه

الطليعة : ازاى ؟ البطانية كام متر فى كام ؟ طول فى عرض يغنى ؟
فتحى حمادة : زى البطاطين
الطليعة : شاريها والا عاملها ؟ شاريها من زمان .
فتحى حمادة : ايوه من زمان .
الطليعة : من كام سنة ؟
فتحى حمادة : من ييجى خمس ست سنين .
الطليعة : دى زمانها قدمت ؟
فتحى حمادة : قدمت
الطليعة : والحصيرة ؟
فتحى حمادة : والحصيرة على وش دوبان
الطليعة : طيب ايه رأيك فى الرئيس السادات؟
فتحى حمادة : سياسته احسن سياسة وكويسة والحمد لله عال .
الطليعة : سمعت عن القدس ؟
فتحى حمادة : القدس دى اظنها فى الاردن احنا نسمع عن القدس وبس مادام مارحتهاش ما اعرفهاش
الطليعة : مش فيها المسجد الاقصى
فتحى حمادة : آه
الطليعة : انت قلت انك عييت مرة .. عيان بايه .. عندك ايه ؟
فتحى حمادة : صدرى تعبان .
الطليعة : رحت لدكتور ؟
فتحى حمادة : اه
الطليعة : اعطاك كام حبه ؟
فتحى حمادة : عشر حبات
الطليعة : بتاخد كام حبة فى اليوم ؟
فتحى حمادة : تلاتة ، وبتريحنى بس كام يوم كده وبعدين ترجع الحالة
الطليعة : الدكتور مجانا ، والا بفلوس . ؟
فتحى حمادة : لو رحت له بفلوس يقوم يدينى مثلا حقنة تهبط شوية ، بعدين خلاص
الطليعة : بتدفع كام ؟
فتحى حمادة : نص جنيه
الطليعة : ولو رحت له من غير فلوس ؟
فتحى حمادة : اربعة صاغ .
الطليعة : دا يبقى من غير فلوس
فتحى حمادة : آه ياخذ اربع حبسات وتمن التذكره بالاربعة صاغ .
الطليعة : طيب مين الوسيط بينك وبين الدكتور فى دفع الفلوس
فتحى حمادة : التمرجية بأعطيهم واقول كشف خصوصى
الطليعة : وحلاق الصحة ، مفيش زى زمان ؟
فتحى حمادة : لا مفيش حلاق صحة
الطليعة : الدكتور بييجى البلد كام ساعة ؟

فتحى حمادة : مقيم فى البلد
الطليعة : كشفه الخصوصى فى البيت كام ؟
فتحى حمادة : بياخد جنيه
الطليعة : لو كان واحد ممعهوش ؟
فتحى حمادة : الناس يشيلوه على ـ ولا مواخذة ـ حمار لغاية المستشفى
الطليعة : طيب لو واحد تعب بعد الظهر ؟
فتحى حمادة : يروح له البيت
الطليعة : اذا ما عندوش عزم ؟
فتحى حمادة : ماعندوش عزم يبقى خلاص يستنى لتانى يوم ويروح بالاربعة صاغ .. وهم الاربعة صاغ لا بيعملوش حاجة .
الطليعة : مفيش عندكم فى البلد ناس اتعلموا وعملوا جمعيات مثلا يساعدوا البلد ، ويرفعوا مستواها ؟
فتحى حمادة : مفيش لا واذا كان فيه برضه .. بيروحوا له .
الطليعة : بيروحوا لمين ؟
فتحى حمادة : للدكتور برضه كده
الطليعة : لا انا باتكلم عن المتعلمين هل بيعملوا جمعيات تحل مشاكل البلد ؟
فتحى حمادة : مفيش حد بيعمل كده
الطليعة : طيب انت لك اولاد فى المدارس .. مابتسمعش .. عن حاجة اسمها مجالس الاباء ؟
فتحى حمادة : لا
الطليعة : مابتسمعش عنها ؟
فتحى حمادة : لا ماباسمعش عنها ؟
الطليعة : مبتروحش المدرسة للاولاد خالص ؟ بيكون فيه مشكلة والا حاجة مع المدرس مثلا ؟
فتحى حمادة : لا
الطليعة : امال الفلوس اللى انت بتدفعها لمجالس الاباء مابتستفدش بها خالص ؟
فتحى حمادة : هم بياخدوا الفلوس دى وبعدين يسلموا الكتب اللى بيسلموها
الطليعة : ما هى الكتب دى المفروض انها مجانا .. انما الفلوس اللى بتدفعها لمجالس الاباء ما تسمعش .. عن حاجة اسمها مجالس الاباء ؟
فتحى حمادة : لا
الطليعة : هم كام ؟
فتحى حمادة : ١٦٨ قرش
الطليعة : عندك كام عيل
فتحى حمادة : اتنين صبيان فى المدرسة الاعدادية كل عيل منهم ١٦٨ والعيال التانية ٢٧ .
الطليعة : بالنسبة للاولاد فكرك حاتعلمهم لغاية امتى ؟
فتحى حمادة : عايز أعلمهم لغاية ما يخلصوا
الطليعة : يعنى يبقوا ايه ؟

فتحى حمادة : نفسى اعلمهم يطلعوا مدرسين
الطليعة : والبنات ؟
فتحى حمادة : عايزهم يطلعوا مدرسين
الطليعة : انت معندكش مانع ان المراة تشتغل ؟
فتحى حمادة : آه تشتغل تتعلم وتشتغل
الطليعة : بس انت لما البنت اخدت سادسة ابتدائى قعدتها ليه ايه السبب ؟
فتحى حمادة : مكنش عندى العزم اللازم انى اصرف عليها
الطليعة : واشمعنى مدرسين ؟
فتحى حمادة : اشمعنى مدرسين .. انا قصدى كده .. واللى يعمله ربنا يكون بقى .
الطليعة : الحلاق اللى بيحلق لك أنت واولادك بياخد فلوس والا بالسنوية ؟
فتحى حمادة : لا باديله فلوس .. انا باديله تلاتة صاغ ، والعيل بنص فرنك .. وهو اللى بيحلق لى ذقنى ..
الطليعة : لسه فيه نظام . انك بتشترى حاجة بالغلة والا كله بالفلوس دلوقت ؟
فتحى حمادة : لا فيه ناس بالغلة
الطليعة : خدام الجامع بتديله بالسنوية والا فلوس
فتحى حمادة : الجامع اللى عندنا مغلوق
الطليعة : الجامع اللى عندكم مقفول ليه ؟
فتحى حمادة : دورة الميه تعبانة
الطليعة : ماحدش حاول يصلحها ؟
فتحى حمادة : هم لموا فلوس وصلحوها من الاول وبعدين الارضية ما اتصلحتش
الطليعة : طيب ورئيس مجلس القرية .
فتحى حمادة : راح وشاف
الطليعة : رئيس مجلس القرية بييجى البلد كام مرة
فتحى حمادة : فى السنين اللى فاتوا دول نزل مرة انا سمعت كده لكن انا ما شوفتوش خالص .
الطليعة : الفلاحين التعبانين فى البلد عندهم كام فدان ؟
فتحى حمادة : لغاية فدان او فدانين
الطليعة : واللى فوق كده
فتحى حمادة : تلاتة عال .
الطليعة : واللى معندوش خالص ؟
فتحى حمادة : اللى معندوش مثلا اولاده بتشتغل ، وهو بيشتغل وبيقبضوا ويجيبوا واللى متوظف
الطليعة : فى التحرير
فتحى حمادة : آه .
الطليعة : يعنى انت رايك لغاية تلاتة فدادين تعبان ؟

فتحى حمادة : فدانين بس

الطليعة : عندكم كام جامع فى البلد ؟

فتحى حمادة : عندنا زى أربعة .

الطليعة : فيه كنيسة ؟

فتحى حمادة : فيه .

الطليعة : واحدة والا اكتر ؟

فتحى حمادة : واحدة .

الطليعة : فيه اختلاط بين المسلمين والمسيحيين ؟

فتحى حمادة : ما هم سوا فى نفس البلد

الطليعة : مفيش مشكلة ؟

فتحى حمادة : لا .

الطليعة : طيب لما تنتخبوا الجمعية التعاونية ، او تنتخبوا الاتحاد الاشتراكى ، بيبقى فيه واحد مسيحى فيها .

فتحى حمادة : لا مفيش مسيحى دخلها .

الطليعة : محدش فيهم رشح نفسه

فتحى حمادة : لا

الطليعة : عندهم شيخ بلد وعندهم عمدة .

فتحى حمادة : ما هو فيه العمدة مسيحى .

الطليعة : الحمامات الموجودة فى البلد ما بتروحش تستحم فيها ؟

فتحى حمادة : لا عمرى ما دخلتها .

الطليعة : ما هى معمولة عشانكم فيها صابون وليفه وكل حاجة .

فتحى حماده : استحم فى بيتى .

الطليعة : يعنى ما بتروحش عشان بتنكسف ، والا هى مش كويسة ؟

فتحى حمادة : لا أنا ما بروحش عشان بنكسف طبيعى ، فى حياتى ما حصلت .

الطليعة : فيه ناس بتروح ؟

فتحى حمادة : الناس اللى بتروح فيها اللى ساكنة قريبة منها انما اللى بعيده فى بحرى البلد تروح مش معقول وتطلع مستحمية بالميه السخنة وتطلع تاخد برد بقى . مش معقول .

الطليعة : بس ده دش ميه كويس وصابون وليفه وكل حاجة موجودة ليه ما تروحش ؟

فتحى حمادة : لا ماروحش .

الطليعة : عشان المسافة ، والا عشان الناس حاتقول عليك بتستحمى بره بيتك ؟

فتحى حمادة : لا لازم أطلع من بيتى مستحم ولابس هدومى من غير كده ما اقدرش .

الطليعة : بتسمع عن حاجة اسمها بلهارسيا ؟

فتحى حمادة : أيوه .

الطليعة : بتيجى من ايه ؟

فتحى حمادة : من الميه .. الواد عنده بلهارسيا .

الطليعة : طيب وانت ؟

فتحى حمادة : انا اخدتها سابق .

الطليعة : ولسه عندك ؟

فتحى حمادة : عندى .

الطليعة : لسه فيه اصابات كتيرة بلهارسيا فى البلد ؟

فتحى حمادة : كتيرة .

الطليعه : طيب الوحدة الصحية ماحاولتش تعالج حالات البلهارسيا الكثيرة دى ؟

فتحى حمادة : بيعالجوا .

الطليعة : عندكم ميه فى الحنفيات ؟

فتحى حمادة : فيه ميه فى الحنفيات ، وفيه حنفيات مغلوقة خالص .

الطليعة : فيه كام مى البلد ؟

فتحى حمادة : فيه اتنين بحرى ، وفيه الحمام بيشربوا منه ، وفيه ثلاثة مغلوقين .

الطليعة : مغلقة ليه ؟

فتحى حمادة : من العالم والله ، عشان شالت الماسوره بتاعتها ، الناس سرقوها .

الطليعة : طيب يعنى دلوقت كلكم بتشربوا من الحنفيه .

فتحى حمادة : من الحنفية وجزء عنده طلمبة .

الطليعة : لكن ماحدش بيشرب من الترعة ؟

فتحى حمادة : لا .

الطليعة : نهائى يعنى ؟

فتحى حمادة : لا لا .

الطليعة : طيب انت بتستعمل أى حنفية ؟

فتحى حمادة : اللى هى الشرقية خالص ، اللى عند الحاج محمد افندى مصطفى ، الشرقية خالص .

الطليعة : بينك وبينها قد ايه .

فتحى حمادة : كيلو .

الطليعة : عشان تشرب تروح كيلو ؟

فتحى حماده : آه .

الطليعه : مين بيملا ؟

فتحى حماده : بنتى .

الطليعة : بتملا ايه صفيحة ؟

فتحى حمادة : لا مؤاخذة فى البلاص .

الطليعة : بتغطوا البلاص ده فى البيت والا بتسيبوه ؟

فتحى حمادة : بنغطيه .

الطليعة : تسمع عن الرئيس حافظ الاسد ؟

فتحى حمادة : آه نسمع عن الرئيس حافظ الاسد رئيس سوريا .

الطليعة : ماعندكش رأى فيه ؟
فتحى حمادة : بيقولوا فيه خناقة بيننا وبينهم .
الطليعة : وبتسمع عن بومدين ؟
فتحى حمادة : آه ، رئيس الجزائر .
الطليعة : بتسمع عنه ايه ؟
فتحى حمادة : باسمع ان الدول العربية كلها طبعا مع مصر ، طبعا رئيس سوريا طبعا معانا .
الطليعة : وليبيا .
فتحى حمادة : القذافى كان زعلان ، اتصلح تانى معرفش ، زعل تانى معرفش .

الطليعة : زعل ليه ، ما تعرفش برضه ؟
فتحى حمادة : ما اعرفش .
الطليعة : سمعت عن الخلاف اللى بين المغرب والجزائر ؟
فتحى حمادة : حصلت ، سمعت حصل خلاف وحصل صلح .
الطليعة : بيتخانقوا على ايه ؟
فتحى حمادة : نعرفش برضه .
الطليعة : ومين اللى صالحهم ؟
فتحى حمادة : ما أعرفش .
الطليعة : سمعت عن حسنى مبارك ؟
فتحى حمادة : ده نائب الرئيس .
الطليعة : تسمع عن مين رئيس مجلس الامة ؟
فتحى حمادة : مش على بالى .
الطليعة : اللى احنا فيه ده مبنى ايه ؟
فتحى حمادة : ما أعرفش .
الطليعة : بتيجى الجرايد عندكم ؟
فتحى حمادة : آه .
الطليعة : ناس كثير بتقراها ؟
فتحى حمادة : آه .
الطليعة : طيب فيه تليفزيونات عندكم فى البلد ؟
فتحى حمادة : ثلاثة ، أربعة .
الطليعة : طيب تليفزيون الحكومة بتاع الوحدة ، ليه ما بيشتغلش ؟
فتحى حمادة : ما نعرفش عنه حاجة .
الطليعة : طيب ليه قافلين عليه ؟
فتحى حمادة : ما نعرفش برضه .. الوحدة ما هى لها رئيس يشغلها هو ما شغلوش ليه .
الطليعة : سمعت عن الفدائيين بتوع فلسطين ؟
فتحى حمادة : لا .
الطليعة : يعنى الناس اللى بتخش اسرائيل وبتضرب .
فتحى حمادة : ايوه بنسمع عنهم .
الطليعة : تسمع عن منظمة فتح ؟
فتحى حمادة : لا .
الطليعة : ما تسمعش عن واحد اسمه ابو اياد ؟
فتحى حمادة : لا .
الطليعة : ولا ابو السعيد ؟

فتحى حمادة : ولا ابو السعيد .
الطليعة : يعنى أنت أملك فى الحياة ايه ؟
فتحى حمادة : ربنا يبارك فى أولادى ويخليهم لى .
الطليعة : يعنى عايز مثلا الف جنيه ؟
فتحى حمادة : يعنى اقول يارب ادينى الف جنيه ، ابص ألاقيهم جايين ؟
الطليعة : بتسمع عن سندات الاستثمار ؟
فتحى حمادة : لا ...
الطليعة : يعنى تطلب ايه لك ؟
فتحى حمادة : شغلانة تعاونى على الحياة .
الطليعة : وتطلب لاولادك ايه ؟
فتحى حمادة : نطلب معاونتهم فى الدراسة .
الطليعة : طيب وبالنسبة للناحية الصحية ؟ تطلب لهم اية وتطلب لك ايه ؟
فتحى حمادة : اطلب لى ولهم اننا نتعالج .
الطليعة : بتسمع عن جورنال اسمه الاهرام ؟
فتحى حمادة : طبعا والاخبار .
الطليعة : ما سمعتش عن مصطفى امين ؟ وعلى امين ؟
فتحى حمادة : لا ...
الطليعة : ما سمعتش عنهم ابدا ؟
فتحى حمادة : لا
الطليعة : وفى الاهرام ما بتسمعش عن حد ؟
فتحى حمادة : ما هو انا ما دام باقراش ما اعرفش عن حاجة زى كده .
الطليعة : يعنى مثلا مفيش مرة فى البلد ، سمعت الناس بيقولوا يا دا فلان كاتب حته مقالة بيدافع فيها عن الفلاحين ما بتسمعش ؟
فتحى حمادة : آه نسمع .
الطليعة : مين مثلا ؟ مالقطتش اى اسم ؟
فتحى حمادة : لا ، اى اسم .
الطليعة : بتصدق الجرايد .. لما يكون مكتوب فيها انهم حايعملوا كده ، بتصدق كلام الجرايد ؟
فتحى حمادة : ما هو بتصبح برضه فى الكلام ، بعض حالات بتمشى ، وبعض حالات لا .
الطليعة : طيب ايه الحاجات اللى الجرايد قالت حاتحصل وماحصلتش ؟
فتحى حمادة : برضه مش متذكر .
الطليعة : رأيك ايه فى الافنديه اللى بيبقوا ولاد بلد وبعدين بيبقوا افندية ؟ بصراحة كده ؟ يعنى يطلعوا ويتعلموا ويبقوا افندية ؟
فتحى حمادة : وماله .
الطليعة : انت رايك اللى يتعلم يطلع يشتغل فى نفس البلد ولا بره ؟
فتحى حمادة : ماهو كلها بلدنا .
الطليعة : لا رايك انت ايه ؟
فتحى حمادة : ما هو البلد ماشى ، مصر ماشى ، كلها بلدنا .

الطليعة : يعني انت تحب ايه ؟

فتحي حمادة : نحب مصر ، وكل واحد يحب مصر .

الطليعة : ما هو كلنا بنحب مصر ، انما ايه رأيك في اللي من البلد ، بعدما يتعلموا وياخدوا الشهاده ، يروحوا يشتغلوا في البلد ، والا في حتة ثانية ؟

فتحي حمادة : في بر مصر .

الطليعة : لو ابنك خلص علام ان شاء الله كده ، وقدامه وظيفتين واحده في البلد ، وواحده في مصر ، تختار له ايه ؟

فتحي حمادة : الاقرب ، علشان يبقى في بيته ، ومش حايسكن بره .

الطليعة : طيب البلد فيها كام موظف ؟

فتحي حمادة : كثير جدا .

الطليعة : هل الشغل عايزهم فعلا ؟

فتحي حمادة : الدراسة طبعا عايزه الكثير .

الطليعة : طيب والوظائف الثانية .

فتحي حمادة : اهو بقى

الطليعة : طيب انت عايز تقول لنا حاجة ثانية غير اللي قلته ؟

فتحي حمادة : انا مش عايز حاجة ، بس اذا كان ممكن شغلانه نعاون بها في تربيه الاولاد والعلاج ، لاني في الحقيقة تعبان آخر تعب يعني .

الطليعة : طيب اسم المجلة اللي احنا فيها دي فاكره ؟

فتحي حمادة : مش فاكر .

الطليعة : احنا متشكرين جدا على المعونة بتاعتك دي .

فتحي حمادة : الشكر لله . ■

تعليقات

○ فتحي حمادة .. ودروس المعاناة

د. محمد أبو مندور الديب *

تفيد دراسة حالة **فتحي حمادة** في تشخيص جوانب المعاناة التي يعايشها فلاح القرية الصغير ، والذى يمثل قاعدة الهرم الاجتماعي المنتج في ريف مصر ، فهو حائز لستة وعشرين قيراطا ، أى أنه احد الحائزين الذين يشكلون حوالى ٥٠ في المائة من عدد الحائزين في مصر حسب التعداد الزراعي لسنة ١٩٦١ والذى لم يصدر بعده حتى الان تعداد آخر ، وان كان من المتوقع أن هذه الفئة قد زادت نتيجة لعامل التوريث في الملكية الزراعية واصبحوا يشكلون ما يزيد عن النسبة المذكورة ، وبفرض بقاء هذه النسبة بدون تغيير فانها تغطى نصف حائزى مصر الزراعيين .

والسؤال اذن .. ما هي الدروس المستفادة من نموذج الخمسين بالمائة وهو نموذج **فتحي حمادة** ؟.. واذا ما اردنا أن نجيب على ذلك فهناك عشرات من دروس المعاناة التى توضحها اجاباته في لقائه مع مجلة « **الطليعة** » ، غير اننا نود أن نستخلص أهمها ونركز على أكثرها وضوحا في اجاباته وهي :

* مدرس الاقتصاد الزراعى بكلية الزراعة جامعة القاهرة

اولا : ان **فتحى حمادة** وأمثاله عاجزين اقتصاديا وبشكل قاطع عن المواءمة بين دخولهم الضئيلة جدا وبين الحد الادنى الانسانى لاحتياجاتهم فهذا الدخل المقدر بسبعة جنيهات شهريا لا يستطيع بواسطته ان يواجه متطلبات أسرة من ثمان أفراد وازاء هذا الوضع فهو لا يأكل اللحم حتى في المواسم ولا يرى الفاكهة ، كما انه عاجز عن علاج نفسه وأولاده في ذات الوقت الذي يواجه بمصاعب كثيرة فيتعليم ابنائه وتوفير ما يحتاجون اليه .

ثانيا : ان **فتحي حمادة** يوضح بما لا يدع مجالا للشك الواقع الطبقي في القرية المصرية وما يعكسه من دلالات اقتصاديه واجتماعية ، حيث يرى فئة « الكبار » في القرية وتعنى الاغنياء هي الفئة المسيطرة والمستفيدة بشكل اساسي من المؤسسات الانتاجية والخدمية بالقرية، وأن أمثاله لايحصلون الا على الفئات ، اي أن الهدف الذي من اجله انشئت هذه المؤسسات وهو النهوض **بفتحى حمادة** ومن على شاكلته .. تحول الى خدمة واحتكار وسيطرة القادرين .

ثالثا : ان **فتحى حمادة** لا يحس بدورفعال لتدخل الدولة فى الانتاج الزراعى فهو لا يرى بأن هذك اى تغير يمكن أن يحدث للانتاج اذا ما تخلت عنه وزارة الزراعة ، ونعتقد بأن حسه فى هذا الجانب صحيح والى حد كبير ، فدور المشرف الزراعى فى القرية المصرية فى اطار علاقات الانتاج المتخلفة وشيوع كثير من ظواهر الفساد فى التعاونيات الزراعية بالاضافة لعدم وجودنظام فعال للثواب والعقاب ، ونقص أو تخلف الوعى الوطنى بالمشكلة الزراعية ، أدى الى تقلص هذا الدور وفقدانه لاى اثر محسوس .

رابعا : غياب دور التنظيم السياسى وعدم احساسه بأى دور له فى القرية ، وأن أعضاء الاتحاد الاشتراكى يستغلون مناصبهم لمصالحهم الشخصية ، بل انه يذهب للانتخاب خوفا من الغرامة . وهو جاهل تماما باسماء المسئولين القياديين بالاتحاد الاشتراكى العربى ابتداء من مستوى المركز حتى منصب الامين الاول .

خامسا : أن نموذج **فتحي حمادة** يعكس انعزال الكثره في ريف مصر عما يدور فى القاهرة وفى وسائل الاعلام من مناقشات وقضايا جوهرية مثل قضية المنابر .

سادسا : أن عضوية مجلس الشعب من وجهة نظره لا يقدر عليها الا القادرين حيث يمكنهم الانفاق على الانتخابات ، وانهم لايهتمون بمشاكل الفلاحين الا اثناء الدعاية الانتخابية ، كما أن النائب الممثل عنهم ليس عليه أية مظاهر الانتماء الى الفلاحين .

سابعا : ان **فتحي حمادة** وأمثاله لديهم الاحساس بالعجز والضآلة الاجتماعية الى الدرجة التي لا يستطيعون من خلاله القيام بأى دور ملموس في تبني مشاكل الفلاحين ، ويرى بأن الكبار هم لاقدر لذلك فى الوقت الذى يعترف فيه بأن هؤلاء الكبار لم يفعلوا أي شيء . بل إنهم يستغلون مناصبهم لمصالحهم وهو بذلك يعكس تناقضا ذاتيا ، يفسر بمنطق العجز الاقتصادى. ومن ثم الاجتماعي في التغيير ويعطيهم الفرصة لمزيد من استغلاله بدون وعى من ناحية أو بوعى محدود وغير منظم من ناحية أخرى .

ثامنا .. ان **فتحى حماده** أيضا يمثل نموذجا لغياب الوعى بالقضايا والمشاكل المصرية والعربية والدولية المرتبطة بمصر ومستقبلها .

واذا كان لنا أن نعلق على هذه الدروس المستخلصة والمستفادة من **فتحي حمادة** فاننا نود أن نحدد ثلاثة ابعاد أساسية لدروس المعاناة لدى الكثرة من أبناء ريف مصر وهى :

١ — انه قد آن الاوان لكى تدرك القيادات السياسية والتنفيذية بان الغالبية العظمى من سكان الريف لم يطرأ على حياتهم اى تغيير حقيقى سواء فى مستواهم المادى او الثقافى أو الصحى وهذه حقيقة قد لا يختلف عليها الكثرة . الا ان الاهم من هذا وذاك بأنه قد آن

الاوان لان نشخص الاسباب ونحللها ، وان تقديراتنا المبدأية لا بد وأن تدعو بالضرورة الى اعادة النظر وبشكل جذرى فى استراتيجية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وما يتبعها بالضرورة من اعادة النظر فى السياسات والخطط والبرامج والمشاريع والمؤسسات ، اذا ما كان الهدف – وبصرف النظر عن أية مناظرات كلامية – انسانى النزعه يسعى لتوفير الحد الادنى من الحياة الانسانية بحيث نتمكن من الاحساس بقطعة لحم او برتقالة او انقاذ مريض من الموت السريع او البطىء .

ثانيا : اذا ما تصور البعض بأن نموذج **فتحى حماده** يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية فهم مخطئون .. فالتواكلية والاحساس بالضعف والقهر لها حدود تتجاوز بعدها النكوص للواقع والمثول امامه مكتوف الايدى خاصة امام تصاعد هذا الواقع المؤلم وتفاقمه فى المجتمع به ، فأيا كانت درجة تخلف الواقع المحيط به فانه من المتوقع أن تأتى اللحظة التى يرفض فيها **فتحى حماده** هذا الواقع المادى والثقافى وهو الامر الذى نسعى للتنبيه اليه بغية تداركه واصلاح هذا الواقع بشكل يخدم هذه الفئه بشكل محسوس .

ثالثا : ان دوله مثل مصر يقبع معظم سكانها فى هذا المستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى من الصعب عليها أن تحقق ما تطمح اليه حسب تقديرات أكثر المتشائمين ، ذلك أن بناء اقتصاديا واجتماعيا قاعدته هشة يصعب تنظيمه وتعبئته فى اطار الصراع العالمى من اجل التقدم والقضاء على مشاكل التخلف، مما يدعونا الى ضرورة اعادة النظر فى البناء الاجتماعى وحسم مسالة اى الفئات قادرة على تخطى حزام الفقر والجهل والمرض كما ويتطلب ذلك تحديد اسئلة قاطعة وهى التنمية بمن ، ولمن ، والى اين ؟

واخيرا ان نموذج فتحى حماده لا يجب ان ننظر اليه لنتحسر ونتباكى ونناقش فى الاندية والصالونات بقدر ما يحتاج منا الى وقفة معه أيا كان حجمها لنساعده ونأخذ بيده الى حياة أفضل .. والسؤال الان هل نحن قادرون !!! . ■

○ ملاحظات حول « هموم » فتحى حمادة

عبد المنعم شتلة

فتحى حمادة » فلاح عادى من الفلاحين المصريين المنتشرين فى قرى بلادنا وريفها .

ورغم أن هذا النموذج أخذ من **قرية الضاهرية مركز ايتاى البارود بمحافظة البحيرة** – الا أنه يمكن القول بأنه يمثل شريحة أساسية من الفلاحين المصريين – وهى الشريحة المعروفة بفقراء الفلاحين .

ورغم أن هذه الشريحة تمتلك جزءا من الارض الزراعية – الا أن متوسط ملكيتها لا يزيد كثيرا عن الفدان الواحد .

ويصل تعداد هذه الشريحة أو الفئة من الفلاحين الفقراء لاكثر من ثلاثة ملايين فلاح وفقا لاحصائيات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء – يونيو ١٩٧١ . حيث يمثلون الغالبية الساحقة من الملاك الزراعيين« ٩٤٫٥ فى المائة هذا رغم أن الاراضى الزراعية التى فى حوزتهم لا تزيد عن نصف مساحة الاراضى المنزرعة الا قليلا .

ومن المعروف أن هذه الشريحة تميل الى تكوين الاسرة الكبيرة العدد – حيث يصل متوسط عدد الاسرة منها لاكثر من ستة أفراد – وهذا يصل عدد أفراد هذه الشريحة لاكثر من ١٨ مليون نسمة – أى أنها تمثل فى الحقيقة نصف سكان البلاد .

وهكذا فان « فتحي حمادة » يعتبر نموذجا للفلاح العادى المصرى والذى يمكن ان نراه فى كافة القرى المصرية ومحافظاتها المختلفة .

من هو فتحي حمادة ؟

« **فتحي حمادة** » فلاح بسيط يكادلايعرف القراءة أو الكتابة ـ يعيش على هامش الحياة ـ لايأكل اللحم الا فى المواسم والمناسبات البعيدة اذا ما سمحت ظروفه بذلك ـ لايتذوق الفاكهة أو القهوة ـ طعامه لا يتنوع ويتكون أساسا من خبز الادرة الشامية والجبن القريش ـ لا يعرف التدخين او شرب الشاى لانها تثقل ميزانيته المحدودة للغاية ـ وكل ما يتمناه أو يصبو اليه ان يجد علاجا لصدره او لابنه المريض ـ وان يجد عملا اضافيا يستطيع عن طريقه سدادما عليه من ديون للجمعية الزراعية .

واذا ما نظرنا للخريطة الطبقية للمجتمع الريفى المصرى ـ نجد ان هذه الشريحة من المجتمع المصرى لا تختلف كثيرا فى مستوياتها المعيشية او الاجتماعية عن طبقة العمال الزراعيين او طبقة الاجراء ـ عمال التراحيلة ـ كما يطلق عليهم فى الريف المصرى .

فاذا كان متوسط الدخل الشهرى لفتحي **حمادة** لا يتجاوز السبعة جنيهات على أفضل تقدير ـ فان عامل التراحيلة يحصل فى المتوسط على مثل هذا المبلغ نظير عمله بالاجر لدى الملاك الكبار أوالمتوسطين أو لدى الهيئات والمشروعات العامة والمملوكة للدولة والقطاع العام .

ان مستوى المعيشة يكاد يتماثل بين هاتين الشريحتين ولا يتميزان سوى فى الانتماء الطبقي ـ حيث ينتمى **فتحي حمادة** لصغار الملاك او فقراء الفلاحين ـ بينما عامل التراحيلة لا يملك سوى قوة ساعديه والتى يضطر لبيعها لمن يقدر على دفع أجر يومه . ومن الطبيعى أن **فتحي حمادة** او الشريحة التى ينتمى اليها لا يمكنه أن يدفع اجر عامل التراحيلة ـ بل نجد ان البعض ممن ينتمى اليهم قد يجبرون على العمل عند كبار الملاك لتعويضهم عما قد يحتجونه من أعباء الحياة والمعيشة . وبالطبع فان الاسرة كلها تساهم بنصيبها فى عمل الحقل .

ولكن رغم التقارب فى مستوى الحياة المعيشية لهاتين الشريحتين ـ فثمة فوارق بينهما فى مستوى الوعى الاجتماعى .

ففتحي حماده لا يبدى الكثير من الحماس من أجل التغيير او التجديد . ورغم اقتناعه أن الاجهزة الموجودة فى القرية « الجمعيه الزراعية ـ الاتحاد الاشتراكى ـ مجلس القرية » .. الخ لا تخدم سوى المبسوطين او الاغنياء « الجماعة الكبار من أهل القرية ذوى النفوذ والعائلات الكبيرة » ـ ومع هذا فهو يترك مصيره للقدر .

ولا شك أن حالة **فتحي حمادة** تعبر عن مدى الاهمال الذى تعانيه هذه الشريحة الاساسيه من المجتمع المصرى من الاجهزة الرسميه للدولة . موزارة الثقافة لم ترسل لهم آية وسائل اعلامية سوى مرة واحدة خلال احداث عام ١٩٥٦ أى منذ العدوان الثلاثى . والكهرباء لا يتمكن **فتحي حمادة** من الاستفادة بها فى منزله لانها تحتاج لمصاريف لا يمكنه توفيرها . حتى المياه النقية الصالحة للشرب ـ فان الحصول عليها يحتاج لجهد كبير حيث تبعد الحنفية المخصصة لذلك بأكثر من كيلو عن منزله .

اما المواصلات والتموين والتعليم والصحة وغيرها من الخدمات الضرورية لرفع المستوى المعيشى والاجتماعى والثقافى ـ فتكاد لا يشعر بها امثال **فتحي حمادة** .

وهكذا فان الخدمات التى تقدم **لفتحي حمادة** متخلفة للغاية ولا تساعد على رفع وعيه الاجتماعى وتطوير مستواه الثقافى .

كما يتضح من حديث **فتحي حمادة** عدم ثقة الفلاح المصرى نحو ابن البندر او الافندى الوارد من خارج القرية ـ فهو يخشى أن يضحك عليه او يلعب ملعوب كما

يتندرون في القرية . فهو حذر في اجاباته لا يرغب في التعبير عن مشاكله صراحة أو يفصح عما يراه من متاعب أو حلول لها .

ولا شك أن هذا الحذر وعدم الثقة . تراث توارثه **فتحي حمادة** . وغيره من الفلاحين نتيجة المعاناة خلال اجيال طويلة .

وقد أطلق البعض على هذا الحرص أو الحذر المتزايد « مكر الفلاحين » . وفى الحقيقة أن ما يسمي بمكر الفلاحين ما هو في الحقيقة إلا انتاج لسياسة القهر الطويلة التى عاناها الفلاح المصرى طوال قرون مضت ، واحساسه بالمعاناة التى يعيشها — فهو يقدم خير انتاجه لبلده — بينما لا يحصل فى المقابل الا على اقل القليل بما لا يفي باحتياجاته واحتياجات أطفاله المرضى — ولا يجد من شكو اليه او يتوجه اليه بمظلمته .

ومع ذلك فعندما تسنح له الفرصة للتعبير فانه يساهم بآرائه وبطريقته الخاصة التى لا تخلو من الطرافة والنكتة المصرية الصميمة — ويمكن ملاحظة ذلك من خلال رده على بعض الاسئلة .

ففى رده على سؤال حول ادارة الجمعية الزراعية يقول **فتحي حمادة** :

الجماعة الكبار همه يحددوا واحنا الصغيرين اللى متداسين فى الرجلين — واحنا ايش نكون احنا حواليهم ! » .

كما يلاحظ وجود الحاسة الاجتماعية لديه عندما يسأل عن رأيه في تعريف الفلاح عندما يقول :

الفلاح هو اللى يزرع بنفسه — لكن دهيدلة « يقصد المالك الكبير وعارف انه عنده ملك » .

هذا رغم تزدده بعد ذلك والذى يرجع لعدم تكامل الوعى الاجتماعى أو الطبقى لديه .

كما تتضح رؤيته للامور عندما يسأل رأيه فى السد العالى ومدى الاستفادة منه كفلاح فيقول :

السد كويس عندنا حاليا — علشسان المياه بتاتى لحد عندنا فى البلد .. زمان أيام الصيف كنا نبكي من قلة المياه » . وهكذا يرد فتحي حمادة ببساطة عن حملات التضليل المتعمد عن السد العالى وآثاره .

وتتضح مدى حالة البؤس الاجتماعى التى وصل اليها حال الفلاح الصغير عندما يعلن انه لا يستطيع مجرد شراء حصته المقررة من التموين للشاى والسكر لعدم توفر المال لديه .

ورغم حملات التشهير ضد الزعيم الراحل « **جمال عبد الناصر** » فان **فتحى حمادة** لا ينسي ما قام به هذا الرجل من أعمال خلال حياته — فيعبر عن ذلك قائلا :

« السيد الراحل **الرئيس عبد الناصر** كان اجدع راجل — اللى عمله كله سليم لحد ما توفى .. » .

وهكذا يعبر المواطن المصرى البسيط عن رأيه الحقيقى فى **جمال عبد الناصر** . كما يضيف رأيا عن أيام ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ وما بعدها فيقول :

« أيام الاحزاب **يقصد** قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت الحالة وحشة جدا من غير حساب — لكن الان احسن ٣٠ مرة عن الاول » .

وهكذا يعبر **فتحي حمادة** عن آرائه ببساطة كاملة — رغم حملات التشهير والتضليل المكثفة هذه الايام .

ان فتحي حمادة كان شابا يافعا عندما قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ — لم يتجاوز اثنين وعشرين عاما — ولكنه كفلاح يعرف مدى القهر الاقطاعى السابق لثورة يوليو — ويعرف أن الاحزاب التى كانت متواجدة ذلك الحين لا تخدم سوى الاقطاعيين والباشوات ورجال السراى .

ان فتحي حمادة يشكو من الاجهزة الموجودة ولا يعتبرها أجهزة قادرة على تقديم الخدمات التى يحتاجها والشكل والاسلوب الذى يريده سواء بالنسبة للجمعية

الزراعية أو المجالس المحلية أو الاتحاد الاشتراكي - ومع هذا فانه لا يقف بجانب هؤلاء الذين يريدون العودة الى الماضي .

ان هموم فتحي حمادة لا تجعله يتنكر عن دور الزعيم جمال عبد الناصر أو مآثر السد العالي ومشروعات كثيرة اخرى - معلنا ببساطة أن الحالة الان أحسن ٣٠ مرة عن الماضي .

وهكذا يعبر فلاح مصري بسيط عن رأيه ومعتقداته السياسية بلا رتوش أو حذلقة رغم كل الهموم والالام التي تثقل كاهله

القضية هي : تحرير الفلاح من الفقر

حسين طلعت

الفلاح فتحي حمادة ممثل شريحة واسعة من صغار الملاك أو بالاصح فقراء الفلاحين الذين يملكون أقل من فدان ، ومستأجر لقراريط قليلة . وهو لم يستفد من قوانين الاصلاح الزراعي باعتباره مالكا صغيرا ، ولم ينم ملكيته الخاصة لانه ليس من أغنياء الفلاحين . ولذلك فهمومه هي هموم تلك الشريحة العريضة من الفلاحين التي يتعرض مستواها المعيشي للانخفاض المستمر . ان حصيلة ايراده السنوي تتجاوز بالكاد الثمانون جنيها وهو يزرع المحاصيل التقليدية . القمح ، الذرة ، القطن ، البرسيم - ولا يمكنه عائد هذه المحاصيل سوى من الحصول على جزء من غذائه وغذاء ماشيته . ويورد « للشون » انتاجه من القطن وما هو مقرر من القمح . وتتزايد مديونيته سنة بعد اخرى لان هذه المحاصيل غالبا لا تغطي استجاراته من الجمعية . وهو لا يزرع المحاصيل الغير تقليدية - كالبطاطس في منطقته - لان زراعتها تقتصر على من يحوز ٥ افدنة فأكثر من متوسطي واغنياء الفلاحين .

وفتحي حماده يحدد مشاكله الاقتصادية ببساطة ووضوح . فالجمعية التعاونية الزراعية لها وجهان في نظره . **الوجه الاول** مفيد لانها تمده بمستلزمات الانتاج - التقاوي والاسمده والمبيدات . **والوجه الثاني** - وهو نظام المحاسبة يعد متاهة بالنسبة له . فهو لا يعرف كيف يأخذ حقه من الجمعية - على حد قوله - لانه اولا فقير لا يستطيع « تسليك » أموره كما يفعل غيره من « الشبعانين » وهو ثانيا امي لا يعرف القراءة والكتابة .

ويلاحظ فتحي حمادة أن الجمعية واقعة تحت نفوذ أغنياء ومتوسطي الفلاحين ، فرئيسها يمتلك واخوته ٣٠ فدان واعضاء مجلس الادارة تتراوح مساحه ملكيتهم من ٣ - ٤ فدان . ويستفيد اعضاء المجلس من خدمات الجمعية - الجرارات والالات .. الخ . كما تتسرب الاعلاف من حين لاخر الى مواشيهم أو مواشي الاثرياء وتجار السوق السوداء . وهو لا يرغب في ترشيح نفسه لانتخابات مجلس ادارة الجمعية كي لا « يتورط » ، لان الجميع في نظره « **منعاص** » . وهو ومن يماثله من الاعضاء لا يؤخذ رأيهم . وسياسة الجمعيه لان الكبار هم الذين يقررون الامور . أما « الصغار » فلا رأي لهم . ولكي يكون رأيهم مسموعا فلابد لهم من « رباطية » .

والاتحاد الاشتراكي في نظره لم يفعل شيئا ولا يمثله في شيء . فأمين اللجنة مالك لحديقة مساحتها ٣ فدان . ولا يوجد في اللجنة أعضاء من فقراء الفلاحين أو العمال الزراعيين . ويقتصر نشاط الاتحاد الاشتراكي على حل الاشكالات الخاصة . وأعضاء اللجنة يستفيدون من خدمات الجمعية التعاونية ، وهو مجبر على دفع الاشتراك لانه يخصم من الجمعية ، ولكنه لن يدفع الاشتراك ولن يشترك في انتخابات الاتحاد الاشتراكي في حالة الغاء الغرامة .

أما أعضاء مجلس الشعب فهم من الفلاحين « الجامدين » أو « الكبار» ينفقون الكثير فى المعارك الانتخابيه والفلاح الفقير لا يستطيع أن يتحمل هذه الاعباء .

وأمانة الفلاحين لا يعرف طريقه اليها وهى بدورها لا تكلف نفسها مشقة الوصول اليه .

ومجلس القرية لا يتميز على غيره من الاجهزة فهو لم يفعل للقرية شيئا .

ونتساءل عما تقدمه هذه الاجهزة مجتمعة من خدمات لامثال الفلاح فتحى حمادة . فالتعليم على الرغم من مجانيته يكلفه فى واقع الامر جنيهان سنويا لكل طفل تقريبا . والعلاج بالوحدة الصحية يتحول الى كشف خصوصى يكلف الفرد جنيها . وعلاج ابنه المريض كلفه ٨٥ جنيها أى ما يزيد عن ايراده الصافى سنة كاملة ، واضطر الى الاستدانه . والكهرباء بعيدة عن متناول يده لانها تكلفه من ١٠ الى ١٢ جنيها . والمياه النقية موجوده على بعد كيلو متر من منزله . وهو محروم من وسائل الثقافة والاعلام لانه لا يستطيع شراء راديو ، ويقتصر غذائه وعائلته على اللبن الفرز والخبز أو الجبن القريش والخبز وهم لا يتذوقون اللحوم أو الاسماك أو الفاكهة ، بل ان العدس والفول والطماطم لم تعد فى مستوى قدرته وطهى الطعام فى نظرهم يقتصر على « تحمير » البطاطس فى الزيت لا اكثر .

وكما حدد **فتحى حمادة** مشاكله الاقتصادية والمعيشية ، حدد أيضا رؤيته السياسية ببساطة ، فالرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى نظره « كان اجدع راجل .. طرد الانجليز وصلح البلد » . وهو يريد استمرار ثورة ٢٣ يوليو ويسجل للثورة حاليا اطلاق الحريات ، ويطلب من الرئيس السادات النصر لان المشكلة مع اسرائيل لن تحل الا عن طريق القوة .

كما أنه يصور الواقع الاجتماعى الحالى فى قريته بنفس الوضوح والبساطة ، فيقول ان العائلات الكبيرة والاثرياء هم اصحاب النفوذ فى الريف . وان الفلاح الفقير « التعبان » هو من يحوز فدانين فاقل . وهو كفرد لا يستطيع أن يفعل شيئا ازاء ما يراه من أحداث ولذلك يوافق على فكرة اقامة اتحاد لصغار الفلاحين يدافع عن حقوقهم . وهو يطلب « العدل » من الحكومة ، والعدل فى نظره هو رفع مستوى دخله ، ١٥ جنيها شهريا بايجاد عمل آخر له بالاضافة للزراعة . وآماله محدودة فهو لا يطلب أكثر من التمكن من تعليم أولاده وتوفير العلاج له .

والصورة التى قدمها لنا الفلاح **فتحى حمادة** عن قريته هى صورة الريف المصرى حاليا . فعلى الرغم من أن ثورة ٢٣ يوليو حققت انجازات اساسية على الصعيدين الوطنى والاجتماعى ، الا ان الاوضاع فى الريف بعد ترابة ربع قرن من قيام الثورة لا تزال تتميز بالفقر والتخلف . فبعد أن صفيت طبقة الاقطاعيين وكبار الملاك اقتصاديا ارأينا بعض من يدعون لانفسهم تمثيل الفلاحين فى مجلس الشعب يرفضون قانون ضريبة الحدائق الذى سبق ان قدمته وزارة الدكتور عزيز صدقى . ووقفوا ضد فرض اية ضريبة على الاستغلال الزراعى ، وهم الذين رفعوا القيمة الايجارية للارض الزراعية ، بل لقد طالب بعضهم بالغاء قوانين الايجار كلية وتركها لقانون العرض والطلب . وهاجموا نظام التسويق التعاونى وطالبوا بالغائه واطلاق يد الرأسمالية التجارية فى الريف . والغريب ان هذه الشرائح ذاتها هى التى تنهب الدولة فى مجال التسليف ونسبة مديونياتها المتأخره تمثل ٦٦ فى المائة تقريبا من اجمالى الديون المستحقة لبنك التسليف الزراعى لدى الفلاحين .

وهنا نتساءل كيف يمكن تحرير الملايين من فقراء الريف المصرى من فقرهم وفاقتهم اذا كانت هذه الشرائح تحتكر تمثيل الفلاحين . واذا كانت التجربة قد أثبتت أن تمثيل العمال والفلاحين بـ ٥٠ فى المائة لم يؤت ثماره المرجوة بالنسبة لرفع المستوى المعيشى للفلاح الفقير بفضل التعريف القاصر للفلاح . الم يحن الوقت لاعادة النظر فى

هذه التجربة كى تتاح الفرصه للملايين من امثال فتحى حماده كى تسمع كلمتهم عن طريق ممثليهم الحقيقيين ، وليست تلك الكلمات المديفة التى تقال على السنة بعض من يدعون تمثيلهم .

وهل تأتى تجربة المنابر « بضوابط وروابط لتكرر نفس المأساة ، أم انها ستتيح بحق لكافة الطبقات الاجتماعية حرية التعبير عن وجهة نظرها طبقا لوزنها الحقيقى فى المجتمع ودورها فى الانتاج ؟

وهل تأتى خطة التنميه القادمة لكى تتغاضى عن مصالح من ينتمى اليهم فتحى حمادة ، أم تأتى لكى تحقق لهؤلاء الحصول على نصيبهم العادل من الدخل القومى طبقا لما يقدموه من انتاج ما يفرض عليهم من تضحيات ؟

فتحى حمــادة .. والدوامــة التى يعيش فيهـــا

د. محمد محمود عبد الرؤوف *

يثير حديث فتحى حماده .. الفلاح الصغير من قرية الظاهرية ، مركز ايتاى البارود محافظه البحيره . كثيرا من التساؤلات والملاحظات ، الا أن هذا الحديث يركز الضوء على نقطة هامه وجوهرية هى تعدد مستويات المعاناة التى يتعرض لها الفلاح الصغير فى وطننا . وعلى هذا فان هذا التعليق سوف يتعرض فى البداية الى الملاحظات العامة التى يمكن الاستدلال عليها من حديث فتحى حماده .. ثم يتناول اوجه الاستغلال التى يتعرض لها فلاحنا الصغير فى مصر .

وبادىء ذى بدء ، فان فتحى حمادة يمثل - ومن هم فى مستواه - شريحة عريضة وواسعة تضم عددا كبيرا من المواطنين فى الريف ، ولكنهم بصفة عامة أحسن حالا من الناحية الاقتصادية من اخوانهم الذين يمتلكون أو يحوزون مساحة أقل من الارض ، أو لا يحوزون شيئا على الاطلاق مثل المعدمين وعمال الزراعة . وهؤلاء جميعا يمثلون الاغلبية العظمى لسكان الريف المصرى ، بل هم اغلبية الشعب المصرى .

اولا : الملاحظات العامة :

١ - يحس فتحى حماده احساسا كبيرا بتدنى مستواه الاجتماعى الى الدرجة التى تجعله يقبل التصرفات التى تتم ضده ، ويعتبرها نسوعا من انواع تصرفات « السيادة » التى يجب عليه أن يتقبلها باذعان . وواضح هذا فى اكثر من موضع فى حديثه حيث يقول « طبعا هل الكبير زى الصغير » و « الجماعة الكبار همه بيحددوا واحنا الصغيرين اللى متداسين فى الرجلين ، واحنا ايش نكون حواليهم »

* خبير اول التخطيط الزراعى بمعهد التخطيط القومى

و « الكبـار تمشى البلد واحنـا لازم نمشى وراهم » . وهذا يعكس تخلف علاقات الانتاج السائدة فى القرية وما ينتج عنها من تمايز اجتماعى .

٢ ـ أن الامية التى يعيش فيها فتحى حماده .. تسدل ستارا كثيفا أسود اللون على وعيه بكل ما حوله على المستوى الثقافى ، حيث لا يدرى شيئا مثلا عن من هم كبار الكتاب والفنانين أو الصحف الرئيسية ، او على المستوى السياسى حيث لا يعرف من هم قيادات الاتحاد الاشتراكى ، وعلى مستوى المعلومات العامة لا يعرف شيئا عن اوضاع الوطن العربى والعالم المحيط بنا . بل ان هذا الستار يحول بينه وبين الاهتداء الى حقوقه قبل المتعاملين معه مثل حسابات الجمعية الزراعية وبنك التسليف وصراف القرية . وهذا يضخم المسئولية القومية اللازمة لازالة الامية فى مصر .. وان محو الامية هو المفتاح لكى يحصل فتحى حماده وامثاله على حقوقه .

٣ ـ تعرضه لنوع من تزييف الوعى ، يستمده من المناخ المحيط به سواء فى تعاملاته مع الافراد أو مع الاجهزة الحكومية او ما يسمعه يتردد على السنة الناس من أقوال الصحف والاذاعة حيث نجد انه فى الوقت الذى لا يدرى فيه بالمفهوم الحقيقى للفلاح ، ويعتبر من يملك ١٠٠ فدان فلاحا مثل من يملك فدانا . كما انه لا يدرى ايضا بالسبب الحقيقى وراء حالته المتدنيه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، نرى أن لديه فى الوقت نفسه احساسا بالمشكلة الوطنية والاحتلال الاسرائيلى وضرورة الوحدة العربية . وهذا التفاوت الحاد فى كثير من الاحيان ، بين الوعى الاجتماعى .. والوعى الوطنى أو القومى ، بدون ربطهما جميعا بالمسببات الحقيقية له يؤدى الى عدم وضوح رؤيته للحلول التى يطرحها لحل المشاكل الوطنية والقومية وحتى لحل مشاكله الخاصة . وهذا يعمل على اعاقة فتحى حماده وامثاله من ان يكونوا قوة دفع هائلة نحو الحلول الاكثر جذرية لمشاكلهم الوطنية والقومية والخاصة .

٤ ـ أن هناك نقداً حادا ومباشرا موجها من فتحى حماده الى كل المنظمات الجماهيرية والسياسية والاجهزة التنفيذية العاملة فى القرية مثل الجمعية التعاونية الزراعية والاتحاد الاشتراكى ، وعضو مجلس الشعب وصراف القرية والعمده حيث انهم لا يقومون بواجباتهم او المهام المكلفين بها . ويوضح فى كلامه عن الجمعية الزراعية « اختلاسات فيها ، الحسابات فيها ، فلوس حاجة زى كده ، دى منهم لبعضهم ، الموظفين يغطو علينا احنا ماسعرفهاش ، بنسمعوا عنها » و « الجمعية ما فيهاش حد كده يعنى مش متعاص » . وكلامه عن المشرف الزراعى ودوره غير المنتج قائلا : « ما يطلعش الغيط ابداخالص ، بيجى من مطرحه على الجمعية يشرب قهوة وشاى وده اللى حاصل مفيش غير موسم القطن » . أما عن اعضاء مجلس ادارة الجمعية فهم المستفيدون اولا . ثم يوضح الارتباط بين بعض الشرائح العليا فى الريف وبين أعضاء الاتحاد الاشتراكى واعضاء مجلس ادارة الجمعية ، حيث يشكلون جماعة للاستفادة بموارد الجمعية . وهناك غش فى تحصيل اشتراكات الاتحاد الاشتراكى حيث يجبر على دفع ٩٤ قرشا بدلا من ٢٤ قرشا سنويا . وقوله « ما حدش استفاد بحاجه من الاتحاد الاشتراكى نهائى ، وانتخبناهم برضه أو فيش حاجة » . وان هناك فئات اجتماعية من أعيان الريف يسيطرون على الاتحاد الاشتراكى كما يسيطرون على الجمعية الزراعية ، بل ويمارسون دوره فى افساد موظفى الدولة لتسخير موارد الدولة والتعاونيات لصالحهم . الامر الذى يجعل من العمل السياسى والشعبى وسيلة للاثراء . كما أن من يعرفهم أو يسمع عنهم من اعضاء مجلس الشعب لا يؤدون أى خدمات للقرى . وفى هذا ابلغ رد على الذين يرددون أن الاتحاد الاشتراكى فى الريف متين وقوى ويعمل فى قواعده السليمة ، ويكفى للتدليل على عدم ايمان صغار الفلاحين ، وهم القاعدة العريضة لشعب مصر ، بما يمارسه الاتحاد الاشتراكى فى الريف انهم لا يدفعون الاشتراكات طواعية

وانما تخصم منهم . ولولا خوفهم من عدم لاشتراك لما اشتركوا . كذلك لولا خوفهم من الغرامه لما ذهبوا الى الانتخابات . وهذا هو المقياس الحقيقى لمدى نجاح التنظيم السياسى برجالاته فى تكوين الوعى بأهميته والولاء له والمحك الاساسى لمقدرته التنظيمية والتعبوية بين الجماهير . وكل ما نجح فيه تنظيم الاتحاد الاشتراكى فى الريف هو انه يقرب ويفيد من هم ليسوا فى حاجة حقيقيه له ويبعد عنه قواعده العريضة المحتاجة اليه وانه لم يستطع أن يتفهم مشاكل جماهيره ويعبر عنها بصدق ويسعى مع السلطة الى حلها . واكبر دليل على ذلك هو مراجعة اقوال فتحى حماده « مضطر ان أشترك ، مع الشعب كله ، يعنى اشماعنه أنا لم أشترك مثلا مى البلد ، يمكن يعمل لى حاجة ، أنا أستفيد برضك مثل التانيين » وهذا كان هو الامل المطلوب فى الاتحاد الاشتراكى فى الريف ولكن خاب الامل ونجد فتحى حماده يقول « مادام الاتحاد لم يفعل لى أى شىء ما أشتركش » .

ثانيا : مستويات الاستغلال التى يتعرض لها فتحى حماده

بنظرة فاحصة الى حديث فتحى حماده يظهر لنا جليا مدى الاستغلال الذى يتعرض له حتى يمكننا القول بأن من لم يستغل فتحى حماده فليرمه بحجر . ويمكن ان نتبين ذلك فيما يلى :

١ — فى بداية حديث فتحى حماده يبدى تضرره من الدورة الثنائية للقطن ، وهو فى هذا يبدى تفهما حقيقيا لاوضاعه واقتصادياته . والفوضى وراء هذا التضرر يدلنا على ان هذه الدوره تتسبب فى اضعاف خصوبة التربة ونقص دخل الفلاح ، والدورة الثنائية الهدف منها الحصول على مساحة القطن الضرورية للصناعة والتصدير . والمعروف ان تكلفة انتاج القطن مرتفعه واسعاره المحليه التى تدفعها الدولة اقل من أسعار التصدير وان الدولة تربح فى تجارة القطن وتصنيعه . الا ان هناك بعدا آخر يجب النظر اليه حيث أن الدورة الثنائية تبحث عن سياسة الدولة الهادفه الى توفير الخضار والفاكهة للتصدير واستهلاك المدن مما دفعها الى تحرير المناطق المحيطه بالمدن من الدورة الزراعية للقطن واباحت لمن يقدر على زراعة مساحه مجمعة من خمسة افدنة خضار او فاكهة الخروج من نطاق الدورة الزراعية للقطن . ومع حاجة الدولة الى زراعة مساحة محدودة من القطن سنويا لضمان الحصول الكافى للصناعه والتصدير ومع مقدرة اغنياء الريف لمقدرتهم المالية والفنيه الى الخروج من دورة القطن غير المربحة الى زراعة الخضر والفاكهة المربحة وغير محدده السعر كالقطن تحول عبث زراعة القطن الى كاهل صغار الفلاحين ، ومن ثم تعمل صغار الفلاحين فى تمويل خزانة الدولة بفائض القطن أكثر مما يتحمل كبار الفلاحين . هذا كما ان نظام الدورة الزراعية الثنائية يحول بين الفلاح وبين زراعة كثير من المحاصيل الغذائية له ولحيواناته . فبالنسبة للمواشى أدت هذه الدورة الى تخلص الفلاح الصغير من ماشيته لعدم قدرته على تغذيتها من انتاج مزرعة وارتفاع اثمان الاعلاف وقلة كمية الكسب وكثرة التعقيدات المرتبطة بتوزيع حصصها . ومن ثم فقد الفلاح الصغير قوة عمل اضافية له كما فقد دخلا من انتاجها . اما فى حالة الغذاء اللازم له ولاسرته فان ما يتبقى من حيازته لزراعته قمحا او أذرة او ارز لا يكفى لاستهلاكه ومن ثم يضطر لشراء هذه المحاصيل الغذائية من سوق القرية التى يسود فيها أسعار عالية وسوق سوداء .

٢ — انه لكى تتوفر لديه ماشية للعمل ، او لانتاج اللبن لغذائه ولاسرته لابد ان يشارك عليها لعدم توفر فائض مالى لديه . وهو بذلك يتعرض للاستغلال مما يملكون هذه الفوائض داخل القرية او من خارجها . والمشاركة على المواشى نظام استغلالى يتيح لصاحب المال الحصول على نصيب مستمر من انتاج ونتاج الماشية بجانب حصته الاصلية فى الماشية الام ويتحمل الفلاح المربى عبء التربية والرعاية والغذاء ..

٣ ـ على الرغم من مجانية التعليم المعلنة ، الا أن الاجهزة البيروقراطية الحكومية ومستحلي اموال الفقراء قد ابتدعوا اشكالا من التنظيمات والحيل والاساليب التى تمكنهم من استنزاف قدر من دخول هؤلاء الفلاحين الفقراء فى شكل رسوم مجالس للاباء مغالى فيها وبدون ايصالات . ومع تدنى مستوى التعليم والرغبة المتزايدة فيه ذهب كثير من المدرسين ـ تحت وطأة ظروف المعيشة ايضا ـ الى اعطاء دروس خصوصية دون ما تمييز بين القادر وبين غير القادر ، هذه الدروس تعتصر جزء آخر مما تبقى لدى هؤلاء الفقراء من دخلهم الضئيل .

٤ ـ مع تفشى الامراض المتوطنة وسوء التغذية ، زادت الحاجة الى خدمات العلاج والصحة والاطباء ومع التدهور الشديد « المقصود وغير المقصود » فى خدمات الصحة والاطباء لجأ ايضا فتحى حماده وامثاله الى طبيب القرية . الذى عمل ومعه موظفو وحدته على التفريق بين الخدمة الطبية الخصوصية وبين الخدمة الطبية شبه المجانية مستغلين رغبة المريض فى الشفاء ولو مضحيا بكل ما يملك ، وحاجه الفقير الى صحة شديدة لانها مصدر رزقه الوحيد .

٥ ـ فى ظل الازمة الاقتصادية الراهنة وتضاؤل الدخول ، يعانى الفلاح الصغير من نقص قوة العمل المساعدة له فى اداء عملياته الزراعية وهو مهما بذل من جهد بشرى منه ومن اسرته فهو فى حاجة الى قوة عمل الحيوان ، ولكن لعدم مقدرته على اقتناء هذا الحيوان ، يتجه الى قوة عمل الالات المتواجده لدى الجمعية او لدى كبار الفلاحين واثرياء الريف . ولان الات الجمعيه غير كافيه ، فضلا عن التوجيه غير السليم لها ، فان كبار الزراع يستغلون هذه الحاجه ويرفعون اسعار عمل هذه الالات كما انهم وعن طريق محاولات افساد ذمم بعض موظفى الدوله ، او لارتباطاتهم الاسرية او المصلحيه او لشغلهم وظائف فى الجمعيات التعاونية او مناصب فى الاتحاد الاشتراكى او المجالس القرويه يستغلون موارد الجمعية لحسابهم اكثر ويمنعون معظمها عن صغار الفلاحين . مثل الكسب والجرارات بدرجة اكبر والتقاوى والاسمدة بدرجة أقل ..

٦ ـ مع جهل الفلاح الصغير واميته يتعرض للغش فى حساباته مع الجمعية وبنك التسليف وصراف القرية وكذلك مع وحدة الاتحاد الاشتراكى التى تحصل من الاشتراكات على اكثر مما هو مطلوب منه وهم بذلك يستكملون حلقه الاستغلال المحيطة بالفلاح الصغير .

٧ ـ ان تدنى دخل فتحى حماده وامثاله الى درجة كبيرة ، جعلته لا يستطيع حتى الاستفادة مما اعطته الدولة كحق فى تموين الشاى والسكر والزيت ، حيث لا تتوافر لديه نقود سائلة . فيضطر الى التنازل عن هذا الحق للبقال فى مقابل قروش زهيدة ـ ومن ثم فان جزءا من دعم هذه السلع يذهب الى تجار القرى وليس الى المحتاجين اليها . ■

□□ بدات لجنة التعليم والبحث العلمى في مجلس الشعب فى دراسة مشروع لنقابة المعلمين . وفى المقال التالي يوضح اديب ديمترى اهمية ان تقوم نقابة تضم الكتلة الواسعة لجميع المعلمين على اسس نقابية وديموقراطية سليمة .

نقابة المعلمين وقضية الديمقراطية

أديب ديمترى

يقدر عدد المعلمين بحوالي ٢٠٠,٠٠٠ بينما تتجاوز عدد العاملين بوزارة التربيه والتعليم من فنيين واداريين وعمال ٢٥٠,٠٠٠ .

والواقع ان الاوضاع الغريبه السائده فى هذه النقابة ، مما يثير اعمق القلق والحيرة فى صفوف هذه الكتلة الضخمة من المثقفين والموظفين . فمن العسير تصور أن نقابة بهذه الضخامه والخطر ، تقبع فى هذا الركن المنزوى من حياتنا الفكرية والثقافية والسياسية ، او تصل الى هذا المدى من العزلة عن جماهيرها الواسعة ، وهذا الركود الامن . ولا يخفى ان دلالات هذه الاوضاع لا تنحصر فى الحدود المهنيةالضيقة ، بل تمتد لتشمل قضية الحركة النقابيه المهنيه والعماليه فى مجموعها ، بل وقضية الممارسة الديموقراطيه قبل كل شىء .. كما ان آثارها تتعدى الاطار التعليمى ... فاذا كان الحديث عن اى اصلاح تعليمى او تطوير ، لا يعدو كونه وهم بل خرافه ، بمعزل عن حركة هذه الكتلة الضخمة ، وفاعليتها ، ومبادراتها الخلاقة ، فاننا لا نبالغ اذا قلنا ان ملامح حياتنا الفكريه والسياسيه كلها تتاثر بما تتسم به هذه النقابة من جمود وتخلف .. ومن هنا تأتى اهمية طرح هذه القضية بابعادها الحقيقية القوميه والنقابية .. خاصة واننا مقبلون على انتخابات القاعدة والقمه فى شهر ابريل .. مما يفتح فرصا للتغير والحركة .

الجذور التاريخية

يكاد جيل المعلمين فى يومنا ينسى كفاح أسلافه منذ مطلع القرن ، بل لعله يجهل الدور الرائد الذى قام به المعلمون فى الماضى فى نشاة الحركة النقابية والوطنية .. وليس الذنب ذنبه . فقد تحالف الاستعمار والرجعية على طمسه واخفائه . ويبدو ان النقابة فى نشأتها الجديدة لم تجد مصلحة فى احيائه .

فتاريخ الحركه النقابية يسجل جهود الحزب الوطنى فى اوائل هذا القرن ، فى اشاعة الوعى السياسى والنقابى ، ودور الحزب تحت زعامة محمد فريد بوجه خاص فى تشجيع المتعلمين والمثقفين على تعليم العمال وتنظيمهم فى نقابات . وعندما نشأت « نقابة الصنائع اليدوية » فى احضان هذا الحزب كان على بك ثروت « ناظر مدرسه الصنائع بالمنصوره » اول رئيس للنقابة واسماعيل زهدى المحامى أول سكرتير لها «١»

ولكن ثوره ١٩ هى التى دفعت فى عروق الحركه النقابية العماليه والمهنيه بدمائها الحاره . فقد كان دور العمال والمثقفين ، خاصه من الطلبة والمدرسين والمحامين ، بارزا فيها ، واصبحت مدرسة المعلمين العليا القديمه مركزا من مراكزها ، وقام خريجوها بدور باهر فى حركة الاستنارة التى صاحبت هذه الثورة ، وكذلك كان دور معلم الاولى والالزامى فى الريف . وقد شهدت سنة ١٩١٠ تأسيس « نقابة رؤساء ومعلمى المدارس الاوليه بمجلس مديريه القليوبية ونقابة رؤساء ومعلمى المدارس الاميريه بالقاهرة ونقابة « معلمى المدارس الاولية بمديرية البحيرة »«٢»

وفى فبراير سنة ٢٣ صدر العدد الاول من صحيفة المعلمين «٣» وهى لسان حال نقابة المعلمين نطالع فيها صفحات مشرقه بأقلام المعلمين

[١] تاريخ الطبقة العاملة المصرية ١٩١٩ — ١٩٢٩ = امين عز الدين ص١١٧
[٢] المصدر السابق ص ١٠٢

الذى حمل مسئولية نشر أفكار الاستنارة والتقدم والثورة من امثال فريد ابو حديد ومحمد بدران ومصطفى مشرفة واسماعيل القبانى والشيخ مصطفى السقا وعبد الرحمن شكرى .. وغيرهم

وتضطلع النقابة وصحيفتها بدور وطنى بارز وقد اعتقل نقيبها عاطف بركات وعضو مجلس ادارتها مكرم عبيد ، ونفيا مع سعد الى سيشل . وقد شاركت النقابة بمجسمها فى استقبال سعد بعد عودته من المنفى ، ويحيى مجلس النقابة فى ٢٢ يونية سنة ٢٣ وزير المعارف لتعيينه مصرى فى وظيفة المفتش الاول . ولا تقف النقابة مكتوفة الايدى أمام العدوان على حقوق الشعب وابناء الامة فقد شجعت مشروع ديور لزيادة المصروفات المدرسية ، ولا تتخلف عن دعم وحدة عنصرى الامة فقد كلفت نقيبها بمقابلة وزير المعارف فى شأن تخطى الوزارة للمدرسين الاقباط فى الترقيات الى نظارة المدارس .

أما صحيفتها كانت منبرا لمبادىء الحرية والديموقراطية والتقدم كما عبرت عن فهم مستنير للدين والتراث . فنطالع فيها مقالات الشباب التى تنبض بتطلعات العصر « الحب والرغبة بدل الخوف والرهبة فى دور التربية والتعليم » « السلطة والحرية » ـ« البرلمان الانجليزى » « اللورد فرانسيس يكون حياته وفلسفته » « ما وراء الذرة « بزوغ الذكاء الانسانى من الوحشية حتى الانسانية » ـ « منشأ اللغات » ـ « الحياة العلمية فى اكسفورد » كما تشغل بقضايا الاصلاح فى التعليم ونقد المناهج والكتب وتدعو الى توحيد التعليم الابدائى والالزامى تحقيقا لمبادىء الديمقراطية .

وكذلك تزخر نفس الفترة بكتابات طه حسين وغيره فى جريدة السياسة «٤» يدعو فيها الى اصلاح التعليم ، استقلال التعليم العالى وانشاء الجامعة الحكومية ، كما يدين سياسة دنلوب ويدعو الى انصاف المعلم « هل انصف المعلمون؟» ويهاجم « العبث بالعلم والتعليم والمعلمين » ويرى ضرورة اشراك المعلمين واستشارتهم فى شئون التعليم .

هذه الحركة النقابية والفكرية المزدهرة فى ظل الدستور وانتصارات الثورة الوطنية ، لم يكن ليسكت عنها الاستعمار ، فما ان قتل السردار فى ١٩ نوفمبر سنة ٢٤ حتى أطيح بوزارة سعد وتولت وزارة ديور الانقلابية والعميلة وبادرت بفتح المعتقلات واصدرت القوانين والمراسيم الكفيلة بخنق الحريات فعدل قانون العقوبات سنة ١٩٢٥ بتشديد العقوبة على الصحف والنشر وفصل على عبد الرازق بسبب كتابه «الاسلام وأصول الحكم»

وصدر قانون الجمعيات والهيئات السياسية فى أكتوبر سنة ٢٥ ويقضى بحل كل جمعية أو هيئة سياسية لا تخطر جهه الادارة بمقرها وأسماء اعضائها ومجالسها ولا يعترف بالشخصية المعنوية الا للجمعيات التى يصادق على قانونها النظامى فى مرسوم ملكى .

وفى خضم هذه الهجمة الضارية على الحريات السياسية والنقابية والفكرية ضاعت نقابة المعلمين واختفت «صحيفة المعلمين» ولم يسمح الاستعمار والسراى للمعلمين ابدا بتكوين نقابة لهم وفى ظل غيبة النقابة وحرمان المعلمين من حق التنظيم النقابى تشكلت فى الثلاثينات والاربعينات جمعيات طائفية وفئوية مثل جمعية المعلمين ونادى خريجى دار العلوم ورابطة التعليم الالزامى والتعليم الحر وخريجى معهد التربية والازهريين وانحصر كفاح المعلمين فى الاطار الاقتصادى والفئوى والطائفى بأضيق معانيه ، وبمعزل عن الحركة السياسية والوطنية ، وتفاقمت التناحرات الطائفية بينهم وكان هذا ما يريده الاستعمار والسراى لابعادهم وحجب تأثيرهم وتاثرهم بتيارات الثورة الوطنية الديمقراطية ولكن موجة الثورة الوطنية والتقدمية بعد الحرب الثانية جذبتهم من جديد وكان المعلمون دائما على رأس طوائف المواطنين دائمة فى المطالبة بتحسين الاحوال وبالانصاف و « التعزيز » ولكن مطلب النقابة ظل هو المطلب الملح والذى يرددونه فى كل مناسبة حتى تحقق وصدر قانون النقابة سنة ٥١ بعد ازاحة أحزاب السراى وعودة الوفد وبفضل جهود وزيرهم حسين تحت ضغط اضراب دام ٢١ يوما وهو أطول اضراب فى تاريخ المعلمين .

وما ان احترقت القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ٥٢ واطيح بحكومة الوفد واستعادت السراى والاستعمار بالزمام حتى بادرت بوقف تنفيذ القانون الوليد ، وغابت النقابة من جديد مع انعكاسة الحركة الوطنية وغيبة الديموقراطية .

منطق الوصاية وحكم الفرد

قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وقوبلت بالفرحة والتأييد من الجميع ، واستبشر المعلمون خيرا وعاودهم الامل فى أخراج قانون نقابتهم المعطل الى حيز التنفيذ بعد ازاحة السراى ، ولكن الغريب ان الثورة تباطأت وظلت تماطل ، وظل المعلمون يلحون .. وتحت الضغط الشديد والتهديد بالاضراب نفذ القانون سنة ٥٥ . والامر لا يحتاج الى جهد كبير فى التفسير . فقد حسم الصراع بعد أحداث مارس سنة ٥٤ بين القوى الوطنية المتطلعة الى الديموقراطية والتى كانت تتمثل فى الجزء الغالب من الحركة العمالية والنقابية والمهنية

---

[٣] اعداد « صحيفة المعلمين »ص ٢٣ — ٢٤ — ٢٥

[٤] جريدة السياسة سنة١٩٢٣ اعداد ١٠ — ١٢ — ٢٦ اكتوبر — اول نوفمبر ٥ — ٢١ — ٣٠ — ١٠ ديسمبر ١٣ — ٣١ — ٢ يوليو — ٥ — ٦ — ١٠ الخ

والمثقفين ، وتلك الاقسام الاخرى من الوطنيين والضباط الاحرار والتى لا تثق ب حركة الجماهير وتؤمن بالاصلاح من أعلى وبمنطق الوصاية على الشعب ومفهوم الحاكم المستنير العادل .. حسم لصالح هذه القوى الاخيره وكان وزير التربية والتعليم وعضو مجلس الثورة البارز **كمال الدين حسين** بفكره المحافظ والرجعى خير ممثل لهذه الفلسفة ، وهذا المنطق الرافض للديموقراطية ولحركة الجماهير . وقد مارس فلسفته وتسلطه الفردى فى حقل التعليم وغير التعليم حتى الرمق الاخير ، والحق بها اضرارا لا تحد

ان كمال الدين حسين وبمنطق الوصاية والتسلط والحكم من أعلى واجه في حقل التعليم امرين : الحركة الطلابية والشبابية بتاريخها النضالى العريق وحركة المعلمين . اما الاولى فقد ابتدع لها نظام الفترتين والاساليب البوليسية للامساك بزمامها وتطويقها والاخرى تحت الالحاح الشديد ، استجاب لمطلبها فى تنفيذ قانون النقابة ولكن بعد ان جرده من مضمونه الديمقراطى تماما ، وحوله الى مسخ وتابع ونصب نفسه فى يد الحاكم الفرد والوزير النقيب فى نفس الوقت وقد استفاد من الثغرات فى قانون النقابة ومن سمات الطائفية والفئوية العريق بين المعلمين واستعان بسائر القيادات تخلفا ورجعيه ونفعيه .. وبدا فى الظاهر ان هناك طائفة من المعلمين هى التى تستبد بالنقابة . وتوهم المعلمون خطأ ان النقابه تسخر لطائفة دون غيرها . ولكن حقيقة الامر ان القيادات المحترفة والانتهازية كانت تلعب بالجميع وتسخر النقابة لمصالحها الضيقة .. اما النقابة فلم تكن لتمثل احدا سوى القائمين عليها .. والمتسلطين باقدارها واقدار المعلمين ..

هذا لا يحجب من شىء الانجازات الضخمة فى حقل التعليم فى سنوات الثورة سواء فى مجانية التعليم ، أو فى التوسع الكمى وفى الانتشار الواسع للتعليم غير المسبوق . ولكن افتقاد الحركه المنظمة للمعلمين ، وغلبة السلبيه والعزلة عن مجريات الاحداث القومية والسياسية والفكريه .. كنتيجة مباشرة لسيادة منطق التسلط والقهر ادى الى اوخم النتائج . فد أفسح المجال لاشد الافكار والقيادات رجعية وتخلفا ، سواء فى النقابة او المراكز القيادية فى الوزاره كما عزل الحركه التعليمية فى اطار فئى ضيق بعيدا عن نبض الحركة الثورية والانجازات الكبيرة فى الحقل الوطنى والتقدمى وقضى على المبادرات الخلاقة لكتلة المعلمين وهو الامر الذى لا غنى عنه فى البلدان الفقيرة التى تفتقر الى الموارد والامكانيات ولا يعوض القصور بجبها سوى تمنى البشر [illegible]

أرقام .. وحقائق

لا يعرف احد حقائق الارقام والخبايا برغم الميزانيات المعلنة ، حيث تتسلط فئة محدودة للغاية لا تتغير ولا تتحول سوى بالموت وحده ، وتتوارث المناصب النقابية والاسرار .. ولكن المعلمين يعرفون الحقيقة كاملة من خلال النتائج والاثار ..

فاعضاء النقابه يصلون الى حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ يدفعون اشتراكا سنويا قدره ٣ جنيهات توزع بين صندوق المعاشات والنقابة ومجلة الرائد ، يضاف اليه نصف صافى العلاوة السنوية فى الشهر الاول لمجموع المعلمين ، ثم حصيلة تمغه النقابة والتى تفرض على كل شكوى لمعلم - وما اكثرها - وكل التماس او طلب ، وعلى كل ورقة مدرسية فى غير التعليم الابتدائى او بشهادة عامه . وكذلك حصيلة الجزاءات وايجار فندق البرج وارباح السندات والاسهم فلا يصعب تقدير الدخل الكبير الذى يهدر ويبدد .

اما الارقام المعلنة فتقول من واقع ميزانية سنة ٧٣ على سبيل المثال :

مجموع الايرادات غير صندوق المعاشات والمجلة ٨٨٦ر٢٢٨١٦٠ .

نصيب النقابات واللجان الفرعية منها ٩٦٥١٤ر٠٤٠ اى حوالى الثلث اما الثلثان الباقيان ففى جيب النقابة العامة .

وبينما كانت مكافات تحصيل الاشتراكات ١١٥٦٧ جنيها والمصروفات الادارية ٦٢١ر١٥٦٠٥ جنيها والاهلاكات ٩٤٥ر٢٩٧٨٦ جنيها فقد كان نصيب الرعاية الصحية ٦٠٠٠ جنيه ومساهمات النقابة فى مشروعات الاسكان ١٠ر٠٠٠ جنيه ومعونة النقابه للحج ٥٠٠٠ جنيه . فاذا ترجمت هذه الارقام الى الواقع فلا خدمات صحية تذكر ، ولا سكن ولا خدمات اجتماعيه .. لا شىء على الاطلاق .. على المعلم ان يدفع دون مقابل !!

اما المعاش فلا يتعدى ٥٠ جنيها تصرف عند الاحاله على المعاش و ٥٠ أخرى بعد الوفاة ومعاشات هزيلة لورثة من يقضون اثناء الخدمة .

ويبلغ رصيد الرائد أكثر من ٤٠ر٠٠٠ جنيه والمفروض انها تطبع وتوزع على جميع المعلمين ولكن الطابعين والمعلمين كلاهما لا يهتم بالحصول على نسخة منها . فهى من حيث الشكل والمضمون تنتمى الى عصر غير عصرنا ، وتثير النفور بما تحتويه من مقالات انشائية وفكر رجعى متخلف .

كفاح المعلمين متصل

ومع ذلك فان كفاح المعلمين لم يتوقف برغم ما أصاب الكثيرين من يأس وسلبية .. فبعد اندحار

العدوان فى ٥٦ وتعاظم المد الديموقراطى فى السنوات التالية والحريات النسبيه التى توفرت بفضل مشاركة الجماهير الشعبيه فى هزيمة العدوان — فى هذه الفترة أيضا عاود النشاط النقابى ، وامكن هزيمه العديد من القيادات التقليدية والرجعيه فى المرحلة الاولى من انتخابات سنة ٥٩ والتقت جماهير المعلمين فى العديد من المناطق حول برامج نقابيه وحدت صفوف المعلمين وكانت كفيلة باحداث تغييرات بعيده فى الهيكل النقابى ، لولا الهجمه الشرسة ضد العناصر الوطنيه والديموقراطية تحت سلم مكافحة الشيوعية ، وكان نصيب المعلمين فى حملة الاعتقالات وافرا وفصل منهم بجرة قلم . وبالقرار الجمهورى الشهير رقم ٥٧١ العشرات .

وفى سنة ٦٤ عاود المعلمون النضال من اجل تصحيح الاوضاع فى نقابتهم .. وقاد الحركة مجموعة من الشباب المتحمس ، التفت حولهم جموع المعلمين .. ولكنهم فصلوا جميعا بجره قلم من الوزير النقيب !!

الوضع الراهن .. واصلاح النقابة

جذر القضية لا يكمن فى نقابة المعلمين فى ذاتها ، ولا حتى فى اشخاصها .. فنقابة المعلمين لا تخرج عن كونها جزءا من جسم التنظيم النقابى العمالى والمهنى فى عمومه .. والاوضاع السائدة فيها تحمل كل بصمات تاريخنا الحديث . ولا شك أن منطق الوصايه والتغيير من اعلى وتبعية التنظيم النقابى لهيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ثم الاشتراكى بالاضافه الى الاجهزة الاداريه والدولية ، قد الحق اشد الاضرار بالحركة الجماهيرية والسياسيه .. وليس هناك من سبيل الى التغيير سوى أن تسترد الجماهير وقواها الوطنية حرياتها الاساسيه النقابية والسياسية ، وحقها فى التعبير والتنظيم والحركة .. ولا يعنى هذا مجرد الحق فى التصايح أو التنفيس او ممارسة الكلام بلا جدوى ، كما يحاول البعض ان يزيف معانى الديموقراطيه ، ولا الاندفاع وراء مطالب فئوية وطائفيه ضيقه دون مسئوليه . بل الحق فى التعبير بحريه ومسئوليه والتجمع والتنظيم الحر دون وصاية أو تسلط ، والقدرة الفعليه على الحركة من اجل الدفاع عن المصالح الحقيقية والمشروعة للفئات والطبقات الوطنية .

وقد استفادت الانتهازيه النقابية فى داخل صفوف المعلمين من مظلة السلطه والحماية التى وفرتها لها اجهزة القمع ، واستغلت الثغرات فى القانون بصورته الاولى كما صدر فى سنة ٥١ حيث كان يقسم النقابه الى فئات تكاد تكون طائفية « أ » « ب » « جـ » وأجادت لعبة الطوائف فأوهمت البعض بأن النقابة لخدمة فئة دون غيرها ، وضربت هذا بذاك ، وفتتت الصفوف ، وبذلك ضمنت سيطرتها . وقد حاول الدكتور **حلمى مراد** أثناء ولايته لوزارة التربية اصلاح القانون ، وهو ما عجل باخراجه من الوزارة ، وقد عدل القانون بالفعل واصبح التصنيف النقابى على أساس المراحل والنوعيات التعليمية لا الشهادات ولا الطوائف . ولكن القيادة النقابية القائمة وهى مركز قوة حقيقى استطاعت تعديل المشروع المعروض أثناء نظره وسلبته كل مضمونه عن طريق تغيير نسب التمثيل وبذلك ضمنت بقاء الطائفيه حفاظا لمصالحها ومصالح المجموعة العتيقة المسيطرة .

ولذلك فلابد من اصلاح قانون النقابة ذاته بحيث ينزع سلاح الطائفية من يد النقابيين المحترفين ، ولابد أن تتساوى جميع الفئات والنوعيات فى حق التمثيل من القاعدة الى القمه ، لان مصالحها جميعا واحدة تماما ، وحتى تتعلم التآخى والتآزر ، وتتبين مصالحها الحقيقية فى نبذ الطائفية التى لا تفيد احدا ، والتى تسلم النقابة فى نهاية الامر لمجموعة ضيقة من المنتفعين والمحترفين الذين لا يرعون شيئا سوى مصالحهم الشخصية . وكذلك لابد أن يؤخذ ببعض المبادىء والنظم المتبعة فى النقابات المهنية الاخرى مثل انتخاب النقيب من القاعدة مباشرة عن طريق التصويت المباشر فى المحافظات .

أما الاصلاح السريع فطريقه ابعاد سيطرة الرئاسات على كافة المستويات من الوزير الى المدير الى مفتش القسم . وابراز عنصر المعلم العامل بالفعل ، ودفعه الى القيام بدوره النقابى .. ونبذ الطائفيه عن طريق التوحد حول برنامج نقابى يجمع الصفوف حول المطالب الاساسيه . حق المعلمين فى المساواة والعدل مع غيرهم وتطوير الخدمات النقابية الصحية والاسكانيه والاجتماعيه ، وضروره اشراك المعلمين عن طريق ممثليهم الحقيقيين فى رسم سياسة التعليم ، وتمثيلهم فى مجالس التعليم العليا والدنيا وفى لجان شئون العاملين والتنسيق والتسويات والشكاوى ، ضمانا للرقابة العماليه وهو الحق الذى كفلته معظم النظم النقابية المتقدمة فى الشرق والغرب «٥» .

لقد اصبحت النقابة بوضعها الراهن حجر عثره ، ومصدر قلق وتوتر ، وعائق يحول دون المعلمين والمشاركة الايجابيه الفعاله فى الاصلاح التعليمى وفى قضايا الامة وهمومها .. من اجل التغيير والتقدم ■

(٥) Teachers and educ, Policy Unesco.

☐ شغلت قضية الحوار بين غرب اوربا وبين البلاد العربية ـ ولا تزال تشغل ـ بال كل القوى السياسية والاجتماعية العربية التى تهتم ببناء علاقات بين الدول الراسمالية المتقدمة صناعيا وبين البلاد العربية . السؤال هنا : كيف تؤسس هذه العلاقات على اسس صحية وسليمة مع تعزز قضية دعم الاستقلال الاقتصادى للبلاد العربية وعلى اساس علاقات اقتصادية جديدة متحررة تضمن للشعوب العربية السيطرة على ثرواتها الطبيعية واستيراد التكنولوجيا بافضل الشروط . واذن فجوهر العلاقة مع بلدان الغرب الراسمالى هو انه اذا كان الحوار مطلوبا فيجب ان يتم بالاستناد الى وسائل القوة التى تمتلكها البلاد العربية :

فهو اذن حوار من ناحية ، وهو من ناحية اخرى مواجهة اى اصرار على تغيير المفهوميات الاقتصادية الدولية الاستعمارية من ناحية اخرى .

التنمية العربية ..
حوار ومواجهة

محمد ناجى

لم يعد مقبولا عند التعرض لموضوع التنمية العربية ان نقصر المناقشة على العوامل المحلية من قصور الاطارات الفنية والاجتماعية العربية عن استيعاب المتغيرات التكنولوجية والادارية والثقافية اللازمة لاحداث التنمية (*)

لم يعد مقبولا ان نتوقف كثيرا عن مناقشة ومعالجة هذه العوامل دون التركيز على بحث ومعالجة العوامل الخارجية المتعلقة بالنظام الغربى ، ونظام التسعير والتبادل فى العالم ، والنظام المالى الدولى ، هذه النظم التى عملت ـ ومازالت ـ على ابقاء التخلف واعاقة تنمية الوطن العربى وغيره من البلدان الاقل نموا . لذا يجب التركيز على تلافى الاثار السلبية التى تمارسها هذه النظم .

فالان ، وبعد مضى أكثر من العامين على حرب أكتوبر ٧٣ ، وما نتج عنها من سياسات بترولية أدت الى ارتفاع المقابل المالى الذى تحصل عليه الدول العربية النفطية ، أصبح واضحا أن دول النظام الغربى تحاول أن تعوق الدول العربية وتمنعها من استعادة حصة مناسبة من عوائد البترول ومساهمته فى العملية الإنتاجية بعنصر من أهم عناصرها . وبدأت تتكشف للعرب ، ليس فقط حقيقة أن الغرب المتقدم من خلال التنظيم الاقتصادى العالمى الحالى ينهب ثرواتهم ، وانما تكشفت لديهم أيضا ـ وهذا مهم ـ كثير من السياسات والوسائل التى يتبعها الغرب لتحقيق ذلك .

● اصبح واضحا ـ الان ـ ان موجات التضخم فى دول النظام الغربى لها دور كبير فى امتصاص **البترودولارات** وغيرها من عملات المواد الخام . وقد قدرت الدوائر النفطية نسبة الافقار الناجم عن التضخم فى اقتصاديات **دول الاوبك** بنسبة تزيد على ٣٠ فى المائة خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٥ وهى الفترة التى جمدت فيها دول الاوبك أسعار البترول ومنعتها من التصاعد .

وتاكد الان أن سياسة تسعير النفط لم تكن السبب فى موجة التضخم الاخيرة فى النظام الغربى . وانما كانت فقط أحد الدوافع التى حدت بالاقتصاديين الغربيين الى انتهاج اسلوب التضخم فى محاولة لامتصاص الاثر الحقيقى لزيادة أسعار النفط . هذا بالاضافة الى العديد من الاسباب الاخرى التى كانت تحتم موجات التضخم المتتالية التى شهدها النظام الغربى ، وهى أسباب ودوافع خاصة بأوضاع النظام ذاته مثل تغير الاوزان الاقتصادية الحقيقية لاعضاء النظام . مما استدعى تقويم ورفع قيمة الين والمارك الغربى وخفض الدولار والاسترلينى كتعبير عن الوزن الاقتصادى الحقيقى لليابان والمانيا الغربية وتدعيما للدور الاقتصادى الذى تمارسه كل منهما

داخل النظام الغربي ومعه تجاه باقي دول العالم ومجموعاته الاقتصادية .

● وواضح أن اتجاه البترودولارات العربية للتخزين في شكل حوافظ مالية غربية سندات وزارات المالية وأسهم وسندات الشركات وملكية العقارات وودائع البنوك . هو اتجاه مرضي عنه ومشجع من قبل السلطات والدوائر الاقتصادية في النظام الغربي - رغم ما قد يثار من مخاوف واعتراضات - لان غاية ما يسببه هذا السلوك العربي من مضايقات هو مزيد من الرقابة والتوجيه للاسواق النقدية والمالية داخل هذا النظام . ويؤكد أحد الكتاب الغربيين هذا الاتجاه بقوله : « ان **ازمة الطاقةان تكون في المستقبلازمة في الموارد المتاحة بقدر ما هي مشكلة مالية** » .

● ويتفقخبراء ورجالالاقتصاد العرب على أن بيع النفط لدول الغرب ما هو الا تسييل لثروة قومية بلا مقابل اللهم الا أوراق نقد هي في تدهور مستمر .

● ومن المؤكد الان أن الصمت السياسي الذي يقابل به النظام الغربي قيام بعض الدول العربية بتاميم أو شراء حصص الشركات العاملة في انتاج النفط العربي ، انما ينم عن رضاهذا النظاملان ذلكيؤدي الىامتصاص قدر ليس قليلا منالحقوق التي تترتب لدول النفط بموجب الحوالات المالية التي يتلقونها لقاء نفطهم . والتأميم أو الشراء ما هو الا نقل أسمى لملكية عملية الانتاج مادام النظام الغربي مازال مسيطرا عليها سواء بكوادره الفنية أو مادامت الدول المنتجة مازالت غير قادرة على التصرف في نفطها الا ببيعه للغرب الصناعي . وتأكد أن النظام الغربي كاستجابة لرغبة الدول النفطية في التصنيع يحاول تصدير الصناعات التي تسبب قدرا كبيرا من تلوث البيئة، وكذلك الصناعات التكميلية المساعدة للقاعدة الصناعية الرئيسية في الغرب كالصناعات البتروكيماوية وصناعة نقل البترول وتكريره .

ولم تعد هذه الغايات والاساليب - الى حد ما - سرا يحرص النظام الغربي على المحافظة عليه ، ففي دراسة لبنك « مورجان جرانتي تراست » يرى خبراؤه : « **انه بالرغم من أن الدول العربية انفقت من عائدات النفط خلال العام الماضي ١٩٧٤ مبالغ تفوق كثيرا المبالغ المقدرة من قبل ، وبالرغم أيضا من تزايد الاحتياطيات العربيه من العملات الاجنبيه ، بالرغم من ذلك فان نظام النقد العالمي رغم متاعبه العديده مازال قادرا على تقنيه وتوزيع الاموال المتدفقة على دول أوبيك دون أن تسبب عواقب سيئة على بلدان العالم الغربي** » .

وبالفعل ؟ نجح النظام الغربي تماما في جذب عوائد البترول العربي في سنة ١٩٧٤ ، فمن بين مائة مليار دولار هي ثمن النفط العربي خلال هذه السنة ، وصرفت الدول العربية ٤٠ر٠ مليارا لشراء واردات معظمها من الغرب الذي ارتفعت أسعار سلعه بمعدلات وصلت الى ٣٠.٠ في المائة ، هذا بالاضافة الى ٦ مليار دولار حصلت عليها الولايات المتحدة في شكل سندات الخزانة ، وأربعة مليارات وكان نصيب بريطانيا ٧ر٥ مليار دولار ، أما باقي ودائع في البنوك ، ومليار أسهمشركات أمريكة ، غرب أوربا والدول المتقدمة فقد كان نصيبها ٢١ مليار دولار ودائع في المصارف وخمسة مليارات ونصف قروض للدول ، وآل الى البنك الدولي٣ر٥ مليار ، هذا بينما لم يزد ما حصلت عليه الدول النامية من قروض ومساعدات عن ٢ر٥ مليار دولار ، أي ان النظام الغربي حصل على ٥٠ في المائة من حصيله عوائد البترول العربي فيشكل

قروض غير قابلة للسداد .

بفعل التضخم من جهة ..

ولتدهور قيم العملات من جهة أخرى ..

ولعجز العرب عن استثمارها من جهة ثالثة ..

ولضعف الدائن وقوة المدين من جهة رابعة ...

و .. و .. و .. من جهات متعددة .

فقط هذه القروض قابلة - **وفي حدود - للتحول** بواسطة مقرضيها من دولة الى أخرى داخل النظام الغربي ، وهذا التحويل يكون صوريا اذا حدث . لان اعادة التحويل التي يجريها أقطاب النظام الغربي تلغي أثر التحويل الذي يقوم به المقرض .

وحصل النظام الغربي على هذه القروض فضلا عن أرباح صادراته الى الدول النفطية بينما لم تحصل الشعوب النامية الا على ٥ر٢فيالمائةمن عوائدالنفطفيسنة١٩٧٤ .

ورغم وضوح الرؤية لدى دول النفط - كما ظهر في قمة أوبك - سواء في خطاب الافتتاح للرئيس بومدين أو في بيان المؤتمر الختامي ، رغم هذا عملت الدول الغربية على فشل المؤتمر التحضيري للطاقة بباريس بشتى المناورات .

فما هي الغايات الحقيقية للنظام الغربي ؟

ولماذا ينتهج هذه الاساليب والوسائل

وبالتحديد لماذا يحاول النظام الغربي اعاقة الدول النفطيه والدول الناميه وتمنعها من تنفيذ برامج جادة للتنمية الاقتصادية ؟

بدون التعرض للعوامل السياسية ، فان جوهر العامل الاقتصادي هو عملية تخصيص الموارد التي

تحت سيطرة النظام الغربي ؟ ذلك أن هذه الموارد طاقة ومواد خام وتراكمات رأسمالية وتطبيقات تكنولوجية حديثة ، وعقول وخبرات بشرية ، هذه الموارد ـ بالنسبة لفترة زمنية معينة ـ محدودة ، وبالتالي فان ناتج العملية الانتاجية على مستوى دولي محدود ومحسوب بالنسبة لذات الفترة الزمنية ».

وهنا تكمن المشكلة «..

فدول النظام الغربي الصناعي ـ وفي كل وقت ـ تحرص وتسعى للحصول على أكبر قدر من عائد العملية الانتاجية الدولية المرتبطة بالنظام الغربي «.

فبافتراض امكانية قياس الناتج الدولي المرتبط بالنظام الغربي بمائة وحدة قياسية من السلع ، منها ٧٠ وحدة قياسية من سلع الاستثمار س، ٣٠ وحدة قياسية من سلع الاستهلاك ص ، فان الانسب للنظام الغربي الرأسمالي أن يوزع هذا العائد بحيث يستأثر أقطاب هذا النظام بمعظم الوحدات الاستثمارية ويوزع الباقي على الدول المنتجة للمواد الاولية ، بحيث تراعي احتياجات هذا النظام : مثل استثمارات انتاج البترول وتكريره في الدول النفطية ، وكذلك الحال بالنسبة للسلع الاستهلاكية .

أي أن الغرب يحرص على أن يكون نصيبه من سلع الاستثمار هو : ٧٠ س ـ ا س .

وكذلك نصيبه من السلع الاستهلاكية هو ٣٠ ص ـ ب ص.

حيث ا نصيب الدول النامية من سلع الاستثمار ومن الممكن أن يؤول الى الصفر الا اذا كان ضروريا للعالم المتقدم كاستثمارات البترول . وحيث ب نصيب الدول النامية من سلع الاستهلاك وتتناسب كميتها مع كل من احتياجات الرفاهية في العالم الغربي وضرورات المحافظة على العلاقات والاوضاع القائمة في الدول الاقل نموا ».

والمشكلة على هذا النحو مستمرة في كل وقت . فبمرور الزمن وتكرار الدورات الانتاجية يتزايد المتاح للاستعمال من الموارد بكافة صورها على المستوى العالمي ، ولكن تتزايد أيضا رغبة الدول المتقدمة في مزيد منها . ذلك أن الطموح نحو التقدم لا يقف عند حد ومزيد من التقدم يحتاج الى مزيد من الموارد ، ولذلك يعمل النظام الغربي للمحافظة على نفس نسب توزيع عوائد الدورات الانتاجية على الدول المرتبطة به بحيث تحظى الدول الغربية بنصيب الاسد من السلع وخاصة السلع الاستثمارية .

الحوار أم المواجهة :

ازاء هذا يدور النقاش العربي حول أيهما أجدى للحصول على حقوق العرب .. الحوار أم المواجهة

ـ الحوار للوصول الى صيغة للتعاون العربي ـ الغربي .

ـ أم المواجهة الايجابية لاقتناص الحقوق العربية المسلوبة .

لتحديد نقاط الحوار أو مواقع المواجهة ، يلزم الادراك والفهم العميق للمتغيرات الاقتصادية ، وكذلك المتغيرات العلمية والسياسية المؤثرة على العلاقات الاقتصادية ، يجب ادراك هذه المتغيرات بأدق تفاصيلها وليس مجرد الاقتناع الصامت بأن حرب اكتوبر ٧٣ والاستخدام الجيد لسلاح النفط قد وضعا العرب في مصاف القوة العالمية السادسة ،هذا القول والوضع كان لحظيا ومرتبطا بكل العوامل والظروف والنتائج التي توفرت وقتها، وتغيير هذه الحقيقة الكامنة الساكنة الى حقيقة متحركة فاعلة يبدأ بالفهم العميق للمتغيرات العلمية والاجتماعية المؤثرة في العلاقات الاقتصادية ، ويستلزم جهدا مكثفا من خبراء ورجال الاقتصاد .

● **أول هذه المتغيرات وأهمها هو التغيير** الناشيء عن النمو التكنولوجي والمؤدي الى الاستغناء عن الطاقة البيولوجية بشرية وحيوانية والاحتياج المستمر الى مزيد من الطاقة الاستخراجية ، بحيث أن العملية الانتاجية الحديثة بما تعنيه من وفرة الناتج وجودته لا يمكن أن تتم بغير وحدات كثيرة من الطاقة الوقودية والاستخراجية، وهكذا تبدل موقع الطاقة وأصبحت عنصرا أساسيا في المعادلة الانتاجية الحديثة التي تغيرت من :

التنظيم زائد المواد الخام زائد رأس المال زائد العمل طاقة عضلات الانسان والحيوان .

الى :

الانسان مفكرا ومشرفا على الالة زائد المواد الخام زائد التراكم الرأسمالي زائد التكنولوجيا الحديثة زائد الطاقة.

وبذلك ارتفع البترول من مجرد مادة خام أو حتى سلعة استراتيجية ـ قد يمكن الحصول على بديل فوري لها ـ الى مقوم أساسي في العملية الانتاجية يمنح المعادلة الانتاجية أحد عناصرها .

واذا كان العرب اقتصاديا يمكنهم حتى الان التأثير في النظام الانتاجي الغربي أن سلبا أو ايجابا لان البترول يمثل نحو ٥٠ في المائة من

مصادر الطاقة فى العالم والبترول العربى يمثل ٧٥ فى المائة من البترول المصدر وهو يمثل ٥٠ فى المائة من مصادر الطاقة فى غرب أوربا و ٢٥فى المائة من مصادر الطاقة العالمية ، الا أن هذا الوضع لن يستمر طويلا كما كان مقدرا قبل الاحساس بأزمة الطاقة فى أعقاب أكتوبر ٧٣ . لن يستمر هذا الوضع طويلا نظرا لما بدأت تتبعه دول الغرب من برامج وسياسات الطاقة التى تعجل بتحقيق **الاستقلال الذاتى فى الطاقة** او على الاقل تجعل من سياسة الحظر أمرا ممكنا احتماله بحيث يبتعد احتمال الخنق البترولى ، وذلك اقتصاديا من خلال ثلاث طرق .

١ — الاسراع فى تنمية البدائل : سواء البدائل النوعية كالطاقة النووية والكامنة والشمسية وغيرها، وهذا لتحقيق الاستقلال الذاتى على المدى الطويل نسبيا، أما سياسة تنمية المواقع البترولية البديلة كبحر الشمال والولايات المتحدة والاسكا فهى سياسة المدى القصير لمحاصرة سياسة الحظر وتقليل أثرها ، وستحقق تنمية المواقع الاستقلال الذاتى فى بريطانيا خلال خمس سنوات ، وهذه السياسة يلح عليها الرئيس فورد فى محاولته لدعم المستكشفين والمنتجين داخل الولايات المتحدة بمنحهم اعانة غير مباشرة بالسماح ببيع انتاجهم بسعر يوازى السعر المرتفع للنفط المستورد بعد زيادة الضرائب عليه بواقع دولارين للبرميل ، وبذلك يرتفع ثمن البرميل المنتج محليا الى حوالى ١٢ دولارا أى تكون الاعانة بواقع ١٠٠ فى المائة . وهذا بالطبع يعمل على تحويل النشاط الاستكشافى والانتاجى للنفط الى داخل الولايات المتحدة والنظام الغربى ، هذا بالاضافة الى ما يمكن اتباعه مع الشركات من اساليب التمانية لمواجهة تكاليف العمالة الغالية داخل النظام الغربى .

٢ — الاحلال السريع للالات الالكترونية محل الالات الميكانيكية ، ويؤدى استعمال هذا النوع الى وفر كبير فى وحدات الطاقة المستخدمة ، هذا فضلا عن وفر فى كميات المعادن المستخدمة فى صنع الالات الميكانيكية نظرا لما توفره الالة الالكترونية من حجم الجهاز الميكانيكى اللازم للتشغيل ، وتوجيه هذه الوفورات لاستثمارات راسمالية تساعد على التخلص من مأزق الطاقة .

٣ — التقشف فى بعض المجالات الاستهلاكية كصناعة السيارات وتوجيه الوفورات التى تحدث فى المواد الخام والطاقة أيضا الى المجالات الاستثمارية التى تعجل بالتخلص من مأزق الطاقة .

وينتج بالفعل عن هذه الاساليب وفورات فى الطاقة المستخدمة فى غرب اوربا تقدر بنحو ١٣ فى المائة عن معدل السنوات السابقة . ولكن هذا ارتبط باثر جانبى غير موافق اذ أدى الى تحقيق بطالة رفعت عدد العاطلين من ٨ مليون الى ١٢ مليون عاطلا خلال سنة واحدة .

وطبيعى أن الاثر النهائى الذى ينجم عن نجاح هذه السياسات ، على العرب ، يفوق كثيرا الاثر المباشر الحالى من نقص الطلب على البترول واضطرار الدول المنتجة اما الى خفض أسعاره الفعلية او خفض الكميات المنتجة . فالاسراع فى تغيير الاوزان النسبية لعناصر الانتاج يعجل بفكاك الغرب المتقدم من أزمة الطاقة بينما يظل التخلف العربى الى آجال يعلمها مصمموا الاستراتيجيات الاقتصادية .

● **متغير آخر من المتغيرات الاقتصادية** هو: تغير القوى الحاكمة لسوق المواد الاولية الاستراتيجية كخامات الحديد والنحاس والالومنيوم ، فبعد أن كانت القوة للمشترى تحول السوق الى سوق البائع ، وهذا التغير مرتبط أيضا بالنمو التكنولوجى ، وتوفر القدر الهائل من التراكمات الراسمالية ، مما جعل هذا البناء الاقتصادى العالمى فى غاية الشره للمواد الخام . فالالات قادرة باستمرار على استيعاب كميات ضخمة متزايدة من المواد الخام . ووسائل النقل تستطيع باستمرار نقل هذه الكميات الى مراكز التصنيع . وهذا الوضع الكيفى والكمى على عكس الحال فى بدايات الثورة الصناعية عندما كانت قدرة الالات ووسائل النقل منخفضة ومحدودة جدا فى استيعاب المواد الخام . وهكذا ارتبطت سوق المواد الخام ابان الثورة الصناعية بأنها سوق المشترى بينما الثورة التكنولوجية — حتى الان ترتبط اقتصاديا — بسوق للمواد الخام حيث يسيطر عليها البائع .

ومن حق الدول المنتجة للمواد الاولية توجيه ثرواتها لصالحها . وهى تستطيع ذلك اذا كانت قواعد وآليات سوق التنافس الحر الذى من المفترض ان التعامل الاقتصادى الدولى يتم فى ظل قواعده — هى المطبقة بالنسبة لكافة أعضاء المجتمع الدولى وغير معطل أثرها الايجابى بالنسبة للدول الاقل نموا . ذلك أنه اذا كان العرض مازال متاحا الى حدود كبيرة فى بعض المواد الاولية ، الآن الطالب أصبح شديد الالحاح فى طلبه . وتوقف أو نقص الامدادات من المواد الاولية الاستراتيجية يعنى تدهور نشاط الصانع . **وفى ظل النظام الدولى الحالى لتوزيع عوائد الانتاج العالمى تكون خساره الصانع الغربى أكبر بدرجة لا يمكن مقارنتها بخسارة بائع المواد الاولية ، فخسارة**

البائع تتمثل في بقائه على حاله بينما خسارة الصانع تأتى فى شكل متوالية هندسية من الخسائر ترجعه من الدرجة الاولى فى سلم الرقى الى أسفل الدرجات .

هذا التغير معروف لدى الاقتصاديين الغربيين. ولذا ، يعملون بسرعة على ايجاد بدائل المواد والعناصر الطبيعية . وهذا متاح الان بالنسبة للمواد العضوية ومركباتها فى ظل التكنولوجيا الحالية ، وان كانت تكنولوجيا المستقبل النووية وما بعدها تكنلوجيا القرن ٢١ ونحن الان فى نهاية القرن العشرين ستمكن الانسان من تخليق العناصر غير العضوية المعروفة وعناصر اخرى مستحدثة بتغيير الاوزان الذرية لبعض العناصر بمعاملات خاصة . وكذلك سيتيح التطور فى تكنولوجيا النقل جلب المواد الاولية عبر الفضاء الى الارض .

ورغم ما يبدو من تباعد المسافة الزمنية حتى يكتمل هذا التحول ، الا أنه يجب أن نتنبه اليه جيدا ونحن نعقد الامال على بقاء قيمة البترول باعتباره مصدرا للالاف من البدائل حتى مع زوال أهميته كمصدر أساسى للطاقة ، ذلك أن الامكانيات البديلة ستتضاعف فى المستقبل مع مزيد من التراكم الرأسمالى والتطور التكنولوجى .

● **تطور علمى تطبيق يؤثر ايجابا فى الاوضاع والعلاقات الاقتصادية** وهو التطور فى علوم الاحصاء والحساب نتيجة للنمو والتوسع فى الحاسبات الالكترونية المتقدمة العقول الالكترونية وبنوك المعلومات ، ووسائل تخزين المعلومات من أشرطة ممغنطة وكروت مثقبة وميكروفيلم وهذا يضع كافة المعلومات الاقتصادية وغيرها أمام مصممى الاستراتيجيات الاقتصادية وقتما يرغبون ، وكذلك يتيح لهم فرصة أكبر للتنبؤ الاقتصادى ووضع العديد من البدائل فى أسرع وقت ، وبالتالى تتاح الفرص المناسبة للتوجيه أمام حكومات الكارتل الغربى ماداموا يسيطرون على مراكز التصنيع والائتمان فى العالم الغربى والمناطق المرتبطة به ويتحكمون فى النظام العالمى للتوزيع .

● **تطبيقات فى النظام الغربى قد يصعب ادراكها لأنها مغايرة « شكلا » لبعض المفاهيم الدراسية المأخوذة عن الفكر الاقتصادى الحر والتى تعودنا أن نحلل مشاكلنا فى اطارها مع أن التطبيقات العملية تغايرها مثل .**

١ ــ **التخطيط** : بدرجة عالية جدا وهو لا يقتصر على مستوى الدولة فقط بل يتم ايضا على مستوى الكارتل الغربى حيث يتم حساب الموارد الاقتصادية المتاحة لدى هذا الكارتل وكذلك الممكن الحصول عليها من الدولة المرتبطة اقتصاديا به ، وتحصى هذه الموارد ويتم استعراض بدائل الانتاج وتوليفاته ، ثم يتم اختيار البديل الاكثر ملائمة للظروف السياسية والاقتصادية الدولية ، ويكون الناتج خلال دورة أو فترة انتاجية معينة متوقعا كما ونوعا ، ويعمل النظام الغربى على توزيع هذا الناتج بحيث يكون الاعتبار الاول للاحتياجات التى سيتم احتجازها داخل دول الكارتل ، ويوزع الباقى على الدول الاقل نموا التى اعطت الطاقة والمواد الاولية وفى بعض الاحيان العلماء والخبرات والعمالة ، وذلك بما يحافظ على هذا الاسلوب ويضمن استمراره .

٢ ــ **التوجيه** : وما يهمنا هو التوجيه لتوزيع عوائد الانتاج الدولى « المشاركة فيه شعوب الغرب برأس المال والتكنولوجيا والخبرة والشعوب النامية بالطاقة والمواد الخام » ، ويتم هذا التوجيه بنجاح لان النظام الغربى هو المؤتمن الاول فى العالم وهو صاحب الحق الاوحد فى اصدار ما يسمى بالعملات النادرة وتتهافت عليها حكومات الدول المتخلفة باعتبارها مخازن للقيم ــ وبذلك تتحكم المجموعة الغربية فى الفرص المتاحة لتنمية الشعوب المنتجة للمواد الاولية والطاقة . والوسائل المباشرة لتحقيق هذا هو نظام التسعير العالمى والنظام المالى الدولى بشقيه النقدى والمصرفى وقوانينهما واسرارهما التى لاتحترم الا من بين اقطاب الكارتل الغربى ، وهذه القوانين بالطبع مهدده للدول المتخلفة التى تجهل معظم الاسرار والسراديب ولا تستطيع غير الريبة والتشكك . وبالاضافة الى هذا التوجيه الدولى والقانونى تقوم الدول المتقدمة داخليا بتوجيه نشاط مؤسساتها الاقتصادية بحيث لا يتعارض مع استراتيجية توزيع عوائد الانتاج الدولى الغربى ، وذلك من خلال سيطرة كل دولة على بنكها المركزى الذى هو بنك البنوك . وبذلك تتحكم كل دولة فى حجم وغرض السيولة المالية المتاحة لاى مؤسسة داخل الدولة . هذا بالاضافة الى اسلوب الضرائب والاعانات الذى يظهر بوضوح فى مشروعى كل من الرئيس **نيكسون** والرئيس **فورد** للتغلب على أزمة الطاقة الامريكية رغم اختلاف تكتيك كل من المشروعين .

ان كفاءة التخطيط والتوجيه فى الغرب تأتى على فكرة اليد الخفية التى كانت تدفع النظام ، فابان الثورة الصناعية ، واثناء الثورة الفرنسية بعد سيطرة البورجوازية عليها كان الذى يدفع هذه الطبقة النامية هو قانون « لى شابلييه » الذى يمنع العمال عمليا من الحصول على حقوقهم ويصل

بالعقوبة الى حد الاعدام فى حالة التجمع السلمى فى اطار نقابى ، ذلك مع ان القانون كان ظاهرة حماية العمال وتنظيم علاقتهم بصاحب العمل باعتبار ان العقد شريعة المتعاقدين حتى وان كانوا غير متكافئين .

وبعد تكون رصيد رأسمالى مناسبة داخل اوربا ، كانت اليد الخفية التى استمرت فى دفع النظام هى قدرة الحكومات الامبراطورية على سلب ونقل ثروات شعوب افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بواسطة الشركات الاستعمارية وعبر قناتى السويس وبنما من الجنوب المتخلف الى الشمال النامى .

أما اليد التى مازالت خافية حتى الان ـ المخططات والبرامج التى تعمل على اعاقة نمو البلدان الاقل نموا ومنع شعوبها من الحصول على نصيبها الحقيقى من عائد العملية الانتاجية التى زاد حجم وقيمة ما تساهم به فيها سواء من الطاقة او المواد الخام وغيرها .

وقوانين « شابلييه » الحديثة هى النظام المالى الدولى ونظام التسعير والتبادل الدولى .

٣ ـ تطبيق ثالث يظهر فى عجز ميزان المدفوعات : الحل الدراسى المثالى لمواجهة العجز فى ميزان المدفوعات هو زيادة صادرات الدولة أو تحويل العجز من كونه عجزا عاجلا الى آجل بالاقتراض طويل الاجل . كان من الحلين يتطلب مزيدا من الادخار اى التقشف داخل الدولة ، ولكن الدولة الغربية تستطيع مواجهة هذا العجز« عجز البترو» وعملات المواد الخام اذا استطاعت أن ترفع ـ ليس حجم صادراتها ـ بل أثمان صادراتها الى الشعوب النامية ،هذا بالاضافة الى العمل على استرادا باقى العملات فى شكل قروض طويلة الاجل غير قابلة عمليا للسداد بقيمها الفعلية فى مدى مناسب للشعوب النامية ، وذلك من خلال النظام المالى الدولى وكما ذكرنا .

٤ ـ سياسة الصادرات : وهو تطبيق مرتبط بالتطبيق السابق . فالدولة الغربية لم تعد ترغب فى تصدير منتجاتها « خاصة الاستثمارية الى الخارج لان هذا يعنى اقتطاع جزء من القدرة الانتاجية المخصصة لصنع التراكم الرأسمالى داخلها والمحافظة على مستوى الرفاهة لشعبها .

ولفهم هذا التطبيق يجب أن نفرق بين مصلحة الدولة وبين مصلحة المشروع الخاص .

فزيادة الصادرات الى خارج النظام الغربى وفى اتجاه الدول النامية أمر غير مرغوب ، وبالتالى فان الرغبة فى تقليل الصادرات الرأسمالية والتكنولوجية فى هذا الاتجاه سياسة مطبقة مادامت المجموعة الغربية تحصل على احتياجاتها من طاقة ومواد خام بدون مقابل حقيقى لهذه الشعوب النامية .

والانسياب الطبيعى المتكافىء فى التجارة الخارجية بالنسبة للصادرات والواردات يتم داخل المجموعتين الاقتصاديتين الاكثر نموا كل على حدة وبين كل من هاتين المجموعتين والاخرى بحيثان الصادرات الرأسمالية يقابلها واردات تكنولوجية او العكس والصادرات الاستهلاكية يقابلها واردات من نفس الدرجة .

هذه المتغيرات وغيرها من المتغيرات الاقتصادية والسياسية والعلمية نحن فى حاجة الى بلورتها وتأصيلها حتى تكون الرؤية اكثر وضوحا اثناء التحرك لتحقيق الاهداف العربية فلا نضل الطريق ولا يضيع منا الوقت .

ماذا يريد العرب

سؤال طرح على العرب فى قضيتهم السياسية وتحول طرحه الان الى القضايا الاقتصادية .ولا شك انساسةواقتصاديى العربيعرفونالاجابات التى يرغبها الشعب العربى أكثر تحديدا من كثيرين من المسيطرين على الحقل الاقتصادى فى العالم العربى .

ـ لا شك أن العرب يريدون بناء اقتصاد منتج لا تتركز عوائده فى أيدى فئات ترتبط مصالحها بخارج الوطن العربى فيحولونها الى حيث مصالحهم ، وانما تتوزع عوائد هذا الاقتصاد بحيث تضمن لكل مواطن عربى حياة كريمة .

ـ ولا شك أن كثيرين من الساسة والمفكرين ورجال الاقتصاد العرب يريدون بناء اقتصاد عربى متكامل ومستقل يتيح للوطن العربى الخروج من حلقة التخلفويضمن عدم التبعيةللاقتصاديات الصناعية ، وبحيث تكون الامة العربية فى المستوى الحضارى لهذه الامم المتقدمة .

ا ـ ويريد كثيرون من المفكرين العرب الاستفادة بالتنمية الاقتصادية فى تغيير العلاقات الاجتماعية والثقافية المتخلفة المرتبطة بالاوضاع الاقطاعية والعشائرية .

ب ـ ولا شك أن معظم الساسة والمفكرين وأساتذة العلوم السياسية فى هذه المرحلة يرغبون فى

تحقيق القوة الاقتصادية العربية التى تمكنهم من القوة السياسية ، بحيث يستطيعون استعادة الحقوق والكرامة العربية المهدرة فى فلسطين ، هذا مع ما قد يراه البعض الاخر من أن تحقيق السلام الاقتصادى مع العدل السياسى قد يؤديان الى السلام والاستقرار السياسى ، وهذا ما يعبر عنه عموما بلا احقية الجيل الحالى فى مصادرة حق الاجيال القادمة » فى التفاعل والتقرير مع اتاحة الفرصة المتكافئة لذلك ».

ولا شك أننا ننجح فى اقامة القوة الاقتصادية العربية اذا نجحنا فى اقامة التراكم الرأسمالى الذى يساعد على استمرار النمو التكنولوجى فى كافة القطاعات ، حتى وان اقتضى هذا تحويل قدر من التراكم الرأسمالى الممكن اقامته فى النظام الغربى ما دمنا نمد هذا النظام بعنصر من أهم عوامل استمراره ».

وباختصار ، تريد الامة العربية تحقيق قوتها الاقتصادية والسياسية والحضارية ، والوسيلة الان هى ما فى حوزة العرب من عناصر الانتاج والامكانية الاقتصادية لمبادلة هذا العنصر بعناصر أخرى هى التكنولوجيا ورأس المال والخبرة . ولكن لان هذه العملية ليست تبادلا تجاريا وانما عملية اقتصادية لتدعيم مصالح اقتصادية وسياسية وقد تتصادم مع مصالح اقتصادية أخرى ، وتثير بعض المخاوف السياسية الاستراتيجية لذلك علينا ان نخوضها بمفهوم اقتصادى سياسى من خلال الحوار والمواجهة ومراعين فى كل ذلك عوامل الزمن بحيث لانفقد أيا من الرؤية أو الفعل الاستراتيجى ».

الحوار للتعاون :

الحوار الصريح المقترن بالعمل يعد أساسا جيدا للوصول الى صيغة للتعاون بين المجموعة الغربية والمجموعة العربية تراعى مصالح كل منهم وكذلك مصالح الشعوب النامية المنتجة للمواد الخام . الحوار ، وليس المحاورة ، هو الذى يستطيع ان يصل الى هذه الصيغة .

الحوار الصريح يمكن ، من خلاله ، الوصول الى صيغة تضع فى اعتبارها الامكانيات الحقيقية لكل الاطراف . وبذلك يمكن تجنب اهدار الموارد الاقتصادية فى مشاريع لا تجد الدول النامية أكثر منها كفاءة لتحقيق نموها .

ومن خلال الحوار الصريح ، يمكن الوصول الى أفضل التوليفات والبدائل التى تتيح أفضل الاستخدامات للموارد العالمية ، بما لا يتجاهل مصالح أى من الاطراف أو الجيل الحالى والاجيال القادمة .

والحوار ، لكى يكون بناء يجب ان يكون مقترنا بحوار اخر بين الدول العربية ودول الكوميكون والصين ، وحوار آخر متعدد الاطراف لا يقتصر على الدول المستهلكة للبترول والدول المنتجة له وانما يضم كافة الاطراف للاتفاق على نظام جديد ووضع أسس مالية جديدة .

ودائما الحوار البناء هو المرتبط بخطوات تنفيذية وليس المحاورات والمناورات المضيعة للوقت .

المواجهة الايجابية وبدء البناء :

اذا كانت الوسائل الدبلوماسية فى قضية العرب السياسية قد استطاعت وتطلبت وقف المواجهة العسكرية وتركيز الجهود فى الحوار الدبلوماسى والاعلامى ، فانه فى قضية التنمية الاقتصادية لا يدعم الحوار ويوصله الى نتائج مناسبة غير المواجهة الايجابية ومحاولة بناء الاقتصاد العربى ذاتيا فى الاساس .

والمواجهة الايجابية بهذا المعنى — هى التى لا تحاول تخريب الابنية الاقتصادية الموجودة وانما تهدف الى اقامة ابنية اخرى عربية بالتعاون مع هذه الابنية الغربية وكذلك مع الدول الاشتراكية .

وتعبئة الموارد العربية لبناء الاقتصاد العربى بالطبع يجب ان يكون من خلال خطة استراتيجية . ولكن لان عامل الزمن لم يعد الان فى صالحنا ، ولان النقص فى البنية الاقتصادية العربية يبدأ فى القطاعات الرئيسية كالزراعة ويشمل كل القطاعات ، ولان أى استراتيجية للتنمية لابد وأن تشمل هذه القطاعات ، فانه يجب البدء فى تنفيذ ما هو تحت أيدينا من مشاريع أو أفكار قومية أو اقليمية على أن تراعى الاستراتيجية المرجو وضعها لهذه المنشآت وذلك حتى لا يتسرب الوقت أثناء المؤتمرات والمجالس التى لا تجتمع وتنهى أعمالها الا لتذكر أنها فى سبيلها الى الدراسة والتخطيط .

— يجب أن نبدأ فى تنمية السودان زراعيا ورعويا .

ـ يجب أن نبدأ في تصنيع فوسفات وحديد شمال افريقيا .

ـ يجب أن نبدأ في انشاء شبكة مواصلات عربية حديثة عمادها السكك الحديدية الكهربائية .

ـ يجب أن نبدأ بسرعة في بناء اسطول بحرى عربى يتكون من سفن متعددة الاغراض .

ـ يجب أن نبدأ فورا في بناء الالاف من القرى العربية الحديثة .

ـ يجب أن نبدأ فورا في محاولة جادة للحصول على وقود المستقبل النووى .

ـ يجب أن نبدأ في انشاء الصناعات القاعدية العربية كصناعة الصلب والتعدين ومواد البناء .

يجب الا يقتصر الانفتاح والتعاون العربى على المشاريع ذات الطبيعة السياحية ، بل يجب ان يتركز التعاون العربى على كيفية تدبير ملايين الاطنان من الحديد والصلب ومليارات الامتار المكعبة من الاسمنت اللازمة لتحقيق التنمية العربية ، لابد من محاولة الحصول على الكميات اللازمة من التكنولوجيا والطاقة الاستخراجية لترفع عن كاهل الانسان العربى العامل عبء سنين طويلة من السخرة . ولابد من أن يركز العرب على كيفية تحويل قدر مناسب من الصلب المستخدم في اقامة هياكل الابراج الشاهقة الارتفاع في مدن الغرب حتى ننتفع به في اقامة هياكل المصانع التى تنتج الجرارات الزراعية المستخدمة في التنمية الزراعية بما يؤدى الى انقاص خطر الجوع الذى يهدد الشعوب النامية .

ان المواجهة العربية الايجابية للتخلف العربى لها العديد من المواقع الاساسية والمساعدة .

من المواقــع الاساسية :

١ ـ **موقع المنظمات الاقليمية** : يجب التحرك من المنظمات الدراسية والسياسية التنظيمات الاقتصادية في الجامعة العربية والدفاعية « الاوبك العربية » أو تحريك هذه المنظمات الى منظمات بناء لها موارد ضخمة ورؤية استراتيجية واختصاصات وسلطات علوية في مجالها بحيث يتاح لها تنفيذ المشاريع القومية وتوزيع عوائدها بما يؤدى الى تحقيق المجتمع العربى الانتاجى المتكامل ، وهذا هو الاسلوب الانسب لتحقيق التنمية العربية في زمن قياسى ولا تستطيع رؤوس الاموال الخاصة انجاز هذا حيث أنها لا تستطيع سوى التركيز على المشاريع السياحية والتجارية ذات العائد السريع .

٢ ـ موقع الانفتاح الاقتصادى العربى : ويؤدى الى توفير السيولة المالية لتنفيذ المشاريع الاقليمية في الدول العربية ذات الامكانيات البشرية والرأسمالية والتى في حاجة للمال لاستيراد التكنولوجيا . وهذا الاسلوب مكمل للاول ويجب أن يتلازم معه أو يتبعه لان الاموال التى تأتى من خلال الانفتاح لا تتجه عموما الى الاقتصاديات الاساسية .

٣ ـ موقع التعاون الدولى :

بالنسبة للدول الاشتراكية ، تؤكد الخبرة السابقة معها أنه يمكن تعميق التعاون الفعلى معها ، ذلك أنه اذا توفرت الرغبة العربية الحقيقية في التعاون الاقتصادى التجارى معها ، فهى تقدم استثمارات اقتصادية حقيقية وذلك مهما قيل عن مستوى التكنولوجيا المتوفرة لدى هذه الدول ، وفعلت هذه الدول ذلك وبتيسيرات ضخمة مع دول عربية لم تكن تملك سوى قوة التحرر الوطنى ، فما بالنا اليوم والعرب يملكون قوى اقتصادية وسياسية كامنة من الممكن أن تضعهم في مصاف قوة عالمية اذا تحركت هذه الامكانيات .

بالنسبة للمجموعة الغربية ، لابد من الوصول الى صيغة تضمن وقف نهب الثروة العربية المستمر حتى الان بلا مقابل وذلك بربط صادرات البترول بواردات التكنولوجيا ورأس المال .

بالنسبة للدول النامية : ومعظمها ينتج مواد أولية وسلع زراعية ، فيجب التعاون معها وتقديم التمويل المالى الكافى لها ومحاولة التعاون للوصول الى تطبيقات التكنولوجية تتيح الاستفادة المشتركة .

٤ ـ موقع التعامل مع الشركات الدولية الخاصة : يجب محاولة التعاون المباشر معها وذلك بتقديم الائتمان اللازم لها سواء كان ماليا أو عينيا «البترول» وذلك لتخطى سيطرة دول الغرب عليها من خلال النظام المالى الغربى ، وهذا هو اتجاه الجزائر في محاولتها مقايضة بترولها بالانتاج الصناعى لبعض الشركات الفرنسية للحصول على أولوية التوريد ، وان كانت الخبرة قد أكدت أن سيطرة الدول غير ممكن تجاوزها كما حدث في مشروع أنابيب السويس ـ اسكندرية ، وان كان يجب أن تستمر في المحاولة .

ومن المواقع المساعدة ، النظام المالى العربى الذى ينبغى التفكير في انشائه للتخلص من السيطرة الغربية بواسطة نظامها المالى ، وذلك بانشاء الدينار العربى الذى يتكون من سلة عملات عربية تمثل فيها عملة كل دولة عربية بمقدار معين يتناسب مع قوتها الاقتصادية وامكانية مساهمتها في بناء الاقتصاد العربى ، كما يجب التفكير في انشاء اتحاد للمصارف العربية المركزية تتدرج اختصاصاته بين الدراسة والتنسيق والتوجيه والتوحيد . الا أنه يجب أن نتذكر أن النظام المالى ليس الا نظام مساعد ولا يمكن أن يكون ذا قوة

ذاتية وانما هو تعبير عن القوة الاقتصادية الانتاجية الحقيقية .

ان بدء البناء هو المؤثر الاساسى الذى يمكن أن يغير موقف اللامبالاة الغربى من الحالة العربية .

• • • فوائض الاموال العربية !

أقصى تقدير لما يطلق عليه فوائض البترول العربى » يصل الى ١١٢٠ مليار دولار فى نهاية سنة ١٩٨٤ ، ورغم ما قد يبدو عليه هذا الرقم من الضخامة الا انه اقل بكثير مما يلزم لتحقيق الامال العربية فى التنمية . فاننا اذا اردنا تحويل السودان الى مزرعة حبوب ومرعى للعالم أو حتى للمنطقة العربية ، فمن الطبيعى أن ذلك لن يتم بالاسلوب الذى تحولت به مصر الى مزرعة قطن للراسمالية الغربية النامية ومعبر لبضائعها ابتداء من منتصف القرن الماضى . تنمية السودان زراعيا أو رعويا ليست مجرد جرارات وسماد وما يعنيه ذلك من عشرات المصانع المنتجة للالات الزراعية والاسمدة . التنمية هى تنمية للوطن اى تنمية للانسان وتنمية للارض ، ويعنى ذلك العشرات من المدن الحديثة والالاف من القرى الجديدة والملايين من المنازل النموذجية وآلاف المصانع المنتجة لمواد البناء وأجهزة التكييف والادوات المنزلية الحديثة والاف من مراكز التعليم والتدريب والتثقيف والترفيه . ان انشاء شبكة مواصلات فى الوطن العربى يتكلف مائة مليار دولار بالاسعار الحالية ، ومن الطبيعى أن تنمية الانسان والارض العربية لتنمية شاملة هدف يحتاج الى مبالغ تفوق بضع مرات ما يطلق عليه فوائض الاموال العربية ، ولا يمكن تاخير تنمية الانسان الى ما بعد تنمية الارض فهما عمليتان متلازمتان ومتزامنتان لضمان العدالة وشعبية التنمية وهو الامر الذى كان مفتقودا خلال فترات سابقة فى الوطن العربى لاسباب داخلية وخارجية . ولذلك فان ما يطلق عليه فوائض النفط العربى يعد خرافة كبرى ، فالفائض هو ما يتبقى بعد أن تشبع احتياجاتك وتحس بالاشباع التام ، ولا يمكن اعتبار ان هذا الاشباع قد تم فى الوطن العربى اللهم الا اذا اعتبرنا عامة الشعب العربى ومقاتليه ليسوا من صميم الكيان العربى وهذا ما لا يدور فى خلد أى من حكام أو ساسة ومفكرى العرب أو حتى لرأسماليين ولذا فان ما يطلق عليه الفوائض العربية ليس سوى استقطاع من الحقوق والتراب الوطنى للشعوب العربية ومصادرة لحق هذه الشعوب فى النمو والتقدم ، وهذا تعبير عن تقصير الجيل العربى الحالى فى حق الاجيال التالية فى البناء والتمتع بشخصيتها على وطنها بتوفير الفرص الملائمة لتحقيق هذا .

فالمقابل الحقيقى لكل برميل بترول ينقل خارج الوطن العربى ينبغى أن يكون ترسا فى آلة فى مصنع عربى او جدارا فى منزل أو مدرسة عربية أو سريرا فى مستشفى عربى .

والمقابل الحقيقى لكل لتر بترول عربى هو مسمار فى آلة وليس بضعة سنتات مدخرة فى بنوك الغرب .

ان أى ناقلة بترول تخرج محملة من الوطن العربى لقاء اى رقم من الدولارات او ما يسمى بالعملات النادرة او حتى حقوق السحب الخاصة وهى فى مجموعها فى تدهور مستمر هو سلب مباشر لارض الوطن العربى وحق انسانه فى التنمية .

ان نقل ما فى جوف الوطن العربى فى نهاية القرن العشرين يعادل تماما احتلاله خلال القرن التاسع عشر .

وهذه ليست اول عملية نصب مالية دولية تحدث فى تاريخنا الحديث .

فمثلها بالتعاكس التوريط المالى لمصر فى مثل هذا الوقت تماما من القرن الماضى عندما بدأت الاستقراطية الاقطاعية المصرية فى محاولة استثمار عوائد القطن ، وانتهى هذا التوريط باحتلال عسكرى لمصر .

ومثلها بالتطابق شراء اراضى فلسطينية منذ بداية القرن الحالى ، وان كانت هذه الاراضى قد اشتريت مقابل الذهب فى حين ان التراب العربى المسال البترول يباع مقابل اوراق ملونة او مقابل ارقام فلكية تملى عبر التلكس لكل من البنوك الغربية والدول بائعة النفط .

والوقت لم يعد فى صالح الغرب ، فمرور الزمن على هذه الحالة العربية وسرعة احداث التغييرات فى النظام الانتاجى الغربى سيجعل العرب يظلون فى القمقم لا يستطيعون الفكاك خلال هذه الحقبة التاريخية حتى يجىء دورهم فى الخريطة الغربية للتنمية العالمية .

ان العرب والعالم الغربى فى هذه الفترة الحرجه لم يجتازا بعد عنق الزجاجه ، غير ان مرور الزمن اصبح يرتبط الان بانفراج مستمر فى مازق الطاقة على حساب انغلاق مستمر فى الممر الذى يمكن ان يمر فيه العرب من قاع التخلف الى هضبه الحضارة ، وواجب الجيل العربى الحالى أن يجعل هذا الممر يتسع بحيث يكون خروج الكارتل الغربى من مازق الطاقة متزامنا مع صعود الشعب العربى من مازق التخلف .

والتحدى هذه المرة اخطر من أى تحد سابق وسوف تحدد تفاعلات هذا التحدى خلال العقد عملية واضحة وتتوافر امكانياتها حاليا ، فهل من بصير يرى ويفعل ؟

العالم العربى فى عصر التعايش السلمى

بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى

لطفى الخولى

□□ بحث تقدم به « لطفى الخولى » الى « الندوة الدبلوماسية » لعام ١٩٧٦، التى تنظمها وزارة الخارجية بدولة الامارات العربية، ويشارك فيها عدد من الكتاب والمفكرين العرب والاجانب من مختلف الاتجاهات الايدلوجية والسياسية . وقد بدأت الندوة منذ الرابع من يناير وتستمر حتى التاسع من يونيو ١٩٧٦ ، بواقع جلستين كل أسبوع . وقد شارك الكاتب بالجلسة التى انعقدت بأبى ظبى فى ٣ مارس ١٩٧٦ □□

— ١ —

لم يبق على نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين ، سوى أربعة وعشرين عاما . .

واذا ما راقبنا معدل سرعة حركة الاحداث فى العالم منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فاننا نستطيع ان نستنبط معيارا زمنيا لهذه الحركة ، يتراوح بين ثلاثين وخمسة وعشرين عاما ، يتم فى مداره — على الاغلب — الانتقال من جيل الى جيل آخر ، ومن مرحلة نوعية فى تاريخ الانسانية الى مرحلة نوعية أخرى

ولعله يكفى للتدليل على صحة هذا القانون ، أن نتابع عملية الحركة بين عدد من الظواهر التاريخية . وذلك على مستوى العالم ومستوى وطننا العربى معا .

فى الاطار العالمى ، نلحظ ان المسافة الزمنية الفاصلة بين الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٤ وبين الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، تبلغ خمسة وعشرين عاما . فى حين أن سبعة وعشرين عاما كانت هى الوعاء الزمنى لممارسة الحرب الباردة بين المعسكرين الراسمالى والاشتراكى ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ . وذلك قبل أن تشرع كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى فى تقنين سياسة الانفراج الدولى والتعايش السلمى من خلال اجتماع نيكسون — بريجنيف بموسكو فى مايو ١٩٧٢ . ويمكن ان نضيف الى هذا الوعاء ثلاث سنوات اخرى ليصبح حجمه ثلاثين عاما ، اذا احتسبنا انعقاد مؤتمر هيلسنكى للامن الاوروبى فى عام ١٩٧٥ ، بداية النهاية لعصر الحرب الباردة .

كذلك فان تحول المركز القيادى ، فى معسكر الامبريالية العالمية ، من دول الاستعمار القديم ـ وخاصة بريطانيا وفرنسا ـ الى الولايات المتحدة الامريكية ، قد تم على مدى يتراوح بين سبعة وعشرين وتسعة وعشرين عاما . وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الاولى فى بداية العشرينيات من هذا القرن حتى خضوع اوروبا الغربية للسيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية النووية للولايات المتحدة فى نهاية الاربعينات بمشروع مارشال ١٩٤٧ وانشاء حلف الاطلنطى فى عام ١٩٤٩ .

ويستلفت الانتباه ، ايضا ، ان الثورة الاشتراكية فى العالم قد تحولت من ظاهرة البلد الواحد « الاتحاد السوفيتى » فى عام ١٩١٧ الى الظاهرة العالمية التى تتكون من مجموعة من البلدان « الديمقراطيات الشعبية فى شرق اوربا » عام ١٩٤٥ ، على مدى ثمانية وعشرين عاما .

وفى الاطار العربى نلحظ مرور حوالى ثلاثة وثلاثين عاما بين الثورة المصرية ذات البعد الوطنى التقليدى عام ١٩١٩ وبين الثورة المصرية ذات الابعاد القومية والتقدمية عام ١٩٥٢ .

ويفصل بين الثورة العربية فى فلسطين ضد الاستعمار البريطانى والغزو الصهيونى عام ١٩٣٦ وبين انطلاق ثورة التحرير الفلسطينية المعاصرة عام ١٩٦٥ ، تسعة وعشرون عاما .

واستهلكت الحركة ، للانتقال بالعالم العربى من حالة اول هزيمة فى الصدام العسكرى مع اسرائيل والصهيونية عام ١٩٤٨ الى حالة اول نصر نسبى فى اكتوبر ١٩٧٣ ، خمسة وعشرين عاما .

وامتدت ثلاثون عاما بين استقلال لبنان وبناء مجتمعه على اساس الميثاق الوطنى بتوليفته الطائفية عام ١٩٤٣ ، وبين تفجير القوى الطائفية والانعزالية للحرب الاهلية وذلك بدءا من ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٥ .

— ٢ —

فى ضوء ادراكنا لهذا القانون الزمنى لمعدل حركة الاحداث فى القرن العشرين يتوجب ان نضع فى الاعتبار ثلاثا من الحقائق الموضوعية .

الحقيقة الاولى ، ان الوعاء الزمنى لحركة الاحداث فى منطقة اقليمية محددة كالعالم العربى أو العالم الاشتراكى أو العالم الراسمالى ، مرتبط ايجابا وسلبا ، بالوعاء الزمنى لحركة الاحداث الدولية . وذلك بحكم التفاعل الطبيعى ، العفوى والارادى ، بين أجزاء العالم المختلفة . وان هذا التفاعل يزداد عمقا وبسرعة على الدوام .

نلاحظ مثلا ، ان هزيمة العرب وقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ جاء مرتبطا بتحول المركز القيادى فى المعسكر الامبريالى من الاستعمار القديم لبريطانيا وفرنسا الى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٧ . حيث كانت الحرب الباردة بين المعسكر الراسمالى والمعسكر الاشتراكى متأججه وتعم العالم . ويكتل كل معسكر قواه فى كل مكان ، وخاصة فى المناطق الاستراتيجية من الكرة الارضية ، فى مواجهة المعسكر الاخر .

ونلاحظ ايضا ان اول نصر عربى نسبى ضد اسرائيل فى ١٩٧٣ جاء عشية بداية تقنين سياسة الانفراج الدولى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٢ . وعلى الرغم من التفسيرات التى اعطيت لعبارة « الاسترخاء العسكرى فى الشرق الاوسط » ، فى وثيقة الاعلان الامريكى السوفيتى المشترك وقتذاك .

ونلاحظ كذلك أن تحول الاشتراكية الى ظاهرة عالمية ، منذ عام ١٩٤٥ ، جاء مواكبا لاحكام الولايات المتحدة قبضتها المسيطرة على العالم الراسمالى فى ١٩٤٩ .

خلاصة هذه الحقيقة ، ان الاحداث فى عالمنا العربى او فى اى منطقة ، داخل وعائها الزمنى، لايمكن ان تنفصل عن حركة الاحداث العالمية فى ذات الوعاء الزمنى . وان وتيرة التاثير المتبادل بين الاحداث تتصاعد حجما وتتلاحق سرعة ، كلما تقدم العصر .

الحقيقة الثانية ، أن الزمن ـ فى الحياة الاجتماعية والسياسية ، الاقليمية والدولية ـ ليس مجرد تراكم كمى للسنين يضيف اضافات ميكانيكية وحسب للعمر او للتجربة . ولكنه يتمتع بديناميكية الحياة نفسها . يحول معها الكم الى نوع ، ويزيد من المعرفة الانسانية بالواقع ، ويدفع دوما بالحركة العامة فى مجملها ، الى مزيد من التقدم . وتبقى مسئولية الانسان فى هذا الوعاء ، أن يواكب، ماديا ومعنويا ، الحركة الديناميكية للزمن ولا يتخلف عنها . ويستوعب ماتطرحه من معارف جديدة وكشف عن المناحى المجهولة من الواقع . ويتدخل بارادته ووعيه فى عملية تحويل الكم المشتت الى نوع متكامل ، يحقق به تطورا فى مجتمعه وتقدما لشعبه فى اللحظة التاريخية المواتية . وبذلك يصبح سيد الحركة وسيد مصيره معا .

خلاصة هذه الحقيقة ، أن التعامل الميكانيكى للزمن ، هو جمود واجترار ذاتى للجهد دون ما طائل . فى حين ان التعامل الديناميكى مع الزمن هو الذى يدفع بحركة الانسان والمجتمع الى الامام . وتمكنهما من قيادة حركة الاحداث واتجاهاتها ، بدلا من ان يتحولا الى ذيليين منسحوبين وراءها .

الحقيقة الثالثة، ان العالم، اذا كان قد شرع منذ عام ١٩٧٢ مرحلة جديدة تتجه باضطراد نحو الانفراج والتعايش السلمى، فان وطننا العربى قد بدأ ايضا منذ أكتوبر ١٩٧٣ مرحلة جديدة من القدرة على ترشيد طاقاته الاقتصادية والعسكرية والسياسية والبشرية فى مواجهته للتحديات الصهيونية الامبريالية والتخلف الاقتصادى والاجتماعى والتكنولوجى والتفتت القومى.

واذا جاز لنا أن نحدد — سلفا — الوعاء الزمنى لهذه المرحلة فى تاريخ العالم وتاريخ وطننا العربى على نحو تقريبى، فاننا نميل الى احتساب السنوات من ١٩٧٢ حتى نهاية القرن العشرين، اى بحجم ثمانية وعشرين عاما.

ونستند فى تحديد زمنية هذا الوعاء اول ما نستند، الى متوسط ايقاع قانون الحركة فى القرن العشرين الذى يتراوح بين ثلاثين وخمسة وعشرين عاما.

هذا فضلا عن ان السنوات الممتدة حتى نهاية القرن سوف تحسم على الاغلب — فى ضوء اقتصاد جانب كبير من نفقات التسليح المهولة، وتراكم مزيد من الخبرة الانسانية وعقلانية السلوك، وتصاعد الاتجاه نحو استخدام نتائج ثورة العلم والتكنولوجيا فى الاغراض السلمية — قضايا ومشاكل القرن العشرين الجوهرية.

وتأتى فى مقدمة هذه القضايا والمشاكل، الاثار المحققة للمباراة التى شرعت تدور فى اطار الانفراج الدولى والتعايش السلمى بين النظامين الراسمالى والاشتراكى، على مسائل الحرب والسلام والتغييرات القومية والايديولوجية والاقتصادية مشاكل الطاقة. والبحث عن صياغات اكثر عدالة لنظام اقتصاد دولى جديد، وتحول العالم بحكم الطفرات التكنولوجية، وخاصة فى مجال المواصلات والحسابات الالكترونية والانسان الالى، من حدود الكرة الارضية — كما عرفناه دوما — الى رحابة الكون الواسع والمجهول، وتحول الكرة الارضية ذاتها المكتظة ببلايين متزايدة من البشر الى مجرد قرية صغيرة ذات مصالح، موحدة نسبيا، فىمواجهة مخاطر مشتركة تتمثل فى تلوث البيئة وتبدد الموارد الطبيعية، وغزو الفضاء والكواكب واعماق البحار والمحيطات، وسلبيات الحضارة الجديدة الوليدة، وما يتبع ذلك كله من ذوبان الدول والبلدان الصغيرة فى كيانات اقليمية — بشرية — اقتصادية كبيرة ليتسنى لها البقاء والصمود والمشاركة فى بناء القرن الواحد والعشرين.

وفى تقديرنا ايضا ان العالم العربى يواجه، خلال السنوات المتبقية من القرن العشرين، حسم كثير من القضايا القديمة المعلقة والقضايا الجديدة المثارة. وذلك حول وحدته القومية: كيف تكون؟ وعلى اى اسس اجتماعية وسياسية؟ وعلاقاته بمنطقة الشرق الاوسط والعالم، والصراع المصيرى مع الصهيونية واسرائيل، وتخطى مراحل التخلف، التى تتراوح من قرن الى قرنين عن مجمل العالم المتقدم، ومصير البترول واستخداماته، خاصة وان احتمال نزوله عن عرش الطاقة الرئيسية للحضارة العالمية لن يتأخر، كما تذهب غالبية التوقعات، عن نهاية القرن العشرين.

خلاصة هذه الحقيقة، انه بمقارنة محتوى الحركة العالمية للوعاء الزمنى المعاصر بمحتوى الحركة العربية لنفس الوعاء، يتكشف لنا بجلاء مدى الترابط بل والالتحام بين قضايا وطننا العربى وقضايا العالم ككل. وبالتالى لا فكاك لنا اذا كان فى مخططنا — وقد توافر لدينا الحد الادنى من القدرة — أن نصبح جزءا مؤثرا ومتميزا فى نفس الوقت من عالم الحاضر: القرن العشرين بديناميكية الحياة المعاصرة والمستقبل، من أن نتعامل مع الزمن الباقى من وبمعدل سرعتها فى التطور.

— ٣ —

ان المفتاح العالمى للمرحلة الزمنية — الديناميكية الاخيرة من القرن العشرين، هو بلا شك سياسة الانفراج الدولى والتعايش السلمى.

وهى سياسة يتأكد رسوخها وتفاعلها الايجابى مع متطلبات العصر واحتياجات الانسانية على اختلاف مواقعها واتجاهاتها يوما بعد يوم، مهما كانت الصعاب الانيه والمحتمله. وذلك باعتبارها البديل الوحيد، الممكن والضرورى معا، لنشوب الحرب العالمية النووية، الاولى والاخيرة، بحكم طبيعتها التدميرية الشاملة للجميع.

وهذا يعنى اول ما يعنى، تحولا جوهريا فى كل من طبيعة مناخ العلاقات الدولية ووسائل التعامل — ايجابا وسلبا — بين الدول ذات الانظمة المختلفة. وخاصة بين امريكا، الدولة الراسمالية العملاقة، وبين الاتحاد السوفيتى، الدولة الاشتراكية العملاقة. وهما الدولتان اللتان يتوقف — بدرجة حاسمة — على نتائج التعايش والصراع بينهما، حاضر ومستقبل العالم. وان كانت تحاول الصعود الى مستواهما فى التأثير الدولى اليوم، دول وتكتلات أخرى، هى الصين ومجموعة الدول الغربية واليابان.

ويأتى اخيرا، فى الدرجة السادسة، العالم العربى، كامكانية، كشفت عنها حرب اكتوبر ١٩٧٣، ورصدتها جميع مراكز الدراسات والبحث الاستراتيجى فى العالم الراسمالى والعالم الاشتراكى على السواء.

والواقع ان بوادر المناخ الجديد ، الذى راح يبتعد عن حافة هاوية الحرب ويقترب من حافة سهول السلام ، قد تولدت ، منذ انهى الاتحاد السوفيتى احتكار الولايات المتحدة للاسلحة النووية فى اواخر الحرب العالمية الثانية . وامكن من الناحية الفعلية تحقيق توازن فى القدرة النووية العسكرية بين الامريكيين والسوفيت منذ اواخر الخمسينات، وتجسد ذلك — سياسيا — فى اتمام اول زيارة يقوم بها مسئول قيادى سوفيتى (خرتشوف رئيس الوزراء) الى الولايات المتحدة فى ١٩٥٩ . كما تجسد — علميا وتكنولوجيا — فى اطلاق اول صاروخ بمركبة فضائية جاجارن فى تاريخ البشرية عام ١٩٦١ .

واكد تطور الاحداث ، تعاظم واستقرار هذا المناخ الجديد امام كل الاختبارات والمصاعب والعوائق التى تعرض لها منذ ازمة البحر الكاريبى فى كوبا وصعود المواجهة النووية الاولى المباشرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٦٢ ، حتى تفجر خطر المواجهة المباشرة الثانية بين الدولتين من حول حرب اكتوبر العربية الاسرائيلية فى الشرق الاوسط عام ١٩٧٣ .

بمعنى انه أمكن ، دوما ، فى اطار التعايش السلمى وحفاظا عليه ودعما له ، تجنب الصدام . وذلك بدرجات متفاوتة من الربح والخسارة لهذا الطرف أو ذاك ، ايثار للسلام .

هذا السلام ، هو اختيار واع عند البعض أو ضرورة لا مفر منها عند البعض الاخر ، غدا محل اجماع الارادة الانسانية دون استثناء . وهو يتعاظم ، فى الوقت الذى يموج العالم بالصراعات والمنافسات الاقتصادية والعلمية التكنولوجية . هذا فضلا عن الفروق الشاسعة فى مستوى الحياة بين الدول المتقدمة صناعيا وبين الدول الحديثة النمو . وهى فروق تهدد بالفعل اسس النظام الاقتصادى العالمى التى ارسيت منذ ما يزيد على قرنين .

من هنا فهو سلام يعايش الصراعات والانقسامات والمنافسات والتحديات . لا يلغيها أو يجمدها . على العكس يعمق من حدة بعضها بل ويثير انواعا جديدة منها .

نلاحظ فى هذا الصدد ان ثمة صراعات تتفاقم على نحو كلى ، مثل الصراع بين الاقتصاد الراسمالى الاحتكارى وبين الاقتصاد الاشتراكى، والصراع بين بلاد العالم الثالث المنتجة للمواد الخام وبين البلاد المتقدمة صناعيا .

كذلك تفرز ظروف التعايش السلمى صراعات جديدة لم تكن معروفة خلال عصر الحرب الباردة، مثل الصراع حول انماط الاشتراكية واتجاهاتها داخل المعسكر الاشتراكى ، ومثل الصراع حول المصالح الراسمالية القومية — القاريه الجديدة داخل المعسكر الراسمالى الذى دخل مرحلة الاحتضار التاريخى . ومثل الصراع حول طريق التحرر والتنمية ، بكيفية غير مسبوقة تاريخيا ، فى العالم الثالث .

وفى نفس الوقت يدفع مناخ التعايش السلمى، كل القوى المتصارعة نحو مزيد من وضوح الرؤية حول بعض « المصالح ذات الطبيعة الانسانية المشتركة » والتى كان ضباب الحرب الباردة يضلل الانظار عنها . الامر الذى يؤدى الى تكثيف جميع القوى للمشاركة فى بذل الجهد من اجل حمايتها وحل قضاياها ومشاكلها . وذلك مثل تلوث البيئة وغزو الفضاء واعماق البحار والمحيطات ، التى اقرت الامم المتحدة اخيرا انها ملكية مشتركة للبشرية جمعاء ، وعلاج الامراض المستعصية كالسرطان وصيانة الموارد الطبيعية من التبديد .

— ٤ —

هذا كله أنتج مجموعه من الظواهر الجديدة ، يزداد تحكمها — بدرجات متفاوتة — يوما بعد يوم ، فى مسار الحركة العالمية نحو تغيير نوعى شامل ، لم يألفه الانسان فى تاريخه من قبل . بالتاكيد سوف يكون اكثر تقدما . لكن له بالضرورة صراعاته ومشاكله الخاصة التى لايمكن التنبؤ بها من موقعنا الراهن .

وغاية ما نستطيعه ، اليوم ، هو تحديد اهم هذه الظواهر الجديدة والاحتمالات الغالبة على اتجاهاتها فى المستقبل . وفى هذا الاطار ،يمكن ان نتعرض لعشر ظواهر اساسية :

الظاهرة الاولى ، خاصة بتصفية بؤر الحروب الاقليمية فى العالم ، والتى يمكن ان تمتد منها شرارة الحرب الكونية وانفجار المواجهة الساخنة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وقد تم بالفعل تصفية بؤر الحرب الاوروبية من خلال مؤتمر هليسنكى للامن الاوروبى فى ١٩٧٥ . وكذلك بؤر الحرب فى آسيا من خلال انهاء الحرب فى فيتنام وجنوب شرقى آسيا فى ١٩٧٣، فضلا عن عدد من البؤر الاخرى فى أمريكا اللاتينية وافريقيا . بحيث يمكن القول انه لم تعد هناك بؤرة حرب ساخنة تهدد بالخطر العالمى ، اليوم ، الا بؤرة الحرب فى الشرق الاوسطبسبب الصراع العربى الاسرائيلى .

الظاهرة الثانية ، تتمثل فى انه على الرغم من ان الحروب الاقليمية عند اندلاعها ، تستقطب على كل جبهة من جبهتيها — بالدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى — اما الولايات المتحدة الامريكية واما الاتحاد السوفيتى . فان هناك اتفاق ضمنى بين الدولتين العملاقتين على العمل

المشترك من أجل حصر نطاقها وإطفاء نيرانها بأسرع وقت ممكن ، وعدم السماح لها بأن تورط كل منهما فى مواجهة مباشرة مع تمهيد الطرق امام أطراف الحرب لتسوية النزاعات فيما بينها بالطرق السلمية . والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة سجلت ، فى الاونة الاخيرة ، نجاحافى الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٧٢ ، وفى الحرب اليونانية التركية عام ١٩٧٤ ، الا انها لم تسجل غير نجاح جزئى صغير وغير مؤثر بالنسبة للحرب العربية — الاسرائيلية فى اكتوبر ١٩٧٣ .

الظاهرة الثالثة ، تتلخص فى أن التعايش السلمى وان كان يحول دون وقوع الصدام المباشر بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى وبالتالى اشتعال الحرب النووية الشاملة ، الا أنه لم يستطع أن يسد الطريق على الحركات المسلحة الاقليمية بشقيها ، التحررى الوطنى ، والرجعى الاستعمارى .

ففى خلال الوعاء الزمنى المعاصر للتعايش ، استمرت أو وقعت ثورات وحروب التحرر الوطنى فى فيتنام ولاوس وكمبوديا وبنجالادش وموزمبيق وانجولا والبرتغال والحرب العربية الاسرائيلية الرابعة .

واللافت للانتباه ان الحصيلة النهائيةالايجابية لهذه الحروب كانت من نصيب قوى الثورة والتحرر الوطنى .

كذلك فانه خلال الوعاء الزمنى المعاصر للتعايش ، استمرت أو وقعت الحروب الاهلية التى تثيرها القوى الرجعية بالتحالف مع القوى الامبريالية لتخريب أو تقويض حركة تحررية أو نظام وطنى تقدمى ، وذلك كما حدث فى قبرص وبنجالاديش وانجولا بعد استقلالهما وتشيلى والعراق ولبنان والصحراء المغربية .

واذا استثنينا النجاح الذى حققته القوى الرجعية والاستعمارية فى تشيلي ، فان الفشل الكلى أو الجزئى مازال هو الطابع الغالب فى المواقع الاخرى .

من هنا كانت الثورات وحروب التحررالوطنى من جانب ، والثورات والحروب المضادة منجانب اخر ، هي المصدر الاساسى للصراعات الساخنة فى عصر التعايش السلمى على المستوى العالمى بصفة عامة . وعلى مستوى التضاد المباشر بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بصفة خاصة

الظاهرة الرابعة ، تتركز فيما أصاب النظام الرأسمالى العالمى وخاصة فى قمته الامريكية من هزائم سياسية وعسكرية واقتصادية، وذلك نتيجة تفاعل عوامل عديدة ومتشابكة فى مقدمتها التقدم الذى احرزته كل من قوى الاشتراكية والتحرر الوطنى . وبروز المواجهة بين الدول النامية المنتجة للمواد الخام والدول الصناعية المتقدمة ، وازمات الطاقة والتضخم المالى ، والنمو غير المتكافىء بين الدول الراسمالية ، والتناقض الذى يزداد حدة بين ثورة العلم والتكنولوجيا وبين نظام وعلاقات الانتاج الرأسمالية ، وتفاقم الصراعات الاجتماعية ومايصاحبها من اتجاهات اللامبالاة والعنف الدموى الفردى والجماعي والتغرب عن المجتمع . الامر الذى انعكس منذ بداية عصر التعايش السلمى ، فى صورة ازمة تعصف بأسس البناء الرأسمالى التقليدى .. حيث يواجه حالة كساد اقتصادى لم يسبق لها مثيل ، وتختلف جذريا عما عرفه فى أزماته الدورية السابقة . وذلك من حيث طول مدتها وعمق ابعادها . « استهلكت ثلاث سنوات حتى الان وما برحت مستحكمة مع استمرار ارتفاع نسبة البطالة الى ارقام قياسية » ومن حيث اصطحابها بتضخم مستمر ومتصاعد دون توقف . حتى لقد صك الاقتصاديون لهذه الازمة تعبيرا جديدا هو « الكساد التضخمى » . وقد طرح هذا الوضع للنقاش — لاول مرة منذ قرون — ضرورةتغيير هيكل واسس النظام الاقتصادى العالمى الراهن، على نحو يحقق العدالة والتقدم لمجموع البشرية وحماية السلام العالمى ، بدلا من ان تستأثر القلة من الدول الصناعية المتقدمة بحصة الاسد من الدخل العالمى ، فى حين أن العالم الثالث الذى يحتضن ٧٠٪ من البشر ، لايزيد نصيبه من الدخل العالمى ، بما فى ذلك الدول المنتجة للبترول ، عن ٣٠٪ ويتدنى وزنه الصناعى الى ٧٪ من مجموع الانتاج الصناعى فى العالم .

ولهذا لم يكن من قبيل الصدف العابرة ان يبادر العالم الثالث ، من خلال المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز الذى انعقد بالجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ ، قبيل شهر واحد من حرب أكتوبر ، الى شن الهجوم على النظام الاقتصادى العالمى الراهن والدعوة الى نظام جديد . وذلك وعيا منه بأن تقدم العالم الصناعى الرأسمالى واستمرار رخائه وقبضته على الاقتصاد الدولى، كان ومايزال رهنا بما يقدمه العالم الثالث من مواد خام وطاقة بترولية رخيصة ووافرة ، فضلا عن الاسواق المفتوحة لمنتجاته الصناعية ..

وكان قرار منظمة الاوبك ، التى تضم الدول المصدرة للبترول ، وكلها تنتمى الى العالم الثالث، برفع سعر تصدير الخام حتى بلغ عام ١٩٧٤ خمسة اضعاف السعر الذى كان سائدا قبلحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، هو أول قرار فىالتاريخ الحديث، يؤثر على الاقتصاد الدولى عامة والاقتصاد الرأسمالى خاصة ، لا يصدر عن أمريكا أو الدول الراسمالية وانما عن العالم الجديد النامى .

الظاهرة الخامسة : تتحدد فى نمـو وتقدم الدول الاشـتراكية ، اقتصـاديا وتـكنولوجيا وعسكريا ، على نحو مضطرد حتى فاق نصيبهـا من الانتاج الصناعى العالمى ٣٥ ٪ منه . كمـا نجحت فى أن تجنب اقتصادها عواصف التضخم والكساد وازمات الطاقة والبطالة . الامر الذى رجح من كفتها نسبيا فى ميزان علاقات القوى الاقتصادية والسياسية لعصر التعايش بالنسبة لكفة الدول الرأسمالية . واذا استخدمنا اسلوب المقارنة بين واقع الاتحـاد السـوفيتى وواقع الولايات المتحدة الامريكية ، فى اطار السنوات الاولى للوعاء الزمنى الراهن للانفراج الدولى ، لراينا أن الاتحاد السوفيتى قد قفز فى عام ١٩٧٤ الى نسبة ٨٠ ٪ من الانتاج الصناعى الامريكى بعد ان كان أقل من ١٥ ٪ فى عـام ١٩١٧ . فضلا عن أنه اصبح الدولة الصناعية الاولى فى أوروبا كلها . كما تفوق على الولايات المتحدة فى ١٩٧٥ فى انتاج البترول ، اذ بلغ انتاجه ٤٩٠ مليون طن ، على حين بلغ الحد الاقصى من الانتاج الامريكى ٤٦٥ مليون طن . وهو الان — الاتحاد السوفيتى — يحتل المكانة الاولى فى العالم فى انتاج : الفحم وفحم الـكوك ، خام وسـبائك الحديد ، الصلب ، الاسمنت ، الاسمدة الكيماوية الجرارات الزراعية ، القـاطرات الـكهربائية وقاطرات الديزل، المنسوجات الصوفية، الاحذية الجلدية .

الظاهرة السادسة : تتجسد فى نمو القوى التأثيرية ، السياسية — الاقتصادية ، للعـالم الثالث على مجرى الحركة العالمية .

ذلك أن العالم الثالث ، بعـد اكتساب دوله المستقلة لعضـوية الامم المتحدة ، اصبح يمتلك أغلبية الاصوات فى النظـام السياسى الدولى الذى اسسته ودعت اليه الدول الـكبرى التى انتصرت على النازية فى الحرب العالمية الثانية، وظل لمدة تزيد على الخمسة والعشرين عـاما الاداة الشرعية الدوليـة الموظفـة فى خـدمة المخططات الامريكية بالذات . أما اليوم فان العالم الثالث هو الذى يحدد ، بوزنه السياسى داخل المنظمـة ، قرار الشرعية الدولية المعـاصرة واتجاهاتها .

وبعد حرب اكتوبر ، التى استخدم فيها ضمن ما استخدم سلاح البترول لاول مرة ، تدعم هذا الوزن السياسى الذى امتلكه العالم الثالث بوزن اقتصادى مؤثر عالميا . وذلك نتيجة أن البترول مصدر الطاقة الرخيصة نسبيا يقع فى حـوزة العالم الثالث . هذا فضلا عن الكم الغالب من المواد الخام ، التى ظلت الحضارة العالمية عامة والغربية خاصة تعتمد عليها .

ويحتل الوطن العربى ، بثروته البترولية ، المنتجة والاحتياطية ، مركز الثقل داخل العـالم الثالث بوزنه النوعى الحديث .

الظاهرة السابعة : تتعلق بالمنجـزات التى تحققها على نحو لم يسبق له مثيل — كما ونوعا — ثـورة العلم والتكنولوجيا . وما ترتاده على الدوام من مجالات ظلت طلسما مجهولا ، وتفتحه من آفاق مستقبلية لا محدودة . حتى قيـل أن ما انجزته هذه الثورة من مكتشفات واختراعات على مدى الخمسة والعشرين عاما الاخيرة يفوق كل مكتشفات واختراعات العلم والتكنولوجيا فى التاريخ الانسانى كله .

ليس هذا فحسب ، بل ان الملاحظ ، اختصار المسافة الزمنية الى حـد التلاشى أحيـانا بين الاكتشاف العلمى الجديد وتطبيقاته التكنولوجية فى عمليات الانتاج المختلفة .

ومن هنا فان قوة كل مجتمع — اليوم وفى المستقبل — اصبحت تقاس بمدى ما يجنده من جيش من العـلماء والفنيين فى حقـل العلم والتكنولوجيا .

ولما كان تجنيد الحد الادنى اللازم من هذا الجيش من العلماء يحتـاج الى بيئـة علمية وحضارية متفتحة يسندها تاريخ طويل من الخبرة المتوارثة ، وقاعدة مادية — اجتماعية واسعة ومتطورة ، فان الدول الكبرى وحدها — وخاصة الرأسمالية منها بحكم سبقها التاريخى — هى التى تحتـكر اليـوم اهم ثمار ثورة العـلم والتكنولوجيا . والاخطر من ذلك أنها تشكل قوة جذب شديدة للعديد من العلماء والفنيين من ابناء العالم الثالث ، الذين تغريهم التسهيلات العلمية والامتيازات المعاشية والذاتية ، أو ينفرون من امتهان حقوق الانسان وحرية البحث العلمى فى مجتمعاتهم الوطنية .

والعالم العربى ، يتصدر العالم الثالث ، فى المعـاناة من هـذا النزيف لطـاقاته العـلمية والتكنولوجية ، فى وقت هو فى أمس الحاجة اليها .

الظاهرة الثامنة : تبدو انعكاسا لانطلاق حركة التعايش السلمى العشوائية والمخططة فى جميع الاتجاهات . فمع هذه الحركة الشاملة والتى لم تنضبط بعد وفق قواعد منهجية ، حدثت تغيرات وتبدلات فى المواقع والعلاقات على خريطة العالم القلقه . وأسفر ذلك عن تغيير ملحوظ فى أساليب ووسـائل التعامل الدولى .

فالقوى الامبريالية كفت بعد هزيمتها النهائية فى فيتنام وجنوب شرق آسيا فى ١٩٧٣ ، عن التحرش المباشر أو غير المباشر مع دول المعسكر الاشتراكى . وركزت اهتمامها على العالم الثالث

مصدر الطاقة والمواد الخام الرخيصة . ولكنها كفت عن التدخل بأسلوب الغزو العسكرى ـ الاقتصادى من الخارج ، وتبنت أساليب متعددة للغزو من الداخل . وذلــك عن طريق العمــل الطويل المدى والمرن من خلال قوى وطنية محلية ذات وزن اجتماعى ، كما حدث فى تشيلى ولبنان وانجولا مؤخرا .

والبلاد الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحــاد السوفيتى ، لم تعد تقصر تعاملها على ما كان يسمى بالبلاد الوطنية التقدمية فى العالم الثالث . وانما مع بروز الوزن السياسى ـ الاقتصادى للعالم الثالث ككل أخذت توسع من علاقاتهــا بحيث تشمل الجميع دون استثناء ودون اشتراط الطابع الاجتماعى التقدمى للنظام ، مثل مايحدث اليوم مع ايران وتركيا والمغرب .

والبلاد الرأسمالية الاوروبيــة ، راحت فى محاولة لصلب عودها وضمان وجودها ومستقبلها ، تتجه نحو نسج علاقات جديدة من تعاون اقتصادى ـ تكنولوجى ـ عسكرى مع بلدان العالم الثالث . وخاصة مع بلدان الشرق الاوسط وافريقيا فى محاولة لبناء تكتل أو سوق أوروبيــة ـ شرق أوسطيه ـ أفريقية مشتركة . وهى جميعا تتخذ من البلاد العربية وخاصة الواقعــة فى حوض البحر الابيض المتوسط والخليج العربى مفتــاحا رئيسيا لهذه السوق .

وازاء هذا كله ، أصبح من المألوف أن تتواصل ، دون حرج أو فيتو من اى قوة ، علاقات كل دولة مهما كانت صغيرة ونائية ، مع كل من المعسكر الرأسمالى وخاصة أمريكا ، والمعسكر الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفيتى ، فى وقت واحد .

الظاهرة التاسعة : تفيد أنه مع تنامى الانفراج الدولى والتعايش السلمى ، أخذت الكيانات العنصرية ـ الاستعمارية التى زرعت كقواعد أمن عسكرية ، فى شكل دول ، لحماية المصالح الامبريالية فى أفريقيا وآســيا ، تفقــد دورها التقــليدى . بل وقــدرتها على الاســـتمرار والاستقرار . وذلك مثل جنوب أفريقيا وروديسيا فى افريقيا واسرائيل فى آسيا .

وغدت بالتالى استثمارا خاسرا ، ينوء بحمله الاقتصاد الرأسمالى العالمى الذى يعانى الانهاك ومن هنا تتجه النظرة الامبريالية لهــذه الدول العنصرية نحو دراسة امكانيــة تحويلها ـ فى المدى المتوسط ـ الى قاعدة اقتصادية صناعية تكنولوجيــة متطــورة تكون امتدادا للرأســمال العالمى فى محيط العالم الثالث الغنى بموارده الطبيعية . وتلعب دور « المدينة المتقدمة » وسط « ريف متخلف » . وذلــك لتحقق الرأســمالية العالمية ثلاثة أهداف :

الاول : تقوية مركزها فى حلبة المنافسة مع الاقتصاد الاشتراكى التى يشتد أوارها .

الثانى : ضمان الحـد الادنى من استمرار العالم الثالث كمصدر للطاقة والمواد الخــام الرخيصة .

الثالث : معالجة المشروع الاستثمارى للدولة العنصرية الذى بات خاسرا ، بحيث يتحول الى مشروع ناجح اقتصاديا ، قادر على تمويل واعاشة نفسه بنفسه .

الظاهرة العاشرة : تنبىء بأن مستقبل التعايش السلمى واتجاه حركته الرئيسى وطبيعة القواعد والاساليب التى تحكمه ، سوف تتقرر فى الشرق الاوسط ، حيث يحتل الوطن العربى مركز الثقل فيه .

وما نقصده ، بتعبير اكثر دقــة أن الشرق الاوسط بمكوناته وصراعاته المعقدة ، ســوف يكون مسرح الاحداث ، لحركة مجموع القــوى العالمية والمحلية ، فى تحديدها نسبة الانفراج ونسبة الصراع فى سياسة التعايش . والمعمل الذى تجرى داخله تجربة العديد من الاشــكال والصيغ للتعايش ، حتى تتبــلور واحدة منهــا تفرض قواعدها على الجميع .

وتكتسب هذه الظاهرة قوتهــا وابعادها من واقع أن الشرق الاوسط هو موطن أعمق واعقد بؤر الحرب الساخنة فى العالم المعاصر ، التى يجسدها الصراع العربى ـ الاسرائيلى بأبعاده العربية والاقليمية والدولية . وهى بؤرة لا سبيل الى اطفاء نيرانهــا دون أن يحصل الشــعب الفلسطينى من خلال حركة تحريره المسلحة على كامل حقوقه الوطنية المشروعة وتسترد جميــع الاراضى العربية المحتلة فى ١٩٦٧ . وليس لهذا من معنى الا تصفية النظام الصــهيونى واقامة الدولة الديمقراطية العلمانية فى فلسطين . وهو أمر لا يمكن أن تقبله اسرائيل والا حكمت على نفسها بالانتحار .

ومن هنا فتجدد الصراع ، بأسلحته القتالية والبترولية ، أمر متوقع ووارد فى حسابات كل الاطراف المحليين والعالميين . فضلا عن احتمال استخدام الاسلحة النووية ، بعــد أن خرجت اسرائيل بالتهديد بها من التلميح الى التصريح . فى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى الــذى انعقد بموســكو فى الرابع والعشرين من فبراير ١٩٧٦ ، قال « ليونيــد بريجنيف » : « ليس فى الشرق الاوسط حرب الان .. ولكن ليس فيه أيضا سلام ، ناهيك عن الهدوء . ومن ذا الذى يتجرأ ويتكفل بألا تنشب العمليات الحربية من جديد » .

وفى السادس والعشرين من فبراير ١٩٧٦، طالب فى واشنطن اثنان من كبار الخبراء العسكريين الاستراتيجيين الامريكيين [ديل توبمان وروبرت برايتر] الحكومة الامريكية بمنح الاولوية للصراع فى الشرق الاوسط على قضية المفاوضات للحد من انتاج الاسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفيتى .. « ذلك ان الامكانيات الجديدة المتوفرة لدى الجانبين الاسرائيلى والعربى وخاصة مصر — على حد قولهما — تجعل منطقة الشرق الاسط اكثر المناطق صلاحية لان تقوم فيها حرب نووية ، وأن يمارس الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة صراعا سافرا » .

وتزداد أهمية هذه الظاهرة باتصالها العضوى بقضية الطاقة البترولية فى العالم التى تتفاقم أزمتها . واذا كان العالم العربى قد انتج عام ١٩٧٤ ، ٩٢٢٫٢ مليون طن . فان أقرب الاحتمالات أن تصبح منطقة الخليج بشقيها العربى والايرانى أغنى منبع بترولى منفرد فى تاريخ العالم على نهاية عام ١٩٧٦ حيث يصل انتاجها الى حوالى ١٫٥ مليار طن . وبالتالى تغدو أهم مركز من مراكز التأثير الاقتصادى على امريكا واوروبا خاصة والعالم عامة . وبالتالى ذات وزن حاسم فى تقرير مستقبل التعايش السلمى .

واذا اضفنا الى ذلك الموقع الاستراتيجى للمنطقة كنقطة لقاء بين أفريقيا وآسيا واوروبا ، فضلا عن الصراعات المحتدمة من حول قبرص والبرتغال وأسبانيا رجل أوروبا المريض ، يتكشف لنا انها منطقة البراكين الملتهبة فى بداية عصر التعايش ، والوطن المرشح تاريخيا ، لحسم اتجاهات الانفراج الدولى حتى نهاية القرن .

— ٥ —

فى ضوء هذه الظواهر العشر للوعاء الزمنى العالمى المعاصر تتحدد أهمية وخطورة نفس الوعاء بالنسبة للوطن العربى ، حاضرا ومستقبلا

ونحن لا نغالى اذا قلنا بأنه لم يحدث — فى تاريخ القرن العشرين — أن توافر لامة ذات تراث حضارى عريق ومتنوع ، تفتت واختلت وأصابها التخلف الشديد ، مثل هذه الظروف الموضوعية الجديدة ذات الطابع الاستثنائى ، للانطلاق الحر بالامكانات والطاقات الغنية — ماديا وبشريا وجغرافيا — الكامنة فيها ، كما توافرت للامة العربية فى هذه السنوات الاخيرة من القرن العشرين التى بدأت منذ عام ١٩٧٢ . بحيث يمكن القول أن وعاءها الزمنى للمرحلة الراهنة يختزن ، بالفعل ، « وقتا ذهبيا » ، أو على الاصح « وقتا بتروليا » بالمعنى التاريخى . وبالتالى فليس من حق أحد فى أمة العرب ، أن يضيع من هذا الوقت لحظة واحدة دون تقدم وتفاعل ديناميكى مع حركة الاحداث . وذلك من أجل السيطرة عليها وقيادتها .

ومع ذلك ، فان الامانة تقتضينا أن نسجل اننا بددنا من هذا « الوقت البترولى » ، ثلاث سنوات كاملة دون فائدة تذكر ، اللهم سوى تسديد ضربة اكتوبر الجزئية ، والهامه تاريخيا، ضد اسرائيل فى ١٩٧٣ . عدنا بعدها ، من جديد ، الى قوقعة الزمن الميكانيكى والامساك السهل بذيل حركة الاحداث . واجترار تحليلات ما قبل التعايش السلمى وحرب اكتوبر والوقت البترولى . فى حين لم يبق لنا — بعد — غير اربعة وعشرين عاما وحسب من رصيد هذا الوقت البترولى التاريخى ، الذى تجمع التوقعات العالمية على استنفاذه مع نهاية القرن العشرين.

والثابت من استقراء الاحداث أن بروز التعايش السلمى والانفراج الدولى ، بديلا عن الحرب الباردة ، فى وقت تفاقمت فيه أزمة الطاقة عالميا ، جنبا الى جنب ، مع أزمة الصراع المصيرى مع الصهيونية واسرائيل قوميا ، قد ولد أفضل الظروف الموضوعية لخدمة القضية العربية بأبعادها المختلفة . وسلحها بقوة دفع هائلة وذات معدل سريع ، للتقدم النوعى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا وتكنولوجيا .

وفى هذا الاطار لايغيب عن أوراكنا اربع وقائع تاريخية .

الواقعة الأولى : أن اسرائيل زرعت بقوة الامبريالية والصهيونية فى فلسطين وأنزلت بالعرب ثلاث هزائم متلاحقة ، فى عصر الحرب الباردة . وأن أول هزيمة تكتيكية انزلها العرب باسرائيل ، من خلال أول حرب عربية هجومية منذ بدء الصراع ، قد وقعت مع بدايات عصر الانفراج الدولى والتعايش السلمى .

الواقعة الثانية : أن البترول العربى ، اكتشف وانتج واستغل لغير صالح أصحابه العرب من جانب الاحتكارات الامريكية والاوروبية المسيطرة فى ظل هيمنة الحرب الباردة ، وانه فقط مع بدايات عصر التعايش السلمى ، تمكن العرب من استعادة سيطرتهم — الكلية والجزئية — على بترولهم، انتاجا وضخا وتسعيرا . بل واستخدامه لاول مرة سلاحا اقتصاديا مقاتلا فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ . فضلا عن تكوين أضخم تراكم رأسمالى فى زمن قياسى فى التاريخ من حصيلة فوائضه .

الواقعة الثالثة : ان حركة التحرير الفلسطينية المسلحة المعاصرة قد تم التخطيط والاعداد لكوادرها القيادية والمقاتلة الأولى فى مناطق البترول العربية مع نهايات عصر الحرب الباردة وأستمر نضالها العسكرى والسياسى يتصاعد ، كما وكيفا ، مع سنوات الاتجاه المتزايد نحو

الانفـراج الدولى والتعايش السـلمى . حتى فرضت وجودها الشرعى عالميا فى المجتمع الدولى ومنظمته فى ١٩٧٤ من ناحية ، وادانة الصهيونية عالميا كحركة عنصرية معادية لحقوق الانسـان وحرياته عام ١٩٧٥ من ناحية أخرى .

الواقعة الرابعة : ان كـل من الامبرياليـة الامريكية والاستعمار الاوروبى القديم والجـديد واسرائيل ظلت ــ أساسا ــ تحتفظ بمواقـع الهجوم فى صراعها مـع حركة التحرر العربى طوال عصر الحرب الباردة . ولم تكن تنتقل الى مواقع دفاعية الا فى حالات استثنائية . ولـكن منذ بدايات عصر التعايش السلمى وانفجار حرب اكتوبر تبدلت الاوضاع . وتحولت حركة التحرر العربى ، وفى قلبها الثورة الفلسطينية ، الى مواقع الهجوم فى حـين تراجعت الامبرياليـة والاستعمار واسرائيل الى مواقع الدفاع أساسا ولا تلجأ ــ حاليا ــ الى الهجوم الا فى حالات استثنائية ومستترة سياسيا ، مثل دبلوماسية الخطوة خطوة ، واشعال نيران الحرب الاهلية فى لبنان أو بين الجزائر والمغرب فى الصحراء الغربية ، وانشاء وكالة الطاقة الدولية لمواجهة مخاطر السياسة البترولية العربية المستقلة .

ان استيعاب ابعـاد هـذه الوقائع الاربـع التاريخية المقـارنة ، يكشـف كنه التفاعل بين الوقت البترولى العربى وعصر التعايش السلمى ، ومدى ما يولده من معطيات واقعية فى وطننا ، لترشيد المجرى العام لحركة التطور نحو هدف محدد هو « تحويل الكم العربى غير المنتج وغير المؤثر » الى « كيف عربى منتج ومؤثر » .

وهنـا بالدقة يكمن المفتـاح الرئيسى لحركة القوميـة العربية فى عصر التعايش السـلمى والوقت البترولى ، اى فى الاربعـة والعشرين عاما القادمة : الانتقـال بالوطن كله ــ بلادا ونظما وطبقات ــ من مرحلة الكم الى مرحـلة النوع .

كيف ؟

ان الصعوبة الجوهرية التى تواجه اى اجابة علمية وواقعية عن هذا السؤال تتركز فى أربعة أبعاد .

البعد الاول : ان هنـاك تناقضات سياسية واجتماعية لا جدوى من انكارها داخل الوطن العربى . بين النظم الجمهورية والنظم الملكية . وبين البلاد التى تنهج نهجا تقليديا ينحو نحـو الرأسمالية وبين البلاد التى تنهج نهجا اجتماعيا تقدميا لا رأسماليا . بل انه داخل مجتمع كل بلد تثور بالضرورة الصراعات الاجتماعيـة بين الطبقات والقوى والاحزاب .

البعد الثانى : انه مع صـعود وزن البترول وتراكم فوائضه الهائلة حدث تمايز بمعيار جديد بين البلاد العربية الغنية بالبترول والبلاد العربية العارية من البترول أو المحدودة الانتاج . وهذا التمايز افرخ بالضرورة مايمكن ان نسميه «بالعقدة البتروليـة الاجتماعيـة الاقليمية » ذات الاثار الانفصامية فى الوطن العربى .

البعد الثالث : هو فى النمو غير المتـوازن للبلاد العربية اقتصـاديا واجتماعيا ، نتيجـة سنوات القهر الاستعمارى والاستبداد الاقطاعى والاستغلال الرأسمالى البـدائى أو العصرى ، بدرجات وازمان وموارد طبيعية وكيانات تنظيمية متفاوته ومختلفة . مما ترك آثاره المتباينة على درجـة التطور الصـناعى والزراعى وتـكوين الكوادر الفنية ، والمستوى الثقافى الخ .. فى كل بلد .

البعد الرابع : انه مع نهاية حرب اكتوبر ، تفجرت الصراعات بين النظم العربية ، وخاصة فى بلاد المواجهـة مع اسرائيل بالاضـافة الى الثورة الفلسطينية ، حول أهداف واسـاليب استثمار النتائج السياسية للحرب ، وحول اتجاه مسار الصراع المصيرى مع الصهيونية والامبريالية وما يتصل بذلك كله من العلاقات العربية مـع كل من الاتحـاد السوفيتى والولايات المتحـدة واوروبا الغربية بصفة خاصة .

هذه الصعوبة بأبعـادها الاربعة ، حقيقـة واقعة ، لا مفر من الاصطدام بها عنـد حركة الانتقال بالوطن العربى من « الكم » الى « الكيف »

اذن ، ما العمل ؟

العمل هو فى مواجهة الصعوبة والتعـامل معها مباشرة ، بمنهاج علمى موضوعى ذو نظرة شاملة ، مستقبلية وغير تقليدية . وهذا المنهاج لا يتناول الصعوبة كشىء مجرد فى الفراغ . وانما كجزء متداخل عضويا فى تركيب قومى ، معقد واقعيا ، ويتسم بديمومة الحركة . وعلينا أن نستنبت من هذا التركيب « المصل السياسى والاجتماعى المضاد » لهذه الصعوبة .

وفى تحليلنا ان هـذا « المصل » يتـكون من مجموعة مترابطة من العوامل ، التى تتسـم ، بحكم تفاعل عصر التعايش السلمى مع الوقت البترولى ، بفـاعلية ديناميكية غير عـادية . نلخصها فى العوامل الخمسة التالية :

اولا :

ان التحدى الاسرائيلى بأبعاده الصـهيونية والامبرياليـة ما يزال يواجـه : لا الشـعب

الفلسطيني وحسب ، وانما كل بلد عربي دون استثناء ، ويكلفه مباشرة او بطريق غير مباشر، دماء وجهدا ووقتا ونفقات تسليح ، فضلا عن احتلال الارض والتسلل الى منابع البترول والثروات الطبيعية . وهذا التحدي بطابعه القومي الشامل ، الذى احدثه هزيمة ١٩٦٧ ، اصبح من الضروري حسمه خاصة وان الظروف لذلك مهيأة تاريخيا ، دوليا واقليميا . وذلك من اجل توفير كل الطاقات المخصصة لذلك والتى تبتلع مالا يقل عن ٣٠ ٪ من الناتج القومي العربي .

واذا كانت الحركة التحريرية الهجومية الاولى قد حققت نجاحاتها من خلال الوصول الى حد ادنى من وحدة العمل العسكرى والاقتصادى والسياسي للبلاد العربية ، على اختلاف اتجاهاتها ونظمها الاجتماعية ، فان تكثيف هذه الحركة التحريرية لتحقيق اهدافها فى أقصر وقت ، يستلزم رفع مستوى وحدة العمل العربي الى أقصي حد . وخاصة بعد ان استنفدت سياسة الخطوة خطوة طاقاتها على الحركة ووصلت الى طريق مسدود .

ثانيا :

أن من الاثار العالمية لحرب اكتوبر ، تزايد وزن البترول العربي وتأثيره على النظام الاقتصادى العالمى ، الذى ظلت القوى الاحتكارية الغربية تحكمه وتسيره على مدى يزيد على قرنين من الزمان .

ونتيجة لهذا تحركت الاحتكارات الغربية بشراسة فى مختلف الاتجاهات وبأشكال متعددة لحصار هذا التأثير والتقليل من وزنه .

فعمدت الى التهديد باحتلال منابع البترول بالقوة المسلحة غير عابئة بعلاقات الصداقة التقليدية التى بين دولها وبين بعض البلاد العربية المنتجة للبترول . وانشأت وكالة الطاقة الدولية ، التى نجحت حتى الان ، جزئيا ، فى تخفيض الاسعار العادلة التى قررتها الاوبك للبترول . وهى تواصل الجهد بعد هذا النجاح الجزئى من أجل مزيد من خفض الاسعار واعادة السيطرة الكاملة على عمليات الانتاج والنقل والتسويق .

وفى نفس الوقت تنهج أسلوب الغزو من الداخل ، بعد أن تعذر عليها ممارسة اسلوب الغزو من الخارج ، ضد مجمل لوطن العربى . وذلك باشعال نيران الحرب الاهلية والفتن فى جميع أجزائه ، لتفجير صراعات عربية ـ عربية ، من ناحية واهدار طاقاته ، من ناحية اخرى ؛ لسد الطريق عليه نحو التقدم .

بدات بلبنان فى ١٩٧٥ ، ثم فى الصحراء بين الجزائر والمغرب وموريتانيا فى ١٩٧٦ . وكانت قبل ذلك قد فجرت الصراعات السياسية بين أعضاء حلف اكتوبر : مصر وسوريا والثورة الفلسطينية منذ ١٩٧٤ .

واغلب الاحتمالات ـ فى ضوء استقراء حركة الاحداث ـ انها تخطط ، بعد ذلك ، لاشعال النار فى الصومال وجنوب السودان ، وفى الخليج العربى حيث يتراكم اكبر مخزون بترولى فى العالم ، نسبيا .

وبذلك يتهدد الخطر كل اجزاء الوطن العربى، دون استثناء ، بنيران تشتعل فى القلب وعلى الاطراف الغربية والشرقية والشمالية والجنوبية

ومن هنا تبرز المصلحة القومية المشتركة للوطن العربى فى التصدى الجماعى لعملية الحريق التخريبية الشاملة .

ثالثا :

ان الخليج العربى بثورته البترولية الهائلة قد تحول ، فى نظر الاحتكارات والقوى التوسعية غير العربية الجديدة فى المنطقة ، الى ما يمكن أن يسمى فى قاموسنا السياسى « بفلسطين البترولية » أو « أرض الميعاد البترولية » للقوى الاحتكارية والتوسعية . وبالتالى فهناك خطر محتمل ، أن يحاصر الجزء الاسيوى من العالم العربى بين « اسرائيل الصهيونية » فى الغرب و « اسرائيل البترولية » فى الشرق .

وذلك من اجل تقوية وصلب عود اسرائيل الصهيونية التى تعانى بدايات مرحلة الانهيار منذ ضربة اكتوبر ١٩٧٣ ، والضربات العسكرية والسياسية المتنامية القوه من الثورة الفلسطينية . فضلا عن محاولة سلب منبع من أهم منابع الطاقة ، من العالم العربى ، وتشديد حواجز الفصل بين مشرق الوطن العربى ومغربه .

وهذا العامل ـ فى حد ذاته ـ يبنور محورا من أهم محاور المصلحة القومية العربية المشتركة فى طورها الجديد .

رابعا :

ان البترول ، منبع الثروة العربية المعاصرة ؛ هو بطبيعته مورد غير متجدد . وسيأتى زمن

تجفف آباره . وان ما يجرى الان بالنسبة للبلاد العربية المنتجة للبترول هو فى حقيقته تبادل أصول عينية بأصول مالية . وهذه الاصول المالية تخضع فى النهاية لسيطرة الدول المستوردة ونظمها المالية وما تعانيه من تضخم . والامر المؤكد — اليوم — أن التضخم قد ابتلع بالفعل حوالى ٣٥ ٪ من الزيادة فى سعر البترول التى فرضتها دول الاوبك . وبالتالى فان المصلحة الحالية والعاجلة للدول العربية المنتجة ، أن تسابق الوقت — ديناميكيا — من اجل تعويض الجفاف البترولى المحتمل ، وابتلاع التضخم لنسبة كبيرة من عائداته بعملية تنمية ، صناعية زراعية ، سريعة وواسعة النطاق لتضمن استمرار وتقدم الحياة الانسانية لشعبها . خاصة وأن البترول الخام اليوم يمثل ما بين ٩٠٪ الى ٩٥ ٪ من ايرادات التصدير لهذه الدول .

وهذا النوع من التنمية الاقليمية ، المطلوبة كقضية حياة أو موت بالنسبة لكل دولة ، ليس من الممكن ان تتم بمعزل عن مجمل العالم العربي بطاقاته المتعددة وكوادره العاملة والفنية ، أو حتى كسوق على الاقل .

ومن هنا كان لا مفر من ان تتخذ التنمية طابعا قوميا يشمل كل الوطن العربى . يتم خلالها الاخذ بنظام تقسيم العمل العربى وتنسيق التكامل الاقتصادى المشترك بين جميع الاجزاء . وتوظيف الفوائض العربية البترولية الهائلة والتى تتراوح التقديرات العالمية لها بين ١١٠ مليار دولار [تقدير جيمس اتكنز خبير الطاقة الامريكى] وبين ١٨٠ مليار دولار [تقدير الفاينانشال تايمز] فى عام ١٩٨٠ ، توظيفا رشيدا ومنتجا ومضمونا فى الوطن العربى ، يجنبها بلوعات التضخم والهزات المالية والاقتصادية والاجتماعية للنظام الرأسمالى العالمى . وثمة مجالات بكر ورحبة دون حدود فى العالم العربى صالحة للاستثمار ورفع المستوى المعيشى العام للانسان العربى وللناتج القومى . نذكر منها على سبيل المثال ، الحديد فى بلدان المغرب العربى والواحات المصرية والفوسفات فى المغرب والاردن ومصر ، والكبريت فى العراق ، والنحاس والكروم والمانيزيوم والجص والفروريت والاورانيوم والمعادن النادرة فى شبه الجزيرة العربية وسيناء . والمساحات الشاسعة غير المستغلة زراعيا فى سوريا والعراق ولبنان والمغرب والسودان والصومال . هذا كله فضلا عن استثمارات الغاز الطبيعى فى الوطن العربى والتى تقدر طاقته مبدئيا بـ ١٠ر٠٠٠ مليار متر مكعب ، والطاقة الشمسية الواسعة الثراء فى بلادنا (*)

خامسا :

فى العصر الراهن ، وفى المستقبل ، التقدم ومواصلة التقدم يرتهنان بالكتل الاقتصادية الكبيرة ذات العمق الانتاجى مثل السوق الامريكية والسوق الاوروبية وسوق الكيمكون الاشتراكى . ولا حياة للاسواق الصغيرة والهامشية . ومعيار السوق الكبير — اليوم — هو حجم بشرى اجتماعى موحد لا يقل عن مائة مليون نسمة . ففى هذا الاطار فقط تتوافر القدرة على الانتاج الكبير والمتنوع والجيد ، وعلى التحديث ، وعلى استيعاب وتطوير ثورة العلم والتكنولوجيا ، سواء ذاتيا او بالتبادل الكفء مع الغير .

ومن هنا تبرز المصلحة القومية المشتركة لكل بلد عربى ولكل طبقة اجتماعية ، فى ضرورة العمل على بناء كتلتها الاقتصادية العالمية الكبيرة . ذلك ان كيانات من مليون او خمسة او عشر او حتى اربعين مليونا لم تعد قادرة بمفردها على الحياة ، ليس بمستوى المستقبل المنظور وحسب ، بل أيضا بمستوى الواقع الراهن .

وهكذا ، يمكن بأسلوب حقن الصعوبة ذات الابعاد الاربعة ، بالمصل ذى العوامل السياسية والاجتماعية الخمسة ، ان نتوصل الى « الصياغة الممكنة واقعيا لحياة وتقدم الوطن العربى » فى عصر التعايش السلمى والوقت البترولى . وهذه الصياغة تتحدد فى اطار جدلى هو : « التعايش القومى مع استمرار حيوية الصراع الاجتماعى والسياسى » .

بمعنى أن التعايش الذى تستلزمه ، طبيعة الظروف التاريخية الاستثنائية ، يستند الى المصالح القومية المشتركة الجديدة فى بناء الكيان الاقتصادى القومى الموحد ، الذى ينقل العرب من حالة « الكم » المهمل الفاقد الحيوية رغم ثراء طاقاته ، الى حالة « الكيف » المنتج والمؤثر على حركة الاحداث فى المنطقة وفى العالم .

بيد أن هذا التعايش ، لكى يستقر ويتطور سلميا ، لا يجب أن يصادر حق جميع النظم والطبقات فى العالم العربى فى الصراع الفكرى والسياسى والاجتماعى فيما بينها ، وصولا الى أكثر الاوضاع تقدما وحرية وعدالة للانسان العربى فى نهاية القرن العشرين .

كيف ؟

هذه قضية أخرى تحتاج لمناقشة تفصيلية ، نرجو أن نقوم بها فى المستقبل القريب (*).

عـام على غيـــاب البطـل

.. مضى عام على غياب يوسف صديق الفارس المقدام ، أحد صناع ثورة يوليو .
كثيرون هم الرجال الشـــجعان الذين يضحون من أجل أوطانهم . لـــكن هؤلاء الذين يمتلكون الشـــجاعة وروح التضحية ويمتلكون معها وضوح الرؤية ، والقـــدرة على توجيه الضربة الحاسمة في اللحظة التاريخية المحددة .. هؤلاء قليلون جدا .
ولقد كتب الكثير عن تاريخ ثورة يوليو ، وعن دقائق ليلة يوليو ، ولقد اختلف الرواة فيما بينهم ، تشابكوا حـــول هذه الحقيقة أو تلك ، لكن شيئا واحد اتفقوا واجمعوا عليه هو الدور البـــارز والمتميز والحاسم

للقائمقام يوسف منصـــور صديق . الذى حرك قواته قبل ساعة الصفر واتجه بها نحو ثكنات العباسية ثم نحو مقر قيادة أركان حرب الجيش ليحتلها ويعتقل قادة الجيش الملـــكى مجتمعين معلنا الانتصـــار الحاسم للثورة ولمصر .
والبطل دائما بطل ، يخوض الثورة كما يخوض الحرب كما يخوض السياسة .. مبرزا ، متميزا .

ففى ميدان القتال ، فى حرب فلسطين ، كان يوسف صديق نموذجا يحتذى للضابط المصرى ، هكذا تؤكد وثائق الحرب .
ولنقدم كنموذج وثيقة واحدة منها :
رئاسة القوات المصرية بفلسطين :
رقم القيد ٤/٥/٤/٤٨/٤٠٨
المجدل فى ١٩٤٨/٧/٢٥ .

حضره صاحب العزة قائد اللواء المشاة الثانى :
قمت اليوم بالمرور على كتيبتى البنادق السادسة المشـــاة والسابعة المشـــاة فى مواقعهم الدفاعية فى قطاع اللواء قيـــادة عزتكم وقد لاحظت الملاحظات الاتية التى أريد أن تنال عناية عزتكم :

كتيبة البنادق السابعة المشاة (**كتيبـــة يوسف صديق**) .
اننى اعتبر المواقع الدفاعية لهذه الكتيبة مثالا يحتذى به ، وتوزيعها ينطبق تمـــاما على أصول التكتيك . الامر الذى يجعلنى أسجل شكرى لقائدها واتعشم أن يحاول جميع القـــادة الوصول بكتائبهم الى هذا المستوى ...
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

لـــــواء
قائد عام القوات المصرية الفلسطينية

ومن البطولة فى ميادين القتـــال ، الى البطولة ليلة الثورة ، خيط واحد ممتد ، أمسك به ذلك الرجل الذى وصفته مجلة آخر ســـاعة (العـــدد ٩٣١ بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٥٢) قائلة : « عملاق طويل عريض ، لفحته الشمس فى معســـكرات الجيش فجعلته أشبه ما يكون بتمثال من البرونز لفارس محارب مدرع من القرون الوسطى .. دبت فيه الحيـــاة بمعجزة .. فخرج الى عالم المغامرات » ..



يوسف صديق

والفارس الاسطورى لا يلبث أن يصطدم بأى انحراف عن اهدافه الواضحة ، فيقدم استقالته من مجلس الثــورة فى فبراير ١٩٥٣ ، لكن دين الثورة عليه ودينه على الثورة يبقى لثورته دوما . وفى خضم أزمة مارس ١٩٥٤ يوجه يوسف صديق الرسالة التالية الى الرئيس محمد نجيب :

السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيــادة الثــورة ورئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العــام لجمهورية مصر البرلمــانية .

السلام عليــكم ورحمة الله وبركاته . وبعد .

فلاشك أنكم تقدرون مدى المسئولية التى أتحملها معكم أمام التاريخ عن مصير هذه البلاد نتيجة للعمل الايجابى العنيف الذى قمت به فى يوم ٢٣ يوليــو ١٩٥٢ والذى لا أستطيع أن أفلت من مسئوليته حتى بعد استقالتى من مجلس قيــادة الثــورة فى فبراير ١٩٥٣ . فالتاريخ دقيق وصارم فى حسابه . ولا يسعنى وأنا أشــعر بهذه وأرى ما يجرى فى هذه الايام الاخيرة من احداث أن اتخلف عن أداء واجبى نحو هذا الوطن بعرض ما أراه كحل للازمة الشديدة التى تعانيهــا البــلاد فى هذه الظروف العصــيبة . حتى أكون قد أديت واجبى كاملا نحوكم كزمــلاء يتحملون مســئولية ضخمة أمام التاريخ ونحــو البــلاد التى اصبحت فى حاجة ماسة الى علاج عاجل حاسم تستقر به النفوس وتهدأ الاعصاب وتنام الفتنة التى تطل برأســها على هذا الشعب .

وانى أعرض رأيى على الوجه الاتى :

١ ــ ان حال البلاد الان أشــبه بحال المريض ويحاول كل مخلص من ابنائها أن يهتدى الى العلاج الناجع . وأن يهدى اليه الاخرين . فاذا طال الجدل فى هذا الموقف دون الوصول الى العلاج تعرضت حيــاة المريض الى خطــر محقق ليس أخطر منه الا أن يجرعه السم بدل الدواء .

٢ ــ لا يمكن الوصول الى العلاج الا بعد التأكد من معرفة الداء .

٣ ــ بالرجوع الى التاريخ الذى عملناه من يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى أن وصــلنا لهذه الحالة نلمس الاتى :

(أ) بعد طرد فاروق من البلاد فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ بدأ مجلس قيــادة الثــورة مناقشة الخطوة التالية التى كانت تتلخص فى هذا السؤال . . . لمن الحكم . . ؟ وكان هناك رأيان فى الجــواب على هذا الســـؤال :

أما احدهما فكان يرى دعــوة البرلمان المنحل ليباشر سلطته الشرعيــة .. وأما الاخر . فقال بعدم دستورية هذا الحــل ورأى أن نذهب مذهبا آخــر ثم اســتقر الرأى على استفتاء قســم الرأى بمجلس الدولــة مجتمعــا لهدايتنــا الى التصرف الدستورى الســليم . فافتى بأغلبيــة ٩ أصوات ضد صوت واحد بعدم دستورية دعوة البرلمان . وكان الصــوت الواحد للدكتور وحيد رأفت

(ب) سرنا على هدى الفتوى ووصلنا الى الحالة السيئة الراهنة . وتبين لنا أننا ضللنا الطريق .

(ج) بعد أن تبين لنا بوضوح اننا قد ضللنا طريقنا . فلا يكون تصحيح للوضع سوى أن نعود الى حيث يشكل علينا الامر فنصحح طريقنا ..

(٤) على ضوء هذه الحقائق فان علاج الموقف ينحصر فى احد حلين لا ثالث لهما

أ ــ تاليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلا فى البلاد وهى . الوفد والاخوان المسلمين والاشتراكيين والشيوعيين تشرف على اجراء انتخابات للبرلمان فى اسرع فرصة حتى تختار البلاد حكامها الشرعيين ويعود الجيش الى ثكناته ليستعد للقيام بواجبه فى تحقيق اهداف الشعب فى حدود طبيعة عمله التي تنحصر فى الاستعداد لمعركة التحرير واقترح ان يكون رئيس الوزارة المقترحة هو الدكتور وحيد رأفت الذى اكسبته حوادث التاريخ هذا الحق فلا تكون الرياسة محلا للخلاف .

[٥] اى حل آخر غير هذين الحلين يكون بمثابة اعطاء المريض السم بدل الدواء . فيكون مجافيا للديموقراطية التى تنشدها الثورة . ومن ثم يكون سببا فى استمرار الاضطراب الحالى وما يترتب عليه من سوء النتائج .

[٦] ان استمرار الحكومة الحالية فى حكم البلاد لتصريف شئونها بعد ان اعلن الشعب رايه فيها . وكذلك استمرار الهيئات التى انشأتها هذه الحكومة كلجنة الدستور مثلا . هو استمرار للسياسة التى ثبت فشلها وخطرها ــ فما دامت الحكومة قد قررت ان تترك للشعب اموره فليس لها ان تتعرض عليه او تقترح له . فانما قمنا فى يوم ٢٣ يوليو لتمكين الشعب من اموره . دون ان يكون لنا الوصاية عليه . لاسيما بعد ان اعلن هو رغبته فى ذلك واصراره عليه .

واننى اسأل الله لى ولكم السداد والتوفيق . والله ولى التوفيق .

القاهرة فى ١٧ مارس سنة ١٩٥٤ .

وتمضى الاحداث بمصر ، ويبقى البطل بطلا كما هو ، الاباء والشمم والرفض لكل ما يخالف ضميره ومبداه والتزامه .

وتمضى السنين ، ويترجل الفارس العملاق مستريحا .. وستمضى سنين عديدة ، وستأتى اجيال واجيال لكن اسم يوسف صديق سوف يظل على الدوام منقوشا فى قلب مصر كواحد من اعز ابنائها واكثرهم اخلاصا وتفانيا فى حبها .

كنموذج ملهم للمناضل المؤمن بالاشتراكية العلمية والقادر على الدوام على التضحية دفاعا عن مبادئها والتزاما بأهدافها .

ويوسف صديق الضابط الثائر ، المناضل الاشتراكى كان ايضا شاعرا يصوغ مواقفه شعرا .. يقول فيه .

انا وهبنا للجهاد نفوسنا ... لا تبتغى ربحا ولا اطماعا

والمؤمنون المخلصون يزيدهم ... ظلم الحوادث شدة وصراعا

ونفوس أهل الحق تأبى حرة ... وكريمة ان تشترى وتباعا

محمد على عامر



في هذا العــدد من الطليعة ينشر باب الرأى والرأى الاخر دراســة هامة للدكتور عبد الباسط عبد المعطى مدرس الاجتماع بجامعة عين شمس . وقد رأت الطليعة أن تبدأ بها هذا الباب لا لاهميتها فحسب . وانما لانها تشكل محاولة — من جانب الكاتب — لشرح أو لتحليل هذه الظـــاهرة التى برزت فى الدراســات التى قدمتهــا المجلة تحت عنوان « الهموم . . . » — وهذه ظاهرة تسطيح الوعى السياسى والاجتماعى عند شرائح اجتماعية واسعة . وفى هذه الدراسة ينــاول الكاتب — فى القسم الاول — مسئولية التنظيم السياسى عن هذه الظاهرة وفى القسم الثانى يناول — من خلال دراسة جريدة الاخبار من تحديد مســئولية بعض اجهزة الاعلام .

على ان السياسية قد تضمن ايضـــا تعليقات اخرى على دراسة الشخصيات التى نشرت عنها الطليعة فى اعداد سابقة . فنقرأ مقالا لسهام هاشم عن أم محمد . ومقالا لابراهيم القطان عن الاسطى حلمى زكى .

وبين الدراسات عن ظاهرة تسطح الوعى وبين تعليقات القراء والاصدقاء عن الهجوم ننشر الطليعة مقالا عن ابى ذر الغفارى لابراهيم السيد العشرى وتعليقات على مقــال مشكــلات الاســكان والتموين فى منطقة عمالية المنشــور فى العدد الماضى . ثم يسعدنا ايضـــا أن ننشر تعليقـا وردا من الات عبد الوهاب عن احدى كلمات الطليعة التى نشرت فى عدد فبرايــر الماضى تحت عنوان تأميم البنك الاهلى وبنك مصر ١٩٦٠ .



□□□□□□□□

أساليب تزييف الوعى المصرى المعاصر

○ مسئولية التنظيمات السياسية

○ ماذا تفعل وسائل الاعلام ؟

د• عبدالباسط عبدالمعطى *

هى دراسة علمية ولكنها ليست دراسة نظرية أو مجردة • وانما تقوم على اساس من التجربة الشخصية للكاتب كما تقوم على اساس الناجح التى يستخدمها كمشتغل بتدريس علم الاجتماع فى الجامعة •

وفى هذه الدراسة يحاول أن يشرح ظاهرة تسطيح الوعى فى مجتمعنا •

ان أهم خاصية فى مجتمعنا المصرى فى الاونة الاخيرة ، هى الحرية ، فكرا وممارسة ، فكل منا يستطيع الان التعبير بقدر واضح من الحرية دون قيود او رقابة أو خوف أو تهديد • وتكمن قيمة هذه الحرية فى أبعاد كثيرة تفوق الحصر والبيان ، الا انه من بينها اتاحة الفرصة لابداع الانسان المصرى ومشاركته فى قضايا مجتمعه ، وافادة المجتمع نفسه من جهود ابنائه • كما انها مع كل هذا فرصة سوف تكشف حتما عن العناصر الرجعية والمنافقة ، لانها ستظهرها وتعريها ، لان مثل هذه العناصر لاتقوى على الحركة الا فى الظلام ، وخلف سواتر تصنعها هى بنفسها لكى تحتمى فيها ومن خلالها •

على ان ممارسة الحرية فى اى مجتمع من المجتمعات رهن بمدى وعى أعضاء هذا المجتمع وجماعاته • وليست هذه فقط أهمية وجود وعى ناجح ، لان مسالة الوعى بعد هام وخطير فى حياة المجتمع ومسيرته التاريخية • ، فالوعى أرضية تيسر ممارسة الحرية والديمقراطية ، والمشاركة الايجابية فى قضايا المجتمع ، وبخاصة قضية التنمية الاجتماعية الشاملة التى تعد بالنسبة لمجتمعنا المخلص الوحيد من التخلف •

ومع التسليم بأن هناك صورا ايجابية ومحاولات مخلصة لتصحيح الوعى المصرى ، الا ان هناك رواسب مازالت قائمة ، ومازالت تمارس بطريقة اوبأخرى ، لتحقيق مصالح معينة ،

(*) مدرس علم الاجتماع — كلية البنات — جامعة عين شمس

او نتيجة لعدم الوعى بظروف المرحلة التى يعايشها مجتمعنا المصرى الان ، الامر الذى نتج عنه وجود بعض صور تزييف الوعى المصرى . وهذه الصور الاخيرة هى بؤرة اهتمام البحث الحالى ، لارغبة فى كشف العيوب والاخطاء فقط ، ولكن بهدف ممارسة النقد الايجابى ، ومحاولة التفهم العلمى الذى قد يلفت النظر الى بعض القضايا الهامة ، لان فى ذلك بعد كل هذا مدخل نحو توعية الجماهير ايا كان موقعها من السلطة فى مجتمعنا .

اطار البحث وابعاده

مفهوما الوعى والوعى الزائف :

يمكن لنا ان نعرف الوعى ــ دون الدخول فى مناقشات ومجادلات ــ بأنه انعكاس وتصوير للواقع المحيط بالانسان يقصد معرفة هذا الواقع وادراكه . وهذا يحتمل جانبين : جانب ايديولوجى مرتبط بحل المشكلات الاجتماعية الماثلة امام هذا المجتمع ، وبخاصة مايرتبط بتصور المشكلات وسبل حلها ، وحلها لصالح من ، بما يفضى الى تغيير العلاقات الاجتماعية أو الحفاظ عليها من خلال نظرة طبقية . واما الجانب الثانى ،فيشمل التجربة اليومية ويتوطد فى التقاليد والاعراف والعادات وماشابه ذلك . وهذا يعنى ، ان الوعى الاجتماعى ادراك للواقع الاجتماعى بمختلف أبعاده السياسية والاقتصادية والثقافية، والاحساس بالمشكلات الجوهرية وتفسيرها تفسيرا حقيقيا ، وتصور علاج هذه المشكلات وحلها من المنظورين الايديولوجى والعلمى فى وقت واحد « ١ »

وفى ضوء هذا المعنى ، يعد **الوعى الزائف** ادراكا غير حقيقى ، وانعكاسا مغلوطا مشوها للواقع الاجتماعى ، ويشمل هذا التزييف تصور المشكلات بطريقة معينة ، وتحديدها على نحو قد يحقق مصالح معينة ، والحيلولة دون ادراك أسبابها الحقيقية ، وخاصة مايمس من هذه الاسباب مصالح بعض الطبقات ، الامر الذى ينتج عنه حلولا ذات اتجاهات خاصة ، تحاط بعد ذلك بأطر من التبرير والتخدير والتسويف وما الى ذلك . وعليه ، يكون **تزييف الوعى** فى اى مجتمع نشاطا مقصورا يهدف الى الحيلولة دون المعرفة الحقيقية بالواقع وما يحويه من مشكلات ، ودون الادراك الحقيقى للاسباب الاساسية لهذه المشكلات . وتجدر الاشارة هنا الى نقطة هامة فى تزييف الوعى ، تتعلق بالقصد والتعمد . ذلك أن التزييف قد يشمل الاتيان المقصود لافعال وتصرفات وقرارات تحول دون الادراك الحقيقى للواقع والسعى نحو تغييره ، كما يشمل الامتناع المقصود عن آداء افعال وتصرفات ، لو تمت لساعدت فى تصحيح الوعى وبلورته . ويضاف الى كل هذا أنه اذا كان الوعى يستند الى الممارسة اليومية والبعد الايديولوجى والفهم العلمى ، فتزييف الوعى يستند ايضا الى هذه الابعاد .

مستويات الوعى الاجتماعى

يمكن لنا التمييز بين مستويين من مستويات الوعى : أحدهما عام يتعلق بالمجتمع ككل ، وبطبيعة المرحلة التى يعايشها ، وبنوعية المشكلات التى يعانى منها ، وبتصور هذه المشكلات وتصورات حلها ، ايديولوجيا وعلميا . والثانى وعى خاص بكل طبقة أو جماعة من الجماعات ، يتعلق بمصالحها واساليب تحقيق هذه المصالح . وبقدر التجانس والتقارب بين الطبقات ، يكون التوازن بين الوعى الخاص والعام ، وفى ضوء الايديولوجية المجتمعية تتحرك بعض الطبقات أو معظمها تجاه الوعى العام عندما تدرك أن تحقيق المصالح المجتمعية ارضية لتحقيق مصالح هذه الطبقات . وعلى هذا فكلما كان المجتمع منقسم الى طبقات وكلما كانت الفوارق كبيرة بين هذه الطبقات ، كان من الصعب وجود التقاء بين الوعى العام والوعى الخاص ، ويتمثل هذا عندما تحرص كل طبقة أو فئة على تحقيق مصالحها الخاصة ، بصرف النظر عما اذا كان هذا التحقيق سيضر بالمصالح العامة ، أو مصالح طبقة من الطبقات ، الاخرى الموجودة فى المجتمع .

بعض اساليب تزييف الوعى

يحفل تاريخ المجتمع الانسانى بأساليب كثيرة، استخدمت رسميا وطبقيا لتزييف الوعى ، وتقدم

---

(١) Kell; & M. Kovalren; Nistarical Materialism, Progress Publishers Moscow, 1973, pp. 220-231

□□□□□□□

لنا بعض البحوث الاجتماعية بعض هذه الاساليب على النحو التالى : —

١ — ترويج طقوس وعادات وتقاليد وقيم ، او بعبارة موجزة نشر عناصر ثقافية تكون بمثابة صمام أمان ييسر معوقات الوعى ويروج لها .

٢ — الضغط على المشاركين فى الواقع ، أو على بعض الطبقات ، للاعتقاد بأن مشكلاتهم تنتج عن سبب آخر غير سببها الحقيقى كالايعاز للعمال المتعطلين مثلا بأن تعطلهم يرجع الى قدراتهم الشخصية ، وليس الى النظام الاقتصادى . وهذا يتضمن التضليل والاخفاء .

٣ — الضغط على المشاركين فى الواقع ، أو على بعض الطبقات للاعتقاد بأن ماهم فيه من مشكلات حتمى ولا مفر منه ، وليس هناك افضل منه ، وأنه لايقبل التغيير .

٤ — الضغط على المشاركين فى الواقع ، أو على بعض الطبقات للاعتقاد بأن نتائج تغيير ماهو قائم سوف تكون أسوأ من الوضع القائم . كأن يقال عند الرغبة فى تزييف وعى المرأة والحيلولة دون خروجها الى العمل « اللى تخرج من دارها يقل مقدارها » .

٥ — الحيلولة دون تقييم الجماعات والفئات والطبقات لاوضاعها تقييما حقيقيا ، وذلك بمنع المقارنات الحقيقية للطبقات فى ضوء الجهد والنشاط المبذول والمصالح المحققة بالفعل . وكثيرا مايتم هذا من خلال تجزئة المشاكل وتفتيتها بعد تجزئة الجماعات ، وقطع الاتصال الاجتماعى بينها .

٦ — تذكرة الجماعات بالخبرات الاليمة السابقة ، التى تكون أقل من الواقع الراهن ، أو مقارنة أوضاع بعض الجماعات ، بأخرى أقل منها فى الوضع الاجتماعى كأن يقال «اللى يشوف بلاوى غيره تهون عليه بلاويه » «٢» .

طريقة البحث ومصادره

فى ضوء الاطار السابق ستحاول الصفحات التالية ان توضح الصورة التى تمت بها ممارسة بعض الاساليب السابقة لتزييف الوعى من خلال بعض الممارسات السياسية والاعلامية فى مجتمعنا . معتمدين فى هذا على بعض البحوث والكتابات المنشورة ، أو بعض الملاحظات العلمية ، ومنهجنا الاساسى فى هذا هو اعادة التحليل او مايسمى احيانا بالتحليل الثانوى ، بجانب تحليل المضمون .

أولا : التنظيمات السياسية وتزييف الوعى

فى ضوء الايديولوجية الاساسية الرسمية لمجتمعنا والتى تنطلق من الاشتراكية كأساس للتنمية والبناء ، أتصور أن أى تنظيم سياسى رسمى فى بلدنا لابد وأن يسعى الى القيام بدور أساسى يتمثل فى انضاج الوعى الاجتماعى الشامل وبلورته ، ولايكون هذا الا بالممارسة والعمل والفكر والموقف العلمى الايديولوجى الواعى الذى يمكن ان يفصح عن نفسه الوسائل التالية :

١ — التنشئة السياسية والثقافية للجماهير ، من خلال غرس قيم وانماط سلوكية يحتاجها المجتمع فى مسيرته النضالية ضد التخلف وضد الاستعمار .

٢ — خلق كوادر وقيادات واعية ، مع التركيز على القيادات المحلية التى تواصل المسيرة وتضمن فعالية العمل على المستويات الاصغر .

٣ — المراقبة الفعلية والممارسة الديمقراطية.

٤ — تقديم تصورات محددة أيديولوجيا وعلميا للقضايا الاساسية التى تهم المجتمع ، كقضية التنمية ، وقضية الديمقراطية ، ومسائل السكان وما الى ذلك .

٥ — التحرك من القاعدة الى القمة ومن القمة الى القاعدة ، والاتصال بالجماهير والعمل معهم وادخالهم فى السياسة .

هذه بعض امثلة يمكن ان تسهم فى انضاج الوعى .. فهل قام التنظيم السياسى بمثل هذا؟ ان لم يكن قد قام ، فهو قد اسهم فى تزييف الوعى .. وان كان قد قام ، فأى الدروب سلك وأى الاساليب اتبع ؟ وهل كان فى اتجاه نضج الوعى وبلورته ، أم اتجاه تزييفه ؟ . هذا ماسوف نحاول أن نلقى عليه اطلالة من خلال مايلى : —

ان التنظيم السياسى وتحريف الايديولوجية الرسمية : —

لاجدال فى أن المواثيق الرسمية للثورة تؤكد على الاشتراكية ، والديمقراطية وتحالف قوى

---

[٢] المزيد من التفصيل حول الوعى الاجتماعى وأساليب تزييفه : أنظر دفيد ريدل ، مرجريت كولسون ، مقدمة نقدية فى علم الاجتماع ، ترجمة د. غريب سيد ، د. عبد الباسط عبد المعطى ، دار الكتب الجامعية ، القاهرة ١٩٧٢ ، على ص ١٢٥ — ١٣٦.

الشعب العاملة . ولكى تتبلور هذه الايديولوجية، وتنضج ، وتتحقق ، لابدلها من ضمانات وظروف مهيئة ومساعدة . فالتحالف ، مثلا ، مرهون بتذويب الفوارق بين الطبقات ، وتذويب الفوارق بين القرية والمدينة ، وحماية كل طبقة من استغلال طبقة أو طبقات اخرى .. الخ » . فهل اسهم الاتحاد الاشتراكى في تحقيق مثل هذا ؟ وحتى لانأتى باجابة سريعة ، يمكن القول بأن مجرد موافقة المنتمين الى التنظيم من القيادات والاعضاء ، ليس دليلا على اقتناعهم بمبادئه وايديولوجيته . فهناك من يوافقون كتكتيك ، للوصول ، وللانحراف بأهداف التنظيم نحو تحقيق مصالح معينة . فمن خلال العمال والفلاحين — اسما — وصل الى التنظيم وقياداته اشخاص هم ابعد مايكونون عن مصالح العمال والفلاحين. فقد قدر لى أن احضر أحد اجتماعات امانة الفلاحين ، فى يناير ١٩٧٣ ، وكان ذلك حول ندوة تتعلق بتنمية القرية . وبنظرة سريعة على الحاضرين ، وجد أن عددا غير قليل منهم لايمكن ان يكونوا ممثلين للفلاحين ، سواء على مستوى الزى والملبس أو على مستوى طرح المشكلات . ان المسألة ببساطة تكمن فى أن وصول نوعيات معينة الى عضوية التنظيم وقيادته ، لخير دليل على تحريف ايديولوجية الدولة ، وايديولوجية الت ظيم ، نحو تحقيق مصالح طبقية خاصة . فمن خلال ملاحظة احد امناء التنظيم فى احد المحافظات — وكان يعمل مدرسا بالمرحلة الابتدائيه — وجد أن هذا الامين — الذى يمثل التنظيم على مستوى محافظة يصل تعدادها الى المليون — أضحى يملك عقارات ونقودا وسيارات وما الى ذلك .. هنا هل يمكن لنا ان نقول أن التنظيم حقق التحالف ؟ بالطبع لا ، وهذا فى جوهره يعنى تحريفا ، بل وانحرافا بايديولوجية الدولة . ولعل لعبة مراكز القوى قبل « مايو » خير مثال على ذلك ، فقد كان من بينهم امناء وأعضاء فى اللجنة المركزية ، استطاعوا ان يحققوا ثراء فاحشا مازالت علاماته واماراته باقية ، تدلل على التحريف والانحراف . ان الدراسة الاجتماعية التى تتعلق بنوعية قيادات التنظيم وأوضاعهم الطبقية وانتماءاتهم ، يمكن أن تقدم لنا أدلة على التسلل الى التنظيم والانحراف به . وليس امامى سوى مثال لكاتب المقال الراهن فى بحث له فى ثلاثة قرى فى محافظة بنى سويف ، تبين له منها ، **أن هناك ارتباطا بين قيادة التنظيم وعضوية لجنته الاساسية** ، **وبين الملكية الزراعية . فكبار الملاك أكثر سيطرة على هذه اللجان عن غيرهم . من بقية قوى التحالف «٣» وبطبيعة الحال لا نتوقع من هؤلاء ان يتغافلوا عن مصالحهم ، لانهم يذكون تاريخيا وواقعيا مصالحهم الخاصة على العامة .**

٢ — « رجل لكل العصور » وانماط انتهازية من القيادة :

اذا كانت الامثلة السابقة تكاد ترتبط بتكوين التنظيم قبل صورته الراهنة فان الامر الذى يسترعى الانتباه ، هو مواصلة بعض القيادات الانتهازية زحفها نحو التنظيم الراهن . فأمامى مثالان واضحان لى وللاخرين . احدهما امين للتنظيم على مستوى احدى المحافظات ، يمكن ان نسميه « **رجلا » لكل العصور** ، استطاع بما لديه من خبرة بلعبة الانتخابات ، منذ قبيل ١٩٥٢، ان يصل الى معظم التنظيمات التى عرفها مجتمعنا تقريبا . أما المثال الثانى فهو لاحد أعضاء **اللجنة المركزية** وهو عميد لاحدى الكليات، عرف، عنه — على مستوى كليته وعلى مستوى من تعاملوا معه — ان العلم من وجهة نظره وسيلة من وسائل الكسب ، ولو غير المشروع ، فاسمه على أكثر من دستة من الكتب ، سواء كان مؤلفا لها ، أو مقررا لها ، أو ميسرا ، بحكم موقفه لتوزيعها ، مع المشاركة فى عائد كل هذه الكتب ، وبعضها ليست فى تخصصه ، بل ان بعضها من تأليف طلاب له يملك عليهم السيطرة فى دراساتهم العليا . ترى هل يصدق احد ان تنظيما ينتمى اليه مثل هذين العضوين . وعلى غرارهم الكثير والكثير — يمكن ان يفى بمتطلبات مجتمعنا ، وهل يمكن أن يسهم فى تنمية وعى المواطنين ؟ . هذا مايمكن ان يدركه ، أى قارىء مباشرة .

على أن اخطر الامور ، فيما يتعلق بهذه القيادات الانتهازية ، هو الانحراف بالتنظيمات عن الاهداف التى وجدت من اجلها ويعتمد هذا الانحراف على أساليب كثيرة منها : الكذب ، والنفاق والتسلط ، وادعاء التقدمية ، وطبيعى ان تنجح بعض هذه العناصر فى الوصول

---

(٣) عبد الباسط عبد المعطى ، اتجاهات دراسة الصراع الاجتماعى — دراسة تجريبية فى ثلاث قرى مصرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية آداب القاهرة ، ١٩٧٢ ، من ص ٣٢٥ — ٣٣١

□□□□□□□□

السريع الى مناصب قيادية . فالزعماء بشر ، والبشر فيهم جوانب قوة وجوانب ضعف . فالبعض يرضيه أن تقدم اليه فاتنة حسناء ، وآخر يرضيه أن يرى لنفسه مثالا او تماثيل . وثالث يرضيه قدر من المديح . ومن يجد مايرضيه ، فهو يعطى المقابل لذلك من التسهيلات والتيسيرات والمناصب . وفى تاريخنا ما يدلل على هذا ويدعمه .

٣ — التمركز فى العاصمة والانعزال عن الجماهير : —

لعل من بين معايير نجاح اى تنظيم سياسى هو قدرته وفعاليته فى الاتصال بالجماهير والتنقل من القاعدة الى القمة ، ومن القمة الى القاعدة ، على أن يكون هذا الاتصال علميا ومحسوبا وواعيا ومخططا ، وبالطرق التى تتلاءم والجماهير . والسؤال هل نجح التنظيم السياسى فى تحقيق هذا والوفاء به ؟

ان الاجابة على مثل هذا السؤال توضح لنا عدة امور منها على سبيل المثال : —

أ — كثيرا مايكتفى أمين التنظيم بالاجتماعات التى تتم فى العاصمة ، وان توجه الى المحافظات فهى مرات استثنائية لاتمثل قاعدة أو خطة ، فلم نسمع عن أمين توجه الى قرية من القرى وتناقش مع سكانها ، وحلل مشكلاتها وأسهم فى حل هذه المشكلات .

ب — قوة التنظيمات وتركزها فى العاصمة فقط ، فمثلا **أمانات الشباب والمرأة والعمال والفلاحين** ، غيرها اكثر ظهورا ، فى الصورة ، فى العاصمة ، عنها فى بقية المواقع الاخرى . وهى عندما تعالج الامور ، تعالجها من خلال فكر العاصمة ومشكلات العاصمة . وتذوب قوة هذه التنظيمات رويدا رويدا كلما اتجهنا الى القاعدة ، حتى نكاد ألا نجد لها تأثيرا أو وجودا محسوسا على مستوى وحدات القاعدة . وتكاد العلاقة بين التنظيم فى العاصمة ، وبين التنظيمات الفرعية فى الوحدات الاصغر من العاصمة ، تعكس علاقة العاصمة ببقية مكونات المجتمع المصرى ، فى كل الخدمات والمسئوليات . فالعاصمة — كانت ولاتزال — رأسا كاسحا ، والباقى — ايا كان مستواه — اشبه بجسم كسيح . وعلاقة من هذا النوع ، لا تتنسج الا البيروقراطية ، فى العمل السياسى ، وتجعل علاقة القمة بالقاعدة من خلال الاوراق المكتوبة والتوجيهات والاوامر المرسلة من أعلى الى اسفل وهذا يتنافى مع اى مبدأ فى اجتماعيات أى تنظيم علمى سياسى .

حـ — الاتصال العشوائى بالجماهير ، وفى المناسبات فقط ، من خلال الخطب والشعارات . فيندر أن نجد اتصالا يهدف الى وضع تصور لمشكلة حيوية ، أو علاج أمر من الامور الهامة .

د — اكتفاء التنظيم فى معظم الاحوال بالقيام بدور رجل العلاقات العامة فى التعامل مع الزوار والمسئولين ، وأحيانا الاهتمام بتحليل خطب المسئولين دون مناقشتها او التعليق عليها ، والموافقة السلبية ، والاكتفاء ، احيانا بدور المتفرج ، والمتفرج على اى خطأ هو بلا شك مشارك فيه

هـ — من المعروف ان التنظيم يقوم على التحالف ، والتحالف يحوى نوعيات متباينة فى الثقافات والاهتمامات والمصالح ، فهل اهتم التنظيم مثلا بخطط نوعية تتلاءم وكل فئة أو قوة من قوى التحالف ؟ أم أنه يكتفى بكلام عام مجرد ، بأى لغة وبأى هدف وبأى مغزى . الواقع أن ليس لدى التنظيم تصورات متباينة تجمعها خطة عامة ، تصل بكل قوى التحالف الى مرحلة متقاربة من النضج الاجتماعى والقومى ، الامر الذى يجعل التباينات فى الوعى قائمة كما هى ، كبحيرة راكدة ، لايحركها الا الاقوى ، صاحب اكثر الفرص والامكانات ، حيث يجذبها نحو مصالحه .

٤ — اقامة حاجز بين القائد والجماهير : —

لقد حرص بعض المسئولين عن التنظيم السياسى ، وبخاصة قبل ثورة التصحيح على اقامة شعار وحاجز بين القائد والجماهير ، يوصلون للقائد ما يودون أن يصل ويمنعون مايودون ان يمنعوا ، من قضايا ومشكلات وأفكار وما الى ذلك (٤) ويحق لنا أن نقول الان ان الدائرة التى حاولت ان تغلق على « **عبد الناصر** » والمستفيدة من ثمار العمل الوطنى استطاع معظم افرادها ان يسطوا على العمل السياسى . وهى كما ظهر أغلبها طبقة منحرفة تجمع الثروات بوسائل غير مشروعة ، ولا يمكن الا أن تجعل من التنظيم السياسى درعا يحميها . وبحكم مصالح هذه الطبقة وانحرافها ، فقد

---

(٤) انظر روزاليوسف : عدد ٨ ديسمبر ١٩٧٤ والاعداد التالية منه ، تحت عنوان : « الجبار يتذكر » .

عملت بكل الوسائل على ابعاد العناصر التى تتصدى لها ، بل والزج بها أحيانا فى السجون وحينا فى مستشفى الامراض العقلية ، من خلال العمل السرى البوليس الارهابى ،ومـا يسمى بالتنظيم الطليعى ــ السرى ــ خير مثال علىهذا

٥ ــ من الامور التى تلفت النظر ، فقـدان الثقة فى التنظيم السياسى من قبل الجماهير . وكأنما الجماهير ترد بذلك علىماحدث فىالامس. فقد بدأت معظم التنظيمات السياسية فى بلدنا تتوجس خوفا من الجماهير . وفقـدان الثقـة بالجماهير معناه . الفتك بالديمقراطية ، ويكفى أن نتذكر العبارات التى شـاعت « أهـل الثقة واهل الخـبرة » ، ويكفى أن نتذكر ان هنـاك مرشحين للانتخابات استبعدوا كى ينجح آخرون مرغوب فيهم ، وكان هؤلاء المرشحون الرسميون غالبا مايفوزون بنسبة ٩٩ر٩٩٪ من الاصـوات ومعنى هذا ، ببساطة ، اهدار الديموقراطية من خلال مايسمى «**بالتعيين الانتخابى**» (٥) ويستطيع المرء ان يتلمس مظـاهر كثيرة لفقـدان ثقـة الجماهير بالتنظيم . ففى دراسة **للدكتور لويس مليكة** فى بعض القرى المصرية ، تبين له أن من كانوا يرون فى القيـادات المحليـة ــ وخاصة السياسية ــ القدرة على حل المشكلات ، كانت نسبتهم عام ١٩٥٨ ٧٧ر١٢٪ ، **انخفضت** هذه النسبة فى عام ١٩٦٣ الى ١٢ر٦ ٪ «٦» . ولنأتى بمثال معاصر على هذا ، من خلال زيارة ميدانية « **لقرية البندرة** » التالية **لمركز السنطة** محافظـة الغربية ، حيث تبين أن عدد أعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى ستة أعضاء فقط . ولـما وجه سؤالا الى بعض المبحوثين ، اجابوا بأن النـاس لم تتقدم للترشيح على الرغم من مد فترة الترشيح، واعطاء فرصة للناس ليرشحوا انفسهم . وهذا يدلل ايضا على عـدم الاقتنـاع بالتنظيم ، بل وفقدان الثقة فيه . لقد اوضح لنا أمين الاتحـاد الاشتراكى فى هذه القرية ، أن مهمة الاتحـاد الاشتراكى هى « كتابة الشكاوى أو العرائض » كمـا يقولون . كما بين أمين آخر فى قـرية اخرى تابعة لاحد المجالس القروية بمركز **أجـا** محافظة الدقهلية : **أننا نكتب الشكاوى ليـلا** ونهارا فتذهب بشكاوى بلاعـودة ، وبلا رد ، ودون ان يتحرك لها أحد «٧» .

٦ ــ كان نتيجة للهيام بأهل الثقة وتفضيلهم على اهـل الخـبرة أن طبـع التنظيم السياسى ــ كشأن مؤسسات أخرى ــ بطابع قبلى قائم على القرابة والمصاهرة والصداقة وماشابه ذلك، فتلك هى وسائل وأساليب معرفة أهل الثقة . ويمكن أن نتبين هذا من خلال دراسة شخصيات أمنـاء التنظيم ، فى الفترات الماضية ، فتحليل ماضيهم وخبراتهم والمهن التى عملوا بها ، وايضا قرابتهم ، تحليل هذا يسـاعد فى معرفـة نمط مساعديهم ومعاونيهم . فاذا كان رجل قانون ، مثلا فلايدهشنك أن تجد معظم معاونيه ومساعديه من القانونيين من أصدقائه ومعارفه . واختيار يعتمد على هذا البعد القبلى ، لابد وأن ينحرف صوب المصالح الخاصة ، كما تفعل عائلة العمدة مثلا فى القرية المصرية .

٧ ــ التبرير واخفاء الاسباب الحقيقية : ــ

تساعد تجربة الماضى القريب على استخلاص أسلوب شاع كثيرا فى تزييف وعى المواطنين ، من خلال تفسير بعض المشكلات بأسـباب غير أسبابها الحقيقية . فبعد نكسة ١٩٦٧ ، طلب من بعض الشباب ــ أعضاء التنظيم ــ التوجه الى بعض التجمعات ، لتهدئة الجمـاهير واقنـاعهم بأن سبب الهزيمة هو تدخل القوات الامريكيـة والمظلة الجوية التى اقامتها الولايات المتحـدة ، وكان من نصيبى التوجه الى مسجد « **ميت عقبة** » لترديد مثل هذا ، وتبرير الهزيمة ، بأسباب غير أسبابها الحقيقيـة . وهـذا الاسـلوب كثيرا مايستخدم لتغطية فشل بعض المشروعات . كأن يقال مثلا أن فشل خطة التنمية يرجـع فقط الى **أن الناس ينجبون كثيرا ، أو أن انخفاض محصول القطن يرجع الى اهمال الفلاح ، أو أن ارتفاع ثمن الطماطم يرجع الى انخفاض الانتـاج بسبب** سوء الاحوال الجوية وما الى ذلك .

٨ ــ موقف التنظيم سلبيا فى معظم الاحوال يهدف طبع الجماهير بالسلبية : ــ

كثيرا ما كان يقنع التنظيم بدور الموافـق ، السلبى المتفرج على الاحـداث ، معتمـدا على الترديد ، رافضا للنقد والتجديد ، الامـر الذى عكس على الجماهير نفس روح السلبية . وكثيرا ماكنا نرى فى المؤتمرات التى يعقدها أعضـاء التنظيم ، جمعا من النـاس يكتفى بالصمت

---

[٥] فرانز فانون « معذبو الارض » ترجمة د. سامى الدروبى ، د. جمال الاتاسى ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ من ص ١٧١ ــ ١٧٢.

[٦] د. لويس كامل مليـكة « بين الايجابية والسـلبية ، سرس الليان ، ١٩٦٦ ص ٦١.

[٧] من مقابلة حرة مع أمين لجنـة الاتحاد الاشتراكى بقرية شنفاس .

□□□□□□□□

والتصفيق ، وبعد أن يصرف هذا العقد يسمع فى الشـارع فى المسـاء وعلى المقهى وعلى المصطبة خيبة أمل الجمهور فى التنظيم ، وبهذا، فان أعضاء التنظيم بدلا من أن يشجعوا على الجماهير على التعبير عن شكاواها وأوجاعها ، تحولوا الى جنود برتبة عريـف يذكرون الشعب ويطالبونه بضرورة « الصمت فى الصـف » . لقد ذكرت ، منذ قليل ، انه قرر لى ان اشارك فى أحد المؤتمرات بأمـانة الفـلاحين ، حـول « تنمية القرية » . ولقـد فوجئت فى الجلسـة الختـامية ونحن نتنـاقش بورقـة توزع على الحاضرين ، وبالنظر فيها ، وجد انهـا ورقـة خاصة بتوصيات المؤتمر .. وكانت دهشة على كثير من الوجـوه ، كيف ومتى تمت والمؤتمر لم ينتهى بعد .. ؟ فقيل، « ماهو كلشىء معروف . مش عايزين ، تضييع وقت !! ؟ » . وسلوك مثل هذا لابد وأن يقتل الديموقراطية ، كمـا انـه لايسهم فى التنشئة السياسية للجماهير ، مع ان هذا من بين مهام التنظيم » والمهم فى الامر أن هذا قد طبع الجماهير بطابع السلبية واللامبالاة، والاتكالية ، وهذه قيم تؤدى مباشرة الى تزييف الوعى وتخدير الارادة الشعبية .

٩ — التنظيم واجهاض الديموقراطية : —

لما كان دور التنظيم هو دور المراقب والناقد، والممارس للديموقراطية ، فهذا يقتضى تحـديد الادوار تحديدا دقيقا حتى لا تتداخـل ، وحتى يتبين لنا من يراقب من ، ومن يناقش من . أما عندما يجمع اعضاء التنظيم السياسى — بجانب عملهم السياسى — مناصب تنفيذية وادارية ، فهذا مما يحول دون ممارسـة الديموقراطية . فهناك **عميد كلية** ، عضو باللجنـة المركزيـة ، ونائب وزير أو وكيل أول وزارة يحتل مكانا هاما فى التنظيم ، بل أن أمين الشباب ، هو رئيس المجلس الاعلى للشباب والرياضة . فكيفتراقب امانة الشباب ، أعمال المجلس الاعلى للشباب والرياضة وتناقشها ، مادام نفس الشخص هو قمة الجهازين .وكأنمـا مصر ، عدمت الكفاءات والقدرات القادرة على العمل والانجاز والسؤال المطروح ، هل من الضرورى ان يحتـل عضـو التنظيم مكانا فى الجهاز الادارى أو فى السلطة؟

١٠ — واخيرا نطرح على التنظيم الاسـئلة التالية : —

● هل لديه تصور محدد لقضية التنمية !

● هل لديه تصور محدد لعلاج مسـائل السكان ؟

● هل لديه تصور محدد لعلاج ازدحام القاهرة وتدفق موجات الهجرة اليها ؟

● — هل لديه تصور محدد لعلاج مسـائل البطالة ؟

● هل لديه تصور محدد لتحديث الزراعـة المصرية ؟

● هل لديه تصور محدد لتوعية الجمـاهير بما يتسق ومتطلبات التنمية ؟

● هل لديه تصور محدد لعـلاج الازمـات التموينية ؟

● هل لديه تصور محدد لدور أجهزة الاعلام فى التنمية ؟

● هل لديه تصور محدد للافادة من الطاقات الشبابية ؟

وهناك عشرات من الاسئلة الاخـرى ، التى توضح الاجابة عليها ، نـوع الفكر السـائد ، واتجاهاته وانتماءاته ، هذا فى حـالة ما اذا كانت هناك اجابات بالفعل .

العمل الشبابى : نظرة سريعة : —

الشباب فى الدول النامية ، هم اهم ما تملك هذه الدول ، لانهم حملة الثورة ، والمحـافظون على مسيرتها ، ومن ثم يقتضى الامر النظر الى قضايا الشباب نظرة علمية وايديولوجية واضحة ومحددة . فماذا يصنع العمل الشبابى من أجل اعداد هؤلاء الشباب : —

١ — ربما ساعدت مجريات الامور على القول بوجود فهم خاطىء لدى قـادة الشـباب ، اذ يتصورون أن رسالتهم تتمثل فى تقوية النفس ، وتربية الجسم ، وخلق الصفات الرياضية . ، علمـا بأن الشـباب فى البلد المتخلف يجب ان يشغل بالعمـل أولا ، وبالرياضـة فى أوقات الفراغ ، وليس العكـس . يجب أن يوجـه الشـباب الى الحقـول والى المـدارس والى المصانع والى خدمات النظافـة ومحو الاميـة ، والتوعية ، وما الى ذلك . فما فائدة ان يكون لدينا رياضيون غير واعين سياسيا . اننا لانقلل من أهمية الرياضـة ، ولكن عندمـا تكون هى الشاغل ، يجب أن نقول كفوا عن الشـباب ، واخلوا مواقعكم لغيركم ! وليت الاهتمام بالرياضة كان اهتماما فيه تكافؤ فرصة وعدل ، بل هـو موجه نحو الاندية الكبرى .. لارضائها وارضاء جماهيرها . . وان الامر المؤسف حقا — هو أن يكتب اسم مسـئول الشـباب عندما تقام المباريات ، ولا نجد له وجودا فى اعمال شبابية أخرى أهم وأخطر هنا ، يمكن أن نتساءل ماهى القيم الاشتراكية التى تتبلور من خلال الرياضة! انها قيم فردية ، البطل الفرد وليس الجمـاعة البطل ، لاعبـو الكرة ، وفرقها وتقديم المكافآت والوعود انها قيم بالامتيازات وما الى ذلك .. ولعل

احتفالات « استاد القاهرة » الأخيرة أن تكون غير شاهد على نوعية فكر المسئولين عن الشباب فى بلدنا . فهذا الحشد الكبير ، ومايبذله من جهد ووقت ، وما انفق من اجله ومن اجل المهرجان من نفقات ، كان يمكن أن يساعد على اعماله عدد كبير من الشباب ، لو انه وجه نحو مشروع واحد ، أو لو انه عمر حيا واحدا ، أو منطقة واحدة من مناطق القناة ، أو حتى رصف طريقا مؤديا الى احدى القرى المصرية التى تعانى الامرين من المواصلات ، أو ساهم فى شراء عدد من الجرارات التى تساعد على تحديث الزراعة المصرية .. الخ

٢ — ترتب على مثل هذا الفهم حتى اهمال الرياضة على مستوى الوحدات الجماهيرية الاخرى وعلى مستوى الاقاليم ولم نسمع عن مسرح شبابى يعرض الشباب من خلاله فكرهم ولم نسمع عن تجربة واحدة للتنمية أو لمحو الامية أو للنظافة . . . الخ .

وخلاصة الامر ان التنظيم السياسى ، بمافعل ، وبما لم يفعله أسهم فى تزييف الوعى ، فقد جعل الجماهير اكثر سلبية ، واكثر فقدانا للثقة به .. ولم يشارك فى الديموقراطية الحقيقية ولم يرس طريقا نحو الوعى ولم يبذل جهدا نحو التنشئة السياسية والثقافية .. فهو على احسن الاحوال يعرض نفسه من خلال فاترينة العاصمة فقط ، ولم نسمع عن أحد أعضاء اللجنة المركزية أقام فى قرية أو فى وحدة جماهيرية صغيرة ، كى يشارك فى حل مشكلاتها وتنميتها اجتماعيا وثقافيا .

ثانيا : وسائل الاعلام وتزييف الوعى

لن نحاول فى هذا الجزء أن نسوق العبارات الكبيرة ، أو الكلمات الحافلة بالبلاغة وحلو الترتيب والاناقة لتوضيح عدد من التبعيات على وسائل الاعلام ان تقوم بها . ولكنا سوف نحرص على الاتيان بأمثلة ، لتوضح ماذا تقوم به وسائل الاعلام . وعلى القارىء ان يتذكر فقط أننا مجتمع اشتراكى ، من المفروض أن تسوده قيم اشتراكية كالجماعية والعمل والتعاون والعدالة .. الخ . وأننا مجتمع يحاول أن يشق طريقه الى التنمية . وهذا يقتضى احداث تغييرات اساسية فى الثقافة أو بعبارة موجزة تحقيق مايسمى بالتنمية الثقافية التى تواكب التنمية الاجتماعية الشاملة ، وتساعدها على تحقيق أهدافها ، بما يتطلبه ذلك من تنشيط للقيم الايجابية ، وغرس للتفكير العلمى الذى يتواءم وفكر الربع الاخير من القرن العشرين . على القارىء ان يتذكر هذا وهو يتابع بقية الصفحات .

● الصحف وتزييف الوعى : —

لو قدر لنا أن نقف أمام أى جريدة يومية فسوف نلاحظ اول ماتلاحظ ان الحجم يتراوح مابين ١٠ — ١٢ صفحة ، ولو أردنا أن نحلل هذه الجريدة ، ولتكن جريدة الاخبار لتبين ان مساحة الجريدة توزع على النحو التالى :

١ — الشكل والاهتمام العام :

أ — ٣٠ر٨٪ اعلانات وفيات « صفحة كاملة »

ب — ٥ر٣٦٪ اعلانات عامة معظمها اعلانات قطاع خاص واعلانات فنية ٩ر٤ صفحة

حـ — ٣٪ اعلانات برامج اذاعة وتلفزيون

د — ٥ر٣٪ أخبار الرياضة « معظمها عن كرة القدم »

هـ — ١٠٪ رأى « ليس لاحد من الجريدة ولكن من المواطنين »

و — ٧ر٣٨٪ أخبار « منها أخبار الحكومة وأخبار النجوم وأخبار الناس »

والذى يتابع هذه الارقام ويتأمل فيها جيدا وهى خاصة بجريدة كالأخبار لتبين له عدة حقائق : —

الاولى : أن ليس هناك جهد حقيقى يقع على المحررين ورؤسائهم ، لان الجهد الحقيقى يقع على عمال المطبعة الذين يجمعون الحروف ويخرجون الجريدة من المطبعة ، ذلك لان معظم محتويات الجريدة تعد مادة جاهزة لانها لاتعدو اعلانات أو أخبار جاهزة ، يسعى الى جمعها الشغيلة من الصحفيين الصغار الذين يلهثون ويكدون وراء الاخبار . ذلك لان الاعلانات بمافى ذلك اعلانات برامج التليفزيون والاذاعة تشارف عن نصف حجم الجريدة . والباقى أخبار تجمع من هنا وهناك بما يكمل ٩٠٪ من الجريدة .

الثانية : أن الطابع الغالب على الجريدة من خلال الاعلانات الطاغية يشير الى حقيقة هامة ، وهى أن الجريدة تفكر بعقلية الصحف التجارية ، وليس الصحف التى تسعى الى التوعية واحداث التنمية الثقافية .

الاخبار ، ٢٩ يناير ١٩٧٥ ، وهى تقع فى ١٢ صفحة .

* الصفحة ٨ أعمدة طول العمود ٥٣ سم وعرضه ٥ سم فتكون مساحة الصفحة ٢١٢٠ سم ٢

الثالثة : أن نسبة ١٠٪ التى تمثل الرأى هى لكتاب من الجمهور أو من المفكرين وأساتذة الجامعة ، باستثناء فكرة « على أمين » « ومواقف أنيس منصور» ودخان « الحمامصى » المتطاير فى الهواء . وحتى آراء هؤلاء الكتاب الذين ينتمون للجريدة ، لنا عليهم ملاحظات سوف نعود اليها فيما بعد :«

الرابعة : ان التركيز فى الاخبار ، بعد أخبار الحكومة ــ بطبيعة الحال ـ هو على أخبار نجوم الفن من النساء أكثر من الرجال ، ونجوم الكرة وخاصة كرة القدم :«

الخامسة : ان التركيز فى الاعلانات يأتى فى صالح القطاع الخاص ومايعرضه من سلع مستوردة ، والتركيز على بعض الكتابات التى لها اتجاهات بعينها :«

السادسة : بالرغم من أن الجهد الاكبر يقع على عاتق عمال المطابع وصغار المحررين وجامعى الاخبار ، فالهوة بينهم وبين رؤساء التحرير وكبار المحررين ، هوة شاسعة لاتعبر أى اهتمام للجهد الذى تبذله كل فئة ، كما أنه يعكس مضامين طبقية كثيرة يعكسها المرتب والدخل ، ويعكسها الفرق الساحق العميق بين الكادحين العاملين بالمطبعة ، وبين دعاة العمل الذهنى والعقلى .

٢ ــ فى ماذا يفكر « على أمين » بين لندن والقاهرة »

من خلال دراسة فى « تحليل المضمون » هدفت الى توضيح نوعية المشكلات التى يفكر فيها « على أمين » وحلوله التى يقترحها لهذه المشكلات ، ومن أى الفئات يعبر ، اتضح ماهو موضح فى الجدول التالى :

تاريخ الفكرة	المشكلة المعروضة	الحل المقترح من الكاتب	مصدر الحل
٧٥/١١/١٣	مشكلة مرضه وآلامه	ــ	
٧٥/١١/١٤	حوادث السيارات فى القاهرة	وضع احزمة حول قادة السيارات	لندن
٧٥/١١/١٥	السمسرة والعمولة	على الحكومة ان تضع حلا [؟]	لندن
٧٥/١١/١٧	الناس في بلدنا غير منظمين فى كل شىء تقريبا	على الشعب أن ينسجم مع الحاكم الذى يحترم القانون	القاهرة
٧٥/١١/١٨	مشكلة اللحوم + الهجوم على الشيوعية	على الشعب أن يحل المشكلة، وان ينشىء شركات للاسماك	القاهرة
٧٥/١١/١٩	ازدحام الاتوبيسات وعدم صيانتها فى القاهرة	فرض عقوبات على المسئولين عن صيانة الاتوبيسات	لندن
٧٥/١١/٢٠	مشكلات الخدمات فى القاهرة	فرض قانون بعدم الاقامة فى القاهرة الا للعاملين بها ونقل بعض الوزارات من القاهرة	باريس وبوخارست
٧٥/١١/٢١	مشكلات الخدمات في القاهرة وخاصة الحفر والطرق غير اللائقة	عمل ارصفة من الاسمنت وضرورة استدعاء خبير أجنبى	ــ
٧٥/١١/٢٢	مشكلة الطرق والبيروقراطية	استدعاء خبراء أجانب	ــ
٧٥/١١/٢٣	الخدمات فى القاهرة وبخاصة المجارى والمواصلات وهمومها	زيادة ثروة الشعب !!	ــ
٧٥/١١/٢٤	الازدحام فى القاهرة	استدعاء خبير أجنبى [لسنا فى المستوى] ؟	ــ
٧٥/١١/٢٥	حرية فكر رجل الجامعة	حصانة الاستاذ الجامعى	ــ
٧٥/١١/٢٦	مشكلات الاسكان والمواصلات فى القاهرة	اخلاء الحكومة لبعض العمارات ، وعمل أتوبيسات	ــ
٧٥/١١/٢٧	عدم وجود ذوق عام فى كل شىء	اصدار قوانين لحماية الذوق العام	لندن
٧٥/١١/٢٨	العمالة الزائدة فى بعض الاعمال ونقص المدرسين	تحويل العمالة الزائدة الى التعليم واستدعاء خبير لبناء مساكن	ــ
٧٥/١١/٣٠	قضية المنابر	التأنى والدراسة	أحزاب بريطانيا
٧٥/١٢/ ١	اسعار السلع	خبراء أجانب لتحديد السلع التى يجب أن تحدد أسعارها ، وتحديد بيع اللحوم ٤ أيام ، فشل المحليين	ــ
٧٥/١٢/ ٣	الروتين وتيسير الاستثمار	تبسيط الاجراءات	ــ
٧٥/١٢/ ٦	ازمة لحوم العيد وملابس العيد	احسان الغنى على الفقير :« التبرع بالملابس القديمة بدلا من اللحوم + عدم الاسراف :«	ــ
٧٥/١٢/ ٥	يتحدث عن نفسه وحبه للعمل ونصيحة الاطباء له :		ــ

كان من المفروض أن أواصل كتابة النتائج الا أنها لن تعبر عن النتيجة ويكفى جهدا فى مثل هذا !!

ومع أن الجدول السابق لايخلو من دلالات ، الا ان معالجته تلقى عليه مزيدا من الوضوح وهذه المعالجة توضح مايلى : —

أ — ان عدد الافكار الاجمالى عشرون فكرة ، فكر الكاتب فى نفسه فى اثنين منها بنسبة ١٠٪ من اجمالى الافكار .

ب — ويحذف الفكرتين التى تحدث فيهما عن نفسه للقراء تتبقى « ١٨ فكرة » منها عشرة أفكار بنسبة ٥٥٪ عن مشكلات القاهرة ، والباقى ثمانية فقط بنسبة ٤٥٪ تحدث فيها عن مشكلات عامة كالمنابر وحرية الاستاذ الجامعى وعدم وجود ذوق عام .

حـ — وأما عن الحلول المقترحة للمشكلات فقد أتى بعشرين حل لثمانية عشر مشكلة وكانت هذه الحلول كمايلى : —

— استدعاء خبير أجنبى لان ليس لدينا خبراء بنسبة ٣٠٪
— الحل بقوة القانون بنسبة ٢٠٪
— الحل على الشعب بنسبة ٢٠٪
— الحل على الحكومة بنسبة ٢٠٪
— التروى والتأنى بنسبة ٥٪
— الاحسان بنسبة ٥٪

والملاحظ على المشكلات المعروضة ما يلى : —

أ — كلها مشكلات تتعلق بالذوق العام والخدمات وليس فيها مشكلة واحدة تتعلق بالتنمية أو غرس قيمة من القيم الاشتراكية .

ب — أكثر من نصف المشكلات يتعلق بالعاصمة . وكأن المجتمع المصرى ليس فيه سوى القاهرة وليس فيه عمال وفلاحون .. ، ولكن ربما كان هذا هو قدر المجتمع المصرى الذى كان ولايزال يخضع وبشكل بشع لسيطرة العاصمة التى تكتسح أمامها كل شىء .. نتيجة لاسباب تاريخية واستعمارية وطبقية .

حـ — لاتوجد مشكلة أو فكرة واحدة اهتمت بنقد ايجابى لقانون او مسئول أو تنظيم أو حتى لطبقة من الطبقات التى اغتنت على حساب الجماهير الكادحة . كما لاتوجد مشكلة جوهرية على الاطلاق تمس المجتمع فى مرحلته النضالية ضد التخلف وضد الصهيونية .

وأما عن علاج المشكلات فيلاحظ عليه ما يلى :

أ — التشكيك فى قدرة المواطن المصرى والانسان المصرى الذى أبدع وصنع وحارب وانتصر ، ويشارك فى العلم العالمى . ويتبدى ذلك فى الاصرار الواضح على استدعاء الخبراء الاجانب ، ولا ندرى لمصلحة من ؟ .. والهجوم السافر على الخبرات والعقول والارادة المصرية ولم يدرك لماذا كانت بعض الجهود المصرية تفشل ، وتحت أى الضغوط كانت تفكر .. انها الافكار لمحاربة وتخريب للانسان المصرى فى كل موقع ، وبث اليأس والانهزامية من خلال اوصاله .

ل — الهيام بالقانون .. وكأنما القانون اداة سحرية قادرة على صنع المعجزات أن أبسط مقومات تأثير القانون ياحضرة الاستاذ هى وجود ظروف ثقافية واجتماعية مساعدة . فليس بالقانون وحده تعالج الامور .. فعقوبة الاعدام قائمة ، ومازالت هناك جرائم ، والمعتقلات كانت قائمة ، وأصحاب المبادىء لم يلينوا أو يتنازلوا ، ان فى مثل هذا الحل ، لاغفال لابسط المبادىء الاجتماعية والحقائق التاريخية للمجتمعات .

حـ — وعودة الى الاحسان . وتبرع الاغنياء للفقراء ، وكانما نحن نعود الى عصر الاميرات اللائى يحسن ويكثرن العطاء . ألا تعلم أيها السيد أن المجتمع الاشتراكى يجب ان يعمل على اشباع كل الحاجات وتكون واجب من قبل المجتمع وحق لكل مواطن .

د — بالله عليك : كيف تستشير خبيرا اجنبيا فى السلع التى يجب ان تحدد اسعارها والتى يجب أن تطلق حرة ؟ ، وكيف وماذا يكون رأيه ؟ أنبيع اللحوم أربعة أيام أم خمسة ؟ أم نمنعها على الاطلاق ؟ . فبالرغم من بيع اللحوم اربعة أيام فقط ، ألا نعلم أن هناك ثلاجات مملوءة طوال ايام الاسبوع ؟ ألا تعلم انمسائل الاسعار وتحديد السلع تخضع لكل مجتمع وايديولوجيته السياسية وطريقته فى التنمية ؟ .. ماذا تقول ، أنها بديهيات شائعةعند طلاب المراحل الاولىالجامعية بل ماقبلها .

ولو عدنا الى أساليب تزييف الوعىالمعروضة فى صدر البحث الراهن نجد أنها أكثر وضوحا ومثولا فى « فكرة على أمين » :

أ — فالتجزئة وسيلة لتزييف الوعى ،والمشكلات المعروضة كلها مشكلات جزئية ، تتركز فى خدمات المواصلات والنقل والاسكان فى القاهرة فقط .

ب — وتفسير المشكلات بغير أسبابها الحقيقية وسيلة من وسائل تزييف الوعى ، وصاحبنا ، لم يهتم بأى تفسير على الاطلاق ، ولم يوضح أسباب المشكلات . فما هى أسباب الزحام كما يراها ، وماهى اسباب السمسرة والعمولة وماهى أسباب فشل الخبراء المحليين فى حل المشكلات .. الخ » واذا كانت الجماهير لم تتعود النظام ، فماهى مسؤليتها فى هذا ؟ ولماذا لم يتم تغيير بعض عاداتها .. الخ » .

حـ — وهيامه بالقانون وحده فيه اغفال

□□□□□□□

لعوامل اخرى تساعد فى فعالية القوانين ، واغفال هذه العوامل فيه تزييف للوعى ..

د — سن ومحاولة نشره لقيم الاحساس والتبرع وماشابه ذلك .. فيه تزييف للوعى ، من خلال نشر قيم السلبية والاعتماد على الاخرين .

هـ — والتشكيك فى قدرة الانسان المصرى فيه تزييف لوعيه بنفسه وبارادته وفيه طمس لمعالم تاريخه ونضاله .

● **التليفزيون وتزييف الوعى : —**

أ — الشكل ومجالات الاهتمام :

لو دققنا جليا فى ساعات الارسال اليومى لبرامج التليفزيون وخاصة القناة الاولى الاساسية لا تضح لنا ان متوسط ساعات الارسال اليومى هى بالتقريب تسع ساعات منها : —

أ — ٣ ساعات تقريبا برامج تعليمية
ب — ٤٥ دقيقة أخبار
حـ — ٣٠ دقيقة قرآن كريم
د — ٤٠ دقيقة اعلانات تجارية
هـ — ١٥ دقيقة برامج للاطفال
و — وأما السهرات فهى أفلام عربية واجنبية واغانى وتمثيلية سهرة ومسرحية . هذا غير أربعة ساعات أسبوعيا لكرة القدم

والذى يلاحظ على مثل هذا التوزيع : —

أ — أن معظم الانتاج المقدم للتليفزيون هو انتاج جاهز معد قبلا ، ليس عن طريق التليفزيون طبعا ، كالافلام والاغانى المسجلة من حفلات خارجية ، والحلقات الاجنبية ، ومباريات كرة القدم والمسرحيات

ب — أن الجهد الاكبر هو جهد المصورين بالدرجة الاولى ومهندسى الاضاءة ومن هم على شاكلتهم فهم الذين يتابعون الارسال اليومى .

حـ — أن العمال والفلاحين ليس لهم أى موقع ولايشغلون أى جزء من اهتمام التليفزيون العربى وبخاصة فى دورته الجديدة

د — باستثناء بعض الحلقات المعادة والبرامج المنوعة لا نجد عملا خلاقا باستثناء جهود فردية فى شكل تمثيليات أو بعض البرامج الجادة النادرة التى يذوب اثرها فى خضم الاستسهال والعشوائية .

هـ — يلاحظ على برامج التليفزيون انها لاتوجه الا الى الطبقات الغنية فى القاهرة فقط ، مع اهمال الطبقات الكادحة وساكنى الاحياء الشعبية وبقية المجتمع المصرى انظر ولو لدقائق لبرامج المرأة ، وماذا تعرض فى مهرجان الموضة والازياء ونوع الاطعمة والماكولات ، لكى يتبين لك دقة ما تقول وصحته وانظر الى اعلانات التليفزيون، ستجد انها تركز على البضائع المستوردة قبل المحلية . فماذا يعنى ذلك ! انظر الى هذه الاعلانات لترى وتسمع ايضا كم من مستحضرات التجميل التى لايسمع عنها ، ولايراها ، الا القلة القليلة من ابناء الطبقات المترفة . انظر اولا الى احد اعلانات التليفزيون الذى يبدأ بالعبارات التالية ..

« **الى اصحاب الفيلات والعمارات الانيقة وصلت .. كذا .. وكذا .. والاسعار فى متناول الجميع** » .

فى متناول من ياصانعى الاعلانات ؟ وماهذا الذى تعلنون عنه ؟ ورق الحائط ؟ .. الارضيات .. من الذى سوف يفيد من هذا ؟

و — وما عن اللغة التى تقدم بها البرامج فهى لاعامية ولافصحى ، ولكنها لغة تنطق من الانف ، مع اشارات العينين ، فضلا عن لغة العيون والفرانكوآراب فى النادى الدولى الشهير

ز — وأما عن القيم المعروضة فهى لاتخلو من السلبية والانهزامية والتواكل والقدرية والفردية .. الخ .

ح — يكاد المرء ان يصدر حكما بأن التليفزيون فى واد وانيقاته فى واد آخر .. فلم نسمع أنه عرض مشكلة هامة ، أو حللها ، أو حاول تفسيرها ، أو مارس نوعا من النقد ، باستثناء « الحكم بعد المداولة » الذى كان يقاضى الفنانين والراقصات .

ط — وكل هذا يدلل وبوضوح على أن ليس لدى التليفزيون أى خطة ثقافية ، تهدف الى تحقيق التنمية المنشودة والاسهام فى التغيير الاجتماعى المستهدف من خلال التنمية الاجتماعية الشاملة .

ل — النادى الدولى — دراسة حالة

وأما عن هذا البرنامج السحرى الذى يسمى النادى الدولى ، والذى يقدمه العبقرى الفذ « سمير صبرى » ، والذى يشغل ساعتين من الارسال تقريبا ، فهل تابعه أحد بعين فاحصة ، لو تم هذا لتبين لكم : —

أ — أن معظم ضيوفه من المخرجين وممثلى السينما — لان مقدمه يسعى الى قمة التمثيل السينمائى — لاغراض فى نفس يعقوب ، يمكن للقارىء ان يربط فيها بين ضيوف البرنامج ومخرجى الافلام التى اشترك فى التمثيل فيها مقدم البرنامج .

ب — برنامج اسم على غير مسمى ، يأتى بأى ضيف ولو عائد من كفر الشيخ لكى يقيم معه حوارا يعقبه برقصة اسبانية ، أو اغنية فرنسية أو ماشابه ذلك

حـ — مع التصنع فى التقديم والديكورات الباهظة ، وتغيير المقدم للملابسه أكثر من مرة لانرى مضمونا يستحق الذكر .

د — لماذا التركيز على الاطبـاء النفسيين فى الفترة الاخيرة ، هل المشاهد يعانى منمثل هذا؟! أم أنه يعانى من البلهارسيا والانكلستوما وسوء التغذية والتهوية والى ذلك ؟

هـ — تعلمنا فى الاتصال الجماهيرى انـه يجب أن يحدد مقدم الرسالة الاعلامية من سوف يخاطبه ، وكيف سيخاطبه ، وما يود أن يوصله اليه ، وهذا يقتضى مراعاة خصائص المستقبل ، الثقافية والاجتماعية . وهذه الاسئلة اتوقع انها غير واردة فى ذهن المقدم باستثناء أنه يخاطب من ؟ يخاطب فئة مترفة رقيقة مغتربة عن وطنها تسبح فى الموسيقى الاجنبية ، وتنطق بكل اللغات الا العربية .

وخلاصة القضية ، ياسادة ، أن وسائل الاعلام من خلال مقالات الصحف والتليفزيون تسير فى اتجاه هو هابط بالضرورة ، نحو ماضى المجتمع ، لكى يخدم على طبقات معينة ويتيح لها فرصتها التى حرمتها منها الثورة ، ويشيع قيم هى أبعد ماتكون عن الاشتراكية ، لانها قيم الربح والتجارة، ولو بطرق غير مشروعة . لم نسمع عن انسان شريف، بنى عمارة أو انتج فيلما ، أو اثرى رغم عمله الشاق على مدى أكـثر من ثلث قرن من الزمان .. هذا غير متاح الا لمقدم برنامج تلفزيونى أو صحفى سرقت من شقته أشياء تقـدر بآلاف الجنيهـات ، فى الوقت الذى يعـانى فيـه « عبد التواب » وتعانى « أم محمـد » وتصبـح البرتقالة بالنسبة لهم شيئا صعب المنال ان المرور فى بلدنا على اليمين ، يعكس الاشارة التى تشير الى الشمال . أى أن هناك من يعملون ضد ارادة ومصلحة ٣٦ مليون ، ومع ذلك هـم فى أماكنهم جالسون ، يربطهم خيط رفيع وقوى من الصحافة للتليفزيون لمسرح القطاع الخـاص ، للراقصات ، لتجار الشوارب ، للمليونيرات ، للاعبى كرة القدم ، للشاغلين لاكثر من موقع ، لاصحاب العمارات ، لاصحاب التاكسيات .. الخ

ماذا بعد .. لتصحيح الوعى ؟

من كل ماسبق يقتضى الامر منا وقفة متانيـة هادئة ، تحاول اعادة الدراسة والتحليل ، ووضع مسارات جـديدة ، تسـهم فى تصـحيح وعى الجماهير :

أولا : فيما يتعلق بالتنظيم السياسى : —

١ — لابد من العمل الجـاد والمنظم لاعـادة الثقة بالتنظيم السياسى وهذا لا يتأتى بالاقـوال وانما بالافعال والقدوة الثورية الامر الذى يتطلب:

● وضع ضمانات لوصول القيادة الثوريـة الحقيقية للتنظيم

● مزيد من التحديد للعامل والفـلاح ، حتى يكون تمثيل التحالف تمثيلا صحيحا .

● الفصل بين عضوية التنظيم وبين العمـل التنفيذى حتى لاتختلط الادوار وتتداخل ، مابين العمل السياسى والتنفيذى .

● العمل مع الجماهير وبخاصة فى وحـدات القاعدة ، وتوزيع أعضاء اللجنة المركزيـة على الاقـاليم للعمل والمتـابعة ، وتفهم مشـكلات الجماهير ، ونقلها الى المستويات الاعلى والفصل فيهـا .

● لابد من الاعتماد على العلم فى التفكير فى مشكلات المجتمع ، ووضع خطط دقيقة لعـلاج مشكلات التخلف الاجتماعى الاقتصادى

٢ — تأكيد الممارسة الديموقراطيـة التى لن تكون الا بحرية الراى والرأى المعارض ، حتى ولو كان هذا الرأى المعارض يتعلق بالتنظيم ذاته وبنائه وتكوينه من خلال أجنحة داخـل التنظيم يمكن أن تختلف ايديولوجيا مع التنظيم فيما يتعلق بقضايا التنمية والتقدم .

٣ — تنظيم الاتصال بالجمـاهير ، واتاحـة الفرصة للجماهير لكىتتصل بقياداتهـا فى اى زمان وأى مكان ، فهذا هو الضمان لتعبير التنظيم عن الجماهير ومشكلاتها .

٤ — العمل العلمى والايديولوجى من أجـل تعميق التحالف من خلال : —

● المزيد من اذابة الفوارق بين الطبقات من خلال اتاحة الفرصة للطبقات التى حرمت تاريخيا حتى تتوازن فى قوتهـا ووعيها مع بقيـة قوى التحالف .

● التركيز فى التنشئة السياسية والثقـافية على تعميق التحالف من خلال القيم الاسـاسية التى تذيب الفوارق الثقافية بين قوى التحالف ، هذا فضـلا عن التركيز على القيم الاشـتراكية الاساسية كالعمل والتعاون والجماعية .

● التركيز فى العمل السـياسى على القرية المصرية ، لمزيـد من التقريب فى الفـوارق بين القرية والمدينة .

● تنمية القيادات المحلية واعدادها لقيـادة العمل النضالى محليا وقوميا .

٥ — ضرورة اعادة النظر فى العمل الشبابى بما يساعد على خلق شباب عامل وواعىسياسيا بقضايا مجتمعه وبقضايا التحالف ومنطقه . وهذا يقتضى وجود خطط للعمل ، وللتثقيف ، والافادة من طاقات الشباب الخلاقة .

ثانيا : فيما يتعلق بوسائل الاعلام : —

يجب أن تتكامل مختلف الاجـهزة الثقـافية والاعلامية وتتعاون من أجل تحقيـق التنميـة الثقافية وهذا يقتضى : —

□□□□□□□□

١ ـ تحديد أهداف التنمية الثقافية تحديداً دقيقاً ، وبخاصة التنمية لمن .

٢ ـ تحديد القيم الاساسية التى نحتاج الى تنميتها . والقيم التى نحتاج الى تغييرها ، بما يتسق وأهداف التنمية الاجتماعية الشاملة .

٣ ـ تحديد وسائل تحقيق التنمية من خلال مجلس أعلى للثقافة والاعلام ينسق بين كافة الأجهزة ويضع لها الخطط النوعية التى تلائم قطاعات المجتمع ، وخاصة قطاعات القرية والمدينة والعمال وما الى ذلك ، حتى لاتهدم أحد الاجهزة ما تبنيه الاجهزة الاخرى . على أن تكون خطة التنمية الثقافية أمام مختلف الاجهزة والقطاعات لكى تسعى الى تحقيقها فى ضوء الظروف النوعية للقطاع الذى تخدمه

٤ ـ التركيز على القيم الاشتراكية من خلال وسائل الاعلام ورقابة ومحاسبة من يسير فى اتجاه معاكس ومضاد لها

٥ ـ النظر الى وسائل الاعلام كخدمة جماهيرية وليس كأداة للربح وهذا يقتضى اعادة النظر فى الاعلانات التليفزيونية والصحفية ، بتخصيص قناة منفصلة للاعلانات بالتليفزيون ، وصحيفة خاصة بالاعلانات الصحفية ، لانه لايعقل أن تشغل الاعلانات التجارية حيزا كبيرا من وسائل الاعلام التى يجب ان تركز على التنمية الثقافية بجانب الترفيه الهادف .

٦ ـ متابعة مضامين الاعمال الفنية المقدمة من خلال وسائل الاعلام لمعرفة مدى ارتباطها بالقيم الاشتراكية وقيم التحالف .

٧ ـ التركيز على البرامج التى تخدم القطاعات العريضة من الجماهير والتى تعمق التحالف ، وليس البرامج التى تخدم فئات محددة كما هو فى الاعلانات وبرامج المرأة والنادى الدولى . وأيضا مد البصر خارج نطاق العاصمة، والاهتمام بجماهير بقية المجتمع المصرى اعلاميا وثقافيا وترفيهيا . ■

أبو ذر الغفارى .. اليسارى العظيم

وكم يجب أن نخجل ؟

ابراهيم السعيد المشرى (*)

يظل التراث الاسلامى على الدوام مصدرا غنيا من مصادر الثقافة التقدمية وسندا للمناضلين من أجل الحق والعدالة الاجتماعية .

نشأت كلمة اليسار مع بدايات الثورة الفرنسية حينما كان نواب الشعب يجلسون على يسار رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية ، بينما كان الاشراف يجلسون على يمين الرئيس . وأصبح من الشائع بعد ذلك ان تجلس جميع القوى التقدمية فى المقاعد اليسرى ، بينما يجلس المحافظون فى المقاعد اليمنى

واستخدم وصف اليسار بعد ذلك كصفة تطلق على جميع قوى المعارضة وعلى الذين ينادون بتغيير الوضع القائم والمؤمنين بضرورة احداث تغيير راديكالى ينصب على جميع مواضعات المجتمع .

(*) سكرتير وحدة الحكم المحلى بالابعادية الجديدة ـ دمنهور .

من هذا المفهوم لكلمة اليسار نستطيع ان نطلق على الصحابى الجليل والمناضل الاجتماعى ابى ذر الغفارى نستطيع ان نطلق عليه صفة اليسارية حينما آلمه ما آلت اليه حال البلاد والرعية من غنى فاحش وفقر مدقع وارتداد عن مبادىء محمد « صلى الله عليه وسلم » وعدالة عمر وفى وقت خلافة عثمان بن عفان .

كان ابو ذر الغفارى يملك حسا ثوريا يحدد له مكمن الخطر وموضع الخطأ . جلس ابو ذر فى الساحات والاسواق والبلاد ، ووجد ان قريش قد تحولت الى طبقة ارستقراطية تجمع الذهب والفضة، وتبنى القصور، وتقتطع القطائع وتستجلب أفخر ما انتجته الحضارة الرومانية والفارسية . ووجد ان المجتمع قد انقسم الى طبقتين : طبقة الاغنياء وطبقة الفقراء . طبقة الاغنياء الذين اثروا من اسهم الجهاد واعطيات الحرب والتجارة التى كانت تسلك فجاج الكوفة والبصرة الى الهند وطريق الشام الى مصر . ثم طبقة الفقــــراء المأجورين . ووجد ان الكثير من الصحابة ، منهم من ركب التيار ونسى أو تناسى سنوات الجهــاد والشقاء والنضال . ومنهم من جاور الكعبة يسترحم ويستغفر ويتذكر سنوات الجهاد والشقاء والايام الحلوة التى مضت متعجلا فرحة اللقــاء بمحمد [صلى الله عليه وسلم] والصحابة الذين رحلوا . وعز على ابى ذر أن تضيع سنوات الجهاد المر الطويل تحت أقدام الثراة وبين القصور والضياع وأكداس الذهب والفضة . ومثلما كان الفارس يلقى بقفازه فى وجه خصمه علامة على التحدى والمبارزة ، القى الصحابى الجليل بقفازة فى وجه المجتمع والخلافة والسلطة وأعلنها ثورة . واقام من نفسه ممثل الاتهام ضد كل ما هو موجود .

ذهب الى الشام . طاف بالاسواق والساحات وأعلن رفضه لكل ما يحدث . ودعى الاغنياء الى التنازل عن كل زيادات المال لديهم وطالب الخلافة بوضع حد لهذا الثراء الغير مشروع . لانه ليس من أجل ذلك سقط الشــهداء كاعظــم ما يكون استشهاد الانسان فى [بدر واحد] وانطلق صوت الصحابى عاليا حتى اصبح له انصار ومحبذين . وضاق به معاوية والى الشام حينذاك وارسل الى عثمان قائلا :

— لقد افسد علينا اهل الشام ....

واستقدم عثمان الصحابى الجليل الى المدينة واحضره الى مجلسه . وجالسه وطلب منه البقاء الى جواره قائلا له :

— ابق معنا تغدو عليك اللقاح وتروح

لكن ابا ذر بما جبل عليه من حس ثورى — رفض الاغراء . وهب واقفا ، وخرج من عنده يجدد الدعوة . وكان الناس فى المدينة قد التفوا حوله مما اعطاه حصانة جماهيرية تخول له الحق فى التحدى المعلن . وكان بعض الناس فى ذلك الوقت مثلهم — مثل اى يمينى فى هذا العصر — يقفون من دعوة ابى ذر موقف الرفض . وحجتهم في ذلك ان الاسلام لم يأمر فى نص منه بوجود أرقام يقف عندها المال . كانوا اذن يقفون موقفا تبريريا ينتهى الى تبرير كل ما يحدث . لكن الصحابى الجليل لم يكن تبريريا ينتهى الى التبرير والمصالحة . كان فى أعماقه مؤمنا بأن هؤلاء الاغنياء ليس لهم الحق فيما يملكون من زيادات المال . وخرج بقولته الشهيرة :

— عجبت لمن لايجد قوت يومه ولايخرج شاهرا سيفه .

وضاق الخليفة بالصحابى بعد أن أصبح مصدرا للقلاقل والمتاعب فأمر بنفيه الى قرية تبعد ثلاثة اميال عن المدينة . وكان هذا اول نفى سياسى فى الاسلام .

وغادر الصحابى الثائر المدينة بلا مودعين كما أمر عثمان ومات فى منفاه وحيدا . وصدق فيه قول الرسول :

— يمشى وحده .. يموت وحده .. يبعث وحده .

وبكته زوجته حينما لم تجد ثوبا تكفنه به .

ولقد استحق ابو ذر اهتمام العديد من المؤرخين، فهم ينظرون اليه على انه رائد المعارضة وعدو الثروات وعلى انه كان يملك حسا ثوريا متقدما ، يرفض التبريرية التى تذهب الى تبرير الوضع القائم . على ان ابو ذر يعد فى نظرى مثاليا . وذلك حينما ناشد الاغنياء بأن يتنازلوا عن زيادات المال لديهم ، وفاته ان التطور والتقدم والثورة لا يمكن أن تستند على الضمائر .

ثم ماذا ايها السادة ...

بعد أن اصبحنا نعيش فى عصر تتفق ظروفه وملابساته مع تلك الفترة التى عاشها الصحابى الجليل . نعيش اياما ظهرت فيها التناقضات الطبقية حادة بشكل يرتفع الى مستوى الاستفزاز لاعصاب الجماهير . نسمع ونقرا عن ثروات وبقرات سمان ظهرت فجاة فى غيبه مخجلة للوعى الثورى . نسمع ونقرا عن الشقق التى تملك بعشرات الالوف من الجنيهات لبعض السادة ومنهم موظفون لا يملكون سوى رواتبهم . نسمع ونقرأ عن الذى دفع مبلغ ١٨٠٠٠ جنيه ثمنا لخلو رجل محل احذية . نسمع ونقرا عن التاجر الذى احرقت مخازنه وقدرت خسائره بمبلغ مليون جنيه . نسمع ونقرا عن احد المحافظين السابقين الذى طلب السماح له باستيراد آلات وجرارات زراعية بمبلغ ٢ مليون جنيه استرلينى . نسمع

□□□□□□□□

ونقرأ الارتفاعات المجنونة لاجور الممثلين . نسمع ونقرأ عن الراقصة التى تقيم فى الشيراتون الى حين الانتهاء من تأثيث ديكورات شقتها التى تبلغ ۲۵٫۰۰۰ جنيه .. (وهو رقم متواضع جدا) نسمع ونقرأ عن طبقة جديدة لا تملك صفة الباشوية لكنها تملك كل مقومات حياة الباشوات ..
ماذا حدث يا سادة . وكيف حدث هذا يا سادة .
ماذا حدث وكيف حدث هذا فى بلد يلتزم الخط الاشتراكى ؟ ..

ان ما حدث لا يمكن ان يبرر على اى مستوى . يجب ان نخجل يا سادة ، فدم الشهداء لم يجف بعد ..

اقول قولى هذا انطلاقا من مبدأ الحرية وايمانا لا يتزعزع بأن الحرية هى دينـــاميت التفجيــر الحضــارى الخــلاق بل هى الحــريه فى ارقــى صورها . ■

حـــول موضـــوع

مشـكلات الاسـكان والتموين فى منطقة عماليـة

مصطفى فتحى سلطان *

توالى « الطليعة » النشر عن هذه المشكلة الحيوية مشكلة الاسكان . بعد أن تناولتها فى العدد الماضى من نواحيها العامة أى من زاوية مناقشة السياسة العامة للاسكان ..

تعليقا على موضوع مشكلات الاسكان والتموين فى منطقة عمالية الذى كتبه الزميل **حمدى عبد الخالق** أود أن أضيف ما يلى من خلال معاناتنا نحن عمال الصناعة الثقيلة فى مصر والمقيمين بمنطقة اسكان التبين الشعبى ..

وبداية كنت أود أن يكون عنوان المقال « تآمر البيروقراطية على الاسكان الشعبى والصناعى » بدلا من « مشكلات الاسكان ... الخ » ..

وأؤكد تآمر لاننا منذ عام ١٩٦٩م تاريخ شغلنا لهذه الوحدات السكنية اتضحت لنا خيوط هذا التآمر ..

وبديهى أنه من مستلزمات الاسكان الشعبى والصناعى بالذات توفير كافة الخدمات التى تهىء للمواطن حياة كريمة بعد يوم عمل شاق .. وسأعطى مثالا بمساكن منطقة التبين الشعبية ..

(*) عامل بشركة الحديد والصلب .

فمنذ تاريخ شغلنا لهذه الوحدات ونحن نعانى من عدم وجود أى خدمات على الاطلاق مثل عدم وجود :

١ - محال تموينية كافية ٢ - مخابز ٣ - مكتب للبريد ٤ - مكتب للصحة ٥ - مكتبة ثقافية .

٦ - حتى مدرسة ابتدائية لاولادنا اذ ان اقرب مدرسة ابتدائية تبعد أكثر من كيلومتر كامل أى أن طفل الست سنوات يجب ان يسير على قدميه اكثر من كيلو مترين يوميا لتلقى العلم .

٧ - عدم وجود أى وسيلة للاتصال كالتليفون العمومى والتلغراف .

٨ - وايضا عدم وجود شارع واحد مرصوف بالمنطقة .

٩ - كذلك عدم وجود حديقة عامة أو مكان ترفيهى يمكن أن يجتمع فيه الناس بدلا من « الغرز » والقهاوى خاصة وأن المنطقة نائية عن القاهرة .

١٠ - المواصلة الوحيدة التى تربط هذه المساكن بحلوان هى ٣ اتوبيسات تابعة لشركة النيل العامة لخطوط الوجه القبلى ولها تعريفة الاقاليم .

وكان على السكان وكلهم من العمال منذ بداية شغل هذه المساكن المعاناة من كل هذا التقصير والتفكير فى كيفية حل كل هذه المشاكل .

وهنا أسجل اهم نتيجة من نتائج هذا التقصير وهى اهدار طاقة عمال المنطقة فى المعاناة من تصور الخدمات التى يعد من اولوياتها توفير سكن ملائم للعامل .

وللحقيقة اذكر هنا أن العمال وهم الساكنين قد استطاعوا بكثير من الجهد اجبار الجهات التنفيذية على تحقيق بعض هذه الخدمات .

واذكر حصرا ماتم تنفيذه من هذه الخدمات وأوجه القصور التى دستها البيروقراطية على هذه الخدمات :

١ - تم بناء مخبز يتبع لحى حلوان اتبع فى تأجيره اسلوب المزاد التجارى مما أثر على كفاءة المخبز الذى يعمل يوما ويتعطل عشرينا .

٢ - تم تغيير « المواصلة الموجوده واصبحت تتبع مسئولية هيئة النقل العام ولكن بنفس تعريفة الاقاليم مما يشكل عبئا ماديا على سكان هذه المنطقة .

ولوجه الحقيقة أيضا نذكر ان عدد عربات هذا الخط أصبحت ٩ عربات ولكن مقابل زيادة سكانية بلغت اكثر من اضعاف ما كان موجودا نتيجة لتوسعات المصانع فى هذه المنطقة وسكن الكثير من عمالها اما فى مدينة الصلب الجديدة او فى منطقة حكر التبين المحرومة نهائيا من ابسط وسائل العيش الكريم .

٣ - تم رصف أحد شوارع المنطقة منذ أربع سنوات وجاءت عربات شركات المقاولين التى تبنى توسعات مجمع الحديد والصلب وهدمت ما تم رصفه .

٤ - اوجدت وحدة اسعاف لها ٤ عربات للاسعاف عربتان منها غير صالحتان للعمل .

٥ - تم انشاء مجمع استهلاكى واحد بالمنطقة - المفروض أن يخدم حوالى عشرين الف نسمة - ولكن نظرا لكونه اقرب المجمعات الى قرى الشركة والتبين والمنيا وغيرها من هذه القرى المحرومة أساسا من الخدمة التموينية نجد أن هذا المجمع يخدم أكثر من مائة الف نسمة مما شكل عبئا على مساكن المنطقة فى الحصول على ضرورياته التموينية ومما ساعد على وجود سوق سوداء - حالكة السواد - بالمنطقة .

٦ - تم انشاء وحدة صحية تغير عليها حتى الان اكثر من خمسة أطباء ثبت انحراف بعضهم كما أن البعض الاخر لم يكن يواظب على الحضور اليها والقيام بواجبه .

٧ - تم انشاء مكتب للصحة يقتصر على قيد المواليد والوفيات والتطعيم .

ونأتى هنا لواجب الشركات التى تم اسكان عمالها فى هذه المنطقة وسأذكر منها شركة الحديد والصلب وهى تبعد عن حلوان بحوالى ١٤ كم .

كانت الشركة تقوم بنقل عمالها من محطة المترو فى حلوان الى مصانعها بعرباتها مما كان يكلفها على اقل تقدير ما لا يقل عن ثلاثة جنيهات شهرية للفرد زائد اشتراك سنوى بالسكة الحديد قيمته لا تقل عن ٧ جنيهات سنوية زائد جهد مبذول من العامل اهدر نتيجة تنقله فى علب السردين التى تسمى الاتوبيسات . ناهيك عن تعطل المترو الذى كان يكبد الشركة كثيرا من ساعات العمل المفقودة . أى أن العامل وفر للشركة من ميزانية الخدمات ما لا يقل عن ٥ جنيهات شهرية فما هو العائد على العامل وأسرته نتيجة لهذا التوفير ؟؟

الاجابة لا شىء بل أن البيروقراطيين الذين تسللوا الى مناصب فى الشركة حاولوا بشتى الوسائل حرمان هذا العامل الذى يقطن بعيدا عن مقر عمله بأكثر من ثلاثة كيلو مترات ذهابا وايابا من وسيلة النقل التى تنقله واضافة جهد اكثر وعبء ثان عليه . لولا تصدى العمال لهم .

ثم أن الشركة نتيجه لتوسعات مجمع الحديد والصلب قامت ببناء « الفين » وحدة سكنية جديدة واقامت بداخلها عدد ٨٤ دكانا للخدمات واسكنت عمالها بها منذ أواخر عام ١٩٧٤ م وحتى اليوم لم يفتتح دكانا واحدا مما شكل عبئا جديدا على المحال التموينية وباقى الخدمات بالمنطقة . ومما

□□□□□□□□

ساعد على انتشار السوق السوداء التى تحصل على المواد التموينية من المجمعات الاستهلاكية وبيعها للسكان مرة أخرى باسعار مضاعفة .

بل أن السيد : وزير الصناعة اصدر مرارا تخفيفا من الاعباء المعيشة وغلائها على محدودى الدخل - بأن ايجار الغرفة فى مساكن التابعة للشركات لا يزيد عن جنيه هذا القرار اصبح حبرا على ورق بعد تدخل البيروقراطيين بالشركة وايجاد مبرر لعدم تنفيذ هذا القرار .

وأنا هنا اتساءل لمصلحة من يصبح المساكن مشتت البال ويدور فى حلقة مفرغة ؟! وما المقصود من ذلك ؟!!!

هل المقصود من ذلك هو عدم المشاركة ابناءه بالرأى فى مستقبل هذا الوطن الذى يمر بأخطر مراحله التاريخية .. « او هل المقصود بأن يكفر العامل بالقطاع العام ويصبح هو معولا لهدم هذا الصرح الذى دعم اقتصاد وطننا خلال سنوات المواجهة العصيبة ؟

وبالله عليكم قولوا لنا ماذا نظن نحن العمال القاطنين فى المنطقة اذا علمنا ان السيد : رئيس مجلس الادارة هو المتحدى الاول حتى لا ينفذ قرار السيد : وزير الصناعة بشأن التخفيض . علما بأن معظم سكان هذه المساكن الجديدة من محدودى الدخل ذوى الاسر الكبيرة العدد .

وعند هذه النقطة اوجه اتهامى لمسئولى الشركة بما يلى :

اولا : عدم تنفيذ قرار السيد : وزير الصناعة بشأن تخفيض القيمة الايجارية .

ثانيا : شغل هذه الوحدات السكنية الجديدة دون توفير اى خدمات بها .

ثالثا : وهو الاهم اهدار الطاقة الخلاقة للعمال من سكان هذه المنطقة كالتحرك لحل مشاكل البديين أولا وثانيا وكان يمكن لو أن المسئولين قاموا بواجبهم توفير هذا المجهود لصالح الانتاج ودعم أهم قلاع القطاع العام .

وختاما فكر كثير من الزملاء فى أنسب الوسائل لحل مشاكل مدينتهم وهداهم تفكيرهم الى توجيه الدعوة للسيد : رئيس الجمهورية للاحتفال بينهم بعيد العمال لعل كل المسئولين يسارعون لا يجاد الخدمات بالمنطقة - وفعلا ارسلوا الى جريدة الاخبار دعوة السيد : رئيس الجمهورية .

وانا من خلال مجلتكم هذه باسم كل زملائى من العمال الذين تطحنهم مشاكل الحياة اليومية والمشاكل التى خلقها قصور المسئولية . اوجه الدعوة للسيد رئيس الجمهورية « ...فال بعيد العمال بين ابنائه عمال الصلب ». ■

كلمـــة دفـــاع ووفـــاء

عن تاريخ بنك مصر الوطنى

عدالات عبد الوهــاب *

فى هذا العدد تعلق الكاتبة على كلمة « الطليعـــة » التى نشرت فى عدد فبراير الماضى تحت عنوان « تأميم البنك الاهلى وبنك مصر ١٩٦٠ »

يسعدنى ان أرسل الى مجلتنا العزيزة ببعض الملاحظات على ماورد بعدد فبراير ١٩٧٦ تحت عنوان « تأميم بنك مصر » .

لاخلاف ان عملية تأميم الجهـــاز المصرفى والجهاز المالى كانت عملية حتمية تمليها ضرورة سـيطرة الدولة على اجهزة تجميـــع المدخرات والاموال فى وقت آمنت فيه الدولة بدورها فى تنمية الاقتصاد القـــومى عن طريق التخطيـــط الشامل الذى يعتبر تخطيـــط النقـــد والائتمان وتخطيط الاستثمار وتمويله جزء لا يتجزء منها ».

[*] باحثة اقتصادية .

وفيما يتعلق ببنك مصر بالذات فان هذه الضرورة الحتمية كانت كافية وحدها لتبرير تأميمه ولا اعتراض لاحد عليها . اما القول بان تأميم بنك مصر قد تم عندما لم يستجب البنك لمحاولة الحكومة التخفيف من سيطرة البنك على شركاته الصناعية بحيث يتجه لمعاونة الدولة فى مشروعات التنمية ، وعندما ساعد تعاون الدولة مع البنك على مضاعفة ارباحه فيما بين عامى ١٩٥٢ ، ١٩٦٠ فضاعف البنك من عونه لشركاته التى ظلت فى اطار الصناعة الخفيفة فمردود عليه بمايلى : —

أ ان سيطرة البنك على شركاته الصناعية حتى عام ١٩٦٠ ليس بالامر الذى يؤاخذ عليه، لما فيه من دعم متبادل بين الشركات والبنك وبالتالى مفردات ومكونات الاقتصاد المصرى من الوحدات الانتاجية الهامة . كما ان تخلص بنك مصر من ملكية هذه المشروعات بنقل ملكيتها لمساهمين اخر من الطبقة الراسمالية لم يكن ليخدم غاية او نفع قومى فضلا عن ان طرح كميات كبيرة من الاوراق المالية فى وقت واحد يهدد بحدوث هزات عنيفة فى سوق الاوراق المالية بدون ماهدف ، فى وقت لم تكن الدولة بدات فيه بعد سياسة التأميمات .

● اما القول بان شركات بنك مصر قد ظلت فى اطار الصناعة الخفيفة فانه يحجب عن الراى العام حقيقة هامة ، وهى ان بنك مصر منذنشأته قد غزا قطاعات يخشاها ويحجم عنها القطاع الخاص فى اغلب الدول الراسمالية ، وذلك هو قطاع النقل . فيجب ان يعلم الراى العام ان شركة مصر للطيران التى تجوب أساطيلها دول العالم الان ، هى فى الاساس شركة مصر للطيران التى اسسها بنك مصر فى عام ١٩٣٢، والتى اقبل على انشائها عن ايمان برسالته القومية وبالاهمية الاقتصادية للمشروع الذى يعلم سلفا ان نتيجة تشغيله خساره مؤكدة ، وبالمثل وبعد عامين فقط اقبل بنك مصر فى ١٩٣٤ على انشاء شركة مصر للملاحة البحرية التى كانت تعمل على نقل الحجاج والمسافرين والبضائع عبر البحر الاحمر والبحر الابيض لخدمة الاقتصاد القومى وهو يعلم ايضا ان هذا المجال مؤكد الخسارة ومحفوف بالمخاطر ودليلها الدعم الحكومى الذى كان اساسيا لتغطية خسائر الشركة السنوية الى ان فقدت الشركة أسطولها اثناء الحرب العالمية الثانية .

● لقد وقف بنك مصر منذ نشأته وحتى ١٩٣٨ فى ساحة التنمية الاقتصادية حيث انشأ ٢٣ شركة بامكانياته المحدودة ثم كان تعرضه لازمة ١٩٣٩ التى كان حملة وقودها الهيكل المصرفى المتخلف والنظام السياسى المتعفن والمصالح الاستعمارية والراسمالية الدولية وما لحقها من قرارات وقوانين الدعم لسنة ١٩٤١ التى صاغتها الدوائر الاستعمارية والراسمالية لتفرض على البنك عدم القيام بمنشآت جديدة مستقبلا وعدم التوسع فى المنشآت القائمة وبتعبير آخر تصفية كل مجهودات بنك مصر فى التنمية الاقتصادية .

● وكان طبيعيا بعد هذه الازمة الطويلة ان يلتقى بنك مصر مع ثورة ١٩٥٢ فيعاود سيرته فى انشاء المشروعات الجديدة وتنمية الاقتصاد القومى وقد كان من ابرز اشكال هذا التعاون ما على سبيل المثال لا الحصر .

● انشاء بنك مصر لشركة مصر للفنادق لتقوم بانشاء فندق سياحى عالى ممتاز « الهيلتون » بالتعاون مع الحكومة المصرية التى ساهمت بتقديم الارض المقام عليها الفندق .

● انشاء بنك مصر لشركة مصر شبين الكوم « ضمن خطة السنوات الخمس الاولى للصناعة » والتى كانت تخدم اهداف تنمية الاقاليم وتنمية صادرات الغزل وزيادة حجم العمالة .

● انشاء شركة مصر لصناعة الكيماويات التى تعتبر من الصناعات الاساسية التى تخدم صناعات الاسمدة والاقمشة والورق الخ ..

مساهمة البنك مساهمة فعالة فى راسمال شركات الحديد والصلب المصرية ، الصناعات الكيماوية « كيما » والقومية لانتاج الاسمنت ، والعامة للثروة المعدنية .

وأحب أن اذكر هنا ان ارباح البنك لم تتضاعف بين عامى ١٩٥٢ ، ١٩٦٠ وانما هى زادت من ٧٩٧ الف جنيه فى ١٩٥٢ الى ١٣ر١ مليون جنيه فى ١٩٦٠ بزيادة نسبتها ٤٢ ٪ .

واخيرا تحضرنى كلمة وفاء لذكرى محمد طلعت حرب الذى اسس هذا البنك فى اصعب الظروف وحمل رسالة اقتصادية نبيلةفى مناخ عاصف طاحن وايضا لذكرى محمد رشدى الذى تأمم البنك فى فترة رئاسته له فابدى تعاونا قبل التأميم وبعده حتى وفاته فى عام ١٩٥٩ ، حفاظا لرسالة سلفة .

واسمح لى ان ازيد فاقول : ليت جهازنا المصرفى اليوم وبعد ان اعطته الدولة احتكار استغلال موارد السوق الموازية وبعد ان ظل محتكرا لسوق النقد والائتمان حتى سياسة الانفتاح التى اعطته بالتالى فرص الاسهام فى تنشيط استثمارات القطاع الخاص ، ليته يخرج علينا بكشف اعمال يرقى لمستوى كشف اعمال بنك مصر قبل التأميم .

□□□□□□□□

تواصـــل « الطليعـة » نشر مختارات من رسائل عديدة وصلتها من القراء والاصدقاء يسجلون فيها انطباعاتهم عـن الدراسـات التى نشرت تحت عنوان « الهموم ٠٠ »
وفى هذا العـدد تكتب سهـام هاشم عن همـوم أم محمد ويكتب ابراهيم النصار عن حالة حلمى زكى والاغتراب الفكرى

○ مـا يجب أن يقـال

سهام هاشم *

اكثر من مرة كان أستاذنا الدكتور **عثمان امين** ـ اطال الله بقـاءه ـ يؤكد لنـا فى قـاعة المحاضرات بعضا من عباراته المأثورة التى تعكس اساسا منطلقاته الفكرية والفلسفية . ومن بين هذه العبارات التى لاازال اذكرها جيـدا قوله الشهير : « **ان مايجب أن يقال هو الذى لايقال ، ومالا يجب ان يقال هو الذى يقال** » . وبالطبـع فان العبارة لاتحتاج الى شرح ، فهى تؤكد ان كثيرا من الامور التى يجب أن تطرح على مائدة البحث ويتناولها الحديث هى التى لايلتفت اليهـا عفوا او عمدا ، بينما يكثر الحـديث عن امـور لاينبغى الالتفات اليها قط .

وفى اعتقادى أن مجلة « **الطليعة** » حينمـا استهلت عام ١٩٧٦ بتقديم نماذج حية من شرائح قاع المجتمع المصرى تكون بذلك قد بدات تقـول « مايجب أن يقال » . ولست اقصد بالطبع ان كل ماقالته مجلة « الطليعة » منذ صدورها حتى الان لم يكن ينبغى قوله ، ولكن ما أقصده هو أن تقديم هذه الشخصيات من امثـال **عبد التـواب وأم محمد** يعتبر فى صـميم رسـالة مجـلة « الطليعة » التى تصدر اساسا لطرح ومناقشة قضـايا الاشتراكية . ولست اتصور أن هناك اهم فى طرح قضايا الاشتراكية من تقديم نماذج من أولئك الذين تعتبر الاشتراكية بالنسبة لهم طوق النجاة أو ـ بعبارة أخرى ـ نماذج من « الابطال الحقيقيـين » الذين يفـترض ان يكـونوا اول المستفيدين من تطبيق الاشتراكية تطبيقا صحيحا بكل مافيه من كفاية وعدالة وتوعية وتثقيف .

واذا عدنا الى الست **أم محمد** نجد أن الحوار معها كشف عن حقائق يزخر بها مجتمعنا ،ولكننا لكثرة ما الفناها لانقف عندهـا ولاتثير فينـا لا الدهشة ولا الرغبة فى البحث والتحليـل .
فكلنا يعرف أن كثرة النسل تنتشر بين الطبقات الفقيرة . وهى حقيقة طالما تحدثنا عنها وكأنها من طبائع الامور . وكثيرا مـايذهب البعـض الى ارجاع ذلك الى مجرد عدم الوعى لدى افراد هذه الطبقات . ولكنى ارى ان السبب اعمق واعقـد من ذلك . فهذه الطبقات لاتملك قوت يومهـا ناهيك عن افتقادها لاى سبيل من سبل التثقيف أو الترفيه . بل اننى أذهب الى ابعد من هـذا فاقول أن هذه الطبقات تفتقر الى أبسط اسس الحياة الكريمة . أذن هناك شعور يسـود فى اعماق هذه الطبقات مؤداه أن المجتمع ينكر عليهم حق الحياة الكريمة بل حق الوجود نفسه فماذا لو اثبتوا وجودهم بالقدرة الوحيدة التى يمتلكونها وهى القدرة على التناسل ! فالتناسل ، هنا ، يمكن أن يكون طريقـة من طرق اثبـات الذات واثبات الحق فى الوجود رغم أنف المجتمـع .
وبالطبع تلجأ هذه الطبقات الى كثرة النسل من هذا المنطلق بدون ماوعى منها بذلك . ولكنها تفعل كما لو كانت تصرخ قائلة لاولى الامر : « هانحن موجودون بكل بؤسنا فماذا انتم فاعلون » واذكر ـ فى هذا الصدد ـ أن احـد كبـار الموظفين ـ فى الدار التى اعمل بها ـ وهـو من ذوى العقلية « اياها » ، جاء متقززا فـور قراءتـه للحوار الذى اجرته « الطليعة » مـع المواطن **عبد التواب** . وقال موجها الحديث الى : لاادرى

* محررة بوكالة انباء الشرق الاوسط

لماذا اختارت الطليعة هذا النموذج المتعفن من المجتمع لكى تسلط عليه الاضواء ؟ » . ولا اكتم القارىء اننى اغتبطت كثيرا لهذه « الحالة » التى اعترت السيد المدير الذى طالما انكر فى مناقشاتى معه وجود بؤساء او محرومين فى مجتمعنا يمثلون مشكلة تقتضى حلولا عاجلة وناجحة .

كذلك ، قد يكون التناسل هو التسلية الوحيدة للست أم محمد واسرتها ومثيلاتها . فوجود طفل صغير فى البيت ربما يكون باعثا على شىء من السرور والمرح للاسرة باكملها . وهذا ماتعبر منه تلك العبارة التى كثيرا مانسمعها : «عايزين حاجة صغيرة — أى طفل — نلعب عليها فى البيت » .

وفى اعتقادى ان جميع وسائل التوعية لهذه الطبقات حول ضرورة تنظيم النسل لن تجدى اذا لم تهتز اجهزة تنظيم الاسرة والشئون الاجتماعية الى ايجاد قنوات لهذه الطبقات ينفسون بها عن طاقاتهم تنفيسا مفيدا لهم وللمجتمع .

ولا يقف خطر كثرة النسل بين هذه الطبقات عند حدود مجرد احداث الانفجار السكانى ومايجره من كوارث اقتصادية واجتماعية ، بل ان الخطر الاعظم لكثرة النسل بين الطبقات الفقيرة هو انها تنتج نسلا ضعيفا جسميا وعقليا، ولعل فى اجابات الست ام محمد بشأن طفلها الرضيع خير دليل على ذلك ، فالطفل يقضى يومه على رضعات من الكراوية . ثم تأتى امه ليلا وبالطبع وهى منهكة لكى ترضعه شيئا أشبه باللبن وماهو بلبن على الاطلاق .

ثم يسألون الست ام محمد عن الاشتراكية فلا تعرف عنها شيئا مع انها صاحبة المصلحة الحقيقية هى وامثالها فى تلك الاشتراكية .

ليتك تعرفين يا ام محمد ماذا تعنى الاشتراكية بالنسبة اليك . انت بالطبع لم تقرأى شيئا عن ذلك الذى يسمونه بالاشتراكية فما انت بقارئة لانهم أرادوك غير قارئة . ولكن هل تسمحين لى بأن أدلك فى كلمات بسيطة عن هذا الذىيسمى بالاشتراكية ، انها فى بساطة شديدة تعنى الحياة الكريمة الامنة لك ولعيالك . وهل تريدين تفصيلا اكثر ؟ انها تعنى المسكن النظيف الصحى المستقل الذى يحصل عليه المواطن باسبقية الحجز باجر رمزى للغاية لايثقل كاهلك وسيراعى فيه أن يكون قريبا من عملك حتى لاتتكبدى اجرة مواصلات .. ولكن حتى هذه المواصلات فى ظل الاشتراكية تكون باجر زهيد للغاية .

والاشتراكية كذلك تعنى —ضمن ماتعنى— وضع الحد الادنى للاجور بما يتلاءم مع الاسعار ؟ اسعار جميع السلع بحيث تصبح فى متناول صاحب الحد الادنى للاجر كما انه فى ظل الاشتراكية يختفى تماما شبح الاستغناء عن العامل .. وهو الشبح الذى يتهددك ايتها المسكينة . انها تعنى اطمئنانا تاما فى العمل وتامينا ضد الفصل او ضد انقطاع الاجر باى شكل . بل تعنى اجورا اضافية عن كل ساعة عمل اضافية . هذا عدا التقدير المعنوى لكل انسان يبذل جهدا اضافيا . فلا تصدقى قط مايلوكه بعض المغرضين من انه فى ظل الاشتراكية يتلاشى الحافز الفردى . بل اننى لا اغالى اذا قلت ان الاشتراكية هى النظام الذى يتيح بحق وعدل الحوافز المادية والمعنوية .

ولاتظنى يا أم محمد اننى قرأت هذا فى الكتب فقط . فانما قرأته فى الكتب عن الاشتراكية سواء خلال دراستى الجامعية أو بعد ذلك لم يكن كفيلا بأن أعى تماما ماهو النظام الاشتراكى، فقد كنت دائما اضع فى حسبانى ان الكلام النظرى عسير فى تطبيقه ، ولكنى دعيت ذلك ورأيته رأى العين فى البلدان التى تطبق الاشتراكية .

لقد ذكرت فى حوارك مع الطليعة انك اخذت اجازة للوضع لاتتجاوز عشرة ايام ثم عدت الى العمل تاركة الوليد بين يدى اخته الكبرى قعيدة المنزل فهل تعرفين ان اجازة الوضع فى النظم الاشتراكية ثلاثة اشهر كاملة تعودين بعدها الى عملك وتتركين وليدك بين ايدى امينة فى احدى دور الحضانة الموجودة فى كل حى . وهل تعلمين ان من المستحيل فى ظل النظام الاشتراكى ان يكون هناك شخص قادر على العمل ولايعمل لان حق العمل مكفول للجميع ، فابنتك الكبرى كان مفروضا ان تكون طالبة فى احدى المدارس او الجامعات مقابل منحة شهرية ، او عاملة فى احد المصانع اذا اختارت طريق العمل وباجر يكفيها ويزيد ؟ ففى ظل النظام الاشتراكى تتكفل الدولة بالطفل فىدار للحضانة يقضى بها يومه حتى السابعة مساء نظير اجر زهيد يتلاءم ودخل والديه دون ان تؤثر ضآلة الاجر على مايلقاه من رعاية ، فجميع الاطفال هناك سواء من حيث ما يتمتعون به من عناية وان اختلف مايدفعونه من اجر تبعا لدخل ذويهم .

وفى الحوار الذى دار بين الست ام محمد ومجلة « الطليعة » تناول الحوار موضوع المرض والعلاج ، وفى هذا الصدد فسوف اسوق تجربة شخصية مررت بها خلال اقامتى فى موسكو ؟ فقد تقرر اجراء عملية جراحية لى فدخلت المستشفى واجريت لى العملية وتمت التحاليل

□□□□□□□□

والفحوص اللازمة وصرفت لي الادوية دون اي مقابل ، وكانت معي في العنبر ثلاث مريضات — لان حالتنا لم تكن تستدعي اقامة كل منا في غرفة مستقلة — وكانت احداهن ليديا العاملة في مصنع للنسيج والثانية تمارا مغنية الاوبرا والثالثة فالنتينا وكانت عاملة للنظافة في مصنع للزجاج، وكنا جميعا نلقى قدرا واحدا من الرعاية غذائيا وطبيا بغض النظر عن القدرة المادية او المكانة الاجتماعية لكل منا ، مما ادى الى نشأة نوع من الالفة والتقارب بيننا ايقنت خلاله ان مايباعد بين الناس هوالعقد والاحقاد التي يخلقها التمايز الطبقي وانعكاسه على مستوى معيشة وعلاج كل فرد ».

ومن الواضح خلال اجاباتك على اسئلة الطليعة ان كثرة العيال قد ضاعفت من مشاكلك ومما تعانينه ولكن تعرفين ان المراة في المجتمعات الاشتراكية تكون اكثر وعيا وعلى درجة معقولة من التعليم فلا تنجب كل هذا العدد من الاطفال. ولكن اذا حدث وانجبت بمحض ارادتها فانهاتتمتع بمميزات لاحصر لها تقدمها لها الدولة ولاطفالها بالاضافة الى فوزها بميداليات وأوسمة الامومة. فالمجتمع الاشتراكي ينظر للطفل على انه ثروة قومية وقوة منتجة وليس عالة على ذويه او مجتمعه .

لقد ذكرت لك مايمكن ان يسمى بمقتطفات او لقطات مما رأيت في احدى البلدان الاشتراكية التي يستعير البعض أقوال الصحف الامريكية للتشنيع عليها ووصفها بالانحلال وسوء الحال . وفي هذا الصدد اقول لك انني تذكرت وانا هناك قول **الشيخ محمد عبده** على اثر عودته من رحلته الى اوربا مامعناه انه راى بلاد تطبق الاسلام ولكنها لا تعرفه . اما مسألة الانحلال فيكفيني أن أؤكد لك انني لم ار طول عامين منظر يخدش الحياء لافي الشوارع ولاحتى في التليفزيون لان وسائل الاعلام هناك ادوات تثقيفية وتعليمية بالدرجة الاولى وترفيهية بالدرجة الثانية تقدم أرقى الفنون من موسيقى وباليه وبرامج راقية للاطفال أبعد ماتكون عن غرس أي قيمة من قيم العنف او الشر .

وقد آثرت أن أبعد في حديثي معك عن تعقيد النظريات والايديولوجيات التي كثيرا ماتلقي بظلالها الجافة على أحلى اماني الانسان . بل آثرت أن أقدم لك كلمات قد تنجح في ان تنقل اليك بعض الواقع الذي عشته .. وللواقع قوة اقناع دافقة □ ».

○ حالة حلمي زكي .. والاغتراب الفكري

ابراهيم القطان *

تبدو للوهلة الاولى آراء **حلمي زكي** مضطربة ، غير قادرة على التمييز بين ما هو في مصلحته وما هو متعارض معها . ويبدو **حلمي زكي** مغترب فكريا عن نفسه وعن مجتمعه . ويصاب القارىء بالدهشة لهذا التناقض الواضح بين مصادر تثقيف وتكوين رأى **حلمي زكي** وبين اراءه . وللاجابة على السؤال الذي يفرض نفسه : لماذا هذا الاضطراب والاغتراب والتناقض ؟ نجد ان هناك مجموعة من الاسباب المتكاملة . سأحاول ان القى الضوء عليها بشيء من الايجاز .

١ ـ الشوشرة الفكرية التي يعيش فيها المجتمع المصري الان ، وانعدام التثقيف السياسي الناضج وعجز أجهزة الاعلام عن تنمية الوعي والسلوك الاشتراكي ـ او اللارأسمالي ـ لدى الجماهير . في نفس الوقت الذي يختفي فيه تماما دور النقابات العمالية ، ويتميع فيه دور الاتحاد الاشتراكي .. فنحن دولة من دول التحرر الوطني ويتحتم علينا ـ فهذا قدرنا ـ السعي لبناء مجتمع اشتراكي تتحقق فيه أمنية **حلمي زكي** و « يأخذ الفقير حقه » .

أما أن تنصرف معظم أجهزة الاعلام عن التأصيل الفكري للمبادىء الاشتراكية والسلوك الاشتراكي لدى الجماهير الى حملات جانبية مسعورة لتصفية حسابات قديمة ، فهي خيانة عظمى لهذا الشعب ولمسيرته . وهذه الحملات المسعورة لا طائل منها ، فلن يستطيع احد ان يأخذ

[*] مهندس تنفيذ كهرباء الريف ـ أسوان .

منا الارض التى نزعها ليعيدها الى **فؤاد باشا سراج الدين** ، ولن تستطيع قوة على وجه الارض أن تهدم السد العالى او تعيد الانجليز الى ثكناتهم فى قصر النيل . والقطاع العام ليس ملكا لفرد او لمجموعة افراد حتى يعرضوه للبيع فى المزاد العلنى . فلا خطر اذن من هذه الحملات المسعورة الا هذه الشوشرة الفكرية التى تسلب الانسان المصرى ارادة التغيير الثورى - ولو لفترة وجيزة - ونحن أحوج ما نكون لاستمرار هذه الإرادة ونضوجها . فهى موجودة شاءت مدرسة الاثارة أم لم تشأ ..

فالاسطى **حلمى زكى** رغم اعجابه الشديد بالاساتذة مصطفى أمين **وعلى أمين ومحمد أبو الفتح** نراه غير مستريح نفسيا للاخ **موسى صبرى** .. وترى ان اراءه تقدمية فى مجملها ولم تتأثر جذريا بهذه المدرسة وان شابها بعض الخلط والشوشرة .. فهو يرى أن عدونا بالتحديد هو اسرائيل .. وامريكا هى الوحيدة التى وراء اسرائيل » . ويرى أن « روسيا كويسه .. ويرفض قطع علاقاتنا مع روسيا » ويرفض أن يكون للاغنياء منبر « لان لو سمعنا كلمة الاغنياء يبقى احنا معملناش حاجة .

٢ - عجز المجتمع عن اشباع حاجات الانسان الرئيسية والحقيقية ، فى نفس الوقت الذى ينمو لدى الانسان ميول مختلفة - من حيث الدرجة - لاشباع حاجات زائفة . ورويدا رويدا .. ومع انتشار الامراض الاجتماعية من فساد ورشوة وتطلعات طبقية .. يغترب الانسان عن نفسه وعن مجتمعه . **فالاسطى حلمى** ينفق معظم دخله .. وفى المقدمة - على « اللحمة والسجاير » اللحمة « ليغذى نفسه وأولاده بعد طول أكله للجبنة القديمة . والسجاير من « الهموم اللى عنده » لانه « قلق على مستقبله ومستقبل أولاده » . والرجل يتمنى لو معاه فلوس كان « راح اشترى من شارع الشواربى ولبس زى الناس اللى بتلبس » تطلع بورجوازى .. ويرى فى الانفتاح وسيلة لاختفاء الفقر . وهو يرى أن القطاع العام أفضل من القطاع الخاص ويدرك السبب ساعات عمل محددة .. علاج .. تأمين على حياته .. العامل يضمن « ياخذ حقه » ويدرك انه كفرد من الطبقة الفقيرة لايقدر على الحصول على حاجاته الامن القطاع العام ولكنه يشترى معظم حاجاته من القطاع الخاص رغم أن السعر أغلى ولكن المشكلة « انه ليس من السهل عليه الشراء من القطاع العام » ويقف للفرجة على « الطبقة الغنية من

الدول .. العربية واقفة .. يروح فاتح له الباب فلان بيدفع ويخش على مدير المحل من دول طلبات سيادتك قد ايه .. قد كده..واتحملت العربية ومشى .. والقطاع الخاص فى نظره لازم يبيع غالى .. لان الحياة غالية ... علشان الحياة غالية لازم يعيش فيبيع غالى » .. الى هذا الحد تم تزييف وعى **الاسطى حلمى زكى** .

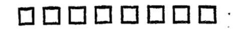
٣ - غياب المعنى الحقيقى للتكافل الاجتماعى وظهور هذا التكافل بصورة فردية ومربوطا بالمنفعة . ففى حالة **حلمى زكى** كانت اليد التى مدت له بالعون هى يد الناس الكويسيين » من الطبقة البورجوازية المتوسطة والعالية الذين كان يذهب اليهم فى بيوتهم . « يكوى لهم » فمنهم من اعطاه المال ومن « خلصه » من الخدمة العسكرية ومن تدخل للافراج عنه حين قبض عليه فى الاخوان المسلمين ومن وظفه بالقطاع العام ...

٤ - اضطرار العامل بالقطاع العام - لظروف المعيشة وضعف الاجور - للعمل بالقطاع الخاص فى أى مهنة بغرض زيادة دخله ، مما يوقعه فريسة التعارض بين نوعين مختلفين من علاقات الانتاج وبالتراكم تنمو لدى الطبقة العاملة تطلعات بورجوازية .. وبالتراكم أيضا تفقد هذه الطبقة الارادة الثورية .. ووقتها يصير نضال اليسار كالنقش على الماء .

٥ - التفكك الاسرى ، فالاب طلق الام .. « وكل واحد منهم متزوج ويعيش فى واد » الاخوة المتعلمون يرفضون الوقوف بجانبه ، ويعمل فى البداية عند عمه الذى يقسو عليه .

لكل هذه الاسباب مجتمعة بدا واضحا قلق **حلمى زكى** على نفسه وعلى أولاده وخوفه الشديد من بكره .. وبعد هذا أتصور انه من الممكن الا يسود فى تفكيره البراجماتية والميكافيلية .. والا تتجسد فى حالته الاغتراب الفكرى . معذور يا **اسطى حلمى** .

ثمة سؤال ماذا بعد هذا المجهود الرائع الذى تبذله الطليعة للتعرف على هموم الجماهير على أرض الواقع ؟ .. اخشى أن نقف ازاءها موقف المهرج الذى عمل موزعا للبريد فى فيلم المهرجون .. حين كثرت فى يده الخطابات وأعياه البحث عن عناوين أصحابها .. واخيرا وجد الحل فى وضع الخطابات فى أقرب صندوق صادفه فى الطريق .. لتبدأ الخطابات من جديد رحلة التوزيع .. وهو لا يدرك انها فى النهاية سوف تعود اليه .. ليبدأ من جديد رحلة المعاناة . ■



متى تكرم مصر أبناءها ؟

خطاب الى الطليعة متى تكرم مصر ابناءها؟ عزيزتى الطليعة :

تحية ملؤها الحب والاحترام لكل الذين يسهمون بأى جهد فى تقديمك لنا بصورتك المشرفة .

هناك سؤال اعتقد انه لابد ان يثار فى هذه الاونة التى فقدت فيها القوى التقدمية بل مصر كلها واحدا من اشرف الرجال واشجعهم واكثرهم علمية وموضوعية فى مناقشة المشاكل .. ابراهيم عامر الذى سقط نتيجة لهجوم على اشرف مكان يمكن لصحفى ان يقف فيه .. المطبعة بين الحروف التى وهبها حياته ، طواعية آملا ان يحقق ولو خطوة واحدة من الطريق الصعب الطويل الذى يجب ان نسيره .. طريق الاشتراكية .

سؤالى هو : الى متى يدوم هذا الوضع الشاذ ؟ لماذا لايمنح كل مصرى . وهب حياته وجهده لخدمة وطنه ــ حقه من التكريم مهما كانت العقيدة التى يحملها ؟ لقد حز فى نفسى ان ارى منظمة تحرير فلسطين ونقابة الصحفيين العراقيين واتحاد الصحفيين اليوغسلاف ينحنون لذكرى هذا الرجل بينما لم تفعل اى هيئة مصرية ذات صفة رسمية شيئا اللهم الا ان ذكرت « الاهرام » أنباء تكريمه من قبل الاشقاء الفلسطينيين . ولكن هذا بالطبع لاينفى الجهود المشكورة التى قام بها افراد تربطهم بالرجل صلة صداقة .

وما يعزينى عن هذا القصور أن التكريم الحقيقى لابراهيم عامر هو العدد الكبير جدا من الشباب الذين أسهمت كتاباته فى وضع اقدامهم على الطريق الصحيح .

فى هذه اللحظة لا املك سوى ان اتوجه بقلبى الى الله طالبا لفقيدنا الرحمة والغفران الى الاشقاء الفلسطينيين والعراقيين والاصدقاء اليوغسلاف شاكرا اياهم على الموقف الرجولى الذى وقفوه اجلالا لتضحية ابراهيم عامر . اما مصر فاتوجه اليها والحزن يملؤنى قائلا :

سيأتى اليوم الذى اراك فيه يا أماه تقدرين تضحية ابنك وتوفين هذا الابن اليسارى أو اليمينى هذا لا يهم ــ حقه من التكريم . فالمهم ليس ايديولوجيته ولكن المهم انه أبنك وانه قدم نفسه راضيا مختارا على مذبح حبك قربانا لدفع العجلة التى ستؤدى بلاشك مهما طال الزمن او قصر الى المجتمع الذى يحلم به كل مصرى ينبض قلبه بحب مصر .

حسام فخر
طالب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

يـــوم الأرض [٣٠ - ٣ - ١٩٧٦]

ارسلت ــ حركة التحرير الفلسطينى فتح » البيان التالى الى الطليعة :

تشكلت فى الارض المحتلة منذ سنة١٩٤٨ ، خلال الاسابيع العديده الماضية هيئة خاصة للدفاع عن الارض العـربيةهناك ، ومحاربة قرار حكومة العـدو بمصادرة الاف الدنومات مـن الارضالعربية فى الجليل والقدس بشكل خاص ومحاربة سياسة تهويد الجليل .

وكانت حكومة العدو الصهيونى قد قررترسميا مصادرة دفعة جديدة من الاراضى العربية فى الجليل يوم ٢٩ ــ ٢ ــ ١٩٧٦ .

ازاء هذا التحرك فقد قررت هيئة الدفاععن الاراضى العربية اجتماعا لها يوم ٦ ــ ٣ ــ ٧٦ تمثل فيه ٤٨ مجلسا محليا وبلديةعربية فى الجليل .

اتخذت فى الاجتماع عدة قرارات تحددالخطوات النضالية التى قرر العرب خطوها فى نضالهم العادل عن أرضهم ومصالحهم .

من بين هذه الخطوات : تحديد يوم ٣٠ ــ ٣ ــ ١٩٧٦ ليطلق عليه اسم يوم الارض ويعلن العرب خلالهاضرابا عاما ، ويقوموفيهبالتظاهر بالقدس امام مبنى الكنيسـت ويرسلون وفدا يمثلهم الى هيئة الامم المتحدةيبقى هناك الى ان تتراجع حكومة العدو الصهيونى وتلغى قرارها الاخير بمصادرةالاراضى فى الجليل .

دعما لهذا التحرك الوطنى ، وتجاوبا معمطالب ومصالح جماهيرنا فى الجليل وكل أرضنا المحتلة ، أقرت حركتنا خطة عململائمه تتمثل فيما يلى :

اولا : تشكيل لجنه خاصه موسعه عندكممن كافه التنظيمات الشعبية الفلسطينيـة للعمل على تعريف الرأى عندكم بما يعانيهويتعرض له عرب الارض المحتلة من ظلم وقهر ومصادرة للحقوق والاراضى بشكلخاص وتحديد يوم ٣٠ ــ ٣ ــ ٧٦ ليكون اليوم الذى تبلغ فيه هذه الحمله الاعلاميهاوجها .

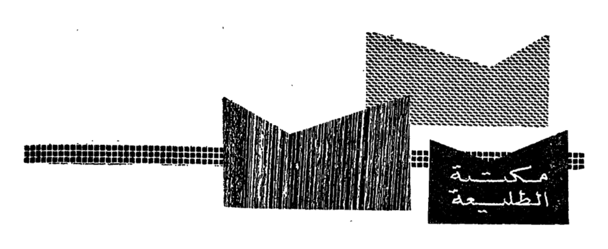
ثانيا : الاعداد لمسيرة فى اليوم المذكورتتوجه الى احد مكاتب الامم المتحدة عندكم وترفع لمسؤول المكتب عرائض احتجـاجلمصادرة الاراضى العربية فى الجليل والقدس وتجميع اكبر عدد ممكن من التواقيع علىالعرائض والطلب من مسؤول المكتب رفع هذه العرائض الى سكرتير عام الامـــم المتحدة .

ثالثا : العمل على ضمان تغطية الصحفالمحلية عندكم لهذه المسـيرة وفحـــــوى ونصوص العرائض .

رابعا : القيام بمحاولة أن يشارك فىالمسيرة وان يوقع على عرائض الاحتجاج يهود مقيمين اذا كان عندكم مثل هؤلاء .

خامسا : تتالف المسيرة من الطـلابالفلسطينيين والروابط الطلابية العـربية والتنظيمات السياسية والنقابية طرفكم .

وثورة حتى النصر .



المسألة الزراعية فى الدول النامية وتجربة الاصلاح الزراعى فى مصر

□ تأليف : فوزى عبد الحميد
□ عرض وتقديم : د. رفعت السعيد

لا يمكن بحث المسألة الزراعية الا بطريقة علمية ، وضع هذه المسألة فى اطارها الصحيح ، يربطها بواقع الهيكل الاقتصادى المراد تغييره ، والسياسة الاقتصادية المستهدفة ، وبالذات بيان الترابط التاريخى لتطورها : كيف نشأت تاريخيا ، ماهى المراحل الرئيسية التى اجتازتها ، ما آلت اليه فى الوقت الحاضر . كشف الحقائق الاساسية لتلك المسألة مع ربطها بحركة القوى الاجتماعية . دراسة تعترف بالواقع كما هو ، وكما يتطور تاريخيا .

بهذه الكلمات قدم المؤلف كتابه للقارىء ، وبهذا المفهوم التزم عبر دراسته الجادة والمطولة .

وهو يؤكد ايضا – وعلى غلاف الكتاب – « لقد اثبت الواقع التاريخى انه من الصعب تحقيق قدر من الفائض الاقتصادى بالاعتماد على اقتصاد فلاحى ذو انتاج سوقى صغير مبعثر ومتأخر .

ومن ثم اصبح يتعين تحويل الزراعة من الاستثمارات الفلاحية الصغيرة الى استثمارات انتاجية جماعية كبيرة ، سلاحها التكنيك والعلم والتخطيط ، لكن المؤلف لا يقدم لك الشعار مجردا ، وانما يدعوك اليه عبر دراسة متأنية ، تتضمن تحليلا علميا للظروف والاوضاع التاريخية التى تواجه البلدان النامية ، ولواقع الزراعة فى البلاد المتخلفة وابعاد المسألة الزراعية فيها ، ثم يدرس الاصلاح الزراعى كفكرة ويضعها فى مجابهة كل من « **التكنولوجيا** » و « **الايديولوجيا** » ثم فى مجابهة كل من « **الراسمالية** » و « **الاشتراكية** » ، ثم يدرس النماذج والانماط المختلفة للاصلاح الزراعى والحركة التعاونية الزراعية فى الدول المتخلفة ، وعبر ذلك كله ومن خلال تحليل علمى وموضوعى يرسخ المؤلف فى اذهاننا حقيقتين اساسيتين لازمتين لاى تقدم زراعى فى الدول النامية : « تعاونيات الانتاج الزراعية » والتخطيط الزراعى .

وبعد ارساء هذه الاسس النظرية والتطبيقية ، يقترب بنا المؤلف من الواقع المصرى حيث يبدأ بدراسة تاريخ تطور العلاقات الاقتصادية والاجتماعية فى الريف المصرى ، ويتبعها بدراسة للهيكل الاقتصادى والاجتماعى فى الزراعة المصرية ولعلاقات الانتاج فى ريف مصر . ثم يقدم دراسة تحليلية عميقة لتجارب الاصلاح الزراعى والتعاون الزراعى والائتمان الزراعى والتسويق التعاونى .. وبعد ذلك يطل بنا على تصوره للمستقبل سواء بالنسبة للاراضى المستصلحة أو لقضية التنمية الزراعية فى مصر ..

وفوق ذلك كله يقدم الكاتب فى ختام الكتاب

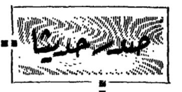
مجملا مختصرا لوقائع تاريخ المسألة الزراعية المصرية .

ولسنا بحاجة الى الاشاده بهذا الجهد الذى بذل فى دراسة قضية محورية من قضايا الاقتصاد المصرى . وان كنا نلاحظ بعض الملاحظات الشكلية اولها افتقار الكتاب الى قائمة بالمراجع .. والى الاتساق فى ترتيب الموضوع فالفصل المعنون « بوقائع فى تاريخ المسألة الزراعية المصرية » يأتى فى ختام الكتاب .. بينما التسلسل المنطقى يفترض ان يكون بداية القسم الخاص بدراسة المشكلة الزراعية المصرية حتى يعطى القارىء خلفية ضرورية للدراسة عن الواقع الراهن .

غير ان هذه الملاحظات لا تقلل مطلقا من الجهد الجاد الذى بذله المؤلف والذى لم يقتصر فقط على تأليف كتابه ، وانما ارتقى ايضا الى تحدى ضعف امكانيات النشر وتقاعس المؤسسة الحكومية للنشر عن نشر مثل هذه الدراسات الجادة .. فتولى بنفسه اصدار الكتاب ..

يبقى بعد ذلك ان نعود الى اول صفحات الكتاب فهى تحمل صرخة المؤلف ، التى تلخص منهجه وموقفه والتزامه ...

« لما كانت الظروف هى التى تصنع الانسان ، فيجب ان نصنع ظروفا انسانية » . ■



■ هـذا الافتراء على الناصرية والجهل بالماركسية

□ تأليف : محمد عودة □ الناشر : مكتبت مدبولى □ الثمن ٦٠ قرشا

بهذا الكتاب يواصل محمد عودة ، على مستوى الصراع الفكرى ، نقده للاراء التى كان د. فؤاد زكريا قد بدأ بنشرها على صفحات روز اليوسف ، مستهدفا ادانة تجربة ١٨ عاما من ثورة يوليو ، « او من تاريخ الناصرية » .

لكن محمد عودة لايركز ردوده على شخص د. فؤاد زكريا بقدر ما يسعى الى الصدام مع تيار يتخفى تحت أردية يسارية يهاجم اليسار المصرى بأجنحته الناصرية والماركسية . ومن هنا ، يهدى محمد عودة كتابه الى د. فؤاد زكريا والى كل الاساتذة والدكاترة « الذين يحترفون تأييد كل النظم والهجوم على نفس النظم » .

ولايخفى محمد عودة ان هدفه الدفاع عن وحدة اليسار . ومن ثم يؤكد على انه :

« ليس هناك يسارى يحمل مسئولية والتزام اليسار فى مصر - بأى معاييره - يرى ان هذا انسب الاوقات لاثارة قضايا وخلافات .. ذلك لان الاشتراكية : وهى قضية ومبرر حياة كل اليساريين فى محنة وتتعرض لهجمة ظالمة وعاتية فى مصر . وهو ما يحتم على كل اليساريين من كل الفصائل ان يقفوا صفا واحدا دفاعا عن القضية الكبرى » □ .

■ الديموقراطية والشرعية

□ تأليف : تشيجفاورزى □ ترجمة : سيد الملاح
□ الناشر : دار الثقافة الجديدة : □ الثمن : ٧٠ قرشا

كيف يمكن بناء صروح الديمقراطية والشرعية فى ظلال الدولة الاشتراكية وما هو التاثير المتبادل بين القاعدة الاقتصادية للاشتراكية وعملية التكوين الديمقراطى والشرعى للمجتمع ؟ او بالدقة ما هو تأثير الاقتصاد فى المجال السياسى والقانونى فى الدولة الاشتراكية .

وقضايا اخرى هامة يثيرها هذا الكتاب كيف يتفاعل القانون الاشتراكى مع الوعى القانونى وكيف يسن القانون فى الدولة الاشتراكية ؟ وما هى السمات المميزة للشرعية الاشتراكية والضوابط التى تكفلها ووسائل الرقابة التى تضمنها .. واخيرا ماهى العلاقات الجدلية بين الشرعية الاشتراكية واقامة العدالة . ؟ وكيف تجرى عملية صيانة الشرعية فى ادارة الدولة الاشتراكية ؟

على كل هذه الاسئلة وعشرات غيرها يقدم المؤلف اجابات علمية دقيقة تكاد تصل فى دقتها الى دقة المعادلات الرياضية ونجح المترجم فى ان يصوغها ببراعة فائقة فى لغة عربية محكمة .■



ابريـــل
١٩٧٦

■ جمهورية مصر العربية

تطورات بعيدة المدى داخليا وخارجيا

١ ــ مستقبل العمل السياسى
٢ ــ الغــاء المعاهــدة المصرية الســوفيتية

حدد الرئيس **أنور الســادات** فى خطابه الذى القاه فى ١٤ مارس الماضى النتائج الرئيسية التى استخلصها منمناقشات لجنة مستقبل العمل السياسى ــ فى اربعة نقاط اساسية :

١ ــ ضرورة الابقاء علىصيغة تحالفقوىالشعب العاملة، والابقاء على نسبة الــ ٥٠٪ للعمال والفلاحين فىكل المجالس المنتخبة .

٢ ــ الاتجاه الى رفض العودة مبــاشرة الى اطلاق حرية تكوين الاحزاب .

٣ ــ تأكيد الاتجاه الى ضرورة ان يتحرك العمل السياسى فى مصر خطوة الى الامام يتم فيها التعبير عن الاراء المختلفة بصورة منظمة ذات تأثير .

٤ ــ معارضة الاسراف فى تشكيل المنابر وأعلن الرئيس فى خطابه ان الاتجاه هو الى تشكيل ثلاثة منابر : « منبر يمثل اهل اليمين بصفة عامة . ومنبر يمثل الوسط وهــو ــ كما ذكر الرئيس ــ دائماالتيار الاساسى فىالبلاد ــ ومنبر يمثل تيارات اليسار المختلفة » .

وأوضــح الرئيس ان هــذه المنابر تلتف كلها فى اطار التحالف ــ حول العمل الوطنى وبهــذا يكون كل منبر نواة لتجمع شعبى حقيقى فى المستقبل .

أما عن علاقة هذه المنابر بالاتحاد الاشتراكى ــ فقد أعلن الرئيس السادات ان هــذه المنابر الثــلاثة هى التنظيمات السياسية وان الاتحاد الاشتراكى يمثل تحالف قوى الشعب، وهو الوعاء الذى يحتوى المنابر الثلاثة . ولكن ليس للاتحاد الاشتراكى سلطة على هذه المنابر ، ومن حق هذه المنــابر ممارسة العمل السياسى والتقدم الى الانتخــابات ببرامجها ومرشحيها ، مع التزامها بثلاث مبادىء اساسية :

١ ــ تحرير الارض ٢ ــ حماية الدستور ٣ ــ خــوض معركة التحرير والبناء بينما يقوم الاتحاد الاشتراكىبحراسة الوحدة الوطنية وضحية الحل الاشتراكى وتحقيق الســلام الاجتماعى ويحاسب علانية المنبر الذى ينحرف مساره .

ومن الطبيعى على ضوء هذا ان يعاد تشكيل اللجنةالمركزية وتمثل فيها المنابر كما تمثل ايضا عند تشكيل اللجنة التنفيذية العليا .

وعن مسؤولية رئيس الجمهورية واسلوب اختياره أوضح الرئيس السادات ضرورة ان يكون رئيس الدولة متفرغا لقيادة سياسة الدولة فى آفاقها الاستراتيجية واتخــاذ القرارات الصعبة والخطيرة مع مختلف المؤسســات . ومن اجل هذا لا يصح ان يكون هناك صراع على منصب رئيس الدولة بالمعنى الذى دعا اليه البعض خلال المناقشــات : من اجراء انتخابات بين اثنين او اكثر من المرشحين لهذا المنصب، وانما يجب ان يتم ترشيح مرشح او اكثر من داخــل مجلس الشعب ، ثم يطرح للاستفتاء المرشح الذى تختاره اغلبيــة الثلثين من اعضاء المجلس .

وفى تناوله للمناقشــات التى دارت فى الصحف وداخــل مجلس الشعب خلال الفترة الماضيــة ركز الرئيس السادات على النقاط التالية :

● ان بعض ما يقال عن ثورة ٢٣ يوليو والتجربة المصرية يدخل فى باب الهجوم والتجنى والتشهير ــ وقال « اننــا نسمع الكثير عن مظالم لحقت بافراد . ولكن هذه الاصــوات مهما علت لا تغطى على المكاسب التى نالتها الملايين ــ وهذا عند تقييم الثورة هو المعيار الاساسى عند الحساب الاخير .

وانتقد محاولة البعض استغلال عدم معرفة الاجيال الجديدة بما كانت عليه البلاد قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لطمس انجــازات الثورة وما حققته فى مختلف ميادين التطور .

● انتقد الرئيس السادات بشدة الاتهامات المجملة والغير محددة التى ترددت فى الصحف وداخل مجلس الشــعب عن صفقات اتوبيس ايران وصفقة الاسمنت . وذمة **جمال عبد الناصر** . وقدم الى رئيس المجلس نتائج التحقيق الفورى الذى تم فى هذه الاتهامات وتبين عدم صحتها .

● تحدث الرئيس السادات عن التركة الثقيلة التى خلفها له جمال عبد الناصر من موقف خارجى ممزق مع جميــع بلاد العالم ، وامريكا ، ودول غرب اوروبا ، وترك اسرائيل على ضفة القنــاة الشرقيــة ، وترك الروس والهزيمــة ومرارة اليأس ، والمنادين انهم ورثة له . وقال ان الذى لم يستطع التغلب عليه من هذه التركةالثقيلة هو الحقد الذى ملا القلوب والذى منه جاء موضوع التشكيك فى ذمة عبد الناصر .

● أكد السادات على انه لا تراجع عن حــرية الصحافة ولن توضع قيود على حرية الصحافة ولكن لابد وان يعــاد تشكيل مجالس ادارات الصحف فورا ومن جيل جديد .

● أوضح ان اقتصادنا ليس منهارا كما يصور البعض ــ ولكنه يجتاز أزمة صعبة جدا ــ يحتاج لخمس سنوات لكى يجتازها . وانه سوف توضع خطــة فى خــلال شــهرين بالاشتراك مع خبراء عالميين .

● ووجه الرئيس السادات كل الشكر والتقدير والعــرفان للاخوة العرب لانهم لم يوافقوا فقط على الدخول فى صندوق بمليارات لانقاذ الاقتصاد المصرى وعلىسنوات طويلة ولكن لانهم اعطونا ايضا معونات واحتياجات .

● ابرز الرئيس السادات فى خطابه ان القوات المسلحة هى احدى عناصر تحالف قوى الشعب ولكن لها وضــع خاص وانها للشعب كله لا لهيئة او لحزب او لطبقة او لفئة . وانه

بعد الذود عن حياض الوطن وتحت الشرعية الدســتورية — عادت القوات المسلحة واقتصر دورها على حماية الدستور والشرعية الدستورية فقط ولا تتدخل فى أى شئ .

هذا وقد خصص الرئيس السادات الجزء الثانى من خطابه — اساسا — لاستعراض الجــوانب السلبية فى العــلاقات المصرية السوفيتية وما وصلت اليه هذه العلاقات . وتقــدم الى مجلس الشعب بمشروع قانون لالغــاء معاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفيتية التى عقــدت بين البلدين عام ١٩٧١ .

وتركزت انتقادات الرئيس للسياسة السوفيتية تجاه المنطقة العربية عامة ومصر — بصفة خاصــة — على النقــاط التالية : —

● العمل على خلق محاور فى العـــالم العربى ترتبط به ارتباطا مباشرا .

● العمل على ربط الدول النامية ربطا لا يقوم فى حقيقته على الثورية والمشاركة فى النضال ضد الامبريالية وانمـــا على اساس المصالح السوفيتية باعتبار الاتحاد السوفيتى دولة عظمى .

● ان تقرير بريجنيف اما المؤتمر الخامس والعشرين يوضح ان الاتحاد السوفيتى يفصل بين الثورة المصرية والنظام القائم الذى يحكم فى مصر . وذلك فى معرض حديث بريجنيف عن المحاولات التى تبذل لنسف الانجازات الاجتماعية والسياسية للثورة المصرية وبالمقارنة بما ذكره عن حكومة انديرا غاندى فى الهند وما تتعرض له من حملات تشنها الاوساط اليمينية .

ويرى الرئيس السادات ان ذلك يوضح معارضــة الاتحاد السوفيتى الجوهرية للتحولات التى تجريها مصر اقتصـــاديا واجتماعيا ، اى معارضة سياسة الانفتاح .

● اعلن الرئيس الســادات ان سامى شرف كان قــد ارسل له خطاب استعطاف بعد اعتقاله فى ١٥ مايو ١٩٧١ ذكر فيــه ان بريجنيف قال له فى عام ١٩٧١ ان الســادات يمضى الثورة .

● . ان عبد الناصر قد عانى من معاملة السوفيت وعــدم تجاوبهم لمطالبه فى السلاح .

● وانه فى اعوام حرب الاستنزاف عام ٦٩ ، ٧٠ كان كل صنف من الذخيرة يستهلك لا يستعوض . وان مصر طلبت قائد دفاع جوى سوفيتى ولم يقبل السوفيت . وان ســلاح الردع الذى وعدوا به عبدالناصر لم يصل . واشترط السوفيت أن يتم استخدامه بعد استشارتهم .

● ان الجسر الجوى خلال معركة ١٩٧٣ — لم يكن ينقل لمصر طنا بطن مما تحصل عليه اسرائيل من أمريكا وانمـــا لم يتجاوز ما نقله الجيش ربع ما حصلت عليه اسرائيل .

● بعد الغـــاء بريجنيف لزيارته فى يناير ٧٥ ، أرســل السوفيت بعض الاسلحة فى فبراير ٩٧٥ ثم دفعة ثانية فى فبراير ٧٦ . وقطع غيار غير مطلوبة .

● بينما تقوم أمريكا واليابان والمانيا الغربية وفرنســـا والدول العربية بعمل كونسورسيوم لمساعدة مصر على تخطى أزمتها ، يرفض السوفيت جدولة الديون . وارسلوا فى ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ يطلبون فائدة الاقساط الامر الذى يشكل ضغطا اقتصاديا على مصر .

● رفض السوفيت الموافقة على ان تقوم الهند بعمل عمرة لطائرات الميج المصرية ، وهذا يعنى انهـا ستصبح خردة خلال عام ، وهو الامر الذى يشكل ضغطا عسكريا على البلاد .

مناقشـــات لجنة العـــلاقات الخارجية :

وفى اليوم التالى — بادر مجلس الشعب الى مناقشـــة مشروع القانون المقدم من الرئيس السادات والمذكرة التفسيرية المرفقة بمشروع القانون والمقدمة من وزارة الخارجية وما جاء فى الخطاب من اسباب الغاء المعاهدة — ودارت المناقشة فى لجنة العلاقات الخارجية بالمجلس ثم انتقلت الى اجتمـــاع المجلس نفسه .

ففى خلال مناقشة لجنة العلاقات الخارجية لمشروع القـــرار واسبابه ، تكلم عدد من الاعضاء فى القرار المطروح عليهم . ويمكن ان تندرج مواقفهم تحت ثلاث اتجاهات رئيسية :

١ — اتجاه لم يعارض الغاء المعاهدة ، ولكنه طالب الحكومة بان تبدأ اولا بايضاح الاثار المترتبة على الالغاء . وقد عبر عن هذا الاتجاه مصطفى كامل مراد الذى تســاءل عن اثر الالغاء على مواقف الاتحاد السوفيتى تجاه جنيف ، واثر ذلك على اتفاقيات التجارة والتعاون الفنى بين البــلدين ، وعلى مستقبل تسوية اقساط الديون العسكرية والمدنية . وقال انه اذا كان الاتحاد السوفيتى — كمــا هو واضح — قد خالف الاتفاقية فما هى البدائل التى تضمن ايجاد مصـــادر اخــرى للسلاح وللتمويل الخاص بهذا السلاح .

٢ — الاتجاه الثانى عبر عنه اقوى تعبير العضو محمــد رشوان الذى قال بانه قبل اى بحث او دراسة يجب ان نحدد أولا هل نوافق على الغاء المعاهدة أم لا . وقال أن المعاهدة استنفذت اغراضها وكانت تعطى للسوفيت امتيـــازات فى المنطقة . وقال : ان الاتحـــاد السوفيتى ضغط على مصر بمنع السلاح وقطع الغيار وتدخل فى شئونها الداخلية وسار فى سياسة المحاور ضدها مرة مع سوريا ومرة مع امريكا . وانه لم يحترم الاتفاقات التجارية . وطالب رجال القـــانون بدراسة امكانية ان تمتنع مصر عن دفع الديون العسكرية . وانتهى الى انه يجب ان ترتب سياســتنا على اســاس رد الفعل السوفييتى بحيث نقطع العلاقات معه اذا ما صعــد الموقف ضدنا .

وفى تأييد الالغاء تحدث — ولكن باسلوب اقل حــدة وأميل الى الاعتدال — العضو محمود ابو وافيــة فقال ان الغاء المعاهدة لن يقدم او يؤخر اقتصاديا لان الاتحاد الســوفييتى مارس علينا ضغوطا اقتصادية لا فى جــدولة الديون أو فى المطالبة بالديون العسكرية فحسب (مع ان هـــذه الديون

لا تدفعنى القارة) . بل مى رفضه ارسال قطع غيار لتوربينات السد العالى . واضاف ابو وافية ان الغاء المعاهدة لا يعنى قطع العلاقات مع السوفييت . فنحن نذكر لهم وقوفهم معنا فى المحافل الدولية ضد الاستعمار .وطالب بان تسافر البعثة التجارية التى كان قد تحدد موعدا لسفرها فى ٢١ مارس حتى ولو لم تعد بشىء .

وفى اتجاه تأييد الالغاء الفورى تحدث ايضا اعضاء آخرون هم السادة :حسن تمام ومحيى الدين ابو شادى

٣ ـ اما الاتجاه الثالث الذى تحفظ على الالغاء او صوت ضده فقد عبر عنه السادة :: **محمد عبد السلام الزيات واحمد دمرداش تونى وابو سيف يوسف .**

اما الزيات فقد اشار الى انه من المبادىء المسلم بها ان الغاء اى اتفاقية بين دولتين انما يكون لحفظ المصالح المتبادلة. وان من حق الدولة التى تشعر ان هذه المعاهدة لا تحقق مصالحها ان تطلب اعادة النظر فى هذه المعاهدة . وقال انه حينما نتحدث عن انهاء العمل بالمعاهدة يجب ان يتجه النظر الى الفائدة التى كنا نجنيها من الاتفاقات الاقتصادية اذ من المهم ان توضع موضع البحث المشروعات الكبرى التى نفذناها مع الاتحاد السوفيتى مثل مجمع الحديد والصلب ومشروع كهربة الريف . واذا كان من حق مصر أن تعيد النظر فى المعاهدة فلابد من ان يسبق ذلك التعرف على الاثار المترتبة على هذه المشروعات من جراء هذا الالغاء لاسيما وان هناك مدنا باكملها قائمة فى تجارتها على التصدير الى الاتحاد السوفيتى . وضرب مثلا لذلك مصنع الغزل والنسيج فى دمياط الذى يصدر بما قيمته ٧ ملايين من الجنيهات . واختتم الزيات كلمته بقوله ان هذه الاعتبارات مجتمعة تقضى بضرورة دراسة الاثار المترتبة على الغاء المعاهدة قبل البت فى الغائها . وانه كان يود ـ فى هذا الصدد ـ ان يستمع الى رأى وزراء التخطيط والمالية والاقتصاد

وفى تعقيبه على ما اشار اليه العضو حسن تمام من ان الاتحاد السوفييتى يحاربنا حضاريا بتعطيل كهربة الريف قال عبد السلام الزيات ان اتفاقية كهربة الريف كان دائما يضرب بها المثل على التعاون البناء بين البلدين . وقال ان معلوماته تؤكد ان جميع تعهدات الطرف السوفيتى فى مشروع كهربة الريف تنفذ فى موعدها بل وقبل موعدها احيانا .

وتحدث العضو دمرداش تونى فعبر عن اعتقاده الراسخ بان الموقف غير مناسب لالغاء المعاهدة . وقال انه لا يوافق على الاتجاه الذى يقول :: فلنلغى المعاهدة اولا قبل أن يدرسها مجلس الشعب . واشار الى ان انهاء العمل بالمعاهدة يخل بالتوازن فى المجال الدولى . واوضح أن علاقات الصداقة التى تربط مصر بالاتحاد السوفيتى يجب الا تقطع لان استراتيجية الاتحاد السوفيتى فى معاداة الاستعمار تتفق مع استراتيجية مصر .

وفى هذا الاتجاه ايضا تحدث العضو ابو سيف يوسف مشيرا الى أن القضية المطروحة قضية خطيرة بطبيعتها لانها تمس علاقاتنا بواحدة من اكبر دولتين من العالم ، ولانه نشات بيننا وبين هذه الدولة علاقات استمرت اكثر من عشرين عاما .ولانه فى خلال هذه المرحلة كان الاتحاد السوفيتى المصدر الرئيسى لتوريد السلاح :: ولانه تعاون مع مصر فى تعزيز قاعدة الصناعات الثقيلة . واخيرا لان جزء من اراضى مصر لا يزال محتلا ونحن لا نعرف الامر سوف تتطور الامور مع اسرائيل .

وتساءل ابو سيف يوسف من الاسباب التى تدعونا الى التعجيل بالغاء المعاهدة خاصة وان هذا التعجيل قد يتخذ بشكل تصعيد فى العلاقات بين البلدين ويدفع قضية العلاقة بينهما الى مأزق اشد خطرا مما هى موجودة فيه الان .وليست هناك مصلحة فى ذلك خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار ان نترين

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المرفق بقرار انهاء العمل بالمعاهدة يتحدث عن حرص مصر على ان تقوم علاقات سليمة بين البلدين . ثم طرح العضو عددا من الاستفسارات عن النتائج التى يمكن أن تترتب على الغاء المعاهدة وهل يؤدى هذا الى تقريب أو تعقيد حل مشكلة الشرق الاوسط . وماهى خطة وزارة الخارجية ـ بعد الالغاء ـ فى تحسين العلاقات المصرية السوفيتية .' وانهى العضو كلامه بقوله انه اذا تم تصويت فى اللجنة فانه سوف يصوت ضد الغاء المعاهدة .

وقد عقب **اسماعيل فهمى** نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية على مناقشات الاعضاء . وتتلخص وجهة نظره فيما يلى :

- أن مجلس الوزراء قد صوت بالاجماع فردا فردا على قرار الغاء المعاهدة .
- ان القرار والاثار التى يحتمل ان تترتب عليه قد درست من قبل المسئولين فى جميع المجالات العسكرية والاقتصادية والانتاجية .
- ان الاتحاد السوفيتى قد اخل باكثر من نص من نصوص المعاهدة وفى مقدمتها المادة ٨ التى تعتبر الجوهر الحقيقى للمعاهدة والتى تنص على دعم قدرات مصر العسكرية بهدف تحرير الارض
- ان وثائق المؤتمر ٢٥ للحزب الشيوعى السوفييتى تتضمن صياغات لا يمكن قبولها لانها تنطوى على تدخل فى الشئون الداخلية لمصر
- ان الاتحاد السوفييتى يسمح بهجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل مع ان مصر لا تزال فى حالة حرب معها .
- ان الاتحاد السوفييتى رفض تعويض مصر عما فقدته من سلاح فى حرب اكتوبر كما رفض توريد قطع الغيار وجدولة الديون .
- ان الاتحاد السوفييتى ذهب الى حد أبعد فى الضغط عندما رفض ان يسمح للهند بان تزود مصر بقطع غيار طائرات الميج .
- وانه ترتيبا على ما تقدم يكون الاتحاد السوفيتى هو الذى اخل بالاتفاقية .

وفى ختام مناقشات اللجنة اهتم المهندس سيد مرعى رئيس المجلس بان يوضح بان هناك فارقا بين انهاء المعاهدة والعلاقات بين البلدين ، وقال :: ونحن انما نلغى المعاهدة فقط ولاشك ان الاتحاد السوفييتى لعب دورا فى الامم المتحدة ويجب ان نركز كلامنا على الاثر السياسى لالغاء المعاهدة ..

الجلسة المسائية للمجلس :

وفى مساء ؟! مارس عقد مجلس الشعب جلسة للنظر فى قرار رئيس جمهورية مصر العربية بشأن انهاء العمل بالمعاهدة المعقودة بين مصر والاتحاد السوفييتى من الصداقة والتعاون والموقع عليها فى القاهرة فى ٢٧ مايو ١٩٧١ .

وقدم **زكريا لطفى جمعة** رئيس لجنة العلاقات الخارجية التقرير الذى اعدته لجنة العلاقات الخارجية عن القرار الجمهورى :: وهو التقرير الذى نشر فى حينه فى الصحف ـ وقد شرحت اللجنة الحيثيات المبررة للالغاء وختمت تقريرها بان :: اللجنة تامل ان تستمر العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى فى جميع الميادين وتتطور على اساس من الصداقة بين دولتين مستقلتين فى حدود المسئوليات والواجبات التى يحددها ميثاق الامم المتحدة » .

وتحدث الاعضاء الذين يمكن ان تندرج كلماتهم تحت اتجاهين عريضين ::

١ ـ الاتجاه الاول ويمثل غالبية المجلس وهو الذى أيد انهاء العمل بالمعاهدة . وفى داخل هذا الاتجاه تفاوتت لهجة الاعضاء بين الهجوم والنقد العنيف على الاتحاد السوفييتى وبين

النقد الاول منها مع ابداء الاهتمام بضرورة أن تفتح صفحة جديدة - افضل - فى العلاقات بين البلدين .

وقد عبر عن الموقف المتشدد السادة : نصر عبد الغفور واحمد الجبالى والقمص بولس باسيلى ونظمى مكاوى ومأمون مشالى وعبده مراد وجلال كشك وسيد جلال وحسن تمام وعلى الشريطى ومحمد رشوان وغيرهم ممن تحفظوا على طبيعة العلاقة التى قامت بين البلدين ومن اتجاه السوفييت الى فرض سياستهم ونظامهم ورفضهم للنظام القائم واخلالهم بتعهداتهم .

اما الموقف الاقل تشددا فقد عبر عنه اساسا السادة : الاعضاء **حافظ بدوى ومحمود ابو وافية ونوال عامر .**

٢ - اما الاتجاه الثانى فقد عبر عنه عضوان فقط من الذين شاركوا فى مناقشات المجلس ، هما **احمد طه وابو سيف يوسف.**

فقد اوضح احمد طه فى مستهل حديثه انه - يبدأ بتوضيح موقفه من ثلاث مبادىء يجب الا توضع موضع المزايدة وهما :

١ - تحرير الارض هدف لا يختلف عليه اثنان .

٢ - أن التدخل فى الشئون الداخلية لمصر امر لا يمكن ان يقبله انسان .

٣ - الثقة فى القيادة الوطنية للرئيس أنور السادات .

ثم تطرق الى شرح المناخ العام الذى يجرى فى ظله حل قضيتنا الوطنية فقال انها تتم فى ظروف تتميز ١ - بتعاظم قوى الاشتراكية ٢ - صعود حركة التحرر الوطنى وانتصاراتها ٣ - تفاقم الازمة العامة للنظام الرأسمالى .

وقال أن العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى كانت نموذجا لعلاقات بين البلاد الوطنية والبلاد الاشتراكية وذلك من زاويتين . الاولى هى زاوية التحرر الوطنى وفى هذا ساعدنا الاتحاد السوفييتى على كسر السلاح . اما الزاوية الاخرى فهى زاوية التنمية . وهنا التعاون معه فى بناء الصناعة الثقيلة وهو الامر الذى يرتبط كل الارتباط بقضية التقدم الاجتماعى .

وقال احمد طه ان الزيادة فى ارباح البترول العربى كانت تكفى لحل كل مشكلات مصر . واضاف انه لا يدافع عن النظام السوفييتى ولكنه يدافع عن العلاقة بين البلدين .

وفيما يتعلق بما ذكرته مذكرة وزارة الخارجية عن تدخل السوفييت فى الشئون الداخلية لمصر فقد نفى احمد طه أن يكون قد حدث تدخل وطالب بمثل واحد يدلل على هذا .

وختم العضو كلامه بقوله :

« اسمحوا لى ان استعير معنى كلمة قالها الزعيم الوطنى مصطفى النحاس داخل هذه القاعدة عندما جاء ليلغى المعاهدة المصرية الانجليزية . فأنا اقول مستعيرا عبارته (بعد تغيير) من أجل مصر وقعت على المعاهدة ومن اجل مصر ارفض اليوم الغاءها » .

وتحدث ابو سيف يوسف فقال ان عدم موافقته على الغاء المعاهدة انما تستند الى اربع نقاط .

النقطة الاولى : هى انه اذا اعتبرنا ان القضية الجوهرية وحجر الزاوية فى الموقف هى قضية تحرير الارض فسوف نرى ان هناك تطابقا فى المواقف الاساسية بين مصر وبين الاتحاد السوفييتى .

● فمصر تطالب بالجلاء عن كافة الاراضى التى احتلت بعد ٥ يونيو . وهذا ايضا موقف الاتحاد السوفييتى . مع ملاحظة أن امريكا لم تلتزم حتى اليوم بالجلاء عن كافة الاراضى .

● مصر تطالب بحق تقرير المصير لشعب فلسطين وحقه فى اقامة دولته الوطنية على اراضيه وكذلك يفعل الاتحاد السوفييتى . وهنا يلاحظ أيضا ان الولايات المتحدة لم توضح موقفها من هذه القضية .

● ان مصر تناضل من اجل عقد مؤتمر جنيف وهى هذا تلتقى جهودها مع جهود الاتحاد السوفييتى .

● ان مصر طالبت بتوسيع دائرة الدول المشاركة فى جنيف بضم بريطانيا وفرنسا وقد وافق الاتحاد السوفييتى على ذلك فى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى .

فمثل هذه المواقف وغيرها تبين أن اوجه الاتفاق بين البلدين اكثر من أوجه التناقض والخلاف .

النقطة الثانية : هى ان المعاهدة جاءت تعبيرا عن عمل مشترك وعلاقات تاريخية بين البلدين . وفى هذا سوف نرى ان الاتحاد السوفييتى قد وقف بجانب مصر فى كل مرحلة حاسمة وصعبة من اجل نضالها . نقف معها فى معركة تأميم قناة السويس ، ومعركة كسر احتكار السلاح عام ١٩٥٥ ، واقام جسرا جويا بعد نكسة ٦٧ ، واقام جسرا جويا عندما بدأت حرب اكتوبر المجيدة ، وانذر بالتدخل ضد اسرائيل بعد الثغرة . فهذه المواقف الحاسمة تبين ان الاتحاد السوفييتى هو صديق . يضاف الى هذا معاونه فى بناء الصناعات الثقيلة التى لم تساعدنا - حتى اليوم - دولة اخرى على بنائها . ولا ننسى انه فى بعض الأوقات الحرجة ورد الاتحاد السوفييتى القمح لبلادنا محبطا بذلك مخططات التجويع

النقطة الثالثة : هى انه اذا اتهم الاتحاد السوفييتى بممارسة الضغط الاقتصادى علينا فى هذه الظروف الحرجة فان الضغوط الحقيقية انما تأتى من دول العرب التى اعطتنا قروضا اضطررنا الى تسديدها عام ١٩٧٥ بفائدة بلغت احيانا ١٩٪ . فى حين انه لم تزد قروض الدول الاشتراكية عن ٥ر٢ فى المائة .

النقطة الرابعة : ذكر ابو سيف يوسف بعض الاسباب التى تدعو الى المطالبة بعدم انهاء المعاهده . وفى مقدمة هذه الاسباب انه اذا كان صحيحا - وكلنا قناعة بذلك - بان تحرير الارض انما يتطلب ضغوطا اساسيه تتمثل فى الاعتماد - فى المحل الاول - على القوة الذاتية المصرية (الدم المصرى) ويتطلب بعده الصف العربى والامكانات الاقتصادية العربية فانه مع ذلك يتطلب استخدام وزن هذه القوى الكبرى الاتحاد السوفييتى . وهذا يتضح اذا علمنا ان اسرائيل انما ترهن الارض المحتلة لتساوم أو لتصفى قضية فلسطين . ولسنا على يقين من أن الولايات المتحدة تستطيع ان تحقق نتيجة حاسمة فى هذا الاتجاه على اسرائيل (الجلاء عن كل الارض المحتلة) اولا لان مصالح الولايات المتحدة ومصالح اسرائيل لا تتطابق بشكل مطلق وثانيا لان هذا العام هو عام الانتخابات الامريكية وسوف يكون مصحوبا بمزايدات فى داخل الولايات المتحدة لمصلحة اسرائيل . من هنا قد يكون الابقاء على المعاهدة فى مصلحتنا .

وفى نهاية كلمته حدد ابو سيف يوسف انه يطالب بالتريث وانه يميل الى عدم الالغاء .

وعندما طرح القرار للتصويت وافق المجلس على انهاء العمل بالمعاهدة بينما صوت اثنان ضد الالغاء وهما احمد طه وابو سيف يوسف . ☐

التضحية بالشكل والمضمون فى المؤتمر التعاونى الزراعى العام

انعقد المؤتمر التعاونى الزراعى العام فى الفترة من ٧ - ١٠ فبراير ١٩٧٦ بقاعة جمال عبد الناصر بجامعة القاهرة . ليضع أمام اكبر تجمع فلاحى يمثل الحركة التعاونية بكل مسائلها ماضى وحاضر ومستقبل التعاونيات الزراعية ودورها فى حل المشكلة الزراعية .. ولقد وضع المؤتمر ثلاثة اهداف رئيسية

كان عليه ان يناقشها ويضع فيها قراراته وتوصياته وهى :
أولا : اعادة النظر فى القانون ٥١ لسنة ١٩٦٩ ومناقشة مشروع القانون المقترح من الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى ، والذى يعتبر من وجهة النظر التى قدمت تخلفا عن المستوى المرغوب لتطور الزراعة المصرية بشكل عام والتعاونيات الزراعية بشكل خاص .
ثانيا : تأكيد مكانة الاتحاد المركزى فى عمليات الاشراف والرقابة والتوجيه .
ثالثا : بحث المشكلات الانتاجية والتسويقية الملحة واتخاذ القرارات والتوصيات اللازمة لحلها أو الحد من تفاقم آثارها.

غير ان هذه الاهداف « المعلنة » كانت تخفى وراءها اهدافا غير معلنة ظهرت خلف كواليس المؤتمر قبل انعقاده واثنائه ، ومن اهمها الصراعات الشخصية فيما بين ممثلى الاتحاد التعاونى ، وبين ممثلى الهيئة العامة للتعاون الزراعى ، ذلك الصراع الذى خيم على المؤتمر قبل واثناء المؤتمر وما نتج عنه من قرارات وزارية سرعان ماتغيرت بعد انعقاد المؤتمر .

ورغم الايمان بضرورة وجود خلاف فى الرأى حول الجهات المشرفة على الحركة التعاونية ، واهمية الوصول الى صيغة اشرافية تحقق مزيدا من الدعم لها ، الا ان شكل الصراع حال دون مناقشة تلك القضية ، بالموضوعية اللازمة .

ولقد كان على المؤتمر أن يجيب على اسئلة هامة واساسية تتعلق بماضى وحاضر ومستقبل الحركة التعاونية ؟ مع ربط هذه الاسئلة باستراتيجية واضحة ومعلنة بالتنمية الزراعية القومية ، بحيث يخرج قانون التعاون الجديد مبنيا على الدراسة المتكاملة ، الا ان المؤتمر لم يستطع ان يوفر المقومات الاساسية لتحقيق هذا المطلب لاسباب كثيرة من اهمها :

— انعقاد المؤتمر دون اعداد ودراسة شاملة لماضى وحاضر الحركة التعاونية فى اطار المشكلة الزراعية .

— عدم وجود اى تصور مرحلى او اجرائى عن كيفية التحول من التعاونيات الخدمية الى التعاونيات الانتاجية ، على الرغم من نص مشروع القانون على هذا الجانب .

— عدم التقدير السليم لاعداد المشتركين بالمؤتمر الامر الذى اتضح فى عجز قاعة جمال عبد الناصر عن استيعاب اعداد كبيرة من الفلاحين والباحثين والفنيين فى مجال الحركة التعاونية الزراعية ، ما حال دون اشتراكهم فى جلسات المؤتمر من ناحية ، وحال ايضا دون ادارة حوار ديمقراطى فيما بين الفلاحين انفسهم او بين الفلاحين ومقدمى الابحاث ، او مستشارى اللجان ، من ناحية اخرى .

— تأخر وصول عدد كبير من الابحاث فى موعدها المناسب ، وامتلاء عدد كبير منها بالاخطاء المطبعية والفنية ، مما حال ايضا دون امكانية استيعاب هذه الابحاث ومناقشتها اثناء المؤتمر .

والواقع ان قرارات وتوصيات المؤتمر كانت من الكثرة التى يستحيل معها على مؤتمر فى خلال يومين ان يستخلصها ، اللهم الا اذا كانت هذه القرارات والتوصيات معدة من قبل الامر الذى يتنافى مع ضرورة انعقاد المؤتمر ، او ان تكون هذه القرارات والتوصيات حصيلة احساس جماهيرى وكان دور المؤتمر فحسب هو ابرازها وهو التبرير المقبول ، ومع ذلك فلقد غلب عليها منطق الية والتجزئة بل والتراجع .

كذلك .. فلاول مرة فى التاريخ يبدو ان هناك صراعا بين القطاع العام ، والقطاع التعاونى ، وان العلاقة بينهما علاقة تناصرية .. ذلك ما حدث بالفعل فى هذا المؤتمر حيث تنص التوصية اولا فى مجال التسويق التعاونى « بضرورة احلال القطاع التعاونى محل القطاع العام فى مجال التسويق سواء للاستهلاك الداخلى او التصدير او مجال الصناعات التحويلية وتملك وحدات النقل » .. وذلك على الرغم من ان هذين القطاعين يتكاملان فى مقاومة استغلال رأس المال .. ولكن يبدو ان القطاع العام فى مصر اصبح فى نظر البعض قطاعا مستغلا ويجب ان تستولى عليه الحركة التعاونية لتحول دون سيطرته واستغلاله لفئات الشعب الكادحة .

والواقع انه اذا كان هدف المسئولين عن الحركة التعاونية هو اخذ مزيد من العائد فهناك اكثر من سبيل لذلك غير الاحلال ، خاصة وان هذه المصانع والشركات قد مولتها وانشأتها جميع فئات الشعب .. واذا كان الهدف أيضا هو ترشيد القطاع العام فى هذه المجالات ومنع الفساد الذى يتحدثون عنه ، فان المطلب الاجدر بالتفكير والعمل الجدى فهو محاربة الفساد فى داخل الحركة التعاونية فى وضعها الحالى حتى لا تنتقل عدواها الى القطاع العام ، وتزداد عثراته ومعوقاته ..

كذلك .. فقد تناسى المؤتمر دعم الحركة التعاونية واصدر بعض التوصيات التى تحول وتطورها فى المستقبل اذ دعا فى اولى توصيات مجال الميكنة الزراعية الى تشجيع القطاع الخاص فى الزراعة المصرية من خلال « ... تشجيع الافراد على استيراد الالات سواء من الاماكن الحرة بالداخل ، او من خلال السوق الموازية ، او بدون تحويل عملة » .

والواقع ان مثل هذا التشجيع لن يخدم الا فئة القادرين ويزيد من استغلالهم لمجال الميكنة الزراعية ضد فئة صغار الفلاحين ، ذلك ان تكلفة الحرث الالى بالالات الخاصة تكاد تكون ضعف مثيلتها بجرار الجمعية ، كما ان مثل هذا التشجيع سيحول دون التفاف الاعضاء حول تعاونياتهم فى مجال العمل المشترك . وقد يرد البعض بان الهدف من هذا التشجيع هو اعطاء فرصة للقادرين على تحديث انتاجهم دون استغلال الاخرين ، ولكن الواقع هو ان الجرار الذى تقدر قوته بخمسين حصانا ميكانيكيا يستطيع خدمة ما لا يقل عن ١٠٠ فدان فى فترة الخدمة ، الامر الذى تعتبر قوته اكبر بكثير من حيازة اى مزارع ، فاما ان يبقيه بلا عمل فترة طويلة او يؤجره للاخرين والاحتمال الثانى هو الشائع ، ولقد كان يجب على المؤتمر دعما للحركة التعاونية ورغبة فى تحديث الزراعة المصرية أن يصدر توصية بدعم التعاونيات بحاجاتها من الالات الزراعية فى اطار خطة مدروسة ومرحلية تستطيع من خلالها ان تلعب الدور الرئيسى فى مجال العمل التعاونى المشترك .

كذلك ركز المؤتمر فى اكثر من قرار وتوصية على دور التعاونيات والاتحاد التعاونى فى وضع الخطط الخاصة بالانتاج الزراعى فى اطار سياسة الدولة ، فما هى مقومات تلك الخطة ؟ وما هو فهم المزارع المصرى للتخطيط ؟ ، وهل تلك الخطة مجرد تحديد مساحات ؟ .. أم ان التخطيط عمل شعبى فنى واع ومنظم يتضمن ماهو أبعد من ذلك بكثير وهل تتوفر له هذه المقومات الان أو حتى فى المستقبل المتطور ، خاصة فى ظل التفتت الحيازى الهائل ، والبعثرة المحصولية الكبيرة ، وغياب الممارسة الديمقراطية التعاونية والسياسية .. لذا يرى عديد من المراقبين الذين تابعوا المؤتمر عن قرب ان هذه التوصية نوع من العبث التخيلى ، اكثر من كونها ادراك للظروف القائمة اقتصاديا واجتماعيا .

وهناك نموذج لمثل هذه التوصية ايضا فى مجال التصنيع الزراعى اذ اوضح المؤتمر انه يرى ضرورة تعاون الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى مع الجهات الاخرى فى وضع خطة فى اطار الخطة العامة للدولة على ان تكون تلك الخطة معتمدة على نشر الصناعات الريفية والتحويلية المعتمدة على المواد الاولية والمخلفات النباتية والحيوانية ثم على التصنيع الوسيط ، وتنتهى التوصية بالتكامل الزراعى الصناعى .

وفيما يتعلق بهذه التوصية ، نجد ان كلمة الصناعات الريفية اصبحت مستهلكة مؤخرا بعد ان كانت رائجة فى الخمسينات فى المؤتمرات الاصلاحية ولم تجد حيزا للانتشار .

نظرا لانها عجزت عن تحقيق زيادة ملموســة فى الدخـول الحقيقية للفلاحين .. كما ان الحديث من المخلفات النباتيــة والحيوانية امر يثير الدهشة اذ لم يتم توضيح المقصود بهذه المخلفات ؟ هل هو التبن والذى وصل سعر الحمل منــه الى عشرة جنيهات للحمل ، واصبح عائد القمح الثانوى يزيد عن عائد الاساس ، هل السماد البلدى والذى وصل سعر الغبيط فيه من ٧ ــ ١٠ قروش ، واية مخلفات هــذه لدى مالك التراريط والافدنة القليلة ، ثم ما هى ممكنات صناعة التعليب والتكامل الزراعى الصناعى فى اطار علاقات الانتاج المتخلفة والتى تحتاج أول ما تحتاج الى التخصص والزراعة الكبيرة ، فى الوقت الذى اصبحت فيه الخيارات الفلاحيــة لدى الكثرة عاجزة على ان توفر رغيف الخبز ، وتحول الريف المصرى الى سوق رائجة لتجارة الدقيق والارز والمواد الغذائية الاخرى ..

ومن ناحية اخرى فانه فى الوقت الذى أبرز مشروع القانون المقترح على المؤتمر فى المادة ١٢ ــ ١ على أن أحد مهـام التعاونيات ترتبط بالارتقاء بالزراعــة الى مرحلة الزراعـــة التعاونية الانتاجية ، الا انه لا يوجد فى قرارات وتوصيات المؤتمر ــ على الرغم من وجود بعض الدراسات التى تحدد ممكنات التحول المرحلى من التعاونيات الخدمية الى التعاونيات الانتاجية ــ ما يشير الى ذلك ، والتساؤل هو : هل ذلك تحد من المؤتمر ؟ .. ام تجاهل لهذا المطلب ؟ .. وبصرف النظر عن فقدان النظرة الاســتراتيجية المستقبلية فان مكمن الخطورة فى هذا الجانب ينحصر فى أمور ثلاثة وهى :

ــ اما ان ذلك تعمد من قبل المسئولين عن المؤتمر لعــدم مناقشة مثل هذا الموضوع الحيــوى وهــــو ما يعتبر تحديا واضحا لما نادت به وثائقنا السياسية فيما يتعلق بتحــديث الزراعة المصرية ، وبناء الدولة الحديثة والانسان المصرى .

ــ او ان المسئولين عن المؤتمر لم يطرحوا هذا الموضوع على المؤتمر بشكل جماهيرى منظم لاسباب يعرفونها .

ــ او انهم رأوا ان الظروف الزراعية المصرية غير ملائمة لمكنات التحول الان ، وهم مخطئون فى التحليــل حيث أن الظروف الخاصة بالمشكلة الزراعية اكثر مدعاة من اى وقت للبدء فى هذه التعاونيات تدريجيا ...

والتبرير او التفسير الاكثر قبولا هو ان القلة المدعمـــة بمواقعها الفوقية والمستغلة لاسلوب الاثارة لدى الكثرة غير الواعية من صغار الفلاحين انما قصدت الايهام بان هـــذه التعاونيات تعتبر حلا مستوردا من الدول الشيوعية .

وأخيرا .. فان المؤتمر التعاونى الزراعى العـــام وعلى الرغم مما ضمه من كم جماهيرى فلاحى كبير ، وما أصدره من عشرات القرارات والتوصيات ، لم يكن محسوسا ، بل اننا لا نخطىء فى التحديد اذا ما قلنا بأن هذا التجمع الكمى الهائل من الفلاحين عاد الى قراه لينتظر مزيدا من التخلف الذى ستواجهه الزراعة المصرية ، مزيدا من عجــز الحركة التعاونية مواجهة مشاكل الغذاء والتنمية والتخطيط وبنـــاء الانسان المصرى ، فى وقت تتعالى فيه صرخات وانات الجياع فى قرى مصر ومدنها .. وفى وقت نحن احوج ما نكون فيه الى كل حبة قمح تقلل كم واردانا منه بمئـــات الملايين من الدولارات او الى كل لوزة قطن تزيد من صادراتنــــا لتقلل العجز المستمر فى ميزان مدفوعاتنا ... ☐

■ لبـــنان

مشـكلة الرئيس .. ومشـكلة الرئيس البـديل





فرنجيـــة

عزيز الاحدب

تجتاز الازمة اللبنانية الان أدق مراحلها وأخطرها على الاطلاق ، وذلك بعد أن تفجر الموقف اثر الحركة العســكرية التى قادها العميد **عزيز الاحدب** قائد منطقة بيروت فى ١١ مارس الماضى من جهة ، وبين الرئيس **سليمان فرنجية** ومؤيديه من العسكريين من جهة أخرى .

وفى الواقع فان الحركة العسكرية التى اتخذت سمة الانقلاب ، لم تكن مفاجأة ، تماما بالنسبة لمعظم المراقبين ، وذلك بعد التطورات التى شهدتها البلاد فى الفترة الاخيرة ، وتمثلت فى الانهيار التام لحالة الامن ، ومساعى الحــل السورى التى وصلت الى طريق مسدود ، وانقسام القيادات العليا فى الجيش ، والبيانات المتناقضة التى تصدرها هذه القيادات ، بشأن طلب العفو العام عن العسكريين ، ووثيقة الشرف التى أصدرتها مجموعة من الضباط وتطالب فيهـــا بمعاقبة الفارين من الجيش ، واصــدار رئيس الجمهورية سليمان فرنجية قرارا بفصل ٢٠٠ من الضباط من الخدمة ، والبيان الذى أصدره قادة سلاح الطيران بضرورة تشــكيل حكومة متوازنة لانقاذ الوضع المتردى فى لبنان .

والى جانب ذلك هناك اتساع سيطرة قوات « جيش لبنان العربى » بقيادة الملازم **أحمد الخطيب** فى منطقة الشمال والشرق ـ بسط نفوذها التام على منطقة الجنوب ، والاستيلاء على مواقع عسكرية هامة فى العاصمة بيروت . وحسب تقدير المراقبين فان جيش لبنان العربى ، يستقطب حاليا حوالى نصف قوات الجيش اللبنانى من الناحية الفعلية . كما يلقى التأييد والعطف من غالبية الشعب اللبنانى ، وكان الملازم أحمد الخطيب قد أعلن من قبل أنه يوحد جهوده مع القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان .

ولهذا يعتقد المراقبون أن قادة الجيش الذين يمثلون العناصر اليمينية المستنيرة فى القيادة العليا للجيش ، قد سارعوا بحركتهم لاستباق انقلاب آخر كان وشيك الوقوع وكان سيتم من خارج السلطة .

وحددت حركة الجيش أهدافها من خلال بياناتها العسكرية ، وتتمثل فى عزل رئيس الجمهورية سليمان فرنجية ، وانقاذ وحدة الجيش ، واعادة الوحدة الى الشعب اللبنانى ، والعفو العام عن العسكريين ، واعادتهم الى صفوف الجيش ، وتأييد المبادرة السورية لحل الازمة اللبنانية ، والالتزام بالاتفاقات السابقة بين لبنان والثورة الفلسطينية ، ومطالبة مجلس النواب بانتخاب رئيس جديد للجمهورية تسلم اليه مقاليد السلطة .

وقد أعلن الرئيس سليمان فرنجية رفض التنحى عن منصبه وتمسكه بالشرعية الدستورية . كما رفض الاذعان لتهديدات العسكريين باستخدام القوة ضده . ولكنه رفض كذلك القرار الذى اتخذه مجلس النواب باغلبية الثلثين بطلبه التنحى عن منصبه كمخرج للازمة وحرصا على وحدة وسلامة لبنان .

والمعروف أنه لا يوجد فى الدستور اللبنانى ما يلزم رئيس الجمهورية بالاستجابة لطلب الاستقالة ، حتى وان كان الطلب باجماع أعضاء مجلس النواب . ويشترط الدستور لاقالة رئيس الجمهورية ، أن يكون قد ارتكب خرقا للدستور أو الخيانة العظمى . وفى هذه الحالة حاكم رئيس الجمهورية أمام مجلس أعلى يضم كبار القضاة وعددا من النواب . وتقف الى جانب سليمان فرنجية رئيس الجمهورية قطاعات من الجيش والحرس الجمهورى والبحرية اللبنانية بقيادة العميد انطوان بركات ، هذا فضلا عن تأييد القوى اليمينية الانعزالية له مثل حزب الكتائب بزعامة بيير الجميل وحزب الوطنيين الاحرار بزعامة كميل شمعون وزير الداخلية وجيش التحرير الزغرتاوى الذى يتبع رئيس الجمهورية ، والاباتى شربل قسيس رئيس الرهبانيات المارونية .

وكانت الحركة الوطنية اللبنانية الممثلة أساسا فى الناصريين والشيوعيين والاشتراكيين التقدميين قد أعلنت فى البيان الذى حمل توقيع الاحزاب الوطنية التقدمية اللبنانية ، عن معارضتها لاسلوب الانقلابات العسكرية ، وان الحركة العسكرية يجب أن تتجه الى معالجة جذرية وسريعة لاوضاع الجيش انطلاقا من تنفيذ البيان الذى أصدرته بشأن العفو العام عن جميع العسكريين واعادة وحدة الجيش ، وبنائه على أساس وطنى .

وحذرت الاحزاب الوطنية التقدمية قيادة الجيش من تخطى حدود المساهمة فى اجبار رئيس الجمهورية على الاستقالة وعدم الانزلاق تحت أى ذريعة أو مبرر نحو تبديل نظام الحكم من نظام مدنى ديمقراطى الى نظام عسكرى ودكتاتورية فردية .

وأضاف البيان : ان السياسة التى اعتمدتها الدولة ، وميزت العهد الحالى بشكل خاص ، هى المسئولة عن تفجير الجيش وعن المأساة الكاملة التى يعيشها لبنان ، وانه لا خروج من أزمة الجيش والاوضاع الراهنة الا باعادة النظر جذريا فى أوضاع الجيش وفق ما تضمنه البرنامج المرحلى للحركة الوطنية وتحويل الجيش من أداة قمع داخلى الى النهوض بمهمته الوطنية والقومية فى الدفاع عن حدود لبنان والمشاركة فى المعركة القومية ضد العدو الصهيونى .

ومن جهة أخرى ، فقد أعلنت قيادة العميد عزيز الاحدب التى تمكنت من تعزيز وجودها فى عدد من المواقع الاساسية فى الجيش وجهاز المخابرات وجهاز الامن فى بيروت ، وكذلك توحيد جهودها مع جيش لبنان العربى بقيادة الملازم أحمد الخطيب أنها قادرة على حسم الموقف عسكريا وخلع الرئيس سليمان فرنجية بالقوة .. وقد تحركت بالفعل القوات التابعة لحركة الجيش وجيش لبنان العربى ، كل من جهة صوب القصر الجمهورى فى بعبدا لاجبار الرئيس فرنجية على الاستقالة ، ولكن حال دون وصول هذه القوات الى القصر الجمهورى ، تدخل قوات الصاعقة الفلسطينية التابعة للبعث السورى فى اللحظة الاخيرة لمنع أى تحرك عسكرى ضد الرئيس سليمان فرنجية . ثم عادت قيادة الجيش واعلنت بعد ذلك ، أنها تفضل التريث وعدم استخدام القوة العسكرية ضد الرئيس فرنجية ، وذلك حرصا على تجنب اراقة الدماء ، ومن أجل اتاحة الفرصة أمام الجهود السياسية والاتصالات التى تقوم بها سوريا مع القيادات السياسية والعسكرية والدينية اللبنانية لحل الازمة التى نشأت عن مطالبة حركة الجيش باستقالة رئيس الجمهورية .

وقد أعلن كمال جنبلاط زعيم الحزب الاشتراكى التقدمى والمتحدث باسم الاحزاب الوطنية التقدمية معارضته لاولئك الذين يتدخلون لمنع الجيش من تنفيذ الارادة الشعبية بعزل الرئيس سليمان فرنجية .

ويعمد الرئيس سليمان فرنجية حاليا الى المناورة . فقد أعلن أخيرا عن استعداده للاستقالة بعد الاتفاق معه على رئيس الجمهورية البديل ، وذلك لضمان أن لا يأتى الرئيس البديل ويقدمه للمحاكمة على الجرائم التى ارتكبها أثناء توليه السلطة .

وقد صرحت مصادر الحركة الوطنية ان الرئيس فرنجية يراهن حاليا على تغطية الخلاف على الرئيس البديل والدخول فى دوامة اختيار الاسماء ، وذلك بهدف النفاذ داخل الاجماع الكبير الذى يصر على عزله والعودة بالبلاد الى الطريق المسدود .

وتتسع حاليا حركة المعارضة لاستمرار الرئيس فرنجية فى الحكم ، وأصبح شعار اسقاط الرئيس فرنجية والتخلص منه هو الهدف والقاسم المشترك لمعظم القوى العسكرية والسياسية الديمقراطية والدينية وكذلك القوى اليمينية المستنيرة ، التى تتجه اليه فى الوقت الحاضر ، وذلك قبل الاتفاق على الرئيس البديل ، وقبل النظر فى التغييرات والاصلاحات الاخرى .

وها هو جو الحرب الاهلية قد عاد يخيم على الحياة فى لبنان من جديد ، اثر تجدد القتال الذى افتعلته القوات اليمينية الانعزالية فى حى الفنادق والمناطق التجارية فى بيروت وعالية بصورة عنيفة مما أدى الى سقوط عشرات القتلى كل يوم ، وشل الحركة تماما فى معظم مناطق بيروت .

وتشهد المعارك الحالية اشتراك قوات من جيش لبنان العربى ، الذى يدخل المعارك فى بيروت لاول مرة لمساندة القوات المشتركة للاحزاب الوطنية التقدمية ، كما هدد كمال جنبلاط زعيم الحزب الاشتراكى التقدمى بدخول قوات الدروز المسلحة الى المعركة ضد القوات اليمينية الامر الذى يزيد من خطورة الموقف .

ويرى المراقبون أن عودة البلاد الى حالة الاقتتال ، الذى افتعلته القوات اليمينية الانعزالية يستهدف أمرين رئيسيين هما : صرف الانظار عن مطلب استقالة سليمان فرنجية ، ثم طرح موضوع الامن كمطلب عاجل ملح .

وتعمل الحركة الوطنية التقدمية التى تدرك أبعاد المخطط اليمينى الانعزالى ، على افشال هذا المخطط ، وجاء ردها على الاستفزازات اليمينية حتى الآن محدودا جدا وفى أضيق

نطاق ، دون ان تسمح باستدراجها الى معركة شاملة فى هذه المرحلة بالذات . كما حذرت أوساط الحركة الوطنية من المناورات التى تقوم بها القوى اليمينية من وراء التصعيد العسكرى ، وذلك لاعادة التوازن السياسى الى ماكان عليه عشية اعلان الوثيقة السياسية التى أعلنها الرئيس فرنجية فى منتصف فبراير الماضى وتكريس طائفية رئاسة الجمهورية والحكومة ومجلس النواب ، والعودة بالتالى الى المصالحات الفوقية والعشائرية .. وترى الحركة الوطنية أن الاحداث الاخيرة منذ حركة العميد عزيز الاحدب والاجماع النيابى والشعبى على استقالة الرئيس سليمان فرنجية قد تجاوزت الوثيقة السياسية ، وان مطلب الحركة الوطنية الان هو بناء لبنان الجديد على اساس علمانى ديمقراطى .

■ فلسطين

كيف يواجه الفلسطينيون مخطط حصار الثورة ؟

كان على الثورة الفلسطينية مع مطلع العام الحالى أن تواجه موقفين متناقضين فى آن واحد . أولهما يمثل اضافة ايجابية للثورة ارتبطت بتصاعد نجم منظمة التحرير الفلسطينية على المستوى الدولى ، والاعتراف بها من قبل الامم المتحدة كممثل شرعى للشعب الفلسطينى ، مع كل ما يعنيه ذلك من التسليم بأن قضية فلسطين هى جوهر الصراع فى الشرق الاوسط ، وأن محتوى هذه القضية هو حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره فوق ترابه الوطنى ، مع مايعنيه ذلك من تجاوز لاعتبار القضية ذات محتوى « أنسانى » يتعلق بحق اللاجئين فى « العودة » أو « التعويض » .

الموقف الثانى وتمثل فى المحاولات المستمرة « لتحجيم » الثورة الفلسطينية والتقليل من فاعليتها واجهاضها اذا امكن ، سواء تم ذلك من خلال قوى اليمين الرجعى فى لبنان ، والداعية الى لبنان بدون الفلسطينيين او على الاقل تقدير بدون الثورة الفلسطينية . او من خلال تحركات النظام الاردنى الرامية الى توفير الظروف الملائمة للملك حسين ليصبح قادرا على التباحث حول مستقبل الضفة الغربية . ومما يعطى لهذه التحركات خطورتها ، ان خطوة الملك بجمع اعضاء المجلس النيابى الاردنى بما فيهم الفلسطينيون ، جاء قبل زيارته للولايات المتحدة ، بحيث يبدو كما لو كان يحمل تفويضا من ممثلى الضفة الغربية للتحدث نيابة عنهم ، وهى الخطوة التى دعمتها زعامات مشبوهة فى الضفة الغربية كالشيخ الجعبرى الذى ارسل رسالة الى الملك يخبره فيها « ان اعادة انتخاب البرلمان الاردنى بممثلين من الضفة الغربية وعن الاردن على حد سواء قد اثار فى نفوس ابناء الضفة الارتياح » !

واشتركت اسرائيل فى استكمال مخطط الحصار ، عن طريق مجموعة من الاجراءات ترمى الى التمكين للاحتلال الصهيونى فى الضفة الغربية من خلال سلسلة من المستعمرات كان آخرها اقامة مستوطنة كفر قدوم بالقدس وتنفيذ ترتيبات فى مدينة الخليل تؤدى الى السيطرة الكاملة على المدينة خاصة على الحرم الابراهيمى فيها . وهى السياسة الهادفة — بكافة الوسائل — الى تفريغ الضفة الغربية من السكان العرب استعدادا لاستقبال المهاجرين اليهود الجدد . وهو مايعد امتدادا لسياسة التهويد فى المناطق ذات الاغلبية العربية فى الاراضى المحتلة قبل ١٩٦٧ ، والتى تظهر فى الشعار المتسم بالغطرسة الذى ترفعه السلطة الاسرائيلية « بالمعيشة فى الجليل تحقق الصهيونية » ، حتى ان توفيق زياد عمدة الناصرة قد ذكر لاحد المراسلين الاجانب فى اسرائيل « ليس عندنا من الارض مايكفى لدفن موتانا » ويتم ذلك كله فى اطار مخطط متكامل تطلق عليه اسرائيل اسماء متعددة منها « التهويد » و « اعادة توزيع السكان » واخر هذه التسميات « التنمية العامة » !! . ثم اخيرا جاءت الخطوات الاسرائيلية لاستكمال الهيمنة على شعب الضفة الغربية بمشروع الادارة المدنية للضفة واجراء انتخابات بلدية تستهدف دعم القيادات المتعاملة مع الاحتلال ، والمؤيدة لمشروع المملكة العربية المتحدة الذى يكفل حل مشكلة الضفة الغربية بالتعامل مع النظام الاردنى .

جوهر هذا المخطط اذن هو « ترويض » الثورة الفلسطينية ، والشعب الفلسطينى داخل وخارج الاراضى المحتلة ، بحيث يتم اضعاف المكاسب التى حققتها منظمة التحرير ، بل وحتى استثمار هذه المكاسب لتوريط المقاومة الفلسطينية بحيث تقبل الدخول فى « قفص » الشرعية الدولية ، بحيث تشارك فى اجراءات « التسوية » بعد أن تكون قد انهكت تماما على ارض الواقع ومن ثم تكون فى مركزها تفاوضى يسمح لها بقبول ماهو دون المطالب الفلسطينية وفى مقدمتها حق تقرير المصير فوق التراب الوطنى ، واقامة الدولة العلمانية الديموقراطية .

ولكن الشعب الفلسطينى بعصائله المقاتلة وجماهيره بدا خلال الفترة الاخيرة فى مواجهة مخطط حصار الثورة وعزلها وترويضها على صعيد حركة الجماهير وعلى صعيد حركة المقاومة المسلحة . فعلى اثر القرار الذى اصدرته المحكمة الاسرائيلية فى القدس بالسماح لليهود بالصلاة فى المنطقة المحيطة بمسجد عمر والمسجد الاقصى فى منتصف فبراير الماضى ، حتى خرج المصلون فى مساجد القدس فى مظاهرات ضخمة مالبثت ان عمت مدن الضفة الغربية كلها فشملت رام الله ونابلس وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور وقطاع غزة باكمله ، فى اكبر انتفاضة جماهيرية فى الارض المحتلة منذ المظاهرات التى صاحبت وقوف ياسر عرفات على منصة الامم المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٤ — حتى ان احد المراسلين الاجانب وصف الانتفاضة كما يلى « ان مايحدث فى القدس والضفة الغربية هو ثورة كاملة ، ولقد شاهدت اليوم — ٢٧ فبراير —

«ماذكرني بالمقاومة الفرنسية الحية للاحتلال النازى» !

وشملت الانتفاضة معظم طوائف الشعب الفلسطينى وطبقاته من تجار وعمال وطلبة ورجال دين ، فاصدرت الهيئة الاسلامية فى القدس بيانا حددت فيه موقف المسلمين من الخطوة الاسرائيلية، واوضح البيان ان المسجد الاقصى المبارك بكل ساحاته واسواره هو وحدة متكاملة، وهو المسجد الثالث الذى تشد اليه الرحال وهو اولى القبلتين ، ولامجال لبحث فى حق لغير المسلمين فيه ، كما ان المسجد ملك لجميع المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ولا يستطيع احد أن يعتدى عليه او يتصرف فيه .
وأرسل المطران المناضل هيلاريون كابوتشى من سجنه الى المؤتمر الاسلامى المسيحى المنعقد فى العاصمة الليبية قال فيها اننى بوصفى مسئولا دينيا اكفر عن استعباد المؤمنين الذين فوضونى بشئونهم الدينية فى هذه المنطقة ، فان تدنيس تمثال العذراء ، ومكان مولد السيد المسيح يعد عملا لايمكن الا ان يؤدى الى اغضاب اى مؤمن فى الاماكن المقدسة ، ومن شأن عملية اغتصاب المسجد اثارة الكراهية والحقد والشقاق، أن صوت الشعب أقوى من كل شىء ولقد بلغ هذا الصوت الامم المتحدة ، بينما ماتزال اسرائيل تصم الاذان وتدير ظهرها لصوت الحقيقة » .

وامتدت حركة الاحتجاج العربية الى الاراضى المحتلة عام ١٩٤٨ ، حيث عقد رؤساء البلديات والمجالس المحلية العربية اجتماعا فى الناصرة ، وقرروا التصدى لمخططات الاستيطان الصهيونى، وحددوا يوما للمواجهة الشاملة اطلق عليه « يوم الارض » يتم فيه الاضراب الشامل ، وتسير فيه اكبر مظاهرة عرفها هذا الجزء المحتل فى نهاية شهر مارس ، اذا لم يتم حتى نهاية هذا التاريخ تغيير القرارات الخاصة بمصادرة الاراضى .

وعلى صعيد القوى الفلسطينية المقاتلة، فان عديدا من الدوائر القريبة من منظمات المقاومة الفلسطينية ، اوضحت ان هناك عملا دءوبا يجرى خلال المرحلة الراهنة لتجنب سلبيات الموقف الحالى فى اوضاع المقاومة الداخلية ، وذلك من خلال الحوار الدائر بين اكبر منظمتين داخل الساحة الفلسطينية وهما «فتح» «والجبهة الشعبية» . وأخذ هذا الاتجاه فى البروز حينما اعلن صلاح خلف [ابو اياد] فى منتصف فبراير الماضى « ان المهمة الاساسية للمنظمات الفلسطينية فى المرحلة الراهنة هى تحقيق الوحدة الوطنية ، وان منظمة فتح تناشد جميع المنظمات الفلسطينية بدون استثناء انشاء جبهة وطنية فلسطينية موحدة » واضاف « انه بعد تشكيل هذه الجبهة ستجرى الاتصالات مع جميع الاطراف المخلصة الشريفة فى الامة العربية لتوسيع نطاق الجبهة الوطنية الفلسطينية ومواجهة المؤامرات الامبريالية الصهيونية ومنها محاولة الملك حسين فرض وصاية على الشعب الفلسطينى» وعلى الجانب الاخر اوضحت مجلة الهدف الناطقة باسم الجبهة الشعبية ان « استمرار الخطوات التى بدأتها فصائل المقاومة الفلسطينية اثناء وبعد معارك لبنان من اجل توحيد صفوفها حول برنامج سياسى ثورى لمواجهة المؤامرة هى الحلقة الاولى فى مواجهة مخطط الرجعية والامبريالية » .

كما ذكرت هذه الدوائر أن ثلاثة اجتماعات قد تمت فى هذا الاطار بين التنظيمين ، الاول تم فى نهاية الاسبوع الثالث من فبراير الماضى بين **ابو صالح** عضو القيادة العامة لقوات العاصفة ، وبين الدكتور **جورج حبش** الامين العام للجبهة الشعبية ، ثم تلاه اجتماع آخر بين وفد فتح ممثلا فى **ابو صالح وابو الهول وهايل عبد الحميد** مسئول الامن المركزى للحركة ، ومن الجبهة الشعبية **تيسير قبعة وابو احمد الزبرى وابو يونس احمد** وهم اعضاء المكتب السياسى للجبهة . ثم عقد اجتماع ثالث بين الطرفين لوضع برنامج مشترك يكون قاعدة لعقد الدورة الثالثة عشر للمجلس الوطنى الفلسطينى لاقراره .

وقد ذكرت بعض المصادر اللبنانية أن محادثات التنسيق بين المنظمتين اسفرت عن برنامج موجز للعمل يتضمن رفض مؤتمر جنيف للسلام واعلان عدم اشتراك الفلسطينيين فيه ، والتأكيد مرة اخرى على استمرار النضال السياسى والعسكرى الفلسطينى ضد اسرائيل ، والتأكيد من جديد على رفض الفلسطينيين للقرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الامن ، وقالت هذه المصادر ان الموافقة على هذا البرنامج يمكن ان يكون مقدمة لاقامة حكومة فلسطينية فى المنفى .

يبقى فى النهاية أن خطوات حصار الثورة مستمرة سواء فى لبنان او فى الاردن ، او داخل الاراضى المحتلة ، او من قبل كثيرين آخرين يطلبون للثورة صوتا خافتا ، ويظل مواجهة هذه الخطوات رهنا بمدى قدرة فصائل الثورة الفلسطينية على التلاحم وتجاوز تناقضاتها الثانوية ، ومد الايدى الى جماهير الداخل لكى يمكنها أن تستمر فى صمودها ازاء المحاولات المستمرة للعدو الصهيونى من اجل ابتلاع كل الاراضى المحتلة ☐ .

■ الخليج العربى

متى يقف سباق التسلح لصالح قضايا التنمية ؟

المراقبون للتطورات الجارية فى منطقة الخليج يلاحظون وجود مسارين متعاكسين الاول هو سباق مستعر نحو تخزين اكبر قدر من الاسلحة التى يتنافس على بيعها الان الى دول المنطقة كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا فضلا عن طلبات الحصول على السلاح التى تقدم الى الاتحاد السوفيتى [6] والثانى هو تعثر خطط التنمية فى اكبر بلدان المنطقة مثل ايران والكويت والمملكة العربية السعودية .

وهذان المساران المتعاكسان هما تعبير حقيقى من العوامل والاسباب المؤثرة فى المواقف السياسية لدول المنطقة على المستوى الداخلى والخارجى . فمن الملاحظ انه تحت هدف الامن وحماية الثروة الضخمة من البترول خاصة بعد صدور التهديدات الامريكية باحتلال آبار النفط ، اتجهت كثير من دول الخليج العربية الى شراء الاسلحة بكميات ضخمة ضمن الاعداد جيوش قوية . وسواء لاعتبارات العلاقة التقليدية بالولايات المتحدة او لغيرها ، تدور هذه الدول فى دائرة ضارة هى استمرار التهديد الذى يتعرض له امنها واستمرار التسلح والضحية هى مشروعات التنمية ، ولا يستثنى فى هذا أيا

من هذه الدول سواء ايران او كثير من الدول العربية . والمؤشرات على هذا التسابق فى مجال التسلح كثيرة ،منها تلك الصفقة التى وافق عليها الكونجرس الامريكى مؤخرا بتقديم اسلحة الى العربية السعودية تبلغ قيمتها مليارا وربع من الدولارات ، وكانت قد سبقتها صفقة اخرى قدرت بمليار ونصف من الدولارات . وليست الولايات المتحدة هى المورد الوحيد الان للسلاح رغم انها لا تزال هى المورد الرئيسى ، حيث تذكر صحيفة الانباء الكويتية ان المباحثات الجارية بين الكويت والاتحاد السوفيتى لشراء كميات كبيرة من الاسلحة قد وصلت الى مرحلة الاتفاق النهائى ، ورددت مصادر اخرى ان السوفيت سيوكلون للسوريين مهمة تدريب الضباط والفنيين الكويتيين على هذه الاسلحة .

وكانت الصحف الكويتية قد نشرت فى اواخر الشهر الماضى تصريحا للسيد **عبد الرازق الخميسى** وكيل وزارة الدفاع الكويتية ، اعلن فيه أن الكويت قد اشترت ما يزيد على ١٥٠ دبابة تشيفن من بريطانيا . واذا كان البحث عن بديل هو مخرج من محاولات احكام السيطرة الامريكية على المنطقة، فانه ينسجم تماما مع قول الشيخ محمد بن مبارك وزير خارجية البحرين ، بأن البحرين ستوقف التسهيلات التىتقدمها للبحرية الامريكية قريبا ، واكد على ضرورة اقامة نظام أمن جماعى بين دول الخليج . ولم تقف جهود دول المنطقة عند شراء الاسلحة فقط ، بل انها تهتم ببنساء افراد جيشها فمجلس الوزراء الكويتى على سبيل المثال وافق مؤخرا على ادخال نظام الخدمة العسكرية الاجبارية .

وقد ادى هذا التسابق على التسلح بغرض تحقيق الامن الى الهاء كثير من دول المنطقة عن التنبه لتحديات التنمية حتى أن ثلاث منها مثل ايران والكويت والسعودية اعلنت ان خططها فى التنمية ستتأخر عن المواعيد المحددة لتنفيذها . ولان ايران وضعت التفوق العسكرى فى سلم الاولويات بالنسبة لسياستها فى المنطقة ، فوجئت هذا العام ان ميزانيتها تواجه بعجز مقداره ٢ر٤ مليار دولار ، وتقول مجلة نيوزويك ان آمال الشاه وطموحاته يبدو انها ستتحجز مع تعثر مشاريع التنمية ، ومما تردد عن احد رجال الاعمال الايرانية قوله ان ١٠٪ من المعدات التى وصلت فى العام الماضى قد علاها الصدأ قبل البدء فى استخدامها .

والمشكلة فى السعودية لها وجهها المعاكس ، فهى ليست أزمة عجز مالى بقدر ما هى أزمة فى توفير موارد التنمية البشرية والانتاجية ، ولهذا يجمع المراقبون على أن السعودية لن تنجحسهولة فى تنفيذ خطتها الخمسية الطموحة والمقدرة باكثر من ١٤٢ مليار دولار . والغريب ان السعودية ازاء وفرة المال اهتمت بانفاق ما يقرب من ٧ مليار دولار منذ عام ١٩٧٣ حتى الان فى شراء الاسلحة دون الاهتمام بحل مشاكل التنمية المتزايدة عندها . واما الكويت فان مناخ الحياة السياسية ومصالح فئات معينة هو الذى اخر اقرار الخطة الخمسية للتنمية ، ولم يساعد على اتمام تنفيذها لمن يؤيدون بقاء الاموال مكدسة بلا تنمية هم الذين يروجون لصفقات الاسلحة ، لانها عملية مربحة ، كما انها ترتبط بعلاقاتهم بالمؤسسات الاحتكارية الغربية فى مجال السلاح أو الاقتصاد .

ويعتقد المراقبون ان بعض دول الخليج العربية فى طريقها لاقامة توازن فى علاقاتها الخارجية ضمن اقرار خطة تنمية قوية لتقديراتهم ببدايات، العلاقة مثلا بين الكويت والاتحاد السوفيتى والمتمثلة فى مباحثات الوفد المالى السوفيتى فى الكويت ، وبين البحرين وفرنسا والتى كانت ابرز المؤشرات عليها زيارة أمير البحرين لفرنسا ، والنتائج الاقتصادية المترتبة عليها . □

■ العراق

أول مؤتمر لمحو أمية العمال العرب

انعقد فى بغداد فى الفترة من ١٥ - ١٩ فبراير ١٩٧٦ المؤتمر الاول لمحو الاميةبينصفوف العمال فى الوطن العربى، واشتركت فى المؤتمر وفود تمثلالاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب او الاتحادات العماليةفى البلدان العربية ، ووفود من منظمة العمل الدولية والعربية ، والجهاز العربى لمحو الامية ، الى جانب وفود من البلدان الاوروبية والاشتراكية.

وقد انتهى المؤتمر - الى اعتبار ان محو الامية يعنى محو الامية الابجدية والفكريةوالحضارية ، ويرى المؤتمر ان: « الامية ، بمفهوميها الابجدى والحضارى ، وبحجمها الكبير فى الوطن العربى ، لا يمكن القضاء عليها الا من خلال استراتيجية الطفرة التى يجب ان تبدأ بقرار من القيادة السياسية فى كل قطر عربى ، او فى ظل حملة واسعة تشترك فيها كل المنظمات الشعبية واجهزة الدولة المتخصصة » .

وتوصل المؤتمر الاول من نوعه - الى اقرار مجموعةهامة من المبادىء - من بينها :

١ - ان استراتيجية الطفرة للقضاء على محو الامية تقضى بان تمارس كل المنظمات الشعبية ، وفى مقدمتها التنظيمات النقابية دورا رئيسيا ومباشرا ، فىحملة محو الامية فى صفوف العمال فى اطار الحملة الوطنية شاملة .

٢ - ان قضية محو الامية بين العمال العرب هو قضية طبقية بالدرجة الاولى ، وان تحمل التنظيمات النقابية لمسئولية القيام بحملة جماهيرية واسعة فى هذا المجال ، يتطلب بالضرورة أن يوسع التنظيم النقابى من ديمقراطيته ، وان يوائم بين بنيته وبين الواجب القومى والديمقراطى الملقى عليه.

٣ - ان ديمقراطية عملية محو الامية ، تعنى مشاركة جماهير الاميين فى التخطيط ، وفى اقتراح الوسائل والاساليب .

٤ - ان مشاركة العمال من خلال تنظيماتهم النقابية فى رسم السياسات التعليمية فى الاقطار العربية ،وتنفيذها ومتابعتها ، وتقويمها وتطويرها ، من الامور الاساسية فى القضاء على الامية من مصادرها ، وربط التعليم بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وفى اعداد المواطن للاسهام الايجابى وعن وعى وادراك فى التحولات الاجتماعية لتحقيق المجتمع الديمقراطى الموحد .

٥ - ان تحمل الحركة النقابية لمسؤوليتها المباشرة والرئيسية فى محو الاميةبين صفوف العمال سيفسحممارساتها النقابية الديمقراطية فى مسارها السليم ، لان هذهالممارسات الديمقراطية لا يمكن ان تتم وهناك فجوة فكرية وثقافيةواسعة بين القيادات النقابية وعموم القاعدة العمالية .

٦ - ان القضاء على الامية فى صفوف العمال العربمن المهمات النضالية الاساسية للتنظيمات النقابية ، وهذا يفرض عليها اعتمادها الاكبر على جهدها البشرى والتوفير - ما أمكن - من الجانب المادى ، وبذلك يحقق نشاطها عائدا اكبر ، ويجعلها نموذجا نضاليا رائدا للتنظيمات الجماهيرية الاخرى .

٧ — ان التزام التنظيم النقابى بمحو الامية ، وان كان فى أصله التزاما قطريا فانه فى الوقت نفسه التزام قومى ، ينبغى ان تتعاون فيه التنظيمات النقابية على المستوى القومى لان انتشار الامية فى قطر ما يشكل خطرا على الاقطار العربية الاخرى .

٨ — أن الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب — باعتباره قمة التنظيم النقابى فى الوطن العربى يتحمل مسؤولية مباشرة فى حملة محو الامية الشاملة على الصعيد القومى فى صفوف العمال العرب .



■ منظمة العمل العربية

ماذا ناقشت الدورة الخامسة لمؤتمر العمل العربى ؟

فى الفترة من ٦ الى ١٣ مارس ١٩٧٦ شهدت مدينة الاسكندرية انعقاد الدورة الخامسة لمؤتمر العمل العربى التابع لمنظمة العمل العربية . وقد اشترك فى المؤتمر وفود من الـ ١٩ دولة عربية الاعضاء فى المنظمة ، وقد اشتركت الوفود على اساس التمثيل الثلاثى — فضمت ممثلين من الحكومات ، ومنظمات اصحاب الاعمال ، ومنظمات العمال . واشتركت فى المؤتمر وفود مراقبة من الهيئات والمنظمات العالمية والدولية — مثل اليونسكو ومنظمة العمل الدولية ، والاتحاد العالمى للنقابات وحكومات اتحاد الجمهوريات العربية .

وكان من أبرز الموضوعات والقضايات التى ناقشها المؤتمر — تقرير المدير العام د. **الطيب الحضيرى** « حول رؤية عربية مستقبلية للتدريب المهنى » ، ومشروعات اتفاقيات حول « مستويات العمل العربية » و « الحريات والحقوق النقابية » و « المرأة العاملة العربية » ..

وحول « رؤية عربية لمستقبل التدريب المهنى » أكد د. **الطيب الحضيرى** ، انه قد اصبح : « مؤكدا لنا جميعا أن الاستقلال السياسى لبلد ما لن تقوم له قائمة ولن يكون فعالا وحقيقيا ما لم يكن مستندا الى قاعدة اقتصادية متينة قوامها التنمية الصناعية والتنمية الزراعية المتكاملة ، وما لم تكن هذه القاعدة بدورها ترتكز على العمل المؤهل والخبرة الفنية والكفاءة المهنية القادرة على تشغيل وصيانة هذه القاعدة » .

وقد اكد المدير العام فى تقريره على انه فى مجرى النضال من أجل التنمية الصناعية ، لابد من رفع انتاجية العمل الوطنى الذى هو الاساس فى تحرر البلاد من الاستقلال الاجنبى . وهو أمر لا يتطلب التجديد التكنيكى للاقتصاد فحسب ، بل انه يتطلب وبنفس المستوى تهيئة الاطارات والعناصر البشرية المدربة ايضا » .

وابرز التقرير انه واذا كان فى الامكان استيراد التكنولوجيا والصناعة ، فان الاطارات المطلوب استخدامها على اية حال فى النطاقات الضرورية ليس من الممكن استيرادها بسهولة .

ان معركة القضاء على التخلف الصناعى والتى تخوضها الامة العربية — لايمكن أن تحقق أهدافها . وفى ظل ظروف عصر التنمية الاقتصادية السريعة ، عصر الثورة العلمية والتكنولوجية ، وفى مواجهة اساليب الاستعمار الحديث ، الا اذا ركزت اهتماما خاصا لمعالجة النقص الحاد فى القوى العاملة المدربة . واكد التقرير على حقيقة هامة — وهى — ان العالم العربى اذا لم يستثمر موارده وثرواته الطبيعية ، ويستخدم عوائدها للتعجيل بتصنيع اقطاره وتنمية الطاقات البشرية العربية ، فانه سوف يتعرض ، عندما ينضب معين هذه الثروات والموارد البشرية — وسرعان ما سيحدث ذلك — الى حالة من التخلف الاقتصادى قد تكون أدنى من تلك الحالة التى كان عليها العالم العربى عند بدء اكتشاف مصادر هذه الثروات والقيام باستغلالها ، فالموارد النفطية التى تجود بها الطبيعة قادرة على ان تتيح للامة العربية بناء القدرة الذاتية بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخها الطويل .

لذلك فان المؤتمر الخامس لمنظمة العمل العربية ، اعلن انه على المنظمة ان تسعى لصياغة خطة عمل فى مجال التدريب المهنى ، تكون اساسا لصياغة استراتيجية عربية للتدريب المهنى . وقد اكد المؤتمر — على ان دور منظمة العمل العربية فى هذا المجال — هو ، تقديم المساعدات الفنية للدول الاعضاء ، والتنسيق بين جهود وامكانيات التدريب فى البلاد العربية ، جمع البيانات والاحصاءات وانشاء مركزا عربى لترجمة الكتب والمصادر والبرامج الاجنبية ، والاستعانة بالخبراء العرب العاملين فى الدول الاجنبية ، وانشاء المشاريع التدريبية ذات الطابع القومى — ولذلك قرر المؤتمر انشاء أول مركز عربى للتدريب المهنى ، واعداد المدربين ، والذى سيتم تأسيسه فى الجمهورية العربية الليبية .

وناقش المؤتمر الاتفاقية العربية للحقوق والحريات النقابية ، والتى اكدت على مجموعة المبادىء الهامة ، حق العمال فى تكوين منظماتهم النقابية **دون اذن مسبق** ، مساواة العمال العرب الذين يعملون فى دولة عربية ، غير تلك التى ينتمون اليها ، بالعمال الوطنيين فى الانتماء الى عضوية منظمات العمال وتمتعهم بكافة الحقوق النقابية ، وان يقتصر اجراءات تكوين المنظمات النقابية على ايداع اوراق التكوين لدى الجهة المختصة ، وان تمارس هذه المنظمات مجرد ايداعها اوراق تكوينها ، ويكون لهذه التنظيمات الحق فى ان تكون فيما بينها — اتحادات نوعية او فرعية او اقليمية أو عامة ، ويكون لهذه الاتحادات الحق فى الانضمام الى الاتحادات او المنظمات العربية والدولية ، تكفل تشريعات كل دولة لهذه المنظمات قيامها بعملها فى حرية كاملة دون التدخل فى شئونها أو التأثير عليها ، وان يكفل لها حرية الاجتماع ، وحرية ممارستها لكافة اوجه نشاطها دون حاجة الى اذن مسبق من الجهة الادارية ، وللعمال حق الاضراب للدفاع من مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية بعد استنفاذ طرق التفاوض لتحقيق هذه المصالح ، وكفالة تشريع كل دولة لعدم التدخل فى ترشيح وانتخابات الاعضاء النقابيين ، وكفالة حرية ممارسة كل عضو لنشاطه النقابى دون تدخل من صاحب العمل أو اية جهة . وعدم جواز وقف المنظمات أو حلها الا بحكم قضائى . وتوجب الاتفاقية ان تشمل التشريعات العربية ، الاحكام الخاصة بالحقوق والحريات النقابية .

وقد اكدت اتفاقية مستويات العمل العربية المبادىء — التى ذهبت اليها اتفاقية الحريات والحقوق النقابية .

ولقد جاءت الاتفاقية الخاصة بشأن المرأة العاملة هادفة الى ضمان حقوقها العامة والخاصة ، مؤكدة على دورها فى خطة التنمية ، ومقرة لمساواتها فى الاجر وفرص العمل والتدريب والاعتراف بوظيفتها الاجتماعية فى رعاية الاسرة والطفولة .

وتعتبر هذه الاتفاقية خطوة هامة فى معالجة التخلف العام الذى تعيشه المرأة العربية فى ظل تقاليد بالية ، وظروف قهر فى بعض الاقطار التى لم تعترف قط بأى حق للمرأة فى العمل .

ولقد احتضنت منظمة العمل العربية فكرة انشاء مركز عربى لتدريب النساء العاملات . □

■ اسرائيل

عودة مائير وتدعيم اتجاه الصقور

أدت مجموعة من الظروف السياسية المتسمة بالاضطراب فى الحياة الاسرائيلية الى حمل **جولدا مائير** [٧٨ عاما] على الدخول مرة أخرى الى مسرح الاحداث ، بعودتها الى قيادة حزب العمل واشتراكها فى المؤتمر الصهيونى فى بروكسل . وهى المرة الاولى التى تعود فيها مائير لمزاولة النشاط السياسى منذ اعتزالها رئاسة الحكومة فى ابريل ١٩٧٤ ، ثم تقديمها لاستقالتها من عضوية الكنيست ، واعتزالها العمل السياسى عامة .

وقد اعتبر بعض المراقبين أن عودة مائير ترجع الى احتدام الازمة التى تعانيها حكومة رابين ، والتى تصاعدت فى الفترة الاخيرة حين طالبت قوى متعددة بتغيير رئيس الحكومة [اسحق رابين] ، والبحث عن برامج جديدة « وقيادة تسودها روح الثقة » ، وهى الازمة التى ظهرت بمجموعة الاتهامات المتبادلة بين **رابين** من جانب ، وعدد من الوزراء الاخرين فى مقدمتهم **شيمون بيريز** وزير الدفاع من جانب آخر فبينما اتهم رابين زملاءه فى الوزارة بعدم الكفاءة ، اتهمه جناح بيريز بأنه بدد أثناء رحلته للولايات المتحدة « المزايا السياسية التى كان يمكن أن يحققها تنفيذ اتفاقية سيناء الثانية » وذلك بانتقاده لوزير الدفاع الذى اعد قائمة الاسلحة والمعدات المطلوبة .

ويضيف عدد آخر من المراقبين أن الازمة التى رتبت عودة مائير تمتد الى حزب العمل نفسه بأجنحته المختلفة بل والى الحياة السياسية فى اسرائيل بشكل عام . وأهم ملامح هذه الازمة ، تفكك حزب العمل وضعفه المتزايد بعد انسحاب أربيه ايلى ، وما أعلنه كل من **اهارون باريف** وزير الاعلام السابق ، **ويتسحاق بن اهرون** رئيس الهستدروت السابق ، من أن الحزب يحتاج الى « قيادة جديدة قوية » . ثم اتت استقالة **مائير زارمى** سكرتير حزب العمل بسبب الاوضاع المالية للحزب المدين بمبلغ ٥ر١ مليون جنيه ، وبسبب تآكل الحزب ، لتضيف مزيدا من الاضطراب على أوضاع اكبر الاحزاب الاسرائيلية .

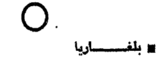
وبذلك فان الضعف البادى على موقف حزب العمل ، وعلى ممثليه فى الحكومة الاسرائيلية ، وخاصة بعد ما تردد من أن بيريز يفكر فى تكوين حكومة برئاسته ، قد انعكس على الوزارة الاسرائيلية ، فتجددت الدعوة فى حزب المابام للانفصال عن كتلة المعراخ [كتلة احزاب العمل] وتكوين كتلة مستقلة . هذا التفكك دفع أحزاب المعارضة ـ وخاصة كتلة ليكود ـ الى المسارعة بتجميع صفوفها ، ودعوة باقى الاحزاب لتشكيل حكومة جديدة ، أو اتخاذ قرار باجراء انتخابات جديدة ، . « لان حكومة رابين فقدت الثقة داخل وخارج اسرائيل » . ودعا **يهودا شعارى** رئيس احزاب الاحرار المستقلين فى الكنيست ، الى عقد مؤتمر وطنى للاعلان عن « نظام حكم طوارىء » .

كذلك فقد زاد من الضغوط الواقعة على اسحق رابين التضارب المتزايد بين أركان النظام الاسرائيلى حول الموقف من القضية الفلسطينية . فبينما لا تزال مجموعة الصقور [**بيريز وديان** ورجال **الحزب القومى الدينى** وكتلة **ليكود** بالطبع] مصره على عدم التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، ورفض قيام أية دولة فلسطينية فى الضفة الغربية ، بل أن بعض قطاعاتها تطالب بالضم النهائى للضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل ، فان اتجاها آخر يتزعمه ايجال آلون يخالف هذه الاراء ، ويعترف بوجود مشكلة فلسطينية ، وان كان يرغب فى حلها بدون التفاوض مع منظمة التحرير ، وفضلا عن ذلك تكونت حركة السلام الاسرائيلى الفلسطينى التى أسسها بعض المثقفين لليسار الاسرائيلى وتطالب باجراء مفاوضات مع كل عنصر فلسطينى بما فى ذلك منظمة التحرير طالما اعترفت بوجود دولة اسرائيل ورغم ضعف هذه الحركة ، فان أفكارها تلقى صدى لدى بعض القيادات الاسرائيلية وخاصة فى صفوف المابام .

وقد حاول رابين ان يواجه هذه الازمة بتوسيع نطاق الحكومة بضم ممثلين للاتجاهات المختلفة ، فأدخل **زبفولون هامير** عن الكتلة الدينية كوزير للشئون الاجتماعية ممثلا لاتجاه الصقور ، ثم قام بتعيين **شلومو افنيرى** كمدير لوزارة الخارجية ، وهو المعروف بانتقاده لاصرار رابين على عدم التفاوض بشأن قيام دولة فلسطينية .

وهنا تأتى عودة مائير للمشاركة فى مجموعة القيادة لحزب العمل كمؤشر على تغير الظروف التى ادت الى تعيين أفنيرى من قبل . فبينما جاء أفنيرى فى وقت ارتفاع أسهم المقاومة بتمثيلها أمام مجلس الامن ، وتزايد العزلة الدولية لاسرائيل ، فان عودة مائير تأتى فى الوقت الذى أعلنت فيه الحكومة الاسرائيلية عن نيتها فى التفاوض مع الاردن ، فى اطار سعى اسرائيل لتجاوز الحوار المباشر مع الفلسطينيين . كما أنه يأتى فى ظل الظروف الحالية للمقاومة الفلسطينيه فى لبنان وسعى الاردن الى العودة الى ساحة المفاوضات .

من هنا فان عودة مائير تصبح ذات دلالة خاصة مع موقفها المعروف من الفلسطينيين ، فهى تأتى كشخصية ذات ثقل داخل حزب العمل لتدعم الاتجاهات « الصقرية » المرتبطة بتجاهل المشكلة الفلسطينية باعتبارها جوهر صراع الشرق الاوسط ، وقد حرصت مائير على أن تبرز اتجاهها هذا ، حين أعلنت مؤخرا ، بأنها على استعداد للتنازل عن جميع حقوق تأليف كتابها عن تاريخ حياتها « لمن يستطيع ان يقدم لها الادلة على الوجود التاريخى لامة فلسطينية » □



■ بلغاريا

المؤتمر ٢١ للحزب وطموح الخطة الخمسية السابعة

انعقد فى ٢٩ مارس المؤتمر الحادى والعشرين للحزب الشيوعى البلغارى ، وسوف تستمر جلساته حتى الثانى من ابريل الحالى .

وقد استعرض المؤتمر ـ حتى كتابة هذا التقرير ـ عديدا من القضايا الاساسية والملحة تضمنها فى التقرير الذى قدم للمؤتمر من قبل اللجنة المركزية للحزب .

والواضح ان المؤتمر يولى اهتماما خاصا للتطوير التكنولوجى والعلمى بالبلاد . او كما اكد احد تقارير اللجنة المركزية للحزب « المهمة الان هى ان يستفاد استفادة كاملة وباقصى فعالية ممكنة من امكانيات الجبهة العلمية وذلك بهدف تحقيق قفزة فى تطوير العلم والتقدم التكنيكى واسهامهما فى ازدهار البلاد اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا . »

وفى هذا الصدد يؤكد تقرير اللجنة المركزية من « تطوير العلم والتقدم التكنيكى حتى عام ١٩٩٠ ان الهدف هو تركيز اهتمامات الجبهة العلمية على المهام الاساسية للتطور الاجتماعى والاقتصادى ، واتقان استخدام احدث منجزات العلم الحديث والتطبيق السريع للنتائج العلمية وبحيث يمكن ان

تزداد الفائدة الاقتصادية العائدة من النشاط العلمي التطبيقي وفي حدود عام ١٩٨٠ « بمعدل ٥٠٤ أضعاف قياسا الى المستوى الذي تم التوصل اليه خلال الخطة الخمسية السادسة » .

هذا وقد اعدت اللجنة المركزيه تقريرا خاصا بمهام التقدم الاقتصادي عبر مشروع السنوات السابع ١٩٧٦ — ١٩٩٠ ، وقد عدد التقرير مهام خطط التنمية الاقتصادية خلال هذا المشروع ، ويركز المشروع على تطوير مصادر الطاقة ، وزيادة الانتاج في مجالات التعدين ، والتصنيع المختلفة ، ومواصلة معركة تصنيع الزراعة وميكنتها .

وكانت بلغاريا قد استطاعت ان ترتفع بانتاجها من الطاقة الكهربائية الى ٢٥٫٢٠٠ مليون كيلو/وات/ساعة في عام ١٩٧٥ اى بزيادة ١٠٫٦٪ عن عام ١٩٧٤ ، واستطاعت ان تزيد انتاجها من خامات المعادن خلال هذا العام ايضا بنسبة ٣٫٦٪ ، وان ترتفع بانتاجية الصناعات التعدينية بنسبة ١٤٫٣٪ والصناعات الكيماوية بنسبة ١١٫٩٪ خلال نفس العام ، اما في مجال الزراعة فان التقدم قد حقق نتائج اكثر واشمل ..

ويناقش المؤتمر وسائل تحقيق المزيد من التقدم في هذه المجالات ، وتحقيق معدلات اكثر ارتفاعا في انتاجيتها وهي الاستثمارات المخصصة لها ..

وعلى المستوى الاجتماعي يضع المؤتمر اسس احداث تطوير شامل في مجالات الصحة والتعليم ومختلف الخدمات

وعلى وجه الاجمال فان المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي البلغاري يأتي تتويجا لعديد من الانتصارات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهو بهذا يعد نقطة تحول هامة نحو المزيد من هذه الانتصارات . ☐

بريطانيا

لماذا استقال ويلسون ؟

في يوم ١٦ مارس الماضي ، اعلن رئيس الوزراء البريطاني **هارولد ويلسون** بصورة مفاجئة عن استقالته من منصبه « على أن تصبح هذه الاستقالة سارية المفعول فور اختيار حزب العمال شخصا آخر كخليفة له . وارجع ويلسون استقالته الى أربعة أسباب رئيسية : اولها انه قد تولى زعامة الحزب لمدة تزيد عن ثلاثة عشر عاما سادتها الاثارة والاضطرابات ومنها قرابة ثمانية اعوام رأس الحكومة خلالها. وثانيها انه يرى من واجبه « تجاه بريطانيا وتجاه حزب العمال » الا يشغل منصب رئيس الحكومة بصورة تمنع آخرين من تولى هذا المنصب ؛ وثالثها يعود الى اقتناعه بأنه يتعين على من سيخلفه أن يتولى مهام منصبه الان بصورة تساعده على فرض اسلوبه واعداد الاستراتيجية التي ينبغي انتهاجها في السنوات القادمة الى ان يحين موعد اجراء الانتخابات الجديدة ، ومضى يقول « انني لعلى يقين من أن الحكومة الجديدة ستبدى نفس الارادة والعزم في الدفاع عن سياستنا في مكافحة التضخم » .وآخر هذه الاسباب «الحاجة لرجل ينظر الى الامور نظرة جديدة في زمن سريع المتغيرات». ولم يكن بامكان اى من المراقبين للحياة السياسية في بريطانيا ان يصدق تلك الاسباب التي ذكرها ويلسون ، فأسباب استقالته تكمن في الازمة الاقتصادية التي تعيشها بريطانيا وفي الازمة السياسية التي عانى منها حزب العمال مؤخرا . فمن المعروف ان بريطانيا عانت خلال السنوات الاخيرة من ارتفاع متزايدي معدلات التضخم والبطالة انعكست آثارها في انخفاض سعر الجنيه الاسترليني بشكل حاد مما دفع بنك انجلترا الى التدخل ودفع ٢٠٠ مليون دولار لمنع الجنيه من الانهيار وايقاف تدهوره عند حد ١٫٩١٣ بالنسبة

تعليق

ليقف العرب مع أفريقيا ضد العنصرية حتى تقف أفريقيا معنا ضد اسرائيل

منذ استقلت موزمبيق ، في الجنوب الشرقي من افريقيا، ثم انجولا ، في الجنوب الغربي ، وقيام نظامان للحكم فيهما ينتهجان سياسة واضحة للتحرر الوطني ، وجدت النظم العنصرية نفسها في حالة دفاع حقيقي عن استمرار بقائها .. لاول مرة منذ وجودها الممتد لسنوات طويلة مضت .

فعلى اثر تحرك بعض العناصر الوطنية لزيمبابوي (روديسيا) بحمل السلاح اخيرا ضد نظام سميث العنصري ، قامت قوات روديسيا العنصرية بالاشتباك مع هذه العناصر ومطاردتها حتى منطقة الحدود مع موزمبيق بل واخترقتها الى داخل حدود موزمبيق نفسها . مما اضطر حكومة موزمبيق الى اعلان حالة الحرب مع النظام العنصري في روديسيا . وقصدت بذلك فرض حالة الحصار الاقتصادي تطبيقا لقرار الامم المتحدة بتطبيق العقوبات الاقتصادية ضد روديسيا وجنوب افريقيا .

وبرغم وحدة مصالح ومصير النظامين العنصريين ، الا ان ذلك لا يحول دون ظهور الخلاف بينهما بشأن تقدير الموقف الذي يحمل كل عناصر التفجر في كل الجنوب الافريقي ، طالما تصر حكومة سميث على عدم التسليم حتى بالاتجاه التدريجي في المدى القريب لتسلم الاغلبية الافريقية الحكم .

فجنوب افريقيا العنصرية ، تعاني الاثار السياسية والادبية لهزيمة قواتها في مواجهة قوات انجولا الشعبية . وهي تسعى الان لتجنب آثار انتصار انجولا الشعبية ،على اقليم ناميبيا الذي تحتله بشكل غير شرعي ، واحتمالات تفجر حركة الكفاح المسلح داخله ضدها بل واحتمالات تداعي بتفجير حركة الكفاح المسلح داخل اراضي جنوب افريقيا نفسها .

ورغم ان حكومة جنوب افريقيا العنصرية ، لا ترغب في تحمل اعباء جديدة للموقف العام الذي تكابده ، الا انها بالطبع ستلقي بكل ثقلها وراء نظام سميث اذا تعرض لصعوبات حقيقية تهدد استمراره .

وسرعان ما حددت معظم دول القارة ، موقفها القاضي بمساندة قرار حكومة موزمبيق . فتنزانيا تبنت نفس الموقف واعتبرت نفسها ايضا في حالة حرب مع روديسيا .ونيجيريا هددت بانها ستستجيب عسكريا لاى طلب تتقدم به موزمبيق أو الحركة الوطنية في زيمبابوي نفسها اذا استمر النظام العنصري في تحدى افريقيا وشعوبها . وحتى في أوغندا ، دعا رئيسها عيدى امين الى « مسيرة افريقية » نحو روديسيا . بل وأيدت دول الكومنولث موقف موزمبيق وقررت مساعدتها ماديا

للدولار ، وبذلك تكون العملة البريطانية قد انخفضت بنسبة ٥ر٥٪ للدولار الامريكى ، ٣٧ر٥ للمارك الالمانى ، ٢ر٤٪ للفرنك السويسرى .

وقد حاول ويلسون قبل استقالته ان يتفادى الازمة الاقتصادية ويحد من التضخم — الذى اعطاه اولوية على مكافحة البطالة — عن طريق سياسة اقتصادية طرحها فيما عرف « بالكتاب الابيض » . وجوهر هذه السياسة هو تخفيض الانفاق العام حتى عام ١٩٨٠ ، وهو مرتبط بالمساعدات التى تقدمها الحكومة للطبقات الفقيرة . وبرر « دينيس هيلى » وزير المالية — واحد غلاة يمين حزب العمال — هذه السياسة بان بريطانيا كانت فى يوم من الايام دولة غنية ، وكان فى مقدورها ان تقسم ما يسمى «بالتورته» الاجتماعية فتعطى جزءا للمساعدات وآخر من اجل المبانى وثالث من اجل المساعدات الصحية . وذكر هيلى ايضا ان هذا كان له معنى فى عام ١٩٤٦ وذلك فى جو النشوة التى كانت موجودة فى فترة ما بعد الحرب مع وجود احساس بان هناك توازنا بين الانتاج والاستهلاك ، وعلى اساس ان الاقتصاد البريطانى كان قائما على الاستغلال الاستعمارى . ثم اخيرا عدد هيلى المتغيرات التى طرات على الاقتصاد البريطانى خلال الثلاثين عاما الماضية التى جوهرها انه لم ينم بنفس درجة زيادة الاستهلاك الاجتماعى ، ومن ثم فانه « ليس هناك امام الجميع سوى تقديم بعض التضحيات »!

ولكن سياسة ويلسون وهيلى هذه لم يكن لها أن تمر ، وخاصة ان « التضحيات » المطلوبة استقرت اخيرا لكى تقدمها الطبقات الاكثر فقرا فى المجتمع البريطانى . لذلك لقيت حكومة ويلسون فى ١١ مارس الماضى هزيمة قاسية فى مجلس العموم عندما رفض مشروع الكتاب الابيض باغلبية ٢٨٤ صوتا مقابل ٢٥٦ صوتا . ولكن الضربة الكبرى التى تلقاها ويلسون جاءت من جانب ٣٧ من نواب حزب العمال اليساريين الذين صوتوا ضد مشروع الحكومة ، وهى سابقة جديدة على التقاليد البريطانية البرلمانية التى تجعل اعضاء الحزب يصوتون الى جانب سياساته ايا كانت معارضتهم لها.

وهنا فان ويلسون قام بخطوتين ماهرتين . اولهما توجيه نداء الى الجناح اليسارى فى حزب العمال ناشده فيهما الا يهدد بقاء الحزب فى الحكم باقامة تحالف غير طبيعى مع المعارضة المحافظة ، وبذلك فانه يكون قد حمل اعضاء الجناح مسئولية اسقاط الحكومة العمالية ، بهدف عزل هذا الجناح عن قواعد الحزب ، واضعاف مركزه امام مجموعة النقابات العمالية التى يعتمد عليها ، باعتبار ان معارضة الجناح لرئيس الوزراء ستؤدى الى عودة المحافظين الى الحكم .

والخطوة الثانية تمثلت فى طرح سياسة « حافة الهاوية » على البرلمان حين خير مجلس العموم بين اعطاء الثقة للحكومة ، او اجراء انتخابات سابقة لاوانها .

وقد استجاب الجناح اليسارى لمناورة ويلسون وصوت الى جانب الحكومة فى اقتراع الثقة بها مما مكنها من الاستمرار فى الحكم . وهنا وجد ويلسون ان فى امكانه أن يقدم استقالته وهو فى مركز أقوى نسبيا مما كان . اما مارجريت تاتشر فحاولت استغلال الارتباك الذى ساد فى حزب العمال بان طرحت ضرورة اجراء انتخابات عامة جديدة كأفضل طريقة لاخراج البلاد من جو الاضطرابات الذى نشا من استقالة ويسلون ، واعلنت ان حزبها يستعد للدخول فى معركة الانتخابات خلال الحد الادنى الزمنى وهو ثلاثة اسابيع

وعقب استقالة رئيس الوزراء البريطانى ، اعلن خمسة وزراء ترشيح انفسهم لزعامة حزب العمال ، وبالتالى الحكومة البريطانية . هم جيمس كالاهان وزير الخارجية ، وروى جينكنز وزير الداخلية ، ومايكل فوت وزير العمل ، وتونى بن وزير الطاقة ، وانتونى كروسلاند وزير البيئة . ويرى المراقبون ان كالاهان هو اكثرهم فرصة نظرا لانه يلقى رضا جناحى حزب العمال . ولكن ايا كان الاختيار الذى سيقع عليه اعضاء الحزب ، فان القضية الاولى التى ادت الى اسقاط ويلسون سوف تظل مطروحة وبالحاح شديد على أى من خلفائه ■

تعويضا عن الخسائر التى ستتحملها بسبب اغلاق الحدود مع روديسيا العنصرية التى كانت تصرف ٤٠٪ من صادراتها عبر موانى موزمبيق . والاكثر من هذا ، ان بريطانيا نفسها ايدت قرار موزمبيق بتطبيق العقوبات الاقتصادية ضد روديسيا ، ودعت حكومة سميث الى ضرورة الاسراع فى ايجاد حل سلمى يحقق حكم الاغلبية الافريقية .

وبفشل محادثات بعض القوى الوطنية فى زيمبابوى ، مع ايان سميث بسبب اصرار الاخير على عدم تحقيق حكم الاغلبية قبل ٢٠ عاما بينما رأت هذه القوى ان يتحقق خلال عامين فقط .. اقول : بفشل هذه المحادثات ، سوف تتصاعد بالفعل حالة المواجهة بين حركة التحرر الوطنى الافريقى ككل ، وخاصة فى مناطق الوسط والجنوب من افريقيا ، وبين النظم العنصرية .

وفى هذا المجال ، وانطلاقا من مصالح الدول العربية نفسها ، فضلا عن مصالح حركة التحرر الافريقية بالطبع ، ينبغى ان تتخذ الدول العربية موقف المساندة ضد النظم العنصرية . وتلك مسئولية كل الدول العربية وخاصة التى تقع فى افريقيا وتشارك بعضويتها فى منظمة الوحدة الافريقية .

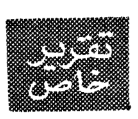
لماذا ؟

لان الدول العربية ، استطاعت ان تجمع حول قضيتها العادلة فى الشرق الاوسط وحقوق شعب فلسطين ، معظم الدول الافريقية وخاصة فى حرب اكتوبر من جهة ثم فى استصدار قرار من الامم المتحدة باعتبار الصهيونية عنصرية. وكان محور دعوة الدول العربية لان تقف دول افريقيا الى جوارها ، هو تشبيه اسرائيل ومطامعها ونظامها بالنظامين العنصريين فى جنوب افريقيا وروديسيا ومطامعهما ضد الدول الافريقية المستقلة المجاورة وعدائهما للشعب الافريقى نفسه .

ومن ثم فان اولى اختبارات وتجارب المواجهة بين الدول الافريقية المستقلة وبين النظم العنصرية ، ينبغى ان تقترن بموقف عربى مساند وفعال للدول الافريقية ، حتى يجوز لنا بعد ذلك الحديث عن اهمية وضرورة التعاون العربى الافريقى من جهة ، ولان قضيتنا العادلة ضد اسرائيل وقضية شعب فلسطين ، لاتزال قائمة ، واحتمالات طرحها على المجتمع الدولى فى الامم المتحدة — حيث تمثل الدول الافريقية نصيبا كبيرا من تصويت الاعضاء — لا تزال واردة .. بل اكيده .

لتعلن الدول العربية مساندتها لافريقيا المستقلة ضد النظام العنصرى فى روديسيا وجنوب افريقيا ، من خلال مواقف عملية بالمساعدة المالية مثلا .. حتى نجد بشكل اكيد مساندة كل افريقيا المستقلة لنا ضد اسرائيل . □

حسين شعلان



المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى

مؤتمـــــر « الفاعليـــــة والجـــودة »

يرى عديد من خبراء الشئون السوفيتية فى العالم ، أن اعادة انتخاب الثلاثى الحاكم فى الاتحاد السوفيتى : **بريجنيف** **وبودجورنى** ، **وكوسيجين** ، اعضاء فى المكتب السياسى ، فى أول جلسة موسعة للجنة المركزية للحزب ، فى ختام اعمال المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى انما تعكس حالة الاستقرار السياسى التى سادت الاتحاد السوفيتى طوال العقد الماضى ، وتسوده فى الوقت الراهن ، كما تشير بصورة ملموسة الى ان سفينة الدولة السوفيتية، تسير فى مياه هادئة بقيادة فريق حاكم متعاون ومجرب .

ولقد اعيد ايضا انتخاب جميع اعضاء المكتب السياسى الذين انتخبوا فى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب ، باستثناء **ديميترى بوليانسكى** وزير الزراعة . وباستبعاده يكون عدد اعضاء المكتب السياسى قد هبط من ١٦ الى ١٤ ، نظرا لاقصاء **الكسندر شيليبين** ، وهو عضو آخر بالمكتب السياسى فى ابريل ١٩٧٥ .

وقد اشار بعض المراقبين السياسيين الى ان استبعاد بوليانسكى « ٥٩ عاما » كان متوقعا ، نتيجة للانتقادات التى وجهت اليه ، لنقص كفاءته الادارية ، ومسئوليته عن سوء محصول الحبوب فى عام ١٩٧٥ ، وان كان بعض المراقبين يضيفون الى تلك العوامل عاملا آخر ، هو ارتباطاته ايضا بالكسندر شيليبين .

الا ان المكتب السياسى استعاد نفس عدد اعضائه الستة عشر ، بتصعيد عضوين احتياطيين به الى عضوين اساسيين ، وهما **جريجورى رومانوف وديميترى اوستينوف** .

ويبلغ جريجورى رومانوف من العمر ٥٣ عاما ، وبذا يكون اصغر اعضاء المكتب السياسى سنا ، وكان عضوا احتياطيا به منذ عام ١٩٧٣ ، وقد حل فى منصب السكرتير الاول للجنة الحزب فى لينينجراد عام ١٩٧١ ، محل **فاسيلى تولستيكوف** الذى تعرض لانتقادات من جانب قيادة الحزب حينذاك .

اما ديميترى اوستينوف ، العضو الثانى الجديد فى المكتب السياسى ، فيبلغ من العمر ٦٨ عاما ، وكان يشغل منذ عام ١٩٦٥ منصب سكرتير اللجنة المركزية فضلا عن كونه حينذاك عضوا احتياطيا بالمكتب السياسى ، ويعتبر متخصصا فى مجالى الصناعة والتسليح ، وقد شغل عدة وظائف حكومية فى هذين القطاعين، فى عهدى **ستالين وخروشوف** .

وبادخال هذين العنصرين الجديدين الى المكتب السياسى ، انخفض متوسط عمر اعضائه عامين ٦٧ الى ٦٥ عاما خاصة اذا ادركنا أن ترتيب اكثر الاعضاء سنا يبدأ **بارفيد بيلشى** الذى يبلغ من العمر ٧٧ عاما ، ثم سوسلوف ٧٤ عاما، وجريتشكو — وبودجورنى ٧٣ عاما ، وكوسيجين ٧٢ عاما ، اما كيريلينكو ، وبريجنيف فسيبلغان السبعين هذا العام .

وعلى هذا النحو ، اصبح المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى يتشكل بعد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب ، وحسب الترتيب الابجدى الروسى من : بريجنيف « سكرتير عام اللجنة المركزية » ، واندروبوف « رئيس لجنة امن الدولة »، وجريتشكو « وزير الدفاع »، وجريشين « سكرتير اول الحزب فى موسكو » ، وجروميكو « وزير الخارجية »، وكيريلينكو « سكرتير اللجنة المركزية »، وكوسيجين « رئيس الوزراء »، وكولاكوف « سكرتير اللجنة المركزية »، وكوناييف « سكرتير اول الحزب فى كازاخستان »، ومازوروف « النائب الاول لرئيس الوزراء » وبيلشى « رئيس لجنة مراقبة الحزب »، وبودجورنى « رئيس الدولة » ورومانوف « سكرتير اول الحزب فى لينينجراد »، وسوسلوف « سكرتير اللجنة المركزية »، واوستينوف « سكرتير اللجنة المركزية »؛ واخيرا شربيتسكى « سكرتير اول الحزب فى اوكرانيا » .

كذلك اضيف عضوان جديدان ، الى سكرتيرى اللجنة المركزية هما : **ميخائيل زاميانين** « ٥٨ عاما » الذى يشغل منذ عام ١٩٦٥ منصب رئيس تحرير صحيفة برافدا ، **وقسطنطين تشيرنينكو** « ٦٥ عاما » وهو مسئول دعاية باللجنة المركزية عمل فى مولدافيا ، وكان عضوا اساسيا باللجنة المركزية منذ ١٩٧١

وبصورة عامة ، يجمع اغلب المراقبين السياسيين على ان انتخاب المكتب السياسى الجديد ، انما يؤكد استقرار الهيئات القيادية بالحزب السوفيتى ، وقوة مركز الرفيق بريجنيف .

كذلك قام المؤتمر الخامس والعشرين بتوسيع عضوية اللجنة المركزية لتناسب الزيادة المطردة فى عضوية الحزب الذى بلغ اكثر من ١٥ مليون عضو ، ولتفى بالاحتياجات الناجمة عن تشعب وتعدد الاختصاصات الجديدة . فقد بلغ عدد اعضاء اللجنة المركزية ٣٨٧ عضوا بزيادة ٤٦ عضوا جديدا عن العدد الذى كانت اللجنة المركزية قد بلغته فى نهاية المؤتمر الرابع والعشرين للحزب فى ابريل ١٩٧١ .

وقد عقد المؤتمر الخامس والعشرون للحزب السوفيتى فى قصر المؤتمرات بالكرملين فى الفتره من ٢٤ فبراير الى ٥ مارس ١٩٧٦ ، وحضره ٤٩٩٨ مندوبا، انتخبوا الى المؤتمر ، وتغيب عنه ١٥ مندوبا لاعذار مقبولة . كما حضر المؤتمر بدعوة من اللجنة المركزية ١٠٣ وفدا من وفود الاحزاب الشيوعية والعمالية والوطنية الديموقراطية ، والاشتراكية من ٩٦ بلدا ، ولم يسبق من قبل ، ان حضر مثل هذا العدد من الوفود التى ضمت شخصيات بارزة فى الحركة الشيوعية والعمالية والوطنية التحررية ، ايا من مؤتمرات الحزب السوفيتى التى عقدت فى الماضى . والاحزاب الشيوعية الوحيدة التى لم تحضر المؤتمر الخامس والعشرين هى الحزب الشيوعى الصينى ، والالبانى، واليابانى .

وقد استعرض المؤتمر واقر بالاجماع التقارير الثلاثة التى قدمت اليه وهى تقرير اللجنة المركزية ومهمات الحزب الراهنة فى ميدان السياسة الداخلية والخارجية الذى قدمه الرفيق بريجنيف سكرتير عام الحزب ، وتقرير لجنة التفتيش المركزية الذى قدمه رئيس لجنة التفتيش سيزوف ، وتقرير « الاتجاهات الاساسية لتنمية الاقتصاد الوطنى فى الاتحاد السوفيتى للسنوات ١٩٧٦ — ١٩٨٠ » الذى قدمه اليكسى كوسيجين

رئيس الوزراء • كما قام المؤتمر في الختام بتنفيذ البند الرابع والاخير في جدول اعمال المؤتمر وهو انتخاب هيئة الحزب المركزية •

وقد القى كلمات في المؤتمر • بعض الاعضاء البارزين في المكتب السياسي من بينهم بصفة خاصة • فلاديمير شيربتسكي • وفيكتور جريشين • ودين محمد كوناييف • وجريجوري رومانوف • وقد اشار عدد من المراقبين الى ان خطاب شيربتسكي قد يكون من اهم الخطابات التي القيت • وقد تحدث فيه عن العلاقات بين الحزب السوفيتي • والاحزاب الشيوعية الاخرى • وشن هجوما على الاتجاهات المنحرفة يمينا او يسارا • كما اشاروا ايضا الى انه من بين الخطابات الهامة ايضا خطاب فيكتور جريشين الذي هاجم بعنف الرأسمالية والماوية بسبب حملتهما على الاتحاد السوفيتي مؤكدا ان هذه الحملة التشهيرية لابد ان تفشل• واوضح جريشين • أن الدعاية الرأسمالية تبذل الجهود الكبيرة للتشنيع على المجتمع السوفيتي • واعطاء صورة سيئة عن الحياة الاجتماعية والسياسية فيه •ولكن الشعب السوفيتي – كما قال – على علم بقوانين الذئب الراسمالية • ولن ينخدع بالحرية البورجوازية الوهمية •

اما تقرير اللجنة المركزيه • وهو التقرير الرئيسي في المؤتمر الذي القاه الرفيق ليونيد بريجنيف فقد كان بمثابة عرض لحصيلة السنوات الخمس الماضية منذ انعقاد المؤتمر الرابع والعشرين •وتحديدا للسياسة التي سيتبعها الحزب والبلاد في السنوات الخمس القادمة • وقد كان هذا التقرير في الواقع البرنامج السياسي والاقتصادي الذي تم على اساسه تثبيت واعادة انتخاب القيادة السوفيتية بوضعها الراهن •

وقد انقسم تقرير بريجنيف الى قسمين رئيسيين • الاول عن « الوضع في العالم • والنشاط الدولي للحزب الشيوعي السوفيتي » ويتعلق بسياسة الحزب الخارجية • والثاني عن «نتائج الخطة الخمسية • والمهمات الاساسية لسياسة الحزب الاقتصادية » وهو يتعلق بمختلف الشئون الداخلية .

وفي الجزء الثاني الخاص بالسياسة الداخلية • اوضح بريجنيف « اننا حققنا – في الخطة الخمسية التاسعة • اى الماضية • زيادة لم يسبق لها مثيل في اى خطة خمسية سابقة • في ميادين الانتاج الصناعي والاستثمارات الاساسية والاعتمادات التي تخصصها الدولة لتطبيق اجراءات جديدة للنهوض برفاهية الشعب » •

واشار الى ان الاتحاد السوفيتي لم يعد يحتل المرتبة الاولى في العالم في انتاج الفحم والحديد والاسمنت فحسب • وانما اصبح يمثل هذه المرتبة ايضا في انتاج الصلب • والبترول والاسمدة المعدنية • واوضح ان حجم الانتاج الصناعي ازداد خلال تلك الخطة بنسبة ٤٣ في المائة كما ازدادت ارصدة الانتاج الاساسية بنسبة ٥٠ في المائة « خلال خمسة اعوام فقط » اما بالمقارنة مع عام ١٩٦٥ فقد ربت الزيادة عمليا على ١٠٠ في المائة • وقال « انه خلال عشر سنوات فقط • تمكنا من ان نضيف الى القدرة الاقتصادية التي انفقنا زهاء نصف قرن في اشادتها • قدرة تماثلها •

وفيما يتعلق بالنهوض بمستوى معيشة الشعب باعتباره المهمة الرئيسية التي حددها المؤتمر السابق اشار الى « ان تاريخ البلد لم يشهد برنامجا اجتماعيا يضاهي في سعة البرنامج الذي تم انجازه خلال الفترة بين المؤتمرين • فقد ارتفعت الدخول الفعلية للفرد بمقدار الربع تقريبا • ثم تحسين الظروف السكنية لـ ٥٦ مليون نسمة • وادخلت زيادات على رواتب المتقاعدين والاعانات التي تدفع للعمال والمستخدمين والكولخوزيين والمنح الدراسية للطلبة •

وفيما يتعلق بالانتاج الزراعي اشار بريجنيف الى ان زيادة الانتاج الزراعي استمرت عموما • فقد كان المتوسط السنوي لمجمل الانتاج يزيد بنسبة ١٣ في المائة عن الخطة الخمسية الثامنة • وارتفع المعدل السنوي لانتاج الحبوب بمقدار ١٤ مليون طن • كما ازداد انتاج اللحوم والالبان والمنتجات الحيوانية الاخرى •

وجدير بالذكر ان بريجنيف قدم • في هذا المجال • نقدا لبعض النواقص والاخطاء في ادارة الاقتصاد • وخاصة فيما يتعلق باستخدام الموارد • ونوعية المنتجات المصنوعة في مجال السلع الاستهلاكية • وقد اوضح « ان تطوير واتقان التخطيط واعادة بناء جهاز التشييد الاقتصادي • ونهج زيادة الانتاج • كان يجري بمعدلات ابطأ من المقرر • وان جزءا من القدرات الانتاجية لم يتم تشغيله او لم يدخل حيز العمل في الموعد المحدد • وما برحت مسالة ادخال منجزات العلم والتكنيك في العديد من فروع الانتاج موطن ضعف لدينا • على الرغم من ان هذه المسألة طرحت مرارا وبكل اصرار • ولم نتمكن من ان نتخلص من ظواهر فرق الانضباط في مجال التخطيط والتكنولوجيا والعمل » •

اما فيما يتعلق بالخطة الجديدة «١٩٧٦ – ١٩٨٠ » « العاشرة » فقد اوضح انه من المؤمل ان يرتفع فيها متوسط اجور العمال والمستخدمين بنسبة ١٦ – ١٨ في المائة • وتزداد دخول الكولخوزيين بنسبة ٢٤ – ٢٧ في المائة وسوف تطرأ زيادة تتراوح بين ٢٨ – ٣٠ في المائة على ما يتقاضاه السكان من ارصدة الاستهلاك الاجتماعية على شكل مدفوعات مالية او تسهيلات •

واوضح بريجنيف ان «عماد استراتيجية الحزب الاقتصادية • الذي تقوم عليه الخطة الخمسية العاشرة والمشاريع طويلة الامد •يتمثل في مواصلة تصعيد الجبروت الاقتصادي للبلد • وتوسيع الارصدة الانتاجية • وتجديدها جذريا وضمان نمو مستقر ومتوازن للصناعة الثقيلة • باعتبارها اساس الاقتصاد » •

واشار الى ان بعض الخصائص الرئيسيه للخطة العاشرة تتمثل في هذين الجانبين • فعالية الانتاج • وجودة نوعه• موضحا « ان الحزب يعتبر مواصلة تطوير الزراعة • اكبر مهمة تضطلع بها الدولة باسرها والشعب باجمعه » •

ووجه سكرتير عام الحزب السوفيتي انتقادا لبعض الهيئات العاملة في مجال انتاج الصناعات الخفيفة على اساس « ان هيئات التخطيط والادارة الاقتصادية المركزية • لم تبد قدرا كافيا من الرعاية للصناعات الخفيفة والغذائية » •• « فان هناك من لم يتمكن بعد من ان يتخلص كليا من النظرة التي تعتبر انتاج السلع الاستهلاكية مسألة ثانوية جانبية• وثمة من لم يدرك حتى الان ان هذه مسألة على جانب عظيم من الاهمية السياسية والاقتصادية ولها علاقة مباشرة بتنفيذ الارشادات البرنامجية للحزب »•• وبهذا الصدد اوضح الزعيم السوفيتي : « ويحق لنا محاسبة الوزراء الذين اوكلت اليهم ادارة هذه الفروع • والمسئولين الذين لم يفوا بالتزاماتهم بتشغيل القدرات الجديدة في مواعيدها ولم يؤمنوا لهذه الفروع المواد الخام والمعدات الممتازة »•

وفيما يتعلق بالتطورات التي تحققت في المجال الداخلي الاقتصادي • اشار اليكسي كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي في تقريره ايضا الى ان الاتحاد السوفيتي استطاع خلال السنوات الخمس الماضية• تجاوز الغرب الصناعي بتحقيق معدل نموا في الانتاج الصناعي • يبلغ ٧ر٤ في المائة في المتوسط كل عام • بينما لم يتعد هذا المعدل في الولايات المتحدة ودول السوق الاوربية المشتركة ١ر٢ في المائة• كما بلغ معدل التوسع السنوي ٩ر٦ في المائة • بينما لم تتجاوز هذه النسبة في الغرب ٤ر٦ في المائة • واكد كوسيجين انه بالاضافة الى ان الاتحاد السوفيتي اصبح الدولة الاولى في العالم في انتاج خام الحديد •والمنجنيز •والكروم •والفحم• والاسمنت•والاسمدة الكيماوية •وجرارات الديزل • والقاطرات • وانواع اخرى من المنتجات • فانه تفوق على الغرب ايضا خلال الخطة الخمسية الاخيرة • فيما يتعلق بانتاج الصلب « ١٤١ مليون طن » والبترول « ٤٩١ مليون طن » والاسمدة الكيماوية « ٩٠ مليون طن » •

وتحدث بريجنيف في تقريره عن مواصلة تطوير الحزب الشيوعي •والقضايا المتعلقة بسياسة الكادر • واوضح ان الحزب الشيوعي اصبح يضم حاليا ١٥ مليونا و ٦٩٤ الف عضو بزيادة ٦ر٢ مليون عضو عما كان عليه خلال المؤتمر ٢٤ • ويشكل العمال ٦ر٤١ في المائة منهم • والكولخزيون ٩ر١٣ في المائة والمهندسون والفنيون حوالى ٢٠ في المائة وشخصيات العلم والادب والفن والعاملون في حقل التعليم والصحة وفي الجهاز الاداري والعسكريون اكثر من ٢٤ في المائة • وعلى هذا النحو فان حوالى ٨٠ في المائة من اعضاء الحزب • هم عموما ممن يعملون في ميدان الانتاج المادي الذي هو الميدان الحاسم في حياة المجتمع•

وقد استبعدت من الحزب عضسوية ٣٤٧ الف شخص « وهؤلاء هم – حسب ماذكر سكرتير عام الحزب – الذين انحرفوا من اصول الحياة الحزبية ، واخلوا بالانضباط ، وفقدوا صلتهم بالتنظيمات الحزبية » . كما اوضح ايضا ان اوسع منظمة اجتماعية وهى النقابات تضم فى صفوفها اكثر من ١٠٧ مليون عضو ، فى حين يبلغ عدد اعضاء الكومسمول « منظمة الشباب » ٣٥ مليون فرد « يشكلون عونا للحزب، « واحتياطيا كفاحيا مباشرا له »، واشار بريجنيف فى ختام هذا الجزء الى ان الاتحاد السوفيتى بصدد اعداد مشروع دستور جديد يجرى العمل فيه بعناية لتحديد مبادىء قيادة الاقتصاد الوطنى ، ودور الدولة فى حياة المجتمع الروحية ، وفي ضمان الظروف اللازمة لتنمية العلوم والتعليم العامة والثقافة ، وتحديد هدف الدولة الاسمى وهو « بناء المجتمع الشيوعى » .

وفى الجزء الاول من التقرير ، والذى خصصه بريجنيف عن « الوضع فى العالم والنشاط الدولى للحزب الشيوعى السوفيتى » ، اشار سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى الى « الانتصار الذى حققه الشعب الفيتنامى ، والذى ادى الى « اخفاق اكبر محاولة للامبريالية بعد الحرب العالمية الثانية للقضاء بالقوات المسلحة على دولة اشتراكية ولسحق ثورة تحررية وطنية » وقال « ان السوفيت يفخرون لكونهم قدموا عونا غير قليل لفيتنام فى نضالها ضد المغتصبين الامبرياليين » واشار الى حصول لاوس وكمبوديا على حريتهما ، والى الاعتراف بسيادة جمهورية المانيا الديموقراطية ، وانضمامها الى هيئة الامم المتحدة والمصادقة دوليا على ثبات الحدود الغربية لالمانيا الديموقراطية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا . كما اشار الى نجاح الاشتراكية فى تثبيت أقدامها فى كوبا ، وفشل جهود الامبريالية الامريكية التى لاتزال تتمسك بسياسة الحصار الدبلوماسى والاقتصادى .

واشار بريجنيف ايضا فى هذا الجزء من تقريره الى « ان الاسرة الاشتراكية اصبحت الان اكثر القوى الاقتصادية ديناميكية فى العالم . وتقدمت صناعة البلدان المنتمية اليها فى السنوات الخمس الماضية بسرعة تفوق سرعة تقدم الصناعة فى الدول الراسمالية بأربع مرات . وفى عام ١٩٧٥ انتجت بلدان اسرتها من المنتجات الصناعية اكثر مما انتجته بلدان « السوق المشتركة » بمرتين واكثر كما اشار الى نمو تجارة الاتحاد السوفيتى مع بلدان مجلس التعاون الاقتصادى « الكوميكون » بحيث اصبحت تبلغ الان ٢٦ مليار روبل فى السنة .

وتحدث بريجنيف ايضا عن تلك المسألة التى تتسم بالحدة بصورة خاصة وهى مسألة العلاقات مع الصين ، وقال : « ان سياسة قادتها الحاليين موجهة بصراحة ضد غالبية الدول الاشتراكية ، بل واكثر من ذلك فهى تلتقى مباشرة مع موقف اكثر القوى الرجعيه تطرفا فى العالم ». واوضح « اننا سوف نناضل ضد الماوية نضالا مبدئيا ، نضالا لاهوادة فيه » . الا انه اوضح كذلك « اننا مستعدون لتسوية العلاقات مع الصين على اساس مبادىء التعايش السلمى . بل واكثر من ذلك ، يمكن القول بثقة انه اذا عادت بكين الى السياسة القائمة فعلا على اساس الماركسية اللينينية ، وتخلت عن الخط المعادى للبلدان الاشتراكية وسلكت طريق التعاون والتضامن مع العالم الاشتراكى ، فان هذا سيجد صدى مناسبا من جانبنا ، وستتاح الفرصة بذلك لتطوير علاقات طيبة بين الاتحاد السوفيتى وجمهورية الصين الشعبية ، علاقات تتفق مع مبادىء الاممية الاشتراكية فالكلمة للجانب الصينى » .

وفيما يتعلق بتدعيم التعاون مع البلدان المتحررة وزيادة دورها فى التطور العالمى اشار الى « ان بعض الانظمة والمنظمات السياسية التى اعلنت اهدافا اشتراكية والتى تجرى تحويلات تقدمية ، تعرضت لضغط شديد من الرجعية الداخلية ، والخارجية ، وان الحملة الاخيرة التى شنتها الاوساط اليمينية على حكومة انديرا غاندى ، ومحاولات نسف الانجازات الاجتماعية والسياسية للثورة المصرية ، هما مثالان على هذا التطور للحوادث ».

الا انه اكد بعد ذلك « ان البلدان المتحررة ، تستطيع تماما ، وعلاقات القوى الطبقية العالمية ما هى عليه الان، ان تصمد للتحكم الامبريالى ، وان تحقق علاقات اقتصادية عادلة ، اى متكافئة ».

وفيما يخص العلاقات مع الاقطار العربية قال بريجنيف : « لقد قام تفاهم جيد فى السنوات الخمس الماضية بيننا وبين سوريا ، ونعمل بشكل منسق معها فى كثير من القضايا الدولية ولا سيما مشكلة الشرق الاوسط . وكان عقد معاهدة الصداقة والتعاون مع العراق والتى على اساسها تتطور علاقاتنا معه ، حدثا هاما ، ويتسع التعاون ويزداد عمقا مع الجزائر واليمن الجنوبية ، وتحققت خطوات كبيرة فى تنمية العلاقات السوفيتية – الليبية ، وقويت الاتصالات الودية بمنظمة التحرير الفلسطينية . ولكن قوى معينة تبذل فى الاونة الاخيرة محاولات دائبة لتقويض العلاقات السوفيتية – المصرية . اما فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتى فاننا نظل اوفياء للخط المبدئى فى تدعيمها » .

واشار بريجنيف الى ان خطر نشوب حرب فى الشرق الاوسط « سيظل قائما مادام الجيش الاسرائيلى باقيا فى الاراضى المحتلة ، وسيظل قائما مادام مئات الالوف من الفلسطينيين الذين طردوا من اراضيهم محرومين من حقوقهم الشرعية، ويعيشون فى ظروف فظيعة ، ومادام الشعب العربى الفلسطينى محروما من امكانية انشاء دولته الوطنية » . كما انتقد « اولئك الذين ، سعيا وراء اهدافهم الانانية ، يجعلون من التسوية فى الشرق الاوسط مادة للعب السياسى ، ويستغلون الاتفاقيات الجزئية الانفرادية لابعاد موعد الحلول الحقيقية بل ولتعريضها عموما للخطر » .

واعلن استعداد الاتحاد السوفيتى للاشتراك فى ضمانات دولية لامن وحرمة حدود جميع بلدان الشرق الاوسط فى نطاق الامم المتحدة او على اساس آخر، واشار الى امكانية مشاركة بريطانيا وفرنسا بالاضافة الى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى تقديم هذه الضمانات « فلن يكون من ذلك غير الفائدة » .

واشار ليونيد بريجنيف اشارة لها مغزاها بالنسبة لتطوير العلاقات مع مختلف بلدان الشرق الاوسط بقوله : « اننا من انصار توفير الظروف اللازمة لتطوير علاقاتنا مع كل بلدان الشرق الاوسط ، وليست لدينا فكرة مسبقة ضد اى واحد منها » .

كما اعرب عن اهتمام اللجنة المركزية اهتماما كبيرا بتطوير العلاقات الطبيعية بل والودية حيثما امكن مع دول آسيا ، وخاصة مع الهند التى اولى الصداقة معها اهتماما خاصا .

وفيما يتعلق بتطور العلاقات مع الدول الرأسمالية « اشار بريجنيف الى انه فيما يتعلق باوربا ، فان التغيرات التى تحدث باتجاه الانفراج وتدعيم السلام هناك ، محسوسة بشكل خاص . وليس هذا طبعا بفعل المصادفات لان مواقع الاشتراكية هى اقوى ماتكون فى اوربا»، واشار بهذا الصدد الى تطور تعاون الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى بنجاح مع فرنسا وكذلك حدوث انعطاف كبير فى العلاقات السوفيتية – الالمانية الغربية على اساس معاهدة ١٩٧٠ ، انطلاقا من تخلى بون عن مطالب تغيير الحدود الاوربية القائمة واشار الى المانيا الغربية باعتبارها « من شريكاتنا الكبيرات فى التعاون الاقتصادى والتجارى القائم على اساس النفع المتبادل مع الغرب .

بيد انه من الواضح ان بريجنيف اتخذ موقفا متشددا بارزا فيما يتعلق باتفاقية برلين بين الدول الاربع لعام ١٩٧١ ، واوضح ان بعض المشتركين فيها لايبذل كل شىء من اجل احترام الاتفاقية ولذا « فسوف نصر على التقيد بشكل صارم وكامل بكل ما اتفق عليه ، فالاتحاد السوفيتى يريد ان تعيش برلين الغربية عيشة هادئة وطبيعية » ، واوضح «انه على وجه العموم يمكن القول ان علاقاتنا مع البلدان الاوربية الغربية بانها ايجابية ويصح هذا ايضا على بريطانيا وايطاليا كما اكد على ان التنمية الاساسية لتطوير العلاقات السوفيتية – الامريكية فى السنوات الخمس الاخيرة هى التقليل الى حد معين من خطر نشوب الحرب النووية ». كما اشار ايضا الى ان تطور العلاقات السوفيتية – الامريكية الايجابى بشكل عام فى السنوات الاخيرة تعقده عدة عوامل غير قليلة الاهمية اذ تحاول مرقلة

قوى ذات نفوذ فى الولايات المتحدة ليست لها مصلحة فى تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ولا فى تخفيف التوتر الدولى بجمله ، قوة تدعو الى تشديد سباق التسلح من جديد فى الولايات المتحدة وحلف الاطلنطى • كما اشار ايضا الى التعقيدات المعينة الناجمه ايضا عن تلك الجوانب من سياسة واشنطون التى تهدد حرية الشعوب واستقلالها ، وتشكل تدخلا فظا فى شئونها الداخليه فى جانب قوى الاضطهاد والرجعية • واعرب عن معارضة الاتحاد السوفيتى الثابتة لهذه الاعمال • مع عزمه « كل العزم على اتباع خط تحسين العلاقات السوفيتية - الامريكية » •

واشار الى التطور الايجابى على العموم للعلاقات السوفيتية اليابانية لكنه « اعرب عن الامل بألا تقع اليابان فى الاغراء وتسلك الطريق الذى يريد ان يدفعها اليه من ليس عنده مانع بأن يستفيد من الخلافات السوفينية اليابانية، وبالاضافة الى كل ذلك دحض بريجنيف اسطورة « الخطر السوفيتى » مؤكدا « انه لايوجد بالطبع اى خطر سوفيتى لا على الغرب ولا على الشرق • وكل هذا كذب بشع من دولة الى اخرى فالاتحاد السوفيتى لاينوى الهجوم على احد • وليس للاتحاد السوفيتى من حاجة الى الحرب » ، كما طالب بضرورة تدعيم الانفراج السياسى بانفراج عسكرى • مع وجوب السعى الى عقد معاهدة عالمية بعدم استخدام القوة فى العلاقات الدولية•

ومن اهم ما اشار اليه فى حديثه عن « الحزب الشيوعى السوفيتى والعملية الثورية العالمية » هو « ان الشيوعيين بعيدون عن التكهن بالانهيار التلقائى الى الراسمالية • فلا تزال عندها احتياطيات غير قليلة • ولكن حوادث السنوات الاخيرة تؤكد قوة جديدة ان الراسمالية هى مجتمع لا مستقبل له » • ودعا الى استخلاص الدروس من تجربة الثورة المضادة فى شيلى على اساس وجوب ان تعرف الثورة كيف تدافع عن نفسها، وان تكون هناك يقظة حيال الفاشية العصرية وحيال دسائس الرجعية الاجنبية كما اشار الى انه من الظواهر البارزة مع السنوات الخمس الماضية تعاظم نفوذ الاحزاب الشيوعية فى العالم الرأسمالى ، فقد زاد عدد اعضائها قرابة مليون شخص منهم حوالى ٤٠٠ الف فى اوربا الغربية ، وزاد كثيرا عدد الناخبين الذين يصوتون للشيوعيين فى انتخابات البرلمانات والهيئات المحلية •

وقرب ختام هذا الجزء من تقريره اشار بريجنيف الى ان الانفراج لايلغى البتة ، ولايمكن ان يلغى او يطير قوانين الصراع الطبقى • وليس بوسع احد ان يأمل فى ان الشيوعيين سيهادنون فى ظل الانفراج ، الاستغلال الرأسمالى او فى ان يصبح الاحتكاريون ، انصارا للثورة •

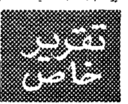
وجدير بالذكر ان المارشال اندريه جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى اشار فى ١٧ مارس ١٩٧٦ فى تقرير له عن المؤتمر الخامس والعشرين الى « ان الاتحاد السوفيتى سوف يدعم قدرته العسكرية خلال ١٩٧٦ ، وخلال السنوات الخمس التالية ، ومما له دلالة انه اشار ايضا الى « ان عام ١٩٧٦ ينبغى ان يصبح عام تزايد الثورة القتالية لقواتنا العسكرية » • واضاف قائلا « ان الموقف الدولى للاتحاد السوفيتى اشد صلابة من اى وقت مضى ولكن هناك فى نفس الوقت اخطار نشوب حرب ، وهى اخطار تتطلب دعم القدرة الدفاعية لدولتنا وزيادة قدرة قواتنا المسلحة ، وان نكون مستعدين للقتال » •

هذا وقد اشارت وكالة تاس فى ٥ مارس الماضى الى ان ليونيد بريجنيف وسائر اعضاء المكتب السياسى وسكرتيرى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى عقدوا اجتماعا بعد المؤتمر الخامس والعشرين مع رؤساء وفود الاحزاب الشيوعية الذين جاءوا الى موسكو لحضور المؤتمر •وحضر هذا الاجتماع السكرتيرون الاول للاحزاب الشيوعية • جيفكوف « بلغاريا » ، كادار « المجر »، لى دوان « فيتنام الشمالية » ، هونيكر « المانيا الديموقراطية »، كاسترو «كوبا» تسيدنبال « منغوليا »، جيريك «بولندا »، شاوشيسكو « رومانيا » ، هوساك «تشيكوسلوفاكيا »، دولانك «يوغسلافيا»• الا ان الوكالة السوفيتية لم تذع شيئا عن جدول اعمال هذا الاجتماع او عما دار فيه من مباحثات •

وفى ختام تقريره الى المؤتمر الخامس والعشرين قال الرفيق ليونيد بريجنيف عن العلاقة بين الشعب السوفيتى والحزب وان الشعب السوفيتى يعرف انه حيث يكون الحزب ، يكون النجاح ، ويكون النصر ، وهو يثق بالحزب ، ويؤيد كل التاييد سياسته الداخلية والخارجية »•

« ولكن الشيوعيين ايضا يعرفون ان الشعب الذى اوكل اليهم قيادة البلد هو شعب لا ينظر له فى اجتهاده وبسالته وجلده • وسخاء نفسه • وموهبته ، وذكائه • انه شعب لاتلين له قناة ، فى السنوات العجاف يتالم لكل خطأ فى عمله الجبار ، ولا يتبجح بمنجزاته ، ولكنه لايستهين بها • انه متجاوب مع افراح الشعوب الاخرى ، واحزانها ، ومستعد لمساعدتها فى نضالها من اجل العدل والحرية والتقدم الاجتماعى • ان الشعب السوفيتى ، شعب عظيم حقا ، وبطل حقا » ■

خيرى عزيز



حول المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى الفرنسى
الطريق الفرنسى الى الاشتراكية

عقد فى باريس فى شهر فبراير الماضى المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى الفرنسى • وقد صاحب انعقاده ضجة تصم الاذان ، خصوصا فى جبهات اليمين العالمى • وعلى سبيل المثال نشرت صحيفة **ليموند** الفرنسية المعروفة بمعاداتها للماركسية مقتطفات من مؤلفات **ماركس ولينين** حول « ديكتاتورية البروليتاريا » لتؤكد خروج الحزب عليها • بل لقد ذهب احد محرريها فى التعليق على ما اسماه « بأزمة الحزب » الى حد الزعم بانه لم يبق فى الحزب الشيوعى الفرنسى شىء من اصول الحركة الشيوعية سوى القاعدة التنظيمية المعروفة « بالمركزية الديموقراطية » • ثم زايد بعض كتاب اليمين فاذاعوا ان الحزب تنكر لتراث الطبقة العاملة الفرنسية ! وادعوا انه اعلن ان لواء القيادة الثورية لم يعد معقودا لها، وانه وضع نفسه فى الصفوف المعادية للسوفييت، على ان اى تقييم موضوعى لاعمال مؤتمر الحزب الشيوعى الفرنسى ومناقشاته سوف يرى ان وثائق هذا المؤتمر توضح ان هذا الحزب يتقدم فى ثقة طبقا لخطة هجومية واسعة •

فهو يضم اليوم نصف مليون من الاعضاء ، وانضم الى صفوفه خلال السنة الماضية ٩٥ الف عضو جديد . وهو يتبوأ مركزا القيادة لا بالنسبة للطبقة العاملة الفرنسية فحسب ، بل للجماهير الواسعة من الكادحين والمثقفين والفلاحين . ومن المعروف ان اتحاد اليسار الذى يشترك فيه كاد أن يكسب الاغلبية فى انتخابات الرياسة منذ سنتين . وجاءت الانباء ، منذ ايام ، تفيد أن هذا الاتحاد اكتسح انتخابات المجالس المحلية . وهذه الانتصارات هى التى تفسر الهجمات المحمومة على الحزب من دوائر اقصى اليمين فى أوروبا وأمريكا ، حتى ان هذه الدوائر لم تعد تجد من حجة اليوم سوى اتهام الحزب الشيوعى الفرنسى بانه ليس شيوعيا .

ويرى المراقبون أن وثائق المؤتمر تقدم خلاصة التجربة الثورية كما تبدو فى فرنسا اليوم . وهذا ما يتضح بالنظر الى الاوضاع العامة السائدة هناك .

ازمة فرنسا

وصلت ازمة النظام فى فرنسا الى مرحلة دقيقة للغاية ، لخاصة بعد أن فقدت « الامبراطورية » الفرنسية مستعمراتها الواحدة بعد الاخرى . وفى الفترة الاخيرة جدت فى أوروبا أوضاع تضاعف من متاعب النظام : فقد سقطت الفاشية فى البرتغال وهى تترنح فى اسبانيا . كما أن ايطاليا مقبلة على تغييرات عميقة . وفى نطاق هذه الظروف رفع حكم الرئيس جيسكار ديستان شعار التغيير . غير ان ماحدث هو ان عدد المتعطلين ارتفع الى المليون فرنسى ثم طبقت الحكومة اجراءات التقشف ، وضيقت على الحريات ، وابدت تراجعا امام السياسة الامريكية فى الميادين الاقتصادية والسياسية والعسكرية والمالية . واستشرى فى فرنسا تضخم حاد .

ويرى اليسار الفرنسى ان هذه الاوضاع لا يفيد منها سوى حفنة صغيرة من كبار الاحتكاريين الفرنسيين المرتبطين بالاحتكارات العالمية . وان سياسة هذه الحفنة من الاحتكاريين تضر أشد الضرر بمصالح فرنسا القومية وبمصالح شعبها . كما يرى اليسار الفرنسى أن هذه الاوضاع تدفع جماهير واسعة فى فرنسا للنضال ضد الاحتكارات . اذ لم تعد القضية المثارة اصلاح امور هنا او هناك ، بل استبدال النظام السياسى والاقتصادى القائم بآخر ، وفتح السبيل لقيام الاشتراكية . ولم يؤكد اليسار ان القضية اجتماعية فحسب ، بل قضية وطنية ، قضية الدفاع عن السيادة الفرنسية على شئونها واستقلالها القومى عن الامبريالية العالمية وسيدتها الولايات المتحدة .

وتعم ضرورة التغييرات الجذرية جميع الميادين . فقد قامت اضطرابات الجنود لا لتبين سخطهم على اوضاعهم المعيشية فحسب ، بل لتدل على أن الجيش الفرنسى لم يعد يحتمل بقاء الفاشيين وقادة الجيش السرى السابق فى المراكز العليا . وجاءت فضيحة الرشاوى التى تلقاها احد الضباط العظام من شركة أسلحة امريكية لتكشف اتجاه الطبقة الحاكمة . وبات كبار الرأسماليين يلجأون الى المرتزقة المسلحين والعصابات الخاصة فى أعمال القمع الموجهة ضد اضرابات العمال وحركات الكادحين .

ومن وثائق المؤتمر ، والمناقشات الواسعة التى سبقته ، يظهر أن الحزب الشيوعى الفرنسى يقف على رأس الموجة الشعبية الواسعة المعارضة للنظام . ومنذ مدة نشرت جريدة ليموند نفسها مجموعة من التحقيقات عن الجماعات اليسارية المختلفة التى عبرت عن نقدها للحزب ، ولكنها اعترفت فى الوقت نفسه — فى وضوح — بقوة جذوره فى الطبقة العاملة وقيادته الراسخة لها .

قضايا جديدة

واذا كانت أوساط يمينية معينة قد أبرزت بعض النقط على اعتبارها « مفاجئات وخيانة للماركسية » ، فالحقيقة ان الموضوع يستحق الوقفة .

فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وخاصة بعد المؤتمر العشرين للحزب السوفيتى ، برزت فى المقدمة قضايا سياسية محورية فى الحركة الشيوعية العالمية . واتسع نطاق مناقشتها بفضل قدرة هذه الحركة على التخلص من الجمود العقائدى واستفادتها من نقد الاستالينية ، وتمكنها بالتالى من مواجهة الاوضاع العالمية والمحلية الجديدة التى تعيشها الان حركة الشعوب النضالية .

ولعل أولى هذه القضايا ان تقلص المعسكر الامبريالى ، والازمة الدائمة المتزايدة حدة للنظام الراسمالى ، والمد الثورى العارم على النطاق العالمى ، قد انضجت الظروف الملائمة فى بلدان مختلفة ، وفى اشكال خاصة بها . وكان قرار حل الدولية الثالثة (الكومينترن) تسجيلا لهذا الوضع . ونشير مثلا الى موضوع التطور اللارأسمالى بالنسبة للبلدان المختلفة . وثمة قضية أكثر ارتباطا بالموضوع الذى نعالجه هنا ، وهو امكانية الانتقال الى الاشتراكية باشكال تتفق مع التقاليد الديمقراطية والبرلمانية الراسخة فى بعض البلدان الغربية . والحق أن هذه القضية ليست جديدة من الناحية النظرية . فقد سبق أن اثارها مؤسسو الماركسية اللينينية ، ولكن الظروف لم تكن فيما مضى ناضجة لكى تأخذ وضعا واقعيا ملموسا .

وفى نظر الحزب الشيوعى الفرنسى — ونعتقد أن هناك احزابا شيوعية اخرى قريبة من هذا التفكير — فهذه الامكانية موجودة فى فرنسا فى المرحلة الحاضرة . فالاحتكاريون الممسكون بزمام الامور فى باريس حفنة قليلة ، والمصالح الحقيقية للغالبية الساحقة من الفرنسيين فى تعارض شديد معهم . ومن المستطاع أن تفرض هذه الاغلبية ارادتها — اذا اتحدت فى النضال — سيرا مع التقاليد الديمقراطية العريقة فى فرنسا . تلك التقاليد التى قامت لا منحة من البورجوازية الفرنسية بل بفضل النضال الضارى للشعب الفرنسى وعلى رأسه الطبقة العاملة .

لقد نجحت الثورة الروسية ، عام ١٩١٧ ، بعد أن كسب البلاشفة الى جانبهم اغلبية الاعضاء فى المجالس (السوفيتات) فى المدن الرئيسية ، طبقا لتوقعات لينين . ولكن هذه الثورة كانت لها ظروفها . ويرى الحزب الشيوعى الفرنسى أن هذا الوضع لا يمكن أن يتكرر بصفة عامة فى فرنسا . وقد ذكر جورج مارشيه فى خطابه امام المؤتمر أن الانسان لا يستطيع ان يتنبأ بتفاصيل السير نحو الاشتراكية فى فرنسا ، ولكن الاغلبية السياسية والاغلبية العددية يجب أن تنطبقا فى كل مرحلة من مراحل هذا الطريق .

وفى المناقشات ، اثيرت تجارب شيلى والبرتغال . واستخلص منها الكثيرون فكرتين اساسيتين : اما الاولى فهى أن قيام القوات المسلحة الفرنسية بالدور الطليعى فى التحويل السياسى أمر مستبعد تماما . واما الثانية ، فهى أن التجربتين تثبتان ان التأييد الجماهيرى المنظم تحت قيادة الطبقة العاملة هو الضمان الحاسم للنجاح . واكد الحزب انه يرفض القمع والاجراءات الادارية كبديل للنضال الجماهيرى السياسى والفكرى ، وانه يكافح من أجل مجتمع تجد فيه جميع الاراء — بما فيها تلك المعارضة الاشتراكية — مجالا حرا ، مع قيام الحزب الثورى الطليعى بنضاله المستمر وحيلولته دون أن يفرض كائنا من كان رأيه بالقوة على ما تقرره الاغلبية بشكل واع .

ويجب الاشارة هنا الى ان خط الحزب الفرنسى فى هذا الشأن لم يظهر فجأة بمناسبة انعقاد مؤتمره الثانى والعشرين . ففى السنوات الاخيرة ، اصدر ما يسمى « ببيان شامبينى » ، كما نشر سكرتيره جورج مارشيه كتابا بعنوان « التحدى الديمقراطى » ، والاثنان احتويا بوادر هذا الاتجاه بعينه .

وقضايا مازالت صحيحة :

ولكى ندرك ما يقصده الحزب من الغاء النص على « ديكتاتورية البروليتاريا » فى مقدمة لائحته ، يجب أن نضع هذا الموقف فى الاطار المتكامل لخطة واوضاع نضاله .

● فليست القضية أن يدعو الحزب الى توجيه المجتمع بالتعاون مع ممثلى الرأسمال الكبير . ومازال رأيه أن الطبقة العاملة وحلفاءها ينبغى الا يشركوا المستغلين السابقين فى السلطة الجديدة . وقال مارشيه فى « التحدى الديمقراطى» **ان الواجب هو استبدال مندوبى الاحتكارات بممثلى جميع الكادحين الذين يساهمون بعملهم فى خلق ثروات بلادهم** . فالانتقال الى الاشتراكية فى فرنسا سوف يتم بفضل استيلاء الطبقة العاملة الفرنسية وحلفائها على السلطة ، والا فلن يكون هناك انتقال الى الاشتراكية .

وعليه ، يتضمن خط الحزب التأميم التام للاحتكارات فى جميع الميادين الفرنسية ، وادارتها بواسطة العاملين بها والمستفيدين منها طبقا لخطة توضع ديمقراطيا .

● وليست القضية كذلك ان يتبنى الحزب خطا اصلاحيا . بل على نقيض ذلك ، فهو يعتبر **أن النضال ضد الاصلاحية ضرورة مستمرة ، وان ما يتميز به الحزب الثورى هو قدرته على تعبئة الجماهير فى نضال يصيب العدو الطبقى فى الصميم** .

ومن ثم ، فدعوة الحزب الى توحيد الصفوف الشعبية فى النضال ، وتحالفه فى مختلف الاعمال السياسية مع الحزب الاشتراكى ، لم يمنعاه من استقلاله ولا دون ان يوجه لحلفائه نقدا مستمرا مفتوحا وعلنيا . ومنذ سنوات والرجعية تنشر توقعاتها بأن هذا النقد سوف يحطم وحدة اليسار ، ولكن يبدو ان العكس هو الذى حدث . فالموقف القيادى للحزب الفرنسى فى مختلف المعارك قد شد وثاق الوحدة القاعدية للكادحين رغم الصعاب ، ودفع الجماهير الى المزيد من الحركة والنضال المؤثر .

● وقد اشاعت قوى اليمين ان الحزب يرى أن الطبقة العاملة فقدت مركزها القيادى ، وان الحزب لم يعد حزبها ، بل حزب جميع الكادحين . غير ان الوثائق الاساسية للمؤتمر تدحض هذه الفرية تماما . فخطاب مارشيه ملىء بابراز العكس ، **وبالتأكيد المستمر على أن الحزب الشيوعى الفرنسى هو حزب الطبقة العاملة ، وضرورة الدور القيادى لهذه الطبقة فى مختلف خطوات النضال من اجل الانتقال الى الاشتراكية** . بل ان الذى يربط دون لبس اجزاء الخطاب هو المفهوم الحاسم بأن نضال الحزب يستهدف تغيير الطبيعة الطبقية للسلطة على هذا الاساس. وليست القضية التى تثيرها اجراء تعديلات جزئية فى سلطة الاحتكار ومندوبيه ، بل تغيير ثورى تقوده السلطة العاملة وتمارس بعده سلطة جديدة بالتحالف الديمقراطى مع سائر الكادحين .

● واخيرا ، فلا يتوهم الحزب أن طريق فرنسا الديمقراطى نحو الاشتراكية مفروش بالورود ، وأن الطبقة الحاكمة الحالية سوف تتخلى عن السلطة دون مقاومة . **فهو لا ينسى أن للبورجوازية الفرنسية تراثا من القمع الوحشى للحركة الثورية ،** وانها سوف تحاول القيام بانقلاب عنيف رجعى . ولكن هذه الامكانية تضيق ، وهزيمتها أقرب كلما كانت القوى التى تدافع عن الشرعية الديمقراطية واسعة متحدة .

ويرى الحزب ان تحقيق الحريات الديمقراطية هو محور النضال الحالى للانتقال الى الاشتراكية فى فرنسا ، وان مختلف التنظيمات الجماهيرية المستقلة عن الدولة سوف تستطيع ان تبنى الاشتراكية بعد التغيير الجذرى السياسى والاجتماعى والثقافى الذى اشرنا اليه .

وعليه ، فتخلى الحزب الشيوعى الفرنسى عن التعبير « ديكتاتورية البروليتاريا » ليس حركة دعائية مؤقتة لكسب اصوات الناخبين ، بل انه تعبير عن تصميمه على استمرار توحيده لقوى اليسار الفرنسية ، وعلى اعتماده عليها لقلب السلطة القائمة واقامة سلطة اخرى ، شعبية جديدة ، تجرى التغييرات الجذرية اللازمة لفتح الطريق لبناء الاشتراكية فى فرنسا . وفى رأيه ان هذا الطريق سيكون خاصا وفرنسيا ، يتميز بالديمقراطية الواسعة للجماهير التى تقودها الطبقة العاملة .

الموقف من الاتحاد السوفيتى

هللت اوساط اليمين فى العالم للنقد المفتوح الذى وجهه الحزب الشيوعى الفرنسى لعدم تطبيق الشرعية الاشتراكية فى احوال معينة بالاتحاد السوفيتى ، واعتبرت هذا النقد تحطيما لاوصال الاخوة بين الحزبين السوفيتى والفرنسى. غير اننا نعتقد ان هذه الاوساط جرت وراء الاوهام .

فالوثائق ، ومختلف التصريحات تؤكد ان ذلك النقد محصور فى اطار محدد ، وان انقلاب الحزب الفرنسى الى المعادين السوفيت ليست قضية واردة على الاطلاق . ويؤكد الحزب ان وجود الاتحاد السوفيتى ودوره الماضى والحاضر من العناصر الاساسية للاوضاع الملائمة ـــ اليوم ـــ فى العالم ـــ وبالتالى فى فرنسا ـــ للنضال من اجل الانتقال الى الاشتراكية .

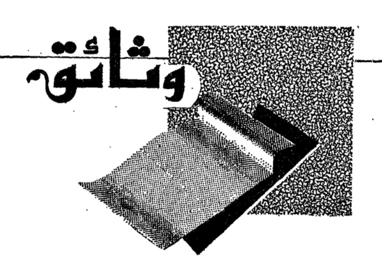
وقال جورج مارشيه امام المؤتمر ، « الاشتراكية هى التى حققت فى الاتحاد السوفيتى ذلك التقدم التاريخى الهائل ، واعنى ان اختفى استغلال الانسان للانسان ، وبنى اقتصاد قوى ينمو دون ازمة ودون بطالة ودون ارتفاع جنونى فى الاسعار ، وتقدم مستوى المعيشة ، ووصل الكادحون الى مراكز المسئولية ، وانتشرت الثقافة ... نعم ، اننا متضامنون مع الاحزاب التى تحقق هذا العمل العظيم ، ولا تعتمدن الرجعية على أن نكسر هذا التضامن . بل على العكس ، فسوف نحرص على تطويره وعلى أن نحارب فى حزم معاداة السوفيتية والاكاذيب والافتراءات التى تلقى باستمرار على البلدان الاشتراكية ! »

ومن قبل ، وجه الحزب الفرنسى انتقادات مختلفة للحزب السوفيتى (مثلا على اثر احداث تشيكوسلوفاكيا) . ولكن هذا لم يصدع الروابط الكفاحية الثورية بين الطرفين . وليس هناك وجه للمقارنة بين ذلك النقد وبين النزاع السوفيتى الصينى القائم مثلا .

● ● ●

وقبل ان نختم هذه العجالة ، نود ان نذكر ان الحزب الشيوعى الفرنسى قد وثق علاقاته فى الفترة الاخيرة ببعض حركات التحرير وبعض البلاد العربية . ونشير بشكل خاص الى البيان المشترك الذى صدر فى الصيف الماضى اثر اللقاء بين وفد له وبين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وكذلك دراسة طويلة نشرها احد اعضائه البارزين ـــ **ايلى مينيو** ـــ عن القضية الفلسطينية فى المجلة النظرية الشهرية للحزب « كراسات الشيوعية » ، وهى تأييد علمى وعاطفى حار للحقوق القومية الفلسطينية ولحركة التحرر الوطنى العربية التقدمية بشكل عام. ولم يكن هذا غريبا لان الحزب الشيوعى الفرنسى هو التنظيم السياسى الوحيد فى فرنسا المعادى للصهيونية والمناصر للشعوب العربية .

أحمد صادق سعد



وثائق جمهورية أنجولا الشعبية

[١] برنامج الحد الأدنى للحركة الشعبية لتحرير أنجولا

[٢] اعلان الاستقلال

[٣] دستور جمهورية أنجولا الشعبية

انتهت تطورات حرب التحرير الوطنيـــة ضد الاستعمار البرتغالى ، ثم حرب التدخل الاجنبى ضد استقلال انجولا ، بالسيطرة التامة للحركة الشعبية لتحرير انجولا على اراضى البلاد وتكريس « جمهورية انجولا الشعبية » كدولة مستقلة .

واصبح مطروحا للتطبيق ، برنامـــج ومفـــاهيم « الثورة » التى فجرتها الحركة الشـــعبية لتحرير انجولا منذ ٤ فبراير ١٩٦١ . ومن أولى مهام هـــذا البرنامج ، بناء مؤسسات الدولة الجديدة ، كمـــا تصورها المناضليون على « أوراق » حركتهم للتحرر الوطنى .

وقد لفت اقتدار قيادة الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، على ممارسة معـــاركها ، قبل الاســـتقلال وبعده ، اهتمام العالم كله ، سواء المتعاطف معهـــا والمؤيد لها أو حتى المناهض لها والمختلف معها .

ماهى مصادر قوة الحركة الشعبية لتحرير انجولا وقيادتها ؟

ربما كان فى الاسس الفكرية للبرنامج واعـــلان الاستقلال ثم الدستور ، اجابة على هذا السؤال . وهل تتفق احكام ومبادىء الدستور مع أدبيات فكر ثورة الكفاح المسلح الوطنى الذى قـــادته الحركة الشعبية ؟ . وما هى معـــــالم مؤسسات الدولة الجديدة ؟

للاجابة على هذه الاسئلة وغيرها ، التى طرحتها أحداث انجولا على الرأى العام العالمى كله والافريقى خاصة ، تنشر « الطليعة » ، هذا العدد :

① نص برنامج الحد الادنى للحركة الشعبيـــة لتحرير انجـــولا الذى أقرته فى بـــدء تاسيســـها « ديسمبر ١٩٥٦ » . نقلا عن وثـــائق هيئـــة الامم المتحدة . حيث لم نتمكن للاسف من العثـــور على برنامج الحد الاقصى ضمن وثائق الحركة الشعبيـــة لتحرير انجولا .. نفسها . كما اننا للاسف الشديد ايضا ، لم نعثر على هذا البرنامج ضمن الوثـــائق التى نشرتهـــا الحركة الشـــعبية بالانجليزيـــة أو الفرنسية .

② نص « اعلان الاستقلال » الذى أعلنته الحركة الشعبية فى الساعة صـــفر من ١١ نوفمبر ١٩٧٥ لحظة توليها السلطة . وقد ترجمت هذه الوثيقـــة نقـــلا عن النص الانجلـــيزى الذى نشرته الحركة الشعبية .

③ نص الدستور ، الذى أقرته اللجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انجـــولا فى ١٠ نوفمـــبر ١٩٧٥ ، وأصبح بالتالى دستور الدولة الجديدة . وقد ترجمت هذه الوثيقة نقلا عن النص الانجليزى الذى نشرته الحركة الشعبية .

ولسوف يلاحظ القارىء ، اذا قارن بين برنامـــج الحد الادنى الذى أقرته الحركة الشعبية فى عـــام ١٩٥٦ ، وبين الوثيقتين الاخريتين اللتين أقرتـــا فى عام ١٩٧٥ ، مدى تمسك الحركة الشعبية بالخطوط العامة لبرنامجها للحد الادنى هذا وهـــو البرنامج الذى يكشف ، بدوره ، عن مدى بعد نظر ونضـــج الحركة الشعبية وقتهـــا . وفى الوقت نفســـه ، سيلاحظ مدى تطور نضجها اليوم من خلال الخبرات التى اكتسبتها من حرب التحرير .

برنامج الحد الادنى للحركة الشعبية للتحرير انجولا

١ ـ الاستقلال العاجل والكامل

ا ـ القضاء فى انجولا ، وبكل الوسائل المتاحة ، على السيطرة الاستعمارية البرتغالية ، وعلى كل بقايا الاستعمار والامبريالية .

ب ـ الكفاح المشترك مع كل القوى الوطنية الانجولية فى حركة شعبية عريضة بهدف استيلاء شعب انجولا على السلطة، واقامة نظام جمهورى ديمقراطى يستند الى الاستقلال الكامل .

جـ ـ الغاء كل الامتيازات التى منحها النظام الاستعمارى للبرتغاليين وغيرهم من الاجانب .

د ـ ستكون سيادة الدولة الانجولية فى ايدى الشعب الانجولى كلية وعلى وجه الحصر ، دون اى تمييز بالنسبة للعنصر ، او الطبقة او الجنس ، او السن ، او الانتماء السياسى ، او العقيدة الدينية ، او المعتقدات الفلسفية .

هـ ـ سيكون للامة الانجولية الحق القدس فى تحديد مصيرها الخاص فى الشئون الاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية والثقافية ، وفى اى مجال آخر .

و ـ اعادة النظر فى وضع انجولا فيما يتعلق بجميع المعاهدات والاتفاقيات والتحالفات التى الزمتها بها البرتغال دون الموافقة الحرة من جانب الشعب الانجولى .

ز ـ الوحدة الشعبية من اجل هزيمة اية محاولة للعدوان الامبريالى ، ودحر اية مناورات تستهدف نسف استقلال انجولا وسيادتها ووحدتها وتكاملها الاقليمى .

٢ ـ وحدة الامن

ا ـ ضمان المساواة بين جميع الاجناس فى انجولا ، وتعزيز الوحدة والتعاون الاخوى .

ب ـ المعارضة الحازمة لاية محاولة لتقسيم الشعب الانجولى .

جـ ـ خلق الظروف اللازمة كى يعود الى ديارهم مئات الالاف من الانجوليين الذين ارغموا على العيش فى المنفى بسبب النظام الاستعمارى .

د ـ المناطق التى تعيش فيها اقليات قومية فى مجموعات كبيرة متجانسة ، ولديها طابع متميز ، يمكن ان تحصل على استقلال ذاتى .

هـ ـ كل اقلية قومية ، او عنصر ، سيكون له الحق فى استخدام لغته القومية وخلق نظامه الخاص للكتابة ، وصيانة او استعادة تراثه الثقافى ، وذلك :

ـ لصالح الامة الانجولية بأسرها ، وشحذ وتطوير التضامن الاقتصادى والاجتماعى والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الطبيعية ، بين جميع المناطق ذات الاستقلال الذاتى وجميع الاقليات القومية او العناصر فى انجولا .

ـ لضمان حرية الحركة لجميع المواطنين الانجليين فى داخل الحدود القومية .

٣ ـ الوحدة الافريقية

ا ـ التضامن الكامل مع جميع الشعوب الافريقية التى تكافح من اجل استقلالها الكامل ، وبخاصة مع الحركات الشعبية والسياسية التى تكافح ضد الاستعمار البرتغالى .

ب ـ تعزيز الوحدة بين جميع شعوب القارة الافريقية على اساس احترام الحرية والكرامة والتقدم السياسى والاقتصادى لكل من هذه الشعوب .

جـ ـ توحيد الشعوب الافريقية وفقا للارادة الحرة لكل شعب، وعن طريق الوسائل الديمقراطية والسلمية .

د ـ معارضة اية محاولة لضم اى شعب او قهره .

هـ ـ فى غضون توحيد الشعوب الافريقية يجب صيانة المنجزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للطبقة العاملة والفلاحين فى كل بلد .

٤ ـ النظام الديمقراطى

ا ـ نظام جمهورى ديمقراطى علمانى لانجولا .

ب ـ ضمان حرية التعبير والوعى والدين ، وحرية الصحافة والاجتماع والانضمام الى الجمعيات ، وحرية الاقامة والتراسل .. الخ ، بالنسبة للشعب الانجولى بأسره .

جـ ـ جميع المواطنين الانجوليين ، بصرف النظر عن القومية ، او العنصر ، او الجنس او الطبقة الاجتماعية ، او المستوى الثقافى ، او المهنة او الوضع الاقتصادى ، او العقيدة الدينية او المعتقد الفلسفى ، سيكون لهم الحق فى التصويت عند سن الثامنة عشرة ، والحق فى الترشيح عند سن الواحدة والعشرين .

د ـ النظام الانتخابى يقوم على الاقتراع العام والتساوى والمباشر ، والتصويت السرى .

هـ ـ الجمعية التشريعية لشعب انجولا ستكون هى الجهاز الاعلى لسلطة الدولة التشريعية .

و ـ الجمعية التشريعية لشعب انجولا ستكون نتيجة لانتخابات عامة حرة .وفى الانتخابات العامة الحرة فان الاحزاب السياسية الكبيرة يمكن ان تقدم مرشحيها على اساس قائمة واحدة او بقوائم منفصلة .

ز ـ الجمعية التشريعية لشعب انجولا ستضع الدستور الاول لجمهورية انجولا .

حـ ـ جميع اعضاء الجمعية التشريعية لشعب انجولا سيتمتعون بالحصانة البرلمانية .

ط ـ الجمعية التشريعية لشعب انجولا ستعين حكومة ائتلافية تقوم بالتعزيز الفعال للوحدة بين الاقليات القومية او العنصرية ، وكل مناطق البلاد ، وكل الطبقات الاجتماعية ، وكل الاحزاب السياسية ، وتعبر فى اصالة عن ارادة الامة فى دعم حرية انجولا وتقدمها ، وضد خضوع البلاد للمصالح الاجنبية سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية او الاقليمية او الثقافية .

ى ـ حكومة جمهورية انجولا ستكون اعلى جهاز للسلطة التنفيذية .

ك ـ حكومة جمهورية انجولا ستستمد سلطاتها من الجمعية التشريعية لشعب انجولا ، وستكون مسئولة عن سياستها امام تلك الجمعية .

ل ـ كل اقليم مستقل ذاتيا سيكون له الحق فى اصدار قوانين اقليمية تلائم ظروفه الخاصة شريطة الا تتعارض هذه القوانين مع التشريع العام لانجولا .

م ـ افرقة الجهاز الادارى بأسره فى البلاد .

ن ـ ضمان الامن الشخصى لجميع الاجانب الذين يطيعون القوانين السارية فى البلاد ، وفقا للاعلان العام لحقوق الانسان .

٥ ـ التعليم الاقتصادى وتنمية الانتاج

ا ـ تخطيط الاقتصاد الانجولى وتنميته تدريجيا .

ب ـ تحويل انجولا الى بلد قوى ومزدهر وحديث وصناعى ومستقل اقتصاديا .

جـ ـ تنمية الزراعة وفق الاهداف الاولية التالية :

القضاء على زراعة المحصول الواحد، الزيادة التدريجية للانتاجية الزراعية ، والميكنة التدريجية للعمل الزراعى .

د ـ الانشاء ، والتوسع التدريجى للمشروعات التجارية والصناعية التابعة للدولة ،والتعاونيات التجارية ،والتعاونيات الانتاجية ، الانشاء التدريجى للصناعة الثقيلة وللصناعات الخفيفة من اجل انتاج السلع الاستهلاكية .

هـ ـ اضطلاع الدولة بالتنقيب عن موارد الطاقة بالبلاد .

و ـ الغاء الامتيازات التى منحها النظام الاستعمارى للمشروعات الاجنبية .

ز ـ اعادة انشاء وتنمية الصناعات الافريقية التقليدية .

حـ ـ تنمية المواصلات والنقل .

ط ـ حماية الصناعة الخاصة والتجارة الخاصة .

ى ـ تشجيع الصناعة الخاصة والتجارة الخاصة اللتين تكونان مفيدتين للشعب ولاقتصاد الدولة .

ك ـ المشروعات التى يديرها الاجانب ستكون مطالبة بالخضوع للقوانين الجديدة السارية فى انجولا .

ل ـ حماية المشروعات الاقتصادية التى يديرها الاجانب ، والتى تكون ذات فائدة لحياة الشعب الانجولى وتقدمه ، ولتعزيز استقلاله الحقيقى .

م ـ التنمية الكثيفة للعلاقات الاقتصادية بين المدن والريف بهدف تحسين الظروف المعيشية لسكان الريف ورفع مستوى معيشة الفلاحين .

ن ـ اقرار سياسة تضع فى اعتبارها مصالح كل من المستخدمين واصحاب الاعمال .

س ـ انشاء بنك للدولة ، واصدار عملة قومية ومنع التضخم وتثبيت سعر العملة .

ش ـ فرض رقابة الدولة على التجارة الخارجية لانجولا لصالح كل الشعب •

ض ـ اعادة النظر فى ديون انجولا المزعومة للبرتغال ، وتخفيض العجز فى ميزان انجولا التجارى ، والموازنة بين دخل البلاد ونفقاتها •

ع ـ الغاء النظام الضريبى الذى ادخله الاستعماريون البرتغاليون ، واقرار نظام ضريبى جديد عادل ورشيد ومبسط •

غ ـ ضبط الاسعار وتثبيتها •

ف ـ اتخاذ الاجراءات لمكافحة المضاربة •

٦ ـ الاصلاح الزراعى

ا ـ اقرار اصلاح زراعى يهدف القضاء على كل المظالم ، والغاء الاحتكار الخاص لانتاج السلع الزراعية وتطبيق المبدأ القائل بأن « الارض لمن يفلحها » •

ب ـ التأميم التام للاراضى المملوكة لمناهضى حركة الشعب والاستقلال العاجل لانجولا ، وللخونة والاعداء الصرحاء لدولة انجولا المستقلة الديمقراطية •

جـ ـ اقرار حد أعلى لحيازات الافراد فى الريف على أن يكون لوضع الارض فى كل منطقة ما يستحقه من اعتبار

د ـ بعد اعادة النظر فى سند الملكيه لكل حيازة تشترى الدولة بأسعار معقولة المساحات التى تزيد على الحدود التى يقررها القانون •

هـ ـ توزيع الارض على الفلاحين المعدمين ، وعلى أولئك الذين لا يمتلكون مساحة كافية منها •

و ـ الملاك الجدد للاراضى التى اعيد توزيعها بطريقة قانونية لن يكونوا مطالبين بدفع أية مبالغ سواء للملاك الذين صودرت أراضيهم أم للدولة •

ز ـ حماية الحقوق التى اكتسبها الفلاحون فى مجرى نضال الشعب من أجل استقلال انجولا •

٧ ـ سياسة العدالة الاجتماعية والتقدم الاجتماعى

ا ـ حماية الدولة لحقوق العمال والفلاحين وجميع الطبقات الاجتماعية التى تدافع بفعالية عن استقلال انجولا • وعن سيادة الشعب الانجولى ووحدته ، وعن وحدة اراضى البلاد •

ب ـ الالغاء الفورى لنظام العمل الاجبارى [السخرة]

جـ ـ احترام الاستقلال الحقيقى لنقابات العمال والتنظيمات العمالية المصرح بها قانونا •

د ـ اقرار يوم العمل ذى الثمانى ساعات ، والاصدار التدريجى لتشريع جديد من أجل حماية العمال •

هـ ـ اقرار الدولة لحد ادنى لاجر العمال ، والتنفيذ الحازم للمبدأ القائل : اجر متساو مقابل العمل المتساوى و والقضاء على كل تمييز أساسه الجنس أو السن أو الاصل العرقى •

و ـ حماية الكنائس ودور العبادة والمؤسسات الدينية التى يقرها القانون •

ز ـ المساواة الكاملة فى الحقوق دون تمييز على أساس الجنس فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية •

وسيكون للنساء نفس الحقوق التى يتمتع بها الرجال •

حـ ـ مساعدة الدولة للنساء الحوامل والاطفال الصغار •

ط ـ اقرار الرعاية الاجتماعية ، ورعاية المواطنين الانجوليين المعوزين بسبب المرض ، أو البطالة التى لا يكونون هم سببا لها ، أو الشيخوخة أو العجز •

ى ـ القضاء التدريجى على البطالة والعمل المضمون للعمال اليدويين والمكتبيين وموظفى الحكومة وخريجى المدارس •

ك ـ الرعاية الخاصة لكل المواطنين الذين اصيبوا بالعجز نتيجة لمشاركتهم الفعالة فى الكفاح من أجل استقلال انجولا • رعاية الأسرة التى توفى عائلوها من أجل الوطن الانجولى •

٨ ـ تنمية التعليم والثقافة والتدريب

ا ـ القضاء على البنيان الاستعمارى والامبريالى للتعليم ، واصلاح النظام التعليمى القائم وتنمية التعليم والثقافة والتدريب ووضعها فى خدمة حرية الشعب الانجولى وتقدمه السلمى •

ب ـ الحملة المظفرة السريعة ضد الامية على نطاق البلاد •

جـ ـ التعليم العام سيكون فى يد الدولة وتحت اشرافها المباشر •

د ـ التعليم الابتدائى الزامى ، والتقدم التدريجى نحو التعليم الابتدائى المجانى •

هـ ـ تنمية التعليم الثانوى والتقنى [الفنى] والمهنى • وبدء التعليم العالى •

و ـ اقامة علاقات ثقافية مع البلاد الاخرى • وتقديم تدريب أساسى ومتقدم للمثقفين اللازمين لبناء البلاد •

ز ـ تشجيع وتنمية العلوم والتكنولوجيا والاداب والفنون •

ح ـ اقامة تسهيلات ملائمه وعالية الكفاية فى المناطق الريفية من أجل الرعاية الطبية والصحية لسكان الريف ، والتنمية المتوازنة لخدمات الطبية والصحية على المستوى القومى

ط ـ القضاء على الدعارة وادمان الخمور •

ى ـ تشجيع ومساندة الانشطة التقدمية للشباب •

ك ـ تشجيع وحماية التربيه البدنية على نطاق البلاد

٩ ـ الدفاع القومى

ا ـ انشاء قوة وطنيه ذات قدرة دفاعية كافية ، وتكون على اتصال وثيق بالشعب وخاضعة كلية لامرة المواطنين الانجوليين •

ب ـ تسليح الجيش وتجهيزه وتدريبه على الفور وبطريقة سليمة ، ووضع معايير موحدة لتدريس العلوم العسكريه واقامة علاقات ديمقراطية بين الضباط والجنود • وتعزيز الانضباط • وتنمية وتقوية الحس القومى فى داخل الجيش ، ومكافحة جميع الاتجاهات نحو الاقليمية •

١٠ ـ سياسة خارجية مستقلة وسلامية

أ ـ اقامة وصيانة العلاقات الدبلوماسيه مع جميع بلاد العالم على أساس المبادىء التالية : الاحترام المتبادل للسيادة القومية والتكامل الاقليمى [وحدة الاراضى] ، عدم العدوان ، عدم التدخل فى الشئون الداخلية المساواة والمنفعة المتبادلة ، التعايش السلمى •

ب ـ احترام المبادىء التى يتضمنها ميثاق الامم المتحدة •

جـ ـ عدم الانضمام الى اية كتلة عسكرية •

د ـ اقامة علاقات خاصة ، اساسها حسن الجوار والتعاون ، مع الدول المتاخمة لانجولا •

هـ ـ حماية الانجوليين المقيمين فى الخارج • ☐

اعلان الاستقلال

☐ الساعة صفر ـ ١١ نوفمبر ١٩٧٥

باسم شعب أنجولا ، تعلن اللجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انجولا [م • ب • ل • ا •] ، رسميا وأمام افريقيا والعالم ، استقلال انجولا •

فى هذه الساعة ، يقف الشعب الانجولى واللجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انجولا ، دقيقة صمت من أجل أولئك الابطال الذين سقطوا فى سبيل استقلال الوطن ، وتعلن عزمنا على أن تظل ذكراهم حية الى الابد •

وتجاوبا مع أعمق مشاعر وتطلعات الشعب ، تعلن الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، أن بلدنا الذى تأسس هو جمهورية أنجولا الشعبية •

وخلال الفترة مابين اتفاقية الفور «ALVOR» وبين هذا الاعلان ، كانت الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، هى وحدها التى لم تنتهك الاتفاقيات المعقودة •

لقد احجمنا منذ زمن بعيد ، من أن نعترف باعوان الامبريالية فى الداخل كحركات للتحرير •

وأما فيما يتعلق بالبرتغال ، فان عدم احترامها لاتفاقيات الشعور قد اتضح ، ضمن أمور اخرى ، حين كانت تلوذ بالصمت دائما ، بشأن الغزو والذى كانت بلادنا ضحية له ، من جانب الجيوش النظامية وقوات المرتزقة ، هذا الغزو الذى بات معروفا على نطاق انحاء العالم كله ، لم يحظى حتى بالتعليق من جانب السلطات البرتغالية التى لم تمارس سيادتها ، فى الواقع ، سوى فى المناطق التى حررتها الحركة الشعبية لتحرير انجولا • ومن جهة اخرى ، فان حركتنا تواجه فى الميدان قوى رجعية مختلفة ، تشكل نوعا من القوة الدولية الفاشستية ضد شعبنا الانجولى • ويضم هذا التحالف ، قوات رجعية برتغالية تشارك فى غزو جنوب البلاد • ولم تفشل حكومة البرتغال فى مواجهة هذا الغزو فحسب ، وانما

أقدمت عليه — ضمنيا — صفة الشرعية بصمتها وسلبيتها .

وبرغم استنكار شعب أنجولا ، وكل القوى التقدمية فى العالم ، تواطؤ المنظمات العميلة مع جيوش الغزو ، أصرت الحكومة البرتغالية على اعتبار هذه المنظمات كحركات للتحرير ، محاولة بذلك دفع الحركة الشعبية لتحرير أنجولا الى حلول لا تعنى سوى الخيانة العظمى للشعب الانجولى .

ومرة أخرى نود أن نسجل هنا ، أن كفاحنا ماكان ، ولن يكون أبدا ، موجها ضد الشعب البرتغالى ، وانما على العكس من ذلك تماما ، واعتبارا من الان ، ستكون لدينا القدرة على أن نقوى العلاقات الاخوية بين الشعبين اللذين تربطهما روابط تاريخية ولغوية ، وهدف واحد الحرية .

لقد أظهرت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، فى اعلان تأسيسها فى ديسمبر ١٩٥٦ ، عزمها الاكيد على الكفاح بكافة الوسائل من أجل استقلال أنجولا التام ، حيث أكدت أن « الاستعمار لن يسقط الا بالكفاح . ولهذا لن يكون بوسع الشعب الانجولى أن يتحرر الا بالحرب الثورية ، ولن تنتصر هذه الحرب الا بتحقيق جبهة موحدة من كافة القوى المناهضة للامبريالية فى أنجولا ، بغض النظر عن اللون أو الوضع الاجتماعى أو المعتقدات الدينية أو الاراء الشخصية ، وسوف تنتصر بفضل تكوين أوسع « حركة شعبية لتحرير أنجولا » ».

وكطليعة لشعبنا سقاها صلابته ، قادت الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، على نحو بطولى ، فى فجر ٤ فبراير ١٩٦١ ، الكفاح المسلح لشعب أنجولا ضد السيطرة البرتغالية الاستعمارية .

ان الطريق الطويل الذى قطعناه ، يمثل التاريخ البطولى لشعب قرر تحت قيادة طليعة موحدة وصائبة ، أن يقاتل فى سبيل حقه فى الحرية والاستقلال .

وبرغم عنف القمع والارهاب الذى مارسته الامبريالية ضد شعبنا ، بهدف خنق كفاحنا ، أكد شعب أنجولا بقيادة طليعته الثورية ، على نحو لا يقبل الشك ، شخصيته الافريقية الثورية .

وبفضل الاسس المبدئية التى أرساها شعب أنجولا ، لتوحيد كافة الطبقات الاجتماعية الانجولية حول الخط السياسى المعبر فى وضوح عن أهدافه ، وبفضل صواب تحديده لجبهة حلفائه وأصدقائه ، وجبهته وأعدائه ، تمكن أخيرا بقيادة الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، من أن يهزم النظام الاستعمارى البرتغالى .

وبهزيمة الاستعمار ، والاعتراف بحقنا فى الاستقلال ، الذى تحقق فى هذه اللحظة التاريخية ، يكون برنامج الحد الادنى الذى وضعته الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، قد تحقق . وهكذا تولد جمهورية أنجولا الشعبية الفتية ، تعبيرا عن ارادة الشعب وثمرة للتضحيات العظيمة التى قدمها المقاتلون من أجل التحرير الوطنى .

ومع هذا فان كفاحنا لم ينته بعد . ان هدفنا هو الاستقلال التام لبلادنا وبناء المجتمع العادل والانسان الجديد.

ان الكفاح الذى مازلنا نخوضه حتى الان ضد أعوان الامبريالية ، الذين لن نذكر أسماءهم حتى لا تشوه هذه اللحظة الفريدة من لحظات تاريخنا ، هذا الكفاح يعد جزءا متمما لهدف طرد الغزاة الاجانب ، أولئك الذين يريدون جر بلادنا الى قبضة الاستعمار الجديد.

وهكذا فان الاهتمام الاساسى لدولتنا الجديدة بشكل كامل ، بلادنا وكل شعبنا ، مكرس لان نحرر من القهر الاجنبى .

ان جمهورية أنجولا الشعبية ، اذ تحقق بشكل ملموس تطلعات الجماهير الشعبية العريضة ، تحت قيادة الحركة الشعبية لتحرير انجولا، تتقدم باضطراد لتصبح دولة الديمقراطية الشعبية ، ولما كانت تتخذ نواة لها تحالف العمال والفلاحين ، فان كافة الفئات الوطنية سوف تتحد ضد الامبريالية وعملائها ، فى الكفاح من أجل اقامة مجتمع يخلو من المستغلين والمستغلين .

ان قوة الارادة الشعبية ، والكفاح المسلح الطويل ، والدفاع عن مصالح أكثر الفئات الاجتماعية تعرضا للاستغلال ، كل ذلك قد كرس الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، كممثل وحيد للشعب الانجولى والقوة القيادية لجمهورية أنجولا الشعبية .

ان أجهزة الدولة فى جمهورية انجولا الشعبية ، سوف تعمل وفق توجيهات الحركة الشعبية لتحرير أنجولا. ولسوف تتأكد أولوية الحركة الشعبية على أجهزة الدولة وأبنيتها .

وليس بوسع الحركة ، على الاطلاق، ان تكون منظمة جامدة ، وبسبب ما تتمتع من حيوية كبيرة ، لارتباطها ارتباطا عميقا بديناميكية الثورة ، وسوف تتغير كما وكيفا حين تتحول فى قفزة ضخمة ، الى حزب داخل جبهة ثورية عريضة .

وباعلان جمهورية انجولا الشعبية ، فان « قوات الشعب المسلحة لتحرير انجولا » [ف.ا.ب.ل.ا] تصبح جيشا وطنيا .

ان قوات الشعب المسلحة لتحرير انجولا ، وهى الذراع المسلحة للشعب تحت القيادة الحازمة للحركة الشعبية لتحرير انجولا ، تشكل جيشا للشعب هدفه الدفاع عن مصالح أكثر فئات شعبنا تعرضا للاستغلال . ولان حرب التحرير الوطنية الشاقة ضد الاستعمار البرتغالى قد أصهرتها ، ولانها مسلحة بنظرية ثورية ، فانها ستظل أداة سياسية للكفاح ضد الامبريالية .

وتحمل القوات المسلحة الشعبية لتحرير انجولا ، بوصفها قوة لجمهورية أراضى انجولا الشعبية ، مسئولية الدفاع عن وحدة أراضى البلاد . وبوصفها جيشا شعبيا ، فانها تتحمل عبء مشاركة الشعب فى عملية الانتاج جنبا الى جنب ، من أجل انجاز الهدف العظيم : اعادة البناء الوطنى .

ان انجولا بلد متخلف . ويتعين علينا ان ندرك بعمق مغزى هذه الحقيقة وما يترتب عليها .

ان المعالم التقليدية المتعارف عليها لتحديد التخلف ، تنطبق تماما على انجولا . وهى تقدم لنا صورة لبؤس الشعب الانجولى الشديد . ولكن الاكتفاء بالقول ان شعبنا متخلف ، قول لايكفى . وانما يتعين أن نضيف على الفور ، ان انجولا بلد استغلته الامبريالية، بلد يدور فى فلك الامبريالية .

ان هذين العنصرين مجتمعان — التخلف والتبعية — يفسران سبب اختلال توازن الاقتصاد الانجولى ، اختلالا شديدا ، بوجود قطاع يسمى بالقطاع « التقليدى » جنبا الى جنب قطاعات تقدمية ، وبوجود مناطق متخلفة تحيط بما يسمى مراكز التنمية . وذلك يفسر أيضا الفظاعة والظلم اللذان يسودان العلاقات الاجتماعية .

وان الحركة الشعبية لتحرير انجولا وهى تضع نهاية للاستعمار ، وتغلق الطريق بحزم امام الاستعمار الجديد ، تؤكد فى هذه اللحظة الرائعة ، اصرارها الاكيد على تغيير القطاعات الحالية تغييرا جذريا ، وتحدد هنا الان ، أن هدف اعادة البناء الاقتصادى سوف يلبى احتياجات الشعب

لايزال امامنا طريق طويل ، يتعين علينا ان نقطعه ويجب علينا ان نجعل الجهاز الاقتصادى والادارى يعملان بكامل قوتهما ، وأن نحارب الطفيلية فى أى شكل من أشكالها ، وان نقضى تدريجيا على اختلال التوازن بين قطاعات الاقتصاد وبين مناطق البلاد وان نقيم دولة العدالة الاجتماعية . وسيتم تخطيط الاقتصاد لخدمة الانسان الانجولى ، لا لخدمة الامبريالية النهمة ابدا سوف يتطور بهدف ان يصبح اقتصادا موجها ، بمعنى ان يصبح اقتصادا انجوليا حقا .

وبناء عليه ، سيكون النضال من أجل اقتصاد مستقل ، سمة دائمة من سمات استراتيجيتنا .

وهكذا ، على ضوء هذه الخطوط الواضحة ، فان جمهورية انجولا الشعبية سوف تنطلق باضطراد لاقامة مشروعات لتصنيع موادها الاولية وللاضطلاع أيضا بمشروعات للصناعة الثقيلة .

ومع هذا ، ونظرا لان غالبية سكان انجولا هم من الفلاحين ، قررت الحركة الشعبية لتحرير انجولا تدعيم الزراعة كأساس ، والصناعة كعامل حاسم لتقدمنا .

وبهذه الكيفية ، فان دولة انجولا ، ستكون قادرة على ان تحل مشكلة الارض ، حلا عادلا ، وان تشجع قيام التعاونيات ومشروعات الدولة لمصلحة جماهير الفلاحين .

ولسوف نحمى ونشجع الانشطة الخاصة وحتى الاجنبية فيها ، طالما كانت مفيدة للاقتصاد الوطنى وتتفق مع مصالح الشعب ، كما جاء فى برنامج الحد الاقصى لحركتنا .

ان جمهورية انجولا الشعبية سوف تكون منفتحة على العالم كله فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية . وسوف تقبل التعاون الدولى بشرط مبدئى لاجدال فيه ، وهو الا تكون المعونة الخارجية مشروطة او ان تفرض شروطا . ان التاريخ الطويل للحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، يوضح بجلاء أنها ، باعتبارها القوة القائدة فى جمهورية انجولا الشعبية ، لن تخون مطلقا الاستقلال الوطنى كمبدأ مقدس

ان علاقاتنا الدولية سوف يحددها دائما مبدأ المنفعة المتبادلة .

ولسوف تولى جمهورية انجولا الشعبية ، اهتماما خاصا لعلاقاتها مع البرتغال . ولانها ترغب فى دوام هذه العلاقات ، فسوف تقيمها على اساس جديد يخلو من اى مسحة استعمارية

أن الخلاف الحالى مع البرتغال سوف يعالج بهدوء ، وبحيث لايترك ظلالا على علاقاتنا فى المستقبل .

وبديهى ان اقتصادنا فى مرحلته الاولى سوف يعانى من نقص الكوادر . ولسد هذا النقص ، سوف توضع خطة سريعة لاعداد الكوادر الوطنية . وفى نفس الوقت سوف توجه نداءا من اجل التعاون الدولى فى هذا المجال . وعلى كافة المستويات ، سوف يتعين ان يتم فى مدارسنا تغيير جذرى ، حتى يمكنها ان تخدم الشعب وتلبى حاجات اعادة البناء الاقتصادى .

ان الامبريالية لم تضع سلاحها بعد فبمجرد هزيمة الاستعمار ، تريد الامبريالية الان ان تفرض علينا نظاما جديدا للاستغلال والظلم مستخدمة اعوانها المحليين ، فى محاولة لاجدوى منها للقضاء على المكاسب التى حصل عليها الشعب بالفعل

ان الاصرار الثورى لشعبنا على محاربة استغلال الانسان للانسان ، والتناقض العدائى بيننا وبين العدو ، يفرضان علينا حرب تحرير جديدة ، تتخذ شكل المقاومة الشعبية الشاملة التى ستستمر حتى يتحقق النصر النهائى .

وفى هذه الظروف ، تحتل قضية الانتاج ، اولوية هامة ، باعتبارها حركة نضالية .. وشرط اساسى وحيوى ، ومن اجل ان نوفر لجمهورية انجولا الشعبية وحدة عمل الجهد الانتاجى لشعبنا ، ولكى يتحقق الحد الاقصى لعائد عمل الجماهير ، وتتوفر الضمانات الحقيقية لدعم قوات الشعب المسلحة لتحرير انجولا الظافرة . ولهذا فان جمهورية انجولا الشعبية ، ستتخذ كافة الاجراءات اللازمة لمواجهة متطلبات الموقف الناجم عن غزو بلادنا .

ان جمهورية انجولا الشعبية تعلن من جديد تأكيد قرارها بان تناضل من اجل وحدة اراضى انجولا وبان تقف فى وجه اية محاولة لتمزيق البلاد .

وتعتبر جمهورية انجولا الشعبية ، ان طرد جيوش زائير وجنوب افريقيا والفاشيين البرتغاليين ، وكذلك العملاء الانجوليين والمرتزقة من كل مكان ، هذه الجيوش التى تشكل القوات للامبريالية المتضافرة فى العدوان على بلادنا ، تعتبر هذه المسألة قضية حيوية لها الاولوية التى لاتحتمل التأجيل .

ان حربنا المناهضة للامبريالية فى صورة المقاومة ، هى تعبير عن تناقض طبقى لايمكن تجنبه ، حيث تتعارض فيه مصالح شعبنا مع مصالح الامبريالية العالمية . ومن ثم فان التناقضات القائمة بين مختلف طبقات الشعب والفئات الاجتماعية المناهضة للامبريالية تعد فى الواقع مجموعة التناقضات الثانوية ويتعين حلها على هذا الاساس .

وتعتزم جمهورية انجولا الشعبية ، تقوية وتدعيم السلطة الشعبية على المستوى القومى ، وهكذا سوف تمارس الجماهير الكادحة ، السلطة على كافة المستويات ، وهى الضمان الوحيد لتكوين الانسان الجديد ولانتصار ثورتنا .

وتنظر جمهورية أنجولا الشعبية الى مسألة الرعاية الخاصة لضحايا الحرب والمعوقين ومشوهى الحرب باعتبارها واجبا وطنيا لايمكن تأجيله ، حيث قدم هؤلاء تضحيات هائلة خلال حرب التحرير الوطنية .

وسوف تكرس جمهورية انجولا الشعبية كافة جهودها من اجل ان يندمج كل ضحايا حرب التحرير الوطنى فى المجتمع .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، تؤكد من جديد عزمها الراسخ ، على شن حرب ضارية ضد الامية فى كل انحاء البلاد ، وعلى تشجيع ونشر التعليم الحر وفق مقتضيات اصالة وعمق ثقافة شعبنا الانجولى .

وسوف تبذل الدولة كل مالى وسعها ، لتقديم المساعدة الطبية والصحية على المستوى القومى ، وتوجه اساسا نحو جماهير الفلاحين الذين حرمهم الاستعمار من هذا الحق حتى الان .

وسوف يكون الشغل الشاغل للدولة الجديدة ايضا ، القضاء على كافة انواع التمييز بسبب الجنس ، او السن ، او الاصل العرقى او العقيدة الدينية ، والتطبيق التام للمبدأ العادل : « الاجر المتساوى للعمل المتساوى »

أن جمهورية انجولا الشعبية ، بتوجيه سليم من الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، سوف تشجع عملية تحرير المرأة الانجولية ، وهو حق حصلت عليه بمشاركتها فى كفاح التحرير الوطنى وفى الانتاج من اجل تكريس الكفاح الشامل

وتعلن جمهورية انجولا الشعبية ، انها دولة علمانية تفصل بشكل تام بين الكنيسة والدولة ، وتؤكد انها تحترم كافة الاديان وانها ستحمى الكنائس واماكن العبادة وكل المؤسسات الدينية المعترف بها قانونا .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، اذ تدرك اهمية موقعها .. والمسئوليات التى تقع على عاتقها بالنسبة لافريقيا الجنوبية والعالم ، تجدد تأكيد تضامنها مع كل الشعوب المضطهدة فى العالم ، وخاصة شعوب زيمبابوى وناميبيا ، ضد السيطرة العنصرية .

ان شعب انجولا بقيادة طليعته الثورية . الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، يعرب عن تضامنه النضالى مع شعب جنوب افريقيا فى كفاحه ضد النظام العنصرى الذى يقهره .

ويؤكد من جديد تضامنه القتالى والنضالى مع شعوب موزمبيق وغينيا بيساو والرأس الاخضر وساوتومى وبرنسيب ، ومع طلائعها الثورية : جبهة تحرير موزمبيق ، والحزب الافريقى لاستقلال غينيابيساووجزر الرأس الاخضر ، وحركة تحرير ساوتومى وبرنسيب ، رفاق فى الساعات الصعبة لكفاحنا المشترك .

ويؤكد من جديد تضامنه النضالى والقتالى مع شعب تيمور بقيادة طليعته الثورية [فريتيلين] . FRETILIN

ويجدد تأكيد تضامنه مع الشعب الفلسطينى فى كفاحه العادل من اجل حقوقه القومية وضد الصهيونية .

ان الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، والشعب الانجولى ، فى لحظة الاستقلال الوطنى ، يقدمان الشكر العميق للمعونة التى قدمتها كافة الشعوب والبلدان الصديقة لكفاحنا البطولى للتحرر الوطنى ونوجه الشكر لكل الشعوب والبلدان الافريقية ، التى وقفت معنا ، وللدول الاشتراكية ، وللقوى الثورية البرتغالية وللمنظمات التقدمية ، ولحكومات الدول الغربية التى تفهمت وايدت كفاح الشعب الانجولى .

ولسوف تقيم جمهورية انجولا الشعبية ، علاقاتها الدبلوماسية مع كل دول العالم ، على اساس مبادىء الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية ، وعدم التدخل واحترام السيادة الاقليمية وعدم الاعتداء والمساواة والتعايش السلمى .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، الدولة الافريقية الحرة المستقلة ، تعبر عن تأييدها لمبادىء ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ، وميثاق منظمة الامم المتحدة

ان السياسة الخارجية لجمهورية انجولا الشعبية القائمة على مبادىء الاستقلال التام ، والتى اهتدت بها دائما الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، ستكون سياسة عدم الانحياز ».

ان جمهورية انجولا الشعبية ، سوف تعرف كيف تحترم التزاماتها الدولية ، وستحترم طرق المواصلات الدولية عبر اراضيها .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، الدولة التى ارتبطت بالكفاح ضد الامبريالية ، سيكون حلفاؤها الطبيعيون هم الدول الافريقية والدول الاشتراكية وكافة القوى التقدمية فى العالم ».

ايها المواطنون ايها الرفاق !!

فى هذه اللحظة ، التى يتوج فيها الشعب الانجولى امجد انتصاراته التى حصل عليها نتيجة تضحيات خيرة ابنائه، نحيى فى جمهورية انجولا الشعبية ، دولتنا الاولى ، تحرر وطننا العزيز ».

ومن كابيندا وحتى كونين ، وحدنا الشعور المشترك بوطننا ، حيث مزج بيننا الدم الذى اريق من اجل الحرية . ونحيى ابطالنا الذين سقطوا على طريق المقاومة الطويل ، الذى دام خمسة قرون » وانه لجدير بنا ان نحذوا حذوهم ».

اننا نحترم خصائص كل منطقة ، وكل نواة سكانية فى بلادنا ، لاننا جميعا ، وعلى نفس المستوى ، قدمنا للوطن التضحية التى كان فى حاجة لها من اجل وجوده .

ان العلم الذى يرتفع اليوم خفاقا ، كرمز للحرية ، انما هو ثمرة للدم والحماس والدموع والايثار ، التى قدمها شعب انجولا .

ولسوف نواصل متحدين وبقوة ، من كابيندا وحتى كونين ، المقاومة الشعبية الشاملة ، لنبنى دولتنا الديمقراطية الشعبية .

المجد لشعب انجولا
المجد الخالد لابطالنا
الكفاح مستمر
والنصر اكيد !!

دستور جمهورية انجولا

القسم الاول

المبادىء الاساسية

مادة — ١ —

جمهورية انجولا الشعبية دولة ديمقراطية مستقلة ذات سيادة . وهدفها الرئيسى هو التحرر الكامل للشعب الانجولى من اثار الاستعمار وسيطرة وعدوان الامبريالية ، وبناء دولة ديمقراطية مزدهرة بعيدة عن اى شكل من اشكال استغلال الانسان للانسان ، وبهذا تحقق آمال الجماهير .

مادة — ٢ —

شعب انجولا منوط بكل حقوق السيادة وتتولى الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، الممثل الشرعى للشعب والتى شكلت جبهة عريضة من جميع القوى الوطنية التى شاركت فى النضال ضد الاستعمار تتولى مسئولية القيادة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للوطن .

مادة — ٣ —

يكفل للجماهير المشاركة الواسعة والفعالة فى ممارسة السلطة السياسية ، وذلك عن طريق تدعيم وتوسيع وتطوير الاشكال التنظيمية لسلطة الشعب .

مادة — ٤ —

جمهورية انجولا الشعبية دولة موحدة لايجوز تقسيمها ، واراضيها الشرعية ، التى لا يجوز انتهاك حرمتها هى الاراضى الواقعة ضمن الحدود الجغرافية الحالية لانجولا ، وان اى محاولة للانفصال او تمزيق اراضيها سوف تقاوم بشدة .

مادة — ٥ —

يتم تطوير وتدعيم التضامن الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، بين جميع اقاليم جمهورية انجولا الشعبية ، من اجل التطور العام لدولة انجولا جميعها ومن اجل القضاء على بقايا النزعة الاقليمية والقبلية .

مادة — ٦ —

تحت قيادة الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، قيام رئيسها بمهام القائد العام لقوات الشعب المسلحة من اجل تحرير انجولا . FAPLA

وهى الجناح المسلح للشعب — تؤسس الجيش الوطنى لجمهورية انجولا الشعبية . وتتولى قوات الشعب المسلحة من اجل تحرير انجولا ، مسئولية الدفاع عن وحدة البلاد الاقليمية ، والمشاركة جنبا الى جنب الشعب فى الانتاج وبالتالى فى التعمير القومى .

وللقائد العام لقوات الشعب المسلحة من اجل تحرير انجولا ، الحق فى تعيين وتنحية كبار المسئولين العسكريين .

مادة — ٧ —

جمهورية انجولا الشعبية ، دولة علمانية ، على اساس الفصل التام بين الدولة والمؤسسات الدينية . وسوف تحترم جميع الاديان ، وسوف توفر الدولة للكنائس والاماكن الدينية كل الوسائل الخاصة بحماية العبادة طالما انها تلتزم بقوانين الدولة .

مادة — ٨ —

تعتبر جمهورية انجولا الشعبية ، ان الزراعة هى الاساس ، وان الصناعة هى عامل حاسم فى تطورها » وستقوم الدولة بتوجيه وتخطيط الاقتصاد القومى ، بهدف التطور المنظم والمتناسق لجميع موارد البلاد الطبيعية والبشرية واستخدام الثروة لصالح الشعب الانجولى .

مادة — ٩ —

تعمل جمهورية انجولا الشعبية ، على تشجيع اقامة علاقات اجتماعية عادلة فى جميع قطاعات الانتاج ، وعلى توسيع وتطوير القطاع العام وتشجيع الاشكال التعاونية .

ومن المهام الاساسية لجمهورية انجولا الشعبية ، التوصل الى حل لمشكلة الارض بمايتفق ومصلحة جماهير الفلاحين

مادة — ١٠ —

تعترف وتحمى ، وتضمن ، جمهورية انجولا الشعبية ، النشاطات والملكيات الخاصة ، وحتى الاجنبية ، طالما انها تفيد اقتصاد البلاد وتتفق مع مصالح الشعب الانجولى .

مادة — ١١ —

جميع الموارد الطبيعية ، فى الارض او تحت الارض ، وفى المياه الاقليمية او فى اللسان القارى ، وفى المجال الجوى ، ملك للدولة التى ستحدد كيفية استخدامها .

مادة — ١٢ —

يسترشد النظام المالى ، بمبدأ فرض الضرائب المباشرة المتدرجة . ولن يسمح باى امتياز من اى نوع فى المسائل المالية

مادة — ١٣ —

على جمهورية انجولا الشعبية ان تتصدى بحزم للامية وعدم انتشار المعرفة وان تعزز من تطوير التعليم بما يخدم الشعب ، وازدهار ثقافة قومية حقة تغنيها بالتراث الثقافى الثورى للشعوب الاخرى .

مادة — ١٤ —

تحترم ، وتطبق جمهورية انجولا الشعبية ، مبادىء ميثاق الامم المتحدة وميثاق منظمة الوحدة الافريقية . وتقيم علاقات صداقة وتعاون مع جميع الدول ، على اساس مبادىء الاحترام المتبادل للسيادة والوحدة الاقليمية والمساواة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لاى دولة والمنافع المتبادلة .

مادة ١٥

تساند جمهورية انجولا الشعبية ، وتتضامن، مع نضال الشعوب من اجل التحرر الوطنى ، وتقيم علاقات صداقة وتعاون مع جميع القوى الديمقراطية والتقدمية فى العالم .

مادة — ١٦ —

لن تنضم جمهورية انجولا الشعبية لاى منظمة عسكرية دولية ، ولن تسمح باقامة قواعد عسكرية اجنبية على اراضيها الوطنية ■

القسم الثانى

الحقوق والواجبات الاساسية

مادة — ١٧ —

تحترم الدولة ، وتحمى ، انسانيته الفرد وكرامته الانسانية ، ولكل مواطن الحق فى ان يطور شخصيته فى حرية وعليه انيحترم حقوق المواطنين الاخرين والمصالح العليا للشعب الانجولى .

ويحمى القانون حياة كل مواطنوحريته وتكامله الشخص وسمعته .

مادة — ١٨ —

جميع المواطنين متساوون امامالقانون يتمتعون بنفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات دون اى تمييز بسبب اللون او الجنس ، او العرق ، او النوع او محل الميلاد ، او الدين ، اومستوى التعليم او الوضع الاقتصادى ، او الوضع الاجتماعى ، واية اعمال من شأنها تهديد التناسق الاجتماعى ، او خلق تفرقة ، او امتيازات . تقوم على اساس مثل تلك العوامل ، سوف تكون محل عقاب شديد وفق احكام القانون .

مادة — ١٩ —

من حق كل مواطن فى جمهورية انجولا الشعبية ، ومن واجبه الاسمى الذى لايمكن التقاعس عنه ، المشاركة فى الدفاع عن الوحدة الاقليمية للبلاد والدفاع عن الوحدة الاقليمية للبلاد والدفاع عن مكاسب الثورةوالعمل على توسيعها .

مادة — ٢٠ —

من حق جميع المواطنين الذين تزيد اعمارهم على ثمانية عشر عاما ، بالاضافة الى كل اولئك الذين حرمهم القانون من الحقوق السياسية ومن واجبهم ، ان شاركوا بدور فعال فى الحياة العامة ، وان يدلوابأصواتهم وان يرشحوا انفسهم او يعينوا فى اى جهاز من الاجهزة من اجهزة الدولة ، وان يقوموا بتأدية مهامهم باخلاص تام لقضية البلاد والشعب الانجولى .

مادة — ٢١ —

من واجب كل مواطن — يتم انتخابه ان يقدم تقريرا عن قيامه بمهمته ، لاولئك الذين اختاروه والذين من حقهم الكامل ان يسحبوا ، فى اى وقت ، التفويض الذى منحوه له .

مادة — ٢٢ —

فى اطار تحقيق الاهداف الاساسية لجمهورية انجولا الشعبية ، يضمن القانون حرية التعبير عن الرأى والاجتماع والتجمع فى اتحادات .

مادة — ٢٣ —

لايقبض على اى مواطن ، ويتم للمحاكمة ، الا بمقتضى نصوص القانون ويضمن جميع المتهمين الحق فى الدفاع

مادة — ٢٤ —

تضمن جمهورية انجولا الشعبية ، الحريات الفردية وهى عدم جواز انتهاك حرمات البيوت وسرية المراسلات ، فى الحدود التى نص عليها القانون بوجهخاص

مادة — ٢٥ —

لايجوز انتهاك حرمة حرية العقيدة والضمير . وتقر جمهورية انجولا الشعبية المساواة ، وضمان ممارسة جميع اساليب العبادة بما يتفق والنظام العام والمصلحة الوطنية .

مادة — ٢٦ —

العمل حق وواجب كل المواطنين ويجب على كل مواطن ان ينتج وفق طاقته وان يكافأ وفق عمله .

مادة — ٢٧ —

تقوم الدولة باتخاذ الاجراءات الضرورية لضمان حق كل مواطن فى الرعاية الصحية والطبية ، وكذلك حق رعاية الطفولة والامومة والعجز والشيخوخة واى شكل آخر من اشكال عدم القدرة على العمل .

مادة — ٢٨ —

من حق المحاربين فى حرب التحرير الوطنية ، الذين لم يعد فى مقدورهم العمل وعائلات المحاربين الذين استشهدوا فى النضال ان توفر لهم الرعاية الخاصة ، وفاء لدين الشرف الذى تدين لهم به جمهورية انجولا الشعبية .

مادة — ٢٩ —

تعمل جمهورية انجولا الشعبية على تشجيع وضمان توفير التعليم والثقافة لجميع المواطنين .

مادة — ٣٠ —

على جمهورية انجولا الشعبية ، ان توفر الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية ، التى تمكن المواطنين من التمتع ، بشكل فعال بحقوقهم والقيام بواجباتهم على الوجه الاكمل .

القسم الثالث

أجهزة الدولة

الفصل الاول

رئيس الجمهورية

مادة — ٣١ —

رئيس الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، هو رئيس جمهورية انجولا الشعبية . وكرئيس للدولة ، يمثل رئيسجمهورية انجولا الشعبية ، الوطن الانجولى .

مادة — ٣٢ —

يتولى رئيس الجمهورية المهام المحددة التالية

أ — رئاسة مجلس الثورة وادارة اعماله .

ب — تؤدى الحكومة التى عينها مجلس الثورة . اليمين الدستورية امامه

جـ — يعلن الحرب والسلام . بعد الحصول على تفويض من مجلس الثورة

د — يؤدى مندوبوا الحكومة فىالاقاليم الذين يعينهم مجلس الثورة بناء على توصيات من الحركة الشعبية لتحرير انجولا . اليمين الدستورية امامه .

هـ — يوقع ويعلن . وينشر . قوانين مجلس الثورة ومراسيم الحكومة وتشريعات المراسيم الوزارية .

و — ادارة الدفاع الوطنى .

ز — العفو عن المحكوم عليهم او تخفيف الاحكام .

حـ — يعين شخصا من بين اعضاء مجلس الثورة . يحل محله اثناء غيابه او عندما يمنع لفترة مؤقتة من ممارسة مهامه .

ط — يضطلع بجميع المهام الاخرى التى يكلفه بها مجلس الثورة .

مادة — ٣٣ —

فى حالة الموت او التنازل او العجز الدائم لرئيس الجمهورية . يقوم مجلس الثورة بتعيين شخص من بين اعضائه يتولى بصفة انتقالية . مهام رئيس الجمهورية .

الفصل الثانى

الجمعية الشعبية

مادة — ٣٤ —

الجمعية الشعبية اعلى هيئة فى دولة جمهورية انجولا الشعبية وسيصدر قانون خاص بتشكيلها ونظام انتخابها يحدد اختصاصها وطريقة عملها .

الفصل الثالث

مجلس الثورة

مادة — ٣٥ —

حتى يتم التحرير الكامل للاراضى القومية ، وتحقيق الظروف المواتية وتأسيس الجمعية الشعبية ، سيكون مجلس الثورة هو الهيئة العليا لسلطة الدولة .

مادة — ٣٦ —

يتكون مجلس الثورة من :

أ — اعضاء المكتب السياسىللحركة الشعبية لتحرير انجولا . MPLA

ب اعضاء هيئة الاركان لقواتالشعب المسلحة لتحرير انجولا . FAPLA

جـ — اعضاء الحكومة الذين عينتهم الحركة الشعبية لتحرير انجولا لهذا الغرض .

د — مسئولو الاقاليم .

هـ — رؤساء الاركان والمفوضون السياسيون فى الجبهات العسكرية .

مادة — ٣٧ —

يتولى رئيس الجمهورية رئاسة مجلس الثورة .

مادة — ٣٨ —

يقوم مجلس الثورة بالمهام التالية :

أ ـ القيام بأداء المهام التشريعية ويجوز له ان يطلب من الحكومة القيام بها

ب ـ يحدد ، ويوجه ، سياسة البلاد الداخلية والخارجية .

ج ـ يوافق على الميزانية العامة للدولة والخطة الاقتصادية ، التى وضعتها الحكومة .

د ـ يقوم بتعيين وتنحية رئيس الوزراء واعضاء الحكومة ، بناء على توصيات الحركة الشعبية لتحرير انجولا .

هـ ـ يقوم بتعين وتنحية مسئولى الاقاليم ، بناء على توصيات الحركة الشعبية لتحرير انجولا .

و ـ يفوض رئيس الجمهورية باعلان الحرب واقرار السلام .

ز ـ يصدر مرسوم فرض حالة حصار او حالة الطوارىء ،

ح ـ يصدر قرارات العفو .

الفصل الرابع

الحكومة

مادة ـ ٣٩ ـ

تتالف الحكومة من رئيس الوزراء والوزراء وسكرتيرى الدولة .

ويتوم رئيس الوزراء برئاسة الحكومة

مادة ـ ٤٠ ـ

يتعين على الحكومة باعتبارها الهيئة التنفيذية ، ادارة سياسة البلاد الداخلية والخارجية تحت قيادة مجلس الثورة ورئيس الجمهورية ، وتقوم بالاشراف على الادارة العامة ككل .

مادة ـ ٤١ ـ

مهام الحكومة محددة فى الاتى :

أ ـ ضمان سلامة الاشخاص والملكية

ب ـ وضع الميزانية العامة للدولة وتنفيذها بمجرد موافقة مجلس الثورة عليها .

ج ـ وضع الخطة الاقتصادية وتنفيذها بمجرد موافقة مجلس الثورة عليها .

مادة ـ ٤٢ ـ

يجوز للحكومة ، بمقتضى تفويض ، ممارسة المهام التشريعية التى يخولها اليها ويلتزم الوزراء بتنفيذ القوانين التى يصدرها مجلس الثورة والحكومة .

مادة ـ ٤٣ ـ

للحكومة ، ان تجتمع مع مجلس الثورة سواء بكامل هيئتها او جزء منها ، اذا ما قرر المجلس ذلك .

الفصل الخامس

المحاكم

مادة ـ ٤٤ ـ

تفوض المحاكم ، بصفة مطلقة ، بالقيام باداء الوظائف القضائية ، بهدف تحقيق العدالة الديمقراطية .

ويتم تنظيم ، وتاليف ، وتحديد اختصاص ، المحاكم بمقتضى القانون .

مادة ـ ٤٥ ـ

القضاة مستقلون فى مجال اداء وظائفهم

الفصل السادس

التنظيم الادارى والاجهزة الادارية

مادة ـ ٤٦ ـ

تقسم جمهورية انجولا الشعبية ، من الناحية الادارية ، الى اقاليم ومجالس وكومبونات ودوائر واحياء وقرى .

مادة ـ ٤٧ ـ

تسترشد الادارة المحلية فى عملها بالربط بين مبادىء الوحدة واللامركزية والمبادرة المحلية .

مادة ـ ٤٨ ـ

فى الاقليم مسئول الاقليم هو الممثل المباشر لمجلس الثورة والحكومة ، فى الاقليم .

ويمثل الحكومة فى المجلس المسئول المحلى وفى الكوميون ، مسئول الكوميون وفى الدائرة المندوب الذى يتم تعيينه بناء على توصية من الحركة الشعبية لتحرير انجولا .

مادة ـ ٤٩ ـ

لكل اقليم ، مفوضون اقليميون ، يرأسها مسئول الاقليم ، ويقوم بممارسة مهام تشريعية فى الامور التى تتعلق بالاقليم بشكل خاص .

ويرمز اللون الاسود لقارة افريقيا .

مادة ـ ٥٠ ـ

الاجهزة الادارية للمجلس ، والكوميون والحى ، والقرية ، هى على التوالى دار البلدية ، ومفوضو الكوميون ، والحى الشعبى ومفوضو القرية .

مادة ـ ٥١ ـ

للسلطات المحلية شخصيتها القانونية وتتمتع بالاستقلال الادارى والمالى .

مادة ـ ٥٢ ـ

يتم تحديد بنية واختصاص الاجهزة الادارية والاجهزة الاخرى بمقتضى القانون .

القسم الرابع

رموز جمهورية انجولا الشعبية

مادة ـ ٥٣ ـ

العلم ، وشارة السلطة او الشرف ، والنشيد الوطنى ، هى الرموز الخاصة بجمهورية انجولا الشعبية .

مادة ـ ٥٤ ـ

يتكون العلم الوطنى من لونين فى اشرطة افقية . يكون الشريط العلوى احمر قانى ، والشريط السفلى اسود .

ويرمز اللون الاحمر القانى ، للدم الذى اراقه الانجوليين ، ضد القهر الاستعمارى ، وفى معارك التحرر الوطنى ، وفى الثورة .

ويرمز اللون الاسود لقارة افريقيا .

وفى الوسط سيكون هناك رسم على شكل عجلة نصف دائرية ذات اسنان ترمز للطبقة العاملة والانتاج الصناعى ، ومدية يرمز لطبقة الفلاحين والانتاج الزراعى والكفاح المسلح ، ونجمة ترمز للاممية والتقدم .

ويكون لون العجلة النصف دائرية ، والمدية ، والنجمة اصفر ، رمزا لثروة البلاد .

مادة ـ ٥٥ ـ

تتكون شارة جمهورية انجولا الشعبية من عجلة نصف دائرية ذات اسنان وميدان من الذرة والقهوة والقطن . تمثل على التوالى ، الطبقة العاملة والانتاج الصناعى وطبقة الفلاحين والانتاج الزراعى

وفى اسفل هذا الرسم ، كتاب مفتوح يرمز للتعليم والثقافة ، وخلفه شمس مشرقة ترمز للوطن الجديد .

وفى الوسط مدية ، ومعزقة للارض يرمزان العمل وبداية الكفاح المسلح .

وفى اعلى الرسم ، نجمة تمثل الاممية والتقدم .

وفى الجزء الاسفل من الشارة ، شريط ذهبى منقوش عليه « جمهورية انجولا الشعبية » .

مادة ـ ٥٦ ـ

يكون نشيد « الى الامام يا انجولا » هو النشيد الوطنى للبلاد .

القسم الخامس

الاحكام الانتقالية والنهائية

مادة ـ ٥٧ ـ

حتى يتم تأسيس الجمعية الشعبية بسلطاتها الدستورية ، يجوز تعديل الدستور الحالى ، من اللجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انجولا وحدها .

مادة ـ ٥٨ ـ

القوانين واللوائح التى تطبق فى الوقت الراهن ، سارية المفعول ، الا اذا الغيت او عدلت ، طالما لا تتعارض مع روح القانون الحالى او العملية الثورية الانجولية .

مادة ـ ٥٩ ـ

يتم اعادة النظر فى جميع المعاهدات والاتفاقيات والتحالفات ، التى ربطت بها البرتغال انجولا ، والتى تتعارض ومصالح الشعب الانجولى .

مادة ـ ٦٠ ـ

تصبح هذه الوثيقة سارية المفعول ، فى الساعة صفر من يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٥ ،

تمت الموافقة عليها من اللجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انجولا فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ .

انطونيو اجوستنيو نيتو ، رئيس الحركة الشعبية لتحرير انجولا □

ملحق
الأدب
و
الفن



مسرح اليسار الجديد .. أفكار ونماذج

بينالى الاسكندرية الحادى عشر :

هل هى عودة الى الواقعية ؟

قصة قصيرة البقاع

الادب والفن فى شهر ،

— سينما : ● لسبوع الفيلم السوفيتى : عن الباليه — والحب — والفن العظيم
● المهرجان القومى للافلام التسجيلية والقصيرة .

— مسرح : أبريل وشكسبير : البطل التراجيدى والشقاق مع العالم .

■ قصيدتان : ■ امرأة .. ■ آنية وأباريق

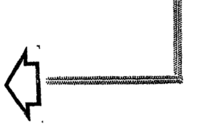


من فنون العالم

مسرح اليسار الجديد

أفكار ونماذج

فاروق عبد القادر



هذا مسرح اليسار الجديد ، يقدم عروضه حيث [illegible] في الجامعات والشوارع والأسواق وساحات المصانع ، وهو مسرح سياسي راديكالي ، له قضية واحدة ، يعرض مختلف وجوهها ، وهو في هذا العرض لا يقف عند التعليم أو التنوير ، لكنه يتجاوزهما الى التحريض والاثارة فهو يرى أن كلمة الدعاية أو البروباجندا لم تعد منفرة في قاموس الفن ، والعرض المسرحي شكل من اشكال النضال السياسي ، مثل تنظيم مظاهرة أو أضرابا ، أو العمل على تعبئة الجماهير لاتخاذ موقف ضد سلطة قاهرة .

وهو ثمرة طبيعية لسنوات الستينيات ، التى تصاعدت فيها حركات الاحتجاج ضد المؤسسات الاجتماعية والسياسية والعلاقات القائمة ، واجتاحت هذه الحركات امريكا ودول اوربا الغربية واليابان ، كان المحتجون فرقا وشيعا أيديولوجية متباينة ، وكانت النــواة دائمــا هى جماعات اليسار الجديد ..

ففى أواخر الخمسينيات تشكلت فى أمريكا وبعض الدول الاوربيه جماعات صغيره ، كانت فى معظمها من الطلاب والمشتغلين بتدريس العلوم الانسانية ، بدأت نقدا واضحا وصريحا للمؤسسة البورجوازية ، وأخذت على عاتقها أن تصوغ نظرية ثوريه جديده ، تلائم العصر ، وتستثير وعى المجتمع ووجدت هذه الحركة منظريها ، ومن ابرزهم عالم الاجتماع الامريكى **رايت ميلز** الذى كتب الوثيقة الاساسية فى « **رسالة الى اليسار الجديد** ، ١٩٦٠ ! » يقول ميلز : « **اليسار عندنا يعنى نقد أبنية المجتمع ومؤسساته ونظرياته ووسائل اعلامه ، هذا النقد لابد أن يتحول – فى لحظة أو أخرى – ليتركز سياسيا حول مطالب وبرامج . النقد والمطالب والبرامج تهتدى جميعا بالمثل الانسانية والعلمانية للحضارة الغربية ، وبقيم العقل والحرية والعدالة . أن تكون فى اليسار يعنى أن تربط النقد الثقافى بالنقد السياسى ، وأن تربطهما معا بمطالب وبرامج** » .

واخفقت هذه الجماعات الاولى ، نتيجة افتقادها التأييد الجماهيرى من ناحية ، وتناقضاتها الداخلية من الناحيه الاخرى، لكن الموقف بدأ فى التغير بعد ذلك نتيجة دخول أعداد متزايدة من الجماهير غير البروليتارية – من الكيان الطلابى بوجه خاص – حلبة النضال ضد المؤسسات الاجتماعية السائدة فى الدول الراسمالية المتقدمة . وادى هذا الى قيام أساس جماهيرى للاحتجاج استطاع اليسار الجديد اجتذابه الى جانبه ، وكانت هذه العملية ملحوظة مع بداية الستينيات ، وفى الولايات المتحدة على وجه الخصوص التى أصبحت – بسرعة – مركز حركة اليسار الجديد .







● المسرح الاحمر فى سانفرانسيسكو

ورغم أن اليسار الامريكى الجديد قد حاول الربط بين نقد الثقافة السائدة ونقد النظام السياسى الا أن أهدافه ووسائله تركزت أساسا حول قضايا الثقافة والتنوير ، وحتى حين شارك اعضاؤه فى العمل السياسى على نطاق واسع وتحت شعارات راديكالية ، فقد آثروا الوسائل التى لا تستخدم العنف ، جاعلين هدفهم الاول اثارة ضمير المجتمع .. وفتح عيون جماهير الامريكيين ليروا حقيقة أزمات «المجتمع العظيم» ! .

وحوالى منتصف الستينيات ، بدأ الطلاب وشباب هيئات التدريس فى معظم الجامعات الامريكية يتخذون مواقف أقل تهادنا ، وراح اليسار الراديكالى فى أوربا يبحث عن طريق جديد ، **تغيرت افكار اليسار الجديد تغيرا بعيدا** ، فلم يعد النقد الراديكالى للمؤسسات و « ايقاظ الضمير » هو الهدف الاساسى ، بل أصبح الهدف هو العمل على احداث تغيير مباشر فى النظام والمؤسسات الاجتماعية والعلاقات القائمة ، باتخاذ خطوات ايجابية فعالة ، بما فى ذلك استخدام العنف ، ومع نهاية الستينيات كانت هذه الحركة قد تطورت الى حد بعيد ، فأصبحت حركة دولية !!

وتجاوزت رؤيتها الانعزالية القديمة ، وتقدمت بمطالب سياسية واجتماعية محددة ، يمس الكثير منها علاقات الابنية الاساسية فى المجتمع البورجوازى الحديث .

لقد تعلم الطلاب والمثقفون المتمردون استحالة حل المشاكل داخل الحدود الضيقه للمؤسسات ، واثبتت خبرتهم السياسيه فى سنوات الستينات صدق ما دعا اليه لينين : ان على الطلاب كى يحققوا حريتهم ان ينغمسوا فى النضال العام«ليس فقط من أجل حرية أكاديمية ،ولكن من **أجل حرية كل الناس .. من أجل الحرية السياسية » .**

وهاجم اليسار الجديد اولا واساسا النموذج الاستهلاكى ومظهرية الاستهلاك ، نموذج الرخاء المادى النهم الذى لا يرتوى ، واوضح ان المشكلة ليست هى الاحتياجات المادية فقط ، لكن هناك الخواء الروحى ، واغتراب الجماهير عن السلطة وعن الابداع الحر الخلاق ، والهبوط بطاقات الانسان الى مستوى الكدح الذى لا يتوقف من اجل المال ،والسباق اللاهث ،من أجل المزيد من السلع الاستهلاكية . باختصار :ان وضع الانسان المحيط فى المجتمع هو القوة الدافعة لحركات الاحتجاج ضد الراسمالية ، والنواة التى تتركز حولها الشعارات والبدائل الاجتماعية والسياسية .

واثار اليسار الجديد ضرورة رفض الاتجاهات السائدة حول التطور الاجتماعى ، وضروره خلق منظومة جديدة من القيم والمبادىء ، وكان هذا يعنى ـ فى شموله ـ خلق بيئة وجودية جديدة لا يغترب فيها الانسان تحت الاستغلال المباشر او غير المباشر لانسان آخر ، ولا يصبح بالتالى موضوعا للبيع والشراء والاستهلاك المظهرى ، لكنها بيئة جديدة تتيح التحقق الذاتى والتلقائى للفرد دون قهر أو تزييف ، فى هذه البيئة لن تمارس التكنولوجيا دورها فى قهر الانسان وتشويهه ، لكنها فقط ستقدم الاساس المادى للمجتمع التكنوقراطى .

يرتبط بهذا الدعوه الى الاسراع بظهور « انسان جديد » هو المبدع الحر للتاريخ ، وتكون البنية التحتية للعلاقات الاجتماعية الملائمة للبيئة الوجودية الجديدة ، وستتملك هذا الانسان « حسية جديدة » حين يقف عاريا فى مواجهة العالم فيتكشف له مضمون الاشياء من حوله فى كل ثراء ابعادها ، انها لن تقيم وفق قوانين السوق ، لكن وفق قوانين الجمال والاكتمال ، وسيوهب هذا الانسان « وعيا » جديدا و « نفسا» جديدة . اى نمطا جديدا من الغرائز يتجاوز ذلك التسامى المشبوه الناتج عن كبت غريزة الشبق وقمعها ، حينذاك يصبح متهيئا لنمط جديد من الفعل .

تشكيل هذه البيئة الجديدة ، وهذا الانسان الجديد ، سيؤديان ـ حسب ما يقول به اليسار الجديد ـ الى صياغة علاقات اجتماعية جديدة لا تقوم على مبدا التسلط والخضوع . ولكن على التعبير التلقائى والحر عن « الطبيعة الانسانية .. » .

انما فى ظل هذه الافكار العامة نبت هذا المسرح ، وتعددت أشكاله ومناهجه ، لكنه ظل تحت العنوان الواحد : مسرح حرب الشوارع او
Gnerilla Street Theater

●

ورغم السوابق التاريخية العديدة لمثل هذا النوع من المسرح ـ مسرح«الدعاية والاثارة » فى الثلاثينيات بشكل خاص ـ الا أن فرقه لم تبدا فى الظهور الا فى ١٩٦٧ و١٩٦٨ ، فى غمرة موجة معارضة حرب فيتنام وتصاعدها ، استطاع قليل منها ترتيب مواعيد لقاءات منتظمة لاعضائها ، والاتفاق على منظور سياسى وأسلوب فى الاداء ، لكن معظمها لا يزال يفتقد التحديد المنظم ، انما يلتقى افرادها ليعدوا عرضا ما ، يسهمون به فى التعبير عن موقف ، أو الدعوة لمظاهره أو اضراب ، ثم ينغمسون فى الوان اخرى من النشاط السياسى ، حتى يحسوا الحاجة لتقديم عرض آخر ، فيلتقون عليه ، وهكذا .

والطابع العام لهذه العروض ـ من حيث ظروف انتاجها ، والمكان الذى تقدم فيه حيث لا يدفع المتفرج مقابل ما يرى ، وكذلك الاتجاه السياسى للمشاركين فيه ـ **طابع غير احترافى** ، فالشرط الوحيد للعضوية ان تكون راغبا فى المشاركة ، وفى تنمية الاهتمامات والقدرات الضرورية لتقديم عرض مسرحى ، وان تلتقى مع الحد الادنى من الاهداف السياسية للجماعة .

وترى هذه الفرق أن الممثل مغترب عن جمهوره ، وهى ظاهرة من ظواهر تقسيم العمل فى مجتمع طبقى ، فقد بدأت الدراما فى احتفالات الجماعة ، وحين ازدادت القدرات الانتاجية للمجتمع ، وتطورت الطبقات فيه . حدث الانفصال بين منتجى السلعة لصالح المجتمع والمتحكمين فيها ، اصبح النشاط العقلى ، الفكرى والفنى،من اختصاص السادة ، وعلى العبيد والاقنان



● مسرح الطلاب الديموقراطيين .. فرع بنيويورك .

والفلاحين والبروليتاريا انتاج السلع ، أما الطبقة الحاكمة - وذيولها - فهم الذين يخططون وينظرون ويستشرفون التطور الفكرى والفنى ، وتلك حقيقة لن يصعب التدليل عليها اذا نظرنا الى صانعى القرارات فى الجامعات والمؤسسات الثقافية الكبرى .

وكان طبيعيا أن يؤدى تقسيم العمل فى اليونان القديمة الى نهاية الاحتفالات الدرامية فى مهرجانات الجماعة ، وظهور لون من العرض المسرحى يعده المحترفون لاستهلاك الجمهور ، والصورة الحديثة لهذا التطور هى « صناعة المسرح » التى يتولاها رجال اعمال متخصصون لا تربطهم بالجمهور غير أثمان التذاكر .

واحدى الوسائل التى تستخدمها هذه الفرق للتغلب على اغتراب الممثل هى ان يتقدم الممثلون الى الجمهور بالسؤال عما يراه خاصا بمصائر الابطال ، وأحيانا يعتمدون على هذه الاجابات لتحديد نهاية العرض المسرحى ، ففى احدى مسرحيات الدمى التى قدمتها « الفرقة الحمراء » فى سان فرانسيسكو، تقدمت الدمى تسأل الجمهور عن المصير الذى يجب أن يلقاه شرير المسرحية « العم سام » ، ثم قامت بتنفيذ النهاية التى طلبها الجمهور ، كذلك اختارت فرقة« المهرجان » أطفالا من المشاهدين ليشاركوا فى الاغنية الاخيرة للعرض : « لا نريد ملوكا بعد الان .. » ، ثم يحاصرون الملك والملكة ، ويطوفون بهما حول الخشبة «مقبوضا عليهما بأمر الشعب .. » ، وفى مسرحية لفرقة «التحول السريع » بعنوان المباحث العامة « FBI » يتقدم شخصان من المباحث ، ويلقيان القبض على خطيب فى اجتماع سياسى ، ثم يأتى الممثلون ويشرحون كيف أعد هذا الحدث مسرحيا ، ويبداون تجسيد استجابات جمهورهم لهذا الحدث ، ويشتركون معهم فى مناقشة القضية : هل تكفى تلك الحريات الليبرالية المزعومة فى مواجهة مثل هذا القهر ؟ ، ويتحقق هذا التكنيك بنجاح فى عرض تقدمه فرقة أخرى : لا مسرحية معدة على الاطلاق ، لكن رساما يجلس الى جانب طريق عام ، ويرسم ، وهو يرسم دائما صورة واحدة تجسد الفساد فى رمز يعرفه الامريكيون جيدا وهو البيت الابيض ، ويكون الرسم بداية التفاعل بين الممثلين والجمهور .

وليس الهدف من هذا كله هو كسر حاجز الغرابة بين الممثل وجمهوره فقط ، لكن هذه الفرق تهدف لما هو أبعد : أن المسارح التقليدية تعبر عن وجهة نظر فى العلاقة بين المجتمع والواقع الاجتماعى ، وبشير الانفصال بين الجمهور والحدث على الخشبة الى أن الواقع الاجتماعى الذى يتكشف أمام أفراد المجتمع لا يمكن التأثير فيه أو تعديل مساره ، أما هذه الفرق فتريد أن ترسى مفهوما آخر هو أن هذا الواقع الاجتماعى كما نصنعه الجماهير ، فانها أيضا يمكن أن تغيره وتتحكم فيه بالعمل الجماعى .

●

وقد نشأت معظم فرق مسرح حرب الشوارع مرتبطة بالتطور فى اليسار الجديد ففى ٦٩ وبعد أن انقسمت حركة الطلاب الديمقراطيين ويطلق عليها عادة « SDS » اختصارا لـ : Students for Democratic Society
وصل عدد غير قليل من الطلاب الى يقين كامل بأن الحرب الامبريالية ، والقهر ، والقيود العنصرية والجنسية ، انما هى استراتيجية الرأسمالية الحاكمة من أجل تحقيق الربح ، فالقهر قضية طبقية ، والرأسماليون لن يحققوا ارباحهم الا على

حساب عمال العالم ، وهذا كله لا يمكن الوقوف ضده الا بجهد موحد للمقهورين .

ولكى نتفهم صعوبة الوصول الى مثل هذا الفهم الموحد يجب ان نضع فى اعتبارنا ان معظم الطلبة ليسوا أبناء وبنات ابروليتاريا ، لكنهم ابناء وبنات المهنيين ورجال الاعمال الصغار والكبار ، وأن ثمة ميلا للنفور من الطبقة العاملة موجود عند معظم أبناء الطبقة الوسطى من الطلاب والمهنيين ، وفى التنشئة الاجتماعية الامريكية بعض اسباب هذا النفور ، وحين يفشل الراديكاليون من أبناء هذه الطبقة فى تبنى تحليل طبقى للقهر ، وفى الوعى بأن كل ديناميات المجتمع تحددها العلاقة الاساسية بين القاهرين والمقهورين ، فسيميلون الى تبنى تصورات اخرى عن حقيقة القضايا الاجتماعيه تحجب عنهم طابعها الطبقى ، وتقوم الرؤية الاخلاقية للرأسمالية على تأكيد ارادة الفرد وموهبته فى تحقيق مصيره ، وكثيرون من راديكاليين الطبقة الوسطى لم يعرفوا خبرات يمكن أن تنتقض هذا المفهوم البورجوازى : اننا نستطيع أن نقفز فوق حقائق الواقع الاجتماعى بالجهد الفردى المعزول ، فمثل هذه الخبرات ، بالاضافة لوعى اهمية العمل الجماعى – والذى يمكن ادراكه ببساطة فى تنظيم المؤسسات الصناعية الضخمة ومراجعة نضال العمال فى العالم – يمكن ان تحد من سيطرة هذا المفهوم البورجوازى للجهد الفردى ودوره الذى يتعالى على حقائق الواقع الاجتماعى ، لكن غياب هذه الخبرات وافتقاد التحليل الطبقى للواقع ، وعدم وجود حركة عمالية مسيسة ومنظمة .. كل هذا يؤدى مرة اخرى الى تأكيد اهمية دور الفرد .

من هنا كان طبيعيا أن تكون وسيلتهم لتحقيق التغير الاجتماعى من خلال تغيير الفرد ، فهم لا يدركون أن القضايا والمشاكل الاجتماعيه كل مترابط ، وانها جميعا تصدر عن العلاقات الاساسية فى المجتمع ، وليس عن ارادات الافراد ، وصلاحهم او فسادهم الاخلاقى ، هكذا يأمل أصحاب النوايا الطيبة فى أن يؤدى تغيير « السياسيين الفاسدين » بسياسيين افضل الى تغيير طابع النظام نفسه ، ويرى كثيرون من الرافضين : الباتنيك والهيبيز والثوار الخضر ورافضو الثقافة السائدة ومتعاطو العقار والمخدر أن النظام ليس سوى محصلة جهود الافراد المشاركين فيه ، فاذا انسحب عدد كاف انهار النظام وتخلخلت قواعده ، وفاتهم أن يدركوا ان الراغبين فى الانسحاب والقادرين عليه فى نفس الوقت قلة « فالرأسماليون قادرون على الانسحاب وليسوا راغبين فيه ، وقد يكون كثير من افراد الطبقة العاملة راغبين فى الانسحاب لكنهم ليسوا قادرين عليه » ، وحتى لو زاد عددهم فلن يؤدى هذا الى انهيار النظام .. فما أسرع ما يجد قطعا بديلة !

وعند كثير من فرق اليسار الجديد ، فان القهر الاجتماعى للطبقة السائدة انما يتحقق من خلال تزييف الوعى ، فيحسب الناس انفسهم أحرارا وهم ليسوا كذلك ، ويحسبون أنفسهم سعداء وهم ليسوا كذلك .. الخ ، وترى هذه الفرق ايضا أن النظام قادر على ان يتمثل أى جماعه تعمل من داخله ، لذا كانت المشكلة التى تواجههم هى : كيف يمكنهم تحدى مقولات الوعى المزيف دون أن «يتعاونوا» مع النظام القائم ؟ او كيف يقيمون الوعى الحقيقى بضرورة المعارضة الراديكالية للنظام من خارجه ؟ فى هذه المعركة الدائرة ضد الوعى المزيف يعتقد مسرح الشارع أنه فى صف الثوره ، أو هو فعل من أفعال الثورة ، فهم يخرجون الى الناس كى يحرروهم من الخوف والفزع والحصر المجنون للحياة اليومية فى الولايات المتحده . لكنهم لم يوضحوا ابدا كيف يمكن لهؤلاء الناس أن يشاركوا فى التغير الاجتماعى ، او ماذا يستطيعون عمله لاحداث هذا التغير او التعجيل به . لقد ناضلوا كى يقفوا خارج النظام ويقدموا نقدا راديكاليا له ، لكنهم خضعوا فى النهاية لتناقضاته ، فأجهزة الاتصال الجماهيرى تصفهم بأنهم مثاليون ، وهذا صحيح بمعنى واحد : انهم يهتمون بالواقع المادى اهتماما نظريا محدودا ، ويركزون اهتمامهم كله حول الوعى ، وبالتالى فهم يجعلون التغير فى الفكر لا فى الواقع ، ويعكس مسرحهم – بالتالى – العجز عن التعرف على القوى الاجتماعية المؤثرة فى التاريخ .

وهذه المثالية سرعان ما اصطدمت بالواقع المادى ، فبعد الصدامات الدامية فى واطس وديترويت وشيكاغو وواشنطن، ايقن جانب كبير من هؤلاء أنه لا أمل فى تغيير الطبقة التى تملك بين يديها السلطة واجهزة القمع عن طريق تغيير وعى الجماهير او التوجه الى ضمائرها ، بل لابد من النضال المنظم للحصول على السلطة ، وما دام رأيهم ان الثوريين الحقيقيين هم هؤلاء « خارج النظام » فقد وصل اليسار الجديد – بمنطقه نفسه – الى ضرورة ان يسعى للحصول على السلطة السياسية .

ولما كان الطلاب قطاعا هامشيا من الناحية الاقتصادية ، فقد أصبح نضالهم من اجل السلطة نضالا رمزيا أكثر منه نضالا واقعيا . من هنا فتح مسرح الشارع الباب أمام كل الاستخدامات السحرية والطقسية للمسرح ، لكنه لم يمتلك الخيال الضرورى كى يتحول لمسرح احتفالى ، هكذا تصور اليسار الجديد أنه « قوة الحياة » تصارع « قوى الموت » ولن يكون انتصارها سوى انتصار رمزى بطبيعة الحال ، وهكذا ايضا ظهر الميل الى فهم الحياة السياسية كأنها خشبة المسرح : ما دمت تسيطر على الخشبة والميكروفون والجماهير فقد تحقق لك الانتصار ! .

ثم جاءت رغبة اليسار الجديد فى « امتحان قواه فى الشارع » مناسبة كى يفهم كثير من المنتمين اليه الصراع من أجل السلطة على نحو آخر ، وبدأ كثيرون منهم يرفضون افتراضات الحياة الطوباوية الساحرة والمسحوره ، واستداروا الى التاريخ يستقرئون احداثه ويتعلمون منه، والى التجارب النضالية فى الحركة الاشتراكية العالمية ، معرموا ماركس وانجلز ولينين وتروتسكى وستالين وماو وفرنسا ٦٨ ونضال العمال فى الولايات المتحده . .

وادركت حركه الطلاب الديموقراطيين فى ٦٩ ضرورة ارتباط حركة الطلاب « بدعم الطبقه العاملة والتحالف معها » ، ادركت القوة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة ورسالتها التاريخيه ، وأصبح أعضاؤها ينقدون المثالية وينقدون انفسهم عليها ، ولم يعد مهما عندهم فهم الدوافع الداتيه لرجال المال والصناعة ، ولم يعد مهما معرفة ما اذا كانوا يحسبون أنفسهم مسئولين اجتماعيا او لا يحسبون ، فهذه الطبقات تلعب دورها فى دراما مستمره فى الزمان ، هى دراما نضال الحياة والموت من أجل تحقيق الاشتراكية فى امريكا ، ووصلت حركة الطلاب الديموقراطيين الى الاقتناع بموضوعية وامكان قيام حركة عماليه من الغياب الواضح لهذه الحركة ، ووجدوا بالتالى استراتيجيتهم ووظيفتهم فى الشعار الذى رفعوه : **« من أجل تحويل اتجاه الحركة نحو سياسات الطبقة العاملة »** .

وشجع الاتحاد شكلا من اشكال مسرح الشارع هو ما عرف **بفرقة الفنون الراديكالية »** RAT اختصارا لـ Radical Art Troupe التى عكست هذا الخط السياسى الجديد ، وكان فكر الفرقة يقوم على ادراك أن هناك نضالا اجتماعيا يمكن تقييمه وادراك نتائجه التاريخية ، وهناك مسرح ، هو جانب من هذا النضال ومرتبط به ، لكنه ليس النضال نفسه ، فالفن ليس هو الحياة ، وفى حين تركز معظم فرق اليسار الجديد اهتمامها حول الوعى الفردى فان فرقة الفنون تركز اهتمامها حول الوعى الطبقى او الوعى بالطبقة ، وتقدم فى أعمالها لونا من التجسيد او التمثيل التعليمى للتناقضات الرئيسية فى النظام الاجتماعى . لقد قدمت الفرقة ما عرف باسم **المسرح المقاتل** Combative Theater

فهل استطاعت ان تتجاوز النوايا ؟

ان الفرقة حريصة على أن تظل ممسكة بانتباه جمهورها ، وهى تعى بأنها تقوم لهم « بتصحيح » يجعلهم على أهبة الاستعداد للفعل المباشر . لذا فهم يتحاشون استخدام الفكاهة الامريكية السائدة ، لان هدفهم هو أن يستغلوا ـ لا أن يعرضوا فقط ـ تناقضات النظام الاجتماعى ، فالفكاهات العنصريه والجنسية والمعادية للطبقة العاملة مستبعدة تماما . لا من النضال الاجتماعى وحده ولكن من قاموس الفن كذلك ، ان المسرح المقاتل يفتقد وسيطا ثقافيا لم يوجد بعد ، ولن يوجد الا حين تخلقه الطبقة العاملة نفسها ، وهو الان يشير الى هذا المستقبل من خلال فعل قتاله نفسه .

وفرقة الفنون تعرف أنها تقدم اعمالا دعائية ، وترى ان هذه الكلمة لم تعد كلمة منفرة ، كل ما يطمحون اليه ان يكون فنهم هو فن الشعب ، لهذا لا يشجعون المحترفين والمتخصصين ، فكل واحد يستطيع أن يكتب ويمثل فى عروض الفرقة ، والفكره هى ان على المشاركين فى النضال الاجتماعى ان يشاركوا ايضا فى الفن الاجتماعى

ولكى نفهم أهمية مسرح الطلبة المتحالفين مع الطبقة العاملة نشير مرة اخرى لان الاغلبية الساحقة لهؤلاء الطلاب ليسوا من اصول عمالية ، لكنهم تعلموا كراهية الطبقة التى جاءوا منها ، ورفضوا ـ عن وعى ـ فكرها وفنها وثقافتها ، ومع هذا الرفض ذهب جانب كبير من تاريخهم الشخصى . ومن الناحية الاخرى فان الاساس المادى للافكار الفردية التى تعلموها كجزء من تاريخهم الشخصى وتكوينهم الطبقى قد عصف بها اقتصاد رأسمالى ـ احتكارى متكامل ، فمعظم هؤلاء لم يعودوا يتوقعون أن يتخرجوا ليجدوا وظائف ذات عائد فردى ، لكن عليهم ان ينتظموا اجتماعيا كمدرسين او تكنوقراط أو عاملين فى مجال الخدمة الاجتماعية .. الخ ففكرة الفردية التى كانت تبدو طبيعية فى عيونهم لم يعد لها مقابل موضوعى فى الواقع ، وزاد الامر

سوءا عدم وجود حركة برولتيارية نشطة ترحب بهؤلاء الطلاب بين صفوفها !

[■]

● **وقضية هذا المسرح ــ على وجه العموم ــ هى قضية القهر الذى يمارسه النظام الرأسمالى ، وضرورة النضال ضده** ، لكن الفرق المختلفة تستخدم مناهج مختلفة فى تناول القضية ، ويتراوح نقدها ما بين تقديم الموعظة الاخلاقية او الرثاء لما آلت اليه الامور ، وبين تقديم تحليل درامى تفصيلى لاسباب هذا القهر وديناميات ، وتقديم الخطوط العامة للنضال ضده حتى القضاء عليه . بعض هذه الفرق تتناول قضايا الحرب واللون والجنس من حيث هى امور كريهة ،الهدف منها ازعاج الاخرين ومضايقتهم ، هذه الفرق تركز عملها على « آثار القهر » لا القهر نفسه ، وهدفها الاول أن تقدم لونا من التكثيف الجمالى للواقع الاجتماعى ، ولعل أهم الفرق التى استخدمت هذا التكنيك بنجاح ــ ومنذ سنوات ــ هى فرقة « **الخبز والدمية** » ، وتشاركها فرق اخرى بنجاح اقل .

الاتجاه الاخر ــ والمختلف تماما ، والذى يتزايد استخدامه فى هذه السنوات الاخيرة ــ يهدف لتقديم لون من التحليل الاجتماعى للواقع ، فتتناول هذه الفرق ــ دراميا ــ وحشية مختلف وسائل القهر والقمع فى المجتمع ، وتحاول ــ فى نفس الوقت ــ ان تنمى عند جمهورها فهم الطريقة التى تترابط بها كل هذه الوسائل وانها ليست سوى امتداد منطقى وادوات للنظام الرأسمالى .

هذان الاتجاهان ــ وقد يجتمعان فى عمل واحد ، أو قد لا يكون الانفصال بينهما بائنا كما تحدده الكلمات ــ هما الدافعان الرئيسيان لمسرح الشوارع فى أمريكا ، ولعل الاتجاه الثانى يقوم على تلبيته حاجات أكثر مباشرة والحاحا عند جمهوره ، فالناس عادة لا يقبلون على من يكتفى بان يقول لهم انهم مقهورون ، فما يطلبونه انما هو النظر التحليلى الى هذا القهر ، ومعرفة بأسبابه . وعلاقته بالقهر الذى تعانيه شعوب وجماعات أخرى .

وبديهى أن أحدا من هذه الفرق لا يؤمن بأن ثمة فنا للفن ، او فنا ليس قوة اجتماعية دافعة ، واليوم ، لم نعد بحاجة للقول بأن ما يتخفى وراء دعاوى الفن للفن انما هو فن الطبقات الحاكمة ، وهــو فى امريكا على وجــه الخصــوص فن **الرأسمالية الامبريالية ، ولسنا بحاجة للقــول** كذلك بأن أية محاولة للهرب من النضال الاجتماعى او القفز فوقه محكوم عليها بالاخفاق .



● مسرح التحول السريع ••

وثمة جانبان يمكن من خلالهما الحكم على ما تقدمه هذه الفرق ، أو وسيلتان لتحديد القيم التى يتم على اساسها الحكم : فثمة من ناحية الاعمال التى هى ليست « مبرمجة » أو دعائية أو « مهدفة ــ لا نقول هادفه ، وهذه تسهم فى ان تجعلنا بشرا أفضل ، وتزيد من تقبلنا لمسؤوليه الفعل الاجتماعى ، وثمة ــ من الناحية الاخرى ــ الاعمال « المهدفة » تماما ، والتى تقدم تحليلا للشروط الاجتماعية، وتدعونا ــ علنا أو ضمنا ــ الى اتخاذ فعل اجتماعى . اهمية الاعمال الاولى فى الاثر البطىء الذى تحدثه فى انسنة عقل الجمهور، وفى تأثيرها على الثقافة فى المدى الطويل . قال ماركس : « ان موضعة الطبيعة الانسانية ــ فى النظرية والممارسة ــ أمر ضرورى لانسنة العقل والحواس ، ولخلق العقل الانسانى القادر على أن يستجيب للثراء الكامل فى الانسان وفى الطبيعة » ، وأهمية الاعمال الثانية فى ان الفهم الاجتماعى المباشر ــ عــن طــريق التصــوير الدرامى ــ يؤدى بالجمهور الى اتخاذ فعل اجتماعى مباشر معتمد على هذا الفهم .

والعلاقة بين الجانبين علاقة جدلية ، ومن السمات الملازمة للفعل الاجتماعى التقــدمى أن يجعل الظروف الاجتماعية متسقة مع توقعاتنا لما يجب أن يكون عليه المجتمع الانسانى ، أى مستوى انسانيتنا وثقافتنا وقدرتنا على التأثير فى الفعل الاجتماعى ، وفى نفس **الوقت** ، فان مســتوى تحقيقنا الاجتماعى ، والفعل الاجتماعى الناجح **يؤثران فى ثقافتنا وقدرتنا ، وهكذا .. فالعلاقة**

بين الفن « المهدف » وغير المهدف علاقة جدلية ، وأهداف أحد الجانبين معتمدة على ما ينجزه الاخر ، لكن هذا لا يعنى أنهما يتساويان فى القيمة على نحو مطلق أو فى اللحظة التاريخية المعنية .

بعبارة اخرى : ان الاختلافات والعلاقة بين الفن المهدف وغير المهدف ، أو بين المسرح الذى يحاول ان يقدم تكثيفا جماليا للواقع ، والمسرح الذى يقدم تحليلا لهذا الواقع ، او بين النقد الليبرالى للمجتمع ، والنقد الراديكالى لنفس المجتمع ، يمكن ادراكه من خلال الاختلافات والعلاقة بين المعرفة التى تقف عند حد الفهم الادراكى للواقع ، والمعرفة التى تتجاوزه نحو مفهوم للواقع ، المعرفة الاولى تقف عند حد ادراك الظاهرة فى علاقاتها السطحية ، هى معرفة بالمعطيات الخام ، والتى هى - بداتها وفى ذاتها - لا يمكن أن تقدم لنا حلولا واقعية لمشاكل المجتمع الاساسية ، والمعرفة الثانية تصدر عن هذه المعرفة الادراكية ، ثم تتجاوزها لتنمى مفهوما للقوى والمبادىء الاساسية التى تحدد الطابع العام والعلاقات بين الظواهر ، انها تقدم الادوات الضرورية لفهم الواقع من أجل السيطرة عليه .

والنقد الليبرالى - فى أفضل احواله - لا يقدم سوى معلومات يمكن أن تدخل فى « تأليف » جديد فى المعرفة التصورية ، وفى أسوا احواله يقوم بتعتيم حول القوى الاساسية التى تحرك التاريخ . فهو - حسب تعريف - يقصر اهتمامه على ما هو ظاهر ، وهو بالتالى لا يعى حقيقة مثل : ان استخدام القوة العسكرية فى الخارج ضرورى لصالح رأس المال الامريكى ، تماما كما ان عدم الاستمرار والاضرابات والمظاهرات والقهر المادى واستخدام القوة انما هى عوامل ضرورية لعمل النظام فى الداخل ، هكذا تتبدد طاقاتهم فى البحث عن حلول لبعض الاعراض الاجتماعية دون نظر الى مصدر الداء .

وقد عمل مسرح الشارع - فى السنوات الثلاث الاخيرة - على رفع المعرفة الادراكية الى معرفة تصورية ، وفى بداية حركة معارضة حرب فيتنام ، ظنت كل الفرق أن هذه فرصة مواتية يقدمها الواقع لتعرية سياسة الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة أمام جماهيرها ، ثم كشفت لهم الحقائق بعد ذلك أن ما هو مطلوب لاحداث التغيير شىء اشمل وأعمق من مجرد معرفة الامريكيين للحقائق الرهيبة فى الحياة الامريكية ، فمعظم الناس يعرفونها ، وما هو مطلوب هو الاطار الذى يضع الحقائق فى تصور عام ، بمعنى تحليل مشاكل الواقع الاجتماعى واقتراح السبل للقضاء عليها ، والتدليل على امكانية وموضوعية هذا الفعل .

هذا التحليل هو المهمة الاولى للمسرح التقدمى الان .

[●]

يبدو المسرح المقاتل - على وجه الخصوص - مسرحا منجها .. وهذا صحيح . وليس ذلك فقط لانه ضد طقس عبادة الجمال ، بل لان خبرة الجمال ايضا خبرة صادرة عن القهر . فادراك الشىء « الجميل » محدد بالثقافة القائمة ، ويعكس امتيازات الطبقة ، والمشاركة فى خبرة الجمال ترف ، وعند الماركسيين فان احدى نتائج العملية الشاملة فى التاريخ هى امكان قيام فن حقيقى وكامل من خلال حرية « الحواس الخمس » ، ويرى ماركس « ان الحس داخل شروط الضرورة القاهرة لا يؤدى الا لتقييد الحس ... فطرائق تناول الطعام المنحضرة لا تعنى شيئا للجائعين .. الطعام عندهم طعام فقط . » ، فالفقر او سيادة اقتصاد السوق لا يمكن أن يكون بعيدا عن الخبرة الجمالية ، وخلق قطعة من المعدن أو المسرح ، والتفكير فيها وتأملها ، ليس مرهونا بحساسية الفرد ، لكنه مرهون بالتطور التاريخى للمجتمع .

ان الدفاع عن المسرح المقاتل يقوم على ضرورة فهم الفن هى ضوء مقولات تاريخية ، لا مقولات ابدية او نهائية .

كان ضروريا اذن ليس النزول بالمسرح الى الشارع ، والعمل دون عزله عن وظيفته الاجتماعية فقط ، بل والعمل على تحديد هذه الوظيفة بمفردات الفعل الاجتماعى نفسه . فكلما تزايد الاحساس الموضوعى بالعملية التاريخية الشاملة ، كلما تزايد الاحساس بضرورة وجود مسرح موضوعى ، والاستراتيجية الاكثر وعيا للتغير الاجتماعى تتطلب مسرحا اكثر وعيا لذلك . من هنا يكون التركيز على المضمون السياسى ، ويأتى الشكل امتدادا عضويا للمضمون ، وما دمنا نتقبل قيام علاقة جدلية بين المسرح والواقع الاجتماعى ، بدل التعمية على هذه العلاقة باستخدام الشكل ، فان المسرح المقاتل يحاول أن يقدم فى اعماله مضمون العلاقة الجدلية بين الطبقات الاجتماعية .

والتقليد المسرحى الموجود منذ الاغريق حتى المسرح البورجوازى المعاصر يجعل التناقضات دائما « داخل » الفرد ، وقد طبق المسرح المقاتل هذا التصحيح تطبيقا ميكانيكيا : فالشخصيات تمثل طبقات اجتماعية كاملة ، وتلعب ادوارها رموزا

لعمليه التاريخية . فالعمال دائما طيبون وعلى حق ، والرؤساء دائما اشرار وعلى باطل ، وفى النهايةلابد ان ينجح العمال — وحلفاؤهم الطلاب — فى هزيمة الرؤساء . ليس الاشخاص سوى ممثلين لادوارهم التاريخية والاجتماعية . بلا حياة داخلية .

وهذا المسرح يعى جيدا علاقته بالنضال الاجتماعى والتاريخى ، والفن المسرحى لم يقفز أبدا فوق الخبرة التاريخية ، ومن هنا فلابد انه استخدم — ويمكن أن يستخدم — على هذا الجانب أو ذاك من دراما الصراع الطبقى ، وتاريخ الثورة يعلمنا أن المستغلين والمقهورين عرفوا مصادر استغلالهم وقهرهم قبل أن يتبلور وعيهم بأنهم طبقة اجتماعية تستطيع الاطاحة بهذه المصادر وتولى السلطة لصالحها . لهذا فان الفن — والمسرح بوجه خاص — كان فى اوقات كثيرة فنا مقاتلا .

والان .. على هذ المسرح ان يقدم نقدا حادا وواضحا لكل شىء فى المجتمع القائم من منظور ثورة الطبقة العاملة ، وأن يتحدى الافتراض الجمالى القائل بأن **مسرح البورجوازية هو الذى يعكس « الطبيعه الانسانية » ، وان يثبت أن أيديولوجية الطبقة السائدة — لا الفن — هى التى تحدد تلك الطبيعة التى نراها ابدية ودائمة .**

ثم .. اذا لم يكن هناك دفاع جمالى خالص عن المسرح المقاتل .. فهل هناك علم جمال خالص ؟

حتى المسرح له دور يجب أن يلعبه فى التاريخ ، ودور المسرح المقاتل أن يتحدى ويعرض ويعرى ويفوى الحقائق الضرورية من اجل عمل سياسى ، وهو حين يهاجم الحاضر بقسوة ، فانما يتطلع نحو المستقبل ، حين يصبح الفن ملتزما اجتماعيا ، دون أن يطلب الى فنانيه أن يرفضوا معظم خبرات تاريخهم الشخصى ، والمسرح المقاتل معنى بكيفية الاسهام فى التعجيل بقدوم هذا المستقبل .

فى ١٩٢٠ قال لينين لشباب روسيا انه لابد من طبقة عاملة قد اكتمل وعيها الطبقى ، تستطيع أن تفهم وتستخدم تلك العناصر الثمينة فى تراث المجتمع القديم ، فهذه هى القادرة على خلق ثقافة مجتمع جديد ، والمسرح المقاتل يتطلع نحو مسرح اشتراكى ، قادر ليس فقط على تقديم المتناقضات بين الطبقات الاجتماعية تقديما صحيحا ، بل وقادر ايضا على الكشف عن الحياة الداخلية لهؤلاء الرجال والنساء الذين يعيشون فى العالم ، هادفين الى تغييره والسيطرة عليه .

نمـــــــاذج

● مسرحيـــة الملك

[قدمتها فرقة « المهرجان » لمدة ٨٥ عرضا ، بدأ عرضها فى ١٩٦٨] .

الممثلون : الملك ، الملكة ، الوزير ، الناس [من ٣ أشخاص الى ٦] ، المذيع ، موسيقيان يغنيان ويعزفان الالات الموسيقية التى تتوفر ؟ المذيع ينطق السطور وهو يضرب صناجتين احداهما بالاخرى .

الادوات : بوابة القصر ، رجل دجاجة كبيرة ، خبز مما يقدم للمعونة ، أدوية ، جاروف ، بعض المال ، بندقيتان أو ثلاثة من طراز عتيق .

[يقف الجميـــع أمام بوابة القصر ، يغنون أغنية فالسرقديمة والناس تروح وتجىء] .

المذيع [**فى الوسط**] : فى يوم من الايام .. منذ زمن بعيد ، وفى مكان بعيد ، أبعد من الشارع الرابع وافينيون [ب] ، كان هناك ملك [يدخل الملك ، يتلفت حوله ثم يتخذ مكانه أمام البوابة] ، وكان للملك ملكة [تدخل الملكة ، يبدأ الملك والملكة فى الرقص معا] ، وكان للملك والملكة وزير [يدخل الوزير ، يرقص أولا مع الملكة ، ثم مع الملك] .

المذيع : الملك الان يتنـــاول عشاءه [الوزير يقدم له رجــل الدجاجة ، ويظل الثلاثة يأكلون منها فى حركات شهوانية شبقة وحتى الان ، لازال الناس يغنون فالس ، لكنهم بـــدأوا يغنـــون أغنية من أغانى الحصاد ، تلقى رجل الدجاجة خارج المسرح].

المذيع : الملك الان ذاهب لينام [الملك والملكة والوزير يذهبون الى ماوراء البوابة . ينامون . لا موسيقى] .

المذيع : وخارج أبواب القصر كان هناك بعض الناس الذين يؤدون أعمالا شـــاقة ، وكانت أعصـــابهم مجهـــدة [كل من الشخصيات التى تدخل الان مع كلمات المذيع ، تؤدى حركة أو مونولوجا قصيرا تشير به الى شروط حياتها وترتبط بالمسرحية والمطلوب أساسا شروط الحياة فى أمريكا اليوم ، والشخصية التى تمثلها ، كأن يكون الرجل العصبى عاملا فى مؤسسة ، والسيدة المجهدة عاملة نظـــافة .. الخ].

المذيع : بعض الناس يعملون عملا مجهدا حتى التعب الكامل [تدخل سيدة مجهدة : لاراحة لسنوات طويلة] .

المذيع : وبعض الناس بلا عمل ، وهذا يجعلهم يفقـــدون صوابهم [من الافضل أن يكون فتى زنجيا] .

المذيع : وكان من بينهم نساء يردن أن يصبحن مثـــل الملـــكة [تدخل بعض النسوة المتعلقات بأدوات التجميل ، والامل الخادع فى الزواج] .

المذيع : والبعض بلا عمل ، ولا يريدون أن يعملوا [يدخـــل بعض الهيبيز ، ويعزف الموسيقيان لكل شخصية لحنها المناسب] .

المذيع : وبدأ الجميـــع فى الشكوى حتى أيقظت ضـــجتهم الملك [يبدأ الناس فى احـــداث ضجة ، ويتوجهون بشكواهم الى الجمهور ، يســـتيقظ الملك ، فيستدعى الوزير] .

المذيع : ان لدى الوزير فكرة .. [الوزير يعد بعض البرامج الليبرالية : توزيـــع الادوية ، الخبز ، والوظائف ، الجاروف ، يعطيهم للناس هو والملكة ، ثم يشرعان فى الرقص ، النـــاس تبدأ فى الغناء بوجوه جـــامدة ميتة] .

ان الملك طيب معى ..
يعطينى الدواء حين أمرض
ويعطينى الطعام حين أجوع
ويعطينى العمل حين أتبطل.
ان الملك طيب جدا معى .

المذيع : لكن الادوية نفدت ، والخـــبز كان عفنا ، والوظائف لا تعطى أصحابها الاجر الكافى .. [يدق الناس كى يؤكدوا كل كلمة من الكلمات الســـابقة ، مستخـــدمين الادوات التى فى أيديهم . ومع الجملة الاخيرة يتقدم الفتى المتبطل والجاروف بيده لكن الملك لا يدفع له شيئا ، يبدأ الجميع فى التجمهـــر أمام بوابة القصر وهم يحملون الادوات كشعارات ، يتبادلون الشكوى فى ضجة عالية] .

المذيع : ووجد الوزير فكرة أخرى .. [صوت نفير . الوزير يخرج ويقول : « الاعـــداء .. الاعداء » ، وهذا بعد اجتماع فى القصر ، يدفع الوزير بالناس لمحاربة العـــدو ، وينتزع منهم برامجه الليبرالية ، يشير لهم أهل القصر اشـــارة الوداع ، يتحرك الناس ، وحين يختفون ، يعود الوزير برجل الدجاجة ، وتعزف الموســـيقى الفـــالس ، ويبدأون الاكل بنهم] .. [يتجمد الناس على أحد جانبى الخشبة وطلقات المدافع تقطع صـــوت الفـــالس ، ويجرح أحـــدهم ، ويعودون فيجدونهم منهمكين فى الاكل ، فيفقدون صوابهم ، تحدث المواجهة ، يتراجع أهل القصر الى ما وراء البوابة ، ويعجز الملك عن تهدئة الناس] .

المذيع : ويقرر الملك أن يجرى انتخابات جديدة ، [يلعب الفالس لحنـــا ســـريعا مـــع تقـــدم اجراءات الانتخابات ، المرشحان هما الوزير والملكة ، يذهبـــان الى صندوق الانتخابات ويلقيان خطبا انتخابية فى حركات بعضها فكاهى وبعضها منفر ، يحاول النـــاس أن يدفعوا بأحـــدهم كمرشح ، لكنه يبعد فى كل مرة يختار الملك الملك الجديد على

طريقة « حادى — بادى » . ثم يتوج الذى وقع عليه الاختيار ، ويعزى الاخر ، ويصعد الملك الجديد فوق الصندوق ، ويحاول أن يخطب فى الجمهور ، لكن الجمهور يتصايح فى وجهه ويغنى « لا نريد ملوكا بعد الان » .. ويغرى المتفرجين بمشاركتهم الغناء .

الملك القديم يأتى بالبنادق ، ويعطيها لرجال القصر ، يركزون البنادق على بوابة القصر ، موجهين فوهاتها نحو الجمهور والنظارة . يتجمد الموقف كله ، صمت . رجال القصر يصيحون فى صوت واحد : « هس .. » يتجمد الموقف تماما والبنادق مصوبة .

المذيع : فى يوم من الايام كان هناك ملك [مشيرا الى القصر ثم مشيرا الى الجمهور والمتفرجين] .. كنا نحن الباقين [ينحنى الجميع ويظلون متجمدين] [ملاحظة : اذا صعد الجمهور الى الخشبة ، وحاول الاشتراك ضد القصر ، فهذه هى النهاية المطلوبة ، أما اذا ظلوا يغنون فى أماكنهم فان هذا لا يكفى ، وعلينا أن نعيد مشهد النهاية] .

اغنية : الرجل الغنى هو ملك أمريكا .

الفقراء يعطون أصواتهم للرئيس ..

لكن الرجل الفقير لا يستطيع ان يرشح نفسه رئيسا .

يقرر الناس اى مرشح يعطون أصواتهم .

لكن الناس لا يقررون ابدا من سيرشح نفسه .

ويعد المرشحون بأنهم سيعملون لناخبيهم أشياء كثيرة ..

ثم ينفقون الاموال فى الحروب الرجل الغنى لا يحارب بنفسه لكنه يظل فى بيته ويجنى الاموال من الحرب .

معظم الناس يكدحون فى عمل شاق ويظلون قلقين حول ما يكفيهم .

وقلة من الناس لا تعمل ، وتتقاضى من الاموال أكثر مما تنفق ..

فى هذه البلاد ثروة تكفى كل انسان كى يجد مكانا يعيش فيه .. وأطباء وعلاجا مجانيا .. ومدارس مناسبة لاطفاله ..

اذا حصل كل انسان على ما يكفيه ، فلن يضرب الاخرين للحصول عليه .

الرجل الغنى هو ملك أمريكا .

لكن أمريكا ليست بحاجة الى ملك .

دق المسمار

(قدمتها فرقة الفنون الراديكالية للمرة الاولى فى جامعة كاليفورنيا ، صيف ١٩٦٩)

الشخصيات :

رئيس العمل (١)

رئيس العمل (٢)

كلاهما سمين وغنى تبرز من جيوبه رزم الاوراق المالية .

العم سام

عمال وفلاحون وطلبة .

الراوى : فرقة الفنون الراديكالية ، فى دافيز التابعة لاتحاد الطلاب الديمقراطيين تفخر بأن تقدم لكم (نفخ متصل فى البوق) « دق المسمار » .. هنا على يمينى رؤساء العمل وتابعهم التعس العم سام .. (يتقدم الرئيسان والعم سام ليحيوا الجمهور على طريقة لاعبى البيسبول او الملاكمين حين يدخلون الحلبة) .

أصوات العمال والفلاحين والطلبة : بيه .. بيه ..

الراوى : وعلى يسارى — حيث يجب أن يكونوا — العمال وحلفاؤهم الفلاحون والطلبة .

الجماهير (بقبضات مرفوعة): اهلا .. أهلا ..

الراوى : المشهد الاول .

العمال : نطالب بأجور اعلا .

رئيس العمل : اجور اعلا ؟ .. لكننى مفلس .

العمال : اجور اعلا .. أو لن نعمل .

رئيس العمل : فلنناقش الموضوع استمعوا لهذه الاخبار .. (يدير

التليفزيون، والتليفزيون صندوق له واجهة مربعة مفتوحة . يبدو من خلالها وجه الراوى ، وهو يتلوى ويتقلص ويصدر أصواتا مضحكة فى البداية ، يتقدم أحد ويعدل الازرار ، فيعود الصوت والصورة الى الحالة العادية) .

التليفزيون : متوسط أرباح صناعة دوجونز وصلت اربعة وعشرين مثل ماكانت عليه فى الشهر الماضى الارباح تتدفق ، الجميع اغنياء ، والاقتصاد مزدهر .. (حين ينصرف العمال الى مشاهدة التليفزيون يسرق الرؤساء نقودهم ومحافظهم) .

رئيس العمل :(يعطى للعمال بعض دولارات مما سرق) : خذوا .. خذوا .. ولا يقول احد اننى ضد العمال .

العم سام : الضرائب .. أين اين الضرائب ؟ . . (ينتزع الدولارات من العمال ويستولى على الجانب الاكبر منها) .

عامل : لقد انهارت قدرتى الشرائية . الى الاضراب .

العمال (يهتفون) : الاضراب .. الاضراب .. يسقط رئيس العمل [انه يحاول استخدام العنصرية لشق وحدة الطبقة العاملة] ،

[يتقدم نحو عامل ابيض] الا تستطيع ان تتعرف الى لص أسود حين تراه ؟

عامل اسود : انت اللص .. لا احد غيرك .. اجور أعلا للجميع .. [ينتزع منه البلطة ويطرده] .

العمال [للرئيس] : انت الذى هزمت !

الراوى : ان موقفنا شبيها بما مضى قد حدث أثناء اضرابات شيكاغو فى ٦٨ ، والموقف التالى حدث أثناء اضراب عمال ستاندرد — أويل فى ريتشموند بكاليفورنيا فى شتاء ٦٩ .

رئيس العمل:[يتناول من حقيبته منشارا مكتوبا عليه « سيادة الرجل » ويتقدم نحو زوجة أحد العمال] : اذا استمر زوجك فى الاضراب ، فلن تحصلى على نقود ، وستموتين جوعا .. [وهو يتكلم يحاول أن يفرق بالمنشار بين العامل وزوجته]

الزوجة : لكننا نموت جوعا بالاجر الذى تدفعه . اننا نناضل معا .. [تنتزع منه المنشار وتطرده] .

رئيس العمل :[يخرج من حقيبته مطرقة ومنجلا احمر] .. ان هذا يصلح دائما .

التليفزيون : وقد بدأت الاضطرابات بحفنة من المندسين من الخارج .

رئيس العمل : [يضع المطرقة والمنجل فو قرأس أحد العمال] انه شيوعى عميل .. لا تنخدعوا

العامل : لا تنزعج ، فلن نخدع .. [ينتزع المطرقة والمنجل يطوق رأس الرئيس بالمنجل ثم يضربه بالمطرقة] .

رئيس العمل للعم سام :[هؤلاء المضربون يخربون الاقتصاد القومى ورخاء الجماعة .. وما علينا أن نفعله هو أن ننسق الجهود بين اصحاب الاعمال الخاصة والحكومة من اجل خلق البديل لهذا الابتزاز الجماعى [هذه الجملة مأخوذة عن مفكرة مؤتمر رجال الصناعة الدولى الذى عقد بسان فرنسيسكو فى ١٩٦٩] .

العم سام : ماذا ؟ .. انهاء الاضراب ؟ لماذا لم تقل هذا من البداية ؟ .. انها لعبتى انا .. [يضع شعرا صناعيا من القطن] .

العامل : ها قد جاء القاضى.

القاضى : انذار .. انذار .. لا استئناف .. هيا انصرفوا .. انصرفوا .. [العمال لايتحركون القاضى يبدأ فى البكاء ويجفف دموعه بشعره المستعار] .

الرئيس : طيب لم يبق سوى شىء واحد **العم سام** : اتعنى ..

العم سام : اتعنى ...

رئيس العمل : القوة الوحشية..

[يضع العم سام قناع خنزير على وجهه ، ويهاجم المتظاهرين لكنهم يضربونه بعنف] .

. . . . . .

الراوى : المشهد الثانى .

رئيس العمل[١] ساخرا ! : اتعرف ؟ .. اننى أحيانا احس بالاسف لهؤلاء الناس فى البلاد المتخلفة .. ها .. ها .. ها.

رئيس العمل [٢] :كنت انا طول حياتى ليبراليا .. ها .. ها..

رئيس العمل[١]: فلنقدم لهم عون الولايات المتحدة !

رئيس العمل[٢]: اذن خذوا احدا من هذه [يقدم له مسمارا ضخما من الورق المقوى] .

[الى أحد جانبى المسرح عامل أمريكى ، والى الجانب الاخر عامل من العالم الثالث ، يبدأ كل من الرئيسين دق المسمار على نحو ايقاعى ، تعزف الالة الموسيقية لحنا وطنيا] .

رئيس العمل[١] : كيف الحال الارباح فى أمريكا اللاتينية ؟

رئيس العمل[٢]:ممتازة ..وكيف حال الاحوال فى الداخل ؟

رئيس العمل [١] : على مايرام

[العاملان يعملان بتأثير المسامير، ويسقطان قطعا صغيرة من النقود ، وفجأة ينهاران على الايدى والارجل ، تتلامس رأساهما ، ويكونان بأجسامهما ما يشبه الجسر] .

رئيس العمل [٢] :هــا .. لقد فعلناها .

الرئيســان [١] ، [٢] ، [يضع كل قدما فوق ظهر العامل الذى يخصه ، ويتصافحان] ، زدمنا الهوة بين الدول الغنية والفقيرة [فترة أخرى من مؤتمر رجال الصناعة الدولى] .

رئيس العمل[١]سأحصل على المزيد من العــامل الذى أملكه [يعنى العــامل من العــالم الثالث] .

العامل : الى الجحيم .. لن تحصل على شىء [ينزع المسمار ويطوحه بعيدا] .

رئيس العمل[١]: النجدة .. النجدة ..

رئيس العمل [٢] **لا .. لا .. لا** فيتنام أخرى [للعم سام] انت تعرف ماذا يجب أن تفعل .

العم سام [للعامل الامريكى] انني أريدك .

العامل : اتعنى انهم يريدوننى [مشيرا الى الرؤساء] ؟

العم سام : [يضـع خوذة على رأس العامل ويضع بندقية فى يده] الى الامام سر . ١ ٢ ، ١ ، ٢ ، اقتل الشيوعيين ،

عامل العالم الثالث [للعامل الامريكى] : انتظر لحظة .. [يشير الى المسمار الذى لازال عالقا به] .. اتذكر ؟

العامل الامريكى : انت على حق ، فمن دقائق كانوا يدقون المسامير فينا معا . يجب ان نتخلص منهم الى الابد .

عامل العالم الثالث : صــح [يتخلصان منهم باطلاق النــار عليهم] .

العــاملان : لقد فعلنــاها [يتصافحان] .

الراوى : أنتم تعرفون جميعا أن الامر لن يكون بهذه السهولة

الرئيس [١] : [يرفــع رأسه] : خاصة حين تــكون الاحوال المالية فى حركتكم على مثل هذا السوء ..

الرئيس [٢] : كيف تظنون انكم تستطيعون طباعة بيـانات ومنشورات اليسار الجديد دون مال ؟

العم سام : خاصة مع ارتفاع أسعار الورق والاحبار .. كيف تطبعون ما تريدون توزيعه ؟

رئيس العمل[١]: اوكيف تنظمون الاضرابات والمظــــاهرات دون مال ؟

رئيس العمل[٢]: نحن ، بطبيعة الحال ، لا نعانى مثل هــذه المشاكل ..

العم ســام : فلدينا أموال تكفى كل شىء [الان وقف الثلاثة على أقدامهم ، وهم يضحكون فى وجه الجمهور] .

العمال : طيب سنجمع نحن أموالا من الناس [الرؤســاء ينتابهم الفزع ، على حين ينصرف كل اعضاء الفريق الى جمــع التبرعات من الجمهور ..]

[قدمتها فرقة الخبز والدمية للمــرة الاولى فى كونى ايلاند ، يونيو ١٩٧٠]

● ميســـيسبى

الدمى : الام : دمية تمثل سيدة يختلط فى شـــعرها البيــاض بالسواد ، تبكى بدموع بللورية . الابن

المدرس [فى قبعة مرتفعة] نصف الناس نصفهم الاخر تلعب أدوارهم الدمى المستخدمة

فى « الصـــلب » و « العشـــاء الاخـير » .. طـول الدمى من ٦ ــ ٨ أقدام ، بلا أذرع ، أجساد حمراء أو كريم ، ووجوه صفراء

أو بنية .

الجندى : دمية رمادية ببندقية كجزء منها .

الرئيس : دمية العم فاستو .

رجل [١] : من دمى مسرحية « الصلب » .

رجل [٢] : دمية مماثلة .

الادوات : كرسى ومنضدة للام .
كرسى للابن
كرسى للعم فاستو
ستة كراسى للطلاب
كرسى للمدرس
شعارات ، يرفعها المخصص لذلك واحدا بعد الاخر .

الصوت : فلوت مزدوج ..
يبدأ المشاهد ما عدا ٤ ، ٥ ، ٦ .
جرس الباب
يقال النص فى الميكروفون بصوت متعب وغير مفهوم ، تصحبه ضجة قرع طبول وهدير آلات ، وأصوات غير مفهومة ، وترتفع كلمات الحوار كالشعارات ضجة معدنية تشير الى البندقية .
دمية لاعب بيانو لاغنية النهاية :
يا مريم العذراء .. لا تبكى ولا تحزنى ..

[●]

نص من احدى الصحف ، دون تاريخ : بالامس اطلق البوليس النار على المتظاهرين ، فقتل اثنان وجرح سبعة ، ولم تحدث خسائر بين رجال البوليس ، ورفض المسؤول ان يعلق بشىء وأغلقت الجامعة .

جيمس جبس ، فى السابعة عشرة ، يعمل ست ساعات كل يوم كى يعول أمه الارملة وثلاثة اخوة وأخوات .

فيليب جرين ، شاب متزوج حديثا ، وله طفل سيكمل شهره التاسع فى الاسبوع القادم] .

[١]

صوت الفلوت .
جرس الباب
الام : ادخل
الابن : مساء الخير يا امى
الام : مساء الخير يا ولدى
الابن : خذى خمسة دولارات
الام : أشكرك .
الابن : ......
الام : لكننا لم ندفع الايجار بعد
الابن : سأرجع مرة أخرى
الام : أشكرك .
الابن : الى اللقاء يا أمى .
الام : الى اللقاء يا ولدى .

[٢]

صوت الفلوت .
جرس الباب .
الام : ادخل
الابن : مساء الخير يا أمى
الام : مساء الخير يا ولدى
الابن : هذه خمسة دولارات أخرى
الام : اشكرك .
الابن : ......
الام : لكننا لم ندفع قيمة النور بعد .
الابن : سأرجع مرة أخرى .
الام : اشكرك .
الابن : الى اللقاء يا أمى .
الام : الى اللقاء يا ولدى .

[٣]

صوت الفلوت
المدرس والطلاب يدخلون ويجلسون فى اماكنهم .
المدرس : ماذا تعلمت ؟
الابن : لقد ذاكرت كثيرا .. اننى مرهق .
المدرس : حاول مرة أخرى .
الابن : سأحاول .
المدرس : شكرا .

[٤]

رئيس العمل: ان لنا أعداء فى بلاد بعيدة ، وهم أشرار ، يجب أن نذهب الى تلك البلاد ونقتلهم
نصف الناس : نعم
النصف الاخر : لا ..

[٥]

جندى يرتجف .
الجندى : الرئيس يقول ان لنا أعداء فى بلاد بعيدة ، وهم أشرار ويجب أن نذهب الى تلك البلاد ونقتلهم .
الطلاب : لا
الجندى : الزموا الهدوء .
الطلاب : لا ..
الجندى يطلق النار فيسقط أحد الطلاب .

[٦]

يدخل الجندى
يدخل الابن
يحاول الابن ان يذهب .
يراه الجندى فيطلق عليه النار .. يسقط الابن .

[٧]

صوت الفلوت .
جرس الباب .
الام : ادخل
يدخل رجلان يحملان الابن .. دمية الابن فارغة .
الرجل [١] : انه ميت
رجل [٢] : انه ميت
الام : هل هو ميت ؟
الرجلان : نعم .
يخرج الرجلان .
الام تبدأ فى البكاء ، تتساقط الدموع البللورية من عينيها .
دمية البيانو : يا مريم العذراء .. لا تبكى ولا تحزنى . □

● : لمزيد من المعلومات حول فكر هذا المسرح ، ونماذج مما يقدمه ، انظر :
Henery Lesnick (Ed.), Guerilla Street Theater, Avon Books, New-York, 1973.

بينالى الاسكندرية الحادى عشر

هل هى عودة الى الواقعية ؟

عز الدين نجيب

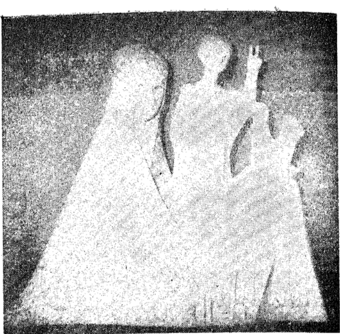
مع توالى دورات بينالى الاسكندرية كل عامين — التى بلغت هذا العام احدى عشرة دورة — تحددت له سمات شبه ثابتة ، يأتى فى أولها محاولة فنانى كل دولة من دول حوض البحر الابيض المتوسط المشتركة فيه استعراض آخر الاساليب والصيحات ، ويأتى فى آخرها الرغبة فى الحوار الابداعى الجاد والاحتكاك الفنى الخلاق .

وقد نجم عن ذلك أن كل دولة تتقدم الى هذا المعرض بأعمال الفنانين التى تتلاءم مع هذا الغرض ، أو أن الفنانين أنفسهم أصبحوا يتجهون بأعمالهم فى هذا الاتجاه ، سعيا وراء الجوائز أو جذبا للاهتمام .

ولان دول حوض البحر الابيض المتوسط تشمل بلادا شرقية متخلفة وبلادا غربية متقدمة ، فان التنافس فى هذا المجال كان يبدو غير متكافىء تبعا لرصيد الخبرة لدى كل بلد ، الامر الذى جعل كبار الفنانين فى البلاد المتقدمة — مثل ايطاليا وفرنسا وأسبانيا — يحجمون بمرور الوقت عن الاشتراك فى البينالى ، وأصبح من يمثلون تلك البلاد فنانون شبه مغمورين بها ، مما أدى الى انخفاض مستوى اجنحتها فى المعرض بصورة واضحة .

أما موقع مصر فى تلك المباراة الغربية فكان دائما يثير الحيرة : فكونها البلد المضيفة ، يعطيها الحق فى التمثيل بعدد أكبر من الفنانين ، حيث يبلغون فى المتوسط ثلاثين فنانا ، مما يجعلها تبدو مثل سفينة نوح ، التى تحمل من كل زوجين اثنين ، وهى تهتز وسط الطوفان ، يختلط فيها صياح الديكة بخوار البقر !.. وهو أمر لاحيلة للمشرفين على المعرض فيه ، فماذا يفعلون اذا كان ذلك هو حال الحركة الفنية التى تموج بمختلف الالوان والصيحات ؟!

وتثير نتائج التحكيم فى الجناح المصرى عادة زوبعة وسط الفنانين ، اذ أن أهم الجوائز يكون فى الغالب من نصيب فنانين سكندريين ، وتعطى لاعمال تساير بالدرجة الاولى الاتجاه العام للبينالى ، وتتصاعد الشكوك والتأويلات والاحتجاجات ، ورغم ذلك



٦ اكتوبر [ابتسام زكريا]

فجميعهم — الا فيما ندر — يتهافتون على المعرض فى البينالى ويتوسلون الى ذلك بشتى الوسائل . وحقيقة الامر فى ظنى هى أن لجنة التحكيم للجناح المصرى — المكونة من قومسييرى أجنحة الدول المختلفة — لا يعنيها أن يكون للفن طابع محلى ، بل يعنيها أن تتوفر فيه صفته العالمية . . ووجود فنانين مصريين يحاولون ارضاء هذا المفهوم ، سواء كانوا سكندريين أو قاهريين ، وسواء كان هدفهم هو الجوائز أو العالمية ، فليس ذنب لجنة التحكيم أو لجنة الاشراف على المعرض على أية حال !

وأهمية هذا المعرض هى فى انه يعطى لنا مؤشرا هاما لاتجاه حركة الفن الحديث فى العالم . وقد أشار ذلك المؤشر من خلال أهم الاجنحة الاوروبية العارقة هذا العام الى أمرين أساسيين:

الاول هو أن مفتاح الخروج من أزمة الفن الحديث يتجه الى الانتقال من بين الدول المتقدمة الى الدول النامية ذات الحضارات القديمة ، بعد أن استنفدت الاولى كل عمليات التنفس الصناعى لانقاذ الجسد المختنق .

والثانى هو أن آخر تلك « العمليات الصناعية » محاولة العودة بالفن الى عالم الواقعية، ليس بمفهومها الفكرى أوبجدلية حركة الواقع ، بل بمفهومها الحسى الذى يقف عند حدود الشكل . وتتفاوت مجهودات الدول المختلفة فى تحقيق هذا التحول ، تبعا لمعايشتها لحركة العصر ، ولامكانياتها فى خوض المنافسة ..

فى الجناح المصرى :

ولنبدأ جولتنا فى البينالى بنظرة سريعة للجناح المصرى :

من بين الفنانين العارضين (٣٢ فنانا) بين مصور ونحات وحفار ، نجد ان حوالى عشرين منهم أعضاء فى هيئات التدريس بكليات الفنون فى القاهرة والاسكندرية (وهو تمثيل غريب للحركة الفنية !) . والظاهرة الثانية أن نسبة الشباب هى النسبة الغالبة بين العارضين ، ففيما عدا الفنانين **جورج البهجورى وحامدا ندا وعبد الرحمن النشار — وزكريا الزينى وصبحى جرجس وزينب عبد الحميد وثريا عبد الرسول وفؤاد تاج الدين**، الذين تجاوزوا الاربعين ، فان متوسط أعمار الباقين هو الثلاثين تقريبا

ورغم التنوع الشديد فى أساليب الفنانين ، فان مايبهر من بينهم بالجدة والاصالة معا قلة ضئيلة .. مثل عبد السلام عيد (جائزة اولى فى التصوير) الذى يقدم عملا بعنوان : « **صدمة المستقبل** » لايمكن اعتباره تصويرا ، فهو بناء صرحى على شكل صندوق مرتفع متجهم بلونه البنى القاتم وملمسه الخشن ، لكنه يطل عليك بنوافذ مضيئة من جوانبه الاربعة ، تزدحم بقطع منتزعة من آلات مثل التروس والصواميل ، وبزجاجات ومرايا ، وتشع من هذه الفتحات اضواء كهربائية ملونة . انه يطرح عليك دفعة واحدة أزمة الانسان المعاصر ، التى لم تحلها التكنولوجيا بل زادتها تعقيدا ، كأنه صرح لتشيؤ الانسان . الا أن الجانب الخلفى منه المبطن بشرائح من المرايا المتقابلة ينقلك الى حلم ملون أو نبوءة غامضة بالخلاص ، وربما كان مصيدة من الوهم المخادع ، للانسان الالة الذى لم يعد يقاوم الا بالحلم .

وقد لا أتفق فى الرؤية أو المنطلق الفكرى مع عبد السلام عيد ، أو قد أرى أنه كان يبنى « صرحه » واحدى عينيه — على الاقل — على الجائزة ، الا أن تصميمه المعمارى الذى يجمع فى آن واحد بين الجهامة والرقة ، بين غباوة الالة وشطحة الخيال المشبوب بالشوق لمستقبل يشع بالنور الملون ، يجعلنى اتجاوز عن تحفظاتى تجاهه .. فذكاء الفكرة — فى ذروته — يعانق منطقة الصدق ، دون وعى من الفنان ، وهذا مما يميز الفن العظيم .

وعلى العكس من ذلك نجد تمثال الفنان **فؤاد تاج الدين « الباب »** .. فلم تستطع غرابة الفكرة أن تلامس الصدق ، ووقفت المسألة عند حد المهارة فى مسايرة اتجاه العودة الى الواقعية بمفهومها السالف الذكر .. لقد « صب » فى التمثال امرأة عارية تستند الى باب خشبى قديم ، **وأقول « صب »** لانه لم ينحت ، فقد صنع قالبا على جسد المرأة مباشرة للايهام بالحقيقة ، وأتى بباب خشبى حقيقى ، ثم دهن الاثنين باللون الابيض ، لينفى فى نفس الوقت الايهام بالحقيقة .. .. والذى حال دون بلوغ الصدق فى هذا التمثال فى رأيى ، هو أن القصد الى الابهار واثارة الدهشة كان أقوى من الدافع التعبيرى لدى الفنان ، بما لم يجعله يتنبه الى التنافر بين الباب الريفى وبين الجسد المكتنز العارى للمرأة التى يوحى مظهرها ومنشفتها بأنها بنت المدينة الشبقة . وقد كان الفنان « تاج » انجح فى معالجته لتمثاله الثانى « **النيل** » « بجائزة أولى فى النحت » ، فتجميع القطع الفخارية المصرية الصميمة معلقة فى ذلك التكوين الذكى المتميز ، أكسبها درجة من الصدق بجانب اصالتها ، وان ظل اللون الابيض مفتعلا وملفتا للنظر على حساب أصالة الفكرة .

وهناك مجموعة أعمال ناضجة تتراوح بين الجدة والاصالة ، للفنانين حامد الشيخ ومجدى عبد العزيز واسماعيل طه وفاروق شحاتة وعونى هيكل ومأمون الشيخ ومصطفى عبد الوهاب وعوض الشيمى وسيد سعد الدين ونعيمة الشيشينى وزوس مرزوق والشتاوى أبو العطا وطارق زبادى وغيرهم ..

وفى رأيى أن طارق زبادى من اكثر هذه المجموعة تحقيقا لاكتمال العنصرين معا : الجدة والاصالة .. ان تمثاله « **القفزة** » ينبىء عن موهبة نحتية تملك ذكاء فى خلق فورم يتميز بقدرته على تحدى الفراغ بالانتشار فيه ، وهما تحد وانتشار ينبعان من نزعة شعرية رومانسية تتدفق فى رؤيته التعبيرية .. ان تماثيل طارق قصائد نحتية مجنحة تحلق بالانسان وبشوقه لاجتياز الحدود .. وربما كانت موهبته أقرب للتماثيل الميدانية .

اما أعمال الفنانين ندا والبهجورى والزينى وجرجس والنشار .. وغيرهم من المخضرمين ، فانها على أصالتها ورسوخها لاتضيف جديدا الى كل منهم ، وقد بدت أعمال ندا والبهجورى والزينى غريبة أو قديمة فى المعرض ، وسط كرنفال الازياء الزاهية ! ..

الاجنحة العربية

اشتركت الجزائر وتونس وليبيا وفلسطين ، وتخلف سوريا ولبنان والمغرب .

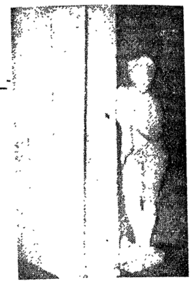
● **أعمال الجناح الجزائرى تعكس المشقة التى تعانيها الحركة الفنية الجزائرية لخلق شخصية قومية متميزة** ، الا انها مازال يغلب عليها الطابع المدرسى المستفيد بالتأثيرية ، مع نزعة تعبيرية انفعالية على حساب تماسك البناء التشكيلى وهناك من أفلتوا من هذه الانفعالية مثل عبدالقادر عزوفى الذى يقدم أعمالا اقرب الى الوحدات الزخرفية النباتية فى التصوير الاسلامى ، حيث يلعب الخط الدور الاساسى ، ويحقق — رغم التماثل الهندسى الصارم — ديناميكية وايقاعا موسيقيا كدندنة على العود ..

● **وتقدم ليبيا مجموعة من فقراء الموهبة والموظفين فنهم لخدمة الافكار السياسية الضحلة** ، فيما عدا فنان واحد هو « **على العبانى** » الذى تعرض له عدة أعمال صغيرة الحجم للغاية لكنها تملك حضورا قويا بغنائيتها اللونية والخطية وايقاعها الشرقى البهيج الذى يوحى بليال اندلسية .

● **أما فلسطين فلا تقدم الا فنانين اثنين هما : ابراهيم النجار وياسر الدويكى** . . نرى فى أعمال الاول فى التصوير احساسا قويا بالشكل ونزعة واضحة للتعبير المتلفع بالرمز وخاصة فى لوحته «حبلى بالامل» أما الثانى فان حسه اللونى اكثر نضوجا وان كان ذلك على حساب الفورم الذى يتعمد ان يجعله غامضا كأننا نراه من خلف اناء زجاجى ملىء بالماء . ويبدو اثر الدراسة الغربية للحفر واضحا فى أعمال الدويكى ، اذ تتحقق فيها درجة عالية من المهارة والعفوية معا ، مما اثرى امكانية التعبير لديه . وان كان اقتصار الجناح الفلسطينى على هذين الفنانين يثير الدهشة ، مع وجود اتحاد الفنانين الفلسطينيين ، وأظن أن له مقرا فى القاهرة .

مفاجاة المعرض :

ان أهم جناحين فى هذا المعرض فى رأيى — ويالها من مفاجاة — كانا جناحى اليونان وتركيا ، انهما يقفان بشموخ وسط مباراة استعراض القوى للاجنحة الاوربية غربا وشرقا ،



الباب [فؤاد تاج]

ويحققان بسلاسة رؤية قومية لكل من بلديهما ولكنها فى الوقت نفسه تغرس قدميهـا فى قلب حركة العصر .

● تقدم **اليونان** خمسة فقط من فنانيها ، والطريف أن واحـدا منهم فقط يعيش فى العاصـمة أثينا ، أما الباقون فيـأتون من أقاليم مختلفة فى اليونان : من سالونيك وجـزر بحر ايجـه وكريت . ورغـم التنـوع فى **اسـاليبهم ورؤاهم ، فـان مايجمعهم هو أنهم يجتهدون فى تقديم مشكلات زماننا المعقدة ، ويأملون فى رؤية ذاتية جـديدة لعلاقات انسان اليوم والبيئـة المحيطة به ، كما يقول قومسيير جناحهم كريسـانتوس كريستو**

ان ما يثبته هذا الجناح هو أن الفنان الموهـوب الذى يملك مايقوله وتؤرقه رغبـة التعبير عنه ، لاتقف أمامه مطلقا مشكلة الاسلوب ، انها تجد حلهـا من تلقاء نفسها سـواء كان ذلك بطريقة حديثـة مثـل طريقـة **الكولاج** « لصق القصاصات من المجلات المصورة وغيرها » كما نرى فى أسلوب **لازاريـدس** ، أو بطريقة تقليدية « اكاديمية » كما نرى فى أعمال **كيلاييدس** ، أو بطريقة أقرب الى الواقع مع احداث تشويهات ومبالغات فى النسب الانسانية كمـا نرى فى تماثيل **جورجيادس** التى تعكس ببلاغة فائقة وحـدة الانسـان وحصاره بقوى القهر .

وفى نفـس الوقت نرى ان أعمالهم امتداد طبيعى ـ فكريا وجماليا ـ للتراث الحضـارى اليونانى . ان البطل اليونـانى التراجيدى يواجهنا فى أعمـال الفنـانين الثـلاثة الذين اشرت اليهم : وحيـدا، أمـام قـوى أسطورية قاهرة .

لقـد وقفت ـ كمـا وقف الكثيرون ـ مأخوذا أمام لوحات **كيلاييدس** بسحرهـا الخفى : كيف امتزجت عظمـة تماثيـل فيدياس اليونانيـة الخـالدة بأسطورية عالم كف فجـأة عن الحركة وتجمـد كبحر تحـولت أمواجه الهـائلة الى كتل ثقيلة من الرصاص ! .. كيفتحولت سحب الاحلام الشفافة الهشة الى مناطيـد مملوءة بأجسـاد شحيمة أو جبال عملاقة طائرة على وشك الانقضـاض على الانسان الوحيد الاعزل المستلقى على ظهره سادة عليه كل أملفى النجاة ! .. أى واقـع كابوسى يرزح تحته انسـان كيلاييدس اليونانى البائس !!

● **أما تركيا : فقد مثلهاسبعة فنانين « مصـوران وخمسـة حفـارين ..** يقـدم المصـور « **عدنان كوكر** » رؤية صـوفية رائعـة من خـلال وحـداته التجريدية المستمدة من العمارة الاسلامية ، باختزال لونى يصل الى الاسود والابيـض . ومن خلال التضاد بينالظلمة والنور ، بين السـاكن والمتحـرك ، بين الدائرة والمستقيم ، بين المجسد كشكل القباب والمسطح كنافذة من الزجاج المعشـق بالجـص عاكس الضـوء .. مـن خلال التضاد بين كل هذا يثير نزعـة التأمل فيما هو أبعد من المحدود، ويحقق توازنا روحيا يعادلتأثير التراتيل فى نفس المؤمن .

ويقـدم الحفـار « **فتحى كايالب** » مجموعـة ثريـة من اللوحات عن الاسواق والحيـاة اليومية ، بلغة تشكيلية مكثفة ، ومن بينهـا عـدة لوحـات عن « حلقة السـمك » مثل لوحـة « ثرثرة مشـتركة » حيث نرى عددا من الاسـماك الضـخمة معلقـة من أفواهها بالخطاطيف لكنها تتخذ طابعا انسانيا وتبدو وكأنها تتبادل الشكوى . وهكذا ـ وبدون اصطناع ـ نجحفتحى فى تقديم واقع تركيا كمـا يراه تشكيليا .

وينقلنا « **مصطفى أسلير** »الى مسـتوى آخر من الفنـائية بالوحدات المنتظمـة الرقيقيـة كالدنتلا ، والموحية بالزخـارف الاسلامية على الابواب الخشبية وكرانيش الارفف والمشربيات . لكنك ببعض التمعن ستكتشـف أنها ليست زخارف تجريدية ، بل هى كالشرايين الدقيقـة التى تصنع تكوينا غريبا لاسرة كبيرة العدد من أب وأم وأطفـال بلا حصر !

.. نحو الواقعية .. أىواقعية؟

يسود أجنحة أسبانيا وفرنسا سعى دائب من الفنانين لارتياد آفاق غير مطروقـة فى عـالم الواقعية ، فقد عـادت تمثـل اللوحات الاشـكال الانسـانية والحيوانية والنباتية بشكل يصل فى محاكاته للطبيعة الى درجة المبالغة .. ويطلقون عليهـا فى أسبانيا « **الواقعية السحرية** » وفى ايطاليا «**الواقعية الجديدة**»

وفى فرنسا « **التشخيصية الجديدة** » .. لكنها أيضا كانت تسمياتها بعيدة عن الواقعية كفكر وكموقف اجتماعي أو فلسفي .. ان استنفاد الفنان الغربي لكل الاساليب التكنيكية جعله يبحث عن مخرج من الطرق المسدودة في العودة الى الطبيعة ، على طريقة احياء موضات الملابس في العشرينات أو الثلاثينات . ومن هنا كانت المبالغات المفرطة في محاكاة الطبيعة الى حد التصنع والمسرحة سمة بارزة في جمالياتها الجديدة .. والمؤقتة بشكل محتوم .

ان هذه المحاكاة تصل الى حد الاستفزاز المنفر ، كما تبدو فى اعمال الفنان الاسبانى **جوان بوردس** ، الذى يقدم مجموعة يصعب اعتبارها نحتا أو تصويرا ، انها عبارة عن مجسمات ملونة بالالوان الطبيعية لاجزاء باطنية من جسم الانسان كالطحال والمعدة والرئتين .

وهى عند **لويس ديلاكامارا** تستدعى الصور الطبيعية للاشخاص فى تتابع منتظم كالشريط السينمائى وان تغيرت الالوان فى كل « كادر » ونفس التتابع المنتظم نجده فى شكل مربعات مجسمة كالارفف او الخلايا أو النوافذ — فى أعمال **جوان ايناسيو** ، الذى يستخدم خامات بدائية كالخوص أوأسياخ الحديد .

الا ان هذه الواقعية تتخذ عند **بيلار دى كومونتى** طابعا بدائيا بسيطا فياضا بالشعر والاحلام .. انها ليست اكثر من رسوم خطية مليئة بالرموز السحرية ، كتلك اللوحة المسماة « زيارة المبتسر » حيث نرى هناك فتاة نائمة وسط الزهور ، يهبط فوقها طائر غريب له رأس انسان تحيطه هلة من الريش ، بما يذكرنا بعالم روسو المحبب .

ونفس هذا العالم السعيد الملىء بالالوان والاحلام يقدمه لنا الفنان **جوان روميرو** فى أعماله فى الحفر .. انه يصور نفسه وهو يرسم أمامنا ، فنجد أن يده كيد الساحر ، تحيل كل مكان تلمسه الى فردوس من الاحلام الوردية والانغام السحرية . . فردوس غير حقيقى لكنه ممكن التحقيق ..

● وفى **جناح فرنسا** نجد تلك الرغبة الملحة فى محاكاة الطبيعة تتخذ طابعا ساخرا أو روائيا أو مسرحيا ..

ان **بنيامان بلتيمور** يحاكى فى مجموعة لوحات بالحفر أوراقا مجعدة الى مئات التجعدات وقد تشابكت فيها دبابيس معدنية . وقد بلغت مهارة المحاكاة أنك لاتدرى ان كانت اوراقا ودبابيس حقيقية ملصقة أم مصورة فوتوغرافيا أم مرسومة بمهارة . وهذا كل شىء !

والين **ليستى** يقدم لنا بشكل مسرحى : صورة داخل الصورة وداخلهما صورة ثالثة ، دون أن تقول أى من تلك الصور شيئا أكثر من اثارة بصرك الى أبعاد لانهائية فى الطبيعة ، تبدأ من زجاجة فارغة الى قمم شاهقة لجبال بعيدة .

ويرسم **اوليفييه** مجموعة من اللوحات الزيتية عن مجموعة من البشر فى صحراء يدفنون فيسلا ويبنون له بأجسادهم ضريحا ، غير أنه يبدل أحيانا فى شكل اعضائهم حيث يبدون كالاعمدة التى تحمل الكرانيش .

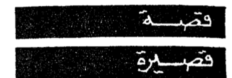
ان الرغبة فى التعبير بشكل أدبى فى هذه الاعمال تبدو متعادلة مع الرغبة فى السخرية واثارة الدهشة لديك .

● ولا ادرى ماذا أقول عن **جناح ايطاليا** ، الذى يحمل استخفافا مهينا بالبينالى وبالجمهور المصرى ، حتى ان مايقرب من نصف المعرض صور فوتوغرافية يصنع مثلها أى مبتدىء ، ونصفها الاخر ، يستطيع ان يقدم افضل منه بعض الهواة فى أحد قصور الثقافة !

● واخيرا يبقى **جناح يوجسلافيا** الذى يقدم ايضا رؤية خاصة فى الواقعية الجديدة ، تبدأ من السخرية الكاريكاتيرية التى تقدم تمثالا لشخص وتضع مكان أنفه صنبورا للمياه ، وذلك فى تمثال الفنان « **راتكو بتريك** » وتمر بالرومانسية الجديدة ، فنرى البكاء على الحاضر المفقود بين الماضى والمستقبل ، فى تلك اللوحة الرائعة روعة أعمال بوتتشللى للفنانة الشابة « **سونيا لاموت** » .. وتنتهى بواقعية « الحدث » حيث تبدو اللوحة كخشبة مسرح تشهد حدثا دراميا ، وهذا ما تمثله لوحات « **سفيتان ديموفسكى** » وخاصة لوحته : حدث الصباح .

[●]

وبعد .. فأعترف أن هذه العجالة — المقدمة من منظور ذاتى رغم كل الجهد لتبدو فى قالب موضوعى — لايمكن ان تفى بما يحتاجه القارىء المتابع للحركة التشكيلية فى مصر والعالم ، فضلا عن غير المتابع ، فليس هناك غنى عن اللقاء المباشر بذلك الحدث الفنى ، الذى مهما قيل فيه فانه احدى العلامات البارزة فى حياتنا الثقافية ، ومازال فى الوقت متسع لمشاهدته على أية حال .



البقاع

يحيى خلف

[●] يحيى يخلف كاتب فلسطيني من الجيل الشاب نشر مجموعته الاولى ؟ المهرة . في سنة ١٩٧٤ ، ونشر أخيرا روايته الاولى « نجران تحت الصفر » ، يعرض فيها لحظة من لحظات الصراع في تلك المنطقة العسرة من ارضنا العربية : « نجران وجبال صعدة » ، حيث تتصادم الارادات فوق ارض لا تعطى لابنائها غير الجوع والانسحاق والتخلف .

يحيى يخلف الان بين صفوف المقاومة ، على اى ارض يؤدى دوره ، وهذه احدى قصصه من « البقاع » .

لوحة كبيرة على الجدار الابيض ••بحيرة حالمة ؟ وطيور اسطورية وامواج تنثني وتتكسر ، وقارب من خشب الصندل،يركبه مغن وعاشقان •• وفوق الامواج غيوم بيضاء كالقطن تمتطيها نساء من الجيشا ••

ارض الغرفة مفروشة بالسجاد ،والمقاعد ذات وجوه وثيرة ، ومنافض السجائر فارغة فوق طاولات لامعة ،وجدار كامل من الزجاج يطل على دغل من اشجار التفاح •• كانت تلك غرفة الصالون ••

الشباب انزلوا اثقالهم في الغرف الاخرى ، الاسلحة والذخيرة والبطانيات وبعضهم ارتمى على الفراش الوثير اوالارض المكسوة بالسجاد ، لشدة التعب والارهاق • كنا ، قد نمنا ليلتين في العراء ، تحت المطر ، وتعرضنا لقصف عشوائي ، عندما وصلنا الحقل ، حقل التفاح المترامي الاطراف ، جاء نباح كلب ، فقال آمر الفصيل :

ـ لقد وصلنا •• مسافة قصيرة ونصل الفيلا ••

السور عال ، ويمتد الى مالا نهاية ،

البوابة الحديدية مغلقة •والرذاذ يتساقط،والصقيع يتسلل الى العظام •

طرقنا الباب • جاء نباح خافت •واطل فجاة رجل مسن ، ذو شارب معقوف ، ووجه متغضن ، فابتسم اذشاهدنا ، واسرع يفتح الباب • مد يده مصافحا ، فيما ظل الكلب وراءه يهز ذيله بعصبية •



قال له آمر الفصيل : ايها العم •• هل تعمل هنا ؟

هز رأسه كما لو انه يعرفنا ومسح شاربه المصبوغ بالدخان ، واجاب :

ـ نعم •• انا حارس هذه الفيلا •

قال آمر الفصيل : انا ومجموعتى سنقيم فى الفيلا لبعض الوقت •

حك الرجل المسن شعر رأسه المنكوش، وعبس قليلا ثم قال :

ـ المفتاح مع وكيل البيك •• كيف نعمل ؟

قال له آمر الفصيل :

ـ واين وكيل البيك ؟

ـ وكيل البيك هرب من بداية الاحداث• ثم صمت قليلا ، واشار الى غرفته الصغيرة وقال :

تفضلوا ، نشرب الشاى ، ونفكر •

وعندما شكرناه ، قال باعتزاد :

ـ حضرتكم فدائيون •

هززنا له رأسنا بالايجاب ، فقال :

ـ محسوبكم ابو حنا ، من برالياس• ثم كانما فطن شيئا •

ـ ليس هنالك سوى حل واحد •• نكسر الباب •

كانت هناك مسافة مابين البوابة الكبيرة والباب الزجاجى ، وكانت شجيرات وازهار ، واعمدة ضوءصغيرة

حطم زجاج الواجهة ، وفتح الباب ، دخلنا ، دخل ابو حنا بخطوات مترددة •

حدق بالارضية المكسوة بالسجاد ، وتردد قبل ان ينقل خطوته •• وطال تردده ، فدخلت الصالة وتركته خلفى•

تابلوه على الجدار الابيض •• بحيرة حالمة ، وطيور اسطورية ، وامواج تنثنى وتنكسر ، وقارب من خشب الصندل يركبه مغن وعاشقان •• وفوق الامواج غيوم بيضاء كالقطن تمتطيها نساء من الجيشا •

فى الغرفة الاخرى على الجدار امرأة صينية تركب على محفة ، يرافقها فارس يحمل علم الاباطرة ، ويندلق كرش سيد الارض فى طرف الصورة ، الكرش العارى المزروع بالشعر ، المطالب باللذة الدائمة•

كان الشباب ينظرون الى الجدران ، والمرايا ، وزخرف السقف ، والاثاث ، والخزانة ، وهم ماخوذون ••

قبل ان ينصرف قال ابو حنا :

ـ تصدق بالله •• اننى لم اضع قدمى على عتبة الباب منذ سنتين •• وكيل البيك منعنى ، وقال انه يطردنى اذا مست قدمى طرف السجاد •

دعوناه على الغذاء فلم يات ، حملت له صحنا وذهبت الى غرفته فى طرف الفيلا ، كان يجلس امام المدفاة •• وحوله تتنطط قطة ، وتعبث بصوف الجاعد الذى يجلس عليه ••

ـ شكرا •• نشكر الله •

قال لى ، وسكب جزءا من الطعام فى علبة صفيح ، وقال :

ـ وحياة الله ، انى احمل هم اطعام القطة والكلب قبل ان احمل هم اطعام نفسى •

وتنبهت الى ان كلبا كبيرا يبسط زراعيه ويغفو فى زاوية الغرفة •

ـ تعيش وحدك يا ابو حنا ؟

زفر بحرقة ، ونظر الى ركن فى الغرفة حيث يضع فوق طاولة صغيرة صورة للعذراء ، وصليبا مثبتا على مقطع من خشب الزيتون ، فيما تظهر آثار ذوبان الشمع على بلاطة مستوية السطح •

ـ اى نعم ، اعيش وحدى •

واطرق يحدق بالطعام ، دون ان تمتد له يد ••

فى نوبة الحراسة فى المساء ، احضر لى كاسا من الشاى الساخن ، كنت اتدثر بمعطف ثقيل ، العتمة شديدة ، والصقيع ينفذ الى العظام ، مذاق الشاى الساخن لذيذ ، ومن بعيد تاتى اصوات زخات من الرصاص •

جلس على حافة العتبة ، وبدا يمسح بيده على ظهر الكلب •

قلت له : ابو حنا •• هل تعيش وحيدك

ربما هز رأسه لى ، اذ لم اشاهده بسبب العتمة •• ثم سمعت صوته :

ـ لا استطيع ان اغادر ، وكيل البيك يطردنى •

ـ هل ياتى احيانا ••

ـ احيانا يتصل بالتليفون ، ولكن الهاتف مقطوع ،ولا يستطيع ان يحضر ••

ـ من هو صاحب الفيلا ••

ـ انه مليونير من بيروت يقضى حياته بالتنقل والسفر •

ـ الا يسكنها بتاتا ؟

ـ ياتى ما مجموعه عشر ساعات فى العام •• ولكن وكيله فى الظروف العادية ياتى مع •••

ـ تقصد مع نساء ..
ـ يأتي مرة في الاسبوع ..
ـ وبقية الايام ..
ـ أظل وحيدا .. احرس اشجار التفاح ، وانكش الارض .
ـ اليس لك زوجة واطفال ؟ .
ـ الزوجة هجرتها ..وليس من اطفال.
ـ لماذا ..
ـ . . . . .
ـ اعني ...
ـ اختلفنا . انها لاتريد ان تحبل وتلد طفلا خوفا من الموت . وكنت اريد طفلا .. كانت تخاف الموت . وكنت احب الاولاد .. مرت سنوات طويلة ، وتحولت حياتنا الى جليد .. فذهبت الى اهلها ، ولم تعد ..
ـ وانت .. الم ترسل لها ؟
ـ كنت انتظر عودتها كل صباح .. كنت اذهب الى الطريق ،ارقب اطلالتها.. ولكنها لم تفعل ..
ـ مادمت تريد أن تعود .. فلماذا لم ترسل لها ؟
ـ اذا ارسلت لها فانني اعيش معها بشروطها .. واذا جاءت هي فهذا يعني انها تعيش معي بشروطي ..

بدأ الشباب ينظفون بنادقهم ،ويمسحون مدافع الهاون .

وعلى الجدار كانت المراة الصينية التي تركب على المحفة تبتسم للفارس الذي يحمل علم الاباطرة ، واذ ذاك عبس سيد الارض الذي يندلق كرشه العاري ، عبس كثيرا ..

ووقف آمر الفصيل ، وطلب من مجموعة الاستطلاع ان تتهيأ ، وجاءت نوبة حراستي .

احضر ابو حنا الشاي وقال :
ـ سبحان الله .. حبيتك كثيرا .

سألني عن بلدي ، واهلي ، وزوجتي ، واطفالي . ثم تحدثنا عن الفيلا ـ القصر
ـ صاحب القصر البيك يأتي مرات قليلة في فصل الصيف ، ثم يسافر .. انه البطر .. وكيل البيك يأتي كثيرا ومعه في كل مرة امرأة تختلف عن الاخرى . كان يتصل بي تليفونيا من بيروت ويطلب مني ان افتح الشبابيك لتهوية الفيلا ، وادير المكيف .

ومنذ سنتين ، جاء ومعه امرأة ،وطلب مني ان اصنع له قهوة ، وبعد ان فرغت من صنعها جئت الى الصالون فوجدته يضاجعها على الارض .
ـ من يومها لم يعد يسمك لك بالدخول.
ـ بل انه ضربني وشتمني امامها . ومنعني من الدخول .. في حضوره او في غيابه .
ـ كم تاخذ اجرا يا ابو حنا ..
ـ خمسين ليرة .
ـ خمسين ليرة فقط
ـ وحياة الله خمسين ليرة بس .

بدأ القصف العشوائي بالقنابل المتشاربة ، نصحت ابو حنا بالدخول الى غرفته . كان وجهه ممتقعا .

سقطت بصبع قذائف حولنا .
ثم ابتعد القصف .

آمر الفصيل يتصفح البرقيات التي وصلت على الجهاز ، وبعض الرفاق يعدون طعام الغذاء ، وثمة ابريق شاي على الطاولة ، وكاسات فارغة ، وخوذة عسكرية ، ومنافض السجائر المليئة .

وكنت ارقب المغني والعاشقين على الجدار ، وفتاة الجيشا الطرية كنبات الفطر ، والامواج السحرية التي تنثني كتسريحة حورية فوق غلاف ديوان شعر.

دخل كامل ، احد عناصر الحراسة النهارية ، وقال :
ـ اصيب كلب ابو حنا بشظية ،ويبدو انه قد يموت .

اعتدلت وسألته : وابو حنا ؟
ـ حزن لدرجة لايمكن وصفها .

استأذنت آمر الفصيل وخرجت .. كان ابو حنا يجلس امام العتبة كما لو انه ينتظر التي تأتي ، بينما اغمض الكلب عينيه وهو يرتجف وقد تجمدت على ظهره بقعة دم حمراء .
ـ هل الكلب بخير ؟

سألته فاجاب وهو ينظر اليه في حنو :
ـ غليت له الملح ، ووضعته على جرحه فجعل يقفز في الهواء لشدة الالم . لكنه سرعان ما سكن ، وامتلأ بالطمأنينة وسوف يتحسن .

صمتنا ، وعادت عينا ابو حنا ، تحدقان عبر الطريق التي غابت فيها زوجته ذات يوم . كانت عيناه تحدقان كحمامتين طار لكل منهما زغلول ..

وصلت سيارة الدوشكا التي شاركت في ضرب الحواجز الطيارة ، واشار لنا الشباب باذرعتهم ، وبعد ان عبروا البوابة ، تلفت لي ابو حنا وقال :
ـ وحياة الله اني (تونست) فيكم .. قبل ان تاتوا كنت وحدي . وجهي بوجه الحيطان .. لا استطيع ان اخرج في الليل خوفا من اللصوص . وصمت لحظة ثم قال :
ـ على ذكر اللصوص . كنت عائدا من القرية ذات يوم .. وعلى الطريق فاجاني اللصوص . سحبوا على السلاح وقالوا هات مافي جيبك من مصاري ، ضحكت ، قالوا : لماذا تضحك ؟ قلت ابو حنا لا يحمل مصاري . قالوا قرب ننبشك . قربت .. فتشوني .. وجدوا معي رغيف خبز وصندوق سجائر ، وخسة .. قالوا لي لا تؤاخذنا نريد ان نعيش ، قلت لهم مشوا معي نروح الى البيت فاطبخ لكم وناكل لقمة ساخنة . قالوا : نحن لا نطمئن لاحد .. روح .. قلت لهم : ولكم ياعمي وين بدي روح بعد ان اخذتم السجائر ، لك .. اتركوا لي سيجارتين بس . اعطوني سيجارتين وسالوني : وين بدك تروح الان ؟ اجبتهم: على اوضتي .. ياعمي وين الناس بتروح غير على اوضتها ؟

وغرفة ابو حنا باردة ، لا تعج بها انفاس امرأة ، والمراة هناك ، ذهبت ذات يوم لانها لاتريد طفلا ، وابو حنا يحب الارض الخصبة .
ـ ابو حنا .. هل انت مبسوط ؟
ـ مبسوط مش مبسوط .. نشكر الله على كل حال .
ـ وكيف نرضى بخمسين ليرة فقط ؟.
ـ الخواجة وكيل البيك ابن ملعونة طلبت مرة منه زيادة فهددني بالطرد . لك وين بدي روح اذا طردني ؟
ـ بلاد الله واسعة .. تشتغل في اى عمل آخر .
ـ انا طول عمري ناطور .. ولدت ناطور وبموت ناطور ..

هبطت الاميرة عن المحفة ، نظرت الى الرجل الذي يحمل علم الاباطرة وقالت له لاتغادر مكانك ، وسيد الارض ذو الكرش العاري حاول ان يلحقها . فقرأت عليه تعاويذها وحولته الى تمثال.

وفتح لها الخواجة وكيل البيك ذراعيه واحتضنها ، فاشاحت الجيشا بوجهها . وغطس القارب بالمغني والعاشقين ولكنه لم يغرق .

وهجم الخواجة على صدر الاميرة . فتمنعت ، وعضعض شحمة اذنيها ، فانفردت ، وفتحت لها مصراعيها .

وجاء ابو حنا يحمل صينية القهوة ، فاندلقت على ثيابه لحظة ان شاهد ...

وقام الخواجة فركل ابو حنا ،وصفعه، وشتم امه . فبكى ابو حنا لانه لايملك ولدا . واذ ذاك استيقظت من لحظة تفصل بين الحلم واليقظة . استيقظت والعرق يتصبب من جبيني . ذهبت الى المغسلة الفاخرة وغسلت وجهي . وحملت البارودة على كتفي وخرجت .

كان ابو حنا في الخارج ينظف جرح الكلب بقطعة شاش ، يحنو عليه بمهارة، حييته .. فحياني وهو مقطب الجبين .

سألته : اراك مغموما .. ما الامر ؟

اجاب : تلفن لي وكيل البيك وقال انه سيطردني اذا حدث شيء للقصر .. لك يطردني يلعن ابوه وابو يلي بيشد على ايده .

كان الغضب يتشيا على ملامحه ، يتجمع .. يتحول الى قبضة ، الى كتلة من الوهج .
ـ انه يعطيني خمسين ليرة .. طز .. لو بعت علكة ساحصل على اكثر من ذلك .

ثم التفت الى الطريق التي يديم اليها النظر والتي ينتظر عبرها عودة التي قد تاتي وقال :

ـ عندما ياتي الخواجة وكيل البيك ، ساقول له ياخواجة انت تعطيني خمسين ليرة .. طز في الخمسين ليرة .

سيقول لي امش يا ابن الـ ... ساقول له انا مش ابن الـ ... انت ابن الـ ... سيرفع يده ليصفعني . سوف امسك يده ، واقول له : هيدي ايدك بكسرها مرة ثانية ، واذا عدت وعملتها سوف اقوصك بالجفت .

قال ذلك . ونظر الى البارودة المعلقة على كتفي ■

البقاع ـ يناير ١٩٧٦

قصيدتان

شعر : محمد صالح

امرأة

تكور قبضتها ، ..
هذه امرأة ليس تعرف الا غرائزها ؟ . ..
ترتمى فى سريرى ، ..
وتلقى بأنشوطة الصيد فى غرفتى ، ..
ثم تسأمنى ، ..
وتمل حضورى
فتعلن ..
حتى طفولتها والشبابيك ، ..
تتركنى طافحا بالبوار ، ..
ومقتلعا من جذورى

●●●

انا خائف منك ، ..
من وهني وتصابيك ، ..
اية فاكهة كانت الشمس فى ناهديك ؟!
واية نار ..
تحرك فى داخلى الريح ؟!
فهل كان لى ...
أن أرى فيك فاكهتى وشرابى ؟!
وأعمى فلا أبصر الدم فى الكاس ، ..
أعمـى ..
فلا أبصر السم فى الكاس
مر هواك ، ..
وممرورة كل موجدتى فيك —
ممرورة —
والجياد التى حملتنا ، ..
الجياد التى ركضت فى دمى ..
أدبرت ، ..
والطريق التوى وتحلقنى ، ..
أيـــه ، ..
ليس سواى ، ..
انا والفخاخ التى عشت أكرهها ، ..
والطريق التوى ..
وتحلقنى

آنية .. وأباريق

هو ــ الان ــ
يسعد بالسفر ، ..
الغائبون اتوا ، ..
والحقول تغيب ، ..
الميــــاه ، ..
النواطير ، ..
لاحى يبقى ، ..
وماكان ليس يكون ، ..
المسافات ..
أرحب مما تعود ، ..
والنار أصفى ، ..
ومشدوهة هذه الدور ، ..
مر بأبوابها ..
وتلبث ، ..
باشرها وتلبث ــ
ليس سوى مرة ــ
وتحاشاه يرحل ، ..
يرتحل الماء عن طينه ، ..
وتغيض سواقيه ، ..
واليـــــوم ..
تأخذه سفن ، ..
وتراوده سنة ، ..
ويساقيه ..
حور وغلمان ، ..
حور وأنهار ، آنية وآباريق ، ..
يسعد بالسفر ــ
الان ــ
عاد كما كان آنية وأباريق ، ..
آنية وأباريق ..
كهيعص .
كهيعص .



سينما

أسبوع الفيلم السوفيتي عن الباليه والحرب والفن العظيم

اغلب الظن ان الاهتمام بالحرب سيمتد فى السينما السوفيتية لسنوات قادمة ، لا حيلة فى هذا ، وهو أمر يجب أن ترحب به ، طالما انه يصدر عن وجدان فنانين تاثروا ، حتى النخاع ، باستشهاد ملايين الابطال ، خلال عواصف الحرب العالمية الثانية الوحشية ·· ولكن من حق الجميع أن يطرحوا السؤال التالى : هل تستطيع السينما السوفيتية ان تضيف جديدا الى ما قدمته من قبل ؟

ان الاجابة تأتى من قلب أسبوع الفيلم السوفيتى صريحة وواضحة : لا !

وهذه الاجابة القاسية لاتعنى مصادرة مسبقة لما يمكن أن تقدمه السينما السوفيتية فى هذا المجال ، وهى أيضا لا تعنى أن أفلام الاسبوع الحربية رديئة فى مجملها ·· كل ما فى الامر أنها لم تقدم جديدا بالنسبة للسينما السـوفيتية نفسـها ، ذلك ان الاحساس الذى لا يفارق المرء وهو يشاهد « **فى سبيل الوطن** » من اخراج «سرجى **بندراشوك** » عن رواية « **شولوخوف** » ، أو الجزئين الاولين من فيلم « **الحصار** » الذى أخرجه « **ميخائيل ايريكوف** » عن رواية « **الكسندر فسكى** » ، هو أنه شاهد هذين العملين ، بكل ما يحملانه من ايجابيات ، اكثر من مرة ، باسماء مختلفة ·· **ان الفيلمين يحملان احساسا ساطعا بالحياة ، وبحركة التاريخ ، وقوة الانسان التى لاتحدها حدود ، وارادة الجموع التى لا تنضب ، وبطولة الشعب التى حققت النصر** ·· والحق أن ثمة العديد من المواقف القوية ، المؤثرة ، فى ملحمة « فى سبيل الوطن » ، لا يمكن ان تنسى ، خاصة تلك المشاهد الاخاذة التى يستمسك فيها بوندراشوك » الجريح بالحياة وهو على حافة الموت ، فتجده يسأل المرضة الشابة بشغف ، وبلا انهيار ، اذا كانت قدماه قد انفصلتا عن بقية جسمه أم لا ؟ ··

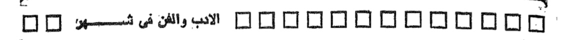
ويأتى فيلم « الحصار » بمثابة درس صادق للشعوب المحاربة ، او التى تتهيأ للحرب ، فى كيفية صنع النصر من الهزيمة ، واكتشاف عوامل البناء وسط ركام الانهيارات ·· لكن الفيلمين بايجابياتهما ، وبتصويرهما القوى لدموية الحرب وشراستها ، واحتفالهما بالمواقف الانسانية ، سواء على المستوى الجماعى او الفردى ، لا يتجاوزان الحدود التى بلغتها أفلام « **انشودة الجندى** » بسموه الانسانى ، و «**التحرير**» بطابعـه التسجيلى الدقيق ، و « **ستالينجراد** » بصدق تعبيره عن جماعية البطولة ·

ويبدو أننا ، أبناء العالم الثالث ، للعديد من الاسباب النفسية ، تنفر من الافلام التى تمجد الحاضر ، وتقدمه كلوحة مسطحة جميلة ، خالية من المتاعب والتناقضات ، أو حتى التى تتضمن مشاهد وعبارات تشى بأية نغمة دعائية ، وربما كان هذا سببا ، ضمن العديد من الاسـبـاب ، جعلتنا لا نتجاوب مع فيلمى « **هاته اللائى اتذكرهن واحبهن** » الذى عرض باسم نساء فى **الحرب** » من اخراج **اناتولى نيخوتو وناتاليا تروسنتو** ، و « **أعجب مغامرة** » الذى أخرجه « **الدر بازانوف** » ·· ذلك أن الفيلم الاول يبدأ من لينينجراد الحاضر ، الشوارع الواسعة ، والمبانى المرتفعة ، والوجوه الشابة الباسمة ، والازياء الحديثة ، مع صوت معلق يتغنى بجمال المدينة واشراقها وسعادة أهلها ، ويقول بأن الصورة لم تكن كذلك منذ ثلاثين عاما · ويرتد الفيلم الى الماضى لتكشف أن المعلق كان قائدا لفرقة فتيات فى سلاح المهندسين ، يقوم بتدريبهن على رفع الالغام ، وهى المهمة التى يقال عنها أن المرء لا يخطىء فيها الا مرة واحدة ، لان موته محقق مع الخطأ الاول ·· وعلى استحياء ، يحاول الفيلم وسط الخطر المتربص بالبطلات ، أن يقدم لحظات البهجة المختلسة ، الممثلة فى حفلة قلب هنا او قبلة هناك ·· **لكن الفيلم يعانى بطء الايقاع من جهة ، وارتفـاع النغمة الدعائية من جهة أخرى ؛ بل وينتهى بخطبة منبرية معادة عن حتمية هـزيمة الفاشيست** ·

أما فيلم «**أعجب مغامرة** ، فهو كوميديا دعائية غير مضحكة ، يدور حول البحث عن كنز مخبأ اسفل قفص أحد الاسود فى مدينة لينينجراد ، ويقوم بالبحث مجموعة من الايطاليين المحتالين ، نجحوا ، الى حد ما ، فى التخفيف من وطأة الفيلم الذى يسرف فى التغنى بجمال المدينة وآثارها الخالدة ، فضلا عن يقظة أجهزة الامن التى لا يغمض لها جفن !

وبعيدا عن الحرب والامها وبطولتها ، وبعيدا عن الدعائية بما تثيره من نفور وانزعاج ، قدم الاسبوع فيلمين على درجة كبيرة من الاهمية ، فكل منهما ، على طريقته ، يعد تجربة بالغة الجرأة .. الاول هو « **انا كارنينا** ، تحفة تولستوى التى قدمت على الشاشة عدة مرات ، تتحول هنا الى «**فيلم ــ باليه**» ، و «الفيلم باليه » يعد أحد الاشكال السينمائية الصعبة ، يتطلب مهارة فنية رفيعة تستطيع أن تتجاوز حدود « المسرح المصور » لتصبح عملا سينمائيا يعتمد أساسا على مقدرة الراقص التعبيرية ·· وعموما فان السوفيت قدموا عددا من التجارب الاخاذة فى هذا المجال ،

وان كان بعض النقاد لا يدخلونها فى مجال الاعمال السينمائية بقدر ما يضعونها فى باب الاعمال المسرحية المصورة ، مثل **بحيرة البجع** » ، و «**روميو وجوليت**» ، و « **الاميرة النائمة** » ، وينتهيأ « فاديم





لقطة من فيلم « الحصار »

وربينيف ، لتقديم قصة « **سبارتاكوس** » كفيلم ـ باليه .

اعتمدت المخرجة « **مارجريتا بيلهينا** » على باليريتا فرقة البولشوى العظيمة « **مايا بيليز تزكايا** » التى قامت ببطولة وتصميم الرقصات . **وقد** تعمدت «مايا» وهى تحول العمل الادبى الى عمل راقص ان تعبر عن روح الراوية دون التقيد بعشرات التفاصيل الروائية .. فهنا ، فى « الفيلم ـ بالية » ، اربع شخصيات اساسية ، « أنا كارنينا » ، الارادة القوية ، القلب الخافق بالحب ، والروح المتوثبة للتحرر ، سجينة القصر والتقاليد وعبودية الزوج ، تحاول ان تحطم اغلالها لتنطلق نحو تحقيق ذاتها واحلامها ورغباتها ، لكن عبثا ، فالتاريخ لم ينضج بعد ليرحب بثورة « أناكارينينا» ، لذلك فانها تتقدم نحو مصيرها الفاجع، بلا خوف أو ندم .. ثم تأتى شخصية الحبيب ، كحلم جميل عاصف ، يفجر فى روح « أناكارييننا » المشبوبة عوامل التحدى والكبرياء .. ثم يأتى الزوج ، سيد القصر ، بكل مايمثله من مخلفات طغيان طبقته الاقطاعية .. واخيرا تأتى شخصية عامل محطة السكة الحديدية ، الذى سيكتشف فى النهاية جثمان « أناكارينينا » المنتحرة تحت عجلات قطار ، وهو هنا يبدو بالغ الشفقة على « أنا » ، بل يبدو كما لو كان جزءا من وجدانها ، فهو ، فى أكثر من مشهد ، يرقص حولها ، وينطلق بكل قوته بعيدا من الارض ، معبرا عن ثورتها ، لكنه يرتد مرة ثانية ، الى الارض .

وتصمم « مايا » رقصاتها الرائعة على اساس العلاقات المتداخلة بين الشخصيات الاربع ، ثم يأتى دور المخرجة لتثرى عمل « مايا » باللون والضوء والايقاع وتنوع اللقطات ، ففى المشاهد الاولى ، ووسط رقصات القصر الباردة ، يأتى العاشق .. وما ان يراقص الحبيبة حتى يتلاشى العالم الخارجى ويختفى تماما .. وعندما يظهر الزوج ، بكل مايحمله من طغيان تصبح صدان القصر المذهبة ، فى مقدمة الكادر ، أقرب الى الاسلاك الشائكة القاسية .. وفى المشهد الاخير من الفيلم ، تقترب المخرجة بكاميراتها من وجه بطلتها ، الذى يبدو مضيئا وسط ظلام حالك ، كشمعة وحيدة ، وهى فى طريق النهاية ، لتنطق بالكلمات الوحيدة التى ترددت طول الفيلم ، عن المدينة الغريبة التى عاشت فيها ، بما تحمله وماتحويه من منازل وناس أقرب الى الوهم من الحقيقة .. ان تجربة

أنا كارينينا » كفيلم ـ باليه » ، تجربة آخاذة ، بالغة الغنى والجمال والخصوبة ، وهى تترك فى النفس اثرا، لا يمكن ان يمحى .

واخيرا يأتى فيلم « **قصة حبيبين** » ، من اخراج « **اندريه كونتشالوفسكى** » .. وهو فيلم غريب ، كلما تأملته كلما ادركت أعماقا جديدة ، وهو يوحى اكثر مما يكشف ، وتبدو فكرته ، للوهلة الاولى ، كما لو كانت مطروقة ، لا تتجاوز قصة شاب أحب فتاة ، وهو يودعها لاداء خدمته العسكرية ، وتأتى الاخبار بأنه قد مات ، وكما فى الحياة ، تتزوج الحبيبة بعد فترة حداد .. لكن الحبيب يعود ، ويطالب بخطيبته القديمة ، ويقف الجميع ضد رغبته الجنونية .. وبعد فترة يتزوج ، ولا يحب زوجته فى البداية ، ولكن بمرور الايام ، ومع مجىء الاطفال .. يأتى الحب .

هى اذن فكرة مطروقة ، قدمت فى عدد كبير من الميلودرامات والغنائيات .. لكنها فى فيلم « قصة حبيبين » تكتسب قيمة كبيرة ، **بفضل التساؤلات الفكرية الجريئة التى يطرحها « يقجينى جريجورييف » كاتب السيناريو ، فصلا عن أسلوب الاخراج المميز الذى اتبعه « كونتشالوفسكى » ، والذى يبدو فيه متأثرا ببريخت الى حد كبير ، فهو يقدم فيلمه كلعبة تمثيلية ، يذكرنا فى كل جزء بان مانراه مجرد فروض يجب ان نفكر فيها لا ان نعايشها ونندمج معها .**

فى المشاهد الاولى تنطلق الكاميرا مع الحبيبين بين المروج والشوارع والالوان الزاهية وأصداء الموسيقى وتدفق الحياة ، ويبدو كل شىء مبهجا وطيبا ومتوافقا .. ويودع أهل الحى أبناءهم المتجهين بقطارهم لاداء خدمتهم العسكرية .. وتنتظر الحبيبة عودة فتاها التى لا تتحقق .. وعندما تعرف خبر وفاته تصرخ بالم وجنون وتندفع لتلقى بنفسها بين النيران التى اشعلها أهل الحى احتماء من الصقيع .. وهنا يندفع المخرج او المؤلف او المعلق أو فلتسمه ماشئت ليمنع الفتاة من الانتحار قائلا بأن هذه ليست النهاية وان الرواية لم تتم فصولا ، وهنا يكشف لنا الفيلم عن بروجيكتورات الاضاءة وآلات التصوير .. **هل يريد الفيلم ان يقول بأن الحياة أقوى من الموت ؟ .. ربما .**

بعد فترة من الالم تتزوج الفتاة من قريب لها ، تألفه ، وتحبه ، وتندمج معه .. لكن سرعان ما يعود الحبيب الاول ، الذى كاد ان يضحى بحياته وهو يشترك فى انقاذ اهالى منطقة غمرتها أمواج المحيطة القاسية . وبلاتردد يطالب بحبيبته ، وهنا يقدم الفيلم أخطر مشاهده .. فكما كان بطلنا رجلا وهو

يؤدى واجبه ، مراهنا بحياته ، يبدو هنا رجلا ، مراهنا بحياته ايضا ، وهو يطالب بحبيبته .. لكن الجميع ، هذه المرة ، يقفون فى وجهه ، ويطالبونه بالرضوخ الى حكم العقل ! وفى مشهد عاصف يشتبك بالايدى مع أكثر من شخص . وعندما تخور قواه يعلن متألما ، وتأملا ، أن مصلحة الجميع تتمثل فى موته ! . ويسقط على الارض أقرب من الموت الى الحياة .. هل يريد الفيلم أن يطرح التساؤلات حول الحقوق الضائعة للذين يلبسون نداء الواجب والوطن ؟ .. ربما .

ولا ينتهى الفيلم عند هذا الحد ، ولكنه ينطلق بالكاميرا داخل ممر مظلم طويل ، حيث يطالعنا بطلنا الذى لم يفقد الحياة بعد .. ولكنه فقد البهجة والحب والدفء والموسيقى والالوان ، وتأتى المشاهد فى هذا الجزء أبيض واسود فقط .. ويرى بطلنا ، وهو يقود احد الاتوبيسات ، أن الخرائب الموحشة



بوندرا شوك
« الجريح فى سبيل الوطن »

على جانبى الطريق ، وان المبانى آخذة فى الانهيار ، وان كل شىء قاتم وكئيب

.. وسرعان مايتزوج من فتاة لايحبها وان كان يحاول ألا يجرحها بالكشف عن مشاعره الحقيقية .. وينجب اكثر من طفل .. وعلى استحياء ، تبدأ الالوان فى العودة الى حياته ، فيكتشفها – وبالرقة – فى شريطة شعر ابنته الحمراء .. ثم يتوالى ظهور الالوان .. حقا انها ليست بالقوة والبهجة التى كانت بها فى أول الفيلم ، ولكنها .. اقل قتامة من الاسود والابيض .. هل يريد الفيلم ان يقول بان عوامل الحياة اقوى من عوامل الفناء ؟ .. ربما .

عموما ان « كونتشالوفسكى » ينهى فيلمه بأن يكشف لنا عن بروجيكتوراته وكاميراته ، كما لو كان ينبهنا الى ان مانراه ليس قصة للمعايشة والاندماج بقدر ماهى افتراضات وتساؤلات ، علينا ان نفكر فيها ونجد اجابة لها ، وفى اعتقادى انه حقق بهذا أحد شروط الفن العظيم . ☐

كمال رمزى

مسرح

ابريل .. وشكسبير

البطل التراجيدى .. والشقاق مع العالم

يظل المسرح أقدر الفنون على احتضان الانسان بشقاقه المحتوم مع العالم ، وأقدرها على الكشف والفضح والنبوءة .. بحكم طبيعته الجدلية . وتلك الحقيقة تتأكد أكثر كلما ذكر شكسبير .

وما كتب عن شكسبير فى هذا الصدد كثير ، وما لم يكتب أكثر ، غير انى لا اطمح حاليا لغير التأمل ازاء قضية تواجه كتاب المسرح الآن وهى موقف الكاتب المسرحى حين واجه عصرا يضج بالمتغيرات ويتوفز قلقا وتساؤلا ، فيكون عليه ان يتلمس الرؤيا حيث تغيم ، وأن يكتشف أدواته المسرحية حيث ارتبكت كل الادوات الشائعة وفقدت فاعليتها .

وحين نلقى نظرة على الموقف فى عصر شكسبير – عصر النهضة ، نستطيع القول – دون مبالغة – أن العرب كان لهم دخل فى تشكيل هذا الموقف ، فخروج أوروبا من القرون الوسطى استند الى جانبين قدمتهما الحضارة العربية ، أولهما تلك الدفعة الاساسية لحركة الاحياء التى اعتمدت على ما نقلته الحضارة العربية من الفكر اليونانى المهيأ للامتزاج بمضمون الحركة الاسلامية ، اما الجانب الثانى فيتمثل فى السيادة الاسلامية على العالم والتى بلغت فى هذه الفترة مبلغا كبيرا ، وخلقت بمظاهر القوة استفزازا متزايدا لاوروبا ، حيث يمكن أن نلمس بشكل مبكر مظاهر صراع سياسى يكاد يكون من جانب واحد ، فالفتوحات العربية قطعت الصلة نهائيا بين أوروبا والصين والهند والملايو وقارة أفريقيا ، وأصبحت كلها مفتوحة أمام التجارة العربية فقط ، بالمثل أصبح البحر الابيض يمثل منطقة نفوذ خاصة للعرب ، وانقلبت مظاهر الحياة فى أوروبا واختفت من أسواقها السلع التى كانت تستورد من الشرق ، وكانت هذه كلها بوادر استفزاز حقيقى لاستعادة الاحساس بالقوة ، وفى هذا الاطار كانت الحماسة الشديدة للنقل عن الحضارة العربية فى كل ماتؤدى الى مظاهر السيطرة لتبدأ بشكل فعال محاولة لتجميع القوى فكما يرى الباحث «جميس طومسون» فان الريادة والكشف الاوروبيين فى القرن الرابع والخامس عشر كانت حركة واسعة صدرت معتمدة اعتمادا كبيرا على أعمال الريادة والكشف

والملاحة العربية وبالمثل كانت الحماسة فى الاخذ بالتقدم فى الرياضيات وباقى العلوم التى تتمشى وهذا الجانب . ثم اذ ننظر الى حركة البناء الاجتماعى الجديد نجد انها جعلت من مفهوم [الحركه الانسانية] تاكيدا على الفردية بمعنى اجتماعى واقتصادى حيث نشأ ما يسميه الباحث « فرديناند سكيفل » [عصر الرجال الاقوياء] على راسهم الراسماليين الاول – التجار المغامرين . وبنفس المعنى ايضا نمت السياسة واصبح العصر تدريجيا عصر السياسة والمؤامرات والاطماع.

ولكن ذلك فى النهاية لم يبد محسوبا وقتها ، وبدا التناقض الظاهر بين وجه الفكر الجديد وبين الواقع تناقضا فى واقع مازال مفتوحا وتعتمل فيه اشواق غامضة .

وفى هذا الاطار يمكن النظر الى حقيقة اليقظة فى مسرح عصر النهضة .

فقد ارتبط مبدئيا بحركة الاحياء وما احدثته من رجوع الى التقاليد الكلاسيكية – كما عرفوها – ولكن هذا الرجوع بدا شكليا وغير مؤثر ، اذ أن الواقع يغلبانه رفض هذه التقاليد بما حققت ، او رفضها وحقق شيئا آخر ، ولقد بدأت اليقظة بالمسرح الايطالى ثم الفرنسى ثم الاسبانى وانتهت الى المسرح الانجليزى لتصل الى هذه النتيجة . فالمسرح الايطالى والفرنسى لم يثمرا شيئا ذا بال ، ولم يجدا أى امتداد حقيقى وفشلت بالفعل حركتهما وذلك لانهما ارتبطا ارتباطا وثيقا بالتقاليد الكلاسيكية غير ان الامر فى اسبانيا اختلف، فبقدر ما كان يتسم به بناء المسرح من حرية حيث بنى على نظام الفناء المكشوف بقدر ما كانت المسرحية تمثل هذا الانطلاق وتستند الى نفس الحيوية التى يتميز بها الواقع جنيها ، مما ادى الى ثمرة واضحة ، اذ اخرج لنا المسرح الاسبانى حينها « **لوب دى فيجا** » و « **كالدرون** » وحشدا من ذوى المواهب استمروا بحركة المسرح فى تفاعل لفترة طويلة .

ثم أتت فى النهاية حركة المسرح الانجليزى وجمعت بين ما يمثله المسرح الايطالى والفرنسى من جهة والمسرح الاسبانى من جهة اخرى ، اتجاه نحو التقاليد الكلاسيكية واتجاه نحو الواقع المتوفر تمثله حركة المسرح الشعبى .

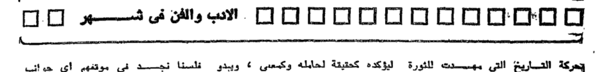
ولقد دارت المعركة بين الطرفين ونال المسرح الشعبى من الهجوم قدرا بالغا من اتباع الكلاسيكية ولكنه سرعان ما نمت حركة المسرح الشعبى وتنحى الاتجاه الكلاسيكى ، وحدثت حالة مد هائلة بطاقة من الكتاب الشبان ، بدأت واضحة يفتى فى الثانية والعشرين من عمره – روبرت جرين – وانتهت بشكسبير .

ولكن .. لم يكن شكسبير مجرد امتداد لحركة المسرح الشعبى ، اذ ان هذه كانت تعكس فى حيوية ملامح التوتر القائم مع قدر من التشاؤم المبهم وخاصة لدى « مارلو » – اما شكسبير فقد طرح على نفسه ماهو ابعد ، كى يصل الى رؤاه الخاصة وبادوات اكثر قدرة وفاعلية ازاء عصره . **ان العلاقة بين شكسبير وبين حركة المسرح الشعبى اقرب الى صفقة .. انه يقبل منه الميلودراما والموضوعات ذات الاطار الروائى الفضفاض ، ثم مقتضيات المبنى المسرحى واسلوب العرض فى تاثيرها على النص المكتوب ليخضع ذلك كله من اجل مواصفات تصله بالجمهور ، فى نفس الوقت الذى يحقق من خلالها رؤاه،** حيث تخضع كل العناصر لصياغة محكمة كثيفة يضبطها ايقاع واحد ، واذ يمتد حله لمشكلة المواضعات الى مبنى المسرح وطريقة العرض فيه كما نقول ، فنحن نجد ان المسرح كان اقرب الى حانة ، وأما المنصة فقد كانت عبارة عن منصة مكشوفة ثم مسرح داخلى من جزئين علوى وسفلى ، وكلها تفتقد الى المناظر وهى تحمل بوضعها ذلك علاقة لامتناهية بينهما وبين المتفرج حيث يقوم خيال المتفرج بالدور الايجابى فى هذه العلاقة بمعنى انها كانت تتخذ مبدئيا نوعا من التجريد يمنحه خيال المتفرج الحياة . فواجهة المسرح ترمز الى القلعة والعرش وقوس النصر والمذبح والقبر ، كى يماثل المسرح على نحو ما اشرنا العالم مصغرا – فلم كانت تسميته بمسرح الكرة الارضية تعنى هذه العلاقة – والى جانب ارتباط هذه بالنص فى اشتماله على الميلودراما والاطار الروائى الذى يجد حرية فى الزمان والمكان – فان ثمة تاثيرا اخر على طبيعة الشعر .. فالشعر هو الذى يقوم بمساندة المتفرج فى عمله التخيلى مع العرض ، ولهذا فانه كان يتسم بنوع من الاستقلال والغنائية والتزين البلاغى المصطنع ليؤدى دوره مضمونا وواضحا مع خيال المتفرج ويتقبل شكسبير هذا كمواضعات ويتم الخلق لديه فى اطار هذا ، ولكن مع اخضاعه فى النهاية للدراما كما صاغها ولايقاع رؤاه ونسيجها . ورغم أن الشعر لديه فى اكثر من عمل ظل يحمل نفس السمة البلاغية الا انه اخضعه لتجربته الخاصة وجعله يتآزر مع باقى المقومات لتجسيد الرؤيا فى الوقت الذى يحظى فيه بنفس المكانة التى يحظى بها فى المسرح الشعبى ويؤدى نفس المهمة للعرض .

وان ذلك فى النهاية ينطوى على الشىء الهام فى هذا الاختيار ، وهو ان جوانب الميلودراما والاطار التاريخى الفضفاض بتفاصيله التى نراها بمسرح شكسبير ، انما تحمل دلالة على الواقع نفسه الذى يريد شكسبير أن يتجاوزه بطرح الصراع فى مداه الاوسع بين الحرية والضرورة لقد كان التحام الميلودراما والاطار الروائى الفضفاض – وكل ما قبله شكسبير من المسرح الشعبى – بنسيج رؤيا درامية شديدة النفاذ فى بناء كثيف ومعقد .. ليس كشفا لعبقرية شكسبير بقدر ماهو كشف لازمة الواقع غير المتوازن ، فليست الميلودراما وليس الاطار القصصى بتشعبه والتوائه وفظاظته وغرابته فى اكثر الاحيان الا وجها لعالم الضرورة – بمعطياته التاريخية – فى وجه النزوع الاصيل والدائم للانسان من أجل الحرية فى مسار الجدل المفتوح ابدا ...

تلك باختصار هى المعادلة التى حققها شكسبير ازاء عصره ، وذلك هو الدرس الذى يستحق فى رايى التامل والنظر من جانب كتاب المسرح فى عالم معقد وواقع يطرح مسئوليات قادمة ..

● **واذا تتبعنا الامر فى حدود تراجيدياته بشكل اساسى ، فنحن نلاحظ منذ البداية أن ثمة انفصالا فى التجربة الانسانية لديه بين وعى فردى وواقع انسانى عام ، بعكس مانرى فى التجربة اليونانية حيث الرؤيا متصلة جذريا بالجميع وبالوضع فى مجمله .** فلدى شكسبير نلحظ للوهلة الاولى الانفصال بين شخص واحد هو البطل وبين الجميع .. انه يتميز تميزا شديدا عن الاخرين وتحدوه شدة بالغة فى المعاناة تفرق به عن الباقين تماما ، ويبدو البطل بمثابة عملية تجاوز للواقع انطلاقا من هذا التفاوت الشديد ومن خلال تجربة تتسم بعنف وتعقد شديدين ، حيث ندرك أن معركة الشر ليست كما تبدو فى التراجيديا اليونانية لقاءا طبيعيا بتجربة الانسان الحتمية فى ماساويتها بل انه لقاء يحمل فى ذاته وبعنفه شيئا من الغرابة .. انه يبدأ ببطل احمق أو شرير – عكس ذلك القدر من الجلال اليونانى – ثم هو يمضى لينتزع لابطاله مايميزهم عن الاخرين بصوت مسموع وبحدة وفى حالة من الادهاش لا نجد ما يماثلها فى التجربة اليونانية ، وهذا التفاوت بشكل عام يواجهنا فى النهاية بثورية رجل يحس حوله بالخطر خلال كل اعماله .. فالحقيقة أن الصفقة بينه وبين المسرح الشعبى هى أساس لصفقة مع عصره نفسه ، فهو يخضع واقعه المفتوح دون التعرض المباشر له – السياسة والفردية بمعناها المتصل



بحركة التـــاريخ التى مهـــدت للثورة البورجوازية وملامح ســـطوة الضرورة بشكل عام — يحتضنه متجـــاوزا اياه وهو يشير خلال لجاج مظلم الى وجه الانسان مهددا بالغرق فى معركة ضارية بين الضرورة والحرية .

● ومع تسليمنا بصحة ذلك يصبح من الصعب فهم الجوهر التراجيدى لديه بالشكل الشائع ، برغم أن شـــكسبير اخضع أكثر من غيره لمفهـــوم السلطة والقدر وغيرها ، والغريب أن التفسيرات الشائعة بقدر ما تجد أسانيد بشكل أو بآخر فى أعماله فهى أيضا تجد ما يفندها بنفس القدر ، وثمة محاولة قام بهـــا برادلى فند فيها هذه المحاولات كلهـــا وببساطة ومنطق واضح ولـــكنه انتهى بعد ذلك الى أن المسألة يكتنفها الغموض الا فى ظل افتراضات أخلاقية ميتافيزيقية مسبقة ، ولـــكن مع تـــوع من الادراك المباشر يمكن أن ننفى ذلك أيضا ليبقى الجوهر التراجيدى لدى شكسبير متميزا بما يتصل برؤاه ازاء عصره .

ان كلامنا يستطيع ان يتمثل كـــلا من مكبث وعطيل وهاملت وهم يواجهوننا فى البداية واحدهم مجرد وغد والاخر أحمق والثالث متهافت .. ولكننا اذ نمضى مع كل منهم فى رحلته كاملة سنجد انهذه التفرقة بينهم تبدأ فى التلاشى ، وبيـــدا رؤية مكبث على انه اكثر من كونه مجرد وغد ، انه يبدو بعد ما نمضى معـــه محتضنا للشر احتضانا كليـــا يسعى ليؤكده كحقيقة لحامله وكمعنى ، ويبدو عطيل أكثر من مجرد أحمق ، اذ انه انما يواجه العالم بأسطورة من الحب وأسطورة عن الحرب ولا يقبل سواها يلجأ للحرية وللقيمة رغم أن العالم دون ذلـــك ، ويبـــدو هاملت أكثر من مجرد متهافت وأن ما به يبدو مختلف المصدر كل الاختلاف وبمزيد من الاقتراب منهم فى رحلتهم ، وندرك أن ثلاثتهم يواجهون شقاقا مع العالم على مستوى الجوهر.. ونحن معهم فى معاناتهم نواجه تحديا أساسيا مفتوحا .. هو هذا الشقاق مع العالم . فالشقاق اذ لاح منذ البداية كما لدى هاملت أو تفجر بعد الصـــدام بالعالم كما لدى مكبث وعطيل فهـــو مفتوح بالمعنى الملازم للوعى الانسانى ، أى أننا نجدهم يرفضون أى حل جزئى له ، يرفضون نسبية الامور فى العالم حولهم وينزعون لموقف كلى حتى ولو كان تأكيد الشر كحقيقة غير متناقضة ، ولكنها — وكما ادرك مكبث — متناقضة ، ولذا كان عليه أن يتحطم ويظل التحدى مفتوحا يحتم المأساة ! ، يمثل ما أدى التناقض فى مواجهة الشر مع الاخرين الى نفس الحتمية . ونحن نجد أن ثلاثتهم تبعـــا لهذا يخوضون رحلتهم من خلال عـــالم عار يطرح عليهم مشكلة حريتهم ومعنى وجودهم ومقوماته دونما سند ، ولـــذا فلم يكن العالم عصى الملامح على هاملت وحده ، انما هذا ما يبدو محيطا بمكبث وعطيـــل وأساسا لمعاناتهما وأزمتهما ، وأساسا فى نزالهم جميعا مع الشر .

فلسنا نجـــد فى موقفهم اى جوانب تقريرية . لا شىء محدد سلفا ولا شىء محـــدد أمامهم . حركتهم فى اتجاه مجهول ، وهم بذلك امكانية غير متحققة الانسان نفسه وبالفعل — امكانية مبهمة مثل ابهام العالم الذى يواجهـــه ومبهم وارادتهم ، وازاء هذا لا نجد منهم الا اصرارا على مواصلة الرحـــلة دون مهادنة أو ارتماء فيما هو دون مستوى الشـــقاق .. رغم الظلمة فهاملت يصر على أن يكون الفعل الذى يتخذه مرادفا لوضوح كامل مع العالم يؤكد حريتـــه معه ويستند الى قيمة ومعنى لكل شىء ، وعطيل لا يرضى بديلا عن الحياة بغير أساطيره النقية عن الحيـــاة ، ومكبث قبل الشر حقيقة سـوية مكتملة تعطى معنى — محددا مطلقا غير متناقض — لعلاقة الانسان بالعالم .

ومع التناقض الذى يواجههم جميعا.. التناقض الذى لا يحل ، يبدو فى النهاية ان الشىء الاقرب الينا تماما هو مايجمع ثلاثتهم ويجمعنا حولهم فى تجربتهم .. انهم فى منطقة واحدة وكثيفـــة ، فى أعماقها نواجه بالنسيج الثورى للانسان .. نزوعه للمفارقة فى اتجاه مجهول أبدا فيه مأساته . حيث تبدو محـــاولة الانسان ممجدة ويبـــدو الامر معركة أشرف مافيها هزيمة الانسان .. وحيث تضىء الفجيعة بالبعد المصيرى وجـــلال المأساة .

يسرى الجندى

المهرجان القومى للافلام التسجيلية والقصيرة :

هـــذا الـــذى يبـــدأ صـــــامتا .. ويـنـــــتهى صـــــامتا !

لم يشعر به أحد عندما بدأ ، ولم يشعر به غير قليل عندما انتهى ، بدأ فى ٢٣ فبراير وانتهى فى أول مارس الماضى المهرجان القومى السابع للافلام التسجيلية والقصيرة ..

والمهرجان ظاهرة سينمائية ثقافيـــة فريدة فى حياتنا ، فهو المهرجان القـــومى الوحيد الذى يقام سنويا عندنا لان مسابقة الافلام الروائية الطويلة التى أقيمت من عامين ليست مهرجانا وانما مسابقة مالية تشجيعية ، وهو الظـــاهرة الثقافيـــة السينمائية الوحيدة التى استمرت سبع سنوات متصلة . ومع ذلك فمهرجاننـــا القومى الوحيد ما زال يقام فى صمت ، وتجرى عروضه فى صمت أيضا داخـــل قاعة المركز القومى للثقافة السينمائية ، والضجة الوحيدة التى تروى عنه ولانسمع هى مناقشات لجنة التحكيم عندما تقرر اى الافلام سيفوز ، ولعلها هذا العام كانت دون ضجة فالافلام الفائزة تقول بأنهـــا لجنة حكيمة راشدة .

ولا نقصد بصمت المهرجان — وربما كان هذا سر بقائه — انه لا يبذل جهدا للتعريف بنفسه ، فهناك الاعلان الرسمى الذى ينشر فى الصحف السيارة ، والذى تتقدم بمقتضاه جهات الانتاج والمخرجون بأفلامهم الى ادارة المهرجان وفى الاغلب لا يجدى هذا الاعـــلان وتتولى ادارة المهرجان مطاردةالجهات المنتجةوالمخرجين للحصول على الافلام ..

والى جانب هذا الاعلان الرسمى ، تم ضبط أفيش (اعلان) معلق على باب المركز ذاته ، يعلن عن المهرجان للذين اتوا بالفعل لمشاهدة الافلام . والذين يأتون للمشاهدة هم أعضاء لجان التحكيم الثلاث هذا العام .. اللجنة الرسمية للمهرجان وأعضاؤها أحد عشر ، ولجنة تحكيم جمعية نقاد الســـينما المصريين وأعضاءها خمسة ولجنة تحكيم المركز

المصرى للسينما وأعضاءها أربعة جملتهم اذن عشرون وعدد مقاعد القاعة خمسون يضاف اليها أحيانا قليلة اثناء العروض بضعة كراسى لا يمكن أن تزيد على خمسة لهذا يجب أن نسمى مهرجاننا هـــذا بالمهرجان الصامت ، الذى آن له أن يتكلم بصوت مسموع ، باعلانات أكبر حجما ومطبوعات تتابع عروض المهرجان وافلامه خاصة **وأن السينما التسجيلية فى امس الحاجة الى مثل هذه المطبوعات للتعريف بها وبأصحابها** ، ونرجو أن يشـــهد مهرجان العام القادم مائدة مستديرة عن السينما التسجيلية وكتابا عنها يصدره المركز القومى للثقافة السينمائية،ونشرات يومية عن الافلام والمخرجين .

(●)

والافلام التى تقدمت الى المهرجان بلغت حوالى ٧٥ فيلما ، انتهت عند لجنـــة التصفية الى ثمانية وخمسين فيلمـا ، تنافست على خمسين جائزة ، وانتهى التنافس الى فوز أحد عشر فيلما بثلاث وعشرين جائزة وحجبت لجنة التحكيم سبعا وعشرين جائزة وخيرا فعلت فيما عدا شهادات التقدير التى أفلتت منهـا ربما كترصية وتجاوز لحرج يفرضه وضعها الرسمى .

ومن خلال هذه الافلام التى بلغت ٥٨ تبلورت ثلاثة اتجاهات أســـاسية فى السينما التسجيلية :

الاتجاه الاول وهومايمكن ان نطلق عليه السينما المباشرة ، وهذا الاتجاه يرفض السياحة داخل الواقع الذى يتعرض له ، وانما يراه بعين نقدية فى تفاصيله اليومية المعاشة والضاغطة على الانســـان ، فالفنان هنا يختار من التفاصيل الصغيرة صورة وصوتا مجموعة يضعها بين قوسين ليكون منها بناء فنيا ينمو من خلال العلاقة الجدلية بين هذه التفاصيل او الجزيئات المنتقاه من الواقع على أن هذا الانتقاء لا ينفى صفة المباشرة أى الانتقاء المباشر بالواقع ، وانما يعنى أن الفنان يسقط من المادة التى صورها كل ما يعوق ابراز القوى الفعلية التى تصنع مســـار هذا الواقع .. ومثال هذا فيلم **خيرى بشاره وطبيب من الارياف** فالفيلم يعتمد على أسلوب فنى يقترب من الروبيرتاج كثيرا ، وهو الاسلوب الذى يميز السينما ، المباشرة والصورة عنده تلعب دورا خلاقا فى ابراز التناقضات التى تعيشها القرية المصرية فى جانب واحد وهو مشـكلة الدواء والعلاج .. موضحا حالات المرض المنتشرة بين الفلاحين والكبار وفى نفس الوقت يعرض النقص فى الدواء .والرحلة القاسية التى يقوم بها الطبيب ومعاونوه فى الوحدة الصحية للوصول الى المركز حيث يوجد المصدر الرئيسى للادوية لكنه أى هذا المصدر وبرغم الرحلة الشاقة ليس لديه كل ما هو مطلوب للعلاج ..

والفيلم يرصد هذه المشكلة فى تفاصيلها الصغيرة والكبيرة ، واذا كان نقص الدواء وانتشار أنواع من الامراض يفرض نفسه على الواقع فان لهذا أسبابه فى الفقر الذى يعانى منه انسان الريف المصرى ، غير أن خيرى بشارة لم يحاول الاقتراب من الاسباب وانما اكتفى بالوقوف طويلا أمام الظاهرة عارضا كل جوانبها ولعلنا بذلك نفهم الاســـباب ، أى انه وبرغم المباشرة ترك لنا شيئا نستنتجه ..

والقرية التى تـــقدمها « **طبيب من الارياف** » تعد بالفعل نموذجا لقرى مصر التى ما زالت تعيش على هامش الواقع الاجتماعى وهى برغم كل التطور الـذى حدث كان نصيبها مدرسة فى حاجة الى استكمال ووحدة صحية بحاجـــة الى استكمال أيضا .. لكن هذه القرية وبرغم كل المرارة التى تعيش فيها قادرة على الابتسام والفرح والزواج .. والاحتفاء بالطبيب الذى يبذل جهده كله فيها ، بل هو ذاهب ليتزوج ويعود اليها .. وعندما سئل خيرى بشارة هل هناك طبيب مصر على البقاء فى هذا المنفى ـ القرية الى الحد الذى يصوره الفيـلم قال « انني أردت أن أضرب نموذجا أو مثالا لابناء جيلى كى يمارسوا مسئولياتهم » ..

وهذه هى القيمة الكبيرة التى يطمح اليها الفيلم ، لكن اذا كان ممكنا ان يعرض على الذين استهدفهم بهذه القيمة .. فالفيلم عرض فقط فى المهرجان ونال الميدالية الذهبية وسيعود مرة أخرى الى الاختفاء .

ولا يختلف فيلم **ابراهيم الموجى «القاهره كما لم يرها أحد»** اختلافا جوهريا فى البناء عن فيلم خيرى بشارة ، فقط ابراهيم الموجى لا يقدم ريبورتاج أى لقاء بالحوار مع أحد من اهل القاهرة ، انه يتأملهم فى تفاصيل كثيرة من حياتهم اليومية مركزا على الزحام الشديد ، زحام البشر ، زحام المواصلات ، الناس فى أحشـاء القاهرة ماذا يفعلون ؟ كيف يحصلون على الحياة ؟ كيف يمارسون حياتهم اليومية كبشر ؟ والحيوانات تشاركهم الشوارع والمنازل ويظل موضوع التضخم الـذى تعيشه القاهرة حتى تصل الكاميرا الى نهاية الخط الحديدى وكان قد بـدأ بوصول القطارات الى محطة القاهـرة والناس معلقون بها من كل جانب .. وعندما تتوقف الكاميرا عند هذا المصدر النهاية ، تزحف الى المقابر ، حيث يلعب الاطفال وتستمر الحياة .. فقد تجاوز البشر الحدود التى وضعت لهذه المـدن وخرجوا عليها ، ومع ذلك فالحوامل كثيرات جدا فى الفيلم ومن كل فئة فالى أين بعد ذلك ؟

وفى فيلم شادى عبد السلام جيوش الشمس ، الذى يعتبر افضل واهم فيلم عن حرب اكتوبر ، نظل داخل اتجـــاه السينما المباشرة كما سبق أن شرحناه ، لكن يجب أن نضيف هنا بأن هناك قيمة أساسية فى هذه السينما تتعلق بالصوت أو بالكلام على وجه التحديد ، فالحوار فى السينما المباشرة شديد الاهمية ، ليس الحوار المكتوب أو التعليق المكتوب ، فهذا يفقد العمل الفنى صدقه الواقعى وانما الكلمة التى ينطق بها الانســـان موضوع العمـــل الفنى ، الكلمة التى لا توضع على لسانه ليقولها وانما يعبر بها عن نفسه .. تخرج من أعماقه ، والسينما التى تقوم بالتسجيل المبــاشر للصوت تعطينا فرصة أن نحصل على الكلام من الذين يتكلمون ونحتفظ به وندقق فيه وسيكون فى وسع الناس بعـد خمسين عاما مثلا ان يفحصوا الـكلام الذى أدلى الجنود الفعليون به الى شادى عبد السلام ، وهذا أمر بالغ الاهميـة خاصة بالنسبة للبسطاء عامة وأبنـــاء الشعب الذين طالما تولى ترجمتهم أناس مختلفون عنهم : الروائيين وكتاب المسرح .

ان الحوار الذى يشكل عنصرا جوهريا فى بناء فيلم شادى عبد السلام ، والذى يأتى على لسان الجنود البسطاء هو وثيقة نادرة ، فهو يقدم داخل الانسان المصرى الذى قاتل وانتصر ، بعمق وبســـاطة شديدتين ويقول بهدوء تام .. هذا هو الانسان الذى صنع الحرب .. وصنع الانتصار .. ابن مصر .. من أقـــدم العصور الذى هزم الاعداء فى سـيناء بجيوش الشمس .. **فشادى ، وفى هذا الفيلم يربط الماضى بالحاضر والمستقبل عندما يقوم الجنـــود وهم يعودون الى التدريب الشاق العنيف ليصنعوا مستقبل الانسان المصرى فوق الارض المصرية ..**

ولا شك ان اللقاء لغة شادى عبد السلام السينمائية التى تتفرد ببلاغتها وقوتهـا وثراء دلالاتها بالحوار العفوى للجنود ، قد أعطى نموذجا عظيما للسينما المباشرة فى مصر ..

واذا كانت السينما المباشرة تقـوم أساسا على اللقاء المباشر بالواقع مـع الحوار الحى المسجل عن الاشخاص انفسهم فان هذا لا يعنى أنها الاتجــاه الوحيد المجدد فى السينما الســـجبلية فهناك اتجاه كان يحاول أن يتناول الواقع اليومى بتفاصيله الصغيرة لكى يجعل منها مفردات شعرية مثل فيلم عطيات الابنودى ساندويتش الذى يعرض للحياة فى قرية ابنود . والفيلم يقدم تفاصيل يوميـــة فولكلورية كالتى رأيناها فى عملية خبز

العيش الشمسى » لم التركيز بعد ذلك على الاطفال الذين يتخذون من الخبز ولبن الماعز غذاء لهم ..

وفكرة الفيلم جيدة جدا » لكن البناء السينمائى جاء مشحونا بكثير من الشعر الذى نزع من الواقع جماله ومرارته وقسوته ..

ويسير فى هذا الاتجاه الشعرى واللغة السينمائية البليغة التى تهتم كثيرا بالتكوين والاداء » فيلم عاطف البكرى » **اليوم الاخير فى حياة السلطان قايتباى ..**

والفيلم يرفض كل ما هو غير مصرى فى تقرير مصير الانسان المصرى . متخذا من مأساة السلطان قايتباى وسيلة الى ذلك ولقد برع عاطف البكرى فى الكشف عن امكانياته فى توظيف اللغة السينمائية فى بناء شاعرى بالابيض والاسودمكثفا جو المأساة التى تعرض لها .. ولا شك أن عاطف البكرىمتأثر بشادى عبد السلام لكنه اصيل فى هذا الفيلم ، انه لا يحاكى وانما يبدع رؤياه الخاصة وبلغته الخاصة ايضـــا .

(●)

ولعل مفاجأة المهرجان والاتجاه الثالث فيه هو أفلام المعهد العالى للسينما ، وبعض هذه الافلام واهمها اطلاقا وهو فيلم يوسف ابو سيف يوسف هنا القاهرة وفيلم محمد كامل القليوبى (حكاية ماجرى فى مدينة نعم) ..

وهنا القاهرة يقـــدم مخرجا بالـــغ الحساسية تجاه الواقع الاجتماعى الذى يعيشه ومستوعبا لادواته السينمائية فى التعبير عن هذا الواقع .. ويقوم بنـــاء الفيلم على التعارض الخلاق بين شريط الصوت وشريط الصورة .

وشريط الصوت عنده » ومقتطفات من اذاعة القاهرة التى تخاطب المســـتمع فتقول له » فى الصباح تكون المحافظـــة على الاستقرار والهـــدوء والابتســـام واستقبال اليوم الجديد بتفاؤل » هذا شريط الصوت أما الصورة فهى جموع المواطنين وقد تكاثرت على الاتوبيسات وتضاربت وتشاجرت والكل معلق فى مكان من الاتوبيس وكأنهم قردة ثم ينتقل بنا شريط الصوت الى برنامج اذاعى يومى اسمه الشارع الغربى » يذيع مقتطفات من الموسيقى والاغانى الغربية ، ويقدم لنا المخرج شريط الصورة لهذا الشارع الغربى » فاذا يحيل صورا لشوارعنا التى لا تخلو أبدا من مياه المجـــارى والضبية وهم يستحيون فى الترع والناس وهم يحولون اجتياز الطين والماء ..

انها رؤية واقعية ساخرة تنقد بمرارة الواقع من داخله » فهذا برنامج اذاعى نسمعه يوميا » وهذه ممارسة يوميـــة لالام الواقع ومعاناة الانسان فالى من اذن

يتوجه هذا البرنامج ؟!

أما « حكاية ما جرى فى مدينة نعم » فهو فيلم بريختى البناء يتحدث عنالحرية التى فقدناها طويلا وصراع الانســـان المصرى من اجل استردادها ويطرح أيضا التفسيرات الغربية للديموقراطية وكيف ان الاعتراض على اى من هذهالتفسيرات يعنى اختفاء المعترض من المدينة التى يجب أن تقول نعم .. وينتهى الفيـــلم بالتساءل عما اذا كانت حكاية مدينة نعم هذه قد انتهت ..

والفيلم مثقف جدا ومترفع جدا ورمزى الى حد بعيد » وهو يعكس شـــخصية مخرجه ونعتقد ـــ ولنيشاركنا المخرج هذا الاعتقاد ـــ انالسينما المطلوبة لتصل الى الجماهير العريضة تعانى كثيرا والاجدى أن نحاول البحث عن الشكل الذى يصل بيناهيمنا الى الناس بسهولة ..

تبقى فى النهاية ملاحظات على افلام المهرجان :

أولا : لا بد لنا أن نقدر الجهد الكبير والرائد للفنانين **رضا ـــ ونصحى** فى أفلام الرسوم المتحركة التى يفـــوزان بجائزتها سنويا لانه لا يوجد غيرهما فى هذا المجال يتقدم بأفلام وفيلمهما الـــذى فازا منه بالجائزة اسمه « **ممتاز** » وهو ممتاز فعلا ..

ثانيـــا : أفلام الجيل الاقدم سينمائيا وعلى الاخص **سعد نديم وصلاح التهامى** تعانى من التقوقع داخل الفهم التقليدى للوظيفة السياحية للفيلم التسجيلى ولقد كان هذا واضحا تماما فى فيلمى سعد نديم عنمعابدفيلة الذىوصل الامرفيهماالى حد الملل والركاكة الفنية . وبالمثل فيلم صلاح التهامى شباب العرب والذى كان المعلق فيه هو محمد لطيف لان الفيلم عن الدورة الرياضية العربية .

ثالثا : ان التعامل مع حرب أكتوبر ومن خلال الفيلم التسجيلى » ما زال دون مستوى هذا الحدث العظيـــم فى حياتنا والذى يمثل نقطة تحول فى تاريخ الامة العربية . فالافلام ما زالت تمتد ان المدافع والطائرات والقنابل التىتشغل مساحة الفيلم هى ٦ أكتوبر .

وهذه الافلام التى تعتمد على حـــركة آلات الحرب لتوهمنا بأنها تتحدث عن هذا الانتصار العظيم ما زالت تحتاج ويحتاج اصحابها الى فهم حقيقة هذا الحـــدث العظيم وكيفية التعبير عنه ولديهم فيلم شادى عبد السلام نموذجا لذلك .

رابعا : الافلام التى عالجت قضـــية المرأة » اهتمت بتاريخ هدى شعراوى وسيزا نبراوى وغيرهما وليس لدينـــا اعتراض على التاريخ لنساء مصر ،لكن **عام المرأة العالمى ليس عام هدىشعراوى وسيزا نبراوى وانما هو عام مشكلات** **المرأة المصرية التى لم تعد بحاجة الى انتزاع حقوق اخرى بقدر ما هى فى حاجة الى تسهيل ممارسة الحقوق التى أخذتها بالفعل** بل نكاد نقول بأنها فى ورطةنتيجة الحقوق التى حصلت عليها .. ان المرأة العاملة تعانى معاناة مريرة فأين هـــذا فى أفلامكم أيها السادة » ولنذكر لـــكم مشكلة واحدة وهى دور حضانة الصغار .

وأخيرا ان فوز أحد عشر فيلما بجدارة من ٥٨ فيلما لهو دلالة على تقدم واضح فى الحركة التسجيلية التى لا تعانى نقص الانتاج أو التمويل وانما من القصـــور الفكرى والفنى عند الفنان . □

فتحى فرج

[■]

نتائج المهرجان

الافلام التسجيلية المتوســـطة الطول :

طبيب فى الاريـــاف : خيرى بشارة .. الجائزة الذهبيةالكبرى جائزة الاخراج والســـيناريو والتصوير والمونتاج والموسيقى

قهوة المعاشات :
جائزة الفكرى

القاهرة كما لم يرها أحد :
ابراهيم الموجى .. جائزة الاخراج والتصوير ..

زخارف قبطية : عبد القـــادر التلمســانى ..
جائزتى الاخراج والتصوير .

الافلام التسجيلية القصيرة :

سيف وانلى : سامى المعداوى
جائزتى الاخراج والتصوير ..

الافلام التسجيلية الطويلة :

جيوش الشمس : شـــادى عبد السلام .. جائزة الاخراج .

الافلام الروائية القصيرة :

اليوم الاخير فى حياة السلطان طوبانباى : عاطف البكرى ..
جائزة الاخراج ..

أفلام المتنوعات :

الجوكر : ابراهيم بغدادى
جوائز الاخراج والتصويروالصوت

أفلام التحريك :

ممتاز : رضاونصحى ...
جائزة الاخراج . .

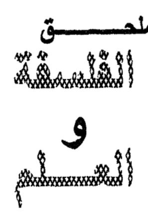
أفلام المعهد العالى للسينما :

هنا القاهرة : يوسف أبوسيف يوسف .. جائزة الاخراج ...

حكاية ما جرى فى مدينة نعم : محمد كامل القليوبى .. جائزة الاخراج ..

وأربعة شهادات تقدير شرفية

ابريل ١٩٧٦





○ أزمة الفلسفة فى التعليم

○ أزمة التعليم فى المجتمع المصرى

د. مراد وهبة

● استراتيجية تنمية القوى البشرية فى دول العالم الثالث — د. وهيب سمعان

● حواء صانعة القيم — د. محمد عامر

● حوار فلسفى فى القاهرة — انجى افلاطون

● ماذا بعد تحرير المرأة من الرجل — د. محمد شعلان

مكتبة الفلسفة والعلم :

أول مؤتمر لفلاسفة البحر المتوسط

أزمـــة الفلســـــفة
فى التعليم الثـــانوى

عنوان هذه الافتتاحية له مناسبة .. لقاء مع نخبة من مدرسى الفلسفة فى التعليم الثانوى. وفى هذا اللقاء دارت مناقشة على منهج **الفلسفة** المقترح تدريسه فى العـام القادم (*) .

والمنهج المقترح هو على النحو التالى :

مسائل فلسفية ــ مبـادىء التفكيـر العلمى ــ فلسفة القيم ــ مبادىء علـم الاجتماع ــ علم النفس .

منهج « **مسائل فلسفية** » يقوم على **انتقاء** مشكلات محددة من كل عصر من عصور الفلسفة ، وهو انتقاء يستند الى اهمية هذه المسائل . فواضع المنهج ينتقى من العصر اليونانى **مشكلة طبيعة الوجود من حيث الثبات والتغير** بدعوى انها « تمثل احدى المشكلات الرئيسية عند اليونان » ولكنه يقصر دراستها عند **سقراط وافـلاطون وارسطو** . والمعروف عن هؤلاء الثلاثة انهم يمثلون **تيار الثبات** متمثلا فى **نظرية المثل** عند افلاطون **ونظرية الماهيات** عند ارسطو .

وليس من ذكر لتيار التغير مع انه كان تيارا مؤثرا ليس فقط فى العصر اليونانى وانما ايضا فى العصر الحديث . ويقف مندقمة هذا التيار عن فلاسفة اليـونان **هرقليطس** .

وفى العصر الوسيط لا يرد ذكر المشكلة الرئيسية ولهذا لا يطلب واضع المنهج الا عرض « **دراسة موجزة لفلسفة ابن سينا وابن رشد** » و « **عرض موجز لفلسفة توما الاكوينى** » . والعرض الموجز **لفظ مبهم** ، وافضل منه ــ **من أجل تحقيق الإتساق فى**

المنهج — ان يطرح واضع المنهج المشكلة الرئيسية التى يدور عليها تفكير هؤلاء الفلاسفة على نحو ما فعل فى العصر اليونانى ، واعتقد أنها القدرة على تمثل ثقافة وثنية هى الثقافة اليونانية ».

وفى العصر الحديث لا يطلب واضع المنهج عرضا موجزا ، وانما يحدد طرح ثلاث اتجاهات : الاتجاه العقلى والاتجاه التجريبى والاتجاه النقدى .. وهذا طرح مطلوب ولا اعتراض .

وفى الفلسفة المعاصرة يطرح واضع المنهج « الهيجلية » . نسبة الى هيجل ومن المعروف ان هيجل من فلاسفة العصر الحديث وليس من الفلاسفة المعاصرين . ولكن لعل الدافع الى مجاوزة هذا الخلط طرح الهيجلية فى مواجهة المادية الجدلية . ومع ذلك فقد كان واضع المنهج موفقا فى انتقاء المادية الجدلية والوجودية والبرجماتية على انها تيارات معاصرة - ولكنه لم يكن موفقا فى عدم ذكر العلاقة الضرورية بين هذه التيارات المعاصرة والانظمة الاجتماعية ، وهى علاقة من شانها ان تكشف بوضوح عن « الوظيفة الاجتماعية للفلسفة » .

هذا عن منهج « مسائل فلسفية » اما عن منهج « مبادىء التفكير العلمى » فغيبة الاتساق صارخة . فالمنهج يبدأ بقضية معنى العلم وينتهى بمبادىء المنطق الصورى وينتقل الى نظرية الاستدلال القياسى فالمنهج الاستنباطى ويختم بالمنهج الاستقرائى . وكان فى مقدور واضع المنهج ان يكون متسقا وذلك بان يدور المنهج اما على المنطق او مناهج البحث العلمى . فاذا دار على المنطق اصبح المطلوب — من اجل ان نكون عصريين — طرح المبادىء الاساسية لانواع ثلاثة من المنطق : المنطق الصورى والمنطق الرياضى والمنطق الجدلى . واذا دار على مناهج البحث العلمى امكن طرح قضية معنى العلم وقضية العلاقة بين منهجى الاستنباط والاستقراء .

أما عن منهج « فلسفه القيم » فأمره غريب . والغرابة مردودة الى أنه يضم اربعة علوم فلسفية : نظريه المعرفه وعلم الاخلاق وعلم السياسة وعلم الجمال . وكل علم من هذه العلوم فى حاجة الى خلفية فلسفية ، ومع ذلك فالمنهج يقدم فى حصة واحدة اسبوعيا .

ولا اريد الاستطراد ، فالغاية من هذه الافتتاحية التدليل على وجود « ازمة » فى الفلسفة فى التعليم الثانوى تدور على غياب الاتساق وعلى غياب الرؤية الفلسفية للغاية المرجوة من تدريس الفلسفة .

د. مراد وهبه

أزمـة القـيم

فى

المجتمـع المصرى

فى هذه المرحلة من مراحل تطورنا الاجتماعى ثمة مظاهر سلبية طافية على سطح مجتمعنا تنذر بارهاصات فـى ـجة الى تقييم .

وقد انشغل نخبة من أهل الفلسفة والعلم بدراسة هذه المظاهر السلبية . ورأى المسئولون عن أمر « ملحـق الفلسفة والعلم » أن يعرضوا لهـذه المظاهر فى شىء من التركيز ، فاختاروالها موضوعا هو « أزمة القيم فـى المجتمع المصرى » وارتأوا عقد ندوةفكرية تدور على مناقشة هذا الموضوع فى ابعاده المتباينة . وارتأوا كذلـك تقديم « ورقة عمل » كفاتحة للندوة . وقد أدار الندوة د . مراد وهبه .



الغاية من هذه الورقة مجرد طرح القضايا المطلوب ابداء الرأى فيها ؟ وهى على مستويات ثلاثة :

المستوى الاول يختص بتحـديد « **الازمة** » وهى تقوم فى التناقض بين القول والفعل ، بين القيم المعلنـة والوضـع القـائم ، وعـلامات هـذا التناقض واردة فى المجال الفـردى والجماعى .

والمستوى الثانى يختص بالبحث عن « **أصول** » « **أو جدور** » هذه الازمة ، اى بالبحث فيما لدينا من تراث سياسى واقتصادى وثقافى ، ومدى قدرتنا على تمثل ما فيه من ايجابيات واستبعاد ما فيه من سلبيات .

والمستوى الثالث يتناول كيفيـة « **الخروج من هذه الازمة** ! ، اى يتناول البحث فى نوعية قيم المستقبل فى ضوء قيم الماضى ، اى يطرح مايسمى بقضية « الاصالة والمعاصرة » ، الامـر الذى يتطلب طرح قضية الدور الاجتماعى للمفكر المصرى ، وبالتالى طرح قضية العلاقة بين هذا المفكر والجماهير وبينه وبين السلطة .

المشتركون فى الندوة حسب الحروف الابجديه

أ . اديب ديمترى
كاتب

د. رشدى لبيب
استاذ المناهج بكلية التربية جامعة عين شمس

د. فرج احمد فرج
استاذ علم النفس المساعد بكلية الاداب جامعة عين شمس

د. قدرى حفنى
مدرس علم النفس بكلية الاداب جامعة عين شمس

د. محمد احمد خلف الله
المفكر الاسلامى ووكيل وزارة الثقافة السابق

د. محمد شعلان
مدرس الامراض العصبية والنفسية بكلية طب قصرالعينى

د. مراد وهبة
استاذ الفلسفة بكلية التربية جامعة عين شمس

د. ميلاد حنا
استاذ الانشاءات بكلية الهندسة جامعة عين شمس

ـ د. مراد وهبه

نبدا الان بمناقشة ما ورد فى هذه « **الورقة** » جملة وتفصيلا

ـ د. محمد شعلان

ثمة ايضاح مطلوب فى البداية وهو تحديد معنى « **الازمة** » هل هى تعنى السلبية ؟ يبدو ظاهريا ان المسالة على هذا النحو حين ينتقل المجتمع من طور الى آخر، ولكنها ليست كذلك فى حقيقتها حين ننظر الى هذا الانتقال على انه يتضمن فناء ما قبل المرحلة الجديدة . ومن هذه الزاوية ينبغى الاتفاق عما اذا كانت « **الازمة** » تعنى السلبية الخالصة أم تعنى التطور الى أرقى

ـ د. محمد أحمد خلف الله

انا اتفق مع **د. شعلان** لانه فى كل مرحلة انتقالية يوجد نوعان من القيم : قيم المستقبل فى مقابل قيم الماضى وهذه تتصف بأنها غير قادرة على ان يمارس بها الانسان الحياة ، فيبقى الانسان فى وضعين : وضع قديم مطروح للتغيير ووضع جديد هو هدف التغيير . ولهذا فحين نبدأ مرحلة التغيير نلاحظ اننا لم نتخلص بعد من

قيم الماضي كما ان قيم المستقبل لم تستقر بعـد فى انفسنا لكى نمارس الحياة على اساسها ». ومعنى ذلك ان مرحلة التغيير مرحلة بين مستويين من القيم .. القيم القديمة والقيم الجديدة ، وهى مرحلة يمر بها كل مجتمع تجرى فيه تغييرات جذرية فى حياته . والملاحظ ان بعض المجتمعات تمر بهذه المرحلة فى سرعة والبعض الاخر يمر بهـا فى بطىء . والمرور فى بطء مرتبط بسلطان القيم القديمة على الانفس. ومن هنا ينشأ الاضطراب ويحدث التناقض بين القول والعمل من حيث أن القول يرتكز على الجديد ، والعمل يستند الى القديم

— د. مراد وهبه

المطلوب تحديده اذن هو ما اذا كانت « **الازمة** » تعبيرا عن التخلف ام تعبيرا عن التقدم .

— د. محمد شعلان

أعتقد أن الازمة قد تكون تعبيرا عن محاولة حقيقية للتخلص من القديم من أجل تثبيت دعائم الجديد ، وقد تكون علامة على التمسك بالقديم. ولهذا اعتقد انها سلاح ذو حدين . ومن هـذه الزاوية اتفق مع د. خلف الله فى أن الازمة تمثل التمسك بالقديم وتمثل الامل فى الجديد

— د. رشدى لبيب

فى رأيى أن ثمة بعدا آخر للازمـة ، وهـو **تبرير القيم الهابطة** . مثال ذلك « الانتهـازية » فالملاحظ فى تاريخ مجتمعنا أن كلا منا يعلن فى مستوى القول انه يعمل لمصلحة المجتمـع . ولكن الان حتى على مستوى القول **يبرر** كل منـا تجاهله لمصالح المجتمـع وتمسكه بمصـالحه الشخصية . وتشيع بيننا عبارة « **انا مالى ومال المجتمع** » . ومعنى ذلك صعود القيم المفروض انها فى طريقها الى الهبوط ، بل وتبرير هذا الصعود . وثمة جانب آخر للازمة وهو عدم ترابط القيم بل وتناقضها

— د. مراد وهبه

مثال على التناقض القائم بين القيم

— د. رشدى لبيب

مثال **ذلك** « **قيمة الملكية العامة** » ففى الوقت الذى فيه نؤسس الملكية العامة نجد أن اساليب التربية والقيم تغرس قيمة الملكية الخاصـة . فيقال للطلاب منـذ البدايـة ». حافظـوا على ماتملكون » ولا يقال لهم مثـلا حافظـوا على ما تملكون مثل السبورة والمنضدة

— د. مراد وهبه

أعتقد أننا الان فى الطريق الى تحديد نوعية القيم السائدة فى مجتمعنا والتى هى تعبير عن « **الازمـة** »

— د. ميلاد حنا

فى رأى أن قضـية القيم ليس فى مقـدور الانسان ان يحللها ويخطط لها ذلك انها تابعـة لقضية المجتمـع . فتغير المجتمع يعنى فى المقام الاول تغير الفكر السـياسى والفكر الاقتصادى ويتبع هذا التغير محاولة الاهتداء الى القيم التى تساير هذا التغير . ولهذا فان قضية القيم لابد وأن توضع فى الاطـار الاقتصـادى والسياسى للمجتمع **د. مراد** يطلب امثلة .. فليكن .. لدينا ما قبل الثورة نوع من انواع **الاسـتقلال الذاتى** فى ظل الاحزاب وفى ظل الاطار اللبرالى . وفى مناخ دكتاتورى أو مناخ يتسم بسيطرة فكر واحد أو بارهاب تبرز « **الانتهازية** » التى يشير اليهـا **د. رشدى فيقنن** الرياء وتبرر اخطاء الحاكم ».

— د. مراد وهبه

ما يقوله **د. ميلاد** يفضى الى طرح قضية القيم وعلاقتها بفاعلية الانسان . فهو يرجع نوعيـة القيم الى العوامل الاقتصادية والسياسـية . ولهذا فثمة سؤال يفرض ذاته وهو: **اين** فاعلية الانسـان فى تغيير القـيم بحيث لا نصـل الى ما وصلنا اليه من تبرير لقيم هابطة على حـد تعبير **د. رشدى**

— د. محمد أحمد خلف الله

ارادة التغيير تبنى على امرين : الامر الاول ادراك الواقع بما فيه من فساد أو انحراف أو بما فيه من قيم أصبحت غير قادرة على أن تكون قوة دافعة للمجتمع ، وقيم لاتزال صالحة للحياة. والامر الثانى تصور صورة المجتع الجديد الذى يمكن ان يحل محل المجتمع القديم . والامرالثانى هام والا أنتفت ارادة التغيير وتصـبح مسـألة التغيير عملية تلقائية . وهذا يتطلب رسم طرق الوصول الى هذا المجتمع الجديد ، وهذه الطرق لابد وأن تكون مرتبطة بقيم مأخوذة من نظريات سياسية ، او اقتصادية أو من واقع اخلاقى . ومعنى ذلك أن ارادة التغيير تنطوى على تصور الوضع القائم وتصور الوضع المستقبلى ورسم

الخطة المطلوبة . ومن غير ذلك فلا مفر من حدوث النواءات وانحرافات وعقبات .

ـ د. مراد وهبه

اذن علينا بطرح قضية العوائق فنحن متفقون على أن ثمة تغييرا حدث في الاساس الاقتصادى والسياسى لمجتمعنا ، كما أننا متفقون على ان ثمة قيما لم نستطع تغييرها وانها غير مواكبة لما حدثمن تغييرات اقتصادية وسياسية. فما هى العوائق ؟ اى ما الذى يمنع الانسان المصرى من ممارسة فاعليته

ـ اديب ديمترى

اذا تاملنا « الازمة » فى الاطار العام ، بمعنى انها آلام المخاض او الصراع بين القديم والجديد فليس ثمة خلاف . ولكن ليست هذه هى القضية وانما القضية تدور على علاقة « الازمة » بالواقع المصرى او بالواقع فى خصوصيته ولكن ينبغى ان نضيف ان الواقع فى عموميته اى الواقع العالمى . وبعبارة أدق أقول أننا متفقون على أن ازمة القيم مرتبطة تماما بالبناء الاقتصادى والاجتماعى اى مرتبطة بأحداث معينة فى تاريخنا الحديث ان ثورة ١٩١٩ طرحت هذه القضية بقوة وطرحتها كذلك ثورة ١٩٥٢ بالاضافة الى طرح آمال جديدة . وفى عام ١٩٦٧ طرحت القضية بطريقة اعمق على اساس ما تحقق من آمال وما لم يتحقق . ومع حرب اكتوبر طرحت مسائل أخرى . ومن هنا ينبغى طرح القضية فى اطار سؤالين : **ماذا حدث ؟ والى اين ؟** لان الشعب المصرى وضع امالا كبيرة على ثورة ١٩١٩ ولم تكن النتائج فى مستوى الامال ، ووضع امالا ضخمةعلى حرباكتوبر ومع ذلك .. ماذا حدث ؟ هذا السؤالمرتبط بالبناء الاقتصادى والاجتماعى والاجابة عنه تعطى وضوح رؤيةفى تفسير ماحدث . ويتلوه سؤال : اين الطريق ؟ يعنى ما المخرج ؟

ـ د. فرج احمد فرج

ربما اسمح لنفسى بالنظر للموقف من نقطة البداية .. القيم فى حقيقة الامر اشبه بالاعراض التى تنتج عن مرض معين . القيم دائما انعكاس صادق وأمين للبناء الاجتماعى الاقتصادىوبالتالى دراسة القيم السائدة تمكننا من تشخيص البناء الاجتماعى الاقتصادى .. وجود قيم هابطة معناه انكسار فى البناء الاجتماعى الاقتصادى والا كان موقفنا اشبه ما يكون بمواجهة لغز لانستطيع الاجابة عنه وهو كيف نشأت هذه القيم الهابطة ولماذا نشأت ؟ وجود القيم الهابطة دليل واضح على هبوط او انكسار او تصدع فىالبناء الاجتماعى الاقتصادى .. الظروف المعاشة هى التى تخلق القيم . اسمح لنفسى بذكر مثل .. وضع المراة فى مجتمع لاتتعلم فيه ولاتعمل كان يفرض على المراة قيم الطاعة والخضوع والامتثال للسلطة الذكرية وتقديسها . هذا كان شيىء طبيعى عندما كان الزوج هو العائل الذى يتعلم ويعمل ويتحمل المسئولية وكانت فضائل المراة هى الطاعة والا يرتفع صوتها على صوت زوجها والا ترفع عينيها فى وجه زوجها . وعندما بدأت تتعلم وتعمل وتتصور انها التحقت بكلية الهندسة وتخرجت مهندسة معمار هنا اثناء قيامها بالعمل لابد أن تعرف كيف تشخط فى العمال .. فى رئيس العمال .. كيف توقفهم عند حدهم كيف تحولهم للتحقيق لقد اصبحت فى هذا الموقف باشمهندسة او الست الرئيسة ليس مجرد ست بيت او **حرمه** ، اصبحت رئيسة وعلى العاملين الخضوع لها لانهم فى مركز أدنى من مركزها . فضيلة هذه المهندسة هى السلطة ، هى ابداء الرأى ، هى المبادرة ، هى تحمل المسئولية . **فضيلة جدتها** هى الخضوع **لسلطة الجد** فهنا الظروف الاجتماعيةوالاقتصادية او الواقع المادى هى التى تولد نظرة الانسان الى العالم .. معروف أن علم النفس الغربى وخصوصا الفرع الرئيسى او الهام **علم النفس الاجتماعى** يقع فى هذا الخطأ عندما يتصور ان القيم اشبه ببناء معلق فى الفراغ وواضح مأزقهم وأزمتهم فى تطبيق نظريتهم فى قضية مثل قضية تنظيم النسل فى دول العالم الثالث . ان وسائل الوعظ والارشاد والتثقيف لاقيمة لها على الاطلاق .. عندما تتغير الظروف الاجتماعية الاقتصادية المعاشة يسعى البشر بانفسهم الى تنظيم نسلهم لان ظروف الحياة الجديدة تقتضى ذلك .. الاسراف فى الانجاب نتيجة طبيعية لظروف حياة قديمة لها ابعاد معينة .. فمن ازمة القيم فى مجتمعنا اذن انعكاس لشيىء ما .. مثال ذلك مجتمعنا فى بداية الثورة كان مجتمعا يتجه الى العمل والانتاج . هنا بدات تظهر قيم العمل والانجاز . ثم نتيجة لتعثرات مختلفة بدأ المجتمع يتحول من الانتاج الى الاستهلاك ومن ثم بدأت تظهر قيم إستهلاكية جديدة امام قيم الانتاج والانجاز وتتعارض معها وتبدأ فى الانتصارعليها بالتدريج . وظهور هذه القيم الهابطة كان نتيجة للتحول فى البنيان الاجتماعى الاقتصادى ، ومن هنا اى محاولة لفهم القيم بمعزل عن الظروف المعاشة محاولة غير علمية ومكتوب عليها الفشل **لاتعدو ان تكون نوعا من التبرير** .

— د. مراد وهبة

هل معنى ذلك ان « الازمة » كامنـــة فى أن القيم الهابطة الان بدأت « تنفرد » ، أم انهـا قائمة فى أن القيم الهابطة أصـبحت منـاوئة ومعاكسة لقيم صاعدة وموجودة بالفعل ؟ وبعبارة أخرى : هل نحن تنازلنا بالفعل عن قيم الانتاج وتحصنا فى قيم الاستهـلاك أم نحن فى صراع بين هذين النوعين من القيم ؟

— د. فرج أحمد فرج

فى تصوري أن ثمة صراعا بين القيم الصاعدة والقيم الهابطة . وتحديد الوزن النسبى لكل من هذين النوعين يرتبط ارتباطا وثيقـا بالوضـع الطبقي بمعنى أن **تجـار الشـنطة ، وتجـار الشوارب وأصـحاب العمـولات وما اليـه** هؤلاء أصحاب القيم الهابطة .. الطبقات الواقع عليها الغبن ، المطحونة المضطهدة هؤلاء أصحاب القيم الصاعدة .. أزمة القيم الهابطـة هى فى حقيقة الامر **أزمة طبقة معينة أزمة البرجوازيـة** فى تعتمها وانكشـافها تفرز قيـم الاستهـلاك والكسب السريع باقل جهد ومن هنا ينتشر الفساد واذكر انه فى محـاولة للحصـــول على بعض الاحصائيات للمركز القومى لفت نظرنا أن **نسبة تصاعد جرائم الرشوة تسير موازية لجرائم البغاء** بمعنى أن فى عام نجد أن ٢٠٠ حالة رشـوة يقابلها حوالى ٢٠٠ حالة بغاء فى مدينة القاهرة .. العام التالى ترتفع الى ٣٠٠ حالة رشـوة فترتفع مثلها حالات البغاء تصـل الى حـالات الرشوة الى ٨٠٠ حالة اذا بحالات البغـاء تكاد تقترب من هذا الرقم .. التفسـخ الاجتماعى الاقتصادى لابد أن يفصح عن نفسه فى تفسخ جميع مجالات الاخلاق .. لو جئنـا للمسرح فى بداية الخمسينات والستينات ظهرت مسرحيات جادة **لسعدالدين وهبه ولنعمان عاشور الناس اللى فوق والناس اللى تحت** مسرح جاد ثم بدأنا نتحول الى مسرحيـات من نوع خاص نوع من المسرحيـات الهزلية المجـانية لاى منطق أو عقـل وهـذه لايمكن أن تنفصل عن ارتفاع حالات البغاء وعن ارتفاع حالات السرقـة وعن ارتفـاع حـالات العمولات وعن مظاهر التسيب وعن الرشـوة بمعنى أن مظاهر التفسخ فى طبقة بعينها تفصح عن نفسها فى مجموعة هائلة من الامراض .

— د. مراد وهبه

واضح من حديث **د. فرج** ان ثمة **علاقة حميمة بين الرأسمالية الطفيلية وهذه القيم الهابطة** . وهذا يستلزم منا البحث عـن العوامل التى ادت الى افراز الرأسـمالية الطفيليـة المصـحوبة بقيم الدعارة . فقد يساعدنا هـذا البحث على فهم حقيقة « **الازمة** » .

— د. قدرى حفنى

ثمة مستويات عديدة لقضية القيم . وهـذا واضح مما قيل . ومعنى ذلك ان « **أزمة القيم** » يمكن النظر اليها فى المستوى البشرى العام ، بمعنى أن الانسان عموما يعانى أزمة قيم تتمثل فى فجوة حتمية بين القول والممارسـة . ولكن هذه أزمة عامة تخص الانسان بما هو انسـان وليس هذا موضوع الندوة . فثمة مستوى أخص لازمة القيم وهو مستوى العالم الثالث وتتمثل فى أزمة العلاقة بين الجماعية والفردية ومصر تتمثل فيها هذه الازمة ، أزمة القيم فى العالم الثالث ، وهى على وجه التحديد أزمة داخل الفرد تظهـر على هيئة سؤال : اين الطريق ؟ اى ان الفرد عـاجز عن التفرقة بين ماهو صادق وماهو كاذب . ثم هى ايضا أزمة داخل المجتمـع بمعنى أن ثمـة فئات لها قيم معينة وفئات أخرى لها قيم اخرى . وكل مجموعة من القيم مرتبطة بطبقة معينة أو فئة اجتماعية معينة . وهذه ظاهرة صـحية . والمسألة بعد ذلك هى اى القيم ينبغى الاخذ بها ولنأخذ مثالا على ذلك بالطبقة الوسطى فما يميز هذه الطبقة أن الفرد فيها ممزق بين قيم متعارضة .

— د. مراد وهبه

ملاحظتى الان ان الاتجاه السـائد فى الندوة هو طرح أزمة القيم فى الاطار الاجتماعي وليس فى الاطـار الفردى . وطرح الصراع بين القيم على اســاس انه صراع اجتمـاعى يبـدو انه الاتجـاه السـائد فى ندوتنـا الامـر الذى يستلزم منا بحث **الصعوبات التى تقف عائقا أمام حسم الصراع الطبقى وبالتالى حسـم الصراع الدائر بين القيم**

— د. محمد شعلان

فيما يختص بهذه المشـكلة ارى ان هنـاك اتجاهين فى مناقشتنا الان . اتجاه يرى ان القيم نتيجة الاوضاع الاجتماعية ، واتجاه آخر يرى انه رغم ان القيم **نتيجة** انما هى أيضا يمكن أن تكون **سببا** ويركز **د. قدرى** على الربـط بـين صراع القيم والطبقة الوسطى ، بمعنى ان هذا الصراع هو تعبير عن **أزمة هذه الطبقة** من حيث انهـا تجمع بين النقيضين ، بين « الناس اللى فوق » و « الناس اللى تحت » . امـا الاسـتاذ أديب فيرجع اسباب « **الازمة** » الى مسـألة وجـود « **آمال بدون اشباع** » والنتيجة الاحساس بخيبة امل وهذا الاحساس يولد « **الازمة** » ، ومن شأن

هذه الولادة اعادة تقييم القيم . وهذا مــا ذهب اليه د. **فرج** حين قرر أن « **الازمة** » علامـــة على وجود « **انكسار** » يتمثل فى التنـــاقض بين قيم العمل والانتاج من جهة وقيم الاستهلاك من جهة اخرى . وأعتقد أن هذه النقطة يمكن ان نتخذها نقطة بداية . ولهذا فان السؤال الذى يجبطرحه هو عن نوعية العلاقة بين قيم العمل والانتاج من جهة وازمة القيم . فالملاحظ أنه بعد ثورة ١٩٥٢ كانت القيم السائدةهى قيم العمل والانتـــاج ، ولكن حين أحس الناس بآمال لم تجـد طرقــا لاشباعها ، وبتطلع الى عدالة لم تتحقق تراجعت عندهم قيم العمل والانتاج وأنا لا اعتبر هــذا تدهورا كما يتصور ذلك د. **فرج** وانما اعتــبره نتيجة طبيعية والان مــاذا عن صــعود القــيم وهبوطها .. **هل قيم الانتاج هي الصاعدة الان** ام قيم الاستهلاك . الملاحظ أن قيم الاستهـــلاك هى الصـــاعدة الان . ونحن كممثلين للطبقــة الوسطى ماهو موقفنا تجاه قيمالاستهلاكالصاعدة .. انه موقف يتسم **بالحيرة** . ومن هذه الزاوية يمكن طرح نوعية مستقبل مصر الذى أشاراليه **د. خلف الله**

ـــ د. مراد وهبه

الاحظ الان فى مسار ندوتنا هذه أن ثمة تركيزا على **العلاقة الحميمة بين الطبقة الوسطى** وازمة القيم . واذا كان ذلك كذلك فهل معنى ذلك أن **ازالة ازمة «القيم» يكون بكشف القناع او بتوضيح الدور الذى تلعبه الطبقة الوسطى .**

ـــ د. رشدى لبيب

أريد أن أوضح مستويين مختلفين . المستوى الاول هو مستوى الاعتقـــاد بالقيـــم كأســـاس للسلوك ، والمستوى الثانى هو مستوى ممارسة هذه القيم . وفى المستوى الثانى يلاحظ انهليس ثمة تطابقا حتميا بين الاعتقاد فى قيم معينـــة وممارسة هذه القيم . فمثلا يمكن لانســـان ان يسرق ومع ذلك يرى أن الامانة قيمة حسنة . ومعنى ذلك أن القيم ليست هى المحـــدد الوحيد للسلوك الانسانى . **وكل مســـتوى من هـــذين المستويين يعانى « أزمة » أى أن الازمة أزمةمكان** الازمة الاولى تتمثل عندنا فى نوعية قيم المستوى الاول ، أى ازمـــة فى تحديد القيم بغض النظر عن الممارســـة . فنحن الان نقنن الرشـــوة ، ونقنن الدروس الخصوصية ، بحيث تبدو قيما مقبولة رغم قبحها . والازمة الثـــانية تتمثل فى عدم المطابقة بين مـــافعلته من قيـــم صـــاعدة وممارستنا لهذه القيم . وهذه ازمة هينة لانــه يمكن معالجتها « **بالاجـــراءات** » ، اما **الازمـــة الخطيرة فهى الازمة الاولى الكامنـــة فى تبرير مشروعية القيم الهابطة**

ـــ د. محمد أحمد خلف الله

أود أن أوضح ماجاء فى قولى بخصوص القيم وقدرتها على دفع التطور الاجتماعى . فثمـــة دور للفكر فى عملية التغير الاجتماعى . فالفكر فى هذه العملية ، يطرح تصورات جديدة وقيمـــا جديدة لجميع مجالات الحيـــاة . والمفروض فى الفكر . فى هذه العملية ، ان يتحول الى عمل والى ممارسة . ولهذا فأنا حين اتكلم عن دور المفكر فى مرحلة التغير الجذرى التى نمر بهـــا فأنا أربط بين المفكر وهذا التغير

ـــ د. مراد وهبه

يتضح من كلام د. خلف الله أن ثمة قضيـــة مضافة وهى قضية فاعلية المفكر فى مواجهـــة أزمة القيم هل مجرد حـــدوث انكســـار للتطور الاجتماعى أو تخلف اقتصـــادى يعنى بالضرورة تخلفا فى القيم . واذا كان ذلك كذلك فهو يعنى سلب المفكر من مسئولياته الاجتماعية . واذا كان هذا الامر غير مقبول فالمفكر اذن مسئول ومطالب بفاعلية معينة تسهم فى تغيير القيم الناشئة عن الانكسار أو التخلف

ـــ أديب ديمترى

أعتقد أننا متفقون جميعـــا على أهميـــة دور المفكر وعلى مسئوليته الاجتماعية ، ولهـــذا نحن موجودون الان . والملاحظ على أزمة القيم أنهـــا أزمة عالمية ومحلية فمثلا اذا اخذنا القيم الهابطة كالفضائح الخلقية ، والعنف نجد أنها موجـــودة على المستويين العالمى والمحلى ولكن التفســـير يختلف فى كل من المستويين . والمـــلاحظ أننـــا كمفكرين نأخذ احيانا بتفسير واحد هو التفسير فى المستوى العالمى . والمطلوب التركـــيز على ظاهرة الخصوصية .

ـــ د. مراد وهبه

اذن علينا أن نناقش نقاط الاتفاق ونقـــاط الافتراق بين ما هو عالمى وما هو محلى ، أى بين العام والخاص ، وبالذات بالنســـبة الى القيم الهابطة

ـــ د رشدى لبيب

مادمنا بصدد الحديث عن القيم الهابطة والقيم الصاعدة فان أطرح تحديدا معينا لكل من هذين النوعين . **القيمة الصاعدة** هى القيمة التى تدفع السلوك الفردى والاجتماعى نحو التغيير لصالح

الجماهير . فمثلا حين نجد الأسرة فى مجتمع نام توجه دخلها كله نحو الاستهلاك فهذه الاسرة تتبنى قيمة هابطة . لماذا ؟ لان المجتمعات النامية فى حاجة الى قيمة الادخار من أجل دفع عجلة الانتاج . ولكن فى مجتمعات متقدمة قد لا ينظر الى قيمة الاستهلاك على انهـا قيمة هابطة . وهذا مالاحظته فى الاتحاد السوفيتى .

ـ د. ميلاد حنا

لا شك أن القيم الهابطة والصاعدة هى قيم نسبية ولكن الملاحظ أنه كلما كانت القيم نابعة من **الانسان ذاته** كانت أكثر فاعلية ، وبالتالى يقل التناقض بين القول والفعل . أمـا حين تكون القيم مفروضـة على الانسـان مـن خـلال عرف أو تقليد يكون التناقض واضحا . ومعنى ذلك أنه كلما كان الانسان متسقا مع ذاتـه كان المجتمع اسعد حالا ، وأرقى انتاجيا

ـ د. مراد وهبه

هل معنى كلامك يا د. ميلاد أن الفرد هـو نقطة البداية فى مواجهة أزمـة القيـم ، وان ازالة أزمـة الفـرد يؤدى بالضرورة الى ازالة أزمة المجتمع ؟

ـ د. ميلاد حنا

لدى مثال محدد بالنسـبة لمصر . فقبل ثورة ١٩٥٢ كان المجتمع المصرى مجتمعا رأسـماليا وكانت قيم الاستهلاك واضحة . وحين جاء نظام عبد الناصر كان من يملك سيارة يخجل من ركوبها ومن كان حائزا لقب « باشا » يستبعده فى صفحة الوفيات . **ولكن ماذا يحدث الان ؟ بتوع الشواربى جايبين عربيات طولها ١٠٠ والالقاب اللى كانت اختفت بقـانون رجعت تانى بشـكل اوضـح** على الاقـل فى صـفحة الوفيـات ! واعتقـد أن هذا ادى الى أزمة القيم واعتقد أيضا أنه لو كان النظام الرأسمالى قد استمر ولم يحدث نظام عبد الناصر ، وحدث نوع من الانتقال التدريجى ما ظهرت الرأسمالية الطفيلية . يعنى أنا اعتقد **أن الرأسمالية الطفيلية نتيجة طبيعية** . ذلك ان التأميمات التى حدثت فى الستينات أحدثت كسادا وانقبـاضا فى الاستهلاك الرأسمالى والتفـاخر الرأسمالى ولكن حين حـدث العكس فى هـذه الايام فان الناس تصورت ان النظام الرأسمالى او المناخ الرأسـمالى الحـالى مؤقت جدا .. **فكل واحد بيهبش وطلعت بقى الفهلوية وكل القيم الجديدة اللى هى بتسود المجتمـع . الاشـارة حمراء والناس ماشـيه والراجـل العسـكرى مابيخدش مخالفة .. دى أصبحت القيم الجديدة.**

ـ د. مراد وهبة

د. ميلاد يطرح الان قضية جـديدة وهى ان ازمة القيم مرتبطة بحـدوث ثورة فى المجتمـع المصرى وليس بحدوث تطور ، ومعنى ذلك انـه كان من الافضل عدم حـدوث ثورة حتى نتجنب ازمة القيم

ـ د. ميلاد حنا

فى الحقيقة انا لا أرغب فى معالجة أزمـة القيـم فقـط . رايى الشـخصى وقد اكـون مخطئا ـ **ان الحدوتة بتـاعة الثـورة الفوقية اللى جاءت لخبطت الدنيا وما اديتش اسـتمرار وبعدين لخبطت أكثر وحاتلخبط للأيام اللى جايـة أكثر ودى باينة ايضا**

ـ د. مراد وهبه

أنت تدخل تعبيرا جديدا وهو «الثورة الفوقية» ومعنى ذلك انك تدخل تعبيرا جديدا آخر وهـو « الثورة التحتية »

ـ د. ميلاد حنا

نعم لو حدثت ثورة تحتية ماحدث تغيير للقيم

ـ د. مراد وهبه

يعنى لايحدث ازمة قيم

ـ د. ميلاد حنا

ماكانت تحدث على الاطلاق

ـ د. مراد وهبه

يعنى انت تسلم بنوعين من الثورات

ـ د. ميلاد حنا

طبعا .. ثورة فوقية وثورة تحتية . ماهى الثورة الفوقية طلعت رياء وسلبية .. أنت عاوز النهاردة أكثر من المناخ الليبرالى الموجود ومع ذلك كل واحد يقول لك ياعم ايش طمنى بكره يبقى فيه ايه لان الناس مش ضامنة الاستمراريـة حتى بتاع المناخ الحالى ودى ازمة كبيرة

ـ د. مراد وهبه

يعنى الثورة الفوقية ترتبط بها ظاهرة التطلعات

ـ د. خلف الله

الثورة التحتية أو الثـورة الفوقية يلازمهـا أزمـ قيم . وأزمة القيم سببها أن المجتمع ككل لايقبل القيم الجديدة مرة واحدة ولايرفض القيم القديمة مرة واحدة . الازمة ظاهرة طبيعية فى كل مجتمع يحدث فيه تغير لان المجتمع كله لايسير على وتيرة واحدة فى عملية التغير . فيه ناس برضه حاتبقى متخلفة .. ناس تؤمن بالتغييـر بسرعة وناس تاخد لها فترة طويلة وناس تظل ضد التغيير

ـ د. مراد وهبه

هل نستسلم لهذه الظاهرة ؟

ـ د. خلف الله

قوة أى قيمة او اى فكرة او اى نظرية فى عدد الذين تستقطبهم . فالمفروض ان المؤمنين بالتغيير يصوروا مستقبل الامة وبناء المجتمع الجديد ، ويواصلوا الكتابة حتى يكثر عدد المؤمنين بالتغيير

ـ د. مراد وهبه

معنى قولك أن المفكر ينبغى عليه أن يرتبـط بماهو تحت ولا يتطلع الى مافوق ، اى يرتبـط بالجماهير دون السلطة

ـ د. خلف الله

الارتباط بالسلطة مرفوض

ـ د. قدر حفنى

ثمة نقطة أريد اضافتها وهى أنثمة مجموعتين متميزتين من القيم داخل كل من قيم الانتاج وقيم الاستهلاك **ففى داخل قيم الانتاج يوجد نموذجان متمايزان نموذج انتاج فردى ونموذج أنتاججماعى** النموذج الاول يمثله الرجل العصامى اللى بيعمل ثروة من خلال فائض القيمة ويبقى مليونير مـثل **اوناسـيس** . انه نمـوذج الرجـل اللى بيقـولى انا بدأت مـن تحت خـالص وبنيت نفسى ونمت فى الشـارع ونمت فى الارض **والنموذج الثانى هو نموذج التعاونيات .. السد العالى مثلا من الذى بنـاه ؟ واحد .. ابدا ..** الناس كلها بنته . وأزمـة العـالم الثالث بل **أزمة مصر ما مصدرها ؟ حين حدثت الثورة تزامل** هذان النموذجان داخل الطبقة الوسطى مع انهما نموذجان لا يتزاملان فكل منهمـا يلغى الآخر . وهذه هى أزمـة القيم . وعنـد أول انكسـار اجتماعى يبرز النموذج الاول .. نموذج الرجل العصامى ولكن تظهر بصورة انتاج استهلاكى . **ولهذا فالسؤال المطروح هو ان كان مفروض ان الثورةماتحصلش او المفروض انالرأسمالية تنمو**

ـ د. مراد وهبه

يبدو انك تسير فى نفس اتجاه **د. ميلاد** فانت تربط بين أزمة القيم وازمة البرجوازية ، وترى أن خروج الراسمالية من أزمتها يعنى فى نفس الوقت الخروج من أزمة القيم والدليل على ذلك **انك** غير راض على الثورة

ـ د. ميلاد حنا

ليست المسألة مسألة رضا أو عدم رضا . الثورة حقيقية ولكنها بطبيعتها كانت تحمل هذا النوع من التناقض الفلاح المصرى مثلا لااستطيع ان اقول عنه أنه يعانى ازمة قيم . ماهى ازمـة القيم لديه ؟ واذا وجدت فهى سطحية أزمة عادية يمر بها أى انسان . **ان الازمة التى تفرض نفسها هى أزمة الطبقة الوسطى .. أزمـة الطلبة فى الجامعة .. أزمة الراسماليين .. ازمة الناس اللى عندهم فلوس وبيهبشوا** يعنى حتى النموذج الراسمالى التقليدى غير موجود

ـ أديب ديمترى

أرغب فى تحديد بعض النقـاط لنحـدد نقط الاتفاق ونقط الاختلاف . فما نعالجه اليوم ليس هو موضوع القيم فقط وانما مسألة « **احتـدام الصراع** » ذلك ان مانسميه « **أزمة** » ليسبالضبط مسألة غلبة القيم الهابطة وانما مسألة احتدام خطير فى الصراع ومن هنـا نتساءل : لمـاذا يحدث هذا الاحتدام الخطير ؟ وهنا احتلف تماما مع **د. ميلاد** فالقضية ليست فى أن ثورة جاءت من فوق « وحا اقولك ليه جاءت من فوق » وأنا فى تقديرى أن القضية هى كما وضعها د. قدرى ولكنه لم يكملها ، هى قضية **اختيار الطريـق فى العالم الثـالث .** ماذا حدث بعد **ثورة اكـتوبر الاشـتراكية كانت برجـوازيتنا فى ثورة ١٩١٩** تقدمية ثورية ، ومع ذلك فمنذ اللحظـة الاولى فرض عليها اختيار صعب جـدا لم يفرض على البرجوازيات الاوروبية الا فى مرحلة متأخرة ..

يعنى كان أمامها فترة تتنفس فيها اطول .. ماهو هذا الاختيار ؟ أن تبنى مجتمعا مستقلا ومتقدما وصناعيا وأن ترفع من مستوى الطبقات العاملة والطبقات الشعبية فى آن واحد . ومن هنا انطوت ثورة ١٩ على جانبين احدهما ثورى والاخر رجعى ، فاخذت تظهر العداء الصريح للشيوعية وحقيقة الامر انه عداء للطبقات الشعبية والديمقراطية . ومن هنا نلاحظ ان القيم الليبرالية التى حملتها هذه البرجوازية تخلت عنها سريعا لانها كانت تواجه صراعا أشد . **وماذا عن ثورة ١٩٥٢** ؟ بصرف النظر عن انها جاءت من فوق فهى ثورة بلا جدال لانها كانت تحمل معها قوة جديدة وتبين القضية الاساسية بالنسبة اليها هى **حسم الطريق** ولكنها لم تحسم ، وانتهت الى الوضع القائم الان وهو أن الطبقات الراسمالية راغبة فى العودة .

— د. مراد وهبه

بقى أن تبين لنا العلاقة بين هذا التحليل وأزمة القيم

— أديب ديمترى

هذه الطبقات الصاعدة تريد أن تعود فعلا للطريق الرأسمالى التقليدى ولكنه طريق مسدود لانه من خلاله لا تستطيع ان تنجز قضية التحرر وآمال التحرر ولا تستطيع ان تنجز قيم التقدم الاقتصادى والتحديث . فماذا تفعل حين تواجه بالقوى الصاعدة ؟ تلجأ الى **الخطف .. اخطف اللى اقدر اخطفه** ومن هنا تنشأ القيم الهابطة

— د. ميلاد حنا

اخلص من كلام **الاستاذ اديب** انه يربط بين ازمة القيم فى مصر والوضع العالمى . أزمة الطريق المختار ناشىء من أن **ثورة يوليو ثورة برجوازية معادية للاستعمار ولكنها فى نفس الوقت متحفظة ازاء علاقتها على العالم الاشتراكى وبالتالى يصبح الطريق أمام البرجوازية المصرية مسدود**

— د. مراد وهبه

أعتقد انه من خلال كلام الاستاذ اديب لابد من البحث عن الاسباب التى ادت الى **أزمة الطريق المختار** ليس فقط فى مصر ولكن فى العالم الثالث . وهنا يأتى دور المفكر فى القاء ضوء على حقيقة هذه الازمة الا اذا كان المفكر نفسه غير قادر على مجاوزتها

— د. ميلاد حنا

مسألة تضخيم دور المفكر مع احترامى الكامل لمجتمع المفكرين هو دور نسبى . فالمسألة ليست حرية المفكر فى ان يفكر وانما مسألة تجمع الناس حول اى فكر فى اطار ديمقراطى فاذا طرحت أفكار ولم يلتف حولها بشر أصبحت أفكارا افلاطونية يمكن أن تسجل كمواقف تاريخية

— د. مراد وهبه

استأذنك فى توضيح فكرتى حتى يزول الخلاف فالمسألة ليست مسألة تضخيم **دور المفكر فى العالم الثالث** بقدر ماهى ابراز الدور الحقيقى لان العالم الثالث عالم متخلف .. الامية ضعف الوعى الاجتماعى لدى الجماهير .. ضعف الطبقة العمالية .. من هنا يأتى دور المفكر ولهذا **فازمة الطريق المختار التى يطرحها الاستاذ أديب تستلزم طرح أزمة المفكر فى مصر وفى العالم الثالث**

— د. رشدى لبيب

المفكرون فى مصر وفى العالم الثالث مستقطبون نحو اليسار واليمين والطريق الثالث. مفكرو الطريق الثالث لم ينجحوا — فى حدود علمى — فى خلق ايديولوجيا جديدة للعالم الثالث . وماذا حدث فى ثورة مصر لا تقدم من الناحية الاقتصادية وتخلف فى الناحية الفكرية وفى وعى الجماهير . ومن هنا أرى أن مفكرى العالم الثالث هم فى داخل الازمة .

— د. محمد احمد خلف الله

اذا عجزت حكومات العالم الثالث عن نقل المجتمع نقلة جديدة فهذا العجز مردود الى الفكر لان اى مسئول ان لم يجد أمامه فكرا ناضجا فانه يقع فى حيرة فالازمة فى حقيقتها ازمة فكرية **ازمة أن الفكر غير ناضج وازمة أن المثقفين فى معظمهم ينافقون السلطة ، أى سلطة .**

— د. مراد وهبه

وما هو السبب فى ارتباط المثقفين بالسلطة دون الجماهير ؟ هذه قضية وقضية ثانية هى نشأة ثورات فى العالم الثالث بدون **تنظير** يواكبها وهذه مسئولية المفكر .

ـ د. قدرى حفنى

ارتباط المفكرين بالسلطة فى العالم الثالث نتيجة افراز بناء اجتماعى معين . فى مصر القيادات الفكرية كانت موجودة حين قامت الثورة وكانت لها رؤية مستقبلية معينة .. وماذا كان موقف الثورة ؟ الوقوف ضد هذه التيارات الفكرية وطرح قيم جديدة تقول بان الثورة عملية وليست فى حاجة الى فلسفة . اما حق ابداء الراى وتطوير الافكار فلم تكن بضاعة مطلوبة بل كانت بضاعة غالية الثمن يدفع صاحبها ثمنا باهظا . ولهذا كانت البضاعة الوحيده المطروحة تخلف الفكر عن الممارسة وراح ينتظر قرار السلطة ليبرره بصرف النظر عن أى اعتبار

ـ د. مراد وهبه

الواقع ان تخلف الفكر فى ثورة يوليو وفى غيرها من ثورات العالم الثالث مردود الى **غياب عصر التنوير** فى العالم الثالث . فثورة يوليو رفضت كل من التيار الماركسى والتيار الاخوانى. وفى تقديرى أنه لو كنا مررنا بعصر التنوير لكان ثمة امل فى مجاوزة **أزمة الطريق المختار** . ان أوربا لاتعانى أزمة الطريق المختار . ولهذا اعتقد ان دراسة دوافع وخصائص عصر التنوير ومسابعه من الثورة الفرنسيه وثورة اكتوبر الاشتراكيه تلقى ضوءا على ازمة الطريق المختار وانا أطرح هذه الدراسة على اساس فرضية معينة وهى **وحدة الحضارة الانسانية** وبالتالى رفض الشعار الذى تطرحه القوى الرجعية وهو عدم استيراد الفكر . فليس ثمة طريق خاص ، وانما ثمة طريق انسانى

ـ اديب ديمترى

انا موافق د. مراد على قضية الح فى طرحها وهى قضية مسئولية المفكر فواضح الآن اهميتها. واذا كنا متفقين على أن اختيار الطريق لا يأتى تلقائيا وانما بفضل الوعى فهذا يعنى بالضرورة مسئولية المفكر ومسئولية ارتباطه بالجماهير. أما عن قضية تخلف المفكر فى العالم الثالث فهذا مردود الى المنحنيات الجديدة التى سارت فيها الرأسمالية العالمية للخروج من أزمتها والى القضايا الجديدة التى طرحتها ثورات العالم الثالث الامر الذى كان يجعلنا نقف عاجزين أمام فهمها واختلط الصواب مع الخطأ . وابرز دليل على ذلك هزيمة ١٩٦٧ فقد فاجأتنا . صحيح أن **نجيب محفوظ فى** « ثرثرة على النيل » قال « **الحوت جاى** » كان حاسس ان فيه حوت . لكن الحوت ده جاى منين . من جوه ولا من بره .. ماحدش كان قادر يحدد . المهم اذا كان المفكر يريد ان يكون مسئولا ويختار عن وعى فلابد أن يرتبط بالجماهير ، والارتباط بالجماهير يعنى الارتباط بقضية الديمقراطية

ـ د. محمد أحمد خلف الله

تعقيب على كلمة **الاستاذ ديمترى** .. ان الديمقراطية لن تتحقق الا بقيم اخلاقية لان الديمقراطية تبدأ بالصوت الانتخابى . ولهذا فمسئولية المفكر هى فى أن يعمل على توعية الجماهير بأن الانسان يجب ان يعطى صوته فى موضعه السليم وماذا يعنى الموضع السليم ؟ يعنى اختيار الانسان الملتزم بمصلحة الجماهير . ومن أجل تحقيق اختيار هذا الانسان فلا بد من قيمة أخلاقية يلتزم بها المفكر ويلتزم بها صاحب الصوت

ـ د. مراد وهبه

الواقع ان د. خلف الله يثير هنا فكرة طريفة وهى **الطابع الجماهيرى للقيمة الاخلاقية** . فنحن قد اعتدنا أن نعالج القيمة الاخلاقية بمعزل عن الجماهير . فمثلا حين نتحدث عن الامانة والصدق فنحن نتحدث عنها على مستوى السلوك الفردى فنقول مثلا ينبغى أن يكون الانسان امينا فى عمله وان يكون صادقا فى اقواله بغض النظر عن علاقة هذا الانسان بالجماهير .

استراتيجية تنمية القوى البشرية في دول العالم الثالث

د. وهيب سمعان *

نعنى بدول العالم الثالث الدول النامية التى تقف بين الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية . وهذه الدول فى حالة ثورة فى الوقت الحاضر . فهى ترفض الفكرة القائلة بأن الفقر والمرض والجهل قضاء محتوم عليها ، وتنادى بحركة التحديث السريع ، وتقاوم كل من يذكرها بان عملية النمو الاقتصادى فى الدول الغربية المتقدمة قد سارت على نحو تدريجى .

وكخطة لهذا المقال تتناول النواحى الاساسية فى وضع استراتيجية التنمية السريعة والمعوقات التى تعوق تقدمها ، ثم نركز على عناصر استراتيجية تنمية القوى البشرية ● ونتناول اخيرا الطرق والوسائل التى يمكن استخدامها لتنفيذ تلك الاستراتيجية .

النواحى الاساسية للتنمية السريعة

اذا كانت الدول النامية تهدف الى أن تكون تنميتها على نحو أسرع وأشمل مما كانت عليه التنمية التاريخية للدول المتقدمة صناعيا ، فان عليها أن تتخذ خطوات مقصودة متطرفة او لم يسبق استخدامها . فعليها ان تزيد من الضرائب بسرعة وبدرجة كبيرة ، وأن تحد من الاستهلاك الكبير المتزايد وخاصة بالنسبة للطبقات القادرة . كما ينبغى أن تتنافس فى الحصول على القروض الاجنبية . وعلى هذه الدول ان تفكر فى التنمية الاقتصادية طويلة المدى لا فى التنمية الاقتصادية قصيرة المدى . ومعظم الدول النامية تهفو للتنمية

(*) أستاذ التربية المقارنة والسياسات التعليمية ووكيل كلية التربية للدراسات العليا والبحوث بجامعة عين شمس .

السريعة ولكن غالبيتها لا تستطيع متابعة المطالب الصعبة التى تساعد على تحقيقها . وفى هذا يقول أحد النقاد « ان النشاط السياسى أمر مثير للدول النامية الصغيرة ، وكثير من السياسيين فيها يتمسكون بالنواحى البراقة التى كانت وقفا على الملوك ورجال الدين فيما مضى فهم يكثرون من الاستعراضات وطلقات المدافع واستخدام اليخوت والاقامة فى القصور الريفية . وينبغى أن نروض أنفسنا على أن تلك الدول تشغل نفسها كثيرا بنواحى متعددة من المظاهر وأنها بذلك لا توفر ما تحتاجه التنمية الاقتصادية من أولويات . » وقد لا نشارك الكاتب فى هذه النظرة المتشائمة ، فبعض الدول النامية يشق طريقه فى الوقت الحاضر نحو التنمية السريعة . وبصفة عامة تتميز الدول الناجحة فى هذا السبيل بقدرتها على تجميع راس المال المادى والبشرى بسرعة وعلى استخدامهما استخداما نافعا فى مختلف مجالات الانشطة المنتجة .

وقد لانستفيد كثيرا منمناقشة أى الراسماليين أهم ، راس المال المادى أم راس المال البشرى. اذ ينبغى على الدول النامية أن تسعى لتحقيق التنمية فى الجنبين اذا كانت تهدف حقا للتنمية السريعة . فقدرة دولة ما على استخدام راس المال المادى بطريقة فعالة تعتمد على توافر راس المال البشرى والعكس صحيح . ومن الضرورىللساسة والمخططين ان يدركوا أن أى خطة تنمية لا تعطى اولوية لتكوين رأس المال البشرى هى خطه غير واقعية ومقدر لها الفشل.لان الخبرة قد اوضحت مرارا أن القوى البشرية المدربة تدريبا عاليا لا تظهر فجأة أو عفوا أو بطريقة سحرية .

معوقات التنمية السريعة

يعمل قدة الدول النامية فى تخطيطهم للتحديث فى اطار من المعوقات قد يحدد معدلات التنمية . ومن اولى هده المعوقات تزايد عدد السكان . ففى كل الدول النامية تقريبا تظل معدلات المواليد عالية بينما تنخفض معدلات الوفيات نتيجه لانتشار وتزايد الاحتياجات والخدمات الصحية العامة . وتعد زيادة السكن فى اسيا وفى بعض اجزاء الشرق الاوسط مشكلة بالغة . أما معدلات الزيادة فى سكان أمريكا اللاتينية فأمر ينذر بالخطورة . وحتى فى الجهات غير المزدحمة بالسكان فى أفريقيا ، نجد أن الانفجار السكانى رهيب . والزيادة فى عدد السكان تقف حائلا فى أغلب الاحيان أمامكل ما تحققه التنمية السريعة . فهى تزيد من حدة مشكلات التغذية والصحة ، كما تزيد من متطلبات الانفاق على التعليم .

أما ثانى المعوقات ، فهو الهجرة من الريف الى المدن . فمع انتشار التعليم وتزايد وسائل المواصلات ومرغبات حركة التحديث وما يصحبها من مباهج يسعى الناس للهرب من الحكم عليهم بالعيش مؤبدا مع الزراعة التقليدية الى المدن حيث قد يقدم اليهم العمل والمنازل والمياه الصالحة وغير ذلك من الخدمات العامة .

أما ثالث معوقات التنمية فهو أن الدول النامية تعتمد عادة على المعونة الخارجية بشكل أو آخر . فعليها كلها تقريبا أن تحصل على عون مادى من الدول المتقدمة ، وعلى هذه الدول الاخيرة أن تصدر اليها القوى البشرية المدربة العالية لتساعدها على التطور العلمى والتكنولوجى الحديث المتزايد . ولعلنا نلحظ فى كل هذه العمليات أن الدول النامية تقع تحت رحمة الدول المتقدمة بالاضافة الى شعورها بمرارة الضغط والحاجة الى الالتجاء اليها .

أما رابع معوقات التنمية فهو أن الدول النامية رغم حاجتها الى خدمات الاجانب من الدول المتقدمة ، الا انها تحس فى الوقت ذاته برغبتها وحاجتها الى التخلص منهم بأسرع ما يمكن . ففى الدول النامية التى كانت تحت وطأة الاستعمار نجد الوطنيين يحلون محل الاجانب فى أقرب فرصة وكلما سنحت الظروف . وعلى المؤسسات الصناعية التى يملكها الاجانب أن تفسح طريق الوظائف الادارية العليا أمام الوطنيين . ولا شك أن الاجنبى مطلوب بشدة فى الدول النامية وهو يصل اليها عن طريق المساعدة الفنية أو الخبرة أو الاستشارة ولكنه محتوم عليه أن يسرع فى ترك البلاد .

ويقابل قادة الدول النامية عادة ببعض المقاومة لتغيير الاحوال . فالنظم العائلية التقليدية والقيم الموروثة والنظم القضائية القديمة قد تقف أمام التجديد . **وقد تلعب القوى ذات المصالح والامتيازات وكبار ملوك الاراضى والقوى الدينية والسياسية الكبرى فى مقاومة الاصلاح الذى تتطلبه عملية التحديث** . ومن ثم ستظل الدول النامية فترة طويلة وهى تسير على نظام اقتصادى يتألف من شقين : شق حديث متطور وشق تقليدى محافظ يستجيب للتغيير ببطء . ولعل هذا الوضع يعد عائقا هاما من عوائق التنمية فى الوقت الحاضر فى كثير من البلاد .

تلك هى أهم المعوقات التى قد تعيق التنمية السريعة وهى تدعيم الراى القائل بأن التنمية

الاقتصادية هي في ذاتها عملية سياسية مثلما هي عملية اقتصادية . وينبغي على المخططين ومن يعاونهم من الفنيين أن يكونوا واعين وعيا تاما بمطالب التنمية السريعة وان يتعاونوا في وضع استراتيجية قابلة للتحقيق في ظل المعوقات المعروفة التي تشكل صعابا أمام التنمية السريعة في الدول النامية وتقلل من فرص الاختيار المعقول أمامها .

مشكلات القوى البشرية في الدول النامية

تقابل معظم الدول النامية في ذات الوقت بمشكلتين أساسيتين من مشكلات القوى البشرية ، الاولى نقص القوى البشرية المدربة اللازمة للنواحي المختلفة من عملية التحديث وثانيهما زيادة العمالة في النواحي الجديدة والتقليدية على السواء . وهكذا نجد أن تهتم تنمية القوى البشرية تهتم بتكوين المهارات البشرية اللازمة من ناحية وتوفير العمل المنتج للقوى البشرية غير المستخدمة استخداما كاملا أو غير مستخدمة تماما . ولا يمكن مع ذلك أن نعد مشكلتي الزيادة والنقص في القوى البشرية من المشكلات المنفصلة المميزة فهما مشكلتان متصلتان ببعضهما تمام الاتصال ولكل منهما جذوره في التغيرات الداخلة في عملية التنمية ويتصل كل منهما بالعملية التعليمية تمام الاتصال . وتزيد حدة كل منهما بصفة خاصة كلما زادت عملية التحديث . ولعل من المتناقضات أن نذكر أن نقص القوى البشرية المدربة قد تعد من الاسباب التي تسهم في زيادة القوى البشرية غير العاملة . ورغم أن مشكلات القوى البشرية في كل بلد تختلف عن الاخرى الا ان هناك مشكلات قد تعد عامة بالنسبة لكل الدول النامية

النقص في القوى العاملة

● في كل الدول النامية يوجد نقص في القوى البشرية المهنية المدربة تدريبا كافيا . وبالاضافة الى النقص في أعدادهم فانهم يفضلون عادة العيش في المدن الكبيرة أكثر من الجهات الريفية بينما قد تطلب خدماتهم في الجهات الاخيرة أكثر من المدن . وهكذا تزداد حدة النقص فيهم نتيجه لعدم تحركهم النسبي .

● هناك نقص أيضا في الاشخاص من ذوي القدرات والكفايات العليا المناسبة للاعمال الادارية وذلك في كل من القطاعين العام والخاص ، كما أن هناك نقصا في المقاولين اللازمين لتنفيذ المشروعات .

● يوجد أيضا نقص خطير في معظم الدول النامية في عدد الصناع من كل الاصناف وفي الكتبه والسكرتيريين والمختزلين والعاملين على الالات الحاسبه المختلفه وفي الذين يقومون باصلاح الراديو والتلفزيون والملاحة الجوية وغيرهم .

الزيادة في القوى العاملة

تعد الزيادة في القوى العاملة مشكلة كبيرة لا تقل في حدتها عن النقص فيهم . وتظهر هذه المشكله فيما يلي :

● في البلاد التي يزيد فيها عدد السكان بمعدلات عالية مثل مصر والهند ، نجد أن الجهات الريفيه بها مزدحمة بأعداد هائلة من الذين لا يجدون اعمالا أو يعملون في أعمال أقرب في حقيقتها الى البطاله المقنعة . وواقع الامر أن الانتاج الزراعي العام يمكن أن يزدهر ويزداد اذا قام به عدد أقل من السكان واذا ازداد حجم الوحدات الزراعية التي يعملون عليها . وهكذا نجد أن زيادة عدد العاملين في المناطق الريفية لا يمكن أن يعد مصدر قوة في معظم الاحيان بل قد يعد مصدر يعوق الزيادة في الانتاج الزراعي

● أما البطالة بين المتعلمين فتشكل نوعا آخر من الزيادة في عدد العاملين . ففي كثير من البلاد يتوافر عدد كبير من خريجي كليات الحقوق والاداب ، وقد توجد بطالة أو بطالة مقنعة بين المهنسين والعلميين ورجال الاقتصاد والزراعة . وعادة ما يكون السبب وراء بطالة المتعلمين عدم رغبتهم في الاشتغال في أعمال تقل في نظرهم عما ينبغي أن يحصلوا عليه . وواقع الامر أن الدرجة الجامعية ترتبط في أذهان الحاصلين عليها بنوع معين من الطموح .

● وهناك أسباب أخرى للعمالة الزائدة . فقد يؤدي ادخال العمليات الجديدة والالات الاوتوماتيكية الى الاستغناء عن كثير من العاملين . يضاف الى هذا أن المهاجرين واللاجئين يزيدون من أعداد العاطلين في بعض البلاد ويشكلون مشكلة كبيرة تضاف الى مشكلات الزيادة في العاملين .

ولعلنا نستطيع القول بصفة عامة أن عوامل الزيادة فى عدد العاملين يمكن أن يقضى عليه أو تقلل حدته ببرنامج متوازن مدروس من النمو الاقتصادى واستراتيجية تنمية القوى البشرية العاملة .

عناصر استراتيجية تنمية القوى البشرية

ان لاستراتيجية تنميه القوى البشرية ثلاثة عناصر اساسيه : توفير الحوافز ، وتشجيع التدريب الفعال للقوى البشرية العاملة ، وتنمية التعليم النظامى . وتعتمد هذه العناصر الثلاثة بعضها على بعض . ولا يمكن للقادة فى بلد ما أن يركزوا على واحد أو اثنين منها فىفترةمابل ينبغى تركيزهم على كل هذه الجبهات دفعة واحدة وفى وقت واحد .

توفير الحوافز

ان غرض توفير الحوافز هو تشجيع الرجال والنساء على اعداد انفسهم للعمل فى كل انواع النشاط المنتج اللازم للتنمية السريعة . ولتحقيق ذلك ينبغى أن يتصل جزاء الفرد بأهمية العمل الذى يقوم به فى المجتمع النامى الذى يسير فى خطى التحديث . كما ينبغى الا يعتمد على مستواه فى التعليم النظامى وعدد الدرجات العلمية الحاصل عليها .

ولن ينتج الانفاق الكبير على التعليم القوى البشرية المدربة اذا لم تتوافر الحوافز . ففى كثير من البلاد النامية ينظر للحصول على الدرجة الجامعية على انه الجواز للحصول على وظيفة حكوميه . ويفضل الجامعى العمل فى المدن عن الريف . وبهذا تعد الدرجة الجامعية سبيلا للهروب المستديم من الريف أو الجهات النائية أو كما **يقول الافريقيون سبيلا للهروب من الغابة .**
وفى كثير من البلاد النامية نجد أن السبب فى النقص الشديد فى الاخصائيين فى الزراعة من جميع الانواع يكمن فى عدم رغبة الطلاب الالتحاق بكليات ومدارس الزراعة ولا يكمن فى عدم توافر الاماكن به - ومن الواضح أن جاذبية العمل فى الزراعة لا ترقى الى مستوى جاذبيةالعمل فى كثير من المهن الاخرى التى قد لا تساهم فى التنمية مثلما يساهم العمل الزراعى . ولنفس السبب نجد الاقبال على التعليم الفنى محدودا .

ولا يمكن تغيير مثل هذه الاوضاع الا بتغيير نظم الجزاء والقيم فى المجتمع النامى والتى ينبغى أن تنبع من الحكومات أساسا عن طريق المراجعة الشاملة لنظم المرتبات والاجور . واخفاق الحكومات فى ادراك هذا الامر لن يؤدى الا الى انتاج جيوش من أشباه العاطلين (*)

وينبغى أيضا أن نعالج مشكلة الهجرة من الريف الى المدن . فلن نحل مشكلةالمتخرجينفى المدارس الابتدائية باجراء تغييرات فى مناهج المدارس الابتدائية والثانوية . فهذا محض هراء . ففى عصر ارتفعت فيه تطلعات الانسان وانتشرت وسائل الاعلام لن يرضى ابناء الفلاحين بأن يحكموا على أنفسهم أحكاما مؤبدة بالبقاء فى القرى لممارسة الزراعة التقليدية اذا كان فى امكانهم الهرب منها . **ان الحل الرئيسى الوحيد هو تحديث الريف .** فاذا وجد الناس سببا ايجابيا للبقاء فى الريف واذا تبينوا آمالا فى حياة أفضل ، فان مشكلة مراجعة المناهج الدراسية تصبح أمرا بسيطا سهلا .

وهكذا نجد أن الشرط الرئيسى لحل مشكلات القوى البشرية يكمن فى توفير الحوافز . فاذا لم يتم ذلك فان الانفاقات الكبيرة على التعليم والتدريب لن تساهم كثيرا فى حل مشكلات التنمية السريعة .

تدريب القوى البشرية العاملة

ان تدريب القوى البشرية وتنميتها لا يقل الاستثمار فيه عن الاستثمار فى التعليم النظامى . وكثيرا ما يخطىء رجال الحكومة والاعمال وقادة التربية فى القول بأن المدارس والجامعات يمكنها أن تعد المهارات المطلوبة فى كافة النواحى ، اذ أن النظام التعليمى النظامى لا يستطيع تحمل هذه المسئولية . فعمليتا التدريب والتعليم عمليتان مختلفتان تماما وينبغى على المخططين أن يضعوا خط فاصلا واضحا بينهما . **فالتدريب يتضمن تنمية مهارات معينة مطلوبة لاداء عمل أو مجموعة من الاعمال المعينة . أما التعليم فيتضمن الحصول على المعارف العامة وتنمية القـــدرة العقليـــة الاساسية .** وكل من التدريب والتعليم ينبغى أن يضمن فى تكوين وتشكيل رأس المال البشرى . والتعليم ، على هذا الوضع ، متطلب أساسى يسبق الانواع المختلفة للتدريب . ولا يعنى هـذا أن مسئولية القيام بالتدريب ومسئولية القيام بالتعليم متلازمتان بالضرورة .

وينبغى أن تتحمل الحكومة الجزء الاعظم من

المسئولية . فمن الممكن تطوير معظم جوانب الادارة العامة بطريقة فعالة ببرنامج مدروس منظم من برامج التدريب اثناء الخدمة . ولتحقيق ذلك ينبغى أن يتوافر فى كل وزارة من الوزارات الرئيسية ، هيئة تشرف على التدريب أثناء العمل ، وبرامج التدريب أثناء الخدمة ، وذلك بالتعاون مع المنشآت التعليمية .

كما ان فكرة ان التدريب عملية مستمرة لتنمية راس المال البشرى بدلا من ان يكون مجرد عملية سابقة للقيام بالعمل فكرة مازالت تغيب عن اذهان السياسيين والمخططين والهيئات العامة والخاصة على السواء . ومن ثم ينبغى على المنشآت الموظفة أن تتحمل مسئولية كبرى فى تدريب العاملين بها .

التعليم النظامى

يعد اعداد الناس القابلين للتدريب الانتاج الرئيسى للتعليم النظامى . فقدرات الناس مثل الفيلم الفوتوجرافى لا تظهر الا اذا تعرضت لنشاط معين . ويماثل التعليم الذى يسبق العمل الطبقة الحساسة التى تكسو الفيلم ، فعن طريق التعليم تتحدد الحساسية المستقبلة للانسان بالنسبة للفهم والتعليم المستمر .

وقد رفضت معظم الدول التى تسير فى طريق التحديث فكرة المحو المتدرج للامية وصممت على أن تحقق فكرة التعليم الابتدائى العام فى زمن قياسى . وينبغى أن يكون هذا واحدا من الاهداف العظمى التى ينبغى تحقيقها فى اى برنامج للتنمية السريعة . واذا ما تجولنا فى دول العالم الثالث وجدنا أنه لا يمكن تحقيق هذه الفكرة فى السنوات العشر أوالعشرين القادمةاذا ماأصر المربون بتلك الدول على السير وفق نسبة المدرس الواحد الى عدد التلاميذ الذين يقوم بتدريسهم التى تسير عليها الدول المتقدمة وأصروا على الحصول على مدرسين من نفس النوع المتوافر فيها . يضاف الى هذا أنه ينبغى على الدول النامية أن تضحى ببعض الشىء بالكيف فى سبيل الحصول على الكم أثناء حملتها للقضاء على الامية .

ويتبع ذلك أن تقوم الدول النامية بالتركيز على التوصل الى أساليب جديدة فى التعليم الابتدائى يمكن استخدامها بفاعلية بواسطة عدد كبير من المعلمين من الحاصلين على مؤهلاتمتوسطة وتحت اشراف جماعة من المشرفين الفنيين ونظار المدارس المدربين تدريبا عاليا . ويشكل تطبيق الاساليب التعليمية الحديثة والوسائل التعليمية المختلفة والتعليم المبرمج والتعليم عن طريق الراديو والتلفزيون والمناهج والكتب المبسطة ، يشكل كل هذا تحديا حقيقيا أمام الدول النامية . ولا شك أن اكتشاف أساليب جديدة لتنظيم التعليم الابتدائى والتدريس فيه سوف ينال عناية بالغة من السياسيين والمخططين والمربين والخبراء اذا ما فهموا الوضع على حقيقته وفى ضوء المطالب المتعددة للتنمية .

ان الغرض الاساسى من التعليم الابتدائى هو تخريج أطفال محيت أميتهم وأن يصبحوا اكثر قدرة على المواطنة الصحيحة فى المجتمعات التى تسير فى طريق التحديث . ولا ينبغى أن يكون هذا التعليم تعليما حرفيا ، وهو أمر يتفق عليه المربون فى الدول النامية والدول المتقدمة . ولكنه ، مع ذلك ، ينبغى أن يوفر وسيلة لاختيار الاطفال للالتحاق بالتعليم الثانوى .

ان التعليم الثانوى هو المخزن الحقيقى الذى يخرج طلابا للتعليم فى المنشآت التعليمية العالية والذين يشكلون القوى البشرية المدربة تدريبا عاليا فى المستقبل . وعلى ذلك فحجم التعليم الثانوى ونوعيته أمور أساسية فى تشكيل رأس المال البشرى . وتحتاج الدول النامية فى التعليم الثانوى الى نظم وأساليب جديدة فى تنظيمه وفى التدريس فيه تماثل ما تحتاجه فى التعليم الابتدائى . ولكن الفرق بينهما يقع فى ضرورة توفير تعليم ثانوى مرتفع النوعية حيث ان خريجيه يعدون الاساس للقوى البشرية المدربة تدريبا عاليا .

استراتيجية وتنمية

ويثير التعليم الفنى على المستوى الثانوى مشكلات معينة . فهو مكلف بالحصول على مدرسين أكفاء فيه أمر صعب . وقد انفقت كثير من الدول النامية أموالا كثيرة على انشاء مدارس فنية . وكثير من الدول تسير على أساس أن من لا يصلح للتعليم الثانوى الاكاديمى يحول للتعليم الفنى ، ومن ثم تصبح هذه المدارس ماوى لغير الاكفاء من الطلاب . ويزيد الطين بلة سوء نوعية التعليم الذى يقدم فى تلك المدارس وعدم اعداد الطلاب بها للاعمال التى يلحقون بها فيما بعد .

أما وظائف التعليم العالى فى الدول النامية فتتلخص فى : اعداد الاشخاص لمراكز

القيادة فى المجتمعات التى تسير فى طريق التحديث . وتوفير القوى العاملة المدربة تدريبا عاليا . وتدرك الدول النامية أهمية التعليم العالى ، ومعظمها على استعداد للصرف عليه ، ولكن كثيرا منها يسير بذلك التعليم سيرا خاطئا . فمن المعقول أن توفر الدول النامية ذلك التعليم لحوالى ٢٠ فى المائة ممن يتمون التعليم الثانوى . ولكن هناك اسئلة هامة ينبغى ان تدور فى اذهان القائمين على ذلك التعليم فى تلك الدول من أهمها نسبة عدد الطلاب الذى ينبغى ان يتموا ذلك التعليم ونسبة الذين ينبغى ان يتموا المرحلة المتوسطة منه » ونسبة من يركزون على الدراسات التكنولوجية ونسبة من يركزون على الدراسات الاكاديمية « وعدد الطلاب الذى ينبغى أن يدرسوا فى البلد وعدد الذين ينبغى أن يدرسوا فى الخارج ؛ ففى كل دولة نجد حلولا تخضع أحيانا للتحليل المنطقى وتخضع أحيانا للوضع السياسى .

وقد تنبع الحلول المنطقية من تحليل القوى العاملة . وقد يقضى هذا التحليل بأن يوجد من ٢ ـ ٤ طلاب يدرسون فى المرحلة المتوسطة من التعليم العالى فى سنتين الى ثلاث سنوات بعد انتهاء الدراسة الثانوية بالنسبة لطالب واحد يحصل على الدرجة الجامعية فى أربع الى ست سنوات . كما يقضى بأن الدولة التى تسير فى طريق التنمية السريعة تهتم بالتصنيع وتحديث الزراعة ان يهتم نصف عدد طلابها فى المرحلة الوسطى والكاملة من التعليم العالى بالمواد العلمية والهندسية والطب والزراعة والطب البيطرى والصيدلة ، وأن يهتم نصفهم الاخر بمواد اعداد المعلمين والقانون والاداب والعلوم الاجتماعية وادارة الاعمال .

ومن الوجهة الاقتصادية ينبغى أن تقوم كل دولة نامية بانشاء المنشآت التعليمية العالية التى تكفى عدد الطلاب فى المرحلة المتوسطة منه ، وأن ترسل عددا كبيرا من الطلاب للحصول على درجات علمية فى الخارج وذلك حتى تصبح الدولة فى وضع اقتصادى يمكنها من انشاء جامعة او جامعات من الدرجة الاولى دون ان يخل ذلك بالتزاماتها نحو التعليم الثانوى والتعليم العالى على مستوى المرحلة المتوسطة .

وقد يجد رجال السياسة صعوبة فى قبول مثل هذا البرنامج للتعليم العالى حتى ولو كان قائما على تحليل منطقى للقوى العاملة وحتى ولو ثبت انه البرنامج الاسرع والاقل كلفة لتخريج قوى عاملة مدربة . وأسباب ذلك واضحة . فكلما زاد عدد خريجى المدارس الثانوية حدث ضغط من الاباء والطلاب للمطالبة بأماكن فى المنشآت التعليمية العلية . ومادامت الدرجة الجامعية تحدد الى حد كبير بداية المرتبات للوظائف المرموقة « بصرف النظر عن المواد التى درسها الطالب فان الطلاب لا يرغبون فى الالتحاق بالمرحلة الوسطى من التعليم الجامعى . ومادام توفير التعليم العالى ذو أهمية بالغة لمستقبل رجال السياسة ، لذلك نجد التعليم العالى يقبل اعدادا أكبر من حاجة التنمية فى التخصصات غير العلمية لان نفقات اعداد طالب فى الهندسة أو العلوم تعادل ثلاثة أو أربعة امثال اعداد طالب فى الحقوق أو الاداب . يضاف الى هذا كله ان الدول النامية تسعى الى انشاء جامعات لانها علامة من علامات الفخامة والتحديث اكثر من انشاء معاهد تكنولوجية أو كليات للاداب والعلوم على المستوى الجامعى المتوسط . كما أن ارسال الطلاب للدراسة فى الدول الاجنبية مازال يقابل بكثير من النقد على أساس انه يتعارض مع الاستقلال الاقتصادى والسياسى للدول النامية .

تنفيذ الاستراتيجية

يتطلب وضع الاستراتيجية تخطيطا متكاملا لا تخطيطا مستقلة اجزاءه بعضها عن بعض . كما يتطلب تنفيذها نشاطا متناسقا . ونظرا لان مشكلات القوى البشرية تهم كثيرا من الوزارات فان برنامج تنمية القوى البشرية ينبغى تنفيذه بواسطة لجنة مشتركة من بين الوزارات . على اللجنة القيام بالوظائف الرئيسية التالية :

- التنسيق بين المعونات الفنية التى تتضمن مشروعات لتنمية القوى البشرية والموافقة عليها .

- تحديد الاولويات فى استراتيجية تنمية القوى البشرية ، واستمرار اعادة النظر فى تلك الاولويات .

- تقويم مشكلات التنمية البشرية عن طريق تحليل القوى البشرية بين فترة وأخرى

- احداث تكامل بين استراتيجية تنمية القوى البشرية وغير ذلك من خطط التنمية الاقتصادية والسياسية للبلاد .

- اختيار وتصميم مشروعات البحوث النافعة فى تكوين وتنفيذ وتقويم استراتيجية تنمية القوى البشرية ■

حـــــوار فلســـــفى
فى القـــــاهرة [١]

د. محمد عامر *

صدر منذ أكثر من عام عن دار الثقافة الجديدة القاهرية كتاب « محاورات فلسفية فى موسكو » للدكتور مراد وهبه . وكان من الطبيعى أن يكون صدوره مثيرا لحوار فلسفى فى القاهرة حول المشكلات المطروحة فيه . لكن يبدو أن حياتنا الثقافية ليست من الحيوية بما يكفى لان تستجيب بسرعة . وهذا يفرض علينا جميعا أن نبذل جهدا أكبر . وفيما يلى محاولة أسهم بها فى هـــذا الجهد .

يكفى الكتاب أهمية أنه يبدد وهما شائعا عند انصار الفلسفة الماركسية وأعدائها على السواء . هو — من وجهة نظر الانصار — ان هذه الفلسفة قد توصلت منذ مدة الى « المبادىء » و « القوانين » الاساسية الصحيحة الثابتة « الى اجل غير مرئى نهايته على الاقل » وليس على الماركسيين الا شرحها وفهمها وتطبيقها وتفسير كل الظواهر فى اطارها ، اما تجاوزها او حتى تطويرها فأمر غير وارد «فى المستقبل المرأى على الاقل» . او هو — من وجهة نظر الاعداء — أن الفلســـفة الماركسية « قد تحولت الى » دوجما ، أو معتقد ، يتوارثه خلف عن سلف محاولات فهمه وشرحه واستخدامه وحشد مزيد من الادلة على صحته ، ولو بالانتقاء، ولو بلى الذراع . لكنه ابدا لا يحاول تطويره او تعميقه أو اعادة النظر فيما تجاوزه منه الزمن .

يسهم فى تكريس هذا الوهم — الذى لا نجد له اساسا فى اعمال المؤسسين الاوائل — عدد من الكتب التى تتصـــدى لشرح الفلسفة المـاركسية

والدفاع عنها ، مثل كتاب افانا سييف « الفلسفة الماركسية » وكتاب « المادية الديـــالكتيكية » الذى ألفه جماعة من الاســـاتذة السوفيت وأصـــدرت ترجمة عربية له دار الجماهير الدمشقية . وتأتى المحاورات «٢» لتوضح لنا أن الاوساط الفلسفية السوفيتية تبحث وتناقش الفلسفة الماركسية . وأن البحث يتعرض — فيما يتعرض — للمبادىء اليك هذا جزء من الحوار « ص ٨٧ » :

وهبه — أليس من شأن هذه الالتفاتة ان تحدث تعديلا فى بعض المبادىء الماركسية ؟ »

---

* مدرس بقسم الرياضة — بكليـــة علوم القاهرة

[١] أشكر « الطليعة » على نشرها مقالى هذا . هذا النشر لايعنى ابدا ان « الطليعة » توافق على آرائى او انى أوافق على آرائها فى اى موضوع من الموضوعات .

[٢] للايجاز بدلا من « محاورات فلسفية فى موسكو»

يدف – « ليس ثمة مانع من أحداث هذا التعديل اذا لزم الامر • » غير أن فتح باب التعديل – وان كان يحمى من الجمود لا يفضى الى طريق واحد انه يفضى الى عدة طرق ، نذكر من بينها طريقين أساسيين :

طريق التطور
وطريق التحلل

والتمييز بين الطريقين ليس دائما بالامر السهل • خاصة وان الفلسفة الماركسية مرتبطة بالثورات السياسيه والاجتماعيه ، وهذه الثورات مرتبطة بالمصالح ، وفى سبيل المصالح كثيرة ما يستباح كثير من الحرمات .

بعد هذه المقدمة سأتناول بعض ما جاء فى المحاورات بالتعليق . وسأحاول أن أوجز قدر الامكان ، على أن افصل فيما بعد ما قد يستدعى تطور الحوار تفصيله .

هل العلم نسق مغلق ؟

فى حواره مع ملفيل يقول وهبه «ص ١١» « وهل فى الامكان التوفيق بين الطابع الديالكتيكى للعلم ، وبين العلم من حيث هو نسق ، أى مذهب مغلق » ؟

يبدو أن هنا خلطا بين العلم وبين نظرية علمية ما . لناخذ علم الفزياء كمثال . كانت هناك نظرية ميكانيكا نيوتن القائمه على نسبية جاليلو ، وكانت هناك بعض المشاهدات التى لا تتفق مع حسابات هذه النظرية ، لكن العلماء لم يجدوا فى هذا سببا كافيا للبحث عن نظريه جديده • وجدت فى النصف الثانى من القرن الماضى مشاهدات اضطرت العلماء الى اعادة النظر فى النظرية فكانت نظرية النسبية الخاصة لاينشتين . ومع دورة القرن بدا اكتشاف الجسيميات التى تتكون منها الذرات ، ولوحظ ان حركة هذه الجسيمات لاتتفق مع نظرية ميكانيكا نيوتن القائمة على نسبية جاليلو أو القائمة على نسبية انيشتين ، فكانت نظرية ميكانيكا الكم •. يمكن اعتبار كل من هذه النظريات نسقا مغلقا . أما علم الفزياء فهو ليس هذه النظريه أو تلك ، انما هو كل هذه النظريات وما سبقها وما واكبها وما استجد أو سيستجد بعدها • وعليه فعلم الفزياء ليس نسقا مغلقا وانما هو شبكة مفتوحة من الانسقة المغلقة .

الصفر

فى حواره مع وهبه يستعرض نارسكى آراء ليبنتز وهيجل وماركس فى تعريف الصفر و « مشكلة ديالكتيك الصفر » . والحقيقة انى لم أستطع فهم هذه المشكلة • ويبدو لى أنها شبه مشكلة . أو مشكلة زائفة ، على حد قول المناطقة الوضعيين .

جاء فى ص ٢٥ « فليبنتز يعرف الصفر بأنه تصور خيالى يستخدم كعملية رياضية • Operared ficrion » وفى رأى نارسكى أن تعريف ليبنتز هذا قريب من الصواب . بيد أنه يأخذ على ليبنتز عدم توفيقه فى تعريف الصفر فى مجال الميتافيزيقا .. « ٣ » ما المقصود بتعريف الصفر فى مجال الميتافيزيقا ؟ وهل هناك عدة مجالات فى كل منها تعريف للصفر ؟ ما هى هذه المجالات ؟ وما هو المجال الذى اعتبر نارسكى أن تعريف ليبنتز للصفر فيه قريب من الصواب ؟

وجاء ايضا فى نفس الصفحة « اماهيجل فيرى ان الصفر يطوى على تناقض ، اذ هو من جهة ليس لا شىء ، ومن جهة اخرى ليس شيئا ما » . وبناء على هذا « يقرر نارسكى أن هيجل كان موفقا فى فهم ديالكتيك مشكلة الصفر » . يبدو لى ان الذى ينطوى على تناقض هو فهم هيجل وليس الصفر . فالامر ببساطة فى « الصفر ليس شىء » صواب وان « الصفر ليس شيئا ما » خطأ

وجاء فى ص ٢٦ « أما ماركس فقد حالفه التوفيق فى حل مشكلة الصفر على حد قول نارسكى ، اذ قد طرحها على انها تقع بين قضيتين :

القضية الاولى ، الصفر كمية حسابية .

والقضية الثانية ، الصفر ليس كميه حسابية • بيد أن ماركس يرفض أن يرفع التناقض على نمط هيجل .. « فماركس قد » طرح حلا جديدا لمشكلة ديالكتيك الصفر حين ارتاى أن الصفر ليس كمية انما » •.

[٣] المعروف لدى الرياضيين ان الصفر لايستخدم كعملية رياضية ، ولكن يمكن القول بانه يستخدم فى العمليات الرياضية .

اذا كان الصفر ليس كمية ، فبالاحرى أن الصفر ليس كمية حسابية ، وبالتالى فالقضية الثانية صادقة والاولى كاذبة ، ولا يبقى هناك تناقض حتى يرفعه ماركس أو غير ماركس .

الصفر مفهوم « أو كيان » رياضي مجرد ، مثله فى هذا كمثل الواحد أو الاثنين او المائة . وبالرغم من أن التوصل الى هذا المفهوم كان أشق على الفكر البشرى من التوصل الى الواحد مثلا ، فهو يعالج الآن فى اطار نظرية الاعداد مع غيره من الاعداد الطبيعية ، واحد ، اثنان ، ثلاثة .. ولا يسبب مشكلة خاصة به « من الخطأ الظن ان الواحد « مثلا » عينى ملموس وليس مجردا . فما نراه ونلمسه ليس الواحد وانما كتاب واحد او كرسى واحد أو شجرة واحدة .. »

معضلة السهم المتحرك

تتعرض المحاورات لهذه « المعضلة » فى موضعين . جاء فى أولهما « ص ٢٦ ، ٢٧ » « ثم يطرح نارسكى مثالا آخر يكشف فيه عن خطأ هيجل فى النظر الى التناقض الصورى على أنه تناقض ديالكتيكى معضلة « السهم المتحرك » [١] .

فى هذه المعضلة يطرح هيجل قضيتين :
فى كل لحظة النقطة المادية ساكنة .
وفى كل لحظة النقطة المادية متحركة .

ثم يخلص من هاتين القضيتين الى النتيجة الاتية :

فى كل لحظة النقطة المادية ساكنة ومتحركة فى نفس الوقت .

وخطأ هيجل هنا أن النتيجة وصف للمعضلة وليست حلا لها ، .. «٤»

وعندى ان خطأ هيجل يكمن فى تصوره ان هناك معضلة أصلا . فالقضيتان اللتان ينطلق منهما لا تصدقان معا . وبالتالى لا يحق له ان يخلص الى نتيجته التى اعتبرها حلا واعتبرها نارسكى وصفا .

بيد أن خطأ هيجل مفهوم . فالمعضلة رغم أنها ترجع الى زينون الايلى الذى عاش تقريبا بين عامى ٤٩٠ ، ٤٣٠ قبل الميلاد ، لم تبدأ تجد طريقها الى الحل الا منذ نحو ثلثمائة عام ، مع ظهور النظرية الرياضية لحركة الاجسام : ميكانيكا نيوتن . وميكانيكا نيوتن تقوم على التفاضل والتكامل والاعداد الحقيقية . وحتى اوائل القرن التاسع عشر كان الاعداد الحقيقية غامضا وكان التفاضل والتكامل اقرب الى الحساب منه الى النظرية . وكانت طرق هذا الحساب متضمنة تناقضات منطقية « صورية » واضحة . وهذا يفسر وقوع هيجل « ١٧٧٠ ــ ١٨٣١ » فى الخطأ القائل بأن الحركة الميكانيكية تنطوى على تناقض صورى .

لكن الاحوال لم تلبث أن تحسنت . فقد شهدت الفترة بين ١٨٢١ و ١٨٧١ قيام نظرية للاعداد الحقيقيه ونظرية للتفاضل والتكامل خاليتين من التناقضات المنطقية « الصورية » المعروفة . وبهذا قامت نظريه حركة الاجسام على أساس رياضي سليم . اذا ما بحثنا على ضوء هذه النظرية معضلة السهم المتحرك او غيرها من معضلات زينون لوجدنا انها معضلة وهمية قائمة على فهم خاطىء للزمن والمكان والحركة

اذا كنا نحترم العلم فسنقبل هذا . وبالتالى ننظر الى هذه المعضلة على أنها معضلة تاريخية وبحثها فى هذا الاطار ، وليس ابدا على انها معضلة معاصرة . وأغلب الظن عندى أن انجلز « ١٨٢٠ ــ ١٨٩٥ »لو كان على دراية بعلوم عصره لاتخذ هذا الموقف ولما تبع هيجل ووقع معه فى نفس الخطأ .

من هنا يأتى عجبى من حوار وهبه نارسكى « ص ٢٦ ، ٢٧ » وحوار وهبة ــ بجمولف « ص ٤٠ ــ ٤٣ » حول هذه المعضلة لانهم يتجاهلون تماما هذه التطورات العلمية . والذى يزيد من هذا العجب ما جاء فى ص ١٥ من أن خلاصة مناقشة فلاسفة السوفيت لاشكال الحركة ، كما تصورها انجاز هو « ان مفهوم انجاز للحركة ليس دقيقا»!

ترى هل النقاش الذى دار حول هذه المعضلة من مجله « علوم فلسفية » عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ قد تجاهل هده التطورات العلمية هو الاخر ؟

المنطق الصورى

جاء فى ص ٣٥ أن نارسكى يرى أن المنطق الصورى « يستند الى مبادىء ثلاثة : الهوية وعدم

---

[٤] جاء فى المحاورات الهامش التالى « [١] نوقشت هذه المعضلة فى مجلة « علوم فلسفية » عام ١٩٦٣، ١٩٦٤ . وهى مجلة تصدر فى موسكو.»

التناقض والثالث المرفوع » . وقد يكون من الممكن قبول هذا اذا فهمنا المنطق الصورى على أنه المنطق الارسطى . وقد كان صحيحا حتى منتصف القرن الماضى . لكن المنطق الارسطى ليس الان سوى قطره فى بحر المنطق الصورى .

مرة اخرى ، لماذا تجاهل تطور العلوم ؟ « ومن الجدير بالذكر ان من الفلاسفة السوفيت من يشاركنى فى ملاحظه ان بعضهم يتجاهل هذا التطور . ففى ص٤٦ يقول بجمولف عن الينكف انه «لا يتصور المنطق الصورى الا على أنه المنطق الارسطى ، وليس على انه المنطق الحديث » . والذى يدعو الى العجب أن يجرى هذا وفى الاتحاد السوفيتى اساتذه يطورون المنطق ويدرسونه ،وقد درس عليهم بعض اساتذة المنطق الرياضى بالجامعات المصرية .

مصادرة التوازى

نقرأ فى أول ص ٤٤ وهنا يضرب بجمولف مثالا بهندسة اقليدس حيث تنطوى المصادرة الخامسه المسماه بمصادره التوازى على تناقض . » مصادره التوازى تنطوى على تناقض ! وهذا مالم اسمع ان رياضيا قد قاله منذ اقليدس حتى الان . لماذا تنطوى هذه المصادرة على تناقض « يأتينا الجواب فى نفس الصفحة « والتناقض الكامن فى هذه المصادره مردود الى أن نقيضها لايتنافى مع بقية المصادرات » . لكن الذى يعرفه الرياضيون أن « نقيضها لا يتنافى مع بقيه المصادرات » لا ينتج عنهما ما تدعيه المحاورات ، وانما ينتج عنهما ان المصادرة الخامسه مستقلة عن بقيه المصادرات . ولا باس فى هذا . ولكن يوافق الرياضيون على الادعاء بأن هناك تناقضا ناجما عن اضافه مصادرة التوازى الى بقيه المصادرات ، فعلى المدعى أن يثبت أيضا أن « نقيضها يمكن اثباته من بقية المصادرات » وليس فقط أن « نقيضها لا يتنافى مع بقية المصادرات » .

كل الحكاية ان المهتمين بالهندسة الاقليدية وجدوا أن مصادرة التوازى ليست بوضوح وبساطة غيرها من المصادرات ، فقالوا ، أحرى بها أن تكون مبرهنة لا مصادرة . ولهذا — وليس أبدا « لرفع التناقض » كما تقول المحاورات ص ٤٤ — فقد حاولوا اثباتها انطلاقا من بقية المصادرات . وقد فشلت هذه المحاولات فى الوصول الى مرماها . لكنها أدت فى العقد الثالث من القرن الماضى الى اكتشاف الهندسات اللااقليديه ، ومن ثم الى التوصل الى أن نقيض مصادره التوازى لا يتنافى مع بقية المصادرات ، ومن هذا ينتج أن مصادرة التوازى مستقلة عن بقيه المصادرات ، وبالتالى لا يمكن اثباتها انطلاقا منها . وهكذا انتهت هذه المحاولات .

الاحتمالات والتناقض

جاء فى ص ٤٥ أن تطبيق مبدأ عدم التناقض يقف عند حد معين ، هو الحد الصورى . وجاء أيضا أن « العلم المعاصر » فى رأى بجمولف«يبرر هذا الحد ، والمثال على ذلك حساب الاحتمالات حيث امكان صدق النقيضين » .

لعل بجمولف يقصد منطق الاحتمالات . فى هذا المنطق يمكننا ان نقول ان جملة ما صادقة اذا كان احتمالها يساوى واحدا لكن من المعروف فى هذا المنطق أن مجموع احتمالى النقيضين يساوى واحدا . وبالتالى لا يمكن أن يكون احتمال كل منهما مساويا واحدا . أى لايمكن أن يصدق النقيضان معا .

التناقض والنظريات الرياضية :

جاء فى آخر ص ٥٠ أن جورسكى قد قال«من المعروف أن الرياضيات ترفض اقرار التناقض ، سواء بين النظريات أو النظرية الواحدة » الشق الاخير صحيح ، فالرياضيات ترفض اقرار التناقض فى النظريه الواحدة . واذا اكتشف تناقض فى نظرية رياضية ما فان هذا يكفى لاسقاطها أو اعادة النظر فيها . أما الشق الاول فغير صحيح . فهناك مثلا ، تناقض «٥» بين نظرية الهندسة الاقليدية وأى من نظريات الهندسة اللا اقليدية ، وكلها نظريات رياضية كاملة الاهلية ، تقرها الرياضيات والرياضيون،كما تقر ويقرون العلاقات بينها .

هل تكفى هذه التعليقات لاذكاء الحوار « أرجو ذلك . ■

---

[٥] بمعنى أننا اذا اضفنا مصادرات نظرية الهندسة الاقليدية الى مصادرات أى من نظريات الهندسة اللااقليدية لحصلنا على نظرية متناقضة .

حـــــواء

صـــــانعة القيـــــم

انجى أفلاطون *

هذه السطور اقرب ماتكون الى اقوال شاهدة على زمنها ، فى بلادها ، تدلى بتجربتها الحية كما عاشتها ، سواء فى الخلق الفنى ، أو فى النضال الوطنى ، فى الثلاثين سنة الاخيرة من عمر مصر .. وسأبدأ بصورة موجزة لمصر فى الفترة التى ولدت فيها ، وترعرعت ، وعلى الاخص **منذ غداه الحرب العالمية الثانية** ، ثم كيف صارت الاحوال فيهـا **بعد الثورة فى سنة ١٩٥٢.**

لقد كانت **مصر فيما قبل الثورة** منقسمة الى عالمين متميزين ومتقابلين تماما : فهناك **عالم من يملكون** ، من الاثرياء الاجانب وكبار ملاك الارض المصريين وحفنة من الراسماليين الذين ترتبط مصالحهم بالاجانب . وتعيش هذه الطبقة فى الترف والبذخ ــ على النحو الذى أجاد تصويره داريل فى رباعيته عن الاسكندرية ومن الطبيعى ان يتقبل افرادهـا السيطرة البريطانية التى كانت سندا لبقـاء امتيازاتهم وهناك فى مقابل ذلك **عالم الفقراء** من ابنـاء الطبقة الكادحة ، ومنهم اقليـة من عمـال الصناعة ذوى الوعى والتنظيم ، وسـائرهم اغلبية عظمى من الفلاحين المستنزفين باستغلال الطبقة الثرية . والى جـوارهم البورجوازية الصغيرة من سكان بنادر المدن وقرى الريف . وهى شبيهة فى احوالها بالعمال والفلاحين . وفيما بين هذين العالمين تقـوم الحواجز التى **تمنع تداخلهما .**

وقد ولدت شخصيا فى اسرة من كبار الملاك المتفرنجين ، وبالتالى كنت بحكم مولدى أنتمى الى أول هذين العالمين . وما ان ايفعت حتى ضقت بهذه الاوضاع ، ولم استسلم لما ينبنى عليها من القيم . فقد صدمتنى ــ بل وروعتنى .. الفروق الهائلة بين دنيا الاغنياء ودنيا الفقراء، بين البذخ الوقح المتبذل المـاجن الذى يعيش فيه الفريق الاول ، والفاقة المهينة التى يتمرغ فيها الفريق الثانى . **وتبـدى تمردى أول الامر فى صورة رفض تـام للمجتمـع المصرى** على نحو ماكان موجودا يومئذ ، فانسلخت عن ابناء بيئتى من الشـباب ، تاركة لهم شـــواغلهم السطحية التافهة . **وكونت وانا طالبة بالليسية الفرنسية بالقاهرة ــ حيث تشـبعت بافـكار الفلاسفة الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، وبأفـكار الثورة الفرنسية الكبرى ــ جماعة صغيرة من الطالبات الثوريات وأخذنا نبحث عن مجتمع أوفر حرية و عدلا .**

وعلى صعيد فن الرسم ، الذى احسست نحوه بولاء وشغف شديدين منذ يفاعتى ، أدى تمردى الثورى على الاوضاع الاجتماعية الى مشايعتى للمدرسة **السيريالية** ، فكانت اللوحات حافلة بالالوان الصارخة والاشـكال الناطقة بالعذاب ، وبمواكب من الاشـجار والنباتات المحمومة ... فبلاوعى منى كانت السيريالية نفيا وانكارا للواقـع الذى كنت ارفضـه ، وتحررا كاملا منه . وتتلمذت فيها **للرســام التقدمى كامل التلمسانى** ، وصرت عضوا فى جماعة طليعية كان اسمها : « **الفن والحرية** » واسهمت ابتداء من سنة ١٩٤٢ فى معارضها ..

وكان مسلكى هذا اسهاما ايضا فى مجال كفاح المرأة المصرية فى سبيل حريتها ، أو لم يكن بمصر فى ذلك الحين الا عددا محدودا جدا من الرسامات المحترفات .

---

* القت انجى افلاطون ، الفنـانةالتشكيلية المعروفة ، هذه المحاضرة فىالسوربون فى مايو الماضى ، بدعوة من نادى القلم الدولى ، بمناسبة السنةالعالمية للمرأة .

ويتبقى أن نذكر أن هذه الاونة كانت اثناء الحرب العالمية الثانية ، التى اشتركت فيها الروسيا فى جانب الحلفاء ضد المحور ، **فبدأت المطبوعات الماركسية باللغتين الانجليزية** سواد الشعب المصرى . وهكذا وقعت فى **القاهرة** ، ووصلت الى قوات الحلفاء فيها ، والى القلة المحظوظة من المصريين ذوى الثقافة الاجنبية ، ولكنها لم تتمكن من الوصول الى سواء الشعب المصرى . وهكذا وقعت فى يدى بواكير تلك الكتب الماركسية ، **وبدأ اتصالى بالطبقة المثقفة « الانتلجنسيا » اليسارية، وبدت لى الاشتراكية الحل العادل والعقلانى** للمشكلات التى تثيرها المفارقات والقلاقل الاجتماعية فى مصر . وبذلك اكتسبت حياتى بعدا جديدا ، هو بعد الكفاح السياسى .

وهكذا تم انتقالى من معسكر الى معسكر آخر تماما .

بيد ان هذا لم يكن أمرا سهل الحدوث . فلئن توفر لى كل مايلزمنى للابتعاد عن البيئة التى ولدت فيها ، فلم يكن من السهل اطلاقا ان اتعرف على ذلك العالم الاخر ، الذى هو مصر الواقعية ، ولا كان من اليسير ان اجعل هذا العالم يتقبلنى ليتم تكاملى معه .

وهذا ماصار مهمتى الطويلة الشاقة منذ سنة ١٩٤٥ ، بحثا عن وطنى وعن شعبى ، بل وعن لغتى القومية « **لاننى حتى السابعة عشرة لم تكن لغتى الاولى سوى الفرنسية** » .

واتخذ هذا البحث الدائب الطويل الشاق شعبتين : العمل السياسى والخلق الفنى . وبذلك **واجهت تناقضا مزدوجا : تناقضا بين طبقتى الاصلية واختيارى الايديولوجى ، وتناقضا بين نشاطى السياسى ومهنتى كرسامة .**

وعلى الصعيد السياسى اشتركت فى مجموع الانشطة السياسية والثقافية والنسوية التى تركت اثرا لاينكر على وجه مصر الحديثة . وعشت هذا النضال بكل قوتى فى السنوات الحاسمة التى ادت الى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وكانت حركة التحرر الوطنى قد اتخذت منذ ١٩٤٥ لها بعدا جديدا ، فلم يعد الاستقلال الوطنى هدفا كافيا ، بل انضاف اليه هدف آخر هو العدالة الاجتماعية ، لتحرير المواطنين رجالا ونساء اسوة بتحرير ارض مصر . **وقمت بتمثيل نساء مصر نيابة عن هذه الحركة الجديدة فى أول مؤتمر نسائى عقد بباريس فى نوفمبر ١٩٤٥** ، حيث انشىء اول اتحاد ديموقراطى عالمى للنساء . وكان لذلك اثره البارز فى حياتى ، انا الطالبة الناشئة ، حيث التقيت فى باريس بمندوبات من العالم كله وبشخصيات نسائية بارزة وبمناضلات ضد الفاشية وببطلات جليلات .

وعند عودتى الى القاهرة قبض علينا لبضع ساعات وصودرت كل مطبوعات المؤتمر بسبب خطبة القيتها فى باريس نددت فيها « بخيانة الحكومة المصرية لحساب الامبريالية البرطانية »

وتكونت أول لجنة ديموقراطية من الفتيات المصريات ، ومعظمهن من طالبات الجامعة ، ومعهن مثقفات وعاملات فى صناعة النسيج . وصدر أمر بتحريم اللجنة ، فى يوليه ١٩٤٦ ، فواصلت عملها سرا ، منتحلة اسما جديدا كلما صدر ضدها قرار بالحل والتحريم .

وفى سنة ١٩٤٩ صدر كتابى « نحن النساء المصريات » متضمنا نقدا عنيفا لوضع المرأة فى المجتمع المصرى ، مبينة ماتعانيه المرأة العاملة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

وفى ١٩٥٠ ، على اثر أول مؤتمر عالمى للسلام ، أسهمت فى تكوين « اللجنة المصرية للسلام » . وعند صدور أول بيان لها قبضت علينا النيابة وحققت معنا ثم أخلت سبيلنا . واعترفنا بالاتهام ، لاننا فعلا نريد السلام ، ولان جلاء القوات البريطانية المحتلة عن قواعدها فى مصر مرتبط أوثق ارتباط بالسلام العالمى .

وبهذا البعد العالمى الجديد تأيدت مشاعرنا فى نضالنا ، لاحساسنا بأهمية التضامن العالمى .

وبعد ثورة ١٩٥٢ بدأت مرحلة جديدة أشد تعقيدا وغموضا .. فقد كانت هذه أول مرة تتسلم حركة عسكرية تقاليد السلطة ، وتتجه الى اليسار فى طريق تقدمى لمصلحة المجتمع . ولكن كان لابد من وقوع سوء تفاهم بين قادة النظام الجديد ــ متأثرين بروح العداء للشيوعية التى تفشت وتأصلت منذ ١٩١٧ ، وبين انتلجنسيا اليسار المتحيزين ضد العسكريين. ومن هنا نشأ ذلك الصراع الماسوى الخفى بين قوى وطنية وتقدمية ، ومن ثم ايضا ذلك الموقف المتناقض فى بلد يجمع بين الانتقاض على الامبريالية وبين كبح عنيف وعلنى لليسار .

وفى هذه الفترة تبلج أمام ناظرى التناقض بين لوحاتى السيريالية وبين حياة المناضلة النسوية والتقدمية ، فهذا موقف على يعبر عنه تصوير الاحلام والاشباح واستدبار الواقع المصرى الذى يجتذبنى أكثر من أى وقت مضى . فتوقفت عن الرسم سنتين كاملتين ، ثم فجأة وجدت طريقى : هناك فى الريف وفى حياة الفلاحين ، حيث رحت من خلال الرسم ابحث عن مصر الحقيقية . فارسيت حامل الرسم لاسابيع متوالية فى مناطق جديدة من دلتا النيل ، أو من الصعيد . ورحت انتقل من بيت فلاحين الى بيت فلاحين ، لاكتشف من خلال رسومى روح الشعب الحقيقية الواقعية ، وطبعه الاصيل الابى ، ومنابع قوته ومقاومته لاجيال من الفاقة والعبودية . وكانت النساء هناك يثرثرن معى وهن يعملن ، وانا ايضا اعمل ، لان الفلاحة المصرية لايمكن ان تسمح

لنتسها بأى تكاسل أو فراغ من العمل فى مهامها الكثيرة .. وهكذا عرفتهن وفهمتهن ومثلتهن فى أعمالى .. وكنت اذهب الى الحقول منذ بكرة الصباح مع العمال الزراعيين ، ولاسيما النساء العاملات فى جنى القطن تحت الشمس المحرقة ، أو فى تقشير الذرة ، أو وهن يتسلقن أشجار البرتقال . وانصرف للرسم على ايقاع عملهن الدائب حتى موعد عودتهن عند غروب الشمس الى دورهن ، فكان جدهن فى العمل ، وصبرهن ، ومرحهن الذى لا مثيل له يلهب حماستى كالسياط ، ويشجعنى على تحمل وقدة الحر والتعب ،وبذلك كن مصدر الهام لاينضب له معين .. وصارت البيئة بهوائها الطلق ونورها المشرق الوضاح مع البساطة والصفاء النفسى جزءا لايتجزأ من تعبير لوحاتى .. **وكان اكبر انتصار لى ليس انفصالى عن شباب بيئتى الاصلية السطحى اللاهى** — فما كان ايسر هذا على ! — بل هو تذليل الصعاب التى كانت تعترض تكاملى مع هذا العالم الشعبى الريفى ، وتقبله لشخصى انا الغريبة عنه بحكم مولدى وانوثتى. ولقد اقتضى ذلك منى سنوات طويلة من الجهود المتصلة يوميا للقضاء على ارتياب هذا العالم الشعبى وسوء ظنه وعدم ثقته بتلك الارستقراطية .. واشد مقاومة وجدتها من ابناء البورجوازية الصغيرة الذين رمونى أول الامر — ولاسيما المناضلون منهم — بالنزوة والهواية وحب الظهور ، ولكنى كسبت احترامهم وتقديرهم آخر الامر كمناضلة حقيقية بين صفوفهم ، رغم انتفاء الدوافع الطبقية التى هى دوافعهم اساسا ، بالاضافة الى اننى امراة.

وكنت أعلم سلفا الى اى مدى يتعرض المناضلون اليساريون للاضطهاد والمصادرة ، ولكنى وطنت نفسى على أن **السجن سيكون هو المحك الحقيقى لروحى النضالية واخلاصى وتكاملى مع هذا العالم العريض الذى اخترته ايديولوجيا . وخضت بالفعل هذه التجربة فى اسوأ سنوات الاضطهاد لليسار الشيوعى فى مصر ، مابين ١٩٥٩ ، ١٩٦٣ .**

والحق أن الاختلاط فى السجن بين المسجونين السياسيين ومسجونى القانون العام جعلت من السجن — على آلامه ومتاعبه وقسوة ظروفه — تجربة انسانية عظيمة الثراء. فقد كانت هذه التجربة فرصة لى كى اختبر المجتمع المصرى فى قراراته وحضيضه الادنى .. فعاشرت هناك كل صنوف النساء من ضحايا الفقر والجهل ، اللواتى دفعتهن ظروفهن القاسية الى الجريمة ، من سارقات ، وبغايا، وتاجرات مخدرات ، يضمنا جميعا سجن النساء. وبرغم العزلة المفروضة على المسجونات السياسيات ، لم يخل هذا العالم الخاص من وسائل خفية للتحايل على الوائح . فعرفت من افواههن صورا حية للحضيض الاجتماعى فى مصر ، وتكشفت لى مظاهرهن الخشنة فى أحيان كثيرة عن ارواح جريحة مسحوقة ، ولكنها فى صميمها طيبة العنصر خيرة الجوهر .

وفى السجن ايضا ازداد احساسى وتعلقى بالطبيعة . فوجودى فى السجن لامد مجهول النهاية جعلنى اكتشف قيمة غير محدودة لاقل عناصر الطبيعة التى تقع عليها عينى ، كمنظر الغروب من وراء القضبان ، أو تغير اوراق والوان شجرة مع توالى الفصول ، المحها من وراء الاسلاك الشائكة . فغدت الطبيعة رمزا للحرية ومراد فالها ، واظهرت عندى ذلك التاليف النهائى من ثقافتى الغربية والبيئة المصرية الخالصة .

وعلى المستوى السياسى كانت هذه اول مرة تعتقل فيها النساء المصريات ، وهو اهتمام يضع نشاطنا النسوى على قدم المساواة مع خطورة نشاط الرجال السياسى . وهو تحد حقيقى لصلابتنا ، يجب ان نثبت جدارتنا به ، وكان مصدرا لصمودنا ومقاومتنا . ومنبعا لاحساسنا بمسئولياتنا النضالية فى معركة الشعب المصرى نحو التحرر السياسى والاجتماعى . وخصوصا بعد المصالحة الوطنية التى وحدت جهود مصر كلها نحو التقدم .

ولاشك ان الحقوق السياسية والاجتماعية التى ثبتت الان للمراة المصرية تعد نصرا كبيرا لقضية النضال التقدمى ولقضية المراة فى آن واحد . ونظرة واحدة الى هذا الشوط الكبير الذى قطعته المراة المصرية من بداية مشاركتها فى النضال السياسى ابان ثورة ١٩١٩ ، بخروج المراة فى المظاهرات ، وتوزيعها للمنشورات ، ثم سفور المراة منذ ١٩٢٣ ، بعد قرون طويلة من الحجاب وحياة الحريم ، ثم فتح ابواب التعليم الجامعى لها ، الى منحها الحقوق السياسية فى دستور ١٩٥٦ ، واقرار مبدا مساواتها فى الاجر بالرجل ١٩٥٩ ، كل ذلك كفيل بتصوير هذا التطور الهائل فى أهمية المراة المصرية ونضالها ودورها المتزايد باطراد.

ونظرة الى مصالح الحكومة ، والجامعات، والمصانع ، ترينا الالوف من المصريات يعملن جنبا الى جنب مع الرجال ، وعلى قدم المساواه. بل لايقل أهمية عن هذا أن الفلاحة الصغيرة تذهب فى اصغر القرى الى مدارس مشتركة مع الفتيان ، وتتلقى فرصة متكافئة معهم فى التعلم ، والتقدم ، ثم العمل على كل مستوياته.

هذا كله يبين أن **نضالنا نحن المكافحات لم يذهب هباء** ، وان المراة المصرية اشد تمسكا من اى وقت مضى بتحررها ، وبتحرير بلادها ، وتحرير جميع ضحايا الاستغلال الذى امتد قرونا طويلة حالكة السواد ■

في مناقشة لقضية تحرير المرأة على ضوء بعض نظريات التحليل النفسي يحاول د. محمد شعلان مدرس الامراض العصبية والنفسية بالقصر العيني أن يعالج ـ من وجهة نظره ـ بعض جوانب هذه المشكلة .

ماذا بعد تحرير المرأة من الرجل ؟

د. محمد شعلان

نستطيع أن ننظر الى وضع المرأة ازاء الرجل بأنها قد فرض عليها دور اجتماعي يعكس علاقات القوة في المجتمع حيث أن لقاء أي اثنين في هذا الواقع الاجتماعي هو لقاء القاهر بالمقهور والمالك بالمملوك فهي قد فرض عليها باسم الانوثة ان تلعب دور المقهور والمملوك ونستطيع أن نرى حركة تحرير المرأة ذاتها تخضع في مفاهيمها لهذه العلاقة اذ أنها تهدف الى تحرير المرأة من هذا الدور بالذات وليس من نوعية العلاقة فهي تسعى الى المساواة بالرجل بمعنى التشبه به واخذ قيمه وهي بذلك تهتم اذا حققت ما تريد لا تعدو ان تكون قد اكدت نصرة القيم السائدة التي أدت الى استعبادها في المكان الاول اي قيم التسلط والتملك . علاوة على أن مثل هذا الهدف يحمل في طياته مقومات فشله فاذا نجح المقهور في أن يصبح قاهرا فلابد أن يجد من يقهره بالتالي واذا قبل من حيث المبدأ ان يكون هو القاهر فانه بالافتراض يقبل أن يوجد من يستطيع اذا تعداه أن يقهره بالتالي . وكذلك اذا كانت مثل المملوك على المالك مرادها ان يصبح المملوك مالكا فانه لا مفر من مملوك آخر يمتلكه هو ايضا كذلك فهو حين يقبل من حيث المبدأ أن يكون خاضعا للملكية من كانت سيطرته اوسع منه . ان الثورة على الظلم بغية المساواة تختلف عن الثورة على الظلم طمعا في مكانه الظالم .

ان حركة تحرير المرأة ايضا تستطيع ان تقع في هذا الخطأ وان كان يمكننا النظر اليه على إنه خطأ مرحلي ومقبول الا أنه لابد لنا من درجة من الوعي والبصيرة مسبقة لكي لا ننخدع ولكي نستطيع اصلاح الاخطاء في الوقت المناسب وقبل أن نتمادى فيها . فلو نظرنا الى بعض خصائص حركة تحرير المرأة لوجدنا أنها في كثير من الاحيان تقع في هذا الخطأ ولنأخذ مثلا الاطار العام لهذه الحركة وهو من حيث تنظيم صفوفها من النساء أساسا فانه من جانب نستطيع ان نوافق على هذا التمييز الجنسي بأنه لا يستطيع ان يشعر بالظلم مثل الذي يعاني منه ولا يستطيع ان يثور من اجل المرأة من لم يعش المرأة ووضعها في المجتمع وان افضل من يكافح من اجل تحرير المرأة هو المرأة ذاتها . اذا أضفنا ان الحقوق لا تأتي بالمن والتنازل انما تكتسب فانه على افتراض ان أحدا يستطيع ان يثور من اجل المرأة ونيابة عنها فان المكاسب التي قد يحصل عليها لا قيمة لها مادام صاحبها لم يسع من اجلها ولم يتحمل مسؤولية الحصول عليها . فالحرية مسؤولية ايضا ولها ثمن وكفاح وهي ليست مكسب مجرد وحقوق تعطى . والذي يتلقى المكسب كمنحة لم يكافح من اجلها قد لا يستطيع ان يحتفظ به ويدافع عنه بل قد يتخلى عنه عند أول فرصة . اذن فان تولى المرأة في هذه المرحلة دور القيادة لحركة تحريرها له ضرورة مرحلية وكذلك دفاعها عن حقوقها ووضعها بالتحديد ازاء الرجل أمر له اهميته المرحلية حتى ولو كانت المخاطر هنا ان تنزلق المرأة فتصبح قريبة الشبه بالرجل بما في ذلك الشبه بوضعه الاجتماعي المتسلط وحتى لو كانت هناك خطورة ان تصبح لهذه الحركة مزايا ومصالح تدافع عنها وتحمي بها وجودها . فمادامت البصيرة موجودة بأن هذا الانزلاق لا يعدو أن يكون حركة بندول ورد فعل لظلم مضى وليس غاية في حد ذاته وعلى هذا فان عودة البندول الى الاتجاه المعاكس حركة متوقعة بل ومطلوبة .

وهذا ما نعنيه بعنوان هذه المقالة وهو ان هناك نقطة في تقدم المرأة نحو تحريرها تعود بعدها في الاتجاه المعاكس وتتوصل الى تقبل جديد لانوثتها يجعلها تقبل اختلافها عن الرجل بأنه اختلاف نوعي وليس اختلافا كميا وان فيه من عنصر التكامل المتبادل اكثر مما فيه من عناصر التنافس ـ ولعل

هناك تساؤل عن لزوم التحرر من أصله مادامت الدائرة تعود وانه كان افضل واسهل للرجل والمراة على السواء ان يتكاملا ويقبلان اختلافهما منذ البداية . ولكن هناك فرق بين ان تأخذ المراة دور الانوثة وهى مضطرة ولا بديل لها وبأن يكون هذا الدور مجرد غطاء تخفى وراءه طفليتهـا واعتماديتها وتبرر به عبوديتها للرجل وينطبق هذا المنطق معكوسا على الرجل حين يستعبد المراة باسم الانوثة وحين يستخدم هذا الدور لكى يبقيها طفلة قاصرة معتمدة عليه . ورغم ان هذا المنطق لدى الرجل يبدو فى الظاهر معكوسا الا انه على مستوى اخر نجده فى الحقيقة متشابها . فهذا الرجل الذى يستعبد المراة بأن يفرض عليها اعتماديتها عليه وليكن ذلك فى المجال الاقتصادى والاجتماعى انما هو فى باطنه يبحث عن وضع تصبح هى بالنسبة له بمثابة العبدة المملوكة التى لا تستطيع الاستغناء عنه او تفضل اخر عليه وهو وضـع يشبه الى حد كبير وضع الطفل مع امه فى بداية علاقته الثنائية بها حيث لم يع بعد وجود طرف ثالث وهو الاب أو الاطفال الاخرين . ففى هـذه العلاقة الثنائية مع الام يكون الطفل فى نظر نفسه فى السيد المالك الذى يأمر فيطاع ويمتلك امه له وحده ولا يقبل أن يشاركه فيها احد وهى نظرة وان كانت ذاتية فهى لا تخلو من الموضوعية فالطفل بضعفه واحتياجاته يستطيع ان يتحكم فى أمه وهى بالتالى لا تتردد فى ان تتعلم منه هذه الحيلة فتتحكم هى الاخرى بضعفها واحتياجها فـى الرجل . الا اننا يمكننا النظر الى هذه الظاهرة من زاوية اخرى وهى ان الطفل مغلوب عـلى امره وتحت رحمة امه وان أمه من حيث هى تتشبه به فى علاقتها مع زوجها فهى أيضا مغلوبة على أمرها وتحت رحمته .

اذن فالرجل الذى يستعبد المراة من الظاهر بأن ينمى ضعفها واعتماديتها عليه انما فى الحقيقة هو يسقط ضعفه عليها ويعيشه من خلالها علاوة على أنه فى باطن الامر يعيد موقف علاقة الطفل بأمه حيث هو الطفل مركز الكون وزوجته الام هى الجنى العبد الذى يلبى طلباته بدون نقاش .

ان القدرة على العطاء والاستسلام والتخلى عن الذات وفعل كل هـذا اراديا تختلف عـن العطاء والاستسـلام والتخلى عن الـذات فى صورة دور اجتماعى مرسوم لا يمكن الخروج عنه . والمراة التى تستطيع أن تفعل ذلك بحرية واختيار هى فى الاغلب المراة التى استطاعت ان تمر بالدائرة فى مراحل التحرر من الرجل بالتشبه به وتحديه فى مجالاته وهى اذ تتخلى عن هذه المكاسب فهى تفعل ذلك بارادتها واختيار بقدر ما هو بارادة الرجل واختياره فبقدر ما هى ليست مضطرة للاستسلام له فهو ايضـا ليس مضطرا لاخضاعها . وكذلك فان كلاهما لا يرتبط بدور مرسوم ومحدد وغير سائل بل متحجر . .

ولعل هذا ينقلنا الى اهمية تحرر الرجل لكى تتحرر المراة مثلما كان العكس صحيحا . فان الاستسلام الاختيارى الحر من جانب المراة لا يمكن ان يتم فى جو من القهر أو الفرض اى لا يمكن أن يتم ازاء رجل ما زال عبدا لرغبته فى استعباد المراة وفرض الاستسلام عليها هو بالتالى انما يحتاج الى رجل يستطيع هو ايضا ان يستسلم وان يتخلى عن ذاته وان يعطى . واذا كان لاول وهلة يبدو ان هذه الصفات ـ الاستسلام والعطاء والتخلى عن الذات ـ تبدو وكما لو كانت لها صبغة الانوثة او نقطة العودة بالنسبة للمراة فان المغزى من هذا أن الرجل لكى يتحرر تماما لابد له من ان يتحرر من ذكورته هو بالتالى وان يكتسب على مستوى الوعى والارادة تلك الصفات التى تد توصف بالانوثة .

اى ان رحلة المراه فى التشبه بالرجل ثم العودة الى انوثتها لا يمكن أن تتم الا من خلال رحلة موازية للرجل يمر بها بمراحل التشبه بالانوثة ثم العودة .

واذا نظرنا فى تطوير التحليل النفسى لوجدنا أنه جاء فى مرحلة اجتماعية كانت صفات الذكورة فيها هى الغالبة وهى القيمة التى يسعى اليها الكل فعند فرويد تحسد الفتاة الصغيرة شقيقها الذكر لوجود عضو جنسى لديه يمثل بالنسبة له القدرة على الاختراق والاعتداء والسيطرة والتحكم وهى ظاهرة يعتبرها عامة ويصفها بالحسد القضيبى ويقابلها عند الذكر الخوف من أن يفقد هذه الميزة ويصبح مثل شقيقته التى يعتقد فى مخيلته انها كانت فى وقت ما مثله ثم فقدت قضيبها كعقاب ويخاف الطفل الذكر ان يعاقب بالمثل ويتصور ان هذا العقاب وهو الخصاء سوف ينزل عليه نتيجة لوجود رغبات محرمة لديه ولعلها محرمة لانها تشمل الصراع مع الاب من اجل الحصول على الام أو تحمل بالتالى نسق عدوانى تجاه الاب وآخر شبقى تجاه الام . وهنا ايضا يعتبر فرويد هذه الظاهرة عامة ويطلق عليها عقدة الخصاء. الا انه من الواجب هنا توضح أن ارتباط الذكور ، بالقيم السـائدة هو الذى يضـفى صـبغة الحسـد فى موقف الفتـاة مـن شـقيقها وصبغة الخوف من الخصـاء وفقـدان هـذه الميزة فى موقف الصـبى . وانه ليس هنـاك مبرر بيولوجى لان يكون القضيب وهو العضو المخترق الفاعل المتحرك له اية افضلية على المهبل او الرحم او الثدى من حيث أنها اعضاء تتصف ولو ظاهريا بانها تستقبل وتحتوى ويفعل بها اكثر مما تفعل . فصفة الايجابية التى قد يبدو أن القضيب يتميز بها لا قيمة لها بل لا وجود لها بدون صفة السلبية التى قد يبدو ان المهبل يتصف بها مثلما لا وجود للابيض

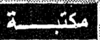
الا بمقارنته بالاسود كلاهما ضرورى لوجود الاخر بدون أى تمييز او قيمة . اذا ففكرة حسد القضيب أو الخوف من الخصاء هى فى جذرها معتمدة على ايجاد قيمة ما مرتبطة بالقضيب وهى فى حقيقة الامر مصدرها الذكورة التى هى القيمة المتغلبة فى المجتمع الانسانى الذى ولد فيه التحليل النفسى وليست بالضرورة قيمة ازلية او مطلقة .

ولهذا فان تطور التحليل النفسى الذى كان مصاحبا لتطور المجتمع الانسانى فى اتجاه نحو المزيد من التحرير للمرأة عبر عن هذا التغيير فى القيم فظهرت مفاهيم أخرى عن حسد الثدى عند الرجل وكذلك حسد الرحم . فالرجل ينظر الى قدرة المراة على الحمل والانجاب ثم تغذية مولود جديد على انها عملية خلق تمتاز بها المراة عنه بفضل اعضائها البيولوجية «الرحم والثدى وهو يحسد فيها هذه القدرة فيعوض عنها فى محاولات الخلق المختلفة عن طريق العمل بصفة عامة ولكن العمل الخلاق بصفة خاصة والذى يشمل العلم والفن والدين والسياسة .

اذا فان تحرر المراة يشمل المرور بمرحلة من الثورة على القيم الذكرية بأن ترفض المراة اقتصار هذه القيم على الرجل ثم بعد هذا تعود المراة ولكن هذه المرة باختيارها وقد تختار أن تقف عند هذه المرحلة وتبقى متشبهة بالرجل وهى تعود الى انوثتها عودة حرة ومختارة وخالية من الاجبار . وعلى نفس المنوال نجد الرجل يمر فى تحرره بمرحلة من رفض اقتصار القيم المؤنثة على النساء ثم يعود الى ذكورته مختارا . فاننا نجد فى كلا الاتجاهين تطورا نحو الاقتراب من مفهوم للانسان المتكامل الذى استطاع ان يقبل جميع جوانب الذكرة والمؤنثة رغم بقاء غلبة لاحد الجنسين بحكم الضرورة . فان الانسان الحر المتكامل هو اقرب الى انسان ما بعد الجنس وما فوقه وهو لهذا يتخلى بدرجات مختلفة عن مميزاته الجنسية سواء اكانت مذكرة أو مؤنثة . الا انه لكى يستطيع التخلى عن شىء وان يتعالى عنه فانه لزاما عليه ان يمر من خلاله لكى يكون هذا التخلى اختيارا وفى اتجاه التحرر . وعلى هذا فان الدائرة لابد ان تعود ولابد للمراة ان تقبل انوثتها كمرحلة نحو التخلى عنها والتعالى عليها مثلما لابد للرجل ان يتقبل ذكورته وان كان هـذا أمرا اقل صـعوبة بمراحل بالنسبة للرجل فى هذه الحقبة من تاريخ تطور المجتمع الانسانى .

كما اننا نستطيع ان نرى أن تحرير المراة لا يمكن ان يتم فى منعزل عن بقية قضايا الحرية وان المراة حينما تثور على الرجل فهى تثور من اجله أيضا كما انها تثور نيابة عن كل مقهور آخر فقضية الحرية ليست خاصة بها ولهذا فهى لا يمكن ان تحدث بدون تضامن مع بقية الفئات المضطهدة . وهو خير وسيلة لتجنب الخطأ الذى يمكن أن ينجم عن تولى المراة معركة تحرير نفسها بنفسها ولنفسها . ■





المستشفى الجامعى التعليمى فى مصر كمعنى
نقد ودراسة واقتراحات

تاليف : د. طارق على حسن
استاذ الامراض الباطنيه المساعد
كليـة الطب – جامعة الازهـر

عرض : شـوقى جـلال

المستشفى الجامعى التعليمى مطلب ملح فى مصر . وتتأكد ضرورة وحيوية هذا المطلب فى ضوء تزايد عدد طلاب التعليم الطبى وكليات الطب ومن ثم تزايد الحاجة الى أعداد اكبر من الاساتذة والعلماء الاكفاء . وانطلاقا من الايمان بأن العلم هدفه أولا وأخيرا الانسان يقدم الاستاذ **الدكتور** طارق على حسن استاذ الامراض الباطنية والغدد الصماء المساعد بكلية طب جامعة الازهر كتابه الجديد « المستشفى الجامعى التعليمى فى مصر كمعنى – « نقد ودراسة واقتراحات » . ويعالج الكتاب اثنى عشر موضوعا اولها اهمية الممارسة العلمية السليمة ثم تحليل معنى المستشفى الجامعى التعليمى ونشاطه فى العيادة الداخلية العناصر اللازمه له مكانا ومرافق وخدمات وصيانة ويتبع هذا عرض للابحاث العلمية فى المستشفى والطلبة والمقررات التعليمية الطبية والعاملين . واخيرا دور الترابط والاتصال العلمى الحى والنشاط الاجتماعى والتعبيرى للعاملين بكل بناتهم وللطلبة . وتتضمن الابواب كلها دراسة موضوعيه ونقدا تحليليا واقتراحات عملية ومستقبلية .

ويعكس الكتاب ايمان **الدكتور طارق** بأن المستشفى الجامعى التعليمى بصورته المرجوة هو منبت الطبيب الممارس الكفء والباحث والعالم الطبى القدير . والكتاب دراسة أكاديمية ورؤيا صادقة للواقع واسهاما – كما يقول المؤلف – فى الدفاع عن القيم الاكاديمية التى تحمى مستشفياتنا التعليميه من ان تتحول الى مظاهر واسماء لشىء ليس له كيان أو

وجود ؟ وانقاذا للطالب المصرى من الاحباط والانغلاق ، وايمانا بحق المواطن فى أن يجد بيئة علمية صحيحة ويتلقى تعليما طبيا علميا اصيلا ؟ ثم هو اخيرا تطلعا طموحا الى ان يكون الطب ، ممارسة وتعليما ، مظهرا للنصر الاجتماعى والحضارى ■

□ □ □

○ بافلوف وفرويد

تاليف : هارى ويلز

ترجمة : شوقى جلال

عرض : د. قدرى حفنى

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

صدرت مؤخرا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب الترجمة العربية للجزء الاول من كتاب المفكر الامريكى **هارى ويلز** بعنوان « **بافلوف وفرويد** » . وقد قام بالترجمة الاستاذ **شوقى جلال** الذى سبق ان نقل الى العربية عددا كبيرا من الاسهامات الماركسية فى علم النفس ، منها كتاب « **بافلوف** : حياته وأعماله » من تأليف **ا . اسراتيان** . ومن ثم فان مجال علم النفس بعامة - وفكر **بافلوف** على وجه الخصوص - يبدو ، على صعوبته ، مألوفا ، بل ومفضلا لدى المترجم . وقد انعكست تلك الالفة وذلك الاهتمام فضلا عن اقتدار المترجم وتمكنه ، على الصورة التى ظهرت بها الترجمة العربية . فقد اهتم المترجم بأن يضيف الى النص الاصلى ثلاثة اضافات بالغة الاهمية بالنسبة للقارىء العربى .

فقد أضاف **اولا** مقدمة برر فيها حرصه على ترجمة الكتاب وأهمية هذه الترجمة بالنسبة للقارىء العربى ، كما ضمنها وجهة نظره - التى لا تختلف كثيرا عن وجهة نظر المؤلف - فى انجازات **بافلوف** و**فرويد** فى مجال علم النفس . وهى وجهة نظر تستحق الكثير من الجدل والمناقشة .

وأضاف **ثانيا** مجموعة من الحواشى التوضيحية تناول فيها بالشرح الموجز المفاهيم والمصطلحات النفسية والفسيولوجية التى أوردها المؤلف فى الكتاب ، فضلا عما تضمنته هذه المجموعة من تعريف بأهم من وردت اسماؤهم فى الكتاب من علماء النفس .

وأضاف **ثالثا** ثبتا بالمصطلحات العلمية الواردة بالكتاب ضمنه الكلمة الاجنبية والترجمة العربية التى التزم بها لها .

ويضم الكتاب تعريفا **ببافلوف** وتتبعا لحياته العلمية ، وعرضا لنظريته الاساسية عن الفعل المنعكس الشرطى ، ثم استعراضا لاسهاماته فى مجالات الطب العقلى التجريبى ، والذهان والعصاب . كما يتضمن الكتاب كذلك عرضا لعلم النفس والطب العقلى فى الولايات المتحدة الامريكية .

لقد أشار المترجم فى مقدمته للترجمة الى ان « الدكتور **هارى ويلز** مفكر عقائدى ملتزم ... » وهذا صحيح ، ولكنا نستطيع ان نضيف عبارة « والمترجم ايضا » . فقد بدا فى مقدمته للترجمة التزامه الكامل بفكر ونظرية **بافلوف** ، وتحفظه الواضح بالنسبة لفكر ولنظرية **فرويد** . واذا ما كانت لنا بعض الملاحظات على وجهة نظر المؤلف والمترجم معا فيما يتعلق بتقييم اسهامات **فرويد** فى علم النفس ، فان ذلك لا يعنى بحال تقليلا من قيمة الالتزام الواضح المعلن بوجهة نظر علمية معينة الذى يعد شرطا جوهريا لاى حوار خلاق . بل لعل ذلك هو ما نفتقده فى كثير من كتاباتنا عامة ، وفى كتابات فى مجال علم النفس على وجه الخصوص . ■

أول مؤتمر لفلاسفة البحر المتوسط

انعقد فى مدينة « لتشا » بايطاليا فى ٢٧ نوفمبر من العام الماضى أول تجمع لفلاسفة البحر المتوسط الغاية منه البحث عن فلسفة متوسطية تشترط الوعى بتراث فلسفى مشترك يتمثل فى الفلسفة اليونانية وفلسفة العصر الوسيط .

وقد مثل الفلاسفة المصريين فى المؤتمر الدكتور مراد وهبه استاذ الفلسفة بكلية التربية بجامعة عين شمس والابحاث فى جملتها كانت تكريسا للكشف عن امكان تأسيس فلسفة متوسطية « ولكن بوجهات متباينة حينا ومتسقة حينا آخر » .

● فيترو برينى — استاذ الفلسفة بجامعة روما يطرح قضية التوفيق بين الاخلاق الدينية والاخلاق العلمية من اجل تحقيق « الوحدة الفلسفية للثقافة المتوسطية » وهذا هو عنوان بحثه .

● وسيراتشينو انجلوت — استاذ الفلسفة فى جامعة مالطه — فى بحثه عن « الاتصال والممازجة » يطرح دور المسيحية فى وحدة الثقافة المتوسطية ليركز على تحليل اللغة الدينية الى الحد الذى ينعت فيه الله بان لغوى . ولهذا فان مهمة الفلسفة — فى رأيه — تقوم فى تحليل هذه اللغة . ولا ادل على ذلك من ان الله حين قال كن كان الكون .

● اما جوبرى استاذ الفلسفة القديمة بفرنسا فعنوان بحثه « فيثاغورس « ابو الفلسفة المتوسطية » ذلك ان هذا الفيلسوف اليونانى قد دعا الى تنقية النفس وهو مطلب قائم فى الاديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام « ومهد لعقيدة التوحيد .

● ويركز بول فينو — استاذ الفلسفة بجامعة السوربون — على الاصل الدينى للتصورات الفلسفية فى بحث له بعنوان « مسيحيو ومسلمو العصر الوسيط : مشكلات خاصة بوحدة الحوار الفلسفى . ولهذا فثمة مشكلات مطروحة على المؤمن وغير مطروحة على غير المؤمن الذين لا يتصورون ما هو مجاوز للانسان » .

● ويرى قسطنطين ميخائيلدس — استاذ الفلسفة بجامعة قبرص — ان الاعتدال هو روح الحضارة المتوسطية « او على وجه ادق التوسط : فاللوغوس عند هرقليطس يعبر عن وحدة الاضداد او توازن الاضداد « وارسطو ضد الافراط والتفريط « وفى المسيحية تختفى الاضداد .

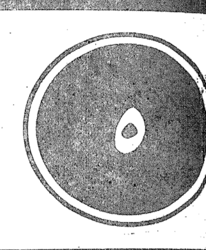
● اما محمد عزيز الحبابى — استاذ الفلسفة بالمغرب — فيرى ان الميراث المتوسطى هو الاسلام والفلسفة اليونانية « ولهذا فالفلسفة المتوسطة واحدة وان تعدد الفلاسفة وعكس ذلك ليس بالصحيح . والفارابى وابن سينا والغزالى ليسوا عربا ولكنهم مستعربون ولهذا تقول فلسفة عربية اسلامية « وتقول فلسفة اوروبية وبين الفلسفتين تشابه وتماثل ، فهما واحد فى الجوهر » .

● والفيلسوف الوحيد الذى اثار حوله زوبعة فلسفية او على وجه أدق ايديولوجية هو دراجوتين لكوفتش استاذ الفلسفة بجامعة بلجراد . فالفكرة المحورية عنده ان الديالكتيك هو اساس الفلسفة اليونانية . فعند هرقليطس الديالكتيك بين الواحد والكثير « وعند أرسطو بين الكلى والجزئى . وعند ابيقور بين الضرورة والحرية . ولهذا صدق انجلز حين قال ان فلاسفة اليونان قد ولدوا ديالكتيكيين . والماركسية لم تفعل اكثر من انها تناولت قضايا الانسان فى ضوء الديالكتيك من اجل أنسنة الانسان « وهذا معناه ان الديالكتيك نظرية لتحرير الانسان « والاديان من حيث انها تحرير للانسان هى انسانية بالضرورة . والخلاصة ان الانسان خالق لمصيره .

● والطريف فى هذا التجمع ان الكس بلوم أستاذ الفلسفة باسرائيل قدم بحثا واعتذر عن القائه لان يوم القائه كان يوم السبت .

هذا عرض موجز لاول تجمع لفلاسفة البحر المتوسط لم يكن يشترط الا الانفتاح على الافكار فى غير ما تعصب على حد قول رئيس المؤتمر انجيلوس متسوبولوس استاذ الفلسفة بجامعة اثينا » □

السنة الثانية عشرة
مـــايو ١٩٧٦



الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

القوى الوطنية التقدمية
.. وخيـــال المـــآتة

فى الواقع الاقتصادى المصرى المعــــاصر :

- رأى الاقتصاديين المصـــريين فى التنميـــة
- تجارتنا مع الدول الاشتراكية : مكسب أم خسارة ؟
- ضـــوابط الانفتـــاح .. وشـــروطه

ملف الطليعـة : هل يستمر نظام فرانكو « بـــدون فرانـــكو »

الرأى .. والرأى الآخر :

- دستور العودة الى التشريعات الاسلامية
- الاختلاســات فى قطاع التعاونيات الزراعيــة
- حــول مبدأ « تــوريث » القطـاع العـام

همـــوم الجامعيين الشـــباب

أحمـــد حســـين

ودرويش عبدالفتاح

أدب العالم الثالث

▲ ملحــق الأدب والفــن

الصهيونية .. بداية ونهاية « الوثائق »



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك في تاسيس الطليعة
واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الخامس — السنة الثانية عشرة — مايو ١٩٧٦

ان [الطليعه] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم فتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها - مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك]

كلمـة من « الطليعـة »

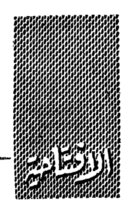
فى خلال الاسبوعين الاخيرين وصـل « الطليعة » عدد من الخطابات والمكالمات التليفونية تتساءل جميعها عن مدى صحة — أو عدم صحة — ما أسموه بالشائعات الساخنة التى تتحدث عن احتمال تغييرات تمس « الطليعة » واسرة تحريرها .

كانت كلمات القراء والاصـدقاء تحمل كل الدفء والمسئولية . كانت زادا ومعينا « للطليعة » والعاملين فيها . ذلك أن أسرة التحـرير على قنـاعة بأن الحـكم على « الطليعة » — أو لها — سيظل فى النهاية من حق القراء والاصدقاء .

لذلك قرر مجلس تحرير « الطليعة » أن تكون كلمة « الطليعة » هـذا العـدد موجهة الى كل من أبدى اهتماما بمستقبل المجلة .

فالى هؤلاء جميعا نقول : شـكرا . وكلنا أمل فى ان تهدأ الشائعات الساخنة وان نلتقى دائما مع صفحات الاعـداد القادمة .

« أسرة تحرير الطليعة »



القـــوى الوطنيـــة التقدميـــة

.. وخيـــال المـــآتة

ليست مجرد طرفة نادرة من طرائف عصر الانحطـــاط المملوكى ، تلك التى تعتبر « اليسار » جريمة تجديف فى حق اللـه يستحق مرتكبها عقوبة الحرق حيا فـى الاسواق . . او تلك التى ترى فى « العلم الاشتراكى بقوانين الحركة الاجتمـاعية » خيانة فى حق الوطن واستقلال ارادته ، تستوجب فصل راس من يفكر به عـن جسده .

لا ..

صدق او لا تصدق ، هـذه كلها ــ مع الاسف ــ مقولات معاصرة تتردد بخيلاء فى جنبات مجتمعنا ١٩٧٦ . يجرى الترويج لها بعناد واعتزاز « ! » من جانب قوم ، انشقت عنهم ، فى ظروف جزر معقدة وصعبة ، بعض الجيوب الاجتماعية المتخلفة . اتخذوا سمت العلماء والمجاهدين فى سبيل الله ، وقدموا انفسهم للناس على أنهم طـلائع « جيش الخلاص » . وطدوا العزم على ان يطهروا مصر من الفساد والتبعية والالحاد والافكار المستوردة ومقاعبها الاقتصـادية والاجتماعية . وذلك باجتثاث جذور اليسار والفكر الاشتراكى والقطاع العام وسيادة العقل وديمقراطية الحوار والتنمية المخططة

وتفسح امامهم ، دون منافس ، اوراق الصحف وامواج الاثير الاذاعى والتليفزيونى ومراكز القيادة فى الاتحـاد الاشـتراكى « يوسـف مكادى » يرددون « دعاويهم » الزاعقة المهددة بالويل والثبور كل مخالف فى الرأى . او حتى متحفظ على جزئية من الجزئيات (*)

ويتم ذلك وسط فقرات اعلانية عن بشرى عودة توكيل « سيارات شيفروليه » الفارهة الى « لطفى منصور » ، وافتتاح « كباريه الليل » الجديد « لشريفة فاضل » ، ووصـول آخر مبتكرات الازياء والعطور « لمـاكس فاكتور وجريه وكارمن واميبوبوتشى » (*)

وتتوجه دعاوى جيش الخلاص الهادرة ، جنبا الى جنب ، مع الاعلانات الصاخبة الى مجتمع لا يزال ينوء بحمل أربعة ملايين ونصف المليون عائلة « حوالى ٢٧ مليون نسمة » لا يزيد دخل العائلة الواحدة منها سنويا عن مائة جنيه . ويلتهم ظلام الامية قرابة ٧٢ فى المائة من الشعب . ويشتغل مرفق المواصلات بالعاصمة - طبقا لاحصائية مجلس الشعب - بطاقة ١٠٠ اتوبيس وسيارة خاصة لخدمة ٢٠٠ الف مواطن و ١١٠٠ أوتبيس لخدمة ثلاثة ملايين مواطن .

وقد بلغ احد كبار « جيش الخلاص » من « العلماء المجاهدين » الذروة ، عندما اعلن - أخيرا - اكتشافه المذهل « لميروس الوباء » الذى أدى الى انهاك وافساد وانحطاط المسلمين خاصة والعرب عامة . محددا اياه فى حركة الترجمة التى نشطت خلال ما « يسمى بعصر الازدهار الاسلامى » ، فى نقل علوم وفلسفات وافكار اليونان والفرس وغيرهم الى اللغة العربية .

ولا ندرى ماذا يكون موقفه منا لو تجرأنا بالاحتجاج فى وجهة بنصيحة النبى محمد بن عبد الله « صلعم » الى المسلمين ، ان « يطلبوا العلم ولو فى الصين » : هل يستمر فضيلته فى تهامنا باستيراد الافكار ام ترى سوف يغض الطرف عنا « مكرها اخاك لا بطل » بحكم ان السلطة قد انفتحت - من خلال ازمة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى - على الصين . واذا كانت الصين بالامس قد صنفت دوما على اساس انها كيان اجتماعى الحادى بحكم السيطرة شبه الكاملة لتعاليم كونفشيوس ، فانها اليوم تصنف عالميا - اذا لم نكن مخطئين - فى جانب اليسار الدولى . وتعلن عن نفسها كدولة ماركسية ، فى الوقت الذى تتهم الاتحاد السوفيتى بأنه تخلى عن الماركسية .

غالب الظن انه سوف يؤثر غض الطرف .. لماذا ؟ لان السلطة فى الموضوع .

ومن السمات البارزة المميزة لهذا « النوع من القوم » ، الذى تعرفه مجتمعاتنا تاريخيا فى أوقات الازما تبدرجات متفاوتة ، قدرته الفائقة على التلون السريع مع كل سلطة قائمة قابضة ، تملك المنح والمنع .

هذا النوع من القوم ، غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنب ، مع « الراكب » دائما حتى ينزل . يعطى لنفسه ، بحكم بقايا التقاليد القبلية والعشائرية ، دور الوسيط والمترجم الاجتماعى بين الحاكم والمحكومين . ويتخذ فى حركته اتجاهين متناقضين فى وقت واحد . اتجاه علنى فى ممالاة السلطة والظهور بمظهر المشايع لاولى الامر . واتجاه خفى يعمل على تعبئة قوى جماهيرية محدودة فى ثقافتها ووعيها ، مستغلا تدينها وايمانها . وذلك بهدف محاصرة السلطة والضغط عليها ، عندما تحين الفرصة ، من أجل تحقيق مزيد من المصالح الاقتصادية والامتيازات الادارية والاجتماعية والسياسية ، لذوات القوم ، وللطبقة السائدة الموظف فى خدمتها .

ولان هذا النوع من القوم ، يلعب فى الاساس دورا سياسيا ، لا دينيا لوجه الله والانسان ، فان مسائل الحلال والحرام - لديه - نسبية ، تتغير بتغير الظروف . ولهذا فان جعبته لا تخلو على الدوام من فتاوى جاهزة للشىء ونقيضه على السواء .

• • •

ظاهرة « جيش الخلاص » يركب موجة السلطة ، ويتخفى وراء رايات دينية ، ويسخر جهده وملكاته لخدمة وحماية استغلال الطبقة ، ويزرع الالغام فى طريق حرية الانسان وتقدمه وسيادته على مصيره . هذه الظاهرة ليست جديدة فى تاريخنا العربى الاسلامى أو فى مجتمعنا المصرى .

بيد أن اللافت للانتباه أن هذه الظاهرة -رغم تكررها تاريخيا - بين آن وآخر ، الا انها دائما مؤقتة وعابرة . لم تنجح يوما فى أن تحرف مسار حركة التقدم بشكل قاطع ، وان بددت وقتا من عمر التطور والانسان . واشعلت معارك وهمية تستهلك من طاقات الشعب والامة ما كان يمكن أن يوظف فى المعارك الحقيقية ضد التخلف والجهل والاستبداد واستغلال الوطن والمواطن . الامر الذى يبطىء من معدل سرعة الحركة ويبذر بذور الفرقة المصطنعة فى وحدة عمل القوى المستقبلية .

وينبع ميلاد هذه الظاهره وتكررها من واقع التطور الاجتماعى والثقافى المتفاوت الدرجات سواء بين البلاد العربية بعضها وبعض او فى داخل كل بلد عربى على حدة فضلا عن شيوع الامية بمختلف ابعادها فى الجماهير الشعبية . مما يسهل حجب نور الثقافة الحقيقية بواقع العصر وقضاياه ،وخاصة الدينية منها ، عن الكم الغالب من الناس. ويحدث عندما تتصاعد حدة المشاكل الحياتية اليومية . متفاعلة مع المشاكل العامه الى حد الازمة ، أن يغيب ، لفترة ، عن وجدان وادراك الجماهير الاسباب الفعليه والواقعيه لهذه الازمه . وبالتالى تفتقد ، مرحليا الامساك بالوسائل والطرق الفعالة والصحيحه للحل . هذا فى الوقت الذى تنمو فيه على حساب ازمات الوطن والجماهير ، طبقة استغلالية شرهه للثراء والتحكم والسيطرة .

ومع بروز هذا النتوء الاجتماعى الشائه ،فى مناخ الازمات والغياب المرحلى للوعى والادراك بحقائق الواقع ، تتبلور ظاهره « جيش الخلاص » المزعوم . وتتبلور وظيفته فى استغلال الدين ، وفى استغلال طبيعة التدين البسيطه النقيه لدى الجماهير الشعبية وما تعانيه من متاعب تهبط بها عن الحد الادنى للحياه الانسانية . وذلك من أجل اطاله مرحلة غياب الوعى الجماهيرى العام وافتقاد القدرة على الحركة الى أبعد مدى ممكن ، بحيث تتاح الفرصه امام الطبقه الاستغلاليه الناتئه ، كى تثبت مواقعها وامتيازاتها فى المجتمع . والاسلوب الاثير عند « جيش الخلاص » هو «تزييف الوعى» فى المجتمع وذلك بطمس وتشويه كل محاوله لوضع المعرفة الحقيقيه بالواقع ومشاكله واسبابه فى متناول الجماهير . واختلاق مشاكل وهمية وتضخيمها والعزف عليها بنغمات معسوله متعدده . وتحويل القضية من واقعها الارضى الاجتماعى الى قضية سماوية تدار فى ساحتها اللانهائيه ، معارك مصطنعة ذات ضجيج محسوب ، حول الايمان والالحاد . وتصوير كل من يتحدى قوى التخلف والجهاله والاستبداد والاستغلال الاجتماعى ، بأنه ملحد مارق ، يتوجب سحقه والتخلص منه . وذلك حتى يحل رضاء السماء بالناس ، فتزول مشاكلهم ومتاعبهم ويكسبون جنة الاخرة تعويضا عن جحيم الدنيا ، دون ما نضال ضد السلبيات أو جهد للتغيير والبناء .

لكن هـذه الظاهـرة ، تظل دوما رغم تجددها فى فترات الجزر والازمات الحادة ، ذات طبيعة وقتية وعابرة .

لماذا ؟

لانها من ناحية تناطح حركة التاريخ ومسيرة الحياة . فالناس مهما كانت بساطتهم ، ينضجون من خلال التعامل الحى مع القضايا والمشاكل . تتراكم فى وجدانهم وعقولهم ، اكتشافات جزئية متتابعه للحقيقة الاجتماعية وصراعاتها ، بحيث تتجمع وتتفاعل فى النهاية لتفجر فيهم ينابيع الوعى بالواقع والقدرة على تغييره فى اتجاه التقدم . هذا فضلا عن أن بروز هذا « النوع من القوم » فى خضم الصراع الاجتماعى يفرز بالضرورة نقيضه المعادى له . ونقصد به القوى الدينية المستنيرة

الصادقة الايمان التى تمنح ولاءها للـه وللحق والحرية والانسـان .. وهى قوى قادرة ـ كما ونوعا ـ على التصدى « لجيش الخلاص » المزعوم وهزيمته .

كذلك ، فانه من ناحية أخرى ، غالبا ماتتخطى الطبقـة الاسـتغلالية النـامية ، بمصالحها الجديدة ، أفكار وقيـم « جيش الخلاص » عند مرحلة معينة . ويغدو جيش الخلاص بالتالى عبئا على أكتاف الطبقة التى استخدمته ليمهد لها الخطوات الاولى من الطريق ، ويتحول الى عقبة كؤود تمنع الاستمرار ونسج العلاقات الاجتمـاعية المناسبة التى تستهدف الطبقة الجديدة من ورائها تحقيق مصالحها الاستراتيجية .

وهنا لا يعود أمام « جيش الخلاص » الاختيار أحد أمرين .

اما أن يتقبل الامر الواقع . ويقنع قادته بما حصلوا عليه من « أتعاب وغنائم » .. وينهى ، بالتالى ، مهمته بعد أن فقد دوره التاريخى المرحلى . ولم يعد له مبـرر موضوعى أو سند اجتماعى .

واما أن يتمرد على الامر الواقع ويرفض التسليم بأحكامه . ويتحول عندئذ الى ما يشبه « **الاكليروس الدينى** » أى « السلطة الدينية » التى تنازع السلطة المدنية والطبقة السـائدة الحـكم والسيادة . وذلك على خلاف أحكام الاسلام التى تحرم قيام اى نوع مـن انـواع « الاكليروس » أو « السلطة الدينية » . وينتهى الامر بتكتل كل قوى السلطة والطبقات السـائدة مع جماهير المسلمين ، لتصفيه هذا « الخروج الاثم » عن تعاليم الدين . والمهدد فى نفس الوقت بمخاطر ازدواج السلطة فى المجتمع ، الذى لا مندوحة فى النهاية عن حسمه .

ويمكن القول أن البداية الاولى ، فـى تاريخ الاسلام ، لظاهرة « جيش الخلاص » وقعت تحت جناح السلطة الاسلاميه . وذلك خلال خلافة عثمان بن عفان . وظهور طبقة الاثرياء الجدد فى المجتمع الاسلامى ، فى نفس الوقت مع تفجر ازمـات الفقـر الاجتماعى وازمات الصراع السيـاسى ـ الدينى مع على بن أبى طالب .

ومن أرضية الاثرياء الجدد ، نبع « أول جيش للخلاص » فى مواجهة ثورة الصحابى الجليل « ابى ذر الغفارى » خامس من دخل الاسلام فى التاريخ . فى دفاعه البطولى عن حقوق الفقراء . ودعوته الى مصادره اموال الاغنياء الجدد لصالح بيت المال ، الذى كان فى حقيقته أول « قطاع عام لوسائل الانتاج فى التـاريخ الاسـلامى . ولو ترجمنا ما « قالوه » فى ابى ذر وقتذاك ، الى لغة ما « يقولونه » اليـوم . فـى القـوى والشـخصيات الوطنية التقـدمية فى واقعنا المعاصر ، لخرجنا بقائمة اتهامات موحدة فى مضمونها . ولكن بـاستثناء امرين : هما الاتهـام « بالعمالة للاتحـاد السوفيتى » والاتهام « بالعمل مع الحـزب الشيوعى الاسرائيلى ضد الامة العربية » ومن حسن حظ « أبى ذر العظيم » أن الاتحاد السوفيتى والحزب الشيوعى الاسرائيلى » لم يكونا قد وجدا على أيامه .

ولو صحبنا حركة التاريخ فى بـلادنا لاصطدمنا بظاهرة « جيش الخلاص » ، أول ما نصطدم ، فى حملتها المعادية ضد الثورة العرابية ، استجابة للسلطان العثمـانى والخديو توفيق والاستعمار البـريطانى . وماتزال محفوظة فى السجلات القـومية والوثـائق التـاريخية ، تلـك « **الفتوى الشرعية** » الشهيرة التى أصدرها عدد من أئمة جيش الخلاص ، رغم معارضة الغالبية الساحقة من الائمة والعلماء الوطنيين ، فى

اواخر القرن التاسع عشر . تجرم « أحمد عرابى » قائد ثورة الجيش والشعب من اجل الحرية والعدالة . وتتهمه بالخيانة والعمالة والالحاد . وتحل سفك دمه .

واذا تقدمنا مع حركه التاريخ الى اوائل القرن العشرين نرى جماعة من « جيش الخلاص » تبرز على سطح المجتمع المصرى تنادى بالملك فؤاد خليفة على المسلمين . وهو الذى لم يقرأ فى حياته آية واحده من القرآن الكريم ، والذى عصف بحقوق وحريات المواطنين وعادى ثورتهم التحرريه الوطنية . وحينما تصدى لهم جمهور العلماء والمسلمين بقيادة رجل الازهر المستنير الشجاع الشيخ على عبد الرازق ، صبوا عليه جام غضبهم وحاكموه وطاردوه من الازهر باعتباره زنديقا عدوا للاسلام .

وما ان مات « فؤاد » ورقى « فاروق » العرش ، وسط غليان شعبى من أجل التحرر والديمقراطية والخبز ، حتى خرجت من الشقوق موجة جديدة من « جيش الخلاص » راحت تزيف التاريخ الاسلامى بصفاقة . وتنسج ، دون حياء ، خيوط نسب يصل « فاروق » بعصب « رسول الله » . وبالتالى يعدو كل وطنى مكافح ضد استبداد « فاروق » وبطشه ، عدوا مباشرا « لمحمد » « صلعم » !

ونمضى مع حركة التاريخ لنصل الى ثورة يوليو ١٩٥٢ . ونقف – على سبيل المثال – عند مرحلة الصراع الديمقراطى والاجتماعى التى شملت البلاد فى أواخر الخمسينيات واوائل الستينات . وذلك من أجل اختيار طريق التطور الاجتماعى والسياسى لمسار الثوره قبل أن تتضح بصورة مؤكده سماتها التقدميه . وخلال هذه المرحله القاسية والمعقدة من الصراع ، ألقى فى السجون والمعتقلات بالاف الوطنيين التقدميين من المثقفين والعمال والفلاحين والجنود . وموجىء المساجين والمعتقلون السياسيون برهط من علماء جيش الخلاص يدخلون الى سجن القلعه ، مجندين من طرف المباحث العامة . يمجدون – من خلال سلسلة من المحاضرات – النظام باعتباره حكم الاسلام الصحيح ويرفعون عبد الناصر « الذى يرجمونه اليوم ميتا بالحجارة كما لو كان ابليسا » الى مرتبة القديسين وأولياء الله الصالحين .

• • •

القائمة التاريخية طويلة وزاخرة بالاحداث ، التى يتكرر خلالها بروز هذه الظاهره الوقتية المرضية بين منعطفات مسيرة حركة التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعى .

لكنا نكتفى بما أوردناه ، لنقفز الى الظاهرة فى واقعنا الراهن .

نستطيع أن نرد الميلاد الجديد للظاهرة الى هزيمة ١٩٦٧ بعد حرب الايام الستة التى شنتها اسرائيل بدعم مادى وسياسى من الامبريالية الامريكية .

وعلى الرغم من أن مصر والوطن العربى ، قد منيا قبل ذلك بهزائم عسكرية فى جولات صدامية سابقة مع اسرائيل ، الا ان هزيمة ١٩٦٧ ، بأبعادها وظروفها المحلية والعربية والدولية ، كانت بعمق وحجم الكارثة القومية . وفوق ذلك كله داهمت الهزيمة الوجدان الشعبى بعنف وقسوة المفاجأة غير المتوقعة . فقد كان « النظام » يبدو بهيكله العام الخارجى قويا ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا . على راسه قيادة وطنية تقدمية مجربة تتمتع بتأييد شعبى ساحق . لكن الهزيمة عرت حقيقة النظام وكشفت عن أن القوى البيروقراطية العسكرية والمدنية كانت قد استحكمت بالسلطة ، وزادت من ضغطها لعزل القيادة وسجنها فى القمة ومحاصرتها بأجهزة الامن والقمع السياسية والبوليسية . وشلتها عن الحركة والتفاعل مع الجماهير .

وثبت أن « النظام » كان قد شرع يدخل فى طور الازمة . وذلك منذ أن انتهت الخطة الخمسية الاولى الى طريق مسدود ، كان لابد من اجل تخطيه من اعادة تجميع كل القوى الوطنية والتقدمية فى تنظيم ثورى ديمقراطى من حول برنامج يستجيب لمتطلبات حركة التقدم الاجتماعى . وذلك باتخاذ مزيد من الاجراءات ضد النمو السرطانى للبيروقراطية وتحالفها مع النواة الجديدة للرأسمالية الطفيلية التى اخذت تترعرع من جديد فى حقول التجارة الداخلية والخارجية والمقاولات والمضاربة فى العقارات وأعمال السمسرة ، متخفية ، فى البداية ، تحت رداء « الرأسمالية الوطنية » ، قبل أن تنشط فى حمى بيروقراطية الجيش والدولة تحت شعار « الاشتراكية المنبثقة من واقعنا » .

لكن القيادة ظل يراوحها التردد فى اتخاذ الاجراءات الضرورية ، تتقدم خطوة لتتراجع خطوات الى ان تم نسج خطوط مؤامرة ١٩٦٧ الامريكية - الاسرائيلية . والقى بالنظام الوطنى ، فى لحظة ضعف تاريخية بسبب ما كان يعانيه من تناقضات حادة مكتومة فى أعماقه ، وسط نيران حرب لم يكن مستعدا لها .

وكان الهدف الاساسى من هذه الحرب المخططة ، اقتناص ثورة يوليو وتصفية قيادتها الوطنية ومنجزاتها الاجتماعية والاقتصادية . وتهيئة الفرصة لتفجير التناقضات المحبوسة فى الداخل لنسف « التجربة الثورية » مصريا وعربيا فى مشهد ارهابى للعالم الثالث .

انفجرت التناقضات بالفعل .. وتعاقبت الانقلابات .. وطفا على السطح كل العفن المخزون .. وحدث الشلل .. وراح كل شيء ينزلق فى طريقه الى الهاوية . لكن الجماهير بجماع قواها الوطنيه والتقدميه فجرت معجزتها فى الصمود ومقاومة الهزيمة . وأوقفت الانزلاق . وانطلقت تحتضن الثوره بانجازاتها وايجابياتها . وتعرى وتواجه سلبياتها والاسباب الحقيقيه للهزيمه ، اجتماعيا وسياسيا وعسكريا . وراحت تدفع بضغوطها غير المنظمه حركة الاحداث نحو التغيير الثورى الشامل . واستجابت القيادة ، نظريا ، لارادة الجماهير . وأصدرت برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ كدليل عمل للتغيير . بيد أنه ، لاسباب ذاتية وموضوعيه متعددة ، من بينها عودة البيروقراطيه وأجهزة القمع والامن السياسى والبوليسى وافتقاد التنظيم السياسى الديمقراطى المجسد لارادة الجماهير والتحدى المستمر للاحتلال الاسرائيلى واهتزاز ثقة القيادة بقدراتها ، لم يوضع البرنامج موضع التنفيذ .

فى ظل هذا المناخ ظلت القوى الوطنية والتقدمية على موقفها البناء النقدى تلح ، بشجاعة وموضوعية ، على ضرورة التغيير الشامل ، من خلال كشف الاسباب الاجتماعية والسياسية للهزيمة . سواء فى كتاباتها بالصحف وخاصة مجلة الطليعة ، أم فى اجتماعات الاتحاد الاشتراكى والمنظمات النقابيه والوطنية ام فى الحوار المباشر مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، عند اجتماعه بأسرة تحرير الطليعة فى عام ١٩٦٩ بدار الاهرام . وتحملت فى سبيل ذلك العنت والاضطهاد والاقامة الجبرية والسجن والتشريد .

فى نفس الوقت أفرخ تحالف البيروقراطية ونواة الرأسمالية الطفيلية ما أصبح يعرف « بالطبقة الجديدة » . التى أخذ ينبثق عنها تياران رئيسيان يبدوان فى الظاهر كما لو كانا متناقضين ، ولكنهما موحدا الاتجاه والهدف فى محاربة القوى الوطنية والتقدمية . وذلك فى محاولة لجر حركة الجماهير عن مسيرتها الجذريه نحو التغيير الشامل ومعالجة اسباب الهزيمة الحقيقية ، الى متاهات تبدد طاقاتها وتطرح أسبابا غير حقيقية للهزيمة وتزيف وعيها بالواقع .

تجسد **التيار الأول** ، في افساد البناء السيكولوجي للانسان المصرى وتغريبه عن الواقع من خلال تفجير بركان الجنس الرخيص ، تليفزيونيا وسينمائيا واذاعيا وصحفيا ونوادى ليل الخ ...

أما **التيار الثانى** ، فقد راح يبرز من جديد حول ظاهرة « جيش الخلاص » فى المجتمع . واخذ يعلق على رقاب الجماهير ، سيف الالحاد . ويربط بين الهزيمة وبين اقتراف جريمة السير فى طريق الاشتراكية والتأميم والقطاع العام .
بيد أن الجماهير بقواها الوطنية التقدمية ، ظلت قادرة على التصدى ـ نسبيا ـ لهذين التيارين من خلال تسديد ضرباتها الى « الطبقة الجديدة » . وقام فى وجه « جيش الخلاص » المزعوم ، منذ البداية ، تيار دينى مستنير ، يدعو الى الدين الحق وقيمه النضالية فى التحرير ومواصلة التقدم الاجتماعى .

وتوالت الاحداث العاصفة ، مات عبد الناصر وخلفه السادات ، وثارت الصراعات حول السلطة التى حسمت فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، وتعاظمت حركة المد والجزر فى المجتمع تصاحبها الازمات الاقتصادية ومطالب الاعداد للمعركة حتى اندلعت حرب اكتوبر المجيدة ، بعد مخاض اليم .

وكانت طبقة الرأسمالية الطفيلية ، قد استفادت من محنة الازمات الاقتصادية والسياسية وراحت تستشرى . وفى محاولة لاستثمار نتائج حرب اكتوبر لصالحها ، أخذت تشجع وتشحن بالزاد قوى التيارين المعاديين لحركة الجماهير .

ولما كانت هذه الطبقة محدودة الحجم ، منبوذة اجتماعيا ، معادية للديمقراطية وللتطور ومفلسة فكريا ، فقد عمدت الى خطة تغطية « عوراتها المقروحة » برداء دينى ، والدين منها براء .

وهكذا نشطت ظاهرة « جيش الخلاص » هذه المرة ، على نفس طبيعة الطبقة التى تخدمها ، طفيلية . ومن هنا جاء استفزازها لمشاعر الناس وجمهرة المتدينين ورجال الدين الاصلاء المستنيرين ، عميقا وشائنا .

فالبيومى الطفيلى ، ليس مسئولا عن عمارته التى بناها بالرمال وأعواد الصفيح وانهارت على رؤوس سكانها ، فهذا قضاء وقدر لا حيلة له فيه .

وتجارة شارع الشواربى لا غبار عليها ، ذلك أن التجارة عمل مشروع وحلال فى نهاية الامر .

وحددت قيادة الطفيليين « لجيش الخلاص » مهامه الاستراتيجية والتكتيكية .

وتتركز الاستراتيجية فى تحويل مهام ونضال الجماهير عن قضية استمرار تحرير الارض والتنمية الاقتصادية الشاملة المركزية بقيادة القطاع العام وتشجيع القطاع الخاص الوطنى المنتج ومحاربة النشاط الطفيلى ، وبناء وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية فى اطار ديمقراطى لايصادر حرية الفكر والتعبير والابداع ، وتعميق الانتماء القومى عربيا ، والحضارى العصرى انسانيا .

والعمل فى نفس الوقت على اعادة الشرعية للقيم الرأسمالية التقليدية ، وديمقراطية الصفوة . والطاعة العمياء لاولى الامر . وتحرير الاخلاق قبل تحرير الارض . واشاعة قيم الفردية والذاتية المعادية للجماعية والتفاعل مع الغير ، الشقيق والصديق ، محليا وعربيا ودوليا .

أما التكتيك فيعمد الى وسائل وصياغات متعددة ، تأخذ فى مجموعها صورة « انقاذ الناس الابرياء من مخاطر شياطين الالحاد المارقين العملاء لقوى اجنبية وبالذات شيوعية ، فالاشتراكية ، كفر . والاشتراكى ملحد . والديمقراطية وأعمال ارسطو واينشتاين وماركس وكينز . . وحتى ابن رشد ، أفكار مستوردة .

والصداقة مع السوفيت التى أثمرت فعليا ـ رغم كل ما ثار من خلافات ـ السد العالى ومصانع الحديد والصلب والترسانة البحرية ، عماله وتبعيه » .

وتجمع القوى الوطنية التقدمية من منابع فكرية واجتماعيه متعددة تآمر يسارى . واليسار هو ماركسية مقنعة حينا وظاهرة حينا آخر . وفى كل الاحوال الماركسيه بديل للوطنية !

وممارسة الشجاعة الادبية فى التعبير عن الرأى والاختلاف مع السلطة فى هذا الامر او ذاك ، جريمة تلبس نكراء . ترتفع معها الاصوات الحرة ، لجيش الخلاص ، تستعدى السلطة على « الاشتراكيين الملحدين والماركسيين الخونة » وتحرض الناس فى الشوارع على « اصطيادهم وقتلهم » .

وجاء وقت . . .

زهدت القوى الوطنية والتقدمية بمنابعها الفكرية والاجتماعية المتعددة ، الاستمرار فى « حوار الطرشان مع جماعة جيش الخلاص التى تهرب دائما من الجدل الموضوعى والنقاش العقلانى ، الى الاتهامات والادانات اللاعقلانية وذلك باسلوب محاكم التفتيش ، والحملة الماكارثية ، وقضاة أحمد عرابى وعلى عبد الرازق وطه حسين وخالد محمد خالد .

بيد أن هذا أدخل فى روع جيش الخلاص ، انه قد ادى مهمته على خير وجه ، شتت وحدة القوى الوطنية والتقدمية . عزل اليسار بصفة عامة والماركسيين بصفة خاصة فى ركن منبوذ فى المجتمع . وخنق اصواتهم وشل حركتهم كما تفعل اسرائيل بعرب فلسطين ، او كما تعامل أمريكا الهنود الحمر .

وأجزلت له الطبقة الطفيلية فى مصر والعالم العربى العطاء ، جزاء شكورا .

غير ان الواقع الحى سرعان ما وجه للطفيليين ودعاتهم من جيش الخلاص لطمة قاسية ، ذلك انه ما أن اقر انشاء المنابر والتنظيمات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكى ، حتى تولد من أحضان القوى الوطنية والتقدمية « **التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى** » يضم تياراتها السياسية ومناهجها الفكرية المتعدده . فضلا عن رجال الدين الاسلامى والمسيحى المستنيرين الحائزين لاحترام وثقة جمهرة المتدينين . وذلك فى بنية تنظيمية قادرة وفعالة ، يحكمها برنامج عمل مشترك جرى صياغة خطوطه الرئيسية من خلال حوار جماعى ديموقراطى .

وانتهى هذا الحوار الى تحديد الطبيعة المميزة لهذا التجمع فى النقاط الست التالية :

« ● انطلاقا من ثورة يوليو وتطويرا لفكرها ومنجزاتها الوطنية والتقدمية .

● وايمانا بالاشتراكية العلمية بوصفها الطريق الوحيد لتجديد شباب مصر وتحرير شعبها العامل .

● وتأكيدا لامال الشعوب العربية فى الوحدة على أساس ديمقراطية تقدمية من خلال النضال الثابت ضد كافة أساليب الاستعمار القديم والجديد وضد الكيان الصهيونى العدوانى وضد الرجعية العميلة للاستعمار .

● والتزاما بقضية تحرير الارض العربية كاملة وضمان حقوق الشعب الفلسطينى وبخاصة حقه فى العودة الى ارضه المغتصبة واقامة دولته الوطنية .

● واقتناعا بانتماء مصر العربى الاصيل وبأن الشعب المصرى جزء لا يتجزأ من الامة العربية .

● وانطلاقا من الحقيقة التى أكدها تاريخ الحركة الوطنية فى بلادنا من أن الايمان بالقيم الروحية ، كان ولايزال سندا قويا فى النضال ضد الاستعمار وتوحيد صفوف القوى المعادية له من المسلمين والمسيحيين . وايمانا بأن الاديان السماوية فى جوهرها الحقيقى وأصولها النقية ترمى الى تحرير الانسان وتحقيق كرامته وشرفه . وتستهدف تخليصه من الاستغلال وتحقيق المزيد من التقدم الذى تتيحه ظروف العصر . وانها بريئة من محاولات القوى الرجعية استغلال الشعور الدينى فى محاولات لعرقلة التقدم واثارة الفتن الطائفية وحماية مصالح المستغلين » .

● ● ●

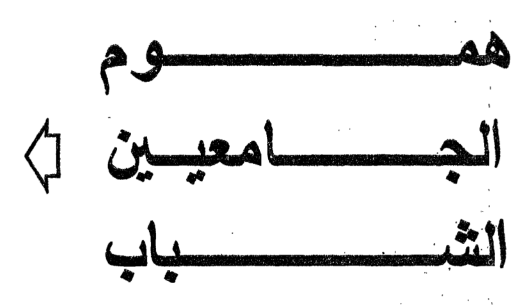
جن جنون الطفيليين . وطاش صواب جيش خلاصهم . وانطلقوا جميعا فى هستيريا مجوسية ، يسددون رماح ارهابهم ، لا الى عدد من قادة القوى الوطنية والتقدمية – كما درجوا على ذلك من قبل – وانما الى صدور عامة الجماهير دون تمييز

وهنا ، بالدقة ، ارتكب جيش الخلاص خطأه التكتيكى القاتل . اسقط نفسه بنفسه فى بحر الشعب المتلاطم الامواج ، يحاول السباحة فى الاتجاه المعاكس للتيار .

والتجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، بوعيه للواقع ، والتاريخ لا يغفل لحظة عن حقيقة أن معركته الرئيسية هى مع القوى الطفيلية . أما « جيش الخلاص » فليس فى جوهره ، الا « **خيال مآته** » لا يخيف سوى من كان فى رأسه عقل عصفور . ولا يرهب غير من كان فى قلبه مرض .

وصدق من قال : كتب على المؤمنين بانسانية الانسان ، النضال حتى الرمق الاخير ، فأما النصر واما الشهادة .

لطفى الخولى



فى هذا العدد يلتقى قراء الطليعة فى دراسة « الهموم » بشخصيتين :

اما احداهما : فهى شخصية احمد حسين المعيد بكلية الطب البيطرى بجامعة القاهرة

وأما الثانية : فهى شخصية درويش عبد الفتاح المدرس المساعد بكلية الهندسة بجامعة القاهرة

ولكن لماذا شخصيتان لا شخصية واحدة كما اعتادت الطليعة أن تفعل فى اعدادها الماضية ؟

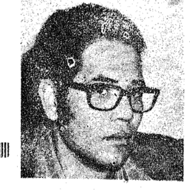
السبب انه فى محيط المثقفين لا نجد انفسنا امام « طبقة اجتماعية » بالمعنى العلمى لهذا الاصطلاح . فالمثقفون لا يشكلون طبقة بل شرائح اجتماعية تأتى من جميع الطبقات - تقريبا - وقد تمثل أو لا تمثل الطبقات الاجتماعية المنحدرة منها .

ولذلك يحتل المثقفون - بشكل عام - وضعا خاصا له صفاته المتميزة فى الحركة الوطنية وفى حركة التغيير والتقدم الاجتماعى .



أحمد محمود حسين

و



درويش عبد الفتاح

واختارت الطليعة ان تقدم من بين هؤلاء المثقفين فئة معينة هى فئة المثقفين العلميين او « التكنيكيين »

ثم اختارت ان يكون النموذجان من جيل الشباب ،هذا الجيل الذى تلقى العلم فى مجتمع ثورة ٢٣ يوليو وتحت تاثيرها وتفتحت عيناه على هذه الثورة فى أهم أطوارها ومراحلها الفاصلة ، وحدد منها مسلكه ومواقفه على صعيدى الفكر والعمل معا .

واختارت الطليعة ، بعد هذا ، أن يكون النموذجان من أوساط شعبية : من الطبقة المتوسطة الصغيرة « أحمد حسين » ومن الطبقة العاملة « درويش عبد الفتاح » ، وهى الاوساط التى كانت تعجز ـ فى العادة ـ اما عن ارسال ابنائها الى المدارس أو عن تعليمهم فى الجامعات والمعاهد العليا .

كيف يفكر هذا الجيل من الشباب الجامعى ؟ ماهى علاقته بالجامعة وبالطلاب . ماهى مواقفه الاساسية من عدد من القضايا السياسية والاجتماعية . ماهى تطلعاته وماهى أماله أو رغباته . ماهى عناصر النجاح والاحباط فى تحقيق هذه التطلعات . الى اى حد تعتبر هذه الشخصية أو تلك نمطا اجتماعيا يصلح للدراسة ، كل هذه أسئلة تطرحها الدراسة ،وربما وجدت فى بعض اجزائها بعض اجابات عن هذا السؤال أو ذاك ■

هموم أحمد محمود حسين

■ **الطليعة : انت قرات موضوع « الطليعة » عن هموم المواطن عبد التواب . لنبدأ حوارنا بالحديث عن هموم المثقف المصرى فى القطاع الذى يمثله فى المجتمع .**

□ **أحمد :** بالنسبة للمواطن عبد التواب ، مافيش شك ان ده مسئولية حتى الناس المثقفين . احساسى بأن فيه واحد تحت مستوى الكفاف ، ده حتى يؤلمنى شخصيا وبيخلينى افكر عن مسئولية المثقفين او مسئولية البحث العلمى . الاحظ ، انا ، ان البحث العلمى لايحل المشاكل الموجودة حاليا فى مصر ، سواء كانت مشاكل اقتصادية او اى نوع من المشاكل التى يواجهها المجتمع .

■ **الطليعة : البحث العلمى هو احد المشكلات التى تخضع للنقاش ، لكن لنبدأ بطبيعة عملك كمعيد . حصل على الشهادات العلمية ، لنبدأ بنظرتك الى المشكلات الاقتصادية والاجتماعية السائدة فى هذا القطاع .**

□ **أحمد :** لاشك ان كل انسان يعتمد على مرتبه من الحكومة ، يواجه مشاكل كبيرة . فالمرتب لايكفى المعيشة ، اذا كان الواحد مستقل بذاته . لكن الحقيقة فيه مشكلة ثانية الاحظها وهى مشكلة المستقبل .

■ **الطليعة : هل لك دخل اضافى ؟**

□ **أحمد :** ماليش دخل اضافى الا الاوفر تايم . وهى فى المتوسط ٣ جنيه عن كل شهر يبقى كل صافى مرتبى ٣٨ جنيه فى الشهر .

■ **الطليعة : هل انت متزوج ؟**

□ **أحمد :** غير متزوج .

■ **الطليعة : لماذا لاتتزوج ؟**

□ **أحمد :** برغم مرور خمس سنوات على عملى كمعيد ، الا اننى لغاية الان مش قادر يكون لى مبلغ من المال يكون مناسب لان ادفعه مهر .

■ **الطليعة : هل عندك مدخرات ؟**

□ **أحمد :** لا مش محوش .

■ **الطليعة : ومتى يكون لك ؟**

□ **أحمد :** مش قادر ومش حاقدر أحوش .

■ **الطليعة : هل تسكن وحدك ؟**

□ **أحمد :** ساكن مع عائلتى . .

■ **الطليعة : هل لدى عائلتك ايراد ؟**

□ **أحمد :** والدى تاجر بسيط .

■ **الطليعة : هل تقدم للاسرة مساعدات ؟**

□ **أحمد :** بأقدم لها مساعدات . ايوه .

■ **الطليعة : ما هو قدر هذه المساعدات ؟**

□ **أحمد :** حوالى عشرة جنيهات فى الشهر .

■ **الطليعة : اذن انت تسكن وتاكل وتشرب بعشرة جنيهات ؟**

□ **أحمد :** انا بأدفع كمان اصلا تكاليف البحث من جيبى اشترى كتب .

■ **الطليعة : ما هو القدر الذى تدفعه فى ذلك ؟**

□ **أحمد :** علشان البحث والكتب التى اشتريها — علشان اثقف نفسى — حوالى عشرة جنيهات فى الشهر .

■ **الطليعة :** بالتاكيد لك زملاء معيدين لاتتوفر **لهم نفس الظروف المتوفرة لك ، كان يجدوا اسرة يقيمون وياكلون ويسكنون معها ، هناك من هم ظروفهم أسوأ .**

□ **أحمد :** مافيش شك انهم بيعتمدوا على ظروف أخرى . يعنى ممكن فيه ناس بتعطى دروس خصوصية ممكن يعوضوا . لكن انا غير مقتنع بالدروس الخصوصية شخصيا .

■ **الطليعة : رغم هذه الظروف انت لم تدخر ، وهل تنوى الادخار ؟**

□ **أحمد :** برضه مأساتى الشخصية ، بالرغم من ان الواحد محتاج للاستقرار العاطفى لكن ما بيقدرش يشبع رغباته العاطفية بالاسلوب الشائع .

■ **الطليعة : تعتقد كم تحتاج لكى تتزوج ؟**

□ **أحمد :** لا . . انا مابأحلمش انى اتجوز . . عملية التفكير فى الجواز فى حد ذاتها انا لا افكر فيها . مشكلتى انى مش عايز اتجوز على حساب كرامتى . بمعنى ما احبش اروح لاسرة اقول لهم انا معايا مائتين ثلثمائة جنيه . . ساعدونى انتم . عندكم بنت هاتوا لها انتم شقة وكده . ما احبش كده . احب ان اكون مستقل بذاتى . انا شايف انه حتى لو اخذت الدكتوراه بمرتبى ، ونفرض انها زميلتى فى الكلية وحتاخد دكتوراة ، يعنى مرتبنا مايكفيش ان انا اعمل مهر ، ومايكفيش ان اعمل شقة او ادفع خلو شقة على الاقل بألف جنيه يعنى سنة عن سنة بتزيد . وبعد ثلاث سنين تبقى بألف وخمسمائة . ما اقدرش احوشها من مرتبى وخاصة ان انا

عندى التزامات أثقف نفسى ولابد اشترى كتب وأروح سينما . يعنى الواحد مايقدرش يشيل أكثر من خمسة عشر جنيه .

■ **الطليعة : وهل تريد اسرتك أن تتجوز ؟**

□ **أحمد** : هم بيلحوا على الحاج جامد . ولكن فيه اختلاف فى وجهات النظر . هم عايزين يجوزونى حسب الطريقة الشايعة فى مصر . الواحد يتقدم لاسرة الفتاة وعليها انها تشيل ثلاثة ارباع العبء . ما احبش اعمل كده . بالنسبة لى انا راجل متعلم ولى وجهة نظر فى الحياة . مافيش شك ان انا مش منفر لاى أسرة ان أنتسب اليها . وكثير جدا من الناس يتمنوا ان اقترن ببنتهم . لكن انا شايف لو انه انا وهى فقط وبنعتمد على الدعم اللى بتدفعه بعض الاسر لابنائها ما احبش ده .

■ **الطليعة : أين تسكن ؟**

□ **أحمد** : انا ساكن فى الازهر .

■ **الطليعة : وتذهب من الازهر للجامعة باى طريقة ؟**

□ **أحمد** : الاتوبيس . ما فيش شك انى بأتالم جدا نفسيا . مش الم عضلى . الم نفسى انا بأحس بالاهانة ان بعد ٢٤ سنة تعليم ، من أيام ما كنت فى مدرسة خاصة فى الروضة ، رغم ذلك انا بأحس فى المواصلات بالاهانة .

■ **الطليعة : كم تستغرق من الوقت ؟**

□ **أحمد** : الوقت مش مهم عندى بجانب الالم النفسى اللى بأحسه . وحاولت ان اسكن فى مدينة المعيدين فى الجامعة ، لقيت مشكلة الاكل طبعا قلت مش معقول احل مشكلة علشان احل مشكلة أخرى .

■ **الطليعة : الا يوجد أكل فى مدينة المعيدين ؟**

□ **أحمد** : لا . . سكن بس . وكل واحد يحضر أكله بطريقته الخاصة بيلموا من بعض ويعملوا أكل فيه نوع من التعاون .

■ **الطليعة : ماهو طموحك العلمى ؟**

□ **أحمد** : عملية الطموح مش هى اللى بتشغل بالى . اللى بيشغل بالى هو انى باتعامل مع الطلبة ومن خلال الطلبة باقدر افهم نسق من الافكار والسلوك . هو ده اللى بيقلقنى . المشكلة اللى باجدها فى الطب البيطرى ، وهو أصلا عينة من المجتمع ، وما يجرى فى الطب البيطرى يجرى فى أماكن أخرى طب بشرى او أسنان أو اى كلية أخرى . الطالب بيدخل الكلية دون ان يكون عنده اى ميول للكلية دى . مافيش اى ميول . علشان كده تبص تلاقى الطالب يتجه اتجاهين . وده اللى الانسان بيشوفه من خلال عمله . يبص يلاقى نفسه فى اتجاهين

الاســـم	احمد محمود حسين
العمـــل	معيد بكلية الطب البيطرى — جامعة القاهرة
الســن	٢٨ سنة
المـرتب	٤٥ جنيهـا
الصـافى	٣٥ جنيهـا
الشهـادات	بكالوريوس طب بيطرى دفعة ١٩٧١ بتقدير جيد
الدراسات العليا	الماجستير

خطرين الاتجاه الاول أن الطالب بيضطر آخر السنة يبدأ يغش ، ودى مشكلة احنا بنشوفها آخر السنة . يعنى الاول كانت نسبة الغش ٧ فى المائة ، النهاردة الطالب بيشعر ان من حقه انه يغش . بتوصل النسبة اكثر من ١٠ أو ٢٠ فى المائة طبعا دى مزعجة .

الاتجاه الثانى ان الطلبة تتجه الى الدروس الخصوصية . مفيش شك ان فيه ناس ممعهاش فلوس ، وفيه ناس بتستلف علشان تاخد دروس خصوصية . طبعا المشكلتين دول بيقلقونى أنا على أساس ان فيه ناس أو احنا بنسمح لناس معندهومش اى كفاءة علمية انهم يأخذوا مراكز قيادية ، يقودوا مجتمع بنفس القيم والافكار المتخلفة . يعنى بنسمح للى عنده قدرة مادية انه يقود اكثر

■ **الطليعة : كم تكلف الدروس الخصوصية طالب الجامعة فى الكلية عندكم ؟**

□ **أحمد** : مش المشكلة هى الدروس الخصوصية المشكلة فى نوعية الافكار والقيم اللى تدفع كل من الطالب أو المعيد أو عضو هيئة التدريس ، انه يدى دروس خصوصية . مافيش الاحساس . هو ده اللى بيزعجنى .

□ **أحمد** : مافيش شك اى طالب مرتبه او اى واحد موظف من أسرة متوسطة مايقدرش يدفع أى دروس خصوصية .

■ **الطليعة : كم تكلف ؟**

□ **أحمد** : اصلها بتختلف من معيد الى مدرس لاستاذ مساعد مش كله .

■ الطليعة : كم في المتوسط ؟

□ احمد : أصلا انا مش مهتم بالموضوع اطلاقا ولما تيجي مناسبة زى كده ، ارفض لكن اسمع ان في مادة تتكلف في حدود ستين جنيه . وانا مش عايز أنظر للموضوع نظرة مادية على اساس ان فيه في مصر طبقات قادرة على ان تدفع . لكن بالتكلم على ان فيه ناس عندهـا أفكار بتدفعها لسلك هذا السلوك الخطر على التقدم العلمى .

■ الطليعة : هذا بالنسبة للطـالب وبالنسـبة للمعيدين وهيئة التدريس ، لماذا هذا السلوك ؟

□ أحمد : المشكلة تبدو من التربية في المدرسة المدرسة لها وجهة تربوية غير الوجهة التعليمية . يعنى ايه التربية في المدرسة . والمدرسة لهـا وجهة تربوية على اساس ان المدرسة اذا كانت ابتدائى أو اعدادى أو ثانوى ، مفروض أنهـا تنمى هوايات ، وتنمى شخصية الطالب . فلكل انسان له طبيعة عمل معينة . فالمفروض انها تنمى شخصيته . والمدرسة تنمى في الطـالب أدواته انه يتعرف على العالم الخارجي ، بأنها تنمى احساسه وفكره . بيطلع الطـالب بدون شخصية او ميول . وهو عايز ايه ؟ ايه الوجهة اللى بيجب يختارها ؟ و نتيجة لهـذه الظروف بتخشى الطلبة في الثانوية العامة بيجى الطلبـة يختاروا مهن بعيـدة عن ميولهم الشخصـية اطلاقا ، يختارها لهم اباؤهم فتلاقى ان كل طالب بيخش كلية لاتعبر عن امكانياته الشخصية أو عن ميوله الشخصية ، بقدر ماتعبر عن تطلعات مادية يعنى انا با احس في الطب البيطرى لما اسأل طالب وانا بأحب اتعامل مع الناحية النفسـية للطلاب ، أبص الاقى طالب متوتر في مذاكـرته ومتألم واسأله يقولى انا معنـديش ميـول . ويقول انا لما قدمت كنت عايز أدخل فنون جميلة ابوه يقول له لازم يدخل الطب . فبالطريقة دى يدخل الطالب الكلية ويحس بالالم . ويحـس بالالم مش لغبائه ، لكن لان مـالوش ميـول شخصية للطب .

وهذا ناتج من الافكار وفلسـفة التعليم في مصر ، بغض النظر عن الميول الشخصية .

■ الطليعة : ماهو الحـل الذى تقـدمه كرجل تربوى ؟

□ احمد : احب الفت نظر القائمين على التربية في مصر ، ان يكون دور المدرسة تربوى مش تعليمى فقط . أى أن نبحث عن ميـول الفرد ونتمى تلك الميول . ثم ثانيا نحاول بقدر الامكان، ودى مهمة اساسية جدا ، إنهـا تنمى وسائل التعبير عن شخصيته وذوقه واحساسه وعقله .

واحنا في المدرسة زمان ، اول ما اتعلمنا اتعلمنا ازاى يمتهن الذوق والاحساس . ان المدرسـة وسيلة لبلوغ التفكير العلمى المضبوط والتربيـة الفنية والتربية الرياضية . انا لاحظت لما كنت تلميذ في ابتدائى ، انهم بيمتهنوا التربية الفنية والتربية الرياضية دى هى اللى تبنى الذوق عند الفرد واحسـاسـه والقـدرة عن التعبـير عن شخصه . فبيبقوا افراد منعزلين في المجتمـع وضعاف ماعندهومش القدرة على تنميـة اى قدرات أخرى . كأن يختاروا شخصياتهم ومهن تناسب تلك القدرات هى ده المشكلة .

■ الطليعة : هل عندك اقتراح آخر ، للالتحاق بالجامعة عن غير نسبة المجموع ؟

□ أحمد : المدرسة لما تقوم بدورهـا التربـوى صحيح ، تبص تلاقى الراجل اللى عـايز يبقى دكتور فعلا بيبدع في مجـال العلوم الاساسية مثل الاحياء والكيمياء والطبيعة .

■ الطليعة معنى هذا ان رأيك ان يضع التنسيق في الاعتبار ، مسالة الابداع في عـلوم معينـة وليس على اساس المجموع الكلى للدرجات ؟

□ احمد : لا . ده كمان المدرسة هى اللى تقوم بتفهيم الطالب ، او كل طالب عنـده ميول في مجموعة من العلوم اللى يقدر يمشى فيهـا على طول يعنى الطالب اللى بيحب الكيمياء والطبيعة والرياضة ، توفر له امكانيات تؤهله ان يمشى في هذا المجال . الطالب اللى بيحب الفنون يمشى في الفنون على طـول . لكن مافيـش الادوات اللى تخلى الطالب يبدع أو يتعرف على مواهبه ازاى . اذا كان الفصل ٥٠ تلميذ ما بيقـدرش المدرس يختار او يوجـه التـلاميذ لهواياتهم أو قدراتهم المضبوطة . فيطلع في الثانوية العامة بيذاكر علشان يجيب مجموع فقط ، انما ميوله الشخصية ايه أو هو عايز ايه فعلا أو قدراته ايه ؟ ده مش موجود .

■ الطليعة : ماهى المشكلات التى تواجه طلبتك ؟ وما هى المشكلات الاخرى التى تلمسها عندهم ؟

□ احمد : لاشك ان الجامعة فيها نقص خطـير في حاجات كثيرة . يعنى مش راح أكلمك في سعة المدرجات أو نقص المكتبة أو نقص النشاط الثقافى . كل ده ماهو الا انعكاس لفلسـفة التعليم . فلسفة التعليم الموجودة حـاليا عايزة تخرج موظف . اذن الظروف الحالية الموجودة في الجامعة مناسبة جدا لهذه الفلسفة . شىء طبيعى تحصيل حاصل . اما اذا كان مفروض في طالب الجامعة ان يكون راجل قيادى ويغير المجتمع ويكون على فهم لمشاكل البيئة بتاعتـه وعايز يكون راجل له وجهة نظر للحياة وتغيير تلك البيئة ، فما فيش شك ان تلك الظروف غير

منسبة خالص . لكن انا مش راح اتكلم عن النقص . ولكن مناسب للعقلية الموجودة حاليا تخريج موظف . انا حا اقول لحضرتك مثال . في نفس الوقت من سنة ٥٢ لغاية دلوقت ، زاد الانفاق على تعليم الطب البشرى وزاد عدد الطلاب وحصل توسع في البناء في كليات جديدة ومع ذلك فيه مشاكل سيئة موجودة بين المصريين ، زى البلهارسيا وزى الانكلستوما وزى الحمى الروماتزمية مع ان الانفاق زاد على تخريج الاطباء البشريين ، لكن المشاكل مازالت موجودة . ونفس الوضع في الزراعة . عدد مهول بيتخرج من كلية الزراعة كل سنة ورغم ذلك بنجد مشاكل . مشاكل مثل مشكلة دودة القطن وزراعة القطن ، وانخفاض الغلة الزراعية ، وانخفاض انتاجية الارض . ما السبب في ذلك ؟ نفس الموضوع في الطب البيطرى . رغم ان عدد الطلبة زاد في الطب البيطرى والانفاق على التعليم زاد ، الا ان فيه برضه مشاكل موجودة في الطب البيطرى زى انخفاض الثروة الحيوانية ، وانتاج الدواجن قليل وضعيف جدا في مؤسسة الدواجن . ماهو السبب ؟ والسبب اننا لانخرج نوعيات من الناس ، أو خريج يفهم مشاكل البيئة ويحاول يغيرها . احنا بنخرج موظف فقط . هي دى المشكلة .

■ **الطليعة : هل دخلت كلية الطب البيطرى برغبتك ؟**

□ **أحمد :** أنا كنت في كلية العلوم أصلا . وبعدين كان عندى احساس ان العلوم الطبية في حد ذاتها مثيرة بالنسبة لى . زى ماقلت لحضرتك في البداية ، التطلعات المادية لها آثارها في داخل الانسان . وعلشان احنا من اسر متوسطة ، ومافيش شك ان أحسن واحد في المجتمع بيبقى ناجح الطبيب البشرى .

■ **الطليعة : انت بتتكلم عن الوسائل التربوية وعن مشكلة ان القادر هو الذى يستطيع أن يحصل على أكبر قدر ممكن من التعليم عن طريق الدروس الخصوصية . المشكلة هي في فلسفة التعليم .**

هذا يجرنا الى فكرة الجامعة الاهلية . ماهي وجهة نظرك باعتبارك تربوى واحد العاملين في مجال التعليم الجامعي ؟

□ **أحمد :** أنا لا اقر الجامعة الاهلية اطلاقا لاسباب كثيرة جدا .

أولا .. لان هناك نقص في هيئة التدريس وامكانيات المعامل . حنعمل جامعة جديدة ليه ؟ ايه السبب ؟ حنجيب لها منين هيئة تدريس .. وامكانيات ؟ اذا كانت الكليات الاقليمية الموجودة حاليا زى اسيوط وزى الزقازيق بتواجه معاناة بالنسبة لهيئة التدريس وبتواجه نقص في المكتبات ونقص في المدرجات والمعامل ، نعمل ازاى جامعة اهلية اخرى ؟

ثانيا .. ان فيه فلسفة موجودة حاليا عند البرجوازية المصرية مفروض ان التعليم الجامعى حق لكل من عنده قدرات او ماعندوش قدرات . هى تطلعات طبقية اكثر ماهى تطلعات حقيقية . كل اسرة من دول كنوع من التطلع الطبقى ان ابنها يتخرج من الجامعة . ومافيش اسرة تقول ان ابنها طلع ميكانيكى ناجح او نجار كويس او طلع عمل مشروع دواجن كويس . لانها لاتؤمن بهذا الموضوع . لاتؤمن بشرف العمل هى عايزة شهادات علشان كده انا لا أؤمن بالجامعة الاهليه اطلاقا .

■ **الطليعة : هل أدى البحث العلمى دوره وكيف يمكن ان يؤديه ؟**

□ **أحمد :** رايح ارجع برضه لنفس المشكلة نقطة الفلسفة ، على اساس ان المفروض البحث العلمى في مصر ، أصلا تؤمن بأن للفرد دور في هذه الحياة والبحث عن وسائل يؤكد بها الانسان دوره ، وماهى الوسائل التى يتعرف بها الانسان على العالم الخارجى هو ده الاساس في البحث العلمى .. في أوروبا الانسان هناك عنده احساس بأن له دور في هذا الوجود . ويرجع الدور للعقل الذى عليه ان يكتشف اسرار الوجود ، وأعلى من شأن العقل وعندهم ان العقل له امكانيات كبيرة وغير محدودة . هذه احدى قيم الغرب : ان يحس الانسان بالسعادة . كان الاسلوب لسعادة الفرد هو البحث العلمى . كل المشاكل هناك بيحلها البحث العلمى نتيجة لوجود هدف عند الفرد انه بيحس بالسعادة . العكس موجود عندنا . تبص تلاقى غياب دور الانسان في الوجود . الانسان مش حاسس ايه دوره في الحياه . وبالتالى غياب أدواته في التعرف على هذا الدور . احنا لم نعلى من شأن العقل وشىء شائع عند المصريين . هناك قناعات تغرس في وجداننا تنال من سلطة العقل ومقدرته ومثل هذه المواضيع هى اللى بتخلى نفس الانسان عاجز ان يفهم الوجود واسراره ومافيش شك ان البحث العلمى وسيلة لفهم الوجود واسراره دى المشكلة الاساسية في مصر .

■ **الطليعة : تريد أن تقول انها ليست فقط امكانيات ؟**

□ **احمد** : انا ضد هذه الامكانيات خالص . وانا عايز اقول حاجة فى العصر القديم يمكن كلنا نذكر فيثاغورس وارشميدس واقليدس . الناس دول كانت امكانياتهم ضعيفة ورغم ذلك استطاعوا انهم يؤسسوا نظريات مازالت الى الان تدرس. يعنى قاعدة اقليدس الى الان تدرس .

فى العصر الوسيط نفس الموضوع . يعنى رغم أن ادوات الفلك كانت ضعيفة جدا ، لكن بصينا لقينا علماء كبار قدروا برضه يفهموا ويؤسسوا نظريات كبيرة ، زى جاليليو وزى كوبرنيكوس . ونفس الموضوع فى العصر الحديث ازاى اشتغل اسحق نيوتن ولافوازييه. وازاى اشتغلت مدام كسورى وكانت عندهم امكانيات ضعيفة جدا لكن قدروا يؤسسوا الحافز الفلسفى عندهم .

■ **الطليعة : وكيف ننمى هذا الحافز عند المواطن المصرى ؟**

□ **احمد** : هى مجموعة من القيم والمبادىء . هى اللى موجودة وعن طريقها مافيش شك حيتعلم الحافز وعايز اقول حاجة بالنسبة لمن يقول امكانيات . ان مايناسب بعض الاجهزة العلمية فى مصر يعنى كأساس نمط دول نامية قد لا يناسب غيرها . يعنى عايز اقول العكس ان دول متقدمة جدا ووصلت فى اوروبا لدرجة متقدمة ، قد لاتماثل نمط التنمية فى مصر .. يعنى مثلا جامعة هارفارد قد يكون من المناسب لها ان نستخدم عقل الكترونى يعمل بأشعة الليزر . احنا هنا ماينسبناش هذا النوع احنا عايزين عقل الكترونى متوسط سعة التخزين بتاعته متوسطة . مثلا يمكن مؤسسة امريكية يناسبها ميكرسكوب الكترونى . احنا هنا نمط التنمية بتاعنا متخلف شوية ويناسبنا بعض الاجهزة والامكانيات المتوسطة حتى لازم احنا نجيب كل الاجهزة المتقدمة المعقدة أوى دى من برة ، ونقول يا دى يابلاش .

■ **الطليعة : نعود للموضوع الاساسى . كيف ننمى فى الفرد القيمة والحافز الذى يدفعه الى السعى نحو المعرفة والاهتمام بمشاكل مجتمعه ؟**

□ **احمد** : مافيش شك ان التربية فى الأساس، تكون لها فلسفة واضحة لتنمى فى الفرد قدراته وتعطيه أدوات التعرف على العالم الخارجى .

■ **الطليعة : وماهى الفلسفة التى تقترحها للمجتمع ؟**

□ **احمد** : هى بسيطة جدا .. جدا .. جدا ، كما قلت فلنبدأ بتلك القيم التى تعطى للانسان دورا فى الحياة وتؤكد دوره فى الحياة . الانسان له دوره فى الحياة يستطيع ، بقدراته الخاصة وبعقله خاصة ، هو كمكتشف هذا الوجود وانه هو فعلا يكون يعنى متبرع فى هذه الحياة ويقدر يستخلص منها احتياجاته .

■ **الطليعة : على نطاق المجتمع ، كيف نوفر للانسان الحافز لان يكون له دور فى الحياة ؟ كيف مثلا على نطاق عام نخلق فلسفة شاملة تكرس للانسان حقه فى الحياة ؟**

□ **أحمد** : زى ماقلت برضه حناخذ مثلا مدرسة المدرسة ابتدائى واعدادى وثانوى ، لما يجى الاستاذ فى حد ذاته يفهم الطالب من البداية : احنا زمان كنا فى حصص الرسم ، أو حصص الرياضة البدنية ، يضحى بها لحساب اللغة العربيه او الحساب . لكن بدون شك ده كان عدوان على جانب آخر من جوانب شخصية الانسان هو الوجدان بتاعه . كانوا بيعلمونا مثلا ان الرياضة والفن ده شىء يعتبر تضييع وقت ، بينما هذا الجزء بالذات هو الذى ينمى شخصية الانسان .

■ **الطليعة : هذا بالنسبة لمسئولية المدرسة . فما هو الوضع بالنسبة للمجتمع ككل وسلطته ؟**

□ **أحمد** : لا .. ده بالنسبة للحياة عامة ، والسلطة من ضمنها . الفرد عندما يتعلم ان ينمى وجدانه يعنى التربية الفنية والتربية الرياضية هى التى تشحذ وجدان الفرد . وهى التى تعقل ضميره الاجتماعى .. كمان بتعلمه ازاى يعبر عن نفسه . اهم حاجة ازاى يعبر عن نفسه يعنى لما يكون عنده مشكلة ، ازاى يعبر ويقولك انت غلطان .

احيانا هو بيمنع من التعبير ويسهل عملية منعه أنه ما عندهوش هذه الادوات .

يعنى مثلا ، فى انجلترا وامريكا . لما اى فئة من الفئات يكون لها مشكلة ، الفئات دى بتتجمع مع بعض وبتعبر عن وجهة نظرها . لكن احنا ماعندناش القدرة ان نعبر عن شخصيتنا ، ايه هو اللى عايزينه . بنتقاعس .. وبنخاف . يعنى الخوف نتيجة لغياب احساس الفرد بذاته . يعنى اذا كانت السلطة بتقسو على الفرد وبتمنعه من التعبير عن رأيه . ده مش نتيجة لقوة السلطة ولكن نتيجة لضعف الشخص . الشخص ضعيف، بيقبل الاهانة وبيقبل انه هو مايعبرش عن رأيه. هى دى المشكلة .

فى امريكا أو فى انجلترا مثلا أو فى ايطاليا ، القوى السياسية قوية ومنظمة ، ورغم ذلك الحزب الشيوعى الايطالى والاحزاب الاشتراكية الايطالية ، لها دور قوى وبتقوم بنضال جماهيرى

لتحسين أحوالهم لان الشخص قوى . وفيه ناس بتعتقل وبتموت ومع ذلك فيه الكتلة الكبيرة من الشعب مؤمنة بأنها تقدر تعبر عن رايها لان عندها القوة والحافز .

■ **الطليعة : ومـا الذى يمكن أن يحفز المواطن المصرى لكى يعبر عن نفسه ؟**

□ **أحمد** : زى ماقلت . مجموعة القيم والمبادىء التى أن لم يتعلمها الفرد فى المدرسة فلا أمل ان يتعلمها طوال حياته .

■ **الطليعة : معنى هذا انك فى انتظار الجيل المقبل ؟**

□ **أحمد** : لاشك فى هذا . لاشك على اساس أنه لاحل الا اذا كان الفرد قوى حيبقى قـوى حيستطيـع ان يكون فى منظمـات سياسـية واقتصادية قوية . اذا كان ضعيف فلا أمل اطلاقا سواء فى نظام اشتراكى او نظام راسمالى لان اى نمط من الانماط حيكون ضعيف .

■ **الطليعة : ماهى القيم السائدة التى تراهـا اذن قائمة . اذا لم تكن التربية التى تكلمت عنها موجودة ؟**

□ **أحمد** : اول حاجة هو عدم ايمـاننا بالنواحى الوجدانية اى بالانسان كانسان وزى ماحوضح وهذا هو موضوع خطير جدا . اسـاس حديثى المدرس اللى بيمنع التلميذ انه مايلعبش رياضة او مايعبرش عن نفسه فى لوحة رسم أو نحت أو تصوير . طبعا الموضوع ده مش بسـيط . الموضوع فى حد ذاته خطير جدا . الطالب فى هذه السن بالذات عنده انفعالات انما ازاى يعبر عن انفعالاته بطريقة منظمة .

■ **الطليعة : لكن لم يعد هناك اضطهاد للرياضة او للرسـم فعشـرات الالاف من الطلبـة المصريين يعبرون عن أنفسـهم فى الرسـم أو الرياضة ، ومع ذلك نفس الملاحظات قائمة ؟**

□ **أحمد** : انا باعتمد على «الاهرام» فى تحقيقاته وعلى مشاهداتى الشخصـية .. لاشـك انهم بينظروا الى هذا نظرة استحسان . لكن عايز اقول، هل تفتكر ان كل مدرسة ثانوى فيهـا من الملاعب ماينـاسب عدد الطلبة . ما اعتقدش . اى مدرسة النهاردة بتعتدى اعتـداء تـام على الحوش . الحـوش اللى كان كبير بيسع الف طالب النهاردة بتقام مكانة عواميد مسلح لاقامة فصول مدرسية . نفس الموضوع فى امكانيات الفن النهاردة احنا كنا بنشتغل بقص ولزق كنا بنتشغل بالنحت وكان فيه امكانيات .

■ **الطليعة : فى رأيك أن الحـل عن طريـق الرياضة والفن ؟**

□ **أحمد** : لا الرياضة والفن تعبير عن أن هناك ناس تؤمن بوجدان الانسان وبشخصيته . واذا بدأت فى المـدرس فى وزارة التربيـة والتعليم فمعنى ذلك انها فلسفة عامة فى المجتمع .

■ **الطليعة : مشكلة الاعارات للخارج . ماهو تفسيرك للظاهرة ؟**

□ **أحمد** : تفسيرى لهذا الموضوع أن رجل هيئة التدريس ماكانش عنده من الاساس ميول انـه يقبل مهنة التدريس . هو جاب مجموع وصـم الكشكول كويس جدا . اتعـين معيـد ، بقى مـدرس ومش راضى . وعلشـان كده بيبقى متبرم بكل شىء . ويرحب بقدر الامكان يبعد عن هده الظروف . لكن برضه فيه جانب مـادى للموضوع المفروض ان احنا ننظر للموضوع من كل أبعاده الحقيقية . أنا شايف المشـكلة فى غياب عامل الفلسـفة . المهم ان الشخص مش يكون دارس بره المهم انه يحل مشاكل مصر ، المهم انه يقعد هنا .

عايز اقول ان فيه أسـاتذتى ، انـا أعرفهم ومعايا فى الكلية ، عنـدهم عربيات وعمـارات ومتجـوزين ومسـتقرين وعنـدهم عيـال ومابيشتغلوش . ليه المدرس بجيى علشان يدى الحصص بتاعته فقط ؟ فين البحث العلمى . وفى الاجازة ماتلاقيش حد موجود فى الكلية . هو البحث العلمى بياخذ اجازة ؟ مفروض يكون قاعد ويلبس البالطو ويشتغل ، يكون نموذج للمعيد لكن مابيحصلش الكلام ده . بعد الواحدمابيترقى وبياخذ استاذ مابيشتغلش . لما بيوصل مرتبه ١٥٠ جنيه عمره مابيفكر أن فيه ناس مابتلاقيش تاكل . مش كل واحد يقول عايز مائة ومائتين ، وكل واحد عايز يجيب عربية ، فيات النهاردة ، والمرة اللى بعدها فولكس ، والمرة اللى بعدها مرسيدس .. لا ..

■ **الطليعة : باعتبـارك متخصـص فى الطب البيطرى ، هناك أزمة تعانى منها مصر هى أزمة اللحوم والدواجن هل عندك تصور لكيفية الحل ؟**

□ **أحمد** : انا قلت الحل فى هذا الموضـوع . احنا بنخرج شهادات مابنخرجش ناس كل قيمهم انهم يغيروا فى المجتمع ويحلوا مشاكل البيئـة مابيحصلش الكلام ده . الفلسفة مش موجودة . احنا عايزين نخرج جيـل علشـان يخرج طبيب بيطرى يحل مشكلة البيئة ورفع الثروة الحيوانية ورفع انتـاجية الدواجن . ماعندنـاش هـذا الموضوع . بنخرج واحد يحفظ ويصم معلومات مش فاهم معناها .

■ **الطليعة : وجهة نظرك فى الاقتصـاد ربمـا توضح كل جوانب فـكرك عن الظروف السائدة فى المجتمع المصرى بشكل عام ؟**

□ **أحمد** : أنا حا اتكلم ــ طبعـا ــ قضـية الانفتاح ويخيل لى ان الانفتاح فرض علينا فرض، ولم يكن نتيجة لضغوط . بمعنى ان التنميـة فى مصر هى مشكلة . ليه ؟ علشان عجز المدخرات المحلية فى تمويل الخطـة .. فمما لاشك فيـه اننا نعتمد على التمويل الخـارجى لسـد هذا العجز وعندما كانت علاقتنا السياسية متقاربة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ، كنا بنحصل على ذلك التمويل الخارجى من الاتحاد السوفيتى ومن الكتلة الشرقية بوجه عام . وهى المسـاعدات الاقتصادية ــ فى حد ذاتها ــ بترتبط بالتقارب السياسى . احنا كنا بنستخدم هذه المساعدات الاقتصادية وفقا للنمط الاشتراكى فى الانتاج . وعلشان كده كان القطاع العام له دور رائد فى التنميـة لكن لما بدأ عنـدنا فـى خـلافات بيننـا وبين الاتحـاد السـوفيتى وبدا ان فيه تقارب بيننا وبين الولايات المتحدة الامريكية وبين دول أوروبا الغربية مافيش شك فكرنا ان احنا نحصل على ذلك التمـويل الخـارجى من دول الكتلة الغربيـة . وطبعـا تلك المسـاعدات الاقتصادية لها شروط . شروط انها تسـتخدم وفقا للنمط الاقتصادى السائد فى الدولة المانحة. فعلشان كده احنا بدأنا نتكلم عن الانفتاح بمعنى ان احنا نفتح مجال للقطاع الخاص وللاستثمار الخارجى ان هو يأخذ دوره من القطاع العام . يعنى انه بالتقارب البسيط الى حصل بيننا وبين أوربا الغربية وامريكا ، هذا أدى الى تعديلات فى نمط الانتاج السائد ، بمعنى ان كان فيه زمان بنص الدستور ، كان فيه بعض المجـالات التى يقوم بها القطاع الخاص فقط والدولة . النهاردة قانون استثمار رأس المال الاجنبى ويسمح بأن تكون فيه مجالات للاستثمار فى بعض الانشطة التى كانت أصلا ــ بنص الدستور ــ مقصورة فقط على القطاع العام . يعنى مساوز أقول أن الانفتاح هبط علينا من السماء . ان ماكان قبل ١٩٥٢ حايرجـع مرة أخرى على أسـاس أن البورجوازية المصرية زمان ، يعنى كان [illegible] مش بعيد من جريدة الاهرام . [illegible] فاتحين دكان هنا قريب كان فى مربع ماكنش يتكلم أهله غير الانجليـزى والفرنساوى . كان الرأسمال الاجنبى مسيطر على التأمين والبنوك والشركات وتجارة القطن . وكان القطاع الخاص تابع له أو البورجوازية المصرية تابعة لها . والسببفى كده أيه ؟ السـبب مش علشـان رأس المـال الاجنبى . مش هو ده السـبب . السبب ان البورجوازية المصرية فى حـد ذاتها ماعندهاش احساس بالطموح . ضعيفة . دائمـا تقبل ان يكون دورها خاضع للنفوذ الاجنبى ولرأس المال الاجنبى يعنى هم يفتجـوا واحنـا نوزع لكن ماعندهاش القدرة الفكرية لان تقـوم بمشاريع انتاجية قوية .

■ **الطليعة : كيف تحل المشكلة اذن ؟**

□ **أحمد** : اللى يحل المشكلة ان يكون فيه توازن بين القطاع العام والقطـاع الخاص ان يكـون القطاع العام له دوره فى الدولة توجهه . يكون فيه توازن بين القطاع العام والقطاع الخاص ، انما ما ينفردش القطاع الخاص .

■ **الطليعة : هل التوازن مختل حاليا فى رأيك ؟**

□ **أحمد** : التوازن حاليـا مختل من النـاحية الفكرية . لكن من الناحية الاقتصادية غير مختل.

■ **الطليعة : مختل لصالح من ؟**

□ **أحمد** : فكريا لصالح البورجوازية ولصـالح القيم البورجوازية . القطاع الخـاص ، عاوز الربح السريع . أما المشاريع الانتـاجية القوية مابتقبلهاش هو داه الاسـاس .

■ **الطليعة : هل حققت ثورة يوليو مهـامها ؟ وما رأيك فى عبد الناصر ؟**

□ **أحمد** : هو مافيش شك انـا لو كان سنى كبير اكثر من كده كنت أول واحد اشـترك فى ثورة يوليو . لان ثورة يوليو كانت تعبـير عن مطالب ملحة للغاية . ماكانش فيه اثنين يختلفوا فى أن يخرج الاستعمار البريطانى وانه لابد من اننا نشيل الملك والامراء ، وانه يجب ان نعمل جيش وطنى قـوى ، وان يكون فيـه عدالـة اجتماعية . لاشك ان ثورة يوليو كان لها دور فى تصحيح الاوضاع .

■ **الطليعة : مارأيك فى عبد الناصر ؟**

□ **أحمد** : كان عنيد .

■ **الطليعة : مارأيك فيه عموما ؟**

□ **أحمد** : هو أنا قلت ان ثورة ٢٣ يوليو جاءت نتيجة مطالب ملحة لكن ماكانتش تملك رؤيـة مستقبلية . ماكانتش تفكر فى المستقبل . ايه المفروض يحصل بعد كده ؟ ايه الحل بعد كده بعد مانطلع الملك وبعد مايكون فيـه جلاء وبعد تأميم المصالح الاجنبية وقناة السويس بعد كده حايكون فى ايه ؟

■ **الطليعة : ماهى أهم مشكلة حلتها ثورة يوليو؟ وأهم مشكلة لم تحلها ؟**

□ **أحمد** : أهم مشكلة حلتها ثورة يوليو انا زى ما قلت . ان المشاكل اللى كانت موجـودة قبل كده ليس طرد الاستعمار والمـلك ، تصـحيح الاوضاع الاقتصادية . يعنى كان فيه فئة قليلة تملك ــ الاقطاع .. تملك ، وكان الكثير لايملك كان نفس الوضع بالنسبة لرأس المـال التجارى

والمالى كان فى ناس قليلة تملك كثير جدا وكانت الغالبية من الشعب لاتملك . هو ده اللى صلحته ثورة يوليو واللى احنا يجب ان نصر عليه .

وأهم مشكلة ماحلتهاش ، هى تنمية شخصية الشعب المصرى . تنميــة وجهة نظره للحيــاة وللكون ولارادته . ومجموعة المظاهر السلبيــة مــازالت موجــودة الى الان . هــو ده اللى ماحلتهوش ثورة ٢٣ يوليو .

■ **الطليعة : قلت أن ثورة ٢٣ يوليو قد قضت على الاقطاع واصلحت الاوضاع الاقتصادية ، ما هو ــ فى تقديرك ــ النظــام الاجتمــاعى والاقتصادى الذى أقامته ثوره يوليو ؟**

□ **أحمد** : مافيش شك أن هى أقــامت نمط من الناحية الاقتصادية . يعنى احنا من النــاحية السياسيه دخلنا فى تنظيمات تشبه نظام الحزب الواحد فى مقابل تعدد الاحزاب قبل ذلك .ومن الناحية الاقتصــادية فيه نمط يشــبه النمــط الاشتراكى فى الانتاج .

وانا خايف ان بعد كده ان نتيجــة للانفتــاح اللى حصــل دلوقت ، ان البورجوازية تأخذ مواقع جديدة . ولكن البورجوازية أصــلا فى تفكيرها متخلفة بمعنى ان هى ماعندهاش القيم والمبادىء التى كانت عند البورجوازية اللى قادت الثورة الفرنســية واللى هى عندهــا قيم فى الفلسفة والادب والفن ، تؤهلهــا ان هى تأخذ مراكز قوية وتستخدم البحث العلمى كأسـلوب لحل مشاكل المجتمع ــ هى دى المشــكلة الى حاترجع الامور كما كانت زمان قبــل ١٩٥٢ . وكما حكيت ، رضيت البورجوازية عنطيب خاطر ان الاجانب هم اللى يستقلوا بالاقتصاد ويستقلوا بالانتاج فى مصر .. هى دى المشكلة الاساسية .

■ **الطليعة : هل تعتقد ان الاشتراكية طبقت فى مصــر ؟**

□ **أحمد** : كان المعلن اشتراكية . اما ماكان يدور حقيقــة فكان غــير اشتراكيــة . بمعنى ان الاشتراكية كانت بتكفل للفرد الحــد الادنى من الاحتياجات . انظر اللى متخرجين من الجامعة المفروض ان الاشتراكية تكفل لهم الحــد الادنى من الانتاج ، لتعيش بكرامة . مش موجودة . يبقى دى ليست اشتراكيــة فى بعــض النظم الاشتراكية احنا بنشوف أقل فرد بيأكل كويس بيشرب كويس بيثقف نفسه كويس بيجيب كتــب ويدخل سينما وباليه .

■ **الطليعة : بمــاذا تفسر الكلام الذى دار فى مجلس الشعب عن ظهور ٥٠٠ مليونير فى مصر ؟**

□ **أحمد** : هو تحصيل حاصل لفلسفة المجتمــع بمعنى ان انا لااريد أن اقول ان المفروض الغنى يعطى الفقير . مفروض ان يكون عند الفئــات الفقيرة القدرة على المطالبة بحقوقها . فاذا كان هناك ٥٠٠ او ٥ آلاف مليونير أو اكثر . فليس هذا هو المشكلة . المشكلة ان الطبقات الفقيرة ماعندهاش القدرة انها تطالب بحقوقها . ليس هناك صمام الامان . ماهو صمام الامان ؟ ان احنا الطبقات الفقيرة يجب أن نطالب بحقوقنا . حتى التنظيمات العمالية فى مصر ضعيفة جــدا المشكلة مشكلة فلسفة فى المجتمع .

■ **الطليعة : مارايك فى الاتحاد الاشتراكى ؟**

□ **أحمد** : هو الاتحاد الاشتراكى صــيغة . انا شايف انها ميعت الاتجاهات الفكرية الواضحة بين الطبقات المختلفه . ميعته .. ضيعته .. علشان كده انا أؤيد منابر على أساس أن تؤدى هذه المنابر الى قيام احزاب فى المستقبل . على اساس ان يكون فيــــه تنميــــة لشخصــية المنظمات . لكن لو كانت احزاب ايه الضمان اللى مايخليش الاحزاب ترجع للحياة السياسية اللى كانت موجودة قبل ٥٢ ؟ اية الضمان لكى لاترجع تلك الامور ثانية ؟ شخصيه الشعب المصرى : شــخصية المواطن المصرى ، ســواء جبنــا الاشتراكية او الراسمالية أو جبنا تعدد الاحزاب او حزب واحد ، المشكلة مازالت قائمة .

■ **الطليعة : انت تقول بمنابر تتحول مســتقبلا الى احزاب فأى مــنبر أو حزب من هــؤلاء فى المستقبل يصلح لتنمية الشخصية المصرية أم انها تنمى من خارج الاحزاب ؟**

□ **أحمد** : لا ــ تنمى من داخل الاحزاب . هى دى مشكلة الناس بقى اللى حايعملوا الاحزاب المشكلة مشكلة المستقبل فى مصر ــ دى مشكلة جيــل أو اثنين . المفــروض انهم يحلوا هــذا الموضوع والضمان هوشخصية الشعب المصرى وقيمه . ان لم تكن هذه التنمية فى شخصــية الشعب المصرى مفيش فايدة .

■ **الطليعة : وفقا لتصــورك للمجتمــع المصرى تكون الاحزاب أو المنابر فيه لمن ؟**

□ **أحمد** : الحقيقة المنابر واضحة لكن انا باقول انه بدون شك انهم حاياخذو فكرة ان الاتجاهات الفكرية المتماثلة حاتيجى جانب بعض . وبلاشك انها فى المستقبل . انا بودى أن ترجــع ، او يعنى اللى شايفه ان ممكن جدا الاحزاب تتميز الى حزبين ، كانوا مؤثرين فى حياتنا السياسية، انما فى الحقيقة لهما الشخصية الفكرية المتميزة. هما **حزب الوفد وحزب الاحرار الدستوريين** . حــزب الاحــرار الدستوريين كانوا حلف يتميز بالاصلاح خطوة خطوة وفلسفته اسلوب لتطوير المجتمع من الناحية السياسية والاقتصاديةوحزب الوفد يؤمن أو يعتمد على الشعبية الكبيرة جداء

وضم أكبر عدد من الجماهير دون أن يكون فيه بينهم وبين بعض اى تميز فكرى .

■ **الطليعة : والجماهير الاخرى التى لا يمثلها احزاب لا الوفد او احرار دستوريين ، فمن الذى يمثل مصالحها ؟**

□ **أحمد :** مش مهم من يمثل مصالح الطبقة العاملة المصرية مثلا مفروض ايضا ان يكون فيه ناس تحس بمصالح الطبقة العاملة المصرية يعنى مثلا حزب المحافظين فى انجلترا مافيهوش ناس من الطبقة العاملة . حزب الاحرار فى انجلترا مافيهوش ناس مثلا من الطبقة العاملة . حزب العمال مافيهش ناس بورجوازيين . اعتقد فيه ناس من البورجوازيين .

■ **الطليعة : فى رأيك ماالذى يقابل الاحرار الدستوريين والوفد حاليا ؟**

□ **أحمد :** ما انا قلت لحضرتك احرار دستوريين حايكون فلسفته الايمان بالاصلاح خطوة خطوة عن طريق التربية .. التربية فى المدرسة اللى هى تنمية مواهب التلميذ ، واسلوب ان يتعرف على الموضوع حزب الوفد بجمع اكبر عدد من الجماهير دون ان يكون هناك اختلاف فى المصالح الفكرية .

■ **الطليعة : ما رأيك فى مجلس الشعب الحالى ومدى تعبيره عن الواقع الموجوده ومصالح الناس ؟**

□ **أحمد :** هى المشكلة برضه كبرلمان المشكلة ماهياش انواع من الافراد ان هم يختاروا ممثلين . مافيش شك ان اى انسان يرشح نفسه لابد ان يكون عنده قدرة على ان يصرف على الاعلام والدعاية ، ويكون متميز عن الاخرين ماديا . ولكن بدون شك تبقى مشكلة أخرى . احنا كأفراد كل واحد بينتخب ممثله فى البرلمان، على اعتبار اننا عارفين ايه اللى هو حيعمله وازاى يحاسبه اذا اخطأ .

■ **الطليعة : مفهوم ان نقطة البداية عندك سواء فى المجتمع او فى التعليم بالنسبة للافراد والكل هى نقطة تنمية الشخصية . نقصد بالسؤال مجلس الشعب حاليا بعد أربع سنوات ، هل عبر عن مصالح الناس .. هل حقق طموح الناس ؟**

□ **أحمد :** لا ..

■ **الطليعة : ما الذى لم يحققه ؟ أو ما الذى كنت منتظر ان يحققه ولم يحققه ؟**

□ **أحمد :** حاجات كثيرة جدا يعنى لما ننظر الى مشاكل مصر الذاتية ، وعلى سبيل المثال الى مشاكلها الخارجية ، ففى هذه الحالة نكتشف ان الذى يواجه هذه المشاكل هو فقط السيد رئيس الجمهورية فى حين أن مجلس الشعب دوره فى « السياسة الخارجية » ضعيف او غير قائم . والدليل على كده انه عندما حدث فك الارتباط بيننا وبين اسرائيل وجدنا الاتى :

.. وجدنا **كيسنجر** بعد مايجتمع — مثلا — مع **ايجال آلون** يجتمع مع لجنة العلاقات الخارجية بالكنيست الاسرائيلى . بل اكثر من هذا ، ما من قرار يخص السياسة الخارجية الاسرائيلية الا مايؤخذ فيه رأى لجنة العلاقات الخارجية فى الكنيسيت . وفى بعض الاحيان كل الكنيسيت الاسرائيلى . النهاردة نحس انفى بعض المشاكل السياسية اللى بتخص مصر ، بالنسبة لعلاقتنا مع العالم الخارجى ، بتقررها القيادة السياسية وهى محدودة فى أربع أشخاص فقط . أما لجنة العلاقات الخارجية فلا نسمعلها صوتا الا بعد أن تحسم المشكلة . مشكلة لبنان فى حد ذاتها — ماشفتش اجتماعات ، ماشفتش رحلة استطلاع قامت بها لجنة العلاقات الخارجية التوتر بين الجزائر وبين المغرب لم أر لجنة استطلاع ذهبت الى هناك بالاضافة الى ذلك مشاكل التعليم والسياسة والاقتصاد كثيرة جدا .

■ **الطليعة : ما رأيك فى الصحافة المصرية هل اخذت حريتها .. هل لها دورها ؟**

□ **أحمد :** انا أصلا مافيش شىء اعتز به كثير جدا مثل **الاهرام** . والاهرام اعتقد انه ادى دوره بلمساته الفكرية الواضحة . وما يصدر عن جريدة الاهرام من مجلات ، مافيش شك انها تؤدى الدور .. اقصد انها تستطيع .

■ **الطليعة : هل تقرأ الاخبار وبقية الصحف ؟**

□ **أحمد :** لا . الاخبار ، دا أول مانشيت من فوق وأنا فيه خلاف فكرى مع الاخبار ما بقدرش اقراها .

■ **الطليعة : ما الذى يعجبك فى الاهرام ولايعجبك فى الصحافة ؟**

□ **أحمد :** يعجبنى فى الاهرام التزامه بالطبائع الفكرية للشعب المصرى ، والتزامه للمشاكل الاقتصادية . كل شىء فيه التزام .

■ **الطليعة : ما رأيك فى السينما المصرية ؟**

□ **أحمد :** انا — أصلا — السينما المصرية لا ادخلها لانها مزيفة للواقع انا عضو فى نادى السينما اذا كنت بادخل تقريبا كل اسبوع فيلم . اما الافلام العربى هم بيجيبو الافلام عندنا فى نادى السينما بيجيبوا الافلام العربى جميلة جدا . وانا بادخل الافلام لكن لا شك ان السينما المصرية فى حد ذاتها مزيفة للواقع .

■ **الطليعة : ماهى الافلام الجيدة التى شاهدتها؟**

☐ **أحمد** : أحسن فيلم شفته قريب جدا فيلم « **النداهة** » **لحسين كمال** . مافيش شك ان هو بيعبر عن قيم فكرية سليمة جدا . وعرضوا مشكلة واسلوب الحل للمشكلة . هل هي ايدلوجيا ولا تكنولوجيا . هو اجاد وأمكن انيعبر عن هذه المشكلة بفهم كامل .

■ **الطليعة : ما رايك في المسرح ؟**

☐ **أحمد** :المسرح التجاري للاسف الشديد لا ادخله المسرح تجاري ، برفضه ، لانه مثل السينما لا يعالج او يثير الاتجاهات ، اى ليس لديه التزام بالواقع المصري . لكن مسرح القطاع العام أدخله وأنا احب المسرح .

■ **الطليعة : ما رأيك في الاذاعة والتليفزيون ؟**

☐ **أحمد** : برفضه انا مقاطع الاذاعة والتليفزيون. لا أسمع غير البرنامج الثاني وباسمع . دائما نشرات الاخبار في صوت أمريكا على أساس نشرة الاخبار المصرية دائما بافتقد فيها الجانب التحليلي للحوادث . ما بتحللش هي بتقرا حوادث فقط . لكن الجانب التحليلي غير موجود في صوت أمريكا مثلا ، أحب اسمعها ، لان فيها جانب تحليلي ضخم جدا بأحب أسمعها جدا .

■ **الطليعة : لكن واضح من حديثك انك لا تتفق مع التحليلات الامريكية .**

☐ **أحمد** : لا .. انا أبضا لي شخصيتي الذاتية وأنا يعني مثلا حا اسمع صوت اسرائيل . انا ما باسمعش صوت اسرائيل ابدا على اساس ان انا مختلف معاهم فكريا جدا .. وهل معنى ذلك ان امريكا مثلا لما تقول لي كذا وكذا معنى ذلك ان انا أصدق ؟ يعني مثلا صوت امريكا له مراسلين في كل انحاء العالم لتغطى أخبار العالم احنا مالناش مراسلين كثير .

■ **الطليعة : وغير الاذاعة ؟**

☐ **أحمد** : لا . . أنا ما عنديش تليفزيون .

■ **الطليعه : من هم افضل الكتاب اليك ؟**

☐ **أحمد** : الدكتور يوسف ادريس في الرواية

■ **الطليعة : وفي الثقافة عموما ؟**

☐ **أحمد** : احب الدكتور فؤاد زكريا .

■ **الطليعة : ما رايك في موضوع الوحدة العربية ؟**

☐ **أحمد** : انا اعتقد ان الوحدة العربيه متعسرة واحنا شايفين حاليا ، ان لبنان يمر بمشكلة والعرب متفرجين . والتوتر بين الجزائر والمغرب يدور فيما يدور وسط متفرجين . والمشاكل بين العراق وسوريا او بين الكويت والعراق ، بيتضح انه مافيش ارتباط . واللى انا شايفه ان المشكلة كلها في ايجاد دور قيادى لمصر . يعني صمام الامان في الوحدةالعربية انا شايفه في الدور القيادي لمصر . وان لم تكن هناك دولة قيادية في وسط مجموعة منالدول ، انا اعتقد ان التعامل بين هذه الدول كلها سوف يتعثر .

■ **الطليعة : ما رايك في القضية الفلسطينية : تطوراتها والموقف الراهن بشانها ؟**

☐ **أحمد** : انا أؤيد مشروع الملك حسين للمملكة العربية المتحدة . على اساس ان يكون فيهاتحاد كونفدرالى بين الضفة الغربية التي يمثلها الفلسطينيين والاردن . لكن لا أؤيد قيام دولة فلسطينية واحدة ، على أساس ان وجهة نظرى، ان المنطقة العربية عاوزة استقرار لمدة ١٠ او١٢ سنة . استقرار اقتصادى . قيام دولة فلسطينية في هذه المنطقة بين الاردن وبين اسرائيل ، حاتكون مافيش شك ، يعني حايكون وسيلة لجر النفوذ السوفيتي في المنطقة اكثر . او حايكون فيه صراع اكثر بين النفوذ السوفيتي والنفوذ الامريكي اكثر ، على اساس ان هناك اتجاهات اشتراكية داخل الفلسطينيين وبعدين فيه توترات في المنطقة .

■ **الطليعة : بغض النظر عما يسمى الوجود السوفيتي في الشرق الاوسط ، الا ترى انهناك قضية للشعب الفلسطيني . ومن حقه ان يسترجع اراضيه ؟ .**

☐ **أحمد** : كما قلت في البداية ، ان لهم حق ان يكونوا مع الاردن وبعد كده ، بعد عشر أو عشرين سنة ، عندما يتوفرلهم استقرار سياسي واقتصادى ، ممكن يكونوا دولة بكل بساطة لكن الفلسطينيين دولقتي ، ماعندهمش الوعي اللي هم محتاجينه عشان يعملوا دولة .

■ **الطليعه : انت تقول انه ليس للفسطينيين الوعي السياسي المطلوب . لكنهم يقولون انهم بلغوا من النضج السياسي مرحلة كبيرة .**

☐ **أحمد** : مش كلام . مش كلام . يعني اذا كانت حوادث الطيارات في حد ذاتها ، معناها ايه ؟ معناها ايه بالنسبه لوزراء البترول « الاوبك » في فيينا ؟ عدم نضج سياسي . معناه ايه خطف وزراء البترول ؟ « معناه ايه ما يدور حاليا في لبنان : » جيش فلسطين يتحرك الى لبنان ..

■ **الطليعة : هل تعتقد ان بالامكان تحقيق اقتراحك خاصة وان هناك مشكلة بين الفلسطينيين والنظام الاردني منذ المذابح الضخمة التي قتل فيها الالاف الفلسطينيين سنة ١٩٧٠**

هل يؤدى اقتراحك الى نتيجة وانت تبحث عن السلام فى الشرق الاوسط ؟

□ **أحمد** : انا آرائى آراء مهمة جدا فى هذا الموضوع . على اساس ان الفلسطينيين ، يغيب عنهم ، أو يفتقروا الى تكتيك . بمعنى ان الفلسطينيين دايما لما كانوا موجودين فى الاردن ، استبدلوا المشكلة . بينهم وبين اسرائيل ، بمشكلة بينهم وبين الاردن . طبعا تفكير خاطىء ان يتدخلوا فى شئون الاردن الداخلية . ومفيش شك ان هذا اثار عداء الملك حسين ، لانهم قعدوا يقولوا الملك حسين دخيل على الاردن ، وان شرق الاردن كانت اصلها فلسطينية يعنى معنى ذلك انهم حاولوا ان يؤثروا على النظام الاردنى .

■ **الطليعة : الم تسمع بان النظام الاردنى كان لايريد وجود فلسطينى عسكرى قوى داخل الاردن بالقرب من اسرائيل ؟**

□ **أحمد** : لاشك ان هذا تحصيل حاصل الفلسطينيين اثاروا النظم التقليدية فى العالم العربى . المفروض انهم كبداية أو كتكتيك ، ان يحققوا نوعا من التوافق وبعد كده .

■ **الطليعة : كيف نحل مشكلة تحرير بقية الاراضى المحتلة فى رايك سواء بالنسبة لمصر أو بالنسبة لسوريا أو بالنسبة للأردن ؟**

□ **أحمد** : مفيش شك ان انا أؤيد الحل المرحلى لخطوة .. خطوة ، عن طريق الحل السلمى ، تسنده القوة العسكرية .

■ **الطليعة : ما رأيك فى أمريكا وسياستها بالنسبة للشرق الاوسط ؟**

□ **أحمد** : ده بيتوقف على مجموعة الافكار التى نتعامل بها مع العالم الخارجى والسياسات والسلوك . فاذا كان احنا بنعتنق الراى الاشتراكى ، خاصة فى مجال السياسة والاقتصاد فان الاتحاد السوفيتى سوف يساعدنا اما اذا اختلف الوضع واصبحنا نعتنق تعدد الاحزاب ، مفيش شك ان امريكا حاتساعدنا .

■ **الطليعة : ربما تكون هذه نظرتك من زاوية اخرى ، لكننا نسأل عن رأيك فى السياسة الامريكية نفسها . وهل تتوقع ان امريكا تقدم مساعدات ؟**

□ **أحمد** : اذا كانت امريكا دلوقت وقدمت مساعدات اقتصادية لمصر الف مليون جنيه ــ الاهرام كتب كده .

■ **الطليعة : هل لمست اثارها ؟**

□ **أحمد** : عملية اللمس دى مشكلة اخرى يعنى نفس الامريكان مالهمش دعوه هى راحو فين همه دفعوا الف مليون جنيه . ده مشكلة اخرى لاتخص الامريكان ، تخصنا احنا . همه دفعوا قيمة الف مليون جنيه . فأنا شايف الامر يتوقف على مجموعة الافكار التى نعتنقها بالنسبة للعالم الخارجى ، حنعتنق راى مين ، الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية واللا أمريكا والكتلة الغربية .

□ **الطليعة : هل لك رأى فى هذا الذى تطرحه أنت ؟**

□ **أحمد** : انا ما افضلش حاجة غير اللى يساعد مصر على التنمية ، وهى تنمية الشخصية المصرية . هى ده التنمية . انما انا اعتمد على روسيا وأمريكا ده شىء مش فى حسبانى .

■ **الطليعة : نحن نسأل عن رأيك فى سياسةهذه الدول بالنسبة لنا ؟ فمثلا هل لامريكا أو للاتحاد السوفيتى دور فى الاحداث التى تحدث الان فى العالم العربى وماهو هذا الدور ؟**

□ **أحمد** : انا حا اقول على مشكلة اساسية عندى ، هى الارادة العربية ، عندما تكون هناك ارادة مصرية صميمة سوف نستطيع ..

■ **الطليعة : نحن نتكلم عن الامر الواقع النهاردة هل تعتقد أن للولايات المتحدة الامريكية أو للاتحاد السوفيتى دور فيما يحدث الان فى الشرق الاوسط من أوضاع سياسية ؟**

□ **أحمد** : انا عاوز اقول على حاجة اهيه برضه أنا بأتكلم عن همومى انا الشخصية وتصورى لهذا الموضوع . تصورى للموضوع هو عدم وجود ارادة شخصية فى المنطقة العربية . اذا كان هناك ارادة فان التدخل سوف يقل الى الصفر . أما اذا قلت الارادة وضعفت الاتجاهات الفكرية ، فمعنى ذلك سوف تزيد التدخلات الخارجية . يعنى عاوز اقول ان التدخل الخارجى فى المنطقة العربية نتيجة وليس سبب . نتيجة لضعف الفكر السياسى والاقتصادى فى الدول العربية . مش همه السبب لهذا الضعف . مش الامريكان أو غيرهم سبب لهذا الموضوع . لما تكون مصر قوية ولها تأثيرها الادبى فى المنطقة العربية ، هل كان يجرى ماجرى فى لبنان ، ما اعتقدش ؟ بالطريقة دى الدول الخارجية ممكن يكون لها تأثير .

■ **الطليعة : وما رأيك انت فيما يحدث فى لبنان؟**

□ **أحمد** : انا ضد التقسيم ، انا مش عاوز دولة مارونية ودولة درزية ودولة اسلامية ودولة مثلا علوية . لان معنى هذا ان المنطقة حاتتفتت

إلى كيانات مختلفة . وهذا لمصلحة اسرائيل . أنا أرى ان لبنان يكون مستقل وغير مقسم . ولكن أنا عاوز يكون فيه صيغة للتعايش بين اليمينيين وبين الاتجاه الاخر . هوه ده الرأى . المفروض أن يعيشوا مع بعض ، المفروض مايكونش فيه تقسيم .

■ **الطليعة : نعود الى همومك كمثقف : أنت ترى ان الاساس هو التنمية الشخصية لدى الفرد فى المدرسة ، فما هو نوع التربية التى تريدها ؟ وما دور التربيه الدينية مثلا فى هذه العملية ؟**

□ **أحمد** : التربية الدينية . ممكن أسأل ماهى قيمة الدين ؟ الدين له قيمة واضحة جدا ، الدين فى جوهره أخلاق ، يعنى ان تحب لاخيك ماتحبه لنفسك ، ده جوهر الدين ، لاخلاف بين الاديان السماوية الثلاثة ، الجوهر فيهم الاخلاق ، لا تقتل لا تزن ، لاتسرق . كله موجود فى العهد القديم والعهد الجديد والقرآن لكن احنا دايما بنخلط بين دور الدين كناحية أخلاقيه وبين أن الدين يفسر الكون . احنا ممكن بالدين ننمى ضمير الفرد، لكى يشعر بالاخرين .وفيه ناحية ثانية انا بأحبها ، دور التربية رسمى ما قلت ان احنا نزرع فى الطالب أو فى الشخص الضمير الاخلاقى . انه يحس بالاخرين دايما ، مايتصرفش بأنانية احنا المفروض نبدأ بهذا الوضع . مثل اللى أشاره مثلا ديستويفسكى فى الجريمة والعقاب لما حس راسكولينكوف ان هوه أخطأ ، مع ان مفيش أى دليل يدينه ، دخل فى معاناة طويلة . ان الفضيلة والاخلاق شىء اساسى ده هوه اللى المفروض نبدأ بيه . نشوف ماهو كل عمل يجب أن أعمله بالنسبة للاخرين .

فمن أول رفاعة الطهطاوى لغاية على مبارك وعبد الله فكرى ، كرواد للتربية . وكذلك الدور الذى قام به طه حسين واسماعيل القبانى ، دى كلها قضية التربية اللى تبنى وعى المجتمع والتقدم .

■ **الطليعة : ما رأيك فيما ينشر فى المجال الثقافى حاليا ؟ هل يساعد على تنمية الشخصية المصرية ؟**

□ **أحمد** : لا . بعض الاحيان تكون فيه بحوث رائدة لكن ما ينطبقش . يعنى تحويل الفكر الى سلوك لايطبق دى مشكلة أخرى . وانا شايف ان المجالات الثقافية متدهورة . فمن ناحية القيم والمبادىء التى تحكم الفرد كدافع للحياة ، مش موجودة . ده احنا بنشوف بمبة كشر وبنسمع الطشت اللى قال لى .

■ **الطليعة : اذن ماهى الشخصية التى ستتولد فى تقديرك عما تسميه بالتدهور الثقافى هذا ؟**

□ **أحمد** : باين .. ده باين مثلا برة اى خبر صحفى بيمس المجتمع ، الدنيا تنقلب يعنى يوم ما اثنين صحفيين فى « الواشنطن بوست » كتبوا عن أن **نيكسون** متورط فى « الووترجيت »، اتعزل نيكسون . لان المجتمع بيحس بمسئوليته. النهاردة بعد الرقابة ما اتشالت عن الصحافة، بيكتب فى الاهرام ولا واحد بيتحرك . ايه السبب ؟ غياب الاحساس بالمسئولية كل واحد منهم مش حاسس بالمسئولية .

■ **الطليعة : وهل هذه هى السمة الاساسية للشخصية المصرية الان ، أى اللامبالاه ؟**

□ **أحمد** : كل شىء بيجرى كما يحلو له ولا أحد يتحرك . ده الانعكاس .

■ **الطليعة : نعود لك كمعيد وعندك مشكلاتك الاقتصادية . التى تحدثت عنها فى البداية . هل ترغب فى الهجرة مثلا .. ولماذا ؟**

□ **أحمد** : لا .. لا .. أنا باحب مصر .

■ **الطليعة : وهل المهاجرون لايحبون مصر ؟**

□ **أحمد** : أنا أصلا اختلف عن المهاجرين . المهاجرين يمكن ماعندهمش مجموعة من الافكار عن تصور المستقبل وتصور المشاكل . لكن أنا حاسس انها عندى .

■ **الطليعة معنى هذا ان المهاجرين فى غيبوبة؟**

□ **أحمد** : لا . فيه ناس بتهاجر بنتيجة لضغط فكرى عنيف عليهم . وده عدد كبير ، زى زاخاروف ماهاجر . الناس اللى بتهاجر من الاتحاد السوفيتى،هل بيهاجروا لضعف وعيهم لا .

■ **الطليعة : ما هو تصورك لحل مشكلات الفئة التى تنتمى اليها .. أى المعيدين ؟ .**

□ **أحمد** : أنا لا أؤمن اطلاقا ان الحل حيكون حل مادى . والبحث العلمى اساسا بيعتمد على نسق من الافكار . اذا مات هذا النسق وادينى الف جنيه ، او ادينى الفين جنيه ، جبت لى فيلا سكوب الكترونى ، عقل الكترونى يخزن معلومات بأشعة الليزر ، كل ده كلام لا أثق فيه . المشكلة هى الفرد ان لم يكن الفرد قوى حيبقى مافيش حاجة .

■ **الطليعة : هل تريد أن تقول شىء آخر ؟**

□ **أحمد** : لا . ■

همـــوم درويش عبـد الفتـــاح

□ اسمى درويش عبد الفتـاح بأشتغل مدرس مساعد ودى حالة بدء المعيد ، لان المعيد الحاصل على الماجستير ، يسموه فى الكوادر الجـديدة مدرس مساعد . لكن انا بأنتمى للفئة التى تسمى معاونى هيئة التدريس فى الجامعة . هيئـة التدريس ، اللى فيه من أول المدرس واسـتاذ مساعد واستاذ . ما دون ذلك يسمى وظائف المعاونة : المعيد والمدرس المساعد طبعا . أولا انا حاصل على بكالوريوس علوم عام ١٩٦٨ ماجستير سنة ١٩٧٤ . حالتى الاجتماعية متزوج وعندى بنتين ، ساكن فى مصر الجديدة مرتبى الان ٤٣ جنيه يخصم منها ٢ بنك طلبة وجنيه واحد للنقابة .

■ **الطليعة : ٤٣ الصافى أو الاجمالى ؟**

□ **درويش :** لا ـ الصافى ـ الاسـاسى أو الاجمالى ٥٢ جنيه .

■ **الطليعة : السن ؟**

□ **درويش :** ٣٠ سنة .

غير كده أنا باعتبر نفسى حالة فريدة ، فأنا ابن طباخ ذاكرت لغاية بكالوريوس العلوم على لمبه جاز حصلت عليها على لمبة جاز . وأنا طبعا كان امنيتى أن اذاكر على كهرباء . ودى الحالة الفريده ، لاننى أنا بأنتمى الى أسرة كلها عمال وأول واحد اتعلمت فيها . اتجوزت بارتباط عاطفى مع احدى زميلاتى . وهى أيضا مدرسة مساعدة فى كلية البنات . كنت ساكن قبل التخرج فى بولاق ، فى أحد أزقة بولاق ، وبعد التخرج اتحملت مسئولية اخواتى لان والدى يبلغ من العمر ٦٢ سنة ومهنته طباخ .

■ **الطليعة : اوضحت انك معيد فى الجامعة من أصل عمالى ، فهل زوجتك أيضا من أصل عمالى ؟**

□ **درويش :** لا مش عمالى ، ولكن قريب من الطبقة العاملة . لان والدها تاجر بسيط فهنا الزواج لم يكن فيه انفصال طبقى ـ صحيح كان فيه فجوة طبقية بيننا وبينها ، لكن تغلبنا على هذه الفجوة . فابوها منحدر من أصل متواضع ، علاوة على أنها كانت مرتبطه بى ، فالزواج ليس فيه تناقض طبقى بالمفهوم الحاد .

■ **الطليعة : نريد أن تعطيك الصورة ليوم عادى فى حياتك ، سواء فى العمل أو فى البيت ، عن ساعات العمل وساعات الراحه .**

□ **درويش : اليوم العادى ، فى الصباح ، اذا كان هناك مواعيد عمل مبكرة ، يعنى فيه عندنا مواعيد عمل من ٨٫٥ صباحا ، فهذا يقتضى النزول فورا من البيت . فالعمل عندنا ، بالنسبة للمعيد او للمدرس المساعد ، بيحمل المشاركة فى مسئوليات التدريس فى الجامعة يبدأ العمل اذا كان فيه سكاشن [اقسام] أو فيه معامل . فاذا انتهى هذا الميعاد ، وزوجتى تكون فيه فى البيت ، ماعندهاش مسئوليات عمل ، بيكون الغداء فى البيت . ثم بعد كده ، اذا كان هناك امكانية للخروج بنخرج . الانسان من حين الى آخر ، بيرفه عن نفسه ، بسينما او مسرح أو الفرجة على الكورة لاننى باحب الكورة .

ده اليوم العادى . عملنا بينقسم قسمين ، مهام تدريس ، وقسم ابحاث . فاذا كان الوقت فيه متسع لاجراء ابحاث ، أذهب الى المركز القومى للبحوث ، ثم الى جامعة القاهرة للقاء أساتذتى المشرفين على . ومقلتش طبعا أن ثلث وقت الواحد بيضيع على محطة الاتوبيس .

فى الغالب بيفى ليه اهتمامات فى القراءة . فالقراءة بتنقسم قسمين ، قراءة علمية اذا كنت مطالب بها من ناحية مهام التدريس او تحضير النقط اللى باعمل فيها فى الابحاث . وبالتالى أنا أقضى وقت قليل جدا مع أولادى الصغيرين اذا كانوا موجودين عندنا . فأنا زوجتى تعمل وأنا أعمل ، وهذا يقتضى أن يعيش الاولاد مع امى وامها . ولكن احنا بنشوفهم الخميس والجمعة .

■ **الطليعة : والقراءة فى غير المجالات العلمية ؟**

□ **درويش .** أحب الحاجات الادبية اللى فيها التزام . احب جدا من الكتاب المصريين نجيب محفوظ ـ والكتاب الاجانب فيه كاتب أنا باحترمه جدا ـ كازانتزاكس : وقرات له الاربع اعمال اللى نزلوا بالعربى ـ الاخوة الاعداء والمسيح يصلب من جديد .

الطليعه : هل تقرا الصحف ؟

□ **درويش .** أيوه .

■ **الطليعه : اى الجرائد تقرا ؟**

□ **درويش :** يعنى اقرا الجريدة الرئيسية

□ **درويش :** يعنى اقرا الجريدة الرئيسية الاهرام . ويوم السبت اضيف لها الاخبار ـ طبعا أول حاجة أنا باشوفها رسائل القراء .

■ الطليعة : لماذا ؟

□ درويش : انا باشوف فيها الناس بتقول ايه لان الصحفى محترف الى حد ما . لكن الانسان العادى مش محترف الراى .

■ الطليعة : ما الذى يعجبك فى الصحف وما الذى لا يعجبك ؟

□ درويش : أكثر حاجه لا تعجبنى الطبل والزمر . يعنى فيه جرايد زفه . لكن يعجبنى الراى العلمى الملتزم فى حدود الى حد كبير .

■ الطليعة : انت تذهب الى السينما : والمسرح ، اى الانواع تجذبك او تشدك ؟

□ درويش : انا لا أذكر انى رحت مسرحية قطاع خاص الا مرة واحدة . لكن اللى بشوفه فى التليفزيون . أن مستوى المسرحية فكريا ومبيا منخفض جدا . وانا فلوسى محدوده جدا فما احبش احطها فى حاجة ليس لها قيمه .

■ الطليعة : واذا عرضت فى التليفزيون ؟

□ درويش : اذا جت فى التليفزيون فتبقى حاجة مجانية مجرد قضاء للوقت .

■ الطليعه . والافلام السينمائية ؟

□ درويش : مش الافلام الاجنبية ما بحد منها او قبل ما تمنع ، كنت باشوف افلام اجنبية .

■ الطليعة : اخر فيلم مصرى شاهدته وعجبك ؟

□ درويش : على من نطلق الرصاص ـ لكن أنا مش باروح السيما بالدرجة اللى تخلينى أصرف فلوس .

■ الطليعة : وهل تذهب وحدك ؟

□ درويش : مع زوجتى فى الغالب .

■ الطليعه : هل تسمع الإذاعة ؟ ماذا يعجبك وما الذى لا يعجبك ؟

□ درويش : الاحاديث مع أحد المفكرين . وكذلك برنامج مع النقاد ، اذا كان بينقد كتاب مثلا أو عمل أو مسرحية شفتها .

□ الطليعة : معنى ذلك أن الطابع الغالب على اهتماماتك فنية أو أدبية ؟

□ درويش : فى الغالب فنية أو أدبية وثقافية عامة .

■ الطليعة : عندك تليفزيون ؟

□ درويش : ايوه عندى .

■ الطليعه : ماذا يعجبك فى التليفزيون ؟

□ درويش : التليفزيون بلا شك له رسالة كبيرة . فالثقافة اصبحت الان مرئية وسمعية فمنذ فترة ، أصبحوا يركزوا على مسرحيات القطاع الخاص ، مع انهم فى القناة ٩ منذ ٣ شهور قدموا بعض الاعمال اللى قدمها مسرح القطاع العام فى الستينيات مسرحيتين لعبد المنعم ابراهيم كان مستواهم الكوميدى كويس . علاوة على

الاســــــــم :	درويش عبد الفتاح
المهنـــــــــة :	مدرس مساعد ـ كليـــة الهندسة جامعة عين شمس
الســـــــن :	٣٠ سنة
المرتب الاجمالى :	٥٢ جنيه
الصـــــــافى :	٤٣ جنيه
الحالة الاجتماعية :	متزوج
عـــدد الاولاد :	٢
الشـــهادات :	بكالوريوس ١٩٦٨ ماجستير ١٩٧٤

المشاهدة حوالى ربع ساعة قبل النوم اى حاجة موجودة .

■ الطليعة هل تذكر برنامج فى الاذاعة او فى التليفزيون افادك فى عملك كمعيد ؟

□ درويش : معنى يفيدنى فى عملى كمعيد ـ مثلا ـ ما أسمعه فى البرنامج الثانى مثلا عن مناقشة الرسائل .

■ الطليعة : كيف تقسم دخلك ؟

□ درويش . دخلى مش دخلى لوحدى ، بل أنا وزوجتى . وهو يصل الى حوالى ٨٥ جنيه . ١٥ جنيه ايجار شقة . ١٥ جنيه لاخوتى . لان أنا باتولى بعض المسئوليات تجاه اخوتى . يبقى ٣٠ جنيه .

■ الطليعة : الا تعترض زوجتك بالنسبة لمساعدتك لاخوتك ؟

□ درويش : يعنى أنا لم أتزوج زواج تقليدى . قبل ان اقدم على الزواج ، كان فيه ارتباط عاطفى بمفهومه البسيط . كان قدامها خلفية عن أحوالى وعنى وايه الصعوبات اللى حا تعترضنا وها نتغلب عليها فلم تعترض ، يبقى كدة ٣٠ جنيه . باشيل ١٠ جنيه كمدخرات لان ممكن تتكسى فى الصيف لازم يكون فيه الحد الادنى وهو مبلغ حوالى ١٠٠ جنيــه . اذا أضيف اليــه بعض الاضافات زى الاجور الاضافية وخلافه . ذى الكسوة يبقى أربعين . المصاريف الشخصية لنا كبيرة ، بمعنى انه يقتضى فى بعض الاحيان نقعد حوالى تسع ساعات فى الشغل ، لازم افطر واتغدى

واشرب شاى أو اشرب سجاير . وبرضه هى بنفس الكيفيه . جزء كبير جدا من المصاريف داخل الكليه . بالاضافه الى هذا عملنا ـ كمعيدين ـ لازم فى الغالب يصرف عليه . بمعنى أن أنا باعمل بحث معين وهو يقتضى ان انزل الورش ـ انا فى هندسه عين شمس ـ لا أنزل الورش عشان اعمل شغله ، لازم أعمل بأخذ فلوس . ده واقع مفوش حل . اذا أنا لم اعطه فلوس ، مش ممكن .. لازم ادفع فلوس . مرة الذين لما اروح المركز القومى للبحـــوث قدامى اختيارين ، يا اما اقعد يوم أنقل بحث يا أما اصوره . والتصوير ده يبقى على حسابى . لو انا جبت فاتوره والتاجر صحح عليه وما كتبليش الضرائب ، يبقى لازم ادفعها من جيبى . وانا باصرف الشيت ، لازم ادفع بتاع الخازنة بدل ما أروح . البنك . لان الشيك بيطلع باسمى . يبقى لازم أروح البنك أصرفه ، يا اما بيبجى بتاع الخازنة فى الكلية . يبقى لازم أدفع له فلوس .

■ **الطليعة : هل يحدث عندما تقوم بأبحاثك ، أن تكون زوجتك ايضا تقوم بابحاثها ، اى انكما تعملان فى وقت واحد فى الكلية ؟**

□ **درويش :** هى فى كليه البنات فى قسم الطبيعة ، وانا فى كليه الهندسه فى قسم الطبيعه .

■ **الطليعه . يعنى فى مكانين مختلفين ؟**

□ **درويش :** ايوه ولكن فى نفس المجال .

وبرضه هى بتشتغل فى مكان وفى تخصص وأنا باشتغل فى مجال وتخصص دقيق .

■ **الطليعة . نتمل توزيع دخلكم . ؟ فلنا يتبقى اربعين جنيه توزع على المصاريف الشخصيه ومصاريف البيت ومصاريف الاطفال .**

□ **درويش :** أنا ما بعملش خطه مصاريف . لكن مثلا فى الاكل ـ عادى ـ لا يزيد عن الحد الضرورى . الاطفال دلوقت من ساعة ما اتولدوا لحد دلوقتى بياخذوا جزء كبير جدا من المصاريف .

■ **الطليعة : كم عمرهما ؟**

□ **درويش :** سنهم ٣ سنين . احنا مالناش تأمين صحى فى الجامعة ، لا لنا ولا لاولادنا . ما لناش اى تأمينات بالمرة الا التأمين الطلابى . بمعنى أنى طالب دراسات عليا فيبقى اذن لما أمرض أروح مستشفى الطلبة . وأعالج بنفس الطريقة التى يعالج بها الطالب .

فيه دواء ولكن فى الحدود اللى المستشفيات الجامعية والمجانية التى تسمح بها . دى مخلوقة لظروف معينة ... لكن هناك بعض الاطباء المختصين فى الجامعة بيعملوا كشف مخفض . لكن الدواء طبعا ما لهوش دعوة . طبعا الاطفال زى ما هو معروف ...

■ **الطليعة : ما هو الكشف المخفض ؟**

□ **درويش .** تخفيض فى الكشف . يعنى طبيب كشفه ثلاثة جنيه ، بادفع جنيه ونصف لاننى أعمل فى الجامعة .

■ **الطليعة : هؤلاء الاطباء مدرسين فى كلية الطب ؟**

□ **درويش :** آه .. بس لم اذهب الى دكتور شمسى ابدا .

لكن يبقى غالبا كل مصاريف الاطباء والدواء يبقى للاطفال . كان فى الاول بياخذوا مصاريف كثيرة ، وكان يساهم فيها والد زوجتى لانه اغنى شوية .. بطريقة غير مباشره . لكن دلوقتى كبروا وبدا تعرضهم للاصابات أقل فى مصــاريف الاطباء . لكن الاربعين جنيه اللى فاضلين تقدر تقول عشرين للبيت وعشرة انا وعشره مراتى ، ده عموما .

■ **الطليعة : ذكرت أن لك احيانا دخلا اضافيا .. فهل هذا نتيجه عمل اضافى فى الجامعه ام خارج عملك الاصلى ؟**

□ **درويش .** من عمل أضافى فى الجامعة أو للقيام بالمراقبات .

■ **الطليعة : هل تقدم بعض الاعمــال الدراسيه ؟**

□ **درويش :** ايوه .

■ **الطليعه : كم يمثل دخلها بالنسبة لدخلك ؟**

□ **درويش :** ما فياش بتحسب بدقه . لكن فى بعض الاحيان كانت تمثل مرتبى . قد المرتب .

■ **الطليعه : وزوجتك ؟**

□ **درويش :** لا .. لا تعطى دروس لانهــا مشغوله بتربيه الاولاد ويعنى المراة ما نبقاش دى الراجل بيحاول يجرى .

■ **الطليعه : هل يوجد دخل اضافى غير هذا ؟**

□ **درويش :** لا مافيش .

■ **الطليعه : هناك رايان راى لا يوافق على مسأله الدروس الخصوصيه فى الجامعه وينظر الى هذه المسالة على أساس أنها تفتح زاوية فى العلاقات بين الاساتذه وبين الطلبه ، ويغلب عليها الطابع التجارى .**

ويقول هذا الرأى ايضا ان ذلك يؤثر على المستوى العلمى العام . وهناك راى اخر يؤيد هذه العملية ويحاول تقنينها . وتصل المسالة الى درجة أن بعض الاساتذة يعطون دروسا بالعملة الصعبة فما هو رايك ؟

□ **درويش :** ظاهرة الدروس الخصـوصية مرض تعليمى . زى ما فيه أمراض صحية فيه أمراض اجتماعية . الدروس الخصوصية مرض تعليمى بلا شك فيه مرض تعليمى ؟ لاننا بنعلم اعداد كبيرة جدا .. العمليه التعليمية بنتم نعدد كبير ما فيها من تخصيص زى بالضبط العلاج

المجانى . والعلاج المجانى بيعالج قطاع كبير . برضه التعليم فى الجامعة تعليم لاعداد كبيرة احنا لا نراعى الفروق ما بين قدرات الناس وبعضها كل انسان له قدرات فى التعليم .. ففى نظام تعليم الاعداد الكبيرة ، لا يراعى الفارق بين قدرات الناس وبعضها « علاوة على ان نظام التعليم نفسه ما بيدخلش الطالب حسب قدراته فى التخصص ، بينما بيدخله تبع قوانين العرض والطلب . وانا ساعطى مثال على كده . كلية الهندسة - ومفروض انها تكون على أكبر قدر ممكن من العقلية العلميه ، فى توزيع الطلاب ، يوزع الطالب الراسب فى مادة الطبيعة والرياضة بقسم الكهرباء ، ويوزع الطالب الناجح فى الطبيعة والرياضة الموجود فى السنة الاعدادية لقسم مدنى . بينما العقم الاساسى لقسم الكهرباء هو الرياضة والطبيعة . لو نسأل ليه نلاقى ان كل الطلاب عايزة قسم مدنى . كل الطلاب لو يوزعوا على حسب رغبتهم - بتروح قسم مدنى بينما ولا طالب بيروح قسم كهرباء يبقى لازم يكون قسم أو يلغوا القسم اذن يوزعوا ازاى ، تبع قانون العرض والطلب يبقى يوزع الطالب الراسب فى الرياضة والراسب فى الطبيعة لقسم كهرباء اللى هو اذا ما عرفشى طبيعة ولا رياضة لازم يسقط .

□ **الطليعة :** ما الذى يؤدى اليه هذا الوضع فى المدى الطويل ؟

□ **درويش :** يؤدى الى ضعف المستوى العام يؤدى الى ان الطالب يحس أنه داخل مرغم على هذا القسم ، بينما لو دخل وقدراته تسمح له بمتابعة الدراسة فيها بالتاكيد يكون احسن . يبقى اذن ده أحد الاسباب التى أدت الى هذا المرض . يبقى احنا نسأل ازاى الطالب يعوض هذا لا عنده امرين لتعويض هذا الفاقد ، الطالب الفقير ليست عنده قدرات انه يأخذ دروس خصوصية فاما ان يرسب واما ان يحاول ويكافح ويناضل لغاية ما يقدر يستوعب الى حد ما المنهج فاذا تخرج فسيتخرج بأضعف التقديرات لكن الطالب القادر من المجموعة دى بيحاول يعالج المرض علاج خصوصى ، زى بالضبط المريض الفقير والمريض الغنى .. والمريض الغنى لو صباع رجله وجعه يروح لدكتور اخصائى . لكن لو واحد فقير وعنده القلب ، ليس امامه الا مستشفى ميرى فالحل نتيجة هذا الاتجاه .

■ **الطليعة :** ولماذا تقبل هيئة التدريس ولماذا يقبل المعيد ؟ افرض ان المرض موجود فلماذا تقبل هيئة التدريس ؟

□ **درويش :** لها وجهة نظر متعددة مثلا . اذا فلان ما أخدتش فلان غيره هيا خد . اذن المرض موجود . انا - أولا - ما عرفتوش بحالة سلبية يعنى آخد موقف سلبى من الموضوع وما اديش ، ثانيا : انا فعلا ظروف ، الحياه طحنانى انا خارج من اسرة فقيرة جدا . طبعا انا يوم ما أدى اسرتى جنيه زيادة ده منتهى الفرح بالنسبة لهم . يبقى انا قدامى اما ان احصل على هذه الفلوس وامشى فى تيار الدروس الخصوصية واما ان أرفض الرفض لا يعالج اذن الانسان يقف موقف صعب هنا فيمشى فى التيار .. والا ما يمشيش !

فيه ناس بتترى من هذه العملية يعنى انا لما اركب أتوبيس درجة ثانية وابص الاقى ان زميلى اللى بيدى درس ده لابس أفخم ما يمكن ونتيجه انه لابس فخم وكويس بيحظى باحترام الى حد ما من الطلبة . سيادتك ما تفكرش ان الطالب ده مستواه الفكرى والذهنى عظيم الى درجة أنه يحترم الاستاذ من علمه فقط . انما بيحترمه من مظهره كمان . لما اركب الاتوبيس درجة ثانية غير الاتوبيس اللى انا متعود أركبه اللى فيه الوجوه اللى واخده على كل الاتوبيس لازم يقف . او كل الطلبة اللى فى الاتوبيس لازم تقف تشوف فلان الفلانى اللى عامل فى القسم مش عارف ايه لازم يدوسوا على رجله عشان يوروا له انهم

يعنى انا باقول عن زميلى اللى هو بيدى دروس وبتاع ما قلتش ان كلية الهندسة وكلية الطب فيها اكبر عدد من السيارات الخاصه للطلاب واحدث الموديلات انا . هنا فى وسط هذه الدوامة اعمل ايه ؟ اذا اعتبرنا ان هذه الدروس سقطة فأنا باسقط لان ما فيش حد بيسقط لهوايه فى السقوط باسقط لان الظروف ظروف المجتمع ، والعملية التعليمية ، وظروف حياتى ، تدفعنى للسقطه دى . اذا كنت انا أعطى دروس فبحاول ان احللى الدروس بعملية اكتر كرامة . هى مهينه لكرامة اللى بيديها لكن الانسان يحاول ان يكون فيها حد أدنى من الكرامة يعنى انا باروح للطالب فى بيته ، ولكن ماحاولش انها تكون بيع نمرة . يعنى ادى جهد للطالب وآخد مقابل له مابعتش نمر لطالب .

مش معنى كلامى انى مثالى بالمفهوم التقليدى لدرجه ان اى واحد ييجى يسألنى لازم أجاوبه ولكن الانسان بيحاول ان يوازن .. مثلا عندما حاولوا ان يقننوا المسألة فعملوا مجموعات . الانسان بيحاول أن يشترك فى هذه المجموعات لان المجموعات دى بتتيح للطالب غير القادر انه يلم ببعض .. طبعا مش زى الطالب اللى هو بيقدر يدفع ١٠٠ جنيه فى المادة ، فى بعض الاسر زى الخدمة العامة زى بعض الاسر بتحاول انها تعمل مجاميع مجانية . اذا سمح الوقت او الجهد ان الواحد بيشتغل فيها بيشتغل .

■ **الطليعة :** ما هو حجم الطلبة الذين يأخذون الدروس الخصوصية ؟

□ **درويش** : حجم الدروس الخصوصيه حوالى ٥ فى المائه . تنقسم الى قسمين بشكل رئيسى . مين اللى بياخد دروس خصوصية ؟
نمرة واحد . كل الطلاب الشرقيين بلا استثناء . كل الطلاب الوافدين من الدول الغنية . لانه بالنسبة له ان الـ ١٠٠ جنيه دول لا يمثلوا زى الخدمة العامة ، زى بعض الاسر ، قاعد وكل اللى عايزه بيجى له .
القطاع الاخر هو المصريين القادرين .

■ **الطليعة : كم يتكلف الطالب الذى يريد أن يأخذ الدروس الخصوصيه ؟**

□ **درويش** : حسب تخصصاته وحسب مواده .. اذا توسع فى كل المواد يبقى فى حدود ألف جنيه فى السنة .

■ **الطليعة : وبرنامج المادة [الكورس] الواحد ؟**

□ **درويش** : على حسب برضه الكورس لكن بيتراوح ما بين ٥٠ جنيه و ١٠٠ جنيه .

■ **الطليعة : يعنى الطالب مفروض ان يدفع ١٠٠٠ جنيه فى السنه اذا أراد أن يتفوق ؟**

□ **درويش** : لا نمرة واحد هذا الطالب اللى بياخد دروس خصوصية طالب غير صالح بالمرة . غير صالح للحياة العملية بتاتا ، هذا من وجهة نظرى . وطالب لا يصلح . كان فيه ولد بيجيب امتياز لكن أبوه لواء وبيعمل له ألف جنيه فى السنة حتى لا يقل عن الامتياز . مش عايزه يقل عن امتياز فبيعمل له ألف جنيه فى السنة . ودول لا يشكلوا له مشكلة . لكن هل الطالب ده يصلح أن يشتغل فى بحث علمى ويكون معيد ويقوم بالتدريس ؟ أنا اقول لا ، لسبب ان هو بياخذ المعلومة أنا اللى بابذل فيها الجهد وباعطيها له مقشرة [جاهزة] . المعيد الى فى الجامعة اللى ما بيدورش على المعلومة ، وخصوصا احنا فى الموضوعات الرياضية تحتاج الى جهد .. لان المعادلة الرياضية تحتاج ان تعرف جذورها منين . ده بيقتضى طالب ذهنه حاضر خلفيته مطاطة ، بمعنى انه يقدر من عقله يجيب المعلومة . لكن الطالب اللى بياخدها مقشرة ده طالب عاوز رخصة .

■ **الطليعة : كم يبلغ دخل المعيد من الدروس الخصوصية ده فى كلية الطب . فى كلية الهندسة الخاصة اذا أعطى دروسا خاصة ؟**

□ **درويش** : أنا سمعت السنة اللى فاتت رقم ٣ آلاف جنيه فى كلية الهندسة لا يعطوا الدروس الخصوصية ده فى كلية الطب فى كلية الهندسة مفيش

■ **الطليعة : كم يبلغ تقريبا عدد من يعطى دروسا خصوصية ، من المعيدين ؟**

□ **درويش** : ٩٠ فى المائة على حد علمى واحد بس فى القسم بتاعنا مابيعطيش .

■ **الطليعه : لماذا لا يعطى ؟**

□ **درويش** : لانه مبسوط .. غنى .

■ **الطليعة : من من الطلبة يحصل على تقديرات أعلى ، الذين يأخذون دروسا خاصة أم الذين لا يأخذون ؟**

□ **درويش** : الطالب اللى فاهم من غير دروس خصوصيه . لا يمكن طالب يأخذ دروس خصوصية ويجيب تقدير .

■ **الطليعة : كم من الخمسة فى المائة من الصبه الذين يأخذون دروسا خاصة يحصل على تقدير عالى ؟**

□ **درويش** : اللى بياخذ دروس ينجح يادوب .

■ **الطليعه : هبه نسبة من الدرجات يعطيها المعيد للطالب . كم عدد هذه الدرجات ؟**

□ **درويش** : من جملة المجموع من ١٠٠ ، النمر المفروض يديها المعيد يعطى ٢٠ فى المائة .

■ **الطليعه : اذا افترضنا ان أحد المعيدين قد أعطى لطالب ما ، الا يؤدى هذا الى رفع التقدير ؟**

□ **درويش** : لا .. ما أعتقدش انها تؤدى . لان يعنى انا باشتغل فى الكنترول من ٦ سنين وبتظهر لنا حاجات عجيبة جدا . يبقى الطالب فى الامتحان ساقط فى آخر السنة وواخد النمرة الكامله فى أعمال السنة ده على طول .. درس . وفى بعض الاحيان بيجى استاذ المادة ويقول أه احنا عارفين .. ايوه درس .

■ **الطليعه : هناك راى يقول : طالما هناك دروس خصوصيه : لماذا لا نفتح جامعة أهلية لاولاد القادرين على دفع مثل هذه المبالغ ؟**

□ **درويش** : هم ولاد الاكابر كده .. كده ، متخرجين . انحطوا مع ولاد الفقراء او ماانحطوش . غصب عنى وعن نظام التعليم هايتخرجوا ، ويشتغلوا أحسن من الطالب اللى جايب تقدير كويس .

■ **الطليعة : هل نرى أن الجامعة الاهلية تحل المسأله ؟**

□ **درويش** : لا ما تحلش المشكلة التعليمية بالتاكيد الجامعة الخاصة هايدخلوها الناس القادرين لكن زى الجامعة الامريكية مثلا . واذا كان اعدادهم اقل فهيطلع مستوى احسن . لكنها تحلش بالتأكيد مسأله الدروس الخصوصية .

■ **الطليعة : وكيف يكون المطلوب من هذه الجامعة أن تخرج مستوى أحسن ، وهى التى تقبل طلبه أصحاب مجاميع اقل .**

□ **درويش** : الطالب اللى ما بيحصلش على مجموع كبير وقدراته فى بعض الاحيان . يعنى مثلا المجموع فى الثانوية العامة ده بييجى من ايه ؟ بييجى من مواد علمية اذا تكلمت عن القسم العلمى اللى هى الرياضة والطبيعة والكيمياء والاحياء واللغات . قد يتفوق طالب جدا ، ودى

ملموسة ، فى المواد العلمية ولا يتفوق فى اللغات . وبناء عليه يحصل على مجموع أقل فيدخل كلية بتحصل على مجاميع اقل . وقد يكون طالب متوسط فى الاثنين بحيث انه فى المجموع العام يبقى احسن من الطالب اللى عنده قدرات علميه أكثر . ومع هذا يدخل كلية مش مطلوب فيها القدرات العلمية الرياضيه الكبيره . لكن اعتقد ، ودى ممكن تنحمل اذا فتحوا جامعة اهليه بس بشرط اذا فتح فيها جميع الاقسام او جميع التخصصات . انا أعتقد ان كل الطلاب بتوع الجامعة الاهلية هايخشوا اما طب او هندسه . لان المسألة مسالة عرض وطلب . لان الطب اللى بيدخلها يبقى من أول اعدادى دكتور واللى بيدخل هندسة بيبقى باشمهندس . لكن لو فتحت الجامعة الاهلية وعملت فيها تخصص مثلا علاج طبيعى ، هل الطلبة تدخل ؟ بالتأكيد لا ، لكن لو كانت فيها طب وهندسة كل الطلبه هاتدخل طب وهندسه .

■ **الطليعة** : يقول الذين طالبوا بالجامعة الاهليـــة انهـــم طلبـــوا انشـــاءها على اساس مبدأ

□ **درويش** : المبدا ده يبقى مبدا كده بدون ما يتحقق له شروط . ما يبقاش فيه تكافؤ .. ما فيش تكافؤ فرص فى الجامعه دلوقت ..

■ **الطليعة : ماذا تقصد بتكافؤ الفرص ؟**

□ **درويش** : أقصد بها المفهوم الواقعى هل مثلا الطالب اللى هو ما عندوش قدرات يستطيع انه .. وأنا ساعطى مثل بس ارجو انك تاخد ملحوظه منه .. عندنا طالب فى اعدادى جايب ٩٤ فى المائة فى الثـانوية العـامـه وجـايب ١١٦ من ١٢٠ فى الرياضـيـات . هذا الطـالب رسب رســوب شنيع جدا فى السنه الاعدادية . هذا الطالب مريض بالبلهارسيا وفقر الدم ومرض نفسى ، جه نتيجة انه جاء من مجتمع القرية لمجتمع المدينة ، وشاف المتناقضات الرهيبة جدا فالولد حصل له صدمة فأخذ يتصور أن العلم ده كفر . جاء لقى الناس بتشرب خمور . فاذن العلم ده كفر « حاولنا طبعا اننا نفهمه و .. و .. لكن الولد صعب جدا » ده رسب ليه ؟ احنا عرفنا مشكلته ؟ عمل مشكلة فى المعمل ما قدرناش نحلها فاتجهنا الى ان احنا ناخده بره المعمل ونبدا نشوف ايه الحكاية فعمل مشكلة هو مش عايز يشتغل مع زميلته .

عنده خلفية دينية مش عاوز يشتغل مع بنت . البنت اللى كان بيشتغل معها حاطه « روج » . احنا بنوزع الطلبة اتنين اتنين . ففيه تجربة عدد النسخ فيها اقل فيقتضى أن توزع واحنا سيبنا للتوزيع . فالظروف زميله وقف مع بنت فى التجربة اللى فيها عدد أقل .. المفروض ان عدد الطلاب لكل نسخة أكثر فالولد قال له أنت اخترت البنت . فالبنت بكت لانه قالها بمفهوم اختيار مغرض . فالبنت بحت فسألته فيه ايه ؟ اتكلم بصوت عالى و .. و .. طبعا فى المعمل اذا ما عملتش كنترول على المعمل يبقى ها يضيع المعمل كله .

أخذته خـــارج المعمل وبدأنا انا والاساتذة المشرفين نفهمه . لقيناه مش عايز يتقبل الوضع ده . فقلنا يا ابنى انت مفصول لمدة اسبوعين .. لقينا والده جاى .

■ **الطليعة . ما مهنة والده ؟**

□ **درويش** : أبوه فلاح عـاجز [أعمى] والطالب من ضاحية بعيده جاء أبوه بالمفهوم البسيط جدا للانسان البسيط قال ابنى .. ابن الحكومة وانتم تشوفوا له حل . الولد تعبان وسقط السنه اللى فاتت وهو فى الثانوية العامة جايب ٩٤ فى المائة .

■ **الطليعة : يعنى هو يسافر كل يوم ؟**

□ **درويش** . طبعا . وجاى بملابس تعبانة . هنا ، يحدث عنده - كرد فعل - للى بيشوفه فى المدينه . نزعه بيقولوا عليها « داءالعظمه » . مثلا يعنى يقول : انا افهم أحسن من اى واحد . هو فعلا بيفهم ، بس مش الفهم وحده هو اللى بيخليه ينجح فى الكلية . ده عاوز امكانيات العمل فى كليه الهندسه ، الطالب فى كليه الهندسه عاوز امكانيات ، عاوز مسطرة حاسبة ، عاوز أدوات رسم ، عاوز كل يوم يرسم لوحة ، يرسم لوحة ازاى على طبلية .

■ **الطليعة : والده صاحب دخل محدود ؟**

□ **درويش** : لا ابوه فقير جدا الى درجة أن الراجل اللى جاى معه قال : يا جماعه شوفوا الولد ده ، سوفوه مجبنا الولد وبدأنا ، لان احنا عرفنا ظروفه الاجتماعيه ، بدانا نساعده الى حد ما . لكن مازال الولد زى ما هو

■ **الطليعة** : وهل لغيتم عقاب الفصل لمدة معينه ؟

□ **درويش** : الغينا العقاب طبعا ، وبدأنا نشعره ان احنا اخواته ، واى حاجه يريدها نقدمها له . كتب مجانية بس .. هل الولد ده ينطبق عليه ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص ؟ لا يمكن ان يكون ده تكافؤ فرص . فين ؟ وهو بيفكر حايروح ازاى وحياكل منين النهارده .

■ **الطليعة** : ما هو مستوى التعليم بالنسبة لهذا الشاب ؟ وما هى نسبة الذين فى ظروف صعبة مثله ؟

□ **درويش** : تعبانين ويشكلوا حوالى ٢٠ فى المائة . دول اللى باينين . أما اللى مش باينين يشكلوا حوالى ٤٠ فى المائة .

كلية الهندسة ، هى من الكليات اللى فيها تفاوت اجتمـاعى حـاد . مثـلا : عنـدنا نظـام اسمه « الاسرة » . الاسر لا تأخذ الا الطـلاب

المتريشين . ده مفهوم واضح . ليه ؟ لان الطالب اللى عايز يدخل اسرة يبقى عاوز يتعرف على زميلات له ويبقى عاوز يطلع حفلات . حفلات البيتلز ومش عارف ايه .. وصحارى سينى النهاردة ، وغير صحارى سيتى بكره . نبص تلاقى تجمعات الطلبة دى بتنبذ أى طالب مستواه أقل اجتماعيا .

■ الطليعه : لكن من الجانب الاخر فيه بعض الاسر لها اهداف مفيدة ؟

□ درويش : الاسر دى ضربت اسره ابناء الريف مثلا كان الاول عندنا مطعم يقدم وجبه ب ٤ قروش هذا المطعم كان جنب البوفيه العادى بتاع الطلاب اللى بفلوس ده بياكل حفته ، وده بياكل فى الصينية الارز والباميه والكلام ده . الاول ده بياكل على طاولات « أيديال » او التانى بياكل على طاولات رسم لما جت اسرة ابناء الريف فى اوج نشاطها ، أول حاجة عملتها حيطة تفصل الاثنين عن بعض . وده سببب الفصل بين المطعمين . علشان ما حدش يشوف اكل التانى . فبقى فيه طابور طلابى واقف مستنى .. ما هو اللى بياكل بالبون ده كلهم عنبه معتربين او ولاد الفقراء . الولد المقتدر التانى بيقعد فى المطعم ويسقف ويجى له الجرسون ويجيب له اللى هاياكله والشاى .

■ الطليعة : ولماذا الكليه لا تعمم اكل او نظام الاكل بالبون . اليس هذا موضوعا يستحق أن يرد فى حساب الجامعة ؟

□ درويش : غير وارد . لان البوفيه يحقق دخل كبير لاتحاد الطلاب . البوفيه العادى ، ده بيتاجر فى السنة ب ٢٠ ألف جنيه وب ٢٥ الف وب ٣٠ ألف جنيه فازاى هايقفلوه ؟ ويجيبوا ٢٠ ألف جنيه منين ؟ وبعدين اذا احنا منعنا ، فهم بيعتبروا دخول المطعم ده مهانة . يعنى ايام ما كان المطعم ده جنب ده فكان اللى بيخش من الباب اليمين يبقى مع ولاد الناس واللى يخش من الباب الشمال ده يبقى مع ولاد الفقراء .

■ الطليعة : وبقية الاسر هل تلعب دور فى النشاط الطلابى ؟

□ درويش : كان فيه اسر سياسية والاسر ضربت .

■ الطليعة : لماذا ضربت ؟

□ درويش : ضربت — فى احداث سنة ٧١ الاسر كانت فى أوج نشاطها

■ الطليعة : بالنسبه للدروس الخصوصية ما هو الحل القصير المدى للتخفيف منها والحل طويل المدى لدرء نتائجها ؟

□ درويش : تقنين الدروس الخصوصية . وهو أن يظل هذا الوضع كما هو عليه . الوضع التعليمى او العملية التعليمية بشكلها الحالى الموجود . وتقنين الدروس الخصوصية بس التقنين ده له ايضا حاجات كثيره . عندنا مثلا المجموعات فونوا ورقه على المعيدين فى القسم بتاعنا ، كله ما قدر، ولا معيد رضى أن يدى اى مجاميع . لانها مرهقة

■ الطليعه : تقصد تقنينها بمعنى توسيع قاعدتها بالنسبة للطلاب ام تقصد تقنينها بمعنى رفع الحظر عنها ؟

□ درويش : لا هو تقنينها بمعنى انه محاولة خفض تكاليفها ، وتوسيع نطاقها لاكبر عدد من الطلاب . ويكون تحت اشراف من الكلية . ولكن انا لا اعتقد ان الدروس دى ستلغى بتاتا طالما كان مجتمعنا بالصوره اللى عليه . يعنى فيه فروق شاسعه الى اقصى حد بين القادرين وبين غير القادرين وطالما تحت الجامعه فيها العدد الكبير من الطلبه بالنسبه للعدد الضئيل لاعضاء هيئه التدريس . يعنى لو كان مثلا اربعه فى القسم بالتاكيد عمرهم ما حياخدوا دروس خصوصية .

اصلاح العملية التعليمية ممكن يحل باصلاح المجتمع . كنت حضر ندوه طلابية وكانت « الدكتورة رمزيه الغريب بتقول فيها انها ترى اسشراف نظم تعليميه ارحب واوسع ، وان فيه ناس قاموا طالبوا ما يدخلش الجامعة الا عدد محدود جدا .. وكان الرد ان هذا ممكن لان الشهاده اصبحت جواز مرور اجتماعى . يعنى الطبيب او المهندس وضعه فى المجتمع يختلف تماما عن وضع — مثلا — واحد معه ليسانس آداب مثلا . فالمسالة احنا مجتمع الان يهتم باليافطه دون العمل نفسه .

■ الطليعه . هل ترى ان الوضع الاجتماعى بالتالى يبرر حتما مسالة الدروس ؟

□ درويش . بلا جدال الوضع الاجتماعى هو اللى بيبرر الدروس ، بالاضافه الى أنه له أثر على العمليه التعليميه . يعنى احنا لو فتحنا الجامعه من غير مجموع ـرجات ، الطلبه حاتطلب ايه ؟ كانت فين حده بنطلب هندسة بدات تطلبطب . هل لو فتحنا الدخول للجامعة من غير مجاميع هل الطلبة هاتدخل كلية التربية مثلا ؟ ما اعتقدش .

■ الطليعه : فى حدود ما هو قائم اردت أن تعرض بعض الاصلاحات الاساسية فى العملية التعليميه بالنسبه لكليه الهندسة فما هو الاتجاه الذى يمكن ان تقترحه ؟

□ درويش : ارى ، وبنظرة محدوده غير واسعة ، لان هذا لم يتبلور فى ذهنى بعد لكن انا باتكلم بصورة تلقائية هو أن واحد من أهم الاسباب اللى تؤدى الى ازالة ظاهره الدروس الخصوصية ان يزيد عدد اعضاء هيئه التدريس ولا اقول نقلل الطلبه المقبولين انا زى ما عرفت فى الندوة

الطلابية دي ان اللى بيدخل الجامعة ٧ فى المائة من مجموع الشباب فى مصر . وطبعا التعليم حق لكل مواطن فاذا أنا حددت بشكل أو بآخر التعليم ، فهذه القضية غير مطروحة . فالمطروح اذن زيادة الكوادر وتقليل كثافة الفصول الدراسية بالاضافة توجد عوامل اخرى بتزيد من الدروس الخصوصية . وهى الاساتذة انفسهم ، ومنها موضوع الكتاب الجامعى موضوع رهيب جدا جدا جدا .

احنا عندنا امتحانات نصف العام بنعمل فيها من يوم السبت كتاب الطبيعه نزل قبلها بأسبوع كتاب الطبيعة ، للعلم ، يعنى كتاب منقول وبشكل ممسوخ من الكتاب الاصلى يعنى تصور مثلا انه لو صورنا كتاب مثلا يدرس فى الجامعات بره ، بالنسبة للعلوم لان احنا بندرس حاجات محددة ومتعارف عليها مافيهاش ابتكار ولا اضافات . لو الكتاب ده اتصور ، ومن قبل ما يدخل الطالب الكلية ، يبقى موجود هذا الكتاب بحيث أنه يواكب المحاضرات بالتأكيد سنقلل بقدر كبير جدا من الدروس . يعنى لابد من الاهتمام البالغ بالكتاب الجامعى . اعتقد أن الكتاب الجامعى يشكل مشكلة رهيبة جدا جدا الان .

■ **الطليعة : هل تعتقد ان الكليات العلمية يمدن ان تمنع الاستاذ من التأليف . وبمعنى آخر أن يكتفى الاستاذ بتأليف كتب للبحوث فقط ؟**

□ **درويش** : انا ما بقولشى منعه اذا كان هو له رؤية فى المنهج ، فالمحاضرة قدامه . لكن أنا باقول الطالب المصرى ضعيف فى اللغة ، الطالب بيطلع من ثانوى م بيعرفش لغة بتاتا فالاستاذ بيتعمد فى أول محاضرة اصطناع الحزم الشديد لأن عنده ٤٠٠ او ٥٠٠ طالب فى المدرج . لازم يدخلهم داخل فورمة علشان يضبطهم لانه واخد على انه لا يحترم المدرس فى الغالب كنت فى القسم باناقش الطلبة بنوع اعدادى وكانوا بيهيصوا فقلت لهم : انتم واحدين على أن المدرسين يضربوكم . وهم ما بيعملوهاش دلوقت معايا لانه خايف من العشرين نمره أعمال السنة . فى سنة الثانوية العامة عارف انه ماعندوش اعمال سنة يشتمهم حايجرى له ايه . لازم يعطيله شوية لغة وشوية اصطلاحات علشان يبهر الولد وينجذب اليه .

الكتاب ضرورى جدا واذا كان الاستاذ له رؤية المحاضر قدامه وعيها متسع يضيف . الكتاب ماهواش كل حاجة علشان الولد يبقى ملتزم التزام حرفى بالمنهج ، كل استاذ بيعطى الطالب خلفية بعيدة عن العقم الاساسى للمنهج . لكن فيه أشياء اساسيه علشان الطالب ده يطلع يعرف حاجة معينه لازم ياخدها طيب ما كل العالم بيطبع كتب احنا مثلا كمصريين هل نملك من الكوادر العلمية اللى تبقى أكبر من ، او أوسع من ، كتاب يدرس فى كمبريدج مثلا . ما اعتقدش بتاتا .

■ **الطليعة : ما رأيك فى عملية تقسيم الفرقة الواحدة الى مجموعات يدرس لها الاساتذة ؟**

□ **درويش** : تقسيم الطلاب لعدة مجاميع مفيد ، وده موجود فى اعدادى . لان الطالب هنا ساعات ما يفهمش من الاستاذ فبيحضر للاستاذ وده حقه . لكن الاساتذة بيحاولوا يمنعوه او بيحاولوا يقفوا أمام ذلك ليه ؟ لان الاستاذ اللى ما بيشرحش وكل واحد له طريقة فى شرحه ، بيبص يلاقى قعد قدامه خمسة طلبة بس واحنا عندنا الحالة دى موجودة قاعد قدامه عشرين طالب واستاذ تانى قاعد المدرج ما فيهوش مكان . الاستاذ ده بيشرح واستاذ ما بيشرحش وده استاذ وده استاذ .. وده له شخصيته وده له شخصيته . عملية التعليم بتختلف من شخص الى شخص لكن لا أرى التزام طالب باستاذ معين . انا أرى تعدد المحاضرين لانه مفيد . لكن بيبقى لها عيوب ، منها انه قد يهتم احد الاساتذة اهتمام معين بموضوع معين ، ويضيف اضافات أكثر . وقد لا يهتم آخر به . ويحصل ان الطالب يبقى مش عارف ايهما جاى فى الامتحان لان الطالب عندنا ، مش طالب معرفة ده طالب امتحانات .

■ **الطليعة : فى هذا الشأن هل تعتقد بسلامة بنظام أن الاستاذ المحاضر هو الذى يضع الامتحان خصوصا فى المواد الاساسية . ؟**

□ **درويش** : اذا كان للمادة أكثر من محاضر فاعتقد انهم يجب ان يتفقوا جميعا على الامتحان. لا اوافق أن ينفرد واحد بالامتحان . بيرضه الامتحان رؤية ، واحد عاوز يشوف الطالب اللى علمه ، ايه الحاجات التى اهتم بها . وده بيختلف من شخص الى آخر . فأنا أعتقد انه اذا كان الاستاذ هو وحده اللى بيقوم بالتدريس فيجب أنه يضع الامتحان . اما اذا كانوا مجموعة فيجب ان يتفقوا على وضع الامتحان . وده مفهوم بدايه انه اذا كانت مجموعة هى اللى بتدرس ، المحاضرة ، فيتفقوا على المنهج . لا أعتقد أبدا أن تكون مجموعة بتدرس المنهج ومش متفقين على الخطة .

■ **الطليعة . فى مجال الدراسة والمناهج ، ما رأيك فى ضرورة ان تتوسع الكليات العلمية فى تدريس المواد الانسانية ؟**

□ **درويش** : بلا شك . وباقول على تجربة خاصة . لان أنا حضرت الدورة التدريبية للمعيدين والمدرسين لاعداد المدرس الجامعى . مافيش شك ، أنا بقالى سبع سنين باشتغل فى التدريس ، لكن استفدت كثير من الندوة دى . عرفت حاجات ماكنتش أعرفها ، لدرجة أننا طلبنا احنا اللى

بنشاناك في العملية التعليمية ما نخدش التدريس كحرفة .

■ **الطليعة : هل ترى ان هناك فروق بين الخصوصية . اليس من ضمن الحلول التى تقترحها لمعالجتها ، رفع مرتبات المعيدين ؟**

□ **درويش :** رفع المرتبات للمعيدين ما يحلش المشكلة . لان رفع مرتبات لفئة معينة من المجتمع ، يتقتضي بالضرورة رفع الاسعار على المجتمع كله . فما أعتقدش بتاتا أنه مهما رفعت مستوى المعيدين آن المشكلة تحل . لا . المرض موجود والاغراء موجود . وزى ماهو معروف ، ان القناعة ما بتأتيش بأن أنا اكون راضي . أنا أعتقد ان القناعة قناعة داخلية . والايمان بشيء ماهواش نتيجة للعنصر الخارجي يقدر ماهو مسألة داخل الانسان نفسه . يعني فكريا أنا أكون ملتزم ولا مش ملتزم . ولكن مهما كترت فى جيبي الفلوس ، وأنا عايز تاني ، فما أعتقدش يعني . لكن طبعا هل معنى كده انه لو خفض مرتبات أعضاء هيئة التدريس هل اللي مابيدوش هايدوا ؟ اقول آه حيدوا . اذن الخفض يؤثر ، لكن ما اعتقدش برضه أن الارتفاع يؤثر ، لانه مهما رفعت هيرتفع لغاية ايه يعني ؟

■ **الطليعة : أليست الدروس الخصوصية ممنوعة ؟**

□ **درويش :** ممنوعة طب ماهي السرقة كمان ممنوعة . الجامعة تعلم ان فيه دروس خصوصية . وأنا درست لابن موظف كبير فى الجامعة جابهولي لغاية البيت . .

■ **الطليعة : يعني اذن أنت ترى أن هناك تعارض ما بين قوانين المجتمع وما يحدث بالفعل فى المجتمع ؟**

□ **درويش :** بالفعل ده لا جدال فيه .

■ **الطليعة : انت كمعيد فى الكلية : لو طلبنا منك فى سطور قليلة أن نقيم الطالب المصرى حاليا ، ما هو ايجابى وما هو سلبي ؟**

□ **درويش :** ارجو اعطاء توضيح أكثر .

■ **الطليعة :** كم جيل فى العمر بينك وبين الطالب فى اعدادى هندسة ؟

□ **درويش :** يعنى اذا قلنا ان الجيل ٥ سنين يبقى بيني وبينه جيلين . واذا قلنا ١٠ سنين يبقى جيل .

■ **الطليعة : جيل هل ترى أن هناك فروق بين جيلك وبين الجيل الحالي ؟**

□ **درويش .** ماهياش فروق حسادة . لكن بالتاكيد المفاهيم الاخلاقية احتلفت اختلاف بين .

■ **الطليعة . كيف اختلفت ؟**

□ **درويش .** يعنى مثلا كنا من ١٠ سنين – ودى من فترة كبيره – مثلا البنت اللى كانت تكلم شاب كان أبي حد ما فيها بعض العيب . لكن ما اعتقدش دلوقتى ده له نفس المعنى .ميه دلوقتى ، الحقيقه من سنة ٧٠ لغاية دلوقت ، ممارسة الطالب الجامعي للسياسة مختلفه احتلاف بين . وده الفارق الكبير جدا جدا ، ما بين الجيل الدى تربى فى الجامعة فى الستينيات والجيل الدى تربى فى الجامعة فى السبعينيات .

■ **الطليعة : وما تفسيرك لهذا ؟**

□ **درويش .** افسره بان حنا في الستينيات لا نرى الا سياسى واحد . أما فى السبعينيات فرأينا صورتين مختلفتين للسياسة ومنهج الحكم . وده بالتاكيد يخلى الانسان يعمل موازنه ويقدر يشوف اللى فات ايه واللى دلوقتى ايه . ويقدر يكون حكم . مش حكم . يعنى يبقى مع مين او مش معاهم هم الاثنين أو فيه طريق ثالث . . او فيه رؤيا ثالثة . لكن احنا فى الستينيات ماكانشى فيه الا طريق واحد للرؤيا السياسية .

■ **وهل نتفق فى التقييم مع الرأى الذى يزعم أن الاجيال الماضيه افضل ؟**

□ **درويش :** لا . . أنا مؤمن بأن كل جيل أحسن من الجيل اللى سابقه وبالتاكيد ان المعرفة زادت . يعنى مثلا زى ما انا كنت قلت أنا لغايه ما اتخرجت ولغايه ما دخلت الجامعة ، كان عدد المرات اللى دخلتها السينما معدودة . لكن بالتاكيد الشاب دلوقتى اللى هو فى سن الجامعة معارفه توسعت جدا جدا جدا . التليفزيون طبعا عامل كبير جدا فى نشر الثقافة ونشر المعرفة . الطالب دلوقت بيسافر بره . عمرنا احنا فى الستينيات ما فكر فينا طالب يخرج بره مصر . ما أعتقدش ان فى جيلى ده كان .. درجة انني مثلا فى جيلى بعد ما اتخرجنا ، كان التفكير فى السفر بره مصر ، يسبب رعب داخلى . ازاى اواجه العالم بره لكن اعتقد دلوقتي ان اى شاب عمره ١٨ – ١٩ سنة بيسافر فرنسا وبيشوف الناس ، وازاى بيعيشوا ، وازاى بيتعاملوا . ودى من ضمن الحاجات اللى شكلت بالتأكيد الطالب ، يعني من زاوية رؤيته السياسية ومطالبه يعنى ،

■ **الطليعة : من مشاهداتك للعلاقة بين الطلبه والطالبات ، كيف تقيمها ؟ ما هو ايجابى وسلبى فيها ؟**

□ **درويش :** ما هو ايجـابى هو بالتأكيد ان الاختلاط بيعمل نوع من التربيه يعنى المعاملة . أنا مراتى معيده فى كلية البنات وباروح كثير كلية البنات . بارى ان المعامله ما بين الطالبة والطالبة معاملة تخلو مما نتعارف عليه .

□ **درويش :** المعاملة حشنة بينهم وبين بعض جدا . يعنى انى درجه انه ممكن واحده تزعق وتبقى غير محفظة فى كلامها لما بييجى يتزوج يعنى الطالب الى اختلط بالتأكيد تختلف رؤيته للمراة ماتبقاش رؤيتـه مظهـرية فقط للمـرأة . ماهيـاش مسـألة بنت فـلان ولا بنت علان . يعنى من اسرة كدا . بالتأكيد بيرى فى المراة أشياء أخرى غير هذا . يعنى مثلا احنا شفنا واحنا طلبة ، بعض بنات ما يسمى بالاسر المحافظة يعنى ، أخلاقها معيبه . يعاب عليها فى سلوكها يعنى . بينما كنا بنرى ان فيه بنات متوسطات الحال وماهياش من الاسر التى تسمى بالاسر المحافظة ـ وكنا بنرى فى سلوكهن سلوك طيب جدا . طبعا النظرة تنعكس برضه على الفتى مش على الفتاة بس . اعتقد مثلا لو طالب أو شاب ، ظروفه ماسمحتش له بالاختلاط ، بتبقى رؤيتـه للمراة مختلفة تماما عن الطالب اللى اختلط . السلبى فى العلاقة ما بين الطالب والطالبة هو النظرة غير الموضوعية فى العلاقة بينهم .

■ **الطليعة : باى معنى ؟**

□ **درويش :** يعنى ان طالبة كانت الى حد مـا متحررة شوية ، ينظر لها نظرة معيبة في الكليه . ودى أعتقد بتختلف من كلية الى كلية . لاننى باشوف مثلا الطالبات فى الاداب سلوكهن بيختلف بتاتا عن الطالبات فى الهندسة . وده حكم خارجى يعنى مش حكم من جوه . .

■ **الطليعة : ما الذى تقصـده بالتحـرر او المحافظة ؟**

□ **درويش :** أنا أعتقد ان برضـه ما زلنـا شرقيين فى تعاملنا مع المرأة . يعنى مانقدرش نقول ان احنا اصبحنا متحررين بالمفهوم الغربى . يعنى كالسماح بالعلاقات الجنسية .. الخ . يعنى ما زلنا برضه فيه تحفظ بالنسبة للمجتمع . وده اذا انا حتى كانت لى نظرة تحرريه ، لكن انا فى الواقع لو واجهت تجربة اننى يعنى اتجوزت واحدة وكانت لها علاقات جنسية ، بالتأكيد هـارفض زواجى منها . ادى الالتزام بالاخلاق العـامة للمجتمع ، انا باشوف اللى احنا بنسميه التحفظ فى المعاملة . بمعنى اننى لا اوافق بتاتا على بنت بتشرب سجاير وقاعدة فى البوفيه رجل على رجل وسايبه المحاضره . ده تسيب مش حضارة . لكن هو التحرر بمعنى أن نشارك الطالبة فى أنشطة بالكلية ، بالتزام أخلاقى . بمعنى انها مثـلا ماتطلعش فى صحارى سيتى بالليل ويرقصوا كلهم يعنى . الالتزام بالانشطة الاجتماعيه والثقـافية والرياضية فى الكلية وأتعامل مع كل الطلاب بأسلوب جيد . يعنى يصل الى أنه مثلا تترك محاضراتها وتقعد فى البوفيه . أو تخرج مع طالب تروح سينما .. الخ ده تسيب ماهواش فى نظرى الاخلاق .

■ **الطليعة : هل تؤمن بالمساواة بين المرأة والرجل ؟**

□ **درويش :** انا متصور ان المساواة تكون حق البنت انها تعرف على شاب . يعنى دى لا جدال فيها . وتتعرف باسلوب مش انحلالى . او اللى انا بأسميه انحلالى علشان الاصطلاحات كل واحد بياخدها من منظور مختلف ـ انه مثلا أنا مـا اوافقش ابدا على أن بنت يبقى لها علاقة جنسية قبل الزواج . لكن أوافق مثلا ..

■ **الطليعة : وهل تعطى هذا الحق للشاب ؟**

□ **درويش :** برضه لاننى شرقى التربية ...

■ **الطليعه : اذا أنت أعطيت هـذا الحق للشباب ، معنى هذا انه بالضرورة سوف يفسد بنت من البنات ؟**

□ **درويش :** أنا ما بأعطهوش . لكن أنا ممكن أتجاوز عنه . يعنى أنا لا أبصم له على ان هذا حق .. لكن أنا بأقول ..

■ **الطليعة : تقصد انه لا يمثل لك مشكلة ؟**

□ **درويش :** أه .. لكن ممكن اتغاضى عنه اذا حدث . لكن مثل ممكن اتغاضى عنه بالنسـبة للمراة .

■ **الطليعة : نقرا فى الجرائد قصص فتيات صغيرات يستدرجن لارتكاب اعمال منـافية للاخلاق ، بسبب يتعلق بالرغبة فى الحصول على مزيد من الملابس والاحتياجات . هل هذه الظاهره موجودة فى الجامعة ؟ بمعنى هل واضح انها موجودة ؟**

□ **درويش :** يعنى ما اقدرش اقول او أجزم انها موجودة أو غير موجودة .. لكن بالتأكيد هذا النوع موجود فى الجامعة . لكن هل هى ظاهرة أو حالات فردية ؟ ماالمستهاش كظاهرة . ولكن ممكن المسها كحالات فردية . يعنى أه فيه بنات فى الكلية مستعدة أن تعمل هذا العمل .

■ **الطليعة : انت عندك مشكلة الشاب الذى يحضر للجـامعة بملابس فقيـرة ومتواضـعة . هل عندك مشكله طالبات من هذا القبيل ؟ وكيف تحل هذه البنات المشكلة ؟ البنت تحضر الجامعة وربما ملابسها غير لائقة بمقارنتها بالبنات اللاتى**

يلبسن ملابس غالية الثمن ؟ هل هذه المشكلة ظاهرة فى الجامعة ؟

□ درويش : موجودة .. ولكن بنسبة أقل . لكن فيه نقطة هى ان الشاب المصرى ممكن مشاكله تظهر على السطح . يعنى ممكن تبان . لكن البنت المصرية مشاكلها مابتبقاش باينه . يعنى مابتبقاش باينه على السطح . ماتقدرشي تلمسها الا فى الحالات الصارخة . يعنى الحالة الصارخة هى اللى تلمسها . لكن فى الشاب ممكن تلمس هذا ممكن يخش فى مشاكل . لكن البنت تتجنب .

■ **الطليعة : عدد الطلاب الذين يملكون سيارات فى كليتكم ، كم نسبتهم تقريبا ؟**

□ درويش : أعتقد أكثر من ١٠ فى المائة . لان لو احنا قلنا أن كليتنا خمسة آلاف طالب أو حوالى أربعة آلاف طالب . يبقى عدد العربيات الموجودة على باب كلية الهندسة حوالى ٥٠٠ سيارة — ٥٠٠ لـ ٥ آلاف اعتقد يبقى النسبة ١٠ فى المائة

■ **الطليعة : بما فيهم سيارات هيئات التدريس ؟**

□ درويش : لا احنا عندنا نظام ان سيارات هيئات التدريس تدخل جوه الحرم .

■ **الطليعة : هل نسبة الابناء الاغنياء أكثر فى كليه الهندسة ؟ ولماذا ؟**

□ درويش : هو لسبب واضح وباين جدا . هو الدروس الخصوصية فى السنة . ابن الاسرة الغنية بياخد دروس فى الثانوى . لكن فى الغالب ما اعتقدش نفس هذا الاهتمام فى الطبقات الفقيرة . لانه ممكن يهتم بتدريسه وتعليمه فى المراحل الابتدائية . يعنى زى حالتى أنا . انا والدى عامل . اهتم اهتمام بالغ جدا بتدريسى فى المرحلة الابتدائية . كانت أمنيته انني آخذ مثلا دبلوم صنايع ، او أحصل على شهادة متوسطة تقينى شر العوز . أو تقينى ما يعود على العامل من مهانات فى المجتمع فى ذلك الحين . كان العامل طبعا غير العامل المهنى دلوقت . لكن فى المراحل اللى أعلى من كده مااعتقدش ان كان فيه اهتمام بالمرة . ولا كان يمكن فيه اهتمام . لان الحالة المادية لا تسمح بأى اهتمام حتى بالكتب الخارجية .

■ **الطليعة : والبنات من الطبقات الغنية اللاتى يدرسن فى الكلية ، هل ملابسهن فيها — كما يقولون — بهرجة أو خروج عن المألوف ؟**

□ درويش : آه . يعنى أحيانا الواحد بيشوف بنات كده زى ما يكونوا رايحين كباريه .

■ **الطليعة : وهل تتدخلون فى هذه المسألة ؟**

□ درويش : احنا لا أننا لا نملك أن نتدخل فى حرية شخصية . لا نملك بتاتا .

■ **الطليعة : هل البنت التى تهتم اهتماما زائدا بملابسها ، هل تهتم أيضا اهتماما زائدا بالعلم ؟**

□ درويش : لا أعتقد فى الحالة العامة .

■ **الطليعة . مسالة الهجرة بالنسبة لاساتذة من هيئة التدريس فى الجامعة ، ما رايك فى هذه المسألة ؟ هل توافق على أن الاستاذ يهاجر ؟**

□ درويش : هو الحقيقة يعنى ان الهجرة دى بتسبب مشاكل رهيبة جدا جدا . لدرجة انها بتسبب مشاكل مستقبلية لينا احنا كمعيدين . يعنى أفسر المسألة دى ازاى . يعنى أنا مثلا أنا بأسجل نقطة بحث للحصول على الماجستير مع أحد الاساتذة . وتجيله اعارة يقوم مسافر وسايبنى لان البحث العلمى يبقى شخصى بين الاستاذ والمساعد اللى هو أنا . فممكن فى اى وقت يجيله اعارة ويسيبنى . ودى طبعا بتشكل لى تعويق كبير جدا لى . لكن فى منظور ثانى ، الهجرة أكيدة شىء بشع ، بشع فعلا . لانه مثلا الاساتذة تسيب مصر وتروح تدرس فى البلاد العربية . بالنسبة احنا كمعيدين بتبقى خسارة فادحة . لان دى بتعوق مستقبلنا لمدة اربع سنين، اللى هو قاعدها فى الاعارة . لكن من منظور ثانى ان هذا الرجل يريد تحسين دخله . كيف يمكن ان يحسن دخله الا بالاعارة . فمتقدرش أن تلومه على انه بيهاجر . ظروف الحياة بتجبره .. عايز يسكن فى شقة ، عايز بالتأكيد عربية . طبعا اذا وقفنا ما وقفناش هل العربية ضرورية أو مش ضرورية ؟ ولكن هو بالنسبة له يطمع فى مستقبل افضل . أو بيطمع أن هو يبقى فى مستوى أحسن من مستوى صاحب مقلة اللب اللى هو عنده ثلاث عمارات . ويقعد مثلا لشقة مايلقاش . لان مبعوثين كثير كثيرجدا بترجع . يعنى احنا عندنا يبقى فى الكلية ويقعد مثلا فى قليوب فى بيت فيه طلمبة . بالتأكيد يعنى هذا الانسان ما يقدرش . مش قادر يعيش . فبيحاول ان هو يجد وسيلة للدخل . أيه الوسيلة اللى أمام عضو هيئة التدريس لدخل ؟ الدروس فى الكلية ، عندنا ومعظم الكليات ما عدا الطب — طريق الدروس مقفول . أعتقد أن المدرس يعنى بيخاف على كرامته ان هو يقبل يعطى دروس . لانه بيحط الامتحان . وده غير وضع المعيد يعنى . يعمل ايه قدام الحكايه دى ؟ الكتب مهما حصل منها على فلوس ما تدلوش امكانيات واسعة . اذن الاعارة . لكن الاعارة بلا شك يعنى خسارة فادحة لينا كمعيدين . يعنى اعداد الكوادر العلمية بتخسرها عملية الهجرة . يعنى الطلاب ما بتخسرش كثير باعارة المدرس لان فيه بديل . لكن المرحلة الوسيطة — اللى هى ما بين الطالب وما بين

الاستاذ ـ اللى هى المعيد ده بيخسر خسارة فادحة . خسارة فادحة فى مستقبله لان هو بيعوق . حوالى ثلاث او أربع سنين قاعد يحط ايده على خده .

■ الطليعة : وبالنسبة لك شخصيا ؟

□ درويش : خلصت ماجستير ..

■ الطليعة : الم تفكر فى الهجرة ؟

□ درويش : ما فكرتش لسبب واحد فقط ، لاننى مرتبط بالصرف على اسرتى . فاذا أنا سافرت يعنى ، ما فيش ضمان مادى .

■ الطليعة : تستطيع ان تبعث لهم فلوس ؟

□ درويش : ما هو فى الهجرة ما تضمنش انك بعد شهر أو اثنين أو بعد ثلاثة او بعد اربعة أو بعد خمسة تحصل على فلوس . وما أضمنش انك تبعت لهم . طيب هل أنا ابقى اتعلمت لوحدى . اتعلمت علشان أنا بس اللى أتعلم . يعنى أنا مسئول عن اخوتى . لازم بالتالى يتعلموا . فلازم يضمنوا مورد شهرى ليهم .

■ الطليعة . لكن ربما تأخذ منحة كى تحصل على دكتوراه ؟

□ درويش : ما هو آه المنحة ليها مرتب . فكل المنح ، منح بمرتب .. فبأصرف مرتب فى الوطن وباصرف مرتب بره . وده يحل لى المشكلة اننى أبقى ضامن لهم . علشان كده أنا لا اقبل منحة شخصية بدون مرتب ولا اقبل الهجرة . لان لى اخواتى من حقهم أن يتعلموا .

■ الطليعة : ومتى ستحصل على الدكتوراه ؟ لقد مر عليك ٧ سنوات كمعيد ؟

□ درويش : متروكة للظروف . أنا برضه بكافح فى مصر علشان احصل على الدكتوراه .

■ الطليعة : أنت مسجل ؟

□ درويش : مسجل آه ..

■ الطليعة : وما الذى معطلك ؟

□ درويش : معطلنى الامكانيات المعملية ، غير متوفرة . ودى نقطة احب اتكلم فيها . وأنا كنت جاى ناوى يعنى اطرحها . ان مشاكل البحث العلمى فى مصر ليست مشاكل قومية بمعنى أننى ما بيجيش لى أمر بحث . بمعنى ان عندنا المشكلة الفلانية ونبحثها . لا . دى نقطة البحث دى بتم بطريقة غريبه جدا فى مصر فى المشاكل العلمية بالذات . يمكن أنا ما أعرفش بقية التخصصات . لكن بالنسبة لينا الواحد ينزل المكتبة وادور فى الفهرس الناس بتعمل ايه . أو أستاذى يعنى يقوللى ، والله انا شغلى فى الموضوع الفلانى . فاذا كان هو عنده الاعمال التى أنجزت على موضوعه مسبقا ، فبأخذ حاجة جاهزة وابدأ اشتغل منها . ومطلوب منى أننى أحقق نفس المستوى النظرى اللى بيحققه الناس بره . ويعنى أنا برضه جايب علشان أورى لحضراتكم وثيقة عبارة عن شهادة الماجستير درجة الماجستير لمتحن اسمه ممتحن خارجى . ممتحن يبقى بره مصر ، دى رد للماجستير بتساعى من شركة فيليبس . يعنى مدير معامل شركة فيليبس هو اللى امتحن رسالتى . طيب ازاى الشغل ده تم فى شركة فيليبس ، شركة فيليبس عندها مشكلة فطلبت من الجامعة ، من جامعة « اوتوريختت » زى ما هو مكتوب ، انها تكون مجموعة عمل بيشتغلوا فى المشكلة دى .

■ الطليعة : مجموعة بحث ؟ .

□ درويش : آه مجموعة بحث . وطبعا يتصرف الباحث ده بامكانياته المعملية لكن هنا فى مصر بتمشى المسالة بكده . بيتم ان الاستاذ اللى هو مشرف على ، بيبقى تخصصه معين فبيقول لى أنزل المكتبة دور لى فى مجموعة المواد دى . أدور فى مجموعة المواد دى لغاية ما أشوف مادة الشغل فيها قليل . لان طبعا لو كان الشغل فيها كثير معنى كده انه اتعمل وانا مش ها اقدر أعمل حاجة ، أضيف فيها حاجة ، فابحث عن مادة ما تكونش له حد عملها ، وآخذها . اذا كانت ظروفها وامكانيتها المعملية موجودة بتمشى . اذا ما كانتش امكانيتها المعمية موجودة ممكن أتعد خمس وست وسبع وثمانى سنين ، ما أنجزش فيها حاجة . طبعا أنا ما اقدرش اقول وما حدش ابدا يقدر يطالب ، ان مصر تصرف على الباحثين فلوس . لكن عائد هذه الابحاث يساوى صفر يعنى ما فيش ابدا اى دولة فى العالم واى دولة نامية لها مشاكلنا . انها تقبل أن يكون عائد الابحاث فيها يساوى صفر . بالتأكيد لازم كل بحث علمى يبقى له عائد للابحاث العلمية غير تخريج الكوادر ، اللى هى الحصول على الشهادات العلمية . فأنا انزل مكتبة اقعد أدور على نقطة بحث ـ اذا كانت نقطة البحث جاهزة أو مش جاهزة ..

■ الطليعة : هل اخترت نقطة بحث للدكتوراة ؟

□ درويش : أخترت آه ..

■ الطليعة : ومنذ متى مسجل ؟

□ درويش : مسجل بقى لى سنة . لكن لم أنجز بشىء بتاتا خلال هذه السنة

■ الطليعة . وبهذا الاسلوب متى ستخلص ؟

□ درويش : ما أعرفش اخلص امتى ، لاننى معتمد على شغين ان ييجى لى منحة اسافر . لكن ما أفضل أكافح ـ أو يعنى بالبلدى « أنقر » لغاية ما تيجى لى منحة الم كل الورق ده وأرميه ، لانى عارف ان انجازاتى فى مصر هتبقى ضئيلة ، لان مطلوب منى انى أعمل مادة بنفس الكيفية ،

اللى بيعملها العامل فى شركة « فيليبس » لاننى ها طلع نظرية لاننى بأشتغل فى نظرية يبقى مطلوب منى أننى أعملها بنفس الكيفية وأقيسها بنفس الدقة . طبعا أنا لا أقيسها بايدى . لكن بأقيسها بأجهزة قياس يبقى أنا عايز أجهزة قياس متطورة . وأجهزة قياس متطورة مش موجودة عندى . ودى مشكلة المشتغلين بالعلوم البحتة مشكلة الناس اللى بتشتغل بالعلوم البحتة محتاج أجهزة والجهاز النهاردة بيبقى موجود صحيح ، لكن ده هو تطور اكثر . وكل ما تتطور اجهزة القياس كل ما يتطور أسلوب البحث العلمى نفسه . يعنى أنا لما أبقى عندى جهاز بيقيس لى بالمللى ، بالتأكيد أقدر أعمل بحث علمى لمواضيع دقيقة غير لما أقيس بالشبر .

■ **الطليعة الجهاز الموجود فى مصر كم تقدر سنة الموديل المصنوع بمعنى ما الفرق بينه وبين أحدث الاجهزة ؟**

□ **درويش :** أنا أعتقد ان الفجوة حوالى ١٠ سنين أو ٢٠ سنة وطبعا انا بأتكلم مش على علوم الفضاء مثلا . طبعا علوم الفضاء عكست على العلوم الاخرى تقدم كبير . لكن أنا بأتكلم عن الابحاث المعملية هناك أبحاث تطبيقية يبقى علشان تنطبق فى مجـال واسـع وفيه أبحـاث النظريات العملية - اعتقد ان احنا متخلفين فى حدود عشرين سنة ٢٥ سنة . وكل ما بنقعد كل ما يزداد التخلف . لكن مش مرجعها العقول . فمفيش شك ان العقل تشحذه الامكانيات . يعنى ما أقدرش اقول مثلا - وابقى نرجسى جدا لو قلت - ان عقلى زى عقل اللى فى سنى فى امريكا مثلا . بالتاكيد لا لان حجم معرفته بالتاكيد أكبر من حجم معرفتى ، لكن ماهواش الفجوة الواسعة ما بين العقول بقدر ما الفجوة واسعة ما بين النظام والنظام بكله بقى وبامكانياته ، لان نظام العلم عندنا مختلف تماما عن نظام العلم فى الدول المتقدمة يعنى مثلا فى الدولة المتقدمة الابحاث بتبقى ابحاث مدروسة هنا الابحاث غالبا غير مدروسة ، لان ما فيش أصلا مشاكل كدولة ما فيهاش صناعة تتطور ، ماعندهاش مشاكل صناعية تطرحها على مراكز البحث العلمى . لكن لو شفت فى المركز القومى للبحوث تلاقى كوادر معطلة بشكل بشع . نقطة ثانية ، هناك فيه معاونات البحث العلمى . يعنى بالتأكيد هناك كوادر فنية تخدم البحث العلمى . يعنى عامل ماهر جدا . ماكينات ماهرة جدا . الماكينات المتطورة دى بتساعد البـاحث . لكن الباحث فى دولة نامية زى مصر مطلوب منه انه يكون صنايعى يعنى يفهم ازاى يعمل الحاجة لانه لو سابها للعامل لوحده .. امكانيات العامل لا تسمح له بعمل دقيق .

فيبقى مطلوب منه أن يعرف كل هذه الاشياء ويتعلمها ويمارسها علشان يقدر يحقق قليل من المستوى اللى يقدر عمله

■ **الطليعة : هل تعتقد ان علاقات هيئة التدريس بين المعيدين وبعضهم : وعلاقات المعيدين بالطلبة : معوقة أم مساعدة لعملية التعليم نفسها ؟**

□ **درويش :** يعنى لنظام او كأفراد ..

■ **الطليعة : كنظام**

□ **درويش :** بالتاكيد ان هناك معوقات كثيرة جدا جدا العمليات التعليمية من اعضاء هيئة التدريس . وهى مشكلة تطلعاتهم الماديه . يعنى انا بأشوف أن مسالة الكتاب الجامعى مسألة خطيرة جدا جدا . يعنى مسأله الكتاب الجامعى ، بالشكل اللى هى موجودة عليه ، دى بنقلل من مستوى العملية التعليميه ومن مستوى الطالب . انما بالتأكيد ان اى واحد بيدخل نظام ، ومهما كانت كفاءته ومهما كانت روحه وقناعاته بيدخل جوه نظام خرب ، فيتخرب هو نفسه يعنى أنا اعتقد ان هو النظام التعليمى بالشكل الحالى نظام معوق جدا جدا للعملية التعليمية .

■ **الطليعة : والعلاقات مع الطلبة**

□ **درويش :** العلاقات مع الطلبة فيها انفصال رهيب جدا جدا . بقى ما أقدرش اقول ابدا - رى ما قلت عن مشكلة الطالب ده كان المفروض لو كان فيه علاقات طيبة ما بين الطالب والاساتذه ، كانت تكتشف هذه العمليه مبكرا وتحل . ودى حالة فريدة . وبالتأكيد هناك حالات صارخة اكتر من كده يعنى . برضه اذا كان هناك مشاكل البنات والحاجات دى ، بالتأكيد لو كان فيه نظام جيد للعلاقه ما بين الاستاذ والطالب كان ممكن القضاء عليها . لكن طبعا العدد كبير جدا للطلبة اعضـاء التدريس نسبتهم قليلة بالنســبة لهم مشـاغلهم اكبر . مشاغل الحياة والكسب ، والمسالة الماديه ، بتشغلهم تماما عن مسألة الطلبة الا فى الحالات النادره ، وهى اذا كان واحد يكون رائد أسرة أو أى حاجة ، دى حالات فردية واذا دخل فى النشاط الطلابى والجامعى ، فيبقى بقية نشاطاته حتتأثر طبعا . لكن طبعا لو كان هناك نظام ما يتيح للانسان أن يمارس أنشطة اجتماعية ، وبالتالى مابيعوقش أنشطته التعليمية ، ده يبقى شىء مكسب وكويس للجامعة .

■ **الطليعة : لو انتقلنا للسياسة : هل تتـابع أعمال لجنة العمل السياسى .**

□ **درويش :** ماتهمنيش لجنة العمل السياسى .

■ **الطليعة : لماذا ؟**

□ **درويش** : لان ليس هناك أمل فى ان تؤدى الى نتيجة ، لانها متشكلة من نفس الناس . بقى أنا تابعت تشكيدها ، أهمميت بمين اللى هيكونوا موجودين فيها ، لقيتهم نفس اللى كانوا موجودين فى الاتحاد الاشتراكى وفى كل لجان التطوير وهم وهم نفسهم .

■ **الطليعة** : بالنسبة للمصبنه القائمة الان الخاصة بالمستقبل السياسى هل نطور الاتحاد الاشتراكى ام نعمل احزاب ؟ ماذا تفضل ؟

□ **درويش** . أفضل الاحزاب .

■ **الطليعة : لماذا ؟**

□ **درويش** : أفضل الاحزاب اذا لم تشكل بقرار من رئيس الجمهوريه أو تشكل من ناس معينه او نتيح أحزاب ولا نتيح أحزاب أخرى ، أو يسمح بممارسة العمل السياسى لاتجاهات سياسية معينه ولا يسمح باتجاهات سياسية أخرى . ده لا اشجعه ولا أوافق عليه . بالتأكيد هناك اتجاهات سياسية فى مصر ، ومافيش حد ينكر ان ما فيش اتجاهات سياسية اذا نركنا الاتجاهات السياسيه تنمو بشكل صحى ديمقراطى . أعتقد ان انا اكون فى صف ده ، لانه ينيح لكل ذى اتجاه ان يمارس العمل السياسي نطالب حياته . العمل السياسي من عمل ترفيهى انه ضرورة للانسان . يعنى لكل مجموعة لها مصالح معينة بتحاول انها تحقق اكبر قدر ممكن من مصالحها . وده طبعا قد ينعارض مع مصالح ناس آخرين ، فالمهم أن يحدث احتكاك سلمى وان يصل المجتمع الى ما يرضى الغالبيه . وبالتاكيد اذا قلنا ان التنظيم الحزبى سيسمح لكل الاتجاهات لسياسيه ان تتكون ، فاللى يرضى الناس او يتفق معاهم ، فى برامج الاحزاب — يختاروه بحرية وديمقراطية بشكل حر .حاكون مع هذا .

■ **الطليعة : ولكن على الاقل هنا إتجاهين فى موضوع الاحزاب . اتجاه السياسيين التقليديين الذين ينتمون الى ما قبل الثوره : واتجاه آخر نعبر عنه بعض قيادات نقابيه . السياسيين التقليديين يرفعون شعار الاحزاب على أساس ان يعنى فى مضمونه ، اختيار طريق الاقتصاد الحر والغاء ما تم من اجراءات بعد ٥٢ . ويرى بعض النقابيين ان الاحزاب تهدد كمية كبيره من المكاسب التى تحققت بالنسبة لهم او بالنسبة للعمال والفلاحين ففى رايك ما هو المضمون أو الإختيار الملائم الذى على أساسه تقوم فكرة الاحزاب ؟ وبمعنى آخر رأى تتضم فى موضوع الاحزاب ؟**

□ **درويش** : انا لى رؤية أخرى

النقابيون اللى بيقولوا ان الاحزاب ستقضى على المصالح . دول مواقعهم النقابية بتعطى لهم سلطات قد يخشوا عليها ، وبرضه الحزبيين القدام يرون أن لهم قوة وموجودين وممكن أن يتغلبوا ويبقى لهم الحكم . لكن أنا أعتقد أنه فى خلال العشرين سنة اللى فاتت دى . تشكلت اتجاهات سياسية ، وأصبح اللى حاضر فى الساحة مش بس الحزبيين القدام او النقابيين فقط . هناك فى الساحة آخرون . وقد يكونوا أكثر نضجا من هذا وذاك . طيب أين سيقف هؤلاء . هل يظل العمل السياسى بتاعهم غير شرعى ويحاربوا ؟ لا . الحزبيين حتى لو رجعوا بأحزابهم ، واذا كانت امكانياتهم أكبر ماديا . لكن بالتاكيد الممارسة السياسية على المدى البعيد ستؤيد الاحزاب . أما بالنسبه للنقابيين وبيقولوا ان مكاسب العمال . مش مكاسبهم الشخصية يعنى ، يعنى مثلاً انا باقول لو العمال دول — العمال مش رؤساء النقابات — لو العمال أتيحت لهم فرصة انتخاب نقابى وتمثيل نقابى جيد ، بالتأكيد سيلفظون هذه القيادات . لان القيادات دى مرفوضة من أيام ما كانت بتشكل النقابات بقرارات . أنا أعتقد انها يعنى قيادات سترفض لو اقيمت انتخابات حرة — يعنى القاعدة العمالية بالتأكيد سترفضهم لانهم هم جيين بطريق غير سليم وممارستهم للعمل غير سليمة . لو كانت هذه القيادات ، موجودة فعلا وقيادات قادرة وخايفة على مكاسب العمال ، كانت حلت المشاكل بتاعة عمال المحلة وعمال شبرا الخيمة ، سمعنا عن عمال عملوا مظاهرات السنة اللى فاتت ؟ ليه ومين اللى وقف ضد عمال المحلة ؟ اللى وقف ضدهم النقابات بتاعتهم . النقابيين بتوعهم . عمال النسيج فى شبرا الخيمة من سنين برضه نقاباتهم واقفة ضدهم . فكانوا فين فى الوقت ده ؟ وهل النقابيين دول بيحلوا مشاكل العمال اليومية الطاحنة ؟ هل هم بيعبروا فعلا عن العمال ؟ ما أعتقدش انهم بيعبروا عن العمال .

واحنا ما نقولش مثلا أن الاحزاب بالشكل ده حتتكون . يعني انا لما قلت اننى بارفض ان الاحزاب تتكون بقرار سياسى ، أو يمنع حزب دون حزب آخر ، انا متصور لو الاحزاب مثلا تيجى لامانى الانسان أو ما يتمناه ، لو مثلا ان الاحزاب تقام بشكل النقابة . مثلا احنا عندنا قطاعات عمالية وقطاعات مهنية كبيرة جدا . لو مثلا كانت النقابات دى متطورة جدا فى عملها النقابى ولو فيه علاقات نقابية ما بين النقابه والادارة ، وما بين النقابة والعمال ، القيادات النقابية دى طالعة من عمال حقيقيين او بيناضلوا لمصلحة العمال ، كان بالتاكيد ان القيادات العمالية دى يوم ما تكون احزاب ستجذب حواليها كل الناس ، لكن تصبح العملية بقى زى عملية الاتحاد الاشتراكى ، الناس بتكتب استمارات ، وعشان يبقى عضو مجلس

ادارة متفرغ او ممثل للعمال فى مجلس الادارة ، مسألة مكاسب هنا . مكاسب شخصية مش مكاسب للقاعدة العمالية بالتأكيد .

الطليعة : لو أطلقت حرية تكوين الاحزاب لمن يشاء ، فما هو تصورك لنوعيه الاحزاب التى ستتواجد وستعبر عن واقع ما فى المجتمع المصرى ؟

□ **درويش** : يعنى دلوقت اعتقد أن فيه او أصبح فيه ثلاثة اتجاهات اساسية . ده فى تصورى يعنى — اعتقد أن هناك ناس أصبح يطلق عليهم الناصريون بالرغم ان هو يعنى مافيش حاجة اسمها ناصرية لكن اعتقد أن هناك ناس ملتزمين بمواثيق الثورة ، اعتقد أن هناك ناس ضد هذا الالتزام ، ودول بيشكلوا جناح آخر ، يعنى قوة أخرى ضد الاقتصاد المخطط وضد الحاجات دى وهو اتجاه يؤيد او ينادى بالاقتصاد الحر والاستثمارات الاجنبية وان الطريق اللى مشيت فيه مصر من عشرين سنة طريق خاطىء وهو ما جر عليها من مشاكل ، وفيه اتجاه آخر على يسار هذا وذاك ، وهو اللى يرون أن الاقتصاد المخطط والاشتراكية العلمية هى البديل ، فاعتقد أن دى هى الاتجاهات الاساسية الثلاثة اللى ممكن تشكل الاحزاب .

■ **الطليعة : بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط . هنــاك راى يقول بأن السـبب فى الهجمات التى تعرضت لها مصر من قبل اسرائيل والاستعمار ، هو اهتمامها بقضية فلسطين وترتب على هذا الرأى ، فى وقت معين هجمات شديدة من بعض الصحفيين على الفلسطينيين كاتهامهم بأنهم باعوا أراضيهم وانهم سبب هذه المشكلة وانهم يعقدون حل المشكلة فما رأيك أنت فى هذه القضية ؟**

□ **درويش** : رايى او قناعتى الشخصية فى المسالة دى ، ان الفلسطينيين ليسوا السبب . انا قناعتى ان الثروة البترولية فى العالم العربى يعنى بالتأكيد من مصلحة أمريكا ان يظل البترول فى ايدها ، او هى اللى تستغله ، اذن ما هو المطلوب علشان يفضل البترول ده فى أيد شركات احتكارات امريكية ؟ الشعب العربى — يعنى مثلا لو احنا تصورنا إن مصر مثلا فيها بترول وفيها اتجاه سياسى ضد الاستثمارات الاجنبية ، ده بالتأكيد خسارة فادحة للشركات الامريكية . وطبعا مافيش زى ما بيقولوا سياسة من غير اقتصاد السياسة ماهياش لعبة لا هى مصالح اذن فأنا فى تصورى ان امريكا هى اللى بتغذى هذا الاتجاه ، والعداء للفلسطينيين فلسطين ليست السبب فى نكبات مصر لكن سبب نكبات مصر انه ما يخلوشى مصر لها رأى معــادى للاستعمار ، او ما يخلوشى فى مصر رأى يعادى امريكا . ليه ؟ لو كان فى مصر نظام حكم ثورى ، او لو كان فى مصر رأى يعادى الاستثمارات الاجنبية ويعادى النظام الرأسمالى مصر لها دور لا شك . يعنى انا من خلال رؤيتى المحدودة باشوف ان كل الشباب العربى ينظر لمصر نظرة كبيرة اللى معمولة بيه فى مصر هو الاساس اللى لازم ينبع يعنى لو مصر مثلا بتساعد ثوار مسقط ، لو مصر مثلا بتساعد ثوار ظفار ، بالتأكيد ماكنش ثوار ظفار يضيعوا او بالتأكيد كان يبقى لهم موقع احسن اذن ما هو المطلوب ؟ المطلوب ان مصر دى ما يبقاش لها أى دور فى الوطن العربى ، انا باعتقد ان ماهياش قضية فلسطين هى اللى سببت النكبات لمصر . هو اى دولة نامية لازم يحصل لها اللى حصل لمصر . يعنى مثلا فى انجولا ، هل السبب ان كان فيه فلسطين فى انجولا ؟ ولا فيه فلسطين فى فيتنام ؟ بالتاكيد مافيش لكن فيه مصالح للدول الرأسمالية والناس اللى مرتبطة بها . يعنى دلوقت فيه استثمارات ومصــالح المستثمرين . يعنى مافيش رأسمالى بيجى من غير ضمانات ما هو الضمان ؟ الضمان ان يكون فيه نظام اقتصادى حر . طيب ازاى يبقى فيه نظام اقتصاد حر من غير ما يكون فيه سياسه تضمن نظام الاقتصاد ده ؟ طبعا السياسه دى تتغير معالمها . يعنى هجوم على القطاع العام لان الراى ده يرى ان المستثمرين يكونوا فى تضارب مع مسأله القطاع العام طبعا ان تبقى فيه حرب او مطلب للشعب ان هو يحــارب ، دى تضر المستثمرين ، فأنا ما اعتقدش ابدا ان قضيــة فلسطين ، او أن فلسطين ، هى اللى جرت علينا المشاكل .

■ **الطليعة : كيف تحل القضية فى رأيك ؟**

□ **درويش** : هو أنا ماليش رويا فى القضية بالنسبة لكيفية حلها . لكن انا خلال الخمسة وعشرين سنة او الثلاثين سنة اللى الواحــد عاشهم . لقى ان اسرائيل بتقوى لان أمــريكا بتساعدها . يعنى اسرائيل جزء من أمريكا ، يعنى ما نقدرشى نقول بأن أفصل اسرائيل عن أمريكا . بالتأكيد ايه البديل ؟ لا البديل مشروع المملكة المتحدة ولا البديل ان ما يكونشى فيه اسرائيل لان يعنى مش هاتقدر فيه موازين العالم مش هاتقدر ان تبقى مافيشى اسرائيل انا موافق الفلسطينيين اللى بيطالبوا بدولة علمانية او باقامة السلطة الوطنيـة فى الضفة والقطاع .

■ **الطليعة : يرى البعض انه بما أن أمريكا تساعد اسرائيل وان اسرائيل — كما قلت — انت — ليست سوى استكمال لامريكا فالحل هو أن تحارب امريكا لكى تضعف اسرائيل وهناك من يرى العكس بأن نصادق أمريكا لكى نضعف اسرائيل عن طريق عزلها عن أمريكا فما هو رأيك ؟**

□ درويش : الرايين دول خطأ . الرأى اللى هو أسالم أمريكا علشان أضعف اسرائيل . أمريكا استخدمت حق الفيتو ضد المشروع الفلسطينى اذن أمريكا لن تنحاز للعرب على حساب اسرائيل ، وده الدليل موجود أهه . فأمريكا استخدمت حق الفيتو اكثر من كده ايه ؟ هل أمريكا أوقفت شحنات السلاح لاسرائيل ؟ لا ! اذن القول بصداقة أمريكا علشان أضعف موقف اسرائيل ، ده خاطىء جدا . وهذا هو الدليل المادى أهه . الدليل ان أمريكا إستخدمت حق الفيتو ، وما زالت بتورد سلاح الى اسرائيل .. طيب هل أحارب أمريكا علشان أضعف اسرائيل ؟ لا ماحاربش أمريكا علشان أضعف اسرائيل ، أنا أحارب اسرائيل مش أحارب أمريكا . يعنى أنا ما أعتقدش أبدا ان أمريكا ممكن تحتل مصر ، أو اذا احنا هاجمنا اسرائيل وعدنا الى حدود ١٩٦٧ ، وما اقولش نقدر نعود لحدود ١٩٤٨ ان نزيل اسرائيل يعنى الى حدود ٥ يونيو ١٩٦٧ ونقدر بالطريقة دى نخلى فيه رأى عام جوه اسرائيل . اسرائيل مجتمع مهاجر ، انك تضعفه بالضغط عليه . صحيح أمريكا بتساعده ، لكن أمريكا برضه مساعدتها داخل استراتيجية معينة . وبالتأكيد مش حنقف لوحدنا . لان فيه دول من مصلحتها انها تضعف أمريكا . مثل الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية . بالتأكيد ان الكتلة الشرقية وقفت موقف جيد فى فيتنام وبنجلاديش ، وانجولا . أعتقد ان لو كانت دى استراتيجيتنا ـ بصرف النظر عن ما هو التكنيك اللى يجب اتباعه ـ يعنى نقوى الفلسطينيين اللى يقدروا يصعدوا العمليات الفدائية داخل اسرائيل . نقوى موقفنا العسكرى والاقتصادى ، وده يتم طبعا مش بالاسلوب اللى بيتم بيه دلوقت . لكن يتم بأسلوب أحسن من كده . يعنى ما ينفعش أبدا فى ظل ظروف الحرب ، أن احنا نعمل مجتمع محارب فى ظل الظروف الاجتماعية الموجودة دى . أبدا ما ينفعش ببقى فيه مجتمع بيحارب وفيه عربيات « شيفروليه » و « بويك » . لا مجتمع محارب يبقى مجتمع محارب من القمة الى القاعدة . يبقى حارب من أصغر واحد فيه الى القاعدة . يبقى حارب من أصغر واحد فيه الى أكبر واحد فيه . ما يبقاش فيه واحد بيحارب وواحد بيخش كباريه فى الهرم ، يعنى أنا مادخلتش الجيش ، لانى أعفيت طبيا ، لكن أقرانى أو دفعتى اللى اتخرجت بعد ٦٧ على طول ، علشان تتحمل المسئولية كانت فى الجبهة . لما شاب يكون فى الجبهة ومتحمس ويحارب وييجى ويلاقى مجتمع القاهرة بالشكل اللاهى جدا بالغربيات الرهيبة والكباريهات ، بيرى ان هو بيموت فى سبيل لا شىء . يعنى انا عايز أموت فى سبيل شىء ، يعز على ان أنا أعطى روحى له ، فلما أنا أشوف مجتمع لا هى بهذا الشكل ، أنا بافقد روحى المعنوية . لكن لما يكون فيه قضية ، والقضية دى بتهمنى ، أنا مصر بتهمنى من القاعدة الى القمة ، لاننى واحد منها ، اذن أنا أحارب وأموت علشانها . يعنى يجب أن نصحح موازين العدل الاجتماعى ؟

■ **الطليعة : فيما يتعلق بالسياسة الخارجية : لكى نستطيع أن نحارب : ما الذى تراه ؟**

□ درويش : هو يعنى علشان مجتمع يحارب بالتاكيد لازم يكون بيحارب من جوه قبل ما يكون بيحارب من بره . يعنى قبل السياسة الخارجية ، لازم السياسة الداخلية ، يعنى ما أقدرش أقول أنا أعتمد اعتماد كلى على السياسة الخارجية ، أو ما يسمى بالعلاقات بين الدول ، بالتأكيد علشان أحارب الاول لازم يكون المجتمع بتاعى مجتمع محارب ، مجتمع حرب . مجتمع الحرب ده زى ما قلت ان هو علشان يحارب ، لازم يكون كل فرد فيه بيحس ان هو بيحارب علشان نفسه وعلشان أرضه هو .

■ **الطليعة : يتحقق هذا بالقدوة أم باجراءات قانونية ؟**

□ درويش : أنا أعتقد انه ييجى باجراءات قانونية وبالقدوة . لانه ما نقدرش نقول مين اللى هيعمل الاجراءات القانونية . اللى حيعمل الاجراءات القانونية ناس . طيب ما أنا عامل اجراءات قانونية وقانون كسب غير مشروع وأعمل قانون دخول طفيلية وازود ضرائب ، لكن القانون ممكن التهرب منه . القوانين لوحدها ما تكفيش . يعنى القانون لوحده ما يكفيش . بالتأكيد القدوة بدون قوانين ماتنفعش ، والقوانين بدون قدوة ما تنفعش . يعنى أنا لما أحط قانون الدخول الطفيلية مابقاش بأفكر فى الدخول الطفيلية ، أو أحط قانون الكسب غير المشروع ، وما أبقاش أنا أول واحد أسعى للكسب غير المشروع واستغلال الناس .

■ **الطليعة : طيب لو بنينا الجبهة الداخلية وفقا لتصورك فى المجتمع المحارب : فما هى صورة العلاقات الخارجية لمثل هذه الجبهة المتكاملة لكى نحقق الحرب المنتصرة على اسرائيل ؟**

□ درويش : أنا فى تصورى برضه ان من صورة المجتمع الداخلية ، تنعكس صورة العلاقات الخارجية . يعنى أنا لو مجتمع رأسمالى لازم يكون لى علاقات جيدة مع المجتمع الرأسمالى فى الخارج . لو أنا مجتمع محارب بالمفهوم العملى ، هابقى أنا برضه على علاقات جيد مع المجتمعات

المناظرة . فى تصورى ان السياسة الخارجية بتبقى استراتيجيا او تكتيكيا ، حسب الوضع فى الداخل . فما هو اللى يجب أن يكون فى الداخل علشان احصل على الخارج .

■ **الطليعة : هل ترى أن هناك امكانية أو أى احتمال لحل سياسى بدون حرب ؟**

□ **درويش :** قلنا ان الحل السياسى هو ما نتمناه . يعنى ما هو فيه حلول سياسية . ماهو فصل الاشتباك حل سياسى للازمة .

■ **الطليعة : والحل الشامل ؟**

□ **درويش :** لا أعتقد أن الحلول السياسية بالشكل الموجود ده ممكن أن تؤدى الى حل شامل للمشكلة .

■ **الطليعة : ما رأيك فى مجلس الشعب ؟**

□ **درويش :** زى ما قلت أنا مين اللى حيضع القوانين . ماهو احنا بنفكر فى القوانين . يعنى مثلا هل الشعب محتاج موز علشان يدعموا الموز ؟ بالتاكيد الشعب مش محتاج موز علشان يدعموا الموز . أمال انا محتاج ايه ؟ ادعم سلع أساسية ؟ لكن كثير من أعضاء المجالس النيابية الان واللى قبل كده هم أصحاب النفوذ فى القرى ، وهم اللى اترشحوا أيام حزب الوفد . وهم اللى حيترشحوا لعمل تنظيم سياسى تانى . هو كل عائلة كبيرة فى البلد بترشح واحد منهم . يبقى اسمه الاتحاد الاشتراكى يبقى أسمه الاتحاد القومى ، يبقى اسمه مش عارف منابر ، مش عارف يبقى اسمه ايه ، الاطقم فى غالبيتها الساحقة هى .. هى .

تعليقـــــات

أزمة المثقفين الوطنيين بين الذاتية والموضوعية

د. ميلاد حنا

اقوى ما فى النموذجين المقدمين من معيدين فى الجامعة هو انهما نتاج ثورة يوليو ١٩٥٢ وواضح تماما ــ كرد حى متجسد لكل مناهضى هذه الثورة فالواقع انه لولا التغيرات الجذرية التى تمت فى عهد جمال عبد الناصر ، لما كان فى مقدور اى منهما ان يتواجد داخل اسوار الجامعة لا كمعيد ينتظر ان يصل الى قمة الهرم الجامعى ولا حتى كطالب استطاع الوصول الى أولى درجات السلم داخل حرم الجامعة .

فمن هذه الناحية ، يشترك كل من أحمد حسين ودرويش عبد الفتاح فى أنهما من الطبقات الشعبية وفى أن كل منهما يحمل أفكارا ثورية ويتحرك فى أرضية « يسارية » عامة أى من أجل التقدم ، غير أنه توجد ولاشك بينهما فروق « ذاتية » فى نوعية النفس البشرية .

ومن اجل ذلك تكون « الطليعة » قد وفقت فى ان اختارت « عينتين » من المعيدين بخلاف عينه واحدة من الهموم الاخرى والتى كان كل منهما تعبيرا عن « طبقة » أو « جماعة » اما المعيدون فقد كان المحتم ان تختار « الطليعة » اكثر من واحد من بينهم ذلك ان المعيدين ليسوا فى الحقيقة طبقة وايجادهم نتائج البيئة التى ينتمون اليها .. ومن أجل ذلك فقد كنت أطمح فى أن ارى عرضا لنموذج « **المعيد من أبناء الأساتذة** » وهى ظاهرة ليست بالنادرة داخل الجامعات فى الوقت الحالى وتحتاج الى احصاء ودراسة وتحليل . . » »

وواضح أن درويش أكثر احساسا بطبقته واكثر حماسا لها . ومن هنا فالوضوح الفكرى شديد وأمانة الكلمة والصراحة من العلامات المميزة للحوار معه

كان درويش شجاعا فيقول بوضوح « **أنا ابن طباخ** » و « **كنت ساكن فى بولاق** » . ثم يحدد بشجاعة فى أحد أزقة بولاق . ولذلك كان طبيعيا أن يكون زواجه عن طريق ارتباط عاطفى مع احدى زميلاته . . ومن اجل ذلك لديه ولاء لعائلته فهو « يعطى ١٥ جنيه لاخواتى » لان انا بأتولى بعض المسئوليات تجاه أخوتى .. لم يتنكر لاهله ولذلك لم يتنكر لطبقته .

ومن هنا فهو متسق مع البيئة وان كان قد قطع شوطا ممتازا فى ميدان العلم والحياة الا ان التقاليد المصرية مازالت تربطه ولذلك يقول مازلنا شرقيين فى تعاملنا مع المراة . يعنى ما نقدرش نقول ان احنا اصبحنا متحررين بالمفهوم الغربى .. انا متصور ان المساواة تكون حق البنت انها تتعرف على شاب وتتعرف باسلوب مش انحلالى .. !!

اما احمد حسين فان تركيبه النفسى يختلف ، ويؤثر هذا على مفاهيمه ويشعر بنوع من الصراع بين انتماء الى طبقته وتطلعاته . ولذلك فانه رغم سكناه فى حى الازهر ، الا انه حريص على أن يتحدث عن ايام ماكنت فى مدرسة خاصة فى الروضة .. وان والده تاجر بسيط ولكنه لايحدد نوعية التجارة وحجمها مثلا .. ومن هنا فان علاقاته العاطفية غير محققة لان له « تطلعات » ويقول انا ما بأحلمش انى اتجوز مشكلتى انى مش عايز أتجوز على حساب كرامتى .. ترى هل يوجد احساس بامتهان الكرامة لو كان الزواج متكافئا اجتماعيا وبالطريقة التى تزوج بها درويش عبد الفتاح .

ويقع أحمد حسين فى قمة الصراع النفسى بين واقع البيئة التى يعيشها مع زملائه وبين المثاليات التى يبدو أنها قد حفرت فى نفسه منذ الطفولة : « برضه مأساتى الشخصية ، بالرغم من ان الواحد محتاج للاستقرار العاطفى لكن مابيقدرش يشبع رغباته العاطفية بالاسلوب الشائع » .

وقد لخص احمد حسين الدراما التى بداخله كطبقة ترغب فى الانتقال الى طبقة اعلى فى أن التطلعات المادية لها اثارها فى داخل الانسان وعلشان احنا من أسر متوسطة .

واذا كان لى من تعليق شخصى — كاستاذ جامعى — عاش ثلاثين عاما داخل الجامعة فهو أن نموذج « أحمد حسين » قد يكون غالبا على نموذج « درويش عبد الفتاح » ذلك أن الاغلبية الكبرى من ابناء العمال والفلاحين ، ومن أتيح لهم استكمال التعليم الجامعى ، غالبا مايعيشون السنوات الاولى بعد تخرجهم فى هذا الصراع بين الانتماء الى عائلاتهم وبالتالى فى الغالب طبقتهم وبين الاحساس الذى يدفعهم اليه المجتمع من ان خريج الجامعة قد صار شيئا **مختلفا** ومن حقه « **الشرعى** » أن يتطلع الى دخل أكبر ، وبالتالى الى زيجة من طبقة اعلى « يتلوها » نقلة طبقية الى اعلى .

وفى الغالب يتحدد الموقف تماما بعد مضى سنوات الصراع الاولى بعد التخرج فقد يصبح « موظفا محدود الدخل » ، ويقبل — بسعادة — على الزواج من زميلة اخرى محدودة الدخل . وربما وجد — بعد هذا — ان المعاناة الطويلة فى سنوات الدراسة ليست مبررا قويا يدفعه الى الاستمرار فى النضال لتغيير الواقع الاجتماعى .

على انه قد لوحظ انه توجد — ولا شك انه من ابناء الطبقات العاملة لديهم تطلعات داخلية طويلة ومتعرجة — **من ان يغيروا وضعهم** طويلة ومتعرجة — من أن تغيروا وضعهم الطبقى تماما ، وربما اتخذ بعضهم ، خلال هذه المسيرة ، مواقف لاتخدم مصالح وربما قاد بعضهم — فى هذه المسيرة الطبقات التى افرزتهم ومن جانب آخر ، **لابد ايضا ان نطمئن** قراء « الطليعة » الى أن العديد من أبناء هذه الطبقات الشعبية — وقد صقلهم التعليم والتعلم — يظلون حاملين لواء عائلاتهم وتراثهم وطبقتهم وبالتالى يثرون حركة التقدم الوطنى والاجتماعى .

وسوف اترك القارىء ليستمتع بالرؤية السياسية والفكرية لكل من درويش عبد الفتاح واحمد حسين فى ضوء هذا التحليل وكيف أن الترابط متواجد ومحسوس بين النفس البشرية من جانب ، ومن جانب آخر ، بين افرازات الفكر الذى تنتمى اليه اى بين « الذاتية » « والموضوعية » .

○ الفـرد : بين غيـاب الوعى وعدم الفعـالية

* بهجت الخولى

تكمن اهمية سلسلة الهموم ، فى انها تقدم الشخصيات بنسان وأسلوب أصحابها مباشره ، ودون تدخل بالتزويق والتهذيب ، المخلين غالبا بمضمون العرض . و « **الطليعة** » ، بذلك ، تقدم مادة غنية وصادقة ، تتعدد زوايا ومناهج تناولها بهدف الدراسة الجادة للقضـايا والمشـاكل الوطنية .

وفى رايى ؟ ان التعليق على الحالات المفردة، لا يخرج عن كونه عرضا آخر لوجهات نظر أو مشاركة فى الهموم ذاتها . أما الدراسة الحقيقية ، فتأتى بعد استكمال السلسلة ، اى بعد ان تتوفر امكانية فرز العام المشترك فى تركيب الهيكل البنائى للمجتمع المصرى ، عن الخاص المميز لمستوياته الرأسية والافقية . وذلك للخروج من حالة التمييع ـ السياسة العامة التى تتعمدها بعض مؤسسات الاعلام ـ بحجة ان [كلنا مصريون] ، فكلنـا مصريون .. هذا صحيح ، وصحيح .. أيضا .. ان همومنا ليست كلها واحدة .

من هنا ، يأتى تعليقى هذا ؟ من باب المشاركة فى الهموم والقاء الضوء على نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف .

ان أكثر ما يلفت النظر فى هموم كل من **أحمد حسين ودرويش عبد الفتاح** : هو انه بالرغم من التطابق المهنى والاتفاق الى حد كبير فى وصف أعراض الامراض السـياسـية والاجتمـاعيـة والاقتصادية والثقافية ، الا ان عدم الاتفاق فى تشخيص الاسباب وتحديد طرق العلاج ، يكاد يكون تاما .

فأحمد حسين ينطلق أساسا ، من نزعة مثالية تصـور لـه أوجـه النشـاط الانسـانى فى مجتمـع مـا ، كأنهـا جـزر منفصـلة عن بعضها البعض ، فلا تأثيرا متبادلا بينها ولا قانونا عاما يحكم حركتها . طوق النجاة عنده ، الى مجتمع الرفاهية والسعادة ، هو فى التربية السليمة عن طريق المدرسة ، فهى كفيلة بأن تنمى فى الفرد منذ الصغر [... القيم التى تعطى للانسان دورا فى الحياة وتؤكد دوره فـى الحياة ..] . لكن يقف أمام هذه الفلسـفة ، السؤال الصعب ، وهو .. كيف نغرس ، اصلا ، هذه القيم والمفاهيم فى القائمين بتنشئة الجيل الجديد ؟ فالمعلم الحالى مثقل بمشاكل حيـاته اليومية ، وقد تكون قناعته الشخصية انه .. هو نفسه يعيش على هامش الحياة . ولماذا نذهب بعيدا ؟ وليأذن لى الزميل أحمد فى ان استعير كلامه .. هو [... مافيش شك انى باتألم جدا نفسيا . مش الم عضلى . ألم نفسى انا باحس بالاهانة ان بعد ٢٤ سنة تعليم ، من أيام ما كنت فى مدرسة خاصة فى الروضة ، رغم ذلك انا باحس فى المواصلات بالاهانة] .

أما **درويش عبد الفتاح** ، فيعى العلاقة الجدلية بين الانسان ومجتمـه . مشاركته فى اعطـاء الدروس الخصوصية ، تأتى وليدة ظروف قهرية [... فى وسط هذه الدوامه أعمل ايه ؟ اذا أعتبرنا ان هذه الدروس سقطة فانا باسقط لان مفيش حد بيسقط بهواية فى السقوط باسقط لان الظروف ظروف المجتمع ، والعمليه التعليميـة ، وظروف حياتى ، تدفعنى للسقطة دى ...] ونظرا لان [... ظروف الحياة طحنانى ... يقف دوره ، فى هذه العلاقة الجدلية ، عند حد تجميل عملية السقوط .. باحاول ان أخلى الدروس بعمليه اكثر كرامة . هى مهينة لكرامة اللى بيديها لكن الانسان يحاول ان يكون فيها حد أدنى من

* مدرس مساعد بالمركز القـومى للبحوث

الكرامة ...] أى ان العملية كلها خارج نطاق سيطرته كفرد . وهنا يأتى دور المؤسسات والهيئات المعنية التى تملك صلاحيات تؤهلها ، لو ارادت ، للتصدى لهذا المرض التعليمى والقضاء عليه .»

والبحث العلمى عند أحمد ، لا يخرج عن كونه نشاطا ترفيهيا ، يمارسه القادرون ذهنيا ـ نظرية مجتمع الصفوة ـ لمجرد اسعاد وتاكيد الذات . ويبلغ قمة المثالية فى معرض الحديث عن الامكانيات ، التى لا غنى عنها للبحث العلمى « عندما يقرر إننا ضد هذه الامكانيات خالص ...] وكأننا لم ندخل بعد ، مرحلة العلم التجريبى الحديث ، الذى بدأ فى أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ، والذى كان تحديا لطرق التفكير القديم ، بالاعتماد على التجربة والمشاهدة واستخلاص النتائج ، والاهمية التى اضفاها هذا المنهج على اجهزة ومعدات البحث والقياس . ومنذ ذلك التاريخ ، ونتيجة للتأثير المتبادل بين العلم والتكنولوجيا ، أصبحت النظريات والاجهزة العلمية فى تغير وتطور مستمرين ، بلغا معدلات مذهلة فى الاونة الاخيرة .

فكيف ؟ ـ والتحدى الاكبر الذى يواجه الدول المتخلفة ، هو تقنيص حجم الفجوة الكبيرة بينها وبين الدول المتقدمة ـ أن يكون طريق الخلاص فى اعادة اكتشاف ما اكتشفه الاخرون ؟

والبحث العلمى عند درويش ، لابد ان يرتبط بقضايا المجتمع [... مشاكل البحث العلمى فى مصر ليست مشاكل قومية .. بمعنى ان عندنا المشكلة الفلانية ونبحثها لا ...] وهو يضع مشكلة الامكانيات والاجهزة العلمية فى مكانها الصحيح [.. كل ما تتطور اجهزة القياس كل ما يتطور اسلوب البحث العلمى نفسه ، يعنى أنا لما أبقى عندى جهاز بيقيس لى بالمللى ، بالتاكيد اقدر أعمل بحث علمى لمواضيع دقيقة غير لما اقيس بالشبر] . وتتأكد اهمية هذا الرأى أكثر ، بمعرفة ان الرسائل والابحاث العلمية تعرض على ممتحنين من الخارج ، لا يتعاملون بهذا [الشبر] العلمى .

والمأساة الحقيقية ، أن يصل احساس درويش بعبثية نشاطه العلمى فى قوله ... أول ما تيجى لى منحة الم كل الورق ده وارميه ، لانى عارف ان انجازاتى فى مصر يبقى ضئيلة ...] أى القناعة والتسليم بأن المعوقات والمشاكل تتجاوز المقدرة الذاتية والقيم الدوافع الفردية النبيلة ، الى المؤسسات السياسية والعلمية وكذلك النقابات والهيئات المهنية ، والتى يقع على عاتقها ، جميعا ، مسئولية ازالة العقبات التى تعترض طريق اعداد الفرد العلمى ، وتوفير الامكانيات من آلات واجهزة معاونة ، وتهيئة المناخ الذى يسمح بتناول القضايا الوطنية بمنهاج علمى ، بعيدا عن الارتجال والنزعات الاستعراضية .. وذلك يتم بأن تمارس عملية التخطيط ، بطريقة ديموقراطية ، اى لا تقتصر على القادة الاداريين وذوى المناصب العلمية الكبيرة .. فقط .»

وعند مناقشة القضايا السياسية ، نعرف أن أحمد حسين يواظب على سماع صوت أمريكا .. وهو حريص على أن يزيل من قلوبنا كل خوف من مظنة التأثير المضلل [... وهل معنى ذلك ان أمريكا مثلا لما تقول لى كذا وكذا معنى ذلك ان انا اصدق ؟ ..] . ثم نفاجأ بتبنيه كل الدعاوى والاباطيل الامريكية ، حتى تلك التى تتعارض ، بوضوح تام ، مع موقف مصر الرسمى والمعلن .. مثل مشروع المملكة العربية المتحدة وكذلك .. امكانية الوصول الى الحل الشامل ، عن طريق سياسة الخطوة خطوة . ذلك لانه [... مقاطع الاذاعة والتليفزيون ...] لافتقاده ـ ومعه كل الحق ـ التناول المقنع والعنصر التحليلى فيهما .»

أما درويش عبد المناح ، فرغم كل الظروف غير المواتية ، استطاع بمنهجه العلمى ، الوصول لاسباب وجذور القضايا . مشكلة الشرق الاوسط عنده [... الفلسطينيون ليسوا السبب . انا تناعتى ان الثروة البترولية فى العالم العربى يعنى بالتاكيد من مصلحة أمريكا أن يظل البترول فى أيديها ...]

وهو أخيرا لا ينسى مهنته ، فيلقن جهابذة الفكر والتنظير ، أصحاب نظرية : « الفلسطينيون وراء كل نكبات مصر » درسا عميقا مبسطا [... يعنى مثلا فى انجولا ، هل السبب ان كان فيه فلسطين فى انجولا «ولا فيه فلسطين فى فيتنام ؟ بالتأكيد مفيش لكن فيه مصالح للدول الراسمالية والناس اللى مرتبطة بها ...] .»

وفى النهاية ، ورغم الاختلاف البين لمواقف وآراء الزميلين ، الا اننا نجد أنفسنا أمام نوعين من العجز .

عجز انسان الطموحات والامانى ـ بعيدا عن الواقع وظروفه الموضوعية ـ فى الرؤية الواضحة لاصول الظواهر .

وعجز انسان الرؤية الواضحة .. ايضا .. خارج التنظيم الجماعى الملتزم ـ عن احداث التأثير المطلوب . ■

مطالبهم : الحرية والثقافة

أبو سيف يوسف

اعترف بأنى عندما انتهيت من قراءة شهادة أحمد حسين وعبد الفتاح درويش وجدت نفسى ألقى جانبا بكل القضايا الهامة التى طرحاها ، لاوجه غضبى وانتقاداتى الحادة الى :

● موقف أحمد حسين من قضية فلسطين ، هذا الموقف الذى ينكر عمليا على الشعب الفلسطينى حقه فى تقرير مصيره ، ويدلل على موقف انعزالى كامل من قضية فلسطين .

● والى موقف عبد الفتاح درويش من قضية الدروس الخصوصية . فهو يدينها ولكنه يستسلم أو يخضع لقدر يفرض عليه ممارستها .

باختصار ، بدا لى أن كل موقف من هذين الموقفين لا يمكن تبريره ، على اى وضع على الرغم من وجود ظروف موضوعية « مخففة » ـ بالتعبير القانونى ـ تعلو على ارادتهما ، وتفتح الطريق أمام البحث عن اعذار لهما .

لكن اعادة القراءة ، ، واذا كانت قد اكدت ان التبرير غير وارد فان الموقف من أحمد حسين ومن درويش عبد الفتاح لن يكون مع ذلك موقف الادانة واللوم . فمثل هذا الموقف هو ـ بالدقة ـ رد فعل سطحى لا سيما اذا تأكدنا من أن أحمد حسين ودرويش عبد الفتاح هما ـ فى النهاية ـ ممثلان حقيقيان للمثقفين المصريين .

هكذا من موقف الغضب واللوم والادانة وجدت نفسى أنتقل الى موقف أسسه الفهم والتعاطف والاحترام « مع التمسك ـ فى الوقت نفسه ـ برفض الموقفين المشار اليهما » .

ولا يرجع هذا الى أن هذين المثقفين قد كافحا ضد كل المعوقات والظروف الاجتماعية والعائلية الصعبة ، ليصلا الى مناصبهما العلمية فهذا بالطبع يستحق التقدير ـ ولكن لان مواقفهما وردود أفعالهما بازاء عديد من مشكلات المجتمع والتعليم انما تمثل الجوهر السليم والنقى ـ واحيانا ـ الثورى للمثقفين المصريين . ولا يغير من هذه الحقيقة الفروق البارزة والاختلافات الظاهرة بين الشخصيتين .

وعلى سبيل المثال

فان أحمد حسين ، على الرغم من منطلقاته المثالية فى فهم الواقع والتعامل معه ، مهموم وقلق بمشكلة الدروس الخصوصية . وهو مهموم أيضا بسبب اضطراب ميول الطلبة وعجزهم ـ تحت ضغط التطلعات الاجتماعية وازدراء العمل اليدوى الى كبح ميولهم الحقيقية والتضحية بقدراتهم ومواهبهم الكامنة سعيا وراء لقب « دكتور » من كلية الطب أو لقب « مهندس » من كلية الهندسة . ثم أن قضايا المجتمع تحتل مكانا رئيسيا فى وعيه . فهو يلاحظ ـ مثلا ـ أنه على الرغم من زيادة الانفاق على تعليم الطب والتوسع فى فتح كلياته فلا تزال أمراض البلهارسيا والحمى الروماتزمية ... الخ لم يقض عليها بعد ومتفشية فى البلاد .

ثم هو بعد ذلك ممثل حقيقى للمثقفين المصريين فى ثلاث مواقف .

الموقف الاول ، هو ايمانه بسلطة العقل وقدرته على كشف أسرار الوجود . وفى هذا يؤكد أحمد حسين على الموقف العام والاصيل الذى ينبغى أن يقفه كل مثقف ، والذى لا يتخلى عنه أى مثقف الا اذا نفى صفته كممثل للمثقفين .

الموقف الثانى : هو جزعه الحقيقى وخوفه من تخلف بلادنا عن ركب التقدم العلمى والتكنولوجى . وفى هذا ، يؤكد أحمد حسين على الموقف الخاص للمثقف العلمى ، أو لرجل التعليم المتخصص

أما الموقف الثالث : فهو وعيه بان الثقافة لا تقف عند حدود تخصصه العلمى ، وانما تتعدى هذه الحدود - بالضرورة - الى الانفتاح على فروع أخرى من المعرفة والوان أخرى من الثقافة . من هنا اهتمامه بأن تهتم برامج التعليم بالفن والموسيقى واللغات .. الخ .

اذا جئنا الى درويش عبد الفتاح فسوف نجد أنه وان كان وعيه بالقضية الاجتماعية أكثر حدة وعمقا ، ومنهجه فى مواجهة هذه القضايا اكثر علمية ، الا انه يقف - أيضا مع أحمد حسين على أرضية مشتركة رحبة فهو على سبيل المثال :

ينقد بشدة نظام القبول فى الجامعات ، من حيث أن أساسه ليس القدرات والمواهب الحقيقية للطلاب بل « التطلعات الطبقية » .

وهو يفهم مبدأ تكافؤ الفرص لا على انه مجرد مساواة شكلية فى دخول الجامعة بل على أساس تمكين الطلاب القادمين من أوساط الشعب العامل من الاستفادة الحقيقية ، بنظم التعليم وشروطه ووسائله . وهو من - هذا المنطلق - يرفض فكرة « الجامعة الخاصة - جامعة المصروفات » ويقرر أنها لا تحل مشكلة تكافؤ الفرص .

ويركز درويش عبد الفتاح - شأنه فى ذلك شأن اى مثقف متخصص - على مشكلات البحث العلمى ، وعلى المعوقات التى تحول دون تقدم الباحثين والمتخصصين أو تؤخر تقدمهم فى مجالات بحثهم وتخصصهم . وهو يعبر عن قلق حقيقى ومشروع بازاء ظاهرة عمل الاساتذة أو هجرتهم الى الخارج ، وما تسببه من آثار سلبية على الجيل أو الاجيال الحالية التالية من المعيدين والمدرسين الذين يطمحون بحق الى الحصول على درجاتهم العلمية ، وفى الموعد المناسب .

وأخيرا ، فان عبد الفتاح درويش يكشف عن خاصيته الاصيلة كمثقف عندما يعبر عن اهتمامه لا بمجال تخصصه العلمى فحسب ، بل وبانتباهه الى الفروع الادبية والفنية للثقافة .

فاذا حللنا - بعد ذلك - مواقفهما العامة والاساسية من قضايا المجتمع وقضايا الثقافة والبحث العلمى ، فسوف نجد أن هذه المواقف ايجابية فى مجموعها وهى تشكل القدر العام المشترك داخل الكتلة الاساسية من المثقفين الوطنيين والديموقراطيين ، وذلك بغض النظر عما يكون بين الافراد من تفاوت فى درجة الوعى أو الالتزام . وبغض النظر عن الاختلافات بين هذه الفئة أو تلك من فئات المثقفين . ذلك أن الامر المؤكد هو أن المثقفين كشريحة اجتماعية قد لعبت فى الحركة الوطنية وفى حركة التقدم الاجتماعى - ولا تزال تلعب - دورا بارزا ومتميزا . كان هذا منذ فجر الحركة الوطنية ، ثم تاكد بانتشار التعليم وتقرير مجانيته بعد ثورة يوليو . عندئذ أصبحت المهن التى ينتمى اليها المعلمون ، والمحامون ، والاطباء ، والعلميون ، والتكنيكيون ، مهنا ذات طابع جماهيرى واسع يزداد وزنها فى الحياة الاجتماعية ، كما يزداد فى داخلها وزن الطلائع التى يجذبها العمل السياسى .

ولقد اقترن هذا بدوره بظاهرتين أساسيتين ،

الاولى : هى أن الفئات الواسعة من المهنيين النابعين من أصول شعبية قد تغير واقعها الاقتصادى ، وانتقلت - نسبيا - من وضع الى وضع أفضل ، بالمقارنة الى أصولها الشعبية الكادحة والفقيرة .

الثانية ، هى أن شريحة هامة من هؤلاء المثقفين قد انخرطت بالفعل فى خضم العمل السياسى على المستويات الوطنية المعادية للامبريالية والصهيونية وعلى المستويات السياسية والاجتماعية من أجل الديموقراطية السياسية والاجتماعية .

فاذا حللنا الظاهرة الاولى ، ظاهرة تغيير واقعهم الاقتصادى ، فسنجد أنهم يواجهون تناقضات جدية . فالمثقف ربما وجد أن الفرصة قد واتته ليقطع نهائيا ما بينه وبين

المستوى الاجتماعى او الطبقة التى أنبتته . وهنا لا حدود « للتطلعات » . وهنا ، أيضا قد يقنع المثقف نفسه بأن الغاية تبرر الوسيلة . فاذا رفض هذا المسلك بوعى فسوف يكتشف ان تغيير الواقع الاقتصادى للغالبية الساحقة من جمهرة المثقفين لا يمكن أن يعنى تجميد أوضاعها ، وانما لابد من عمل مستمر لمزيد من تحسين أوضاعها المادية . وعند هذا الحد ، يكون المثقف قدوصل الى عتبة العمل السياسى بكل مستوياته وآفاقه ، محملا بضغوط شتى تتمثل ،

● فى التناقض أو التعارض بين متطلبات عمله او تخصصه الضيق وبين حاجته الى تنمية شخصيته بالانفتاح على فروع الثقافة الانسانية المختلفة .

● التعارض بين طموحه الى التفوق والابداع فى مجال تخصصه العلمى المعين وبين الامكانيات المادية والاجتماعية التى لاتسمح له بهذا التفوق أو التقدم .

● التعارض بين المثل الاخلاقية العليا التى كونها وبين الظروف المادية التى تضطره الى المسلك المناقض لهذه المثل .

● الانفصال بين نوع التعليم أوالتكوين العلمى والمهنى الذى حصل عليه وبين احتياجات المجتمع الاساسية .

● الانفصال بين نوع التعليم الذى تلقاه وبين المنجزات المذهلة للتقدم العلمى والتكنولوجى كما تعرض نفسها فى البلدان المتقدمة .

● التعارض بين رغبته العارمة فى خدمة بلده بعلمه وبين الاغراءات الهائلة التى تمثلها الهجرة الى بلدان الغرب الصناعية .

فى مواجهة هذه التناقضات وغيرها من التناقضات الاساسية - مثلا - « التناقض حرية الفرد وبين حرية المجتمع » يجد المثقفون قدرا غير قليل من الاحباط والانعزال عن مشاكل المجتمع والانسحاب الى عالم الذات المغلق والضيق - ولا نقول الانانى .

هنا يطرح السؤال ، ما السبيل الى التغلب على هذه الاوضاع وتجاوزها . ..

الاجابة تكمن فى تحديد المطالب الرئيسية والحيوية للمثقفين . واذا أخذنا مثلا هنا حالة أحمد حسين وعبد الفتاح درويش ، فسوف نجد أن مطلبهم الحيوى تكرار علمية هو :

ان تتاح لهم كل الفرصة لمواصلة بحوثهم العلمية بما يضمن مواكبتهم لحركة الثورة العلمية والتكنولوجية ، وبما يضمن لهم ان يستفيد المجتمع من ثمار بحوثهم النظرية والتطبيقية .

فاذا ما تحقق هذا المطلب - بالنسبة لجمهرة العلميين ، فسوف نصل الى الحل السحرى - بل الواقعى - الذى يربط المثقف ببلاده ووطنه أيا كانت الاغراءات المادية والمرتبات الخيالية التى تعرض عليه فى الخارج لان المثقف يكون قد حل قضية اطلاق قدراته وملكاته المبدعة والخلاقة .

على ان هذا المطلب لا يمكن أن يتم فى فراغ .

وانما يرتبط تحقيقه بعمل على المستويين الاقتصادى والسياسى ، يطلق القدرات الخلاقة والمبدعة للمجتمع ككل .

فعلى المستوى الاقتصادى لابد من وجود خطة حقيقية وشاملة للتنمية تحول مصر الى بلد صناعى متطور لانه حيث تقوم الصناعة يوجد العلم ويزدهر البحث العلمى .

وعلى المستوى السياسى لابد وان تتطور الممارسة الديموقراطية لترفع كل تناقض مفتعل بين الحرية الفردية وبين حرية المجتمع ، ولترفع عن اجيال المثقفين الشباب كل محاولة لتفرض بقرارات بيروقراطية قرارات تحسن صميم عملهم وحياتهم ، ولتمكنهم بالتالى من أن يشاركوا مشاركة نشطة فى ادارة شئون البلاد .

وعند هذين المستويين الاقتصادى والسياسى سيكتشف المثقفون انهم يقفون على أرضية مشتركة مع قوى التحالف الرئيسية الفلاحون والعمال . وسوف يكتشفون ان حل مشاكلهم الخاصة والنوعية لا يمكن ان يتم لمصلحتهم هم وبالكيفية التى ترضى كتلتهم الواسعة الا فى نطاق اقامة الحلف الحقيقى مع قوى الشعب العامل وهو الحلف الذى يتعين عليهم أن يدللوا فى داخله على ولائهم للشعب والتزامهم الحقيقى بالدفاع عن مصالحه وعن المصالح العليا للبلاد . ■

فى الواقع الاقتصادى المصرى المعاصر

لم تتوقف « الطليعة » – خاصة فى السنوات الثلاث الاخيرة – عن متابعة الوضع الاقتصادى فى البلاد ، بالمقال والدراسة ، ايمانا منها بأن اكتشاف الحلول السليمة لمشاكل الاقتصاد الوطنى هو حجر الزاوية فى الدفاع عن مصالح البلاد واستقلالها السياسى . وفى هذا – أيضا – لم تتوقف **الطليعة** عن الدفاع عن المبدأ الذى يشكل عقيدة كل وطنى مخلص وهو : أن الاقتصاد المصرى انما ينهض ويزدهر لمصلحة الشعب العامل بتحريك قواه الذاتية . وبالتالى فان أية مساعدات أو قروض تظل على الدوام عوامل ثانوية ، بل ان هذه المساعدات والقروض لاتستطيع أن تحدث الاثر الصحى اذا لم تكن هناك خطة قومية شاملة تستهدف انهاض القدرات الاساسية الصنعية والزراعية ، وتمكن القوى المنتجة من العمال والفلاحين والمثقفين فى كل موقع من أن يشاركوا مشاركة حقيقية فى معارك انهاض الاقتصاد الوطنى .

من أجل هذا تقدم الطليعة فى هذا العدد أيضا ثلاث مقالات :

أما المقال الاول فقد كتبه د . ابراهيم العيسوى ليلخص فيه الاتجاهات الرئيسية التى سادت مؤتمرا من أهم وأخطر المؤتمرات التى عقدت لدراسة مشاكل الاقتصاد المصرى . ونعنى به :

« **المؤتمر العلمى السنوى الاول للاقتصاديين المصريين** »

وهو المؤتمر الذى انعقد بناء على قرار مجلس ادارة « الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع » وتولت الاعداد له أمانة فنية برئاسة د . اسماعيل صبرى عبد الله مدير معهد التخطيط وعضوية د . ابراهيم العيسوى ود . جودة عبد الخالق .

واشتركت فى المؤتمر قيادات الفكر الاقتصادى المصرى . وعلى سبيل المثال انتخب المؤتمر فى أولى جلساته هيئة مكتب مشكلة على النحو التالى :

د . نظمى عبد الحميد : رئيسا للمؤتمر .
د . على الجريتلى ود . حسين خلاف : نائبين للرئيس .
د . اسماعيل صبرى عبد الله : أمينا عاما .

اضف الى ذلك أن عدد المشتركين بلغ نحو ٢٠٠ من الاقتصاديين الذين ينتمون – من حيث العمر – الى جميع الاجيال ، ومن كافة التخصصات ، وكافة الاتجاهات الفكرية والمدارس الاقتصادية ، والذين يعملون فى مواقع عمل مختلفة آكاديمية وغير آكاديمية . كما حضر عدد كبير من طلبة الدراسات العليا الاقتصادية بالجامعات والمعاهد العليا .

وعلى مدى ١١ جلسة وزعت على ثلاثة أيام « ٢٥ – ٢٧ مارس » قدم الى المؤتمر ٢٦ بحثا ، واشترك فى التعقيب على البحوث ١٢ اقتصاديا كما قام تسعة من الاقتصاديين بمهمة مقررى الجلسات .

أما المقال الثانى فتقدمه الدكتورة محيا زيتون المدرسة بكلية البنات الاسلامية ، ويعالج قضية حيوية ووطنية يتحتم تبديد الضباب من حولها وهى العلاقة الاقتصادية بين مصر وبين الدول الاشتراكية . ماذا كسب منها الاقتصاد المصرى ، وهل كانت « كارثة » – وتحت تأثير دوافع أيديولوجية – أحيانا ، ودوافع غير موضوعية ومغرضة احيانا أخرى .

أما المقال الثالث الذى يكتبه سعيد خيال فيقدم تجربة لبلاد نامية تحدد موقفها من الانفتاح . الانفتاح لماذا ؟ **وما هى الضوابط والشروط التى تجعل منه سياسة تخدم الاستقلال الاقتصادى وترسى دعائمه فى وجه الاحتكارات الدولية العملاقة التى تحاول أن تفرض على هذه البلاد** سياسة المذهب والتبعية . ■

رأى الاقتصاديين المصريين

فى قضايا التنمية

د. ابراهيم العيسوى

انعقد فى القاهرة فى الفترة من ٢٥ الى ٢٧ مارس ١٩٧٦ اول مؤتمر للاقتصاديين المصريين ، وذلك تحت رعاية الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع .

والهدف العام للمؤتمر — الذى تقرر أن يعقد بصفة دورية مرة كل عام — **هو اتاحة الفرصة للاقتصاديين المصريين — على اختلاف مدارسهم ومواقع عملهم — لمناقشة المشكلات الاقتصادية المختلفة ، ولتبادل الرأى فى الاساليب الكفيلة بعلاجها ، اسهاما فى تطوير السياسة الاقتصادية من جهة ، ومشاركة فى تطوير المعرفة الاقتصاديه من جهة أخرى . كذلك يهدف المؤتمر الى ابراز الوجود العلمى والمجهودات العلمية للاقتصاديين المصريين بشكل منظم .** ومن هنا كان حرص امانة المؤتمر على الطابع العلمى الخاص لهذا التجمع ، وعلى الابتعاد عن أية اغراض سياسية مباشرة او مصالح نقابية ، وكذا الابتعاد من اصدار توصيات او قرارات فى ختام اعمال المؤتمر حتى تتاح الفرصة لحوار وجدل علمى غايته البحث الامين عن الحقيقة ، سواء جاءت النتيجة متفقة مع ميول الحكام وسياساتهم ، أو متعارضة معها . وليس معنى ذلك ان مناقشات المؤتمر كانت منعزلة عما يجرى فى المجتمع ، أو غير مفيدة لرجال الدولة ومتخذى القرارات الاقتصادية . فاعمال المؤتمر — التى سوف تظهر فى كتاب يضم كل ماقدم من بحوث و .. مادار حولها من حوار — غنية بالمقترحات التى يمكن ان تتبلور على اساسها سياسات اقتصادية فعالة .

والموضوع العام للمؤتمر هو **التنمية والعلاقات الاقتصادية الدولية** . وقد كان اختيار هذا الموضوع نتيجة لاعتبارين هامين : اولهما اعتبار محلى يتمثل فى المشكلات الخارجية التى يواجهها الاقتصاد المصرى واهمها مشكلة المديونية الخارجية والاختلال فى ميزان المدفوعات ومحاولة حلها عن طريق دعوة الاستثمارات الاجنبية للعمل فى مصر تحت شعار الانفتاح الاقتصادى . وثانيهما اعتبار دولى يتمثل فى وجود عدد من القضايا الملحة المثارة على مستوى العالم الثالث

كله ؟ بل وعلى المستوى العالمى ، وذلك فيما يتعلق بوضع الدول المتخلفة فى النظام الحالى لتقسيم العمل الدولى ، والدعوة الى اقامة نظام اقتصادى دولى جديد .

وفيما يلى عرض سريع لاهم الافكار التى طرحت فى البحوث التى قدمت للمؤتمر وفيما دار حولها من حوار :

اولا : الاستثمارات الاجنبية ودور الشركات متعددة الجنسية :

لفتت البحوث المقدمة فى هذا الموضوع النظر الى الاهمية المتزايدة للاستثمارات الاجنبية لنشاط الشركات متعددة الجنسية وخاصة فى الدول المتخلفة . كما تعرضت لمختلف الدوافع التى تحفز هذه الشركات على مباشرة انشطة معينة خارج حدود موطنها الاصلى . وقد اشارت هذه البحوث الى انه بالرغم من الاجراءات التى تتخذها الدول المتقدمة والدول المتخلفة للحد من بعض الاثار السلبية لعمل هذه الشركات فى بلادها ، الا ان العمليات التى تقوم بها هذه الشركات لم تتأثر الا فى اضيق الحدود ، ومازال لهذه الشركات وضع قوى ومؤثر فى البلدان التى تعمل فيها . كما اشارت هذه البحوث الى خطورة نشاط الشركات الدولية على الاستقلال الاقتصادى خاصة فى الدول المتخلفة والى الامكانيات المتاحة امام هذه الشركات للالتفاف من حول معظم القيود التى قد تفرضها هذه الدول على عمل هذه الشركات .

وقد نوقشت المقترحات التى توصلت اليها الامم المتحدة بهدف حماية الاستقلال الاقتصادى للدول المضيفة للاستثمارات الاجنبية واهمها زيادة المعونات الدولية التى تقدم للدول المتخلفة — انشاء صندوق ائتمانى استثمارى دولى لتسهيل وصول هذه الدول الى اسواق راس المال — انشاء مصرف للمعلومات التكنولوجية الصناعية — انشاء مركز دولى لتبادل المعلومات التكنولوجية — انشاء معهد دولى للطاقة — اقرار حق الدول المضيفة فى تاميم المشروعات متعددة الجنسية مقابل تعويض عادل — ربط الاستثمارات الاجنبية باولويات التنمية والخطط الاقتصادية والاجتماعية للدول المضيفة — وضع قواعد خاصة بسلوك الشركات الدولية — ايجاد انظمة تحكيم دولية خاصة بالمنازعات المتعلقة بالاستثمارات الاجنبية والشركات الدولية . وقد رأى البعض انه بالرغم من وجاهة هذه المقترحات الا انه من المشكوك فيه امكان وضعها موضع التطبيق وذلك نظرا لوجود **تناقضات اساسية** **بين مصالح الشركات الدولية ومصالح الدول المتخلفة ، من جهة ، ولان صيانة الاستقلال الاقتصادى للبلاد المتخلفة لايمكن ان يتحقق الااذا سيطرت هذه البلاد على مواردها الانتاجية سيطرة كاملة ، وهو ما يمكن ان يحدث فى اطار اشكال مختلفة للتنسيق الاقليمى بين سياسات هذه البلاد .**

كذلك رأى البعض ان فيما يخص العالم العربى ، فان عملية التنمية لاتحتاج الى مشاركة الشركات متعددة الجنسية ، بقدر ماتحتاج الى تنسيق خطط التنمية والسياسات الاقتصادية فيما بين الدول العربية ذاتها . وهذا ماسنحاول التعرض له بعد قليل عند استعراض المشاكل الخاصة بالتكامل الاقتصادى العربى .

وفيما يختص بمصر ومحاولتها اجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية ، فقد جاء فى احد البحوث ان امل مصر فى تدفق راس مال اجنبى على نطاق كبير قد لايكون واقعيا فى الظروف الراهنة . فعوامل جذب الاستثمارات الاجنبية غير متوفرة بقدر كاف فى الاقتصاد المصرى . واهم هذه العوامل : توفر قدر كاف من عناصر الحيوية والصحة الاقتصادية — توفر مجموعة كافية من المرافق الاساسية الضرورية لخدمة الاقتصاد القومى — توفر قدر كاف من الاستقرار السياسى الداخلى والخارجى وكذا توفر الاستقرار الاجتماعى — واخيرا توفر مناخ ادارى وجو عمل مناسبين لحين سير المشروعات الاجنبية . ولا يعنى عدم توفر هذه العوامل انه لن تأت الى مصر استثمارات اجنبية على الاطلاق . ولكن ما قد يأتى لن يكون من النوع الذى يستطيع ان يساهم مساهمة فعالة فى اقالة الاقتصاد المصرى من عثرته . فجزء من الاستثمارات التى يمكن ان تتدفق الى مصر عبارة عن انشطة لاتنطوى على انفاق راسمالى ثابت ضخم او نقل تكنولوجيا متطورة « الانفتاح التجارى » . وجزء آخر مما قد يأتى من استثمارات اجنبية مفيدة ستكون تكلفته عالية جدا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، لان المستثمر سيحاول استخلاص اقساط تامين ضخمة ضد المخاطر العالية التى تتعرض لها . ولذا فان طريق الخلاص امام الاقتصاد المصرى ليس فى الاعتماد على الاستثمارات الاجنبية او الامل فى الحصول على قدر كبير منها ، وانما يكمن الخلاص فى ان نساعد انفسنا بانفسنا اولا قبل ان نطلب مساعدة الغير

لنا ، اى سياسة الاعتماد على النفس واتخاذ مايكفى من الاجراءات الجريئة والحازمة للسيطرة على مواردنا المحلية ولاعادة توزيع الدخل وضبط الاستهلاك وزيادة المدخرات المحلية .

ثانيا : رؤوس الاموال العربية وامكانيات قيام تكامل اقتصادى عربى

يقدر دخل الدول العربية البترولية مجتمعه بحوالى ٦٥ مليار دولار عام ١٩٧٤ ، ومن المتوقع ان تبلغ الفوائض البترولية العربية حوالى ٥٠ مليار دولار فى عام ١٩٨٠ ، ترتفع الى ٧٠ مليار دولار فى عام ١٩٨٥ . ومعظم الفوائض عبارة عن ايداعات أو استثمارات فى الدول الغربية . ومما يؤسف له حقا انه لا توجد حتى الان دراسة علمية دقيقة عن الطاقة الاستيعابية لاقتصاديات الدول العربية بالنسبة لهذه الفوائض .

أما عن امكانيات التكامل فى العالم العربى ، فان تتوفر كثير من العوامل الموضوعية الضرورية لتحققه مثل وفرة الموارد الطبيعية وتنوعها وفرة رؤوس الاموال — وفرة القوى البشرية — اتساع حجم السوق — الموقع الجغرافى الممتاز ... الخ . وليس من شك فى اهمية التكامل وضرورته لخدمة التنمية فى العالم العربى ولكن يحول دون ذلك عقبات أهمها اختلاف مراحل النمو الاقتصادى للدول العربية واختلاف النظم الاقتصادية ونظم الحكم . **وقد رأى البعض ان اختلاف نظم الحكم لا ينبغى ان يقف عقبة أمام جهود التكامل ، وان تماثل الانظمة السياسية والاجتماعية ليس شرطا ضروريا لانجاز هذه المهمة** . وقد نبه البعض الى خطورة اتجاه بعض الدول البترولية للارتباط مع الاستثمارات الاجنبية فى شكل استثمارات مشتركة من زاوية التكامل حيث أن ذلك قد يؤدى الى قيام صناعات متنافسة وغير متكاملة تشكل عقبة فى طريق التكامل او على الاقل ترفع من تكاليفه .

ومن الافكار الهامة التى طرحت فى موضوع التكامل تلك الفكرة القائلة بأن المدخل الحقيقى للتكامل ليس توسيع نطاق التجارة بين البلاد العربية عن طريق رفع الحواجز الجمركية واقامة سوق عربية مشتركة ، **وانما المدخل الحقيقى هو تطوير وتوسيع القاعدة الانتاجية فى العالم العربى** ، وذلك عن طريق التنسيق والتعاون فى انشاء وتمويل المشروعات الاستثمارية فى الوطن العربى بحيث تتكامل هياكل الانتاج بدلا من أن تتنافس كما هو ملاحظ حاليا وقد دعا البعض الى قيام مجلس أعلى للاستثمار فى نطاق جامعة الدول العربية ليعمل على التنسيق بين انشطة صناديق التنمية العربية المختلفة الموجودة حاليا ،

ويبدو أن هذا الاقتراح موضع دراسة الان فى الجامعة العربية .

كذلك دعا البعض الى قيام **نظام اقتصادى عربى جديد** يعتمد على ثلاثة أسس هى : انشاء ميزانية عربية موحدة هدفها اشباع تلك الحاجات التى تهم الوطن العربى فى مجموعة كالدفاع والتعليم والبحث العلمى ومحو الامية — خلق نظام قانونى عربى للمعاملات يسرى على العلاقات ذات العنصر العربى فى كل دولة عربية — وأخيرا ابراز مكان خاص لتنظيم حقوق العمل العربى . وقد اثير اعتراض على الفكرة الاولى وذلك لتعذر تنفيذها عمليا ، بينما اشار البعض الى ان الجامعة العربية بصدد اتخاذ بعض الخطوات العملية فيما يتصل بالفكرتين الاخيرتين .

ثالثا : مشكلات نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة الى الدول المتخلفة :

ان عبارة « نقل التكنولوجيا » ليست عبارة دقيقة تماما ، لانها توحى بأن التكنولوجيا شىء جاهز قابل للاستخدام فى أى مكان وليست هناك مشكلة سوى نقله من مكان الى آخر . والحقيقة — كما تتضح من البحوث المقدمة فى هذا الموضوع — هى أن التكنولوجيا — على خلاف الحقائق العلمية الثابتة — هى تطبيق للحقائق العلمية على مجتمع معين وانتاج معين وهى لذلك لاصقة بالمجتمع الذى تطبق فيه ، ومن هنا تظهر حتمية ادخال تعديلات عليها عند محاولة تطبيقها فى مجتمع آخر . **فالعملية ليست مجرد نقل** بقدر ماهى عملية تطوير وتطويع ومواءمة مع **ظروف البلاد المتخلفة التى تحاول الاستفادة من التكنولوجيا الاجنبية** .

كذلك أبرزت البحوث والمناقشات أن « قيمة التكنولوجيا » ليست مطلقة وانما هى نسبية ، بمعنى أنه ليست هناك تكنولوجيا مثلى بوجه عام أو على المستوى العالمى ، **وانما أمثلية التكنولوجيا لا يمكن النظر اليها الا فى اطار مجتمع معين وظروف اقتصادية واجتماعية محددة . وايضا — وهذا هام — لا يمكن تحديد التكنولوجيا المناسبة بمعزل عن استراتيجية التنمية للبلد المتخلف** .

ومن المهم للدول المتخلفة أن تدرك أنه ليس من الضرورى أن تحصل على « آخر صيحة » فى عالم التكنولوجيا . كما أنه من المهم ايضا ان تدرك ان هذا لا يعنى ان ما يناسب الدول المتخلفة هو تكنولوجيا متخلفة . ففى الامكان — كما أثبتت تجربة الدول الاشتراكية وبالذات الصين ، وايضا التجربة اليابانية — تطوير

تكنولوجيا محلية تتناسب مع خصائص عوامل الانتاج وحجم السوق وغير ذلك من العوامل المحددة فى الدول المتخلفة . ويطلق على هذه التكنولوجيا أحيانا اسم **التكنولوجيا الوسيطة** . كما أنه يمكن للدول المتخلفة اتباع ما يسميه الصينيون « **سياسة المشى على ساقين** » أو **التكنولوجيا الثنائية** ، بمعنى الاخذ بتكنولوجيا متقدمة فى بعض الفروع أو الانشطة ، والاخذ بتكنولوجيا وسيطة أو تقليدية فى فروع أو أنشطة أخرى .

ومن الافكار العامة التى أثيرت حول هذا الموضوع أن استيراد التكنولوجيا ليس دائما أرخص الحلول ، عملا بالقول الشائع انه لاداعى لاعادة اكتشاف ماهو مكتشف . فالواقع انه قد يكون هناك مزايا هامة لتطوير تكنولوجيا محلية ، وأن اعادة اكتشاف ماهو مكتشف ليس بالضرورة ضياعا للوقت ، وانما قد يكون ثمن التعليم والتدريب وضريبة واجبة الدفع من اجل التقدم على اساس سليم . ومن هنا يجب الاهتمام **بتطوير سياسة وطنية للبحث العلمى والتكنولوجى** ، ففى ذلك خير ضمان لظهور تكنولوجيا تتواءم مع الظروف المحلية ، **كما يجب الاهتمام ايضا بالتعاون الاقليمى وخاصة على المستوى العربى فى مجال البحث العلمى والتكنولوجى** . وان كان من المشكوك فيه امكان اقناع كل البلاد العربية بأهمية ذلك الامر، نظرا لوجود بعض الدول | البترولية | التى لا يمثل استيراد تكنولوجيا غالية الثمن مشكلة بالنسبة لها ، كما أن ندرة عنصر العمل بها قد تشجع على الاخذ بالتكنولوجيا ذات الكثافة الراسمالية العالية التى قد لا تتناسب مع ظروف الدول العربية ، الافقر والاكثر سكانا .

كذلك هناك حاجة ماسة للاهتمام بالتعليم الفنى والمتوسط . الا انه يجب أن يكون مفهوما أن ذلك الامر ليس من اختصاص السياسة التعليمية وحدها . وانما هى مشكلة يقتضى حلها تعديل هياكل الاجور لتصبح اقل انحيازا للوظائف المكتبية ، وكذا ربط نظام التعليم بالعملية الانتاجية — والصين غنية بالامثلة على امكان هذا الربط . وعموما فارتفاع شأن هذا النوع من التعليم مرتبط بتغير القيم وتغير النظرة للعمل اليدوى والفنى ، والاحساس بمضمون الالة والمنطق وراء استخدامها ، وادراك أهمية العلم كموجه للتطور .

وأخيرا هناك حاجة شديدة لقيام نوع من التعاون بين الدول المتخلفة لتعزيز قوتها التفاوضية فى مواجهة الاحتكارات العملاقة التى تسيطر على السوق الراسمالى لنقل التكنولوجيا

رابعا : العلاقات التجارية المصرية مع التكتلات الاقتصادية الدولية :

قدمت فى هذا الموضوع دراستان اولهما عن علاقات مصر التجارية مع السوق الاوروبية المشتركة والسوق العربية المشتركة ، وثانيتهما عن علاقات مصر التجارية مع كل من الكتلة الاشتراكية وبقية دول العالم .

وقد خلصت الدراسة الاولى الى أن السوق الاوروبية المشتركة تفرض قيودا جمركية عالية على وارداتها من السلع ذات الفائدة التصديرية لمصر ، مما قد يؤدى الى الحد من دخول هذه السلع اليها . **ورغم محاولة مصر التخفيف من العبء الجمركى على صادراتها عن طريق عقد اتفاق تفضيلى مع السوق فى مطلع ١٩٧٣ لمدة خمس سنوات ، فانه لم يترتب على هذا الاتفاق فوائد ذات بال لقطاع الصادرات المصرى** . على ذلك ان هناك سلع هامة عديدة مستثناه من المعاملة التفضيلية . كذلك يلاحظ زيادة القيود المفروضة على دخول السلع المصرية للسوق الاوروبية المشتركة كلما زادت درجة تصنيع السلع المصدرة . وبالاضافة الى القيود التعريفية على الصادرات المصرية، فهناك قيودا أخرى غير تعريفية اشد عبئا تفرضها السوق ، وهناك ايضا سياسات الحماية للمنتجين المحليين خاصة المزارعين . وهذه القيود تحد من امكانيات التصدير لهذه السوق . اما بالنسبة للسوق العربية المشتركة والتى تضم مصر والعراق وسوريا والاردن والتى مضى ١٢ عاما على انشائها ، فالملاحظ ان هذه الدول لم تتوصل بعد الى توحيد الرسوم الجمركية للدول الاعضاء تجاه الدول الاخرى ، كما انه لم يترتب على قيام هذه السوق زيادة تذكر فى حجم التبادل بين الدول الاعضاء . وهذا ما يؤكد عدم جدوى محاولات التكامل على أساس تحرير المبادلات التجارية .

أما الدراسة الثانية فهى دراسة تطبيقية مقارنة لاسعار التعامل التجارى بين مصر وكل من الكتلة الاشتراكية وبقية العالم . وقد اتضح منها انه فيما يتعلق بصادرات مصر فان **أسعار التصدير الى الدول الاشتراكية كانت أعلى من أسعار التصدير الى بقية العالم فى** غالبية السنوات وبالنسبة لمعظم السلع التى تم دراستها والتى تشمل نحو ٨٠ ٪ فى المتوسط من قيمة صادرات مصر الكلية الى الدول الاشتراكية . أما بالنسبة لواردات مصر فقد

تبين أن أسعار الاستيراد من الكتلة الاشتراكية كانت أقل من أسعار الاستيراد من بقية العالم وذلك فى غالبية سنوات الدراسة وبالنسبة لحوالى ثلثى السلع التى تم دراستها والتى تمثل نحو ٢٨ ٪ فى المتوسط من قيمة واردات مصر الكلية من الدول الاشتراكية ، ولا تشتمل على السلع الاستثمارية التى استبعدت من الدراسة لأسباب فنية . وعلى اية حال فان الدراسة المذكورة لم تجد أسبابا موضوعيةكافية للبرهنة على ما يظنه البعض من ارتفاع اسعار هذه السلع أو انخفاض مستواها التكنولوجى. وقد أوضحت هذه الدراسة **أن مزايا التعامل مع الكتلة الاشتراكية لا تقتصر على مجرد الحصول على أسعار أفضل ، وانما يتجاوز ذلك الى التمتع بفوائد الاطار العام للتعامل مع هذه الدول والذى يتمثل فى اتفاقات التجارة والدفع والتعاون الاقتصادى .** واهم هذه الفوائد أتاحة ظروف أفضل لتخطيط التجارة الخارجية وتشجيع الصادرات ليس فقط من السلع التقليدية ولكن من السلع أيضا ، كذلك توفير تمويل ميسر لمشروعات التنمية .

خامسا : التنمية فى اطار العلاقات الدولية المعاصرة :

فيما يتعلق بأثر سياسة الانفراج الدولى على التنمية ، فقد رأى البعض أنه على دول العالم الثالث أن ترحب بالانفراج ، ولكن مع تركيز كل جهودها لتلافى ما قد يترتب عليه من آثار سلبية وذلك من خلال العمل على ثلاثة جبهات فى آن واحد :

أولا — التكامل والتنسيق فيما بينهما بهدف تخفيض مخاطر الانفراج وتقوية مراكزها التفاوضية .

ثانيا — الاهتمام بالاطار الدولى للتنمية والسعى الى اقامة نظام اقتصادى عالمى .

ثالثا — **التركيز على الاطار الداخلى للتنمية بما يعنيه من ضرورة تبنى استراتيجية جديدة للتنمية أساسها الاعتماد على النفس .**

وقد تعرض أحد البحوث لقضية **ادارة التنمية فى ظل «الانفتاح» فى مصر** ، واقترح أن الخلاص من الأزمة الاقتصادية الراهنة ومن تزايد درجة الفوضى فى الاقتصاد المصرى يكمن فى بناء نظام رشيد لادارة وتخطيط الاقتصاد القومى . وبناء هذا النظام أمر ممكن فى ظل النظام الاجتماعى القائم وفى ظل الظروف العالمية الراهنة — وان كان تنفيذه يتطلب فترة طويلة من الزمن. ومن الافكار الهامة التى طرحت فى هذا الموضوع **أن غياب نظام رشيد لادارة وتخطيط الاقتصاد القومى يضعف ليس فقط من كفاءة القطاع العام، وانما هو يضعف أيضا من كفاءة القطاع الخاص والاقتصاد القومى فى مجموعه ، كما أنه يساعد على اشاعة جو من الفساد الاجتماعى .**

كما تعرض بحث آخر **لمدى مساهمة سياسة الانفتاح فى ترشيد أداء القطاع العام الصناعى** فى مصر ، وخلص الى النتيجة التالية : ان سياسة الانفتاح بالصورة التى يبتغيها رأس المال الاجنبى والتى يهدف من ورائها الى تحقيق اكبر فائض ممكن بغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، لا تسهم فى ترشيد عمل القطاع العام الصناعى . كذلك فان سياسة الانفتاح اذا ما قيدت باطار وأولويات الخطة القومية فهى أيضا محاولة محكوم عليها بالفشل ، لان رأس المال الاجنبى سيضيق بهذه القيود وسوف يحاول الالتفاف من حولها فى سبيل الوصول الى أهدافه الخاصة. وعموما فان فتح باب المنافسة بين القطاع العام ورأس المال الأجنبى فى الظروف الراهنة لن يترتب عليه سوى أضعاف مركز القطاع العام.

سادسا : مشكلات المديونية وعجز ميزان المدفوعات :

من بين الافكار الاساسية التى طرحت فى هذا الموضوع أن ازمة الديون الخارجية للدول المتخلفة ينبغى النظر اليها باعتبارها الشكل الخاص لمشكلات أكثر عمقا وشمولا ، وهى المشكلات المتعلقة باستراتيجيات التنمية فىهذه الدول ، وبالوضع الخاص للدول المتخلفة فى العلاقات الاقتصادية الدولية ، وأخيرا المشكلات المعبرة عن ازمة الرأسمالية العالمية ونظامها النقدى وعلاقاتها الدولية بصفة عامة . ولا سبيل أمام البلاد المتخلفة للتخفيف منهذه الازمة فى الاجل القصير سوى التفاوض مع الدول أو الهيئات الدائنة لاعادة جدولة هذه الديون والاتفاق على شروط ايسر لسدادها. أما العلاج الحقيقى والذى يحتاج بالضرورة لوقت أطول فهو **يتطلب من الدول المتخلفة أن تعمل على زيادة مدخراتها الوطنية حتى يمكنها تخفيض اعتمادها على التمويل الخارجى ، كما أنه يتطلب العمل على زيادة الصادرات حتى يمكن زيادة حصيلة النقد الاجنبى لتخفيض معدل خدمةالدين وكذلك من الضرورى لهذه الدول ان ترسم لنفسها سياسةواضحة ومعايير محددةللاقتراض الخارجى فى اطار استراتيجية محددة للتنمية .**

أما فيما يتعلق بمشكلة المديونية الخارجية واختلال ميزان المدفوعات فى مصر ، فقد أكد البعض أن أهم اسبابها انما تتمثل فى تطلع مصر الى الخارج بشكل متطرف للبحث عنحل لمشكلة تعثر التنمية . ومن الامور اللافتة للنظر

أن تطور الاقتصاد المصرى قد ارتبط فى السنوات الأخيرة بتزايد مضطرد فى الاعتمادات على العالم الخارجى ، ويتضح ذلك من التزايد المفزع فى عجز الميزان التجارى . وقد تبين من أحد الدراسات أن **نمو الاقتصاد يحده بشكل واضح قلة المدخرات المحلية ، وأن عجز الميزان التجارى لا ينبغى تفسيره بقلة موارد النقد الاجنبى ، وانما ينبغى ارجاعه الى نقص المدخرات المحلية** . **كذلك** فانه لا ينبغى النظر الى مشكلة المديونية والعجز فى ميزان المدفوعات على أنها مشكلة خارجية خالصة ، حيث أن للمشكلة جذورمحلية هامة أهمها الاعباء الضخمة للدفاع والحرب — الاختلالات الهيكلية الاقتصادية والتى هى نتاج نظام اقتصادى يخل بمقتضيات الكفاءة فى استخدام الموارد والعدالة فى توزيع الناتج الاجتماعى ، كما أنها نتاج استراتيجية تنمية تركز على الصناعة على حساب الزراعة ، وسياسة للتنمية انصبت على احلال للواردات فى سوق لا يمكنه استيعاب ناتج الصناعات عن الحجم الامثل — وأخيرا ، قيام التخطيط على بعض الافتراضات المشكوك فى صحتها واهمها افتراض أن رأس المال هو عصب التنمية وأن هناك بطالة مقنعة فى الزراعة .

وقد ناقش أحد البحوث المقدمة للمؤتمر مقولة شائعة بشأن التضخم الحادث فى مصر حاليا ومنذ عدة سنوات وهى أنه راجع الى عوامل خارجية ، أو بعبارة أخرى أنه غلاء مستورد ومن ثم لا نملك السيطرة عليه . وقد اتضح من هذا البحث **أنه برغم وجود عوامل خارجية لا يمكن انكارها تؤثر على مستوى الاسعار فى مصر ، الا أن الوزن النسبى لهذه العوامل يعتبر صغيرا جدا بالمقارنة بالوزن النسبى للعوامل الداخلية التى تسهم فى الارتفاع التضخمى للاسعار** . وهذا يعنى أن صانع القرار المصرى لا يمكنه التهرب من مسئولية معالجة التضخم ولا شك أن معالجة التضخم ترتبط بمعالجة المشكلات الرئيسية التى يعانى منها الاقتصاد المصرى . ومن بين الحلول المقترحة لعلاج التضخم : **تغيير وجهة الدخول الاضافية من الاستهلاك الى الادخار والاستثمار ، تقييد الاستهلاك** عن طريق سياسة جمركية عالية — **تقنين الاستهلاك الضرورى — الزيادة الانتاجية — الاسراع بمعدلات التنمية — الاخذ بالتخطيط المالى للموازنة بين التدفقات المالية والنفقات العينية — القضاء على التضارب فى السياسات الاقتصادية** كالتضارب بين ساسة دعم السلع وسياسة الاستيراد بدون تحويل عملة ، أو التضارب بين سياسة رفع أسعار الصرف فى السوق الموازية التى يجرى دراستها حاليا والسياسات الرامية الى الحد من ارتفاع الاسعار .

سابعا : النظام الاقتصادى الدولى الجديد :

لعل اهم عناصر الاطار الذى تمت فى ظله محاولات اقامة نظام اقتصادى دولى جديد هى ازمة التنمية فى العالم الثالث — أزمة الكساد التضخمى فى الدول الرأسمالية التى فشلت معها طرق العلاج الكنيزية — وأخيرا تزايد الدور الذى تلعبه الاشتراكية المتقدمة فى مجالات العلاقات الاقتصادية الدولية . وقد عزز الدعوة لاقامة النظام الاقتصادى العالمى الجديد عاملين هامين هما :

أولا : نجاح الاوبك فى رفع أسعار البترول، والظاهرة الجديدة التى ينطوى عليها هذا الاجراء **وهى أنه لاول مرة فى تاريخ العالم الحديث يتخذ قرار يمس الاقتصاد العالمى خارج مجموعة الدول الغربية ، ومن ثم فهناك انتقال الجزء من السلطة الاقتصادية من الدول المتقدمة الى الدول المتخلفة** .

ثانيا : انتصار شعب فيتنام ، وما احرزه من دروس للنضال الوطنى أهمها أن استخدام القوة الذى يعتبر الملجا الاخير للدول المتقدمة ، يمكن ألا ينجح فى بعض الحالات ، مما يدعم الدعوى القائلة بامكان **التفاوض بدلا من المواجهة** .

أما القضايا الاساسية التى يدور حولها النزاع فيما يتعلق باقامة النظام الدولى الجديد فهى :

١ — قضية التجارة الدولية وما يتفرع عنها من ميل صادرات المواد الاولية الى التناقص وتضاءل نصيب الدول المصدرة لهذه المواد من الثمن الذى يدفعه المستهلك النهائى ، ومشكلات ارتفاع أسعار السلع الصناعية والحواجز التى تعوق انسياب الصادرات الصناعية من العالم الثالث الى الدول المتقدمة .

٢ — مشكلات نقل الموارد المالية والمديونية .
٣ — مشكلات نقل التكنولوجيا .
٤ — أزمة النظام النقدى الدولى .
٥ — مشكلات الغذاء العالمى .
٦ — مشكلات التصنيع .
٧ — مشكلات المنظمات الدولية وعدم وجود تمثيل كاف **للدول النامية فيها ، أو عدم تمتعها بنصيب معقول من السلطة فى التأثير على قرارات هذه المنظمات** .

واذا كانت الدعوة لاقامة النظام العالمى **الجديد تستهدف محاولة** ايجاد اطار أفضل لحل المشكلات السابقة ، **فقد نادى الكثيرون بوجوب مراعاة الحيطة والحذر وعدم توقع الشىء الكثير من المحاولات الرامية لاقامة النظام الجديد** . **فأى نظام جديد** للعلاقات الدولية سيكون بالضرورة بمثابة حل توفيقى بين مصالح **المتنازعين ، وبالتالى فان** مدى خدمة هذا الحل

للأطراف المتنازعة يعتمد بالضرورة على المقدرة التفاوضية لهـا ، ولا يمكن القـول بأن للـدول المتخلفة مركز تفـاوضي أقـوى من الـدول المتقدمة . ومن وجهة أخرى ، ليس من المعقول توقع أن تطغى الاعتبارات الانسانية على حركة الدول المتقدمة ومصالحهـا حتى تقوم بتعـديل النظام الحالى لتقسيم العمل الدولى لصـالح الدول المتخلفة . **ومن هنا فانه لا يمكن استبعاد عنصر المواجهة تماما** ، كما انه من الضرورى للدول المتخلفة أن تدرك أن الحلول الاساسية لمشكلاتها تـكمن أولا واخيرا فى **انجـاز عملية التحرر الاقتصادى** وهذه تحتاج لفترة طويـلة وتقتضى سلسلة من التغييرات الداخلية أهمها **اعادة النظر فى استراتيجيات التنمية فى دول العالم الثالث كله ، والتأكيد على مبدأ الاعتماد على النفس ، وتقوية الجهود المشتركة فيما بين هذه الدول ، وتقليل اعتمادها على الدول المتقدمة**

نتائج عامة للمؤتمر :

لقد اثبتت الايام الثلاثة للمؤتمر ، بما قـدم فيها من بحوث وما دار حولها من نقاش ، ان **مصر لا تفتقر الى الخبرات الاقتصادية الوطنيه الضرورية للاضطلاع بمهام التخطيط والمعـاونة** فى رسم السياسات الاقتصادية ، وأن هنـاك اقتصاديون مصريون اكفاء قادرون على العطاء الجيد بغير مقابل نقـدى ، وقادرون على تفهم مشكلات وطنهم واقتراح الحلول الملائمة لها .

ولعل أهم نتيجة عامة يمكن استخلاصهـا من أعمال المؤتمر هى **ان ما يواجه مصر الان أخطر من أن يعالج معالجة جزئية أو بسياسات قصيرة الامد ، وأن ازمة التنمية — وان كان العـوامل الخارجية دور فيها — الا أن أسبابها الرئيسية تـكمن أساسا داخل الاقتصـاد المصرى وليس خارجه . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، فان مشكلات مصر الاقتصادية لا تحتاج الى حلول عبقرية وانما تحتاج الى قدرة وجراة على تطبيق حلول بسيطة نسبيا . ولكن المشكلة هى — وهذا هو ما يستدعى الجراة — ان الحلول البسيـطة ليست دائما أسهل الحلول من الناحية الاجتماعية أو السياسية . وعموما يمكن القول بأن مفتاح التنمية الشاملة انما يتمثل فى الاخذ بسياسة الاعتماد على النفس ، وفى المقدرة على اتخاذ قرارات حازمة فيما يتعلق بتعـديل نمط توزيع الموارد ونمط توزيع الناتج القومى والسـيطرة على الفائض الاقتصادى .**

هذا وقد استقر الراى على أن ينعقد المؤتمر الثانى للاقتصاديين المصريين فى ربيع عـام ١٩٧٧ ، وذلك لمناقشـة موضوع استراتيجية التنمية فى مصر .

● تجـارة مصر مع الدول الاشـتراكية مكسـب أم خسـارة ؟

د. محيا زيتون (*)

قبـل ان نبـدأ فى استـعراض الجوانب الرئيسية لعلاقات مصر التجارية مع الدول الاشتراكيـة ان نشير الى الدافع وراء بحـث مثل هذا الموضوع .

ان هناك كثير من الشائعات التى تحيط بعلاقة مصر التجارية بالدول الاشتراكية . وقـد تركز أغلب هذه الشائعات فى القول بانه قد لحقـت بمصر خسارة اقتصادية لايستهان بهـا نتيجـة لتعاملها التجارى مع الدول الاشتراكية .

وبما انه لم يكن هناك اى ادلة موضوعيـة وعلمية لكل ماقيل فى هذا الشأن ، فقد رأيت من الضرورى بل ومن الواجب توضيح حقيقة هـذه العلاقة بدراسة علمية تعتمد على بيانات مأخوذة جميعها من مصر . ولم يكن هذا بطبيعة الحال ينبع من تحيزى لوجهة نظر معينة أو محاولة منى

(*) مدرسة بكلية البنات الاسلامية

لاثبات عكس ما يشاع ، ولكن فقط كان محاولة لاثبات الحقيقة العلمية وراء هذا الموضوع ، او حتى محاولة للاقتراب من هذه الحقيقة . فاذا كان مايقال صحيحا ، فلنثبت ذلك ونؤكده بالادلة الموضوعية اما اذا كان غير صحيح فلنثبت ذلك ايضا بأدلة موضوعية كافية .

وسوف يتضح لنا اهم جوانب هذه العلاقات بالنظر الى ثلاث نقاط هامة :

الاولى : تتعلق باتجاه مصر نحو زيادة حجم التبادل التجارى مع الدول الاشتراكية ،
والثانية : تنصب على الاطار العام الذى يتم فيه التبادل التجارى بين مصر والدول الاشتراكية ،

أما النقطة الثالثة : فتتمثل فى مقارنة لشروط التبادل التجارى مع الدول الاشتراكية بشروط التبادل مع بقية العالم . والمقصود ببقية العالم جميع الدول التى تربطها بمصر علاقات تجارية فيما عدا الدول الاشتراكية .

أولا : الاتجاه نحو زيادة حجم التبادل مع الدول الاشتراكية

من الملاحظ ان حجم التبادل التجارى بين مصر والدول الاشتراكية قد ازداد زيادة مضطردة خلال الستينات ، وذلك بالمقارنة بسنة ١٩٥٥ ، وهى السنة التى شهدت بداية التحول فى تجارة مصر الخارجية تجاه الدول الاشتراكية . **ولكن اهم مايميز هذا التغير الذى حدث فى التوزيع الجغرافى لتجارتنا الخارجية ، انه لم يؤد الى تركز معظم التجارة مع كتلة واحدة هى الكتلة الأشتراكية كما يعتقد البعض** . بل لقد اتضح لنا ان توزيع هذه التجارة بين التكتلات الدولية المختلفة قد أصبح اكثر اعتدالا واكثر توازنا من توزيعها قبل بداية التعامل مع الدول الاشتراكية ، اى توزيعها وقت ان كانت غالبية تجارة مصر متركزة مع الدول الغربية « دول غرب اوروبا وامريكا » ويكفى ان نعلم انه فى عام ١٩٥٥ كان ٦٠٪ من تجارة مصر الخارجية مع الدول الغربية ، ١١٪ مع الدول الاشتراكية ، ٢٩٪ مع دول العالم الاخرى . اما فى عام ١٩٧٣ فقد أصبح نصيب الدول الغربية ٣٤٪ ، والدول الاشتراكية ٤٠٪ وبقية العالم ٢٦٪ .

ومما هو جدير بالملاحظة **أيضا ان تدعيم علاقات مصر التجارية مع الدول الاشتراكية لم يتم فى فراغ وانما تم فى اطار تحولات فى هيكل التجارة العالمية ، شملت غالبية الدول النامية واثرت على انماط تعاملها الخارجى** . اى ان تدعيم هذه العلاقات لم يكن فقط ناتجا عن اسباب خاصة بمصر وحدها ، بل علاوة على ذلك كان جزءا من اتجاه عام ملحوظ بالنسبة لمجموعة الدول النامية ، وتدل الاحصاءات على ان اكبر معدل لنمو التجارة بين المجموعات الدولية ، خلال الستينات ، كان بين الدول النامية والدول الاشتراكية . ويرجع ذلك الى عوامل عديدة ساهمت فى اضعاف قدرة الدول النامية على ارتياد اسواق الدول الغربية ،وساهمت بالتالى فى فتح مجالات جديدة لتسويق منتجاتها فى الدول الاشتراكية . ومن اهم هذه العوامل ، التقدم العلمى والتكنولوجى فى الدول الغربية الذى ادى الى انتاج هذه الدول لبدائل صناعية تنافس بعض صادرات الدول النامية . كذلك سياسة الحماية التى تتبعها الدول الغربية ضد المنتجات الزراعية والصناعية للدول النامية . ومع ذلك ، هذا لاينفى انمصر كان لها اسباب خاصة بها دفعتها الى الاسراع بتدعيم علاقاتها مع الدول الاشتراكية . فى مقدمة هذه العوامل الخاصة ازمة تمويل مشروع السد العالى ومادى اليه من توتر العلاقاتمع الدول الغربية .

ثانيا : الاطار العام للتبادل التجارى بين مصر والدول الاشتراكية

اتضح لنا من دراسة الاطار العام للعلاقات التجارية والاقتصادية بين مصر والدول الاشتراكية ان التبادل التجارى يعتبر بمثابة جزء لايتجزأ من نظام متكامل للعلاقات التجارية والاقتصادية والفنية . لهذا فانه من الضرورى تفهم طبيعة هذه العلاقات والتعرف على مدى اهميتها لمصر .

وتتخذ هذه العلاقات شكل اتفاقات ثنائية . وهى تتمثل فى ثلاثة انواع للاتفاقات اتفاقات التعاون الاقتصادى ، اتفاقات التبادل التجارى ، اتفاقات الدفع .

بالنسبة لاتفاقات التعاون الاقتصادى : فهى تتعلق بالقروض والتسهيلات الائتمانية التى تمنحها الدول الاشتراكية الى مصر . واهم ما يميز هذه القروض :

١ — ان الغالبية العظمى منها يكون بهدف تمويل مشروعات استثمارية ، عبارة عن ماتكون مصانع كاملة .

٢ — انها قروض طويلة الاجل تتراوح مدتها من ٧ — ١٤ سنة

٣ — ان سعر الفائدة عليها نحو ٢.٥٪

٤ — ان سدادها يتم عن طريق تصدير مصر لسلع من انتاجها المحلى الى الدول الاشتراكية المقرضه .

هذا وتتميز بعض انواع هذه القروض بانها قروض مرتبطة بتمويل مشروعات معينـة وانه يتم سداد القرض وفوائده ليس من السلع التقليدية التى تدخل فى نطاق التجارة الخارجية بل يتم السداد من انتاج هذه المشروعات نفسها وعلى اقساط سنوية ايضا .

أما اتفاقات التجارة : فاهم مايميزها انها اتفاقات طويلة الاجل تتراوح مدتها من ٣ — ٥ سنوات ويتحدد فيها الخطوط العريضة للتبادل التجارى والاهداف طويلة الاجل له . وعادة ماينص فى هذه الاتفاقات على انواع السلع التى سيتم تبادلها بين الطرفين خلال فترة الاتفاق .

ويلحق بالاتفاقات طويلة الاجل اتفاقات سنوية تسمى « بروتوكول » وهى عبارة عن الاداه التنفيذية للاتفاق طويل الاجل، ويحدد فيها كمية وقيمة السلع المتبادلة خلال العام وشروطالتبادل ويتم تحديد كل ذلك فى ظل محاولة من الطرفين لاحداث توازن فى التجارة بينهما .

واخيرا اتفاقات الدفع : ويتم فيها تحديدجميع شروط الدفع لكل من اتفاقات التبادل التجارى والتعاون الاقتصادى وتتراوح مدة هذه الاتفاقات من ٣ — ٥ سنوات .

وقد اتضح لنا ان هذا الأطار للتبادل التجارى مع الدول الاشتراكية يتيح لمصر بعض المزايا الهامة نذكرها فيما يلى :

أولا : تسهيل مهمة التخطيط الاقتصادى

فالاهداف طويلة الاجل للتبادل التجارى تساهم فى رسم خطة اقتصادية سليمة يكون معلوم فيها مسبقا حجم السلع التى يجب تصديرها واستيرادها خلال عدة سنوات مقبلة.

ثانيا : تشجيع الصادرات

حيث قد يساعد تحديد اهداف أو حصص للصادرات والاتفاق على مواعيد معينه لتسليمها على العمل من اجل زيادة حجم الصادرات ، كذلك فان سداد قرض معين عن طريق سلع تم انتاجها من المشروع الذى تم تمويله بواسطة هذا القرض يعنى زيادة صافيه فى الصادرات ، وهذه الزيادة ليست من السلع التقليدية ولكن من السلع تامة الصنع أو الوسيطة .

ثالثا : الاستفادة من القروض طويلة الاجل

وذلك فى تمويل مشروعات التنمية الاقتصادية وايضا الاستفادة من الشروط الميسرة للسداد من حيث الفائدة المنخفضة وامكانية سداد القرض بسلع من الانتاج المحلى . كل ذلك يعنى مقدرة مصر على الحصول فى ظل شروط مريحه على مايلزمها او بعض مايلزمها من سلع استثمارية بما يفوق قدرتها الشرائية الحالية .

رابعا : شروط التبادل مع الدول الاشتراكية وبقية العالم

اعتمدنا فى تحليل شروط التبادل على البيانات المصرية الرسمية الخاصة بكمية وقيمة صادرات مصر ووارداتها من الكتلة الاشتراكية وبقية العالم . وقد تم اختيار مجموعة من سلع الصادرات تمثل قيمتها مايزيد عن ٨٠٪ من صادرات مصر الكلية الى الدول الاشتراكية . وقد حاولنا مراعاة التجانس فى هذه السلع بان تم تجزئة كل من القطن الخام والغزل والمنسوجات الى مجموعات سلعية اكثر تجانسا . وبهذا اصبح عدد سلع الصادرات ٣٢ سلعة تتمتع بدرجة عالية من التجانس بحيث تتم مقارنة اسعارها التى تدفعها الكتلة الاشتراكية واسعارها التى تدفعها بقية العالم بأكبر قدر من الدقة .

اما بالنسبة للواردات فمن المعلوم ان هناك قدر يعتد به من عدم التجانس بالنسبة لسلع الواردات . ويرجع ذلك الى ان جزءا لايستهان به من واردات مصر عبارة عن سلع انتاجية تختلف نوعيتها وخصائصها الى درجة كبيرة . لذلك فقد تم استبعاد جميع السلع الانتاجية حتى يمكن توفير قدر كاف من الموضوعية فى مقارنة اسعار الواردات . وقد اخترنا على هذا الاساس ٢٠ سلعة من سلع الواردات تمثل مايزيد عن ٢٨ فى المائة من القيمة الاجمالية لوارداتنا من الدول الاشتراكية .

مقارنة أسعار الصادرات

بحساب متوسطات اسعار سلع الصادرات الى كل من الدول الاشتراكية وبقية العالم اتضح لنا مايلى :

١ — ان متوسطات اسعار صادراتنا الى الدول الاشتراكية كانت اعلى من متوسطات اسعار صادراتنا من نفس السلع الى بقية العالم ، خلال الفترة من ١٩٥٩—٦٠— ١٩٧٣ ، وذلك بالنسبة لجميع السلع فيما عدا سلعة واحدة هى البترول الخام .

٢ ـ ان اكبر ارتفاع فى السعر هو ٥٦٫٣٪ فى حالة البرتقال واليوسفى ، واقل ارتفاع فى السعر ٢٫٣٪ فى حالة الغزل الرفيع .

٣ ـ ان متوسطات الاسعار التى دفعتها الدول الاشتراكية اعلى بأكثر من ٢٠٪ من متوسطات الاسعار التى دفعتها بقية دول العالم بالنسبة لـ٦ سلع . كما ان فارق السعر يتراوح بين ١٠ ـ ٢٠ ٪ فى حالة ٦ سلع اخرى . اما البترول الخام ، السلعة الوحيدة التى يقل فيها سعر التصدير الى الدول الاشتراكية عن سعر بقية العالم ، فقد كان فارق السعر ٦٫٩٪ فقط .

كذلك رغبة فى عقد مقارنة اعم واشمل تدخل فيها اسعار جميع سلع الصادرات والاهمية النسبية لكل سلعة من السلع فىتجارة مصر مع الدول الاشتراكية فقد تم حساب المتوسط المرجح للاسعار النسبية بلصادرات وقد تبين ما يلى :

اولا : ان اسعار صادرات مصر الى الدول الاشتراكية كانت اعلى من اسعار صادراتنا الى بقية العالم فى ١٢ سنة من سنوات الدراسة بينما كانت اقل فى سنتين فقط .

ثانيا : ان فارق السعر كان اكبر من ١٠٪ فى ٩ سنوات أى حوالى ثلثى مدة الدراسة وأنه كان اكثر من ٣٠ ٪ فى بعض السنوات .

ثالثا : ان انخفاض اسعار صادراتنا الى الدول الاشتراكية عن اسعار بقية العالم فى السنتين السابق الاشارة اليهما بلغ فقط ٢٫٣٪ ٠٫٧٪ .

مقارنة أسعار الواردات

اما فيما يتعلق بالواردات فقد توصلنا الى النتائج الاتية :

اولا : ان متوسطات اسعار الاستيراد من الدول الاشتراكية كانت اقل من متوسطاتاسعار الاستيراد من بقية العالم فى حالة ١٢ سلعة اى بالنسبة لـ٦٠٪ من السلع محل الدراسة . وانها كانت اعلى فى حالة السلعالثمانية الباقية.

ثانيا : تتراوح نسبة انخفاض اسعار الدول الاشتراكية عن بقية العالم بين حد ادنى هو ١٫٣ وحد اقصى قدره ٣٢٫١٪ .

ثالثا : ان نسبة انخفاض اسعار بقية العالم عن اسعار الدول الاشتراكية تتراوح بين حد ادنى قدره ١٫١٪ وحد اقصى ١١٫٣٪ .

وقد تم حساب الوسط المرجح لاسعار الواردات ايضا حتى تكون المقارنة شاملة لجميع السلع . واتضح أن :

أولا : اسعار الاستيراد من الدول الاشتراكية كانت أقل من اسعار الاستيراد من بقية العالم فى ٩سنوات واعلى فى ثلاثة سنوات ومتساوية فى سنتين .

ثانيا : انه فى السنوات الثلاثة التى كانتاسعار الدول الاشتراكية فيها اعلى كانت نسبة الارتفاع فى السعر تتراوح بين ١٫٩ ٪ ، ٢٫٧ ٪ فقط ، بيما ان السنوات التى كانت اسعار الدول الاشتراكية فيها اقل فان نسبة الانخفاض فى السعر كانت تتراوح بين ١٫٢ ٪ ، ٢٠٫٢ ٪ .

موقف السلع الاستثمارية

على الرغم من اننا لم نتعرض مباشرة لدراسة اسعار السلع الاستثمارية الا ان هناك نقطتين على درجة كبيرة من الاهمية يجب ايضاحهما بهذا الشأن .

١ ـ احتمال ان تكون اسعار الدول الاشتراكية لهذه السلع اعلى من اسعار بقية العالم .

٢ ـ احتمال ان تكون التكنولوجيا المستوردة من الدول الاشتراكية متخلفة عن التكنولوجيا الغربية .

بالنسبة للنقطة الاولى : يجب القول انهليست هناك اى ادلة موضوعية على ان اسعار الدول الاشتراكية بالنسبة لهذه السلع اعلى من اسعار بقية العالم . كذلك يجب التأكيد على ان جزءا كبيرا من وارداتنا من هذه السلع عبارة عن مصانع كاملة نمولها قروض وتسهيلات ائتمانية من الدول الاشتراكية . لذلك من الضرورى ان تؤخذ هذه النقطة فى الاعتبار عند مناقشة اسعار هذه السلع .

أما بالنسبة للتكنولوجيا فهناك عدة تحفظات لنا بهذا الشأن :

١ ـ ان التكنولوجيا المناسبة ليست بالضرورة تلك التى تتميز بأقصى كفاءة فنية ممكنة ولكن قد تكون تلك التى تتيح الفرصة للاستخدام الامثل للموارد المتاحة فى المجتمع .

٢ ـ انه لاتوجد آلات ومعدات تلائم كل الظروف الطبيعية والاقتصادية لبلد معين .

٣ ـ ان اختيار مجتمع ما لتكنولوجيا معينة دون غيرها قد لايرجع احيانا الى تفضيله لهذا النوع ، ولكن الى انه النوع الوحيد المتاح والممكن الحصول عليه فى ظل ظروف سياسية معينة .

واخيرا فانه ليس هناك مايثبت بالدليل القاطع ان تكنولوجيا الدول الاشتراكية متخلفة فى جميع مجالات الانتاج عن تكنولوجيا الدول الغربية

الخلاصة

من التحليل السابق يتبين لنا بكل وضوح ان التعامل التجارى مع الدول الاشتراكية قد حقق

لمصر فرصا افضل لتسويق صادراتها وذلك بالمقارنه بالفرص المتاحة لها فى السوق العالمى. كما أن هذه الميزة لم تكن على حساب ارتفاع اسعار وارداتنا من هذه الدول ، على الاقل بالنسبة للسلع غير الاستثمارية . بالاضافة الى ذلك فهناك احتمال ان مصر قد استفادت من بعض المزايا الاخرى التى اتاحها لها الاطار العام للتبادل التجارى مع الدول الاشتراكية .

واخيرا ، فيما يتعلق بانعكاسات هذه الدراسة على السياسة الاقتصادية المصرية فهذا اتركه لاولى الشأن لكى يستشفوا منه ما يحقق المصلحة الوطنية القصوى لمصر . □

○ ضوابط الانفتاح وشروطه طبقا لمعاهدة « قرطاجنة »

سعيد خيال

صحيح القول بان للانفتاح خصوما وانصارا فى مصر . فانصار الانفتاح يطالبون بان مصر محتاجه قروض واستثمارات اجنبية كبيرة ومعها الخبرة والتكنولوجيا . ولا ينكر أحد فيما أعلم هذه الضرورة . لكن النقاش يدور حول الضوابط والشروط اللازمة كيما يؤدى هذا الانفتاح الغرض المتوخى تحقيقه . وهو المساعدة فى انجاز خطة اقتصادية سليمة تستهدف تنمية الانتاج وتوفير متطلباته كما تستهدف تحسين الخدمات وتوسيعها ورفع مستوى معيشة الشعب .

ويتجنب معظم الذين يروجون للانفتاح الحديث فى الضوابط والشروط . انهم يكتفون برفع شعار الانفتاح والتغنى به وتعليق آمل الناس عليه دون ربطه بالواقع المصرى أو حساب الاثار التى يمكن ان تنجم عنه وتلحق الضرر بالاقتصاد الوطنى وتهدد الاستقلال وهم ينسون « أن الرائد لا يكذب أهله » . وان الامانة تتعارض مع الترويج للانفتاح على طريقة الاعلانات الشائعة عن البضائع المستوردة والتى نسمعها ونراها فى الاذاعة والتليفزيون .

كذلك دأب هؤلاء المروجون على ربط الانفتاح بالغرب وحده . بهدف ان يكون هذا الانفتاح وسيلة لتحول اقتصادى واجتماعى ينأى بمصر عن طريق التنمية غير الرأسمالى ويدخلها حشرا فى النظام الرأسمالى العالمى . وبذلك تتخلص الرأسمالية المصرية من الاتجاهات التقدمية وتستأسد بخيرات المجتمع واستغلال الجماهير العاملة .

وفى سبيل تحقيق هذه المصالح الانانية لطبقة راسمالية هى فى الغالب الاعم طفيلية تجارية ، تتعدد المحاولات لتدمير العلاقات مع الاتحاد السوفيتى وبلاد الاسرة الاشتراكية . وتدفع فى هذا الاتجاه الخطر بعض الهيئات الدولية الوثيقة الصلة بالراسماليه العالمية والتى وظيفتها اساسا خدمة المصالح الامبريالية .

جاء فى تقرير البنك الدولى عن اوضاعنا الاقتصاديه ما يلى :

« ان بنيه التجارة الخارجية المصرية تتضمن عمليا كثيرا من العناصر ذات التاثير والنتائج السلبية المباشرة ، واكثر هذه العناصر سلبية هو اختلال الميزان التجارى مع دول المعسكر العربى . ان معظم الصادرات المصرية تتجه الى دول المعسكر الشرقى ... بينما تاتى معظم الواردات من دول العملات الحرة . وقد ادركت الحكومة المصرية خطورة استمرار هذا الوضع سعمدت الى احداث تغيير فى اتجاه التجارة الخارجيه ، ولكن ما جرى لم يأت الا بنتائج صغيرة جدا . فلم يزد حجم التجارة الخارجية مع دول العملات الحرة الا من ٣٣ بالمائة عام ١٩٧٣ الى ٣٦ بالمائة عام ١٩٧٤ فى الوقت الذى زادت فيه الواردات من نفس المعسكر من ٦٢ بالمائة عام ١٩٧٣ الى ٧٤ بالمائة عام ١٩٧٤ » .

ويرجع البنك الدولى « صعوبة زيادة الصادرات « الى الكتلة الغربية » الى ان معظم السلع التى تنتج فى مصر صنعت طبقا لمواصفات وبآلات ومصانع المعسكر الشرقى .. وجاء فى تقرير البنك ايضا ان ٩٠ بالمائة من صادرات القطاع الخاص وجهت الى دول اتفاقيات التجارة والدفع

بينما زادت واردات هذا القطاع من المعسكر الغربى » .

ان خلل الميزان التجارى المصرى سببه – طبقا لما جاء بتقرير البنك – ان صادراتنا للاتحاد السوفيتى وسائر دول المعسكر الشرقى تزيد كثيرا عن وارداتنا منه . وان صادراتنا للمعسكر الغربى تقل كثيرا عما نصدره اليه .

وعلاج هذا الخلل سهل اذا انتفى الغرض ويكون بأن تتناسب الواردات المصريه من أسواق الكتله الاشتراكيه مع صادرتنا اليها وكذلك الحال بالمثل مع الكتلة الغربية . لكن البنك العنيد يغفل هذا التصحيح . انه يصور خلل الميزان التجارى على أنه مصيبة . ويشير الى طريق الخروج منها بتحويل مسار التجارة الخارجيه المصريه الى الغرب . لكن هذا التحويل دونه عقبات فى نظر البنك . ما هى هذه العقبات ؟ هى ان معظم السلع التى تنتج فى مصر صنعت طبقا لمواصفات وبالات ومصانع المعسكر الشرقى . بهذا نصل الى بيت القصيد .. وهو الايحاء الخفى بضروره عدم استيراد الالات والمصانع من الشرق والاقتصار على استيرادها من بلاد الغرب . ماذا لو طبقنا هذه القاعدة على التعامل بين الشرق والغرب ؟ ان تنافس دول الغـــرب على الاتجار مع الكتلـــه الاشتراكية لا يحتاج لبرهان . وبداهة فان منتجات الشرق تكون طبقا لمواصفات وبآلات ومصـانع الشرق .

كذلك لم يقل لنا البنك المحترم كيف لمصر استيراد المصانع والالات من الغرب حالة كون صادراتنا اليه تعجز عن الوفاء بالثمن ؟ لا داعى لان يصرح فالهدف واضح . ما على مصر الا ان تفتح أبوابها للرأسمال الغربى ليهبط علينـا مستثمرا مالكا للمشروعات ، مالكا للانتاج ومالكا للارباح .. وعندما ترفض مصر بعض المشروعات الوافدة لخطرها على الاقتصاد القومى او لعدم الحاجة اليها او لغير ذلك من الاسباب .. تستعر الحملة على البيرقراطيـــــــة المصرية ويتهم الشرفاء .. وقد صدق الدكتور زكى شافعى وزير الاقتصاد حين وصف هذه الحملات بأنها للتشهير والابتزاز وارهاب الذين يحمون المصالح الوطنية .

وسبق لى أن تصديت لنقد قانون استثمار رأس المـــال العـــــربى والاجنبى وذلك منــذ كان مشروعا بقانون ، أى قبل أن يناقش فى مجلس الشعب . ثم بعد صدوره وذلك بعدة مقـالات منشورة .

واليوم نقدم تجربة من امريكا اللاتينية ، من بلاد للولايات المتحدة فيها المركز الممتاز ، بلاد يسمونها فى العالم الحديقة الخلفية لبيت الولايات المتحدة الامريكية .

هذه البلاد اخذت بالانفتاح لكنها وضعت من الضوابط والشروط ما يستحق الدراسة وبمقارنته بمـــا جـــاء فى القانون المصرى يمكن ادخـــال التعديلات الجوهرية المطلوبة .

فى سنة ١٩٧٠ عقدت اتفاقية قرطاجنة فـى شيلى . وقعتها ستة دول هى شيلى . بيرو . كولومبيا . بوليفيا . اكوادور . فنزويلا . ونصت الاتفاقية على الشروط التالية :

١ – يسمح لرأس المال الاجنبى بالعمل فى البلد لمدة محدودة اقصاها ١٥ سنة .

٢ – يجب أن يتم التوظيف فى صورة تكوين شركات وطنية .

٣ – لا تزيد الارباح المسموح بتحويلها للخارج عن ١٤ بالمائة سنويا من قيمة الاستثمار الاجنبى المباشر .

٤ – العقود الخاصة بنقل التكنولوجيا والتى ترتب التزامات على البلد أو علـى الشركة المعنية « الشركة التى يكونها الاستثمار الاجنبى كما يستلزم القانون » باستعمال ماكينات او مواد خام من أية جهة بالذات « من مصدر بعينـه » محظورة .

كذلك تحظر العقود التى تحدد ثمن البيع او ثمن اعاده البيع لاية مواد معينة ، والعقود التى تحدد حجم وهيكل الانتاج . كما تحظر اية شروط أخرى تعطى نتائج مماثلة . « بهذا النص تحتفظ البلد بحريتها وتحمى المستهلك وترفض مقدما شروط الاحتكار » .

٥ – المعطيات غير الملموسه او غير المادية المتعلقه بالمعرفه والتعلم لا تعتبر رأسمالا . ودفع ماقبلها للشركة الام «أصل الشركة فى الخارج» أو لاى فرع من فروعها محظور .

٦ – الاستثمارات الاجنبيه محظوره فى المجالات الاتيه : الخدمات العامة . التأمين . البنـوك التجارية واية مؤسسات للتسويق . النقل الداخلى . النشر . محطات الاذاعة والتليفزيون . الصحف . المجلات . المنشآت المخصصه للتجارة الداخلية فى أيه منتجات من اى نوع .

٧ – لا يجب معاملة الرأسمال الاجنبى بأية امتيازات لا يتمتع بها الرأسمال الوطنى .

هذه هى الشروط والضوابط التى حددتها الاتفاقية . ترجمتها نصا بنص اما ما جاء بين قوسين فهو من عندى بقصد الايضاح للقارىء العادى . والحكمة من هذه الشروط انها تحمى استقلال البلد واقتصاده الوطنى من الرأسمالية الدوليه والشركات متعددة الجنسيات وهى تملك امكانيات جبارة ولا تهتم الا بجنى الارباح عن طريق استغلال الثروة القومية للبلد واستغلال السوق الوطنى واستغلال العمل والعاملين . وهى شروط ضرورية حتى لا ينقلب الى اباحة هذا الاستغلال المطلق فيصبح الامر ترخيصا للاستعمار الجديد . ■

اسرائيل تبحث عن عميل

صبحى النجار

بعض حكام اسرائيل الان على أيديهم حسرة وندما لانهم تلكأوا وترددوا بعد حرب يونيو [حزيران] ٦٧ مباشرة فى منح عرب المناطق التى احتلوها من فلسطين فى تلك الحرب حكما ذاتيا بناء على نصيحة بعض العناصر «المعتدلة» من حزبى مابام والاحرار المستقلين وبعض المتخصصين فى الشئون العربية .

فى أقل من سبع سنين تطورت الامور وتعاظمت قوة منظمة التحرير الفلسطينية وتصاعد نفوذها محليا ودوليا الامر الذى انعكس ايضا على آمال وأمانى الاهالى العرب فى المناطق المحتلة حيث تجاوب هؤلاء مع ثورتهم وأخذوا يقومون بدور ايجابى فى ساحة الكفاح المسلح ضد الاحتلال الصهيونى .

هنا فطن حكام اسرائيل للفرصة التى بددوها حيث ظنوا انه كان فى مقدورهم ، بعد حرب يونيو ٦٧ مباشرة ، تعهد قيادات فلسطينية من ابناء المناطق المحتلة تكون . فى حالة اجراء مفاوضات ، طوع بنانهم ، تسايرهم حيث شاءوا .

ولكن حتى فى النصف الثانى من عام ١٩٧٥ ، يبدو ان بعض الصهاينة ظنوا أن الوقت لم يفت بعد وانه فى إمكانهم تنشئة مثل هؤلاء الزعماء علهم يكونون بديلا عن القيادة الفلسطينية الثورية .

فقد أعلن شمعون بيرس — وزير الدفاع — يوم ٢٠ . ١٠ — ٧٥ فى بلدة بيت جالا :

« ان الفراغ فى الضفة الغربيــــة يجب ملؤه بادارة ذاتية وحكم ذاتى ، ففى يهودا والسامرة [الضفة الغربية] شخصيات محترمة وحكيمــة تستطيع إدارة شئونها بنفسها » . [هآرتس ٢١ — ١٠ — ٧٥] .

قبل ان يعلن بيرس عن مشروعه هذا ، كان قد أجرى اتصالات مع الوجهاء العرب فى المناطق المحتلة لجس النبض . « لكن معظم الشخصيات التى تحدث اليها عبرت عن معارضتها لهـذا الإقتراح » . المصدر السابق » .

ومع أن بيرس هو الذى جاهر بالمشروع ، الا أن هذا لا يعنى أن المشروع من مبادرته الشخصية . فقد أشار ماتى جولان المراسل الدبلوماسى لصحيفة هآرتس فى نفس العدد [٢١ — ١٠ — ٧٥] الى نية

ايجـــال آلون – نائب رئيس الوزارة ووزير الخارجية – تقديم اقتراح « في احدى جلسات الحكومة القادمة لنقل الادارة المدنية في يهودا والسامرة وقطاع غزة هورا الى ابد فلسطينيه من سكان هذه المناطق .. بحيث يكون هؤلاء الاشخاص ذوي صلاحيات ادراديه في المجالات التي سيفوضون فيها ، مثل الزراعة والتعليم والادارة المدنية وسائر الشئون الداخلية فيما عدا الجيش والشرطة .. وقد شرح آلون مشروعه هذا لرئيس الوزارة ولوزير الدفاع [بيرس] بانه نظرا لان اسرائيل تعارض ، وستظل تعارض منظمة التحرير الفلسطينية ، فان الطريق الوحيد هو منح حكم مدني ذاتي لسكان الضفة ، وبهذا تتبلور منهم قيادة ، يمكن – عندما يحين الوقت – التفاوض معها على تسوية ..... » .

ردود الفعل

تراوحت تعليقـــات الصـــحف والاوســـاط والشخصيات العامة على هذا المشروع بين الترحيب والتحذير والتنبؤ بالفشل . فقد رأت صحيفة دافار [٢٤ – ١٠ – ٧٥] « ان تشجيع الادارة الذاتية في المناطق [المحتلة] فكرة جيده .. لانها لا تسد اي اختيار لتسوية ترضية حسب أي مشروع وحسب ايه نظريه محتمله سواء كانت فلسطينيه أو اردنية » . ورات دافار في مقالها الافتتاحي نفس المصدر » ان النقطة المضيئة في المشروع هي« تشجيع العناصر المعتدلة من سكان المناطق ، فالادارة الذاتية ستفرز زعامة محليه ، التي لو جرى تعهدها في الوقت المناسب لاصبحت وزنا مضادا لمنظمات التخريب كمتحدثة وحيدة باسم الفلسطينيين ..... » .

وبعد خمسة أيام توصلت دافار الى آراء جديدة في المشروع ، فاعتبرت فكرة منح ادارة ... لاهالي المناطق المحتلة « اقل مما يجب ومتأخرة كثيرا » . [دافار ٢٩ – ١٠ – ٧٥] . واشارت دافار الى ان هذه الفكرة قد رفضها المتحدثون باسم الزعامة الغير منتخبة ، وخاصة أولئك الذين في مدن الضفة الغربية .

ووصف يهوذا ليطاني – المحرر في صحيفة هآرتس – شمعون بيرس ومشروعه بانه « كالطبيب الذي يصف علاجا للصداع لمريض مصاب بمرض عضال » . [هآرتس ٢٦ – ١٠ – ٧٥] .

والقى ليطاني [نفس المصدر] أضواء خطيرة تؤكد ضلوع اسرائيل في اشعال الفتنة في لبنان بقصد تحويل أنظار العالم العربي عما يجري في المناطق المحتلة [راجع نصوص المذكرات المتبادلة بين بن جوريون وشاريت وساسون – الطليعة عدد مارس ٧٦] ، حين قال :

« ان تقارب الاردن وسوريا مؤخرا ، من جهة – والاحداث الاخيرة في لبنان – من جهه أخرى – من شانها أن تخلق شعورا بان الوقت مناسب لتنفيذ خطة الادارة الذاتيه ..... » .

واعترض النائب توفيق طوبي [من حـــزب راكاح] على الفكرة امام الكنيست ، ووصفها بانها « مؤامرة استعمارية اسرائيليه ، صريحه تهدف الى خلق مستعمرة كلاسيكية في المناطق المحتلة] .

[دافار ٤ – ١١ – ٧٥ .

واعترفت هــــــآرتس [٢٦ – ١٠ – ٧٥] بان « الاغلبيه الكبرى من اهـــالي يهودا والســـامرة تعارض اي نوع من الحكم الاسرائيلي على المدى الطويل ، اذ في نظر الكثيرين يبدو مشروع بيرس حينه تصميم يهودا والســـامرة [الى اسرائيل] بالفعل .. ويعرف زعماء الصف الاول في يهودا والسامرة انهم – اذا قبلوا مشروع الادارة الذاتيه الذي يعرضه شمعون بيرس – فانهم يحكمون على انفسهم بالانتحار السياسي ، ففي نظر الدول العربيه والمنظمات الفلسطينيه ومعظم سكان المناطق ، سيبدو الزعماء الذين يوافقون على هذا المشروع كمتعاونين مع حكم الاحتلال » .

واشارت دافار [٤ – ١١ – ٧٥] الى ردود فعل سلبيه بدرت من بعض الزعماء الفلسطينيين . « ارسل ثلاثه رؤساء بلديات من الضفه الغربيه مذكره الى الحكومه يعربون فيها عن معارضتهم الشديده لفكرة اقامه الحكم الذاتي التي طرحها وزير الدفاع بيرس . والثلاثه هم : الحاج معزوز المصري – رئيس بلدية نابلس – وحلمي حنون – رئيس بلديه طولكرم – ومصطفى غزال – رئيس بلديه قلقيليه . ففي رأيهم الحل الوحيد لسكان المناطق يكمن في منحهم حق تقرير المصير » .

ونقلت صـــحيفه يـــديعوت احـــرونوت [٢٦ – ١٠ – ٧٥] تعليق الشيخ محمد علي الجعبري – رئيس بلديه الخليل – على المشروع :« يجب ان يكون محتوها ذلك الذي لا يعترف بزعامة [منظمة التحرير الفلسطينيـــة] الوحيدة » .

والقى تسفي بيلخ – المحرر السياسي لصحيفة يديعوت أحرونوت [٢٦ – ١٠ – ٧٥] اللوم على كل

من جولدا مائير وموشه ديان فى عرقلة تنفيذ مشروع الاغارة الذاتية :

« بعد حرب الايام الستة ، أراد كثيرين من وجهاء المناطق [المحتلة] اقامة هيئة محليه تكون لها صلاحية تمثيل المليون من سكان المناطق فى الاتصالات مع حكومة اسرائيل . وفى تلك الفترة حاول الون اقناع جولدا مائير بتشجيع سكان المنـاطق على بلورة زعماء محليين ... وكانت السياسة التى انتهجت هى سياسة ديان وتدعو الى منع اقامة تنظيم محلى وترك السيطـرة والخيارات فى ادارة المناطق للملك حسين .. وهكذا ساعدت سياستنا منظمـة التحـرير الفلسطينية . على ان تكون الممثل الذى لا اعتراض عليه لسكان المناطق » .

نعم ، هكذا تحسر وندم تسفى البيلج معبرا عن حسرة وندم الصهاينة الذين لم يكتفوا بما احتلوه من الاراضى العربية فى يونيو ٦٧ ، بل كشفوا عن اطماعهم فى « استكمال ارض اسرائيـل » ، أى احتلال المملكة الاردنية الهاشمية ، اذ طيـر الارهابى مناحم بيجن برقية الى رئيس دولة اسرائيل — زالمان شازار يومها — على اثر احتلال الضفة الغربية يهنئه فيها على « تحرير الجزء الغربى من أرض اسرائيل » . وعليه ، فانه حسب نظرية بيجن واشياعه من غلاة الفـاشية ، مازال « الجزء الشرقى من أرض اسرائيـل » ، محتلا .

المهم ان الصهاينة العنصريين لا يعرفون متى يجب ان يتوقفوا ولا حدود لاطماعهم ، بدليل أنهم يرفضون رسم حدود لدولتهم ويحاورون ويماطلون طمعا فى ان تواتيهم الظروف يوما لتحقيق احلام زئيف جابوتنسكى : « لنهر الاردن ضفتان : هذه لنا ، وتلك أيضا » .

وفى قطـــاع غزة

فى الوقت الــــذى يتبجح شـــمعون بيرس بـأن « اسرائيل دولـة ديمقـراطية ، وتحمـل الديمقراطية حتى الى المناطق التى تديرها » ، نجد أنه عمد الى تعيين رئيس بلدية غزة بـدون انتخابات ، وجاء هذا التعيين بعد ان ظلت الشؤون المدنية فى غزة تديرها لمدة سنتين لجنة معينة برئاسة يهودى ، وذلك بعد أن تعرض رئيس البلدية رشاد الشوا الى عدة محاولات للاعتداء على حياته من قبل الثوار الفلسطينيين بتهمة تعاونه مع سلطات الاحتلال ثم أعلن بصورة غامضة عن العثور على فدائى مختبىء فى منزله ، وبعدها تنحى عن رئاسة البلدية .

جاءت سلطات الاحتلال برشاد الشوا وعينته رئيسا للبلدية ، وأخذت تروج للادارة الذاتية ، فأعلن الحاكم العسكرى لقطاع غزة ، العميد ناتى دافيد ميمون : « ان تعيين رشاد الشوا رئيسا لبلدية غزة خطوة نحو الحكم الذاتى فى قطاع غزة ، وان الحكم العسكرى يتطلع الى انشاء مناصب ذات مسؤوليه تجاه سكان القطاع ، وفى مرحلة متأخرة يتطلع الى اقامة ما يشبه البرلمان لادارة شؤون سكان القطاع وعددهم نحو نصف مليون نسمة » « اذاعــة اسرائيل ٢٣ — ١٠ — ٧٥] .

وقد فضح دانى تسوكونى — المعلق السياسى لجريده دافار [٢٩ — ١٠ — ٧٥] توجه حكام اسرائيل الى العناصر الرأسمالية فى قطاع غزة وأبدى شكه فى امكان نجاح هذه المؤامرة ازاء وعى العناصر الثورية « ذات النفوذ الاقوى لدى الجماهير » ، فقال :

« يثير تعيين رشاد الشوا مجددا كرئيس لبلدية غزة ، السؤال مكررا : هل لدينا سياسه للمدى الطويل فى الموضوع الفلسطينى .. ولقد عين الى جانب الشوا ١٢ عضوا بينهم رئيس بلديه بير السبع سابقا — شفيق مشتهى وصاحب البيارات والمصانع توفيق البارجى .. ومختـار [عمدة] حى الرمال موسى أبو سعبان وصاحب البياره فايق خيال ورجل الاعمال أحمد حسن الشوا ومدير ضريبة الدخل سابقا بهجت سحيت والتاجر رفيق بسيسو والشيخ الحاج هاشم خازندار ، فثارت ضد هذا التعيين المجموعه النوريه المؤثرة فى الرأى العام فى غزة برئاسة الطبيب الدكتور حيدر عبد الشافى والمحامى ابراهيم ابو سته والمحامى زهير الريس وغيرهم .. وعندما علمت مجموعه اليمينيين فى غزة بوجود احتمال تسلم الحكم فى غزة على أيدى « اليساريين » ، قررت أن تحول دون ذلك مهما كلفها الامــر ، وهكذا نشبت « حرب العرب » فى غزة ، ومن الجائز ان تكون السلطة الاسرائيليه تفضل أسـلوب « فرق تسد » فى الادارة الذاتية فى المناطق [المحتلة] بدلا من الوحدة العربية .. وعلم أن خمسه على الاقل من الشخصيات المحلية رشحوا أنفسـهم لرئاسة البلدية ، وكان هذا وضعا مريحا ، اذ بدلا من أن يراودهم الحكم ، أخذوا هم يـراودون الحكم » .

ويعترف تسدكوين فى سياق تعليقه [المصدر السابق يهدف المحتلون الصـهاينة فى الهـــاء الزعماء الفلسطينيين عن النضال ضد المحتـل وتوجيه جهودهم الى « حــرب عربيـة ، حيث

يقول : « أعتقد أن أية انتخابات ديمقراطية في غزة ، مهما تكن نتائجها ، من شأنها أن تخدمنا ، فلو انتخب الشوا لكان في هذا دليلا قاطعا على ان جزءا ملموسا من الشعب الفلسطيني يرفض قيادة م . ت . ف . وأساليبها المتطرفة . واذا انتخب موالون لمصر أو لمنظمة التحرير الفلسطينية . لاضطر هؤلاء الى التعاون مع الحكم الاسرائيلي وبذلك تكون صلاتهم مع م . ت . ف . محيدة الى درجة ما ».

واشار كذلك الى مخاوف رشاد الشوا من نتائج قبوله رئاسة بلدية غزة بتعيين من قبل سلطات الاحتلال وسعيه الى الحصول على « مباركة » الثورة الفلسطينية ، فقال : « يفترض أن يكون الشوا ، في جولاته الاخيرة في الاردن ولبنان ، ان يكون قد قابل زعماء م . ت . ف . وبحث معهم موضوع رئاسة بلدية غزة . وعلمت أنهم قالوا له ان هذه مسألة تخص سكان غزة ، فهم الذين يقررون ذلك بأنفسهم » [المصدر السابق].

أما الشعب .. فيعرف طريقه :

لم يكن الشعب الفلسطيني قاعدا هادئا عندما جاهر شمعون بيرس بمشروع الادارة الذاتية ، بل كان في مسيرة نضاله المسلح الاصراري المتصاعد ضد الاحتلال الصهيوني . **وكان التلاحم بين جماهير الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة وثورته خارج الحدود يزداد توطدا ورسوخا ، حتى يلغ مرحله اعفاء عناصر الثورة من المجيء من خارج الحدود بما ينطوي عليه ذلك من مخاطر عبور اطواق قوات الاحتلال المتعددة وسياجات الامن الالكترونيه وعيون المخابرات المندسه في المدن والقرى العربية ترصد كل حركة « مشبوهة ». بل اخذت عناصر محليةمن ابناء المناطق المحتلة على عاتقها مهمه ضرب قوات الاحتلال ووصلت الى مرحله اعداد الاسلحة والمواد الناسفة محليا ، وكذلك تدريب كوادر ثورية محليا .**

وكان نشاط الثوار الفلسطينيين ، قبيل الفترة التي اعلن فيها بيرس عن مشروعه في أوجه وكانت عمليات تفجير المواد الناسفة في المستوطنات الصهيونية تجري على قدم وساق . فعلى سبيل المثال قام الثوار بتفجير سيارة ملغمة امام فندق صهيوني في القدس يوم ٣٠ـ ١٠ـ ٧٥ [اذاعة اسرائيل ٣٠ ـ ١٠ ـ ٧٥] وفي يوم ١٣ ـ ١١ ـ ٧٥ قام الثوار بعمليتهم الشهيرة في ميدان صهيون بالقدس حيث نقلوا ، مسخرين شبالين من اليهود ، ثلاجة ملغمة الى ميدان صهيون وهو أشد ميادين القدس ازدحاما فانفجرت في أشد ساعات النهار نشاطا واوقعت بالعدو خسائر جسيمة في الارواح والممتلكات .

وفي محاذاة هذا النضال ضد الاحتلال ، هب الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة يعرب عن رفضه للمشروع ـ المؤامرة فجاءت الاشارة للبدء بالمظاهرات ، منذ اكثر من اسبوع ، من كلية بير زيت ـ وهو مكان معروف منذ القدم على انه مركز قومي .. واعلن طلبة دار المعلمين اضراب الجلوس احتجاجا على فكرة الادارة الذاتية ، ورفعوا شعارات تاييد ل م . ت . ف . وزعمائها ، ثم انتشرت الاحداث بعد ذلك الى رام الله المجاورة . وفي حالات كثيرة وقعت صدامات بين طلبه وطالبات المدارس وبين قوات الامن وجرح عدد من الطلبة ... [هارتس ١٣ ـ ١١ ـ ٧٥].

وقد اتضح على ضوء الواقع ، ان السلطات الصهيونيه لم تكن تتوقع ان تبلغ انتفاضة الجماهير هذا المدى . فبينما نشهد جميعا استمرار وتصاعد المظاهرات الجماهيرية ضد مشروع بيرس الى حين اعداد هذا البحث « الاسبوع الاول من ابريل» نيسان » ١٩٧٦ ، ، نجد ان سلطات الاحتلال كانت تقدر ان غضبة الجماهير لن تستمر وقتا طويلا .

في هذا الصدد يقول يهودا ليطاني المحرر في صحيفة هارتس : « هارتس ١٣ ـ ١١ ـ ٧٥ » وفي هذه المرحلة لا يمكن معرفه من الذين على صواب : أهم أعضاء جهاز الامن الذين يشيرون الى انهاء تدريجي للمظاهرات الى أن تخبو تماما خلال الايام القريبه ، أم الاوساط القومية التي تأمل في تجدد المظاهرات في جميع مدن الضفة الغربية وبصورة أشد ».

الثورة تحول المشروع لصالحها

واصل شمعون بيرس الدعوة لمشروعه الذي يقوم في بداية الامر على اجراء انتخابات مجالس بلدية في اكثر من اربعين مدينة وقرية في الضفة الغربية على أمل أن تنجز فيما بعد خطوات أخرى تدريجية كما ورد على لسان الحاكم العسكري لقطاع غزة .

استولت الحيرة بادىء الامر على العناصر الوطنيه والزعماء ، وترددوا في ترشيح انفسهم للانتخابات خوفا من الاسهام في تحقيق مؤامرة بيرس .

الا أن الثورة الفلسطينية قررت أن تستغل الانتخابات لصالحها . فلماذا لا يكون رؤساء البلديات ورؤساء المجالس المحلية من الثوار وبذلك يقوى نفوذ الثورة وتتعاظم مسيرة النضال ضد المحتل ؟ وفعلا اخذت العناصر الثورية ترشح نفسها . ولاول مرة ظهرت نسبة عالية من الشباب المثقف بهدف الحلول مكان الزعامات التقليدية .

الا ان سلطات الاحتلال التي فطنت الى هذا التحول اخذت تتدخل في المعركة الانتخابية لصالح من تصنفهم بـ « العناصر المعتدلة »

فعندما رأت ان الدكتور احمد حمزة نتشه قد رشح نفسه أمام الشيخ محمد علي الجعبري [رئيس بلدية الخليل على امتداد الثلاثين سنة الاخيرة] تصدت لهذا المنافس الشوري لتحمي « الزعيم المعتدل » وبمؤامرة محبوكة ووضيعة نفت الدكتور نتشه الى لبنان ».

فضيحة نفي الدكتور نيتشه

ان قضية نفي الدكتور احمد حمزة نتشة تعد فضيحة ووصمة عار في جبين الحركة الصهيونية العنصرية ، وهي قضية جديرة بأن تسجل تفاصيلها لتقديم مثل آخر على اساليب الصهيونية الفاشيه في التصدي للقوة التقدمية تحت شعار الديمقراطية والشرعية ».

المعروف أن يوم السبت هو يوم الاجازة الاسبوعية في اسرائيل ، وهو فضلا عن ذلك يوم تعود عن ممارسة أي عمل دنيوي حسب الشريعة اليهودية . ومع ذلك فقد اختارت سلطات الاحتلال الصهيونية يوم السبت ٢٦ مارس « ازار » لاصدار أمر من الحاكم العسكري بنفي الدكتور أحمد حمزة نتشة والدكتور عبد العزيز الحاج احمد الى خارج الحدود وتنفيذ هذا الامر في أقل من اربع ساعات .

وفي محاولة صهيونية مكشوفة للانتماء الى الديمقراطية قامت الاوساط الصهيونية بعرض تمثيلية سخيفة لتغليف هذه المؤامره بغلاف شرعي .

بعد أن أصبح الثائران التقدميان خارج الحدود . لا مانع من احتجاج « دعاة الديمقراطية والقانون » في الكيان الصهيوني . فاحتج كبير القضاة « عقسيوني » على طرد هذين الفلسطينيين قبل ان يتسنى له النظر في الطلب المرفوع الى محكمة العدل العليا .

وأمام ميكروفون اذاعة تل أبيب [٢٧ ـ ٣ ـ ٧٦] دار حديث بين مراسل الاذاعة والبروفسور **كلينجهوفر** خبير القانون الدستوري والاداري :

المراسل : دعني اقتبس من كلام القاضي عتسيوني : « يبدو لي انه جرت محاولة لمنع النظر في الدعوى ، الامر الذي لا مكان له في دولة لها قانون » والسؤال هو : هل ، عند تقديم الطلب ، يحظر على الهيئة التنفيذية تنفيذ عملية النفي الى أن تنظر المحكمة أصليا بأمر الطرد ؟

كلينجهوفر : ـ لا يوجد خطر . لكن من اللائق أن تتريث السلطة التنفيذية وتتيح للمحكمة العليا فرصة النظر في هل يؤخر تنفيذ النفي لحين صدور حكم المحكمة ، لكن التسرع في تنفيذ امر النفي منع المحكمة من النظر في القضية ».

المراسل : ـ علام تستند المحكمة في كلامها هذا ؟

كلينجهوفر : تستند الى شيء مهم هو التصور العام ومبادىء الحكم الدمقراطي . . . ولقد وضعت وزارة الداخلية لوائح بموجبها لا يدعى من صدر ضده أمر نفي الا بعد انقضاء ثلاثة أيام من تسليم امر النفي اليه لكي يتسنى له اعداد الدفاع عن نفسه . ومن يصدر ضده امر طرد ويقبض عليه يحق له ان يقدم طلبا الى المحكمة ثم يتصل بمحام .وتقديم الطلب الى المحكمة لا يؤخر تنفيذ امر الطرد ، لكن يحق للمحكمة أن تؤخر تنفيذ أمر الطرد .

المراسل : اذن . اذا تسلم شخص أمر طرد فان أمامه ثلاثة أيام لتقديم اعتراض ! ؟

كلينجهوفر : ثلاثة ايام هي الحد الادنى المتفق عليه .

وقال وزير الدفاع شمعون بيرس «التبرير» نفي الثائرين : « لقد مارس الاثنان اعمال التحريض والشعب في يهودا والسامرة خلال الاسابيع الاخيرة » [اذاعة اسرائيل ٢٧ ـ ٣ ـ ٧٦] .

وقال اسحاق رابين رئيس حكومه اسرائيل : « هذا الموضوع من صلاحيه مستشار الحكومة القانوني ، ولقد تصرف الحكم العسكري حسب توجيهات المستشار » [المصدر السابق] .

وتحدثت المحامية فيليتسيا لانجر التي وكلتها زوجة الدكتور نتشة لتدافع عن زوجها ، فقالت :

« تلقيت فى التاسعة من صباح أمس معلومات من عائلة الدكتور نتشة بأن الدكتور احمد حمـــزة نتشه اعتقل مى الليل ، ويخشى ان ينفى خارج الحدود . مسافرت الى القدس ووصلت المحكمة العليا فى الساعة ١٥ر١١ وهممت بتقديم اعتراض على طرده ، ومى الساعة ٣٠ر١١ تلقيت مكالمة هاتفية من المحكمة العليا بأنهـــا ستستمع الـى الاعتراض بحضور القاضى عتسيونى . وفـى الساعة ١٤٠٠ علمت بحدوث تطور جديد هو صدور امر طرد وانه لم يسمح للدكتور نتشة بمقابلة محام . وطلبت الى القاضى عتسيوى تقديم موعد عرض طلب الاعتراض فقال ان هذا غير ممكن وأن الامر عاجل ولذلك نظر فيه حتى وان كان اليوم يوم السبت . وفى الرابعة بعد الظهر وصلت الى القاضى عتسيوى ومعى زوجة الدكتور نتشة ، وهناك بدأ النقاش بحضور مســــاعد محامى الدولة ، وقيل لى أن الدكتور نتشة اصبح خارج حدود الدولة وان طلب الاعتراض سينظر فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وبعد عشر دقائق وصل المستشار القانونى لمنطقة يهودا والسامرة وأعلن أنه تم طرد الدكتور نتشة والدكتور عبد العزيز الحاج احمد الى لبنان فى الساعة ١٥٤٥ « اى قبل موعد نظر الاعتراض على الطرد بربـع ساعة فقط » « اذاعة اسرائيل ٢٧ ــ ٣ ــ ٧٦ » .

ولقد آثار النائب امنون لين ــ المستشار السابق لرئيس الحكومة للشـئون العربية ــ ســـؤالين ثاقبين «١» : « ... لماذا أقدمت سلطات الامن على طردهما الان بالذات بعد ان ظهرا كمرشحين للانتخابات ، ولماذا لم يطردا قبلذلك بمدة طويلة، الامر الذى كان سيمنع الكلام باننا نتدخل فى الانتخابات ونتحكم فى اتجاهها ؟ [٢] اذا كان يعنينا ان يترأس المجالس المحلية اشـخاص « ايجابيون » ، فمن طريق طرد هذين الشخصين بعد ظهورهما كمرشحين نكون فى الواقع قـد احرقنا جميع أولئك الذين يعنينا أن يفوزوا فى الانتخابات ، اذ من الصعب أن أتصور أنه بعد طرد هذين الاثنين سيستطيع الذين نحبهم منافسة الرأى العام فى المدن والقرى » .

الصهيونية تورطت فى حقل ألغام

دلل الصهاينة على جهلهم بالتيارات الجديدة التى اجتاحت الامة العربية ، فهم يبنون أحلامهم على احتمال العثور على خائن فلسطينى يستطيع أن يجمع حوله بعض الجماهير لايجاد بديل للقيادة الثورية الفلسطينية ، فاتضح لهم انه حتى أولئك « المعتدلين » أمثال الجعبرى والشوا لا يستطيعون تجاهل « الاخوان العرب » . فلقد اضطر الشيخ محمد على الجعبرى الى الاستقالة من رئاسة بلدية الخليل مسايرا سلسلة استقالات اخوانه رؤساء بلديات رام الله ونابلس والبيرة وبيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا وحنين وطولكرم قلقيلـــــة وغيرها ، لا بل انه الغى ترشيح نفسه للانتخابات المزمع اجراؤها يوم ١٣ ابريل [نيسان] ٧٦ ، على اثر نفى خصمه فى الانتخابات الدكتور أحمد حمزة نتشة ، ولقد ظلت سلطات الاحتلال الصهيونية تعلق الامال وتعلن أنها تتوقع أن يتراجع الجعبرى عن قراره ويعود لترشيح نفسه فى اللحظة الاخيرة قبل اقفال باب الترشيح ، لكنه لم يفعل ، فاضطرت الى تمديد أجل الترشيح ٢٤ ساعة لعل الشيخ رغم كل شىء يعود ويرشح نفسه ، لكنه خيب أمل سلطات الاحتلال .

كذلك يجدر تسجيل تعليق رشاد الشوا على مشروع الادارة الذاتية ، اذ قال : « اذا كانت الادارة المحلية ادارة منفصلة عن ادارة اخواننا فى الخارج ، فلا نقبلها » . اذاعة اسرائيل ٢٨ ــ ١٠ ــ ٧٥] .

وأغلب الظن ، انه بعد أن تصدت العناصر الثورية الفلسطينية لرياح الانتخابات لتملا بها أشرعتها وتسير بها سفينة الثورة ، سيعـود الصهاينة ويعضوا ايديهم ندما وحسرة علـى اقدامهم على تجربة الادارة الذاتية .

ولقد سمعنا منذ الان نذر الحسرة والندم حيث نقل مراسلو اذاعة اسرائيل فى الضفة الغربية نماذج من أسلوب معركة الانتخابات الدائرة ، فأشاروا الى الشعارات التى اتخذها المرشحون ، مثل : « القائمة الوطنية » و « القائمة التقدمية » و « الجبهة الشعبية » .

ولعل أصدق تحذير بدر من جهة اسرائيلية ، هو ذلك الذى وجهه الصحفى ــ **دانى روبنشتاين** ــ منذ عام ٧١ عندما كانت المطالبة بادارة ذاتية صادرة من جانب الاهالى العرب بقصد تنحية القيادات الفلسطينية التقليدية واظهار قوى تقدمية شابة وثورية . يومها قال روبنشتاين فى تحذير « دافار ٢٧ ــ ١٠ ــ ٧١] : « ... قد تظهر صعوبات كبرى ، ومن هذه الناحة فان مسألة الانتخابـــات تعتبر حقل ألغام للحكم الاسرائيلى » . ■



فى عيـــد أول مايـــو
وكلمـــة يجـــب أن تقـــال

تحتفل الطبقة العاملة المصرية بعيد أول مايو هذا العام ـ ومصر تشهد ميلاد شكل جديد من اشكال حرية التعبير عن الرأى فى اطار سياسة تحالف قوى الشعب العامل .

ومع ميلاد هذا الشكل الجديد من اشكال حرية التعبير عن الراى ـ تطلعت الطبقة العاملة الى امكانية تحقيق وضع افضل للحركة النقابية المصرية . ولكن هذا التطلع المشروع ما زال يواجه صعابا وعقبات تحول بينه وبين أن يتحقق .

فأولا : ورغم ان الحركة النقابية العمالية لها وضعها الخاص ، بصفتها التنظيم الديمقراطى لجماهير العمال ـ التنظيم المنظم والموحد لجماهير العاملين على اختلاف آرائهم وعقائدهم وانتماءاتهم السياسية ، الا ان قطاعا كبيرا من القيادة النقابية الحالية ، وخاصة الشرائح والمستويات العليا ، سمحت لنفسها ان تتخذ قرارات علوية ، تعلن فيها انضمام عشرات الالوف من العمال النقابيين المنظمين فى النقابات الى هذا التنظيم او ذاك . ومثل هذا التصرف يتعارض مع ابسط مبادىء الديمقراطية النقابية ، والتى تفترض انه ليس من حق هذه القيادات التصرف فى ارادة الجماهير ، وكأنها تمتلكها .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان قرار الانضمام الى أى من التنظيمات السياسية هو قرار يصدر عن الارادة الحرة لكل فرد على حدة .. ولقد رفضت لجنة مستقبل العمل السياسى الاقتراحات الخاصة بالعضوية الجماعية للتنظيمات .

والشىء الخطير فى هذه المواقف ، هو أن الوسيلة التى اتخذت بها مثل هذه القرارات العلوية بالانضمام الى منبر معين ، جاءت وهى تحمل عبارات الارهاب الفكرى للاخرين ، واعتبار من يخرج عليها خارج على الوطن والوطنية والمصرية .. وحدث هذا فى نفس الوقت الذى قامت فيه التنظيمات الثلاثة من قلب التحالف وبارادته وتحت راية الوحدة الوطنية .

ان مثل هذه المواقف تهدد الى جانب الوحدة الوطنية ، وحدة الحركة النقابية .. هذه الوحدة المفترض فيها انها تنظم كل العاملين ، سواء كانت انتماءاتهم السياسية الى الوسط أو اليمين أو اليسار ، أو كانت مستقلة عن أى من هذه الاتجاهات الثلاثة .. ان الحركة النقابية يجب ان تحتفظ باستقلاليتها الكاملة فى اطار التحالف ، وحتى تتمكن من التعبير ديمقراطيا عن حركة الحياة اليومية للطبقة العاملة ، وحتى تتمكن من ممارسة دورها الطليعى فى معركة التحرير الوطنى ومعركة بناء الوطن ، والدفاع عن حقوق وظروف حياة العاملين .

ان لجنة نقابية على سبيل المثال ، جاءت دون انتخابات حقيقية ، تعلن فى برقية باسم رئيسها أو هيئة مكتبها ، انضمام ٢٨ الف عامل الى منبر معين ، تمارس عملا

غير ديمقراطى ؟ وتفترض انها تسوق هؤلاء الـ ٢٨ الف عامل وكأنهم قطيع يمتلكه راع .. ويا ليته كان راعيا منتخبا .

ومثال آخر : نقابة عامة تعلن انضمام عشرة آلاف عامل الى منبر معين ؟ ونسيت هذه النقابة العامة ، انها ليست الا لجنة اشراف حلت محل هيئة مكتب سابقة مقدمة للمحاكمة الجنائية ، وان العضو المشرف عليها من قبل الاتحاد العام للعمال قد اتخذت النقابة العامة التى يمثلها قرارا بسحبه من الاتحاد العام لتصرفات منسوبة اليه .

ان العمال المصريين وهم يحتفلون بعيد اول مايو ، يناشدون مثل هذه القيادات باسم القيم الديمقراطية ان يكفوا عن هذا العبث ، لمصلحة الحركة النقابية المصرية ؛ وحتى لمصلحة التنظيم او المنبر الذى يدعون له .

وثانيا : تأتى ذكرى أول مايو عام ١٩٧٦ وهناك أمل كان العمال يصبون الى تحقيقه ؛ وهو أمل كله مشروعية ، أمل تطبيق قانون النقابات العمالية الذى أقره مجلس الشعب فى النصف الاخير من مارس الماضى . ولقد حدد هذا القانون فترة شهرين لاجراء انتخابات جديدة للقيادات النقابية .

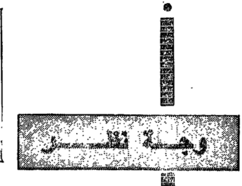
ان وضع القيادات النقابية الحالية تكثر الحديث عنه ، فهو وضع على الاقل فقد شرعيته منذ أكتوبر عام ١٩٧٥ ، هذا الى جانب أحكام صدرت من القضاء ، منها حكم بفرض الحراسة على الاتحاد العام ، كما أن عددا من النقابات العامة قررت سحب ممثليها من المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال .

والى جانب ذلك كله ، فان تقارير التفتيش على النقابات لا تدين فقط تصرفات بعض القيادات النقابية ، بل توجب رفع الدعاوى الجنائية ضدها . وهذه التصرفات ليست مجرد أخطاء حسابية أو مالية ، انما هى تمثل عدوانا على مال عام . وتشير هذه التقارير الى الكثير .. ومن بين هذه التقارير ما هو موجود تحت أيدى القيادات المسئولة فى البلاد .

ان التجربة الديمقراطية ، يجب ان تتحقق لها الممارسة الكاملة — وفى ظل سيادة القانون — لذلك يجب وان يأخذ قانون النقابات الجديد الذى اقره الشعب مكانه فى تجربة الممارسة الديمقراطية ، وان يعاد بناء الحركة النقابية العمالية بالديمقراطية وفى ظل سيادة القانون ، من أجل خلق منظمات نقابية قادرة على ممارسة دورها الوطنى فى التحرير وبناء الوطن وبناء الانسان .

فلتكن — احتفالات عمال مصر بعيد اول مايو ١٩٧٦ — هى بدء العمل على استعادة الجماهير للديمقراطية النقابية ، وحرية الجماهير فى انتخابات قادتها وممثليها . □

« الطليعـــة »



حلمى شعراوى ، سكرتير الجمعية الافريقية ، من الدارسين المتخصصين فى الشئون الافريقية ، وقد تابع تطورات الواقع الافريقى منذ أوائل الستينات من خلال عمله فى مكتب الشئون الافريقية برئاسة الجمهورية ، ومن خلال نشاط الجمعية الافريقية التى أسسها عدد من المثقفين المهتمين بالدراسات الافريقية .

وهو فى هذا المقال ، يطرح وجهة نظره الخاصة فى أربع قضايا افريقية حيوية : تجربة الاستقلال الوطنى والجامعة الافريقية وتطورات الاحداث فى الجنوب الافريقى واستراتيجية تحرره . وقد تقدم بوجهة نظره هذه ، الى المؤتمر الثانى لجمعية العلوم السياسية الافريقية التى انعقدت فى لاجوس [نيجيريا] فى شهر أبريل الماضى .

حركة التحرر الافريقية اليوم

بين الانفراج الدولى ومواجهة العنصرية

حلمى شعراوى

تشهد حركة التحرر الوطنية الافريقية اليوم ، تطورات هامة تتصاعد بها الى احدى قممها التاريخية . وتقتضى متابعةهذه التطورات ورصد نتائجها المحتملة ، معالجة القضايا التالية :

● استخلاص الملامح العامةللتجارب الافريقية فى الاستقلال ومضمونه الاجتماعى والمفاهيمالتى طرحها الواقع الافريقى من خلال هذه التجارب.

● الجامعةالافريقيةوالتحرر الوطنىالافريقى.

● دلالات ما يحدث فى الجنوب الافريقى والدروس التى تطرحها هذه الاحداث علىالموقف العام فى القارة ككل .

● بعض الملاحظات علىالإستراتيجيةالافريقية التى تجرى صياغتها وفقالهذه الاحداث وللظروف العالمية من حولها .

أولا : تجربة « الاستقلال الوطنى » :

مثلت تجربة الاستقلال السياسى فى افريقيا خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن كثيرا من الايجابيات ، وان كانت الانتصارات الحقيقية لحركة التحرر الوطنية ، بتصاعدالكفاح المسلح فى السبعينات ، هى التى جعلتالمحصلة الافريقية تقف مع نظيرتها الاسيوية وتتيح لنا ان نشهد الان من خلالهما تصفية شبه نهائية للاستعمار التقليدى وتوجه ضربات قاسية للامبريالية والاستعمار الجديد .

لقد ادت سيادة مفهوم الاستقلال السياسى فى الفترة الاولى الى سيطرة الزعامات البرجوازية الوطنية على « الحدث الافريقى » لبعض الوقت. وتقدمت تنظيمات سياسية وطنية لقيادة معظم تجارب الاستقلال بمضامين اجتماعية مختلفة او معادية لتيار التغيير الثورى فى المجتمعات الافريقية . وقد اتسق ذلكبالضرورة مع مخططات الاستعمار القديم والجديد لابقاء معظم النظم السياسية تدور فى دائرته القديمة، ووصل عدد الاتفاقيات العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية والفنية بين عدد كبير منالحكومات الافريقية ودولة المتروبوليتان الى ١٢ اتفاقية

لحظة اعلان الاستقلال « السياسى » ونتيجة لذلك بقيت الجماهير بعيدا عن السلطةواصبحت معظم قرارات التغيير تتم من منطلق براجماتى وبغير اطار ديمقراطى .

وقد تأخر نتيجة لذلك الاستقلال الاقتصادى للدول حديثةالاستقلال .وظلت الظروف الخارجيه للاقتصاد الوطنى فى يد المستعمر القديم او الجديد . وقد كانت القوى الاستعمارية تشكل الشروط الداخلية ايضا للاقتصاديات الوطنيه لتبقى فى سياق السوق الرأسمالية العالمية . ورغم تعدد محاولات الخروج مندائرة الكومنولث والمجموعة الفرنسية ، الا ان تجارب قليلة هى التى شكلت دفعا حقيقيا لحركة التحرر الوطنية الافريقية . وذلك عندما بدأ تلاحم خط التحرر الوطنى الشامل فيها بمضمون اجتماعى تقدمى او عندما فرض الكفاح المسلح ردودا فعاله الطبيعية لدى عدد من دول القارة .

كان من الظواهر ذات الدلالة فى الواقع الافريقى أن النظم العنصرية قد شكلت « مثيرا » ايجابيا دائما لحركة التحرر الوطنية الافريقية . ولقد ساعد تطور الفهم الافريقى والافريقى العربى للنظم العنصرية فى اداء هذا الدور التاريخى . فتطور فهم هذه النظم فى الجنوب الافريقى من مجرد نظام اجتماعى تقهر فيهاقلية بيضاء الاغلبية الافريقية ، الى مفهوم ان هذه النظم تمثل قواعد مسلحة ذات طابععدوانى تستخدمها القوى الامبريالية ضد شعوب القارة بدليل الدعم المستمر لها من قبل حلف الناتو . كما تطور فهم النظام الصهيونى العنصرىبالنسبة لشمال القارة من المفهوم الدينى او الاثنى ،الى كونه جزءا من المخطط الامبريالى تجاه المنطقة . وقد صاحب هذا التطور ان تفز واجب المواجهة مع هذه النظم ليتخذ الاولوية الاولىلدى مجموعة الدول الافريقية والعربية وهو ما ادى بدوره فى كثير من الاحيان الى الفهم الجزئى للظاهرة الامبريالية ، والاقتصار على مواجهة هذه النظم بالمقاطعة او بالعمل المضاد الذى لا يربط بين الرفض واهمية دعم الجبهة المعادية للامبريالية على مستوى القارة وخارجها . وبدأ تحالف جنوب افريقيا مثلا مع البرتغال او علاقات اسرائيل الوثيقة مع دول اعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية هى قضية الساعة فى كثير من الانشطة والتحركات لدول التحرر الافريقية والعربية .

ومثلما اثبتت بعض ظروف الاستقلالالسياسى اثر غياب المضمون الاجتماعى ودور الجماهير فى حماية الاستقلال ، اثبتت مواجهة النظمالعنصرية بدورها هذه الحقيقة لكثير من الدول الافريقية عندما كانت جنوب افريقيا او اسرائيل تلجأ الى العنف لردع تصاعد صور التضامن مع حركات تحرير المعادية لها .

وقد يكون من المفيد ايضا انىلاحظ تأثير بعض الشعارا تالتى ارتبطت بالاستقلال السياسىفى مواجهة المضمون الاجتماعى له . ان «الذاتية» او الخصوصية الافريقية مثلا قد رفضت قبول قضية « الصراع الاجتماعى » ،ذلك الرفض الذى جاء لصالح عدم التغيير فى جوهر العلاقات الاجتماعية القائمة على موروثات المرحلة الاستعمارية ، وبالمثل فقد رفضت قبول مبدأ الصراع الدولى على اساس اجتماعى لصالح الرغبة والمصلحة فى عدم تغيير العلاقات مع القوى الامبريالية . وعندما كانت القيادات ذات التوجه الاجتماعىتقع احيانا فىهذا الخلط ، فانها كانت تتعرض للصعوبات . الا ان الواقع الافريقى وقد استفاد منخبرة التعثر فىالستينات ومن انطلاقات الكفاح المسلح ونتائجهما ،اصبح يشهد فى السبعينيات اتجاهات راديكاليةحقيقية فى مناهج التوجه الاجتماعى ، وبالتالى فى الموقف الوطنى لدى عدد غير قليلمن دولالقارة . وان اعلان مناهج الاشتراكية العلمية او تبنيها فى حوالى عشرة دول افريقية حاليا ، لا يمكن ان يكون بدون تأثيراتايجابية بالنسبة لقضيةالتحرر الوطنى على مستوى القارة ، وهو مابدتبعض مظاهرها فى قضية انجولا كما سنرى بعد ..

ثانيا : التحرر الافريقى والجامعة الافريقية :

ليس بجديد القول ان تصاعد موجة الاستقلال الوطنى فى افريقيا ، قد صاحبه اطراد فىحركة الجامعة الافريقية ذات التاريخ الطويل . ولم يمض وقت طويل حتى تمايزت خلاله الوحدات المستقلة عن طبيعة « العقل الجمعى » الذىتمثله حركة الجامعة. من هنا يمكن ملاحظةالتأثيرات المتبادلة للمفاهيم السائدة على الصعيد «الوطنى» و « القارى » ، ورغم ان حركة الجامعة لهما تراث فكرى متقدم سابق على حركة الاستقلال، كما ان حركة الجامعة افرزت مضامين تقدمية من خلالالتجمعاتالجماهيرية الافريقية الوحدويةباكثر مما افرز الواقع الوطنى نفسه ، الا انه مع ذلك فان الجامعة الافريقية كادت ان تصير محصلة ميكانيكية لمجموع مواقف افرادها لولا الدور الديناميكى لبعض عناصرها الثورية التى احتفظت للحركة بوجهها المعبر عن تراثها القديم. هذه الملاحظة الاخيرة هى التى تفسر تقدم

المضامين الواردة فى معظم الوثائق الاساسية لمنظمة الوحدة الافريقية عن واقع المواقف التى يتخذها معظم اعضائها .

لقد تاثرت حركة الجامعة بهذا التاثير المتبادل فى عدة نقاط اساسية :

- مفهوم الوحدة الوطنية المثالى الذى ساد الدول حديثة الاستقلال .
- قصر العداء على الاستعمار التقليدى كعدو تاريخى .
- غياب البعد الاجتماعى للاستقلال الوطنى .

لقد ادى قبول الوحدة الوطنية بشكله المثالى ، الى رفض التمايز الثورى بين دول المنظمة . كما ادى قصر العداء على الاستعمار التقليدى ، الى غياب المعركة مع القوى الامبريالية العالمية والاكتفاء بالدور المحدود على المستوى الدولى . وادى غياب البعد الاجتماعى للاستقلال الوطنى ، الى رفض قبول مبدأ الصراع الدولى على اساس اجتماعى ، وبالتالى ضعف التحالف بين القوى الافريقية والقوى الاشتراكية والتقدمية فى العالم .

لعل الذين يذكرون ظروف قيام منظمة الوحدة على اساس تصفية التجمعين الاساسيين فى ذلك الوقت ، قد لاحظوا قبول « الدار البيضاء » للحد من المضمون الثورى « مقابل قبول منروفيا بدخول الجبهة المعادية للاستعمار . ولكن الواضح ان تصفية المضمون الثورى قد حد من القدرة على التحدى الجذرى للاستعمار والامبريالية على السواء ، وان كان انحسار النظام الاستعمارى بفضل عوامل كثيرة منها الكفاح المسلح الذى شنته بعض الشعوب المناضلة فى افريقيا ، وخارجها ، لم يكن بعيدا تماما عن « تطلعات » تجمع الوحدة الافريقية بوجه عام .

ولان دوائر الجامعة الافريقية لم تشأ طوال الستينات ان تدرك انه مادام الاستعمار والامبريالية ظواهر عالمية فانه من البديهى ان تصبح الجبهة المعادية له ذات طابع عالمى ايضا . فقد ظلت حركة الجامعة الى حد كبير بمعزل من حركة التضامن الافريقى الاسيوى وحركة تضامن القارات الثلاث ، بل ان مساهمتها الحقيقية فى حركة عدم الانحياز نفسها كادت أن تكون قاصرة على المساهمات الفردية فيها .

ان القارىء لمواثيق حركة الجامعة كلها لايفوته تجاهلها تماما على مدى عشر سنوات ٦٣/١٩٧٣ للموقف البالغ العنف فى فيتنام بين القوى الثورية والامبريالية ، بينما لم ينس هؤلاء القادة ان يناشدوا الولايات المتحدة فى اول اجتماع لمنظمة الوحدة ، تعديل سياستها تجاه « اخوانهم » الافروامريكيين .

ومن الملفت للنظر ان المنظمة عندما وضعت امام الاختيار فى اكثر من مرة ، كانت فيها السياسات الفردية اكثر تأثيرا من روح المسئولية الجماعية التى كانت تفرض نفسها احيانا . بدا ذلك فى قضية « الحوار » ثم « الانفراج » مع النظم العنصرية . كما بدت فى مجال التحرر الاقتصادى عند التفاوض مع السوق الاوروبية المشتركة . وفى الحالتين بدأت «الروح الجماعية» بغير ما انتهت اليه ضغوط السياسات الفردية .

فالبيانات والمناقشات العامة تكون « ثورية » بينما تنتهى النتائج التطبيقية باستمرار الحوار أو توقيع اتفاقية لومى .

ولعله من المفيد ان نلقى نظرة على تراث حركة الجامعة الافريقية وخاصة منذ اصبحت سياسات عامة للشعوب والدول الافريقية ، لنرى من خلالها ان الطرح الجماعى كان يعبر عن طموحات الشعوب من جهة كما كان نتيجة تراكم الاحساس بالمسئولية التاريخية من جهة اخرى على نحو ما تعبر عنه القوى الجماهيرية بوجه خاص [العمال — الشباب — النساء — المهنيين ..] خلافا لما تعبر عنه التجمعات الحكومية .

وفى هذا الاطار نستطيع ان نرصد الاتى :

■ ان تلاحما مبكرا قد نشأ بين المضمون الاجتماعى فى مواثيق الحركة وبين طابعها كحركة تحرر وطنى . ففى اجتماع مانشستر ١٩٤٥ كما فى اجتماع دار السلام ١٩٧٤ كان التأكيد على تمثيل الطبقات الكادحة فى السلطة التى يصلون اليها بالاستقلال ، كما عبروا صراحة عن استهداف شعوب افريقيا لتحقيق الاشتراكية وفقا لمبادئها العلمية . وهو ما تأكد فى وثائق المؤتمر الاول او ما اعلنه البيان العام للمؤتمر الاخير . ورغم محاولات عزل جورج باديمور لتأثير ديبوا فى هذا الصدد الا ان الاخير وكثير من النكروميين ظلوا مخلصين لهذه المبادىء حتى عبر عنها بعضهم عام ١٩٧٤ .

■ كان المضمون الاجتماعى مرتبطا طوال الوقت بتحديد طبيعة الوجود الامبريالى وكشف عناصر الاستعمار الجديد فى افريقيا . وليس مصادفة ان تكون مؤتمرات الشعوب الافريقية اكثر ادراكا لهذه الظواهر من وثائق المؤتمرات

الحكومية . وتعتبر وثيقة مؤتمر الشعوب الافريقية الثالث بالقاهرة ١٩٦١ من اخطر ما صدر فى هذا الصدد .

■ انفردت منظمة الوحدة الافريقية بجعل تأييد الكفاح المسلح احدى السياسات الدولية المقررة على المستوى القارى بل العالمى .وتعتبر صياغة اعلان مقديشيو عام ١٩٧١ باعتبار الكفاح المسلح اسلوبا وحيدا للنضال ،من الوثائق الدولية الهامة خاصة وان « لجنة تحرير المستعمرات» هى احد الاجهزة الرسمية للمنظمة، مما اعتبر ظاهرة جديدة فى «الدبلوماسية» الدولية . ومن المهم لنا ان ندرك ان الكفاح المسلح لم يكن مجرد عمل عسكرى بقدر ما كان فلسفة اجتماعية ايضا اقرتها حركة الجامعة الافريقية بالضرورة .

■ انعكس المضمون الاجتماعى للحركة ورؤيتها للعدو الامبريالى للقارة على صياغتها للتحالفات الدولية بالنسبة للجبهة المعادية للاستعمار والامبريالية . وكان ديبوا قد نبه فى رسالة لمؤتمر الشعوب الافريقية بأكرا عام ١٩٥٨ الى انه مادامت الرأسمالية هالكة لا محالة فانه لابد من تفهم الطابع المختلف للتعامل مع معسكر الاشتراكية .

وقد جاء اعلان اكرا الصادر عام ١٩٧٣ عن رؤساء منظمة الوحدة الافريقية مؤكدا حتمية العلاقة بين حركة التحرر الوطنى ومعسكر الاشتراكية .

كما ان اقرار البيان العام لمؤتمر الجامعة الافريقية فى دار السلام ١٩٧٤ بقبول الصراع الطبقى على المستوى الوطنى والعالمى يطرح أبعادا ثورية حتمية فى مضمون التحالف العالمى المعادى للامبريالية .

الا انه على الرغم من وضوح المفاهيم الاساسية على هذا النحو فى الوثائق الرئيسية، فان الحركة التاريخية العامة لم تمثل التزاما كاملا بهذه الروح « الوثائقية » او « الموثقة » . فعلى الساحة الافريقية الان عدة مفاهيم ، يجدر بعلماء السياسة الافريقية اعادة فحصها لنعيد معا تقييم اثارها على حركة التحرر الافريقية والتحرر الشامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا :

١ — فمقولة « العالم الثالث » مثلا بالشكل المبالغ فيه احيانا جديرة باعادة التقييم ، لانها فى اقل الاحتمالات اما ان تؤدى الى عزلتنا او الى كشف عدم وضوح رؤيتنا للعدو الامبريالى .

٢ — ومقولة « عالم من الاغنياء يقابله عالمنا .. عالم الفقراء » ، فضلا عن تجاهلها لقوانين الصراع الاجتماعى العالمى ،فانه يقف فى مواجهتها اليوم وجود الاغنياء فيما بيننا بحيث اصبح هناك ثمة عالم رابع ، فهل سيقوم الصراع فيما بيننا ايضا على اساس توفر هذه الثروات ام ان قوانين العدل الاجتماعى على المستوى الدولى هى التى يمكن ان تحكم الموقف فى مجمله .

٣ — مقولة «الجامعة الافريقية الثقافية» والتى تتخذ اسماء واشكال مختلفة ،بل وتمتد بين اليمين الافريقى ، كما تمتد الى اقصى اليسار الافريقى والافرو امريكى . وهى مقولة تتجاهل موقفنا من العنصرية . وتكتيك الاستعمار الجديد فى الاستفادة من مثل هذه الدعاوى اما يدفعنا الى التكلس من خلال « الزنوجه » او بالانفتاح على مشروعات الراسمالية السوداء الامريكية او انتشار « الجارفيه » الجديدة على يد بعض البرجوازيين الصغار من المثقفين الافروامريكيين .

ثالثا : دروس تطورات الجنوب الافريقى وأثرها فى استراتيجية المستقبل :

تضع تطورات الجنوب الافريقى الاخيرة معارك افريقيا مع الاستعمار والقوى الامبريالية ، فى احدى منعطفاتها التاريخية بحق . فالقرار الذى اتخذته هذه الشعوب بتصعيد كفاحها المسلح حتى تحصل على الاستقلال ، وحصول موزمبيق وانجولا عليه بالفعل نتيجة لهذا القرار ، وارتباط الحركة الوطنية فى ناميبيا به كحل بديل ونهائى لرخاوة الموقف الدولى ، كذلك جعل بقية شعوب القارة امام التزام محدد بعد سقوط الحل السياسى تماما فى هذه المنطقة .

وكان اهم ما يرتبط بذلك عند المراقبين ، هو ان الكفاح المسلح الذى يسقط الحل السلمى يرتبط بافضل تجارب العمل السياسى وسط الجماهير وتعبئة فئاتها المختلفة الى جانب الثورة . ان السيطرة الكاملة التى تحققها الفريليمو على ارضها فى موزمبيق والتحام مبلا مع جماهيرها فى انجولا اثناء المواجهة الشاملة للقوى الامبريالية والرجعية ، يؤكدان ان الكفاح ليس مجرد عمليا تعسكرية وانما هو مفهوم شامل للتغيير السياسى والاجتماعى فى المجتمع ..

لقد فرض هذا العمل السياسى الصيغ الصحيحة للتحالفات الوطنية ، فسقط المفهوم المثالى له بسقوط صيغة وحدة حركات التحرر فى انجولا وبرزت اهمية وحدة القوى الجماهيرية صاحبة المصلحة فى الثورة . وبدت سيطرة

اتحاد عمال انجولا على لوائدا مقدمة لسيطرة فلاحيها على كارمنيا وهوامبو .

ولعل شيئا قريبا من هذا هو ما تشير اليه احداث زمبابوى خاصة اذا ما توفرت شروط العمل السياسي الجماهيرى والمضمون الثورى للحركة المناضلة .

وكما سبق الاشارة فقد ارتبط مفهوم الوحدة الوطنية على المستوى الوطنى مع مفهومها على المستوى القارى ، وكما رأينا من سلبياته داخل حركة الجامعة الافريقية ومفاهيمها خلال الستينيات ، فقد انعكس أيضا على الموقف الافريقى من قضايا الجنوب حديثا وخاصة فى انجولا . وراحت بعض دول القارة تبرر موقفها اساسا بالمحافظة على الوحدة داخل المنظمة نتيجة وجود بعض قراراتها فى هذا الاتجاه أو تحدد موقفها من المنظمات الانجولية نفسها على هذا الاساس . وغاب عند الكثيرين ان الوحدة الوطنية جزء من جبهة العداء للاستعمار والامبريالية ولا يمكن ان تتخذ شكلا اخر والا وقعنا فى محظور تحويل الموقف التكتيكى الى هدف استراتيجى فيعطل ذلك التقدم كما كاد يحدث فى انجولا .

وكان من نتائج تطورات الموقف فى الجنوب كذلك تأكد الفهم الصحيح لطبيعة النظم العنصرية فى المنطقة . وهى انها لم تعد مجرد نظام اجتماعى وانما هى جزء لا يتجزأ من العدوان الامبريالى على القارة ممثلا فى الشركات متعددة الجنسيات والترسانة المسلحة التى تقيمها بتصاعد ملفت فى وقت تطرح فيه النظم العنصرية صياغات « الحوار » و « الانفراج » مع النظم الافريقية . بل اننا نجد انه منذ ذلك الحين على وجه الخصوص ارتفعت ميزانية التسليح لجنوب افريقيا مثلا .

لقد كاد البعض يفهم ان هذه النظم هى « مراكز صغيرة » فى محيط النظام الرأسمالى العالمى المتمركز خارج القارة وبالتالى يمكن مواجهة هذه المراكز الناشئة مباشرة ، وهى مواجهة ستكون جزئية بالضرورة . وكاد تطبيق هذا المفهوم يستقر فى تطورات التعامل مع فورستر سميث وغيرهما من العنصريين . الا أن الاحداث الاخيرة فى انجولا وزمبابوى وناميبيا اصبحت تشير الى ان هناك تناقضا واحدا اساسيا (وان وجدت تناقضات ثانوية حولها] هو التناقض مع الرأسمالية والامبريالية العالمية . ويجب أن تصاغ المواجهة بمختلف التكتيكات على هذا الاساس .

اننا ننسى احيانا ان تاثيرات دول « العالم الثالث » فى حجم السوق العالمى وقوانينه ، آخذة فى التناقض رغم الاعمال الدعائية التى تلح وكأنها تستخلص نتائج اخرى . والذى بات علينا ان نؤكده هو ان ذلك انما يرجع نسبيا الى طبيعة نظمنا الاجتماعية بقدر ما يرجع لطبيعة تزايد حركة تراكم رأس المال العالمى . وفى الوقت الذى نعلم فيه ان كل الظروف العالمية تساعد على الانحسار التدريجى لمعسكر الامبريالية والسوق الرأسمالية ، الا ان استمرار أوضاعنا الاقتصادية بهذا الشكل انما يشير الى خطر التراجعات على جانبنا نحن . وفى هذا الصدد فان تجربة موزمبيق وانجولا الثوريتين فى الجنوب الافريقى تشير الى آفاق جديدة فى المواجهة الافريقية الجامعة .

فهل تكون رياح « الجنوب » الثورية عاتية مثلما هى فى الجغرافيا ! لاشك ان المواجهة الثورية بين « الجنوب » و « الشمال » انطلاقا من تجربة الجنوب الافريقى على وجه الخصوص ، سوف تقرر شكلا يختلف عن اسلوب هذه الاجتماعات البروتوكولية فى باريس وبروكسل من اجل « شروط افضل » بين الجنوب والشمال .

وفى هذا الصدد يدخل التضامن الامى كحقيقة فرضت نفسها من خلال تجربة الجنوب الافريقى ، قد تختلف فى تقييم العلاقات داخل معسكر الاشتراكية وقد تكون ثمة خلافات بين بعض القوى الوطنية واطراف من المعسكر الاشتراكى ، ولكننا لا نستطيع الا ان نقرر حتمية التضامن بين معسكر التحرر الوطنى والاشتراكية والقوى التقدمية فى العالم لاستكمال مهام التحرر وتصفية الاستعمار القديم والجديد كصيغة تاريخية تأكدت حتميتها فى الاحداث الاخيرة بالجنوب الافريقى .

ومن ثم فان ما تطلع اليه الرواد الاصلاء للجامعة الافريقية ، وما عبرت عنه وثائق حركة الوحدة الافريقية من ١٩٤٥ الى ١٩٧٤ ، لم يكن شيئا مثاليا وانما كان رؤية موضوعية طموحة للواقع الافريقى والعالمى .

ولعل من اكثر النتائج التى يمكن للمراقب ان يستخلصها ايضا من التطورات الاخيرة فى الجنوب الافريقى ، ذلك التمايز الذى بات واضحا على مستوى القارة بين الاتجاه الثورى الذى رأى ان الوحدة الافريقية لابد ان تتحول الى مرحلة

الوحدة الثورية او الايمان مع القوى الثورية — على الاقل — بمبدأ الوحدة عن طريق التنوع . وعندما امتنع التيار المحافظ عن الاستجابة لهذه المقولة فاجأته الاحداث بسقوط صيغته هــو ، وانتصرت انجولا واصبح مقررا ان يعى الواقــع الافريقى درس الكونغو ليوبولدفيل « زائير حاليا» ونتائج الترددات التى احاطت به . وسوف يتأكد لنا مدى الوعى بهذه الحقائق عنـدما تعـــالج افريقيا قضية زمبابوى حالا .

رابعا : الاستراتيجية المطروحة لتحـــرير الجنـوب الافريقى :

ان الحقائق التى يتوصل الى تأكيدها الواقع فى الجنوب الافــريقى ، تعــرض عدة قواعد وملاحظات لواضعى استراتيجية تحرير هذا الجزء الحيوى من القارة ومن ذلك :

● ان موزمبيق وانجولا كنظم ثورية اصبحت « جهازا ديناميكيا » فى عملية التحــرر الوطنى التاريخية . ويمكنها الان ان تقـوم بتحقيـــق الشرعية القانونية الدولية التى عجــزت عن تحقيقها « الاجهزة » التقليدية ، وذلك بالنسـبة لزمبابوى التى هى مسئوليــة بريطانيــا ، أو نامبيبا التى توجد فيها سلطات جنوب افريقيــا وجودا غير شرعى . ويبدو ان دور موزمبيــق وانجولا بهذا الشكل سوف يجعل منظمة الوحدة الافريقية فى حاجة الى تغيير اسلوبها الذى توقف عند الصيغة التقليدية لعمل لجنــة تحــــرير المستعمرات التابعة لها .

ومن الملفت ان الذين ناقشوا بحدة وجود ابناء كوبا الى جوار المناضلين الانجــوليين اثنـــاء معركة التحرير الثانية فى انجولا ، لم يناقشوا أو يستخلصوا دلالات وجود بعض مناضلى موزمبيق والدول الافريقية الشقيقة الاخـرى فى هــذه المعركة .

قد يكون هذا التحليل هو واجب الثـــوريين الافريقيين من جهة وعلماء السياسة من جهـــة اخرى ، حتى يمكن اجراء دراسة موضوعيــة لصور الدعم الافريقى للثورة فى هذه المنطقــة بعد ما اثير حول صور الدعم الاخرى التى تمت فى انجولا ايضا وبعد رفض الرئيس نيتو مبدأ « المساعدة الجماعية » الافريقيــة لاســـباب موضوعية مفهومة .

● ان الاتجاه الثورى الذى فرض تضامنـــا واسعا على الساحة الافريقية الى جانب شعب انجولا اثناء معركة تحريره ليس مدعما تمـاما بقاعدة من النظم التقدمية ؛ بل انه ضم اطرافا من النظم الوطنية حركها الطموح نحو التقدم باكثر من معطيات . **لقد اكدت كل معارك التحـرير الاخيرة فى القارة انه لايمكن انجاز ثورة التحرر الوطنى الشاملة الا من خلال حركة وطنية ثورية . كما ان الجبهة الواسعة المعادية للامبرياليـــة لابد لها من قواعد ثابتة من النظم ذات التوجــه الثورى .**

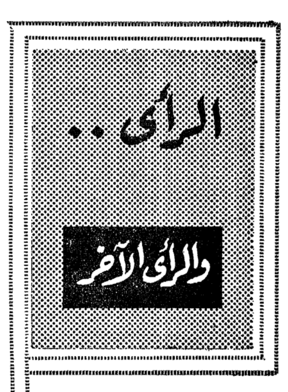
وفى هذا الصدد تواجهنا مشكلة الخــلافات الثانوية بين النظم ذات التوجه التقدمى ، والتى تعرقل التضامن بينها احيانا مثلما يعرقله الخلاف مع المحافظين ، وهو الامر الجدير بالنظــر فى المرحلة القادمة من استراتيجية التحرر .

وعندما تكون الخلافات بين النظم التقدميــة ذات طابع « وطنى » بحت فانه يمكن تجاوزهــا بالحوار وهو ما نتوقعه قبل ان تتحول الى خلافات فى الاتجاهات الاساسية لهذه النظم او منهاجها للتغيير الثورى . ولقد اصبحت المناقشة الان حول قضايا التنمية جزءا رئيسيا من المناقشة حــول قضايا التحرير .

● ان التماسك الذى تحقق فى منظمة الوحدة الافريقية على اثر معالجة قصبة انجولا لم يكن نتيجة جهد مكثف داخل المنظمة كقوة تحرر وطنى واضحة الاهداف ، بقدر ما كان نتاجا للانتصارات التاريخية التى حققتها الحركة الوطنية الثورية فى انجولا وفرضت نفسها على العالم الخارجى .

والان فان المعركة فى زمبابوى وناميبيا وداخل جنوب افريقيا ، سوف تكون اطول لان الظروف من حولها تزداد صعوبة . فاذا لم تؤكد منظمــة الوحدة وحركة الجامعة الافريقية شعبيا وحكوميا اتجاهها المعادى للامبريالية العالمية وادراكهــا للنظم العنصرية كاعلى مراحل الامبريالية والاستعمار الجديد ، وتضع استراتيجيتها الموحدة على هذا الاساس ، فقد تتعرض حركة الجامعة الافريقية والحركة الوطنية فى الجنوب لكثير من الصعاب .

ولكننا ونحن واثقين ان تراث الجامعة الافريقية كان دائما ذا طمــوح ثورى ، كمــا ان الحركة الوطنية فى الجنوب الافريقى قد انجزت خطوات عميقة وجذرية فى صيــاغة موقفهـــا وتحــديد عدوها واستراتيجيتها ، فاننا نتــوقع بالتالى ان يفرض هذا الواقع نفسه على ســـاحة العمل الافريقى والساحة الدولية على السواء . ■



فى هذا العدد ، تتسع صفحات « الرأى .. والرأى الاخر » لتضم وجهات نظر متعددة فى عدد من القضايا الهامة المطروحة : مفهوم تطبيق التشريعات الاسلامية فى اطار العصر الذى نعيشه وبشكل مبدئى يتمسك بالجوهر ، ثم قضية التنظيمات السياسية او المنابر ورؤية المواطن العادى وتصوراته لعلاقته بهذه المنابر ومدى استجابتها لتطلعاته وآماله . وكذلك السياسة الإقتصادية والمالية للحكومة . ومنها ايضا واقع العلاقات بين الفلاح المصرى ومؤسسات وأجهزة التعاونيات الزراعية فى الريف .

فى القضية الاولى ، يعرض الاستاذ الدكتور محمد أحمد خلف الله لوجهة نظره فى « دستور العودة الى التشريعات الاسلامية » . وبعدها ، يعرض محمد محمد الديب لاهم المشاكل الجماهيرية بمساكن التبين الشعبية . ومن الاسماعيلية يكتب « فلاح السبع آبار » عن المنبر الذى يريده والمطالب التى ينشرها ليضطلع المنبر بالعمل على تحقيقها . ثم يعرض هلال ابراهيم هلال ــ من خلال موقعه فى العمل اليومى بالجمعيات التعاونية الزراعية ــ لرؤيته لبعض أسباب القصور وكيفية مواجهتها . وبعدها تعرض وزارة المالية لوجهة نظرها مى المقال الدى كتبه الإستاذ عادل حسين حول السياسة الاقتصادية والمالية للحكومة . وبعدها تتسع ؟ صفحات الرأى والراى الاخر » لبعض من التعليقات والخطابات التى وصلتنا حول دراسات هموم المواطنين .



يعرض المفكر الاسلامى د. محمد احمد خلف الله فى مقاله هذا ، لوجهة نظره فى تفسير أصول المبادىء التشريعيـــة فى حياة العصر ومتغيراته ، مؤكدا على أن مصلحة الاسلام لا تتنافى مع الاجتهاد .

دســـتور العـــودة الى التشـــريعات الاســـلامية

د. محمد أحمد خلف الله

الدعوة الى العـــودة الى التشريعـــات الاسلامية تأخذ سبيلها الى الناس فى صيغتين مختلفتين جل الاختلاف

الصيغة الاولى : ـــ صيغة الدعـــوة الى تطبيق الاحـــكام الشرعيـــة فى حياتنـــا اليوميـــة ، وفى حياتنـــا العامة ، تطبيقـــا كليـــا على اســـاس أن التشريعـــات الاسلامية صالحة لكل زمان ولكل مكان من حيث انها أبدية خالدة ، وانها فى الوقت ذاته قد جربت فى بعض الممالك الاسلامية وان التجربة قد نجحت وأفادت الناس فائدة كبرى .

والصيغة الثانية : ـــ صيغة اعتبار مبـــادىء الشريعة الاسلامية أساسا هاما لكل مايصدر عنا من تشريعات حديثة ، واتخاذها فى الوقت ذاته أداة لتقويم هذه التشريعات .

ونحن نقف مع الصيغة الثانية وندعو اليهـــا بكل ما نملك من قوة .

وليس معنى هذا أنا نرفض الصيغـــة الاولى رفضا تاما ، وانما معناه انا معها بمقدار خمسين فى المائة فقط .

وموقفنا هذا يصـــدر عن اعتبـــارات نجملها للقارىء ، ونضعها تحـــت بصره وبصيرته ، على الوجه التالى : ـــ

أولا : الاعتبـــار الاول ما يســـجله التـــاريخ الاسلامى من أخبار تدل دلالة قاطعة فى أن بعض التشريعات التنظيمية التى عرفها اليونان والرومان ، وعرفها الفرس ، وعرفها الاشوريون والبابليون ، وعرفهـــا الفراعنة والاقبـــــاط ، قد دلفت الى التشريعات الاسلامية ولصقت بها الى الحد الذى يظن الناس معه ان هذه التشريعات ليست الا تشريعات اسلامية .

حـــدث ذلك فى النظم الادارية ، وفى النظم المالية ، وفى نظم اقامة العدل ورد المظالم الى أهلها .

فمن حيث النظم الادارية يذكر لنا المؤرخون المسلمون هذه الوقائع : ـــ

ورث العرب تلك النظم القديمة التى ترجـــع تقاليدها الى عصور اليونان والرومان والفرس والفراعنة ، واعتبروها تراث الانسانية كلها .

□□□□□□□□

وضرب الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه المثل العملي للافادة من تلك النظم القديمة فى سبيل بناء النظام الادارى للدولة الاسلامية الناشئة — ذلك ان ادارة الممتلكات الجديدة على عهده كانت تمثل مشكلة خطيرة امام السلطات الاسلامية .

لقد كانت تلك الممتلكات تضم بلاد ذات شعوب متباينة متعددة اللسان ، وكانت تلك الشعوب تخضع لانماط ادارية متباينة . فمصر والشام جرت ادارتها على النماذج البيزنطيه ، على حين سادت العراق وفارس التقاليد الفهلويه . فأبقى الخليفة عمر بن الخطاب على التنظيمات الادارية ، وعلى المؤسسات الادارية نفسها — حتى لا يضطرب سير الاعمال ، وللافادة من خبرة العمال بها .

ومن حيث النظم المالية يذكر المؤرخون لنا هذه الوقائع : —

اتضح على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، ان التنظيم المالى للدولة بات يتطلب تعريب ديوان الخراج فى كل ولاية باعتباره المؤسسة المالية المشرفة على الموارد وكافة الشئون المتعلقة بها . فكانت لغة دواوين الخراج فى الولايات هى نفس اللغة التى اتبعتها قبل الفتح الاسلامى .

كانت لغة ديوان الخراج فى العراق هى الفهلويه ، وفى الشام اليونانية ، وفى مصر اليونانية والقبطية . ولم يعد هذا الوضع يتفق مع اتساع سلطان الولاة العرب ، وتعدد موارد الدولة .

وصارت جميع دواوين الخراج فى الدولة الاسلامية تستخدم بعد التعريب لغة واحدة هى اللغة العربية ...

ومن حيث نظم اقامة العدل ورد المظالم الى اهلها يذكر المؤرخون المسلمون هذه الوقائع : —

ونظر المظالم هو قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة . فكان من شروط الناظر فيها ان يكون جليل القدر ، نافذ الامر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع — لانه يحتاج فى نظره الى سطوة الحماه وثبت القضاه فيحتاج الى الجمع بين صفات الفريقين ، وان يكون بجلالة القدر نافذ الامر فى الجهتين .

وقد كان ملوك الفرس يرون ذلك من قواعد الملك وقوانين العدل الذى لا يعم الصلاح الا بمراعاته ، ولا يتم التناصف الا بمباشرته .

وكانت قريش فى الجاهلية حين كثر فيهم الزعماء وانتشرت فيهم الرياسة ، وشاهدوا من التغالب والتجاذب ما لم يكفهم عنه سلطان قاهر ، عقدوا حلفا على رد المظالم وانصاف المظلوم من الظالم .

وكان اول من افرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر : عبد الملك ابن مروان .

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر فى المظالم فردها ، وراعى السنن العادلة واعادها ، ورد مظالم بنى امية على اهلها .

ولعل هذا الذى وقع من الخلفاء الراشدين وغير الراشدين هو الذى دفع علماء اصول الفقه الى القول بان : شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد فى شرعنا ما يغايره .

والظاهرة الجديرة بالتسجيل فى هذا المقام هى انه لا يمكن اعتبار هذه التشريعات التنظيمية من التشريعات الصالحة لكل زمان ومكان من حيث انها تشريعات من وضع البشر .

ان الصلاحية لكل زمان ومكان لا يمكن ان تقال الا بصدد التشريعات الواردة فى القرآن من حيث انها من وضع الله الذى يعلم غيب السموات والارض ، والذى يمتد علمه الى ما لا نهاية له من المستقبل ، وتقتضى حكمته تشريع ما يصلح للبشرية فى حالها ومستقبلها والى ان تتبدل الارض غير الارض والسماء غير السماء .

نحن فى حل من استبدل النظم السابقة بغيرها من النظم مادامت النظم الجديدة مما لا يتعارض مع المبادىء الاسلامية التى جاء بها القرآن — والا كنا ممن يقدس نظم الفراعنة ، ونظم الفرس ونظم اليونان والرومان .

● ● ●

ثانيا : — والاعتبار الثانى ما يذكره علماء الشريعة الاسلامية انفسهم من أن هناك احكاما شرعية ليس مصدرها النص وانما مصدرها الاجماع .

ان التشريعات التى مصدرها الاجماع لا يمكن ان تكون ابدية خالدة ، ولا يمكن ان تكون صالحة لكل زمان ولكل مكان .

وما نذهب اليه من قول هو الذى تؤيده الوقائع الاسلامية والقيم الثقافية الدينية .

ولنأخذ من أقوال علماء الدين الاسلامى فى الخلافة واختيار الخليفة الدليل على صحة ما نقول .

فمن حيث الخلافة نراهم يدرسون القضية على اساس من الحوار حول لزوم الخلافة للناس ، وحول هذا اللزوم وهل هو عقلى أو شرعى ، وحول الشرعية نفسها وهل هى باعتبار النص او الوظيفة .

وهذا هو ما يقوله العلماء فى هذه القضية :ـ

الامامة موضوعة لخلافة النبوه فى حراسة الدين وسياسة الدنيا .

وعقدها لمن يقوم بها فى الامة واجب بالاجماع ـ وان شذ عنهم الاصم .

واختلف فى وجوبها : هل وجبت بالعقل أو بالشرع ؟

فقالت طائفة وجبت بالعقل ـ لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم فى التنازع والتخاصم ـ ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين وهمجا مضاعفين .

وقالت طائفة اخرى : بل وجبت بالشرع دون العقل ـ لان الامام يقوم بأمور شرعية قد كان مجوزا فى العقل ان لا يرد التعبد بهما فلم يكن العقل موجبا لها . وانما أوجب العقل ان يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن التظالم والتقاطع، ويأخذ بمقتضى العدل فى التناصف والتواصل فيتدبر بعقله لا بعقل غيره ، ولكن جاء الشرع بتفويض الامور الى وليه فى الدين .

فاذا ثبت وجوب الامامة ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم .

فاذا قام بها من هو من أهلها سقط فرضها عن الكفاية .

وان لم يقمبها احد خرج من الناس فريقان :ـ

احدهما : ـ اهل الاختيار حتى يختاروا اماما للامة .

والثانى : ـ اهل الامامة حتى ينتصب أحدهم للامامة .

وليس من عدا هذين الفريقين من الامة فى تأخير الامامة حرج ولا مأثم .

هذا ما قالوه فى شأن الخلافة نفسها . اما ما قالوه فى الكيفية التى تنعقد بها الخلافة فقد جاء كما يلى : ـ

قالت طائفة : لا تنعقد الا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضاء به عاما ، والتسليم لامامته اجماعا .

وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبى بكر رضى الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها ، ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب .

وقالت طائفة اخرى : أقل من تنعقد به الامامة خمسة يجتمعون على عقدها ، او يعقدها احدهم برضى الاربعة .

وهذا قول اكثر الفقهاء والمتكلمين من اهل البصرة .

وقال آخرون من علماء الكوفة : تنعقد بثلاثة يتولاها احدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكما وشاهدين ،كما يصح عقد النكاح بولى وشاهدين .

وقالت طائفة اخرى : تنعقد بواحد لان العباس قال لعلى رضوان الله عنهما : امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان ـ ولانه حكم وحكم الواحد نافذ .

وهكذا نرى مسألة الخلافة او مسألة رسالة الدولة ـ وهى مسألة من المسائل الدستورية الهامة ـ ليست محل اتفاق من علماء السياسة الشرعية ، بل لم تكن محل اتفاق من الصحابة عند اختيارهم لخليفة المسلمين .

لقد جاء كل واحد من الخلفاء الراشدين بطريقة غير التى جاء بها غيره حتى ليمكن اعتبارها طريقة خاصة .

وكانت الظروف التى تحيط بالامة الاسلامية يومذاك وما كان فيها من صراع حول السلطة هو الذى يملى هذه الطريقة الخاصة على جماعة المسلمين عند اختيار الخليفة .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن هذا الصراع وما أدى اليه من فتنة كبرى لا تزال آثارها باقية حتى اليوم ، وانما نحن بصدد تسجيل هذه الظاهرة الدينية : ـ

ان كل ما دار حول الخليفة والخلافة من حوار انما يستمد مقوماته من الفكر البشرى ـ اى انه من وضع البشر وليس من وضع الله .

وهذا يعنى ان النظام السياسى الاسلامى ليس ابديا ولا خالدا ، وانه ليس يصلح لكل زمان وكل مكان .

□□□□□□□□

ان النظم الدستورية الحديثة وما فيهـــا من نصوص حول اختيار رئيس الدولة اصلح لزماننا وللجماعة الاسلامية المعاصرة من تلك النصوص التى قال بها الاقدمون من علماء المسلمين .

وكيف يصح اختيار رئيس الدولة باختيار واحد، او ثلاثة او خمسة ، من اهل الحل والعقد .

ثالثا : — والاعتبار الثالث هو ان الدعوة الى العودة الى التشريعات الاسلامية القديمة والى المذاهب الفقهية المشهورة انما تنصب فى الحقيقة على المعاملات — لان المعتقدات والعبادات لاتزال تمارس كما كانت تمارس من قبل من غير خروج عنها ، ومن غير تغيير او تبديل فيها .

ان الاصل فى المعتقدات والعبادات هو النص، والنص ليس غير . ومن هنا لم تكن فى حاجة الى دعوة جديدة تدعونا الى العمل على اساس من القـــديم — اى على ما جاء به التنزيل مـــن لدن حكيم عليم .

ان الدعوة الجديدة انما تنصب على المعاملات من حيث انها التى خرج الناس فيها عن القديم . وانصباب الدعوة على المعـــاملات يجعلنـــا فى حل من القول بأن الاصل فى الكثرة الكاثرة منها هو الاجتهاد ، وفى القلة القليلة هو النص .

وهذا عندنا انما يعنى انها فى الاعم الاغلب من وضع البشر ، وانها لهذا السبب لاتكون ابدية خالدة ، ويعتورها التغيير والتبديل .

وهذا القول لا نقوله من عند انفسنا فقد قال به من قبل مفكرون مسلمون لا يرقى الشك الى تدينهم .

يقول السيد محمد رشيد رضا : ان الاحكام المنزلة من الله تعالى منها : —

[أ] ما يتعلق بالدين نفسه كاحكام العبادات وما فى معناها ، كالنكاح والطلاق ...

وهذه لا تحل مخالفتها .

[ب] ومنها ما يتعلق بأمر الدنيا كالعقوبات ، والحدود ، والمعاملات المدنية ...

والمنزل من الله تعالى فى هذه قليل .
واكثرها موكول الى الاجتهاد . » .

ويقول مرة اخرى : ان الله تعالى جعل الاسلام صراطه المستقيم لتكميل البشر فى أمورهم الروحية والجسدية — ليكون وسيلة للسـعادة الدنيوية والاخروية .

ولما كانت الامور الروحية التى تنـال بهـا سعادة الاخرة من العقائد والمعتقدات لا تختلف باختلاف الزمان والمكان اتمها الله اصولا وفروعا .

وقد احاطت بها النصوص . فليس لبشر بعد الرســـول ان يزيد فيهـــا ، ولا ان ينقص منهـــا شـــيئا .

واما الامور الدنيوية من قضائية وسياسية فلما كانت تختلف باختلاف الازمنة والامكنة ، بين القرآن اهم اصولها ، وما مست اليه الحاجة فى عصر التنزيل من فروعها » .

وقال بصدد الموازنة بين الاســلام من جانب واليهودية والمسيحية من الجانب الاخر ما يلى : —

اما الاسلامية فهى القائمة على اساس العقل والاستقلال ، المحققة لمعنى الانسانية بالجمع بين مصالح الروح والجسد .

انها مبنية على اساس الاستقلال البشرى اللائق بسن الرشد ، وطور ارتقاء العقل — ولذلك كانت الاحكام الدنيوية فى كتابها قليلة ، وفرض فيهـا الاجتهاد .

ان الراشد يفوض اليه أمر نفسه فلا يقيـد الا بما يمكن ان يعقله من الاصول القطعية ، ومن مقومات امته الملية التى لاتختلف باختلاف الزمان والمكان » .

اما السيد محمد اقبال فيأتى بقول فصل حين يقول : —

وعلماء الاسلام فيما اعلم يقولون بتقليد مذاهب الفقه المشهورة ...

ولكن بما ان الاحوال قد تغيرت ، والعـــالم الاسلامى يتاثر اليوم بما يواجه من قوى جديدة أطلقها من عقالها تطور الفكر الانسانى تطـورا عظيما فى جميع مناحيه ، فانى لا أرى موجبـا لاستمرار التمسك بهذا الرأى .

وهل ادعى اصحـــاب مذاهبنـــا الفقهيـة ان تفسيرهم للامور واستنباطهم للاحكام ، هو آخر كلمة تقال فيها ؟

انهم لم يزعموا هذا أبدا .

والرأى عندى ، هو ان ما ينادى به الجيـل الحاضر من احرار الفكر فى الاسلام من : تفسير اصول المبادىء التشريعية تفسيرا جديدا على ضوء تجاربهم ، وعلى هدى ما تغلب من حيـاة العصر من احوال متغايرة ، هو رأى له ما يسوغه كل التسويغ » .

ان هذه النصوص جميعها تنتهى عند نتيجة واحدة هى انمصلحة الاسلام فىالاجتهاد وتحديد الدين فى ميدان المعاملات ، وليست ابدا تطبيق المذاهب المشهورة والتشريعات القديمة .

ان الاحكام تتغير بتغير الازمان والاحوال .

• • •

رابعا : ــ والاعتبار الرابع أن علماء الشريعة الاسلامية على ايامنا هذه غير قادرين ابدا على تلبية المتطلبات التشريعية لحياتنا الحاضرة .

لقد اتت الحضارة العلمية بجديد فى كلميادين الحياة ، وتتطلب هذا الجديد من التشريعات ما دعانا الى انستعير هذه التشريعات منغيرنا ممن هم اقدر منا على وضعها .

فعلنا ذلك فى قوانين التأمينات والمعاشات ، وفي قوانين العمالة ، وفى قوانين الاسكان ،وفى التشريعات الصناعية ، وفى قوانين البحار والاجواء والفضاء ، وفى كل ما يتعلق بالذرة والتفجيرات النووية تحت سطحالماء وفىالهواء.

استعرنا الكثير مما لم يكن للاقدمين به عهد .

واستعرناه لانه يحقق الصالح العام عندنا .

وليس من بأس علينا فى ذلك مادمنا نقول قولا شبيها بما قاله علماء الاصول من قبل .

انا نقول : شرع المتقدمين عنا حضاريا شرع لنا ما لم يرد فى مبادئنا التشريعية ما يغايره أو يناقضه .

يجب أنتكون المصلحة العامة لجماعةالمسلمين اساسا فى قبول التشريعات المستعارةاو رفضها ــ كما هى اساس فى وضع التشريعات الاسلامية .

والتشريع الذى يحقق مصلحة المسلمين ، ولا يتعارض مع النص ، هو تشريع اسلامى .

والله الموفق الى الصواب . □

بيان بأهم مشاكل الجماهير بمساكن التبين الشعبية

محمد محمد الديب *

وصلت الى « الرأى .. والرأى الآخر » كثير من الرسائل التى تتناول المشاكل الجماهيرية فى منطقة التبين. ومن هذه الرسائل ، رسالة حول مشكلة الاسكان يعبر فيها محمد محمد الديب عن وجهة نظره باعتباره أحد سكان المنطقة والعاملين فيها

اولا ــ الاسكان : ــ

١ ــ تواجه المساكن [مشروع شركة الشمال العامة للمقاولات سابقا] ٢٠٣٠ وحدة ــ مشكلة عدم وجود صيانة نظرا لانها منذ الانشاء فى ٦٧ وقد تركتها الشركة المنفذة بعيوب فنية خطيرةومنذ نقل المنطقة اداريا الى محافظة القاهرةفى ١٩٦٩ ولم يقم مجلس حى حلوان ومحافظة القاهرة بحسم هذه القضية بالرغم من نشر الصحافة والمجلات السياسية لقصة هذه المساكن ومعاناة الجماهير العمالية .. ولكن ومنذ سبعة اعوام والبيروقراطية تحول دون الوصول الى الاصلاح الشامل لهذه المساكن . ومطلوب اليوم اصلاحا شاملا ورصفها وتشجيرها .

---

* أمين وحدة بمساكن التبين الشعبية.

□□□□□□□□

٢ — تتعرض اسر العمال شاغلى اسكان ٢٠٣٠ وحدة والتابعة لمحافظة القاهرة للطرد من جانب الشركات ومنها الحديد والصلب بسبب نقل العامل الى عمل آخر فتقوم الشركة بطرد الاسرة بحجة ان اللائحة لديها تقضى بذلك وعليه يطالب العمال فى هذه الحالة بنقل العقد وجعله بين العامل والمحافظة مباشرة وتطالب برفع يد الشركات من عملية العقود حتى لا تتعرض أسرة العامل للطرد ومطالبتها بصورة من العقد .

٣ — قامت شركة الحديد والصلب ببناء اكثر من ٢٠٠٠ وحدةسكنيةواكثر من ٨٠ دكانوجمعية استهلاكية وقد شغلت العمال هذه الوحدات السكنية بايجارات ٠٠ر٤ للحجرتين و٣ جنيه للحجرة وصالة — وتتضرر الجماهير العمالية من ارتفاع الايجار وتطالب بتطبيق قرار وزير الصناعة بجعل الحجرة بجنيه واحد فى المناطق الصناعية وهذا من سلطة مجلس ادارة شركة الحديد والصلب كذلك تشغيل الجمعية والدكاكين .

٤ — يتعرض بعض افراد الخدمات بالاجهزة التنفيذية والذين ينقلون بسبب العمل بالمنطقة وعلى سبيل المثال المدرسين وخلافه لعدم توفير السكن ويظلون فى متاهات بين الشركات [الحديد والصلب] التى لا توفر مسكن سوى للعامل كما تقضى لائحتها بذلك — وهناك الاسكان التابع للمحافظة — مجلس حى حلوان وهو الجهة المسئولة عنتوفير مساكنلهؤلاء الافرادواسرهم.

٥ — تواجه المساكن مشكلة انقطاع التيار الكهربائى المستمر للاسكان القديم والجديد — كذلك الاهمال الواضح فى انارة جميع الشوارع للاسكان القديم والجديد .

ثانيا — التموين : —

١ — تواجه المساكن اختناقا ملحوظا فى المقررات التموينية حيث لا يوجد سوى جمعيسة فقط لا تسد احتياجات المواطنين ويتردد على هذه الجمعية حوالى ٢٠ الف نسمة .وهناك اكثر من ٨٠ دكان متنوع وجمعية تابعين للحديد والصلب الا أن ادارة الشركة لم تنه عملية التشغيل رغم أن مجلس الادارة أصدر قرارا بذلك الا ان الاجراءات البيروقراطية تحول دون الوصول الى تشغيل هذه الدكاكين والجمعية .

٢ — لابد من البدء فورا فى امداد البقالين بالمنطقة بجميع المواد التموينية للمساهمة من جانبهم فى حل الازمة .

٣ — البدء فورا فى تنظيم سوق الاسكان الشعبى والاشراف عليه تنفيذيا وشعبيا .

٤ — تشديد حملات الرقابة المفاجئة وتحديد جميع عناصر المنحرفين من السوق السوداء .

٥ — انشاء جمعية للاسماك مستقلة .

ثالثا — الصحة :

١ — يوجد وحدة صحية بالمنطقة وتواجه هذه الوحدة نقصا فى كمية الدواء حيث تعتبر هذه الوحدة ضمن الوحدات الريفية — الا انه لميتولى المسئولون عن قطاع الصحة بحلوان تنظيم العمل بهذه الوحدة سواء بالنسبة للعمالة او الدواء .. خاصة بعد كشف عملية الاختلاسات الاخيرة والذى كان يتحتم معه تنظيم العملبواسطة تدعيم الوحدة بالاطباء والدواء والعمالة وتشغيلالوحدة لمدة ٢٤ ساعة متواصلة الا انه حدث العكس .. وقد انتشرت الامراض وعلى سبيل المثال مرض الجربوهناك امراض أخرى كثيرة انتشرتويقوم الطبيب الحالى بتحويل الحالات الى مستشفى حلوان بحجة ان الوحدة غير مدعمة بالدواء .. كذلك هناك بهذه الوحدة آلات مستحدثة لم تستغل وبدأت الادوية تشطب من « الطلبية » فى الاولة الاخيرة .

٢ — نطالبتشكيل لجنةطبية على مستوىعالى لدراسة وتحديد جميع الامراض المنتشرة بهذه المنطقة واثرها على العمال ، خاصة ان هذه المنطقة من المناطق الصناعية وهذا الموقع من المواقع السكنية الصناعية . وعمل خطة لمواجهة ذلك على المستوى المركزى .

رابعا — النقل : —

تواجه المنطقة اختناقا ملحوظا نتيجة الزيادة لعدد السكان وما تتعرض له فى المواصلات بين المنطقة والقاهرة — حلوان . لذلك لابد من الدخول فورا فى الحلول الاتية : —

١ — تشغيل خط الصلب — القاهرة .

٢ — تعديلتعريفةالاجرة بما يتمشى معمحافظة القاهرة لجميع الخطوط .

٣ — انشاء محطةركوبسكة حديد علىكوبرى المراريق لاستخدام قطار حلوان — الجيزة — القاهرة وتعديل المواعيد وزيادة العربات . وتدعيمه .

٤ — استخدام الاتوبيس النهرى بين التبين والقاهرة .

خامسا — المواصلات السلكية واللاسلكية والبريد

١ — انشئ مكتب بريد اعتبارا من يوليو ٧٥ بوكيل مكتب غير مدعم بالامكانيات ومطلوب تدعيمه : — بتليفون وكابينه تضاف اسوة بمكتب بريد وادى حوف ومستشفى القوات المسلحة .
٢ — انشاء سنترال .

سادسا — الشباب ومراكز الثقافة والاعلام:

١ — يعانى جميع الشباب من عدم وجود ساحات شعبية وملاعب ومركز شباب يوجه طاقاتهم وقد كان هناك مركز عام ١٩٧٠ واغلق.
٢ — البدء فورا فى انشاء مركز ثقافى تتولى الاشراف عليه وزارة الثقافة لنشر الوعى الثقافى — الادبى والسياسى والعلمى لجماهير العمال .
٣ — البدء فورا فى انشاء حدائق لاسر العمال ولا سيما على مياه النيل .
٤ — لا يصل للمنطقة سوى الجرائد اليومية الثلاث فقط لذلك نرجو ان تتولى مؤسسة جريدة الاهرام او اى جهة مسئولة عملية انشاء كشك بالاسكان وتوريد جميع الصحف والمجلات والكتب السياسية والادبية والعلمية والتى يتم توزيعها على مستوى الدولة — بهدف نشر الوعى الثقافى والاعلامى بين صفوف العمال ، ورفع المستوى.

سابعا — العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الاجهزة التنفيذية بقطاع التبين : —

نظرا لعدم تنسيق وتنظيم العلاقات بين الاتحاد الاشتراكة وبين الاجهزة المحلية والتنفيذية — الامر الذى يخلق معه بعض المشاكل من الجانبين وحيث ان المصلحة العليا للمواطنين لقطاع التبين ككل يستلزم معه البدء فورا فى عملية ربط وتضامن لجميع الاجهزة سواء المحلية او التنفيذية او السياسية .. وهناك اقتراح بعقد اجتماع مشترك يضم القيادات السياسية والتنفيذية لجميع الاجهزة بهذا القطاع شهريا لوضع الاسس الثابتة للعلاقات بينهم وكيفية وضع الحلول للمشاكل الجماهيرية وحسمها باسلوب واقعى.

المنــــبر الــــذى أريـــده

متــولى حسين الجندى *

متولى حسين الجندى ، فلاح من السبع آبار بالاسماعيلية. وهو فى هذا المقال يكتب عن طبيعة المنبر الذى يعتقد بانه يعبر عنه ، وما هى مطالبه من هذا المنبر وما يقترحه عليه لكى يعمل من أجل تحقيقه .

باسم الحق .. وباسم الشعب الخالد .. فوق كل الرغبات ..

اقدم طلبى هذا للانضمام الى منبر يعبر عن مشاعرى البسيطة وهى :

أولا : أنا لا أؤمن بأى كلام يقال عن الديمقراطية فى ظل امرين .

١ — **الامية :** بشقيها . الكتابية ، والفكرية . لان المواطن الذى يحمل قطعة من الحديد عليها اسمه . هو مريض بالجهل وفى حاجة للعلاج اولا حتى يستطيع إن ينتج جزءا من فكر حر أيا كان اتجاه هذا الفكر ، ومهما يقال من كلام رنان . فالواقع أصدق من كل الارقام ، ومن كل أنابيب الاختبار ، حتى اذا كان التقدم العلمى الامريكى قد اكتشف مجاليل تعالج الامية بغير القراءة والكتابة .

أما عن الامية الفكرية . فأساسها النشاة الذاتية للمواطن المصرى والعربى .. والتقوقع داخل « الانا » والاهتمام بالذات . حتى ولو اضناه

* السبع آبار شرقية — عزبة أبو عساكر — الاسماعيلية .

□□□□□□□□

الواحد منا سراجه من دم الاخرين . وتلك هى مأساتنا من مئات السنين . ولقد راح الاستعمار يغذيها ويرعاها من عهد الهكسوس – حتى عهد كيسنجر . والا فماذا يعنى تخلف العرب . مع انهم أكثر قوميات العالم مالا بفضل البترول ، تلك الثروة التى لا بقاء لها الى الابد ، ومنهم من يدرك ذلك ، ولكن الفكر الذاتى هو الذى يدفعنا لكى نرى بعيوننا نحن . وليس بعيون العلم ولا حتى بعقل التاريخ . ان مثقفينا واقصد المتعلمين الرسميين عندما يتخرجون من الجامعات . لا يكون لهم من مطلب غير مواجهة الحياة والحصول على جزء من الغنيمة بقدر المستطاع ، ناسين عرق الفلاح الامى الذى ينفق على الجامعات ، وناسين مرض العامل بالضعف الذى يوفر لهم مطالب الحياة وهو محروم منها . كالذى يبنى العمارة ولا يعرف لمن يبنيها .. وينام هو فى الطريق – ناسين دم الجندى الذى راح وترك خلفه ارمله واطفالا وقد لا يكون هناك ما يكفيهم قوت اليوم . واقول الجندى ابن الفلاح والعامل واذا كان لهم بعض العذر .. تحت وطاة الحياة وصراع القوت الرهيب ، فليس لهم العذر فى الانفصال الفكرى عن هذه الجماهير ...

٢ – الامر الثانى هو الفقر .. ولا أحب أولا أن يقول البعض هناك ارقام الدخل والميزانية وما الى ذلك – فأنا أتكلم وفق الواقع .

وهناك الحالات التى ذكرتها مجلة الطليعة لبعض المواطنين ومنهم عبد التواب – وأم محمد . وفيها ترى الفقر المادى والفكرى – ولدينا من هذه النوعيات ما لا يقل عن نصف المجتمع . فى القرى وفى المدن . ليس لديهم وقت لاى فكر والا طحنهم قطار الفقر الذى يسعى بالوقود الذى خلفهم . فى كل مكان .. والغريب انه رقابة لعرق هؤلاء الكادحين تبنى العمارات بالملايين ويدفع الاف الجنيهات كخلو رجل فى محلات لا تزيد عن امتار . لتعرض فيها الملابس المستوردة وغيرها . أمام فتيات المجتمع الفقيرات . لتكون هذه المحلات أشبه بقطعة من الجبن توضع لاحد الفئران داخل المصيدة والحوادث خيردليل . ثم ماذا يعنى أن يدفع المواطن نصف مرتبه للسكن ؟ وهل هذا المستوى من الدخل يمكن أن ينتج المواطن الشريف أو حتى شبه الحر ؟ ان الحرية ليست حرية الكلام والصراخ ، والتجمع فى ميدان او كتابة مقال ولو كانت هذا لكان من الافضل تسريح كل جيوش العالم . ولكن الحرية هى حرية القوت ، وحق الحياة ، متوازيا مع حريه الفكر لا القوت وفق على البسيط . شقان بغيرهما لا يكون قوتا ، وهما : قوت البطن والعقل – بالاول فقط ينزل الانسان لادنى مستوى الكائن الحى ، وبالثانى فقط يكون فى مستوى الملائكة . ولكن بما أنه انسان فالمطلوب منه أن يوازن بين الامرين معا ، وهذا واجب المتعلم بنوع خاص .

بعد هذه الملحوظات البسيطة اطلب الانضمام الى منبر يجد حلا لهذه المشاكل .

أولا : أن يكون الكتاب كرغيف الخبز معانا من الدولة لان شعبا لا يجد قوت العقل هو ترس فى آلة الحضاره عندما يتلاشى لا يشعر به التاريخ .. وشعبنا بكل اسف يعيش الان هذا الواقع .. بصرف النظر عن اى ارقام ..

ثانيا : أن يكون الصوت الاعلى للافعال لا للاقوال .. بمعنى اننا عندما نتكلم عن الضمان الاجتماعى فلابد ان يكون واقعا يعيش منه المواطن وليس مجرد خبر يعيش منه صاحب جريدة . والا فماذا يعنى ان يكون للفرد جنيهين فى الضمان؟ وماذا يعنى أن يكون رب الاسرة المشلول الذى يعول سبعه أطفال ، بنات لا يستحق الضمان لانه يكسب فى اليوم ٢٠ عشرون قرشا كحالة المواطن احمد على وهبة بائع الجرائد امام مقابر الاسماعيليه . وصاحب سركى الاعاشة رقم ١٤٣ الاسماعيلية والذى قرر له القومسيون بنسبة العجز ٩٩ فى المائة كلى » فهل هذا يتفق مع العدل ، واى عدل هذا ؟ ان الشيطان يستحى منه .

ثالثا : ان يكون التعليم مجانيا بالمعنى الصحيح لا الواقع غير ذلك ولو أجرينا بحثا ميدانيا عن الطلاب الذين يسيرون بالدروس الخصوصية من الابتدائى حتى الجامعات ، لادركنا أن مجانية التعليم تختل وتتعرض للخطر .

والغريب ان المعلمين الذين تخرجوا من الجامعات يعيشون فى أحلام الامية الاجتماعية بهؤلاء الناس ، يندفعون فى تيار الذاتية . ولو استمر هذا الفكر ربع قرن آخر ، فسنكون خير حقل تجارب عن الردة الجماعية للظلام الفكرى لشعب بأكمله ..

رابعا : اريد منبرا يوفر المسكن للعامل البسيط بنسبة من مرتبه لا تزيد على ١٠ فى المائةمثلا،لمن يكون راتبه أقل من ثلاثين جنيها و ١٢ فى المائة حتى اربعين ١٥ فى المائة حتى ٥٠جنيهاو٢٠فى المائه حتى ٦٠ جنيها و ٣٠ فى المائة حتى ٧٠ جنيها وهكذا حتى يكون هناك عدل فى حق الحياة ، لا أن يكون المسكن أشبه بالحلم ولا ينال بغير الدم ، سواء كان دم الانسان جسدا ام عرضا وكرامة .

خامسا : ان يكون هناك قانون بالاعدام لكل مختلس او مرتشى . أو عميل لدولة اخرى بعد أن يحاكم امام الجماهير مهما كان مركزه ... مع ضمان الحياة الكريمه لاطفاله .

سادسا : ان يعزل كل مسئول من وزير حتى أدنى مسئول اذا أعطى بيانات عن مشروع ما وحدد له مدة زمنية معينة ولم يف بهذا الوعد .. مهما كانت الاسباب وان يكون مجلس الشعب والمجالس المحلية مسئولين عن ذلك . تحت رقابة الجماهير . وذلك بفحص كل شكاوى الجماهير فى كل وقت ..

سابعا : الايمان بأننا جزء من الامة العربية وان مصر اذا كانت هى قلب الوطن العربى ، فانها فى حاجة لكل شرايين الجسد . وان الخلافات الفرديه . وصراع الكلام هو خدمات تقدمها للعدو .. وكفر منا بدم شهدائنا فى سيناء . وابى زعبل وبحـــر البقر .. وفى كل مكان .. من دنشواى حتى لبنان .. وان ندرك ان البقاء هو للشعوب وليس للافراد . وأننا مهما كانت رغباتنا فلن نستطيع ان نلوى عنق التاريخ نحو رغباتنا فلقد ظل سالازار فى البرتغال وذهب وظل فرانكو فى أسبانيا ٤٠ عـــاما وذهب وظلت فرنســـا فى الجزائر ١٠٠ عام وذهبت .

أنا لا أخاف الغد لاننى اثق فى قدرة الانسان على الخلود ولكنى اشفق على هؤلاء الذين يغذون الخلافات . ويرممون رايه العدو ، ويقاتلون نيابة عنه .

أخيرا وليس آخرا :

اريد منبرا يعبر عن فكر الفلاح الذى لا يملك أكثر من خمسة فدادين .. وليس عضوا فى مجلس ادارة الجمعية الزراعية والفلاح الاجير الذى يعمل باليومية

منبرا يعبر عن عمال التراحيل لا منبرا يتاجر بهم . منبرا يكون معهم لا يقرا عنهم فى ظل مكتب مكيف الهواء . فنحن شعب عظيم الحيال فى هذه الامور ..

منبرا يعبر عن الموظف والعامل صاحب الاسرة والمرتب الذى يقل عن العشرين جنيها ويحدد له المنبر كم منها للسكن ومنها للعيش .. ومنها للملبس .. ومنها للطعام البسيط ـ وتذكرة زيارة مجانية لمحلات الجزارة ولتكن كل شهر مرة ..

وهذه هى شروطى لمنبر اريده .. فهل لدى السادة اصحاب المنابر . منبرا بهذا المقياس . ●

ظاهـــــرة الاختلاســـــات
فى قطاع التعـــاونيات الزراعيــة

هلال ابراهيم هلال *

يكتب هذا المقال ، من وجهة نظره ، هلال ابراهيم هـــلال مفتش الحسابات بقطاع التعاونيات الزراعية . وهو يعرض وجهة نظره من خلال احتكاكه اليومى بتفصيلات العمل فى هذا القطاع ، بهدف الوصول الى اسلوب جديد للادارة يتلافى اية سلبيات قائمة .

فى الاونة الاخيرة ، وعلى جميع مستويات الدوله كثر الكلام عن التسيب ، وكثر الكلام عن الانحراف ، وكثر الكلام عن الثراء غير المشروع .

واذا كان التسيب والانحراف والثراء غير المشروع على مستوى الدولة ظواهر مؤلمة وخطيرة فانها على مستوى قطـاع التعـــاونيات ـ وخاصة التعاونيات الزراعية ـ تعد اكبر ايلاما واكثر خطورة ، حيث يبدو بوضوح تفشى ظـاهرة الاختلاسات بصورة مكثفة لم يشهد مثلها اى قطاع آخر بالدولة واستطيع أن أجزم بأنه لن يشهد اى قطاع مثل هذه الكثافة فى حجم الاختلاسات مثل ما يشهده قطاع التعاونيات الزراعية .

ورغم اهمية الزراعة فى اقتصادنا القومى ، ورغم وضوح اسباب الاختلاسات عامه لم تحاول اى من الاجهزة المختصه المتخصصة – وما اكثرها فى هذا القطاع – لم تحاول دراسة هذه الاسباب ولم تحاول بالتالى الوصول الى أى علاج حاسم او حتى مؤقت . والمشكلة باقية منذ سنوات نزيد وتستفحل دون علاج ، أقصد دون ان يكلف أى مسئول نفسه عناء البحث عن علاج .

ولقد ظهرت فى الفترة الاخيره دراسة للجهاز المركزى للمحاسبات توضح أن الاختلاسات فى قطاع التعاون الزراعى بلغت ١٠٠ر٠٠٠ **مائة ألف جنيه .**

وهذا الرقم لا اساس له من الصحه فهو اقل بكثير عن الحقيقة . ولعل هذا الخطأ يرجع الى أن الجهاز المركزى للمحاسبات استقى بياناته من مصدر خاطىء وهو بند الاختلاسات الموضوع فى ميزانيات الجمعيات الزراعية ، وبناء عليه جاءت النتائج خطئة ولا تتفق مع الواقع فى شىء . فميزانيات الجمعيات الزراعية نادرا ما يظهر بها بند واضح ومحددباسم « الاختلاسات » ولكن هذه المبالغ تظهر بالميزانيات تحت مسميات مختلفة **منها : عهد – عهد قديمة – ذمم – ذمم قديمه .**

وجميعها ألفاظ مهذبة يمكن – بل يجب – ادراج مبالغها تحت بند « الاختلاسات » اذا اردنا الوضوح والصراحة والعلاج . وفى رايى ان هذه المسميات لا تعبر عن سوء فهم بقدر ما تعبر عن سوء نية .

ولتحديد الحجم الحقيقى للاختلاسات فقد قمت بعمل دراسة ميدانية بمحافظتى القليوبية والشرقية . وسأورد فيما يلى نموذجا تطبيقيا تفصيليا لميزانيات الجمعيات التعاونيه الزراعية بمركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية عن العام المنتهى فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ وسأشير الى بيانات باقى مراكز المحافظتين كلما تطلبت الدراسة ذلك .

ولعله من المفيد ان أشير الى ان اساس اختيار مركز شبين القناطر كنموذج يرجع الى كثرة عدد الجمعيات الزراعية « ٣٥ جمعية . » من ناحيـة وحجمها المتوسط من ناحية أخرى ، مما يعبر بوضوح عن باقى الحالات بمراكز المحافظة ان لم يكن بكل مراكز باقى محافظات الجمهورية .

وبتحليل النموذج السابق يتضح ما يلى :

١ – عدد الجمعيات التعاونية الزراعية بالمركز **٣٥ جمعية** ، وقعت الاختلاسات فى ٣٢ **جمعية .**

٢ – جملة الاختلاسات على مستوى جمعيات المركز تبلغ قيمتها بالتحديد ٤٣١٧٢ر٩٩١ جنيه .

أى أن رقم الاختلاسات فى مركز شبين القناطر وحده يبلغ حوالى نصف ما ورد بتقرير الجهاز المركزى للمحاسبات – والسابق الاشارة اليه – عن الاختلاسات فى قطاع التعاون فى مصر .

٣ – بمقارنه جملة الاختلاسات بالنسبة لراس المال المدفوع والموضح بالخانة السابعة بالجدول سنجد أن :

نسبة الاموال التى طرف العاملين بالجمعيات والتى لا تدر أى عائد وتعوق الجمعيات عن مزاولة نشاطها تبلغ ١٢٤ فى المائة من رأس المال !

٤ – عدد الجمعيات التى تزيد بها المبالغ المختلسة عن راسها تبلغ ١٤ جمعيه .

٥ – تاريخ وقوع الاختلاسات يقع بين عامى ١٩٦١ ، ١٩٧٠ . وكمتوسط عام نجد أن هذه الاموال معطلة وغير مستغلة لمدة عشر سنوات ، ولو مدر لها الاستثمار فى المجالات ذات العائد المحدود بفائدة ٣ر٥ فى المائه لبلغ هذا العائد وعلى أساس الفائدة البسيطة ١٥١١٠ جنيه . أى أن المبالغ المختلسة تبلغ جملتها الحقيقية ٥٨٢٨٤ جنيها بخلاف ما يبدو لاول وهلة من النموذج .

٦ – يكشف التحليل ان جمود التواريخ معناه عدم اتخاذ أى خطوات للتحصيل وبمعنى آخر انتفاء عنصر المساءلة .

٧ – جميع حالات الاختلاس المعلومة الاسماء وجملتها من واقع النمودج ٣٨٨٨٩ر٣٦٣ جنيها تمثل قضايا امام النيابة ، لم يبت فيها رغم ان أحدثها مضى عليه ما يزيد عن سبع سنوات ، وهذا له معنيان :

أ – أن النيابة والقضاء بوجه عام لا يبت فى موضوعات الاختلاسات بالسرعة اللازمة .

ب – ان المسئولين عن المراجعه لا يقومون بواجبهم لمنع الاختلاسات قبل وقوعها وكل ما يحرصون عليه هو اداء الاجراءات الشكلية لاخلاء مسئوليتهم .

٨ – توجد اختلاسات بدون أسماء ، اختلاسات مجهولة بلغت جملتها ٤٢٨٤ر٦٢٨ جنيها . وهذا يعنى أن الفحص المحاسبى لا وجود له ، ويعنى ايضا أن هناك تواطؤ واضح بين بعض أجهزة المراجعه وبين المختلسين ينعمد اخفاء الاسماء تمهيدا للنسيان وبالتالى سقوط المطالبة ، ويعنى اخيرا أن الرقابة فى بلادنا لا رقيب عليها .

٩ – من الدراسه اتضح ان كثيرا من المختلسين المعلومة اسماؤهم – طبقا لبيانات النموذج – نقلوا الى جهات عمل مجهوله واصبحت مبالغهم بالتالى اختلاسات مجهولة .

مسلسل	إسم الجمعية	عهد وذمم جديدة *		عهد وذمم قديمة *		جملة العهد والذمم		رأس المال المدفوع	
١	الأحراز	٦٦٤	٢٧٢٤	٠١٦	١٦	٦٤٠	٢٧٤٠	٦٨٤	١٤٢٥
٢	تل بنى تميم	٢٧٢	١١٧٠	٩٤٦	١١٣٧	٢١٨	٢٣٠٨	٨٠٠	١٦٦٠
٣	الحزانية	٥٠٥	١٦٥٥	٥٠٠	٥	٠٠٥	١٦٦١	٤٥٤	٢٤٧
٤	الحسانية	٢٨٠	٥٧	٧٢٩	٤٧	٠٠٩	١٠٥	٤٩٠	٦٢٦
٥	الحصافة	٦٦٨	٦٧٦	—	—	٦٦٨	٦٧٦	٨٣٨	١٣٠٠
٦	الزهويين	٨٠٥	٣١٧٦	٤٠١	٣٣	٢٠٦	٣٢١٠	٧٠٠	١٦٧٧
٧	السلمانية	—	٥٢٢	—	—	—	٥٢٢	٩٤٥	١٠٦٣
٨	شبين القناطر	٥٤٧	٥٦٧	—	—	٥٤٧	٥٦٧	٢٨٩	١٦٤٨
٩	الشوبك	٨٢٣	٦٩	—	—	٨٢٣	٦٩	٥٠٠	١٠٣٧
١٠	طحانوب	٤٨٢	٢٢٧٦	٧١٧	٤٧٢	١٩٩	٢٧٤٩	٤٥٤	١٩٧١
١١	طحوريا	٤٠٥	٤٤٩٩	٢٢٨	٥٥٢	٦٣٣	٥٠٥١	٣٥٠	١٤٩٠
١٢	عرب جهينة	٠٢٩	٧٣٦	—	—	٠٢٩	٧٣٦	—	٦٩٧
١٣	عرب الصوالحة	٧٦٠	٢٩	٥٨٠	٢	٣٤٠	٣٢	٥٠٠	٣٠٦
١٤	العطارة	٥٨٩	١٤٢٤	٣٨٤	٤	٩٧٣	١٤٢٨	٦٣٠	٣٧٥
١٥	الفريرى	٠٦٢	١٩٣٤	—	—	٠٦٢	١٩٣٤	٥٠٠	٥٧٩
١٦	القشيش	—	٣١٥٩	١١٠	١١	١١٠	٣١٧٠	٤٤٣	٩٢٧
١٧	القلزم	٩٩٤	٦	—	—	٩٩٤	٦	٦٨٠	١١٤٠
١٨	كفر الدير	٢١٠	٣٩	—	—	٢١٠	٣٩	٣٠٠	٩٥٨
١٩	كفر الشرفا	٤١٧	١٩٢٩	٢٥٠	٦	٦٦٧	١٩٣٥	٥٩٠	٧٠٥
٢٠	كفر الشوبك	—	—	٧٠٣	١٥	٧٠٣	١٥	٣٢٠	٩٣٩
٢١	كفر الشيخة سالمة	٨٦٥	١	—	—	٨٦٥	١	٩٨٢	٢٦٠
٢٢	كفر الصهبى	٢٨٤	٣٤٦٦	—	—	٢٨٤	٣٤٦٦	٥٤٣	١٤١٥
٢٣	كفر سعد	٢٩١	٢٤٦	—	—	٢٩١	٢٤٦	—	٥٣١
٢٤	كفر سندوه	٨٦١	٢١٨٧	٤٧٠	٣٤٤	٣٣١	٢٥٣٢	٥٠٠	٥٦٩
٢٥	كفر شبين	٩٠١	٤٠٨	—	—	٩٠١	٤٠٨	٨٧٥	٢٢٦٤
٢٦	كفر طحا	٤٨٠	٣٩٥١	٢٦٣	٢٢٥	٧٤٣	٤١٧٦	٩٧٥	٩٧٢
٢٧	الكوم الأحمر	٩٧٨	٤٠٦	٤٣٢	٢٢٧	٤١٠	٦٣٤	—	٩٠٩
٢٨	المريج	—	—	٤٥٧	١٠١٢	٤٥٧	١٠١٢	٥٢٠	١١٩٥
٢٩	منشأة الكرام	٨٦٧	٤٤٣	٤٣٣	٥٥	٣٠٠	٤٩٩	٠٦٠	١٣١٨
٣٠	منية شبين	٦٢٢	٤٢٤	—	—	٦٢٢	٤٢٤	—	٨٥٩
٣١	نوب طحا	٦٠٥	٤١٨	٣٢٩	٢٩	٩٣٤	٤٤٧	—	١١٧٩
٣٢	بتوى	١٣٧	٢٧٧	٦٨٠	٨٤	٨١٧	٣٦١	١١٩	٢٥٢٩
		٣٦٣	٣٨٨٨٩	٦٢٨	٤٢٨٤	٩٩١	٤٣١٧٣	٠٤١	٣٤٧٨٥

□□□□□□□□

أساليب الاختلاسات وطرقها

من الدراسة ، اتضح لنا ان الاختلاسات تكاد تتركز فى الاساليب التالية :

■ **استعمال جمعية — أو بمعنى** اوضح — **استعمال** صراف خزينة جمعية **ايصالات متحصلات نقدية خاصة بجمعية أخرى** ، وعدم ادخال تلك المتحصلات الخزينة وعدم اكتشاف ذلك لعدم تبعية المستندات لجمعية الفحص . وهذا معناه عدم تسجيل ارقام الدفاتر وعدم تسليمها لموظف مسئول لمساءلته وعدم جردها فى نهاية كل فترة للتحقق من وجودها .

■ « **استعارة** » **مستندات صرف خاصة بجمعية — بعد اجراء المراجعة بها — واعارة استغلالها للصرف مرة أخرى فى جمعية ثانية** . وهذا معناه عدم اتباع طريقة علمية للمراجعة .

■ **سحب مبالغ من الخزينة لتوريدها لخزينة البنك واحضار ايصالات مزورة تفيد التوريد** . وهذا معناه عدم المطابقة الدورية مع البنك .

■ **عدم استعمال بنك التسليف الكربون ذو الوجهين** يساعد على التلاعب بايصالات التوريد والقيم المدرجة بها .

■ **قيام امين المخزن بتحصيل قيم مبيعات نقديه وقيدها بكشوف العملاء على أنها مبيعات آجلة** واختلاس قيمتها ، وذلك يرجع الى عدم الفصل بين التحصيل والمخازن والقيد بحسابات العملاء .

■ **فيام صراف الخزينة باثبات اسماء وهمية فى كشوف أنفار النقاوه اليدوية للقطن** واختلاس مبالغها . وهذا معناه عدم جدية المراجعة .

■ **قيام امين المخزن بتحصيل اكثر من السعر الرسمى المحدد وذلك تحت مسميات مختلفة منها** معونة الشتاء والمجهود الحربى . وهذا يؤكد عدم وجود نظام مراقبة داخلية وارتجال القرارات وانعدام المراجعة .

أسباب الاختلاسات :

ترجع أسباب الاختلاسات الى عناصر رئيسية ٤ هى بالتفصيل كما يلى :

أولا — كثرة أجهزة الرقابة الخارجية وتعددها :

تقوم بالرقابة على الجمعيات التعاونية الزراعية أجهزة كثيرة ومتشعبة .

● **الاتحاد التعاونى** ، ويباشر الرقابة على الجمعيات الزراعية بموجب المادة ٥٧ من قانون الجمعيات التعاونية الزراعية رقم ٥١ لسنة ١٩٦٩ التى تنص على أن « ينشىء الاتحاد جهازا متخصصا لمراجعة واعتماد حسابات الجمعيات .. ويتولى الجهاز بالاضافة الى ذلك التفتيش على أعمال الجمعيات من النواحى الماليه والاداريه والفنية ومراقبة نشاطها وفحص أعمالها للتحقق من سلامتها » .

● **الهيئة التعاونية الزراعية العامة** ، وايضا تباشر الهيئة التعاونية الرقابة على الجمعيات التعاونية الزراعيه بموجب الماده ٥٣ من القانون السابق الاشارة اليه التى تنص على أن « تتولى الجهه الاداريه المختصة بالجمعيه فحص اعمالها والتفتيش عليه والتحقق من تطبيق القوانين واللوائح والتعليمات الماليه والاداريه بها » . وقد جاء بالقرار رقم ١٢٥ م لوزارة الزراعة اعتبار الهيئة التعاونيه الزراعية العامة الجهة الادارية المختصة .

● **بنك التسليف** ، وايضا يباشر بنك التسليف — كجهة ثالثة — الرقابة وذلك بصفته ممول يسعى للحفاظ على أمواله .

● **وزارة الزراعة** ، وتباشر الرقابة كجهة رابعة .

● **الجهاز المركزى للمحاسبات** ، وقد نصت المادة ٥٣ من قانون التعاون على ذلك بقولها « مع عدم الاخلال برقابة الجهاز المركزى للمحاسبات » .

ولا يمكن ان نقول انه كلما زادت جهات الرقابة وتعددت ، كلما زادت فرص ضبط وانضباط العمل . فهذا قول خاطىء وما يحدث هو العكس تماما فبالاضافة الى تميع المسئوليه واعتماد كل جهة على الجهات الاخرى فان تعدد جهات الرقابة **يعوق العمل أكثر مما يخدمه** .

ثانيا — عدم كفاءة أجهزة الرقابة ونقص خبراتها :

ان الرقابة السليمة من شأنها — اولا — ان تطمئن الشعب ضد التلاعب فى الاموال العامه ، **وهذا يتم بقيام جهة الرقابة بفحص نظام المراقبة** الداخلية واقتراح ما ينبغى ادخاله عليه من تحسينات ، **وهذا شىء لا يحدث فى قطاع التعاونيات** . ومن شأن الرقابة السليمة — ثانيا — **ان تخلق الرادع الادبى فى نفوس العاملين لما يترتب عليها من زيادة احتمالات الكشف عن** الاختلاسات ، **وايضا هذا شىء لا يحدث فى قطاع التعاونيات** .

وبديهيات الرقابة هذه لا تحدث لعدة اسباب منها نقص خبرة المراجعين لحداثة عهدهم بالمراجعة بالاضافة الى عدم الكفاءة الفنية لدى بعض الاجهزة المتعددة المنوط بها عملية الرقابة .

ثالثا – عدم الإلزام بآراء أجهزة الرقابة :

ان جميع اجهزة الرقابة فى قطاع التعاونيات ، جميع آرائها استشارية ، أى انها قاسرة على كتابة تقارير وعلى بنك التسليف الاخذ بها أو رفضها – وغالبا ما يرفضها .

رابعا – ضعف وقصور الرقابة الداخلية :

الرقابة الداخلية فى معناها الواسع ومفهومها المتطور هى عبارة عن الانظمة واللوائح والقرارات والتعليمات التى تضعها أو تصدرها ادارة المنشأة للمحافظة على أموالها وحقوقها وضمان حسن استعمالها واستغلالها .

وفى المنشآت المنظمه تنظيما جيدا يجب أن يعول فى الكشف عن الاختلاسات وانواع التلاعب الاخرى أو فى منعه على الاحتفاظ بنظام سليم للرقابه الداخليه . ولعل نماذج اساليب الاختلاسات التى عرضناها أبلغ دليل على ضعف وقصور الرقابه الداخلية وضعف كفاءة الاجهزة التى من واجبها أن تنبه الى ذلك .

خامسا – عدم جدية الإجراءات المتخذة ضد المختلس :

اذا كان المسئولون يعلنون فى كل مناسبة أن اجراءات حازمه ستتخذ ، فهذا التهديد والوعيد يتحول الى لا شىء عندما يصل الامر الى ساحة القضاء ، هذا ان وصل . فمعامله الدولة للمختلسين غريبه ولا مثيل لها فى اى دولة اشتراكية او حتى راسماليه ويكفى ان نعرف أن هناك منشورا كان قد وجهه النائب العام الى وكلاء النيابة منذ سنوات يقول فيه انه اذا اعترف المختلس بجريمته وسدد المبلغ المختلس أو تعهد بسداده فانه يكتفى بمعاقبته اداريا اى لا عقوبة جنائية ولا غرامة مادية ولا رادع .

سادسا – عدم وضوح المستقبل امام العاملين :

ولعل عدم وضوح المستقبل أمام العاملين من أهم الاسباب لتفشى ظاهره الاختلاسات . ويكفى أن نعرف أنه حتى الان يعامل العاملون بهذه الجمعيات طبقا لاحكام قانون العمل الفردى رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ ، أى أن الدولة تنظر الى هذا القطاع رغم أهميته على أنه قطاع خاص . وقد أظهرت الدراسة أن هذا القطاع لا يعرف العلاوات ولا الترقيات ولا الحوافز للعاملين به وذلك بحجة انتظار صدور « لائحة خاصة » ، ورغم مضى سنوات طويلة على وعود الاتحاد التعاونى بقرب صدور هذه اللائحة الا أنها لا تصدر .

وأمام غموض المستقبل امام العاملين فكل منهم يسعى الى « الخلاص » وينظر الى العمل بقطاع التعاون على أنه « محطة » انتظار التوزيع السنوى للخريجين بمعرفة القوى العاملة ، وفى فترة الانتظار هذه لا بأس من الخروج من « المولد » بكثير من « الحمص » وخاصة اذا كان العقاب فى حالة اكتشاف الاختلاس هو السداد ، مجرد السداد ودون اى عقاب .

وسائل القضاء على ظاهرة الاختلاسات

وللقضاء على ظاهرة الاختلاسات فى قطاع التعاونيات فاننا لا بد أن نكون جادين فى تطبيق ما يلى :

■ **تحديد جهة واحدة للرقابة الخارجية** والبعد بها عن الشعارات الجميلة الشكل الفارغة المضمون ، فالاتحاد التعاونى يقال انه يمثل الرقابة الشعبية ، والهيئة التعاونية يقال انها تمثل الرقابة الادارية، وبنك التسليف يقال أنه يمثل الرقابة المباشرة، ووزارة الزراعة يقال أنها تمثل الرقابة الفنية ، والجهاز المركزى للمحاسبات يمثل الرقابة الحكومية . اجهزة كثيرة ومسميات ضخمة ولا شىء فى النهاية . ونحن نرى حسما لكل ذلك قصر الرقابة الخارجية على الجهاز المركزى للمحاسبات .

■ **قيام بنك التسليف بالرقابة الداخلية** باعتبار أن البضائع التى تقوم الجمعيات بتصريفها هى بضائع أمانة ملك للبنك وليس هناك من هو اقدر على مراقبة الاموال الا صاحبها .

■ **وضع نظام سليم للرقابة الداخلية** يحقق الرقابة الادارية ويحقق الرقابة المحاسبية والمالية .

■ **تحديد واضح – بنص مكتوب – لمهمة جهة الرقابة** وحدودها ومسئوليتها ، تحديدا واضحا لا لبس فيه ولا غموض .

■ الزام جهة الرقابة – فى حالة وقوع اختلاس نتيجه اهمال فى المراجعة – **بدفع تعويض بالاضافة الى مسئولية ضمان رد المبالغ المختلسة** . وليس هذا الاقتراح من عندى فهناك قوانين كثيرة تشير الى ذلك وتنص عليه صراحة ، فقد حددت نقابة المحاسبين والمراجعين فى دستور المهنة تفاصيل ما يعتبر اخلالا بالواجبات المهنية ومنها :

– اذا لم يكشف مراقب الحسابات عن حقيقة مادية علمها أثناء تأدية مهمته .

□□□□□□□□

– اذا أهمل اهمالا مهنيا فى خطوات فحصه أو فى تقريره عن هذا الفحص .

– اذا أبدى رايا برغم عدم حصوله على البيانات الكافية لتاييد هذا الرأى ولم يشر الى ذلك فى تقريره .

وبالاضافه الى ذلك تضمنت المواد من ٣٧ الى ٥١ من قانون انشاء النقابة اجراءات المحاكمة التاديبية للاعضاء . وقد نصت المواد ١٠٣ ، ١٠٤ من قانون الشركات رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ على الاعمال التى تعرض المراجع للمسئولية الجنائية والعقوبات الخاصة بها .

وكذلك قانون الضرائب رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ حيث نص فى المادة ٥٨ مكرر على فرض عقوبة على « كل من حرض أو اتفق أو ساعد اى ممول او اى منشأة على التخلص من أداء الضريبه .. ويعتبر متضامنا مع الممول او المنشأة فى أداء ما يترتب على فعله من فروق الضرائب .. » .

واذا كانت هذه القوانين تقصد فى أحكامها مكاتب المحاسبة الخاصة فاننا نرى ضرورة امتداد أحكامها على جهات الرقابة الحكوميه ، فلسنا مستعدين للتسليم بأن جهات الرقابة معفاة من مسئوليه الاهمال الذى يقع لمجرد انها جهات حكومية .

والخلاصة : فانه حتى يمكن القضاء على ظاهرة الاختلاسات فى قطاع التعاونيات الزراعية فانه لابد من :

١ – ايجاد رقابة داخلية سليمة .

٢ – ايجاد رقابة خارجية واعية متخصصة ذات مسئوليات محددة .

٣ – ايجاد رادع قوى يضرب على يد المختلسين .

ان الثوره التشريعية التى نحن بصددها ، يجب ان تستهدف الحمايه الحقيقيه للمال العام . وليس معنى هذا اننا فى حاجه الى قوانين جديدة ، ان لدينا من القوانين ما يكفى .. كل ما نحن فى حاجة اليه هو تطبيق هذه القوانين وليس أكثر . تطبيق القوانين التى تعامل المختلس معاملة تتناسب مع ما اقترفه فى حق هذا البلد من الاستيلاء على الاموال العامة وتعطيل تنميتها ■

حول مبدأ توريث القطاع العام

.. والأقربون أولى بالمعروف ! !

محمود عارف *

فى أحدث ما اثاره البرلمانى القدير الدكتور محمود القاضى من القضايا والخاصة ببعض اوجه الاسراف فى وزارة الاسكان وماتبع ذلك من رد السيد وزير الاسكان وتعقيب السيد رئيس الوزراء . فى كل ذلك هناك جملة نقاط لايجب ان تمر دون أن نناقشها تفصيلا ونسلط عليها الضوء.

وهذه النقاط تتعلق فقط بواقعة محددة ذكرها السيد العضو ورد السيد الوزير وتعقيب السيد رئيس الوزراء وهى الخاصة باتهام العضو للسيد الوزير انه قد أصدر قرارا بتشكيل مجلس الاداره لشركة المقاولين العرب « **عثمان احمد عثمان** » غالبيته من اقارب السيد الوزير على رأسهم اخوه .

---

* معيد بكلية العلوم بقنا – وعضو لجنة المحافظة للشباب

١ ـ تلك واقعة لم ينفها السيد الوزير وانما بررها بقوله ما نصه « ان السيد العضو قال ان اعضاء مجلس الادارة من قرايبى انا لى الشرف بمعنى اذا ماكنش لى خير فى قرايبى حيبقى لمين انما الناس دول اللى فى مجلس الادارة دول اللى أسسوا المقاولون العرب فى الخمسينات همه أحق انهم يقعدوا ويشتغلوا .. الناس دول همه أحق بشركتهم » .

ملاحظ هنا ان جريدة « الاخبار » حرصت على نقل جميع وقائع الجلسة وعدد التصفيقين للسيد الوزير ومن ضحكوا لان السيد العضو قد اخطأ فى استخدام رقم القانون الشىء كالمه ومع ذلك فهذه الفقرة لم تذكرها الجريدة مطلقا .

٢ ـ وفى تعليق السيد رئيس الوزراء فى جلسة المجلس على تلك المناقشة الدائرة بين العضو والسيد الوزير جاء ما نصه بالنسبة لجميع الشركات المؤسسة اصحابها هم الذين يديرونها حتى هذه اللحظة شركة النصر « **حسن علام** » الله يرحمه يوم ماتوفى عينت ابنه رئيس مجلس ادارة وهو شاب مهندس صغير رغم انها شركة كبيرة .. الخ .

واضاف سيادته « انى ارى ان فى ادارة اصحاب هذه الشركات لشركاتهم الحافز والحرص على حسن الادارة وعلى السمعة وعلى الاسم الذى يمكنهم من الانطلاق فى اداء اعمالهم بالشكل الذى يحقق الانجاز الكبير فى الخطة » .

ان ماحدث فى هذه الجلسة الرائعة لمجلس الشعب والتى جاءت خطوة على طريق تعميق الديمقراطية ليستحق التقدير ولهو دعوة لنا نحن المواطنين ان نمارس الديمقراطية الى أقصى مدى وهو مادفعنى نحو مناقشة تعليق السيد رئيس الوزراء والوزير على النحو التالى :

١ ـ ان القانون لايعطى لك ياسيادة الوزير الحق فى ان تتحيز لاقاربك اثناء توليك القيادة لمرافق عامة هى ملك للشعب وانت موظف تخضع لهذا الشعب لدى توليك لهذه المسئولية والمقاولون العرب هى اولا وقبل كل شىء هى ملك لهذا الشعب ينطبق عليها كافة القوانين المنطبقة على كل المرافق العامة .

ب ـ ان اختيار اصحاب الشركات لادارتها بعد التأميم مباشرة تم لظروف موضوعية مؤقتة ترجع اساسا لنقص الكادر الفنى الاشتراكى المدرب على قيادة هذه الشركات ومن ثم الاستعانة باصحاب الشركات لحسن اعداد صف ثانى من القيادات ولضمان عدم توقف الانتاج واستمراره مع الوضع فى الاعتبار من ان هذه القيادات سوف تكون حريصة على سمعة الشركة وكان هذا الاختيار قد تم دون المساس بمبدأ حق الشعب فى ملكيته لهذه الشركات وابسط مظاهر هذه الملكية هى حقه فى تعيين القيادة الناجحة والقادرة على تولى مسئولية الادارة فى اى وقت .

الا ان ذلك لايعطى لهذه القيادة المتمثلة فى اصحاب الشركات . الحق فى ان تورث المسئولية القيادية فى الشركات لابنائها أو لاقربائها لان هذا الحق قد سقط عنها تماما بصدور قوانين يونيو ابتداء من ١٩٦١ وبعد هذا التاريخ اصبحوا مجرد موظفين فى الدولة تنطبق عليهم كافة القوانين التى يخضع لها موظفو الدولة ومن ابسط هذه القوانين عدم استغلال المناصب العامة فى تحقيق مكاسب شخصية وعائلية .

وهنا يجب أن نقف طويلا امام اسئلة محددة هل المقاولون العرب ملك الدولة ام لا ؟ هل السيد الوزير موظف فى الدولة ام لا ؟ هل يتساوى فى تطبيق القانون مع اقل موظف فى وزارته ام لا ؟ اذا كانت الاجابة بنعم فان الامر يحتاج اذا الى محاسبة **السيد الوزير** على قوله السابق تعليقا على واقعة تعيينه لاقاربه فى مجلس الادارة حيث أن سيادته لم ينف ذلك ولم يبرر هذا الاختيار لكفاءة السادة الاعضاء وانما لانه ينبغى ان يكون له خير فى اقاربه .

جـ ـ ومن المدهش ان السيد رئيس الوزراء قد اعطى لنفسه الحق فى وضع مبدأ جديد وهو مبدأ توريث قيادة القطاع العام فسيادته قد اصدر قرارا بتعيين السيد المهندس الصغير رئيسا لمجلس اداره الشركة الكبيرة خلفا لوالده « حسن علام » لماذا ؟ هل من مبدأ ان العبقرية والذكاء ظاهرة وراثية ؟ ام هل لان الشركة وبعد ١٥ عاما من التأميم لاتوجد فيها قيادة صالحة لها سوى اصحابها ومن بعدهم ابناؤهم ، اذا صح ذلك ، فهو يؤكد فشل القيادة السابقة فى خلق صف ثانى من القيادات وهذا أدعى الى تغيير نوعية هذه القيادة لفشلها وانانيتها والاستغناء عن تطبيق مبدأ تولى اصحاب الشركات للقيادة لا الى تأكيد هذا المبدأ بتعيين ابنائهم خلفا لهم أم هل لاحساسنا بالذنب تجاه هؤلاء الافراد من جراء عملية التأميم اردنا ان نفكر عن هذا الذنب بتمكينهم من ادارة هذه الشركات ، هم واولادهم واحفادهم من بعدهم ، وفى هذه الحالة فاننا نقول ياسيدى ان هناك ظلما قد وقع على بعض

□□□□□□□

اصحاب الشركات المؤممة ممن لم يتولوا قيادة شركاتهم بعد التأميم ويجب رفع هذا الظلمبتعيين ابناؤهم فى تلك المناصب .

د — ونأتى اخيرا لموضوعالنجاح العظيم الذى حققه المقاولون العرب « عثمان احمد عثمان » ونحن لاننكر هذا النجاح ولاننكر مطلقا كفاءة ونشاط هذا الرجل ولكن هل احد ينكر ان وراء هذا النجاح امتياز خاص تتمتع به هذه الشركة تتمثل فى نظامها الخاص فى اعطاء مرتباتوحوافز ومكافآت مجزية للعاملين فيها ابتداء بالعامل وحتى المستشار اننا لانطالب بالغاء ذلك ولكننا نطالب بتطبيق هذه النظم على كافة شركات القطاع العام واعطاءها نفس الحقوق فى حرية الحركة والاستقلال فى ادارتها كما هى بالنسبة للنجاح المقرون بشركة عثمان أحمد عثمان قد امتد وشمل القطاع العام كله .

رد من وزارة المالية

○ الحكومة ○ الديون ○ التنمية

جاءنا من وزارة المالية [مكتب الوزير] ، الخطاب التالى نصه بتوقيع السيد عبد الحميد رزق « وكيل الوزارة لشئون مكتب الوزير » ، ومرفق معه « رد حول مقالالحكومة — الديون — التنمية» بتوقيع عبدالوهاب محجوب « رئيس المكتب بوزارة المالية » ، تعليقا على مقال « الحكومة .. الديون .. التنمية .. المليونيرات» الذى كتبه عادل حسين فى عدد « الطليعة » فبراير ١٩٧٦ .

السيد الاستاذ لطفى الخولى
تحية طيبة وبعد :
نشرت مجلة الطليعة فى عددها الصادر فى فبراير سنة ١٩٧٦ مقالا بعنوان « الحكومة .. الديون .. التنمية .. المليونيرات » للاستاذ عادل حسين . وقد تناول المقال عددا من الملاحظات حول البيان المالى الذى القاه السيد الوزير فى مجلس الشعب وايمانا بحرية الصحافة وتطبيقا لقانون المطبوعات .
نرجو التكرم بنشر الرد المرفق والذى أعده المكتب الصحفى بالوزارة وذلك فى عدد أول مايو ١٩٧٦ .
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .
فى ١٩٧٦/٣/٢٩ م.

وكيل الوزارة
لشئون مكتب الوزير
[عبد الحميد رزق]

لقد أعلن كاتب المقال عن مقته لكلمةالانفتاح ... ولذا وجب علينا أن نتساءل الى أى حد يمكن الاعتماد على رأى يطوىشعورا بالكراهية والغضب من الفكرةالتى يطرح الرأى فيها .

ونحن لسنا بصدد الدفاع عن سياسةالانفتاح ، وقد استفتى الشعب حولها وأيدها بعد أن ضاقت به قيود الانغلاقوحاصرت قدراته المنتجة وأحاطت نشاطه باللامرونة والجمود .

ومفهوم الانفتاح الاقتصادى فى مصرواضح : داخلى على القطاع الخاص ليساهم بنشاطه ومهاراته فى دفع عجلةالتنمية جنبا الى جنب مع القطاع العام.. وخارجى فى كل الاتجاهات ، لا يفرق بين غرب او شرق الا بما هو أنفع لمصر .. من اجل مصر ولخير ابنائها ورخاء شعبها .

لقد صدق كاتب المقال عندما قال انه« فى مواجهة العالم الخارجى مفهوم أن الحرص على تنوع وتعدد العلاقات الدولية يدعم مركزنا التفاوضى ويكفل حرية أوسع فى المناورة .

ومصر تعمل جاهدة على تنمية هذا الاتجاه ... ولكن السؤال هنا .. لماذا كان الاتجاه الى الغرب ؟ ولماذا هبط حجم المبادلات مع الشرق ؟ أهذا كان اتجاه السياسة أم كان هذا ما فرضه الاتحاد السوفيتى علينا ولم يكن امامنا خيار ؟ اننى لا أجد أبلغ للرد على هذا السؤال مماقاله السيد الرئيس فى حديث مع الصحفى اللبنانى سليم اللوزى ونشر بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٧٦/٢/٣ حيث قال «ان سياستنا متشابهة فى موضوع القضية الفلسطينية مع السوفيت ولكن على مستوى العلاقات الثنائية بين القاهرة وموسكو لا يزال الموقف حتى هذه اللحظة كما هو لم يتقدم خطوة واحدة ، الاتفاقية التجارية وقعت لسنة واحدة ، مشكلة الديون لم تفض توريد المواد العسكرية متوقف منذ ١٤ شهرا ، ولاجل التخفيف من أثر الغاء زيارة بريجنيف أرسلوا لنا جزءا من صفقتين كانتا واجبتى الاداء فى ٧٣ ، ٧٤ . جزء بسيط فقط . اما الجزء الاساسى فيها فلم يصل. والافظع ان عملية العمرة لموتورات الطائرات معطلة وعندما لا تعمل الطائرة فسوف تركن ولا يستفاد منها جزءا اساسيا من قواتها راح ، انهم يمارسون على الضغط . وعملية الضغط تشتد اكثر واكثر .. وقد قررنا أن لا نلجأ لاساليب التشهير والشتائم وتعليماتى للجميع هى العمل على التفاهم والحفاظ على العلاقات » .

لعل ما ورد فى هذه الكلمات مايرد على كاتب المقال فاتجاه الدولة مفتوح للشرق والغرب . نحن نفتح الابواب وغيرنا يقفلها امامنا . ولا زالت مصر تعلن استعدادها للتعاون مع الجميع . الديون لم تسوى كماقرر صاحب المقال وكيف يعطى مثل هذا التقرير وهو لا يعلم حقيقته وما انتهى اليه الم يكن من الاجدر لكلمة الحق التى اشار اليها أن توضع فى مكانها الصحيح ؟

والحقيقة نحن فى حيرة من أمر ما وردبهذا المقال ... هل قصد الكاتب المغالطة أم انه يجهل الحقائق الاساسية للعلاقات الاقتصادية الدولية ؟

ان البيان المالى لم يقصد ... وليس هذا هو هدفه الاساسى ان يعرض أو أن يضع مقالا عن الاقتصاديات الدولية وتطورها .

ولكنها توعية منه للقارىء بالامور التى تجرى من حولنا ، أشار الى تلك الاحداث التى كان لها آثار على زيادة الفجوة التضخمية وامتدت اثارها الى اقتصادنا المحلى ..

وحتى نكون صادقين فالكل يعرف ماهى الدول التى تؤثر فى مسار الاقتصاد العالمى وتحكم اتجاهات السياسات النقدية العالمية بل لعلنا نشير أن الاتحاد السوفيتى شأنه شأن معظم الدول الشرقية ليس عضوا فى المؤسسات النقدية العالمية مثل صندوق النقد الدولى .

نحن فى عرضنا اقتصرنا على اعطاء نماذج وأمثلة للاحداث العالمية البارزة التى تأثر بها اقتصادنا القومى .. فهل وجد الكاتب ان هناك أحداثا ذات طبيعة مختلفة قد أفرزت آثارها على اقتصادنا القومى ولم نشر اليها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ؟ .

لقد خانه ادراكه وهو يقرأ عرض السيد وزير المالية لمقدمة البيان المالى عن موقف الاقتصاد المصرى ، ان يفرق بين ما أورده من تحديا تواجهت ولا زالت تواجه

□□□□□□□□

الاقتصاد المصرى وبين أساليب العلاج التى اتبعت وكان من بينها خطأ التمادى فى استخدام التمويل قصير الاجل واعباءه الجسام على كاهل الموازنة .. ليس هذا ذنبنا أن تغافل كاتب المقال ما أورده البيان المالى من العديد من الاجراءات والسياسات التى اتبعتها الحكومة وتواصل متابعتها العلاج المشاكل الاقتصادية الحادة التى تواجهها أيا كانت أسبابها ومصادرها فهى واضحة ومعروفة للجميع ونورد على سبيل المثال ما أورده البيان المالى من أرقام حول تخفيض التمويل بقصير الاجل والاستعاضة عنه بالتمويل طويل الاجل ... وتخفيف حدة التمويل بالعجز وغيرها مما تشير اليها الارقام وليست تراص الالفاظ .

ان حكومة السيد ممدوح سالم جاءت فى ظروف سيئة ولا يجب أن تتحمل أخطاء الحكومات الماضية وحقيقة الظروف المالية والاقتصادية التى جاءت فيها معروفة ، ولو كانت هذه الحكومة موجودة من قبل لكانت قد اتخذت موقفا مخالفا ... وليس أدل على صحة هذا القول مما وضح فى اتجاه حجم القروض الى الانخفاض من ٩٤٥ مليون جنيه فى عام ١٩٧٤ الى ٧٠٠ مليون جنيه مستخدمة فى عام ١٩٧٥ ويستهدف الوصول بها الى ٥٤٠ر مليون جنيه فى عام ١٩٧٦ . ان انجازات الحكومة الحالية والتى لم يمض على توليها الحكم الا حوالى ١٠ أشهر ، انجازات كبيرة... ولقد حرصت الحكومة الحالية على وضع خطة للخمس سنوات التالية بحيث يختفى العجز فى آخرها وتنتشل البلاد فيها من الورطة المالية التى هى عليها ... ولا شك ان ذلك يحتاج الى تضافر الجهود واحساس كل فرد من الشعب بمسئوليته — وكنا ننتظر من الكاتب أن يمد يده فى يد الحكومة ليصحح المسار الاقتصادى بابداء الرأى عما يجول بخاطره من حلول وما يمكن أن يشير اليه من بدائل ان كان يرى حقيقة حلول بديلة ... كان الاجدر به أن يبدى روح التعاون بدلا من الهجوم والتهكم .

ان الامر لا يتعلق « بشطارة » تشكيل الوزارة .. فهذا لن يغير من النتائج كثيرا .. ولكنه يتعلق بانجازات الحكومة ...وفى أقل من عام برزت انجازات الحكومة الحالية فى عام ١٩٧٥ فى مواجهة كثير من التحديات .

ان الحكومة الحالية قد عملت فعلا وليس قولا ولقد أوضح البيان المالى وبيان السيد رئيس الوزراء أمام مجلس الشعب كثيرا من هذه الانجازات ... وعلى الصحفى الكفء أن يتابع مايصدر عن هذه الحكومة من بيانات تعرضها أمام الشعب فى مجلسه النيابى فى أمانة وصدق وصراحة لم تكن معهودة من قبل وتظهر فى خطتها .. لعل الكاتب يجهد نفسه قليلا ليدرسها بعمق ليعرف أن الحكومة عملت وستعمل لتأخذ بالبلاد فى الاتجاه الصحيح ...

هذه هى الحكومة وبرامجها واضحة جلية ...

فماذا يقصد كاتب المقال ؟ ...

ماذا يقصد كاتب المقال ؟ هل قصد الدفاع عن فكره وتصوره ، بعيدا عن واقع الامور أما انه اراد استعراض حوار دون منتهى أو هدفا قصد الوصول اليه .

أما كان الاجدر به أن يعلن عما تبطنه أفكاره من نوايا دون عناء رحلة طويلة تبدأ طريقها من المنتصف وتعود الى حيث لا تبدأ أو تنتهى .

« عبد الوهاب محجوب »
رئيس المكتب بوزارة المالية

لم يكن الاستاذ عادل حسين فى القاهرة عندما جاءنا رد وزارة المالية على مقاله . حيث كان يشارك فى الندوة التى عقدت فى الكويت . وسوف يكتب تعليقه على رد وزارة المالية بعد عودته .

لقيت دراسات هموم المواطنين التى تنشرها « الطليعة » ، اهتماما واسعا لدى القراء الذين بعثوا برسائلهم وتعليقا على هذه الدراسات ، وفيما يلى ننشر بعض التعليقات التى جاءتنا :

○ ومـــاذا بعـــد الهمـــوم ؟

أبو الفتوح المهدى محمد أبوجبل *

كلما تناولت القلم لاقول كلمة أو رأى فى تلك الشرائح التى قدمتها الطليعة :

أ عبد التواب ، أم محمد ، الاسطى زكى .

وجدتنى اتراجع فان ما قرأناه على صفحات الطليعة وما نعيشه فعلا كل يوم لا يحتمل الكلام أو الحوار .

ان « أم محمد » و « عبد التواب » ــ اللذان يعتبران حالة شاذة غريبة في المجتمع القاهري ، يمثلون فى الصعيد المتخلف نسبة قد تصل فى بعض القرى الى ٩٩٪ حيث لا رابط بينها وبين التقدم والرخاء ويعيش فيها الملايين من امثـــال « أم محمد » و « عبد التواب » ، هنـــاك حيث لا يزيد دخل الاسرة . والتي يتراوح عددها مابين ثلاثة وعشرة أو أكثر عن أربعين قرشا فى اليوم. وبينما يعانى الناس من غلاء الاســـعار الرهيب نجد في إدارة التموين من يتعاون مع المستغلين من التجار الذين يخرجون السنتهم للتسعيرة . أما السلع التى رات الحكومة ــ رأفة بالكادحين ــ توزيعها بالبطاقة فهى رديئة ولاتقدم الحيوانات نفسها على تناولها مثل الفول . وأما مقررات التموين للفرد فى القرية فاقل من المدينة وكأن الفلاحين مواطنين من الدرجة الثالثة ــ وأمـــا اللحوم فلا يفكر الفـــلاح فى شرائها وبالنســـبة للخدمات الصحية فان الوحدات الصحية بالقرى والتى هلل لها البعض فان من يستغلها حقا هو بعض الاطباء ، بمعنى داخل الوحـــدة الصحية يغتصب بعضهم من ذلك المكدود المرهق ــ نصف الجنيه ــ علنـــا دون حياء ثمنـــا لبعض الادوية المجانية التافهة مثل النوفالجين والسلفا وهو ــ هذا الطبيب ــ مطمئن لعـــلاقته الوطيدة بكبراء القرية أمثال « أمين الاتحـــاد الاشـــتراكى » أو « رئيس مجلس القرية » وناظر المدرسة ووجهاء القرية الذين تذهب الادوية الممتازة والنادرة الى منازلهم مجانا . ويتبع الطبيب معـــاون الصحة الذي يصيبه الثراء بعد سنة واحدة من مزاولته العمل .

هذا بينما يزداد ويطول طابور الامية كل يوم فى قرى الصعيد . وكل ما يدور حول « لعبة » محو الامية فهو هراء ولا تجد له نتيجة فعلية .

أما الاسطى زكى فهو فى نظـــر هؤلاء الذين يقطنون قرى صعيد مصر « قد أكرمه الله » حيث انه يتقاضى مرتبا ثابتا ١٨ جنيه ويملك الراديو والتليفزيون ويستطيع قراءة الصحف والمجـــلات ويعيش فى القاهرة قلعة المســـئولين والحـــكام الحصينة .. فان قريتهم لم يطرقها مسئول من عشرات بل من مئات السنين وعندما اقول مسئول اقصد من يستطيع التغيير أو الانقاذ من هـــاوية الفقر والجهل والمرض .

* كيمان المطاعنة ــ اسنا .

□□□□□□□□

اقول — وماذا بعد قراءة الهموم ؟؟

كفانا فلسفة وتعقيدا وانزلوا من مقاعدكم الوثيرة ومكاتبكم المكيفة الى القرى والنجوع الممتد على طول صعيد مصر لتروا بأنفسكم ما تقشعر له الابدان من قمة التخلف والسيطرة والفقر .

نريد ان تتحول شجاعة « الطليعة » فى كشف النقاب عن التخلف الى الممثلين لهذا الشعب ، ويا أصحاب الفكر والمنابر ويامملى الفلاحين فى مجلس الشعب واللجنة المركزية — هناك الاهم من تحرك المنابر أو ثباتها . هناك ، فى أعماق صعيد مصر ، من لا تسمع له استغاثة أو يؤخذ له راى .

لا نريد من يقرأ هموم الطليعة وهو متكىء على كرسيه الوثير قتلا للوقت والتسلية .

لا نريد من يقرأ الهموم فقط ولكن نريد من يقول ماذا بعد الهموم ؟

○ هموم الفلاح فتحى حمادة وتفتيت الملكية والبطالة المقنعة والأمية

د. فوزى محمد الاناصورى *

يمثل المزارع فتحى حمادة عينة لفئة صغار الملاك الزراعيين فى مصر البالغ عددهم فى ١٩٦٣ أى بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى الثانى حوالى ٢,٩ مليون مالكا اى حوالى ٩٤٪ من اجمالى عدد الملاك البالغ عددهم فى نفس السنة حوالى ٣ ملايين من الملاك . وتمتلك هذه الفئة اكثر من ٥٢٪ من اجمالى المساحة الامتلاكية وتبلغ متوسط امتلاكية كل منهم حوالى فدان واحد . ومن المتوقع استمرار ارتفاع عدد ملاك هذه الفئة وتضاؤل المساحة التى يمتلكها كل منهم نتيجة للتفتت الامتلاكى المستمر للاراضى الزراعية .

وتبلغ مزرعة فتحى حمادة أى حيازته حوالى فدانا . ولم يستدل من الحوار الذى اجرى معه عما اذا كانت هذه المزرعة الصغيرة ضيقة السعة تقع على قطعة واحدة ام على عدة قطع ويرجح ان هذه المزرعة تقع على قطعتين فى احسن الاحوال قطعة منها امتلاكية والثانية ا. جارية اى ان هذه المزرعة الصغيرة مفتتة ومشتتة مثلها فى ذلك مثل ٦٢٪ من اجمالى عدد المزارع المصرية اى الحيازات المصرية التى تقع مساحتها على قطعتين أو ثلاثة أو أربعة .

وتؤدى المزارع الصغيرة والضئيلة والمفتتة والمشتتة الى بدائية الاساليب المزرعية التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية اذ إن الانتاج المزرعى يرتكز فيها على استخدام العمل البشرى والحيوانى اى على القوة المتولده من عضلات فتحى حمادة وامثاله ومن جاموسته .

* مدرس التخطيط الزراعى — كلية الزراعة بكفر الشيخ — جامعة طنطا

يؤدى ذلك الى ضيق الطاقة الانتاجية وانخفاض الدخل المزرعى الناتج من هذه المزارع .

وبالرغم من أن قانون الاصلاح الزراعى الاول الصادر فى سبتمبر ١٩٥٢ والقوانين المكملة أو المعدلة أو المفسرة له قد وضعت حدا اعلا للامتلاكية الزراعية لا تتجاوزها ، فان هذا القانون أيضا قد وضع حدا ادنى للامتلاكية الزراعية لاتتجاوزه وذلك للحد من تفتت الامتلاكيات الزراعية الا ان هذا النص رغم مرور ٢٥ سنة على صدور هذا القانون لم يبدأ فى تنفيذه بعد مما يهدد باستمرار تفتت الامتلاكيات الزراعية وبالتالى استمرار انخفاض الجدارة الانتاجية والاقتصادية لهذه المزارع . الامر الذى يقتضى وضعه موضع التنفيذ للعمل على وقف التفتت المستمر للاراضى الزراعية .

كما ان هذا المزارع يعانى من مشكلة البطالة المقنعة اذا انه يشعر أن مزرعته غير كافية لان تكون مجالا لعمله طوال العام وان الدخل الناتج منها غير كاف له ، مما جعله يتمنى الحصول على عمل اضافى يناسب حالته الصحية لمعاونته على مجابهة تكاليف الحياة . وتمثل مشكلة البطالة المقنعة احدى المشاكل التى تعانى منها الزراعة المصرية حاليا والتى ينتظر ان تعانى منها بشكل أكبر فى المستقبل .

وتتبلور مشكلة هذا المزارع فى انخفاض دخله الناجم عن ضيق حيازته وما يفضى اليه ذلك من انخفاض مستوى معيشته الى حد الكفاف وهو الحد الذى يسمح له ولافراد اسرته بالحصول على امتداد الغذاء اللازم لاستمرار حياتهم وحرمانهم من كثير من الضروريات المادية والروحية .

كما يتسم هذا المواطن بالامية الهجائية مثله فى ذلك مثل ملايين المواطنين فى مصر . وتؤدى هذه الامية بطبيعة الحال الى الامية السياسية وعدم مقدرته على المامه بالتنظيمات السياسة، وتفاعله معها أو اهتمامه بها . مما يوضح ان وضع أية تنظيمات سياسية تعتبر قليلة الجدوى فى ظل انتشار الامية الهجائية مما يوجب على المؤسسات والمنظمات الاجتماعية والسياسية فى مصر وضع برامج للقضاء على الامية الهجائية حتى تكون التنظيمات السياسية قادرة على تحريك هذه الفئات العريضة من المواطنين مما يمكنهم من الاستفادة من وجودها والمشاركة فى قيامها ونشاطها .

كما يعانى هذا المواطن أيضا — ونتيجة للامية الهجائية — من الامية التعاونية أى معرفة اختصاصات مجالس ادارة التعاونيات واهمية التنظيمات التعاونية بالنسبة له مما جعله يفقد الاهتمام أو الثقة بها .

وعلاجا لمشكلة انخفاض دخل هذا المزارع فان الامر يقتضى ضرورة الاهتمام بالبرامج الخاصة بالتجميع التعاونى الزراعى والتى كان من بينها برنامج التجميع الادارى التعاونى وهو ما تضمنه برنامج التنظيم الزراعى التعاونى الذى طبق فى محافظتى كفر الشيخ وبنى سويف فى ١٩٦٣ ولم يكتب له الاستمرار .

كما تمثل مشكلة هذا المواطن المتعلقة بمرض ابنه وعدم مقدرته المالية على علاجه احدى المشاكل المشينه للمجتمع المصرى اذ يجب ان توفر الدولة حق العلاج لجميع مواطنيها باعتباره احد الواجبات القومية للدولة الاشتراكية .

واخيرا أود أن أسجل ان هذا المواطن يعتبر نموذجا لفئة كبيرة من سكان الريف وانه رغم انخفاض دخله فانه يعتبر احسن حالا من غيره من الريفيين الذين لايمتلكون اى قيراط ارض أو أية حيوانات مزرعية أو حتى جزءا منها كما هو الحال بالنسبة له . وهذا المواطن لديه جاموسة شركة مع آخرين أى أنه ينتفع بها بالحصول على عملها ولبنها أو انتاجها فانه وفقا لنظام المشاركة يكون من حق المالك الاصلى للماشية بالاضافة الى قيام المزارع بتربيته لمدة سنة لصالح المالك بدون مقابل . واذا كانت الدولة تقوم الان بتمليك سائقى العربات سيارات سواء اجرة أو نقل حماية لهم من استغلال الراسماليين ملاك هذه العربات فان الامر يقتضى قيام الدولة بتمليك صغار الزراع حيوانات للقيام بتربيتها رفعا لمستوى دخولهم على ان يسددوا اثمانها من ناتج هذه الحيوانات ، على ان تؤول امتلاكية هذه الحيوانات اليهم بعد سداد ثمنها الامر الذى يؤدى الى رفع دخول هذه الفئات العريضة من المواطنين من ناحية وزيادة الثروة الحيوانية التى تعتبر احدى المشاكل الراهنة من ناحية أخرى .

□□□□□□□□

فقراء الريف .. وأزمة الواقع

ابراهيم القطان *

لقد استطاع الفلاح فتحي حماده ، بكلماته البسيطة والمعبره ، أن يرسم لنا لوحة صادقة عن أزمة الواقع التي يعيشها فقراء الريف . وتلك شريحة عريضة تشمل صغار الملاك وصغار المستأجرين وعمال الزراعة . وازمة الواقع هذه لها في حديث فتحي حمادة شواهد وأدلة .. ورغم اختلاف الانطباعات وتعدد زوايا الرؤية الا أن البحث عن اسباب هذه الازمة ومسبباتها ومحاولة ايجاد الحل .. تظل دائما محور اهتمام الذين تؤرقهم هموم هذه الشريحة الواسعة . ومن هذا المنطلق اعرض للنقاط التالية :

١ ــ في حديثه عن الجمعية التعاونية الزراعية وضحت سلبية الفلاح المصري وطيبته الزائدة ، هذه الطيبة وتلك السلبية ، دائما ما تكون سببا في طمع الطامعين للنيل من حقوقه ومن ثم استغلاله . فالجمعية التعاونية بالنسبة له لا تعني سوى امداد الفلاحين بالكيماوي والمبيدات والبذور ، اما الكسب فأحيانا « تيجي الحصة من بعيد لبعيد يأخذوها همه ــ أعضاء مجلس الادارة ــ لمواشيهم ومالهم » ويتصور انه من الطبيعي أن تختلف المعاملة في الجمعية بين الكبير والصغير « طبعا هل الكبير زي الصغير » . ويرى أن « الراجل الشبعان » « يقدر يسلك أموره في الجمعية » .. « وكلني وانا وكلك » .. « الرجل الجسامد له الاولوية في استعمال آلات الجمعية ــ الكبير كبير » أما هو .. « راجل معندوش عزم » « معندوش قــوة » .. « راجـل صــغير منــداس في الرجلين » ويرفض أن يرشح نفسه لانتخابات الجمعية لان «كل اللي بيدخل الجمعية منعاص » وهو لا يجد اى فائدة للمشرف الزراعي ويتساءل « المشرف يمر على مين ايه ؟ هو قبل كده كان فيه مشرفين ؟ من غير المشرف الارض حتبوظ ليه ؟ هو واقف ورايه بيقول لي ازرع : انا اللي بازرع » ويقرر انه « لولا موسم الدودة المشرف ما يطلعش الغيط ابدا خالص » « يجلس في الجمعية يشرب قهوه وشاي » .

ورغم كل هذا الوضوح في الرؤية الناتج عن الممارسة والمعاناة المضنية يرى أن مشاكله مع الجمعية تنحصر في نقطة واحدة « الحسساب متلخبط » .. « مش عارف يأخذ حقه مع بتوع الحسابات في الجمعية» ويلقي بالعيب على نفسه لانه لا يعرف القراءة والكتابة وهو هنا يلقي بالكرة على مهل الى متعلمي ومثقفي القرية . ويقذفها في نفس الوقت وبقوة الى اعضاء الاتحاد الاشتراكي والمجلس المحلي بالقرية الذين اعطاهم صوته للدفاع عن حقوقه .. وتلك قصة أخرى .

٢ ــ في حديثه عن الاتحاد الاشتراكي في الريف .. يشهد الرجل ان الانتخابات تجري في حرية تامة فهو « يعلم بنفسه على من يتصور انه ينفع » أى يستطيع حل اشكال ما ، رغم أنه يرى أحيانا أن « مفيش حد فيهم ينفع لكن باعلم برضه » « واحد وخلاص » .. وهو لم يتقدم لاحد ممن انتخبهم لحل مشكلة الحسابات مع الجمعية لاعتقاده انهم لن يقوموا بحلها ولانهم مشغولون بمصالحهم الشخصية وكل همهم من العضوية تحقيق أكبر فائدة لانفسهم ورغم ذلك فهو ينتخب .. وحين يعرف من الطليعة أن الاشتراك ٢٤ قرش ولكنهم يخصمون منه ٩٤ قرشا لا يلقي للموضوع بالا .. ويصر على أن يظل عضوا بالاتحاد الاشتراكي . ولهذا الموقف أسباب : اولا : خوفه من الغرامة . ثانيا : انه لا يصح أن يكون له موقف مختلف عن باقي أهل القرية ، ثالثا : أمله في أن تأتي من وراء الاتحاد الاشتراكي فائدة ما ولو على المدى البعيد .

وهذه الفائدة التي ينتظرها فتحي حماده يمكن تحقيقها في تصوري اذا فهم اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكي بالقرية أن فاعلية اللجنة تأخذ ولا تعطي . فليس هناك ما يمنع من أن يكون مقر

* مهندس تنفيذ كهربة الريف ــ أسوان

اللجنة هو كبة المتظلمين من حسابات الجمعية وفحص هذه الحالات مع رئيس الجمعية التعاونية ومحاسبها ، ولماذا لا تقوم لجنة الاتحاد الاشتراكى مع المجلس المحلى بمراقبة اسعار المواد التموينية والنظر فى أمر موتوسيكل رئيس المجلس القروى ، ومحاسبة طبيب الوحدة الصحية على استغلاله البشع للمرضى بقيامه ببيع أدوية الوحدة لمن يدفع « لكل حسب فلوسه » فالمفروض ان اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى هم عين واذن الجماهير ولسانها ايضا ولكن المشكلة أن المصلحة الشخصية كثيراً ما تعمى العين وتصم الاذن وتقطع اللسان ، وصحيح ان هناك كثيرين ممن يرتفعون عن مصالحهم الشخصية ويضربون المثل فى الاثرة والسلوك الاشتراكى .. ولكن كيف يعرفهم ويميزهم فتحى حماده ليعطيهم صوته ؟

٣ ـ أثار حديث فتحى حمادة قضية هامة : ما هى مصادر تكوين وعى فقراء الريف ؟ .. فالرجل لا يملك راديو ولا تليفزيون ولا يقرأ الصحف ولا يعرف السينما أو الثقافة الجماهيرية .. وربما كان ذلك سببا فى أنه يصدر احكاما فى غاية النقاء ويربطها خيط من الاتساق لا بأس به ، فى حالة غياب عبارته التقنينية « تايه عن بالى » .. فهو يرى أن : السيد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان أجدع راجل ، كل اللى عمله سليم » .. و « والسد كويس علشان المياه بتأتى لحد عندنا فى البلد وقبل السد أيام الصيف كنا بنبكى من قلة المياه » .. و « أيام الاحزاب كانت الحالة وحشة جدا من غير حساب لكن الان أحسن ٣٠ مرة عن الاول » .. ولا يصدق أن عبد الناصر يأخذ ١٥ مليون جنيه لنفسه .. «لا يا بيه» . وفى المقابل نرى تفاوتا واضحا فى وعيه الاجتماعى بين الغياب والتسطيح حين يتعرض لمختلف القضايا المحلية والوطنيه والعربيه والعالمية .. وله العذر فى ذلك فهو يكون آراءه بتراكم السماع فى جلساته مع أقرانه ، ولم نجد فى هذه الجلسات أثرا لمسئول من الاتحاد الاشتراكى او الثقافة الجماهيرية او مثقفا ناضج من اهل القرية .

٤ ـ ضرب لنا فتحى حمادة مثلا فى قناعة أهل الريف .. والتى تخشى أن تكون سببا فى اهمال مطالبهم . فعندما تسأله الطليعة : « اذا قابلت رئيس الجمهورية فماذا تطلب منه علشان الفلاحين ؟ » يجيب : « الفلاحين ، ما هى ماشية عال ، حيعمل لهم ايه أكتر من كده » . ورغم كل همومه التى يفيض بها حديثه الا أنه لن يشكى له الا « حسابات الجمعية » . ولا يطلب من الحكومة الا أن ترخص الحلاوة والصابون والقماش .. بسيطة يا شيخ فتحى ! .. وهو يتقدم بطلباته على استحياء .. « فقط النور يتسم فى البلد ... والضعيف يقوى » . وهو لا يطلب زيادة دخله المتدانى فى الصفر الا من خلال عمل اضافى يستحق عليه أجر اضافى وهو بهذا الموقف يضرب مثلا لكل المنادين بمطالب فئوية من خلال المظاهرات والاعتصامات والخطب الرنانة . وهو يفضل أن تعطى له الدولة فدانين أرض عن أن توفر له وظيفة بجانب الزراعة ، وهنا بيت القصيد ..

فمن أين لنا بفدانين ـ أو أقل أو اكثر ـ لكل فتحى حمادة فى كل قرية مصرية ؟ .. هذا اذا أردنا اسعاد فقراء الريف ... الجواب : اهتمام الدولة ـ بأقصى ما تكون درجات الاهتمام ـ باصلاح الاراضى واستزراعها وهى كثيرة جدا تلك الاراضى التى يمكن استصلاحها . والنظر فى امكانية تطوير قوانين الاصلاح الزراعى بحيث تتضمن حلا عادلاً للملكية الغائبة .. فالارض لزارعها » . وكما لا يصح الجمع بين وظيفتين ، لا يصح ايضا الجمع بين وظيفة بالحكومة أو القطاع العام أو الاشتغال بالتجارة وملكية الاراضى ، لان ذلك يعنى تأجير هذه الارض اما الى كبار المستأجرين وبذلك تنمو رأسمالية ريفية لها خطرها أو الى صغار المستأجرين ومن ثم استغلالهم حتى بموافقة مجلس الشعب . ان الفلاح الفقير قد تخلص من استغلال كبار الملاك الاقطاعيين ـ هذا صحيح ـ ولكنه اليوم يتعرض لاستغلال المالك الموظف ، ومفهوم الاستغلال واحد فى الحالين لا يتغير .. وان اختلفت درجته .

ثمة ملحوظة جوهرية : هل يدرك أدباؤنا وشعراؤنا ان قرية اليوم ليست « مصطبة » .. ولا هناء ولا صفاء .. وقد خلع فلاحوها ثوب الشاعرية ، فلا مواويل ولا ربابة ولا نكات ولا قفشات ... وأصبح حديثهم فى الظهرية ـ وقت الغذاء ـ عن ارتفاع الاسعار وزيادة الضرائب ... سبحان الله .

وهل يعلم « الاكابر » من أهل المدينة الذين يتصورون أن غذاء أهل الريف هو الفطير المشلتت والزبدة والقشدة والبط ، أن غذاءهم لا يتعدى « العيش والجبنة » .. و « بصلة خضراء » .. ومن الموسم للموسم « فرخة » .. صحيح انها بدون طابور ■

أسـبانيا

ملف
خاص

هـل يسـتمر
« نظام فرانـكو »
بدون « فرانـكو »؟

خيـرى عزيـز

....

أسـبانيا - فرانـكو
[١٩٣٦ - ١٩٧٥]

وديـع أميـن

ما هى معالم الصورة السياسـية الراهنة فى اسبانيا اليـوم ؟ وما هى الافاق المطروحة للتطور السياسى فى هذا البلد ، بعد اختفاء الجنرال فرانكو الذى استمر يحكم ، بنظامه الفاشى لما يقرب من اربعين عاما ؟ وهل يمكن أن تستمر الفرانـكوية اليوم باسـلوب الحكم الذى سـارت تقليديا عليه ام سـيجرى تجميلهـا للتمـويه على الضـغوط الشعبية المتزايدة التى تطالب بالحرية والديمقراطية ام ان الرأسمالية الاسبانية سوف تعدل كلية عن الفرانكوية كشكل للحكم ، سعيا وراء شكل آخـر يقوم على الديمقراطية « من الطراز الغربى » .؟

وقبل كل ذلك ما هى بايجاز ، قصة قيام النظام الفاشى فى أسبانيا ، واستمراره طوال هذه المـدة الزمنية ، وما آل اليه اليوم ؟

كل تلك تساؤلات ، يحاول هـذا الملف الذى قام باعداده الزميلان خيرى عزيز ، ووديع أمـين أن يقدم بعض اجابات عليها .

هل يستمر « نظام فرانكو » بدون « فرانكو » ؟

هل يمكن أن يستمر « نظام فرانكو » بدون « فرانكو » ، وهل يمكن المحافظة على هذا النظام بعد « فرانكو » ؟

هذا هو السؤال المطروح على أسبانيا اليوم ، وهي تقف على أعتاب منعطف تاريخي جديد في تطورها ؟

لقد سعى الجنرال فرانكو في السنوات الاخيرة بالطبع ، لان يضمن استمرار نظامه من بعده ، عن طريق وريث شرعي لشخصه يتولى حكم البلاد ، وحدد هذا الوريث منذ ست سنوات في صورة الامير **دون جوان كارلوس** ، على أساس أنه في حالة وفاة فرانكو ، يصبح جوان كارلوس تلقائيا رئيسا للدولة، وبعدها بثمانية أيام، وبعد أن يكون قد أدى اليمين أمام مجلس النواب ، يعلن **ملكا** على البلاد ، وهو ما حدث بالفعل .

هل يتولى الوريث الشرعي ؟

والامير جوان كارلوس هذا ، هو حفيد **الفونسو الثالث عشر** آخر ملوك اسبانيا الذى استقال عام ١٩٣١ .ولد جوان كارلوس في ٥ يناير سنة ١٩٣٨ . ويعد الابن الاكبر للامير **دون جوان دى بوربون** ، كونت برشلونة . سمح له بالحضور الى أسبانيا عام ١٩٥٤ ، على أثر اتفاق بين الجنرال فرانكو وكونت برشلونة ، ليتلقى دراسته فيها . والتحق بالفعل بمدرسة البحرية في منطقة جاليسيا ، ثم مدرسة المشاة في ساراجوسا التى كان الجنرال فرانكو يديرها قبل اندلاع الحرب . والتحق بعد ذلك بمدرسة الطيران بالقرب من قرطاجة ، واستمرت دراسته العسكرية ست سنوات عين على أثرها ضابطا بحريا ، وملازما في الجيش ، وطيارا في السلاح الجوى الذى فضل الامير أن يظل فيه ، بعد أن أصبح يحمل شهادات ضابط في أسلحة الجيش الثلاثة ، ويتحدث أربع لغات .

وفي عام ١٩٦٠ ، بدأ دراسته الجامعية ، وتخصص في العلوم السياسية تحت اشراف أساتذة اختارهم بنفسه ،وذلك بالاتفاق مع المجلس الملكى ، وتلقى دراسات في القانون والفلسفة والتاريخ والاقتصاد أيضا . وفي مايو ١٩٦٢ تزوج **الاميرة صوفى** ، أميرة اليونان في أثينا ، واستقر في قصر « لازارزويلا » الذى منحهم اياه الجنرال فرانكو ، ورزق بثلاثة أولا :الاميرتان: ايلينا ماريا، وكريستينا ، والامير **فيليب** .

وفي ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٩ حصل الجنرال فرانكو من البرلمان الاسبانى على قرار بتعيين الامير جوان كارلوس ، خليفة له بلقب ملك .

منافسون ملكيون :

بيد أنه ما كان بوسع جوان كارلوس ، أن يكون متأكدا دوما من أن فرانكو لن يغير رأيه فجأة ويمنح تأييده لخليفة آخر غيره خاصة وهناك آخرون يطالبون لانفسهم بالعرش ، مثل احد ابناء عمومته من بعيد ، وهو الامير **دون كارلوس هوجو دى بوربون دى بارما** ،ووالد الامير جوان كارلوس نفسه ، وهو **دون جوان دى بوربون اى باتنبرج** « كونت برشلونة » [٦٢ عاما] وهو ليبرالى ، حدثت قطيعة بينه وبين فرانكو منذ ٢٨ عاما ويعيش في المنفى في البرتغال وقد شعر بقوته السياسية لدرجة انه دعا الجيش الاسبانى ، في صيف العام الماضى [١٩٧٥] ، ليساعده على تولى العرش بالقوة ويقول عن ابنه انى أحب ولدى ، ولكن المشكلة هى في أنه يفكر كفاشى .

ولكن أخطر منافسى جوان كارلوس في الواقع ، هو أقرب أبناء عمومته **دون الفونسو دى بوربون اى دامبيير** ، الذى تزوج حفيدة الجنرال فرانكو ، المفضلة ، ولقد كان من المتصور دائما فيما لو ابتعد جوان كارلوس عن خط الجنرال فرانكو ، أن يعيد الجنرال كتابة وصيته ليعين دون الفونسو ملكا . ولكن المتتبعين للتطورات في أسبانيا يرون أن اختيار فرانكو لجوان كارلوس في ١٩٦٩ كان نصرا ملموسا له على المطالبين الاخرين بملكية اسبانيا .

وقد تعهد جوان كارلوس خلال الاحتفال بتتويجه كوريث للملك في عام ١٩٦٩ بأن يصبح ملكا مسايرا للعصر . ومنذ ذلك الحين قام باجراء عدة اتصالات مع أعضاء الحكومة الذين يتوقون الى التحول الهادىء الى الديموقراطية بعد رحيل الجنرال فرانكو ، وشجعهم على الاعتماد على تأييده .



... أنيدو



كارلوس

جوان كارلوس والاختيار الصعب

والواقع انه من الصعب على جوان كارلوس أن يأمل في البقاء طويلا في الحكم ، اذا كانت كل القوى الديموقراطية في البلاد تنظر اليه باعتباره مجرد صنيعة حكم فرانكو واستمرارا له . ولذا فهو في اشد الحاجة لان يوضح عقب توليه السلطة على الفور ان مرحلة جديدة تماما في تاريخ اسبانيا سوف تبدأ ، وذلك مثلا عن طريق تعيين رئيس وزراء جديد يتمتع بسمعة ليبرالية ، واصدار عفو عن جميع المعتقلين السياسيين ، واجراء استفتاء حول ادخال تعديل على القانون الاساسي يتضمن اضافة مبادىء حرية التعبير ، والانتماء الى النقابات ، وحق الاقتراع الشامل ، وتكوين حكومة مسئولة .

وعلى أي حال ، فان أعداء جوان كارلوس لم يتخلوا عن عزمهم، ومازالوا يعتبرونه ظلالفرانكو أي رجلا ضعيفا ، لن يستطيع أن يستمر في حكم الدولة بعد اختفاء حاميها . والواقع ان جوان كارلوس وان كان قد بدأ منذ عدة سنوات تدربه على رئاسة الدولة [بزياراته الى أوربا وفرنسا وخاصة الى آسيا] الا أنه لم يستطع أن يظهر حجمه الحقيقي في الحياة العملية ، ولم يتخذ مطلقا أي موقف بشأن مشاكل اسبانيا الهامة ، الا أن هذا الموقف يعد موقفا متعمدا منه في نظر البعض الذي يعتبر ان تحفظ جوان كارلوس كان أفضل ورقة رابحة في يديه .

والواقع أن مشكلة جوان كارلوس هي أنه اذا أسفرت الضغوط السياسية المتزايدة بعد رحيل فرانكو عن بدء التنازع بين الاحزاب السياسية من اجل الوصول الى السلطة ، فان ذلك قد يكشف سريعا عن ازمة هذا الرجل ، وسط صراعات سياسية محتدمة تفوق طاقته على توجيهها .

كذلك فاذا أقدم ، من ناحية أخرى ، على اجراء اصلاحات سريعة في النظام السياسي ، فان ذلك سيدفع قوى اليمين المتطرف والقوى المحافظة في الجيش للتدخل ضده .

بيد أن الامر المؤكد من ناحية أخرى ، هو أن قطاعا كبيرا ممن يتولون مراكز السلطة في الوقت الراهن ، يرغبون في الحيلولة — اذا أمكن — دون اجراء أي تغيير ملموس ، وهم يستغلون فراغ السلطة الحالي ، وصعوبة موقف الامير من اجل تدعيم موقفهم ، وجعله رهينة لديهم اذا أمكن

وقد قام بعض كبار الجنرالات مثل كميانو لوبيز القائد الجديد للحرس المدني بابلاغه أنهم سوف يؤيدونه فحسب اذا ما ترك النظام الحالي دون أن يدخل عليه أي تغييرات . ولذا فالسؤال المطروح هو . هل ستواتي جوان كارلوس الجرأة ، ليطلب تأييد القوات المسلحة له ضد أولئك المتطرفين الذين يعارضون أي تغيير ، أم انه سيصبح في نهاية الامر أداة جديدة في أيديهم ؟

وعلى أية حال ، فان الشيوعيين الاسبان يرون على لسان « سانتياجو كاريللو » سكرتير الحزب الشيوعي الاسباني في تصريح له مؤخرا أن «جوان كارلوس» ربيب فرانكو ، ويجب أن يختفي فورا بعد ذهاب فرانكو » . كذلك أشارت صحيفة «لومانيتيه الفرنسية » في ٣ نوفمبر الماضي الى أن « جوان كارلوس ينتهج نفس الفلسفة المعادية للشيوعية مثل أستاذه ، كما أنه تستر على أبشع جرائمه ، وأن الذين سيتجالفون معورثة فرانكو ،سيقتسمون معه تركته الملطخة بالدماء » .

« الديكتا دورا » !!

وعلى اية حال ، فان مصير السلطة السياسية فى اسبانيا ، لن يكون قط مجرد تنفيذ لوصايا الجنرال فرانكو ، بقدر ما سيكون انعكاسا لحقيقة القوى السياسية المتصارعة فى الحلبة السياسية فى هذا البلد .

فمن المعروف أن الجنرال فرانكو ، قد قضى على كل نشاط سياسى فى البلاد ، باستثناء التجمع الموالى له والمسمى « بالحركة » « موفيمينتو » والذى أدمج فيه قوى أقصى اليمين من **الفلانج** [الكتائب] ، والملكيين وانصار اليمين التقليدى كما أثبت مقدرة فى تقسيم صفوف ، وحكم ، ائتلاف المجموعات اليمينية التى تولت قيادة اسبانيا منذ الحرب الاهلية وهم : الفلانج المتشددين، والكاثوليك المحافظين ، والتكنوقراط الإصلاحيين ، والعسكريين .

ومن المعروف أيضا أن أساليب حكم فرانكو تفاوتت شدة وعنفا بعد سنة ١٩٥٠، بين ما يسمى بالديكتا دورا « أى الديكتاتورية القاسية » . بين « الديكتا بلندا » أى الديكتاتورية الاقل قسوة .. [علما بانه فى الخمس سنوات الاولى من حكمه ، اعدم ومات فىسجونه ٢٠٠ الف جمهورى] .
وخلال فترة طويلة ، لم يكن هناك وجود محسوس للمعارضة بداخل اسبانيا ، وانما كانت المعارضة خارجية اساسا معارضة المنفيين ، وابتداء من الخمسينات ، بدأت تنمو معارضة سرية داخلية، كان الشيوعيون ابرز قواها . فضلا عن وجود نشاط سرى اشتراكى وفوضوى كذلك ، وقد ازدهرت هذه المعارضة الداخلية بصفة خاصة من خلال « **اللجان العمالية** » التى لعب الشيوعيون الدور الاكبر فيها ، والتى كانت موازية للجان النقابية الفاشية ، كذلك أثريت صفوف المعارضة، بعناصر من اليمين الليبرالى او حتى من صفوف أنصار فرانكو انفسهم .

الفترة السابقة على ما بعد فرانكو

ومنذ سنة ١٩٧٠ بدأت أسبانيا تعيش ما سمى « **بالفترة السابقة على ما بعد فرانكو** » . وقد نوقشت فى هذه الفترة ، كل التغيرات الاساسية التى يطمح اليها الشعب الاسبانى فى مجال كسب الحريات الديمقراطية والنقابية ، وسائر حقوقه الاخرى ، ولكن شيئا بالطبع لم يتغير فى الواقع . وانما الذى تغير حقا هو أن **مركز ثقل المعارضة** انتقل الى داخل اسبانيا بعد أن كان خارجها . ويرجع جانب من هذا التحول أيضا بالاضافة الى تصاعد نضال اليسار والعمال الاسبان الى موقف بعض فئات الكنيسة الكاثوليكية ، خاصة بعد أن فقد نظام فرانكو الاغلبية المطلقة التى كان يتمتع بها فى مؤتمر الاساقفة الاسبان .

وقد اتخذت الحياة السياسية الاسبانية فى الاونة الاخيرة شكلا جادا ومتحركا ، لم يسبق لاسبانيا عهد به منذ انتصار الجنرال فرانكو على الجمهوريين . فالاحزاب القديمة ، أو بقاياها اذا شئنا الدقة ، بدأت تجتمع فى منتدياتها، ومراكز تجمعها ، لتقرر وتمارس نشاطها رغم أنف القانون وأخذ أعضاء البرلمان يتحدثون فى أشياء ، كانت حتى العام الماضى من المقدسات التى كان الحديث عنها يعد جرما خطيرا أو خيانة لا تغتفر ، الامر الذى عكس بالضرورة تصاعدا واضحا للضغط الديموقراطى .

الشيوعيون الاسبان :

والواقع أن الشيوعيين الاسبان يقفون فى قلب المعارضة ضد نظام فرانكو ويرى بعض المتتبعين للشئون الاسبانية ، أن الشيوعيين الاسبان اليوم أفضل تنظيما من رفاقهم البرتغاليين عشية اندلاع الثورة البرتغالية فى ١٩٧٤ ، ولهم ركائزهم فى اتحادات العمال ، ووسط المجموعات الطلابية ، كما أن لهم محطة اذاعة خاصة بهم تبث برامجها من وسط أوربا . ويقدر عدد الخبراء بالشئون الاسبانية ، أن الحزب الشيوعى يستطيع فى حالة اجراء انتخابات عامة فى اسبانيا أن يحصل على ١٥٪ من أصوات الناخبين . كذلك فقد غدا مكتب سانتياجو كاريللو سكرتير الحزب الشيوعى الاسبانى فى باريس ، ملتقى للساسة المعارضين الاسبان سواء من اليسار أو اليمين او الوسط ، فى الوقت الذى أصبح الحزب يتمتع فيه داخل أسبانيا ، بنفوذ ملموس فى مدريد وبعض المناطق الصناعية الاخرى . ويعد الشيوعيون الاسبان عامة ، أفضل قوة سياسية منظمة تحت الارض، فى اسبانيا ، خاصة بعد أن دخلوا بنجاح داخل الاتحادات العمالية الخاضعة لرقابة الحكومة ، وداخل وسائل الاعلام ، وحتى داخل اجهزة « الحركة » الحاكمة نفسها .

« شعب الباسك والحرية » :

وليس ثمة شك أن المناضلين فى صفوف حركة الباسك لعبوا أيضا دورا ملموسا فى مقاومة نظام فرانكو والتعبئة ضده ، وشكلو ويشكلون عاملا من عوامل الضغط المتصاعد ضد هذا النظام ، وخاصة بسبب اعمال العنف والقمع والاجراءات الاستثنائية التى تعرض لها اقليم الباسك الذى يعامل كما لو كان أرضا معادية . ولقد شكلت حركة الباسك القومية على الدوام مركزا من المراكز المناوئة للنظام ، ذلك أن منطقة

الباسك وان كانت مجرد منطقة صغيرة فى شمال شرق اسبانيا ، الا انهـا مركز هام للصـناعة الاسبانية ، ولكنها تنتمى الى اصول غير لاتينية، وتتكلم لغة غير اسبانية . ولذا يطالب سـكان هذه المنطقة منذ قرون ، بأن يشكلوا مع اخوتهم فى الجنس واللغة على الجانب الاخر من الحدود الفرنسية ، دولة مستقلة . وهو مطلب اتخذ فى السنوات الاخيرة شكلا داميا ، خاصة بعد ان هز الشبان الباسك هيبـة حـكومة مدريد عندما قاموا فى ١٩٧٤ ، باغتيال **كاريرو بلانـكو** رئيس الوزراء فى شـارع رئيسى بالعاصـمة ، وبأسلوب غير معهود فى عالم الاغتيال السياسى لم تستطع الشرطة الاسبانية ، أن تتوصل بعـده الى منفذى الخطة .

وقد شد من أزر حركة الباسك ، أن الكنيسة الكاثوليكية ، وهى من اعمدة نظام فرانكو ، ظهرت كانوى حليف للباسك فقـد دافـع عشرات من القساوسة — الذين تعرض بعضهم للحرمان — عن قضية شعب الباسك ، وقاموا بمختلف الحملات السياسية الاخرى ضد نظام فرانكو ، وساندوا اللجان العمالية غير القانونية ، ودعوا الى تحسين احوال الطبقة العاملة والكادحين .

اكثر من ١٢ منظمة للعنف المسلح :

وتؤكد الدوائر الرسمية الاسبانية أن هناك أكثر من ١٢ منظمة ارهابية تعمل فى البلاد ، من ابرزها بالاضافة الى منظمة الباسك المسـماة « **شعب الباسك والحرية** » ، منظمة ماوية تعتمد ايضـا على العنف المسلح هى « **الجبهة الوطنية الثورية المعادية للفاشية** » كما سجلت دوائر الحـكومة ايضا ، ازدياد عدد عمليات السطو على ثكنات الجيش لسرقة السلاح . وأصبحت مشكلة النظام هى الدوران فى حلقة الارهاب المفرغة ، لانه اذا كف النظام عن اعدام الثوار ، فانه يتعرض لتمرد البوليس والحرس المـدنى واقصى اليمين الذين يطالبون جميعا بالانتقام لضحاياهم .

مشكلة قطلونية :

وهناك مشكلة اخرى جابهت وتجابه نظـام فرانكو وتساهم فى تكتيل المعارضة ضـده هى مشكلة قطلونية وعاصمتها برشلونة ، اذ يطالب اهلها بالاستقلال الذاتى ، فلغتهم اقـرب الى الفرنسية منها الى الاسبانية ، وهم يسيطرون على التجارة والصناعة والنسيج والنشر بصفة خاصة كذلك فهم يطالبون بالاستقلال الذاتى ، عبر وسائل أكثر نعومة من الباسك تتمثل فى الدعوة الى مزيد من الديموقراطية واللامركزية ، سواء علنـا فى مؤتمرات تفضها الحكومة ، أو سرا فى مؤتمرات تذاع قراراتها فجأة على الناس .

عامل فنى :

وهناك عامل فنى ، ساهم بصورة أو بأخرى فى تسهيل مهمات العناصر الحركية المعارضة . فالطرق العديدة المسفلتة فى اسبانيا ، على نحو ما هو فى اكبر الدول الاوروبية ، وملايين السيارات التى تتدافع فوقها [حيث يزور اسبانيا سـنويا حوالى ٣٠ مليون سائح] ، جعل السيطرة على حركة الافراد امرا صعبا للغـاية ، ان لم يكن مستحيلا ، خاصة والعديد من الثوار قد تدربوا على احدث ما تعرفه نظم حرب العصابات ، مما جعل مهمات الشرطة أكثر مشقة ، خاصة بعد أن بذلت اسبانيا جهدا كبيرا فى الاعوام الاخيرة لتمحو من أذهان الاوربيين أنها دولة بوليسية .

ولكن ازدياد النشاط الثورى ، وخاصة من جانب الباسك ، ادى الى عودة الحكومة لتشديد نظام الرقابة البوليسية ، فأخذت تطلب من أصـحاب الشقق والبيوت أن يبلغوا الشرطة فى الحال عن اى مقيم معهم، أسبانيا أو اجنبيا ، وأصبح الاسبانى ملزما بأن يملأ بطاقة كالتى يكتبها من ينزل فندقا ، لاى ضيف يهبط عليه ، ويقيم عنده ولو ليلة واحدة مهما كانت الصلة ،واصبح على المكاتب التى تؤجر السيارات ان تملأ بطاقة خاصة بكل سيارة تؤجرها توافى بها الشرطة فى الحال ولو كان الامر لساعات وعاد رجال الشرطة يظهرون من جديد امام المصارف والشركات وفى الشوارع ، وبعضهم مسـلح بالمدافع ، الى جانب المسدسات ، بعد أن كانت الدولة قد استبدلتهم من قبل بالفتيات سواء فى المطارات أو الجمارك الخ . كل ذلك أكد فى أذهان الشعب الاسبانى ، انه لا فكاك من دائرة الدولة البوليسية طالما استمر النظام القائم . خاصة وان هذا الانتشار البوليسى ، من أجل « الحفاظ على الامن » أصبح يكلف الدولة غاليا ، ويزيد من حدة المشكلة الاقتصادية فى البلاد .

حدة خاصة للازمة الاقتصادية :

ومن العوامل التى تفاقم ازمة النظام ، بصورة خاصة ان الازمة الاقتصادية الراهنة فى العالم الراسمالى ، تكتسب فى اسبانيا بعدا خاصا . اذ ارتفعت الاسعار وتكاليف المعيشة بصـورة باهظة بلغت وفقا لبيانات جمعيات ربات البيوت الاسبانية ٣٤٪ فى الغذاء ، و ٢٥٪ فى الملابس والاحذية ، و ٣٨٪ فى منتجات التنظيف و ٥٠٪ فى النقل والمواصلات ، و ١٩ فى المـسائة فى التعليم ، و ٣٨٪ فى الملاهى و ١٧٪ فى السكن و ٢٣٪ فى الكهرباء والغاز . ولم تتجسد المشكلة الاقتصادية فى رفع الاسعار فحسب ،وانما عمدت الشركات لزيادة أرباحها الى الهبوط بنوعيـة السلع ، وخاصة الغذائية .

كذلك فقد انكمشت السياحة ، وهى المصدر الاول للعملات الصعبة ، حيث اشار ويشير مؤشرها الى الهبوط السريع وبلغ النقص فى عدد السياح فى العام الماضى ١١٪ بعد أن كانت الدولة تتوقع مزيدا يتراوح ما بين ٧ و ١٥٪ ، واعلنت عديد من شركات السياحة الكبرى افلاسها ؛ وتفشت البطالة حيث بلغ عدد العاطلين اكثر من نصف مليون عامل ، وفى الوقت الذى أخذ فيه الشبان يهجرون القرى للعمل فى القطاعات غير الزراعية ولم يبق فى الاراضى الا الشيوخ والعجزة والنساء والأطفال ، مما كان له أثره فى اضمحلال الانتاج الزراعى ، وبدأ عشرات الالوف من العمال الاسبان المهاجرين الى الخارج فى العودة الى بلادهم مفلسين مهزومين بسبب الازمة المنتشرة فى مختلف الدول الرأسمالية ، وانضمامهم فى اسبانيا الى قوافل الباحثين عن عمل امام مكاتب التشغيل ، تضاف الى كل ذلك مشكلة الصحراء الغربية التى شكلت عبئا على اسبانيا بسبب التكاليف التى انفقتها هناك .

وقد ادى تفاقم الوضع الاقتصادى الى تفجر اضرابات كبيرة مثل اضراب مصانع سيات للسيارات ، واضراب الاطباء الداخليين الخ . . كذلك فقد عاشت برشلونة وفاسارينو ، فى بلد الوليد واشبيلية ومنطقة الباسك واقليم قطالونيا ونافار طوال السنة الماضية فى مناخ اضراب عام شل النشاط الصناعى فى هذه الاقاليم . وكان عمال الصناعات المعدنية والبناء على رأس حركة المطالب ، وتبعهم فيما بعد ، عمال البنوك والنسيج والصناعات الكيماوية ، والنقل والكهرباء والاحذية ، والمناجم والاخشاب ، والجلود ، والعمال الزراعيين ، وعمال المطابع والصحف ، والبريد والادارات المحلية ، بل وبوليس البلدية احيانا ، وموظفو الوزراة ، ولاول مرة فى تاريخ اسبانيا ، ممثلو ومديرو دور السينما والمسرح . وقد أصبح العمال الاسبان فى مقدمة الاحصائيات العالمية الخاصة بصدد ساعات الاضراب .

ومما فاقم ويفاقم الازمة من ناحية أخرى أن كل هذه الاوضاع اثارت وتثير تساؤلات ومخاوف اصحاب رؤوس الاموال حيث بدأ رجال الصناعة فى منطقة برشلونة ، المركز الصناعى الاول فى اسبانيا ينقلون نشاطهم الى جنوب فرنسا ، لان غدها السياسى يعد فى نظرهم اكثر استقرارا وأمنا . وقد ندد مطران مالقة علانية بهؤلاء الاسبان الذين يتركون جنوب اسبانيا فقير ، خاليا من الصناعة ، وفى حاجة الى المساعدة ، ويذهبون الى جنوب فرنسا ، حيث يقيمون المصانع ويستثمرون أموالهم . ويلخص حقيقة الوضع الاقتصادى فى اسبانيا اليوم ، واقع ان معدل النمو السنوى الذى كان يبلغ ٧ أو ٨ فى المائة عادة لم يبلغ هذا العام سوى ١٪ فقط ، فى حين بلغت نسبة التضخم ٢٠٪ سنويا .

تفاقم العلاقة بين الدولة والكنيسة والفاتيكان

وليس ثمة شك أن تفاقم العلاقة بين الدولة والكنيسة يمثل أيضا عاملا هاما من عوامل تشكيل الصورة السياسية فى اسبانيا اليوم واسبانيا بعد فرانكو ، علما بأنه شارك بالفعل فى تشكيل هذه الصورة السياسية فيما يسمى « بالفترة السابقة على ما بعد فرانكو » ، والامر الملموس بوضوح فى أسبانيا فى الفترة الاخيرة ، هو أن نضال القساوسة ورجال الكنيسة ازداد اتساعا وخاصة فى مجال تضامنهم مع كفاح فئات المجتمع الاسبانى الاخرى وقد وقع ٩٦ من القساوسة الاندلسيين فى اقليم نافار مؤخرا بيانا نددوا فيه بالهجرة والبطالة وغلاء المعيشة ونقص المدارس والقمع المستمر وفقدان الحريات . وأكدوا فيه تضامنهم مع كل الذين يعملون من أجل مجتمع أكثر عدالة .

كذلك فللكنيسة رهبان يقاتلون مع منظمة الباسك الانفصالية وبعضهم فى السجون ، ورهبان آخرون يتزعمون حركات الاضراب العمالية ، ويتعرضون للسجن والاعتقال ، كذلك تفتح الاديرة فى قطلونية ابوابها للمثقفين ، يعقدون فى داخلها اجتماعاتهم السرية ، أو غير المسموح بها . كما تتحدى بعض المؤسسات الكنسية الدولة فى أحايين كثيرة . وقد عقد فى سبتمبر ١٩٧٤ مثلا ، ودون تصريح ، ما أطلق عليه اسم « **المجلس الوطنى لقطلونية** » فى دير للراهبات بالقرب من برشلونة ، وضم كل العناصر السياسية ومن بينها ممثلى الحزب الاشتراكى الموحد الذى يعد جزءا من اليسار ، والملكيون من دعاة الفرع الذى ينتسب الى غير الفرع الذى منه جوان كارلوس ، وبينهم أطباء ومحامون ورجال أعمال ، وذلك ليطالب بمزيد من الديمقراطية وحرية الفكر وقد ألقى القبض على ٦٧ منهم ، أعرب مطران برشلونة عن اهتمامه بمصيرهم وتأكيده على ضرورة اقرار القانون لحق الاجتماع وتكوين الجمعيات .

وقد ادى موقف الكنيسة الاسبانية ، الى توتر حاد بين أسبانيا والفاتيكان ، ودخلت العلاقة بينهما فى طور من الجمود ، حتى أن عددا من المطرانيات الهامة فى أسبانيا خال منذ عام كامل ممن يشغله ، لان التعيين يتم من قبل الفاتيكان ، وبعد موافقة الحكومة الاسبانية ، فما يرتضيه

طرف ، برفضه الطرف الاخر ، كذلك فقد نددت الكنيسة بعمليات الاعدام التى تمت مؤخرا للثوار الشباب فى أسبانيا ، والتى ادت بالاضافة الى ذلك الى سحب معظم دول أوروبا الغربية ، لسفرائها من أسبانيا والى مزيد من اساءة العلاقات بين النظام الاسبانى والدول الاوروبية الغربية .

هكذا أصبحت أسبانيا فى النهاية ، حتى داخل العالم الغربى نفسه التى تعد جزءا منه ، معزولة عن كل المنظمات الاوروبية عن حلف الاطلنطى ، والسوق الاوروبية المشتركة والبرلمان الاوروبى

مناورة « التجمعات » السياسية داخل حزب فرانكو « الواحد » ..

الا انه ازاء تزايد الضغوط السياسية من أجل الديمقراطية والحريات ، تقدم **أرياس نافارو** رئيس الحكومة الاسبانية ، منذ ما يزيد على ثلاثة وعشرين شهرا باقتراح مايسمى «بالمشاركة » اى حق تكوين تجمعات سياسية تسمى «الروابط» و «جماعات البحث» داخل الحركة « الموفيمينتو » [تنظيم فرانكو السياسى الوحيد القانونى] فى أسبانيا ، وذلك بأن يتاح لاصحاب الفكرة الواحدة أن يلتقوا ، وأن يتفقوا ، وأن يدافعوا عما يرونه صالحا ، بل وأن يكسبوا لفكرتهم انصارا من الجماعات الاخرى ، ويكون مجال نشاطهم البرلمان .

وكان ذلك الاقتراح فى الواقع مناورة كبرى من نافارو تستهدف اثبات امكانية مقرطة النظام من داخله ، وامكانية تطوره نحو الديمقراطية ، فى اطار القوانين السارية ، وذلك لتحقيق أهداف خارجية مثل قبول اسبانيا بصورتها الموهة هذه فى السوق الاوروبية المشتركة ، ولكن هذا الهدف « الاوروبى » لحكومة نافارو انتهى بالفشل الذريع عندما استقبل رئيس البرلمان الاوروبى ، وفدا يمثل تحالف القوى المعارضة للنظام الحاكم فى اسبانيا هو وفد « المجلس الديمقراطى الاسبانى » ، والذى كان بمثابة تأييد معنوى وسياسى دولى لقوى المعارضة الاسبانية .

أما فيما يتعلق بالداخل ، فقد كان نافارو يستهدف أن تبقى داخل « حركة » الجنرال فرانكو بعض القطاعات التى ابتعدت عن النظام ، بل وان تكسب الحركة جماعات بوجوازية جديدة ممن اجتذبتها وعود النظام الليبرالية ، وكان نافارو يحاول فى الواقع أن يعطى التيارات الخفية شكلا قانونيا لتطفو على السطح ، فيسهل رصدها ومجابهتها فكريا على أقل تقدير .

ولكن حتى تلك المناورة ، لم يشأ لها الجنرال فرانكو أن تكتمل ، وكان قد أعلن بكل وضوح أن « الموفيمينتو » [حزبه الواحد] هى وحدها التى تحدد أى التجمعات السياسية يمكن أن يصبح « رابطة » وتجمعا سياسيا ، وأعلن فضلا عن ذلك انه لا يحق لهذه التجمعات أن تصبح أحزابا سياسية رسمية .»

كذلك وجدت فكرة « التجمعات » معارضة عنيفة من جانب قوى اليمين المتطرف الاسبانى ممثلا فى حزب الفلانج « الكتائب » (وهو جزء فقط من الموفيمينتو) ومن جانب قوى اليمين المتطرف الاخرى مثل الجماعة التى تطلق على نفسها اسم النادى الاسبانى لاصدقاء أوربا » ، و « الحزب الاسبانى القومى الاشتراكى » و « الحركة الاشتراكية الاسبانية » و « الفرقة الزرقاء » [وهو الاسم الذى كان يحمله الاسبان الذين تطوعوا خلال الحرب العالمية الثانية لمقاتلة الشيوعيين فى الجبهة الالمانية] ، و « جبهة الطلاب القوميين النقابيين » وحركة « جند المسيح ملكا » [التى تعتبر مهمتها ، النضال ضد رجال الدين التقدميين] وجماعة اخرى تتخذ من مجلة « صليب ايبريا » موطنا لتجمعاتها .

وعلى هذا النحو كان الجنرال فرانكو وانصاره من الفلانج المتطرفين قد اكدوا لزعماء المعارضة أنه لا أمل سياسى لديهم فى ظل الوضع القائم ، ولذا فقد واصل هؤلاء الزعماء ويواصلون ببساطة كفاحهم السياسى السرى ، فى حين ادرك اولئك الذين جذبتهم فكرة المشاركة و « الروابط » أن كل ذلك ليس سوى وسيلة لادخالهم قلعة ديكتاتورية لا مستقبل لها ، وتهاوت آمال الذين اعتقدوا أن ليبرالية النظام ممكنة فى ذلك الوقت

الا انه على الناحية المقابلة من الصورة السياسية ، يقف اليسار بكل اتجاهاته ، وفى قلبه الحزب الشيوعى الاسبانى ، ثم الحزب الاشتراكى المتحد ، أما الحزب الديمقراطى المسيحى الذى يمثل اليسار الكاثوليكى ، فيتخذ موقف الوسط . والى جانب هؤلاء الجمهوريين ، هناك الملكيون المنقسمون الى ثلاث اتجاهات ، اتباع جوان كارلوس ، وأتباع والده كونت برشلونة ، واتباع دون الفونسو دى بوربون وهو من نفس الاسرة المالكة

وبصورة عامة تتجمع المعارضة ضد نظام فرانكو فى تيارين رئيسيين ، التيار الاول يسمى « العصبة الديموقراطية » التى يتزعمها الحزب الشيوعى الاسبانى ويشكل قوتها الاساسية ، ويشترك فيها ايضا الحزب الاشتراكى الشعبى بزعامة البروفيسور **تييرنو جالفان** والمحامى **راؤول مورادو** ، كما يشترك فيها عدد من مختلف المجموعات الاشتراكية التى تلتف حول شخصيات على هامش الحزب التقليدى

للاشتراكية الاسبانية وهو « الحزب الاشتراكي العمالي الاسباني » وهو حزب ضعيف اليوم ، وتشترك فيهـا أيضا بعض الشخصيات مثـل كالفوسيرا وهو من الملكيين ، وعدد ضئيل من التنظيمات التي تمثـل البرجوازية الليبرالية ، ومعظم « اللجان العمالية » في البلاد .

والتيار الثاني ويسمى «التجمع الديموقراطي» ويتجسد فيائتلاف بين الاشتراكيين والاشتراكيين الديموقراطيين ، والحـزب الاشتراكي العمالي الاسباني ، وما يسمى بالاتحاد العام للعمال ، والحزب الشـعبي جيل روبليس ، والحـزب الكارلي وبعض اللجـان العمالية ، فضـلا عن المسيحيين الديموقراطيين ، والاحـزاب الاقليمية الاصلاحية .

الاتحاد الديمقراطي العسكري :

وبالاضافة الى هذين التيـارين الرئيسـيين لقوى المعارضة الاسبانية ، هناك تنظيم سري معارض يسمى «الاتحاد الديموقراطي العسكري» اشار احد قادته في المنفى مؤخرا الى انه يضم ما بين ٣٥٠ و ٤٠٠ ضابطا « وأكثر من ٦٠٠ من العاملين النشطين المستعدين للعمل اذا لـزم الامر » .

وقد أصدر الاتحـاد الديموقراطي العسكري مؤخرا ، بيانا اعلن فيه أهدافه ومما جاء فيه أن الاتحاد الديموقراطي العسكري يعمل من اجل ان تصبح القوات المسلحة في خدمة الشعب فقط، وتستعيد بذلك مكانتها وكرامتها ، لا أن تلعب دور حارس النظام الحالي الذي تقوم به الان » .

وأوضح البيان أن حرية الانضمام الى الاتحاد مكفولة لجميع العسكريين غير المنضـمين الى احزاب سياسية اخرى « سواء كانت حكومية أو معارضة » .

ويستهدف الاتحاد الديموقراطي العسـكري حسبما جاء في بيانه الارساء التام لحقوق الانسان والحريات الديموقراطية ، وبالتالي ، اصدار عفو عام عن كل المواطنين (المدنيين والعسكريين) الذين عوقبوا لدفاعهم عن هذه الحقوق ، واجراء اصلاح اجتماعي اقتصـادي يحقق المساواة في توزيع الثروات ، ويعترف للعمال بكامل حقوقهم، ومنها حق الاضراب وتوجيـه وتنظيم نقـاباتهم بحرية ، والاعتراف بحق الشـعب في انتخـاب ممثليه ديموقراطيا ، والكفاح بأقصى قوة ضـد الفساد الذي ازداد في النظام . ودعوة جمعية تأسيسية تنتخب ديموقراطيا لوضـع دسـتور لاسبانيا يتيح لنا الاندماج في أوربا الغربيـة .

وتضمن البيان بالاضـافة الى ذلك مجموعة من الاهداف « المهنية » بشـأن المشاكل الداخلية للقوات المسلحة .

ويرى عدد من المراقبين السياسيين ان انشاء هذا التنظيم ، انما هو مظهر اضافي لتفكك جهاز الدولة الفرانكوي ، ومظهر اضافي للتأثير الذي خلقته « حـركة القوات المسلحة » والثـورة البرتغالية خارج حدودها .

وبالاضافة الى كل ذلك تشهد اسـبانيا في الاونة الحاضرة **مولد حزب محافظ على النسق البريطاني ، أو على نسق الحزب الديموقراطي المسيحي** في المـانيا الغربية ، ولـكن القوى التقدمية الاسبانية ترجح أن يتخذ هـذا الحزب مواقعه **على يسار الوسط** ، وصاحب التيار الذي يمثله م . جمينيز، الذي يدافع ، متأثرا بالتيارات داخـل الكنيسـة، عن مفاهيم اليسـار الديموقراطي المسيحي .

ضرورة « الحل الديمقراطي » :

وعلى أية حـال ، فان كل تطـورات الموقف بداخل اسبانيا وبداخل التحالف الغربي نفسه ، تفرض ضرورة تغيير شكل الحكم في اسبانيا من الشكل الفـاشي ، الى الشـكل الديمقـراطي البورجوازي على اقل تقدير .

فمن الناحية الاقتصادية ، يجمع الاقتصاديون ورجال الاعمال الاسبان ، على أن عضويةاسبانيا للسوق الاوروبية المشتركة هي وحدها التي يمكن — في الظروف الحالية — أن تدفع اقتصـادهم قدما للامام ، خاصة اذا كانت ٥٨٪ منصادرات أسبانيا هي الى دول أوروبا الغربية .

ولذا تصدر ضغوط قوية مطالبة بالديمقراطية من جانب رجال الاعمـال والاقتصـاديين الذين يعتقدون انها [الديمقراطية] مفتاحهم لعضـوية السوق الاوربية المشتركة ، ويرى عديد مـن المراقبين السياسيين أن رحيل الجنرال فرانكو عن دفة الحكم ينبغي أن يكون بمثابة اشـارة لتحطيم الحواجز — فائقة الحد وغير الطبيعية — التي أقيمت بين أسبانيا واوروبا .

ازدياد الاهمية الاستراتيجية

ويزيد من الحـاح وضرورة اجـراء تحـول ديموقراطي في اسبانيا ، بالنسبة لنظام التحالفات الغربي ، ازدياد الاهمية الاستراتيجية لاسبانيا وللقواعد الامريكية فيها أكثر من أي وقت مضى ،

بالنســبة لمخططات « الدفــاع » عن الولايات المتحدة واوروبا الغربية نظرا لعدم استقرار الموقف فى البرتغال ، وتصاعد قوى اليسار فى ايطاليا وانسحاب اليونان من الانشطة العسكرية لحلف الاطلنطى ، وابتعاد تركيا عن الولايات المتحــدة كل ذلك يدفع الولايات المتحدة الامريكية لان يكون لها مرسى عسكرى فى اسبانيا للدفاع عن الجناح الجنوبى لحلف الاطلنطى .

كذلك ازدادت أهميــة اسبانيا الاســتراتيجية بالنسبة للطيران الامريكى منذ أن أعلن الاتراك والبرتغاليون انهم لن يسمحوا للولايات المتحــدة باستخدام القواعد الجوية فى أراضيهم عشية أو خلال وقوع حرب جديدة فى الشرق الاوسط ، وبذا تعين على الامريكيين ان يبحثوا عن مكان آخر يتيح لهم تســهيل اعــادة تزويد اسرائيــل بالاسلحة والذخائر وغيرها ، بل وامكانية الرد على اى تدخل سوفيتى محتمل ، فى حالة وقوع نزاع واسع النطاق فى الشرق الاوسط .

ومن ناحية اخــرى يــرى الاســتراتيجيون الامريكيون ان الولايات المتحدة ، تنتقل الى وضع دفاعى ، بل والى انسحاب عبر العالم ، يتمثل فى انسحابها من فيتنام وكمبوديا لاوس وانسحابها الذى يجرى من تايلاند ، كذلك فان التسهيلات التى تعتمد عليها فى تركيا اصبحت تحت امرة تركيا ، كذلك فان الحكومة الامريكية ملزمة باعادة قناة بنما الى بنما ، ولذا فان الوقت الحالى ليس هو الوقت الملائم للقيام بعمليات انكمــاش اكبر للوجود العسكرى الامريكى فى الخارج . وعلى اية حال فمن الواضح انه وان كانت الولايــات المتحدة ترى كما ترى كل الديمقراطيات الغربية ، ان انضمام اسبانيا فى وقت مبــكر الى حلف الاطلنطى ينبغى أن يصبح هدفا ملحا فى حــالة تغير النظام القائم فى اسبانيا ، الا انها تعد اكثر دول التحالف الغربى تعاطفا مع نظام فرانكو ، ولذا كان استقبال الشعب الاسبانى الفاتر للرئيس فورد ، تعبيرا عن ضيق الشعب الاسبانى ومتاعبه التى ازدادت بعد ربع قرن كامل من التعاون مع الولايات المتحدة .

وعلى أيــة حــال ، يرى أغلب المراقبــين السياسيين ان الولايات المتحدة وان كانت تريد مساعدة اسبانيا على التخلص من عزلتها ، الا انها لا تريد لها أن تسلك طريق البرتغال ، كمــا ستعمل بكل الطرق على الحــد من وجود دور لليسار الاسبانى ، ومن المؤكد ايضا انها لن ترحب بازدياد امكانية مشاركة الشيوعيين الاسبان فى الحكم فى حالة تغير الاوضــاع فى هذا البلد ، اسوة بموقفها فى كل من ايطاليا وفرنسا وهناك وجهة نظر أخرى تقول أن الولايات المتحدة ــ فيما يبدو ــ تنصح بعض الاحزاب الاسبانية بأن تلعب لعبة الاستمرارية .

ولكن هناك وجهة نظر ، أعربت عنها مجــلة « نيوزويك » الامريكية فى عددها الصادر فى ٢٢ سبتمبر الماضى ، تقول انه كلما استمر اسلوب فرانكو فى الحكم مدة اطــول ، كلمــا ازدادت امكانية ســير اسبانيا فى الطريق الذى سارت فيه البرتغال ، واضطلاع الشيوعيين الاســبان بدور ملموس فى بلد أوربى غربى اخــر . ذلك ان اصرار انصار فرانكو على مواصــلة خــط السير الفاشى المعتاد ، سيؤدى لامحالة الى مزيد من تجمع معارضة قوية شاملة وفعالة ضده ، لن يستثنى منها الجيش بأى حال .

الجيش الاســبانى وامكانية تكرار ماحــدث فى البرتغــال :

ومع ذلك فثمة تبــاين فى ظــروف كل من اسبانيا والبرتغال ، ينبغى وضــعه فى الاعتبار عند تقدير الموقف فى اسبانيا ، منها ان الجيش الاسبانى لم يتضخم عددا ، ولا هبطت روحــه المعنوية نتيجة لحروب استعمارية ، كذلك فلم يتأثر ضــباطه بالافكار الثورية المتطــرفة بنفس القدر الذى حدث فى البرتغال . كذلك فهنــاك عدد من الضباط سيقاومون بالتأكيد اى تحرك نحو الديمقراطية ، وان كان هناك كثيرون سيحاولون العمل لاقرار حق الحزب الشيوعى فى الوجود العلنى . كذلــك فقــد بدأ الجنــود الاسبان بتأثير الانباء الواردة من البرتغال ، يشكون من ظروف العمل الســيئة ، وانخفاض الاجــور ، والمعدات التى عفا عليها الزمن .

صــحيح أن التجــارب التى مرت بالجيش البرتغالى فى الحرب الاستعمارية القــذرة ادت الى فهمه للتصورات الديمقراطية ، وهى تجارب لايمكن للجيش الاســبانى أن يمر بهــا ، ولكن الجيش الاسبانى له تجارب اخرى ايضا فهــو الذى أوصل فرانكو الى الحكم ، وتخلى فرانكو عنه فيما بعد ، وهذا الجيش مسلح تسليحا أسوأ من تسليح بعض الجيوش الافريقية ، الامر الذى يدفع الضباط الى الوقوف فى جانب المعارضة . ذلك ان فرانكو ، لم ينظــر الى الجيش ابــدا بوصفه اداة دفاع ضد الخارج ، ولكن بوصفه اداة بوليسية لاقرار الامن والنظام فى الداخل ، الامر الذى يفسر بالطبع اتقانه استخدام البنادق والمسدسات : ويرى «سانتياجو كاريللو» سكرتير الحزب الشيوعى الاسبانى فى حديث ادلى به

لمجلة «نيوزويك» الامريكية فى ٢٢ سبتمبر الماضى ان الموقف فى اسبانيا مختلف كلية عن البرتغال .. ففى البرتغال كانت القوة الحقيقية الوحيدة هى الجيش . ولكن الحركة الاجتماعية قوية للغاية فى اسبانيا . فهناك صحف هامة ، ديمقراطية ، ومتقدمة ، ولن يكون علينا ان ننتظر الجيش حتى يثور . وهناك فارق آخر عن البرتغال ، هو اننا فى الحزب الشيوعى الاسبانى سنكون سعداء تماما بالاشتراك فى انتخابات حرة فى اى وقت »

بالونات اختبار :

وعلى اية حال ، فانه بعد تولى الملك جوان كارلوس السلطة ، دعت المعارضة اليسارية فى اسبانيا ، الملك للافراج عن حوالى الفى مسجون سياسى ، واجراء انتخابات عامة ، لتحديد مستقبل الحكم فى اسبانيا . والواقع ان المقترحات اليسارية ليست سوى جزءاً من حملة أوسع قام ويقوم بها اليساريون والمعتدلون لاختبار نوايا جوان كارلوس السياسية . فالعفو والانتخابات يعدان بارومتران حقيقيان لكشف نوايا الملك بشأن اجراء تحول ليبرالى ، لحكم الجنرال فرانكو

وقد وردت هذه المقترحات فى بيان وزع على الصحفيين الاجانب من جانب الحزبين الشيوعى والاشتراكى والقوى المتحالفة مع كل منهما ، ويدل هذا البيان — حسبما أوضحت عديد من الصحف الاوربية — على أن الاشتراكيين نجحوا فى دفع الشيوعيين الى تعديل موقفهم السابق الذى كان يقوم على المعارضة السافرة لتولى جوان كارلوس السلطة حتى كحاكم مؤقت . ذلك ان موقف الشيوعيين كان يقوم على الدعوة لتشكيل حكومة مؤقتة فور اختفاء الجنرال فرانكو وهو مالم يرد فى البيان المشترك الاخير .

وبدلا من ذلك ، جاء فى البيان ان المجموعتين « اى الاشتراكيين والشيوعيين » ترفضان « قيام اى حكم ملكيا كان ام جمهوريا » بدون اجراء الاستفتاء الشعبى اللازم » من طريق اجراء انتخابات حرة ، ويعنى ذلك امكانية قبول الشيوعيين لقيام نظام ملكى ، اذا جاء فحسب عن طريق انتخابات حرة ، وارادة شعبية .

ويزعم الاشتراكيون الاسبان الذين يعتقدون أن بامكانهم الحصول على من ٣٠ الى ٣٥٪ من الاصوات فى حالة اجراء انتخابات عامة ،

انهم حصلوا على موافقة الشيوعيين على معارضة الملكية كمبدأ ، ولكن مع تجنب الهجوم على الملك جوان ارلوس شخصيا حتى تنكشف الطريقة التى يعتزم ان يحكم بها البلاد .

اكثر الزعماء الشيوعيين اعتدالا :

وعلى أية حال ، فأن عديدا من الدوائر السياسية الاوروبية تشير فيما يتعلق بالشيوعيين الاسبان الى ان سانتياجو كاريللو سكرتير الحزب الشيوعى الاسبانى ، قد يكون اكثر الزعماء الشيوعيين اعتدالا فى اوربا . وقد اشارت صحيفة « نيوزويك » الامريكية فى عددها الصادر فى ٢٢ سبتمبر الماضى الى انه صدم الشيوعيين الفرنسيين عندما دعا مؤخرا فى حفل استقبال فى السفارة البرتغالية فى باريس الى تناول نخب الزعيم الاشتراكى البرتغالى « ماريو سواريش » وفسر كاريللو موقفه بقوله : « اذا كنا معتدلين فذلك لانه الطريق الوحيد امام أسبانيا اليوم . فلن تكون هناك « فى اسبانيا » عاصفة تنطلق من قصر الشتاء ولامسيرة كبرى ، ولاحرب عصابات فى الجبال على طريقة كاسترو » .

كما يرى « كاريللو ٥٩ عاما والذى عاش فى المنفى منذ انتهاء الحرب الاهلية منذ ٣٦ عاما مضت » ان الهدف من العمل الذى سيتم حاليا فى منطقة الباسك ، والقمع الذى تتعرض له القوى الديموقراطية عامة ، هو خلق مناخ ارهابى لتمرير خلافة فرانكو دون اى احتجاج شعبى ويرى ايضا ان مشكلة اسبانيا تكمن فى ان اليمين يرى خلافة فرانكو مجرد امتداد الديكتاتورية بشكل آخر ، كما يعتقد كاريللو أن اى سيطرة لقوى اقصى اليمين خلال فترة انتقالية — لن تستمر طويلا ، وان جوان كارلوس لن يكون له مستقبل فى اسبانيا ، الا اذا قطع مابينه وبين اسلوب حكم فرانكو الديكتاتورى الفاشى .

وأوضح سكرتير الحزب الشيوعى الاسبانى ان الانتقال يمكن ان يحدث فى أسبانيا باتحاد العسكريين الاسبان مع السياسيين من اجل تشكيل حكومة مؤقتة للوحدة الوطنية . ويعتقد أن بعض الضباط الاسبان الشبان يعتنقون آراء راديكالية ، كما وان الجنرالات يصبحون اكثر فاكثر واقعية . واذا شعروا ان الامكانية الوحيدة لاقرار النظام فى اجراء تغيير سلمى ازاء المعارضة السياسية ، فانهم سيقدمون على اجرائه . « ويرى كاريللو صورة اسبانيا

المقبلة ؟ فى ديموقراطية من الطراز الغربى »، كما يرى ان امكانية قيام حكم ديموقراطى فى اسبانيا مرهونة بنجاح القوى الديموقراطية المشتركة فى انشاء وحدة فيما بينها ، وتقديم بديل للنظام الحالى .

وعلى أية حال تقود كل تحليلات الموقف فى اسبانيا وكل معالمه ودلائله الى تلك الحقيقة الرئيسية التالية وهى ، ان البورجوازية الاسبانية ، تقوم اليوم ، وبعد ان استنفذ نظام فرانكو اغراضه داخليا وخارجيا ، بمناورة كبرى تتيح لها استمرار نفس حكمها الرأسمالى، تحت ستار جديد ، اكثر نضرة ، وبريقا ، وتمويها ، هو ستار الديموقراطية البورجوازية من الطراز الغربى .

فهل سيكون نظام فرانكو ، هو النموذج الاخير فى أوربا حقا ، لشكل الحكم الذى اشتهر بفظائعه ، واثامه ، وجرائمه ، والذى يطلق عليه اسم : **الفاشية** . ؟

○ أسبانيا - فرانكو [١٩٣٦ - ١٩٧٥]

كانت كل الظواهر فى اسبانيا تشير فى ذلك الوقت من عام ١٩٣٦ ، الى ان التناقضات الاجتماعية قد بلغت مداها .. كان هناك الفقر الشديد والاستغلال البشع الذى ترزح فيه الاغلبية الساحقة من الجماهير الشعبية الكادحة .. وكان هناك الثراء والغنى الفاحش وتركز الثروات فى ايدى القلة من الارستقراطيين ملاك الاراضى والسادة الرأسماليين . كانت التناقضات كلها تتجمع وتتجه نحو الصدام الحادوانفجار الوضع داخل البلاد .

وقد حفلت السنوات السابقة بالاحداث الهامة مثل انتفاضة الضباط الديمقراطيين التى قمعت فى شهر ديسمبر عام ١٩٣٠ ، والانقلاب السلمى وسقوط الدكتاتورية العسكرية وانقلاب النظام الملكى ، وتنازل الملك عن العرش واعلان الجمهورية فى شهر ابريل عام ١٩٣١ واضرابات الملكيين بتأييد من الكنيسة وتمردالضباط الرجعيين - الذى قمع بسرعة فى اغسطس عام ١٩٣٢، والانتفاضة الشعبية فى شهر اكتوبر ١٩٣٤ ، وانتصار الجبهة الشعبية فى فبراير عام ١٩٣٦ .

الثورة المضادة تنتصر

ولقد اظهر نضال الجبهة الشعبية والانتصار الذى احرزته فى الانتخابات فى فبراير عام ١٩٣٦، امكانية استخدام الحقوق الديمقراطيةوالمؤسسات الديمقراطية فى دولة رأسمالية من اجل تشكيل حكومات شعبية تستند الى تحالف العمال والفلاحين خاصة ، وسائر القوى الثورية والديمقراطية الاخرى . الا ان هذه الشروط لم تكن متوفرة فى ظل الظروف التاريخية التيكانت عليها اسبانيا حينذاك .

ويرجع ذلك الى الوضع الانقسامى الذى كانت عليه الطبقة العاملة الاسبانية ، ووجود تيارين رئيسيين غير ثوريين فى الحركة النقابية . فمن جهة : التيار النقابىالاصلاحى الذى ينادىبالمطالب الاقتصادية للعمال ، وفى نفس الوقتعدمالمساس بجوهر النظام الرأسمالى والمتمثل فى « **الحزب الاشتراكى العمالى الاسبانى** » . ومن جهة اخرى التيار الفوضوى النقابى المتمثل فى « **الاتحاد القومى للعمل** » .

ولقد رفض كل من الحزب الاشتراكىالعمالى الاسبانى والاتحاد القومى للعمل منذ بداية الانتخابات الاشتراك فى الجبهة الشعبية التى تشكلت من الراديكاليين والاشتراكيينوالشيوعيين وذلك لعدم ايمانهم بالديمقراطية البرلمانية . وظل النقابيون والفوضويون على موقفهم حتى بعد فوز الجبهة الشعبية فى الانتخابات فى معارضة حكومة الجبهة الشعبية برياسة « **ازانيا** » ، مما حرم حكومة « ازانيا » من تأييد اقسام هامة من الطبقة العاملة والجماهير الشعبية .. وكان على حكومة الجبهة أن تجابه اعداءها [الكنيسة ، والملكيين ، والفاشيين ، وأقسام هامة من الجيش] الذين يحيطون بها من كل ناحية .

واخذت قوى الثورة المضادة تتحرك فى كل مكان . واتخذت شكل العصيان العسكرى والمدنى .. ولكن سرعان ما قبض على « **الجنرال جوزيه دى بريميرا** » الذى كان يخطط للانقلاب، وفقد الفاشيون زعيمهم « **كالفو سوتيلو** » على يد رجال حرس الطوارىء ، وفشلت محاولة الانقلاب فى مدينة برشلونة ، حيث اعدم الجنرال **جوديو** زعيم الانقلاب الفاشى رميا بالرصاص ، كما توفى الجنرال **سان جورجو** القائد العام لقوات الانقلاب فى حادث طائرة وهو فى طريقه من البرتغال الى اسبانيا فى ١٨ يوليو عام ١٩٣٦.

ولم يبق هناك سوى الجنرال **فرانشيسكو فرانكو** قائد قوات الاحتلال فى **المغرب**، فهو الرجل الوحيد الذى يسيطر على قوات عسكرية نظامية هى ، الفيلق المراكشى ، والفيلق الاجنبى الذى يتكون من المتطوعين وغالبيتهم من العناصر

السيئة وخريجي السجون واصلاحيات الاحداث في اوروبا .. وحضر فرانكو على رجه السرعة الى اسبانيا ليتولى قيادة القوات المعادية لحكومة الجبهة الشعبية .

ويجمع المؤرخون في الغرب على ان انتصار حكومة الجبهة الشعبية لم يكن مستبعدا ، بعد أن تم اخماد الانقلاب الذي قام به الفاشيون في جزء كبير من اراضي اسبانيا ، وانه لولا التدخل المسلح من جانب المانيا النازية وايطاليا الفاشية وكذلك المساندة والتأييد من نظام سالازار الفاشي في البرتغال ، لما استطاع فرانكو الانتصار على الجمهورية الاسبانية .

وسرعان ما تدفقت القوات العسكرية والطائرات والعتاد الحربي من المانيا وايطاليا على اسبانيا .

وتكشف الوثائق السرية بوزارة خارجية المانيا الهتلرية والتي نشرت بعد ذلك ، ان خطة الانقلاب الذي قامت به الفاشية والكنيسة في اسبانيا ، كانت قد اعدت باتفاق مع حكومة المانيا النازية ، وان هتلر وموسوليني كانا يعدان للتدخل العسكري في اسبانيا منذ بضعة اعوام لوقف التطور الديمقراطي لاسبانيا . كما تزعم الوثائق السرية ان الهدف كان « الحيلولة دون سقوط اسبانيا في ايدي الشيوعية » . وذلك في نفس الوقت الذي لم تكن العناصر الشيوعية داخل البرلمان تتجاوز بعضة افراد . وقد تبين بعد ذلك ان هذا التدخل لم يكن سوى تمهيد للحرب التي كانت تعد لها الامبريالية الالمانية لشنها ضد الحرية والديمقراطية في اوروبا خلال اعوام ١٩٣٦ — ١٩٤٥ ، من اجل ضمان ومضاعفة ارباحها وتأمين موارد جديدة للمواد الاولية .

وتحت شعار عدم التدخل ، رفضت الحكومة الفرنسية تحت ضغط حليفتها بريطانيا ان تبيع السلاح لحكومة الجمهورية الاسبانية الشرعية ، كما اعلنت الولايات المتحدة أنها تقف على الحياد ازاء التدخل الالماني الايطالي الفاشي في اسبانيا ، وهكذا وقفت الديمقراطيات الغربية مستسلمة امام المذابح الرهيبة التي كانت تقوم بها الفاشية الدولية ضد الشعب الاسباني .

.. كانت المدن تحترق .. والقرى والمزروعات تباد نتيجة قصف الطائرات والعمليات الحربية .. وكان الموت والدمار ينتشران في كل انحاء البلاد .. ومن كل ارجاء العالم جاء الرجال الاحرار المتطوعون الى اسبانيا للدفاع عن الحرية والديمقراطية ، والاشتراك في المعارك الى جانب الشعب الاسباني ضد الفاشية .. من الاتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا والمانيا والولايات المتحدة وغيرها من البلدان ، وعرف من بينهم **اندريه مالرو** وزير الثقافة الفرنسي في عهد ديجول ، وارنست همنجواي الاديب الامريكي العالمي ، وجوزيف تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا بعد ذلك ، **وباليرو تولياتي** سكرتير الحزب الشيوعي الايطالي ، **وولتر أولبرخت** سكرتير الحزب الشيوعي في المانيا الديمقراطية وغيرهم من الرجال الاحرار الذين هرعوا لنجدة الجمهورية الاسبانية كديمقراطيين حقيقيين . وكان ميدان المعركة ساحة اشترك فيها متطوعون من ٥٤ بلدا يمثلون طبقات اجتماعية مختلفة واحزاب شيوعية واشتراكية وديمقراطية وعمالية .

.. لم يكن الامر متعلقا بالدفاع عن حرية واستقلال الجمهورية الاسبانية ضد انقلاب فرانكو العسكري ، او ضد التدخل الالماني الايطالي الفاشي فحسب ، بل كان الامر متعلقا بالدفاع عن قضية السلم والديمقراطية وحرية واستقلال جميع الشعوب في مواجهة المشاريع الامبريالية الالمانية ، ومن اجل التطور السلمي الديمقراطي لجميع الشعوب .

وطوال ثلاث سنوات قاوم الجيش الجمهوري الشعبي الاسباني وفرق المتطوعين الدولية ، جيوش الفاشية الالمانية الايطالية ببسالة نادرة .. ولكن الوسائل والاساليب الاجرامية التي استعملت ضده ومئات الطائرات التي اقتحمت مدنه وقراه لم تترك له فرصة للنصر ..

ولم تتوقف المذابح والاعدامات عن طريق الرمي بالرصاص بالمئات كل يوم للثوار والديمقراطيين على ايدي قوات فرانكو وعصابات الفاشيست والملكيين ، حتى بعد ان استتب الامر لفرانكو وهزيمة الجمهورية في مارس ١٩٣٩ .. اذ تبين الاحصائيات الاسبانية الرسمية ، ان عدد الذين نفذ فيهم حكم الاعدام منذ شهر ابريل ١٩٣٩ حتى شهر يوليو عام ١٩٤٤ بلغ [١٩٢٦٨٢] اسبانيا ، كما بلغ عدد المسجونين في شهر يناير ١٩٤٠ [٢٥٠٧١٩] اسبانيا .

اعمدة الفرانكوية الثلاث

وحصل فرانكو بعد تسلمه الحكم على سلطات دكتاتورية مطلقة ، حيث جمع بين منصبي رئيس الدولة ورئيس الحكومة . واقام فرانكو بنفسه نظاما سياسيا فيما يعرف « بالفرانكوية » نسبة الى صاحبه ، وهو لا يختلف كثيرا أو قليلا عن النظم الدكتاتورية والفاشية الاخرى .

وتقوم الفرانكوية على اساس تحقيق موازنة بين القوى الثلاث في اسبانيا وهي : الجيش ، والكنيسة الكاثوليكية ، وحزب الفالانج الفاشي . وهي تنضوي جميعا داخل التنظيم السياسي الوحيد المسموح به في البلاد والمعروف باسم « الحركة القومية » تحت زعامة فرانكو . وقد ظل الجيش عماد حكم فرانكو الى جانب الكنيسة وحزب

الفالانج الفاشى ، وهما لا تقلان عنه قوة ، وذلك كى لا يستأثر الجيش بالحكم وحده .

وقد نجح فرانكو فى استمرار نظامه الدكتاتورى الفاشى ، فى نفس الوقت الذى هزمت فيه الفاشية الدولية فى الحرب العالمية الثانية . وانه بالرغم من سياسة الحياد التى كان يتبعها اثناء الحرب بين المحور الالمانى الايطالى الفاشى من جهة، وبين الحلفاء من جهة أخرى ، فانه لم يخف عطفه الصريح على المحور الالمانى الايطالى،كما تم بعنوان عن ارسال فرقة اسبانية للتحارب الى جانب القوات الالمانية فى الجبهة الشرقية ضد الاتحاد السوفيتى ورغم ذلك فقد رفض فرانكو الانصياع للضغط الالمانى عليه للاشتراك فى الحرب .

وقد عوضت حكومة فرانكو المانيا الهتلرية عن تسديد اثمان صفقات الاسلحة اثناء الحرب الاهلية ، بالسماح للرأسمال الالمانى باستثمار ٨٠ مؤسسة للمناجم فى أسبانيا .

الحكم الدكتاتورى وأساليبه

وقضى الانقلاب العسكرى الذى قاده فرانكو على الجمهورية الاسبانية ومؤسساتها الديمقراطية المنتخبة ، والغى جميع الحريات الديمقراطية ،حتى تلك الحريات المتعارف عليها فى النظم الرأسمالية الاستعمارية فى اوروبا والولايات المتحدة .. كذلك حاولت حكومة فرانكو الغاء الصراع الطبقى بمرسوم ، وذلك بأن فرضت على الطبقة العاملة ما يسمى بـ « النقابات الراسية » التى تجمع بطريقة اجبارية العمال واصحاب العمل الرأسماليين وموظفى الدولة . وتقودها العناصر التى تعينها الحكومة . وقد استعان فرانكو بجميع اشكال العنف والجريمة للقضاء على القوى المعارضة لنظامه الدكتاتورى الفاشى .

استمرار النضال الثورى

وشهدت الفترة التى اعقبت هزيمة الجمهورية الاسبانية مرحلة عسيرة خاصة على كافة القوى الديمقراطية واعداء النظام الفرانكوى . اذ نجا ألوف المحاربين الى الجبال واعتصموا بها هربا من مذابح الجلادين الفاشيست . وقد تألفت بصورة عفوية تشكيلات من رجال العصابات . وفى الواقع لم تكن هناك حرب عصابات بالمعنى المفهوم ، فقد كان على رجال العصابات ان يدافعوا عن انفسهم ضد قوات النظام الفرانكوى التى تطاردهم ، وقد انحصر جهدهم فى القيام بالعمليات اللازمة للحصول على وسائل معيشتهم .

ووجدت تشكيلات العصابات تأييدا وتدعيما من الحزب الشيوعى الاسبانى ، الذى عمل جاهدا على مد تشكيلات العصابات بجميع الوسائل كالسلاح والمال والكوادر المدربة . كما وضع تحت تصرفهم اداعة سرية وآلات طباعة المنشورات .

وقد خاضت تشكيلات حرب العصابات فى استوريا وغاليسيا والاندلس وتطالونيا وقشتالة وبالنسيا وغيرها من المدن والاقاليم خلال سنوات الحرب العالمية الثانية نضالا متواصلا ضد قوات فرانكو وبلغ نشاط رجال العصابات مرحلة متقدمة على المستوى التنظيمى والعسكرى معا خلال الفترة من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨ .

وكان الشيوعيون يدركون منذ البداية ، ان حرب العصابات لن تستمر الى مالا نهاية ، فى ظل تصاعد ارهاب نظام فرانكو ، وخاصة بعد صدور القانون الذى يعاقب بالقتل كل من شارك فى النشاط المناهض لنظام فرانكو فى شهر مايو ١٩٤٧ ، مما ادى الى اعدام واعتقال مئات الالوف من الاسبانيين ، وبخاصة من الفلاحين ، والى مصادرة اموالهم وممتلكاتهم لمجرد الاشتباه بانهم ساعدوا رجال حرب العصابات .وتبين الاحصائيات الاسبانية الرسميه ، ان عدد المسجونين فى عام ١٩٤٦ قد بلغ (٢٣٤٤١٩) أسبانيا . هذا فى نفس الوقت الذى لم يكف فيه النظام الدكتاتورى الفاشى عن زيادة عدد القوات النظامية التى تعمل على الحدود. مع الخارج والمنتشرة فى الداخل وعدا من الصعب تامين الاسلحة والذخائر والمعدات لرجال العصابات .

اساليب عمل جديدة

وكان الشيوعيون يعتبرون وجود حرب العصابات فى ذلك الوقت ضرورة حيوية فى النضال ضد حكم فرانكو ويحرصون على عدم توقف النضال الذى كان الشعب قد بدأه خلال سنوات الحرب الوطنية الثورية .. هذا فى نفس الوقت كانوا يدركون ان حرب العصابات والحزب الشيوعى لن يستطيعا مجابهة مجموعة قوى النظام الفرانكوى وأساليبه القمعية التى كانت تتسع باستمرار ، وبالتالى تحرير اسبانيا من الفرانكوية ، وذلك على الرغم من عطف الجماهير الشديد على رجال حرب العصابات ، الذين اعتبرهم الناس أبطالا حقيقيين . للاطاحة بالنظام الفرانكوى تتطلب اشتراك الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين والشعب بأسره اشتراكا نشيطا فى النضال ضد النظام الدكتاتورى الفاشى .كذلك لم تنجح مساعى الشيوعيين ، فى ذلك الوقت ، فى التوصل الى تحقيق وحدة القوى المناهضة لنظام فرانكو ، نتيجة عدم تحمس غالبية القيادات الثورية والوطنية لقضية الكفاح المسلح .. ومن هنا كانت ضرورة البحث عن اشكال وتكتيكات اخرى للنضال .

وفي الاجتماع المشترك الذى عقد بين ممثلي اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسباني واللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكي الموحد في قطالونيا في اكتوبر ١٩٤٨ ، جرى تحليل للوضع السياسي في البلاد واستعراض تجربة السنوات الاخيرة ومستقبل الاوضاع في اسبانيا . وتقرر في هذا الاجتماع ادخال تغيير في التكتيك ، كما تقرر ايضا حل النقابات المطالبة السرية والعمل داخل النقابات الرسمية ، التى كان العمال ملزمين بالانتساب اليها ، وايقاف حرب العصابات، وتكليف التشكيلات الاكثر نشاطا والافضل تنظيما التابعة للحزب الشيوعي ، والتى كانت تقود نشاط الحزب في الجبال بالتوقف عن الاعمال الهجومية ، وأن يقتصر دورها على حماية لجان الحزب في الجبال ، وحل بقية التشكيلات الاخرى .

وكانت وجهة نظر الحزب الشيوعي الذى كان بمثابة الروح المحركة لنشاط حرب العصابات ، انه لا يجب التسليم بهدم الحركة وانحطاطها ، ولا بقتل معنويات المحاربين ووقوعهم اسرى في ايدي قوات فرانسكو او ابادة الطليعة المسلحة للشعب الاسباني وكانت تقوم على اساس أن حل الحركة المسلحة هو ضرورة سياسيه .

الانفتاح الاقتصادى والسياسى على الغرب

ان عملية اعادة البناء والتعمير والقضاء على كل مظاهر الخراب والدمار التي خلفتها الحرب الاهليه في البلاد ، فضلا عن مواجهة اعباء النظام الدكتاتوري، كما كانت تتطلب أموالا طائلة لم يكن النظام الفرانكوى يستطيع توفيرها ، الا عن طريق القروض والمساعدات الدولية ، هـذا في نفس الوقت الذى كان النظام يعاني فيه من العزلـة الدولية الشديدة نتيجة معاداة الديمقراطيـات الغربية له .

ولقد ادركت الولايات المتحدة وبريطانيا بعـد الحرب العالمية الثانية الدور الذي يمكن ان تلعبه اسبانيا بموقعها الجغرافي الهام في استراتيجية حلف الاطلنطى . فقامت الدولتان باعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسبانيا .. وفي ٢٦-٩-١٩٥٣ ووقعت الولايات المتحدة عدة اتفاقيات مع اسبانيا، وتشمل معاهدة الدفاع المتبادل بين الدولتين ، وقدمت اسبانيا بموجب هذه الاتفاقيات ٤ قواعد عسكرية جوية وبحرية للولايات المتحدة لمدة ١٥ ١٥ سنة ، وذلك مقابل حصول اسبانيا على قروض مالية ومساعدات اقتصادية ،ومساعدات عسكرية لاعادة بناء وتعزيز الجيش الاسـبـاني لتدعيم الاهداف العسكرية العدوانيـة لحلف الاطلنطى في جنوب القارة الاوروبية والبحر الابيض المتوسط .

وقد سـاهم تطور علاقات اسبانيا مع اوربا والولايات المتحدة في احداث تغييرات في التركيب الاقتصادى الداخلي ، وبخاصة بعد أن قررت الحكومة الاسبانية في عام ١٩٥٩ الانفتاح الاقتصادى على الغرب وفتح أبواب اسبانيا للراسماليين والمنتجات الاجنبية .

ولقد أدت هذه التغييرات الاقتصادية الى تحويل اسبانيا من بلد تغلب فيه الزراعة الى بلد تغلب فيه الصناعة وادت الى حدوث توسع كبير في بعض فروع الصناعة . الا ان التطور قد بلغ درجة كبيرة في مجال الخدمات الذي يعود بصورة خاصة الى السياحة .

ففي الزراعـة لاتزال الملكيـات الكبيرة هي الغالبة ، الى جانب الاستثمارات الصغيرة ، وتبين الاحصائيات الزراعية ان هناك ٥ر٥ مليون مالك لايملكون سـوى ٥ر٨ مليون هكتـار من الارض ، من بينهم مئات الالوف الذين يملكون هكتارا واحدا او اقل من الارض . وان هناك ٥٠ الف مالك كبير يملكون اكثر من ٢٢ مليون هكتار من الارض .

وتعـاني جماهير الفـلاحين من استغلال الراسمال الاحتكاري الذى يفرض أبخس الاثمان للمحاصيل الزراعية ، وفي نفس الوقت يفرض أسـعارا مرتفعة جدا على المنتجات الصناعية على جماهير الفلاحين المستهلكين ، يفرض فائدة مرتفعة جـدا على القروض الممنوحة لصغار المستثمرين الزراعيين ، مما ادى الى افقار وخراب صغار الفـلاحين والعمال الزراعيين ، والى نزوح قسم كبير من سكان الريف الى المدن والهجرة للخارج بحثا عن العمل ولقمة العيش .

وعلى الرغم من التركز والتطـور الاحتكاري في بعض فروع الصـناعة ، فان المؤسسة المتوسطة والصغيرة هي الشـكل الغـالب في الصناعة .. وقد شهد الاقتصاد الاسباني خلال الستينات نموا في حجم الراسمالية « الوطنية » ومن ثم في تأثيرها على حياة البلاد الاقتصادية والسياسية ، بحيث اخذت تزاحم الراسمـالية القديمة وملاك الاراضى الذين انتصروا في الحرب الاهلية على السلطة .

وهذه الراسمالية الجديدة هي جزء من النسيج الحـالي للنظام ، كمـا ان القسـم الاكبر من الراسمالية الجديدة يعتبر التركيب الحالي للسلطة عبء عليه ويحول بينه وبين تنمية العلاقات مع

الخارج . وان دوائر هذه الرأسمالية الجديدة متغلغلة اليوم فى أجهزة الدولة والجيش . وهى وان كانت تعارض التركيب القديم للسلطة ، الا ان موقفها يظل متذبذبا بين النظام القديم وبين القوى اليسارية والديمقراطية ، وبمعنى آخر الخوف من السقوط مع النظام القديم وبين ان تجرفها الحركة الشعبية .

نهوض جديد للطبقة العاملة

لقد صاحب التطور الصناعى فى اسبانيا تزايد كبير فى حجم الطبقة العاملة . وطيلة الاعوام الماضية كانت الطبقة العاملة هى قلب النضال الجماهيرى ، باعتبارها القوة الوحيدة المنظمة فى المؤسسات الصناعية، والطبقة الاكثر ثورية وتضحية من أجل التقدم والغاء الاستغلال فى المجتمع كما كان الحزب الشيوعى الاسبانى بمثابة قلب وروح الطبقة العاملة خلال تلك الاعوام المظلمة التى نكبت فيها البلاد ، باعتباره القوة الثورية الرئيسية فى الميدان .. ولقد اكتسبت الحركة العمالية خلال النضال ضد الدكتاتورية تجربة كبيرة ، واستطاعت ان تعيد بناء قواها الذاتية ، وان تزيد من نشاطها وكفاحها ، وان تضع حدا لانقسامها الطويل الذى اضعفها فى الماضى .

ولقد توصلت الحركة العمالية من خلال الممارسة النضالية منذ منتصف الستينات الى الشكل الملائم للنضال ، ويتمثل هذا الشكل النضالى الجديد فى « **اللجان العمالية** » التى تضم النقابيين المنتخبين على مستوى المؤسسات ، والتى تكونت خارج النقابات الراسية الرسمية .

وتضم اللجان العمالية اليوم عشرات الالوف من العمال الثوريين ، ويتمثل داخل هذه اللجان العمالية مختلف الاتجاهات والتيارات السياسية التقدمية داخل الطبقة العاملة ، باعتبارها شكلا من اشكال الديمقراطية نشأ فى اماكن العمل وفى المصانع وفى المؤسسات الصناعية الكبرى .. وهى تهدف الى تشكيل النقابة الجديدة الموجدة طبقيا والمستقلة عن اصحاب العمل وعملاء السلطة ، وتستطيع ان تمارس وظائف أخرى سياسية واجتماعية ، بعد ان غرست فى داخلها المبادىء الديمقراطية النضالية من اجل التحويل السياسى والاجتماعى للمجتمع، وبالنسبة لتطور ديمقراطية جديدة .

وقد تأكد خلال السنوات الماضية نفوذ وتدعيم اللجان العمالية بفضل وعى وتضامن العمال ، حيث يتم انتخاب المندوبين المرشحين داخل المؤسسات فى اجتماعات عامة مفتوحة لكل العمال ، ومن خلال المواجهة الصريحة مع أصحاب العمل والجهاز النقابى الحكومى ، ومواجهة اعمال القمع وضغوط أجهزة المباحث والمخابرات، ومن ثم الحاق الهزيمة بكل التيارات والاتجاهات المعادية للعمال ووحدتهم .

وقد حققت اللجان العمالية انتصارا تاما فى الصناعة التعدينية والمناجم وصناعة النسيج والبناء والصناعة الميكانيكية والصناعة الكيماوية ، والانشاءات البحرية ، والنقل والتليفونات والبرق والسكك الحديدية وغيرها من فروع الصناعة .

ولم تعد مهمة اللجان العمالية قاصره على المطالب النقابية الاقتصادية الخاصة التى تعنى مباشرة الطبقة العاملة ، مثل زيادة الاجور وتحسين ظروف العمل ، والتأمين الاجتماعى واعادة العمال المفصولين، والافراج عن النقابيين المعتقلين ، بل انها تقدم ايضا مطالب ديمقراطية هامة كحرية الاجتماع والتظاهر ، وحرية الصحافة ، وتنظيم المؤتمرات المحلية ، وتأميم البنوك والمؤسسات الصناعية الاحتكاريةالكبرى، واصلاح زراعى يعطى الارض لمن يفلحها ، ونشر الديمقراطية فى المجال الزراعى التعاونى ، وديمقراطية فى التعليم . الخ .

وتنفتح كل يوم امكانيات جديدة أمام اللجان العمالية . فيما ينعلق بقطاع كامل من المهندسين والفنيين والمستخدمين فى الدولة ، الذين وقفوا فى حالات عديدة الى جانب العمال من أجل اللجان العمالية .

وتشدد الطبقة العاملة هجموها حاليا لتدمير النقابات الراسية ، والقضاء على احد التراكيب السياسية الرئيسية للنظام الفرانكوى .

انقســـام الكنيسة الاسبانية

ان التغييرات التى حدثت فى المجتمع الأسبانى طوال الاعوام الماضية ، قد وجدت صداها داخل الكنيسة الكاثوليكية الاسبانية ، التى اخذت تتفتح لتيار القرن العشرين وتمتزج بسرعة بالتيارات الديمقراطية والتحررية داخل اسبانيا، وباليسار الكاثوليكى فى أوربا .. وكانت ان وجدت تعبيرها فى الانقسام الذى حدث داخل الكنيسة الاسبانية منذ منتصف الخمسينيات وتكرس خلال السنوات التالية ، والذى يتمثل فى الانجاهين التاليين :

● جماعة « الاوبس داى » اليمينية . ومصدر قوتها ينطلق من مواقعها فى البنوك الكبرى ورأس المال المالى . وهى تطمع فى استمرار سيطرة الاحتكارات الرأسمالية بواسطة الاساليب الحديثة والاخذ بالمظاهر الاوربية فى بعض جوانب الحكم الفرانكوى الفاشية البالية . وذلك عن طريق اجهزتها وكوادرها من التكنوقراطيين وكبار موظفى الدولة والوزراء واساتذة

الجامعات ، من اجل تدعيم رأسمالية الدولة الاحتكارية .

● « الحزب الديمقراطى المسيحى » ويمثل حاليا اليسار الكاثوليكى ، ويدعو الحزب الى الاعتراف بالقوى اليسارية التقليدية ، على نحو ما يجرى فى البلدان الاوربية ، باعتباره عاملا هاما من عوامل الاستقرار السياسى ، ولا يترك فرصة أمام اليسار المتطرف أو اليمين المتطرف ويرى ان التعاون مع اليسار التقليدى من شأنه توفير الاستقرار السياسى الضرورى للانطلاق نحو البناء للمستقبل ، فى ظل الدستور الديمقراطى الذى يضعه الشعب ليخدم مصالحه وتقدمه .

ولا يخفى الحزب الديمقراطى المسيحى معارضته صراحة لنظام فرانكو الدكتاتورى ، والتضامن مع كل الذين يعملون من أجل مجتمع أكثر عدالة .

وقد شهدت السنوات الماضية اتساع حركة رجال الدين التقدميين فى التضامن الايجابى مع القوى اليسارية الاخرى ، كالاشتراك فى المظاهرات الطلابية ، وحملات الاحتجاج للافراج عن الطلاب والعمال المسجونين ، والدفاع عن اللجان العمالية . كما تحولت كثير من الاديرة فى مختلف انحاء اسبانيا الى أماكن للاجتماعات السرية للجماعات اليسارية ، والى ملاجىء لايواء العناصر الثورية الذين تطاردهم السلطة . وقد تعرض الكثير من رجال الدين للضرب والتعذيب والحكم بالسجن وادانتهم بتهمة تنظيم العصيان ضد النظام الدكتاتورى .

اتجاهان داخل الجيش

ولقد اظهرت الاعوام القليلة الماضية ان الجيش لم يكن هو الاخر بعيدا عن التغييرات التى حدثت فى البلاد .

ان المعلومات الاولى التى خرجت من اسبانيا عن وجود انقسام داخل الجيش ، كانت عقب المظاهرات العنيفة التى اجتاحت مدن قطالونيا وبرشلونة وبيلباو وأوفييد فى شهر ديسمبر ١٩٧٠ ، وذلك احتجاجا على محاكمة ستة عشر معتقلا من ثوار الباسك الذين يطالبون بحقوقهم القومية المشروعة . وكانت عبارة « أيها العسكريون القتلة » بمثابة الحكم بالادانة الذى تعلنه الجماهير الثائرة ضد المؤسسة العسكرية

وذكرت التقارير التى كان قد تلقاها فرانكو بعد ذلك . ان هناك تحركات واجتماعات تعقد بين اصحاب الرتب الكبيرة والمتوسطة والصغيرة داخل الجيش فى أماكن مختلفة من اسبانيا كما كشفت التقارير ايضا عن وجود اتجاهين رئيسيين داخل الجيش احدهما يمينى متطرف يتهم الحكومة بالضعف والعجز عن حفظ النظام ، ويطالب باستخدام الشدة لتأديب الشعب واعادة النظام الى البلاد .. أما الاتجاه الاخر فهو ليبرالى ، ويطالب بالعودة الى الحرية والديمقراطية، ووقف سياسة الارهاب والقمع ، واجراء استفتاء شعبى على طريقة الحكم .

وقد اتسعت حركة المعارضة داخل الجيش، وذلك الى الحد الذى دعا وزراء الجيش والبحرية والطيران فى بداية عام ١٩٧٥ ، الى اصدار بيان يدعو جميع العسكريين الى الكف عن النشاط السياسى أو ترك الخدمة من تلقاء انفسهم. وكان هذا على مايبدو أقصى ما تستطيع الحكومة ان تفعله لوقف النشاط السياسى المناهض للنظام الفرانكوى داخل الجيش .

وبعد صدور هذا البيان المثير ، سرعان ما تقدم ٢٠٠٠ ضابط بالتماس الى الحكومة لاطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين فى اسبانيا .. وفى شهر فبراير ١٩٧٥ ، أصدر ٢٥ من ضباط الجيش منشورا يؤكدون فيه : « ان الجيش قوة لحماية الشعب ، وليس قوة لحماية النظام».

وقد اعلن بعد ذلك عن اعتقال عدد من الضباط من الرتب المتوسطة والصغيرة فى مدريد وبرشلونة لاشتراكهم فى تنظيمات مناهضة للنظام الدكتاتورى .

تفاقم الازمة الاقتصادية

ان فترة الرواج الزائف التى مرت بالاقتصاد الاسبانى خلال فترة الستينات ، والتى تمثلت فى جذب الاستثمارات الاجنبية ، والنشاط السياحى ، وتصدير فائض العمالة بما يوفره للبلاد من تحويلات مالية كبيرة ، كل ذلك دفع باسبانيا الى المركز الخامس فى معدل النمو الانتاجى الصناعى فى أوربا الغربية ولكن هذه العوامل اخذت الان فى الانحسار منذ بداية السبعينات ، واستمرار معدل الانتاج فى الهبوط حتى بلغ ٣٪ فى عام ١٩٧٤ . كما انخفض الدخل من السياحة ، وبدأ عشرات الالوف من العمال المهاجرين يعودون من الخارج .

ان الازمة الاقتصادية التى تأخذ بخناق العالم الراسمالى، تتخذ اليوم فى اسبانيا أبعادا خطيرة نتيجة التبعية الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية ، وتحول ٣٥ مليون فى اسبانيا الى سوق للاستهلاك للمنتجات الامريكية والاوربية .. وتضغط هذه الازمة بقسوة على مستوى معيشة الطبقات الشعبية . كما يتبين من الارتفاع الكبير فى اسعار الحاجيات الاساسية للجماهير كالغذاء والسكن والملابس والنقل والمواصلات والتعليم والكهرباء والغاز والادوات المنزلية والملاهى .. هذا فضلا عن الارتفاع المستمر فى

حجم البطالة بالنسبة للعمال والفنيين وحملة الشهادات المتوسطة وخريجي الجامعات .

ولعل من الظواهر الجديدة في اسبانيا ، استخدام فئات اجتماعية عديدة لسلاح الاضراب كالاطباء وموظفي الوزارات والممثلين ومديري دور السينما والمسرح ، وجمعيات ربات البيوت التي حظرت السلطات نشاطها والقت القبض على بعض قادتها أخيرا .

محاولات لتجديد كهولة النظام

وتشهد اسبانيا منذ عام ١٩٦٩محاولات يائسة لوقف انحلال الحكم والتغلب على علته المزمنة . حيث قام فرانكو في ذلك العام باستبعاد جميع الوزراء التابعين لعصبة « الفالانج » من وزارته في اضخم تعديل وزارى طوال فترة حكمه . وقد تم ذلك لصالح جماعة « الاوبس داى » الراسمالية الاحتكارية ، التي حصلت على معظم الوزارات الرئيسية في حكومة فرانكو ، وذلك في محاولة « لاوربة » بعض جوانب الحكم الفرانكوى البالية والفاشية واكسابه مظهرا محترما ، والتأثير على الجماهير بهذا الاجراء التحررى الكاذب هذا من ناحية . ومن ناحية تنصيب الامير جوان كارلوس ملكا على اسبانيا الذى تسانده جماعة الاوبس داى ، والتى تعمل على استمرار نظام فرانكو بعد موته .

ويوضح هذا التغيير في هذه المرحلة من انحلال حكم فرانكو ، انه لم يعد ممكنا لفرانكو اتباع سياسته القديمة «سياسة التوازن» والتى ساعدت على تجميع الرجعيين والفاشيين حوله من اجل السيطرة على الحكم في عام ١٩٣٩ .

وقد وجهت هذه الضربة الىعصبة الفالانجيين في الوقت الذى اخذ فيه نجمهم في الافول ، وفشلت محاولاتهم لاعادة تجديد واحياء حركتهم الفاشية ، نتيجة المقاومة الشديدة من جانب الجماهير والقوى اليسارية والديمقراطية في اسبانيا .

وفى شهر يونيو عام ١٩٧٣ ، بعد ان اشتد المرض على فرانكو ولم يعد قادرا على تحمل اعباء الحكم ، تخلى عن الوزارة — لاول مرة طوال فترة حكومه — لصديقه وساعده الايمن الجنرال كاريرو بلانكو وهو من جماعة « الاوبس داى » كما اختير ليكون وصيا على العرش عند عودة الملكية .

ولم يقدر لبلانكو أن يعيش الى ما بعد وفاة فرانكو ، اذ انفجرت في طريقه قنبلة صبيحة ٢٠ ديسمبر ١٩٧٣ ، كان قد وضعها الثوار تحت أرضية الشارع .

وفى بداية عام ١٩٧٤ تولى **ارياس نافارو** رياسة الحكومة ، ولم تمض حكومة نافارو اربعة شهور في الحكم حتى اطاحت ثورة البرتغال بالحكم الفاشى في ٢٥ ابريل ١٩٧٤ ، وكان لهذا الحادث صدى عميقا داخل اسبانيا التى تربطها بجارتها البرتغال حدود مشتركة . وقد اختلفت ردود الفعل تجاه هذا الحادث داخل اسبانيا . فبينما قوبل بالابتهاج الشديد في الاوساط اليسارية والديمقراطية والشعبية وزاد من درجة تحفزها ورفع معنوياتها ، ادى من ناحية اخرى الى اشاعة الذعر في الاوساط الحاكمة والدوائر التى تتحرك في فلكها .

وفى هذه الظروف الدقيقة التى كانت تجتازها البلاد ، وعجز الحكم عن مواجهة التطورات السريعة للاحداث ، قام فرانكو في سبتمبر ١٩٧٤ ، وتحت ضغط من مستشاريه باقالة حكومة أرياس نافارو ، لكى يتولى بنفسه دفة الحكم ، وذلك في محاولة يائسة لوقف سفينته الغارقة .

وقد رافق عودة فرانكو اطلاق حرية الحركة للمتطرفين اليمينيين من « **الحرس القديم** » للنظام في اجهزة الدولة ، ومواصلة الحكومة سياسة « **القبضة القوية** » ، وذلك في محاولة لاستعادة هيبة النظام الضائعة والظهور بمظهر القوى ؛ ولكن ذلك لم يستطع أن يخدع احدا من المراقبين سواء داخل أو خارج أسبانيا في عجز النظام الذى دخل في طور الاحتضار ، والذى لن ينقذه غياب صاحبه ،الذى توفى في ٢١ نوفمبر ١٩٧٥ ، وتنصيب الامير جوان كارلوس ملكا على اسبانيا .

وعلى نحو عام ، تجدر الاشارة الى أنه برغم دعوة الاصلاح الديموقراطى التى قطعتها حكومة **ارياس نافارو** على نفسها عند توليها السلطة ، عقب وفاة الجنرال فرانكو وتنصيب الامير جوان كارلوس ملكا على البلاد في نوفمبر الماضى ، الا أن حركة المعارضة والاضرابات ، قد ازدادت ، وتزداد تصاعدا في البلاد ، فيما وصف بأنه اخطر ازمة عمالية منذ نشوب الحرب الاهلية في اسبانيا كذلك فقد وصلت آلاف الرسائل الى مقر لازارزويلا — مقر الملك — والى رئاسة الحكومة تطالب بعفو حقيقى ، وقام وفد من الشخصيات التى تنتمى الى البعض والديموقراطية ، والى التجمع الديموقراطى بمسعى في هذا السبيل . والمشكلة هى ان جوان كارلوس يواصل في مواجهة التحرك الشعبى ، استخدام نفس الاساليب التى كان يستخدمها الجنرال فرانكو مثل قرار « التجنيد الاجبارى والمساءلة العسكرية » العمال المضربين، وذلك كاجراء مضاد للتغلب على الاضرابات العمالية .

ومن ناحية اخرى ، فان أعدادا كبيرة للغاية من الذين افرج عنهم تحت ستار قرارات العفو التى اصدرها جوان كارلوس، هم من المسجونين

فى جرائم خاصة بالقانون العام ، أو ادينوا بتهم بسيطة ، اما الاغلبية الكبرى من المسجونين السياسيين ، فقد استبعدوا من قوائم الذين حظوا بقرار العفو . كذلك فان البيانات التى تصدرها السلطات الاسبانية ، تعكس الموقف المبيت من جانب النظام من قوى اليسار الاسبانى عامة . والحزب الشيوعى خاصة ، ذلك انها تؤكد دوما أن معظم المعتقلين ينتمون الى منظمات تصفها بانه « غير قانونية » مثل لجان العمال والحزب الشيوعى ، ومنظمات الباسك ، وبذا تواصل الحكومة اخفاء صفة اللاشرعية على نضال هذه التنظيمات ، فى الوقت الذى تعمد فيه قوى اليمين المتطرف الى تعقيد موجة العنف ضد القوى التقدمية والليبرالية فى البلاد .

وعلى أية حال ، فليس ثمة شك فى نظر عديد من خبراء الشئون الاسبانية ان هناك ظرفا أكثر مواتاة لفعالية الضغوط الليبرالية عن ذى قبل ويتمثل فى اختفاء الادميرال **لويس كاريرو بلانكو** رئيس الوزراء الاسبق ، وصديق الجنرال فرانكو المقرب ، الذى اغتاله المناضلون الباسك فى مدريد . وكان كاريرو بلانكو فى الواقع هو الرجل القوى الذى كان يعتمد عليه فرانكو فى توجيه الامير الشاب جوان كارلوس ، فيما لو تولى عرش اسبانيا بعد وفاته .

وفيما يتعلق بآفاق اسبانيا المستقبل ، وخاصة بعد اختفاء الجنرال فرانكو ، أوضح **مارسيلينو كاماتشو** وهو من زعماء « اللجان العمالية » الاسبانية فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى مدريد عقب الافراج عنه مؤخرا « ان امكانيات التغيير تعد اليوم أكبر من أى وقت مضى ، ويمكن للقوى الديموقراطية الموحدة ، والطبقة العاملة فى المحل الاول ، أن تفرض عودة الحريات » . وقال ، « ان أول اختيار للملك هو العفو بلا تمييز عن كل المسجونين السياسيين ، وكل المنفيين ، وارساء الحريات من جديد والالتزام بفترة محدودة لتحقيق ذلك » . وان « كل الوسائل السلمية القانونية ، وغير القانونية ، التى تمتلكها اللجان العمالية ، سوف تستخدم فى هذا الكفاح ذى الاهداف الثلاثة . العفو ، الحريات النقابية والديموقراطية ، والمطالب الجماهيرية الاقتصادية » .

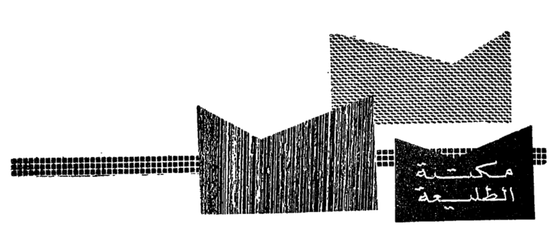
ومن ناحية اخرى ، قدم **سانتياجو كاريللو** سكرتير عام الحزب الشيوعى الاسبانى فى الحديث الذى أجراه معه « جيرار ساندوز » فى العدد الثانى من مجلة « فيير » الفرنسية رؤية وتحليلا لواقع الحكم فى اسبانيا اليوم فأوضح كاريللو « من الناحية السياسية ، تحكم اسبانيا اليوم ، بعض العشائر (التجمعات الاسرية) التى تنفصل أكثر فأكثر ، عن باقى المجتمع بما فيه الرأسماليين . ومن الناحية الاقتصادية ، تمسك بزمام السلطة ، الاوليجاركيه الاقتصادية ، المالية والصناعية . وقد ازداد الى اقصى حد ، خلال السنوات العشرة الاخيرة ، وبصورة أخرى خلال السنوات الخمس الاخيرة ، الانفصام العام بين السلطة السياسية التى انشأتها العشائر (التجمعات الاسرية) الفرانكوية ، وبين باقى قوى البلاد » .

ولذا تسعى الطبقة الرأسمالية الاسبانية اليوم ، لايجاد سلطة سياسية مستقرة ، سلطة سياسية « على الطريقة الاوروبية » ، اى « ديمقراطية لا تستطيع فيها الطبقة العاملة ولكن من نوع « الديموقراطية المحدودة » اى « دموقراطية لا تستطيع فيها الطبقة العاملة واحزابها وبصورة أخرى الحزب الشيوعى ان تلعب الدور الذى يتناسب مع قوتها فى المجتمع الاسبانى . وهنا يشير سانتياجو كاريللو بصفة خاصة الى انه وان كان لايمكن استبعاد مثل هذا الافتراض ، الا ان أكثر القوى ديناميكية فى اسبانيا تدرك ان فكرة « الديموقراطية المحدودة » غير واقعية » .

ومن هنا يمكن القول انه اذا استطاع جوان كارلوس ان يحقق للطبقة الرأسمالية الاسبانية ، السلطة السياسية المستقرة « على الطريقة الاوربية » والتى تسعى اليها ، فانه سيصبح مرشح هذه الطبقة للمستقبل اما اذا لم يستطع تحقيق ذلك ، فالمرجح أنها ستعمل هى أيضا على الاطاحة به .

والواقع انه اذا كان النظام الفرانكوى قد كفل خلال الفترة الاولى لحكمه ، التنمية الرأسمالية للبلاد عن طريق ابشع استغلال للطبقات الكادحة ، الا أنه اضحى حاليا عقبة أمام هذه التنمية ذاتها ، ومن ثم تحتاج الرأسمالية الجديدة فى اسبانيا ، والتى تدخل مرحلة جديدة ، الى علاقات أكثر عمقا وارتباطا مع رأسمالية الدول الاوربية الغربية الاخرى .

وعلى اية حال ، فلا ينبغى ان يغيب عن الذهن بعد كل شىء ، الهدف الاستراتيجى العام من وراء كل ذلك وهو أن محاولة الرأسمالية الاسبانية الالتجاء لاقامة نظام ليبرالى من الطراز الغربى فى اسبانيا ، هذه المحاولة ليست فى جوهرها ، سوى مناورة كبرى من جانب الرأسمالية الاسبانية ، من أجل الابقاء على النظام الرأسمالى فى اسبانيا فى ثوب جديد ، بعد ان دخل النظام الفرانكوى فى تناقض مع العناصر الحاسمة للطبقة الرأسمالية هناك ، وبعد ان استنفدت الرأسمالية والرجعية الاسبانية ، اغراضها من النظام الفاشى ، وقضت لبانتها منه ، واصبح تغيير واجهة الحكم امرا اكثر ضرورة وتمويها والحاحا .



القوات المدرعة الاسرائيلية عبر أربع حروب

● تأليف : محمود عزمى

● عرض وتقديم : خيرى عزيز

ربما كان الاصح ان يسمى هذا الكتاب « معارك المدرعات العربية ــ الاسرائيلية عبر اربع حروب » ، لان موضوعه يتناول فى الواقع ما هو أوسع بكثير من مجرد « القوات المدرعة الاسرائيلية عبر اربع حروب » ، ويعرض لكافة المواجهات العربية ــ الاسرائيلية ، بالمدرعات ، عبر هذه الحروب .

وقبل ان يتناول بالبحث والتحليل ، تاريخ هذه المواجهات ، وقبل أن يعرض لسلاح المدرعات الاسرائيلى باعتباره العمود الفقرى للقوات البرية الاسرائيلية ، لعب دورا قتاليا رئيسيا فى معارك حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، قدم المؤلف فى بداية كتابه عرضا لتطور نظريات حرب المدرعات ، اشار فيه بصورة رئيسية الى انه وان كانت الدبابة قد نشأت فى بريطانيا ، التى شكلت فيها اول وحدة دبابات فى العالم ، واذا كانت كتب ومقالات الكتاب والاستراتيجيين الانجليز امثال فوللر ، وليدل هارت ، ومارتل قد وضعت الاساس النظرى لبادىء الحرب المدرعة الحديثة ، والتى تقوم على اساس استخدام الدبابات ، لا لمجرد مساندة المشاة فى هجومها كما كان الامر فى الحرب العالمية الاولى ، وانما على اساس استخدام التشكيلات المدرعة بصورة مستقلة عن المشاة ، من اجل توجيه ضربات الى العمق الاستراتيجى للعدو ، بعمليات اختراق خاطفة ، اذا كان الانجليز اول من وضعوا هذه النظريات ، فان القادة الالمان امثال جوديريان ، ولوتز ، وروميل هم أول من طبقوها . كما طبقتها السوفيت كأسلوب أساسى فى عقائدهم القتالية خلال الحرب العالمية الثانية ، ومال الامريكيون الى استخدامها : « لكنهم لم يحققوا نفس معدلات النجاح ، وكفاءة الاستخدام ، التى وصل اليها الالمان والسوفييت فى هذا الصدد » .

وقد استعرض المؤلف عمليات المدرعات الاسرائيلية خلال حرب ١٩٤٨ ، ومما عرضه يتضح ان دورها فى تلك الحرب لم يكن هاما أو فعالا ، وان المشاة والعربات المصفحة وعربات الجيب والهاونات كانت هى الاسلحة الاساسية للقوات الاسرائيلية فى هذه الحرب ، وذلك نظرا لعدم توفر اطقم دبابات مدربة وعدم تمتع ضباط « الهاجاناه » بفهم تكتيكى وتكنيكى كاف ، ولذلك استخدمت الدبابات المحدودة التى توفرت لدى الجيش الاسرائيلى بواسطة اطقم اجنبية اساسيا ،

وفى عمليا تمساندة للمشاة « غير ناجحة فى معظم الحالات » . ولم تحاول القيادة الاسرائيلية مطلقا استخدام دباباتها فى اى منطقة توجد فيها دبابات مصرية ، اى فى قتال مدرعات ، نظرا لعلمها بعدم كفاءة سلاحها المدرع وحداثة تكوينه، ولذلك فان كل المعارك التى اشتركت فيها الدبابات الاسرائيلية عام ١٩٤٨ لا تخرج عن كونها محاولات تجريبية اولية للتعرف على الدبابة كأداة قتال فى ايدى الجيش الاسرائيلى .

اما فى حرب ١٩٥٦ فقد ضمنت المدرعات الاسرائيلية تحقيق التفوق الكمى مسبقا قبل بدء العمليات ، لان القيادة المصرية السياسية والعسكرية ، كانت تعتبر ان منطقة المجهود الرئيسى لها هى بورسعيد ـ السويس ـ القاهرة، فى ضوء ظروف تأميم القناة والتهديدات البريطانية ـ الفرنسية باحتلال منطقة القناة واحباط قرار التأميم ، ولذلك قامت القيادة المصرية بسحب قوات كبيرة من سيناء لدعم القوات المدافعة عن منطقتى القناة والقاهرة ، وبهذا تحققت للقيادة الاسرائيلية عند بدء العمليات الحربية فى سيناء نسبة تفوق فعلى تبلغ ٥ر٤ الى واحد فى المشاة ، و ٥ الى واحد فى المدرعات ، و ١٠ الى واحد فى المدفعية فضلا عن التفوق المطلق فى الطيران الذى اصبحت تتمتع به عقب التدخل العسكرى البريطانى الفرنسى . وفى هذه الحرب ، كانت الكتائب المصرية تقاتل لواءات اسرائيلية ، واستطاعت هذه الكتائب ان تصمد امامها فى قتال استمر عدة ايام .

وقد شهدت حرب ١٩٥٦ اول استخدام واسع النطاق للدبابات فى تاريخ الجيش الاسرائيلى ، وقد تم هذا الاستخدام فى ظروف استراتيجية ملائمة للغاية ، تكفل عدم تعرضها للقوة المدرعة المصرية الرئيسية . وقد اوضح المؤلف انه « فى المناسبة الوحيدة الاساسية التى اشتبكت فيها الدبابات الاسرائيلية بقوة محدودة من الدبابات المصرية قرب «اولاد على» خلال معركة ابوعجيلة، لم تستطع الدبابات الاسرائيلية ان تحسم المعركة واستنجدت بالطيران ليبعد عنها الدبابات المصرية، كما وقفت الدبابات الاسرائيلية شبه عاجزة فى معظم الحالات التى كانت تواجه فيها بمقاومة عنيفة من المواقع الدفاعية المصرية . وفى هذه الحرب ايضا تم استخدام الدبابات اساسا ضمن عمليات مساندة المشاة فى اقتحام المواقع الدفاعية ، باستثناء عملية اللواء الاسرائيلى المدرع السابع التى جرت وفقا لمفهوم الاختراق المدرع فى عمق العمليات» على اساس مناورة اقتراب غير مباشر من موقع معسكر ابو عجيلة .

اما عن حرب ١٩٦٧ ، فقد اشار المؤلف الى ان اجمالى القوات المصرية التى كانت فى سيناء عشية بدء الهجوم الاسرائيلى ، يقدر بنحو ٩٠ الف جندى لديهم حوالى ٩٥٠ دبابة [ومدفع ذاتى الحركة مضاد للدبابات] ، ونحو ١٠٠٠ مدفع ، كما اوضح ان تركيز القوة الرئيسية للمدرعات فى المحور الجنوبى ، وفى عمق المحور الاوسط ، ادى الى جعل المحور الشمالى ،رفح ـ العريش ـ رمانة ، يكاد يكون خاليا من المدرعات ، مما ترتب عليه حرمان مختلف فرق المشاة المصرية من احتياطييها المدرع الرئيسى فى اللحظات الحرجة والحاسمة التى واجهتها ، واشار ايضا الى ان تركيز المدرعات فى القطاعات الجنوبية ذات الطرق الوعرة ، افقد القيادة المصرية الميدانية قدرتها على سرعة استخدام مدرعاتها ، واجبرها على تسييرها فى طرق او ممرات ضيقة نسبيا يسهل قصفها فيها جوا . وخلاصة ما وصل اليه المؤلف هنا هو ان توزيع القوات المصرية فى سيناء عشية حرب ١٩٦٧ لم يكن توزيعا هجوميا، كما انه لم يكن توزيعا دفاعيا سليما .

ذلك ان اتباع استراتيجية دفاعية من جانب القيادة العليا المصرية ، كان يتطلب اقامة ثلاث خطوط او مواقع دفاعية قوية فى عمق العمليات فى سيناء ، وذلك حتى يمكن امتصاص قوة الضربة المدرعة الاسرائيلية الخاطفة التى ترافقها القاذفات المقاتلة كمدفعية جوية متنقلة ،ولاجبار القيادة الاسرائيلية على تقسيم هجومها الى مراحل يفصل بين كل منها فاصل زمنى لاعادة التنظيم ، والاعداد لاختراق الخطوط الدفاعية الجديدة ، ومن ثم تطول فترة الحرب ، ويتاح الوقت اللازم للقيادة المصرية لكى تعيد تنظيم قواتها ، وتستفيق من اثار الضربة الجوية والمدرعة الاولى أو على الاقل يتاح الوقت الكافى لتدخل القوى الدولية،ويوقف القتال قبل ان تسقط سيناء كلها وتصبح القوات الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة .

وقد اشار المؤلف فيما يتعلق بالجبهة الاردنية فى ١٩٦٧ الى ان النسبة العامة لعلاقات القوى بين الطرفين فيها ، كانت متساوية تقريبا فى وحدات المشاة [٦ الوية اردنية مقابل ٥ الوية اسرائيلية] وفى المدرعات كانت الوحدات الاسرائيلية متفوقة بنسبة ٣ الى ٢ ، الا ان بعثرة الالوية الاردنية على طول الجبهة [٦٥٠ كم] وافتقاد قيادة الجيش الاردنى الى اى خطة هجومية ضد اسرائيل ، رغم وجود نقاط انطلاق هجومية ممتازة من الناحية الجغرافية [مثل نتوء قلقيلية الذى يبعد عن شاطىء البحر المتوسط بنحو ١٥ كيلومتر فقط] كل ذلك ادى فى نظر المؤلف الى ضعف الدفاع الاردنى فى كل مكان تقريبا ،خاصة وان الاردنيين لم يعدوا مسبقا موانع هندسية وحقول الغام كثيفة على المحاور الرئيسية للتقدم

الاسرائيلي المحتمل والتى كانت تجتاز عديدا من نقاط الاختناق بين التلال والجبال المنتشرة في الضفة الغربية ، كما ساعد عدم وجود اى تنظيم للمقاومة الشعبية الفلسطينية على تسهيل الزحف الاسرائيلي والاستيلاء السريع على مدن وقرى المنطقة عبر هذه المحاور [على خلاف الحال في قطاع غزة وخان يونس حيث استمرت مقاومة الفلسطينيين بعناد وبسالة لعدة ايام وبرغم تدهور الموقف العام كله في سيناء .

أما الدرس الرئيسي لعمليات المدرعات على الجبهة السورية في ١٩٦٧ ، فقد تمثل في ان مقاومة المواقع الدفاعية المحصنة وصمودها في وجه قوات مدرعة وميكانيكية متفوقة يدعمها الطيران ، قد تكبد الطرف المهاجم خسائر فادحة [كما حدث في « تل فخار » و «القلع » [حيث ادت مقاومة الموقع الاخير الى تدمير وتعطيل ٤٠ دبابة اسرائيلية] وقد تؤخر العدو بعض الوقت ولكنها لن تمنع الاختراق في حد ذاته ، ما لم تساندها حركة القوات الاحتياطية المتحركة من مدرعات ومشاة ميكانيكية ونيران كافية من المدفعية ، وقدرات فعالة من الدفاع الجوى ، بحيث تلعب دورها كمخففات لصدمة الهجوم ، ومعيقة لاندفاعه الاول تلحق به خسائر كبيرة قدر الامكان ، بحيث توفر ظروفا افضل لقوات الهجوم المضاد ، او للقوات المدرعة الموجودة في الخط الثاني ، كما توقف الهجوم وترده على اعقابه بصورة حاسمة .

والواقع ان نشوة النصر الخاطف الذى احرزته القيادة الاسرائيلية في ١٩٦٧ ، ادى بها الى تعميم استخدام الدبابات كفرسان خفيفة ، اى استخدامها بصورة شبه منفردة ، وبمساعدة الطيران لاحداث اختراق مكثف خاطف في نقطة ضعيفة نسبيا ، لفتح طريق الاندفاع الى عمق العمليات ، وذلك نتيجة شعور القوات الاسرائيلية بالاستهانة بقوة الخصم وقدرته القتالية وبذا ابتعدت قيادة سلاح المدرعات الاسرائيلي عن النظرية الاصلية في تكتيكات حرب الحركة السريعة الخاطفة التى تعتمد في الاساس على : **تعاون وثيق بين الدبابات والمدفعية ، والمشاة الميكانيكية ، والطيران .** كذلك تجاهلت القيادة الاسرائيلية تماما تطور الصواريخ المضادة للدبابات ، واسلحة المشاة المضادة للدبابات والتى كانت تعلم بوجودها بكميات كبيرة لدى القوات المصرية والسورية . ولذا تابعت هذه القيادة بناء سلاحها المدرع بالاسلوب القديم نفسه ، ولم ترفع عدد وحدات المشاة المرافقة للدبابات لحمايتها ، وعدد وحدات المدفعية المساندة لها ، متصورة ان دباباتها ستخوض معارك الحرب القادمة شبه منفردة وقادتها « مكشوفين فى البرج » وكان ذلك من حسن حظ وحدات المشاة العربية التى وجدت لها صيدا ثمينا في بداية معارك حرب ١٩٧٣ .

أما بالنسبة لحرب اكتوبر ، فقد ابرز المؤلف حقيقة ان حشود المدرعات العربية والاسرائيلية في هذه الحرب ، فاقت حشود المدرعات السوفيتية والالمانية في معركة «كورسك» التى اعتبرت اكبر معركة دبابات في التاريخ العسكرى السابق لحرب اكتوبر ١٩٧٣ . « فقد كان لدى الجيوش العربية التى اشتركت في القتال نحو ٤٠٠٠ دبابة مقابل نحو ٢٥٠٠ دبابة لدى الجيش الاسرائيلي بالاضافة الى الاف المجنزرات ، وتصف المجنزرات والعربات المدرعة ناقلة الجنود ، والقانصات ، والمدافع ذاتية الحركة لدى الطرفين .

على ان مقارنة المؤلف هنا تبدو رقمية فحسب ، وتتعلق بعدد الحشود المدرعة على جانبى خط الصراع ، لان هناك فارقا بين طبيعة الحشود المدرعة العربية ـ الاسرائيلية ، وطبيعة الحشود السوفيتية ـ الالمانية في معركة « كورسك » لانه في حين كانت حشود المدرعات العربية الاسرائيلية موزعة على مختلف القطاعات في جميع ميادين العمليات التى تفصل بينها عدة اقطار ومئات الكيلومترات ، في مختلف معارك الحرب الرابعة ، كانت حشود المدرعات السوفيتية في « كورسك » والتى تبلغ ٣٦٠٠ دبابة والمدرعات الالمانية وتبلغ ٢٧٠٠ دبابة ، هى حشود معركة واحدة فقط ، في مجرد جانب واحد من ميدان القتال الشاسع .

وابرز المؤلف واقع ان القوات المصرية التى هاجمت خط بارليف كانت تتمتع بتفوق كبير سواء في عدد الجنود ، او كميات الاسلحة المختلفة المستخدمة ، او قوة النيران ، فقد تألفت هذه القوات من ١٠ الوية مشاة على الاقل ، و ١٠ كتائب دبابات ، و ٥ الوية مدرعة ملحقة بها ، تدعمها القوة النارية لـ ٢١٥٠ مدفعا ، وهاونا ثقيلا ، وقاذفا صاروخيا ، وذلك مقابل لواءى مشاة اسرائيليين ، وثلاث الوية مدرعة ، وحوالى ٦ كتائب مدفعية بها حوالى ٧٠ مدفعا ، وبذا كانت نسبة تفوق القوات المصرية تبلغ ٥ الى واحد في المشاة ، و ٣ الى واحد في عدد الدبابات و ٣٠ الى ١ في عدد المدافع ، كذلك سقطت خلال الدقيقة الاولى للقصف المدفعى المصرى ١٠٥٠٠ قذيفة على مواقع العدو الاسرائيلي بمعدل ١٧٥ قذيفة في الثانية الواحدة ، وسجلت تقارير مراقبى الامم المتحدة في منطقة القناة ان ٣ طائرات من كل ٥ طائرات اسرائيلية كانت تنقض على مناطق العبور ، تم اسقاطها خلال الغارات الاولى نتيجة لفاعلية الدفاع الجوى المصرى المنتند على جدار صواريخ سام .

واشار المؤلف الى الكمين المضاد للدبابات الذى اعد سلفا على جانبى الطريق المؤدى الى كوبرى

الفردان ، والخطة المصرية لاجتذاب المدرعات الاسرائيلية اليه ، ووقوع اللواء الاسرائيلى ١٩٠ مدرع فى الكمين ، حيث فتحت عليه النيران من جميع الاسلحة ومختلف الاتجاهات مما ادى خلال ٣ — ٤ دقائق الى تدمير ٨٥ دبابة اسرائيلية . واوضح ان هذه الهزيمة تعد اكبر الهزائم التى لحقت سلاح المدرعات الاسرائيلى حتى الان ، وأول نصر منفرد بارز بشكل ملحوظ ، يحرزه الجيش المصرى خلال ٢٥ سنة من الحرب .

وعلى وجه العموم ، فان القوات المصرية لم تستخدم كما أوضح المؤلف ،صواريخ « ساجر » [ميلوتكا] وقذائف « ار بى جى ٧ » وحدهما فى تدمير الدبابات الاسرائيلية فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ ، وانما استخدمت معهما ايضا مجموعة متكاملة من الاسلحة المضادة للدبابات ضمت المدافع عديمة الارتداد المجهزة بقذائف شديدة الانفجار ، والمدافع عيار ٨٥ مم و ١٠٠ مم م/د المزودة بقذائف خارقة للدروع ، واخرى شديدة الانفجار ، والدبابات ت ٥٤ ، وقانصات الدبابات « س . يو . ١٠٠ » بل لقد استخدمت القوات المصرية ايضا مدفع الهاوتزر السوفيتى المعروف « د — ٣٠ » الذى يبلغ مداه العادى حوالى ٢٢ كم فى دور مضاد للدروع والذى تعد قذيفته التى لا تدور حول محورها اثناء اندفاعها نحو الهدف حتى تستفيد تماما من قوة متفجراتها عند الصدمة « اقوى القذائف المضادة للدبابات فى العالم حاليا على الارجح » على حد تعبير الكاتب العسكرى الامريكى جاك ويلر . [ص ٢٩ من كتابه «محطمو الدبابات فى الشرق الاوسط » .

وتعرض المؤلف كذلك لبحث وتحليل الاسباب التى ادت الى فتح الثغرة ،كما تتبع سير معاركها الضارية التى تكبد العدو فيها خسائر كبيرة ، وخاصة معركة « المزرعة الصينية » التى قاتلت فيها القوات المصرية بعناد وعنف بالغين . كما تعرض للجوانب السلبية والنواقص التى ادت الى وقوع الثغرة . وتستلفت النظر هنا حقيقة سرعة الانجاز التى اتسم بها عمل سلاح المهندسين المصرى بالمقارنة مع مثيله الاسرائيلى ، ذلك ان الاسرائيليين استغرقوا ٨ ساعات فى اصلاح أول جسر عائم اقاموه فى منطقة الدفرسوار ، لمجرد ان احدى الدبابات اسرعت فى حركتها عليه بسرعة ٣٠ كم فانحرفت الى الماء واحدثت تلفا فى الجسر ، اذ تعطل العبور عليه من الساعة ٢ مساء ١٠/١٧ الى العاشرة مساء . ولم يستطع



اسلام الحرية .. لا اسلام العبودية

● تأليف : د. حسن صعب ● الناشر : دار العلم للملايين ببيروت
● الثمن : ٥ ليرات

«فحكم الاسلام هو حكم الحرية.لان حكم الاسلام حكم الشرع . والشرع شرع الحرية، لان الاصل فى الشرع الاباحة اى الحرية . الحرية هى الحكم العام الاول . والاحكام الاخرى تنظيم للحرية . وحكم شرع الحرية حكم الحرية ... وحيث لا تكون الحرية ، لا يكون حكم الاسلام » هكذا يؤكد المؤلف فى كلمات قاطعة صارخة يحاول ان يرسى بها مفاهيم جديدة لطبيعة العلاقة بين الاسلام والحرية : ويحاول ان يتصدى بها للفهم الجامد والرجعى ، وان يجابه ما يسميه بمحاولات « تسييف الحكم » أى احلال السيف او العنف محل الشرع أو العقل فى حكم البشر .

مصطفى النحاس : السياسى والزعيم والمناضل

● تأليف : د. رفعت السعيد ● الناشر : دار القضايا ببيروت ● الثمن : ٥ ليرات

فى التاريخ كما فى غيره فن العلوم يصبح الاكتفاء بالتعميمات والانطباعات السطحية خطرا داهما على الحقيقة .

والنظرة العامة سائدة تماما فيما يتعلق بتقييم قادة العمل السياسى فى مصر . لا يعرفهم الناس الا من خلال احكام اجمالية وانطباعات عامة .. ومن هنا تأتى اهمية هذه السلسلة التى تصدرها «دار القضايا» والتى تحاول فيها القاء رؤية عصرية على قادة العمل السياسى المصرى ..

وتبدأ السلسلة بكتاب عن مصطفى النحاس لعله أول دراسة علمية عن هذا الرجل الذى اكتسب من محبة وثقة شعب مصر اكثر مما كسب اى زعيم آخر من معاصريه . ■

سلاح المهندسين الاسرائيلى انيبنى الجسر الثالث الا بعد ذلك بثلاثة ايام اى فى ۱۰/۲۰ .

كما اشار مؤلف الكتاب الى معركة السويس التى كلفت الاسرائيليين حوالى ۳۲ دبابة تركت فى شوارعها وعلى مشارفها . وكما قال المعلق العسكرى الاسرائيلى « **زئيف شيف** » فان هذه المعركة هى المعركة الوحيدة خلال الحرب التى جرت داخل منطقة مبنية . وقد تورط فيهـا الجيش الاسرائيلى دون ارادته .. لقد دخل الجيش الاسرائيلى الى فم الاسد دون ان يشعر بأن الاسنان يمكن ان تطبق عليه» وذلك لان القادة الاسرائيليين كانوا مقتنعين فى الواقع بان السكان والجنود القليلين الموجودين فى السويس يريدون الاستسلام . فى حين انهم التزموا الهدوء حتى دخلت الدبابات المدينة وفجأة انقضوا عليهـا بفتح النيران من جميع الاتجاهات .

كذلك كانت عمليات القوات المدرعة الاسرائيلية على الجبهة السورية فى حرب اكتوبر ، مختلفة كلية عن عمليات حرب ۱۹٦۷ ، سواء من حيث الحجم او النوعية او الفترة الزمنيـه التى استغرقتها ، او فداحة الخسائر التى وقعت خلال تنفيذها . اذ كانت حرب ۱۹۷۳ حربا كاملة بالمعنى المتعارف عليه لكلمة حـرب ، فى حين كانت حرب ۱۹٦۷ أشبه بمناوره كبرى بالذخيرة الحية بالنسبة الى القوات الاسرائيلية . وقد اثبت سلاح المدرعات الاسرائيلى قدرة جيدة فى سرعة الحركة والمناورة والتكيف السريع مع متطلبات المواقف التى فرضتها عليـه المرحلة الاولى من الحرب حين كانت المبادأة فى ايدى القوات السورية . الا ان ذلك لم يمنعه من وقوع كوارث مثل تدمير اللواء الاسرائيلى المدرع ۳۷ « براك » وقتل قائده ومعظم ضباطه على ايدى الهجوم السورى الشجاع ، الذى استطاع فى البداية اجتياح القطاع الجنوبى كله من الجولان الذى اصبحت شراذم القوات الاسرائيلية فيـه معزولة ومطوقة .

وفى الفصل الخامس عشر والاخير من الكتاب بعنوان « التأهب للحرب الخامسـة » عرض المؤلف لوجهات نظر العدو بالنسـبة لمستقبل المواجهات . على اساس الاراء التى اعرب عنها الجنرال « اسرائيل تال » والتى تقوم على اساس **تجنب خوض حرب دفاعية** بقدر الامكان ، نظـرا لان علاقات القوى الكميه فى المنطقة بالنسبة الى الميدان وعلى طول الحدود تستوجب ذلك . كما تقوم ايضا على **رفض الحروب طويلة الامد** ، بكل شدة . وبهذا الصدد قال اسرائيل تال : « ينبغى ان نتطلع ، اذا نشبت حرب جديدة الى ان يركز الجيش الاسرائيلى على التشـكيلات المتحـركة والمدرعة ، ويظل مخلصـا لنظـرية المدرعـات وتقاليدها ، وينقل الحرب الى عمق ارض العدو ، ويدمر قواته ، ويحسم الحرب بسرعة » .

ولذا يحاول سلاح المدرعات الاسرائيلى منـذ انتهاء حرب ۱۹۷۳ ان يطور اسلوب قتاله على اساس تعزيز وحدات المدفعية المساندة له وزيادة حجم وقوه المشاة الميكانيكية التى ستندمج فى تشكيلاته على مختلف المستويات ، وكذلك الحال بالنسبة لوحدات الهندسة والصيانة والتسليح. اما بالنسبة لحجم الدبابات التى لدى سـلاح المدرعات الاسرائيلى حتى مايو ۱۹۷٥ فانه يقدر بنحـو ۳۰۰۰ دبابة ، لانه اذا كان الجيش الاسرائيلى قد فقد فى حرب اكتوبر حوالى ۸٤۰ دبابة الا انه استطاع تعويضها من الترسـانة الامريكية اساسا ، وكذلك البريطانية ، بحيث اصبح يملك اليوم عددا من الدبابات يفوق ماكان لديه قبل حرب اكتوبر .

وطالب المؤلف فى ختام كتابه بضرورة تطوير عقائد القتال العربيه من اجـل تأمين النصر فى الحرب الخامسه ، وافشال تكتيات المدرعـات الاسرائيلية التى ستجرى ضمن اطار استراتيجية الحرب القصيره الخاطفة ، وهـو يرى انه اذا كانت اسلحة وتكنيكات الدفاع المضـاد للدبابات المستنده فى الاساس الى الصواريخ الموجهه ، واسلحه وتكتيكات الدفاع الجوى الصاروخى ، قد لعبت دورا مؤثرا بارزا فى حرب اكتوبر ، فان ذلك لا يعنى ان العدو الاسرائيلى سيعجز امامها مرة اخرى فى الحرب الخامسة ، بل انه بالضروره سيبحث عن جواب مناسب لها ، قد يبطل جزءا من فاعليتها او يخفف من تأثيرها على الاقل . خاصة ولا ينبغى لاحد ان ينسى ان فتح ثغرتى « الدفرسوار » و « سعسع » قد تم خلال حرب ۱۹۷۳ مع وجود هذه الاسلحة الفعـالة المضادة للدبابات والطائرات فى ايدى القـوات العربية ، وبالرغم من الخسائر الفادحة التى سببتها للمدرعات والطائرات الاسرائيلية .

وبعد ، فالامر الذى لاشك فيـه ان كتـاب الزميل **محمود عزمى** من الكتب التى تحفل بالفائدة والمتعـة المثمرة معا ، وهـو مكسب دون شك للمكتبة العسكرية العربية ، يحفل بعشرات ومئات التفصيلات ذات المغزى والدلالة بالنسبة لتاريخ الصراع العسكرى العربى ـ الاسرائيلى ، كما انه يخلو من ذلك السرد الانشائى الذى أضحى فى بعض المؤلفات العربية سمة على العقم والفقر الفكرى ، ذلك ان محمود عزمى يقدم لقارئه باجتهاد وجدية ، معلومة مفيدة فى كل عبـارة يسطرها ، ومن هذه الناحية يرقى كتـابه الى مستوى تلك الكتب التى تستطيع ان تعبر الحدود المحلية . □



• جمهورية مصر العربية

جولة الرئيس السادات فى العواصم الست

قام الرئيس محمد أنور الســادات فى مطلع الشهر الماضى بجولة فى عدد من العواصم الاوروبيه استغرقت أسبوعين ، اجرى خلالها سلسلة من المباحثات الهامة مع القادة والزعماء فى المانيا الاتحادية وفرنسا وايطاليا والفاتيكان ويوغوسلافيا والنمســـا .

وقد تركزت مباحثات الرئيس الســادات مع القادة والزعماء الاوروبيين حول عدد من الموضوعات الرئيسية وهى : قضية الشرق الاوسط ، والتركيز على الحقـــوق الوطنيـــة للشـــعب الفلسطينى كشرط أساسى لاقامة سلام دائم وعادل فى منطقة الشرق الاوسط ، وكذلك تدعيم العلاقات الثنائيـــة بين مصر وبلدان اوروبا الاعضاء فى السوق الاوروبيـــة المشتركة ، واعطاء دفعة قوية لسياسة الانفتاح ، ومدى مساهمـــة تلك البلدان فى تقديم المعونات المالية والعلمية والفنيه لتطـــوير الاقتصاد المصرى بما يخدم عمليات التعمير واعادة البنـاء ، وكذلك بحث مع هؤلاء الزعماء موضوع احتيـاجات مصر من الاسلحة تحقيقا للاتجاه نحو تنويع مصادر السلاح .

ويرى المراقبون ان اهم النتائج التى حققتها رحله الرئيس الســادات انما تتعلق بالتحـول فى موقف كل من المانيـا الاتحاديه وايطاليا ، والتاييد الكامل لموقف مصر ولانســحاب اسرائيل من جميـــع الاراضى العربيـــه المحتلة ، وللحقـــوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، والتاكيد على ضرورة عقـــد مؤتمر جنيف بأسرع وقت ــ وان كان ليس من المنتظر ان يعقد قبل اجراء الانتخابات الامريكيه ، وبالتحـــديد فى عام ١٩٧٧ ــ على ان تشترك فيه كافة الاطراف المعنية ، بما فى ذلك منظمة التحرير الفلسطينية ، واستعداد كل من المانيـــا الاتحادية وايطاليا وفرنسا والنمسا ان تلعب دورا ايجابيا فى الضمانات الدولية الخاصة بالتسوية السلمية الشـــاملة بين الدول العربية وإسرائيل .

وعلى المستوى الاقتصادى . تم خلال الرحلة توقيع عديد من الإتفاقيات بين مصر والحكومات والشركات الخاصة فى كل من المانيا الاتحادية وفرنسا وايطاليا ويوغوسلافيا والنمسا ، وذلك بشان الحصول على التسهيلات الائتمانية والمعونات المالية والتكنولوجية واقامة المشروعات المشتركة فى المجالات الصناعية والزراعية والتجارية .

كذلك حققت مباحثات الرئيس السادات مع الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان نتائج ايجابية بشان مسألة تنويع مصـــادر السلاح ، وتقديم فرنسا تســـهيلات لمســـاعدة مصر في دعم دفاعاتها ، وكذلك وضع الاساس لعقد اتفـــاقات اخرى فى المستقبل .. والمعروف ان الرئيس الســـادات لم يثر مع القادة الالمان مسألة توريد الســلاح الى مصر ، اذ ان مصر تدرك سلفا وجهة نظر الحكومة الالمانية بعـــدم توريد الاسلحة الى مناطق التوتر فى العالم ومنها الشرق الاوسط ، ورغبـــة حكومة بون في الحفاظ على سياســـة التوازن بين العـــرب واسرائيل فى منطقة الشرق الاوسط .

هذا وتعكس نتـــائج رحله الرئيـــس الســـادات فى راى المراقبين اهتمام الدول الاوروبية بالدول العربية الغنية بالاموال والبترول ، واهتمام الدول الاوروبيه باقرار السلام فى الشرق الاوسط ، وترحيبها بسياسة مصر الحالية التى تتمثل فى رايهم فى اقامة التوازن فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحـــدة .

وقد اعلن وزير خارجيه المانيا الاتحـــاديه ، ان حكومتـــه تؤيد تاييدا تاما سياسة الاستقلال المصرية والمســاعى التى تهدف الى الوصـــــول الى حل سلمى فى الشرق الاوسط ، ووصفها بانها مرضيه وان حكومة بون تؤيدها تاييدا تاما . □

حســـنى مبـارك فى الصـــين

كان الرئيس انور الســـادات قد اعلن فى فيينا ــ اثناء جولته فى الدول الاوروبيه ــ يوم ١١ ابريل الماضى انه تبادل الرسائل مع الزعيم الصينى ماوتسى تونج بعد موقف الصـــين الاخير بامداد مصر بقطع الغيار والمحركات ، وطلب الرئيـــس ان يسافر وفد مصرى على مستوى عال يراسه نائب الرئيس وذلك تقديرا لموقف الصين ولاستطلاع امكانيات تكثيف التعاون . وبالفعل كان الوفد المصرى كما قالت وكالة الانبـــاء الفرنسية هو « اكبر وفد مصرى يقوم بزيارة رسمية للصين (ضم ٤٩ شخصا) منذ اقامة العلاقات بين البلدين فى ١٩٦٥ » واضافت الوكالة نفسها « ان الترحيب الحار وغير العادى الذى حظى به الوفد المصرى عند اســـتقباله فى مطـــار بكين يكشف عن امكانيات واسعة لاستجابة الصين الى تعزيز مجالات التعاون مع مصر (استقبله ١٠ آلاف فتى وفتاة بالورود) » .

كما تدخل زيارة نائب الرئيس ــ كما اعلن اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ــ ضمن اطار التحـــرك العالمى دفاعا عن الحقوق المشروعة للبلاد العربيـــة وللشعب الفلسطينى .

وقد اكد نائب الرئيس ان الزيارة فاقت كل التوقعات وانها سوف تمثل بداية هامة لدعم وتطوير علاقات البلدين ، وانه ستتلوها خطوات اخرى وانه تم تنسيق الاتصال بين الجانبين لاعطاء دفعة مستمرة للعلاقة القوية بينهما بالاضافة الى الاتفاق على طريقة التعامل . ووجـــه نائب الرئيس الدعوة لرئيس الوزراء الصيني لزيارة مصر .

ويمكن تلخيص نتائج زيارة الوفد المصرى فيما يلى :

(أ) المجال السياسى : وفيه ايدت الصين مساعى مصر لحل ازمة الشرق الاوسط ، واكدت « ان مصر هى القـوة التى تلعب دورا استراتيجيا وسياسـيا فى منطقـة الشرق الاوسـط . وان السياسـة التى تتبعهـا مصر هى سياسة وطنية واستقلالية . وان الصين تقـدم لها كل دعم وترى ان هذه السياسة دعم للصين وكل دول العالم الثالث » كما ابرز رئيس وزراء الصين اكثر من مرة « ان النضال العادل الذى يقوده الشعب المصرى وسـائر الشعوب العربيـة بما فيه الشعب الفلسطينى ضد العـدوان ونزعة الهيمنة تسد حظى بالعطف والتأييد الواسعين من قبل شعوب العالم . وتحدونا الثقة بان الشعب المصرى وسائر الشعوب العربية بما فيهـا الشعب الفلسطينى طالما تستند الى الاعتماد على قوتها الذاتية وتعزز الوحدة وتثابر على المدى الطويل الامد تستطيع بالتأكيد أن تحقق بتأييد ومساعدة العالم الثالث والشعوب الثورية فى العالم اجمع انتصارات اعظم فى النضـال ضد الامبرياليـة ونزعة الهيمنة والصهيونية الاسرائيلية » .

والقراءة المتأنية للفقرات السابقة تستخلص الخط الصينى والذى يتمثل فى :

☐ وضع العدوان الامبريالى والصـهيونى وتسـمى « نزعة الهيمنة » (ويقصدون بالهيمنـة علاقات الاتحـاد السوفيتى بالدول الاخرى » على قدم المساواة !!

☐ دعوة الشعوب الناميـة الى الاعتمـاد على قواها الذاتية .

☐ دعوة هـذه الشعوب للاعتمـاد — وبالترتيب على : مساعدة شعوب العالم الثالث ، ثم الشعوب الثـورية (أو الاشتراكية) .

(ب) المجال الاقتصادى : تم ابرام عـدد من اتفاقيـات التعاون الاقتصادى والتجارى . وابدت الصين استعدادهـا لتقديم ٤ مصانع للادوية ، ومصنعين للبطاطين ، ومصنـع للتريكو . كما تقرر زيادة حجم التبادل التجارى من ٤٣ مليون جنيه الى ٦٠ مليون جنيه سنويا — اى بزيادة ١٧ مليـون جنيه . وفى اطار ذلك ستزيد الصين من تصدير كميـات الدخان والمواد الكيماوية . كما تم الاتفاق على عقد اتفـاق تجارى طويل الاجل بعد انتهـاء الاتفاق الحـالى فى نهاية ١٩٧٦ . كما تقرر ان يبحث الجانب الصينى زيادة الكميـات المصدرة لمصر من الملابس المنزلية الجاهزة . كما وافق على امداد مصر بعدد من المواد الخام اللازمة للصناعة خلال العامين القادمين فى حدود ١٠ ملايين دولار . وفى الميدان الزراعى تم الاتفاق على تطوير التعـاون الفنى والزراعى وتحسـين السلالات النباتية والحيوانية . وفى الميـدان الصنـاعى تم الاتفاق على دفع عجلة التنفيذ بالنسـبة لمشروعات صنـاعة الطوب الرملى والدواء والملابس والبطاطين والتريكو . ☐

حـول تنظيـم التجمـع الوطنى التقـدمى الوحـدوى

افتتح **خالد محيى الدين** مقرر تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى الاجتماع الاول للهيئة التاسيسية المؤقتـة للتنظيم والذى كان أول لقاء يعقد فى اطار العمـل السياسى الجديد بمصر ..

وقد افتتح الجلسة **الدكتور رفعت المحجـوب** الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى والقى كلمة حيـا فيها الحاضرين واكد لهم العـزم على الاسـتمرار فى غرس الاشتراكية ، وغرس الديمقراطية معا فى ارض مصر ..وتمنى لهم النجاح فى عملهم ..

واوضح « **خالد محيى الدين** » فى خطابه الافتتـاحى ان نظرة واحدة الى القاعة كافية تماما لتعلن للجميع من نحن ؟ كافية لكى تؤكد عمق وثقل التيار الذى نمثله فى اطار تحالف قوى الشعب العامل . فبرغم الفترة الوجيزة للغـاية التى مارسنا فيها نشاطنا ، وبرغم ما شاب هذا النشاط من قصور فان القوى والشخصيات التى تجمعت تحت راية تنظيمنـا كافية الدلالة .. ظاهرة المغزى . عشرات من اعضاء اللجنة المركزية ومجلس الشعب ومن قيادات الاتحـاد الاشتراكى المنتخبة ، ومن القيادات العمالية البارزة ، ومن قادة الحكم المحلى المنتخبين ، ومن ممثلى مختلف التيارات ، ومن قادة الرأى والفكر ومن الشخصيات العامة تسـارعوا رغم قصر الفترة وبرغم ما يشوب توجهنـا اليهم من قصـور لاعلان انضمامهم الى تنظيمنا » .

.. ناصية اخرى اشار اليها **خالد محيى الدين** فى خطـابه الافتتاحى وأكد على اهميتها .. وهى انه اذا كان عيبا فينـا اننا لم نسع الى احـد ، فان ما يزيد من اعتزازنا ان عدد من سـعوا الينـا ، مدفوعين ببـواعث وطنيـة وتقـدمية ووحدوية ، كانوا كما وكيفا ، بما يفوق كل التصورات » .

وهكذا تجمع فى قاعة اللجنة المركزية للاتحـاد الاشتراكى العربى ١٢٨ عضوا بالهيئة التأسيسية المؤقتة يمثلون ١٥ محافظة وعديدا من الشخصيات العامة ، والقيادات السياسـية والى جوارهم اكثر من ٣٠٠ مراقب حضروا ليشاهدوا ذلك الحدث .

وقد انتخبت الهيئة التاسيسية للتنظيم سكرتارية مؤقتة من ٣٩ عضوا وعندما طرح المقرر للنقاش نقطة اساليب العمل ، فجر **محمد مصطفى بكرى** من قنا مسـالة الاضطهـاد الذى يتعرض له اعضاء التنظيم فى محافظة قنـا ، فما لبث أن تصاعدت من القـاعة اكثر من شـكوى — **رأفت سيف** من الدقهلية **انور ابراهيم** من المنيا ، الفنـان المسرحى **حمـدى غيـث** ، وسكرتير الاتحاد التعاونى العام **محمـد ادريس** ، **وعبد العظيم المغربى** السكرتير السابق لاتحاد نقابات العمال تكلموا جميعا فى نفس الاتجاه مؤكدين ان بعض امناء الاتحاد

الاشتراكي في المحافظات ، وبعض الاجهزة التنفيذية تمارس ضغوطا متفاوتة بهدف فرض انتماء الجماهير لتنظيم معين .

كذلك اثيرت قضية قيادات منظمة الشباب ووضعها ، فأكد **خالد محي الدين** حرص التنظيم التقدمي على استمرار الشباب في العمل في مكانه بالمنظمة ، واوضح ان العلاقة بين قيادات المنظمة والتنظيمات المختلفة سوف تحسم قريبا .

وبعد يومين من الاجتماع عقدت السكرتارية المؤقتة اجتماعا ناقشت فيه عديدا من النقاط التنظيمية الهامة ، وتم اختيار مقرري اللجان الاربع التي قررت الهيئة التاسيسية تشكيلها . وقد اختير **د.يحيى الجمل** مقررا للجنة الشئون السياسية والاعلام . و **د.محمد احمد خلف الله** مقررا للجنة البرنامج ، و**محمد ادريس** مقررا للجنة العضوية والاتصال بالمحافظات والمنظمات الجماهيرية ، و**احمد الخواجه** مقررا للجنة اللائحة والنظام الداخلي .

كذلك كونت السكرتارية لجنة متابعة يومية لمعاونة المقرر ، والسكرتير العام المؤقت في عملها اليومي .

وقد تابعت السكرتارية مناقشة بعض الموضوعات التي تعرضت لها الهيئة التأسيسية بالنقاش .. ومن بينها ماتقبل انبعض الضغوط التي يتعرض اعضاء التنظيم لهـا خلال ممارستهم للعمل . وقد وجهت السكرتارية مذكرة الى الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي حول هذا الامر ، جاء فيها انا « انه نتيجة لانضمام عدد من امناء الاتحاد الاشتراكي فيالمحافظات الىتنظيم « مصر العربي الاشتراكي» ، وما استقر في الاذهان بسبب عديد من التصرفات والاقوال ، ان هذا التنظيم هو تنظيم الدولة الذي يحظى وحده بالرعاية والحماية ، وعلى حساب التنظيمين الاخرين وخاصة تنظيمنا . تورطت بعض قيادات الاتحاد الاشتراكي في حملة منظمة متواصلة ضد تنظيمنا ، واستخدمت في هذا السبيل مواقعها القيادية لدفع المواطنين للانضمام الىتنظيم « مصر الاشتراكي العربي » او على الاقل اثارة مخاوفهم لمنعهم من الانضمام لتنظيمنا ، ولا شك ان هذه التصرفات ستؤدي الى فقدان الثقة في جدية الهدف الديمقراطي المقصود من انشاء التنظيمات السياسية ، وفي النهاية الى افشال التجربة وهي مازالت في المهد .

وتمضي المذكرة قائلة « ولا يقل خطورة عن ذلك موقف اجهزة الصحافة والاعلام التي اثبتت خلال الأيام الماضية بصورة شبه مطلقة - عدا استثناءات شجاعة قليلة لا تغير من الظاهرة - انها تخص تنظيم « مصر العربي الاشتراكي» بالرعاية والدعاية بينما تشن حملات تحريض ظالمة على تنظيمنا ، وتصادر حقنا في الاتفاق والاختلاف وممارسة حرية الرأى ، وتحيطنا بارهاب معنوى ، وتعطى بعض الاقلام لنفسها حق اصدار فرمانات بالحرمان من الوطنية ، وهو أمر بالغ الخطورة » .

وبعد ان ناقشت المذكرة ظاهرة الانضمام الجماعي للمؤسسات النقابية وهو أمر مخالف لقرار اللجنة المركزية ومناقض لروح الديمقراطية .. اكدت ان الظروف الراهنة تتطلب عقد اجتماع عاجل لمقرري التنظيمات الثلاثة مع الامين الاول للنظر في وضع قواعد تنظيميه للعمل ، واعداد نوع من الميثاق يحكم اساليب الحركة ويجنبها المهاترات والصراعات غير الموضوعية » .

ويواصل التنظيم نشاطه .. وتتكون هيئات تأسيسية ولجان للهيئة العضوية .. في مختلف المحافظات ، ويدلي التنظيم برأيه في مختلف القضايا الهامة والملحة ، وعندما نوقشت قضية الاسكان في مجلس الشعب تقدم التنظيم بمذكرة تتضمن موجزا لوجهات نظره في هذا الموضوع الحيوي الهام . □

● فلسطين

فوز القوى الوطنية في انتخابات البلدية

ما تزال نتائج انتخابات المجالس البلدية في الضفة الغربية للاردن تثير ردود فعل واسعة في الدوائر السياسية الحاكمة في اسرائيل ، وفي الصحف ووكالات الانباء العالمية.

وكانت الانتخابات قد جرت في ١٢ ابريل الماضي في مدن وقرى الصفة العربية لشغل عضوية المجالس في ٢٤ بلدية ، حيث تقدم ٥٧٧ مرشحا يتنافسون على ٢٠٥ مقعدا . وقد اسفرت الانتخابات عن فوز ساحق لقوائم القوى الوطنية والتقدمية المؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وجاءت نتائج الانتخابات صدمة عنيفة لحكومة اسحق رابين التي راهنت على احتمال ان تصدر منظمة التحرير الفلسطينية تعليمات بمقاطعة الانتخابات ، او حتى على الاقل توفر الفرص امام العناصر المعتدلة للفوز في الانتخابات .

وقد حصلت العناصر التقدمية والمؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على اكثر من ٨٠/ في المائه من مقاعد المجلس البلدية . وكما أن فوز العناصر التقدمية الاخرى كان دعما لمنظمة التحرير ، والذى يعتبره مراسل صحيفة الموند الفرنسية بأنه تدعيم لمنظمة التحرير الفلسطينية نفسها ، والتي أعلن الجميع انهم يعتبرونهـا ممثلهم الشرعي الوحيد ، كما اعلنوا أيضا عن رفضهم لعودة الضفة الغربية الى الاردن .

ومن ابرز الظواهر التي كشفت عنها الانتخابات ، والتي تعتبر مؤشر جديد وهام في رأى المراقبين ، هو فوز « عطاالله عشماوى » عضو الحزب الشيوعي الاردني **والمعتقل حاليا** - هو وقائمته بجميع المقاعد في بيت جالا وبيت سحور . وفوز **كريم خلف** المسيحي التقدمي وقائمته بثمانية مقاعد من بين تسعة مقاعد في مدينة رام الله .

وقد ذكر مراسل وكالة الانباء الفرنسية ، ان فوز اصحاب هذه الاتجاهات السياسية الجديدة قد أثار الاضطراب في صفوف الاقطاعيين والزعماء التقليديين الذين يتعاونون بصورة ما مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية . كما اسفرت الانتخابات أيضا عن هزيمة ساحقة للعناصر الموالية للملك حسين .

وذكر تقرير الوكالة الفرنسية . ان ممثلي هذه الاتجاهات السياسية الجديدة الذين جاءت بهم الجماهير الى المجالس البلدية سيكونون اكثر تشددا في المعارضة والعداء من سابقيهم للاحتلال الاسرائيلي ولاقامة المستعمرات اليهودية في الضفة العربية ، خاصة وان الوضع القائم في الضفة الغربية يعتبر اكثر تفجرا .

وقد وصف شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي والمسئول عن الاراضي المحتلة نتائج الانتخابات بانها « تجسد قوى لاسرائيل » ، كما علقت صحيفة يديعوت احرونوت الاسرائيلية على الانتخابات بانها « كارثة لاسرائيل وسياستها القومية » ، كذلك اعربت مصادر الحكومة الاسرائيلية عن قلقها ومخاوفها من ان تؤدي نتائج الانتخابات الى تزايد حدة المقاومة الجماهيرية العربية لسلطات الاحتلال الاسرائيليه في سائر مدن وقرى الضفة الغربية .

ومن جهة اخرى تجمع كافة التقارير الواردة من الاراضي المحتلة ، على ان انتفاضة الجماهير العربية فى الضفة الغربية ، التى بدأت منذ شهر يناير الماضى ، قد دخلت حاليا مرحلة الثورة المستمرة ضد الاحتلال الاسرائيلى ومن اجل وضع حد لاحتلاله وعدوانه . وكانت هذه الانتفاضة الشعبية الشاملة قد بلغت ذروتها فى يوم ٢٠ مارس الماضى وذلك فى مناسبة « يوم الارض » ، استجابة لنداء منظمة التحرير الفلسطينية بالتظاهر تعبيرا عن رفضهم للاحتلال الصهيونى واجراءاته التعسفية . وقد وصف مراسل صحيفة «معاريف» الاسرائيلية انتفاضة الجماهير فى مناسبة يوم الارض «بأن ما حدث فى يوم الارض هو ثورة بمعنى الكلمة ؛ وان ما شهده فى هذا اليوم لم يشهد له مثيلا منذ عام ١٩٤٨ .

على ان الشيء الجديد الذى استلفت انتباه جميع المراقبين فى يوم الارض ، هو امتداد الانتفاضة العربية من الضفة الغربية التى احتلتها اسرائيل فى عام ١٩٦٧ ، الى الاراضى المغتصبة منذ عام ١٩٤٨ ، حيث اجتاحت المظاهر جميع مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومدن وقرى الجليل شمالا والقدس وضواحى تل ابيب ، والتى يعتبرها المراقبون علامة جديدة فى العمل المشترك بين العرب والمواطنين الاسرائيليين المناهضين لسياسة الاحتلال الاسرائيلى .

وقد اتهم الزعماء الاسرائيليون « حزب راكاح الشيوعى » الذى يضم العرب واليهود فى اسرائيل ، بانه المخطط للمظاهرات فى مدينة الناصرة والجليل فى يوم الارض ، والتى تحولت الى « صراع دموى » بين الاهالى المتظاهرين وبين السلطات الاسرائيلية ، حسبما وصفها مراسل صحيفة الصنداى تايمز البريطانية (١٩٧٦/٤/٤) مما اضطر الحكومة الاسرائيلية الى ارسال القوات المسلحة والبوليس لقمع مظاهرات يقوم بها مواطنون اسرائيليون ، وذهب ضحيتها عدد من القتلى والجرحى ، كما ألقى القبض على مئات العرب واليهود من المتظاهرين .

والمعروف ان حزب راكاح قد احرز تقدما فى الانتخابات العامة التى جرت فى شهر ديسمبر ١٩٧٥ ، واستطاع تعيين « توفيق زياد » عمدة للناصرة فضلا عن تشكيل مجلس محلى وطنى للمدينة ، وتتركز سياسة حزب راكاح — والكلام مازال للصحيفة البريطانية — على مناهضة السياسة الاسرائيلية التى تقيم الصناعات الجديدة فى المدن اليهودية ، ولا تسند الى العرب الا القيام بالاعمال الحقيرة ، كما يتولى حزب راكاح الحملة ضد استيلاء الحكومة الاسرائيلية على الاراضى العربية لانشاء مناطق يهودية ، وتهويد او تعديل وضع السكان العرب الذين يشكلون اغلبية فى منطقة الجليل ، التى تقع على مقربة من حدود الضفة الغربية لنهر الاردن .

وتذكر الصحيفة البريطانية « ان هناك بين زعماء اسرائيل من يسلمون اليوم وفى تردد باحتمال قيام دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية عام ١٩٨٠ » .

هذا وما يزال الوضع متفجرا فى مدن وقرى الضفة الغربية ، نتيجة استمرار المظاهرات والمصادمات الدامية بين الجماهير العربية الثائرة وسلطات الاحتلال الاسرائيلية وسقوط عشرات القتلى والجرحى والقاء القبض على آلاف المواطنين العرب ، مما يوضح تصاعد واتساع المقاومة العربية ، التى تعلن عن رفضها للاحتلال الاسرائيلى ، ومقاومة سياسة الاستيطان المستمرة ومصادرة الاراضى العربية فى الاراضى المحتلة . □

• لبنان

العام الاول للحرب هل يكون العام الاخير ؟

عندما حل الثالث عشر من ابريل الماضى كان قد مضى عام على الحرب الاهلية البشعة فى لبنان ، حيث فقدت لبنان ١٤ الف قتيل و ٣٠ الف جريح ومشوه ، وقد اشترك فى هذا القتال الشرس ١٤٢ الف مقاتل . وكانت خسائر الجيش سبعة آلاف بندقية (ام — ١٦) وثلاثة آلاف بندقية (فال) و ٨١١ مدفعا من مختلف العيارات واعداد كبيرة من القذائف والآليات والدبابات وتقدر النشرة المالية التى تصدرها الفاينانشال تيمز خسائر لبنان الاقتصادية فى عشرة شهور بـ ٢١ مليار ليرة ، كما دمر ونهب ١٢٠ مصنعا والاف المؤسسات التجارية ، واغلب البنوك وفروعها ، ومخازن الترانزيت ، وتعطل عن العمل مائة الف عامل وخمسين الفا اخرين تتهددهم البطالة .

ووسط هذا الجو المشحون بالدمار — بدأت الولايات المتحدة الامريكية تسفر عن وجهها فى الازمة ، فأوفدت مبعوثا خاصا على مستوى عال كلفته بان « يبذل كل جهد من اجل تهيئة المجال لوقف اطلاق النار » — كما حذرت وزارة الخارجية الامريكية كل الدول الاجنبية التى قد تفكر فى التدخل بالقوة فى الشئون اللبنانية . وقد اشارت صحيفتا « النهار والسفير » اللبنانيتان الى حل امريكى ، قدمه المبعوث الامريكى ويطالب هذا الحل بنوع من الانتداب ، و « مشروع مارشال » لاعادة بناء لبنان ، وتشكيل قوة تدخل فى لبنان تحت اشراف الامم المتحدة ، وايفاد مستشارين امريكيين وباكستانيين وسويديين ونرويجيين وغيرهم لاعادة تنظيم وتدريب القوات المسلحة اللبنانية .

ووسط هذا الجو كانت المطالبة بضرورة استقالة فرنجية ، وهو ما حظى بموافقة اجزاء من القوى اليمينية المحافظة ، الى جانب موافقة القوى التقدمية والمقاومة الفلسطينية وحركة الاحدب الانقلابية ، وجيش لبنان العربى (الخطيب) الذى يضم ٤٠٪ قوة الجيش اللبنانى . وقد عقد المجلس النيابى جلسة حضرها غالبية الاعضاء لاجراء التعديل الدستورى المطلوب على المادة (٧٣) حتى يسمح فى اقصر وقت ممكن بانتخاب رئيس جديد للجمهورية خلفا لسليمان فرنجية ، وبمقتضى هذا التعديل يمكن البدء فورا فى انتخاب رئيس جديد ، وقد أقر الرئيس فرنجية هذا التعديل .

وهكذا فانه قبيل حلول الذكرى الاولى للحرب الاهلية الشرسة اعلن عن هدنة جديدة ، يأمل ان يحدث تحول يعيد السلام الى بلاد خربتها هذه الحرب . لقد كان انفصال جزء من الجيش اللبنانى وانضمامه الى خصوم الطائفية والرجعية ، وانقلاب الاحدب ، وفقدان الرئيس فرنجية لمكانته ورحيله من بيروت — عوامل اضعفت اليمين الطائفى ، وارغمت الكتائبيين الذين ساء وضعهم فى بيروت على قبول وقف اطلاق النار ، ومن ثم كان اعلانهم — انهم لن يرفضوا اية مبادرة تستهدف وضع حد لاراقة الدماء ، وهم عندما قبلوا وقف اطلاق النار كانوا يزنون الامور على اساس ان ضعف موقفهم فى بيروت يقابله تغير واضح فى الموقف العسكرى فى الجبل لصالحهم .

ولقد كان وصول الوسيط الامريكى الى بيروت — دين براون — انذارا لكل القوى الوطنية والتقدمية ، وبصفة خاصة للمقاومة الفلسطينية — بان تدخلا امريكيا مباشرا بات متوقعا .

اما الوسيط الامريكى والذى اصبح سفيرا فوق العادة فى لبنان هو نفسه سفير الولايات المتحدة الامريكية فى الاردن عام ١٩٧٠ — وكما تقول منظمة التحرير الفلسطينية فان يداه مخضبتان بالدماء العربية والفلسطينية .

وبعد عام من المعاناة ووسط هذا الجو الملبد بمخاطر هددت وتهدد مجمل حركة التحرر الوطنى العربية — والمقاومة الفلسطينية بصفة خاصة — توصلت المقاومة الفلسطينية الى اتفاق مع سوريا لايجاد حل سياسى . تم فيه الاتفاق على النقاط السبع التالية :

١ — وقف القتال ، واتخاذ موقف موحد ضد اية جهة تقوم باستئناف العمليات العسكرية .

٢ — اعادة تشكيل اللجنة العسكرية العليا ، الثلاثية، السورية ، الفلسطينية ، اللبنانية لتحقيق وقف القتال ، وتنفيذه ، والاشراف عليه ، وذلك الى ان يتم انتخاب الرئيس الجديد الذى يقرر اجراءات الامن وفق ما يراه ملائما طبقا لسلطته الدستورية .

٣ — مقاومة التقسيم بكافة اشكاله او اى عمل أو اجراء من شأنه المساس بوحدة لبنان ارضا وشعبا .

٤ — رفض تعريب الازمة فى لبنان اى بما يؤدى الى ادخال قوات عربية .

٥ — رفض الحلول والخطط الامريكية فى لبنان .

٦ — التمسك باستمرار المبادرة السورية .

٧ — رفض التدويل او ادخال اى قوات دولية الى لبنان . □

○

• الاردن

هل حققت رحلة الملك أهدافها ؟

فى نهاية شهر مارس الماضى ، قام الملك حسين بزيارة الى الولايات المتحدة الامريكية استغرقت سبعة ايام ،توجه بعدها الى كندا ثم الى بريطانيا . وقد جاءت هذه الزيارة فى الوقت الذى واجهت وتواجه فيه منطقة الشرق الاوسط عددا من المتغيرات المتعلقة بكل طرف من الاطراف المعنية بالازمة فى المنطقة .

فقد تزايد التقارب السورى الاردنى ، وهو التقارب الذى يرى بعض المراقبين ان له ما يبرره فى السياسة الاردنية . فالاردن تريد الخروج من عزلتها وتحسين صورتها امام العالم العربى بعد المذبحة التى اقامها الملك حسين للشعب الفلسطينى وفصائله المقاتلة فى سبتمبر « ايلول » ١٩٧٠ وبعد تخلفه عن الاشتراك فى حرب اكتوبر . ثم ان الملك يحاول كذلك استغلال تقاربه مع النظام السورى — ذا الصلة بمنظمة التحرير الفلسطينية — لكى يحيد ولو بشكل نسبى المنظمة ، بحيث تقلل من هجماتها على الملك ، وتكف عن المطالبة بتنفيذ قرارات مؤتمر الرباط المتعلقة بعودة الفصائل المقاتلة الفلسطينية للعمل فى الاردن . ومن جانب ثالث فقد حرص الملك على أن يقوم بزيارة دمشق قبل زيارته للولايات المتحدة لكى يبدو فى المفاوضات ممثلا لاكثر من طرف عربى .

وهناك متغير آخر يظهر خلال الفترة الاخيرة ويتمثل فى ان الملك حسين قد عاد من جديد الى الاهتمام بشئون الضفة الغربية مخالفا قرارات قمة الرباط بدعوته البرلمان الاردنى الى الانعقاد . وقد شمل الفلسطينيين ايضا ، وهو الامر الذى استنكرته منظمة التحرير ، وبالتالى فان الملك لا يزال يريد الابقاء على خيط رفيع يفيد انه لا يزال له صفة تمثيلية على فلسطينيى الضفة الغربية .

ثم هناك متغير ثالث يتعلق بموقف الولايات المتحدة ، فبعد ان بدا أن دبلوماسية كيسنجر المتعددة الخطوات لاتوجد لها فرصه للنجاح على الجبهه السورية ، ظهر فى اتجاهات السياسة الامريكية انه قد يكون مقدرا لها النجاح الى حد كبير على الجبهه الاردنية ، بل ان بعض المصادر اشارت الى ان الولايات المتحدة استهدفت من دعوة الملك حسين انتهاز الفرصة لبحث موضوع عقد اتفاقية لانهاء حالة الحرب مع اسرائيل خاصة وان اسحق رابين كان قد وافق على تفويض الولايات المتحدة لدراسة هذا الموضوع . واعرب عدد من القادة الاسرائيليين عن املهم فى أن تؤدى المحادثات التى أجراها الملك حسين الى فتح الطريق أمام المفاوضات .

وفى اطار هذه المتغيرات بدأت زيارة الملك لواشنطن ، وهناك اعلن عن مناقشته مع المسئولين الامريكيين لعدد من القضايا المرتبطة بالازمة فى المنطقة .. أولها الازمةاللبنانية حيث أعلن معارضته لفكرة تشكيل قوة من الدول العربية « لانها من الممكن . ان تضم عناصر متورطة بالفعل فى النزاع » ، وان « سوريا هى الدولة الوحيدة المؤهلة لتقديم المساعدة » وبذلك وقف الملك الى جانب تدخل الجيش السورى الى جانب جبهة فرنجية ، شمعون ، الجميل والذى تدل جميع الظواهر على تأييد الولايات المتحدة له .

وثانى القضايا التى ناقشها الملك ما يتعلق بخطوة التحرك القادمة بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . وقد اعطى الملك تأييده فى حديث تليفزيونى لمبادرة امريكية جديدة تهدف الى التوصل الى حل شامل للمشكلة ، ملقيا مسئولية احلال السلام فى المنطقة على الولايات المتحدة « فهى الوحيدة القادرة على الضغط على اسرائيل » ! وأوضح ان شروط السلام فى رأيه تكمن فى انسحاب اسرائيل التام من الاراضى العربية المحتلة ، واستعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه ، وضمان سيادة وأمن واستقلال جميع دول المنطقة وتنفيذ قرارى مجلس الامن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ . كما أعلن الملك أمام مجلس الشئون العالمية عن رأيه فى سياسة هنرى كيسنجر معلنا انها حققت تقدما محدودا على مستوى فك الارتباط العسكرى ، ولكنها — فى رأيه — وصلت الى نهايتها ، وأصبح على الولايات المتحدة ان تواجه معضلة حفظ التوازن بين المصالح الدولية والضغوط المحلية .

والقضية الثالثة التى كانت موضع اهتمام الملك ومفاوضاته هى مناقشة صفقة الاسلحة الامريكية (١٤ بطارية صواريخ هوك) والتى كان من المفروض ان تمولها السعودية ، ولكن يبدو ان المفاوضات قد تعثرت فى هذا الشأن نتيجة تقاعس المملكة السعودية عن تمويل الصفقة نظرا لارتفاع ثمنها من ٣٠٠ مليون دولار فى العام الماضى الى ٧٩٢ مليون دولار هذا العام . ولذلك فقد أشار الملك الى انه من المحتمل ان يتوجه الى السعودية لمعرفة اسباب تخليها عن دفع ثمن الصفقة كما لوح بامكانية التحول الى الاتحاد السوفيتى والتعاقد معه على صفقة من صواريخ سام السوفيتية .

ويرى العديد من المراقبين ان رحلة الملك لم تحقق ماكان مرجوا منها ، فرغم التلاقى فى وجهات النظر بشأن المسألة اللبنانية ، فان مفاوضاته بشأن الشرق الاوسط لم تسفر عن تحرك محدد للازمة ، كذلك فان صفقة الاسلحة قد أصبحت فى حكم المؤجلة الى أجل غير مسمى ، خاصة بعد أن اعلنت وزارة الدفاع الامريكية انها طالبت من شركة رايثيون وقف صناعة صواريخ هوك التى كانت الاردن قد طلبتها . وبذلك

فان الملك اوقع نفسه فى مأزق جديد ، فقد فشلت مناورته فى الضغط على الولايات المتحدة بالتقارب الاردنى السورى، والتلويح بالاتجــاه الى الاتحاد السوفييتى ، وهمــا الامران اللذان لا يستطيع الملك بحكم نظامه ، ان يعطيهما أى محتوى استراتيجى . ☐



• بريطــــانيا

فوز كالاهـــان وتدعيــم صفوف الجنــاح اليســارى

أخيرا ، وفى الخامس من ابريل ١٩٧٦ حسم حزب العمال البريطانى موقفه بانتخاب **جيمس كالاهان** (٦٤ عاما) رئيسا للوزراء وزعيما للحزب خلفا **لهارولد ويلسون** الذى استقال فى شهر مارس الماضى . وتم انتخاب كالاهان باغلبية قدرها ١٧٦ صوتا مقابل ١٣٧ صوتا حصل عليها **مايكل فوت** وزير العمل وممثل الجناح اليسارى خلال الجولة الثالثة من الانتخابات . وكان الحزب قد تخلص من معظم المرشحين فى الجولة الاولى ، أما الجولة الثانية فتم فيها التخلص من **دينيس هيلى** ، زعيم الجناح اليمينى ووزير الماليــة ، ثم استقر الامر لكالهان فى الجولة الاخيرة .

ويعد كالاهان رئيس الوزراء الوحيد فى تاريخ بريطانيا الذى لم يتخرج من جامعة أكسفورد ، اذ ترك المدرسة وهو فى سن السابعة عشرة ليلتحق بالبحرية . وهو أيضا ثانى رئيس للوزارة البريطانية فى تاريخ بريطانيا كلها يشــغل اهم ثلاث مناصب فى الحكومة قبل الوصول الى منصب الوزير الاول ، وهى وزارة المالية ، والداخلية ، والخارجية .

وعقب فوز كالاهان وتكليف الملكة اليزابيث ملكة بريطانيــا له بتولى رئاسة الحكومة البريطانية ، وتلقيه بحركة هارولد ويلسون الذى طلب من حزب العمــال منح زعيمــه الجديد مساندته الاجتماعية ، أعلن انه اذا ضمن تأييدا اجتماعيا من جانب نواب الحزب ، فلن يكون بحاجة الى اجراء انتخابات جديدة قبل اكتوبر ١٩٧٩ . ثم تحدث مخاطبا نواب الجناح اليسارى ونواب الجناح اليمينى للحزب قائلا «ان احدا من بينكم لا يمتلك تابوت العهد » ، مشيرا الى أنه سوف يكون القوة المسيرة لسياسة الحكومة والحزب خلال الفترة المقبلة . وكانت بعض التكهنات قد رددت ان كالاهان قد يكون مضطرا الى حل البرلمــان فى الخريف القادم ، والدعوة الى انتخابات جديدة للتصويت على سياسته خلال السنوات المقبلة ، الا ان المجموعة البرلمانيــة العمالية اتخذت بعد انتخابه رئيسا للوزراء قــرارا بمنــح الثقة بالاجماع للزعيم الجديد .

واذا كانت الازمة الاقتصادية فى بريطانيــا هى السبب الجوهرى الذى دعا ويلسون الى الاستقالة ، فقــد كان من الطبيعى ان تكون هذه الازمة محور حديثــه الى الشــعب البريطانى . لذلك أعلن كالاهان ان حكومته ستواصل مهمتها الحيوية . وهى تخفيض معدل التضخم المالى فى البلاد ، وانه لن يكون هناك تخفيض حقيقى ـ لفترة من الوقت ـ بالنسبة الى التدابير الاقتصادية التى فرضت خلال الاثنى عشرة شهرا الماضية . وهى التدابير التى اتســمت بالتقشف وتخفيض سياسات الانفاق العام . وقال ايضــا انه ليست هنــاك اختيارات ناعمة لبريطانيا التى تحافظ على مستوياتها المعيشية بالاعتماد على اموال مقترضة وطالب الشعب البريطانى ان يكافح بشدة وعزم مشكلات التضخم والبطالة العميقة الجذور . وقد لقيت كلمات كالاهان حماسا كبيرا من قبل الصحف البريطانية ، حتى ان صحيفة « التايمز » جعلت عنوان افتتاحيتها «الامــة وراءه » وذكرت ان رئيس الوزراء الجــديد يواجــه اعبــاء صعبة « ولكنه متأكد على الاقل من مساندة البـــلاد له فى العمل الذى يقوم به » .

وعلى الرغم من هذا الحماس ، فان عددا من المصــادر الاخرى ذكرت ان كالاهان سوف يواجه عددا من الصعوبات التى يمكن تجاهلها . فقد اصبح كالاهان رئيســا للوزراء فى اليوم الذى سجل فيه الجنيه الاسترلينى اقل سعر له ، وهو الانخفاض الذى تتجسد فيه أزمة الاقتصاد البريطانى . كما ان بريطانيا بحاجة الى اصلاحات جوهرية فى نظمها الاساسية لتحسين انتاجها الذى يعد واحدا من اكثر معدلات الانتاج انخفاضا فى العالم . كذلك فان عليه ان يواجه ضغوط الجناح اليسارى فى الحزب من أجل اصلاحات اكثر راديكالية . فقد بدأ فى الانتخابات ان هذا الجناح قد تدعمت قدراته على الرغم من هزيمة مرشحه مايكل فوت . فقـــد حاز الاخير فى الاقتراع الختامى على عدد من الاصوات يزيد عن عدد اعضاء اليسار العمالى ورغم هزيمته فقد خرج من هـــذا الاختيار وقد زاد اعتباره ومن المتوقع ان يتمتع من الان فصاعدا بنفوذ متزايد فى الحزب أو الحكومة على السواء .

ومن الجدير بالذكر ان كالاهان حدد موقفه بعد انتخابه ، من ازمة الشرق الاوسط ، فى ان سياسة الحكومة العمالية تقوم على تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ الذى صاغته بريطانيا « وهو القرار الذى يرسى مبادىء أية تسوية » . واذا نظرنا الى آراء كالاهــان الاساسية ازاء طبيعة أية تسوية فى الشرق الاوسط فانهــا تتضمن ثلاث نقــاط : اولهــا الاستجابة لمطالب اسرائيل « المشروعة » الخاصة بالســلام والحــدود الامنة المعترف بها ، وثانيهــا الاستجابة لمطالب الدول العربية فيما يختص بانسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلى ، وثالثها « ينبغى عدم اغفال الاعتراف بالحقوق «الانسانية» و «السياسية » للشعب الفلسطينى» . وفيما يتعلق بخطوات التسوية فقد أعلن أن سياسة الخطوة ـ خطوة التى اتبعها كيسنجر توقفت الان ، وان الحــكومة البريطانية تعتقد انه يجب السعى وراء الحل فى اطار مؤتمر جنيف الخاص بالســلام فى الشرق الاوســط « والذى يتناوب الرئاسة فيه كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فقط ولا يضم المؤتمر لا بريطانيا ولا فرنسا ولا أية دولة خارج الشرق الاوسط » ☐

• الصين الشعبية

« الحـــادث الســـــياسى » ومحاولة تقسيم اللجنة المركزية

عادت التطورات الداخلية فى الصين لتجذب اهتمام المراقبين والمعلقين السياسيين فى العالم . ففى الاسابيع الاخيرة قامت اجهزة الدولة ، ومختلف الدوائر التابعة لمجلس الدولة (أى مجلس الوزراء) فى الصين بتنظيم الاجتمــاعات والمسيرات الجماهيرية التى اشتركت فيها ملايين من جماهير الشعب ، للترحيب بقرار اللجنــة المركزية للحــزب الشيوعى الصينى بتعيين هــوا كو فنج وزير الامن الســابق ورئيــس الوزراء

بالنيابة نائبا اول لرئيس اللجنة المركزية للحزب ورئيسا للوزراء ، وقرارها الثانى بتنحية تنج هيساو بنج رئيس الوزراء الاسبق بالنيابة ، ونائب رئيس الحزب ورئيس اركان حرب الجيش ، من جميع مناصبه في داخل وخارج الحزب ، فيما عدا عضوية الحزب ، واستنكار هذه المسيرات ايضا لما سمى بالحادثة السياسية المعادية للثورة فى ميدان تين ان مين » .

وتمثلت هذه الحادثة فى الصدام الجماهيري الذى وقع فى ميدان تين ان مين فى قلب بكين فى الاسبوع الاول من ابريل الماضى ، بين انصار تنج هيساو بنج الذين استغلوا فرصة عيد زيارة القبور ، ووضع اكاليل الزهور على قبر شواين لاى رئيس الوزراء الصينى الراحل ، للمطالبة بتعيين تنج هيساو بنج رئيسا للوزراء ، والاعراب عن معارضتهم للخط السياسى وللتوجيهات السياسية للرئيس ماوتسى تونج .

والواقع ان الحادثة السياسى فى ميدان تين آن مين ، كان بمثابة القشة التى قسمت ظهر البعير بالنسبة لتنج هيساو بنج ، فبعد ثمان واربعين ساعة من وقوعه ، اذاع المكتب السياسى للحزب الشيوعى الصينى ، قرار اقالة تنج هيساو بنج ، وتعيين هوا كوفنج رئيسا للوزراء .

ومن الواضح من تحليل بيانات وكالة انباء الصين الجديدة ان العناصر الموالية لتنج هيساو بنج قد كثفت تحركها بصورة خاصة منذ الصيف الماضى ، عندما كتب من اسمتهم الوكالة بانهم « نفر من جامعة تشينجهوا رسائل مليئة بالافتراءات موجهين رماح نضالهم نحو الرئيس ماو » ، وعندما اكتشف الرئيس ماو على الفور ان تنج هيساو بنج يقف وراء هذا الامر ، كما أوضحت المصادر الصينية ان العناصر المعادية للثورة دفعت تنج هيساو بنج ليلعب دور امرى ناجى فى الانقلاب المعادى للثورة فى المجر . ووصفته بانه « أكبر الحزبيين السالكين الطريق الرأسمالى ، والذين أبوا ان يرعووا » .

ويتبين أيضا مما اذاعته وكالة انباء الصين الجديدة ان العناصر الموالية لتنج هيساو بنج كانت تقوم وخاصة فى يوليو واغسطس وسبتمبر الماضيين بلصق الشعارات التى وصفتها الوكالة بانها « معادية للثورة » ، وكذلك بتوزيع المنشورات ، و « اختلاق » الاشاعات السياسية ، وارسال الرسائل بدون توقيع كما قامت هذه العناصر وخاصة فى ايام زيارة عيد القبور باجراء اتصالات واسعة للقيام بحملة سرية لكتابة الرسائل لمطالبة اللجنة المركزية للحزب بتعيين تنج هيساو بنج رئيسا للوزراء ، وقامت بنشاطات علنية مثل القاء القصائد والخطابات التى تعبر عن وجهة نظرها .

الا انه مما يلقى ضوءا اكبر على أهمية الاحداث التى وقعت مؤخرا ما رددته وكالة انباء الصين الجديدة على لسان بعض القوى الموالية للرئيس ماوتسى تونج التى اشارت الى ان الاحداث الاخيرة كانت محاولة عابثة لتقسيم اللجنة المركزية بزعامة الرئيس ماو » .

والواقع ان مشكلة تنج هيساو بنج قد تفجرت بحدة ، وخاصة ابتداء من العام الماضى ، عندما قام بحملة لمعارضة نتائج الثورة الثقافية ، وعمل على الغاء تلك النتائج ، واخذ يدفع مرة اخرى ، بالعناصر التى وجه اليها النقد خلال الثورة الثقافية للسيطرة فى كل مكان ، وواصل دفعها الى المراكز القيادية ، فى نفس الوقت الذى وقف فيه ضد الممارسات الجديدة مثل حركة « الاطباء الحفاة » ونظام العلاج التعاونى للذين وصفهما تنج بانهما « من الاشياء السيئة » ، فى حين دافع عنهما انصار الرئيس ماو الذين اعتبروا العدول عن هذه الممارسات ، عودة الى حالة النقص فى الاطباء والادوية التى كانت الارياف تعانى منها ، قبل اندلاع الثورة الثقافية » . كما اتهم تنج هيساو بنج من انصار الثورة الثقافية بانه « ينكر الثورة التعليمية ، والثورة فى حقل الادب والفن ، والثورة الاشتراكية فى مجال العلوم والتكنولوجيا ، ويخنق الاشياء الاشتراكية الجديدة ، ويبذل كل الجهود لحماية الحق البرجوازى وتوسيعه » . كما اتهم بانه يقاوم خط ماو فى اعتبار الصراع الطبقى هو « الحلقة الرئيسية » .

ولذا فقد وجه اليه النقد مرة اخرى على اخطائه فى يناير ١٩٧٦ ، وطلب منه تصحيح اخطائه ، وعدم العودة الى خطه السياسى القديم ، ولكن من الواضح انه لم يستجب لذلك .

والسؤال المطروح بعد هذه الاحداث هو اذا كان تنج هيساو بنج قد قدم من قبل نقدا لنفسه خلال الثورة الثقافية واذا كان قد نظر اليه من قبل باعتباره « خروشوف رقم ٢ » فى الصين ، لماذا أعيد مرة اخرى الى مسرح الاحداث ليتولى تلك المناصب بالغة الاهمية التى تولاها ، وليثبت بعد عامين اخرين ، انه عاد الى خطه القديم . ذلك ان عددا من المراقبين السياسيين لايميلون الى الاعتقاد بان ذلك كان مجرد محاولة « لاعادة اختبار نواياه الحقيقية » ، لانه لا يمكن ترك المقدرات التنفيذية لبلد كبير كالصين مثلا ، فى ايدى رجل يعد اخلاصه محل شك واختبار ، بمجرد اكتشاف ما سيكون عليه سلوكه الثورى ، ولذا فالارجح من وجهة نظر هؤلاء المراقبين السياسيين ، ان اعادة تنج هيساو بنج الى مسرح الاحداث من قبل ، جاءت انعكاسا لعلاقات قوى واقعية بين مختلف الاتجاهات المتصارعة فى الصين فى ذلك الوقت . ◻

○

• الارجنتين

أكمال مثلث الرعب الفاشى

وقع صباح ٢٤ مارس الماضى انقلاب عسكرى فى الارجنتين أطاح بايزابيلا بيرون رئيسة الجمهورية . وقد جاء هذا الانقلاب العسكرى بعد موجة من الاضطرابات سادت الارجنتين ، فمن المعروف ان الرئيسة ايزابيلا لم تستطع ان تواصل حكم البلاد وان كانت قد صمدت طوال هاتين السنتين ، فان ذلك يرجع الى عاملين : —

الاول : الرصيد القديم للزعيم الارجنتينى الراحل بيرون ، وقد عاشت تستهلك منه وليس من انجازات حققتها بعد عودته من المنفى ، أو حققتها هى بعد توليها الحكم .

الثانى : الصراع السياسى المقدم داخل دائرة النظام ، فالحركة البيرونية بتشكيلها المحافظ والليبرالى اليمينى كانت تحاول انقاذ نفسها من التلاشى ، بمنع العسكريين العودة الى الحكم .

تشير التقارير الواردة من بيونس ايرس الى آن حكومة ايزابيلا واجهت العديد من المشاكل مثل فقدان الامن ، والفساد الادارى ووقف حكمها عاجزا من استكمال عملية اعادة « الاستقرار » الى البلاد ، خاصة مع تزايد التدهور الاقتصادى حيث ارتفع معدل التضخم بنسبة ٣ر٤٣٪ وارتفعت الاسعار بنسبة ١٠٠٪ .

وبالاضافة الى الاضطراب السياسى وموجة العنف الشديدة التى سادت البلاد ، اصبح من الواضح ان هذا التدهور المستمر هو الذى دفع اليمين الى تشديد ضغوطه لاقالة الرئيسة ، فقد سجل عليها عجزها من حل مشكلة البلاد فى مجال « الامن » والتى يقصد بها اليمين ضرب المنظمات الثورية وتصفيتها كما سجل عليها حرصها على عدم فقدان تأييد اتحاد النقابات العمالية البيرونية الولاء ، رغم السياسة

الاقتصادية المحافظة التي اتبعتهـــا والتي ادت الى تنشيط النضالات العمالية وتقدم النضال الثوري المسلح بين العمال.

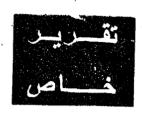
ويرى المراقبون السياسيون ان القيادات العسكرية التي ظلت مترددة في مسألة تسلم الحكم مباشرة ، وكانت تفضل ممارسة سيطرتها من وراء واجهة الحكم المدني ، أخذ ترددها يتلاشى باضطراد مع استمرار التدهور العام في البلاد ، واتفقت القيادات الثلاث لحركة القوات المسلحة على القيام بالانقلاب العسكري وتعيين الجنرال **جورج منيريلا** رئيســـا للجمهورية ، وهو الانقلاب العسكري الذي كان متوقعا منذ مدة اشهر ويعتبر السابع في الارجنتين منذ نصف قرن كذلك فان ايزابيلا تعتبر رابع رئيس دولة يطاح به خلال ١٠ سنوات .

ومن الجدير بالذكر ان قادة الانقلاب قاموا منذ الساعات الاولى لاستيلائهم على السلطة باستخدام اساليب البطش وواصلوا دعم سيطرتهم على البلاد بالاشراف على المؤسسات والهيئات التشريعية الفدرالية ومقار الاتحادات العمالية ومنعوا الاضرابات وحلوا خمسة احزاب سياسية يســـارية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي الارجنتيني .

واعتقلوا عددا من القيادات العمالية بلغ خلال الايام الاولى من الانقلاب حوالي ٥٠٠ معتقل ، وتعهدوا بتصفية المنظمات الثورية كمهمة اولى لحركتهم الانقلابية بهدف اعادة الاستقرار الى البلاد .

ومن المتوقع ان الحكم العسكري اليميني الجـديد في الارجنتين سيلجأ آجلا او عاجلا الى استخدام اساليب مثيلة في شيلي واوروجواي ، وحينذاك سيكتمل « مثلث الرعب » في جنوب امريكا اللاتينية .

ولكن عديدا من المراقبين السياسيين يرون ان المرحلة القادمة سوف تثبت ان الاسلوب الفاشي لمعـالجة ازمات النظام واستعادة امنه ، لن يجدي — ولربما استطاع تأجيل المجابهة بين قوى القمع في النظام وبين القوى الثورية المناضلة ضد السيطرة الامبريالية ، ولكنه في النهاية سيقود البلاد الى مرحلة اعلى من الصراع السياسي ، ذلك ان الاستقرار الحقيقي للارجنتين قد اصبح ابعد مما كان عليه بالامس . ◻



المؤتمر السادس للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب

شهدت الاسكندرية في الفترة من ٢٤ الى ٢٨ مارس الماضي اجتماعات المؤتمر السادس للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب . وقد جاء انعقاد المؤتمر السادس متفقا مع الاحتفال بمرور عشرين عاما على تأسيس الاتحاد ، ١٩٥٦ — ١٩٧٦ .

واشترك في المؤتمر وفود من المنظمات أعضاء الاتحاد تمثل حوالي خمسة ملايين ونصف مليون عامل منظم في نقابات .

واشترك في أعمال المؤتمر لاول مرة كأعضاء جدد في اتحاد العمال العرب — تونس والصومال وموريتانيا . وشهد المؤتمر اثنان وأربعون وفدا عماليا — تمثل أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، والبلدان الاشتراكية ، ومن بينها ثماني وفود تمثل المنظمات العمالية الدولية والاقليمية من بينها الاتحاد العالمي للنقابات والاتحاد العالمي للعمل — المسيحي سابقا — ومنظمة العمل الدولية ، ومنظمة العمل العربية .

وناقش المؤتمر العديد من القضايا والمشاكل التي تهم حركة التحرر العربي ، والنضال ضد الامبريالية والصهيونية ، وقضايا التنظيم والعمل النقابي العربي ، وعلاقاته الدولية ، وقد كانت قضية نضال عمال وشعب فلسطين من أجل تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني الامبريالي هي القضية المحورية للمؤتمر .

وفي مجال النضال ضد الامبريالية والصهيونية ، حدد مؤتمر الاتحاد موقفه من مجموعة القضايا الرئيسية التي تهم حركة التحرر الوطني العربية :

واكد المؤتمر ان الامة العربية في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخها تواجه ظروفا ذاتية وموضوعية صعبة وأن ما يجري الآن في الساحة العربية من أعمال مضادة لارادة النضال الجماهيري الثوري العربي ، ومن تنفيذ لمخططات تفريق الصف العربي ، والتآمر على القضية الفلسطينية ، وحركة المقاومة وما يرتبط بها من أحداث على الساحة اللبنانية ، هي أمور ترتبط بالهجمات المعادية لنضال الشعب العربي في الخليج العربي وأريتريا والصومال ، وبخلق جبهات متعددة للصراع داخل ساحة الوطن العربي . وقد لاحظ المؤتمر أن محاولات الامبريالية الامريكية لتدعيم مواقعهـا واعادة ترتيب موازين القوى في الساحة العربية يتمان من خلال دعم الكيان الصهيوني الذي اهتزت أسسه خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتعرض بسببها لخسائر جسيمة . وأن محاولات الامبريالية والصهيونية انما تستهدف بمخططها الحالي طمس المعطيات الايجابية والثورية لهذه الحرب ، وما خلقته من حالة نهوض وتصاعد نضالي على امتداد الساحة العربية ، والتي أحدثت انهيارا في الواقع الاقتصادي للكيان الصهيوني ، وفي نفس الوقت عززت المكانة الدولية للقضية الفلسطينية .

وقد لاحظ المؤتمر أن النضال باتجاه تحرير فلسطين قد حقق انتصارات عديدة على مختلف الاصعدة ، ولقد كان قيام الثورة الفلسطينية المسلحة هو واحد من المظاهر الاساسية للتوجه الثوري الصحيح نحو تحقيق هدف « تحرير التراب الفلسطيني المحتل » ، كما كان التأييد والدعم العالمي الذي لقيته هذه القضية مظهرا آخر لاهمية النضال الثوري المسلح الذي تخوضه الشعوب العربية بشكل عام ، والشعب الفلسطيني بشكل خاص .

ورأى المؤتمر أن الاحداث الدامية على الساحة اللبنانية ، والتي قامت بها قوى انعزالية مدعومة من الامبريالية والصهيونية ومن قوى — مشبوهة في المنطقة العربية — انما هي جزء من المخطط الذي يستهدف خنق الثورة الفلسطينية ، وأحداث التشققات والصدامات داخل قوى حركة التحرر العربية — ولذلك فلقد أكد المؤتمر على :

١ — اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين . ٢ — دعوة النظام في الاردن للالتزام الكامل بمقررات مؤتمر الرباط ، وضرورة تواجد قدرات الثورة الفلسطينية على الساحة الرئيسية في الاردن . ٣ — التأكيد على أن الصراع مع الكيان الصهيوني هو في جوهره صراع وجود لا يمكن انهاؤه ، مالم يتم تحرير فلسطين ، وعودة الشعب الفلسطيني الى وطنه . ٤ — اعتبار الكفاح المسلح الاسلوب الوحيد للتعامل مع العدو الصهيوني من أجل تحرير فلسطين .
٥ — اهمية دعم الثورة الفلسطينية المسلحة بكل الامكانات والطاقات المادية والبشرية ، وضرورة قيام الجبهات العربية

المقاتلة لانهاء الوجود الصهيونى العنصرى فى الارض العربية .

٦ — دعوة الجماهير العربية وقواها الوطنية والتقدمية الى مواكبة وتدعيم الانتفاضة الجماهيرية فى الارض المحتلة ، وتقديم العون والمساعدة للجماهير العربية ، دعما لصمودها واستمرار انتفاضتها ..

٧ — فتح جميع الجبهات العربية — لدول المواجهة أمام مقاتلى الثورة الفلسطينية وتقديم كل الدعم لهم لتسهيل مهماتهم النضالية .

ولقد أعلن المؤتمر أن مايجرى فوق أرض لبنان ليس الا مؤامرة امبريالية صهيونية رجعية تهدف القضاء على الثورة الفلسطينية وضرب القوى الوطنية والتقدمية على الساحة اللبنانية — بهدف كسر شوكة حركة التحرر الوطنى العربية .

ولذلك فان — المؤتمر ناشد العمال العرب وكل الجماهير الكادحة وقواها التقدمية ، أن تقدم الدعم والمساعدة للشعب اللبنانى وللثورة الفلسطينية ، دعما لصمودهم من أجل التصدى للمؤامرة وافشالها . كما استنكر المؤتمر كل التدخلات المشبوهة من قبل الذين يدعمون مواقع القوى اليمينية الانعزالية اللبنانية .

ولاحظ المؤتمر أن بلايين الدولارات التى تحصل عليها الدول المنتجة للنفط لا يتم استخدامها سواء على المستوى القطرى أو العربى ، الا على نطاق اصلاحى ، وان الجزء الاكبر منها يذهب الى بنوك سويسرا وامريكا وبون ، او من اجل شراء العمارات والفنادق السياحية واللهو — ولذلك فقد كان اتجاه المؤتمر هو المطالبة بضرورة : استثمار الموارد النفطية وكل الثروات الطبيعية للوطن العربى فى انجاز مخططات لاحداث تنمية حقيقية لاقتصاديات الوطن العربى ، واستخدامها بالشكل الذى يدعم النضالات القومية . كما طالبت الابحاث المقدمة للمؤتمر الدول العربية البترولية بأن تسحب أرصدتها من البنوك الاجنبية واستثمارها لصالح الوطن العربى ، ولانجاز خطوات التكامل الاقتصادى ..

وحظى موضوع الحقوق والحريات النقابية باهتمام كبير من جانب المؤتمر — وقد اكدت بيانات المؤتمر والحوار الذى دار فى لجانه — أنه رغم ما تم ارساؤه من المبادىء والاتفاقيات لصيانة حق التنظيم النقابى وضمان تمتعه بالحرية ، فان الواقع العملى يؤكد أن الغالبية العظمى من جماهير العمال مازالت محرومة من أبسط حقوقها ولازالت الممارسات القهرية والاستقلالية متسلطة عليها .

وقد ناقش المؤتمر فى هذا المجال نموذجين :

أ — البلدان التى بها تنظيمات نقابية بدون حريات نقابية ، وهى المملكة الاردنية وجمهورية السودان الديمقراطية والجمهورية العربية اليمنية ، وقد أعلن المؤتمر استمرار العمل من أجل تنفيذ قراراته السابقة المتعلقة بضرورة الافراج عن القادة النقابيين المعتقلين والمسجونين فى هذه البلدان — واعطاء الحرية الحقيقية للنقابات العمالية . ولكن خلال انعقاد المؤتمر حدثت مفاجأة — اذ حضر الى المؤتمر رئيس اتحاد عمال ليبيا ، ورئيس النقابة العامة لعمال الزراعة فى مصر ومعهما وفد أعلن أنه يمثل اتحاد نقابات عمال السودان بعد اجراء انتخابات جديدة — ودار حوار حول شرعية هذا الوفد ، وانتهى الحوار الى تمسك المؤتمر بالقرار السابق بضرورة اجراء انتخابات تحت اشراف اتحاد العمال العرب ولم يسمح للوفد القادم من السودان بصحبة رئيس اتحاد عمال ليبيا الذى هدد بالانسحاب ومندوب عمال الزراعة المصريين، والاشتراك فى أعمال المؤتمر ولكن المؤتمر اتخذ قرارا بتشكيل وفد ثلاثى من ليبيا ومصر والكويت ، ورفض اقتراحا مغربيا ، بأن يكون الوفد خماسيا — وخول المؤتمر الامانة العامة الحق فى اتخاذ قرار بشأن اتحاد عمال السودان سواء جاء التقرير ايجابيا لصالح الاتحاد الحالى لنقابات عمال السودان ، أو سلبيا فى غير صالحه ، على أن يسافر الوفد فور انتهاء أعمال المؤتمر .

وقد سافر الوفد على وجه السرعة — وعاد بتقرير لم يخرج عن التقرير الاول لرئيس اتحاد عمال ليبيا — وبذلك تمت الموافقة على الاعتراف بالاتحاد الحالى لنقابات عمال السودان والذى استمد عضويته فى الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب .

ب — بالنسبة للاقطار العربية التى لا يتمتع فيها العمال لا بالحقوق ولا بالحريات النقابية ، والمحرم فيها على العمال أن ينظموا أنفسهم فى نقابات عمالية — وهى : بلدان منطقة الخليج العربى — أبو ظبى والبحرين ودبى وقطر — لاحظ وفد أمانة اتحاد العمال العرب الذى زار البحرين فى ١٦ يوليو ١٩٧٤ ، أن الطبقة العاملة وقادتها بلا حقوق ويعانون من الاعتقال والمطاردة والاغتيال ، وأن لاجهزة المخابرات الاجنبية دور مؤثر وفعال ضد العمال البحرانيين . كما أشار المؤتمر الى أن العمال العرب فى السعودية مازالوا محرومين من حقهم فى قيام مؤسساتهم النقابية .

ولذا فان المؤتمر اكد على ضرورة انشاء مكتب الاتحاد العمال العرب بمنطقة الخليج العربى — كما طالب بضرورة وجود ممثلين للطبقة العاملة بالاقطار العربية المحرومة من حق التنظيم النقابى داخل الامانة العامة للاتحاد ليكونوا حلقة اتصال دائمة بين الامانة العامة والقواعد العمالية باقطارهم . كما طالب المؤتمر الاتحاد بالتدخل الفورى لدى منظمة العمل العربية للعمل على اعتبار التمثيل العمالى داخل التمثيل الثلاثى بالمنظمة ، تمثيلا شرعيا ، طبقا لارادة العمال عن طريق انتخابات حرة ديمقراطية ، وذلك وفقا لدستور منظمة العمل العربية .

كما استنكر المؤتمر محاولات انشاء نقابات مزيفة فى المغرب العربى ، وأعلن دعمه الفعال لنضال الطبقة العاملة المغربية من اجل حماية وحدتها النقابية تحت راية « الاتحاد المغربى للشغل » ، واكد المؤتمر على ضرورة تنفيذ قرار المؤتمر الخامس لمنظمة العمل العربية — مارس ١٩٧٦ — والقاضى بعدم السماح بوجود أكثر من اتحاد عمالى فى القطر العربى الواحد .

كما طالب المؤتمر بضرورة تطبيق اتفاقية تنقل الايدى العاملة العربية ، ومساواة العمال العرب فى كل الحقوق المعنوية والمادية التى يتمتع بها العمال الوطنيون — ومطالبة الاتحادات العمالية القطرية بالتعاون مع حكوماتها بالسهر على تحقيق وتأمين هذه الحقوق ، وكذلك تأمين انضمام العمال العرب العاملين فى أقطارهم ، للنقابات التابعة لقطرهم . وكذلك العمل على حماية العمال العرب المهاجرين الى الخارج ، وتنظيمهم واجراء اتصالات مع المنظمات العمالية الاجنبية ، ومع منظمة العمل الدولية ، للعمل على حماية ورعاية هؤلاء العمال من كافة اشكال الاستغلال والتفرقة وخاصة التفرقة العنصرية — وتطبيق قرار منظمة العمل الدولية بهذا الشأن . واوصى المؤتمر بضرورة العمل على اعادة فتح مقار نقابات العمال الفلسطينيين فى المانيا الغربية .

وقد أوصى المؤتمر بضرورة العمل على عقد المؤتمر العالمى المعاصر عمال وشعب فلسطين، والذى يتولى مسئولية التحضير له اتحاد العمال العرب ، والاتحاد العالمى للنقابات ، وأن يعقد المؤتمر فى موعده المحدد أكتوبر ١٩٧٦ ، بمدينة كارل ماركس بألمانيا الديمقراطية ، والعمل على التحضير الجدى لهذا المؤتمر ..

وكذلك العمل على استمرار العمل لعقد المؤتمر الشعبى العربى المقرر انعقاده فى طرابلس طبقا لقرار رؤساء الاتحادات العمالية المتخذ فى دورة انعقاده بالقاهرة فى يناير ١٩٧٦ .

كما أوصى المؤتمر — بالمشاركة فى المؤتمر العالمى للاستخدام الذى سيعقد فى جنيف خلال عام ١٩٧٦ ، على أساس الاعداد الجيد للمشاركة الايجابية واتخاذ رأى عربى موحد فى المؤتمر ، كما قرر المؤتمر أن يطلب الاتحاد من منظمة العمل العربية

الدعوة لعقد مؤتمر عربى لبحث مشكلة هجرة الكوادر الفنية ، وذلك لبحث مشكلة تخطيط الهجرة الداخلية ، والحد من الهجرة الخارجية والنزيف الحاصل فى قوة العمل العربية والتصدى لعمليات النهب الامبريالى للادمغة والكوادر العربية .

وقد طالب المؤتمر بتوجيه الشكر للاتحاد العالمى للنقابات المواقفة الايجابية فى مساندة نضال الشعب العربى ، وخاصة نضال الشعب الفلسطينى من أجل تحرير الارض والحق فى تقرير المصير .

ولقد وضع المؤتمر سياسة تحديد مقاييس التعاون مع الحركة النقابية الدولية .

أ — ضرورة ازدياد عرى التعاون والصداقة فى جميع المجالات مع المنظمات العمالية التى تقف بجانب العمال العرب وتؤيد نضالهم العادل وتناصر قضايا النضال العربى وتؤازر الشعب العربى الفلسطينى فى التحرر والعودة والتى تقف مع العمال والشعوب العربية ضد العدو الصهيونى الناهب لفلسطين والاراضى العربية — وهنا أشار المؤتمر الى الاتحاد العالمى للنقابات والمنظمات النقابية فى البلدان الاشتراكية ، وبعض المنظمات النقابية فى البلدان الراسمالية مثل فرنسا وايطاليا .

ب — وبخصوص المنظمات العمالية التى تناصب النضال العربى التحررى العدا السافر ، وتؤيد وتناصر العدو الصهيونى وتساند الاحتلال والاستغلال والاحتكار الامبريالى — فان مجال التعاون معها مرفوض ، ولا يمكن بناء اى علاقة معها الا بعد أن تغير مواقفها من قضايا العرب المصيرية .

ويشار هنا بصفة خاصة الى الاتحاد الدولى للنقابات الحرة — واتحاد العمل الامريكى بقيادة جورج مينى .

جـ — وأما عن المنظمات العمالية ذات المواقف الحيادية فان منها من يقع بين حين وآخر تحت تأثير الدعايات المغرضة التى يقوم بها الهستدروت الصهيونى الذى يجد لذلك كافة امكانياته المادية بهدف السيطرة عليها وجرها الى جانبه ، وهو أمر يتطلب جهودا مكثفة ، وتوفير الامكانيات المادية والمعنوية للتوصل الى بناء علاقات نقابية معها لتقف بجانب النضال العربى .

لقد كان المؤتمر السادس مظاهرة عمالية عالمية للتضامن مع العمال العرب والشعوب العربية فى نضالها التحررى ، من أجل انهاء كل الوان السيطرة الامبريالية على البلدان العربية ، ولانهاء الوجود الصهيونى العنصرى ، ولاجلاء قوات الاحتلال الصهيونى فى كل الارض العربية ، وللتضامن مع عمال وشعب فلسطين من أجل تحرير الارض وحقهم فى تقرير مصيرهم واقامة دولتهم الوطنية الديمقراطية . ■

عبد المنعم الغزالى

○ ○ ○

فى خلال الاسابيع الماضية ، تعرضت العلاقات المصرية السوفيتية لتطورات هامة . وتصادف أن تكون هذه القضية ، أول قضية سياسية تتعرض لها التنظيمات السياسية لابداء وجهات نظرها وتحليلاتها .

وفيما يلى ننشر البيانات التى أصدرتها تنظيمات : التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، ومصر العربى الاشتراكى ، والاحرار الاشتراكيين :

□ بيان من سكرتارية تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

فى الثانى عشر من ابريل ١٩٧٦ عقدت سكرتارية تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى اجتماعها الاول ، وناقشت ضمن جدول أعمالها موضوع التطورات الاخيرة فى العلاقات المصرية — السوفيتية وتود السكرتارية المؤقتة أن تقرر ابتداء

١ — انها تقدر كامل التقدير موقف مقرر التنظيم والذى تمثل فى بيانه الموزع على الصحف بتاريخ ١٩٧٦/٤/٤ والذى أعلن فيه أنه احتراما لديمقراطية العمل السياسى ولضرورة المشاركة الكاملة للتنظيم فى صياغة المواقف وتحديدها فانه ليس من حقه أن يتخذ موقفا منفردا فى القضايا السياسية التى تحتمل وجهات نظر مختلفة وخاصة فى تنظيم هو بذاته تجمع لقوى وتيارات متعددة .. والسكرتارية المؤقتة اذ تقدر هذا الموقف وتعتبره تقليدا محمودا فى ممارسة العمل السياسى لتعرب عن دهشتها البالغة من محاولات بعض الصحف لاسباغ فهم هذا الموقف . ■

٢ — تعرب السكرتارية المؤقتة عن ثقتها الكاملة فى جدية الممارسة الديمقراطية السليمة ، وعن تمسكها الكامل بما أعلنه قائد التحالف الرئيس أنور السادات أكثر من مرة من ضرورة ممارسة التنظيمات لعملها السياسى فى اطار تحالف قوى الشعب العامل ووفقا لمناهجه فى حرية كاملة ، وتعرب عن دهشتها من محاولات بعض الصحف اللجوء الى الافتعال والتشهير ، أو الى ارهاب التنظيمات الاخرى بضرورة اتخاذ مواقف محددة مرسومة مسبقا .

اننا مصممون على ديمقراطية العمل السياسى ، تلك الديمقراطية التى تفترض أول ما تفترض حق كل تنظيم فى ابداء ما يشاء من آراء فى اطار التحالف وحقه فى توقيت اعلان آرائه فى المواقف المحددة فى أن يقول كلمته فيما يشاء من أمور ..

اننا نرفض أية محاولات لوأد الممارسة الديمقراطية التى يعمل الرئيس السادات على ارساء قواعدها ونرفض صب الاراء كلها فى قوالب محددة سلفا ..

اننا نعلن ، وباصرار أننا لا نستوحى ولن نستوحى فيما نقول سوى صوت ضميرنا الوطنى ، سوى ارادة جماهير شعبنا ، وقيمنا الروحية والدينية ، كما هو واضح تماما فى برنامجنا ، سوى مصر التى نعتبر أنفسنا قادرين على تجسيد تراثها ونضالها وطموحها لمستقبل حر سعيد .

ان التنظيم الوطنى التقدمى الوحدوى اذ يقف على أرض مصرية عربية واذ ينبع من هذه الارض واذ يعبر عن آلامها وآمالها لا يجد معيارا يقيس به تصرفاته أو يرد اليه أعماله وأقواله الا مصلحة مصر باعتبارها جزء من الوطن العربى .

ما اتفق مع هذه المصلحة الاساسية — فيما يعتقده — دافع عنه وسعى ودعى اليه وما تعارض مع هذه المصلحة العليا رفضه وهاجمه .

ومن هذا المنطلق وفيما يتعلق بالتطورات

الاخيرة فى العلاقات المصرية ـ السوفيتية تود السكرتارية المؤقتة أن تقرر الحقائق التالية :

● انه لايمكن النظر لهذه العلاقات مجردة من بعدها التاريخى وبعدها الدولى .. فعلى المدى التاريخى تعرضت هذه العلاقات لموجات من الصعود والهبوط ، ولكنها ظلت وعلى الدوام بحاجة ، وخلال معالجتها صعودا وهبوطا، الى ضوابط من الرؤيا الشاملة والموضوعية والتى يمكنها وحدها أن تحقق مصلحة مصر وأن تخدم تلك المكانة الدولية التى اكتسبتها عبر مرحلة نضالية كاملة سواء على النطاق العالمى أو فى نطاق دول عدم الانحياز أو فى اطار حركة التحرر الوطنية العالمية المناهضة للاستعمار والامبريالية أو مكانتها كرائدة لحركة التحرر الوطنى العربية المعادية للصهيونية والاستعمار.

كذلك فانه لا يمكن النظر لهذه العلاقة بمعزل عن المصالح الاستراتيجية الاساسية لوطننا ولمعركتنا من أجل تحرير الارض وهزيمة العدوان الاسرائيلى وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى والتى تحتاج بالضرورة الى علاقات متوازنة مع مختلف القوى المؤثرة فى مجرى الحل الشامل لهذه القضية سلما أو حربا .

● وفيما يتعلق بالازمة الاخيرة ، فاننا نلاحظ أن المذكرة السوفيتية بما تضمنته من نقد لمسلك القيادة المصرية واتهامات لها قد جانبها الصواب ، وغير مقبولة من جانبنا ، ذلك أننا نعتقد أن حق المساءلة لمسلك القيادة المصرية وتقدير هذا المسلك هو مسألة داخلية بحتة يختص شعب مصر بها دون اى تداخل فى ذلك .

كذلك فاننا نعرب عن أسفنا لعمليات التصعيد المتبادل فى الحملة بين البلدين وهو أمر لايفيد مصلحة البلدين ولامكانتهما ولا مستقبل العلاقات بينهما .

وتعرب السكرتارية المؤقتة عن أملها فى أن تضرب الصحافة المصرية القدوة والمثل فى انتهاج الموضوعية التامة والحرص على سلامة مستقبل العلاقة بين البلدين .

اننا ومن منطلق مصريتنا وقوميتنا نرفض أى تداخل فى شئوننا الداخلية وأية ضغوط من أية نوع على وطننا . وفى نفس الوقت نرفض المحاولات المنفعلة التى تصب الزيت على النار فى غير تروى ودون ان تضع فى الاعتبار المصالح الاستراتيجية لوطننا سواء فى معركة التحرير أو معركة البناء .

هذا هو الموقف المبدئى للتنظيم الوطنى التقدمى الوحدوى . واذ يطبق التنظيم هذا المبدأ بالنسبة لقضية العلاقات المصرية السوفيتية فانه يقرر بوضوح وصراحة أنه كان لا يرجو أن تصل العلاقات بين البلدين الى ما وصلت اليه. ذلك أن الظروف الموضوعية كلها كانت تدعو كل الاطراف الى تنمية الصداقة المصرية السوفيتية والمحافظة عليها من أجل مصالح الشعبين ومن أجل دعم قضايا السلام والتحرر فى العالم □

□ تعليق لتنظيم مصر العربى الاشتراكى

ادلى السيد ممدوح سالم مقرر تنظيم مصر العربى الاشتراكى بتصريح حول المذكرة السوفيتية التى اذاعتها وكالة تاس هذا نصه :

أولا : ان مصر ابدت منذ بدء العلاقات المصرية السوفيتية من حسن النوايا وصادق التصرفات ـ مايؤكد حرصها على التعاون مع الاتحاد السوفيتى فى كافة المجالات وقامت بالوفاء بالتزاماتها كاملة ـ الا ان القيادة السوفيتية ـ ورغم ان الشعب المصرى قد قدر لها موقفها حين قيدت حرية مصر فى اوائل يونيو ١٩٦٧ فى توجيه الضربة الاولى لاسرائيل ـ ومن ثم كانت نكسة ١٩٦٧ . فقد درجت هذه القيادة على عدم الوفاء بالتزاماتها والمراوغة وعدم الجدية او الاستجابة لاحتياجات مصر العسكرية الملحة .

ومن بين هذه التصرفات على سبيل المثال لا الحصر :

● فى اعقاب حرب اكتوبر ١٩٧٣ نقضت القيادة السوفيتية التزاماتها وقررت وقف امداد مصر بكافة انواع الاسلحة أو تعويض ما فقدته خلال المعارك وبذلك تخلت عن مصر فى احرج اوقاتها وافرغت مبدأ التعاون والصداقة من محتواه الحقيقى واصبح قبول الاستمرار على هذا الوضع لا يخالف فقط مواد المعاهدة نصا وروحا ـ بل اصبح يشكل خطرا على المصالح الوطنية والقومية لشعب مصر والشعوب العربية .

● قام الاتحاد السوفيتى بدعم قدرات اسرائيل البشرية وفتح باب الهجرة لها على مصراعيها ـ ووفر لها العناصر القادرة على استيعاب احدث الاسلحة التى ترد لها .

● واكثر من ذلك فقد اخذ الاتحاد السوفيتى فى تضييق الخناق على مصر والوقوف فى وجهها عندما حاولت صيانة مالديها من معدات واسلحة والحصول على بعض قطع الغيار من بعض الدول الصديقة .

● رفض الاتحاد السوفيتى اعادة جدولة الديون أو منح مصر فترة سماح لسدادها رغم الظروف التى يمر بها الاقتصاد المصرى نتيجة تصديه لقوى العدوان والصهيونية دفاعا عن الحق العربى .

ثانيا : ان الاتحاد السوفيتى وهو يعدد اليوم ماقدمه لمصر من مساعدات ـ يتناسى كل ماقدمته له مصر تجاريا فى مجال التسويق وترويج تجارته ـ واستراتيجيا عندما اتاحت له مصر دورا مميزا فى المنطقة .

ثالثا : ادعى البيان السوفيتى ان مصر تجرى مساومات فردية وانها قد خرجت من جبهة النضال لتحرير الاراضى العربية ـ وهذا محض افتراء يستهدف الوقيعة بين مصر وامتها العربية وتغذية فكرة خلق المحاور التى تهدف الى كسر وحدة التضامن العربى ـ وليس ادل على زيف هذا الادعاء من :

● ان الاتحاد السوفيتى فى هذه المحاولة لايستطيع ان يحجب الحقائق التاريخية منذ ان تصدت مصر للغزوة الصهيونية قبل اى علاقة لها بالاتحاد السوفيتى واستمرت على مدى اكثر من نصف قرن تتحمل الكثير من اجل التحرير فى العالم بصفة عامة ومن اجل القضية العربيه والفلسطينية بصفة خاصة وبذلت من الارواح والاموال ما يفوق قدراتها ومواردها وهى بذلك قد سبقت الاتحاد السوفيتى نفسه فى مجال حركة التحرير الوطنى ـ انطلاقا من مبادىء التحرير وليس على سبيل التكتيك او المصلحة الخاصة .

● والاتحاد السوفيتى فى ذلك يغفل ايضا سياسته المتعمدة نحو ترسيخ سياسة الاسترخاء العسكرى فى المنطقة العربية وان تحرير مصر لارادتها والاستغناء عن الخبراء السوفيت كان الطريق لكسر هذه السياسة وتحقيق النصر العسكرى فى اكتوبر باسلحة لاتتوازى مع قدرات العدو العسكرية .

● ان مصر لم تخرج من المعركة ولكنها خرجت فقط من محاولة فرض النفوذ والارادة الخارجية عليها ـ واذا كان هناك من يحاول اخراج مصر من المعركة فهو الاتحاد السوفيتى نفسه ـ من خلال تعمد تجميد قدرات مصر القتالية ـ واذا كان هناك من يريد عزل مصر عن امتها العربية فهو الاتحاد السوفيتى لضرب التضامن العربى .

● وان شعب مصر والشعب العربى كله ـ بما لديه من اليقظة والوعى ـ يدرك ابعاد هذه المخططات والمحاولات

اليائسة ويلق انها لن تحقق اهدافها .

● ان مصر لو كانت كما يزعم البيان السوفيتي قد خرجت من جبهة النضال لتحرير الارض العربية — لما حرصت على تعزيز قدراتها العسكرية بعد ان خذلها الاتحاد السوفيتي ولما استمرت في مواصلة البحث عن موارد للسلاح شعورا منها بمسئولياتها نحو تحرير باقي الاراضي العربية المحتلة والحصول على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني — وستواصل مصر بمعونة اخوتها العرب دعم قدراتها القتالية وتنويع مصادر السلاح بعد كسر احتكار السلاح الذى فرضه السوفيت عليها — كما ستواصل سياستها فى سبيل دعم وتأكيد التضامن العربى من اجل الامن والرخاء العربى المشترك .

رابعا : ذكر البيان السوفيتي ان اعمال القيادة المصرية تتعارض مع المصالح الحقيقية للشعب المصرى — وهذا المسلك من جانب القيادة السوفيتية يشكل تدخلا سافرا فى الشئون الداخلية لشعب مصر واعتداء على حقوقه — الامر الذى يرفضه شكلا وموضوعا ويدين بكل حزم المحاولات المكشوفة التى تضمنها البيان للايقاع بين الشعب المصرى وقيادته ويرى فى ذلك محاولة لفرض الوصايا عليه وهو الذى ضحى من اجل رفضها باكبر التضحيات وواجه اعتى التحديات من اجل تمسكه بحقوقه واستقلاله وسيادته على ارض وطنه .

كذلك فان الشعب المصرى بطبيعته السمحة وفى الوقت الذى يقدر فيه المساعدات السوفيتية الا انه يضعها فى مكانها الصحيح ويربط بينها وبين سياسة الحصار العسكرى والاقتصادى التى فرضت عليه والتى ادت الى استنزاف موارده والتأثير فى حياته المعيشية والنيل من قوته اليومى — نتيجة سداد الديون وفوائدها للاتحاد السوفيتي .

خامسا : جاء بالبيان ان البعض فى مصر يحاول التظاهر بأن انهاء المعاهدة لايغير الا قليلا فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتي ومصر وان هذا التصور لايعبر عن واقع الامر وان تصرفات المسئولين فى مصر تؤدى الى تقليص التعاون مع الاتحاد السوفيتي وان عليهم تحمل المسئولية امام شعبهم بالنسبة لنتائج هذه السياسة .

وان تنظيم مصر العربى الاشتراكى يرى ان ما جاء بالبيان السوفيتي انما يدل على الجهل بطبيعة وروح الشعب المصرى يرفض اية اشارة تحمل معنى التهديد وتاريخ مصر حافل بالمواقف التى تؤيد ذلك وان الشعب المصرى يلقى على القيادة السوفيتية مسئولية تعقيد العلاقات بين الشعبين المصرى والسوفيتي فى الوقت الذى اعلنت فيه مصر موقفها بعد انهاء العمل بالمعاهدة — بأن ذلك لا يعنى اطلاقا اغلاق باب التعاون مع الاتحاد السوفيتي من خلال مبادئ مصر الثابتة بالتعاون مع جميع الدول وشعوب العالم من اجل السلام والتقدم وتحقيق المصالح المشتركة ودون وصايا أو فرض القيود على حرية الارادة المصرية أو تدخل مصر فى الشئون الداخلية لغيرها » .

والقيادة السوفيتية اذا ما توفرت لديها النوايا الطيبة وادركت مصالح الشعب السوفيتي وابعاد وآثار مواقفها غير الودية على مصالحه فان عليها ان تراجع موقفها لان أى تدهور فى العلاقات بين الشعبين المصرى والسوفيتي ستقع مسئوليته على كاهلها كما ان الشعب المصرى يدرك بأن الشعب السوفيتي يعى الاخطاء التى ارتكبتها القيادة السوفيتية فى حق مصالحه والتى جاء هذا البيان من موقف تبريرها امام الشعب السوفيتي نفسه وامام شعوب الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث وحركات التحرر الوطنى فى العالم كله — وهذه الاخطاء هى التى دفعت مصر دفعا الى تحديد موقفها وانهاء العمل بالمعاهدة .

ان شعب مصر بعد ان عرف طريقه — فانه سيمضى فيه من اجل استكمال مسيرة التحرير والتعمير ومن خلال ثقته غير المحدودة فى قيادته الوطنية الممثلة فى الرئيس القائد محمد انور السادات — وسيحقق بمشيئة الله اهدافه فى التقدم والرخاء .

☐ بيان لتنظيم الأحرار الاشتراكيين

وقد اصدر تنظيم الاحرار الاشتراكيين بيانا تعليقا على المذكرة السوفيتية التى اذاعتها وكالة تاس .

جاء فيه أن الغاء معاهدة الصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفيتي ومصر جاء نتيجة طبيعية وحتمية لتصرفات السوفيت التى جعلت هذه المعاهدة غير ذات موضوع بانتهاجهم سياسة غير ودية ازاء نقطتين اساسيتين هما صلب هذه المعاهدة وذلك بعدم التزامه بتنفيذ برنامج التسليح المتفق عليه بين الطرفين مما كان سيترتب عليه اكثر الضرر بالنسبة لقدرة قواتنا المسلحة وفاعليتها لصد العدوان الاسرائيلى بالاضافة الى ان الاتحاد السوفيتي حتى هذه اللحظة لم يقبل اعادة جدولة ديونه على مصر اسوة بما اتبعته دول العالم الغربى الامر الذى يضعف القوى الاقتصادية للبلاد التى هى القاعدة الاساسية للقوة العسكرية وان التنظيم يرى أن مصر وقيادتها كانت وما تزال حريصة على ابقاء العلاقات الودية بينها وبين الاتحاد السوفيتي وان كان ذلك لايعنى قبولهما بأى حال من الاحوال التدخل فى شئونها الداخلية ومحاولة فرض سياسات معينة عليها لاتتمشى مع مصالحها القومية .

وان التنظيم ليدهش مما جاء فى المذكرة السوفيتية حول فشل السياسة التى تنتهجها مصر خلال السنوات القليلة الماضية مع الاتحاد السوفيتي بل ان العكس فى راينا هو الصحيح ، وانه ما من احد يقول ان المعاهدة السوفيتية المصرية قد فرضت علينا من جانب الاتحاد السوفيتي بل كانت بمحض ارادة القيادة السياسية المصرية تأكيدا لعلاقات الود والصداقة القائمة بين البلدين .

ويرى التنظيم ان الاتحاد السوفيتي قد بدا منذ تولى الرئيس محمد انور السادات رئاسة الجمهورية يتخذ من التصرفات والاجراءات ما اشعر جماهير الشعب المصرى بأنه لايؤيد سياسته واكبر دليل على ذلك عدم تنفيذه للبرنامج الزمنى لتسليح القوات المسلحة شكلا وموضوعا بحيث تصبح القوات المسلحة المصرية قادرة على اداء دورها بعد ان سدت امامها ابواب التفاهم لحل النزاع العربى الاسرائيلى فى اطار الامم المتحدة مما آخر المعركة عن موعدها المحدد فى سنة ١٩٧١ وما ترتب على ذلك من آثار نفسية شديدة الوطأة على الشعب المصرى بالاضافة الى المعاناة الاقتصادية لفئات الشعب الكادحة نتيجة امتداد فترة اللاسلم واللاحرب وما كان سيترتب عليها من آثار وخيمة العاقبة لولا الخطوة الوطنية العظيمة والجريئة التى اتخذها الرئيس انور السادات والقيادة السياسية للبلاد بحرب اكتوبر المجيدة .

كما ان تنظيم الاحرار الاشتراكيين قد لاحظ ان الاتحاد السوفيتي ينظر الى تصحيح مسار ثورة ٢٣ يوليو على انه خروج على مبادىء هذه الثورة وهو امر بعيد كل البعد عن الصحة كما أن تنظيم الاحرار قد لاحظ ان الاتحاد السوفيتي ينظر الى الانفتاح الاقتصادى الذى طبقته ثورة التصحيح نظرة ريبة شك فى حين انه لم يكن الا تدعيما للخط الاشتراكى الذى تسير عليه البلاد وتدعيما لجسدا

القياد الايجابي الذي تسير عليه مصر في سياستها الخارجية .

ان تنظيم الاحرار الاشتراكيين لاينكر ما تدمه الاتحاد السوفيتي لمصر من مساعدات اقتصادية وعسكرية ومساندته للقضية العربية في المحافل الدولية غير ان التنظيم يرى ان ذلك لايعني فرض سياسة معينة لا يوافق عليها الشعب وقيادته السياسية ولايعني تدخل الاتحاد السوفيتي في شئوننا الداخلية . ويرى التنظيم كذلك ان السياسة التي اتبعها الرئيس انور السادات والقيادة السياسية للبلاد نحو حل المشكلة الاسرائيلية العربية ودفع الولايات المتحدة الأمريكية للقيام بدورها الايجابي باعتبارها احدى القوتين العظميين اجراء سلميا يؤيده الشعب ولا يعتبر بأى حال من الاحوال خروجا من المعركة أوتراجعا منها لان سياسة الحل خطوة خطوة كانت سياسة ناجحة ولم تقم بها مصر في الخفاء بل كان الاتحاد السوفيتي على علم بكل تفاصيلها باعتباره احدى القوتين العظميين بالاضافة الى ان الدول العربية الشقيقة وعلى رأسها سوريا والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية كانت كلها على علم كامل بخطوات السياسة المصرية واهدافها بفض الاشتباك بين القوات المسلحة العربية والاسرائيلية وانها لم تكن سوى تمهيد لمؤتمر جنيف الذي يتم فيه تصفية النزاع تصفية كاملة بحضور الاطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني . وقد لاحظ التنظيم ان موقف الاتحاد السوفيتي خلال هذه الخطوات كان غير واضح وتعاونه غير وثيق بل على العكس من ذلك كان يتبع سياسة التشكيك ولم يقم من جانبه لا سياسيا ولا عسكريا ولا اقتصاديا بدور الصديق الذي يعاون صديقه ويدعمه وابرز دليل على ذلك المماطلة في اعادة جدولة الديون . وامتناعه عن تنفيذ اتفاقيات التسليح ومدنا بقطع الغيار اللازمة للقوات ومدنا بقطع الغيار اللازمة للقوات المسلحة والتي بدونها تصبح الاسلحة السوفيتية التي دفعت فيها مصر بلايين الدولارات قطعا من الحديد لا قيمة لها في رمال الصحراء .

محاولته التشكيك في سياسة الرئيس انور السادات نحو جديته في المعركة واتهامة بالخروج منها وضرب مصر مع الدول العربية الشقيقة المعنية بالمعركة . محاولاته الخفية والفاشلة لاثارة فئات الشعب العاملة ضد قيادتها السياسية الحكيمة ووصفها بأنها سياسة لن يفيد منها سوى اعداء الشعب المصري والشعوب العربية والقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية بالباطل وبغير ادلة أو براهين على عكس موقف الصين حينما قدمت لمصر بعض الاسلحة بلا مقابل تدعيما منها لكفاح دولة اشتراكية ضد العدوان الصهيوني .

واخيرا فان تنظيم الاحرار الاشتراكيين ليود ان يدلي بنصيحة الى الاتحاد السوفيتي تعبر عن وجهة نظر شعبية قوية في مصر تتلخص فيما يلي :

ان الاتحاد السوفيتي اذا كان راغبا حقا في الابقاء على علاقات الصداقة والودمع جمهورية مصر العربية الاشتراكية والتي طالما قدمت للاتحاد السوفيتي عديدا من المعاونات والمساعدات نحو تدعيم الخط الاشتراكي في البلاد العربية والافريقية فان عليه ان يتعامل مع مصر معاملة الصديق للصديق والا يحاول التدخل في شئونها الداخلية أو فرض ارادته عليها وان يعيد النظر في الاسس التي اخذ يبني عليهاسياسته الجديدة نحو مصر وان يتخذ خطوات ايجابية وفعالة نحو : اعادة جدولة الديون . والاستمرار في مد مصر بقطع الغيار اللازمة التوقف عن حملة التشهير والتشكيك التي يشهرها ضد القيادة السياسية المصرية ومحاولة التدخل في شئونها الداخلية وليعلم دائما ان مصر مازالت تنتهج الخط الاشتراكي التعاوني الديمقراطي وانها تصحح دائما مسارها طبقا لما تمليه مصالحها وانها تملك ارادتها حرة كاملة في تقرير سياستها الاشتراكية التي تلائم واقعها الاجتماعي ودينها الاسلامي .

مصطفى كامل مراد
مقرر تنظيم الاحرار الاشتراكيين

رسالة برلين

برلين الشرقية : من فتحي عبد الفتاح

المؤتمر التاسع للحزب الاشتراكي الألماني الموحد

يفتتح **اريك هونيكر** السكرتير العام للحزب الاشتراكي الموحد في المانيا الديمقراطية المؤتمر التاسع للحزب في الاسبوع الاول من مايو الحالي

ويكتسب هذا المؤتمر الذي يأتي بعد خمس سنوات من انعقاد المؤتمر الثامن للحزب « يونيو سنة ١٩٧١] أهمية خاصة نظرا للتطورات والظروف التي تلابس انعقاده ، سواء على مستوى التطور الداخلي في المانيا الديمقراطية نفسها ، او على مستوى الظروف الدولية التي ينعقد فيها المؤتمر ..

فالمؤتمر ينعقد بعد تحطيم الحصار الدبلوماسي الذي فرضته الدول الغربية والولايات المتحدة على المانيا الديمقراطية طوال عشرين عاما ، فهناك الان اكثر من ١٢٠ دولة لها علاقات دبلوماسية مع ج.ا.د .. وقد توج هذا الانتصار بدخول المانيا الديمقراطية للامم المتحدة في خريف سنة ١٩٧٣ [الدورة الثامنة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة] .

والمؤتمر ينعقد ، ايضا ، لاول مرة في ظل علاقات طبيعية اقامتها المانيا الديمقراطية مع جارتها المانيا الغربية ، بعد عقد سلسلة من الاتفاقيات بين البلدين مع الاحترام المتبادل لسيادة كل بلد وفقا للقوانين الدولية . كذلك بعد عقد اتفاقية برلين في ٢١ يونيو سنة ١٩٧٣ والتي تنظم العلاقة بين برلين الغربية والمانيا الديمقراطية مما وضع حدا لكثير من التوتر الذي كان ينتج عن

الظروف والوضع السابق لبرلين الغربية .
على ان هذا الانتصــار الدبلوماسى والدولى الذى حققته المانيا الديمقراطيةفيمابين المؤتمرين ليس وحده هو الذى يضفى على المؤتمر التاسع تلك الاهمية الخاصة .
فهناك ، فوق كل هذا ، التطور الاقتصــادى والاجتماعى الذى شهدته المانيا الديمقراطيةخلال تلك الفترة .
ان الارقام التى نشرتها الامم المتحـدة والتى نشرتها ايضا جريدة التايمز البريطانية فى العام الماضى تؤكد ان المانيا الديمقراطيـة قد حققت بالفعل خلال الخطة الخمسية ١٩٧١ — ١٩٧٦ ما يمكن ان يسمى بكل المعايير وثبة اقتصـادية واجتماعية هائلة ..
فالمانيا الديمقراطية واحدة من الدول القليلةفى العالم التى لم ترتفع فيهـا الاسـعار طـوال السنوات الماضية ، بل ان هناك شبه ثبـاتفى الاسعار ، خاصة فى المواد الغذائية ،منذ عشرين عاما . والامر كذلك بالنسبة لايجارات المسـاكن والمواصلات ، بينما زادت الدخول الحقيقيـة للعاملين كما زاد الدخل القومى فى الفترة من ١٩٧١ — ١٩٧٥ بنسبة ٥ر٥٪ . وكانت هنـاك زيادة سنوية فى الانتاج يبلغ معدلها ٤ر٦٪ ..
ويستطيع الزائر ان يلمس اعتزار العديد من الالمان عندما يناقشون ظروف التطور فى بلادهم. فهم يشيرون الى حقيقة انهم لمينفذوا فقط أهداف الخطة الخمسية الماضية بل انهم تعدوها بمراحل وحتى قبل انتهاء مدة الخطة ..
ففى سنة ١٩٧٥ ، اى قبل انتهاء الخطة بعام قدرت الزيادة التى حققوها فى الصناعة بمبلغ ٥ر١٤ مليون مارك عن الهدف النهائى للخطة .
وفى مجال الاسكان كانت الخطـة قد حددت بناء [٥٠٠] الف شقة جـديدة فى الفترة من ١٩٧١ — ١٩٧٦ ، وفى العام الماضى اى سـنة ١٩٧٥ كان قد تم بالفعل انشاء ٦٠٩ الاف شقة جديدة .
وكذلك الحال فى مجال الزراعة والانتــاج الحيوانى فلقد زاد الانتاج هذا العام عما كانت تستهدفه الخطة سواء فى مجال انتاج الالبان او اللحوم ...
وفى نفس الوقت ، زاد الانفاق على الخدمات التى تقدمها الدولة الى المواطنين بنسبة ١٤٧٪. فالدولة تدفع لكل مواطن يشترى مواد غذائيـة بمبلغ ١٠٠ مارك ما يسـاوى ٥ر٢٦ مارك من أجل الحفاظ على الاسعار ،وكذلك الحال بالنسبة للسكن الذى لا يلزم المواطن بدفع اكثر ممـا يساوى ٤٪ من مرتبه ايجارا للسكن الذىيشغله وتقوم الدولة بسداد الفرق ..

اما عن الرعاية الصحية والتعليم فهى كلهـا بالمجان فهناك طبيب لكل ٥٨٠ من السكان وهى نسبة تفوق اكثر البلاد الغربية ازدهارا بما فى ذلك الولايات المتحدة ..
لكل هذا شملت المانيا الديمقراطية منذ فترة — وبالتحديد منذ يناير الماضى — مناقشـات واسعة مستمرة استعدادا للمؤتمر التاسع ...
ولقد قام الحزب الاشتراكى الموحد منذ اربعة شهور بطرح ثلاث وثائق هامة للمناقشة قبـل انعقاد المؤتمر ..
وهذه الوثائق تتضمن : —
● مشروع الخطةالخمسية [١٩٧٦ — ١٩٨٠] وهو مشروع طموح لمضاعفة الدخل والانتاج .. ويعنى تحقيقه ان تضرب المانيا الديمقراطية رقما قياسيا فى معدلات التطور والانتاج .
● مشروع برنامج الحزب .
● مشروع لائحة الحزب ..
وهذه الوثائق تناقش حاليا فى المصـانع والمزارع التعاونية والمؤسسات وعلى صفحات الجرائد والمجـلات ، ويشترك فيهـا ليس فقط **الحزب الاشتراكى الالمانى الموحد** ، بل وايضا وبنفس الدرجة من الحماس **حـزب الفـلاحين وحزب الاتحـاد المسـيحى الديمقـراطى** وهى الاحزاب التى تدخل فى جبهـة مع الحـزب الاشتراكى الموحد فى المانيا الديمقراطية .
وتقوم جريدة النيوز دوتشلاند يوميا بتخصيص أكثر من صفحة لمناقشات القـراء حول الوثائق الثلاثة التى نشرها الحزب للمناقشة ..
كما يقوم اعضاء قياديون فى المكتب السياسى وفى اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى الموحد بعقـد مؤتمرات جماهيرية واسـعة فى جميع انحاء المانيا الديمقراطية لمناقشة هـذه الوثائق والدخول فى حوار مع المواطنين ..
ولقد قام كل من الرفاق درنر لامبرز عضـو المكتب السياسى وجونتر ميتاج دابريك ماكنبرجر وهورست سندرمان وويلى شتوف وكلهم اعضاء فى المكتب السياسى بزيارة واسعة شملت جميع انحاء المانيا الديمقراطية لمناقشـة الوثائق التى طرحها الحزب استعدادا للمؤتمر ...
ولقد قال لى احد المسؤولين فى الحزب : —
« من الطبيعى أن يزداد حماس الجماهير بعد أن ادركت بشكل عملى اهمية الالتفـاف حـول برامج ومخططات الحزب ... لقد عانينا الكثير فى الماضى ، ولكننا صمدنا ، وانتجنا . واعتقد اننا نتفوق الان على الاقل اننا لا نعـانى من التضخم والبطالة وزيادة الاسعار التى تسود الان المجتمعات الراسمالية » . □



الصـــهيونية .. بدايــة ونهايــة

هذه الدراسة القيمة اعدها المناضل « **أبو مازن** » ، عضو اللجنة المركزية لحركة التحـرير الوطنى الفلسـطينى « **فتح** » بتاريخ أول يناير سنة ١٩٧٦ . وأصدرها مكتب التعبئة والتنظيم بالمنظمة

وهذه الدراسة الهامة التى سوف تقدمها الطليعة تبـاعا ، فى باب الوثائق ، تنطلق — كما هو واضح من المقدمة — من قرارهيئة الامم المتحـدة بادانة الصــهيونية كحركة تمييز عنصرى .. ثم تتوقف قليلا عند هذا القرار ومدلولاته ، ثم تشرع فى الفصل الاول — ومن خلال وقائع محددة — بتقديم الصهيونية لا كحركة تمييز عنصرى ضد السكان العرب فحسب ، وانما كحركة تمييز عنصرى داخـل المجتمع الاسرائيلى بين طائفتين من اليهـود : الاشـكانزيم والسفارديم .. والدراسة تقدم من هـذه الوقائع الدامغة ما يدعو الى كل انسان يريد أن يتحرر من التعصب وضيق الافق والاراء الجـــاهزة الى ان يطـرح — بالضرورة — هذه الطائفة من الاسئلة :

— اذا كان اليهود الســفارديم [أو اليهود الشرقيون] يشـــكلون ٦٢ ٪ من سـكان اسرائيل ، ثم يحرمون مع ذلك من المســاواة الفعلية بينهـم وبين اليهود الغربيين .. واذا كان اليهـود الشرقيون يمثلون القطاع الاكثر تخلفـا ، سـياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، ويعانون من قهر اليهـود الغربيين ، فمن الذى أقـام تلك الدولة المسماة باسرائيل ؟

— ولـكن ، اذا ظهـر ان الحـركة الصهيونية لم تكن فى الاساس تمثل فى وقت من الاوقـات « حركة تحـرر وطنى لليهود » ، فمن الذى ابتـدع الصـهيونية ووضع لها أفكارها وأيديولوجيتها ، بعبارة أخرى ، من هو صاحب المصلحة فى ابتداع هذه الحركة ؟

على هـذه الاسـئلة ، سـوف تجيب الوثائق التى ننشر منهـا فى هـذا العدد المقدمة والفصل الاول ..

مقـــدمة

سنحاول ان نقرأ التاريخ ونستنتج احداثه بغير الطريقة المألوفة علنا نستجلى خفاياه وغموضه . لنفتح أمامنا أبوابا تزعزغ كثيرا من المسلمات التى تعودناها وتثير الشكوك حول معظم الحقائق التى تعلمناها وقرأناها لنضــع الامور فى نصابها الصحيح . ونصل الى حدود الحقيقة التى على أساسها نحسن التخطيط والتصرف .

لم يكن قرار ادانة الصهيونية بالتمييز العنصرى الذى صــدر عن الجمعيــة العمومية للامم المتحدة اول القرارات التى تصدر عن هذه المؤسسة الدولية والتى فيها بعض الانصاف للشــــعب الفلسطيني وقضــيته ولن يكون آخــــر القرارات .

لقد صدر عنها مئات القرارات التى تعطى الشعب الفلسطينى بعض حقوقة او تعترف له ببعض هذه الحقوق ، كما صدر عن مجلس الامن مئات .ومئات كلها تعترف لشعبنا بجزء من مطالبه وحقوقه. ولكن كل هذه القرارات وهي ذات صفة اجرائية بقيت فى ادراج الامم المتحدة مشلولة ، لان طبيعة تركيب الامم تجعل قراراتها قرارات معنوية ليس لها قوة التنفيذ مالم توافق الدول الخمس العظمى على تنفيذها وتنفخ فيها الروح لتحـولها الى واقع وحقيقة . لقد اراد صانعو الامم المتحدة انتكون هكذا منبرا اعلاميا عاليا يحق لكل عضو فيه ان يتكلم بالشكل الذى يريد وان يحصل على القرارات التى يريد ولكنه لن يحصل ابدا على مايريد ، ولعل هذا هو الذى يجعل الشعوب المغلوبة على أمرها ان تلجأ الى قوة السلاح لتصل الى حقوقها ، لانها تعرف سلفا ان الامم المتحدة لا تملك [لواقتنعت] القوة لمنحها حقوقها ، واكبر دليل على ذلك وضع الشــــعب الفلسطيني الذى حصــل على مئــات القرارات دون ان يحصل على شبر واحد من ارضه فلجأ الى السلاح يقرع به ضمير العالم المخدر عله يصحو على ماساته ويدك به حصون اعدائه ليصل من خلاله الى ارضه ووطنه ويحصل به على كل حقوقه .

نقول .. ان القرارات التى صدرت عن الامم المتحدة وانكانت لها صفة اجرائية فانها بقيت حبرا على ورق لان قوة التنفيذ تملكها الدول العظمى التى ليست لها مصلحة اطلاقا فى اســتعمال هذه القوة لتنفيذها .

هناك قرار واحد فقط هــو ادانــة الصهيونية كحركة عنصرية ، فانه القرار الوحيد الذى ليس له صفة اجرائية ، ولا يعدو كونه قرارا معنويا ، ولن يطلب من القوى العظمى ان تطبقــه وانما المفروض ان ينتهى مفعــوله بانتهــاء اقراره ، الا ان الجهة الوحيدة القادرة على تحويله الى قرار اجرائى ذى مضمون واقعى تطبيقى هى الدول العربية اذا استطاعت ان تفهم ابعاده وتتعرف الى الوسائل والطرق التى تمكنها من ذلك ، وهى تملك السلاح الفعال الذى يحول هذا القرار الى رصاصة الرحمة التى تطلق على دماغ الصهيونية وما افرزته على ارضنا .. كيف ؟؟ هذا ماسنوضحه فيما بعد .

لقد اكتشفت اكثر من مئة دولة مؤخرا ان الصهيونية حركة تمييز عنصرى لاتختلف عن الحركات المثيلة فى جنوب افريقيا وروديسيا ومستعمرات البرتغال فجمعت كل شجاعتها ونقلتها معها الى الامم المتحدة لتعلن بكل جرأة ان الصهيونيــة حركة تتفق فى جوهرها مع النازية ولابد من ادانتها . اعلنت هذه الدول رأيهــا بالرغم من الهجمة الشرسة التى شنتها الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وبالرغم من كل التهديدات والانذارات والضغوط التى مارستها هذه الدول الاستعمارية على دول العالم الثالث والمعسكر الاشتراكى .

ولكن من اين جاءت عنصرية الصهيونية ؟

لقد اعلنت الصهيونية ان الشعب اليهودى شعب واحد استطاع المحافظة على سماته عبر اكثر من عشرين قرنا من الشتات وانها تسعى لخلق ملجأ من أجل اليهود كل اليهود ، وانها تصنع الوطن لتجمع به كل يهود العالم وتحميهم من الاضطهاد ، والمذابح التى يتعرضون لها بين الحين والحين . وهى بالتالى حركة تحرر وطنى يهودى وحركة انبعاث قومى يهودى . شعارها الشوق الى صهيون وهدفها ارض الميعاد ، أرض الابــاء والاجداد .

هل يعنى هذا ان الصهيونية استمدت عنصريتها من اليهودية ؟؟ تحقيقا لما ورد فى التوراة عندما اعتبر الله بنى اسرائيل شعبه المخلص وفضــلهم على النــاس وخصهم بمحبته وأوكــل اليهم مهمــة المحافظة على وصاياه العشر وتعاليمه الالهية وجعلهم موئل الاخلاق دون غيرهم من الشعوب التى خلقت مجبـولة على الشر وغير قادرة على الخير التلقائى دون اشراف وتوجيه اليهود الذين هم اداة الرب الازلية لفرض رسالته ومثله على عالم غير قادر على اكتشاف الخير وممارسته الا بواسطتهم ، حيث خاطب الاله شعبه اسرائيل بقوله : انتم أولاد الرب الهكم. لانكم شعب مقدس للرب الهكم وقــد اختاركم الرب تكونوا له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على الارض .

ولم يرد نص من نصوص التوراة على عبارة شعب الله المختار — دون ان يؤكد قدسية هذا الشعب ؟ وكذلك ومن هذا المنطلق يقول ابا ايبان : ان بقاء الاخلاق والعدالة والسلام فى العالم — وهو مايزعم انه الرسالة اليهودية مرهون ببقاء اليهود وعدم تخليهم عن الوصاية على هذه الرسالة .

نفهم من هذه النصوص والاقــوال ان الصهيونية استمدت اســـتعلاءها وشموخها على الاخرين وتعاليمها تعاليم الديانة اليهودية ، وهذا الافتــراض يجرنا الى اعتبار ان جميع اليهود صهاينة وانهم فى اعتناقهم للصهيونية انمــا يتبعون احكام دينهم وتعاليم توراتهم ولكن الحقيقة تتنافى مع هذا التعميم ، ونحن فى هذا نظلم ملايين اليهود الذين لايؤمنون بالصهيونية كعقيدة وسياسة واسلوب ، بعضهم يرفضها استنادا الى تعــاليم الدين اليهودى ، والبعض الاخر يرفضها لانه لايرى انها الحل الصحيح للمشكلة اليهودية — ان وجدت هذه المشكلة — والبعض الاخر يرى انها خلقت فى العالم مشكلة اسمها المشكلة اليهودية ، لم تكن موجودة فى الماضى .

لذلك اذا أردنا ان نتعرف الى عنصرية الصهيونية علينا ان نعرف اين تمارس هذه العنصرية وتجسدها ومن ثم نحدد من الذى يمارس ومن الذى يمارس عليه.

لقد جسدت الصهيونية افكارها [ببناء] دولة لها على ارض فلسطين وجاءت بانصارها وغير انصارها من اليهود فى العالم ليستوطنوا هذه البلاد وتحقيق حلم راود خيال الاستعمار منذ قرنين من الزمان تقريبا . لذلك فان الصهيونية تطبق عنصريتها وسياستها التمييزية على ارض [دولتها] ومن هنا كان علينا ان نحدد الجهة أو الجهات التى تمارس عليها السياسة العنصرية الصهيونية .

فى اسرائيل — ثلاث فئات تعيش على ارضها : —

١ — اليهود الغربيون : الذين قدموا من اوروبا الشرقية والغربية وامريكا .

٢ — اليهود الشرقيون : الذين قدموا من البلدان العربية والبلــدان الشرق اوسطية [تركيا — ايران — الهند] .

٣ — الفلسطينيون العرب ! الواقعون تحت الاحتلال .

يتبادر الذهن وللوهلــة الاولى ان الصهيونية انما تمارس سياستها العنصرية فقط على الفلسطينين العرب الواقعين تحت الاحتلال ، المغلوبين على أمرهم، المسلوبى الارادة والارض والوطن ، الذين يعيشون غرباء فى اوطانهم . المحصورين ضمن تجمعات الســجون افضل منها واكثر راحة واطمئنانا ، المحكومين بقوانين الطوارىء منذ ثلث قرن ، المصادرين اشــخاصا واملاكا وارضا . الممنوعين من كل الضروريات

والبنيامينية ؟ المعرضين دائما وبكل الوسائل لعمليات الطرد الجماعي . وليس هناك تعبير ابلغ من حديث اسرائيل شاهاك استاذ الكيمياء العضوية بالجامعة العبرية عن وضع الفلسطينيين العرب تحت الاحتلال الاسرائيلي اذ يقول : انني انفي ان الادارة الاسرائيلية في الارض المحتلة هي ادارة انسانية بل اصر على انها اقسى النظم الادارية في العصر الحديث واكثرها قمعا واضطهادا وسابدأ بالتدليل على ذلك بمثال بسيط ، فعدد الفلسطينيين الذين يعيشون في الاراضي المحتلة الان يزيد على المليون بقليل غير ان عددهم قبل الاحتلال الاسرائيلي كان مليون ونصف بالاضافة الى الثلاثمائة الف من اقاربهم العاملين في بلدان اخرى [اين ذهبوا] . ثم يتحدث عن حرمانهم من ابسط حقوق الديمقراطية وانتهاكات اسرائيل لميثاق جنيف والعقوبات الجماعية والاستيطان اليهودي في الاراضي المحتلة ، ثم يخلص الى وصف يهود اسرائيل بالنازية الصهيونية .

قلما يتبادر للذهن ان الفلسطينيين العرب هم وحدهم موضوع التمييز العنصري الذي تمارسه الصهيونية الحقيقة التي لا يعرفها الكثيرون ان مجموعة اخرى من [سكان دولة اسرائيل] لا يقل عددهم عن الفلسطينيين العرب يتعرضون مثلهم ايضا لشتى انواع التمييز العنصري البغيض واصنافه ، انهم اليهود الشرقيون ، اليهود العرب اليهود الذي اصطلح على تسميتهم في الداخل بـ [السفارديم] ويحلو لهم ان يسموا انفسهم بـ [اسرائيل الثانية] في حين يسمون اليهود الغربيون [الاشكناز] باسرائيل الاولى باعتبار هؤلاء الطبقة الحاكمة ذوو الدماء الزرقاء ، هم الطلائع التي فكرت وعملت واسست فاستحقت ان تتمتع بحصيلة جهودها واتعابها لتتوج في النهاية طبقة حاكمة منعمة لا يجوز لغيرها ان يتنعم بخيرات البلاد والمساعدات الامريكية وهي اولى من غيرها في اقتسامها وابتلاعها .

لذلك اذا اردنا ان نتحدث عن التمييز العنصري الصهيوني فلا يكفي ان نتكلم عما يلاقيه اهلنا من الفلسطينيين العرب في الداخل وانما علينا ان نكشف زيف الصهيونية وسخف ادعاءاتها بانها حركة تحرر وطني للشعب اليهودي ونطرح قضية اخواننا اليهود العرب الذين يتعرضون ايضا للتمييز العنصري الصهيوني البشع .

الصهيونية والتمييز العنصري

وتقسم المجتمع الاسرائيلي الذي قام في الأصل على تجميع الفئات الجاليات اليهودية من جميع انحاء العالم الى مجتمعين رئيسيين مختلفين تماما الى درجة جعلت الكثيرين يسمون هذا الانقسام انقسام اسرائيل الى « اسرائيلين » اسرائيل الاولى وهي المجتمع المؤلف من اليهود الغربيين [الاشكناز] واسرائيل الثانية وهي المجتمع المؤلف من اليهود الشرقيين [السفارديم] .

بدأ انقسام اليهود الى طائفتين في القرون الوسطى حيث صحبه اختلاف في العقائد والطقوس الدينية والثقافة واللغة والعادات والتقاليد ، وتطورت هذه الاختلافات مع الزمن الى ان اصبح الفريق منهم لا يندمج مع الفريق الاخر بل يكرهه ويحقد عليه ، وتحول هذا مع التاريخ الى رواسب ذهنية لها اثر سيكيولوجي ظهر في تحكم فئة بأخرى وهذا ما « توضحه نشرة مجلس الطائفة السفاردية في القدس ، اذ تحلل اسباب اضطهاد الاشكناز للسفارديم بقولها : ان سبب كراهية الاشكناز لنا لاننا نذكرهم بأحوالهم الاجتماعية والثقافية التي كانوا يعيشونها منذ بضعة عقود في حارات [الجيتو] في روسيا وبولندا » ان رغبة هؤلاء في نسيان الماضي واقتلاع نفوسهم منه هو الذي جعلهم يرفضوننا» ، ثم يقول حاخام الطائفة السفاردية تعليقا على ذلك : أعوذ بالله من العبد اذا حكم .

الا ان بن غوريون يرد التحية لليهود الشرقيين بقوله : « انهم غير متعلمين ، عاداتهم هي عادات العرب وقد يخرج منهم شيء يختلف قليلا ولكن في مدى ثلاثة اجيال ولكني لا ارى ذلك بعد ولست متفائلا » ، واليهود الغربيون يتشككون من ولاء هؤلاء لدولة اسرائيل ويقولون قد يأتي اليوم الذي ينحاز هؤلاء فيه مع العرب اذ ليس هناك كبير فرق بينهم من جميع النواحي . ويعتقد مايكل سلزران كراهية الغربيين لليهود الشرقيين تعود للاسباب التالية :

١ — ان اليهودي الشرقي يذكر اليهودي الغربي بعدوه العربي الذي مافتيء يهدده بافناء دولته والقضاء عليها .

٢ — طالما ان اليهود الشرقيين متأخرون كما يدعي الغربيون فليس هناك مايبرر الفكرة التي تشيعها الصهيونية وهي انها ادخلت الحضارة للعرب ، خصوصا وان الشرقيين هم الغالبية السكانية وبالتالي فان ثقافتهم العربية هي التي تغلب .

٣ — والسبب الثالث هو الشعور لدى الغربيين بالخوف من ان ياتي الوقت الذي ينحاز فيه اليهود العرب الى جانب العرب ، ويعلق على هذا سلزر فيقول ؛ ومن هنا كان حرص الغربيين على عدم الوصول الى تسوية مع العرب قبل ان تصبح الدولة غربية قلبا وقالبا ؟ خوفا من ان يؤدي اي تعامل مع العرب في حالة تسوية الى انعزال الاوروبيين الذين اصبحوا اقلية بما ينشأ من علاقات طبيعية بين العرب والمسلمين ، والمسيحيين واليهود ، ويضيف سلزر انه طالما سمع السؤال يتردد كلما نوقش هذا الموضوع من الذي سيشعر بأنه غريب بين ثلاثة : عربي ، ويهودي شرقي ، ويهودي غربي اشكنازي ؟ .

يقول الاشكنازيون : نحن الغرباء .

٤ — ان عدم اهتمام الشرقيين بالصهيونية ولاسيما في بدء هجرانهم وعدم تحمسهم لها فيما بعد ، يبعد بينهم وبين اليهود الغربيين ويحمل الاخرين على التخوف منهم وعدم ائتمانهم .

٥ — شعور الغربيين انهم اصحاب الفكرة الصهيونية التي اقامت الدولة وبالتالي فان اسرائيل هي لهم وحدهم لانها من صنعهم ، وان سائر اليهود وبالذات اليهود العرب ياكلون ثمار اتعابهم بدون ان يكون لهم دور في انشاء الدولة ومن ثم يتباهون عليهم ويعيرونهم خصوصا ان اعداد الشرقيين تزداد وتتفوق عليهم .

ان عوامل الكراهية والحقد هذه ترجمت الى واقع ملموس وظهرت على السطح على شكل امتيازات عنصرية منذ بدء تأسيس الدولة ، فكان الاوروبيون يتمتعون بمرتبة اجتماعية أعلى ، وهذا ادى الى ان يمنحوا انفسهم دون سواهم المراكز العليا والاعمال الافضل والوظائف الكبيرة وان يميزوا انفسهم في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمالية والسياسية ويبررون لانفسهم هذه التصرفات على اعتبار ان الشرقيين متخلفون وينقصهم الحد الادنى من الثقافة والعلم فقد ورد عن اشكول انه قال : ان عدم منح السفارديم الوظائف ليس لانهم لايعرفون لغة اليديش ولكن لانهم لا يعرفون شيئا .

ويقول اشكول في مكان آخر : يجب ان تهتم وزارة الاستيعاب بالمهاجرين الذين يأتون من بلاد الرخاء . صحيح ان كل المهاجرين متساوون . انما هناك مهاجرون متساوون اكثر . وقد عبر الياهو اليشر رئيس الطائفة السفاردية في القدس بكثير من الاسى والمرارة من مظاهر التمييز في المعاملة حين قال : ان الشعور السائد عند اليهود الغربيين بـ « نحن » الذين نعمل و « نحن » الذين نعطي ونمنح ونوطن .. و « هم » الذين ينقصهم الحد الادنى من الثقافة ، هذا الشعور هو الذي يزيد في التفرقة ويزعزع اسس الدولة ، انه لولا تجميع اليهود الشرقيين الى جانب اليهود الغربيين

لما قامت الدولة لذلك يجب ان يكونوا متساوين اذ بدون هذا التساوى نهبط « نحن وهم » وسيضيع مصيرنا « نحن وهم » ان سرنا فى مثل هذه التفرقة والكراهية والتوتر بين الطوائف .

قلنا ان هذه الكراهيـة والاحتقاد والشعور بالتعـالى والتمـايز بيـن الطائفتين ترجمت الى واقع عبرت عنـه ممارسات فى مختلف مناحى الحيـاة واستطاعت هذه الممارسات ان تعمق هوة الخلاف والشقاق وان تفتح جروحا تنزف باستمرار فما هى مظاهر التفرقة والتمييز ؟ .

١ ــ التمييز فى الاسكان

بعد قيام دولة اسرائيل دخلهـا اعداد ضخمة من اليهود الشرقيين الذين عملت الصهيونية على نزعهم من مجتمعاتهم لملء الفراغ الذى أحدثه تهجير العرب-اهل البلاد . وعندما اصبحوا آلة فى أيديها بدأت تستخدمهم حسب مصلحتها وتضعهم فى الاماكن التى تريد ليشكلوا للغربيين حزام الامان من اى خطر عربى مقبـل فاختارت ليهود المغرب مثلا مناطق النقب المقفرة حيث لا شىء الا البرية والرمال والصخور ، وينطبق هذا على غيرهم من اليهود العرب اما سكنى المـدن فهى مقصورة على العلاقات القديمة والتى جميعها من اصل أوروبى او على المهاجرين من أوروبا .

ان التمييز لا ينطبق فقط على المعاملة الحكومية للشرقيين وانما ينســحب ايضا على الصعيد الشعبى ، فمثلا لقد خصصت ضاحية بيت هاكرم من ضواحى القدس لبعض اليهود الغربيين الـذين يعتبرون أنفسهم انكلوساكسونين والذين قالوا بأنهم يرفضون السماح لاى يهودى أسود ان يسكن بينهم حتى ولو كان من الهند ولغته الام هى اللغة الانجليزية فانجلوساكسون عنـدهم تعنى أوروبى غـربى بغض النظـر عن اللغـة التى يتكلمها .

لقد رفضت أيضا سبعون عائلة من شرقى اوروبا ان يسكنوا فى قرية معلوت فى الجليل لان فيها أربعة آلاف يهودى شرقى .

اما الحادثة التالية والتى حدثت فى عام ١٩٦٧ فهى فريدة من نوعهـــا : كان يسكن فى مستعمرة نوحيليت القريبة من تل ابيب يهود يمنيون وكان بالقرب منهم مستعمرة كفارحاباد يســكنها مهاجرون روس وقد رفض هـؤلاء ان يقيما اليهود اليمنيـون بالقـرب منهم وطالبوا بنقلهم من جوارهم وبالرغم من كل احتجاجاتهم فقد اخرجتهم السلطات من نوحيليت ونقلتهم الى مكان آخر .

٢ ــ التفرقة ضد اليهـود الشرقيين فى الاعمـال وأثرها فى الدخل والمستويات المعيشية

الغريب ان السفارديم الذين يعيشون خارج اسرائيـل هم الجـالية الاكثـر ارستقراطية والاكثر غنى وثقافة ولكنهم فى اسرائيل يمثلون المجتمع الافقر والادنى مستوى ثقافيا واجتماعيا وماديا . وغنى عن البيان ان سببذلك يعود الى مايعانيه هؤلاء من التفرقة العنصرية التى تتجلى فاعطائهم فرص أعمال اقل وادنى مستوى مما يعطى لغيرهم وهذا بالطبع ينعكس على معيشتهم . فمعظم المناصب العليا فى الجيش والقضاء والحكومة والصحافة والادارة العامة هى للغربيين ، ويقول بهذا الصدد سلزر « ان اقل مايمكن ان نصف به هؤلاء هو قصر النظر والجشع غير الطبيعى للمناصب الســياسية القوية » . ولكن الجشع لايصل الى حد المناصب العليا فحسب بل انهم يلاحقون الشرقيين حتى على منصب مختار قـرية او مستوطنة حيث يستولون عليه بالرغم من وجود اغلبية سكانية من اليهـود الشرقيين ويدعون انه لايوجد شرقى يصلح لوظيفة مختار . ولا يتوقف الامر عنـد حدود الوظائف بل يتعداه الى الكنيست والوزارات ويقول بهذا الصدد الياهو اليشر رئيس الطائفة السفاردية : ليس للشرقيين تمثيل يذكر فى اى من منظمات الدولة فمن أصل ١٢٠ مقعدا لم تعط الاحزاب الاشكنازية لمرؤوسيهم الشرقيين سوى ٢٣ مقعدا وبالنسبة فى الهستدروت اقل . اما فى الوزارة فالحالة اسوأ من ان تصفها الكلمات فقد شغل اثنـان من اليهود الشرقيين وزارتين ثانويتين هما وزارتا البوليس والبريد من ٢٠ وزارة هذا فى بلد يبلغ عدد مواطنيه الشرقييـن من اليهود ٦٢٪ .

وتقول جريدة الهيرالد تريبـون فى ١٩٦٦/١٢/١٩ ان اليهود الاوروبيـن الذين يكونون ٣٥٪ من سكان اسرائيل يسيطرون على مجمل الحياة الاقتصادية والسياسية ، واما اليهود الشرقيـون القادمون من شمال افريقيـا والشرق الاوسط والذين يشكلون ٦٥٪ من السكان فهم فى الدرك الاسفل من سلم الحياة الاقتصادية .

هذا من ناحية العمل اما اذا حصلت ازمة بطالة فان نصيب الشرقيين يكون البطالة كلها وعندما انفجرت ازمة البطالة فى اسرائيل عام ١٩٦٦ واوائل عـام ١٩٦٧ أعلن ايجال آلون وزير العمل فى ذلك الوقت ان عدد العاطلين عن العمل بلغ ٩٦ الف عامل . وعلقت على هذا نشرة طائفة السفارديم بقولها « لم يقل وزير العمل ان هؤلاء جميعا من اسرائيل الثانية » .

٣ ــ التفرقة فى التزاوج

يقول اليهود الغربيون انهم سيتأثرون الى الاسوأ ان هم اختلطوا وتزاوجوا مع اليهود الشرقيين الذين يصفونهم بالكسل وعدم المثابرة على العمل وعدم الانتاج ويعتقدون انهم لابد سيؤثرون على صفات اليهودى التقليدية فى التقدم والقدرة على الاسهام فى ركب الحضارة .. لذلك فالزواجات بين الاشكناز والسفارديم نادرة جدا لان الاشكناز يعتبرون أن زواج بناتهم من الشرقيين سيدنى مستواهم .

وهناك طائفة من اليهود القادمين من الحبشة « الفلاشه » لايعترف بيهوديتهم فلا يجوز التزوج منهم ولا يجسرون ان يتزوجوا بيهوديات حتى ان احدهم قال عندما رفضوا زواجه من يهودية : لقد رفضت فى الحبشة لكونى يهوديا . وها أنذا أرفض هنا فى اسرائيل مع اننى يهودى .

٤ ــ التفرقة فى مجال التعليم

فى المدارس قلق دائم بين اليهـود الاشكنازيين على أولادهم الذين يجلسون على مقاعد الدراسة مع أولاد اليهود الشرقيين ويعرف هؤلاء ذلك ويشكون من التمييز وسوء المعاملة التى يلقاها أولادهم كما يشكون من عدم اعطـاء أولادهم الفـرص نفســـها التى تعطى لأولاد الاشكنازيين . هذا مع العلم ان عـدد التلاميذ الشرقيين فى المدارس على مختلف درجاتها قليل جدا اذا قيس بنسبة عدد الطلاب فيها من اليهود الغربيين .

وقد أوردت معاريف بتاريخ ٧١/٣/١٩ احتجاجا على التعليم فى أسرائيل على لسان يهودى من اصل مراكشى اسمه شاؤول بن سمحون قال فيه انه فى مراكش حيث يعيش اليوم نحو أربعة آلاف يهودى يتخرج من مدارسها كل سنـة طلاب يهود أكثر مما يتخرج فى اسرائيل كلها ، فقد تخرج فى اسرائيل فى العام اقل من ٥٠٠ طالب من شمال افريقيا وفى مدينة فاس يتخرج مئة طالب يهودى فى السنة .

وترك المدارس قبل التخرج أمر شائع بين اليهود الشرقيين ويعود فى معظم الاحيان لاسباب مادية أو نفسانية ، ذلك ان عائلاتهم لا تساعدهم ماديا او معنويا وكثيرا ما يضطرون الى ترك المدارس ليعملوا ويساعدوا عائلاتهم والسلطات المسؤولة تعرف هذا ولا تبذل اى جهد

للتغلب عليه بل انها تتهم الشرقيين بعدم حبهم للتعليم .

فى الوقت الذى يترك فيه أبناء الطائفة الشرقية المدارس لاسباب مادية تصدر وزارة التربية قرارا سنة ١٩٦٨ باعفاء أولاد المهاجرين الى اسرائيل سنة ١٩٦٣ وما بعد من دفع اقساط المدارس الثانوية ، وهى تقصد بذلك المهاجرين الغربيين الامر الذى دعا الشرقيين لمهاجمة وزارة التربية واتهامها بالتحيز ويقولون بهذا الصدد : أنها تحاول دائما تدليل الاغنياء والاقوياء ، وتحرم الذين هم فى الاصل محرومون .

هذا على مستوى التعليم ، اما على مستوى المعلمين فان وزارة التربية لا تهتم بمستوى المعلمين المعينين فى مدارس الشرقيين ، وتعين ذوى الخبرات الجيدة فى مدارس الطبقة المحظوظة والغنية ، الامر الذى يدنى مستوى الطلاب الشرقيين وبالتالى يكون نصيبهم الالتحاق بالمدارس الصناعية والزراعية فى احسن الاحوال .

بالاضافة الى تدنى مستوى المدارس وسوء وضع الشرقيين المادى هناك سبب موضوعة جميعها لتلائم العقلية والبيئة ثالث لتدنى مستوى الطلاب الشرقيين ، هو ان المناهج والاساليب فى المدارس الغربية والمعلمون جميعهم غربيون لتسهل الدراسة على أولادهم . وحتى يبقى أولاد الشرقيين على حد تعبيرهم « حطابين ونشالى ماء » .

٥ ـــ العمل على (تغريب) اليهود الشرقيين لازالة هويتهم

ان أخشى مايخشاه الغربيون هو تكاثر عدد اليهود الشرقيين وتحول اسرائيل الى بلد شرق أوسطى تندثر فيها اهداف الصهيونية مطامعها وتصل هذه الخشية الى حد الهلع الجنونى أحيانا اذ يتساءل البعض منهم همسا « هل سنتحول جميعنا الى سمر فى مدى خمسين سنة ! » .

لذلك تسعى السلطة باستمرار لتطبيق سياسة التغريب وذلك بالاساليب التالية :

«ا» تطبيق المناهج الغربية فى المدارس لجعل جميع أولاد اليهود الشرقيين اشكنازيى التفكير فالكتب جميعها والمناهج موضوعة بعناية لتناسب عقلية الغربيين وتنشر ثقافتهم وتاريخهم وتتغاضى وتقلل من شأن كل ماهو شرقى ولا تكترث به .

«ب» لا تعنى الاذاعة والصحف بتراث الشرقيين الموسيقى والفنى والفكرى والتاريخى وتهمل كل ما له صلة باليهود العرب ، ويقول مايكل سلزر بهذا الصدد « ان الدولة التى تسيطر على « كول يسرائيل » جعلت برامج الاذاعة مطابقة تماما لبرامج هيئة الاذاعة البريطانية مع فارق اللغة فقط . فالاغانى الشرقية لا تذاع الا قليلا ومن ضمن برامج ما يسمى « أغانى الجاليات » وبهذا تؤكد الدولة وجود « نحن » الغربيين « وهم » لليهود الشرقيين الذين هم فى نظرهم جاليات ، حتى فى مجال الدعاية والاعلام نجد السيطرة الاشكنازية الغربية متسلطة عليها حيث تحمل جميع الإعلانات والصور وجوها ورسومات غربية .

«ج» ومن مظاهر التغريب التفرقة التى تمارسها الوكالة اليهودية والحكومة فيما يتعلق بالانتخابات والتى تؤدى الى عدم حصول الشرقيين على اصوات انتخابية؛ لانها جعلت امكانية النجاح فى الانتخابات مرتبط بالامكانات المالية للمرشحين والاموال التى جمع فى الولايات المتحدة توضع بتصرف الدولة لتستمر فى سياستها العنصرية ولا سيما فى الحياة السياسية لأنها تعمد الى عدم ايصال اليهود الشرقيين الى الأموال التى تمكنهم من القيام بحملة انتخابية لصالحهم .

والوكالة اليهودية تقف ضد قيام اى مؤسسة أو اتحاد سفاردى او شرقى يدعو الى تحسين احوال الطائفة سواء فى داخل اسرائيل او خارجها . والوكالة تهمل تمثيل الطائفة فى اى من مؤسساتها . وقد تأسس الاتحاد العالمى السفاردى سنة ١٩٥١ فما كان من الوكالة اليهودية الا ان وضعت كافة العراقيل فى وجهه حتى يفشل كما منعت عنه الاموال ومارست فى الاتحاد سياسة فرق تسد حتى اضطر رئيس فرع الاتحاد فى اسرائيل الياهو اليشر الى ان يقدم استقالته احتجاجا على هذه السياسة .

«د» والهستدروت أيضا أداة من ادوات سياسة التغريب ، فهو فى تركيبه وخدماته واعماله يقوم على افكار واساليب غربية ، تخدم عقلية غربية ومجتمعا غربيا ، ولا يخلو الهستدروت كتنظيم اسرائيلى من التفرقة ضد اليهود الشرقيين أيضا اذ ليس نصيبهم من عضويته والاستفادة منه بأحسن من نصيبهم فى المجالات الاخرى ذلك ان عددهم فى عضويته لن يصل اطلاقا الى نسبة عددهم فى البلاد . .

«هـ» وتصل سياسة التغريب هذه فى اسرائيل وهوس المسئولين بتحويلها الى بلد غير شرقى الى القيام بدعوات تشجيع الغربيين من اليهود على زيادة النسل بتقديم مساعدات مادية للعائلات التى تنجب اطفالا وعدم معاملة اليهود الشرقيين بمثل هذه المعاملة بحجة انه لا يجب زيادة النسل عند المتأخرين وقد بدأت هذه الحملة بعد سنة ١٩٦٧ وعلى اثر ازدياد عدد السكان العرب فى المناطق المحتلة ولكن المنادين بهذه الحملة خافوا ان يستجيب لها الشرقيون فكانوا يستدركون ويقولون بأن التشجيع يجب ان يقتصر على المتعلمين والمتقدمين وانهم يجب ان يعنوا بالكيف لا بالكم ، بنوع الاطفال لا بكثرتهم .

لقد كتب أحد المنادين بعدم تشجيع ازدياد النسل عند الشرقى واسمه شبطاى تيفت فى جريدة هاآرتس يقول : بأن المساعدات التى ستذهب للعائلات الشرقية من اجل انجاب الاطفال وتربيتهم يصرفها أرباب هذه العائلات ويتركون الاولاد على ماهم عليه من تاخر فأثار هذا الكلام حفيظة الشرقيين الذين ردوا عليه بقولهم : ليسوا هم « يعنى الغربيين » فقط الذين يعرفون كيف يربون أولادهم وان الانسان اذا كان متأخرا ليس من الضرورى ان يظل كذلك كل حياته ، ويجب أن يعرف السيد تيفت بأن الشرقيين ليسوا دائما مسئولين من تأخرهم « لقد سبق لهذا الشخص ان كتب عن تخوفه من أن تصبح اسرائيل شرقية ، أفليس من المعقول ان يكون ماكتبه عن تشجيع العائلات الاوروبية على انجاب الاولاد بسبب هذا التخوف ؟؟ » .

لقد قال الياهو اليشر زعيم الطائفة السفاردية حول التغريب : « انهم يريدون تطعيم كل اليهود بثقافة غربية اشكنازية وتجاهل كل الثقافات الشرقية متبعين بذلك ما أراده لورد ماكولى بالهند . » خلق مجتمع من اناس هنود بدمهم وبلونهم ولكن انكليز بذوقهم وأفكارهم وعاداتهم وثقافتهم .

هذه هى بعض مظاهر مايمارس على اليهود العرب من الوان التمييز العنصرى والتفرقة والاضطهاد ، وهى التى جعلت الكثيرين منهم يأسفون على الوقت الذى اضطروا فيه لمغادرة اوطانهم وراء سراب خداع وآمال زائفة ويلعنون كل من كان وراء اقتلاعهم من ارضهم وانتزاعهم من أوضاعهم المالية والاقتصادية والاجتماعية الممتازة ليصبحوا بالنتيجة عمالا فى المستوطنات يمارسون تقديم الخدمات للغربيين مقابل حصولهم بالكاد على الكفاف ، لقد عبر عن الشعور بالغربة اليهودى المغربى مئير بن حاييم فى خطاب القاه أمام اللجنة المركزية لحزب ماباى اذ قال : عندما كنت فى

الدار البيضاء بين العرب كنت اشعر بأني واحد منهم واني انتمي اليهم أكثر مما اشعر بانتمائي لكم انتم في اسرائيل .

ولكن الياهو اليشر ، رد على تبريرات الغربيين للتفرقة بادعاء أن الشرقيين ينقصهم الاستعداد الثقافي والحد الادنى من المدنية ، رد بمرارة المغلوب على امره وبحسرة المظلوم « خسارة ان الانسان لا يستطيع ان يختار من يكون والده ولا ان يحدد المكان الذي يريد ان يولد فيه . تصوروا كم من الناس بيننا ، كانوا سيختارون كندا او الولايات المتحدة بدل ان يكونوا خلقوا في الشرق الاوسط الذي هو مكروه » .

اما ردود فعل سياسة التمييز العنصري فهي كثيرة وكثيرة جدا وكانت بدايتها واخطرها ثورة وادي الصليب في مدينة حيفا ، ثم تبعتها سلسلة من اعمال العنف والمظاهرات والاضرابات شملت معظم المدن والقرى التي يعيش فيها الشرقيون ولا زالت حتى أيامنا هذه تبرز بين الفينة والاخرى ردود فعل تعبر عن استياء الشرقيين وتترجم آلامهم واحزانهم ، وقد حاولوا ان ينظموا صفوفهم من خلال بعض الحركات السرية كحركة الفهود السود ، الا ان السلطات الاسرائيلية استطاعت ان تمزق هذه الحركة وان تشوه وجهها وتقضي على وحدتها ورغم كل جهود السلطات فلازالت اجنحة منها متماسكة وتحاول ان تسمع صوتها للعالم .

لقد ظهر في القدس مؤخرا كتاب نشره مجلس الطائفة السفاردية اسمه « الخروج من العراق » كتبه محام عراقي يهودي اسمه اسحاق بارموشيه يسرد فيه بأسلوب قصصي الاحداث الدامية التي وقعت لليهود في العراق . ويوضح الحقائق التي اجبرت اليهود على الرحيل ويحدد الدور الذي لعبه نوري السعيد وحكومته والانكليز والمنظمة الصهيونية السرية في العراق في تهجير اليهود واقتلاعهم من جذورهم بعد ان عاشوا في بغداد قرونا طويلة وشكلوا طائفة هي أعرق طائفة يهودية في العالم . ولكنه في نفس الوقت أيضا يتحدث بمزيج من الالم والندم عن وضع طائفته في اسرائيل فيقول :

« كنت أتجول بين القادمين الى البلاد كلما سنحت لي الفرصة وابحث عن معارفي واهلي واصدقائي عندما بدأت الطائرات تصل باعداد كبيرة كل يوم وحين لم يعد لاسرائيل مفر من دفع ثمن تلكؤها وبيروقراطيتها التي طالت واستطالت . فاستقبلت خلال السنة التي حددها القانون العراقي الركام الانساني الذي تمخضت عنه شهور الانتظار واخطار الجوع . وتحول الجميع الى اعزاء ذلوا واستبيحوا مرتين : مرة بأيدي حكومة العراق الرجعية الجائرة الفاجرة ، ومرة اخرى بأيدي حكومة اسرائيل التقدمية التي لم تبلغ بها المعرفة ، ادراك خطورة ماقامت به تجاه طائفة يهودية من أعرق وأعظم الطوائف .

ولقد تعرضنا في اسرائيل لحرب تربوية سافرة ، كان الجهل يخيم على عقل كل من عرفناه ، كان الجهل بنا وبماضينا هو الاهانة الكبرى التي شعرنا بها ونحن نتجول كالاشباح نترصد الاعمال المؤقتة ونبحث عن أمكنة سكن ملائمة ، او نقضي أوقاتنا في معسكرات الاستقبال أو فيما يسمى بالمعابر التي اخذنا نسميها المقابر ونحن في اتم الجد . وظهرت للجميع مخاطر من نوع لم يحلموا به ولم يفكروا في امكانية وجوده اصلا . كان أعظم وأشنع هذه الاخطار هو خطر انهدام الوحدة العائلية ، فقد اضطر الاباء الى الاعتماد على الابناء البالغين وخرجت النساء الى حياة العمل ، وأصبح للمسافات تبعتها ، تفرقت العائلات ايدي سبأ ، الشباب مجندون ، البنات والاولاد يعملون كل على مسافة من البيت أو التخشيبة والاب اما هبط الى الارض يعمل بها بالفأس بعد ان نسي تجارته ومهنته القديمة ، واما اقعده الهول والمرض عن ذلك فاكتفى من الغنيمة بمساعدات الابناء .

واكتشفنا نحن في اسرائيل أن المنظمة السرية [الصهيونية] التي سايرت اليهود العراقيين وسارت بهم الى هذه البلاد قامت بسلسلة أخطاء لم يدرك خطورتها أحد في تلك الايام وانها كذلك اهملت اعمالا اجرامية عددا من الامور التى كان من الواجب عدم اهمالها .

لم تكن طائرات المهاجرين قد انقطعت عندما اصبح القادمون مهاجرين مشتتين حقا وصدقا ، وقد قدموا خالي الوفاض من كل شيء . وظهر لنا في تلك الايام ان احدا في اسرائيل لم يكن ينتظر ان نأتي الا هكذا . واننا بالنسبة للجميع كان يجب ان نأتي هكذا . كنا نتذكر مؤسساتنا العظيمة واثارنا المجيدة ونحن نتبادل نظرات خرساء . وعندما كنا نتقدم نحو الوسط الاسرائيلي الثابت الاركان بحكم كونه قد وصل قبلنا وضرب خيامه قبلنا ، فقد كنا نتبادل نظرات نكراء ، لم يكن احد طرفيها أفهم الطرف الاخر .

وأصبحت ثقافتنا وتربيتنا ومعارفنا وتقاليدنا هي القيم المعنوية الوحيدة التي تصاحبنا ولم يعد أحد منا يهتم او يتألم لعدم معرفة أحد من الاسرائيليين بذلك . واكثر من ذلك فقد ظهر لنا ان مانحمله من قيم معنوية يجب ان يستتر حالا والى أبعد الحدود .

كانت قوافل المهاجرين تتزاحم على ابواب اسرائيل . ونحن نكتشف اسرائيل بعد ان تأكد لدينا ان الاحلام التي داعبتنا كانت مجرد أحلام ، وان علينا ان نناطح صخرة الواقع وكأننا مهاجرون حقا وصدقا ، وليس أبناء للبلاد .

ان أصعب ما صعب علينا هضمه هو ان البلاد التي قدمنا اليها لم تكن تعرفنا مثلما كنا نحن نعرف انفسنا وتاريخنا . وقد تعزز لدينا الاعتقاد وبمرور الزمن بأن الجهل لم يكن جهلا وانما تجاهل مقصود وفي كل دراسة طالعناها عن يهود أوروبا الشرقية ، كنا نحمل على الاعتقاد ان هؤلاء فقط هم يهود العالم والامكان بينهم لليهود المعروفين الاصل والفروع ، والقادمين من الشرق . كان هؤلاء وبهينا معا ان تخلوا الكتب المدرسية من تاريخنا ومن ثقافتنا ومن اسماء كتبنا ومثقفينا وحاخامينا وعلمائنا وشعرائنا ووجهائنا . نحن الذين انتجنا في القرن الاخير فقط طائفة من أحسن كتاب العراق وقضاتها ومفكريها ، كنا نستجدي هنا اعتراف البلاد بنا . فشعرنا احيانا اننا كالايتام في مأدبة اللئام .

لقد عاد اليهود الى أرض الاباء والاجداد ليس شعبا واحدا بل شعوبا عديدة ، شعوبا يجهل الواحد الاخر ويتنكر الواحد للاخر . كنا نقول لانفسنا ان الفروق والخلافات ستختفي على مر الايام .. الا ان مر الايام كان يؤكد لنا ان مالا نقوم به نحن لكي تختفي الفروق والخلافات لن يقوم به أحد ، لا من أجل مصلحتنا ولا من أجل المصلحة العامة . لم نجد في اسرائيل كلها الا عددا قليلا جدا من سكان البلاد الاصليين ممن يعرف من هم يهود العراق وما هو تراثهم الروحي والوجداني ، وأي خزائن من الثروات الروحية والعقلية كنا نجلبها معنا من تلك البلاد .

لقد اكتشفنا اننا بسبب عاداتنا وتقاليدنا واخلاقنا وتراثنا ، كنا على

استطاعة ومقدرة عظيمتين لكى نفهم الاخرين ولم يكن الاخرون ليقدروا على فهمنا بعشر معشار ما نحن قادرون عليه .

شىء واحد اكيد كانت الغالبية العظمى تؤمن به وتحسه ، فى تلك الايام العصيبة ، ايام المخيمات والمعابر ومعسكرات الاستقبال هو اننا قدمنا الى هنا بفعل الاضطهاد فى العراق الذى جعلنا مؤمنين باسرائيل ، اكثر مما قدمنا لان ايماننا باسرائيل كان من اسرار اضطهادنا فى العراق . شعرنا بعد قدومنا اننا مازلنا طائفة قائمة بذاتها فى هذه البلاد ويضمن مجموعة الطوائف التى يتكون منها الشعب الاسرائيلى . وآنذاك فقد داهمنا الشعور المخيف والمحزن معا بأن السكان الذين سبقونا كانوا يصفوننا باننا عراقيون . كنا نتذكر بحزن شديد أن حكام العراق الرجعيين وخدام الاستعمار البريطانى كانوا يصفوننا باننا يهود . وقد تركنا العراق كيهود . ووصلنا اسرائيل كعراقيين ، كان المنظر مأساويا ومضحكا فى نفس الوقت وقد ساعدنا الحكام العراقيون على تأكيد وتثبيت يهوديتنا ، وهاهم اليوم أبناء ديانتنا وجلدتنا يساعدوننا مرة أخرى على تأكيد وتثبيت عراقيتنا ، كان الشعور العام مؤلما ومثيرا للحزن فى آن واحد .

ولم يكن عجيبا والحالة هذه ان نتذكر الحقيقة البسيطة والخافية معا وهى ان التوراة وكتب الانبياء ، قد كتبت فى ارضنا وان الانبياء اليهود المعروفة قبورهم يثوون فى أرض العراق وقد حافظنا عليهم نحن العرب كما يحافظ الانسان على بؤبؤ عينه . وان العرب فى الديار المقدسة كانوا أحسن الحراس واكثرهم امانة لقبور اجدادنا واجدادهم معا فى الخليل وغير الخليل وان تاريخنا وتاريخهم فى هذه الديار يرتبط ارتباطا عضويا كما ارتبط تاريخنا وتاريخ العرب فى بلاد مابين النهرين واكتشفنا لذلك ان المستقبل هو للارتباط وليس للانفصال وان عوامل القرب هنا وهناك كانت وظلت وستظل أكبر من عوامل البعد .

اذا كان هذا هو لسان حال اليهود العرب فى أرض الميعاد . وهذه هى احوالهم فان ذلك يجرنا بالتالى الى تساؤل مهم ، طالما ان اليهود فى مايسمى بدولتهم يضطهدون بهذا الشكل ويحرمون من أبسط الحقوق وأقلها وهم الاغلبية العظمى من سكانها ، هم العناصر الفعالة والعاملة والمنتجة ، وهم الجنود والحراس والشرطة ، وهم العمال والفلاحين وصغار الكسبة ، فلمن اقيمت هذه الدولة طالما ان ثلثى اهلها مضطهدون ويمارس عليهم تمييز عنصرى . وبتعبير آخر من أقام هذه الدولة ؟ من صاحب المصلحة فى اقامة هذه الدولة ؟؟ ان هذه التساؤلات تضطرنا الى الاجابة على سؤال اشمل وأعمق بل وأخطر .. من الذى ابتدع الصهيونية صاحبة الفكرة فكرة الدولة ، ومن الذى وضع لها أفكارها وايديولوجيتها ، ومن هو صاحب المصلحة الاساسية فى ابتداعها ؟؟ .

انتهى الفصل الاول وننشر فى العدد القادم الفصل الثانى تحت عنوان « من الذى يحتاج الى دولة - يهودية فى فلسطين » .



مايو ١٩٧٦

ملحق



الأدب و الفن

□ التابع ينهض : مدخل لدراسة أدب العالم الثالث

□ الجديد فى فنون العالم :

السينما .. فى الهند واليابان واليونان وأمريكا اللاتينية

قصة قصيرة :

حكاية الصعيدى الذى هده التعب فنام تحت حائط الجامع القديم

قصيدة .

يتجاسر الدم والبلاد

الادب والفن فى شهر :

- مسرح : المهرجان السابع لمسرح الاقاليم
- رواية : « صدمة طائر غريب » : البحث عن الفردوس المفقود .
- مهرجان بغداد لافلام فلسطين :
  — بحث عن سينما نضالية عربية
- لوكينو فيسكونتى : ارستقراطى ثار على طبقته .
- تعليق : واقع المراة المصرية فى عملين جديدين

التابع ينتفض

مدخل دراسة أدب العالم الثالث

د. رضوى عاشور

لان الامبراطورية البريطانية لم تكن لتغيب الشمس عنها صار طبيعيا بل وحتميا أن تسود ثقافتها أو ادبها وأن يتعلم الناس لغتها ويتطلعوا الى أنماطها الحضارية كمثل تحتذى ، وبدرجات متفاوتة تمتعت بلدان الامبراطوريات الاخرى التى كست وجه الارض — كمرض جلدى — بسيطرة ثقافية وحضارية « فرنسا ، أسبانيا ، البرتغال .. الخ » . وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت الولايات المتحدة الامريكية تصعد السلم الامبريالى . واذ استوت على عرشه اخذ ملايين البشر يلوون أعناقهم باتجاهها ، يسارعون للتشبه بصورتها . وصورة السيد الامبريالى « كيف يأكل ، كيف يشرب ، كيف يلبس ، كيف يرقص ، كيف يحب ، ماذا يقول ، ماذا يدرس ، ماذا يقرأ ، ماذا يحلم » هى الاكثر الحاحا على وجدان ابناء الطبقات الوسطى فى المستعمرات السابقة المشغلين دائما بأن يكونوا « عصريين » « ومتمدينين .

اما ادب البلدان السيدة وفنها ، وهو ما يهمنا اساسا فى هذا المقال ، فيوضع على قاعدة عالية مهيبة بحيث يراه كل « الاتباع » فى كل بلدان العالم الثالث . ونصير نحن « الاتباع » نطوف حول القاعدة فتمتلىء نفوسنا بالرهبة والتهيب ، ونسبح بمجد الاسياد فى الاعالى . نوقن بعظمة السيد ويصغرنا وبأنه لن يمكننا ابدا أن نضاهيه فى حضارته ونظامه وتفوقه : **انه سيد وفى تفوقه الحضارى تبرير سيادته .** ونصير نحن نرى أنفسنا فى ضوء وقفتنا هذه ، صغرنا الضئيل امام شموخ القاعدة التى يرتفع عليها التمثال . « ولا أقول هنا ان التمثال قبيح اذ لاتتسم دعوتى بالعنصرية المضادة التى تدعو الى رفض ادب الغرب وثقافته . ذلك لانهما اسهام له وزنه وقيمته فى التراث الانسانى . وحركة الترجمة والنقل التى بدأت هنا فى مصر منذ عهد محمد على والتى شهدت أوجها فى بداية هذا القرن كانت ضرورة لاجدال فى هذا . وان مجهودات جيل الرواد ، طه حسين والعقاد وسلامة موسى .. الخ ، كانت اسهاما بناء ، حيث أن نهضتنا لم تكن ممكنة الا بالاستفادة من انجازات حضارة تفوقت علينا حتى ولو كان ذلك من طريق نهبنا . » ليست دعوتى ، واكرر ، ضد

ثقافة الغرب ولكنها دعوة ضد اعتبار هذه الثقافة هى الكمال المطلق والمقياس الاوحد لكل الانجازات الحضارية الاخرى . ان هذه النظرة لادب الغرب وثقافته والسعى لاقرار الغرب وثقافته والسعى لاقرار الغرب لنا كصديق لابديل له لاقرارنا لانفسنا هى احدى المخلفات الكريهة للتركة الاستعمارية . ان لهاثنا وراء مانسميه « خطأ » بالعالمية هو احد مظاهر هذه التركة . فالعالمية بالنسبة للعديد منا هى ان تصل اعمال هذا الكاتب او ذاك مترجمة الى القارىء فى احدى البلدان السيدة . والرواج التجارى لعمل من اعمالنا الادبية فى الغرب « بصرف النظر عن قيمته الفعلية والانسانية » يجلعنا نهلل ونكبر . فان تقع عين السيد على التابع ، ان يطرى عليه فهذه دائما فرحة يبتهج القلب لها !

دعوتى اذن وباختصار هى التوجه لدراسة آداب وفنون العالم الثالث ، آداب وفنون آسيا وافريقياوأمريكا اللاتينية. ولعلى هنا أحتاج للتوقف بعض الوقت لكى أحدد مفهومى للعالم الثالث وحتى لايكون بالامر لبس:

يضم العالم الثالث شعوب افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والسكان الاصليين « الهنود الحمر » بالولايات المتحدة والسود والشيكانو من اهلها . ولاينتمى المستوطنون البيض فى روديسيا وافريقيا الجنوبية والصهاينة فى فلسطين الى العالم الثالث طالما اختاروا ان يشكلوا استعمارا استيطانيا ويكونوا ادوات لقهر السكان الاصليين واستغلالهم وطالما رفضوا الانتماء والاندماج والتفاعل الخلاق مع اصحاب الارض الاصليين .

وتمثل دول العالم الثالث كتلة متجانسة وليس ذلك على اساس عنصرى فلا أدعو هنا لوحدة الملونين على الارض لانهم ملونون ، ولكنى أدعو لتكتلهم لان بينهم تاريخا مشتركا وواقعا اقتصاديا متقاربا ينعكس فى انماط حضارية متشابهة . ولهذه البلدان ماض ضارب فى القدم والعراقة . وحضارات كانت مزدهرة ثم تحطمت لاسباب متعددة ، اهمها نهضة الغرب الاوروبى بدءا من القرن الخامس عشر ، و « اكتشاف » الاخرين عبر الفتوحات الجغرافية . ان نهضة الغرب الاوروبى كانت على حساب افريقيا وآسيا والسكان الاصليين فى الامريكتين . ولقد كان استغلال انسان العالم الثالث قاعدة القواعد الرئيسية لتطور الراسمالية الغربية ، ولقد تسبب هذا النهب الاقتصادى « نهب المواد الخام والاراضى والبشر » فى تخلفنا تماما كما ساهم فى تقدم الغرب .

« أو ليست امريكا مثالا نموذجيا : اكتشف الارض أيها الانسان الاوروبى المجد . هل وجدت على الارض سكانا ؟ اقض عليهم ! فهؤلاء « الهنود الحمر » متوحشون برابرة . وهذه الارض حلال لك تبنى فيها وتشيد . واستجلب من سود الارض ، من افريقيا ، عبيدا ! هل وجدت ذهبا ومناجم خير فى غرب القارة ؟ اذن فازحف بجيوشك ورجالك وليكن فتحا باسم الرب موفدك ! وما تبقى من هنود فروا الى الغرب قهرا او قسرا ؟ اقتلهم او حط بهم فى مستودعات لايكون لهم سواها . واغز ارض المكسيك وضم منها ما استطعت واسب أهلها فيكونوا فى أرضك خدما ملونين .. وتكون امريكا .. وعلى مينائها الشرقى يرتفع تمثالها عاليا باسم الحرية سلاما حرية امريكا غير ملوثة اليدين من دماء سكان أصليين أو عبيد او مكسيكيين ! »

ان العالم الثالث اذن يشترك فى ماضى اضطهاده ونهبه وفى حاضر تخلفه الاقتصادى ونضاله الدائب من أجل التحرر والنهوض . والعالم الثالث ليس عالما ثالثا باختيار نظام اقتصادى ثالث اذ اختلف مع القائلين بهذا الراى . ولكن تاريخه وحاضره الاقتصادى وانماطه الثقافية السائدة تتشابه فتجمعه وتفصله عن الغرب الرأسمالى وعن أوروبا الاشتراكية المتقدمة اقتصاديا . ان كوبا وفيتنام وكوريا الشمالية مثلا اذا انتصرت كدول اشتراكية فهى تظل حضاريا جزءا من العالم الثالث فيما تواجهه من تركة التخلف الاقتصادى والاجتماعى « مشاكل التصنيع والامية والتعليم .. الخ » التى خلفها الرجل الابيض . وتكون هذه البلدان التى بدات رحلتها للاشتراكية العلمية سباقة لغيرها من دول العالم الثالث وهى بهذا تشكل المستقبل الحتمى لباقى دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . وفى ضوء هذه الحقيقة يمكننا ان نفهم هستيريا الولايات المتحدة وسياستها الحالية تجاه العالم الثالث . اذ ان تكتل هذه البلدان — التى حقق بعضها نظما اشتراكية وتتقدم شعوب الباقى منها بالحاح نحو الاشتراكية — يشكل قوة مخيفة للامبريالية بما انها تكتل للغالبية العظمى من سكان هذه الارض : **نحن اذن ملونو الارض**

ويقرأوها ، الاتباع في الماضي ، أصحاب المصالح الحقيقية ، أصحاب الأرض والكامن في باطنها من ثروة : أصحاب التاريخ ، وأيضا أصحاب المستقبل .

والمستعمر اذ يدخل بلدا لا يكتفي بنهب اقتصادها واستعباد أهلها ولكنه أيضا يعمل على تدمير ثقافتها . اذ ان الانسان المستعمر « بفتح الميم » حين تحطم ابنيته الحضارية وتخلخل أنماطه الاجتماعية يصبح عاريا في مواجهة الغازي فتقل قدرته على الصمود والمواجهة . بعدها يصبح من السهل ملء هذا الفراغ الثقافي بما يخدم مصالح السيد والسيد يريد أن يجعل التابع يعتقد أنه هزم لانه غير متحضر ولا متمدين وبحاجة للخلاص الحضاري المتوفر لدى الاسياد فقط . ولقد لجأ المستعمر « بكسر الميم » في غالب الاحيان الى انكار تاريخ وحضارة البلدان التي استعمرها « وهناك طبعا استثناءات كمصر والهند حيث كانت الحضارتان ارفع من ان يستطيع احد طمسهما » . وهكذا اشاع الاوربيون ان افريقيا السوداء بلا تاريخ ، أو حضارة وان الافريقي متوحش همجي . واشاعوا صورة للسكان الاصليين في امريكا « الهنود الحمر » اعتقد اننا نعرفها جيدا من الافلام الامريكية التي غمرت الاسواق السينمائية في العالم كله . ان السكان الاصليين في نظر المؤسسة الامريكية همجيون متعطشون للدماء لا حضارة بهم ولا ثقافة . ويظل المستعمر يشيع هذه الصور الخادعة ويعممها ويدعو لها في كل أجهزته الاعلامية والثقافية حتى يصدقها أبناء المستعمرات عن بعضهم البعض وحتى عن أنفسهم .

وظل الكثيرون منا هنا في مصر حتى الآن يجهلون ان من يسمون « بالهنود الحمر » كانوا شعوبا وقبائل لهم ممالكهم المزدهرة وحضارتهم العظيمة التي تشهد عليها الاثار القديمة في المكسيك وبيرو وغيرها من بلدان الامريكتين . ويظل الملايين من ابناء اسيا يتبنون صورا مشوهة اشاعها بينهم المستعمر « بكسر الميم » عن رفاقهم الافريقيين .

فقط حين تتداعى سيطرة الغازي ويصبح نفوذه امرا مسلما به لا يشك فيه حتى من قبل التابع نفسه يصبح بالامكان اكتشاف الكنوز الفنية للمستعمرات وابراز جمالها والتفاخر بها . ويأتي من يدرجه السيد الذي كان مرة همجيا تبعه يكدس في متاحفه الاثار الفنية التي نهبها منه .

وتكتظ متاحف الاسياد بمجموعات كاملة من اثار اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تمتلىء بها القاعة تلو القاعة ليس فقط في متحف اللوفر والمتحف البريطاني ومتحف الميتروبوليتان بنيويورك ومتحف الفنون الجميلة في بوسطون ولكن ايضا في المتاحف الاقليمية الصغيرة المتناثرة هنا وهناك في ارض السيد . وان كانت لدينا الرحابة ، نحن أبناء وبنات المستعمرات السابقة ، التي تجعلنا نؤكد ان تراثنا الحضاري ملك للانسانية جمعاء . فلا يعني هذا ان تكدس آثارنا في أربع او خمس عواصم غربية ولا توزع بالتساوي على عواصم العالم ومدنها . « ففي الوقت الذي تكاد تخلو فيه بلدان القارة الافريقية من أثر مصري قديم واحد ولا يوجد اي متحف للفن المصري القديم في العواصم العربية تتكدس آثارنا في لندن وباريس وبرلين ونيويورك وواشنطون وبوسطون وغيرها من المدن الغربية . وحتما سوف تحين الساعة التي يرتفع فيها صوت أبناء العالم الثالث مطالبين باسترداد كنوزهم المنهوبة وباعادة توزيع هذه الكنوز وبشكل عادل يتيح لكل بنات وأبناء هذه الارض ان يعرفوها ويستمتعوا بها . **لقد حان الوقت الا يكون السيد الامبريالي وسيطا بيننا ، نحن شعوب العالم الثالث : نذهب اليه للتعرف على بعضنا البعض أو حتى للتعرف على انفسنا .**

ان غالبية بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية لها ادغالها السحرية المدهشة والحيفة في تراثها والتي يمكن أن نتعلم منها الكثير . هذا بالنسبة لتراثها الحضاري اما بالنسبة لارقى ما تنتجه حاليا والذي يستمد جذوره من هذه الادغال احيانا ولا يستمدها منها في احيان اخرى فهو مرتبط دائما بحركة التحرر الوطني . احيانا اخرى فهو اسير حركة التحرر الوطني عاكس ما يعكس الصراع بين القوى الوطنية من ناحية والمستعمر بكسر الميم من ناحية اخرى سواء اكان هذا الصراع صراعا عسكريا أو اقتصاديا او ثقافيا كما يعكس ايضا المواجهة بين الجناح الذي حل محل المستعمر بعد الاستقلال من ناحية وبين المثقفين الثوريين والكادحين الذين ظلوا على حالهم مستغلين مطحونين من ناحية اخرى . ومن هنا فان قراءة رواية افريقية أو مشاهدة لوحة من المكسيك مثلا اذ تثرينا انسانيا اثرائها المستمد من تراث

عريق وضارب فى القدم فهى ايضا تقدم لنا مضموب يلقى بأضوائه على واقعنا فيزيد من فهمنا واستيعابنا له . ان الواقع الاقتصادى المتقارب والتجربه المشتركة كمستعمرات سابقة والظروف السياسية والاجتماعية المتشابهة تقارب بين الانماط الثقافية فى هده البلدان وتخلق حسسيات متقاربة الى حد بعيد سواء لدى الفنان الخالق أو لدى القارىء أو المشاهد .

وان دعوتى للتوجه أكثر هى آداب وفنون العالم الثالث دعوه للتعرف وتوثيق الروابط بين رفاق المسيره وهى اثراء لأنفسنا ولبعضنا البعض واعاده للتوازن بين القوى فى هذا العالم . لقد نال ادب الغرب وثقافته الكثير من اهتمامنا وحان الوقت لكى نرى ونعرف ونحب ونثرى بعضنا البعض . أدعو لهذا أيضا وأنا ارى العديد من الاشكال الحضاريه فى الغرب تتدهور بشكل مخيف يعكس التدهور الفعلى فى الحضارة الراسمالية وحتى لا نكون قرودا مقلدة لما لا يمثلنا ولا يعكس واقعنا الم يكن شيئا محزنا — او مضحكا — ان يصبح لدينا مسرح مصرى للعبث ونحن ننهض ونتحرر ؟!» . ان استفادتنا الحالية من ثقافة الغرب وأدبه يجب أن تكون على درجة عالية جدا من الانتقاء . باختصار علينا ان نكون حذرين واعين فالرجل الراسمالى الابيض دب فى جسده المرض . وهو يسرى فيه . فليكن اقترابنا منه بخوف وبحذر . ان تبعيتنا فى الماضى تؤهلنا الان للعب دور فريد فى ثقافة العالم . واستعير هنا مثلا استخدمه كاتب نيجيرى صديق قال ، لقد كنا نحن كتاب افريقيا كالخدم فى البيوت، خدم غير محسوس بوجودهم ان السيد لا يرى خدمه ولا يعرف عنه شيئا « اللهم الا المعلومات اللازمة للوصول اليه لو وجد شيئا مفقودا بالبيت » . اما الخادم فيسمع كل ما يدور داخل الاسرة ويعرف كل شىء عنها . وهنا انتقل الى كاتب العالم الثالث لاطبق مثل صديقى الافريقى . أن الكاتب والانسان عموما فى عالمنا الثالث يعرف الغرب وثقافته معرفة كبيرة « الغرب الذى لا يعرف عنه سوى المعلومات الضرورية لاستغلاله ، فلو عرفنا أنفسنا أكثر لصرنا متفوقين عليهم بالمعرفة ولنمت الدنيا القدرة على فهم العالم واستيعابه ولصرنا ركنا هاما فى بناء عالم حر فعلا ، لا أتباعا فى العالم « الحر » المزيف الذى تسوده حاليا الامبريالية والراسمالية .

ان مواجهة الاستعمار الثقافى المتمثل فى النقل غير المتوازن لآداب الغرب وفنونه الغث منها قبل السمين يستدعى من المثقفين التقدميين الى جانب تبنى الحذر والروح الانتقائية ، التوجه بوضوح الى منابع أكثر اصالة وجدة للثقافة العالمية .

ويستدعى منا هذا التوجه لثقافة العالم الثالث ليس فقط التعريف بها بواسطة هذا المقال او ذاك ولكن أيضا عن طريق اعداد الدارسين المتخصصين والمترجمين وعن طريق التبادل الثقافى البناء . لقد كان من الطبيعى ان يكون لدينا أقسام للغات والاداب الانجليزية والفرنسية دون غيرها نتيجة للسيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية التى مارستها هاتان الدولتان كقوتين استعماريتين أما الان فنحن نطالب بألا تقتصر هذه الاقسام فى مقرراتها على تدريس الادبين الفرنسى والانجليزى بل تشمل آداب العالم الثالث المكتوبة بهاتين اللغتين وخصوصا الاداب الافريقية . كما أن هناك ضرورة لان أقسام للغات التى يتحدث بها مئات الملايين من سكان هذه الارض . فاللغة الاسبانيه مثلا هى لغة شعوب امريكا اللاتينية كلها باستثناء البرازيل كما يتحدث بها الشعب المكسيكى فى امريكا الشمالية والمكسيكون — الامريكيون « الشيكانو » داخل الولايات المتحدة والذين يقارب عددهم تسعة ملايين نسمة .

ولعله من الضرورى أيضا أن تعتنى الدولة أكثر ماديا وبشريا بمعهد كالمعهد العالى للدراسات الافريقية . أما بالنسبة لكليات الفنون فقد حان الوقت الا نقتصر الدراسة فيها على النماذج الفنية الغربية بجذورها اليونانية الرومانية ولكن أن تتسع لتشمل الانتاج الفنى العظيم لشعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية . أما فى ميدان السينما فعلينا فى نفس الوقت الذى نقف فيه فى مواجهة القيم الهابطة التى تروج لها السينما التجارية الغربيه ان نقدم النماذج الجيدة من افلام العالم الثالث . أن القليل جدا من الافلام الافريقية والاسيوية « باستثناء الافلام الهندية التجارية » وافلام امريكا اللاتينية الذى عرض فى مصر عرض للاسف فى عروض خاصة محدودة .

فليكن التوجه نحو آداب وفنون العالم الثالث ، والتعريف بها مهمة مطروحة على المثقفين التقدميين ، وانني أبدا مجهودا متواضعا بهذا المقال ، آملة أن تتلوه مجهودات أخرى فى نفس الاتجاه ■

السينما
في ○ الهند
○ اليابان
○ اليونان
○ أمريكا اللاتينية
هل يصبح الفيلم بديلا لحركة الجماهير ؟

راوية صادق

كان استخدام السينمائيين لمصطلح « السينما السياسية » تعبيرا عن رغبتهم في المشاركة في الاحداث السياسية والاجتماعية التي تمر بها بلادهم . وهذه الرغبة المشروعة تماما تصبح مجرد افكار مثالية عندما تفرض على السينما شكلا واحدا وقالبا لا يتغير .

فالتقسيم العام للسينما الى « سينما ـ المشهد » و « سينما الطليعة » لا يعني ، بالضرورة ، أن كل سينما تعتمد على المشهد » هي سينما تجارية ورجعية ، ولا يعني ، ايضا ، أن كل سينما « طليعية » هي سينما ثورية حقا ، وقادرة على الاسهام في تغيير المجتمع تغييرا جذريا .

فوظيفة الفيلم الاساسية وظيفة ثقافية وايديولوجيه ، اى لا يمكن للفيلم أن يكون بديلا عن اشكال الحركات الجماهيرية المختلفة ، ولا ينحصر عمل السينمائي المناضل في خلقه لافلام سياسية ، بل يمتد ليشمل النضال الاجتماعي الواعي ، عن طريق الانتماء الى الحركات السياسية التقدمية ، فالسينمائي السياسي هو الذى لا يعتبر الفيلم هدفا في ذاته ، بل وسيلة . وهو لا يبحث في الفيلم عن وسيلة « للتعبير عن نفسه » وانما يعبر ، في فيلمه عن « اشياء محددة ، ويتحدث عن اشخاص محددين ، ويريد لفيلمه أن يلعب دورا سياسيا في اطار حركة سياسية تتخطاه » .

اما الفكرة الشائعة حول صعوبة الافلام السياسية ، وجفاف موضوعاتها وعدم تقبل الجماهير لها ، فهي تنسى او تتناسى ان جوهر السينما السياسية هو الكلمة السياسية وبينما لم يعتد الناس الحديث عن المقولة السياسية بشكل سينمائي ، شأنهم في ذلك شأن الاذن ، التي لم تعتد تذوق الموسيقى ولا فهمها ، الا اذا دربت على تذوقها ، لذا ، فعلى السينمائي مراعاة ضعف تذوق الشاهدين السياسيين ، وعليه محاربة هذا الجهل السياسي ومحاربة ردود افعالهم الخاطئة وكما يقول روبير جيرولي « .. كيف يمكن لرجال معزولين على بعد ثلاثة اميال من العاصمة ، معرفة مغزى كلمة

اغلب هذه الاراء ماخوذة من مجلات « كراسات السينما » و « سينما ٧٥ » و « ايكران ٧٥ » و « السينما الشابة » عن ملخصات لهذه الافلام واحاديث مختلفة مع المخرجين المذكورين وذلك لتعذر عرض هذه الافلام في مصر كما هو واضح .

« امبريالية » مثلا ؟ .. » انهم يستطيعون هذا فقط عندما تحدد السينما وتشير « الى الشخص الذى يضطهدهم او الذى يتحكم فيهم . ثم تأتى الاحداث وتفضح وجهه الحقيقى ، عندئذ يكون الفهم سهلا ميسورا »

التجربة السينمائية فى الهند

تنتشر السينما التجارية فى الهند انتشارا واسعا ، وربما يرجع هذا الانتشار الى الارتفاع الكبير فى نسبة الامية ، التى تبلغ حوالى ٧٠٪ ، والى قلة القوانين التى تحد من انتشار المضاربة والاتجار فى السوق السوداء بالافلام الخام ، بالاضافة الى أن هدف المسيطرين على المؤسسات السينمائية هو اساسا الربح الاقصى ، وباسرع الطرق الممكنة.

ولا ترتكز هذه السينما على اى اساس تثقيفى ، فهى ترى الترفيه فقط هدفا لها ، لذا ، فهى لاعلاقة لها بتاتا بالواقع الاجتماعى الذى تعيشه الهند .

وتعتبر الهند أولى دول العالم من حيث عدد الافلام التى تنتجها ، فقد انتجت حوالى ٤٥١ فيلما عام ١٩٧٤ ، من بينها ٢١٠ أفلام بالالوان . وقد شهد عاما ١٩٧٥ و١٩٧٦ انخفاضا نسبيا فى هذا الكم من الانتاج ، وربما يرجع هذا الامر ، الى جانب الصعوبات الاقتصادية ، التى تنجم عن السينما كصناعة ، الى ظهور سينما هندية جديدة ، تختلف اختلافا حقيقيا عن السينما التجارية التقليدية .

ويعتبر موقف الحكومة تجاه السينما التجارية موقفا متناقضا، فهى ، من جهة ، تفرض الرقابة الشديدة على الافلام الاباحية والسياسية ، لكنها ، من جهة أخرى ، لاتضع القوانين والتشريعات التى تحد من نمو السينما التجارية .

وقد انشأت الحكومة ايضا معهدا للسينما ، لكن المعهد لم يستطع أن يحقق الاهداف المرجوة منه ، فقد اصبح اغلب خريجيه نجوما فى السينما التجارية وقليل منهم من قرر التخلى عن هذه السينما ومحاولة خلق سينما جديدة مثل « **كومار شهانى** » « **ومانى كادول** » . كما انشأت الحكومة « مؤسسة تمويل الافلام » عام ١٩٦٠ ، من أجل تقديم سلفيات للمنتجين بنسبة فائدة منخفضة ، وذلك لتشجيع الافلام الجيدة ، حتى تتمكن السينما من رفع مستواها العام . ولكن هذه السياسة لم تنجح ، فقد حصل ٥٠ فيلما ، حتى عام ١٩٦٨ ، على سلفيات من المؤسسة ، ولم تستطع هذه الافلام رفع مستوى الفيلم التجارى . وفى عام ١٩٦٨ ، غيرت المؤسسة سياستها ، فاشترطت ، لمنح السلفيات ، جودة السيناريوهات المقترحة ، أى ان تكون مأخوذة عن كتاب معروفين فى كافة الهند . وقد استفاد المخرجان « مانى كادول » و « كومار شهانى » من هذه السياسة .

ثم ظهرت مشكلة التوزيع فقد تم اخراج حوالى ٤٨ فيلما، الا انه لم يتم توزيع سوى ٢٤ فيلما ، ولم تحقق سوى ٨ افلام أرباحا وذلك بسبب ضعف الدعاية . وقد يرجع هذا ايضا الى التباين الشديد فى مستويات هذه الافلام ، التى تراوحت بين الانحطاط الكلى والادعاء غير المحتمل . ونظرا لانعدام المؤسسات الملائمة لتوزيع وتنظيم عرض الافلام ، تجسد السينما الهندية نفسها فى موقف غريب . فبالرغم من حديث الصحف والمجلات عن « الموجة الجديدة » الا ان مئات الافلام لازالت حبيسة العلب والمخازن.

وقد يبدو غريبا على القارىء فكرة وجود سينما جديدة فى الهند الا ان معرفتنا بمحاولات « سيناجيت راى » أول من تمرد على النظام التقليدى للسينما ، عندما روى فى ثلاثيته عن شخصية « أبو » منذ الطفولة حتى سن الرشد ، لاتجعل من هذه الفكرة شيئا مثيرا للدهشة.

وقد ولد « سيناجيت راى » فى مدينة « كلكتا » واضاف بافلامه الى التقاليد الثقافية البنغالية ، فقد تاثر ، الى حد بعيد ، بالشاعر العظيم « **رابندرانات طاغور** » كما صور عدة اعمال ادبية له على شاشة السينما . الا انه اصبح الان مخرجا رسميا للغاية ، ولم تعد افلامه تثير المشاكل واليوم ، يعتبر السينمائيون الجدد سينما « ستيامييت راى » سينما كلاسيكية صرفة ، فات أوانها .

ويرى السينمائيون الجدد ان الدعاية لافلامهم تلعب دورا كبيرا ، لذا ، اتجهوا انشاء دور عرض رئيسية فى اربع أو خمس مدن كبرى ، كما تعرض افلامهم. الا ان فكرة عجز الجمهور عن استيعاب مضامين افلامهم تعرقل من تطور السينما الجديدة .

ويمكن تصنيف افلام السينما الجديدة فى اربعة اتجاهات :

١ ـ الافلام « التجارية الجديدة »

وتدور اغلب هذه الافلام حول قصة حب ، تعترضها صعوبات متعددة وعالم هذه الافلام عالم تنقصه الواقعية وتغلب عليه الميلودراما . ورغم أن هذه السينما تحاول تجنب مفاهيم السينما التجارية التقليدية ، ورغم هروب الكاميرا من الاستديوهات ، تظل بومباى الحديثة ، بمشاكلها الاجتماعية المتعددة ، مجرد خلفية جميلة لعالم مبسط تزينه اجمل الصور، التى ينعدم فيها الاحساس بالظلال والعمق . وهذه السينما تكرر نفسها ، فغالبا مانجد نفس الالوان الساطعة ، ونفس الموضوع ونفس الممثلين والممثلات ، الذين يمثلون ايضا للسينما التجارية التقليدية .

وتقف افلام المخرج « تشيدنانادا داس جويتا » على مفترق الطرق، بين السينما التجارية الجديدة والسينما الاجتماعية ، فأفلامه تتضمن بعض الاسكتشات التي تسخر من التقاليد الهندية البالية .

لكن بعض السينمائيين الجدد لايريدون مجرد رسم سكتشات سريعة ساخرة . ويعبرون عن ضرورة انعكاس الوضع الاجتماعي للهند في افلامهم ، الى ضرورة الارتكاز على كل ماهو واقعي ، على تجاربهم الشخصية ، على ملامح المجتمع الهندي الذي يعرفونه جيدا ، على حوادث واقعية او على قصص ادبية ، اصيلة . ففي الهند ، بلد الركود والتقاليد « الالفية » الحية ابدا ، تضطرم ملامح المجتمع الجديد ، ويأخذ المجتمع التقليدي المنعزل في الافول . لذا ، لن ندهش عندما يختار السينمائيون مادتهم الثرية من هذه الاحداث ، فيصفون الازمات التي يتضمن مغزاها عناصر درامية عظيمة ، ويصبح الموقف السياسي ضرورة لاغنى عنها ، وتصبح الشخصية الخلافية شاهدا على عصرها .

لكن التعبير السينمائي عن اراء المخرجين لايتم بطريقة مباشرة وصريحة ، بل يتعرف عليها المشاهد من ثنايا العمل . فلازال المخرجون يتبعون اسلوب الحكاية ويستخدمون التراث والتقاليد الرمزية في التلميح الى افكارهم . وقد صور لنا البعض ، مثل « اوتز كادول » في فيلمه 27 DOWN لحظة احتضار التقاليد الهندية البالية . فالفيلم يصور لنا سلطة الاب المطلقة ، التي يتقبلها الجميع بلا تذمر ولا ألم . ولكن الابن الصغير يصبح شابا ، وتنمو فيه الحساسية والرفض لهذه السلطة المطلقة ، لكنه لايعرف كيف يكون التمرد ، فلا يملك سوى الهرب .

ويحدثنا فيلم « **الجنة** » للمخرج « **شيام بنجيال** » عن تصرفات المالك الشاب غير المحتملة ازاء الخادمة الصغيرة ، والتي تضطر الى الرضوخ لهنا على مضض أما المخرج « فاسوديفان ناير » فيصور لنا في فيلمه « الطهارة » الكارثة التي حلت باسرة هندية وعجز رب الاسرة عن سد جوع أطفاله ، مما يدفعه الى الانتحار .

٣ — السينما السياسية

وبالرغم من كل الصعوبات التي تواجه السينما الجديدة ، فان في الهند سينما تتركز حول مشكلة سياسية ما ، وتحاول معالجتها بشكل او بآخر ، وتطرحها من خلال رؤية شمولية او جزئية ، على المشاهدين .

ففيلم « **الرياح الحارة** » للمخرج « **سانيو** » يصور الحدث الذي مزق الهند عند اعلان استقلالها عام ١٩٤٧ والذي تمثل في تجزئة الهند الى دولتين مختلفتين في الديانة الهند وباكستان ، واحتدام الصراعات والاضطرابات والمذابح بينهم ، بحيث اصبحت الهند وباكستان كالاخوة الاعداء . ويتعرض المخرج لسنوات مابعد التقسيم ، وتدور الاحداث في بلدة « اجرا » حيث يقرر رب اسرة يملك ورشة احذية صغيرة . البقاء في الهند ، التي يعتبرها بلاده . الا ان اعضاء الاسرة سرعان مايتخلون عنه ويهاجرون الى باكستان ، ويتعرض هو لكافة الصعوبات ويشهر افلاسه . وفي النهاية ، عندما يقرر الهجرة ، يجد نفسه ضمن صفوف المتظاهرين الهنود ، وهناك يجد ابنه بينهم . والفيلم ينادي بوحدة نضال الهنود المسلمين وغير المسلمين ويدعوهم الى عدم الانغلاق على انفسهم ، والانضمام الى مطالب الهنود المضطهدين . ولايمكن اهمال قوة الفيلم التعبيرية ، رغم اسلوبه الكلاسيكي ، وهي القوة التي تظهر ، بشكل خاص ، في مشهد المظاهرة .

ويرى المخرج « سوخدف » ، ابن الفلاح ، ضرورة وجود سينما تشهد وتناضل من أجل التعبيرات التي لا غنى للمجتمع عنها . اذا ، تتميز كاميراته بحس مذهل ، وقوة ملاحظة شديدة . فالكاميرا ترصد وتسجل البؤس والجوع وانعدام العدالة . الا ان المخرج يعلن عدم انتمائه الى اي اتجاه سياسي يساري ، وهو لايملك رؤية سياسية متكاملة ، مما ادى الى وقوعه في تناقضات وقد بدا هذا عندما أخرج فيلما للجريدة السينمائية ، يعبر فيه عن عدالة الظروف الاجتماعية الهندية المزعومة ، وعن ضرورة عدم الاعتراض عليها ، رغم انتقاده لهذه الظروف نفسها في افلام أخرى . ومع ذلك ، يظل فيلمه « الهند ٦٧ » الفيلم الذي حاول فيه تخطي الاطار التقليدي التصويري وطرح معاني تحليلية عديدة ، وذلك بربط الحقائق بعضها ببعض ، فيحفز في المشاهدين النزوع الى التفكير والتأمل . اما فيلمه « تسعة اشهر من اجل الحرية » فهو شهادة مباشرة عن احداث بنجلاديش الدامية .

وينتمي المخرج « **مرينال شن** » للبنغال ، ذلك البلد الذي شهد احداثا سياسية دامية ، والذي عاصر تطور حركة يسارية قوية . لكن المخرج يرفض اعتبار نفسه يساريا وبعد عدة محاولات سينمائية فاشلة ، اخرج « مينال شن » فيلمه « الاستاذ شوم » الذي وصف فيه الوضع البنغالي وصفا لايرحم ، فني اعطاء شهرة السينمائي البنغالي . وتذكرنا افلامه بافلام جودار ، ورؤيته عن « كلكتا » البيئية ، التربية ، المتلئة بالرعب والبؤس ، لا تنقصها القوة

وهو ينقل جو القلق الدائم ، الذى يغلفه قصصه ويعطيه طعما ملحميا ولونا مرا وبؤسا تراجيديا لشخصياته وأحداثها . وغالبا ماتتوجه افلامه الى جمهور البورجوازية الصغيرة .

٤ - سينما المؤلف

واحدث الاتجاهات السينمائية ، فى الهند هو اتجاه سينما المؤلف ويمثله «كومار شهانى» و«مانى كاوول» فقد قطع كل منهما صلته بالسينما الروائية التقليدية التى تتعد عن الواقع . ولا تفصل افلامهما بين أسلوب التعبير عن المضمون وبين المضمون ذاته ، كما انها لا تكف عن البحث عن أساليب تعبيرية جديدة .

ولا يخفى «شهانى» افكاره اليسارية . فرؤيته لا تلغى التاريخ ولا صراع الطبقات . وفى فيلمه «مرآة الوهم» يتحدث عن ضرورة التخلص من ثقل التقاليد البالية . والخروج من العزلة الثقافية الضيقة الأفق ، الى ثقافة أرحب ، تكتشف العالم والقدرة . ويحكى لنا الفيلم محاولات فتاة فى التحرر من القيود المختلفة التى تكبلها . ويرى المخرج ان الوسيلة الفنية فى التعبير عن الأفكار هى الارتكاز على التقاليد الشفوية الروائية للتراث الهندى تلك التقاليد الغنائية ، المفعمة بالحيوية والجمال .

اما «**مانى كاوول**» فهو يستلهم افكاره من الفلسفة الهندية ، التى تتحدث عن الظاهر والباطن ، والزائل والابدى . وتلعب الشخصية الانسانية ، فى أفلامه الثلاثة ، دورا رئيسيا ، فهى شخصيات مقهورة ، يطحنها المجتمع ويجبرها على الخضوع الكلى له . وتصبح الحكاية وسيلة لخلق لحظات سينمائية خالصة . وعلى سبيل المثال ، يعالج أحد افلامه موضوع الانتظار ، انتظار زوجة لزوجها، سائق الاتوبيس، طوال النهار ، على قارعة الطريق ، لكى تسلمه وجبته الغذائية . ويتحدث فيلم آخر عن انتظار زوجة لزوجها التاجر، الذى يذهب الى المدينة للتجارة. وفى افلام «كاوول» ينعدم الاحساس بدرامية الموضوع ، ونجد التأمل الصرف حول الزمن والوهم .

«الاستغماية القروية» ومجموعة «أوجاساوا» فى اليابان

ولد شوجى تيرييامـا عام ١٩٣٥ . وقد نشرت له عدة دواوين شعرية . وترجم ديوانه «**أمام عينيى الصحراء**» الى اللغة الفرنسية . كما أسس مسرحين تجريبيين : «**مسرح - عمل**» و «**حظيرة الدواجن**» . وشارك فى عدة سيناريوهات افلام لمخرجين يابانيين وأخرج ثلاثة أفلام روائية «**لنلق الكتب ولنخرج الى الشارع**» و «**الامبراطور كيتشوب**» وأخيرا «**استغماية قروية**» . كما أخرج فيلما تجريبيا قصيرا : «٦ + ١» .

نرى فى فيلم «استغماية قروية» مخرجا ، يناهز عمره عمر المخرج ، وهو يخرج فيلما عن طفولته ، كمحاولة للتحرر من كل الذكريات المشوهة ، التى يتعلق بها لاوعيه . ثم يتدخل المخرج فى الفيلم ، ويؤكد تعلق الطفل بطفولته ، وعجزه عن التحرر منه ، ويتبادل الحديث مع المراهق ويجادله ، ثم يلتقط محاولات التحرر من الام ، تلك المحاولات التى أجهضت ، وحولتها الذاكرة الى انتصارات والصراع الذى يدور ، فى أغلب أفلام تيرييياما هو صراع الأطفال ضد اضطهاد الكبار ، ويتقدم الصراع الطبقى من مفهومه ، ولا يتبقى من مفهوم الصراع سوى الحرب التى تنشب فى لاوعى المخرج بين طفولته ، ورغباته ، واخفاقاته . فالمخرج لا يرى فى السينما الا وسيلة «للتعبير عن نفسه» ، وتذكرنا احلامه برؤية «آرابال» المريضة، وتلعب الصدفة دورا جوهريا فى حياة الانسان . الذى تسيطر عليه العفوية والنزعات الفرويدية المكبوتة . ويعبر التمزق الكامن فى نفس الطفل والمراهق ، عن تمزق الانسان بين الواقع والحلم . وهذا الفيلم ، كما يقول المخرج ، يتحدث عن الذاكرة ، وبشكل خاص عن التحرر من الذاكرة ، وينفى المخرج ذاكرة الشعب الجماعية ، التى يتعلم منها ويستمد منها قوته . فهى فى اعتقاده مسطح من عمق الذاكرة القروية . وينحصر مفهومه عن التحرر الفردى ، فى تحرر الفرد من الذاكرة . «فطالما لم يستطع الانسان التخلص من ماضيه ، فهو لن يحقق تحرره الكامل» .

لذا ، يختلط فى فيلم المخرج، عالم الواقع بالخيال ، والحقيقة بالحلم وتعود صورة دائما الى الماضى . معبرة فقط عن موت «الذات» التى تتحلل ، وصراع الانسان مع القرية ، لا كمفهوم اجتماعى سياسي ، بل كمفهوم نفسى عاطفى ، فيصبح الصراع بين القرية والمدينة هو الصراع بين الطفولة والزمن الحاضر . **ولاندهش اذ نرى المخرج وهو يقلب الاوضاع رأسا على عقب، ليس فقط فى مفهومه الاجتماعى، وانما أيضا فى رؤيته التشكيلية الصرفة . فهو يضع المناظر الخارجية فى الداخل والمناظر الداخلية فى الخارج . وهو يرى ان عصرنا يجعل من الصعب علينا التمييز بين الواقع والخيال : «ففى الخيال كثير من الاشياء الواقعية ، وكذلك انعكس» . وما يحدث عنه هو «ضرورة تغيير اشكال الاسرة والاطار الاجتماعى والتقاليد**

والعادات القائمة فى اليابان » .

« أوجاوا » ٦٨

ولدت هذه التجربة خلال عام ١٩٦٨ : عندما قررت جماعة من السينمائيين اليابانيين التوجه الى « زانريزوكا » لمشاركة الفلاحين نضالهم . فقد عبر الفلاحون عن سخطهم ضد عملية نزع اراضيهم لبناء مطار دولي عليها . وكان هدف المطار هو نقل القوات الامريكية ، وكان معنى هذا ، ببساطة ، دخول شبح الجوع الى حياة الفلاحين وتحولهم الى عمال زراعيين .

وقد اخرجت مجموعة اوجاوا ٦ افلام : وصورت ، في فيلمها الاخير ، اساليب الفلاحين في طرح مطالبهم الاجتماعية ، وشرحت اراءهم السياسية والاجتماعية المختلفة، والمصاعب التي تواجههم . والحدث الدرامي ، في بناء المطار ، يتمثل في اضطرار العمال الزراعيين ، الذين قدموا من جهات اخرى ، لهدم بيوت اشقائهم الفلاحين .

ولم تكن مهمة السينمائيين مهمة سهلة ، فقد ظل اهالي حي « كوتوبوكي » يراقبونهم في كل كبيرة وصغيرة، ثم ظهرت مشكلة التوصل الى انسب اساليب الارتباط بينهم وبين الاهالي . فقد قال احد السكان يوما لاحد افراد المجموعة ، اذا رأيتك تصور انسانا يموت بدلا من انقاذه ، فسأطردك شر طردة من الحي الذي اسكنه » .

وقد تحققت المجموعة من انها لم تكن قد نجحت بعد في مشاركة الاهالي افراحهم وآلامهم مشاركة تامة ، فقد كانوا مجرد مصورين للاحداث والوقائع التي تجري امام اعينهم ، ولذكريات الاهالي دون ان يقدموا بديلا ، ودون حل لمشاكلهم .

« كنا نصور احزان الاهالي وذكرياتهم، لكن مشاكلهم وآلامهم كانت تغلبهم ، فيعجزون عن مواصلة الحديث . وكان علينا الاختيار بين مساعدتهم والكف عن التصوير، أو الاستمرارفيه، والتجرد من انسانيتنا » .

واصبحت المسألة مطروحة على الجميع ، حتى على هذه المجموعة ، فقد كان ينبغي حل المعضلة . كان ينبغي معرفة ما الذي يجب عمله . وكان الحل بديهيا **على كل فرد من هذه المجموعة السينمائية ألا يكون مجرد سينمائي ، بل سياسيا وانسانا** يقتسم مع البؤساء خبزهم الاسود ، ويشاركهم اعباءهم الثقيلة .

« ولن يكون المشاهد مستهلكا فقط ، بل ومنتجا ايضا » .

عروض في مهرجان « كان » عام ١٩٧٥ فيلم « **ثيو انجيلو بولوس** » الثالث « **رحلة الممثلين** » . وهو مخرج فيلمي **«اعادة التكوين» و «أيام ٣٦»** .

ويتحدث فيلمه « رحلة الممثلين » عن اليونان ما بين ١٩٣٩ و ١٩٥٢ . وتتداخل حياة الممثلين الخاصة بخيباتهم العامة في هذا الفيلم . واختيار هذه الفترة لم يجر جزافا ، فمن خلالها قدم لنا المخرج دراسة عميقة للحياة السياسية في اليونان . فعام ٣٩ هو عام خضوع اليونان دكتاتورية « ميتاكساس » الذي يقترب مفهومه للسلطة من مفهوم الفاشيست . لكن الابتزاز الاقتصادي ، الذي مارسه بريطانيا ، يلعب دوره في ترجيح كفة اليونان الى المعسكر المعادي لالمانيا النازية . وعام ٥٢ هو العام الذي استولى فيه اليمين على السلطة، هو عام « عودة الامور الى مجراها الطبيعي » ، بعد حرب اهلية دامية . وخلال هذين الحدثين ، لم تسلم اليونان من غزوات الحكام الايطاليين والالمان البرابرة . وكان حكامها خدما طيعينا لاسيادهم الاجانب .

ونحن نشهد هذه الاحداث المختلفة من خلال تنقلات الممثلين في ارجاء اليونان ، « وهناك رباط وثيق بين تحركات الممثلين على المسرح وتنقلاتهم الخارجية من قرية الى قرية وبين حركة التاريخ » . ويتضمن الفيلم، في ثناياه ، مستويات عديدة :

فعلى المستوى الاول ، نجد فرقة الممثلين ، المنغلقة على نفسها ، والمنفتحة على العالم ، لامتلاكها روح محترفي التجول .

وعلى المستوى الثاني ، نجد العالم المسرحي ، والاحتكاك بين النص المكتوب والنص الممثل ، وتحريف هذا النص حسب الظروف السياسية الوقتية وتتحول الثقافة ، المستخدمة في التسلية والترفيه ، الى تصوير حي للحاضر .

وعلى المستوى الثالث ، نجد تداخل الخاص والعام ، فلا يمكن تفسير مصير اليونان المعاصرة ، كما يقول المخرج ، الا من خلال وقائع محددة ، ينبغي ربطها بعضها ببعض . ويتحقق هذا الربط بتجنب الواقعية السطحية والتسطيحات المجردة ، وعندما لعب الزمن دورا جدليا .

وهناك اخيرا المستوى الرابع، الذي يشكل البعد الثالث لهذه اللوحة الضخمة ، هذا البعد تخلقه اسطورة الكترا ، لكنها الاسطورة وقد نزعت عنها لمفاهيم الغيبية والقدرية .

ونظرا لتداخل الاحداث وكثرتها ، قسم الفيلم على النحو التالي : بداية الفيلم : عام ١٩٥٢ ، ثم الرجوع الى الوراء، وهو ليس فلاش باك تقليدي ،

بل التعبير عن الذاكرة الجماعية ثم سنوات ١٩٣٩ حتى ١٩٥١ . وأخيرا ، الخاتمة التى تمتد ، من أعوام ١٩٥١ ، حتى لحظة عرض الفيلم . فرؤية المخرج للزمن رؤية جدلية ، حيث كل شيء فى الحاضر ، وكل شيء يمكن حكايته باستخدام أسلوب الاغتراب المسرحى والاغانى الشعبية والمونولوج .

اما المونتاج ، فهو مبنى على العلاقات والتغييرات الجدليةفى الزمن ، فالكاميرا تدون فى نفس الشارع ، لكنها لا تسجل نفس الاحداث ، بل تسجل تغييرات المواقف والعناصر السياسية والاجتماعية ، وهى لا تكتفى بالتسجيل، بل تحلل هذه المواقف وعناصرها المختلفة .

ويعتبر المسرح احد الموضوعات الاساسية فى الفيلم . فالمخرج يستخدم تكنيك المسرح ، ويصبح الديكور الحقيقى مشهدا مسرحيا ، وتنكسر خشبة المسرح عن طريق الاحداث السياسية ، فالعروض المختلفة ، التى تقدمها الفرقة ، لا تكتمل ابدا فغالبا ما تتوقف بسبب الحوادث الخارجية مثل قذف القنابل ، وتدخل البوليس ، وعمليات الاغتيال .. الخ .

ويمثل المسرح ، فى فيلم « رحلة الممثلين » ، مستويين : مستوى المقالة التى تمثل ، ومستوى التاريخ . فعلى سبيل المثال نرى المسرحية التى يمثلها الممثلون وقد توقفت بسبب صعود ضابطين نازيين بحثا عن اليساريين . لكن هذه الاحداث لا يلاحظها من يشاهد المسرحية فى الفيلم ، لكن مشاهد الفيلم يعرفها .

ولا يجب اعتبار الفرقةنموذجا مصغرا للمجتمع عموما ، ولا يجب اعتبار كل شخصية رمزا لطبقة اجتماعية فالفرقة تمكننا من التعرف على التيارات السياسية المختلفة التى شهدتها اليونان .

ويساهم هؤلاء المواطنون ، شاءوا أم أبوا ، فى الحياة السياسية . فنرى ثلاثة منهم ينضمون الى اليسار، أما الرابع فهو يميني فاشيستى .

اما شخصية « أورست » فهى تجسد فكرة أكثر مما تجسد شخصية حيث « فهو بادره الثوره ويعبر موته عن وفاة مرحلة تاريخية ، تصبح بدورها نقطه انطلاق الى مرحلة اخرى »

اما الشاعر فهو شخصية واقعية ، وقد شارك فعلا فى الحرب الاهلية ، منضما الى الجيش الشعبى واعتقلته الجيوش النظامية ، وعذبته ، ثم وقع مريضا فى المنفى .

وترتكز المناظر على لوحات لرسام شعبى ساذج ، كانت لوحاته تجهل المنظور جهلا تاما.

وعبرت المونولوجات الثلاثة عن مستويات الفيلم الثلاثة . فالمنولوج الاول يرتبط باعوام ١٩٥٢ ، أما الثانى فيعكس الاحداث السابقة على هذه الاعوام ، أما المونولوج الثالث فهو يؤكد اللحظة الحالية، لحظة مشاهدة الفيلم .

وتعتبر هذه المونولوجات الثلاث شهادة من الذين عاصروا تلك الاحداث وشاركوا فيها ، شهادة على المراحل المختلفة .

اما الاغانى ، فهى أغانى عصرها وزمانها . و « فيلمى هو رحلة فى الزمان والمكان » ، رحلة فى كافة انحاء اليونان ، بتراكيبها المختلفة من اجل خلق لوحة كلية شاملة .

واستخدم المخرج الاقنعة لاننا على المسرح ، « ووظيفة الاقنعة كوظيفتها عند برخت » .

اما الملابس ، فهى تحدد العلاقات بين الشخصيات ، وتحددهم ، وتشير الى اختلاف الظروف والاحداث التاريخية .

وأصبح هدف الفيلم تغيير موقف المشاهد ، من مجرد مشاهد سلبى يشهد عملا خلفه من يتذوق العمل الفنى ، الى مشاهد مشارك ، أى من مجرد مستهلك الى منتج واع .

وقدرة الشعوب على صنع الثورة

« هؤلاء الذين أتوا من البلاد الاكثر فقرا ، حيث الفقر هو الوجه اليومى الوحيد ، بدأوا فى فتح عيونهم فاكتشفوا الملابس رثة مهلهلة ، وقاذورات ، وجثث أطفال .

وحيثما سلطوا كاميراتهم ، لم يتن سوى الموت ، والجوع والم الشعب . كانوا قد مروا فى نفس هذه الشوارع ، ونفس هذه البيوت ، الا أنهم كانوا ينظروا دون ان يبصروا وكانت كاميراتهم مجرد عدسات مكبرة ، ينظرون من خلالها الى الواقع بأمانة .

وسرعان ما طرح عليهم هذا السؤال نفسه : ما العمل ، لقد تعلموا أنهم لم يكونوا هناك الا كمشاهدين ، واذا كانوا يمتلكون كاميرات مرتفعة الثمن ، واذا كانوا لا يستطيعون اعتبار الموت والجوع جزءا من تجربتهم اليومية ، فذلك لان آخرين حكم عليهم بالموت والجوع ، ولان آخرين كفوا عن الاكل كى يستطيعوا هم الاكل ، وكف آخرون عن الدراسة كى يتخذوا هم بالمعلومات ، وكف آلاف وملايين عن الوجود كى يصبحوا ما هم عليه الان .

لذلك ، كان دينهم تجاه الشعب عظيما ، ومن هذا الوعى نشأ الالتزام ، والتفهم للمسئولية ، وماتتطلبه هذه المسئولية، مادام للزمن اهميته »

لقد كان هدف تجربة « **أوكاو** » مشابها لتجربة « **أوجاوا** » . واصبحت افلام المخرج البوليفى **جورج سنجيز** تعبيرا وشاهدا

على الاحداث السياسية لبلاده ، فهذه الافلام ، كما يقول سنجيز « لا تدفع الانسان نحو الهرب، ولا تدعى ترفيه المشاهد الذى يبحث عن الحقيقة ، لقد اعطت لنفسها هدف تزويده بالمعلومات واثارة قلقه ، ودفعه الى العمل، لقد أعطته ثقة فى قواه الذاتية »

بدأ جورج سنجيز عمله السينمائي في شيلي . لكن هدفه الرئيسي كان اخراج افلامه في وطنه بوليفيا . وعند عودته الى الوطن عام ١٩٦٠ ، تعرف على المنتجين السينمائيين ، الا أن محاولاته المتعددة معهم باءت بالفشل . وعندما تعرفبأوسكار سوريا، تمكن من تحقيق السينما التى طالما حلم بها ، فأخرج اول افلامه « ثورة » . ونظراً لتعدد اللغات فيبلاده (الاسبانية ولغتين هنديتين) فقد أخرج الفيلم بلا حوار ، واستخدم الموسيقى والاصوات ثم اضطرته الظروف الى الحياة في الريف لمدة عامين .

وقد كانت هذه فرصة جيدة للتعرف على الحياة القروية . وهناك نشأت فكرة فيلمه الثانى « **فرق السلام** » . ويدور الفيلم حول فرقة أطباء أمريكيين ، كانوا يذهبون الى القرى البوليفية من أجل منع نسائها من الانجاب، بالرغم من عدم ازدحام بوليفيا بالسكان .

ويربط هذا الفيلم بين الاضطهاد الجسدى والاضطهاد الثقافى الذى تعيشه مجموعات وقرى الهنود فى بوليفيا . وكانت مهمة تصوير الفيلم مهمة شاقة . فالفيلم لم يمثله ممثلون محترفون، بل اهالى القرية والفلاحون الذين عاصروا تلك الاحداث . الا أن هذه المشاركة لم تتحقق الا بعد صعوبات عديدة، وبعدما شرحت الفرقة السينمائية للفلاحين هدفها من هذا الفيلم ، وبعدما تعاون كافة أعضائها تعاونا كاملا ، فساعدا الفلاحين فى اعبائهم اليومية المختلفة .

اما «**العدو الرئيسي**» فيتحدث عن واقعة تاريخية حدثت عام ١٩٦٣، عندما ذبح«بيجيلكاريلو» احد كبار الاقطاعيين ، الفلاح « جوليان هوامان » الذى تجرأ وطالبه بالثور الذى سرقه منه .

واستفزت هذه الحادثة الفلاحين ، فقادوا الاقطاعى واعوانه الى مقاطعة «شوبجى» وكتبوا تظلما طويلا الى القاضى كى يحاكمهم لكن القاضى يطلق سراح المجرمين ، ويضع الشهود فى الزنزانة .

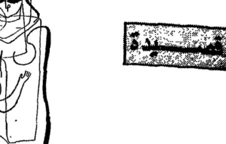
« هكذا كانت الاوضاع فى مقاطعة « تينكى » ، كما يقول الراوى فى الفيلم ، عندما وصل هؤلاء الشباب ، حاملين معهم العدل الحقيقى . وتمضى الاحداث ، فنشهد قدوم أفراد حرب العصابات الى تلك القرية النائية . لكن أفراد حرب العصابات يكتفون بأسر الاقطاعى واعوانه ، أى يعالجون ظرفا مرحليا ، دونأن يعلموا الفلاحين كيف يعالجون اوضاعهم الاجتماعية المختلفة بشكل عام . ويبدو على الفلاحين ، الذين شاركوا فى خلق هذا الفيلم ، عدم الفهم الفعلى لافكار أنصار حرب العصابات **وفيلم العدو الرئيسى** ، **يحكى التاريخ من وجهة نظر الشعب ، الا أنه لا يستخرج من التاريخ الدروس السياسية** ، أى لاتجدننا عن جذور « الجيفارية » ، والذى يمكن أن تغذية فى وعى الناس. كما يقع الفيلم فى خطأ استخدام اقوال الراوى ، الفلاح البوليفى كحقائق مطلقة ، تحمل قيما تعليمية مباشرة وسريعة ولا يستطيع المشاهد اذا كان المخرج من مؤيدى الاستراتيجية الجيفارية أم ناقدا لها .

اما فيلم «**شجاعة الشعب**» فهو يتحدث عن المذبحة التى اقامتها الجيوش النظامية ، عام ١٩٧٦ ، ضد عمال المناجم ليلة الاحتفال بالقديس جان . يبدأ الفيلم بمظاهرة شهيرة قامتعام ١٩٤٢ ، ثم تتتالى الصور والوثائق التى تشير ، باشتراك المعلق والاصوات الخارجية المختلفة ، الى اعداء العمال ، وهى لاتكفى بمجرد الاشارةاليهم بل وتدينهم . ثم نرى سكانقرية مقاطعة « سيجلو ٢٠ » وهم يحتفلون بالقديس جان ويحاصر الجنود القرية ، ويدافع عمال المناجم عن قريتهم ، الا انالجنود يدخلونها ، وتحدث المذبحة .

ومرة اخرى نرى زوجات واطفال وابناء المسجونين وهم يتظاهرون ويطالبون بالافراجعن المسجونين ، وتذكرنا هذه المظاهرة بمظاهرة عام ١٩٤٢ التى انتهت باطلاق الرصاص على المتظاهرين من قبل الجنود لذا ، تذكرنا بالخطر الجاثم ، وباحتمالات الهزيمة الممكنة ، لكنها ايضا شهادة تفاؤل وايمان بقدرة الشعوب على مواجهة الامة والنهوض من جديد .

وفى هذا الفيلم ايضا ، لم يستخدم المخرج الاسلوب الروائى التقليدى ، بل استخدم التتابع للاحداث التاريخية المختلفة ، من اجل توضيح العلاقات بينها ، والاشارة الى منطقها الداخلى . ولان المخرج يعتبر الشعب هوالقوة الخالقة، لم يكتف بمجرد سرد التجارب الانسانية والاجتماعية للشعب ، بل جعل العمال ، الذين نجوا من المذبحة ، يشاركون فى تمثيل الفيلم .

وهكذا ، لم تعد الاحداث والحكايات الشعبية مجرداقاويل تتناقل من قرية الى قرية ومن فرد الى فرد ، بل اصبحت«قوى حيوية ، ومؤثرة وخالقة » ■





يتخاصر الدم والبلاد

شعر :
أحمد الحوتي

هذا دمى .. ؟
وطن .. وتاريخ ، اقلبه
فيقفز — من دمى — فرح
يضىء .
يتأثر الصوت المضيع — فى
رمال العمر —
فاقتربى ..
وهزى غصنه
يتساقط الورق الشتائى الردىء .
ويصير عريانا — بلا اسم —
فخطى أحرفا أخرى ..
— على صفحاته —
وتعلمى فيه الكتابه .
خطى زمانا للتمرد ..
اننى أهوى شططا غضبى
اذا هبت خماسين التآكل
والرتابه .
أرغولك الغجرى ينزف جنة !
فتعلمى لغتى ..
تعالى ... [فى زمان الحرب ..
لم تمطر سحاباتى سوى
للمعدمين
سيناء صارت حول قلبى
وردة !
صارت سياجا
حول قلبى !!]
فى زمان الحرب ...
أول طلقة ..
حملت ازقة قريتى
حملتك ..
قافلة ..
وخبزا .. [حين حاصرنا العدو
رأيت — بين تحاور البارود
والنبض المكابر —
مزنة
مدت جناحيها — بلا
صوت —
وحطت بيضها — الموال —
والترع البعيدة —
والقرى —
وانا — وانت —
تأبطت ، ما نبت العرس
الجرىء .]
ويجىء وجهك ..
حين كان الجوع يطلع — فى
أصابعنا —
يجىء .
[هل كان وجهك غيمة
عبرت الينا بالموائد .
جاءت الينا
حين كان الجوع
يطلع فى أصابعنا
حروفا .. وقصائد !!؟]
رحلت مواعيدى
على شفتيك .. أضحك
والتلاوة موعد
ودمى .. يضىء .
[فى اى ناحية يضىء دمى ..
فى اى ناحية يضىء ؟ !!]
... ...
أهواك ...
يجرفنى زمان الحرب
ينقشنى على جسر الولاده .
أهواك أكثر ..
تشعلين خرائط الصحف المعاده .
وتطير بى فرس القتال .
يتخاصر الدم والبلاد
ويرتمى ظل الوطن .
واخط اسمى ..
فاكتبى :
هذا الطريق الوعر ..
يسقط فى دمى
كالموت ...
يسقط فى دمى
كالشمس ...
يطلع فى دمى
ودمى .. نهار
أشتهى حرفا صغيرا
فارحلى — فى الليل — يا شمسنا
تؤرقنى — تبددنى —
وتنشر خطوتى — انفرطى على
كفى
تمرا للمساكين — انتظار المعدمين
على دمى — عيناك قافلتى —
وخبزى
ومخاضى — للتمنى ساعة — من
تشاطىء
الغسق الملون — للمينى
عانقينى
وانشرى لغتى — تعالى — ان
اسمك
وردة — تصل الفصول الاربعة .
وحروفه — وطن —
وموال — يلون نهر عمرى
بالسفائن
والقلوع المشرعه . □



قصة قصيرة

حكاية الصعيدى الذى هده التعب فنام تحت الجامع القديم

يحيى الطاهر عبد الله

على صرخة ، ووجدها فوق رأسه تبكى ، تلبس الاسود وتحمل بين يديها طفلا ميتا ،
قالت ـ يافلان يابن فلان هل ضاقت بك الدنيا الواسعة فلم تجد غير هذا المكان تزاحمنا فيه انا واولادي ـ لقد قتلت ابني ياقليل النظر .. وحتى يخف حزني على ولدي عليك ان تبارح بيوتها قبل ان يدركك صبح » .

لت الصعيدى فى الكلام وعجن ـ « قال اتيت الى المكان ولم يكن بالمكان غيرى » . فصرخت فيه « لو لم اكن جنية « مؤمنة » بنت جنى مؤمن لركبت كتفيك عامين قمريين كما كما تركب الدواب بادآية » .

خرط الصعيدى ضرتين ولم فيل ثوبه واطبق عليه باسنانه وانطلق يسابق الريح وهو لا يصدق انه فلت من شر جنية تسكن الخفاء ولا يراها ابن آدم الا حين تريد هي لابن آدم ان يراها .. بعد وقت صدق انه نجا فوقف وسأل نفسه « كيف ابارح ام القرى التى تلم مظلام جدودي !! .. سأذهب الى حامل البخاري حافظ كتاب الله المهاب من الجن واشتكى الجنية » .

وقال :!

وجدته قاعدا تحت المنبة وامامه الحطب مشتعل ، جعلت المسافة بيني وبينه قصبة ونصف قصبة وقلت السلام عليكم ، ولما لم أسمع رده تقدمت وجعلت المسافة بيني وبينه قصبة وقلت السلام عليكم ولم اسمعه يرد ، فتقدمت وجعلت المسافة بيني وبينه نصف قصبة ورددت السلام فلم يرد ـ بينما النار التى اشعلها مازال مشتعلة ، قلت وقد فهمت ـ انتهى كل شيء اذن .. جاء الطواف قبلى وقضى الامر ، حفنت من تراب الارض بالكفين وكشحته على النار فخمدت ، وقعدت ابكى .

كانت اليد الكبيرة يا أميرى قد رسمت له الطريق ـ خطين حديديين تجرى فوقهما القطارات .. واعمدة خشب تشد اسلاك التلغراف . لما وجد الصعيدي الطريقة ، مرسومة امامه مشي فيها ، ظل يمشى وبلاد الله تترى حتى بلغ ام المدن فدخلها متورم القدمين فى اليوم الخامس من ذى الحجة وكان العام عام الذئب والدببة ـ فى بحر من الحديد والنار رأى الانسان يحجل ويطلب الصدقة ورآه على البسكليته ورآه يدب وراه بالاتوبيس وبالترولى وبالتروماى ورآه يطير وراه يسوق العربة .

وقف يتفرج ويتعجب ونسى زمانه حتى جاء الرجل وساله عن شخصيته «قال» فلان ابن فلان « قال الرجل اسألك .. عن بطاقتك .. قال « معى .. بطاقة » قال الرجل « هات » اخذ الرجل البطاقة وقال « انت المرسوم امامى .. يبقى الكلام المكتوب وتلك معضلة فانا لا اقرأ « قال الصعيدى لنفسه » مادام لا يقرأ .. ومادام الكلام المكتوب كله عنى انا .. وانا الذى قلت هذا الكلام لكاتب البطاقات فكتب كاتب البطاقات بطاقتى .. اذن تلك فرصتي للتباهي .. وقال للرجل « انا اقرأ » ، ومضى ينظر فى البطاقة ويتذكر كل ماقاله لكاتب البطاقة ويقوله للرجل ، باغته الرجل ولطمه على فمه ليسكت فسكت ، وظل الرجل يضربه بالكف على القفا وهو ساكت ، ولم يكف الرجل عن ضربه حتى وقع هو الصعيدى فى اول يوم له بام المدن على الارض مغشيا عليه ، افاق فوجد حواليه ناس يجهلهم ويجهل قدر الشر وقدر الخير فى نفوسهم « الشر مطوى والخير مطوى داخل كل نفس ولا يعلم دواخل النفوس يا أميرى الا الله وكان عليه أن يتكلم معهم ليعرف مقاصدهم فتكلم » وكان عليهم ان يردوا على كلامه فردوا ، فهم



الصعيدى أن الناس حوله ـ متفرج ومشفق ومصلح وناصح . قالوا ـ « لا عليك .. الرجل شرطة » ، وقالوا انت هنا ولست هناك » ، ونصحوه أن يغير محل اقامته وقالوا « بسيطة .. شج حاجبك الايسر » ، وقالوا ما دمت من صعيد مصر فقل لنا الى اي طائفة من الصعايدة تريد ان تذهب ؟» .. وعددوا له قومه ـ باعة خضار وبوابون وعمال بناء وباعة جوالون . قال لهم « لا مال معى اشترى به الشيء لابيعه » ، وقال لا املك غير بدنى » قالوا اذهب الى عمال البناء » ووصفوا له الطريق .

ذهب الى عمال البناء وكان النهار قد انقضى فوجدهم قد اشعلوا النار وتحلقوها . رد السلام وقال « انا ابن فلان » قالوا « اهلا انت منا » ، وحكى حكايته قالوا له « ماجدش لك يافلان حدث لعبد الحليم افندى ، فحسس جرحه وان ـ قال ـ ليت ابى ما تزوجت ابى ـ وكان قاعدا فرقد . اقاموه ، وسقوه العدس الساخن ودعكوا قدميه بالماء الساخن والملح ، ولاموه ، لانه اتى بمفرده وقالوا له « الارض مرسومة يافلان .. ونحن لا نمشي هنا فرادى واذا مشينا فنحن قوم نعرف الحد ولا نتجاوز الحدود » واعتذروا عن ضيق ذات اليد ، وقالوا « اليوم يوافق قبل نهاية الاسبوع بيوم

وهانحن لا نملك المال نشترى البن لجرحك » ، وقام واحد منهم ودفس الرماد فى جرحه ، ووعدوه بشراء البن لما يقبضوا راتب الاسبوع وقالوا لــه « لما ينتهى نهار الغد ينتهى الاسبوع

لما انتهى الاسبوع اشترى الصعايدة البن ودفسوه فى جرح الصــعيدى ، واشتروا منديل محلاوى وربطـوا به الجرح ، وتتالت الاسابيع وجاء الشهر وشفى الصعيدى من جرحـه واورام تدميه وطابت له الحياة مع اهلـه الصعايدة ـ الا انه فى الليالى المقمرة كان يتجنبهم وينام مبكرا قبل أن تطلع القمرة .. ظل يتنقل معهم من مكان لمكان ويبنى معهم العمارات من الطوب والحديد والرمل والاسمنت ويغنى مواويل حمراء ومربعات زرقاء والليالى الاخضر ويسمع صوت سواقى ام القرى . ومن زملاء العمل اختار له معارف من ابناء المدن الحرفيين سكان الحارات ـ الحدادون .. النجارون .. عمال رصف البلاط .. النقاشون ـ يزورهم فى بيوتهم ويشرب معهم ومع نسوتهم الشاى ويأكل مع اطفالهم البطاطا

دعوه مرة الى حفل ختان احياه مطرب بأرغول وراقصة لحمها ابيض تدق الصاجات فيقوم ناس ويقعد ناس .. قام مع القائمين وقعد مع القاعدين .. وكان قد شرب الحشيش مع من شربوا الحشيش . تذكر ام القرى البعيدة فترحم على روح جدوده وتقدم من المكرفون وامسك شخص ورق وامر المطرب بالغناء لام القرى ، وتكلم فى المكرفون فلعلعت صوته « السلام على الصعايدة الرجال يبنون العمارات ويعمرون المدن » .. قام واحد من الحرفيين اهل الحى ودفع لمغنى والراقصة ربع جنيه وتكلم فى المكرفون وقال « السلام على ارباب الحرفة الرجال من ابناء ام المدن فهم الذين يعمرون ام المدن » .. وعلى كلام الحرفى تمددت الراقصة تعجن لحمها الابيض وغنى المغنى اغنية .. وكادت تنشب مشادة بين الحرفى والصعيدى لولا الصعيدى العاقل الذى قام ودفع لراقصه والمغنى نصف جنيه وقال فى المكرفون « السلام على الجميــع » . السلام على كل الحاضرين من صعايدة واهل حرفة .. السلام على الرجال يبنون العمارات ويعمرون المدن » . قام حرفى خفيف الدم وحيا الصعيدى العاقل ودفع نصف جنيه للراقصة والمغنى وقال فى المكرفون « الصعايدة ونحن نبنــى العمارات ونعمر ام المدن ولا نسكن فى العمارات ... السلام على ســكان العمارات .

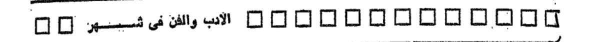
هكذا انتهت الليلة بخير .. ومن تلك الليلة وصاحبنا الصعيدى يكلم نفسه ..

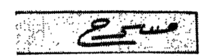
« نحن الصعايدة نبنى العمارات وكذا اهل الحرفة معنا يبنون العمارات .. لكنا واهل الحرفة لا نسكن العمارات فقط .. نحن الصعايدة نترك الصعيدى منا ـ وهو اكبرنا سنا ـ على باب كل عمارة نبنيها ، وسأل نفسه « متى يأتى دورى لاستريح واقعد على دكة من

ظل صاحبنا يضرب فى المقبل بعد ان طرح الماضى ونسى الحاضر ، اقسام حساباته على ان الطيب محمد وقع من فوق الى تحت فقصفت رقبته وفقد دوره .. ومحمود الساكت فقد دوره لما قبض عزرائيل روحه وهو نائم .. كذا عبد البارى حين اراد ان يتمخط وهو قاعد بيننا فتمخط روحه .. يأتى دورى لاصير بوابا قبل عبد الحارس وعبدالملك وبعد حجاج ومحمود الظنى وعبد الحاكم

وفى نهار مشــــمس وكان يطلع الدعامات الخشبية المربوطة بالحبال وعلى كتفه حمولة الرمل والأسمنت ـ طرح صاحبنا وضرب وتسلى الخناصر قال « لما ننتهى من بناء هذه العمارة سيقعد على بابها عبد الحاكم ونمضى لنبنى العمارة التى ساقعد على بابها انا فوق دكة من خشب » ..

فى هذا النهار ـ ياامرى ـ ضيع الصعيدى الاحمق عمره كما ضيعت بائعة اللبن الحمقاء اللبن . ☐





المهرجان السابع لمسرح الاقاليم :

متى يجـد هـذا المسرح طريقـه ؟

بين الفكرة والفعل دائما يكمن الظل ..
بين المفهوم الفطرى لمسرح خارج القاهرة ..سمة كما تسمت بمسرح القرية او الفلاحين او الاقاليم او الثقافة الجماهيرية .. الخ . والذى تناقشه كل مؤتمرات وحلقات بحث مؤسسات وزارة الثقافة المهتمة بهذه القضية سنويا دون الوصول التى بلور كاملة لهذا المفهوم ، على الرغم من رفعه كشعار ينحرك تحته كل مخرجى ثقافة الدولة الجماهيرية . وبين المطروح الفعلى لهؤلاء المخرجين وادارتهم المجاهدة ، يوجد ايضا الظل.. تلك المنطقة الخطرة التى تقلل من شأن اي منهج سابق للنقد يستطيع ان يحدد خطوطا عامة للانتاج الفنى المعروض ؛ وتدفع بالانسان الى تعليق اماله على مشجب المستقبل . وحتى نستطيع ان نلقى باول حزمة ضوئية تنير لنا الطريق فى منطقة الظل فلنحاول ان نحدد الاطار العام الذى اقيم داخله (المهرجان السابع لفرق الاقاليم المسرحيـة) على مسرح السامر من ١٧ ـ ٣٠ مارس الماضى والذى اقامته ادارة الثقافة الجماهيرية والتى ترفع من خلاله خطة ادارتها المسرحيـة شعاره ان يكون المسرح (مسرحا نقديا ملتزما بواقعنا السياسى القائم على ارساء روح الاشتراكية النابعة من واقعنا) .

الذن فليكن هذا الهدف السابق هاديا لنا لرؤية هذا المهرجان ، ومحاولة تلمس القرب والبعد عنـه ، وتطبيقـاته على النماذج المختارة لما قدم على امتداد هذا العام فى مسرح خارج القاهرة .. مسرح الثقافة الجماهيرية .

شاهدنا خلال هذا المهرجان ١٤ عرضا مسرحيا : مسرحيتان معدتان عن نصوص عالمية ، وخمس مسرحيات قدمت قبل ذلك على مسرح القاهرة ، وست مسرحيـات مؤلفة خصيصا لمسارح الثقافة الجماهيرية ثلاثة منها اخرجت اكثر من مرة قبل ذلك . وابتعادا عن الملاحظات الشكلية وهى كثيرة فلنبحث معا عن هذا الموقف للمسرح داخل هذه النماذج المختارة.

●●●

●● قدمت فرقتنا قنا واسيوط مسرحيه ادهم الشرقاوى نبيل فاضل والتى تطرح من خلال حدوتة شعبيه مشهورة ،قضيه الدفاع عن الارض والماء والعرض ،وهى ايضا قيمات اصيلة فى الشعب المصرى، وبمحاولة المزج بين القضيه الفرديه لادهم وبين القضية الجماعية للفلاحين فى صراعهم ضد الاقطاع ؛ حيث يصبح ادهم نموذجا للثورة الجماعية ويتـم القبض عليه . وهنا يقع المؤلف فى اسر الحدوتة ويتحول المسار فى المسرحية الى ميلودراما المطاردة والاختفاء والسرقـة والتعذيب والوشاية .. الخ ، ومن ثم جاء التجسيد المسرحى على يد **ناجى كـامل (اسيوط) ورؤوف الاسـيوطى (قنا)** اتساقا مع ميلودرامية الاحداث، وان حاول كل منهما بطريقته التأكيد على جماعية الثورة بوضع ادهم باستمرار فى قلب الفلاحين متكلما منهم وعنهم ؛ ومع ذلك فقد امتلأ عرض اسيوط بالاداء الانفعالى الصارخ والاقنعة الصوتيه التى لا تتغير واستخدام الاغنية بشكل زائد وضعيف مع عدم تقديم تفسير متكامل لهذا النص والذى يحمل ملامحه الدرامية البيئية الخاصة ارتباطا بحدوتة شعبية نتائج بيئة محددة هى بيئة قلب الوجـه البحرى ، ومحاولة غرس هذه الحدوتة بهذا النص فى تربة صعيدية هى قلب الوجه القبلى دونما اختفاء لملامح التربة الجديدة على النبت الوافد والتـى استطاع رؤوف الاسيوطى بعمال مصانع قنا تقديم هذا النص فى عرض اكثر بطئا فى الايقاع ، وان كان اكثر وعيا بالقضية الجمـاعية واكثر فهما لحدوتة الدرامية الفاصلة بين المأساة والميلودراما مما ابرز امكانيات الممثلين وبخاصة على النجار فى تجسيده لشخصية بدران .

●● وتلتقط الإسماعيلية القضية : التمرد القروى والثورة الجماعيه ،فتقدم من اخراج واعداد **رأفت الدويرى** عملى نجيب سرور (**ياسين وبهية**) (**واه ياليل ياقمر** ، فتقدم بامكانياتها البسيطة عملا جهرا اداء وحركة ، ولكن للأسف على حساب جوهر المأساة الريفية وتحويلها الى عرض ملحمى يحكى قصة الصراع الوطنى والاجتماعى للانسان المصرى فلاحا وعاملا ضد قوى الإقطاع والاستعمار كما يصارع بنفس الضراوة كل الموروثات الغيبيه الغبية التى تكمن داخل قواه وتشل من حركته نحو التقدم ، ويسـقط الفرد امام كل احباطات القوى المضادة، ولكن الثورة تبقى طالما بقى هذا الشعب، وهى نهاية تقع فيها كل عروضنا الدرامية التى تناقش وضعا كان او كائنا مخفق معلقة الامل على « ثورة الجماهير » ولكن كيف يتم تنظيم هذه الثورة ؟ وبأى منهج تسير ؟ ولأى غاية تصبو ؟ ، لا شىء سوى امال ساذجة واحلام رومانسية ، كما ان مثل هذه النهاية تقع فيها كافة الأعمال الدرامية التى ترتبط باعـادة صياغة حدوتة شعبية ، حيث تقع فى اسر الحدوتة التى دائما ما تنتهى بمأساة تعبيرا عن مأساوية حياة هذا الشعب الطيب ، وتتناقض هذه الخاتمة تفاؤلية الثورة والامل فى استمرارها وجعـل نهاية الحدث المسرحى كالفاصلة المنقوطة بين حكاية حدثت وعشرات الحكايات التى سوف تحدث بناءا عليهـا فى تاريـخ الثورة .

وقد كان المخرج هنا باعادة صياغة لمسرحيتى نجيب سرور مؤكدا على هذه الاستمرارية للثورة على ارض مصر على يد فلاحها : ياسين وعاملها : امين ، وان كان نحفظنا عليه بجانب انسياقه وراء الوجه الملحمى لعملى نجيب سرور ايضا فى تكراره لشاهد تقع فى مسرحيتين متصلتين او فى المسرحيـة الواحـدة

كتكراره « لعقدة الجوزة » الشهيرة فى ريف مصر وعند نجيب سرور ،وكذلك تكراره لمشهد الحلم لاكثر من ثلاث مرات فى الفصل الاول مع اضافة مشهدوضارية الودع ، وهى قيمة مصرية اصيلة مواوغة معنى الحلم ، وبديلة عنه فى النبوءة ، كما انها تعد، نظيرة للعراف اليونانى وساحرات شكسبير ، اذا كنا فعلا جادين فى البحث عن مفردات محلية لمسرح مصرى اصيل ، وقد كان من الاجدى وتكثيفا للحدث الدرامى استبدال الاحلام الثلاث بضاربة الودع او الاكتفـــاء بحلم واحد منهم •

ومع هذا التحفظ قد وفق المخرج فى رسم التشكيل الحركى علـى المسرح مستلهما المفردات المصرية الاصيلةكحركة الساقية التى تحمل معنى الدوران المأسوى بلا وصول لهدف محدد ، وايضا فـى ربطه حركة بهية بالنخلتين اللتين تحملان دلالات تراثية فى حياتنا ، كما تعنى ثنائية التواجد فى الحلم بجذور متشابكة بين ياسين وبهية ، بين مصر وشعبها•• ولن ننسى هنا ان نحمل التحية الى من قامت بدور بهية ، شوشو سلامة ، والتى استطاعت بوعى ومهارة أن تجسد مأساة مصر وأملها فى بنيها •

●● فى الحقيقة لا اعرف السر وراء اختيار احمد عطية لاسوأ النصـــوص التى عرضت فى المهرجان ، واعتقـد والموجودة ايضـا فى ادارة المسرح ، ليخرجها لتعد ثقافة سوهاج ، فاحمد من المخرجين ذوى الحساسية الفنية التى جاهدت فى ان تجد لفنها مكانا وسط هذا الزحام الزائف على المسرح ، ولكنه فى الاول وفى الاخر مسئول مسئولية كاملة عن هذا الاختيار ، فمسرحيـة « ايوه كده يابلد » اذا جازتلنا التعريفات الدرامية بتسميتها بالمسرحية – لمؤلفها محمد أبو الخير تطرح المشكلة المزمنة كما يسمى بمسرح الفلاحين ، مشكلة الجمعية الزراعية ، كيف تدار ؟ والسرقات التى تحدث داخلها والصراع الدائرحولها ولكنها تقوم بتحويل القضية من صراع بين الفلاحين وبين جهاز انشاته وتديره عقلية بيروقراطية تتيح لمن فيه السرقة والنهب ، الى صراع عائلى زائف ، وتدعو الى حل قضايا الصراع عن طريق الضبط القضائى وتسجيل حديث شهود الزور سرا على شرائط كاسيت وكذا !، وطرح شعارات الصبر والايمان بعدالة السماء حيث سيلقى كل مجرم جزاءه على يد القدر ! ويكفى الفلاحين فخرا ان الاجهزة والاذاعة والصحافة تقف بجانبهم وتنشر صورهم وتحقق فى قضاياهم • وكفى الله المؤمنين القتال•• قيمة متخلفة تحمل منهوما رجعيا ،تدفع بالفكر الى التجمد والدراما الى قصـة بوليسية والاداء الى التسطيح ، ولا تستطيع شفافية الفنان عند احمد عطية ان تنفلت من بين براثن هذا العمل السىء لتصل الى الناس ، ولاينجـح من المثلين سـوى سهير عبـد الراضى « صبيحة » ، حيث تتحرك وتتحدث عن المسرح بتلقائية وببساطة ريفية متناهية•

●● هنا تقفز الفيوم بمسرحيتهـا (المساعير) للكاتب الشاب ابراهيـم الحفنى ، تحاول ان تقول بامكانياتهـا وطموحها وخبرة مخرج جاد كلمة فى قضيـة الظلم الاجتماعى ولـكن عـدم وضوح الموقف النقدى عند كاتب النص وخوفه من اعلان وجهة نظره بوضوح يتم تجريد القضية وتحويلها الى الرمز الساذج ، حيث تدور الحدوتة عن مالك وحيد لبقرة وحيدة فى جزيرة معزولـة يرفض بيعها لاهلها فيقرروا الثورة عليه واخذها بالقوة ،وتنتهى هذهالمسرحية المدرسية دافعة امامهـا بعبد الرحمـن الشافعى ليقوم (بترقيع) العرض بالحركة المسرحية التعبيرية المنبثقة من تصوره الجمالى للعرض والمفروض على المثلين دون ان تنبع من مواقف النص الدرامية وكذلك استخدام الموتيفات الشعبية من رقص وفرقة مزمار بلـدى وجـو المولد الشعبى •• الخ • استخداما بارعا داخل عرض مسرحى لو انتقى فيه وجودالنص لما اهتز ، وان برز اسامة عويس وربيع عبد الغنى ومحمود قناوى فى ادوارهم النمطية لنماذج الاسكافى والحلاق والمنادى المعروفة فى القرى المصرية •

●● وفى اطار التناقض بين المفهوم والمطروح تلتقط فرقة مسرح الفـلاحين « مقر ثقافة المنصورة » فكرة قصة قصيرة تحولت « بالمط » الى حواديت يسمونها مسرحية فالمؤلف احمد السيد ستيت يقص علينا الحدوتة المشهورة عن الفـلاح المصرى الذى ينزل البندر ومعه تحويشة العمر ، فيضحك عليه احد النشالين ويسرقها منه ، وملاحنا هنا هو دياب الذى ينزل الى البندر كى يبيع عجلة الحاج دهشان مهرا منه لابنته ، وفـى مقهى البندر يلتقى بشاعر الربابة الذى يحكى قصة دياب بين غانم وينهى قصته عند اسر دياب على ان يكملها فى اليوم الثانى •

ولعشق دياب الفلاح وتعصبه لسمية دياب الاسطورى يرفض ان يرحل الشاعر حتى ينهى حكايته ويفك اسر دياب ، ويدرك الشاعر وصاحب المقهى مدى بلاهة هذا الفلاح ، فيساومانه حتى يحصلوا منه على كل ما معه ، وتكتمل الحدوتة بفك أسر دياب الاسطورى ، ونشل فلوس دياب الفلاح ، وحكمة تقول لنا بخطأ التعصب لاحدى الشخصيات او الافكار فى سيرنا وحواديتنا الشعبية ، مثلما هو خطأ التعصب لنا من النوادى الرياضية المعاصرة ويضيع جهد ممثلين من أفضـل ممثلى المهرجان من الرجـال همـا : عبد البديع الديداموني « دياب » وسرور نور (دهشان) وهو ايضا مخرج العرض ومصمم ديكوراته وواضع الحانه الذى اعتمد على حيويته وحيوية الديدامونى وتدرتهما على التالق على بث الحـركة والنشاط فى هذا النص اللا مسرحى•• قيمة شعبية اخرى وفكر متخلف ومسرح مازال فى حاجة الى التبلور •

●● وتحاول فرقة بور سعيد بفكرها واصالتها ان تتخذ موقفا نقديا واضحا ازاء الواقع الذى نحياه ، وازاء التراث الذى نحمله داخلنـــا وفوق ظهورنا، وبمخرج جاد بفكرها نص ابوالعـــلا السلامونى (النديم فى هوجة الزعيم) لتقدم من خلالها عرضها التقطت ، حيث يقيم السلامونى مسرحية افتراض قيام عبد الله النديم اثناء هروبه بعد هزيمة الثورة العرابية واختفاءه فى قرى مصر، بتمثيل هذه الثورة موضحا للفلاحين كيفية قيامها وملابسات هزيمتها ، مزيلا عنها ذلك الغطاء الكثيف من الزيف الذى فرضه الخديوى والانجليز والباب العالى والمؤرخين الرسميين على هـــذه الثورة بادانتها بالتمرد والعصيان والكفر •• هنا تمتزج الفكرتان فى جسد واحد: عرابى الجندى الثائر بسلاحه ضد الخديوى الخائن والانجليز ، يقوم بتمثيلية النديم خطيب الثورة وصحفيها بدعوته للاصلاح الاجتماعى ، وكان من الممكن بهذه الحيلة الفنية البارعة الجدل بين الفكرتين على ارضية الثورة والواقع للوصول الى صيغة تفيد واقعنا المعاصر المتأرجح بين الطرح الاجتماعى للثورة وبين البحث عن الوجه الديمقراطى الشكلى لها وبفصل غيبى للوجهين الا ان الموقف النقدى لكاتبنا لم يكن متكاملا فعجز عن اقامة اى نوع من الجدل بين الفكرتين، وجعل بينهما باستمرار فاصلا ، عندما يقوم النديم بتمثيل شخصية عرابى يصبح هو عرابى بفكره وكلماته ، وعندما يرجع الى نفسه يضحى هو النديم بجسده وعقله ودعا تبادلا بين الشخصيتين •

ويلتقط عباس احمد بوعيه الحاد هذا العمل محاولا الاستفادة منه لتقديم فكره الجاد عن ضرورة الثورة ،وفهمه المتكامل بضرورة البحث عن صيغة لمسرح مصرى اصيل •وقدم فى عرضه تصوره للشخصية المصرية وحشد فيه كل المفردات العرضية المصرية او التى لها تاريخ طويل فـى حياتنا كخيال الظل وصندوق الدنيا والاراجوز والمهرج او القرقور وثنائى زعيط ومعيط •• الخ •

وكذلك فنون العصر : كالمسرح دخل المسرح والبانتوميم والرقص وأغـانى الكورس وتنوع المشاهد وتناقض الشخصيات الكـورس وتنوع المشـاهد وتنـاقض الشخصيات ••• الخ •

كل هذه المفردات كان استخدامها بارعا من الناحية الجمالية من حيث التشكيل الحركى والايقاعى لها ، ودراميا فـى التعبير عن كل حالة وجدانية ساكنة ومؤثرة ، وفكريا فى الفصل الطبقـى الواعى لمجموعات الثورة فى جـانب ومجموعات السلطة الخديوية والاعيان ورجالات البوليس الانجليزى فى جانب آخر ، الا أن تحفظنا الوحيد هنا يأتى

من الخوف من ضياع هذا الفكر الجاد وسط هذه الباقة المكثفة من اشكال العرض التى تجذب نظر الجمهور وتشتت فكره الذى نحن فى احوج الاوقات اليه، ولقد برع فى هذا العرض فوزى شودة « حسن المهرج » وعبده مخلص «الاغا» وسمير زاهر ومحمد برهان فى دورهما الشماميين « البصاصين » ذيول السلطة الباحثين عن النديم ، وكان حمدى الوزير بامكانياته كممثل بارع اكبر بكثير من دوره الصغير .

●● قدمت لنا فرقة دمياط (الناس والبحر) طعما وفكرا وملمحا خاصا وان كانت هذه المسرحية والتى اعدها منذ اكثر من عشر سنوات صلاح هنداوى والسيد الخولى عن مسرحيه « نابى » للفرنسى التقليدى « مارسيل بانيول » الا ان حافظ احمد حافظ مخرج هذا العرض ومجدى شاهين مصمم ديكوراته وصدق الفرقة قد حاولوا اخفاء الملامح والطبيعة الساحلية الدمياطيه على هذا النص « المتمصر » استنادا الى الخطوط العامة التى تشكل وجه كل موانى ومدن البحر المتوسط ، وارتباطا بطرح قضية المصرية فى الاداء الحركى والصوتى وفى الملبس والاستجابات العفوية النابعة من تراث ضخم فى الحياة المصريه ، والتركيز على الملمح الاخلاقى الذى يفخر الشعب المصرى برفعه كاهم شعاراته ، وقد برع المخرج فى التحكم الدقيق لايقاع الكلمة والسذجة للممثلين بفن الاداء الجيد النابع من طبيعة الموقف وتركيبة الشخصية ، وليس من التركيبة اللغوية الكلمة ، وضبط ايقاع الكلمة مع الايقاع الحركى فى مجرى ضيق لا انفعال زائد او حركة متكلفة ، وكان اكثر الملتزمين بهذا الفهم حلمى سراج « جابر » ورضا عثمان « عباس » وسميرة كامل «عزيزة» .

●● وتقدم لنا ميت غمر (راجل بميت الف) من اعداد عبد الغنى ناصر عن مسرحية « دورنمات » الشهيرة «زيارة السيدة العجوز» من اخراج المخرج المحلى محمد ابو العنين ، واول سؤال يتبادر الى الاذهان هو : ما علاقة هذا النص بمجتمع القرية ؟ وهل اذا حولنا اسم كلير فيشر الى كعب الخيل . واسم مدينة جيلين الى قرية شلشلمون ، وادخلنا فرقة الات شعبية من الصالة يتحول الى نص فى الدنيا الى مسرحية تعرض فى قرانا المصرية ، ولا املك الا الاسف على هذا الجهد الذى بذل فى اخراج هذا العمل واعتقد ان تقديم هذا العمل ممصرا فى ميت غمر ما هو الا نكتة دست على شبابنا . ولم نخرج سوى بمشروع مخرج وبفتاة اسمها هانم الفضالى رغبتها فى ان تكون ممثلة اكبر من قدرتها ، وحضورها على المسرح افضل من فهمها لدورها .

ونفس السؤال يطرح من زاوية اخرى، على هذا النقل والمشوه لما يجرى داخل كباريهات شارع الهرم على المسرح متخفيا تحت صرخات وتشنجات من مصر وباسم « سهرة في دار الاحلام » من اعداد كاتب المسلسلات الاذاعية الشهير بوحيد حامد واخراج السيد الباجورى وبجهد شباب بنها الذى حرق دمه من اجل ايصال « فكر » لن يصل لابعد من امتار عن قصر الثقافة ببنها !

●● فى منتصف الستينات وفى خضم طرح شعارات التجربه الاشتراكيه وفى قمه الطرح الاجتماعى للثورة المصرية ، وخلال عشرات التجارب المسرحية بحثا عن مسرح مصرى اصيل وبسيط ، وروافد مسرحيه وافدة من بريختية وعبثية ولا معقولية . خرج علينا نعمان عاشور بتجربة لم يعد لها بعد ذلك كتبها كاوبريت ثم اعاد صياغتها كفن درامى خالص فى قالب ملحمى بريختى ، فاثار المناقشات الحادة وقتها حول النص والعرض معا، وها هو محمد سالم يعود وعلى مسرح قصر ثقافة الزقازيق يقدم لنا فى منتصف السبعينات وفى ظل ظروف تعلل لهذا الطرح الاجتماعى لقضية الثورة مؤكدا على الوجه الديمقراطى لها بشكل احد ، ومن ثم تتحول قضية الصراع حول ملكية اهالى كفر « سيدى عواد » بوابور الطحين بالكفر كملكية عامة ومشكلتهم مع مستغليهم من اقطاعيين وذوى نفوذ الى مشكلة الصراع بين الخير والشر يوجههما الفلسفى ، ويلغى محمد سالم الطرح الاجتماعى للعمل كما يقلل من مباشرية وتعليمية ويؤكد على احداثه الدرامية على الرغم من نمطية معظم شخوصه وعدم تطورهم دراميا ، ويدعم العرض بالاغنية والرقصة ، ويحرك ممثليه ببراعة فى تشكيلات جمالية اشاعت الحركة فى المسرح ، ولن ننسى الدور البارع الذى قام به عادل طلبة «بهلول» عبيط القرية والذى ساعده رسم شخصية فى النص بعناية تبرز اعماقه النفسية وخاصة فى مشهد حلم اليقظة البارع .

●● وبفهم واضح لتعليميه وبحيث يقدم لنا الفريد فرج مسرحيته (عسكر وحرامية) والتى تضادت مع سيادة المنهج الواقعى برافده الانتقادى على مسرح الثقافة الجماهيرية ناضطرب عرض بنى سويف على يد المخرج حسين جودة ، وضاعت قضية ملكية الشعب للقطاع العام وادارته ، وكيفية تخلصه من العقلية البيروقراطية المنقولة اليه من اروقة المؤسسات الحكومية ضاعت القضية بين جرى وصراخ ودخول وخروج من الصالة بلا مبرر ، ولم ينجح من هذه الزوبعة سوى محمود شاهين « عريان » وحسين عباس « المفتش » بأدائهما الكاريكاتيرى . وسعاد سعد « زينب » التى تثبت بطاقة تمثيلية فى حاجة الى اكتشاف .

●● وكذلك لا يقدم لنا على الغندور فى اخراجه لمسرحية سعد وهبة (كوبرى الناموس) اى تفسير جديد للنص يتوافق مع الواقع المعاصر فى السبعينات ، وعلى الرغم من امكانيات فرقة كفر الشيخ البشرية الهائلة لم يعلق بذهن المتفرج بعد رؤية العرض شىء اللهم غير اغصان شجرة كافور باكملها جيئت لتنشر على ديكور المسرحية امعانا فى الواقعية ، وكم باسمك ايتها الواقعية ترتكب الجرائم !

●● هنا نأتى الى تجربتين عرضتا خارج المسابقة هما تجربة قرية دنشواى التى دائما ما تعرض خارج المسابقة ولانعرف لم ؟ وقرية زكى افندى .. نفس التجربة الاولى يقدم لنا نبيل يحيى بفلاحى قرية دنشواى بكل طيبتهم ، بكل صدقهم ، بكل احاسيسهم البسيطة البعيدة عن التعقيد « البندرى » والذى فرض على نبيل يحيى الغاء شخصية الزاوى فى مسرحية نجيب سرور «ياسين وبهية» مع اعادة كتابة اشعارها المكتوبة الى اشعار بالعامية الريفية ، وببساطة العرض « وبجيل » الممثلين فى حركتهم وادائهم التمثيلى وملابسهم ولفتاتهم ، والذى لم تتغير منذ تجربتهم الاولى مع هناء عبد الفتاح فى ملك القطن منذ سنوات، لقد كان ارتكاز المخرج فى هذا العرض على البساطة والاعتماد على الكلمة وصدق الاداء لتكوين عرضه الذى ظلم فى القاهرة .. كلمة تهنئة لمخرج الكفور نبيل يحيى الذى قدم لنا فى هذا المهرجان تجربتين لقريتين هما دنشواى بالمنوفية . واطسا بالفيوم . ان ذهابه الى هذه القرى وابتعاده عن الاقاليم والبنادر التى جذبت معظم مخرجى هذا المهرجان ، ايمانا او تخطيطا خاصا بادارة المسرح لهو الوسام الحقيقى الذى يضعه هذا المهرجان على صدره فى نقله المسرح كخدمة اجتماعية وثقافية خطيرة تغير الكثير من المفاهيم الحضارية فى القرى المصرية .. والتجربة الاخيرة التى اجهضت على مسرح السامر هى تجربة عبد العزيز مخيون مع قرية « زكى افندى » فى صفقة الحكيم ـ لقد قدم مشاهد غير مختارة فرضها تاخير العرض بسبب يوم المسرح العالمى ومن ثم لم نستطع الا ان نرى تجربة مجهضة لمخرج ممتاز له فكره المحدد وممثلين بسطاء ناموا فى الشارع حتى الصباح ليلة عرضهم المجيد .

من خلال هذا المهرجان واستكمالا لمهرجانات سابقة نخرج بالملاحظات التالية :

● ان مفهوم مسرح الثقافة الجماهيرية ـ مسرح خارج القاهرة ـ مازال غامضا وغير متبلور فى اذهان مؤلفى ومخرجى فرق الثقافة الجماهيرية (٦٥ فرقة على امتداد ٤٠٠٠ قرية) وان هناك فرقا شاسعا بين الشعارات التى تتصورها خطط ادارة المسرح وبين ما يقدم بالفعل ماجهزة الثقافة تبحث عن موقف نقدى ملتزم بواقعنا السياسى القائم على ارساء روح الاشتراكية النابعة من واقعنا على الرغم من ان شعار كان قد تبلور محتواه

السياسى فى فترة الستينات • ومع انه لم يعد مطروحا بذلك المضمون الا ان الثقافة الجماهيرية كجهاز من أجهـــزة الدولة نرفعه كشعار لها فى خطـة هذا العام وتدفع بمخرجيها الى التخبط بينه وبين واقع سياسى يطرح قضايا الديمقراطية والليبرالية لحكم وسيادة القانون ودستوريته وتموج الساحة المصرية منذ عامين تقريبا بالمناقشات حول هذا الطرح ، ومن ثم تخرج لنا الاعمال مجهضة او ناقصـة كما حدث فى عروض : وابور الطحين – آه ياليل ياقمر – المسامير •

● **مازالت ازمة النصوص تفـرض وجودها على مسرح الثقافة الجماهيرية ،** كما تفترض وجودها بحدة منذ سنوات على مسارح القاهرة ، فكثير من الكتاب الجادين اختفوا اما خارج الوطن او خلف المكاتب الادارية او فى منازلهم • وهى واجهة من اوجه ازمة الديمقراطية خلال السنوات السابقة ولعل هذه الصيغة الجديدة للديمقراطية والتى وصلت اليها الدولة بعد سنوات من الاقدام والاحجام تتيح لنا عودة جديدة لكتابنا الجادين وتظهر لنا براعم جـديدة فى حيـاتنا الفنية •

● **اختفاء الموقف النقدى المتكامل من قضايا التراث والواقع المعاصر للقـرية المصرية وغلبة المفاهيم الاخـــلاقية على تفسيرات المخرجين الشبان للاعمال التى يقومون بتقديمها خارج القاهرة •** كما يعمل الكثير منهم على لى عنق نصوصهم من اجل تطبيق مفهوم عام عن مسرح مصرى أصيل وما زالت ترى ونجوع مصر محتاجة الى استنباط المخرج والمؤلف المحلى تخلصا من انتظار هذا الافنـدى الوافد من القاهرة « يحفظهم » ادوارهم دون ان يعايشهم ويخرج لهم النص الذى اختاره هو سلفا دون ان يكون لوجودهم اهمية سوى التمثيل كعرائس «الباببيت » وهو ظلم للمخـرج للفـرقة وللمفهوم المطروح فى خطط الثقافة الجماهيرية•

● سابع مهرجان لعاشر عام بمئات العروض بعشرات المؤلفين ومشاريع المخرجين وآلاف الممثلين ذوى الطاقات الخلاقة ، **أليس هناك من حل للحفاظ عليه وتنميتهم ثقافيا وفنيا** ، دون ان نكـرر ظاهرة **ابراهيم عبد الرازق** الذى خطفته القاهرة من مسرح المنصورة ، فأصبح نموذجا تجريبيا لكل ممثلى مسرح خارج القاهرة ، وأيضا دون جذبهم لمعاهدنا الاكاديمية المخربة للفنان المصرى **اذا كان** اصلا من يدخلونها الان نماذجا لفنانين مصريين ، أليس من الممكن ان نعد لهم دورة تدريبية لمدة شهرين كل عام يتـم فيها تعريفهم بتاريخ وفن المسرح عالميا ومحليا وتعليمهم طرق الاداء المسرحـى حركة وأداءا وقولا •• الخ •

● **ضرورة البحث عن مشكلة وجود الرقابة** – وهى وجه آخر من أوجه أزمة الديمقراطية فى مصر – حائلا دون تفجير الطاقات بكامل امكانياتها وحجرا على التجارب الجديدة ابتداءا بالتفسيرات الخاصة بالنصوص وانتهاء بالارتجال البعيـد عن القولبة الشـكلية المحـددة لامكانيات الفنان المصرى •

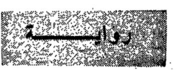
● **مازال استخدام الاغنية والموال يتم بأشكال تلفيقية وتطريبية مما يضعف** من قدرة المسرح على الشحن والمواجهـة مع السقوط فى منزلقات التخدير والوصلات الغنائية للاذاعة المصرية •

● **بعيدا عن جمهور السامر •• اين هى مراكز الابحاث فى الثقافة الجماهيرية؟ ودورها فى اعداد الدراسات عن جمهور مسرح خارج القاهرة •** ماالذى أضافه المسرح اليه ؟ • وماذا أضاف هو اليه ؟ وما هى العوامل الفارقة بين جمهـور أسيوط وجمهور قها مثلا ؟ فى تعاملها مع نص واحد ؟

ما هى النصوص التى تناسب كل بيئة والشكل المناسب فى العرض لهم •• الخ •

● كان من المفروض ان يكون المهرجان تجربة معملية حية تنصهر فيها كل الفرق العارضة ، يشاهد بعضها البعض ، تناقش حول اهم الصيغ التى يجب ان يصل اليها المسرح المصرى اصيل ، ولكن للاسف كانت الفرق العارضة تصـل ، فى نفس يوم عرضها وترحل فى نفس الليلة او فى صباح اليوم التالى حتـى حلقة البحث التى أقيمت داخل المهرجان لم يحضرها احد من اعضاء هذه الفرق **هى مراكز الابحاث فى الثقافة الجماهيرية؟ مسرح خارج القاهرة •** ماالذى اضافه واقتصرت على موظفى ادارة المسرح وبعض السادة المسئولين فى الادارة العامة ونفر من مـــوظفى ادارات اخــرى مركزية والسادة المحكمين ومن ثم خرجت عن كونها حلقة عامة للبحث عن « مسرح الثقافة الجماهيرية » الى مناقشة كيفية عمل اللائحة الداخلية لادارة المسرح « هكذا ! » •• وانتهى مهرجان المسرح خارج القاهرة ! ■

حسن عطيه



« صـــدمة طـــائر غـريب »

• البحـــث عـن الفـــردوس المفقـــود

بعد نكسة حزيران مرت بمصر مرحـلة جديدة ، تفتحت العيون على الصدمة ، وظلت علامات الاستفهام قائمة . سيطر جو الهزيمة على الروح ، وجد الانسان المصرى نفسه يلعب دورا فى حياته وداعبته القيم البرجوازية، ودارت عجلة الاستهلاك لتطحن الفرد العادى .

يعالج هذا الجو كمال القلش فى رواية « صدمة طائر غريب » التى اصدرتهـا دار الثقافة الجـديدة فهو يجعل موضوع الهجرة – بمعنى الفرار – جوا للرواية لكنها ليست الهجرة الاخيرة . فــكل الشخصيات المهاجرة تهفو للعـودة الى مصر .. ينطلق المؤلف مع الراوى البطل – فى رحلة متوترة وسريعة ، لـكنها خطـوة فى طريق الدائرة الجهنمية التى تطحن الشخوص فى الداخل والخـارج معا .. شخصياته كلها تقف على أرض الواقع المصرى – وان كانت قد هجرته – فهو جحيمهم وجنتهم المفقودة .. ان الهجرة بمعنى الفرار فى هـذه الرواية تجعلنا نرى الصورة من الخارج بالمقارنة وندرك الابعاد العامة – والعالمية لازمتنا

وتحكى الرواية حكاية شاب أخفق فى

استمرار التواصل مع حبيبتـــه الفتاة البرجوازية السلوك . فهى فتاة شقية مرت خيانتها بعدة تلاقل أبرزها تزويجها لرجل لم تحبه ثم انفصالها منه . عالمها يختلف عن عالمه ، هو الكاتب الصحفى المهتم بالسياسة ، والمعتقل من قبـل والرافض لهـذا السلوك البرجوازى ، يترك مصر فى رحلة سريعة الى أوروبا علـه يبدد أثر هذه العلاقة ، ويشاركه الرحلة صديقه القديم « عمر » الذى كان ينتظره فى لبنـــان .. يتقابلان شخصيات مصرية وأوروبية مختلفـــة تشترك كلها فى غربتها وخوفها وعـدم استقرارها .. فى طريق العـــــودة من تركيـا الى لبنان تصـدم الغربة طائرا جميلا غريب الالوان .. يصل الى مصر ويعيد لقاءاته بمنى لفترة قصـــيرة ثم ما تلبث هذه العلاقة أن تفتر .. بعدها تتزوج منى من موظف صغير يدير شقة مفروشة ..

هذا هو الخيط الرئيسى الذى ينتظم الرواية .. لكنه ليس الا القشرة التى تخفى تحتها عالما كاملا من الهموم والامال .. هموم يضـــعها المجتمع أمام آمال أفراده فتسقط بهم فى حزن يـكاد يكون ميتا فيزيقيا .. هموم المثقف الذى يفكر بطريقة ويعمل بأخرى . هموم المحبين الذين لا يمارسون الحب الا خائفين .. الانسان الذى مسخته الرأسمالية فى أوروبا .. الـذى يكافح العـدوان فى فيتنام .. الذى مازال عرضـة لتمرد الطبيعة وزلزالها فى فيكاراجوا ..

الرواية تطرح كل هـــذه القضايا من خلال قصة الحب والرحلة البسيطة التى تبدو على السطح ذاتية شديدةالخصوصية .. لكنها مع استمرار الرواية تتسـع وتأخذ أبعادا عامـة وانسانية وتحـدد الجذور الاجتماعية لهذه القضايا كلها . بل وتفتح الطريق لتجاوزها .

وهم الاسى الميتافيزيقى :

تبدأ الرواية بداية ميتافيزيقية اذا جاز التعبير .. لكن هذا الحس الميتافيزيقى ما يلبث أن يكشف لنا وهو يتراجع أمام الجذور الاجتماعية للقضية . انه وهم صنعته الذات الضعيفة فى مواجهـــة الموضوع الثقيل ـ المجتمع وما يفرضه عليها ويفعله بها ـ هذا الضعف يجعلها تحيل الاشياء الى قوى خارجية نسكتها ما تلبث أن تكشف ـ بوعى أو بغير وعى ـ عن الجذور الاجتماعية للازمة . البطل يقول بصراحة « أحس انى ومن سبقونى ومن سيأتون مســدى أسرى لقوانين الكون التى لا تقبل الهزل ولا التطويع ، وانها سائرة فى سيرها بلا ذرة اهتمام بالانسان » ص ١٢ ، اذن فلا فائدة من أى جهد يبذله الانسان ، « نظن أننا نتمرد لكننا فى الحقيقة تحت هذه القوانين بلا قـــدرة » ص ١٥ ، فالانسان فقد حريته بوجوده فى هـذا العالم .. لذلك لابد من الهروب الذى يرتفع به ليجعله نهائيا ..

يحلم بالعودة الى الفردوس الاول ، فهناك البراءة « طموحى أن أعود الى الرحم الذى خرجت منه » الرحم هنــا يعادل الفردوس الاول .. لـكن ذلـك يظل مجرد حلم يبلور يأسه وعجزه عن التواصل والفعل .. وهو لانه يعيش حالة النصف الميته لا يشعر ما اذا كان يبتعد أو يقترب ، ذاهب أو عائد ، ليس أمامه الا الحلم بهذا الفردوس ـ الرحم ـ لـكنه يدرك أن حالة الحـلم عجز ، وتظل حـلما مهما كانت مغرية لذلك يقوم برحلته .. ولا يستطيع وهو فى حالته تلك أن يضع أيدينا على الخيوط الحقيقية لماساته ، فيقدم هذا التفسير الميتافيزيقى الذى يجعـــله وحيدا فى مواجهة قوى خفية عنيدة . يبرر موقفه ويلوذ بالموقف الوجودى وتصبح مأساته قدرا للجميع .. **لـكن هـــذا الحس الميتافيزيقى ما يلبث أن يتراجع مفسحا المجال للجذور الاجتماعية للازمة ..**

١ ـ فمنذ لحظة ركوب السفينة من الاسكندرية نراه يحدق بعينيه فى الركاب يدقق النظر أكثر فى فتاة سمراء . ندرك من حديثه عنها أنه فى حاجة اليها أو الى مثلها .. ندرك أن هناك قصة حب ضائع ابتسمت مرة ، أبحث عنهـا لاراها ، اتمـــلا عينى بالحـلم الذى لا يتحقق ، ولماذا يتحقق ؟ »

والتساؤل الاخير لا ينفى الحاجـــة الاولى .. وهـــو تساؤل موضوعى لانه ليس مراهقا يستغنى بهـــذه عن تلك بمجرد النظر .. ان الحـــالة المرضية للذات ما تزال قائمة وما زال شعوره باللاانتماء مركزا .

٢ ـ يتابع على السفينة ركاب السطح ـ الاوناديك ـ الفقراء الذين يغنون على ايقاع الحاجة « احنا جماعين وعاوزين ناكل » فى الوقت الذى يتداول فيـــه الموسرون طعامهم الفاخر بمطعم السفينة .. وقد تكون هذه المقابلة هى الموضوع كله وخاصة اننا سندرك أن أزمته مع منى ليست مجرد أزمة حب ، انما هى واقع مجتمع !

٣ ـ يتضح لنا أيضا بعد جـــديد للاسى الميتافيزيقى الزائف عنـــدما يقول « هذه أول مرة أرى فيها بيروت .. أحب أن أرى المدن لاول مرة » فذلـك يكشف لنا حساسية ورهافة الذات فى مواجهة العادة التى بسطها وتجعلهـا رهن جبرية من خلقها وبتكرارها تصبح طرفا تراجيديا .. ويكرر البطل فرحتـه ببراءة الاشياء « الطريق لا أمل فى أن ينتهى .. لكن هذا كله لا يبدد الثقة ، متعة السير لاول مرة ، تركيا لاول مرة وليكن ما يكون » ص ٢١ ويقول وهـو يعبر احد الحدود « تتجمع البهجة والفرحة والشوق عند أول لحظة وأول امتحان جديدة » ص ٤٦ ..

٤ ـ تكشف الشخصيات التى يقابلها بصورة أكبر الجذور الاجتماعية للازمة . فعمر يقف فى منتصف الطريق .. يعمل فى قطر ولكنه « مهدد أن يتولوا له عد للقاهرة » لاحظ لفظ مهدد وما لـه من ايحاءات .. لذلك يعمل فى خوف من نزوات رؤسائه .. من فقـدان المرتب الضخم والعودة لمرتبات القاهرة وطحن الحياة .. و « جلال » شاب يعيش فى فينا ـ بالقاهرة كان يحب فتاة .. وجد كل الطرق مسدودة و « .. ين » فنـــان يخشى العودة للقاهرة التى يحن اليهـا لانه لن يجد المناخ الملائم لابنته الصغيرة فى العلم والفن .. و « مريد » عندما ضاقت به القاهرة جاء المانيا الشرقيـــة وتزوج « انجريد » فتاة الحزب الشيوعى التى أحبها فى زيارة لها لمصر .. وعندما يتركها ويعود يمضى وقته برسم وجهها .

٥ ـ فى أوروبا أيضا تتســع دائرة الفهم .. تظهر أبعاد جديدة للازمة .. واقع الدول الرأسمالية يكشف الصورة .. فتركيا تعكس جـو التخلف والصراع بين المالكين والمعدمين .. لافتات البنكارى ـ اى البنك ـ تشيع فى الجو .. يقول شاب تركى « الاغنياء متواطئون وسعداء والفقراء يتاومون » ص ٢٩ .. فى فينا تعكس الفتـاة « تالترود » نموذجا للضياع والعدمية والانهيار وكيف تصبح اللحظة الواحدة هى عالم الشباب المتمزق .. ويشكل الجنس واستمراضاته والسكر والسرعة حيث لا يهتم أحد بأحد حدود الحياة التى تدفع أفرادها الى نهايتهـا بسرعة وتوتر .. **وفى البلدان الاشتراكية نجد الشخصيات المنكسرة التى قابلها تتجـــاوب معـه بسرعة رغم أزمتهـا الشخصية** « تزوريمتسيا » أو زوزو كما أسماها فتاة بلغاريا المرحة رغم طلاقها وحزنها تعمل وتواجه الحياة .. **هنا مجتمع لم يستطع تحقيقه السعادة كاملة لكنه لم يفقد الامل ويحاول .. والدول** الرأسمالية تعكس مجتمعا يقبض على الانسان بقبضة فولاذية ويدفعه نحـو الهاوية .. وهذا التقابل أيضـا هـو الوجه الاخر لازمته فى علاقته بمنى ..

٦ ـ من خـلال الحـوار الدائر بين الشخصيات تتناثر قضايا تساهم أيضا فى كشف الجـذور الاجتماعية للازمة والتى ما زلنا نتقصاها .. الفاجعة فى موت عبد الناصر أحاديث عن الاستعمار وما

فعله من نهب للشعوب .. المرأة المصرية فى مواجهة المرآة الاوروبية الخ .. يبقى بعد ذلك الا أزمته التى تبدو خاصة جدا — ازمته مع منى — والتى تلخص لنا القضية كلها وتكشف بقوة عن الاصل الاجتماعى لها ، وتستوعب كل المواقف الاجتماعية السابقة ولذلــك تستحقه « منى » وقفة خاصة فهى الشخصية الاساسية رغم أنف الراوى البطل ، هى المؤثرة والمتأثرة ، الفاعل والمفعول ، الجنة الضائعة وجحيم القائم والجنـــة الموعودة لمن يعرف الطريق !

مفترق الطرق والاختيار التاريخى :

أزمة منى الخاصة ذات دلالة عامة .. فالبطل اكتشف زيف الحياة الاجتماعية ، وبالذات للبرجوازية ، وكانت منى تتفق معه فى ذلك ، لكنها تصمم على ممارستها بوعى شـــديد .. « لم تقبل أبدا أن تتناقض مع هـــذا الزيف ، بل كانت تسايره وترفض أن تثور ضده ، ولماذا تتناقض معه وهو يمكن ان يكون غطاء للكثير من تصرفاتها الخاصة » [ص٤٩] ومنى هكذا لا تريد — ولا يمكن — أن تقف متناقضة مع مجتمعها « أنا لا أحب أن أقف متناقضة مع مجتمعى مهما كان متعفنا » ص ٥٠ .. وهى صادقة فى هذا الموقف .. فاذا عرفنا كيف اثرت القوانين الاجتماعية فى املاحها واملاك أخيها وكيف قبلت ذلــك دون تمرد ! وعرفنـــا تمسكها بالتقاليد الزائفـــة للبرجوازية رغم هذا التغيير الاجتماعى .. ادركنا الفارق بين التغيير الكمى والكيفى .. المادى واللامادى .. وعرفنا أن منى تعكس صورة مجتمع مثقل برواســب الماضى .. تعكس مسيرته مثقلا برواسب البرجوازية التى تستعد للانتفاض .. والتى وجدت فى هزيمة يونيو فرصـــتها التاريخية .. تعكس منى صورة مجتمع على مفترق الطرق .. وعليها الاختيار .. وهو اختيار تاريخى ولابد أن يأتى متسقا مع نفســه .. فمنى مهزومة والمجتمع مهزوم .. هزيمة منى جاءت من زواجها برجل لم تحبه .. رجل عجز عن فض بكارتها .. من اطلاق طاقة الخصـــب لديها ، وهى التى خلقت الا للعطـــاء بغير حدود .. لكنها لم تجـــد هذا الذى يطلق العطاء .. وزوجها فقـــد بعض الاشياء الاساسية ففقدت الانجـــاب .. ولم تعد اليوم تشعر بأهميته .. فالانجاب الذى يريده الناس مجرد اكتمال اجتماعى أما هى فتريد الرجل .. حاجتها الرجل الان أكثر من حاجتها لطفل .. انهـــا تريد أن تعيش . فالطفل قـــد يأتى مشوها اذا لم يوجد الرجل الكفء لذلك أسلمت منى نفسها لاول رجل قابلها فى المعهد وهى تعيش مع زوجهـــا .. وأسلمت نفسها لبطل الرواية دون أن تربط نفسها برباط نهائى معه ، هـــذه هى الصورة العامة لمنى ولا تهمنا الصورة الخاصة بها كشخصية تحيا الان .. ومن هذه الصورة لم يـــكن يمكن لهـــا أن تفعل غير مافعلت . وستظل تفعل ذلك اذا لم يحدث شيء جوهرى فى عالمها ومجتمعها .. اذا لم يتغير شكل المجتمع كله بهيكله المادى والمعنوى .. هـــذا هو مفترق الطرق ولقد اختارت منى أن تتزوج موظفا صغيرا ، برجوازيا صغيرا لديه شقة مفروشة يؤجرها .. لم تحبه ولا يمكن أن تحبه .. لكنها مشدودة اليه لانه الطبقة السائدة تاريخيـــا فى حياتها وحياة المجتمع .. !

طرفا المواجهة والحل :

الموقف فى الرواية الان واضح ومحدد .. الراوى وباقى الشخصيات المصرية فى جانب ومنى فى جانب آخر من المواجهة.

الراوى وعمر بالتحديد يعكسان أزمة المثقف فى البـــلد المتخلف .. **وعلى** الخصوص أزمة المثقف البرجوازى المزدوج .. ذلك الذى يسبق تفـــكيره حركته . فالبطل رغم اكتشافه لزيف حياة البرجوازية غارق فيها بمقالاته واهتماماته كما تقول له منى وكما يصدق هو على كلامها .. وعمر رجل يؤمن بالماديات فى ابحـــاثه « لكن ما أن يخرج من معمله حتى يصبح أسيرا للقيم الاجتماعية القديمة والافكار الميتافيزقية » ص ٤٤ .. عمر الوجه الاخر لصورة البطل .. والبطل لم يذكر اسمه على طول الرواية ، ربما لاضفاء صفة العمومية على نفسه .. لكنه بهذا الموقف المزدوج يصبح شديد الخصوصية معبرا فقط عن المثقف المأزوم ، وليس هؤلاء كل شيء وربما لذلك حاولت منى أن تعيد معه العلاقة بعد عودته ، انها تعرف أنه مربوط بها .. هو نفســه عاد يفهو اليها طائرا رغم أنه ما قام بالرحلة الا لنسيانها . لكن ما أن يقابلها حتى تفتر العلاقة .. لقد علت الرحلة نفسها وطهرته .. **اكتشف عمومية قضيته وقضية الانسان فى عالم اليـــوم** .. لم تؤثر الشخصيات التى قابلها تأثيرا ســـلبيا فيه لانها تكاد تكون هو .. لكل منهم « منى » ضائعة .. وعندما أخذت قضيته بعدها الاكثر شمولية جاءه طريق الحل .. ان الاخبـــــار تنقل حكاية الصبى الفيتنامى الذى استطاع وعمره لم يتعد الرابعة عشرة أن يأسر طيارا أمريكيا ويوثقه ويقوده لمعسكر الاسرى لا بد أن يأخذ الراوى وكـــل الشخوص طريقا جديدا .. لقد صدم فى عودته ذلـــك الطـــائر الغريب .. انه طـــائر مدهش الالوان .. لكنه لا يعرفه .. وعلاقته بمنى كانت مدهشة ولكنه لم يعرفها ولم تعرفه .. لذلك ينذر موت الطائر بموت العلاقة ويفتح الطريق لافق جديد .

بناء الرواية :

تمتاز الرواية بسهولة بنائها وتميزه معها . فهى ليست تقليدية ولا تمهـــد لموضوعها ثم تعقده لتطرح له حلا فى النهاية .. انها تعطى الفرصة للفكر والقلب معا أن يتحدثا على سجيتهما .. والسمة الرئيسية فيهـــا هى استخدام الزمن ، فموضـــوع الرواية دائرى من حيث المكان ، فالرحلة تبدأ من القاهرة وتنتهى اليها ، لذلك فهو دائرى من حيث الزمان .. الزمان هنا ثلاثى الابعاد

١ — زمن الراوى وهو زمن الرحلة ويقوم على الفعل الماضى .

٢ — زمن يقوم على الفعل المـــاضى أيضا لكنه أبعد من زمن الرحلة وهـــو زمن العلاقة مع منى ويظهر من خـــلال العودة لماضى زمن الرحلة .

٣ — زمن الحاضر أو زمن الـــكتابة نفسها للرواية .

واللغة العربية لا تتيح تلاسف التفتيت بالماضى البسيط مثلا الذى يصلح لزمن الرحلة والماضى التام الذى يصلح لزمن العلاقة مع منى لذلك نجـــد أن الفعـــل المـــاضى هو أداة الزمنين ولـــكن تأتى الاسماء والعـــلاقة والاماكن لنـــدرك أن حديثه عن منى أبعد واقدم .. اهميته هذه الازمة أنها تتفاعل مع المكان وانها تساهم فى صنع الدائرة الجهنمية تسنك وفى صنع طريق الخروج منها .

وزمن الرحلة أو الروى هو الرئيسى ، ولكن الزمن الابعد — الذى يظهر كعودة للماضى يكشف علاقته بمنى وأبعادها — هو زمن فاعل أيضا .. زمن الرحلة ليس سطحيا يكتفى بالتسجيل فقط ، أنه خلال متابعة الرحلة وما يكتشف خلالها يعطى بعدا اجتماعيا أوسع لزمن علاقته مع منى ، ولكن بتجرد أكثر وحياد فى اللغة .

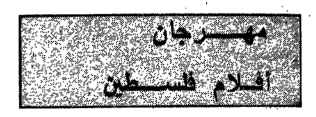
لغة زمن علاقته بمنى متوهجة ملتهبة لان الصراع معها مباشر ولغة زمن الرحلة هادئة يغلب عليها التسجيل والترصد ، تتيح الفرصة للمقارنات والمناقشات التى تكشف عن وحدة فى المكان رغم اختلافه ووحـــدة فى الزمان رغم اختـــلافه أيضا ولكن ما فائدة زمن الحاضر هنا أو زمن الكتابة .. فائدته أن يبقى ضوءا على حالة البطل ويتيح له فرصة الخروج من الدائرة أكثر .. دائرة الزمانية اللذين لهما نفس الوطأة مع اختلاف الاسلوب، والمكانين اللذين لهما نفس الوطأة أيضا مع اختلاف الارض .. لذلك يتحـــدث

البطل بلغة كلغة المريض الذى شفى من علته .. فيكتب لزوزو ويقابل فريد الخ .. انه يمارس حياة جديدة الان بعد أن تم الكشف والاستبصار ، والزمن الثالث أداة المؤلف فى ذلك ..

واستخدام الزمن الثالث غير شائع فى الرواية العربية ، فالعـــادة حتى الان استخدام الزمن المـــاضى كفلاش باك للحاضر أو زمن الروى .. ولم تجـــر العادة على الاشارة الى زمن كتـــابة الرواية أو ما يحدث خلالها ، ولـــكن فرضت طبيعة الموضوع الدائرية هـــذا الشكل الدائرى .. والرواية لهـــذا السبب لم تنقسم الى فصول وأبواب ، فهذه قد تقطع تواصل القارىء وتقطـــع معنى الدائرة . وقد تقف حـــائلا أمام تسابق الازمنة الثلاثة فى تحديد الدائرة والخروج منها . ولا شـــك ان هـــذه محاولة تحسب لكمال القلش خاصة انه لم يـــكن مجرد بارع فى التـــكتيك مغرم بالتغريب ، فلم يستخدم الزمن الثـــالث زمن الكتابة ـــ بطريقة تثقل على الزمنين الاخرين وهمـــا الاكثر أهميـــــة . بل استخدمه مرات قليلة أبرزها خطـــابه « لزوزو » . وزوزو لها أهمية موضوعية حيث تعمل وتكد وتواصل الحيـــــاة رغم أزمتها الخاصة .. وحديث الاخبار من زلزال فيكاراجوا وحرب فيتنام ولهذا أيضا أهميته الموضوعية التى اشرنا اليها فيما سبق ، ولقـــــاءه بفريد الذى ما يزال يعيش على ذكرى زوجته الالمانية ولهذا أيضا أهميته الموضوعية اذا تذكرنا من هى انجريد زوجته ..

ان رواية القلش غنية وممتعة معا .. جادة وسهلة معا .. تقيم التوازن الراقى بين الفن والفكر ، وتضيف الى الرواية العربية رؤية متفائلة تدفع بالانسان الى الامام .

ابراهيم عبد المجيد



[بغداد : ٢٠ ـــ ٢٥ مارس ٧٦]

بحثا عن سـينما نضـالية عربيـة

((تحرير فلسطين ركيزة للسلام العالمى))

تحت هذا الشعار عقد مهرجان بغداد الثانى لافلام فلســطين فى العشرين من مارس ١٩٧٦ . ومنذ ثلاث سنوات مضت عقد المهرجان الاول فى بغداد أيضا وطالب بيانه ـــ ضمن ما طالب به ـــ بتيسير كافة السبل الملائمة لخلق وتطوير ((سينما نضالية عربية)) . وكانت هذه التوصية هى الصوت الجماعى الوحيد تقريبـــا الذى ارتفع منذ أعلن انشاء الكيـــان الصهيونى فى فلسطين فى مايو ١٩٤٨ لينادى بخلق سينما مضادة لسينما الهزيمة التى طالمـــا شكلت وجداناتنا على نحو أو آخر منذ ما يربو على نصف قرن ، **وقد كشفت هذه المطالبة عن حقيقة مهرجان هو فى الواقع اهم مهرجان عربى ودولى مكرس لقضية نضاليةعربية هى بالضرورة فى مقدمة أخطر قضايا العرب والعالم المعاصرين .**

سينما نضالية عربية ؟ .. هل يبدو المعاصر منذ نحو نصف قرن ، او على الاقل ما يربو على ربع قرن بقليل ؟ وكيف التعبير غريبا عن معطيات الواقع العربى لم تخلق هذه السينما فى الوقت الذى استيقظ فيه الشعور العربى بالوحـــدة القومية وفى الوقت الذى تعرض فيه هذا العالم القديم ـــ العالم العربى لهجيات عاتية دامية شنتها قوى اليمين العالمى عليه ؟ ان فصلا أساسيا من قصة هذا « التخلف الطويل » يعود الى دراسة العلاقة بين السينما المصرية وثورة يوليو .. لان السينما المصرية تمثل بحجمهـــا وأفكارها وقيمها **((البطل الرئيسى))** فى قصة السينما العربية جميعها .

لقد تخلفت السينما من الثورة الام لاسباب كثيرة كانت محصلتها الغيـــاب الفعلى لسينما نضالية عربية . وفيما عدا تجربة الجزائر وبعض التجـــارب الفردية الاخرى فى البلدان العربيـــــة الاخرى ومنها مصر لم توجد سينما نضالية عربية مؤثرة . ومرة أخرى : **هل تبدو هذه السينما غريبة عن مفردات واقـــع طحنته الصراعات الداخلية والخارجية ، بالصدام المادى والمعنوى ، ومـــلات اسماعه صيحات المناضلين من أجـــل التحرير الوطنى والتقدم الاجتماعى ومن اجل الوحدة القومية ؟ .. الواقع يقول انهـــا بالفعل غريبـــة .. لمـــاذا ؟ .. الانظمة العربية .. تطور الوعى بقضايا العرب .. افتقاد القـــدرات التكتيكية المناسبة لدى الطامحين لصنع هـــــذه السينما انفسهم ... فقدان الاتصـــال والتنظيم ... ضبابية الرؤية ...**

قد تكون هذه أسبابا لغياب هـــذه السينما ... غير أنه ومهما يكن من امرها فقد حان وقت يتعين فيه على صانعى هذه السينما أن يدركوا قيمته وان يصبوا اهتمامهم بالتعاون مع القـــوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العـــربى وخارجه على نقل هذه الســـينما من الهامش الى المتن او بعبارة أخرى من اطار الصورة الى قلبها . وبالطبع فان بيانا او آخر لن يخلقها خلقا ولكن يبقى الامر بين صانعيها أنفسهم ثم بيد القوى التقدمية مجتمعة . لقد حققت مردودات السينما الهامشية فى أمريكا اللاتينيـــة تقدما ملحوظا صحيح انها منيت بضربات ساحقة جعلت من امكانية بروزها الى المقدمة أمرا بالغ المشقة لكنها ما تزال مستمرة .. وقد بدأت السينما الكوبتية الثورية هامشـــــية فى غابات السييرا مايسترا واخرج آليا بمعدات قليـــلة بالاشتراك مع اسبينوزا ((الميجانو)) (١٩٥٥) ثم فيلما آخر من فلاحي الجبال قبل انتصار الثورة بعامين .. وكانت هذه الافلام تعرض كيفما اتفق وكلما تيسر الامر مما أسهم فى خلق وتطوير الوعى النضالى لدى شاهديهـــا . كما انجبت حركة السينما الهامشية فى بلد كالبرازيل حركة السينيا نوفو التى فرضت وجودها

على واقع سينما «القيامة» ــ على حد تعبير جلوبير روشا نبي السينما الجديدة ــ بنسبة ۲۰٪ كما أن السينما الهامشية النضالية في بوليفيا والارجنتين وتشيلي وبيرو تحقق نجاحات عديدة على صعيد تنظيم الاتصال وتدعيم الكوادر الثورية وفضح الثقافة الرجعية والاستعمارية .

من القضية الفلسطينية ولدت بالفعل سينما هامشية عربية . ولكنها سينما ما تزال في طور التخلق والنشأة كما أن العلاقة فيها بين الشكل السينمائي الملائم وبين المضمون النضالي ما تزال في مرحلة المناقشة الشديدة . ولعل النجاح الاكبر لهذه السينما الوليدة هو انها قد خلقت بالفعل سينما هامشية من نوع جديد يتعاطف ويناقش القضية الرئيسية ولكن في بلدان أجنبية وبهذه الكيفية ولدت سينما هامشية عربية المضمون في الدنمارك وألمانيا الاتحادية واليابان وفرنسا . وهو انجاز استطاعت قضايا نضالية عالمية أخرى أن تحققه كقضية النضال الفيتنامي والجزائري من قبل ولكن مداه قد بدأ يتسع هذه المرة مع مد الكفاح الفلسطيني المسلح .

واين توجد والى أين ستمضي هذه السينما الهامشية العربية الجديدة ؟

تولد السينما الهامشية بالضرورة عندما يتصادم تيار سينمائي ما مع أنظمة القيم ومع الايديولوجية المسيطرة في بلد ما .

ولما كانت الثورة الفلسطينية المسلحة قد تفجرت أساسا من خارج الوطن المحتل فقد كان لزاما على سينماها أن تولد في الغربة النسبية (وهذا ينسحب أيضا على محاولات بعض السينمائيين العرب صنع سينما هي هامشية بالضرورة داخل الارض المحتلة) وأن تكافح بالتالي من خلال مجالها الحيوي الاساسي ــ الوطن العربي ــ بالالتقاء مع الاجنحة السينمائية التقدمية فيه في ألا تظل هامشية طوال الوقت . هذا في الوقت الذي ستسعى فيه من خلال تحقيق الاتصال مع عناصر الرفض والمقاومة في السينما العالمية الى خلق تيار عام يدفعها بدرجة أكبر الى ساحة الوجود الفعلي المؤثر .

وهذا الهدف الاخير هو نفسه الهدف الذي عقد من أجله مهرجانا بغداد في عامي ۱۹۷۳ و۱۹۷٦ . ومن خلال المهرجان قد يمكننا أن نحدد الاجابة على السؤال المطروح : **أين توجد والى أين ستمضي ؟**

يعرض المهرجان الافـــلام القصيرة والمتوسطة الطول ــ التسجيلية في الغالب ــ التي تعرض على أبناء الشعب الفلسطيني في المخيمات وعلى سائر أبناء الشعب العربي في تليفزيونات بعض البلدان العربية (حسبما يرى المشتغلون بالاعلام في هذا البلد أو ذاك) ثم أخيرا فيما تيسر من المهرجانات الدولية التي يتعاطف منظموها ــ عن ايمان أو عن ليبرالية ــ مع طرح الرأي الفلسطيني سينمائيا . هذا هو مجمل المساحة التي تتحرك عليها أفلام هذه الثورة . وقد يكون هذا هدفا مرحليا ناجحا ولكن الى أين ستمضي .

يظل التفكير في امكانيات الخروج بهذه السينما الى آفاق أرحب أمرا يتعذر القطع به .. لاسباب سبق أن أتيت على ذكر بعض منها . ولكن الامكانية المتاحة الآن لمناقشة هذه الامكانيات انها تتأتى من خلال عقد مهرجان عربي مكرس أساسا لعرض ومناقشة هذه السينما .

هل جاءت الافلام الفلسطينية التي عرضت المهرجان على المستوى الذي تطورت اليه القضية نفسها في الواقع ؟ هذا هو أول الاسئلة التي تطرحها مشاهدة هذه الافلام في المهرجان الاخير .

هناك **جريدة فلسطين** (العدد الاول والثاني) وظهورها حدث يساوي في ظهوره انبثاق أدب المقاومة الفلسطيني بعد انطلاق المقاومة الفعلية في ينـاير ۱۹٦٥ .. لماذا ؟ لان خلق نقط اتصال ومتابعة على المستوى الاعلامي اليومي في طريق الثورة الفلسطينية ــ واي ثورة مسلحة ــ هو عمل بالغ الاهمية لا لانه يبقيها داخل دائرة الضوء اليومي وحسب ولكن لانه ينظم ويجمع وعي الفلسطيني والعربي بتطورات القضية التي يحارب من أجلها .

كما عرض الفلسطينيون فيلمان للمخرج الفلسطيني **مصطفى أبو علي** (الذي بدأ عمله السينمائي كأول مخرج فلسطيني قبل ثمانية أعوام) وهما : « **عدوان صهيوني** (۱۹۷۲) » « **وليس لهم وجود** » (۱۹۷٤) . وفي اعتقادي أن الفيلمين يمثلان أفضل أفلامه . وهو يتبع اسلوب السينما المباشرة حين يتواجد في منطقة الحدث بأسرع ما يمكن ثم يعتمد على العرض والمتابعة والتحقيق من خلال شهادات الاحياء الباقين . فهوة الفيلم الاول يقوم ما حدث في ١٦ سبتمبر ۱۹۷۲ في احدى قرى الجنوب اللبناني من اعتداء صهيوني بشع اثر عملية ميونيخ في نفس العام . وفي الثاني يناقش من خلال تسع لوحات مزاعم العدو الصهيوني ممثلة في تصريحات مائير وديان « **ليس لهم وجود هؤلاء الفلسطينيون** » . ويقدم عرضنا بالصوت والصورة للعدوان الصهيوني على مخيم النبطية . ويستخدم بعض الحيل الفنية كموسيقى موزارت أثناء القصف الجوي وأغنية لام كلثوم في المخيم الساكن . ولكن الفيلمين مثل بقية الافلام الفلسطينية الاخرى يفتقدان الايقـاع والاحساس بالزمن الصحيح . وهذا يؤكد ضرورة أن تكون السينما الثورية عملا فنيا في المقام الاول حتى تمتلك الطاقة التأثيرية المطلوبة . ونفس الملاحظات يمكن أن تساق على فيلم «**كفر شوبا**» (۱۹۷٥) **سمير نمر** و « **على طريق فلسطين** » (۱۹۷٤) **لاسماعيل شموط** (الاول عن العدوان على قرية كفر شوبا والاخر عن الاطفال الفلسطينيين في مدارس الكويت) . من بقية الافلام الفلسطينية تبرز أفلام ثلاثة للمخرج **قاسم حول** : « **الكلمة البندقية** » (۲۰ ق)



بيوتنا الصغيرة

من قصة استشهاد الكاتب الفلسطيني المناضل **غسان كنفاني** الذى استشهد فى ٨ يولية ١٩٧٢ — ويكاد الفيلم — لولا بعض التزيد — يكون وثيقة رائعة عن البطل الراحل .. والثانى هو « **لن تسكت البنادق** » (٢٧ ق) وهو يحوى خطابا لجورج حبش أمين عام الجبهة الشعبية فى ذكرى استشهاد كنفاني الاولى ويقطع الفيلم مرارا إلى الكفاح المسلح الذى تخوضه قوى المقاومة الفلسطينية . أما الفيلم الاخير « **بيوتنا الصغيرة** » (٢٥ ق) فهو أجمل هذه الافلام وأكثرها تأثيرا وإحكاما . فهو يقدم محاولة لبناء ملجأ فردى لحماية الاطفال من غارات النازيين الجدد وينتهز الفرصة ليعرض ملامح العسكرية الفاشية الصهيونية .

هذا هو مجمل ملامح أهم الافلام الفلسطينية **التى لم تكن لظروف عديدة على المستوى الذى بلغته القضية نفسها وما زال بعضها يقف عند حدود الاثارة العاطفية دون تحليل كاف أو حتى عرض جيد للمعلومات وكأنما القضية ما تزال فى عام ١٩٤٨** . وهذا نفسه يطرح سؤالا على السينمائيين الفلسطينيين أن يجيبوا عليه : **لمن تتوجه هذه الافلام ؟** لقد تطور وعى الفلسطيني بقضيته كما أن العالم الخارجي يحتاج الى لغة من الوعى البارد . والاجابة بالتأكيد فى الاعمال المقبلة .

أما الافلام العربية الاخرى حول القضية فقد برز منها فيلم **قيس الزبيدى « نداء الارض » (١٩٧٦) من انتاج التليفزيون** السورى (فاز الفيلم بجائزة جمعية نقاد السينما المصريين) الذى أمكنه أن يحقق نجاحا كبيرا حين أدرك ضرورة خلق كيان عضوى يجمع المعلومات والتحليل الصامت والمونتاج المتقن فى كل واحد . فيعرض الفيلم لوحات صامتة كتبت عليها تصريحات للقادة الصهيونيين تتحدث جميعها عن القتل باعتباره أمرا طبيعيا وترتبط بين ذلك وبين مفهوم الامن الاسرائيلى مثلما نرى لوحات للمطران المناضل **كبوجى « ياسيد يسوع انقذ ارضنا العزيزة التي تعرف باسم فلسطين »** ثم يقطع الفيلم فى اتزان الى لقطات وثائقية حية للاضطهاد الذى يمارسه الاسرائيليون للمواطنين العرب العزل الذين يقاومونهم فى بسالة .. ويشحنك الفيلم من خلال تصريحات العدو برغبة قوية فى مقاومته . هناك أيضا الفيلم السورى « **دروس فى الحضارة** » (**١٩٧٦**) **لامين النبى** الذى يعلن نبيه سخرية على الحضارة الوحشية التى أتى بها الاسرائيليون لابادة الشعب الفلسطيني العربى .

ومن الافلام العراقية الكثيرة عن القضية الفلسطينية برز عدد من الافلام .. منها « **أطفالنا يرفضون** » (١٩٧٦) لنوفل زحات الذى قدم فيه فى شكل روائى قصير — يفتقد كثيرا الى التجربة — قصة طفل فلسطيني يعيش فى مخيم ببيروت يرفض مسح الاحذية بل وحتى المواظبة على الدراسة لكى يلتحق بفصائل اشبال المقاومة . وهذا الموضوع نفسه يطرحه منذر جميل فى « الاجابة » حين يعثر الاطفال على اجابة السؤال : اين يكونون ؟ فى طلائع المقاومة .

عرضت مصر « **ضـسائد الدبابات** » (١٩٧٤) لخيرى بشارة و « أبطال من مصر » **(١٩٧٤) لاحمد راشد و « تحية لمقاتل مصرى » (١٩٧٤) لصلاح النهال و « سويس ٧٣ » (١٩٧٤) للاخوين مهيب و كاوبوى (١٩٧٤) لسامى السلامونى .. ثم الفيلم التليفزيونى « انه فى يوم سبت كان الاستعراض الاخير » (١٩٧٤) لمحمد فاضل** . وقد كان ذلك بلا شك اسهاما طيبا فى مجموعه فى هذا المهرجان . وان كان مجمل المشاركة لا يعكس وزن مصر تجاه قضية كقضية فلسطين .

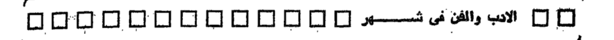
فاز الفيلم الدنماركى « **كل شعب مقهور على حق دائما** » **(١٩٧٥) لنيلزفست** بميدالية ذهبية وبتقدير عظيم . والفيلم **يستحق بالفعل . ليس لانه يفتح وحسب** جبهة جديدة لسينما هامشية فلسطينية فى بلد كالدنمرك ولكن لانه أيضا فيلم يتسم بما أسميته « **الوعى البارد** » الذى يغلف أسلوب العرض من أوله لآخره . فالفيلم يقدم فى شكل جدلى معلومات بالابيض والاسود لصور وأفلام أرشيفية عن تطور الاحتلال الصهيونى لفلسطين منذ نهاية الحرب الاولى ثم يقطع ذلك بلقطات **حية لام حسين** مثلا (وهى شخصية تحدث عنها **غسان كنفانى** فى قصصه القصيرة) وهى تروى ضاحكة (لاحظ انها المرة الاولى التى ترى فيها امرأة فلسطينية **استشهد أولاد لها** وهى تضحك) ماحدث لها منذ شردت فى عام ١٩٤٨ ثم لقاء مع الفدائية **ليلى خالد** والقائد **أبو موسى** .. وعلى زمن طوله ٤٥ دقيقة لا تستطيع أن تشرد لحظة لانجاز المعلومات وتركيز اللقطات وتحديد الهدف .

كما برز أيضا تحقيق تليفزيونى قام به **تستومو ساتو من اليابان مع ياسر عرفات** ولكن على الصعيد السياسى فى الوقت الذى افتقد فيه عنصر الايقاع والتركيز .

أما **مانفريدفوس** المخرج الالمانى الاتحادى الذى أسس قبل عدة سنوات **جماعة** بزميثيوس **الجديدة** والذى قدم للقضية الفلسطينية عدة أفلام هامة منها « **فلسطين** » (١٩٧١) أو « **أين تقع فلسطين** » و « **أرض الميعاد** » (**١٩٧٣**) و « **لانه فلسطيني** » فقد قدم هذا العام فيلمين فى المهرجان : الاول داخل المسابقة — وقد فاز عنه بجائزة منظمة التدريب — وهو « **قصة حياتى** » (**١٩٧٥**) الذى رأينا فيه فى تركيز شديد (١٠ ق) رواية مناضلة فلسطينية من قطاع غزة لقصة اعتقالها وتعذيبها بوحشية . والكاميرا لا تقترب من وجهها بحيث يترك تحديد الانفعالات بيد المتفرج دون تزيد عاطفى . وهو فيلم يصلح تماما كالدنمركى للتوجه الى المشاهد الاوروبى واقناعه بالنضال .

أما فيلمه الاخر فهو « **شهادة عن حركة تحرير يقودها جيش التحرير الشعبى فى المنطقة المحررة من ارتريا** » **(١٩٧٦)** (عرض خارج المسابقة) ويطرح فيه وجهة نظر الجبهة فى الصراع المسلح الدائر فى المنطقة من أجل استقلالها عن اثيوبيا . ويتسم العرض أيضا بتركيز المعلومات واتزان الايقاع .

من مجمل أفلام المهرجان حقق الفيلم اللبنانى — الفرنسى « **لبنان فى عذاب** » **(١٩٧٥)** للبنانية **جوسلين صعب** والفرنسى **جورج ستوكلين** نجاحا وجدلا شديدا فى نفس الوقت (فاز الفيلم بجائزة اتحاد نقاد السينما العرب) . ولا شك أن للفيلم علاقة مباشرة مع القضية موضوع المهرجان لانه يطرح الازمة اللبنانية كموضوع له . فعلى مدى ٧٥ دقيقة يحاول المخرجان تقديم صورة حاولت أن تكون موضوعية محايدة لكافة الاطراف اللبنانية مع تحيز واضح منذ البداية للقوى الوطنية والتقدمية . **ومدخل الفيلم هو تفسير الازمة اللبنانية الراهنة (الفيلم مصور فى مايو ١٩٧٥) من زاوية التحليل الطبقى للواقع اللبنانى . ولا شك ان هذا مدخل صحيح ولكنه ليس المدخل الوحيد بالطبع** فهناك المقاومة الفلسطينية وهناك العشائرية والطائفية وهى جميعا عوامل مؤثرة . ولهذا فان الفيلم يمسها مسا واضحا فنرى خليل خورى يتحدث فى وسط بورجوازى عظيم عن الاصلاح الاجتماعى وعن الثمن اللازم وفى لقاء ذلك . ثم تعرض المخرجه لاوجه الدمار الذى تقطعه صورة حيه للبنان السياحى قبل عام ثم نلتقى ببيير الجميل وإده وجنبلاط والصدر وسمير فرنجية (صحفى يسارى) وشربل قسيس وشاكر أبوسليمان وفاروق المقدم وفواز الطرابلسى (رئيس منظمة العمل الشيوعى) وغسان توينى ثم هنرى صفير . وقد ارتبط أسلوب تقديم هؤلاء جميعا بهوياتهم السياسية والاجتماعية . فبيير الجميل يتحدث عن المسيحية كما يفهمها نهاية مائدة طويلة فارغة وخلفه شعار الكتائب اللاتجه وتاريخ التأسيس (١٩٣٦) والصدر يسير فى الصحراء حاملا الميكروفون (كنبى



مسلح) كما يلقبه الفيلم وجنبلاط يتحدث فى هدوء وخلفه الفضاء الشاسع بينما يتقدم هنرى حنفير الذى استورد مرتزقا فرنسيا لتدريب ميلشيته على مساندته بينما هو لا يعلم الى أين يمضى — تدم وسط اطار ساخر فى نهاية الفيلم لانه يعكس عبثية لعبــه المال والســــلاح والميلشيات (اقتطعت المخرجة حوارا مع المرتزق الفرنسى فى فيلم منفصــل (١٠ ق) اسمه « **الصليبيون الجدد فى الشرق** ») ..

وقد اثار الفيلم حوارا ساخنا حول مدى اهتمامه بوضع المقاومةالفلسطينية كعامل رئيسى فى الازمة اللبنانية ويكن الفيلم يحوى بالفعل لقاء مع لبنانيين انضموا للمقاومة ولقاء مع طبيب اختطفه الاسرائيليين فى الجنوب على الطريق الرئيسى وهو يقول متعجبا : « **انهم يدخلون هنا ويخطفوننا من على طريق الحكومة اللبنانية !** » .

غير أن الفيلم بما يثيره من نقاش هو واحد من أهم الافلام التى عالجت هذه القضية ولعله أهم أفلام مخرجته التى تدمت من قبل « **الفلسطينيون يواصلون** » و « **النساء الفلسطينيات** » و « **جبهة الرفض** » .

قرر مهرجان فلسطين انشاء هيئة دائمة له . وهذه خطوة لكى يستمر المهرجان ويتدعم كما أصدر توصيات عديدة تجعل منه — لو تحققت — واحدا من اهم مهرجانات العالم النضالية فى الوقت الذى بدأ فيه الاهتمام الفعلى « **بالعمل على انشاء مركز دولى لتوزيع الافلام والبرامج التى تتناول القضية الفلسطينية** » ... وهو الامر الذى سيجعل من امكانية نقل هذه السينما من الهامش الى الصورة ممكنة .. تماما كما انتقلت القضية ذاتها من الهامش الى قلب مشكلات العالم اليوم .

والى أن يتحقق ذلك فان الاستمرار فى خلق هذه السينما وتطويرها يظل مطلبا حيويا وضروريا . □

— الفاروق عبد العزيز

لوكينو فيسكونتى

أرســـتقراطى ثـار على طبقتــــه

الارستقراطى الذى ثار على طبقته !

فى السابع عشر من مارس الماضى ، حملت لنا وكالات الانباء خبر وفاة فنــان السينما الايطالى العظيم «لوكينوفيسكونتى» وهكذا فقدت السينما الايطالية والسينما المعاصرة فنانا كبيرا شارك فى اثراء الفن السينمائى باعماله التى تميزت بالخصوبة والاصالة والحب العميق للانسان والثورة على كل القيم السلبية والمريضة ، التى انتجتها الفاشية والراسمالية فى هــذا العصر ، الذى كان فيسكونتى حقا فنانا عاش كل تناقضاته وتاثر بها ، وحاول ايضا ان يؤثر فى مسار الاحداث فيه .

وطوال اكثر من ثلاثين عاما ، عمل خلالها فيسكونتى بالسينما ، لم يقــدم هذا الفنان العظيم سوى أربعة عشر فيلما روائيا طويلا هى : « **وسوسة** » ١٩٤٢ ، « **الارض تهتز** » ١٩٤٨ ، «**رائعة الجمال**» ١٩٥١ ، « **حواس** » ١٩٥٤ ، **الليــالى البيضاء** » ١٩٥٧ ، « **روكو واخوته** » ١٩٦٠ ، « **الفهد** » ١٩٦٣ ، « **اغــراء نجوم الدب القطبى** » ١٩٦٥ ، « **الغريب** » ١٩٦٧ ، « **الملعونون** » ١٩٦٩ ، « **موت فى فينيسيا** » ١٩٧١ ، « **لودفيج ملك بافاريا** » ١٩٧٢ ، « **عنف وعاطفة** » ١٩٧٤ ، « **البرىء** » ١٩٧٦ . بالاضافة الى ثلاثة أجزاء من أفلام « نحن النساء » ١٩٥٣ ، « **بوكاشيو ٧٠** » ١٩٦٢ ، « **الملكات** » ١٩٦٦ .

ولد لوكينو فيسكونتى فى ٢ نوفمبر عام ١٩٠٦ فى مدينة ميلانو ، ونشأ فى عائلة ارستقراطية كان للفن دوره فى حياتها . فتعلم فيسكونتى طفل مسن والديه حب المسرح وأتيح له أن يمارس الموسيقى والرسم .

وكانت بداية دخوله الى عالم الدراما ، عام ١٩٢٨ ، عندما بدأ العمل بالمسرح كمصمم للمناظر . وفى عام ١٩٣٦ ، رحل الى باريس للعمل فى السينما . وهناك قدمه أحد أصدقائه الى المخرج الفرنسى الكبير **جان رينوار** ، الذى الحقه بالعمل معه كمساعد مخرج فى فيلمه « **حفلة فى الريف** » ١٩٣٦ و « **الحضيض** » ١٩٣٧ ثم بعد ذلك فى « **توسكا** » الذى شرع رينوار فى اخراجه فى ايطاليا عام ١٩٤٠ ولكنه لم يكمله .

ولقد كان طبيعيا أن يترك رينوارتاثيره على فيسكونتى الشاب . وهو ما يتعدى مجرد التاثير فى اسلوب اخراج فيسكونتى لفيلمه الاول « وسوسة » عام ١٩٤٢ .. الذى بدا فيه تأثره بأسلوب رينوار فى بناء الشخصيات وتخليق العلاقة فيما بين الشخصية والمكان والتحريك المنســاب للكاميرا .. الخ . ولقد أفصح فيسكونتى عن حقيقة تأثير رينوار عليه ذات مرة عندما قال : « لقد ساعدنى رينوار على ان افهم انه عالم تلمع فى السينما فكرة انسانية عميقة فانها تصبح سينما فارغة لا قيمة لها » !

وفى فرنسا أيضا ، وبعيدا عن الفاشية التى كانت تفرض قبضتها الحديدية الرهيبة على ايطاليا فى ذلك الوقت ، اندمج فيسكونتى وسط مجموعة من شــباب الجناح اليسارى الذين كان معظمهم من الشيوعيين . وتركت تلك الفترة تأثيرها الفكرى على فيسكونتى الذى انتهى الى اعلان اعتناقه الماركسية وأصبح معروفا بانتمائه الى الجناح اليسارى فى ايطاليا بعد الحرب ، ولكن دون أن ينضم فعليــا الى صفوف الحزب الشيوعى الايطالى الذى ظل فيسكونتى يؤيده ويمنحه صوته فى الانتخابات حتى وفاته .

والى ايطاليا الفاشية مرة اخرى ، عاد فيسكونتى ليصبح عضوا بارزا ضمن حركة فنية غاضبة تشكلت من بين عدد من النقاد

والمخرجين الشبان كان من بينهم : جياني بوتشيي وجيوسيبي دى سانتيس وكارلو لزاني ومايكل انجلو انطونيونى . وقد بدأ هؤلاء في التعبير عن آرائهم فى السينما السائدة فى أواخر عهد الفاشية .. سينما التليفونات البيضاء كما أطلق عليها فيما بعد — على صفحات مجلة « السينما » التي رأس تحريرها جياني بوتشيي صديق فسكونتي .

وكانت مجموعه « المقاومة السينمائية » هذه ، تنتمى لاسباب سياسية وجمالية — للسينما الواقعيه . وكان مثلهم الاعلى جو « فيرجا » الكاتب الصقلى العظيم الذى كتب إعماله العظيمة كلها فى أواخر القرن التاسع عشر .

وفي ظروف الاضطراب العام الذى كان يسيطر على الواقع الايطالى عام ١٩٤٢ ، حينما بدات نذر الهزيمة فى الاقتراب من ايطاليا ، تقدم فيسكونتي الى الرقابة الايطالية الفاشية بمعالجة سينمائية عن قصة قصيرة للكاتب فيرجا، ولكن الرقابة رفضتها لجراتها في نقد نمط الحياة الايطالية الذى يسمح بسيطرة بعض اللصوص الكبار . وهنا لجأ فيسكونتي الى استاذه رينوار الذى نصحه بتقديم رواية « ساعى البريد يدق دائما دقتين » للكاتب الامريكى جيمس كين . وكانت تلك بالفعل هي وسيلة فيسكونتي الوحيدة لخداع الرقابة الإيطالية التي وافقت على السيناريو على الورق، ولكنها ما أن شاهدت الفيلم نفسه بعد ان انتهى فيسكونتي من تصويره وأطلق عليه اسم « وسوسة » أو «الهاجس» ، حتى هاجت وسحبت ترخيصها له . ذلك أن فيسكونتي قام بتطوير رواية جيمس كين وجعلها تعكس صورة لواقع الحياه فى ايطاليا فى تلك الفترة ، وحاول من خلاله أن يجسد افكاره الواقعية التى نادى بها من قبل ، التى كانت تتعارض تماما مع النمط السائد فى السينما التى ترعرعت فى ظل الفاشية . وشاهد موسولينى الفيلم فى عرض خاص ، وصرح بعرضه ولكن السلطات عادت فثارت ضده مرة أخرى عام ١٩٤٣ ، وقامت بحرق جميع نسخه عدا نسخة واحدة كان يحتفظ بها فيسكونتي وقد قضى بسبب ذلك فترة فى السجن وكاد يلقى الاعدام لولا دخول قوات الحلفاء التى خلصته . وهكذا قدر لهذا الفيلم أن يصبح البداية الحقيقية لحركة الواقعية الجديدة « نيوريالزم » التى انفجرت فى السينما الايطالية بعد الحرب ، وحمل لواءها — الى جانب فيسكونتي — مخرجون مثل روبرتو روسيلليني وفيتوريو دى سيكا وبيترو جرمى ولوجى زامبا ... الخ .

وفيلم « وسوسة » ليس مجرد فيلم عن الشهوة الجنسية عندما تتحول الى قوه مدمره لمن تستحوذ عليه — كما يقول الناقد البريطانى «جيوفرى نويل سميث » فى كتابه عن فيسكونتي [لندن طبعه ١٩٦٧] . حقا انه يعرض للعلاقة التى تنشأ بين عامل شاب وامرأة شابه زوجة لرجل عجوز ، وتدبيرهما للتخلص من الزواج ونجاحهما فى قتله بالفعل .. ثم مايستولى عليها بعد ذلك من القلق والشك وفقدان الثقه ، وما ينتهى اليه الفيلم بمقتل المرأة فى حادثه سيارة . ولكن فيسكونتي ينسج من تلك الميلودراما وهى ميلودراما نجدها بشكل او باخر فى اغلب افلامه — فيلما واقعيا تنبع التراجيديا فيه من داخل المنطق الحتمى الذى يفرضه الواقع الذى تحيا فيه الشخصيات . حيث يكشف بناء الفيلم عن الظروف الاقتصادية السيئة المفروضة على العاشقين جينو وجيوفانا ، وعدم قدرتها على التوافق مع المجتمع اوالهرب منه ، وما ينتج عن ذلك من خوضها ، كل على حدة ثم معا ، فى نوع من الهروب على المستوى الذاتى ، دون أن ينجحا أبدا فى الحصول عن طريق ذلك على ذلك الشعور بالتحرر أو الامان الذى يحتاجه . وهو ما يؤدي الى دمارهما بالكامل فى النهاية .

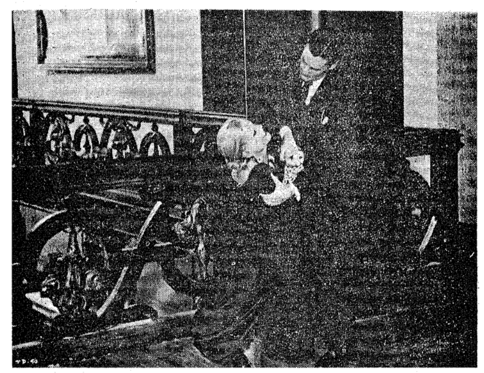
وفى كتابه « السينما الجديدة فى أوربا » يكتب الناقد نفسه حول فيلم وسوسة يقول : « فى هذا الفيلم بدات أسس الواقعيه الايطالية لفترة ما بعد الحرب وهذا الاتصال العميق بخصوصية حياة الطبقة العاملة ، والتصوير الذى لا يعرف المساومة للشارع الايطالى [الذى يمثل النقيض المباشر لايطاليا السياحية المزوقة] والتصميم على كشف بؤس وازدحام وقسوة ظروف المعيشة وأثرها على انسانية الرجال والنساء والاطفال . وقد ركز التمثيل على عرض تفاصيل السلوك ، دون حذف شيء يمكن أن يضيف الى معاصرة المشهد أو الشخصية » .

وكان على فيسكونتي بعد الضجة التى احدثها فيلمه الاول « وسوسة » ، أن ينتظر ست سنوات كاملة ، قبل أن يقدم فيلمه العظيم الثانى « الارض تهتز » ١٩٤٨ ، وخلال السنوات الست فيما بين ١٩٤٢ و ١٩٤٨ ، اتجه فيسكونتي الى المسرح وقدم أكثر من اربعين مسرحية لكوكتو وتنيسى ويليامز وآرثر ميللر وتشيكوف وغيرهم ، وأخرج اكثر من عشرين أوبرا وباليه .

واذا كانت الاصول الطبقية الارستقراطية التى ينتمى اليها الكونت فيسكونتى لم تحل دون ان يعلن انتماءه للماركسية ويصرح عقب فيلمه الاول إنه لم يدخل مجال العمل السينمائى الا من اجل « رواية قصص اشخاص حقيقيين يعيشون فى أوساط اجتماعية محددة » الا أن فيسكونتى لا ينطلق فى ماركسيته من نفس المنطلقات التى كانت سائدة بين اليساريين من ابناء جيله ، ولكنه ينطلق من واقع ادراكه التاريخى وموقفه الشخصى داخل العملية التاريخية اكثر مما ينطلق من منطلقات فكرية .. وهو ما يشكل انعكاسا تاريخيا يعبر عنه بواسطه حاسته المدهشة للشكل الفنى، وبعيدا عن الاشكال الدعائية المباشرة التى صنعت البريق السطحى المؤقت لحركة الواقعيه الجديدة . أوربما كان هذا هو ما يجعل البعض ينكرون التزام فيسكونتى الماركسى ، ومن هؤلاء على سبيل المثال الممثل الايطالى الشيوعى جيان ماريا فولونتى . ولكن ربما كان هذا ، فى نفس الوقت ، هو ما جعل فيسكونتى يستمر كفنان عظيم يمتلك اسلوبه الخاص ، حتى بعد تلاشى حركة الواقعية الجديدة بعد أن اختفت الظروف التاريخية التى أوجدتها ، وبعد سقوط مخرج مثل فيتوريو دى سيكا فى دائرة السينما التجارية حتى وفاته ، أو توقف روسيلليني عن اخراج افلام معاصرة لها تاثيرها ، واتجاهه الى البحث [الصوفى] فى أعماق الحضارة المسيحية !

ولا ترجع عظمة فيلم فيسكونتى الثانى « الارض تهتز » ١٩٤٨ ، وهو قمة الواقعية الجديدة بلا جدال ، الى قيمته الاجتماعية والسياسية ،واسلوبه المدهش فى التعبير عن قضيته فقط ، وانما ايضا الى الصعوبة التى كانت تكمن فى اختيار مادته نفسها . فقبل « الارض تهتز » لم يسع أحد من المخرجين الايطاليين الى طرح قضية الوضع فى الجنوب الايطالى وصقلية ، وترديه فى غياهب الفقر والتخلف .

ولقد ذهب فيسكونتى عام ١٩٤٧ الى صقلية فى البداية ، لكى يصور فيلما تسجيليا بتمويل من الحزب الشيوعى الايطالى . وأقام ستة أشهر . وهناك تبلورت أفكاره أكثر ، وشرع فى الاعداد لاخراج فيلم يتناول فيه الاوضاع السيئة للعمال والفلاحين ونضالهم ضد القهر الاقتصادى الواقع عليهم ، وكان ينوى فى البداية أن يصور فيلما من ثلاثة أجزاء يتناول الجزء الاول أوضاع الصيادين ، والثانى أوضاع الفلاحين ، والثالث حياة عمال مناجم الكبريت ، ولكن ظروفا عديدة تدخلت لتجعله يكتفى باخراج « الارض تهتز » من



لقطة من فيلم « الملعونون » الذى اخرجه فيسكونتى عام ١٩٦٩

حياة صيادى الاسماك من سكان قرية « أتش تريسا » التى صور فيها فيلمه واستعان بالصيادين انفسهم لتمثيل الفيلم فى اطار مناظر واقعية تماما .

وفى « **الارض تهتز** » **أوضح فيسكونتى بجلاء أن الاوضاع المفككة للبروليتاريا الصقلية فى ذلك الوقت لم تكن تسمح لها بالثورة الشاملة ضد مستغليها كما أوضح أن ثورة من هذا النوع سوف تفشل بالضرورة .**

وحول « الارض تهتز » كتب الناقد السوفيتى « **سيمون فريلينج** » يقول : لقد أخرج فيسكونتى — أعظم المخرجين الايطاليين — فيلمه عن الصيادين الصقليين ، تحت التأثير المباشر للكاتب الواقعى « فارجا » وبشكل خاص روايته « عائلة مالافوجوليا » وصور الحياة الشعبية صور تراجيدية فى كل من الحياة والفيلم ، غير أن دراسة مادة الحياة نفسها قد أجبرت فيسكونتى على ان يبرز الاحتجاج ، ويقلل التأكيد على المعاناة غير المحتملة ، ويخفف من ظلال الجبرية » . وحين يدرس فيسكونتى أسباب استبعاد الفلاحين وطرق بعث صقلية ، فانه يمضى حتى الى أبعد مما مضى فارجا . وهو ما يحققه فى فيلمه « **روكو واخوته** » [١٩٦٠] ، الـذى يعود فيه فيسكونتى مرة أخرى الى طرح تكية الاوضاع المتخلفة فى الجنـوب » وهو ما يؤدى الى هجرة العائلات الجنوبية الى شمال البلاد . ويتتبع فيسكونتى مصير احدى هذه العائلات المهاجرة الى ميلانو ، وما يطرحه كل من الابناء الخمسة من حل لمشاكل الاسرة فى اطار الظروف المصيبة التى تواجههم .وتزداد التناقضات بين سلوك الابناء وخاصة بين « **روكو** » المسالم الطيب وسيمونى العنيف المندفع ويدور صراعهما حول « **ناديـة** » ، وهى واحدة من ضحايا الظروف الاجتماعية القاسية **ايضـا** . وفى النهاية يضطر « روكو » الى احتراف الملاكمة لكى يوفر لاسرته الحيـــاة . ويجيد فيسكونتى رسم شخصيات فيلمه وخلق التصادم بين المواقف المختلفة لها . **ولا يغفل خلال ذلك أن يصب الدراما التى يحفل بها فيلمه داخـل الاطار الاجتماعى وأن يعلن عن مسئولية النظام الاجتماعى عن المعاناة والتمزق والقلق الذى سيطر على شخصيات فيلمه واصطدامهم القاسى باستقبال المجتمع الصناعى فى الشمال لهم .**

وحول « روكو واخوته » ، يقـول فيسكونتى : « هناك طرق عديدة لتناول موضوع الفرد الذى يصبح ضحيـة لمجتمع . فهناك طريقة معادية للجميع تقتصر على المعالجة الجمالية الخالصة. وهناك التحليل الدقيق للظروف الاجتماعية التى أدت الى هزيمته . وقد عجز فارجا عن بلوغ هذه الغايـة ... أما فيلمى فرغم اهتمامه بالقيم السيكولوجيـة والجمالية ، فانه يصل الى نتائج اجتماعية وسياسية . .

ومثل كل فنانى السينما الكبار فى العالم ، يعكس فيسكونتى فى أفلامه عالما خاصا يتشكل ويتطور مع تطور أسلوبه الخاص ونفاذ رؤيتـه التى يجسدها من خلال اشتراكه فى كتابة سيناريوهات جميع أفلامه ، وينعكس ايضا فى افلامه التى تعتمد على اعمال ادبية : مثل « **الليالى البيضاء** » [**١٩٥٧**] **المأخوذ عن قصة لديستويفسكى** و « **الفهد** » [**١٩٦٣**] **عن رواية الكاتب الايطالى جيوسيبى دى لامبيروزا** و « **موت فى فينيسيا** » [**١٩٧١**] **عن** رواية **الكاتب الالمانى توماس مان .**

ويلجأ فيسكونتى فى عدد من أفلامه الى أحداث التـاريخ ، ليس لمجرد المساهمة فى نقلها الى دائرة السينما ، ولكن رغبة فى التوصل الى سبر أغوار قضايا لاتزال تتردد أصداؤها فى الحاضر ، دون ان ينفى هذا عنها طابع الخصوصية او الالتزام بالظرف التاريخى الموضوعى لها ، ومن خلال **البصيرة**

النافذة لفيسكونتى الفنان المعاصر ، والتى تمكنه من التسلل خلال المادة وملئها من ذاته بما يجعلها فى النهاية ملكا له وحده . وهكذا يتحقق ما اسماه « تسوماس مان » ذات يوم بموهبة الاحياء ، عندما كتب يقول : « ليست موهبة الابتكار ، انما هى موهبة الاحياء التى تصنع الفنان » ! .. وهنا أيضا يمكننا ان ندرك الفرق بين التكنيك المتقن الذى يعتمد على الحرفية الماهرة فى استخدام ادوات [الصنعة] السينمائية ، وبين الاسلوب السينمائى الخاص الذى يعكس رؤية الفنان للعالم من خلاله أفلامه وباستخدام المفردات الخلاقة للغة السينمائية .

فى فيلمه « حـواس » ١٩٥٤ ، وبأسلوب يقترب من الواقعية الرومانسية ، يتناول فيسكونتى خيانة الارستقراطية الايطالية وتعاونها مع الغزاة النمسويين اثناء الحرب الايطالية النمسوية عام ١٨٦٦ ، من خلال دراما تشيع — منها الروح الاوبرالية — التى تنعكس فى الكثير من أعمال فيسكونتى — حيث تقع الكونتية « ليفيا » فى غرام « فرانز » وهو ضابط نمسوى شاب من الوطنيين الذين يدبرون حركة ثورية بالتعاون مع الوطنيين الايطاليين ايضا ومن بينهم ابن عم ليفيا « يوسونى » وينتهى الامر بأن يهجرها فرانز ، فتنتقم منه بالارشاد عنه ، ونتيجة لذلك يتم اعدامه رميا بالرصاص وتصاب ليفيا بالخبل . ويشير الفيلم فى النهاية الى انهيار النظام الأستقراطى الاقطاعى فى مقابل صعود البورجوازية الوطنية الناشئة .

وفى « الفهد » ١٩٦٣ ، يعود فيسكونتى الى احداث التاريخ ، ويعود مرة أخرى الى الحديث عن النظام الارستقراطى الاقطاعى الذى يواجه انهياره المحتوم بنوع من اللامبالاة والتراخى والاسترخاء ، اعتمادا على الثبات الغامض لجوهر جزيرة « صقلية » الغير قابل للتغيير ، وذلك من وجهة نظر أمير من الاقطاعيين ، على استعداد لان ينحنى امام رياح ثورة الطبقة المتوسطة التى يقودها غاريبالدى ضد الاقطاع . ولكنه فى نفس الوقت لا يرغب فى حدوث أدنى تغيير فى اسلوب حياته أو فى وضعه الاجتماعى والطبقى المتميز . ولقد قدم فيسكونتى فيلمه دون ان يلجأ الى تبنى وجهة نظر غاريبالدى وأنصاره فى الثورة منذ البداية ، ودون أن يوازن فى نفس الوقت ، وعلى نحو مجرد ، بين وجهة النظر الثورية ووجهة النظر الرجعية . ولكنه يتناول موضوع الارستقراطية من داخله ، ومن خلال نموذج ارستقراطى يمثلها ، وهو نموذج — رغم عدم عدائه للثورة — الا انه يعى وضعه المتميز داخل الطبقة الحاكمة القديمة .

واذا كان فيلمه « اغراء نجوم الدب القطبى » [١٩٦٥] عودة الى نقد المجتمع الايطالى المعاصر وتحليلا دقيقا لانهيار العلاقات بين أفراده على المستوى السيكولوجى ومن خلال معالجة عصرية لاسطورة « اليكترا » دون أن يتعسد الفيلم عن المنظور الاجتماعى والسياسى الذى يدين نمط الحياة فى المجتمع الراسمالى ، ومسئوليته عن كل افرازات القلق والخوف والعنف وانهيار بين افراده .. فقد عاد فيسكونتى فى فيلم « الملعونون » [١٩٦٩] الى فترة صعود النازية فى المانيا ، لكى يقدم تحليلا واعيا للدور الذى لعبته الراسمالية الصناعية الالمانية فى مساندة نظام هتلر ودعمه استعدادا لشن الحرب العالمية الثانية بعد ذلك ، من أجل تحطيم الرسمالية الامبريالية الاخرى والانفراد بالسيطرة على السوق الدولى كله .

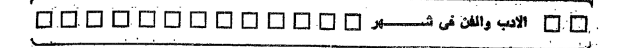
وتتوازى أحداث الفيلم على مستويين : الاول هومستوى عائلة « ايسنبك » التى تمتلك مصانع الصلب الضخمة ، حيث تتسع التناقضات بين أفرادها من أجل السيطرة المطلقة على ادارة وامتلاك المصانع ، ويدور الصراع فى المستوى الثانى داخل الاطار السياسى العام فى المانيا ، وهو الصراع الذى يزداد شراسة بعد حريق الريشستاغ عام١٩٣٣ — وهو مايبدأ به الفيلم — والذى دبره النازيون لكى يوجهوا التهمة الى الشيوعيين الالمان ويتولون تصفيتهم والانفراد الكامل بالسلطة . ثم يتفجر التناقضات داخل نظام هتلر نفسه بين الجناح الذى يمثله الجيش والجستابو وبين قوات العاصفة بقيادة ارنستروم ، والتى ينتهى دورها بالقضاء على المعارضة السياسية . وتنتهى صراعات عائلة « ايسنبك » بسقوط كل افرادها الاقوياء وتركز السلطة كلها فى النهاية فى يد « مارتن » الابن الشاذ المنهار داخليا ، والذى ينجح فى التخلص من امه وعشيقها ومن عمه قسطنطين ، ويسلم القيادة الى ضابط الجستابو الذى يرسم له الخط التى تتفق ومصلحة النظام ومصلحة النظام ، ويستلم « هربرت » للجستابو وهو الوحيد داخل العائلة الذى رفض الدخول فى لعبة الصراع وحاول أن يحذر من الانسياق وراء تأييد هتلر فى البداية . وعلى الطرف الاخر ، ينجح هتلر فى التخلص من قوات العاصفة فى مذبحة رهيبة ، يعيد فيسكونتى تقديمها فى مشهد من أعظم وأكثر المشاهد تأثيرا ودلالة فى تاريخ السينما . وينتهى الفيلم وقد امتزجت صورة مارتن وهو يرتدى زى الجستابو ويرفع يده بالتحية النازية مع صورة اللهب الاحمر المنبعث من أفران الصلب فى مصانع ايسنبك .. اشارة الى دوران الراسمالية الالمانية فى عجلة النازى ودعمها له الذى انتهى بالكارثة التى حاقت بكل منهما ! .

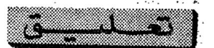
وفى « الملعونون » .. لا تتضح نقط الرؤية السياسية الشديدة النضج لفيسكونتى الفنان المفكر — والذى يحذر من الدور التاريخى للراسمالية الاوربية فى فترة الظهور الجديد للفاشية — ولكننا نعثر ايضا على كل الملامح الخاصة التى تميز أسلوب فيسكونتى السينمائى ابتداء من رسم الشخصيات وخلق العلاقة بين الشخصية والمكان والتأثر البالغ بأسلوب الاوبرا ، الى الاستغلال المتزن للملابس والديكور والاضاءة وتحريك الكاميرا والتحكم فى اداء الممثلين ، وخلق الايقاع والميزانسين المتميز . وفى «الملعونون» أيضا ، يكتشف فيسكونتى العلاقة بين الموضوع السياسى فى السينما وبين الالوان على نحو خلاق .. وهو ماجعل ستانلى سولومون يصنعه فى كتابة « فكرة الفيلم » فيقول : « يشيع اللون فى فيلم الملعونون لفيسكونتى حسا سينمائيا يغلف العمل وينظم المادة المرئية ويخلق مايعرف عند النقاد بوحدة الاسلوب » .

[■]

فى عام ١٩٧٠ تكونت فى روما لجنة سينمائية ضد القهر تضم كل مخرجى اليسار فى السينما الايطالية ، وقامت باخراج فيلم بعنوان « ١٢ ديسمبر » اشترك فى اخراجه ثلاثون سينمائيا كان من أبرزهم « لوكينو فيسكونتى » .. وقد أخرجوا هذا الفيلم للتنديد بالقهر ، وردا على الحادث الذى وقع فى ميلانو فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٦٩ ، ونسب الى الفوضويين دون أية دلائل ، وراح ضحيته « جيوزيبى بنيللى » الفوضوى الذى دفعه البوليس الى الانتحار .

وهكذا يحقق فيسكونتى القول الذى ردده ذات مرة جيان ماريا فولونتى حين قال : « ان تكون شيوعيا يساوى أن تدافع باحسن الطرق عن قيم الديمقراطية » . □





واقـــع المـــرأة المصـــرية فى عمـــلين جـــديدين

لعل كلا من [سكينة فـؤاد] فى مجموعتها الاولى [محاكمة السيدة س] و [اقبال بركة] فى روايتها الثـانية [الفجر لاول مرة] يقدمان لنـا نوعا مما يمكن تسميته فى الادب وجهة النظـر النسائية ، أو بتحديد معين الملامسـة الانثوية لواقع وأحداثحياتنا . هذا برغم عدم تحطيمهما ، الخطأ الفكرى والجمالى الذى نجده فى محاولات سابقة كتبتها المرأةالعربيةآخذين فى الاعتبارالاختلاف النوعى بينماساد فترة من موضة الرواية التى تدمنتها المرأة فى لبنان ، وسوريا ، وبين ماكتب فى مصر على كثرته وقلته وندرة قيمته الادبية .

وأبرز سمات هذا الخطأ هـو الكتابة عن المرأة برؤية شاحبة وبتحفظ يتهيب المصراحة والصدق والتعمق فى جوهـر مشكلة المرأة المصرية فى مجتمع يعبر مرحلة انتقال مرهقة ، لها انعكاساتها المتناقضة على علاقة الرجل بالمرأة حتى الان ، فبرغم تاريخ ممارسة المرأة بعضا من جرياتها الاجتماعية والسياسية ، الا أن خلاصها وخلاص مجتمعها من عقلية الحريم بكل تصوراتها ومثـلها مازال مطروحا تقدم للفنان منجما فنيا من نماذج متأزمة ، ولحظات متوترة قلقة .

فى ضوء هذهالرؤية ، ترتكز علىتحفظ أساسى يكشف عن غياب الادراك لدى كثيرات منهن لجوهر الخلاص ، لا بالمدلول الاخلاقى ، أوالسلوكى بل بأعلى درجاته الشاملة ، أقصد المـدلول السـياسى والحضارى ، وهو طرح لتجاوز عفـن وله اخلاقيات الطبقة الوسطى التىخرجن منها ، وسقطت أزمة بوارها وتنعيتها على نوعية أزمتهن الخاصة كجزء منأزمة هامة تفترس مثقفى هذه الطبقة .

وحتى لا نطلق تعميمات نهائية تشـير الومضات قليلة حاولت ، ولمتكتمل كبعض صفحات رواية « الباب المفتوح » للطيفة الزيات ، وغادة السمان ، وغنايات الزيات ... الخ على سـبيل المثـال لا الحصر .

وأيا كان الامر فاهتمامنا ينصب على آخر ماظهر من محاولة للمرأة المصريه فى ابداع قصتها بذاتيتها الخاصة .

وفى مستوى الانطباع العام تتمـيز [سكينة فؤاد] فى [مجموعتها محاكمة السيدة س] باستفادتها بطريقة ما فى بنائها الشكل القصصى بأوسع مـدى برصيد التجريب والازدهار الذى قـدمته مساهمات طليعة كتاب القصة القصـيرة فى أواخر الستينات والسبعينات ، من تحطيم رتابة وأكذوبة الموضـوعية فى الحكاية ذات البداية والوسط والنهاية ، والتزام زمن الاجسندة اليومية الالية ، والتحدث عن التجربة لا كمعطى جاهز حدث فى الماضى بل فى حضورها بكل قلقة وتناقضاته وتشوفه للمسـتقبل الرحب ويجانب كل دلكيلاحظ فى سردها ادراكها لخفة وحساسية لمسة المرأة عندما تكتب، فمعظم قصصها على لسان امرأة متأزمة، وهى صفة لا نراها غالبا لدى الـكتاب من الرجال ، ويتطور هذا التميز اداء حساسية التقاط كلمات ومواقف محـددة الى سمة أعلى أساسية فى بنائها الفنى ، وهواساس تقييمناوتفسيرنا لابرزقصصها على قلته ، أقصد ، أن الحوار عنـدها يقع فى لحظة التمير الدقيقة . بـين المحادثة وما تحتالمحادثة ، هذين النوعين من الكلام اللدين يحدث بينهما تناقضخفى يتحرك حتى يكون فى لحظة من اللحظات غير قادر على الكمون بحيث ينفجر مكسرا السطح المؤدب القائم على العرف منأجل أن يكشف عن بشاعته الداخلية .

ان الحديث والحوار مثلا فى قصـتها القصيرة الطويلة [زمن الهجرة تحت الجلد] والذى ينطق به الاشخاص عاليا مهددا على الدوام بالكلمات التى ينطقون بها وهى كلمات لا تحترم المألوف والنياقة الاخلاقية المراوغة التى تتقنها نسـاء الطبقة المتوسطة ...

من بداية القصة نتوهنم بأن الفتـاة الغريبة تتحدث مباشرة بعدم مبالاتها بما يقال عنها فى محيط العمل ، من علاقة مع المدير الذى تخطى الخمسين، وعلاقات أخرى تكررت اسماها الزمـلاء بسخرية [لعبة الشايب] لا يعنينى [انيكتشفوا او لا يكتشفوا] غير أن تتابع نسيج الاحداث المهشمة النهايات والايغال فى البعد النفسى للفتاة يضعنا وجها لوجه أمام دوامة البحث المحموم عن الام ... عن الاهل .. عن المعنى المؤكد .

وتتبدى الحقيقة المقدمة لنا بيخل وتمزيق لاوصالها مستفزة لمشاركتها [لعبة الشايب] هذه ونظن على الفور انهنـا استخدام معاصر لازمة [اليكترا] فى حب الاب والحقد على الام الاثمة ، [أمينة] وهى كل مابقى من اسم .. لوجودها الغارق فى عتامة الذاكرة ، وصورة قديمة لكل أب أو رجل ، جسد يوما فى طفولتها لحظة لن تنساها ولن تفهمها أبدا ، وهى اغتصاب الام ، وصـورة للابنـة بوجهها الطفولى فى سلسلة معلقة برقبتها ، وعلينا أن نلهث خول جزئيات متناثرة هنا وهناك فى دوامة الخطوط المتقاطعـة للحدث الرئيسى ونلتقط أسرار الازمـة لقد هاجرت الام بطفلتها الى المدينة الوثنية القاهرة [خلال الحرب ، كانت من كثرة أكاذيبها حول غياب الاب ، تقدم الطعم المراوغ الذى اوقع عديد الرجال ، ووسط سقوط غير مبرر ضاعت الابنة من الام ، تظن أنها قررت قرارها ، بيدها ، ولكننا تستبصر خلف الاوصاف والتبريرات يقينا آخر مدمرا ومنظما هوقانون الحياة والصراع الاجتماعى ، فى مدينة كالقاهرة ، اغتالت براءة فتاة ، ودنست حياة أم بسيطة ، لم تجد غير جسدها سلعة تقدم فى بورصة العلاقات الاجتماعية البرجوازية بـكل تشيئها ، انها الحقيقة التى قدمتها الكاتبة فى نهاية قصتها الغريبة عنـدما تقابلت الابنة مع الام وهى تموت وتلخص لهـا السر ، لحظتها قالت وقلنا مع الكاتبة [مزقوا الشىء الوحيد الذى عرفته من يومها لم أعرف شيئا] ومع ذلك يبقى أمرا محيرا خلف المعنى الظاهر هنا ، يهمس نجيب ويتردد بتنوع مثير للريبة ،

هذا الشىء هو العلاقة الصامتة بينها وبين احد الزملاء ، ظلت ثلاثة سنوات ، [لم تغادرنى عيناه خلالها يوما واحدا ، ولم يغادره هذا الرعب بالشك والصراع مع النفس فى اتخاذ قرار ، فى النهاية عرض عليها الزواج ، رحبت بلا وثيقة امتلاك ، وهنا فقط ندرك قصد [سكينة فؤاد] فى التمرد على الخضوع للرجل ... صحيح اننا نفاجأ وبهذا الموقف بلا تمهيد فكرى غير انه يكشف عن نفسه فى اكثر من قصة [فى محاكمة السيدة س] نصل لنهاية المدى فيما يترتب على هذا التمرد وهو [الحمل خارج الرحم].

ان شكل الاحداث قد يوحى بجـريمة غريبة ، أم تقتل طفلتها ... لانها كانت تظن أنه ذكر ... فقد خضعت لقانون العرف فى تفضيل الذكور ، غير اننـا نلتقط هذا الشكل الظاهرى للحدث من نسيج ركام وزخم احاسيس المرأة ، وهى تعانى الحمل والمخاض والميـلاد ، وتستشعر عبر السرد التقـسـاء الخاص والعام ، فكان كل مكونات الوجود حولنا تعانى المخاض والتجدد رغم شبح العقم وكما حدث الموت غير المرئى لدى الفتاة فى [زمن المعجزة تحت الجلد] تفسر الام ... النبع ... هنا قتل المولودة ، [لقد قتلتها لانها قادمة من خارج الرحم وستبقى خارجه الى الابد ... أى رحم ،

هذا تساؤل مطروح فى رؤية اكثر من قصة عند [سكينة فؤاد] دائما يحدث العنف والقتل ، من قلب ووداعة وسلام الحياة ، وهو قتل أو عنف غير محقق فى الحدث كواقع بل غموض الرمز وعالـم الحلم الفنتازى ، ... ان أبرز الامثلة على ذلك قصة [يوم للحب] فبرغـم تماسك العلاقة بين الرجل والمرأة هنـا وتسليم كل منهما بأن الاطمئنان الوحيد فى حياتهما هو ظلال البيت ، حيث تصبح الزوجة اما وعشيقة ، وصديقا ، الا أن الضغط الدائم فى مشاكل العمل لكل منهما وفناء المرتب المشترك من مجموع المرتبين قبل نهاية الشهر ، وزحام المواصلات ومضايقات المدير للزوجة ... وانتهاك كرامتها ، وطوابير الجمعية التعاونية كل هذا الاخطبوط الذى حركة الحياة فى القاهرة يدمر هذا السلام ... ويثير الريبة لدى الرجل لحظة عدم الفهم لمفاجأة أرادت رغم الضيق المالى أن تقدمها له فيصل هذا الحب والارتباط ، لاعلى درجاته فى ممارسة الحب ليسـقط فورا تحت درجة الصفر ، ونجد الاثنين بعـد التحقيق ، حيث تبين ، بلا تفسير عن سؤال بلا اجابة لماذا تقاتلا حتى الموت؟ [لم يختلف واحد من الشهود على أنهما كانا يحبان بعضهما حتى الموت] .

لقد وقفنا عندما يستحق المناقشة فى هذه المجموعة ولكننا لم نظلمها ولم نشر الى .

قصتها (منبؤس ينمو لها ذراعان) ربما لانها تشكل نموذجا للصدق الموضوعى والفنى عديد الاحساسات التى تستشعرها امرأة فى وحدة تعود زوجها ان يعاملها كدمية ثم أدرك على البعد انها يمكن ان يعتمد عليها ـــ أدرك وهو بعيـــد فى الجبهة ذلك .

ان هذه الكاتبة محيرة فى النهاية !! بما قدمته من حساسية فى اللغة رغـم خواء البعد الفكرى خلفه .

□ أما (اقبال بركة) فى روايتها الثانية (الفجر لاول مرة) فقد تعمدنا مناقشتها لانها وبرغـم اجتهاداتها فى أعمال أخرى لم تنشر !! ما زالت حبيسة الطريق المسدود الذى دخلتـــه الرواية المصرية التقليدية من رصـد للاحداث التاريخية كالهزيمة والحرب وانعكاساتها على مشكلات الشخصيات النمطية بمفهوم استاتيكى !! يدل على رؤية لفن الرواية فى شكلها الواقعى الساذج ـ حيث يوجد الراوى الذى يعرف كل شىء من الحدث والشخصيات والذى يفتعل عديدا من المصادفات ليوهمنا بالصدق . بجانب ذلك فهى استمرار بشكل أو بآخر لروايات سابقة كتبتها المرأة العربية مؤكدة على نغمة الشعور المستمر بأنهن (مطالبات بالاعتذار عن ذنب لم يرتكبنه) !! ان موقفهن هذا غير أخلاقى وغير فنى أيضا فى اعتقادى .

بالاضافة الى ذلك فمحاولة (اقبـال بركة) الاولى (ولنظل الى الأبد أصدقاء) لم تتخلص من التاثير السىء من سطوة بعض كتابنا الذين اعطوا انفســهم صلاحيات الكتابة عن تجربتها وحياتهـا وأزماتها ، فخلقوا عالما من الوهم وخاطبوا الغريزة الجنسية فى مجتمع يعانى من انفصام الشخصية وعقد الكبت والحرمان والنفاق ، فاصبح تحقيق الارادة والوجود هو فى الكذب والتحايل والمغــامرة الطائشة ، على ان يعقبها التوبة والتطهر الاخلاقى ، والهوس الدينى الذى تغطى به حسية ونفعية البرجـــوازية المصرية وجهها القبيح .

ان روايات كثيرة من هذا النوع تسمت اسمى عاطفة كالحب الى تسمين شرعية وغير شرعية ، وعلاقات الحب الشرعية هنا تخلو غالبا من (الحب) ولكنها تحتمى بالمثالية ، انها علاقات فارغة من المضمون اما العلاقات غير الشرعية فهى غالبـا جذابة وممتعة ، لكنها سوقية بطريقة ما

فى (الفجر لاول مرة) تعتقد (اقبال بركة) انها ترسم شخصية فتاة معاصرة طالبة فلسفة ، تاثرت بوالدها استـاذ الجامعة !! اعطاها كل الحسية !! غير انها قلقة فى بحثها عن المعنى ضائعة بين صراع التيارات السياسية بين الطلبة لا تجد اليقين الا عند شقيقها الضابط فى الجيش !! تلتقى (بعبد الصبور حسنين) رجلا فى الاربعين !! فرس الفلسفـة مهاجرا ابدا !! من جيل فاشل وانهزم استعذب الندم !! على علاقة جنسـية (بسميحة) فتاة فقيرة كانت مورغـة عند شقيقه الذى افترس امانها !! هذه الحكاية المصنوعة !! تتسلق بها أزمـة مصر فى سنوات الهزيمة بعـــد ٦٧ !! والكاتبة تظن انها باشارتها من الخارج للمظاهرات فى الجامعة وصبر الجنود فى الجبهة !! ورفض الهجرة مع الخطيب الى امريكا !! انها تغطى فترة قلقة من حياتنا عبر ازمة مفتعلة لفتاة خلقها الوهم !! غير انها تقدمها بميلودرامية سينمائية !! وتطل برأسها كمؤلفة (تعرف كل شىء) بالمعنى التقليدى للكلمة !! فانها تقدم القليل من التفسير أولا تقدمه اطلاقا بشان دوافع شخصياتها !! كما أنها قليلا ما تعرف كيف توظف عملية التعبير الروائى فى لحظات استيطان النفس !! وتصـــوير الازمنة المتعاصرة !! فهى تلجأ للماضى بطريقة انشائية تقريرية ، تخلصت منها فنية الكتابة الروائية من زمن طويل !! لذلك تتوقع النهاية الفاجعة بمقتـــل (سميحة) على يدى أخيها !! هـــذا بعد ان قدمها عبد الصبور «لمنى الطالبة» على أنها خادمة وهى التى تحملت كل بواره وكسله وادعاءاته ، يعقب ذلك الخلاص على السرير والتقاء الجيل الجديد منى مع الجيل المهزوم عبد الصبور ورؤية الفجر لاول مرة !! وهذا ابتذال فى الرمز غير مبرر .

وصحيح ان (اقبال بركة) لا تنقصها حسن النية فى محاولة التعبير عن مشكلات المرأة ، غير أنها تجهض ببســـاطة موضوعها فنيا ـ ولا تدرك أبسط قواعد التفرقة ، بين كل ما هو واقعى !! وكل ما هو قابل لان يتحول الى حقيقة وواقع فنى ، ان غلبة أسلوب التحقيق الصحفى تغتال عملية الابداع عندها !! ولعـل الصحافة قدمت لها فرصا نادرة لموضوعات حساسة كتبتها فى محاولات أخرى لم تنشر اطلعنا عليها حتى نحـكم على اجتهاداتها بلا تعسف ، وكمثل لذلك ازمة نقيات الطبقات الفقيرة أمام اغراء المال المنساب فى ايدى الطبقة الاقتصـــادية الطفيلية التى بدأت تسمم حياتنا كذلك فضائح ضيوفنا العرب الذين يأتون الى القاهرة ليعوضوا الحرمان والكبت ، ولكن يبقى بعد كل ذلك أن تدرك حقيقة أولية وهى ان الصدق الفنى اصعب كثيرا من مجرد تقديم الواقع ، وهذه احدى سمات ازمة كتابات المرأة المصرية على وجه العموم . □



عن وزارة الاعــلام العــراقيــة

مديــريــة الثقــافــة العــامــة

من سلســلة المعــاجم والفهــارس

المســـــاعــد

الجــزء الثـــانى

تأليــف الاستاذ الاب

انستاس مارى الكرملى

حققه وعلق عليه

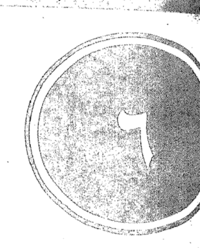
وصــنع فهارسه

كــوركيس ع

وعبد الحميد

السنة الثانية عشرة
يونيو ١٩٧٦

الطليعة



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

ديمقراطية المنابر .. ديمقراطية التعدد

هموم « عبد الله رفاعى »
عامل النسيج

الجزائر : ميثاق للبناء الاشتراكى

الرأى .. والرأى الآخر

- قضية الأرض فى الشريعة الاسلامية
- نقابة المعلمين تعتدى على سيادة القانون
- ماذا يجرى فى الصعيد حول التنظيمات السياسية ؟
- دافعوا عن استقلال الحركة النقابية

موجة الغلاء وتوصيات صندوق النقد الدولى

وثائق: من الذى يحتاج الى دولة يهودية فى فلسطين ؟

الواقع والأسطورة فى أدب الطيب صالح

ملحق الأدب والفن

الفهرس

العدد السادس — السنة الثانية عشرة — يونية ١٩٧٦



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك في تاسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم نمنح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها - مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه مولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك]

كلمة من « الطليعة »

تميز ربيع هذا العام بجو حار .. ولهذا يتوقع خبراء الارصاد الجوية ان تكون الصيف أشد حرارة .. ونحن نتمنى ألا تكون توقعاتهم صادقة .

وفى هذا المناخ ، أضافت « الشائعات الساخنة » التى تحدثت عن احتمال تغييرات تمس « الطليعة » وأسرة تحريرها أضافت درجات رفعت من هذه الحرارة التى ما زلنا نعيشها .

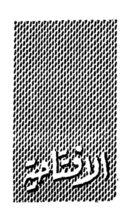
وأبدى كثير من القراء الاعزاء - مصريين وعرب - قلقهم حول مدى تأثر أسرة تحرير « الطليعة » بهذا المناخ وانعكاسه على عملهم أثناء اعداد هذا العدد الذى بين يديك .

نحن نعترف بأن مشاعر القراء نحونا التى عبرت عنها رسائلهم ، كانت « النسمة الرطبة » التى تنعش أنفاسا تسمع توقعات الصيف الحار وتتمنى ألا تصدق .. ونحن نزعم ان شيئا من ذلك لم ينعكس على « الصورة النهائية » لهذا العدد .. واسمح لنا ان نلفت نظرك الى ملف « الجزائر :ميثاق للبناء الاشتراكى » ، والى دراسة « هموم عبد الله رفاعى عامل النسيج » ومقالى « قضية الارض فى الشريعة الاسلامية » ، و « موجة الغلاء الجديدة وتوصيات صندوق النقد الدولى » .

عزيزى القارىء ..

اسمح لنا ان نقول لك : من يدرى أتصدق توقعات خبراء الارصاد أم لا ؟ .. لكننا نأمل أن يكون العدد القادم أكثر حرارة . □

« أسرة تحرير الطليعة »



ديمقــــراطيـــــة المنـــــابـر ..

ديمقــــراطيـــــة التعـــــدد ..

شرعت ، أخيرا ، تجربة تعدد التنظيمات السياسية فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة ، تخطو خطواتها الاولى فى دروب المجتمع .

وتخلق هذه التجربة ، فى ميدان ممارسة الشعب لحقوقه السياسية ، وضعا بديلا للنظام الذى استقر على اساس التنظيم السياسي الواحد لقوى التحالف . وذلك منذ قيام ثورة يوليو والغائها ، فى ١٩٥٣ ، للحياة الحزبيـــة التى تبلورت بعـــد ثورة ١٩١٩ الوطنية . وكانت طبقتا كبار ملاك الاراضى وكبار الراسماليين ، المتداخلتان اجتماعيا وسياسيا ، قـد تمكنتا ــ بعـد تحجيم واستيعاب ثـورة ١٩١٩ ــ من السيطرة شبه الكاملة على قيادات الاحزاب

لهذا كان طبيعيــا ، فى مسار حركــة التطور الاجتماعى والســياسي فى مصر ، أن تصطدم الاحزاب مع ثورة يوليو بقياداتها المنتمية فى غالبيتها الى الطبقة الوسطى ، من حول أول فعل اجتماعى ــ سياسى لها . ونعنى به قانون الاصــلاح الزراعى الاول الذى صدر فى سبتمبر ١٩٥٢ . وذلك على الرغم من أنه كان شـديد التواضـع فى أحكامه ، اذ اكتفى بتحديد سقف الملكية الفردية بمائتى فدان . فى وقت لم تتجاوز فيه الرقعة الزراعية سبعة ملايين فدانا ، يعيش عليهــا حــوالى عشرون مليونا من من المواطنين المسحوقين .

وهكذا ، انتهت ــ باندلاع ثورة يوليو ــ مرحلة من مراحل الممارسة السياسية فى المجتمع المصرى القـائمة على التعــدد من خــلال الاحزاب على « نمط الديمقراطيــة الرأسماليه فى الغرب » ، لتبـدا مرحلة جديدة للعمل الســياسى من خــلال تنظيم واحد تبنيــه السلطة الوطنية التى انبثقت عن ثورة يوليــو . وذلك بعــد فترة تردد وصراع قصيرة حول العــودة الى نظـام الاحزاب بعد تطهيرها ، أو فرض وحــدة

وطنية من كل الطبقات دون استثناء تحت قيادة مجلس الثورة . تتجسد فى تنظيم سياسى واحد يتم الانضمام له فرديا .

وكان التنظيم السياسى الواحد ، هو الحل الذى انتهى اليه هذا الصراع الذى عرف باسم « **ازمة مارس ١٩٥٤** » فى تاريخ ثورة يوليو .

• • •

مضت هذه المرحلة من ديمقراطية الوحدة الوطنية العامة الشاملة لكل المصريين بغض النظر عن منابعهم ومصالحهم الاجتماعية المتصارعة ، تشق طريقها بالتنظيم السياسى الواحد . تتأرجح بين المد والجزر . وذلك من خلال أسلوب التجربة والخطأ الذى اعتمدته الثورة منهاجا عاما لحركتها الفكرية والعملية ، حتى عندما بلغت مستوى متقدما من الوعى الاجتماعى . تتأثر سلبا وايجابا بمدى تفاعل الجماهير مع الثورة . وهو التفاعل الذى تراوح بين المساندة العارمة فى كل مواجهة مع الاستعمار والصهيونية والاستغلال والتخلف ، وبين التحفظ واللامبالاة ازاء الاخطاء والتردد فى حسم قضايا اجتماعية وسياسة ناضجة وزيادة وزن أجهزة القمع والامن البوليسية والبيروقراطية العسكرية المدنية التى تداخلت معها نواة طبقة جديدة طفيلية عششت فى الدولة والمجتمع .

وعلى الرغم من أن الصياغة التنظيمية للوحدة الوطنية ظلت تتطور ، اجتماعيا وسياسيا ، من **هيئة التحرير** الى **الاتحاد القومى** الى **الاتحاد الاشتراكى** . وذلك عن طريق عزل بعض فئات وقوى رجعية عن التحالف الوطنى ، الا ان التنظيم السياسى الموحد ظل فاقدا — فى الغالب الاعم من الظروف — للفاعلية المؤثرة التى تتناسب مع حجم الكمى الذى اتسع لما يربو على ستة ملايين عضوا .

ومنذ الحسم التاريخى الذى أقدمت عليه ثورة يوليو بقيادة عبد الناصر فى ١٩٦١ ، لطريق التطور الذى يستشرف الافاق الاشتراكية ، أخذت كل القوى الوطنية والتقدمية من مواقع فكرية واجتماعية متعددة ، تتجه نحو **نقطة لقاء سياسية موحدة** تتبلور فى صياغة ديمقراطية للعمل السياسى [الاتحاد الاشتراكى] يكون تعبيرا عن تحالف قوى الشعب العاملة . وهو التحالف الذى غدا يتكون بالتحديد من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الراسمالية الوطنية ، يقوده ، من الداخل ، تجمع اشتراكى [التنظيم الطليعى] كان من المفترض أن يضم الطلائع الاشتراكية فى الاتحاد .

وعلى الرغم من أن هذه الصياغة ، أثمرت بعض الايجابيات التى تجسدت فى تكوين كوادر شبابية جديدة ذات نهج تقدمى وأشاعت الفكر الاشتراكى فى المجتمع ، الا ان التنظيم السياسى بشقيه [الاتحاد الاشتراكى والجهاز الطليعى] بقى دون المستوى فى حشد وتعبئة القوى الجماهيرية من أجل تعميق مجرى الثورة ، سياسيا واجتماعيا .

ويرجع ذلك الى أسباب عديدة . نذكر منها أن التنظيم ظل فى جوهره ، وليد القرارات الادارية العلوية الهابطة من السلطة وان اتخذ صورة الانتخابات . وانه افتقد أبسط قواعد الديمقراطية فى حياته الداخلية وفى اتصاله وتعامله مع الجماهير والمنظمات الوطنية والاتحادات النقابية والطلابية والتعاونية . ولم يستطع ان يعكس فى قيادته وفى أوعيته كل افكار وارادات قوى التحالف ، وينظم بينها حوارا ديمقراطيا ينتهى بقرارات للاغلبية تلزم الاقلية . وظل تابعا فى ظل السلطة ، ذيلا لها . مبررا ومفسرا لاتجاهاتها دون مناقشة . يجمد ، وأحيانا يعزل الى درجة تقييد الحرية ، أية قوى ديمقراطية وتقدمية داخله . الامر الذى أتاح فى النهاية لعناصر البيروقراطية والطبقة الجديدة أن تسيطر على معظم المراكز القيادية فيه . وتحوله

من « **تنظيم للتحالف** » الى « **تنظيم شبه حزبى** » . يدافع عن مصالح البرجوازية البيروقراطية التى باتت تنمو ، منذ أن انتهت الخطة الخمسية الاولى فى عام ١٩٦٥ الى طريق مسدود . وراحت تتصاعد بضغوطها .

باختصار تحول التنظيم الى جسم سياسى ضخم الحجم ، مترهل ، غير قادر على الحركة . وتحول عن دوره كأداة للعمل السياسى الديمقراطى للجماهير ، الى ما يشبه دور الشرطة السياسية لصالح قوى البيروقراطية والطبقة الجديدة التى استهدفت شل ومحاصرة فاعلية الثورة فى تغيير المجتمع .

• • •

من هنا برز التناقض الصارخ بين « **ديمقراطية تحالف قوى الشعب العامل** » كنظرية ، هى موضع الاتفاق والاقتناع الجماهيرى العام . وبين صياغتها بالتطبيق العملى ، فى شكل « **اتحاد اشتراكى وتنظيم طليعى** » .

وحاول عبد الناصر ان يحل هذا التناقض عن طريق قيامه ، كقيادة ثورية ، بالاتصال المباشر المستمر مع الشارع الذى يموج بجماهير ناصرية محتشدة . وكان هذا الحل ينجح ، لبعض الوقت ، فى الدفع بحركة التغيير خطوة ، أو فى لجم قوى البيروقراطية والطبقة الجديدة وقوى الثورة المضادة ، عن الفعل والحركة . بيد أن هذا كله لم يكن يستمر طويلا ، أو يدفع بالمسيرة الثورية نحو أهدافها حتى النهاية . ذلك أن الاتصال المباشر بين القيادة الثورية والشارع سرعان ما كانت تتبدد آثاره نتيجة أنه يتم مع جماهير غير منظمة ، لا تملك أدوات تنظيمية فعالة قادرة على فرض قراراتها ومصالحها ـ أغلبيتها ـ الديمقراطية . فضلا عن أن ثقتها غير المحدودة فى عبد الناصر كانت تحول ـ موضوعيا وذاتيا ـ بينها وبين الحركة المستقلة عنه . كانت تناديه وتلح احيانا فى النداء . وتنتظر دوما جوابه حتى تتحرك به ومعه . ومن الواضح اليوم ، أن الانقلاب الصامت الذى قامت به البيروقراطية العسكرية فى أجهزة السلطة فى أواسط الستينيات ، هى التى أضعفت من قدرة عبد الناصر الموضوعية على تلبية نداء الجماهير ، رغم كل ما كان يجيش به من رغبات ذاتية .

وهكذا عندما وقعت هزيمة ١٩٦٧ وزلزلت النظام والمجتمع حتى الاعماق ، كانت ديمقراطية العمل السياسى تعانى مأزقا حادا فى القمة والقاعدة معا .

وحين انطلق طوفان القوى الشعبية ، بحمية وعفوية وصدق ، يعرى الاسباب الحقيقية للهزيمة ، أعاد من جديد طرح القضايا والمشاكل الرئيسية للبلاد والثورة . وفى مقدمتها قضية الديمقراطية ووحدانية التنظيم السياسى وعجزه .

• • •

وسط الظروف الصعبة والمعقدة التى أفرختها الهزيمة ، وتفجر **أول صراع مكشوف على السلطة** فى تاريخ ثورة يوليو منذ أن استقرت فى مارس ١٩٥٤ ، بين البيروقراطية العسكرية ممثلة فى « **المشير عبد الحكيم عامر وجماعته** » وبين القيادة الثورية التى تثقلها الهزيمة ممثلة فى « **جمال عبد الناصر** » ، جرت محاولات لحل التناقض بين نظرية التحالف وبين صياغاتها التنظيمية ، على نحو أكثر ديمقراطية . وذلك تحت شعار « **اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب الحقيقى لا الشكلى ، من القاعدة للقمة** » فى أحضان الجماهير التى هبت فى التاسع من يونيو ١٩٦٧ ، تتصدى للهزيمة وتقاومها وتصلب عود القيادة الثورية والقوات المسلحة ، وتلملم أشلاء المجتمع فى وحدة نضالية .

ولم يكتب لهذه المحاولات النجاح ، رغم أن الحركة العفوية للجماهير أثبتت ظروفا موضوعية ملائمة . وخاصة بعد أن تم تصفية « البيروقراطية العسكرية » . غير أن « عبد الناصر » لم يشأ أن يتخذ من هذه التصفية بابا للتغيير الشامل ، سياسيا واجتماعيا . ذلك أنه لم يرد أن يكشف – وقتذاك ومع ثقل الهزيمة – عن مدى القيود التى كانت تفرضها البيروقراطية العسكرية على حركته . ومن هنا استخدم التصفية فحسب فى تهيئة المناخ الصحى داخل القوات المسلحة لاعادة بنائها من جديد على نحو يؤهلها لتحدى الاحتلال الاسرائيلى فى جولة قادمة . وكان هذا هو الهدف الاساسى ، بل لعله الوحيد ، الذى صمم أن يكرس له بقية عمره . ويجب أن نتفهم ذلك نفسيا وسياسيا ، من قائد ثورة ، أفرزته هزيمة ١٩٤٨ للانتقام منها وتخطيها فاذا به يمنى بهزيمة أفدح فى ١٩٦٧ نتيجة تسلط وفساد البيروقراطية العسكرية الجديدة التى خرجت من أحشاء الثورة وتحت ظله.

ولعل هذا ما جعل عملية « تصفية البيروقراطية العسكرية » تتخذ الاسلوب الامنى البوليسى فى أروقة القمة العليا ، دون النزول بها الى شوارع الجماهير لتأخذ أبعادها السياسية والاجتماعية الكاملة وكان من نتيجة هذا أن القوى المدنية البيروقراطية والطبقة الجديدة المستكنة ، أصبحت هى المستفيد الرئيسى من تصفية البيروقراطية العسكرية . فغدت مطلقة السراح دون منافس ، متخفية تحت عباءة عبد الناصر .

من هنا يبرز – موضوعيا – « **الخطأ التاريخى** » الذى وقع فيه عبد الناصر ، عندما توانى عن استثمار « **اللحظة التاريخية النادرة** » ، التى تولدت عن حركة الجماهير الجذرية فى مضمونها ، العفوية فى نشاطها ، للاطاحة بكل القوى البيروقراطية والطبقة الجديدة . وذلك من خلال تنظيم هذه الحركة العفوية للجماهير فى صياغة ديمقراطية شعبية لقوى التحالف الوطنى التقدمى .

● ● ●

ويبدو أن حسابات عبد الناصر – وقتذاك – كانت تجرى على أساس أن البيروقراطية المدنية وطبقتها الجديدة أضعف وأقل خطرا من البيروقراطية العسكرية ، ويمكن بعد اعادة بناء الجيش معالجتها بسهولة . فضلا عن أن ضرب البيروقراطية المدنية قبل اعادة بناء الجيش واعادة بناء الاتحاد الاشتراكى من شأنه أن يشل أجهزة الحكم فى البلاد . والدليل على ذلك أنه عندما فوتح فى هذا الموضوع ، كان جوابه : **« وبمن أحكم وأسير شئون البلد فى هذه الظروف الصعبة . اعطونى بعض الوقت أبنى فيه الجيش من جديد . ثم نأتى للتغيير الثورى الشامل » .**

فى الحق ، كانت الظروف صعبة . .

ولكن ، فى الحق أيضا ، اللحظات التاريخية النادرة للتغيير الحاسم والسريع لا تنتظر ولا تدوم .

وحين جاء الوقت بعد ذلك لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى ليكون وعاء ديمقراطيا لجميع قوى التحالف ، وخاصة جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الوطنيين التى تصدت للهزيمة ، فانه على الرغم من كل تعليمات عبد الناصر المشددة بضمان حرية الانتخابات ، تمكنت القوى البيروقراطية وطبقتها الجديدة – بعد تبدد اللحظة التاريخية النادرة – من أن تسيطر سيطرة كاملة على الانتخابات ليأتى « الاتحاد الاشتراكى » فى صياغته الجديدة ، اداة تنظيمية معبرة عن مصالحها فحسب . وذلك تحت لافتة تحالف قوى الشعب العاملة .

صحيح أمكن لبعض القوى الوطنية التقدمية أن تحتل بعض المواقع فى التنظيم الجديد . ولكنها تعرضت دوما للحصار والتصفية ، كلما استعصت على عمليات الترويض والتدجين .

واذكر ، عندما أتيح لنا مناقشة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى ذلك ، خلال جلسة الحوار التى عقدها مع « **أسرة تحرير الطليعة** » أثناء زيارته لمبنى الاهرام الجديد فى ينـاير ١٩٦٩ .. قال ، يومهـا ، فى حضور الرئيس السادات :

« **ــ بصراحة ، هم فى الاتحاد الاشتراكى ضدكم ـ لا يريدونكم . ويعتبرونكم بأفكاركم وحركتكم أعداء لهم . وكان طبيعيـا أن يسقطوكم فى الانتخابات . حاولوا اقناعى باتخاذ اجراءات قاسية ضدكم بسبب نقدكم للنظام ولحركته . وقدموا لى مئات التقارير .. من يسهر مع من .. ومن يعمل مع من .. خـذوا نصيحتى . أنا أفهم دوافعكم ومشاعركم . يجب أن تقتنعوا اليوم بدور سان بيتر [القديس بطرس] وبس . مهمتكم الان فى المجتمع أن تكونوا مجرد مبشرين .. لا أكثر . وانتظروا تغير الاوضاع .. علينا أن نفتش عن صـياغات أخرى للعمـل السياسى أكثر ثورية وديمقراطيه ..** »

وفى هذه الجلسة ايضا ، كشف لنا عبد النـاصر عن المحاولات العـديدة التى بذلت معـه ، كى يصـدر أوامره كرئيس للاتحاد الاشتراكى **بايقاف مجلة « الطليعة »** عن الصدور . باعتبار انها « **وكر للتخريب وأداة لهدم الاتحاد الاشتراكى** » . وكيف أنه يرفض ذلك ويقاومه .

وفى مناقشات متتابعـة بعد ذلـك مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، شارك فيها كل من العـالم الاقتصادى والمفـكر الفرنسى المعـروف « **شـارل بتلهـايم** » والفيلسوف والمفـكر الفرنسى « **روجيـه جارودى** » ، تناولت قضايا الديمقراطيـة والتنظيم السياسى فى مصر خاصة والعالم الثالث عامة ، عبر عبد الناصر عن قناعته بصحة نظرية تحالف قوى الشعب العاملة من أجل التقدم . ولـكنه أبدى شكوكه ، نتيجة تجربة الاتحاد الاشتراكى ، فى سلامة التنظيم السياسى الموحد من حيث بنـائه وفاعليتـه . وكيف أنه بوحدانيته يقتـل الديمقراطية والحوار ويقيد حركة جماهير التحالف ، والصراع السلمى بين قواهـا المختلفة من أجل التقدم . وطرح عبد الناصر خلال النقاش فكرة انشاء حزبين أو أكثر داخل الاتحاد الاشتراكى ، للخروج من مأزق « **الوحدانية** » الى رحابة « **التعدد** » ، ضمن اطار التحالف .

● ● ●

وتلاحقت الاحداث بايقاعها السريع .. واحيانا الدرامى . قطع « الموت المفاجىء » على **جمال عبد الناصر** مشواره . وتولى **السـادات** مسئولياته الدستورية وسـط أعاصير قوى متأججة ولكنها مكتومة . كل قوة منها ، لها حسابها الخاص . **بل كان** داخل القوة الواحدة أكثر من تكتل ، لـكل منه ــ ايضا ــ حساب يختلف الى حـد التنـاقض مع حسابات التـكتلات الاخرى المنتمية لنفس القوة ، كما كشفت عن **ذلك** تحقيقات ما عرف باسم « قضـية مؤامرة مراكز القوى » .

وما لبثت الاعاصـير أن تفجـرت على السطح ، **فى ثانى صراع مكشوف وشامل على السـلطة** ، فى تاريخ ثورة يوليـو . وذلك فى مايو ١٩٧١ ، بعد أقل من أربع سنوات على الصراع الاول عقب هزيمة ١٩٦٧ .

واستطاع الرئيس السادات تحت راية الديمقراطية التى رفعها ، وبالقوة المميزة التى ـ لكها تاريخيا ، السلطة الشرعية فى مصر ذات النهر الواحد ، أن يحشـد من حوله الجماهير غـير المنظمة المتعطشـة للحرية والديمقراطية والمعادية لاسـاليب القمع والقهر . ويحاصر القوى المضادة له التى تحصنت ــ دون جدوى ــ بأهم المراكز القيادية فى أجهزة الدولة وفى الاتحـاد الاشتراكى . ويسقطها فى ليلة واحدة ، دون أن يتمكن التنظيم الموحد الضخم ان ينظم مظاهرة احتجاج واحدة . ولو من الف كادر وحسب ، ينبثقون من مجموع اعضائه الذين اربوا على الستة مليون مواطن ، دفاعا عن قياداته التى كانت ملء السمع والبصر طوال سنوات .

وعلينا هنا أن نرصد ، بموضوعية ، ظاهرة هامة تكرروقوعها فيكل من ٩ يونيو ١٩٦٧ وفي ١٥ مايو ١٩٧١ . فعلى الرغم من اختلاف ظروف كل من التاريخين ، فان الجماهير الواسعة غير المنظمة هي التي بادرت بالحركة العفوية لمواجهة الخطر وملء الفراغ ، بعيدا عن التنظيم السياسي الموحد وفي غيبته . بل وتحديا له أحيانا .

وهذا أمر يثير أعمق التساؤل . فهذه الجماهير هي اللحم الحي لقوى التحالف. بل وأكثرها وعيا واستعدادا للعمل والتضحية ، بدليل تحركها . واذا كان التنظيم السياسي الموحد (الاتحاد الاشتراكي) هو الصياغة التنظيمية لقوى التحالف ، فان هذه الجماهير — بالضرورة — أو غالبيتها على الاقل تتمتع بعضويته . ومع ذلك فانها — في كل ظرف تاريخي — لم تتحرك من داخل التنظيم وبقيادته . بل آثرت التحرك من خارجه .

ماذا يعني هذا ؟

هل يعني أن التنظيم رغم ضخامة شكله الخارجي ، يظل أضيق فعليا عن استيعاب جميع قوى التحالف . كما ونوعا ؟ .

هل يعني أن قوى التحالف ، وخاصة الحية المتحركة ، تعيش داخل التنظيم في غربة مقيدة ، ومن هنا لا سبيل الى انطلاقتها وتعبيرها عن آرائها ومواقفها الا من خارجه ؟

هل يعني أن التنظيم السياسي ، بطابعه الوحداني يتناقض مع طابع التعدد لقوى التحالف ، من حيث أن الجماهير الحية المتحركة تفتقد قياداتها ضمن قيادات التنظيم الرسمية ، في حين تجدها خارجه في الشارع العريض ؟

هل يعني أن التنظيم السياسي الموحد ، ببنائه في ظل السلطة التنفيذية وبتدخلها ، يصبح في الحقيقة جزءا مكملا لها . ويتخلق بطابعها البيروقراطي الاداري . ويتخلى عن مبادىء الديمقراطية والحوار والصراع السياسي . ويصبح همه ارضاء أقوى عناصر السلطة باستمرار مع اكتساب المهارة لتغيير ولائه بسرعة مع تغيرهم .. وينتج عن ذلك كله أن يسيطر على حركته مجموعة من « **الموظفين العموميين السياسيين** » يجيدون الرطانة بالمصطلحات الثورية التي شاع في عالم اليوم استخدامها وتداولها دون ما خوف أو حساسية كما كان في الماضي . وينالون في مقابل ذلك الامتيازات والمكافآت . ويحتلون الصفوف الاولى في كل اجتماع يصور تليفزيونيا أو صحفيا .. دون أن يكون لهم أدنى وزن جماهيري ؟

كل هذا وأكثر ، كما تكشف التجربة ، وارد .

بيد أن قلب المشكلة يتحدد — **أولا** — في التناقض التنظيمي والاجتماعي والفكري ، بين « التعدد النوعي » لقوى التحالف وبين « الوحدانية البيروقراطية للتنظيم السياسي » .

كما يتحدد — **ثانيا** — في أنه من الوهم تصور امكانية اشاعة حياة ديمقراطية داخل وعاء تنظيم سياسي معين ، بمعزل عن الحياة الديمقراطية للمجتمع ككل . فالديمقراطية لا تتجزأ .

● ● ●

من هنا يمكن القول أن يوم ١٥ مايو ١٩٧١ ، أيا كانت التقييمات المختلفة له ، كان هو نقطة الطفرة الموضوعية للانتقال من مرحلة التنظيم السياسي الواحد للتحالف الى مرحلة التنظيمات السياسية المتعددة للتحالف . خاصة بعد أن تمكنت الجماهير الشعبية بصور وتحركات شتى من أن تملأ بقوتها وحيويتها ساحة العمل السياسي ، من فوق ظهر التنظيم الموحد .

ولعل أبلغ دليل على ذلك هو ما انتهت اليه من فشل كل محاولات اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى ، بعد ١٥ مايو ١٩٧١ ذاته ، على نفس المنوال التنظيمى الوحدانى القديم

ومن خارج وداخل التنظيم ، تدافعت الاتجاهات - من مواقع فكرية واجتماعية مختلفة - تطالب بتعدد التنظيمات سواء فى شكل أحزاب أو منابر الخ ..

وفى قلب الاتحاد الاشتراكى نفسه ، دارت رحى معركة داخل ما سمى « بلجنة العمل لتطوير الاتحاد الاشتراكى » بين اتجاهات التعدد الديمقراطية ، وبين القوى التى حاولت وراثة المراكز البيروقراطية فى التنظيم تدعمها الطبقة الطفيلية ، وتجسدت فيما سمى « بلجنة النظام » التى أقدمت على « مذبحة » القوى الوطنية والتقدمية فى التحالف .

بيد ان اتجاهات التعدد الديمقراطية ظلت تتصاعد بقوتها فى المجتمع وتلح الحاحا مستمرا على التغيير . واستجابة لهذا الالحاح ، أصدر الرئيس السادات بصفته رئيسا للاتحاد الاشتراكى « ورقة التطوير » متبنيا تعدد التنظيمات السياسية على شكل منابر داخل الاتحاد الاشتراكى» .

• • •

كان هذا كله تفاعلا مع حركة التاريخ فى المنطقة والعالم العربى ، حيث راح يتبلور - هنا وهناك - أسلوب التعدد الديمقراطى للتنظيمات السياسية فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة من أجل الحرية والتقدم .

وتحولت القوى البيروقراطية الجديدة فى تحالفها مع الطبقة الطفيلية الوليدة ، عن موقفها من التمسك بوحدانية تنظيم تسيطر عليه ، بعد فشلها فى ذلك ، الى موقف المطالبة بفك التحالف الوطنى واطلاق حرية تكوين الاحزاب على غرار النظام الديمقراطى الرأسمالى الغربى . أى العودة الى ما قبل ثورة يوليو والقانون الاول للاصلاح الزراعى !

ونتيجة للمناخ الاجتماعى - السياسى الجديد وخاصة بعد حرب اكتوبر ، واستغلالا لسياسة الانفتاح الاقتصادى ، ولعودة كثير من الاقلام الرجعية للتعبير عن مصالحها فى الصحافة ووسائل الاعلام ، بدا أن أعلى الاصوات وأقواها ، هى أصوات هذا التحالف البيروقراطى - الطفيلى ، ضد التحالف الوطنى لقوى الشعب العاملة

أفزع هذا الصوت العالى القبيح ، الذى راح يرجم بحجارة الحقد الطبقى كل منجزات ثورة يوليو وايجابيات قيادتها ، وينهش بجهالة ووحشية بطولة عبد الناصر التاريخية ، تيارا له وزنه المؤثر فى التحالف الوطنى وهو تيار الشباب الناصرى . مما دفعه فى اطار الدفاع عن ثورة يوليو واستمرارها الى أن يتخذ - بأسلوب رد الفعل المضاد العنيف - موقف المعاداة المبدأية لفكرة تعدد تنظيمات التحالف . ويعتبرها خيانة « للفكر الناصرى » . ويصر على وحدانية التنظيم السياسى للتحالف .

وعلى الرغم من أننا نقدر ونفهم مخاوف هذا التيار وصدق دوافعه ، الا أننا نختلف معه فى « رد فعله » وتقييمه للتعدد ، ليس فقط من ناحية المبادىء الديمقراطية العامة للقوى الشعبية أو من ناحية الاستفادة من تجارب دروس التجربة الحية التى اربت على عشرين عاما ، بل ايضا من ناحية أن « فكر عبد الناصر » فى سنواته الاخيرة كان قد بدأ يتجه بوضوح نحو تعدد التنظيمات السياسية للتحالف .

ويجب أن نميز بدقة بين هذا التيار الشبابى . وبين تيار آخر يمثل مجموعة من المنتفعين بالمراكز القيادية والامتيازات الادارية والمالية فى الاتحاد الاشتراكى والنقابات العمالية ، راح يهاجم تعدد التنظيمات السياسية للتحالف على أساس أنها تصادر حقوق العمال والفلاحين تارة وانها ترتد بالتجربة الوطنية التقدمية لثورة يوليو تارة اخرى الخ .. فى حين أنه ، فى الحقيقة ، يحاول أن يسد الطريق على اندفاع القواعد السياسية والنقابية نحو التغيير وتحطيم الاصنام .

وعلى مدى فترة زمنية مشحونة بالاحداث ، امتد الحوار العام فى المجتمع على مختلف المستويات وفى كل المواقع والمؤسسات، بما فى ذلك الاتحاد الاشتراكى نفسه . واستطاعت حركة الجماهير الديمقراطية فى تفاعلها مع حركة التاريخ، أن تفرض مبدأ التعدد الديمقراطى للتنظيمات السياسية فى اطار التحالف . وتنهى ، فعليا ، وحدانية التنظيم السياسى وانفرادقوة اجتماعية واحدة من التحالف [البرجوازية] فى الواقع العملى .

وسارعت اللجنة المركزية ومجلس الشعب أمام هذه الارادة العامة ، الى الامتثال لها ، محاولين فى نفس الوقت وضع ضوابط وقواعد لتعدد التنظيمات السياسية حتى تكتسب صفة الشرعية .

وأيا كانت درجة الاتفاق أو الاختلاف مع هذه القواعد والضوابط ، التى حصرت تعدد التنظيمات فى تيارات ثلاثة رئيسية هى « اليمين » و « الوسط » و « اليسار » .. الا أننا يجب أن لا نغفل أن هذه هى نقطة البداية التى تنطلق منها الممارسة الفعلية التى لا مفر وأن تطورها التجربة ، تعديلا وتغييرا .

وتظل الاهمية الجوهرية فى « تفصيل التنظيمات » — اذا صح التعبير — على مجموع الاتجاهات الثلاثة الاساسية فى المجتمع ، انها تتيح وتلزم كل مواطن أو قوة سياسية — فى ضوء ظروف الواقع الراهن — أن يحدد ، بوضوح ، موقفه الاجتماعى من اليمين والوسط واليسار بصفة عامة ، وبالتالى تتبلور أولى العمليات الضرورية للفرز الاجتماعى — السياسى داخل التحالف والمجتمع ، لا على أساس أفراد مبعثرين مشتتين وانما على أساس قوى تنظيمية حركية مشروعة .

● ● ●

من هنا تنبع **«القيمة الموضوعية»** للتعدد فى التنظيمات السياسية لقوى التحالف . كما تبتدى « **مكونات الخلفية التاريخية** » التى أفرزت هذه المرحلة الجديدة من مراحل الممارسة الديمقراطية فى المجتمع المصرى .

فهى ، **أولا وبصفة عامة** ، نتاج لحركة الجماهير التاريخية من أجل الديمقراطية والتقدم . وبالتالى مولود شرعى لنضال شعبى .

وهى ، **ثانيا وبصفة خاصة** ، بداية معالجة شعبية واعية لمرض وحدانية التنظيم السياسى وبيروقراطيته وعجزه ، هذا المرض الذى أصاب جسد وروح وقدرة « تحالف قوى الشعب العامل » الذى لا بديل تاريخى له حتى الان . وهى معالجة ظلت تختمر فى وجدان الحركة الشعبية التى انطلقت فى مواجهة هزيمة ١٩٦٧ تعرى السلبيات وتتصدى لقوافل الردة العائدة من جيوب الاربعينيات السحيقة .

لطفى الخولى

موجة الغلاء الجديدة

وتوصيات صندوق النقد الدولى

عادل حسين

اعلن فى الشهر الماضى عدد من الاجراءات الاقتصادية يمس مستوى المعيشة للجماهير الواسعة .. ولكن لابد ان نشير - قبل مناقشةهذه الاجراءات الى مانشر فى الصحفحول علاقة هذه الاجراءات بالمباحث مع صندوق النقد الدولى ، وبالتوصيات التى تقدم بها هذا الصندوق . لقد أصبح الحديث عن تدخل الصندوق - وغيره من المؤسسات الدولية - فى رسم ومتابعة سياستنا الاقتصادية ، من الامور التى تمضى كما لو كانت شيئا عاديا ، ولذا أصبح مطلوبا أن نبدأ بتقديم بعض المعلومات الاساسية عن هذه المؤسسات « الدولية » ، وعن أسلوب عملها .

لن اتحدث عن تاريخ وقانون الانشاء ، او عن أنصبة الاعضاء فى راس المال ، او تشكيل مجلس المحافظين .. الخ فهذه معلومات متاحه فى عديد من المراجع . ولكننى سانقل بعض الحقائق التى نشرتها تيريزا هايتر فى كتابها المساعده كاسلوب للامبريالية «١» فالمؤلفة كانت عضوا فى معهد أبحاث معهد التنمية لما وراء البحار ، وقد كلفت من المعهد بدراسة المعونات التى تقدمها المؤسسات الدوليه الى الدول النامية ، وتكفل البنك الدولى بنفقات البحث ، واتيح للباحثة ان تطلع على الكثير ، وان ترى بعض جوانب الصورة من الداخل ، ورغم أنها لم تبدأ بأى تحيزات مسبقة الا انها انتهت الى نظرة نقدية حادة ، فرفض المعهد نشر الدراسة ، حتى لا يغضب البنك الدولى الذى يسهم فى تمويله !

وسنكتفى فى عرضنا السريع هنا بالاشارة الى الاشقاء الثلاثة : صندوق النقد الدولى - البنك الدولى للانشاء والتعمير - وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية :

ان هذه المؤسسات تتعاون وتتكامل فى أنشطتها ، فصندوق النقد الدولى والبنك الدولى يتقاسمان نفس المبنى فى مدينة واشنطنويصدران مجلة موحدة Finance and Development « ٢ »

وفى كثير من الاحيان يعتمد البنك الدولى والوكالة الامريكية على دراسات وتقديرات صندوق النقد الدولى ، ولكن يحدث أيضا أن يقوما بدراسات مستقلة . ولكن فى كل الظروف لا يتقرر التعامل مع اى دولة الا بعد التوصل الى موقفموحدحول المبادىء والتصورات الاساسية ، ولابد من حل الخلافات قبل الدخول فى مفاوضة مع الدولة التى

تطلب المعونة . وحين نقول الدراسات والتقديرات ، فان هذا يعنى دراسة الاوضاع الاقتصادية والسياسية للبلد المعين ، وتقدير مدى استجابته للتوصيات ، ويتأكد التنسيق بين تحرك الاشقاء الثلاثة عبر لقاءات ومناقشات بين ممثلى هذه المؤسسات داخل سفارات الولايات المتحدة فى الدول المختلفة .

ولكن كيف تسهم هذه المؤسسات « الدولية » فى وضع السياسة الاقتصادية لبلد ما ؟ تجيب تيريزا هايتر « انها ليست كما يتصور فى بعض الاحيان – عملية يجلس فيها الممثلون الرسميون للوكالات مع الحكومات المعنية ليناقشوا معا بعقول مفتوحة أفضل الحلول للمشاكل المحددة للحكومة ، وكذلك فان دور الوكالات ليس منحصرا كما يفترض فى بعض الاحيان انه يجب ان يكون – فى تقديم المقترحات وابراز الاخطاء ، دون الاستفادة من حقيقة أنها تملك السيطرة على تخصيص الموارد المالية .. انها عملية تحاول فيها الوكالات الدولية التأكد من أن السياسات التى قررتها هى مقبولة من الحكومات التى تأمل فى استلام المعونة » . واذا كانت الحكومات لا توافق على هذه السياسات فان الوكالات تصبح معنية بأن تغير هذه الحكومات موقفها ، وقد تؤدى المفاوضات الى حل وسط ، الى بعض التعديلات فى مطالب الوكالات ، ولكنها لن تغير الاتجاه والنموذج العام » .. ان تقديم المعونة ، وتحديد حجمها ، والتهديد بوقفها يشكل أدوات لاحداث التغيير المطلوب فى السياسة الاقتصادية العامة . ويصرح مسئولون فى البنك الدولى أنها ليست مسألة « فرض سياسات » ، ولكنها مسألة « العثور على الاشخاص المناسبين المؤيدين لهذه السياسات » .. ويأتى بعد هذا طبعا دعم هؤلاء الناس فى مواجهة من يعارضهم .

١ – صندوق النقد الدولى

ان الصندوق هو الشقيق الاكبر فى مجموعة المؤسسات الثلاث . وهو يشترط على الدولة التى تطلب بعض المسحوبات ان تدم بما يسمى « خطاب نوايا » تشرح فيه تفاصيل السياسة الاقتصادية التى تنوى انتهاجها ولايسمح الصندوق لهذه الدولة العضو بالسحب من الصندوق الاإذا اعتبر ان ماجاء فى الخطاب متفقا مع شروطه، التى سبق ان اوضحها وتباحث مع الحكومة فى شأنها قبل كتابة الخطاب . ورغم ان الصندوق لاينشر أبدا خطابات النوايا ، أو تقاريره هو، الا ان هناك معلومات كافية عن مضمونها ، فقد نشر بعضها فعلا ، وكذلك نشرت مقالات حولها فى نشرات الصندوق ، وواضح مما نشر أن مدى متطلبات وتوصيات الصندوق يتجاوز كثيرا ماهو مسجل فى مواد اتفاقية صندوق النقد الدولى ومن أول التجاوزات التى اتجه اليها اهتمام الصندوق تحكمه فى السياسات الائتمانية للبنك المركزى فهو يعتبر أن هذا التحكم وسيلة اساسية للبنك للتعامل مع مشاكل ميزان المدفوعات . وتذهب توصيات الصندوق ايضا، وبشكل متزايد ، الى تفاصيل السياسة المالية ، وسياسة العمالة والاجور وحتى السياسة الزراعية فى بعض الاحيان .. وتنبع كل التوصيات من أن اهتمام الصندوق مركز على ما يسميه الاستقرار المالى والنقدى . وهذا يتطلب الحد من العجز فى ميزان المدفوعات ومن التضخم وبالتالى الحد من ميزانية المطلب الاجمالى والحد من العجز فى ميزانية الحكومة ومن زيادة التسهيلات الائتمانية .. ويرتبط بنفس الاتجاه التوصية بخفض الانفاق الحكومى ومحاولة تجميد الاجور الاسمية فى القطاعين العام والخاص ، وتخفيض او الغاء الدعم الحكومى للمشروعات العامة وللسلع . والبند الاخير ليس مقصودا فقط من اجل تقليل الاعباء عن عاتق الميزانية العامة ، فهو يرتبط ايضا بالاتجاه نحو ترك مهمة تحديد الاسعار لاليات السوق وحده، وتحرير السوق الداخلية هو جزء ايضا من تحرير العلاقات بالاسواق الخارجية ، فالغاء الضوابط على الواردات مستهدف ، واطلاق حرية تحويل العملة هدف يوصى به دائما . ويوصى ايضا بتقبل خفضها حسب تطور او « تدهور » الاحوال شرطا للمعاونة واحيانا ايضا تتطلب سياسة «الاستقرار المالى والنقدى » تخفيض العمالة ، واشهر الحالات هى حالة الارجنتين حين انتزع البنك الدولى من حكوماتها وعدا بان تخفض عدد العاملين فى السكة الحديد بمقدار ٧٠,٠٠٠ عامل وموظف وحين سئل مسئولون كبار فى البنك عن مصير هؤلاء قالوا : بوسعهم ان يعودو الى الريف .. وكان معظمهم قد نزح من الريف منذ الاربعينات .

لقد كانت القصة الاخيرة عن توصيات للبنك الدولى – وليس الصندوق – ولكن لا بأس، فالاشقاء الثلاثة مترابطون كما ذكرنا ، وتوصياتهم تمضى معا فى نفس الاتجاه .. ننتقل على أى حال الى البنك الدولى .

٢ – البنك الدولى :

كما قلنا فان عمل الصندوق يتداخل مع عمل البنك ، وكذلك التوصيات ولكن الصندوق يركز على الثبات النقدى وعلى سعر التحويل ، والبنك يركز على الاستثمار . والتعاون بين المؤسستين محكم التنظيم ، والمسئولون فى الصندوق يحضرون اجتماعات اللجنة الاقتصادية للبنك .

ومن المعروف أن البنك الدولى يضع الان أولوية خاصة لدراسة الاوضاع الاقتصادية العامة للدولة المقترضة ولمدى التزامها « بتوصياته » وعادة لابد أن يوافق البنك على أسلوب الاداء العام لاقتصاد الدولة ، وليس فقط على المشروع ومع الدول التى

تواجه ظروفا عسيرة ـ من وجهة نظر البنك يطلب تقديم ما يسمى مذكرة رسمية كضمان النواب قبل الموافقة على الاقراض » .

وفى بعض الدراسات الصادرة عن البنك يقول : « ان البنك الدولى يحاول باستمرار أن يحصل من الدول التى تتلقى القروض على التزام أشد بالسياسات التى يراها مناسبة للتنمية . وقد سمعت شكاوى عديدة من « التعدى على السيادة » .. ولكن رغم ان تدخل البنك قد يكون فى البداية مؤلما إلا أنه يصبح ـ كما يقول البنك ـ مرحبا به أكثر فأكثر » .. طبعا بعد القضاء على المعارضين

ولكن كيف يمارس البنك تأثيره و « يروض » معارضيه المتألمين من تدخله ؟ يقال ان السريه التى تحيط بأعمال الصندوق مضاعفة فى أعمال البنك ، فما نشر عن اساليب الصندوق لم تكن نتائجه سارة ، ولذا فان المسئولين فى البنك الدولى يؤمنون بان دبلوماسيتهم تصبح أكثر فاعلية اذا أديرت فى سرية تامة ، مع عدد محدود من كبار الرسميين فى الدوله المعنية ، ويحسن أن يكونوا ممن يتعاطفون مع البنك . وعلى ذلك فان كثيرا من التفاصيل غير معروفة ، والتقارير الدورية لا تعد للنشر وانما فقط لتوجيه سياسة البنك ، وينحصر تداولها فى الدوائر العليا للحكومة المعنية والهيئة الادارية للبنك ، وبين بعض الافراد المحظوظين . ومعظم هذه التقارير لاتقتصر على دراسات حاجات البلد المعين او قدرته على الاقتراض ، وانما تمتد ايضا الى متابعة السياسات المالية والنقدية وسياسة الاستثمار ، وميزان المدفوعات والاسعار والاجور ، ومعاملة القطاع الخاص ، وأحيانا ايضا السياسات الزراعية والتعليمية ، وتشمل التقارير كذلك تنبؤات للمستقبل وخاصة فيما يتعلق بميزان المدفوعات على خدمة الدين بالاضافة الى جداول احصائية كاملة تحصل عليها بتعاون وثيق مع أجهزة الاحصاء الرسمية للدولة .

وتنتظم التقارير التى يصدرها البنك ، وبعمق واتساع خاص ، بالنسبة للدولة التى ينظم لها البنك ، وبرئاسته كونسورتيوم ، ومجموعة استشارية . وادارة البنك لمجموعة استشارية لبلد معين ، هو اعلان بالموافقة العامة على سياسات هذا البلد ، وهى محاولة لدعوة للاقطار الاخرى لكى تساعد فى انجاح هذه السياسات عن طريق القروض . والبنك يلتزم بتوفير الوثائق والمعلومات للمجموعة الاستشارية ، فهو يلعب دور المستشار الخاص للبلد المعنى ».

الا ان خبرة الدول التى انشات المجموعات الاستشارية لم تكن طيبة ، فقد استخدمت كوسيلة اضافية للتاثير ، فالبنك يمكن أن يؤجل الدعوة الى عقد الاجتماع للمجموعة الى أن يشعر بالرضاء التام عن السياسة المتبعة ، ثم ان المجموعة الاستشارية والكونسورتيوم تضع البنك فى موضع المنظم والمهيمن على مصادر التمويل المختلفة للبلد المعين . ان دول امريكا اللاتينية تدرك ان هناك ما يشبه الجبهة المتحدة بين وكالات الاقراض المختلفة ، ويزداد تماسك هذه الجبهة حين يزداد نفوذ البنك الدولى فى بلد من البلاد ».

٣ ـ وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية

هذه الوكالة لا داعى للاستطراد فى شرح مهمتها فهى أصرح الاشقاء الثلاثة فى الافصاح عن نفسها ، فوثائقها الرسمية تقول أن المساعده هى احد ادوات السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وفى احدى نشراتها تعلن ان الوكالة قد أدركت بشكل متزايد أن المعونة يمكن أن تسرع بالتنمية ، ليس فقط عن طريق تزويد الدولة التى تتلقى المساعدة باضافة الى رأسمالها المحدود ومواردها التكنيكية المتواضعة ، وانما أيضا عن طريق استحداث تأثير على سياسات هذه الدولة وعلى برامجها ، « وبمجرد أن وعينا قدرة المساعدة على احداث مثل هذا التأثير ، تمرسنا فى تكنيك احداث هذا التأثير بكفاءة أعلى » .

ان ادارة هذه الوكالة تدرك تماما أنها لا تقرن تخصيص الموارد فى حوزتها على أسس اقتصادية ، فأساس التخصيص هو الاعتبارات الامنية والسياسية التى تقررها الخارجية الامريكية . والوسيلة الاساسية التى تستخدمها الوكالة الاحداث التأثير تكمن فى نظامها فى برنامج القروض المشروطة ، فالبرنامج عادة لمدة سنة ، وهو يحتوى على عدد من الشروط العامة ، وعدد من الشروط المحددة تتعلق بالسياسات الاقتصادية والاجتماعية التى تلتزم بها الحكومة التى تتسلم القرض ، وهذه الشروط ترد فى اتفاق سرى بين الوكالة الامريكية وبين الحكومة المعنية ، وكذلك فى صيغة أكثر اجمالا فى خطاب للنوايا . ومن المعروف ان البعثة المحلية للوكالة تدخل رسميا تحت ولاية السفير الامريكى .

والان .. ما هو المطلوب على ضوء العرض السابق ؟

مطلوب أولا أن نكون واعين بطبيعة وأساليب هذه المؤسسات التى تسمى دولية .. وبلا أوهام ، فانها مؤسسات تتحرك وتضغط فى اطار

الاستراتيجية السياسية والاقتصادية للدول الغربية المتطورة .. وبالتحديد الولايات المتحدة الامريكية . وليس فى هذا الكلام أى تحامل أو تعبير عن موقف يسارى متطرف ، هذا هو الكلام السائد الان فى أدبيات الدول النامية على اختلاف اتجاهاتها ، والمطالبة بتغييرات هيكلية فى النظام الاقتصادى العالمى ، وفى المؤسسات التى تسمى دولية ، مطالبة تحظى بتأييد جماعى بين هذه الدول .. وليس مطلوبا أن نقاطع هذه المؤسسات ، ولكن مطلوب أن نحذر ، ومطلوب ان نحشد ونعظم كافة الامكانيات المحلية والعربية والدولية ، حتى لا نواجه هذه المؤسسات من موقع الملهوف المنهار ، فهنا تصبح امكانية فرض شروطها الكاملة أيسر . ان أخطر ما يتهددنا الان هو أن ينتقل موقع اصدار القرارات الاقتصادية الاساسية من القاهرة الى أيدى القيادة المركزية للدائنين فى واشنطن . ورحم الله أيام صندوق الدين ».

ان تيريزا هايتر تقول أنّ هناك – من ناحية – بعض البلاد التى تلعب فيها مجموعة البنك دورا محدودا جدا .. وفى أقصى الطرف الاخر هناك الاقطار التى تمثل مجموعة البنك فيها المصدر الإساسى لرأس المال الخارجى ، والتى يوجد بين مسئوليها عدد كاف من العناصر المتحفزة والقادرة على اقناع الحكومة بالموافقة رسميا علـى الاجراءات التى يرى البنك أنها ضرورية ، وفى هذه الحال فان مجموعة البنك يمكن أن تتفق مع هذا البلد ، فى صيغة شبه رسمية «على برنـامج للاقراض فى عدد من القطاعات ، وعلى مضمون الاجراءات السياسية التى ستتخذها الحكومة من أجل تحسين الاداء فى مجالات أساسية ».

ان معظم البلاد كما تقول تيريزا – تقع فى موقع متوسط بين هذين الطرفين .. فهل هناك أى تطرف أو اساءة ادب ، اذا قلنا اننا نود ان نطمئن الى اننا أيضا «ومع معظم بلاد العالم» فى موقع متوسط ؟

خرافة التوصيات المحايدة

● قد يردد البعض هنا الدفاع الذى يسوقه المسئولون فى هذه المؤسسات عن مبدأ التدخل فى وضع وادارة السياسة الاقتصادية العامة فـى الدول النامية ، اذ يقال أن هذه المؤسسات تملك خبرات واسعة ، وهى اذ تتقدم بتوصيات وتضغط فانها تهدف الى تحسين الاداء العام للاقتصاد القومى ، ويقال ان هذا التدخل يتم وفق معاييرفنية بحتة ، أى محايدة ، وبالتالى فهو مفيد للدولة المدنية ، كما هو مفيد للجهات الدائنة ، التى من صالحها أن يعمل اقتصاد الدولة بكفاءة كى تضمن سداد قروضها .. حسن ، أنّ من واجبنا أن نناقش باختصار من يرددون مثل هذا الكلام بحسن نية ، ونبدأ بان نذكر بما سبق ان اوضحناه حول طبيعة العلاقة بين هذه المؤسسات وبين الحكومة الامريكية ، فكيف يتكلم عاقل بعد هذه الحقائق عن الحياد والمشورة الفنية غير المتحيزة سياسيا ؟ ! اننا نذكر فى مصر بالذات كيف سحب البنك الدولى عرضه للمشاركة فى تمويل السد العالى بناء على تعليمات من حكومة الولايات المتحدة ، ومن الناحية العملية فان مؤسسة كالبنك الدولى لايمكن الا أن تخضع فى توجيهها لميول وتحيزات مسئولى ادارتها ، وكلهم منحاز بحكم تكوينه الشخصى للدول الغربية ، وللولايات المتحدة بالذات .. وفوق هذا فان البنك لابد أن يخضع لمن يملك مصادر تمويله «.» والولايات المتحدة يمكن ان تغلق اسواق راس المال الرئيسية فى وجه البنك الدولى ، فى حالة ما اذا فرض وأصر البنك على التعامل مع دولة تصر الولايات المتحدة على مقاطعتها أو الضغط عليها ».

● ولكن ما دمنا نناقش حسن النية ، فان هناك قضايا لابد أن تحسم أيضا على المستوى النظرى، فمن الاوهام التى يمكن ان تتسبب فى أضرار مدمرة ، حكاية ان هناك ادوات ، أو « وصفات » اقتصادية جاهزة ، وذات قيمة فنية بحتة أو محايدة ، تصلح – بنفس الشكل وبنفس القدر – لتسيير أى نظام اقتصادى . هذه المقولة خاطئة تماما ، فاختيار الادوات وأسلوب استخدامها يتوقف على الهدف من هذا الاستخدام من ناحية ، وعلى الاوضاع الاجتماعية والسياسية التى تحيط بالانشطة الاقتصادية من ناحية أخرى .

ولتوضيح هذه النقطة نضرب مثلا باللورد كرومر فى مصر ، فكرومر كان حاكما قديرا ، وبعض السياسة – التى رسمها وقاد تنفيذها – استخدمت أساليب فنيه حديثه وارتفعت كفاءة الاداء الاقتصادى والادارى ، ولكن الحركه الوطنية المصرية – فى القرن التاسع عشر – لم تفقد الاتجاه ، انبهارا بكفاءة الاساليب التى استخدمتها الامبرياليه البريطانية ، ولم تكن الحركة الوطنية المصريه مخطئه حين رفضت مهادنه كرومر ، وحين رفضت اعتباره مصلحا عظيما ، فقد ادركت انذاك ان القضيه ليست مجرد استخدام اساليب وخبرات فنيه وتنظيميه حديثه لادارة الاقتصاد القومى ، وكان المعيار الاساسى للتاييد أو المعارضة هو نوع الهدف والمصالح التى اختيرت هذه الوسائل من أجل تحقيقها . ولقد كان هدف كرومر من سياسته الاقتصادية تحويل مصر الى مزرعة قطن لحساب المصانع البريطانية ، وفى نفس الوقت اعاقة محاولات التصنيع الوطنى ، مع ضمان تحويل الفوائد والارباح الى أصحاب رؤوس الاموال

الاجنبية . ولما كانت الحركة الوطنية تسعى من اجل اهداف تختلف تماما ، كان طبيعيا ان نرفض أساليب التحديث التى استخدمها كرومر . لقد كانت تناضل أيضا من أجل استخدام أساليب حديثة لادارة الاقتصاد القومى ، ولكن هذه الاساليب كان لابد أن تكون مختلفة فى نوعها ، أو فى حجمها ، أو فى ترتيب أولوياتها ، مادامت ستوظف من أجل هدف مغاير .

اذا كان هذا الدرس من تاريخنا لا يختلف حول دلالته ، فاننا نعود الى الوكالات التى تسمى نفسها « دولية»، ونقول أن توصياتها الفنية ليست مبرأة من الهوى ، فهى لا تصدر الا على أساس انحياز مسبق لهدف وتصور ، هو دمج اقتصاديات الدول النامية فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى ، حسب القواعد التى تقررها الدولة الصناعية المتقدمة ، وهى تزعم أن هذا الدمج هو المسار الطبيعى للعلاقات الاقتصادية الدولية ، وهى تصدر التوصيات وتضغط وتبعث بخبرائها من أجل ضمان التنفيذ خدمة لهذا الهدف ، ولذلك فان هذه التوصيات لا يمكن أن ينظر اليها كجهد فنى بحت ، فهى جهد فنى موظف لتحقيق هدف وتشكيل اقتصادى واجتماعى محدد . والتوافق او التعارض مع هذه التوصيات لابد أن يتقرر وفق ما اذا كان هدف هذه المؤسسات يتفق أو لا يتفق مع مصالحنا الوطنية . ان صندوق النقد الدولى يركز اهتمامه على استقرار سعر العملة ، وبرامج الاستثمار للبنك الدولى ومعونات الوكالة تنسق على النحو الذى يتفق مع رسالة الصندوق ، وهم يبررون هذا بأنه السبيل لكى يعمل ، النظام « الدولى » فى يسر ، متجنبا الازمات التى يترتب عليها انكماش التجارة الدولية . عظيم ! ولكن من قال أن هذا هو الهم الاول للدول النامية حتى تصيغ كافة سياساتها من أجله ؟ ان اهتمام الدول النامية باستقرار العمل فى النظام الاقتصادى « الدولى » رهن باقتناعها بأن هذا النظام يحقق مصالحها فى التنمية المستقلة . ولكن الدول النامية — ومن بينها مصر بطبيعة الحال — غير مقتنعة .. انها ترى أن النظام « الدولى » بأوضاعه الراهنة يعكس اختلال التوازن ، وهو يحقق بالتالى مصالح الدول المتقدمة على حساب دول العالم الثالث ذات الاقتصاد المشوه التابع ، ومن هنا نضالها من اجل ما يسمى بالنظام الدولى الجديد .

اننى ارجو أن نستبعد من النقاش — فى هذه المرحلة — وبقدر الامكان ، أى خلاف حول النظريات العامة ، ارجو أن ننحى جانبا ، ولفترة ما ، ماقرأناه حول نموذج النظام الرأسمالى المجرد ونموذج النظام الاشتراكى ، يكفى ان نعرض ونوصف ما نراه مباشرة بأعيننا لكى نصل — كحريصين على مصالح وطننا — الى موقف موحد . ان المؤسسات « الدولية » تبشر بالنظام الرأسمالى او الاقتصاد الحر كما يقولون ، كنظام أمثل او وحيد ، لادارة وتنمية الاقتصاد الوطنى للدول النامية ، وخلافنا مع هذه المؤسسات لم يعد مجرد مناظرة ايديولوجية ، ولكننا نسأل هل يمكن أن تقود سياسة هذه المؤسسات ، وما تمثله من قوى ، الى تحويل دولنا النامية إلى طبعات جديدة من النموذج الامريكى او اليابانى أو البريطانى .. الخ ؟ لو كان هذا ممكنا او منظورا .. لكان الامر قابلا للتأمل ، ولاصبح الخلاف مع هذه المؤسسات هو فعلا مجرد خلاف ايديولوجى يختلف فيه الناس بين اشتراكى ورأسمالى دون أن يتهموا فى وطنيتهم . ولكن واقع الحال أن هذا الطريق الذى أوصل بعض المجتمعات الى تلك التجارب الدولية الناجحة قد أصبح مسدودا حسب رأى خبراء التنمية الجادين فى الغرب نفسه «٣» . فماذايعنى اذن التبشير بالاقتصاد الحر وقوانين السوق فى ظل المعطيات القائمة ، ماذا يعنى فى التطبيق ؟ انه يعنى ببساطة الابقاء على الموقف الهيمنة والتحكم الاقتصادى الذى تمارسه الدول الصناعية الغربية المتقدمة . والمؤسسات « الدولية » التى تمثل فى المقام الاول مصالح هذه الدول ، لا تفعل أكثر من محاولة تثبيت العلاقات الدولية غير المتكافئة ، والتى تسمى النظام الاقتصادى الدولى . ان الحديث عن مبادىء الاقتصاد الحر وسيادة قوانين السوق فى الاقتصاد المحلى وفى التبادل الدولى يعنى بناء على التجربة المريرة وليس وفقا للتوقعات النظرية فقط — خدمة المناطق الاكثر تقدما ، وأصحاب القوة الاقتصادية ، سواء فى السوق الداخلى او فى مجال التجارة الدولية«٩» وماذا يعنى تقديس الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، واطلاق المبادرة لحركة رؤوس الاموال بأقل قدر ممكن من التدخل الحكومى — كما تطالب المؤسسات الدولية ؟

انه يعنى مجرد افساح المجال لاخطبوط الشركات المتعددة الجنسية لكى تسيطر على المقدرات الاقتصادية « ٥ » فتحدد حسب مصالحها

موقعنا من تقسيم العمل الدولى ، ولا مانع طبعا من مشاركة بعض من الرأسماليين المحليين فى الكعكة لان هذا يخلق طبقة تحقق دخولا عالية وصاحبة مصلحة فى الدفاع عن النظام الاقتصادى المشوه التابع .. عنوا أقصد النظام الحر . وياويل القوى الوطنية ان هى تنبهت الى هذه المخاطر ، وارادت ان تحد من طغيان التدخل الخارجى حماية للتنمية المستقلة .. اذا لم تنفع الضغوط الاقتصادية .. دبرت الانقلابات الفاشية واقيمت المذابح لمن جرأ على الاعتراض .».

● وفقا لهذا السياق ، ووفقا لهذه الاهداف المعلنة او المبيتة ، ينبغى أن ندرس ونفهم طبيعة التوصيات الفنية « المحايدة » . نحن لا يمكن أن نناقش وسائل مواجهة العجز فى ميزان المدفوعات ، او وسائل مكافحة التضخم ، او اسلوب تحديد الاسعار ، او زيادة موارد الخزانة ، او ضوابط الانفاق الحكومى ، كقضايا فنية مستقلة عن أى هدف ، ونحن اوعى من أن يقول لنا خبراء صندوق النقد الدولى او غيره أن هذا ممكن . انهم يعلمون — ونحن ايضا نعلم — ان تنفيذ توصياتهم فى أمثال هذه الامور ليس هدفا فى حد ذاته ، فالتوصيات محكومة ومسخرة لخدمة اهداف اعلى .. اننا أيضا نهتم بنفس القضايا وبغيرها ، ولكن توصياتنا لابد أن تختلف مع توصيات هذه المؤسسات الدولية ، لان اهدافنا تختلف — تماما كما كان الحال مع مصطفى كامل ومحمد فريد .. فنحن لن نطالب — مثلا — بزيادة موارد الخزانة عن طريق مضاعفة الضرائب غير المباشرة التى يقع عبؤها على الجماهير الواسعة من المستهلكين بلا تمييز — كما توصى المؤسسات الدولية عادة ولن نقترح تخفيضا تستقطعه ضريبة الإيراد العام من المليونيرات واصحاب الدخول العالية — كما يوصون أيضا — لان هذا ضد العدل الاجتماعى ويهدد الوحدة الوطنية المطلوبة للتنمية ، وفى مواجهة العدو الخارجى ، وكذلك لاننا لا نؤمن بان تراكم الثروات لدى بعض الافراد والمؤسسات الخاصة هو العماد الاساسى للتنمية .. ايضا نحن لن نطالب — على سبيل المثال — بخفض قيمة الجنيه المصرى بحجة أن هذا يحد من الاستيراد بصفة عامة ومن عجز ميزان المدفوعات فنحن نعتقد أن علاج مشكلة العجز فى الدول النامية لا يعالج جذريا الا بتغيير الهيكل الانتاجى ، وفى المدى القريب سنلجأ — ضمن ما نلجأ الى تغيير انماط الاستهلاك ونحدد ما هو كمالى . فنمنع استيراده وما هو شبه كمالى فنحد منه ، ولكن هذا سيغضب السادة الذين تسعى المؤسسات الدولية ومن خلفها الى ارضائهم ، ايضا نحن لن نطالب بفتح الابواب على مصاريعها ونفتح المجال امام رؤوس الاموال الاجنبية لكى تحتل مواقع استراتيجية فى اقتصادنا ، بحجة عدم توفر المدخرات المحلية ولحاجتنا الى تدفق الاموال من الخارج ، ان توصياتنا لبلدنا ستكون مختلفه تماما ذلك فبوسعنا ان نزيد المدخرات المحلية ، ومن واجبنا ان نفعل مهما كانت التضحيات بشرط العدالة فى توزيع الاعباء . ان توصيتنا فى هذا المجال ستبدأ بضرورة الاعتماد على الذات وفى قبول أى أموال خارجية بما لا يتعارض مع خطتنا التنموية .

● واخيرا فاننا نشير الى أن هناك فارقا كبيرا بين أن نستفيد بخبير أجنبى لكى يقدم المشورة والتوصية فى مجال دراسة اقتصاديات الوحدة او المشروع الواحد . وبين أن نستقدم مؤسسة دولية — نعرف هدفها ومن خلفها — لكى ترسم لنا السياسة الاقتصادية العامة . ان الخبير الاجنبى يمكن أن يدربنا فى مجال تحسين الخدمة المصرفيه مثلا على الاساليب الحديثة لتنظيم حساب العملاء ، وعلى كيفية ايداع الاموال وسحبها فى دقيقة او أقل ، كما يحدث فى البنوك الغربية ، فى هذا المستوى يمكن أن نقول عن بعض الحياد فى المشورة الفنية ، يمكن أن نقول — ببعض التحفظ — أن الخبرة الفنية او التكنيك يمكن ان يطبق فى أى بنك فى اى دولة ، ولكن حين يكون السؤال المطروح هو . هل نسمح ببنوك اجنبية او لا ، فانه لاتوجد اجابه اقتصاديه او فنية بحته . وحين تجيب المؤسسات الدولية على مثل هذا السؤال بنعم ، فان هذا لا يعنى انه لا توجد اجابة اخرى . كذلك اذا كان السؤال يتعلق بأسلوب استخدام الجهاز المصرفى فى تمويل التنمية ، فهنا أيضا لا توجد وصفة فنية واحدة جاهزة ، فاذا كان النموذج الاقتصادى العام يقوم على التخطيط المركزى فان اسلوب التنظيم والعمل للجهاز المصرفى سيتخذ مسارا معينا ، واذا اختارت الدولة أن تعتمد على آليات السوق وتنحاز الى اصحاب رؤوس الاموال ، فان المسار سيختلف ، وسنعود الى نظام البنوك التجارية العادية المتنافسة كما أوصتنا المؤسسات الدولية وكما نفذنا .

باختصار .. انهم يزعمون أن وقف التضخم واستقرار العملة هو الطريق الى النمو الاقتصادى ، وبالتالى فان قضايا النمو لابد ان تخضع وتتكيف وفق شرطها الاول «٦». ونحن

نقول بالعكس فالتنمية المستقلة الجادة هي الطريق الشاق والمطلوب للتحكم في التضخم وفي عجز ميزان المدفوعات وفي تحسن سعر التحويل ، وبالتالي لابد أن تخضع اى اجراءات في هذه المسائل لضرورات القضية الاساسية : قضية التنمية .. ان الفارق بين ان نقول هذا أولا او ذاك ليس مجرد اعادة ترتيب لجملة واحدة .. انه يجسد الفارق بين استراتيجية للنمو الاقتصادى التابع والمشوه « او تنمية التخلف كما يقولون » وبين استراتيجية التنمية ، الشاملة المتوازنة والتى تتحقق من خلال التخطيط المركزى بقيادة القطاع العام ، والتى تنبع اهدافها من الصالح الوطنى العام ، ووفق مصالح الجماهير العاملة الواسعة .

ان الحديث السابق كله لم يكن موجها - بطبيعة الحال - الى من ترتبط مصالحهم بمخططات هذه المؤسسات ومن خلفها . واذا كان ما قلناه صحيحا فان من واجبنا كوطنيين أن نتصدى لمخططات الاستعمار الجديد التى تهدف الى اعادة دمج مصر فى السوق الرأسمالى ، والى ادخالها من جديد فى حظيرة الدول التابعة . ان مخططات الاستعمار الجديد تستهدف تحطيم كل القلاع التى حالت فى الماضى القريبدون هذا الدمج . انهم يدركون ان التغيرات الاقتصاديه والاجتماعية العميقة التى تمت فى مصر - اثناء الخمسينات والستينات - حققت اساسا للاستقلال الاقتصادى وللتنمية الاقتصادية والاجتماعية المستقلة ، وساعد مصر فى هذا نوع علاقاتها الدولية المتنوعة ، والتى قامت فى الاقتصاد والسياسه على مبدأ نصادق من يصادقنا ونعادى من يعادينا .. انهم يسعون الان الى نسف كل هذا الذى شيدناه بالعرق والدم .

الاجراءات الحكومية الاخيرة

أعتقد أنه أصبح الان سهلا أن نقيم الاجراءات الاخيرة التى اتخذتها الحكومة - بالاتفاق مع المؤسسات الدولية - من أجل اصلاح المسار الاقتصادى كما يقال . لقد سبق أن قدمت توصيات لتعديل هيكل النظام الاقتصادى ، وبالتحديد لتقليص الدور القيادى للقطاع العام . وقد تحققت - فعلا - فى هذا الاتجاه تنازلات عديدة ، على راسها السماح بهذا التدفق من البنوك الاجنبية ، وتفكيك التماسك والتنسيق بين وحدات القطاع العام بالغاء الدور التنظيمى للمؤسسات العامة ، ثم عن طريق ما يتردد الان حول تحرير هذه الوحدات من الضوابط المركزية وما يقال عن الادارة بالاهداف . وبالمناسبة فان أخطر ما يهدد قضية القطاع العام فى مصر ليس مسألة بيع بعض اسهمه للقطاع الخاص « رغم ان هذا خطر جسيم أيضا والمؤسسات الدولية لا تنى عن الاشارة الى ضرورته » ان مبدأ وجود قطاع عام لم يعد بدعة فى اى دوله . بدءا من المملكة السعودية الى بريطانيا الى الولايات المتحدة ، وبالتالى فان مناقشة قضية القطاع العام فى مصر لا ينبغى أن تثار على أساس هل سيبقى فى مصر قطاع عام أو لا .. القضية هى هل سيبقى القطاع العام قائدا للاقتصاد القومى أو لا . وفقدان هذا الدور القيادى هو الخطر الاعظم الذى ينبغى أن نتنبه له .

على أى حال . لقد مرت التعديلات السابقة فى هدوء لان نتائجها الضارة كانت تحتاج فترة قبل ان تبرز ، ويبدو أننا قد وصلنا الان الى نهاية هذه الفترة .. ثم أنه أصبح من الضرورى أن تلح « التوصيات » على النتائج المترتبة على المفاهيم التى اصبحت سياستنا الانفتاحية قائمة عليها ، والتى تتفق مع مفاهيم المؤسسات الدولية ، فلابد من اجراءات أساسية نحو الاتجاه التقليدى لكى تتحدد الاسعار وفق قوانين السوق المطلقة ، ولابد أن تبتعد هذه الاجراءات - بقدر الامكان - عن أصحاب الدخول العالية تشجيعا للقطاع الخاص ، حتى وان كان أغلبه من السماسرة والافاقين كما هى الحال عندنا الان ، وفى الحقيقة نحن ندرك اننا نحتاج الى اجراءات تقشفية من أجل اصلاح الاختلالات فى اقتصادنا القومى . ان زيادة معدلات الادخار القومى تتطلب حدا من الاستهلاك الحكومى والعائلى ، ولكن استهلاك من الذى يحدد لا ان مواردنا القومية محدودة وهى لا تحتمل من ناحية نهب الطفيليين والمضاربين ، وفى نفس الوقت نستمر فى مكتسبات الجماهير كدعم الاسعار والالتزام بتعيين الخريجين الخ . لقد أوصلنا هذا الموقف الى هبوط نسبة الادخار القومى الى ما تحت الصفر ، وكان على الحكومة ان تختار : هل ترتفع بمعدل الادخار على حساب التهليب والمليونيرات فى المقام الاول أو على حساب المكتسبات ؟ وقد كانت التوصيات « الفنية » وخاصة بالنسبة لصندوق النقد الدولى ، فى اتجاه الاختيار الثانى .. وللاسف وافقت الحكومة على هذا الاختيار ، وان كان من الواجب أن نقول أنها وافقت على هذا الاختيار بعد تردد شديد .

لقد نشرت الصحف أن صندوق النقد الدولى قد أوصى بالتالى :

١ - تحويل السوق الموازية الى سوق تجارية ، أى لا تتحدد أسعار العملات الاجنبية وفق علاوة تشجيعية - تحددها الحكومة وتضاف الى سعر التمويل الرسمى - ولكن يترك تحديد سعر العملات الاجنبية تماما لعوامل العرض والطلب اليومية ، ويعنى هذا خفضا محسوسا لسعر الجنيه المصرى فى نطاق هذه السوق ، ويعنى بالتالى

ارتفاعا فى أسعار السلع التى تستورد عن طريق هذه السوق التجارية .

٢ ـ توسيع نطاق العمل فى السوق التجارية ، بحيث تستورد بعض السلع التى كانت تستورد بالسعر الرسمى ، وفقا لاسعار العملات فى هذه السوق ، ويعنى هذا زيادة كمية السلع التى سترتفع أسعارها .

٣ ـ اعادة النظر فى سياسة الدعم الممنوحة للسلع وفقا لبرنامج معين .

ان هذه التوصيات التى تتقدم بها صندوق النقد الدولى ، تتمشى مع التوصيات التقليديه للصندوق كما سبق أن أوضحنا ، فماذا كان موقف الحكومة ؟

لقد بدأ موقف الحكومة بالبيان المفاجىء للسيد رئيس مجلس الوزراء أمام مجلس الشعب فى ٢٨ يناير ، وكان مؤشرا الى قبول بعض هذه التوصيات ، ولكن بعد اتصالات ومشاورات توالت التراجعات حتى اصبحت اجراءات الحكومة صورة طبق الاصل من التوصيات . فالسيد رئيس مجلس الوزراء وقع خطاب نوايا تضمن انشاء السوق التجارية ، والخطاب موجه الى **ويتيفين المدير التنفيذى لصندوق النقد الدولى** ، وقد سبقت التوقيع مباحثات بين **د . زكى شافعى** وزير الاقتصاد **وجون جنتر** مدير عمليات الشرق الاوسط للصندوق للاتفاق على الخطوط الرئيسيه لانشاء السوق التى يتحدد فيها سعر العملات أو لنقل سعر الجنيه المصرى وفقا للعرض والطلب .

وبالنسبة للتوصية الثانية فقد أخذت بها الحكومة أيضا ، وقرر مجلس الوزراء تحويل نحو ٤١٥ مليون جنيه من العملات الحرة الى السوق التجارية لتباع بأسعار السوق الى الجهات التى تحتاج اليها ، وحين اتخذ هذا القرار كان هذا المبلغ سيباع فى السوق التى كانت يومها موازية بحوالى ٦٩٥ مليون جنيه ، لان الدولار الذى يساوى ٤٠ قرشا بالسعر الرسمى كان يدفع علاوه ٢٥ قرشا فيباع فى السوق الموازية بـ ٦٥ قرشا ، أما بعد تعويم الجنيه فى السوق التجاريه فان الدولار سيصل الى رقم اعلى من ذلك . وكل زيادة فى الفارق بين السعر الرسمى والسعر الحر ستؤثر بدرجة او اخرى على المستهلك . وبالمرة فان الجمارك على هذه التشكيلة الواسعة من السلع المستوردة ستحسب على أساس السعر الجديد فيزداد سعر تداولها فى السوق ارتفاعا . لقد كان مقدرا لحصيلة الجمارك فى ميزانية هذا العام أن تصل الى ٩ر٣٨٦ مليون جنيه ع وبعد هذه الاجراءات صرح د . أحمد أبو اسماعيل أن الحصيلة ستصل الى ٥٠٠ مليون جنيه .

وحتى تكمل القضية فان الحكومة قد اخذت أيضا بالتوصية الثالثة لصندوق النقد ، وتتجه الى خفض ١٠٠ مليون جنيه من الاعتمادات المخصصة للدعم .

● لقد وافقت الحكومة على هذه التوصيات ، وأصدرت قرارات بعد تردد ، أو لنقل مقاومة .. فالحكومة كانت قد قررت زيادة الاسعار التشجيعية للعملات الاجنبية فى أواخر فبراير الماضى لتصل الى ٦٥ فى المائة من الاسعار الرسمية ، بدلا من ٥٠ فى المائه ، ولا شك أن هذا يعنى أن فكرة تحويل السوق الموازيه الى سوق تجاريه لم تكن واردة فى ذلك الوقت ، كذلك فان فكرة بيع جزء من ارصدة الدوله من النقد الاجنبى فى السوق الموازيه وردت لأول مره فى بيان السيد رئيس مجلس الوزراء ، ولكن كان المبلغ المقترح لا يتجاوز ربع ما تقرر اخيرا ، وهذا يعنى ايضا ان الحكومه لم تكن ترحب بالتوسع فى هذا الاتجاه . ثم أن هذين القرارين « تحويل السوق الموازيه الى سوق تجاريه والتوسع فى نطاق هذا السوق » يعتبران خطوه واسعه نحو اطلاق التعامل فى الجنيه المصرى . **والدكتور زكى شافعى** كان يقول أن « هذه جريمه ! » .. كان وزير الاقتصاد يقول ان ذلك يحدث عندما يكون الاقتصاد فى حالته الطبيعيه .. اما الان فهو جسم مريض .. فكيف احكم عليه ؟ » «٧» والسيد ممدوح سالم كان له نفس الرأى . وحين كان **مصطفى كامل مراد** يطالب كعادته بما يحدث الان ، اى بتحويل السوق الموازية الى سوق حرة «٨» بادر السيد رئيس مجلس الوزراء الى القول بان السيد العضو مصطفى كامل مراد تحدث باسلوب اقتصادى حر فى موضوع سعر الجنيه المصرى ، وطالب بان يتحرر الجنيه المصرى ويتم التعامل به على أساس سعره الحقيقى فى السوق الحره . وسوف ينتج عن هذا ان يصل سعر الجنيه الى ٦٠ او ٦٥ قرشا . فى حين ان الجنيه المصرى مازالت قوته الشرائيه فى مصر الان . ورغم انخفاض سعره ، تزيد على جنيهين او ثلاثه جنيهات استرلينيه فى بريطانيا ، وتزيد على خمسه دولارات فى الولايات المتحدة الامريكيه . ان التعامل بالسعر الحقيقى « المقصود سعر السوق التجاريه » سوف يترتب عليه ارتفاع سريع جدا فى الاسعار ، والمرحله غير مواتيه لتعويم الجنيه المصرى حتى يصل الى سعره الحقيقى ، ويجب التدرج فى ذلك ، ان الجنيه المصرى سوف يعود الى قوته الحقيقيه فى التعامل الخارجى اذا توازن ميزان مدفوعاتنا ،

وما زال هناك خلل فى ميزان المدفوعات يبلغ ١٤٠٠ مليون جنيه » .

ما الذى جرى لهذا الكلام الرائع الذى لانجد ما يمكن ان يضاف اليه ؟!

وأيضا بالنسبة لموضوع دعم السلع .. سأعيد هنا ما سبق للدكتور جمال العطيفى أن أعلنه « حين كان وكيلا لمجلس الشعب » :

« علينا ان نبدأ بأن نسأل أنفسنا ما الذى نريده من هذا الدعم ، ان الدولة لابد وان تكفل لكل مواطن الحد الادنى المعقول من المعيشة ، فحينما يختل التوازن يكمن الخطر على السلام الاجتماعى ، وكيف تتوقع ان تحتفظ بالسياره التى تركبها وبالمسكن الانيق والسيجار ، بينما الملايين لا يستطيعون مواجهه الحد الادنى للمعيشة » .. المساله ليست مذاهب سياسية أو ايديولوجيات ، لم نصل الى ذلك بعد ، بل لابد من واقعية اقتصادية بحته ، انظروا هناك مشاكل اساسية يجب ان نتعاون على حلها وايا كانت اتجاهاتنا الفكرية يجب ان يكون هناك اتفاق على اننا يجب ان نضمن لكل مواطن فى هذا البلد لقمة العيش فى حدود امكانياته المتواضعة » .. « ان الهدف فى السياسة العامة للدولة هو ضمان مستوى مقبول لمعيشة المواطنين فى حدود الحد الادنى للاجور ، وهو ١٢ جنيها ، مع التحفظ بأن هناك حدودا اقل من ذلك » .. وحتى بالنسبة لمن يطالبون بالغاء دعم اللحوم والدواجن « اقول لكم ، لنتريث قليلا حينما نراجع دعم اللحوم والدواجن ، فلا نستطيع ببساطه ان نقدم على الغائه لانه توجد لدينا شريحه عريضة من الطبقة المتوسطة من الموظفين محدودى الدخل الذين يتراوح دخلهم بين ٢٠ و ٦٠ جنيها » «٩» .. وقد علق يومها **د . احمد ابو اسماعيل** قائلا « فيما يتعلق بموضوع دعم الحكومة لبعض السلع فاننى اتفق تماما مع السيد الدكتور جمال العطيفى فيما ذهب اليه ، ذلك لان هذا الموضوع لا يتصل بالجانب المالى فقط ولكن له جوانبه الاخرى الاقتصادية والاجتماعية » ..

هل تبخر كل هذا الكلام ؟

قاعدة الفقر تتسع

● ان هذه الاجراءات شديدة الوطأة على الطبقات المطحونة اصلا ، وستهبط بفئات واسعة من الفئات الوسطى الى جمهور الفقراء .. من كانوا يأكلون اللحم مرتين فى الاسبوع سيكتفون بأكل الفول كما ألح الدكتور العطيفى .. ولن يغير من هذه النتائج أن الحكومة لازالت تثبت بعض أسعار السلع الاساسية ؟ ثم لا داعى لخداع النفس بأن تعلن التصريحات ان الحكومة استطاعت بهذه الاجراءات تحقيق وافر فى الانفاق العام ٤٠٠ مليون جنيه وزادت حصيلة الجمارك أكثر من ١٠٠ مليون جنيه دون فرض ضرائب جديدة ، ودون ارهاق الفئات المحدودة الدخل بأية أعباء جديدة ! ترى هل نسى أصحاب مثل هذه التصريحات أنهم يوجهون الحديث الى قوم راشدين ؟! هل وفرت الموارد بطريقة الحواه حين يفاجئونا باخراج الكتكوت من القبعة الفارغه ؟! وماذا تكون هذه الاجراءات اذن ان لم تكن نوعا من الضرائب غير المباشرة ، او لنقل اجراءات لها أثر الضرائب غير المباشرة ؟!

ثم ماذا اصاب اصحاب الملايين والبذخ فى المقابل ؟

رسوم اضافية على الخمور والملاهى والبنزين السوبر بهدف توفير عشرة ملايين جنيه بالاضافه طبعا الى نصيب من الضرائب غير المباشرة السابقة التى سيتحمل فيها الغنى مثل ما يتحمل الفقير ، أما ضريبة الايراد العام ، فستنخفض نسبه المستقطع على الشرائح العليا من الدخل .. ولكن يقال لنا أن الدخول الطفيلية ستخضع من الان فصاعدا للضرائب .. كيف ؟! وأصحابها - كما نقول - طفيليون ، اى سماسرة ومصاربون وما اشبه ولا تعرف لهم حسابات منظمه او شبه منظمة ؟!

اننا بكل الاخلاص نحذر الحكومة، فالفجوة تتسع جدا بين القمه الغنيه والاغلبيه الساحقه التى ستزداد فقرا .. نحن نعلم ان هذا يحدث فى عداد « التوصيات » لان الولايات المتحدة تعول على القطاع الخاص الاجنبى والمحلى فى حل كل المشاكل ، ولعلنا لازلنا نذكر تصريحات مستر سايمون وزير المالية الامريكى حين زار القاهرة فى مارس الماضى . لقد اعلن ان مباحثاته مع المسئولين فى القاهرة دارت حول ما توصلت اليه اللجنه المشتركه ، التى بدأت منذ عشرين شهرا ، خلال زيارته السابقه ، وقال ان هناك مشاكل فى ميزان المدفوعات ومشاكل التضخم العالمى ، ولكن الحل لهذه المشاكل يكمن فى تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار «١٥» . وقد اضاف يومها السيد وزير المالية المصرى ان مشروع التعاون الامريكى المصرى المقترح ، والذى تحدث عنه المستر سايمون ، يهدف اساسا الى تدعيم القطاع الخاص ، وفتح الباب للمستثمرين الاجانب للمساهمة فى تمويل الخطة الخمسية ٧٦ - ١٩٨٠،

وقد قيل أن أحاديث السيد سايمون مع الخبراء المصريين كانت أكثر صراحة ، أو استفزازا ، وخاصة فى مجال الهجوم على القطاع العام المصرى .

مفهوم اذن ان يراعى خاطر اصحاب الملايين ، ولكننا نحذر من اثر هذا فى ظروف التقشف المفروضة .. واقلال النشر عن القطط السمان لن يخفيها عن عيون الناس .

● ● ●

وبعد

ماذا يحدث فى مصر ؟ وكيف تتخذ القرارات الاقتصادية ؟ نحن نعلم ان السياسة الاقتصادية التى تدعو لها الولايات المتحدة والمؤسسات « الدولية » تجد مروجين ومؤيدين ، فالسيد **مصطفى كامل مراد** - مثلا - يؤيد هذه السياسة ، ولكن ماذا **عن منبر الوسط** الذى سبق ان عارض مقرره رئيس مجلس الوزراء نقاطا اساسية منها ؟ هل هناك ضغوط ؟ اننا نطالب بمصارحة الشعب فى هذا الوقت العصيب .. اذا كانت هناك مصاعب وضغوط ، فاننا نرفض التراجع ونصر على الصمود والمقاومة.

ولكن المقاومة تتطلب طبعا شروطا واختيارات غير تلك التى تمثلها سياسة الانفتاح الحالية .

«١» Teresa Hayter: AID AS IMPERIALISM, Penguin Books, 1974.

«٣» يراجع فى المكتبة العربية مثلا : جورنار ميردال ، النظرية الاقتصادية والمناطق المتخلفة - سلسلة اخترنا لك » - البروفيسور ميردال من ابرز الاقتصاديين الغربيين فى موضوعات التنمية وحائز على جائزة نوبل .

«٤» راجع فى المكتبة العربة ايضا كتاب ميردال ، العالم الفقير يتحدى ، دمشق ١٩٧٥

«٥» لمزيد من التفاصيل انظر : محمود حافظ غانم - أعمال المؤتمر الاول للاقتصاديين المصريين .

«٦» هناك تيار كبير بين الاقتصاديين الغربيين الذين يعارضون هذا المفهوم ويرونه معوقا للتنمية ، ويرون ان القضاء على التضخم يتطلب اعادة تشكيل الاقتصاد على اساس ان التضخم ينشا من قصور او اختناقات فى العرض ، وبالتالى فان علاجه الحقيقى فى التنمية والتوسع فى الانتاج وتغيير هيكله -ويسمى اصحاب هذا الاتجاه « الهيكليون » وفى مقابلهم الاتجاه الجامد الذى يركز على علاج التضخم ، بالسيطرة على عرض النقود ، وهذا الاتجاه يسمى اتجاه النقوديين ، م اصحاب الصوت الغالب حتى الان فى المؤسسات الدولية رغم ان تاثير الهيكليين بدا يتزايد « وخاصة فى البنك الدولى - من الاسماء البارزة فى صفوف الهيكليين هيرشمان وبريبيش .. ونحن لا نتحدث هنا عن الاقتصاديين الماركسيين .

«٧» د . زكى شافعى روز اليوسف ، ٩ فبراير ١٩٧٦ .

«٨» ممدوح سالم : مضبطة جلسة صباح ٩ نوفمبر ١٩٧٥

«٩» د . جمال العطيفى : مضبطة جلسة ٣٠ ديسمبر ١٩٧٥.

كلمات للطليعة

[يونيو] في التاريخ المصرى

نضال الشعوب سلسلة متصلة الحلقات من اللحظات المتألقة بالنصر واللحظات المتألقة بالهزيمة والشعوب القادرة على الحياة هى تلك التى تأخذ من هزائمها زادا لانتصاراتها تستوعب دروسها وتتجنب أخطاءها ، وتحشد قواها ، ثم تنطلق نحو دورة أخرى من دورات الانتصار والانكسار ..

وليس التاريخ المصرى بدعا فى هذا السياق ..

وقراءة أحداث يونيو فى النضال المصرى تضع يدنا على هذه الحقيقة فى نصاعة ووضوح :

●● **ففى ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ تم القبض على سليمان الحلبى** - طالب ازهرى ، ٢٤ سنة - فى حديقة قصر الازبكية « مدى ... بيرد القديم ، نفس المكان الذى عثر فيه جنود الحرس على جثة الجنرال كليبر قائد جيش الشرق الفرنسى مقتولا بطعنات سكين فى الصدر والبطن ..

وقد احتفظ لنا الجبرتى بصورة تفصيلية لتلك اللحظة الخاطفة التى امتدت فيها يد سليمان الحلبى بالخنجر نحو صدر الجنرال كليبر ، فروى فى أحداث يوم السبت ٢١ محرم سنة ١٢١٥ : « فى ذلك اليوم وقعت نادرة عجيبة . وهى ان سارى عسكرى كليبر كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذى فى داره بالازبكية ، فدخل عليه شخص حلبى وقصده ، فأشار اليه « كليبر » وقال له ، « مفيش » وكررها فلم يرجع ، وأوهمه أنه له حاجة وهو مضطر لقضائها ، فلما دنا منه مد اليه يده اليسرى ، كأنه يريد تقبيل يده فمد اليه الاخر يده فقبض « سليمان عليه ، وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى أربع ضربات متوالية ، فشق بطنه وسقط الى الارض صارخا . ووقعت هوجة عظيمة وكرشة وشدة انزعاج . واكثر الناس لايدرى حقيقة الحال ، ولم يزالوا يفتشون عن القاتل حتى وجدوه منزويا فى البستان المجاور لبيت سارى عسكر المعروف بغيط مصباح بجوار حائط منهدم فقبضوا عليه . »

ولسنا نجد فى سيرة سليمان اوضح من هذه اللحظة الخاطفة .. اللحظة التى طعن فيها بيده النحيلة ـ يد الفتى أزهرى الثقافة مصرى العاطفة ـ واحدا من اعتى جنرالات فرنسا الاستعماريين .

فى محضر التحقيق مع سليمان ذكر انه سبق له أن أقام ثلاث سنين فى مصر يطلب العلم فى الازهر وانه عاد من حلب الى القاهرة قبل شهر واحد ، سألوه : هل قابل الصدر الاعظم بالشام قبل حضوره الى مصر ، فأجاب بأنه ابن عربى ، ومثله لا يعرف ولايقابل وزراء عثمانيين، وانكر انه يعرف أحدا بمصر ، وانه يقضى معظم وقته بالجامع الازهر ،سألوه : لماذا تتبعت خطى الجنرال كليبر من الجيزة الى الروضة الى قشلاق الارض الى قصر الازبكية فاجاب: كنت أريد أن أراه ، سألوه : هل تحدثت مع أحد بالازهر فى شأن قتل كليبر ، فقال : لا .

ويرد بالمحضر الرسمى بعد ذلك : « حيث لم يصدق المتهم فى اجابته ،أمر القائد العام جنرال مينو بأن يضرب على طريقة أهل البلاد ، فضرب فى الحال ، والى ان وعد بأن يعترف بالحقيقة ، فارتفع عنه الضرب وسئل من جديد .

بعدها .. تبطل كل قيمة لاقوال الفتى العربى الجسور وهو تحت سياط التعذيب !

اجمل الميثاق واقع الازهر فى ذلك العصر بقوله : « لم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن التاسع عشر هى التى صنعت اليقظة المصرية فى ذلك الوقت ، كما يقول بعض المؤرخين ، فان الحملة الفرنسية حين جاءت الى مصر ، وجدت الازهر يموج بتيارات جديدة تتصدى جدرانه الى الحياة فى مصر كلها .. »

كان الازهر يموج بأكثر التيارات ثورية .وكان قد قدم للحياة العلمية شيوخا أجلاء وفى خلال الصراع ضد جيش الشرق الفرنسى قدم من شيوخه الشبان ثلاثة عشر شيخا للاستشهاد على المشانق الفرنسية ، وقاد ثورتين عنيفتين خلال أقل من سنة ونصف . وتعرض المرة بعد المرة للانتهاك والتفتيش،ويذكر عبد الرحمن الرافعى ان الفرنسيين : « زاد ارتيابهم فى الازهر بعد مقتل الجنرال كليبر ، اذ كان يأوى اليه سليمان الحلبى وشركاؤه ، وبه قضى القاتل نحو ثلاثين يوما مصمما على القتل ، فلم يقتنع الفرنسيون بأن علماء الازهر كانوا يجهلون نية القاتل قبل ارتكاب الجناية ،فلما انقضت محاكمة سليمان ذهب الجنرال مينو الى الازهر بصحبة قومندان المدينة والمحافظ وطافوا به ، وشرعوا يحفرون مابه من الاماكن بحجة التفتيش عن السلاح ، فأخذ الطلبة فى نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم واخلاء الاروقة .. وكتب الفرنسيون اسماء الطلبة فى كشوف وامروهم الا يؤوا فى الجامع غريبا .. » .

وقرر الفرنسيون توجيه هذه القضية وجهة سياسية محددة : « تبرئة » المصريين واتهام رجال الدولة العثمانيين بأنهم استأجروا سليمان الحلبى لقتل سارى عسكر فرنسا مقابل اربعين قرشا ؟ .وكان هذا يخدم سياستهم من عدة وجوه : فهو احتياط من أن يحفز هذا الحادث الوطنى شباب الازهر ويشعل الفتنة فى صدورهم من جديد ، وهو يخدم موقفهم فى المساومات والحرب الباردة بينهم وبين العثمانيين ، وهو اخيرا يجنبهم أن يوسعوا دائرة التنكيل بالزعماء [illegible] اعتقال الشيخ السادات واهانته من الاسباب المباشرة لقتل كليبر . يروى بونابرت فى مذكراته :«أن الشيخ السادات هذا هو الذى أمر الجنرال كليبر بتعذيبه وضربه ، وكان هذا من اهم الاسباب التى ادت الى مقتل كليبر .. .

وهكذا .. اختار سليمان الحلبى ـ الفتى العربى الازهرى ـ ان يكون صوت البطولة الفاجعة ، وان يقدم استجابة من أولى الاستجابات ـ وأكثرها جسارة ـ لتحدى الاستعمار الغربى » .. ان يكون هو القضية والبرهان .

●● وفى ١٣ يونيو ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواى ..

وتفاصيل الحادث معروفة : عدد من ضباط جيش الاحتلال الانجليزى يتلهون بصيد الحمام فى دنشواى ، فتطيش طلقاتهم فتصيب امرأة وتحرق جرنا من أجران القمح ، ثم يطلقون النار حين يتجمع حولهم الاهالى فيصيبون شيخ خفراء القرية واثنين من خفرائها ، فحمل الفلاحون على المعتدين بالعصى والاحجار ، فأصيب قومندان الكتيبة بكسر فى ذراعه ، وجرح اثنان من الملازمين جراحا طفيفة ، وجرى أحد الضباط - الكابتن بول - ومعه الطبيب البيطرى للكتيبة حتى قطعا ثمانية كيلو مترات فى القيظ الحارق ، وكان الاول مصابا فى رأسه ، فلم يكد يصل باب سوق قرية « سرسنا » حتى سقط من الاعياء ، ومات بعد ذلك متأثرا بضربه شمس وتركه زميله البيطرى وواصل عدوه حتى وصل معسكر الكتيبة فى كمشيش ، وحين بلغ الخبر بقية الجنود سارعوا لمكان الواقعة ، وحين وصلوا قرية « سرسنا » حسبوها دنشواى ووجدوا ضابطهم ملقى على الارض واحد الفلاحين يسقيه الماء ، فحسبوه من الضاربين فانهالوا عليه طعنا بالسونكى وأعقاب البنادق حتى هشموا رأسه .. دون أن يحاسبهم أحد ! .

ثارت ثائرة الاحتلال ، وجرى التحقيق فيها بسرعة فائقة ، وأخذوا يقبضون على الاهالى جزافا ودون تمييز ، ووجدت صحيفة « المقطم » - الموالية للاحتلال - من الصفاقة مايجعلها تنشر نبأ اعداد المشانق وارسالها الى مكان الواقعة قبل انتهاء التحقيق « عدد ١٨ يونيو » . وايقن المصريون انها محاكمة مزيفة ، لا مكان فيها للعدل او القانون ، وفى ٢٠ يونيو اصدر بطرس غالى - وزير الحقانية بالنيابة - قرارا بتشكيل المحكمة المخصوصة لمحاكمة المتهمين ، ٥٢ متهما من بينهم ٧ غائبون ، برياسة بطرس غالى نفسه ، وعضوية مستر هيتر نائب المستشار القضائى ، والمستر بوند وكيل محكمة الاستئناف الاهلية ، والقائمقام لادلو القائم باعمال المحاماة والقضاء بجيش الاحتلال ، وأحمد فتحى زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية ، وعقدت الجلسات فى شبين الكوم يوم ٢٤ يونيو ، وفى يوم ٢٧ صدرت الاحكام على ٢١ متهم : حكم بالاعدام على اربعة ، وبالاشغال الشاقة المؤبدة على اثنين ، وبها لمدة خمس عشره سنه على واحد ، وبالسجن سبع سنوات على سته ، والحبس مع الشغل والجلد خمسين جلدة على ثلاثة ، والجلد خمسين جلده على خمسة .

وفى ٢٨ يونيو نفذ الحكم بطريقه بالغه الوحشية والعنف ، اقيمت المشانق فى دنشواى ، وبدأ التنفيذ فى منتصف الثانيه بعد الظهر - فى مثل وقت وقوع الحادث - فشنق الاول علنا وبقى جسده معلقا - بين صياح الاهالى الذين تم حشدهم ليشهدوا التنفيذ - حتى نفذ حكم الجلد فى اثنين ، ثم تم شنق الثانى ، يليه جلد اثنين آخرين .. وهكذا حتى تمت المجزرة فى منتصف الثالثه .

وصف قاسم امين يوم تنفيذ حكم دنشواى - وهو المعروف بدقة كلماته وعزوفه عن المبالغة - فقال : « رأيت عند كل شخص تقابلت معه قلبا مجروحا وزورا مخنوقا ، ودهشة عصبية بادية فى الايدى وفى الاصوات ، كان الحزن على جميع الوجوه ، حزن ساكن مستسلم للقوة مختلط بشىء من الدهشة والذهول ، ترى الناس يتكلمون بصوت خافت ، وعبارات متقطعة وهيئه بائسة ، منظرهم يشبه منظر قوم مجتمعين فى دار ميت ، كأنما كانت ارواح المشنوقين تطوف فى كل مكان بالمدينة »

وكان مصطفى كامل فى باريس حين وقعت دنشواى فنشر فى « الفيجارو » مقالة كبرى « بعنوان » الى الامة الانجليزية والعالم المتمدن » عرض فيها ماحدث فى دنشواى ، ونضال المصريين فى سبيل الاستقلال وكذب كرومر فى أن الفلاحين المصريين راضون عن الاحتلال وطلب فى النهاية باستقلال مصر : « اننا نطالب بالعدل والمساواة والحرية ، نطلب دستورا ينقذنا من السلطة المطلقة ، ولاشك انه لايمكن للعالم المتمدن وللرجال المحبين للحرية والعدل الا ان يكونوا معنا ، ويطلبوا

مثلنا الا تكون مصر ـ التى وهبت العالم اعظم وارقى مدنية ـ ارضا تمرح الهمجية فيها . » ، وبعد ان نشر مقالته مضى الى لندن يواصل حملته ضد كرومر وسلطات الاستعمار ، من خلال الكتابة والخطابة ومقابلة الوزراء واعضاء البرلمان ورجال الصحافة .

ويمكننا ان نجمل آثار حادث دنشواى على النحو التالى :

ـ اشتداد الحركة الوطنية المصرية ، وانضمام قطاعات عريضة من المصريين اليها .

ـ اهتمام الصحف العالمية ـ والرأى العام الاوربى ـ بالمسألة المصرية .

ـ تغيير سياسة الاحتلال

ـ انشاء الجامعة الاهلية

ـ استقالة اللورد كرومر .

ولا شك فى اهميه هذه النتيجة الاخيرة ، وعلاقتها الوثيقة بحادث دنشواى ، فكرومر ـ الذى قدم استقالته فى ابريل ١٩٠٧ ـ كان قد تولى منصبه منذ ١٨٨٣ ، وظل الحاكم المطلق لمصر مدة اربعة وعشرين عاما ، ولاشك فى ان اقصاءه عنه كان يعنى اعترافا بقوة « الحركة الوطنية المصريه » .وقد خلفه الدون جورست ، الذى بدأ ـ اول مابدأ ـ باطلاق سراح مسجونى دنشواى .

●● وفى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ بدأت اسرائيل الجولة الثالثة من الصراع العربى الاسرائيلى ، وفى ٩ ، ١٠ يونيو خرجت الملايين فى القاهرة ـ وسواها من العواصم العربية ـ ترفض الهزيمة ، وتصر على مواصلة الاستعداد لجوله جديدة ..

ونستطيع ان نستعيد الوقائع الاساسية التى سبقت وأحاطت هذه الايام المثقلة بالغضب والاسى والمرارة على النحو التالى :

ـ خلقت اسرائيل جوا من التوتر فى المنطقة العربية منذ اواخر ١٩٦٦ ، فقامت باعتداءات اقليميه على الاردن وسوريا ، « كان اخرها عدوان ٧ ابريل ٦٧ الذى استخدمت فيه الطائرات » ، ثم توالت التهديدات فى تصريحات رئيس الوزراء ووزير الدفاع بضرب سوريا ، ودعمت ذلك بحشد لقواتها على الحدود السورية ، فعقد سوريا مع مصر اتفاقيه للدفاع المشترك ، واستتبع ذلك انهاء وجود قوات الامم المتحدة بالمنطقة ، وأصبح الجو المسيطر على المنطقة هو جو الحرب الوشيكه .

ـ عقد الملك حسين اتفاقية للدفاع المشترك مع مصر ـ كانت مفاجأة للرأى العربى والعالمى ـ ، وشرعت الولايات المتحدة وفرنسا والاتحاد السوفيتى ـ من دوافع ومواقف متباينة ـ تعمل لاستصدار وعد من مصر بألا تكون البادئة بالهجوم ، وفعلا ، اعلنت القاهرة التزامها بموقف الدفاع لا الهجوم .

ـ وفى صباح ٥ يونيو قامت اسرائيل بهجوم جوى مفاجىء على مصر وسوريا والاردن والعراق مستهدفة المطارات والطائرات ، مشعلة بذلك نيران الحرب فى الشرق الاوسط ، وذلك عن طريق حشد قوات وامكانيات تسليح ضخمة وحديثه تفوق بدرجة كبيرة امكانيات اسرائيل الذاتيه ، واثبتت الاحداث تداخلا كاملا ودقيقا لاجهزة ومؤسسات الحرب الامريكية والاسرائيلية وحركتها الموحدة تحت علم اسرائيل .

ـ وتداعت الاحداث على نحو ما هو معروف ، واستطاعت اسرائيل ان تحتل قطاع غزة وسيناء ، والضفة الغربيه ، وهضبة الجولان . وكانت أهداف العدوان الاستعمارى ـ الاسرائيلى فى البداية هو ضرب الاهداف والقوى العسكريه فى محاولة

لاسقاط النظم التقدمية العربية وضرب قيادتها ، لكن حركة الشعوب العربية التى انطلقت فى مظاهرات حاشدة يومى ٩ ، ١٠ يونيو مساندة هذه النظم والتمسك بقيادة عبد الناصر قضت على هذه المحاولة ، فبدأت اسرائيل فى توجيه ضربات انتقامية ضد المدنيين بعد وقف اطلاق النار فى ١٤ و ١٥ يوليو ١٩٦٧ ٠

ـ انطلقت بسبب العدوان الاستعمارى موجة عداء ضد هذا الاستعمار شملت البلاد العربية وكثيرا من دول العالم الثالث ، فتم قطع العلاقات بالنسبة لمصر وسوريا والجزائر والعراق والسودان واليمن وتنظيم حركة مقاطعة سياسية واقتصادية ضد امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية على وجه الخصوص . واغلاق قناة السويس ، والمطالبة بسحب الودائع العربية الكبيرة ووقف ضخ البترول الى هذه الدول ، كما دخلت الجزائر المعركة بكل ثقلها ، جاذبة معها شعوب المغرب العربى .

ـ كشف العدوان عن حقيقة اسرائيل كاداة استعمارية ، دلت على ذلك المواقف الحادة ـ التى وصلت حد قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ـ من جانب كوبا وفيتنام والهند وباكستان وقبرص وموريتانيا ومالى وتانزانيا والصومال ، وغينيا وغيرها ..

ـ أحدث العدوان استقطابا جديدا فى القوى العالمية ، فوقفت معظم الدول الغربية ـ عدا فرنسا ـ بزعامة امريكا فى صف اسرائيل ، ووقفت الدول الاشتراكية جميعا ـ عدا رومانيا ـ موقف التأييد الكامل للشعوب العربية وادانة اسرائيل وقطع العلاقات الدبلوماسية معها .

ـ بعد وقف اطلاق النار فى ٩ يونيو ١٩٦٧ قاد الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية حملة دبلوماسية وسياسية عالمية لادانة اسرائيل ، فدعا الى اجتماع طارىء للجمعية العامة للامم المتحدة لاستصدار قرار بذلك ، لكن الولايات المتحدة واصلت عدوانها السياسى واستخدمت ضغوطا مختلفة لشل فاعلية الامم المتحدة ، وفشلت الجمعية العامة فى تطبيق الميثاق الدولى بادانة العدوان وسحب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى تحتلها دون قيد او شرط .

ـ عادت اسرائيل بعد وقف اطلاق النار الى الهجوم على المواقع المصرية فى منطقة القناة ، فردت عليها القوات المصرية بسرعة وحسم وكبدته خسائر كبيرة ، اثبتت قدرة القوات المسلحة المصرية ـ حتى آنذاك وقدرتها على الردع ، وأرجح الاحتمالات أن هذه الهجمات الاسرائيلية كانت من قبيل جس نبض القوة العسكرية العربية بعد ٥ يونيو .

ـ توحدت الحركة الشعبية العربية من اجل تخطى الهزيمة ورد العدوان ، ورفعت شعار استمرار المعركة على جميع الجبهات عسكرية وسياسية واقتصادية ..

تلك هى الخطوط العامة لاحداث تلك الايام المثقلة بالغضب والاسى والاستعداد لمواصلة النضال ..

واستطاع الجيشان المصرى والسورى بدعم الاتحاد السوفيتى على وجه الخصوص ـ ان يستعيدا كفاءتهما القتالية ، وان يتهيا لرد هذا العدوان ، وبعد الصمود والاستنزاف والردع ، جاءت أحداث اكتوبر ١٩٧٣ .. لتحطم جمود الازمة ، وتدفع بعوامل جديدة الى ذروتها .

هكذا .. تتصل حلقات نضال الشعوب وتتلاحم .. فى النصر والهزيمة على السواء ■

همــــــــوم
عبــد الله رفـــــاعى
عـــامــل النســـيج

فى هـذا العـــدد يلتقى قراء الطليعة مع هموم عامل النسيج عبد الله رفاعى . والواقع أن فى حديثه سنجد نموذجا لعـــامل من عمال الصناعة لايحبس نفسه فى اطار مشاكله وهمومه الخاصـــة وحدها ، ولكنه يخرج بهـــا الى النطاق الاوسع والاشمل فيثيرها من خلال اثارته لمشاكل وهمـــوم الطبقة التى ينتمى اليها . وسنجد انه يرى أن حلول مشاكله وهمومه مرتبطـــة بحل مشـــاكل طبقتـــه والمجتمع الذى يعيش فيه

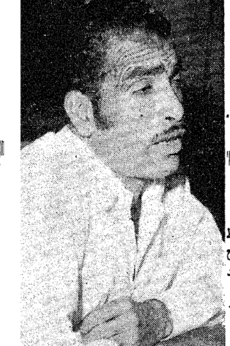
ومن خلال هموم العامل عبد الله رفاعى تطرح مجموعة من القضايا الهامة للنقاش والحوار :

● قضية الاصول الاجتماعيـــة للطبقة العاملة المصرية ، وكيف أن المصدر الرئيسى للقوى العـــاملة مازال هو الريف المصرى ، وفائض القوى العاملة الزراعيـــة ، التى تعانى مشكلات الحياة فى الريف .

● نظرة الطبقة العاملة المصرية الى ثورة ٢٣ يوليو ، وما حققته هذه الثورة للعمال ، وموقفهم من قضايا التطور والتنمية . وأملهم فى مستقبل أكثر تطورا ، وأبعـــد عمقا مما حققته لهم ثورة ٢٣ يوليو

● نظرة موضوعية الى مشاكل قطاعات هامة من الطبقة العاملة وبصفة خاصة مشاكل قطاع عمال الانتـــاج الذين يشـــكلون — فى صناعة النسيج وحدها ـــما يقرب من ٨٥٪ من عمال هذه الصناعة .

واخيرا من خلال الحوار مـــع عامل النسيج عبد الله رفـــاعى سوف نجد أننا امام نموذج يعبر بحمماس عن موقف الطبقة العاملة من قضايا المجتمع والوطن .



الاســـــم : عبد الله رفاعى
الســـن : ٤٠ سنة
العمـــل : عامل انتاج ــ تمشيط بشركة مصر للغزل والنسج
الحالة الاجتماعية : متزوج وله خمسة أولاد

■ **الطليعة** ــ ما هى طبيعة عملك بالضبط ؟

□ **عبد الله** ــ عامل انتاج تمشيط غزل . يعنى بالنسبة للقطن فان عملية الغـــزل بتبقى نوعين قطن مسرح يعنى خيط مسرح وخيط ممشط فالمسرح بيبقى أقل جودة من الخيوط الممشطة .

■ **الطليعة** : يعنى ايه الخيوط الممشطة ؟

□ **عبد الله** ــ بتتمشط الاول علشان تطلع منها التيلة القصيرة بنستبعدها وبتيجى التيلة الطويلة هى اللى بتستنى فى الشريط علشان تتعمل خيوط رفيعة ومن هنا تكون الجودة بتاعتها عالية وفى نفس الوقت بتتكلف أكثر وبتبقى غالية نظرا للعادم اللى هو بيطلع من الممشط ده .

■ **الطليعة** ــ هل تقرا مجلة الطليعة ؟

□ **عبد الله** ــ انا يمكن مجلة الطليعة ومجلة روز اليوسف يمكن همه المجلات اللى احرص ان أقراها باستمرار ولو ان الحاجات الثانية اقراها ولكن لا اتتبعها .

■ **الطليعه** ــ هل عندك أولاد ؟

□ **عبد الله** ــ عندى خمسة ولدين وثـــلاث بنات .

■ **الطليعة** ــ متى تزوجت ؟

□ **عبد الله** ــ تقريبا حوالى ٢٨ مـــارس ١٩٥٦ .

■ **الطليعة** ــ الاجر ؟

□ **عبد الله** ــ يعنى انا مانيش عاوز اقول الاجر كم لكن أنا معايا شهادة من الشركة بتقول أنا مرتبى كم علشان خاطر نبقى صادقين ، هو المرتب ١٥ جنيه . و ٢٦٢ مليم .

■ **الطليعة** ــ الاجمالى ؟

□ **عبد الله** ــ آه .

■ **الطليعة** ــ بيصفى على كم ؟

□ **عبد الله** ــ هو يعنى مثلا عدد ساعات العمل المحددة بالنسبة للقانون ٧ ساعات فاحنا بنشتغل ٨ ساعات فيمكن الاضافى بيعوض فى الخصومات اللى هى موجوده فيعنى صافى لى حوالى ١٥ جنيه ١٤ جنيه او ١٤ جنيه ونصف فى الشهر .

■ **الطليعة** ــ هل لك مرتب شهرى ؟ أم تتقاضى على الانتاج ؟

□ **عبد الله** ــ باشتغل بالانتاج وهذا المرتب هو متوسط الاجر اللى انا باقبضه فى الشهر .

■ **الطليعه** ــ متوسط على سنة مثلا ؟

■ **عبد الله** ــ آه .. يعنى مثلا الاجـــر اجرى السنوى كله بيتجمع وينقسم على الشهور ويبقى داه متوسط أجرى فى الشهر .

■ **الطليعة** ــ عندما بدأت عملك فى الشركة كم كان اجرك ؟

□ **عبد الله** ــ انا اول ما اشتغلت فى الشركة اشتغلت فى ٣ يناير ١٩٦١ واشتغلت فيها بـ ١٩، قرش فى اليوم .

■ الطليعة ـ هى كانت قطاع عام أم قطاع خاص ؟

□ عبد الله ـ كانت الحكومة داخلة فيها بس بنسبة ولم تكن قد تأممت التأميم الكامل .

■ الطليعة ـ اجرك الان ١٥ جنيه و ٢٦٢ مليما فهل تأخذ مكافآت زيادة عنه ؟

□ عبد الله ـ لا .

■ الطليعة ـ لا شيء مطلقا ؟

□ عبد الله ـ ما فيش غير اذا كان مثلا يجى موضوع الارباح .

■ الطليعة ـ الارباح كم ؟

□ عبد الله ـ فى السنة ٥ او ٦ جنيه أرباح .

■ الطليعة ـ اولادك بالضبط ايه ؟

□ عبد الله ـ ابتسام فى سنة خامسة ابتدائى وهى اكبر واحده عندها ١١ سنة ، محمد فى سنة ثالثه ابتدائى وعنده حوالى ٩ سنوات ، آيات حاتدخل السنة الجاية بادن الله اولى ابتدائى عندها حوالى ٦ سنوات هانم عندها اربع سنوات، بدير عنده حوالى سنه ونصف .

■ الطليعة ـ عندك شهادات ؟

□ عبد الله ـ لا .

■ الطليعة ـ خالص ؟

□ عبد الله ـ يعنى انا دخلت التعليم الابتدائى اللى هو بتاع زمان ولغاية سنة ثالثه ابتدائى لظروف من الناحية الاجتماعيه وفاه والدى وبعد منه وفاة والدتى وحاجات زى كده فطبعا ما امكنش أن انتظم فى التعليم لكن اخويا الاكبر مني كان فى المدرسة الابتدائى اللى هى تعادل الاعداديه الان . فكان مش ممكن ان نخرجه منها وكان لازم نخليه ونتعب معاه فهو ظل موجود فى المدرسة الابتدائى وانا اخرجت من المدرسة الالزامى التى كان تسمى بهذا الاسم .

■ الطليعة ـ اين ؟

□ عبد الله ـ فى قرية اسمها « نادر » مركز الشهداء » محافظة المنوفيه وكان لنا خال هو اللى جعل اخويا يكمل ويواصل .

■ الطليعة ـ وماذا يعمل اخوك ؟

□ عبد الله ـ مدرس ثانوى صنايع .

■ الطليعة ـ هل تزوجت مرة واحدة ولا مرتين ؟

□ عبد الله ـ مرة واحدة .

■ الطليعة ـ أين تسكن ؟

□ عبد الله ـ ساكن فى اسكان ناصر منطقة ٢ مدخل ٣ شقة ٣٨ فى حلوان .

■ الطليعة ـ مساكن تابعة للشركة ؟

□ عبد الله ـ لا .. دى مساكن تبع وزارة الاسكان .

■ الطليعة ـ بتدفع كم ايجار ؟

□ عبد الله ـ أدفع ٢ جنيه .

■ الطليعة ـ ٢ جنيه فى الشهر بالمياه والنور ؟

□ عبد الله ـ آه .. كله .

■ الطليعة ـ كم حجرة ؟

□ عبد الله ـ حجرة وصالة ومنافعهم .

■ الطليعة ـ مساحتها ؟

□ عبد الله ـ مساحة الحجرة حوالى ٣٠ر٤ فى ٣٧ . . الصالة حوالى ١٨٠ فى ٧٣ر. وبعدين دوره المياه .

■ الطليعة ـ زوجتك بتشتغل ؟

□ عبد الله ـ لا .

■ الطليعة ـ مافكرتش تشغلها ؟

□ عبد الله ـ هو الحقيقه يا ريت الواحد كان تأخر فى الزواج شويه علشان خاطر كان اهدى يفكر بموضوعية احسن وكان فى الوقت ده لو كان الواحد تأخر شويه كان حايبلور فكره شويه ويسوف ايه اللى يكون احسن لكن انا فى الحقيقة مش ندمان على دى لان انا معايا واحده ست من الارياف وعلى الرغم انها لاتعرف ان تقرأ وتكتب الا انها يمكن هى سلوكها على حسب ما اراها يمكن ولا استاذة حتى متخرجه من جامعه من ناحيه تربية أولادها وطريقه سلوكها معاهم ومن الناحيه المعيشية يعنى بتدبير البيت على حسب الدخل اللى انا باعطيه لها ولو كان قليل الا انها يعنى اهى معقولة يعنى .

■ الطليعة ـ هل لك دخل آخر ؟

□ عبد الله ـ لا خالص حتى ولا بيت فى البلد .

■ الطليعة ـ هل زوجتك قريبتك ؟

□ عبد الله ـ لا .

■ الطليعة ـ كم تعطيها فى الشهر ؟

□ عبد الله ـ هو يمكن بالنسبه للمرتب بتاعى انا باحجز لى فى حدود ١٥٠ قرش والباقى أعطيه لها يعنى بصراحه بيننا وبين بعض انا مصاريفى الخاصة ١٥٠ قرش والباقى أهو .. فهى فى حدود الباقى بتصرف نفسها .

■ الطليعة ـ لو سمحت أحكى لنا حياتك بالضبط ازاى بدأت ؟ فى أى قرية ؟ والدك كان ايه ؟ يعنى كل حياتك العائلية وأسرتك ؟

□ عبد الله ـ هو يمكن لما نبتدى من الاول ولو ان انا ماشوفتش والدى انما على حسب ما يحكى لى فوالدى كان رجل بيزرع وكان له حوالى نصف فدان ارض ملكه فى القريه وتزوج الست والدتى وطبعا خلفنا احنا ٣ اولاد سعيد اللى هو الاكبر اللى هو مدرس ثانوى صنايع دلوقتى وانا الاوسط وانا باشتغل فى شركه مصر للغزل والنسيج وعبد العزيز ميكانيكى سيارات وهو حاليا موجود بيشتغل فى ليبيا .. فطبعا بعد وفاه والدى كان

سعيد الاكبر طبعا فكان بيتعلم كنت بعد منـــه كنت لسه تحت مدخلتش مدرسه فحصل ان والدى كانت الطباع بتاعته يعنى حاده شوية فكان هناك رجـــل عنـــدنا مـــن البـــلد كان بيزرع جـــار منـــه فحصـــل خـــلاف بينهمـــا فالرجـــل ده تقريبا شتم والدى وطبعا والدى كان فى الوقت ده ماتعودش ان احد يشتمه ويمكن كان الرجـل مايقصدش موضوع الاساءة لكن الظروف بقت كدا .. فوالدى كان معاه عصا فضربه فالضربه جاءت فى دماغ الرجل فالرجل انعور فلاجل الظروف راح المستشفى فكان في الوقت ده فيه صيف فالرجل طبعا الشمس اثرت عليه وعلى الجرح ومات فطبعا اتعمل لابى قضية ، وطبعا فى الوقت ده والدى قعد يجرى فى المحكمه وحاجات زى كدا وابندا باع الارض .. فانا كان لى خال بيشتغل فى كليه دار العلوم مدرس فخالى ده طبعا اشترى منه الارض وحتى لدرجة ان هو باع البيت كمان وخالى اشتراه أيضا طبعا والدى كان حساس فى الحقيقه وده واضح جدا لان هو فى الوقت ده واحنا صغيرين قدام منه وكانت والدتى هناك تقريبا عند اخواتها مابندى يفكر فى مصيرنا لو اتحكم عليه بالسجن مصير الاولاد الصغيرة اللى هى لسه حاتروح فين وابندى يفكر فجاء له ضغط دم .. فلما جاء له ضغط دم فطبعا يعنى مافيش قدره حتى انه يتعالج ولا كدا فمات فعلا قبل ما يتحاكم متاثر بموضوع ضغط الدم .

■ **الطليعة** ـ والخلاف كان على أيه بينه وبين الرجل ؟

□ **عبد الله** ـ يمكن كان فى حاجة فى الارياف اسمه « لوح » بتاع تبتين بيبتنوا بيه بيعملوا به البتون علشان خاطر يحجز المياه فكان تقريبا الخلاف على اللوح ده ـ ده عاوز يعمل بتون ارضه وده عاوز وكان تقريبا اللوح ماهواش بتاعهم هم الاثنين لكن كان موجود فالرجل عاوز يأخذه فيعنى قال له كلمة حساسة شويه فخبطه باللوح فطبعا توفى قبل المحاكمة فى موضوع القضيه وفضلنا احنا .

■ **الطليعة** ـ هو باع الارض والبيت لكى يصرف على المحامين ؟

□ **عبد الله** ـ آه .. علشان خاطر القضية لان مافيش حاجه متوفره انه يصرف منها فخالى اللى هو كان مدرس فى دار العلوم فطبعا علشان خاطر أخته وحاجات زى كدا فله اخ تانى فلاح فى البلد بيزرع فسابنى انا وعبد العزيز اللى اصغر منى مع خالى الفلاح وسعيد اخذه معاه وخلاه فى المدرسه زى ما هو مستمر وهو كان فى الوقت ده كان لسه ما تزوجش فالقدر طبعا بيلعب دوره فى المواضيع اللى زى كدا فخالى داه قعد يسعى لغاية ما انتقل فى مدرسة الشهداء الثانويه وقعد يشتغل هناك علشان يبقى قريب مننا وعلشان خاطر اخته وعيال اخته وحاجات زى كدا لان هو ماكانش متجوز فخاله اللى هو الفلاح ده كان ممعاهوش غير بنت فانا يعنى كنت فى سنة تالته ابتدائى والتانى اللى هو المدرس ماكنش معـــاه عيال ولا متزوج خالص فطبعا خالى اللى بيزرع قال له خلى عبد الله معاى لان انا مـــامعييش غير بنت ويتزوجهـــــــــــــا ويقعد معاى وسعيد اهو معاك وعبد العزيز لما يروح المدرسه أهو برده خليه معاك وكفاية معاى عبد الله يساعدنى واهو يتزوج ابنتى والحكاية تمشى .. ففى الوقت ده يمكن وانا فى المدرسة كان لى عم كان مدرس فى المدرسة وكان فيه مفتشين بيجى من الشهداء تفتش على المدارس الالزامية فطبعا كانوا بيسألوا التلامذه وحاجات زى كده علشان خاطر يشوفوا قدراتهم ودرجة التعليم فيهم وكان عمى اللى هو كان يعنى يحب يفتخر شويه فلما كان يشوفنى اجاوب كويس وحاجات زى كده ونشط فى المدرسه فبيفتخر يعنى يقول ده يعنى ابن اخويا ويبقى ابن أخت الاستاذ محمد عبد الواحد اللى هو خالى بتاع دار العلوم فطبعا الرجل المفتش ده كان من الشهداء وكان بيقعد مع خالى فى الشهداء فقال أنت لك ابن اختك فى المدرسه الالزاميه فى نادر والولد ده خساره ان تسيبه لازم نجاهد معاه لانه حايبقى كويس فيمكن انا كنت موضع خلاف بين آخوالى الاثنين ده عاوزنى أستمر وده عاوزنى اقعد معاه علشان خاطر ابنته .. فى النهايه يمكن خالى اللى هو المدرس وافق على رغبة اخوه الفلاح . وبعد كده خالى المدرس تزوج وخلف ولدين وبرضه افتكره رجل وبوعى وبرضه زياده ويمكن العمل اللى هو عمله جعل اولاده فعلا كويسين دلوقتى الاثنين مهندسين .. وبعد ما توفى زوجة خالى لم تقدر تقوم بالحمل بتاع اخويا اللى هو بيتعلم مع اولادها وكان فى الوقت ده ماكنش فيه نظام معاشات بالنسبه لموظفين الدولة .. فطبعا ايجار الارض بتاعها وبتاع زوجها يدوب تقضيها هى واولادها علشان تستمر معاهم فطبعا خالى اللى هو بيشتغل فى الزراعه بدا يصرف على اخويا وعلشان تصرف على واحد فى التعليم فى الوقت ده كان طبعا معروف ان فى المدارس بيدفع لها مصاريف فطبعا زاد عليه العبء . وكان عنده واحد بيشتغل فى الارض بتاعته فاستغنى عنه وانا حليت محله وكان فى الوقت ده عندى حوالى ١٢ سنه فلم اقدر على القيام بالحمل وانا مع خالى والحياة طبعا بتخلى الانسان اخلاقه تضيق فبقى خالى يتضايق واذا ما قمتش انا بالعمل اللى انا مكلف به كان خالى بيضربنى .. ليه ماعملتش ده وانا راح اعمل ايه لما أجيب واحد يشتغل يبقى حااصرف على اخوك

الثانى منين مفروض انك تشيل وتشتغل لاجل الثانى يتعلم بدى ـعدما وصل لكده نقعده يعنى .. فيمكن انا كنت فى الوقت ده كان تفكيرى كويس وحاجات زى كده فجاهدت وعملت لكن لم يمكننى أن أستمر .

■ **الطليعة** ـ هل كان شغل مرهق ؟

□ **عبد الله** ـ آه مرهق بطريقة مش معقولة فلم يمكنى أن أستمر فعلا .

■ **الطليعة** ـ ماذا كان مطلوبا منك بالضبط انك تعمله ؟

□ **عبد الله** ـ بالنسبة للزراعة يعنى مثلا فى حرث فى سقية فى عزيق كل الحاجات دى كلها طبعا أنا مطالب وكان معى راجل بيشتغل فى الارض وانا كنت باقوم بأعمال ثانية والراجل كان بيقوم بالاعمال اللى فيها شقاء كثير .. فطبعا فى الوقت ده لما ضغطه زاد على فانا فعلا تركت له البلد وبالليل وطلعت مشيت على طريق وكنت مااعرفش أنا رايح فين .

■ **الطليعة** ـ كان عندك كم سنة ؟

□ **عبد الله** ـ كان حوالى ١٢ سنة .. فتركت البلد ومشيت على الطريق ناحية بحرى فظللت ماشى ماشى لغاية مالقيت نفسى حوالى الساعة خمسة أو خمسة ونصف وانا كنت قايم بالليل يمكن من بعد العشاء بحوالى ساعتين كدا اسحبت من البيت وهم نايمين وفتحت وخرجت لان أنا كنت اسم وحدى وبدون أى احساس منهم ومشيت من الضغط اللى انا فيه فمشيت لعندما وجدت نفسى حوالى الساعة خمسة موجود فى كفر الزيات فقعدت طبعا أنا لم أشاهد فى حياتى بلد فيها نور وكهرباء فقعدت أتفرج على المصانع والناس والعربيات والمبانى الحلوة اللى الواحد ماشفهاش وقعدت الف فى كفر الزيات لغاية ماجاء الليل مانيش عارف اروح فين .

■ **الطليعة** ـ أكلت منين فى ذلك الوقت ؟

□ **عبد الله** ـ حقيقة يمكن وأنا ماشى فى الطريق وأنا كانت نفسى عزيزة جدا ومازلت الى الان الحمد لله نفسى كويسة فلقيت كوز ذرة واقع على ارض كنت بأخذ حب الذرة آكله واشرب جوب ماء لغاية ربنا مايسهل.. وقعدت ألف فى الشوارع لغاية ماجاء الليل فبجانب المحطة بتاع كفر الزيات يمكن أنا لو رحت لغاية النهارده أعرف مكان الكشك اللى انا نمت فيه ..فوجدت فيه كشك تقريبا كان واحد بيعمل شاى فى الكشك وبالليل بيشطب والكشك فاضى فانا دخلت الكشك نظرت فيه فوجدته فاضى وفيه كرسيين من الخشب الطوال فرقدت عليهم وكان فى الوقت ده فى اول الشتاء فحوالى الساعة واحدة بالليل تقريبا عسكرى من العساكر بتوع الدورية ماشى فانا يمكن كنت بتحرك على الكرسى فالكرسى عمل صوت فالعسكرى بص داخل الكشك فوجدنى فايقظنى .

■ **الطليعه** ـ كنت لابس ايه ؟

□ **عبد الله** ـ كنت لابس جلابية وقميص من اللى هم بتوع الناس الفلاحين .

■ **الطليعه** ـ حافى ؟

□ **عبد الله** ـ حافى طبعا هو كان فى الوقت ده حد بيلبس حاجة فى رجله فمشيت مع العسكرى قال لى انت جاى من اين فاضطررت ان اكذب عليه كذبه كده واقول له ظروفى القاسية عشان يعطف على فالراجل يمكن فعلا كان رجل انسان فاخذنى على عربيه قصب وقال لى اطلع على العربية ونام فى حب رعاريع القصب وحيث هنا لغاية الصبح لحين ان احضر اليك واخدك فى الصباح فقلت له حاضر فانا فعلا طلعت ففرصة سعيده وكويسة جدا ان انا اجى فوق القصب داه وانا جوعان طول النهار ومافيش حد بقى فقعدت امص قصب لغاية حوالى الساعه خمسة ونصف الصبح الناس اللى فى طالعه ورايحه سعيها بتوع المقاولات فمشت وقت باريد اطلع فى وسط الناس دى لاحسن العسكرى ده ياخدك ويوديك لخالك فمشيت مع الناس وطلعت ناحيه البحر فكان امامى الترعه المالية والصناعيه وشركه الملح والصودا فقعدت اتفرج على الناس من الساعة السادسة وهم داخلين وخارجين فكان هناك خفير على الباب بتاع شركه الملح والصودا وكان الراجل ده والله اذا كان عايش الله يصبحه بالخير واذا كان مات الله يرحمه كان راجل طيب جدا فانا جئت رايح عند الباب وأنا عاوز اساله على ان هل الواحد ممكن يشتغل مع الناس مكنتش اعرف نظام الشغل جايبفى رأى او هل ممكن اشتغل أو مااشتغلش انا مش عاوز ارجع بلدنا تانى اطلاقا علشان خاطر اللى انا باشوفه فالراجل ده كان مابيخلفش وليس عنده أولاد وقال تعالى اسمك ايه قلت له والموضوع كدا وقعدت أحكى له وبصدق فالراجل أنا صعبت عليه وأخذنى اخر النهار معاه البيت وجاب لى أكل وانا جالس معاه قبل أن نذهب الى البيت وبعدين سابنى فى البيت وقال لى سوف أبحث لك على عمل ايضا معى .

والراجل سعى لى فى الشركة وشغلنى فى المعاصر بتاع الزيوت . كان شغلتى فى المعاصر فى المصافى بتاع الزيت . لان بيبقى فيه بقايا من البدرة جايه مع الزيت فالمصافى بتحجز البقايا دى وكانت شغلتى ان انا أروح أخد الحاجات اللى جاتحم المصافى دى فى جردل واردها تانى على المعاصر علشان تدخل عملية العصير تانى وتتجمد

وتبقى الكسب دى وقعدت اشتغل فى الشركة حوالى ٣ سنين .

■ الطليعة ـ بكم ؟

□ عبد الله ـ هو يمكن فى الحقيقـة كانت حاجات لا تذكر ٣ قروش فى اليوم وكان الشغل من الصباح حتى آخر النهار على حسـب الشـمس ماتغيب وتطلـع بقى

■ الطليعه ـ كم ساعه

■ الطليعة ـ ماتقدرش تحسبها .

■ الطليعة ـ فى المتوسط ؟

□ عبد الله ـ فى المتوسط بتاع ١٢ ساعةو ١٣ ساعة

■ الطليعة ـ كان سنة كم ؟

□ عبد الله ـ كان حوالى سنة ١٩٥٠ .

■ الطليعة ـ واستمريت تعيش مع الراجل داه ؟

□ عبد الله ـ آه .. وفى بيته .

■ الطليعه ـ بيته كان ايه ؟

□ عبد الله ـ بيته كان فى الارياف حوالى ٣ حجرات وكان فيه فوق حجرتين وكان راجل يعنى حالته متيسرة لانه كان بيشتغل فى الشركة مـن زمان .

□ الطليعة ـ كنت بتدفع فلوس معاه ؟

□ عبدالله ـ العملية دىنتعميه عطف وكويس قوى ان هو بيعاملنى المعـاملة الكـويسة وحتى الشغل اللى انا باشتغله اريح عن اللى انا كنت باشتغل فيه .. كنت باقبض بالمدة واعطى له اللى أنا باقبضه .

■ الطليعة ـ كان بيعطيك مصروف ؟

□ عبد الله ـ آه كان بيعطينى .. مثلا انا كنت باروح معاه الشغل الصبح وارجع آخر النهار فاللى انا احتاجه من البيت فالراجل كان كويس قوى معاى .

■ الطليعة ـ وزوجته كانت بتعاملك كويس ؟

□ عبدالله ـ جدا .. الحقيقة .

■ الطليعة ـ انقطعت علاقتك معـاهم ولا بتودهم ؟

□ عبد الله ـ والله هو بعد انا ما قعدت وياهم الفترة بتاع الـ ٣سنوات دى أنا يمكن انا حبيت اسيبهم وامشى لانى كنت عايز اعتمد على نفسى وكنت بقيت عندى حوالى ١٦ سنة وشايف أن مش حايحصل لى تقدم اطلاقا ..

■ الطليعة ـ ماهو اجركم بعد ٣ سنوات ؟

□ عبد الله ـ الاجر بتاعى وصل الى حوالى ٦ قروش فى اليوم .

■ الطليعة ـ يعنى فى ٣ سـنوات زدت ٣ قروش ؟

□ عبد الله ـ آه وكنت كبرت فبدل ما كنت على المصافى بتاع الزيت ودونى على المعاصر وبقيت اشتغل شغل اكثر .

■ الطليعة ـ الثورة قامت وانت كنت هناك ؟

□ عبد الله ـ آه .. فى اول سنة ما قامت الثورة كنت موجود فى البلد ويمكن الواحد يسجل واقعه البلد اللى انا راح اقول عليها اسمها « كوم مهنا » بجانب كفر الزيات فيها عائلة اسـمها عائلة « الجبالى » وهذه العائلة كانت ـ عائلة اقطاعية من الاقطاع بتاع زمان هذه العائلة كانت الناس الموجودة فيها عبارة عن عبيد يعنى احنا مش عاوزين نقول تفرقة عنصرية وامريكا لكن ده كان الواقع فى مصر دى كانت حاجة مخزية فى الحقيقة .

■ الطليعة ـ يعنى عائلة الجبالى دى كانت اكثر من امريكا ؟

□ عبد الله ـ اوحش بكثير .. اهو لو امريكا لما كانت حاتيجى تتحكم فيك آهو أنت عارف انها أمريكا أو ناس أجانب ده بيحمـل بطاقـة مصرية وجنسية مصرية واسمه محمد يعنى على دين النبى عليه الصلاة والسلام فلما داه بيعمل معاك وبيسلك معاك السلوك ده فيبقى يعنى وضعه بيختلف عن بتاع امريكا . بتاع امريكا انا عارف ان هو من بره لا مى صلة لى به ولا هو من بلد ولا هو من دولتى ولا حاجة او مستعمر فى ايام بريطانيا فالناس دول يوم ما قامت الثورة العالم دى بعدها صدر قانون الاصلاح الزراعى كان يعنى ما تقدرش تتصور فرحه الناس كانت قد ايه نهار ما صدر قانون الاصلاح الزراعى .

■ الطليعة ـ ايه قانون الاصلاح الزراعى ؟

□ عبد الله ـ اللى هو بتاع تحديد الملكية وكانت فى الوقت داه تحددت ب ٢٠٠ فدان وطبعا الناس اللى هى فى ارض تقعد فيها وموضوع الايجار يبقى ٧ امثال الضريبة .

■ الطليعة ـ ليه هو تحدد بعد هذا باقل من ٢٠٠ ؟

□ عبد الله ـ آه .. هو بعد فترة تقـريبا تحددت الملكيه ب ١٠٠ فدان ولو ان الاقطاعيين ابتدوا يتهربوا من هده المواضيع لابنه .. زوجته قريبه كلها صـور علشان خـاطر انهم يظلوا اقطاعيين كما هم .

■ الطليعة ـ الاهالى فرحوا بالاصلاح ؟

□ عبد الله ـ آه طبعا .. وبعدين ابتدأت الصراعات تتفجر بين اصحاب الارض وما بين الناس اللى اصبحوا فى الارض .. اللى اصبحوا لهم كيان بعد ما كان الناس الاقطاعيين بيملكوا الارض ومن عليها اصبحت الناس دى بتملك الحته

اللى هى قاعدة فيها واللى هو كان بيملك الارض ومن عليها اتهد شويه يعنى .

■ **الطليعة** ــ ايه اللى حصل فى القرية دى ؟

□ **عبد الله** ــ القرية دى يمكن الناس ابدات ترفع فعلا راسها فى وجه الناس دى لدرجه ان انا اذكر ان فيه واحد من الفلاحين كان الراجل صاحب الارض كان يجى يطرده ويضربه واذا ماكنش يروح يشتغل عنده يبقى مش حاياخد ارض يعنى لازم يشتغل عنده فى السنة كذا يوم علشان ياخد فدان بالايجار بكذا جنيه .. مافيش تحديد بقى للايجار يعنى لما صاحب الارض يقول الايجار كدا هو كدا .. يقول لك تعالى اشتغل عندى حاتشتغل عنده مش حاتشتغل عنده يبقى ما فيش ارض ومش حاتقعد فى البلد كمان فالفلاح ده يمكن بقى مستريح فى الارض اللى هو اخدها اصبحت الحكومه مؤمنة عليه او الثوره بمعنى اصح مؤمنة عليه لان لا أحد يقول له بره وبنى بيت فى قلب الارض علشان خاطر انا عايز احسس صاحب الملك طب انا بنيت فى ارضك وشوف الذل اللى انت ذليته لى زمان كان ايه .. انا النهارده حا ابنى فيها وتعالى فرجنى انت حاتعمل ايه يعنى فكانت الناس بتتحدى ولو ان ماكنش مفروض هذا التحدى علشان خاطر ما تتفجرش هذه الصراعات بيننا وبينهم لانهم هم كانوا مازالوا برضه هم الاقوى ومازالوا لغاية اليوم هم الاقوى .

■ **الطليعة** ــ لكن انت لاحظت الحكايه دى فى قرية « كوم مهنا » هل لاحظتها عندكم فى بلدكم ؟

□ **عبد الله** ــ هو انا فى الحقيقة ما كنتش فى الوقت ده فى بلدنا لكن يمكن بلدنا كان فيهــــا اسوأ .

■ **الطليعة** ــ ايام ما كنت بتشتغل ؟ ايام ما كنت عايش هناك ؟

□ **عبد الله** ــ آه .. كان فيها عائلة بقى كانت اسمها عائلة « حبيب » فى المنطقه اللى انا فيها .. بلدنا اسمها « نادر » وعائلة حبيب دى فى « زاوية الناعورة » مافيش بيننا وبينهم غير ترعه اسمها ترعة « النعناعية » بتفرق بيننا وبينهم فالعيله دى فعلا كان بتملك زمام « نادر » و « شبشير » و« زاوية الناعورة » كانت الاملاك اللى فى حيازة هذه البلاد أو اللى فى زمام هذه البلاد كانت العائلة دى بتملكها اللى هى عائلة « حبيب » .. يمكن كان انا على على ما أذكر عندى حوالى عشر ســنوات وكان فيــه طفل من اطفال بلدنا كنا صغيرين يمكن كان فى سنى فى هذا الوقت وكان ابوه معلق الساقية اللى هى بتطلع المياه علشان نسقى الارض وعربية عبد المقصود بيه حبيب عضو البرلمان بتاع الملك زمان معديه وكان اللى عنده عربية فى الوقت ده حاجة كبيرة .. وهى معديه الولد حدف طوبة كان اسمه محمد هو دلوقتى عضو مجلس ادارة فى شركة قطاع خاص ..

■ **الطليعة** ــ كان ابن فلاح ؟

□ **عبد الله** ــ آه .. كان ابن فلاح وفلاح لا يمت كانت أرضه بالايجار .. فحدف طوبه كدا فالطوبه ماجتش فى العربيه فقام البيه خلى السواق رجع العربيه وكنا فى اول الشتاء فى الوقت ده والدنيا برد وقال للسائق اجرى وهات لى الولد ده فجرى الســـائق وراء الولد فالولد صرح ودخل فى قلب عزبة فالناس مسكوا الولد وقالوا للولد فى ايه فالسواق قال لهم هاتوه دا البيه عاوزه .. طيب ما حدش يقدر بقى يقول ما أروحش للبيه والا العزبه حاتولع والبلد كلها حاتنحرق فاخذوه وراحوا للبيه .. البيه عاوز السائق ياخد الولد وينزل به فى الترعه ويظل دايس عليه فى الترعة لغاية ما يموت انا فعلا موجود ضــــمن الناس وباشـــوف ايه اللى حا يحصل .. الناس تتحايل على البيه اللى يبوس ايد البيه واللى يبوس رجل البيه واللى يبوس جزمة البيه والكلام ده كله علشان خاطر البيه يصفح عن الولد .. فى الوقت داه كان والد الولد جاء .. البيه قال علشان خاطر أصفح عن الولد أو اسيبه لازم ابوه يجى علشان خاطر ينتقم بقى من ابوه اللى م يؤدبه وعيل فطبعا ابوه واقسم بالله العظيم والكلام ده صـــدق ما فيـــه أى شيء من التزييف .. ابوه موجود فى وسط الناس لم يجرؤ انه يعول انا ابوه ولم يجرؤ اى حد من اللى واقفين انه يقول ده ابوه حفاظا على الرجل الكبير لا ينبهدل وبالمحايله راح معديها فايضا البيه تمسك علشان خاطر يمينه ما يقعش ، البيه المسلم صمم ان السائق يحط الولد فى الترعة ويطلعه قبل ما يموت وفعلا حدث هذا والدنيا برد هذه صوره من الصور اللى كانت موجوده فى الماضى شفتها وانا عندى عشر سنوات ومازلت اذكرها للآن .

■ **الطليعة** ــ لماذا تذكر هذه الحادثة بالذات ؟

□ **عبد الله** ــ هو يمكن فى الوقت الاخير والفترة اللى احنا فيها ديه فيه طبعا ناس فى الفتره اللى احنا عايشينها دى ناس سيادة الرئيس صفح عنهم بعد ان كانت مشتته فى الخارج ومنهم احمد بيه أبو الفتح وهو من مركز الشــهداء ومصطفى أمين وعلى أمين والحمامصى والدش اللى بيدشوه .

■ **الطليعة** ــ من الشهداء برده ؟

□ **عبد الله** ــ لا .. دول ما اعرفش بلادهم الحقيقه لكن اللى اعرف بلده ايه هو أحمد ابو الفتح هو من الشهداء .

■ **الطليعه** ــ هل اهم ملك هناك ؟

□ **عبد الله** ــ اعتقد بس مش اقطاعيين بس هو

كان من العملاء بتوع الملك على ما أعتقد

■ **الطليعة** – بس كتابة أحمد أبو الفتح للحقيقة والتاريخ فى ذلك الوقت كانت ضد الملك ؟

□ **عبد الله** – هو الحقيقة انا ما اقدرش أحكم فى الموضوع ده لان أنا ماكنتش باقرا جرائد بالنسبه لجريدة المصرى لكن هو بعد الثوره ما قامت وتبلور فكرى وابتدات ان اسمع اذاعات او اذا اتيحت لى الفرصه لقراءة جرنال فمافيش شك ان احنا كنا بنسمع صوت مصر الحرة والكلام اللى كان بيحصل فيها واحنا طبعا كنا عايشين الواقع وسامعين صوت مصر الحره ونعلم كان ايه قبل ما تقوم الثورة فعلشان خاطر انك تحاول تشككنى فى واقع اعيشه ولامسه فى الوقت بكلام فهذا غير ممكن لان دى حقيقة ملموسة .

مثلا انا بأعتقد كدا ان اى فلاح بيزرع فى أرض اعطاها له الاصلاح الزراعى سواء كانت هذه الارض صلحتها الحكومة أو من أرض الاقطاع اللى هو وزعتها ايضا على الناس ان اى فلاح فى ايده قطعة أرض ولو كانت الحكومه نفسها حاتتصدى له لاجل تعيد هده الارض للناس دى ثانى يجب ان هو يتصدى للحكومه وليس لصاحب الارض وانا شخصيا لو انى موجود فى هده الارض والحكومه حاتيجى تحاربنى لا أموت اولا وبعدين يبقوا ياخذوا الارض مش مهم لان انا بدون الارض حا أبقى مت خلاص لكن ان انا أسيبها وأبقى موجود وارجع للعيشه الاصلية اللى كانت دى مش ممكن تانى يحصل .

■ **الطليعه** – انت كنت فى كفر الزيات عامل فى شركه الملح والصودا .. سمعت بالثوره ازاى ؟ وكان وقعها ايه عليك ؟

□ **عبد الله** – هو يمكن قبل ما تقوم الثورة ويمكن القيادة بتاع الثوره فى الوقت ده كانت حميقه عندها ذكاء جامد جدا لان كانت البلد حالها فى غليان وبعد كده لما قرانا ان الثورة كانت حاتقوم سنة متاخرة وليه عجلوابهافهم فعلا استغلوا الغليان الموجود فى البلد لاجل القيام بالثوره مبكرا لاجل حتى الناس تساند الثوره .

■ **الطليعه** – لكن سمعت بها ازاى ؟ يعنى حد قال لك ؟ عم ابراهيم قال لك ؟ العمال ؟

□ **عبد الله** – لا .. هو فى اليوم اللى اذيع فيه البيان بتاع الثورة وعندما قيل ان فيه ثوره قامت وضد الملك كنا فرحانين جدا وفى غاية التاييد للثوره .

■ **الطليعة** – والعمال هل كانوا فرحانين بالثورة ؟

□ **عبد الله** – جدا .

■ **الطليعه** – وفى المصنع اللى انت بتشتغل فيه ؟

□ **عبد الله** – جدا جدا .

□ **الطليعة** – وأصحاب المصنع والمديرين ؟

● **عبد الله** – دول وما زالوا ويمكن الخطأ اللى وقعت فيه الثوره وللان موجود ان هو كان يجب بعد قرارات التأميم فى ١٩٦٢ ان كان لازم من تغيير الادارات وان كل واحد تأثر بقرارات التأميم كان لا يجب ابدا ان يشغل منصب اطلاقا فى اداره حتى ان هذه الشركات يعنى تقدر فعلا تقوم بو جبها اللى كان مطلوب ومقصود حتى ولو كان مش موجود كفاءات وهذا خطأ كبير وقعت فيه الثوره وما زالت معكوكة فيه لغاية اليوم البلد لان الادارات الموجودة ايه ما احنا عاوزين نشوف ايه الموجود اللى احنا بنتعامل معاه .. ايضا للهجوم على القطاع العام يعنى اللى هم بيتكلموا على القطاع العام واحنا فعلا كعمال احنا خايفين أن يتحول فعلا القطاع العام فى يوم لمثل الناس اللى هى يتقبض من الشئون الاجتماعية يبقى عاوز اعانة من الحكومة .. احنا خايفين على القطاع العام ان بالسلوك الادارى الموجود فيه خايفين ان الادارة الموجوده فيه تتسبب فى ان القطاع العام يأتى فى وقت مايقدرش يوفى بالتزاماته ويحتاج الى اعانة من الحكومة .. طب هى الحكومة على استعداد أن تعمل اعانات للقطاع العام يبقى نبيعه يبقى وصلت الرجعية الموجودة فى مصر اللى هى ضد القطاع العريض من الشعب المصرى وصلت الى ما هى وصلت اليه .. فهو المطلوب فعلا تطوير للادارة .. ازاى .. ما هو انت سيادتك ممكن تتكلم مع اى واحد فى الادارة أو العالم الرجعية .

■ **الطليعة** – يعنى ايه الرجعية ؟

□ **عبد الله** – الناس الرجعيين اللى افكارهم متخلفة اللى هم ماهماش عاوزين يحصل تطور فى المجتمع المصرى .

■ **الطليعة** – يعنى ايه ؟

□ **عبد الله** – يعنى اللى عايزين يرجعوا بالمجتمع المصرى الى ما قبل الثورة .

■ **الطليعة** – يعنى ايه بالتحديد ؟

□ **عبد الله** – يعنى هم عاوزين يبقوا هم اللى يملكوا ثانى ويبقوا هم الاسياد وباقى المجتمع المصرى هم العبيد .

■ **الطليعة** – هل هناك ناس عايزة كدا ؟

□ **عبد الله** – آه .. فى ناس كثير وحاقده على الطبقه العاملة لدرجة مش معقولة وخصوصا الناس اللى هم تأثروا .

■ **الطليعة** – فين الناس دول ؟

□ **عبد الله** – فى جميع اجهزة الدولة وفى التنظيمات كمان حاتلاقى .

■ **الطليعة** – تنظيمات ايه ؟

□ عبد الله ـ سواء كان اتحاد اشتراكى وأيضا سوف تجد فى التنظيمات النقابية ولدت طبقه فى الاتحاد الاشتراكى والنقابات هذه الطبقه انجذبت للبريق الموجود فى العالم وبيعتقدوا فى ان التقدم أو التحضر فى انك انت تعيش عيشه مش عارف ايه .. هل هو التقدم ان انا يبقى عندى تليفزيون ملون .. صحيح أنا مش ضد التقدم ده لكن من اللى حايدينى التليفزيون الملون والانوبيس والعماره الحلوة وحايقدم لى الصناعة دى .. من اللى حايقدم لى الكلام ده العامل اللى بيعمل .. طب اذا انا لم اهتم بالعامل اللى هو بيعمل من الناحية الاجتماعية هل حايحدث تقدم .. دا برضه كلام مطروح للناس المفكرين .. احنا عايزين الناس اللى هم بيكتبوا فى مصر والمفكرين اللى هم بيهمهم مصر وبنسمع كلام كثير جدا عاوزين انهم يفكروا فى القضية دى .

■ **الطليعة** ـ تفتكر انه علشان الاهتمام بالعمل ده ضرورى للقطاع العام والقطاع الخاص مايقدرش يقوم بالحكاية دى ؟

□ **عبد الله** ـ يمكن سبب كارثة القطاع العام هو القطاع الخاص .

■ **الطليعة** ـ ازاى ؟

□ **عبد الله** ـ تقول ازاى الكوارث بتحصل للقطاع العام من القطاع الخاص .. القطاع العام فعلا مستنزف لمصلحة القطاع الخاص وهذا احنا بنلمسه فى كل حاجة يعنى .

■ **الطليعة** ـ هل عندك امثلة ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى مثلا شركات المقاولات ويمكن كل الشركات لما حاتبص تلاقى الشركهبتاع المقاولات اخذت العملية من الوزاره واهى شركة قطاع عام بتقول لك أنا ما إقدرش اقوم بالعمل لوحدى دخل القطاع الخاص .. المقاولين .. يعنى أنا قرأت من مدة ان فيه مثلا المتر التراب بيتفحر بيتنقل بتتفق معاه الشركة بتاع القطاع العام على أنها تأخذه من وزارة الاسكان مش عارف بكام وبعدين بتاع القطاع الخاص بكام وبعدين العامل اللى هو تحت اللى بيفحره وبيطلعه على كتفه بيأخذ كام حاتلاقى بتاع القطاع الخاص بيكسب من وراء القطاع العام عشرين مثل ما بيكسب القطاع العام من الوزارة طب مين المستفيد كده ؟

■ **الطليعة** ـ من ؟

□ **عبد الله** ـ على ما اعتقد ان الادارة بتاع القطاع العام نفسها .

■ **الطليعة** ـ يعنى ايه الادارة ؟

□ **عبد الله** ـ الناس المديرين أو اللى بيديروا القطاع العام نفسهم هم المستفيدين مش القطاع العام نفسه وهم نفسهم هم المستفيدين استفادة شخصيةلهم فى نفس الوقت انالقطاع العام بيتأثر تأثير جامد نظرا لحاجات ثانية .. الحاجات الثانية اللى هى ايه .. لان القطاع العام ملزم انه يعنى فيه الزام عليه وفيه حاجات بيتحملها لا يتحملها القطاع الخاص .. الحاجات اللى بيتحملها القطاع العام ما بيتحملهاش القطاع الخاص هذا الدخل اللى بيخش له من الربحية مايغطيش .

■ **الطليعة** ـ زى ايه ؟

□ **عبد الله** ـ آه .. نقول .. القطاع العام يعنى مثلا موضوع العمالة طبعا يعنى القطاع العام أساسه الاشتراكية مثلا احنا عايزين نشغل خريجين الجامعة ما تقدرش انت تلزمهم او تلزم القطاع الخاص انه يوظف ، أو خريجى المدارس الثانوية الصناعية والتجارية ما تقدرش تلزم حضرتك القطاع الخاص انه يأخذ لان هو مرتبط بعمالة معينة علشان خاطر تطلع له انتاجية معينة علشان خاطر يكسب مكسب معين فطبعا ما تقدرش الحكومة تلزمه بالكلام ده .. طب نيجى فى مسألة الجيش أبسط حاجة هل القطاع الخاص كان لما يجند من عنده عسكرى وبيقضى الخدمة الالزامية ويستبقى فى القوات المسلحة هل القطاع الخاص كان بيدفع له مرتب .. لا .. ماكنش بيدفع له مرتب .

■ **الطليعة** ـ متأكد ؟

□ **عبد الله** ـ آه .. كانت الحكومة نفسها هى اللى بتدفع المرتب بتاع الناس المستبقيين فى الجيش والناس اللى هم الحرفيين أيضا المستبقيين فى الجيش .. طب ناتى للقطاع العام .. على الرغم من الالتزامات اللى بيلتزم بها القطاع العام تجاه العمالة وتجاه حاجات معينة التزامات معينه يقدمها للحكومة كان بيتحمل اجور الناس اللى هى كانت مستبقية فى الجيش .. بيتحملها من ميزانيته هو .

■ **الطليعة** ـ ما رأيك أن نمشى مع مسيرة حيتك بعد ٣ سنوات من العمل وصلت الى ٦ قروش .. ثم ماذا بعد ذلك ؟

□ **عبد الله** ـ كان الوقت ده حوالى سنة ٥٢ .

■ **الطليعة** ـ وصلت الى ٦ رقوش فى اليوم فى شرحه الملح والصودا وقررت ترك العمل هناك عملت ايه ؟

□ **عبد الله** ـ فعلا أنا بعد اجهاد مع الرجل لان الرجل ماكنش عاوز يسيبنى عاوز انتظر معاه وبكره تتحسن الاوضاع وبكره تبقى كويس وتتجوز وانت قاعد هنا وأنا ماعنديش عيال وانت حاتبقى موجود معاى فى البيت والبيت فاضى .. ففى الوقت ده قلت له ياعم ابراهيم متشكر وانا كبرت دلوقتى وممكن ان اشق طريقى .

■ الطليعة ـ أهلك في الوقت ده ماحاولوش يتصلوا بك ؟

□ عبد الله ـ هو فين أهلي .. انا أهلي مين يعني .. خالي اللي هو بيزرع .. اخويا اللي هو في التعليم اللي هو لازم يحط خده مداس لاي احد علشان خاطر يخلص .. اخويا الصغير اللي هو كان مرمي في ورشة عمال بيشتغل فيها ليل نهار .. مين اللي حايدور علي بقى .

■ الطليعة ـ والدتك ؟

□ عبد الله ـ كانت توفت .. انا نسيت اقول الحتة دي كانت والدتي توفت بقى لها فترة وهي المعاناة اللي عانتها يمكن بعد والدتي كمان ما توفت . المهم بعد ما تركت العمل سافرت على اسكندرية ولم أوفق في الحقيقة أن اشتغل في اسكندرية أو كفر الدوار فنزلت في دمنهور فوفقت أن انا اشتغلت في دمنهور .

■ الطليعة ـ أين ؟

□ عبد الله ـ اشتغلت في شركة الدلتا .

■ الطليعة ـ ماهي شركة الدلتا ؟

□ عبد الله ـ دي كانت عباره عن اتوبيسات والخطوط اللي هي الضيقة دي اللي هي خطوط زي الترام دي بس الثانية كان القطر بتاعهابيشتغل بخشب وفحم .

■ الطليعة ـ اشتغلت ايه ؟

□ عبد الله ـ اشتغلت مع السائق ارمي في الفرن فحم وخشب .

■ الطليعة ـ والاجر ؟

□ عبد الله ـ اشتغلت بـ ١٠ قروش في اليوم فهي كانت معقولة شوية وكنت بأشتغل يوم وارتاح يوم كانت معقولة عن شركة الملح والصودا المصرية .

■ الطليعة ـ يعني يبقى اليوم بخمسة قروش ؟ اذا كنت بتشتغل يوم وترتاح يوم ؟

□ عبد الله ـ لا .. كانوا بيحاسبوني على يوم الراحة لان أنا في اليوم اللي كنت بأشتغله كنت بأشتغل يوم كامل .

■ الطليعة ـ كم ساعة في اليوم الكامل يعني ؟

□ عبد الله ـ اليوم الكامل كنت أروح الساعة حوالي السادسة صباحا واظل لثاني يوم لعند الساعة السادسة صباحا يعني ٢٤ ساعة .

■ الطليعة ـ ٢٤ ساعة بتشتغل متواصل بعشره قروش ؟

□ عبد الله ـ آه .. كان في اليوم الثاني أنام شوية واقوم كان بيجي برده على السكه الحديد بتاع دمنهور عربيات زلط بتاتي بها الدلتا ونطلع فوق على المحطه الرئيسية بتاع دمنهور فتنقل عربيات الزلط بتاع الدلتا للعربيات بتاع القطر بتاع السكه الحديد علشان خاطر تسافر اسكندرية .. فكـان تفريغ العربية بتـاع الزلط من الدلتا للسكة الحديد كان بتاع ٥ قروش فانا كنت في الوقت ده جامد وكانت صحتي تمام آجي طالع افرغ لي عربيتين ثلاثة وأروح ارتاح شوية علشان أروح الشغل بتاعي ثاني يوم .

■ الطليعة ـ الم يكن هذا متعبا ؟ أنت هربت من القرية بسبب العمل المرهق والشاق لكنك اشتغلت في مهن أشق وأكثر ارهاقا ؟

□ عبد الله ـ بس ماكنتش باواجه العنف يعني كانت المعاملة كويسة حتى أنا في دمنهور أصبحت حر ..

■ الطليعة ـ احساسك بالاستقلال ؟

□ عبد الله ـ آه .. استقلالي بنفسي .. أنا ادير حياتي بنفسي وبدون تدخل اي أحد فتحملت المشقة وكنت باكسب وكنت أقـــدر أجيب اللي انا عاوزة يعني آكل كما اريد واشرب والبس ايضا كما اريد ما فيش تدخلات في شئوني ..

■ الطليعة ـ حبيت المدينة اكثر من القرية ؟

□ عبد الله ـ انا عاوز اقول لسيادتك هنا حاجه هو يمكن في تصور سيادتك أن انا يمكن كنت في المدينة باتعب اكثر من القرية ـ لا ابدا بالعكس كان تعبي في القرية اكثر .

■ الطليعة ـ ازاي ؟

□ عبد الله ـ انا يمكن في ايام مثـــلا في أيام بعد ضم الغلة أو أيام ضم الغلة في الايام دي بتاع المواسم . يمكن كنت طول الليل عمال باضم غله واصبح الصبح منزم بالبهايم او انزل سباخ في الارض او اودي البيت تراب علشان خاطر اردم للبهايم والكلام ده كله فيمكن كان الشغل في القريه كان اتعب فعلا .. هو انا اذا كنت باشتغل هنا بتاع ١٢ ساعة وهناك كنت باشتغل بتاع ٢٤ ساعة هو في الحقيقة كان فعلا كان اريح فعلا من اللي كان موجود في القرية .. وفوق انه اريح ان كان في استقلال لشخصيتي يعني ممكن أن أعمل اللي اريده وكان برضه تفكيري تفكير كويس ما كنتش بافكر تفكير خطأ او ما كنتش باتصرف تصرفات خطأ .

■ الطليعة ـ يعني انت كنت عاوز تقطع كل صلتك بالقرية ؟

□ عبد الله ـ انا في الوقت ده ما كنتش وصلت بقدراتي أو من الناحية العضلية ان أنا أقدر اقاوم اللي في القريه واقول له ان أنا مش حا ابقى وياك أنا حاستقل بنفسي يمكن أنا كنت في الفتره ده عاوز استنى بعيد لغاية ما يبقى لي قدراتي العضلية اقـــدر اواجـــه ده واقول له ان انـا مش حاقدر اشتغل وياك أنا راح اقعد لوحدي اذا قال لا لازم تيجي ممكن بقى ان احنا نشوف من يقدر يعيش الثاني رغم أنفه .

■ الطليعة – اذن تواصل المشوار ؟

□ عبد الله – بعد ما قعدت الفترة دى من اوائل ١٩٥٥ ...

■ الطليعة – استمرت كم سنة ؟

□ عبد الله – كانت حوالى سنتين ثلاثة وفى الوقت ده كان المكسب كويس وابتدأت ان انا البس كويس وأجيب لنفسى كل حاجة وابتدأت صحتى تتفتح وبقيت شاب كويس .

■ الطليعة – يعنى المكسب كان كام ؟

□ عبد الله – يعنى كنت باكسب فى اليوم حوالى ٢٥ قرش بس الحالة فى الوقت ده كانت كويسة كان الواحد بيصرف من الـ ٢٥ قرش حوالى ١٠ قروش وكان الواحد عايش تمام .. فطبعا ابتدات ان انا عاوز انزل البلد .. فى الحقيقة انا كنت عاوز اطمئن على اخى اللى هو فى التعليم .. يمكن انا افتكر ان انا من يوم كان يوم وقفة عيد وانا قاعد فى السكن بتاعى لوحدى ويمكن بعد ما فكرت كنت ابكى .. وفى الليلة دى قعدت يمكن طول الليل اقول يارب تنجح اخى وكل اللى زى اخويه علشان خاطر اخويه ينجح ويمكن انا كنت باعتقد ان ده حايكون سند لنا يعنى .. ففعلا لما رجعت البلد فعلا اخويه كان خلص تعليم فى المدرسة الثانوى الصناعى كان فى الوقت ده نظام الخمس سنوات وكان دخل معهد المعلمين علشان خاطر يشتغل مدرس وخلص ايضا من المعهد وجاء له جواب التعيين وبظروفها انا روحت فعلا لقيت فعلا جاء له جواب التعيين وكان فى الوقت ده الحالة واقفة يعنى ...

على الفلوس اللى هو يسافر بيها بلطيم علشان خاطر يستلم عمله فالقدر جابنى فعلا من هناك وكان معى فى الوقت ده حوالى ٢٧ جنيه . كان فى هذه الفترة اخى غير موجود فى البلد فذهبت عند السيدة اللى هى والدة ابى يعنى ستى كانت على قيد الحياة ، البلد كلها عرفت ان عبد الله رجع ثانى فكان لى خالة اللى هى اخت والدتى حضرت الى وقالت تبقى تتفضل عندنا شوية ، فقلت لها حاضر .. من بيت ستى وانا ذاهب لخالتى ، كان قبل المغرب حوالى .. لقيت فعلا خالى جالس هناك ، وكانت نقلت له الصورة ان عبد الله حضر وان صحته جيدة واصبح راجل الخ .. لما حضرت لقيت خالى ، وكان حصل فى هذه الفترة خلافات ما بين خالى واخى واخذ عليه كمبيالات لناس بفلوس علشان يخلص الخ .. فابتدا يكافح يعنى علشان يوصل للمرحلة اللى هو عايز يوصلها بدلا ما يضيع على كده .. طبعا عندما ذهبت ، عرفت الصورة اللى حصلت لاخى بعد ما وصلت للبلد .. تأثرت فعلا من كل هذا اللى حصله وحمدت ربنا ان وصل لحد كده ؟ لقيت خالتى جالسة مع خالى وبتقول له ان عبد الله اصبح راجل واشياء زى كده .. انما لاصبح راجل ولا حاجة ... الخ . انما برضك حاولت اسلم عليه وقلت له على كل حال انا اصبحت راجل ولو حبيت ان تتعامل معى المعاملة اللى كنت بتعاملنى زمان ممكن ارجعها لك اكثر لكن انت فعلا اخطأت ، لا كان يجب انك تعاملنى احسن . فقال لى : الله انت اصبحت راجل فعلا وعارف تتكلم .. فقلت له : آه ! .. وسألنى على كده معاك فلوس أم لا وقلت له انا معى فلوس والحمد لله واخرجت له المحفظة وقلت له : ٢٧ جنيه موجودين اهم ! وانا حاضر مكسى احسن منك اهو ! .. كان زمان انا طالع من عندك حافى والان لابس حذاء وجلابية جديدة وكويس ٢٤ قيراط ! .. فقال لى طيب جبهم وانا احجوزك البنت فقلت له : لا انا مش عايز اتزوج الان .. فذهبت فعلا لاجلس قليلا مع خالتى وجوز خالتى شويه وجوز خالتى ده كان راجل انسان كويس وهو ش من عائلتنا ولكن عاقل ومتزن يعنى .. جلست معه شوايه خالتى ثانى يوم ذهبت الى شبين وبلغت اخويا وكان بيكمل تعليمه فى شبين فى هذه الفترة انتى حضرت ويومها لقيت اخويا ومعاه واحد حاضرين بالدراجات فى الحقيقة كانت المقابلة بيننا لها تأثيرها .

وفى الليل طلب منى ان احكى له قصتى فقلت له زيارتى وكان كذا وكذا .. وحاليا الحمد لله انا معى فلوس فقال لى طيب انا جاء لى جواب تعينى الى بلطيم لكن فى الحقيقة انا لم عندى فلوس علشان اسافر بالقطار فأعطى لى فلوس وانا بأذن الله حرسل كل شهر مبلغ تعيش منه فى هذه البلد على اساس ان احنا فى اول السنة حندبر لك ارض علشان تزرع وتقعد هنا وقال ان عبد العزيز اخونا ميكانيكى سيارات وانا اصبحت مدرس فيكون انت موجود لنا هنا فى البلد .. وتفتح لنا منزل فى البلد فقلت له : طيب مافيش مانع .. حجزنا بيت بالايجار فى البلد من البيوت الفاضية واخويا لظروف ما لا يتمكن من ارسال فلوس لى فأضطريت فعلا اطلع اشتغل بقى مع العمال اللى هما بيفحتوا فى المصارف اللى هم عمال التراحيل .. طلعت فعلا معاهم .

■ الطليعة – هو ماشتغلش علشان يرسل لك فلوس ؟

□ عبد الله – لا .. هو اشتغل لكن الظروف زى بلطيم مثلا .. عايز مدرس .. انا يمكن اقدر اتصرف وعارف الحياة ازاى لاننى عشتها .

يعنى .. طبعا قعدت اعمل فى هذه الفترة وشوفت مأساة عمال التراحيل كان فى هذا الوقت ..

■ الطليعة ـ ماذا تقصد بمأساة ؟ يعنى ايه ؟

□ عبد الله ـ يعنى حياة لا انسانية مالا توجد الخيمة اللى بتتعمل لعامل التراحيل هذه الخيمة لا يمكن ان يزيد حجمها من الداخل اكثر من المائدة اللى امامكم يعنى بعد ما تتحط الخيمة الدائرة اللى حتوضع فيها هذه الخيمة مش اكثر من مترين فى مترين بيقعد كام واحد فيها ؟ ٦ أفراد بعزالهم ومالهم وكل حاجتهم لان لا فى فرش ولا غطاء وفى الصيف يضعوا عزالهم على الارض بره كده ؟! طيب شوف الصورة للى بيعملوا فيها ويمكن كان اول مرة اطلع معاهم علشان اشتغل ..

■ الطليعة ـ سنة كام ده ؟

□ عبد الله ـ آه . كان فى اول سنة ١٩٥٦.

■ الطليعة ـ بعد الثورة بأربع سنين ؟

■ عبد الله ـ آه كان فى اول سنة ١٩٥٦

■ الطليعه ـ قبل قناه السويس او بعد قناة السويس ؟

□ عبدالله ـ لاء كان قبل الحرب لان الحرب بتاع قناة السويس كان فى حوالى ٢٩ اكتوبر تقريبا . . فى نفس السنة . . يمكن علشان هذا الموضوع يصبح مؤثر فى حياتى حتى الان وفى هذا الايام موجود الجفاف ويعرف وزير الزراعه هذا الكلام او الجماعة المسئولين فى الرى بيعرفوا انهم بيطهروا الترعة فى ايام الجفاف وبقول هذا الكلام علشان يفهموه ويعرفوه الوزراء والمسئولين عن الرى والمهندسين والمحامين والدكتور اللى فى فى البلاد ده . . عامل التراحيل بينزل « غلق » تراب ناشف يرميه فى الارض اللى بتطلع مياه ويطلع به والطين بيخر على جسمه والمياه القذرة والمعفنة وهو لابس قميص مافيش غيره ولكن من حركته فهو لا يحس بالبرد وهو ملزوم ان يفحر كذا متر يطلعهم من قاع المصرف او الترعه ، يطلعهم فوق بقى على جسر الترعة وآخر النهار اللى حيدهب يتشطف يروح واللى لم يخلص شغله يحاسب كطفل بياخذ كذا او اللى خلص كله هو راجل بياخذ اكثر طبعا

■ الطليعة ـ الراجل بيقبض كام ؟

□ عبد الله ـ الراجل فى هذا الوقت كان بيأخذ ٦ جنيه فى الشهر ، لكن الحقيقة هذا المبلغ بيقعد ٥٠ او ٥٥ يوما بيشتغل بهم ..

■ الطليعة ـ والطفل ؟

□ عبد الله ـ الطفل بيقبض ٣ جنيه فى نفس هذه الفترة . ده طريحة بقى . . انت وجهدك . . اللى عنده قوة وصحة بيشطب مثلا فى عشرة ساعات او ٩ ساعات واللى ما عندوش صحه ولا جهد اهو بيقعد ويمكن لا يخلص حتى الليل يعنى .

■ الطليعة ـ طيب جاية من أين ال ٥٥ يوم ده ؟ مش طالع على شهر ؟

□ عبد الله ـ مش عارف كام يوم بالسيارة اللى هى موديّاه وكام يوم بالسيارة فى الرجوع وكام يوم للشركة وكام يوم للمقاول اللى هو بيطلعه . . ان اصغر مقاول اللى احنا كنا بنتعامل معاه لو كان متاح الفرصة ان سيادتك تشوفه أصغر مقاول فى هذا الوقت كان عايش ازاى . اذا ما كانش موجود لحمة يبقى فيه طيور كل يوم على الرغم من أنهم فى الارياف لكن المنعة موجودة ومفيش بعد كده خالص ، وصوره استغلال لا يمكن ابدا مش عايزين العالم اللى بتطلع تسافر بره تقول التفرقة العنصرية فى أمريكا . . لكن احنا عايز انتقاد من قلب المجتمع المصرى . . اللى عايز ينتقد قلب المجتمع المصرى وصلح نفسك انت الاول قبل ما تبعث فى الخارج يعنى . . طيب بعد ما قضيت المدة ده فى التراحيل ، كانت سنة ١٩٥٦. وبعدين جاء اخى فى اول السنة كان يقدر يقتصد من مرتبه وبمعرفته وتعامله مع الناس أشترى بهيمة وحاش لى فدان ونصف ارض وقال لى ازرع . فقلت له طيب ولكن لا عندى احد فى البيت ولا عندى زوجة . .

■ الطليعة ـ حاش لك فدان ونصف ازاى يعنى ؟

□ عبد الله ـ بالايجار . .

■ الطليعة ـ ليه الاصلاح الزراعى مكانش موجود ؟

□ عبد الله ـ كان فى اراضى وحشة والناس لا تتمسك بها قوى يعنى لانها لا تنتج ؛ الممكن ان تأخذه هو ده يعنى . . انت بقى وقدراتك . . لان تخللى هذه الارض تصلح وتنتج .

■ الطليعة ـ لكن انت لم تتقدم للاصلاح الزراعى تطلب ان النظام يطبق عليك او على خالك . . الم يطبق عليكم الاصلاح الزراعى . . نظامه ؟

□ عبد الله ـ لا . . انا أجرت الفدان ونصف ده لناس اقارب كان فى أيدهم لكن لما عرفوا اننى ساقعد فى البلد علشان ازرع سبوها لى . . علشان افتح بيت . . فى هده السنة اخويا قال لى مش ممكن انك تقعد كده وحتعرف تعيش كده لازم بشوف لك واحدة علشان تتزوج ، فقلت له حتزوج فبلك ؟ رد هو وقال معلش يمكن انا لى ظروف غير ظروفك انت . . ظروف خاصة مثلا تكاليف زواجى .

مش حتكلف انت زيها يعنى . . بتاعتك حتكون بسيطة يعنى . . ده مقدوره عليها الان لكن انا حنبقى تكلفتى كبيرة . . ممكن نحل الموضوع بتاعك ده

بسيط .. قلت طيب .. اتكلمت على الست اللى معايا وكانت بنت راجل زى حالى ناس لا ملاك ولا اى شىء من هذا ، على قد حالهم ومزارعين ، لازم الواحد يضع المقاييس الاجتماعية علشان نعرف .

■ **الطليعة** — كنت تعرفها قبل الزواج ؟

□ **عبد الله** — نعم ، من الناحية اللى كنت فيها يعنى .. فكلمت الراجل ولقيت انهم ناس ممكن برضك تعرف تعيش مع بعضهم .. كان الواحد ينظر الى الواقع ايه واذا تقدمت حتبقى احسن يعنى وترضى احسن .. اتفقنا والمهم كام ياعم .. المهر ٣٠ جنيه واتفقنا على كل حاجة وكتبنا الكتاب.

■ **الطليعة** — كان سنك كام وسنها كام ؟

□ **عبد الله** — هى كانت عندها فى هذه الفترة حوالى ١٩ سنة وانا حوالى ٢١ سنة طبعا انتظرنا على ما يحضر المحصول بتاع الارض علشان نعرف نعيش .. وقعدت اجاهد السنة دى فى الارض واعمل فيها اللى ما يتعملش كان البلد كلها بتقول مش ممكن احد يعمل اللى انت بتعمله فى الارض دى ..

■ **الطليعة** — الارض زرعت ايه ؟

□ **عبد الله** — زرعت فى الاول نصف فـدان برسيم فى أول سنة علشان البهيمة اللى انا جايبها تاكل منه ، وزرعت النصف الثانى غلة وكان نصف فلما جاء محصـول الغلة وجيت ضـميت الغلة ودرستها والبرسيم برضك وبذلت فيها اقصى جهد ومن ممكن اصبر اكتر ، اخويا المدرس كان بيعاونى فى هذه الفترة بحوالى ٢ جنيه فى الشهر وانا كان مطلوب ان اعيش واراقب الارض والبهايم الخ .. كنت ليس لدى مانع ان عندى فلان مثلا اجره اروح قبل الغروب او الليل او الفجر بعد صلاة الصبح اذهب مع البهايم الى الغيط واضع لهم الاكل واذهب اودى نقلة تراب او نقلة سماد وبعدين اذهب الى الراجل اللى انا اروح اشتغل الفدان الثالث اللى هى كانت بتاعت الحياض ، كان بعد ما بينزل الفيضان كانت الارض تزرع ترمس ولوبيا وبامية الخ .. زرعت هـذه الحاجات معاه .

اعمل حتى المغرب ، بحيث الاجرة تكون مناسبة ويكون مكان عملى قرب مكان زراعتى علشـان اراعى البهايم .. فى الظهـر نجلس للغـداء ثم اذهب بسرعة اراعى الحاجة بتاعتى وارجع ثانى اليهم ونقوم كلنا نروح هناك . مطلوب منى هذا كله .. على ما تمر السنة الاولى ... وكنت لسه لم اتزوج بعد .. كانت موجـوده هى فى منزل ابوها .. منتظرين ان يأتى المحصول علشـان نلاقى فيه معيشة تعيش يعنى ، لقيت نفسى فى شـهر ٩ مطلوب للجيش فى سـبتمبر سـنة ١٩٥٧ ، ليت المحصـول وسـبته فى البيت علشـان اخويا يتصرف فيه وسـيبت له البهايم وذهبت اتجند فى الجيش فعلا وقضيت فترة ممتعة فيه حقيقة علشان الانسان كان بيتلاقى فيها مع ناس يعنى عساكر مؤهلات وانا فى هـذه الفترة لحسن سلوكى اترقيت واخذت فرقة ثم فصيلة ويمكن كانت معاملاتى فى الحقيقة مع الناس مش معاملات اللى عايز يبان انه حاجة يعنى معاملات كانت اخوية وما دام المطلوب حيتعمل لا داعى ان يحصل الذى كان بيحصل احيانا فى هذا الوقت ان الشاويش يمسك العسـكر ويوقفهم حتى الساعة كذا بالليل ويضايق الناس الخ .. انا لم اتخذ معاهم الاسلوب ده لكن كان الاسلوب اسلوب القيادة الحقيقية فعلا بحكم تجاربى فى الجيش اعتقد انها احسن يعنى . يعنى وانا فى الجيش كان الاسلوب الذى كنت اتبعه ده احسن لاننى كنت بشوف النتائج يعنى .. يعنى أحسن الناس اللى تحت يدى اللى انا بشغلهم او بدربهم لما بتعامل معاهم معاملة اخوية أو حاجات زى كده كانت الناس فعلا بتتعاون معى وكانت بتضعنى فى الصورة اللى يمكن احسن ما تكون امام القيادة يعنى ويمكن عايز اقـول ان علشـان خاطر كده وانا فى الجيش فعلا اخذت احسن جائزة تدريب صف ضابط وفى الكلية الحربية وكان فى احتفال جميل جدا واستلمت الجائزة من الفريق على على عامر فى الكلية الحربية وطبعا ده فعلا كان سلوكى مع العساكر فى تصرفاتى معاهم — كان احنا بنتكلم مع المؤهلات العليا أو المتوسطة فى النواحى العلميـة أو السياسية الخ .. فعلا كان اهمها النـاحية التعليمية وبرضك على حسب قدرات منهم الانسان اللى هو لم يأخذ فرصته فى التعليم على أد قدراته فى الفهم .

■ **الطليعة** — ايه مناقشات السياسة دى ؟

□ **عبد الله** — كان فى هذه الفترة احداث كثيرة بتمـر مثـلا زى الاحـداث الدولية أحداث داخل البلد حاجات زى كده فى هذه الفترة .. احيانا بنتكلم على الاوضاع فى الجيش هل ده هو المطلوب او ايه اللى مطلوب مننا مثلا .. كلام دردشة يعنى ..

■ **الطليعة** — ده مش كان ممنوع فى الجيش ؟

□ **عبد الله** — لا ، ده كان مجرد انتقادات لاوضاع موجودة

■ **الطليعة** — كنت بتنتقدوا ايه مثلا فى هذه الفترة ؟

□ **عبد الله** — كان موضوع الوحده بين مصر وسوريا فى هذه الفترة وكان فيه هنا ضـباط وجنود من سوريا فى مصر وكان فى سوريا مصريين ايضا اعتقد هذا كان بتدور مع الاخوة

السوريين على الرغم من انهم متعلمين وحاجات زى كده الا انه عايز يحسسك باستمرار انه افضل منك يعنى سواء كان من الناحية العلمية أو او الخ .. من الكلام المتخلف ده .. انا وقعت مع ضابط سورى كبير وكنت اتحاكم وياه فى هذا الموضوع وانما انا قادر على المناقشة معه ، ولو انى عسكرى بسيط .

■ **الطليعة** ــ ايه هو الخلاف ده ؟

□ **عبد الله** : كان فى هده الفتره كان قائد اللواء أصدر أوامر مشددة وقال ان اى عسكرى من العساكر اللى هى بتاعت الوحدات حتروح مراسلات فى مساكن الضباط اذا ضبط عسكرى هناك حأعزل صف الضباط المسئولين عنهم ده امر نائد اللواء انا عايز أحافظ على نفسى ومن الناحية التانية فعلا ومن ناحية أخرى قلت ده أحسن امر أصدره قائد اللواء هو هذا الامر حتى نحس بكرامتنا احنا الناس العسكريين

■ **الطليعة** : كنت مقتنع به يعنى ؟

□ **عبد الله** : آه ، الحقيقه لان مش معقول أن أبعد عن الواجب الاساسى اللى أنا جاى علشانه علشان اشتغل خدام عند بعض الضباط .. مش معقول يعنى .. انا جاى واجبى الاساسى هو ان اتمرن على السلاح علشان اواجه العدو اللى هو انا جاى علشانه ، عدو الوطن .. مش جاى علشان اشتغل ٣ سنين خدام ! ... والا كنا خليبا جيش خدامين نجند طوال الخدمة وخلاص ... كان يوجد عسكرى كان بيذهب الى هذا الضابط أنا منعته فذهب هناك ، العسكرى راح قال هذا الكلام للضابط فهذا الضابط كان عايز يمسك على حاجات وقال لى انا ساحاكمك يوم الخلاف مع الضابط السورى كان موجود نقيب اسمه محمود فهمى ــ مصرى سالنى ايه اللى حصل . ولكن لم يصفنى . تانى يوم فى الصباح دخلنا لقائد الكتيبه .وكان مقدم مصرى ، وكان الضابط السورى كان دخلنى لهذا القائد بأورنيك ذنب . اى كلام طبعا فشرحت لقائد الكتيبة الظروف والاوضاع التى كانت موجوده فعمل لى انصراف ، دون اى حاجة على، فالضابط السورى كان موجود فى هده الفتره فنزع الرتب من على كتفه ورماها على المكتب وقال انا مش شغال عندك انا ضابط سورى فقال له المقدم انتباه ياحضرة الضابط وقال له انصراف خارج المكتب قال له السورى أطلع انت بره المكتب . قائد الكتيبة طلع بره وساب له المكتب واخذ سيارته وذهب على الفور على قائد اللواء وقال له كل اللى حصل فرد هذا القائد وقال له اضعه تحت الحراسة .. وبدأ هنا التحقيق بيننا تحت أمر قائد اللواء بأن يتعمل تحقيق وجاء النقيب محمود فهمى عمل اللى عمله ده وثانى يوم ذهبنا الى التحقيق فى هذه الفترة لعلاقتى بالناس الطيبة لم يقدروا انهم يجدوا واحد علشان يشهد ضدى من عساكر الفصيلة على اى حاجة وكانوا يمكن هم السند لى وهم الحماية فعلا فانا بعلاقتى قدرت فعلا ان الناس دول تقف موقف حسن بجانبى ومفيش احد يقدر يؤثر عليهم من الكتيبة كلها .

قيت بقى محمود فهمى اللى موجود فى التحقيق قلت له سيادتك اللى ماسك التحقيق قال لى : آه ... قلت انا بامتنع ان اقول اقوالى امامك وانا عارف كده كويس وعايز ضابط بعيد عن الكتيبة !!! ومش عايز ان يكون أنت اللى ماسك التحقيــق . فــدهش النقيــب محمــود فهمى وقال لى : اسمع ياولد ، على الطلاق انا ماقابلت واحد فى الجيش زيك واذا كان عندنا فى الجيش من النوع بتاعك فى الصلابه مجموعة تشكل لواء احنا نخش حرب مع امريكا ، اسحب الكرسى ده ياولد واجلس .. جلست .. تشرب ايه ؟ قلت له أى حاجة ... طلب لى قهوة ولكن انا برضك فى حذر منه مهما كان وممكن يسحبى ويجرى فانا حريص معاه ، طيب نخش مع بعض ونكلم .. وكلمنا مع بعضنا وبعدين قال لى أمضى على التحقيق ، لكن قلت له لو سمحت اقراه قبل التوقيع وبعد ذلك مضيت ، وقلت له فى الاخر برضك لو حصل اى تغيير فى الكلام ده نشوف مين فينا حيحاكم انا بعد كده حضيع فصل وممكن حضيع فيه حياتى ، قال لى : ولا يهمك .. خلاص .حصلت بعد كده آخر النهار مشاكل مع ضابط ملازم ثانى فطلبت عرضى على القائد وكان راجل طيب . سألنى : أنت فاضل لك قد ايه ياابنى خدمة فى الجيش قلت له : ٤ شهور .قال : طيب هات ده علشان خاطر تخرج ...وانا بكل ماأملكه حلطف الجو يعنى حتى تخرج من الجيش وفعلا طلعت من الجيش بعد كده والارض اللى كنت بازرعها الناس أخذوها علشان يزرعوها وكنت لسه لم أدخل على الست بتاعتى كان فى أول ديسمبر سنه ١٩٦٠ ، اشتغلت فى مصنع بحلوان فى ٣ يناير سنة ١٩٦١ .

■ الطليعة : مين اللى شغلك هناك ؟

□ **عبدالله** كان فى جماعة من عندنا من البلد كانوا قاعدين فعلا عاطلين وبيدوروا على عمل وانا فى هذه الفترة كان معايا مكافاة الجيش وتعاونا مع بعض .

■ **الطليعة** : كان قدى ايه مكافاة الجيش ؟ .

□ **عبد الله** : كان ١٨ جنيه طلعت نصرف مع بعضنا وقلنا نطلع حلوان فذهبنا هناك فيه ناس اشتغلت فى مصنع قطاع خاص وانا اشتغلت فى مصنع حلوان للغزل والنسيج وكانت شركة كبيرة فى هذه الفترة .

■ الطليعة ـ اخذوك ازاى ؟

■ عبد الله ـ قالوا تعالوا نذهب حلوان فيه ناس هناك عارفينهم حنشوف اذا كان ممكن نشتغل هناك أم لا .. ذهبنا هناك وأخذنا غرفة ونبحث على عمل قبل ما تخلص الفلوس اللى معانا .. يطلع مدير مكتب العمل هناك بينظر للطوابير على الشمال وعلى اليمين ويلف كده واللى يعجبه تماما ويعرف يقرأ ويكتب يقول له طيب أطلع أنت أمام .. ويكون ساعى معاه ختم مكتب العمل يطلب الشخص للكشف ..

■ الطليعة ـ اشتغلت امتى ؟

□ عبد الله ـ اشتغلت فى ٣ يناير سنة ١٩٦١ بمبلغ ١٩ قرش فى اليوم ..

■ الطليعة ـ اشتغلت ايه ؟

□ عبد الله ـ اشتغلت فى مخازن البيع ، أول ما اشتغلت حسيت انها لا تناسب قدراتى وان قدراتى يمكن احسن من كده وده بتعرضنا لقضية انه نشوف ناس بتعين وعلى حسب قدرتها وامتحانات معينة توجه للصناعة حتى ولو كانت لا تعرف القراءة والكتابة .. فعلا بعد كده جات مذكرة على ان فلان وفلان يحضروا للامتحان علشان يشتغلوا عمال وكنت أنا الاقدم يمكن أنا كنت عارف فى الوقت ده اننى مش حترقى لكن فلان وفلان هم اللى حيترقوا دخلت على المدير وكان حوالى سنة ١٩٦٤ ، بعد التأميم قلت له : خذ الاسمين دول عند سيادتك لان الامتحان اللى حيتعمل ده امتحان اى كلام اللى حيترقى فلان وفلان ..

■ الطليعة ـ معنى كده ان الادارة لم تتغير ؟

□ عبد الله ـ لا .. طبعا أى كلام لم تتغير طبعا .. ازاى الكلام ده يحصل .. انا منزل السكرتير الخاص بتاعى معاكم .. لكن انا كنت مصمم ان فلان وفلان دول برضك اللى حيترقوا مفيش غيرهم .. قلت هذا الكلام للمدير .. مش على أساس الامتحان والقدرات يعنى .. اذا كان عايز يشوف الامتحان والقدرات اتفضل سيادتك تحت وحتشوف من اللى حيشتغل . على الرغم من أنهم ادارة رجعية لكن برضك لو دخلت عندهم وانت على حق فبرضك يقدر مطالبك الا انهم برضك ادارة رجعية مفيش كلام .. اتفضل سيادتك وحتشوف انا اللى حااشتغل أحسن والا لا .. فقال لى طيب روح دلوقتى ..

وعلى الرغم من ان نشرة جيه وحاجات زى كده عندما تخش لهم بحق ويلاقوك واقف وصلب وحاجات زى كده الا انهم برضه رجعية وخوافين وبينكمشوا .

■ الطليعة ـ وعرفت الحكاية دى ازاى ؟

□ عبد الله ـ من معاملاتى معاهم .

■ الطليعة بالخبرة يعنى ؟ .

□ عبد الله ـ آه من معاملاتى معاهم عرفت انه يعنى ساعة ما تخش فيك لكن اذا لقاك صلب يتراجع لكن لو كان ممكن ياكلك ياكلك فطبعا فى اليوم ده برضه اتعمل اللى اتعمل وبرضه فى النهاية اللى بيتعرض عليه هم اسماء اللى أنا قلتها له طبعا ده اسمه كلام فارغ وعايز يظهر نفسه انه يعنى راجل .

■ الطليعة ـ طيب والاسماء اللى قدموها ليه قدمت بالذات ؟

□ عبد الله ـ هو يمكن فيه حاجات كثيرة جدا موجودة .. يعنى مثلا ممكن انه يدفع رشوة للى هو رايح يمتحنه .. مراته بتروح عند مش عارف مين عشان تغسل له وتمسح له البلاط .. عنده بنت بتشتغل خدامة كل الكلام ده موجود يعنى .. مش عايزين ننكر انه موجود فى مصر عارفين ايه اللى موجود يعنى .. فطبعا فى الوقت ده المدير عشان يظهر انه راجل يعنى مع الحق وما يرضاش بالكلام الفارغ ده وحاجات زى كده فوقف الترقية عن الناس فانا بصراحة زعلت وقلت انا قفلت عليهم والناس حاتزعل وحاجات زى كده فرجعت تانى اقول معلهش برضه يجب برضه أخلى اللى يعدى يعدى واذا كان لك نصيب فى حاجة تبقى تاخذها بعدين معلهش وبقيت زعلان فعلا ومتأثر جدا يعنى ايه اللى انا أخدته يعنى أنا اترقيت ولا هم اترقوا ومش هو ده المطلوب ، المطلوب فقط ان المدير ينزل ويشوف الكفاءات ويرقى اللى يستحق مش يقفلها على الكل يعنى وبرضه قعدت برضه فترة فدخلت للمدير تانى وقلت له يا بيه اللى حصل يوم كذا لما جيت لسيادتك مش ده المقصود يعنى انك تقفل الترقية على كل الناس انا اترقيت ولاهم اترقوا كنت عايز سيادتك تنزل وتشوف الامتحان واللى يستحق ترقيه سواء كان هم أو أنا أو غيره فقال لى اسمع يا ابنى قلت له نعم قال انا راح أحل مشكلتك انا بنفسى رؤساءك مهماش عايزينك تترقى عندهم انا أنقلك فى اقسام تحت ـ أنا كنت فى الوقت ده فى الغزل النهائى ـ حانقلك فى اقسام وتترقى هناك وحاتتحل مشكلتك فقلت له على كل حال يا بيه انا أملى يعنى حل مشكلتى ولو ان هى المشكلة مش انا وبس هى المشكلة .. فقال لى مالكش دعوة بحد خليك انت فى نفسك وحانحل لك مشكلتك .. جه فعلا بعدها راح نقلنى من الغزل النهائى ودونى قسم تمشيط الغزل فانتقلت لقسم تمشيط الغزل وكنت فاهم انى راح اتنقل بقى عامل انتاج فالتفت لقيت نفسى منقول لنفس الصورة يعنى عامل خدمات هو ده بقى الحل ؟! ففى الفترة دى

كان المدير بتاع الغزل كان حصل عنده انفصال شبكى وراح يعمل عملية وكان النائب بتاع المدير برضه كان راح يعمل عملية فالادارة بتاعت الغزل فاضية اللى انا حشتكى لها فقعدت وفضلت ساكت لغاية ما جم واشتكيت انى يعنى الموضوع مهواش كده يعنى ماكنش المقصود ان انا اتنقل طيب ماهو انا كنت شغال هنا خدمات انتاج وهناك خدمات الانتاج ايه اللى اتعمل يعنى ؟! فقالوا طول بالك شوية فيه مكن تمشيط جى وفعلا عينت عامل انتاج يمكن اللى كان بيجبر الواحد على انه يسعى من اجل دخل زيادة كان فى الفترة دى كنت بامر بظروف يعنى قاسية جدا الست بتاعتى كانت تعبانة جالها نزلة شعبية ويمكن هى ما زالت لغاية النهاردة فعلاً تعبانة من آثار النزلة الشعبية لانها ماتعالجتش العلاج اللازم وما زالت فعلا تعبانة لغاية النهادرة وربنا يشفى . انا عملت فعلا معاها اللى فى استطاعتى .

■ **الطليعة** ـ وهل ارتفع أجرك بعد ذلك ؟

□ **عبد الله** ـ آه يعنى هى دى آخر رفعة

■ **الطليعة** ـ والى كم وصل ؟

□ **عبد الله** ـ الى ١٥ جنيه و ٢٦ قرش و ٢ مليم ده اخر مرتب .

■ **الطليعة** ـ يعنى بقى لك كام سنة دلوقتى فى شركة الغزل ؟

□ **عبد الله** ـ انا بقى لى فى الشركة دلوقتى ١٥ سنة وشوية .

■ **الطليعه** ـ ١٥ سنة بدأت بـ ١٩ قرش يعنى بكام فى الشهر ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى كان بيصفى فى المدة يعنى احنا كنا بنقبض فى المدة بعد خصم الادخار واشتراك نقابة وصندوق زمالة وحاجة زى كده كان بيصفى لى فى المدة ١٩٥ قرش فى الفترة دى .

■ **الطليعة** ـ ١٩٥ قرش يجيبوا كام فى الشهر ؟

□ **عبد الله** ـ يجيبوا حوالى ٣ جنيه و ٩٠ قرش .

■ **الطليعة** ـ ووصلت دلوقتى بعد ١٥ سنة الى ١٥ جنيه ٢٦٢ مليم .

□ **عبد الله** ـ آه هو يمكن انا قعدت اشتغل بـ ١٩ قرش من ٦١ لغاية القرارات الاشتراكيه اللى هى حددت اجر للعامل بـ ٧ جنيه ونص .

■ **الطليعه** ـ هل طبق عليك هذا القرار فورا ؟

□ **عبد الله** ـ ايوه وكذلك حددت ساعات العمل بـ ٧ ساعات بدل ٨ ودى حقيقة يعنى كانت تشلتنا وقتها من الغرق يعنى وقتها مكنش فاضل غير شويه ونروح فى القاع ونموت ففى الحقيقة فى الوقت ده دفعة معقولة .

■ **الطليعة** ـ انت عاصرت الشركة فى حالتين قبل التأميم وبعد التأميم قبل التأميم كانت ملك مين ؟

□ **عبد الله** ـ قبل التأميم هى كانت شركة مساهمة من شركات بنك مصر قبل ما كانت تبقى من ضمن شركات بنك مصر كانت بتاعت واحد اسمه اللوزى وكان فى ايام ما كانت طبعا بتاعت اللوزى كانت عبارة عن مصبغة ومطبعة وحاجات نسيج بسيطة يعنى لكن لما دخلت ضمن شركات بنك مصر عملوا فيها توسيعات لما دخلت الحكومة وساهمت فيها فعملت فيها توسيعات اكثر مصانع نسيج زيادة مصانع غزل مكنش فيها غزل جابوا لها مصانع غزل .

■ **الطليعة** ـ كم كان عدد العمال فى البداية وكم عدد العمال الان ؟

□ **عبد الله** ـ لما دخلت الشركة يمكن كان فى الوقت ده العمالة الحقيقية مكنتش مستقرة يعنى لظروف معينة طبعا من الناحية الاقتصادية والكلام ده .

■ **الطليعة** ـ ايه يعنى مش مستقرة ؟

□ **عبد الله** ـ العامل كنت تبقى تلاقى بيتعين فى الشركة كل يوم كذا وكل يوم خارج من الشركة نفسها كذا واعمال الفصل كانت متنوعة يعنى كان ممكن انك انت تبقى موجود فى شغلك ويمكن عشان مشكلة مش عاجب اللى مشغلك مهما كان يعنى صفته رئيس وردية رئيس قسم أى حاجة ممكن ياخد الكرنيه بتاعك ويقطعه ويقولك مع السلامة !

■ **الطليعة** ـ كده ؟

□ **عبد الله** ـ آه يعنى أنا تعرضت لظروف من الظروف دى فى سنة ٦١ ولولا أن انا زى ما بقول لسيدتك انى عادتى لما بانزل فى اى مكان باحاول انى أعمل لى علاقات كان فعلاً كنت انفصلت فعلا .

■ **الطليعة** ـ طيب كان كام عامل فى الشركة مع عدم الاستقرار ده ؟

□ **عبد الله** ـ ما كنش ممكن أنك انت تحصر .

■ **الطليعة** ـ يعنى حوالى كام ؟

□ **عبد الله** ـ حوالى ٣ او ٤ آلاف عامل .

■ **الطليعة** ـ ودلوقتى فيها كام ؟

□ **عبد الله** ـ حوالى ١٤ الف وكسور .

■ **الطليعة** ـ طيب فيه تغيير فى الادارة ؟ بين الاول وبين الوقت ؟

□ **عبد الله** ـ لا هو فى الحقيقة يمكن برضة يعنى سلوكيات الادارة يمكن قبل التأميم كانت قذرة بعد التأميم يعنى كان فيه شبه حذر والادارة خايفة .

■ **الطليعة** ـ الادارة اللى خايفة ؟

□ عبد الله ـ آه يعني خايفة من الحكومة في الوقت دى لان كان فيه يعني تقريبا حسم ولو انه كان هو رئيس مجلس الادارة هو او يعني العالم اللي كانت رؤساء مجالس الادارة هي هي ولو انها اتغيرت من شركة لشركة لكن كان بيتدوا يحاسبوا في نفسهم شوية يعني ماكنش يقدروا يعرفوا تصرفات خطأ كثير لكن قبل كده كان مين اللي راح يقف قدام منهم لعدم استقراريات العمالة كانت لسه برضة الناس ما تعرفش بعضها واحد اشتغل معاك شهرين ثلاثة وطرد وجه واحد جديد فين على ما يعرفوا بعضهم وحاجات زى كده .

■ الطليعة ـ لكن العمال بدأوا يشاركوا في الادارة ؟

□ عبد الله ـ آه بدأت العمال تشارك في الادارة ويمكن برضه مي الفترة دى وده برضه بيرجع في الحقيقة لنا احنا كعمال ونقص الوعي والتخلف اللي احنا عشناه من زمان يعني حنلاقي فعلا ان بيضحك برضه على العمال وينجذب ربما في اتجاه ضدها . تبص تلاقي يمكن أنت بنفسك كعامل تضرب دماغك في الحيط ينكسر هل انت عايز تكسر دماغك في الحيط لكن انت بتلتفت تلاقي فيه ناس تجرك تيجي مخبوط .

■ الطليعة ـ وهل سبب هذا نقص الوعي ؟

□ عبد الله ـ ما نتش عارف مين اللي خبطك أو مين اللي بيخطبك ده بيرجع برضه للتخلف الموجود في البلد .

■ الطليعة ـ ونقص الوعي ده جي من ايه ؟

□ عبد الله ـ ده يمكن بعد التأميم ودى برضه يمكن بعد تشكيل الاتحاد الاشتراكي وكان الريس عبد الناصر حقيقة بينظر باهتمام للتنظيم السياسي على انه راح يشتغل رقابة شعبية على الخدمات ووسائل الانتاج اللي هي اتأممت يعني وكان امله معقود على أن الاتحاد الاشتراكي يبقى له فاعلية تحقق الصورة اللي عايزه والحقيقة كان الواحد يحس كده ان الراجل ده فيه يعني طموح جامد جدا في مخه عايز يحققه .

■ الطليعة ـ لصالح مين ؟

□ عبد الله ـ لصالح الطبقات المقهورة يعني ولصالح المجتمع ككل .

■ الطليعة ـ ايه هي الطبقات المقهورة ؟

● عبد الله ـ اللي هي بتشتغل وبتنتج فعلا يعني .

قاهرة في المجتمع ؟

■ عبد الله ـ آه .. اه .

■ الطليعة ـ حتى في وقت عبد الناصر ؟

□ عبد الله ـ آه وفي وقت عبد الناصر وعبد الناصر كان عايز يتخلص منها .

■ الطليعة ـ ما هي هذه الطبقات ؟

□ عبد الله ـ الطبقات اللي هي فعلا تأثرت بالتاميم او الاصلاح الزراعي والناس دى تكاتفت مع بعضها وانجر وياها ـ واخد بالك سيادتك ـ انجر مع هد الطبقات طبقة تانية لها تطلعات ودى جت في التنظيم ويمكن هو عبد الناصر مكنش أمله واحنا حانتعرض هنا لموضوع التعريف السياسي بالنسبة للعامل والفلاح وعبد الناصر لما عرف العامل والفلاح في وسط طبقات المجتمع كان بينظر بنه لما يحط التعليم المتوسط مع الطبقة العاملة على اساس ان التعليم المتوسط يقود الطبقة العاملة الى مرحلة لغايةما ينضج فكرها ويعاد التعريف تاني فعلا للعامل والفلاح وده هو كان بيقول انه احنا حاننظر للميثاق أو حنناقش الميثاق بعد عشر سنين عشان خاطر يكون في الوقت ده ان الطبقة العملة تؤهل لان يعاد التعريف بالنسبة لها فاحنا فعلا في حاجة النهاردة في حاجة ماسة لاعادة التعريف بالنسبة للعامل والفلاح ونعرف العامل والفلاح التعريف الحقيقي يعني مش اى كلام .

■ الطليعة ـ ليه هو دلوقت تعريف العامل ايه ؟

□ عبد الله ـ لا هو حاليا تعريف العامل بالنسبة للعامل ان المؤهلات المتوسطة من ضمن العمال ، اللي حاصل على مؤهل عالي وهو بيشتغل مع العمال يبقى عمل اللي ابوه عامل حتى وهو برضه في طبقه تانية يعني عامل ولو ان هنا برضه ان احنا مش عايزين نوجد صراع احنا كعمال مش عايزين نوجد صراع موجود حتى في داخل الطبقات التانيه لان مفيش شك ان فيه مثقفين حقيقه احرار وبيدافعوا عن العمال ولكن يعني أقليه .

■ الطليعة ـ طيب انت بتعرفهم أزاى ؟

□ عبد الله ـ هو من خلال احتكاكاتنا حتى في داخل العمل ـ واخد بالك سيدتك ـ ان أنا ممكن باحتك بواحد معاه مؤهل عالي او مش من طبقتي فعلا لكن من احتكاكاتي ومن حكمي على تصرفاته فبلاقيه يعني هو فعلا رايه تقدمي وعايز فعلا يرتفع وتقدمي .

■ الطليعة ـ يعني ايه تقدمي ؟

□ عبد الله ـ يعني مهواش عايز القهر والظلم الاجتماعي بالنسبة للطبقه اللي هي بتنتج فعلا ومحروقه في عملية الانتاج ، وهناك العاطلين اللي لا بينتجوا ولا شيء وقاعدين وهايصين هم اللي بيكلوا انتاج هذه الطبقة وهذه الطبقة هي اللي بتنتج . الطبقة المنتجة يعني اذا كان فيه قيادة سياسية وطنية مخلصة لمصر فيجب انها تعيد حساباتها تاني لان يعني اذا كان بيقال ان احنا عايزين السلام الاجتماعي مابين الطبقات فانا

بأعتقد يعنى ان السلام الاجتماعى يعنى بيــن الطبقات مش أى كلام يعنى .

■ **الطبيعة** ـ يعنى ايه ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى مش كلام وخلاص انتقل من حيز الكلام الى حيز التنفيذ يعنى ماتتكلمش ما تقوليش وتملا لى الدنيا كلام وانا انتظر التقريب ما بين العالى والواطى عشان يبقى فيه سلام اجتماعى واذا استمر الوضع على هذا ويمكن انا بيهيا لى يعنى ان اذا استمر الوضع على كده أحنا حانوصل للمرحلة اللى يمكن احنا بنخاف منها يعنى أو اللى احنا بنعمل حسابها وده لا هو فى صالح الطبقة العاملة ولا هو فى صالح الطبقات الاخرى سواء كانت رأسمالية أو سلطة حكم حتى ، هذا الكلام مهواش فى مصالح كل الناس يعنى مثلا اناحاقلك فلنفرض واحد فاتح مصنع قطاع خاص والظلم الاجتماعى ده موجود هل من صــــالح العمالة الموجودة عنده ، طيب واذا تصــــادم مع العمالة الموجودة عنده ايه اللى حايحدث طيب ماذا سيحدث ؟ المصنع حايضيع وهذا بيؤثر علــى اقتصاد البلد طيب لما تتحل المشكلة دى حانحافظ على مصلحة الراجل اللى هــو صاحب مصــــنع القطاع الخاص وحايفضل مصنعه مــوجود وحايعيش برضه ونفس الناس اللى هى بتنتج تعيش يعنى وعلى قد ما بتدى يجب انك انت تاخد

■ **الطليعة** ـ فى كلامك حسيت انك بتعتبر ان اللى بياخد شهادة عالية بتعتبر انه خرج من الطبقة العاملة

□ **عبد الله** ـ مش كله يعنى هو يمكن فيه شواذ ، فيه شواذ فعلا يمكن حتى بلاش انه بيخرج عن الطبقه حتى اللى هو أبوه منها ده يمكن بيخرج على أهله وده يمكن فى حياتنا بنلاقى الصور دى بنلاقى واحد وصل لتعليم عالى وأبوه يعنى اللى كان بيشتغل فى الغيط بيتنكر لاهله عشـــان انه اصبح من وسط تانى .

■ **الطليعة** ـ هل بتعتقد ان أخوك مثلا خرج من طبقته ؟

□ **عبد الله** ـ آه فعلا ويمكن فى مناقشاتى معاه فى بعض الاحيان يمكن ان احنا بنتصادم فعلا بنتصادم حول الاوضاع يعنى .

■ **الطليعة** ـ نتيجه ايه ؟

□ **عبد الله** ـ نتيجه انه بقى مثلا رئيس قسم سيارات فى مدرسة درجة مش عارف ايه فيعنى يمكن هذه الطبقة هده الناس هى عايزة تحرم الاخرين يعنى عايز يخلى الفراش زى ما هو بعشره جنيه عشان يمكن هم تفكيرهم مش واصل للحتة دى لكن اللى بيخطط فوق للمستويات دى هو فعلا مى مخه كده لان ده لما يفضل ياخد عشره جنيــه حاتفضل الحياة مرفهة له لكن ده اذا اخــذ خمستاشر وخد عشرين حيزحمه فى السـلع الاستهلاكية هو عايز يبقى له هو وبس الفقير حياكل بيضة انما هو عايز ياكل فراخ وديك رومى .

■ **الطليعة** ـ طيب اذا مكنتش موافق علــى التعريف الحالى للعمال .. تحب التعريف يبقى ايه ؟

□ **عبد الله** ـ هو انا عايز اقول لسيادتك هو برضه احنا حانتعرض برضه لموضوع . والموضوع ده ان عبـــد النـــاصر كان ابتدى يعمل مدارس سياسية للطبقة العاملة وتدريب سياسى التدريب السياسى ده كان اتعمل لاجل يؤهل الطبقة العاملة ويبقى فيها كوادر تستطيع انها تقود الطبقة العاملة بمفهوم سياسى حتى انها ايه تبقى تخطط لمصلحتها فطبعا لما يعمس لو كانت اتعملت فعلا يمكن حصل تدريب لمجموعة كبيرة . أما عن التعريف السياسى الحقيقى اللى هو للعامل والفلاح حتى ان العامل يشارك مشاركه حقيقية فى التنظيمات السياسية والشعبية ويقول الموجود ايه فالفلاح اللى هـــو بيزرع الارض اللى محروق دمه هناك ييجى هنا مجلس الشعب وييجى اللجنة المركزية يقـول ايه الموجود والمطلوب الاتى . ان الفلاح هو لا يمكن ان بدون زيادة ملكيته اكثر من خمس فدادين حتى يمكن خمس فدادين يبقى كثير لان حاتلاقى اغلب فلاحين مصر اللى بيملكوا ت قراريط واللى نص فدان يعنى ربع فدان أو نص فدان لكن لما بنقول خمس فدادين يعنى حتى يمكن حاجة كبيرة كمان حتى انه يقدر يقول ايه الموجود فى الارض .. ايه الموجود فى الجمعية التعاونية لانه حايبقى متعامل معى زيى زيه لكن لما تبقى أزيد من كده .

■ **الطليعة** ـ يملك بس أو بالايجار ؟

□ **عبد الله** ـ المهم ما تزيدش الارض اللى بيزرعها عن خمس فدادين ويكون حرفته الزراعة كمان .

■ **الطليعة** ـ الارض اللى بيزرعها ؟

□ **عبد الله** ـ الارض اللى بيزرعهـــا يعنى ماتلاقيش واحد مدرس فى القرى بيمثل فلاح لان وفقا للتعريف الحالى حتلاقى واحد مدرس فى مجلس الشعب بيمثل الفلاحين لان التعريف بيحطه من ضمن الطبقة العاملة

■ **الطليعة** ـ والعامل ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى برضه عشان خاطر ان احنا يعنى نكون منصفين ان العامل اللى بيشتغل فعلا على الالة ومايكونش أبدا له صلة اطلاقـــا بناحيه الاشرافية .

■ **الطليعة** ـ ايه الناحية الاشرافية ؟

□ **عبد الله** ـ لا ادارة لا كتبة ولا ناس من حتى اللى بيديروا العمل وان كانوا عمال حتى .. دول يخرجوا من التعريف خالص يعنى مش يخرجوا من التعريف عشان خاطر يخرجوا من الطبقة لا ده عشان خاطر اننى أوصل بس الاحساس الموجود تحت لانه هو فعلا اللى هو بيدير العملية الاشرافية لغاية رئيس وردية ما هم دول معايا لكن أنا عايز أطلع اللى هو فعلا على الالة فوق لكى يشارك فى القرار لكن دول ما يخرجوش من الطبقة العاملة بس مايبقاش لهم الحق فى انهم يمثلوا العمال أبدا .

■ **الطليعة** ـ يعنى انت بتفرق بين حاجتين انت بتثير موضوع مهم بتفرق بين عضوية الطبقة العاملة اللى يجب أن تتسع لكل من يعمل وبين العامل بالمعنى السياسى فى المشاركة السياسية فى الاجهزة وصنع القرار .

طيب انت بتعتبر ممثلى العمال فى مجلس الشعب مش عمال ؟

□ **عبد الله** ـ هو يمكن احنا فى الشركة اللى احنا فيها يعنى معقولة شوية وده بيبلور الفكر من ظهر الناس بتوع الشركة انها عايزة تغير من وضعها من نفسها فابتدت الناس عايزة تغير فتغير ازاى «تتخلص من كل ما يعوق حركتها وابتدت هذه الظاهرة موجودة فى الشركة كل ما تيجى القيادة اللى هى بتعوق حركة الناس فعلا وبيلاقوها قيادة غير صادقة فالعمال فى شركتنا بيتخلصوا من هذه القيادة ولو ان هذه القيادات الادارة بتقف وراهم بكل اصرار وبتعمل المستحيل لدرجة ان يمكن خامات الشركة بتستخدم استخدام فى منتهى السوء لصالح هذه الناس عشان تيجى فى القيادات اعلانات بقطع قماش ومش عارف ايه ويستخدم الالوان بتاعت الطباعة وعربيات وبتسهر ناس اضافى وناس مأموريات وناس مش عارف ايه عشان خاطر يتكتلوا وراء هذه الناس اللى هم سند لهم فتبص تلاقيهم برضه فى النهاية ان احنا فعلا بنتغلب عليهم لكن ماتخدش دى نموذج سيادتك لعمال مصر

■ **الطليعة** ـ انت بتقول العامل اللى يتمثل من يعمل على الماكينة فقط مش فيه عمال آخرين بيقوموا بأعمال أخرى .

□ **عبد الله** ـ لا هو انا بأقول ايه .. حانقول ان العمال اللى بيشتغلوا عموما فى كل شركة هى اللى بتشتغل على مكن لكن هو مثلا لما آجى هنا حتى فى مؤسسة زى الاهرام فيها سعاه فيها فراشين فيها الكلام ده هل حاخرج دول من العمال لا ماخرجهمش من العمال ويجب ان اللى بيمثل فيهم فى لجنة الوحدة هم منهم والتعريف بالنسبة لهم أيضا .

■ **الطليعة** ـ انت عايز العامل اللى يتصل بالادارة يكون ممثل للعمال سياسيا .

□ **عبد الله** ـ المهم هو ألا يكون مشارك فى رئاسة سلطة على العمال لانه حيبقى متأثر بالادارة لانه أنا عايز أقول ايه لسيادتك يعنى هو رئيس الوردية يتطلع انه يبقى رئيس قسم واخد بال سيادتك .

■ **الطليعة** ـ طيب ورئيس القسم بتعتبره ايه عامل ؟

□ **عبد الله** ـ ما هو موجود فى التعريف الحالى عامل .

■ **الطليعة** ـ انت بتعتبره عامل ؟

□ **عبد الله** ـ لا .

■ **الطليعة** ـ بالنسبة للطبقة ؟

□ **عبد الله** ـ بالنسبة للطبقة ما هو عشان خاطر تطلعاته عايز أعزله بعيد عن الطبقة لان تطلعاته أصل هو بيتطلع لحاجة تانية ويبقى مش ممكن حايعبر عن رأيى هو اللى

■ **الطليعة** ـ انت معندكش تطلعات ؟

□ **عبد الله** ـ انا عايز اقول ايه .. تطلعاتى يعنى هنا بحكم شخصيتى يعنى تطلعاتى انا يمكن لنفسى انا باتمنى انها تكون للطبقة اللى موجود فيها أنا يعنى ككل احنا كعمال يعنى فعلا شعورنا احنا كلنا يمكن احنا بنتطلع فعلا ولو ان فيه شواذ ، يعنى كل طبقة فيها شواذ وفيها ناس مخلصة .. ومش حانقول ان المثقفين كلها يعنى الرجعية ومش حانقول ان الرأسمالية كلها رجعية .. لا لكن هذه الشواذ فى كل طبقة ايه ؟ يعنى الشواذ بالنسبة للطبقة العاملة حتلاقيهم أقلية .. حانيجى للرأسمالية حانشوف الرأسمالية الوطنية اللى بيقولوا عليها وطنية .. الكويسين فيها ايه .. تلاقيهم قلة .

■ **الطليعة** ـ انت مابتقولش عليها وطنية .

□ **عبد الله** ـ أيوه احنا مابننكرش عليها وطنيتها علشان هى من مصر بس .. لكن لما تشوف سلوكهم ماتصدقشى أنهم من مصر .

■ **الطليعة** ـ ازاى بيعملوا ايه فى سلوكهم

□ **عبد الله** ـ سلوكهم سلوك استغلالى يعنى

■ **الطليعة** ـ ايه الاستغلال ؟

□ **عبد الله** ـ حانتعرض هنا للاستعمار طيب الاستعمار .. أى دولة بتستعمر دولة بتستعمرها ليه يعنى .. أيه الفرق ما بين الاستغلالى بالنسبة لبلدى ..

■ **الطليعة** ـ ايه اللى بتقصده لما بتقول سلوك استغلالى .. تقصد ايه بالضبط ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى مثلا .. حتى لما تمسك حتى فى الرأسمالية لأدنى مستوى اللى بيبيع

ترمس ما هو حاتلاقيه ميجيب كيلو الترمس مش عارف ايه .

■ الطليعة – هو اللى بيبيع الترمس ده استغلالى ؟

□ عبد الله – هى سلوكيات الراسمالية كده .. احنا عايزين نتخلص من هذا ..

■ الطليعة – ماذا تقصده من الاستغلال ؟

□ عبد الله – اللى انا باقصده من الاستغلال ايه ان آنا بابص الاقيه فى سلوكيات حتى بيعه .. حتى اذا كان رأسمالى بيبيع .. فى سلوكياته بيستغل .. عايز يبقى ياخد كثير .. ما فيش قناعة .. فى سلوكيات صاحب المصنع اللى هو بينتج عايز يشغل بأدنى أجر ويبيع بأغلى علشان يبقى فيه مكسب وربح كبير .. كل هذا الكلام يعنى احنا بنتمنى أن يبقى ما فيش اطلاقا فى مصر وحاقول الكلمة دى دلوقت علشا ن خاطر اسجلها برضه واحنا بنتمنى ما يكونش فى مصر اطلاقا قطاع خاص لان لو ما بقاش فى مصر قطاع خاص حايتصلح القطاع العام وحاتبقى مصر فعلا .. وعبد الناصر قال ان حتمية الحل الاشتراكى .. نفرض الحتمية فى مجتمع مصر ازاى ..

■ الطليعة – الا يمكن اصلاح مصر لو كلها بقت قطاع خاص ؟

□ عبد الله – لا مش ممكن .

■ الطليعة – وهل مش ممكن أن يتزاوج القطاع الخاص والقطاع العام ويعيشوا سوا مع بعض ..

□ عبد الله – مش ممكن .. طيب أنا باقول لك ايه يعنى .. مثلا فى حالة التسيب الموجود وعدم فاعليه الرقابة مش ممكن يتعايشوا مع بعض .. يعنى حانيجى هنا مثلا بالنسبة حتى للجمعيات الاستهلاكيه ما هى قطاع عام جاء منها جزارين وبقالين وبتاع دجاجات زى كده .. قطاع خاص طيب ما هى السلعة موجودة فى الجمعية الاستهلاكيه بتتسحب من الجمعية الاستهلاكية وتخش القطاع الخاص بتاع المحلات واذا ما كانش عنده .. اذا كان خايف من مباحث التموين وما لهوش صلة بيهم وحاجات زى كده ما يوديها الشقق ويهربها ويبيعها بأسعار مضاعفة .. ودى معاناتنا .. طيب اللى يحكم الجمعية الاستهلاكية حتى انها تقوم بدورها الفعال وانها ماتبقاش فيها الكلام ده .. مين يحكمها .. ما احنا شايفين البياع عايز يستفيد .. مدير الجمعية نفسه ما هو مش عارف ايه طيب مين اللى حايحكم هذا الكلام ، اما ما يتوجدش بجوارها قطاع خاص نهائيا يا أما تتحقق الرقابه وخصوصا الرقابة الشعبيه وليس من مباحث التموين .. مباحث التموين لا ضرورة لها ..

■ الطليعة – انت بدأت رحلتك فى الحيازة فلاح .. وبعدين هاجرت من القرية ورحت اشتغلت فى مدينة كعامل ورجعت ثانى الى القرية واشتغلت عامل تراحيل ثم تحولت من عامل تراحيل الى فلاح ثم رجعت مرة أخرى الى عامل .. أنت بتفضل ان تستمر فى مستقبل حياتك كعامل أولا تعود الى القريه كعامل او كفلاح مرة أخرى ؟

□ عبد الله – هو يمكن برضه نظرا لانى مثلا أنا ماطلتش فرصتى فى الحياة علشان خاطر ان انا اتعلم .. أو ان أكون شىء فى المجتمع أعيش واخدم المجتمع فانا يمكن لى تطلع ان أعلم اولادى او ان اجاهد ان انا اخليهم يبقوا كويسين ويمكن الحياة فى المدينة لماعة قوى والناس بتعتقد انها أحسن من الارياف لكن فى الحقيقة لما ها تعيش مع النـــاس بتوع الارياف وســلوكياتهم هـــاتحس براحة .. تلاقى ناس صادقة .. ناس بتتضامن مع بعضها وحاجات زى كده .. غير المجتمع بتاع المدينة .. فياريت ان أنا أروح بلدنا الاقى نفسى ان أنا استطيع أن أحقق بامكانياتى البسيطة دى لان أنا عايز أقدم للبلد ناس وخصوصا بلدنا الثروة بتاعة البنى آدميين أو الثروة البشرية هى ثروة كبيرة يجب الحفاظ عليها سواء كان من أصغر واحد الى أكبر واحد يجب أن يعتنى بتربية أولاده حتى انهم يخدموا المجتمع فعلا ويتطور للناحية اللى احنا عايزينها .. فياريت ان أنا تبقى كل الوسائل اللى أنا أقدر أعملها لابنائى فى المدينة يبقى أعملها فى الارياف .. أفضل هنـــاك أحسن ..

■ الطليعة – يعنى انت متصور انه بعد ١٥ سنة من العمل فى الجزء الاخير من حياتك كعامل نسيج فى حلوان شايف مستقبلك فى صـــناعة النسيج وباستمرار .. تستمر فيها أو بتأمل انك تعود الى القرية ويكون عندك فدانين ثلاثة .. هل تفضل العودة الى القرية ؟

□ عبد الله – آه .

■ الطليعة – بكام فدان .. ؟

□ عبد الله – بفدانين اثنين بس .

■ الطليعة – وتترك الصناعة ؟

□ عبد الله – وأترك الصناعة أنا عايز أقول ان صناعة الغزل والنسيج بالذات ودى قضية كبيرة عايزين نتعرض لها فى البلد .

■ الطليعة – هل انت عايز تخرج من طبقة العمال الى طبقة الفلاحين ؟

□ عبد الله – ما هم دول زى دول .. الموضوع مش موضوع طبقة العمال وطبقة الفلاحين .. المفروض تصحيح للوضعين وأصل اللى بتقوله سيادتك دلوقت مش ممكن يتحقق فى القرية ده بعملية حسابية صغيرة مش ممكن يتحقق فى القرية

ان أنا أرجع والاقى هناك فدانين .. طيب مالنا بروح القرية أنا لى اثنين اخوات الست بتاعتى بيزرعوا فى فدان ونص .. اثنين رجالة متزوجين ومخلفين ومعاهم عيال بيزرعوا فى فدان واحد ونص .. تقول لى أنا تحقق لى فدانين .. تحققه ازاى ..

■ **الطليعة** – هل انت بتعتبر اللى عنده فدانين فى القرية أحسن حالا منك ؟

□ **عبد الله** – أيوه .. ومستقبله مؤمن أكثر بس احنا عايزين تطور المجتمع أنا هارجع هناك ومعايا الفدانين ماهو برضه هنا يمكن انت بتذكرنى بكلمة قالها الرئيس الراحل الله يرحمه انه كان حصل اجتماع بينه وما بين العرب اللى موجودين فى مرسى مطروح والحتت اللى هى فى الصحراء الغربية دى .. فسيادتك فكرتنى بالحتة دى دلوقت بيقولهم ايه .. أنا مش عايز تتركوا لاولادكم كل واحد مانيش عارف قد ايه قطيع من الغنم والجمال والارض قد ما أنا عايزكم تتركوهم متعلمين حتى انهم يعرفوا المجتمع اللى هم عايشين فيه وبيشاركوا فى تطويره .. هو يعنى ابن الفلاح اللى هناك اذا جاهد وماتحققتش له الوسائل انه يتعلم ما احنا بنرجع تخلف أكبر ، ايه اللى يمنع انه يكون متعلم وفلاح برضه .. مافيش مانع بس حقق له الوسيلة دى علشان يتعلم ويستمر ودى حتة كويسة فعلا قالها الرئيس الراحل ان فعلا الناس الواعية أو الناس المتعلمة هى الاهم .. ده التعليم ده قضية أخرى عايز يناقش على مستوى كبير حتى اننا نشوف اللى يطلع من المدرسة ده بيطلع ليه كده لا عنده ارتباط عايز له مكتب وكرسى ويقبض ماهية آخر الشهر ..

■ **الطليعة** – انت بترى لو عرض عليك فدانين فى القرية تترك حياة المدينة والمصنع وتعود الى القرية أفضل لك ؟

● **عبد الله** – أنا عايز أقولك ايه علشان أعود الى القرية ومعايا فدانين وأعيش العيشة اللى أنا عايزها وأخرج جهلة للبلد يعنى أنا بأتمنى ان ولادى يكونوا كويسين .. الامل .. أنا عايز أرجع البلد بس أعلم عيالى وأعلمهم بنى آدمين يصلحوا للمجتمع ماطلعهمش شوية بصمجية والفدانين بعد كده بيتفتفتوا بعد كده كم قيراط .. كل الكلام ده قضية كبيرة ..

■ **الطليعة** – نريد الان ان تناقش مشاكل حياتك اى ستناقش مشاكل حياتك فهل يمكن ان تتكلم عن أجرك وكيف تتصرف فيه

□ **عبد الله** – هو فى الحقيقة بالنسبة لهذا الموضوع يعنى صراحة كده ان لو وزير المالية اتحطت الميزانية بتاعتى يعنى المرتب الشهرى بتاعى فى يده سيقف عاجز ومش هيقدر يوزعها ازاى نعيش ولو وقف قصد امحمد اللى هى الست بتاعتى أنا يمكن هيحنى راسه ومش هيقدر يواجهها بوشه ويحط وشه فى وشها هيعجز ومش هيقدر يوزع الميزانية لكن فى الحقيقة بالنسبة للست أم محمد يمكن لو استاذ نفسانى شاف او حس بما يدور جوه منها يمكن يقول الست دى ازاى متحملة اللى بيدور فى نفسها ومحصلهاش حاجة فعندما تذهب الى سوق الخضار تلاقى فيه قوطه بعشرة صاغ وفيه بواقى قوطه اللى هى الحاجات المعطنة المعفنة فعندما تأتى عند بياع القوطة لشراء احتياجاتها تجد الستات بتوع الطبقة المتوسطة واقفين بيشترو من القوطه ديه وطبعا الطبقات التانية مش بتنزل السوق لكن اللى بيشوفوها من ابناء الطبقة المتوسطة واللى فى ايدهم يشتروا القوطة السليمة فعندما يشوفوا ام محمد وهى بتشترى القوطه المعطبه فربما يفكروا انها واخداها للفراخ ولكن عندما يبصوا فى السبت بتاعها ميلقوش غير الخضار ومفيش قوطه فى السبت من السليمه فيتصعبوا عليها ويمصمصوا بشايفهم ازاى الست ديه تأخذ هذه الحاجة وهتعمل بيها ايه فيفهموا انها هتطبخ بيها . فى الحقيقة ان أم محمد تحاول تهرب من نظرات الناس لها ومى الحقيقة انا باخشى عليها ان تنفجر فيهم وتقول لهم ان موقفكم موقف سلبى، شوفوا ايه العمل الايجابى اللى يحل مشكلتى لانى أنا جوزى منتج مش هو عاطل ده بيشتغل فى شركة بيشتغل عامل انتاج .

فأخشى ايضا ان الطبقات المتوسطة تفكر ان أم محمد توجه لهم اهانات ومفيهموهاش فيمكن يقتلوها فى السوق .

وهمه مش فاهمين ايه قصدها او أيه هى اللى عاوزاه منهم ان مفيش داعى للموقف السلبى ده يجب انكم تأخذوا موقف ايجابى لحل المشكلة بتاعت أم محمد حتى انها تعيش على أساس انها زوجة راجل منتج وهى كمان منتجة فى المجتمع مهياش عاطلة لانها بتربى جيل فهى بتبذل اقصى جهدها ممكن حتى انها تخلى عيالها ميحسوش بالمعاناة أو أنا محسش بالمعاناة اللى هى بتعانيها .

■ **الطليعة** – انتم بتوزعوا الاجر بتاعكم ازاى ؟

□ **عبد الله** – احنا بنشترى دقيق على اساس انها تخبز لاننا لو اشترينا عيش من السوق اى عيش من الموجود فى السوق فتجد الخبز اوفر لها فتجيب بحوالى ٢ر٥ جنيه دقيق وبعدين يأتى التموين .

■ **الطليعة** – التموين بكام ؟

□ **عبد الله** - بحوالى ٢ جنيه وخمسين قرش علشـــان خاطر الارز والســـكر والشـــاى والزيت . بعـــد الدقيق والحاجات ديه تشـــوف بالنسبة للعيال هيحتاجوا كد ايه وهمه رايحين المدرسة .

■ **الطليعة** - كام عيل بيروح المدرسة ؟

□ **عبد الله** - ابتسام ومحمد - ابتسام فى سنة خامسة ابتدائى ومحمد فى سنة ثالثة ابتدائى . فتعطى لكل عيل قرش . لدرجة ان محمد وابتسام بيوفروا من القرش اللى بياخدوه كل واحد تعريفة من اول الدراسة علشان فى مناسبة زى مناسبة عيد الام يقدموا لامهم حاجة ويمكن يقدموا ليه أنا حاجة كمان وهذا حصل بالفعل انهم جابوا لامهم شبشب بلاستك بتاع باتا وانا اشتروا لى محفظة يعنى تحس ان فيه ترابط وده راجع للست أم محمد . ويمكن لما بتشوف بالنسبة لموضوع الفاكهة فتجد مش فى متناول ايدنا موضوع الفاكهة ده - لكن اللى بيحصل ايه مهياش برضه قادرة تحرم اولادها لما بيقولوا لها ياماما احنا عاوزين بـرتقال النهاردة .

الدخل بتاعها مش ممكن حيخليها تجيب حتى البرتقال ابو ٥ صاغ و٧ صاغ . فجوار البرتقال ابو ٥ صاغ وابو ٧ صاغ برتقال اخر جزء منه تالف أو مكسور فهذا هو اللى فى متناول ايدها يعنى بقرشين صاغ او بخمسة تعريفة .

وعلشان ماتحسسش أولادها انها بتأكلهم حاجة تاسه وعلشان تحافظ على اولادها فتقول علشان اجهز الاكل بتاع ابوكم انزلوا العبوا فى الشارع شويه ولما يحضر ابوكم نأكل كلنا مع بعض وبعد متعمل الاكل تحضر البرتقال وتتخلص من الجـــزء التالف اللى فيه وتقشره بحيث تقدمه بصورة كويسة لاولادها علشان تقدمه بصورة تقبلهـا النفس . يعنى دى الصور اللى احنا عايشنها . اما اللحمة فدى حاجة محرمة علينا مش فى متناول ايدنا اطلاقا .

■ **الطليعة** - مرة فى الشهر مرتين ثلاثة

□ **عبد الله** - احنا نبقى كويسين لو اكلنا لحمة مرة كل شهرين يعنى لما تأتى مناسبات أو اذا كانت تربى لها فرخة .

■ **الطليعه** - مفيش بديل للحمة ؟ .

□ **عبد الله** - مفيش غير عدس او الفول اللى بيجى مع التموين ده اللى بيكون موجود .

■ **الطليعة** - مفيش بديل من اللحمة ؟

□ **عبد الله** - يعنى بيض سمك بقول لسيادتكم ان دى مش فى متناول ايدينا . البيضة بتشتريها بكام البيضة فى السوق النهارده بثلاثه صـــاغ ونصف او اربعة صاغ مش ممكن .

■ **الطليعة** - مواسير عظم يعنى حاجة تعمل مرته ؟

□ **عبد الله** - يمكن لو جبنا الحاجة دى آجى من سوق ورن المدبح واشوف لكن على العموم مبيحصلش واذا كان فيه قرشين من اللــى بيدخروهم اولادها بتجيب نفكوبن وتربيهم وعندما يكبروا يدبح لنا واحد منهم واذا اتعذرت فى وقت من الاوقات يعنى الميرايه مش مكفيه او حصل ان فيه ناس حصروا ت من البلد يعنى هربد عليها المصاريف يبيع واحد منهم علشـــان تظهر حتى قدام اهلها بمظهر اللى هوه ميحسسهمش انها تعبانه لان همه كمان مش فى متناولهم يساعدوها لانى انا ذكرت قبل كـــده لهـا أخين منـــجوزين ومخلفين وبيزرعوا فى فدان ونصف . طيب الفدان ونصف يعملوا ايه لراجلين منجوزين ومخلفين ويمكن انتم سالونى لو عرضنا عليك ثلاث فدادين - ترجـــع البلد ؟ فين الثلاث فـــدادين دول ؟ هو مين الكلام ده - احنا عاوزين نشوف ايه المطلوب لمصر يتعمل علشان خاطر تتقدم .

■ **الطليعة** - انت كنت قلت ان امنيتك ترجع الريف ثانى ؟

□ **عبد الله** - يعنى ارجع على اساس ايه - موضوع انى ارجع فى الريف اسمدن بنع ىر حيل ستكون عيشة اسوأ من العيشة اللى انا فيها .

وانتم فلمم لو بديث ١ فدادين هى فين الثلاث فدادين فقبل منقول لى انا اديلك ثلاث فدادين متشوف اللى هنات وعلشان خاطر ترجعنا تانى لريف ونقول لى ثلاث فدادين حتى ان وجدوا هل المطلوب انى ارجع واطلع الخمسة اولادى دول جهه لعدم وجود امكانيات تعليم

■ **الطليعة** - السؤال كان هل تفضل الاستمرار فى عامل صناعى او تفضل حياة الريف ؟

□ **عبد الله** - افضل الارتقاء

■ **الطليعة** - بالنسبة للملابس ازاى بتصرفوا ؟

□ **عبد الله** - عندنا جمعية تعاونية خاصة بعمال الشركة بتعطيها بمرتب شهر على اساس انه يتخصم على ١٠ شهور فالحاجة اللى فى متناول ايدنا - يمكن عاوز اقول لسيادتك فى الايام بتاعت الكستور بجيب حصتنا من الكستور من الجمعية على اساس يدوب للواحد غيار أو غيـارين ويلبسوها صيف وشتاء .

القضية ان اللى فى متناول ايدنا ان احنا نجيبه ده الموجود ومنقدرش نجيب غير كده فما دام منقدرش نجيب غير كده فلازم نعيش كده وطيب وبعدين العيشة ديه هى فى مصلحة السلطة فى مصر ن أكبر قطاع من الشعب الذى يمثل ٨٠ فى المائه من الشعب المصرى سواء أكان عمال أو

فلاحين أو عمال زراعيين أو تراحيل أو عمال موسميين .

هل من مصلحة السلطة أن تسيب هذه الطبقة مطحونة لصالح مجموعة صغيرة لصالح العشرين فى المائة الباقية فى المجتمع . انهم يمتصوا دمها وهمه قاعدين عاطلين مش منتجين ودول همه المنتجين اذا كان لصالح السلطة الموجودة فى مصر هذا الكلام فخلاص فاذا كانت هى القوة ديه اللى هى تقدر تساند الحكومة على استمرارها خليها معاها . أما اذا كان لمصلحة السلطة انها تنتمى للطبقة الكبيرة فى الشعب خوفا من انها تنفجر يعنى تدور على مصلحتها وتراعيها وتشوف ازاى تتعالج المشاكل ديه مش العلاج مثلا اننى أوفر لواحدعربية نصر ١٢٨ ، ١٢٥ وتبقى دى المشكلة الموجودة فى البلد ده يمكن وأنا جاى دلوقتى وأنا طالع معدى من على كوبرى التحرير المنظر بتاع العربيات فكرنى من كثرة العربيات الموجودة فيه فكرنى بالترعة ،الشارع زى الترعة لما بتجرى فيها الميه مبتنقطعش منها ، العربيات برضة مبتنقطعش من الشارع — هل وجود العربيات بالكثرة ديه يدل على أن فيه فقر فى مصر — قطعا لما أى واحد يقول الكلام ده ان مصر اقتصادها تعبان اقول له لا انت كداب فى الموضــوع ده لانه لو الاقتصاد تعبان فعلا مكنش يبقى فيه الحاجات ديه — لكن هو الموجود ايه — الموجود بيتخيل لى أن السلطة مش قادرة تأخذ الموقف اللى هـوه يصحح .

■ **الطليعة** — هل عندك كهرباء فى البيت ؟

□ **عبد الله** — أيوه لاننى ساكن فى المساكن الاقتصادية .

■ **الطليعة** — بتدفع ثمن التيار ؟

□ **عبد الله** — أيوه بدفع السـكن لوحــده والكهرباء لوحدها .

■ **الطليعة** — حوالى كام ؟

□ **عبد الله** — حوالى ٢٠ قرش أو ثلاثين قرش فى هذه الحدود .

■ **الطليعة** — والسكن ٢ جنيه .

● **عبد الله** — أيوه السكن ٢ جنيه .

■ **الطليعة** — واستهلاك المياه هل بتدفعها ؟

□ **عبد الله** — مضافة للسكن — يعنى ايه — فى المساكن الاقتصادية أنها بتضيف على كل حجرة ٢٠ قرش ميه يعنى الحجرتين ٤٠ قرش ميه فى الشهر لانه مش متركب عدادات ودى طبعا عملية من الناحية العملية حنلاقى بيحصل حاجات مش كويسة لصالح البلد فيمكن يكون عندى جلده بايظة فأنا بدفع عشرين قرش سواء اكانت الحنفية سليمة او مش سليمه مفتوحة على طول او مش مفتوحة أنا بدفع عشرين قرش وخلاص ولكن اذا كان هناك عدادات حتضبط عملية استهلاك الميه زى استهلاك الكهرباء .

دى الحياه اللى احنا بنعيشها وحقيقة لا يمكن أبدا ان توصف بان فيها نوع ولو ادنى نوع من الكرامة . وكرامة الانسان لا تهدر فى المعتقلات أو السجون بس — يعنى اذا كنا بننظر لموضوع الحريات فنجدأن الديمقراطية بتقول عليها شقين شق سياسى وشق اجتماعى ويمكن الاجتماعى بيكون اهم من السياسى لان الجعان عاوز يأكل بس عاوز يدور على الاكل فاذا كنا عاوزين نشركه فى السياسة لازم نوفر له الحياة الكريمة والا مفيش داعى للضحك ونقول ديمقراطية الشعب نقول ديمقراطية لطبقة دون الاخرى .

■ **الطليعة** — هل عليك أقساط ؟

□ **عبد الله** — عندى قسط البنك ، قسط مدارس ، قسط للجمعية التعاونية والسكن بيتخصم طبعا من الشركة فأحيانا باشتغل ساعات اضافية ولكن مبتغطيش الخصومات كلها .

■ **الطليعة** — كم دخلك من الساعات الاضافية فى الشهر ؟

□ **عبد الله** — الساعات الاضافية بتجيب حوالى ٤ جنيه أو ٥ جنيه .

■ **الطليعة** — وماذا عن الارباح ؟

● **عبد الله** — هو يمكن ببص نلاقى نفسنا جت مناسبه وده طبعا من الحياة الضنك اللى عايشين فيها عمال النسيج ، وعمال النسيج يمكن بيمثلوا مشكلة كبيرة جدا فى مصر ومشكله يمكن وطنية أكثر من ان هى اجتماعية .

فمثلا فى المناسبات زى العيد الصغير او العيد الكبير فنأخذ عشر أيام سلفة من الارباح . علشان نواجه المناسبة فعندما يأتى الوقت بتاع توزيع الارباح نطلع بأى كلام اللى بيأخذ ١٥٠ قرش أو ٢ جنيه أو ٤ جنيه أى كلام .

■ **الطليعة** — لكن اجمالى الارباح تبلغ كام تقريبا ؟

□ **عبد الله** — هى الارباح فى السنة — بالنسبة القطاع الكبير من الناس بياخذ حوالى ٧ جنيه أو عشرة جنيه ، وقلة اللى هى زى القلة الموجودة فى المجتمع يعنى بتأخذ وهى يمكن مبتلعبش دور فى الانتاج ولا حاجة اللى بتلعبه انها بتروح شارع الهرم ، الناس اللى عايشين على دمنادول طبعا .

■ **الطليعة** — هل عندك راديوا وتليفزيون ؟

□ **عبدالله** — أيوه فيه عندى راديو .

■ **الطليعة** — كهرباء أو بطارية ؟

□ **عبد الله** — ترانزستور فيليبس اللى هو بعشرة جنيه ونصف وعندما اهتميت ان أجيب

راديو مش كان لغرض الترفيه ولكن كان الغرض الاساسى أقدر أشوف من خلال نشرات الاخبار حتى اذا استطعت أسمع أخبار العالم كله أسمعها من أى محطة والعيال طبعا بتحب تسمع ـ لكن هو أساسا كان علشان أشوف ايه اللى بيدور حولى ـ لان مش فى استطاعتى أن أشترى صحيفة يومية مثلا .

■ **الطليعة** ـ هل أولادك بيحبوا يشوفوا التليفزيون ؟

□ **عبد الله** ـ والله هذا الموضوع يمكن بيمثل مشكلة بالنسبة لى وكذلك الست لان فيه ناس جايبه تليفزيون ولكن أنا مش قادر أحجز العيال على أن يشوفوا حاجة زى كده . فى حين اننى برضه يعنى أبقى عامل حساب العيال انهم رايحين عند فلان ربما ان يكون فلان متضرر منهم فبنعانى من هذا الموضوع ولكن أنا مش قادر أهى عيال . وفى بعض الاحيان آخذهم دار النقابة علشان يتفرجوا .

■ **الطليعة** ـ هل تذهبوا الى السينما ؟

□ **عبد الله** ـ سينما ايه بس خلينا فى الواقع اللى احنا عايشين فيه طيب من أين أروح السينما ؟

■ **الطليعة** ـ فيه عمال كثير بتروح السينما .

□ **عبد الله** ـ مش عمال متقلش عمال ، لان العمال القطاع الكبير منهامش ممكن يروح السينما .

■ **الطليعة** ـ لا فيه قطاع كبير من العمال بيروح السينما .

□ **عبد الله** ـ يمكن العمال اللى لسه متجوزوش ولكن الاسر اللى زينا هيروح السينما بايه . احنا بندور علشان نعيش بس علشان نأكل عيش وفول وطعميه وحتى مش عاوزين لحمه .

■ **الطليعة** ـ ماذا تقرأ ؟

□ **عبد الله** ـ بالنسبة لموضوع القراءة اننى ذكرت قبل كده اننى احب يبقى فيه علاقات بينى وبين ناس وصداقات ففيه صداقات بينى وبين ناس دخلها كويس بتشترى جرايد ومجلات فنقعد مع بعض شوية فى النقابة فمثلا مجلة زى الطليعة مثلا أو روزاليوسف او أى جريدة تكون قدام منى أستأذن صاحبها لو سمحت واشوف الموجود وأشوف الاتجاه وأشوف الحوار اللى بيدور فى البلد .

■ **الطليعة** ـ هل تقرأ الجرايد بانتظام ؟

□ **عبد الله** ـ لا مش بانتظام .

■ **الطليعة** ـ ما هو الجرنال الذى تفضل أن تقرأه ؟

□ **عبد الله** ـ فى الحقيقة ان الصحافة حاليا لا تمتع الانسان ولا تشده لمزيد من القراءة فمثلا تلاقى مواضيع آى كلام ـ يعنى مثلا فى الاسبوع اللى فات او من اسبوعين كنت بشوف تحقيق صحفى فى الاهرام بيصور حياة الاتحاد السوفيتى بتوع الفودكا والبيكارى فسخرت من هذا الصحفى لان كان يجب عليه بدلا من ان يصور لى الاتحاد السوفيتى ينزل يروح المناطق الموجودة حتى فى القاهرة عاصمة مصر يروح الاحياء الشعبية فيها ويصور صورة من المناطق دى ويعرض بجوار منها صورة من ملهى فى مصر أو يحط الاثنين بجوار بعض ويعرضهم على الراى العام .

■ **الطليعة** ـ الذى كتب التحقيق ده صحفى أمريكى كان عايش فى الاتحاد السوفيتى .

□ **عبدالله** ـ معلش بس الاجدر كصحافة فى مصر ـ يعنى مدورش على اللى بينشره بتاع أمريكا أنا بدور على انى عاوز أعالج قضية أساسا فى المجتمع بتاعى قبل ما ادور على بره . مفيش مانع انى ارتبط ببره لكن القضية الاساسية الموجودة فى المجتمع بتاعى أنا أبرزها بشكل وأعرضها على الراى العام بتاع البلد كقضية .. فهل تهيىء الراى العام فى مصر لمشكلة موجودة فى روسيا .

■ **الطليعة** ـ كم هو الحد الادنى للاجر الذى ترى انه بيكفيك انت واولادك ؟

□ **عبد الله** ـ أنا مش عاوز أقول حاجة ترهق الاقتصاد فى مصر لكن بالانصاف مطلوب ألا يقل الحد الادنى للاجور فى مصر عن ٣٠ جنيه مع تثبيت الاسعار يعنى مش تتساب كده علشان الطبقات اللى بتنتج تستطيع أنها تنتج لاننى علشان أشغل عامل على اله هينتج طيب هينتج ازاى اذا كان هو مبيخدش الحاجات اللى تخليه يقدر ينتج ـ يعنى مبيكلش مش عايش ، عايش فى دوامه قدام الاله بايه مهواش عارف هيصرف نفسه ازاى يمكن اسوأ يوم او ازفت يوم فى المصنع يوم القبض لانه عاوز يوزع القبض مش عارف هيوزعه ازاى متقبض تمشى الدنس فى المصنع بايهه . التنميه ده ينتج ازاى فالحد الادنى للاجر حقيقة اذا كنا عاوزين ننصف الطبقه العامله الا يقل عن ٣٠ جنيه مع تثبيت الاسعار ويتوضع حد للطبقات التانية اللى هى مجرت فى مصر حقيقة وهتتسبب فى كوارث فى مصر يتوضع حد لهذه الطبقات علشان خاطر ان الطبقات التانيه يعنى يتحد من جريانها . أنا قريت من مدة فى مجلة روزاليوسف ان فيه ملهى لفنانة كبيرة ايراده فى الليلة ٢٢ ألف جنيه ده عظيم جدا ممكن اننا نقفل المصانع ونفتح البلد كلها ملاهى علشان متجبلنا ايراد نعيش اذا كان

الملهى علشان خاطر الفجر الموجود والناس ديه مين اللى بيدحه هى الطبقه اللى بتنتج او الطبقة العالة على المجتمع هى اللى بتروح هناك واللى ماصة دم الناس هل المطلوب اننا نظل سايبين الملهى علشان خاطر العجز الموجود والناس ديه تترفه ـ طيب والطبقة الثانية لما بتقرا هذا الكلام اللى هى مش عارفة تعيش وبتقول ٢٢ ألف جنيه فى الليلة عظيم قوى ، هل الكلام اللى بيقال على أساس حل الصراع الطبقى سلميا . والكلام اللى بيتقال ده مش ممكن أبدا لازم هيتوجد الصراع آجلا او عاجلا طالما التناقضات ديه موجودة .

■ **الطليعة ـ** انت كعامل نسيج بالنسبة للقطاع العام هل ترى وضع عامل النسيج فى القطاع العام أفضل منه فى القطاع الخاص ؟

□ **عبد الله ـ** مفيش شك ان القطاع العام حمايه كبيرة جدا جدا للعاملين لكن المطلوب علشان يتحمى القطاع العام وينتج ويكون كويس مطلوب ان يكون فيه اهتمام وأنا ساتعرض لمشكله تخص قطاع الغزل والنسيج فى مصر والمشكلة تخص حوالى ٧٥ ألف عامل منتجين بيشتغلوا فى الانتاج وعاوزين نعرضها مع بعض من الناحية الوطنية ـ عشان لا يقال علينا ان احنا عاورين ناخد وناكل من الكلام ده لان الناس كلها بتبص لنا على أساس ان احنا عاوزين ناخد وذكل بس وان احنا مش وطنيين فى مصر وان الاقتصاد فى مصر مبيهمناش . لكن احنا عاوزين نعرضها وعاوز اى حد فى مصر اى حد ان كان يقول لى هذا الكلام خطأ . لما نبص للوائح العمال بتوع الانتاج اللى هم بيشتغلوا بالانتاج نلاقى ان هذه اللوائح موجودة من نظام رأسمالى لما أصبحت هذه الشركات قطاع عام بعد التأميم لم تتطور هذه اللوائح لما حصل فى سنة ١٩٦٤ وضع العاملين فى القطاع العام والحكومة على درجات فوضعوا عمال النسيج والغزل على درجات على التاسعة والعاشرة وجاء المشرع أو المشرعين كل واحد منهم بيقول فتوى ، لكن الاقوى بنفوذه هو لى بيكسب ، ففيه مشرعين قالوا ان عمال الانتاج فى ظل التشريع ده من حقها أن تأخذ علاوات دورية فجاء الجهاز المركزى للتنظيم والادارة قال ان عمال الغزل والنسيج مش من حقهم ان يأخدوا علاوات دورية لانهم بيشتغلوا بالانتاج أو بالقطعة وبالتسعيرة والتسعيرة وضعها الراسمالى طيب عاوز تسعيرة لنظام جديد ذى مخطيت للناس اللى هى بتشتغل على أجر ثابت متلا مؤهل كذا يأخذ كذا وعامل يومية يقبض كذا متسبش عامل الانتاج واقف فعرضنا تلك القضية بكل ما نستطيع ان نعرض لغاية ما وصلنا فى عام ١٩٧١ بأن عمال الانتاج تاخد علاوة دورية هنا اللعبة اللى بتحصل بالنسبة لعمال الانتاج فيه قانون بيقول ربط الاجر بالانتاج طيب ربط الاجر بالانتاج لمين لنا بس كعمال انتاج ولا المفروض ان الوحدة كلها الوحدة الاقتصادية مع بعضها متكاملة انها ترتبط مع بعضها بالانتاج يعنى أجرها يتربط بالانتاج هنا تبص تلقى شريحة لا تستطيع الادارة أن تحدث تعديل فى مرتباتها يعنى هو بيقول له ايه علشان تنتج لى كذا طن غزل وكذا طن نسيج يكون المقابل لهم كذا جنيه اجر ده على المستوى الكبير يعنى ، فمثلا الشركة اللى انا باعمل فيها حوالى ١٩ الف عامل تلاقى حوالى ٨ آلاف او ٩ آلاف بيشتغلوا بالانتاج والباقى بيشتغل باجر ثابت يومية أو شهريه فهنا لا تستطيع الادارة أن تعمل أى حاجة بالنسبة للناس اللى اجورها ثابتة اذا انخفض الانتاج عن الخطة الموضوعة لان الخطة مثلا ١٢ شهر تجيب كذا طن فبيقسمها على شهور الكذا شهر دول على أساس أن يبقى معادلة للاجر طيب اذا نقصت حاجة فى الخطة مين الذى يتأثر يبقى العجز على عامل الانتاج لان عامل الانتاج اجره طالع نازل لانه بيشتغل بالانتاج تروح تقول له ياعمى ان اجرى نقص الشهر ده يقول لك ان انتاجك كذا انتاجك ضعيف فى حين ان الشكل العام بيقول ربط الاجر بالانتاج هنا يحدث حاجة وعلشان خاطر أقول اننى باعرضها من الناحية الوطنية بيحدث حاجة ـ الحاجة دهيه فى منتهى الخطورة ـ ايه اللى بيحصل . اننى كعامل انتاج شايف نفسى آجى آخر السنة متوسطى انخفض مثلا من ٣ صاغ فى اليوم العلاوة الدورية جت لى ٣ صاغ ونصف يبقى أنا أخذت علاوة دورية تعريفه فى حين ان عامل اليومية أو الموظف له علاوة دورية جنيه أو جنيه ونصف أو ٢ جنيه أو ثلاثة جنيه يأخدها كاملة تضاف الى اجره لانه اجر ثابت على حسب الميزانية اللى اتوضعت اخر السنة بيقول أن احنا عندنا الميزانيه راح هاتدى علاوات كامله ، فالقطاع ده بياخد علاوة كاملة ولكن قطاع الانتاج مفيش واقف محلك سر فيحدث الاتى من يأس عمال الانتاج لهذا النظام تبص تجدهم باى وسيله وباى شكل يحاول يتهرب من منطقة العمل بالانتاج يهرب منها لاى قسم آخر بيشتغل باليومية حتى اذا لم يستفيد بان ياخد علاوته الدورية يستريح من وجع القلب اللى هو فيه لانه بيشتغل بطاقه مش معقولة يعنى فى حين ان الثانى ده يومية فاذا لم يستفيد ماديا يستريح من وجع القلب . من هنا نجد ان هذه الصناعة تتعرض لهزات أولا بتفقد الخبرات اللى بتفيد الانتاج ، بواسطة ، برشوة ، بمحسوبية بتمارض كل هذا

علشان يطلع من القرف اللى هو فيه بدون مقابل .

فالمطلوب لعمال الانتاج بالنسبة لصناعة الغزل والنسيج أن يوضع لهم أسلوب أو نظام يرتقى بالمهنة بحيث لا تفقد خبراتها وتحافظ على مستواها فى مصر ومتبقاش مهزلة يعنى تلاقى الانتاج بتاعنا يطلع أى كلام فى حين ان فيه تطور فى العالم لنفرض انك نزلت السوق ووجدت ديولين بسعر الكستور بتاع مصر لان فيه مرتبات بتدفع بدون مقابل لان عامل الخبرة اللى هو ممكن ينتج ويطلع حاجة نظيفة بينقرض من المهنة بيحل محله عامل حديث معندوش خبرة فيطلع حاجة مش على المستوى المطلوب فى نفس الوقت مبيطلعش الكميه يعنى لا من ناحية الجودة ولا من ناحية الكمية هيطلع يعنى لان خبراته بسيطة لكن اللى خبراته طويله زهق لان النظام الموجود نظام مش مضبوط محتاج أن يصحح ، طيب يتصحح ازاى . انا باقول هذا الكلام على أساس اننى عايش فى قلب العنبر بأشتغل مع الناس والمطلوب يبقى ايه حتى يمكننا نحافظ على هذه المهنة وتكون حويسة فنقول الحل ـ اولا مطلوب اذا كانت العمال او الناس من بتوع الموحدت او كل الناس اللى هى بتعمل على نظام أجر شهرى ثابت أو يومية . مطلوب ان عمال الانتاج على درجاتهم المحطوطين عليها ان بياخد مربوط الدرجة وتتفنح قدام منه العلاوات بدون حد أقصى لمستوى ثانى أو ثالث ولا الكلام ده كله بالنسبة لعامل الانتاج . لان عمال الانتاج فى المستوى الثالث مقلش عند ٣٠ جنيه ويقف . لا ، تنفتح قدام منه العلاوات على طول مش مهم المستوى وياخد فى الوقت الحالى على درجته وتجيله العلاوات الدورية على درجته ده أجر ثابت ونوضع لهنظام حافز على أساس انه يـخد على الكيلو كذا مليم ، نصف مليم على حسب ما نرى بحيث ان هذا النظام يكون عملية حافز لعامل الانتاج دون العامل الاخر علشان احسسه بأنك لو سبت النول أو ماكينة الغزل ستحرم من نسبة مكافأة الانتاج ، لكن انت زيك زى بتاع اليومية أو زيك زى الشهرى زيك زى بتاع الشهادة ونفتح المجال قدام منك الحاجة الثانية لما نبص نلاقى الادارة بيحصل فيها اسراف لدرجة مش معقولة لدرجة انك انت كعامل لما تدخل الادارة تحس انك ولا حاجة .

■ **الطليعة** ـ اسراف يعنى ايه ؟

■ **عبد الله** ـ يعنى أجهزة تكييف ، دفايات مش عارف ايه كل الكلام ده فى الادارة فى حين عندما تنزل لموقع الانتاج ـ طبعا المعروف كده فى صناعة الغزل والنسيج انها تبقى عايزة درجة حرارة ورطوبة معينة اذا زادت درجة الحرارة أو الرطوبة عن نسبة كذا فالشغل يبوظ ، فهنا المحطات بتاعت الترطيب اللى احنا عايشين فيها تبص تلاقى هذه الاماكن مفيش لها أى عناية ولما بنثير هذه القضايا للادارة ونقول ان السبب فى ضعف الانتاج كذا وكذا وقطع الغيار يتكلم لى عن المعركة والكلام ده ومش عارف ايه . هل الحرب قائمة على ان الصناعة تنقرض والادارة تتطور ، ده يمكن فى مرة من المرات وقع قدام منى جرنال واحد استاذ فى جامعة بيقول انه راح زاركليات فى بريطانيا فراح لقى الادارة كما هى . لانه مكث فيها قبل كده ٢٠ سنة فلما راح شاف الادارة بتاعت الجامعة وجدها كما هى ، المكاتب هى ، هى المبانى هى . هى لكن لما دخل العامل والورش والحاجات ديه وجد ان هناك تغيير كبير .

لكن الادراة عندنا فى المصانع ولا الوزارة ، حتى يجب الوزارة فى مصر متبقاش كده يجب أن العمليه يكون فيها تواضع شوية علشان خاطر توفر من أجل تطوير البلد مش تبنى مبانى وترسم رسم كده على الفارغ وأساس الانتاج بيتحرق يعنى أو الحاجات اللى فيها فايدة للبلد بنحرقها بدلا من أجهزة تكييف للادارة ودفايات وكراسى مش عارف شكلها ايه وماكتب شكلها ايه ونعملها ميزانية مش عارف قد ايه للادارة علشان أوضبها على مزاج البهوات اللى هيقعدوا فيها . انزل للمصنع وأشوف هو فى احتياج ايه المصنع اللى بينتج لان هو ده الاساس .

■ **الطليعة** ـ هل انت بترى أن علاج هذه العيوب ممكن أن يتحقق فى ظل القطاع الخاص وان السبب فى وجود هذه العيوب موضوع القطاع العام ؟

□ **عبد الله** ـ لا ـ القطاع الخاص مش هيحل مشكله مصر وأى واحد بيفكر هذا التفكير فتفكيره غلط يعنى لان القطاع الخاص بيقوم على ايه ، حتى يعنى لو واحد تاجر فتح دكان أو واحد بيفتح مصنع ، هل تهمه الناس الموجودة ولا هو بيدور على مصلحته هو كشخص . يعنى لو قلنا للقطاع الخاص النهاردة احنا عاوزينك تقوم مشروع معين أو مشاريع معينة مش هتكسب بسرعة سيمتنع عنها . فموضوع القطاع الخاص مش هيحل اطلاقا وده كلام بيحلم بيه ان القطاع الخاص هيحل مشكلة مصر . لكن القطاع العام لو وضعنا له ضوابط حقيقة هو الذى سيحل مشكلة التنمية مشكلة التنمية الاجتماعية ومشكلة التنمية الصناعية فى مصر .

■ **الطليعة** ـ كيف توضع هذه الضوابط ؟

□ **عبد الله** ـ بتطوير القوانين بتاع القطاع العام ونعطى الرقابة الشعبية مش للقيادات

الموجودة حاليا وهى التى تمثل الاجهزة الشعبية اذا كان فى نقابات أو اتحاد اشتراكى أو الكلام ده لان هذه القيادات هى مش قيادات عمالية فعلا بدليل كل ما يحصل انتخابات فى الاتحاد الاشتراكى نلاقى الناس هى هى مفيش تعيير تغيير أى كلام يعنى فتجد الناس فى حالة يأس . طيب يعنى هم دول الناس اللى انتخبوهم . فلما تسأل عامل وتقول له ياأخى مهما دول الناس اللى انتم انتخبتوهم يقول لك والله ياعم انا ما انتخبت لا ده ولا ده .

■ **الطليعة** — هل انت لم تشترك ابدا فى الانتخابات ؟

● **عبد الله** — أنا بانتخب علشان أنا عضو نقابة عضو قيادى وعضو ايضا فى الاتحاد الاشتراكى ولكن مش عضو قيادى .

والحقيقة ان المطلوب ان الحكومة متخفش او السلطات الموجوده فى أى مكان متخمش من النوعيات التى ستأتى لان الناس اصبحت بتميز بين ده وبين ده مهما يقال عن ده مادام فيه ان كان لونه كذا او لونه كذا اوعلان ده مش عارف ايه فان الكلام ده كله معدش يهم الناس لان الناس بتدور وبترتبط اساسا بالناس القادره على العطاء مش الناس اللى بتقول كلام . فيمكن فى فتره اخيرة يقال من حضرات المشايخ الموجودين فى مصر بيقولوا الشيوعية ومش الشيوعية فين هى الشيوعية . لكن كل واحد وطنى موجود فى مصر بيتبنى قضية وطنية بيلصق له هذا الاتهام ليه لانه علشان خاطر بيقول بأن عملية الاقتصاد الرأسمالى فيه كذا وفيه كذا ويتكلم على الرأسمالية فدول يمكن عاوزين يخلو الناس تيجى نابذة الدين لانهم فى الحقيقة مبيخدموش الدين بهذه الاساليب بتاعتهم ، مبيخدموش الدين .

■ **الطليعة** — انت عضو نقابى ما رأيك فى النقابة اللى انت فيها وماذا حققت بالنسبة للعمال ؟

□ **عبد الله** — بالنسبة للتنظيمات النقابية المطلوب التطوير لها ولكن مين اللى هيطور هل القيادات الموجودة هل القانون اللى بيحطه وزير العمل . تتطور ازاى نفتح المجال لقيادات وعناصر وطنية ومخلصة للقضية . ولا نقفل المجال على مجموعة معينة . فهو القيادات اللى هى أصبحت زى موظفين الحكومة هى اللى بتعوق فعلا الحركة النقابية فى مصر . لان الحركة النقابية فى مصر لو انطلقت ستكون لخدمة الانتاج أو ما تخدم الطبقة نفسها ويمكن هتبقى ازيد كمان . ستكون أزيد فى خدمة الانتاج أكثر من خدمتها للطبقة التى تنتمى لها ونشوف ازاى يعنى .

■ **الطليعة** — بالتحديد ما هى اغراض النقابة اللى انت فيها كنقابة الغزل والنسيج وما حققته للعمال من هذه الاغراض ؟

□ **عبد الله** — نقابة الغزل والنسيج وما حققته للعمال . النقابة بتشكيلها وحتى التنظيمات والاتحاد العام للعمال فى الحقيقة لم يحقق حاجة . غير اللى حققته حركة العمال نفسها . حركة العمال نفسها حتى فى عرض قضية هى اللى حققت . فمثلا فى عام ١٩٧١ أو قبل ١٩٧١ هل القيادات هى اللى كانت بتتحرك علشان خاطر موضوع علاوة عمال النسيج . لامش القيادات اللى كانت بتتحرك علشان خاطر عمال النسيج تاخد علاوة دورية زى بتوع اليومية . الناس العمال نفسهم هى اللى بدأت تتحرك وعلى ما أعتقد ان اول حاجة حصلت بالنسبة لهم . ففى مصنع الشوربجى فيه عمال رفعت قضية على الشركة على أساس أنها لا تاخذ علاوات دورية وكانت هذه القضية أساس لعمال الغزل والنسيج ككل أنهم يستندم لهذا الحكم ويعرضوا لان كان يمكن القاضى راجل يعنى . .

■ **الطليعة** — اللى رفع القضية ديه النقابة ؟

□ **عبد الله** — لا — العمال مش النقابة .

■ **الطليعة** — هل النقابه لم تشارك فيها ؟

□ **عبد الله** — لا — النقابة لم تشترك فيها خالص .

■ **الطليعة** — انت رأيك ايه فى نقابة الغزل والنسيج ؟

□ **عبد الله** — عاوز أقول لسيادتك علشان خاطر نحون منصفين للكل الحركة النقابية فى مصر عليها قيود ولازم هذه القيود تلغى اذا لم نلغى من جانب السلطة فالعمال نفسها — اذا كان برضه عاجلا أو آجلا — فانها هتتحرك وتلغى القيود دى .
ايه القيود دى ؟

— يعنى مثلا — طب أنا فى القطاع العام مثلا — النقابة شغلتها فى القطاع العام ايه ، شغلتها انها تقعد تتكلم مع المدير حاجه وديه بقى . معندهاش اى سلطة يعنى — حاجة ودية ؟ اعمل معروف اعمل متلوف ، واذا ما حلش ، وقال مش هاحل ؟ واللى تقدر عليه اعمله . فى ايده ايه يعنى . ولهذا لازم ينص قانون على هذا الكلام لان ده مطلوب . ان هذه التنظيمات لها حق المحاسبة والمساءلة مع الادارة عن الموقع اللى هى موجودة فيه يعنى ان التنظيم النقابى او التنظيم السياسى الاثنين يبقى من حقهم مساءلة الاداره ومحاسبتها عن أى خطأ موجود فى الموقع . وبالتالى هذه التنظيمات تبقى مسئولة

مع الادارة قدام السلطة الاعلى بقى عما حققته او عما هو مجود فى الموقع طيب اذا ماكنش ده راح يعمل يبقى بنرك للتصميمات النقابيه ان يبقى لها حق تنظيم الاضراب للدفاع عن مصالح مشروعة للعمال بدال ما السلطة تفاجىء — فى ظل القانون الموجود يعنى — القانون الموجود بيحرم الاضراب؟ لكن هل هو موجود على الرغم من تحريم الاضراب والكلام ده وتواجه الامن المركزى والكلام ده ويحصل اللى بيحصل فاللى بيحصل ده كله — للناس بيفيض بيها تعمل ايه تلجأ الى الاسلوب الغير مشروع . طيب الاحسن ان احد نحلى هذا الاسلوب مشروع حتى ان السلطه يبقى عندها علم ان الناس راح تنظم الاضراب ليه ؟ ياتحل ياما نراقب هذا الاضراب بحيث ان هو ما يخرجش عن هدفه يعنى . الحاجة التانية .. الثقافة العمالية ودى مهم جدا يعنى .. جدا جدا ..

■ **الطليعه** — هل نت حضرت دورات للثقافة العماليه قبل كده ؟ ..

□ **عبد الله** — لا .. دا احنا هانقول ان اللى بيحصل بالنسبه للثقافه العماليه .. وبيطلع ازاى الراجل اللى رايح الثقافة العماليه ومين اللى بيوديه والكلام ده كله .. الثقافه العماليه يجب ان تتبع — اذا كان احنا هانعمل اتحاد محلى مثلا فى منطقه زى منطقه حلوان — مثلا اذا كان فى النظام الجديد اتحاد محلى الاتحاد المحلى ينظم الثقافه العماليه فى منطقه حلوان — تبقى تابعه لهذا الاتحاد المحلى ويبقى من سلطاتها انها هى اللى ترشح العضو اللى ياخد دوره تثقيفيه لان اللى بيحصل ايه ان مثلا عايزين ١٥ ، ٢٠ واحد من شركة كذا يروحوا الثقافه العمالية فالادارة هى اللى من حقها بقى على حسب طبيعة العمل بتاعها بتاخد مين بقى ؟ مش المهم النوعيه بقى ؟

■ **الطليعة** — الادارة او اللجنه النقابيــة ؟

■ **عبــــــد اللـــــــه** — لا الادارة . . دا لازم الادارة ؟ .

■ **الطليعة** — انما اللى بيختار اللجنة النقابية أو الادارة ؟ .

■ **عبد الله** — ماتقدرش اللجنة النقابية — افرض اللجنه النقابية قالت عبد الله يروح الثقافه العماليه والادارة ما وفقتش « يبقى مش هايروح .. يبقى اذن هى الادارة بقى .. فاللى يروح واحد بلطجى فى العمل او مريض .. أو ما شابه ذلك

■ **الطليعة** — هل فيه مصيف للنقابة ؟ .

□ **عبد الله** — يعنى مين اللى يروح يصيف .. يعنى أنا أروح أصيف .

■ **الطليعة** — النقابة العامة بتساهم فــى النفقات

□ **عبد الله** — موضوع النقابة العــامة ده مابنشوفوش ولانعرفوش ، لكن انا عايز اقــول ذلك .. انا اروح اصيف ازاى ، ماتقوليش اصيف .. سيبك من الموضوع ده خالص .. ماتقولش لى .. حتى لو جت لى العــربية اللى حاتودينى اسكندرية اصيف .. اروح اعمـــل ايه آه ؟ اروح اشحت فى اسكندرية .. كلمنى من الواقع اللى انا عليه أصيف ايه مش عــايز أصيف ؟ .

■ **الطليعة** — هل لمابتثار مشكلة خاصة بالاجور واللجنه النقابيه ما بتقدرش تحلها او اى مشكلة غير الاجور خاصة بالعمال فى المصنع واللجنــة النقابيه ما قدرش تحلها . هل بييجى مندوبين من النقابه العامة يشاركوا فى حلها او يناقشــــوا العمال فى مشاكلهم ؟ .

□ **عبد الله** — هو بالنسبة لاى قضية تطرح بالنسبة للموقع اللى انا فيه حقيقة يعنــى .. مابيحصلش ابدا ان اى قيادة تتحرك الا بعد ضغطنا يعنى ... ضغطنا احنا كعمال يعنى .. اذا ما ضغطناش على القيادات — حتى فى النقابة العامه مابتتحركش معــانا الا تحت ضغــط مش معقول .. يعنى علشان اركب من حلوان اجى للنقابه العامة مع زملاء مطلوب انى اوفر هــذه الاجره من قوت عيالى لان دى قضية فلازم اروح اعرض ، اذا ماروحتش وده ما راحش وده ما راحش واتخلفنا كلنا واحنا شايفين القيــادات متقاعسة معنا ولهياش بتنزل لنا طيب هاتعمـل ايه ، ماهو مطلوب ان احنا نروح لهم بقــى ونقولهم ونضغط عليهم ونقولهم ايه اللى احنا عايشينه وشايفينه والكلام ده .. وبرضه المصالح الشخصيه التى تطغى على الناس دى . يعنى هو هياخد ايه من العمال ، لكن هياخد من الادارة .. الادارة هاتديه ، واذا ما ادتوش ما دى هاتدى له بطرق اخرى تشغله قريب .. ترقى له حسيب ، فاهمتش ليه ؟ .

■ **الطليعة** — طيب لو نقلنا لتجربة تانية .. من سنين طويله فى تجربة انتخاب العمال فى مجلس الاداره ومشاركة العمال فى الادارة على ضوء الموقع اللى انت فيه الشركة اللى انت فيها والموقع اللى انت فيه تقدر تقيم لنا التجربة دى ، فادت ما فادتش ، فادت فى ايه ، مافدتش فى ايه ، وما فدتش ليه ؟

● **عبد الله** — بالنسبة لمشاركة العمال فى مجلس الادارة .. هى التجربة اول ما ابتدت طبعا يعنى بنتعرض هنا للادارة الاول شكلها ايه بعد التاميم . هل الادارة اتغيرت ؟ اللى حدث الاتى — ودى يعنى سبب نكبة القطاع العام للان — واحد

اضربه التأميم . سواء من قريب أو من بعيد ــ وما زال عضو مجلس ادارة او رئيس مجلس ادارة ــ يعنى ما انقله من الموقع ده اوديه الموقع الثانى وأجيب اللى فى الموقع الثانى فى الموقع ده . عملية تقليب . لكن فكره ايه ؟ هل هو الكلام ده لمصلحته؟ هل هو عاير الكلام ده ؟ هل هو قابل للتطور ده ؟ هو مش قابل لده . ولذلك فى بداية التجربة حصلت مهاترات كثيرة جدا ، فى معظم المواقع ــ وبرضه موقعنا منها يعنى ــ هذه المهاترات كعمال فى صورة قدام القيادة السياسية ان احنا غير قادرين أو غير أهل للثقة اللى اديتها لينا القيادة السياسية دى يعنى .. ما احناش أهل ليها وبعمليات قذرة ــ ما فهاش أى نوع من الاخلاق ــ ابتدت يعنى تعمل حاجات مش كويسة لدرجة أننى عايز اقول سيادتك يعنى ايه يمكن نذكر هنا لما اجتمع الريس بالادارات ورؤساء مجالس الادارات او الاعضاء المعينين ــ الريس عبد الناصر ــ لما اجتمع بهذه القيادات لان ابتدى يحس بأن فيه حاجات بتتقال عن القطاع العام ومش عارف ايه وعايز ياخذ رأى الادارات فى هذا الكلام يعنى .. فالادارات بقى حطت له الصوره صورة سيئة عن الاعضاء المنتخبين والسلطة الشعبية او الرقابة الشعبية اللى عايز يعملها عبد الناصر على المديرين ، وهذا الكلام بيعوق طالما ان فيه حاجات زى كده علينا فجه يمكن الريس فى وقتها ــ وحقيقه يعنى كان تحت ضغط من الناس دى ــ ابتدى يكلف « عبد الحكيم عامر » بان يشرف على القطاع العام والمؤسسات والشركات ، ففى ايامها قال : ان الادارات لها سلطات كبيرة وصلاحيات وطبعا ما دام حددوا الصلاحيات والسلطات دى يبقى يضغطوا بقى . محصل فيه طبعا مهاترات . فيه عضو مجلس اداره اتفصل ، وانفصل يمكن فى أيامها بقرار من رئيس الوزراء اللى اخد القرار ده وكان فى ايامها على ما اعتقد كان على صبرى

فطبعا يعنى انا عايز اقول ان احنا يمكن على الرغم من ان احنا صاحيين وفاهمين وكده وعارفين ايه المطلوب وايه اللازم يبقى موجود فى مصر الا احنا ما عندناش الامكانيات لان احنا نعرض وجهات نظرنا فى القضايا المطروحة يعنى ، يعنى ما هى الصحافة فى مصر ؟ بتعرض وجهة نظر مين يعنى معلهش مع الاحترام للطليعة يعنى دلوقت لان الطليعة ابتدت من اول السنة دى بيتهيأ لى ان واحد زى حالاتى يتكلم فيها يعنى ، لكن هل الصحافة فى مصر بتعرض وجهة نظر مين، ابو الفتح » .. « على أمين » .. « مصطفى كامل مراد » مش عارف ايه والكلام ده كله .. هل نزلت جريدة من الجرايد تحت تسأل العمال فى المواقع ده هل لو ادعت مثلا جريدة زى جريدة أخبار اليوم ان هى تحضر مؤتمر عمالى مثلا لعمال شركة من الشركات ــ تحضر لعمال ؟ لا دا كلام حقير اللى بيقولوه العمال دول .. يقعدوا مع الناس اللى فى مستواهم يعنى ويعرضوا أفكارهم ، لان الافكار دى هى يعنى اللى مصالحها مترابطة مع بعضها . لكن الناس دول مضادين فاذا كان المضادين دول حيضربونا احنا فى مصالحنا فليه احنا نروح نقعد معاهم . فطبعا ما فيش الامكانيات اللى بتتاح لنا على ان احنا نعرض وجهات نظرنا وخصوصا يعنى الناس اللى هى قادرة على العرض لوجهات نظرها الموجودة فى المجتمع .

■ **الطليعة** ــ يعنى ايه رأيك بالتحديد فى التجربة بتاعة مجلس الادارة ؟

● **عبد الله** ــ التجربه تجربة كويسة ويجب أن احنا نتمسك بيها ونعمل على تطويرها وارای نصل بيها الى المفهوم الادارى المطلوب فى مصر يعنى المفهوم الاشتراكى مش المفهوم ان احنا أه عندى أعضاء منتخبين وممثلين للعمال والموظفين والكلام ده لكن الحاكم مين .. طيب أنا عايز اقولك على حاجه حصلت أخيرا فى مجلس ادارة شركة مصر حلوان واحد من البهاوات بنوع الادارة ماسك شونه القطن أو مسئول عن التخزين بتاع القطن الادارة عايزة ترقيه والدس اللى هم رايحين يترقوا للدرجه الاولى دول دا بيعرضوا فى مجلس الادارة علشان خاطر ياخد القرار بترقيته . فلما اتناقش هذا الموضوع فى مجلس الاداره فالمنتخبين ومعاهم رئيس اللجنة النقابيه ورئيس وحدة الاتحاد الاشتراكى أو أمين وحدة الاتحاد الاشتراكى ، فاخدوا قرار بعدم ترقيه الرجل ده ، وبعله من الشركه طيب مبرراتكم ايه ؟ طبعا عرضوا هم المبررات بتاعتهم ، وأنا أعتقد أنهم عرضوا مبررات تستحق الدراسة فعلا ، لو كانت الاداره ما لهاش مصلحه فى ترقية الشخص ده ، لكن هم لهم مصلحة فى ترقيته ، مصلحتهم ايه فى ترقيته .. دى حاجات بقى أسرار مش ممكن انا أقدر اتوصل اليها ، لكن هو ده الواضح . مجلس الادارة خد قرار بتصويت بالاغلبيه ان ده ما يترقاش وينتقل من الشركه ، ايه مصلحتك أنت يا رئيس مجلس الادارة والاعضاء المعينين ، انك أنت ترقيه رغم القرار . المصلحه العامه ما أعتقدش فى الكلام ده يعنى .. لان المصلحة العامة .. حاجات خفية ربما .. فطبعا جه رئيس مجلس الادارة أخذ القرار بقى هو بوحده وجه مرقيه هو والاعضاء المعينين ، جت القيادات اللى هم اعضاء مجلس الادارة والنقابه ووحدة الاتحاد الاشتراكى وجم

جايين لوزير الصناعة ، وعرضوا عليه هـذا الموضوع وعرضوا عليه مشاكل العمال وحاجات زى كده من ضمن العرض يعنى ، فرئيس مجلس الادارة احتج على هذا الكلام واعتبره كأهانة له شخصيا وعلمت كده ان هو قدم استقالة للوزير يعنى ، ففى النهاية حل ودى وأنا مش عارف ان مصلحة وزير الصناعه فى الحل الودى ده ، برضه ده كلام مش مضبوط ابدا لاننى اما أحقق وأصل الى نتيجة فى هذا التحقيق ان الناس دى مخطئة والراجل ده يترقى ويبقى فى مكانه يا أما الناس دى على حق والراجل ده ما يترقاش وينتقل من القطاع بتاع الغزل والنسيج ده حتى خالص . انما الحل الودى والكلام ما يبقاش مضبوط .. اننى أرضيه وبلاش يبقى فى حلوان ينتقل فى فرع من الفروع التابعة للشركة فى مصر .. أهـلا وسهلا .. وأنا بأبعده من هنا بس عن عيون الناس ؟ اننىنفذت لكمحاجة وبلاش ازعل الاثنين أراضى الطرف ده والطرف ده .. فيه حاجة اسمها لازم تتبع فيه خطأ يعالج ، ما فيش خطأ يبقى ينصحح وبنقول ان ما فيش خطأ ، فأدى التجربة ، لكن التجربة من حيث المبدأ دى تجربة عظيمة ويجب أن احنا نطورها حتى انها تطور الادارة نطورها ازاى «انها برضه مسئولة معالادارة ولها حق محاسبة المعينين يعنى ماتبقاش الحكاية ان المعينيين هم اللى ينفردوا بالسلطة والمنتخب ده يعنى بتاع هايف ولا ليه لازمة يعنى ».

■ **الطليعة** — طيب لو نقلنا لنقطة ثانية هى مسألة تجربة الاتحاد الإشتراكى عندكم فى المصنع أو فى الشركة فنآخذ صورة عن تقييمك ليها ؟

● **عبد الله** — هو يمكن يعنى الزعيم الراحل عبد الناصر فى مفهومه العام — وقت ما طرح علينا الميثاق وده كانقمة التقدم — انهعاوز يعمل تنظيم شعبى وخصوصا يراقببهالتأميم لان لو المخابرات والمباحث حتى لو اتعمل الجيش كان مخابرات ومباحث علشان يراقب القطاع العام مش ممكن — لكن اللى يراقبه مين ؛ صاحب المصلحة اللى هو مين ؟ اللى هو أنا فكانت التجربة أساسا على أساس ان هذا التنظيم يعطى رقابة شعبية على هذه المؤسسات ومناطق الخدمات ، تبقى هذه الرقابة فوق انها رقابة تشارك فى القرار السـياسى — يعنى تبقى مراقبة مع اشتراكها فى القرار السياسى على أساس انى باربطه آهو — دا انت صاحب البلد ومصلحتك آهى وشوفها وراقبها ودور علـى تطويرها و .. و .. الخ على أساس انك ترتقى بهذه البلد وبعـــدين برضه متنســاش السياسة . خليك مرتبط بالسياسة . المطلوب ايه ؟ مطلوب اننى أتيح لهذا الشعب ان هو يتحمل هذه المسئولية وعلى فكرة اذا لم تتيح للشعب أن هو يتحمل هذهالمسئولية ويشارك المشاركة الفعليهفى اتخاذ القرار أو المراقبة أو الكلام ده كله ، طيب احنا حنحصل لايه ؟ حنحصل فى وقت من الاوقات ان الشعب رايح يدور على انه ازاى يتحمل المسئولية سواء ان كان ترضى السلطة أو لا ترضى .

■ **الطليعه** — كان مثار من فترة مسألة تطوير الاتحاد الاشتراكى وبعض الناس بتطرح فـكرة الغـاء الاتحاد الاشتراكى تماماوعمـــل احـزاب وفكرة ثالثة بأن يتعمل داخل الاتحد الاشراكي منابر وانتهت المسألة أخيرا بعد مناقشات لجنة مستقبل العمل السياسى الى ثلاثة منابر ما رأيك انت فى هذه المسألة ؟ .

● **عبد الله** — هو برضه علشان خاطر ان هى تنجح — يعنى العملية دى كتجربة من التجارب — واذا كان القائمين على السياسة فى البلد عايزين ان هى تنجح مطلوب حل الاتحاد الاشتراكى فى الوقت الحالى واعادة التعريف بالنسبة للعامل وللفلاح وتتوضع ضوابط للدعايات الانتخـابية — واخد بال سيادتك —

■ **الطليعه** — يحل ثم يعاد بناؤه !.

● **عبد الله** — آه ..لكى يعاد بناؤه على اسس ايه بقى ؟ ان احنا نعيد التعريف بالنسبه للعامل والفلاح علشان خاطر نطلع الواقع بتـاعنا . مايبقاش العمدة فلاح والمدير فى التعريف برضه عامل يعنى.. لا عايزين نشوف مين هو العامل ومين هو الفلاح ونعرف التعريف اللى صح .. بحيث ان دول يمثلوا فى القيادةالسياسيهومع وضع ضوابط للدعايات الانتخابية لان أنا عايز اقول ان فى مجلس الشعب اللى هو موجود حاليا ده فكرتنى الدعايات اللى كانت بتحصل فى مجلس الشعب اللى فات بأيام الاحزاب . لما كان الحزب يجيب عربيات نقل ويحمل الفلاحين اللى بيشتغلوا عنده فى الاقطاعيات ويلفوا يدوروا فى العربيات النقل يعيش الباشا فلان والبيه فلان ، برضه كان تبص تلاقى القادر بقى اللى يقــدر فلازم تتحط ضوابط للدعايات الانتخابية .

■ **الطليعة** — انت بتطالب « ١ » باعادة تعريف العامل والفلاح « ٢ » بتطالب بوضع ضوابط .. ما هى الضوابط فى رأيك ؟

□ **عبد الله** — الضوابط اللى فى رأيى تتحط ، موضوع الدعايات يكتفى بأن يتوضع فى كل مكان بيحصل فيه تجمع لناس او حاجات زى كده لوحه تعرض المرشح هذا العرض يكفى قوى عرض اسمه ومن احتكاكاته اليومية مع الناس علشان خاطر ما نضللش وبعدين برضـــه نشــوف موضــوع

الانتخابات ، السلطة يجب ان هى تكون بعيدة بعد كامل عن موضوع الانتخابات .

■ **الطليعة** ـ انتخابات الاتحاد الاشتراكى ؟

□ **عبد الله** ـ انتخابات الاتحاد الاشتراكى وكل الانتخابات تبقى السلطة بعيدة عنها كل البعد ويبقى الناس اللى رايحين ييجوا يشرفوا على عملية هذه الانتخابات تبقى ناس فى مستوى اخلاقى يعنى وما يمنعش حتى ان احنا نحلفهم كمان قبل ما يروحوا والكلام ده علشان خاطر يبقوا عندهم رهبةمن الله هذا يعنى ، اذا كان يعنى بيؤمنوا بالله ورسوله .

■ **الطليعة** ـ ايه رايك فى الموضوع اللى وصلت اليه لجنة مستقبل العمل السياسى وهو تاسيس ثلاثة منابر .. يعنى النتائج الاخيرة .

□ **عبد الله** ـ انا باقول لسيادتك ان التجربة مش ممكن تنجح فى ظل الموجود ده ..

■ **الطليعة** ـ اتحدد اخيرا بالنسبة للاتحاد الاشتراكى ان يبقى . وتبقى بالنسبة له مهام مثل مسالة ضمان حتمية الحل الاشتراكى وضمان نسبة الـ ٥٠ فى المائةللعمال والفلاحين وأن تقوم الثلاث منابر : منبر اليمين ومنبر الوسطومنبر اليسار بممارسة دورها من خلال عرض برامجها على الناس وترشيح مرشحيها .. فما هى الضوابط التى تراها بالنسبة لهذه العملية .

● **عبد الله** ـ الاتحاد الاشتراكى يجب أن يبنى من جديدمن القاعدة للقمة فوق خالص بالانتخاب الحر المباشر بعد ما نعرف العامل والفلاح ويضمن ان لاعلى القمة فوق ٥٠ فى المائةللعمال والفلاحين برضه فى اللجنة التنفيذية العليا ، اللى هى القمة بتاعة الاتحاد الاشتراكى يبقى فيه مضمون لها ان يبقى فى ٥٠ فى المائة للعمال والفلاحين ، وبعدما نقوم ببناء الهيكل ده هذا الاتحاد الاشتراكى يكون مسئول مسئولية كاملة فى مصر ، مش نقول يعنى مجلس الشعب أو الاتحاد الاشتراكى ، لا دا الاتحاد الاشتراكى على أساس ان هو احنا قلنا هو التنظيم السياسى الموجود فى البلد طيب اى تنظيم سياسى موجود فى بلد من البلدان فى الاحزاب حتى فى البلاد بتاعة أوروبا ، الحزب اللى ينجح بيبقى هو المسئول بيبقى هو الحكومة .. هو السلطة يبقى علشان خاطر انا ادى هذا الشكل الاتحاد الاشتراكى واخليه يشارك مشاركة فعلية واساسية .

■ **الطليعة** ـ طيب انت ايه رأيك فى المنابر الثلاثة ؟

□ **عبد الله** ـ مافيش مانع من قيامهم لكن بعد أن نعدل الموجود لكى نضمن نجاحهم .

■ **الطليعة** ـ اذن لا يقوموا قبل ذلك .

□ **عبد الله** ـ قبل ذلك مش ممكن لان اذا قاموا هايقوموا ميتين .. ومش راح يكون لهم صلاحيات اطلاقا ... لان انا عايز أقول ايه .. القيادى الناجح لما يبيص فى وش الناس كده بيعرف الناس عايزة ايه من قبل ما يتكلموا .. علشان ندور على القيادى الناجح نجيبه مبين .

■ **الطليعة** ـ سؤال اخير .. فى قضية الوحدة العربية وقضية فلسطين .

□ **عبد الله** ـ فى الحقيقة ده أمل وحلم بيراود الجميع أن يبقى فيه وحدة عربية لان الوحدة العربيه عظيمة فعلا لمواجهة التحديات الموجودة بالنسبة للعرب فى العالم بس ازاى حـ تحدث الوحدة العربيةفى التناقض الموجود فى المجتمعات دى .. مش ممكن لازم تتحل التناقضات الموجودة فى المجتمعات دى للافضل وبعدين بعد لما تتحل هذه المتناقضات .

■ **الطليعة** ـ ما هى هذه المتناقضات ؟

□ **عبد الله** ـ المتناقضات بالنسبة للفوارق الشاسعه بين الغنى والفقير والكلام ده كله .. لانه حتى لما تبص للانسان من ساعة ما اتولد على ظهر الارض ما هو كفاحه ايه ظالم ومظلوم .. المظلوم عاير ياخذ حقه والظالم عايز ياكل المظلوم .. ابتدأ الكفاح على هذا فاذا اتحلت المتناقضات دى وأمكن أن ياخد المظلوم حقه والظالم يتوضع له حدود فالوحدة العربية مافيش شك حاتنجح ويمكن من التجربة مع سوريا من اللى انقض عليها وخلاها فشلت .. هل العمال والفلاحين فى سوريا انقضوا على الوحدة .. اللى انقض عليها هم اللى أضيروا من التاميم مش كده .. هم اللى عزلوا مصر عن سوريا يبقى اذن القوى اللى بتكل الناس دى طول ماهى موجودة مش هاتنجح الوحدة ، لكن احنا كطبقه عاملة عمال وفلاحين وناس تعبانين مافيش شك ان الوحدة حاتجمع قدرات هايلة موجودة فى العالم العربى اذا تمت وبقى فيه تنميه اجتماعية هايحصل ان العالم العربى حايفوق اى تكتل فى العالم .. ولا أمريكا ولا الاتحاد السوفيتى ولا الكلام ده كله .. يبيك من الكلام اللى بيقول احنا العرب متخلفين .. ده كلام فارغ .. طيب هو أساس العرب والامريكان والالمان .. مين فى البدايه طيب ماهو آدم وحواء ماهيش لكن مسألة الجنس ده .. ربنا ماخلقش اب واتنين حريم .. هو خلق واحد وستوالواحد والست دى هم اللى عملوا البشرية كلها .

■ **الطليعة** ـ ده مفهومك بالنسبة للقضية العربية فماذا بالنسبة لقضية فلسطين .

□ **عبد الله** ـ بالنسبة لقضية فلسطين عاوز اقول حاجة مهمة هى ان امريكا عمرها ماحاتكون فى صالح العرب الراسمالية عمرها ما حاتكون فى صالح مصر .. اطلاقا .. ويمكن سيثبت هذا تاريخيا وانا باقول هذا الكلام وانا عامل بأعرف اقرأ واكتب بس ، لكن فى المستقبل حايثبت هذا الكلام ان بعد ما نوصل للقطيعة من العالم اللى بيساند حركات التحرير بعد لما نوصل للقطيعة بيننا وبينهم الرأسمالية حاتضرب ضربتها فينا .. هاتضربنا ضربة كبيرة وهانبقى وصلنا الى ماحناش عارفين السند فين .. نتخبط .. فاذا كانت الرأسمالية بتغرينا دلوقت بحاجات على انها بتملك الحل ومش عارف ايه والكلام ده كلــه حانيجى فى وقت ندفع فيه ثمن كبير لخلافنا مع الدول التقدمية .

■ **الطليعة** ـ ماذا بالنسبة للقضية الفلسطينية ؟

□ **عبد الله** ـ القضية الفلسطينية الحلول اللى بتتوجد حاليا الحل لابد من الكفاح للنهاية لتحرير الانسانية جميعا من استغلال الرأسمالية واليهود لان هم اللى بيملكوا الراسمال اللى فى العالم .. دول هم سبب وباء العالم لانهم رأسماليين طيب اتجاههم فين .. هم فين من عملية الاصلاح الاجتماعى اللى احنا عايزينه هم فين من الكلام ده .. هل هم عايزين كده .. هل هم لو عيشنا فى وفاق ما بينهم حايسيبونا .. انا احد نعمل اللى عايزين نوصل له ده .. مش ممكن ابدا خالص ده أمريكا من أزمتها مع الثورة من ساعة القرارات بالنسبة للتأميم قالت خلاص بقوا شيوعيين .. أمسك لاحسن المنطقة كلها حاتحرب على دماغنا فلازم نحطم هذا النظام قبل أن ينمو اسرائيل فين من أمريكا .. هل أمريكا حاتدينا على أساس أن نكون اقوياء على اسرائيل الكلام ده المفروض ان احنا نواجه نفسنا به ونشوف .. اسرائيل بالنسبة لامريكا ايه .. اسرائيل بالنسبة لدول اوربا عامة ايه .. هل بريطانيا وفرنسا او دول اوربا كلها هاتنسى لنا تأميم قناة السويس .. الكلام ده مش ممكن يسى ابدا ..

■ **الطليعة** ـ انت واخد قضية فلسطين من زاويه مصر وعلاقاتها بأوربا الغربية بأمريكا . لا انا باتكلم بالنسبة للفلسطينيين نفسهم تتحل ازاى . يعملوا دولة على الضفة الغربية والاراضى اللى بتتحرر ويستمروا فى الكفاح المسلح والى متى . يستمروا ... ازاى تتحل المشكلة من وجهة نظرك انت .. بالنسبة للفلسطينيين .

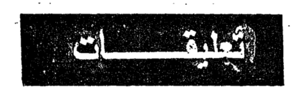
□ **عبد الله** ـ باقول لسيادتك ان الفلسطينيين وحدهم مش ممكن يستمروا .. لازم العالم العربى يكون متضامن وياهم لوحده مش ممكن يستمر ولمصلحة العالم العربى ان يسانده لاجل انه يستمر فى الكفاح اما اذا كان الحل اللى هو بينقال ان الضفة الغربية من نهر الاردن وقطاع غزة والكلام ده . طيب الكلام ده كان تحت ايدينا من قبل ٦٧ وكنا اعطيناه لهم وقلنا لهم انتم دولة وخلاص .. وكنا ريحنا نفسنا واعترفنا باسرائيل من زمان لكن بعد ما ندفع الدم ده كله والاستنزاف ده كل والمعاناة اللى بأعانيها أنا من اسرائيل .. بعد ده كله فى لحظة نقول اعمل الدولة دى وروسيا وامريكا بتضمن لها حق البقاء .. طيب يضمنها العالم كله لكن أنا عايز أشوف موقفها منى ايه .. موقفها منى معروف وواضح فى وقت ما يتاح لليهود أنهم يحتلوا العالم العربى كله حايحتلوه .. مش ممكن ان يكون فيه سلام ما بيننا وما بينهم ابدا والكلام اللى بيتقال سلام وكده ده كلام خرافى .. كلام خرافى ... ومش حايحصل فى ظل من فى ظل امريكا .. طيب ايه امريكا وايه هم اليهود .. مش ممكن ابدا ويجب ان العرب وحتى يمكن الواحد زعلان جدا جدا من اللى بيحدث ما بين القيادة فى مصر والقيادة فى سوريا .. والقيادة فى مصر والقيادة فى ليبيا وفى مصر والعراق ، والعالم العربى كله مع بعضه .. الواحد بيزعل جدا من الكلام ده لان الكلام ده فى صالحنا كعائلة واحدة يجب ونشوف الخطر الحقيقى ضدنا .. نترك النزاعات والحاجات الموجودة بالنسبة لنا ..

■ **الطليعة** ـ هل تريد اضافة شىء فى نهاية الحوار ؟

□ **عبد الله** ـ فى الحقيقة يمكن باشكر أسرة الطليعة عموما على انها أتاحت لنا الفرصة ان احنا نعرض وجهة نظرنا كواحد من الكادحين اللى هم تحت بالنسبة للقضايا الموجودة .. لكن اللى انا عايز اقوله انه حتى بالنسبة لمشكلة موجودة فى مصر موضوع المستشفيات بتاعة وزارة الصحة اللى بيتعمل لها ميزانية وميزانية على أساس ان هذه المستشفيات تخدم مين .. ولما بندور على هذه المستشفيات دى بنشوفها مين اللى مستغلها .. وازاى تتعالج .. المستشفيات بتاعة وزارة الصحة مش عايزين نقول كل الاطباء والا نبقى ظالمين .. لكن فيه أطباء بتدار هذه المستشفيات لحساب عياداتهم ودول مشكلة .. دول كثير .. اللى بيديروا مستشفيات وزارة الصحة لحساب عياداتهم .

فحقيقة احنا عايزين وزارة الصحة تعيد النظر فى النظام العلاجى الموجود فى مصر .. وهل تترك العيادات للدكاترة تشغل عيادات خاصة والا

ستلغى العيادات الخاصة ويبقى نظام الممارسة كله فى المستشفيات مع وضع رقابة دقيقة لهذا النظام ويبقى الواحد اذا كان عايز يروح علاج إقتصادى ويدفع فلوس وعنده الامكانيات أن يدفع فلوس تبقى ضوابطها ايه .. واللى ما عندوش امكانيات يبقى ازاى يتعالج .. وهذه الرقابة من القادر عليها برضه .. تتاح الفرصة للشعب انه يراقب هذا بالغيها أحسن وأسيب العيادات .. وباشكر أسرة المدارس أصبحت قطاع خاص والمستشفيات بقت قطاع خاص فى حين أن الميزانية بتعتمد لهم الملايين .. والكلام ده كله اذا ما كانش اتعالج أنا وعيالى .. بلاش أنا حاتعالج من الشركة لكن عيالى اذا ما تعالجوش فى المستشفيات بتاعة الحكومة اللى أنا باساهم فى تمويلها بماادفعهمن ضرائب أوكمنتج فى البلد . اذا ما كانش يتاح لها أن تؤدى لى خدمة يبقى ايه لزمة وجودها .. بالغيها أحسن واسيب العيادات .. وباشكر اسرة الطليعة عموما وفرصة سعيدة . ■



□ اســـــمعوا عبـــد الله !

د. عبد الباسط عبد المعطى

عندما قرأت حوار « الطليعة » مع العامل « **عبد الله رفاعى** » ، فكرت أول ما فكرت فى عدم تقديم أى تعليق على الاطلاق .. ذلك لان ما قدمه هذا العامل من وقائع وتحليلات وتفسيرات يفوق فى صدقه وعمقه وثوريته اعمق واشمل واجمل التعليقات !! ولكنى ما لبثت أفكر حتى قررت أن أقدم شيئا مكتوبا .. ليس بالتعليق ، وانما بما تعلمته من **عبد الله** ! لان هذا العامل اذا كان يدين الكثيرين ، فأول من يدينهم « أنا » شخصيا باعتبارى باحثا فى علم الاجتماع ، ومتخصصا فى علم المجتمع المصرى .. وهذه موجهة اساسا الى كل المشتغلين بهذا التخصص باستثناءات ضئيلة جدا لبحوث ودراسات قدمها نفر قليل من الباحثين الشباب . فهناك من يدعون ، أو هكذا تقول شهاداتهم انهم حاصلون على الماجستير والدكتوراه فى علم الاجتماع الصناعى ، وفى الهجرة الريفية الحضرية وفى التنمية وفى عمال التراحيل ، ومع ذلك نجدهم قد انشغلوا بالنظريات والتجريدات ، وأناقة المنهج ، وتفصيلات الاستمارات وأدوات جمع البيانات والجداول الاحصائيه وتحليلاتها التى ضاعت معها كثير من الحقائق ، نتيجة لعدم الالتزام بقضايا هذا المجتمع ، ولانهم

(*) مدرس علم الاجتماع ــ كلية البنات ــ جامعة عين شمس .

باحثون « افندية » ليست لديهم صـفحةممارسة واحدة كتلك الصفحات التـى قدمها « **عبد الله** ! .

ولقد شدنى الى الكتابة أيضا أن « **عبدالله** » ليس مجرد نموذج مطحون وحسب كالنماذج السابقة التى قدمتها الطليعة فىسلسلة « الهموم » لانه لا يجعلـك تحس بالاشفاق عليه ، انمايجبرك وبحترام أن تقرأ حواره ، لتتعلم منه ؛ فهو نمـوذج الكادح الصامد المناضل الذى يسعى الى انيحقق ذاته ، وكأنما هو يصرخ فى كل الاذان الكبيرة « اما أن يصنع الانسـان نفسه ، اويصبح غير قادر على عمل أى شىء على الاطلاق » .

ولعل أصعب شىء فى الكتابة حول هذاالحوار ، أنه حافل بالقضايا ، التى تحتاج كل منها الى عدد كامل على الاقل من اعداد الطليعة ، والجرائد والمجلات الاخرى التى تظهر فى مصر على مدى شهر كامل . ولذلك فأى كاتب لابد وأن ينتقى عمديا . القليل الذى يضعه فى لب الصورة . ومن بين هذا القليل سـوف أركز على بعض مما تعلمته من « عبد الله » !

أولا : البحث العلمى الاجتماعى وقضاياالمجتمع المصرى :

فى بلد متخلف يعلق على التنمية الشاملة آمالا كبارا ، يجب على العلم الاجتماعى أن يتجه الى المجتمع ، ليشخص تخلفـه ، ويفسره تفسيرا علميا ملتزما بقضايا القطاع العريض منه العمال والفلاحين . وبالقدر الذى يجب أن يكون العلم فيه أداة من أدوات التنميه ، عليه ايضا ان يكون اداه من ادوات الوعى الاجتماعى والاسهام فى نضجه وتعميقه ، من خلال ادراك الواقع وتفسيره تفسيرا علميا حقيقيا . وهـذا يقتضى بالضرورة وجود خطة شـامله للبحث الاجتماعى . ووجود باحث ملتزم سياسيا وعلميا بقضايا مجتمعه ، والا لـن تكون البحوث كما هو الحال الان الا ديكورات للمكتبات ، ووسائل للصعود الفردى مـن خلال الشهادات التى هى « باسبور » المرور من موقع الى آخر .

ثانيا : التاريخ المصرى والرغبة فى تزييفه :

فى السنوات القليلة الماضية ظهـرتكتابات تدعى انها تؤرخ للثورة المصرية ، منها من حاول أن يلوى عنق الواقع ليشوه الثورة فى أذهان الجماهير . بابراز بعض السلبيات دون وضعها فى الاطار العلمى الموضوعى . لكشف أسباب حدوث هـذه السلبيات وامكانات الافادة منها ، حتى خيل لهم أنهم قد يستطيعون ان يعيدوا التاريخ للوراء .. الى مثل هؤلاء ، نقول : **اسمعوا عبد الله** ، انه يقول لكم دا اردتم ان نرجع زى زمان قولوا للزمان ارجع يازمان » . لان فى مصر عمالا وفلاحين صامدون . قد يحيل لكم وأنتم واهمين انهم غامضون سلبيون ، مع انهم فى واقع امرهم صامدون . ولن يفرطوا فى أى مكسب من مكاسب الثوره ، وعن هذا يعبر عبد الله عندما سأل عن اخذ الارض من الفلاحين مره ثانيه واعادتها الى الاقطاعيين « انا شخصيا لو انى موجود فى هذه الارض والحكومه حاتيجى تحاربنى لاأموت أولا وبعدين يبقوا ياخدوا الارض مش مهم لان انا بدون الارض حـابقى مت خلاص » . على أن « **عبد الله** » لم يكتف بذكر ايجابيات الثورة ، وانما قدم من خلال الممارسـة بعض السلبيات الموضوعيه مثل عدم ثورية الاصلاح الزراعى الاول الذى أتاح الفرصة لكبار الملاك لكى يهـربوا أراضيهم قبل تحديد الملكية بمائة فدان .. ومثل عدم دقة اجراءات تعيين مديرى القطاع العام ، فعدد غير قليل من هؤلاء المديرين كانوا من أصحاب القطاع الخاص والعاملين فيه ، والذين كان من مصلحتهم طبقيـاوتاريخيا التشكيك فى القطاع العام ووضع العراقيل امامه .. ان مثل هؤلاء هم اول من ابتدعوا الرشوة فى القطاع العام . والفرق الجوهرى بين تحليلات « عبد الله » للواقع المصرى قبل الثورة وبعدها ، وبين « **تجار**

الكتابة الخردة » فى وكالة بلح الفكر المصرى ، أن عبد الله يقول من واقع الخبرة العامة ، ومن باب المصلحة العامة وليس الشخصية ، أما هؤلاء وهؤلاء .. فهم منافقون بالضرورة ، نافقوا السلف وينافقون الخلف ، وسوف يكررون ما فعلوه مع كل سلف وخلف ، لانهم ، دائما يتاجرون ، ويكتبون من أجل المقاعد والمكاتب التى يجلسون عليها ، ومن اجل مصالحهم الشخصية الطبقية ، وليس من أجل قضية مجتمعية واحدة .

ثالثا : التحالف والسلام الاجتماعى : المقومات والنتائج :

يثير حوار « عبد الله » قضية فى غاية من الخطورة والاهمية ، تتعلق بالتحالف والسلام الاجتماعى فى مجتمعنا . وفى هذا يدرك وبوعى متألق أن التحالف والسلام الاجتماعى ضرورة ومطلب يجب المحافظة عليه ، ولكنهما نتيجتين لعدد من الاجراءات التى لابد من اتخاذها لكى تصبح هاتان النتيجتان حقيقة واقعية .. ولعل أهم هذه الاجراءات ، تقريب الفوارق بين الطبقات وبين القريه والمدينة بالافعال وليس بالاقوال ، لان هناك الكثير من المظاهر التى تتم ضد هذا التحالف ، وبالتالى تعمل على الوقوف فى وجه الايديولوجية الرسميه للدولة .. ومن بين شواهد ذلك على سبيل المثال وليس الحصر « ادا استمر الوضع على كده احنا حانوصل للمرحله اللى يمكن احنا بنخاف منها .. وده لا هو فى صالح الطبقه العاملة ولا هو فى صالح الطبقات الاخرى » ويشير ايضا « هل من مصلحة السلطة ان تسيب الطبقه العامله مطحونة لصالح مجموعه صغيره ، لصالح العشرين فى المائه الباقيه فى المجتمع ، انهم يمتصوا دمها وهمه قاعدين عاطلين غير منتجين .. مش العلاج اننى اوفر لواحد عربيه نصر ١٢٨ ، ١٢٥ ، وأترك مشاكل الكادحين . وهناك مظاهر اخرى سوف يجدها المرىء فى اجابات « عبد الله » .. فالمتوقع ان الجيل القادم ، سيكون جيل الصراع ، لماذا ؟ لانه ينشأ عليه بوعى ، أو بلا وعى ، ان شريط الحياه اليوميه للمواطن العادى ، يبدأ بالصراع على محطة الاتوبيس ، ومن اجل موضع قدم فى الاتوبيس ، وبالصراع بين الركاب والسائق ، وبالصراع فى طابور الجمعيه ، وبالصراع حول مكان للابن فى مدرسة أميرى ، وبالصراع حتى على تذكرة السينما .. وبالصراع حول مكان فى الجامعة باستخدام المدارس الخاصة والكتب الخارجية ، والدروس الخصوصية .. ماذا يحدث للمواطن الكادح عندما يعلم ان فنانه كسبت من ملهاها الليلى فى ليله واحده ٢٢ ألف جنيه ، ومن يدخل هذا الملهى .. وبماذا يدخله .. الخ ... كل هذا يجعل التحالف ، صعب المنال ، ويجعل السلام الاجتماعى ، مجرد شعار ، لان ترك الواقع كما هو لا يعنى الا وضع العربة أمام الحصان .

رابعا التشكيك فى الاشتراكية والقطاع العام :

تتردد نغمات كثيرة ، ومن من أمن بعض الكتاب حملة الاقلام بالصدفة وبدون مناسبة ، ومن بعض المسئولين ، بدعوى فشل القطاع العام التشكيك فيه ، وبالتالى التشكيك فى الاشتراكية ، حتى بلغت الدعوة الذروه ببيع القطاع العام ، ولم يدرك هؤلاء أنهم بذلك ينادون ببيع مصر . الم يدركوا كما ادرك « عبد الله » ، ان قياده القطاع العام أتى بعض منها من الراسماليين الذين اضيروا فى التاميم .. ألم يعرفوا كما عرف « عبد الله » أنه لولا القطاع العام ما قامت صناعات ثقيله .. الم ينتبهوا انه لولا القطاع العام ما عمل احد الخريجين من الجامعات او من المدارس المتوسطه .. من أبناء الكادحين ، وظل متعطلا .. لان القطاع العام هو المسئول عن العماله .. وأن هدفه اشتراكى .. يجب الا يقاس بالمقاييس الدميه للربح والخساره ، لان من بين معايير الربح فيه ، ايجاد عمل وفرص عمل امام الجماهير .. على ان الشىء الغريب أن الشباب من خريجى الجامعات والمدارس المتوسطه لم يدرك هذه الحقيقه ، ولم يعمل على مقاومتها ومناقشتها ودحضها ، لانهم هم اصحاب المصلحه فى

ذلك .. لانه لو اغلق القطاع العام وتم بيعه .. ستعود الى سـابق العصر والاوان بالبحث عن الوساطة من أجل التعيين ، والرشوة من أجل تسهيل الامور ».

خامسا : التبرير خطوة علـى طـريق التزييف :

ينبهنا هذا العـامل الى بعض أسـاليب التبرير باطلاق عدد من المفهومات المغرضة ، التى تزيف الواقع .. ولعل من بين ما طرحه العامل فى هذا الصدد « مفهوم المصلحة العامة » الذى تم استغلاله لاتخاذ قرارات خاصة ، ومصالح خاصة ، وأحيانا للانتقام من بعض العاملين الجادين .. ان « عبد الله » يرى أن كلمة المصلحة العامة أضحت كلمة حمية . لا يعلم من امرها شيئا وان كان السلوك المواتى يكشف عن نوايا استخدام هذه الـكلمة بدعـوى باطنهـا التبـرير والتزييف ، وتحقيق مصالح طبقية خاصة . ويضاف الى مثل هذا التبرير اساليب اخرى وأفكار اخرى منها مثلا فكرة أن الزيادة السكانية هى سبب الفشل فى انجـاح التنمية . مع أن هذه الزيادة عرض لامراض أخرى كثيرة يجب كشف النقاب عنهـا . ومنها أيضا فكرة ضعف الموارد وقلـة الامكانات والفقر ، مع ان السيارات الخاصة كما يقول هذا العامل تسير كتيار الماء المتدفق ، المستمر الذى لا ينقطع . ومع ان العمارات والشقق المفروشة والملاهى الليلية ودور السينما الخاصة ومسارح القطـاع الخاص يقوم كل يوم منها جديد وجديد .

سادسا : الدعـاية الانتخـابية وتكافـؤ الفرص :

من تقاليد الانتخابات الديموقراطية ايجاد فرصة متكافئة أمام أطراف المنافسة الانتخابية .. لا فى الدعاية فقط ، ولكن أيضا فى الامكانات المتاحة لطرف دون غيره من الاطراف ، الامر الذى يعنى وافعيا وبـالضرورة اجهـاض الديمـوقراطية ، والوصول بها فقط الى مستوى الكلام المعلن دون الفعل الحقيقى الممارس . ولعل ابلغ دليل على هذ الاشارة « عبد اللـه » الى استغلال المسئولين فى شركته للخامات وأدوات الانتاج فى عمل دعاية انتخابية لاحد الاطراف « فقماش الشركة والوان الطباعة والعربيات ويتسهر ناس اضافى ونـاس مأموريات وناس مش عارف ايه علشان يتكتلوا وراء ناس معيبيين » . هذا يعنى اتاحة فرصة لطرف لكى يصل للجماهير .. ويدعو لنفسه ، فى الوقت الذى قد لا توجد هذه الفرصة أمام بقية الاطراف ، ان لم تمنع منها منعا ولو بأساليب مقنعة مواربة .

سابعا : الهجرة الريفية الحضرية والتنمية غير المتوازنة :

عندما وجه الى هذا العامل سؤال حول رغبته فى العودة الى القرية ، لم يوافق على العودة ، برغم تأكيده لاهمية القرية ، وما فيها من مزايا وخصال .. وقد يرى البعض انه يرفض العودة رغبة فى تعليم أبنائه ، وهذا هو السبب الظاهر ، على ان الاعمق منه ، كما يبين الحوار ، أنه كان على استعداد للعودة ، لو ان بالقرية فرصة الحيا الكريمة والتعيم ، وقطعة من الارض وما الى ذلك .

وهذا يطرح على الفور قضية العوامل العميقة للهجرة من القرية للمدينة ، والتى تأتى فى جوهرها من التركيز على المدينه دون القريه ، من خلال تنمية ظالمة ، تزيد الهوة بين القرية والمدينة اتساعا . وتلفت نظر البعض الى ان حل مشكلات الهجرة الى المدن ، وخاصة المدن الكبرى ، لا يأتى بقرار او قانون لاعادة المهاجرين الى أماكنهم ، لان هذا ضرب من التسرع والعشوائيه ، ان لم يكن الجهل ، ذلك لان علاج مثل هـذه الظاهرة ، وما يترتب عليها من مشكلات فى الاسكان والمواصلات وغيرهما من المرافق ، لن يكون علاجا جذريا إلا بتنمية مواطن الطرد السكانى ، ومنابع الهجـرة وليس بمجرد قرارات مكتبية سريعة أو ما شابه ذلك .

وأخيرا .. هذا بعض ما تعلمته من « عبدالله » وما فهمته من حواره ، وعلينا ان نحاول الفهم الحقيقى والا حدث ما نخشاه ، كما يحذرنا هو من ذلك .. ■

□ عمـال الانتـاج :

قضـيـة تهـم الاقتصـاد الـوطنى

عبد المنعم الغـزالى

آثار عبد الله رفاعى ؟ وهو يحكى على صفحات الطليعة همـوم عامل النسـيج واحدة من أهم القضايا التى تشغل بال أعداد كبيرة من العمال ليس فى صناعة النسيج وحدها ولكن على نطاق الصناعة كلها ـ وهى قضية عمال الانتاج .

وعمال الانتاج فى صناعة النسيج هم عصب هذه الصناعة اذ يشكلون اكثر من ٨٠ فى المائة من مجموع العاملين فيها . كما أن نسبة انتاجهم بالنسبة للانتاج الكلى تزيد عن نسبة عددهم بالنسبة للمجموع الكلى لعدد العمال .

وقد عرض عبد الله رفاعى مشكله عمال الانتاج ، على أساس انه يعرض المشكلة ليس فقط من زاوية المطالبة بتعديل النظـام الاجرى ـ ولكن كما يقول عاوزين نعرضها مع بعض من الناحيـة الوطنية ـ علشان لا يقال علينا ان احنا عاوزين ناخذ وناكل ـ من الكلام ده ، لان الناس كلها بتبص لنا على أساس ان احنا عاوزين ناخد وناكل بس وان احنا مش وطنيين فى مصر وان الاقتصاد فى مصر مبيهمناش . وهو عندما يعرض للحلول صريح غاية الصراحة . فعمال الانتاج ذوى الخبرة يهربون سـعيا وراء الانتقـال الى « اليومية » حتى يحصلون على علاواتهم الدورية ولا يتعرض أجرهم لنقصـان . والمهنة بذلك كما يقول « تفقد خبراتها » .

ان قضية عمال الانتج فى القطـاع العام ـ ليست مجرد قضية زيادة فـى الاجر ـ انها بشكل رئيسى قضية متعلقة بالنظام الاجرى المتبع الان فى مصر ، ـ وهل يؤدى هذا النظام الى زيادة حقيقية فى الانتاج ؟ وهل افاد هذا النظام الاقتصـاد الوطنى ؟ وهل أذاب هذا النظام الفوارق وحقق فى القطاع العام قاعدة لكل حسب عمله ؟ ـ وهل حقق ايضا الاجر المتساوى للعمل المتساوى او هل ورث هذا النظام ـ كما يـرى عبد الله الرفـاعى ـ لوائح الراسماليين بالنسبة لعمال الانتاج ؟

ان قضية النظام الاجرى لعمال الانتاج فى القطاع العام ، نشات مع صدور وتطبيق اللاحئة الاساسية للعاملين فى شركـات ومؤسسات القطاع العام . وبتطبيق هذه اللائحة وعلى مدى اثنتى عشرة عاما اصبح وضع عمـال الانتاج اقـل ممن مـن وضع زملائهم الـذين يطبق عليهم الـيوم النظام المعمول به ، بظـام الدرجـات ـ تحديد الاجر على أساس الوقت .

وحتى نتبين المشكلة وابعادها لابد من تحديد الاسباب التى حالت دون الوصول الـى قاعدة ـ الاجـر المتسـاوى للعمـل المتساوى ..

فأولا : ورثت ادارات وقيادات القطاع العام أساليب العمل فى المشروعات الرأسمالية المصريه ، وهى أساليب بدائية فى الانتاج والاداره ، يسيطر فيها مدير الفرع أو صاحب المشروع ذو السلطة المطلقة ، الذى يحدد ظروف العمل وشروطـه والاختصاصات ذلك وفق ما يرى أنه يحقق له اقصى فائض من خلال استخدام وسائل الضغط المباشر ، وتكثيف العمل الى اقصى حد كل ذلك باقل اجر ، ربط الاجر بالانتاج ..

ثانيا : عند اتمام عمليـة التقييـم والتوصيف اسنعبت الادارة وهى تطبق لائحة العاملين من سموا انفسهم « خبراء » مقابل اجور عالية ، فجاء

عملهم انشاء لعديد من الدرجـــات الجــديدة ، والوظائف الادارية المتعددة ، ففتح الباب واسعا لاكبر عدد من الجهاز المشرف على الادارة للترقى ولتحقيق أقصى منفعة شخصية . وقد ادى ذلك كله الى زيادة العمالة عن حاجة الانتاج ، واختلال التوازن بين الجهاز الادارى والاشرافى وبين القوة العاملة المباشرة لعملية الانتاج . فجاء كل ذلك على حساب : عممال الانتاج،ومن ثم على حساب الانتاج نفسه .

ثالثا : تم التقييم فى غيبة ممثلى العـــــاملين فانفردت العناصر الادارية المشرفة بعملية التقييم فكان تحديد الاجر على أساس قـاعدة الوقت وتحديد سنين العمل ، وهكذا تم نقل نظام العاملين فى الحكومة الى قطاع الانتاج ، فحمل هذا القطاع بأساليب البيــروقراطية ، وأصـبحت العمليـة الانتاجية عملية مكتبية ، وازداد الانفصال بين العمل العضلى والذهنى ــ وتحمل عمال الانتاج كل هذا العبء البيروقراطى .

رابعا : تمت عملية التقييم والتوصيف ــ فى ظل سيادة فكرية متخلفة لدى الطبقة العاملة المصرية عن مطالبها . فلسنوات طويله ، وبسبب الانفصام الكبير بين العملين العضلى والذهنى ، الانتاجى والمكتبى ، وبسبب الفروق الشاسعه بينهما [من ناحية الاجر ووقت العمل وظروفه وشروطه] دارت المطـالبـ العماليــــة حول المساواة بعمـــــال الحكومة . مثل المطالب بالترقيه بالاقدميه والعلاوة الدورية والاجازات الطويلة المدفوعه الاجـر والاجازات المرضية والعرضية . ولكن عنـدما تفررت هذه المطالب لم تضع فى اعتبارها عمال الانتاج ، وظروف عملهم ، وبذلك لم تحدد الاعمال فى كل مشروع ، ولم يوضع لها تنظيم واضح للعمل ، ولم تحدد مسئولية ومهام كل وظيفة تحديدا واضحا ، ولم تحدد معدلات نمطية للاداء ، ولم يراع الطابع الاجتماعى للانتاج عند منح مكافآت الانتاج ، واخضعت اى زياده فى دخل عمـــــال الانتاج لنظام العلاوه الدورية وليس على أساس قياس حقيقى لمشاركه العاملين فى زياده الانتاج ، كما أن نظام العلاوة الدوريه فى القطاع العام يؤدى الى زيادة فى التكاليف دون ان تقابلها زيادة فى الانتاج .

ولقد ادى هذا الوضع الى : ان العاملين ــ على اساس من اجر الانتاج او القطعة ــ لا يتمكنون من زيادة أجرهم السنوى بين سنة وأخرى بينما يتمتع العاملون بالاجر ــ على أساس الوقت ــ بزيادة دورية فى الاجور ودون ما ارتباط بالعمل من أجل زيادة الانتاج .

هذا الوضـــع كمـا وضـحه عبـد اللـــه رفاعى : « النظام الموجود نظام مش مضــــبوط محتاج أن يصحح » ويتم تصحيحه على أساس وضع عمال الانتاج على درجات ومنحهم علاوات دورية . هو حل فى اطار نظام الاجر الســـائد حاليا ، وسيؤدى الى مزيد من التناقض بين قاعدة الاجر على أساس الوقت وقاعدة الاجر على اساس الانتاج .

ان تصحيح الوضع يرتبط بوضع نظام جديد للاجور يرتبط بالانتاج ويطبق على الجميـع . على أساس ان كل زيادة فى الانتاج يقابلها زيادة فى الاجر . ان مشروعا ما أنتج ما قيمته ٤ مليون جنيه ــ مثلا ــ والاجور المدفوعة عن الانتاج مليون جنيه ، أى بنسبة ٢٥ فى المائة ، لعمال الانتاج والخدمات الانتاجية والتسويق والادارة يجب أن يراعى عند تحديد أجر كل منهم القدر الذى ساهم به كل قطاع فى الانتاج ــ وليس الوضع الوظيفى البيروقراطى ، وفق نظام الدرجات . ان الاساس فى قاعده الاجر المتساوى للعمل المتساوى هو الربط بين مشاركة العامل فى الانتاج ومشاركته فى الدخل وبين عمله من أجل زيادة الانتاج وبين حصوله على دخل أكبر .

ان حل مشكلة دخول عمال الانتاج فـى الصناعه ــ أصبح قضية ملحة ، تتطلب من التنظيم النقابى العمالى ان يوليها اهتمامه . وأن يتخلى عن ترديد الشعارات حول زيادة الانتاج بطريقة آليه ، دون ما دراسة علمية للمشكلة ، ودون ما تعبير حقيقى عن المشاكل التى يعانيها عمـال الانتاج . على أن القيادة النقابية العمالية الحالية بعيده عن البعد عن هذه القضية ، وهى لم تقدم حتى اليوم أى صياغة لحل المشكلة ولمطـالب العاملين بالانتاج . ومن ثم فهى عندما تتحدث عن زيادة الانتاج ــ كما وكيفا فى القطاع العام انما تقف عن حد ترديد الشعار ، الامر الذى جعله بعيدا عن البعد عن قضايا العاملين ، وعن حياتهم ، وقريبا من القرب من القيادة البيروقراطية للقطاع العام ، والتى يهمها الاستمرار فى الحصول على أكبر نصيب من الاجور على حساب عمال الانتاج .

لقد أثار عامل النسيج عبد الله رفاعى ــ قضية عمال الانتاج ، باعتبارها قضية تهم الاقتصـــاد الوطنى ، وتهم حياة الانسان العامل الذى بدونه لن تتحول الخطة الموضوعة لاى مشروع الى واقع حى مادى ملموس . وتلك قضية مطروحة ليدور حولها اوسع حوار ممكن لمصلحة الاقتصاد الوطنى .

الجـــــزائر

ميثـــــاق للبنــــاء الاشتراكى

تبدأ « جزائر الثورة ـ الشعب » ، هذه الايام ، بعد ان تقر جماهيرها وكوادرها السياسية ، « المشروع التمهيدى للميثاق الوطنى » ـ تبدأ مرحلة جديدة فى تجربتها : مرحلة بناء الاشتراكية .

وتتقدم « جزائر الثورة ـ الشعب » تخطو خطواتها الاولى فى هذه المرحلة الجديدة ، بمؤهلات تدعمها وانجازات ثابتة . وذلك بعد ان بدأت ثورتها الزراعية [١٩٧٢] التى تمثل احدى الركائز الثلاث لمسيرتها الراهنة وهى : الثورة الثقافية ، والثورة الصناعية .

ومنذ عدة شهور ، طرحت القيادة الثورية « الجزائر الثورة ـ الشعب » برئاسة الرئيس هوارى بومدين ، ميثاقا جديدا يحدد معالم هذه المرحلة وخطواتها ، للنقاش الجماهيرى الواسع .

وجدير بالذكر ان هذا الميثاق الجديد ، يعد رابع وثيقة وطنية وقومية فى تاريخ مسيرة « جزائر الثورة ـ الشعب » ، الاولى صدرت عام ١٩٥٨ ، خلال ثورة الكفاح الوطنى المسلح .. وصدرت الوثيقة الثانية « برنامج طرابلس » فى عام ١٩٦٢ . بعدها صدرت الوثيقة الثالثة فى عام ١٩٦٤ ، التى عرفت باسم « ميثاق الجزائر »

ويكتسب الميثاق الجديد ، الذى سيستفتى عليه الشعب هذه الايام ، أهمية كبيرة على المستويين : النظرى الفكرى ، والعملى التطبيقى ، لا فى الجزائر ومسيرتها الثورية فحسب ، وانما بالنسبة للتجربة العامة للعالم الثالث . كما يكتسب الميثاق اهميته هذه ، من واقع انه نظرة نقدية موضوعية لتقييم مجموع حركة التحرر الوطنى منذ بداية الخمسينات حتى اليوم .

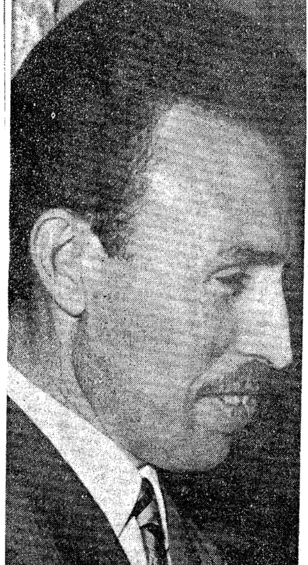
حول الميثاق الجديد ، تقدم « الطليعة » هذا العدد :

أولا : مقالا لاحمد حمروش ، الذى عاد أخيرا من الجزائر ، بعد أن حضر وتابع المناقشات التى طرحت فيها الميثاق ، فيكتب عن الاختيار الجديد للجزائر .

ثانيا : مقالا للطفى الخولى ، يقدم فيه ملاحظاته حول الميثاق من خلال قراءاته الاولى لهذا العمل الفكرى الوطنى التقدمى .

ثالثا : مختارات من مشروع الميثاق لكى يتعرف القارىء بنفسه على بعض الافكار القضايا النظرية والعملية التى يطرحها .





■ الاختيـــار الجـديد للجـــــزائر

احمد حمروش

■ ٤ ملاحظات حـول ميثاق الجـزائر

لطفى الخولى

■ مختارات من مشروع الميثاق الوطنى

ـ اطارات الحزب والدولة
ـ الاشـتراكية والاسـلام
ـ الدولـــة والمـــواطن

هوارى بومدين

الاختيـــار الجـديـد للجـزائـر

أحمـد حمروش

قال هوارى بومدين فى افتتاح الندوة الوطنية للتعريب :

[لا مجال للمقـارنة أو المفاضـلة بين اللغة العربيـة أو أى لغة أخرى ، فرنسـية كانت أم انجليزية .. لان الفرنسـية كانت وستبقى مثلما بقيت فى ظل الاسـتعمار ، لغة أجنبية لا لغـة الجماهير الشعبية .. وان ما لم يتمكن المستعمر من تحقيقه بالامس بالسلاح ، لن يتحقق بأى حال من الاحوال على أيدى أبناء الشهداء] .

وأكد بومدين ايضا ان [حركة التعريب هى جزء من المسيرة الثورية ، ولابد ان تقودها العناصر التقدمية المؤمنة بالثورة ، ولن نسمح ابدا بأن تكون مجرد شعار تختفى وراءه أية عنـاصر رجعيـة لا تؤمن بالثورة لتجعـل منه سـلاحا تحقق به أغراضا خاصة تتنافى مع الخط الثورى وتناهضه وتعمل ضده وهى ترفع لواءه] .

عندما قـال بومدين ذلك ، كان يعـبر تعبيرا صادقا عن اصرار الثورة الجـزائرية على تحقيق الارادة الشـعبية التى تعرضـت لقهـر قومى لم تتعـرض له دولة عربيـة خـلال ١٣٢ عاما من الاحتـلال الفرنسى ... حتى كاد الشـعب يفقد لغته .

رفضت الثورة الجـزائرية ان تكون مثل بعض الدول الافريقية التى اختارت اللغة الفرنسـية أو الانجليزية لغة رسمية لها ، رغم انه لا يتحدث بهـا الا قلة من المثقفين ، بينما جماهير الشـعب تتخاطب بلغتها الخاصة .

اختارت الثورة الجزائرية طريقها الى التقـدم خلال القومية العربية .

وعودة الجزائر الى العربيـة هو اسـترجاع للشخصية الوطنية ، لان العربية كانت فى وجدان كل جزائرى ، سواء الذى أتيحت له فرصة تعلمها أو حالت الظروف بينه وبين ذلك .

وخلال حرب التحرير ، كان المناضلون يتحدثون اللغة العربيـة ، حتى الذين لم يكونوا يحسنون الحديث بها ، بذلوا جهدا كبيرا لاستعمال لغتهم القومية .

واليوم ... أصـبح الجزائرى يفخر اذا تحدث العربية ، وهو يعبر بذلك عن شعور بالسـعادة لانه أصـبح قادرا على التفـكير والتعبير بلغته القومية .. ولانه أصبح قادرا أيضا على مخاطبة أولاده من النشء الجـديد الذى يدرس العربيـة ويتحدث بها بطلاقة .

لم يعد الجزائرى مثل بعض المثقفين فى الدول العربية الذين يتشدقون بلغة أجنبية فى أحاديثهم اليومية .. بل أصبح من أهدافه أن يجيد الحديث بالعربية ، وان يقلل التعبير ما وسعه ذلك باللغة الفرنسية .

واصرار الثورة الجزائرية على ازالة مظـاهر القهر القـومى الذى تعرض له الشـعب واستشهد منه مليون ونصف فى سبيل التحرير هو دليل على الجدية والصـلابة الثورية التى يخوضون بها معارك السـلام ، كما خاضوا معارك الحـرب .

ومعركة بنـاء المجتمع الجديد فى الجزائر من واقع لم تكن فيه أية دولة عربية .. فقد وضـع الاستعمار الفرنسى الاستيطانى خطته على أساس محو فرص النمو والانطلاق للروح الجزائرية أو القومية العربية أو الديانة الاسلامية .

صحيح ان الجـزائر قد ورثت من الاحتـلال والاستعمار الفرنسى بنية اقتصادية وادارية طيبة ولكنها مع الاسـتقلال عام ١٩٦٢ ، لم تكن تملك

كفاءات وقيادات فنية وأدارية قادرة على تحريك المجتمع .

لم يكن هناك سائق قطار أو شرطى مرور أو محاسب جزائرى .. ومعظم المهن كانت مقصورة على الفرنسيين ، فلم يكن هنـاك فعلا اكثر من عشرة مهندسين .

الخبـــرة الوطنية

وكانت الثورة الجزائرية أمام اختيارين ... اما ان تعتمد على الخبرة الاجنبيــة ، واما ان تخلق خبرة جزائرية محلية .

واختارت الثورة الجزائرية طريق بناء المجتمع بتوفير الخـبرة الجـزائرية بأقصى سرعة وطاقة ممكنة ، مع الاستعانة بالخبرة الاجنبية لفترة زمنية محدودة ، ومرهونة بتوفير الخبراء الجزائريين .

ويمكن القول بأن هـذه الخطة قـد بدات مع استقرار هوارى بومدين ومجلس الثورة فى قمة المسئولية فى ١٩ يونيو سنة ١٩٦٥ .

وتوفرت للجزائر فرصة الاستقرار ، فقد مضت الان اكثر من عشر سـنوات دون تغيير .. وهو الامر الذى تتشابه فيه الثورة الجزائرية مع ثورة المصرية التى لم تتعرض لانقلابات من خارجها .

والاستقرار الزمنى فى دول العالم الثالث يعتبر عاملا رئيسيا فى بناء المجتمع بنفس هادىء ونظرة عميقة .

وقد نجت الجزائر من تعـدد الانقلابات ، لان الحكم الثورى فيهـا كان نتيجـة لثورة شـعبية عريقة ، تحول فيهـا الناس الى جنود .. وتميز الجيش بشعبيته ، وابتعاده عن طبيعة الجيوش النظامية المحترفة .

ولا شك ان تعدد الانقلابات العسكرية وتغير الحكام فى دول العالم الثالث هو عامل من اشد العوامل بعثـا للتوتر فى المجتمع ، واصـــابة حــركته التحررية والاجتمــاعية نحو المســتقبل بالشلل .

ولذا فان الاستقرار فى الجزائر ، كان ســببا من أهم الاسباب لتنفيذ خطة ناجحة لتوفير كادر قيادى وفنى وادارى .

وضــح ذلك فى التعليم .. خمس الشــعب الجــزائرى هو اليــوم فى المدارس والمعــاهد والجامعات ، بعد ان كان ١٤ ٪ فقط من الجزائريين بين سن ٦ سنوات و ١٤ سنة فى المدارس عام ١٩٥٤ ، الذى بدأت الثورة فيه مع أول الفاتح من نوفمبر .

وتشير الاحصــائيات ، فى بحث أعــده جون واتربرى ، لعدد من الجــامعات الامريكية ، بان الدارسين فى المدارس الثــانوية قد زاده اربعة أضــعاف فى عشر ســنوات بعد عــام ١٩٦٢ ، والتعليم العالى زاد سبعة أضعاف .

وقــد فتحت جامعــات جــديدة فى وهران وقسنطينه . الى جانب جامعة جديدة فى الجزائر

وتصرف الجــزائر ٢٣ ٪ من ميزانيتهــا على التعليم ، وهى نسبة تضعها منظمة اليونسكو فى مقدمة النسب فى العالم .

وتستهدف خطة التعليم ان يكون ١٠٠ ٪ من أفراد الشعب الجزائرى بين سن ٦ ســنوات ، و١٤ سنة ، قد أصبح لهم مكان فى المدارس عام ١٩٧٨ .

هذا الاتجـاه الثورى للتعليم ، وتخريج الخبرة من الجامعات الجزائرية يرتهن بأمر آخر هام .. وهو ان شروط اقـامة المصـــانع والمعامل فى الجزائر تنص فى العقد على ان الكلمة النهـائية تكون عندما يتحـرك المشروع كله بأيـدى جزائرية كاملة .

وقد ضربت الجـزائر ، باصرارها الثورى فى الاعتماد على الخبرة الوطنية ، مثالا لبعض الدول الافريقية المتحررة .. فحين وجد حكام موزمبيق مثلا انهم أمام اختيـارين همـا : الســماح للبيض بالهجرة الى البرتغال ، مع خسارة الخبرة الفنية العاملة ، أو الســماح لهم بالبقــاء مع اختلاس الافارقة للخبرة من ثقوب أوربية ، فضلوا الحل الاول حتى يواجهوا المستقبل بلا عقد ولا رواسب عنصرية .

وهكذا كان — الطريق الجزائرى — رائدا فى هذا المجال .

وقد لمست ان الجــزائرى يقــارن غالبا بين ما يجده فى مجتمعه وما يجده فى فرنســا ، رغم ما هو قائم من فروق تاريخية وحضارية .. الا ان الطموح الجزائرى لا يقف عند حد .. ولا يجد الفرنسى أكثر تميزا منه .

وقد تؤدى هذه المقارنات أحيانا الى بعض القلق ولكنها تنتهى دائما فى مصلحة المجتمع الجزائرى الذى يتميز الآن بلمسة أوربية فى نســيج عربى اصــيل .

وقد بدأت رحلة العودة لعــدد من الجزائريين الذين يقيمون فى فرنســا ، والذين يبلغ عددهم حوالى ٨٠٠,٠٠٠ ، يعيشون حياة شديدة القسوة والمعاناة .. وذلك لانهم يجدون اليوم فى وطنهم عملا واستقرارا وأملا .

الاشـــتراكية .. والوطنية

وتقدم لنا ثورة الجزائر قضية هامة اخرى ؟ قضية الشعوب التى تحمل السلاح فى حرب تحرير وطنية .. وما ينجم عن هذه الحرب من آثار فى بناء المجتمع الجديد .

امتدت حرب التحــرير ثمانى ســنوات ، ولم يرتفع فيها خلال المعارك سوى شعار [الاستقلال الوطنى ، مصير الجزائر] ، ولم يكن هناك خلاف حول هذه القضية الرئيسية .

ولكن الاستقلال وخروج المحتلين الفرنسيين من الارض الجزائرية ، لم يحسم القضية ، ولم يحدث الاسترخاء الذى يشعر به المحارب بعد انتهاء المعركة .

ليست معركة سلاح ، ولكنها معركة تأكيد للاستقلال وبناء مجتمع اشتراكى جديد .

ومنذ الايام الاولى لانتصار الثورة ، وضح الهدف الاشتراكى ، وكانت مصر أو الجمهورية العربية المتحدة [ومصر وسوريا] ، هى الدولة العربية الوحيدة التى اعلنت اتجاهها الاشتراكى فى قوانين يوليو سنة ١٩٦١ ، ثم الميثاق الوطنى فى مايو ١٩٦٢ .

ولكن التطبيق الاشتراكى فى الجزائر لم يكن متبلور الفكر أو واضح الهدف عند قيادة الثورة فى ذلك الوقت .

والان ، وبعد عشر سنوات من حركة ١٩ يونيو سنة ١٩٦٥

ما هو موقف الثورة الجزائرية من الوطن الذى حمل السلاح وحارب به ولكنه ليس اشتراكيا ، ولا يريد ان يحارب معركة بناء الاشتراكية ؟

قال لى هوارى بومدين فى لقاء معه :

— لقد تجاوزنا مرحلة الثورة الوطنية ، ودخلنا مرحلة البناء الاشتراكى ، والثورة لا تفرض على المحاربين السابقين ان يمضوا مع المسيرة الثورية الى نهاية الشوط . . كل مناضل يختار موقعه ويحدد حركته . . والذى يختار طريق الكسب الشخصى والعمل الخاص فهو حر فى ذلك تماما ، ولكنه لن يجد مكانا فى صفوف حزب الثورة الذى يناضل من أجل بناء الاشتراكية ، ويضع خطا مميزا وواضحا بين الوطنيين والاشتراكيين .

وتطبيقا لذلك ، فان بعض اعضاء مجلس الثورة السابقين فضلوا الاعمال الخاصة . . الكولونيل صوت العرب الذى ذاع اسمه فى يوم من الايام افتتح مصنعا صغيرا للسجاد . . هكذا هوايته .

ويوسف بن خده وفرحات عباس ، كان كل منهما قد استقر فى صيدليته .

واصرار الثورة الجزائرية على وضع الخط المميز بين الوطنيين والاشتراكيين لم يكن جموحا أو تطرفا . . ولكنه اختيار تفرضه الظروف على ثورات العالم الثالث .

يسود شعور بأن انتهاء الحرب يعنى بالضرورة بداية عهد استقرار وهدوء .

ولنلتمس العذر لاصحاب هذا الشعور ، الذين يعتقدون ان هزيمة الامبريالية عسكريا تجعلها تلقى السلاح ، وتعترف بانتصار حركة التحرر الوطنى . . بل وتسهم فى تقديم الخدمات لها لبناء مستقبل جديد .

ولكن تجارب العالم الثالث تثبت ان هذا الشعور هو وهم زائف وسراب . . وان الانظمة المنتصرة على القوى الامبريالية تحتاج الى تأمين مجالاتها الحيوية .

والمجال الحيوى لثورة الجزائر هو ساحة الوطن العربى ، وقد وقفت ثورة يوليو الى جانبها فى سنواتها الاولى حتى بدأت تثبت خطواتها وتتحرك الى المستقبل فى ثقة .

وكانت ثورة الجزائر فى ذلك احسن حظا من ثورات موزمبيق وأنجولا ، على سبيل المثال ، التى تواجه بعد انتصارها مباشرة تهديدا من الدول العنصرية المجاورة لها [روديسيا وجنوب أفريقيا]

ويعرقل هذا التهديد عملية بناء المجتمع الجديد لما يفرضه ذلك من استنفار دائم للقوات الشعبية حتى تكون على يقظة من أخطار الامبريالية المباشرة أو المتسربة .

ولذا سبقت الثورة الجزائرية مثيلاتها فى العالم الثالث ، عندما اسرعت فى عملية البناء والتحول نحو الاشتراكية .

ولم تتردد فى اختيار طريق الاشتراكية ووضع خط فاصل مميز بين مرحلة النضال الوطنى ومرحلة النضال الاشتراكى .

وكان هذا هو الاختيار الثانى الذى مضت فيه الثورة الجزائرية .

حزب .. أم جبهة

ويأتى الاختيار الثالث أمام الثورة :

وهو ما يتجسد فى الاسلوب الذى يجب عليها ان تتبعه لبناء المجتمع الاشتراكى .

وبناء الاشتراكية هو عملية اجتماعية صعبة ومعقدة . . والوصول الى تطبيقها المتكامل المتطور السليم يحتاج الى حزب ثورى طليعى يكتسب ثقة الجماهير ويشق معها الطريق مقدما القدوة والنموذج .

وقد سألت هوارى بومدين — وكنت قد قرأت تصريحا له عقب توليه المسئولية عام ١٩٦٥ — يؤكد فيه ان حزب جبهة التحرير الوطنى هو حزب ورقى .

سألت بومدين :

— هل يمكن القول ان ما كنتم تهدفون اليه قد تحقق ؟

— وهل يمكن الاطمئنان الى قدرة الحزب على بناء الاشتراكية والدفاع عنها ؟

وأجاب بومدين ، وكأنما يتوقع السؤال :

[الذى ينظر من الخارج ربما يتصور اننا قد اهملنا الحزب . . ولكن العملية ليست بيروقراطية والحزب هو ثمرة تفاعلات اجتماعية وعملية فرز صحيحة .

كان صعبا ان نتكلم عن حزب والمجتمع الريفى فى هذه الحالة من التخلف .

هل يمكن الكلام عن الحزب بدون ثورة زراعية تقضى على التخلف ؟

هل يمكن الكلام عن الحزب قبل وضع العامل فى وضعه الصحيح ؟

السنوات الماضية كانت أساسا من أجل الثورة الصناعية وتوفير فرصة العمل ودعم الطبقة العاملة .. وبدأنا أيضا الثورة الزراعية صيف عام ۱۹۷۱ ، ومضت فى خطوات ثورية رفعت مستوى الفلاحين ، ونسجت بينهم وبين الطلبة عن طريق التطوع المتزايد .

اسألنى الان عن الحزب .

اسألنى بعد ان أصبحت هناك طبقة واعية من العمال ، وفلاحين ينتسبون الى نوعيات اجتماعية متطورة ، وجامعات منفتحة على البيئة .

كانت نقطة الضعف هي توفير القوالب التنظيمية لربط هذه الطاقات ببعضها .. ولو شكلنا بعد ١٩ يونيو حزبا بيروقراطيا لغرقنا فى مشاكل .

اليوم ، لا توجد عندنا مشاكل مع العمال أو الشباب .. وأول مؤتمر تأسيسى للشباب كان الجو فيه [سخنا] ، ولكنه توصل الى قيادات اشتراكية .

حاولنا ان يكون البناء تحتيا لنعطى قاعدة صحيحة ومتينة للثورة ، لاننا لا نريد للثورة ان تتوقف ، حتى اذا غابت القيادة الحالية .

نريد الوصول الى نقطة [اللاعودة] .

واذا وقفنا مع العمال والفلاحين فى الحصول على أكبر قدر ممكن من حقوقهم ، حتى يكون ارتباطهم بالثورة الاشتراكية واعيا ونهائيا .

والحركة الثورية الاشتراكية لابد لها من حزب ثورى عقائدى ، اشتراكيته واضحة الاهداف ، وتصوره للحاضر والمستقبل يتميز بالدقة والعمق ، فالثورة الاشتراكية هي تلك الحركة الجماهيرية للطبقات الكادحة المؤمنة بالثورة ، المجندة من أجل تحقيق أهدافها ، ولذا حددنا مقاييس يجب ان تتوفر لدى المناضل الاشتراكى ، وهى الالتزام بأهداف الثورة الاشتراكية ، والكفاءة او المقدرة على ادارة الجهاز الذى يوكل اليه امر تسييره ، وأخيرا النزاهة .

وحددنا قوى التحالف أيضا بالعمال والفلاحين والشبيبة والجنود ، ولم ندخل البرجوازية الوطنية فى اطار التحالف لان مصالحها تتنافر عمليا وواقعيا مع مصالح الفلاح أو العامل الفقير

ولكن من حق هذه البرجوازية الوطنية ان تجد الحماية ما دامت تقدم للوطن خدمات انتاجية ولا تحاول ان تبنى لنفسها قوة سياسية معادية للثورة .

والذى يبحث عن المال لا حجر لنا عليه فى حدود القوانين ، ولكن ليس له مكان فى حزب يبنى الاشتراكية .

ويمكن القول بأن الظروف الملائمة لقيام حزب ثورى اشتراكى قد نضجت] .

هكذا اكد بومدين فى كلماته ان الثورة الجزائرية قد اختارت طريقها وهو تكوين حزب طليعى ثورى .

وعندما سألت بومدين :

ـ هل يحتفظ الحزب باسمه القديم [جبهة التحرير الوطنى الجزائرية] ، رغم ما قد يوحى به ذلك من انه جبهة وليس حزبا ؟

قال بومدين :

ـ سنحتفظ باسم الحزب ، لما له من ذكريات نضالية وتاريخية .

وقد تبلور فكر الثورة الجزائرية وتحددت اختياراتها فى مشروع الميثاق الذى يناقش اليوم بطريقة ديموقراطية واسعة مع جماهير الشعب ومنظماته الديموقراطية .

كنت فى الجزائر عند اعداد المشروع ، وقد سألت بومدين عن الاسباب التى حفزته مع مجلس الثورة لاصدار الميثاق .

قال بومدين :

ـ اننا ندرك ان جيل الثورة يسير شيئا فشيئا نحو القضاء المحتوم .. ولقد سارت الثورة بايمان أبناء هذا الجيل وارادتهم وتفانيهم وتضحياتهم ، ولابد من توفير كل الحماية التى تصون الثورة من اى ردة أو انتكاسة ، بحيث تتطور المكتسبات الشعبية وتزدهر ، وتقفل الابواب أمام أى عابث قد تقذف به الاقدار فى طريق المستقبل .

اننا نريد ان نتفادى الاخطار والثغرات التى حدثت وقادت الى انتكاسات فى بعض الجهات ، ولا نريد أيضا ان نقف فى وسط الطريق ، ولذا كان لابد من صدور الميثاق ليكون أساس عملنا فى المستقبل ، ووصولنا نقطة اللاعودة كما قلت » .

ماذا يقدم الميثاق الجديد ؟

وما هي رؤيا قيادة الثورة الجزائرية لطريق المستقبل ؟

• • •

أنجز هوارى بومدين ما وعد ...

قال للجماهير فى الذكرى العاشرة لحركة ١٩ يونيو ، انه سيقدم للشعب خلال عام ميثاقا ودستورا ... وفى هذا العام يتم الاستفتاء عليهما بعد ان صدر فى الشهر الماضى [المشروع التمهيدى للميثاق الوطنى] ، وتتم أيضا الانتخابات التشريعية والرئاسية قبل ان ينتهى العام .

وتبدا بذلك مرحلة جديدة فى تاريخ الثورة الجزائرية يطمئن فيها المجاهدون الذين حملوا عبء النضال والتضحية الى ان الثورة مستمرة بارادة شعبية ، والى ان الجيل الجديد قد أصبحت خطواته مؤكدة على الطريق الصحيح .

ومشروع الميثاق كان ثمرة اجتماعات ومناقشات متصلة لمجلس الثورة ومجلس الوزراء فى اجتماعات مشتركة ، وهو يناقش اليوم بطريقة ديموقراطية فعالة فى كافة المجالات .. لجان الحزب والاتحادات والنقابات ، ومع عمال المصانع والفلاحين والشباب ، وعلى صفحات الصحف .

وليس هذا هو الميثاق الاول للثورة الجزائرية .. هناك ميثاق سابق صدر عام ١٩٦٤ ، ولكنه لم يحدد منهجا جديدا للتفكير ، ولم يكن له من تأثير بعد بيان ١٩ يونيو سنة ١٩٦٥ .

وتوقيت صدور هذا الميثاق يدل على ان قيادة الثورة قد ارادت ان تقدم للشعب [كشف حساب فكرى] ، بعد عشر سنوات من التجربة وممارسة المسئولية .

وليست هناك ثورة تعيش بلا منهج فكرى يكون دليلا للعمل والحركة السياسية .. وتختلف الثورة الجزائرية عن ثورة يوليو فى ان الاولى قد ارتبطت بوثيقة الصومال فى عام ١٩٥٦ ، وبرنامج طرابلس عام ١٩٦٢ ، ثم الميثاق وبيان ١٩ يونيو .. بينما ظلت ثورة يوليو بلا دليل عمل عشر سنوات تقريبا حتى صدر الميثاق الوطنى فى مايو عام ١٩٦٢ ، وكان هذا بداية الوضوح فى مسيرتها .

ولذا نعتبر مشروع ميثاق الجزائر وثيقة تاريخية هامة تصدر فى مرحلة زمنية حساسة تتعرض فيها دول العالم الثالث لمحاولات امبريالية جديدة لتفريغ بعض انظمة الحكم من طاقاتها الثورية ، واخضاعها للنفوذ العملى للامبريالية . . وتصدر ايضا فى وقت انتصرت فيه ثورات التحرر الوطنى ذات المضمون والاهداف الاشتراكية فى فيتنام وكمبوديا ولاوس وفى انجولا وموزمبيق والصومال واثيوبيا وغيرها من الدول الافريقية التى تربطها علاقات طيبة مع الثورة الجزائرية .

ويصدر الميثاق ايضا بعد ثورات عربية ناجحة .. فى العراق ١٧ يوليو عام ١٩٦٨ ، وفى ليبيا الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩ .. وبعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، التى حطم فيها المقاتل العربى أسطورة العسكرية الصهيونية [التى لا تهزم] ، وما تبع هذه الحرب من تغيرات فى الموقف العربى اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، وما انتهت اليه الامور أخيرا فى المغرب العربى من ظهور [جمهورية الصحراء العربية الديموقراطية] ، وقطع العلاقات الديبلوماسية بين المغرب والجزائر التى تساند شعبا مضطهدا يطلب حقه القانونى العادل فى تقرير المصير .

اقصد الى القول بأن الميثاق الجزائرى يصدر بعد تجارب عميقة خاضتها الثورة الجزائرية بالرؤية أو المشاركة أو القتال ، سواء فى الوطن العربى أو العالم الثالث .

اشتراكية .. هى الاختيار

وليست هذه مناقشة كاملة للميثاق .. ولكنها وقفة عند بعض العلامات المميزة .

ومشروع الميثاق واضح .. بل شديد الوضوح فى اختيار الجزائر لطريق الاشتراكية ، بل هو ينص على [تعميق تجربتنا الثورية والتحول بالمحتوى الديموقراطى الشعبى للثورة الى محتوى اشتراكى] .

ولا يعنى هذا بالضرورة تحويل اسم الجمهورية الجزائرية لتصبح [الجمهورية الجزائرية الاشتراكية] ، بدلا من [الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية] . .ذلك أمر يشبه فيما اعتقد المحافظة على اسم [حزب جبهة التحرير] لما له من دور وذكريات تاريخية .

واختيار الميثاق للاشتراكية لا يأتى [بطريقة تعسفية ولا عن طريق الاستيراد] .. ولكنه يأتى عن قناعة عبر عنها فى سطور تقول :

« ان الرفض المباشر للاستعمار يفضى الى رفض الرأسمالية ، فعندما تدرك الجماهير بأن كلا من الاستعمار والرأسمالية مرتبطان اشد الارتباط وان احدهما ما هو الا انعكاس للاخر ، عندئذ تنشأ الظروف التى تجعل الوعى الوطنى يتحول الى وعى اشتراكى] ، ومعاناة الجزائر من الاستعمار الاستيطانى لمدة ١٣٢ عاما لها تاريخ معروف ومشهود .

ويوضح الميثاق ذلك بقوله ان الرأسمالية — مهما كانت مزاياها فى مرحلة توسعها — الا انها ظلت قائمة على اساس استغلال الانسان للانسان .. بينما يكمن تفوق الاشتراكية على الانظمة الاجتماعية السابقة فى جمعها بين [أحدث المكاسب العلمية والتقنية العصرية وبين مبادىء التنظيم الاجتماعى المتميز بمزيد من العقلانية والعدالة الانسانية] .

وقد استطاعت الثورة الجزائرية ان تحقق انجازات اشتراكية ملموسة ، بدأت بتأميم المناجم عام ١٩٦٦ ، ثم استرجاع الثروات الوطنية ، وخاصة البترول عام ١٩٧١ ، واخيرا استرجاع أراضى المعمرين والمغتربين وتطبيق الثورة الزراعية عام ١٩٧٢ .. وتوفير الكادر الفنى والادارى القادر على توجيه الامور وتحريكها .

ولكن .. أى نوع من التطبيق اختارت الثورة الجزائرية ؟

والمبادىء العلمية للاشتراكية تختلف فى التطبيق من بلد الى آخر .

الموقف من الرأسمالية الوطنية ..

تنفرد الثورة الجزائرية بنظرة خاصة للرأسمالية الوطنية .. هى — فى اعتقادى — نابعة من

الحالة التى كانت عليها الجزائر بعد خروج المستعمرين الفرنسيين الذين مارسوا اقسى انواع الاضطهاد حتى كاد يصبح عملية ابادة جماعية ، مما ادى الى [تدمير الدولة وتقويض البنيات الاجتماعية الاقتصادية القديمة ، والقضاء على الفئات الحاكمة التقليدية وعلى العناصر المستفيدة فى المجتمع وسلب الشعب ممتلكاته] .

ويخلص الميثاق الى تصوير الحالة بأنها نزول بالمجتمع الى الدرك الاسفل ، وجعل أفراده سواسية فى الشقاء ، وتكون الطبقة الحاكمة فيه [ليست البرجوازية الوطنية لان الاستعمار قد اضعفها ، بل تكون متمثلة فى برجوازية اجنبية ذات نفوذ وسلطان] .

لذا تعتبر الثورة الجزائرية انه لم تكن هناك برجوازية وطنية ذات دور تاريخى ، وان الاستقلال قد واجه شعبا عاشت اغلبية أفراده العظمى تحت نير المعاناة والاضطهاد .

ولذا كان تصنيف البرجوازية الوطنية واضحا وحادا .

يقول الميثاق :

[ان الاشتراكية فى البلدان النامية تستمد حركتها العميقة من مكافحة الامبريالية بكل اشكالها ويشمل هذا الكفاح بحكم الضرورة القضاء على الرأسمالية الوطنية التى سوف تصبح ان آجلا أو عاجلا ذنبا للرأسمالية العالمية] .

البرجوازية الوطنية لا مستقبل لها فى الجزائر اذن .

وليست البرجوازية الوطنية داخلة فى نطاق القوى الاساسية للثورة .

والموقف منها تحدده هذه الكلمات الحاسمة :

[ان الفئات البرجوازية بحكم تمثيلها لقطاع خاص هامشى ، تستطيع بدورها — وهذا واجب عليها ان تساهم فى تنمية البلاد بتوجيه نشاطها نحو المهام المفيدة والمكملة للمجهود الوطنى — الا ان الدولة الاشتراكية سوف تميز بين الذين يعملون بنزاهة فى حدود القانون وبين المستهترين به .. وفى هذا الصدد تتعين مكافحة وازالة اى نشاط ذى طابع طفيلى أو مصلحى مرتبط بالرأسمال الخارجى] .

واقع الحال فى الجزائر يفرض نفسه .. والانسان الذى يهتم بالربح الذاتى حر فى ممارسة هوايته فى حدود القانون .. ولكن أبواب الحزب والعمل السياسى مغلقة أمامه بلا تردد .

هذا النوع من العمل الذى يشكل ملكية صغيرة غير مستغلة هو موضع حماية الثورة الجزائرية فى حدود القانون .. ومشروع الميثاق يعتقد [ان القضاء على القطاع الخاص غير الاستغلالى فى بلد مثل الجزائر ، اجراء غير حكيم ، اذ ان هذا القطاع يقوم بدور ايجابى فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية للوطن] .

ولكن خيوط حركة القطاع الخاص تتجمع فى يد الدولة أخيرا ، اذ ينص مشروع الميثاق ايضا على ان تتولى المؤسسات الوطنية تموين القطاع الخاص ، لا سيما بالمواد المستوردة من الخارج ، الامر الذى يؤدى الى تخفيف أو ازالة مخاطر الارتباط بالدوائر الرأسمالية الاجنبية .

القوى الاساسية للثورة

واذا كانت البرجوازية الوطنية قد أبعدت عن قوى الثورة ، فما هى القوى الاساسية للثورة ؟

يقول مشروع الميثاق انها تتمثل فى العمال [سواء كان عملهم يدويا أو فكريا] ، وفى الفلاحين والجنود والشبان والعناصر الوطنية الثورية .

وتحديد هذه القوى ليس تحديدا طبقيا كما هو واضح ، فالجنود والشبان والعناصر الوطنية الثورية ينتمون الى اصول اجتماعية مختلفة ، وهم منتشرون بين الطبقات .

ولكن الثورة الجزائرية فيما يبدو قد ارادت ان ترفع أعلام هذه الفئات وتؤكدها للطبيعة الخاصة المؤثرة لهم فى المجتمع الجزائرى .

فالجنود فى المجتمع الجزائرى يشكلون الجيش الوطنى الشعبى الذى تشكل طاقته الهائلة عنصرا هاما فى دفع طاقات الثورة الصناعية والثورة الزراعية ، والذى يسهم بخبراته وجنوده وضباطه فى الخدمة الوطنية وفى مشروعات الانتاج والخدمات .

والشبان يرتبطون عن طريق التطوع بالثورة الزراعية ، وقد لمست دورهم الحيوى فى ذلك بما نقلوه للقيادات من مشاكل الفلاحين ومتاعبهم .. ويرتبطون ايضا بالخدمة الوطنية التى تكسبهم تكوينا عسكريا ، وتربطهم بظروف حياة الجماهير وترسخ العقلية الاشتراكية عن طريق المساواة والتعاون بين أبناء الفئات الاجتماعية المتعددة التى تعيش فى ظروف اجتماعية واحدة .

أما العناصر الوطنية الثورية فهم هؤلاء الذين اكتسبوا خلال الكفاح التحررى روحا ثورية تعمل باصرار على دعم الاستقلال وبناء المجتمع الاشتراكى .. وهم ينظرون اليهم باعتبارهم نوعية هامة لاستمرارية الثورة ».

هذه القوى الاساسية يجمعها تحالف مبدئى ومصالح مشتركة من أجل التقدم بكل ثبات فى طريق الاشتراكية .

الحزب

والتحالف الجماهيرى يتحرك تحت قيادة حزب طلائعى هو [حزب جبهة التحرير] .

وينص الميثاق على انه [سوف يكون حزبا طلائعيا ، أى تجمعا يضم كل العناصر الواعية التواقة الى تحقيق هدف واحد ومواصلة القيام بعمل واحد يستهدف غاية واحدة ، هى انتصار الاشتراكية] .

والحزب لن يفرض قيودا خاصة على الفئات غير المستغلة [فالحرفيون والتجار الصغار على سبيل المثال لا الحصر ، هم كذلك حليف طبيعى للثورة ، ويمكنهم ان يكونوا أعضاء كاملى الحقوق فى الحزب] .

وربما يؤدى ذلك الى ظهور بعض التناقض فى تفسير الفرق بين هذه الفئات وبين البرجوازية الوطنية الملفوظة .

ويوضح الميثاق كل ما يتصل بتكوين الحزب ونظامه الداخلى والمنظمات الجماهيرية المرتبطة به والديموقراطية فى صفوفه .

ولا شك ان صدور الميثاق سوف يكون دفعة ايجابية ، تحقق ما قاله لى هوارى بومدين من انه قد أصبح مع مجلس الثورة فى موقع القدرة على تشكيل حزب ثورى طليعى ، بعد الانجازات الثورية التى تمت فى السنوات العشر الماضية .

ومن أبرز تجارب العالم الثالث ان وجود الاحزاب وتشكيلها الحديدى وارتباطها بالجيش الشعبى هو ضمانة رئيسية لمنع حدوث مغامرات المراهقين أو العملاء الانقلابيين .

واذا كان حزب جبهة التحرير ، خلال سنوات الثورة الماضية ، لم يكن فى مستوى قدرة الشعب الجزائرى وطاقاته المتمثلة فى حركته اليومية وانتاجه المتزايد وقيادته الثورية ، فانه لابد وان يصل أمام الوضوح الذى يفرضه الميثاق الى المستوى الذى يتطلع اليه كل الثوريين والتقدميين

الجزائر .. والمغرب .. والوحدة العربية

ويفسر مشروع الميثاق نظرة الجزائر العربية .

وليس هناك ذرة شك فى ان وجود هوارى بومدين ، بأصالته العربية ، فى قمة المسئولية هو عامل من أهم العوامل التى دفعت الثورة الجزائرية الى التعريب والى الاشتراكية معا .

ورغم محاولة تصوير الجزائر بأنها قد ابتعدت قليلا عن مشاكل المشرق العربى التى تتجسد فى النضال من أجل حقوق شعب فلسطين ، ومن اجل تحرير الارض العربيبة المحتلة ، الا ان المواقف تثبت عدم صحة هذه الاقاويل .. فقد شاركت الجزائر بالجنود والاسلحة فى كافة الحروب ضد اسرائيل .. والثورة الجزائرية تأخذ منهجا عربيا واضحا .

والميثاق يقول [ان الجزائر تعمل بكل اصرار فى سبيل الوحدة العربية ، وتؤمن بامكانية تحقيقها] .. بل انهم يعتبرونها [مطلبا مستعجلا يفرضه تطور الشعوب العربية] .

ولكن .. هل تتم الوحدة قفزا فوق الواقع ، وبعيدا عن التجارب السابقة ؟

النظرة القومية للثورة الجزائرية تؤمن بأن دوام الوحدة لا يكون مجرد ثمرة لاتفاقيات حكومية لان مثل هذا التناول يتسبب فى خيبات أمل تكون لها نتائج خطيرة .. ولذا فان التجارب السابقة يجب أن تكون موضوع تحليل موضوع « من أجل استنباط مفهوم سليم وجرىء فى نفس الوقت] .

ومع ذلك فللثورة الجزائرية تصور كامل فى ذلك يعتبر [ان المغرب العربى جزء لا يتجزأ من الوطن العربى ، وان وحدته تؤدى الى تدعيم التيار الوحدوى فى الوطن العربى ، ويعجل قيام الوحدة العربية] .

ويخاطب مشروع الميثاق الجزائرى شعوب المغرب العربى وشعوب الامة العربية ، مؤمنا بأنه لن تتحقق وحدة مؤكدة الا اذا ساهمت فى وضعها الجماهير الشعبية .

هذه وقفة قصيرة عند بعض المعالم البارزة فى المشروع التمهيدى للميثاق الوطنى .

وربما كانت لنا معه عودة . □

٤ ملاحظـات حـول ميثـاق الجـزائر الجـديد

لطـفى الخـولى

من اهم الاحداث البناءة — اليوم — فى وطننا العربى ، المناقشـات الواسـعة التى تدور فى الجزائر من حـول « المشروع التمهيدى للميثـاق الوطنى » ، وهو المشروع الـذى طـرحه على الشعب فى السادس والعشرين من ابريل ١٩٧٦ ، المناضل « **هوارى بومدين** » ، وذلك من مسـتوى القيادة المسئولة التى نبعت من احضان الفلاحين الكادحين وصفوف المناضـلين المقاتلين فى ثورة الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤ .

والمشروع ، بعد مقدمة تشريحيـة للظـاهرة الجزائرية فى واقعها التاريخى ، يتكون من سبعة أبواب ، تتناول على التوالى قضايا : بناء المجتمع الاشتراكى ، الحزب والدولة ، المحـاور الكبرى لبناء الاشـتراكية [الثورات الثلاث : الثقـافية والزراعية والصناعية] ، الدفاع الوطنى [الدور الاجتمـاعى والسـياسى للقوات المسـلحة] ، السياسة الخارجية بأبعـادها العربية والافريقية والدولية ، الاتجاهات الرئيسية لسياسة التنمية ، الاهـداف الكبرى للتنمية على مسـتوى الوطن والمواطن .

واذا كان من غير المسـتطاع ، فى هـذه العجالة ، التصدى بدراسة تفصيلية لهذا الحدث التاريخى الذى يستهدف القيام بنقلة نوعية للمجتمع الجزائرى الذى امتلك ابناؤه مصيره منذ نجـاح ثورتهم البطولية فى تحقيق اسـتقلال البلاد عام ١٩٦٢ — بعد مـائة واثنين وثـلاثين عـاما من الاسـتعمار الاسـتيطانى — فليس اقل من ان نرصد ، من خلال القراءة الاولى للميثاق ، بعض الملاحظات .

● ● ●

تنبع **الملاحظة الاولى** من طبيعة التوقيت الذى يولد فيه الميثاق .

لم يعد سرا ، بعد ان تكشف جانب غير يسـير من سـلسلة المخططات الامبريالية والصـهيونية والرجعية فى منطقة الشرق الاوسط عامة والوطن العربى خاصة ، ان الجزائر كانت — وما تزال — « الهدف الثانى لضربة عدوانية » بعد تلك الضربة التى اصابت مصر وقيـادتها الثورية بعدوان عام ١٩٦٧ . فالجزائر ، بقدراتها البشرية والمـادية ونظـامها الثورى ، تمثل « مركز الثقـل » لحركة التحرر العربى فى المغرب ، وقوة دعم ورصـيد احتياطى لمصر ، مركز الثقل لحركة التحرر العربى فى المشرق . ومن هنا كان المخطط هو البدء بمصر وسوريا ثم الجزائر والعراق .

ومنذ اللحظة الاولى للهزيمة فى عام ١٩٦٧ ، كانت الجزائر ، على وعى كامل بهذه الحقيقة . ومن هنا ظل محور التحرك العـام لقيـادتها هو الدفاع عن الثورة الجزائرية ونظامها ، لا بالتقوقع داخل حدودها ، وانما من « مواقع هجومية » فى قلب الوطن العربى خاصة ، والعالم الثالث عامة . وفى نفس الوقت ، الاسـتمرار فى عملية تعميق جذور الثورة فى الواقع الجزائرى .

وقـد تلاحمت فى الحـركة الجزائرية ، ثلاث حلقات رئيسية فى وقت واحد : الثورة الزراعية فى الداخل ، الاسهام المتعاظم الذى بلغ حد القتال العسكرى والبترولى فى حـرب عام ١٩٧٣ ، من

أجل تحرير الارض العربية من الاحتلال الاسرائيلي وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، قيادة العالم الثالث في اول مواجهة من نوعها في التاريخ ضد الامبريالية والدول الصناعية المتطورة والشركات العملاقة المتعددة الجنسيات، من اجل الوصول الى نظام اقتصادي عالمي جديد أكثر عدلا .

وهكذا ، بتكنيك « الهجوم خير وسيلة للدفاع » ، أخذ النضال الجزائري يقوى من خلال حرصه على تكامل حركته المحلية والعربية والدولية ، بحيث لم يعد ممكنا حصاره أو حصار آثاره فيما حوله من قوى ونظم رجعية وتقليدية .

من هنا ، وبهدف استنفاد طاقة وحيوية جسم الثورة الجزائرية ، فجرت القوى الاستعمارية والرجعية في المغرب قضية الصحراء ، بيد أن الثورة الجزائرية كانت تملك بوصلتها الهادية ، ولم تضل طريقها في متاهاتها ، أو تجري لاهثة وراء السراب . وقفت ، من منطلق الشرعية الثورية والدولية معا ، مع حق تقرير المصير لشعب الصحراء ، ورفضت كل اغراءات البطولات الوهمية في مغامرات عسكرية . ولم تسمح لنفسها ان تتقهقر الى مواقع رد الفعل ، وظلت في موقع الفعل ، في واقعها وحركتها .

وبالتالي كان منطقيا ان ترفع الجزائر في وجه المؤامرة شعار « **مغرب الشعوب** » ، في نفس الوقت الذي تفرز فيه فرزا ديمقراطيا ، ومن واقع الاستمرارية التاريخية لثورتها وحركتها ، الميثاق ، دليل عمل مرحلة ارساء الاسس المادية والثقافية والروحية لبناء اجتماعي — سياسي ، متطور واشتراكي .

وفي الموعد المحدد ، الذي لم تتمكن القوى المعادية من تأجيله أو الغائه ، خرج « بومدين » للشعب في ليلة السادس والعشرين من أبريل عام ١٩٧٦ ، ليقول : « .. وقد وعدنا في السنة الماضية بأننا سنتقدم في هذه السنة (١٩٧٦) للشعب ، بميثاق وطني ، كما سيعد مشروع دستور يقدم له ، وستجري انتخابات تشريعية وانتخابات رئاسية . اذن فالمشروع في نشر نص الميثاق هو بداية لتلك العملية الواسعة .. » .

ونستطيع ان نلمح بوضوح بصمات « حركة التوقيت التاريخي للميثاق » في أكثر من موضع منه .

في الباب الخامس ، المتعلق بالسياسة الخارجية ، مثلا ، يقول :

— « ان الجزائر ، التي هي من بلدان العالم الثالث ، ومن بلدان عدم الانحياز ، جزء لا يتجزأ من الوطن العربي . فان الاعمال التي تقوم بها تدخل في نطاق الكفاح الموحد والمصير المشترك الذي تلتقي فيه مع سائر الشعوب العربية، وهي تولي أهمية خاصة تمتين عرى الاخوة معها ..

— وعلى كل ، وبصرف النظر عن مصالح الدول يجب العمل على بناء مغرب الشعوب ... ولن تتحقق وحدة المغرب العربي بصفة مؤكدة ودائمة الا اذا ساهمت في وضعها الجماهير الشعبية ..

— ان الجزائر تعمل بكل اصرار في سبيل الوحدة العربية ، وتؤمن بامكانية تحقيقها .. ان هذه الوحدة أصبحت في عهد التجمعات الكبرى ، مطلبا مستعجلا يفرضه تطور الشعوب العربية .

— ان قضية فلسطين تعيش في أعماق وجداننا .. ويشكل تحريرها الشغل الشاغل لاهتمامنا ، وان التزامنا بالوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى التي احتلت أراضيها هو بالنسبة الينا أكثر من واجب تمليه ضرورة التضامن . انه يدخل في صلب العمل من أجل تحررنا بالذات ، ولهذا فان التزامنا ، التزام مطلق يتطلب قبول كل التضحيات ، بما في ذلك التضحية بالنفس .

— .. ان اختيارنا لمجتمع اشتراكي مبني على الاستقلال الوطني والعدالة الاجتماعية ، والمساواة بين المواطنين ، والنهوض بالانسان ومكافحة التخلف ، هو الذي يقرر تصورنا لسياستنا الخارجية القائمة على الكفاح ضد الاستعمار ، القديم منه والجديد . والامبريالية . وتقديم الدعم المطلق لكل الشعوب المكافحة من أجل استقلالها الوطني ، والنضال المستميت من أجل اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد ، وعلاقات دولية تضمن لكل الدول المساهمة في تسوية المشاكل الكبرى المطروحة في هذا العصر » .

● ● ●

والمفتاح **للملاحظة الثانية** ، نعثر عليه في عبارتين صيغتا في ايجاز شديد وزرعهما « بومدين » في كلمته التليفزيونية التي قدم بها مشروع الميثاق للنقاش الجماهيري .

العبارة الاولى تقول : « وهو [المشروع] من وجهة نظرنا — كقيادة — حصيلة تجربة الثورة الجزائرية » .

أما العبارة الثانية فتقرر : « .. كما سيعد مشروع دستور يقدم له [للشعب] ، وستجري انتخابات تشريعية وانتخابات رئاسته .. ان ارادتنا هي تدعيم مكاسب الشعب ، مكاسب الجماهير ، باعطاء البلاد مؤسسات تبقى وتستمر بعد زوال الحكومات وزوال الرجال .. »

والعبارة الاولى تقودنا ، خلال قراءة الوثيقة ، الى تفهم الميثاق كنتاج للتفاعل الذي تم خلال الممارسة الحية بايجابياتها وسلبياتها بين تجارب وآراء ومواقف ومسئوليات القيادة مع الواقع التاريخي والجماهيري للتجربة الجزائرية : ثورة ونظاما .

بعبارة اخرى ، يتولد الميثاق نتيجة الحوار الجدلي بين العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية للجزائر ، في مسارها الشاق والمعقد ، منذ

« رصاصة » الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤ ، حتى كلمة السادس والعشرين من أبريل عام ١٩٧٦ ، أى بمسافة زمنية تمتد اثنين وعشرين عاما .

وهذا يعنى عدة امور أساسية ، نستطيع ان نجملها فى نقطتين :

● **أولا** : ميثاق اليوم ، لا ينبت من فراغ ، وانما هو حلقة متميزة ومتطورة من سلسلة حلقات النضال الجزائرى بانجازاته العملية وبوثائقه النضالية على مدى المسافة من رصاصة تحرير عام ١٩٥٤ ، وكلمة البناء الاشتراكى فى عام ١٩٧٦ . ومن هنا فهو يستند الى رصيد وثائق نداء أول نوفمبر عام ١٩٥٤ ، ووثيقة الصمام فى عام ١٩٥٠ ، التى مثلت مرحلة متقدمة خلال الثورة المسلحة ، وبرنامج طرابلس عام ١٩٦٢ ، عشية الاستقلال ، وميثاق الجزائر فى عام ١٩٦٤ ، ابان الصراعات المزدوجة حول استقرار السلطة الوطنية ضد قوى المعارضة والثورة المضادة من ناحية ، وحول أساليب ومضامين ممارسة السلطة الوطنية لمسئولياتها من خلال جدول بالاولويات من ناحية اخرى . واخيرا بيان ١٩ يونيو عام ١٩٦٥ ، الذى حسم الصراع جذريا ، ووفر للجزائر الجديدة مرحلة من الاستقرار السياسى والتقدم الاجتماعى والاقتصادى . لم يكن من الممكن بدونها ان تتغلب الجزائر الوليدة على المشاكل والصعاب التى تراكمت على أبوابها غداة الاستقلال .

وهذا من شأنه ان يحافظ ، فى الفكر والعمل ، على استمرارية حركة التقدم للتجربة الجزائرية كوحدة واحدة ، ولا يعرضها — كما تعرضت تجارب أخرى من تجارب العالم الثالث والوطن العربى — لهزات الانقطاع التاريخى والتنكر غير الموضوعى للمكاسب التى حققتها الشعب فى فترات سابقة لمجرد ان القيادة كانت غير القيادة . ويثير بالتالى معارك وهمية تستنفد الوقت والجهد فيما لا طائل من ورائه سوى تصفية حسابات شخصية صغيرة .

والاستناد الى رصيد الوثائق الثورية التاريخى ، يقدم لجماهير اليوم التى تتحمل مسئولية النضال ، معيارا موضوعيا تقيس به درجة التقدم فى ميثاق اليوم .. وهل هو بمنطلقاته الفكرية ورؤيته للقضايا والمشاكل والوسائل التى يقترحها للعمل والاهداف التى يرسم لانجازها فى المستقبل ، خطوة اكثر تقدما ، والى أى مدى عن الرصيد التاريخى ، ام هو خطوة الى الوراء ، ام خطوة حركة وهمية فى المكان والزمان ، بطريقة محلك سر .

وفى هذا الاطار ، يسجل ميثاق عام ١٩٧٦ ، بوضوح ، ان المرحلة الراهنة هى بالدقة « الانتقال من مرحلة الثورة الديمقراطية الى بناء الاشتراكية » . ويحدد هويتها من خلال ثلاثة مرتكزات رئيسية تتفاعل بعضها مع بعض على كل من مستوى الابنية التحتية ومستوى الابنية الفوقية للمجتمع الجزائرى ، وهى : « الثورة الزراعية والثورة الصناعية والثورة الثقافية » . ويحدد لكل ثورة فى حد ذاتها وفى ارتباطها مع مجمل الحركة الاجتماعية ، مواصفات وشروط ووسائل واهدافا للتغيير المحسوس فى الانسان والدولة .. فى الحزب والمنظمات الوطنية والجماهيرية .. فى التنمية والوعى السياسى والقدرات الثقافية .. فى الجيش والعمل المدنى .

ويترفع الميثاق — فى هذا المجال — عن الغرق فيما أصبح معروفا فى تجارب العالم الثالث ، برومانسية الشعارات الثورية ، التى تزيف فى النهاية « حقيقة الاشتراكية » ، وما تتطلبه فى الانسان من مسئوليات .

خذ مثلا حديث الميثاق فى الباب الاول منه عن نظرته الى « العمل وشروطه الاشتراكية » ، يقول :

« ان مبدا الاشتراكية القائل « من كل حسب مقدرته ، ولكل حسب عمله » ، يجب ان يكون المبدا الاساسى لنظامنا الاجتماعى . يجب ان يكافأ العمل بمقدار كميته وحسب نوعيته . وفى ذلك مكافأة للجهد المبذول ، وتشجيعا لروح المبادرة وانماء الانتاج . ذلك ان الاشتراكية ترفض المساواة الشكلية التى لا تأخذ بعين الاعتبار ما يمتاز به عامل عن آخر بفضل مواهبه وحسن استعداداته الشخصية حتى لا تكون هناك مكافأة على العمل الردىء » .

● **ثانيا** : ان الحوار الجدلى بين العوامل الذاتية [القيادة] ، وبين العوامل الموضوعية [التجربة التاريخية] ، قد ولد روحا نقدية مسئولة فى رؤية الواقع وتشخيصه ، بهدف تخطيه الى واقع ارقى ، وقيادة اكثر مسئولية وخبرة . ونحن نلمس ذلك فى مواقع متعددة من الميثاق .

فى المقدمة ، مثلا ، يتحدث الميثاق فيقول : « بيد ان الثورة ، ورغم وجهتها التقدمية ، تحمل فى نفس الوقت نقاط ضعف ، ونزعات محافظة ، واغراءات برجوازية ، ورواسب اقطاعية ، وشهوات ايثارية » .

وفى حديثه عن الاساليب الاشتراكية للتسيير فى الباب الثالث ، يقول : « .. ان احد شروط النجاح لنظام التسيير الاشتراكى هو منع تقلصه الى نظام بيروقراطى يتسم باخماد روح المبادرة وبظهور أشكال للسلطة ، وبلورة امتيازات جديدة لا مبرر لها ومتناقضة مع أخلاقيات الاشتراكية وفحواها » .

وهكذا تضىء بعض أضواء « النقد الذاتى » جوانب من الميثاق ، ولكنها مع ذلك تظل مبعثرة ، وتأتى كالهمس غير المباشر فى بعض الحالات . وقد كان مفيدا ، لا للتجربة الجزائرية وحدها ، وانما للوطن العربى والعالم الثالث ، ان تستجمع الطاقة الثورية الجزائرية شجاعتها الادبية المعروفة عنها وتقدم « **بابا منفردا** » ، تعرض فيه

بالرصد والتحليل لسلبيات المسيرة ؛ وتقدم نقدا ذاتيا مباشرا ومركزا ، يشحن حركة التحرر والتقدم في العالم الثالث كله ، وهو يمر بمنعطف خطير ، بزاد خبرة ثورية عظيمة . فليس من الايجابيات وحدها يتعلم الانسان ، بل ايضا وربما أكثر من السلبيات .

أما **العبارة الثانية** في الكلمة التي طرح بها « بومدين » مشروع الميثاق للنقاش الجماهيري ، فهي تبرز امامنا نموذجا لقيادة حركة ثورية ، لا لقيادة نظام حكم ، تعي الحجم المحدود لدور الفرد ، أيا كان وزنه ، في التاريخ ، وتطبقه أول ما تطبقه على ذاتها ، وتنهي بارادتها ، وفي ظروف مد ثوري ، مسئولياتها القيادية التي انتزعتها خلال مرحلة الصراع على السلطة الوطنية ، حتى اذا ما رسختها ووفرت لها الاستقرار السياسي ودعمتها ، اجتماعيا وسياسيا ، بالحد الادنى المطلوب ، أعادت كل السلطات من جديد للشعب ، ليقرر عن طريق الانتخاب الحر المباشر ، كلمته وارادته في المرحلة الجديدة ، وهي مرحلة ارساء مؤسسات الشرعية الثورية .

وفي هذا المجال ، ينحاز الميثاق ، باصرار ، الى المبدأ القائل بأنه لا تعارض — كما بدا في بعض تجارب العالم الثالث — بين الديمقراطية والاشتراكية .. الديمقراطية بمعنى ديمقراطية القوى العاملة المنتجة ماديا وفكريا .. والاشتراكية بمعنى التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة ، من خلال الغاء استغلال الانسان للانسان بل ان العكس هو الصحيح ، فلا اشتراكية حقيقية بدون ديمقراطية حقيقية لبناة الاشتراكية .

● ● ●

ولعل **الملاحظة الثالثة** التي تسترعي الانتباه ، هي ذلك المنهج العلمي الذي التزم به الميثاق في الربط الجدلي بين العام والخاص .. بين « **عمومية** » مجموع أدبيات وتجارب ثورات التحرر الوطني والاشتراكية في العالم ، وبين « **خصوصية** » الواقع الجزائري بظروفه وأوضاعه المتميزة .

ومن هنا تبرز « أصالة الميثاق الوطنية » في نفس الوقت الذي ينتمي فيه ، فكرا وروحا ، الى حركة التقدم الانساني وقيمها النضالية ، بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الموطن الجغرافي .

الأمر الذي سلحه بقدرة على ابتكار أساليب وطرق عمل خاصة وفعالة في مواجهة مشاكل الواقع . ومن هنا كان اثراؤه للفكر والعمل الاشتراكي في عالمنا المعاصر .

كيف ؟

هناك العديد من الامثلة .

في حديث الميثاق عن الاشتراكية ، يطرح مقولة مبدئية تقول : « ليست الاشتراكية دينا جديدا ، وانما هي سلاح نظري واستراتيجي يأخذ واقع كل شعب بعين الاعتبار ، وهي مبنية على العلم ، وعدوة مثله لكل تعصب عقائدي ولكل تزمت فكري » .

ويتدرج من هذه المقولة الى اقرار : « ان الاشتراكية في البلدان الحديثة الاستقلال لا يمكن ان تخضع لنفس الظروف التي تخضع لها البلدان المصنعة ، حيث توجد طبقة عمالية قوية لا تعرف نوعا آخر من القمع غير ذلك الذي يأتيها من الطبقة الرأسمالية في داخل البلاد » .

اذن .. ما العمل ؟ و « الطبقة العمالية الكادحة — كما يقرر الميثاق — في البلدان الحديثة الاستقلال لا وجود لها على العموم الا بصورة بدائية . ثم ان وعيها الطبقي ضعيف في اغلب الاحوال ، بالاضافة الى انها ليست دائما اكثر الفئات الاجتماعية اضطهادا ، بل ان هذه الوضعية تكون أشد خطورة في البلدان التي عرفت الاستعمار الاستيطاني ... »

يجيب الميثاق ، من خلال استجلاء خصوصية الواقع الجزائري ، وواقع العالم الثالث من ثنايا عمومية الواقع الانساني : « ان الاشتراكية في البلدان النامية تستمد حركتها العميقة من مكافحة الامبريالية بكل أشكالها ، ويشمل هذا الكفاح ، بحكم الضرورة ، القضاء على الرأسمالية الوطنية التي سوف تصبح ، ان عاجلا أو آجلا ، ذنبا للرأسمالية العالمية .

والواقع ان القوى الاشتراكية في البلدان النامية لا تقودها الطبقة الكادحة دائما ، لانها لا تزال قليلة العدد ، وانما تقودها طليعة تتكون من مجموع الوطنيين الثوريين ، من بينهم العمال الذين يقومون بدور متزايد الاهمية ...

ان ضعف الطبقة الكادحة العصرية أو انعدامها لا يحول دون بناء الاشتراكية ، ولا يعتبر حجة وجيهة لتأجيل تطبيقها . وكما ان البلدان التي كانت مستعمرة لم تنتظر وصول الطبقة الكادحة الى الحكم في العواصم الاستعمارية لتعلن الكفاح من أجل الاستقلال ، فان هذه البلدان لا يمكنها ان تنتظر قيام الطبقة الكادحة من أهالي البلاد للشروع في « التنمية الاشتراكية .. »

ولنمض الى مثال آخر .. وهو في هذه المرة يتعلق بقضية الوحدة العربية والتنمية القومية الشاملة .

يبدأ الميثاق — هنا ايضا — بالمقولة العامة : « ان مفهوم الوحدة يكتسي اهمية حيوية بالنسبة للمصير العربي ، ومن هنا يتعين ان تكون التجارب التي تحققت في هذا الاطار موضوع تحليل موضوعي ، من أجل استنباط مفهوم سليم وجريء في نفس الوقت ، من أجل ان تتاح الفرصة ، حيثما نضجت الظروف لتنفيذ صيغ وحدوية او اندماجية كفيلة بأن تستجيب للمطامح المشروعة والعميقة للشعوب العربية » .

لكن الميثاق لا يقف عند عمومية القضية ، بل ينطلق بها نحو تلك الخصوصية التي تطرحها الظروف والامكانيات الجديدة التي كشف عنها الحد الادنى من العمل العربي الموحد خلال حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، فيمسك بهذه « **الخصوصية** » ويجسد منها أسلوبا نضاليا فعالا لانجاز مرتكزات الوحدة .. يقول :

« ان الوطن العربي يملك المقدرات الضرورية التي ستتيح له ان يصبح من أكثر المناطق ازدهارا اقتصاديا ، مما يجعله قوة سياسية معتبرة . و ن فرصة تاريخية تنفتح أمامه ، ومن واجبه ان يشرع في احداث التغييرات الكبرى في الميادين الاقتصادية والثقافية والتقانية ، وتكوين الاطارات التي يحتاج اليها ، وخلق الظروف الموضوعية لتحقيق تحرره الشامل ، اذ ان المشكل لم يعد يطرح على مستوى الوسائل منذ ان صرنا نتحكم في مواردنا ونتصرف فيها حسب ارادتنا . ولكن القضية اصبحت تنحصر أساسا في الاختيار وفي الارادة السياسية .

ومن المسلم به ان هذه الارادة يجب ان تتجه نحو اهداف مجسدة تعكس مصالح الجماهير الشعبية ، ويكون كل واحد منها قطبا تتبلور حوله المتطلعات الوحدوية » .

ولكن .. كيف مع وجود الاختلافات والصراعات بين النظم العربية ، سياسيا واجتماعيا ؟

يجيب الميثاق : على الرغم من الفروق السياسية والاختلافات في الراى ، يجب ان نتجاوز بعض الاحوال الظرفية لنرسي قواعد لوضعية لا يمكن التراجع فيها ، بانشاء توليفة من المشروعات المشتركة في جميع الميادين ، والعمل على جعل تداخل المصالح يزداد باستمرار ، ويتعمق كل يوم .

● ● ●

وثمة **ملاحظة رابعة** ، اقل وصف لها أنها تميز الميثاق ، تمييزا جذريا ، عن كل المواثيق الثورية التي صدرت حتى اليوم في تاريخ التجارب العربية والعالم الثالث .

ونعني بها ذلك الموقف الحاسم الذي يتخذه الميثاق ، مما أصطلح على تسميته في مجتمعاتنا « **بالراسمالية الوطنية** » ، فهو يخرجها تماما من اطار قوى الشعب العاملة على السير بالمجتمع في طريق الاشتراكية .. بل انه يعتبرها — من خلال تحليل الواقع في الجزائر والعالم الثالث ككل — عاجزة موضوعيا عن انجاز مهام الثورة الديمقراطية البرجوازية .

يقول الميثاق في حديثه : « من الثورة الديمقراطية الى بناء الاشتراكية » : « ان الثورة الديمقراطية البرجوازية التي عرفتها أوربا منذ القرن الثامن عشر ، قد جعلت سلطة البرجوازية خلفا للنظام الملكي الاقطاعي .. أما في عصرنا ، وفي العالم الثالث خاصة ، فان الجماهير الشعبية هي التي تقوم بالثورات الديمقراطية اكثر مما تقوم به البرجوازية التي تظهر في غالب الاحيان بحكم صغر حجم قاعدتها الاجتماعية وتبعيتها للامبريالية ، عاجزة عن سن سياسة حقيقية للتطور والاستقلال الوطني . وتلمس هذه الظاهرة بصفة خاصة في الجزائر ، حيث تولت الجماهير قيادة حركة التحرر الوطني ، وتكفلت بصفة منطقية بالمهمة التاريخية لبناء الثورة الديمقراطية » .

فاذا ما أصبح الامر يتعلق **بقضية البناء الاشتراكي** ، يسارع الميثاق الى التأكيد على « ان الملكية الخاصة في الجزائر يجب ان لا تكون مصدرا لاى سيطرة اجتماعية » .

ويتساءل : ما هي اذن القوى الاساسية للثورة ؟

يجيب : انها تتمثل في العمال ، سواء كان عملهم يدويا او فكريا ، وفي الفلاحين والجنود والشبان والعناصر الوطنية الثورية .. التي تنتمي الى أصول اجتماعية مختلفة ، تشكل بحكم التجربة التي اكتسبتها اثناء الكفاح التحريري الوطني ، نواة وطنية ثورية تعمل بكل اصرار واستمرار على تدعيم الاستقلال وبناء المجتمع الاشتراكي » .

ويرتب الميثاق على ذلك نتيجة على قدر كبير من الاهمية في تحديد طبيعة « السلطة والقيادة » في الدولة والحزب ، عندما يقرر بعبارة قاطعة ، حادة كالسكين : « ليس من الممكن لاى ملاك ان يتطلع الى تحمل مسئوليات في الحزب والدولة ، وبمعنى آخر ان يكون في طليعة العمال والفلاحين العاملين على انجاح الثورة الاشتراكية ، لان ذلك يشكل تناقضا ، من الواجب ازالته بدون تحفظ ، اذا ما أريد تجنب الخطر المنشىء لانحرافات خطيرة ، يكون من شأنها افراغ الحركة الثورية من مضمونها العقائدي » .

وهكذا بلور الميثاق امام المواطن الجزائري في المرحلة الجديدة، اختيارا قاطعا، اما **الثورة** واما **الثوره** .

ولا سبيل الى عقد زواج اجتماعي او سياسي بينهما على مستوى الفرد ومستوى الطبقة .

● ● ●

وبعد ...

هذه أربع ملاحظات سريعة ، خرجت بها من القراءة الاولى لهذه الوثيقة الجديدة التي انبتها في السبعينات شعب ثورة المليون شهيد في حقل تجربته ، التي كانت ، وما تزال ، ينبوع قوة وحيوية لحركة التحرر العربي والعالم الثالث .

واخيرا ...

من موقع الجزائر في القلب ، هل يحق لنا ان نصوت ، باعزاز وحب : **نعم** .. لميثاق جزائر اليوم والغد ؟ □

مختارات من مشروع الميثاق الوطني الجزائري

[٢٦ أبريل ١٩٧٦]

[١] الاشتراكية والاسلام

وليست الاشتراكية دينا جديداً وانما هى سلاح نظرى استراتيجى ياخذ واقع كل شعب بعين الاعتبار وهى مبنية على العلم وعدوة مثله لكل تعصب عقائدى ولكل تزمت فكرى .

ان الاسلام هو المقوم الاساسى لشخصيتنا التاريخية وقد ثبت انه الحصن المنيع ضد كل محاولة للنيل من شخصيتنا لقد احتصن الشعب الجزائرى اثناء عهود السيطرة الاستعمارية المظلمة بالاسلام الذى ايقظ فى نفسه روح النضال والشدة وسلحه بمثل العدل والمساواة وامده بتلك الطلقة المعنوية وتلك الروح السامية التى حفظته من الاستسلام لليأس واتاحت له اسباب الانتصار .

ان ما اصاب العالم الاسلامى من انحطاط لايمكن تفسيرة بالاسباب الاخلاقية البحتة بل هناك عوامل اخرى ذات طابع مادى واقتصادى ـ اجتماعى كالغزو الاجنبى والفتن الداخلية وتصاعد الاستبداد وانتشار الاضطهاد الاقطاعى واضمحلال بعض الانظمة الاقتصادية العالمية وقد كان لهذه العوامل كلها دور حاسم فيما آل اليه المسلمون لذلك فان ظهور الخرافات والشعوذة وانتشار العقليات التى تعيش على الماضى ليست من أسباب تلك الوضعية وانما هى فى الحقيقة من نتائجها وهكذا يتجلى ان التركيز على محاربة هذه الانحرافات دون العناية البالغة بالبيئة الاجتماعية هو بمثابة التردى فى عملية اخلاقية لاجدوى من ورائها والواقع ان العالم الاسلامى لابد له اذا ما اراد ان ينبعث من جديد ان يجتاز مرحلة الاصلاح ليخوض غمار الثورة الاجتماعية .

ان الثورة لتندرج تماما فى المنظور التاريخى للاسلام ، لانه فى مفهومه الصحيح لا يرتبط بأى نوع من المصالح الخاصة ولا يخضع لاية سلطة بشرية سواء كانت دينية أو دنيوية ولهذا فلا يحق للاقطاعية ولا للرأسمالية ان تسخر تعاليمه لمصالحها او اتخاذها ذريعة لقضاء ماربها لقد جاء الاسلام بتصور رفيع للكرامة الانسانية فهو يدين العنصرية وينبذ النعرة الشعوبية واستغلال الانسان للانسان وان المساواة المطلقة التى نادى بها الاسلام يمكنها ان تنسجم مع كل عصر من العصور .

اذن يتحتم على كل الشعوب الاسلامية التى اصبح مصيرها مرتبطا بمصير العالم الثالث ان تكون واعية بالمكاسب الايجابية لتراثها الثقافى والروحى وأن تدمجه من جديد فى الحياة المعاصرة على ضوء القيم والتغييرات الجارية .

ومعنى هذا ان اية محاولة مقبولة تهدف اليوم الى اعادة بناء الفكر الاسلامى سيتسع نطاقها حتما مما يؤدى الى تحوير بنية المجتمع تحويرا كاملا .

ان الشعوب الاسلامية مدعوة فى عصرنا هذا عصر التحولات الاجتماعية الحاسمة التى زعزعت كيان الاقطاعية البائدة وأزالت الاستبداد والجهل بجميع اشكالهما .

وأنها ستدرك اذا ما هى عززت اكثر فاكثر كفاحها ضد الامبريالية وسلكت بكل حزم سبيل الاشتراكية الصميم ستقوم على أحسن وجه بما تفرضه العقيدة من واجبات وأنها ستوفق بذلك بين الاقوال والاعمال احسن توفيق ■

[٢] اطارات الحزب والدولة

تتوقف مسئولية انجاز مهام الثورة بصفة خاصة على الاطارات فى كافة المستويات .

ولذا يتطلب نجاح اعمالنا الرامية الى اقامة صرح اقتصادى والى احداث تغييرات اجتماعية لم يسبق لها مثيل انتهاج خط سياسى سليم مع ماينطوى عليه من افاق المستقبل الواضحة ؛ لان النتائج المرجوة تبقى مرهونة باختيار الرجال الذين سوف تناط بهم مهمة التنفيذ وبالتالى فان اختيار الرجال يكتسى فى المرحلة الراهنة طابعا استراتيجيا حاسما

وفى هذه الحالة فان الاطارات اما أن تشكل عائقا للجهود المبذولة فى سبيل التنمية واما ان تكون على العكس من ذلك قوة دفع للثورة ولايسع الجماهير الا ان تستنبط من تصرفاتهم وافعالهم الدليل الذى على ضوئه تقرر مدى سلامة الحركة الثورية اخلاقيا وسياسيا ولذا فنجاح التعبئة الشعبية وكذلك مهام التنمية يبقى وقفا على ما تتحلى به تلك الاطارات من خصال ومن هنا يتوجب اختيارهم وغربلتهم بكل دقة وامانة مع السهر المستمر على حسن تربيتهم لانهم يشكلون قاعدة النشاط الناظم للحزب والدولة

ان الاقدام على اختيار الاطـارات المؤهـلة يقتضي بالدرجة الاولى الاعتماد على معايير عقائدية وسياسية دقيقة كما يتطلب ان يكون الانتقـاء منصبـا على المناضلين المشبعين عقـائديا والمحنكين سياسيا والذين يفهمون فهما صحيحـا مصالح الدولة الاشتراكية وخط الحـزب السياسي والذين هم يتحلون به من روح التفاني قادرون على بذل التضحيةمن أجل ترجمة مثل الثورة العليا الى واقـع محسوس وان اختيار الاطارات المؤهلة معناه كذلك استكشاف الاشخاص الذين تتوفر فيهم الكفاءات التقنية والخـبرة الضرورية ولهم دراية حقة بأسـاليب التنظيم وبطرق ادارة الشئون العامة .

ومن ناحية اخرى فاختيار الاطارات المؤهلة . معناه بالتالي العمل على ترقية كل مناضل نزيه يفضل مصالح الثورةعلى منافعه الشخصية ويعيش من أجرتهلاغير ولا يتعاطى اى نشاط اخر يدر عليـه بالمال

ليس من الممكن لاى ملاك ان يتطلـع الى تحمل مسؤوليات في الحزبوالدولة وبمعنى اخر ان يكون في طليعة العمال والفلاحين العاملين على انجـاح الثورة الاشتراكية لان ذلك يشكل تناقضا من الواجب ازالته بدون تحفظ اذا ما اريد تجنب الخطر المنشىء لانحرافات خطيرة يكون من شانها افراغ الحركة الثـورية من مضمونها العقائدي .

وان من مصلحة الثورة الاقدام على ترقية جريئة للشباب القادرين على بث روح الحماسة في جميــع المجــالات ويساهمون بنظريتهم الجديدة في معالجة الأمور وهذه الترقية للشبان الذينحنكتهم التجارب ينبغي ان تتموفقا لمبدأ الاندماج السليم بين الاطارات كهولا وشبانا وذلك هو قانون التطور المستمر للثورة

ولقد ارسيت خلال العشر السنوات الاخيرة قواعد جهـاز دولـة شـعبية تستجيب لمقاييس العقـلانية والفعاليـة والاستقرار كما استطاع جهـاز الدولة الذي مافتيء بنطـور ويتاصـل في الديمقراطية ان يستجيب عموما للمهام الكبرى التي انيطت بـه ولكن تعريف الدولة يتمثل قبل كل شيء في غائيتهـا الاجتماعية وفي محتواها العقائدي وفي الجـزائر يتجلى كل من هـذه الغائية والمحتوى من خلال التحولات التيتعرفها البلاد

لقد اصبحت الوسائل الرئيسيةللانتاج بين يدي الشـعب ومستثمرة لفـائدة الجماهير الكادحـة وبمشـاركتها في التسيير وذلك بفضل التدابير ذاتالطابع الاشراكي التي اتخذت منذ ١٩ يونيـو والاستثمارات المنجة التي حققتهاالدولة ان العمال والفلاحين يكونون اكثر فاكثر القاعدة الواعيـة لتغييرات اجتمـاعية هائلة وقد اخـذ المحتـوى الديمقراطي الشعبي للدولة الجزائرية يتطور شيئـا فشيئا الى ان صار محتوى اشتراكيا وهذا يعني انه قد استؤصلتشروط نمو دولة من النوع البورجوازي التييسيطر عليها الملاك الخواص لوسائل الانتـاج على حساب العمال مما مكن الشـعب وقيادته السياسية من اقامة دولة من نوع جديد اى الدولة الاشتراكية .

[٣] الـــدولـة والمــــواطـن

ان الديمقراطية الاشتراكية تتجسد في اخر الامر في تحرير المواطن من اى شكل من اشكال استغلال الانســـان للانسان كما انها تلغى الامتيازات وتعطى الارض للفلاح وتجعل من العامل سيدا وتعيد توزيع الدخـل القومي لصـالح الجماهير الكادحة كما تفتح لها افـاق الرقي التاريخي .

ان الدولة الجزائرية تضمن باقامتها للديمقراطية الاشتراكية الحرية الحقيقية للفرد بتحريره من الاســتغلال والبطالة ومن اهوال المستقبل والمرض والفقر وتطمينه على مصير ابنائه وهكذا فان الديمقراطية الاشتراكية تهيء الظـروف الموضـوعية لممارسـة حقيقية للحريات والحقـوق الاساسـية للمواطنين التي تحرص على نشرها بكيفية كاملة .

وان الدولة الاشتراكية تضمن مجموع الحريات العمومية وبخاصة حرية التعبير والراى والتفكير شريطة الا تسـتعمل لتخريب مكاسب الاشـتراكية وعـودة استغلال الانسان للانسان .

والدولة الاشـتراكية تدير شـؤونها على اساس احترام القوانين ووضعها موضع التنفيذ وهذه القوانين تهدف الى اقامة قواعد بناء المجتمع الاشـتراكي وحماية حقوق وحريات المواطنين وكل هذا يفرض بذل جهود متواصلة لاعادة صـياغة تشريعـاتنا وتعـديلها لتتكيف واهـداف الثـورة وذلك بسن قوانين جديدة وجعلها تتلاءم باستمرار وتطور المجتمع .

وبهذا يصير لزاما على اعوان الدولة وعلى ممثلي السلطة فيها خاصـة أن يكونوا اول من يتصـدى للدفـاع عن القانون ولا يسوغ لهم باى حال مــن الاحوال التلاعب بالسلطة التي منحهـا اياهم المجتمع من اجل اغراض شخصية أو من اجل التستر على تصرفات غير شرعية كما يتحتم عليهم القيام باعبـاء وظائفهم متحلين بالاحترام الشديد لحقوق المواطن ومراعين لمصالح الدولة .

فعلى الدولة اذن ان تعاقب بشـدة اى شطط في استعمال السلطة سـواء اكان خرقا او انكارا لحقوق المواطنين وان من المبادىء العليا للثورة ان لا أحـد بتحقق في جميع أجهزة الدولةوالمجموعات يعلو على القانون وهذا المبدا يتحتم ان العمومية والمؤسسات الاشتراكية .

وان حماية حقوق المواطنين احـدى وظائف الدولة وان مبدأ مساواة الجميع امام القانون لهو مبدا ثابت وهو يقتضي ضمان الممارسة الحرة للحقوق بالنسبة لجميع المواطنين الذين ينبغي أن يطمئنوا بأن حقوقهم لاتهـدر وان باسـتطاعتهم استعمال الوسـائل القانونية لحمايتهم وفرض احترام حقوتهم وهــذا يتطلب عدالة ووظيفة قضـائية يقظـة ونزيهة وحازمة خاصة وان العهد الاستعماري البائد كان يجسد بالنسـبة للجزائريين سلطان الظلم وانالثورة بالنسبة اليهمهي العدالة .

ومن الاهتمامات الدائبة للدولة تعزيز العدالة حتى تكون قادرة على ان تؤمن لكل مواطن الدفاع المشروع عن حقوقه وسيعني بتحسين مستوى كفاءة الاطـر القضائية وهذا قد اصـبح متيسرا الآن بفضل الافواج المتخرجة من الجـامعة والسهر على الاحترام الشديد لمقاييس النزاهة والالتزام والكفاءة في اختيـار القضاة الجدد وذلك عن طريق اتخـاذ الاجراءات المناسبة التي تكفل مراقبـة صارمة من شانها اكتشاف النقـائص والعيوب .

وعلى القضـاة في هـذه المرحلـة الجديدة من التشييد الاشتراكي القيام بدور هـام باعتبـارهم اعوانا للدولة مكلفين بتفسير وتطبيق القوانين ومن ثم تبدو ضرورة تكوين اطارات القضــاء تكوينا عقائديا وهـذا لايعني البتة اى تدخل من الجهاز الاداري او من أعوان السلطة فيما يصدر عن القضاء منالاحكام وان اعطاء القضاة فرصة التحكيم النزيه لهو قاعدة اساسية يجب على اجهـزة الحـزب والدولة احترامهـا احترامـا كاملا ■



ربما لا نبــالغ اذا قلنــا ان باب « الراى والراى الاخر » في هذا العدد يتحرك بقوة واقدام على ثلاث جبهات رئيسية :

● الجبهة الاولى : هى جبهة الفكر والايديولوجيا .وهنا تقدم الطليعة مقالين :

الاول : « عن قضــــية الارض فى الشريعــة الاســلامية » للكاتب والمفــكر الاســلامى المعروف د . محمد أحمد خلف الله .

والثــانى : تحت عنوان « الدين ليس حــربا على التقدم » ، لمحمد عثمان أمين ، ليسانس فى الفلسفة

● الجبهة الثــانية : هى جبهــة الديموقراطيــة السياسية ، وفيها المقالات التالية :

ــ خطــاب مفتوح الى نقيب المعلمين ، كتبه أديب ديمترى .

ــ نقابة المعلمين تنقض ســيادة القانون ، وكتبه محمود عبد العــزيز يوسف رئيس رابطــة خريجى معاهد وكليات التربية .

ــ الانتخــاب بالقــائمة يدعم الوحــدة الوطنية ، للدكتور ميلاد حنا .

ــ ديموقراطية العمد ، لاحمد ابراهيم الدسوقى محمد .

ــ تنظيم الوسط ... وماذا يجرى فى صعيد مصر .. وهى رسالة من المواطن ابو الفتوح المهدى محمد ابو جبل .

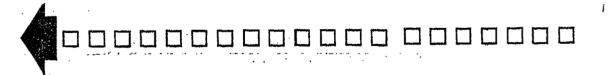
ــ دافعوا عن استقلال الحركة النقابية .. وهو بيان من النقابة العامة للنقل البرى ، وقد علق على البيان عبد المنعم الغزالى المحرر بالطليعة .

اما الجبهة الثالثة ، فهى جبهة النقــاش الحر بين الطليعة وبين القراء .. وهنا نقرا :

ــ هل قالت وزارة المالية شيئا ، وهو رد عــادل حسين على الرسالة التى كتبها وكيل وزارة المــالية ونشرتها الطليعة فى عدد مايو .

ــ هذه الاتهامات المتعلقة بالاسكان ، وهو رد من المسئولين فى شركة الحديد والصــلب على عدد من المقالات التى نشرها المواطنون من عمال حلوان فى الاعداد الماضية من الطليعة .

واخــيرا تنشر الطليعة بعض رســائل وكتابات المواطنين الذين اهتموا بقراءة دراسات « الهموم » والتعليق عليها .



قضـــــية الأرض
فى الشــــــريعة الاســــــلامية

د. محمد أحمد خلف الله

العلاقة الفكرية بين الكاتب المفكر والقارئ ، هى « الرصيد » الاكبر الذى يتناسب حجمه مع اتساع أو ضيق هذه العلاقة ، لدى كاتب عن آخر . ونفيد الرسائل التى تصل «الطليعة» حول كتابات المفكر الاسلامى البارز الاستاذ الدكتور احمد خلف الله ، ان « رصيد » علاقته الفكريه بالرأى العام المصرى والعربى يجتذب كثيرا من القراء المصريين والعرب الى طلب التعرف على سائر كتاباته وافكاره لمتابعتها والاطلاع عليها .

الدكتور محمد احمد خلف الله ، صاحب رؤيه اسلامية مستنيرة لقضايا الفكر والواقع ، تضعه فى الصفوف الاولى للمفكرين الاسلاميين المعاصرين .

د. خلف الله ، من مواليد الشرقية ، تخرج فى كلية الاداب جامعة القاهرة عام ١٩٣٩ . وقد لفت الانتباه برسالته للماجستير فى عام ١٩٤٢ حول « جـدل القرآن » وهى الرســالة التى نشرها بعد ذلك فى كتاب « محمد والقوى المضادة » . على ان رسالته للدكتوراة التى قدمها عام ١٩٥٢ عن « ابو الفرج الاصفهانى الراوية » . واصدر كتاب « الفن القصصى فى القرآن الكريم » الذى حدد له مكانة يعترف بها مثلما اثار عليه بعضا من هجوم الجامدين . وقد طبع منه حتى الان ٤ طبعات نفذت . ويقوم هذه الايام باصدار الطبعة الخامسة . ويلقى هذا الكتاب تقديرا واسعا فى كثير من الدول العربية وبخاصة فى السودان والجزائر .

وقد شدت كتب الدكتور محمد احمد خلف ، الانتباه اليه ، لما تضمنته من نظرة متكاملة لقضايا الدين والحياة والمجتمع على اسس الفكر الاسلامى وآفاقه المتطورة .

ففى اوائل الستينات اصدر كتاب « القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة » . وفى ١٩٦٩ اصدر « هكذا يبنى الاسلام » ثم « القرآن والدولة » فى ١٩٧٢ . وفى عام ١٩٧٤ اصـــدر كتابه « القرآن والثورة الثقافية » بالاضافة الى « القرآن : نظرة عصرية » و « عمر : نظرة عصرية » و « على : نظرة عصرية » واثار بها جميعا جدلا كبيرا اثرى الفكر الاســلامى فى مصر والوطن العربى .

وكان د. خلف الله قد اصدر فى ١٩٥٤ كتابا عن « فارس الشدياق وآراؤه اللغوية والادبية » وكتاب « دراسات فى المكتبة العربية » فى ١٩٥٨ ، ثم عدة تراجم مبسطة هى : « عبد الله النديم » و « الكواكبى » و « على مبارك » .

وقد مارس د. خلف الله ، الكتابة الصحفية فى معظم المجلات المصرية والعربية الجادة . وهو من الكتاب الاوائل لمجلة « العربى » التى تصدر عن الكويت ، حيث نشر بحثا فى عددها



الاول بعنوان « من هو العربى » نال به جائزة المجلة المخصصة لاحسن بحث يخدم رسـالتها العربية . ويكتب فى مجلة « الدوحة » .

كما قام خلف الله ، بالقاء المحـاضرات والتدريس منذ ان عين معيدا فى آداب القـاهرة وفى « الكلية العلمية الوطنية » فى سوريا وفى غيرها من البلاد العربية .

ومارس د. خلف الله فى ادارة الحياة الثقافية المصرية والعربية . فقد عمل كعضو فنى بالادارة العامة للثقافة فاستاذا بمعهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية . كما عمل من وزارة الثقافة المركزية على عهد الوحدة المصرية السورية ، ثم مديرا لادارة المجلات ونائبا للمدير العام للثقافة الجماهيرية ، بوزارة الثقافة ، ثم مديرا عاما للبحوث والتخطيط فوكيلا للوزارة للبحوث والتخطيط .

وقد مثل د. خلف الله ، مصر ضمن وفدها الرسمى للجنة الثقافية لمنظمة الوحدة الافريقية ومؤتمراتها فى اديس ابابا ومقديشيو والقاهرة ، وضمن وفد مصر الرسمى لايطاليا ويوغوسلافيا ومثل وزارة الثقافة فى مؤتمر الجامعة العربية حول الاحصاء الثقافى الـذى عقد فى مؤتمر كما شارك مشاركة ايجابية فى المؤتمر الاسلامى المسيحى الذى عقد فى طرابلس ١٩٧٦ ودعى اليه بصفته الشخصية . كما دعى لمؤتمر الادباء فى العراق بصفة شخصية فى ١٩٦٥ .

ومنذ عام ١٩٧٥ ود. خلف الله يكتب « للطليعة » بانتظام ، ويثير على صفحاتها من خلال كتاباته جدلا واسعا بين اوساط المفكرين الاسلاميين الجادين فى مصر و العالم العربى بعد ان تناول على صفحات « الطليعة » قضية « الثوابت والمتغيرات فى الاديان » [ديسمبر ١٩٧٥]] وقضية « العدل الاسلامى : هل يمكن ان يتحقق ؟ » [نوفمبر ١٩٧٥] ثم كتب مقالةالساخن بعنوان « مؤتمرات اسلامية على الطريقة الاسلامية » [اكتوبر ١٩٧٥] . وفى عام ١٩٧٦ طرح فى « الطليعة » قضايا « المعـاملات بين الشرع والقـانون » [فبراير] و « الحـوار الاسلامى المسيحى » [مارس] ورؤيته « دستور العودة الى التشريعات الاسلامية » [مايو].

واخر عمل فكرى يقوم د. خلف الله باعداده الان دراسة فى المجتمعات الاسلامية ، شغلت اهتمامه خلال تأديته لفريضة الحج فى العام الماضى حيث قضى عدة شهور فى المملكة العربية السـعودية .

وضمن ممارسته الوطنية للحياة العامة ، يقوم الدكتور محمد أحمد خلف الله برئاسة لجنة مشروع البرنامج فى « تنظيم « التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى » ☐

خلق الله الكون بمن فيه ، وما فيه ــ وتلك حقيقة دينية .

خلق الله السموات والارض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والهواء والماء ، وكل ما يسمى فى أيامنا هذه بالموارد الطبيعية والموارد البشرية ، وما كان يسمى من قبل بالكائنات .

والله الخالق للكائنات هو المالك لهـا بحكم ايجادها وتكوينها وليس لها من مالك آخر غير الله سبحانه وتعالى .

وهذا هو الذى نص عليه القرآن الكريم حين أعلن ان لله ملك السموات والارض وما بينهما ، وحين قال: ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض .

وهذا هو ملكوت الله .

والله الخالق لموارد الطبيعة قد سخرهـا للموارد البشرية ــ أى سخرها للانسان لينتفع بها .

والله المالك لهذه الموارد قد جعلها ــ من حيث الانتفاع بها ــ حقا مشاعا لكل الناس . فلم يقصرها على فريق من الناس دون فريق وانما ساوى بينهم جميعا فى حق الانتفاع .

وآيات القرآن الكريم واضحة فى ذلك كله ، يفهمها ويدرك مراميها ويعى آثارها كل الناس .

فحين يقول القرآن الكريم :

« الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها . ان الانسان لظلوم كفـار » .

حين يقول القرآن الكريم هذا ، يدرك كل انسان ان له الحق كل الحق فى استثمار هذه الكائنات المذكورة والانتفاع بها .

وقد يختلف الناس فى طريقة الاستثمار واسلوب الانتفاع تبعا لاختلافهم فيما يملكون من قدرات طاقات ذهنية خلاقة .

ولقد حدد لنا رجال الفكر الدينى الخطوط الرئيسية لكيفية الانتفاع وحصروها لنا فى خطين رئيسيين :

الاول :ـ الانتفاع بالجانب المادى الذى يلبى احتياجاتنا من حيث المأكل والمشرب والملبس والمسكن وما الى ذلك .

الثانى : ـ الانتفاع بالجانب المعنوى حين نمعن النظر فى هذه الكائنات ، ونعى حركتها وسكونها، ونحاول ادراك طبيعتها والتعرف على موجدها وخالقها .

هذا هو الموقف من حيث خلق الكائنات ، وملكيتها ، وتسخير ما فيها من موارد طبيعية لما فيها من موارد بشرية .

والسؤال الذى يجب أن يطرحه كل قارىء على نفسه هو :

هل لا تزال ملكية الموارد الطبيعية لله قائمة ؟ **وهل** لايزال حق الانتفاع بها لكل الناس قائما ؟أو حدث العكس ـ اى خرجت عن ملكية الله وأصبح حق الانتفاع بها لبعض الناس وليس لجميعهم ؟

هذا هو السؤال الذى يجب أن نفكر فى الاجابة عنه .

أما أنا فاجيب على الوجه التالى :

اولا ـ لا يزال حق الانتفاع بالشمس والقمر ، وبالليل والنهار ، قائما لكل الناس ، ولم يذهب احد حتى الساعة الى ان ملكية الشمس والقمر وملكية الليل والنهار قد انتقلت اليه .

والذين يصعدون القمر اليوم يصعدون اليه على اساس ان القمر ليس ملكا لاحد ، وان الانتفاع به مباح لكل الناس .

ثانيا ـ لا يزال حق الانتفاع بالهواء وبالماء مباحا لكل الناس ، والذى نسمعه اليوم عن قوانين الاجواء وقوانين البحار لا دخل له فى ملكية البحار والاجواء ، فانما يدخل فقط فى اعتبارات الامن والحدود الامنة لكل دولة .

ولم نسمع ان دوله من الدول قد ذهبت الى انها تملك الماء وتملك الهواء .

ومن طريف ما يقال فى هذا المقام أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الهواء والماء بالمجان لكل الناس لانهما من الموارد الطبيعية التى يعجز الانسان ويصيبه الهلاك ان هو عجز عن الحصول عنهما لدقائق أو ساعات معدودات .

ثالثا : ـ أن الارض وحدها هى التى يذهب الناس الى أنها من ممتلكاتهم .

وهذا يعنى انها قد خرجت من دون الموارد الطبيعية جميعها من ملكية الله الى ملكية الناس .

وهذا بدوره يدفعنا الى السؤال : لماذا حدث هذا ؟

هل تنازل الله عن ملكيته للارض ؟ أو هل اعتدى الناس على حقوق الله واستولوا على ما يملك وجعلوه من ملكهم الخاص ؟

والاقرب الى العقل هو الذهاب الى أن الناس قد اعتدوا على حق الله حين اعلنوا أنهم الذين يملكون الارض .

وهذا بدوره أيضا يسلمنا الى سؤال آخر هو : ما الموقف مع الذين يعتدون على حقوق الله ؟

وقبل ان نجيب نستعرض مع القارىء الوقائع التالية : ـ

الاولى : ـ والواقعة الاولى مايسمى فى عرف الاقدمين باحياء الارض الموات ، وفى عرف المحدثين باستصلاح الاراضى الزراعية ، أو التنمية الزراعية الافقية .

وحديث الاقدمين عن احياء الموات لا يمكن أن يستقيم الا على اساس من الحق والعدل ـ اى على أساس أن الارض كلها ملك لله .

ان الاقدمين يستندون فى أحكامهم الشرعية عن احياء الارض الموات على حديث نبوى شريف مؤداه ان من أحيا أرضا مواتا فهى له .

وله فى الحديث انما تعنى حق الانتفاع ليس غير ـ اى انها لا تصبح بالاحياء ملكا خالصا له .

ان القول باحياء الارض وما يترتب عليه من أمور انما يؤكد أن الارض لا تزال ملكا لله من حيث ان ملكيتها لغير الله لا تأذن ابدا بأن الاحياء هو سبب الملكيه .

ان اعتداء اى انسان على أرض هى ملك لانسان آخر يعتبر ظلما وبغيا من حيث أنه عدوان .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لايحرض أحدا على الاعتداء على حقوق أحد آخر .

انه هنا انما يحرض على توسيع الرقعة الزراعيه ـ اى على التنمية الزراعية الافقية .

وائمه المذاهب الفقهية يذهبون الى أنه لا يشترط فى احياء الموات استئذان الامير او صاحب السلطة . فمن حق كل انسان فى ان يحيى الارض الموات بدون استئذان . وهذا لا يمكن فهمه الا على اساس ان الارض لا تزال ملكا لله . والا كان الاحياء اعتداء على ملكية صاحب الارض الموات .

ان أبا حنيفة وحده هو الذى يشترط استئذان الامير وذلك لانه يرى ان عدم الاستئذان قد يؤدى الى التشاحن والى العداوة والبغضاء حين يرغب أكثر من واحد فى قطعة أرض واحدة . وليس يخفى أن استئذان الامير انما يؤكد حق الدولة فى الارض الموات ـ أى حق الله .

ومما يؤكد ما تقدم انهم جميعا يتفقون على ان الارض التى يحق احياؤها انما هى الارض البعيدة

□□□□□□□□

عن المساكن لا القريبة منها . من حيث أن الارض القريبة انما هى الحرم المباح لكافة الناس ، ولا يصح الاعتداء عليها باحياء أو غيره .

ومن الظواهر الجديرة بالتسجيل فى هذا المقام أن الاقدمين من رجال التشريع يتفقون على أن من تعرض لاحياء ارض موات ثم لم يقم بالاحياء فى فترة زمنية معينة ، يصبح من حق غيره أن يحييها . وهذا لا يستقيم الا على أساس أن الارض ملك للدولة - أى لله .

الثانية : الواقعة الثانية هى موقف الخليفة العادل ثانى الخلفاء الراشدين من الارض الزراعية التى فتح الله بها على الفاتحين للعراق وبلاد الشام ومصر من الجند المسلمين .

لقد رغب الجند فى قسمة الاراضى الزراعية عليهم باعتبارها من الغنائم ، ورفض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذا الطلب على أساس أن الارض يستولى عليها ولا تغتنم - أى لا تصبح ملكا للجند الفاتحين .

وعمر بن الخطاب لم يستبد بالامر فى هذا الموقف وانما استشار صحابة رسول الله . وعرض عليهم رسائل قادة الجند من أمثال سعد بن أبى وقاص ، وأبى عبيدة عامر بن الجراح ، كما عرض عليهم حجته .

وجاء القرار بأن الارض تصبح ملكا للدولة ولا تقسم أبدا على الجند الفاتحين .

قامت نظرة الخليفة العادل على أمرين :

الاول : أن قسمة الارض على الجند الفاتحين انما يؤدى الى أن تصبح الارض الزراعية دولة بين الاغنياء . من حيث أن كل واحد من الجند سوف يصبح مالكا لرقعة كبيرة من الارض تورث من بعده

وان تصبح الاموال دولة بين الاغنياء أمر يحذر القرآن الكريم من الوقوع فيه .

الثانى : ان امتلاك الدولة للارض وتركها بين يدى الناس يزرعونها ولهم النصف وللدولة النصف ، هو الذى يمكن الدولة من تلبية احتياجات المحتاجين بما فيهم الدولة .

انه السبيل الى الحصول على الاموال الغفيرة للانفاق منها فى سبيل الله .

لقد قال عمر : لو قسمت الارضون لم يبق لمن بعدكم شىء ، فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الارض قد انقسمت وورثت عن الاباء وحيزت .

ما هذا برأى .

وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من بلاد الشام والعراق .

كما قال : أرأيتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها .

أرأيتم هذه المدن العظام لابد لها من ان تشحن بالجيوش ، وادرار الطعام عليهم .

فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارضون ومن عليها .

لقد أبقى عمر الارض فى يد أهلها على أنها يد اختصاص - أى أنهم يملكون المنفعة ولا يملكون الرقبة .

ان ذلك انما يعنى أن الارض الزراعية ملك للدولة ، وان الزراعيين انما ينتفعون بالارض ، ويقدمون للدولة نصف الانتاج ولهم هم النصف الآخر .

الثالثة : والواقعة الثالثة غريبة حقا وتتصل بالارض الزراعية عندما لا يزرعها من له حق الانتفاع بها .

لقد ذهب الظاهرية الى ان اجازة الارض الزراعية لا يستند الى النص ، ومن هنا قالوا بالمزارعة ولم يقولوا بالاجارة .

والذين اجازوا الاجازة قام فى وجههم ان الاجارة قريبة الشبه بالربا من حيث انها اكتساب للاموال بدون عمل .

واجاب هؤلاء بان الشبه بالربا بعيد ، وان شبه الاجاره بالمزارعة هو الاقرب .

وهذا ماقالوا : قد يقول قائل ! ان من يدفع أرضه بالاجارة ينتظر ولا يخاطر . فلماذا أباح رسنم الاجارة وهى ليست الا كسبا عن طريق الانتظار . انها والربا فى هذا سواء .

ونقول فى الاجابة عن ذلك : ان الاجارة دفع عين مغلة مملوكة ، ولواضع اليد عليها اختصاص يبيح استغلالها بكل الطرق .

والعين المغلة تفترق عن النقود فى أن النقود لا غلة لها الا بالاسترباح بالتصرف فيها . فغلتها من عمل العامل فيها لا من ذاتها . وهذا بخلاف الارض فان غلتها من ذاتها ما عمل العامل .

على أن اجارة الاراضى الزراعية أقرب الى باب الانتاج بالزرع ، وليست حصة المؤجر الا جزءا مما تنتجه الارض . فان كان لها شبه بالكسب بطريق الانتظار فشبهها بالكسب بطريق الزرع أقوى .

هذا ما قالوا فى الاجابه ، وهو يقتضينا ان نشير اشارة عابرة الى النص الوارد فى شأن المزارعة ، والذى على أساس منه أجاز الظاهريون الزارعة ورفضوا الاجارة .

والنص هو قول النبى عليه السلام : اذا كان لك أرض فازرعها أو ادفعها الى أخيك يزرعها .

ويقولون : انه لم يرد نص باجارة الارض الزراعية . وتأسيسا على هذا النص نقول :

اولا : ان حق الانتفاع بالارض الزراعية هو لمن يزرعها فاذا دفعها الى اخيه كان بها والا اخذتها الدوله منه ودفعت بها الى غيره ليزرعها .

ثانيا : ـ ان كل ما ورد عن الاجارة فى كتب الفقهاء لا يستند الى نص ، وانما يستند الى الاعراف والعادات او الى التشريعات التى كانت سائدة فى البلاد المفتوحة وهى التشريعات الفارسيه والرومانيه .

ونعود الان الى الاجابة عن السؤال .

الارض لا تزال ملكيتها لله ـ شأنها فى ذلك شأن بقية الموارد الطبيعية من حيث ان المولى سبحانه وتعالى لم يتنازل عن ملكيته للارض ، ولكل الموارد الطبيعية .

وحق الانتفاع بالارض ثابت لكل الناس وشانهما فى ذلك شان كل الموارد الطبيعية الاخرى

وادعاء ملكية الارض لبعض الناس اعتداء على حقوق الله ، ويجب الوقوف فى وجه اولئك الذين يعتدون على ما ثبت بالنص القرآنى أنه من حقوق الله .

وما يجعله بعض الناس من حق للملكية الارض انما هو حق جاء عن طريق القوة ليس غير ـ والا فليقل لنا بعض الناس متى تنازل الله عن حق الملكية للارض وللموارد الطبيعية ، وكيف كان هذا التنازل .

وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما ، وعنده علم الساعة ، واليه ترجعون .

« لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شىء قدير »

الــدين لــيس حــرباعلى التقــدم

محمد أمين عثمان

كاتب المقال هو محمد عثمان امين الذى تخرج حديثا من قسم الفلسفة ـ بكلية آداب القاهرة . وفيه يوضح الكاتب ان الدين فى علاقته بالمجتمع هو ـ فى جوهره ـ دفاع عن انسانية الانسان ، وعن قيم العقل والحرية وأنه لا مجال للارهاب أو التجارة بالاديان .

ذات يوم قالت كاتبة فرنسية شهيرة « كم من الجرائم ترتكب باسمك ايتها الحرية » فالحرية التى هى أمل الملايين والاجيال ارتكبت باسمها اكبر الجرائم .. وما قيل عن الحرية يمكن أن يقال أكثر منه عن المتجرين بالدين ، بحيث لا يسعنا اليوم الا أن نقول « كم من الجرائم والمآسى يرتكبها المتاجرون باسمك ايها الدين »

اقول هذا الكلام بمناسبة ماقيل ويقال حتى اليوم بصدد شرعيه قيام « التنظيم الوطنى التقدمى الوحدوى » وحيث تكال الاتهامات الباطله بلا ضابط ولا حدود ولا صدق . وذلك من قبل ان يبدأ التنظيم ، والسبب ان مقرر التنظيم والداعى له ماركسى ، والحجة ان الماركسية لا تؤمن بالدين .. هذا مع أن التنظيم ليس تنظيما للماركسيين ولكنه تنظيم كل المؤمنين بالتقدم .. كل المؤمنين بالعدل الاجتماعى .. كل الرافضين للتخلف كما اعلن مقرر التنظيم خالد محيى الدين ، والذى اعلن تمسكه بالدين الاسلامى وشريعة الله .

وليس هذا دفاعا عن التنظيم ، فالتنظيم ، اى تنظيم ، هو وحده القادر على الدفاع عن نفسه من خلال أعماله ، ومن خلال تحقيقه لآمال الغالبية العظمى التى تعانى من الفقر والبؤس والمستوى الاجتماعى المهين ، عندما تعطى له الفرصة ليحقق وجوده .

وباسم « الدين » قيلت اتهامات بالخيانة والعمالة ، والكفر ، وافردت صفحات للهجوم ، وانهالت الرسائل الرافضة ، والتى تطالب بوقف نشاط مقرر التنظيم ، وفى النهاية فوجوده بيننا حرام !! كل هذا باسم الدين !! ثم ازدادت النيران اشتعالا عندما قال رأيا بصفته الشخصية لا

الرسمية « ان الغاء المعاهدة مع روسيا لا يخدم مصلحة مصر » .

وواضح مما سبق أن المسألة « مسأله دين » وهذه تحتاج الى وقفة طويلة بعض الشيء لنرى الدين ومن ناحية ولنرى مدى تطبيقنا اياه من ناحية ثانية . **ثم لنتبين بعدها ما اذا كانت المسألة دين أم سياسة .**

وخير ما نرجع اليه فى حديثنا عن الدين هو كتاب الله وسنة رسوله« صلعم » من اقوال وافعال ومن اتبعه وسار على نهجه . وهو كلام ليس بالجديد ، ولا أقدم نظرية جديدة ، او اجتهادا يلبس الاسلام ثوبا غير ثوبه . واذا كنا لا نضيف جديدا ـ ومع ذلك نتكلم فى ذلك ـ الا لاننا لابد ان نصر على الاستمرار فى علاج الداء العضال بنفس دوائه ، حتى وان طال زمن العلاج .

ففى موقف الدين من العبوديه : وجد الاسلام فى بداية دعوته مجتمعا يعيش على الارقاء والاقنان ، فشرع يهدم هذا النظام ليحل العدل وكرامة الانسان ، فيعد من يحرر عبيده بالجنه ، فمن يعتق رقيقا يعتق الله بكل عضو من اعضاء هذا الرقيق عضوا من اعضاء محرره من النار . ومن يقسم قسما فيحنث فيه فأحد وسائل تكفيره عن ذنبه تحرير رقيق من الارقاء . ومن يفطر فى صيامه دون عذر شهرى فسبيله تحرير رقبه . يقول الحديث الشريف من اعتق أمة ثم تزوجها كان له اجران » ويقول : « لا يقولن احدكم هذا عبدى وهذه امتى ، وليقل هذا فتاى ، وهذه فتاتى ، واطعموهم مما تاكلون ، والبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من الامر ما لا يطيقون » وعلى هذا الاساس عامل بلال الحبشى وسلمان الفارسى وصهيب الرومى ويقول الحديث الشريف ايضا « الناس سواسيه كاسنان المشط . لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى »

بهذه المبادىء وضع الاسلام الحد الفاصل بناء للمجتمع الحر غير المستعبد ، ونقل العبيد من حالة لا انسانية الى مرتبة يتساوون فيها بالاشراف والامراء ، بعد أن كانوا يباعون ويشترون ، وللسيد قبلهم من الحقوق ما يصل الى حد القتل ، وامتلاك كل جزئيات المصير « راجع **محمد عمارة** : فجر اليقظه القومية »

واذا كانت القنانه والرق قد اختفيا ظاهريا الا أن حالة استعباد الناس انما هى ضرب من الرق . ومعاملة مواطن معاملة أقل فى الحقوق من مواطن آخر كما هو الحال فى أمريكا مثلا ـ ان هو الا نوع من الرق يتمثل فى التفرقة العنصرية .

الموقف من المرأة : يقول القرآن الكريم « **واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه فى التراب** » ويستنكر القرآن الكريم وأد البنات فيقول « **واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت** » وفى بيعة العقبة ايد الرسول « صلعم » اشتراك المرأة فى المبايعة ، ولم تكن مسألة تعدد الزوجات الا حلا لبعض المشكلات الاجتماعية وفى حالة الضرورة القصوى كالمرض المعدى عند الزوجة او عجزها التام عن القيام بدورها كزوجه ، وليس من أجل اشباع النزوات الفردية . وهكذا يجب أن تفهم فلسفة التشريع . وايضا لا يجب أن يترك الحكم الخالص فى هذا للزوج بل للقانون والشريعة ، ولقد كان المسلمون الاوائل يأخذون رأى الرسول والخليفه فى حالات الزواج من ثانية ، وفى حالات الطلاق « الذى هو ابغض الحلال عند الله » فتعدد الزواج والطلاق بلا قيود هو اساس كثير من المشكلات الاجتماعية من تشرد وفقر وعدم رعاية ، ذلك ان البشر ليسوا الهة ولا هم يرغبون أن يكونوا كذلك .

الموقف من الارض والموارد النادرة والعمل ، وهنا تأتى لنا النظرة الاسلامية بالموقف القاطع الحاسم من الاستغلال ، وكيف نظم الاسلام الاقتصاد يقول الرسول صلعم » « من كانت له ارض فليزرعها بنفسه أو يمنحها اخاه ، ولا يؤاجره اياها ولا يكريها » وهو هنا انما يعتبر ان مالك الارض هو من يفلحها ، ومن لا يفلحها لا تحق له . روى ان الرسول أقطع اناسا من جهينه أرضا لزراعتها فلم يزرعوها وزرعها غيرهم ، فاختصموا مع هذا الغير لعمر بن الخطاب فقضى بها للغير الذى زرعها قائلا : « من كانت له أرض ولم يعمرها وعمرها قوم آخرون فهم أحق بها » وهذه هى نظرة الاسلام للعمل وتقديره اياه . أما عن الموارد النادرة وكانت تتمثل وقتها فى مياه الابار التى هى عصب الحياة فى شبه الجزيرة العربية ، والكلا الذى تعيش عليه ماشيتهم وكذلك النار فقد قال الحديث الشريف فيها « الناس شركاء فى ثلاث : « الماء والكلا والنار » ايمانا منه بأنه لا يجب أن يتحكم فرد أو جماعة فى موارد ضرورية لكافة الناس ، وتتحكم فى وجودهم نفسه . أما عن موقف الاسلام من العمل فهذا واضح من آيات القرآن التى لا تذكر فيها كلمه الايمان الا مقرونة بالعمل . وتقول الاية الكريمة « وان ليس للانسان الا ما سعى » كما أن الرسول هو القائل فى مدح يد انسان يكدح « هذه يد يحبها الله ورسوله » كما أنه فضل الاخ الكادح الذىيرعىاسرتهواسرة اخيه على الاخ المنقطعللعباده. كما انالاسلامهو الداعى الى تغيير الواقع حتى ينصلح أمر المسلمين . فالتغيير لا يأتى من فراغ بل لابد من خلق الارضية الملائمه للتغيير « **ان الله لا يغير ما بقومحتىيغيروا ما بانفسهم** » .

ولقد ساد العدل بسبب هذه التعاليم ، فعاش الرسول « صلعم » ومات فقيرا وعاش ابو بكر ومات فقيرا وعاش عمر ومات فقيرا . ولقد بلغ عدل عمر حدا من الرقى يصفع السادة ساكنى القصور فى مجتمع يعانى اغلبيته من الفقر والفاقه ويرفع شعار الاسلام . وبالطبع لم يكن عمر ماركسيا ولا عميلا لروسيا .

كانت تلك بعض ملامح الاسلام الرئيسية ، وهى واضحة نيرة بذاتها ، لا تحتاج الى شرح ، ولا تحتمل الالتواء

ونأتى للسؤال هل طبقناها ؟ .. لا يستطيع أعتى المضللين ان يقول ان صورة مجتمعنا صورة لمجتمع اسلامى ، فمن غير المقبول شرعا ولا عقلا أن يوجد مجتمع يحيا اكثر من ٩٠ فى المائه منه فى حالة فقر شديد . لكن المتاجرين بالدين – والدين منهم براء – يقفون موقفا معيبا .. فلا هم دعاة للعدل الاجتماعى ، ولا هم تخلوا عن ثروانهم لاصحابها الحقيقيين عملا بالشريعه التى سنها الله ورسوله والتى باسمها اليوم يكيلون الاتهامات لكل رجل حر شريف ، ولقد قالوها – من قبل – ضد رجل الفكر المستنير الشجاع الشيخ على عبد الرازق . وبدلا من ان يهاجموا الاثراء غير المشروع وكل صور الانحراف والاستبداد نجد ان طائفة تجار الدين تستخدمه ضد كل من يسعى الى الاصلاح ، حتى اصبح الدين عندهم سلاحا تبريريا لكل وضع سلبى ، ولذا لا نقول غير الحقيقه اذا قلنا ان الهجوم على الدين على مر العصور لم يكن الا رد فعل على هذا الوضع .. وضع الدين الذى انقلب على ايدى هؤلاء الى وسيلة للوقوف ضد العلم لبقاء الحال على ما هو عليه . ولعل هذا ما عبر عنه بصدق والد الفيلسوف **الكسندر هرزن** عندما احضر لولده « على عادة الارستقراط » المعلمين لتعليمه فى قصره ، ولكنه لم يحضر معلما للدين ، وعندما سئل عن سبب ذلك قال : لا حاجة به الى الدين لاننا لم نعده ليستعبد بل ليصبح سيدا اننا نعلم الناس الدين من اجل ان نستعبدهم ، ونسخرهم ونضمن عدم ثورتهم » .

وهذه النظرة انما كانت تعبيرا عن كهنوت وتضليل تجار الدين الذين حولوا سماحه المسيحية الى دعوه للخنوع ، ومساندة للاستبداد عن طريق ما عرف بالحق الالهى .

وجعبة التاريخ ملاى بصور ومواقف كانت ضد خير البشرية وتقدمها ، فهذا هو القديس **اوغسطين** فيلسوف اللاهوت فى العصور الوسطى يقول فى كتابه « ملكوت الله » ان الله قد ادخل الرق فى العالم كعقاب على الخطيئة ، وسيكون تمردا على ارادته إن نحاول الغاء هذا الرق » ولقد صادف مفكرو اوروبا فى القرن الثامن عشر صورة الاستبداد التى باركتها الكنيسة ومنها الحكم المطلق الذى يستمد جبروته من الحق الالهى الذى تمنحه له الكنيسة . وعاشت اوروبا اسوأ عصورها بسبب الظلام الذى نشره بعض رجال الكنيسة فى العصور الوسطى ، ولا اعتقد ان هذه قضية تحتاج الى برهان . لهذا وجدنا دولباخ يعدد هذه الصور فى كتابه « المسيحية من غير ستار » ويقول فى نهاية كتابه « كل ما ذكرناه حتى الان يثبت باجلى صوره ان الدين المسيحى معاد للسياسة السليمة ولسعادة الامم » ونجد **ميلييه** يقول « الجهل والخوف هما محورا كل دين ، لقد كان هدف المشرعين الاوائل ان يسيطروا على الشعوب فكان ايسر سبلهم الى ذلك ان يخيفوهم ويمنعوهم من اعمال العقل . وكلما ازداد المرء امعانا فى دراسة النواميس والمبادىء الدينيه كلما ازداد قناعة بأن هدفها الوحيد هو مصلحة الطغاة والرهبان » .

ويأتى « **فوير باخ** » ليجد ان المتسلطين باسم الدين قد جعلوا من الانسان كائنا قذرا حقيرا مغطى بالخطيئة والكمال والعظمة لله وحده وكأنما لا يتأتى كمال الله الا بتحقير الانسان ! مع أن الدين الحق يرى أن الله قد خلق الانسان فى احسن تقويم ، نجدهم قد قلبوا الوضع ليجعلوه فى احقر تقويم .

ولم يسلم الشرق الاسلامى من الاستبداد باسم الدين ، بل كانت كارثته افدح ، فباسم الخلافة الاسلامية حكم الشرق الاسلامى حكما استبداديا ، وعاشت شعوب باسرها تحكم من خارج بلادها تحت سلطان وجبروت الطغاة العثمانيين . كل هذا الاستبداد والاستعباد والظلم والقهر باسم الخلافة الاسلامية ولمدة اربعة قرون من الفقر والتخلف والمرض والطغيان ، حتى اسلمتها لقمة سائغة سهلة لاكبر امبراطوريتين استعماريتين فى ذلك الوقت وهما الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الفرنسية .

وامتد السلطان الارهابى باسم الدين ليحكم على « احمد عرابى » قائد ثورة الجيش والشعب من اجل الحرية والحق والعدل بالخيانة والعمالة والكفر ، استجابة للسلطان العثمانى والخديوى توفيق والاستعمار البريطانى ، وصدرت بذلك الفتوى الشرعية الشهيرة التى اصدرها مجموعة من المضللين باسم الدين .ويضيق بنا المجال لو استطردنا فى سرد الوقائع المشابهة على امتداد تاريخ مصر .

كانت هذه صورة موجزة للتاريخ المأساوى للشعوب مع المضللين باسم الدين باستخدامهم

□□□□□□□□

التفسير السيىء ضد كل اتجاه ثورى تقدمى ، ولمساندة كل نظم الاستبداد . فالمسألة ليست مسألة دين ، وانما مسألة مصالح ، وحيث توجد مصالح المستغلين والمستبدين توجد ضمائرهم وقلوبهم . ومن هنا يأتى العداء لكافة النظم الداعية للقضاء على الاستغلال واتهامها بالكفر والعمالة .

واذا كان الجانب الفلسفى للماركسية مثلا فلسفة ملحدة - ولذا يعادونها - الا يقتضى المنطق معاداة كل الفلسفات الاخرى الملحدة ؟ بل ان الحاد الماركسية لا يعد شيئا اذا ما قورن بالحاد فلسفات اخرى فنيتشه مثلا لم يكف طوال حياته عن صب لعنانه وشتائمه على الدين حتى انه كان يقول « ان بينه وبين المسيح عداوة شخصية » ! وهو صاحب العبارة القائلة « ان الله قد مات منذ زمن » ومع ذلك لم نلعنه .

وشيللى شاعر الرومانسية الف كتابا للدعوة للالحاد اسماه « ضرورة الالحاد » ولم يلق اللعنات وبرتراند راسل داعية السلام العالمى رفض الدين رفضا باتا وقاطعا والف كتابا يلخص فيه هذا الرفض وهو كتاب « لست مسيحيا .. ولماذا ؟ » .

وامثلة كثيرة .. كثيرة .. ولكن الماركسية فقط هى الملعونة والسبب الدين ، وكأنما كل مفكرى العالم اتقياء انقياء وماركس هو الملحد الوحيد .

ومن ناحية ثانية اذا كان العداء دينيا فلم الترحيب بالعلاقة مع الصين ؟ اليست شعبا من الكفار ؟ ! ولكن للسياسة احكام ؟ ! وبالرغم من كونهم كفارا الا انهم حققوا العدل الاجتماعى وخلقوا من مجتمع التخلف مجتمعا متقدما ، بل انهم فى الصين يتهمون روسيا بالخروج عن الماركسية ومع ذلك تلعن روسيا وتمدح الصين لماذا ؟ .. للسياسة احكام ..

الم يكن اشرف واكثر التزاما بالدين اعلان الحرب على الفساد ، من رشوة علنية واختلاسات بالملايين ؟ الم يسمع الساده عن الفقر المدقع والثراء الفاحش الذى يتخذ اشكالا سوقية تستفز مشاعر الجماهير .

الم يكن اشرف واكثر التزاما بحدود الدين المطالبة بحقوق الشعب المصرى اى حقوق غالبيته ؟

الا يستحق هذا الوضع اهتمامكم ايها المتاجرون بالدين ؟

أيرضيكم ويرضى ايمانكم ان يكون بالقاهرة المزدحمة ١٠٠ الف سيارة خاصة تخدم ٢٠٠ الف شخص بينما يوجد الف اوتوبيس تخدم ثلاثة ملايين ؟ ! .. أكثر من ثلاثة ملايين ينفقون عمرهم على محطة اوتوبيس ، بينما تمر أمامهم سيارة فارهه مكيفة الهواء ، بها بار ، وزجاجات خمر وكلب يخرج لسانه للمجتمع ؟

لقد احترق الكثيرون فداء لاوطانهم طلبا للحق والعدل والحرية .. وعلى كل الناس ان تتحمل العبء . فكيف يمكن ان يتطور مجتمع فقير متخلف دون ان يضطر الى أن يأخذ نفسه بأساليب قاسية على الجميع .. الجميع .. الجميع . وكان ينبغى أن تكون هذه دعوة الدين ..

وهذا ما عبر عنه الشاعر العظيم ناظم حكمت عندما قال :

« اذا لم احترق
اذا لم تحترق
اذا لم نحترق

« فكيف يمكن أن يصبح الظلام نورا

خطاب مفتوح الى نقيب المعلمين

أديب ديمترى

فى هذا المقال يرد أديب ديمترى على الحملة الهابطة التى وجهتها مجلة الرائد اليه والى الطليعة .

السيد رئيس تحرير مجلة الرائد ونقيب المعلمين
تحية طيبة . وبعد .

نشرت « الرائد » تحت عنوان « حملة مسعورة » فى عددها المؤرخ مارس سنة ٧٦ ردا على مقالى بمجلة « الطليعة » فى عددها الصادر أول ابريل !! حول « نقابة المعلمين وقضية الديموقراطية » .

وجاء الرد هادرا بسيل من السباب والشتائم ، والقذف « بالعمالة » و « الخيانة » و « الانتماء

لجهات معينة » تقوم بحملة مرسومة » نفخت فى نارها مجلات ماركسية وتزكى نسارها « جهات مشبوهة » الخ .. الخ .. هذا والكاتب فى راى المجلة ليس له « الاهلية للحكم » على ما تنشره الرائد !!

وفى العدد السابق من « الرائد » «ديسمبر سنة ١٩٧٥ » تعرضتم بنفس الاسلوب الهابط لعدد من الزملاء أعضاء جمعيات وروابط المعلمين تصدوا للنقابة بالنقد ، وعرضوا أمرها على جمهور المعلمين وأعضاء مجلس الشعب .

والحقيقة أننى لم أدهش فى شىء للاسلوب الذى تكتب به ، وان كنت قد أسفت للمستوى الذى ترديت اليه . وبالرغم من أن القوانين والتقاليد النقابية فى مصر ، وفى العالم كله ، توجب على النقابات صون كرامة أعضائها ، افرادا أو جماعات ، والمبادرة بالذود عنهم .. لاكيل اخطر الاتهامات لهم هكذا جزافا !! ولكل من يجرؤ على النطق بكلمة حق .. الا أن ذلك كله فى الحقيقة ليس هو القضية .. ولا هى قضية نقابة المعلمين وحدها أو القائمين عليها .. والا لهان الامر .. بل هى قضية أوسع وأشمل بكثير .. هى قضيه هذا الوطن فى محنته ، وفى المرحلة الحرجه والخطيره التى يمر بها .. فما نكاد تتصدى القوى الوطنية والديموقراطية لقضية الديموقراطيه وترفع صوتها بضرورات التغيير فى اكثر المواقع جمودا وتخلفا وفسادا ، فى كافة المؤسسات الشعبية والجماهيرية والنقابية .. وضرورة معالجة سلبيات الماضى ، والتمسك بحزم بايجابياته والاندفاع منها الى الامام .. حتى يتعرض الركب لنباح مسعور ، وسيل من الاتهامات « بالعمالة » .. الخ و « العمل لجهات اجنبيه » و « ترويج نشرات السفارات » الخ الخ ، هذه المعزوفة المحفوظة والمستهلكه والتى تردد على السنة اكثر القوى اظلاما وتخلفا .. وفوق كل شىء أكثرها انتفاعا بمغانم الماضى والحاضر .. وهذه تكمن المعزوفة باتهامات الالحاد .. والكفر والتكفير .. وهذه وتلك اساليب عتيقه ومفضوحه منذ زمان طويل عرفنها شعوبنا فى كافة مراحل تاريخها وعرفت انها بمثابه دخان كثيف يطلق للتعمية ولاخفاء انحرافات وسلبيات خطيرة . وهى ليست فى حاضرها وماضيها القريب سوى الوجه الاخر ، والامتداد الفكرى لارهاب الاجهزة البوليسية ، وكلاب السجن الحربى ، وزبانية التعذيب الذين يحاكم البعض منهم اليوم . ومن عجب أن تتضمن مجلة تنسب الى « المعلمين » كل هذا السباب الهابط وفى هذا ما فيه من اساءه الى اسم « المعلم » هذا الاسم النبيل والمبجل .

ولعل مأساة لبنان الدامية ، والمعركة الوحشية التى تدور على أرضها ، قد فضحت من خلال أنهار الدم والمعاناة ، ما قصرت عن فضحه كل انهار الكلمات والفلسفات ، وكشفت عما تعنيه هذه الشعارات بالفعل فى التطبيق : القتل على الهوية والحرب الدينية ، ودمار بلد باكمله ، بل وتمزيق الشعوب العربية بأجمعها من أجل الحرب المقدسة ضد الماركسية والشيوعية الدولية .. وضد كل فكر أو عقيدة !! وأين نقف حقيقة على الارض العربية قوى الوطنية والديموقراطية والتقدم وقوى الانعزال والطائفية والتخلف بأسلحتها الصدئة .

وبعد ـ فاننى اقول لمجلة الرائد والقائمين عليها : كل السباب والمهاترات لا يجدى اما ما يجدى فهو توفير كل الجهد لقضية التعليم والمعلمين ، فهى الجوهر ، وهى القضية القومية التى أضحت تحتل اليوم مركزا بالغ الخطر فى مسار أمتنا ، وهى تقتضى منا تضافر كل الجهود المخلصة ، وقبل كل شىء الحوار الهادىء والموضوعى . وقد قدمت بمقالى الذى آثار كل هذه الثائرة ، حقائق وارقام حول قضايا المعلمين الملحة ونقابتهم ، وقدم غيرى حقائق وارقاما فى الصحف ، وفى مجلس الشعب .. فهل لنا أن نأمل فى ردود موضوعية ومقنعة ، وحلول غير الكلمات والوعود لقضايا المعلمين ، ومن السادة المتربعين على قمة النقابة دون حراك منذ انشائها ؟ !

وهل للمعلمين أن ينتظروا جوابا على الاسئلة والتساؤلات الحائرة التى تثير فى صفوفهم أعمق القلق : **اين تذهب موارد هذه النقابة المهوله . ان لم تصل الى أيدى المعلمين فى صورة خدمات ملموسه ومحسوسه . فى الصحه والمرض . وفى الحياة والموت .. فى السكن والترفيه الخ الخ ؟ !**

وماذا قدمت لاعضائها حتى بالمقارنة بأصغر النقابات المهنية واقلها عددا ؟

واين تقف نقابتهم من مطالب المهنة العادلة ، ومن متاعبها وهمومها ؟ !

أين تقف نقابتهم من اكداس الشكاوى والمظالم على الافراد والجماعات ، وماذا تفعل فى رسم سياسة التعليم ؟ !

□□□□□□□□

أين صوت النقابة ؟ ! وأين دورها ؟ ووراءها تاريخ وأمجاد .. فى القضايا القومية والوطنية الكبرى ؟

أين كلمة المعلمين فى غير خطب التأييد وبيانات المناسبات والنفاق ؟

وقبل هذا وبعده : نقابة من هذه ؟

والعمالة المطلوبة لمن ؟ ! هل هى للقلة القليلة المنتفعة والقابضة والتى يفزعها أى تعبير ؟ ! ولغيرها هو كفر والحاد ! ! .

كيف تتحول النقابة الى اداة ديموقراطية حقيقية تعبر عن ارادة المعلمين ؟ .. وليس وكرا للطائفية والتخلف وضيق الافق ؟

هذه بعض أسئلة وتساؤلات مشروعة ، ومن حق المعلمين ان يجدوا لها جوابا وحلا .. ولا تجدى الاتهامات والمهاترات فتيلا !!

أما التهديد الموجه الى شخصى فى ختام كلمتكم « ان عدتم عدنا » فأقول مرحبا والعود أحمد ، ولنا عود وعود .. وأستأذنكم فى نشر كلمتكم حتى يتوفر لها الذيوع . وحتى يطالعفيها المعلمون قطعة من اداب النقابة ومجلتها ... وتقبلوا منى وافر التحية ■

نشرت المجلة المسماة بمجلة « الرائد » مارس ١٩٧٦ الكلمة التالية ردا على مقال اديب ديمترى المنشور فى عدد ابريل ١٩٧٦ من الطليعة .

حملة مسعورة

انها حملة ظالمة تورط فيها بعض الزملاء ، ونفخت فى نارها بعض المجلات الماركسية التى تدين باثارة الأحقاد وتفجير الصراع بين الطبقات وتدمير السلام الاجتماعى بين المواطنين ..

وآخر ما نشر من ذلك كلمة بتوقيع « أديب ديمترى » تحت عنوان : نقابة المعلمين والديمقراطية ، كتبها باسلوب النشرات التى تصدر عن بعض السفارات ..

الكلمة مليئة بالالفاظ التى أصبحت عملة زائفة فى سوق الشعارات : دعوى الديموقراطية التى لا وجود لها فى الفكر ولافى الواقع الشيوعى .. صفات الرجعية والتقدمية فى القاموس الماركسى الذى يردد البعض ألفاظه كالببغاوات ..

تهجمه على النقابة التى لا يعرف شيئا عن تاريخها ولا عن انجازاتها ، وعلى .. الرائد .. التى يبدو أنه لم يقرأها وليست له الاهلية للحكم على ما تنشره ، ولا على الاساتذة الاعلام الذين يكتبون فيها ..

ويكشف الكاتب نفسه وتفضحه أحقاده حين يدافع عن بعض « الشيوعيين » الذين باعوا عقيدتهم وفكرهم وحريتهم وانتماءهم لجهات معينة ...

واقبح ما فى هذه الكلمة المليئه بالمهاترات والمغالطات ، تهجمه على السيد كمال الدين حسين .. الرجل المؤمن بدينه ووطنه ، الفدائى ، الثائر ، صاحب الجهود المخلصة فى دعم النقابه ورعاية حقوق المعلمين واصلاح التعليم .. وصاحب المواقف الوطنيه المشرفه فى كل ميدان .. انها حملة مرسومة .. ومفضوحة . وقد استنكر المعلمون جميعا مواقف أصحابها والجهات المشبوهة التى تذكى نارها ـ وان عدتم عدنا ...

نقابة المعلمين تعتدى على سيادة القانون

محمود عبد العزيز يوسف

ما الذى يجرى داخل بعض النقابات المهنية من ممارسات مناقضة للديموقراطية وبالتحديد فى داخل هذه النقابة التى تضم عشرات الالوف من الاعضاء ونعنى بها نقابة المهن التعليمية ؟ على هذا السؤال يجيب احد المعلمين ، ورئيس رابطة خريجى معاهد وكليات التربية .

ثورة التصحيح فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ بقيادة الرئيس محمد انور السادات قامت اساسا على سيادة القانون ، وطبيعة الامور فى هذا الشأن أن يلتزم بسيادة القانون الحاكمون والمحكومون ، وجميع المؤسسات والتنظيمات التى يحكمها قانون تدور حركتها الفكريه والعملية من خلاله .

ولكن مجلس نقابه المهن التعليميه لم يفهم بعد أننا ـ فى دولة المؤسسات ـ نحترم سيادة القانون . ولانه لم يمارس مسئولياته النقابية بالمنهج الطبيعى السليم فقد اصبح قانون نقابة المهن التعليميه يتغير ويتبدل فى يد هذا المجلس وفق هوى المتسلطين من خلاله على المعلمين .

ولقد برزت ظاهره عامة وحادة ـ هذه الايام ـ فى صفوف المعلمين ، تتجمع فيها موجات الغضب ، وتتصاعد فيها أنفاس الضيق والاستياء ، وتتفجر من بينها أصوات المواجهه والتحدى لهؤلاء الذين يغدرون بقانون نقابه المهن التعليميه ،ويتحولون بمواده عن طريقها السوى الى خدمة مصالحهم الشخصيه ، بصورة مضادة لمتطلبات المعلمين وأمانيهم .

تعطيل القانون

والعنصر الجديد الذى صعد هذه الظاهرة الغاضبة بين جماهير المعلمين ـ هو ما لجا اليه مجلس نقابة المهن التعليمية من تعطيل قانون النقابه واهمال اجراء الانتخابات لاختيار ممثلى المعلمين فى اللجان النقابية والنقابات الفرعية ومجلس النقابة العامة ، وعدم تنفيذ هذه الانتخابات كما نصت عليها المواد الاتيه من قانون نقابه المهن التعليميه رقم ٧٩ لسنة ١٩٦٩ .

ماده ٢٣ ـ تعقد الجمعية العمومية للجنة النقابيه بدائرة المركز أو القسم أو الوحدة فى شهر فبراير من كل عام للنظر فى المسائل الاتية :

.....

جـ : انتخاب رئيس واعضاء مجلس ادارة اللجنه النقابيه بدلا من الذين انتهت مدتهم او سقطت عضويتهم .

ماده ٢٧ ـ تعقد الجمعية العمومية للنقابة الفرعيه بدائرة المحافظه أو المنطقة التعليميه فى شهر مارس من كل عام للنظر فى المسائل الاتيه :

......

جـ : انتخاب رئيس وأعضاء مجلس ادارة النقابه الفرعيه بدلا من الذين انتهت مدتهم أو سقطت عضويتهم .

مادة ٤١ ـ تعقد الجمعية العمومية للنقابة العامه فى شهر ابريل من كل عام ، وتختص بالنظر فيما ياتى :

......

او انتخاب النقيب واعضاء مجلس النقابة الذين انتهت او سقطت عضويتهم .

وكان مقتضى العمل بنص هذه المواد أن تجرى الانتخابات للجان النقابية فى شهر فبراير وللنقابات الفرعية فى شهر مارس وللنقابة العامة فى شهر ابريل ، ولكن مجلس النقابة أوقف العمل بهذه المواد . وهذه المواد الثلاث التى أسقطها مجلس

□□□□□□□□

نقابة المهن التعليمية من حسابه ، وعطل العمل بها ، واوقف قانونا أصدره رئيس الجمهورية يعبر عدوانا صارخا على سيادة القانون ، و هدارا لمصالح المعلمين ، وحجرا على حريتهم ، وامتهانا لحقوقهم ..

وليست هناك من الاسباب القومية ، ولا الظروف الموضوعية التى تتعلق بأمن الدولة ما يمكن ان يكون مبررا لايقاف العمل بالقانون . ونحن للاسف المرير ان تعطيل العمل بهذه المواد الست من قانون نقابة المهن التعليمية يرجع الى مصالح خاصة ترتبط ببعض المتحكمين فى أمور المعلمين من خلال مجلس النقابة ، ويبرز ذلك فى التطورات الاتية :

أولا : تحدد المادة ـ ٤٩ ـ من قانون نقابة المهن التعليمية ان مدة عضوية مجالس ادارات اللجان النقابية والنقابات الفرعية سنتان ، ولا يجوز انتخاب العضو فى هذه المجالس لاكثر من دورتين متتاليتين ..

ومجلس نقابة المهن التعليمية بتشكيله الحالى ، وبعناصره البارزة فيه يعتمد اساسا على زخارف مخترقة ، فى المواقع الانتخابية المختلفة ، تنسط دائما على المعلمين وتقفز على اماكن مجلس ادارات اللجان النقابية والنقابات الفرعية ، وتحجب عن عضوية هذه المجالس كثيرا من المواهب التقدمية التى تملك رؤيه واضحه لمجالات العمل النقابى الاصيل ، وبما يخدم مجتمعنا العام كعائد فى مسارهم لخدمة المعلمين .

ولقد تمكنت هذه العناصر من سيطرتها على مواقع اللجان النقابية والنقابات الفرعيه دورتين متتاليين وفق للقانون ، وهذه العناصر هى التى تخدم افراد مجلس النقابة العامه فى اختيارهم لشغل عضوية هذا المجلس وتبادل المنافع ذاتيه بين هذه الاطراف .

وفى اجتماع الجمعية العمومية للنقابة العامة فى ابريل ١٦٧٥ احست هذه الركائز بأن مدة عضويتها تنتهى فى عام ١٩٧٦ وفقا للمواعيد التى حددتها مواد القانون السابقة ٣٣ ، ٣٧ » . ومن هنا ـ وبايحاء من مجلس النقابة ـ قدموا توصية غير علنية للجمعية العمومية باقتراح تعديل المادة ٤٩ من قانون النقابة بحيث يتم التعديل ليجعل مدة عضوية اللجان النقابية والنقابات الفرعية أربع سنوات ..

وهم بهذا التعديل ـ اذا صدر به تشريع ـ يطمعون فى أمرين خطيرين :

الامر الاول : ان تعديل القانون يلغى المدد السابقة التى قضوها فى دورتين بمجالس ادارات اللجان النقابيه والنقابات الفرعية ، ويصبح من حقهم أن يعاد انتخابهم مرة أخرى ليسطوا على مواقع هذه المجالس .

الامر الثانى : انهم فى ظل هذا التعديل لهم أن يقضوا فى هذه المجالس ثمان سنوات متتالية على دورتين كل منهما أربع سنوات وبذلك يستمر تسلطهم ، طوال هذه المدة ، على عمر واقدار المعلمين .

هذه هى الحيلة التى لجأ اليها مجلس النقابة فى دورة ابريل عام ١٩٧٥ . ولكن جماهير المعلمين كشفت هذه الخدعة ، وفزعت بارائها وجهودها الى المسئولين فى السلطتين التشريعية والتنفيذية تطالب بالحاح بعدم الموافقة على التعديل المقترح وقدمت للمسئولين كثيرا من صور الانحراف والفساد التى تستشرى فى تصرفات المختصين فى مبنى الجزيرة ..

وكان دفاع المعلمين عن أنفسهم بالضراوة التى قاوموا بها هذا التعديل سببا فى تعطيل الاقتراح المقدم من النقابة . ومضى العام الذى تنتهى به مدة العضويه فى مجالس ادارات اللجان النقابية والنقابات الفرعية وفقا للقانون ..

ثانيا : كان على مجلس نقابه المهن التعليمية أن يقف عند هذا الحد ،وأن يحترم سيادة القانون وان ينفذ المواد التى وردت به كمواقيت لانتخابات المعلمين فى مستويات المواقع المختلفة وان تجرى الانتخابات فى مواعيدها المقررة لتعطى لهم حقهم الطبيعى فى التعبير عن أنفسهم وتحقيق ارادتهم فى اختيار حر لمن يمثلونهم فى تشكيلاتهم النقابية .

ولكن مجلس نقابة المهن التعليمية تجاهل كل هذه المواد القانونية ،والمبادىء التشريعية وأعلن عن تاجيل الانتخابات فى كل المستويات حتى يعيد الحرة فى البحث عن سبيل لاستمراره وبقاء المنتفعين معه وبه الى اجل غير مسمى .. وكان رد الفعل قاصما لارادة هذا المجلس حين هب المعلمون مرة أخرى وصرخوا فى وجه الفساد الجاثم على انفاسهم فى مبنى النقابة ، وصمموا على احترام سيادة القانون ، وعلى قدسية ارادتهم فى تجديد التشكيلات النقابية ، وبعث النور والاشراق فى حياة نقابتهم المهنيه التى تنتظم لالتمائة ألف معلم ويتحكم فيهم بضعة افراد .

وتم اخضاع مجلس النقابة لارادة المعلمين وأعلنوا عن اجراء الانتخابات بالنسبة للجان النقابية فى ٢٨ مارس وبالنسبة للنقابات الفرعية فى ٣ ابريل الماضى ، وواضح فى تقارب هذه المواعيد التى حددت للانتخابات وتداخل فترات فتح باب الترشيح ما وقع فيه مجلس النقابة من خطأ ، وما أصابه من تخبط ..

ثالثا : كانت هذه التصادمات بين جماهير المعلمين وبين تصرفات الخطأ من مجلس النقابة بيانا لرؤية واضحة عند كبار المسئولين وخاصة فى مجلس الشعب ، وبالاخص عند السيد المهندس **سيد مرعى** رئيس مجلس الشعب والسيد **الدكتور على السيد** وكيل المجلس والسادة أعضاء لجنة التعليم والبحث العلمى بالمجلس .. وهذا فى جانب رؤية واضحة مسبقة للسيد الدكتور **مصطفى كمال حلمى** وزير التعليم الذى يعطى المعلمين كثيرا من ثقته وفكره وجهده وحركته .

رابعا : ماذا كانت نتيجة هذه الرؤية الواضحة عند كبار المسئولين ؟ وما هى الحركة الايجابية الناتجة عن هذه الرؤية ؟

لقد شهد **مجلس الشعب** جلسات هامة وجادة بعد أن وضحت الرؤية بحقيقة الاوضاع فى مجلس النقابة ، وبعد التصرفات المعوقة لتقدم العمل النقابى .

وكانت ساحة مجلس الشعب مجالا لحوار شامل وعميق عن حقيقة هذه الاوضاع ، وبرز من هذا الحوار ما ياتى :

١ — أن بعض اعضاء مجلس النقابة ممن احترفوا هذا التحايل على القوانين قد استمروا فى عضوية مجلس نقابة المهن التعليمية منذ انشائها عام ١٩٥٥ والى الان .. وهذا ما لم يحدث مطلقا فى أية نقابة مهنية أو عمالية ..

٢ — ان قانون نقابة المعلمين الحالى به كثير من الثغرات التى لا تتفق وتطور أمور المجتمع وخاصة بالنسبة لقوانين النقابات المهنية الاخرى .. وهذا يستدعى سرعة تعديل القانون كله ، واصدار قانون اخر يتبنى آمال وطموح المعلمين فى التنظيم النقابى .

٣ — أنه قد ثبت برؤية واضحة وصادقة أن مجلس النقابة الحالى يهدف باقتراحه بتعديل المادة ٤٩ فقط أنه يعمل لصالحه الشخصى والذاتى ولحساب المنتفعين حوله .

٤ — ان الدورتين الأخيرتين لمجلس النقابة لم تظهر فيهما خدمات نقابية للمعلمين بل لقد صدرت فيهما من المجلس قرارات ضد صالح المعلمين .

٥ — ومن هذه الرؤية الواضحة فقد حسم الموقف المهندس **سيد مرعى** رئيس مجلس الشعب ، وكان يرأس جلسة من هذه الجلسات تضمنا وبعض رواد المعلمين ، مع ممثلى مجلس النقابة العامة وتم الاتفاق فيها على :

— ضرورة تعديل قانون النقابة تعديلا شاملا وان يقدم المشروع بالقانون الجديد خلال شهر مايو ليتم اصداره قبل انتهاء دورة المجلس الحالى .

— بما ان المخالفة لسيادة القانون التى ارتكبها مجلس النقابة أصبحت أمرا واقعا بتأجيل الانتخابات فى اللجان النقابية والنقابات الفرعية عن المواقيت التى حددها القانون .. وبما أن تعديل القانون تعديلا شاملا يستدعى ضرورة اجراء انتخابات جديدة فور اصداره .. وبما أن التخبط والتداخل فى المواعيد الجديدة التى حددتها النقابة للانتخابات فى محاولتها لتصحيح الخطأ الجسيم الذى ارتكبته بمخالفة قانون يتعارض مع موسم الامتحانات التى يشترك فيها جميع المعلمين ...

فقد أصبح من الضرورى أن تؤجل الانتخابات الى أن يتم التعديل الشامل للقانون .

— ونظرا لان مجلس النقابة — بمخالفاته لسيادة القانون — قد جعل اللجان النقابية والنقابات الفرعية خالية من مجالس ادارتها لانتهاء المدد المقررة للتشكيلات القديمة بحكم القانون وعدم شغل هذه المجالس بأعضاء مجالس ادارات جدد .. فقد تم انقاذ هذا الموقف المعقد بتقديم اقتراح بمشروع قانون يقره مجلس الشعب بصورة سريعه باضفاء الشرعية على التشكيلات النقابية للمعلمين حتى آخر عام ١٩٧٦ فى محاولة لتصحيح اخطاء مجلس النقابة بقدر الامكان بعد أن تورط فى مخالفات قانونية كانت وحدها كافية لمحاكمتهم .

والسؤال الضرورى الذى يطرح نفسه الان :

كيف استطاع بعض افراد من مجلس النقابة ان يفرضوا أنفسهم على المعلمين منذ تكوين النقابة عام ١٩٥٥ الى الان .. مع ما يسبب اليهم من فشل وانحراف وتضييع لمقدرات المعلمين ؟! والجواب ببساطة يردده جماهير المعلمين بالاسانيد الاتية :

١ — هؤلاء الذين سيطروا على أمور المعلمين فى نقاباتهم ضعف الناس شانا ، ولكنهم دائما كانوا يحتمون تحت مظلة السلطة ، فعندما انشئت النقابة ولسنوات طويلة ١٩٥٥ — ١٩٧٠ كانوا يشترطون أن يكون النقيب وزيرا ووكيل النقابة

وكيل وزارة ، ومدير التربية والتعليم — بحكم وظيفته التي يرقى فيها أو ينقل اليها — نقيبا فرعيا للمعلمين دون انتخاب .. ضمانا لكبت المعلمين بقبضة السلطة ».

٢ — انهم يلجأون دائما في فترات متباعدة لتغيير القانون ، حتى يمكنهم أن يسقطوا على المواقع الجديدة من خلال اعادة الانتخابات الشاملة التي تجب المدد السابقة ، ومن هنا فقد اشترطنا في الاجتماع الذي كان يرأسه المهندس سيد مرعي رئيس مجلس الشعب — لانقاذ المعلمين من الخطأ الجسيم الذي تورط فيه مجلس النقابة — ان ينص في التعديل الجديد لقانون النقابة باحتساب المدد السابقة التي أنهى العضوية بها القانون الحالي بالنسبة لمجالس الادارات في التشكيلات المختلفة حتى لا يتكرر السطو على هذه المواقع مرة أخرى من المحترفين المتسلطين .

٣ — هؤلاء الناس في اجراءاتهم التشريعية يعمدون الى اثارة العصبية والطائفية ، وبث الصراع والبغضاء في صفوف المعلمين مسيرة منهم للمبدأ الاستعماري « فرق تسد » فهم في القانون القديم قد قسموا المعلمين الى طوائف « أ ب ، ج » ثم في القانون الحالي ، عادوا فقسموا المعلمين الى خمس نوعيات ، وارتكازا على اثارة هذه النوعيات واتاحة الفرصة لاي نوعية أن تطغى وتتسلط على النوعيات الاخرى فقد اشترطوا الا تقل أي نوعية من هذه النوعيات عن ١٠ في المائة ولا تزيد عن ٥٠ في المائة وبهذا يمكن ان تتسلط نوعية واحدة على جميع أمور المعلمين في تشكيلاتهم النقابية ° . وهو ما يعتمدون عليه في قبضتهم على مقدرات النقابة ».

٤ — سبب آخر خطير يضم الى هذه الاسباب هو ان المعلمين قد يئسوا من اصلاح الاوضاع في نقابتهم بينما يشتد سخطهم على الذين صنعوا اسباب هذا اليأس ، ومن هنا فقد انصرف المعلمون عن المشاركة في الاجراءات الانتخابية ، وآثروا الابتعاد عن الصدام الحاد الذي لابد أن يحدث بين التقدم والتخلف وبين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ».

هذه الاخطاء جسيمة :

واخيرا فاننا نقرر أن مجلس النقابة الحالي الذي ارتكب أكبر خطأ بمخالفته لسيادة القانون تشبثا بالبقاء ، قد ارتكب في حق المعلمين الجرائم الاتية :

١ — الغاء معاش المعلمين عند سن التقاعد ، بينما ينص القانون مادة — ٦٥ — على أن ينشأ بالنقابة صندوق للمعاشات يرتب معاشات دورية طبقا لاحكام هذا القانون ».

ومادة — ٦٩ — للعضو الحق في معاش تقاعد من هذا الصندوق

ويدعي مجلس النقابة انه قد اعطى للعضو عند التقاعد خمسين جنيها بدلا من المعاش ..».

والغريب ان هذه الخمسين جنيها تعتبر اعانة تضامن نصت عليها اللائحة الداخلية ، وفرق بين المعاش المقرر بقانون والاعانة المقررة باللائحة الداخلية °».

واذا كان هذا المبلغ الزهيد بدلا من المعاش فما اتفه ما يعطى للمعلمين بعد سن التقاعد وهم الذين اعطوا النقابة ملايين الجنيهات طوال مدة خدمتهم !!

٢ — مجلة الرائد التي يعتبرونها « مجلة المعلمين » لا تصل الى المعلمين ، لانهم لا يطبعون منها الا ما يعادل ٤٥ في المائة من عدد المعلمين ، بينما يدفع جميع المعلمين اشتراكاتهم جبرا بالخصم من مرتباتهم ، وقد كنت منذ اصدارها الى أوائل عهد المجلس الحالي تصدر في ١٢ عدد فأصبحت تصدر في أربعة اعداد .. فأين تذهب الفروق المالية نتيجة لذلك ؟

٣ — لم يقم مجلس النقابة طوال خمس سنوات بتنفيذ مشروع واحد يفيد المعلمين حتى أنهم قرروا عام ١٩٧٢ اعتماد مبلغ ثمانين الف جنيه لمشروع محو الامية تقوم به النقابة ولم يبدأ هذا المشروع للان ولا نعرف أين ذهبت هذه الاعتمادات الضخمة !!

٤ — المفروض بداهة في النقابات المهنية ان تقوم بتنمية اعضائها علميا وقوميا وثقافيا ، ولكن من الغريب ان مجلس نقابة المهن التعليمية الموقر لم ينظم طوال مدة انعقاده لخمس سنوات ندوة ثقافية ولا دورة تدريبية للمعلمين ولا محاضرة علمية ولا تجمعا مهنيا يفيد المعلمين حتى ولو للعلم بنظم التعليم في البلاد الخارجية التي زارها بعض الرحالة من مجلس النقابة الذين احترفوا السفر الى الخارج عشرات المرات في العام وانفقوا عشرات الالوف في هذه الرحلات من أموال المعلمين ..

فمتى يوقف هذا الفساد ؟

ومتى يجد المعلمون وجههم المشرق في نقابتهم ؟

ومتى يصبح لنقابة المعلمين شأن ؟

ومتى يتقدم التعليم عن طريق الرواد النقابيين ؟

انها مسئولية المناضلين من المعلمين . ■

الانتخاب بالقائمة يدعم الوحدة الوطنية

د. ميلاد حنا *

يعالج د. ميلاد حنا هذه القضية من افق رحب ، ومن منطلق سليم . ومن ثم ، فهو يربط ربطا وحكما بين قضية الانتخاب بالقائمة وبين دعم وصيانة الوحدة الوطنية بين عنصرى الشعب المصرى .

فى اغسطس ١٩٧٤ بدأ فى مصر حوار واسع فى لجنة الاستماع بمجلس الشعب حول « مستقبل العمل السياسى » وكان ذلك بداية لطريق طويل انتهى مرحليا الى فكرة المنابر او التنظيمات الثلاثة .

وها نحن نبدأ الان ، وعلى صفحات الجرائد كلها ، حوارا ضخما حول مبادىء قانون الانتخابات فى مصر كأسلوب ومنهج يؤدى الى تعميق الديمقراطيه . ومن هنا ، كانت الافكار التى بدأها المفكر والاديب **نجيب محفوظ** ، ثم ما تلا ذلك من حوار ومناقشات حول ايجابيات وسلبيات مبدأ الانتخابات بالقائمة او ما يسمى بالتمثيل النسبى وهى الفكرة التى تتركز حول ايجاد الطريقة المناسبة لتمثيل « الاقليات السياسية » وايجاد مكان لها على المسرح السياسى .

وكان واضحا من الحوار ، ومما كتب ويكتب ، ان التجمعات السياسيه التى تمثل الوسط والتى تتوقع الحصول على الاغلبيه فعلا لا تؤيد الفكره فالاغلبية السياسيه فى اى مجتمع بشرى لا ترى بأسا من استمرار الاسلوب الحالى فى الانتخابات اذ هى تعرف مسبقا ان بها من « الافراد » والشخصيات فى اغلب الدوائر ما يمكنها من الحصول على اكثر من ٥٠ فى المائه من الاصوات فى كل دائره . واذا صح ما يؤخذه الوسط من ان المناخ الحالى لتحريات الشعب المصرى يدور فعلا حول تاييد « الوسط » فانه من المؤكد تقريبا ان الاغلبيه العظمى للحكومه القادمه ستكون من « الوسط » وهو الامر الذى قد يؤدى فى نظر الوسط الى استقرار السلطه التنفيذيه لفترة تسمح لها بعمل شىء ما . هذا من جانب .

ومن جانب آخر فاذا قيل أن التجمعات « اليسارية » او « اليمينية » تعرف مسبقا أن فرصتها فى الحصول على « الاغلبية » غير واردة — على الاقل — فى المرحلة الحالية . فان التمثيل النسبى ، او الانتخاب بالقائمة ، سوف يجمع لها — فى هذه الحالة — الاصوات ، من هنا وهناك بحيث لن يكون هناك اى « هالك » وفاقد فيها وبالتالى ، فان فرص هذه التجمعات كبيرة فى « التواجد » على المسرح السياسى بشكل ملحوظ .

والواقع اننى لم ارد بهذه المقدمة الا ان اوضح ان « الاغلبية » فى اغلب الاحيان تتحرك بقوة واندفاع دون أن تعير وجهة نظر « الاقلية » ما هى جديرة به من الاهتمام الكافى والدراسة .

ومن هذا المنطق ، وفى مناخ الحريات ، لا اجد بأسا من معالجة موضوع طالما اعتبره البعض « حساسا » غير اننى ارى طرحه على بساط البحث . اذ قد حان الوقت لان نطرح ما يناقش فى غرف مغلقة او فى صدور الناس على الملأ وحتى على صفحات الجرائد .. ففى هذا الجو الصحى تترعرع الديمقراطية وتنمو حتى تزدهر باذن الله ..

منذ وجدت الحياة السياسية والنيابية فى مصر ، مع مطلع هذا القرن ، كان الاقباط متواجدين على المسرح السياسى بشكل طبيعى مع حركه المجتمع وشكل الحكم .. ومنذ عام ١٩١٩ ، بالذات ، كان وجودهم واضحا وبارزا مع حركة الوفد وظهرت شعارات الوحده الوطنيه والتى مازالت وسيظل صداها مسموعا فى بلادنا تأكيدا لتيار حضارى احسبه المصريون جميعا عبر مئات السنين : ان « الدين لله والوطن للجميع » .

ومع وجود الاحزاب السياسية المختلفة ، بعد ذلك ، كان الاقباط متواجدين فيها كلها وبشكل طبيعى ، وان كانت فاعليتهم أكثر وضوحا فى حزب الوفد كتعبير واقعى عن « تحالف قوى الشعب » ..

* استاذ الانشاءات بكلية هندسة عين شمس

□□□□□□□□

ومن هنا ؟ كان تواجد الاقباط ان فى مجلس النواب ، او فى مجلس الشيوخ ، وبالعدد والنوعيه التى تعبر فعلا عن واقع المجتمع .. ولم تكن هناك عندئذ مشكلة .

ولما كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ قد قامت على تنظيم سرى للضباط الاحرار وقد شاءت الظروف - لسبب او آخر - ان لا يكون ضمن هذا التنظيم من ينتمى الى أصل قبطى ومن ثم فقد كانت القيادة الموقيه خالية منهم .. ، فقد عولج ، ذلك بان اختارت القياده بعض المثقفين من التكنوقراطيين ممن اعتقدوا أنهم ممثلين عن الاقباط . لكن عندا الاختيار ، كان يتم - على الدوام - من أعلى .

أما فى الانتخابات العامة فقد ظهرت الازمة بشكل اوضح : ففى انتخابات مجلس الامه عام ١٩٥٧ اضطرت حكومة الرئيس عبد الناصر الى « قفل » بعض الدوائر المعينة على الاقباط بفصر الترشيح عليهم ثم اتضح ان هذا الحل غير مريح لكل من الاقباط والمسلمين ، وانه ابرز « حساسيات » خاصة . فلجأت القيادات - بعدئذ الى حل اكثر راحة ولكنه لم يحل المشكلة فى جوهرها وذلك عن طريق تعيين بعض الشخصيات التى يظن او يتصور انها تعبر عن جزء أساسى وفعال من شعب مصر ...

ولا يمكن ان تمر مناقشة هذا الامر دون ان احيى القرار الشجاع الذى اتخذه الرئيس السادات عندما رفض مبدأ انشاء تجمعات سياسية على أساس دينى فهو - بحسه المرهف وكمصرى أصيل من أعماق ضمير هذا الوطن - قد جنب الشعب ان تستغله قلة متزمتة ، هنا وهناك ، تحاول - فى يأس - ان تصيح صيحات لا تلبث ان تضيع فى صحراء وسط كتلة قوية متماسكة - رغم خلافاتها الجزئية والفكرية - ولكنها متمسكه كل التمسك بحبل الوحده الوطنيه المقدسة .

وهكذا تشدنى الى فكرة التمثيل النسبى والانتخاب بالقائمة قضية حماية وتدعيم الوحده الوطنيه ، وذلك من مبدأ ان التواجد القبطى واقع ملموس فى كافة الاتجاهات الفكرية فى مصر . فمنهم من ينتمى فعلا الى اليمين ولا يرى حلا الا القطاع الخاص وتوسعه . وربما فضل اغلبهم « الوسط » ولابد ان من بينهم ايضا من يرى طريق اليسار كأنما هو طوق النجاة لبلادنا فى المدى البعيد .

وايا ما كان الامر - فسوف تفرز التحركات السياسية والتنظيمات السياسية وقد ولدت قوية متدفقة - القيادات الطبيعية لها وذلك بصرف النظر عن « الجنس او الاصل او اللغه او الدين او العقيدة » كما ينص على ذلك دستورنا .

ومن هذا المنطلق ومن هذا الجانب من الصورة ، اعتقد ان التمثيل النسبى - كوسيله - فعاله للتمثيل النيابى سوف يدعم الوحده الوطنية ويجنب الحكومة حرج التعيين فى المجالس المنتخبة . ■

ديمقـــراطيـــة العمـــــد

أحمد ابراهيم الدسوقى *

ان الحرص على الممارسة الديموقراطية السليمة هو الذى يدفع الكاتب الى نقد نظام العمد فى ريف مصر ، وفى رأيه أنه قد آن الاوان - بعد صدور قانون الحكم المحلى - أن يوضع هذا النظام اللاديموقراطى فى متحف التاريخ .

أجريت أخيرا انتخابات العمد داخل القرى المصرية . وقد طرحت هذه الانتخابات ونتائجها مجموعة قضايا من ناحية شكلها السياسى والديموقراطى . بجانب الجانب الاجتماعى .

أولا : - الشكل السياسى والديموقراطى : -

١ - أجريت فى اكتوبر ١٩٧٥ م انتخابات المجالس المحلية بمستوياتها المختلفة وكانت ذات دلالة واضحة على الاتجاه للجماعية فى القيادة بجانب شعبية هذه القيادة أى انتسابها للجماهير والشعب .

٢ - تأتى انتخابات العمد لتؤكد على شىء جديد بل ومناقض للاتجاه السابق . اذ اكدت على أن للفرد الحاكم دورا رئيسيا داخل القرية واكدت على

* طالب بكلية الطب جامعة الازهر

تجميع السلطة داخل القرية فى يد فرد واحد وهو شخصية العمدة .

اذن هناك تناقض فى الشكل بين التجربتين وان كان مجىء سجلات العمد بعد انتخابات المجالس المحلية كان ذا دلالة واضحة على اذكاء حكم الفرد على الحكم الجماعى . أى ان التناقض قد حسم لصالح الفرد . والا فاننى أرجو توضيحا ممن يخوضون التجربة يوضح : ـ

ـ ما هو دور المجالس المحلية فى الريف ؟ .
ـ وما هو دور وحدات الاتحاد الاشتراكى العربى فى الريف ؟ .

ـ ما هى حدود العلاقة بين هذه المجالس وبين العمدة الفرد ؟ .

مع الاخذ فى الاعتبار أن المجلس المحلية ووحدات الاتحاد الاشتراكى منتخبة . والعمدة أيضا متنحب اى يأخذ الشرعية بحكم انتخابه .

٣ ـ وبالنسبة لشكل الديموقراطى فانها اعادت للاذهان ما كان يتم قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . من خطب ود الفلاحين حتى وصلت الى شراء الاصوات . فكل مرشح يسارع الى الفلاحين ويعطيهم أجر يومهم فى سبيل الادلاء بأصواتهم ولصالحه .

هل هذه هى الديموقراطية ؟ اظن لا .

ثانيا : ـ الجانب الاجتماعى للانتخابات : ـ

دار الصراع فى هذه الانتخابات وكانت له سمتان : ـ

أ ـ ان الصراع كان بين فريقين من البورجوازية . البورجوازية الجديدة . والبورجوازية العتيقة .

ب ـ أن الجماهير الكادحة وهى الاغلبية لم يكن لها مرشحوها .

فلقد شاركت فى هذه الانتخابات كل الاسر الاقطاعية القديمة من اجل بعث مجدها القديم بجانب ما روجوه من أنهم جرحوا من جراء كل الاجراءات التى تمت فى مصر بداية من ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . ولم يقف ضدهم سوى الملاك الجدد الاحداث من اجل السيطرة واثبات وجودهم .

والملفت للنظر أن الاغلبية الكادحة لم تشارك فى هذه الانتخابات كما وضحت فيما سبق بل حسم الصراع لصالح قوى البورجوازية العتيقة « الاقطاعيين القدامى » .

وان هذا الحسم له احتمالان : ـ

الاحتمال الاول : أن هذه الجماهير تريد اعادة تمكين هؤلاء الناس مرة أخرى داخل الريف المصرى . اى أنهم يرفضون كل ما فعلته الثورة لصالحهم ويريدون اعادة الوضع الى ما كان عليه قبل ٢٣ يوليو سنه ١٩٥٢ .

الاحتمال الثانى : ـ انه لم يخلق لدى الجماهير الكادحه حتى الان الوعى الطبقى وهذا ناتج من خلال عدم التربية السياسية الصحيحة من خلال تنظيم سياسى قوى .

والاحتمال الاول مرفوض لان هذه الجماهير هى التى باركت ثورة سنه ١٩٥٢ وأيدتها وباركت كل الاجراءات الثوريه الاجتماعية بداية من تحديد الملكية فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ الى قمة الاجراءات الثورية الاجتماعية وهو التحول الاشتراكى سنه ١٩٦٢ . وكل هذه الاجراءات كانت لمصلحة تلك الجماهير وضد الطبقة البورجوازية العتيقة . ومعروف أن مصالح كل من الجماهير والبورجوازية متناقضة فلايمكن ان تلتقى مصالحهما .

والاحتمال الثانى أقرب للحقيقة اذ ان المجتمع المصرى لم يوجد فيه حتى الان التنظيم السياسى الذى يستطيع ان يخلق الوعى الطبقى للجماهير لتدافع عن مصالحها . وتحمل قضيتها . . .

وهذا التنظيم لا يمكن ان تبنيه السلطة . اذ لم تستطع الثورة خلال سنينها الاربعة والعشرين ان تحقق بناء تنظيم سياسى قوى يدافع عن القوى الكادحة لبعد هذه القوى عن اى تنظيم سياسى بنته الثوره بحكم اميتها وبحكم عاداتها وأفكارها القديمة البالية المستمده من الامثلة المجحفة التى روجتها البورجوازية العتيقة مثل « اللى ما لوش كبير يدور له على كبير » ، « العين ما تعلاش ع الحاجب » وغيرها كثير .

وهذا يرجع الى أن الثورة بجهازها السياسى لم تنظم ثورة ثقافية لغسل عقول هذه القوى من كل الافكار الرجعية .. ولتثبت فيها مبادئها الجديدة .

□□□□□□□□

نخلص مما سبق الى أن انتخابات المسد أبرزت : ـ

١ ـ الاتجاه الى الحكم الفردى وهذا مناف لمبدأ الجماعية فى القيادة . اى انه مناف للاشتراكية .

٢ ـ أن قوى البورجوازية العتيقة القديمة أعادت فرض نفوذها مرة أخرى على المجتمع المصرى واستعادت مكانها السياسى .. وهذا ينافى ما ينادى به المجتمع من حتمية الحل الاشتراكى .

٣ ـ أن القوى الكادحة ما زالت بعيدة كل البعد عن قضيتها . وما زالت تابعا للبورجوازية ، وهذا مناف لاسس المجتمع الاشتراكى .

واذا كنا نطرح قضية الاشتراكية فيجب : ـ

١ ـ تنظيم ثورة ثقافية تجند فيها كل المؤسسات التربوية والاعلامية من اذاعة وتليفزيون وصحافة من اجل القضاء على الافكار القديمة لدى القوى المطحونة وارساء أفكار ومبادىء المجتمع الاشتراكى .

٢ ـ بناء تنظيم سياسى قوى يبدأ من الجماهير ولا تفرضه السلطة كى يربى تلك القوى تربية سياسية .. ويمحى أميتها .. ويرسخ المبادىء الاشتراكية . ■

مـاذا يجرى فى الصعيد حـول التنظيمات السياسية

أبو الفتوح المهدى محمد أبو جبل *

هذه الرسالة هى صرخة اهالى الصعيد الذين يريدون لتجربة التنظيمات الثلاث ان تنجح ،والذين يرون أن الاغراض الحزبية الضيقة قد تدفع بعض أعضاء تنظيم الوسط الى ممارسة ضـغوط ارهابية أو على الاقل منافية للديموقراطية .

حين اثيرت فكرة المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى أخذها مثقفوا القرية بصعيد مصر مأخذ الشك والريبة وناقشوها بحذر شديد وهل تصلح المنابر لمجتمع تصل نسبة الامية فيه ـ مجاهل الصعيد ـ الى ٩٩ فى المائة و ... و ... وكثرت التساؤلات .

ولكن حين اقر الرئيس السادات التنظيمات الثلاثة وباركها تبين لهم جدية الموضوع واعتقدوا بأنه قد بدأت معالجة فعلية لابواب الديموقراطية الموصدة من خلال حوار « نظيف » هادىء علمى بعيد عن التشنجات والمهاترات .

ثم تصدر السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء تنظيم « مصر العربى الاشتراكى » وهذا لا غبار عليه ما دمنا بصدد الدخول الى ديموقراطية سليمة وحرية فى التعبير عن الرأى .

ولكن سرعان ما بدأت الحملة المكثفة على تصريحات الاخ خالد محيى الدين عندما عبر عن رأيه الخاص ـ كما قال ـ فى الغاء المعاهدة الى الحملة المسعوره التى شنتها جريدة الاخبار على كافة القوى الوطنية والتقدمية فى هذا الصدد ونظم جيش الخلاص ـ صفوفه وشرعت الاقسام

(*) كيما المطاعنة ـ اسنا .

« اياها » تهاجم التنظيم الوطنى التقدمى فى المهد للاجهاز عليه قبل أن يترعرع .

- أما فى قنا حيث تحاول بعض القوى اذكاء مشاعر القبلية والجهل والتعصب لطحن كل قيمة للانسان الحر الشريف والمناضل المثقف فقد تعرضنا لضغوط لا مثيل لها ونظمت الحملة على الوجه الاتى :

١ - أمين المحافظة للاتحاد الاشتراكى ورئيس المجلس المحلى « نفس الشخص » ومقرر الشباب واعضاء مجلس الشعب و .. و .. يجتمعون بقيادات الاقاليم ويحذرونهم مغبة الانضمام الى التنظيم الوطنى التقدمى محافظة على سلامة الدنيا والاخرة .

اما الدنيا فان هناك تنظيما للحكومة ولا بديل بل من المحتم الانضمام اليه ومؤازرته وكل من يخالف ذلك « فانه يعوم ضد التيار وسيلقى نفس العناء والعنت وسيتعرض للتشريد والنفى » .

واما الاخرة فان المنتسب الى « التنظيم الوطنى التقدمى » سيفقد دينه باعتبار هذا التنظيم شيوعيا لا دينيا وماله الى سقر . ولك ان تتصور تاثير هذا الكلام على القيادات الاقليمية والتى تمثل غالبيتها فلاحين يغلب عليهم غيبة الوعى السياسى والدين لديهم هو القيمة الوحيدة التى لم يطرأ عليها التغيير او يمكن أن تسلب منهم كما تسلب مكاسبهم علنا .

٢ - **اعضاء مجلس الشعب** يتصدرون الحملة داخل القرى والنجوع فى الدعوة الى التنظيم الوسط ويحملون معهم بعض الكتب التى أصدرها « جيش الخلاص » لمحاربة التقدم فى اى صورة من الصور . وفاتهم أن الفلاحين فى القريه لا يملكون شيئا بل لا يملكون التأثير والذى يقودهم هو التخلف والقبلية تحت قيادة تعميها مصالحها الشخصية عن أى أمر آخر والاغرب من هذا أنهم يقولون « من كان فى الدنيا من اهل اليسار فهو فى الاخره من اهل اليسار » « وخير الامور أوسطها » وهذا يدل دلالة واضحة على انعدام الثقافه والوعى نهائيا بين الفلاحين السذج والدين لا حول لهم ولا قوه .

٣ - وفى أسنا يجتمع اعضاء مجلس الشعب يوم الاحد ٢٦ - ٤ - ٧٦ باعضاء لجنة مركز اسنا للشباب ومقررى الوحدات بمقر الاتحاد الاشتراكى ويلقون عليهم اوامر - على حد قولهم - بأن الوسط هو حزب الحكومة التى تملك كل شىء و « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » وكان التنظيم الوطنى دخيل علينا وسمته الكفر والالحاد ولا مندوحة من الابتعاد عنه بل ومحاربته بشتى الطرق ، وحين تصدى لهم الاخ ماهر أمين مساعد المركز وافحمهم بالمنافسة شارحا برنامج التنظيم الوطنى وما جاء فيه عن الناحية الدينية وأن الاسلام قام لمحاربة الاستغلال والاستعباد وأن القيم الروحية من دعائم التنظيم الوطنى التقدمى ثار السادة اعضاء مجلس الشعب وتحولت الجلسة الى مهاترات قبلية .

٤ - وينتشر أعضاء التنظيمات الشعبية والمحلية وبعض قيادات الشباب فى القرى ليحذروا الناس من الانضمام الى التنظيم الوطنى فهو الكفر بعينه ومن انتسب اليه فقد كفر وارتد عن الاسلام بل وجب قتله شرعا ويرى الانسان نفسه فى مازق فهو ان نجا وأفلت من عذاب الدنيا لن يستطيع الافلات من عذاب الاخرة ■

وما أشبه الليلة بالبارحة فبالامس القريب ومن بضع سنوات فى انتخابات مجلس الامه نزلت الاوامر - ايام سلطة الاتحاد الاشتراكى ورهبته - بان ينجح فيها مرشحو الاتحاد الاشتراكى وحطط لها على هذا الاساس ولم تحرز هذه التجربة المريرة نجاحا فقد فاتهم ان المناصب فى صعيد مصر مقسمة طبقات ولا يجرؤ المواطن بالقرية على ان يخالف هذا التقسيم المقدس . وفشلت التجربه ولكن الامر اليوم مختلف تماما فالذين يدعون - - أسف - يأمرون بالانضمام للوسط هم الطبقه التى تحتل مجلس الشعب وقبله مجلس الامة ، عائله او عائلتان يحتكرون هذا المنصب والاسباب معروفه للجميع ومن مئات السنين .

وكان الاجدر بهؤلاء السادة أن يتبنوا القضايا الهامه والتى لها التأثير المباشر على الفلاحين . فالبلهارسيا تسحق الفلاح وأطفاله . وعلاجها بالوحدات الصحية غير مجد نظرا لعدم جديته من ناحيه وتجدد الاصابة حيث مصدر الاصابه ما زال قائما من ناحية أخرى فالفلاح بالقرية يشرب من المصدر الذى يسقى منه مواشيه .

ومقاومة الامية هراء لا طائل من ورائه . وقد تحولت الى عملية روتينية بالنسبه للذين يعملون بالحكومة ومعظمهم حظى بشهادات محو الامية دون ان يعرف حرفا واحدا والسبب أيضا واضح ومعروف للجميع .

والطريق الذى يربط القرى بالمركز غير معبد بل لا يستطيع الانسان أن يصف ما يتعرض له المواطنون من عنت وارهاق فى الوصول الى المدينة لعدم وجود المواصلات . أما القطار الاضافى والذى يعتبر بمثابة نسمة صيف يتوقف أيام عصير القصب من شهر ديسمبر الى شهر يونيو . وهكذا يتعرض المواطن والفلاح بالذات الى عذاب مستمر يومى ولا يجد من يشكو له همومه ولا ينقذه السادة الذين يملكون السيارات الفارهة والذين يصلون الى كل شىء على اكتافه .

□□□□□□□□

هذا فضلا عن انعدام وسائل الاعلام والثقافة نهائيا فى جميع القرى . بل ان مركز اسنا لا توجد به دار للسينما من عشرات السنين فى حين كانت به داران للسينما من أكثر من خمسة وعشرين عاما وهذا يدل على أنه يتراجع الى الوراء كما أنه ليس هناك جهاز تليفزيون واحد للكادحين فى الميادين العامة على الرغم من أن معظم مكاتب السادة بها اجهزة خاصة للمشاهدة الفردية .

نستخلص من كل هذا ان هناك قوى تعمل على تحويل قضية المنابر الى مهزلة . وهنا نتوجه الى الرئيس **السادات** ليردع هذه المحاولة وليعطى الحق للجميع فى شرح وجهات نظرهم ووقف الحملة المسعورة على التنظيم الوطنى التقدمى فلم يصل المجتمع الريفى والصعيد بالذات الى الادراك الكامل والوعى الذى يستطيع فيه أن يعبر عن رأيه بصراحة ووضوح فى الوقت الذى يناضل فيه من اجل لقمة العيش وعناء المرض والامية واذا كانت الامور ستسير على هذا المنوال فمن الافضل ان يخرج التنظيم التقدمي من الحلبة حتى ولو عد هذا استسلاما . فالمعركة ليست نظيفة وليس لها كل مقومات المعارك السياسية أو بعضها على الاقل حتى نوفر على اجهزتنا الشعبية والمحلية الموقرة عناء الهجوم والحرب وهى التى تملك كل شيء ولا نملك نحن سوى الكلمة والكلمة فقط لمحاربة الاستغلال والاضطهاد والسيطرة والتخلف والرجعية . ■

دافعوا عن استقلالية الحركة النقابية

جاءنا البيان التالى : من النقابة العامة النقل البرى

تدارس مجلس ادارة النقابة العامة للنقل البرى موضوع الانضمام الى التنظيمات السياسية الثلاثة بجلسته بتاريخ ١٩٧٦/٥/١٧ . وانتهى المجلس الى مايلى :

أن الحركة النقابية المصرية بصفتها ممثلة لجماهير العمال بمختلف اتجاهاتهم ونزعاتهم وميولهم الفكرية لاتفرق فى عضويتها بين اصحاب الميول المتعددة . ولذلك فهى بمثابة الجهة التى تضم العمال مختلفى الميول والجبهات والاتجاهات ، وتناضل وفق مبادىء نقابية محددة تستهدف تحقيق أمانى العمال ، وآمالهم فى حياة مستقرة كريمة .

وأن النقابة العامة للنقل البرى كتنظيم معنوى يمثل قطاعا من جماهير مصر تتفهم دورها فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا بأن تعبىء جماهيرها وراء القائد الرئيس محمد أنور السادات الذى فجر الثورة الديموقراطية فى بلادنا وضرب مراكز القوى واتاح الفرصة للمصريين لاول مرة فى تاريخهم أن ينتموا بغير خوف وأن يمارسوا الديموقراطية بغير تردد ونحن لانتجاوز اذا قلنا أن ذلك يحدث لاول مرة فى تاريخ مصر لان ديموقراطية ماقبل الثورة سنة ١٩٥٢ كانت تمارس ، ومدافع الاستعمار مصوبة اليها والملكية البغيضة تجثم على صدرها . كما اننا لانجد مبررا لسحابة الارهاب التى حجبت شمس الديموقراطية بعد الثورة . فمهما قيل فى تبرير ذلك فاننا نعتقد أنه لايحمى التقدم غير الديموقراطية .

ومن اجل ذلك كله : فان وجهة نظر مجلس ادارة النقابة العامة للنقل البرى هى أن تظل المنظمات الجماهيرية حامية للديموقراطية مدافعة عنها مستقلة فى حركتها عن التنظيمات الثلاثة .

ان ذلك يعنى على وجه الدقة ان النقابة العامة للنقل البرى بصفتها المعنوية لا تمثل تيارا محددا ولاعضائها كامل الحرية فى الانتماء الى مايتناسب مع ميولهم واتجاهاتهم الفكرية فى اطار تنظيمات التحالف الثلاث . وتبقى نقابتهم العامة فى النهاية اطارا يضمهم جميعا لاتفرق بين أى منهم مهما كان اتجاهه أو انتمائه فى مطلب عادل يطلبه.

بارك الله خطا شعبنا العظيم حاميا للديموقراطية موكدا للعدل والسلام فى ظل القائد والرائد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات عاشت جماهير العمال .

السكرتير العام ـ محمد كامل ابيب

رئيس النقابة العامة
محمد محمد أحمد العقيلى

تعليق

قرار مجلس ادارة النقابة العامة للنقل البرى يرسى مجموعة من المبادىء الرئيسية بالنسبة للممارسة الديمقراطية .

فأولا : الاساس فى المنظمات الجماهرية انها تعبر عن ارادة اعرض الجماهير الممثلة لها دون تمييز او تفرقة على أساس المذهب أو العقيدة أو الرأى أو اللون و الدين . ومن ثم ، فهى تخضع لهذه الارادة معبرا عنها فى القرار النهائى المتخذ بوسيلة الديمقراطية . والهيئات القيادية الممثلة لهذه الارادة ليس من الامور التى فوضت فيها ان تفرض على من فوضها رايا أو مذهبا أو عقيدة ، او ان تتخذ قرارا بانتماء جماهيرها الى هذا الكيان التنظيمى السياسى او ذاك ، والا تكون قد خرجت عن الارادة الاصلية صاحبة التفويض وتكون قد فرضت قيودا على حركة جماهيرها الديمقراطية . ولذلك كان صائبا قرار لجنة التنظيمات الثلاث الذى رفض العضوية الجماعية للمنظمات الجماهيرية فى أى من التنظيمات الثلاث .

ثانيا : ان المنظمات الجماهيرية ـ مستقلة فى كيانها وحركتها عن اى تنظيم أو حزب سياسى . فهى ليست منظمات تابعة اوملحقة انها جماهيرية العضوية ، ديموقراطية التكوين وأى الحاق لها بأى تنظيم أو حزب ، انما يفقدها التعبير العضوى عن كل جماهير اعضائها ، الذين يحددون باراداتهم الخاصة انتماءهم العقائدى والفكرى والسياسى . وهم عندما ينتخبون قياداتهم انما ينتخبون ويختارون أفضل العناصر وأقدرها ـ من وجهة نظرهم ـ على الدفاع عن مصالحهم الاقتصادية الطبقية وعن ظروف معاشهم وشروط عملهم ـ والتى يتساوون فيها جميعا ـ فهم يحصلون على أجرهم على اساس انهم يعملون وليس على أساس انهم يعتقدون

وقد يأتى اختيارهم لقيادة ينتمى افرادها لهذا التنظيم السياسى أو ذاك . ولكن مثل هذه القيادة ـ تكون بعد انتخابها ـ قد اصبحت تمثل داخل التنظيم الجماهيرى ارادة الذين انتخبوها وبالتالى ليس من حقها ان تفرض على هذه الارادة موقفها الحزبى او السياسى أو الفكرى الخاص . عليها ان تعمل من أجل اقناع الاغلبية برأيها بالحكمة والقدوة وبالمرونة الديمقراطية ، وعندئذ لاتكون قد فرضت ارادتها أو قرارها الخاص وانما تكون الاغلبية هى التى اصدرت القرار واتخذت الرأى ومن هنا تتضح حكمة النضال العمالى النقابى الديمقراطى لمدة طويلة ضد اشتراط عضويه الاتحاد الاشتراكى شرطا للترشيح للمناصب القيادية فى المنظمات الجماهيرية على اعتبار أن مثل هذا الشرط قيد على حرية وارادة الجماهير فى اختيار ممثليها الحقيقيين ـ الافضل والاصلح .

ثالثا : ان المنظمات الجماهيرية ـ حامية الديمقراطية ، لان هذه المنظمات نفسها ليس فى قدرتها ان تعيش بلا ديمقراطية ـ من السهل ان تكون مكاتب انيقة ، ومبان فخمة ضخمة ، وعربات فارهة . وميكروفونات عالية الصوت . ولافتات تبرق باسماء كبيرة . ولكن من الصعب ان تكون منظمات جماهيريه حقيقية ، تعيش وتعمل وتتحرك بنبض جماهيرها واحساساتهم الطبقية والاجتماعية .

□□□□□□□□

ولتكون هـذه التنظيمـات بحـق حـامية للديموقراطية ، فلابد وأن تستمد وجودها من جماهيرها وليس من صاحب سلطة أو سطوة أونفوذ والافهى ممثلة لصـاحب السلطـة والسطوة والنفوذ .

والوجود الديمقراطي للمنظمات الجماهيرية ونقابات العمال خاصة ــ داخل تحالف قوى الشعب العامل هو شرط اساسى لحماية هذا التحالف وتقويته وتطويره ليصبح كيانا ماديا فاعلا وليس مجرد شعار تزين بـه مكاتب العمل السياسى والفكرى .

عبد المنعم الغزالى

وزارة المـاليــة .. هــل قـالت شـيئا ؟

عـادل حسين

نشرت (الطليعة) فى عددها السابق رد وزارة المالية على مقالنا فى فبراير ، وكان عنـوانه « الحكومة و.. الديون ــ التنمية ــ المليونيرات » والسيد الوزير لابد مسئول عما جاء فى هـذا الرد ، على الاقل بالنسبة للافكار الرئيسية ، ولا تهم الصياغة .. ذلك أن الاستاذ عبد الحميد رزق (وكيل الوزارة لشئون مكتب الوزير) هو الذى تولى بنفسه ارسال الرد ، وأعلن أن نشره ملزم باعتباره وجهة نظر رسمية فيما ورد بالمقال .. ثم أن السيد كاتب الرد اعتبر أن علاقتـه بالسيد الوزير تسمح له بان يقول ــ وهو بصدد الحديث عما ورد فى البيان المالى والاقتصادى للدكتور احمد ابو اسماعيل « نحن فى عرضنا اقتصرنا على كذا وكذا » !

ماذا يريد رد وزارة المالية أن يقول ؟ حقيقة لم أفهم . لقد نشرت مقالا فى عدد الطليعة « فبراير » تناول نقدا صريحـا السياسة الحكومة فى مواجهة العجز القومى فى معاملاتنا الاقتصادية مـع العـالم الخارجى . وتناول النقد أيضا سياسة الحكومة فى مجالات التنمية ، وموقفها من المليونيرات الجدد ، ومن محاربة الفساد .. ثم وصل رد من وزارة المالية فى ٢٩ مارس« اى بعد ما يقرب من شهرين » ، ولاشك أن مجرد وصول رد هو تقليد يستحق التقدير ، ويعكس اهتمام المسئولين بالاجابة علـى التساؤلات ، والرد على الانتقادات ، ولكننى قرأت الرد أكثر من مرة ــ حتى لا أكون مغرضا أو مغالطا أو جاهلا أو متفائلا او سطحيا كما وصفنى رد الوزارة ــ وأقرر أن رد وزارة المالية ــ الذى استغرقت كتابته هذا الوقت الطويل ــ كان فى قسمـه الاول متناقضا ، وكان فى قسمه الثانى لا يقول شيئا !

لقد اختار الرد قضيتين فقط ، قضية اتهام سياسة الحكومة بالانحياز شبه الكامل الـى الدول الغربية فى علاقاتنا الاقتصـادية ــ والقضية الثانية تتعلق بما نسبناه الى الحكومة من تقصير فى مواجهة المشاكل الاقتصادية الحادة .

التعامل مع الدول الاشتراكية

● وبالنسبة للقضية الاولى ، كان مقال فبراير قد سرد عددا من الحجج التى تدافع ــ من موقع المصلحة الوطنية ــ عن مواصلة وتطوير علاقاتنا الاقتصادية مـع الدول

الاشتراكية . وأضيف هنا ، الى هذه الحجج نتائج الدراسة القيمة التى قدمتها **د . محيا زيتون** فى المؤتمر الاول للاقتصاديين المصريين «١» واذا كان المجال لا يسمح بتكرار كل ما قيل ، فانه يكفى فقط ان اذكر بانه ثبت ان **حصاد علاقاتنا بالدول الاشتراكية كان ايجابيا تماما** ، ولا يغير من هذه الحقيقة الثابتة ان نختلف حول الاسباب والظروف .

ولقد ثبت أن ارهاق الاقتصاد المصرى بالديون لم يكن نتيجة التعامل مع الدول الاشتراكية ، وانما كان نتيجة أسلوب التعامل مع الغرب خلال السنوات الاخيرة ، فحجم الديون مع الدول الاشتراكية ، والذى تراكم عبر سنوات طويلة لم يتجاوز ٢ر٤٦٩ مليون جنيه ، بينما تصاعدت ديوننا قبل الدول الغربية بسرعة صاروخية لتصل الى ٨ر٢٧١٧ مليون جنيه حتى اخر سبتمبر ١٩٧٥ ، وهذا هو السبب الاساسى للكارثة الحالية .

كذلك أثبتنا بشهادة **د . أحمد أبو اسماعيل** حين كان رئيسا للجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب **أن أعباء خدمة الدين بالنسبة للدول الاشتراكية اقل ارهاقا لميزان مدفوعاتنا من اعباء خدمة الديون الغربية ، رغم أن الدكتور أبو اسماعيل لم يكن يدخل فى تقديراته ـ فى ذلك الحين ـ مصيبة الديون المصرفية وتسهيلات الموردين ذات الاجل القصير والفائدة البالغة الارتفاع ، والتى تفاقمت بلوتها مؤخرا .**

وبالمناسبة ، كان أغلبنا يتصور أن اضافة الديون العسكرية يغير الصورة تماما ، ولكن ثبت أيضا أن الامر ليس كذلك ، فقد أعلن رئيس اللجنة الاقتصادية ، **مصطفى كامل مراد** ـ فى مجلس الشعب ـ أن ديوننا « للجانب الشرقى تبلغ ١٦٦٦ مليون جنيه ـ بما فيها ديون الاسلحة » «٢» وفى الحقيقة ان اعلان رقم الديون العسكرية فى مجلس الشعب كان مفاجأة لاعضاء المجلس ، فقد تبين ـ كما يقول **ابراهيم نافع** المعلق الاقتصادى للاهرام « أنها ليست بحجم الديون المدنية ، لدرجة أدت الى أن بعض اعضاء المجلس طلبوا من رئيس الوزراء بعد الجلسة زيادة بعض التسهيلات الممنوحة للمواطنين ! » «٣» ومع ذلك فايا كان عبء القروض العسكرية ، فانها سلحت جيشا قويا ، حارب وانتزع الانتصار . ونفس الشىء ينطبق على القروض المدنية لمرحلة ما قبل الانفتاح ، وسأشير مرة أخرى الى كلمات للزميل **ابراهيم نافع** على اعتبار انه لن يوصف بما يمكن أن يوصف به كتاب **الطليعة** ! لقد كتب : انه « **للحق ، فان هذه القروض والديون يمكن تجسيدها حاليا فى شكل مصانع وسدود ، ولولا هذا الانتاج ـ مهما كانت نوعيته ـ فان الله وحده يعلم ماذا سيكون عليه الحال فى مصر** » « ٣ »

ولا شك أن هذه كلمات صحيحة ، فبمجرد أن تذكر بالفعل قروض المرحلة الماضية يستطيع أى مواطن أن يشير لك الى ما أقامته من منشآت ومشروعات ، فهل يستطيع أن يشير أى منا الان الى ما بقى من آثار هذه القروض الغربية التى بلغت ٢٧١٨ مليون جنيه ؟! ان القروض بعضها صعب ـ كما نعلم ـ أى قصير الاجل مرتفع الفائدة ، وقد قدر البنك الدولى فى تقرير أخير أن حجم هذه القروض الصعبة بلغ فى عام ١٩٧٤ حوالى ١٠٥٥ مليون جنيه .. ماذا بقى لنا من كل هذه القروض ؟ لقد صرح **د. أبو اسماعيل** ـ على سبيل الامتنان والتقدير ـ بان الولايات المتحدة وافقت على ان تعطينا هذه السنة قروضا تبلغ ٩٠٠ مليون دولار ، تستخدم فى شراء القمح والمحاصيل الزراعية ومستلزمات الانتاج [وهذه تستهلك ايضا] والقرض الامريكى شروطه ميسرة ، فالتسديد يتم خلال ٣٠ سنة بفائدة ٢ فى المائة ، مع فترة سماح قدرها ١٠ سنوات «٤» . . وهذا التصريح هو الاجابة على سؤالنا : ماذا بقى لنا من هذه القروض ؟

---

[١] د. محيا زيتون : مجلة الطليعة [مايو ١٩٧٦]
[٢] مصطفى كامل مراد : مضبطة جلسة صباح ١٠ فبراير ١٩٧٦.
[٣] ابراهيم نافع : الاهرام [١٢ مارس ١٩٧٦]
[٤] د. أحمد أبو اسماعيل : اخبار اليوم [٦ مايو ١٩٧٦]

ببساطة ، لقد استخدمت فى استيراد ما أكله جيلنا ـ أو بعضنا ـ وما شربه ولبسه وانتهى الامر ! مثل هذه القروض ، ورغم أى تسهيلات ، كيف ستسدد اذا كنا لم نستخدمها فى زيادة طاقتنا الانتاجية والتصديرية ؟ ثم هل يعقل ان نأكل نحن اليوم ، ونترك لاطفالنا مهمة السداد فى المستقبل ؟! وبماذا يوصف أى رب أسرة لو انه تصرف على هذا النحو ؟!

على اى حال نعود الى التاكيد ـ كما فى مقال فبراير ـ باننا لا نستخلص من هذا العرض أن نحصر علاقاتنا الدولية مع الدول الاشتراكية . نحن نقول هذا الكلام فى معارضة الانحياز نحو الغرب ، وفى معارضة تقليص واهمال علاقاتنا مع الشرق . **وقلنا بالتحديد ان حرصنا على استمرار وتطوير علاقاتنا مع الدول الاشتراكيه يساعدنا على انتزاع شروط افضل فى التعامل مع الغرب ، قلنا انه « فى مواجهة العالم الخارجى مفهوم ان الحرص على تنوع وتعدد العلاقات الدولية يدعم مركزنا التفاوضى ، ويكفل حرية اوسع فى المناورة »** . وقد تفضل رد وزارة المالية بتحية كاتب المقال على هذه العبارة . فهل تعنى هذه التحية أن الوزارة توافقنا فعلا على أهمية الحرص على تنوع العلاقات الدولية بما يخدم صالحنا الوطنى ؟ لقد أكدت الوزارة هذه الموافقه حين قال ردها : « أن مفهوم الانفتاح الاقتصادى فى مصر واضح » . فهو فى المجال الخارجى « فى كل الاتجاهات لا يفرق بين غرب أو شرق الا بما هو أنفع لمصر » .. عظيم ! « ولكن السؤال هنا .. « لماذا كان الاتجاه الى الغرب ؟ ولماذا هبط حجم المبادلات مع الشرق ؟ » الوزارة هى التى قدمت هذا السؤال ، وهو فى موضعه تماما . لانه بعد كلامها السابق أصبح ملحا . فعلا لماذا التناقض بين الموقف النظرى وبين السياسة العملية ؟ لقد أجابت الوزارة باقتباس من حديث للرئيس انور **السادات** حول مشاكل العلاقات المصرية السوفيتية ، سواء فيما يتعلق بتوريد المواد العسكرية ، أو بجدولة الديون ، ونحن نعلم بطبيعة الحال عن هذه المشاكل . ونرجو أن تتوصل القيادة المصرية والسوفيتية الى صيغة مناسبة لحلها ، خدمة للمصالح المشتركة . ولكن هل وجود مثل هذه المشاكل يصلح تبريرا للاتجاه غربا ؟

اننا نذكر كاتب رد وزارة المالية أن الرئيس أنور **السادات** قال فى ختام العبارة التى اقتبسها هو : « وقد قررنا أن لا نلجأ لاساليب التشهير والشتائم وتعليماتى للجميع هى العمل على التفاهم والحفاظ على العلاقات » ثم اننا نسمع ايضا ان الشد والجذب فيما يتعلق بحجم وشروط المعونات المطلوبة للاقتصاد المصرى لا يقتصر على الاتحاد السوفيتى ، والا هل كان حجم المعونات العربية والغربيه مرضيا لنا ؟ الا يخضع الامر لمماطلات ومفاوضات تبدو احيانا مهينة ؟ ان السيد وزير المالية يصرح بانه اوضح فى مؤتمر وزراء المالية العرب « أننا نحتاج الى ٨ آلاف مليون دولار خلال السنوات الخمس المقبلة من أجل تأمين السيولة النقدية المطلوبة لنا . بالاضافة الى ٤ آلاف مليون دولار آخرى من أجل المرافق وتجديدها ، أى أن المطلوب من الاخوة العرب هو ١٢ الف مليون دولار يمكنهم تقديمها لنا فى شكل قروض ميسرة بفترة سماح .. والارقام التى عرضتها مصر مبنيه على أساس الدراسات التى أعدها البنك الدولى ، والتى توضح صورة الاقتصاد المصرى فى الوقت الحاضر وبعد ٥ سنوات » «٥» .. لندع الان التعليق على مسالة أن البنك الدولى أصبح الجهة التى تحدد صورة مصر بعد ٥ سنوات ، فهذه قصة خطيرة اخرى .. ولكن ما نحن بصدده هو أن الاخوة العرب رغم كل هذا لم يعرضوا اكثر من ٢٠٠٠ مليون دولار بدلا من ١٢ الفا .. والبنك الدولى نفسه لازال يدرس ويناقش مدى مساهمته ، فهل اعتبر هذا سببا لقطع الحديث وتغيير العلاقات الدوليه ، كما استخدمت مباحثات اعادة جدولة الديون السوفيتيه مبرر للاتجاه غربا حسب ماجاء فى رد وزارة المالية ؟!

● ولكن هناك بالمناسبة عبارة لم أفهمها فى رد وزارة المالية فهى تقرر بحنق أن « مشكلة الديون السوفيتيه لم تسو ، كما قرر صاحب المقال ، وكيف يعطى مثل هذا التقرير وهو لا يعلم حقيقته وما انتهى اليه » . وقد دهشت ـ حقيقة ـ من أن أكون قد وقعت فى هذا المطب ، فكيف أقول أن مشكلة الديون السوفيتية قد سويت ، رغم أن

أى قارىء للصحف اليومية يعلم أن المشكلة مازالت معلقة الا أننى عدت الى مقال فبراير لاكتشف مجال اللبس ، وأعتقد أن رد الوزارة يقصد هذه الفقرة : « ان قروضنا مع الدول الاشتراكية هى قروض يمكن - من حيث المبدأ - التفاوض على جدولتها ، كما نحاول حاليا ، لانها قروض مع دول ، وبالتالى تخضع لاعتبارات سياسية الى جانب الاعتبارات الاقتصادية ، ولكن قروض الدول الغربية قروض وتسهيلات مع مؤسسات مالية وصناعية خاصة لا تتفاهم فى معاملاتها الا وفق مصالحها الاقتصادية البحتة » .. هل فى هذه الفقرة اى كلمات مبهمة ؟

هل فى هذا الكلام اى اختراع ؟ لقد سبق للدكتور أحمد أبو اسماعيل ان قال نفس الكلام : « فالديون التى علينا للحكومات « يقصد الغربية » تمت جدولتها وهى ديون صغيرة ، أما الديون الاخرى فهى ديون لمؤسسات او لبنوك تجارية او لموردين ، وهذه الديون لا يمكن جدولتها ، لان أغلبها ديون قصيرة الاجل ، والتوقف عن دفع هذه الاقساط ، يعنى توقف تجارتنا الخارجية » «٥»

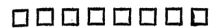
اذن كيف فهم كلامى على اننى أقول أن مشكلة الديون السوفيتية قد سويت واتفق على اعادة جدولتها .. سامح الله كاتب رد وزارة المالية ، اننى أقر بأننى فعلا المغالط والمتغافل والسطحى !

ومع ذلك .. لقد وصلنا الى ان سياق رد وزارة المالية يقود حتى الان الى أن الحكومة تتفق معنا فى ضرورة أن يكون « اتجاه الدولة مفتوحا للشرق والغرب » .. واذا كانت السياسة العملية قد اتجهت غربيا - كما يقول رد الوزارة - فان هذا يرجع الى موقف السوفيت معنا « نحن نفتح الابواب وغيرنا يقفلها أمامنا » . طبعا نحن غير مقتنعين بهذا ولكن .. ليكن هذا خلاف فى حدود مقبولة ، وهو موقف - وفق هذا التصوير - محكوم باعتبارات سياسيه مؤقتة .

الرد يتراجع ويتناقض

ولكننا كنا فى الحقيقة نناقش د . أحمد أبو اسماعيل فى مقال فبراير على أساس مختلف ، فهو قد تقدم بتصور متكامل للوضع الاقتصادى الدولى ولمضمون الانفتاح . فى مقدمة بيانه المالى والاقتصادى . وهو فى هذا التصور يقول بصريح العبارة أن العالم هو غرب فقط ، وأن الانحياز نحو الغرب هو بالتالى الموقف الاصيل والطبيعى لسياسة الانفتاح الاقتصادى المصرية ، وليس مجرد انعطافة طارئة لاسباب سياسيه مؤقته كما يقول حتى الان رد وزارة الماليه . ان الحديث عن انعطافة طارئة قابل للنقاش ، ولكن التصور الذى يضع الانحياز الى الغرب فى مصاف المبادىء الاستراتيجيه ، هو موقف نرفضه بحزم لانه يتعارض مع استقلالنا الاقتصادى ، ويفاقم من شروط تعاملنا مع العالم الصناعى المتقدم ، ويفاقم مشاكل المديونيه الخارجيه التى نئن منها فى هذه الايام . وكم كان يسعدنا لو أن من كتب رد الوزارة . اكتفى بالقدر السابق من الحوار حول هذه النقطة ، وفى هذه الحالة كنا سنفهم ضمنا ان الدكتور أحمد ابو اسماعيل قد أعاد التفكير فى تصوراته التى كتبها فى بيانه ، والتى عارضناها بشده فى مقال فبراير ، وان الخلاف - على الاقل من الناحيه النظرية - قد انحصر ، وكفى الله المؤمنين شر القتال . ولكن رد وزاره الماليه لم يقف عند القدر السابق ، فلم يلبث أن استخدم منطقا مغايرا حين التفت الينا بغتة ليتساءل « الحقيقه نحن فى حيرة من أمر ما ورد بهذا المقال [مقال فبراير] .. هل قصد الكاتب المغالطه أم انه يجهل الحقائق الاساسية للعلاقات الدولية وتطورها ؟ » وفى الحقيقة لا داعى أبدا للحيرة . فبوسعى ان أؤكد للمتحدث باسم وزارة المالية أننى لم اقصد المغالطة ، ولكن ليس عيبا أن أجهل هذا الذى يسميه حقائق أساسيه للعلاقات الدولية .. ما هى هذه الحقائق ؟ يفيدنا

«٥» مضبطة جلسة صباح ٨ فبراير ١٩٧٦ .



الرد بأنه « حتى نكون صادقين فالكل يعرف ما هى الدول التى تؤثر فى مسار الاقتصاد العالمى وتحكم اتجاهات السياسات النقدية العالمية ، بل لعلنا نشير الى أن الاتحاد السوفيتى ، شأنه شأن معظم الدول الشرقية ، ليس عضوا فى المؤسسات النقدية العالمية مثل صندوق النقد الدولى » هذه اذن هى « الحقائق الاساسية » التى أدهش السيد كاتب الرد جهلى بها .. فليسمح لى اذن ان اندهش بدورى من جهله هو !

انك تتحدث عن مسار الاقتصاد العالمى ، وأنت تقصد فى الحقيقة الاقتصاد الرأسمالى العالمى ، وهناك فارق ولا شك بين التعبيرين ، فالاقتصاد الرأسمالى العالمى نحن نعرف فعلا الدول التى تؤثر فى مساره ، وهى الدول الصناعية الغربية ، وعلى رأسها الولايات المتحده الامريكية ، واتجاهات السياسة النقدية للعالم الرأسمالى لازالت بالفعل خاضعة لهيمنة الدول الصناعية الغربية ، وقائد الفريق المهيمن ، ومن خلال صندوق النقد الدولى ، هو الولايات المتحدة الامريكية . **ولكن الاقتصاد العالمى لم يعد المرادف لمفهوم الاقتصاد الرأسمالى العالمى** . هذه حقيقة مؤكدة منذ عشرات السنين ، فهناك دول صناعية متقدمة تلعب دورا دوليا متزايدا خارج نطاق الاقتصاد الرأسمالى العالمى ، وكونها تتعامل وفق قواعد نقدية مختلفة ، ولا تشترك حتى الان فى صندوق النقد الدولى ، لا يغير من حقيقة دورها العالمى وامكانياتها ، والتعبير السائد الان عن دول الشمال المتقدم وعن دول الجنوب المتخلفة اقتصاديا ، يضع فى دول الشمال مجموعة الدول الشرقية ومجموعة الدول الغربية .

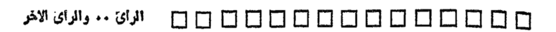
لاحول ولا قوة الا بالله ! هل وصل الحال الى أننا أصبحنا مضطرين الى التذكير بالبديهيات فى الحوار السياسى ؟!

انما يعنينا على أى حال من هذا الكلام هو أن رد وزارة المالية كشف ان د . أحمد ابو اسماعيل لازال يتمسك بالعرض الذى قدمه فى بيانه المالى والاقتصادى تحت عنوان « صورة عامة للاوضاع الاقتصاديه العالمية » وانه بالتالى لازال يحدد مواقفه وسياساته ، لا على أساس ان هناك خلافات مؤقته بيننا وبين الدول الاشتراكية ، كما قيل فى مقدمة الرد ، ولكن على أساس أن هذه الدول غير موجودة ، كما قيل فى الفقرات التالية ، وهناك فارق كبير بين الموقفين بطبيعة الحال .

يقول رد وزارة المالية « لقد اقتصرنا على اعطاء نماذج وأمثلة للاحداث العالمية البارزة التى تاثر بها اقتصادنا القومى .. فهل وجد الكاتب ان هناك احداثا ذات طبيعة مختلفة قد أفرزت آثارها على اقتصادنا القومى ولم نشر اليها » .. والرد بسيط : اذا كنا قد أصبحنا بكلتى قدمينا داخل المعسكر الغربى ، ولم نعد نتأثر الا بما يحدث لهذا المعسكر من تضخم او كساد او ارتفاع فى اسعار الفائدة ، اذ كان هذا هو موقفنا فان شرح د . أحمد ابو اسماعيل يكون وافيا بالفعل ، فقد تناول اهم أحداث هذا المعسكر .. ولكن اذا كنا لازلنا نناضل كدوله من دول عدم الانحياز ، فان هذا يفترض اننا لا نتأثر فى علاقاتنا الاقتصاديه الخارجية بتطور الاحوال فى العالم الغربى وحده ، ولكننا نتأثر ايضا بالدول الاشتراكيه ، وبالمواقف السياسية — ان لم يكن بالامكانات الاقتصادية لدول العالم الثالث .. فى الحقيقة ، هكذا كنا .. فهل تغير حالنا تماما ؟ هذا هو السؤال الموجه الى د . أبو اسماعيل ؟!

ما هى الاجراءات ياوزارة المالية ؟

● ننتقل بعد هذا الى القضية الثانية ، ولم يرد فى شرحها الا أن كاتب **مقال الطليعة** « قد تغافل ما اورده البيان المالى من العديد من الأجراءات والسياسات التى اتبعتها الحكومة وتواصل متابعتها لعلاج المشاكل الاقتصادية الحادة التى تواجهها ايا كانت أسبابها ومصادرها فهى واضحة ومعروفة للجميع ونورد على سبيل المثال ما أورده البيان المالى من ارقام حول تخفيض التمويل قصير الاجل والاستعاضة عنه بالتمويل طويل الاجل .. وتخفيف حدة التمويل بالعجز وغيرها » . ويشهد الله اننى ذكرت



هذاالكلام وقلت « أنه بلا شك انجاز » ..ولكننى تساءلت فى نفس الوقت عن فضل الحكومة فى هذا وكان تساؤلى مشروعا لاننى استندت الى اعتراف السيد وزير المالية نفسه ـ فى بيانه المالى ـ بان هذه الانجازات لا تعود الى الحكومة كجهاز تنفيذى ولكن الى قيادة الرئيس السادات السياسية التى تمكنت ـ عن طريق الاتصال بالاشقاء العرب ـ من الحصول على قروض ميسرة خففت من حدة الازمة التموينية والنقدية .

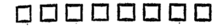
لقد وجه مقال فبراير سؤالا محددا الى الجهاز التنفيذى « عما انجز فى مجال مسئوليته : ماذا حقق من أجل تعظيم القدره الذاتية للاقتصاد المصرى فى مواجهه العالم الخارجى وفى مواجهة العجز ؟ » وقد جاء رد وزارة المالية بعد شهرين ليكرر نفس الامثلة التى جاءت فى البيان المالى والاقتصادى ، عن تخفيض التمويل قصير الاجل .. الخ والتى هى ـ فى كل الاحوال ـ حقن خارجية ،وقد لا تزيد عن ان تكون مجرد مسكنات ، ما لم تصاحبها اجراءات تعيد التوازن وتصلح الاختلالات فى كيان الاقتصاد المصرى ، ان السؤال الذى وجهناه الى الحكومة ، والذى لم يرد فى شانه رد ، كان يتضمن اننا نزعم انها لم تفعل شيئا فى هذا الاتجاه .. واعتقد اننا لم نكن نظلم المسئولين حين نشرنا هذا الكلام فى فبراير ١٩٧٦ ، وعلى ضوء البيانات الرسمية التى اذيعت فى ذلك الحين .

● ولكننا الان ـ وللانصاف ـ امام موقف جديد ، وبالتحديد منذ أن القى **السيد رئيس مجلس الوزراء** بيانا امام مجلس الشعب فى جلسة ٢٨ يناير عن الاوضاع الاقتصاديه والماليه وبعض جوانب السياسه الداخلية ، ففى هذا البيان ، وما اعقبه ، كان هناك جديد فى محاوله « تصحيح »الاختلالات الداخلية ، ولم نكن وحدنا الذى لاحظنا ان الحكومة قد بدت كما لو انها تذكرت فجاة بأنها يجب أن تفعل شيئا . فقد سجلت اللجنة الخاصة لدراسة بيان السيد رئيس مجلس الوزراء «ان اللجنة يحق لها ان تتساءل وسوف يسألها الشعب الواعى ،ما الذى طرأ جديدا على الموقف المالى والاقتصادى للبلاد فحتم القاء البيان الجديد وما جاء به وما سبقه من اجراءات وقرارات اقتصادية ، ولم يكن قد مضى على اعتماد الخطة والموازنة سوى اقل من شهر ، وما الذى منع الحكومة من أخذ كل هذه الاجراءات فى الاعتبار عند اعداد الخطة والموازنه وقد كانت أمامها كل ملاحظات لجان الرد على برامجها وملاحظات وتوصيات الاعضاء التى ابديت عند مناقشتها ؟ » .

« ما الذى كان يمنعها من تعديل مشروع الموازنة الذى تقدمت به للمجلس على ضوء ما كان واضحا أمامها من رؤيه حقيقيه للمركز المالى والاقتصادى » .. « ان الحكومة فيما انتهت اليه من قرارات ترمى الى ضغط الانفاق الحكومى الذى سيتوفر منه حوالى ١٠٠ مليون جنيه ، كان المجال متسعا لتقريرها وتقرير المزيد منها عند اعدادها لمشروع الموازنه العامه . وقد كان العجز المالى واضحا كما جاء فى البيان المالى الذى القاه السيد الدكتور وزير المالية عن السياسه المالية » .. ان الاجراءات التى قررتها الحكومة « وتلك التى تضمنها البيان الحالى تعتبر فى الحقيقة تعديلات فى ابواب الموازنة التى لم يكن قد جف مدادها بعد ،والتى يجرى حاليا تبليغها للقطاعات المختلفة لتنفذها بعد اقرارها من المجلس

بعد مقال فبراير هناك اذن جديد ..وجديد مباغت ، ولم تفصح الحكومة عن سبب هذا التحرك المفاجىء ، رغم تساؤل مجلس الشعب .. وهذا الجديد ـ وما وراءه ـ يستحق تعليقا مطولا ، ولكن تلك قصه لها مجال آخر ..

هل بقى بعد هذا شىء موضوعى فى رد الوزارة يستحق التعليق ؟ لا أعتقد .. ولكن لابأس من الاشارة الى جملة اخيرة وردت فى الرد ، فهى تسأل : « أما كان الاجدر



بالكاتب ان يعلن عما تبطنه افكاره من نوايا دون عناء رحلة طويلة تبدأ طريقهـــا مـــن المنتصف وتعود الى حيث لا تبـدأ او تنتهى » .. والجملة قد تكون بليغة ولكننى للاسف لم أتمكن من فهمها جيدا وخاصة الجزء الذى يتناول المنتصف والبـداية والنهاية . على اى حال ، بالنسبة للمقطـــع الاول ــ وهو الواضح من الجملة ، فاننى اتركه لكل من قرأ مقال فبراير ، فكافـة أفكارى كانت أكثر من واضـحة . وكنت أقصد ــ دون أى موارية ــ ان مفـاهيم وسياسة الانفتاح الحالية تضر مصـالح الغالبية العظمى من أبناء هذا الشعب .. هل هناك ما هو اوضح من هذا ؟ . ■

رد من المسئولين فى شركة الحديد والصلب

هـــذه الاتهامـــات المتعلقـــة بالاســـكان

جاءنا البيان التالى من السيد مدير العلاقات العامة بشركة الحديد والصلب المصرية:
السيد رئيس تحرير مجلة الطليعة ..

تحية طيبة وبعـــد ــ

مرسل لكم رد السيد رئيس مجلس ادارة شركة الحديد والصلب على ما نشره السيد مصطفى فتحى سلطان بعدد المجلة الصادر فى ابريل ١٩٧٦ ..

رجاء الامر بنشره فى العدد القادم (يونيو ١٩٧٦) .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ..

السيد رئيس تحرير مجلة الطليعة

تحية طيبة وبعد ..

قرأنا فى عـــدد ابريل ١٩٧٦ من مجلتكم الغراء للزميل السيد مصطفى فتحى سلطان عنوانه « حول موضوع مشـكلات الاسكان والتموين فى منطقة عمالية » ولقد تكلم السيد الزميل فى مقالة عن واجب الشركات فى هذا الشأن وانتهى الى توجيه اتهـامه للمسئولين بشركة الحديد والصلب بما يلى :

اولا ــ عـــدم تنفيـــذ قرار الســـيد وزير الصناعة بشأن تخفيـــض القيمة الايجـــارية بمدينة الصلب الجديدة .

ثانيا ــ شغل هذه الوحـــدات الســـكنية الجديدة دون توفير اى خدمات بها .

وأرجو قبل الاجابة على ماجاء فى هـــذا المقال من اتهامات ان نشير الى العبء الضخم الملقى على قيـــادات الشركة ســـواء كانت تنفيذية أو شـــعبية ، ولاشـــك ان القيـــادة بطبيعتها امر ليس بالسهل او اليســـير فهى تعتبر اندر سلعة فى الوجـــود ، ونحن نعلم جميعا الظروف البالغة الصعوبة التى تواجه الشركات بصفة عـــامة فى ادارة نشـــاطها وتصريف شئونها والصعوبات التى تواجـــه شركة الحديد والصلب بصفة خاصة ، حيـــث لايوجد وجه مقـــارنة بين مســـئوليات هذه الشركة والشركات الاخرى سواء كان من حيث

طبيعة هذه الصناعة القاسية واتساع نشاط الشركة حيث يمتد من اسوان حتى الاسكندرية ولديها مصانعها الضخمة بالتبين حيث تتركز مسئوليتها الرئيسية بالاضافة الى مناجم اسوان ومناجم الواحات ومحاجر للحجر الجيرى فى بنى خالد بمحافظة المنيا ومحاجر للحجر الجيرى بمنطقة الرفاعى بجبل المقطم حوالى ٢٥ كيلو متر شمال مصانعها ، ومحاجر للدولوميت بالادبية بمحافظة السويس ومكتب بالاسكندرية لكافة الاعمال المتعلقة بصادرات الشركة ووارداتها ومكتب بالقاهرة .

هذا بالاضافة الى ادارة مستعمرات سكنية بأسوان والواحات البحرية والتبين بجانب تشغيل اسطول من السيارات لنقل العاملين مع كافة الخدمات الطبية والاجتماعية المختلفة .

هذا وتبلغ قيمة استثمارات التوسع فى صناعة الحديد والصلب بالشركة مع المشروعات الصناعية المكملة ومشروعات الخدمات حوالى ٤٥٠ مليون جنيه . وان العاملين بالشركة والبالغ عددهم حوالى ٢٥ الف عامل يشعرون أن هذه الإستثمارات امانة فى عنقهم وعليهم تقع مسئولية ضخمة واليهم تتجه الإنظار فى لهفة لتحقيق الامل المنشود من هذا المشروع الضخم فى دفع عجلة التصنيع بالدولة ورفع مستوى المعيشة وتحقيق فرص العمل الشريف للكثير من ابنائها .

ان نجاح قيادة الشركة فى تحقيق اهدافها يعتمد اساسا على القوى البشرية التى تعمل فيها والادارة علم له قواعده وله اصوله ولا يتطور بالمصادفات أو الشعارات اوالنوايا الحسنة وحدها — وأهم عنصر من عناصر الاستقرار بين القوى العاملة هو شعورهم بالعدالة لاتمييز لفئة على اخرى ، وان استجابة الادارة لمطلب اى فئة من العاملين فيها لابد أن يدرس بعناية خصوصا فى قاعدة كبيرة كالتى نعمل فيها لان الانسان لايهمه مقدار ما يحصل عليه من اجر وخدمات بقدر مقارنته لما يحصل عليه مع باقى زملائه لذلك لقد حرصت الادارة حرصا بالغا عند تحديد القيمة الايجارية للمستعمرة السكنية الجديدة مراعاة القيمة الايجارية بباقى المستعمرات حتى لا يغضب ذلك فئة اخرى من العاملين تسكن مستعمرة اخرى مع الفارق الكبير بين مستوى المستعمرتين .

وهناك نقطة اخرى يجدر الاشارة اليها وهى ان كافة القرارات الحاسمة والجماعية التى تتعلق بمصالح العاملين بالشركة وحقوقهم وميزاتهم لا ينفرد بها اى فرد مهما كان مركزه فى الشركة ، فهناك لجان خاصة تشكل لبحثها او تعرض على لجان شئون العاملين او على مجلس ادارة الشركة — علما بان كافة هذه اللجان تضم القيادات الشعبية جنبا الى جنب مع القيادات التنفيذية بالشركة .

وانى اذ اعتذر عن هذه المقدمة المطولة الا اننى رايت ضرورة توضيح الاسباب الخلفية وراء قرار مجلس الادارة بشأن تحديد ايجار مساكن المستعمرة الجديدة موضوع المقال الذى نشر فى مجلتكم الغراء .

ثم انتقل بعد ذلك الى مناقشة ماجاء بها :

اولا — بالنسبة لعدم تنفيذ قرار السيد وزير الصناعة بشأن تخفيض القيمة الايجارية بمدينة الصلب .

١ — قرر مجلس ادارة الشركة بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٤/١١/٢٧ ، ١٩٧٤/١٢/١ تحديد ايجار مساكن مدينة الصلب الجديدة كالاتى :

مسكن حجرة وصالة ٣ جنيه ايجار شهرى مضافا ٢٥٠ مليم رسم خدمات « اى ٥٠٠ مليم و١ جنيه للحجرة » .

مسكن حجرتين وصالة ٥٠٠ مليم و٤ جنيه ايجار شهرى مضافا اليه ٥٠٠ مليم رسم خدمات « اى ٥٠٠ مليم و١ جنيه للحجرة » .

٢ — تظلم القاطنون بتلك المساكن من ارتفاع القيمة الايجارية الموضحة ورغبة من الشركة فى تقديم كافة الخدمات للعاملين بها بأقل عبء ممكن فقد رات الاسترشاد برأى السيد نائب رئيس الجهاز التنفيذى لمجمع الحديد والصلب حيث ان المجمع هو الذى تولى انشاء تلك المساكن وكان تقدير بسيادته

للايجار الشهرى كالاتى « على ضوء التكلفة الفعلية » :

مسكن حجرة وصالة ٦٥٠ مليم و٧ جنيه للنموذج « ٥ » ، ٨٥٠ مليم و ٨ جنيه للنموذج « ٨ » .

مسكن حجرتين وصالة ٨٠٠ مليم و١٠ جنيه للنموذج « ٣ » ، ٣٩٠ مليم و١٢ جنيه للنموذج « ٧ » .

ونظرا لان هذه الايجارات تزيد عن ضعف الايجارات التى حددها مجلس الادارة فقد رأت الشركة الاسترشاد برأى لجنة تقدير الايجارات بمحافظة القاهرة التى انتهت الى الاتى :

مسكن حجرة وصالة ٢٥٠ مليم و٥ جنيه للنموذج « ٥ » ، ٧٥٠ مليم و٥ جنيه للنموذج « ٦ » .

مسكن حجرتين وصالة ٦٠٠ مليم و٨ جنيه للنموذج « ٣ » ، ٤٠٠ مليم و٨ جنيه للنموذج « ٧ » .

من ذلك يتضح ان مجلس ادارة الشركة قد راعى تخفيف العبء على العاملين بالشركة عندما حدد الايجارات على الوضع المبين عاليه .

٣ ـــ لم يصدر قرار من السيد وزير الصناعة بتخفيض القيمة الايجارية وانما كان مجلس الشعب قد أصدر فى ١٩٧٥/٦/٣ توصية بالموافقة على تقرير لجنة الصناعة والقوى المحركة بتحديد القيمة الايجارية للغرفة الواحدة فى الوحدات السكنية الاقتصادية التابعة للاسكان الصناعى بحيث لا تزيد على جنيه واحد وقد اخطرنا السيد وكيل وزارة الصناعة بذلك فى ١٩٧٥/١١/٢٣ وطلب تنفيذ تلك التوصية .

٤ ـــ استفسرت الشركة من مجمع الحديد والصلب بصفته الجهة التى تولت انشاء تلك المساكن عن مدى امكان تطبيق توصية مجلس الشعب فى هذا الشأن وافاد السيد مدير الانشاءات المدنية بالمجمع ان تلك المساكن من نوع الاسكان المتوسط وليس اسكانا اقتصاديا وبالاطلاع على نظام الاسكان المطبق بمدينة المرازيق التابعة لحى حلوان تبين تقسيم مدينة المرازيق الى اسكان اقتصادى وايجارات وحداته تتمشى مع توصية مجلس الشعب الى جانب مساكن من نوع الاسكان المتوسط وايجاراتها تزيد عما جاء بتوصية مجلس الشعب ويتفق مع الايجار المحدد لمساكن مدينة الصلب الجديدة فهى كالاتى :

مسكن حجرتين وصاله ايجاره الشهرى ٩٥٠ مليم و٤ جنيه « أى حوالى ٥٠٠ مليم و١ جنيه للغرفة »

مسكن ٣ حجرة وصالة ايجاره الشهرى ١٢٠ مليم و٦ جنيه « اى حوالى ٥٠٠ مليم و١ جنيه للغرفة »

٥ ـــ وبناء على ماجاء بخطاب السيد وكيل وزارة الصناعة المشار اليه عاليه فقد أعيد عرض الموضوع بكافة تفصيلاته على مجلس ادارة الشركة الذى قرر فى جلسته المنعقدة فى ١٩٧٦/١/٢٦ الموافقة على استمرار تنفيذ قرار المجلس الصادر فى ١١/٢٧ ، ٧٤/١٢/١ بشأن تحديد القيمة الايجارية بمساكن مدينة الصلب الجديدة مع اعفاء المستأجرين من رسم الخدمات السابق تقريره وذلك تمشيا مع سياسة الشركة فى رعاية مصالح العاملين بها وتخفيف العبء عنهم .

٦ ـــ تم احاطة السيد وكيل الوزارة بقرار مجلس الادارة الاخير فى هذا الشأن كما تم عرض الموضوع بكافة تفصيلاته على السيد المستشار القانونى للسيد وزير الصناعة وقد تأكد سيادته ان تحديد الشركة للقيمة الايجارية سليم ولا يندرج تحت توصية مجلس الشعب .

مما سبق يتضح بما لايدع مجالا للشك عدم صحة ما ذكره الزميل فى مقاله المشار اليه .

ثانيا : بالنسبة لشغل تلك الوحدات السكنية دون توفير اى خدمات بها :

١ ـــ منذ شهر يوليو سنة ١٩٧٤ وقبل أن تقوم الشركة باستلام اى مسكن من مجمع الحديد والصلب أو من شركات المقاولات التى قامت بالتنفيذ وقبل أن يتم شغل أى مسكن بحوالى ستة شهور قامت الشركة بالاتصال بالجهات الاتى بيانها لافتتاح فرع لها بمدينة الصلب الجديدة :

شركة مجمعات الاهرام ـــ مؤسسة الخضر والفاكهة « قبل الغائها » ـــ شركة مصر للالبان ـــ شركة بسكو مصر ـــ محلات باتا ـــ شركة بيع المصنوعات المصرية ـــ هيئة البريد ـــ هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية ـــ الجمعية التعاونية للبترول « بوتاجاز » ـــ وزارة التربية والتعليم لافتتاح المدارس اللازمة ـــ كما تقرر أن تشغل تلك الجهات

نصف المحلات الموجودة بالمدينة الجديدة وان يشغل القطاع الخاص باقى المحلات المتاحة .

٢ — رغم وجود عقبات وصعوبات كبيرة فى أستجابة تلك الجهات لافتتاح فروع لهـا بالمدينة الجديدة الا ان الشركة دائمة الاتصال وعمل المحاولات اللازمة لتحقيق ذلك نذكر منها على سبيل المثال وباختصار شديد :

أ — شركة الاهرام للمجمعات الاستهلاكية:

— تم مراسلتها لذلك الغرض للمرة الاولى فى ٧٤/٧/٣١ تم أستعجلنـا التنفيـذ فى ١٠/٢٢ ثم للمرة الثـانية استعجلنـا فى ٧٤/١٢/١٧ وفى ٧٥/٣/٩ حضر السيد مدير الانشاءات بمجمعات الاهرام وقام بالمعـاينة اللازمـة واستعجلنـاه فى ٧٥/٤/١ ثـم اسـتعجلنا السـرد فى ٧٤/١٠/٢٢ وفى الموضوع وقد تمت معاينة ثانية فى ٧٦/٢/٢١ وتقرر تخصيص ٨ محلات لذلك الفرع . وقد وعد المسئولون بافتتاح ذلك الفرع فى اقرب فرصة ممكنة .

ب — شركة بيع المصنوعات المصرية : تم مراسلتها لافتتاح فرع لهـا للمرة الاولى فى ٧٤/٧/٣١ وردت الشركة بالموافقـة فى ٧٤/٩/٢ وطلبت توفير ١٨ محل لذلك الغرض مع بعض المطالب الاخرى وردت الشركة فى ٧٤/٩/١١ بالموافقـة على تخصيص مبنى السوق التعاونى بأكمله وطلبنا موافاتنا برسم تفصيلى بالتعديلات والتجهيزات المطلوبة . ثم اسـتعجلنا السـرد فى ٢٢ — ١٠ — ٧٤ وفى ٧٤/١٢/١٧ وقـدمت الرسومـات وجـرت دراستها ولكن تعذر تنفيذ التعديلات المطلوبة لاسباب فنية لذلك جارى حـاليا الاتصـالات بشركة بنزايون لافتتاح فرع لها فى حالة تعذر ذلك لشركة بيع المصنوعات .

٣ — أختصار لسرد الإجراءات والمساعى التى تمت فى ذلك الشـأن نوجز فيمـا يلى ما توصلنا اليه حتى اليوم .

أ — الخدمات العامة :

● تم افتتاح مكتب بريد لتوفير الخدمـة البريدية للمنطقة .

● تم افتتاح فرع لمؤسسة الكهرباء وتـم توصيل التيار الكهربائى لجميع البلوكات .

٧ تم الاتفاق مع وزارة الداخلية على افتتاح مكتب سجل مدنى بالمنطقة وجـارى تنفيـذ تسليم المكان لذلك .

● تم تسليم ٧ محلات لشركة تجارة الجملة لافتتاح مستودعات لها بالمنطقة

● تم الاعلان عن تأجير المحلات المخصصة للقطاع الخاص « يـوم ٤/٨ — بجريـدة الجمهورية ، يوم ٤/١١ بجريدة الأخبـار ، يوم ٤/١٤ بجريدة الاهـرام » وتحـدد يوم ٧٦/٤/٢٠ لفتح مظاريف العطاءات وذلك الى جانب الاتصالات الجارية والمستمرة بشركات القطاع العام المشار اليها بالفقرة « ا » من البند ثانيا .

ب — الخدمات الصحية :

تم الاتفاق مع السيد مدير عام المنطقـة الطبية بحلوان على افتتاح مجموعة صحيـة كاملة بالمنطقة وتم تخصيص ١٨ شقة لتقديم الخدمات الطبية الاتى بيانها :

● مركز اسعاف كامل .

● عيادة طبية خارجية شاملة « باطنى — جلدية — اسنان — عيون — متوطنة

● مركز رعاية الطفل ووحدة تنظيم الاسرة .

● وحدة صحية مدرسية لخدمـة طلبـة وتلاميذ المنطقة .

وتم فعلا توقيع العقد مع مديرية الشئون الصحية بمحافظة القاهرة .

جـ — الخدمات التعليمية :

● تم افتتاح مدرسة ابتدائية بالمنطقة .

● تم افتتاح مدرسة اعدادية بالمنطقة .

● جارى انشاء مدرسة ثانوى صـناعى على أعلى مستوى وينتظر اتمامها هذا العام .

هذا ونود الاشارة الى أن مدينة الصـلب الجديدة تبعد عن مدينة الصلب القديمة ببضعة خطوات « ٢٥٠ متر تقريبا » وكذلك تبعد عن مدينة المرازيق التابعة لحى حلوان بمسـافة مماثلة وتلك المسافة لاترهق حتى الاطفـال الذين ينتقلون يوميا من مدينة الصلب القديمة او مدينة المرازيق الى مدرسـتهم الموجـودة بمدينة الصلب الجديدة ويوجد بكل من مدينة الصلب القديمة ومدينة المرازيق كافة الخدمات التى قد يحتاج اليها القاطنون بالمدينة الجديدة ويستطيعون تدبير احتياجاتهم منها — ولو بصفة مؤقتة ولحين توفير كافة الخدمات بالمدينـة الجديدة .

مما سبق يتضح ان الشركة لم تأل جهدا فى توفير الخدمات اللازمة للقاطنين بالمدينة الجديدة وانها شرعت فعلا فى اجراءات توفير الخدمات قبل شغلها بحوالى سـتة شـهور بالاضافة الى المساعى والاتصالات المستمرة ومتابعة الموضوع بصفة دائمة وملحـة وان

□□□□□□□□

ما تأخر من تنفيذه من خدمات للمنطقة يرجع فى جميع الحالات لاسباب خارجة عن ارادة الشركة .

وقد لجأنا الى الاجهزة الادارية والشعبية المختصة للمعاونة فى اتمام مطالب المنطقة وانا نلاقى كل المعاونة الصادقة من السيد مدير عام تموين منطقة حلوان والسادة المسئولين برئاسة حى حلوان وقسم التبين .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

رئيس مجلس الادارة
دكتور أبو بكر مراد

الهمـــــوم .. ليســـت الطـــرح الجـــديد والوحيـــد الآن

هشـام فوزى

حددتم ضمن اهتمامات الطليعة عام ١٩٧٦ قضية التنمية فى بعدها الاجتماعى عن طريق التعرف على جذور« هموم » المواطن المصرى مباشرة . وقد وفقتم ايما توفيق فيما قد تم من نماذج لهموم المواطن المصرى كان آخرها الفلاح فتحى حمادة . أود أن أضع أمام سيادتكم بعض النقاط المتدرجة تبدأ باعتبار ماقدمتموه لكى تضيف بعض الاقتراحات الجديدة .

● أن الهموم التى صورت ـ فى خام واقعيتها الاصلى ـ تضيف دلالات عميقة لمعنى التنمية ، وتلقى الضوء على أركان لم تكن معلنة بهذا القدر أمام المواطن المصرى العادى . أعنى بالعادى ساكن المدن والمتمتع بالخدمات والذى يعانى من تراكم أزمات الطبقة المتوسطة . نعم صور الهموم كانت غائبة لانقطاع سبل استكشاف الواقع المصرى الحقيقى من جهة ولطرح شعارات جديدة استحوذت على كل الاهتمام : الربع الاخير من القرن العشرين ، التكنولوجيا المتقدمة ، عصر العقول الالكترونية .. الخ . فى خضم سباق العصر وصراع الحضارة تناسينا أن بيننا أمثال الست أم محمد وغيرها .

● ان صور الهموم ، بالرغم عن تعبيرها عن شرائح عريضة ـ مجهولة ومنسية ـ من الشعب المصرى ، وتقديمها « لجديد » بالنسبة لقارىء الطليعة ، الا أنها ليست الطرح الجديد الوحيد الان . اتجاوز وأقول ان الدهشة لن تصيبنا فقط عند دراسة الشريحة الكاسحة والكادحة للشعب المصرى ، بل أن الدهشة ـ ومركبات انفعالية اخرى ستصيبنا عند محاولة التعرف على نوعيات اخرى من « هموم » المواطن المصرى . ذلك ان وسائل استشفاف الواقع المصرى ليست متوفرة ، او أمينة . أن الصورة لن تكتمل موضوعيا دون رصد جدلى لهذه الهموم من جهة و « هموم » طبقات أخرى من جهة مقابلة . أن الاكتفاء بالفحص والتمحيص لجزء من الخريطة الاجتماعية ـ مهما كانت مساحته ـ دون محاولة رسم « اسكتش » عام قد تنزلق بالدراسة الى ميلودرامية حزينة تعوقنا عن اختراق الظواهر وصولا الى الاسباب .

● ان واقع ما أصطلح على تسميته بالطبقات الجديدة أو الفئات الطفيلية أو القطط السمان يبدو كما لو كان معروفا . والمتوقع أن أى مواطن مصرى ـ من خلال الاعلام ومشاهداته اليومية ـ سيستطيع أن يرصد ملامح سلوكيات هذه الشرائح . هذا الزعم كان سائدا لدى أيضا الى أن أتيح لى أن أرصد عن قرب بعض ممارسات هذه الشرائح . دون تجاوز أجمل وأقول أن الاضافات التى علمتها عن هذه الطبقة اكبر بالقطع من الاضافات التى حققتها لى نماذج هموم الطليعة . ذلك ان خيالى قد يتدنى ويتشاءم ويتخيل على نحو ما بعض هذه الهموم ، لكنه ـ خيالى أيضا ـ لم يكن ليشطح ويتخيل مثل هذه الحياة التى شاهدت بعض معالمها . أؤكد لا تزعموا أن هذه الامور معروفة للعامة . أن ثلاثين عاما فى القاهرة ـ فى ضاحية راقية منها ـ مع ممارسات برجوازية عديدة لم تؤهلنى لمعرفة بعض الحقائق القائمة الان .

● نشر فى مجلة أسبوعية تحقيق صحفى عن ملايين « النقوط » فى شارع الهرم . ألقى هذا

الموضوع ضوءا على بعض الدخول ، كيفية تحقيقها ومعدلات زيادتها . الاهم من هذا السلوك الشارد مستوى الاستهلاك والرفاهية اليومية لبعض الناس فى المأكل والملبس والترفيه والتعليم والصحة ، معدلات الانفاق وبنوده . انه يوجد فى القاهرة ــ وعلى بعد دقائق من أحلك الاحياء الشعبية ــ مساكن تصلح لتقريب معنى الجنه الى آلاف البسطاء ، وبالرغم من وجودها على أرض مصرية الجنسية الا أنه لا يمكن تخيل انتمائها مطلقا الى بلدنا فى ظروفه الاقتصادية الراهنة . هذا الامر يتحقق أيضا فى قصور بباطن الريف منقولة من أوروبا لتستقر على بعد يسير من فتحى حمادة وأمثاله .

● ان الدعوة الموضوعية لرصد الطبقات الجديدة جنبا الى جنب مع هموم فتحى حمادة ستصور أنها اعلان الحرب على السلام الاجتماعى وانه « يا ناس يا شر كفاية قر » وغيرها من هذه الردود المألوفة التى نتقبلها بسماحة قلب وطيب خاطر حتى يكون الدخل السنوى لعائلة فتحى حمادة أقل من المصاريف النثرية لطفل فى حضانة مدرسة أجنبية !!! ..

● ان الرصد الثالث المطالب بالتحقيق هموم الشباب المصرى الذى واجهه واقع المجتمع فى فترة مابين الحربين ، ضغوطه وآلامه وظروفه ، ان هذا الجيل مهما نتخيل وجوده وسطنا لكن هناك من ملامحه ما يعطى دلالات خطيرة لقضية التنميه الاجتماعية فى مصر . ان هذا الجيل وقد تحمل عبء حرب أكتوبر بالعرق والدم يستمر ــ وبعد اعلان انتصارها ــ فى أن يدفع نفقاتها على مختلف المحاور . ان التعقب المتانى للكفاءات الشابة فى مصر والمتفوقين ومدى توفيقهم فى تحقيق انجاز فى الواقع المصرى المعاصر سيعطى تحديدا أكثر حدة وصراحة لقيمة العمل ومعيار الكفاءة . ■

فتحى حمادة :

أين موقعه داخل التنظيمات الثلاثة ؟

هاشم شطورى *

عندما نستعرض حالة الفلاح فتحى حمادة ، سوف نجد أنفسنا أمام قضيه القضايا .. قضية تخلف القرية المصرية والفلاح المصرى عن ركب الحضارة .. فى عصر تتسع الهوة بين التقدم والتخلف .. وبسرعة هائلة تتناسب طرديا مع التقدم فى البحث العلمى والوسائل العلمية التى أصبحت دول العالم كله تحاول اقتناصها والاستفادة منها ، وبالتالى فان اغفال تلك الحقائق وتجاهلها فى مصر .. سوف يترتب عليه ــ بالضرورة ــ أننا ــ بينما نظل نفتخر بحضارتنا القديمة ــ يكون العالم قد سبقنا الى حضارة حديثة ــ يطل علينا من عليائها بنظرة الاشفاق والترحم ــ التى تتهمنا بالجهل والغفلة .. !!

أقول ذلك الان ــ ونحن مقبلون على صياغة أخرى للعمل السياسى فى مصر جوهرها تعدد الاتجاهات داخل الاتحاد الاشتراكى ، وهو ما يعبر عنه بتعدد المنابر . من أقصى اليمين الى أقصى اليسار . وقد وضح أمامنا أن قضية الفلاح الذى يمثله فتحى حمادة .. لابد وأن تكون القضية الاولى والمهمة العاجلة أمام العمل السياسى الذى نحن مقبلون عليه .. لانها القضية التى تهم أكبر شرائح المجتمع عددا واثقلها وزنا .. وأهمها انتاجا واسبقها تضحية وبذلا . انها قضية نصف سكان مصر التى ضحت وانتصرت ــ كما قال الرئيس السادات ــ بدم الالاف من أبناء العمال والفلاحين .

(*) محام بالقاهرة

لقد تضمن تقرير لجنة مستقبل العمل السياسى مبدأ تمثيل الفلاحين والعمال بنسبة ٥٠ فى المائة على الاقل فى مختلف المنابر . وهذا مبدأ لم يعد موضع خلاف بين الاتجاهات المتعددة .

ولكن السؤال الذى يجب أن يطرح الان وبقوة هو : هل سيسمع صوت فتحى حمادة داخل تلك المنابر ؟

وهل سيسمح له بالتواجد الحقيقى الذى يعبر عن مصالحه ومسائله ؟

ذلك – فى رأيى – هو المقياس الحاسم لمدى التزام المنابر بحل مشكله التخلف الاجتماعى والاقتصادى فى مصر التى يعبر عنها فتحى حماده وقرية الضهريه .

وهنا لابد من التعرض للخلفية التاريخية وراء تقرير مبدا تمثيل العمال والفلاحين بنسبة لا تقل عن ٥٠ فى المائه فى المجالس المنتخبه . لقد مررت هده النسبه واصبحت من الضمانات التى لايجوز المساس بها لاولئك الدين قدر لهم – بحكم عوامل القهر – ان يكونوا بعيدين عن المشاركه فى تقرير مصيرهم وبناء مستقبلهم .. ضمانه لهؤلاء الذين لا يملكون القدرة على الخوض فى المعارك الانتخابيه التى شهدتها مصر منه ما يزيد له الجبين . فالاقوياء بالمال والسلطه كانوا دائما أصحاب الصولات والجولات .. اما الفقراء من الفلاحين – امثال فتحى حمادة – فكانوا يساقون الى صناديق الانتخابات .. ولا حيلة لهم سوى ان يدلوا بأصواتهم لصالح فلان « بشا » او علان « بك » .

ولا أظننى مغاليا اذا قلت أن الحال – الان – لم يتغير كثيرا . فدخول الانتخابات لا يقدر عليه الا من اوتى المال و « العزوة » .. واذا كان قولى هذا فى حاجة الى دليل .. فهو الدليل النابع من الواقع الذى نشهده : فأين فتحى حمادة داخل المجالس المنتخبة على كل المستويات ؟

أين الفلاح الذى يمثل ثلاثة ملايين من أمثال فتحى حمادة داخل مجلس القريه والاتحاد الاشتراكى والمجالس المحلية والجمعيات التعاونية ؟

لو أن فتحى حمادة كان « موجودا » داخل تلك التنظيمات لتغير حاله وحال قريته . ذلك هو المعنى الحقيقى والهدف من ضمانة وجود أمثال فتحى حمادة مشاركين فى المجالس المنتخبة . لان وجودهم – فى حد ذاته – وبأحوالهم الواضحة – فيه التعبير الصارخ والطرح الذى لا يقبل الجدل .

تلك هى الحقيقة التى يجب أن تضعها المنابر فى اطارها الصحيح .. للانطلاق منها نحو العمل السياسى الخلاق .

فما هو المطلوب من المنابر أمام هذا الواقع – وعلى ضوء تجربة مريرة .. أفرغت فيها نسبة الـ ٥٠ فى المائة من مضمونها .. ودخل فيها من لا حاجه به الى تلك الضمانة ؟

لقد ان الاوان لاعادة تعريف العامل والفلاح .. واعتقد ان خلافا جوهريا سوف ينشا بين المنابر فى اتجاهاتها المختلفه حول هذه النقطة ، فمنها من سيقول بالتوسع فى التعريف ، ومنها من سينادى بالتضييق ، ومنها بالطبع من سيتجه الى تعريف يومى بين الاتجاهين .

وانى اود – صادقا – أن أكون مخطئا ازاء هذا التوقع .. وان تكون المنابر المتعددة قد وعت درس التجربه لكى تتفق جميعها على تعريف محدد ياخذ بيد العامل الحقيقى والفلاح الحقيقى الى مكانهما فى المجالس المنتخبه .

ان الحكم على التجربه – وعلى ما سوف تفرزه من اثار .. سوف يكون مرتبطا بمدى ما ستلتزم به المنابر بالنسبه لاعضائها من الفلاحين والعمال . فكلما كان المنبر متجها الى تضييق التعريف – كان ذلك ايذانا ببدء مرحلة جادة من العمل الجماهيرى . يضع امثال فتحى حماده فى مكانهم الصحيح .. للانطلاق منه الى آفاق التقدم وتغيير الواقع المتردى . وكلما كان اتجاه المنبر الى التوسع فى التعريف بحيث يشمل هؤلاء الذين رأيناهم يشغلون مقاعد المجالس المنتخبة فى قرية الضهريه – كان ذلك تجاهلا للواقع الذى تعيشه القريه المصرية .. ووقوفا أمام حتمية التطور .

فهل سيجد فتحى حمادة مكانه داخل المنبر ؟ ■

تصحيح

فى العدد الماضى ، نشرنا فى « الرأى والرأى الآخر » ، مقالا بعنوان « هموم فتحى حمادة وثقافة الملكية والبطالة المقنعة والامية » ، بتوقيع الدكتور فوزى محمد الاناضولى .. وصحة اسم كاتب المقال هو : الدكتور فوزى محمد الاناصورى .. ونعتذر له من هذا الخطا .

همــوم هـــذا المــــــواطــن

هاشــم المسيرى *

● لقد وضع فتحى حمادة أصبعه على المشكلة الحقيقية لجمعية التعاونية الزراعية فى حيـاة الفلاح المصرى .. فالجمعية مفيدة فى الكيماوى والمبيدات .. اما عملية الحسابات متعرفش تاخذ حقك هنا .. انه لا يعرف القراءة .. والكبير ليس كالصغير .. معاملة عائلتى سمك والفقى غير معامله الصغار .. تلك هى مشكلة الجمعيـة التعاونية الزراعية ايها السادة .. المحاسبة هى المشكلة الرئيسة .. امحوا امية الفلاحين اولا .. وبعد ذلك تجنون كل ثمار النظام التعاونى فى الزراعة .. المشكلة الاساسية مصدرها أميـة الفلاحين التى لا حد لانتشارها .. الفلاح لا يعرف رأسه من رجليه لانه لا يعرف القراءة والكتابة .. لا يدرى شيئا عن حساباته .. لا يعرف عنه اى شىء يوقع على ايصالات طوال العام .. وفى نهاية المحصول يفاجىء بمديونية ضخمة مقيدة على حسابه لا يعرف متى سحبها ولا كيف صرفها .. تأكدوا جيدا انه عندما يعرف الفلاح القـراءة والكتابة ستنتهى كل مشاكله مع الجمعيه التعاونية الزراعية .

ثمة نقطة مضيئة فى حديث فتحى حمادة .. فها هو عبد الناصر يجد أخيرا من ينصفه ـ رحمة الله عليك يا جمال ـ لقد مزقوك على صفحات **الجريدة اياها** .. وراجت كل الكتب « الصفراء » تحاول ان تمحو صفحتك من تاريخنا وهى انصع الصفحات رغم كل ماشابها من افعال مراكز القوى .. ثم جاء فتحى حمادة أخيرا ليعترف بك مغيرا لوجه الريف المصرى .. بل ان السد العالى ايضا وجد من يقول عنه « انه كويس » لان المياه تصل الى الضهرية ولم تكن تصل من قبل .. أيها السادة الجالسون على مكاتب القاهرة المكيفة .. أنزلوا الى الريف لتعرفوا ماذا فعل عبد النـاصر بالضبط .. لكنكم لن تفهموا .. لانه اخذ منكم واعطى هؤلاء الفلاحين .. اخذ من المصـاب بالتخمه واعطى الى المتضور جوعا .. ولن تفهموا ابدا ..

ثم اغفروا لى ايها السادة حب الاستطلاع الذى تملكنى عندما قرأت حديث فتحى حمـادة الى الطليعه .. لقد فهمت من سياق الحديث انه يدور فى مكاتب الطليعة بدار الاهرام .. فهل اخذتم فلاح الضهرية من قريته فى عرب الدلتا .. وراح هذا المشوار الطويل حتى القاهرة .. ثم دخل دار الاهرام الضخمة الفخمة وجلس امام مكتـب مصنوع من خشب لابد انه مستورد من اقصى شمال اوربا .. اننى هنا أتساءل .. الم يـذهل الرجل ؟ .. كيف مرت هذه التجربة عليه ؟ .. هل اعتقد مثلا انها نهاية الدنيا هذا الذى يراه فى شوارع القاهرة ؟ هل اخذتموه ليرى ما يدور مثلا فى شارع الشواربى .. الم تخبروه أن هناك حذاء يباع فى هذا الشارع وثمنه يزيد عن دخله السنوى باجمله .. وكيف واتته الجراة على أن يدخل دار الاهرام وهو الذى لا يجرؤ على دخول دوار العمدة فى قريته ..

ان حديث الطليعة مع فلاح الضهرية لم يستكمل بعد .. ■

(*) مأمور ضرائب بدمنهور

□□□□□□□□

تعقيـــب على تعليـــق بهجــت الخـــولى

د. أحمد محمود حسين

أحمد محمود حسين المدرس المساعد بكلية الطب ــ وقد كان ضيفا على الطليعة فى عدد مايو فى دراسة الهموم ــ له ملاحظات وانتقادات على التعليق الذى كتبه بهجت الخولى فى العـــدد الماضى تحت عنوان « الفرد بين غياب الوعى وعدم الفعالية »

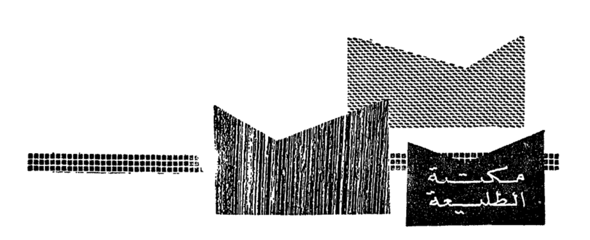
كثيرون هذه الايام هم ضحايا هجوم من افراد لايفحصون الاراء فحصا موضوعيا . فكل مايخالف آراءهم هو خطأ ووهم . وكنت أنا أحد ضحايا السيد بهجت الخولى الذى أختار أن يكون عنوان تعليقه على حديثى هو الفرد : بين غياب الوعى وعدم الفاعليه . وأحب أن أناقش السيد بهجت فى النقاط الاتية

أولا ــ يقول فى بداية حديثه « أننى أنطـلق أساسا من نزعة مثالية تصور له أوجه النشاط الانسانى فى مجتمع ما كأنها جزر منفصلة عن بعضها البعض فلا تاثيرا متبادلا بينها ولا قانونا عاما يحكم حركتها » . فهل هذا هو الذى يبدو من حديثى فعلا ؟ ويبـــدو لى ان السـيد بهجت يفهم المثالية على أنها أحلام اليقظة . وأحب أن اوضح له ان المثالية اتجاه فلسفى يرى العالم الموضوعى انعكاسا للعالم الذاتى . ومن هنـا كان أيمان المثالية بقيم الفرد وأخـلاقه كأساس للتطور وليس العكس . وتلك النظرة المتعالية للفرد وقدراته العقلية أساس لفهم اسرار الكون بلا حدود . والفهم يعتمد على المنطق والمنطق فى جوهره هو القانون العـام الذى يحـكم حركة الوجود . وأجدنى أسأل السيد بهجت . هــل تلك النهضة العلمية العملاقة الممتدة من عصـر النهضة الى الان كانت تنظر الى أوجه النشاط الانسانى كأنها جزر منفصلة بلا « تأثير متبادل او قانون عام يحكم حركتها ؟؟

ثانيا ــ يقول السيد بهجت « أن طوق النجاه عندى الى مجتمع الرفاهية والسـعادة هو فى التربية السليمة عن طريـق المدرسـة . . » واتساءل . وهل هذا خطأ ؟ وهل طبقنـا نحن مفهوم التربيـة السـليم فى مدارسنا حتى نستخف بها ؟ ؟ . أن أساس التربية أولا هـو اكتشاف قدرات الفرد وميوله ثم تنميـة هـذه الميول ثم أنها تربى فى الفرد الذوق والاحساس وأخيرا تنمى فى الفرد القـدرة على التعبيـر والمناقشة . أن مأساة التعليم الجامعى فى مصر تكمن فى غياب الدور التربوى للمدرسة فهـل هناك من الطلاب من يختار الدراسة الجامعية التى تتفق مع قدراته وميوله ؟ ؟ . وهل هـذا الطالب يملك القدرة على التعبير عن هذه الميول بصدق وشجاعة ؟؟ أن السيد بهجت لا ينـاقش هذه الامور فهى عنده مستحيلة وليست فى قدرة الانسان المصرى .. عندمـا يقول « .. كيف نغرس أصلا هذه القيم والمفاهيم فى القـائمين بتنشئة الجيل الجديد ؟ فالمعلم الحـالى مثقـل بمشاكل حياته اليومية ويعيـش على هامـش الحياة .. » وبهذا تستكمل حلقة العجز ويكون الفرد عديم الفاعلية . فكأن السيد بهجت يقول لنا منذ البداية . لا فائدة . لن نستطيع التغير لننتظر وسوف يهبط علينا العلاج السحرى مـن السماء . وبهذا المنطق ينكر ــ السيد بهجت ــ الوجود على أى ثورة أو حركة تبغى الاصلاح والتقدم .

ثالثا ــ يقول السيد بهجت فى معرض حديثه عن رأيى فى مشكلة البحث العلمى « أن البحث العلمى عنده نشاط ترفيهى يمارسـه القادرون ذهنيا .. » ماهذا ؟؟ وهل هذا يبدو من خـلال حديثى ؟؟

لقد ذكرت أن البحث العلمى لا يقوم بوظيفته الاساسية وهى حل مشاكل المجتمع . وذلك رغم الانفـاق المتزايـد على التعليم الجـامعى والتوسع فى قبول الاعداد الكبيرة من الطلاب . الا ان السيد بهجت لاتعجبه فـكرتى التى ترى أن مشكلة البحث العلمى تكمن فى غياب وظيفة وفلسفة واضحة للبحث العلمى لدى القـائمين عليه وليس فى ضعف الامكانيات المادية . قـد تكون هذه الامكانيات عاملا مهما ولكنها ليست كل شىء . والسيد بهجت يمثل تيارا كبيرا فى الفكر المصرى يرى أن سر تخلفنا فى كافة الميادين هو ضعف الامكانيات ــ وهو تيـار خطـير تكمن خطورته فى أنه لا يثق بقدرة الانسان على تجاوز المشاكل والمعوقات كما أنه يقدم المبرر لكل من يريد أنتظار هذه الامكانيات ــ وبهذا تسـتكمل حلقة العجز ويكون الانسان عديم الفاعلية .



كلمـــــات الى العقـــــل

تاليف : د. سـيد أبو النجـا
الناشر : دار المعارف ـ القاهرة
الثمن : ٢٠ قرشـــــا

فى مقدمة الكتاب ـ يطرح د . السيد صادق أبو النجا السؤال على النحو التالى : « كيف السبيل اذن الى ان تضع الامة العربية تقاليدها فى خدمة تقدمها ؟ وكيف تنتزع نفسها من عهد عنترة بن شداد لتعيش فى عهد الذرة والاسلحة الاليكترونية ؟ » .

وللاجابة على هذا السؤال كان آخر كتاب للدكتور السيد صادق أبو النجا ـ كلمات الى العقل ـ عن رسالة العرب فيما بقى من هذا القرن ـ « ان عام ١٩٧٦ وما بعده اعوام الدعوة فى المنطقة الى النظرة العلمية ، ووضع تقاليدنا فى خدمة أهدافنا . لقد آن الاوان لكى نؤمن بالبحث قبل المقال . وبالارقام والنسب المئوية بدل الصفات وأفعال التفضيل وبالمساواة بين العبارة والمعنى بدل الاطناب فى البيان والبديع . وعلينا ان نكرم العقل ونحكمه فى العاطفة ، وننصرف عن المستحيل الى طلب الممكن ، ونضع المصالح جنبا الى جنب مع المبادىء .

« اما الايمان فهو بالله والوطن . وعلى كل مواطن بعد ذلك ان يؤمن معهما بمذهبه الخاص على أن يروض نفسه على السماحة فى معاملة الاديان الاخرى عملا بقوله تعالى : « **لكم دينكم ولى دين** » ص ٨

ويعالج الكتاب مشاكل عديدة يعنى منها العمل العربى مثل : البيروقراطية ، والكتاب العربى التعاون الاقتصادى بين الدول العربية ، بانحو التسهيلات الماليه فى العالم العربى ، وسـائل

الاعلام العربى وهل نجحت . وموضوعات أخرى - عديدة .

فمن آفة البيروقراطية فى مؤسساتنا العربية ، يعطى المؤلف وصفا لها - ويسميها بالادارة الوردية فى العالم العربى ، وليست البيروقراطية الا موقفا سلبيا تعبر به الادارة عن نفسها - وهذه السلبية تعبر عن نفسها : « باحالة الموضوع الى لجنة . وقديما قال أحد علماء الادارة : اذا أردت أن تبعد المسئولية عن نفسك فكون للمسئولية لجنة » ص ١٢ .

والمؤلف لايصف داء البيروقراطية فقط ولكنه فى نفس الوقت يقدم مجموعة من الحلول .

وعن مشكلة الكتاب العربى فهو يعرض لها بتفصيل بالغ الدقة والايجاز : فالناشر العربى لم يصل بعد الى ما وصل اليه الناشرون فى أوروبا وأمريكا الذين يتجهون الى التخصص ، فدور النشر العربية « لايزال معظمها يتولى كل شىء بل ان من صغارها ما قديتولى التأليف !ومن أسف أن دور النشرلاتقبل علىكتب العلوم الطبيعية » ص ٣٠ - ٣١ .

والكتاب العربى يعانى من المشاكل الفنية أشد المعاناة ، وصناعة الطباعة فى العالم العربى مهددة ولاعاصم لها الا ان تجدد الاتها وتدخل المكننة الحديثة فى كل مجال للطباعة .

وهو يقدم رؤيه هامة لسوق الكتاب والصحف على النحو التالى :

« ١ - ان اكثر الموضوعات انتشارا هى الموضوعات الدينيه وتليها الجنسية . وأقل الموضوعات انتشارا هى العلمية.

« ٢ - ان أكثر الطبقات اقبالا على القراءة هى المتوسطة التى يروح دخلها بين ٣٥ ، ٦٠ جنيها فى الشهر .

« ٣ - ان أكثر الناس قراءة هم مدرسو التعليم الثانوى ويليهم طلاب الجامعات . أما المتخصصون من الاطباء والمهندسين والكيمائيين وغيرهم فهم يتوافرون على ما تخصصوا فيه ولذلك تقل قراءتهم لكتب الثقافه العامة .

« ٤ - ان الاعزبين يقرءون أكثر من المتزوجين على خلاف ماكان متوقعا .

« ٥ - أن سن القراءة الغالبة هى ما بين العشرين والخمسين » . ص ٣٤ ، ٣٥ .

وعن مشكلة الكتاب العربى يعرض المؤلف قضية تهدد صناعه النشر حتها فى العالم العربى ، وهى قضيه قراصنة الكتب - وخاصه بعد انتشار صنعه الاوفست وتقدمها . ص ٣٦ ، ٣٧ .

ويركز المؤلف فى اكثر من موضع على خطورة اهمال الكتاب العرب للانتاج العلمى : « فالمؤلفون العرب يميلون الى الكتابه فى الدين والتاريخ وتراث الاقدمين وسير الخالدين والمسرحيات والسياسية والشعر والقصص .ومنهم من يكتب فى علم النفس والعلوم الاجتماعيه والفلسفة اما العلوم الطبيعيه والفنون الجميلة والموسيقى والموسوعات والمراجع والهوايات والحرف فلم يصدر فيها الا القليل » ص ٢٦ ، ٢٧ .

ان كتاب كلمات الى العقل - ٢٢٨ ص - الذى اصدرته دار المعارف فى سلسلة إقرأ للدكتور السيد ابو النجا - هو دعوة الى استخدام العقل فى كل مجالات الحياة العربية ■



مناقشات حول الثقافة اليمنية

□ تأليف : عبد الفتاح اسماعيل وراشد ثابت وآخرون

□ الناشر . دار ابن خلدون - بيروت

كيف يمكن ارساء دعائم ثقافة يمنية ثورية وتقدمية تضرب جذورها عميقة فى التراب اليمنى وتتطلع نحو المنطلق القومى وتتنفس المناخ العالمى ..

هذا هو السؤال الذى يحاول الاجابة عليه عدد من طلائع المثقفين فى اليمن الديمقراطية فى دراسة تتميز بالاصالة والعمق : وتجمع بين فهم الواقع الاقليمى وسعة الافق العالمية ..

كفاح الشعب الفلسطينى

□ تأليف : عبد القادر ياسين

□ الناشر : مركز الابحاث - منظمةالتحريرالفلسطينية-بيروت

بعد صمت طويل انهمر سيل الدراسات عن تاريخ الكفاح الفلسطينى وفى خضم هذا السيل تتميز دراسة عبد القادر ياسين بالجديه والعمق ، انها تدرس كفاح الشعب اجتماعى - اقتصادى - سياسى -قومى: يتحرك فى كل متماسك وتحاول ان تتلمس مختلف خيوط الحركة النضاليه الفلسطينية والابعاد الاجتماعية لكل منها .

صـــدر
حـــديثا

عن الدموع والفرح الآتي

ديـــوان شـــعر

مي صـــــــايغ

من مطبوعـــات وزارة الاعــــلام العــــراقيـة



يونيـــو
١٩٧٦

□ ج . م . ع .

١٥ مايو : التحرير . الديمقراطية . التنمية

طرح الرئيس انور السادات فى رسالته الى مجلس الشعب فى ذكرى ثورة التصحيح برنامج عمل للمرحلة القادمة ركز فيه على :

● تحرير الارض العربية المحتلة والعمل على اعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

● تأكيد الممارسة الديمقراطية عن طريق التنظيمـــات السياسية التى اسفر عنها عمل لجنة مستقبل العمل السياسى وذلك من خلال صيغة تحالف قوى الشعب العاملة التى تقوم على الوحدة الوطنية ، وحتمية الحل الاشتراكى ومكاسب العمال والفلاحين ، والسلام الاجتماعى .

● اعادة بناء الاقتصاد المصرى بما يبيح مواجهة الازمة المعقدة الناجمة عن ٤ حروب خاضتها مصر دفاعا عن الحق العربى .

وبجانب تحديد هذه الاختيارات الاساسية فى المجـــال العربى والاقتصادى والديمقراطى ، والتى اكدها رئيس الدولة ، وبجانب الاحتفالات السياسية التى قامت بها مختلف الهيئات السياسية والتنفيذية والتى تضمنت عقد ندوات ســياسية واجتماعية وتنظيم مهرجان واحتفالات وافتتـــاح مشروعات اقتصادية ، بجانب كل هذا اكد عدد من المسئولين الخط الاساسى لثورة ١٥ مايو :

فقد أعلنت الدكتورة عائشة راتب وزيرة الشئون والتأمينات الاجتماعية فى الاحتفال بذكرى ١٥ مايو ، ان ٨ ملايين مواطن مصرى تم تغطيتهم بمظلة التأمينات الاجتماعية على مســتوى الجمهورية ، وانه تم تسوية ١٥٠ الف معاش زاد فيهــا الحد الادنى من ٦ جنيهات الى ٩ جنيهات ، وخلال مارس ١٩٧٦ تم تسوية معاش ٤٠ الف ارملة ورفع قيمة المعاش من ٥٠ الى ٧٥ ٪ ، كما سمح لمن فصلوا بغير الطريق التأديبى قبل ١٥ مايو ولورثتهم بالتظلم امام لجان مشــكلة بالوزارات ، وتسوية حالات بعض الدبلوماســيين لصرف معاشات لهم او لورثتهم .

وفى المجال العسكرى : قرر الخبراء ان من ثمرات التصحيح ان توفرت لاول مرة ظروف المعركة المتكافئة امام المقاتل العربى فى صراعه المستمر مع الصهيونية والامبريالية وركيزتهما اسرائيل " ولم يأت هذا التغيير الجذرى اعتباطا ، بل جاء نتيجة جهود مضنية ودراسات عميقة وثيرة انجازات عديدة حققتها القيادة السياسية العسكرية خلال مرحلة التحضير لحرب رمضان تلك المرحلة التى امتدت امامها منذ ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ، حتى مطلع اكتوبر ١٩٧٣ .

وفى مجال القضاء يقول المستشار احمد سميح طلعت وزير العدل ان ثورة التصحيح اقامت البنيان الدستورى على ٤ اركان : السلام القائم على العدل ، ووحدة الامة العربية ، وتطوير حياة الشعب المصرى على اسس راسخة سياسيا واقتصاديا ، وتحقيق الحرية للمواطنين عن طريق ســيادة القانون .

كما اشار الى الدستور أفرد لاول مرة بابا مســـتقلا عن سيادة القانون ، مؤكدا انها هى اساس الحكم فى الدولة . كما قرر الدستور استقلال القضاء وحصانته ، وان العقوبه لاتوقع الا بحكم قضائى ، كما نص على عدم جواز تحصين اى عمل او قرار ادارى من الخضوع لرقابة القضاء . وفى هذا الصدد ايضا انتهت قصة الحراسات التى فرضت على ٤٠٠٠ اسرة بل وبدات تصفية جهاز الحراسات نفسه

وفى المجال الاقتصادى اعلن المسئولون عنه فى ذكرى ١٥ مايو ، ان الانفتاح الذى جاء ثمرة لـ ١٥ مايو يطبق فى حدود الاستقلال الوطنى وبما لايمس المكاسب الاشـــتراكيه والتنمية الاقتصادية . وانه قد وضعت اولويات فى تنفيذ مشروعات الانفتاح ، ولم يترك الاستثمار مفتوحا ، وانما حددت مجالاته فى نطاق مشروعات مشتركة تتضمنها خطة التنمية ، ويدخل معظمها شريكا مع القطاع العام . كما اشاروا الى ان ثورة ١٥ مايو اهتمت بكفالة مستوى لائق فى المعيشة للمواطنين ومن هنا جاءت قرارات رفع الحد الادنى للاجور الى ١٢ جنيها □

تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى من تجميع العضوية الى مرحلة التأسيس

تميز شهر مايو بانه شهر التأسيس فى تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحـــدوى . ففى هـــذا الشهر عقـــدت سلسلة من المؤتمرات التأسيسية فى محافظات الغربية والقليوبية وقنــــا وأسوان ، وقد كانت هذه المؤتمرات مناسبات جيدة للتعريف بالتنظيم وهويته ولشرح برنامجه واجراء مناقشــــات مثمــرة حوله ..

ففى المؤتمر التأسيسى بمحافظة قنا والذى حضره وفد من السكرتاريه العامة للتنظيم يضم الشيخ عبد الهادى يعقـــوب عضو مجلس الشعب وشوقى عثمان سكرتير نقابة الصناعات الهندسية والميكانيكية ومحمد خليل حضر حوالى ٣٠٠ منـــدوب يمثلون نشــاطات التنظيم فى مختلف مراكز وبنادر ومجــالات العمل فى المحافظه .

وقد جرى نقاش طويل حول نقـــاط البرنامج المختلفـــة وتم تشكيل لجنة تحضيرية للمحافظة واختير محمـــد مصطفى بكرى مسئولا للاتصال . .

وفى القليوبية عقد المؤتمر التأسيسى فى شبرا الخيمة وحضره اكثر من ٢٠٠٠ منـــدوب يمثلون مختلف الميـــادين ومجـــالات النشاط الاقتصادى والسياسى والاجتماعى . وقد حضر المؤتمر

● فلسطين	● بلغاريا	● ايطاليا	● الولايات المتحدة
تصاعد الحركة الشعبية من غزة الى الضفة الغربية	اسس تكوين الشخصية الاشتراكية	اهم انتخابات منذ عام ١٩٤٨	لماذا تنسحب امريكا من منظمة العمل الدولية؟

وند من السكرتارية يضم **خالد محيى الدين و د.محمد احمد خلف الله و د يحيى الجمل و د . ميلاد حنا ولطفى الخولى وشوقى عثمان** .. ، وكان المؤتمر تعبيرا واضحا عن مدى علاقة التنظيم بجماهير العمال ، حيث حضر المؤتمر التأسيسى غالبية القيادات المنتخبة سواء من الاتحاد الاشتراكى او منظمة الشباب او الحكم المحلى او النقابات ..

وكان اختيار هيئة تأسيسية للمحافظة من ١٥٠ من القيادات الفعلية لجماهير المحافظة انعكاسا لمدى تقدم التنظيم فى هذه المحافظة ..

واذا كنا قد اكتفينا بنموذجين بالنسبة للمؤتمرات التأسيسية سوف نكتفى ايضا ببعض النماذج من الانشطة الاساسية المختلفة للتنظيم .

فباسم التنظيم تكلم **خالد محيى الدين** فى احتفال اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى بالذكرى الخامسة للخامس عشر من مايو — واكد دور ثورة ٢٣ يوليو باعتبارها « تطورا جذريا فى توجهنا الديمقراطى » وكانت الديمقراطية احد المبادىء الستة التى حددها مسار ٢٣ يوليو الوطنى التقدمى ، ولكن برؤية جديدة ثابتة تربط بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية .

وقال **خالد محيى الدين** انه يعرض باسم التجمع بعض الملاحظات التى يراها ضرورية لاكمال مسيرة الديمقراطية منها : « انه لايمكن الحديث عن تحقيق الديمقراطية دون توازن حقيقى بين الجانب السياسى والاجتماعى » وانه « لا يوجد علاج للجانب الاجتماعى للديمقراطية الا بالتنمية الشاملة الاقتصادية والاجتماعية على اساس خطة علمية تعبىء كافة الموارد وفق اولويات اجتماعية محددة لخدمة مصالح الاغلبية الساحقة من شعبنا تحت قيادة القطاع العام والدولة .. » وكذلك « التأكيد بان ما قطعناه على طريق الحرية السياسية مازال يحتاج الى جهود بالنسبة للحقوق الديمقراطية للافراد والجماعات ولذلك فاننا نطالب بازالة آخر ما تبقى من القوانين والاجراءات التى تهدد حرية المواطن الخاصة او تمس حقوقه الديمقراطية .» وفوق ذلك « تحتاج قضية الصحافة الى معالجة خاصة وجذرية — لقد رفعت الرقابة على الصحف وهذه خطوة هامة . ولكن مازالت الجهود مطلوبة لمعالجة تأثرها الكبير بالسلطة التنفيذية وتزايد دور القيادات الفردية فيها » .

وفى احتفال مجلس الشعب بمناسبة ١٥ مايو تكلم باسم التجمع عضو المجلس **قبارى عبد الله** مؤكدا على عدد من هذه المعانى والاهداف ..

وبمناسبة «يوم التضامن العالمى مع شعب فلسطين» اصدر التجمع بيانا وزعه على نطاق واسع اكد فيه مساندة التجمع للشعب الفلسطينى ولمنظمة التحرير الفلسطينية وقال « ان الصهيونية واهمة .. لقد تصور قادتها ان حربا او اثنين او ثلاثة يمكنها اخضاع مصر وانهاء كيان فلسطين ، واسكات كل العرب .. لقد تصوروا ان بامكانهم الاستناد الى العون الاجنبى والسلاح والمال والدعم الاجنبى لاجبار الامة العربية على التخلى عن طموحها فى التحرر والتقدم والاشتراكية ،

ولقد توهموا ان سياسة الامر الواقع يمكن ان تفرض نفسها وتنسى العالم الشعب الفلسطينى وقضيته . لكن تمسك الشعب الفلسطينى وبطولته واصراره على النضال تحت رايات منظمة التحرير الفلسطينية والانتصارات المذهلة التى حققتها سواء فى ميدان العملية العسكرية او فى الانتخابات الاخيرة التى اجريت فى الضفة الغربية قد اكدت للصهيونيين ولسادتهم الذين يمدونهم بالعون والدعم والسلاح ، ان شعبا مصمما على نيل حقوقه وارضه لا يمكن قهره » ، واختتم البيان مؤكدا انه « اما ان ترضخ اسرائيل وتنفذ قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ، وتنفذ ارادة المجتمع الدولى ، **والا فان كل هذه القوى مطالبة بشن حملة عالمية تطالب بفرض عقوبات دولية ضد اسرائيل قد تصل الى حد المطالبة بطردها من الامم المتحدة** » .

وفى مواجهة الحملة التى نظمت فى بعض المساجد ضد تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى قررت السكرتارية العامة للتجمع توجيه رسالة الى فضيلة الدكتور وزير الاوقاف ، وقد جاء فى هذا الخطاب :

« تعلمون سيادتكم ان المساجد بيوت الله التى اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، وتعلمون ان منابر هذه المساجد لا تعتلى الا من اجل الدعوة الى الخير ونشر الحب والتعاون والتكافل بين الناس .. » . وتمضى الرسالة قائلة « ان السيد رئيس الجمهورية هو رئيس التنظيم السياسى للدولة الذى يضم التنظيمات الثلاثة ، ومن الناحية السياسية فان معنى اليمين هو معنى الرجعية والالتفات الى الوراء ، ومعنى اليسار هو التقدم والنظر الى المستقبل ... هذه هى المعانى السياسية وبالتالى فلا يصح ابدا ان نفسر معنى اليسار بانه خروج عن دين ، ذلك ان هذا التفسير الخاطىء ، لابد ان ينتهى بنا الى اعتبار اليمين هو المتمسك بدينه ، وان الوسط هو المذبذب الذى يقف غير متمسك بدينه وغير خارج عليه .. » .

وتختم الرسالة بعبارة تقول :

« لذلك كله نرجو ان يكف خطباء المساجد عن ايذاء تجمعنا ، والا اضطررنا الى اتخاذ ما يلزم من اجراءات قانونية دفاعا عن انفسنا ، ووقوفا فى وجه الخروج ببيوت الله عما حدده الله عز وجل » . ☐



☐ **فلسطين**

تصاعد الحركة الشعبية من غزة الى الضفة الغربية

تتجه انظار المراقبين فى الوقت الحالى صوب الضفة الغربية لنهر الاردن ، حيث دخلت ثورة الجماهير العربية ضد سلطات الاحتلال الاسرائيلية شهرها الخامس ، واستطاعت المقاومة

العربية الباسلة ان تفرض نفسها على الصفحات الاولى من الصحف العالمية وتذيعها وكالات الانباء والاذاعات الاجنبية .

وكانت الجماهير العربية فى الضفة الغربية قد اعلنت الاضراب العام فى ١٥ مايو الماضى ، فى مناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لاغتصاب فلسطين ، حيث اغلقت جميع الاسواق والمحال التجارية ابوابها ، كما اغلقت المدارس وتوقفت الحركة والحياة تماما فى الضفة الغربية .

وقد اجتاحت المظاهرات التى تضم آلاف المتظاهرين مدن الضفة الغربية ، ضد الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية ، ورفع علم فلسطين على ابواب المساجد والكنائس وفوق بوابات المدن والمسجد الاقصى فى القدس ، وطاف المتظاهرون فى شوارع المدن الرئيسية وهم يحملون علم فلسطين ، ويرددون الهتافات بسقوط الاحتلال ، وبحياة فلسطين العربية ، وتأييد منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها .

وكانت المنشورات الثورية قد غطت كافة المدن الرئيسية فى الضفة الغربيه فى يوم ١٤ مايو ، وتحمل توقيع جبهة التحرير الوطنى ، والمقاومة الفلسطينية ، والحزب الشيوعى الاردنى ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، تدعو المواطنين الى الاضراب الشامل لمدة ٢٤ ساعة فى ذكرى اغتصاب فلسطين ، وتعبيرا عن الاحتجاج على وجود الاحتلال وضد الارهاب الاسرائيلى فى الاراضى المحتلة ، وطرد السكان العرب من اراضيهم واقامة المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة .

وكانت السلطات الاسرائيلية قد قامت قبل حلول هذه المناسبة باعتقال عدد كبير من الزعماء الوطنيين ممن وصفتهم بالمتطرفين خوفا من اشتراكهم فى المظاهرات ، والاستعانة بقوات اضافية ، واقامة الحواجز والاسلاك الشائكة فى طرقات المدن الرئيسية ، وزيادة عدد الدوريات المسلحة ، وذلك استعدادا لمواجهة احداث هذا اليوم .

الا ان كل هذه الاستعدادات لم تؤد الى ارهاب المواطنين او اضعاف معنوياتهم ، فقد اجتاحت المظاهرات العنيفة كل الحواجز التى اعترضت طريقها ، وتدخلت قوات الامن الاسرائيلية لفض المظاهرات بالقوة واطلاق الرصاص على المتظاهرين ، مما ادى الى مقتل واصابة عدد من الشباب فى مدينة القدس ونابلس وطولكرم ورام الله والبيرة وجنين ، والقاء القبض على عشرات المواطنين .

وقد ادى مقتل هؤلاء الشبان برصاص قوات الاحتلال الى ردود فعل قوية ، وتحولت جنازات هؤلاء الضحايا فى مدينة القدس ونابلس الى مظاهرات عنيفة ، واصطدم خلالها المتظاهرون بالقوات الاسرائيلية واشتبكوا معها بالايدى والقذف بالحجارة ، كما اغلقوا الطرق بالمتاريس واشعلوا النيران فى اطارات السيارات القديمة لاعاقة وصول القوات الاسرائيلية المهاجمة ، واستخدمت القوات الاسرائيلية الهراوات وقنابل الغاز المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين ..

وقد اصيب خلال هذه المظاهرات عدد كبير من الجنود الاسرائيليين والمواطنين العرب ، والقى القبض على مئات المواطنين . وقامت السلطات الاسرائيلية بفرض حظر التجول فى عدد من المدن الرئيسية مثل رام الله ونابلس والبيرة وجنين واحياء القدس العربية . كما تولت السلطات الاسرائيلية التحقيق مع عمدة مدينة نابلس وعمدة رام الله لتحديد مسئولياتهم بشأن المظاهرات الجماهيرية والاعتداء على جنود الاحتلال الاسرائيليين .

وقد زاد من عنف الانتفاضة الجماهيرية فى الضفة الغربية تصريحات شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلى ، وتحسديه لانتفاضة الجماهير فى الضفة الغربية ضد سياسة الاحتلال الاسرائيلى فى الاراضى العربية المحتلة ، والتى اعلن فيها اصرار اسرائيل على اقامة المستوطنات الاسرائيلية ، وان هذه المستوطنات تجرى وفقا للخطة التى وافق عليها مجلس الوزراء والتى تعتبر نهر الاردن خطا فاصلا بين العرب واسرائيل .

ويشير المراقبون الى الظروف الجديدة التى صاحبت احتفال اسرائيل هذا العام بذكرى تأسيسها ، وبخاصة الموقف فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، الذى يتسم بثورة الجماهير العربية ضد الاحتلال الاسرائيلى ، ومقاومة تنفيذ المشروعات الاسرائيلية فى الاراضى المحتلة ، وتزايد عزلة اسرائيل على المستوى الدولى ، ومناقشة مجلس الامن التى بدأت فى الرابع من شهر مايو الماضى لسياسة اسرائيل العدوانية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وذلك بناء على طلب مصر ، التى دعت المجلس الى ادانة اعمال اسرائيل الوحشية وغير المشروعة فى المناطق التى تحتلها منذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ .

وكانت آخر مرة ناقش فيها مجلس الامن جرائم اسرائيل فى الاراضى المحتلة فى شهر مارس الماضى ، عندما استخدمت

سامى داود .. وداعا

توفى يوم السبت ٢٢ مايو ، الكاتب والصحفى المعروف ، سامى داود ، رئيس تحرير جريدة الجمهورية ، وقد فقدت الصحافة بغيابه قلما طالما أشرعه صاحبه فى الدفاع عن الوطن وخدمة قضايا الديموقراطية والاشتراكية والتقدم .. وان كل من قرأ الجمهورية فى الفترة الاخيرة ، لابد وان يكون قد تابع اهتمامات سامى داود العميقة بتجربة المنابر ، وما السبيل الى ضمان نجاحها . هذا الى جانب المقالات التى لم تنقطع عن مشاكل التعليم فى مصر وغيرها من المشكلات الاجتماعية الملحة .

ونحن اذ نذكر له هذا ، انما نذكر فى الوقت نفسه جهاده الطويل على صفحات جريدة الشعب ، ومجلة الاشتراكى ، بل لابد وان نسترجع — فى وقت مبكر — صدى صوته فى الاذاعة ، حيث كان رائدا من روادها الاوائل .

اما العزاء الذى نقدمه فلن يكون لاسرته وحدها ، ولن يكون لاصدقائه وقرائه وحدهم ، وانما العزاء الخالص لاسرة الصحافة كلها التى فقدت بموته واحدا من أبرز مثقفيها وكتابها المجاهدين .

الولايات المتحدة « الفيتو » ضد قرار المنظمة الدولية بادانة سياسة اسرائيل العدوانية فى الاراضى المحتلة .

هذا وما تزال حالة الارهاب والغليان تسودان مدن الضفة الغربية — وحتى ساعة اعداد هذا التقرير — حيث تمارس السلطات الاسرائيلية اعمال العنف فى ظل حظر التجول ، ومهاجمة المنازل والاعتداء على المواطنين ، وذلك فى محاولة لقمع انتفاضة الجماهير فى الضفة الغربية .

كما تشير الانباء ايضا الى تزايد المقاومة العربية فى قطاع غزة ، استجابة لانتفاضة الضفة الغربيــة ، حيث أصــدرت المحكمة العسكرية فى غزة هناك احكاما بالسجن على سبعة من الشباب منهم ثلاثة من اسرة واحــدة هم فريح مصطفى ابو مدين (٦ سنوات) وعبد الدايم ابو مدين (٤ سنوات) ، وهلال ابو مدين (٤ سنوات) وغيرهم ، وذلك بتهمة المقاومة المسلحة للاحتلال ومعارضة الحكم الذاتى الذى تريد اسرائيل اقامته فى الضفة الغربية .



□ لبنــان

انتخاب الرئيس الجديد لم يحل الازمة !

تشير التطورات الجارية الى ان الازمة التى نعيشها لبنان منذ ابريل الماضى ١٩٧٥ ، قد دخلت مرحلة جديدة ، وذلك بعد انتخاب **الياس سركيس** محافظ بنك لبنان رئيسا للجمهورية بدلا من سليمان فرنجيه الذى عارضته الحركة الوطنية خلال الصراع السياسى والاجتماعى والعسكرى الحالى فى لبنان والذى لايزال يتمسك برئاسة الجمهورية .

وكان مجلس النواب قد انتخب الياس سركيس رئيســا للجمهورية فى الثامن من شهر مايو الماضى بأغلبية ٦٦ صوتا وامتناع ثلاثة نواب عن التصويت .

وقد تمت عملية الانتخاب فى غياب القوى الوطنية التى كان لها دور اساسى فى الصراع السياسى والاجتماعى والعسكرى فى لبنان ، فلم يحضر جلسة انتخاب الرئيس الجديد سوى ٦٩ نائبا — من مجموع اعضاء المجلس [٩٩] يمثلون القوى السياسية التقليدية المحافظة من المسيحيين والمسلمين . وامتنع عن الحضور نواب الحركة الوطنية وجبهة النضال التى يرأسها **كمال جنبلاط** زعيم جبهة اليسار ، وكتلة **صائب سلام وريمون اده** رئيس حزب الكتلة الوطنية واحد اقطاب الطائفة المارونية .

والواقع ان السبب الذى حدا بالقوى الوطنية والتقدمية الى اتخاذ موقف المقاطعة لمعركة الرئاسة ، هو اقتناعها بأن هناك قوى داخلية وعربية واجنبية عديدة قد تضافرت لجعل معركة الرئاسة مدخلا لتمرير مشروع سياسى وعسكرى مرتبط بالمخطط الامريكى ، الذى يستهدف ضرب الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية . ولذلك فهى لاتعتبر نتيجة انتخاب الرئيس الجديد الياس سركيس مدخلا صالحا لحل الازمة اللبنانية . وهى ترى ان استمرار التدخل فى شئون لبنان سوف يؤدى الى مزيد من التعقيد والتصعيد للازمة اللبنانية ، ومن ثم فانه لايمكن احتواء الازمة عبر الاحتكام الى مؤسسة نيابية بالية ، وعن طريق استبدال شخص بآخر فى مركز الرئاسة ..

وحددت القوى الوطنية التقدمية موقفها من الرئيس الجديد على اساس : التزامه بحماية المقاومة الفلسطينية فى لبنان ، وحل المسائل الخاصة بالامن والتعاون مع الفلسطينيين ، والحفاظ على الحريات الديمقراطية ، وسحب القوات العسكرية العربية والاجهزة التابعة لها المتواجدة فى اراضى لبنان .

ويرى المراقبون ان الموقف الذى اتخذته الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، يعتبر عرضا مرنا من اجل الحل السياسى للازمة التى يمر بها هذا البلد الشقيق ، كما يعتبر اساسا للتعاون مع الرئيس المنتخب فى اطار برنامج الاصلاح السياسى الذى اعلنته من قبل .

وعلى الصعيد العسكرى ، انتهزت القوى اليمينية الانعزالية مناسبة انتخاب الرئيس الجديد للجمهورية . فشنت هجوما واسع النطاق على مواقع القوات الوطنية المشتركة فى سلسلة جبال لبنان المحيطة بالعاصمة بيروت . تساندها قوات من جيش العقيد انطون بركات الموالى للرئيس سليمان فرنجية معززة بالدبابات والمدرعات والمدفعية الثقيلة وطائرات الهليوكوبتر .

ويلاحظ المراقبون ان هجمات الانعزاليين تتم باعداد كبيرة لم تكن تتوفر لها خلال شهور القتال السابقة ، بالرغم من الخسائر الكبيرة التى لحقت بهم مع استخدام اساليب متطورة فى القتال ، وتوفر الامدادات والذخيرة بشكل كبير للغاية ، مما يقطع بوجود قوات اخرى من المرتزقة تقاتل الى جانب الانعزاليين .

وقد اتهمت قيادة المقاومة الفلسطينية القوى الانعزالية بأنها تخرق — بشكل متعمد — اتفاقية دمشق ، التى نصت على تنفيذ قرار وقف القتال فى جميع الاراضى اللبنانية ، واتخاذ موقف موحد من جانب الثورة الفلسطينية وسوريا ضد اى طرف يحاول خرق قرار وقف اطلاق النار .

واعلنت قيادة المقاومة الفلسطينية ، انه بعد الانذارات المتكررة للطرف الانعزالى بوقف الاعمال العسكرية ، فقد قررت قيادة المقاومة الفلسطينية اتخاذ الاجراءات الرادعة لوقف هذا الهجوم الغادر ومنع القوى الانعزالية من الاستمرار بالمواقع الوطنية فى جبل لبنان ، وحرص المقاومة الفلسطينية على دعم مواقع الحركة الوطنية دعما كاملا . وقالت قيادة المقاومة الفلسطينية انها تبلغ كافة الاطراف المعنية ، بهذا الموقف ، وحتى تتحمل كل الجهات على الصعيد الفلسطينى واللبنانى والعربى ، مسئولياتها الكاملة .

وقد اشارت الانباء الى ان الاشتباكات مازالت تتجدد فى معظم مناطق بيروت وطرابلس والجبل وسائر جبهات القتال ، كما يستمر سقوط عشرات القتلى والجرحى يوميا بصــورة لم تشهدها البلاد من قبل .

وقد نجحت القوات الوطنية المشتركة وقــوات الثورة الفلسطينية وجيش لبنان العربى بقيادة الملازم **احمد الخطيب** بعد معارك ضارية فى تحطيم هجمات القوى الانعزالية التى تعززها القوات النظامية وانزلت بها خسائر فادحة .

وبات واضحا لدى معظم المراقبين ان هدف القوى الانعزالية من تصعيد الموقف العسكرى هو تبرير الاستعانة بقوات خارجية بحجة حفظ الامن ، وابعاد اى تفكير لدى الرئيس الياس سركيس بالاعتماد على قوى لبنان الذاتية لحفظ الامن.

ويعزز هذا الاعتقاد ما تذيعه الاذاعة التابعة لسليمان فرنجية وتصريحات بيير الجميل زعيم حزب الكتائب ، التى تطالب باستدعاء قوات عربية او اجنبية لحفظ الامن فى المرحلة المقبلة .. ويؤكد هذا الاعتقاد اصرار الرئيس سليمان فرنجية على عدم الاستقالة بحجة عدم استقرار الامن فى لبنان .

وحتى الان لم يحدد الرئيس اللبنانى الجديد موقفه من مختلف القضايا التى تواجه لبنان ، وان كان من الواضح انه يسعى فى الوقت الحالى الى اتفاق شامل لوقف اطلاق النار واجراء مصالحة وطنية بين كافة الاطراف المتصارعة ، وذلك قبل تشكيل حكومة موسعة يمثل فيها الجميع

وليس من المنتظر ان تتضح اهداف الرئيس الجديد وخططه قبل ان يتسلم صلاحياته بصورة فعلية ، الامر الذى يرتبط باستقالة الرئيس الحالى سليمان فرنجية الذى مازال يعلقها على استقرار الامن ، ومن ثم لاتزال القوى اليمينية الانعزالية تتحكم فى الموقف سواء بالتصعيد العسكرى او العودة الى حالة الهدوء فى لبنان فى الوقت الحالى على الاقل .

ويرى المراقبون ان التطورات الحالية فى لبنان تشير الى زيادة حدة وتعقيد الموقف بدرجة شديدة ، وخاصة بعد نشوب الخلاف بين القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية من جهة وبين سوريا من جهة اخرى ، الامر الذى يثير الانزعاج فى الاوساط الوطنية والتقدمية فى العالم العربى ، ذلك ان احد اهداف المخطط الامريكى انما هو الايقاع بين القوى الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية وبين سوريا . وان المطلوب من جميع الاطراف ان تكون متيقظة لهذا المخطط الامريكى الذى يعمل على الوقيعة بين القوى الوطنية العربية ، وانهاك قواها فى الصراع فيما بينها واضعافها .



☐ مؤتمر داكار

الفرص لاتزال باقية

برغم الاهمية البالغة لاجتماع دول الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية لمناقشة «مشروع بيان وبرنامج عمل» التعاون العربى الافريقى فى داكار (عاصمة السنغال) من ١٩ الى ٢٤ ابريل الماضى ، الا انه لم يحظ من الصحافة الغربية او حتى العربية بالاهتمام الكافى . ويفسر المراقبون ذلك بتحفظ وقلق الدوائر الغربية من احتمالات هذا التعاون ،بينما يفسرون موقف الصحافة العربية بان المؤتمر لم يحقق ما كانت تامله الدوائر العربية من نتائج .

وقد انعقد مؤتمر داكار ، بعد ٨ اجتماعات تحضيرية امتدت منذ نوفمبر ١٩٧٣ وحتى يوليو ١٩٧٥ ، بذلت خلالها جهود كبيرة ، الا ان المشاكل التى تعوق انجاح التعاون لا تزال دون حل . فعلى المستوى السياسى ، لم يكن كافيا ان اتفق الوزراء الذين شاركوا فى المؤتمر على الا يتناولوا فى كلماتهم الخلافات بين بعض الدول الافريقية كمسالة انجولا ونتائجها ، ولا بين بعض الدول العربية مثل ازمة لبنان وتطوراتها ، ولا المشاكل ذات الطابع العربى والافريقى كمشكلة الصحراء الغربية . فعلى الرغم من تجنب ذلك الا انه لم يحل دون ان تبدى تنزانيا تحفظها حول فقرة فى « مشروع البيان وبرنامج العمل»

تشير الى مؤتمر لاهور الاسلامى قائلة أن ذلك يمكن أن يضفى على التعاون العربى الافريقى طابعا دينيا . كما طالبت ساحل العاج باجراء تعديل فى الفقرة الخاصة بادانة الصهيونية » . وعلى الرغم من التوصل الى اقرار البيان وفى النهاية - كما جاء فى المشروع - الا ان « ما فى القلب ظل فى القلب » . وقد بذلت السنغال جهودا كبيرة فى مجال التقليل من المشاكل حتى « يمر المؤتمر » بتغيير ترقيم الفقرات فقط .

وعلى الرغم من عدم حضور ٥ دول هى : اليمن الشمالية (غير معروف السبب) وغينيا وانجولا (بسبب موقف السنغال من انجولا) وملاوى (معترضة اصلا على التعاون) وغينيا الاستوائية (غير معروف السبب) ، الا ان تأييد ٥٦ دولة لفض « التعاون الدائم » يفتح المجال امام احتمالات قوية لتعاون حقيقى . ومن الملاحظ ان ما اجره وزير خارجية ليبيريا من مشاكل فى اوائل المؤتمر ، قد لعب دورا فى عدم تحقيق المؤتمر لنتائجه المرجوة . فقد تساءل : « كيف يمكن تحقيق هذا اللقاء بين منظمة الوحدة الافريقية والجامعة العربية اذا كان الجانب الافريقى لم يتخذ بعد موقفا موحدا ؟ » وترتب على ذلك ان عقد اكثر من اجتماع لوزراء منظمة الوحدة الافريقية حتى يوم ٢١ ابريل ولم يبق سوى يوم واحد اجتمعت فيه كل الدول المشتركة العربية والافريقية .

ومن الجدير بالذكر ان الدول الافريقية خلال عرض موقفها من ازمة الشرق الاوسط ، اكدت على تأييدها للجانب العربى ولكفاح شعب فلسطين . كما اكد الجميع على تأييد كفاح شعوب زيمبابوى (روديسيا) وناميبيا وجنوب افريقيا ضد النظم العنصرية . واعلنوا التمسك بمبادىء عدم الانحياز والتعايش السلمى واقامة نظام اقتصادى عالمى اكثر عدلا وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ونبذ العدوان وعدم شرعية ضم الاراضى بالقوة وحل المنازعات بالطرق السلمية .

وقد كلف المؤتمر محمود رياض امين عام الجامعة العربية واتيكى السكرتير العام لمنظمة الوحدة الافريقية ،بالعمل معا بمساعدة عدة لجان للاعداد لمؤتمر القمة العربى الافريقى الذى لم ينته مؤتمر داكار الى تحديد موعده او مكان انعقاده.

ويرى المراقبون المهتمون بانجاح التعاون العربى الافريقى، بان امام الجانب العربى فرصا ايجابية اذا ما استطاعت الجامعة العربية ان تحدد سياسة افريقية اوضح تتسم بالاستجابة لامال حركة التحرر الافريقية على المستويين السياسى والاقتصادى . ☐



☐ افريقيا الجنوبية

رحلة « شراء النسيان والوقت »

امضى الدكتور هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا ، حوالى اسبوعين ، فيما بين اواخر ابريل والنصف الاول من مايو ، فى زيارة لست دول افريقية (كان مقررا ان تكون سبعة) . بدأها بتنزانيا أقل هذه الدول تقبلا للسياسة الامريكية ،وانهاها بكينيا حيث انعقد مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية لتعرض امريكا من خلاله وعودها الاقتصادية . والدول التى زارها هى تنزانيا - زامبيا - زائير - السنغال - ليبيريا - كينيا.

وبينما كان كيسنجر يستمتع بمشاهدة الرقص الشعبى فى حديقة قصر الرئاسة فى كينشاسا (زائير) بعد حفل العشاء الذى اقامه له الرئيس **موبوتو** ، سلم برقية من **شيرلى تمبل** سفيرة امريكا فى اكرا **(غانا)** تخبره بالغاء رحلته التى كان يزمع القيام بها بعد عدة ساعات الى غانا . وكانت مظاهرات الطلبة قد عمت اكرا محتجة على زيارة كيسنجر مما اضطر الحكومة الى ان تلعن فجأة بان الرئيس اتشيمبونج مريض ولن يستطع استقبال كيسنجر . ومعروف ان حكومتى **نيجيريا واثيوبيا** قد اعلنتا من قبل عن عدم رغبتهما فى استقبال كيسنجر منذ بداية رحلته .

ويجمع المراقبون الدوليون على ان فشل امريكا فى انجولا ، هو الدافع الرئيسى لرحلة كيسنجر التى اسرع بها غداة اندلاع حرب العصابات فى روديسيا واحتمالاتها المقلقة لواشنطن وللنظم العنصرية . ولهذا فان تحديد اى سياسة امريكية لافريقيا الجنوبية لا يمكن فى ظل علاقات القوى الراهنة ، الا ان يضع فى اعتباره ضرورة الاعتراف ــ ولو شكلا ــ بحقوق الاغلبية الافريقية . ومن المعروف ان كيسنجر كان قد رفع تقريرا الى الرئيس السابق نيكسون فى عام ١٩٧٠ يوصى فيه « بتسهيل العلاقات مع جنوب افريقيا وروديسيا حيث لا يمكن ان يتم تغيير بناء نظمها ولا يوجد اى امل فى ان يحصل السود على حقوق سياسية عن طريق العنف » . ولهذا وصف المعلق الامريكى سالزبورجر رحلة كيسنجر بان هدفها ان ينسى الانارقة مواقفه السابقة .

وطوال جولته الافريقية ، كان كيسنجر يتحدث عن تأييد امريكا لحق تقرير المصير وحكم الاغلبية والمساواة بين الاجناس والحقوق الانسانية . وطرح كيسنجر مشروعا من ١٠ نقاط لحل مشكلة روديسيا اهمها : تأييد اقتراح **كالاهان** وزير الخارجية البريطانى بتحقيق حكم الاغلبية بعد عامين ــ وممارسة ضغوط اقتصادية وادبية على حكومة سميث للاسراع فى التفاوض مع الافارقة ــ وان تساعد امريكا اللاجئين الافريقيين من روديسيا والدول الافريقية التى تضررت من غلق حدودها مع روديسيا (كموزمبيق التى اعلن عن تقديم مبلغ ١٢,٥ مليون دولار لها) وتقديم برنامج مساعدات لروديسيا بعد تحقيق حكم الاغلبية مع ضمان حقوق البيض وأمنهم .

والجدير بالذكر ان الرئيس نيريرى قد اعلن فى مؤتمر صحفى امام كيسنجر « لقد بدأت الحرب فى روديسيا ولم يكن من المستطاع تجنبها . اما السبيل الوحيد لتداركها فهو تحقيق حكم الاغلبية وان الاكتفاء بالحديث عن حكم الاغلبية وعن الحلول السلمية سيكون بمثابة الحديث عن شىء لا وجود له فى الواقع » . وحتى الرئيس **كوندا** حرص قبل محادثاته مع كيسنجر ان يصدر بيانا مشتركا مع الرئيس **سامورا ماشيل** (موزمبيق) اعلنا فيه « أن الحل السلمى لم يعد ممكنا فى روديسيا » وتعهدا « بمساندة الوطنيين عسكريا وضرورة توحيد مجلسهم الوطنى الافريقى » . وبينما كان كيسنجر يستقبل **جوشوا نكومو** احد زعماء الحركة الوطنية فى روديسيا ، اعلن أيان سميث عن عزمه تعيين ٤ وزراء افريقيين فى حكومته و٦ نواب وزراء من الافريقيين ولكنه لم يحدد اسماءهم ولا موعد تعيينهم .

ويرى المراقبون ان مطلب كيسنجر كان محاولة لاقناع الافارقة باستخدام الوسائل السلمية لتحقيق حكم الاغلبية فى روديسيا وناميبيا اولا ــ بدلا من الاستيلاء على السلطة عن طريق العنف . وفى مقابل ذلك يمعن الحفاظ على وجود الاقلية البيضاء وحقوقها بضمانات اكيدة ، ثم تساعد امريكا وساعدتها فى السنوات القادمة لدول افريقيا الجنوبية ووسط افريقيا فى مقابل « ان تبتعد عن المشكلات الدولية » ومن هنا يفسر المراقبون اجتماع كيسنجر بزعماء تنزانيا وزامبيا كدول تقف مباشرة الى جانب الوطنيين فى روديسيا ، ثم اجتماعه بزعماء زائير والسنغال وليبريا التى تقيم روابط بينها وبين النظم العنصرية فى روديسيا وجنوب افريقيا لممارسة نفوذهم ايضا .

وقد طالب كيسنجر جنوب افريقيا فى خطبه بالاعتراف بحق شعب ناميبيا فى التعبير عن رأيه بحرية بشأن مستقبله السياسى تحت اشراف الامم المتحدة ، واكتفى عند الحديث عن الاوضاع داخل جنوب افريقيا نفسها ، بان بلاده ستواصل

وغاب « ادوارد صعب » الصحفى السادس عشر

لا يمكن للقوى الوطنية والتقدمية ، فى بلادنا ، وفى سائر أرجاء الوطن العربى ، ان تنسى انه عندما كانت قوى الاستبداد والطغيان تدفع بالمناضلين والتقدميين الى أعواد المشانق ، وساحات الاعدام ، كان قلم « ادوارد صعب » ، رئيس تحرير صحيفة « لوريان لوجور » اللبنانية ، حربا على الطغاة والمستبدين ، فى مقالاته الملتهبة التى ندد فيها بالسفاحين والقتلة ، دفاعا عن حرية الانسان العربى ، وعن كرامته ، وقيمة حياته .

والان ، وفى هذه المعركة الوحشية التى فرضتها على الشعب اللبنانى العربى ، القوى الانعزالية والطائفية ، بتحريض من الامبريالية العالمية ، سقط « ادوارد صعب » نفسه برصاصة قاتلة من قناص ، عندما كان يهم بعبور الخط الفاصل بين الجانبين المتحاربين فى قطاع المسجد ببيروت ولفظ آخر انفاسه ، اثناء نقله الى مستشفى باربير التابع للقوى التقدمية ، هكذا انتهت فى ثوان قليلة ، حياة صحفى وكاتب لامع ورئيس تحرير ، ما كان أحوج هذه البلاد الى آرائه وكلماته .

وادوارد صعب هو الصحفى السادس عشر ، ورئيس التحرير الثانى الذى يسقط فى هذه المعركة الوحشية .

ونحن على الرغم من اختلافنا الفكرى ، وفى الرؤية مع « ادوارد صعب » ، الا اننا لم ولا نشعر سوى بالالم والاسف لفقده .. وعلى هذا النحو ، الذى لم تعد فيه حياة الانسان ــ مهما تكن درجة خصوبتها ــ تساوى غير الثمن الرخيص لطلقة رصاص عمياء .

ونحن ، بعد كل شىء ، لا يمكن ان نعزى فحسب أسرة « ادوارد صعب » الصغيرة وأبنائه الثلاثة ، ولا يمكن ان نعزى فحسب أسرته الاكبر ، أسرة صحيفة « لوريان لوجور » ، لانه يتعين علينا أيضا ان نبحث لانفسنا عن عزاء لفقده المفاجىء ، ولضياع كل هذه الارواح الانسانية الغالية . ☐

تشجيع العمل من اجل تغيير سلمي خلال فترة زمنية معقولة من الزمن لتوفير فرص متكافئة وكذلك الحقوق الاساسية لكل مواطني جنوب افريقيا .

وبينما دعا كيسنجر دول المنطقة الى « البحث عن ارض مشتركة فيما بيننا » ولنعمل باقدام من اجل آفاق مشتركة »، علق سميث على ذلك بقوله « انهم على استعداد للتضحية بالبيض فى روديسيا بل وبكل افريقيا الجنوبية اذا دعت مصالحهم ذلك . انهم يسعون من اجل شراء الوقت لانفسهم علق سالزبرجر المعلق الامريكى المعروف بقوله « هل يمكن ان يقتنع الافريقيون بمجرد وعود المساعدات الاقتصادية فى مقابل مجرد الوعود السياسية » . ☐



☐ رومانيا

٥٥ عاما من نضال لم يتوقف

شهد شهر مايو المنصرم احتفالات عمت جميع ارجاء جمهورية رومانيا الاشتراكية وكانت المناسبة هى مرور ٥٥ عاما على تأسيس الحزب الشيوعى الرومانى (٨ مايو ١٩٢١ — ٨ مايو ١٩٧٦) .

ففى ذلك اليوم عقد اجتماع جماهيرى فى العاصمة الرومانية حضره حوالى ٢٠٠ الف من العاملين ، وفيه خطب الرفيق شاوشيسكو السكرتير العام للحزب الشيوعى ورئيس الدولة ، وتضمنت الفقرات الرئيسية فى خطابه استعراض ابرز معالم تاريخ الشعب والحزب فى رومانيا ، كما استعرض فيه ايضا ابرز انجازات الشعب والحزب فى عملية بناء المجتمع الاشتراكى المتطور ، هذا البناء المتعدد الجوانب والذى يشمل جميع اوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى رومانيا .

وفى الوقت نفسه كان الاحتفال بذكرى تأسيس الحزب مناسبة لرصد تاريخ طويل ملىء بالاحداث والانتصارات والصعاب والمنعطفات التى واجهت هذا التنظيم الذى يعتبر الان القوة السياسية الاولى والقائدة لجميع اوجه النشاط فى البلاد .

فاذا كان الحزب قد ولد عام ١٩٢١ ، الا انه قد سبقت مولده تطورات بعيدة المدى فى داخل الحركات والمنظمات السياسية والاجتماعية الرومانية . هنا يمكن ان نبدأ بالثمانينات من القرن التاسع عشر ففى ذلك الوقت تكونت نقابات العمال ، وبدأت تخوض النضال من اجل حقوق العمال ومن اجل الحريات الديموقراطية . وفى ١٨٩٣ قام الحزب الاشتراكى الديموقراطى على اساس الاشتراكية العلمية . وفى ١٩٠٧ صبت انتفاضات الفلاحين المختلفة فى انتفاضة عام ١٩٠٧ الكبرى التى طرحت شعارات تصفية الاقطاع وحل المشكلة الزراعية لمصلحة جماهير الفلاحين . وكانت جميع هذه الحركات الاجتماعية تجرى فى بلاد لها مشكلة وطنية حادة . فقد كان المطلب القومى للشعب الرومانى لسنوات طويلة توحيد رومانيا فى دولة وطنية مستقلة .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وتحت تأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية ، نهضت الحركة الثورية فى رومانيا . ففى عام ١٩٢٠ وقع الاضراب العام . وفى الوقت نفسه بدأ كفاح مكثف داخل الحزب الاشتراكى ضد الاتجاهات الانتهازية وفى المؤتمر الذى عقده هذا الحزب عام ١٩٢١ صوتت الاغلبية فى جانب تحويل الحزب الى الحزب الشيوعى الرومانى .

ومنذ عام ١٩٢٤ حتى عام ١٩٤٤ اضطر الحزب الى النزول الى العمل السرى ..

وفى الثلاثينات واجه الحزب قضية تجميع القوى الوطنية والديموقراطية فى اوسع جبهة للوقوف ضد خطر الفاشية .

ولما كانت معظم الاحزاب والمنظمات الديموقراطية غير متنبهة — فى ذلك الوقت — الى خطر الفاشية ، فقد افلحت المانيا الهتلرية فى جر رومانيا الى دخول الحرب ضد الاتحاد السوفيتى . ولكن الحزب استطاع ان ينظم سلسلة من الاضرابات والمظاهرات واعمال الاحتجاج المختلفة وتوجت جهوده بتكوين الجبهة الوطنية المعادية للفاشية .

وعندما بدات الدائرة تدور على هتلر ومحوره المساتى نظم الحزب وقاد فى ٢٣ اغسطس ١٩٤٤ الانتفاضة المسلحة الكبرى . ودعا الشعب الى ان يواصل تحرير بلاده من الفاشية وان يساهم مع الجيش السوفيتى فى تحرير اراضى المجر وتشيكوسلوفاكيا . وفى خلال الحرب بدأ تنفيذ الاصلاح الزراعى .

وفى الانتخابات النيابية التى جرت عام ١٩٤٦ احرز الحزب نجاحا كبيرا مكنه بالتعاون مع الاحزاب والقوى الديموقراطية الاخرى — من اعلان الجمهورية (اكتوبر ١٩٤٧). ثم مكنه من التقدم نحو تأميم مصادر الثروات الطبيعية والصناعة والبنوك . كما بدأ التحول الاشتراكى فى الزراعة وهو التحول الذى تم نهائيا عام ١٩٦٢ .

واستطاع الحزب من خلال سلسلة متصلة الحلقات من الخطط الخمسية (من ١٩٥١ — حتى ١٩٦٥) ان يرسى الاساس المادى والتكنيكى للنظام الاشتراكى . وانطلاقا من هذه القاعدة الصلبة دعا المؤتمر العاشر الى تنفيذ خطة ١٩٧١ — ١٩٧٥ لتضع الاساس لمرحلة اعلى من التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى وهى المرحلة التى تعرف بمرحلة « الاشتراكية المتقدمة » وعلى سبيل المثال تدل وقائع تنفيذ هذه الخطة على :

— انها حققت معدلا للنمو يبلغ ١٣٪ .

— وانه فى عام ١٩٧٥ وحده انتجت رومانيا ١٠ مليون طن من الصلب و ٥٤ بليون كيلووات ساعة من الكهرباء و ١٤٫٥ مليون طن من النفط الخام و ٥٠ الف جرار ومثل هذا العدد من اللوريات (الشاحنات) .

— وبتنفيذ خطة ٧١ — ٧٥ امكن تدبير ١٫٢ مليون عمل جديد .

وفى عام ١٩٧٥ وحدة تم بناء ١٣٠ الف شقة سكنية .

— وفى الوقت الراهن يبلغ متوسط دخل الفرد فى رومانيا الف دولار ويستهدف الحزب ان يصل المتوسط الى ٢٥٠٠ — ٣٠٠٠ دولار عام ١٩٩٠ . وهو العام الذى يتوقع المؤتمر الحادى عشر للحزب أن رومانيا ستنتقل فيه نهائيا من دولة نامية الى دولة متقدمة تقف جنبا الى جنب مع غيرها من الدول المتقدمة . ☐



☐ بلغاريا

أسس تكوين الشخصية الاشتراكية

انعقد فى صوفيا مؤخرا المؤتمر الحادى عشر للحزب الشيوعى البلغارى وشهده ١٥٠٠ مندوبا يمثلون ٧٩٠٫٠٠٠ وحدة حزبية .

وناقش المؤتمر الجديد من القضايا المتعلقة بتطور الاشتراكية ، وخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية السابعة ١٩٧٦ — ١٩٨٠ ، والقضايا الدولية .

كما ناقش المؤتمر طائفة من المشاكل التى تواجه البناء الاشتراكى فى بلغاريا كان فى مقدمتها اعادة بناء الجبهة الايديولوجية ، وتغيير مسلك النشاط التربوى على أساس من حساب نتائج الوسط الاجتماعى ، والربط بين العمل الايديولوجى وبين القضايا التى تطرحها الحياة ، وتطبيق الطريق العصرية كبيرة الفعالية فى تنظيم وادراة العمل الايديولوجى •

وكان من اهم القضايا التى ركز المؤتمر عليها فى المجال الايديولوجى :

— ربط المباراة الاشتراكية بمنجزات الثورة العلمية والتكنيكية ، والتأكيد على تربية العاملين بروح احترام العمل والملكية الاجتماعية ، وشعورهم كمالكين لثروة الشعب وشرف المهنة والمسؤولية والواجب تجاهها ، ودور مجموعات العاملين التربوى الهائل فى النضال ضد النواقص فى الانتاج وضد تبديد الملكية الاشتراكية بحيث يتم توفير جو أخلاقى سياسى واجتماعى نفسى لا تعيش فيه ظواهر التسيب وعدم الانضباط والبيروقراطية والامزجة الاستهلاكية الضارة •• ويجب ان يستهدف العمل الايديولوجى تكوين الشخصية الاشتراكية فيما يتعلق بنظرتها الى العالم وتربيتها طبقيا وعمليا واخلاقيا وجماليا • ويجب تشديد العمل من أجل تطور التربية الاخلاقية وزيادة دور الحوافز والعوامل الروحية فى علاقات الفرد الحيوية وتصرفاته ، وخوض معركة أشد حزما وقوة ضد من يخرق المبادىء والقواعد الاخلاقية ، وضد كل مظهر من مظاهر ضيق الافق والوصولية والوساطة والانانية والتزلف والانحلال الخلقى •• الخ فبناء الاشتراكية لا يتمثل — فحسب — فى بناء القاعدة المادية التكنيكية وخلق القيم المادية والروحية ، بل هو ايضا تكوين طريقة جديدة فى صياغة حياة العاملين وخلق اسلوب جديد فى علاقاتهم الحيوية •

ومن الموضوعات الهامة التى ناقشها المؤتمر كذلك — الدور المتزايد الاهمية للنقابات البلغارية ، والاشارة الى نقاط الضعف والسلبيات فى عملها • فالنقابات اهملت دور الاجتماعات الانتاجية والعمالية وعقود العمل الجماعية باعتبارها أشكالا اساسية لاشتراك العمال فى ادارة النشاط الاقتصادى • وهى لا تدافع بثبات فى مواجهة القيادات الاقتصادية الادارية عن ضرورة التقيد بتشريعات ، ولا تتخذ الاجراءات الضرورية لدرء اصابات العمل وتقليل الامراض • الخ وكذلك ضعف دورها فى الرقابة والنقد تجاه نقاط الضعف والنواقص فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية • كما انها لا تؤدى دورها بشكل كاف حيال العمال والموظفين غير الواعين وغير المنضبطين دفاعا عن مصالح المجتمع • كما ان نشاطها لمواجهة الظواهر السلبية غير فعال •

وكان محور الخطة الخمسية السابعة التى اقرها مؤتمر الحزب : تحقيق تقدم شامل فى تنفيذ برنامج الحزب لبناء المجتمع الاشتراكى الناضج — وضمان مواصلة ارتفاع مستوى معيشة الشعب • بحيث تتناسب درجة تلبية الحاجات المادية والروحية الاساسية لجميع افراد المجتمع ، مع المعدلات والمعايير العقلانية للاستهلاك •

وتحددت الخطوط الرئيسية لتطوير الاقتصاد على النحو التالى :

١ — ضمان تطور سريع للاقتصاد الوطنى بالاستخدام الكامل والشامل لجميع الثروات التى تملكها بلغاريا ، وعلى اساس المزايا التى تقدمها النظام الاشتراكى •

٢ — أن يكون الاتجاه الرئيسى فى تطور القاعدة المادية التكنيكية •• هو الاستخدام والتعبئة التامة لجميع عوامل النمو المكثف والزيادة المستمرة لفاعلية الانتاج وتحقيق منتجات عالية النوعية وفى المستوى التكنيكى المعاصر •

٣ — الاستخدام الامثل لجميع الثروات عن طريق تسريع عملية تخصص الانتاج وتركيزه •

٤ — الاسراع فى تطبيق أحدث منجزات العلم والتكنيك فى بلغاريا والبلدان الاخرى فى جميع ميادين الاقتصادالوطنى •

٦ — تحقيق مسلك جديد فى سياسة التحويل وفى زيادة فاعلية التوظيفات .ذلك بأن يولى الاهتمام الرئيسى لتحديث الانتاج واعادة بنائه •

وقد أشار التقرير الذى قدمه الرفيق تودور جيفكوف السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الى انه فى مجال السياسة الدولية — قد حدثت تطورات دولية بالغة الاهمية لصالح قوى السلام والديمقراطية والاشتراكية ، وان الاتجاه الرئيسى للعلاقات الدولية هو تحقيق الانفراج الدولى وانتصار سياسة التعايش السلمى بين مختلف البلاد ذات النظم الاجتماعية المختلفة •

واكد التقرير على ضرورة استمرار النضال من أجل تصفية الامبريالية ، وتقديم كل عون لحركات التحرر الوطنى — كما اكد على ان الطريق لحل مشكلة الشرق الاوسط هو مؤتمر جنيف وضرورة مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فيه ■

○

□ ايطاليا

أهم انتخابات منذ ١٩٤٨

فى بداية العام الحالى اعلن وزير الخارجيه الامريكية هنرى كيسنجر ان اشتراك الحزب الشيوعى بدرجة اكبر فى الحكم فى احدى الدول الرئيسية فى حلف الاطلنطى سيكون له تأثير خطير جدا « لذلك فان الولايات المتحدة تقدم لايطاليا النصح والتشجيع بقدر استطاعتها » • وقد تمثل هذا النصح والتشجيع ، فيما اعلنه وبصراحة وليام كولبى المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الامريكية أمام الكونجرس فى يناير الماضى ، من ان الوكالة قامت بدفع مبلغ ٦٥ مليون دولار نقدا للسياسيين الايطاليين المناهضين للشيوعية فى شهر ديسمبر ١٩٧٥ وذلك فىمحاولة لايقاف المكاسب الشيوعية فى الانتخابات الاخيرة — يقصد الانتخابات الاقليمية — وأن ذلك تم بموافقة كل من الرئيس فورد وكيسنجر !!

وقد كان الموقف الذى اتخذه كيسنجر وباقى أركان الدعاية الغربية ، تعبيرا عن القلق فى حلف الاطلنطى والولايات المتحدة منذ الانتصارات التى حققها الحزب الشيوعى فى الانتخابات الاقليمية فى يونيو ١٩٧٥ والتى حصل فيها الحزب على اكثر من ثلث أصوات الناخبين الايطاليين ، واصبح واضحا أن اية حكومة لم يعد بمقدورها أن تحكم دون رضاء الحزب عنها • ومنذ ذلك الحين والازمة السياسية والاقتصادية فى ايطاليا آخذة فى التصاعد حتى قام الحزب الاشتراكى الايطالى فى شهر ابريل الماضى بسحب ممثليه من الحكومة ، فاضطر الدو مورو رئيس الحكومة وزعيم الحزب الديمقراطى المسيحى ، الى الاستقالة • وبالتالى فلم يكن أمام الرئيس جيوفانى ليونى الا حل البرلمان والاعلان عن اجراء انتخابات جديدة فى ٢٠ يونيو • وتعد هذه الانتخابات فى نظر المراقبين اكثر انتخابات ايطاليا اهمية منذ عام ١٩٤٨ عندما تراجع الحزب الشيوعى الذى اشترك فى ثلاث ائتلافات متعاقبة بعد سقوط الفاشية ، تراجعا واضحا أمام الديموقراطيين المسيحيين بمساعدة الدعم الضخم من الولايات المتحدة •

ومنذ اعلن الرئيس الايطالى قراره حتى تفجرت حوادث العنف ، وبدأت دعاية الحزب الديموقراطى المسيحى تعود الى مكاتب الحزب الشيوعى فى روما كثير من الهجمات وحوادث

العنف ، وبدأت دعاية الحزب الديمقراطى المسيحى تقود الى التشكيك فى الحزب الشيوعى وقيادته • فقد حاولت مدة الحزب ان تنوه بان زعماء الحزب قد حصلوا على رشاوى من شركة لوكهيد وغيرها من الشركات ، وهو الامر الذى لم يثبت بالفعل سوى على الكثيرين من قيادات الحزب الديموقراطى المسيحى بما فيهم رئيس الوزراء والجمهورية نفسها • وكان انتخاب امنتورى فانفانى زعم المناهضين للشيوعية فى الحزب ، رئيسا له ، اشارة واضحة الى ان الديموقراطيين المسيحيين قرروا الاستمرار فى موجة العداء للحزب الشيوعى •• وقد بدا ذلك واضحا فى خطاب الدو مورو حين أعرب عن المخاوف التى تساوره من أن تصبح السياسات التى ينتهجها الحزب الشيوعى تحت رحمة الضغوط الايديولوجية التى تجىء من خارج البلاد » !

● على الجانب الاخر فان الحزب الشيوعى الايطالى استمر فى التركيز على أنه يجسد خليطا ايطاليا على نحو محدد من الواقعية والالتزام بالمنهج الماركسى متوازن بفعل التقاليد الديموقراطية الغربية ومقترن بحكمة شديدة ازاء الاصداء الدولية لصعوده • ومنذ البداية فقد قرر الحزب فى مؤتمراته انه يعد بعدم التعرض بالتأميم للاعمال التجارية، كما يصر أن المخرج الوحيد لازمة ايطاليا لا يتمثل فى حكومة شيوعية بالكامل وانما فى ائتلاف يجمع الشيوعيين والاشتراكيين والديموقراطيين المسيحيين • ولذلك أعد العلماء الاقتصاديون للحزب الشيوعى برنامجا من اربع نقاط لاخراج ايطاليا من ورطتها الاقتصادية الحالية والتى تميزت بانخفاض جسيم فى سعر الليرة الايطالية • اولها تبسيط مساعدة الدولة للصناعة إذ يوجد الان اكثر من اربعين هيئة قروض مختلفة لاعانة الصناعة ، وتؤخر الاجراءات البيروقراطية الطلبات لشهور طويلة • وثانيها تركيز الموارد على اربع قطاعات رئيسية : الزراعة ، بناء المساكن والمدارس ، النقل العام ، الطاقة • وثالثها توجيه الانفاق العام عن طريق السلطات المحلية • ورابعها الرقابة الشديدة على انفاق الدولة جميعه باعتباره هو سبب التضخم والفساد •

ومن الواضح فى هذا البرنامج الاعتدال الشديد ، ويرى المراقبون ان الحزب الايطالى يضع نصب اعينه تجربة شيلى حيث يخشى ان اى تطرف فى تطبيق مبادئه سوف يؤدى لا محاله الى انقلاب فاشى قد يضر بالتجربة الديموقراطية الايطالية كلها • وهو مايظهر من قول احد مسئولى الحزب « اننا واقعيون ونحن نذكر شيلى عام ١٩٧٣ ، واعتقد ومما يعرضه الحزب من حل وسط تاريخى تجنب ذلك النوع من رد الفعل الذى يمكن أن يأتى من اليمين ويؤدى الى مثل ما أدى اليه من عملية الاطاحة الوحشية بالحكومة التى الفتها الجبهة الشعبية برئاسة الليندى» •

من جانب ثالث فان الاشتراكيين الذين حطموا جدران المعبد بانسحابهم من الحكومة يأملون فى الاستفادة من الصراع بين الحزب الشيوعى ، والحزب الديموقراطى المسيحى بحيث يبدو الحزب كحل وسط لدى الكثيرين بين الاتجاهين المحافظ والراديكالى، ومن ثم فانهم يأملون فى الحصول على عدد كاف من الاصوات جعل منهم عاملا ضروريا لاية حكومة يشكلها الشيوعيون او الديموقراطيون المسيحيون •

وحتى تتم الانتخابات الايطالية فسوف تظل كافة اجهزة التصنت والتسمع والانذار المبكر فى اوربا والولايات المتحدة معلنة حالة الطوارىء ، مكثفة دعايتها حول الاخطار التى سوف يتعرض لها الامن الاوربى والسوق المشتركة وحلف الاطلنطى ، وافعة الشعار الذى رفعه جيسكار ديستان قبل زيارته للولايات المتحدة أن « الاختيار القائم ليس اختيارا بين الجمود من ناحية والاصلاح من ناحية أخرى بل بين الاصلاح والانقلاب التام » ، ولكن المواطن الايطالى وحده هو الذى سوف يقرر الاختيار الملائم لايطاليا • ■

□ البرتغال

احباط محاولة اليمين للانفراد بالحكم

بعد عامين من قيام حركة القوات المسلحة البرتغالية ذهب الشعب البرتغالى الى صناديق الاقتراع من اجل انتخاب أول جمعية وطنية تنتخب انتخابا حرا منذ نصف قرن ، وجرت الانتخابات وسط اكبر موجة عنف عرفتها البرتغال تعددت فيها التكهنات الغربية عن « انحسار للمد اليسارى » فى البرتغال. وقد كان هناك عدد من الشواهد التى تؤيد ذلك ، فقد حدث تغير جوهرى على حركة القوات المسلحة ، فبعد أن كان الاتجاه الاكثر غلبة فيها هو اتجاه الضباط التقدميين الذين يصرون على اعطاء الحركة دورا ديناميكيا فى العملية الثورية فقد استقر الامر اخيرا لصالح مجموعة ضباط القيادة « المعتدلين » ، وهم الذين يرون ان تقوم القوات المسلحة بدور «الحكم » بين القوى السياسيه المتصارعة ، ويعتبرون انفسهم مجرد ضمان للديموقراطية فى البرتغال اكثر مما يرون انفسهم رجالا للثورة وللتغيير الاجتماعى .

وخلال عملية التغير هذه فى بنية حركة القوات المسلحة ، سقط العديد من الاسماء مثل فاسكو جونسالفيش رئيس الوزراء السابق واوتيللو دى كارفاليو قائد قوات الامن القومى والاول معروف بيساريته المتشددة والثانى بتطرفه • وعاد عدد من الاشباح القديمة لكى يبرز بقوة على المسرح السياسى البرتغالى. فقد تم الافراج عن عدد من المؤيدين الدائمين للنظام الديكتاتورى الفاشى السابق وابرزهم الجنرال **كولزادى اريجا** الذى كان قائدا عسكريا فى موزمبيق ، ومن المعروفين بآرائهم التسلطية والاستعمارية ، واكثر من ذلك منذ تم الافراج عن عملاء البوليس السياسى الذين كانوا رهن الاعتقال منذ الثورة .

واستغلت قوى اليمين البرتغالى الفرصة ، وعاد كبار ملاك الاراضى الزراعية يطالبون بعودة عقارب الساعة الى الوراء ، وقام الاتحاد الزراعى المرتبط بهولاء الملاك بالاعلان عن ضرورة مراجعة قانون الاصلاح الزراعى ، وعودة الاراضى التى تم توزيعها على الفلاحين الى الملاك مرة اخرى ، والا فان الاتحاد سيمنع الغذاء عن لشبونه العاصمة .

وفى نفس الوقت الذى كانت قوى اليمين تتجمع فيه من اجل تحطيم منجزات ثورة ابريل وابرزها الدستور البرتغالى الذى صمم بحيث يضع البرتغال « على الطريق لكى تصبح دولة اشتراكية » ، دافعا برياحه فى شراع سفينة الوسط ممثلة فى الحزب الديموقراطى الشعبى وحزب الوسط الاجتماعى الديموقراطى • فان الحزب الاشتراكى كان مصمما على تفتيت قوى اليسار ، حيث اخذ **ماريو سواريز** سكرتير عام الحزب يحذر من خطر « اغتصاب الشيوعيين للسلطة » ، ويصف الحزب الشيوعى بانه حزب « مناهض للديموقراطية » معلنا تصميم حزبه على « الانفراد بالمهام الحكومية كلها » وانه ليس لديه اية نية «لابرام تحالفات يمينا ام يسارا ومهما كان الامر».

وسط هذه المتغيرات كلها دارت المعركة الانتخابية حول ثلاثة قضايا : اولها الازمة الاقتصادية البرتغالية التى تميزت بتزايد البطالة حتى بلغ عدد المتعطلين ٤٥٠ الف متعطل ،

وارتفعت الاسعار عن معدلها بنسبة تتراوح بين ٢٠٪ و ٢٥٪ فى السنة وبلغ العجز فى الميزان التجارى ١ر٧ بليون دولار ، وزاد على ظروف الازمة ان ما يزيد عن ٥٠٠ الف من اللاجئين العائدين من انجولا ، عادوا يطلبون بدورهم بالحاح الوظائف والخدمات الاجتماعية . وثانيها ان الدستور البرتغالى الجديد أصبح موضع انتقاد دائم من حزبى الوسط الرئيسيين . فادعى الحزبان بان البنود التى تضمن للعمال المشاركة فى ادارة الشركات الصناعية ، وفى خلق بناء اقتصادى مخطط مركزيا سوف يجعل الحياة مستحيلة امام اى حكومة منتخبة على ارضية غير ماركسية وثالثها ان الاحزاب البرتغالية عادت الى الانقسام مرة اخرى بصدد منح جزر الازور وجزر ماديرا الواقعة فى المحيط الاطلنطى حق تقرير المصير .

وسط هذه الشواهد ، وحول هذه القضايا دارت المعركة الانتخابية ، ولكن نتائجها كانت مخيبة لامال الكثيرين . فلم تمثل اية مفاجأة كبرى ، فقد حصل الحزب الاشتراكى على ١٠٦ مقعدا من ٢٦٣ مقعدا فى البرلمان بنسبة ٣٥٪ من الاصوات وهى نفس النسبة التى حصل عليها فى انتخابات الجمعية التشريعية فى العام الماضى ، واحرز حزب الوسط الديموقراطى الاجتماعى تقدما كبيرا فتضاعف عدد الاصوات التى حصل عليها والتى زادت من ٧ر٧٪ الى ٣ر١٥٪ ، اما الحزب الشيوعى الذى كانت الدعاية الغربية تراهن على انه سيكون اكبر الخاسرين فى المعركة الانتخابية ، فقد احرز بعض التقدم فى موقفه حيث حصل على ١٤٪ من عدد الاصوات . وبذلك فان الحزب الاشتراكى لم يحصل على نسبة الـ ٤٢٪ اللازمة لكى يحكم منفردا واصبح عليه ان يناقش من جديد فكرة اقامة حكومة ائتلافية يسارية بالتعاون مع الحزب الشيوعى ، وهى الفكرة التى ابدى **الفارو كونهال** سكرتير الحزب الشيوعى البرتغالى حماسه لها .

فقد اعلن كونهال « ان مساندة الحزب الشيوعى تعد ضرورة لتشكيل اغلبية يسارية » حيث انه لا يمكن تشكيل اية حكومة دون تحالف « ولابد لنا من الدخول فى مفاوضات مع من يتطلع الى الحصول على مساندتنا » و « ان الحزب الشيوعى مستعد للتقدم على طريقة الاشتراكيين ، بشرط ان يفعل الحزب الاشتراكى بالمثل » . ويبدو ان سواريز — بعد نتيجة التصويت — قد وجد نفسه فى مأزق يتمثل فى ضرورة اقامة حكومة ائتلافية او ان يقوم بالمعارضة تاركا الامر لحكومة ائتلاف من حزبى الوسط ، ويرى المراقبون انه سوف يكون ميالا للحل الاول حيث اعلنت سكرتارية الحزب عقب الانتخابات ان الحزب ربما يكون راغبا فى نهاية الامر فى تشكيل حكومة ائتلافية اذا كان البرلمان الجديد يحبذ ذلك .

معنى ذلك أن الانتخابات البرتغالية لم تحسم الامر لصالح أى من القوى السياسية المتصارعة ، ويبقى فى النهاية أن الصراع الطبقى سوف يشهد خلال المرحلة المقبلة احتدادا شديدا خاصة وان اليمين البرتغالى بدأ فى شن هجوم شامل على كل جماعات اليسار وصل الى حد التصفية الجسدية والاغتيال السياسى خاصة فى الريف ، وسوف ينعكس ذلك على انتخابات رئاسة الجمهورية فى يونيو الحالى ، وسوف يكون الصراع محط انظار العالم كله ، الولايات المتحدة ومخابراتها المركزية ، القوى الاوروبية ، المعسكر الاشتراكى ، حيث يدور الصراع بين قوى متصارعة ومتمادية ، وبين تيارات فكرية لم يستطع اى منها ان يشكل تيارا غالبا يستقطب المجتمع حوله ، ومن بعيد تقف القوات المسلحة شاهدا على الصراع ولكن لا أحد يعرف متى تدخل فيه ؟ ولصالح من ؟ □

□ الولايات المتحدة الامريكية

لماذا تنسحب من منظمة العمل الدولية

كانت حكومة الرئيس الامريكى **فورد** ، فى نوفمبر الماضى ، قد بعثت برسالة الى مدير مكتب العمل الدولى ، مخطرة اياه بعزم الولايات المتحدة على الانسحاب من منظمة العمل الدولية

وفى الشهر الماضى ، عارض الكونجرس فى دفع ٢٥ مليون دولار أمريكى ، تمثل مجموع الاشتراكات المستحقة على الولايات المتحدة لفترة ثمانية عشر شهرا . وذلك على الرغم من انه — وفقا لدستور منظمة العمل الدولية — فان مثل هذا الاخطار لا يعتبر ساريا الا بعد عامين من استلام المدير العام له ، وبشرط ان تظل الحكومة المعنية تؤدى التزاماتها المالية حتى ذلك التاريخ .

واقدام الولايات المتحدة على اتخاذ هذا الموقف يرجع الى ان منظمة العمل الدولية قد شاركت الى حد ما — فى السنوات الاخيرة — فى تأيد سياسة الانفراج الدولى والتعايش السلمى كما ان المنظمة قد اتخذت مجموعة من القرارات والتوصيات ذات الصبغة السياسية ، والمفيدة بالنسبة لنضالات العمال والشعوب . ومن بين هذه القرارات ، ما هو متعلق بادانة التفرقة العنصرية فى أفريقيا . وكان أخطرها قرارات تؤيد نضال شعب وعمال فلسطين ، والاعتراف بمنظمة التحرير عضوا مراقبا بالمنظمة ، وهو القرار الذى دفع الولايات المتحدة بتأثير ج. مينى رئيس اتحاد العمل الامريكى ، الى الضغط على المنظمة الدولية بالتهديد بالانسحاب .

لقد غضبت الولايات المتحدة الامريكية ، لان منظمة العمل الدولية بدأت تخرج عن طاعتها ، ولان كتلة ما يسمى بالعالم الثالث ، عالم التحرر الوطنى ، والثورة المعادية للاستعمار ، أصبحت تمثل قوة لها وزنها داخل المنظمة ، ولم يعد فى الامكان اعادتها الى قبضة الولايات المتحدة . وان قرار الكونجرس الامريكى برفض دفع حصة الولايات المتحدة الامريكية يمثل سياسة ابتزاز موجهة الى منظمة العمل الدولية ، وهو عمل من شأنه ان يلحق أضرارا عديدة بنشاط المنظمة الدولية .

ورغم العديد من الانتقادات الموجهة الى منظمة العمل الدولية ، فانها اليوم — وبفضل الدور المتزايد داخلها للبلدان الاشتراكية وبلدان العالم الثالث ، بلدان التحرر الوطنى — أصبح من الممكن ان تعبر أكثر عن الامانى المشروعة التى تكافح من أجلها الجماهير العاملة والشعوب المضطهدة والمستعمرة ، والتى تتزايد حدة استغلالها من قبل الرأسمالية العالمية .

ان مثل هذا التطور الخاص بمنظمة العمل الدولية يحتم اليوم — وأكثر من أى وقت مضى — ضرورة العمل على دعم الصبغة الديمقراطية لتركيب المنظمة ، وذلك لمواجهة أى محاولة لارهاب المنظمة الدولية واخضاعها لاية ضغوط أو محاولات للابتزاز مثلما تفعل الولايات المتحدة اليوم . □

قضية الاسكان بين التنظيمات الثلاثة

هذه المشكلة الاجتماعية الحادة والتى باتت تفرض نفسها كل يوم على الملايين من ابناء الشعب .

كيف نطرح الطرح السليم ؟

ما هو رأى التنظيمات الثلاثة فى هذه المشكلة ؟

ما هي أسبابها ، والعوامل التى تضاعف من حدتها .

وما هى الحلول الاجلة والعاجلة .

فى الصفحات التالية تنشر الطليعة رأى:

- **تنظيم الاحرار الاشتراكين كما قدمه مقرر التنظيم عضو مجلس الشعب مصطفى كامل مراد من واقع مضبطة الجلسة الثامنة والاربعين [٧٦/٤/١٧]**
- **رأى تنظيم مصر العربى الاشتراكى وقد اختارت الطليعة من واقع مضبطة الجلسة التاسعة والاربعين كلمة صلاح الطاروطى عضو مجلس الشعب ، وعضو تنظيم مصر العربى الاشتراكى .**
- **رأى التنظيم الوطنى التقدمى الوحدوى كما كلف بالتعبير عنه عضو مجلس الشعب ابوسيف يوسف من واقع مضبطة الجلسة التاسعة والاربعين [٧٦/٤/١٨] ومعه البيان الذى اصدره التنظيم حول هذه المشكلة والذى اودع الامانة العامة للمجلس**

رأى تنظيم الاحرار الاشتراكيين

السيد العضو مصطفى كامل مراد

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء

ان تقرير اللجنة فى الواقع قد حوى نقاطا كثيرة جدا من مشاكل الاسكان واقترح حلولا كثيرة لها ، وهو تقرير واف ويدل على بحث دقيق ، ولكن بيان الحكومة لم يقترح سياسة محددة ، وانما طرح عدة تساؤلات ، عندما كانت الحكومة ترغب فى الاسترشاد بوجهة نظر المجلس ، وكنا نود أن تضع الحكومة أمام المجلس تصورها لسياسة الاسكان والتشييد .

ان مشكلة الاسكان فى الواقع مشكلة معقدة ، ونحن نلمسها جميعا فى حياتنا اليومية ، وهناك صعوبة حصول المواطن على مسكن سواء كان اقتصاديا أو غير اقتصادى ، أو متوسطا ، أو فوق المتوسط بل هناك استحالة لان يحصل مواطن على شقة من القطاع الخاص الا اذا دفع « خلوا » ، واحب أن أقول : ان سبب دفع هذا الخلو معروف لدى الحكومة ولكنها فى الواقع لم تقترح اية وسيلة لعلاج هذه الظاهرة ، فنجد مثلا ، عندما يطلب شخص ما رخصة بناء فانهم يقدرون تكلفة المتر «تسليم المفتاح» فى الاسكان الاقتصادى بـ ١٢ جنيها ، وفى الاسكان المتوسط بـ ١٤ جنيها وفى الاسكان فوق المتوسط من ١٦ الى ١٨ جنيها .

كما أن البنك العقارى يعطى سلفياته على أساس هذا التقدير أيضا ، وهو يعلم جيدا أنه منذ حرب اكتوبر قد ارتفعت أسعار الخامات فى العالم كله، فلقد ارتفعت أسعار الحديد والخشب كما ارتفعت أجور العمال وأراضى البناء ارتفاعا شديدا ، بحيث أصبح المتر الذى كان يتكلف بالامس ١٢ جنيها يتكلف اليوم أكثر من ضعف هذا المتر ، ولقد طرحنا مناقصاته فى جمعيات اسكان قمت بأنشائها ، تحت اشراف الهيئة العامة للاسكان التعاونى ، ورسا سعر المتر فى المساكن الاقتصادية بـ ٣٠ جنيها ، وعندما نطلب الاقتراض من البنك العقارى فانه يعطى قرضا قدره ٦٠ ٪ من قيمة تكاليف البناء ولكن لا يعطى الـ ٦٠ ٪ على أساس تكلفة المتر بـ ٣٠ جنيها بل يعطيها على أساس أن تكلفة المتر ١٢ جنيها ، بحجة أن القيمة الايجارية تربط على أساس أن تكلفة المتر الاقتصادى هى ١٢ جنيها وضمان البنك هنا لقرضه هو ايجار الشقق .

ان البنك العقارى ، يقرضنى فى هذا الحالة ٦٠ ٪ على أساس أن تكلفة المتر ١٢ جنيها بينما أن تكلفة المتر الواقعى ٣٠ جنيها أى أنه سيقرضنى ٧٫٢٠ جنيهات من المتر أى نسبة ٢٥ ٪ من قيمة تكاليف المبنى وليس ٦٠ ٪ من هذه القيمة وبذلك ينكمش حجم البناء تلقائيا ولهذا فاننى أطالب الحكومة بانشاء بنك عقارى ثان ، وثالث ، ورابع ، لانه ليس من المعقول أن يكون تعداد البلد ٣٧ مليون نسمة ويكون من يقرض هؤلاء المواطنين لبناء مساكنهم بنك واحد اسمه البنك العقارى ، كما ان اجراءاته معقدة وعاجز عن التسليف بسبب الطريقة التى

الحكومة تقدر تكاليف المتر فى المساكن المنوسطة على أساس سعر المتر ١٤ جنيها فى حين أنه ينكلف ٤٠ جنيها وتقدر الايجار على أساس ٨ / وفقا لتقديرها فيكون هذا التقدير ٣٫٥ ٪ من التكلفة الحقيقية للمتر آلا وهى ٤٠ جنيها وتكون النتيجة أن المالك يحصل على نحو ٣ ٪ كريع لرأس ماله المستثمر وهذا غير معقول ، لانه لو وضع رأس ماله فى بنك من البنوك فسيحصل على فائدة ٦ ٪ وهذا أفضل له ، ولذلك فانه يلجأ الى طريقة أخرى لتعويض هذا الفرق . فمثلا لو فرض أن شخصا ما يقوم ببناء شقة على مساحة ١٠٠ متر تتكون من ثلاث غرف وصالة من الاسكان المتوسط ، فستكون تكلفة المتر من ٤٠ الى ٤٥ جنيها وتكون جملة تكلفة المبانى ٤٠٠٠ جنيه ، مضافا اليها ٥٠٠ جنيه لثمن الارض ، فيصبح مجموع التكلفة الفعلية ٤٥٠٠ جنيه ، فى حين أن تقدير الايجار يحسب على أساس ١٠٠ متر بتكلفة ١٤ جنيها للمتر نبكون المجموع ١٤٠٠ جنيه ، وبالتالى لن يكون أمام هذا الشخص الا أن يلجأ الى المستأجر نيحصل على الفرق بين التكلفة الفعلية والتكلفة التقديرية ، وبذلك نجد أنه لا بد من تقدير القيمة الايجارية للمبانى على حسب التكلفة الحقيقية ، وهذا واضح من واقع المناقصات التى تطرحها الحكومة ، ولا يجب أن نضع رءوسنا فى الرمال ونرى الجانب الوردى فقط ، بل يجب أن نتبع الاقتصاد الحقيقى ، وظروف العرض والطلب ، وما دمنا نعلم أن المتر الاقتصادى يتكلف ٣٠ جنيها ، والمتوسط يتكلف ٤٠ جنيها ، وفوق المتوسط يتكلف ٥٠ جنيها اذن يجب أن تقدر القيمة الايجارية على أساس التكلفة الحقيقية ، ويجب أيضا على البنك العقارى أن يقرض على أساس هذه التكلفة الحقيقية لان البنك العقارى يعلم ذلك .

ولذلك فاننى أقترح عدة اقتراحات وهى :

الاقتراح الاول : أن تقدر الحكومة القيمة الايجارية للمساكن على أساس التكلفة الفعلية ، حتى يمكن للمالك أن يأخذ العائد المحدد قانونا وهو الـ ٥ ٪ على تكلفة الارض والبناء و ٣ ٪ من قيمة البناء ، وهذا هو الطريق الوحيد لمنع الخلو ، لان الخلو عبارة عن الفرق بين التكلفة الحقيقية والتكلفة الحكمية التى تفرضها الحكومة .

الاقتراح الثانى : أن تصدر تعليمات السيد الوزير فورا الى البنك العقارى بأن يقرض المواطنين على أساس التكلفة الحقيقية لانه لا بد أن تتوافر تسيولة نقدر بنسبة ٨٠ ٪ من قيمة البناء لدى من يريد البناء حتى لا تتوقف الجمعيات التعاونية للبناء عن البناء . بل اننى أرجو من السيد الوزير أن يصدر قراره هذا بعد هذه المناقشة فورا ، على أن يتم الاقراض على أساس التكلفةللاسكان الاقتصادى والمتوسط وفوق المتوسط ، والحكومة تعلم هذه التكلفة جيدا ، وموجودة لديها بدفاترها وميزانياتها وفى ميزانيات القطاع العام أيضا . واننى أكرر القول بأن الذى يدفع الملاك الى المطالبة بدفع [الخلو] هو ان القيمة الايجارية تحدد على أساس تقديرات وهمية وليس على أساس تقديراتحقيقية

الامر الاخر يتعلق بموضوع الفوائد التى نحصل على القروض من أجل البناء ننظرا لارتفاع سعرها ، فانها تزيد رأس المال ، فمثلا لو كان هناك قرض قيمته ١٠٠٠ جنيه بفائدة قدرها ٦ ٪ ويسدد على عشرين سنة لوصل هذا القرض الى ١٧٠٠ جنيه مصرى أى الى ضعف قيمته تقريبا ، لابد اذن من تخفيض سعر الفائدة . ان أبسط مبادىء الاقتصاد تحتم اجراء هذا التخفيض الذى سوف يؤدى الى اعطاء رأس مال رخيص . ولقد اتبعت انجلترا هذا الاجراء فى الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت تمنح القروض بفائدة سعرها ٢ ٪ من البنك المركزى ، بينما تعطىالحكومة هنا فى مصر القروض بسعر فائدة قدره ٦٫٥ ٪ ، ويعطى البنك العقارى قروضا بسعر فائدة يصل الى ٧٫٥ ٪ ، وتقرض الجمعية التعاونية بسعر فائدة يتراوح ما بين ٤٫٥ ٪ و ٥٫٥ ٪ .

ان هذا الاسلوب لا يمكن بأى حال أن يشجع الناس على البناء ، لا بد من خفض سعر فائدة القروض وبالذات فى نطاق الاسكان التعاونى ، فيمكن فى هذا الصدد منح قروض بسعر فائدة قدره ٢ ٪ على أن تتحمل الحكومة الفرق بين هذا السعر وبين السعر المحدد أصلا على أساس ان هذا يشكل نوعا من الدعم للاسكان . أيضا لا بد من اطالة مدة القرض باعتبار أن امكانيات الموظفين محدودة ، وكلنا موظفون وأكبر موظف منا يتقاضى ٢٥٠ جنيها شهريا ، ان الشقة المكونة من خمس حجرات ايجارها الشهرى اليوم بلغ ٢٠٠ جنيه ، كيف يتأتى لاى منا أن يسكنها ؟ ان أحدا — بالطبع — لا يستطيع أن يسكنها لارتفاع آجرتها . اذن ما الحل ؟ لا بد وأن تتدخل الحكومة فى الامر فالمفروض الا تتجاوز قيمة الارض ١٠ ٪ أو ١٥ ٪ من قيمةالمبانى بمعنى أن المبنى الذى ينكلف ٤٠٠٠ جنيه لا تزيد قيمة الارض المقام عليها عن ٤٠٠ جنيه أو ٦٠٠ جنيه ، ان قيمة الارض قد ارتفعت الان حتى وصلت الى ٥٠ / من تكلفة المبانى ، كماوصل سعر المتر من الاراضى فى بعض المناطق كالدقى الى ٥٠٠ جنيه للمتر وذلك بالنسبة للاراضى التى تطل على النيل .

ان أكثر من نصف العمارات التى تقام الان تصل الى اثنى عشر طابقا ، ولو افترضنا أن المبانى تأخذ مساحة تتراوح ما بين ٦٠ ٪ ، ٦٥ / من الارض فان ذلك يؤدى الى أن يتكلف المتر المربع من الارض نحو ٧٢٠ جنيها أى أن المتر المربع فى الشقة الواحدة يتكلف حوالى ٧٠ جنيها على مستوى الاثنى عشر طابقا أى أن قيمة المتر المربع الواحد فى الشقة الواحدة يصل الى ١٤٠ جنيها ، على أساس أن قيمة الارض تصل الى ٥٠ ٪ من قيمة المبانى ، لقد وصل سعر المتر من الارض فى حى الروضة الى مائة جنيه ، وقامت الحكومة ببيع الاراضى للجمعياتالتعاونية بهذا السعر ، ان أقل سعر للاراضى فى القاهرة اليوم وصل الى ٤٠ جنيها للمتر .

ان ارتفاع أسعار الاراضى الحكومية بالذات ووصولها الى ٥٠ ٪ من تكلفة الشقة وبحد أدنى ٣٠ ٪ من هذه التكلفة ، يعتبر عائقا أمام الجمعيات التعاونية وأمام الافراد يحول دون الاقبال على البناء . لا بد للحكومة من أن تبيع أراضى البناء بأسعار معقولة وبالتقسيط على أجل طويل ٣٠ أو ٤٠ سنة مثلا . ودون فوائد ، وذلك اذا ما أردنا تشجيع الاقبال على البناء ، حتى اذا ما كان هناك من يريد شراء قطعة أرض لاقامة سكن له ولاسرته فانه يستطيع شراءها على هذا الاساس ، ويستطيع أيضا بناءها بما لديه من امكانات ،أيضا يستطيع الاقتراض من البنوك بسعر فائدة رخيص لاتمام عملية البناء .

ان الارض تشكل عقبة أساسية فى الموضوع ، ومن ثم لا بد للحكومة أن تحدد أسعارها بطريقة معقولة وبأسلوب التقسيط الطويل ودون فوائد ، ولا بد أن تخصص الحكومة قروضا بسعر فائدة مخفض لا يجاوز ٢ ٪ وعلى آجال طويلة إن أقصى أجل يمكن للبنك العقارى أو لاى جهاز تعاونى اسكانى منحه يتراوح مابين ١٥ ، ٢٠ سنة ، ونحن نريد أن يصل هذا الاجل الى ٣٠ سنة حتى يستطيع المواطنون من محدودى الدخل الاقتراض بهدف البناء . وسوف أضرب لحضراتكم مثلا واقعيا لما يحدث فى مجال الاسكان الاقتصادى فى القاهرة والاسكندرية ، ان الشقة التى تبلغ مساحتها أربعين مترا والتى تتكون من

حجرتين وصالة تتكلف ٣٠٠٠ جنيه ، ولو قدرنا الايجار على أساس ٨ ٪ لحددناه بـ ٢٤٠ جنيها فى السنة اى بواقع ٢٠ جنيها شهريا . كيف يتسنى لعامل أن يسكن بهذا المبلغ فى اى دولة من دول العالم ؟ ، انه لا يجوز أن يجاوز ايجار السكن ٢٥ ٪ من دخل العامل الشهرى ، كذلك فان الشقة المكونة من حجرة وصالة فقط يصل ايجارها الشهرى الى ثمانية جنيهات ، وهذا يعنى أن من يسكنها يجب الا يقل دخله الشهرى عن ٢٥ جنيها . ان هذا الوضع يجرنا أيضا الى مشكلة الاجور التى لا بد من وضع حد لهــا ، فمن يتقاضى هذا الدخل ويدفع ٨ جنيهات شهريا يتبقى له بعد ذلك مبلغ لا يكاد يفى باحتياجاته الاساسية من مأكل وملبس . اذن لا بد من نظرة موضوعية وجدية من جانب الحكومة لعلاج مشكلة الاجور . والامر الغريب حقــا هو أن الحكومة تترك كل ذلك وتنشىء منابر .

رئيس المجلس :

ان الحكومة لم تنشىء المنابر .

السيد العضو مصطفى كامل مراد

يجب على الحكومة أن تترك موضوع المنابر وتنصرف لحل مثل هذه المشاكل. ان عملية البناء الاقتصادى أو الشعبى فوق مستوى الطبقات الشعبية كلها ولقد سبق أن ضربت مثالا من ايجار الشقة بالنسبة لهذه المساكن ، لا بد أن تتخذ الحكومة خطوة جادة فى هذا الشأن ، وليكن ذلك فى صورة دعم الشقق المعدة للسكن ، فان الحكومة تقوم بدعم الاسمنت والحديد وغيره من مواد البناء ، والواقع أن هذا الدعم خاطىء ، ذلك انه يحدث أن تصرف كميات مبالغ فيها من هذه المواد ، تتسرب كلهــا للسوق السوداء . ان الاجراء السليم ـ كما سبق ان ذكرت ـ هو أن يوجه الدعم للشقق المعدة للسكن .

فيمكن لمن ينتهى من عملية بناء مسكن اقتصادى فى حدود مساحة معينة من الارض ولتكن مائة متر مثلا ، أن يتقدم بطلب الى لجنة تحديد الايجارات يعرض فيها هذه العملية ، وفى هذه الحالة يمكن للحكومة بعد دراستها أن تمنحه دعما تتراوح قيمته ما بين ٢ ، ٣ جنيهات للمتر وذلك وفق ما تسفر عنه هذه الدراسة ووفق ما تمليه سياسة الدعم التى سوف تتبعها

أعود فأؤكد علىضرورة تحديد أسعار أراضى البناء ، وعلى أن يكون سدادها على آجال طويلة تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ سنة ، بل قد تصل هذه الآجال الى ٥٠ سنة فى حالة الاسكان الاقتصادى ودون فوائد ، وبذلك نستطيع توجيه السيولة المتوفرة لعملية البناء .

أما بالنسبة للاقراض من أجل البناء فانه يجب أن يكون القرض الذى تقدمه الجمعيات التعاونية بسعر فائدة منخفض لا يجاوز ٢ ٪ بأى حال ، وأن يكون السداد على ثلاثين سنة ، وبذلك نحفز المواطنين للاقدام على عملية البناء .

ان من يتقاضى أعلى مرتب فى الدولة لا يستطيع شراء شقة اقتصادية ، اذ كيف يتأتى له أن يحصل على مبلغ ٢٠٠٠ جنيه يدفعه كمقدم ثمن لها ؟ ان مرتبه يكاد يكفى باحتياجاته الاساسية ، وبالطبع هو لا يستطيع طبع أوراق بنكنوت كما تفعل الحكومة . لا بد أن تضع الحكومة هيكلا اقتصاديا سليما ، ولتترك السياسة العقيمة التى تتبعها منذ مدة تتراوح بين ثلاث أو أربع سنوات ، ولتبادر الى تقديم ما سبق أن وعدت به من مشروعات قوانين ، كمشروع قانون البورصات ومشروعقانون النقد ... الخ .

اننى أعلم أن هذه المشروعات سوف لا تأتى لنا الان ، بل ستأتى وسط كم كثير من القوانين فى شهر يونيو القادم أى فى نهاية الدورة ، واننى أقول للحكومة اننا سوف نبد هذه الدورة حتى شهر اكتوبر ، وانها اذا لم تقدم لنا مشروعات القوانين المشار اليهــا فى الصورة المثلى فسوف نستجوبها .

وبالنسبة للشقق المفروشة ، فاننى فى دهشة من الهجوم الموجه لاصحاب هذه الشقق ومن الشعارات التى تردد دائما والتى تنادى بضرورة تحصيل ضرائب منهم تصل الى مابين ٢٠٠ ٪ و ٦٠٠ ٪ ، اننى أقول لمن يردد هذه الشعارات كفى ترديدا لها . ان هؤلاء الناس يؤدون خدمة سياحية للدولة ، ويأتون لنا بالعملة الصعبة ، ومن ثم فانه يجب اعفاؤهم من أية ضرائب لمدة خمس سنوات أسوة بالمستثمر العربى والاجنبى . اذا كنا نريد تشجيعالمواطنين على عملية البناء ، فلا بد من منحهم بعض الامتيازات التى تحفزهم علىذلك. نحن نعانى من أزمة فى الفنادق ، ولا شك أن هؤلاء الناس يقومون بسد هذا العجز ، فمن الطبيعى أن نكافئهم على ذلك باعفائهم من الضرائب لمدة معينة .

اننى أثق كل الثقة فيما أقوله ، فاذا لم يتحرك الاقتصاد المحلى لحل أزمة الاسكان بالذات ، ففى هذه الحالة سوف ندعو المسئولين عنالاسكان الى اجتماع بالمجلس ونقترح عليهمتقديم مشروع قانون يتضمن اعفاء كل من يبنى عقارا جديدا من الضريبة لمدة خمس سنوات وذلك أسوة بالاعفاء الذى يحصل عليه المستثمر العربى والاجنبى .

أن الاعفاء من الضريبة يتركز على الحجرة التى كان ايجارها فى الماضى ثلاثة جنيهات عندما كان سعر المتر الواحد للارضيتراوح مابين ٢ ، ١٤ ، ١٦ جنيها ، أما الان فقد ارتفعت قيمة الارض حتى وصل المتر منها الى سعر يتراوح ما بين ٢٠ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٨٠ جنيها ، فلماذا لا نرفع من حد الاعفاء للضريبة بالنسبة اليها ؟

ان المجالس المحلية اقترحت رفع حد الاعفاء من الضريبة من ثلاثة الى خمسة جنيهات ، نظرا لارتفاع تكاليف البناء ، ولكنها لم تصل الى حل بعد . اننى أرى أنه لا بد من زيادة حد الاعفاء فى هذه الحالة وأن يعفى الافراد منالضريبة العقارية . وبذلك يمكن أن نجد من يبنى لان مبلغ الـ ٢٧ مليون جنيه المخصص للبناء لا يكفى لتغطية حى فى القاهرة ، لان الاستثمارات قليلة . ومن ناحية أخرى فانه يمكن تشجيع القطاع الخاص فى هذا المجال من خلال اعفائه من الضريبة وتخفيض سعر الفائدة واعطائه الارض بسعر منخفض على أن يتم سداد ثمنها على آجال طويلة .

ان من يستثمر أمواله فى شراء شهادات استثمار بفائدة ٦ ٪ فانه يضمن بذلك أن تكون أمواله تحت تصرفه فى اى وقت من الاوقات ، واذا ما رغبنا فى أن نشجع هذا الفرد على استثمار أمواله فى عملية البناء ، فلابد من أن نرفع له من هذه النسبة وذلك بأن نضيف له ٢ ٪ مقابل استهلاك مبان ، ١ ٪ صيانة ، ١ ٪ زيادة على النسب السابقة ، بحيث تصبح النسبة النهائية التى يحصل عليها ١٠ ٪ ،وهى نسبة تمثل ـ فى الواقع ـ القيمة الايجارية للمبنى .

وعلى الرغم من صدور قوانين وقرارات تعاقب كل من يرتكب مخالفة فى مجال الاسكان بعقوبات مختلفة ، الا أن هذه القوانين والقرارات لم تكن لها أية فاعلية ولم تحدث التأثير المطلوب بل وجدت وسائل عديدة للتحايل عليها والتحلل منها ، كخلو الرجل وغير ذلك من الاساليب الاخرى ، ويرجع ذلك بلا شك الى التزايد المستمر للسكان ، والى عدم استيعاب المبانى القائمة لهذه الاعداد المتزايدة ، أى أن البشر كثيرون والمبانى قليلة ، ومعنى ذلك أن هناك عرضا قليلا يقابله طلب كثير .

لا بد اذن من زيادة عدد الوحدات السكنية وذلك باتباع وتطبيق الاساليب الاقتصادية الموضوعية السليمة ،والالتجوء الى أسلوب الاعفاء من الضريبة لمدة خمس سنوات كما سبق أن أشرت الى ذلك ، ومنح المستثمر الذى يستثمر أمواله فى مجال البناء عائدا مجزيا كما أوضحت .

أقول انه اذا حصل المستثمر فى مجال الاسكان على كل هذه الميزات ، فاننا بلا شك سوف نمتص مدخرات الافراد في عملية البناء والتشييد ، مع اتاحةالفرصة أمام هذا المستثمرللحصول على قرض من البنك العقاري بما قيمته ٦٠ ٪ من التكلفة الحقيقية للمبنى . ولا شك أن هذا الاسلوب سوف يزيد من عدد الوحدات السكنية . ولكن المشكلة الحقيقية تكمن فى عدم وجود أموال لدينا ، مما يجعلنا نقف ازاء المشكلة مكتوفى الايدى .

أعود مرة أخرى للتحدث عن الشقق المفروشة ، فأقول ان هذه الشقق تستخدم كبديل للفنادق الخاصة باستقبال الاجانب ، واننى أرى أنه يجب اطلاق العنان أمام هذه الشقق لاداء رسالتها ، حيث ان الفنادق الموجودة حاليا لا تستوعب الاعداد المتزايدة من الاجانب الذين يفدون الينا من الخارج . واننى أرفض الشعارات التى يرددها البعض بشأن فرض ضرائب على هذه الشقق تصل الى ١٠٠ ٪ أو ٢٠٠ ٪ من القيمة الايجارية لها ، واطلب من السيد وزير المالية عدم الاستجابة الى مثل هذه الشعارات وعدم التقدم بأى مشروع قانون فى هذا الشأن ، ذلك أنه يجب اعفاء هذه الشقق من أية ضرائب أسوة بالفنادق .

رئيس المجلس :

هل يتفق ما يطلبه السيد العضو مع مقتضيات العدل ؟

السيد العضو مصطفى كامل مراد

ان هذا عدل بلا شك ، واذا كنا نعفى الاجنبى الذى يقيم فندقا من الضرائب لمدة خمس سنوات ، فهل من العدل والحكمة أن نعفى هذا الاجنبى ثم نحرم المصرى صاحب الارض ، صاحب الاقتصاد ، من هذه الميزة اذا ما أقام فندقا ؟ أرجو من السيد رئيس المجلس اقناعى بالحكمة من ذلك .

لقد خصصت لعملية التشييد ستمائة مليون جنيه فى موازنة هذا العام ، ان طاقة القطاع العام لا تستطيع استيعاب أكثر من ٣٤٠ مليون جنيه ، أى ان طاقة التشييد لدى هذا القطاع قليلة بالمقارنةلحجم استثمارات التشييد المتاحة

ومن ناحية أخرى فان القطاع الخاص لا يستطيع أن يشيد بأكثر من نصف مليون جنيه ، وفى هذا الصدد أود أن أوجه اليه الشكر اذ رفع من طاقته فى هذا المجال من مائة ألف جنيه الى نصف مليون جنيه ، ان طاقة التشييد لدينا قليلة ، وهذه احدى العقبات التى تعترضنا فى نطاق العمليات المشتركة فى الاستثمارات المشتركة . واننى عندما أقول ذلك انما أقوله من موقع خبرة ومسئولية فى هذا المجال . ان الاجانب يأتون الينا ويطلبون اقامة شركة مقاولات عندنا لبناء المحالج ، هذه المحالج التى لم نستطع بناءها عن طريق البنك الدولى ، هم يعرضون علينا احضار ماكينات أوناش تصل قيمتها الى ٣ أو ٤ ملايين جنيه من أجل مشروعات بنصف مليون جنيه ، هناك عقبة ، اذن لا بد من ازالتها ويجب ان يأخذ القطاع الخاص حقه فى تشييد المبانى بلا حدود شأنه فى ذلك شأن القطاع العام ، ثم يتم الانفتاح ما لم يكن هناك تشييد ، وما لم يكن هنا كتحسن وتوسيع للطرق وزيادة وسائل النقل ، سواء بالطائرات أو بالسكك الحديدية أو الموانى . لانه اذا لم يتم ذلك فلن نتمكن من استيراد وتصدير البضائع أو من تنفيذ سياسة الانفتاح ، ويكون الكلام فى الهواء الطلق ومجرد دعاية لا قيمة له ، لان ثلاثة أرباع الطاقة العاطلة فى الصناعة — وتقدر قيمتها بحوالى ٧٠٠ مليون جنيه — سببها أن الالات وردت الينا من الخارج بعد أن قمنا بشرائها ودفعنا ثمنها دون أن نشيد لها المبانى اللازمة ، فهى اذن طاقة معطلة ، تحتاج الى دفعة قوية للاستفادة منها .

كذلك يجب تشجيع الشركات المشتركة لاننا متخلفون جدا فى هذا المضمار ، اللهم الا شركة عثمان أحمد عثمان وبعض شركات القطاع العام ، التى لديهما آلات الرفع « الاوناش » اللازمة للتشييد ، أما القطاع الخاص فليس لديه شىء من ذلك على الاطلاق .

ان عمليات التشييد والانفتاح لن تتم الا بدعم شركات التشييد من أجل اقامة المبانى الحديثة والمبانى الجاهزة . فلم يعد فى العالم فى الوقت الحاضر من يستعمل وسائلنا البدائية « القصعة والمسطرين » فى التشييد ، فى حين أنه لو استعملنا الوسائل الحديثة التى قوامها الميكنة والالات ، لامكننا اقامة المبانى فى سبع الوقت الذى تستغرقه الوسائل التى نستخدمها الان . فندعم شركات التشييد ، اذن ورفع حد القيد على شركات القطاع الخاص — قطاع النصف مليون جنيه — يساعد فى عمليات التشييد والاسكان ، لان حجم المعروض من الاسكان اليوم قليل جدا ،والمبالغ التى ترصدها الحكومة للاسكان وقدرها ٣٧ مليون جنيه للقطاع العام و ٢٧ مليون جنيه للقطاع الخاص ، لا يمكنها اقامة سوى ٢٣ ألف وحدة سكنية فقط فى بلد تعداده ٣٧ مليون نسمة ، وبعد ٢٦ عاما سيبلغ تعداده ٧٠ مليونا وهو ضعف العدد الموجود الان ومطلوب له ٥ملايين شقة فى الـ ٢٤ عاما القادمة ، فكيف يتم بناء هذه الشقق اذن ؟ هل بالتمنيات أم بالاحلام ؟ انه لن يتم بناؤها الا بالتخطيط واقامة شركات التشييد القوية التى تستخدم الميكنة ، ومصانع لانتاج أجزاء المبانى الجاهزة وتركيبها لتلبية الطلب المتدفق على الاسكان ، لان الاسكان اليوم من أعقد المشاكل التى تواجه المصرى صاحب المرتب الصغير أو المرتب الكبير .

أنتقل بعد ذلك الى الكلام عن أمر غريب يتعلق بالعاملين فى القطاع العام الذى هو أساس وركيزة النمو والتقدم الاقتصادى فى مصر ، والذى دفع الشعب فيه خمسة آلاف مليون جنيه . فهؤلاء العاملون تخصص لهم نسبة ١٥ ٪ من أرباحهم لاستخدامها فى بناء مساكن والقيام بخدمات مركزية لهم ، و ١٠ ٪ من الارباح توزع عليهم نقدا ، ولكن لا يتم توزيعها لان الحكومة تأخذ ثلاثة أرباعها ، فاذا نظرنا الى نسبة الـ ١٥ ٪ التى يفترض اقامة خدمات مركزية واسكان للعاملين بها لوجدنا أن وزارة المالية تأخذها مثلما أخذت رسوم المحاكم . وعلى الرغم من أنه مخصص ١٥ ٪ من أرباح العاملين للاسكان ، فان الجمعيات التعاونية الاسكانية الموجودة فى أغلب الوحدات الاقتصادية التى يعملون بها ، عندما تتقدم لاخذ سلف من البنك العقارى لا يعطيها شيئا ، واذا تقدمت بعد ذلك لهيئة الاسكان بطلب سلفة فانها ترفض أيضا بحجة أنه ليست لديها اعتمادات ، واذا تقدمت بطلب سلفة من النسبة المقررة للعمال يرفض طلبها ، لان هناك قرارا من رئيس الوزراء يقضى بالحصول على السلف من البنك المركزى .

اننى أعلن أن قرار رئيس الوزراء فى هذا الشأن باطل بطلانا مطلقا لانه لا يجوز اصدار قرارات ادارية تخالف القانون الذى نص على توزيع الارباح بنسبة ١٠ ٪ نقدا و ١٥ ٪ للاسكان والخدمات المركزية ، وأقول اننى أول رئيس شركة لن ينفذ قرار رئيس الوزراء وسأقترض من الاموال المخصصة نسبة الـ ١٥ ٪ المشار اليها .

فلا بد اذن من أن نسمح لوحدات القطاع العام أن تقترض من نسبة الـ ١٥٪ المخصصة للعاملين من أجل بناء مساكن لهم سواء فى اطار الوحدة الاقتصادية ، أو فى اطار القطاع العام ، أو فى اطار المحافظة ، لان هذه المبالغ مخصصة لهم ، وكما قال شوقى بك :

ويشتكى الفقر غادينا ورائحنا

ونحن نمشى على أرض من الذهب

لانه لا يعقل أن تكون المبالغ المخصصة للعمال موجودة ، والعمال أمامنا محتاجون للمساكن ولا نستطيع ان نأخذ هذه المبالغ لصالحهم من اجل أن تأخذها وزارة المالية ، لن نرسل هذه المبالغ

لوزارة المالية ثم نعود ونقترض تلك المبالغ .

ان الحكومة لا تنظر الى هذه الاوضاع ولا تحاول أن تغيرها ، لان العمال لا يفيدون من نسبة الـ ١٥ ٪ المخصصة للخدمات المركزية والاسكان ، واضعف الايمان أن يسمح للجمعيات التعاونية التابعة للوحدات الاقتصادية فى القطاع العام أن تقترض من هذه المبالغ وتنفذ شروط الاقراض التعاونى اى تأخذ هذه المبالغ بفائدة ٢ أو ٣ ٪ وتسددها على ٣٠ أو ٤٠ سنة ، وهذا يشجع الوحدات الاقتصادية على بناء مساكن للعمال والموظفين التابعين لها .

انتقل بعد ذلك للاسكان القروى .

فاود أن أذكر أن لدينا أربع أو خمس كليات للهندسة وبكل كلية يوجد قسم عمارة وكذلك كلية الفنون الجميلة بها قسم عمارة ، ولدينا آلاف الطلبة فى اقسام العمارة فى جميع الكليات والمعاهد العليا فى جميع أنحاء الجمهورية ، ولو أن أساتذة هذه الكليات طلبوا من كل طالب وهو يعد مشروع البكالوريوس أن يختار قرية من القرى المصرية ويذهب لزيارتها ويشاهد عدد سكانها وماذا يعملون ، وكم سيصل عددهم بعدخمسين عاما ، ويدرس احتياجات هذه القرية ، ويعد مشروعه عن هذه القرية وعند تخرجه كمهندس يكون أمامه مشروع جاهز لقرية معينة درسها دراسة سليمة وبذلك نجد عندنا بعد فترة قصيرة جدا لا تتعدى ثلاث او اربع سنوات تخطيطا كاملا لكل القرى المصرية ومن يرغب فى البناء فى هذه القرى عليه أن يتبع أساس هذا التخطيط ، وبذلك نستغل الطاقات الهندسية الموجودة عندنا .

وبالنسبة للجمعيات التعاونية ، فان مشكلتها تتمثل فى صعوبة الاقتراض — كما قلنا — لان البنوك العقارية لا تقرضها لانها ليس لديها الامكانات المالية ، وهيئة الاسكان التعاونى تقرضها مبالغ محدودة تتسلمها بعد أربع أو خمس سنوات الى أن تتوافر لديها الاعتمادات بينما أن المفروض هو أن هيئة الاسكان التعاونى تقوم بالترشيد ... وكما قال الاخ عباس المصرى يجب أن يقام فى كل قسم أو مركز جمعية اسكانية تعاونية ، بالتعاون مع أعضاء مجلس الشعب وأعضاء المجالس المحلية ، وعلىالحكومة أن تمد هذه الجمعيات بالخبرات الفنية والادارية اللازمة لها ، لان ذلك سيخفض نسبة نفقات الرسومات والاشراف على التنفيذ ووضع الاساسات من ٤ ٪ الى ١ ٪ أو ½ ٪ ، ومن ناحية أخرى فهناك تكاليف أخرى يتطلبها وجود كاتب يتولى قيد المصروفات والايصالات اللازمة لاى مشروع ، فاذا ماوفرت الحكومة الخبرات الفنية والادارية اللازمة لهذه الجمعيات فان ذلك سيساعدها كثيرا فى ضبط العمليات الادارية والمالية الخاصة بها . أما الارض فيجب أن تكون رخيصة ، كما يجب أن تيسر لها القروض على آجال طويلة وبفائدة بسيطة ، وهذا كله يجعل الجمعيات التعاونية تحقق الهدف المطلوب منها فى وقت قصير .

وقبل هذا وذاك لا بد من دعم شركات التشييد ورفع الحد الاعلى للقطاعالخاص لان مبلغ نصف المليون جنيه المخصص له لا يبنى عمارة صغيرة ، وبالتالى لا بد من رفع هذا الحد بلا قيود من أجل أن ينطلق هذا القطاع ، مما يشجع حضور شركات أجنبية من أجل انشاء شركات مقاولا تمشتركة لبناء مساكن ومصانع وطرق بالطريقة الحديثة التى نعرفها جميعا ولا سيما السيد وزير الاسكان .

كل هذا ملامح عامة لسياسة الاسكان فى مصر . ولكن الذى أود أن أقوله هو أن المهندسين عندنا يجدون صعوبة وأنا لا أقول ذلك من فراغ ، بل أقول لاننى كنت رئيس مؤسسة القطن وكان لدينا مشروع تطوير محالج بمبلغ ٥٠ مليونا من الجنيهات فى العشر السنوات القادمة ، وعندما كنا نبحث عن مهندس ليعمل معنا لا نجد من يقبل ذلك ، مما يضطرنا الى الاستعانة به عن طريق الاعارة فى مقابل ٣٠ ٪ زيادة عن أجره ليعمل فى محالج الريف ، ومع ذلك كان يرفض ، فاذا ما ضغط عليه كانيستقيل اذ أن هذا أمر غير مقبول لان أجور المهندسين لا تشجعهم على أن يعملوا معنا . ومن ثم فلابد اذن من ايجاد حل لذلك . بأن تخصص لهم ١٪ أو ½٪ على المبانى أو أن ننشىء لهم صندوقا للحوافز أو شيئا منهذا القبيل، لان المهندسين غير راغبين فى العمل فى مصر ويفضلون العمل فى الدول العربية.

فمن ذا الذى سيشرف على عمليات الاسكان فى مصر ؟ ان المهندسين لا يقبلون العمل هنا لان الاجور لا تكفيهم ولا يستطيعون أن يعيشوا بها .واضرب لحضراتكم مثلا فى هذا الشأن مهندس يبلغ راتبه ٣٥ جنيها ومتزوج ويسكن فى شقة من ثلاث حجرات بثلاثين جنيها، من أين يأكل !! هل يأكل طوبا ؟ ان هذا ليس بالمعقول ، لانه لا يوجد تناسب بين الاجور وتكاليف المعيشة ، ولابد من زيادة الانتاج لكى نتخطى هذه العقبات، كما يجب تشجيع الناس على البناء بأن نرفع نسبة الـ ٨٪ الى ١٠٪ ، أى لابد من اتخاذ اجراءات عملية لا من أجل أن نخلق طبقة رأسمالية بل من أجل الاكثار من اقامة المساكن حتى يجد كل مواطن سكنا له . واشكركم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(تصفيق)

رأى أحد ممثلى تنظيم مصر العربى الاشتراكى

السيد العضو صلاح الطاروطى :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المهندس رئيس المجلس ، الاخوة الاعضاء :

ان مشكلة الاسكان بدأت منذ تدخل المشرع أكثر من مرة فى تحديد العلاقة بين المالك والمستأجر تارة بتخفيضالقيمة الايجارية دون مقتض ، وتارة أخرى بالحد من حقوق المالك فى ملكه ، فضلا عن أن الحكم فى ذلك الوقت لم يكن يريد للشركاتأو للقطاع الخاصالاستثمار فى قطاع الاسكان ، ومع زيادة عدد السكان زاد الطلب على المساكن وقل المعروض منها ، كل ذلك أدى الى نشأة المشكلة وتفاقمها .

والواقع أن بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير تناول كل شيء ،تناول المنجزات التى تمت فى المرحلة الماضية، كما تضمن المقترحات والحلول ، ثم عرج على موضوعات طرحها للمناقشة، ورد على كثير من الاسئلة وطلبات الاحاطة التى تقدم بها السادة الاعضاء ولذلك كان البيان شاملا يستحق منا كلمة تقدير وثناء على الجهد الذى بذل ،وعلى الحلول والمقترحات الصريحةوالموضوعية للمشاكل التى يتحدث عنها كثير من قطاعات الشعب ، وتناولها الرأى العام بالتعليق .

ثم تقدمت لجنة الاسكانوالمرافقالعامة والتعمير تقريرها الذى كان على مستوى المسئولية ، فقد تناول التقريرالموضوعات التى وردت فى بيان السيد المهندسوزير الاسكان والتعمير بعلمية وموضوعية ، ولذا فهو محل تقدير .

ومع ذلك ، فلى بعض الملاحظات على بعض ما ورد فى بيان السيد وزير الاسكان والتعمير :

أولى هذه الملاحظات تتعلق بالسكك الحديدية فى منطقة القناة ، ولقد أثار الزميل كمال صقر فى جلسة أمس موضوع الخط المزمع انشاؤه بين المنصورة وبورسعيد مارا بالمنزلة ، والذى كان ضمن الخطة التى وضعها الاخ المهندس الحسينى عبد اللطيفوكيل المجلس — حينما كان وزيرا للنقل فى ذلك الوقت — وهناك خط آخر كنا قد اقترحناه فى هذا المجلس ، ونظرتهأيضا لجنة النقل والمواصلات برئاسة السيد المهندس الحسينى عبد اللطيف حينماكان

رئيسا لهذه اللجنة ، وهو الخط الحديدى الذى يربط مدينة ناوس بمدينة القنطرة شرقا وغربا مارا بالصالحية، وقد وافقت اللجنة على هذا المشروع ، كما وافقت عليه الحكومة أيضا ، لما له من أهمية استراتيجية ، فضلا عن العائد الكبير الذى سيعود على منطقة استصلاح سهل الصالحية المزمع استصلاحه وتقدر مساحته بـ ٣١١ ألف فدان الا اننى لم أجد أى اشارة — لا من قريب ولا من بعيد — فى بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير ، ولا فى تقرير اللجنة عن هذا الخط ، ولا أدرى سببا لهذا الاغفال رغم موافقة المجلس على التقرير وموافقة الحكومة أيضا على تقرير اللجنة عن هذا الموضوع .

انتقل بعد ذلك الى الحديث عن صندوق تمويل الاسكان الشعبى والاقتصادى ، والحق أن هذا الصندوق مهم لانه سيسهم فى حل أزمة الاسكان الاقتصادى والشعبى . وقد ورد فى بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير ، ان لجنة الاسكان قامت بدراسة هذا المشروع وهى بصدد عرض تقريرها عنه على المجلس . والواقع أن مشروع قانون انشاء هذا الصندوق ، وكذلك مشروعات القوانين الاخرى التى أشار اليها بيان السيد الوزير وتقرير اللجنة ، لم يعرض أى منها على المجلس حتى الآن . رغم قرب انتهاء دور الانعقاد العادى الحالى، وأهمية هذه المشروعات وحيويتها، وبهذه المناسبة اقترح أن يضاف الى موارد هذا الصندوق حصيلة الضريبة التى اقترحت اللجنة فى تقريرها ، فرضها بنسبة ١٠٠٪ ، ٥٠٪ على الشقق المفروشة ، خاصة وأن تقرير اللجنة لم يبين أوجه صرف هذه الحصيلة .

لقد أعلنت الحكومة فى بيانها أمام المجلس فى جلسة ١٨ مارس سنة ١٩٧٥ أن وزارة الاسكان والتعمير ، ستعمل على توفير مواد البناء على اختلاف أنواعها حتى تطفر الاسكان طفرة كبرى دون سوق سوداء لهذه المواد . هذا ما قررته الحكومة فى بيانها ، الا أنه حتى الآن مازالت مواد البناء وخاصة الاسمنت تمثل مشكلة خطيرة وحيوية، فالعجز فى هذه المواد مازال قائما وتزداد حدته يوما بعد يوم ، وأسعارها فى السوق السوداء ترتفع يوما بعد يوم ، ولا أدرى متى سنحل هذه المشكلة .

اننا جميعا نعلم ان مشكلة الاسكان يرجع سببها الرئيسى الى عدم توافر مواد البناء ، فمتى سنوفر هذه المواد حتى نستطيع أن نسهم فى حل هذه المشكلة ؟ أرجو أن تفى الحكومة بالوعد الذى قطعته على نفسها ، حتى يمكن لهذا القطاع أن ينطلق ، فالسوق السوداء فى مواد البناء وبخاصة فى الاسمنت — كما سبق أن ذكرت — مازالت قائمة ، ولقد أقر التقرير ذلك وورد به ما يؤيد هذا القول .

لقد أشار بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير الى ظاهرة تمليك المساكن بأسعار مرتفعة ، وبشروط فيها مغالاة، استغلالا للحاجة الملحة للمساكن، وتهربا من القواعد المنظمة للايجارات ، كما تضمن بيان السيد الوزير بعض المقترحات للحد من اجراءات تقدير وتحديد أثمان المبانى والاراضى الفضاء، وأوضح أن هناك مشروعات قوانين فى هذا ستعرض على المجلس ، ولكن حتى الان لم تصل هذه المشروعات الى المجلس ، واننى أرى أن بعض هذه الحلول غير عملية ، ويمكن التحايل عليها اذا ما حددنا أو تدخلنا فى تحديد أثمان الاراضى أو أثمان العقارات . ولا أدل على ذلك من ظاهرة تقاضى « خلو الرجل » المحرمة قانونا ، فحتى الان مازال التحايل عليها ممكنا وأصبحت ظاهرة عامة ومنتشرة . واذا ما تدخلنا فان ذلك سيؤدى الى الحد من الاقبال على عمليات البناء ، والحل فى رأيى يتوقف على العرض والطلب ، فلابد من توفير الاراضى الصالحة للبناء ، ولا بد أيضا من توفير مواد البناء ، ورأس المال بطبعه جبان لا يقدم على استثمارات فيها قيود أو تعقيدات . فهدف رأس المال الاول والاخير هو الربح ، وفى ضوء هذا المفهوم يجب علينا علاج هذه المشكلة بموضوعية .

لقد قيل ان من أسباب ارتفاع أثمان اراضى البناء هو اقبال عدد كبير من غير المصريين على تملك هذه الاراضى ، مما نتج عنه ارتفاع أثمانها شيئا فشيئا ، فى الوقت الذى تقلصت فيه ملكية المصريين . ان بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير جاء خلوا من أية بيانات احصائية عن مساحات الاراضى التى يتملكها غير المصريين ، وعن عدد الشقق التى يتملكونها ، أما أن يساق الكلام على عواهنه هكذا دون ما تحديد أو ضابط — فى الوقت الذى أقر فيه المجلس مشروع مواد قانون بحظر تملك غير المصريين للاراضى ، ولو أنه لم ينته من اقراره بعد ، ولذا فاننى أرى أنه لابد أن تكون البيانات مدعمة باحصاءات تتضمن كل المعلومات التى يستطيع الانسان من خلالها تكوين رأى صحيح عندما يتصدى لهذا الموضوع .

لقد تضمن بيان السيد وزير الاسكان أن الحكومة أعدت مشروع قانون بتعديل بعض أحكام قانون ايجار المساكن ، متضمنا أحكاما تقضى بجواز هدم الاماكن غير السكنية لاعادة بنائها كمساكن يستفيد منها أكبر عدد من المواطنين ، كما تضمن حلا لمشكلة تزايد استهلاك المياه ، الى جانب بعض الحلول لمشاكل أخرى ، وأن هذا المشروع بقانون قد أحيل الى مجلس الشعب فى نهاية دور انعقاده العادى الماضى وهو معروض الان على لجنة الاسكان والمرافق العامة والتعمير بالمجلس لتتولى دراسته تمهيدا لعرضه على المجلس ، ومدى علمى أن هذا المشروع بقانون لم يصل الى المجلس بعد .

كما أن موضوع هدم المساكن القائمة لاعادة استغلال الاراضى المقامة عليها فى بناء عدد أكبر من المساكن تناولته بالحديث ثلاث أو أربع حكومات متعاقبة، تحدثت عن الاراضى المقام عليها جراجات أو محال كما تحدثت عن الاماكن المهجورة « الخرابات » فى وسط محافظة القاهرة والمحافظات الاخرى ، وأن الحاجة شديدة الى استغلال هذه المواقع الهامة ولا سيما بعد الاخذ بسياسة الانفتاح ، وحتى الان لم تتقدم الحكومة بمشروع القانون الذى ينظم هذه الامور .

أما عن مياه الشرب ، فمن المعلوم لنا جميعا اننا منذ عدة سنوات نتحدث عن الفاقد منها ، الذى تصل نسبته الى ٤٠٪ سواء فى دور الحكومة أو القطاع الخاص كما أشار الى ذلك بيان السيد الوزير أو تقرير لجنة الاسكان والمرافق العامة والتعمير — على ما أعتقد — واقترح آنذاك خصم نسبة ٥ ٪ من قيمة الايجار اذا كان عبء استهلاك المياه يقع على عاتق المالك ، واننى أرى أن تخفض هذه النسبة الى ٢½٪ فقط حيث أن متوسط استهلاك الشقة للمياه لا يتجاوز ٥٠٠ مليم ، فلو أن شقة ايجارها عشرون جنيها مثلا ، فان نسبة الـ ٢½٪ تمثل ٥٠٠ مليم تخصم من القيمة الايجارية مقابل تحمل المستأجر لقيمة استهلاكه من المياه ، حتى يكون ذلك بمثابة ضابط لاستهلاك المستأجرين للمياه .

وأما ماورد فى بيان السيد الوزير من أن الحد الادنى الذى يخصم من القيمة الايجارية مقابل تحمل المستأجر بقيمة ما يستهلكه من مياه يجب الا يقل عن ٢٠٠ مليم فاننى أوافق عليه ، وكل ما أرجوه هو أن ينظر مشروع القانون الخاص بتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر على وجه السرعة حتى تستقر أمور كثيرة .

لقد أثيرت أثناء المناقشة ظاهرة

الشقق المفروشة ، والواقع أن هـذه الظاهرة دارت حولها مناقشات كثيرة ، ولقد ورد ببيان السـيد المهندس وزير الاسـكان والتعمير أن الـوزارة على استعداد لمناقشة هذه الظاهرة مـع مجلس الشعب ، كما تضمن تقرير اللجنة بعض المقترحات فى هذا الشـأن . والواقع اننا الان لا نستطيع أن نحد من ظاهرة الشقق المفروشة نظرا لظروف الانفتاح الاقتصادى والاقبال السـياحى على البلد ، ولكن طالما اننا نعيش فى مجتمع اشتراكى فلابد من تذويب الفوارق بين الطبقات والتقريب بين الدخول ، ولو اننا نظرنا الى الواقع لوجدنا أن المستأجر أحسن حالا من المالك ، لذا فان المالك يتمنى اليوم أن يتنازل عن سند ملكيته للمستأجر مقابل أن يتنازل المستأجر عن عقد ايجاره للمالك ، لماذا ؟ لاننا لو أخذنا كمثال شقة فى أحد الاحياء الراقية « كجاردن سيتى » أو « الزمالك» وغيرهما ايجارها ٢٠ جنيها ، نجد أن المستأجر يقوم بتأجيرها مفروشة بحوالى الف جنيه تقريبا ، يدفع للمالك ٧٠٪ من قيمتها الايجارية طبقا لـما نص عليه القانون ، وبذلك فان القيمة الايجارية تزيد الى ٣٤ جنيها ، فى الوقت الذى يحصل فيه المستأجر على الف جنيـه تقريبا . فهل هذه هى الاشتراكية ؟ وهل هذا هو تذويب الفوارق بين الطبقات ؟ وهل هـذا هـو التقريب بين الدخول ؟ اننى أقول لا . فالمستأجر يتاجر اليوم بملك الغير ولذلك فان فرض ضريبـة مقدارها ٢٠٠ ٪ على المبـانى التى أقيمت قبل عام ١٩٦٠ ، و ١٠٠٪ على المبانى التى أقيمت بعد عـام ١٩٦٠ الى ما اقترحته اللجنة من فرض ضريبة ١٠٠٪ ، ٥٠٪ على الشقق المفروشة ، تعتبر متواضعة جدا ، ولهذا فاننى اقترح رفع نسبة الضريبة التى مقدارها ٢٠٠٪ الى ٥٠٠٪ ، ومع ذلك لن يؤدى هذا الى اذابة الفوارق بين المـالك والمستأجر ، ذلك لان رفع نسبة الضريبة الى ٥٠٠٪ من القيمة الايجارية التى مقدارها ٢٠ جنيها سيصل الى ١٠٠ جنيه فى حين أن المستأجر يحصل على ألف جنيه ، وهذا كما سبق أن أوضحت لن يقرب الفوارق فى الدخول بينهما حتى ولو أضفنا ذلك الى نسبة الـ ١٠٠٪ أو ٥٠٪ التى اقترحتها اللجنـة فى تقريرها ، وهذا يمثل الحد الادنى .

ولذا فاننى أرجو الموافقة على رفع نسبة الـ ٢٠٠٪ ، ١٠٠٪ المفروضة على الشقق المفروشة الى ٥٠٠٪ و ٤٠٠٪ على أن تئول حصيلة هذه الضريبة الى صندوق الاسكان الشعبى والاقتصادى المقترح كى يسهم فى حل مشكلة الاسكان الشعبى والاقتصادى .

لقد كان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير جريئا عندما تعرض فى بيانه لحق المالك فى اخلاء المستأجر للضرورة القصوى ، والحقيقة أن السيد وزير الاسكان فى بيانه لم يدل برأى فى هذه المشكلة ، وانما طرحها ، مشكورا ، على المجلس كى يدلى برأيه فيها ، وأرى أن يكون من حق المالك اخلاء المستأجر فى حالة الضرورة القصوى . ويجب علينا عند مناقشتنا لهذا الموضوع أن نناقشه بموضوعية وبهدوء . فاليوم نجد كثيرا من المستأجرين يتركون شققهم ويقومون بتأجيرها مفروشة ، بعد أن يؤجروا شققا أخرى يسكنون فيها ، لانهم حينما يقومون بتأجير شققهم مفروشـة ،

بيان موجز حول مشكلة الاسكان فى مصر من تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

فيما يلى البيان الذى اصدره التجمع عن مشكلة الاسـكان وتم ايداعه فى امانة مجلس الشعب :

يدور الان حوار واسع داخل مجلس الشعب وخارجه حول الحلول الممكنة لحل المشكلة الضخمة التى تواجه الشعب المصرى فيما يتعلق بالاسكان فى المدن . وتدعيما لمبـدأ تعدد الاراء للمنابر المختلفة للتحالف ، فقد رأت السكرتارية المؤقتة للتجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ان تقدم فى عجالة موجزة الاطار العام لفكر التجمع فى حل هذه المشكلة التى تعقدت وتأزمت بشكل متفجر لم يسبق له مثيل فى بلادنا منذ الحرب العالمية الثانية .

اننا نتابع كجزء من الشعب المصرى البيانات والتصريحات التى يصدرها السيد المهنـدس وزير الاسكان والتعمير ، والوعود التى اعطت الامل للشعب خصوصـا بعد أن زودته الحكومة بسلطات وصلاحيات استثنائية تحرره من كل القيود المالية والاجراءات ، فضلا عن ان وزارة التعمير قد استوعبت جزءا ضخما مما حصلت عليه مصر من قروض واعانات .

وقد اصيب جمهور الشعب ـ بعد مضى ما يقارب العامين والنصف بخيبة امل ضخمة اذ ان الحـالة قد ازدادت سوءا كالاتى :

اولا : حتى عام ١٩٧٣ كان الحصول على المسكن ممكنا اما بدفع مقدم معقول او خلو بسيط فاذ بالمشكلة تتعقد ويصبح الحصول على مسكن ضربا من المستحيل الا لمن يحمل فى جيبه آلافا من الجنيهات .

ثانيا : ان العقبة الكأداء امام الشباب الان هى عدم وجود السكن كبداية طبيعية لتكوين الاسرة الجديدة بطريقة شرعية تتفق مع تقاليد بلادنا واخلاقياتها ، فالعديد من الزيجات تتعثر او تتجمد سنوات بسبب عدم وجود المبالغ المغالى فيها والتى يفرضها على السوق بعض كبار الملاك المستغلين .

ثالثا : الارتفاع الرهيب فى اسعار الاراضى وتكلفة المبانى ترتب عليه زيادة ضخمة فى ايجارات المساكن مما اخل بالتوازن المعقول بين نسبة الايجار الى الدخل للطبقات الكادحة فى وقت يشكو فيه الناس من ارتفاع الاسعار عموما .

رابعا : ظهرت طبقة جديدة من المضاربين فى شراء وبيع الاراضى ومجموعات رأسمالية قناصـة من تجـار الشقق والمنتفعين من ازمة المساكن ، اثرت بشكل بشـع واصبحت المصدر الرئيسى لمتاعب « السلام الاجتماعى » وهذه الطبقة بالذات هى التى تولد لدى الجماهير الاحساس بان « حتميـة الحل الاشتراكى » ليس ممارسا فى مجال الاسكان .

فان هذا يدر عليهم عائدا كبيرا ، وما يقوم به هؤلاء المساجرون يؤدى الى حجب هذه الشقق عن الاخرين الذين هم فى مسيس الحاجة اليها ، وانى اتساءل هل هؤلاء المستأجرون يستحقون هــذه الحماية لا اعتقد أن السادة الاعضاء لا يوافقون على ذلك ..

فاذا كان الملك فى حاجة الى شقة فى عمارته ، يؤجرها المستأجر مفروشة، كى يزوج فيها احد ابنائه فانه يكون من حق المالك فى هذه الحالة أن يخلى المستأجر لهذه الضرورة ، طالما أن المستأجر قد اجرها مفروشة للغير بقصد الربح وبقصد الاستغلال ، ولانه عندئذ يكون قد خرج عن الغرض الاصلى الذى استأجر من أجله هذه الشقة وهو السكنى فيها .

واخيرا فان مشكلة الاسكان فى حاجة الى مناقشات طويلة وآراء كثيرة وقد عرضت على حضراتكم فى عجالة آرائى فى حل هذه المشكلة ، وشكرا .

رأى التنظيم الوطنى التقدمى الوحدوى
السيد العضو أبو سيف يوسف أبو سيف

الســـيد المهندس رئيس المجلس ، السادة الزملاء الافاضل اعضاء المجلس

قبل أن أبدأ حديثى اود ان أوجــه الشكر الى السيد المهندس رئيس المجلس على التهنئة التى تقدم بها الى المواطنين المسيحيين بمناسبة بدء الاعياد المسيحية. وانني اتقدم بهذا الشكر باسم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، ولاشك أن الوحدة الوطنية القائمة فى بلادنا هى ثمرة الحضارة العظيمة والعريقة لهذا الشعب ، وسوف تكون هــذه الوحدة دائما وحدة قوية لا تنال منها الاحداث .

انتقل فى حديثى بعد ذلك الى قضية الاسكان وأبدأ بأن أنضم الى جميع الزملاء الافاضل الذين قدموا الشكر الى لجنة الاسكان على الجهد المستنير الذى بذلته فى دراسة هذه القضية ، والذى وضح . فى تقريرها . اختلف مــع اللجنة فى بعض القضايا التى عالجتها أو فى بعض النتائج التى توصلت اليها، ولكن هذا لا يقلل أبدا من تقديرنا للجهد المبذول فى دراسة هذه المشكلة .

ان القضية التى نحن بصددها تمثل كما ذكر بعض الزملاء ، أزمة عامــة وعالمية ، ولكن مظاهر هذه الازمة تختلف من بلد الى بلد طبقا للنظام السياسى والاجتماعى السائد فيها ، كما أن الحلول التى يمكن الوصول اليها تختلف بطبيعتها أيضا باختلاف النظم السياسية والاجتماعية السائدة فى تلك البلاد . ولو اننا نحينا جانبا البلاد الاشتراكية والبلاد الرأسمالية المتقدمة ، لوجدنا أن هذه الازمة تتسم بسمات أو بمظاهر حادة للغاية فى البلاد النامية ، ويرجع هذا الى أن البلاد النامية ترتكز على أساس اقتصــــادى ضعيف أى أنها مازالت متخلفة اقتصاديا ولكن مع ذلك فان البلاد النامية التى يوجد فيها اقتصاد مخطط ومركزى تصل فى العادة الى حلول أفضل واسرع من البلاد التى لا يقوم فيها الاقتصــاد على أسس مخططة . وأيا كانت الخلافات بالنسبة لحل أزمة الاسكان فان الرأى العام العالمى ، سواء فى البــــلاد الاشتراكية أو فى البلاد الرأسماليـــــة المتقدمة ، قد وصل الى مفاهيم مستنيرة ومتقدمة فى موضوع حل أزمة الاسكان، وقد توصلت هيئة الامم المتحـــــدة فى لجانها الاقتصادية والاجتماعيـــــة الى

من اجل كل ذلك فقد اصبح الانتظار على هذه الاوضاع امرا غير محتمل ولا مقبول اذ ان السياسة التى تنتهجها وزارة الاســــكان والتعمير قد اثبتت فشلها فتفاقمت الازمة فى كل انحاء مصر واضطر بعض المواطنين لسكنى المقابر والعشش بطريقة لا انسانية بينما استغلت ما منحته الدولة من سلطات وموارد فى توافر العمارات العالية والمساكن للاثرياء وظهور طبقات جديدة من المقــاولين وتجار عمــــارات التمليك والتى اصبحت استثمارا يعطى ارباحا خرافية لا يوجد لها مثيــل فى اى بلد رأسمالى فى العالم الان . وقد وعد البيان الاول للوزارة فى ١٨ مارس ١٩٧٥ بانه : « قد تم اعداد مشروع قانون ينظم قواعد تحديد اثمان بيع الشقق » ولكن شيئا من ذلك لم يتم .

ولكى لا يقتصر دور التجمع على النقد وابراز الام الجماهير فان السكرتارية المؤقتة تضع امام الحكومة ومجلس الشعب وأمام فئات التحالف الخطوط العامة العريضة فيما يلى لتكون موضع حوار سيجمعها التجمع ليقدمها تفصيلا فى دراسة فى المستقبل :

اولا : ايقاف الارتفاع الجنونى فى اسعار اراضى البنــاء بوسائل عديدة منها :

(أ) تحديد اسعار ثابتة للاراضى وفق الاسعار السائدة فى اكتوبر ١٩٧٣ وعلى ان يكون تحديد الايجارات للمساكن وفق القانون ٤٦ لعام ١٩٦٢ وحسب هذه الاسعار اذ سيؤدى ذلك حتما الى ايقاف موجة الارتفاع والاتجاه الى النزول وسيتبع ذلك تجميد الاتجاه التصاعدى للايجارات .

(ب) توفير اراضى جديدة للبناء ومدها بالمرافق مع دراسة الابقاء على ملكية الارض لشركات الاسكان المملوكة للحكومة مع اعطاء راس المال الوطنى او الجمعيات التعاونية حق الانتفاع بالارض لاجل محدود مثل خمسين سنة بشرط الالتزام بالبناء فى بحر فترة معينة من اتمام المرافق ومن المفضــــل البدء بالمناطق الصحراوية محافظة على الثروة الزراعية من الارض.

وجدير بالذكر ، ان هــذا المبدأ معمول به فى اغلب دول اوروبا الغربية كما نذكر الحكومة بانها لم تبدأ فيما ذكرته فى بيان وزير الاسكان فى ١٩٧٥/٣/١٨ من ان شركات الاسكان ستبدأ فى مد المرافق اللازمة لمســـاحات كبيرة من الاراضى المتوفرة حاليا والتى تبلغ نحو ٣٠ الف فدان بمناطق القــاهرة الكبرى والاسكندرية .. ولو كانت الوزارة جادة وبدأت منذ ذلك الوقت لكان هذا المسطح قادرا على استيعاب نحو مليون وحدة سكنية ، وما كانت اسعار المبانى قد قفزت والطبقات الثرية قد اتخمت .

(ج) الترحيب بالاتجاه الحالى للحــــكومة ومجلس الشعب والذى ينادى بفرض ضريبة تصاعدية على الفرق بين ثمن الارض الوارد فى عقود الشراء القديمة وبين عقود البيع حاليا اذ ان هذه الزيادة لم تكن ثمرة جهد المالك .

(د) وعد بيان وزير الاسكان فى ١٩٧٥/٣/١٨ بانه « اعد مشروع قانون بفرض ضريبة على اراضى البناء الفضاء » وللان لم يتم شىء من ذلك .

(هـ) مراقبة تطبيق القانون الذى صدر اخيرا بقصر حق ملكية الارض على المصريين مع عدم التوسع فى استغلال الاستثناءات التى تبيح للاجانب التملك من الباب الخلفى علما باننا كنا نود ان لا تكون مملوكة الا للمصريين دون اى استثناء اطلاقا .

ثانيا : وضع خطة اسكان تعطى افضلية السكنى لمحدودى الدخل اولا ثم للطبقات والفئات الاكثر دخلا بعد ذلك ومن هذا المنطلق يمكن تقديم تصور مبدئى كالاتى :

١ ــ ايقاف تراخيص المساكن التى تزيد عن خمس غــرف وصالة او التى يزيد مسطحها عن مائتى متر مربع .

معاهدات تؤكد أن المسكن حق أساسى من حقوق الانسان ، تماما كحقه فى التعليم وحقه فى حماية صحته وحقه فى العمل وكلنا نعلم أن السيد الرئيس محمد أنور السادات قد أكد أيضا على هذه المعانى فيمـــا يتعلق بحق المواطن فى المسكن ، وأضيف الى ذلك نقطتين :

الاولى : هى ما أوضحته اللجنة فى تقريرها من أن المسكن عنصر أساسى من العناصر التى تتكون منها قوة العمل ، كما أنه عنصر هام فى تحديد قدرة العمل وفى المساعدة على رفع مستوى الانتاج والثانية : هى أن المسكن هو الخليـــة العائلية التى تؤثر سلبا وايجابا فى سلامة وصحة العلاقات العائلية . ومن هنا يعتبر المسكن دائما أساسا من أسس وجود روابط اسرية سليمة . وترتيبا على ما تقدم سوف أحاول أن أعرض لمظاهر أزمة الاســكان فى مصر ، ومن تلك المظاهر ما لا أحب الاطناب فى الحديث عنه اذ تضمنته مذكرة وضعها التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى . وحتى لا أطيل على حضراتكم فى الحديث فاننى استأذن السيد رئيس المجلس فى أن أودع مضبطة الجلسة تلك المذكرة ، وفى نفس الوقت سوف أحاول أن الخص خطوطها العامة .

ان ظواهر الاسكان فى مصر كثيرة . وأولى هذه الظواهر هى عجز الطبقات المتوسطة عن الحصول على مسكن ملائم ، وحتى سنة ١٩٧٣ كان يمكن للانسان أن يدفع مقدما أو خلوا معقولا ، ولكن ذلك أصبح مستحيلا الان وقد أوضح السيد العضو مصطفى كامل مراد ذلك فى كلمته فى جلسة الامس .

أما الظاهرة الثانية للازمة فهى ارتفاع الايجارات ارتفاعا فاحشا حيث أن النسبة بين قيمة الايجارات وبين دخل الفرد قد اختلت بالكامل ، واذا كان هذا هو الامر بالنسبة للطبقات المتوسطة فلنا أن نتصور كيف يكون الحال فى صفوف الطبقـــات العاملة والكادحة ؟ ان لدى احصائية صادرة عن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصـــاء تبين أن ٥٠٪ من الاسر القاطنة فى المدن يقل دخلها عن ٥٠ جنيها فى الشهر .

أما الظاهرة الثالثة فانها ظاهرة سوف تعانى منها المدن الكبيرة وخاصة مدينة القاهرة خلال السنوات القريبة جدا ، وتتمثل فى أن نسبة الذين يهاجرون الى المدينة سنويا تقدر بـ ٦ ٪ وذلك حسب احصاء عام لهيئة الامم المتحدة . كما أن هيئة الامم المتحدة تقدر الزيادة فى الاحياء الفقيرة أو العزب المبنيـــة من الصفيح بنسبة ١٢٪ سنويا ، ومالم توضع حلول سريعة لحل مشكلة الاسكان فسوف تواجه القاهرة وسوف تواجـــه مدن القطر الاخرى ظواهر سكانيـــــة واقتصادية خطيرة جدا ، بل وسوف تواجه ظواهر تتعلق بالامن نفسه .

وأنتقل الان الى الحديث عن خلافاتنا مع السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير .. ان مشـــكلة الاســـكان قد بلغت من الحدة والخطورة بحيث لا تتحمل المزايدات

وأعتقد ان تنظيمى الاحرار الاشـــتراكيين والتجمع الوطنى التقدمى يمكنهما — على الرغم من اختلافهمـــا بالنســـبة للحلول والوسائل — ان يقدما تصـــورا متكاملا لحل هذه المشكلة ، ولابد ان يكون هذا التصور بالضرورة تصورا واقعيا .

٢ — توزع مواد البناء الرئيسية والتراخيص للقطاع العام والخاص وفق نسب تتفق مع مطالب غالبية الشعب وفى الحدود الاتية :

٢٠ ٪ لوحدات سكنية ذات غرفة واحدة وصالة معيشة والمنافع.
٤٠ ٪ لوحدات سكنية ذات غرفتين وصالة معيشة والمنافع.
٢٥ ٪ لوحدات سكنية ذات ٣ غرف وصالة والمنافع .
١٥ ٪ لوحدات سكنية ذات ٤ غرف وصالة والمنافع .

٣ — اعطاء الافضلية للجمعيات التعاونية للاسكان والتوسع فيها الى اقصى حـــد للرد على استغلال بعض الملاك ثم خطط مساكن متكاملة مع المصانع والتجمعـــــات الانتاجية وتخفيفا لمشاكل الاسكان .

٤ — الاعتراض بشدة على سياسة وزارة الاسكان المقدمة فى بيانها الثانى فى فبراير ١٩٧٦ والذى ينص على أن يطلق القطاع الخاص انشاء المساكن فوق المتوسطة متحررا من كافة القيود خاصة تحديد الايجار بمعرفة اللجـــان اذ أن مصطلح « الاسكان فوق المتوسط » هو التعبير المهذب الذى يطلقه ملاك عمارات التمليك على اعلى المســـــتويات ومن خلاله يمتصون الوافر من مواد البناء ليبنون ويثرون بينما ان وزير الاسكان قد اعلن :

« ان عقيدتى فى مجال حل ازمة الاسكان حلا جذريا تقوم على اساس ان جهود الدولة والقطاع العام يلزم ان تنصرف اساسا الى الاسكان الاقتصادى » .

اى باختصار شديد على الحكومة ان تقنع بالعظم لكى ينعم القطاع الخاص باللحم المشفى دون رقابة من الحكومة .

وها نحن نرى النتيجة التى وصلنا اليها طبقا لهذا المنهج فى التفكير . ولذلك فان الغاء لجان الايجــــارات هو المدخل الطبيعى لان تنحصر المبانى والمساكن للاغنيـــــاء اولا — حتى يشبعوا وعندئذ سيحصل محدودو الدخل على كفايتهم يوما ما ، وهو يوم — على هذا النحو — بعيد .

ثالثا : حسن استخدام الوحدات السكنية القائمة حاليـا وتشجيع الملاك على صيانتها بزيادة دخلهم من العمارات طبقا لما يقومون به من اصلاحات بالاتفاق مع السكان . مع منـــع استغلال كل من سكان والملاك للوحدات السكنية القائمـــة عن طريق الاتى :

١ — تسجيل جميع عقود الايجارات لدى الهيئات الحكومية طبقا لنماذج مدروسة ومعدة لذلك بهدف منع استخدام اسرة واحدة لاكثر من وحدة سكنية واحدة .

٢ — حصر جميع الشقق المفروشة وتسجيلها واصـــدار وتطبيق التشريعات القائمة والتى تنص على عدم السماح الا بشقة مفروشة واحدة مع سداد الضرائب .

٣ — توفير اماكن آمنة لتخزين منقولات الاسر التى تعمـــل بالدول العربية او غيرها وبحيث لا يسمح بقفل مسكن لمدة تزيد عن العامين على ان تعطى لهم شققهم او غيرها عند عودتهم .

٤ — أما بالنسبة للمساكن القديمة وبالذات تلك التى بنيت قبل عام ١٩٤٤ والتى تخضع للقانون ١٢١ لعام ١٩٤٧ اذ انها حاليا تترك لتهلك وتنهار فلابد من تدبير موارد لامكان صيانتها والمحافظة عليها ولحين توافر مساكن جديدة وتخفيف حـــدة الازمة .

خاتمـــــة :

هذه مجرد خطـــوط عريضة تحتـــــاج الى مزيد ومزيد من التفاصيل اذ ان مشكلة الاسكان اصبحت من المشاكل المزمنـــة التى تقلق عديدا من اسر الشعب المصرى ولابد من رسم طريق اشتراكى لها من الان — يتفق مع مبادىء التحالف ومحافظـــة على السلام الاجتماعى ونقيضا مع السياسة الحاليـــة للوزارة والتى اوهمت الراى العام المصرى بانهـــا قادرة على حـــل المشكلة عن طريق القطاع الخاص فكانت النتيجة هى ثراء طائفة من الرأسمالية الطفيلية استغلت الازمة وتعيش على تفاقمها ولا نرى سبيلا الى حلها الا فى أن نبدأ فورا فى الطريق الاشتراكى . □

ان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير لم يخترع بطبيعة الحال ، أو لم يوجد بشخصه ، أزمة الاسكان ، اذ ان هذه الازمة تمتد الى سنوات طويلة مضت ولكن يجب ان نضيف الى ذلك ان السياسة الاسكانية كما طرحها السيد الوزير تزيد من حدة هذه المشكلة ، وهذا ما سوف أحاول شرحه فيما يلى :

ان ازمة الاسكان لا يمكن البدء فى حلها الا من خلال وضع خطة قومية شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .. ومن المعروفبطبيعة الحال ان ميزانية الاسكان تمثل جزءا ضخما من الاستثمارات الاساسية فى الدولة ، ولكن ذلك لا يعنى ان تكون هذه الميزانية مقطوعة الصلة أو مستقلة بذاتها عن القطاعات الاخرى للاقتصاد القومى ، وعن قطاعى الصناعة والزراعة بصفة خاصة . ولابد اذن من ان يطرح المسئولون عن الاسكان على انفسهم عددا من الاسئلة وأن يحاولوا الاجابة عنها قبل أن يتقدموا بأية سياسة للاسكان لقد كنا فى الفترة ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ ، نبنى بمعدل ٥ر٢ وحدة لكل ألف من السكان ، وهناك بلاد آخرى ترتفع فيها هذه النسبة الى ٧٪ ، ١٠٪ بل والى ١٣٪ . والسؤال الذىيجب ان تسأله وزارة الاسكان والتعمير لنفسها بناء على ذلك هو ما هو المعدل المستهدف فى السنوات الخمس القادمة اذا كانت هناك خطة ؟ هل يكون المعدل ٥ر٢٪ أو ٥٪ او٧٪ وعلىأىأساس يتم تحديد هذا المعدل ؟ واذا وضعنا المشكلة على هذا النحو ، فسوف نضطر الى اجراء تقييم حقيقى وواقعى لقدرات القطاعين العام والخاص ، بعيدا عن أوهام أن هذا القطاع سوف يقوم بكذا والاخر بكذا ، ثم نجد أن النتائج ليست كذلك فى التطبيق . فى هذه الحالة سوف يتم الربط كذلك بين الاسكان وسياسة التصنيع ونوع الصناعات التى نريد اقامتها لخدمة الاقتصاد القومى بما فى ذلكقضية الاسكان ذاتها ، حأن يتوسع فى صناعة الحديد والصلب . أو فى بعض الصناعات الاخرى .. الخ ، لان الاقتصاد القومى كما أوضح الزميل مصطفى كامل مراد أمس يقوم أساسا بدعم وتنمية وتنشيط قدراته الذاتية بينما تعتبر كل الاعانات أو القروض أو المساعدات مسائل فرعية ثانوية وعوامل مساعدة . وفى هذه الحالة أيضا سوف نربط سياسة الاسكان بسياسة العمالة والاجور وبنوعية المساكن التى تبنى . اننا نريد أن نحدد فى الخطة نصيب الفرد مقدرا بالامتار المربعة ، وهل هو مثلا ٦أو ٩أو ١١ مترا ؟ وهذه مسألة تحددها قدرتنا والاستثمارات المتاحة ، ولذلك لابد أن يوضع الاسكان فعلا داخل خطة قومية شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبغير هذا لايمكن ابدا مناقشة أية سياسة اسكانية واذا لم توضع سياسه الاسكان داخل خطة قومية شاملة ، فسوف يترتب على ذلك أمران : أولهما ، أن وزراء الاسكان يمكن أن يقطعوا على انفسهم تعهدات لايستطيعون الوفاء بها وهذا الامر ليس مطلوبا . وثانيهما ، أن تنشأ تصورات خاطئةلاسباب المشكلة .من هذهالتصورات مثلا مادار بالامس بين السيد المهندس الدكتور محمود القاضى ، والسيد المهندس وزير الاسكان والتعمير حول نقطة هامه هى ، هل اذا توافرت كل الاستثمارات المطلوبة يمكن تنفيذها بنسبة ١٠٠٪ أملا؟ واننى شخصيا اضم صوتى الى الدكتور محمود القاضى ، واقول انه لو توفرت الاستثمارات فلن تستطيع الوزارة أن تنفذها من الناحية العمليه . ولو افترضنا نظريا اننا وفرنا لها الاموال التى تحتاجها ولو الف مليون جنيه مثلا ، فسوف يحدث فى هذه الحالة خلل شديد فى الاقتصاد حيث نتم تنمية قطاع من الاقتصاد على حساب القطاعات الاخرى وهذا يؤدى الى اضرار شديدة جدا فى المستقبل .

النقطة الاخرى التى اختلف فيها مع الحكومة هى ضرورة وجود سياسة شعبية تقدمية تجاه اراضى البناء ، اى لابد من تحديد موقف ثابت من هذه الاراضى ، يحدد ما اذا كانت اراضى البناء سلعة تباع وتشترى ، أم انها من حق جميع الشعب لتستخدم من اجل الاسكان الشعبى ، اى من اجل اسكان الطبقات الفقيرة . وفى هذا المجال ارجو أن تسمحوا لى بأن أتلو فقرة وردت ضمن تقرير أعده مدير معهد البحوث والبناء بتاريخ١٩٧٤/٣/٢تحتبند « سياسة وحدات الاسكان فى مصر » نصها كالاتى :

« لقد اثبتت الدراسات العمرانية فى العديد من الدول الراسمالية فى اوربا ، ومن الدول التى تسير فى سياسات اشتراكية عالية مثل السويد والنرويج والدانمارك وفنلنده وانجلترا وفرنسا والمانيا الغربية ، ان اراضى البناء يجب الا تكون سلعة للاستغلال والربح بل خدمة عامة للمواطنين .

وانتهت هذه الدول منذ سنواتطويلة الى ان اراضى البناء يجب ان تبقى ملكا للدولة ، وهى المسئولة عن تجهيزها كاملة بالمرافق العامة ، والمسئولة عن توفير مبانى الخدمات العامة فى كل تجمع سكنى ، كما تقوم هذه الدول بتأجير هذه الاراضى بايجار اسمى يعادل تكاليف المرافق العامة للشبكات الداخلية فقط ، ويتم سداد هذه التكاليف على اقساط سنوية خلال مدة من ٢٥ الى ٥٠ سنة حسب ظروف كل دولة ، ويكون ايجار هذه الاراضى لمدة محدودة ٧٥ سنة ، تعود بعدها الاراضى وما عليها من مبانى الى الدولة لاعادة التعمير الشامل لها بعد انقضاء تلك السنوات » .

أن هذه السياسة يتم تطبيقها فى البلاد الاسكندنافية ، وفى السويد بشكل خاص ، حيث ان الاراضى هناك تملكها البلديات ومن يريد البناء عليه ان يقوم بتأجير قطعة من الارض للبناء عليها .

والآن اود ان اعرضبعض الاقتراحات لحل مشكلة الاسكان وهذه الاقتراحات تدور حول ثلاثة محاور هى :

المحور الاول : وقف الارتفاع الجنونى فى اسعار البناء ، وهذا يتم عن طريق تحديد اسعار ثابتة للاراضى على اساس السعر الذى كان سائدا فى سنة ١٩٧٣ ، على ان تتملك شركاتالاسكان اراضى البناء ويعطى رأس المال الوطنى حق الانتفاع بالارض لاجل محدود وليكن خمسين أو سبعين سنة ، بشرط البناء فى فترة معينة . ومن الافضل عدم البناء فى الاراضى الزراعية والانطلاق فى هذا الى الاراضى الصحراوية .

المحور الثانى : وضع خطة عملية تعطى الاولوية فى السكن لمحدودى الدخل اولا ، ثم للطبقات والفئات الاكثر قدرة والاكثر دخلا . وفى هذا نطالب بتوزيع مواد البناء الرئيسية واعطاء الراخص للقطاع العام وفق نسب تتفق مع مطالب غالبية الشعب . واننى اقترح النسب الاتية : ٢٠٪ للوحدات السكنة ذات الغرفة الواحدة ، ٤٠٪ للوحداتالسكنية ذات الغرفتين ، ٢٥٪ للوحداتالسكنية ذات الغرف الثلاثة ، ١٥٪ للوحدات السكنية المكونة من اربع غرف وصالة مع وقف تراخيص بناء الوحدات السكنية التى تزيد على خمس غرف وصالة ، أو التى يزيد مسطحها على ٢٠٠ متر مربع .

المحور الثالث ، حسن استخدام الوحدات السكنية القائمة ، وتشجيع الملك على صيانتها وفى هذا المجال فان هناك العديد من الاقتراحات التى يمكن أن نشير اليها مثل ضرورة تسجيل جميع عقود الايجارات طبقا لنماذج مدروسة تمنع استخدام الشخص الواحد أو الاسرة الواحدة لاكثر من وحدة سكنية .. وذلك لانه لابد منحصر جميع الشقق التى تنص على عدم السماح الا بشقة مفروشة واحدة مع سداد الضرائب .

هذه هى بعض الاقتراحات قدمتها حتى يمكن ان تكون اساسا لبداية صحيحة فى الطريق الطويل لحل ازمة معقدة هى أزمة الاسكان ، وشكرا . □



من الذى يحتاج الى دولة يهودية فى فلسطين ؟

● فى هذا العدد ، ننشر الفصل الثانى من البحث القيم الذى كان قد أعده فى أول يناير سنة ١٩٧٦ « ابو مازن » عضو اللجنة المركزية لحركة التحرر الوطنى الفلسطينى « فتح » .. وفيه يتعرض الباحث لتاريخية « القضية الفلسطينية » ، وكيف ان محاولات اقامة دولة يهودية فى فلسطين لا ترجع ــ فحسب ــ الى العصر الذى سيطرت فيه الامبريالية على مقدرات العالم ، وانما ترجع الى عام ٥٣٩ قبل الميلاد . وفى القسم الثانى ، من هذا الفصل ، يرصد الباحث ــ أيضا ــ نشأة وتطور « الاسطورة الصهيونية » .

وكانت الطليعة قد نشرت فى عدد مايو مقدمة هذا البحث والفصل الاول منه . وفى المقدمة ــ كما نذكر ــ حاول الكاتب ان يحدد مجال البحث ليجيب على هذا السؤال :

« من أين تستمد الصهيونية عنصريتها » ؟

وبعد ان أوضح ان هناك ثلاث فئات من اليهود تعيش فى اسرائيل ، وهى : اليهود الغربيون ، واليهود الشرقيون ، والفلسطينيون العرب ، انتقل فى الفصل الاول الى رصد مظاهر التفرقة والتمييز فى الاسكان ، وفى التزاوج ، وفى التعليم ، التى يمارسها اليهود الغربيون ضد اليهود الشرقيين فى داخل اسرائيل ذاتها .

«تكمن مأساة فلسطين الحقيقية فى موقعها الاستراتيجى الذى يجعلها نقطة الوصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ومفتاح منطقة الشرق الاوسط باسرها ومن هنا كانت تشكل عبر كل مراحل التاريخ مركز جذب شديد لكل القوى الاستعمارية فى كل المراحل وقد تعرضت فلسطين نتيجة ذلك الى الاحتلال الاجنبى المباشر مرات عديدة غير اننا لن نتطرق الى هذا الجانب من التاريخ الفلسطينى وسنقصر اهتمامنا على المحاولات التى قام بها المستعمرون لضمان مصالحهم الاستراتيجية عن طريق خلق دولة يهودية على ارضها .

كانت اول محاولة سجلها التاريخ فى هذا الاتجاه هى محاولة كوروش اقامة دولة يهودية فى فلسطين لحماية الحدود الغربية لامبراطوريته من الهجمات المصرية فاصدر قراره الشهير سنة ٥٣٩ ق مقدما له بالزعم أنه رأى الاله يهوه فى منامه فامره هذا ان يطلق اسار سبايا بابل ويسمح لهم بالعودة الى فلسطين لبناء هيكلهم ودولتهم من جديد . غير أن رده فعل السبايا كانت مفاجئة له فقد رفضوا العودة باستثناء اقلية ضئيلة من الفقراء والمعدمين واكدوا بهذا الرفض ان الحديث عن الشوق الى صهيون لا يعنى الرغبة فى العودة . وقد اجمع المؤرخون على ان دوافع كورش لاقامة هذه الدولة كانت دوافع سياسية بحتة نابعة عن مصالح الامبراطورية الفارسية وهذا ما يؤكده المؤرخ العراقى اليهودى يوسف رزق الله اذ يقول :

« ومن حدسيات المؤرخين أن كورش امطر غيث جوده على اليهود مكافاة لهم على مساندة الفرس فى فتح بابل او انه اراد ان ينشىء دولة جديدة فى فلسطين تحت سيطرته تكون حدا فاصلا بين الفرس والمصريين » .

وفى سنة ١٧٩٩ اصدر نابليون بونابرت ابان حملته على الشرق الاوسط نداء الى اليهود دعاهم فيه الى الالتحاق بقواته ووعدهم باقامة دولة لهم على ارض فلسطين كثمن لمشاركتهم فى مجهودهم الحربى ، وكان هدفه من ذلك اقامة قاعدة ارتكازية فى المنطقة المحتلة تدين له بمقومات الوجود وتحافظ على مصالحه ، وحتى ندرك كيف يسخر المستعمر المواطف اليهودية خدمة لمصالحه ، لا بد من الاشارة الى ان نابليون الذى اظهر حرصا كبيرا على قيام دولة يهودية فى فلسطين كان حريصا على محاربة اية تطلعات يهودية قومية فى بلاده ، فقد قام ١٨٠٦ بجمع وجهاء الطائفة اليهودية وانتزع منهم بيانا اكدوا فيه ان ولاءهم هولفرنسا فقط وان اليهود بالنسبة لهم هى مجرد دين لا اكثر .

ثم تجدد الاهتمام باقامة دوله يهودية فى فلسطين بعد تزايد نفوذ محمد على وبعد الحملة العسكرية الناجحة التى شنها ابنه ابراهيم باشا على الشرق وكادت ان تهدد الدولة العثمانية بالسقوط لو تدخل الغرب فى الوقت المناسب واجبار محمد على باشا على سحب جيوشه واعادتها لمصر .

اثار الخطر الذى شكله محمد على ، على مخاوف بريطانيا التى كانت ترى مصلحة فى بقاء الدولة العثمانية ضعيفة ومفككة وبدأ تفكيرها يتجه الى اقامة حاجز بشرى يفصل بين محمد على والعثمانية ، وظنت السلطات البريطانية انذاك ان اليهود بكل اشواقهم المعلنة الى صهيون سيهللون فرحا لفكرة اقامة دولة لهم فى فلسطين تحت الحماية ، غير انها اكتشفت خلاف ذلك ، فمن بين الذين فوتحوا بهذه الفكرة كان اكثرهم دبلوماسية هم الذين تلقوها ببرود وعدم اكتراث شديدين ، اما الاخرين فقد تلقوها بمعارضة شديدة بل ان احدهم استغرب المنطق البريطانى الداعى الى نقل اليهود من أوروبا حيث ينعمون بالاستقرار والازدهار والمدنية الى قطعة من صحراء قاحلة لا تملك من وسائل المدنية شيئا وتخضع فوق ذلك للحكم العثمانى المتخلف .

لم تيأس الحكومة البريطانية من ردود الفعل هذه بل على العكس ازدادت اندفاعا فى التخطيط للمشروع من جهة وانضاج الظروف اليهودية من جهة اخرى فنجحت فى فتح قنصلية فى القدس ١٨٤٢ وحصلت ١٨٤٨ على قرار باعتبارها البلد الحامى لليهود الروس الارثوذوكس المقيمين فى فلسطين ، بعد ان اقنعت روسيا بتنازلها عن حق حمايتهم وقد كان العقل المفكر لقيام الدولة اليهودية هو اللورد بالمرستون وزير خارجية بريطانيا وفيما بعد رئيس وزرائها ، فقد كتب بتاريخ ١١-٨-١٨٤٠ رسالة الى السفير البريطانى فى الاستانة جاء فيها

توجد هذه الايام بين اليهود المبعوثين فى أوروبا فكرة قومية فحواها أن الوقت قد اوشك ان يحل حتى تعود امتهم الى فلسطين ... واذا اتيح للشعب اليهودى ان يعود بموافقة وحماية السلطان العثمانى فانه سيشكل حاجزا بوجه اى مشروع شرير قد يقدم عليه محمد على او خلفه » .

وبعد اسبوع واحد من هذه الرسالة كتبت صحيفة التايمز اللندنية تقول :

« ان اقتراح تأسيس دولة للشعب اليهودى فى ارض اجداده وتحت حماية الدولة العظمى لم يعد اليوم موضوع تكهن وانما اصبح موضوع تفكير رسمى جاد » .

غير ان التوجه الذى سارت عليه حكومة بالمرستون » لم يكتب له النجاح وللاسباب التى سبقت الاشارة اليها والمتلخصة برفض اليهود للفكرة ، الامر الذى ادى الى تجميدها لفترة قصيرة . الا انه سرعان ما اعيد طرحها من جديد فى عهد دزرائيلى « فكلف السيرلورانس اوليفانت » الدبلوماسى البريطانى والنائب السابق فى البرلمان بوضع خطة جديدة للمشروع فاقترح تأسيس شركة لاستثمار الاراضى فى فلسطين بعد الحصول على ترخيص لها من الدولة العثمانية على ان تتضمن اجازة التأسيس حق الشركة فى جلب اللاجئين اليهود وتوطينهم والاشراف على ادارة شؤونهم بقدر من الاستقلال الذاتى . وقد وافق دزرائيلى على هذه الخطة التى تضمنت حلا ذكيا لمشكلة السيادة التركية على فلسطين واحالها الى وزير خارجيته اللورد « سالسبورى » ليقوم بمفاتحة السلطات التركية للحصول على موافقتها عيها . وعلى الرغم من الاغراءات المادية التى قدمت الى تركيا لاقناعها بالموافقة الا انها رفضت ذلك ولم ييأس دزرائيلى بل بدأ ذلك الفشل فى خلق تيار عام بين الدول الاوروبية الغربية لحملها على الضغط على تركيا كى توافق على الخطة واردف ذلك بطرحها على جدول اعمال المؤتمر الاوروبى الذى عقد فى برلين ١٨٧٨ وقام ايضا بمحاولة تحريك الرأى العام فى اوروبا عن طريق نشر المقالات المبشرة بقيام الدولة اليهودية غير ان تلك الجهود جميعها باءت بالفشل ايضا .

ان الدلالة الواضحة لهذه الجهود هى حرص بريطانيا الشديد على خلق كيان يهودى خدمة لمصالحها الامبريالية وليس شفقة على الانسان اليهودى وهذه النقطة لم تغب عن بال المؤرخين اليهود انفسهم اذ يقول ابا ايبان « فى معرض تعليقه على هذه الجهود ما يلى :

« ليس هناك ادنى شك ان الدوافع المحركة لدزرائيلى كانت مصلحة انكلترا اولا واخيرا »

ان كلام ابا ايبــــــان يوضــــحه بشكل لا يقبل مجالا للشك تقرير لجنــة الاستعمار الذى اطلق عليه فيما بعـد اسم تقرير « كامبل بنرمان » اذ يدل هذا التقرير دلالة واضحة وقاطعة على الدور الذى لعبه راســموا السياســة والاستراتيجية فى الدول الغربية فى خلق كيان صهيونى وهذه مقاطع من هذا التقرير .

« ان الخطر على كيان الامبراطوريات الاستعمارية كانت فى الدرجة الاولى فى هذه المنطقة « منطقة حوض البحر» الابيض المتوسط الجنوبى والشرقى » . وذلك فى تحررها وفى تثقيف شعبها وفى تطورها وتوحيد اتجاهات سكانها وفى تجميعها واتحادها حول عقيدة واحــدة وهدف واحد . فعلى كل الدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة المجزأ المتأخر وعلى ابقاء شعبها على ما هو عليه من التفكك والجهل والتأخر والتناحر » .

واوصى التقرير بشكل خاص بمحاربة جماهير هذه المنطقة ومنع ارتباطها باى نوع من انواع الارتباط الفــكرى او الروحى او التاريخى وبضرورة ايجـاد الوسائل العلمية القوية لفصل بعضـــها عن بعض ما امكن .

وكوسيلة اساسية وسريعة لدرء الخطر اوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عــن جزئها الاسيوى واقترح لذلك اقامــة حاجز بشرى قوى وغريب عن هذا الجسر البرى الذى يربط آسيا وافريقيا ويربطها معا البحر المتوسط بحيث يكون فى هذه المنطقة على مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقـــة .

وعلى ضوء هذه التوصيات ســارت سياسة الاستعمار فى الوطن العربى وعلى ضوئها تفسر ادعاءات فرنســا المضحكة فى الجزائر ومحاولات ايطاليا المخفقة فى ليبيا ، وعلى هذى هــذا المخطط رسم الاستعمار البريطانى منــذ القديم خططه لتمزيق الوطن العـــربى ومحاربة حركته الوحدوية ، وبموجبــه حدد منذ مطلع القرن العشرين موقفــه من عروبة فلسطين .

رغم كل هذه الجهود التى بذلتهــا بريطانيا والفشل الذى اصيبت به فى كل مرة ، لم تقتنع بالغاء مشروعها ، وانما دفعها الفشل لاعادة النظر فى الخطط الكفيلة بتوفير شروط النجــاح اللازمة لانجاحه ، فهداها التفكير الى ضرورة التخلى عن القيام بدور المحرك العلنى وذلك بخلق مؤسسة يهــودية موالية لها تأخذ على عاتقها مسؤولية اخراج المشروع الى حيز الوجود بعــد ان تملاءه بالمحتوى العقائدى البــراق الذى يمكن ان يجذب جماهير المضطهدين من ابناء اليهود وهو الامر الذى ادى الى ظهور الحركة الصهيونية .

ان الاساطير التى تحيط بشــخصية هرتزل جعلته بطلا تاريخيا يتمتع بكافة الخصال والمؤهلات التى يتصف بهـــا البطل الاسطورى غير ان الحقيقة التى نجحت فى الظهور الى السطح مــؤخرا تؤكد بموضوعية الــدليل العلمــى ان « هرتزل هو اغرب اختيار لمثل هــذا الدور » فحتى سنوات قليلة من انعقاد المؤتمر الصهيونى الاول ١٨٩٧ كــان هرتزل من اكبر دعـــاة الاندمـــاج فى المجتمعات الاوروبية وهــو لــم يكتف بالتبشير بهذه الفكرة فحسب وانما حاول تأسيس اندية للشبيبة لحملهم علــى اعتناق الكاثوليكية ، كما كرس كتاباته فى تلك المرحلة من تاريخ حياته لهــذا الاتجــاه .

وتحاول الاساطير الصهيونية الحديثة الاستفادة من هذا الجانب من حيـــاة هرتزل لاقامة الدليل على اســـتحالة اندماج اليهود مهما كان راغبا فى ذلك ومتشوقا اليه ، لزعم ان هرتزل اضطر الى العودة الى يهوديته بعد انصدمته وقائع محاكمة « دريفيوس » التى اطلع عليها بحكم عمله الصحفى غير ان حقيقة الامر لا يمكن ان تكون كذلك ، فالمهمة الصحفية التى اتاحت لـــ « هرتزل » . الاطلاع على بعض تفاصيل محاكمة « دريفيوس » التى لم تكن مأساوية الى حد كبير ، ولم يتبين ما احتوته من ظلم الا بعد سنين طويلة من انتهائها ان مهنته كصحفى حرى بها ان تجعله يطلع على تفاصيل المذابح التى كان يهــود اوروبا الشرقية يتعرضون لها فتتجسر لدية من دوافع الحنين الى اليهودية ، أضعاف ما يمكن ان تفعــله قضـــــية دريفيوس .

تام هرتزل فـــور انبثاق الحــركة الصهيونية رسميا فى بال ١٨٩٧ بمتابعة كافة القضايا التى كانت الخارجيــــة البريطانية تتابعها وتمارســها مباشرة واهمها اكمال المفاوضات التى بدأت فى ١٨٤٠ مع تركيا لاقامة وطن قومى يهودى ولعل اهم ما يلفت النظر فى هـــذا النشاط هو ذلك الجزء من الرســالة الشهيرة التى ارسلها هرتزل الى الباب العالى وتعهد فيها بحل المشاكل المالية للدولة العثمانية فى حال موافقتها على انشاء الوطن القومى والسؤال الــذى يطرح نفسه من اين كان سيحصل على الاموال الكافية لسد ديون امبراطورية اخرى . اما الاسس الفكرية لحركة الصهيونية فيراها منظروا الصــهيونية بانها حركة التحرير القومى لليهود ، وان اليهود باشتاتهم يشكلون قومية متميزة لها ما لغيرها من القوميات من طموحات مشروعة بحق تقرير المصير واقامة السلطة القومية المجسدة لارادتها ومصالحها .

اختلف اليهود فيما بينهم اختــلافا شديدا ، حول هذه المسألة فذهبت غالبيتهم الى القول ان اليهودية هى دين لا اكثر ولا اقل ، وقد عبر الحاخام الاكبر « هيرمن ادلر » رئيس حاخامى انكلترا عن هذه القناعة عندما قــال :

« لقد انتهى وجودنا القومى بعـد سقوط فلسطين فى ايدى الرومـان ، واصبحنا مواطنى البلاد التــى نعيش فيها ، فنحن ننتمى الى القومية البريطانية او الفرنسية او الالمانيـة ... رغم تبعيتنا للدين اليهودى ، دون ان يميزنا ذلك عن مواطنينا الاخرين فى الحقوق والواجبات وان سئلت بما هو المحتوى السياسى لليهودية لاجبت بان اليهودية هى مجرد دين وليس لها اى محتوى سياسى .

وبالمقابل كان هناك من يطرح بان اليهودية هى قومية متميزة عن ذلك قول هرتزل :

اننا نشكل شعبا واحدا . غير ان الصعوبة النظرية التى تواجهها الحركة الصهيونية تنطلق اساسا من التوفيق بين ادعياء القومية وعدم توفر شرط الارض ، الامر الذى يجمع علماء الاجتماع على انه ركن اساسى من اركان تعريف القومية . وقد تغلب منظروا الصــهاينة على هذه الصعوبة بان ابتكروا تعريفا جديدا للقومية ينسجم مع طمـــوحاتهم ومزاعمهم من ذلك التعريف [ارنست رينان] الذى تبنته الحركة الصهيونية والذى يقول مايلى :

« الامة هى الروح والوعى الروحى وشروط الامة هى الاعتزاز المشترك بماض مجيد والارادة المشتركة فى الحاضر ، وهى ايضا الانجازات العظيمة التى تمت فى الماضى والرغبة فى تحقيــق انجازات عظيمة فى المستقبل » .

هذا موجز جدا للافكار التى حــاول الاستعمار البريطانى أن يزرعها فى عقول اليهود ليقنعهم بحقهم فى وطن وبحقهم ان يكونوا أمة كباقى الامم غير أنــه

باعتراضات اغلبيتهم التى ابدت تذمرها ومعارضتها الشديدة لهذه الافكار منذ بدأت تلمع فى اذهان الساسة البريطانيين . وهكذا برز الى الوجود مايسمى بالايديولوجية الصهيونية التى اعدها بعناية وبكثير من التفكير والجهد والاستعمار تحقيقا لمآربه وتنفيذا لاغراضه وربما كانت له غاية مزدوجة الهدف ، ان تحقق ماأراده تقرير بنرمان وان تتخلص من اليهود ، ولكن اليهود تنبهوا الى هذا الهدف وشعروا انهم لن يكونوا اكثر من مخلب قط ، أو واجهة يخفى وراءها الاستعمار وجهه البشع ولن يقف الامر عند هذا الحد بل سيصل بالنتيجة الى التآمر على اليهود ليكونوا الضحية الثانية التى ستذبح على مذبح المطامع الاستعمارية وهذا ما اتضح لنا من خلال المناقشات التى سبقت اعلان وعد بلفور . اذ خلافا لكل التصورات الشائعة ، فان وعد بلفور لم يصدر بسهولة وانما تطلب ثلاث سنوات من المفاوضات المضنية التى تخللتها خلافات عنيفة وازمات سياسية بالغة الخطورة، فقد قام بالتفاوض من الجانب الصهيونى كل من وايزمان وسوكولوف ومن الجانب البريطانى لويد جورج وبلفور ومن الجانب اليهودى ادوين مونتا غيو وزير الدولة البريطانى وكلود مونتغيورى احد وجهاء الطائفة اليهودية فى بريطانيا . ومن الاسرار المجهولة بتاريخ القضية ان الخلاف هو الذى اخر صدور الوعد ثلاث سنوات هذا الخلاف الذى نشب بين الفريق الصهيونى والفريق اليهودى . وقد وصف استاذ القانون الامريكى [ماليسون] هذا الخلاف بقوله : عند بداية المفاوضات ساورت اليهود شكوك عميقة بخصوص الاهداف السياسية الصهيونية وبعد الكشف عن المسودات الصهيونية للتصريح ، أصبح هؤلاء اليهود ملتزمين بموقف مناوىء للصهيونية لا لبس فيه وذلك بغية الحفاظ على القيم اليهودية الاساسية . وقد تلخص موقف اليهود البريطانيين بالنقاط التالية :

١ — ان المبدأ الذى يقوم عليه التصريح المقترح [يفترض ويتضمن ان اليهود عموما يؤلفون قومية] ومثل هذا التضمين يلحق أفدح الضرر بالمصالح اليهودية ، كما انه يثير اشمئزاز عدد ضخم من اليهود .

٢ — ان التصريح يحرم عرب فلسطين من حقهم فى وطنهم ويعرضهم للطرد والتشريد وهو موقف غير انسانى ومرفوض . وقد طرح مونتاغو هذا الموقف فى مذكرة شديدة اللهجة رفعها الى الحكومة البريطانية وقد جاء فيها ايضا ان التصريح يعنى بأن المسلمين والمسيحيين عليهم افساح المكان لليهود وهو الامر الذى لا يتحقق الا بطرد السكان الحاليين .

٣ — ان الوطن القومى المقترح سوف يحول فلسطين الى غيتو كبير وسوف يتعرض اليهود فيه الى خطر كبير فى يوم من الايام .

٤ — ان الوطن اليهودى المقترح سيضر بمصالح اتباع الديانة اليهودية فى كل ارجاء العالم اذ انه يقوم على الفرضية الخاطئة بأن اليهود يشكلون قومية واحدة .

وان فلسطين هى وطن لليهود ، وهو امر سينتج عنه وهم اليهود غير الاسرائيليين بالولاء المزدوج وسيدفع أوطانهم الى النظر لهم نظرة الشك وسيؤدى الى حرمانهم من حقوق المواطنة الطبيعية .

لقد حاولت الحكومة البريطانية اقناع الرأى العام اليهودى البريطانى بالموافقة على موضوع الوطن القومى . والتنازل عن تصلبه فأصر مونتياغو ان يتضمن التصريح الاشارة الى نقطتين اساسيتين فى حال عدم اقتناع الحكومة البريطانية التراجع عن موقفها عن اصدار التصريح، والنقطتان هما :

١ — تضمين التصريح اشارة الى حقوق العرب من سكان البلاد الاصليين والزام بريطانيا بالمحافظة عليها .

٢ — اضافة نص يؤكد عدم تأثر الحقوق التى يتمتع بها اليهود فى العالم بالنتائج التى تترتب على قيام الدولة .

أزمت مذكرة مونتياغو الوضع مجددا، وكان من نتائجها المباشرة دفع الحركة الصهيونية الى الاعلان عن تقديم بعض التنازلات المتضمنة اعترافا غير مباشر بالحقوق القومية للسكان غير اليهود فى فلسطين ، غير انها فى المقابل صعدت من جهودها الخفية المبذولة لتمرير الصيغة الصهيونية ، ومن ضمن هذه الجهود الاستنجاد بالصهيونى الامريكى برانديس » وتكليفه بالتأثير على الرئيس الامريكى ولسون لممارسة الضغط على الحكومة البريطانية للموافقة على الاقتراع الصهيونى ، وعلى الرغم من كل الجهود التى بذلتها الصهيونية ، فقد نجح اليهود البريطانيون فى اضافة الفقرة التالية الى نص التصريح :

على ان يفهم كليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضر بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى ارض فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الاخرى .

ومع ان هذه الاضافة لا تعترف بأى حقوق سياسية « للطوائف غير اليهودية المقيمة الان فى فلسطين » وانها تعتبر الغالبية العربية لسكان البلاد البالغ نسبتها ٩٢٪ من مجموع السكان العام مجرد طائفة فان الحركة الصهيونية اعتبرت ذلك هزيمة كبيرة لها وانتكاسة خطيرة رغم ان هذه الاضافة لم تؤثر كثيرا على مستقبل القضية من وجهة النظر الفلسطينية . وقد تحركت المؤسسة الصهيونية بعد صدور التصريح فحصلت على موافقة فرنسا وايطاليا عليه فى شهر شباط ١٩١٨ كما حصلت على موافقة امريكا فى شهر أكتوبر سنة ١٩١٨ .

لانريد أن نتحدث طويلا عن مغزى وعد بلفور أو مغزى المعركة البطولية التى خاضها يهود بريطانيا دفاعا عن مصالحنا فى مرحلة كنا فيها عربا وفلسطينيين غائبين عن ساحات العمل الدبلوماسى . بل نكتفى بالقول ان الصهيونية كانت تخوض فى تلك المعركة القاسية معركة تأسيس الوطن القومى ولو كتبت لها الهزيمة انذاك لما كانت هناك دولة اسرائيل اليوم . ولعلنا لا نملك دليلا على أهمية وعد بلفور أو على الدين الذى طوقت به الجالية اليهودية البريطانية عنقنا بمعركتها البطولية تلك . اكبر من هذه الفقرة التى تضمنها اعلان قيام دولة اسرائيل :

« ان هذا الحق [للشعب اليهودى بتأسيس وطنه القومى داخل وطنه الخاص] قد اعترف به تصريح بلفور الصادر فى ٢ تشرين الثانى سنة ١٩١٧ واثبته من جديد صك الانتداب المقر فى عصبة الامم وهى التى منحت بصورة خاصة الموافقة الدولية على الصلة التاريخية بين الشعب اليهودى وأرض اسرائيل دعم حق الشعب اليهودى فى اعادة بناء وطنه القومى .

ان هذه الصفحات المجهولة ، تلقى اضواء بالغة الاهمية على جوهر المشكلة ومعطياتها الاساسية وتؤكد حقيقة الارتباط البريطانى بالصهيونية . كما تؤكد ضمن اشياء اخرى كثيرة ان الصهيونية هى عدوة اليهود وانها مصدر خطر على

مصالحهم ، وان اليهود ليسوا أعداء للعرب والفلسطينيين ، كما هو شائع . كما تؤكد أيضا الخطيئة الكبرى التى ارتكبها بعض الحكام العرب السابقين عندما انطلقت عليهم احابيل الصهيونية فاضطهدوا يهود بلادهم والخطيئة الكبرى التى يرتكبها البعض الذين لايميزون بين اليهودية والصهيونية . وعلينا ان نمسح الاساءات التى وجهت لليهود أعداء الصهيونية . وان نحول علاقة العداء التى اكرهوا عليها الى علاقة صداقة بتصحيح الاخطاء الماضية وبناء العلاقة الجديدة على أسس متينة من الفهم والتفاهم والمصالح المشتركة معيدين من جديد الوجه الناصع للعلاقة العربية مع اليهود الذين عاشوا بيننا مئات السنين دون ان يشعروا بأى فرق أو تمييز أو اضطهاد ..

لنعود مرة أخرى الى السؤال الذى طرحناه .. من الذى يحتاج الى دولة يهودية فى فلسطين ؟ ... أهم اليهود .. كلا .. والف كلا ، ان الذى يحتاج الى دولة اسرائيل هو الاستعمار البريطانى لغايات لم تخف على اليهود انفسهم ولم تعد تخفى علينا ، ثم جاءت بعد الاستعمار البريطانى خليفته الامبريالية الامريكية التى ورثت مصالحه فى العالم وخاصة فى منطقة الشرق الاوسط .

حينما اعلن وعد بلفور قال تشرشل انا صهيونى ، وعندما ادينت الصهيونية بالتمييز العنصرى وقف جولد برج المندوب الامريكى السابق فى الامم المتحدة ليقول حسب ما أوردته معاريف بتاريخ ١٩٧٥/١١/٢٣ ، بانه يتوقع من الساسة الامريكيين وخاصة الساسة غير اليهود ان يعلنوا بانهم صهاينة .. كما فعل تشرشل بعد وعد بلفور حين قال : انا صهيونى ، ثم اردف جولد برج بان قرار التنديد بالصهيونية يمس المصلحة الوطنية الحيوية جدا للولايات المتحدة وناشد جولد برج الحكومة الامريكية بتركيز جهودها من أجل الغاء القرار واضاف ان على حكومتنا ان توضح لكل الدول بان هذه الدول لا تستطيع ان تسمع صوتا من واشنطن وآخر من نيويورك واكد بان القرار انما هو عزلة مفروضة ليس على اسرائيل وحدها ولكن على الولايات المتحدة أيضا .

يكفى هذا التصريح . يكفى هذا القول ليوضح بشكل لايسمح بالغموض العلاقة الجدلية بين الصهيونية والاستعمارية والامبرايالية . بل يؤكد انهم جميعا شىء واحد وجسد واحد من أجل تحقيق هدف واحد . من هنا نفهم السر وراء الحماس البريطانى لاقامة كيان يهودى فى فلسطين ، ومن هنا نفهم السر وراء سرعة استجابة امريكا لاقامة هذا الكيان ، بل عملها الدؤوب من أجل تجسيده الى واقع .. ومن هنا نفهم ايضا ان الذى يحتاج الى دولة يهودية فى فلسطين ..

ربما يسأل متساءل .. ولكن لماذا جاء اليهود الى فلسطين واستوطنوها وطردوا اهلها منها .. ان هذا التساؤل جدير بان يدفعنا لبحث جملة مواضيع نصل من ورائها الى استجلاء الغموض وتوضيح الحقائق ووضع النقاط على الحروف فى محاولة فهم جديدة لمسار التاريخ وتسلسل الاحداث . □

يونيو ١٩٧٦

ملحق

الأدب و الفن



■ فى الرواية العربية الجديدة :

بعد الواقع والاسطورة فى أدب الطيب صالح

التابع ينهض : مولد الرواية فى غرب أفريقيا

مندور .. وحراسة التقدم

الترجمة .. وبناء الدولة العصرية

■ قصة قصيرة :

الاشجار عند البحيرة

الادب والفن فى شهر :

- سينما ● مهرجان افلام فللينى : الواقع والحلم وانهيار العالم القديم !
- مسرح ● عن المسرح العراقى .. مسرحيه « القربان »
- فن تشكيلى ● عز الدين نجيب .. والاختيار الثالث .

● في الرواية العربية الجديدة ●

بعد الواقع في أدب الطيب صالح



عبد الرحمن أبو عوف

صعبة وتكاد تكون مستحيلة محاولة اعطاء تفسير نقدى محدد لكلية أعمال روائى موهوب كالطيب صالح ، فانت تظل مرهقا مسحورا أمام ما يقدمه من فن ذى روح مهيبة رصينة غنية بالحياة ، كنهر النيل فى حركته الممتدة ، حركة جليلة ، دقيقة ، منغمة لكنها حذرة ، لا تهدف الى العبارة المقتطفة أو الاقتباس ، وانما تريد الكل ، تريد الدنيا بما فيها من احداث لا يحصرها العد ، وبما فيها من تفاصيل تتمهل عندها وتنسى نفسها ، كما لو كان كل تفصيل منها له اهميته الخاصة ، وذلك لان الرواية عند (الطيب صالح) ليست فى عجلة من امرها ، فالوقت متوفر لديها بلا حدود ، انها تمثل لديه روح الصبر والتفانى والتمهل .

وابرز دليل على ذلك ، استغراقه فى صياغة الاجزاء الاربعة من القسم الثانى من روايته الغريبة (بندرشاه) اقصد (مريود) فى اربعة سنوات ، منذ صدور القسم الاول [ضو البيت] ■

يتأكد هنا وبلا تعسف رأى [توماس مان] فى فن الرواية والملحمة [ان الرواية لا تكاد تعرف كيف نبدأ الا من بداية الاشياء جميعا ، وهى لاتريد أن تنتهى أبدا ، « كونك لا تستطع أن تنهى حديثك هو بالذات ما يجعلك عظيما » لكن عظمتها هادئة مطمئنة صافية ، وملحمية اى « موضوعية » انها تبقى على مسافة تفصلها عن الاشياء انها تحوم فوقها ، وتبتسم لها بغض النظر عن مدى استغراقها للقارىء أو السامع ، وكأنها توقعه فى شباكها .

وتتبدى الحقيقة والمعنى للحدث الروائى ومجال دوافع سلوك ومصير الشخصيات فى [مريود] مراوغة ، فبرغم أنها عودة لنفس المكان فى شمال السودان [دومة ودحامد] وأيضا تكثيف وتعميق لوحدة الموضوع الروائى، فى كل من روايتى [عرس الزين] و [ضو البيت] ، الا أنها تتميز بجاذبية وجدانية غنائية متسامية ، على اعتبار أنها تقدم [دومة ودحامد] كمشهد لدراما الانسانية بخصوصية سودانية وكأرضية لتسجيل اخلاقى بمعقد شاعرى، فيه تثمر الخرافة الشعبية والماضى الذى الذى يكون اسطوريا .

ان هذا المكان ليرتبط بتلك المشكلات الادبية والجمالية والاجتماعية التى تلح على [الطيب صالح] ، وهى رصيده الاصيل فى تفرده كروائى عربى معاصر له تواجده وسط تيارات الرواية العالمية التى طالما وقفنا مبهورين وتابعين لها بحكم تراكم أزمات التخلف السياسى والحضارى التى نعيشها بمستويات مختلفة .

مريود يعقد صلحا بين الماضى والحاضر

فى رواية [ضو البيت] ، يعود [محيميد] الراوى الذى اغترب زمنا عن [دومة ودحامد] والصحاب المجتمعين أبدا حول دكان — سعيد ، كما تعرفنا عليهم فى رواية [عرس الزين] [محجوب] الزعيم كنمر هرم هزمته السنون والعلة ، وضحكات [الطاهر ود الرواسى] و [عبد الحفيظ] و [سعيد عشا البياتات] ، ومختار ود الريس ... الخ ، يعود كما عاد الراوى ، ولعله هو نفسه فى رواية [موسم الهجرة الى الشمال] والذى، عبر تحققاته فى بداة الشباب عرفنا وعشنا دراما ومغزى حياة وموت [مصطفى سعيد] غير أنه هذه المرة يقترب من النضج والشيخوخة هزمته الايام والحكومة ، وخبرة حياة الموظف فى العاصمة الوثنية ، بكل ندوبها وتألقها فى تكوين وعيه ورؤيته غير أنه نكشفت عن خواء وعبث ، فكانت الحاجة للعودة للنبع ، للجذور ، للبداية فى [الدومة] وخلال سرده الغنائى ، المثقل بصور تجسد المعنى برشاقة ورهافة وعذوبة ، سنلتقط ونتوقف عند اجزاء متآكلة من أحداث ورؤى ، وتقابلات ، بين الشخصيات والمصائر ، استخدم [الطيب صالح] فى تقديمها وبنائها كل وسائل التعبير الروائى المعاصر ، مستهدفا جعل الحقيقة الفنية تهرب من ذلك البناء المتصنع العذوبة . المفتعل الذى كانت تمثله الرواية الواقعية المستوفية الشروط وعن الراوى الذى يعرف كل شىء لقد استبعد فى سرده رتابة الحكاية التقليدية ، والرؤية من الخارج للتصوير الاجتماعى والسيكولوجى، واعتمد فى التواقت ، بأصالته فى ابداع اسلوب متميز دون تقليد [لدوس باسوس] أو [جويس] أو [ميشيل بوتور] .

وهذه الاجزاء الاخيرة التى سنختارها، ربما وبشىء من اليقظة والحساسية فى مراقبة دلالتها الرمزية ، ربما نعطينا الخيط الواهى الذى نستنتج منه تلمسنا البحث عن تقصى لابعاد وجوانب وحيل عالمه الروائى ، بكل مافيه من ازدواجية جذابة ، بين الحفيد والجد الراوى والضمير الجمعى او الكورس الذى نسمع هدير صوته المعبر عن الاسلاف وروح القبيلة خلف تقابلات الشخصيات، والاحداث والمدى الوهمى الذى تتحرك فيه بين الواقع والحلم، الماضى والمستقبل الخارج والداخل ، الممكن والمحتمل ، الواقع والنبوءة ، الخ وذلك هو التوتر الداخلى ، وديالكتيك شكل التعبير الروائى الذى نطمع فى اكتشافه فى أسرار ابداع [الطيب الصالح] ، فحول كلام ثانوى هو سرد حكاية ، يجاب شكل أو بآخر من مشكلات الانسان الحديث الاجتماعية ، والميتافيزيقية والاخلاقية والسلوكية .

☐ يقول [محيميد] كان [بندر شاه] حين يحضر الى عرس او الى مأتم يحيط به ابناؤه الاحد عشر وحفيده [مريود] ترقى اليهم الابصار لانهم كانوا ملء السمع والبصر ، زينة الرجال فى البلد ، كانوا مثلنا واحسن منا ، ولم نكن نحسدهم على تميزهم عنا ، لاننا كنا نحس أن فضائلهم ليست بعيدة المنال، ولكنها فى متناول ايدينا ، كما لو كانت فضائلنا مجسمة ، ولم يكن عجبنا ينتهى من التشابه الغريب بين [بندر شاه] وحفيده [مريود] تخيل توأمين تأخر وصول احدهما عن الاخر خمسين او ستين عاما ، متشابهان فى كل السمات القامة والوجه ، العينين ، الصوت والضحكات النظرة السودودة المتمعنة المتفحصة ، كنا نعلم ان مريود هو وكيل الجد ونائبه وقائم مقامه ، وكان الابناء الاحد عشر يستمعون الى الحفيد حتى الرجال الكبار مثل جدى تعودوا على ذلك] .

ولكن من هو [بندر شاه] ?? ... هذا السؤال يضعنا وجها لوجه امام حيرة وغموض ، مبعثهما ان [الطيب صالح] نفسه لم يقحم ذاته فى استحضار اجابة لها ابسط قواعد اليقين ، فقط اكتفى بطرح السؤال ، وتفجير المشكلة وعليك انت ومن خلال دوامة تتابع وتراكم الاحداث ، مهشمة النهايات واستقراء ذاكرة الراوى [محيميد] لعلاقاته مع الشخصيات الرئيسة ، **ان تشارك وتتحمل مسئولية اعطاء اجابة ، فالامر هنا ليس تحقيقا تاريخيا ، بل هو فى ابسط اشكاله الحلم الدائم بالفردوس المفقود والسعى الابدى الى تحقيق معجزة الجمال والاكتمال والتطهر ، والسعادة وايضا التحرر من كل قيد على مستوى الضرورة الاجتماعية والطبيعية** ان [محيميد] اذا لا يتحرك امامنا ، ويتصرف ويتناقش الا ليبحث فى واقع [الدومة] عما هو متسام عن الواقع وتجل له وكشف عما يكمن فيه .

ولقد بدأت محاولته التى هى فى نفس الوقت محاولتنا ، للبحث عن معنى لما يجسده ويرمز له [بندر شاه] من لحظة غريبة لا تنسى فى تاريخ [الدومة] [فى الضحى ذات يوم استيقظ الاهالى على بلدتهم ترتج وتهتز كأن طائرا رهيبا اقتلعها من جذورها وحملها بمخلبه ، ودار بها ثم القاها من شاهق ، كانت الرياح تجىء من مغاور بعيدة تصرخ آه وشر ونار ، كانت العفاريت تقفز من اسطح المنازل واغصان الشجر ، من

الحقول والرمال وشعاب الجبل ، من تحت اظلف البقر ومن منعطفات الدروب تولول ثم تتكشف الضوضاء فى كلمة واحدة ، [بندر شاه] ، كانت الفوضى كأنهـا تتفجر من تحت اقدامنا ، وكان الناس يجرون مشتتين هنا وهاهنا ، يبحثون عن [شيء ولا شيء] يبحثون عن المصدر وليس ثمة مصـدر ، وفى اطراف ذلك الـكابوس كانت نسـاء حاسرات الرؤس ، وجوههن مغبرة ، يتشبثن [برجال مكتوفى الايدى مربوطين بحبل غليظ الى سرج جمل وعلى الجمل جندى يحمل بندقية] ، ورجال عشرات يسددن الطريق ، ثم ترددت اصـوات مختلطة ، تتضور وتتشكل مع عناصر الطبيعة والاشياء كلها واخيرا تتشكل صورة مجسمة ، هى صـورة [بندر شاه] على هيئة مريود أو مريود على هيئة بندر شـاه ، وكأنه يجلس على عرش تلك الضوضاء ممسـكا خيوط الفوضى بكلتا يديه ، وكنـا مثل سرب عظيم من طيور مذعورة تفترق وتلتقى وتدور بعضها حول بعض محدثة صراخا متكرا ، فى ذلك الضحى كان الماضى والمستقبل قتيلين لا يجـدان من يوارى جثتيهما او يبكى عليهما » .

هذه السلسلة من الصور فى سياقها اللامنطقى كحلم فانتازى خادعة للقارىء فهى تتلون بالخرافة ، وما نكاد نستقر فى العقـل حتى تتفتت ومعها السكون والحياة ، وتصبح لغزا ، ولكن ما اسرع ما يتبدد كليا عالم الوهم ، فلا شىءاكثر واقعية من قصدها المختبىء فى مضمون هذا الجـزء التالى من نفس الـرواية [ضو البيت] لجماعة محجوب وهى التى تولت زعامة أمور الحياة ومنافع الناس بعرف وتقاليد القبيلة فى [دومةودحامد] بدأت تواجه ثورة وتمرد أبناء المدارس والافكار الجديدة عن الجمعية التعاونية ونقابة المزارعين ، وحقوق العمـال ، ووصل الامر ان اولاد [محجوب]صوتوا ضده ، وان البنات عملن مظاهرة فى [الدومة] وهتفن بسقوطه ، لقد تزعم الجيل الجديد أولاد بكرى والغـريب أن ام اولاد بكرى هى اخت محجوب] .

فعودة [محيميد] الى الدومة ، مقترنة بالكشف عن عملية المخاض والتحـولات التى تعيشها الدومة بين القديم والجديد، بين سطوة التقـاليد والعرف ، وحلم المعاصرة ، ومعانقة المسـتقبل ، انه يعرف مغزى تلك القصة ، لانه قد رآها تحدث من قبل فى زمان بعيد ، ولعله كان طرفا من اطرافها ، فى تلك القصة ايضا كانت الحرب ضارية بين ما كان وما سيكون [ودحامد] التى حملها فى خياله كل هذه الاعوام ، وعاد الان يبحث عنها مثل جندى فى جيش منهزم لم يعد لها وجود ، وفجأة ناديه صوت قريب كحبل الوريد ، مستسلم له ويسير حيث يأمره لاهثا حول قطرة من كاس الحضرة ، لقد عبر الخيط الواهى بين المحدود واللامحدود الظـاهر والباطن ، واصبح وجها لوجه امام [بندر شـاه] يدعوه بعودة جده [مرت بى لحظـة ادراك سريعة عابرة ، عرفت فيها كل شىء كأننى فى تلك اللحظـة فهمت سر الحياة ، والكون ، ولكنها ضاعت كما جاءت ، ولم اعد اذكر شيئا ، ثم نظرت فوجدت الجالس على يمينه فى ردهـة القصر نسخة اخرى منه ، كان مريود وجىء بأحد عشر رجلا يرسـسـفون فى الاغلال ، قفوا بذل ، وقالوا فى ضراعة [يا ابانا اغفر لنا وارحمنا] ولـكن الامر يصدر للحفيد [مريود] ، بأن يضرب بالسوط جلود الرجال حتى تسيل الدماء انهـارا ، وتحضر الراقصـات والجوارى من كل نوع ومن كل بلد ، بيض وصفر ، وسمر ، من القـوقاز وساحل الخزر ، وساحل العام ، وصبت اباريق الشراب ، ويعقب ذلك الصمت وحده ونحن الثـلاثة جالسين على تلك المنصة .

وتمنيت لحظتها ان يفسر لى بندرشاه مغزى ما حدث ولكنه لم يقل ، وادركت اخيرا ان الصوت دعانى لاكون شاهدا وحسب] .

ان هذه اللحظة المختارة التىعاشها [محيميد] بين اليقظة والحلم ، انمـا هى نوع من الكشف ، وعند ذلك نعرف ان مادة الرواية عند [الطيب صالح] **تقوم على استعادة شىء فقدناه ، انه لغز ، لغز قدرنا الصوفى ، ويكفى أن يتم اول لقاء سحرى عالمى لكى تتوطد سلسلة سعيدة او محتومة ، يتعلقبها المستقبل كله .**

ولكىنختبر مدى قناعة هذا الاستنتاج نناقش بالتفصيل تعدد مستويات التقابل او الازدواج الـذى قامت عليه عناصر الموضوع الروائى ووحدته رغم التنـوع عند [الطيب الصالح] ويمكن اجمالها فى الاتى .

[1] ثنائية الحفيد والجد

[2] عودة الغريب للدومة والغرق فى فيضان النيل .

[3] حضور وحياة بندر شاه — عبر ضوالبيت ، وبعدها الاسطورى .

١ — ثنائية الحفيد والجد :

يعود الراوى فى [موسم الهجرة الى الشمال] بعد غيبة ٧ سنوات فىبعثته بأوربا ، ليستشـعر دفء العشيرة ، ويذهب على الفور الى جده .

[كنت أحب جدى ، وكان يؤثرنى ، وسـبب صداقتى معه اننى كنت منـذ صغرى تشحذ خيالى حكايات الماضى ، **وكان جدى يحب أن يحكى لى عن حاكم غاشم حكم ذلك الاقليم ايام الاتراك ، لست اعلم ما الـذى دفع [بمصطفى سعيد] الى ذهنى] .**

أن الغرابة والحيرة التى خاضهاالراوى ليتعرف على شخصية وتاريخ [مصطفى سعيد] ، فى مشروع حياته الذىعاشه بهمة اسطورية ايا كانت مرارة المأساة هى [ان يرى بالعينين البياض والسواد معا ، لاشرق ولا غرب] هـ ذا الامتحان الحضارى الصعب الذى خاضه مصطفى سـعيد ، كان الجد يعرفه ببسـاطة ويباركه .

ولقـد اعترف [مصطفى سـعيد] للراوى ان جـده يعرف السر ثم ترك له الوصاية على ابنيه وزوجته قبل ان يذوب فى جسم النيل ، وهو الـذى دل من الانجليز وفتحت له اوربااذراعيها لتبتلعه ، فكان التمرد والعنف ثمالعودة الى النبع ، والزواج من [حسـنة بنت محمود] .

وفى [ضو البيت] يكرر [محيميد] — كان حـدى كمـا ذكرت لكم ، وكانت علاقتى بجدى تبدو لى فى ذلك الوقت وبعده بسنوات طويلة كما ذكرت لكم

فى ذلك الرحلة – سنتعرف من خلال اصدقاء الجد – حمدى ودحليمة ،ومختار ودحسب الرسول – هذه المرة وقد كانا ملازمين لجد – محيميد – شيئا عن [بندر شاه]

فالغريب ان الذى اطلق الاسموبشكل تلقائى على [عيسى ضو البيت] هو [حمد ودحليمة] – كأن شخصا آخر تكلم باسمه ، وجعله لحظة رؤية [عيسى ضو البيت] وهو طفل يلعب معهم ومرتديا ثوبا حريريا جديدا جعله يطلق عليه لقب – بندر شاه – أما مختار ود [حسب الرسول] فيحدثنا عن طريق ما ذكره له ابوه حسب الرسول – كيف ظهر فجاة فى حياة [ودحامد] ضو البيت ، وايضاكيف اختفى فى فيضان النيل ، وضو البيت – هو ابو عيسى – الملقب ببندر شاه [وعيسى] هو الذى خلف [مريود] – صديق طفولة محيميد والمقابل له – ايضا بل هو فى النهاية [محيميد] نفسه كما سيتكشف لنا تراكم بناء الرواية فى شكل استرجاع عملية التذكر والبحث الماضى – سواء ماضى [محيميد] ام ماضى [ود حامد] المكان الاسطورى الذى تدور فيه احداث ملحمة **الطيب صالح .**

وفى القسم الثانى [مريود]تتضاعد نغمة [محيميد] الى الذروة وتسيطر على الرمز المستعصى ، فهو يخرج الى النهر فى الصباح بعد ان عاد شيخا واهنا الى [الدومة] يتوكأ على عصا الابنوس ينقر بها على جذع نفس الشجرة القديمة التى عرفها فى طفولته وشبابه فى [موسم الهجرة الى الشمال] ويتسمع على دقات العصا ، ضحكات جده ، ويتذكره جالسا وسط مختار ود حسب الرسول وحمد ود حليمة ، يتذكره الان بخليط من الحزن والحقد لقداختاره دونسائر **ابنائه ليكون ظلا له على الارض** ، وخلف له المداد وفروة الصلاة والابريق المقدس ، والمسيحية ، **لقد كان وجده كاخوين توأمين** ، وكانابوه اصغر الابناء ، وأكثرهم خيبة أمل لابيه فى حين كان الابن الاكبر [عبد الكريم] اسطورة قائمة بذاتها ، قبل ان يظهر الحفيد ، وهو الذى سافر بالجمال المحملة بالتمر الى ديار الكبابيش وعاد يسوق امامه قطعان الابل والضأن ، هو الذى اقام الديوان الكبير ، وجاء لابيه بالابريق ، وفروة الصلاة المصنوعة من جلود ثلاثة نمور – غير انه كان رجلا ناقصا باطلا ، يجرى وراء الشهرة فطرده الحفيد نيابة عن الجد ، واحتل مكانه وتفرق الابناء الاحد عشر ، غير انه اغضب جده حين ابعده عن صديقة طفولته وامتداد وجوده [مريم] رمز البراءة والنقاء يومذاك ، بدأ يتراجع عن الدور الذى كان جده يهيئه له ، وكان عليه ان يحارب بسلاحه هو ، **فحارب بسلاح جده** ، وانهزم وذهب ، ولم يعد ، **الابعد أن انتهى كل شىء** ، فى تلك العشية ، حيث حمل جثمان [مريم] بين ذراعيه ، كأن الف برق برق ، والف رعد رعد ، ثم ساد صمت ليس كالصمت احس كأنه يجلس فوق عرش الفوضى ، مثل شعاع باهر مدمر كأنه اله بنفس اللحظة التى نذكرها حينما اهتزت [**دومة ود حامد**] خلال الحلم المتوهج الذى عبره [محيميد] ورأى بين الوهم والحقيقة صورة [بندر شاه] ممسكا بخيوط الفوضى .

لقد اتضح الرمز المستعصى واصبحنا علىقرب منحقيقة استمرارية الشخصية الروائية الواحدة التى تتبدل وتتعمق من جزء لجزء كأنشودة للحياة ، ببعدها الاسطورى الغارق فى القدم والماضى تلمسا للجذور ، وايضا تفتحهسا على الحاضر بكل توتراته والمستقبل الذى يخاطبه فى البداية والنهاية [الطيب صالح] .

ان [محيميد] هو اكتمال مشروع [مصطفى سعيد] ، ومريود هو خلاصة تجربة حياة [محيميد] اما ذروة صياغة الثلاثة فهو [بلال] الذى يتبدى كمعجزة جمال واكتمال وتصوف وتخفف ، تتضارب الاقوال حول اصله ، فالبعض يقول انه من نسل [بندر شاه] وبندر شاه فى بعده الاسطورى هذا غير معروف ، فهو على لسان العامة ملك ظالم يقتل العبيد ، ومرة اخرى هوثرى فنى ، وبلال هو ابنه الثانى عشر من جارية ، يحبها ولما مات الاب رفض الابناء ان يظل اخوهم عبدا ، ورفضوا ان يعاملوه معاملة الاشقاء ، ونشأبلال على التقوى ، والصلاح وكان يؤذن فى الناس بصوت جميل – نادر – من اتباع [الشيخ نصر الدين] اتقى الرجال ، وهبطت الى القرية – حسناء حلوة ، مشتعلة الذكاء ، احبها الرجال ولكنها لم تحب الا [بلال] ، توسلت اليه ، ولم يتزوجها الا باذن الشيخ نصر الدين اذن له بالزواج ، ولكنه لم يتزوجها ، الا ليلة واحدة ، وانفصل عنها وابت **ان تتزوج عليه رجلا آخر** ، وانجبت له ابنا ، هو [الطاهر ود الرواسى] **الذى تغنى فى الشباب بحب أمه له وحبها لابيه .**

الا يذكرنا هذا برواية [عرس الزين] حيث الزين ابن [دومة ود حامد] بكل ما فيها من قوة وضعف وبراءة وخبث بضحكاته التى اصبحت جزءا من البلدة منذ ان ولد الزين وقوته العجيبة كأنها معجزة الحياة ، وبنفس العلاقة بينه وبين ولى الله [الحنين] ، الذى باركه وجعله خليفته ثم اختارته اجمل بنات [الدومة] نعمة لتتزوجه ، ورفضت كل الرجال – ذوى الحسب والنسب فى الدومة – تماما كما حدث مع بلال!

هذا الترديد لقدسية العلاقة بين الحفيد والجد ، الذى حاولنا تتبعها فى اعمال الطيب صالح – وهذا الموقف ، من بنات القرية اللائى رفضن ، الزواج الا من [مصطفى سعيد] فى [موسم الهجرة الى الشمال] او [الزين] فى [عرس الزين] ، او [بلال] فى [مريود]

هذا الترديد الغنائى بشكل ايقاع سيمفونية السرد الروائى عند [الطيب صالح] ، وبعده الدرامى يقدم عديد المعانى ان [الطيب صالح] هنا يشبه رغم اختلاف النوعية والرؤية كاتبا عربيا آخر هو [كاتب ياسين] شاعر وروائى الجزائر فى المخاض والذى ابدع [رواية نجمة] انه يشبه فى التركيز [على القوة الغريبة التى تشده الى الاجداد ، وكأنى بهيتمثلهم يملأون سماء [السودان] عند [الطيب صالح] او [الجزائر] عند – كاتب ياسين – ويخبئون تحت ارضها روحا هائمة قلقة لا تجد الراحة ، فهى عند [كاتب ياسين] قتيل توانى احفاده عن الثأر له ، فاذا به ينقلب نسرا يحوم فوق رؤوسهم ، يحاصرهم ويسد عليهم الافاق ، يستصرخ فيهم المروءة والشرف .

اما عند [الطيب صالح] فروح الاسلاف تشكل الرقابة الصارمة على سلوك الاحفاد الذين خرجوا الى العالم الاوربى او عالم العاصمة ثم عادوا الى

[دومة ود حامد] غرباء مهزومين، وقد جرحوا جرحا غائرا فى صميم تكوينهم لانهم ظنوا ان نشرة الحضارة الاوربية ـ هى مقدمها التكنولوجى والاقتصادى ـ كافية لتطوير حياتهم ، فتمخض الحلم عن جريمة قتل داميه وجرح فى الكبرياء عند [مصطفى سعيد] ثم هزيمة وانكسار عند [محيميد] الذى تعلم وعمل فى العاصمه وعاش حياة كبار المواطنين الانجليز قبل ان تسلمت الادارة الوطنية السودان .

ان روح الاجداد تدعوهم الى صياغة حل للمعادلة الصعبة بين روح وقوام ونوعيةشخصيتهم القومية وتراثهاوالبحث عن التقدم بالاسلوب المعاصر الاوربى نعم ولكن المستضمن لسياق تراثهم الحضارى فى جنوب الوادى العريق ـ حيث النيل يربط بين السودان ومصر بكل مجدها وحساسيتها الحضارية ، لذلك فلعل [الطيب صالح] وهو مجسد هذه الهموم الروحية عن صراعنا الحضارى وازمة مختلفنا السياسى ، يخاطب كلا من الشقيقين السودانى والمصرىفالتجربة والماساة والازمة ، والحل عند الاثنين واحد ، والتشوف للمستقبل واحدايضا.

[٢] عـودة الغـريب للدومة والغرق فى فيضان النيل

يوازى ويقاطع ثنائية الحفيد والجد ، تقابل آخر يتردد باصرار خلال اعمال [الطيب صالح] ككل يتعلق بعودة الغريب الى الدومة : ومعايشة العشيرة والامتزاج بحياتهم والحصول على ثقتهم وحبهم ، ثم ينتهى بالغرق فى فيضان النيل ، يذوب فى مياه النهر المتجدد ابدا كتجدد الحياة

وبرغم الصوفية او الغنائية هنا او ثمَّ ربما بسببهما لما يحملان من قناعة وايمان فقد ظل الواقع وما وراء الواقع و [مافوق الطبيعة] احيانا مصهورين . وما من شىء اكثر واقعية من عودة [مصطفى سعيد] و [محيميد] وظهور [ضو البيت] واختفائه كما جاء من النهر اتى وفى النهر اختفى ، فبين الوجود والمعاش لهم على المستوى العادى فى الدومة والمعنى الفلسفى الذى يمكن ان يتخذه ، ليس هناك اى تعارض أو خلل فى بناء الرواية »

لقد ظلت الدومة [تعايش مصطفى سعيد] لا يهمها من اين جاء ، ولا السر الذى يطويه بين جوارحه ، فقطادركت بغريزة الجدود وروحهم ، انه انسان طيب من عجينتها العريقة ، يشارك فى حياه الدومة ، ويعيش بذكاء ونبل مشكلاتها ويفرض بمواقفه لحظة الخلاف على المسائل العامة فى الحمية او صراع البعض، يفرض احترامه،ويقودهم ببساطة الى طريق سليم فى مشكلات السرى والتموين والتعليم ، وكل ما للحكومة من علاقة بهم رغم استقلاليتهم وكبريائهم المنزع من خريطة ومنشأة [دومة ود حامد] .

لقد بدأ [مصطفى سعيد] حياته باحساس غريب من التوحد والحرية ، بانه ليس ثمة مخلوق اب او أم ، يربطنى كالوتد الى [بقعة] معينة و [محيط معين] ، وهذا الاحساس تحكم فى سلسلة وقائع حياته وتنقلاته ولهاثه على المعرفة والتجربة فى خارج الدومة ـ بدأت كما تقرأ جواز سفره من القاهرة الى لندن ، فرنسا ، المانيا، والصين ، والدنمارك ، ثم كانتالماساة والاكتشاف المروع ، ان [عطيلاكذوبة] فهو حين اصطنع لنفسه شخصية قومية افريقية ، لا يريد لها الا ان تغزواوربا، ويسحرنساء الغرب [وجه عربىكصحراء الربع الخالى ، ورأس افريقى يموج بطفولة شريرة] كان كاذبا ، وهوعندما عوج لسانه ونطق الانجليزية كما تخرج من افواه اهلها ، واثبت تفوقه العلمى حتى عين محاضرا للاقتصاد فى جامعة لندن ، وهو بعد فى الرابعة والعشرين من عمره ، ولكنه كاذب أيضا هنا ، فهو يتهم بأنه اقتصادى لا يوثق به ، كل هذا علمه الدرس القاسى ان مواجهة اوربا فاشلة كذوات مثقفة ، بل تستحدث المواجهة والتخطى ، عبر وخلال ومع حركة الجماعة والاهل والامة التىينتسب لها ، فكان الحتمى والمنطقى هوالرجوع المنبع والجذور .... للزواج من [حسنة بنت محمود] ـ وزراعة نبت جديد فى ارض الدومة ـ وعندما التقى بالراوى المغترب الذى عاش فى اوربا فىبعثة يدرس الشعر اعطاه على الفور سره كما اعطاه لجده واستسلم لمصيره الذى اختاره والذى احتضنه [وذهب مع مياه النهر].

لقد ظلت البلدة كلها طوال الليل متسكبة على شاطىء النيل تبحث دون جدوى عن [مصطفى سعيد] ـ فى ضوء المشاعل ، وارسلوا اشارات تليفونية الى مركز البوليس على امتداد النيل حتى كرمه ، ولكن الجثث التى حملها الموج الى الشاطىء ذلك الاسبوع لم يكن فيها جثة [مصطفى سعيد] ، وفى النهاية ، اخلدوا الى الرأى انه لابد مات غرقا ، وان جثمانه قد استقر فى بطون التماسيح التى يغص بها الماء فى تلك المنطقة .

لقد اختلطت وذابت حياة [مصطفى سعيد] فى سر التكوين الابدى لطينه ومياه النهر وارض الدومة ، لقد عمد فى مياه النهر فيها ولد وفيها دفن ، لانه منها خرج واليها يعود وعبر الحياة والموت تخطو الدومة فى موجاتاجيالها الشابة خطوة الى الامام ..

والدلالة على ذلك ، كلمات [الراوى] الذى ترك له [مصطفى سعيد] الوصاية على زوجته واولاده وأعطاه مفتاح حجرته واسراره

ـ لقد عاد بعد أن قتلت [حسنه بنت محمود] ، ود الريس العجوز الذى أراد أن يرغمها على أن تتزوجه بعد [مصطفى سعيد] وقتلت نفسها ـ ولكى يخلص الراوى من سطوة هذا الالم ومطاردة شبح مصطفى سعيد المؤرق وحبه لحسنة المجهض نزل عاريا للنهر ... كأنه يود أن يغرق أو يموت فالموت هنا أصبح [معنى من معانى الحياة] .

« مضيتاسبح حتى استقرعزمى على بلوغ الشاطىء الشمالى هذا هو الهدف ، وغرقت فى عتمة ، ثم أصبحت كأننى فى بهو واسع ، تتجاوب أصداؤه ، والشاطىء يعلو ويهبط أصبحت بين العمى والبصر ، كنت أعى ولا أعى ، هل أنا نائم أم يقظان ، هل أنا حى أم ميت ؟ ومع ذلك كنت ما أزال ممسكا بخيط رفيع واهن ، الاحساس بأن الهدف أمامى لا تحتى ، وأننى يجب أن أتحرك الى الامام لا أسفل لكن الخيط وهن حتى كاد ينقطع » .

هذا البعد الواقعى الرمزى فى [موسم الهجرة الى الشمال] عن ظهور واختفاء [مصطفى سعيد] كأنا [النبى الخضر] على حد قول (محجوب) الزعيم يتصاعد فى [ضو البيت] الى مستوى أعقد وأكثر غرابة

ودلالة لها البعد الدينى أيضا ، وهى قصة ظهور [ضو البيت] وحيـاته فى الدومة ثم فى النهـر تماما كما غرق [مصطفى سعيد] .

ان قصة ظهور واختفاء (ضو البيت) فى الدومة يخلق لدى القارىء انطباعا بأن الحيـاة يمكن أن يكون لهـا معنى سرى ، وأن عالما متخيلا أو متفـاوت الحظ من الواقعية يمتلك هذا السر .

انها غريبة ، وشيقة ومتعددة الرؤى ومثقلة بطموح كاتب يختصر حياة الانسان فى رعب الطبيعة ، وسيطرته عليها ... تستوحى من التوراة والقرآن ، وبحوث الميثولوجيا ... عن قصة الخلق والحياة والموت والاخرة ورموزها ، وتضيف بعدا عقلانيا لتفسير رحـلة الانسان المعذبة والصـعبة ، فى خواء وصمت الـكون والطبيعة ، وايضا الاجتماع الانسانى .

يروى [مختار] عن أبيه [حسب الرسـول] أنه فى الفجر ذات شـتاء لمح أباه [دهمة] أو [جسم غريب] كأنه ملايين الشياطين يتأرجـح فوق حفافى الموج ، متمددا ، بين ، النـار على الشاطىء وقبس الفجر ، أحس أنه يضيع ، والدهمة تقترب منه تذكر أنه متوضىء لصلاة الصباح ، بـكل ايمانه وما يعرفه من آيات القرآن انتظر حتى تبلور الجسم الغريب عند اقترابه منه على مدى مائة فرسخ ، ليستمع لصوته يتكلم بلغة غريبة ، ولـكنة أعجمية ، يقول أنه شيطان حضر من وراء البحر، لانه جوعان .

وعنـدما انقشع الرعب ، والخوف تـكشف الغريب على حقيقته انه انسان عادى ، مرهق ، لم ينم ليالى بطولها [وجهـه مثل الصخر ، والانف مثـل الصقر، هدومه لبس العساكر الاتراك ، مشرطة ، ومقطعة ، ومبلولة ، وعليها بقع دم ومعه علبة ، سألته منها — قال ، وهو يضحك ، ! [اكسير الحياة] .

سيعقب ذلك اجتماع لاهل [الدومة حول ظهور هذا الغريب وعلى النور ؛ سيعطونه اسم [ضو البيت] وسيكتشفون أنه بلا دين ، فيعرضوا عليـه اعتناق الاسـلام ، فهـو دينهم ثم يكتشـفون وباللخسارة انه اغلف ، فيعقدون العزم على طهـارته ، فيقومون باجراءات [الختان] بعد حصاد القمح ، وتتولى رعايته [فاطمه بنت جبر الدار] التقية العاقلة — تماما كحسنة بنت محمود فى [موسم الهجرة] ، ونعمة فى [عرس الزين] ، وزوجة [بلال] فى [مريود] يعـلمه القرآن ، وهم يعطونه قطعـة ارض نصف فدان بور — قالوا له اذا احببتها زرعتها ، فزرعها بهمة تـكاد تكون معجزة — زرع فيها مالم يزرع فى الدومة ، من محاصيل وغير مواعيد المواسم ، وكان أول من علمهم زراعة [التنباك] — لقد كان يحمل الجذور فى [العلبة] التى وجدت معه لحظة خروجه من النهر ، وتزوج من [فاطمه بنت جبر الدار] وكانت ليلة عرسه من ليـالى الانس والبهجة والحسب والفرح التى لم تشـهد مثلهـا [الدومة] ، وخلفت له فاطمة [عيسى ضو البيت] الذى لقبوه الصحابه وبالذات حمـدود حليمه كما عرفنا سابقا [بندرشاه] .

ولنستمع لقانون حياة [دومة ود حامـد] عندما اسـتقبلت الغريب واسـتوعبته ، تماما كمـا استقبلت واستوعبت [مصطفى سعيد]

قال [عمى محمود] — انضج حكماء وشيوخ الدومة — « ياعبد الله نحن كما ترى نعيش تحت ستر المهيمن الديان حياتنا كد وشظف ، ولكن قلوبنا عامرة بالرضا ، نصـلى فروضـنا ، ونحفظ عروضنا ، الكثير لا يبطرنا ، والقليل الذى عندنا عملناه بسواعدنا ، والقليل على حقوق انسان ، ناس سلام وقت السلام ، وناس غضب وقت الغضب ، نحن لسنا ضعاف ، لكننا فى الحقيقة زى شجر الحراز النـابت فى الحقول وانت الفاك الموج على أبوابنا ، مانعلم انت مين وقاصد وين ، طالب خير ، أو طالب شر ، مهما كان نحن قبلناك بين ظهرانينا زى ما نقبـل الحر والبرد ، والموت والحياة ، تقيم معنا لك مالنا ، وعليك ما علينا ، اذا كنت خير تجـد عندنا كل خير ، واذا كنت شر ، فالله حسبنا ونعم الوكيل » .

ولقد انطوى [ضـو البيت] فى حياتهم وعاشها وجددها وأخلص لها ، وانتهى ايضا كما انتهى مصطفى سعيد فى فيضان النهر — ذاب فى سر التكوين الابدى المتجدد نجدد امواج مياه النيل ، الذى أخصب الارض ، ولقحها ببذور الحنـان والحب وأنجب منهـا الوادي العريق فى الجنوب — بسودانه ، وفى الشـمال حيث العروس والـذروة فى انفعـال تعبير الطبيعة عن نفسـها فى جسم جغرافية مصر .

لقد غرق [حمد ود حليمه ، وعمه محمود وحسب الرسول وضو البيت] لحظة خاطفة من فيضان النهر ، ولقـد أوشك حسب ود الرسول أن يغـرق ، بانقـاذه [ضو البيت] وكان احسـن ما شاهد ، حمد ود حليمة [ضـو البيت وكأنه معلق بخيـوط الشـمس الغاربة رافعا بذراعيه [حسب الرسول] فوق فى حمرة الشفق] ثم لا نذكر بعد ذلك الا الاصوات المرعبـة للاهالى فى الليل ، تصرخ [ضو البيت] [ضو البيت] ، لقد غاص فى النهر ، وحزنوا عليه كمثا يفتقدون السمع والبصر لانه عاش بينهم مثل الطيب ومضى كالحلم ، عمل منها مالم يعمله انسان فى العمر كله ، علمهم زراعة محاصيل جديدة ، وكان يقـول للشىء كن فيـكون ، كان يسافر بالقوافل من الجمال الى ديار الـكبابيش وبربروسواكن والى حـدود مصر ، ويرجع محملا بالثياب والعطور ، والوان من الاوانى والماكل والشراب ، هو يكبر ونحن نكبر ، بنينـا بيوت الجالوص بدل القش ، وبنى فوق القلعة بيت من داخل بيت وديوان ودار ديوان كأنها مدينة بحالها عنـدما تراها ، من بعيد ، بعدما كانت الارض الخرابة .

وتدمع عينـا [حسب الرسول] وهو يترحم عليه قائلا [مضى كالحلم ، وكأنه ما كان ، لولا ابنه عيسى ، الذى ولد بعد موته بثلاثة أشهر ، تنظر الى وجهه فلا ترى [ضو البيت] وتنظر الى عينيه ، فاذا هو [ضو البيت] الخالق الناطق .

ويسلمنا هذا التحليل للثنائية الثالثة او تل الازدواج الساحر فى عالم [الطيب صالح]

[٣] حضور وحياة بندر شاه — عيسى ضـو البيت وبعدهـا الاسطورى

هذه الحكاية الغريبة الشيقة لظهور واختفـاء [ضـو البيت] فى الدومة المحاكية والمعارضة فى نفس الوقت لما ورد فى التوراة والقرآن من قصص عن حياة الانسان والخلق والميلاد والموت — وطقوس العبادة ، والتوحيد ، تتصاعد فى رواية [مريود] لنوع من البحث

الانتروبولوجي عن مكونات التاريخ الحضاري والسياسي والاجتماعي للشخصية السودانية — من خلال الكشف عن عدة تفاسير منها التاريخي والاسطوري عن حقيقة [بندرشاه] يقول الرواة في [ود حامد] أنه كان ملكا نصرانيا ، من ملوك النوبة بسط سلطانه قبلي وبحري حتى حدود الريف وكانت عاصمة ملكه تقوم حيث توجد الان [ود حامد] ، وكان ملكا ذا عزة ومنعة وعندما دخل العرب قضوا على [بندرشاه] بحصونه ، وكنائسه وكل ما أدخله من قوانين وتشريعات .

ويزعم البعض الاخر أن [بندرشاه] كان ملكا وثنيا أقام مملكة سوداء قوية لم تزل تامر وتنهى حتى حطمها [عبدالله جماع] ابان صعود نجم [مملكة سنار] .

بل يقال أن بندرشاه أمير حبشي — ويقال غير هذا وذاك أنه كان رجلا أبيض اللون وفد على [ود حامد] أيام الغارات والهجرات — وقام بتجارة الرقيق وكون منها ثروة كبيرة ، وكان يسافر كثيرا للشرق والغرب والجنوب والشمال يجلب الرقيق وسن الفيل ، فجمع ثروة قارون وهو الذي بنى القصر على القمة في أعلى الربوة ، ويذكرون أن القصر بقي بعد أن تمرد العبيد على بندرشاه وقتلوه وحرقوا القصر ، وظل القصر على هيئته هذه بعد الحريق والتدمير ، الى أن رآه الامير [يوسف ود الدكيم] الذي حكم ذلك الاقليم أيام المهدية فوقف أمامه يتساءل عن قصة بنائه واستمع الى أقاويل متضاربة ، وأخيرا صاح [البناء دا ما بناه ابن آدم دا عمل شياطين] ثم أمر جنوده فهدموا ما بقى منه وسووا به الارض ولم يبق منه اليوم الا نخوف حجارة وشظايا آنية مدفونة في أكوام التراب العالية المكومة] .

هذا التحليل أيا كان — مجرد اقتراب ووصف لسمات .. مادة الوهم والحقيقة التي نسج منها [الطيب صالح] رؤيته الروائية من [عرس الزين] حتى [مريود] .

قدمناه في شيء من الشمولية — تاركين — عديدا من التفاصيل ربما لان السيطرة على تخليص اعمساله مستحيلة ، فجمع عدد من عناصر مشبتتة في روايانه وهي التي تشكل مادة ابداعه لا يمكنها ان تؤلف وحدها بناء متكاملا بحال من الاحوال .

فالرواية عند [الطيب صالح] قطعة من الشعر ، انها عملية ، خلق ، تتشكل لحظة بلحظة ، وانت تتنقل بين فصولها وبين زخم وحيوية احداثها وشخصياتها وتعدد مستوياتها المجازية ، حتى ليخيل للقارىء انه هو الذى يبدع بفنه ، ولا يلبث ان ينفذ من خلال هذا التكوين الى اعماق الرواية .

ولا شك ان ايقاع وتكوين الرواية عند [الطيب صالح] يستفيد من الخبرات الروائية في الغرب ولكنه بخلاف روائيين عرب معاصرين حاولوا التجريب والابحار بفن الرواية العربية الى المعاصرة فانزلقوا الى التقليد والغرام بالشكل والحرفيات ، فأحالوا واقعهم وتجربتهم لشيء من المسخ ... وثرثرة المثقفين المغتربين في واقعهم بدرجات تخلفه المتباينة هنا وهناك ولا يسقط هذا الحكم على الجميع فلا جدال في وجود آخرين مثل الطيب صالح — هنا وهناك في الوطن العربي ، كجبرا ابراهيم جبرا ، وحيدر حيدر ، وحليم بركات ، وفاضل عزاوي وصنع الله ابراهيم ، واميل حبيبي على سبيل المثال لا الحصر ، يتخطون باعمالهم الطريق المسدود الذى دخلته الرواية عندنا .

غير أن الطيب صالح يتميز عن الجميع بتحديد رؤيته وخلقه واقعا اسطوريا اشد غنى من الواقع نفسه ، اقصد عالم قرية [دومة ود حامد] .

لعله استفاد هنا بشكل او بآخر رغم اختلاف النوعية والموضوع من [وليم فوكنر] في كتاباته الشيقة الوحشية عن اسطورة الجنوب الامريكي ، وسيطرته على ماضي مقاطعة [اليوكناباتاوفا] كذخيرة من الاساطير والذكريات والالام .

فهذه القرية [ود حامد] عند الطيب صالح — ليست مجرد قرية سودانية على النيل ، بل هي الجذور والفرع ، البداية والنهاية فلدى حركة الانسان وطموحاته وانتصاراته وهزائمه ، هي الميلاد والموت المهد واللحد ، فيها فرح الحياة وحزنها ، يطمع في جعلها مسرحا صغيرا تدور فيه صورة مصغرة للتراجيديا الانسانية الالهية واللاالهية أيضا ان [محيميد] لا يقول عبثا عندما يهمس في شيخوخته على هدير امواج النيل في الفجر عصارة الحياة في [دومة ود حامد] .

لقد قدمها باسطورية في مجموعته الاولى [دومة ود حامد] وكأنه يتلمس بداية رحلته التي تواصلت حتى رواية [مريود] ، بكل ما فيها من اناشيد الطبيعة والحكمة التي غناها الطاهر ود الرواسي حفيد [بلال] ، وصديق النهر وعائلات من السمك ، تبدى له كحوريات مراوغة تشده الى النهر .

انها شامخة برأسها الى السماء ضاربة بعروقها في الارض ، انظر الى جذعها المكتنز الممتلىء كقامة المرأة البدينة ، والى الجريد في اعلاها كأنه عرف المهر الجامحة حين تميل الشمس وقت العصر ترسل الدومة ظلها من هذه الربوة العالية عبر النهر ، فيستظل به الجالس على الضفة الاخرى ، وحين تصعد الشمس وقت الضحى ، يمتد ظل الدومة فوق الارض المزروعة ، والبيوت حتى يصل الى المقبرة] اتراها عقابا باسطا جناحيه على البلد بكل ما فيها ؟

ان الغريب هو ان يحمل — الطيب صالح — قريته في وجدانه كل هذا العمر وهو الكاتب المهاجر دائما من السودان ربما لان السودان عبر رحلة انتقاله بين القديم والجديد وقع في هوة غريبة من البلبلة وسيادة من ينظرون للحياة والمجتمع نظرة احادية الجانب ، شاركت مع الاستعمار في اعاقة شخصية من الانطلاق نحو مزيد من الحرية والتقدم وقد نتحفظ هنا على غياب الموقف السياسي لدى الكاتب ووضعه في اطارات اشمل عن المصير الانساني ، والرؤية المتصوفة لواقع واسطورة الشخصية السودانية ، غير أن هذا موضوع يحتاج دراسة مستقلة يوضع فيها الطيب صالح مع حركة الادب السوداني التي ارتبط مباشرة بالنضال السياسي ودفعت ثمنه غاليا في أشكال عديدة من القمع والتشريد .

منذ مايو ١٩٦٥ افتقدت الحركة الثقافية في مصر والوطن العربي « المعلم محمد مندور » . بيد أن أعماله وأفكاره ما تزال تشع بأضوائها طريق التقدم والمستقبل .

د. محمد مندور

مندور ..
وحراسة التقدم

نعمان عاشور

الادب انعكاس لواقع الحياة وتطورها .. ولكنه ليس انعكاسا سلبيا .. بل انعكاس ايجابي يدمع الى تغييرها الدائب نحو مزيد من التطور والتقدم ونحو حياة افضل .

اذا كان من طبيعة البشر النسيان . فان من ميزات الواقع أنه يسجل ولا يمحو .. ومن مآثر التاريخ أنه يحفظ حقيقة الماضي فاذا بها تشع ساطعة مهما طال بها الزمن لتلقى بأضوائها الباهرة على المستقبل .. واليوم وبعد مرور أكثر من عشرة اعوام على وفاة مندور وبمناسبة حلول ذكراه [مايو سنة ١٩٦٥] يدفعنا الواقع الماثل لحياتنا الادبية والثقافية وما يحيطها من هبوط واهدار وانهيار ، إن نحاول استعادة بعض حقائق الماضي التى كان يمثلها مندور بحياته ونضاله وكتاباته . . لعلنا نستطيع أن ندرك من خلالها قيمة وحقيقة صدى نقيق الضفادع المتزاحمة على أطراف المستنقع الاسن لحياتنا الثقافية .. وهى تكاد تغطى بأصواتها

على كل معلم من معالم التقدم لكن ! ! من كان مندور ؟ ! .

وماذا كان مندور ؟!

ليس هناك مثقف مصرى بدأ شبابه مع قيـــام الحرب العالمية الثانية ولم يعرف مندور .. فما من أحد قرأ الكلمة أو ادرك قيمة الفكر أو ذاق طعم الفن أو شغله الاهتمام العام بأى تطور الا ولمس وجوده .. فقد كان مندور ملء حياتنا فىكافة جوانبها الفكرية والادبية .. ولذلك فحين مات افتقدنا فيه الرمز الحقيقى لاصفى ما يجنيه صاحب القلم الحر الشريف حين ينزهه فكره ونضاله عن الجاه والمركز والمكانة الرسمية ليكون كاتب عصره بكل ما يمكن أن تحمله الكلمة من معنى .

وتجىء الصفة الثانية من صفات مندور متمثلة فى نقائه وبساطته وارتباطه الدائم بحياة الجموع الشعبية وتطلعاتها وامانيها .. لقد كان مندور كاتبا مناضلا صاحب موقف ثابت .. وكان سلاحه الاول والاخير فىنضاله هو القلم .. ولهذا لم تهتز ثقته يوما فى الكلمة التى يكتبها مهما حاولوا طمسها .. وكان للعلم عند مندور قداسته التى ترتفع به عن صغائر الاخرين .. ولا وجه للمقارنة بينه وبين غيره من الذين تاجروا بالفكر والقلم والضمير فى أرخص الاسواق وبأحط الاثمان .. فلقد جاءته الكثير من الفرص وأحاطته الكثير من الظروف التى كانت تتيح له أن يجنب نفسه كل ما لاقاه من عناء حتى نهاية عمره .. فلم يحاول أبدا أن يتخذ من قلمه مطية للحصول على مكانة أو مغنم .. بل عاش صامدا فى نرفت واعتداد واصرار .. لان الكلمة كانت غايته ورسالته ..

ولكن أى كلمة !!

انها الكلمة التى تخدم حرية الانسان وتقدمه .. قد كان مندور سياسيا مفكرا الى جانب كونه أديبا ناقدا .. ولهذا وهب كل حياته لخدمة قضية التقدم وحراسة المستقبل والدعوة الدائمة الى الاشتراكية والنضال من أجل تحقيقها مستلهما مبادئها من واقع مكوناته المحلية وثقافته العصرية وآفـاقه الفكرية الرحبة وعواطفه الانسانية الزاخرة .

مسار حياته

فى الجامعة :

على بداية الحرب العالمية الثانية .. عـــــاد أعضاء البعثات المصرية فى الخـــارج بعــد أن تعرضت البلاد التى كانوا يعيشون فيها لغزو النازية .. وكان مندور على نهاية بعثته فى فرنسا فعينوه معيدا فى كلية الاداب مع انه يحمل شهادة فى الحقوق أيضا .. وبدأ الرجل بتدريس الادب .. ولكن من ناحية جديدة تماما .. هى تلك التى يرتبط فيها الادب بحرية الانسان .. وما لبث أن التف حوله العديد من التلاميذ والمعجبين .. وكان مندور يتميز بمحاضراته الجديدة وما تحويه من افكار واتجاهات منحررة طلقة .. ولم ينقض العام التالى حتى خرج مندور بأفكاره هذه الى الساحة الادبية الواسعة فراح يكتب فى « الرسالة » وفى مجلة « الثقافة » وفى غيرهما من المجلات الادبية العربية والمصرية ذات القيمة .. فاذا هو يكشف للادباء عن شىء جديد .. ويفسر الادب بمفهوم متطور .. وهكذا بدأ النقد يأخذ طابعا علميا .. ويحمل قيما موضوعية جادة .. وانســـاب الى الحياة الادبية تيار جديد من الفهم والتذوق ليقتلع قوائم الجمود ويخلق نظرة متفتحة للفنون الادبية تربطها بموضوعية الحياة وروح المعـاصرة .. وكذلك خرج علينا بكتابه الاول عن النقد .. « فى الميزان الجديد » .

الدكتور مندور

واحدث الكتاب هزة قوية كان لها صداها فى الجامعة ذاتها .. فهاهو أستاذ أكاديمى يخرج على الناس بمنظار حى يدفع الاساتذة أنفسهم الى اعادة النظر فيما استراحت اليه أفهامهم من التكرار .. شكلا وموضوعا .. وبعدها بعام يتقدم مندور للحصول على درجة الدكتوراة التى لم يقدر له الحصول عليها فى فرنسا فتكون رسالته عن ناقد عـربى أصـيل وهـو عبـد القاهر الجرجانى .. وتكشف رسالته عن مجاهل خافية فى تراثنا العربى تزيل عنه اتربة الجمود .. وتضيف الى عنصر المعاصر .. مقومات الاصالة كركن أساسى فى اقامة الادب المعاصر على ارسخ قاعدتين .. الاصالة والمعاصرة .

فى عالم السياسة :

ويحصل مندور على الدكتـوراة لتلصـق باسمه .. حتى اذا ترك الجامعة وخـرج الى الحياة العامة .. واشتغل بالصحافة اليـومية كرئيس لتحرير جريدة الوفد « صوت الامة » .ج

كان نداء باعه الصحف المحبب عن مقالاته السياسية .. وكانت اجرأ وأقوى ما يكتب أيامها .. بتكرار أسمه .. « مندور » أقرى الدكتور مندور » .. وهكذا كسب مندور شعبية كبيرة واسعة فى عالم السياسة .. لكنه لم يدخل ميدانها محترفا وانما نزل المعترك السياسي وهو يؤمن بمبدأ ويكافح من عقيدة عن معرفة ودراية ودراسة وعن علم وفهم .. ولهذا تميز عن كافة الكتاب السياسيين المعاصرين له بمختلف احزابهم واتجاهاتهم .. لانه كان من أسبق الداعين الى الاشتراكيه ولا عجب بعدها ان يكون مندور هو رأس التيار اليسارى الذى نشأ فى داخل حزب الاغلبية وهو التيار الذى اشعل هبة ١٩٤٦ .. مقيما دعواه على معاداة الاستغلال الرأسمالى والاقطاع والاحتكار العالمى الذى كان يساند وجودهما فى الداخل بالاحتلال العسكرى وبالسيطرة الاقتصادية وبالتحكم السياسى .

لا غرو ان يكون مندور على رأس الكتاب الوطنيين الذين زجت بهم رجعية الاحتكار الاقطاعى الى السجون مرات ومرات ، لكنه ظل على صلابته حتى أندحرت احزابها .. بما فى ذلك حزبها الغالب .. ومن بعدها انفصل مندور عاد بنشاطه وحيويته الى المجال الثقافى .. ورمى بكل ثقله فى دنيا الادب والنقد . . وكانت تلك من اغنى الفترات التى صدرت خلالها معظم مؤلفاته .

النشاط الثقافى :

كان عام ١٩٥٠ نقطة تحول فى حياة مندور .. فمن بعدها نأى بنفسه عن الحزبية السياسية .. وبمحض اختياره وارادته .. وترك صفوف الوفد بفضل ايمانه بالاشتراكية والحرية والتقدم .. وهو الشعار الذى كان يرفعه ايامها ويردده على الدوام .. وهكذا انصرف مندور فى الحقبه التى سبقت قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ واعقبت وجودها .. انصرف الى المجال الثقافى يحمل راية الادب الموضوعى والدعوة الى ربط الادب والفن بالنضال الاجتماعى وبالتالى ارساء قواعد الاشتراكية على أرسخ أسسها .. وهى الثقافة ..

لكن هذا لا يعنى أن مندور كان قد ترك السياسة .. أو تخلى عن كفاحه فى مجالاتها .. أبدا .. فقد كان من أسبق الذين بشروا بأصالة ثورة ٢٣ يوليو وابرز الداعين اليها كثورة تقدمية واضحة المعالم .. وبالذات فى خطواتها الاولى نحو الاخذ بمبدأ الاصلاح الزراعى وتوزيع الارض على الفلاحين ثم فى مجال النضال الوطنى لتحقيق الجلاء والقضاء على الاستغلال الرأسمالى. فلما أممت القنال .. كان مندور على رأس المكبرين لهذه الخطوة وفى أول الصفوف البارزة لمقاومة العدوان الثلاثى الغادر ..

والحق أن مندور كان منطقيا مع نفسه تماما فى موقفه هذا .. لاننا اذا رجعنا الى مقالاته السياسية ابان الفترة من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٠ .. لوجدناه من أوائل المنادين بكافة الخطوات الجدرية التى اتخذتها ثورة ٢٣ يولية .. خاصة بعد اقرار الاشتراكية والسير قدما لتحقيق العدالة الاجتماعية وهى جوهر ولب دعواه على مدار الاربعينات .. وقد ربط مندور نضاله أيضا فى تلك الفترة بقضية السلام .. وكان دائما يردد أن أكبر خطر على أى تطور وطنى اشتراكى .. لن يأتيه الا من ناحية محاولات الاحتكار العالمى وتجار اسلحته باشعال نار الحرب ..

مندور ناقدا

كان مجال النقد الفنى هو المجال الذى شهد الجولة الاخيرة من نضال مندور .. وبالذات فى ميدان المسرح حيث دخل حلبته من بداية الشوط الجديد فيه .. وطرقه وهو مزود بفكر واسع راسخ وثقافة مبلورة ناضجة ووعى سياسى ثاقب ونظرة انسانية وافرة عميقة .. وفوق هذا كله بموقف تقدمى صلب لا يعرف النكوص أو التراجع .. ولهذا لم ينخدع بدعاوى التجديد ومزاعم تغليب الشكل على المضمون وما الى ذلك من أفانين وخاض فى ذلك شتى المعارك مع دعاة الفن للفن واشباههم . ذلك أن نظرته الواضحه الثابته كانت مستمدة من حصيلة نضاله السياسى والثقافى معا .. وكان يركن دائما الى الروح التطبيقية والتذوق الموضوعى الذى يحنو على العمل الفنى بلا حكم مسبق أهوج أو حقد صغير كامن .. لانه لم يكن يضع نفسه موضع الناقد الذى أعجزته القدرة على الخلق الفنى فراح يحاول ادراك ما فاته بالتشفى من أعمال وجهود الخالقين

المبدعين .. لقد كان مندور يقف أمام كل عمل فنى موقف الدارس المتقن الحريص على سلامة وايجابية الانتاج الذى يتصدى لنقده ..

النقد الخلاق :

ولاشك أن هذه الروح الايجابية الحانية هى التى جعلت من مندور هذا الناقد الخلاق الذى يحرص على كل جهد فنى حرصه على حبات عيونه .. والحق ان الخمسه والعشرين كتاب التى خلفها مندور فى مجال دراساته الادبية والنقدية .. تسجل فى تاريخنا الثقافى اقوم رصيد للنقد الذى يلازم الحركة الادبية ويزاملها فى تجاوب يربط بين نتاجنا الادبى والفنى وحياتنا الاجتماعية والسياسية باقوم الوشائج .. ويكفى ثباته فى اتجاهه التقدمى الراسخ وتطبيقاته النظرية والعملية البناءة التى ترفع مستوى انتاجه النقدى لكي يقف جنبا الى جنب مع النتاج الادبى فى قيمته ودلالته كنقد خلاق ..

لقد خلف لنا مندور عشر كتب عن الشعر والشعراء .. منها ثلاثة اجزاء عن الشعر المصرى بعد شوقى .. ودراسات لشعر ولى الدين يكن واسماعيل صبرى وخليل مطران ومسرحيات عزيز أباظة وشوقى ومنها كتب عن مسرح توفيق الحكيم وأدب المازنى وخمس كتبعن المسرح عامة .. هذا عدا كتبه الاخرى فى الادب والنقد وكلها الى جانب المترجمات العديدة تشهد بأن تراث مندور هو المصدر المقوم والركيزة البارزة فى بناء صرح النقد الابى والفنى لحياتنا المعاصرة .. لانه يرسم الطريق واضحا لمستقبلنا الادبى على ضوء تقدمى ثابت الرسوخ واضح الابعاد .

حراسة التقدم

أفلا يحق لنا بعد هذا أن نترحم على مندور ؟

وهل يمكن ان تلغى أو تنمحى قوائم هذا الصرح الثقافى الذى وهب مندور حياته ونضاله وكرس فكره وقلمه لحراسة تطوره .. وكيف تستطيع فلول الاقزام مهما عربدت وهى تنهش فى هذا الصرح الشامخ أن تهدر كل القيم والمثل والتطلعات التى كسبها شعبنا على مدى سنوات نضاله من اجل استغلاله الاقتصادى وتحرره الاجتماعى وانطلاقه الفكرى على هدى وفى ظل المسيرة الجذرية لبناء الاشتراكية..

ان التاريخ لا يغفر ولا يرحم ولا يجامل .. وذكرى مندور امانه التاريخ .. ولكنها أيضا .. خير ما يمكن أن يكشف لنا عن حقيقة وقيمة هذه الغربان الناعقة الزاعقة التى تحوم حول الخرائب الثقافية لتراث الادب الرجعى والفكر المتخلف والفن الهزيل الذى لايزال يعيش به وعليه قطعان الجهالة من أنصار الجمود والردة واعداء التقدم . ع

الترجمة

وبناء الدولة العصرية

د . سامى عماره

ان مصر اليوم لفى أمس الحاجة الى تغيير تمامى وجدرى تطهر به أفكارها وعاداتها وقيمها من شوائب الثقافات الرجعيه التى لا تزال عالقة بحياتها الثورية الجديدة . اننا نحن المثقفين لفى أمس الحاجة الى ذلك التغيير لنواكب به مصر الحاضر ونسلح به جماهيرنا الشعبية لنحقق أهدافنا العاجلة والآجلة على السواء ولنساند به كل جهد يبذل فى الجبهتين العسكرية والمدنية لحماية ثورتنا وانتصاراتنا ولنسير على هديه فى طريق الاشتراكية .

ولذلك لابد لنا من تخطيط سليم يحكم هذا التغيير على اساس موضوعى تقييمى لواقعنا ومستوانا . وانطلاقا من هنا يكون من أهم العناصر التى يجب أن يشملها التغيير أو بعبارة اخرى يجب أن يدخل ضمن اطار ثقافتنا الثورية موضوع الترجمه . فليس من فن اهمل طويلا كفن الترجمة وحتى اولئك الذين فطنوا الى أهمية هذا الفن كأحد دعائم بناء الدولة العصرية وكنافذة عريضة على الثقافة العالمية لم يحاولوا بحث مبادئه او وضع قواعد له .

لقد قامت الثورة ، ومع

إنتصارات كل ثورة تبدأ الحاجة المباشرة الى استكمالها ودعمها وضمان استقرارها واستمرارها وتجددها . هكذا كان الحال عندما انتصرت الثورة السوفيتية وهكذا كان الحال عندما انتصرت الثورات الاشتراكية فى مختلف أنحاء العالم .

ومن واقع دراسة الترجمة نظرية كانت أو عملية ، فى الاتحاد السوفيتى ، اعتقد أنه لمن المفيد عرض بعض جوانب التجربة السوفيتية فى هذا المجال ، واضعا اياها بين يدى القارىء والمسئول لعل فى تجربة الاخرين ما يفيد . والتاريخ لم ولن يعرف تجربة تذهب عبثا .

[●]

شهدت روسيا حركة ترجمة واسعة ونهضة أدبية واكبتا ذلك الانفتاح وكسر أسوار العزلة على يد بطرس الاول فى بداية القرن الثامن عشر . فعندما تولى الحكم كان التدهور قد بلغ مدى بعيدا فى مجالى العلم والصناعة . ومن هنا رأى بطرس الاول أنه لابد من اتخاذ خطوات ايجابية لتصحيح هذه الاوضاع . فبدأ باستخدام الاجانب والاستعانة بهم وثنى بارسال البعثات الى أوروبا ثم ثلث بانشاء المدارس والمصانع الجديدة على النظام الاوروبى . وفى كل ذلك نجد أنه قد وضع نصب عينيه الوسيلة الوحيدة وهى النقل عن الغرب . وقد واكب كل هذه الاصلاحات اهتمامه بفن الترجمة . ومما يحكى عنه ذلك الامر الذى أصدره محددا أسس الترجمة الواجب اتباعها ـ تحريم اتباع الحرفية كمبدأ ، والحفاظ على المعنى ، ونقاء لغة الترجمة وسلاستها «١» .

وفى سنة ١٧٦٨ تأسست فى روسيا أول جمعية أدبية للمترجمين ضمت ١١٤ عضوا . ويذكر التاريخ ذلك التنافس الادبى الذى دب بين أعضائها وعلى رأسهم الاديب التقدمى الثورى الكسندر راديشيف والاديب والعالم ميخائيل لومونوسوف . فقد كان المترجمون يتبارون على ترجمة نص ادبى واحد متخذين فى ذلك صفحات الجرائد والمجلات ساحة لهم حتى يعطوا للقارىء والمتخصص فرصة المقارنة والتقييم .

وهكذا ظهرت فى روسيا مدارس متعددة فى الترجمة . فقد كانت وجهات النظر فى مجال الترجمة فى نهاية القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر تختلف من اديب لاخر . وهنا يجب الاشارة الى ان كبار الادباء هم الذين حملوا لواء الترجمة فى بدايةعهدها ، وأرسوا بذلك تقاليد عريقة مازال المترجمون فى الاتحاد السوفيتى حتى يومنا هذا يعتزون بها ويطورونها حاملين لواءها من بعدهم .

ولنقرن القول بالدليل .. كان فاسيلى جوكوفسكى ينادى فى بداية عهده بالترجمة بتزويس النص ، أى اضفاء الطابع الروسى على الشخصيات والمواقف وهو ما يعرف بالاقتباس ، بينما كان الكسندر بوشكين يتقيد بالنص مع الالحاح على جمال الترجمة ، ويسعى الى مراعاة أسس الترجمة ومبادئها . وليس هذا بغريب على بوشكين وهو القائل : « على المترجم أن يكون منافسا للمؤلف وليس عبدا له » .

أما ميخائيل مونتوف فقد كان يطلق لنفسه العنان فى حقل الترجمه غير هياب لا بأسس أو مبادىء أو أسلوب أو مضمون . وترجمته لرواية هنريخ هينه « النخيل وأشجار الصنوبر » لهى خير دليل على ذلك . ففى هذه الترجمه يلاحظ القارىء اذا ما تيسرت له فرصة المقارنه أن هناك الكثير من التفاصيل قد اغفلت واقحم غيرها مما لم يطف بخيال المؤلف قط . هذا وعلى الرغم من كل ذلك فقد ظل ليرمونتوف رمزا للطريقة التى ينادى بها بعض المترجمين فى أيامنا هذه بأن على المترجم ألا يفقد شخصيته حيال المؤلف . ونحن هنا اذ نعلق على ذلك فلسنا بحاجة الى تفنيد مساوىء هذه الطريقه . ولكن تجب الاشارة الى ان هينه قد جنى على نفسه حين قال ان الترجمه كالمرأة .. ان تكن جميلة فهى غير امينة ، وان تكن امينة فهى غير جميلة .

على العكس من ذلك طالب الناقد الادبى فيسيريون بيلينسكى بترجمة روح النص . اذ أن المترجم يجب أن يكون فنانا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، ويراعى الالتزام بظروف

---

(١) جفى جاتشيتشيلادريه . مدخل فى نظرية الترجمة الترجمة الفنية . تبيليسى ١٩٧٠ . ص ٢٦ .

وطابع المجتمع ومستوى ثقافة الشعب . ولقد أدان بيلينسكى الحرفية كمبدأ ، حين ذكر فى مقالة له معلقا على ترجمة هاملت لشكسبير : « ان الحرفية مطلوبة ، لكنها ليست فى النقل الحرفى للنص بل فى روح النص . ان لكل لغة سماتها ومميزاتها التى يصعب على المترجم الالتزام بها » «٢» .

هذا وقد قدر الديموقراطى الثورى نيكولاى تشيونيشيفسكى دور الترجمة تقديرا عاليا . فناهض عملية الاختيار العفوى للنص واعلن أن الاختيار يجب أن يقع على نص يمثل مدرسة معينة او اتجاها جديدا وطبقا لمستواه الفكرى والفنى . كما قدر دور اللغة محددا معالمها ـ السلاسه والوضوح والفاعلية .

ارسى هؤلاء العمالقة وغيرهم من أمثال دوبرولوبوف وميخائيلوف مبادىء وأسسا اتخذها المترجمون من بعدهم نبراسا لهم يسيرون على هديه فى هذا الطريق الوعر . وحفل النصف الثانى من القرن التاسع عشر بأعمال كبار الادباء ومشاهير المترجمين . وأسوق هنا على سبيل المثال لا الحصر ترجمة دوستويفسكى لرواية بلزاك « يفجيينى جراندية » وكورجينيف لرواية فلوبير « ايرد دياد » وليف تولستوى لرواية موباسان « الميناء » . وكان لهذه الاعمال عظيم الاثر فى دور الثقافة العامة لفن ترجمة النثر . لكنها ، على الرغم من ذلك لم تخل من ظاهرة الترويس التى يناهضها كبار المترجمين فى عصرنا هذا .

وكانت الظاهرة المميزة لهذه الفترة هى الجهد البالغ والعمل الشاق والمتواصل الذى كان يبذله المترجمون لاصدار تحف فنيه تضارع النص الاصلى روعة واصالة . ولنأخذ على سبيل المثال « الكوميديا الالهيه » لدانتى والتى ترجمها د . مين فيما يزيد عن الاربعين عاما . و « فاوست » لجوته التى ترجمها ن . خولودكوفسكى فى قرابة خمسة وعشرين عاما .

وكما ذكرت سابقا فان كل ثوره اجتماعيه لابد وأن تصحبها ثورة ثقافية . هكذا كان الحال فى روسيا . فبعد الثورة مباشرة وفى عام ١٩١٨ قام ماكسيم جوركى يحمل لواء الترجمة بعد بوشكين ولو وبيلينسكى بوصفه رائدا لها بعدأن عمل مراجعا وناقدا ادبيا ، مؤسسا « دار الادب العالمى » فى بتروجراد « لينتجراد حاليا » . وقد حدد جوركى مهام الدار بوجه خاص والترجمه بوجه عام فى مقالة له نشرها فى عام ١٩١٩ قائلا « يجب ان تصدر الدار انتاجا يصلح اساسا تاريخيا وادبيا يوفر للقارىء امكانية متابعة ظهور وانتاج وخسوف المدارس الادبية المختلفة وكذلك فن الشعر والنثر والتأثيرات المتبادلة لاداب مختلف الشعوب » «٣» .

اجتذبت هذه الدار ما يقرب من المائتى أديب ، ووضعت نصب أعينها غرضا رئيسيا : هو رفع مستوى فن الترجمة واعداد كادر متخصص من المترجمين الشبان . وقد تجسد ذلك فى تلك « المدرسة » التى انشأتها الدار رفع كفاءة المترجمين واعداد الكوادر الجديدة منهم . وبدأ الاكاديميون والبروفيسيرات والكتاب الذين اجتذبهم جوركى بهذا الغرض فحص وتنقيح كل التراجم القديمة لدانتى وسرفانتيس وجوته وزولا وديكنز وغيرهم وكذلك التراجم الصينية والفارسية والعربية . واسفرت هذه الأبحاث عن أن التراجم القديمة ـ عدا قلة ضئيله جدا ـ غير صالحة على الاطلاق لان يطلق عليها « تراجم » مما ادى الى اعادة النظر فيها .

ولذا كان لابد من وضع أسس وطرق للترجمة كى يتسلح بها كل مترجم ليتمكن من اتقان هذا الفن وأسس وقواعد تحكم عملية اختيار النصوص التى يجب ترجمتها سواء على المدى القريب او المدى البعيد . وترأس جوركى تلك اللجنة التى شكلت لهذا الغرض . وتكاتف الجميع لاصدار الكتب والكتيبات اللازمة لتسليح المترجم بالعلم والنظرية كى يملك ناصية هذا الفن . وصدر اول كتيب يحمل عنوان « أسس الترجمة الادبية » فى سنة ١٩١٩ يتضمن بين صفحاته زبد خبرات السابقين والأسس العلمية الواجب مراعاتها فى ترجمة الانتاج الادبى نثرا كان أو شعرا .

[٢] فيسيريون بيلينسكى ، مجموعة المؤلفات . الجزء الثانى ص ٤٢٩ . اكاديمية العلوم السوفيتية ١٩٥٣ .
[٣] ماكسيم جوركى . مجموعة مقالات النقد الادبى . موسكو . دار النشر الحكومية ١٩٤١ . ٤٧٩ .

هذا وقد قام كبار الكتاب أمثال بوريس باسترناك وكورني تشوكوفسكي ، كما قام يوشكين ودوستويفسكي وبيلينسكي في القرن الماضي بترجمة الادب العالمي . ولم تمنع ترجمة انتاج ما اعادة ترجمته مرة اخرى . فبنظرة سريعة نجد ان كثيرا من روايات شكسبير قد تم ترجمتها أكثر من مرة . واسوق على سبيل المثال « هاملت » التي ترجمت ١٧ مرة . وقد قام بوريس باسترناك بترجمة شكسبير ترجمة اعتبرها الكثيرون من النقاد والعالمين باللغتين الانجليزية والروسية تحفة فنية تضارع الاصل روعة وأصالة .

لكن هذه الفترة لم تخل من المعوقات . فقد سمحت السياسة الاقتصادية الجديدة التي قررتها الثورة في عام ١٩٢١ بتاسيس بعض دور النشر الخاصة تلك الدور التي افتقدت الخطة والمنهج العلمي الصحيح ووضعت نصب اعينها المكسب لا الجودة والكمية لا النوعية . غير ان هذه الدور لم تستطع ان تصمد طويلا في ظل الاوضاع والظروف التي فرضتها الثورة لتغلق ابوابها في أواخر العشرينات .

ونحن هنا اذ نشير الى تلك الاوضاع والظروف لا يمكننا المرور عليها مر الكرام دون أن نتوقف عندها لنلقي عليها الضوء ، حيث انها اساس نهضة الترجمة في الاتحاد السوفيتي .

لقد كان ظهور الاتحاد السوفييتي كدولة متعددة القوميات دفعة قوية لحركة الترجمة في هذه البلاد ، اذ أن بلدا يضم مايزيد عن ستين قومية ، وشعب لا غنى به عن الترجمة كوسيلة اتصال وتفاهم . وقد اعطى مكسيم جوركي كل اهتمامه لتجميع كل القوى الادبية لشعوب الاتحاد السوفيتي وتنظيم عملية ترجمتها . ان الفضل وكل الفضل يرجع الى هذه العبقرية في لم شتات وتجميع وتنظيم طاقات مختلف هذه القوميات فقد شكل اللجان المختلفة لتكون كل منها مسئولة عن جهة معينة ، وسافر بنفسه الى اقاصي البلاد ليتعرف على الطبيعة بهذه المهمات . وعاد لينشيء دار اداب شعوب الاتحاد السوفييتي تتبع لدار النشر الحكومية . ولقد كان للمؤتمر الاول لكتاب عموم الاتحاد السوفيتي الذي عقد في موسكو عام ١٩٣٤ عظيم الاثر على هذه الحركة . هذا وقد لعبت اللغة الروسية دورا بالغ الاهمية في حركة الترجمة فمنها واليها كانت تترجم آداب هذه الشعوب . وقد عرف العالم جنكيز ايتماتوف ورسول حمزاتوف وقيسين كوليف وهم ابناء القوميات الصغيرة بفضل اللغة الروسية كما لعبت اللغة الروسية دورا آخر في الارتقاء بثقافة بعض القوميات التي لم تكن تملك حتى أبجديتها فاتخذت الابجدية الروسية أساسا للغتها .

ولذا فقد أضفى التكوين القومي للاتحاد السوفييتي أهمية سياسية على حركة الترجمة . ان الملايين في الاتحاد السوفييتي يملكون اليوم فرصة التعارف والتعرف على ثقافات بعضهم البعض ، يملكون نتائج تلك التحولات التي اسفرت عنها الثورة الاشتراكية في كل المجالات .

ان الاتحاد السوفييتي يضم عددا يريد عن المائتين من دور النشر أكبرها « دار نشر الادب السياسي » ، « الفكر » ، « العلوم » ، « الادب الفني » ، « دار التقدم » ، « أدب الاطفال » وغيرها . وجدير بالذكر أن دور النشر السوفيتية الثلاث « نوفوستي » ودار « التقدم » ودار « مير » تقوم وحدها باصدار ما يزيد عن ألف مصنف في السنة بمائة وخمس وأربعين لغة . ولا عجب في ذلك ، اذ أن الاتحاد السوفيتي طبقا لاحصائيات اليونسكو يشغل المركز الاول في العالم من حيث اصدار الادبيات المترجمة .

وجدير بالاشارة اليه هنا ان هذه الدور تعمل على امداد مكتبة القارىء السوفييتي بمنجزات الفكر العلمي الاجنبي والادب العالمي ، القديم منه والجديد .

كما اجد لزاما على التنويه بأن مؤلفات الكثيرين من الكتاب الاجانب تصدر في الاتحاد السوفيتي بكمية اكبر بكثير مما تصدر في أوطان مؤلفيها . وعلى سبيل المثال فقد صدرت في الاتحاد السوفييتي مؤلفات جاك لندن بنسخ جملتها ٢٩ر٧ مليون ، وتشارلز ديكنز ـ ٢٤ مليونا ، وجي دي موباسان ـ ١٥ ٦ر٢٢ مليون ، واميل زولا ـ ٢٠ مليونا ، وفيكتور هوجو ـ ٢٢ مليونا ومارك توين ـ ١٨ر٧ مليونا ، وثيودور درايزر ـ ١٢ مليونا ، وجون جولسورسي ـ ١٢ مليونا ، وليون فيختفانجر ـ ١٠ ملايين ، وجاني روداري ـ ٨ر٧ مليون ، وياروسلاف هاشك واناتول فرانس ـ ٧ ملايين لكل منهما ، وطاغور ـ ٥ ملايين ، وهيمنجواري ـ ٥ ملايين ، وبوليسلاف بروس ـ ٤ ملايين ،

وهنريخ بول — أكثر من مليونى نسخة — وانطوان دى سانت اكزيوبيرى — ٥ر١ مليون نسخة .

كما نترجم مؤلفات الكتاب الاجانب الى لغات مختلف شعوب الاتحاد السوفييتى . فقد ترجم شكسبير الى ٢٨ لغة . راسين الى ٣٣ لغة ، وروسان رولان وميخائيل سادوفيانو الى ٢١ لغة ويوليوس فوتشيك الى ٣٧ لغة وتشاندور بيتيفى الى ١٧ لغة وجميعها من لغات شعوب الاتحاد السوفييتى .

هذا وتصدر اليوم فى الاتحاد السوفييتى مجلدات « مكتبة الادب العالمى » التى سنصل الى مائتى مجلد تضم نفائس التراث الادبى لمشاهير الكتاب والادباء فى العالم . كما ان الاتحاد السوفييتى — مملكه الاطفال — لم ينس براعمه ورجال مستقبله فى مجال الترجمة . ولما كان ادب الاطفال — كما يقول جوركى « دولة عظمى لها قوانين وحقوق السيادة » فقد كرس الاتحاد السوفيينى سدس انتاجه من المطبوعات للطفل . ويترجم أدب الاطفال الى هذه اللغات من ٧٦ لغة اجنبيه من بينها « رحلة جاليفور » لجوناثان سويفت ، و « مغامرات روبنسون كروزو » لدانييل ديتو ، وأقاصيص هانز اندرسون وشارل بيرو والاخوين جريم . وكتب الاطفال لجول فيرن ومارك توين وشارلز ديكنز ووالترسكوت وفينيمور كوبر وجاك لندن وكثيرين غيرهم .

ولم يكن كل هذا ليتم دون خطة ومنهج ومجهود شاق ومتواصل . ان الاتحاد السوفيتى الذى قامت ثورته و ٧٥ فى المائة من شعبه غارقون فى ظلام الامية والجهل والتخلف ليفخر اليوم بأنه اكبر ناشر فى العالم وبأنه بلد القراء . والترجمة فى بلد مثل هذا ستظل رائدة مدى طويلة مادام هناك من يحمل الراية بعد هؤلاء العمالقه الذين ارسوا أسسها ووضعوا اولى لبناتها . ان لسان حالها المتمثل فى المؤتمرات السنوية محلية كانت أو دوليه وفى كتبها السنوية الدورية مثل « كتاب المترجم » ، و « فن الترجمه » لحقل طيب يؤتى ثماره ويضعها فى متناول الجميع ممن يهمهم الامر . ومن لا يهمه ذلك الامر اليوم .

هذه هى التجربة السوفييتية بايجاز شديد وكل تجربة لها أخطاؤها والتجربة والخطأ هما المنهج العلمى الذى نتحسس به خطواتنا على ارض الواقع تمهيدا للسيطرة عليه ورغبة فى تغيير مختلف جوانبه . هذه هى التجربة السوفييتية ولا اخالها سوى نبراسا لكل المثقفين أبناء رفاعة رافع الطهطاوى ... ان كل تجربة لهى جهد مشروط بهدف محدود يسير فى اطار هذا الهدف ويستمد قيمته من مدى النجاح فى تحقيقه .



الأشجار عند البحيرة

محمود الورداني

يتبدد الظلام رويدا . فيما يكون متعينا عليك ان تلتفت الى اقصى اليمين عبر الخطوط الاربعة الداكنة المحفورة على شكل مربع صغير . وقد بانت تلك النقوش الصغيرة المكونة — مع ذلك — من وحدات ثابتة تقريبا . ولايحتاج الامر لامعانك النظر . او هذا ماحدث معى على وجه الدقة وربما يكون ذلك من تكرار ايقاعها الثابت داخل الحيز الضيق للخطوط الاربعة التى أشرت اليها

عبر تلك النافذة اذن . سوف ترى اللون الازرق الخفيف الشديد الصفاء وربما انه يميل الى البنفسجى . بدرجة او باخرى : ثم تفاجأ بالعين الواسعة المرتعشة التى انحرف انسانها الى اقصى اليسار : ثابتة ومصوبة الى المكان المتوجهة اليه . وقد بدت بلون العسل مكحولة ورموشها طويلة طولا غير عادى . بعد فترة تكون خلالها قد تمكنت من تمييز اللونين — البنفسجى فى الخارج . والبنى الداكن المختلط بالرمادى فى الخارج — وبعد أن تمكنت أنا من ذلك — كان بمقدورى . كما سيبين لك ان ارى جانب الوجه المستطيل المسحوب اللامع ، بالفك — أو الجزء من الفك ، بشكل اكثر دقة — القوى المضموم جيدا ثم المساحة التى تبدو طويلة مابين الفك والعين . وقد أضيئت — ضوءا خفيفا واهنا — التفاصيل . وبانت بارزة وصارمة — الى حد بت معه قادرا على مد يدى وتلمس التفاصيل الصارمة تلك . اسفل النعومة البنية اللامعة .

وما لم استطع تمييزه . هو ماذا كان جانب الوجه ذاك — بتلك البقعة البيضاء بياضا خفيفا . الى جوار العين الواسعة المرتعشة الذى بدا مرتفعا قليلا عن سطح النافذة . وقد غطى جزءا ضئيلا من الايقاع الثابت للنقوش — قد تمكن من اجتياز هذا السطح . او انه مايزال مبتعدا قليلا . غير ان الرقبة البنية الطويلة التى بدت شديدة النعومة . بمعرفتها الغزيرة المتطايرة وسط الرياح اقول انها — تلك الرقبة — بانت متناقضة بشكل غريب — فى المنظور — مع تلك العين الواسعة المرتعشة المنحرفة انحرافا شديدا . وكذلك مع الجزء الصغير الملتمع البنى لظهر الحصان الخالى .

اننى اقول لك ان هذا ماسوف تراه فى البداية . وربما لو لم اقل لك ذلك لكنت رأيت ماقد يكون مختلفا قليلا . غير ان ذلك اللون البنفسجى الشديد الصفاء وتلك العين المكحولة الواسعة التى تكاد تقفز خارج رموشها الطويلة السوداء .

وهما ماسوف يجذبانك . او انهما ماقد جذباني بالفعل .

هيا بنا اذا نمضى كلانا الى الداخل .. فى المقدمة ، سوف نرى الجسد الطويل الملقى على وجهه .. وبحذاء الجسد الملقى . بزاوية معاكسة لزاوية عين الحصان . كان الفراش الصغير الملاصق للجدار . الذى لن نستطيع تحديد لونه مطلقا ، حتى بالنظر الى اللون القاتم الذى أخذ يغلب عليه الرمادي بدرجاته المختلفة فيما بينها اختلافا شديدا . ولقد تراءى لى الفراش الذى بدا لونه باهتا . مبعثرا ومكوما ناحية المسند الذى يبدو قريبا منا .

ان رأسه بانت هكذا . فيما بين الفراش . والمنضدة الصغيرة المستديرة باربعه أرجل ، والمغطاة بمفرش باهت كذلك . ولسوف ترى انها تحمل الزجاجه والكوب والطبق الصغير . وربما أن تلك الاشياء لا تتضح لك جيدا . وقد بدت المسافة بعيدة فيما بيننا وبينها وقد لا يكون ذلك صحيحا على الاطلاق وربما انها — المنضدة — تحمل اشياء مختلفة .

عليك اذن . ان تنتبه الى اللون الداخلى المختلف عن اللون الخارجى . يحتل الجسد الضخم الملقى ذاك . مساحة كبيرة من المكان الداخلى وسوف يشدك اليه — الجسد — بقع الدم القرمزيه الدافئه المتناثرة وسط الظهر تقريبا . وربما ان هذا اللون القانى الدافىء الطرى . هو الذى جعلنى اعتقد بان لون سترته ربما كان فاتحا .

وقد يؤكد ذلك انك مهما حاولت التحديق . فلن تتمكن من تمييز لون سرواله . وحتى قدميه . لم استطع أنا أو أحدد ما اذا كانتا عاريتين . الا أننى بصفة شخصية . خيل الى انهما عاريتان وها هى ذى : بقع الدم الدافئة الطرية وقد جعلت تتناثر متقاربة . وبانت خيوط نحيلة مختلطة تربط فيما بين البقع تلك وسط مساحة صغيرة فى المنتصف تقريبا ثم يغيم الجسد بعد ذلك . ويبدو بطريقه مبهمة ومتداخلة مع اللون الداخلى المظلم ذاك .

هناك يد امتدت الى جانبه . وبانت قبضتها المضمومه عند نهاية لون السترة الفاتح . وهى اليد اليسرى . اما اليد اليمنى فقد انثنت مشكلة زاوية قائمة ومفرودة بجوار وجهه . ولن تستطيع ان تتبين وجهه . ربما كان ذلك بتاثير الظل الخفيف للفراش . الساقط على جزء من الكف الايمن وبقية الوجه . غير ان ثمة بقعة كبيرة اخرى . بدت واضحة متجمدة . ولونها اكثر قتامة — بالنظر الى اختلاطها بشعرة الاسود الغزير الناعم . وقد تدفق منها خيط صغير . غاب هناك عند بداية ذلك الجزء . الذى لا بد وان يكون الجبهة .

هاهو ذا الجسد اذن . ملقى وحده فيما بين الفراش والمنضدة . اسفل العين الواسعة المرتعشة المطلة من الخارج . ومن خلف العين . هناك فى العمق . راح ذلك اللون البنفسجى يتفتح رويدا . حتى ينتهى الى ضوء خفيف للغاية . آنئذ — كان لى ان اسمع الاصوات الرفيعة المداخلة للقبرات . تلك التى داهمتنى فى ذلك الصباح المبكر . واكاد اوقن انك ولا بد سوف تداهمك الاصوات تلك .

ثم انك سوف تلتفت مرة ثانية جهة اليسار والجسد الملقى . ويبين لك الدم مرة اخرى متقدا . وقد سال الى اماكن لم تكن قد رايتها . حيث يغيب تماما . هناك مع اللون الغامق للسروال

ان ما يداهمنى بالفعل الان — بالرغم من اننى اعرف ان الضربة المفاجئة الجيده الصويب قد جاءته من الخلف ، فيما كان وجهه صوب النافذة — ان كل التفاصيل التى تؤكد ضربة بسكين قوية — اختفت سريعا داخل جسمه . ثم سحبت بنفس السرعة . ربما لتغيب فى اماكن اخرى فى ظهره — تؤكد من ناحية اخرى . انه اخرج مسدسه أو بندقيته . وانا أميل الى أن يكون مسدسا ثم ضغط لتتدافع الطلقات السريعة المفاجئة المصوبة جيدا . ليسقط جسمه مجاة . دون ان يتمكن من الانحراف الى اى من الجهات الاربع كيما تخطئه ايما طلقة من الطلقات التى تدافعت فى لمح البصر .

وما سوف تراه بعد ذلك مذهلا الى حد نرفض معه ان تصدق — ليس امكانية حدوثه — ولكن ، فقط — امكانية توقعك له بتلك البساطة المتناهية . ان الامر الطبيعى بالنسبة للمشاهد ان يتحول الى اقصى المكان . وربما لاستكمال المنظور . او للانتهاء من المسألة بكاملها . نعم . انك سوف تضطر ان تستدير بشكل كامل . وسوف يكون الجسم الملقى والعين والنافذة والفراش ، كل ذلك ، سوف يكون ، ليس بالضبط خلفك لكنه سوف يكون زاوية حادة مع كتفك ، وفى اقصى اليسار بان لك الباب المفتوح متسعا كاملة .

والجسم الرمادى المستدير لتوه وقد أعطى وجهه للخارج ، وهو يهم بنقل القدم اليسرى . منحنيا بجسمه الى الامام . وهو يسحب يده اليمنى المتطايره خلفه .

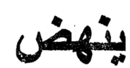
اما اللون الذى بدأ فى مواجهة الرجل الخارج ، فلقد بان أفسح كثيرا من اللون البنفسجى خلف العين المفتوحة الواسعة المرتعشة . غير انه بنفسجى كذلك . ومن خلف الجسم الخارج بدت اشجار صغيرة بعيدة . تلتمع اسطح أوراقها الخضراء القاتمة ذوى الجذوع الداكنة التى تبدو متلاصقة وكثيفة . وقد جعلت تختفى هناك رويدا . والى يسار الجسم الذى يهم بالاندفاع وهو يشد نصفه العلوى المائل قليلا للخارج . سوف نرى جانبا متناهى الضآلة من البحيرة الساكنة التى كان لونها المائل للزرقة . مختلطا الى حد ما مع لون جسمه الرمادى ذاك .

ولقد تصورت انا ان الامر قد انتهى حقا . وانا استدير لالقى النظرة الاخيرة متغلبا على الدوار المفاجىء . غير انها تندفع امام عينيك فجاة . كنجمة صغيرة بزغت فى الصباح المبكر . وراحت تنصت لصوت القبرات التى لابد وان تكون محلقة فى مكان ليس بوسعك اكتشافه بجوار البحيرة . والى يسار الجسم الخارج . بدا جسم صغير غائم . رويدا نكتشف الضفيرتين الداكنتين بلون البن الغامق . واللتين بدتا معلقتين قبل ان تستقرا على الصدر . وهى ترصع بدها النحيلة الصغيرة بالبرتقالة التى بدا لونها قويا ومباغتا . فى الدكنة المعتمة . انها تهم بالركض فى المواجهة وثوبها المنقوش بزهور حمراء باهتة .. غائمة تماما . يتطاير فوق ركبتيها الصغيرتين اللتين انثنت احداهما . وهى اليمنى بالنسبة لها . واليسرى بالنسبة لنا .

غير ان تلك التفاصيل كلها . تبدو بعيدة الى اقصى حد . وانت تحاول تبين لون العينين اللتين راحتا تغيمان وسط ذلك الحشد من التفاصيل الصغيرة ، فى تلك المساحة الضئيلة . انني اكاد اقطع — وذلك احساس شخصى — بانهما سوداوان — ذلك السواد المتالق للعيون الصغيرة .

ها هى ذى اذن البنت البعيدة القائمة تهم بالركض فى المواجهة . وقد غطى الجسم الخارج جزءا من الجانب الايسر من صدرها . ☐

التابع





شينوا آتشيبيه

مولد الرواية في غرب أفريقيا

د. رضوى عاشور

في مسرحية ((العاصفة)) يقدم لنا شيكسبير العلاقة بين بروسبرو الرجل الاوروبي مكتشف الجزيرة وكاليبان ((المتوحش)) ساكنها . يقوم بروسبرو بترويض كاليبان حتى يتسنى له معرفة اسرار الجزيرة الجميلة واستغلال مواردها وحين يتمكن من ذلك يقيده الى صخرة ويمنعه من الحركة . ويدور بينهما الحوار التالى :

ـ بروسبرو :

ايها العبد الكذوب
الذى لا ينفع معه سوى
السياط وليس المعاملة الطيبة
لقد عاملتك ، وانت القذر ،
معاملة انسانية .
عطفت عليك .
وتعبت فى تعليمك الكلام ،
وفى كل ساعة علمتك هذا
الشيء او ذاك فى وقت لم
تكن تعرفه فيه ، فى همجيتك
معنى لذاتك بل كنت ترطن
كالحيوانات . أعطيتك الكلمات
التى تحدد بها ما تريد .
ولكن وجهك الحقير ،
بالرغم مما تعلمت ، لم يكن
ليحتمل الطبع الطيب . ولهذا
استحققت أن تقيد في هذه
الصخرة ، فان تسجن اقل
مما تستحق .

ـ كاليبان :

لقد علمتنى لغة . وها أنا
استفيد من ذلك اذ انني
اعرف كيف العن . فلينزل بك
الطاعون الاحمر جزاء لك على
تعليمى لغتك .

كتب شكسبير مسرحيته حوالى عام ١٦١٣ بعد مرور اكثر من مائة سنة على اكتشاف الامريكيتين، والانسان الاوروبى يتوسع فى فرض سيطرته على الكرة الارضية ، ويعلن نفسه صاحبا للحق الالهي فى حكمها ونهبها ، ويروج لتفوقه العرقي والحضارى لتبرير سيطرته هذه . بروسبرو فى المسرحية هو الصورة الموازية لهذا الانسان الاوروبى اما كاليبان الذى يصفه شكسبير فى قائمة الشخصيات بـ « عبد متوحش مشوه » فهو الصورة المقابلة للسكان الاصليين في البلدان التي سوف تتحول بعد ذلك الى مستعمرات . ولقد كانت عبارة شكسبير « علمتني لغة . وها انا استفيد من ذلك ـ انني اعرف كيف العن » نبوءة عبقرية لما سوف يتحقق بعد مرور اكثر من ثلاثة قرون في المستعمرات .

وفى هذا المقال سوف اتناول نشأة الرواية في غرب افريقيا في ضوء كلمات ـ كاليبان ـ هذه ولكنى لن اتوقف عند حدود اللغة بل سوف اعتبرها رمزا للمنجزات الثقافية عموما : ان الرواية كشكل أدبى وكما هو معروف ظهرت فى اوروبا في القرن الثامن عشر تعبيرا عن الروح الفردية التى اتسمت بها الطبقة البورجوازية التي شيدت الاقتصاد الرأسمالى . اما افريقيا فلم تعرف الرواية الا فى القرن العشرين . ولكنها عرفت الحكاية منذ القدم وكان لها فيها باع وتراث عريق . ولقد ظهرت الرواية في افريقيا نتيجة لظروف موضوعية سياسية واجتماعية مختلفة عن الظروف التي تسببت فى ظهورها فى اوروبا .

في غرب أفريقيا نشأت الرواية المكتوبة باللغتين الانجليزية والفرنسية



كامارالاييه

مرتبطة بحركة التحرر الوطنى ومعبرة عنها وناطقة باسمها بشكل مباشر وغير مباشر ظهرت كشكل من اشكات التمرد على المضمون الايديولوجى للاستعمار وكتأكيد للشخصية الوطنية فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تزايد ضغط الحركات الوطنية فى القارة الافريقية مطالبة بالاستقلال — تشتعل الثورة فى الجزائر شمالا ويرفع « الماو ماو » السلاح فى كينيا شرقا وتهب الجماهير فى انتفاضات وطنية فى ساحل الذهب غربا ويتصدى الاستعمار للوطنيين بالقمع والمجازر فتكون فى كينيا حمامات دم يذهب ضحيتها ١٢ الف شهيد فى عام واحد « ١٩٥٢ » ويكون على السويس هجوم « ١٩٥٦ وفى الجزائر تدفع الامة من ابنائها وبناتها مليون شهيد . يفشل الهجوم على السويس وفى العام التالى يحصل ساحل الذهب على استقلاله لتولد جمهورية غانا المستقلة وفى عام ١٩٥٨ تعلن غينيا استقلالها وحين يقبل عام ١٩٦٠ يكون عاما للحصاد الافريقى **حصاد العمل والدم** : تستقل الكامرون وتوجو والسنغال ومالى ومدغشقر والكونغو والصومال وداهومى والنايجر وفولتا العليا وساحل العاج وتشاد ووسط افريقيا والجابون ونيجيريا وموريتانيا — ١٦ دولة افريقية تعلن استقلالها فى عام واحد — وبعدها بعامين حصلت الجزائر على استقلالها

وان كان عام ١٩٦٠ هو عام افريقيا بحق فان السنوات السابقة عليه **شهدت العمل الوطنى المكثف من اجل** حصاد تلك السنة، ولم يكن بالصدفة ابدا ان تظهر الرواية فى غرب افريقيا فى الخمسينات اذ انها كانت تعبيرا عن الانبعاث الوطنى . ولقد كانت رواية **شريب نبيذ النخيل** [١] «١٩٥٢» المكتوبة باللغة الانجليزية للكاتب النيجيرى آموس تيوتولا هى اول رواية ذات قيمة فنية تظهر فى غرب افريقيا تلتها رواية **الطفل الاسود** [٢] «١٩٥٤» باللغة الفرنسية للكاتب الغينى كامارا لاييه ولم تتعرض اى من الروايتين للواقع السياسى . فالرواية الاولى **شريب نبيذ النخيل** مجموعة من الحكايات المستوحاة مباشرة من الحكايات الشعبية لليوروبا « غرب نيجيريا » والهاوسا « شمال نيجيريا » والزولو « جنوب افريقيا » ، وهى حكايات ينظمها شكل روائى هو شكل رحلة البطل من اجل المعرفة — الرحلة المعروفة والشائعة فى آداب العالم . ويحمل تيوتولا الى اللغة الانجليزية ولاول مرة عالما مدهشا وثريا من المعانى والصور . وتخرج لنا روايته مزيجا من معرفة الكاتب بالتراث الافريقى الادبى المنطوق وبالرواية الغربية . اما اللغة التى يكتب بها فهى لغة ذات طابع خاص يغير الروائى فيها ويحطم ويضيف بما يفى بمتطلباته . ويقول بعض الدارسين لليوروبا — هى اللغة الاصلية للكاتب — أن تيوتولا قد نقل العديد من التركيبات اللغوية فى لغته الاصلية الى الانجليزية ، بقصد طبعا .

اما فى **الطفل الاسود** فيقدم لنا كامارا لاييه سيرة ذاتية كتبها اثناء وجوده للدراسة فى باريس للتغلب على شعوره بالحنين الى الوطن « كما فعل محمد حسين هيكل حين كتب **زينب** يستعيد الكاتب طفولته فى قريته بغينيا ويسجل باسلوب شعرى مختلف العادات والطقوس التى عرفها فى طفولته — عمل أبيه فى صياغة الذهب ، العمل فى الحقول فى قرية اخواله ، طقوس الختان .. الخ ويضفى لاييه هالة من الجمال حول كل شىء فى طفولته وصورة افريقيا التى يقدمها لنا صورة مثالية متأثرة الى حد كبير بالصور التى يقدمها لنا كتاب مدرسة الزنوجة وعلى رأسهم الشاعر السنغالى سنجور . ان لاييه ككتاب الزنوجة ، يؤكد ذاته الافريقية باضفاء هالة من البهاء عليها والماضى لديه يصبح موضوعا للتمجيد غير المحدود

والروايتان على اختلافهما يجتمعان فى تأكيد الذات الوطنية ومحاولة الارتباط بالجذور والاستفادة من الماضى وتراثه وهما بذلك يبدآن الطريق الحقيقى الذى سوف تمضى فيه الرواية الافريقية [٣].

وحين اقول ان الرواية فى غرب افريقيا نشأت مرتبطة بحركة التحرر الوطنى ومعبرة عنها فلا اعنى بذلك ان الرواية قدمت صورة النضال من اجل الاستقلال فقط ولكنى اعنى شيئا اهم من ذلك واعمق :. **فلقد اضطلعت الرواية بمهمة تقديم الصور الاصلية للواقع الافريقى والتى يشكل بالضرورة دحضا للصور الزائفة التى داب على رسمها الكتاب الاوروبيون واتباعهم من الافريقيين رسمها الكتاب الاوروبيون واتباعهم من تقول الصورة الزائفة ان افريقيا ليس** لها تاريخ ولا ماض حضارى . وأن الانسان الاوروبى هو الذى حمل العلم والمعرفة الى هذه القارة « المظلمة » ولعل الادب الافريقى الذى نشأ فى كنف الارساليات الدينية فى القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن خير مثال على هذه الصورة الزائفة . ويتسم هذا الادب الدعائى الهابط فنيا بتمجيد كل ما هو أوروبى ، فالشخصيات فى روايات الارساليات النموذجية تنقسم الى اخيار واشرار . الاخيار اوروبيون مسيحيون يتسمون بالطيبة والنبل وكرم الاخلاق والتحضر واتباعهم من الافارقة الذين يريدون ان يفتحوا قلوبهم لنور الهداية الموروبية . والاشرار — افارقة متمردون غير راغبين فى التحضر وهم كفرة متعطشون للدماء أو سذج متخلفون عقليا ولعل هذا المقتطف الصغير من أغنية من توجو تظهر لنا مضمون هذا الادب وشكله الفنى الفج : تبدأ الاغنية : **اشكر الارساليات الدينية — اشكر الرب يسوع — بدون ارساليات برمن — كان من المستحيل ان نفوز بالخلاص —**

وتستمر الاغنية تربط بين المستعمر الاوروبى والخلاص الدينى حتى يصبحان شيئا واحدا [٤] . وليس الادب المتأثر بالمضامين الاستعمارية دائما ادبا دعائيا فجا فلدينا العديد من الروايات الاوروبية الجيدة فنيا والتى تقدم فى ذات الوقت صورة خادعة لافريقيا ولعل من ابرز هذه النماذج رواية **قلب الظلام** ١٩٠٢ للكاتب الانجليزى البولندى الاصل **جوزيف كونراد** . افريقيا فى هذه الرواية هى الصورة الاستعمارية للشر الرابض بقلب الانسان — كل انسان — هذا الشر الذى يبدأ فى التحرك والظهور ما ان تختفى قيود المجتمع المتمثلة فى الجار والشرطى . افريقيا ، نهر الكونغو صورة الانسان المظلم الكامن فى الداخل اوروبا ، نهر التايمز هو الانسان وقد

روضته الحضارة ، والطبيعة وقد روضتها يد الانسان المتحضر ورواية كونراد رواية فذة من الناحية الفنية ولكنها فى جوهرها تعبر عن المفهوم العنصرى الشائع فى القرن التاسع عشر والعشرين ، مفهوم مواجهة حضارة أوروبا ببربرية أفريقيا [٥] ..

ولقد وجد الكاتب الافريقى نفسه مواجها بركام من الاكاذيب والصور الخادعة عن واقعه البعض منها فج وواضح فى سوئه والبعض الاخر يقدم المفاهيم العنصرية فى اشكال فنيةراقية يصعب معها اكتشاف موقفهـــا الردىء

وبما أن الاستعمار يستخدم الصور الزائفة للسيطرة الثقافية على المستعمرين « بفتح الميم » وجعلهم يصدقون الاكاذيب عن انفسهم كان على الكتاب الوطنيين ان يقدموا الصور الحقيقية كبديل يؤكدوا من خلاله ذات الامة ويعيدوا لها ثقتها فى نفسها وتاريخها . ولقد كانت هذه المحاولة هى التى ادت ببعض الكتاب الافريقيين الى التمجيد المطلق للذات الافريقية والتاريخ الافريقى . كان اتجاههم هذا رد فعل فى الاساس . وان كانت هذه مرحلة لابد منها فان تجاوزها ايضا يصبح ضروريا مع مرور الوقت . وهناك فعلا عدد من الروايات تتجاوز مرحلة رد الفعل هذه فهناك مثلا كتابات الروائى النيجيرى **شينوا آتشيبيه** التى تقوم بتصوير المجتمع الافريقى القديم بشكل ايجابى دون اضفاء هالة من التمجيد المطلق له . فهو فى روايتيه **الاشياء تتداعى** [٦] « ١٩٥٨ [و**سهم الله** [٧] «١٩٦٤» يعيد بناء حياة جماعة من جماعات الايبو قبيلة الكاتب فى شرق نيجيريا — قبل دخول المستعمر الانجليزى ثم الاثار الوخيمة التى ألمت بالجماعة بعد الغزو الاستعمارى . تدور احداث الرواية الاولى فى النصف الاخير من القرن الماضى حين بدأ الوجود البريطانى يتسلل الى شرق نيجيريا من خلال البعثات التبشيرية . وتدور احداث الرواية الثانية بعد ذلك بعشرين عاما عندما استتب المستعمر فى المنطقة . وحياة الايبو كما يصورها آتشيبيه حياة على درجة كبيرة من التنظيم والتماسك الحضارى ، الفرد فيها مطالب بقدر كبير من الانضباط لصالح الجماعة . وتلعب الالهة والارواح والاسلاف دورا اساسيا فى هذه الحياة ، ومع ذلك فهى لاتمثل مكانة مطلقة منها بل مكانة تتناسب مع ما تقدمه من خدمات للجماعة . الالهة فى عرف الايبو قد خلقوا ليخدموا الاحياء فان لم يقوموا بدورهم اختار الاحياء الهة سواها تفى بدورها الاجتماعى . الحياة اذن فى عرف الايبو — كما يصورها آتشيبيه — لاتتسم بالمطلقات بل هى حركة مستمرة وعلاقات جدلية وتجسد حكمة الجماعة فى حكاياتها الشعبية وامثالها ويتحقق توازنها من خلال الطقوس الدينية والاجتماعية التى يشارك فيها الجميع . وحين تتعرض هذه الحياة بتركيبها الحضارى الخاص للغزو الاستعمارى تنتهى المواجهة بهزيمة الافريقيين .

ان هدف اتشيبيه الاساسى من خلق هذه الصورة المفصلة للواقع الافريقى القديم ليس هو الدعاية التى تهدف الى اقناع القارىء الاوروبى بتحضر الافريقيين ولكن هدفه هو تعلم أمته واعادة الثقة لها فهو يقول — « سوف اكون راضيا لو ان رواياتى خاصة الروايات التى تدور احداثها فى الماضى — لم تفعل سوى تعليم قرائى ان ماضيهم — بكل قصوراته — لم يكن ليلا طويلا واحدا من التوحش ايقظهم منه الاوروبيون الاوائل فكانوا مخلصيهم باسم الرب . ربما كان ماأكتب فنا تطبيقيا مختلفا عن الفن الصرف . ولكن لا يهمنى . أن الفن شىء هام ولكن التربية ايضا مهمة نوع التربية الذى بذهنى. ولا ارى هناك تناقضا بين الاثنين [٨] .

ونلاحظ انه فى نفس الوقت الذى يقدم لنا فيه آتشيبيه صورة لحياة جماعة افريقية بتتمتع ببنيان حضارى متماسك فهو لا يقع فى الخطا الشائع لدى كتاب الزنوجة فيصور ماضى أفريقيا كما لو كان جنة الله على الارض . اذ يعى ان هزيمة الايبو والهتهم وانماطهم الاجتماعية امام الغازى الاوروبى كانت لها — الى جانب قوة الغازى — اسباب ذاتية نابعة من قصورات فى حياة الجماعة ذاتها . ولقد نجح الدين الجديد الذى حمله المبشرون فى استمالة المظلومين والمنبوذين من الجماعة . فالايبو يتشاءمون من التوائم ويعتبرونهم علامة شؤم ويئدونهم عند ولادتهم وهم يلفظون بعض الناس لانهم منبوذون بالوراثة كما ان الجماعة تمجد القوة الجسدية على حساب ما يسميه آتشيبيه بالميول « الشعرية » داخل الانسان فى **الاشياء تتداعى** يهرب نيوى ابن بطل الرواية من ابيه ويعتنق الدين الجديد بعد ان عانى من قسوة احكام الايبو وصرامتها وفى **سهم الله** ، بعد ذلك بربع قرن تكون اجراس الكنيسة هى التى تدق معلنة بدء الحصاد ، مؤكدة بذلك ان النظام القديم لم يعد فعالا وان نظاما جديدا قد حل محله . ان الارساليات الدينية ، فى رأى آتشيبيه ، لم تكن سوى الطريق الى استتباب الوجود الاستعمارى « فالرجل الابيض لم يحضر دينا فقط بل احضر حكومة ايضا » .. « ص٢١٣ » واصبح من الصعب مواجهة حكومة المستعمر حيث انه تغلغل بثقافته فى الجماعة فقسمها الى طيبين من اتباعه وكثرة من مناهضيه . فحين يشير اكو نكو بطل **الاشياء تتداعى** الى ضرورة محاربة الغزاة يقول له صديقه ان ذلك لم يعد ممكنا — « كيف تظن اننا نستطيع القتال واخوتنا قد انقلبوا ضدنا . ان الرجل الابيض غاية فى المهارة . جاء بسلام وهدوء بدينه . ضحكنا لحماقته وسمحنا له بالبقاء . فاستمال اخوتنا اليه والان لم تعد العشيرة تستطيع ان تعمل كرجل واحد لقد وضع سكينا على الاشياء التى تربطنا معا فتداعينا . » — « ص٢٣٧ »

ولا يؤكد آتشيبيه فقط ان لافريقيا ماضيا يستحق المعرفة والاستفادة منه ولكنه يتبنى الموقف المضاد تماما لادب الارساليات والادب الاوروبى ذى المضمون الاستعمارى اذ يقدم صورة الغازى الاجنبى كنموذج للجهل الشديد والعنجهية المثيرة للسخرية .

ويستخدم للتعبير عن ذلك فى روايته الاولى **الاشياء تتداعى** حيلة فنية ممتازة فبعد أن يقدم صورة مفصلة لحياة الايبو فبعد أن يقدم صورة مفصلة لحياة الايبو نعرفهم من خلالها ونتعاطف معهم ، صورة تقدم لنا من وجهة نظر الراوى وهو صوت موضوعى حكيم لعله صوت شيخ من شيوخ الجماعة خبر حياتها لاجيال متعاقبة او لعله الصوت الجماعى للقبيلة ، صوت حكمتها ومعرفتها ، بعدها يظهر حاكم المنطقة البريطانى فى الصفحة الاخيرة من الرواية ويحدث تغير مفاجىء فى وجهة النظر فيختفى صوت الراوى وتعبر الفقرة الاخيرة فى الكتاب عن موقف الرجل الاوروبى كما يراه هو نفسه . وهكذا تقدم لنا التجربة التى تنقلها الرواية لنا عبر وجهتى نظر الاولى تستمر طوال الرواية والثانية تحتل الفقرة الاخيرة فيها . يأتى حاكم المنطقة البريطانى ومعه بعض العسكر للقبض على اكونكو بطل الرواية ولكنه يجد انه شنق نفسه . وهذه هى الفقرة الاخيرة فى الكتاب أنقلها كاملة لدلالتها « مضى الحاكم آخذا معه ثلاثة أو أربعة جنود . لقد تعلم اثناء السنوات العديدة التى كدح فيها ليوصل الحضارة الى اجزاء افريقيا المختلفة عددا من الاشياء أحدها أنه لايجب أن يشرف الحاكم أبدا على مثل هذه التفاصيل التى لا تليق بكرامته كقطع الحبل الذى يتدلى منه رجل مشنوق فى شجرة . فمثل هذه الاهتمامات تعطى الوطنيين فكرة سيئة عنه . سيؤكد هذه النقطة فى الكتاب الذى ينوى كتابته. فكر فى ذلك الكتاب اثناء سيره عائدا الى الساحة ،بأثية

كل يوم مادة جديدة . فقصة هذا الرجل الذى قتل رسولا ثم شنق نفسه ستكون مادة شيقة للقراءة . بوسع المرء ان يكتب فصلا كاملا تقريبا عنه . ربما ليس فصلا كاملا ، لكن فقرة معقولة ، على أى حال . كان هناك الكثير من الاشياء الاخرى التى يمكن للمرء أن يضمها هذا الكتاب ولابد ان يكون المرء صارما فى اختصار التفاصيل . لقد اختار عنوان الكتاب من قبل بعد كثير من التفكير — « توطيد السلام بين قبائل النيجر الاسفل البدائية . »

واذ ينهى اتشيبيه روايته بهذه الفقرة يكون قد علق بشكل فنى ممتاز على ماحدث . فتدمير ثقافة امة وهزيمتها تساوى للرجل البريطانى « توصيل الحضارة لافريقيا » .. أما التفرقة بين ابناء الجماعة الواحدة فيساوى « توطيد السلام بينها » وتكشف الفقرة عن الجهل الكامل للرجل الاوروبى بالانماط الاجتماعية للايبو اذ انه فى النهاية ينظر اليها من الخارج . والجماعة غير مستعدة للسماح لعدو اجنبى بان يعرفها من الداخل . وتصير كلمة « بدائية » التى ينتهى الكتاب بها تعليقا ساخرا على الموقف الاستعمارى العنصرى من افريقيا وخاصة ان تجربة الرواية ككل قد اصلت فى القارىء عقلياووجدانيا حياة جماعية على درجة كبيرة من التنظيم والتماسك الاجتماعى .

ويستخدم آتشيبيه نفس الحيلة باختلاف فى روايته سهم الله حيث يقدم بعض الفصول من وجهة نظر ازولو كاهن الجماعة وبعض الفصول الاخرى من وجهة نظر وينتر بوتوم حاكم المنطقة البريطانى . وبصرف النظر عن التشابه بين الشخصيتين فى طبيعة شعورهما بالسلطة وتمسكهما بها فان مايهمنا فى هذا المقال هو انهما يبصران الواقع الافريقى من زاويتين متعارضتين . أن فى **رباعية الاسكندرية** لتؤكد مفهومه بان « الحقيقة لا قلب لها » وان « الواقع له اكثر من وجه » يستخدمها آتشيبيه ليعبر عن شىء مختلف تماما ، ففى رأيه انه أن كانت هناك روايتان للواقع الافريقى فاحداهما حقيقة لانها الحيلة التى استخدمها لورانس درايل من الداخل والاخرى زائفة لانها رؤية الغازى الاجنبى ، انها رؤية السيد الاوروبى العنصرى الذى يفشل لجهله وعنجهيته — ولان عدم فهمه هذا يخدم مصالحه — فى فهم حقيقة الجماعة ونظام حياتها .

وفى محاولتهم لتاكيد الذات الوطنية والتعبير عنها يحاول كتاب الرواية فى غرب أفريقيا ان يروضوا الشكل الروائى واللغة الاوروبية سواء أكانت انجليزية ام فرنسية بحيث تصبحان صالحتين للوفاء باحتياجاتهم . فالرواية كما سبق ان اشرنا شكل ادبى اوروبى نشأ مرتبطا بالطبقة الوسطى والروح الفردية

التى واكبت نشأة الرأسمالية اما الرواية فى افريقيا فقد نشأت فى ظروف يطالب الكاتب فيها بدور القيادة الفكرية الواعية لامته التى تتحرر من تركة الليل الاستعمارى . أن الكاتب الافريقى كما اكد **وليه شوينكا** الاديب النيجيرى لا يستطيع ان يخذل امته فى وقت هى فى امس الحاجة لمعرفته وموهبته . ان هذه الظروف لا تسمح برفاهة الفردية فى الفن او الفن المعبر عن الصفوة أو المتوجه اليها . **ويشير كتاب غرب أفريقيا الى الفن الافريقى كان دائما يتمتع بوظيفة اجتماعية بارزة وان على الرواية الافريقية ان تواصل هذا التراث فتقوم بدور فعال فى خدمة الجماعة . ويقول آتشيبيه ان الفرق بين الرواية الافريقية والرواية الاوروبية هو ان الاولى تنشغل اساسا بالجماعة وصورتها بينما تنشغل الثانية بالبطل الفرد .** يقول « ان المجتمع فى تصمى ليس مجرد خلفية للاحداث ولكنه يلعب دورا اساسيا فيها . حين تجدون وصفا للمجتمع فى رواياتى فليس هذا من قبل ادهاشكم بشىء غريب . اننى اعطى لحياة الجماعة وطقوسها واحتفالاتها نفس الاهتمام الذى اعطيه للشخصيات . » ولان هم آتشيبيه الاول كما سبق واشرنا هو رسم صورة صادقة لجماعة افريقية فى حياتها اليومية وتسجيل ما الم بها من جراء الغزو الاستعمارى فان أكونكو بطل **الاشياء تتداعى** وازولو بطل **سهم الله** ليسا سوى أدوات يقدم الكاتب من خلالهما البطل الحقيقى للحدث وهو الجماعة . والسقوط التراجيدى لكلا البطلين ليس سقوطا فرديا بل هو مرتبط ومعبر عن انهيار نظام حياة كامل .

وفى محاولاتهم الدؤوبة من اجل خلق شكل ادبى يفى بمقتضيات التعبير عن الواقع الافريقى يستلهم كتاب الرواية فى غرب افريقيا تراثهم المنطوق : الحكايات الشعبية والاساطير والحكم والامثال فى نفس الوقت الذى يتمثلون فيه الانجاز الادبى الغربى من كلاسيكيات اليونان وحتى الوقت الحالى . فالاشياء تتداعى تتمثل الحكايات الافريقية المنطوقة ونسيجها الفنى بقدر ماتتمثل مآسى اليونان القديمة **والمفسرون** « ١٩٦٥ » شوينكا تستفيد من مرارة سويفت اللاذعة وسخرية ديكنز بقدر ما تستخدم الصور والرموز المستمدة من اساطير اليوروبا . **وشريب نبيذ النخيل** لبتوتولا تأثر بجون بانيان كما تأثر بالحكايات الشعبية الافريقية . ان كتاب غرب افريقيا بمختلف

اتجاهاتهم يتمثلون كل الروافد الصحية التى تصلهم من الغرب تماما كما يتمثلون واقعهم وتراثهم الثقافى الخاص وبتمثلهم لاكثر من رافد يتمكون من الاسهام بشكل فريد فى بناء الصرح الادبى لشعوب العالم

اما اللغة فتطرح احدى المشاكل الاساسية التى يواجهها الاديب الافريقى عموما « باستثناء كتاب العربية فى شمال القارة وكتاب السواحلى الاميرية فى شرق القارة » فهناك لغة القبيلة التى ينشأ عليها الكاتب والتى لا تكتب فى غالب الاحيان وحتى ان كتبت فهى لغة خاصة بقبيلة بالذات ولا يشترك فيها ابناء الامة ككل . وفى نيجيريا وحدها توجد عشرات اللغات المنطوقة واللغة الوحيدة التى يشترك فى معرفتها ابناء الامة القادرون على القراءة والكتابة هى اللغة التى خلفها المستعمر ويواجه الاديب الافريقى بمعادلة شديدة الصعوبة عليه حلها — فكيف يمكنه التعبير عن الانماط الثقافية والحضارية الافريقية بلغة غير افريقية — بل كيف يعبر عن تجربة العداء للانسان الاوروبى الذى يضطهده بلغة هذا الاوروبى نفسه ؟ وكيف يعبر عن محاولة التخلص من ربقة الاستعمار الثقافى الغربى باستخدام اللغة التى تحمل قيم هذه الثقافة ؟

ولقد طرحت هذه المشكلة بشكل ملح فى الثلاثينات عندما بدأ كتاب الزنوجة **سنجور وسيزير ودماس** يكتبون الشعر باللغة الفرنسية فى باريس . وفى عام ١٩٤٨ ظهر كتاب **مختارات من الشعر الزنجى والملاجاشى الجديد** التى جمعها سنجور وقدم لها الفيلسوف الفرنسى سارتر بمقاله الشهير « اورفيوس الاسود » حيث قال — « حيث ان المضطهد — بكسر الهاء — موجود حتى بداخل اللغة التى يتكلمها الافريقيون فسوف يستخدم الافريقيون هذه اللغة للقضاء عليها . ان الشاعر الاسود سوف يعرى الكلمات من فرنسيتها وسوف يسحقها ويحطم دلالاتها الشائعة . »

والواقع أن العديد من الكتاب الافريقيين يضربون عرض الحائط بقواعد اللغة الانجليزية وبتركيباتها وتهجية كلماتها ولكن هذا ليس سوى تمرد شكلى لايغير من الامر شيئا كثيرا . والحقيقة ان كلام سارتر كان به تبسيط للمشكلة اذ ان السؤال يبقى على حاله — « حتى لو حطمت اللغة التى فرضت على واثبت بذلك عدائى لمضطهدى الذى فرضها على فماذا افعل بعد ذلك للتعبير عن تجربتى وليس امامى سواها ؟ » ولقد اكتشف الكتاب الافريقيون ان الحل الحقيقى يكمن فى محاولة تطويع اللغة وترويضها بحيث **يمكن للكاتب ان ينقل تجربته الخاصة من خلالها ان الحل فى قول آتشيبيه هو**

توسيع حدود اللغة الانجليــزية او الفرنسية يقول — « الذى اراه هو صوت جديد يطلع من افريقيا ، يتحدث عــن التجربة الافريقية بلغة عالمية . وبالتالى فالاجابة على السؤال — هل يستطيع الافريقى أن يتعلم الانجليزية الى الحد الذى يمكنه استخدامها بفعاليــة فى الكتابة الابداعية ؟هى الاجابة بنعـم طبعا . ولكن من ناحية أخرى لوسألتنى هل يستطيع الافريقىان يتحدث الانجليزيه كشخص هذه لغته الاصلية ؟ اجيب آمل الا يحدث ذلكفهذا شىء غيــر ضرورى ولا مرغوب فيه ان الثمن الذى يتوجب على لغة عالمية ان تدفعه هــو ان تخضع لاستخدامات عديدة ومختلفة ان على الكاتب الافريقى ان يستخدم الانجليزية بالطريقة التى تعبر عنرسالته بالشكل الافضل وذلك دون تغيير اللغة الى الحد الذى تفقد فيها هويتها كوسيلة للانصال العالمى : ان عليه ان يعمــل على صياغة لغة انجليزية تكون عالمية بنفس القدر الذى تكون قادرة فيه على نقل رسالته [١١] . »

وتقدم روايات آتشيبيه خير مثل على القدرة على اثراء اللغة الانجليــزية بما يكفل لها توصيل التجربة الخاصة بالكاتب وجماعته ، ويتم ذلك بواسطة استخدام التشبيهات الخاصة بلغــة الايبو وتعبيراتها المميــزة وامثالهــا الشعبية وصورها الدالة ونقلها جميعا الى اللغة الانجليزية . وينتج عــن ذلك نسيج ادبى لايختلف اثنان على تميزه واختلافه عن الاساليب الادبية الشائعة فى بريطانيا والولايات المتحــدة ، ان هذا النسيج الخاص هو الوسيلة التى يتجاوز بها آتشيبيه الانفصــام الواقع بين حساسية الايبو وواقعهم وبين اللغة الانجليزية . وهناك عدد من الروائيين فى غرب افريقيا يعملون على افرقة اللغة التى يكتبون بها ومن ابرزهم فى نيجيريا وحدها الى جانب آتشيبيه ، **تيــوتولا وشوينكا واوكارا ..** اذ يعمــل كل واحد من هؤلاء الكتاب على شق مجرى خاص بتربة اللغة الانجليزية تتدفق منه مياه لغته القبلية بصورها وتركيباتها فتخصب نسيج التربة ذاتها وتجعلهــــا صالحة للنبت المعين الذى يريد الكاتب غرسها فيها .

ان قول بروسبرو بأنه علم كاليبان معنى لذاته فى وقت لم يكن يعرف فيه الا الرطن صــورة خادعــة لــواقع انسان المستعمرات ـــ ولقد كانشكسبير فى النهاية يقدم هذه الجزئية منمسرحيته من موقعه كأوروبى فى مطلع القــرن السابع عشر ـــ ان هذا الانسان كان له حضارته التى اختــار السيد الاوروبى انكارها . والاديب الافريقى له تــراث فنى من الادب المنطوق وتاريخ طــويل طويل اضطلعفيه الراوى الشعبى بدور هام ، دور ذاكرة الجماعة وحافظسرها ناقل حكمتها من جيل لجيل ولقدنشأت الرواية فى غرب افريقيا تؤكد هذهالحقيقة فتصل الحاضر بالماضى ليكونالاستمرار ضمانا للخطوات المتجهة الى المستقبل ولكن الرواية الافريقية التى نشــأت مرتبطة بحركة التحررالوطنىليست نتاجا للتراث الافريقى وحده بل هى نتاج للمواجهة بين حضارتين بكل ماترتب على ذلك من مساوىء ومزايا ، مواجهــة استنزفت الكثير من الطاقة الاقتصادية والبشرية للانسان الافريقى على مدى قرون من الزمان . ولكن هذا الاحتكاك ايضا كان يعنى تعرف الانسان الافريقى قسرا فى البداية ثم الان باختياره ، على منابع الحضارة الاوروبية . وهكذا أخذ الانسان الافريقى من مضــــطهده لغته وعلمه واليهما أضاف خبرتهالخاصة وجذوره الممتدة فى ماضيه ... اخذها جميعا وبدأ ينهض . وكذلك الاديب الافريقى ، فقد تمثل كل ماهو صالح فى تربة فنه ، تمثل تراثه الافريقى ومجده ردا على انكار المستعمرين له ولكنه ايضا وفى نفس الوقت اكتسب المنجزات الفنية للشكل الذى اختاره واستفاد منه بحيث صارت الرواية لديه اضافةحقيقية من حيث هى تعبير عن مضمون تحررى ومن حيث هى تطوير للشــــكل الفنى واثراء له .

وان كانت علاقة السيد بتابعه تنتهى بتمرد التابع وثورته وصب اللعنات على رأس سيده فان الروائى الإفريقــى يتجاوز هذه المرحلة . مرحلة رد الفعل الغاضب . الى مرحلة الفعل المخصب والبناء .. انه اذ يعالج الماضى والجرح الذى يشكل محور هذا الماضى فانمايفعل ليتجاوز الى الحاضر والمســـــتقبل والروايات التى صدرت فى غربافريقيا فى النصف الثانى من الستينات وفى السبعينات تعالج الواقع الافريقى بعــد الاستقلال وتتناوله بالتحليل والنقــد ، وتعمل على تصوير القـــوى الفاعلة والمتصارعة فيه وتعلق عليهــــا وتتخذ موقفا منها ..

لكن هذا موضوع آخر . □

---

[١] Amos Tutuola, The Palm Wine Drinkard, Grove Press, N.Y., 1953.

[٢] Camara Laye, The Dark Child (trans. by James Kirkup and Ernst Jones), Noonday Press, N.Y., 1971.

[٣] اكتفيت هنا لضيق المســـاحةبالاشارة الى روايتى شريب نبيذ النخيلوالطفل الاسود . ولكن هناك عددا من الروايات الجديدة التى ظهرت فى نفسالفترة بعدها مباشرة منهــــا رواياتمونجو بيتى وفرديناند اويونو منالكامرون وسيريان والوينسى من نيجيريا وعثمانسمبينيه من السنغال .

[٤] يفرد الباحث الالمانى يان فصلاكاملا لهذا الادب الاستعمارى فى كتابهعن الادب الافريقي الجديد .
Janheinz Jahn Neo-African Literature · A History of Black Writing, Grove Press, N.Y., 1969.

[٥] Joseph Conrad, Heart of Darkness, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1970.

[٦] Chinua Achebe, Things Fall Apart, Fawcett Publications, Greenwitch. Conn. n.d.

لقد استخدمت فى المقتطفــات التىوردت بمقالى ترجمة الدكتورة انجيــلبطرس سمعان ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، ١٩٧١ .

[٧] Chinua Achebe, Arrou of God, Doubleday, N.Y., 1969.

[٨] وردت كلمات آتشيبية فى كتابنقدى عن اعماله :
David Carroll, Chinua Achebe, Twayne's Publisher's. N.Y., 1970.

[٩] منذ اكثر من ثلاثة ســنواتوشينوا آتشيبيه استاذ زائر بجامعاتالولايات المتحدة وهو يقوم بتدريس الادب الافريقى . ولقد وردت هذه الكلماتضمن احدى محاضراته فىالادب النيجيرىلطلبته بجامعة ماساشوستس فى ١٨/ ٧٣/٩

[١٠] Jean Paul Sartre, «Orphée Noir» Situations III, Gallimard, Paris, 1949.

[١١] Chinua Achebe, «English and the African Writing Transition. IV. 18, 1965.

سـينما

مهـرجـان أفـلام فيلليني

الواقـع ..
والحلـم ..
وانهيـار العـالم القـديم ! !

ابتداء من اولمارس الماضى ، وحتى الثاني عشر من مايو ، نظم المعهد الثقافى الايطالى بالقاهرة عروض (ريتروسبكتيف) لافلام المخرج الايطالى الكبير فيديريكو فيلليني ، حيث عرضت افلام : «العاطلون» ١٩٥٣ ، « الطريق » ١٩٥٤ ، « المحتالون » ١٩٥٥ ، « ليالى كابيريا » ١٩٥٧ ، « الحياة الحلوة » ١٩٦٠ ، « ٥ر٨ » ١٩٦٣ ، « جوليتا والارواح » ١٩٦٥ ، « ساتيريكون » ٢٩٦٩ • بالاضافة الى « روما فيلليني » الذى عرضه المعهد فى نوفمبر ١٩٧٥ •

وعلى مدى أكثر من ثلاثين عرضا ، تابع المهرجان ، جمهور كبير كانت تضيق به قاعة العرض فى الكثير من الاحيان • وهو نجاح لم يشهده اى اسبوع « رسمى » للسينما الاجنبية من قبل ، مما يشير الى اتساع دائرة الوعى السينمائى لدى شبابنا ، ويعكس تطلعهم الشغوف الى مشاهدة انجازات السينما الراقية فى العالم • وهكذا يصبح مهرجان فيلليني – دون شك – حدثا من اهم الاحداث السينمائية المحلية لهذا العام•

[●]

وفى تاريخ السينما الايطالية والسينما المعاصرة كلها ، يشكل المخرج الايطالى العظيم فيديريكو فيلليني ، ظاهرة متميزة وفريدة • ويعتبر كل فيلم جديد يقدمه ، حدثا ثقافيا وفنيا هاما على الصعيد العالمى كله • وينتمى فيلليني – مع انطونيوتى وبازولينى – الى الجيل الثانى من المخرجين الايطاليين ، وهو الجيل الذى صنع تيارا متميزا عما صنعه الجيل الذى سبقه •• جيل الواقعية الجديدة ، الذى يمثله روسيلليني ودى سيكا ودى سانتيس وفيسكونتى • وقد تميزت افلام هذا الجيل بتجاوز اسلوب « الواقعيه الجديدة » الى اسلوب اكثر تحررا واكثر ارتباطا بشخصية الفنان • وبالتعمق فى بحث ازمة الانسان فى المجتمع الاوروبى لفترة ما بعد الحرب ، وهى فترة الحرب الباردة التى ازداد فيها القلق على الامن الشخصى ، واصبح الفرد يشعر بالافتقار الى التوافق مع مجتمعه ومع الاخرين •

[●]

ولد فيديريكو فيلليني عام ١٩٢٠ فى مدينة « ريمينى » على ساحل الادرياتيك ، وتلقى تعليما دينيا ، وفى سن السابعة عشرة ، بدأ خوض تجاربه العملية فى الحياة ، فعمل فى البداية ، رساما متجولا للكاريكاتير ، ثم رحل الى فلورنسا ، وهناك التحق بالعمل كمصور فى مجلة « ٤٢٠ » ، ثم تولى الاشراف على صفحة « القصص المصورة » • وفى عام ١٩٣٨ ، ذهب الى روما معتزما مواصلة العمل فى الصحافة واشرف بعض الوقت على احد الابواب الخفيفة فى جريدة « البوبولو دى روما » ، ثم كتب مجموعة من القصص الفكاهية القصيرة نشرها فى احدى المجلات المتخصصة فى هذا اللون • وابتداء من عام ١٩٤١ ، بدأ فيلليني العمل فى السينما ، فقام بكتابة السيناريو لاكثر من عشرين فيلما• وفى عام ١٩٤٥ اختاره «روبرتو روسيلليني» لكى يعمل معه مساعدا للاخراج فى فيلم « روما مدينة مفتوحة » ، الذى اشترك فيلليني فى كتابته ايضا • وقد عاد فيلليني للعمل كمساعد مخرج مع روسيلليني مرة اخرى ، عام ١٩٤٨ فى فيلم « المعجزة » • وعقب الحرب العالمية الثانية ، اشترك فيلليني مع عدد من اصدقائه فى افتتاح مشروع اطلقوا عليه « دكان الوجه الظريف » لممارسة فن الكاريكاتير واجتذاب الجنود الامريكيين والحصول على نقودهم • وفى عام ١٩٥٠ ، اشترك فيلليني مع البرتو لاتوادا فى اخراج فيلم « اضواء المنوعات » ، قبل ان يقدم فيلمه الاول « الشيخ الابيض » ١٩٥٢ •

ويمكن تقسيم افلام فيلليني الى مرحلتين تبدأ المرحلة الاولى منذ فيلمه الاول وحتى فيلم « ليالى كابيريا » ١٩٥٧ ، وتشمل الى جانب ذلك ثلاثيته الشهيرة : « العاطلون » ١٩٥٣ ، « الطريق » ١٩٥٤ ، « المحتالون » ١٩٥٥ • وافلام هذه المرحلة اقرب الى افلام الواقعية الجديدة ، وان كانت تتضح فيها بدايات فيلليني الطموحة لتاصيل اسلوب شخصى ، وهو ما يحققه ، على نحو ناضج تماما بعد ذلك ، فى افلام المرحلة الثانية التى تبدأ بفيلم « الحياة الحلوة » ١٩٦٠ ، وتصل الى قمتها فى « ساتيريكون » ١٩٦٩ •

وفى افلامه فى كلتا المرحلتين ، يبدو جليا ، تاثير حياة فيلليني الخاصه ، وانعكاسات معاناته الذاتية ، فى فترات طفولته وشبابه ونضجه • وهو يفسر ذلك بقوله : « ان كل فيلم اخرجه هو بمثابة فصل من فصول حياتى • ورغم هذا فان كل افلامى هى عبارة عن عمل واحد طويل » ••

وفى افلام المرحلة الاولى ، تبرز فكرة الضياع الفردى الكامل ، والافتقار الى التواصل مع الاخرين ومع المجتمع ، وذلك من خلال اسلوب واقعى تشوبه نزعة رومانسية رقيقة مشبعة بالرمز • ففى « العاطلون » يستوحى فيلليني فترة من فترات التسكع والضياع التى عاشها فى شبابه ، ويسعى الى رصد هذه الظاهرة من خلال الشخصيات الفارغة البليدة التى تركن الى حياة التشرد والصعلكة فى شوارع بيزارو ، وهى مدينة ساحلية اخرى ، تذكرنا بريمينى المدينة التى نشأ فيها فيلليني • ولكن فيلليني فى رصده لظاهرة الضياع الذى يحيط باولئك



لقطة من فيلم « ساتيرِ يكون » الذى اخرجه فلليني عام ١٩٦٩

العاطلين ويفرز مضاعفاته ؛ يغفل الاشارة الي مسئولية النظام الاجتماعى ولكنه ، بدلا من ذلك يختار شخصية ايجابية الى حد ما ، هى شخصية « موررالدو » ، الذى يمثل فيلليني نفسه ـ والذى يصنع منه نموذجا اكثر وعيا، يتأمل ما يحدث حوله طوال الوقت ، الى ان يمتلك ارادته ويرحل طلبا للنجاة بعيدا عن هذا النمط من الحياة •

وفى « الطريق » ، يجمع فيلليني بين شخصيتين متناقضتين تماما معا ، « جيلسومينا » الفتاة البريئة الحالمة الطيبة القلب ، التى تبدو اقرب الى البلاهة ، و « زامبانو » •• المهرج المتجول ، وهو رجل قاس القلب عنيف متجهم ، لايكف طوال الوقت عن تعنيف جيلسومينا والقسوة عليها ، وتتحمل هى، فى مقابل اضطرارها للبقاء معه • وتلوح لها فرصة الافلات منه ، عندما تلتقى « بالماتو » الذى يتمتع بحس فطرى وحب حقيقى للحياة والناس • ولكن زامباتو يقتله فى احدى مواجهاته معه، وفى النهاية تموت جيلسومينا ، ويهيم زامبانو على وجهه ، وينهار وحيدا يبكى افتقاره الى الدفء والحنان وعجزه عن الحب •

ولا يتعمق فيلليني الوضع الاقتصادى والاجتماعى فى « الطريق » او بعد ذلك فى « المحتالون » ، حيث نرى بعض اللصوص الفاشلين وكيف يلجأون الى استغلال ظروف جهل الفلاحين وسكان الاكواخ ، للاحتيال عليهم وسرقتهم •ولكن فيلليني يعود فى « **ليالى كابيريا** » ،وهو آخر افلامه عن عالم الطبقة الدنيا والمتشردين وآخر افلام المرحلة الاولى ، الى وضع البراءة والنقاء فى مواجهة الجشع والأنانية والغرور وخواء الطبقة الثرية ، وذلك على نحو شاعرى يبلغ درجة عالية من الشفافية من خلال اداء الممثلة العظيمة « جوليتا ماسينا » التى اكتشفها فيلليني وتزوجها واختارها لتمثل خمسة من اهم افلامه • وهى هنا عاهرة من الدرجة السفلى ، تحمل قلب طفل ، وتتطلع ـ مثل اى امرأة ـ للحصول على الحب والدفء والاستقرار ، ولكنها تتعرض ، بسبب شراسة المجتمع المحيط بها ، وبسبب الفوارق الطبقية الشاسعة التى تفصل بين ابنائه ، الى مآزق عديدة تكاد تقضى عليها تماما ، ولكنها لا تموت او تنتحر ولكن تعود اليها ابتسامتها رغم كل شىء ، عندما تجد نفسها فجأة وسط مجموعة من الفتيان والفتيات يرددون اغنية تبعث التفاؤل والامل الى قلبها من جديد •

وفى « **الحياة الحلوة** » ١٩٦٠ ،ينتقل فيلليني الى عالم الطبقة البورجوازية ، ومن خلال الصحفى مارشيللو ، ينفذ فيلليني الى هذه الطبقة ، لكى يصور لنا خواءها وكسلها والفراغ الفكرى والروحى الرهيب الذى يسيطر عليها ، والذى تحاول ان تستره بالانغماس فى الملذات الحسية • وتدريجيا ، يغوص مارشيللو وسط هذا العالم ويفقد نفسه تماما ، حتى أنه فى النهاية يفشل فى تفسير اشارات التحذير التى تخاطبه بها « باولا » •• الفتاة البريئة التى ترمز الى النقاء والبراءة فى الفيلم •

غير ان المشكلة بالنسبة لفيلم «الحياة الحلوة » او حتى بالنسبة للفيلم الذى يليه : « ٨,٥ » ، والذى يعد سيرة ذاتية لفيلليني وتشريحا دقيقا لكل ما يحيط بالفنان من علاقات وضغوط وعوائق مادية تاتى من خارجه ، او نفسية تاتى نتيجة للضغوط النفسية التى تعرض لها البطل فى الماضى ، ويجعله كل هذا يهرب الى الخيال ، ويكاد يؤدى به الى الاحباط، لولا انه يهرب فى آخر لحظة • نقول ان المشكلة هنا ، هى ان فيلليني يرى الانهيار الذى يصوره وكانه انهيار عام يهدد البشرية كلها ، وليس انهيارا طبقيا • ولكن ، وكما يقول الناقد السوفييتى « سيمون فريلدنج » فان المسألة •• ليست ان نظرة الشخصية الرئيسية للعالم نظرة غير مادية ، وأنه يؤمن بأن العالم قد وصل الى نهايته ، وانما المسألة هى ان نظرة فيلليني نفسه ليست اوسع من نظرة اى من شخصياته » !!

وهذا التعاطف من جانب فيلليني مع

شخصيات افلامه ، هو مايجعله يحتاج على وصف فلم مثل « الحياة الحلوة » بانه محاكمة ، ويضيف : ؟ **قد يكون الفيلم محاكمة ، ولكنها ليستمحاكمة من وجهة نظر القاضى . بل من وجهة نظر المشترك فى الجريمة** » ! وهذه النظرة المثالية ، هى ماتدعونا احيانا الى التحفظ على رؤية فيلليني • فعلى الرغم من الاسلوب المدهش الذى يصوغ به فيلليني رؤياه ، ورغم مقدرته الفذة على التقاط التفاصيل ، الا ان « الخصائص الفنية تتحدد فى التحليل الاخير – لا بالمادة التىيصورها الفنان ، وانما بموقفه من هذه المادة » • ففى « روما – فيلليني » •• يسعى فيلليني لتشريح واقع مدينة « روما » من خلال الاستعراض الذى يمزج بين فترات مختلفة من تاريخها ، فىمحاولة لرصد الظواهر الحياتية والانماط السلوكية السائدة فى الفن والحب والجنس والطعام والدين ، والظواهر الحديثة كالبطالة وتعقيدات حركة الشارع والناس فى روما والقمع البوليسى لمظاهرات الطلبة •• الخ • ولكن فيلليني – على الرغم مننجاحه تماما فى استعراض كل هذه الجوانب بأسلوبه الساحر الفريد ، الا انه يفشل بعد ذلك ، فى تحليل هذه المادة الهائلة والكشف عن التناقضات التى تكمن تحت سطحها • وهو مايسؤدى به فى النهاية الى تصوير الشعب الايطالى كله باعتباره مسئولا عن الفاشية فى الماضى وعن عودتهاالمحتملة فى المستقبل ايضا ، وهو بالتاكيد زعم يفتقر الى الادراك التاريخى الصحيح •

وفيلليني مخرج غير ملتزم سياسيا وهو يعلن انه ضد صنع الافلام انطلاقا من اعتبارات سياسية او اجتماعية ، ويرفض ان يحدده احد فى اطار سياسى معين • وهو يرى ان المخرج هو الرجل الذى يجيد رواية الواقع للاخرين ، ويؤمن بأن كل الطرق فى سبيل ذلك ، مشروعة وان المخرج او رجل العرض ، ينبغى ان يكون خليطا من الساحر والحاوى والنبى والمهرج وبائع اربطة العنق والقس الذى يلقى عظة • وليس هناك شك ، فى انه يمكن اعتبار فيلليني فنانا واقعيا ، وذلك استنادا الى تعريف روجر مانفل للواقعية بانها اصطلاح يشمل اى معالجة فنية مهما بلغت من تطرف ، طالما كان هدفها النهائى هو تقديم مايراه صانع الفيلم صدقا او ممثلا للحقيقة فى موضوعه وسينما فيلليني هى ، رغم غياب المنظور الطبقى ، سينما تحمل نوعا من الوعى الطبقى ، واذا كانفيلليني غير ملتزم سياسيا ، فان افلامه هى هى اعظم مايمكن ان يقدمه فنانيعلن عدم التزامه السياسى • وعلى الرغم من انه لايبشر فى افلامه ببداية عالم جديد ، الا انه يصل الى تصوير نهاية المدنية البورجوازية وانهيار العالم القديم ، بشكل يمتلك كل مقومات التأثر فى مشاهديه •

ويلجا فيلليني فى افلامه الىالرمز والكاريكاتير ويستخدم الفانتازياوالاطار للحدث او للشخصية وهو مايضفيعلى اعماله احيانا طابع الكابوس •ويستعين فيلليني بالتحليل النفسى لتفسير سلوك شخصياته فى فيلم «٨ ونصف » ، يهرب البطل من رغباته المكبوتة الى الخيال ، الذى يصور له سيادته على النساء اللاتى عرفهن جميعا • وكذلك يهرب من واقعه المضنى الى«كلوديا» الفتاة البريئة الجميلة التى يحلم بها كنموذج يجد لديه الراحة من همومه• ويتكرر هذا النموذج ايضا فى فيلم « الحياة الحلوة » ويمثله « باولا »• وفى « جولييتا والارواح » ، تبدو جولييتا مشدودة الى اغلال الماضىفى طفولتها ،كما يتضح اثر التربية الدينية المتزمتة على اضطراب تفكيرها • وفى كلافلامه يركز فيلليني على انتقاد الكنيسة والسخرية من رجال الدين وكشف وسائل الخداع التى يلجأون اليها لتضليل الناس • فى المشهد الاول من « الحياة الحلوة » يرى طائرة هليوكوبتر تحمل تمثالا للمسيح وتمر بسماء روما حيث يقطع المشهد على لقطات لفتيات شبه عاريات فوق اسطح منازل روما • ويعود فيلليني بعد ذلك ، الى السخرية من الاساطير المزيفة التى تروج لها اجهزة الاعلام عنظهور العذراء وتجمع الناس حولها لالهائهم • وفى « ٨ ونصف » يشكو البطل الى الكاردينال الضغوط التى تحاصره فى حياته فيجيبه الكاردينال بالايطالية واللاتينية عدة مرات ان لاخلاص خارج الكنيسة !!

ولان فيلليني يعايش موضوعه معايشة طويلة ، فانه يلجأ احيانا الى الارتجال دون ان يخل هذا بالايقاع الداخلى لاحداث فيلمه • ويلعب « **المكان** »فى افلام فيلليني دورا بارزا • ففى«الطريق» يتحدد مصير الشخصيات فى الطرق المهجورةوبين الاشجار واعمدةالتليفونات• ويمثل البحر فى « الحياة الحلوة » المجهول الذى يلقى بسمكة غريبة تحمل اشارات غامضة الى البطل • وفى « جولييتا والارواح » يخرج رجل من البحر حاملا حبلا يجر مركبالغزاةالى الارض • ويطلب من جولييتا انتساعده•

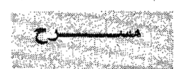
ويمثل « **السيرك** » بموسيقاه المميزة وشخصياته الكاريكاتوريةوعالمه الصاخب الذى لايهدأ . ركنا اساسيا فى افلام فيلليني ، بل ان فيلليني قد قام باخراج فيلم « **المهرجون** » ١٩٧٠ متضمنا ذكرياته الشخصية عن السيرك • وفى المشهد الاخير من فيلم « ٨ ونصف» يمسك فيلليني – من خلال بطله «جويدو» بجميع ابطال الدراما فى فيلمه وينظمهم فى دائرة كبيرة ويقودهم على صوت موسيقى السيرك،وكانهمجميعا حيوانات او دمى اصبح يمتلك السيطرة الكاملة عليها • وفيلليني يرى ان السينما تشبه السيرك تماما ، وهو يقول انه لو لم توجد السينما ، ولو لم يقابلروسيلليني لكان يفضل ان يصبح مديرا لسيرك كبير ، لان السيرك يمزج بين التكنيك والدقة والارتجال !

فى قمة اعماله كلها « **ساتيريكون** » ١٩٦٩ ، وهو احد اعمال التكامل الفنى النادر ، يواصل فيلليني التعمق فى ماساة الواقع الغربى المعاصر ، من خلال الغوص فى احداث العالم القديم او عالم الامبراطورية الرومانية فى اشد فترات سقوطها وانحطاطها ،حيث نشهد كيف تتداعى كل قيم الخيروالانجاب والنماء ، وتسود اللااخلاقيات وتتدهور الفنون والاداب وتتحلل • ويفقدالشاعر، وهو الوحيد الذى حاول ان يبقى شريفا، يفقد قدرته على المقاومة ويستسلم مقابل الثروة • وينتحر الرجل الطيب البرىء وزوجته لكى يودعا عالما ماتت فيهالفضيلة وسقطت الطبقية فى اعماق العفن •

ويحشد فيلليني فى فيلمه كل طاقاته السينمائية العبقرية ،ويستخدم اكثر اشكال السرد تحررا • ومن خلال بناء فنى مكون من شذرات دقيقة تبدو غير مترابطة ظاهريا ، ولكنها تترتب داخليا ، وعلى مستوى العلاقة الذهنية ، وتمتلك ايقاعها الداخلى المحسوب بدقة ، تتجسد فى النهاية الرؤية المذهلة لفنان الفيلم •

ولايقلمنصدق الرؤية فى«ساتيريكون» تشربها بالخيال الجامح ، الذى ينطلق من واقع حقيقى بالفعل » ، او التركيز على مظاهر الانهيار الاخلاقى والتاكيد على ارتداد الانسان الى البدائية وتحوله الى عبد لمشاعره الحسية •• الخ •• فكل هذه المظاهر التى قد تبدو اخلاقية، تنبع من حقيقة ان العالم القديم الذى يقدمه الفيلم ، لم يكن عالمااستهلاكيا – كما يقولفيلليني•• « فحيث لايوجد انتاج صناعى بالجملة ، لايوجد استهلاك» •• ولكن كل ذلك ينطلق منواقع ان العالمالقديمفىروما الامبراطورية كان عالم افراط ، ولذلك ايضا ، كان من المحتم ان ينفجر هذا العالم من داخله وينهار بالكامل ، بعد ان يغادره كل من يريد البقاء – الى عالم افضل! ■

امير العمرى

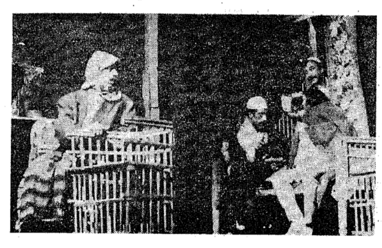


عن المسرح العراقي ومسرحية القربان

يمكن القول عن فرقة المسرح الفني الحديث العراقية بأنها تتفوق على تاريخها الطويل المشرف باستمرار احتفاظها بـ «طليعيتها» فهي ماتزال أولى الفرق الاهلية التي تعيش بدفعها الخاص وبتمويلها الذاتي ، اى بدون عون حكومي وهذا شيء صعب يعرفه المسرحيون العراقيون وكذلك الجمهور . ان نهج فرقة المسرح الفني الحديث في تقديم تاريخنا الاجتماعي والسياسي بمراحله المختلفة ينبع عن وعي وعاطفة معا ، فلقد قدمت وتقدم استجوابات عن الواقع وكان القصد التفكير في الحاضر والمستقبل وفي كل هذه المحاولات ، وبصرف النظر عن الخط البياني الصاعد والنازل نستطيع القول ان خيط الحياة يمر بمحاولاتها الصعبة فاذا كنا نعتقد انها لم تستطيع في محاولاتها الاخيرة ، مسرحية « القربان » التي اقتبسها الاستاذ ياسين النصير عن رواية الاستاذ غائب طعمة فرمان ان تستخرج من واقعنا المزيد فلا اقل من الاقرار بانها حتى في هذه المحاولة تمشي أو [تقف] في طريق متقدم . ان مناقشة الفرقة في اعمالها صعبة وعسيرة لسبب مهم هو انها تقدم لجمهورها اعمالا على نفس المستوى في الصعوبة والجدية ومن هنا يرتفع مستوى مخاطبتها ويحتدم النقاش بدقة مضاعفة وحريصة .



ولقد جرى في العراق اثر عرض المسرحية نقاش بين النقاد حول من المسئول عن مستواها الحالي : المسرحية المعدة ام الرواية الاصلية . وفي اعتقادي ان من غير الصحيح التوجه الى رواية عندما نشاهد مسرحية اصلها رواية ، فلو فعلنا ذلك لكان امامنا شيء ينخر في سيء وازاحة مقابل ازاحة . والاكيد ان المسرحية التي ترضع نفسها في رواية ان يكون لها نفس تقاطيع الام ، بل نسخة منها ، وهي بالتأكيد ستلعب لعبتها الخاصة فاذا نجحت فيها ، واذا فشلت فمن الخطأ عندئذ وضع الرواية موضع الضحية والمسرحية موضع الجلاد ، فالمسرحية



القربان

في هذه الحالة ان تقبل بجلد نفسها دون ان تؤثر على الرواية التي هي في مأمن .

وكمثل اقول اننا لا نستطيع ان نحاسب [كامو] اذ حول رواية الشياطين لديستويفسكي الا بمعايير مسرحية . ونفس الشيء يمكن ان يقال من فلليني الذي حول رواية [الغريب] لكامو الى فلم سينمائي وعن اورسون ويلز الذي اقتبس (المحاكمة) عن كافكا وروبرت حسين الذي اعاد [المدرعة بوتومكين] لازنشتاين الى مسرحية عرضت في باريس مؤخرا الخ .. والقصد هو : **لايمكن محاسبة [فن] بقيم ومعايير [فن] آخر بالرغم من ان خصائص مشتركة لكل منهما تتخفى في الفن الاخر** . لذلك فان هواء رواية مايمكن ان يكون صالحا للتنشق في مسرحية « القربان » على اساس ان المسئولين عنها هم **ياسين النصير** المعد وكذلك الذين ساعدوا في اعدادها وهم الاساتذة **سامي عبد الحميد وغائب طعمة فرمان** الذي بعث بتعديلاته في موسكو وكذلك المخرج **فاروق فياض** .

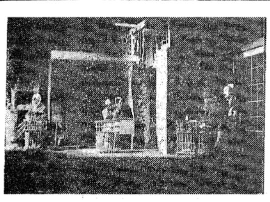
[■]

علينا ان نلخص الخط العام للمسرحية لكي يعرف القارىء في اى الارجاء اشعلت قواها . انها تبدأ بشخصية « دبش ــ يمثلها المسرحي المعروف **خليل شوقي** » . وحمام » وهو بخيل وظالم ومستغل لعدة اشخاص ، منهم ابنته مظلومة [**حميدة** ودبش هذا صاحب ملك عقاري « مقهى **حمد**] وشخصان اخران اشتغلا في مقهاه كل العمر هما [ياسر ــ **قاسم محمد**] و (**عبد الله ــ عبد الجبار عباس**) فما حصلا على شيء . وبالاضافة الى هذا فان [دبش] مريض بالسكر وموته اصبح وشيكا ، فمن يرثه اذا مات : مظلومة القاصر ام ياسر وعبد الله اللذان يعتقدان ان المقهى يجب ان يؤول اليهما لانهما كدحا طويلا وان الحاصل يجب ان يعود لمن تعب من اجله ؟ ولاجل انهاء حياة دبش الظالم يشجع [ياسر] المضمد (**مختار ــ مثله يوسف العاني**) على قتله ، فيعطيه هذا ابرة ماء بقطر بدل الانسولين الذي يحتاجه فيموت دبش دون ان يعرف احد أنه قتل . وعندئذ ينشب صراع حول « الارث » بين اربع شخصيات رئيسة : ياسر الذي يريد ان يتزوج مظلومة ويأخذ نصيبه من المقهى] وعبدالله [لانه يرى ان ياسر سينفرد بالمقهى دونه] وصباح ومظلومة [لانهما يحبان

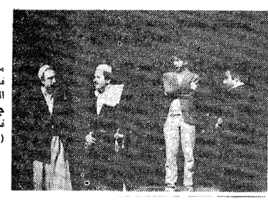
بعضهما بصرف النظر عن الارث] وحسن العلوان [تاجر يلبس عمامة ويزعم ان دبش نصبه وصيا على مظلومة بصورة شفهية قبل ان يموت] . ويدنوى الصراع بان يقتل ياسرا بعد ان يصاب بحالة جنون وعند هذا المشهد يسدل الستار .

لا شك ان المعد المسرحى كان يطمح ، كما فعل غائب طعمة فرمان فى الرواية ، من خلال انتخابه لهذه [الصورة] او [الصور] ومن خلال عرضهم لاهتمامات ابطال المسرحية ان تخرج من اطارها الحدثى هذا وتتطور الى رصد للظـواهر الطبقية فى مجتمع طبقى [الاربعينـات] والى وضع رموز داخل الاحداث لها قدرة الاحتكاك وتوليد شرارات رمزية تغيء فترة العهد الملكى وحكم نورى السعيد وماتبع سقوطه من وقائع سياسية . فهل نجح المعد فى هذا ؟ أو هل استطاع تقـديم قيمة استنتاجية تكون صحيحة عندما تتعلق بافراد وصحيحة ايضا عنـدما تتعـلق بجماعات ، هل عبر الخاص عن العام ووضعت حـدود طبقية لـكل جمـاعة متصارعة ؟ .

ان المسرحية لاتعطى الاجابات المطلوبة، فموضوعها كان [الطمـع] وليس (الصراع) ، والطمع مفهوم اخـلاقى يمكن ان ينشأ فى كل طبقة بمستويات معينـة ، اما [الصراع] مفهـوم موضوعى اذا كانت [الاهتمامات] أو [المصالح تتطور الى اهتمامات طبقية اننا اذن امام صرخة فى حدود جدران المحلة الصغيرة ، لا ازاء قانون يتطوع ذوو المصالح للدفاع عنه . كما اننا ازاء (عراك) يقع فى جهة واحدة لا عدة جهات ، فالجميع ، عدا التاجر حسن العلوان هم فئة مسحوقة واحدة، فئة خدمات بدائية غير انتاجيه ، وهى بوضعها ذاك لاتعبر عن ابعاد الصراع الشامل . ان دبش نفسه عامل خدمات وان كان قـد اغتنى [اغتنى بمقهى وحمام !!] وصار يسـتغل ياسرا وعبدالله .. على هذا فان المرمى لم يصل الى واقع عريض بل الى [دكة فى بيت] أو [دكة محلة] وحسب .. ولم تستطيع المسرحية التى ماكان احد فى شخصياتها مسرورا بوجوده فيها ان تفسر الحياة السياسية ولا الاجتماعية، كما انها لم تتوصل الى تقييم هذه الحياة ولا التأشير على الحلول الفكرية الصحيحة . لقد ادارت نفسها بعتلات مثالية واخلاقية مستندة الى قيم محدودة هى قيم المحلة دون ان تعارضها بحلول علمية على الاقل . اننا لا نستطيع مثلا



مقطع فى ديكور مسرحية القربان الذى وضـــعه « كاظم حيدر » ويظهر فيه قاسم محمد (ياسر) الى اليمين وعبدالجبار عباس (عبد الله الى اليسار) .

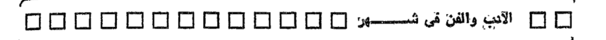


فى اليسار : قاسم محمد (ياسر) ، فاضل خليل (سلمان القصاب) ، صباح جيجان (صباح) ، فاضـــل سوداين (هادى البنا) .

ان نتابع مسالة : الى من يؤول الارث، فبمفهوم اجتماعى وقانونى سائد يكون الارث [هو ارث سـرقة دبش مـن الاخرين على اية حال] من حصـة مظلومة . والمسرحية تنساق من اولهـا الى آخرها وراء هذا الفهم المقتبس من النظرة الرأسمالية للارث وتحل مشكلاته بـ « الملكية الخاصة » و « الاخلاق » انها تقرر كما القانون السائد انه لمظلومة وكل الابطال يدافعون عن هذا المفهوم، فلاى سبب ياترى ؟ هل يحق لاحد ان يتسلم كدا غير كده ، خاصة وان المال مسروق كما تشرح المسرحية ؟ وبمفهوم سياسى هل مظلومة العاطلة هى الشعب العراقى المنتج ، المحنج ، صاحب الانتفاضات ، المطيح بحكم نورى السعيد المرموز له فى المسرحية بشخصية دبس؟ هل كان ياسر عبد الكريم قاسم وعبدالله عبد السلام عارف ؟ ثم هل المقهى هى العراق نفسه ؟ لاشك ان المتفرج ، وقد اعطى مجهرا للبحث عن اجوبة مخفية داخل السطور لم يجد شيئا ، انه ازاء رموز شكلية لاتستطيع ان تحمـل أكثر من همومها الفردية المبسطة والاكثر من نقلها لاحداث تتفرق فى عدة اتجاهات . لقد أكدت المسرحيـة بـسوال الخـط استنتاجات ابطالها المبنية على القانون الدوقى السائد وعلى مبدأ [الشفقة]

على مظلومة [مفهوم اخـلاقى] ؟ لذلك لم تظهر فى هذا المكان ، وهـو الاساس الذى بنيت عليه المسرحيـة، الشحنة الفكرية التى تقود الى توهج ما ، ومع ذلك فليس هذا الموضوع هو الرئيسى ، فنحن نواجه بمواضـيع وحكايات جانبية كثيرة لاحاجة داخلية لها ، فحكاية زنوبة المجنونة [تمثلهـا ناهدة الرماح التى اصيبت بالعمى وهى على المسرح ونقلت الى لندن للمعالجة وشفيت] ، نقول ان شخصية زنوبة شقت المسرحية الى نصفين وسرقتنا بشكل لايقاوم . لقد كانت تحب ياسرا لكن حسانى الحارس اغتصبها فتصاعدت بالامها عبر مونولوجات انفرادية شديدة التأثير وكبرت بـذلك على حســاب الموضوع الاصلى ، كما ان شـخصية المعلم الظريفة والتهريجية احيانا تلهينا بمنسرحات فى الشرق والغرب ، بنكات ليست نكاتا وبمفارقات بعضها لطيف وبعضها فج لكنها كلها لاتفعل غير ابعادنا عن خط المسرحية .

ونفس الاحتكاك الذى لايحدث شررا ولايعطى [انفعالا] مسرحية تشغلها شخصيات اخرى كسلمان القصاب وهادى البنا وحاجم وحسانى الحارس وحاج



ناجي ، وكل هؤلاء وشخصيات اخرى كانوا يشغلوننا بوجودهم الطويل على المسرح وكان يمكن الاستغناء عنهم فى المسرحية بدون ادنى ضرر .

والحق ان كل هذه الشخصيات انشئت بشغف التسويق وبانعدام الاقناع معا وهذه احدى مراهقات النص المحلى العراقى او لعنة قديمة يبدو انها لن تنتهى فى الوقت القريب . وبقدر ما أخذت هذه الشخوص الجانبية وقتا وجيزا تحتاجه الشخصيات الرئيسة فأن هذه الاخيرة نطت على مآسي والام غيرها ، اى انها عاشت مصاعبها الخاصة لتنتحل عذابات ومصاعب شخصيات اخرى . فياسر الاخلاقى الذى قتل انسانا لايتعذب ، هو المخلص امام نفسه .. وامام المشاهيرى عبر مونولوجه [الشجى والعذب والمقارب للهجة الاعتراف للنفس] بسبب قتله انسانا بل بسبب الاغتياب والخيانة التى يلصقها بالناس : « عيونكم تخونني وانا لم أفعل شيئا [1] » و « اريد ان ابقى وحيدا .. لا أب ، لا أخ ، لا أم .. اريد ان ابقى وحيدا » .

اكانت هذه صرخة لاعلان براءة ياسر ؟ ولكنه قتل انسانا أمام المشاهدين فهل كان ياسر شيطانا أم طيبا لا نحن لانعرف فالمسرحية نفسها غير متأكدة . اما مظلومة ، وهى صاحبة المشكلة الاساسية فقد اعطتها المسرحية فرصة الظهور لا الوجود الفعلى وظلت معزولة رغم كل الشروح الطويلة التى الحقت بها وكان مدى تأثير [عملها] الدرامى محصورا فى رفضها للزواج بياسر وحبها لصباح وهو عامل يلبس بدلة العمل ويعيش بجمل باهتة وجانبية ، وماكان هذا يكفى للتنفس ولخلق حياة لا بالنسبة له ولا للطبقة العاملة ذات التأثير العريق فى حياتنا السياسية والتى كان يمثلها هو . فاذا ما وصلنا الى عبدالله مستشتد الحيرة ازاء التغيرات التى تطرأ عليه فهو انساء بسيط فى البداية ومجنون فى الوسط وقاتل لياسر فى النهاية ، وكل هذه الاشياء حدثت بقفزات ونطات وحرق مراحل . اما بالنسبة لشخصية مختار المضمد فهو الاخر يتعب مشاهديه ، أكان يتعذب لانه ساهم مع ياسر فى قتل دبش أم انه يفخر به ؟ فى اعترافه لصديقه وهو سكران يقول بألم ومرارة : « هذه اليد يجب ان تقطع ، كيف أواجهه ربى يوم القيامة ؟ » لكنه يلتمع نشوة فى الجملة التى تليها مباشرة ، اى عندما يسأله صديقه عما اذا كان قد اعطاه السم يقول معلنا عن ذكائه : « هل انا بليد حتى اعطيه سما ؟ السم يظهر فى الكشف الطبى » ! وبخصوص صباح الذى هو العنصر الايجابى الوحيد فى الاحداث والذى اعطته المسرحية مهمة البديل فقد اكتفى بأن ظهر وغاب بعد ان قال بعض الجمل التى تدل على انه عامل ميكانيكى وانه يحب مظلومة وان الاخرين يستغلونها ويطمعون بثروتها وانه علمها القراءة والكتابة ، وفيما عدا هذا فقد قطع صلته بالاحداث وغاب دون ان نعرف عنه شيئا .

من هذا نستنتج ان المسرحية تتألف فى زمن طويل وفى — اجسام — تتبدل لكن لاشىء مهم يحدث فى التركيب . بل لقد عورض الرئيسى بالثانوى . وفى النتيجة لم تستطيع المسرحية ان تقدم — تفسيرا — لحياة اشخاصها ولاللحياة العامة ولم تقدم لنا الظواهر المنعكسة عنها وارتباطها السببية . لقد كانت . فى اعتقادى فاقدة لهذه الميزات المتعلقة بمضمون العمل الفنى . اما بالنسبة لشكلها فقد كان فاقدا للصرح او المعمار المسرحى . وكانت هناك بدل هذا زينات تنحبس من تحت وتجمعات لبرك صغيرة قد تكون جميلة ولكنها لا نصب ببعضها البعض

[●]

لقد استفادت الممثلة **ناهد الرماح** فى تنويعات الدور « زنوبة » ، فهو حار وبارد ، ناعم وعارم ، مبهج ومرير فأعطت مرونة بين الثنيات وتتبعت الصعدة والمنخفض ، لكن كل هذه المهارات كانت مؤسسة كما قلت على حساب الادوار الرئيسية . **اما يوسف العانى** .. فكان يستعير احيانا شيئا من نجاح دوره فى مسرحية الحضيض انه السكران الطريف الذى يفجع بشىء ما فيتابعه الجمهور بالضحك المضاف ، ولست اعرف ان كان يوسف العانى ، وهو الفنان الجيد يرضى بوقع خطوات سبق وان خطاها امام الجمهور ولكنى اعتقد انه قادر على استحضار اوصاف تبرهن على قوة حساسيته كممثل . اما **قاسم محمد** ، وهو ايضا ممثل جيد « لعل الجمهور المصرى يتذكر دوره فى مسرحية البيك والسائق التى عرضت فى القاهرة » فقد كان دوره شبيها بالنثر الذى يعارض بعضه بعضا . لقد اعطانا صوتا اخفق الان فى الاستقرار على فهم واضح ولقد ساهم هو ، بالاضافة الى النص فى القاء الغموض على دوره ولم يساعدنا فى فك حدود البراءة عن الخداع والطيبة فى الحقد الخ .. فاذا قلنا انه كل هذا فلن نكون قادرين على الحكم بانه اعطى بناء واضحا ومترابطا . وبالنسبة **لخليل شوقى** ، وهو أيضا ممثل متمرس فقد انشأ شخصيته باوصاف خارجية مادتها الصياح ولم تكن لهذه الاوصاف الخارجية قرابة بما هو داخلى ، لذلك ظل يمثل « اصطلاح » الظلم لا الظلم نفسه ، ولدى شعور بان كل الشخصيات التى شاهدناها كانت تتلبس باوصاف شخصيات اخرى سبق ان حظيت بنجاح ما فى مسرحيات سابقة ، وانى لاشير الى هذا بسبب اهميته لان الاشكال الثابتة — الناجحة تأخذ على عاتقها ، كما الاحظ ، تحرير كل الادوار بنفس الحركات والنبرة والتعبير والفهم . ان فى هذا تقليصا لقوى داخلية فى الفنان وحرمانا فى تأليف مواصفات خاصة بكل دور وانه فى النهاية لخسوف من المغامرة والتجربة الجديدة ينبغى الا يطول

كان الديكور جميلا ومتقنا كعادة الفنان التشكيلى المعروف كاظم حيدر ، لكن ديكوره هنا غير عملى فنحن نسمع صوت اصطدام الممثلين ببعضهم بسبب ضيق الممرات وكثرة المشاهد « ٢٣ مشهدا » والانارة التى بدت هى الاخرى معقدة ولا تساعد الممثل على تعيين المكان الذى يقف منه .. وفى رأيى ان المخرج مادام قد استخدم الستارة المفتوحة فقد كان بامكانه الاعتماد على الانارة والديكورات التى تتكون بالافتراض الظنى انها مقيدة اكثر فهى تحرر الممثلين من اسار المكان الضيق وتطلق حركة واسعة للمشاهد الكثيرة .

لقد اعتبرت رؤية المخرج فاروق فياض للنص تأليفا ايضا . لقد ساهم وهذه هى المرة الاولى التى يخرج فيها عملا طويلا على المسرح ، فى ابعاد النص عن اهدافه بشكل ما عن طريق ابراز العرض على الرئيسى والشكلى

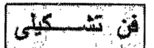
---

[1] فقلت الحوار للفصحى ليكون مفهوما للقارىء العربى .

على الموضوعى . لقد نحى جانبا هدف المعد والمؤلف معا من طريق حذف اهم مشهد فى المسرحية وهو المشهدالرمزى الذى يظهر فيه عزيز ومفتاح « ممثلان للجيل الجديد وربما حزب البعث والحزب الشيوعى » وهما يسخران من الكرسى الذى استولى عليهعبد الله بعد سلسلة من الجرائم ، وهذا فى نظرى يشـــكل نقصا اساسيا فى فهم المعنى الفكرى بصرف النظر عما اذا كان بناؤه الفنى جيدا أولا . ان قطعة لهذا الجانب هو قطع لنصف المعادلة الثانى لقد كان المخرج فاروق يرغب المواد الضرورية لسكان بناية فيها حياة ، لكنه فىمواقع مختلفة اتلف المهم وابقى غير المهم ، وبهذا ترك المعمار العام للصدفة . ولقد كان تعلقه بالشكل يعبر عن قلق عـــام وكان دخوله المسرحية يعرض مقتطفات غير مترابطة فى دور كل شخصية شبيها باعلان تليفزيونى من مسرحية ما . واذا كان هذا قد استغرق وقتا دون طائل فان اوقاتا اخرى كانت مملة او زائدة او تهريجية تقصد الاضحاك او الطرافة اللفظية والنكتة المحشورة حشرا . ومع ذلك فبالامكان القول انه شحذ بعض المواقف الجزئية خاصة عند زنوبة وياسر وكشف التحامات مقبـــولة عند هـــذه الشخصية او تلك . □

بغداد — صادق الصائغ

OOO



عـــز الـــدين نجـــيب

والاختيـــــار الثـــالث

افتتح بالمركز الثقافى السوفيتى بالقـــاهرة معرض الفنـــان عز الـــدين نجيب . ويضـــم مجمـــوعة مختـــارة من اللوحـــات التى انجزت خلال هـــذا العام . تربطها رؤية متماسكة ، تشكل اضافة منطقية الى معارضه السابقة ، وتتجاوز ذلك الى تقديم اجتهـــاد طموح للاجابة على الاسئلة المطروحة ضمنا أو صراحة عبر انجازات الحركة التشكيلية. ولتفسير ذلك يتعين النظر الى المعرض خلال منظور الخارطة التشكيلية الممثلة فى تيارين متداخلين :

■ **التيار الاول : «التيار الاوروبى»** تشـــكل بمولد الحركة التشـــكيلية على ايدى المبعـــوثين الى اوروبا الغـــربية لدراسة الفن وعودتهم بمعلبات التاثيرية .. التى حتم جمودها ضرورة التعـــرف على الاتجاهات الفنية الاخرى .

لكن .. بدلا من الحـــوار معها .. حـــدث التبنى لها وصـــار « النموذج الاوروبى » فى الفن ، والفكر ، والعلاقات الاجتماعية هو القبلة . فاذا كان خط ســـير فن التصـــوير — مثلا — قد بدأ بالتشـــخيص وانتهى الى التجريد .. فعلينا .. من وجهة نظر المؤمنين بهـــذا التيار — ان نعجل بتبنى الاتجـــاهات التجريدية .. وهم يصـــدرون احكامهم مجردة من النظر الى ملابسات الواقع الاجتماعى والاقتصـــادى للفنان الغربى مرتكزين على الشـــائع من النظـــريات الداعيـــة الى « اعفـــاء الفـــن من اية رسالة .. واعفاء الفنان بالتالى من اية التزامات تجاه مجتمعه . فاذا كان لامفر من الالتزام بدور فليكن دورا ترفيهيا : اى الدفاع عن حقوق الاشجار والزهور .. والاحتجاج على لا اخلاقية الخطوط المستقيمة .. والاحتجاج بالعرى الكامل امام جماهير المعارض !! .. الخ .

● **التيار الثانى : « التيار القومى »**

.. ظهر هذا التيار كنقيض للتيار الاول « من الظاهر » وان تحـــالف جوهـــريا معه .. و هذا الحكم لايؤخـــذ على انه مطلق فهناك نوايا طيبة تمثلت فى اتجاه ضمن هذا التيار سوف اشير اليه » . تضمن هذا التيار اتجـــاهين داخليين : تمثل احدهما فى الاحتفـــــال بالتراث الشعبى .. والاخر بالانشغال بالموضوعات السياسية والاجتماعية .. وقد تباينت مستويات الاداء بتباين مواهب اصحابها. رغم اصحاب الاتجاهين شعار «مصر» ، فظهرت مصر « سياحية » فى الاتجـــاه الاول .. وفقيـــرة .. ومحـــاصرة .. بالجهل والفقر والمرض .. فى الاتجاه الثانى . اساء فنانو الاتجاه الاول تفسير دلالة « التراث » . فبدلا من العـــودة الى التراث بقصـــد اكتشـــاف الدوافـــع الاساسية التى جعلت المنحوته المصرية — مثلا — بمواصفاتها المعروفة .. شكلا حتميا لملابسات اجتماعية وروحية لمصر القديمة .. عزلوا الاثر من دوافعه .. ونقلوا بالمواصفات الظـــاهرية لها .. ظنا منهم ان نقل التراث يكفى لاعطـــاء اعتراف بانتماء . أما الاتجاه الاخـــر

فقد تحددت خلاله البدايات نحو فن يتضمن رسالة اجتماعية .. موضوعه الانسان المصرى فى الحضارة ، وفى الحقل .. واهم ممثلى هذا الاتجاه فى رأيى : راغب عياد .. ثم عبد الهادى الجزار .. ثم جورج البهجورى ..

.. من هذا التيار ولد عدد من الفنانين الشباب .. انصرف اغلبهم الى احد الاتجاهين .. وحاول بعضهم اقامة معادلة توازن بين الاتجاهين .. اوبمعنى ادق وحدة بين تراث الفنان الشعبى.. وهمــوم الشرائح المطحونة فى مصر الفقراء . ان عز الدين نجيب .. واحد من هؤلاء . يقدم اجابته على شــعار « المصرية » المطروح .. بمحاولة تجسيد معادلة « التراث الشعبى .. والشرائح المطحونة » .. فى معرضه .

ان الانحياز الى شرائح الفقراء .. ليس طارئا عليه .. فقد انعكس على اول تجاربه الفنية فى مشروع التخرج فى الفنون الجميلة عام ١٩٦٢ .. وكان صــياغة تشــكيلية لرواية « الارض » لعبد الرحمن الشرقــاوى .. ثم كانت رحلاته المتلاحقة بعد ذلك الىالاسكندرية وبور ســعيد واسوان .. وســجلت اعمالــه خــلال تلك الفترة محــاولاته المستمرة للتخلص مما تعلمه فى كلية الفنــون الجميلة ! .. وقــد ازدحمت لوحاته منذ عام ١٩٦٢ حتى الان بتلك الشرائح التى ذكرتها .. وكان يتخفف فى كل معرض من معارضه الجديدة من المبالغات المسرحية .. ويقترب اكثرفأكثر من الواقع المرئى .. دون ان يتورط مع ذلك فى شرك التسجيلية . لقد اقترب فى معرضه الاخير من الواقع المالوف. لاليسجله بل ليفسره .. ويحرض ايضا على تغييره .

ان مجموعة « الحواه » ، و « الطبيعة الصــامته » .. يــكاد يلتزم بنسبها الواقعية . وهو لم يؤكد البعد الثالث .. ولكنه لم يلغه . فلعبة « الخناجر » التى نراها .. يمارسها المهرجون فى الشــوارع .. تتحول الى مشهد للادانة .. والتحريض معا . فالخناجر تندفــع عن دائرة تحاصر الوجه .. بحــدة .. الى العينين الثابتة النظرات .. ويتصل بالدائرة من اسفل خط طولى يشــطر جسد الرجل الى شطرين ، والرجــل يواجهنا .. بعينين مشحونتين بالحــزن والعضــب .. تتهمنا بالتواطؤ .. مع اللعبة القاتلة . لقد خلع الفنــان على وجه الحاوى « قناع » الوعى المعذب ســايراه .. اى « نحن » وحــول تاج الشوك على رأس الســيد المسيح الى تاج من الخناجر يحاصر الوجه ويهدده.. هو ينظرنا عبر الخناجر .. ونحن نلتقى بعينيه عبر حاجز الخناجر . ان اللوحة عند « عز » مسرح صــغير . يواجهنا خلاله الابطال .. الافراد .. بعذاباتهم وجوههم جميعا ، كبارا .. وصغارا .. وجوه واعية .. وفى معرضه هذا يتخلص عز الدين نجيب .. من استخدام رموز « توضيحية » كما كان يفعل .. بل اصبح الرمز مدمجا ادماجا فى العناصر المختارة للاعب الســيرك الشــعبى .. او .. المرتجل .. فى الواقع .. ليس على درجة من الوعى تسمح له بأن يحرضنا الى تغيير مانراه .. وان يخلق هــذه العلاقة المتوترة بيننا وبينه .. ويحرضنا الفنان ثانية خلال مسيح آخر . تحــول تاج الشوك هذه المرة الى حبال تحاصر جسد المهرج الطفل .. فيظهر ممسكا بيديه طبقا خاليا .. ويواجهنا بنفس العينين الثابتتين لكن المهرج يظهر فى لوحــات أخرى .. كى يضحكنا .. لكن يا لها من ضحكات مريرة .. تخجلنا قبل ان تحرك فينا نوايا السرور ! ..

ان « القناع » المثقف .. المخلوع على اجساد المهرجين .. يصبح هنا ضرورة لتحقيق اهداف الفنان : تفسير الواقع .. والتحريض من اجل تغييره . وذلك على النقيض من الاقنعة التى يستخدمها الفنان « حــامد عويس » على ســبيل المثال .

فأقنعة حامد عويس لاتغطى الوجــه .. بل تغطى الاجساد ! .. فالفلاح المطحون فى الواقع .. يلبس جســدا مرحيا .. ويبدو محتضنا بكل مسببات التحقق الفــردوسى على الارض ، ان الاقنعة » هنا تستخدم للتخدير وللايحاء بان كل شىء على مايرام والاقنعة عند فنان اكثر عمقا .. مثل عبــد الهــادى الجزار .. تغطى الوجه . والاطــراف .. تتعايش تعايشا غريبا مع الحشرات .. وتعــكس حالة من التلذذ المرضى بالملاقات البشعة . ووجــوه جــورج البهجورى وجوه متسامحة .. ومندهشة ووجوه راغب عياد وجوه مستسلمه .. اما وجوه عــز الدين نجيب .. او . اقنعته .. فهى اقنعة تحاكمنا .

ويقدم عــز الدين نجيب الى جــوار مجموعة الحــواة .. النصــف الثانى للمعــادلة ممثلا فى لوحــات الطبيعــة الصامته . ان طبيعته الصامته مأخوذه من الشارع .. محتضنه بشعائر الشرائح الفقيرة « الكفوف .. والحكم والامثال .. والزخارف » .. ومنتميه اليها قدور الفول المدمس ، وزجــاجات الزيت ، وعــربات الترمس ، والبطــــــاطا .. خالية من الشــيق الحسى .. ومن صخب ملامس استطح لوحــات مجموعة الحواة .. الوانها شــفافة هادئة .. تدعوك الى التأمل . تظهر الزخــارف فى اطارها الطبيعى . ويتخفف من تأكيد البعد الثالث .. لتصبح كل جزئية مساحة تســتوعب وحــدة هندسية تتعايش مع الجزئية المجاورة .. وتشكل فى الاجمال اشكالا توحى بتقاسيم العود وهو هنا يحاول اكتشاف الممكنات الجمالية الكامنة فى الاشياء العادية .. والمــالوفة .. وهو لايقف عند جزئية واحدة منها .. بل يجمع الكل فى واحد : البعد النفعى والجمالى ، والشعائرى .. لتصــبح عربة البطاطــا ، او الترمس .. لهــا تاريخ .. وحاضر .. اى كائن اجتماعى .. وصورة مطابقة لخالقة : الفنــان الشعبى ! .

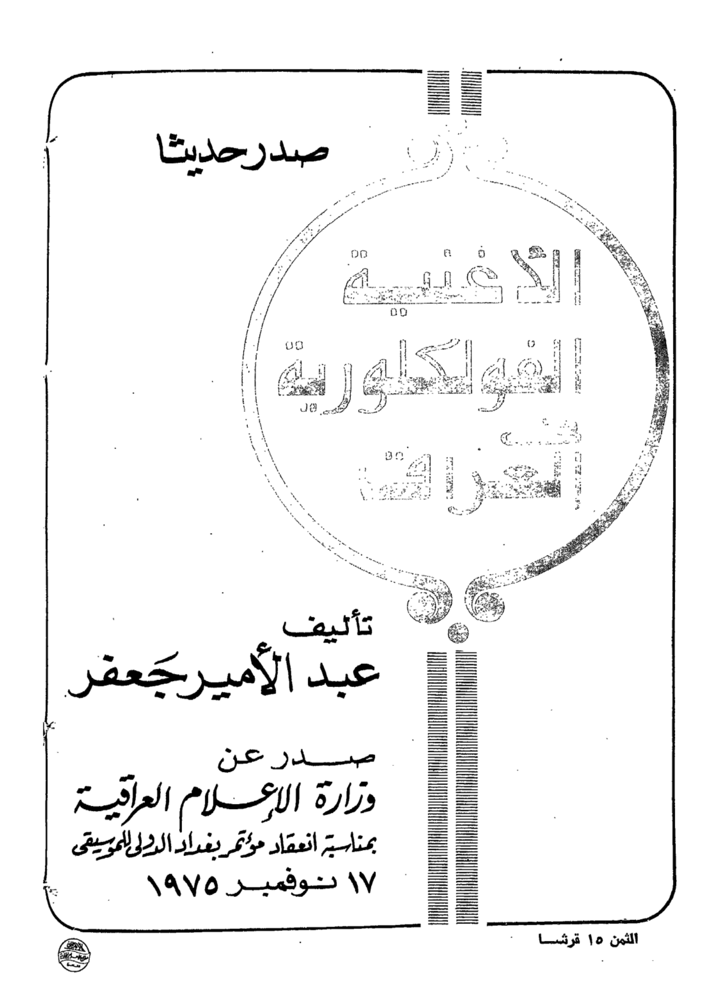
ان الطبيعة الصامته عند « عز » تتمتع بجزئيات قد تشــبع فنانا آخــر ليكتفى بها كلوحة . مثل جزئية المستطيل المقســم الى وحــدات .. فى لوحــة « النشان » القريبة من شكل المشربية والمذكرة ايانا باشــكال « الاوب » . وتصلح الحواف العليا لعــربة الترمس والمشغولة بالزخرفة .. تصلح من وجهة نظر فنان تجريدى ان تكون لوحة .

ان نصف المعادلة الاول : [الحواة] .. ونصفها الثانى ، [الطبيعــة الصامتة] .. يبدوان متناقضين ظاهريا لكنهما ما يلبثان أن يلتقيا فى نقطــة واحدة تتمثل فى الدعوة الى تغييــر الواقع عندما يكون مريرا .. وتأمل جمالياته فى نفس الوقت .. باعتبار أن بصمة الانسان المعذب تستطيع أن تنفصل عنه لتصبح عطاء روحيا لا ينضب

ان الايحاءات الادبية فى الاعمــال المعروضة واضحة ـ وهى ايحــاءات يتحفظ تجاهها عدد كبير من الفنــانين المصريين . لكنها .. فى رأيى .. ليست عيبا يهدم العمل التشكيلى . ان عظمة (الجورنيكا) ليست فى تصميمها فقط فلو أفرغنا هذه اللوحة من ايحاءاتهــا الادبية .. لحكمنا عليها بالموت . ان تصميمها مدهش .. ولكنه ليس تصميما يعجز عنه انسان آخر على هذا الكوكب ولكن عظمتها جاءت من قدرة [بيكاسو] الفذة .. فى خلق وحدة متكاملة من الايحاءات الادبية .. والدلالات الرمزية .. والوسائط التشكيلية المختلفة .

أى أنه نجح فى جمل الكل فى واحد وتلك من سمات الفن العظيم . □

محمود بقشيش



الثمن ١٥ قرشا


Bibliotheca Alexandrina
0531970